

نَفْحُ الطَّيِّبِ

غَضَنُ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ

تأليف
الشيخ أحمد بن محمد القرني التلياني

محققه
الدكتور احسان عباس

دار صادر
بيروت

نَفْحُ الطَّيِّبِ

غَضَنُ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ

تأليف
الشيخ أحمد بن محمد القرني التليساني

محققه
الدكتور احسان عباس

المجلد الأول

دار صادر
بيروت

نفع الطيب

١

جميع الحقوق محفوظة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار صادر : صندوق بريد ١٠ - بيروت

مقدمة المحقق

١ - تعريف بالمؤلف^١ :

وُلد أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ القرشي المكنى بأبي العباس والملقب بشهاب الدين سنة ٦٩٨٦ بمدينة تلمسان ، وأصل أسرته من قرية مَقَرَّة - بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة - وقد يَبِّن حال هذه الأسرة وشئونها عندما نتحدث عن جدّه الأعلى أحمد المقرئ حديثاً ضافياً (في المجلد الخامس من النفع) .
أما عن صلة الأسرة بتلمسان وصلته هو بها فقد قال (في المجلد السابع) :
«وبها ولدت أنا وأبي وجدي وجدّ جدي ، وقرأت بها ونشأت إلى أن ارتحلت عنها في زمن الشيبية إلى مدينة فاس سنة ١٠٠٩ ثم رجعت إليها آخر عام ١٠١٠ ثم عاودت الرجوع إلى فاس سنة ١٠١٣ إلى أن ارتحلت عنها للمشرق وأواخر رمضان سنة ١٠٢٧ . . . »

إذن فإن أبا العباس المقرئ نشأ بتلمسان . وطلب العلم فيها . . . وكان من أهم شيوخه التلمسانيين عمّه الشيخ سعيد المقرئ ، ولما فارقتها إلى فاس كان

.....

١ ليس من غايي في هذه النبذة بسط القول في المقرئ وإنما أكتفي بالإلماع إلى أهم ما لا بد منه للقارئ ، ومن شاء مزيداً في ترجمته فليراجع خلاصة الأثر للمحبي ١ : ٣٢٠ وصفوة من انشراح لمحمد الأفراني : ٧٢ واليواقيت الثمينة ١ : ٢٩ ونشر المثاني للقادري ١ : ١٥٧ وريحانة الألبا للخفاجي ٢ : ١٧٤ (ط . ١٩٦٧) وما كتبه الأستاذ عبد الوهاب بن منصور في مقدمته حل « روضة الآس » ، والأستاذ محمد حجي في كتابه الزاوية الدلالية : ١٠٨-١١٣ ، وللأستاذ الحبيب الجناحي كتاب في ترجمة المقرئ (تونس : ١٩٥٥) ، وكثير من المعلومات عنه يمكن أن يستمد من نفع الطيب وروضة الآس وأزهار الرياض وفتح المتعال ؛ وقد أوليت ما جاء عنه في رحلة العياشي اهتماماً خاصاً ، لأن الذين كتبوا عنه أغفلوا هذا الكتاب .
٢ اعتمدنا في هذا التاريخ على الأستاذ ابن منصور (مقدمة روضة الآس) .

في حدود الرابعة والعشرين من عمره ، وفي فاس مضى يطلب العلم على شيوخها ، إلى أن حلَّ فيها الفقيه إبراهيم بن محمد الآيسي أحد قواد السلطان أحمد المنصور الذهبي ، فأعجب بالمقري الشاب واصطحبه معه إلى مراكش وقدَّمه إلى السلطان ، وهناك التقى بابن القاضي وأحمد بابا التنبكي صاحب نيل الابتهاج وبغيرهما من علماء مراكش وأدبائها وكانت هذه الرحلة مادة كتابه « روضة الآس » الذي أخذ في كتابته حين عودته إلى فاس ومنها إلى بلده تلمسان ، ليقدِّمه إلى السلطان المنصور ، ولكن السلطان توفي (سنة ١٠١٢) والمقري ما يزال في بلده . ومع ذلك فإن الهجرة من تلمسان كانت قد ملكت عليه تفكيره فلم يلبث أن غادر مسقط رأسه نهائياً إلى فاس (١٠١٣) وأقام فيها حوالي خمسة عشر عاماً ؛ يقول في النفح : « وارتحلت منها إلى فاس حيث ملك الأشراف ممتد الرواق فشغلت بأمور الإمامة والفتوى والخطابة وغيرها » . والحق أن المقري أصبح في هذه الفترة من صدور العلماء المرموقين ، ولكن اضطراب الأحوال في المغرب بعد وفاة المنصور الذهبي وصراع أبنائه على الحكم ، وتعرض مدينة فاس نفسها لأعمال المدّ والجزر في تلك الظروف المتقلبة^١ ، كل ذلك لم يكن يكفل للقائمين فيها شيئاً من الهدوء ؛ ولم تكن بلاد المغرب حينئذٍ فريسة للأطماع الداخلية وحسب ، بل تعرضت لغزوات الإسبان والبرتغاليين ، وفي سنة ١٠١٦ كان المقري يشهد - عن كثب - انقطاع آخر صلة للعرب ببلاد الأندلس حين تفرقت الجالية الأندلسية تطلب لها مأوى في سلا وتونس وغيرهما من البلاد المغربية ؛ وبعد ذلك بثلاث سنوات كان الإسبان (الإصبيول) يستولون على مدينة العرائش في المغرب بمواطاة الشيخ المأمون أحد أبناء المنصور ؛ ولقي هذا العمل استنكاراً من الناس ، فلجأ الشيخ إلى الفقهاء ليفتوه في الأمر ؛ لقد كان هو لاجئاً عند صاحب إسبانيا يطلب منه المعونة فوعده بها لقاء إعطائه العرائش ،

١ انظر الاستقصا ٦ : ٣ - ٥٣ .

وما سمح له بمغادرة بلاد إسبانيا إلا بعد أن قدّم له أولاده رهينة حتى يفي بوعدده .
فهل من حقه أن يفدي أولاده بهذا الثغر أم لا ؟^١ وكان هذا السؤال امتحاناً
عسيراً للمتدّمين من المفتين ، ولذلك هرب جماعة منهم واختفوا عن الأنظار .
وكان المقرّي واحداً من أولئك الذين لجأوا إلى الاختفاء .

غير أن هذه الحادثة لم تدفع بالمقرّي إلى مغادرة فاس . بل بقي فيها عدّة
سنوات أخرى ، أحرز فيها منصب الإفتاء رسمياً بعد وفاة شيخه محمد الهواري
(١٠٢٢) .^٢ فهل ثمة من سبب مباشر دفعه إلى الرحلة عنها ؟ يقول الأستاذ
محمد نحجي متابعاً السيد الجنحاني : « وكان خروج المقرّي من فاس بسبب
اتهامه بالميل إلى قبيلة شراكة (شراقة) في فسادها وبغيها أيام السلطان محمد الشيخ
السعدي فارتحل إلى الشرق . . . إلخ »^٣ ، ولكن المصادر لا تذكر شيئاً عن هذا
السبب ، وكل ما قاله المقرّي نفسه « ثمّ ارتحلت بنية الحجاز ، وجعلت إلى
الحقيقة الحجاز » ، بل إنّه استأذن عبد الله بن شيخ نفسه في السفر ، فأذن له .
غير أن إصااق التهمة به ليس مستبعداً ، فقد كان المقرّي في فاس عالماً طارئاً
عليها ، وكانت شراقة تليمانية الموطن ، وكانت تنصر عبد الله بن شيخ ضدّ
أهل فاس ، فلعلّ الحسد للمكانة التي بلغها المقرّي عند هذا السلطان خيلت لبعض
سكان تلك المدينة أن المقرّي ضالعٌ مع سلطانه ومع تلك القبيلة نفسها ضدّ
الفاسيين . وبغير ذلك - أو ما يشبهه - لا يمكن أن نفسر عدم عودة المقرّي
إلى المغرب ، مع شدة حنينه إلى وطنه وقسوة ما لقيه في الترحال . وخاصة ما
لحقه من المضايقات أثناء وجوده في مصر .

١ الاستقصا ٦ : ٢١ .

٢ مقدمة روضة الآس : يج .

٣ الزاوية الدلالية : ١٠٩ والجنحاني : ٤٢ ، والشراقة هم عرب بادية تلمسان وما انضاف إليها
وسموا بذلك لأنهم في ناحية الشرق من المغرب الأقصى . فأهل تلمسان وأصاها يسون أهل المغرب
الأقصى مغاربة ، وأهل المغرب الأقصى يسون أهل تلمسان وأصاها مشاركة لكن العامة يلعبون
في هذه التسمية فيقولون: شراقة (الاستقصا ٦ : ٥٢) .

وفي أواخر رمضان عام ١٠٢٧ غادر مدينة فاس متوجهاً إلى المشرق فوصل تطوان (تطوان) في ذي القعدة من ذلك العام ، ومن هناك ركب السفينة التي عرّجت به على تونس وسوسة حتى وصلت الإسكندرية ، ومنها إلى القاهرة فالبحر ، فوصل مكة في ذي القعدة من العام التالي وبقي فيها بعد العمرة ينتظر موسم الحج ، ومنها توجه إلى المدينة لزيارة قبر الرسول (ص) ثم عاد إلى مصر (محرم ١٠٢٩-) وفي شهر ربيع زار بيت المقدس وأخذ يتردد إلى مكة والمدينة حتى كان في عام ١٠٣٧ قد زار مكة خمس مرات والمدينة سبع مرات ، وقد أوفى هذا الجانب تفصيلاً في كتابه «نفع الطيب»^١ ، قال : «وحصلت لي بالمجاورة فيها [مكة] المسرات ، وأملت فيها على قصد التبرك دروساً عديدة ، والله يحيل أيام العمر بالعود إليها مديدة ، ووفدت على طيبة المعظمة ميمماً مناهجها السديدة سبع مرار ، وأطفأت بالعود إليها ما بالأكباد الحرار ، واستضأت بتلك الأنوار ، وألفت بحضرتة صلى الله عليه وسلم بعض ما من الله به عليّ في ذلك الجوار ، وأملت الحديث النبوي بمراى منه عليه الصلاة والسلام وسمعت . . . ثم أبت إلى مصر مفوضاً لله جميع الأمور ، ملازماً لخدمة العلم الشريف بالأزهر المعمور ، وكان عودي من الحجة الخامسة بصفر سنة ١٠٣٧ للهجرة»^٢ .

وفي أوائل رجب من العام المذكور قصد إلى زيارة بيت المقدس ، فبلغه أواسط رجب وأقام فيه نحو خمسة وعشرين يوماً ، وألقى عدة دروس بالأقصى والصخرة ، وزار مقام الخليل إبراهيم ومزارات أخرى ، وفي منتصف شعبان عزم على التوجه إلى دمشق ، وهناك تلقاه المغاربة وأنزلوه في مكان لا يليق به ، فأرسل إليه الأديب أحمد بن شاهين مفتاح المدرسة الحقمية ، فلما شاهدها

١ انظر المجلد ١ : ٣٢ - ٥٧ .

٢ النفع ١ : ٥٦ - ٥٧ .

أعجبته وتحول إليها ، وقد أسهب في ذكر حاله بدمشق وما تلقاه به أهلها من حسن المعاملة ، ويكفي هنا أن ننقل بعض ما قاله المجتبي : « وأملى صحيح البخاري بالجامع تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح ، ولما كثر الناس بعد أيام خرج إلى صحن الجامع ، تجاه القبة المعروفة بالباعونية ، وحضره غالب أعيان علماء دمشق ، وأما الطلبة فلم يتخلف منهم أحد ، وكان يوم ختمة حافلاً جداً ، اجتمع فيه الألو ف من الناس ، وعلت الأصوات بالبكاء ، فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن ، إلى الباب الذي يوضع فيه العكس النبوي في الجمعة من رجب وشعبان ورمضان ، وأتي له بكرسي الوعظ فصعد عليه ، وتكلم بكلام في العقائد والحديث لم يسمع نظيره أبداً ، وتكلم على ترجمة البخاري . . . وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قريب الظهر . . . ونزل عن الكرسي فازدحم الناس على تقبيل يده ، وكان ذلك نهار الأربعاء سابع عشرين رمضان سنة ١٠٣٧ ، ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين إلى دمشق ما اتفق له من الخطوة وإقبال الناس »^١ . وكانت إقامته بدمشق دون الأربعين يوماً ، وقد خرج جمهور كبير من علمائها وأعيانها في وداعه ، عندما اعتزم العودة إلى مصر .

وحدث تلميذ له كان يلزمه ويرافقه في تقلباته بدمشق وزياراته لمعلمها - وهو الشيخ مرز الشامي - قال : إنه ذهب معه ذات يوم لزيارة قبر الشيخ محيي الدين ابن العربي في خارج المدينة ، قال : وكان خروجنا بعد صلاة الصبح ، ووصلنا إلى المزارعة عند طلوع الشمس ، فلما جلسنا عنده قال لي الشيخ المقرئ : « إنني ابتدأت عند خروجنا إلى الزيارة ختمة من القرآن لروح هذا الشيخ وقد ختمتها الآن »^٢ - وهذا شيء مستغرب لقصر المدة التي تمت فيها الختمة . وفي شوال من العام نفسه كان بمدينة غزة ، فنزل فيها ضيفاً على الشيخ

١ خلاصة الأثر ١ : ٣٠٥ .

٢ رحلة العياشي ٢ : ٨٦ .

الغصين ، وكانت للمقري مكانة عند أمير غزة ، فسأله تلميذه الشيخ عبد القادر ابن الشيخ الغصين أن يتوسط لدى الأمير بأن يسمح له ببناء بيت يبيع رخاب المسجد (إذ كانت دار الغصين بعيدة عن المسجد وكانت مهمته أن يقرأ ويقرأ في المسجد نفسه) فقال له المقري : لا بد من حضورك معي عند الدخول على الأمير . فلما دخلا عليه قدّم المقري للأمير مقدمات في فضل بناء المساجد والمدارس ، ثم أثنى على الشيخ عبد القادر ، وقال له : إنّه من أهل العلم وليس ببلدكم مثله ، وأراد أن تأذنوا له في بناء بيت في المسجد يقرأ فيه ويقرأ ، فقال الباشا : مثلك لا يليق له البناء في المسجد ولكن هنا موضع نجسه عليك - وهو موضع المدرسة - فكان إنشاء تلك المدرسة بفضل وساطة المقري ، وقصّ الشيخ عبد القادر أيضاً حكاية تدلّ على تواضع المقري أثناء إقامته بغزة ، وذلك أن الشيخ الغصين قال له : « يا سيدي أحمد إننا ننتهي الطعام المسمّى عند المغاربة بالكسكس فهل في أصحابكم من يحسن صنعه ؟ » فما كان من المقري إلا أن صنعه لهم بنفسه ، وكان عبد القادر يحتفظ بنسخة من كتاب شيخه المقري المسمّى « إضاءة الدُّجّة بعقائد أهل السنّة » وعليها تعليقات بخط المؤلف قيدها لدى مروره بمدينة غزة في تلك السفرة^١.

عاد المقري إلى مصر رغم إعجابه بدمشق وأهلها ، وكان أثناء إقامته الطويلة بمصر قد تزوج امرأة من عائلة السادة الوفاية ، رزق منها بنتاً ، توفيت عام ١٠٣٨ ، ويبدو أن العلاقة بينه وبين زوجته لم تكن موشحة بالوفاق ، ممّا اضطره إلى تطليقها ، وقد زادت هذه الحادثة من تنغيص حياته بمصر ، ويقول الخفاجي : إنّه وجد بمصر الحسد والنفاق ، وتجارة الآداب ليس لها بسوقها نفاق^٢ ، وفيما كان يزعم الهجرة من مصر ليستوطن الشام^٣ ، وافته منيته في جمادى الآخرة

١ رحلة العياشي ٢ : ٣٠٥ - ٣٠٧ .

٢ ربحانة الألبا ٢ : ١٧٥ .

٣ ذكر المحبي أنه زار الشام مرة ثانية أواخر شعبان سنة ١٠٤٠ .

سنة ١٠٤١ .

٢ - مؤلفات المقرري

ترك المقرري عدداً من المؤلفات ، وفي ما يلي ثبت بأسماء بعضها :

١ - روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين
مراكش وفاس ، ألفه حوالي ١٠١١ - ١٠١٢ ليقدّمه إلى المنصور أحمد
الذهبي (طبع بالمطبعة الملكية بالرباط عام ١٩٦٤ بتحقيق الأستاذ عبد
الوهاب بن منصور) .

٢ - أزهار الرياض في أخبار عياض ، ألفه أثناء إقامته بفاس ١٠١٣ -
١٠٢٧ ولم يطبع منه إلا ثلاثة أجزاء بتحقيق الأستاذة مصطفى السقا
وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي (القاهرة ١٩٣٩ - ١٩٤٢) .

٣ - إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة ، منظومة بدأ بتأليفها أثناء زيارته للحجاز
سنة ١٠٢٩ ودرسها في الحرمين الشريفين ، وأتمها في القاهرة سنة ١٠٣٦ ،
وقد قال عبد القادر الغصين إنه كان السبب في تأليفها ، قال : « لأنني
كنت أقرأ عليه صغرى الشيخ السنوسي بمصر ، فسألنا منه نظماً في
العقائد ، فكان كلما قرأ درساً نظم فيه قرأه غداً كذلك إلى أن ختمها »
وكانت عند عبد القادر نسخة منها عليها تعليقات للمقرري ، ومن جملة
ما كتبه على حاشيتها ، عند قوله « وكان إتمامي له في القاهرة » : « هو
جملة التاريخ لأن عدة حروقة بالجملة ١٠٣٦ » وكتب المقرري في آخر
تلك النسخة ما نصّه : « يقول مؤلف هذه العقيدة العبد الفقير أحمد المقرري
المالكي - جبره الله - إنني صححت هذه النسخة جهد استطاعتي ،

١ رحلة العياشي ٢ : ٣٠٦ ، ويمكن التوفيق بين هذا الذي قاله وبين بدء التأليف لهذه المنظومة في
الحجاز ، لأن تأليف الكتاب كان على فترات خلال سنوات .

وأصلحت فيها ما عثرت عليه ، وقد كتب من هذه العقيدة فيما علمت بمصر المحروسة والشام والحجاز والمغرب نيف على ألف نسخة ، والله الحمد ، وكتبت خطي على نحو المائتين منها ، وقد كتبها غالب طلبة مكة لما قرأتها هناك ، وأهل بيت المقدس لما قرأتها به أيضاً ، وأهل دمشق حين درستها بها ، وأخذ منها أصحابنا إلى المغرب^١ والصعيد نسخاً ، وكتب لي بعض أصحابنا بالصعيد أنه كتب منها هناك نيف على مائة نسخة ، وكذلك برشيد والإسكندرية ، جعلها الله خالصة لوجهه الكريم ، وكتب لشوال سنة ١٠٣٧ هـ^٢ (طبعت بمصر سنة ١٣٠٤ بهامش شرح العقيدة السنوسية للشيخ عlish) .

٤ - إتحاف المفرم المغربي في شرح السنوسية الصغرى ، وقد تقدّم (رقم : ٣) أنه كان يدرس السنوسية لطلبته بمصر (ومن شرحه لها نسختان بالخرانة الملكية بالرباط رقم ٣٥٤٤ ، ٥٩٢٨) .

٥ - أجوبة على مسائل أرسلها إليه أستاذه محمد بن أبي بكر الدلائي سمّاها « أعمال الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الأجناس . . . » (توجد ضمن كتاب البدور الضاوية بخزانة الرباط) .

٦ - حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي (ذكرها المحبي والبواقيت) .

٧ - عرّف النشق من أخبار دمشق (ذكره المحبي ، ولعله كان مشروعاً لم يتم) .

٨ - شرح مقدمة ابن خلدون (ذكره حاجي خليفة ٢ : ١٠٦)

٩ - قطف المهتصر في شرح المختصر ، شرح على حاشية مختصر خليل (ذكره المحبي) .

١ أرسل المغربي نسخة منها إلى المغرب صحبة أحد الحجاج إلى أستاذه شيخ الزاوية الدلائية سنة ١٠٤٠ .

٢ رحلة العياشي ٢ : ٣٠٧ .

- ١٠ - فتح المتعال في مدح النعال (طبع بالهند) ؛ ولما اطلع الرحالة أبو سالم العياشي على كتاب بمكة اسمه « منتهى السؤل من مدح الرسول » ووجد فيه مجموعة من الشعر في مثال نعل الرسول (ص) قال : « ولم يطلع على هذا التأليف شيخ مشايخنا الحافظ سيدي أبو العباس أحمد المقرئ ، مع سعة حفظه وكثرة اطلاعه ومبالغته في التنقير والتفتيش عما قيل في النعل ، ولم يطلع لمن قبل عصره إلا على عدد أقل من هذا بكثير ، وغالب ما أودعه في كتابه « فتح المتعال في مدح النعال » كلامه وكلام أهل عصره ، ولو اطلع على هذا الكتاب لاغتبط به كثيراً »^١ .
- ١١ - وكان المقرئ قد ختم كتابه السابق برجز في النعال الشريفة ثم أفردته في نسخة بعث بها إلى شيخه الدلائي (المخطوط رقم ٥٦٥ بالخزانة العامة بالرباط) ولعله المسمى « النفحات العنبرية في نعل خير البرية » .
- ١٢ - وللمقرئ أراجيز كثيرة أخرى منها « أزهار الكمامة في شرف العمامة » (الخزانة العامة بالرباط ؛ المخطوطة ٩٨٤ د) .
- ١٣ - والدر الثمين في أسماء الهادي الأمين (ذكره المحبي واليواقيت) .
- ١٤ - ورجز « نيل المرام المغتبط لطالب الخمس الخالي الوسط » (مخطوطة الرباط ٢٨٧٨ ك) .
- ١٥ - البلدة والنشأة (ذكره المحبي واليواقيت) .
- ١٦ - الغث والسمين والثرث والتمين (ذكره في اليواقيت) .
- ١٧ - حسن الثنا في العفو عمن جنى (طبع بمصر في ٤٧ ص ؛ دون تاريخ) .
- ١٨ - الأصفياء (ذكره أحمد الشاهيني في رسالة بعث بها إلى المقرئ) .
- ١٩ - الشفاء في بديع الاكتفاء (ذكره أحمد الشاهيني في رسالته) .
- ١ رحلة العياشي ٢ : ٢٥٦ . وقد سرح المقرئ في أواخر النفع أنه اطلع على الجزء الخامس والعشرين منه .

- ٢٠ - القواعد السرية في حل مشكلات الشجرة النعمانية .
- ٢١ - النمط الأكل في ذكر المستقبل .
- ٢٢ - أرجوزة في الإمامة .
- ٢٣ - نظم في علم الجدول (ذكره في اليواقيت) .
- ٢٤ - وذكر في النفع أنه كان يزعم تأليف كتاب في تليمان يسميه : « أنواء نيسان في أنباء تليمان » ويبدو أنه لم يحقق ذلك .
- ٢٥ - شرح له على قصيدة « سبحان من قسم الحظوظ »^١ (ذكره في اليواقيت) .
- ٢٦ - ونسبت له المصادر كتاب « الجمان من مختصر أخبار الزمان » إلا أن الأستاذ الجنحاني يشك في نسبة هذا الكتاب إليه^٢ .
- ٢٧ - رسالة « إنحاف أهل السيادة بضوابط حروف الزيادة » (ذكرها في النفع ٣ : ٤٥٧ ولعلته لم يفرداها) .
- ٢٨ - وأخيراً كتاب « نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب » الذي سأحدث عنه في ما يلي :
- ٣ - كتاب نفع الطيب :

حدثنا المقرئ في مقدمة كتابه عن جميع المرحلة التي سبقت تهممه لتأليف هذا الكتاب ، ومنه نفهم أنه ثمرة لزيارته التي قام بها لدمشق ، فقد حدث تلامذته فيها عن لسان الدين ومكانته السياسية والأدبية فأثار في نفوسهم حب الاستطلاع إلى مزيد من البيان عنه ، وكان أحمد الشاهيني المدرس بالتحقيقية

١ يفهم من كلام صاحب اليواقيت أن المنظومة نفسها للمقرئ ، ولكن بعض أبيات حل وزنها وردت في النفع ضمن رسالة لسان الدين ، فلعل المقرئ عارض هذه الأبيات في قصيدة طويلة .

٢ انظر كتاب الجنحاني ص : ٩٢ - ٩٥ .

أشدهم إلحاحاً في ذلك ، ولهذا نزل المقرّي عند رغبته ، ووعدّه « بالشروع في المطلب عند الوصول إلى القاهرة المعزّية »^١ ، وبعد أن قطع في العمل شوطاً بدا له أن هناك صعوبات لا يستطيع التغلّب عليها ، فخامره التردّد من جديد . وعاود ابن شاهين الإلحاح وكان اطلع على بعض ما جمعه المقرّي ، فأحسنّ بخيّة أمله لأن المقرّي لم يدرج في فاتحة الكتاب المجموع ما دار بينهما من محاور ، ممّا اضطر المقرّي إلى معاودة العمل على نسق جديد ، وتخصيص قسم من المقدمة ومن الكتاب لذكر دمشق وأصحابه فيها ، وكان في البداية يزعم أن يسميه « عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب » فلمّا رأى أن المادة التي اجتمعت لديه قد استفاضت بحيث شملت تاريخ الأندلس وأدبها غير اسم الكتاب وجعله « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب » . وعلى هذا النحو أصبح الكتاب قسمين : قسم خاص بالأندلس عامة وقسم خاص بلسان الدين وما يتعلق به من شئون . وفي كل قسم من هذين القسمين ثمانية فصول^٢ . وقد فرغ من كتابته « عشية يوم الأحد المسفر صباحها عن ٢٧ رمضان سنة ١٠٣٨ بالقاهرة » ثم ألحق فيه كثيراً في السنة التالية بعدها فيكون جميعه في آخر ذي الحجة الحرام تمة سنة ١٠٣٩^٣ .

والحقّ أن زيارة المقرّي لدمشق كانت ارتباطاً « بوعد » ساعد المقرّي على إنجاز الكتاب ، ولكنّي أرجح أن فكرة الكتاب كانت تجول في ذهنه . قبل ذلك ؛ لأسباب منها :

١ — أن إعجابه بلسان الدين ابن الخطيب ، بحيث يقلده في طريقته الإنشائية ويحفظ الكثير من رسائله وشعره ، كان قميئاً بدفعه إلى كتابة مؤلف عنه ، وخاصة لإحساسه بالغربة والوحشة اللتين أحسّ بهما « مثله الأعلى » حينما لجأ إلى المغرب .

١ النفح ١ : ٨٠ .

٢ انظر تفصيل ذلك في النفح ١ : ١١٣ - ١١٧ .

٣ خاتمة النسخة « ق » .

٢ - أن مثل هذا الكتاب كان كفيلاً بأن ينفس عنه كربه ، ويعود به من خلال أشعار الحنين ومن خلال التاريخ الماضي والقريب إلى وطنه ، عودة . نفسية وروحية .

٣ - أن المنهج للتأليف في لسان الدين كان سهلاً مفتوح المسارب أمام عينيه لأنه قد مارس مثل هذا المنهج حينما كتب عن القاضي عياض كتاباً سماه « أزهار الرياض » .

٤ - أن انفصام آخر الروابط الإسلامية من الأندلس لم يكن قد مضى عليه إلا سنوات ، فكانت صورة « المأبأة » ما تزال تلحّ على مخيلة المقرّي ، وكان الربط بين الماضي والحاضر من الأمور التي تُعين على التذكر والتذكير والعبرة في آن واحد ؛ وكل من درس « نفح الطيب » بتأمل ، سيشعر بهذه الناحية ، ويكفيها مثلاً على ذلك تلك الوقفة الطويلة التي وقفها المقرّي وهو يستعيد صورة المنصور بن أبي عامر الذي يمثل البطولة العربية بالأندلس في أوجها .

٥ - كان المقرّي كغيره من المغاربة يحسُّ مدى إهمال المشاركة للتراث الأندلسي والمغربي ، وكان ذلك الإهمال في القديم للاعتداد بالثقافة المشرقية ، أما في عصر المقرّي فكان سببه ضعف الثقافة عامة ، وحسبك أن تجد لسان الدين - وهو من هو في المغرب والأندلس - محتاجاً إلى من يعرف المشاركة به ويحدثهم عن أخباره ؛ ولهذا وجد المقرّي أن كتابة مؤلف جامع شامل تحقق هذا الغرض ، وكان في البدء يزعم أن يقصره على لسان الدين ، ثم وجد أن صورة لسان الدين لا يمكن أن تتضح إلا على محمل من التطور الأدبي والسياسي في الأندلس . وفي الوقت نفسه كان الكتاب يحقق تبيان الصلة الثقافية بين المشرق والمغرب ، ولهذا خصص جزءاً كبيراً من كتابه للرحلتين : رحلة المغاربة إلى الشرق ورحلة المشاركة إلى الأندلس والمغرب ، وفي هذه الناحية الثانية كان المقرّي يحسُّ أنه حلقة في تلك السلسلة الطويلة ، وكأنه في مقدمة الكتاب وفي بعض

فصوله الأخرى سجلَ طرفاً من رحلته ، كما سجلَ أسلافه من قبل أخبار تنقلاتهم . وبذلك أسعفه مؤلفه هذا على أن يحقق ما قد نسميه « نزعة مغربية » وهي نزعة لا تقتصر على الرحلة وإنما كانت تشمل نقل التراث المغربي الخالص والأندلسي إلى المشاركة .

ولست أرى المقري مغالياً أو مرسماً لتقليد معين حين يعلن عن تهيئه من الإقدام على هذا التأليف ؛ نعم كان المنهج أول الأمر واضحاً في غيخته ، ولكنه ما إن بدأ العمل حتى واجهته أكبر صعوبة يمكن أن تواجه من يتصدى لذلك ، أعني ندرة المصادر الأندلسية والمغربية في المشرق . ولسنا ننكر أن الرجل كان ذا ذاكرة قوية ، ولكن الذاكرة القوية لا يمكن أن تسعفه في كل وجه ، ولو كانت كذلك حقاً لأنقذته من التكرار الكثير الذي يقع في صفحات متقاربات أحياناً ، ثم هناك أشياء قد اختلّت عن صورتها الأولى في ذاكرته لأنه حفظها منذ عهد بعيد ، وإذن فما العمل ؟ إن كل من يقرأ النفح يحس أن المقري لم يكن لديه نسخة من الدخيرة أو من المقتبس أو من زاد المسافر أو من الصلة لابن بشكوال ، ولم يتح له أن يطلع على صلة الصلة والذيل والتكملة والحلة السيرة ونحفة القادم وجذوة المقتبس ومعجم أصحاب الصدف . . . إلخ ، وإذا رأيت يذكّر هذه الكتب فهو إنما ينقل عنها بالواسطة . ولهذا كله انقضى على مصادر معينة فأسرف في النقل عنها لأنه لا يملك سواها ، فقد وجد لديه من مؤلفات ابن سعيد المغرب والقدح المعلي (أو اختصار القدح) ووجد لسان الدين نفسه الإحاطة والفتح ابن خاقان المطمح والقلائد ، وكان بين يديه كتاب ابن الفرضي في العلماء والرواة وكتاب المطرب لابن دحية ودرر السمط وكتاب التكملة لابن الأبار ، وتاريخ ابن خلدون ونيل الابتهاج لشيخه أحمد بابا ، وأمعن في التفتيش عن كل ما دونه المشاركة من أخبار الأندلس فاستعان بابن خلكان وبالحريدة وبكتاب بدائع البدائ لابن ظافر ، ونقل أكثر ما فيها من حكايات وأخبار أندلسية ، وكان ممّا جرّاه على الاصطلاح بذلك العبء ، أنه كان قد نقل كثيراً من المادة

اللازمة (أصالة أو استطراداً) في كتابيه أزهار الرياض وروضة الآس ، فارتاحت نفسه إلى إعادة جملة غير قليلة من مادة كتابيه هذين .

هذه صورة قد تخيل للقارىء أن الجهد في تأليف النفع لم يتعدّ تكديس المادة من المصادر التي تيسّرت حينئذ للمؤلف . ولكن من الجور على المقرّي ألاّ نعرّف له بفضل الكبير وهو قدرته - رغم الاستطرادات - على تسخير مادته لتصوير الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية بالأندلس والمغرب ؛ وما يزال قسم كبير من كتابه منقولاً عن أصول ضاعت ومستوعباً لأصول أخرى لا نجدّها في سواه . وقد ظهر كثير من المصادر التي نقل عنها في خلال الأعوام المائة الأخيرة ، إلاّ أن ظهورها لم ينقص من قيمة النفع كثيراً ، بل إنّ وجود النفع كان بمثابة الوثيقة النافعة في تحقيق تلك المصادر . وعلى سبيل المثال أقول : إنّ المقرّي قد اعتمد كثيراً على المغرب لابن سعيد ولكن المقارنة الأولية بين نصّ المغرب المنشور ونصّ النفع تدلّنا على أن المقرّي اعتمد نسخة أوفى بكثير من هذه التي لدينا ؛ كذلك نقل كثيراً عن المطمح ولكن اعتماده على المطمح الكبير الذي لا نعرفه حتى اليوم يجعل نقوله نسخة متفردة في عدة أمور . والأمر يبدو على وجه أوضح إذا تساءلنا أين هو الطالع السعيد ، والروض الأريض ، وجنة الرضى ، وكتب المقرّي الجدد والأزهار المنشورة وغيرها من الكتب الكثيرة التي استعان بها المقرّي في هذا التأليف ؟ إنّ كتاب النفع قد اتخذ الطابع « الموسوعي » الذي يجعله مغنياً عن عشرات الكتب لصعوبة الرجوع إلى تلك الكتب مجتمعة في نطاق ، هذا إذا بالغنا في التفاؤل وقدّرنا أن جميع مصادر النفع ستكون ذات يوم في متناول أيدي الدارسين .

٤ - تحقيق نفع الطيب :

لهذه القيمة التي لا يزال هذا الكتاب يتمتع بها رأيت أن أتولاه بالتحقيق

العلمي . ومع أن نفح الطيب أقدم كتاب أندلسي ظهر للنور وعرفته المطبعة العربية وكان مصدراً لأكثر ما عرفه المشاركة عن الأندلس في مدى مائة عام أو أكثر فإنه لم ينل من عناية المحققين ما ينبغي له ، وخير طبعة ظهرت منه هي تلك التي تولاها بالعناية كل من دوزي ودوجا وكريل ورايت (لندن : ١٨٥٥) فقد اعتمد هؤلاء المستشرقون على النسخ الخطية التي توفرت لهم في باريس ولندن وأكسفورد وغوطة وبرلين وكوبنهاجن وبطرسبرج ، ونشروا الكتاب في قسمين يحتوي كل قسم على جزءين وألحقوا بذلك جزءاً صغيراً يضم الفهارس والتصويبات ، ومع أن هذه الطبعة لم تشمل إلا القسم الأول من النفح . فليس ذلك ممّا يحول بيننا وبين كلمة إنصاف هؤلاء المحققين ، ذلك أنهم توخوا الدقة في مقارنة المخطوطات واجتهدوا في مراجعة نصوص النفح على ما تبسر لديهم حينئذ من مصادر ، فجاء الكتاب ذا طابع علمي موثق . ولهذا اعتبرت الطبعة أصلاً معتمداً ، وأشارت إليها في حواشي الطبعة الجديدة باسم أشهرهم في الدراسات الأندلسية وهو « دوزي » ، ولم أحاول أن أعيد النظر في المخطوطات التي اعتمدها ثقة مني بأمانتهم التي تبلغ حد التزمّت في إثبات الفروق بين مختلف النسخ الخطية .

وقد طُبِع النفح عدة طبعات في المشرق كان أولها طبعة بولاق سنة ١٢٧٩ . وهي على ما فيها من جهد مليئة بالخطأ ، وليس فيها ما في الطبعة الأوروبية من دقة علمية ؛ ثم كان آخر الطبعات المشرقية طبعة المكتبة التجارية بإشراف الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : ١٩٤٩) ، وقد أفاد فيها من الطبعة الأوروبية ومن الطبعات المشرقية ، فجاءت في صورة مقبولة نوعاً ما ، ولذلك أبحث لنفسي أن أشير إليها باسم « التجارية » إشارات قليلة ، وإن كنت لا أعدّها أصلاً لأنها لم تعتمد على نسخ خطية .

وفي سبيل أن أوفر لهذه النشرة الجديدة ما تتطلبه الأمانة العلمية من جهد راجعت النفح على كلّ ما استطعت الحصول عليه من مصادره - خطية كانت

أو مطبوعة - وسيجد القارئ في الحواشي والجزء الخاص بالفهارس أنني راجعت في سبيل ذلك عشرات الكتب ، ورصدت نقل المقرئ على نحو يكشف عن أصول كتابه حتى حين بصمت عن ذكر تلك الأصول ، وترجمت للأعلام ترجمات قصيرة أو أشرت إلى مصادر تراجمهم ، وشرحت ما اعتقدت أن الشرح فيه ضروري ، ولم أستكثر من الشروح اللغوية لأن ذلك يخرج الكتاب - وهو ضخيم بطبيعته - إلى حجم كبير جداً . وأثبت فروق القراءات ، لا حيث يكون الخطأ واضحاً ، بل حيث تكون القراءة ذات وجه مقبول . وزوّدت الكتاب بفهارس شاملة ، لكي يكون الانتفاع به ميسراً ، فإن كثرة الاستطراد فيه وتشعب أجزائه تجعل الإفادة منه - دون فهارس تفصيلية - أمراً بالغ العسر . وأبحث لنفسي ترقيم بعض فقرات هذا الكتاب ووضع عناوين لأجزائه ، كي أسهل على القارئ والباحث استعماله ومراجعته .

على أن كل ذلك لم يكن ليعطي لهذا العمل صبغة فارقة لو لم أعتد على عدد من مخطوطات النفخ نفسه أعانني كثيراً في التحري والتدقيق ، وقد راعيت أن تكون هذه المخطوطات مما لم يطلع عليه محققو الطبعة الأوروبية ، وهذا ثبت بتلك النسخ التي اعتمدتها :

١ - النسخة « ك » وهي من المكتبة الكتانية التي ضُمت إلى الخزانة العامة بالرباط (ورقمها : 2394 ك) وتقع في ٢٨٦ ورقة ، تمثل أول ورقتين منها فهرساً لأهم الموضوعات التي وردت فيها ، ويبدأ النصّ فيها على الورقة الثالثة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٢١ سطراً ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١١ كلمة ؛ وهي مكتوبة بخط مغربي جيد (أندلسي) كثير التشجير وعلى هوامشها عناوين للموضوعات ، وهي أكثر المخطوطات اتفاقاً مع الطبقات المشرقية ، وتنتهي عند آخر الباب الرابع من القسم الأول حسب تقسيمات المؤلف .

٢ - النسخة « ج » وهي رقم 768 ج بالخزانة العامة بالرباط ، وتقع في ٢٠٥ ورقات إلا أن ما يخص النفخ منها ينتهي عند الورقة ١٨٣ ويمثل ما بعد

هذه الورقة قطعة من كتاب « أنس السмир في نقائص الفرزدق وجريير » وقطعة من
الذخيرة تمثل ترجمة ابن عمّار . وتحتوي كل صفحة منها ٣٣ سطراً ، مكتوبة
بخط مغربي دقيق جداً ، وقد سمّاها ناسخها الجزء الأول من النفع إذ جاء في
آخرها : « انتهى ما وجد في الجزء الأول من نفع الطيب ويتلوه في الجزء الثاني :
ولما سألتني في الإجازة الفاضل الأديب الشيخ محمد بن علي ابن مولانا عالم الشام
الشهير الذكر شيخ الإسلام سيدي ومولاي عمر المعاري حفظه الله . . . إلخ
بحول الله وحسن عونه ، وكان الفراغ منه ضحى ثامن شهر رمضان سنة ١٠٧٧
وذلك بحضرة مراکش . . . على يد الفقير إلى رحمة القدير محمد بن عمر
الدعوي . . . » . وتُعدّ هذه النسخة قيمة لقدمها ودقتها ، وهي أقرب إلى
نسخة ق (التي سيأتي وصفها) من نسخة ك .

٣ - النسخة « ط » رقم 268 ك بالخزانة العامة بالرباط وهي في ٢٧٨
ورقة ، في كل صفحة ٢٥ سطراً ، وقد كتبت بخط مغربي واضح خالٍ من
المدّ والتعريب ، ومجموع ما تحويه يساوي ما اشتملت عليه نسخة « ك » ، غير
أنها أقرب المخطوطات إلى « ق » ، حتى في القراءات الخاطئة .

٤ - النسخة « م » وهي رقم 430 ك ، بالخزانة العامة بالرباط وتضم
٢٨٦ ورقة ، في كل صفحة منها ٢٤ سطراً ، وخطها أيضاً مغربي واضح ،
والقلم الذي كتبت به مستعرض قليلاً ، بالنسبة للمخطوطات الأخرى ، وهي
تبدأ بالباب السابع من القسم الأول وتنتهي بنهايته ، ويسمّيها ناسخها « الجزء
الثالث » من الكتاب . وتتميز هذه المخطوطة عمّا عداها بحذف المكرر وبالتمهيد
المسهب في التقديم للأشعار ، وإيراد زيادات - وخاصة في أشعار الزهد - لا ترد
في غيرها من المخطوطات ، ويبدو من مجمل النظر فيها أنّ ناسخها حاول أن
يتحكّم في نص النفع بالحذف والزيادة ، وأن ذلك ليس من صنع المقرّي نفسه .
٥ - النسخة « ب » وهي نسخة خاصة كانت في ملك العلامة المحقق
الصادق إبراهيم الكتاني ، فلما علم - حفظه الله - بأنّي أنوي تحقيق النفع

قدّمها إليّ ، مشكور الفضل المذكوراً بالخير ، ولعلّ هذه النسخة في الأصل كانت كسابقتها إذ أنها تبدأ بالباب السابع من القسم الأول ، إلا أنّها مبتورة من آخرها ، ولم يبق منها إلا ١٦٥ ورقة ، وفي كل صفحة منها ٢٩ سطراً ، وخطها مغربي في غاية الجمال والوضوح ، وقد عاثت الأرضية في صفحاتها بشدة ، كما أن بعض الصفحات فيها خالٍ تماماً من الكتابة .

٦ - النسخة « ص » وهي رقم 216 ق بالخزانة العامة بالرباط وأصلها من مكتبة الزاوية الناصرية وتقع في ٢٩٠ ورقة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٣١ سطراً ، وخطها مشرقى نسخي ، والاهتمام بالشكل فيها مقصور على النصوص الشعرية ، وتسمّى « الجزء الثالث من النفع » وتبدأ بالباب الثامن من القسم الأول وتستمر حتى نهاية الباب الرابع من القسم الثاني ، وهي قريبة النسب (دون الخط) بأصل النسخة « ك » ، وتقع وسطاً بين الطبعات المشرقية ونسخة « ق » .

٧ - النسخة « ق » وهي نسخة خاصة يملكها الصديق الكريم والكتبي المفضل الأستاذ قاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد ، وقد تفضل مبادراً فأعارنيها حين أعلمته أنّي أقوم بتحقيق الكتاب ، وتقع هذه النسخة في ٥١١ ورقة ، وهي نسخة كاملة تضم جميع مادة النفع بقسميه ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٥١ سطراً ، وقد كتبت بخط نسخ مشرقى جميل وجعلت عناوينها الكبرى والصغرى بالخبر الأحمر ، غير أن ناسخها يسهو عند تشابه النهايات ، فيسقط مرات أسطراً كاملة ، كما أن الخطأ الناشئ عن تصوير الكلمة لتطابق صورة الأصل الذي كان ينقل عنه ، يتفشى فيها ، ومع ذلك فهي من أشد النسخ قرباً من المتن المثبت في طبعة دوزي . وناسخها هو أحمد بن محمد الحموي العطار ، فرغ من نسخها « عشية يوم الأربعاء المسفر صباحها عن الرابع والعشرين أو الثالث والعشرين للذي القعدة الحرام من شهور سنة ١١٣٠ » بمتزله الكائن بمحلة القيمرية من دمشق الشام - وقد قام بكتابتها برسم السيد محمد عاصم أفندي

ابن المرحوم السيد عبد المعطي أفندي الشهير بنسبه الكريم بالفلاقي - .
٨ - « المقتطفات » وهي أوراق كتب عليها « قطعة من تاريخ الأندلس »
وتحمل رقم ٤٢١ إسكوريال وأكثر المادة فيها مأخوذة من نفح الطيب ، ولكي
لم أفردا برمز لأنني غير واثق أنها تمثل جزءاً من ذلك الكتاب دون زيادات
من كتب أخرى ، وهي في ١٤٣ صفحة ، في كل صفحة ٣٠ سطراً ، وتحتوي
على الأخبار التاريخية مثل ترجمة عبد الرحمن الداخل وأخبار المنصور بن أبي
عامر والمعتمد بن عباد ومطولات القصائد كقصيدة ابن مقانا الأشبوني وقصائد
ابن حمديس في المباني وقصائد لابن زيدون وقصيدة لسان الدين السنية المفتوحة
وتشبه أن تكون « مسودة » أصلية ، إذ مادتها غير مرتبة ، وتضم من أخبار
المشرق قطعة كبيرة عن الناصر بن المنصور وشعره .

وحقيق لي بعد هذا كله ، أن أعترف بجميل كل من له فضل على هذا
العمل ، فأقدم بوافر الشكر لعدد من الأصدقاء ، أخص بالذكر منهم الأستاذ إبراهيم
الكتاني الذي قدّم لي النسخة « ب » هدية خالصة ، والأستاذ قاسم الرجب الذي
كانت نسخته (ق) معتمدي الأول في التحقيق ، والأستاذ عبد الله الرجراجي
مدير الخزانة العامة بالرباط الذي ذلّل لي صعوبات جمة حين أذن بتصوير
كل نسخ النفح الموجودة بالخزانة العامة . فلولاً حمية هؤلاء الأصدقاء في
خدمة العلم لما استطعت أن أستمّد الثقة المسعفة على المضيّ لبلوغ غاية شاقة .

ويطيب لي أن أنوه بالعون العمليّ المخلص الذي تلقّيته من اثنين من تلاميذي
يدرسان في مرحلة الماجستير هما الآتية وداد القاضي التي تعمل في حقل العلم ببصيرة
نافذة وروح علمية سامية والسيد يوسف محمد عبد الله أحد اللامعين من أبناء جمهورية
اليمن الجنوبية الشعبية ، فقد تكبدا معي - بصبر لا يعرف الكلل ودقة تستحق
التقدير والإعجاب - عناء المراجعة للأصول وإعداد الفهارس العامة والنظر في
النصّ قبل ذهابه إلى المطبعة نهائياً ، وبذلك في ذلك من جهدهما ما لا أفيه حقه
من الشكر . جزاهما الله غني كل خير ، وضواً مستقبليهما الذي أرجوه لهما

ويرجوانه لنفسيهما بهدي العلم وبركاته .

وما أظنني أنجاز الواقع في شيء حين أنسب أكثر ما في هذا العمل من خير إلى جهود صديقين عزيزين : هما الأستاذ أنطون صابر (صاحب دار صادر) والأستاذ مصطفى دمشقية ، فأما الأول فقد ضحى براحته ووقته في رعاية هذا العمل خطوة بعد خطوة ، وقد آلى على نفسه أن يشمل به روح الإتقان وبراعة الإخراج مهما يكلفه ذلك من بذل ومشقة ، وأما الثاني فإن عداوته للخط وسهره في تحري الصواب وإعماله النظر النافذ والقلم السديد في صفحات الكتاب أثناء الطبع ، قد حقق ما أتبع له من التجويد الواضح الذي يستحق الثناء العاطر والشكر الجزيل .

فأما ما قد يكون هنالك من هفوات فلأنني أنحمت وزرها وحدي ، غير خجل بها ، وإن تمنيت السلامة منها ، بعد أن قدّمت ما في طاقتي في مدة تزيد على عامين ، انصرفت فيهما عن كثير من الشئون ، لإنجاز هذا العمل على نحو مقبول ، مطمئناً إلى أن باب العصمة مرتجع دون بني الإنسان ، راضياً أن يكون الخطأ القليل علامة على إحراز الصواب الكثير .

والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل .

بيروت في ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٦٨ إحصان عباس

[illegible][illegible]

الورقة الأولى من النسخة «ص» .

الحمد لله

[illegible][illegible]

۱۰
 ۱۱
 ۱۲
 ۱۳
 ۱۴
 ۱۵
 ۱۶
 ۱۷
 ۱۸
 ۱۹
 ۲۰
 ۲۱
 ۲۲
 ۲۳
 ۲۴
 ۲۵
 ۲۶
 ۲۷
 ۲۸
 ۲۹
 ۳۰
 ۳۱
 ۳۲
 ۳۳
 ۳۴
 ۳۵
 ۳۶
 ۳۷
 ۳۸
 ۳۹
 ۴۰
 ۴۱
 ۴۲
 ۴۳
 ۴۴
 ۴۵
 ۴۶
 ۴۷
 ۴۸
 ۴۹
 ۵۰
 ۵۱
 ۵۲
 ۵۳
 ۵۴
 ۵۵
 ۵۶
 ۵۷
 ۵۸
 ۵۹
 ۶۰
 ۶۱
 ۶۲
 ۶۳
 ۶۴
 ۶۵
 ۶۶
 ۶۷
 ۶۸
 ۶۹
 ۷۰
 ۷۱
 ۷۲
 ۷۳
 ۷۴
 ۷۵
 ۷۶
 ۷۷
 ۷۸
 ۷۹
 ۸۰
 ۸۱
 ۸۲
 ۸۳
 ۸۴
 ۸۵
 ۸۶
 ۸۷
 ۸۸
 ۸۹
 ۹۰
 ۹۱
 ۹۲
 ۹۳
 ۹۴
 ۹۵
 ۹۶
 ۹۷
 ۹۸
 ۹۹
 ۱۰۰



بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير الضعيف الحقير من هو من مال العبد عري احمد بن محمد الشيرازي القري العري المالك
 الانعري اصله الله حله وجعل في حياته حله وتعاله وهي ببيت الطاعة والرسالة اجماله
 وانج بهاوخ اماله النقاء والنقاء احمد من عرف من حلي الامصار وعلى الاعيان على ندول الامصار
 وتكامل الاحيان ما فيه ذكرى الاولى لا بصار وان شاء الله معرفة الدتان واعتبار ما خاير راع
 وصفها اوراق وشرف من حسن الطماع والمطامع في تفصيل ما افاد لسان القري من كلام ج
 وتقصير الذي اجاز من حكم بالغ سحب بلوغها هوامع واقتناه ذخاير المهندين التي تشفت
 بدورها القوامع الاذان والمسامع من كل خط عن رتبة البرقة اوراق حتى توج الخطيب الجيد
 وليس المنابر بغير ايد الكاوم وحلى الكتاب الجيد صدور المزار من فوايد الاعاوم وتخل الحكيم الطيب
 الالاب المقيده من امد الحجاب مبر وذاق لافاوم عيون اوراق وشهد ان لا اله الا الله وحده العابد
 لائق من غير مثال وبره وقسم العباد الى حاضر وباء وظاهر وخامل وقامر وكامل ششرايه بالاطم
 ايها الكبر وابد في اختلاف ذواتهم واعراضهم وقيام اذواتهم واعراضهم وتغاير السنن ومكتم
 وانتمهم والوانهم واكنهم ومناصبهم ومناصبهم وجعل الدنيا لمن اتبع صغيرا وكبرا وليس فيهم
 مسوحا او خمر او اخلا في الارض اصعد منبرا جسر الى الآخرة ومعبدا وحكم وهو الغافل الخشاع
 على كبح الموت فكان لبتداهم خبرا فيا له من داء اعجب كل معالج اوراق فسيحانه من له انفراد
 بوجوه القدم والبقاء ولتنتق بفعله من شقاء فارتقى هم عر تعالى ذوى السعادة والسقا
 بالجدوث والفساد اذ من فراق الدنيا كل من فيها يلا ثنية فمن وفق فتن عن جفنه وسنا اوخذ
 فخر في ميدان الاختار وسنا وزين له عياذ بالله سق عمله ثراه حسنا طهر شغوبه بل ليعني
 فلم يقن عن ذوى الغنى والظفر والهدال والظفر والمدح والثناء فاولئك القوا السلاوح
 والثناء واصحاب النظم والتميم والهدال والظفر والمدح والثناء فاولئك القوا السلاوح
 متدعين مستبصرين موقنين اذ بها الحق وزهق الباطل وولى الامر وهو لا تتركوا الاطلا
 معالين ما لهن انهم لم يكونوا في النعمية محسنين وكيف لا وقد اتمم الغرور والاجترار
 وزهب والله الزور والافترار وبذل مذق لا طرأ به صدق الاطراق واشكره جل وعلا على
 ان علم بالقلم ما لم يعلم وبه باقار لمد الله على اقتداره لى سلوك الطريق الاقرب الواسع
 العلم وارشد من اشرق فكره وامها الى القويين لاحكام القضاة ومن زايد ما اظهر
 وينطق ما ابرم والتسليم على كل حال اسلم وامر رجل اسمه في اناء من صفى وانظر في
 عواقب الذين زال امرهم وانقضى من صفى لآخره ووجع من دجا قلبه بالاعراض عن
 ذلك وانظم وشتان ما بين الذهى والمذكر والساهى والمتفكر والتأبى والمالك المتحير
 والذاهب المالك والشرف السمر وما يستوى الظل والغرور والفرق والشهوة والظلمات والنور
 وذا والبصيرة والاشراق واصلى اذنى الصلوة والسجدة هدية لحق سيد الانام ولبنة التمام
 من ذوبت له من الارض المغارب والمشارق ثم به نظام انبياء الله لعظام وازاح نزع
 الصلوة والظلال حتى اضاءت بوسمه المساجد وافدانت باسمه للمهاجرين والى الموقن
 الموافق لدعوته بيده الاستسلاء وذلك شأن ذوى العقول الراجحة والاحاوم عينايت
 من صلب ولا يقرب الملام فان طوارى والطوارى وتمت كلمة الاسلام الذى انقض برهانه
 لذي بصيرة وبصيرة لا يحتاج الى زيادة اعلاوم وعلت سيوف توحيد الملك العالم من
 المغارق المفارق وخضبت بها بحتا النجيع الرقراق النجى لا يلى الامين الذى جميع الظالمين
 الى سلوك منهاج ما له من هاج فى اقواء شواوق هسيده الرسل الغر الميامين ليها
 الامم جعلنا الله ممن يجاها اليها امين الذى ارتد عليه القرآن هدى للناس وبينات

الإمام المكي

[مقدمة المؤلف]

[خطبة الكتاب]

يقول العبد الفقير ، الدليل المضطّر الحقيّر ، مَنْ هو من صالح الأعمال^١ عَرِيّ : أحمدُ بن محمد الشهير بالمقَرِّي ، المغربي المالكي الأشعريّ ، أصلح الله تعالى حاله ، وجعل في مرّضاته حِلّه وترّحاله ، ومحا بغيبث الطاعة والرضوان أمّاله ، وأنجَحَ ببلوغ آماله انتحاه وانتحاله^٢ :

أحمدُ من عَرَفَ من حُلَى الأمصار وعُلَى الأعيان ، على تداول الأعصار وتطاوُلِ الأحيان ، ما فيه ذكرى لأولي الأبصار وإرشادٌ إلى معرفة الديّان ، واعتبارٌ بأخبارِ رَاعٍ وصفّها أو راق . وشَرَفَ مَنْ صَرَفَ المطامع والمطامع ، إلى تفصيلِ ما أفاد لسانُ الدين من كلمٍ جوامع ، ونحصيلِ ما أجاد من حكَمٍ بوالغِ سُحْبٍ بلاغتها هَوَامع ، واقتناء ذخائر المهتدين التي تشنفتُ بدَرّها اللواميسِ الآذانُ والمسامع ، من كل منحطّة عن رتبة البراعة أو راق . حتى توج

١ ط : العمل .

٢ لم ترد هذه الفاتحة في ج ك .

الخطيبُ المجيد رؤوس المنابر بفرائد الكلام ، وحلّى الكاتبُ الأديبُ المجيد
صدورَ المزابر من فوائد الأعلام ، وكحلّ الحكيمُ الطبيبُ الأريبُ المفيدُ من
لأحمد المحابر بمرآود الأقلام عيونَ أوراق .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي ابتدأ الخلقَ من غير مثال
وبَرّاً ، وقَسَمَ العبادَ إلى حاضر وبادٍ وظاهر وخامل وقاصر وكامل تشير إليه
بالأنامل أيدي الكُبرياء ، وأبدى في اختلاف ذواتهم وأعراضهم وتباين أدواتهم
وأغراضهم وتغاير ألسنتهم وأمكنثهم وأزمتهم وألوانهم وأكوانهم ومناصبهم
ومتناسبهم عِبراً ، وجعل الدُّنيا لمن أتيج صغراً أو كبراً ، ولبس منهم مُسوحاً
أو حِبراً ، وأخلد إلى الأرض أو صَعِدَ منبراً ، جسراً إلى الآخرة ومتعبراً ،
وحكم — وهو الفاعل المختار — على الجميع بالموت فكان لمبتدئهم خِبراً ، فإيا له
من داء أعياء كلِّ معالج أو راقٍ .

فسبحانه من إله انفراد بوجوب القدم والبقا ، واختص بفضله من شاء
فارتقى ، وعَمَّ تعالى ذوي السعادة والشقا ، بالحدوث والفنا ، وأذاق من فراق
الدُّنيا كلَّ من فيها بلائنا^١ ، ممّن وُفّق فنفي عن جَفَنِهِ وسَنَا ، أو خُدِل
فجرّ في مَيِّدانٍ لاغترار رَسْنَا ، وزُنَّ له عياداً بالله سوء عمله فرآه حسناً ، طَعِمَ
شَعُوب^٢ المرَّ الجحّي ، فلم يغن منه عن ذوي الغنى والغنا ، وأهل السناء
والسَنَا ، من استظهروا به من أرياب الصَّوارم والقَنَا ، وأصحاب النظم والنثر
والجدال والفخر والمدح والثنا ، فأولئك ألقوا السلاح مُدْعِين ، مستبصرين
موقنين ، إذ جاء الحقُّ وزَهَقَ الباطل وولّى الامرُ ، وهؤلاء تركوا الاصطلاح
مُعَلِّنين^٣ ، عالمين أنهم لم يكونوا في التمويه مُحْسِنِينَ ، وكيف لا وقد اضْمَحَلَّ

١ الثنا — بكسر التاء وضمها — إعادة الشيء مرتين ، أو الرجوع فيه . وفي ق ك ج : ثنيا .

٢ طعم : مفعول به للفعل « أذاق » . وشعوب : اسم للمنية .

٣ ط : معلمين .

الغرور والاجترأ ، وذهب والله الجور^١ والافتراء ، وبُدِّلَ مَدَقُ الإطراء
بصدق الإطراق^٢ .

وأشكره جلّ وعلا على أن علّم بالقلم ما لم نعلم ، ونبّه بآثاره الدالة على
اقتداره إلى سلوك الطريق الأقوم ، الواضح المَعْلَم ، وأرشد من أشرق فكره
وأضأ ، إلى التفويض لأحكام القضا ، ومن ذا يردُّ ما أمضى أو ينقض ما أبرم ،
والتسليمُ على كل حال أسلّم ، وأمرَ جلّ اسمه بالتدبر في أنباء من مضى ،
والنظر في عواقب أحوال^٣ الذين زال أمرهم وانقضى ، من صنوف الأمم ،
ووبّخ من دجا قلبه بالإعراض عن ذلك وأظلم ، وشتان ما بين اللاهي والمتذكر ،
والساهي والمتفكر ، والناجي والهالك والمتحير ، والداجي والهالك والمشرق
النير ، وما يستوي الظلُّ والحرُّور ، والحزنُ والسرور ، والظلماتُ والنور ،
ذو البهجة والإشراق .

وأصليّ أزكى الصلاة والسلام ، هديّةً لحضرة سيد الأنام ، ولبيّنة التمام ،
مَنْ زُوِيَتْ له من الأرضِ المِغَارِبُ والمِشَارِقُ ، وتم به نظام أنبياء الله ورسله
العظام ، وأزاح نوره الضلالَ والظلام ، حتى أضاءت بوسمه المساجد وازدانت
باسمه المهارق^٤ ، وألقى الموفقُ الموافقُ لدعوته بيد الاستسلام ، وذلك شأنُ
ذوي العقول الراجحة والأحلام ، غيرَ خائفٍ من عَثْبٍ ولا مترقبٍ لمَلَامٍ ،
فأمن من الطوارئ والطوارق ، وتمت كلمة الإسلام الذي اتضح بُرْهانه للذي
بصر وبصيرة لا يحتاج إلى زيادة الإعلام ، وعلت سيوفُ توحيد الملك العلّام ،

.....

١ ط ق ج : الزور .

٢ ملق الإطراء : الثناء الكاذب . الإطراق : السكوت .

٣ أحوال : سقطت من ق .

٤ زويت الأرض : جمعت وطويت ، وفي الحديث « إن الله تعالى زوى لي الأرض فأريت مشارقتها
ومغاربها » .

٥ المهارق : الصحف .

من المعاندِ المُفَارِقِ المُفَارِقِ^١ ، وخضبتُها بختاء النجيع الرقراق . النبيّ الأميّ
الأمين ، الداعي جميعَ العالمين ، إلى سلوك منهاجٍ ماله مِن هاجٍ ، ذي أضواء
شوارق ، سيد الرسل الغرّ الميامين ، ملجأ الأمة جعلنا الله ممّن نجا باللّجاء إليه
آمين ، الذي أنزل عليه القرآن ، هُدًى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان ،
وانشقَّ له الزبرقان^٢ ، ونبع الماء من بين أصابعه زيادة في الإيقان ، وسلّمت
عليه الأحجار ، وانقادت لأمره الأشجار ، متقيّةً ظلاله الشريفة وخطّت في
الأرض أسطراً مُبدّعةً الإثقان ، إلى غير ذلك من معجزاته الخوارق ، فهو
صاحب الدعوة الجامعة ، والبراهين اللامعة ، والأدلة التي سقت الشجرة الطيبة
غيوثها النافعة ، الصيّبة الهامية الجامعة ، الصادقة البوارق ، فأثمرت النجاة والفوز
والفلاح وأورقت بالهدى أحسن إبراق . أسنى رسولٍ بُعث إلى الأرض ،
وأعظمهم جلاله ، وأكثرهم تابعاً في الطول منها والعرض ، ولم لا وقد ظهر
به الحقُّ لمن أمّه مُسترشداً وجلا له ، وأسمى ممّن جاء بتبيين السنّة والفرض ،
وأعمّهم دلالةً ، منقذ البرايا في الدُّنيا ويوم العرض ، الآخذ بحُجُزهم عن النار
والضلالة ، الداعي إلى تقديم الخير وحسن القرض ، الحريص على هداية الخلق
الميلّغ لهم أحكام الحق من غير ضجر ولا ملالة ، ذو الفضل العظيم الذي لم
يختلف فيه من أهل العقول اثنان ، والمجد الصميم الثابت الأصول الباسق
الأفنان ، المنتقى من محدّدٍ معدّ بن عدنان ، المنتخب من خير عُصْر وأطهر
سُلالة ، شفيعنا وملاذنا وعصمتنا ومعاذنا وثمّالنا ، الذي نجحت به آمالنا ، وزكت
به أقوالنا وأعمالنا ، ووسيلتنا الكبرى ، وعمدتنا العظمى في الأولى والأخرى ،
وكنزنا الذي أعددناه لإزاحة الغيوم دُخْراً ، وغيثنا وغوثنا وسيدنا ونبيّنا
ومولانا محمّد الطيب المنابت والأعراق .

١ المفارق : جمع مفروق وهو الرأس ، وهو مفعول به للفعل « علت » .

٢ الزبرقان : القمر .

صلى الله وسلم عليه ، وَوَجَّهَ وفودَ التعظيم إليه ، من مُفَرَّدٍ في جَماله صار لجمع الأنبياء تماماً ، وَقَدَّرَ في كماله تقدّم في حضرة التقديس التي أسست على التشريف أعظم تأسيس فصلتي^١ بالمرسلين إماماً ، وصَدَّرَ تحليّ بجميل الأوصاف ، كالوفاء والعفاف ، والصدق والإنصاف ، فزكا في أعماله ، وبلغَ الرَاجي منتهى آماله ، ولم يُخْلِفْ وَعْداً ولم يَخْفِرْ ذمّاماً ، وسيُذَكَّرُ كُسيّ حُلُلِ العِصْمة ، من كل مخالفة وذنب ووَصْمة ، فلم يصرف لغير طاعة مولاه ، الذي أولاه من التفضيل ما أولاه ، اهتبالاً واهتماماً .

وعلى آله وعترته ، الفائزين بأثرته ، أنصار الدين ، والمهاجرين المهتدين ، وأشياعه وذريته ، الطالعين نجومًا في سماء شهرته ، وأتباعهم القائمين بحقوق نُصْرته ، أرباب العقل الرصين ، الفائحين بسيوف دعوته أبواب المعقل الحصين ، حتى بلغت أحكام ملته ، وأعلامُ بعثته ، مَنْ بالأندلس والصين ، فضلاً عن الشام والعراق .

ورضي الله تعالى عن علماء أمته المصنفين في جميع العلوم والفنون ، وعظماء سنته المؤفين للطلاب بالآراب المحققين لهم الظنون ، وحكماء شُرْعته المتبصرين بحدوث من مرّت عليه الأيام والشهور وكرّت عليه الآناء والدهور والأعوام والسنون ، المتدبرين في عواقب مَنْ كان بهذه البسيطة من السكان المتذكرين على قدر الإمكان بمن طَحَّتْه رَحَا المنون ، من أملاكِ العصور الخالية ومُلَّاكِ القصور العالية وذوي الأحوال التي هي بسلوك الاختلاف حَالِيَة ، من بصير وأعمى وفقير وذو نُعمى ومُختال تَرَدَّى بكبريائه ، ومُختال على ما بأيدي الناس بسُمْنَعته وريائه ، وعاقِل أحسن العمل ، وغافل افتتن بالأمل ، وكارعٍ في حياض الشريعة ، ورائع برياض الآداب المريعة ، وذو وَرَعٍ سَدَّ عما رابه الذريعة ، وأخي طمع في أن يدرك آرابه من الدنيا الوشيكة

.....

١ فصل : سقطت من ق ط ج .

الزوال السريعة ، ومقتبس من نبراس الرواية ، وملتبس بأدناس الغواية ،
 وشاعر هام في كل واد ، وقال ما لم يفعل فكان للغاوين من الرواد ، وجاهل
 عمّر الخراب ، وخُدع بالشراب ، عن أعذب الشراب ، وبحق علم أنه
 إذا جاء القدر عمي البصر ممّن كان أحذر من غُراب ، وموفق تيقن أن
 غير الله فان وكل الذي فوق التراب تُراب^١ ، ومن متخلق متجرد
 تصوّف^٢ ، ومتعلق متفرد تشوّق إلى ما فيه رضا الرب وتشوّف ، ونَاهِ
 ذكّر. بأيام الله وَوَعَظَ وَخَوَّفَ ، ولَاهِ اغتر بالباطل ، فهو بالحق
 مماطل ، وطالما أختره. وَسَوَّفَ ، وأبعد الانتجاع ، ثم أوى من باطنه
 إلى بيت قعيدته. لِكَعَاجِ^٣ ، نفس أمارة بعدما طوّف ، ومن مادح
 نظم الآلاء نظم الآل ، وكادح طَمَسَ لآلاء العزّ بظلمة ذُلّ السؤال ،
 فجعل القصائد مصايد ، والرسائل وسائل ، والمقطّعات مُرَقَّعات^٤ ، قال أمره
 إلى ما آل ، ومن مُخْبِر بما سمع ورأى ، حين اغترب عن مكانه ونأى ، أو أقام
 في أوطانه فبلغ ما قدر ووآى^٥ ، ومن مُجَازِف لا يفرّق بين الغث والسمين
 والإمرار والإحلاء ، وعارف ثقة أمين نَظَم دُرّ الصدف الثمين في أسلاك
 الكتابة والإملاء ، وعاشق خنساء فكره ذات الصّدّار ، من الشجون والشعار ،
 تبكي على صخّير قلب المحبوب ، وتذكره كلّما طلعت شمس أو كان للصبّا

.....

١ يشير إلى قول المتنبي :

إذا صح منك الود فالكل حين وكل الذي فوق التراب تراب

٢ متخلق : لابس أخلاق الثياب ، وهو ذو خلق . ومتجرد : عريان ، أو قد جرد نفسه للعبادة .

٣ من قول الحطّية :

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكعاج

والنميدة الكعاج هنا : نفسه الأمارة بالسوء .

٤ المرقّعات : ملابس المتصوفة ، والمعنى أنه جعل مقطّعاته الشعرية وسيلة للتصيد كمرقّعات المتصوفة .

٥ وآى : وعد وضمن يعزم .

هُبُوب^١ ، فتأتي بما يُطفئ وقودَ الجوى المشبوب من بحار الأشعار ، وليلى شوقه العفيفة عن العار ، تَرَفُّل في ثوب من التصبّر مُعار ، وقيس تَوَقُّه من ثوب السلوِّ عار ، قد تولَّه واشتاق خصوصاً عند انتشاق البشام والعرّار^٢ ، وقلقَ لما أرقَ فلم يقرِّبه قرار ، فاعتراه ما يترّاه وألف البكاء بحكم الاضطرار ، ولتيس ثياب النحول والاصفرار ، وأسِرَ لما هُزِمَتْ جيوشُ صبره وأزِمَتْ الفِرار ، فتحير ممّا شجّاه وسأل النجاة من أسر الفراق .

سُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الحَظُّو ظَ فلا عتابَ ولا مَلامَةَ
أَعْمَى وأَعشى ثُمَّ ذُو بَصَرٍ وزرقاءَ اليمامة^٣
وَمُسَدَّدٌ أو جَائِرٌ أو حائِرٌ يَشْكُو ظَلامَةَ
لَوْلا استقامةُ مَنْ هَذَا هَ لما تَبَيَّنَتِ العَلامَةَ
وَجَاوِرُ الغَرَرِ المخِيفِ لَهُ البِشَارَةُ بالسلامة
وَأَخُو الحِجَى في سائِرِ الدُّ أنْفاسِ مُرْتَقِبٌ حِمَامَةَ
وَكَمَا مَضَى مَنْ قَبْلَهُ يَمْضِي ولم يَقْضِ التَّزامَةَ
وَالْجَاهِلُ المَغْتَرُّ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ التَّقْوَى اغْتِنَامَةَ
فَلْيَرْفُضِ العَصِيانَ مَنْ يَخْشَى مِنْ اللَّهِ انْتِقَامَةَ

١ ألم هنا بإشارات إلى الخنساء التي لبست صداراً على أخيها صخر فلم تنزعه حتى ماتت ، وكانت تقول في شعرها :

« يذكرك في طلوع الشمس صخرأ »

٢ فيه إشارات إلى قيس وليلى ، واشتداد الشوق عندما يهب النسيم حاملاً معه رائحة البشام والعرار وهما نباتان طيبا الرائحة من نبات نجد .

٣ أي أن الناس متفاوتون في حظوظهم فمنهم - من حيث الإبصار - الأعمى والأعشى والحاد البصر الذي يتبته زرقاء اليمامة ، وهي مغرب المثل في ذلك ، وقصة رؤية الجيش الذي غزا اليمامة من مسيرة أيام مشهورة . وفي ق ط ج : أعشى وأعمى .

٤ مسدد : حسن التوجه . الجائر : الخائذ عن القصد . الحائر : الذي لا هو ممدد ولا جائر .

وليعتبرُ بسواهُ مَنْ لصلاحه صَرَفَ اهتمامه
 فالعيشُ في الدنيا الدنية غيرُ مرجو الإدامة
 مَنْ أَرْضَعَتْهُ ثُدْيَتُهَا في سُرْعَةٍ تبدأ فطامه
 مَنْ عَزَّ جانبُهُ بِهَا تنوي على الفور اهتمامه
 وإذا نظرتِ فأينَ مَنْ مَنَعَتْهُ أَوْ مَنَحَتْ مَرَامَه
 وَمَنْ الذي وَهَبَتْهُ وَصَه لَمْ يَخْشَ انصرامه
 وَمَنْ الذي مَدَّتْ لَهُ حَبْلًا فَلَمْ يَخَفِ انفصامه
 كَمْ واحدٍ غَرَّتْهُ إِذْ سَرَّتْهُ مَخْفِيَةُ الدَّمَامَه^١
 قَعَدَتْ بِهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمْ فلم يَمْلِكْ قيامه
 أَيْنَ الَّذِينَ قَلْبُهُمْ كَانَتْ بِهَا ذَاتُ اسْتِهَامَه^٢
 أَيْنَ الَّذِينَ تَفَيَّأُوا ظِلَّ السَّيَادَةِ وَالزَّعَامَه
 أَيْنَ الْمُلُوكُ ذُوو الرِّبَا سَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَالصَّرَامَه
 وَبَنُو أُمَيَّةَ حِينَ جَمَّ عَصْرُهُمْ لَمْ يَنَامَه
 وَتَمَكَّنُوا مِمَّنْ يَحَا وَلِ نَقَضَ مَا شَاءُوا انبرامَه
 وَتَعَشَّقُوا لِمَا بَدَأَ لَمْ مُحَيَّا الْأَرْضِ شَامَه^٣
 وَتَأَمَّلُوا وَجْهَ الْبَسِي طَةً فَانْثَنُوا يَهُوُونَ شَامَه^٤
 حَتَّى تَقْلَصَ ظِلُّهُمْ وَأَرَاهُمْ الدَّهْرُ اخْتِرَامَه
 أَيْنَ الْخُلَافُ مِنْ بَنِي آلِ هَبَّاسٍ وَالْبِرِّ الْقَسَامَه^٥

١ ق : مخفرة ذمامه .

٢ الاستهامه : مصدر « استهام » بمعنى هام ، أي شغف .

٣ أي أنهم عشقوا وجه الأرض لما تبلى لهم شامة جذابة .

٤ شامه : ديار الشام . والبيت سقط من ق ط .

٥ للقسامة معان : فمنها اليمين ، ورجل بر اليمين : لا يحنث بها ، والقسامة أيضاً : الهدنة بين المسلمين وأعدائهم ، والبر القسامة : يشير إل العباس عم الرسول وله مواقف في الوفاء مذكورة في كتب السيرة ؛ وبه استسقى عمر بن الخطاب لما قحط الناس ، ويمكن أن يكون معنى =

أَيْنَ الرِّشِيدُ وَأَهْلُهُ وَبَنُوهُ أَصْحَابُ الشَّهَامَةِ
وَوَزِيرُهُ يَحْيَى وَجَعَهُ فَمَرَّ ابْنُهُ الرَّائِي احْتِشَامَةً
وَالْفَضْلُ مُدَنِّي مَنْ يَقُو لُ لَمَنْ يَلُومُ عَلَى النَّدَى مَتَهُ
أَمْ أَيْنَ عَنَتَرَةُ الشَّجَا عُوذُوا لِحَدَا كَعَبُ بْنُ مَامَةٍ ١
وَالزَّاعِمُونَ بِجَهْلِهِمْ أَنْ الْقُبُورَ صَدَّيْ وَهَامَةٍ ٢
وَالْمَكْثَرُونَ مِنْ الْمَجُورِ نَ إِذَا شَكَا الْفَكْرُ اغْتِشَامَةً
أَيْنَ الْغَرِيقُ وَمَعْبَدُ أَوْ أَشْعَبُ وَأَبُو دُلَامَةٍ
أَيْنَ الْأُمْلَى هَامُوا بِسَعْدِ لَدَى أَوْ بِثِيْنَةٍ أَوْ أُمَامَةٍ
وَبَكَوْا لِفَرْطِ جَوَاهِمُ وَاللَّيْلُ قَدْ أَرْنَحَى ظَلَامَةً
وَتَتَبَّعُوا آثَارَ مَنْ عَشِقُوا بِتَجْدٍ أَوْ تِيَامَةٍ
وَتَعَلَّوْا ، وَالشُّوقُ يَغْلَا بَ ، بِالْأَرَاكَةِ وَالْبَشَامَةِ
أَضْنَى النَّوَى قِيسًا فَقَا سَيَ لَا عِجَا أَغْرَى غَرَامَةً
وَعُيْ هُوَ غَيْلَانٌ مُدْ أَبْدَى بِمِيتَةٍ هِيَامَةٍ ٣
أَيْنَ الْأَكَاسِيرُ وَالْقِيَا صِرَةً الْمُجَلُّونَ الْغَنَامَةَ ٤
أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ الْحَاكِي اعْتَرَامَةً ٥

« برالقاسمة » هو هذا نفسه ، أي استخلف به مستقياً فبر .

١ كعب بن مامة الإيادي : مضرب المثل في الإيثار ، لأنه آثر صاحبه النخري بالماء ومات هو ظمأً (انظر السط : ٨٤٠ وفصل المقال : ٢٧٨) .

٢ يشير إلى قول بعض الجاهليين :

يخبرنا ابن كيشة أن سنجيا وكيف حياة أصداء وهام

٣ غيلان بن عقبة المري ، هو ذو الرمة الشاعر ، صاحب مية .

٤ المجلون الغنامة : الكاشفون الغنم أي الكريات .

٥ ضمن في هذا البيت قول المتنبي :

أين الذي الهرمان من بنيانه ما يومه ما قومه ما المصراع

أَمْ أَيْنَ غُمْدَانُ وَسِي
أَيْنَ الْخَوَزَنَقُ وَالسَّيْ
وَمَدَائِنُ الإسْكَنْدَرِ الـ
أَيْنَ الْحُصُونُ وَمَنْ يَصُو
أَيْنَ الْمَرَاقِبُ وَالْمَوَا
أَيْنَ الْعَسَاكِرُ وَاللِّسَا
وَسُقَاتُهَا الْمُتَلَاعِبُو
مَنْ كُلَّ أَهَيْفَ يَزْدُرِي
ذِي غُرَّةٍ لِأَلَاؤِهَا
فَالشَّمْسُ فِي أَزْرَارِهِ
يُصْنِي الْقُلُوبَ إِذَا رَمَى
وَيَبْرُقُ حُسْنًا إِنْ رَنَّا
أَتَى لَهَا ثَغْرٌ حَصَلَا
أَتَى لَهَا وَجْهٌ يَشْبُ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِلْغَدِ
بَلْ أَيْنَ أَرْبَابُ الْعُلُو
وَذَوُ الْوِزَارَةِ وَالْحِجَا
كَأَيِّمَةٍ سَكَنُوا بِأَنْدِ
هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا الَّتِي
لَا سَيْمًا غُرْنَابَةً الـ
وَهِيَ الَّتِي دُعِيَتْ دِمَشَقُ

فَتْ وَالْوَفُودُ بِهِ أَمَامَهُ ١
رُ وَمَنْ شَفَى بِهِمَا أَوَامَهُ ٢
الَّتِي لَهَا أَعْلَى دِعَامَهُ
نُ بِهَا مِنَ الْأَعْدَا حُطَامَهُ
كَبُ وَالْعَصَائِبُ وَالْعِمَامَةُ
كُرُ وَالنَّدَامَى فِي الْمُدَامَةِ
نَ بَلْبُ مَنْ أَعْطَوْهُ جَامَهُ
بِالْغُصْنِ إِنْ يَهْزُزُ قَوَامَهُ
تَمَحُّو عَنِ النَّادِي ظَلَامَهُ
وَالْبَدْرُ فِي يَدِهِ قَلَامَهُ
عَنْ قَوْسٍ حَاجِبِهِ سِهَامَهُ
وَيَفُوقُ آرَامًا بِيرَامَهُ
ذَوْقًا لِمَنْ رَامَ الثَّمَامَةَ
بِقَلْبٍ مُبْصَرِهِ ضِرَامَهُ
وَلَا يَرَى الشَّرْعَ اعْتِيَامَهُ
مِ أُولُو التَّصَدُّرِ وَالْإِمَامَةَ
بِةِ وَالْكِتَابَةِ وَالْعَلَامَةَ
لِلسِّ فَلَمْ يَشْكُوا سَامَةَ
قَدْ أَذْكَرَتْ دَارَ الْمُقَامَةِ
غُرَاءُ رَائِقَةِ الْوَسَامَةِ
قَ وَحَسْبُهَا هَذَا فَخَامَةُ

١ غمدان : قصر باليمن . وسيف : هو ابن ذي يزن ، ولما اعتل العرش وفدت عليه الوفود لتهنئته

ركان فيها وفد قريش .

٢ الأوام : العطش .

لنزولِ أهلِها بها إذ أظهرَ الكفرُ انهزامه
وأنتَ جيوشُ الشامِ من بابِ نفى الفتحِ انبهامه
فسلّوا بيها عنَ جَلَقِ إذ أشبهتها في الضخامة
وبدأ لهم وجهُ المنى وأراهمُ الشَّغْرُ ابتسامه
وتبوأوها حضرةً تُبْري من المضى سقامه
بروائها وبمائها وهوائها النافي الوخامة
ورِياضِها المهتزة الـ أعطافِ من شدِّو الحمامه
وبمَرَجِها النَّضْرُ الذي قدَّ زينَ الله ارتسامه
وقصورِها الزُّهرِ التي يأبى بها الحسنُ انقسامه
يا ليتَ شعري أينَ مَنْ أمضى بها الملكُ احتكامه
وأُتِجَ في حمرائِها عِزّاً بهِ زانَ اتسامه
أينَ الوزيرُ ابنَ الخطي ب بها فما أحلى كلامه
فلَكمُ أبانَ العدلِ في أرجائها وبها أقامه
ولَكمُ أجارَ عِداً وكمُ أجرى ندَى وآلى انسجامه
راعتُ صروفُ الدهرِ دَوَّ لتهُ وما راعت ذمامه
حتى ثوى لآثرِ التَّوى في حُفْرَةٍ نَشَرَتْ نظامه^١
مَنْ زارها في أرضٍ فا سِ أذهبت شجواً مَنامه^٢
إذ نَبَّهَتْهُ لَكلَّ شَمِّ لِ شتت الموتُ التثامه
هذا لسانُ الدينِ أس كتته وأسكنته رِجامه
ومحا عِبارتهُ فَمَنْ حيَّاهُ لم يَرُدُّ سلامه
فكانتُ ما أمسكَ الـ قَلَمَ المطاعِ ولا حُسامه

١ التوى : الهلاك .

٢ قبر لسان الدين بمدينة فاس عند باب المحروق منها .

وكانه لم يعل مت	ن مطهم بارى النعامه
وكانه لم يرق غا	رب الاعتزاز ولا ستامه
وكانه لم يجل وج	ها حاز من بيشر تمامه
وكانه ما جال في	امر ولا نهى وسامه
وكانه ما نال من	ملك حياه ولا احترامه ^١
وكانه لم يلق في	يده لتدبير زمامه
مد فارق الدنيا وق	وض عن منازلها خيامه
امسى بقبر مفردا	والترب قد جمعت عظامه
من بعد تشية الوزا	رة جاده صوب القمامه ^٢
لم يبق الا ذكره	كالزهري مقرر الكمامه
والعمر مثل الضيف او	كالطيف ليس له إقامة
والموت حتم ثم به	د الموت أهوال القيامة
والناس مجزون عن	أعمال ميل واستقامة
فلوو السعادة يضحكو	ن وغيرهم يبكي ندامة
والله يفعل فيهم	ما شاء ذلا أو كرامة
ويشقق المختار في	هم حين يبعثه مقامه
وعليه خسر صلاته	مع صحبه تلو سلامه
والتابعين ومن بدا	برق الرشاد له فشامة
ما فاز بالرضوان عب	د كانت الحسنى ختامه

والله سبحانه المسؤول في الفوز والنجاة كرماً منه وحلماً ، فييده الخير لا إله إلا هو العلي الكبير ، العليم الخبير ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء من مخلوقاته على الشمول والاستغراق .

١ حياه : أي حياه وهو المطاء .

٢ تشية الوزارة : أي ذو الوزارتين وهو لقب لسان الدين .

[حنين إلى الوطن]

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مَالِكِ الْمَلِكِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ الْمُنْجِي مِنَ الْهَلَكِ ،
وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَجَلَّتْ بِأَنْوَارِهِمُ الظُّلُمُ الْخُلُكُ ، وَعَنِ الْعُلَمَاءِ
الْأَعْلَامِ ، الْخَائِضِينَ بِحَارِ الْكَلَامِ ، الْمُسْتَوِينَ مِنَ الْبَلَاغَةِ عَلَى الْفُلُكِ — فَيَقُولُ
الْعَبْدُ الْخَقِيرُ ، الْمَذْنِبُ الَّذِي هُوَ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ الْغَنِيِّ فَقِيرٌ^١ ، الْمَقْصُرُ الْمَتَبَرِّءُ
مِنَ الْحَوَلِ وَالْقُوَّةِ ، الْمُتَمَسِّكُ بِأَذْيَالِ الْخِدْمَةِ لِلسُّنَّةِ وَالنَّبَوَّةِ ، وَذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ
أَمَانٌ وَبِرَاءةٍ ، الضَّعِيفُ الْفَاقِي ، الْخَطَاءُ الْخَافِي ، مَنْ هُوَ مِنْ لِبَاسِ التَّقْوَى عَرِيٌّ ،
أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَحْمَدَ الشَّهِيرِ بِالْمَقَرِّيِّ ، الْمَغْرِبِيُّ الْمَالِكِيُّ الْأَشْعَرِيُّ^٢ ، التَّلَمَسَانِيُّ
الْمَوْلِيدِ وَالْمَنْشَلِ وَالْقِرَاءَةِ ، نَزِيلِ فَاكِسِ الْبَاهِرَةِ ثُمَّ مِصْرَ الْقَاهِرَةِ ، أَصْلَحَ اللَّهُ أَحْوَالَهُ
الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ ، وَجَعَلَهُ مِنْ ذَوِي الْأَوْصَافِ الزَّكِيَّةِ^٣ ، وَالْخِلَالِ الطَّاهِرَةِ ، وَسَدَّدَ
فِي كُلِّ قَصْدٍ أُنْحَاءَهُ^٤ وَآرَاءَهُ ، وَوَفَّقَهُ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَالطَّاعَاتِ
الْناجِحَةِ الرَّاجِحَةِ ، وَالْمَتَاجِرِ الْمَغْبُوطَةِ الرَّاجِحَةِ ، وَالْمَسَاعِيِ الْغَادِيَةِ بِالْخَيْرِ الرَّائِحَةِ ،
وَوَقَّاهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَبِرَاءَهُ ، وَكَفَاهُ مَكْرَ الْكَائِدِ وَافْتَرَاءَهُ ، وَجِدَّالَ الْخَاسِدِ
الْمُسْتَأْسِدِ وَمِرَاءَهُ ، وَجَعَلَ فِيمَا يَرْضِيهِ سَوْمَهُ وَشِرَاءَهُ ، آمِينَ :

لَئِنَّهُ لَمَّا قَضَى الْمَلِكُ الَّذِي لَيْسَ لِعَبِيدِهِ فِي أَحْكَامِهِ تَعَقُّبُ أَوْرَدٍ ، وَلَا مَحِيدَ
عَمَّا شَاءَهُ سِوَاكَ كَرِهَ ذَلِكَ الْمَرْءُ أَوْ رَدَّ ، بِرَحْلَتِي مِنْ بِلَادِي ، وَنُقُلْتِي عَنْ
مَحَلِّ طَارِفِي وَتِلَادِي ، بِقُطْرِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ، الَّذِي تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ لَوْلَا أَنَّ
سَمَاسِرَةَ الْفِتَنِ سَامَتْ بِضَائِعِ أَمْنِهِ نَقْصًا ، وَطَمَا بِهِ بِحَرِّ الْأَهْوَالِ فَاسْتَعْمَلَتْ
شِعْرَاءَ الْعَيْثِ فِي كَامِلِ رَوْثِهِ مِنَ الزُّحَافِ لِضِمَارٍ وَقَطْعًا وَوَقْصًا :

١ في ج ق ط : رحمة الغني فقير .

٢ ق : المخطئ .

٣ في ط ق : المالكى المغربى .

٤ في ج ق ط : الزاكية .

قُطِرَ كَأَنَّ نَسِيمَهُ نَفَّحَاتُ كَافُورٍ وَمِسْكِ
وَكَأَنَّ زَهْرَ رِيَاضِهِ دُرٌّ هَوَى مِنْ نَظْمِ سِلْكِ

وذلك أواخر رمضان من عام سبعة وعشرين بعد الألف ، تاركاً المنصب
والأهل والوطن والإلف :

بَلَدٌ طَابَ لِي بِهِ الْأَنْسُ حِينَا وَصَفَا الْعَوْدُ فِيهِ وَالْإِبْدَاءُ
فَسَقَتْ عَهْدَهُ الْعِيَادُ وَرَوَّتْ مِنْهُ تِلْكَ النَوَادِي الْأَنْدَاءُ

وما عسى أن أذكر في إقليم ، تعيّنَ لحجّةِ فضلهِ التسليم :
أضواءه طَبِيقُ الْمَنَى ، وَهَوَاؤُهُ يَشْتَاقُهُ الْوَلَهَانُ فِي الْأَسْحَارِ
وَالطَّبِيعُ مَعْتَدِلٌ فَقُلْ مَا شَتَّتَهُ فِي الظَّلِّ وَالْأَزْهَارِ وَالْأَنْهَارِ

محل فتح الكمائم ، ومسقط الرأس وقطع التمام :

بِهِ كَانَ الشَّبَابُ اللَّدْنُ غَضًّا وَدَهْرِي كُلُّهُ زَمَنَ الرَّبِيعِ
فَفَرَّقَ بَيْنَنَا زَمَنٌ خَوْونٌ لَهُ شَغَفٌ بِتَفْرِيقِ الْجَمِيعِ

لم أنس تلك النّواعم ، التي أيامها للعمر مَوَاسِمٌ ، وثغورها بالسُرور بوَاسِمٌ ،
فصرت أشير إليها وقد زُمْتُ للرحيل القُلُوصُ الرَوَاسِم :

وَلَنَا بِهَاتِيكَ الدِّيَارِ مَوَاسِمٌ . كَانَتْ تُقَامُ لَطِيبِهَا الْأَسْوَاقُ
فَأَبَانَتْ عَنْهَا الزَّمَانُ بِسُرْعَةٍ وَغَدَتْ تُعَلِّقُنَا بِهَا الْأَشْوَاقُ

وأنشد قولَ غِيْلَانٍ ١ :

أَمْنَزِلْتِي مَيِّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هَلْ الْأَزْمُنُ الْلَاثِمِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ

١ هو ذو الرمة الذي تقدمت إليه الإشارة ، والبيت في ديوانه : ٣٣٢ .

وأتمثل في تلك الحقائق التي حمائها سواجم ، بقول مَنْ جفونهُ من
الهوى غير هواجع :

تَشْدُو بِعِيدَانِ الرِّياضِ حِمايْمُ شَدَّوْ الْقِيانِ عَزَفْنَ بِالْأَعوادِ
مَادَ النِّسيمُ بِقُضْبِها فتمايَلَتْ مُهْتَزَّةً الْأَعْطافُ والأَجْيادِ
هَذي تودِّعُ تلكَ توديعَ الِهي قد آذَلَتْ مِنْها بوشكٍ بَعادِ
واستَعْبَرَتْ لِفراقِها عَيْنُ النَّدَى فابْتَلَّ مِزْرُ عِطْفِها المِبادِ

وأحدّقَ النظرَ إلى رَوْضٍ ، لإنسانِ العَيْنِ من فراقه في بحرِ الدموعِ سَبَّحَ
ونحوّض :

رَوْضُ " بِهِ أَشْياءُ لي سَتَتْ في سِواهِ تَوَلَّفُ
فَمِنْ " الهَزَّارِ تَرْتُمُ " وَمِنْ القَضِيبِ تَقَطُّفُ
وَمِنْ " النِّسيمِ تَلطُّفُ " وَمِنْ الغَدِيرِ تَعَطُّفُ

وألتفتَ كالمسترب ، والحيُّ إذ ذاك قريب ، وحديثُ العهدِ ليس بمنكر
ولا غريب :

أهذا ولما تَمَضَّى لِلْبَيْنِ سَاعَةٌ فَكَيْفَ إِذا مَرَّتْ عَلَيْهِ شُهُورُ
والآثارُ لائحة ، والشمالُ غادية بأذكي رائحة ١ :

أَرى آثارَهُمْ فَأَذوبُ شَوْقًا وَأُسْكِبُ مِنْ تَدَكُّرِهِمْ دُمُوعِي
وَأَسْأَلُ مَنْ قَضَى بِفراقِ حَبِيبِي يَمُنُّ عَلَيَّ مِنْهُمْ بِالرَّجُوعِ

والنفسُ متعلّلة ببعض الأَنس ، والمشاهدُ الحميدة لم تُنس :

تِلْكَ العُهُودُ بِشَدِّها مَخْتومةٌ عِنْدِي كما هي عَقْدُها لم يُحْلَلِ

.....
١ ك : غادية ورائحة .

غير أن الرّحيل ، عن الرّبع المُحِيل ، فُصِّلَ به بين الشائق والمشوق وحيل :

وقفنا برّبع الحيب والحيب راحل نحاول رُجْعاه لَنّا ويُحاولُ
والنقت دموع العين فيه مسألاً لها عن عبارات الغرام دلائلُ
وبالسفح منها كم سقيت لبانيها فميلتُ والسفحُ للبان مائلُ
إذا نسمة الأحياب منها تنسّمت تطيبُ بها أسحارُنا والأصائلُ
تثيرُ شجوني ساجعات غصونها فمينها على الحالين هاجت بلابلُ
مرابعُ الألفي^١ مراتع للدّقي مطالعُ أقماري بها والمنازلُ

فحيّاها الله من منازل ذات أقمارٍ سائرة فيها ، ومنازله لا يُحصي
الواصف محاسنها وأمداح أهلها ولا يستوفيها :

حكّوا عقود اصطباري عندما رحّلوا وفي الخمائل حكّوا مثل أمطار
إنّ المنازل قد كانت منازله إذ باتوا بها وهي أوطاني وأوطاري

ورعى الله منّ بان ، وشاق حتى الرّند والبان :

باتوا لعيني أقماراً تقلّهم لُدُنُ الغصون فلَمّا آسوا بانوا
عهودهم لست أنساها ، وكيف وقد رعى لبيني عنها الرّند والبان

وفي مثل هذا الموطن تذوب القلوب الرقاق ، كما قال حائر قصب السبق
بالاستحقاق ، الأديب الأندلسي الشهير بابن الرقاق^٢ :

وقفْتُ على الربوعِ ولي حنينٌ لساكنهنّ ليس إلى الربوعِ

١ لك : مراتع ليل في .

٢ ابن الرقاق علي بن عطية (حدود ٥٣٠) ابن أخت الشاعر الأندلسي أبي إسحاق ابن خفاجة ،
وترجمته في التكملة : ١٨٤٤ والذيل والتكملة ٥ : ٢٦٥ والمطرب : ١٠١ والفوات ٢ :
١٢٥ والمغرب ٢ : ٣٢٣ ، والبيتان في ديوانه : ١٩٨ .

ولَوْ أَنِّي حَسَنْتُ إِلَى مَعَانِي أَحْبَابِي حَسَنْتُ عَلَى ضُلُوعِي

وكَمَا قَالَ بَعْضُ مَنْ لَهُ فِي هَذِهِ الْفِجَاجِ مَسِيرٌ :

دَخُولُكَ مِنْ بَابِ الْهَوَىٰ إِنْ أَرَدْتَهُ يُسِيرُ ، وَلَكِنْ الْخُرُوجُ عَسِيرٌ

وَأَيْنَ مَنْ لَهُ صَفَاةٌ لَا يَطْمَعُ الدَّهْرُ الْقَوِي فِي نَحْتِهَا ، وَجَنَاتُ دُنْيَايَةِ لَا تَجْرِي أَنْهَارُ الْفِرَاقِ مِنْ تَحْتِهَا :

فَسَقَى رَضِيعَ النَّبْتِ مِنْ ذَلِكَ الْحَمَى بِحَيَاةٍ تَلُورُ عَلَى الرَّبَى كَاسَاتِهِ
سَقَحٌ سَقَحَتْ عَلَيْهِ دَمْعِي فِي ثَرَى كَالْمَسْكِ ضَاعَ مِنَ الْفَتَاةِ فُتَاتُهُ

وَلَمْ أَزَلْ بَعْدَ انْفِصَالِي عَنِ الْغَرْبِ بِقَصْدِ الشَّرْقِ ، وَاتِّصَافِي^١ فِي أَثَرِ ذَلِكَ
الْجَمْعِ بِالْفَرْقِ :

أَحِينَ إِذَا خَلُوتُ إِلَى زَمَانٍ تَقْضِي لِي بِأُفْنِيَةِ الرَّبُوعِ
وَأَذْكُرُ طَيْبَ أَيَّامٍ تَوَلَّتْ لَنَا فَتَيْضٌ مِنْ أَسْفِ دَمْعِي

وَأَتَوَقُّ وَقَدْ اتَّسَعَ مِنَ الْبُعْدِ الْخَرَقُ ، وَخُصُوصًا إِذَا شَدَا صَادِحٌ أَوْ أَوْمَضَ
بَرْقٌ ، إِلَى دِيَارٍ لَا يَعْلَمُهَا اخْتِيَارٌ :

وَأَرْبِعُ أَحْبَابٍ إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا بِكَيْتٍ ، وَقَدْ يُبْكِيكَ مَا أَنْتَ ذَاكِرُ
بِطَاحٍ وَأَذْوَاخٍ يَرُوقُكَ حُسْنُهَا بِكَلِّ خَلِيَجٍ نَمْنَمَتِهِ الْأَزَاهِيرُ
فَمَا هُوَ إِلَّا فَضَّةٌ فِي زَهْرَجِدٍ تَسَاقَطَ فِيهِ اللَّوْلُؤُ الْمُتَنَائِرُ
بِحَيْثُ الصَّبَا وَالتُّرْبُ وَالْمَاءُ وَالْهَوَىٰ عَيْبٌ وَكَافُورٌ وَرَاحٌ وَعَاطِرٌ
وَمَا جَنَّةُ الدُّنْيَا سِوَى مَا وَصَفْتُهُ وَمَا ضَمَّ مِنْهُ الْحَسَنُ نَجْدٌ وَحَاجِرٌ
بِلَادِي الَّتِي أَهْلِي بِهَا وَأَحْبَتِي وَقَلْبِي وَرُوحِي^٢ وَالْمَنَى وَالْخَوَاطِرُ

١ ك : واتصالي .

٢ ك : وروحي وقلبي .

تذكرني أنجادها ووهادها عهداً مضت لي وهي خضرة نواضر
إذ العيش صاف والزمان مساعد
بحيث ليالينا كغض شبابنا
ليالي كانت للشبيبة دولة
سلام على تلك العهود فلانها موارد أفرح تلتها مصادر

وأذكر تلك الأيام ، التي مرت كالأحلام ، فأتمثل بقول بعض الأكابر
الأعلام :

يا ديار السرور لا زال يبكي
رب عيش صحبته فيك غص
في ليل كأنهن أمان
وكان الأوقات فيك كؤوس
زمن مسعد والنف وصول
فيك إذ تضحك الرياض غمام
وعيون الفراق عنا نيام
في زمان كأنه أحلام
دائرات وأنسهن مدام
ومنى تستلذها الأوهام

وبقول الحائك الأمي ، عندما يكثر شجنوي وغمي :

لم أنس أياماً مضت ولياليا
إذ نحن لا نخشى الرقيب ولم نخف
والعيش غص والحواسد نؤم
في روضة أبدت ثغور زهورها
مد الربيع على الخماثل نوره
تبدو الأقاحي مثل نغير أشنب
وعيون نرجسها كأعين غادة
وكذلك المنثور منثور بها
والطير تصدح في فروع فنونها
سكنت وعيشاً بالصريم تصرماً
صرفت الزمان ولا نطيع اللوما
عنا وعين البين قد كحلت عني
لما بكى فيها الغمام تبسماً
فيها فأصبح كالخيام مخيماً
أضحى المحب به كئيباً مغرماً
ترئو فرمي بالتوايح أسهما
لما رأى ورد الخلود منظماً
سحراً فتوقظ بالهديل النوما

وأُميل ، إلى بلاد مُحَيّاها جميل^١ :

كساها الحيا بُرْدَ الشباب فلانها	بلادُ بها عتقُ الشبابُ تَمائمي
ذكرتُ بها عهدَ الصِّبا فكأنّما	قدَحَتُ بنارِ الشوقِ بينَ الحيازمِ
لياليَ لا ألوي على رُشدٍ ناصحٍ	عيناني ، ولا أثنيه عن غمي لائمِ
أنالُ سُهادي من عيونِ نواعسٍ	وأجني مرادي من غصونِ نواعمِ
وليلٍ لنا بالسّدِّ بين معاطفٍ	من النهرِ ينسابُ انسيابَ الأراقمِ
تمرُّ إلينا ثم عتّا ^٢ كأنّها	حواسدُ تمشي بيّتنا بالنّمايمِ
وبيّتنا ولا واشٍ نخافُ كأنّما	حلّكنا مكانَ السرِّ من صدرِ كاتمِ

وأهفو إلى قصور ذات بَهْجَة ، وصُروح توضح معالمها للرائد نَهْجَة :

ورياضٍ تحتالُ منها غصونُ	في بُرودٍ من زهرها وعُقودٍ
فكأنَّ الأدواحَ فيها غَوّانُ	تتبارى زهُواً بحسنِ القُودِ
وكانَّ الأطيّارَ فيها قِيانُ	تتغنّى في كلِّ عودٍ بعودِ
وكانَ الأزهارَ في حوْمَةِ الرو	ضِ سيوفُ تُسلُّ تحت بُنودِ

وأصبو إلى بِيْطاحٍ وأدواحٍ ، تروّحُ النفوس والأرواح^٣ :

سَقِيّا لها من بِيْطاحٍ خَزِيٍّ	ودَوّجٍ زهريّ بها مُطِيلُ
إذ لا ترى غيرَ وَجْهِ شمسٍ	أطلَّ فيه عِذارُ ظِلِّ

وأَنهارٍ جارِيَة ، وأزهارٍ نَوّاسمُها سارية ، وأربُعٍ ومَلْعَبٍ ، تُزْجِعُ

١ هذه المأبيات للشاعر الأندلسي محمد بن عمار (انظر أشعاره : ٢١٠ ملحقة بدراسة الدكتور

صلاح خالص ، وراجع أيضاً الوافي ٤ : ٢٣٢ ووفيات الأعيان ٤ : ٥٤) .

٢ الديوان : تسر إلينا ثم هنا .

٣ البيهقي لابن خفاجة (ديوانه : ١٤٠) وفيه : بطلح أنس .

عن مُبْصَرِّهَا الْمُتَاعِبِ^١ :

تلك المنازلُ والملا عبٌ لا أراها الله مَحَلًّا
أوطنتُها زَمَنَ الصُّبَا وجعلتُ فيها لي مَحَلًّا
حيثُ التفتُ رأيتُ ما ٤ سائحاً ورأيتُ ظلاً
والنهرُ يفصلُ بينَ زَهْ رِ الروضِ في الشَّطْبَيْنِ فصلاً
كِبَاسِطٍ وَشَيْ جَرَدَتِ أَيْدِي الْقِيُونِ عليه نَصْلاً

وإلى منازل ، يستفزُّ حسنُها الرائقُ الجادَّ والمَازل ، ويشفي منظرها عليلًا ،
ويكفي مَخْبَرُها للمستفهم دليلاً :

وجَنَّانِ الْيَفْتُهَا حِينَ غَنَّتْ حولها الورقُ بُكْرَةً وأصيلًا
نهرها مسرعاً جرى وتمشتْ في رُبَاها الصُّبَا قَلِيلًا قَلِيلًا

وَأَتَمَّلُ إِنْ ذَكَرْتُ حَالِ وداعي ، بقول الشاعر الأديب الوداعي^٢ :

الغربُ خيرٌ وعند ساكنه أمانةٌ أَوْجَبَتْ نَعْدَمَهُ
فالشرقُ من نَيْتَرِيهِ جَنْدَهُمْ يودِعُ دِينَارَهُ ودرهمَهُ

وبقول غيره ، إشارةً لفضل الغرب وخيره :

أشتاق للغربِ وأصبو إلى معاهدٍ فيه وعَصْرِ الصُّبَا
يا صاحِبِي نَجْوَايَ وَاللَّيْلُ قَدْ أَرخَى جَلَابِيبَ الدُّجَى وَاخْتَبَا
لا تعجباً من ناظرٍ ساهٍ باتَ يُرَاعِي أَنْجَمًا غُيْبًا
القلبُ في آثارها طائرٌ لما رآها تقصدُ المغربَا

١ الأبيات لأبي فراس الحمداني (ديوانه ٢ : ٣٢٧) .

٢ هو علي بن المظفر ، علاء الدين الوداعي (- ٧١٦) من أهل الإسكندرية ، أقام بمسقط . (انظر

الدرر الكامنة ٣ : ١٣٠ والفوات ٢ : ١٧٣) .

وأهيم كلما حلتك من غير أن أرضي بمكان ، وقد صير السائق جده
السير معمولاً لـ « ما انفك » كما جعله خبراً لـ « كان » ، بقول قاضي
القضاة العالم الكبير الشمس ابن خلكان^١ :

أيُّ ليلٍ على المحبِ أطالته	سائقُ الظعنِ يومَ زَمَّ جِمالته
يزجرُ العيسَ طاوياً يقطعُ المَهْ	مهَ عَسْفاً سهوله ورماله
أيها السائقُ المجدُّ ترفقْ	بالمطايا فقد سثمنَ الرِّحاله
وأنخها هنيهةً وأريحها	إذ برّأها السُّرى وفرطُ الكلاله
لا تَطِيلْ سيرها العنيفَ فقد برّ	حَ بالصَّبِّ في سُرّأها الإطالَه
وارثٌ للنازحِ الذي إن رأى ربّه	مأ ثوى فيه نادباً أطلالَه
يسألُ الرّبعَ عن ظباءِ المصلّى	ما على الرّبعِ لو أجاب سؤاله
ومُحالٌ من المُحيلِ جوابٌ	غيرَ أنَّ الوقوفَ فيه علّالَه
هذه سنّةُ المحبّين ييكو	نَ على كلِّ منزلٍ لا محالَه
يا ديارَ الأحبابِ لا زالتِ الأء	ينُ ^٢ في تُربِ ساحتيك مُدلّالَه
ونمشى النسيمُ وهوَ عليلٌ	في مغانيكٍ ساحباً أذبالَه
أين عيش مضي لنا فيك ؟ ما أم	مرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجهُ الزمان طلقَ نصيرٌ	والتداني غصونه مبالَه
ولنا فيك طيبُ أوقاتٍ أنسٍ	ليتنا في المنام نلقى مثاله

وأردّد قولَ الذي سحر الألباب ، منادياً مَنْ له من الأحباب :

أحبابنا لو لقيتم في إقامتكم	من الصبابة ما لاقيتُ في الظعنِ
لأصبحَ البحرُ من أنفاسكم يَبساً	والبرُّ من أدمعي ينشقُّ بالسفنِ

١ هو أحمد بن محمد بن خلكان الإربلي الشافعي (- ٦٨١) صاحب كتاب وفيات الأعيان ، والأبيات

من قصيدة أوردها ابن شاعر في القوات ١ : ١٠٤ .

٢ القوات : الأدمع ، وهو أصوب .

وقوله :

وما تغيرتُ عن ذاك الودادِ ، ولا
درسي غرامي بكم دهرى أكرره^١ وقد تنقّهتُ في وجدى وأشواقى

وقول المجد بن شمس الخلافة^١ ، معلماً أنه لا يريد بدّل معهده وخلافه :

يا زمانَ الهوى عليك السلامُ وعَلَيَّ السلوُ عَنْكَ حَرَامُ
أيُّ عيش قطعته فيك لو دا م وهل يُرْتَجَى لظلّ دوامُ
كنتَ حُلماً والعيشُ فيك خيالاً وسريعاً ما تنقضي الأحلامُ
لَهَفَ نفسي على ليالٍ تنقَضَتْ سلبتني بُرودها الأيَّامُ
فطمَمتني الأقدارُ عنها وليداً وشديداً على الوليدِ الفِطامُ
لا تلمني على البكاءِ عليها مَنْ بَكَى شَجْوَهُ فليس يُلامُ

وقول أبي طاهر الخطيب الموصلي :

حَتَّى نَجِدَا عَنِّي وَمَنْ حَلَّ نَجِدَا أَرْبُعاً هِجْنًا لِي غَرَامًا وَوَجِدَا
واقتر عني السلامَ آرامَ ذاكِ ١١ شَعْبٍ وَالْأَجْرَعَ الْخَصِيبَ الْفَرْدَا^٢
وابلُك عَنِّي حَتَّى تُرْتَحَ بِالْوَجْدِ دَ أَرَاكَ بِهِ وَبَانًا وَرَتَدَا
فلکم وقفةً أطلتُ^٣ على الضّاءِ لَ بَدَمِعِ أَذَاعَ سَرِّي وَأَبْدَى
وعلى البانِ كم مینَ البینِ أَذَرِيَهُ تُ لَآلِي لِلدَمْعِ مَثْنِي وَوَحْدَا
آه والهفّی على طیبِ عیشِ كُنْتُ قَطَعْتُهُ وَصَالًا وَوَدَا

.....

١ مجد الملك جعفر بن محمد (شمس الخلافة) (٦٢٢ -) ، شاعر مصري ؛ انظر ترجمته في وفيات

الأعيان (١ : ٢١٣) .

٢ ك : الملقى .

٣ ق ط ج : ظلت .

حيثُ عودُ الشبابِ غَضُّ "نضير"
والخليلُ الودودُ يُنْعِمُ إسماعيلَ
والليالي مساعداتٌ على الوصلِ
كم بها من لُبانةٍ لي وأوطأ
فاستعاد الزمانُ ما كان أعطى
وقول بعضهم :

سلامٌ على تلك المعاهدِ ، إنها
ليالي لم تحذَرَ حُزُونِ قطيعةٍ
فقد صرتُ أرضى من نواحي جنابها
وقول الجرجاني ^١ :

للمحبِّين من حِذارِ الفراقِ
فلإذا ما استقلتِ العيسُ لليه
استهلتُ على الحدودِ انحداراً
كم محبٍّ يرى التجلُّدَ ديناً
ازدهاهُ النوى فأعربَ بالوجهِ
وانحدارُ الدموعِ في مَوْقفِ البيةِ
هوَنُ الخطبِ لستُ أولُ صَبٍّ
وقول الخطيب الحصكفي الشافعي ^٢ :

- ١ لعله القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه (انظر ترجمته في اليتيمة ٤ : ٣ ووفيات الأعيان ٢ : ٤٤٠) .
٢ الخطيب الحصكفي هو يحيى بن سلامة بن الحسين ، معين الدين (- ٥٥٣) أحد شعراء الحريرة (ج ٢ : ٤٧١ من قسم الشام ووفيات الأعيان ٥ : ٢٥١ ومعجم الأدباء ٢٠ : ١٨ والمنظوم ١٠ : ١٨٣ وطبقات السبكي ٤ : ٣٢٢) .

ساروا وأكبادنا جرت حتى وأعيننا
تشكو بواطننا من بعدهم حرقاً
كأنهم فوق أكواري المطي وقد
درأى الزهر في الأبراج زاهرة
يا موحشي الدار مذ بانوا كما أنست
إن غبتهم لم تغيبوا عن ضمائنا
قرحى وأنفسنا سكرى من القلق
لكن ظواهرنا تشكو من الفرق
سارت مقطرة في حالك الغسق
تسير في الفلك الجاري على نسق
بقربهم لا خلت من صيب غدق
وإن حضرتم حملناكم على الخلق

وما أحسن قول بعضهم في هذا المعنى ، الذي كررنا ذكره وبه المعنى :

سلام على أهل الوداد وعهدهم
رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا
إذ الأئس روض السرور فنون
ففاضت لروحات الفراق عيون

وكم أنشدت وليالي النوى عاتمة ، قول الأندلسي ابن خاتمة^١ :

أيامنا بالحمى ما كان أحلاك
كم بت أراحه إجلالاً وأراك
لا تُنكري وقفتي ذلاً بمقتلك
يا دار لولا أجبائي ولولاك
لما وقفت وقوف الهائم الباكي
فهل لهم عطفة من بعد دلتهم
أها لقلبي على تبديد شملهم
يا بدر تيم تناءت عنه أربعنا
والم تزل تحتويه الدهر أضلعنا
ما للنوى بضروب البين توجعنا
إذا تذكرت دهرأ كان يجمعنا
تفطرت كبدي شوقاً لمراك

١ ابن خاتمة : أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري الأندلسي (- ٥٧٧ هـ) شاعر من أهل المرية ، ومن معاصري لسان الدين (انظر ترجمته في الإحاطة ١ : ١١٤ والكتيبة الكامنة ٢٣٩ ونيل الابتهاج : ٥١ ومساك الأبصار ١١ : ٥٠٢) .

أحباب أنفسنا كم ذا النوى وكم
 تالله ما شُبْتُ دمعاً للأسى بدم
 إلا مراعاة خيلٍ ظلَّ يرداك
 علَّ التعلُّلَ يُدْفِي منهم وعسى
 كم ذا أنادي برِّيعٍ بالنوى طُمِيسا
 يا قلبُ صبراً فإن الصبرَ عاد أسى
 ويا منازلَ سلمى أين سلكك

وقول بعض من اشتد به الهيام ، فخطب جبرته مادحاً ليالي القرب وذاماً
 تفلُّب الأيَّام :

أيامٌ أنسيَ قد كانتُ بقربكمُ
 ذممتُ عيشي مذ فارقتُ أرضكمُ
 وقول صاحب مصارع العشاق^١ ، وقد شاقه من الهوى ما شاق :
 بانُوا فادمعُ مُقَلِّي^٢ وجداً عليهم تستهلُ
 وحداً بهم حادي الفراقِ عن المنازلِ فاستقلُّوا
 قلَّ للذين ترحلُّوا عن ناظري والقلبَ حثَّوا
 ما ضرَّهم لو أنهلوا من ماء وصلهم وعثَّوا
 وقوله حين زحزحته يد الفراق ، عن أوطان العراق^٣ :

قَدْ قَلْتُ وَالْعَبْرَاتُ تَسْتَفْحِهَا عَلَى الْخَلْدِ الْمَلَقِي

- ١ صاحب كتاب مصارع العشاق هو أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج (- ٥٥٠هـ)
 (ابن خلكان ١ : ٣٠٩) والأبيات التالية مثبتة في كتابه ١ : ١٣٠ وابن خلكان ١ : ٣٠٩ .
- ٢ مصارع العشاق : بان الخليل فادمع .
- ٣ هذا موهوم أن الأبيات لصاحب مصارع العشاق ، ولكنها وردت في كتابه (١ : ٢٣٧) يروها
 القالي عن ابن الأتباري عن ثعلب ، وهي بهذا السند في أمالي القالي ١ : ١٦٤ .

حينَ انحدرتُ إلى الجزية رةٍ وانقطعتُ عن العراقِ
وتخبَّطتُ أيدي الرفا قٍ مَهَامِهَ البيدِ الرقاقِ
يا بؤسَ مَنْ سَلَّ الزما نُ عَليهِ سِيفاً للفراقِ
وقوله أيضاً^١ :

يا منزلَ الحَيِّ بذاتِ النقا سَقَاكَ دمعٌ مذ نأوا مآ رَقَا
هل سَكُونَةُ؟ هِيَهَاتِ لاسلوةٌ قد بَلَغَ السيلُ الزُبَى وارْتَقَى
وأنت يا يومَ النَّوَى عاجلاً أَدَالَ مِنْكَ اللهُ يومَ اللَقَا

وقولي موطئاً للثالث^٢ ، وقد تغير لي فيمن تغير حارث^٣ :

لم أنسَ مَعَهْدَنَا والشملُ مجتمِعٌ والعيشُ غُضٌّ وروضُ الأنسِ معطارُ
فَها أنا بَعْدَ بَعْدٍ عَنْهُ في قلقٍ وقد نَبَتَ بِي أرجاءُ وأقطارُ
تمضي الليالي وأشواقُ مُجَدَّدَةٌ وما انقضتْ لي من الأحبابِ أوطارُ
وكلما مررتُ بمَرَأَى يروق ، لمعت لي مِنْ نَاحِيَةِ المغنى بالمُنَى بِرُوق ،
فتذكرتُ قولَ بعضِ مَنْ له على غير من يهوى طروق :

مَا نَظَرْتُ غَينِي سِوَاكَ مِنْظَرًا مُسْتَحْسَنًا إِلَّا عَرَضَتْ دُونَهُ
وَمَا تَمَنَّيْتُ لِقَاءَ غَائِبٍ إِلَّا سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ تَكُونَهُ

وربما رُمْتُ انتحائي مذهب السلوة وانتحائي، خلال أحوال إقامتي وارتحالي،
فلم ينتقل عن تلك الصفات حالي، وأنتي وجييدي بقلائد البتات حالي :

١ هذه الأبيات للسراج صاحب مصارع العشاق (١ : ٢١٥) ولم يذكر الثاني والثالث منها .

٢ يعني البيت الثالث ، وهو دليل على أن البيت مضمّن وليس للمقري .

٣ يشير إلى قول إبراهيم بن العباس الصولي (وليس في ديوانه ، وربما نسب لغيره) :

تغير لي فيمن تغير حارث وكم من أخ قد غيرته الحوادث

والشوقُ أعظمُ أن يحيطَ بوصفِهِ قَلَمٌ وأن يُطنَوِي عليه كتابُ
واللهِ ما أنا منصفٌ إن كان لي عَيْشٌ يَطيبُ وجيرتي غِيَابُ
وكيف ولآماقي صبّ ، ولأتماقي زيادة إذا سرى نسيم أو هبّ :

شربتُ حُمَيّا البينَ صِرْفًا ، وطالما جلوتُ مُحَيّا الوصلِ وهوَ وَسيمُ
فميعادُ دَمْعِي أن تنوحَ حمامةٌ وميقاتُ شوقي أن يهبَّ نسيمُ
فلن لآح سَنّا بارق شاقبي ، أو ترنم شادٍ حدا بي إلى الهيام وساقبي ، أو رنّا
ظبي فلاةٍ راعني وراقني :

ولآتي ليُصَيِّبني سَنّا كلّ بارقٍ وكلّ حَمَامٍ في الأراكِ ينوحُ
وأرتاعُ من ظبي الفلاةِ إذا رنّا وأرتاحُ للتذكّارِ وهو سَنوحُ
ولم يكُ ذاكُ الأمرُ من حيثُ ذاته ولكنْ لمعنى في الحبيب يَلوحُ
ولا أستطيع الإعراب عن أمري العجيب ، لما بي من النوى المُذهِل
والجُحوى المدهش والوجيب :

ولا تسألوا عما أُجِنُ فليس لي لسانٌ يؤدّي ما الغرامُ يقولُ
يُطارِحني البرقُ الأحاديثَ كلّما أضاء كأنّ البرقَ منه رسولُ
وما بالُ خَفّاقِ النسيمِ يُميلني هل الريحُ راحٌ والشّمالُ شَمولُ
إذ دموع شُؤوني عند الذكرى لا تَرَقّا ، وجفوني ليس لها عن الأزق مَرَقّي ،
وشجوني تنمو إذا صدحت بفنتها ورَقّا :

رُبَّ ورَقاء في الدياجي تُنادي إلَفها في غصونها الميَّادة
فتثيرُ الهوى بلحنٍ عجيبٍ يشهدُ السمعُ أنها عوَّادة
كلّما رجعتُ توجعتُ حزناً فكأنّا في وجدنا نَتَبَّادة

فيا لها من ذات طَوَّق ، مثيرة لكامن شوق ، جالبة له من يمين وشمال -
وفوق :

ذَكَرْتَنِي الْوَرَقَاءُ أَيَّامَ أَنْسِ سَالَفَاتٍ فَبْتُ أَذْرِي الدُّمُوعَا
وَوَصَلْتُ السَّهَادَ شَوْقًا لِحَبِّي وَغَرَامًا وَقَدْ هَجَرْتُ الْهَجُوعَا
كَيْفَ يَخْلُقُ قَلْبِي مِنَ الذِّكْرِ يَوْمًا وَعَلَى حُبِّهِمْ حَنِيتُ الضَّلُوعَا
كَلَّمَا أُولِيَغَ الْعَذُولُ بَعْتَنِي فِي هَوَاهُمْ يَزْدَادُ قَلْبِي وَلُوعَا

وربما أتخيل قول من قال إنها بالحزن بائحة ، وعلى فقد الإلف نائحة ،
فأنشد قول خليل ، وهو بالحُبِّ مُدْنَفٌ وعليل :

وَرُبَّ حَمَامَةٍ فِي الدَّوْحِ بَاتَتْ تُجِيدُ النَّوْحَ فَنَّا بَعْدَ فَنٍ
أَقَاسِمُهَا الْهَوَى مَهْمَا اجْتَمَعْنَا فَمِنْهَا النَّوْحُ وَالْعَبْرَاتُ مِنْي

ولا غرو إن ظهر سر بائح ، فباكٍ مثلي من الشجوة نائح :

فَرَجَعْتُ بَعْدَ فِرَاقٍ أَيَّامَ الْهَوَى أَصْفُ الصَّبَابَةِ لِلْمَحَبِّ الْمَوْلَعِ
دَامِي الْجَفُونَ إِذَا الْحَمَامَةُ غَرَّدَتْ مِنْ فَوْقِ خُوطِ الْبَانَةِ الْمُرْتَعِرِ
أَسْقِي الدِّيَارَ - وَقَدْ تَبَاعَدَ أَهْلُهَا عَنْهَا - عَزَّالِي الدُّمُوعِ الْهُمِّعِ
وَنَوَاعِبُ الْأَطْلَالِ لَيْسَ يُجِيبُنِي مَا بَيْنَهُنَّ سِوَى الصَّدَى بِتَوَجُّعِ
وَهَوَاتِفُ فَوْقَ الْغُصُونِ يُجِيبُنِي مِنْهُنَّ تَغْرِيدُ الْحَمَامِ السُّجَّعِ
نَاحَتْ عَلَى عَذَابِ الْفُرُوعِ وَالْفُهَا مِنْهَا بِمَرَأَى فَوْقَهَا وَبِمَسْمَعِ
مَا فَارَقْتُ إِلْفًا كَمَا فَارَقْتُهُ كَلَّا وَلَا أَجُرْتُ سِوَاكَبِ أَدْمُعِي

على أوانٍ عيونٌ سغوده رَوَّان ، وزمان معمور بأمانٍ وأمان ،
وآمال دَوَّان ، وتهانٍ ما بين بكيرٍ وعَوَّان ، وفي عذر من طال ليلُهُ فاضطرب
فيه لولوعه ، وسكن جَوَّاه بجوانحه وضلوعه :

إن طال ليلى بعدهم فلطوله عذُرٌ ، وذلك لما أقاسي منهم
لَمْ تَسِرْ فِيهِ نَجْوَاهُ لَكِنِّهَا وقفت لتسمع ما أحدث عنهم

فأرتقي ، الزائد في حُرقي ، أظهر المكنون وأبان ، ووَجَدِي بمن نأى وبان ،
لم يُجَدِ فيه تعلُّلٌ برتدٍ وبان ¹ :

تَنَبَّهِي يَا عَذَبَاتِ الرَّتْدِ كم ذا الكرى ؟ هَبْ نَسِيمُ نَجْدِ
فَلَسْتُ مِثْلِي فِي جَوَى أَوْ أَرْقِ وَحُرْقَةٍ مِنْ فُرْقَةٍ أَوْ صَدِّ
عَوِفِيَّتٍ مِمَّا حَلَّ بِي مِنْ جَبَرَةٍ فِي الْغَرْبِ لَمْ يَرْتَوْا لِفَرْطِ وَجْدِي
أَعْلَلُ الْقَلْبَ بِيَانٍ رَامَةٍ ² وهل يَنْوِبُ غُصْنٌ عَنْ قَدِّ
بَانُوا فَلَا مَغْنَى السُّرُورِ بَعْدَهُمْ مَغْنَى ، وَلَا عَهْدُ الرِّضَا بَعْدِهِ
آهًا مِنَ الْبَعْدِ وَمَنْ لَمْ يَدْرِهِ لَمْ يَشْجُهُ تَأْوِهُي لِلْبَعْدِ

وفي شغل من أبكته الربوع والطلول ، وذهبت برهمة من زمانه بين الترحل
والحلول ، فَرَكِبَ مِنَ الْأَخْطَارِ الصَّعْبِ وَاللَّئُولِ ، وحافظ على العهود ولم
يسلك سبيل الغادر الملول :

سَقَاهَا الْحَيَا مِنْ أَرْبَعٍ وَطُلُولِ حَكَّتْ دَنْقِي مِنْ بَعْدِهِمْ وَنُحُولِي
ضَمِنْتُ لَهَا أَجْفَانَ عَيْنٍ قَرِيحَةٍ مِنْ الدَّمْعِ مِدْرَارِ الشُّوْنِ هَمُولِ

ومن الغريب ، الذي ينكره غير الأريب ، أن الحادي إن سرَّ القلب بكشف
رَيْنَ ، فقد تسبب في اجتماع أمرين متنافيين متنافرين :

تَرَنَّمَ حَادٍ بِالصَّرِيمِ فشاقي إلى ذكر مَنْ بَاتَتْ ضُلُوعِي تَضْمُهُ

١ من قصيدة لأبي الفنائم ابن المعلم الواسطي (- ٥٩٢) وكان شاعراً رقيق الشعر وبينه وبين سبط
ابن التعاويذي مهاجرة (انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٤ : ٩٨ والرواني ٤ : ١٦٥ وفي الثاني
بعض أبيات القصيدة) .

٢ ك : بيان عنهم .

فَسَرَّ وَسَاءَ النَّفْسَ شَجَوًّا فَرَبَّمَا كَلَفْتُ بِهِ مِنْ حَيْثُ صِرْتُ أَذْمُهُ
وَارْتَجَلْتُ حِينَ مَلَلْتُ مِنْ طَوْلِ السُّرَى ، مَضْمِنًا ذَكَرَ مَا أَرُومُ لَهُ تَيَسَّرَا ،
وَقَدْ أَكْثَرَ الرِّفَاقَ عِنْدَ رُؤْيَا مَا لَمْ يَأْلَقُوهُ مِنَ الْآفَاقِ تَلَهُّفًا وَتَحَسُّرًا :

قُلْتُ لَمَّا طَالَ النَّوَى عَنْ بِلَادِي وَلِأَهْلِ النَّوَى جَوَى وَعَوِيلُ
هَلْ أَرَى لِلْفِرَاقِ آخِرَ عَهْدٍ إِنَّ عُمَرَ الْفِرَاقِ عَمْرٌ طَوِيلُ
ثُمَّ قُلْتُ مَضْمِنًا :

لَا تَلْمِي فِي ذِكْرِ أَحْبَابٍ نَأَوَا لَا تَكْلِمُ مَنْ أَضْعَفَ الشَّوْقُ قُوَاهُ
إِنَّ يَوْمًا جَامِعًا شَمَلِي بِهِمْ ذَاكَ عِيدِي ، لَيْسَ لِي عِيدٌ سِوَاهُ
ثُمَّ قُلْتُ مَضْمِنًا أَيْضًا :

لَكَ اللَّهُ مِنْ صَبٍّ أَضَرَّ بِهِ النَّوَى وَلَيْسَ لَهُ غَيْرَ الْلِقَاءِ طَبِيبُ
وَلِإِنَّ صَبَاحًا نَلْتَقِي بِمَسَائِهِ صَبَاحٌ إِلَى قَلْبِي الْمَشُوقِ حَبِيبُ
ثُمَّ عَدْتُ إِلَى التَّصَبُّرِ ، بَعْدَ إِمْعَانِ النَّظَرِ وَالتَّدَبُّرِ :

وَلِإِنِّي لِأَدْرِي أَنَّ فِي الصَّبْرِ رَاحَةً وَلَكِنَّ إِنْفَاقِي عَلَى الصَّبْرِ مِنْ عَمْرِي
فَلَا تُطْفِئِ نَارَ الشَّوْقِ بِالشَّوْقِ طَالِبًا سَلُوكًا ، فَإِنَّ الْخَمْرَ يُسْعِرُ بِالْخَمْرِ
ثُمَّ سَلَكْتُ مَنَهْجَ التَّفْوِيزِ وَالتَّسْلِيمِ ، مُنْشِدًا قَوْلَ ابْنِ قَطْرَالِ الْمَغْرِبِيِّ
فِي مَقَامِ النَّصْحِ وَالتَّعْلِيمِ ، وَوَجَّهْتُ الْقَصْدَ إِلَى سِكَانِ الضَّمِيرِ بِذَلِكَ التَّكْلِيمِ :
إِنَّ أَيَّامَ الرِّضَا مَعْدُودَةٌ ۝ وَالرِّضَا أَجْمَلُ شَيْءٍ بِالْعَبِيدِ

١ ابن قطرال المغربي : عد ابن عبد الملك من اسمه أبو الحسن بن قطرال في شيوخ الرعييني (٥ : ٣٢٤)
ولكن الرعييني لم يذكره في معجم شيوخه ، وإنما ترجم له ابن الزبير في صلة الصلة : ١٣٨ وابن
الآبار في التكملة (رقم : ١٩١١) وهذا المترجم به أندلسي لا مغربي إلا أنه ولي القضاء بسبتة
وفاس وتوفي بمراكش عام ٥٦١ .

لا تَظُنُّوا لِيَ عَنْكُمُ سَلَوَةٌ ما على شوقي إليكم من مزيد
راجعوا أنفُسَكُمُ تستيقنوا أنكم في الوقت أقصى ما أريد
إنَّ يوماً يجمعُ الله بكم فيه شَمْلِي ذاك عندي يوم عيد

وقول بعض مَنْ ندم على البعد عن المعاهد ، وأمل العودَ - والعودُ
أحمد - إلى المشاهد ، وغفر للدهر ذنبه إن عاد ، وثلهف أن لم يعامله بغير الإبعاد :

لئن عادَ جَمْعُ الشَّمْلِ في ذلك الحمى غَفَرْتُ لدهري كلَّ ذنبٍ تقدَّما
وإن لمْ يعدْ مَنَّبَتُ نفسي بعودة وماذا عسى تجدي الأمانى وقتما
يحقُّ لقلبي أن يدوبَ صبايةً وللعين أن تُجْري مدامعها دما
على زمنٍ ماضٍ بهمٍ قد قطعتُه لبستُ به ثوبَ المسرة معلما

وقول آخر يخاطب أحبابه ، ويذكر فتواصيل بحر النوى الطويل وأسبابه :

أعيدكم من لَوْعِي وشُجُونِي ونارِ جَوَى ثُدْكَى بماء شؤوني
وبترح أسَى لمْ يُبقِ في بقيَّة سوى حركات تارة وسكون
أرى القلب أضحى بعد طارقة الأسى أسير صبايات رهين شجون
وكيف سبيل القُرب منكم ودونكم رمالُ زُرُودٍ والأجارجُ دوني ؟
سلكوا مضجعي هل قرَّ من بعد بعدكم وهل عرفت طعم الرقادِ جُفُونِي
سهرنا بنعمانٍ ، ونمتم بابلٍ ، فيا لعيونٍ ما وقت لعيونٍ

وفي بعض الأحيان ، أتسلى بقول بعض الأندلسيين الأحيان :

لا تكثرِثُ بفراق أوطان الصبا فَعَسَى تنالُ بغيرهنَّ سُعوداً
فالدرُّ يُنْقَطَم عند فقد بحاره يجمِّل أجساد الحسان عُقوداً

وقول غيره :

فَعَسَى اللَّيَالِي أن تمنَّ بنظْمينا عِقْداً كما كنَّا عليه وأكلا

فلربما نُثِيرَ الْجُمَانُ تَعَمُّدًا لِيَعَادَ أَحْسَنَ فِي النِّظَامِ وَأَجْمَلًا
وَأَرْغَبَ لِمَنْ أَطَالَ ذِيُولُ الْغُرْبَةِ أَنْ يَقْلَصَهَا ، وَأَطْلُبَ مِمَّنْ أَجَالَ النُّفُوسَ فِي
سِيُولِ الْكُرْبَةِ أَنْ يَخْلَصَهَا :

فَنَلْتَقِ وَعَوَادِي الدَّهْرِ غَافِلَةً عَمَّا نُرُومُ وَعِيقْدُ الْبَيْنِ مَحْلُولُ
وَالدَّارُ آتِسَةٌ ، وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ ، وَالطَّيْرُ صَادِحَةٌ ، وَالرُّوْضُ مَطْلُولُ
وَأَضْرَعُ إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ - فِي تَسِيرِ الْعَوْدِ إِلَى أَوْطَانِي ، وَمَعْهَدِي الَّذِي
مَطَايَا الْعِزِّ أَوْطَانِي ، وَأَنْ يُلْحِقَنِي بِذَلِكَ الْإِفْقِ الَّذِي خَيْرُهُ مَوْفُورٌ ، وَحَقُّ مَنْ
فِيهِ مَعْرُوفٌ لَا مَنَكْرَ وَلَا مَكْنُفُورَ :

إِذَا ظَنِمْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِقَرَبِهِمْ فَكَلُّ ذَنْبِ جَنَاهُ الدَّهْرِ مَغْفُورُ
وَكَأَنِّي بِعَاتِبٍ يَقُولُ : مَا هَذَا التَّطْوِيلُ ؟ فَأَقُولُ لَهُ : جَوَابِي قَوْلُ ابْنِ أَبِي
الْإِصْبَعِ الَّذِي عَلَيْهِ التَّعْوِيلُ :

أَكْثَرْتُ عَدْلِي كَأَنِّي كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ بَكَى عَلَى مَسْكَنٍ أَوْ حَنٍّ لِلْمَسْكَنِ
لَا تَلَحَّ إِنَّ مِنَ الْإِيمَانِ عِنْدَ ذَوِي الْإِيمَانِ مَنَّا حَتِينَ النَّفْسِ لِلْوَطَنِ
عَلَى أَتَنِي أَقُولُ : اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي مَا فِيهِ الْخَيْرَةُ لِي بِالْمَشَارِقِ أَوْ بِالْمَغَارِبِ ،
وَجُدْ لِي مِنْ فَضْلِكَ حَيْثُ حَلَلْتَ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ رِضَاكَ مِنَ الْمَأْرَبِ ، بِجَاهِ نَبِيِّنَا
وَشَفِيعِنَا الْمُبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ وَالْأَعَاجِمِ وَالْأَعَارِبِ ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ
صَلَاةٍ وَأَزْكَى سَلَامٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَعْلَامِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا ذَرَّ
شَارِقٌ وَتَعَاقَبَ طَالِعٌ وَغَارِبٌ .

* * *

[ركوب البحر وبلوغ مصر]

ثمَّ جدَّ بنا السير في البر أَيْاماً ، وثأينا عن الأوطان التي أطنبنا في الحديث
حُبّاً لها وهَيْاماً ، وكنا عن تفاعيل وصلها^١ نياماً ، إلى أن ركبنا البحر ، وحللنا
منه بين السَّحَر والتَّحَر ، وشاهدنا من أهواله ، وتنافي أحواله ، ما لا يعبر عنه ،
ولا يُبلَّغ له كُنْه^٢ :

البحرُ صَعْبُ المرامِ جِدّاً لا جُعِلَتْ حاجتي إِلَيْهِ
أَلَيْسَ ماءً ونحن طينٌ فما عسى صَبْرُنَا عَلَيْهِ

فكم استقبلتنا أمواجه بوجوهٍ بَوَّاسِر ، وطارت إلينا من شِرَاعِهِ عِقَبَانٌ
كواسر ، قد أزعجتنا أكْفُ الرِّيح من وكْرِها ، كما نهت اللجج من سكرها ،
فلم تبق شيئاً من قوتها ومكْرِها ، فسمعنا للجمال صغيراً ، وللرياح دَوِيّاً عظيماً
وزفيراً ، وتيقنَّا أننا لا نجد من ذلك إلا فضلَ الله مُجِيراً وخفيراً ، ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ
الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَآهَ ﴾ (الإسراء : ٦٧) وأيسسنا من الحياه ،
لصوت تلك العواصف والمياه ، فلا حياءَ الله ذلك الهول المزعج ولا بيَّاه ، والموج
يصفقُ لُسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب ، فكأنه من كأس الجنون يشرب
أو شرب ، فيبتعد ويقرب ، وفرقه تلتطم وتصططق ، وتختلف ولا تكاد تتفق ،
فتخال الجوّ يأخذ بتوابعها ، وتجذبها أيديه من قواصمها ، حتى كاد سطح الأرض
يُكشَف من خلالها ، وعنآن السُّحُب يخطف في استقلالها ، وقد أشرفت النفوسُ
على التلف من خَوْفِها واعتلالها ، وآذنت الأحوال بعد انتظامها باختلالها ، وساءت
الظنون ، وتراءت في صورها المتئون ، والشرع في قراع مع جيوش الأمواج ،

١ ك : فضلها .

٢ البيتان من شعر ابن رشيقي (ديوانه : ٢١٢) وهما في معاهد التنصيص ٢ : ٢٥ ونهاية الأرب

١ : ٢٥٥ وطراز المجالس : ٢٢٠ وديوان ابن حمديس : ٥٣٣ ورحلة ابن جبير : ٣١٩ .

التي أمدت منها الأفواج بالأفواج ، ونحن قُعود ، كدُودٍ على عود ، ما بين
فُرَادَى وأزواج ، وقد نَبَتَ بنا من القلق أمكنتنا ، وخرست من الفرقِ
ألسنتنا ، وتوهمنا أنه ليس في الوجود ، أغوار ولا نجود ، إلا السماء والماء
وذلك السفين ، ومن في قبر جوفه دفين ، مع ترقب هجوم العدو ، في الرواح
والغدو ، لاجتيازه على عدة من بلاد الحرب ، دمر الله سبحانه من فيها وأذهب
بفتحها عن المسلمين الكرب ، لا سيما مالطة الملعونة ، التي يتحقق من خلص
من معرفتها أنه أمدت بتأييدٍ إلهيٍّ ومعونة ، فقد اعترضت في لهوات البحر الشامي
شجاً ، وقل من ركبها فأقلت من كيدها ونجا ، فزادنا ذلك الحذر ، الذي لم
يُبْقِ ولم يَدَرْ ، على ما وصفناه من هَوَلِ البحر قلقاً ، وأجرينا إذ ذاك في مَيَدَانِ
الإلقاء باليد إلى التهلكة طلقاً ، وتشتت أفكارنا فِرَقاً ، وذبننا أَسَىً وندماً
وفرقاً ، إذ البحر وحده لا كَمِيَّ يقارعه ، ولا قوِيَّ يصارعه ، ولا شكلَ
يُصارعه ، ولا يؤمن على حالٍ^١ ، ولا يفرق بين عاطلٍ وحالٍ ، ولا بين أعزلٍ
وشاكٍ ، ومتباكٍ وباكٍ :

ثلاثةٌ ليس لها أمانُ البحرُ والسُّلطانُ والزَّمانُ

فكيف وقد انضمَّ إليه خوفُ العدو الغادر الخائن ، والكافر الخائن ، إلى أن
قضى الله بالنجاة وكلُّ ما أراد فهو الكائن ، وإن تَهَيَّ عنه وأخطأ المائن ،
فأرأينا البر وكأننا قبلُ لم نَبْرَه ، وشفيت به أعيننا من المره^٢ ، وحصل بعد الشدة
الفرج ، وشممتنا من السلامة أطيب الأريج ، فيا لها من نعمة كشفت عن وجهها
النقاب ، يقلُّ شُكراً لها صومُ الأحقاب وعِثْقُ الرقاب ، جعلتنا الله بآياته
معتبرين ، وعلى طاعته مصطبرين ؛ ولم نخلُ في البر من مُعاناة خطوب ، ومداراة
وجوه للمتاعب ذات تَجْهُّمٍ وقطوب ، فكم جُبْنَا منه مَهَامِهَ فيحاً ، ومسحنا

... ..

١ ك : كل حال .

٢ المره : فساد العين لترك التكمل .

بالخطأ منها أثيراً و صفيحاً ، و فلينا الفجاج ، و قرأنا من الطرق خطوطاً ذات
استقامة و اعوجاج ، و قلوبُ الرقعة من الفرقة في اضطراب و ارتجاج ، و ربما
عميت على المجتهد الأدلة التي يحصل بها على المذهب الاحتجاج ، فترى
الأنفاس تعثر في زفرة الأشواق ، و الأجسام قد زُرَّت عليها من التعب الأطواق ،
هذا و الليل بصفحة البدر مُرتاب ، و قد شُدَّت رِحال و أقتاب ، و زُمَّت
ركاب و رُفِعَت أحداج ، و قُرِيت من الدعة بمدية النَّصَبِ أوداج ، و تساوى
في السير نهار مشرق و ليل مُقَمَّر أو داج ، و أديم التأويب و الإسَّاد ، و حِمْلُ
الغربة قد أثقل و آد ، ثم و صلنا بعد خَوْض بحار ، يدهش فيها الفكر و يبحار ،
و جُوب فيافٍ مجاهل ، يضلُّ فيها القطا عن المناهل ، إلى مصر المحروسة
فَشَفِينا برؤيتها من الأوجاع ، و شاهدنا كثيراً من محاسنها التي تعجز عن
وصفها القوافي و الأسجاع ، و تمثلنا في بدائعها التي لا نستوفيها ، بقول ابن
ناهض فيها ^١ :

شاطئ مصر جنة ما مثلها في بلد
لا سيما مذ زُخِرَتْ بِنيلها المطرد
و للرياح فوقه سوايح من زرد
مسرودة ما مسها داودها بمبرد
سائلة و هوَ بها يرعد عاري الجسد
و الفلك كالأفلاك بي ن حادير و مُصعد

١ ابن ناهض : تصرف هذه التسمية إلى اثنين أحدهما هو بدر الدين محمد بن ناهض الحلبي (- ٧٢١)
و الثاني محمد بن ناهض شمس الدين الحلبي (- ٨٤١) و هذا الثاني سكن القاهرة و مات فيها
و لعله صاحب الشعر ، (انظر الدرر الكامنة ٤ : ٢٧٢ في ترجمة الأول و الضوء اللامع ١٠ :
٦٧ في ترجمة الثاني) . و قد وردت هذه الأبيات في رحلة ابن بطوطة (١ : ٣٦) و هي منسوبة
هناك لمن لقيه « ناصر الدين » ابن ناهض .

ويقول آخر :

انظر إلى النيل الذي ظهرت به آياتُ ربّي
فكأنّه في فيضيه دَمعي وفي الحفنانِ قلبي

ويقول أبي المكارم ابن الخطير المعروف بابن ممتاني في جزيرتها^١ :

جزيرة مصر، لا عدتْكَ مَسْرَةً ولا زالتِ اللذاتُ فيكَ اتصالتها
فكم فيكَ من شمسٍ على غُصْنٍ قامة يميت ويحيي هَجْرُها ووَصالُها
مغانيكِ فوق النيل أضحتْ هَوادجاً ومختلفاتُ الموج فيكَ حِبَالُها
ومن أعجبِ الأشياءِ أنكَ جَنَّةٌ تُمدّ على أهل الضلال ظلالُها

لعلّه أراد بأهل الضلال اليهود والنصارى المستولين إذ ذاك على الدولة .
وتذكرت في مصر قولَ القاضي الفاضل^٢ :

بالله قُلْ للنَّيلِ عني لِنْتِي لم أَشْفِ من ماء الفُراتِ غليلاً
وسلِّ الفؤادَ فإنّه لي شَاهِدٌ إن كان طرقي بالبكاء بَخِيلاً
يا قلبُ كم خَلَفْتَ نَمَّ بَخِيَّةً وأظنُّ صبرَكَ أن يكونَ جَمِيلاً

١ أبو المكارم الخطير الأسعد بن الخطير المعروف بابن ممتاني (٦٠٦-) كان ناظر الدواوين بالديار المصرية ، حظياً عند القاضي الفاضل (راجع ترجمته في الخريدة ١ : ١٠٠ قسم مصر ، ومعجم الأدباء ٦ : ١٠٠ ووفيات الأعيان ١ : ١٨٧) .
٢ القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيهقي (٥٩٦-) كاتب صلاح الدين وصاحب الطريقة الفاضلية في الإنشاء (راجع ترجمته في الخريدة ١ : ٣٥ قسم مصر ووفيات الأعيان ٢ : ٣٣٣ وطبقات السبكي ٤ : ٢٥٣ وأخباره في الكتب التاريخية المتصلة بالفترة الصلاحية ، مثل مفرج الكروب والروضتين وغيرهما) . والأبيات في ديوانه : ٩١ وهي في مطالع البدور ٢ : ٢٩٢ ووفيات الأعيان ١ : ٢٨٥ وتاريخ ابن الوردي ٢ : ١١٦ وابن بطوطة : ٨٦ .

وقول أحمد بن فضل الله العمري^١ :

لمصرَ فضلٌ باهرٌ بعيشها الرغدِ النضيرُ
في سَفْحِ روضٍ يلتقي ماء الحياةِ والخضر^٢

وقول آخر :

كأنَّ النيلَ ذو فهمٍ ولُبٍّ لما يبدو لعين الناسِ مِنْهُ
فيأتي حينَ حاجتهمِ إليه ويمضي حينَ يستغنُّونَ عَنْهُ

وقول آخر :

وللهِ مَجَرَى النيلِ مِنْهُ إذا الصَّبَا أرثنا به من مرَّها عسْكَراً مَجْرَا
بشَطِّ يَهْزُ السَّمْهَرِيَّةَ دُبْلَاً ومَوْجِ يَهْزُ الْبَيْضَ هِنْدِيَّةً بَشْرَا
إذا مدَّ حاكِي الوردِ لونا، وإن صفا حَكَى ماءه لونا ولم يحكه مرَّا

وقول آخر :

وأها لهذا النيلِ ؛ أيُّ عجيبةٍ بَكْرٍ بمثل حديثها لا يُسْمَعُ
يلتقى الثرى في الماء وهو مُسَلَّمٌ حتى إذا ما مال عادَ يُودَعُ
مستقبلٌ مثل الهلالِ فدهره أبداً يزيدُ كما يزيدُ ويرجعُ

وقول ابن النقيب^٣ :

١ أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري شهاب الدين (٧٤٩ -) صاحب مسالك الأبصار (الظر
ترجمت في الدور الكامنة ١ : ٣٣١ والنجوم الزاهرة ١٠ : ٣٣٤) والبيتان في حلبة الكميت :

٢٦٢ .

٢ رواية البيت في حلبة الكميت :

في كل يوم يلتقي ماء الحياة والخضر

٣ هو الحسن بن شاور ناصر الدين ابن النقيب (٦٨٧ -) أحد شعراء مصر المشهورين بالتورية
وأكثر شعره مقطعات (الفوات ١ : ٢٣٢) ؛ والبيتان في الفوات ١ : ٢٣٤ .

الصَّبُّ من بعدهم مُفَرَّدٌ ودَمَعُهُ النِّيلُ وتعليقُهُ
وَحَدُّهُ لما بكاهم دَمًا مقياسُهُ ، والدَمْعُ تخليقُهُ

وقول الصفدي^١ :

سَقِيًّا لمصر وما حَوَتْ من أنْسِهَا وأناسِهَا
ومحاسِن في مَقْصِهَا تَبْدُو وفي مَقْيَاسِهَا
ومَسَرَّة كِبَاسَاتِهَا تُجَلِّي على أَكْيَاسِهَا
وسُطُور قرط خَطَّهَا || باري على قرطاسِهَا
ودُمَى كَنَائِصِهَا ، ولا تَنْسَى ظِباء كِنَاسِهَا
ولطَافَةِ بِحَلَالَةٍ تَبْدُو على جَلَّاسِهَا
ونَوَاسِمِ كُلِّ المُنَى للنفسِ في أنْفَاسِهَا
ومراكِب لعبت بها || أمواجُ في وَسْوَاسِهَا

وقول ابن جابر الأندلسي^٢ :

ما زلتُ أُسْنِدُ من محاسِنِ أرضِهَا خبراً صحيحاً ليس بالمقطوعِ
كم مُرْسَلٍ من نِيْلِهَا ومُسْتَسَلٍّ ومُدَبَّحٍ من هَضْبِهَا المرفوعِ^٣

.....

١ خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤ -) صاحب الوافي بالولايات وأعيان العصر ونكت الحميان والتذكرة الصفدية والفيث المسجم وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة (انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٢ : ٨٧ وطبقات الشافعية ٦ : ٩٤) وشعره منشور في مؤلفاته .

٢ ابن جابر : محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الأعمى (- ٧٨٠) صاحب يديعة العميان هاجر مع صاحبه الرعيني إلى بلاد الشام ، وله شرح على ألفية ابن مالك وآخر على ألفية ابن معطي . (انظر الدرر الكامنة ٣ : ٣٣٩ ونكت الحميان : ٢٤٤ والوافي ٢ : ١٥٧ وبغية الوعاة : ١٤ وغاية النهاية ٢ : ٦٠) وسيورد المقرئ له ترجمة في النفع .

٣ جمع في هذا البيت ألفاظاً من مصطلح الحديث .

وقول إبراهيم بن عبدون :

والنيلُ بين الجانِبينِ كأنَّما صَدَّتْ بِصَفْحَتِهِ صَفِيحَةُ صَيْقَلٍ
يَأْتِيكَ مِنْ كَدْرِ الزَّوَاخِرِ مَدَّةُ بِمَسَّكَ مَنْ مَائِهِ وَمُصْنَدَلٍ
فَكَأَنَّ ضَوْءَ الْبَدْرِ فِي تَمْوِجِهِ بَرَقَ تَمَوَّجَ فِي سَحَابِ مُسْبَلٍ
وَكَأَنَّ نُورَ السُّرُجِ مِنْ جَنَابَتِهِ زَهَرَ الْكَوَاكِبِ تَحْتَ لَيْلِ الْنِيلِ
مِثْلُ الرِّيَاضِ مُفْتَقًا أَنْوَارُهُ تَبَدُّوْا لَعَيْنِ مُشَبَّهٍ وَمِثْلِ

وقول ابن الصَّاحِبِ :

فَرِحَ الْأَنَامُ بِنِيلِهِم إِذْ صَارَ أَحْمَرُ كَالشَّقِيقِ
وَتَبَرَّكُوا بِشُرُوقِهِ فَكَأَنَّهُ وَادِي الْعَقِيقِ

وقول آخر :

أَحْمَرُ لِلنَّيْلِ خَدُّ حَتَّى غَدَا كَالشَّقِيقِ
وَقَدْ تَرْنَمْتُ فِيهِ إِذْ صَارَ وَادِي الْعَقِيقِ

* * *

[زيارة مكة والمدينة]

ثمَّ شَمَرْتُ عَنْ سَاعِدِ الْعَزْمِ بَعْدَ الْإِقَامَةِ بِمَعْرِ مَدَّةٍ قَلِيلَةٍ ، إِلَى الْمَهْمِ الْأَعْظَمِ
وَالْمَقْصِدِ الْأَكْبَرِ الَّذِي هُوَ سِرُّ الْمَطَالِبِ الْجَلِيلَةِ ، وَهُوَ رُؤْيَا الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ،
وَالْعَلَمَيْنِ الْمُنِيفَيْنِ ، زَادَهُمَا اللَّهُ تَنْوِيهَا ، وَبَلَغَ الْنُفُوسَ بِبِرْكَةٍ مِنْ شَرْفٍ بِهِ مَأْرَبُ
لَمْ تَزَلْ تَنْوِيهَا ، فَسَافَرْتُ فِي الْبَحْرِ إِلَى الْحِجَازِ ، رَاجِيًا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي الْأَجْرِ
الْإِنْتِجَازِ ، إِلَى أَنْ بَلَغْتُ جَدَّةَ ، بَعْدَ مَكَابِدَةِ خُطُوبِ اتَّخَذَتْ لَهَا مِنَ الصَّبْرِ عُدَّةَ ،
فَحِينَ حَصَلَ الْقُرْبُ ، وَاسْتَحَلَّتِ الْعَيْنُ بِإِثْمَدِ تِلْكَ التُّرْبِ ، تَرْنَمْتُ بِقَوْلٍ مِنْ

قال ، محرّضاً على التّخذ والإرقال :

بِئْسَ لَكَ الْحَقُّ فَاقْطَعْ ظَهْرَ بَيْتِئِدَاءٍ وَاصْصِدْ عَلَى عِزْمَةِ أَرْضِ الْحِجَازِ تَجِدْ
وَقُلْ إِذَا نَلْتِ مِنْ أُمِّ الْقُرَى أَرْبَاً وَهَوِّ الْوَصُولُ بِإِسْرَارٍ وَإِبْدَاءٍ
يَا مَكَّةَ اللَّهُ قَدْ مَكَّنْتَ لِي حَرَمًا مُؤَمَّنًا لَسْتُ أَشْكُو فِيهِ مِنْ دَاءٍ
فَمَنْدُ رَأَى النَّازِحِ الْمُسْكِينُ مَسْكَنَهُ فِي قَطْرِكَ الرَّحْبِ لَمْ يُنْكَبْ بِأَرْزَاءٍ
شَوْقُ الْفُؤَادِ إِلَى مَغْنَاكَ مُتَّصِلٌ شَوْقُ الرِّيَاضِ إِلَى طَلٍّ وَأَنْدَاءٍ

ثمّ أنشدت ، عندما بدت أعلام البيت الحرام ، قولَ بعض من غلب عليه الشوق والغرام ، وقد بلغ من أمانيه الموجبة بشائره وتّانيه المرام :

وَإِنِّي الْحَاجِبُ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَقَدْ سَجَا الدُّجَى فَرَأَوْا نُورًا بِهِ بَرَزَا
عَجَبُوا عَجِيبًا وَقَالُوا : اللَّهُ أَكْبَرُ مَا لِلْجَوِّ مُؤْتَلِقًا بِالنُّورِ قَدْ صُبِغَا
قَالَ الدَّلِيلُ : أَلَا هَاتُوا بِشَارِتِكُمْ فَمَنْ نَوَى كَعْبَةَ الرَّحْمَنِ قَدْ بُلِغَا
نَادَوْا عَلَى الْعَيْسِ بِالْأَشْوَاقِ وَانْتَحَبُوا وَحَنَّ كُلُّ فُؤَادٍ نَحْوَهَا وَصَفَا
وَكُلُّ مَنْ ذَمَّ فِعْلًا نَالَ مَحْمَدَةً فِي مَكَّةَ وَمَعَهَا مَا قَدُ جَنَى وَبَغَى

ولما وقع بصّري على البيت الشريف كدتُ أغيب عن الوجود ، واستشعرتُ قول العارف بالله الشبلي^١ لما وقّدت إلى حضرة الجود :

قُلْتُ لِلْقَلْبِ إِذْ تَرَامَى لِعَيْنِي رَسَمُ دَارِهِمْ لَهْمُ فَهَاجَ اشْتِيَاقِي
هَذِهِ دَارُهُمْ وَأَنْتَ مُحِبٌّ مَا احْتِبَاسُ الدَّمْعِ فِي الْآمَاقِ

.....

١ الشبلي : أبو بكر دلف بن جعفر صاحب الجنيد (- ٣٣٤) ناسك عمل للعباسيين ثم تزهد وسلك طريق المتصوفة (انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢ : ٣٩ وحلية الأولياء ١٠ : ٣٦٦) .
وقد أورد البلوي في تاج المفرق (٩٣ ظ) ثلاثة من أبيات الشبلي دون نسبة .

والمخاني للصبّ فيها معاني فنهى تُدعى مصارع العشاق
حلّ عقْدَ الدموعِ وأحلّل رُبّاهَا وأهجر الصبرَ وأزع حقّ الفراقِ

ثمّ أكملت العمرة ، ودعوت الله أن أكون ممن عمّر بطاعة ربّه عمره ،
وذلك أوائل ذي القعدة من عام ثمانية وعشرين وألف من الهجرة السنية ، وأقيمت
هنالك منتظراً وقت الحجّ الشريف ، ومتفياً ذلك الظلّ الوريث ، ومقتطفاً ثمار
القرب الجنية ، إلى أن جاء الأوان ، فأحرمت بالحجّ من غير تَوّان ، وحين
حللت ممّا به أحرمت ، نويت الإقامة هنالك وأبرمت ، فحال من دون ذلك
حائل ، وكنت حريّاً بأن أنشد قول القائل :

هذي أباطحُ مكّة حولي وما جمعتُ مشاعرُها من الحرّماتِ
أدعو بها لبّيكَ تلبيةً امرئٍ يَرْجُو الخلاصَ بها من الأزماتِ
نلتُ المنيّ بيمينيّ لأنّي لم أخفِ بالخيفِ من ذنوبِ أحوالِ سيماتي
وعرّفتُ في عرّقاتِ أبي ناشقٍ للعنوّ عرّفاً عاطِرَ النَّسماتِ

وأن أتمثّل في المطاف ، إذ حفّني الألفاف ، بقول من ربّعه بالتقوى
مشيد ، البغداديّ الشهير بابن رشيد :

على ربّعيهمُ الله بيتٌ مُباركٌ إليه قلوبُ الناسِ تهوي وتهوَاهُ
يطوفُ به الجاني فيُغفر ذنبُهُ ويسقطُ عنه جُرمه وخطاياهُ
وكم للذةٍ أو فرحةٍ لطوّافه فله ما أحلى الطوافَ وأهناهُ

ثمّ قصدنا بعد قضاء تلك الأوطار ، لطيبة الشريفة التي لها الفضلُ على
الأقطار ، واستشعرت قول من أنشد وطيرُ عزمه عن أوكاره قد طار :

حميدتُ مرّادي إذ بلغتُ مرّادي بأمّ القرى مُستَمسكاً بعمادي
ومذ رويتُ من ماء زمزم غلّتي فلستُ بمحتاجٍ لماءِ ثِمادي

فله سبحانه الحمد على نعمه التي جلت ، ومنته التي نزلت بها النفوس مواطن
التشريف وحلت :

من يَهْدِهِ الرحمنُ خَيْرَ هدايةٍ يَحُلُّ بِمَكَّةِ كَيْ يُتَاحَ الْمُقْصِدَا
وإذا قَضَى مِنْ حَاجَةِ الْفَرَضِ أَثْنَى يَشْفِي بِرُؤْيَا طَيِّبَةٍ دَاءَ الْبَدَنِ
وكان حظي في هذه الحال تذكُّر قول بعض الوُشَّاحِينَ من الأندلسيين الذين
كان لهم ارتحال إلى تلك المعاهد الطاهرة ، والمشاهد الزاهرة ، التي تُشَدُّ إليها
الرحال :

يَا مَنْ لِعَيْسٍ بِهِ افْتِقَارُ إِلَى أَيَادِيهِ جِسَامُ
فَضْلُكَ مُدْنٌ خَيْرٌ مُدْنٍ حَلٌّ بِهَا سَيِّدُ الْأَنْتَامِ
لَمْ يَهْنَفْ قَلْبِي لِحَبِّ لَيْلَى وَلَا سَعَادٍ وَلَا الرَّبَابِ
لَأَقْبَى شُجُونًا وَنَالَ وَيَلَا مَنْ هَامَ فِي ذَلِكَ الْجَنَابِ
بَلْ مَا لَمْ نَمِ الْفُؤَادُ مَيْلًا لَمْ لَهُ الْحَبُّ لَا يَعَابُ
قَلْبِي وَاللَّهِ مُسْتَطَارُ مَذْ حَلٍّ فِي بَيْتِهِ الْحَرَامِ
ذَا الْحَجْرُ وَالرَّكْنُ خَيْرُ رَكْنٍ وَزَمْزَمُ الْخَيْرِ وَالْمَقَامِ
ذَابَتْ قُلُوبُ الْمُطَيِّ عِشْقًا وَرَكْبُهَا وَاسْتَوَى الْمَرَادُ
إِلَى حَبِيبِ الْقُلُوبِ حَقًّا الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ وَالْجَنَادِ
إِلَى الَّذِي لَيْسَ فِيهِ يَشْقَى مَنْ حُبُّهُ دَاخِلُ الْفُؤَادِ
شَكَّرُوا وَقَدْ طَالَتِ السَّفَارُ هُمْ وَمَطَايَاهُمْ السَّقَامُ
فَهَيَّ قَيْسِيَّ مِنَ الثَّنِي وَالْقَوْمُ مِنْ فَوْقَهَا سَهَامُ
وَلَسْتُ مِنْ سَكَّرَتِي مَفِيقًا حَتَّى أَرَى حَجْرَةَ الرَّسُولِ
فَإِنْ يُسَهِّلَ لِي الطَّرِيقَا فَذَاكَ أَقْصَى مَنَى وَسُؤْلِ

متى ترى عيَّتي العقيقا ويقرحُ القلبُ بالوصولُ .
 كم قلت والصبرُ مُستعارُ للركبِ إذ غادروا المنامُ
 ونسمةُ الشوقِ حرَّكتني وزَّادَ بي الوجد والغرامُ .
 قوموا فقد طالَ ذا الجلوسُ وبَادِرُوا زورةَ الحبيبِ
 نأقتُ إلى طيبةِ النفوسُ لا عيشَ من دُونها يطيبُ
 لا حبَّذا دُونها الغُرُوسُ والماءُ والشادنُ الرِّيبُ
 وحبَّذا الرملُ والقفارُ والعُربُ في تلکمُ الخيامُ
 وأمُّ غيلان^١ ظَلَّتني والأيكُ والأثلُ والثمامُ
 يا طيبة حزنتِ كلَّ طيبِ بسيدِ فيكِ ذي حلولِ
 نداءِ مستضعفٍ غريبِ في غُرٍّ أمداحِهِ يقولُ
 وهنو من السامعِ المجيبِ لمدحِهِ يسألُ القبولُ
 أنت الغنى لي فلا افتقارُ وأنت عِزِّي فلا أضامُ
 مُستَمسكُ منك حسن ظني بعُروَةٍ ما لها انفِصامُ
 بسيدِ العالمينَ أجمعِ بأحمدَ المجتَبَى الرسولِ
 ومن هو الشافعُ المشفعُ في موقفِ المحنِّ المَهولِ
 إذ لا كلامُ هناك يُسمَعُ للغيرِ والناسُ في ذَهولِ
 إذ السماءُ لها انفطارُ والشَّهبُ مَنثورَةٌ النظامُ
 كذا الجبالُ اثنت كعِهنِ سريعةَ المرِّ كالغمامِ
 يا أوَّلَ الرُّسلِ في الفضيلةِ وإن تأخَّرتَ في الزَّمنِ

١ أم غيلان : شجر السمر .

شفاعةٌ نلتَ معَ وسيلةٍ فمن يُضاهي عَلاكَ مَنْ
علتُ بكَ الرُّتبةُ الجليله وعلبتُ في السرِّ والعلَن

فأنتَ من خيرهم خيار فمن يُضاهيكَ في المقامِ
والرُّسلُ نالتُ بكَ التَّمَنِّي وأنتَ بدرُ لُهمُ تمامُ

الوَجْدُ قد قرَّ في فؤادي فما ليصبرُ بِهِ قرارُ
ولا صبي صاعدُ اتقادِ ودمعُ عيني له انهمازُ
وها أنا جئتُ من بلادي لطبيسةٍ أبغني الجوارُ

فحبذا نلُكمُ الديارُ والمصطفى مسكةُ الختامِ
عليه أركى الصلاةِ مني وصحبه الغرَّ ، والسلامُ

وقول أبي جعفر الرعيي الفرناطي^١ - رحمه الله تعالى - وهو من التشريع^٢
أحد أنواع البدیع :

يا راحلاً بيني زيارةً طيبةً نلتَ المنى : بزيارة الأخيارِ
حيَّ العقيقِ إذا وصلتَ وصيفُ لنا وادي منى : يا طيبَ الأخبارِ
وإذا وقفتَ لدى المرفِ داعياً زال العنا : وظفرتَ بالأوطارِ

ولما من الله تعالى علينا بالحلول في المشاهد التي قام الدين بها وظهر ، والمعاهد
التي بان الحق فيها واشتهر ، والمواطن التي هزم الله تعالى حزب الشيطان فيها

١ أبو جعفر الرعيي الفرناطي ، أحمد بن يوسف بن مالك (- ٧٧٩) صاحب ابن جابر ورفيقه
في الرحلة إلى المشرق ، وقد شرح بديعة رفيقه ابن جابر (انظر الدرر الكامنة ١ : ٢٤٠ وهدية
الرواة : ١٧٦ وغاية النهاية ١ : ١٥١ وسيرتجم له المقري في النفع) .
٢ التشريع : بناء القصيدة على قانونين .

وقهر ، ونُصرت النبوة وعُضدت ، وقُطعت غصون الكفر وحُصِدت ، ورُصِّت
قواعد التوحيد ونُضدت ، وقرت العيون ، وقُضيت الديون ، أنشد لسان الحال ،
قول بعض من جیده بمحاسن طيبة حال :

يا مَنْ به طيبة طابت حلّى وعُلّى ومَنْ بتشريفه قد شرف العربُ
يا أحمد المصطفى قد جثت من بلد قاصٍ ولي خلد قاصٍ ولي أربُ
وقد دهشتي ذنوبٌ قلت إذ عظمت لله منها وطه المرتجي الحربُ

ونسينا بمشاهدة ذلك الجناح ما كنا فيه ، وسبقَ الدمعُ الذي لا يعارضُ
الفرحَ ولا يُنافيه :

أيها المغممُ المشوقُ هنيئاً ما أنالوك من لذيذِ التلاقِ
قلْ لعينيك تهملان سروراً طالما أسعداك يومَ الفراقِ
واجمعِ الوجدَ والسرورَ ابتهاجاً وجميعِ الأشجانِ والأشواقِ
وأمرِ العينَ أن تفيضَ انهمالاً وتؤالي بدمعها المهرّاقِ
هذه دارهم وأنتَ محبٌ ما بقاء الدموع في الآفاقِ

وملنا عن الأكوار ، وثملنا من عرّف تلك الأنجاد والأغوار ، وتملّينا من
هاتيك الأنوار ، ونخلينا عن الأغيار ، وتحلّينا بحلّ الأخيّار ، وكيف لا وطيبة
مركز للزوّار :

إذا لم تطب في طيبة عند طيب به طيبة طابت فأين تطيبُ
وإن لم يُجيب في أرضها ربُّنا الدُّعا ففي أيّ أرضٍ للدُّعاء يجيبُ
أبا ساكني أكناف طيبة كلِّكم إلى القلب من أجل الحبيبِ حبيبُ

١ انظر البيت الثاني من أبيات الشبل التي تقدمت ص : ٤٠ .

وما أحسن قول عالم الأندلس المالكي اللبيب ، عبد الملك السلّميّ المشهور
بابن حبيب^١ :

لله درّ عصابة صاحبها	نحو المدينة تقطع الفلوات
ومهامه قد جُبَّتْها ومفاوز	ما زلتُ أذكرها بطول حياتي
حتى أتينا القبرَ قبرَ محمدٍ	خصّ الإلهُ محمدًا بصلاة ^٢
خير البرية والنبي المصطفى	هادي الوري لطرائق الجنات ^٣
لما وقفتُ بقربه لسلامه	جادت دموعي وكيف العبرات
ورأيتُ حُجْرَتَهُ وموضعه الذي	قد كان يدعو فيه في الخلوات
مع روضة قد قال فيها : إنها	مُشتَقَّةٌ من رَوْضَةِ الجنات
وبمَنزِلِ الأنصارِ ومَنطَقِ قبائهم	بيتُ الهداية كاشفُ الغمّرات
وبطية طابوا ونالوا رحمة	مغنى الكتاب ومحكم الآيات
وبقبرِ حَمَزَةٍ والصحابَةِ حوله	فاضت دموعُ العين مُنْهمرات
شقيًا لتلك معاهدًا شاهدتها	وشهدتها بالخطير والخطرات
لا زلتُ زوّارًا لقبرِ نبينا	ومدينة زهراء بالبركات
صلّى الإله على النبي المصطفى	هادي البرية كاشف الكُرّبات
وعلى ضجيعيه السلامُ مردّدًا	ما لاح نورُ الحق في الظلمات

١ عبد الملك بن حبيب السلمي (- ٢٣٨ أو ٢٣٩) فقيه الأندلس ومؤلف «الواضحة» في الحديث
والمسائل على أبواب الفقه (انظر ترجمته في الجندوة : ٢٦٣ والمطبع : ٣٦ والمغرب ٢ : ٩٦
وابن القزعي ١ : ٣١٢ وابن عداوي ٢ : ١٦٤ والديباج الذهب : ١٥٤ وتذكرة الحفاظ :
٥٣٧ ، وإنهاء الرواة ٢ : ٢٠٦ وشذرات الذهب ٢ : ٩٠ ولسان الميزان ٤ : ٥٩ وبنية
الوعاء : ٣١٢ وسيترجم له المقرئ في الراحلين من الأندلس رقم : ١) .

٢ ك : بصلات .

٣ ك : لطرائق لنجاة .

وقول كمال الدين ناظر قوص^١ :

أَنِخْ ، هذه والحمد لله يثربُ فبُشْرَاكَ قد نلتَ الذي كنتَ تطلبُ
فَعَفَّرْ بهذا التُّرْبِ وَجْهَكَ ، إنه أحقُّ به من كلِّ طيبٍ وأطيبُ
وَقَبَّلْ ربوعاً حولها قد تَشَرَّفَتْ بمن جاورتْ ، والشَّيءُ بالشَّيءِ يَجِبُ
وَسَكَنْ فؤاداً لم يزلْ باشتياقه إليها على جَمْرِ الغَضَا يَتَلَبُّ
وكفكف دموعاً طالما قد سَفَحَتْهَا وبردْ جَوَى نيرانه تلهبُ

وقول الرُّعَيْنِي الغَرْنَاطِي :

هذه روضةُ الرسولِ فدعني أبذلُ الدمعَ في الصَّعيدِ السَّعيدِ
لا تَلُصِّني على انسكابِ دموعي لأنما صُنَّتْها لهذا الصَّعيدِ

ولما سلَّمتُ على سيد الأنام ، عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ،
ذُبُتْ حياءً وخجلاً ، لما أنا عليه من ارتكاب ما يقتضي وجلاً ، غير أنني توسَّلتُ
بجاهه صلى الله عليه وسلم في أن أكون ممن وَضَحَ له وجه الصفع وجلاً :

إليكَ أَفِرُّ من زَلَّلي فِرَارَ الخائفِ الخجلِ^٢
وكان مزارُ قبرِكَ بالـ مدينةٍ مُنْتَهَى أَملي
فوقى الله ما طَمَحْتُ له نفمي بلا خللِ
فَتَخَذْ بِيَدَيَّ غريقٍ في بحارِ القولِ والعملِ

١ اسمه أحمد بن عبد القوي بن عبدالله بن شداد الربيعي ، كمال الدين (- ٦٨٦) ، ناظر قوص ورثيها في زمنه ، بنى قبة على الضريح النبوي ، وكان له مشاركة في الأدب ؛ والأبيات مع ترجمته في الطالع السعيد : ٤١ - ٤٤ والمنهل الصافي ١ : ٣١٨ والدرر الكامنة ١ : ١٩٣ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢١٤ والقوات ١ : ٨٨ وشدراة الذهب ٦ : ٢١ ومخطوطة الوافي (الورقة ٧٢ من الجزء السابع) .

٢ ك : الوجل .

وَهَبْ لِي مِنْكَ عَارِفَةً وَتَهْدِينِي إِلَى رَشَدِي
وَتَحْمِلِي عَلَى سَنَنِ فَأَنْتِ دَلِيلُ مَنْ عَمِيَّتْ
وَأَنْتِ شَافِعُ بَرٍّ وَأَنْتِ خَيْرُ مُبْتَغَتْ
فِيَا أَزْكَى الْوَرَى شَرَفًا وَيَا أُنْدَى الْأَنَامِ يَدَا
نِدَاءِ مَقْصُرٍ وَجِلٍّ عَلَى جَدِّكَ مَعْتَمِدِي
وَأَلْهَفِي بِجَنَاسَاتِ بَصْدَيْتِي وَفَارُوقِ
فَأَنْتِ مَلَاذُ مَعْتَمِدٍ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ جَدِّ

تُعَرِّفُ مَا تَنْكَرُ لِي وَتَمْنَعُنِي مِنَ الزَّلَلِ
يُؤْمِنُنِي مِنَ الْوَجَلِ عَلَيْهِ مَسَالِكُ السُّبُلِ
وَمَوْتِلُنَا مِنَ الْوَهْلِ وَأَنْتِ خَاتَمُ الرُّسُلِ
وَشَافِيهِمْ مِنْ الْعِلَلِ وَأَكْرَمُ نَاصِرٍ وَوَلِي
بَثُوبِ الْفَقْرِ مُشْتَمِلٍ فَأَنْقِذْنِي مِنَ الدَّخَلِ
لَدَى دَرَجَاتِهَا الْأُولِ وَعِثْمَانِ الرَّضَى وَعَلِي
وَأَنْتِ عِمَادُ مُتَكَلِّمٍ لِي فِي الْغَدَوَاتِ وَالْأُصُولِ

ومد شمنا^٢ من أرج تلك الأرجاء الداكية ، واستضأنا بسرُج تلك
الأضواء الزاكية ، ظهر من الشوق ما كان بظلمن ، ولم يخطر ببالنا مسكن ولا
وطن ، ويا سعادة من أقام بتلك البقاع الشريفة وقطن :

مَرَّ النَّسِيمُ بِرَبْعِهِمْ فَتَلَذَّذَا^٣ حَتَّى كَأَنَّ النَّشْرَ صَارَ لَهُ غِيَا
فَصَحَّاحًا وَصَحَّاحٌ لَا أَشْكُرُ أَذَى قَلِّ لِلصَّبَا مَاذَا حَمَلَتْ مِنَ الشَّدَا
أَمْسَيْتِ طَيِّبًا أَمْ عَلَكَ عَيْرُ

١ ق : الرجل .

٢ ومد شمنا : سقط من ج .

٣ ج : متلذذا .

يا أيُّها الهادي الذي من وَسَمِهِ قَصْدُ الحبيبِ وأن يُلِمَّ بِرَسْمِهِ
هذي منازلُهُ فزَمَزَمُ بِاسْمِهِ بأبي الذي لم تَدَوَّ زهرةُ جسمِهِ
لكنَّهُ غَضُّ الجَمالِ نَضِيرُ

لله شَوْقٌ قَدْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ أوفى على الصبرِ المشيدِ فهذهُ
يا ناشِقَ الكافورِ لا تتعدَّهُ طوبى لمشتاقٍ يُعَقِّرُ حَدَّهُ
في روضةِ الهادي إليه يشيرُ

فهنالك يَبْذُلُ في التوسَّلِ وَسْعَهُ وَيُصَيِّخُ نَحْوَ خطيبِ طَيْبَةٍ سَمْعَهُ
ويُريقُ فوق حصَى المُصَلَّى دَمْعَهُ ويرى معالمَ مَنْ يَحِبُّ وَرَبْعَهُ
ومحمدٌ للعالمينَ بشيرُ

صَلَّى عليه الله خيرَ صَلَاتِهِ وَجبا معاليهُ جليلَ صَلَاتِهِ
ما حنَّ ذو الأشواقِ في حالاتِهِ وَأَتى مغانيهُ على عِلَاتِهِ
فَأَتَيْحَ حُسْنُ الختمِ وهو قريرُ

ووقفنا بباب طلب الآمال خاشعين، وتوسلنا إلى الله بذلك المقام العلي خاضعين،
وغبَطْنَا قوماً سكنوا هنالك فكانوا لخلودهم متى شاءوا على تلك الأعتاب
واضعين :

أَكْرِمُ بَعْدَ نَحْوِ طَيْبَةٍ مُسْنَدًا مُتَوَسِّلَ مُسْتَشْفِعٍ مُسَرِّدٍ
يَقْلِي الفلاةَ لها بعَزمٍ أَيْدٍ وافى إلى قبرِ النبيِّ محمدٍ
ولربِّيعِهِ الأسمى يَرْوُحُ ويفتدي

أزجَاهُ صادقُ حَبِّهِ الْمُتَمَكِّنِ وحَدَاهُ سائقُ عزمِهِ المتَّعِينَ
فَحَكَّى لَدَى شَجْوٍ حَمَامَ الْأَغْصَنِ هَزْجاً يَرْدُّ فِيهِ صوتَ مَلْحَنٍ
وَيَمُدُّ لِلْإِطْرَابِ صوتَ المُنْشِدِ

ويقولُ جثَّتْ بعِزْمَةٍ نَزَاعَةٍ ونَهَضَتْ والدُنْيَا تمرُّ كسَاعَةٍ
لِمَحَلِّ أَحْمَدَ قَاتِلًا بِإِذَاعَةٍ هَذَا النَبِيُّ المُرْتَجَى لشفَاعَةٍ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ ذَلِكَ المَشْهَدِ

هَذَا الرُّؤُوفُ بِجَارِهِ وَنَزِيلُهُ هَذَا سِرَاجُ اللَّهِ فِي تَنْزِيلِهِ
هَذَا الَّذِي لَا رَيْبَ فِي تَفْضِيلِهِ هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ وَأَبْنُ خَلِيلِهِ
هَذَا ابْنُ بَانِي الْبَيْتِ أَوَّلُ مَسْجِدِ

هَذَا الَّذِي اصْطَلَفَتِ النُّبُوَّةُ خَيْمَتَهُ هَذَا الَّذِي اعْتَامَ الْهَدْيُ تَقْدِيمَتَهُ
هَذَا الَّذِي نُسْقَى غَدَاً تَسْنِيمَتَهُ هَذَا الَّذِي جَبْرِيلُ كَانَ خَدِيمَتَهُ
فِي حَضْرَةِ التَّشْرِيفِ أَزْكَى مَصْعَدِ

هَذَا الَّذِي شَهِدَ الْوُجُودُ بِخُصَّةٍ بِمِزْيَةِ التَّفْضِيلِ مِنْ مَخْطِصِهِ
وَأَبَانَتِهِ مِنْ وَحْيِهِ فِي نَصِّهِ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ الْبَرَقُ بِشَخْصِهِ
فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ أَشْرَفَ مَشْهَدِ

هَذَا الَّذِي غَدَتِ الطُّلُولُ حَدِيقَةً بِحِوَارِهِ وَغَدَتْ تَرَوْقُ أُنَيْقَةً
هَذَا الْمَكْمَلُ خَلِيقَةً وَخَلِيقَةً هَذَا الَّذِي سَمِعَ النَّدَاءَ حَقِيقَةً
وَدَنَا وَلَمْ يَكُ قَبْلَ ذَلِكَ بِمُتَبَعَدِ

فَهَنَّاكَ كَمْ رُسُلٍ بِهِ تَتَوَسَّلُ وَعَلَى حِمَاهُ لَدَى الْمَعَادِ يُعَوَّلُ
يَا أَرْحَمَ الرَّحِمَاءِ أَنْتَ الْمُوَيْلُ يَا خَاتَمَ الْأَرْسَالِ أَنْتَ الْأَوَّلُ
فَتَرَقَّ فِي أَعْلَى الْمَكَارِمِ وَاصْعَدِ

الله رَفَعَ فِي سُرَّاهُ مَنَارَهُ وَأَبَانَ فِي السَّبْعِ الْعَلَا أَنْوَارَهُ
فَقَعَّتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ آثَارَهُ وَأَرَاهُ جَنَّتَهُ هُنَاكَ وَتَارَهُ
فَمُؤَبَّدٌ وَغُلَّدٌ لِمُخَلَّدٍ

كَمْ ذَادَ مِنْ وَجَلٍ وَجَلَّتِي ظُلْمَةٌ وَامْتَنَ بِالرَّحْمَى وَمَتَّنَ حُرْمَةً
لَمَّا دَجَا أَفْقُ الضَّلَالَةِ دُهْنَةً بَعَثَ إِلَاهَهُ بِهِ لِيَرْحَمَ أُمَّةً
لَوْلَاهُ كَانَتْ بِالضَّلَالَةِ تَرْتَدِي

حَازَ الشُّفُوفَ فَكُلُّهُ خَلَقِي دُونَهُ فَالغَيْثُ يَسْأَلُ إِذْ يَسِيلُ بِمِيقِنِهِ
وَالشَّمْسُ تُسْتَهْدِي الشُّرُوقَ جَبِينَهُ وَاللَّهُ فَضَّلَهُ وَأَظْهَرَ دِينَهُ
وَوَفَى لَنَا فِيهِ بِبَصْدَقِ الْمَوْعِدِ

نُطْقِي يُغَادِي ذِكْرَهُ وَيُرَاوِحُ وَبِهِ يَنَافِجُ مِسْكَةً وَيَنَافِجُ
تُعْيِي اللِّسَانَ مَحَامِدُ وَمَمَادِحُ طُوبَى لِمَنْ قَدْ عَاشَ وَهُوَ يُكَافِحُ
عَنْهُ يَنَاضِلُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

هُوَ صَفْوَةُ الْعَرَبِ الْأَوَّلَى أَحْسَابُهُمْ أَسْيَافُهُمْ قُرْنَتْ بِهَا أَسْبَابُهُمْ
فَهُمْ لُبَابُ الْمَجْدِ وَهُوَ لُبَابُهُمْ مِنْ آلِ بَيْتٍ لَمْ تَزَلْ أُنْسَابُهُمْ
تُنْبِي لَهُمْ عَنْ طَيْبِ عُنْصُرٍ مَوْلَدِ

شَرَفُ النُّبُوَّةِ قَدْ رَسَا فِي أَهْلِهَا وَسَمَا عَلَى الزُّهْرِ الْعَلَا بِمَحَلِّهَا
سَاقِ السَّوَابِقِ لِلْفَخَارِ بِرُسُلِهَا نَطَقَ الْكِتَابُ كَمَا عَلِمْتَ بِفَضْلِهَا
وَقَضَى بِهِ نَصُّ الْحَدِيثِ الْمُسْتَدِ

فَوْقَ السَّمَاءِ تَوَطَّنَتْ وَتَوَطَّدَتْ وَتَفَرَّدَتْ بِالصُّلْفَى وَتَوَحَّدَتْ
فِي الْخُلَاصَةِ صُفِّيَتْ فَتَجَرَّدَتْ مِنْ مَعْدِنٍ فِيهِ الرِّسَالَةُ قَدْ بَدَتْ
مِنْ عَصْرِ آدَمَينا لِعَصْرِ مُحَمَّدٍ

طالوا^١ فلم يُبقوا لمجد مَصْنَعِدا . صالوا ففي أيمانهم حَتَفُ العِدا
سالوا^٢ فَهَمُّ لِعَفَاتِهِمْ غَيْثُ الجَدَا أَهلُ السَّقَايَةِ والرَّفَادَةِ والنَّدَى
والكعبةِ البيتِ الحرامِ المقصدِ

المطعمونَ وقد طوى المري^٣ الطَّوَى الناهضون إذا الصرِيخُ لهم نوى
العاطفونَ إذا الطريقُ بهم ثَوَى أَهلُ السَّدَاةِ والجِجَابَةِ واللَّوَا
أهلُ المقامِ وزمزمِ والمسجدِ

المصلحونَ إذا الجموعُ تَخَاذَعَتْ^٤ المنجحونَ إذا المساعي دافعت
الدافعونَ إذا الأعادي قارَعَتْ المؤثرونَ إذا السُّنُونُ تَتَابَعَتْ
وَقَدْ الحَجِيجِ بَنِيْلَ كُلِّ تَقَقَّدِ

لا يقربُ الخطبُ الملمُ مِنْعَهُمْ لا يطرقُ الكربُ المخيفُ قُرَيْعَهُمْ
واللهُ شَرَفَ بالنبيِّ جَمِيعَهُمْ مَنْ نالَ رَتَبَتَهُمْ وحازَ صَنِيعَهُمْ
نالَ الشُّفُوفَ وحازَ معنى السُّودِدِ

حلُّوا من الطُّودِ الأَثَمَ بِنِعْمَةٍ في خيرٍ مُعْتَصِمٍ وأسمى رِفْعَةٍ
فهمُ بِنَّةٍ أَمْنِهِ في هَجْعَةٍ اللهُ خَصَّصَهُمْ بأشرفِ بَقْعَةٍ
مَحْجُوجَةٍ* عَفُوفَةٍ بِالْأَسْعَدِ

لَمَّا أَتَيْتُ لِرَامَةِ أَصِيلُ السُّرَى من بعدِ قصدي مَكَّةَ أُمِّ الْقُرَى
أَنشَدْتُ جَهْرًا فِيهِ أَنْثَرُ جَوْهَرًا وَلَيْكَهَا يا خَيْرَ مَنْ وُطِئَ الثَّرَى
عُلَراءُ تُزْرِي بِالْعُدَاوَى الْخُرْدِ

١ ق : طابوا .

٢ ك : سئلوا .

٣ ك : ألم ، ج : الحما ، ط : المهسي .

٤ ق ج ط : تخادعت . وتخادعت : تفرقت .

٥ ق : محجوبة .

كلُّ الحسانِ لحسنها قد أدهشا ما مثلها في تربيتها شادٍ نشأ
سَفَرَتْ بعزمٍ ما أجدّ وأطيشا نشأت بطي القلبِ وارتوت الحشا
زهراء من يرها يهمل ويسجد

أمتك تشأى في مداها الألسنا وتُري إجادتها المجيدة المحسنا
تغلو ولا تشفي العنانَ عن الثنا وأنتك تمرح كالقضيبي إذا انثى
مترنحاً بين الفُصون الميَّدة

قد أصممت في المدح ثاقبَ ذهنها ترجو الحلولَ لدى قرارة أمنها
وعسى إذا غلبت بترية عدتها يجلو لك الإحسانُ بارعَ حُسنها
والحسنُ يجلوها وإن لم تُنشد

مدحي خيرِ العالمين عقيدتي ومطيبي بل طيبي ونشيدتي
ونتيجتي وهدي اليقين مفيدتي ولئن مدحتُ محمدًا بقصيدتي
فلقد مدحتُ قصيدتي بمحمدٍ

يا خيرَ خلقي الله دعوةَ حائري يشكو إليك صُروفَ دهرٍ جائري
واللهُ يعلمُ في هواك سرائري وهو الذي أرجو لعفو جرائري
متوسلاً بجنابك المتأطد

لولا حقوقٌ عيّنتُ بمغاربٍ لمكثتُ عنك كي تُتاحَ مآربي
ويكونَ في الزرقاء عذبُ مشاربي حتى أحلّي من ثراك ترائبي
وأنالَ دقناً في بقيق الغرقد

وعليك من ربِّ حبّاك صلاته وسلامه وهباته وصلاته
ما أمَّ بابك من هدته فلاته لعلاك حتى زُحزحت علاته
فأتيجَ حُسن الختم دون تردّد

ثم ودَّعته صلى الله عليه وسلم والقلبُ من فراقه سقيم ، ووقعت من البعد عن تلك المعاهد في المُقْعِدِ المُقِيم ، وأنا أرجو أن يكون شكل منطقي غير عقيم ، وأن أحشَرَ في زُمْرَةِ مَنْ سَلَكَ الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ^١ :

يا شفيحَ العُصاةِ أنتَ رجائي كيف يَخْشَى الرجاءَ عندك خَيْبَةٌ
وإذا كنتَ حاضراً بفؤادي غيبةُ الجسمِ عنك ليستُ بغيبَةٌ
ليس بالعيشِ في البلادِ انتفاعٌ أطيّبُ العيشَ ما يكون بطيِّبَةٍ

* * *

[زيارة بيت المقدس]

ثم عدتُ إلى مصر ، وقد زال عني ببركته صلى الله عليه وسلم الإصر ، وذلك في محرم سنة ١٠٢٩ ، ثم قصدت زيارة بيت المقدس في شهر ربيع من هذا العام ، وقد شملتني بفضل الله جوائز الإنعام ، وتذكرت عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة ، قولَ حافظ الحفّاظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله تعالى - وهو ممّا زادني في هذه الزيارة رغبة :

إلى البيتِ المقدّسِ جئتُ أرجو جَنَّانَ الخُلْدِ نَزْلاً مِنْ كَرِيمٍ
قَطَعْنَا فِي مَسَافَتِهِ عِقَاباً وما بعدَ العِقَابِ سوى النعيمِ

فلما دخلتُ المسجد الأقصى ، وأبصرتُ بدائعه التي لا تُستقصى ، بهرتني جماله الذي تجلّى الله به عليه ، وسألت عن محل المعراج الشريف فأرشدت إليه ، وشاهدت علاّماً فيه صلى الله عليه وسلم الرسل الكرام الهداة ، وكان حقّي أن أنشد هنالك ما قاله بعضُ الموفّقين وهو ممّا ينبغي أن ترمزم به الحُدّاة :

١ الأبيات في خلاصة الأثر ١ : ٣٠٥ .

إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ أَيْنَ قَدْتُ رُ مُحَمَّدٍ بَيْنَ الْأَنَامِ
 فَأَصِيخُ إِلَى آيَاتِهِ تَظُنُّرَ بَرِيَّتِكَ فِي الْأَوَامِ
 أَكْرِمَ بَعْدِي سَلَمَتُ تَقْدِيمَةُ الرُّسُلِ الْكَرَامِ
 فِي حَضْرَةِ الْقُدُسِ وَآ فَهَا بِعِزٍّ وَاحْتِرَامِ
 صَفَّوْا وَصَلُّوْا خَلْفَهُ إِنْ الْجَمَاعَةُ بِالْإِمَامِ
 لِلشُّهْبِ نَوْرٌ بَيْنُ وَالْفَضْلُ لِلْقَمَرِ التَّامِ
 سَلِكُ النَّبُوَّةِ بَاهِرُ وَبِأَحْمَدٍ خُتِمَ النِّظَامِ
 هَذَا الْكِتَابُ دَلَالَةُ تَبْقَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ
 شَهِدَتْ لَهُ مِنْ بَعْدِي عَجْ زِيَّ أَلْسُنِ اللَّذَّةِ الْخَصَامِ
 خَيْرُ الْوَرَى وَأَجَلُ آ يَاتِ لَهُ خَيْرُ الْكَلَامِ
 فَعَلَيْتِهِ مِنْ رَبِّ الْوَرَى أَزَكَّى صَلَاةٍ مَعَ سَلَامِ

وربما يقول من يقف على سرِّ هذه الأمداح النبوية : إلى متى وهذا
 الميدان تكلُّ فيه فرسان البديهة والرؤية ؟ فأنشده في الجواب ، قول بعض من
 أمَّ نهج الصَّواب :

لَأَدِيمَنَّ مَدِيحَ الْمُصْطَفَى فِعْلَ مَنْ فِي اللَّهِ قُوَى طَمَعَةٍ
 فَعَسَى أَنْعَمُ فِي الدُّنْيَا بِهِ وَعَسَى يَحْشُرُنِي اللَّهُ مَعَةٍ

وإذا كان القريضُ في بعض الأحيان كذباً صراحاً ، والموفق من تركه
 والحالة هذه رغبة عنه وله أطراحا ، فخير ما كان حقاً وهو مدح الله ورسوله ،
 وبذلك يحصل للعبد منتهى سؤله :

لَيْسَ كُلُّ الْقَرِيضِ يَقْبَلُهُ السَّمْعُ وَتُصْنَعِي لَذَكْرِهِ الْأَفْهَامُ
 إِنْ بَعْضاً مِنَ الْقَرِيضِ هَرَاءٌ لَيْسَ شَيْئاً ، وَبَعْضُهُ أَحْكَامُ

١ ق : إن بعض القريض تلقاه هزماً ؛ لك : ما كان هزماً ؛ ط : ينشأ هراء .

وأجلُ الكلامِ ما كان في مد
طَيِّبَ العَرَفِ دائمَ الذِكرِ لا تَأْ
مثل زَهْرٍ قد شَقَّ عنه كمامُ
ليس تحصى صفاتُ أحمدَ بالعدَّ
ولَوْ أَنَّ البَحَارَ حَبْرٌ وما في الـ
فطويلُ المديحِ فيه قصيرُ
ولسانُ البليغِ العبيُّ يُنمى
كيف يُحصى مديحُ مولَى عليه الـ
وله المعجزاتُ والآيُ تبدو
فمن المعجزاتِ أنْ سارَ ليلًا
راكبًا للبراقِ حتى أتى القُدَّ
فاستَوَوْا خلفَه صفوفًا وقالوا
فعليه من ربِّه صلواتُ

حِ شَفِيعِ الوري عَليهِ السَلامُ
في الليالي عليه والأيامُ
أو كَمَسَكَ قد قُضِيَ عنه خِتامُ
كما لَمْ تُحِيطْ بها الأوهامُ
أرض من كلِّ نابتِ أقلامُ
وحَسَامُ ماضٍ لديه كَهَامُ
وكذا صَيَّبُ الفصيحِ جَهَامُ
لهُ أُنْفَى وذِكرُهُ مُسْتَدَامُ
لا يَغطِي وجوهَهنَّ لِيثَامُ
وجميعُ الأنامِ فيه نِيَامُ
سَ وفيه رُسلُ الإلهِ الكرامُ
صلِّ يا أحمدُ فأنتَ الإمامُ
زاكياتُ مع صَحبهِ وسلامُ

* * *

[عود إلى مصر ثم إلى القدس]

ثم رجعت إلى القاهرة ، وكرّرت منها الذهاب إلى البقاع الطاهرة ، فدخلت لهذا التاريخ الذي هو عام تسعة وثلاثين^٢ وألف مكة خمس مرات ، وحصلت لي بالمجاورة فيها المسرّات ، وأملت فيها على قصد التبرك دروساً عديدة ، والله يجعل أيام العمر بالعود إليها مديدة ، ووفدت على طيِّبَةِ المعظِّمة ميمِّمًا مناهجها السديدة ، سبع مرار ، وأطفأت بالعود إليها ما بالأكباد الحرار ، واستضأت

١ ق ل ط : به .

٢ هامش ط : كذا في الأصل والصواب عشرين ليوافق ما تقدم له .

بتلك الأنوار ، وألّفتُ بحضرته صلى الله عليه وسلم بعض ما من الله به عليّ في ذلك الحوار ، وأملتُ الحديث النبوي بمرأى منه عليه الصلاة والسلام ومستمع ، ونلت بذلك وغيره — والله المنة — ما لم يكن لي فيه مَطْمَاح ولا مَطْمَع ، ثم أبنتُ إلى مصر مفوضاً لله جميع الأمور ، ملازماً خدمة العلم الشريف بالأزهر المعمور ، وكان عَوْدِي من الحجة الخامسة بصفر سنة سبع وثلاثين وألف للهجرة^١ ، فتحرّكتُ همتي أوائلَ رجب هذه السنة للعود للبيت المقدس ، وتجديد العهد بالمحلّ الذي هو على التقوى مؤسس ، فوصلتُ أواسط رجب ، وأقمتُ فيه نحو خمسة وعشرين يوماً بدا لي فيها بفضل الله وجهُ الرشد وما احتجب ، وألقيتُ عدة دروسٍ بالأقصى والصخرة المنيفة ، وزُرْتُ مقامَ الخليل ومن معه من الأنبياء ذوي المقامات الشريفة ، وكنتُ حقيقاً بأن أنشد قول ابن مطروح^٢ ، في ذلك المقام الذي فضّلته معروف وأمره مشروح :

خليلَ الله قد جئناكَ نرجو	شفاعتَكَ التي ليست تُردُّ
أُبلِنَا دعوةً واشفعُ تُشَفِّعُ	إلى من لا ينجِبُ لديه قصدُ
وقلْ يا ربّ أضيافٌ ووفدُ	لهمُ بمحمّد صِلَة وعهدُ
أتوا يستغفرونك من ذنوبِ	عِظامٍ لا تُعدُّ ولا تُحدُّ
إذا وُزِنَتْ بِيَدُ بُلٍّ أو شمامِ	رجحن ودونها رَضْوَى وأحدُ
ولكنْ لا يضيقُ العفوُ عنهم	وكيف يضيقُ وهو لهم مُعدُّ
وقد سألوا رضاكَ على لساني	إلهي ما أُجيبُ ^٣ وما أُرَدُّ
فيا مولا همُ عَطْفاً عليّهمُ	فهمُ جَمْعُ أبوك وأنتَ فردُ

* * *

١ هامش ق : فيه ما فيه من المفارقة بين التاريخين ، فانظر .
 ٢ هو جمال الدين يحيى بن عيسى (- ٦٤٩) شاعر مصري خدم الصالح أيوب وديوانه مطبوع (انظر وفيات الأعيان ٥ : ٣٠٢ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٧) .
 ٣ ق ج : أخيب .

[الرحلة إلى دمشق]

ثم استوعبت أكثر تلك المزارات المباركة كنزار موسى الكليم ، على نبينا
وعليهم وعلى سائر المرسلين والأنبياء أجمعين أفضل الصلاة والتسليم ، ثم حَدَّثَ
لي منتصف شعبان ، عزم على الرحلة إلى المدينة التي ظهر فضلها وبان ، دِمَشْقُ
الشام ، ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام ، والأدواح المتنوعة ، والأرواح
المتضوِّعة ، حيث المشاهدُ المكرَّمة ، والمعاهدُ المحترمة ، والغُوطَةُ الغنَّاء
والحديقة ، والمكارمُ التي يُباري فيها المرءُ شائته وصديقه ، والأظلالُ الوريقة
والأفنان الوريقة ، والزهر الذي تخاله مَبْسِماً والندى ريقه ، والقُضبانُ المُلْدُ ،
التي تشوق رائحتها لحنّة الخلد :

بحيثُ الروضُ وضَّاحُ الثنايا أنيقُ الحسنِ مصقولُ الأديمِ .

وهي المدينة المستولية على الطباع ، المعمورة البقاع ، بالفضل والرباع :

تَزِيدُ على مرّ الزمانِ طُلاوةً دِمَشْقُ التي راقَت بِحُلُوّ المشاربِ
لها في أقاليم البلادِ مشارقٌ مُنَزَّهةٌ أقمارُها عن مغاربِ

ودخلتها أواخرَ شعبان المذكور ، وحُمِدَتِ الرحلةُ إليها وجعلها الله من
السعي المشكور :

وجدتُ بها ما يملأ العينَ قُرَّةً ويُسلي عن الأوطانِ كلَّ غريبِ

وشاهدت بعض مغانيها الحسنة ، ومبانيها المستحسنة :

نزلنا بها نَنُوي المقامَ ثلاثةً فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا

ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تأنّق في الخطاب ، وأطال في الوصف

وأطاب ، وإن ملأ من البلاغة الوطاب ، كما قلت ١ :

محاسنُ الشام أجلى من أن تسام ٢ بحد
لولا حمى الشرع قلنا ولم نقف عند حد :
كأنها معجزات مقرونة بالتحدي

فالجامع الجامع للبدائع يبهر الفِكَر ، والغُوطَة المنوطة بالحسن تسحر الأبواب
لا سيما إذا حيّاها النسيم وابتكر :

أحب الحمى من أجل من سكن الحمى حديث حديث في الهوى وقديم
فلله مرآها الجميل الجليل ، وبيوتها التي لم تخرج عن عروض الخليل ،
وغبرها الذي هو على فضلها وفضل أهلها أدل دليل ، ومنظرها الذي ينقلب
البصر عن بهجته وهو كليل :

والروض قد راق العيون بحلّة قد حاكها بسحابه آذار
وعلى غصون الدّوح خضّر غلائل والزهر في أكمامه أزرار

فكم لها من حسن ظاهر وكامن ، كما قلت موطنًا للبيت الثامن :

أما ديمشق فمخضرة ٣ لعبت بألباب الخلائق
هي بهجة الدنيا التي منها بديع الحسن فائق
لله منها الصالحية فآخرت بدوي الحقائق
والغُوطَة الغناء حيّة من بالورود والشقائق
والنهر صافٍ والنسيم م الدّن للأشواق سائق

١ الأبيات في خلاصة الأثر ١ : ٣٠٦ .

٢ خلاصة الأثر : تقاس ؛ ك : تحاط .

٣ ك : فجينة .

والطيرُ بالعيدانِ أبِ دتْ في الغنا أحلى الطرائقُ
ولآلىءِ الأزهارِ حَلَّةً تْ جيدَ غُصْنٍ فهو رائقُ
ومرَّادُ الأمطارِ قد كُحِلَتْ بها حدقُ الخدائقِ
لا زال مغناها مصو نأَ آمناً كلَّ البوائقِ

وكما قلت مرتجلاً أيضاً مضمناً الرابع والخامس :

دمشقُ راقَتْ رُوءاءَ وبهجةً وغَضَّارةُ
فيها نسيمٌ عليلٌ صحَّ فوافَتْ بشاره
وغُوطَةٌ كمروسٍ تُزْهِى بأعجبِ شَارِه
يا حُسْنها من رياضٍ مثل النضارِ نَضَّارةُ
كالزهرِ زهراً وعنْها عَرَفُ العبيرِ عِبَّارةُ
والجامعُ الفردُ منها أعلى الإلهُ مَنَّارةُ
وحاصلُ القولِ فيها لمن أرادَ اختصاره
تذكيرُها من رآها عَدْنَا وحَسْبِي إشاره
دامتْ تفوقُ سواها إنَّآلَه وإنَّارَه

وكما ارتجلت فيها أيضاً ١ :

قال لي ما تقولُ في الشامِ حَبْرُ كلما لاحَ بارقُ الحسنِ شامه
قلتُ ماذا أقولُ في وَصْفِ قُطْرِ هُوَ في وَجْنةِ المحاسنِ شامه

وقلت أيضاً :

قال لي صِفْ دمشقَ مَوْلَى رَئِيسٍ جَمَلَ الله خَلْقَه واحْتِشامه
قُلْتُ كَلَّ اللسانُ في وَصْفِ قُطْرِ هُوَ في وَجْنةِ البسيطةِ شامه

١ أبيات المقرئ هذه في خلاصة الأثر (١ : ٣٠٦) .

وقلت أيضاً :

وإذا وصفت محاسن الدنيا فلا تبدأ بغير دمشق فيها أولاً
بلد إذا أرسلت طرفك نحوه لم تلق إلا جنة أو جند ولا
ذا وصف بعض صفاته^١ وهي التي تعي البليغ^٢ وإن أجاد وطولا

والغاية^٣ في هذا الباب ، من الوصف لبعض محاسنها الفاتنة الألباب ، قول أبي
الوَحْشِ سَبْعٍ^٤ بن خلف الأسدي يصف أرضها المشرقة ، ورياضها المورقة ،
ونسيمها العليل ، وزهرها الندي^٥ البليل^٦ :

سقى دمشق الشام غيثاً مُمرِعاً من مُستهلّ ديمة دقاقها
مدينة ليس يُضاهي حُسْنُها في سائر الدنيا ولا آفاقها
تودُّ زوراء العراق أنها تُعزّي إليها لا إلى عيراقها
فأرضها مثل السماء بهجة وزهرها كالزهر في إشراقها
نسيم رِيّاً روضها متى سرى فك أنا الموم من وثاقها^٧
قد ربيع الربيع في ربوعها وسيقت الدنيا إلى أسواقها
لا تسامُ العيون والأنوف من رؤيتها يوماً ولا انتشاقها

١ ك : صفاتها .

٢ ك : يميا البليغ .

٣ ق : والغاية القصوى .

٤ في جميع النسخ : سبعي .

٥ الندي : سقطت من ك .

٦ هذه الأبيات من قصيدة في الخريدة (قسم الشام ١ : ٢٤٨) منسوبة لفتيان بن علي الشاغوري

ووردت في رحلة ابن بطوطة ١ : ٨٦ لسبع بن خلف وهو الأديب أبو الوحش أحد شعراء

الخريدة (قسم الشام ١ : ٢٤٢) .

٧ سقط البيت من ق .

وقول شمس الدين الأسدي الطيبي :

إذا ذُكِرَتْ بقاعُ الأرض يوماً فقلُّ سَقِيًّا لِيَجِلَّقَ ثم رَعِيًّا
وقلُّ في وصفها لا في سواها : بها ما شئتَ من دينٍ ودُنْيَا

وكان لسان الدين ذا الوزارتين بن الخطيب ، عتانا بقوله المصيب :

بلدٌ تحفُّ بهِ الرياضُ كأنه وجهٌ جميلٌ والرياضُ عِدَارُهُ
وكانما واديهِ مِعَصَمٌ غادةٍ ومن الجُسُورِ المحكماتِ سوارُهُ

وكننت قبل رحلتي إليها ، والوفادة^١ عليها ، كثيراً ما أسمع عن أهلها زاد الله
في ارتقائهم ، ما يشوقني إلى رؤيتها ولقائهم ، ويُنشِئني على البعد أريجَ الأدب
الفائق من تلقائهم ، حتى لقيتُ بمكةَ المعظَّمة ، أوحَدَ كبرائها الذين فرائدهم
بِلِسَبَةِ الدهر منظَّمة ؛ عينُ الأعيان ، وصدرُ أرباب التفسير بها والبيان ؛ صاحبُ
القلم الذي طبقَ الكلى والمفاصل ، والفتاوى التي حكمتها بين الحق والباطل
فاصل ، والتأليف التي وَصَفُها بالإجادة من باب تحصيل الحاصل ؛ وارثُ العلم
عن غير كلاله ؛ ذو الحسب المشرق بدُرِّه في سماء الجلاله ؛ صاحب المعارف
التي زانت خلاله ، وساحب أذبال العَوَارِف التي أبانت على^٢ فضله دَلالة ، مفتي
السلطان في تلك الأوطان ، على مذهب الإمام النُّعْمان ، مولانا الشيخ عبد الرحمن
ابن شيخ الإسلام عماد الدين^٣ ، لا زالَ سالِكاً سبيل المهتدين ؛ فكان جَمَلُ الله به
عصراً وأواناً ، لقضية هذا القياس عنواناً ، فلما حَكَلْتُ بدارهم ، ورأيت ما
أذهلني من سَبَقهم للفضل وبِيدَارهم ، صدَّقَ الخُبْرُ الخَبَرَ^٤ ، وتمثلت

١ ك : ووفادتي .

٢ ك : عن .

٣ هو عبد الرحمن السادي الدمشقي (- ١٠٥١) . (انظر خلاصة الأثر ٢ : ٣٨٠ - ٣٨٩)

٤ الخبر : سقطت من ك .

فيهم بقول بعض من غَبَرَ :

أَلَمْتُ بِنَا أوصافهم فامتلا الفضا عبيراً وأضحى نورهُ مثالفا
وقد كانَ هذا مِن سماع حديثهم بلاغاً فصَحَّ النقلُ إذ حصل اللقا
وقابلوني أسماهم الله بالاحتفال والاحتفاء ، وعرفني بديعُ برهم فنَّ
الاكتفاء :

غمرتني المكارمُ الغرُّ منهم وتوالت عليَّ منها فنونُ
شرطُ إحسانهم تحقَّقَ عِندي لَيْتَ شعري الجزاء كيف يكونُ
وقابلوني بالقبول مُغضين عن جهلي^١ :

وما زال بي إحسانهم وجميلهم وبرهم حتى حسبتهم أهلي
بل الأولى أن أتمثل فيهم بما هو أبلغ من هذا القول في آل المهلب ، وهو قول
بعض من نزل بقوم برق قصدهم غير خُلب ، في زمن به تقلَّب^٢ :

ولما نزلنا في ظلال بيوتهم أمينا ونلنا الخصبَ في زمن محل^٣
ولو لم يزد إحسانهم وجميلهم على البر من أهلي حسبتهم أهلي
لا سيما المولى الذي أمداحه تُحلي أجسادَ الطروسِ العاطلة ، وسماحه
يُخجلُ أنواء الغيوثِ الهاطلة ، صدرُ الأكابرِ الأعظم ، الحائزِ قصبِ السبق
في ميدان الإجابة بشهادة كل نائر وناظم ، الصديقُ الذي بودَّه أعتبط ،

١ أحد بيتين حماسيين ، والأول منهما (المرزوقي ١ : ٢٠٣) :

نزلت حل آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان في زمن محل

٢ البيتان للقاضي الرشيد أحمد بن علي الأسواني (انظر الوافي ٧ الورقة ١٠٧) .

٣ ك : المحل .

والصدوق^١ الذي بأسباب عهده أرتبط ، الأوحد^٢ الذي ضربت البراعة رواقها
بناديه ، والماجد^٣ الذي لم يزل بديع^٤ البلاغة من كُتِبَ بناديه ، السري^٥ الخائر من
الحلال ما أبان تفضيله ، التوذعي^٦ الذي لم تزل أوصافه تحكم له بالسؤدد وتقضي
له ، والحق^٧ أبلج لا يحتاج إلى زيادة برآهين ، الأجل^٨ المولى أحمد أفندي بن
شاهين^٩ ، لا زالت العزة^{١٠} مقيمة^{١١} بيوآديه ، ولا برحت^{١٢} حضرته جامعة^{١٣} لبواطن
الفخر وبآوآديه ، والسعد^{١٤} يراوح^{١٥} مقامه ويغاديه ، والمجد^{١٦} يترنم^{١٧} بذكره حاديه ،
فكم له أسماء الله ولغيره من أعيان دمشق^{١٨} لدي^{١٩} من آباد ، يعجز عن الإبانة عنها
لو أراد وصفها قس^{٢٠} إباد ، ولو تعرضت^{٢١} لأسمائهم وحلّاهم ، أدام الله تعالى
سعودهم^{٢٢} وعلاهم ، لفصاح عن ذلك هذا النطاق ، وكان من شبه^{٢٣} التكليف
بما لا يطاق ، فليت شعري بأي^{٢٤} أسلوب ، أؤدي بعض^{٢٥} حقهم المطلوب ؟ أم بأي^{٢٦}
لسان ، أثني على مزآياهم الحسان ؟ وما عسى أن أقول في قوم نسقوا الفضائل^{٢٧}
ولاء ، وتعاطوا أكواب^{٢٨} المحامد ولواء^{٢٩} ؟ وسحبوا من المجد مطارف وملاء ،
وحازوا المكارم ، وبدؤوا المواد^{٣٠} والمصارم^{٣١} ، سؤددا وعلاء :

فَمَا رِيَاضُ زَهَرِ الرَّبِيعِ إِذَا بَدَتْ فِي وَشْيِهَا الْبَدِيعِ
ضاحكة^{٣٢} عن شَتَبِ الْأَفَاحِ عِنْدَ سُفُورِ طَلْعَةِ الصَّبَاحِ
غَنَى بِهَا مُطَوَّقُ الْحَمَامِ وَصَافَحَتْهَا رَاحَةُ الْغَمَامِ
وَبَاكَرَتْهَا نَسْمَةُ مِينِ الصَّبَا فَأَصْبَحَتْ كَأَنَّهَا عَهْدُ الصَّبَا
نَفَارَةٌ وَرَوْنَقًا وَبَهْجَةً تَفْدَى بِكُلِّ نَظَرٍ وَمُهْجَةٍ

١- أصل والده من جزيرة قبرس وتعلم أحمد على عبد الرحمن العمادي وغيره وهو إلى شهرته بالشعر
كاتب مترسل وكان يدرس بالحقصية ولما ورد المقرئ دمشق أنزله فيها ، وبينهما مطارحات
ومراسلات ستأتي في الباب الخامس ؛ توفي سنة ١٠٥٣ (انظر خلاصة الأثر ١ : ٢٠) .

٢ ك : سؤددهم .

٣ ك : ملأه .

أَطِيبُ من ثَنَائِهِمْ عَبَّيرَا بَيْنَ الْوَرَى ، وَاسْأَلُ بِهِ خَبِيرَا
دَامَتْ مَعَالِيهِمْ عَلَى طَوْلِ الزَّمَنِ يُرَوِّى حَدِيثُ الْفَضْلِ عَنْهَا عَنْ حَسَنِ
وَسَابِيتِ وَقَرَّةٍ وَسَعْدٍ وَأُسْعِفُوا بِنِيلِ كُلِّ وَعْدٍ
فَهُم الَّذِينَ نَوَّهُوا بِقَدْرِ الْخَامِلِ ، وَظَنُّوا مَعَ نَقْصِي أَنْ بَحَرَ مَعْرِفِي وَافِرُ
كَامِلِ ، حَسْبَمَا اقْتَضَاهُ طَبْعُهُمُ الْعَالِي :

فَلَوْ شَرَيْتُ بِعُمْرِي سَاعَةً ذَهَبْتُ مِنْ عِشْتِي مَعَهُمْ مَا كَانَ بِالْغَالِي
فَمَتَعَيْنُ حَقَّهُمْ لَا يُتْرَكَ ، وَحُبُّهُمْ لَا يَخَالَطُ بَغْيَهُ وَلَا يُشْرَكَ ، وَإِنْ
أُطْلِتُ الْوَصْفَ فَالْغَايَةُ فِي ذَلِكَ لَا تُدْرَكَ :

يَزْدَادُ فِي مَسْمَعِي تَرْدَادُ ذِكْرِهِمْ طَبِئاً وَبِحُسْنٍ فِي عَيْنِي مُكَرَّرُهُ
وَإِذَا كَانَ الْمَدِيحُ الصَّادِقُ لَا يَزِيدُهُمْ رَفْعَةً قَدَرُ ، فَهُمْ كَمَا قَالَ الْأَعْرَابِيُّ الَّذِي
ضَلَّتْ نَاقَتُهُ فِي مَدْحِ الْبَدْرِ^١ ، وَالْبَلِيغُ وَذُو الْخَصَرِ فِي ذَلِكَ سَيِّئَانِ ، وَالْحَقُّ
أَبْلَجُ ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجُ ، وَلَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعِيَانِ :

هَبِ الرُّؤُوسَ لَا يُغْنِي عَلَى الْغَيْثِ نَشْرُهُ أَتَحْسِبُهُ تَخْفِي مَآثِرُهُ الْحُسْنَى
وَقَدْ تَذَكَّرْتُ بِلَادِي النَّائِيَةِ ، بِذَلِكَ الْمُرَآى الشَّامِي الَّذِي يَبْهَرُ رَائِيهِ ، فَمَا شَتَّ
مِنْ أَنْهَارِ ذَاتِ انْسِجَامٍ ، أَتُرِيعَ بِهَا مِنْ جِرْيَالِ الْأَنْسِ جَامٍ ، وَأَزْهَارِ مَتَوَجِّةٍ
لِلْأُدْوَاكِ ، مُرَوَّحَةٍ لِلنَّفُوسِ بِعَاطِرِ الْأُرُوحِ ، وَحَدَاتِ تَعُشِّي أَنْوَارَهَا الْأَحْدَاقِ ،
وَعِيَانَهَا لِلْخَبَرِ عَنْهَا مِصْدَاقٍ وَأَيَّ مِصْدَاقٍ :

١ يشير إلى قول الأعرابي للقمر :

ماذا أقول وقولي فيك ذو حصر وقد كفيته التفصيل والجملا
إن قلت لا زلت مرفوعاً فأنت كذا .. أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا

فَهِيَ الَّتِي ضَحِكَ الْبَهَارُ صَبَاحَهَا وَبَكَتْ عَشِيَّتُهَا عَيُونَ الرَّجَاسِ
وَاخْضَرَّ جَانِبُ نَهْرٍهَا فَكَأَنَّهُ سَيْفٌ يُسَلُّ وَغَمْدُهُ مِنْ سُنْدُسٍ

وجنان ، أفنائها في الحسن ذوات افتنان :

صَافَحَتْهَا الرِّيحُ فَاعْتَقَ السَّرُّ وَوَالَتْ طِيَوَالَهُ لِلْقِصَارِ
لَا تُدْ بِعَضُهُ بِبَعْضٍ كَقَوْمٍ فِي عَتَابٍ مُكَرَّرٍ وَاعْتِدَارِ
وَبِطَاحٍ رَاقٍ سَنَاها ، وَكُلَّ حُسْنِهَا وَتَنَاهَى ، كَمَا قَلَّتْ مَضْمَنَاتُ فِي ذَلِكَ
الْمَنْحَى ، لِقَوْلِ بَعْضٍ مِنْ نَالَ فِي الْبَلَاغَةِ مَنًى وَمَنْحَا :

دِمَشْقٌ لَا يُقَاسُ بِهَا سِوَاهَا وَيَمْتَنِعُ الْقِيَاسُ مَعَ النَّصُوصِ
حَلَاها رَاقَتِ الْأَبْصَارَ حُسْنًا عَلَى حُكْمِ الْعُمُومِ أَوِ الْخُصُوصِ
بِإِسَاطٍ زَمَرْدٍ نَثَرَتْ عَليَّهِ مِنْ الْيَاقُوتِ أَلْوَانُ الْقُصُوصِ

ولله درُّ القائل ، في وصف تلك الفضائل ^١ :

إِنْ تَكُنْ جَنَّةُ الْخُلُودِ بِأَرْضٍ فِدِمَشْقُ ، وَلَا يَكُونُ سِوَاهَا
أَوْ تَكُنْ فِي السَّمَاءِ فَهِيَ عَلَيْهَا قَدْ أَمَدَّتْ هَوَاءَهَا وَهَوَاهَا
بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَاعْتَنِمِهَا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا

وعند رؤيتي لتلك الأقطار ، الجليّة الأوصاف العظيمة الأخطار ، تفاعلتُ
بالعود إلى أوطان لي بها أوطار ، إذ التشابه بينهما قريب في الأنهار والأزهار ،
ذات العرف المحطار ، وزادت هذه بالتقديس الذي همّعت عليها منه الأمطار ،
وتمثلت بقول الأصفهاني ، وإن غيرت يسيراً منه لما أسفرت وجوه التهاني ^٢ :

١ انظر رحلة ابن بطوطة : ٨٤ .

٢ بعض هذا الشعر ورد في قصة رواها الحميدي في الجلاء : ٦٨ .

لَمَّا وَرَدْتُ الصَّالِحِيَّةَ هَـ حَيْثُ مُجْتَمَعُ الرِّفَاقِ ١
وَشِمِيتُ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ م نَسِيمَ أَنْفَاسِ الْعِرَاقِ
أَيَقَنْتُ لِي وَلَمْ أَحَدُ بُ يُجْمَعُ شَمْلُ وَاتِّفَاقِ
وَضَحِكْتُ مِنْ فَرَحِ اللَّقَا ه كَمَا بَكَيْتُ مِنْ الْفِرَاقِ
لَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا نَجْمٌ شَمُّ أَرْمَنِ السَّفَرِ الْبَوَاقِ
حَتَّى يَطْوِلَ حَدِيثُنَا بِصِفَاتِ مَا كُنَّا نَلَاقِ

وكنْتُ قبل حلولي بالبقاع الشامية مُولعاً بالوطنِ لا سواه ، فصار القلبُ
بعد ذلك مُقسماً بهواه .:

ولي بالحمى أهلٌ وبالشَّعبِ جيرةٌ وفي حاجرٍ خيلٌ وفي المنحنى صحبٌ
تقسَّم ذا القلبُ المتيمُّ بينهم سألتكم بالله هل يُقسَّم القلبُ
فيا لك من صَبِّ مُرَاعٍ لِلذِّمَامِ ، منقادٍ لشوقه بِزَمَامِ ، يَخِيلُ لَهُ أَنَّهُ سَمِعَ
صَوْتَ قِيَانِ ، بِقَوْلِ الْأَوَّلِ :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بِالْمَدِينَةِ حَاجَةً وَبِالشَّامِ أُخْرِى كَيْفَ بِلَتَّيَانِ
وَفَرْدٍ تَعَلَّ دَتِ جَمُوعُهُ ، وَوَشَّتْ ، بِمَا أَكُنْتُ ضُلُوعُهُ ، دَمُوعُهُ ،
فَأَنشَدَ وَقَدْ تَحِيرُ ، مَا بَدَّلَ فِيهِ مِنْ عَظَمِ مَا بِهِ وَغَيْرِ :

كُتِمَتْ شَأْنُ الْهُوَى يَوْمَ النُّوَى فَوَشَّتِ بِسَرِّهِ مِنْ جُفُوفِي أَيْ نَمَامِ
كَانَتْ لِيَالِيَّ بَيْضاً فِي دَنُوهِمُ فَلَا تَسَلُ بَعْدَهُمْ عَنْ حَالِهِ أَيْتَامِي
ضُنَيْتُ وَجَدْتُ بِهِمُ وَالنَّاسُ تُحَسِّبُ بِي سَقَمًا فَأَبْنَاهُمُ حَالِي عِنْدَ لُؤَامِي
وَلَيْسَ أَصْلُ ضُنَى جَسْمِي النَّحِيلَ مِوَى فَطَرَطِ اسْتِيقَاقِي لِأَهْلِ الْغَرْبِ وَالشَّامِ

١ الأصل : لما وردنا القادسية ، وغيره المؤلف ليوافق ما أراد من مدح دمشق . وكذلك غير في البيت
التالي « وشميت من أرض الحجاز » .

وحصل التحير ، حيث لم يمكن الجمع ولا الخلو عند التخيير ، كما قال ابن دقيق العيد^١ ، في مثل هذا الغرض البعيد^٢ :

إذا كنتُ في نَجْدٍ وطيبِ نعيمه تذكّرتُ أهلي بالتّوى فمُحَسَّرِ
وإن كنتُ فيهم زدتُ شوقاً ولوعةً إلى ساكني نَجْدٍ وعيلَ تصبّري
فقد طال ما بين الفريقين موقفي فمن لي بنَجْدٍ بين أهلي ومعشري

وبالجملة فالاعتراف بالحق فريضة ، ومحاسنُ الشام وأهله طويلةٌ عريضة ، ورياضه بالمفاخر والكمالات أريضة ، وهو مقرّ الأولياء والأنبياء ، ولا يجهل فضله إلاّ الأعمار الأغبياء ، الذين قلوبهم مريضة :

أنتى يرى الشمسَ خفّاشاً يلاحظُها والشمسُ تبهرُ أبصارَ الخفافيشِ
ولله درُّ من قال في مثل هذا من الأرضيَاء :

وهَبْنِي قَلْتُ إنَّ^٣ الصّبحَ ليلٌ أَيْعَمَى العالمونَ عنِ الضّياءِ

وقال آخر فيمن عن الحق ينفر :

إذا لم يكنْ للمرءِ عَيْنٌ بصيرةٌ فلا غَرْوَ أن يرتابَ والصُّبحُ مسفرٌ

وحسبُ الفاضل اللبيب ، أن يروي قول البدر بن حبيب^٤ :

١ هو محمد بن علي بن مطيع القشيري المشهور بابن دقيق العيد (٧٠٢ -) كان عالماً فقيهاً (راجع ترجمته في الطالع السعيد : ٢٢٩ ومسالك الأبصار : ٣ : ٤٣٣ وطبقات السبكي ٦ : ٢ وتذكرة الحفاظ : ١٤٨١) .

٢ لم ترد الأبيات في مجموعة شعره الملحقه بدراسة الأستاذ علي صافي حسين عنه .
٣ ك : هذا .

٤ هو بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي (- ٧٧٩) ولد في دمشق وانتقل إلى حلب ثم إلى مصر ، ثم عاد ينتقل في بلاد الشام وله عدة مؤلفات (الدور الكامنة ٢ : ٢٩) .

عَرَجُ إِذَا مَا شِمْتَ بَرَقَ الشَّامُ وَحَيَّ أَهْلَ الْحَيِّ وَأَقَرَّ السَّلَامُ
وَانْزِلْ بِإِقْلِيمٍ جَزِيلِ الْحَيَا بَارِكْ فِيهِ اللَّهُ رَبُّ الْأَنَامِ
الْعِزُّ وَالنَّصْرُ لَدَيْهِ ، وَمَا لِعُرْوَةِ الْإِسْلَامِ عَنْهُ انْفِصَامُ
مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ كَمْ قَدْ حَوَى رُكْنًا بِمَرَّاهُ يُطِيبُ الْمَقَامُ
وَهُوَ مَقَرُّ الْأَنْبِيَاءِ الْأُولَى وَالْأَصْفِيَاءِ الْأَتْقِيَاءِ الْكَرَامِ
كَمْ مِنْ شَهِيدٍ فِي حِمَاهُ وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ قَرَدٍ وَكَمْ مِنْ إِمَامِ

ولذلك اعتنت الجهابذة بتخليد أخباره في الدواوين ، وابتنت الأساتذة بيوت
افتخاره المنيفة الأواوين ، وتناقلت أنبائه البديعة ألسنُ الراوين ، وهامت
بأماكنه المريعة هُدأةُ الشريعة فضلاً عن الشعراء الغاوين ، ومع ذلك فهم في
التعبير عن عجائبه غير متساوين ، أولاً يرى أنهم يأتون من مقولهم ، على قدر
رأيهم وعقولهم ، ولم يبلغ جمعٌ منهم ما كانوا له ناوين :

على قدرِكَ الصَّهْبَاءِ تُولِيكَ نَشْوَةً بِهَا سَيِّءُ أَعْدَاءِ وَسُرَّ صَحَابُ
وَلَوْ أَنَّهَا تُعْطِيكَ مِنْهَا بِقَدْرِهَا لَضَاقَتْ بِكَ الْأَكْوَانُ وَهِيَ رَحَابُ

* * *

[ابن شاهين يقترح على المؤلف تأليف كتاب عن لسان الدين]

وكنا في خلال الإقامة بدمشق المحوطة ، وأثناء التأمل في محاسن الجامع
والمنازل والقصور والغُوطَة ، كثيراً ما ننظم في سلك المذاكرة درر الأخبار
الملقوطة ، ونتفياً من ظلال التبيان مع أولئك الأعيان في مجالس مغبُوطَة ،
نتجاذبُ فيها أهداب الآداب ، ونشربُ من سلسال الاسترسال ونتهادى
لُباب الألباب ، ونمدّ بساط الانبساط ونسدلُ أطناب الإطناب ، ونقضي
أوطار الأقطار ، ونستدعي أعلام الأعلام ، فينجرُ بنا الكلام والحديث شجون ،
وبالتنن يبلغ المستفيدون ما يرجون ، إلى ذكر البلاد الأندلسية ، ووصفِ

رياضها السندسية ، التي هي بالحسن مَنُوطَة ، وقضايها الموجهة التي لا يستوفيهما المنطق مع أنها ضرورية وممكنة ومشروطة ، والفِطْرُ السليمة ، والأفهام المستقيمة ، بتسليم براهينها قاضية لا سيما إن كانت بالإنصاف مربوطة ، فصِرَتْ أورد من بدائع بُلَغائها ما يجري على لساني ، من الفيض الرحماني ، وأسْرُدُ من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السَلْماني ، صبَّ الله عليه شآبيب رحماه وبلغه من رضوانه الأمانى ، ما تُثيره المناسبة وتقتضيه ، وتميل إليه الطباعُ السليمة وترتضيه ، من النظم الجَزَل ، في الجلد والزل ، والإنشاء ، الذي يُدْهِشُ به ذاكِرُهُ الألبابَ إن شاء ، وتبصرُ فيه في فتونِ البلاغة حالتي الولاية والعزل ، إذ هو - أعني لسان الدين - فارسُ النظم والنثر في ذلك العصر ، والمنفردُ بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر ، وكيف لا ونظمه لم تستولِ على مثله أيدي المَصْرِ ، ونثره تزرى صورته بالخريدة ودُمَيَّة القصر .

فلما تكرر ذلك غيَّرَ مرَّةً على أسماعهم ، لهجُوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة إجماعهم ، وعَلِقَ بقلوبهم ، وأضحى منتهى مطلوبهم ، ومُنْبِية آمالهم وأطماعهم ، وصاروا يقطفون بيد الرغبة فنونه ، ويعترفون ببراعته ويستحسنونه ، ويستششقون من أزهاره كلَّ ذاك ، فطلب مني المولى أحمد الشاهيني إذ ذاك ، وهو الماجد المذكور ، ذو السعي المشكور ، أن أتصدَّقَ للتعريف بلسان الدين في مُصَنَّف يُعرب عن بعض أحواله وأنبائه ، وبدائعهِ وصنائعهِ ووقائعهِ مع ملوك عصره وعلمائه وأدبائه ، ومفاخرهِ التي قُلِّدَ بها جيدُ الزمان ولَبَّتُهُ ، ومآثرهِ التي أَرَجَّ بها مَسْرَى الشَّمال وهَبَّتُهُ ، وبعض ما له من النثر والنظام ، والمؤلفات الكبار العظام ، الرائقة للأبصار ، الفائقة على كلام كثير من أهل الأمصار ، السائرة مسير القمر والشمس ، المعقودة .

عليها الخناصر^١ بل الخمس ، كيما يكون ذلك لهذه الأغراض مُشيعا ، ويخلع
على مطالعه بهذه البلاد الشرقية من أغراضه البدعية ومنازعه وشيعا .

• • •

[اعتذار المؤلف عن تليته للمطلب]

فأجبتُه أسْمَى الله قدره الكبير ، وأدام عَرَفَ فضائله المُزري بالعنبر
والعَبر ، بأن هذا الغرض غير سهل ، ولست عَليمَ الله له بأهل ، من جهات
عديدة ، أولها قصوري عن تحمل تلك الأعباء الشديدة ، إذ لا يوفي بهذا الغرض
إلا الماهرُ بطرق المعارف السديدة ، وثانيها عدمُ تيسرِ الكتب المستعان بها على
هذا المرام لأنني خلّفتها بالمغرب ، وأكثرها في المشرق كعُتقاء مُغرب ، وثالثها
شغل الخاطر بأشجان الغرب ، الجالبة للفكر غالباً الكُربة ، وتقسم البال ، بين
شغل عاتق ولبال ، وأنتى يطيق ، سلوك هذا المضيق ، مَنْ اكتملت جفونه
بالسهاد ، ونبتت جنوبه عن المهاد ، وسدّ نحوه الأسفُ سَهْمه ، وشغل باله
ووهمه ، وبث في قلبه تبريحاً ، وعناء لم يجد منه إلا أن يَلطُفَ الله تَسريحاً ،
فما شام بارقة أملٍ إلا في النادر ، ولا وردَ منهلَ صفاء إلا وكدره مَكْرُ
غادر ، وقد كثر الخفاء ، وبترج بلا شك الخفاء ، واستوثقت المواردُ
والمصادر ، والقلبُ مكْلومٌ ، واللبُّ غيرُ مَكْلومٌ ، إذا كان على تلفيق ما
يليقُ غيرَ قادر ، ولا مؤنس إلا شاكِي دهر بلسان صريح ، أو باكي قاصمةٍ
ظَهَر بِجَعْنٍ قَرِيح ، أو مُناضل في معتركِ العجز طريح ، أو فاضل دُفن
من الخمول في ضريح ، إذ رمته سهام الأوهام الصوائب ، وعَضَّتْ منه إبهام

١ ك : المعقود ... بالخناصر .

٢ ك : غاية .

٣ ك : وذو اللب .

الإبهام بنابها النوى والنواب ، فقلوبه من تقلبات أحواله ذواب ، وكم شابت
من أمثاله بصروف الدهر وأهواله ذواب :

على أنها الأيام قد صيرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب^١
وَأَدْمَعَ أَحْجَازَهَا ، تَسَلَّطُ فُجَّارِهَا ، فكم من عدو منهم في ثياب صديق ،
وَحَسُودَ لِنَظَرِهِ إِلَى نَعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ تَحْدِيقُ ، لَا تَخْذَعُهُ الْمُدَّارَةُ ، وَلَا تَرُدُّعُهُ
الْمَمَارَةُ ، يَتَّبِعُ الْعَثَرَاتُ ، وَيَقْنَعُ بِالْمِ بَثَرَاتِ ، وَيَتَبَسَّمُ ، وَقَلْبُهُ مِنَ الْغُلِّ يَتَقَسَّمُ ،
وَيَتَوَدَّدُ ، وَمَكَايِدُهُ تَتَجَدَّدُ فَتَتَعَدَّدُ :

لَا تَرُمُ مِنْ مِمَازِقِ الْوَدِّ خَيْرًا فَبَعِيدٌ مِنَ السَّرَابِ . الشَّرَابُ
رَوْتَقُ كَالْحَبَابِ يَعْلُو عَلَى الْمَا وَلَكِنْ تَحْتَ الْحَبَابِ الْحَبَابُ
عَظُمَتْ فِي الْبِفَاقِ أَلْسِنَةُ الْقَوِّ م وَفِي الْأَلْسَنِ الْعِدَابِ الْعِدَابُ .

والصديق الصديق في هذا الزمن قليل ، وقد ألف بعض العلماء « شفاء
الغليل » ، في ذم الصاحب والخليل^٢ . وهو غير معمولٍ على الإطلاق ، وإن
قال به بعض من رهنه من أبناء عصره ذو إغلاق :

أبناء دَهْرِكَ فَالْقَهْمُ مِثْلَ الْعِدَا بِسِلَاحِكَا
لَا تَغْتَرَّرُ . بِتَبَسُّمٍ فَالسَّيْفُ يَقْتُلُ ضَاحِكَا

وداء الحسد أعياء الأول والآخر ، وقد عظم الأمر في هذا الأوان وكثر
المزري^٣ والساخر ، مع أن أسواق الدفاتر كاسدة ، وأمزجة المحابر فاسدة :

١ البيت لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي .

٢ هذا الكتاب من تأليف علي بن ظافر الأزدي مؤلف كتاب « بدائع البداه » وغيره من الكتب ،

وقد سماه في كشف الظنون « شفاء الغليل » بالعين المهملة ، وقال إن السيوطي اختصره وسماه

« الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب » ؛ وقد نشر المختصر بدمشق (١٣٦٨) .

٣ ك : المزري .

والدهرُ دهرُ الجاهلي نَ وأمرُ أهلِ العلمِ فاترُ
لا سوقُ أكسدُ فيه من سوقِ المحابرِ والدفاترُ

فالمنسوبُ للعلم في هذا الزمنِ زَمين ، وهو بأن ينشد قول الأول قَمين :

لأيِّ وميضٍ بارقةٍ أشيمُ ومرعى الفضلِ عندهم هُشيمُ

وليت شعري علامَ يُحسدُ من أبدلَ الاغترابُ شارتَه ، وأضعفَ
الاضطرابُ إشارتَه ، وأهلُ^٢ بالدموعِ أنواءه ، وقتلَ أضواءه ، وكثرَ علله
وأدواءه ، وغيرَ عند التأمّلِ رُؤاه ، وثنى عن المأمولِ عِثانَه ، وأرهفَ
بالحمولِ سِنانَه ، حتى قدحَ الذكرُ حِثانَه ، وملأَ الفكرُ جأشه وجِثانَه ، فهو
في ميدانِ التزوحِ مستيق ، ومن راحةِ التعبِ مصطبِح ومغتنق :

له أنةُ المشتاقِ في كلّ ساعةٍ تمرُّ وما للتاكلاتِ من الحُزنِ
ومن مُرسلاتِ الدمعِ واقعةُ الأسي ومن عاديّاتِ البينِ قارعةُ السنِ

تثير الذكري منه كوامنَ الشُجُون ، وتدير عليه جامَ الهُيام ولو كان بين
الصفا والحجُون :

وتحت ضُلوعِ المُستهامِ كآبةٌ يخافُ على الأحشاء منها التفطّرَ
ولو أن أحشاء تبوحُ بما حوتَ لتمتلئنَّ الأرضُ كُتُباً وأسطُراً

وشتان ما بين الاقتراب والاغتراب ، والسكون في الركون والنبوّ عنها
والاضطراب ، فذاك تسهلُ غالباً فيه الأغراض والمآرب ، وهذا تتعفّر فيه
المقاصدُ وتتكدّرُ المشارب :

١ ك ط : ورعي .

٢ ك : واهل .

وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز ولكن أرى تحصيلها بالدينية
وإن طاوعتني رقة الحال مرةً أبنت فعلها أخلاق نفس أبيت

وكما قلت ، عندما صرت إلى الاغتراب وألت :

تركت رسوم عزّي في بلادي وصيرت بمصر منسي الرسوم
ورضت النفس بالتجريد زهداً وقلت لها عن العلياء صومي
مخافة أن أرى بالحرص ممن يكون زمانه أحد الخوصم

وكما قال بعض الأكابر ، من أهل الزمان الغابر :

لا عار إن عطيت يداي من الغنى كم سابق في الخيل غير مُحَجَّل
صان اللثيم ، وصنت وجهي ، ماله دوني ، فلم يبذل ولم أبتذل
أبكي لهم ضافني متأوباً إن الدموع قيرى الهموم النزل
لا تُنْكروا شيئاً أَلَمَ بمقري عجيلاً كأن سناه سلة مُنْصَل
فلقد دُفِعتُ إلى الهموم تنوبي منها ثلاث شدائد جُمعن لي
أسف على ماضي الزمان ، وحيرة في الحال منه ، ووحشة المستقبل
ما إن وصلتُ إلى زمان آخرٍ إلا بكيتُ على الزمان الأول
لله عهد بالحمى لم أنسه أيام أعصي في الصباية عدلي

ويرحم الله ابن قلاّس الإسكندري^١ ، إذ قال في معنى التمني المصلي :

١ ابن قلاّس الإسكندري : هو نصر الله بن عبد الله بن علي الأزهري (- ٥٦٧) كان كثير الرحلة ، دخل صقلية في حكم النورمانيين ثم توجه إلى اليمن وتوفي في عيذاب ، وكان مختصاً بالسلفي كثير المدائح فيه (انظر ترجمته في الخريدة ١ : ١٤٥ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٢٦ ووفيات الأعيان ٥ : ٢١ وممالك الأبصار ١٢ : ٢٣) وقد نشر خليل مطران ديوانه وهذا المثلث لا يمثل إلا جانباً يسيراً من شعره . والأبيات التالية غير موجودة في هذا الديوان .

لعلّ زماني بالعُدَيْبِ يَعُودُ فيقربُ قربٌ أو يصدّ صدودُ
وأبصر كُثباناً وهزّ رَوَافِدُ عليهنّ أغصانٌ وهنّ قُدُودُ
وأقطف وزدّ الخلدَ وهو مُضَرَّجٌ وأجني أقاحَ الثغرِ وهو برودُ
وأدني ذراعي للعِناقِ ذريعةً فتنبهي عن الإفراط فيه نهودُ
ويتسري إليّ البدرُ وهو مُمتنعٌ ويتغدو إليّ الظبيُّ وهو شرودُ
ونكزع في شكوى الفراقِ كأننا فوارطُ هيمٍ راقهنّ ورودُ
وأكبر مقدارَ الهوى عن كبيرةٍ وأحمي عِقَافِي دونهُ وأذودُ

وفرق ما بين الجوهر والعَرَضِ ، والصحةِ البيّنة والمرض ، والدُرّ
والخصي ، والحسام والعصا . والرجوعُ إلى التفويض للأقدار ، في أمور هذه
الدار ، الكثيرة الأقدار ، هو المطلوبُ ، والمرجوُّ من الله سبحانه جَبْرُ
القلوب :

يا ربّ نفسٍ هُومي واكشِفْ كُرُوبِي جميعاً
فقدَ رجوتُ كريماً وقدَ دعوتُ سميعاً

• • •

[إصرار ابن شاهين على رأيه]

ولم يجعل لي المذكور - حفظه الله - فسحةً ولا مندوحةً ، بعد هذه الأعدار
المحمودة في الصديق المندوحة ، ولسانُ حالي وقالي ، يثبتان عجزِي عن أداء
هذا الحقّ يشهادة من هو وادّ وقالي ، إذ مَنْ كان بصفةً ، غير متمكنة ممّا
تكون به متصفةً ، واتّسم بنعوتٍ مختلفةٍ ، وارتمى في غير ذوي الأحوالِ
المؤتلفة ، كيف يحير في التصنيف جواباً ، أو يتحجى من التأليف صواباً ؟ ومَنْ
جفّته هامٌ هامل ، وقصوره عامٌ شامل ، كيف يقبضُ بالأنامل ، على ماء
البحر الوافر الكامل ؟ ومَنْ لبس من العيِّ ملأه ، لا يعبرُ عمّن طبّق مفاصل

الكلام وكُلاه ، وقصرت ألسن البلغاء عن عُلّاه ، وزانتْ صدور الدواوين
حُلّاه ، وجمع خللاً حِسَاناً ، وكان للدين لساناً ، وزاحمتْ مفاخرهُ بالمناكبِ
الكواكب ، وازدانت بمرآه النوادي والمواكب ، ونفحاتُ الأزهارِ من آدابه ،
ونسَماتُ الأسحارِ عِطْرُ أذْياله وأهدابه ، والسَّحَرُ من كتابته ، والسَّحَرُ
من كُنْايته ، ورووحُ النسيم من تعريضه ، والنثرةُ من نثره ، والشَّعْرَى من
شعره وقريضه ، وحُلُّ المجدِ لباسه ، وأنوار العلم اقتباسه :

له ذِهنٌ يَغُوصُ بِبَحْرِ عِلْمٍ فيأتي مِنْهُ بِالْدَّرِّ النُّظْمِ
مَعَانِيهِ الرِّياضُ ، لأجلِ هذا سَرَتْ أَلْفَاظُهُ مِثْلَ النِّسِيمِ

ومباهية النجوم ، ومُضاهية الغيثِ السَّجُوم ، إلى آباء يحسدهم البدرُ^١
والشمس ، وإباء لو كان للمشرقِ لما تحيَّفه لَمَسُ ، وشرف لا مُدْعَى ولا
مُنْتَحَل ، وهمّة لو نالها البدر لاستخذى له زُحَل ، وبراعة أَرَهَقَتْ سَنانَ قَلَمه ،
وبراعة سارت أُمُرُها تحت عِلْمه ، فكَم فَتَحَ بِفِكْره أَقْفالها ، ووَسَمَ بِذَهْنه
الثاقبِ أَغْفالها ، وسَبَكَ مَعَانِيها في قالبِ قلبه لإبريزاً ، ورَقَمَ بِيانُ لسانه برود
إحسانه بلفظه البديع تطريزاً ، فَرَفَعَ في مَيْدانِ الإِجادةِ لَوَاؤه ، وأُتِيحَ من
أنهار البراعة العذبة إرواؤه ، ونال سبقاً وتبريزاً :

وما زَمَ الشَّبَابُ وَأَنْتَ تَجْرِي مع الأَحْبابِ في لَهْوٍ وطِيبِ
وَوَصَلَ مِنْ حَبِيبٍ بَعْدَ هَجْرٍ بأَحلى من كلامِ ابنِ الخطيبِ

فقصائده أَرخَصَتْ جواهرَ البحور ، المنظومة قلائد للَبَّاتِ^٢ والنحور ،
من حسان العقائل الحور :

١ ك : القمر .

٢ ك : في قلائد اللّبات .

مَعَانٍ وَالْفَافُ تُنَظِّمُ مِنْهُمَا عَقُودُ لَالٍ فِي نُحُورِ الشَّمَائِلِ
وَزَهْرُ كَلَامٍ كَالْحَدَائِقِ نَسْجُهُ غَنِينَا بِهِ عَنْ حُسْنِ زَهْرِ الْحَمَائِلِ
وَكَلِمَاتِهِ غَدَتْ لِلْإِبْدَاعِ إِقْلِيداً ، وَجَمَعَتْ طَرِيفاً مِنَ الْبَلَاغَةِ وَتَلِيداً :

كسُونِ عَبِيداً ثِيَابَ الْعَبِيدِ وَأَصْحَى لَبِيداً لَدَيْهَا بَلِيداً
وَمَقْطَعَاتِهِ أَلَدُ فِي الْأَسْمَاعِ ، مِنْ مُطْرَبِ السَّمَاعِ ، وَأَبَى فِي الْأَحْدَاقِ
وَالنَّوَاطِرِ ، مِنَ الْحَدَائِقِ ذَوَاتِ الْأَغْصَانِ الْمُلْدِ التَّوَاضِعِ ، يَعْتَرِفُ بِفَضْلِهَا مِنْ
إِتْحَالِ الْإِنْصَافِ دِيناً ، وَإِتْمَالِ الْأَوْصَافِ فَاخْتَارَ الْعَدْلَ مِنْهَا خَدِيداً :
رَقِيقَاتِ الْمَقَاطِعِ مُحْكَمَاتِ لَوْ أَنَّ الشَّعْرَ يُلْبَسُ لَارْتُدُّ دِيناً

وَرَسَائِلِهِ كَنَقْطِ الْعُرُوسِ اللَّائِحَةِ فِي الْبَيَاضِ ، أَوْ كَوَثْقِي الرَّبِيعِ أَوْ قِطْعِ
الرِّيَاضِ ، بَرَزَتْ أَغْصَانُهَا الْحَالِيَةِ وَتَبَرَّجَتْ ، وَتَضَوَّعَتْ أَفْنَانُهَا الْعَالِيَةِ وَتَأَرَّجَتْ ،
وَقَدْ أَلْبَسَهَا الْقَطَرُ زَهْرًا ، وَفَجَّرَ خِلَالَهَا نَهْرًا ، فَأَخَذَتْ زَخْرَفَهَا وَازْيَنْتَ ،
وَلَا حَتَّ مُحَاسِنَهَا غَيْرَ مُحْتَجِبَةٍ وَتَبَيَّنَتْ ، فَبَهَرَتْ مِنْ لَهَا قَابِلٌ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا بَل :

هِيَ الْحَدِيقَةُ إِلَّا أَنْ صَيَّبَهَا صَوْبُ النَّهْيِ وَجَنَّاها زَهْرَةَ الْكَلِمِ
وَقَوَافِيهِ ، رِيَشَتْ بِهَا قَوَادِمُ الْإِتْقَانِ وَخَوَافِيهِ ، نَبَالَ مُجَارِيهَا تَسْتَدْثِرُ
الْحَصَرَ ، وَبَاعُ مُبَارِيهَا يَسْتَشْعِرُ الْقَيْصَرَ :

خَطَطُهَا رَوْضَةٌ ، وَالْفَافُهَا الْأَزْ هَارُ يَضْحَكُنَّ ، وَالْمَعَانِي ثِمَارُ
تُبْدِي لِمَبْصَرِهَا وَتُزِي ، مَا قَالَ أَبُو عِبَادَةَ الْبُحْتَرِيُّ ١ :

وَكَلَامٌ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ النَّا ضِرُّ فِي رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ

١ الأبيات في ديوانه ١ : ٦٣٧ .

مُشرقٌ في جوانب السمع ما يخبئ لقه عودُهُ على المستعبدِ
ومعانٍ لو فصلتْها القوافي هجنتُ ما لجرول من تشديدٍ^١
حزُنٌ مستعملٌ الكلام اختياراً وتجتنبُ ظلمةَ التعقيدِ

بل هي أجلُّ ممّا وصف عند التحقيق ، وإمعان النظر الصحيح والتدقيق :

أينَ زهرُ الرياض وهو إذا ما طال عهداً بالغيث عاد هشيماً
مينَ قوافٍ كأنّها الأنجمُ الزُّهرُ رُ سناها زانَ الظلامَ البهيماً

وناهيك بمن أطلعت العلوم على جلالها ودقائقها ، وأرقت الفنون ما شاء من
يافعات حدائقها ، وحيثه^٢ الحكيم الرياضي بأزهارها وشقائقها ، وأرضعت
الوزارة من ثديتها ، وحلت به الإمارة صدر ثديتها ، وجعلته المرجوع
إليه في تمييز جيد الأمور ورديتها ، فغرس في أرض الرياسة من نخل السياسة
ووديتها^٣ ، وأعلى علكم العدل وأغمد سيف الانتقام ، ودفع تنين الفتنة
الذي فغرسناه^٤ للانتقام ، والعهد إذ ذاك قريب ، في وطن الأندلس الغريب ،
باختلال الحال ، وتوالي الإحمال ، والتجري على قتل الملوك ، والتجري لقطع
الطرق ومنع السلوك ، حيث أهواء المارقين ذات افتراق ، وضلوع الصادقين
في قلق واحترق ، وأيدي الإحن باطشة ، وسيوف المحن إلى الدماء عاطشة ،
وعرش الحماية مثلول ، وصارم الكفاية مقلول ، ونطاق الرعاية محلول ،
ودم الوقاية مظلول^٥ ، وجيب النصيحة مملول ، والتثور السلطاني بنار اختلاف
الكلمة ملتهب ، والعدو ينتهز الفرصة ويسلب^٥ الأنفس والأموال ويتهب ،

١ ديوانه : هجنت شعر جرول وليد .

٢ ك ج : وحيته .

٣ الودي : فسيل النخل وصفاره .

٤ ك : ونطاق الرعاية مظلول .

٥ ك : ويستلب .

وليس له في غير قطع شأفة المسلمين ابتغاء ، وإن عَقَدَ المهادنة في بعض الأحيان فهو يُسِرُّ حَسْرًا في ارتقاء ، وكلابُ الباطل في دماء أهل الحق والفة ، والله سبحانه وتعالى في خَلْقِهِ إرادة نافذة وحكمة بالغة ، فرقع لسان الدين ثوب الأندلس ورَفَاه ، وأرْغَمَ - رحمه الله - الكفر الذي فغر فاه ، وشَمَّرَ عن ساعد اجتهاده ، وحض باللسان وباليد على دفاعه وجهاده ، حتى لاحت للنصر بَوَارِقُ ، وأمنت بالحزم الطواريء والطوارق ، ثم ضرب الدهرُ ضَرْبَانَهُ ، وأحرق الحاسدُ بنار أحقادِهِ أَنْضَرَ بَانَهُ ، وأظهر ما في قلبه على لسان الدين وأَبَانَهُ ، وتقرب الوشاة ، وهم ممن كان يخدمه ويتغشاه ، إلى سلطانه الذي كان عِزَّةَ أوطانه الذي كان يأمنه ولا يخشاه ، حتى فسَدَ عليه ضميره ، وتكدَّرَ - ومن يَسْمَعُ يَخْلُ - نَمِيرُهُ ، فأحسَّ بظاهر التغير ، وصار في الباطن من أهل التحير ، وأجال قِداح آرائه ، والتفت إلى جهة العلو من ورائه ، ففرَّ مشمرًا عن ذَيْلِهِ ، في لُئْمَةٍ من خيله ، إلى أسد العرين ، سلطان بني مَرِين ، وكان إذ ذاك بَيْتِلِمَسَان ، وهو من أهل العلم والعدل والإحسان ، فاهتر لمُقَدِّمِهِ ، ولقيه بخاصته وخدمه ، وأكرم مَثْبُوه ، وجعله صاحب تَجْوَاه ، ثم أدرك السلطان الحِمَام ، وكُسِفَ بدره وقت التمام ، فرجع لسان الدين إلى فاس ، واستشق بها أَطْيَبَ الأنفاس ، وكثرت بعد ذلك الأحوال ، وتغيرت بسببه بين رؤساء العُدُوَّة والأندلس الأحوال ، فما نجا من مكر العدا ولا سلم ، وآل أمره من الاختيال وما نَقَعَ الاختيالُ إلى ما علم ، على يَدِ بعض أعدائه ، الذين كانوا يتربصون الدوائر لإردائه ، فأصبح كَأَمْسِ الذاهب ، وصارت أمواله وضياعه عُرْضَةً للنهاب ، وغَصَّ بذلك من كان من أُوْدَائِهِ ، وأخذ الله ثاره ، من بعض من حرك عليه المكر وأثاره ، وتسبب في هلاكه ، حتى انتثرت جواهر أسلاكه ، ومات بدائه . فالعيون إلى هذا الوقت على لسان الدين باكية ، ونفوسُ

.....

١ ك : يدي .

الأكابر وغيرهم مما فعل به شاكية ، والألسنة والأقلام لمقاماته في الإسلام حاكية .

فمن كان بهذه السمات وأكثر منها موصوفاً ، لا يتقدر مثلي على التعبير التعبير عنه ويتخشى أن تكون فكرته كخرقاء نقضت قطناً أو صوفاً .

* * *

[اعتزام المقرئ [جابه ابن شاهين إلى مطلبه]

ثم إنني لما تكررت عليّ في هذا الغرض الإلحاح ، ولم تُقبلْ أعذارني التي زتدُّها شحاح ، عزمتُ على الإجابة لما للمذكور عليّ من الحقوق ، وكيف أقابل برة حفظه الله بالعقوق ، وهو الذي يروي من أحاديث الفضل الحسان والصباح ، فوعده بالشروع في المطلب عند الوصول إلى القاهرة المعزية ، وأزمت السير عن دمشق المعروفة المتزينة ، وألبسني السفر منها من الخلع زينه ، ورحلنا عن تلك الأرجاء المتألقة ، والقلوب بها وبمن فيها متعلقة :

حللنا دياراً للغرام سرت بها	لآتيننا صبا نجد بطيب نسيم
وبان ردى الأشجان لما تجاذبت	أكف المني فيها رداء نعيم
فما أنشبتنا العيس أن قد قفت بنا	إلى فرقة والعهد غير قديم
فإن نك ودعنا الديار وأهلها	فما عهد نجد عندنا بدميم

* * *

[وداع الشام]

فخرج معنا - أسماء الله - مع جملة من الأعيان إلى دَارِيَا ، المضاهية
لدارينَ في رِيَاها وحَبْدَا رِيَا ، فألفيناها ^١ :

رِيَا من الأنداء طَيِّبَةً لها القَدَرُ الجَلِيلُ
تُهْدِي لَنَا أَرْجَاؤَهَا أَرْجَا من الزَّهْرِ البَلِيلُ
وبها الغُصُونُ تَمَايَلَتْ مَيَّلَ الخَلِيلِ على الخَلِيلِ

ووصلنا عند الظهيرة ، وسَرَّحْنَا العُيُونَ في بلدانها ^٢ الشهيرة :

مَنْزِلٌ كالرَّبِيعِ حَلَّتْ عليه حَالِيَاتُ السَّحَابِ عَقْدَ النِّطَاقِ
يُمَتِّعُ العَيْنَ من طَرَائِقِ حُسْنٍ تَتَجَافَى بها عن الإِطْرَاقِ
وَقَلْنَا بها ، لما نزلنا يَجْنَابُهَا ^٣ :

وَبَيْتُنَا والسرورُ لَنَا نَدِيمٌ وماءُ عُيُونِهِ الصَّافِي مُدَامٌ
يُسَايِرُهُ النَّسِيمُ إِذَا تَغَنَّتْ حَمَائِمُهُ وَيَسْقِيهِ الْغَمَامُ
فِيَا لَكَ من لَيْلَةٍ أُرْبَتَ في طيبِ النِّفْحِ ، على لَيْلَةِ الشَّرِيفِ الرُّضِيِّ بالسَّفْحِ ^٤ :
وَنَحْنُ في رَوْضَةٍ مَقْوُوفَةٍ قَدْ وُشِّيتْ بِالْغَمَائِمِ الْوُكُوفِ .
نُغْنِي على زَهْرَهَا فَيُوقِفُنَا وَهْنًا هَدِيرُ الحَمَائِمِ الْمُتَشَفِّفِ

١ ق : فألفيناها .

٢ ك : محاسنها .

٣ ق ك : يجانباها .

٤ يشير إلى قول الشريف الرضي :

يا ليلة السفح ألا عدت ثانية سقى زمانك هطال من الديم

ودَوَّحُهَا من نَدَاهُ في وَشْجٍ ومن لآلي الأزهار في شُئْفِ
والغُصْنُ من فوقه حَمَامته كأنَّهَا هَمَزَةٌ على أَلِفِ

وما أقرب قول الوزير ابن عمار ، من وصف ذلك المضمار ، الجامع للأقمار^١ :

يا لَيْلَةً بَيْتَنَا بها في ظلِّ أكناف النعيمِ
من فوق أكمَامِ الرِّيا ضِ وتحت أذيال التَّسِيمِ

وناهيلك بِمَحَلِّ قَرْبٍ من دمشق الغراء ، فخلعت عليه حُلل الحُبُورِ
والسَّراءِ ، وأمدَّته بِضِيائِهَا ، وأودعته بِرَقِّ حَيَاها وماء حَيائِهَا ، فصار ناضراً
الدَّوَّحاتِ ، عاطر الغندَوات والروَّحاتِ ، مونيَقَ الأنفاس والنفحاتِ ، مُشْرِقِ
الأسيرة والصفحاتِ ، هذا والقلوب من الفراق في قَلَقٍ ، ولسانُ الحال ينشد :

وبني عَلاقَةُ وَجَدٍ لَيْسَ بِعَلَمِهَا إلاَّ الذي خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ

ويبحث على انتهاء فرصة اللقاء إذ هي غنيمة ، ويذكر بقول من قال وأكفُّ
الدهر موقظة ومُنِيمة^٢ :

تَمَتَّعَ بِالرُّقَادِ على شِمَالٍ فَسَوَّفَ يَطُولُ نَوْمُكَ بِالْيَمِينِ
وَمَتَّعَ من يُحِبُّكَ بِاجْتِمَاعٍ فَأَنْتَ من الفراقِ على يَقِينِ

ثمَّ حضر بعد تلك الليلة موقف الوداع ، والكلَّ ما بين واجم وباك وداع ،
فتمثلتُ بقول مَنْ قَلْبُهُ لفراق الأحباب في انْصِدادٍ :

وَدَّعَتْهُمْ ودُموعي على الحدود غِزَارُ
فاستكثروا دَمْعَ عَيْني لما استقلُّوا وسارُوا

١ لم يرد البيتان في ديوانه الملحق بدراسة الدكتور خالص .

٢ البيتان من شعر ابن الخياط شاعر صقلية قبل الفتح النورماني (انظر : الشعر الصقلي في المغرب
لابن سعيد) .

وقول آخر :

يا وَحْشَةً من جيرةٍ مُذْ نأوا علُوْ قَدري في الهوى انْحَطَا
حكّتْ دموعي البحرَ من بُعدِهِمْ لما رأتْ منزلَهُمْ شَطَا^١

وحي^٢ لي أن أتمثل في ذلك بقول العزّازي^٣ :

لا تَسَلْني عما جَنّاهُ الفراقُ حَمَلَتْني يَداهُ ما لا يُطاقُ
أبن صَبْرِي أم كيف أملكُ دَمْعِي والمطايا بالظاعنين تُساقُ
قفْ معي نَتَدُبُّ الطَّلُولَ فهذي سُنَّةٌ قبلُ سَنّها العُشاقُ
وأعِدْ لي ذَكَرَ الغُويْرِ فكم ما لَـبِطْني نَسيمُهُ الخفاقُ
في سبيل الغَرّامِ ما فَعَلْتَ بالـ هاشِقِينَ القُدودُ والأحْداقُ
يَوْمَ وَلَّتْ طلائعُ الصَّبْرِ مِنّا ثم شَنّتْ غاراتِها الأَشْواقُ

وبقول غيره :

كُنّا جميعاً والدارُ نَجْمَعُنا مثلَ حُرُوفِ الجَميعِ مُلتَصِقَةً
واليومَ صارَ الوداعُ يَجْعَلُنا مثلَ حُرُوفِ الوداعِ مُفترِقَةً

وقول آخر :

حينَ هَمَّ الحبيبُ بالتوديعِ عَيَّرُونِي أَنّي سَفَحْتُ دُمُوعِي
لم يذوقوا طَعْمَ الفراقِ ولا ما أَحْرَقَتْ لَوْعَةُ الأَسَى من ضلُوعِي

١ في كلمة « شط » تورية فهي تعني الشاطئ، لمائلة البحر ، وهي بمعنى « بعد » .
٢ العزّازي : شهاب الدين أحمد بن عبد الملك أبو العباس (- ٧١٠) كان تاجراً بالقاهرة أديباً
ظريفاً يجمع بين القصيد والموشح ، وله ديوان مخطوط (دار الكتب رقم ٤٧٩ ، ٥٥٩ أدب)
انظر ترجمته في المنهل الصافي ١ : ٣٤٠ وقد اضطرب الاسم في النسخ ففي ق : الاصزازي ، وفي
ط : الفزازي ، وفي ج : أن أتمثل في ذلك المزار .

كَيْفَ لَا أَسْفَحُ الدَّمْعَ عَلَى رَبِّهِ حِ حَوَى خَيْرَ سَاكِنٍ وَجُمُوعِ
هَبَّكَ أَنِّي كَتَمْتُ حَالِي أَتَخْفَى زَفَرَاتُ الْمُتَيَّمِ الْمَصْدُوعِ
إِنَّمَا يُعْرِفُ الْغَرَامُ بِمَنْ لَا حَ عَلَيْهِ الْغَرَامُ بَيْنَ الرَّبُّوعِ

وقول من قال :

أَقُولُ لَهُ عِنْدَ تَوْدِيْعِهِ وَكُلُّ بَعْبَرَتِهِ مُبْلِسُ
لَنَنْ قَعَدَتْ عَنْكَ أَجْسَادُنَا لَقَدْ سَافَرَتْ مَعَكَ الْأَنْفُسُ

وقول الصَّابِي^١ :

وَلَمَّا حَضَرْتُ لَتَوْدِيْعِهِ وَطَرَفُ النَّوَى نَحُونَا أَشْوَسُ
عَكَسْتُ لَهُ بَيْتَ شَعْرِ مَضَى يَلِيْقُ بِهِ الْحَالُ إِذْ يُعْكَسُ
لَنَنْ سَافَرَتْ عَنْكَ أَجْسَادُنَا لَقَدْ قَعَدَتْ مَعَكَ الْأَنْفُسُ

وقول المهذَّبِ بْنِ أَسْعَدِ الْمَوْصِلِيِّ^٢ :

دَعْنِي وَمَا شَاءَ التَّفَرُّقُ وَالْأَسَى وَاقْصِدْ بِلَوْمِكَ مِنْ يَطِيعُكَ أَوْ يَعْصِي
لَا قَلْبَ لِي فَأَعْيِ الْمَلَامَ فَلِئَنِّي أُوْدَعْتُه بِالْأَمْسِ عِنْدَ مُوْدَعِي
هَلْ يَعْلَمُ الْمُتَحَمِّلُونَ لِنُجْعَةٍ أَنَّ الْمَنَازِلَ أَخْصَبَتْ مِنْ أَدْمُعِي
كَمْ غَادَرُوا جِزْءًا وَكَمْ لَوْدَاعِهِمْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْ غَرَامٍ مُوْدَعِ
وَالسَّقْمُ آيَةٌ مَا أُجِينُ مِنَ الْجَوَى وَالْدَمْعُ بَيِّنَةٌ عَلَى مَا أَدْعِي

١ الصَّابِي هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ بْنِ هَارُونَ الْكَاتِبُ الْمُرْسَلُ الْمَشْهُورُ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ . رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ فِي رَغَايَاتِ الْأَعْيَانِ ١ : ٣٤ وَمَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ٢ : ٩٤ وَالْيَتِيمَةِ ٢ : ٢٤٢ .
٢ الْمَهْذَبُ بْنُ أَسْعَدِ الْمَوْصِلِيِّ : أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسْعَدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عِيْسَى ، إِبْنُ الدَّهَّانِ الْمَوْصِلِيِّ ، قَصَدَ مِصْرَ وَمَدَحَ الصَّالِحَ بْنَ رُزَيْكٍ ، ثُمَّ تَوَلَّى التَّدْرِيسَ بِمَحْصٍ . انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْخُرَيْدَةِ - الْقِسْمِ الشَّامِيِّ - ٢ : ٢٧٩ وَمَصَادِرُ أُخْرَى فِي الْحَاشِيَةِ ؛ وَالْأَبْيَاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ أَوْرَدَهَا أَبُو شَامَةَ فِي الرُّوضَتَيْنِ ٢ : ١٦ ، ٢٩ .

وقول الكمال التنوخي :

كم ليلة قد بثها أرعى السها
قضيئتها ما بين نومٍ نافرٍ
لم أنسَ أيامَ السرورِ وطيبها
والروض قد أبدى بدائع نوره
والماء يبدو كالصوارم سارياً
والطير بين مسججٍ ومرجعٍ
جزعاً لفرقتهم بمقلة أرمدٍ
وزفير متهجورٍ وقلب مكمدٍ
بين السدير وبين برقة تهمدٍ
من أزرقٍ ومفضضٍ وموردٍ
فيعده مرّ الصبا كالبردٍ
ومغرّدٍ ومعدّدٍ ومردّدٍ

وقول القاضي بهاء الدين السنجاري ٢ :

أحببت ما لي على بعد المدى - جلدت ومن بعد النوى يتجلد
لله أوقات الوصال ومنظر - نصير وغصن الوصل غص أملد
أنى يطيق أخو الهوى كتمانته - والحد بالدمع المصون مخدد
ما بعد مفترق الركاب نصير - عمن أحب فهل خليل يسعد
يا سعد ساعد بالبكاء أخا هوى - يوم الداع بكى عليه الحسد

وقول ابن الأثير :

لم أنسَ ليلة ودّ عوا صباً وساروا بالحمول
والدمع من فرط الأسى يجري فيعثر بالذيول

وقول الأرجاني ٣ :

- ١ قد ج : بين الصرير ط : بين الصرير .
٢ بهاء الدين أحمد بن يحيى بن موسى السنجاري (- ٦٢٢) فقيه غلب عليه الشعر . (انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ١٩٣) .
٣ الأرجاني : أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الملقب فاضل الدين (- ٥٤٤) ، من شعراء الحريرة ، كان قاضياً بستر وعسكر مكرم ، وقال ابن خلكان : له شعر رائع في نهاية الحسن . =

ولمّا وَقَفْنَا للوداع عَشِيَّةً وطَرَفِي وقلبي هَامِعٌ وَخَمْفُوقُ
بَكَيْتُ فَأُضْحَكْتُ الوُشَاةُ شِمَانَةً كَأَنِّي سَحَابٌ والوُشَاةُ بُرُوقُ

وقول ابن نُبَاتة السَّعْدِي ١ :

ولمّا وَقَفْنَا للوداع عَشِيَّةً وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَامِتٌ وَغِيُورُ
وَقَفْنَا فَمِنْ بَالِكٍ يُكْفِكُفُ دَمْعَهُ وَمَلْتَرَمٍ قَلْبًا يَكَادُ يَطِيرُ

وقول بعضهم :

لَمَّا حَدَا الحَادِي بَتَرَحَالِهِمْ هَبَّجَ أَشْوَاقِي وَأَشْجَانِي
وَرَأَحَ يَثْنِي القَلْبَ عَنْ غَيْرِهِمْ فَهَوَّ لَهُمْ حَادٍ وَلِي ثَانِي

وقول الصَّفْدِي :

لَمَّا اعْتَنَقْنَا لوداع التَّوَى وَكَدْتُ مِنْ حَرِّ الجَوَى أُحْرِقُ
رَأَيْتُ قَلْبِي سَارَ قُدَّامَهُمْ وَأَدْمَعِي تَجْرِي وَلَا تَلْحَقُ

وقوله أيضاً :

تَذَكَّرْتُ عِشًّا مَرَّ حُلُوءًا بِكُمْ فَهَلْ لِأَيَامِنَا تِلْكَ الذَّوَاهِبِ وَاهِبُ ؟
وَمَا انْصَرَفْتُ آمَالُ نَفْسِي لغيركم وَلَا أَنَا عَنْ هَذَا الرِّغَابِ غَائِبُ
سَأَصْبِرُ كَرَاهًا فِي الهَوَى غَيْرَ طَائِعٍ لَعَلَّ زَمَانِي بِالْحَبَائِبِ آيِبُ

= (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ١٣٤ وطبقات السبكي ٤ : ٥١ وشذرات الذهب ٤ : ١٣٧) .

١ هو أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة (٤٠٥ -) من شعراء البيتمة (٢) . ٣٨٠ وانظر له ترجمة في وفيات الأعيان ٢ : ٣٦٢) وهذا البيتان سقطا من ق ط ج .

وقول ابن نباتة المصري^١

في كَنَفِ الله وفي حِفْظِهِ مَسْرَاكَ والعَوْدُ بعزمٍ صريحٍ .
لو جازَ أن تسلكَ أجناتنا كُنَّا فرشنا كلَّ جَفْنٍ قريحٍ
لكنها بالبُعْدِ مُعْتَلَّةٌ وأنتَ لا تسلكُ إلا الصحيحَ

وقول الحافظ أبي الحسن علي بن الفضل^٢ :

عجبتُ لنفسي بَعْدَهُم ما بقاؤها ولم أحظْ من لُقْيَاهُمْ بِمُرَادِي
لعمركَ ما فارقَتْهُمْ مُنْذُودٌ عوا ولكنما فارقتُ طيبَ رقادِي
وقد مَنَعُوا مِنِّي زيارةَ طيِّفِهِمْ وكيف يزورُ الطيفُ حلفَ سُهَادِي؟
وأعجب ما في الأمرِ شوقي إليهمُ وهُمُ في سوادِي^٣ ناظري وفؤادي

وقوله رحمه الله تعالى :

رعى الله أيامَ المقامِ برَوْضَةٍ تروحُ عَلَيْنَا بالسُرورِ وتَغْتَدِي
كَأَنَّ الشَّقِيقَ الغَضَّ بينَ بَطَاحِيهَا نَجْمٌ عَقِيقٍ في سماءِ زَبَرْجَدِي

وقول القاضي الرشيد الأسواني^٤ :

... ..

١ ابن نباتة المصري : محمد بن محمد بن محمد ، أبو بكر جمال الدين (- ٧٦٨) شاعر متوكل ،
وله شرح مفيد على رسالة ابن زيدون الهذلية (ترجمته في الدرر ٤ : ٢١٦ والنجوم الزاهرة
١١ : ٩٥ وطيقات الشافعية ٦ : ٣١) ، وديوانه مطبوع . ولفظة « المصري » لم ترد إلا في له .
٢ أبو الحسن علي بن الفضل (- ٦٢٧) فقيه شاعر أندلسي من معاصري ابن سعيد ، وكان أهله
أحياناً أوريوليه ، وهو من أصحاب التوشيح . (انظر اختصار القديح : ١٠٨ والمغرب ٢ :
٢٨٦) . وفي ط ج : ابن الفضل .

٣ ق : سويدا .

٤ القاضي الرشيد الأسواني : أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير ، كان عالماً شاعراً حاول أن يدمج -

رَحَلُوا فَلَا خَلَّتِ الْمَنَازِلُ مِنْهُمْ وَنَآوَا فَلَا سَلَّتِ الْجَوَانِحُ عَنْهُمْ
وسرّوا وقد كتموا الغداة مسيرهم وضياء نور الشمس ما لا يكتم
وتبدّلوا أرض العقيق عن الحمى رَوَّتْ جَفُونِي أَيَّ أَرْضٍ يَتَمَمُّوا
نزلوا العذب ثبّ وإنّما هو مهجتي رَحَلُوا وَفِي قَلْبِ الْمُتَيْمِ خِيَمُوا
ما ضرّهم لو ودّعوا من أودّعوا نَارَ الْغَرَامِ وَسَلِمُوا مِنْ أَسْلَمُوا
هم في الحشا إن أعرقوا أو أئمنوا أَوْ أَشَامُوا أَوْ أَنْجَدُوا أَوْ أَتَهَمُوا

وقول الشاعر أبي طاهر الأصفهاني ، المعروف بالوثابي ^١ :

أشاعوا فقالوا وقفه ووداع وَزُمْتُ مَطَايَا لِلرَّحِيلِ مِرَاعُ
فقلت وداع لا أطيع عيانه كَفَانِي مِنَ الْبَيْنِ الْمُشِيتِ سَمَاعُ
ولم يملك الكتمان قلب ملكته وَعِنْدَ النَّوَى سِرُّ الْكُتُومِ مُدَاعُ

وقول أبي المجد قاضي ماردین :

رعى الله ربعا أنتم فيه أهله وَجَادَ عَلَيْهِ هَاطِلٌ وَهْتُونُ
ولا زال مخضرا الجوانب مترعا حَيَاضٌ وَفِيهِ لِلنَّعِيمِ فُنُونُ
لئن قدر الله اللقاء وأينعت غَصُونُ التَّدَانِي فَاَلْبَعَادُ يَهُونُ
وإن حكمت أيدي الزمان بعسرة فَكَمْ قُضِيَتْ لِلْمَعْسَرِينَ دِيُونُ

وقول آخر :

= لنفسه باليمن ثم قتل سنة ٥٦٣ . (ترجمته في الخريدة - قنم مصر - ١ : ٢٠٠ ووفيات الأعيان رقم ٦٤ والطالع السعيد : ٥٢ ومعجم الأدباء ٤ : ٥١ وترجم له الصفي في الوافي) والأبيات من قصيدة وردت في معجم الأدباء ٤ : ٦٢ - ٦٣ .
١ هو إسماعيل بن محمد بن أحمد الوثابي الأصفهاني الأديب ، له شعر حسن ونظم رائع ، روى عن أبي عمرو بن منلة وغيره وتوفي سنة ٥٣٢ (الباب ٣ : ٢٦٢) وفي ج : المعروف بالوشاء ، وفي ك : بالوثابي .

غيم فما لي في التصبر مطمَعٌ عَظُمَ الجوى واشتدَّتِ الأشواقُ
لا الدارُ بعدكمُ كما سكَّنتُ ولا ذاك البهائمُ بها ولا الإشراقُ
أشتاقكم ، وكذا المحبُّ إذا نأى عنهُ أحبةٌ قلبه يشناقُ

وقول أبي الحسن الهمداني ١ :

وَيَوْمَ تَوَلَّيْتُ الْأَطْعَانُ عَنَّا وَقَوَّضَ حَاضِرٌ وَأَرَنَّ بَادِي
مَدَدْتُ إِلَى الْوَدَاعِ يَدًا وَأُخْرَى حَبَسْتُ بِهَا الْحَيَاةَ عَلَى فُؤَادِي

وقول ابن الصائغ ٢ :

فَدَاوَدَعُوا الْقُلُوبَ مَا وَدَّعُوا حُرْقًا فَظَلَّ فِي اللَّيْلِ مِثْلَ النِّجْمِ حَيْرَانَا
رَاوَدَتْهُ يَسْتَعِيرُ الصَّبْرَ بَعْدَهُمْ فَقَالَ : إِنِّي اسْتَعَرْتُ الْيَوْمَ نِيرَانَا

وقول الصلبر بن الأدمي مكثياً ٣ :

يَتَوَمَّ تَوْدِيعِي لِأَحِبَائِي غَدًا ذَكَرْتُ مَيَّ شَاغِلِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
فَرَنْتُ نَحْوِي وَقَالَتْ : يَا تَرَى أَنْتَ حَيٌّ فِي هَوَانَا ؟ قُلْتَ : مَيَّ

وقول غيره :

وَلِي فُؤَادٌ مَذْنَأَى شَخْصُهُمْ ظَلَّ كَثِيئًا مُدْنَعًا مَوْجَعًا
وَمُقَلَّةٌ مَهْمَا تَذَكَّرْتُهُمْ تَذَرِفُ دَمْعًا أَرْبَعًا أَرْبَعًا

١ ك : الهمداني .

٢ ينصرف الاسم إل غير واحد ، وأظن المعنى هنا هو محمد بن حسن الجلادي (حواله ٧٢٢) وهو

شاعر مؤلف توفي بدمشق . (انظر الدرر الكاتبة ٣ : ٤١٩ والفوات ٢ : ٣٨٠ والوفاء ٢ : ٣٦١)

٣ صدر الدين علي بن محمد بن محمد أبو الحسن الأدمي (- ٨١٦) شاعر مترسل ، كان قاضياً

بدمشق (الضوء اللامع ٥ : ٣٢٨) .

٤ مي : ميت ، وهذا هو الاكتفاء ببعض الكلمة ؛ وفي ج : فدنت .

وليس لي من حيلة كلِّما بلحَّتْ بيَ الأشواقُ إلا الدُّعا
أَسألُ من أَلَفَ ما بَيَّنَّنا وقَدَّرَ الفُرقةَ أن يجمعا

وقول الرُّعَيْتِي الغرناطي :

محاسنُ رُبَّعٍ قد مَحاهنٌ ما جرى من الدمعِ لَمَّا قِيلَ قد رَحَلَ الرُّكْبُ
تَناقُضَ حالي مَذْ شَجاني فراقُهُمْ فَمِنْ أَضْلَعِي نارٌ ومن أَدْمَعِي سَكْبُ
وفي معناه قوله أيضاً^١ :

وقائلة : ما هذه الدُّرُورُ التي تُساقِطُها عَيْنُكَ سِمَاطَيْنِ سَمَطَيْنِ
فقلت لها : هذا الذي قد حَشَا به أَبُو مُضَرٍّ أَذُنِي تُساقِطُ من عيني

وقول الزُّخْشَرِي :

لَمْ يُبْكَني إِلَّا حَدِيثُ فراقِهِمْ لَمَّا أَسْرَّ به إِلَيَّ مُودَّعِي
هو ذلك الدُّرُّ الذي أودَعْتُمْ في مَسْمَعِي أجريتهُ من مَدْمَعِي

وقول الزُّغَارِي :

قد بَعَثْتُهُمْ قَلْبِي يَوْمَ بَيَّنَّهِمْ بنظرةِ التوديعِ وهو يَحترقُ
ولَمْ أَجِدْ من بعدها لِرَدِّهِ وَجْهًا وكان الرَدُّ لو لم يَفترقُ

وقول بعض الأندلسيين :

سارُوا فودَّعَهُمْ طَرَفِي وأودَّعَهُمْ قلبي فما بَعُدُوا عني ولا قَرَّبُوا
همُ الشُّموسُ ففِي عَيْتِي إذا طَلَعُوا في القادمين وفي قلبي إذا غَرَبُوا

١ هذا عكس ما أورده ابن خلكان (٤ : ٢٥٨) ، فهذان البيتان نسبهما لزخشري ، ونسب البيتين
بعضهما للقاضي الأرجاني . وقد سقط البيتان الأولان من ط ج ق .

وقلت أنا مضمناً بديهة :

لا كان يومُ فراقٍ ساق الشجونَ إلينا
فكمْ أذلَّ نفوساً يا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا^١

وقلت أيضاً مضمناً :

سلا أحبته مَنْ لم يَدُبْ كدّاً يوم الوداع وإن أجرى الدموعَ دماً
يا مَنْ يعزُّ علينا أن نَفَارِقَهُمْ^٢ من بُعدٍ كم هُدَّ ركنُ الصبرِ وانهدما
وإن نأى الجِسمَ كرهاً عن منازلكم^٣ فالقلبُ ثاوبها لم يصحبِ القَدَمَا
وما نسينا عهداً للهوى كَرُمْتُ نَعَمْ قَرَعْنَا عليها سِنْنَا نَدَمَا
وأظلمت بالنوى أرجاء مقصدينا وصار وجدانُ ألفٍ غيركم عدَمَا^٤

وقلت أيضاً مضمناً :

لم أنسَ بالشام أنساً شِمتُ بآرقه^٥ جادت معاهدةُ أنواءِ نيسانٍ
لهفي لعيشٍ قضينا في مشاهدنا ما بينَ حُسْنٍ من الدنيا وإحسانٍ

وقلت كذلك :

يا جيرةً بانُوا وأبقوا حسرةً^٦ تجري دموعي بعدهم وفقَّ القضا
كم قلتُ إذ ودَّ عَثُّهُمْ والأنسُ لا يُنسى وعَهْدُ ودادِهِم لن يُرْفُضا
يا متوقِّفَ التوديع إنَّ مداامي فُضَّتْ وفاضتُ في ثرى ذاك القضا

وكم^٧ تفاعلتُ بقول الأول ، مع علمي بأن على الله المعول :

١ ضمن قول المتنبي :

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

٢ ج : وقد ؛ وتكررت « وكم » في ط .

إذا رأيتَ الوداعَ فاصبرْ ولا يَهْمُكَ البعادُ
وانتظرِ العودَ عن قريبٍ فإنَّ قلبَ الوداعِ عادُوا

وضاقت بي الرحاب ، حين^١ مفارقة أعيان الصحاب^٢ ، وكاثرت دموعي
من بينهم السحاب ، وزَّدد التذكر يقدح الأسف فيهبج الانتحاب ، وقد
تمثلنا إذ ذاك والجوانح من الجوى في التهاب ، وذخائر الصبر ذات انتهاب ،
بقول بعض من مَرَّق البعدُ منه الإهاب^٣ :

ولما نزلنا منزلاً طَلَّ الندى أنيقاً وبُستاناً من النورِ حالياً
أجدُّ لنا طيبُ المكانِ وحُسْنُهُ مُنَى فتمنَّينا فكانوا الأمانياً
وقد طُفَّتْ في شرقِ البلادِ وغربِها وبَسِيرَتْ خيلي بينها وركابياً
فلم أرَ مِنها مثلَ بغدادَ منزلاً ولم أرَ فيها مثلَ دجلةَ وادياً
ولا مثلَ أهلِها أرقَّ شَمائلاً وأعذبَ ألفاظاً وأحلى معانياً

ويقول من تأسَّف على مغاني النداني ، وهو أبو الحجاج الأندلسي الداني^٤ :

أبى الله إلا أن أفارق منزلاً يطالعي وجهُ المنى فيه سافراً
كانَّ على الأيامِ حين غَشِيَتْهُ يمينا فلم أحلِّه إلا مسافراً

.....

١ ك : عند .

٢ ك : أعيان الأحباب والصحاب .

٣ البيتان الأولان من هذه المقطوعة في حماسة أبي تمام لأبي بكر بن عبد الرحمن الزهري (أو عبد الرحمن الزهري كما عند المرزوقي : ١٣٢٢) ويبدو أن المقرئ قد خلطهما بأبيات لشاعر آخر . وقد سقط الأول منها من ق ج ط .

٤ أبو الحجاج يوسف بن عبد الله بن أيوب الفهري من أهل دانية ، سكن بلنسية وولي بها الأحكام وتوفي سنة (٥٩٢) ؛ وترجمته والبيتان في المقتضب من تحفة القادِم : ٧٨ .

٥ المقتضب : فما أغشاه .

ونحنيلنا أن إقامتنا بدمشق وقاما الله كل صَرْف ، ما كانت إلا خَطْرة
طيف مُلَمَّ أو بلحة طَرْف :

وَقَفْنَا سَاعَةً ثُمَّ ارْتَحَلْنَا وما يُغْنِي المشوقَ وقوفُ ساعه ؟
كَانَ الشَّمْلَ لم يكُ في اجتماعٍ إذا ما شَتَّتَ البينُ اجتماعه

وطالما عللت النفس بالعود إليها ثم إلى بقاعي ، منشداً قولَ الأديب الشهير بـابن
الفقاعي^١ :

مَتَى عَابَنْتَ عَيْنَايَ أَعْلَامَ حَاجِرٍ جَعَلْتُ مَوَاطِي الْعَيْسِ فَوْقَ مَحَاجِرِي
وإن لَاحَ من أَرْضِ الْعَوَاصِمِ بَارِقٌ رَجَعْتُ بِأَحْشَاءِ صَوَادٍ صَوَادِرِ
سَقَى اللَّهُ هَاتِيكَ الْمَوَاطِينَ وَالرُّبَى مَوَاطِرَ أَجْفَانٍ هَوَامٍ هَوَامِرِ
وَحَيًّا الْحَيَا من سَاكِنِي الْحَيِّ أَوْجُهَا سَقَرْنَ بِأَنْوَارِ زَوَاهٍ زَوَاهِرِ
بِحَيْثُ زَمَانُ الْوَصْلِ غَضُّ وَرَوْضُهُ أَرِيضُ بِأَزْهَارِ بَوَاهٍ بَوَاهِرِ
وَحَيْثُ جَفُونُ الْحَاسِدِينَ غَضِيضُهُ رَمَقْنِ بِأَمَاقٍ سَوَاهٍ سَوَاهِرِ

ثمَّ حاولت خاطري الكليل ، فيما يشفي بعض الغليل ، فقال على طريق
التضمين ، وقد غلب عليه الشوق والتخمين :

بِأَيِّ مَنْ أَوْدَعُوا مَذْ وَدَّعُوا قَلْبِي الشَّوْقَ وَلِلْعَيْسِ ذَمِيلُ
جِيرَةٌ غُرٌّ كِرَامٌ خَيْرَةٌ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُمْ يُبْدُو جَمِيلُ
وَعَلَى الْجُمْلَةِ مَا لِي غَيْرُهُمْ لَوْ أَرَادُوا أَنْ يَمْلُوا أَوْ يَمْلُوا

ثمَّ قلت وقد سدد التناهي إليَّ نَبْلَهُ ، موطناً للبيت الثالث كما في الأبيات قبله :

١ هو محمد بن غازي الموصل (٦٢٩ -) شاعر دمشقي ينسب إلى الفقاع وهو نوع من الشراب
(انظر الدارس ٢ : ٨٥ والروائي ٤ : ٢٠٦) .

يا دَمَشَقُ حَيَّاكَ غَيْثُ غَزِيرُ ووقاكِ الإلهُ ممّا يَضِيرُ
حُسْنُكَ الْفَرْدُ وَالْبِدَائِعُ جَمْعُ مَتْنَاهُ فِيهِ فَعَزَّ النَّظِيرُ
أَيْنَ أَيَّامُنَا بِظِلِّكَ وَالشَّمْسُ لِيُجْمِعَ، وَالْعَيْشُ غَضُّ نَضِيرُ

ثم أكَثَرَتِ الْاَلْتِفَاتُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ ، وَقَدْ شَبِهَتْ الْبَيْدَاءُ وَالشُّوقُ
بِبَدَلِ الْكُلِّ وَالْاَشْتِمَالِ ، وَتَنَسَّمْتُ مِنْ نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْجَاءِ أَرْيَجَ الشَّمَالِ ،
وَضَمَنْتُ فِي الْمَعْنَى قَوْلَ بَعْضٍ مِنْ ثَنَى الْحُبِّ عِطْفُهُ وَأَمَالَ :

تَنَسَّمْتُ أَرْوَاحاً سَرَتْ مِنْ دِيَارٍ مِنْ بِهِمْ كَانَ جَمْعُ الشَّمَلِ لِمَحَّةٍ حَالِمٍ
وَجَاوَيْتُ مَنْ يُلْحِي عَلَى ذَاكَ جَاهِلًا بِقَوْلٍ لَيْسَ بِالْعَوَاقِبِ عَالِمٍ
وَمَا أَنْشَقُ الْأَرْوَاحَ إِلَّا لِأَنَّهُمَا تَمَرُّ عَلَى تِلْكَ الرَّبَى وَالْمَعَالِمِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْآخِرِ :

سَرَتْ مِنْ نَوَاحِي الشَّامِ لِي نَسْمَةُ الصَّبَا وَقَدْ أَصْبَحْتُ حَسْرَى مِنَ السَّيْرِ ظَالِمَةً^١
وَمَنْ عَرَّقَ مَبْلُوءَةَ الْخَيْبِ بِالنَّدَى وَمَنْ تَعَبَ أَنْفَاسُهَا مُتَابِعَةً
وَقُلْتُ أَنَا :

حَدَّثْتُ وَحَقَّ اللَّهُ لِلشَّامِ رَحْلَةً أَتَاخْتُ لَعَيْنِي اجْتِلَاءَ مُحَيَّاهُ^٢
وَبَعْدَ التَّنَائِي صَرْتُ أَرْتَاحُ لِلصَّبَا لِأَنَّ الصَّبَا تَسْرِي بِعَاطِرِ رِيَّاهُ
فَلِلَّهِ عَهْدٌ قَدْ أَتَاخَ بِجِلْقِي سُرُوراً فَحَيَّاهَا^٢ الْإِلَهَ وَحَيَّاهُ

وَاسْتَحْضَرْتُ عِنْدَ جَدِّ السَّيْرِ ، قَوْلَ صَفْوَانَ بْنِ إِدْرِيسَ الْمُرْسِيِّ ذَكَرَهُ اللَّهُ
تَعَالَى بِالْخَيْرِ :

١ ق ط : هالمة .

٢ ك : فحياه .

أَيْنَ أَيْامُنَا اللّوَاتِي تَقَصَّضَتْ إِذْ زَجَرْنَا لِلْوَصْلِ أَيْمَنَ طَيْرٍ
ثُمَّ قَوْلٌ غَيْرُهُ مِمَّنْ حَنَّ وَأَنَّ ، وَقَلْبٌ قَلْبُهُ وَمَا اطمأنَّ :

أَحِينَ إِلَى مَشَاهِدِ أَنْسٍ إِلْقِي وَعَهْدِي مِنْ زِيَارَتِهِ قَرِيبُ
وَكُنْتُ أَظُنُّ قَرَبَ الْعَهْدِ يُطْفِئُ لَهيبَ الشَّوْقِ فَازْدَادَ اللَّهيبُ

وربما تجلّدت مغالطاً ، متمللاً بقول من كان لإلفه مغالطاً :
حَضَرْتُ فَكُنْتُ فِي بَصَرِي مُقِيمًا وَغَيْبْتُ فَكُنْتُ فِي وَسْطِ الْفُؤَادِ
وَمَا شَطَّتْ بِنَا دَارٌ وَلَكِنْ نُقِلْتُ مِنَ السَّوَادِ إِلَى السَّوَادِ
وقول غيره :

وَكِنْ كَمَا شِئْتُ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعْدٍ فَالْقَلْبُ يَرَعَاكَ إِنْ لَمْ يَرَعْكَ الْبَصَرُ
وبقول الوداعي :

يَا عَاذِلِي فِي وَحْدَتِي بَعْدَهُمْ وَأَنْ رَبَّنِي مَا بِهِ مِنْ جَلِيسٍ
وَكَيْفَ يَشْكُو وَحْدَةً مَنْ لَهُ دَمْعٌ حَنِيمٌ وَأَيْنُ أَنْسٍ
ثُمَّ رَدَدْتُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ ، بقول بعض من لم يُبْلِغْهُ السُّلُوكُ رِيقَهُ :

لَا رَغَى اللَّهُ عَزَمَةً ضَمَنْتَ لِي . سَكْوَةَ الْقَلْبِ وَالتَّصَبُّرَ عَنْهُمْ
مَا وَقَّتْ غَيْرَ سَاعَةٍ ثُمَّ عَادَتْ مِثْلَ قَلْبِي تَقُولُ لَا بُدَّ مِنْهُمْ

وبقول ابن آجروم^١ ، في مثل هذا الغرض المَرُوم :

يَا غَائِبًا كَانَ أَنْسِي رَهْنًا طَلَعَتْهُ كَيْفَ اصْطَبَارِي وَقَدْ كَابَدْتُ بَيْنَهُمَا

١ المشهور بهذا الاسم هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (- ٧٢٣) وهو نحوي وله في النحو مؤلف سمي «الاجرومية» . (بنية الوعاة : ١٠٢) .

دعواي أُنك في قلبي يُعارضها شوقي إليك ، فكيف أجمع بينهما
ثم جدت بي السير إلى مصر واستمر ، فنذكرت قول الصفدي وقد اشتد
بالرمل الحر :

أقولُ وَحَرَ الرملِ قد زاد وَقْدُهُ وما لي إلى شَمِّ النسيم سَبِيلُ
أظُنُّ نسيمَ الجوّ قد ماتَ وانقَضَى فَعَهْدِي به في الشام وهو عَلِيلُ
وقول ابن الخياط^١ :

قَصَدْتُ مِصرًا من رَبِّي جِلَّتْ بهمةٌ تَجْرِي بِتَجْرِي
فلم أَرَ الطُّرَّةَ حَتَّى جَرَّتْ دموعُ عيني بِالْمَرْزَبِ^٢
وحين وصلت مصر لم أنس عهدَ الشام المرعي ، وأنشدت قولَ الشهاب
الحنبلي الزرعي^٣ :

أَحْبَبْنَا وَاللهَ مَذْغِبُ عَنْكُمْ سُهادي سَمِيرِي والمدافعُ مِدْرَارُ
ووالله ما اخْتَرْتُ الفراقَ ، وإنه برغمي ، ولي في ذلك الأمرُ أَعْدَارُ
إذا شامَ بَرَقَ الشام طَرَفِي تتابعتْ سحابُ جَفَتِي والفؤادُ به نَارُ
ألا ليت شعري هل يعودُنَّ شملُنَا جميعاً ونحوينا رُبوعٌ وأقطارُ ؟

١ سيورد المؤلف هذين البيتين في الباب الخامس عند الحديث عن دمشق وما قيل فيها من شعر ، وقد بين هناك أنهما لمحمد بن يوسف بن عبد الله الخياط معاصر الصفدي (توفي سنة ٧٥٦) ، وهو الملقب بالصفدع ، ووصفه الصفدي بأنه كان طويل النفس في الشعر ، وكان أميل إلى الهجاء .
(انظر الدرر الكامنة ٤ : ٣٠٠ والبدر الطالع ٢ : ٢٨٦) .

٢ ط ق : بالمزريب .

٣ لعل المعنى هنا شهاب الدين أحمد بن هلال الزرعي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٩ (ذيل ابن رجب ٢ : ٤٧١) .

وقول ابن عَنِين ١ :

دمشقُ بنا شوقٌ لـإليكِ مُبرَّحٌ وإن لجَّ واشٍ أو ألحَّ عدُولُ
بلادُ بها الحَصْبَاءُ دُرٌّ ، وتُربُّها عَبيْرٌ ، وأنفاسُ الرياحِ شمولُ
تسكُّلُ منها ماؤُها وهو مطلقٌ وصَحَّ نسيمُ الروضِ وهو عليلُ

وقول آخر :

نَفْسِي الفِدَاءُ لَأُنْسٍ كُنْتُ أَعْهَدُهُ وطيبِ عيشٍ تَقْضَى كُلُّهُ كَرَمُ
وجيرةٍ كان لي لَأَفٍّ بَوَصْلِهِمْ والأَمْنُ أَفْضَلُ ما بِالْوَصْلِ يُغْنِمُ
بالشامِ خَلَفْتُهُمْ ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى سِوَاهُمْ فَأَعْتَرَانِي بَعْدَهُمْ أَلَمُ
كانوا نعيمَ فؤادي والحياةَ لَهُ والآنُ كُلُّ وجودٍ بعدهم عَدَمُ

فلن أنشد لسان الحال ، فيما اقتضاه معنى البعد عنها والارتحال :

يا غائِباً قد كنتُ أَحْسَبُ قَلْبِي بِسِوَى دِمَشْقٍ وَأَهْلِهَا لَا يَعْلَقُ
إن كان صَدِّكَ نَيْلٌ مَصْرٍ عَنْهُمْ لَا يَجْرَوُ فَهُوَ لَنَا الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ

أُتِيتُ فِي جَوَابِهِ ، بقول بعض من بَرَّحَ الجوى به :

لله دهرٌ جَمَعَنَا شَتْلَ لَذَّةٍ بالشامِ أَعْدَبَ مِنْ أَمْنٍ عَلَى فَرَقٍ
مَرَّتْ لِيَالِيهِ وَالْأَيَّامُ فِي خُلْسٍ كَأَنَّمَا سَكَبَتْهُ كَفٌّ مَسْرِقٍ
ما كانَ أَحْسَنَهَا لَوْلَا تَنَقُّلُهَا مِنَ النِّعَمِ إِلَى ذَاكَ مِنَ الْحَرْقِ
رَقَّ الْعَذُولُ لِحَالِي بَعْدَهَا وَرَقَّتْ لِي فِي الْجَوَى وَالنَّوَى وَالشَّجْوِ وَالْأَرْقِ

١ ابن عَنِين : أبو المحاسن محمد بن نصر الدين الأنصاري الملقب شرف الدين (- ٦٣٠) كوفي الأصل ، دمشقي المولد ، شاعر مجيد هجاء تفاه السلطان صلاح الدين من دمشق بسبب وقوعه في الناس فتنتقل في البلاد وبلغ الهند ؛ نشر ديوانه بتحقيق الأستاذ خليل مردم (دمشق : ١٩٤٦) .

وبالجملة فتلک الأيام من مواسم العمر محسوبة ، والسعود إلى طوالها منسوبة :

وكانت في ديمشق لنا ليالٍ سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالي وعنوان المسرة والأمان

وهي مغاني التهانني التي ما نسيناها ، وأمان زماني التي نعمت بطور سينها ،
عليها وعلى وطني مقصورة ، والقلب في المعنى مقيم بهما وإن كان في غيرهما
بالصورة ، والأشواق إليهما قضايها موجهة وإن كانت غير محصورة :

ولله عهد قد تقضى فإن يعد
بقلي من ذكره ما ليس ينقضي
إذا مسحت كفتي الدموع تستراً
فإن جمعت شملي الليالي بقربهم
على أنها الأيام جيد مراحها
فإنني عن الأيام أعفو وأصفح
ومن برحاء الشوق ما ليس يبرح
بدت زفرة بين الجوانح تقدح
تجمع غيلان ومي وصيدح
ورب مجد في الأذى وهو يمزح

وكثيراً ما يلهج اللسان بقول من قال :

وما تفضل الأوقات أخرى لذاتها
ولكن أوقات الحسان حسان
ويردد قول من شوقه متجدد :

سقى معهد الأحباب نافع صيب
من المزن عن مغناه ليس يريم
وإن لم أكن من ساكنيه فإنه
يحل به خيل علي كريم
وينشد من يلوم ، قول من في حشاه وله وفي قلبه كلوم :

قد أصبح آخر الهوى أوله
فالعاذل في هواك ما لي وله
بالله عليك خل ما أوله
وارحم ديفاً لدى حشاه وله

* * *

١ ن ط ج : نافع .

[شروع في التصنيف بمصر]

وقد امتدّ بنا الكلام ، وربما يجعله اللاحي ذريعة لزيادة الملام ، فلنرجع إلى ما كنا بصددّه ، من إجابة المولى الشاهيني ، أمدّه الله سبحانه بمدّده ، فأقول ، مستمدّاً من واهب العقول :

لأنّني شرعت بعد الاستقرار بمصر في المطلوب ، وكتبْتُ منه نبذة تستحسنها من المحبين الأسماع والقلوب ، وسلكت في ترتيبه أحسن أسلوب ، وعرضت في سؤقه كلّ نفيس غريب من الغزب إلى الشرق مجلوب ، تستحسن الأبصار ما عليه احتوى ، وتعرف الأفكار أنّه غير مُجتنوى ، ثم وقفت في مركب العزم عن التمام واستوى ، فأخّرتّه تأخير الغريم ، لدين الكريم ، وصدّقتني أعراض ، عن تكميل ما يشتمل عليه من أغراض ، وأضربْتُ برهة عمّاً له من منّحي ، لاختلاف أحوال الدهر نفعاً ودفعاً ومنعاً ومنحاً ، ومركّبتُ عن هدف الإصابة نبال ، وطرقت في سُدْف ليالي الكتابة أمور لم تكن تخطر ببال .

• • •

[رسالة من ابن شاهين محدّثه على المضي في التأليف]

فجاءتني من المولى المذكور آنفاً ، رسالة دَلَّتْ على أنّه لم يكن عن انتهاز الوعد متجانفاً ، فعُدْتُ لقضاء الوَطَر مستقبلاً وللجملة مستأنفاً ، وحداني خطابه الجسيم للإتمام وساقني ، وراقني كتابه الكريم لهاتيك الأيام وشاقني ، وذكرني تلك الليالي التي لم أنسّها ، وحركني لهاتيك المعاهد التي لم أزل أذكر أنسّها :

الإلف لا يصبر عن إلفه إلاّ كما يطرف بالعين
وقد صبرنا عنهم بمدة ما هكذا شأن المحبّين

فيا له من كتاب^١ أعرب عن ود^٢ صميم ، وذكر بعهد^٣ غير ذميم ،
وود طيب العرف^٤ والشميم ، ينجل ابن المعتز لبلاغته وابن المعز تميم :

ولم تَرَ عَيْنَايَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابًا حَوَى بَعْضَ مَا قَدْ حَوَى
كَأَنَّ الْمِبَاسِمَ مِمَاتِهِ وَلَامَاتِهِ الصُّدُغُ لَمَّا التَوَى
وَأَعْيُنُهُ بَعِيون^١ الْحِيسَانِ تُغَاوِلُنَا عِنْدَ ذِكْرِ الْهَوَى
كِتَابٌ ذَكَرْنَا بِالْفَاظِهِ عَهْدًا زَكَّتْ بِالْحَمَى وَاللَّوَى

فكأنه الروض المطرد الأنهار ، والدَّوْحُ المدبج الأزهار :

رَأَيْنَا بِهِ رَوْضًا تَدْبِجُ وَشْيَهُ إِذَا جَادَ مِنْ تِلْكَ الْأَيْدِي غَمَائِمُ
بِهِ أَلِفَاتٌ كَالْفَصُوفِ وَقَدْ عَلَا عَلَيْهَا مِنَ الْمَسْرِ الْمَطْلُ حَمَائِمُ

وقد بقيت بأنهار البراعة السلسلة ، حداثق حكت بها غانية تلك الرسالة ،
لنشفي صبتها بالزيارة ، وتشرف بدنوها دياره :

زَارَتِ الصَّبَّ فِي لَيْالٍ مِنَ الْبُعْدِ فَلَمَّا دَنَتْ رَأَى الصَّبْحَ يَلْمَحُ
قَلَدَتْ بِالْعَقِيَانِ جِدَّ بَيَانٍ لَيْسَ فِيهِ لِلْفَتْحِ مِنْ بَعْدِ مُطْمَحٍ^٢

فشفت النفس من آلامها ، وأحييت ميت الهوى مذحيث^٣ ، بعذب كلامها :

كَلَامٌ كَالْجَوَاهِرِ حِينَ يَبْدُو وَكَالتَّدِّ الْمَعْنَبِ إِذْ يَقْوَحُ
لَهُ فِي ظَاهِرِ الْأَلْفَاظِ جَسْمٌ وَلَكِنْ الْمَعَانِي فِيهِ رُوحٌ

١ ك : كتاب كريم .

٢ ك : كميون .

٣ يشير إلى الفتح بن خاقان وكتابه : قلالة العقيان ومطح الأنفس .

٤ مذحيث : سقطت من ط .

فصيرت لي ذلك الكتاب سميراً ، ووردت من السرور مَشْرَعاً نيراً ،
وتمثلت بقول بعض من أخلص في الود ضميراً :

يا مفرداً أهدي إليّ كتابهُ جُمُلاً يحارُ الدهنُ في أنثائها
كالدرّ أشرق في سُمُوط عقوده والزهر والأنوار غبَّ سماءها
فأفادني جَدَلاً وبالي كاسدٌ وأجار نفسي من جَوَى بُرحائها
وحسبتُ أيام الشَّباب رجَعنَ لي فلبستُ حُلِّيَ جمالها وبهاؤها
لا يعلمُ الإخوانُ منكَ محاسناً كلُّ المفاخر قطرةٌ من مائها

فأكرم به من كتاب جاء من السَّريِّ العلي ، والماجد الأخ الولي^١ :

فضَضْتُ ختامهُ فَتَبَيَّنَتْ لي معانيه عن الخبر الجلي^٢
وكان ألدَّ في عيني وأندى على كيدي من الزَّهرِ الجني^٣
وَضُمِّنَ صَدْرُهُ ما لم تُضَمِّنْ صدورُ الغانياتِ من الحلي^٤

وأعرب عن اعتمادٍ متماد ، وودادٍ مزداد ، وأطاب حين أطل ، وأدَّى
دَيْنَ الفصاحة دون مطال ، واشتمل من فُصول العبارة على أحسن من الخلق
المراس^٥ ، وأتى من أصول البراعة ببرايم ابن شاهين التي لا خُلْفَ فيها ولا
افتراض^٥ ، وروينا من غيث أنامله الهَتُون ، وروينا عنه مسند أحمد حسنَ
الأسانيد والمتون ، وحثنا على العود والرجوع ، وكان أجدى من الماء الزلال
لذي ظلم والمشتهى من الطعام لذي سَغَب وجوع :

١ الأبيات لأبي تمام من قصيدة يملح فيها الحسن بن وهب (ديوانه : ٣٠٧ ط . بيروت ١٨٨٧) .

٢ الديوان : فتبلجت لي .

٣ ج : واشتمل من أحسن العبارة على أفضل . . . المراض .

٤ ج : لا اختلاف .

٥ ك : اعتراض .

وأشهى في القلوب من الأمانى ، وأحلى في العيون من الهُجوعِ .

وجلا بنوره ظلام استيحاشي ، وحشر إليّ أشتات المسرات دون أن
يحاشي ، ووجدني في مكابدة شغوب ، وأشغال أشربت القلب الكسل والغوب ،
وحيرت الخواطر ، وصيرت سُحُبَ الأقلام غير مَوَاطِر ، فزحزح عني الغيوم
وسلاّتي ، وأولاني - شكر الله صنيعة - من المسرات ما أولاني :

حديثه أو حديثٌ عنه يُطْرِيقني هذا إذا غاب أو هذا إذا حَضَرَ
كلاهما حَسَنٌ عندي أَسْرُّ به لكنّ أحلاهما ما وافق النَظَرَ

وقال آخر^١ :

لست مُسْتَأْنِساً بشيء إذا غب متّ سوى ذكرك الذي لا يَغيبُ
أنتَ دون الجلائس عندي وإن كذ متّ بعيداً فالأنسُ منك قريبُ

وضمّنتُ فيه لما ورد مع جملة كتب من تلك الناحية ، وأنوار أهلها ذوي

الفضائل الشهيرة أظهر من شمس الظهيرة في السماء الصباحية^٢ :

قلتُ لما أتت من الشام كُتُبٌ من أجلاء نورهم يتألقُ
مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بعيونٍ رأّت محاسنَ جِلَقِ

وقلت أيضاً :

قلتُ لما وافت من الشام كُتُبٌ والليالي تُنِجُ قُرباً وبُعداً
مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بعيونٍ رأّت محاسنَ سَعْدِ

* * *

١ سقط البيتان من ق ط ج .

٢ سقط البيتان من ج .

[مقتطفات من رسالة ابن شاهين]

وكان من فصول الكتاب الوارد ، من المولى^١ الشاهيني الذي اقتنص بفضله كل^٢ شارد ، ما نصّه : « ومما استخلص قلبي من يديّ ترحي ، وجدّد سروري ونبه فرحي ، حديثُ الكتاب وما حديث الكتاب ، حديثُ نسخ بحلّوته مرّارة العتاب ، وأنساني حرارة المصائب ، في الأنسال والأعقاب ، وقضى به من حق لسان الدين ، دينه الذي تبرع به غريم ملى^٣ من البلاغة وهو غير مدين ، حتى كأني يا سيدي بهذه البشري ، أحرزت سوارِي كسرى ، وكان في مسمعي كل حرف إليها منسوب ، قميص يوسف في أجفان يعقوب ، وحتى كدت أهجر أهلي وبيتي ، وأسرجُ لاستقبال هذه البشري أشهبي وكُميتي ، وحتى إنني حاربت نومي وقومي ، وعزمت على أن أرحل ناقتي في وقتي ويومي ، وإن ذلك التغليس والتهجير ، في جنب ما بُشّرت به لحقير ، وإن موقعها لدى هذا العبد الحقير لخطير . وقد كنت سألت شيخني حين ورد دمشق الشام ، واشتم منها العرّار والبشّام ، وشرفني فعرفني ، وشاهدني فعاهدني ، على أن يجري ما دار بيننا لدى المجاورة ، من المسامرة والمحاورة ، في دياجة ذلك الكتاب ، الذي فنّ العقول خبره وسحر الألباب ، وما قصّدت إلا أن يجري اسمي على قلمه ، ويرقم رسمي في مطاوي تحريره ورقمه ، ويكون ذكري مختلطاً بذكره ، كما أن سِرّي مرتبطٌ في المحبة بسرّه ، فرأيت شيخني لم يتصدّ في أثناء هذه البشري ، لما يُفهمني بالذكري ، لأنظر النجاح في الأخرى ، ولم يساعدني على ذلك الملتمس ، وحبّس عينان القلم فاحتبس ، فانكسرت سورة سروري بفتوري ، وتبين لنفسني عن بلوغ ذلك الأمل تخلفي وقصوري » انتهى .

ثم قال بعد كلام^٢ لم نذكره لعدم تعلقه بهذا الغرض ، ما صورته :

١ المولى : سقطت من ذ .

٢ ك : كلام طويل .

« وحسبت أن سيدي-وحاشاه ، نسيَ مَنْ ليس ينسَاهُ ، وظننت به الظنون ،
 لأمر تكون أو لا تكون ، وهل يكره شيخي^١ أن يهدي الدنيا في طبق ؟
 ثم الأخرى على ذلك النسق- ، ولا شك أن خطه هو الروضة الغنّاء ، لا بطل^٢
 جنة المأوى ، فطوبى لنفسي إن جنيت ثمرته طوبى ، ولعمرك شيخي إنني بذلك
 لجدير ، وإنني كنت أملك به الخورقة والسدير^٣ ، انتهى ما يتعلق بالمطلوب^٤ من
 ذلك الرقيم ، الذي شكل منطق غير عقيم ، سلك الله تعالى بي وبمن وجهه
 الصراط المستقيم .

وأتى في المكتوب بأنواع من البلاغة ، مما تركت ذكره هنا لعدم تعلقه
 بهذا الأمر الخاص الذي ييسر لكارع^٣ الأدب مساعاه ، وختمه بقصيدة نفيسة من
 نظمه يستنجز فيها ذلك الوعد ، وأشهد أنه قد حاز فيها قصب السبق والمجد ،
 وما قلت إلا بالذي علمت سعادته ، وهذه صورتها :

يا سيداً أفديه بالأكثر من أصغر العالم والأكبر
 ويا وحيداً قلّ قولي له عطار أنت مع المشتري
 ويا مجيداً ليس عندي له إلا مقال المادح الكثير
 أقسمت بالبيت العتيق الذي حجت إليه الناس والمشعر
 ما للعلا والعلم إلا أبو الـ عباس شيخي أحمد المقرئ
 ذاك الذي آثرني منه بالـ علم الذي للغير لم يؤثر
 وخصني منه بأشياء لم يفز بها غيري ولم يعثر
 فرحت عبداً ذا وفاء له معترفاً بالرق لا أمترئ

١ ك : سيدي وشيخي .

٢ ك : بالفرض .

٣ ق : لكاره ؛ ج ط : لكاره .

٤ عز بيت الحطية ، صدره : وتعلمني أبناء سعد عليهم .

فَيَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا مَنْ غَدَا
 وَمَنْ إِذَا مَا غَابَ عَنْ نَظَرِي
 هَاتِ أَفِيدَتِي سَيِّدِي عَنْ عَلَا
 ذَاكَ الْوَحِيدُ الْفَدُّ فِي عَصْرِهِ
 ذَاكَ الَّذِي أَخْبَرَنِي سَيِّدِي
 ذَاكَ الَّذِي الْعَيُّوقُ لَا يَعْثَلِي
 مَا قَدْ وَعَدْتِ الْعَبْدُ فِي جَمْعِهِ
 بِخَطِّكَ الْوَضَّاحِ وَهُوَ الَّذِي
 وَالشَّيْءُ لَا يُرْجَى إِذَا مَا غَدَا
 نَقَشٌ عَلَى طِرْسٍ بِيَاضٍ كَمَا
 وَأَسْطَرٌ قَدْ سُلْسَلَتْ مِثْلَنَا
 وَنَزْهَةٌ الْأَنْفَسِ مَعْنَى غَدَا
 عَذْبٌ رَقِيقٌ مِثْلُ ظَبْيِي غَدَا
 آثَارُ أَقْلَامِكَ وَهِيَ الَّتِي
 يَرَاكَ الْجَامِعُ رَاوٍ غَدَا
 يَنْثُرُ مِسْكَاً تَارَةً نَازِماً
 هَذَا ابْنُ شَاهِينَ الْفَتَى أَحْمَدُ
 فَاجْعَلْ لَهُ ذِكْرًا كَرِيماً بِهِ
 وَادْكُرْ بُوَيْتَاتِي^١ وَكُلَّ الَّذِي
 أَنْتَ جَدِيرٌ بِمُدِيحِي فَكُنْ
 وَهَاجَتَهَا سَيَّارَةً أَعْنَقْتُ

أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ مَعْتَرِي
 كَانَ سَمِيرَ الْقَلْبِ لِلْمَحْضَرِ
 حَوَّلِي لِسَانَ الدِّينِ ذَاكَ السَّرِي
 بَلْ أَوْحَدُ الْأَدْهَرِ وَالْأَعْصَرِ
 عَنْهُ مَزَايَا بَعْدُ لَمْ تُحْصَرِ
 إِلَى مَعَالِيهِ وَلَا يَجْتَرِي
 مِنْ خَيْرٍ عَنْ فَضْلِهِ مُسْتَفِيرِ
 مَخْبَرُهُ يُرْبِي عَلَى الْمَنْظَرِ
 مَنَظَرُهُ يُرْبِي عَلَى التَّخْبِيرِ
 لَاحَتْ عَيُونُ الرُّشْلِ الْأَخْوَرِ
 لَاحَ عِذَارُ الشَّادِنِ الْمُقْمَرِ
 مَا يَبْنَاهَا يَنْسَابُ كَالْكُوْثَرِ
 يَلُوحُ طَاوِي الْكَشَّعِ أَوْ جَوْدَرِ
 أَغْنَتْ عَنْ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْمَرِ
 يَرْوِي اللَّغَى عَنْ لَفْظِكَ الْجَوْهَرِ
 وَيَنْظُمُ الْجَوْهَرَ بِالْعَنْبَرِ
 عَنْ ذِكْرِكَ الْمَأْنُوسِ لَمْ يَقْشَرِ
 يَزْدَانُ مَغْبُوطاً إِلَى الْمُحْشَرِ
 كَتَبْتُهُ نَحْوَكَ فِي دَفْتَرِي
 ذَاكِرَ عَبْدٍ بِالْوَفَا أَجْدَرِ
 عَلَى جَوَادٍ كَانَ لِلْبَحْتَرِ

١ ك : الأخر .

٢ ك : بيوئاتي .

طريف كريم سابق صافن
ورثته منه ولكتما
ما للفتى الطائي شوط امرىء
واسلم لعبد لا يرى سيّداً
في كرم العنصر فرداً غداً
ما حنّ مشتاق أخو صبوة
مطهم ذي أدب أوفر
من شاعر وافى إلى أشعر
يضطاد نسر الجوّ بالمنسّر
سوى الذي في ثوبك الأطهر
طبعك فاشكر كرم العنصر
إلى خليل في الهوى مفكر
انتهت .

* * *

[تهم المؤلف لاستئناف التصنيف]

فلما وصلني هذا الخطاب ، الذي ملأ من الفصاحة الوطاب ، وحلا في عيني
وقلبي وطاب^١ ، تحركت دواعي الوجد ، لذلك المجيد ، الذي ولعت به ولوع
ابن الدميّة بصبا نجد ، وأثار من الهيام والأوار ، ما يزيد على ما حصل للفرزدق
لما فارق النوار ، وتضاعف الشوق إلى تلك الأنجاد والأغوار ، مُنشدًا قول
الأول : « لعل أبي المغوار »^٢ ، وتذكرت والذكرى شجون وأطوار ، تلك
الأضواء والأنوار ، المشرقة بقطر أزهر بالمحاسن ، وجرى نهره غير آسن ،
فلم يدم فيه الجوار :

وإنّ اصطباري عن معاهد جلتى
سقى الله أرضاً لو ظفرتُ بتربها
غريبٌ فما أجفى الفراق وأجفاني
كحلتُ بها من شدة الشوق أجفاني
وحصل التصميم ، على التكميل للتأليف والتميم ، رعيًا لهذا الولي الحميم ،

١ وحلا . . . وطاب : سقطت من ق ط ج .

٢ من قول كعب بن سعد الغنوي :

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب

أفاض الله تعالى عليه غيثَ البرِّ العميم ، وأبقى ظلَّ عزه ممدوداً ، وخلّى^١ سؤده مودوداً ، وأناله من الخيرات ما ليس محصوراً ولا معدوداً ، وجمعني وإيَّاه ، وأطلع لي بِبِشْرِ مُحَيَّاه ، وأنشقني عَرَفَ اجتماعه ورَبَّاه ، وكيف لا أَسْتَدِيم أَمَدَ بُقْيَاه ، وأعتقد البشائر في لقياه ، وأسقي غروس الود بِسُقْيَاه ، وهو الصدر الذي أصفى لي الوداد ، والركن الذي لي بِبُثوثه اعتداد^٢ :

فَبَعَلَيْهِ مِنْ مُصَنِّفِي هَوَاهِ نَحِيَّةٌ^٣ كَالْمِسْكِ لَمَّا فُضَّ عَنْهُ خِتَامُ
تَشْرَى بِسَاحَتِهِ السَّنِيَّةِ مَا دَعَتْ - فَوْقَ الْغُصُونِ هَدِيلَهُنَّ حِمَامُ

ودامت فضائله ظاهرة كالشمس ، محروسة بالسبع المثاني معوذة بالخمس :

ولا انفكَّ ما يَرْجُوهُ أَقْرَبَ مِنْ غَدٍ ولا زال ما يَخْشَاهُ أَبْعَدَ مِنْ أَمْسٍ

وبقي من العناية في حرم أمين ، آمين .

ولما حصل لي كمال الاغتياب ، بما دل على صحة حال الارتباط ، نَشَرْتُ^٣ بساط الانبساط ، وحدثت لي قوَّة النشاط ، وانقشعت عني سحاب الكسل وانجابت ، وناديتُ فِكْرِي فَلَبَّتُ مع ضعفها وأجابت ، فاقتدحتُ من القريحة زَنْدًا كَانَ شَحَاحًا ، وجمعت من مُقَيِّدَاتِي حَسَانًا وصحاحًا ، وكنت كتبت شَطْرَهُ ، وملأت بما تيسر هَامِشَهُ وَسَطْرَهُ ، ورقمتُ من أنباء لسان الدين ابن الخطيب حُلَالًا لَا تُخْلِقُ جُدَّتَهَا الْأَعْصَرُ ، وسلكت من التعريف به رحمه الله مهَامِيَه تَكَلُّ فِيهَا واسعات الخطأ وتقصير . فحدّث لي بعد ذلك عزم على زيادة ذكر الأندلس جملة ومن كان يعضد بها الإسلام وينصر ، وبعض مفاخرها الباسقة ، ومآثر أهلها المتناسقة ، لأن كل ذلك لا يستوفيه القلم ولا يحصر ، وجئت

١ ك : وحل .

٢ ك : اعتماد واعتداد .

٣ ك : نشر .

من النظم والنثر بنبذة توضح للطالب سبله ، وتُظهر علمه ونبله ، وتُترعُ محاسنه من راح المداكرة وإنائه ، حتى يرى إيثار هذا المصنّف وإدناؤه^١ ، وكنت في المغرب وظلالُ الشباب صافية ، وسماء الأفكار من قَزَعِ الأكدار صافية ، معتنياً بالفحص عن أنباء^٢ الأندلس ، وأخبار أهلها التي تنشرح لها الصدور والأنفس ، وما لهم من السبق في ميدان العلوم ، والتقدّم في جهاد العدو الظلّوم ، ومحاسن بلادهم ، ومواطن جلداهم وجلادهم ، حتى اقتنيت منها ذخائر يرغب فيها الأفاضل الأخيار ، وانتقيت جواهر : فرائدُها للعقول بَوَاهِر ، واقتطفت أزاهر ، أنجمها في أفق المحاضرة زواهر ، وحصّلت فوائد بواطن وظواهر ، طالما كانت أعين الألباء لنيلها سواهر ، وجمعت من ذلك كتليماً عالية ، لو خاطب بها الداعي صُمّ الجلامد لانبجس حجرها ، وحكماً غالية ، لو عامل بها الأيام ربح متجرها ، وأسجاعاً تهتر لها الأعطاف ، ومواعظ يعمل بمقتضاها من حَقَّت به الألفاظ ، وقوافي موفورة القوادم والخوافي ، يُثني عليها مَنْ سلم من الغباوة والصمم ، ويعترف ببراعتها من لا يعتريه اللّم ، وطالما أعرض الجاهل الغمّر بوجهه عن مثلها وأشاح ، وأنصت لها الحَبِيرُ أنصت السّوار بخرّس الحلي ونغمّ الوشاح ، وفرح إن ظفر بشيء منها فرح الصائد بالقنيص ، والساري العاري ذي البطن الخميص ، بالزاد والقميص ، وتركّت الجميع بالمغرب ، ولم أستصحب معي منه ما يبين عن المقصود ويُعرب ، إلا نَزَرًا يسيراً علق بحفظي ، وحليّت بجواهره جيدٌ لفظي ، وبعض أوراق سعد في جواب السؤال بها حظي ، ولو حضرني الآن ما خلّفته ، ممّا جمعت في ذلك الغرض وألّفته ، لقرّرت به عيون وسُرّت ألباب ، إذ هو والله الغاية في هذا الباب ، ولكن المرء ابنُ وقته وساعته ، وكلُّ ينفق على قدر وسعته

..

١ ك : وترع كأس محاسنه . . . حتى يرى حسن هذا التأليف أبناء هذا التصنيف وأدباؤه .

٢ ك : أنباء أبناء .

واستطاعته ، وعذر مثلي باد ، للمبصفين من العباد ، إن قصرت فيما تبصرت ، أو تخلفت في الذي تكلفت ، أو أضعت تحرير ما وضعت ، والتقت ثدي التقصير ورَضَعْتُ ، أو أطعت داعي التواني فتأخرتُ عن سبق وانقطعتُ ، ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ﴾^١ ، ومن كانت بضاعته مُزجاة ، فهو عن الإنصاف بمنجاة ، إذ أتى بالقلود ، وتبرأ من الدعوى في الورود والصدور ، وعين الرضا عن كل عيب ككيلة ، والسلامة من الملامة متعذرة أو قليلة ، وقد قال إمامنا مالكٌ صاحبُ المناقب الجلييلة : « كل كلام يؤخذ منه ويُرد إلا كلام صاحب هذا القبر » صلى الله عليه وسلم أزكى صلاة وأتم سلام وشفى بجاهه من الآلام قلوبنا العلييلة ، وجعلنا ممن كان اتباعُ سنته رائدةً ودليله ، آمين .

والحمد لله الذي يَسِّر لي هذا القلدر ، مع ضيق الصدر ، وقلة بضاعتي ، وكثرة إضاعتي ، فإن حمّله جل جلاله تتضوّع به المطالب طيباً ، وتقضى ببركته^٢ المآرب فيرقى صاحبها على منبر القبول خطيباً ، وتعذب به المشارب فتُنبت في أرض القرطاس ، من زاكي الغراس ، ما يروق منظرأً نضيراً ويورق غُصناً رطيباً ، وقد أتيت من المقال ، بما يُقَرُّ إن شاء الله تعالى عينَ وامق ويرغم أنفَ قال ؛ وإن كنتُ ممن هو في ثوب العي رافل ، وعن نسبته للقصور غير غافل ، ومن جعل النفس هدفاً^٣ ، وصير مكان الدر صدفاً ، إذ لسانُ الدين بن الخطيب إمام هذه الفنون ، المحقق لدوي الآمال الظنون ، المستخرج من بحار البلاغة درها المكنون ، وله اليد الطولى في العلوم على اختلاف أجناسها ، والألفاظ الراققة التي تزيح وحشة الأنفس بليناسها :

١ سورة هود : ٨٨

٢ ج : ٤ .

٣ يريد قولهم : « من ألف فقد استهدف » .

ناهيك من فردٍ أغرَّ ممدحٍ
 بهرَ الأنامَ رياسةً وسياسةً
 وأتى بكلِّ بديعةٍ في نوعها
 ما شئتَ من شعرٍ أرقَّ من الصَّبَا
 وبديعٍ قرطاسٍ توشَّحَ مِنُّهُ
 بهيجٍ كأنَّ الحسنَ حلَّ أديمه
 وكأنَّما سالَ العذارُ عليَّه أو
 يختالُ بينَ مؤصِّلٍ ومُفصِّلٍ
 كالبرْدِ في توشيعه ، والسَّلكِ في
 قد قيَّدَ الأبصارَ والأفكارَ من
 ما فيه مغرُزُ إصْبَعٍ إلا وفيه
 ولكلِّ جزءٍ حكمةٌ أو ملحةٌ
 أو ليس مثلي قاصراً عن وصفه
 رَحْبُ الدِّرا حُرَّ الكلامِ محسَّدٍ
 وجلالةُ في المنتمى والقعدُدِ
 لم تُخترَعْ وغريبةٌ لم تُعهدِ
 وكتابةٌ أزهى من الزهرِ الندي
 بمُتَمِّمٍ من رَقْمِهِ ومنجَدِ
 فكساه رِيَّعَانُ الشَّبابِ الأغيَدِ
 خَطَّتُهُ أَيْدِي الغاياتِ بِإِعْدِ
 ومُطرَزُ ومُنظَّمٌ ومُنصَّدِ
 ترصيعه ، والوثني نُمِقَ بِالْيَدِ
 ألفاظِهِ بِمُثَقِّفٍ ومُقيَّدِ
 نتيجةٌ لمُفرَّعٍ ومُولَدِ
 أو بدعةٌ لمُرْسَلٍ ومُقَصَّدِ
 والحقُّ نورٌ واضحٌ للمهندي

وكما قلت وقد عجزت عن أداء الواجب وحاولت المسنون ، وقضل الله
 سبحانه على من يشاء من عباده ليس بممنوع ولا ممنون :

لَتَيْتَ شِعْرِي أَيُّ العبارات تُوفي
 وأنا عاجزٌ عن البَعْضِ منها
 وهُوَ يُدْعَى لسانَ دينٍ ونَاهِي
 فبأيِّ الحَلِيِّ أحلِّي علًا من
 وعلى الفَرَضِ ما الذي أنتحي من
 الحِفْظِ قد ارتوى من معينٍ
 واجِبَ ابنِ الخطيبِ ممَّا أرومُ
 لقُصُوري وما العَيْيُ مَكُومُ
 لك افتخاراً به تَتِمُّ الرُّسُومُ
 نالَ فَضْلاً رَوَّتهُ عُرْبٌ ورُومُ
 هُـلْدَى الوَصْفِ أن يَخْصَ العُومُ
 لَصَوَابِ عَلَيَّهِ كُلُّ يَحُومُ

١ ك : والمحتد .

٢ وقع قبل البيتين السابقين ، في ك .

أم لفهمهم يستخرج الدرّ غَوْصاً
 أم لفكرهم مؤلّف في فنون
 أم لنظمهم كأنه جَوْهرُ السِّلْك
 تنباهي به الصُّدُورُ حُلِيّاً
 أم لنثرهم وافى بِسِحْرِ بيان
 وأظلتهم للبَسَدِيعِ سَمَاء
 فاستزادت منه النفوسُ رَشاداً
 أم لخطهم مُنَمِّنهم فاقَ حُسناً
 أو كزهرهم في بَهْجَةِ ورُوءاء
 والغصون الأَقلامُ، والطرسُ رَوْضُ
 تلك سِتٍّ أعجَزَنَ وصَفِي فلَئِي
 من بحارٍ يَخْشَى بها من يُعْومُ
 عِدَّةٌ ما^١ به تُداوى الكُلُومُ
 لك غَلَا قَدْرُهُ على من يسومُ
 وتروى العيونَ منه نجومُ
 فهُوَ كالرُّوحِ والمعاني جُسُومُ
 تتلالا في جانِبَيْها العُلُومُ
 واستزانت منه النُّهى والحُلُومُ
 مثلَ وَثِيٍّ تلوحُ مِنْهُ الرُّقُومُ
 وأريجُ به تُزاحُ الغُيومُ
 ناضِرٌ، والمِدادُ غَيْثٌ سَجُومُ
 بسِوَاهَا ممّا يَجَلُّ أَقُومُ

ولم يكن جمعي - علم الله - هذا التأليف ليرفد أستهديه ، أو عرّض نائل
 أستجديه ، بل لحقّ ودّ أؤديه ، ودّين وعد أقدمه وأبديه ، ووقوف عند حد
 لا يجوز تعدّيه ، وتلبية داعٍ أحبيه وأفديه :

إِنْ مَنْ يَرْجُو نَوَالاً وَتَدَى
 فَلَقَدْ كَانَ عَلَى غَيْرِ الْهُدَى
 وَيُرْجَى مِنْهُمْ الرِّزْقَ فَهَلْ
 أَنْخَلِي قَصْدَ رَبِّ مَالِكٍ
 مَا لَنَا مِنْ مَخْلَصٍ نَأْتِي بِهِ
 سَيِّدَ الْخَلْقِ الْعِمَادِ الْمُرْتَجَى
 فَعَلَيْهِ صَلَوَاتٌ تَنْتَحِي
 مِنْ بَنِي الدُّنْيَا لِدَوِّ حَظِّ غَيْبٍ
 مَنْ يُسَوِّيهُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ
 خَالِقِ الْكُلِّ فَقِيرٌ أَوْ ضَتِينِ
 وَنُرى لِلْخَلْقِ جَهْلًا قَاصِدِينَ
 غَيْرِ جَاهِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي الْأَمِينِ
 لِلْمَلِمَاتِ شَفِيعِ الْمَذْنِينِ
 حَضْرَةِ حَلٍّ بِهَا فِي كُلِّ حِينِ

١ ك : من دعاء .

والرضى من بعدد عن أربعة هم بحق أمراء المؤمنين
فيميناً إن من يهتواهم ليكون من أصحاب اليمين
وسط جنات تحببها آتات قاصرات الطرف عين
بقوارير لجبين شربه وأباريق وكأس من معين
والذي شرفهم بمنحنا حبهم والكون معهم أجمعين .

فدونك أيها الناظر في هذا الكتاب ، المتجاني عن مذهب النقد والعتاب ، كلمات
سوانح ، اختلست مع اشتغال الجوانح ، وتضاد الأمور الموانع والموانع ،
والفاظاً بتوارح اقتنصت بين أشغال الجوارح ، وطرفاً أسمت الطرف في
مترعاها وكانت هملاً غير سوارح ، ونحفاً يحصل بها لناظره الإمتاع ،
ولا يعدّها من سقط المتاع المتاع ، ويلهج بها المراتح ويستأنس المستوحش
المرتاح .

* * *

[منهج الكتاب]

وبعد أن خمنت تمام^١ هذا التصنيف ، وأمعت النظر فيما يحصل به التقريط
لسامعه والتشنيف ، قسمته قسمين ، وكل منهما مستقل بالمطلوب فيصح أن
يسمياً باسمين :

القسم الأول — فيما يتعلق بالأندلس من الأخبار المترعة الأكواب ، والأنباء
المتحية صوب الصواب ، الرافلة من الإفادة في سوابغ الأثواب ، وفيه بحسب
القصد والاقتصار ، وتحوي التوسط في بعض المواضع دون الاختصار ، ثمانية
من الأبواب :

.....

١ ق : خنت تمام ؛ ج : خفت تمام .

الباب الأول : في وصف جزيرة الأندلس وحسن هوائها ، واعتدال مزاجها
ووفور خيرها وكماها واستوائها ، واشتمالها على كثير من
المحاسن^١ واحتوائها ، وكرم نباتها الذي سقته مماء البركات من
جنتياتها بنافع أنوائها ، وذكر بعض مآثرها المجلوة الصُّور ،
وتعداد كثير مما لها من البلدان والكُور ، المستمدة من أضوائها .

الباب الثاني : في إلقاء بلد الأندلس للمسلمين بالقياد ، وفتحها على يد
مُوسَى بن نُصَيْر ومولاه طارق بن زياد ، وصيرورتها ميداناً
لسبق الجياد ، ومحط رحال الأرياء والارتياد ، وما يتبع ذلك
من خبر حصل بازديانه ازدياد^٢ ، ونيل وصل إليه اعتياد^٣
وتقرر بمثله اعتياد .

الباب الثالث : في سرّد بعض ما كان للدين بالأندلس من العز السامي العماد ،
والقهر للعدو في الرواح والغدو والتحرك للهدو البالغ غاية الآماد ،
وإعمال أهلها للجهاد ، بالجد والاجتهاد ، في الجبال والوهاد ،
بالأسنة المُشرّعة والسيوف المستكة من الأغماد .

الباب الرابع : في ذكر قُرْطُبَة التي كانت الخلافة بمصرها للأعداء قاهرة ،
وجامعها الأموي ذي البدائع الباهية الباهرة ، والإلماع بمحضرتي
الملك : الزهراء الناصرية والعامرية الزاهرة ، ووصف جملة من
متنزهات تلك الأقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة ،
وما يجرّ إليه شجون الحديث من أمور تقضي بحسن إيرادها
القرائح الوقادة والأفكار الماهرة .

الباب الخامس : في التعريف ببعض من رحّل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق

١ ك : المنافع والمحاسن .

٢ ك : زياد .

الذاكية العَرَار والبَشام ، ومدَح جماعة من أولئك الأعلام ،
ذوي الألباب الراجحة والأحلام ، لشامةٍ وجَنَّةِ الأرض
دمَشَق الشام ، وما اقتضته المناسبة من كلام أعيانها وأرباب
بيانها ذوي السؤدد والاحتشام ، ومُخاطباتهم للمؤلف الفقير
حين حلَّها عام سبعة وثلاثين وألف وشاهد بَرَقَ فضلها المبين
وشام .

الباب السادس : في ذكر بعض الوافدين على الأندلس من أهل المَشْرِق ،
المهتدين في قصدهم إليها بنور الهداية المضيء المَشْرِق ، والأكابر
الذين حلَّوْا منها بحلوهم فيها الجيدَ والمفَرِّق ، وافتخروا برؤية
قُطْرِها المونِقِ على المُشْتَم والمُعْرِق .

الباب السابع : في نبذة ممَّا منَّ الله تعالى به على أهل الأندلس من توقُّدِ
الأذهان ، وبذلِّهم في اكتساب المعارف والمعالى ما عزَّ أو هان ،
وحوْزهم في ميدان البراعة من قَصَبِ السَّبْقِ خَصَلِ الرهان ،
وجملة من أجوبتهم الدالة على لودعيتهم ، وأوصافهم المؤذنة
بألميتهم ، وغير ذلك من أحوالهم التي لها على فضْلهم أوضح
بُرْهان .

الباب الثامن : في ذكر تغلب العدوِّ الكافر على الجزيرة بعد صَرْفِهِ وجوه
الكيد إليها ، وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بمكره ، واستعماله
في أمرها حِيْلَ فكره ، حتَّى استولى - دمره الله - عليها ،
وعا منها التوحيدَ واسمته ، وكتب على مشاهدتها ومعاهدتها
وسمته ، وقرر مذهب التثليث والرأي الخبيث لديها ، واستغاثه
مَنْ بها بالنظم والنثر ، أهلَ ذلك العصر ، من سائر الأقطار ،
حين تعلّدت بحصارها ، مع قلة حُمائها وأنصارها ، المآربُ
والأوطار ، وجاءها الأعداء من خلفها ومن بين يديها ، أعاد

الله تعالى إليها كلمة الإسلام ، وأقام فيها شريعة سيد الأنام ،
عليه أفضل الصلاة والسلام ، ورفع يد الكفر عنها وعمّا
حواليها ، آمين .

ولم أنخل باباً في هذا القسم من كلام لسان الدين بن الخطيب وإن قلّ ،
مع أن القسم الثاني بذلك كما ستقف عليه قد استقلّ ، وهذا آخر ما تعلق بالقسم
الأول ، وعلى الله سبحانه المتكفل والمعول .

القسم الثاني - في التعريف بلسان الدين بن الخطيب ، وذكر أنبائه التي
يرّوق سماعها ويتأرج نفعها ويطيب ، وما يناسبها من أحوال العلماء
الأفراد ، والأعلام الذين اقتضى ذكرهم شجون الكلام والاستطراد ، وفيه أيضاً
من الأبواب ثمانية ، موصلة إلى جنّات أدب قُطوفها دانية ، وكل غصن منها
رطيب :

الباب الأول : في أولية^١ لسان الدين وذكر أسلافه ، الذين ورث عنهم
المجدّ وارتضع درّ أخلافه ، وما يناسب ذلك مما لا يذهب
المنصف إلى خلافه .

الباب الثاني : في نشأته وترقيته ووزارته وسعاده ، ومُساعدة الدهر له ثم
قلبه له ظهر المِجنّ على عادته ، في مُصافاته ، ومنافاته ،
وارتباكه ، في شباكه ، وما لقي من إحسن الحاسد ، ذبي المذهب
الفاسد ، ومحن الكايد المستأسد وآفاته ، وذكر قصوره وأمواله ،
وغير ذلك من أحواله ، في تقلباته عندما قابله الزمان بأمواله ،
في بدته وإعادته إلى وفاته .

الباب الثالث : في ذكر مشايخه الجليّة ، هداة الناس ونجوم الملة ، وما يتصل

١ ك : في ذكر أولية .

بذلك من الأخبار الشافية لليلة ، والمواظب المنجية من الأهواء
المُضيلة ، والمناسبات الواضحة البراهين والأدلة .

الباب الرابع : في مخاطبات الملوك والأكابر الموجهة إلى حضرته العلية ، وثناء
غير واحد من أهل عصره عليه ، وصرف القاصدين وجوه
التأمل إليه ، واجتلائهم أنوار رياسته الجليلة^١ .

الباب الخامس : في إيراد جملة من نشره الذي عبق أريج البلاغة من نفعاته ،
ونظمه الذي تألق نور البراعة من لمحاته وصفحاته ، وما يتصل
به^٢ من بعض أزجاله ومؤشحاته ، ومناسبات رائعة من
فنون الأدب ومصطلحاته .

الباب السادس : في مصنفاته في الفنون ، ومؤلفاته المحققة للواقف عليها
الآمال والظنون ، وما كمل منها أو اخترمته دون إتمامه المتنون .
الباب السابع : في ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه ، المستدلّين به على المنهاج ،
المتلقين أنواع العلوم منه ، والمقتبسين أنوار الفهوم من سراج
الوہاج .

الباب الثامن : في ذكر أولاده الرافلين في حُلل الجلالة ، المقتضين^٣ أوصافه
الحميدة وخیالاته ، الوارثين العلم والحلم والرياسة والمجد
عن غير كلاله ، ووصيته لهم الجامعة لأداب الدين والدنيا ،
المشتملة على النصائح الكافية ، والحكم الشافية ، من كل مَرَض
بلائيّ ، المنقذة من أنواع الضلالة ، وما يتبع ذلك من المناسبات
القوية ، والأمداح النبوية ، التي لها على حسن الختام أظهر
دلالة .

١ ق ج ط : الجليلة .

٢ ك : بذلك .

٣ ج : الموافقين .

وقد كنت أولاً سمّيته بـ « عَرُوف الطَّيِّب » ، في التعريف بالوزير ابن الخطيب » ، ثم وسمته حين ألحقت أخبار الأندلس به بـ « لفح الطيب » ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب .
وله بالشام تعلّق من وجوه عديدة ، هادية متأملها^١ إلى الطرق السديدة :
أولها : أن الداعي لتأليفه أهل الشام — أبقي الله مآثرهم وجعلها على مرّ الزمان مديدة .

ثانيها : أن الفاتحين للأندلس هم أهل الشام ذوو الشوكة^٢ الحديدة .
ثالثها : أن غالب أهل الأندلس من عَرَب الشام الذين اتخلدوا بالأندلس وطناً مستأنفاً وحاضرة جديدة .
ورابعها : أن غرناطة نزل بها أهل دمشق ، وسمّوها باسمها لشيئها بها في القصر والنهر ، والدوّح والزهر ، والغوطة الفيحاء ، وهذه مناسبة قوية العُرى شديدة .

• • •

[غامضة المقدمة]

هذا ، وإنّي أسأل ممن^٣ وقف عليه ، أن ينظر بعين الإغضاء إليه ، كما أطلب ممن كان السبب في تصنيفه ، والداعي إلى تأليفه وترصيفه ، استناداً لركن الثقة ، وإعتماداً على الود والميعة ، أن يصفح عما فيه من قصور ويسمع ، ويلاحظه بعين الرضى الكليّة ويسمع ، إذ ركبتُ شكل منطقته والأشجان غالبه ، وقضية الغربة ، موجبة للكربة ، ولبعض الآمال سالبة ، وهو — وإن لم يُوف

١ ك : لتأمله ؛ ق ط : متأمله .

٢ ك : ذوو النجدة والشوكة .

٣ ط : من .

بكل الغرض - فلا يخلو من فائدة ، وقد يُستدلُّ على الجوهر بالعرض ، فإن أدبتُ المفترض وذلك المرام الذي أرتضيه ، ويُوجب الود ويقتضيه :

وإلا فحسبي أن بذلتُ به جهدي وأنفقت من وجدي على قدر ما عندي وقد توهّمت أنني لم أسبق إلى مثله في بابي ، إذ لم أقف له على نظيرٍ أنعلق بأسبابه ، ورجوت أن يكون هديّة مستلحة مستعذبة ، وطُرْفَة مقبولة مستغربة :

هَدِيَّتِي تَقْصُرُ عَنْ هِمَّتِي وَهِمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ مَالِي
وَخَالِصُ الْوَدِّ وَمَحْضُ الْإِخَا أَكْثَرُ مَا يُهْدِيهِ أَمْثَالِي

وأوردت فيه من نظم وإنشاء ، ما يكفي المقتصرَ عليه إن شاء ، ومن أخبار ملوك ورؤساء ، وطبقات من أحسن أو أساء ، ما فيه اعتبار للمتأمل ، وادّكار للراحل المتحمّل ، وزينة للذاكر المتجمل ، وتذكيت على أهل البطر ، وتبكيك لمن خرج من دنياه ولم يقض من الطاعة الوطر :

أَرَى أَوْلَادَ آدَمَ أَبْطَرَتْهُمْ حِظْوُظُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ
فَلَيْمَ بَطِيرُوا وَأَوَّلَهُمْ مَنِيٌّ إِذَا نُسِبُوا وَآخِرَهُمْ مَنِيَّةٌ

وفيه إيقاظ لمثلي من سِنَّة الغفلة ، وحَثٌّ على عدم الاغترار بالمهلة ، وتنبية للابس بُرْد الشباب القشيب ، أنّه لا بدّ من حادث الموت قبل أو بعد المشيب :

لِلَّهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظٍ وَنَاصِحٍ مِنْهَاجُهُ وَاضِحٌ
كُلُّ أَمْرٍ يَعْبِجُهُ شَأْنُهُ وَحَادِثُ الدَّهْرِ لَهُ فَاضِحٌ

١ جمع فيه يبي أبي نواس :

لله در الشيب من واعظ وناصر لو غلّ الناصح
يأبى القى إلا اتباع الهوى ومنج الحق له واضح

فَكَمْ بِالْكِبَرِ عَلَى عَصْرِ الشَّبَابِ ، وَشَاكَ لِفِرَاقِ عَهْدِ الصَّبَا وَالْأَحْبَابِ ،
أَنَسَاهُ طَارِقُ الزَّمَانِ سُلَيْمَى وَالرَّبَابِ :

مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ كَلَمَحَ بَرَقٍ وَعَصْرُ الشَّيْبِ بِالْأَكْدَارِ شَيْبَا
وَمَا أَعْدَدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ زَادًا لِيَوْمٍ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شَيْبَا

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْأَعْلَامِ :

مَضَى مَا مَضَى مِنْ حُلُوِّ عَيْشٍ وَمُرَّةٍ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَأَصْفَاثِ أَحْلَامٍ
وَقَوْلٍ مِنْ أَرْشَدِ سَفِيهَا :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالْجَهْلُ الْجَهْلُ مِنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتٍ وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ وَلَكِ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

وَفِي مَعْنَاهُ لَغَيْرُهُ :

دُنْيَاكَ شَيْثَانٌ فَانْظُرْ مَا ذَانِكَ الشَّيْثَانُ
مَا فَاتَ مِنْهَا فَتَحُلُمْ وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِي

وَمَا أَحْكَمَ قَوْلَ ابْنِ حِطَّانٍ ، مَعَ وَقُوعِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ فِي أَشْطَانٍ ١ :

يَأْسَفُ الْمَرْءُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ لُبَّانَاتٍ إِذَا لَمْ يَقْضِهَا
وَتَرَاهُ ضَا حَكَأً مُسْتَبْشِرًا بِالَّتِي أَمْضَى كَأَنْ لَمْ يُقْضِهَا
لَهَا عِنْدِي كَأَحْلَامِ الْكَرَى لِقَرِيبٍ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا

وَلِغَيْرِهِ :

وَاللَّهُ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبْقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدًا
مَا كَانَ مِنْ حَقٍّ حَرًّا أَنْ يَذُلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَضْمَحِلُّ غَدًا

١ انظر مجموعة شعر الخوارج : ١٩ (القطعة : ٣٣) .

ولآخر :

لا حَظَّ في الدُّنْيَا لِمُسْتَبْصِرٍ يَلْمَحُهَا بِالفِكرَةِ البَاصِرَةِ
إن كدَّرت مَشْرَبَهُ مَلَّهَا وإن صَفَّتْ كدَّرت الآخِرَةِ

ويعجبي قولُ الوزير ابن المغربي^١ :

إلَّمِي أَبْثُكْ مِنْ حَدِيدٍ ثِي وَالْحَدِيثُ لَهُ شُجُونُ
فَارَقْتُ مَوْضِعَ مَرْقَدِي لَيْلًا ففَارَقَنِي السَّكُونُ
قُلْ لِي فَأُولُ لَيْلَةٍ لِلْقَبْرِ كَيْفَ تُرَى أَكُونُ

وقول ماميه^٢ :

تَأْمَلْ فِي الْوُجُودِ بَعَيْنَ فِكْرٍ تَرَى الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ كَالْخَيَالِ
وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْقَى وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وقول بعض العارفين :

اسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَاسْعِي لِنَجَاةٍ فَالْحَازِمُ الْمُسْتَعِدُّ
قَدْ تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ خُلُودٌ وَمَا مِنْ الْمَوْتِ بَدُّ
إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا مَوْ ف تَرُدِّينَ وَالْعَوَارِي تَرُدُّ
أَنْتِ تَسْهَيْنَ وَالْحَوَادِثُ لَا تَسْهِي هُوَ وَتَلْهَيْنَ وَالْمَنَايَا تَجِدُّ

١ هو أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين المغربي (٤١٨ -) ، شارك في الفتن السياسية في عصره ، وبينه وبين المعري مراسلة وإليه وجه المعري رسالة المنيع (وفيها الأعيان ١ : ٤٢٨ والشارات ٣ : ٣٠١) والأبيات في ابن خلكان : ٤٣٠ .

٢ هو المعرب ماميه الرومي واسمه محمد بن أحمد بن عبد الله (- ٩٨٨) ولد في الاسفانة ونشأ بدمشق ، وكان من المتكبرية ، وله ديوان شعر (شارات الذهب ٨ : ٤١٣) . وفي ج : وقول أمية .

أَيُّ مَلِكٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَيُّ حَظٍّ لِمَرِيءٍ حَظُّهُ مِنَ الْأَرْضِ لِحَدِّ
لَا تَرْجِي الْبَقَاءَ فِي مَعْدِنِ الْمَوْتِ وَدَارِ حَتُوفِهَا لَكَ وَرَدُّ
كَيْفَ يَرْجُو أَمْرٌ لَدَاذَةِ أَيَّامٍ عَلَيْهِ الْأَنْفَاسُ فِيهَا تُعَدُّ

وَأَسْأَلُ مِنْ مُبْلِغِ السَّائِلِينَ مَا يَرْجُونَ : أَنْ يَصْفَحَ عَن زَلَّاتِي وَيَسَاعِدَنِي
فِيمَا أُرِدْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ الْهَزْلِ وَالْمَجُونِ ، الَّذِي جَرَّتْ الْمُنَاسِبَةُ إِلَيْهِ
وَالْحَدِيثُ شَجُونِ ، وَمَا الْقَصْدُ مِنْهُ إِلَّا تَرْوِيحُ قُلُوبِ الدِّينِ يَسُوقُونَ عِيْسَى الْأَسْمَارِ
وَيُزْجُونَ ، وَفِيمَا أُرِدْتُ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالنَّصَائِحِ ، وَحِكَايَاتِ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ
طَيَّبُ زَهْرُ مَنَاقِبِهِمْ فَائِضٌ ، وَالتَّوَسَّلَ بِمَحَاسِنِ الْأَمْدَاحِ النَّبَوِيَّةِ أَنْ يَسْتَرْ بِفَضْلِهِ سُبْحَانَهُ
الْقُبَائِحِ ، وَيُثَرِّينَا وَجْهَ الْقَبُولِ بِلَا اكْتِتَامٍ ، وَيَمْنَحُنَا الزُّلْفَى وَحُسْنَ الْخِتَامِ :

وَمَنْ يَتَوَسَّلَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ شَفِيعِ الْبَرَايَا السَّيِّدِ السَّنَدِ الْأَسْنَى
فَذَاكَ جَدِيرٌ أَنْ يُكَفِّرَ ذَنْبَهُ وَيَمْنَحَ نَيْلَ الْقَصْدِ وَالْخَتَمَ بِالْحُسْنَى

وَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ ، فِي الْأَصُولِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَالْفُرُوعِ ، وَعَلَى اللَّهِ
سُبْحَانَهُ اعْتِمَادٌ ، وَمِنْ مَعُونَتِهِ أَسْتَعِذُّ .

القِسْمُ الأول

فيما يتعلق بالأندلس من الأخبار المترعة الأكواب ،
والأنباء المنتحية صَوْبَ الصواب ، الرافلة من
الإفادة في سَوَائِغِ الأثواب ، وفيه
— بحسب القَصْدِ والاختصار، ونَحْرِي
التوسط في بعض المواضع دون
الاختصار — ثمانية
من الأبواب

الباب الاول

في وصف جزيرة الأندلس وحسن هوائها ، واعتدال مزاجها ووفور خيراتها واستوائها ، واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها ، وكرم بقعتها التي سقتها سماء البركات بنافع أنوائها ، وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور ، وتعداد كثير مما لها من البلدان والكُور ، المستمدة من أضوائها

فأقول :

محاسن الأندلس لا تُستوفى بعبارة ، ومجاري فضلها لا يشق غبارها ، وأنتى تجاري وهي الحائزة قصبة السبق ، في أقطار الغرب والشرق .

• • •

[ملخصات عامة في مزايا الأندلس]

قال ابن سعيد : إنما سميت بأندلس بن طوبال^١ بن يافث بن نوح ، لأنه نزلها ، كما أن أخاه سبث بن يافث نزل العُدوة المراقبة لها ، وإليه تُنسب سبته . قال : وأهل الأندلس يحافظون على قوام اللسان العربي ، لأنهم إما عرب أو متعربون ، انتهى .

وقال ابن غالب^٢ : إنه أندلس بن يافث ، والله تعالى أعلم . وقال الوزير لسان الدين بن الخطيب : رحمه الله تعالى — في بعض كلام له

١ ط : بالأندلس ؛ ج : بن طوفان .
٢ هو محمد بن أيوب بن غالب صاحب كتاب « فرحة الأنفس » الذي ينقل عنه المقرئ في مواضع ، وقد بقيت من الكتاب قطعة نشرها الدكتور لطفي عبد البديع في مجلة معهد المخطوطات ١ : ٢٧٢-٢٧٣ .
٣١٠ ؛ ومبارته المنقولة تقع على الصفحة ٢٨١ .

أجرى فيه ذكر البلاد الأندلسية ، أعادها الله تعالى للإسلام ببركة المصطفى عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ما نصّه : خَصَّ الله تعالى بلاد الأندلس من الرِّيحِ وغَدَقَ السَّقْيَا ، ولذاذة الأقوات ، وفرّاحة الحيوان ، ودور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبحر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية ، وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وإبيضاض ألوان الإنسان ، ونُبل الأذهان ، وقبول الصنائع ، وشهامة الطبايع ، ونفوذ الإدراك ، وإحكام التمدّن والاعتماد ، بما حُرِمَتْهُ الكثيرُ من الأقطار ممّا سواها ، انتهى .

قال أبو عامر السالمي^٢ ، في كتابه المسمى بـ « درر القلائد وغرر الفوائد » : الأندلس من الإقليم الشامي ، وهو خير الأقاليم ، وأعدلها هواء وترباً ، وأعذبها ماء ، وأطيبها هواء وحيواناً ونباتاً ، وهو أوسط الأقاليم ، وخير الأمور أوسطها ، انتهى .

قال أبو عبيد البكري^٣ : الأندلس شامية في طبيعتها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عيطرها ودكايتها ، أهوازية في عظم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحليها ، فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة ، وكان من ملوكهم الذين أثروا الآثار بالأندلس هرقلس ، وله الأثر في الصنم بجزيرة قادس وصنم جليقية^٤ ، والأثر في مدينة طركونة^٥ الذي لا نظير له .

* * *

١ ك : وفنون .

٢ أبو عامر السالمي (ق ك ط ج : السلمي) محمد بن أحمد بن عامر : كان أديباً تاريخياً حافظاً ، صنف في الحديث والآداب والتواريخ مصنفات كثيرة مفيدة وكتابه « درر القلائد وغرر الفوائد » في أخبار الأندلس وأمرائها وطبقات علمائها وشعرائها ، وقف منه ابن عبد الملك عل السفرين الأول والثاني . (انظر ترجمته في التكملة : ٤٩٥ والذيل والتكملة ، الورقة ٣ من مخطوطة المتحف البريطاني) .

٣ انظر هذا النص في الروض المعمار : ٣ ، والمتقى من قرحة الأتس : ٢٨١ مع بعض اختلاف .

٤ طركونة (Tarragona) : مدينة على ساحل البحر الشامي بينها وبين لاردة خمسون ميلاً .

[مساحتها وأبعادها]

قال المسعودي^١ : بلاد الأندلس تكون مسيرة^٢ عمائرهما ومدنها نحو شهرين ، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة ، انتهى باختصار .
ونحوه لابن اليسع^٣ إذ قال : طولها من أربونة إلى أشبونة^٤ وهو قطع ستين يوماً للفارس المجده ، وانتقله بأمرين : أحدهما أنه يقتضي أن أربونة داخلية في جزيرة الأندلس ، والصحيح أنها خارجة عنها ، والثاني أن قوله : « ستين يوماً للفارس المجده » إعياء وإفراط ، وقد قال جماعة : إنها شهر ونصف .

قال ابن سعيد : وهذا يقرب إذا لم يكن للفارس المجده ، والصحيح ما نص عليه الشريف^٥ من أنها مسيرة شهر ، وكذا قال الحجاري^٥ ، وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حساباً بالمراحل الجيدة أفضى إلى نحو شهر بنيف قليل .
قال الحجاري في موضع من كتابه : إن طول الأندلس من الحاجز إلى أشبونة ألف ميل ونيف ، انتهى .

وبالحملة فالمراد التقريب من غير مشاحنة ، كما قاله ابن سعيد ، وأطال في ذلك ، ثم قال بعد كلام : ومسافة الحاجز الذي بين بحر الزقاق والبحر المحيط أربعون ميلاً ، وهذا عرض الأندلس عند رأسها من جهة الشرق ، ولقلته سميت

.....

- ١ راجع مروج الذهب ١ : ١٦٢ .
- ٢ ابن اليسع : اليسع بن عيسى بن اليسع أبو يحيى صاحب كتاب المغرب في آداب المغرب كتبه بمصر السلطان صلاح الدين الأيوبي (راجع المغرب ٢ : ٨٨ والهاشية) .
- ٣ أربونة (Narbonne) آخر ما استولى عليه العرب من جهة الساحل الأندلسي الشرقي ، وأشبونة هي التي تسمى اليوم لشبونة (Lisbon) أو ليسبوا عاصمة البرتغال .
- ٤ يعني الشريف الإدريسي مؤلف كتاب « نزهة المشتاق » لرجار ، ملك صقلية .
- ٥ صاحب كتاب « المسهب في فضائل المغرب » ألفه لبني سعيد ، وهو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم وعمل أساس كتابه ألف المغرب . (انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٣٥) .

جزيرة وإلا فليست بجزيرة على الحقيقة لاتصال هذا القدر بالأرض الكبيرة ، وعرض جزيرة الأندلس في مَوسَطتها^١ عند طُلَيْطَلَة ستة عشر يوماً . واتفقوا على أن جزيرة الأندلس مثلثة الشكل ، واختلفوا في الركن الذي في الشرق والجنوب في حيز أَرَبُونَة^٢ ، فمن قال إنه في أربونة وإن هذه المدينة تقابلها مدينة بُرْذِيل^٣ التي في الركن الشرقي الشمالي أجمد^٤ بن محمد الرازي وابن حَيَّان ، وفي كلام غيرهما أنه في جهة أربونة ، وحقق الأمر الشريف ، وهو أعرف بتلك الجهة لتردده في الأسفار برّاً وبحراً إليها وتفرّغه لهذا الفن .

قال ابن سعيد : وسألت جماعة من علماء هذا الشأن فأخبروني أن الصحيح ما ذهب إليه الشريف ، وأن أربونة وِبَرَشِلُونَة^٥ غير داخلتين في أرض الأندلس ، وأن الركن الموفي على بحر الزقاق بالشرق بين بَرَشِلُونَة وطَرَكُونَة في موضع يُعرف بوادي رنلقاطو^٦ ، وهناك الحاجز الذي يفصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ذات الألسن^٧ الكثيرة ، وفي هذا المكان جبل البرت الفاصل في الحاجز المذكور وفيه الأبواب التي فتّحها ملك اليونانيين بالحديد والنار والخل ، ولم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة قبل ذلك طريق في البر . وذكر الشريف أن هذه الأبواب يقع في مقابلتها في بحر الزقاق البحر الذي بين جزيرتي مَيُورُونَة^٨ ومَنُورُونَة^٩ ، وقد أخبر بذلك جمهور المسافرين لتلك الناحية ، ومسافة هذا

١ ك : موسطها ؛ ج : متوسطها .

٢ برذيل : مدينة في بلاد جليقية وثقع على نهر جرونة ، (الروض المطار : ٤١) .

٣ برشلونة (Barcelona) : مدينة بينها وبين طركونة خمسون ميلا وهي إلى الشمال منها .

٤ ق ط : رنلقطو ، ك : زنلقطو ؛ ويرى محقق الجزء الأول من الطبعة الأوروبية أن الصواب رنلقاطو (Rubricatus) .

٥ ج : أرض الأندلس .

٦ ج : الأنساب .

٧ ميورونة (Majorca) ومنورونة (وربما كتبت دون واو « منرقة ») (Minorca) أكبر جزيرتين في مجموعة جزائر البليار في البحر المتوسط ، وكانتا في عصر ملوك الطوائف تحت حكم مجاهد العامري .

الجبل الحاجز بين الركن الجنوبي والركن الشمالي أربعون ميلاً .
 قال : وشمال الركن المذكور عند مدينة بُرْذِيلَ ، وهي من مدن الإفرنجية
 مطلة على البحر المحيط في شماليّ الأندلس ، قال : ويتقهقر البر بعد تميز هذا
 الركن إلى الشمال في بلاد الفرنجة ، ولهم به جزائر كثيرة . وذكر أن^١ الركن
 الشمالي^٢ عند شنت ياقوه^٣ من ساحل الجلالة في شمال الأندلس الغربي^٤ ، حيث
 تبتدىء جزيرة برطانية الكبيرة فيتصوّر هنالك بحر داخل بين أرضين ، من الناس
 من يجعله بحراً منفرداً خارجاً من البحر المحيط لطوله إلى الركن المتقدم الذكر عند
 مدينة بُرْذِيلَ .

وذكر الشريف أن عند شنت ياقوه^٥ في هذا الركن المذكور على جبل بمجمع
 البحرين صنماً مطلاً مشبهاً بصنم قادس .

والركن الثالث بمقربة من جبل الأغرة^٦ حيث صنم قادس ، والجبل المذكور
 يدخل من غربه مع جنوبه بحرُ الزقاق من البحر المحيط ماراً مع ساحل
 الأندلس الجنوبي إلى جبل البرت المذكور ، انتهى ؛ والكلام في مثل هذا طويل الدليل .
 قال الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي^٧ : بلد الأندلس هو آخر الإقليم
 الرابع إلى المغرب ، وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة ، طيب التربة ، تحسبُ

.....

١ ك : ودوكرا من .

٢ ج : الباقي .

٣ شنت ياقوه ، ويقال فيها شنت ياقوب (Santiago de Compostela) في أقصى الشمال الغربي
 من شبه جزيرة أيبيرية بمنطقة جليقية ، وفيها كنيسة مقدسة يحجون إليها .

٤ الغربي : زيادة من ق ط .

٥ ق : بابت ياقوة ؛ ج ط : بليانت يقوه (ياقوه) .

٦ ق ك ط ج : الأغن ؛ وهذا هو ما لا يزال يسمى « الطرف الأغر » (Trafalgar) ، وقد ذكره
 ابن حوقل باسم الجبل الأغر .

٧ أحمد بن محمد بن موسى الرازي : من كبار المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين في الفترة
 الأموية وهو جد عيسى الرازي الذي يمتده ابن حيّان في المقتبس ؛ (انظر الخلوة : ٩٧ ومجلة
 المهد : ٢٥٢ - ٢٥٥ من المجلد ٧ - ٨) .

الجَنَاب ، مُتَبَجِّسٌ بِالْأَنْهَارِ^١ الْغَزَارِ وَالْعَيُونِ الْعِيدَابِ ، قَلِيلُ الْهُوَامِ ذَوَاتِ السُّمُومِ ،
مَعْتَدِلُ الْهُوَاءِ وَالْجَوِّ وَالنَّسِيمِ ، رِبِيعُهُ وَخَرِيفُهُ وَمَشْتَاهُ وَمَصِيفُهُ عَلَى قَدَرٍ مِنْ
الْإِعْتِدَالِ ، وَسِطَةٌ مِنَ الْحَالِ ، لَا يَتَوَلَّدُ فِي أَحَدِهَا فَضْلٌ^٢ يَتَوَلَّدُ مِنْهُ فِيمَا يَتَلَوَّهُ
انْتِقَاصُ ، تَتَصَلُّ فَوَاكِهُ أَكْثَرُ الْأَزْمَنَةِ وَتَدُومُ مِتْلَاحِقَةٌ غَيْرُ مَفْقُودَةٍ ، أَمَّا السَّاحِلُ
مِنْهُ وَنَوَاحِيهِ فَيَبَادِرُ بِبَاكُورِهِ ، وَأَمَّا الثَّغَرُ وَجِهَاتُهُ وَالْجِبَالُ الْمَخْصُوصَةُ بِبَرْدِ الْهُوَاءِ
فَيَتَأَخَّرُ بِالْكَثِيرِ مِنْ ثَمَرِهِ ، فَمَادَةُ الْخَيْرَاتِ بِالْبَلَدِ مِتْمَادِيَّةٌ فِي كُلِّ الْأَحْيَانِ ، وَفَوَاكِهُ
عَلَى الْجَمَلَةِ غَيْرُ مَعْلُومَةٍ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، وَلَهُ خَوَاصٌّ^٣ فِي كَرَمِ النَّبَاتِ يُوَافِقُ فِي
بَعْضِهَا أَرْضَ الْهِنْدِ الْمَخْصُوصَةَ بِجَوَاهِرِ الْإِنْبَاتِ^٤ : مِنْهَا أَنَّ الْمَحْلَبَ — وَهُوَ
الْمَقْدَمُ فِي الْأَقَاوِيهِ وَالْمَفْضَلُ فِي أَنْوَاعِ الْأَشْنَانِ — لَا يَنْبِتُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ
إِلَّا بِالْهِنْدِ وَالْأَنْدَلُسِ ، وَلِلْأَنْدَلُسِ الْمَدِينُ الْحَصِينَةُ ، وَالْمَعَاقِلُ الْمُنِيعَةُ ، وَالْقَلَاعُ
الْحَرِيزَةُ ، وَالْمَصَانِعُ الْجَلِيلَةُ ، وَلَهَا الْبَرُّ وَالْبَحْرُ ، وَالسَّهْلُ وَالْوَعْرُ ، وَشَكْلُهَا
مِثْلُثٌ ، وَهِيَ مَعْتَمِدَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ : الْأَوَّلُ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ صَنِمٌ قَادِسٌ
الْمَشْهُورُ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَمِنْهُ مَخْرَجُ الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ الشَّامِيِّ الْآخِلِ بِقِبْلِي^٥ الْأَنْدَلُسِ ،
وَالرَّكْنُ الثَّانِي هُوَ بَشْرُقِي الْأَنْدَلُسِ بَيْنَ مَدِينَةِ نَرْبُونَةِ^٦ وَمَدِينَةِ بُرْذِيلَ^٧ مِمَّا
بِأَيْدِي الْفَرَنْجَةِ الْيَوْمَ بِإِزَاءِ جَزِيرَتِي مَيُورَقَةِ وَمَيُورَقَةِ بِمَجَاوِرَةٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ : الْبَحْرِ
الْمَحِيطِ وَالْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ ، وَبَيْنَهُمَا الْبَرُّ الَّذِي يُعْرَفُ بِالْأَبْوَابِ ، وَهُوَ الْمَدْخَلُ إِلَى
بَلَدِ^٨ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ عَلَى بَلَدِ إِفْرَنْجَةِ ، وَمَسَافَتُهُ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ مَسِيرَةُ
يَوْمَيْنِ ، وَمَدِينَةُ نَرْبُونَةِ^٩ تَقَابِلُ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ، وَالرَّكْنُ الثَّلَاثُ مِنْهَا هُوَ مَا بَيْنَ
الْجُوفِ^{١٠} وَالْغَرْبِ مِنْ حِيزِ جَلِيلِيَّةٍ ، حَيْثُ الْجَبَلُ الْمَوْفِيُّ عَلَى الْبَحْرِ ، وَفِيهَا الصَّنَمُ

١ ك : الْأَنْهَارُ .

٢ ق ك ج : فَضْلٌ .

٣ ك : بِكَرَمِ النَّبَاتِ وَجَوَاهِرِهِ .

٤ نَرْبُونَةُ : أَرْبُونَةُ (Narbonne) . وَفِي ق ط ك : بَرْبُونَةُ .

٥ ك : بِلَادُ .

٦ ق ك ط ج : بَرْبُونَةُ .

٧ ق : الْجَنُوبُ .

العالي المشبه بصم قادس ، وهو الطالع على بلد برطانية .

قال : والأندلس أندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها : أندلس غربي ، وأندلس شرقي ، فالغربي منها ما جرت أوديته إلى البحر المحيط الغربي ، ويُمطر بالرياح الغربية ،^١ ومبتدأ^٢ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف إلى بلد شنتمريّة^٣ طالماً إلى حوز أغريطة المجاورة لطليطلة مائلاً إلى الغرب ومُجاوراً للبحر المتوسط الموازي لِقَرطاجنة الخلفاء التي من بلد لُورقة^٤ ، والحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى ، وتجري^٥ أوديته إلى الشرق ، وأمطاره بالرياح الشرقية ، وهو من حدة جبل البشكنس^٦ ، هابطاً مع وادي إبره^٦ إلى بلد شنت مريّة^٧ ، ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط ، وفي القبله منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج إلى بلد الشام ، وهو البحر المسمى ببحر تيران^٨ ، ومعناه الذي يشق دائرة الأرض ، ويسمى البحر الكبير ، انتهى .

قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكيم المعروف بابن النظام^٩ : بلد الأندلس

.....

١ ج : ومنتهى .

٢ شنتمريّة (وتكتب أيضاً : شنت مريّة) : يعرف بهذا الاسم مدينتان شنتمريّة الغرب (Santa Maria de Algarve) وتسمى اليوم (Faro) وهي بالبرتغال والثانية شنتمريّة الشرق وهي السبلة (Albarracin) الأولى وهي المقصودة هنا .

٣ قرطاجنة الخلفاء (Carthagenna) (وتكتبها في الروض المطار وطبعة ليدن : الخلفاء) وهي فرشة مدينة مرسية . أما لورقة (Lorca) فهي من منطقة تدير ، وقد تفتح راوها .

٤ ق ط : ويجري . ه ك : البشكنش .

٥ إبره (Ebro) نهر ينبع من جبال كتنبيرية ويشرق فيصب في البحر المتوسط ، ومن أشهر المدن عليه سرقطة وطرطوشة .

٦ المراد هنا شنتمريّة الشرق .

٨ تيران (Terran) = اختصار لكلمة (Medi—Terran) أو (Mare Terrhenum) أي يتوسط الأرض .

٩ ابن النظام : ترجم له ابن الأبار في التكملة : ٧٨٨ ولم يزد على قوله : « كان أدبياً إخبارياً تاريخياً يحكي عنه ابن حيان في كتابه ، وهو من أهل قرطبة » .

عند علماء أهله أندلسان : فالأندلس الشرقي منه ما صَبَّتْ أوديته إلى البحر الرومي المتوسط المتصاعد من أسفل أرض الأندلس إلى المشرق ، وذلك ما بين مدينة تَدْمِير^١ إلى سَرَقِسطة ، والأندلس الغربي ما صَبَّتْ أوديته إلى البحر الكبير المعروف بالمحيط أسفل ذلك^٢ الحدّ إلى ساحل المغرب ، فالشرقي منهما يُمَطَّرُ بالرياح الشرقية ، ويصلح عليها ، والغربي يُمَطَّرُ بالرياح الغربية وبها صلاحه ، وجباله هابطة إلى الغرب جَبَلًا بعد جبل . وإتّما قسمته الأوائل جزئين لاختلافهما في حال أمطارهما ، وذلك أنّه مهما استحكمت الرياح الغربية كثر مطر الأندلس الغربي وقَحِطَ الأندلس الشرقي ، ومتى استحكمت الرياح الشرقية مُطِيرَ^٣ الأندلس الشرقي وقَحِطَ الغربي ، وأودية هذا القسم تجري من الشرق إلى الغرب بين هذه الجبال . وجبال الأندلس الغربي تمتدّ إلى الشرق جبلاً بعد جبل تقطع من الجوف إلى القبلة ، والأودية التي تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها إلى القبلة وبعضها إلى الشرق ، وتنصبُّ كلّها إلى البحر المتوسط للأندلس^٤ القاطع إلى الشام ، وهو البحر الرومي ، وما كان من بلاد جوفي الأندلس من بلاد جِلْيَقِيَّة وما يليها فإن أوديته تنصبُّ إلى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف . وصفة الأندلس^٥ شكل مَرَكَن على مثال الشكل المثلث : ركنها الواحد فيما بين الجنوب والمغرب حيث اجتماع البحرين عند صنم قادم ، وركنها الثاني في بلد جِلْيَقِيَّة حيث الصنم المشبه صنم قادم مقابل جزيرة برطانية ، وركنها الثالث بين مدينة نَرْبُونَة ومدينة بُرْذِيل من بلد الفرنجة بحيث يقرب البَحْرُ المحيط من البحر الشامي المتوسط ، فيكادان يجتمعان في ذلك الموضع ،

١ ط ق : جزيرة تدمير...

٢ ك : أسفل من ذلك .

٣ ك : كثير مطر .

٤ ك : المحيط بالأندلس .

٥ راجع هذا النص عند ابن حُدَاري ٢ : ١ (ط . بيروت) . والبكري : الورقة ٢١٩ .

فيصير بلد الأندلس جزيرة بينهما في الحقيقة ، لولا أنه يبقى بينهما برزخ برية صحراء وعمارة مسافة مسيرة يوم للراكب ، منه المدخلُ إلى الأرض الكبيرة التي يقال لها الأبواب ، ومن قبلكه يتصل بلد الأندلس بتلك البلاد المعروفة بالأرض الكبيرة ذات الألسن المختلفة .

• • •

[الأهم التي استوطنت الأندلس]

قال ^١ : وأول من سكن الأندلس ^٢ على قديم الأيام فيما نقله الأخباريون ^٣ من بعد عهد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها قوم يُعرفون بالأندلس ^٤ — معجمة الشين — بهم سُمي المكان ، فعرب فيما بعد بالسين غير المعجمة ، كانوا الذين عمّروها وتناسلوا فيها وتداولوا ملكها دهرًا ، على دين التمجس والإهمال والإفساد في الأرض ، ثم أخذهم الله بذنوبهم ، فحبس المطر عنهم ، ووالى القحط عليهم ، وأعطش بلادهم حتى نضبت مياهها ، وغارت عيونها ، وبيست أنهارها ، وبادت أشجارها ، فهلك أكثرهم ، وقرَّ من قدر على الفرار منهم ، فأقفرَت الأندلس منهم ، وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنة وبضع عشرة سنة ^٥ ، وذلك من حدّ بلد الفرنجة إلى حدّ بحر الغرب الأخضر ، وكان عدّة ما عمرتها هذه الأمة البائدة مائة عام وبضع عشرة سنة . ثم ابتعث الله لعمارها الأفارقة ، فدخل إليها بعد إقفارها تلك المدّة الطويلة قومٌ منهم أجلاهم ملك إفريقية

١ هذا يدل على أن النقل متصل عن ابن النظم ، ولكن ما جاء في هذه الفقرة لا يخرج في مجمله عما نقله الحميري عن الرازي (الروض : ٤ - ٥) إلا أن النص فيه مختصر . وانظر أيضاً ابن

عداري ٢ : ١ .

٢ ك : بالأندلس .

٣ ط : نقله الأخبار .

٤ عند البكري « الأندليش » و « الأنداليس » أي (Vandali) .

٥ وبضع . . . سنة : سقطت من ق ط ج .

نخففاً منهم لإحمال توالى على أهل مملكته ، وتردد عليهم حتى كاد يفنيهم ، فحمل منهم خلقاً في السفن مع قائد من قبيلة يدعى أبطريقس فأرسلوا بريف الأندلس الغربي ، واحتلوا بجزيرة قادس ، فأصابوا الأندلس قد أمطرت وأخصبت ، فجرت أنهارها ، وانفجرت عيونها ، وحييت أشجارها ، فترلوا الأندلس مغتبطين ، وسكنوها معتمرين ، وتوالدوا فيها فكثروا واستوسعوا في عمارة الأرض ما بين الساحل الذي أرسلوا فيه بغربها إلى بلد الإفرنجية من شرقها ، ونصبوا من أنفسهم ملوكاً عليهم ضبطوا أمرهم وتوالوا على إقامة دولتهم ، وهم - مع ذلك - على ديانة من قبلهم من الجاهلية ، وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب اليوم من أرض إشبيلية اخترعها ملوكهم وسكنوها ، فاتسق ملكهم بالأندلس مائة وسبعة وخمسين عاماً إلى أن أهلكهم الله تعالى ، ونسخهم بعجم رومة ، بعد أن ملك من هؤلاء الأفارقة في مدتهم تلك أحد عشر ملكاً . ثم صار ملك الأندلس بعدهم إلى عجم رومة وملكهم إشبان^١ بن طيطش ، وباسمه سميت الأندلس إشبانية ، وذكر بعضهم أن اسمه أصبهان فأحيل بلسان العجم ، وقيل : بل كان مولده بأصبهان فغلب اسمها عليه ، وهو الذي بنى إشبيلية ، وكان إشبانية اسماً خالصاً لبلد إشبيلية الذي كان ينزله إشبان^٢ هذا ، ثم غلب الاسم بعده على الأندلس كله ، فالعجم إلى الآن يسمونه إشبانية لآثار إشبان هذا فيه ، وكان أحد الملوك الذين ملكوا أقطار الدنيا فيما زعموا ، وكان غزاً الأفارقة عندما سلطه الله عليهم في جموعه ، ففض عساكرهم ، وألحق بهم ، ونزل عليهم بقاعدتهم طالقة وقد تحصنوا فيها منه ، فابتنى عليهم مدينة إشبيلية اليوم ، واتصل حصره وقتاله لهم حتى فتحها

١. ق : إلى اشبان .

٢. لفظة إسبانيا (Hispania) أقدم اسم أطلق على شبه الجزيرة الأيبيرية ، وبعضهم يرده إلى أصل فينيقي معناه « ساجل الأرانب البرية » ثم قيل إن ذلك نسبة إلى اشبان (Sphan) وتحرفت الكلمة إلى أصبهان ، ومن صيغ الاسم أيضاً (Hispalia) وعرب إلى إشبيلية .

الله عليه ، وغلبيهم^١ ، واستوت له مملكة الأندلس بأمرها ، ودان له من^٢ فيها ، فهدم مدينة طالقة ، ونقل رخامها وآلاتها إلى مدينة إشبيلية ، فاستم بناءها ، واتخذها دار مملكته ، واستقلط سلطانه في الأرض ، وكثرت جموعه ، فعلا وعظم عتوه ، ثم غزا إيليا — وهي القدس الشريف^٣ — من إشبيلية بعد ستين من ملكه ، خرج إليها في السفن فغنمها وهدمها ، وقتل فيها من اليهود مائة ألف ، واسترق^٤ مائة ألف ، وانتقل^٥ رخام إيليا وآلاتها إلى الأندلس ، وقهر الأعداء ، واشتد سلطاناه . انتهى .

وذكر بعض المؤرخين^٦ أن الغرائب التي أصيبت في مغام الأندلس أيام فتحها كمائدة سليمان عليه الصلاة والسلام التي ألفاها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة وقليئة الدر التي ألفاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة وغيرهما من طرائف اللخائر إنما كانت مما صار لصاحب الأندلس من غنيمة بيت المقدس ، إذ حضر فتحها مع بختنصر ، وكان اسم ذلك الملك بريان ، وفي سهمه وقع ذلك ومثله مما كانت ابلح تأتي به نبي الله سليمان ، على نبينا وعليه وعلى جميع الأنبياء* الصلاة والسلام . انتهى .

وقال غير واحد من المؤرخين : كان أهل المغرب الأقصى يضرون بأهل الأندلس ، لاتصال الأرض ، ويلتقون منهم بالجهد الجهد في كل وقت ، إلى أن اجتاز بهم الإسكندر ، فشكوا حالهم إليه ، فأحضر المهندسين ، وحضر إلى الزقاق ، فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي ، فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامي بشيء يسير ، فأمر برفع البلاد التي على ساحل البحر

١ وغلبيهم : سقطت من ق ج ط .

٢ وهي . . . الشريف : سقطت من ق ج .

٣ ك : ونقل .

٤ انظر قصة النص عن الرازي في الروض المعطار : ٥ وابن عذاري ٢ : ٢ - ٣ .

٥ ق : الأنبياء والمرسلين .

الشامي ، ونقلها من الخضيض إلى الأعلى ، ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد
الأندلس من الأرض ، فحُفرت حتى ظهرت الجبال السفلية ، وبنى عليها رصيفاً
بالحجر والجيار بناءً محكمًا وجعل طوله اثني عشر ميلًا ، وهي المسافة التي كانت
بين البحرين ، وبنى رصيفاً آخر يقابله من ناحية طنجة ، وجعل بين الرصيفين
سعة ستة أميال ، فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الأعظم ، وأطلق
فَمَ الماء بين الرصيفين ، فدخل في البحر الشامي ، ثم فاض ماؤه فأغرق مدناً
كثيرة ، وأهلك أمماً عظيمة كانت على الشطين ، وطفأ الماء على الرصيفين
إحدى عشرة قامة ، فأما الرصيف الذي يلي بلاد الأندلس فإنه يظهر في بعض
الأوقات إذا نقص الماء ظهوراً بيناً مستقيماً على خط واحد ، وأهل الجزيرتين
يسمونه القنطرة ، وأما الرصيف الذي ^١ من جهة العدو فإن الماء حمله في
صدره ، واحتفر ما خلفه من الأرض اثني عشر ميلًا ، وعلى طرفه من جهة المغرب
قصر الجواز وسبنة وطنجة ، وعلى طرفه من الناحية الأخرى جبل طارق بن زياد
وجزيرة طريف وغيرها والجزيرة الخضراء ، وبين سبنة والجزيرة الخضراء
عرض البحر .. انتهى ملخصاً ، وقد تكرر بعضه مع ما جلبناه ، والعذر بين
لارتباط الكلام ببعضه ببعض .

* * *

[موقع الأندلس من الأقاليم]

وقال ابن سعيد : ذكر الشريف أن^١ لا حظاً لأرض الأندلس في الإقليم
الثالث ، قال : ويمر بجزيرة الأندلس من الأقاليم الرابع^٢ على ساحلها الجنوبي وما
قاربه من قرطبة وإشبيلية ومرسية وبلنسية ، ثم يمر على جزيرة صقلية وعلى
ما في سميتها من الجزائر ، والشمس مدبرة له .

١ الذي : سقطت من ق ط ج .

٢ ك : الإقليم الرابع .

والإقليم الخامس يمر على طَلَيْطَلَة وسَرْقُسْطَة وما في سَمْتِهما إلى بلاد
أَرْغُون التي في جنوبيها بَرْشَلُونَة ، ثم يمر على رومية وبلادها ، ويشق بحر
البنادقة ، ثم يمر على القسطنطينية ، ومُدَبَّرْته الزُّهْرَة .

والسادس يمر على ساحل الأندلس الشمالي الذي على البحر المحيط وما قاربه
وبعض البلاد الداخلة في قَشْتَالَة وبُرْتُقَال وما في سَمْتِها ، وعلى بلاد بُرْجَان
والصقالبة والروس ، ومدبَّره عَطَارْد .

ويعر الإقليم السابع في البحر المحيط الذي في شمالي الأندلس إلى جزيرة
انقظرة^١ وغيرها من الجزائر وما في سَمْتِها من بلاد الصقالبة وبُرْجَان . قال
البيهقي : وفيه تقع جزيرة تُولِي وجزيرتا أجبال والنساء وبعض بلاد الروس
الداخلة^٢ في الشمال والبلغار ، ومُدَبَّرْهُ القمر ، انتهى .

وقال بعض العلماء : إنَّ النصراني حُرِّمُوا جنة الآخرة فأعطاهم الله جنة
الدُّنْيَا بستاناً متصلاً من البحر المحيط بالأندلس إلى خليج القسطنطينية ، وعندهم
صموم شاه بلوط والبندق والجزوز والفسق وغير ذلك ممَّا يكون أكثر وأمكن في
الأقاليم الباردة ، والتمر عندهم معدوم ، وكذا الموز وقصب السكر ، وربما
يكون شيء من ذلك في الساحل ، لأنَّ هواء البحر يدفئ ، انتهى .

* * *

[رجع إلى الأمام التي استوطنتها]

قال ابن حيَّان في المقتبس^٣ : ذكر رواية العجم أنَّ الخضر عليه السلام وقف
بإشبان^٤ المذكور وهو يحرق الأرض بفدُنْ له أيام حرائته ، فقال له :

.....

١ ك ق ط : انقطرة ؛ ج : القنطرة ، ويبدو أنَّ « انقطرة » هي الصورة الشائعة للاسم .

٢ الداخلة : سقطت من ك .

٣ انظر الروس المطار : هـ

٤ ك : على اشبان .

يا إسبان ، إنك لذر شان ، وسوف يحطيك زمان ، ويعليك سلطان ، فإذا أنت غلبت على إيليا فارفق^١ بذرية الأنبياء ، فقال له إسبان : أساخر^٢ا رحمك الله ؟ أننى يكون هذا منى وأنا ضعيف ممتهن حقير فقير ليس مثلي ينال السلطان ؟ فقال له : قد قدر ذلك فيك من قدر في عصاك اليابسة ما تراه ، فنظر إسبان إلى عصاه ، فإذا بها قد أورقت ، فريح لما رأى من الآية ، وذهب الخضر عنه ، وقد وقع الكلام بحكده ، ووقرت في نفسه الثقة بكونه ، فترك الامتحان من وقته ، وداخل الناس ، وصحب أهل البأس منهم ، وسما به جدّه فارتقى في طلب السلطان حتى أدرك منه عظيماً ، وكان منه ما كان . ثم أتى عليه ما أتى على القرون قبله ، وكان ملكه كله عشرين سنة ، وتمادى ملك الإشبانيين بعده إلى أن ملك منهم الأندلس خمسة وخمسون ملكاً .

ثم دخل على هؤلاء الإشبانيين^٣ من عجم رومة أمة يدعون البشتولقات^٤ ، وملكهم طلوبش^٥ بن بيطه ، وذلك زمن بعث المسيح بن مريم عليه السلام ، أتوا الأندلس من قبيل رومة ، وكانوا يملكون إفريقيا معها ، ويبعثون عمالهم إليها ، فاتخذوا دار مملكتهم بالأندلس مدينة ماردة^٦ ، واستولوا على مملكة الأندلس ، واتصل ملكهم بها مدة إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكاً .

ثم دخل على هؤلاء البشتولقات أمة القوط مع ملك لهم ، فغلبوا على الأندلس ، واقتطعوها من يومئذ من صاحب رومة ، وتفرّدوا بسلطانهم ، واتخذوا مدينة طليطلة دار مملكتهم ، وأقروا بها سرير ملكهم ، فبقي بإشبيلية عكس الإشبانيين ورياسة أوليتهم .

وقد كان عيسى المسيح^٧ عليه السلام ، بعث الحواريين في الأرض يدعون

١ ك : أساخر بي .

٢ ط ق ج : الاشبان .

٣ في الروض : البشتولقات ، وفي ابن عداري : البشتولقات ؛ وفي ط : البشتولقات .

٤ ج : طلوبش .

٥ ق : عيسى بن مريم ؛ ج : المسيح عيسى .

الخلق إلى ديانته ، فاختلف الناس عليهم ، وقتلوا بعضهم ، واستجاب لهم كثير منهم ، وكان من أسرعهم لإجابة لمن جاءه من هؤلاء^١ الحواريين خشنديش^٢ ملك القوط ، فتنصر ، ودعا قومه إلى النصرانية ، وكان من صميم أعاضهم وخير من تنصر من ملوكهم ، وأجمعوا على أنه لم يكن فيهم أعدل منه حكماً ، ولا أرشد رأياً ، ولا أحسن سيرة ، ولا أجود تدبيراً ، فكان الذي أصّل النصرانية في مملكته ، ومضى أهلها على سنته إلى اليوم ، وحكموا بها ، والإنجيليات في المصاحف^٣ الأربعة التي يختلفون فيها من انتساخه وجمعه وتنقيفه ، فتناست ملوك القوط بالأندلس بعده إلى أن غلبتهم العرب عليها ، وأظهر الله تعالى دين الإسلام على جميع الأديان .

فوقع في تواريخ العجم القديمة أن عدة ملوك هؤلاء القوط بالأندلس من عهد أثنانوينوس الذي ملك في السنة الخامسة من مملكة فلبش القيصري لمضي أربعمئة وسبع من تاريخ الصفر المشهور عند العجم إلى عهد لُدَريقَ آخرهم الذي ملك في السنة التاسعة والأربعين وسبعمئة من تاريخ الصفر ، وهو الذي دخلت عليه العرب فأزالت دولة القوط ، ستة وثلاثون ملكاً ، وأن مدة أيام ملكهم^٤ بالأندلس ثلاثمئة واثنان وأربعون سنة ، انتهى .

وقال جماعة : إن القوط غير البشتولقات ، وإن البشتولقات من عجم رومة ، وإنهم جعلوا دار ملكهم ماردة ، واتصل ملكهم إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكاً ، ثم دخل عليهم القوط ، واتخذوا طليطلة دار مملكة ، ثم ذكر تنصر ملكهم خشنديش مثل ما تقدم ، ثم ذكر أن عدة ملوك القوط ستة وثلاثون ملكاً .

.....
١ هؤلاء : سقطت من ق .

٢ الروض المطار : دخشوش ، وفي بعض أصوله « خنشوش » ؛ وفي ابن عذاري : وخشنديش .

٣ الروض : والمصاحف .

٤ ق : مدة ملكهم .

وذكر الرازي أن القوط من ولد يأجوج بن يافث بن نوح ، وقيل غير ذلك ، انتهى .

* * *

[مناعها ومخبراتها]

وقال^١ الرازي في موضع آخر نحو ما تقدم وزيادة ، ونصّه : أن الأندلس في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة^٢ التي هي رُبُع معمور الدنيا فهي موسطة من البلدان ، كريمة البقعة ، بطبع الخلقة ، طيبة التربة ، مخصبة القاعة ، منبجسة العيون الثرار ، منفجرة بالأنهار^٣ الغزار ، قليلة الهوام ذوات السموم ، معتدلة الهواء أكثر الأزمان لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالأبدان وكذا سائر فصولها في أعم سنيها تأتي على قدر من الاعتدال وتوسط من الحال ، وفواكهها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم ، لأن الساحل ونواحيه يبادر بباكوره ، كما أن الثغر وجهاته والجبال التي ينحصر بها برد الهواء وكثافة البحر تستأخر بما فيها من ذلك ، حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان ، فمادة الخيرات فيها متصلة كل^٤ أوان . ومن بحرها بجهة الغرب يخرج العنبر الجيد المقدم على أجناسه في الطيب والصبر على النار ، وبها شجر المحلب المعداد في الأفاويه المقدم في أنواع الأشنان كثير واسع ، وقد زعموا أنه لا يكون إلا بالهند وبها فقط ، ولها خواص نباتية يكثر تعدادها ، انتهى .

وقد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال^٥ : يوجد في ناحية دلّاية من إقليم

١ ك : وذكر .

٢ زاد بعد لفظة السبعة في ك : التي تقدم ذكرها .

٣ ك : الأنهار .

٤ . ورد كثير من هذا النص في كتاب عنوانه « ذكر بلاد الأندلس » لمؤلف مجهول ، وهو بالجزالة العامة بالرباط رقم (ج : ٨٥) وسنعارض به النص الذي جاء في النسخ متخلين رمزه (مخطوط الرباط) والنص يشغل الصفحات ٧ - ١٠ ؛ وانظر أيضاً الإحاطة ١ : ١٠٤ - ١٠٥ فهناك تشابه بين النصين .

البشرة^١ عود الألتنجوج ، لا يفوقه العود الهندي ذكاء وعطرًا رائحةً ، وقد سبق منه إلى خيران الصقلي صاحب المرية^٢ ، وأن أصل مَنبته كان بين أحجار هنالك ، وبأكشونة^٣ جبل^٤ كثيراً ما يتضوع ، ريحُه ريح العود الذكي إذا أرسلت فيه النار ، وببحر شدونة^٥ يوجد العنبر الطيب الغربي ، وفي جبل مُنت ليون^٦ المحلب ، ويوجد بالأندلس القسُط الطيب ، والسنبُل الطيب ، والجنطيانة تحمل من الأندلس إلى جميع الآفاق ، وهو عقار رفيع^٧ ، والمر الطيب بقلعة أيوب^٨ ، وأطيبُ كهرباء الأرض^٩ بشدونة ، درهم منها يعدل دراهم من المجلوبة ، وأطيب القرمز قرمز الأندلس ، وأكثر ما يكون بنواحي إشبيلية ولَبَلَة وشدونة وبلكنسية ، ومن الأندلس يحمل إلى الآفاق ، وبناحية

- ١ دلالة (Dallas) : من عمل المرية ؛ والبشرة أو البشرات أو البشارت (Alpujarras) هي منطقة جبال سيرانفادا ، وفي مخطوط الرباط « من كورة تدمير » والتحديد واحد وإن اختلفت التسمية ، فتدمير هو الاسم القديم لكورة مرسية (Murcia) .
- ٢ خيران الصقلي من أوائل الفتيان الذين أعلنوا استقلالهم بعد انهيار الدولة الأموية بالأندلس على أثر الفتنة البربرية (٣٩٩) واتخذ المرية مركزاً له . راجع أعمال الأعلام : ٢١٠ - ٢١٥ .
- ٣ أكشونة - بالباء الموحدة بعد النون - (Ossonoba) (كتبت في ك ط أكشونية حينما وقعت) : مدينة وكورة تتصل بأحوال الإشبونة وتحتل الركن الغربي الجنوبي من شبه الجزيرة ، ولها عدة حصون وأقاليم وأشهر مدنها شلب .
- ٤ مخطوط الرباط : يعرف بجبل الخفة (أو الخنة) .
- ٥ شدونة (Medina Sidonia) : كورة متصلة بكورة مورور ، نزلها جند فلسطين من العرب ، وهي في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة إلى الشمال الغربي من الجزيرة الخضراء .
- ٦ مخطوط الرباط : منتلون (Mentileon) وثمة النص : المحلب الذي لا يعدل به غيره .
- ٧ القسط (أو القسطن) عود هندي وعربي يتداوى به ، والهندي غليظ أسود مر المذاق والعربي أبيض خفيف قوي الرائحة ؛ والسنبُل هو سنبُل الطيب ويسمى أيضاً : المصافير ، وقال ابن الحشاش : والرومي منه غير محقق بالمغرب . والجنطيانة - ويكتب بالآلف بدل الهاء - نبات لا يوجد بالمغرب إلا بجبال غرناطة . وفي مخطوط الرباط : وهو عقار رفيع يوجد بلبله ؛ وزاد فيه : « والبرباريس العجيب يوجد بنواحي المنتلون » .
- ٨ قلعة أيوب (Caltayud) وهي بقرب مدينة سالم وبينها وبين دروكة ثمانية عشر ميلاً .
- ٩ كهرباء الأرض : مادة صمغية توجد عند سواحل البحر بالأندلس ، وخاصة عند أصول النوم ، والنوع الأندلسي منها أصفر وأصلب من المشرقي ، وتدخل في تحضير بعض أنواع الأدوية .

لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد ، وقد يوجد في غيرها ، وعلى مقربة من حصن لورقة^١ من عمل قرطبة معدن البلور ، وقد يوجد بجبل شحيران وهو شرقي يبره ، والحجر البجادي^٢ يوجد بناحية مدينة الأشبونة في جبل هنالك يتلأأ فيه ليلاً كالسراج ، والياقوت الأحمر يوجد بناحية حصن منت ميور^٣ من كورة مالقة إلا أنه دقيق جداً لا يصلح للاستعمال لصغره ، ويوجد حجر يشبه الياقوت الأحمر بناحية بنجانة^٤ في خندق يعرف بقرية ناشرة^٥ أشكالاً مختلفة كأنه مصبوغ ، حسن اللون ، صبور على النار ، وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد في كورة تدمير ، وحجر الشاذنة بجبال قرطبة كثير ، ويستعمل في ذلك التذهيب^٦ ، وحجر اليهودي في ناحية حصن البونت^٧ ، وهو أنفع شيء للحصاة ، وحجر المرقشيثا^٨ الذهبية في جبال أبدة^٩ لا نظير لها في الدنيا ، ومن الأندلس تحمل إلى جميع الآفاق لفضلها ، والمغنيسيا بالأندلس كثير ، وكذلك حجر الطلق^{١٠} ، ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة إلا أنه جامد اللون ، ويوجد المرجان بساحل بيرة من عمل المرية^{١١} ،

١ ك : حفرة لورقة .

٢ ك : حجر النجادي ، ط : النجاد ، وفي دوزي : البجادي . وفي الجماهر : البيجادي .
٣ مخطوط الرباط : متيور .

٤ بجانة : مدينة كانت من أهم قرى أرض اليمن أي الإقليم الذي نزل عليه بنو سراج القضاة وكانوا يأخذون أرشه ، وهي قريبة من المرية بينهما ستة أميال ، وقال ابن سعيد : محدثة بنيت في عهد بني أمية .

٥ مخطوط الرباط : في خندق يعرف بقرية ناشر ، وأظنه أصوب .

٦ الشاذنة : حجر يستعمل في مداواة العين وخشونة الأجفان ، أما التذهيب فلم يلح لي منها .

٧ حصن البونت (Alpuente) : شمال شرقي مليلية .

٨ المرقشيثا من المعادن الكبريتية (وتصحفت الكلمة في الأصول) .

٩ أبدة (Ubeda) : إلى الشمال الشرقي من بياسة ، بينهما سبعة أميال .

١٠ حجر الطلق : حجر يراق يتحلل إذا دق إلى طاقات صفار دقاق ويشبه الشب اليماني ، وإذا ألقى في النار لم يحترق ، ولذلك كانوا يطلون به المواضع التي قد تصيبها النار لكي لا تحترق .

١١ المرية (Almeria) : مدينة بنيت أيام عبد الرحمن الناصر وازدهرت في أيام المرابطين واشتد فيها الرخاء ، وتقع على الساحل الشرقي إلى الجنوب الشرقي من بجانة .

أقل^١ ما لُقِّط منه في أقل من شهر نحو ثمانين ربعا ، ومعادن الذهب بنهر لاردة يُجمع منه كثير ، ويجمع أيضاً في ساحل الأشبونة ، ومعادن الفضة في الأندلس كثيرة في كورة تُدْمِير وجبال حَمّة بَجَانة^٢ ، وإقليم كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل ، وبأكشونية معدن القصدير لا نظير له يشبه الفضة ، وله معادن بناحية إفرنجة وليون ، ومعادن الزئبق في جبل البرانس ، ومن هنالك يتجهز به إلى الآفاق ، ومعادن الكبريت الأحمر والأصفر بالأندلس كثيرة ، ومعادن التوتيا الطبية بساحل البيرة بقربة تسمى بِطِرْنة^٣ ، وهي أزكى توتيا وأقواها في صبغ النحاس ، وبجبال قرطبة توتيا ، وليست كالبطرنية ، ومعادن الكحل المشبه بالأصفهاني بناحية مدينة طُرْطُوشة^٤ يحمل منها إلى جميع البلاد ، ومعادن الشوب والحديد والنحاس بالأندلس أكثر من أن تحصى ، وما ذكرت هنا وإن تكرر بعضه مع ما سبق أو يأتي فهو بل جمع النظائر ، وما لم نذكره أكثر ، والله تعالى أعلم .

ومن خواص طليطلة : أن حنطتها لا تتغير ولا تتسوس على طول السنين ، يتوارثها الخلف عن السلف ، وزعفران طليطلة هو الذي يعم البلاد ويتجهز به الرفاق إلى الآفاق ، وكذلك الصبغ السماوي ، انتهى .

وقال المسعودي في « مروج الذهب » بعد كلام ما نصّه : والعنبر كثير ببحر الأندلس ، يجهز إلى مصر وغيرها ، ويحمل إلى قرطبة من ساحل لها يقال

.....

١ أقل : سقطت من ج ط ك .

٢ جاء في الروض المعمار : وبشرقي بجانة على ثلاثة أميال جبل شامخ فيه معادن غريبة وفيه الحمة العجيبة الشأن . . . الخ .

٣ البيرة (Elvira) كورة نزلها جند دمشق ، وكانت مدينة البيرة قريبة من غرناطة ، بينهما ستة أميال ؛ أما بطرنة فقد عدها ابن سعيد من قرى بلنسية (المغرب ٢ : ٣٥٥) .

٤ طرطوشة (Tortosa) من مدن الثغر الأعلى ينسب إليها أبو الوليد الطرطوشي نزيل الإسكندرية وصاحب « مراجع الملوك » .

له شترين^١ وشذونة ، تبلغ الأوقية منه بالأندلس ثلاثة مثاقيل ذهباً ، والأوقية بالبغدادى وتباع بمصر أوقيته بعشرة دنانير^٢ ، وهو عنبر جيد ، ويمكن أن يكون هذا العنبر الواقع إلى بحر الروم ضربته الأمواج من بحر الأندلس إلى هذا البحر لاتصال الماء . وبالأندلس معدن عظيم للفضة ، ومعدن للزئبق ليس بالجيد يجهز إلى سائر بلاد^٣ الإسلام والكفر ، وكذلك يحمل من بلاد الأندلس الزعفران وعروق الزنجبيل . وأصول الطيب خمسة أصناف : المسك ، والكافور ، والعود ، والعنبر ، والزعفران ، وكلها تُحمل من أرض الهند وما اتصل بها إلا الزعفران والعنبر ، انتهى ، وهو وإن تكرر مع ما ذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة ، والله تعالى أعلم .

وذكر البعض أن في بعض بلاد الأندلس جميع المعادن الكائنات عن النيرات السبعة وهي : الرصاص من زحل ، والقصدير الأبيض من المشتري ، والحديد من قسم المريخ ، والذهب من قسم الشمس ، والنحاس من الزهرة ، والزئبق من عطارد ، والفضة من القمر .

* * *

[الأنديلسيون والأمم المجاورة]

وذكر الكاتب إبراهيم بن القاسم القروى المعروف بالرقيق* بـكـدـ

١ شترين (Santarem) مدينة معلودة في كورة باجة من منطقة الغرب أي البرتغال وتبعد ٦٧ كيلومتراً عن الاشبونة شمالاً .

٢ ك : بمشرين ديناراً .

٣ بلاد : سقطت من ط ق .

٤ بعض : سقطت من ك .

٥ الرقيق ، إبراهيم بن القاسم القروى : نسبة إلى القيروان ، مؤرخ أديب تولى الكتابة في الدولة الصنهاجية ، ثم رحل إلى مصر ٣٨٨ هـ من زيري بن باديس إلى الحاكم ، وقد أثنى عليه ابن خلدون في مقدمته بقوله : « مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان ولم يأت من بعده إلا مقلد » (انظر الأعلام للزركلي ١ : ٥١ والمصادر في الحاشية) .

الأندلس ، فقال : أهله أصحاب جهاد متصل يحاربون من أهل الشرك المحيطين بهم أمة يُدعون الجلالة يُتأخمون حَوَزهم ما بين غرب إلى شرق ، قوم لهم شدة ولهم جمال وحُسن وجوه ، فأكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال والفراة منهم ليس بينهم وبينهم دَرَب ، فالحرب متصلة بينهم ، ما لم تقع هدنة ؛ ويحاربون بالأفق الشرقي أمة يقال لهم الفرنجة هم أشد عليهم من جميع من يحاربونه من عدوهم ، إذ كانوا خلقاً عظيماً في بلاد كثيرة واسعة جليلة متصلة العمارة آهلة تدعى الأرض الكبيرة ، هم أكثر عدداً من الجليقيين وأشدّ بأساً وأحدّ شوكة وأعظم أمداداً^١ ، وهذه الأمة يحاربون أمة الصقالبة المتصلين بأرضهم لمخالفتهم إياهم في الديانة فيَسْبُونُهم ويبيعون رقيقهم بأرض الأندلس ، فلهم هنالك^٢ كثرة ، وتخصيهم للفرنجة يهودُ ذمّتهم الذين بأرضهم ، وفي ثغر المسلمين المتصل بهم ، فيحمل خيصيانهم من هنالك إلى سائر البلاد ، وقد تعلّم الخيصة قوم من المسلمين هناك ، فصاروا يخصوصون ويستحلّون المثلة .

* * *

[بحر المجاز]

قال ابن سعيد : ومخرج بحر الروم المتصاعد إلى الشام هو بساحل الأندلس الغربي بمكان يقال له الخضراء ما بين طنجة من أرض المغرب وبين الأندلس فيكون مقدار عرضه هناك كما^٣ زعموا ثمانية عشر ميلاً ، وهذا عرض جزيرة طريف إلى قصر مصمودة بالقرب من سبتة ، وهناك كانت القنطرة التي يزعم الناس أن الإسكندر بناها ليعبرَ عليها من بر الأندلس إلى بر العُدوة ،

....

١ قارن هذا بقول ابن حوقل في الفرنجة : « غير أن الذي يل المسلمين منهم ضميعة شوكتهم ، قليلة عدتهم وعدتهم ... والجلالة أحسن وأصدق محاسن وأقل طاعة وأشدّ بأساً وقوة وبسالة » .

(صورة الأرض : ١٠٦) .

٢ ط : بذلك ؛ ج : لذلك .

٣ كما : زيادة من ك .

ويُعرف هذا الموضع بالزقاق ، وهو صعب التّجّاز لأنّه مجمع البحرين لا تزال الأمواج تتطاوّل فيه والماء يدور ، وطول هذا الزقاق الذي عرضه ثمانية عشر ميلاً مضاعف ذلك إلى ميناء سبّته ، ومن هناك يأخذ البحر في الاتّساع إلى ثمانمائة ميل وأزيد ، ومُنْتَهاهُ مدينة صور من الشام ، وفيه عدد عظيم من الجزائر . قال بعضهم : إنّها ثمان وعشرون جزيرة منها صقلية ومالطة^١ وغيرهما ، انتهى ، وبعضه بالمعنى . وقال بعضهم^٢ عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب سبّته ، ما صورته : ثمّ يتّسع كلّما امتد حتّى يصير إلى ما لا ذرع له ولا نهاية .

• • •

[بلدة عن عراجها]

وقال بعضهم : وكان مبلغ خراج الأندلس الذي كان يؤدى إلى ملوك بني أميّة قديماً ثلاثمائة ألف دينار دراهم أندلسية كل سنة قوانين ، وعلى كل مدينة من مدائنهم مال معلوم ، فكانوا يُعطون جندهم ورجالهم الثلث من ذلك مائة ألف دينار ، وينفقون في أمورهم ونوائبهم ومؤون أهلهم مائة ألف دينار ، ويدّخرون لحادث أيامهم مائة ألف دينار ، انتهى . وذكر غيره أن الجباية كانت بالأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ألف ألف دينار في السنة ، وكانت قبل ذلك^٣ لا تزيد على ستمائة ألف ، حكاه ابن سعيد ، وقال : إنّ الأندلس مسيرة شهر مدن وعمائر .

• • •

١ ق ط ج : وجزيرة مالطة .

٢ ق ط : وقال غيره .

٣ ذلك : زيادة في ك .

[خبر ابن خلدون عن الأمم التي استعوطتها]

وقال قاضي القضاة ابن خلدون الحضرمي في تاريخه الكبير ، ما صورته ^١ :
كان هذا القطر الأندلسي من العدو الشمالية من عدوتي البحر الرومي
وبالجانب الغربي منها يسمى عند العجم الأندلوش ، وتسكنه أمم من لفرنجة
المغرب أشدهم وأكثرهم الجلالة ، وكان القوط قد تملكوه وغلبوا على أهله
لثين من السنين قبل الإسلام ، بعد جروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها
رومة ثم عقدوا معهم السلم على أن ينصرف القوط إلى الأندلس ، فصاروا إليها
وملكوها .. ولما أخذ الروم واللطينيون بملة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب
من أمم الفرنجة والقوط عليها فدانوا بها ، وكان ملوك ^٢ القوط ينزلون طليطلة ،
وكانت دار ملكهم ، وربما تنقلوا ما بينها وبين قرطبة وإشبيلية وماردة ، وأقاموا
كذلك نحواً من أربعمئة سنة إلى أن جاء الله بالإسلام والفتح ، وكان ملكهم لذلك
العهد يسمى لُدَريق ، وهو سِمَة للو كهم ، كما هو جرجير ^٣ سِمَة للوك صقلية ،
انتهى .

• • •

[شيء عن غرناطة وأعمالها]

ومن أشهر بلاد الأندلس غرناطة ، وقيل : إن الصواب أغرناطة
— بالهمز — ومعناه بلغتهم الرُمّة ، وكفاها شرفاً ولادة لسان الدين بها .
وقال الشقندي ^٤ : أما غرناطة فإنها دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح

١ انظر العبر ٤ : ١١٦ - ١١٧ .

٢ ملوك : سقطت من ق .

٣ جرجير : (Gregorius) ؛ وفي ك : كما أن جرجير .

٤ الشقندي أبو الوليد اسماعيل بن محمد (٦٢٩ -) صاحب كتاب الطرف ورسالة مشهورة في
تفصيل الأندلس . على بر العدو ، عارض بها أبا يحيى زكريا صهر ناصر بني عبد المؤمن ، وقد
احتفظ بها المقرئ في النسخ في الباب السابع من القسم الأول ، وهذا النص منها مأخوذ على سبيل =

الأبصار ، ومطمح الأنفس ، ولم تخلُ من أشراف أمائل ، وعلماء أكابر ،
وشعراء أفاضل ، انتهى ؛ ولو لم يكن لها إلا ما خصَّها الله تعالى به من المَرَج
الطويل العريض ونهر شَنِيل لكفاها .

وفي بعض كلام لسان الدين ما صورته : وما لمصر تفخر بنيلها وألفُ منه
في شَنِيلها^١ ؟ يعني أن الشين عند أهل المغرب عددها ألف ، فقولنا شَنِيل إذا
اعتبرنا عدد شينه كان ألف نيل ، انتهى ؛ وفيها قيل :

غَرْنَاطَة ما لها نَظِيرٌ ما مصرٌ ما الشام ما العراق ؟
ما هي إلا العروسُ تُجَلَّى وتلك من جُمْلَةِ الصَّدَاقِ

وتسمى كورة لبيرة التي منها غَرْنَاطَة ، دمشق ، لأن جند دمشق نزلوها
عند الفتح ، وقيل : إنما سُميت بذلك لشبهها بدمشق في غَزَاة الأنهار ، وكثرة
الأشجار ، حكاه صاحب مناهج الفكر^٢ ، قال : ولما استولى الفرنج على معظم
بلاد الأندلس انتقل أهلها إليها فصارت المصير المقصود ، والمعقل الذي تَنصَوِي
إليه العساكر والجنود . وَيَشَقُّهَا نهر عليه قناطر يُجَاوُزُ عليها ، وفي قبليها
جبل شَلِير^٣ ، وهو جبل لا يفارقه الثلج صيفاً وشتاء ، وفيه سائر النبات
الهندي ، لكن ليس فيه خصائصه ، انتهى .

ومن أعمال غرناطة قطر لَوْشَة^٤ ، وبها معدن للفضة جيد ، ومنها ، أعني
لوشة ، أصل لسان الدين بن الخطيب . وهذا القطر ضخيم ينضاف إليه من الحصون

.....

= الاختصار . (انظر ترجمة الشقندي في المغرب ١ : ٢١٣) .

١ شَنِيل (أو شَنِيل) هو نهر غرناطة ، كما سيأتي بعد سطور ، وهو يصب في نهر الوادي الكبير .

٢ سنعرف به فيما يلي ص : ١٥٩ .

٣ شَلِير أو جبل الثلج هو ما يسمى سير الفادا ، وشَلِير من اللاتينية (Solaris) أي الشمس ، لانعكاس
أشعة الشمس على ثلوجه ، أما سير انفادا فتعني الجبال الثلجية .

٤ لوشة (Loja) على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً إلى الغرب من غرناطة .

والقرى كثير ، وقاعدته لَوْشَة ، بينها وبين غرناطة مرحلة ، وهي ذات أنهار^١
وأشجار ، وهي على نهر غرناطة الشهير بشنيل .
ومن أعمال غرناطة الكبار عمل باغ^٢ ، والعامه يقولون بيغ^٣ ، وإذا
نسبوا إليه قالوا بيغي ، وقاعدته باغه طيبة الزرع ، كثيرة الثمار ، غزيرة المياه ،
ويجود فيها الزعفران .
ومن أعمال غرناطة وادي آش^٤ ، ويقال : وادي الأشات . وهي مدينة
جَليلة قد أهدت بها البساتين والأنهار ، وقد خص الله أهلها بالأدب وحب الشعر ،
وفيها يقول أبو الحسن بن نزار^٥ :

وادي الأشات يهيجُ وجدي كلما أذكرتُ ما قضتُ بك النعماء
لله ظلكَ والهجيرُ مُسلطٌ قد بردتُ لفحاته الأنداء
والشمسُ ترغبُ أن تفوزَ بلحظة منه فتطرفُ طرفها الأفياء
والنهرُ يبسمُ بالحباب كأنه سلخُ نضته حبة رشاء
فلذلك تحذره الغصونُ فميلها أبداً على جنباته إيماء

ومن أعمال وادي آش حصن جليانة ، وهو كبير يضاهاه المدن ، وبه
التفاح الجلياني الذي خص الله به ذلك الموضع^٦ ، يتجمع عظم الحجم وكرم
الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء ، وبين الحصن المذكور ووادي

١ أنهار : سقطت من ج .

٢ باغة (Priego) بلدة تقع إلى الشمال من لوشة في ولاية جيان .

٣ وادي آش (أو وادي الأشات Guadix) تقع على نهر ينحدر من جبل شلير عند السفح الشمالي
لجبل الثلج (سيرانفادا) ، قريباً من غرناطة على بعد ٥٣ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي منها .

٤ سترجم له المقرئ ، وله موشحة في المغرب ٢ : ١٤٧ ، ويقول فيه ابن سعيد : حسيب وادي
آش (٢ : ٢٦٤) .

٥ لك : أفضت .

٦ المغرب ٢ : ١٤٨ خصه (أي حصن جليانة Juliana) الله بالتفاح الذي يضرب به المثل في
الأندلس ؛ وذكر ابن سعيد أن بني البراق كانوا أعيان هذا الحصن .

آش اثنا عشر ميلاً .

ومن غرائب الأندلس أن به شجرتين من شجر القسطل ، وهما عظيمتان جداً إحداهما بسند وادي آش^١ والأخرى ببشرة غرناطة ، في جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب ، وهذا أمر مشهور قاله أبو عبد الله بن جرير وغيره . وكانت البيرة هي المدينة قبل غرناطة ، فلما بنى الصنهاجي^٢ مدينة غرناطة وقصبتها وأسوارها انتقل الناس إليها ، ثم زاد في عمارتها ابنه باديس بعده .

* * *

[شهرة سرقسطة وبرجة ومالقة وأشبونة]

وذكر غير واحد^٣ أن في كورة سرقسطة الملح الأندلسي الأبيض الصافي الأملس الخالص ، وليس في الأندلس موضع فيه مثل هذا الملح . قال : وسرقسطة بناها قيصر ملك رومة الذي توارخ من مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء^٤ الصلاة والسلام ، وتفسير اسمها قصر السيد ، لأنه اختار ذلك المكان بالأندلس . وقيل : إن موسى بن نصير شرب من ماء نهر جيلق بسرقسطة فاستعذبه ، وحكم أنه لم يشرب بالأندلس أعذب منه ، وسأل عن اسمه ، فقيل : جيلق ، ونظر إلى ما عليه من البساتين فشبتهها بغوطه جيلق الشام ، وقيل : لأنها من بناء الإسكندر ، والله أعلم .

وبمدينة برجة^٥ - وهي من أعمال المريّة - معدن الرصاص ، وهي على واد مبهج يعرف بوادي عذراء ، وهو محرق بالأزهار والأشجار ، وتسمى

١ هذا السند يسمى اليوم (Markezado del Zenete) .

٢ يعني حبوس بن ماكسن الصنهاجي ، عندما استقل بالأمر بعيد سقوط الدولة الأموية .

٣ انظر مثلاً المنتقى من فرحة الأنفس : ٢٨٨ ، والروض : ٩٧ .

٤ وعلى ... الأنبياء : سقطت من ق ط ج .

٥ برجة : (Berja) تقع غربي المريّة على مقربة من ساحل البحر .

برجة : « بهجة » لبهجة منظرها ، وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيرواني ،
رحمه الله تعالى ^١ :

رياضٌ تعشقها سندس توشّت معافقها بالزهر
مدامعها فوق خدي ربي لها نصرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنة وكل طريق إليها سقر

وفيها أيضاً قوله :

حطّ الرجال ببرجة وارثد لنفسك بهجة
في قلعة كسلاح ودوحة مثل لجة
فحصنها لك أمن وروضها لك فرجة
كل البلاد سواها كعصرة وهي حجة

وبالقة التين الذي يضرب المثل بحسنه ، ويجلب حتى للهند والصين ،
وقيل : إنه ليس في الدنيا مثله ، وفيه يقول أبو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوي
المالقي حسبما أنشده غير واحد منهم ابن سعيد ^٢ :

مالقة حبيبت يا تينها الفلّك من أجلك ياتينها
نبي طيبي عنه في عيتي ما لطيبني عن حياتي نبي

وذيل عليه الإمام الخطيب أبو محمد عبد الوهاب المنشي بقوله :

وحمص لا تنس لها تينها واذكر مع التين زياتينها

١ أبو الفضل جعفر بن شرف هو ابن الشاعر القيرواني أبي عبد الله ابن شرف المهاجر إلى الأندلس ،
وقد ولد في برجة وقيل بل دخل به أبوه الأندلس صغيراً ، (ترجمته في الذخيرة ٣ : ٢٧٦
والقلائد : ٢٥٢ والصلة : ١٣١ والمغرب ٢ : ٢٣٠) .
٢ في الروض : ١٧٩ أن الطلبة خرجوا للقاء أبي محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله الأنصاري لما
ولي القضاء بمالقة ، فأنشداهم هذين البيتين ، وانظر رحلة ابن بطوطة : ٦٦٩ حيث نسبهما
للخطيب أبي محمد عبد الوهاب بن علي المالقي ، أما ابن عبد الملك فهو مؤلف الذيل والتكملة .

وفي بعض النسخ :

لا تَنَسَّ لَاشِيلِيَّةَ تِينَهَا^١ واذكر مع التين زياتينها

وهو نحو الأول ، لأن حمص هي إشييلية ، لتزول أهل حمص من المشرق بها ، حسبما سنذكره .

ونسب ابن جُزَيٍّ في ترتيبه لرحلة ابن بطَّوطة البيتين الأولين للخطيب أبي محمد عبد الوهاب المالقي ، والتذييل لقاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد الملك ، فآله أعلم .

وقال ابن بطوطة^٢ : وبمالقة يُصنع الفَخَّار المذهب العجيب ، ويُجَلَّب منها إلى أقاصي البلاد ، ومسجدها كبير الساحة ، شهير البركة^٣ ، وصَحْنُه لا نظير له في الحسن ، وفيه أشجار النارج البديعة ، انتهى .

وقال قبله^٤ : إن مالقة إحدى قواعد الأندلس ، وبلادها الحسان ، جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الخيرات والفواكه ، رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير ، ورُمَّانها المرسيّ الياقوتي لا نظير له في الدنيا ، وأما التين واللوز فيُجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب ، انتهى .

وبكورة أشبونة المتصلة بشتَرتين معدن التبر ، وفيها عسل يجعل في كيس كتان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر ، ويوجد في ريفها العنبر الذي لا يشبهه إلا الشَّحْري .

* * *

.....

١ ق ج ط : ولا تنس تين إشييلية .

٢ الرحلة : ٦٧٠ .

٣ ك : كثير البركة شهيرها .

٤ الرحلة : ٦٦٩ .

[نبذة عن قرطبة وشهرتها]

ومن أشهر مدن الأندلس مدينة قرطبة — أعادها الله تعالى للإسلام —
وبها الجامع المشهور ، والقنطرة المعروفة بالجسر .
وقد ذكر ابن حيّان أنّه بنى على أمر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ،
ونصه ، وقام فيها بأمره على النهر الأعظم بدار مملكتها قرطبة الجسر الأكبر الذي
ما يُعرف في الدنيا مثله ، انتهى .
وفيها يقول بعض علماء الأندلس^١ :

بأربعٍ فاقتِ الأمصارَ قرطُبةٌ^٢ منهنّ قنطرةُ الوادي ، وجامعُها
هاتان ثنتان ، والزهراءُ ثالثة ، والعلمُ أعظمُ شيء ، وهو رابعُها

وقال الحجاري في « المسهب » : كانت قرطبة في الدولة مروانية قبة
الإسلام ، ومجتمع أعلام الأنام ، بها استقرّ سرير الخلافة المروانية ، وفيها تمحضت
خلاصة القبائل المديّة واليمانيّة ، وإليها كانت الرّحلة في الرواية إذ كانت
مركز الكرماء ، ومعدن العلماء ، وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد ،
ونهرها من أحسن الأنهار ، مكتنفٌ بديباج المروج مطرز بالأزهار ، تصدّح
في جنباته الأطيار ، وتنعر النواخير ويتبسم النّوّار ، وقرطابها الزاهرة والزهراء ،
حاضرتا الملك وأفقا النعماء والسراء . وإن كان قد أخنى عليها الزمان ، وغير
بهجة أوجهها الحسان ، فثلك عادته وسلّ الخوّرتيّ والسّديرَ وغمدان^٣ ،
وقد أعلر بإنذاره إذ لم يزل ينادي بصُرُوفه : لا أمان لا أمان ، وقد قال الشاعر :

وما زلتُ أسمعُ أنّ الملو لك تبّني على قدر أخطارها
انتهى

١ سيورد المقرئ البيتين في الباب الرابع وينسهما إلى أبي محمد بن عطية المحاربي .

وقال السلطان يعقوب المنصور^١ ابن السلطان يوسف ابن السلطان عبد المؤمن بن علي لأحد رؤساء أجنادها : ما تقول في قرطبة ؟ فخاطبه على ما يقتضيه كلامُ عامة الأندلس بقوله : جوئها شِمَام ، وغربها قُمام ، وقبلتها مُدام ، والجنة هي والسلام .

يعني بالشِّمام جبال الورد ، ويعني بالقمام ما يؤكل إشارة إلى محرث الكنبانية^٢ ، ويعني بالمدام النهر .

ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المؤمن لأبي عمران موسى بن سعيد العنسي^٣ : ما عندك في قرطبة ؟ قال له : ما كان لي أن أتكلّم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها ، فقال السلطان : إن ملوك بني أمية حين اتخذوها حضرةً مملكتهم لعلّى بصيرة ، الديار المنفسحة الكثيرة^٤ ، والشوارع المتسعة ، والمباني الضخمة المشيدة ، والنهر الجاري ، والهواء المعتدل ، والخارج الناضر ، والمحرث العظيم ، والشعراء الكافية ، والتوسط بين شرق الأندلس وغربها ، قال : قفلت : ما أبقى لي أمير المؤمنين ما أقول .

قال ابن سعيد : ولأهلها رياسة ووقار ، لا تزال سيمّة العلم والملك متوارثة فيهم ، إلا أن عامتها أكثر الناس فضولاً ، وأشدّهم تشغيلاً ، ويضرب

١ السلطان يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٠ - ٥٩٥) من أعظم خلفاء الموحدين ، كان جواداً شجاعاً كريماً عالماً . (انظر له ترجمة في وفيات الأعيان ٦ : ٤ وروض القرطاس : ١٦٠ ط . فاس) وأخباره في المعجب والبيان المغرب وغيرهما من المصادر التاريخية) .

٢ الكنبانية : قال فيها ياقوت : ناحية بالأندلس قرب قرطبة ، وهذا تعريف قاصر ، فإن الكنبانية هي الأراضي السهلة الزراعية أينما كانت ، وقد ذكر ابن الخطيب الكنبانية في الحديث عن غرناطة (١ : ١٠٢) وأصلها من الكلمة اللاتينية (Campanie) أي الحقل أو المحرث كما يسميها الأندلسيون ، وتكتب أحياناً باللقاف . (انظر ملحق دوزي : قنبانية) .

٣ السلطان يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ - ٥٨٠) ثاني خلفاء الموحدين ، أما موسى بن سعيد فهو والد علي صاحب المغرب ، كان شغوفاً بالتاريخ وولي للموحدين بعض الأهمال وتوفي بالإسكندرية (٥٧٣) . راجع المغرب ٢ : ١٧٠ .

٤ ك : الكبيرة .

بهم المثل ما بين أهل^١ الأندلس في القيام على الملوك ، والشنيع على الولاة ، وقلة الرضا بأمورهم ، حتى إن السيد أبا يحيى أخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها : كيف وجدت أهل قرطبة ؟ فقال : مثل الحمل ، إن خففت عنه الحمل صاح ، وإن أثقلت صاح ، ما ندري أين رضاهم فنقصده ، ولا أين سخطهم فنجنبه ، وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شراً من عامة العراق ، وإن العزل عنها لما قاسيته من أهلها عندي ولاية ، وإنني إن كلّفت العود إليها لقاتل : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، انتهى .

وقال أبو الفضل التيفاشي : جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بن الفقيه أبي الوليد بن رشد والرئيس أبي بكر بن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما أدري ما تقول ، غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حُمِلت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حُمِلت إلى إشبيلية ، قال : وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً ، انتهى . وحكى الإمام ابن بشكّوَال عن الشيخ أبي بكر بن سعادة أنه دخل مدينة طليطلة مع أخيه على الشيخ الأستاذ أبي بكر المخزومي ، قال : فسلنا : من أين ؟ فقلنا : من قرطبة ، فقال : متى عهدكما بها ؟ فقلنا : الآن وصلنا منها ، فقال : اقربا إليّ أشمّ نسيم قرطبة ، فقربنا منه ، فشمّ رأسي وقبله ، وقال لي : اكتب :
أقرطبة الغراء هل لي أوبة ؟ إليك ؟ وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربي منك غمامة وقعقع في ساحات دوحاتك الرعد
لياليلك أسحاراً ، وأرضك روضة ، وتربك في استنشاقتها عنبر ورْد

وكتب الرئيس الكاتب أبو بكر بن القبطرنة للعالم أبي الحسين بن سراج بقوله^٢ :

١ أهل : زيادة من ك .

٢ أبو بكر بن القبطرنة (ويكتب أيضاً القبطورنة) أحد ثلاثة إخوة يعرفون ببني القبطورنة، والاسم من (Cap-torno) (أي الرأس المستدير) وأبو بكر منهم هو عبد العزيز بن سعيد بن عبد العزيز =

يا سيدي وأبي هوى وجلالة ورَسُولٌ وَدِّي إن طلبتُ رسولا
عرجُ بقرطبة إذا بلّغتها بأبي الحسين وناديه تمويلا^١
وإذا سجدت بنظرة من وجهه أهدى السلامَ لكفه تنقيلا
واذكر له شوقي وشكري مجملًا ولو استطعتُ شرحته تفصيلا
بتحية تُهدى إليه كأنما جرتُ على زهر الرياض ذيولا

وفي باب اليهود بقرطبة يقول أبو عامر بن شهيد^٢ :

لقد أطلعوا عند باب اليهود بدراً أبا الحسن أن يكسفا
تراه اليهود على بابها أميراً فتحسبُه يوسفًا

واستبحوا قولهم « باب اليهود » فقالوا « باب الهدى » ، وسند ذكر قرطبة
والزهراء والزاهرة ومسجدها في الباب المنفرد بها إن شاء الله تعالى ، وكذلك
القنطرة .

• • •

[إشبيلية وإليها]

ومن أعظم مدن الأندلس إشبيلية — قال الشندي : من محاسنها اعتدال

— البطليوسي كان كاتباً للمتوكل ابن الألفس صاحب بطليوس (وتوفي سنة ٥٢٠ هـ) وقد ترجم
له ولأخويه ابن بسام (الذخيرة القيم الثاني : ٢٨٩) والمغرب ١ : ٣٦٧ والقلائد : ١٤٨
والخطوب : ١٨٦ والإحاطة ١ : ٥٢٨ ، وسرد له ذكر في النفع ؛ وهذه الأبيات الواردة هنا
في الذخيرة : ٢٩٣ والقلائد ١٥٢ . أما أبو الحسين بن سراج فهو سراج بن عبد الملك
ابن سراج كان والده من علماء اللغة في عصره ، ونشأ ابنه كذلك بقرطبة . (انظر ترجمته في
الذخيرة ١ - ٢ : ٣١٩ والقلائد : ١١٦ والمغرب ١ : ١١٦ والديباج المذهب : ١٢٦ وبغية
الوحاة : ٢٥١) .

١ ناده تمويلا : قل له « يا مولاي » .

٢ أبو عامر بن شهيد أحمد بن عبد الملك (- ٤٢٦) من أكابر الشعراء بعيد الفتنة القرطبية وصاحب
التوايع والزوايع ، انظر دراسة عنه في تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة : ٢١٥
والمصادر المذكورة هناك ؛ وقد جمع ديوانه الأستاذ شارل بلا ؛ والبيتان في ديوانه : ١٠٠ .

المواء ، وحسن المباني ، ونهرها الأعظم الذي يصعد المد في اثنين وسبعين ميلاً
ثم يحسر ، وفيه يقول ابن سقر^١ :

شَقَّ النسيمُ عليه جَيْبَ قميصِه فانسابَ من شَطْبِه يطلب ثارَه
فتضاحكتْ ورُقُ الحمام بدَوَحها هزُءاً فضمَّ من الحياء لزارَه

وقيل لأحد من رأى مصر والشام : أيهما رأيت أحسن ؟ أهذان أم إشبيلية ؟
فقال بعد تفضيل إشبيلية : شَرَفُها غاية بلا أسد ، ونهرها نيل بلا تمساح ، انتهى .
ويقال : إن الذي بنى إشبيلية اسمه يوليش^٢ ، وإنه أول من سُمِّي قيصر ،
وإنه لما دخل الأندلس أُعجب بساحتها وطيب أرضها وجبلها المعروف بالشرف^٣
فردم على النهر الأعظم مكاناً ، وأقام فيه المدينة ، وأحلق عليها بأسوار من صخر
صلتد ، وبنى في وسط المدينة قصبين بديعتي الشأن تُعرفان بالأخوين ، وجعلها
أم قواعد الأندلس ، واشتق لها اسماً من رومية ، ومن اسمه ، فسمّاها رومية
يوليش ، انتهى .

وقد تقدّم شيء من هذا .

وكان الأولون من ملوك الأعاجم يتداولون بسكناهم أربعة^٤ من بلاد
الأندلس : إشبيلية ، وقُرطُبة ، وقَرْمُونَة^٥ ، وطلَيْطَلَة ، ويقسمون
أزمانهم على الكَيْنُونَة بها .

- ١ ابن سقر : أبو عبد الله محمد بن سقر الأديب (ويكتب اسمه أيضاً بالصاد) وهو من ناحية
المرية وسكن إشبيلية ، وسيترجم له المقري . (انظر تحفة القادِم : ١٠١ والوأي ٣ : ١١٤
والمغرب ٢ : ٢١٢) . وبيتاه في التحفة . وفي ج : ابن سعيد .
٢ ق ك ط : توليس ، ج : يولوس ؛ وهو يوليس قيصر (Julius Caesar) .
٣ سيأتي وصف « شرف إشبيلية » في النصوص التالية ، وانظر أيضاً الروض المطار : ١٩ .
٤ ك : أربعة بلاد .
٥ قرمونة (Carmona) مدينة إلى الشمال الشرقي من إشبيلية على بعد ٣٥ كيلومتراً وكانت كورة
واسعة تضم عدة مدن وحصون . (راجع الروض المطار : ١٥٨) .

وأما شَرْفُ إشبيلية فهو شريف البقعة ، كريم التربة ، دائم الخضرة ،
فرسخ في فرسخ طولاً وعرضاً ، لا تكاد تُشْمِسُ فيه بقعة لالتفاف زيتونه .
واعلم أن إشبيلية لها كُورٌ جليلة ، ومدن كثيرة ، وحصون شريفة ، وهي
من الكُورِ المجندة ، نزلها جند جمص ولواؤهم في الميمنة بعد لواء جند دمشق .
وانتهت جباية إشبيلية أيام الحكم بن هشام إلى خمسة وثلاثين ألف دينارٍ
ومائة دينار .

وفي إقليم طالقة من أقاليم إشبيلية وُجدت صورة جارية من مرمر معها
صبي ، وكأن حية تريد ، لم يُسمع في الأخبار ولا رُئي في الآثار صورة أبدع
منها ، جعلت في بعض الحمامات وتعشّقها جماعة من العوام^٢ .
وفي كورة ماردة^٣ حصنٌ شنت أفرج في غاية الارتفاع ، لا يعلوه طائر البتة
لا نسر ولا غيره .

ومن عجائب الأندلس البلاط الأوسط من مسجد جامع أقليم^٤ ، فإن
طول كل جائزة^٥ منه مائة شبر واحد عشر شبراً ، وهي مربعة منحوتة مستوية
الأطراف .

وقال بعض من وصف إشبيلية^٦ : إنها مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير
المعروف بنهر قرطبة ، وعليه جسر مربوط بالسفن ، وبها أسواق قائمة ،
وتجارات رابحة ، وأهلها ذوو أموال عظيمة ، وأكثر متاجرهم الزيت ، وهو

١ إليه : سقطت من قهطج ، وكتب فيها « خمسة وثلاثون » .

٢ انظر الروض المطّار : ١٢٢ في وصف طالقة ، ونصاً تفصيلاً عن الصورة المذكورة : ١٢٣ .

٣ ماردة : مدينة كبيرة بينها وبين بطليوس عشرون ميلاً ، قال الرازي : كانت قاعدة الأندلس
وقرارة الملك ، بنيت في زمن قيصر اكتيانيان (Octavian) وهي على نهر آنة ، وفي عملها
كثير من المدن ، وكان لها من القرى والحصون ما يزيد على ثلاثة آلاف قرية كلها متصلة بعضها
ببعض بالبر والبحر ، والأشجار والزيتون والنب (مخطوط الرباط : ٤٨) .

٤ أقليم : (Ucles) إمارة كورة شقّيرية .

٥ الجائزة : الخشبة التي تجمّل خشب البيت ، أي الدعامة ، وفي اللسان « الجائز » دون تاء التأنيث .

٦ انظر الروض المطّار : ١٩ ومخطوط الرباط : ٥٣ .

يشتمل على كثير من إقليم الشرف^١ ، وإقليم الشرف على تل عال من تراب أحمر مسافته أربعون ميلاً في مثلها ، يمشي بها السائر في ظل الزيتون والتين ، ولها — فيما ذكر بعض الناس — قرى كثيرة ، وكل قرية عامرة بالأسواق والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق .

وقال صاحب مناهج الفكر^٢ ، عند ذكر إشبيلية : وهذه المدينة من أحسن مدن الدنيا ، وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة ، وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ، ويعينهم على ذلك واديا الفرج ، وناديا البهج ، وهذا الوادي يأتيها من قرطبة ، ويجزر في كل يوم ، ولها جبل الشرف ، وهو تراب أحمر طوله من الشمال إلى الجنوب أربعون ميلاً ، وعرضه من المشرق إلى المغرب اثنا عشر ميلاً ، يشتمل على مائتين وعشرين قرية ، قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت ، انتهى

• • •

[شهرة باجة وجبل طارق]

ولكورة باجة^٣ من الكور الغربية التي كانت من أعمال إشبيلية أيام بني عبّاد خاصية في دباغة الأديم وصناعة الكتان ، وفيها معدن فضة ، وبها ولد المعتمد بن عبّاد ، وهي متصلة بكورة ماردة .
وبجبل طارق حوز قصب السبق بنسبته إلى طارق مولى موسى بن نصير ،

.....

١ ك : به .

٢ هنالك كتاب باسم « مناهج الفكر ومناهج العبر » لمحمد بن عبد الله الأنصاري ، عاد فذكره حاجي خليفة باسم « مناهج الفكر » وقال إن الاسم الصحيح بالنون ، ومؤلفه جمال الدين محمد ابن إبراهيم الرطواط (٧١٨) ويقول الأستاذ غير الدين الزركلي إنه في الكيمياء والطبيعة وهو في ستة مجلدات ، قلت : وقد اطلعت على المجلدين الثالث والرابع منه بالخزانة العامة بالرباط وهما يشملان النبات والحيوان (وفي ك : مناهج الفكر) .

٣ باجة (Beja) في البرغال وتقع على بعد ١٤٠ كيلومتراً جنوب شرقي الاشبونة وكانت تضم كورة واسعة .

إذ كان أول ما حل به مع المسلمين من بلاد الأندلس عند الفتح ، ولذا شهير
بجبل الفتح ، وهو مقابل الجزيرة الخضراء ، وقد تجوّن^١ البحر هنالك مستديراً
حتى صار مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء ، وفيه يقول مطرف
شاعر غرناطة^٢ :

وأقودَ قد ألقى على البحر مَتْنَهُ^٣ فأصبحَ عن قُودِ الجبالِ بمَعزِلِ^٤
يُعَرِّضُ^٥ نحو الأفقِ وَجْهًا كأنما تراقِبُ عَيْنَاهُ كواكبَ منزلِ

وإذا أقبل عليه المسافرون من جهة سَبْتَنَةٍ في البحر بان كأنه سرج ، قال
أبو الحسن علي^٤ بن موسى بن سعيد : أقبلت عليه مرة مع والدي فنظرنا إليه
على تلك الصفة ، فقال والدي^٥ : أجز :

انظر إلى جَبَلِ الفَتَى^٥ مع راكباً مَتْنَنَ لُجْ

فقلت :

وقد تَفَتَّحَ مثل الـ أفنانِ في شكلِ سَرَجِ

وأما جزيرة طريف فليست بجزيرة ، وإنما سميت بذلك الجزيرة^٥ التي
أمامها في البحر مثل الجزيرة الخضراء ، وطريف المنسوبة إليه بِرَبْرِي^٥ من موالى
موسى بن نُصَيْر ، ويقال : إن موسى بعثه قبل طارق في أربعمئة رجل ، فترل
بهذه الجزيرة في رمضان سنة إحدى وتسعين ، وبعده دَخَلَ طارق ، والله أعلم .

* * *

.....

١ ك : تجوف ، ق : تجوز ، ج : تجور .

٢ هو أبو الحسن مطرف بن مطرف (- ٦٠٩) من أهل غرناطة ، قتل في وقعة « المقاب » . (انظر
المغرب ٢ : ١٢٠ وتحفة القادِم : ٩٨ والرايات : ٥٩) .

٣ الأقود : الطويل على الأرض ، وجسمه : قود ، وقد عني به الجبل .

٤ علي : سقطت من ق .

٥ والدي : سقطت من ق .

[كورة طليطلة وما تشتهر به]

ومن أعظم كور الأندلس كورة طُليطلة^١ ، وهي من متوسط الأندلس ، وكانت دار مملكة بني النّون من ملوك الطوائف ، وكان ابتداء ملكهم صدرّ المائة الخامسة ، وسمّاها قيصر بلسانه بزليطة^٢ ، وتأويل ذلك : أنت فارح ، فعربتها العرب وقالت : طليطلة ، وكانوا يسمونها وجهاتها في دولة بني أميّة بالثغر الأدنى ، ويسمون سرقسطة وجهاتها بالثغر الأعلى ، وتسمى طليطلة مدينة الأملاك لأنها فيما يقال ملكها اثنان وسبعون إنساناً ، ودخلها سليمان بن داود ، عليهما السلام ، وعيسى بن مريم ، وذو القرنين ، وفيها وجد طارق مائدة سليمان ، وكانت من ذخائر أشبان ملك الروم الذي بنى لإشبيلية ، أخذها من بيت المقدس كما مر ، وقوّمت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار ، وقيل : إنها كانت من زمرد أخضر ، ويقال : إنها الآن برومة ، والله أعلم بذلك .

ووجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة^٣ ، منها مائة وسبعون تاجاً من الدر والياقوت والأحجار النفيسة ، وإيوان ممتلئ من أواني الذهب والفضة ، وهو كبير ، حتى قيل : إن الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه ، وقد قيل : إن أواني المائدة من الذهب وصحافها من اليشمّ والجزج ، وذكروا فيها غير هذا ممّا لا يكاد يصدقّه الناظر فيه .

وبطليطلة بساتين محدقة ، وأنهار مخترقة ، ورياض وجنان ، وفواكه حسان ، مختلفة الطعوم والألوان ، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ، ورساتيق مريعة ،

١ طليطلة : (Toledo) كانت عاصمة الأندلس قبل دخول طارق ، وهي مشرفة على ما يليها من الأندلس إلى الجنوب ، وكانت من أولى المدن التي انتزعت من يد العرب إذ استولى عليها الفونس السادس عام ٤٧٨ وجر ذلك إلى معركة الزلاقة .

٢ تصحفت الكلمة هنا ؛ وصورتها الصحيحة « توليطه » وفي الروض المطار « تولاطو » قال : ومعناه : فرح ساكنوها ، وفي هذا إشارة إلى الأصل اللاتيني : (Tu ledto) بمعنى « أنت فارح » ، وفي ك ط وردت : بزليطة - برليطلة .

٣ قارن بما ورد في الروض المطار : ١٣٦ .

وضياع بدبعة ، وقلاع منيعة ، وبالجملة فمحاسنها كثيرة ، ولعلنا نلیم ببعض
متنزهاتها فيما يأتي من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وطليطلة قاعدة ملك القوطيين ، وهي مُطِلَّة على نهر تاجه ، وعليه كانت
القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها ، وكانت على قَوْس واحد تكنفه
فرختان^١ من كل جانب ، وطولُ القنطرة ثلاثمائة باع ، وعرضها ثمانون باعاً ،
وخربت أيام الأمير محمد لما عصى عليه أهلها فغزاهم . واحتال في هدمها ،
وفي ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس^٢ :

أَضَحَّتْ طَلِيْطْلَةٌ مُعْطَلَةٌ من أهلها في قبضة الصقر
تُرَكَّتْ بلا أهلٍ تَوَهَّلَهَا مَهْجُورَةٌ الْأَكْتافِ كَالْقَبْرِ
ما كان يُبْقِي الله قنطرةً نُصِبَتْ لِحَمْلِ كِتَابِ الْكُفْرِ

وسياتي بعض أخبار طليطلة .

• • •

[مدينة المرية وما تشتهر به]

ومن مشهور مدن الأندلس المَريَّة ، وهي على ساحل البحر ، ولها القلعة
المنيعة المعروفة بقلعة خيران ، بناها عبد الرحمن الناصر ، وعظمت في دولة
المنصور بن أبي عامر ، وولى عليها مولاه خيران ، فنُسبت القلعة إليه ، وبها
من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد ، وفيها دار الصناعة ، وتشتمل
كُورَتُها على معدن الحديد والرُخام ، ومن أبوابها باب العُقَاب عليه صورة

١ لك : فرختان .

٢ عباس بن فرناس التاكرني حكيم الأندلس ، بربري الأصل من موالى بني أمية ، كان صاحب
اختراعات وتوليدات (توفي ٢٧٤) ، انظر ترجمته في الجلاوة ٣٠٠ وبقية الملتص (رقم :
١٢٤٧) والمغرب ١ : ٣٣٣ . وله أخبار في المقتبس (تحقيق مكى) ، والأبيات فيه ص

٣٠٦ - ٣٠٧

عُقاب من حجر قديم عجيب المنظر .

وقال بعضهم ^١ : كان بالمريّة لنسج طُرُز الحرير ثمانمائة نَوَل ، وللحُكَلِ
النفيسة والديباج الفاخر ألف نَوَل ، وللأسقلاطون كذلك ، وللثياب الجرجانية
كذلك ، وللأصفهانية مثل ذلك ، وللعنابي والمعاجر المدهشة والستور المكلفة .
ويُصنَع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف . وفاكهة
المرية يقصر عنها الوصف حُسناً ، وساحلها أفضلُ السواحل ، وبها قصور الملوك
القديمة الغريبة العجيبة ، وقد أُلِفَ فيها أبو جعفر ابن خاتمة تاريخاً حافلاً سَمَّاهُ
بـ « مزية المرية » ، على غيرها من البلاد الأندلسية ^٢ في مجلد ضخّم تركته من
جملة كُتُبِي بالمغرب ، والله سبحانه المسؤول في جمع الشمل ، فله الأمر من
بعدُ ومن قَبْلُ .

ووادي المرية طوله أربعون ميلاً في مثلها كلها بسايتين بهجة ، وجنات
نضرة ، وأنهار مطردة ، وطيور مغردة .

قال بعضهم : ولم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالا من أهل المرية ، ولا
أعظم متاجر وذخائر ، وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف ، وهي بين
الجبلين بينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة ،
وعلى الآخر رِبَضُها ، والسور يحيط بالمدينة والربض ، وغربيها رِبَضٌ لها آخر
يسمى ربض الخوض ذو فنادق وحمامات وفنادق وصناعات ، وقد استدار بها
من كل جهة حصون مرتفعة ، وأحجار أولية ، وكأنما غُرِبَتْ أرضها من
التراب ، ولها مدن وضياع عامرة متصلة الأنهار ، انتهى .

* * *

١ انظر جانباً من هذه المعلومات في الروض المطار : ١٨٤ والمتقى من فرحة الأنفس : ٢٨٣ .
٢ ذكره ابن الخطيب في الإحاطة ١ : ٩١ وصاحب نيل الابتهاج : ٥١ والسخاوي ، ويبدو أنه
من الكتب التي لا تزال مفقودة .

[شترة وخواصها]

وقال ابن اليسع ، عند ذكره مدينة شترة^١ : إن من خواصها أن القمح والشعير يُزرعان فيها ويحصدان عند مضي أربعين يوماً من زراعته ، وإن التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر ، قال لي أبو عبد الله الباكوري ، وكان ثقة : أبصرت عند المعتمد بن عباد رجلاً من أهل شترة أهدى إليه أربعاً من التفاح ما يُقلُّ الحاملُ على رأسه غيرها ، دور كل واحدة خمسة أشبار ، وذكر الرجل^٢ أن المعتاد عندهم أقل من هذا ، فإذا أرادوا أن يجيء بهذا العظم^٣ قطعوا أصلها وأبقوا منه عشرًا أو أقل وجعلوا تحتها دعامات من الخشب ، انتهى .

* * *

[شنش وسهيل وتلمير]

وبحصن شنش^٤ على مرحلة من المربة التوت الكثير ، وفيها الحرير والقرمز ، ويعرّف وادها بوادي طبرنش . وبغربي مالقة عمل سهيل ، وهو عمل عظيم كثير الضياع ، وفيه جبل سهيل لا يرى نجم سهيل بالأندلس إلا منه . ومن كُور الأندلس الشرقية تدمير ، وتسمى مصر أيضاً لكثرة شبهها بها ، لأن لها أرضاً يسبح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ، ثم ينضب عنها ، فتزرع كما تزرع أرض مصر ، وصارت القصبة بعد تدمير مُرسية ، وتسمى البستان ، لكثرة جنانها المحيطة بها ، ولها نهر يصب في قبليها .

* * *

- ١ شترة (Centra) في البرتغال من مدائن الأشبونة (لشبونة) إلى الشمال الشرقي منها ، على نهر تاجه ، وقد ردد السلفي الحديث عن تفاحها (تراجم وأخبار أندلسية : ٤٠) .
 - ٢ زاد بعده في ك : بحضرة ابن عباد .
 - ٣ زاد في ك : وهذا القدر .
 - ٤ المغرب ٢ : ٢٢٥ .
- أيضاً : زيادة من ك .

[أقاليم الأندلس وكور كل إقليم]

واعلم أن جزيرة الأندلس - أعادها الله للإسلام - مشتملة على موسطة وشرق ، وغرب :

فالموسطة فيها من القواعد المصرة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة لها أعمال ضخام وأقطار متسعة : قرطبة ، وطليطلة ، وجيآن ، وغرناطة ، والمريّة ، ومالقة ؛ فمن أعمال قرطبة إستجة^١ وبلكونة وقبرة ورندة وغافق والمدور وأسطة وبيانة واليسانة والقصير^٢ وغيرها ، ومن أعمال طليطلة وادي الحجاره وقلعة رباح وطمنكة وغيرها^٣ ، ومن أعمال جيآن أبدة وبياسة وقسطلة وغيرها^٤ ، ومن أعمال غرناطة وادي آش والمنكب^٥ وتوشة وغيرها ،

١ هذه التقسيمات هي التي أوردها ابن سعيد أيضاً في المغرب ولم يسقط المقرئ منها سوى « كزنة ومراد » وسيمود إلى ذكرها في الباب الرابع ، وإلى تبيان المسافات بينها وبين قرطبة ؛ وللتعريف بها أقول : استجة (Ucija) على بعد ٥٦ ميلا جنوب قرطبة ؛ وبلكونة (Balcuna) مركز كورة باسمها وكانت في زمن ابن سعيد آهلة بالسكان ؛ وقبرة (Cabra) مركز كورة وتقع على بعد ثلاثين ميلا جنوب شرقي قرطبة ؛ ورندة (Ronda) من مدن تاكرنا على نهر يلسب إليها يصب في نهر لكه ؛ وغافق (Gafic) بغرب حصن بطروش ؛ والمدور (Almodavar) بينه وبين قرطبة ستة عشر ميلا ؛ واسطبة (أو استبة) (Estepa) بينها وبين قرطبة ستة وثلاثون ميلا ؛ وبيانة (Baena) إلى الشمال من قبرة ؛ واليسانة (Lucana) بينها وبين قرطبة أربعون ميلا وكانت تسمى مدينة اليهود لكثرتهم بها ؛ والقصير (Al-Kosair) وهي كورة بينها وبين قرطبة ثمانية عشر ميلا ، وكان أهم أعمالها في زمن ابن سعيد هو حصن القصير في شرقي قرطبة على النهر .

٢ طلمنكة : (Salamanqua) مدينة بثمر الأندلس بينها وبين وادي الحجاره عشرون ميلا بنيت زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن (الروض المعطار) .

٣ جيان : (Jaen) على بعد ٩٧ كيلومتراً شمالي غرناطة ؛ وبياسة (Beaza) بينها وبين جيان عشرون ميلا ، وتطل على النهر الكبير ، استولى عليها الروم سنة ٦٢٣ هـ ؛ وقسطلة (Calzallia) تبعد نحو عشرين ميلا إلى الشمال من جيان .

٤ المنكب : (Al-Munecar) كان حصناً قوياً ، وهو اليوم فرضة صغيرة على البحر تابعة لمركز مطريل في مديرية غرناطة .

ومن أعمال المرية أندرش^١ وغيرها ، ومن أعمال مالقة بلش والحامة^٢ وغيرهما ، وبلش من الفواكه ما بمالقة ، وبالحامة العين الحارة على ضفة واديها . وأما شرق الأندلس ففيه من القواعد : مرسية ، وبلنسية ، ودانية ، والسهلة ، والثغر الأعلى ؛ فمن أعمال مرسية أوريولة والقنت ولورقة وغير ذلك^٣ ، ومن أعمال بلنسية شاطبة ويضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير له وجزيرة شقر وغير ذلك^٤ ، وأما دانية فهي شهيرة ولها أعمال ، وأما السهلة^٥ فإنها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة ولذا عدّها بعضهم من كور الثغر الأعلى ولها مدن وحصون ؛ ومن أعمال الثغر الأعلى : سرقسطة وهي أم ذلك الثغر ، وكورة لاردة ، وقلعة رباح^٦ ، وتسمى بالبيضاء ، وكورة تطيلة ، ومدينتها طرسونة ، وكورة وشقة^٧ ، ومدينتها تمريط ، وكورة مدينة سالم ، وكورة قلعة أيوب ، ومدينتها مليانة^٨ ، وكورة برطانية^٩ ، وكورة باروشة .

١ أندرش : (Andarax) من أعمال المرية على نهر باسمها .

٢ بلش : (Velez Malaga) ؛ والحامة (Alahama) .

٣ مرسية : (Murcia) اختطت سنة ٢١٦ هـ ، فخلفت تدمير وأصبحت الكورة تسمى كلها باسمها وكانت القاعدة قبلها أوريولة (Orihuela) ؛ أما القنت (أو لقنت) فكانت مدينة من كورة تدمير وقيل في وصفها : مدينة صغيرة وهي اليوم عاصمة مديرية بحرية تسمى باسمها تقع جنوبي مديرية بلنسية وشرقي مديرتي البسيط ومرسية ، وتعتمد من أكبر موانئ الساحل الشرقي .
٤ بلنسية : (Valencia) من أكبر مدن الساحل الشرقي ازدهاراً في العصور الإسلامية ، إلى الشمال من دانية على شاطئ البحر ؛ وكانت تسمى مدينة التراب ؛ وحصن شاطبة (Satiya) إلى الشمال من لقنت ؛ وأما جزيرة شقر (Jucar) فهي مدينة على جزيرة في مصب نهر شقر (وادي شقر) وتسمى اليوم Alcira وهي في مديرية بلنسية .

٥ السهلة تسمى أيضاً شنتمرية الشرق (سهلة بني رزين - Santa Maria de Albarracin) وهي من كبار معاصر كورة شنتبرية (Santaver) وتمتد من كورة سرقسطة الجنوبية حتى كورتي وادي الحجاراة وطليطة .

٦ قلعة رباح : مدينة تابعة لطليطة وموضعها يسمى اليوم (Castillo de Caltarava la Vieja)

٧ وشقة : (Huesca) من كور الثغر الأعلى ، بينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً وتقع إلى الشمال الشرقي منها .

٨ ق ك : مليانة .

٩ ق ك ج : برطانية ؛ ط : برطانية .

وأما غرب الأندلس ففيه : إشبيلية ، وماردة ، وأشبونة ، وشلب ؛ فمن أعمال إشبيلية شريش والخضراء ولبلنة وغيرها ، ومن أعمال ماردة بطليوس ويابرة وغيرها ، ومن أعمال أشبونة شنترين وغيرها ، ومن أعمال شلب شنت مربة^١ وغيرها .

* * *

[الجزر البحرية]

وأما الجزر البحرية بالأندلس فمنها جزيرة قادس ، وهي من أعمال إشبيلية ، وقال ابن سعيد : إنها من كورة شريش ، ولا منافاة لأن شريشاً من أعمال إشبيلية كما مر ، قال : ويبد صم قادس مفتاح ، ولما ثار بقادس ابن أخت القائد أبي عبد الله بن ميثمون - وهو علي بن عيسى قائد البحر بها - ظن أن تحت الصم مالا فهدمه فلم يجد شيئاً^٢ ، انتهى .

وهي - أعني جزيرة قادس - في البحر المحيط ، وفي المحيط الجزائر الجالديات السبع ، وهي غربي مدينة سلا تلوح للناظر في اليوم الصباحي الخالي الجو من الأبخرة الغليظة ، وفيها سبعة أصنام على أمثال الآدميين ، تشير أن لا عبور ولا مسلك وراءها . وفيه بجهة الشمال جزائر السعادات ، وفيها من المدن والقري ما لا يحصى ، ومنها يخرج قوم يقال لهم المجوس على دين النصارى : أولها جزيرة برطانية ، وهي بوسط البحر المحيط بأقصى شمال الأندلس ، ولا جبال فيها ، ولا عيون ، وإنما يشربون من ماء المطر ، ويزرعون عليه .

قال ابن سعيد : وفيه جزيرة شلطي^٣ ، وهي آهلة وفيها مدينة ، وبحرها

١ ق ك ط : شنت مربة ؛ ج : شنتونية .

٢ انظر الروض المعطار : ١٤٧ .

٣ شلطي : (Saltes) جزيرة تقع على مقربة من شلب ، وكانت في عصر ملوك الطوائف من أملاك البكرين أسرة العالم النووي الجغرافي أبي عبيد البكري ؛ وهي اليوم من مديرية ولبة . (وفي النسخ : شلطي) .

كثير السمك ، ومنها يُحمل مُسلَّحاً إلى إشبيلية ، وهي من كورة لبَلَّة^١ مضافة إلى عمل أُونْبَة^٢ ، انتهى .

* * *

[قرطاجنة وخواصها]

وقال بعضهم ، لما أجرى ذكر قرطاجنة من بلاد الأندلس : إن الزرع في بعض أقطارها يكتفي بمطررة واحدة ، وبها أقواس من الحجارة المقربصة^٣ ، وفيها من التصاوير والتماثيل وأشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة ، ومن أعجب بنائها الدواميس^٤ ، وهي أربعة وعشرون على صف واحد من حجارة مقربصة ، طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة في عرض ستين خطوة^٥ ، وارتفاع كل واحد أكثر^٦ من مائتي ذراع ، بين كل داموسين أنقاب محكمة تتصل فيها المياه من بعضها إلى بعض في العلو الشاهق بهندسة عجيبة وإحكام بديع ، انتهى .

قلت : أظن هذا غلطاً ، فإن قرطاجنة التي بهذه الصفة قرطاجنة إفريقية^٧ ، لا قرطاجنة الأندلس ، والله أعلم .

وقال صاحب مناهج الفكر ، عندما ذكر قرطاجنة : وهي على البحر الرومي مدينة قديمة بقي منها آثار ، لها فحوص طولها ستة أيام وعرضه يومان

١ لبلة : (Niebla) كانت قاعدة كورة تسمى باسمها وهي على بعد خمسين كيلومتراً غرباً إشبيلية وتتبع مديرية ولبة (Huelva) .

٢ مقربصة أو مقربسة بمعنى محكمة الأساس ؛ يقال قريص البيت : قاس طول وعرضه ليساوي بين كل حائط وما يقابله .

٣ الدواميس هنا : بمعنى الأحواض أو ما يشبه « الهواويس » ، جمع داموس ، وقد تستعمل بمعنى « السجن » ومنه الديماس .

٤ ج ط ق : أطول .

٥ انظر جغرافية البكري - المغرب في ذكر بلاد إفريقية : ٤٤ ففيه وصف لقرطاجنة إفريقية يؤكد أن المقرري على صواب .

معمور بالقرى ، انتهى .

وذكر قبل ذلك في لورقة أن بناحيتهما يوجد حجر اللازورد .
وفي البحر الشامي الخارج من المحيط جزيرتا مَيُورقة ومَيُورقة ،
وبينهما خمسون ميلاً ، وجزيرة مَيُورقة مسافة يوم ، بها مدينة حسنة ، وتدخلها
ساقية جارية على الدوام ، وفيها يقول ابن اللبانة ^١ :

بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا وَكَسَاهُ حُلَّةُ رِيْشِ الطَّائِفِ
فَكَأَنَّمَا الْأَنْهَارُ فِيهِ مُدَامَةٌ وَكَأَنَّ سَاحَاتِ الدِّيَارِ كُؤُوسٌ

وقال يخاطب ملكها ^٢ ذلك الوقت :

وَعَمَرْتُ^٣ بِالْإِحْسَانِ أَرْضَ مَيُورقة وَبَنَيْتُ مَا لَمْ يَبْنِهِ الْإِسْكَندَرُ

وجزيرة يابسة .

واستقصاء ما يتعلق بهذا الفصل يطول ، ولو تُتَّبِعْ لكان تأليفاً مستقلاً ،
وما أحسن قول ابن خفاجة ^٤ :

.....

١ ابن اللبانة : أبو بكر محمد بن عيسى شاعر دولة المتمد وصاحب المراثي فيه ومؤلف كتاب
سقيط الدرر ولقيط الزهر في شعر ابن عباد ، توفي سنة ٥٠٧ بميورة وسرد ذكره في النفع
كثيراً . (راجع ترجمته في المغرب ٢ : ٤٠٩ والمعجب : ٢٠٨ والقلال : ٢٤٥ والوافي :
٤ : ٢٩٧ والذخيرة (القسم الثالث ٢٠٩) والمطرب : ١٧٨ وفوات الوفيات ٢ : ٥١٤
والتكلمة : ٤١٠ وله موشحات في دار الطراز .

٢ البيتان في « المقتطفات » : ٤٠ وينسب البيتان لابن قلاص الإسكندري ، قالهما في مدينة مسينة
بصقلية حين زارها ، وهما في ديوانه : ٥٦ وكذلك ينسب لابن حمديس (ديوانه : ٥٥٣)
حسبما ورد في مسالك الأبصار ، ونسبها صاحب المغرب (٢ : ٤٦٦) لابن اللبانة .

٣ كان صاحب ميورة في زمن ابن اللبانة هو مبشر بن سليمان الملقب ناصر الدولة .

٤ ق ج : وعمرت .

٥ أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة شاعر الطليعة الأكبر ، توفي سنة ٥٣٣ هـ ، نشر ديوانه بتحقيق
الدكتور السيد مصطفى غازي (الإسكندرية ١٩٦٠) وفي ص : ٤٣٧ ثبت جامع للمصادر التي
ترجمت لابن خفاجة أو أوردت ذكره وشعره ، وهذه الأبيات في الديوان : ١٣٦ .

إنَّ للجنة بالأنْدلسِ مُجْتلَى حُسْنٍ وريّاً نفَسِ
فَسْنَا صُبْحَتِهَا من شَنَبٍ ودُجى ليلِتها من لَعَسِ
وإذا ما هَبَّتِ الرِّيحُ صَباً صِحتُ واشتَوَيْ إلى الأندلسِ
وقال بعضهم في طُلَيْطَلَة :

زادت طُلَيْطَلَة على ما حَدَّثُوا بَلَدٌ عليه نَضْرَة ونَعِيمُ
الله زَيْنَتُه فوشَحَ خَضْرَة نهرُ المجرّة والغصونُ نجومُ

* * *

[رسالة أبي البحر في تغاير مدن الأندلس]

ولا حرج إن أوردنا هنا ما خاطب به أديبُ الأندلس أبو بحر صفوان بن إدريس الأمير عبد الرحمن ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، فإنه مناجاةٌ ، ونصه^١ : مولاي ، أمتع الله ببقائك الزمانَ وأبناءه ، كما ضمَّ على حبك أحناءهم وأحناءه ، ووصل لك ما شئت من اليُمن والأمان ، كما نظم قلائد فخرك على لبّة الدهر نظمَ الجُمان ، فإنك الملك الهمام ، والقمر التمام ، أيامك غُرر وحُجُول ، وفِرَندُ بهاها في صفحات الدهر يتجُول ، ألبست الرعية بُرودَ التأمين ، فتنافست فيك من نفيسِ ثمين ، وتلقّت دعوات خُلدك لها باليمين ، فكم للناس ، من أمن بك وليناس ، وللأيام ، من لوعة فيك وهيام ، وللأقطار ، من لبانات لديك وأوطار ، وللبلاد ، من قراع لها على تملكك لها وجلاد ، يتمنون شخْصك الكريم على الله ويقترحون ، ويفتقون في رياض ذكرك العاطر بمدام حبك ويصطبحون ، ﴿ كلُّ حِزْبٍ بما لديهم فرحون ﴾ (الروم : ٣٢) محبةً من الله ألقاها لك حتى على الجماد ، ونصراً

١ وردت هذه الرسالة في أوراق مخطوطة رقم ٤٢١ بالاسكوريال ، وهي مقتطفات لعلها من نفع الطيب ويحال عليها بلفظة « المقتطفات » .

مؤزراً تنطق^١ به ألسنة السيوف على أفواه الأغمد ، ومن أسرَّ سريرة ألبسه الله رداءها ، ومن طوى حسن نية ختم الله له بالجميل إعادتها وإبداءها ، ومن قدّم صالحاً فلا بدّ أن يوازيه ، ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه^٢ . ولما تخاصمت فيك من الأندلس الأمصار ، وطال بها الوقوف على حبك والافتصار ، كلّها يُفصح قولاً ، ويقول : أنا أحقّ وأولى ، ويُصيح إلى إجابة دعوته ويُصني ، ويتلو إذا بُشّر بك ﴿ ذلك ما كنّا ننبغ ﴾ (الكهف : ٦٤) ، تنمّرت حمص غيظاً ، وكادت تفيض فيظاً ، وقالت : ما لهم يزيدون وينقصون ، ويطمعون ويحرصون ﴿ إن يتبعون إلا الظنّ وإن هم إلا يخرصون ﴾ (يونس : ٦٦) . لي^٣ السهم الأسد ، والساعد الأشدّ ، والنهر الذي يتعاقب عليه الجزر والمدّ ، أنا مصر الأندلس والنيل نهري ، وسما^٤ التائنس والنجوم زهري ، إن تجاريم في ذلك^٥ الشرف ، فحسبي أن أفيض في ذكر الشرف^٦ ، وإن تبجحتم^٧ بأشرف اللبوس ، فأني إزار اشتملتموه كشتبوس^٨ ، لي ما شئت من أبنية رِحاب ، وروض يستغني بنصرتّه عن السحاب ، قد ملأت زهراتي وهادأ ونجادا ، وتوشّح سيف نهري بمعدائقي نجادا ، فأنا أولاكم بسيدنا الهمام وأحقّ ، ﴿ الآن حصّ حصّ الحق ﴾ (يوسف : ٥١) .

فنظرتها قوطة شزراً ، وقالت : لقد كثرت نزرّاً ، وبدرت في الصخر

١ ج : أنطق .

٢ من قول الخليفة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يلعب العرف بين الله والناس

٣ ك : ألم .

٤ ك : وسائي .

٥ ق ج : ذكر .

٦ يعني ما يسمى « شرف إشبيلية » ؛ راجع ص : ١٥٨ - ١٥٩

٧ ك : تبججتم .

٨ ط : كشتبوس . ج : كشوش .

الأصم^١ بزرا ، كلام^٢ العدى ضرب^٣ من الهذيان^٤ ، وأنتى للإيضاح والبيان ، متى استحال المستقب^٥ مستحسن^٦ ، ومن أودع أجفان المهجور وسناً ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾ (فاطر : ٨) . يا غجباً للمراكز تُقدّم على الأسته ، وللأنفار تُفضّل على الأعنة ، إن ادّعيتم سبقا ، فما عند الله خير^٧ وأبقى : لي البيت المطهر الشريف ، والاسم الذي ضرب عليه رواقه التعريف ، في بقيعي محل الرجال الأفاضل ، فليرغم أنف المناضل ، وفي جامعي مشهد ليلة القدر ، فحسبي من نباهة القدر ، فما لأحد أن يستأثر علي^٨ بهذا السيد الأعلى ، ولا أرتضي^٩ له أن يوطىء غير ترابي نعلا ، فأقبروا لي بالأبوة ، وانقادوا على حكم النبوة ، ﴿ولا تكونوا كالتى نقصت غزها من بعد قوة﴾ (النحل : ٩٢) وكفّوا عن تباريكم ﴿ذلكم خير لكم عند باريكم﴾ (البقرة : ٥٤) .

فقلت غرناطة : لي العقل الذي يمتنع ساكنه^{١٠} من النجوم ، ولا تجري إلا تحت جياذ الغيم^{١١} السجوم ، فلا يلحقني من مُعانَد ضَرَر^{١٢} ولا حيف ، ولا يهتدي إلي^{١٣} خيال طارق ولا طيف ، فاستسلموا قولاً وفعلاً ، فقد أفلح اليوم من استعلّى ، لي يطاح تقلدت من جداولها أسلاكاً ، وأطلعت كواكب زهرها فعادت أفلاكاً ، ومياه تسيل على أعطافي كأدمع العشاق ، وبرد نسيم يردّ دماء^{١٤} المستجير بالانتشاق ، فحسنتي لا يطمع فيه ولا يحتال ، فدعوني فكل ذات ذيل تحتال ، فأنا أولى بهذا السيد الأعدل ، وما لي به من عِوض ولا بدل ، ولم لا يعطف علي^{١٥} عِنان مجده ويثني ، وإن أنشد يوماً فلإياي يعنى^{١٦} :

١ من قول المتنبي يمدح كافوراً :

والله سر في علاك وإنما كلام العدا ضرب من الهذيان

٢ ك : أرضى .

٣ المقطعات : يمنع صاحبه .

٤ ك : النيث .

٥ ط : دماء .

٦ من شعر بعض الأعراب ، وقبله :

أحب بلاد الله ما بين منيع إلي ولسى أن يصوب سحابها

بلاد بيها عن الشباب تلامي وأول أرض مس جلدي ترابها

فما لكم تعززون لفخري وتنتمون ، وتتأخرون في ميداني وتتقدمون ، تبرأوا
إلي مما تزعمون ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة : ٤١) .
فقلت مألقة : أتركوني بينكم هملاً ، ولم تعطوني في سيدنا أملاً ، ولیم
ولي البحر العجاج ، والسبل الفجاج^١ ، والجئات الأثيرة ، والفاكهة الكثيرة ؛
لدي من البهجة ما تستغي به الحمام عن الهديل ، ولا تجنح الأنفس الرقاق
الجواشي إلى تعريض عنه ولا تبديل ، فما لي لا أعطى في ناديك كلاماً ، ولا
أنشر في جيش فخارك أعلاماً ؟

فكان الأمصار نظرتها ازدراء ، فلم تر لحديتها في ميدان الذكر إجراء ،
لأنها موطن لا يحل منه بطائل ، ونظن البلاد تأولت فيها قول القائل :

إذا نطق السفية فلا تجيبه فخير من إجابته السكوت

فقلت مرسية : أمامي تتعاطون الفخر ، وبحضرة الدر تنفقون الصخر ؟
إن عدت المفاخر ، فلي منها الأول والآخر ، أين أوشالكم من بحري ،
ونخرزكم من لؤلؤ نحري ، وجعجعتكم من نقشات سحري ؟ فلي الروض
النضير ، والمرأى الذي ما له من نظير ، وزنقائي^٢ التي سار مكلها في الآفاق ،
وتبرقع وجه جمالها بغرة الإصفاق ، فمن دوحات ، كم لها من بكور
وروحات ، ومن أرجاء ، إليها تمت أيدي الرجاء ، فأبناي فيها^٣ في الجنة الدنيوية
مودعون ، يتنعمون فيما يأخذون ويدعون ، وهم فيها ما تشتهي أنفسهم
وهم فيها ما يدعون . فانقادوا لأمرى ، وحاذروا اصطلاء جمري ، وخلوا

١ في نسخة جهامش ك : والسيل العجاج .

٢ الزنقات من متفرجات مرسية . (انظر المغرب ٢ : ٢٤٦) .

٣ ط ك : فيه .

بيني وبين سيدنا أبي زيد ، وإلا ضربتكم ضرب زيد^١ ، فأنا أولاكم بهذا الملك المستأثر بالتعظيم ﴿وما يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (نمل : ٢٥) .

فقلت بِلَنَسِيَّة : فيمَ الجِدال والقِرَاع ؟ وعَلَامَ الاستهام والاقتراع ؟

ولَامَ التعريض والتصريح ؟ وتحت الرَّغْوَةُ اللَّبَنُ الصَّرِيح^٢ ، أنا أحوزه من دونكم ، فأحمدوا نارِيْ تَحْرُكُكُمْ وهدونكم ، فلي المحاسن الشائخة الأعلام ، والجنان التي تُلْقِي إليها الآفاق يَدَ الاستسلام ، ويرُصَّافِي وجِيسْرِي أعارض مدينة السلام^٣ ، فأجمعوا على الانقياد لي والسلام ، وإلَّا فَعَضُّوا بنانا ، واقترعوا أسنانا ، فأنا حيث لا تدركون وأنتي ، ومولانا لا يُهْلِكُنَا بما فعل السفهاء منّا .

فعند ذلك ارتمت جَمْرَةٌ قُدُمِيَّ بِالشَّرَار ، واستدنت^٤ أبْهَمُهَا لنحور الشرار ، وقالت : عِشْ رَجَبًا ، تَرَّ عَجَبًا ، أَبْعَدَ العصيان والعقوب ، تتهيشن لرُتَبِ ذَوِي الحقوق ؟ هذه سماء الفخر فمن ضملك أن تعرجي ، ليس بعُشْك قادرجي^٥ ، لك الوَصْبُ والخَبْلُ ﴿وَالآنَ وَقَدْ عَصَيْت قَبْلُ﴾ (يونس : ٩١) ، أيتها الصانعة الفاعلة ، من أدّاك أن تُطْرِي وما أنت ناعلة^٦ ؟ ما الذي يُجْدِيكَ الروضُ والزَّهْرُ ؟ أم ما يفيدك الجدول والنهر ؟ وهل يُصْلِح العطارُ ما أفسد الدهرُ^٧ ؟ هل أنتِ إلَّا مَحْطٌ رحل النفاق ، ومنزل ما

١ إشارة إلى قول النحويين : « ضرب زيد صرأ » .

٢ هذا من أمثالهم ؛ أي أن الظاهر لا يحجب الحقيقة .

٣ تشتهر بلنسية برصافتها وجسرهما ، وكذلك بغداد كما في قول علي بن الجهم : « عيون المها بين الرصافة والجسر » .

٤ ط ق ج : واشتدت .

٥ من أمثالهم ؛ أي ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حق فلعنه . (انظر فصل المقال : ٣١٩) .

٦ ك : أدراك أن تضربي وما أنت فاعلة ؛ ق ك ط ج دوزي : أن تضربي ؛ ج : فاعلة . وكله خطأ في الجميع ، وصوابه من المثل « أطري فإنك فاعلة » أي غلبي طرر الوادي وهي نواحيه . (فصل المقال : ١٤٧ وفهرسته) .

٧ من قول الشاعر في عجزه :

تروح إلى المطار تبغي صلاحها وهل يصلح المطار ما أفسد الدهر

لِسُوقِ الْحِصْبِ فِيهِ مِنْ تَفَاقٍ ؟ ذَرَاكَ لَا يَكْتَحِلُ الطَّرْفُ فِيهِ بِهَجُوعٍ ، وَفِرَاكَ لَا يُسْنِنُ وَلَا يَغْنِي مِنْ جُوعٍ ، فَلَا مَ تَبْرُزُ الْإِمَاءَ فِي مَنْصَةِ الْعُقَاتِلِ ؟ وَلَكِنْ اذْكُرِي قَوْلَ الْقَائِلِ ^١ :

بَلْ كُنْ سِيَةً بَيْنِي عَنِ الْقَلْبِ سَلْوَةً فَلَا تَكِ رَوْضٌ لَا أَحِينَ لَزَهْرِكَ
وَكَيْفَ يَحِبُّ الْمَرْءُ دَاراً تَقَسَّمَتْ عَلَى صَارِمَتِي جُوعٍ وَفَتْنَةٍ مُشْرِكِ
بَيْدَ أَنْتِي أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوقِدَ مِنْ تَوْفِيقِكَ مَا خَمِدَ ، وَيُسِيلَ مِنْ
تَسْدِيدِكَ مَا جَمَدَ ، وَلَا يُطِيلَ عَلَيْكَ فِي الْجَهَالَةِ الْأَمَدَ ، وَإِيَّاهُ سُبْحَانَهُ نَسْأَلُ
أَنْ يَرُدَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا إِلَى أَفْضَلِ عَوَائِدِهِ ، وَيَجْعَلَ مَصَائِبَ أَعْدَائِهِ مِنْ فَوَائِدِهِ ،
وَيَمَكِّنَ حُسَامَهُ مِنْ رِقَابِ الْمَشْغِيِّينَ ، وَيُبْقِيَهُ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ،
وَيَتَّصِلَ لَهُ تَأْيِيداً وَتَأْيِيداً ، وَيُمَهِّدَ لَهُ الْأَيَّامَ حَتَّى تَكُونَ الْأَحْرَارُ لِعَبِيدِهِ عَيْدُهُ ^٢
عَيْداً ، وَتَعْدَ عَلَى الدُّنْيَا بِسَاطِ سَعْدِهِ ، وَيَهْبِئَهُ مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ :

آمِينَ آمِينَ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ حَتَّى أَضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَ

ثم السلام الذي يتألق عباقراً ونشراً ، ويتألق رَوْنَقاً وبِشْراً ، عَلَى
حَضْرَتِهِمُ الْعَلِيَّةِ ، وَمَطَالِعِ أَنْوَارِهِمُ الْجَلِيَّةِ ^٣ ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ ،
انتهى .

* * *

[عود إلى ذكر غرناطة]

ولما أَلَمَّ الرَّحَالَةُ ابْنُ بَطْوُطَةَ فِي رَحْلَتِهِ بِدُخُولِهِ لِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ — أَعَادَهَا

١ سَيَسُبُهُمَا الْمُقَرَّبِيُّ ص : ١٨٠ لابن عياش (وهما له في زاد المسافر : ٩٤) وفي ياقوت (بلنسية) :

أنهما لابن حريق .

٢ ط ق والمقطعات : لِعَبِيدِهِ عَيْداً .

٣ ك : السَّيَّةُ الْجَلِيَّةُ .

٤ ك : بدخوله بلاد .

الله تعالى للإسلام - قال^١ : فوصلتُ إلى بلاد الأندلس - حرسها الله تعالى - حيث الأجر موفور للساكن ، والثواب ملخور للمقيم والظاعن ، إلى أن قال عند ذكره^٢ غرناطة ما نصّه : قاعدة بلاد الأندلس ، وعروس مدنها ، وخارجها لا نظير له في الدنيا ، وهو مسيرة أربعين ميلاً ، يخترقه نهر شينيل المشهور ، وسواه من الأنهار الكثيرة ، والبساتين^٣ والجنّات والرياضات والقصور ، والكُرُوم مُحْدِقَةٌ بها من كل جهة ، ومن عجيب مواضعها عينُ الدمع ، وهو جبل فيه الرياضات والبساتين ، لا مثل له بسواها ، انتهى .

وقال الشقندي : غرناطة دمشقُ بلاد الأندلس ، ومَسْرَحُ الأبصار ، ومَطْمَحُ الأنفس ، ولم تخلُ من أشرافِ أمّائلٍ ، وعلماء أكابر ، وشعراء أفاضل ، ولو لم يكن بها إلا ما خصّها الله تعالى به من كونها قد نَبَغَ فيها النساء الشواعر كَتَرَهُونَ القلعية^٤ والركونية^٥ وغيرهما ، وناهيك بهما في الظرف والأدب ، انتهى .

ولبعضهم يشوّق إلى غرناطة فيما ذكر بعض المؤرخين ، والصواب أن الأبيات قيلت في قرطبة كما مرّ^٥ ، والله أعلم :

أغرناطةُ الغراء هل لي أوبةٌ إليك ؟ وهل يدنو لنا ذلك العهدُ
سقى الجانب الغربي منك غمام^٦ وقعقع في ساحات روضتك الرعدُ
لياليك أسحار^٦ ، وأرضك جنة^٦ ، وتربك في استنباقها عنبر وردُ
وقال ابن مالك الرعيّني :

١ رحلة ابن بطوطة : ٦٦٥ ، ٦٧٠ .

٢ ق : عند ذكر .

٣ ك : والبساتين الجليّة ؛ وسقطت اللفظتان من ج .

٤ سيحيء التعريف بهما وبكثير من شواعر الأندلس في النفع .

٥ انظر ص : ١٥٥ فيما تقدم .

٦ ك : غمامة .

رَعَى اللهُ بِالْحَمَاءِ عَيْشاً قَطَعَتْهُ ذَهَبْتُ بِهِ لِلْأَنْسِ ، وَاللَّيْلُ قَدْ ذَهَبَ
تَرَى الْأَرْضَ مِنْهَا فِضَّةً فَلِذَا اكْتَسَتْ بِشَمْسِ الضُّحَى عَادَتْ سَيِّكْتُهَا ذَهَبُ
وهو القائل :

لَا تَظُنُّوا أَنَّ شَوْقِي خَمْدًا بَعْدَكُمْ أَوْ أَنَّ دَمْعِي جَمْدًا
كَيْفَ أَسْأَلُو عَنْ أَنْاسٍ مِثْلَهُمْ قُلَّ أَنْ تُبْصِرَ عَيْنِي أَحَدًا

وغرناطة من أحسن بلاد الأندلس ، وتسمى بدمشق الأندلس ، لأنها أشبه
شيء بها ، ويشقها نهر حدره ، ويطل عليها الجبل المسمى بشلير الذي لا
يزول الثلج عنه شتاءً وصيفاً ، ويحمد عليه حتى يصير كالحجر الصلب ، وفي
أعلاه الأزهار الكثيرة ، وأجناس الأفوايه الرفيعة ، ونزل بها أهل دمشق لما
جاءوا إلى الأندلس لأجل الشبه المذكور ، وقرى غرناطة - فيما ذكر بعض
المتأخرين - مائتان وسبعون قرية .

وقال ابن جزّي مرتّب رحلة ابن بطوطة ، بعد ذكره كلامه ، ما نصّه :
قال ابن جزّي^١ : لولا خشية أن أنسب إلى العصبية لأطلت القول في وصف
غرناطة ، فقد وجدت مكانه ، ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لإطالة القول
فيه ، والله درّ شيخنا أبي بكر ابن محمد بن شبرين السبتي^٢ نزيل غرناطة حيث
يقول :

رَعَى اللهُ مِنْ غَرْنَاطَةِ مُتَبَوِّأَ بَسْرٌ حَزِينًا أَوْ يُجِيرَ طَرِيدًا
تَبَرَّمَ مِنْهَا صَاحِبِي عِنْدَمَا رَأَى مَسَارِحَهَا بِالثَّلَجِ عُدْنَ جَلِيدًا

١ رحلة ابن بطوطة : ٦٧٠ .

٢ ابن شبرين (وورد خطأ : شبرين وفي ج : بشرين) هو محمد بن أحمد بن محمد بن شبرين
(٧٤٧ -) ولد بسبته وأهله من إشبيلية أصلاً ، كان تاريخياً شاعراً كاتباً ، وهو من شيوخ
لسان الدين . (انظر الإحاطة ٢ : ١٧٤ - ١٨٢) . وأبياته في الإحاطة (١ : ١٠٤ تحقيق
عنان) .

هِيَ الثَّغْرُ صَانَ اللَّهُ مَنْ أَهْلَتْ بِهِ وَمَا خَيْرُ ثَغْرٍ لَا يَكُونُ بِرُودًا ١٩

وقال ابن سعيد عندما أجرى ذكر قرية نارجة - وهي قرية كبيرة تضاهي المدن ، قد أهدت بها البساتين ، ولها نهر يفتن الناظرين ، وهي من أعمال مالقة - : إنه اجتاز مرة عليها مع والده أبي عمران موسى ، وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم ، وقد ضربوا في بطن الوادي بين مقطعاته خيماً ، وبعضهم يشرب وبعضهم يغني ويطرب ، وسألوا : بم يعرف ذلك الموضع ؟ فقالوا : الطراز ، فقال والذي : اسم طابق مسماه ، ولفظ وافق معناه ،

وقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قاتلاً فقل

ثم قال أجز : بنارجة حيث الطراز المنعم
فقلت : أقيم فوق نهر ثغره يتبسّم

فقال : وسمعتك نحو الهاتف وإنما
فقلت : لما أبصرت من بهجة تشرّتم

فقال : أيا جنة الفردوس لست بآدم
فقلت : فلا يك حطّي من جنة التندّم

فقال : يعز عليّنا أن نزورك مثل ما
فقلت : يزور خيال من سلميّ مسلّم

فقال : فلو أنني أعطى الخيار لما عدت
فقلت : محلك لي عين بمراك تنعم

فقال : بحيث الصبا والطل من نقّاتها

فقلت : وَقَتَ لَسَعِ رَوْضَ فِيهِ لِلنَّهْرِ أَرْقَمُ

فقال : فَوَا أَسْقِي إِنْ لَمْ تَكُنْ لِي عَوْدَةً

فقلت : فَكُنْ مَالِكًا إِنِّي عَلَيْكَ مُتَمِّمٌ

فقال : فَأَحْسَبُ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ بَيْنَنَا

فقلت : وَقَدْ يَلْحَظُ الرَّحْمَنُ شَوْقِي فَيَرْحَمُ

فقال : سَلَامٌ سَلَامٌ لَا يَزَالُ مُرَدِّدًا

فقلت : عَلَيْكَ وَلَا زَالَتْ بِكَ السُّحُبُ تَسْجُمُ

* * *

[بلنسية وبعض قراها]

وقال ابن سعيد^١ : إن كورة بلنسية من شرق الأندلس تنبت الزعفران^٢ ، وتُعرف بمدينة التراب ، وبها كثرة تسمى الأزرة^٣ في قدر حبة العنب ، قد جُمع مع حلاوة المطعم^٤ ذكاء الرائحة ، إذا دخل داراً عُرِفَ بريحه ، ويقال : إن ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد بالأندلس ، وبها منازة^٥ ومسرح ، ومن أبدعها وأشهرها الرصافة ومثنية ابن أبي عامر .

وقال الشرف أبو جعفر بن مسعدة الغرناطي من أبيات فيها :

هِيَ الْفِرْدَوْسُ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا^٦ لَسَاكِينِهَا وَكَارِهِيَهَا^٧ الْبَعُوضُ

وقال بعضهم فيها^٧ :

١ انظر جانباً من هذا الوصف في المغرب ٢ : ٢٩٧ - ٢٩٨ .

٢ لك : ينبت بها الزعفران .

٣ دوزي : الأزرة . وفي التعليقات محاولة للربط بينها وبين لفظة (azeroia) المشتقة من الزهروور .

٤ لك : الطعم . ه : منارة .

٦ دوزي : مكابها ، ولعل فيه إشارة إلى الحديث « حفت الجنة بالمكاره » .

٧ سيرد البيتان في الباب السابع من هذا الكتاب .

ضاقَتْ بِلَنْسِيَةِ بِي وذادَ عَنِّي غمُوضي
رَقَصُ البَراغيثِ فيها عَلى غِناهِ البَعُوضِ

وفيهَا لابن الزقاق البَلَنْسِي ١ :

بَلَنْسِيَّةٌ - إذا فَكَّرْتَ فيها وفي آياتها - أَسنى البِلادِ
وَأَعْظَمَ شَهِيدِي منها عَليها وأنَّ جَماها للعَينِ بادِي
كَساها رَبُّها دِيباجَ حُسْنٍ لَه عَلمانِ مِن بَحرٍ وَوادي

وقال ابن سعيد أيضاً : أنشدني والدي قال : أنشدني مَرُوان بن عبد الله
ابن عبد العزيز ملك بلنسية ٢ لنفسه بمراكش قوله ٣ :

كَأَنَّ بَلَنْسِيَّةً كاعِبٌ ومَلَبَسُها سُنْدُسٌ أَخضَرُ
إذا جِيشُها سَرَتْ نَفْسُها بأَكامِها فَهَيَّ لا تَظْهَرُ

وأما قول أبي عبد الله بن عياش « بلنسية بيني - البيتين » وقد سبقا ، فقال
ابن سعيد : إن ذلك حيث صارت ثغراً يُصاحِبُها العدوُّ ويماسيها ، انتهى .
وقال أبو الحسن بن حريق يجاوب ابن عياش ٤ :

بَلَنْسِيَّةٌ قَرَارَةٌ كُلَّ حُسْنٍ حَدِيثٌ صَحَّ في شَرقٍ وغَربِ

١ ديوان ابن الزقاق : ١٣٩ وانظر التخریجات المقطوعة : ٣١ .

٢ ولي بلنسية في آخر عهد المرابطين حتى قام عليه جند بلنسية سنة ٥٣٩ هـ وبايعوا لابن مياض ملك
مرسية ، فانتقل إلى ميورقة ومنها إلى مراكش ، وقد أطلب والد ابن سعيد في مدحه (المغرب
٢ : ٣٠٠ - ٣٠١) .

٣ البيتان في ياقوت : (بلنسية) .

٤ انظر ما تقدم ص : ١٧٥

٥ أبو الحسن علي بن حريق (- ٦٢٢) من شعراء زاد المسافر ، ترجمته في التكملة ٢ : ٦٧٩
(كوديرة) وزاد المسافر : ٢٢ وسيرد له ذكر كثير في النفع ، وانظر مقصورة حازم
١ : ١٤٢ وقد وردت أبياته في زاد المسافر : ٩٤ وياقوت : (بلنسية) .

فإن قالوا مَحَلُّ غَلَاءٍ سِعِيرٍ وَمَسْقَطُ دِمَجِّي طَعْنٌ وَضَرْبٌ
فَقُلْ هِيَ جَنَّةٌ حُقَّتْ رُبَاهَا بِمَكْرٍ وَهَيْنٍ مِنْ جَوْعٍ وَحَرْبٍ
وقال الرُّصَافِي فِي رُصَافَتِهَا ١ :

وَلَا كَالرُّصَافَةِ مِنْ مَنَزِلٍ سَقَّتْهُ السَّحَابُ صَوْبَ الْوَلِيِّ
أَحِينَ لَهَا وَمَنْ لِي بِهَا وَأَيْنَ السَّرِيِّ مِنَ الْمُوصِلِي

وقال ابن سعيد: وبرُصَافَةَ بِلَنَسِيَّةَ مناظر وبساتين ومياه ، ولا نعلم في
الأندلس ما يسمى بهذا الاسم إلا هذه ورُصَافَةُ قُرْطُبَةِ ، انتهى .
ومن أعمال بِلَنَسِيَّةَ قرية المُنَصِّفِ التي منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله
المنصفي وقبره كان بِسَبْتَةِ يزَارُ ، رحمه الله تعالى ، ومن نظمه ٢ :

قَالَتْ لِي النَّفْسُ أَتَاكَ الرَّدَى وَأَنْتَ فِي بَحْرِ الْخَطَايَا مُقِيمٌ
فَمَا ادَّخَرْتَ الزَّادَ، قُلْتُ: أَقْصِرِي هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لِدَارِ الْكَرِيمِ

ومن عمل بِلَنَسِيَّةَ قرية بِطَرْتَةِ ، وهي التي كانت فيها الواقعة المشهورة
للنصارى على المسلمين ، وفيها يقول أبو إسحاق بن مُعَلَّى الطرسوني ٣ :

لَتَبْسُوا الْحَدِيدَ إِلَى الْوَعَى وَلَتَبْسُتُمْ حُلُلَ الْخَرِيرِ عَلَيْكُمْ أَلْوَانَا
مَا كَانَ أَقْبَحَهُمْ وَأَحْسَنَكُمْ بِهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ بِبَطَرْتَةِ مَا كَانَا

ومن عمل بِلَنَسِيَّةَ مَتَبِطَةُ التي تُنسب إليها جماعة من العلماء والأدباء .

١ ديوان الرصافي : ١٢٤ نقلا عن النفع .

٢ انظر المغرب ٢ : ٣٥٤ وسيرجم في النفع لأبي الحجاج المنصفي .

٣ إبراهيم بن معل (ق : ك : يعل ؛ ط : علي الطرسوسي) الطرسوني شاعر اشتهر بملح المقتدر بن هود ،
وطرسونة بلدة من مدن الثغر (ترجم له في اللخيرة ، القسم الثالث : ٢٦٤ والمغرب ٢ : ٤٥٧)
وبيتاه في اللخيرة : ٢٦٩ قالها يصف غروج أهل بلنسية لقاء العدو في غير ثياب الحرب ، وتلحق
هذه بوقمة بطرنة عام ١٤٥٥ وقد فصل ابن عذاري فيها القول ٣ : ٢٥٢ .

ومن عمل بكنسية مدينة أندة التي في جبلها معدن الحديد ، وأما
رُنْدَة - بالراء - فهي في متوسط الأندلس ، ولها حصن يُعرف بأندة أيضاً .

* * *

[مطرجات إشبيلية]

وفي إشبيلية - أعادها الله - من المتفرجات والمتنزهات كثير ، ومن ذلك
مدينة طرّيانة ، فإنّها من مدن إشبيلية ومتنزهاتها ، وكذلك تَبْطَل^١ ، فقد ذكر
ابن سعيد جزيرة تَبْطَل^١ في المتفرجات .

* * *

[موسى بن سعيد يابى فراق الأندلس]

وقال أبو عمران موسى بن سعيد في جوابه لأبي يحيى صاحب سبّة لما
استوزره مستنصر بني عبد المؤمن ، وكتب إلى المذكور يرغبه في النقلة عن الأندلس
إلى مراكش ، ما نصّه محلّ الحاجة منه : وأمّا ما ذكر سيدي من التخيير بين
ترك الأندلس وبين الوصول إلى حضرة مراكش ، فكفى الفهم العالمي من الإشارة
قول القائل :

والعزّ محمودٌ ومُلْتَمَسٌ^٢ والدّه ما نيل^٣ في الوطن

فلذا نلت بك السماء في تلك الحضرة ، فعلى مَنْ أسودّ فيها ؟ ومن ذا
أضاهي بها ؟

لا رَقَتَ بي هِمّةٌ إن لم أكن فيك قد أملتُ فوق^٣ الأمل

وبعد هذا ، فكيف أفارق الأندلس وقد علم سيدي أنها جنة الدنيا بما

١ ط ق ج : قبطل - في الموضعين -

٢ ك : ما كان .

٣ ك : كل .

حبّاه الله به من اعتدال الهواء ، وعذوبة الماء ، وكثافة الأفياء ، وأن الإنسان لا يبرح فيها بين قنطرة عين وقنطرة نفس :

هي الأرض لا وردٌ لديها مكدرٌ ولا ظيلٌ مقصور ولا روضٌ مجذب
أفق صقيل ، وبساط مُدبّج ، وماء سائح ، وطائر مترنم بليل ، وكيف
يعدل الأديب عن أرض على هذه الصفة ؟ فيا سَمَوَاتِ الوفاء ، ويا حاتم السماح ،
ويا جديمة الصفاء ، كمَلْ لمن أمَلِكَ النعمة بتركه في موطنه ، غير مكدر
لخاطره بالتحرك من معدنه ، ملتفتاً إلى قول القائل^١ :

وسوّلت لي نفسي أن أفارقها والماء في المزنِ أصفى منه في الغدير
فإن أغناه اهتمام مؤمّله عن ارتياد المراد ، وبلغه دون أن يشد قنطراً ولا
أن يُنضي عيساً غاية المراد ، أنشد ناجيح المرغوب ، بالغ المطلوب :

وليسَ الذي يتّبعُ الوبلَ رائداً كمن جاءه في داره رائدُ الوبلِ
وربّ قائل إذا سمع هذا التبسط على الأمانى : ما له تشطّط ، وعدل عن
سبيل التأدب وتبسّط ؟ ولا جواب عندي إلا قولُ القائل :

فهذه خُطّة ما زلتُ أرقبها فالיום أبسطُ آمالي وأحتكمُ
وما لي لا أنشد ما قاله المتنبي في سيف الدولة^٢ :

ومن كُنْتُ بخرأله يا عليّ لم يقبلِ الدرّ إلاّ كباراً

انتهى المقصود منه .

* * *

١ هذا البيت من شعر الأعمى الطليل يقوله في إزماعه مفارقة إشبيلية . (انظر ديوانه : ٤٩) .

٢ شرح الواحدي : ٥١٣ .

[شريش ومجبناتها]

وقال الحجاري : إن مدينة شريش^١ بنت إشبيلية ، وواديها ابن واديها ، ما أشبه سعدى بسعيد ، وهي مدينة جليلة ضخمة الأسواق ، لأهلها همم ، وظرف في اللباس ، وإظهار الرفاهية ، وتخلق بالآداب ، ولا تكاد ترى بها إلا عاشقاً ومعشوقاً ، ولها من الفواكه ما يعم ويفضل ، ومما اقتصت به إحسان الصنعة في المجبنات ، وطيبُ جنبها يعين على ذلك ، ويقول أهل الأندلس : من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم ، انتهى .
(والمجبنات : نوع من القطائف يضاف إليها البجن في عجيناها ، وتقلي بالزيت الطيب)^٢ .

* * *

[شلب وكورة أكشونة]

وفي شلب^٣ يقول الفاضل الكاتب أبو عمرو^٤ بن مالك بن سيديمر :

أشجالك النسيمُ حين يتهبُ أم ستنى البرقِ إذ يخبُّ ويخبُّ
أم هتوفُ على الأراكة تشدُّو أم هتونُ من الغمامة سكبُّ
كلُّ هذاك للصبا داعٍ أي صبَّ دموعه لا تصبُّ
أنا لولا النسيمُ والبرقُ والورْدُ ق وصوبُ الغمام ما كنتُ أصبو
ذكرتني شلباً وهيها ميني بعدما استحكمت التباعدُ شلبُ

وتسمى أعمال شلب كورة أكشونة ، وهي متصلة بكورة أشبونة ، وهي - أعني أكشونة - قاعدة جليلة ، لها مدن ومعازل ، ودار ملكها قاعدة شلب ،

١ شريش (Jerez) إل الجنوب الشرقي من بلبوس ، وتشتهر اليوم بنبيذها .

٢ والمجبنات ... الطيب : سقطت من ق ط ج .

٣ شلب (Silves) قاعدة كورة أكشونة ، وهي في البرتغال الحالية .

٤ في ج : أبو عمر ؛ والأبيات في « المقطعات » : ٤٣ .

وبينها وبين قرطبة سبعة أيام ، ولما صارت لبني عبد المؤمن ملوك مراکش أضافوها إلى كورة إشبيلية ، وتفتخر شلب بكون ذي الوزارتين ابن عمار منها^١ ، ساعه الله .

ومنها القائد أبو مروان عبد الملك بن بدران ، وربما قيل « ابن بدرون »^٢ الأديب المشهور ، شارح قصيدة ابن عبدون التي أولها^٣ :

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالضُّوَرِ

وهذا الشرح شهير بهذه البلاد الشرقية ، ومن نظم ابن بدرون المذكور قوله :

العِشْقُ لِدَتِّهِ التَّعْنِيقُ وَالْقُبْلُ كَمَا مُنْتَعِصُهُ التَّزْيِيبُ وَالْعَدْلُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يُقْضَى وَصَالِكُمْ لَوْلَا الْمُنَى لَمْ يَكُنْ ذَا الْعَمْرِ يُثْصِلُ

ومنها نحوي زمانه وعلاّمته أبو محمد عبد الله بن السيد البطلانيوسي^٤ ، فإن شلباً بيّضته ، ومنها كانت حركته ونهضته ، كما في الذخيرة ، وهو القائل :

إِذَا سَأَلُونِي عَنْ حَالِي وَحَاوَلْتَ عُدْرَ أَفْلَمِ يُمْكِنُ
أَقُولُ : بِخَيْرٍ ، وَلَكِنَّهُ كَلَامٌ يَدُورُ عَلَى الْأَلْسَنِ
وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ

• • •

١ ابن عمار من شلبوس وهي قرية صغيرة من قرى شلب ، راجع ترجمة ابن عمار في المغرب ٣٨٩ : ٢ والحاوية .

٢ ق : ابن زيدون - في الموضعين - وهو خطأ واضح .

٣ أبو مروان عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمي الشلبي ، كان كاتباً بليفاً من أهل البناية التامة بالأدب تاريخياً ، توفي ببلده بعد سنة ٦٠٨ (ترجمته في الدليل والتكملة ٥ : ٢١ والتكملة رقم : ١٧٢٧ والتعفة : ١٠٨ وشرحه لقصيدة ابن بدرون هو « كرامة الزهر وصدقة الدرر » نشره دوزي بليدين عام ١٨٦٠ ثم نشر بمصر سنة ١٣٤٠ ، أما ابن عبدون فهو شاعر بني الأنطس الذي رثاهم بهذه القصيدة وهو من يابرة . (انظر المغرب ١ : ٣٧٤ والحاوية في مصادر ترجمته) .
٤ ابن السيد البطلانيوسي (- ٥٢١) نسب إلى بطليوس لأنه لازمها كثيراً . انظر ترجمته في المغرب ١ : ٣٨٥ والحاوية ؛ وأبياته التالية في المغرب ١١ : ٣٨٦ .

[أشعار في بطليوس وشاطبة وبرجة]

وقال الوزير أبو عمرو بن الفلاس^١ يمدح بطلينوس^٢ بقوله :

بطليوس^٣ لا أنساك ما اتصل البعدُ فله غور^٤ في جنبك أو نجد^٥
ولله دوحات^٦ تحفك^٧ بينها تفجر^٨ واديا كما شقق^٩ البرد^{١٠}

وبنو الفلاس من أعيان حضرة بطلينوس ، وأبو عمرو المذكور أشهرهم ،
وهو من رجال الذخيرة والمسهب ، رحمه الله تعالى .

وفي شاطبة يقول بعضهم^{١١} :

نعم ملقى الرجل شاطبة^{١٢} لفتى طالت به الرجل^{١٣}
بلدة^{١٤} أوقاتها سحر^{١٥} وصبا في ذيله بكل^{١٦}
ونسيم^{١٧} عرفه أرج^{١٨} ورياض غصنها ثمل^{١٩}
ووجوه^{٢٠} كلها غر^{٢١} وكلام^{٢٢} كتسه مثل^{٢٣}

وفي برجة يقول بعضهم :

إذا جئت برجة مستوفزاً^{٢٤} فخذ في المقام وخل السفر^{٢٥}
فكل مكان بها جنة^{٢٦} وكل طريق إليها سقر^{٢٧}

وقد تقدم هذان البيتان^{٢٨} .

* * *

[رسالة للسان الدين في تفضيل الجهاد على الحج]

واعلم أنه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد

١ المغرب ١ : ٣٦٣ وانظر ترجمة ابن الفلاس في الذخيرة (القسم الثالث : ١٣٩) وفي ك : الفلاس .

٢ بعض هذه الأبيات في « المقتطفات » : ٤٣ .

٣ انظر ص : ١٥١ فيما تقدم ، والبيت الأول لم يرد هناك .

لكان كافياً ، ويرحم الله لسان الدين بن الخطيب حيث كتب على لسان سلطانه إلى بعض العلماء العاملين ما فيه إشارة إلى بعض ذلك ، ما نصّه : من أمير المسلمين فلان ، إلى الشيخ كذا ابن الشيخ كذا ، وَصَلَّ الله له سعادةً تَجْدِبُهُ ، وعنايةً إليه تقربُهُ ، وقبولاً منه يدعوه إلى خير ما عند الله ويندبه ، سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته ، أمّا بعد حمد الله المرشد المنيب ، السميع المجيب ، معوّذ اللطف الخفي والصنع العجيب ، المتكفل بإنجاز وعد النصر العزيز والفتح القريب ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول ذي القدر الرفيع والعز المنيع والجناب الرحيب ، الذي به نرجو ظهور عبدة الله على عبدة الصليب ، ونستظهر منه على العدو بالحبيب ، ونعدّه عدتنا لليوم العصيب ، والرضا عن آله وصحبه الذين فازوا من مشاهدته بأوفى النصيب ، ورمّوا إلى هدف مرضاته بالسهم المصيب ، فإنّا كتبناه إليكم - كتبَ الله تعالى لكم عملاً صالحاً يحتمّ الجهادُ صحائفَ بره ، وتمحّض لأن تكون كلمة الله هي العليا جوامعُ أمره ، وجعلكم ممن تهنى في الأرض التي فتحت فيها أبواب الجنة حصّة^١ عمره - من حمراء غرناطة - حرسها الله تعالى - ولطفُ الله هامي السحاب ، وصنعه رائق الجناب ، والله يُصِلُّ لنا ولكم ما عوّده من صلة لطفه عند اثبات الأسباب ، وإلى هذا أيها المولى^٢ الذي هو بركة المغرب المشار إليه بالبنان ، وواحد في رفعة الشأن ، المؤثر ما عند الله على الزخرف الفتان ، المتقلل من المتاع القان ، المستشرف إلى مقام العرفان ، من درج الإسلام والإيمان والإحسان ، فإنّا لما نؤثره من بركم الذي نعدّه من الأمر الأكيد ، ونضمّره من ودكم الذي نحلّه^٣ محل الكثر العتيد ، وفتنّسه من دعائكم التماس العدة والعديد ، لا نزال نسأل

١ ك : مدة .

٢ ق ج : الولي .

٣ ق ج : محله .

عن أحوالكم التي ترقّت في أطوار السعادة ، ووصلت جناب الحق بهجر العادة ، وألقت إلى يد التسليم لله والتوكل عليه بالمقادة ، فنسّر بما هيا الله تعالى لكم من القبول ، وبلغكم من المأمول ، وألمبكم من الكلف بالقرب إليه والوصول ، والفوز بما لديه والحصول . وعندما رد الله تعالى علينا ملكنا الرد الجميل ، وأنالنا فضله الجزيل ، وكان لعتارنا المقيّل ، خاطبناكم بذلك لمكانكم من ودادنا ، وعلمكم من حسن اعتقادنا ، ووجهنا إلى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا ، والله ينفعنا بجميل الظن في دينكم المتين ، وقضيلكم المبين ، ويجمع الشمل بكم في الجهاد عن الدين . وتعرفنا الآن ممّن له بأنباكم اعتناء ، وعلى جلالكم حمد^١ وثناء ، ولجناب ودّكم اعتزاء وانتماء ، يتجاوز عزمكم بين حجّ مبرور ترغبون من أجره في ازدياد ، وتجددون العهد منه بأليف اعتياد ، وبين رباط في سبيل الله وجهاد ، وتؤثر مهاد بين ربّي أثره عند الله ووهاد ، يُحشّر يوم القيامة شهداؤها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين ، فرحين بما آتاهم^٢ الله من فضله ، والله أصدق^١ القائلين الصادقين ، حيث لا غارة لغير عدو الإسلام تُحقى ، إلا لا ابتغاء ما لدى الله تُرتقى ، حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها ، وحور الجنان قد زينت أترابها ، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح ، وفازوا بجزيل المنع ، وخلدوا الآثار ، وأرغموا الكفار ، وأقالوا العثار ، وأخلدوا النار ، وأمنوا من لفتح جهنم بما غلا على وجوههم من ذلك الغبار ، فكتبنا إليكم هذا نقوي بصيرتكم على جهة الجهاد من العزميين ، ونهيب بكم إلى إحدى الحسنيين ، والصبح غير خاف على ذي عينتين ، والفضل ظاهر لإحدى المتزلتين ، فإنكم إذا^٢ حججتم أعدتم فرضاً أدبتموه ، وفضلاً ارتدّيتُموه ، فائدته عليكم مقصورة ، وقضيته فيكم محصورة ، وإذا أقمتم الجهاد جلبتم إلى

١ القائلين : سقطت مل. ط ج د .

٢ ك : فإنكم إن .

حسنا تكم عملاً غريباً ، واستأنقشتم سعياً من الله قريباً ، وتعدت المنفعة إلى ألوفاً من النفوس ، المستشعيرة لباس البؤس ، ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لأطنتبنا ، وأعنت الاستدلال أرسلنا ، هذا لو قدمتم على هذا الوطن وفضلكم غفل من الاشتهار ، ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار ، فكيف وفضلكم أشهر من محيّا النهار ، ولقاؤكم أشهى الآمال وأثر الأوطار ، فإن قوي عزمكم والله بوقيه ، ويعيننا من برّكم على ما ننويه ، فالبلاد بلادكم ، وما فيها طريقكم وتيلادكم ، وكهولاً إخوانكم ، وأحداً أولادكم ، ونرجو أن تجدوا لذكركم الله في ربّاه حلاوة زائدة ، ولا تعدموا من روح الله فيها فائدة ، وتكثّف نفوسكم فيها تكثّفات تقصر عنها خطوات السلوك ، إلى ملك الملوك ، حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم ، وتروا أثر رحمته فيكم ، وتخلّفوا فخر هذا الانقطاع إلى الله في قبيلكم وبنيتكم ، وتختيموا العمر الطيب بالجهاد الذي يُعليكم ، ومن الله تعالى يُدنيكم ، فنبشركم الغريّ صلوات الله عليه وسلامه نبيّ الرحمة والملاحم ، ومُحمّل الصوارم ، وبجهاد الفرنج ختم عمل جهاده والأعمال بالخواتم ، هذا على بعد بلادهم من بلاده ، وأنتم أحقّ الناس باقتضاء جهاده ، والاستباق إلى آماده ، هذا ما عندنا حثتناكم عليه ، ولدناكم إليه ، وأنتم في إثار هذا الجوار ، ومقارضة ما عندنا بقدمكم على بلادنا من الاستبشار ، بحسب ما يخلق عنكم من بيده مقادة الاختيار ، وتضريف الليل والنهار ، وتقليب القلوب وإزالة الأفكار ، وإذا تعارضت الحظوظ فما عند الله خير للأبرار ، والدار الآخرة دار القرار ، وخير الأعمال عمل أوصل إلى الجنة وباعد من النار ، ولتعلموا أن نفوس أهل الكشف والاطلاع ، بهله الأرجاء والأصقاع ، قد اتفقت أخبارها ، واتحدت أسرارها ، على البشارة بفتح قرب أوانه ، وأظلم زمانه ، فنرجو الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه ،

١ الرحمة : سقطت من ق ط ج .

ويكرم فيه مسعاه ، ويسلف فيه العمل الذي يشكره الله ويرعاه ، والسلام
الكريم يخلصكم ورحمة الله وبركاته ، انتهى .

* * *

[تشبيه الأندلس بالعقاب]

ولما دخل الأندلس أمير المسلمين عليّ ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
المتشوفي ملك المغرب والأندلس ، وأمعن النظر فيها ، وتأمل وصفها وحالها ،
قال : إنها تشبه عقاباً مخالِبُهُ طُلَيْطَلَةٌ ، وصَدْرُهُ قلعة رِبَاح ، ورأسه جِيَّانٌ ،
ومنفاره غَرْنَاطَةٌ ، وجناحه الأيمن باسط إلى المغرب ، وجناحه الأيسر باسط
إلى المشرق ، في خبر طويل لم يحضرني الآن ، إذ تركته مع كتبي بالمغرب ، جمعتني
الله بها على أحسن الأحوال .

* * *

[المخزومي الأعمى ولزهون الغرناطية]

ومع كون أهل الأندلس سُبَّاقَ حَلَكَةِ الجهاد ، مُهْطِعِينَ إلى داعيه من
الجبال والوهاد ، فكان لهم في الترفّ والنعيم والمجون ومداراة الشعراء خوف
الهجاء محلٌّ وتأثير المهاده ، وسيأتي في الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره
ما يشفي ويكفي ، ولكن سنح لي أن أذكر هنا حكاية أبي بكر المخزومي الهجاء
المشهور الذي قال فيه لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة^١ : إنّه كان أعمى شديد
الشر ، معروفاً بالهجاء ، مسلطاً على الأعراض ، سريع الجواب ، ذكي الذهن ،
فطناً للمعارض ، سابقاً في ميدان الهجاء ، فإذا مدح ضعف شعره . والحكاية هي
ما حكاها أبو الحسن ابن سعيد في الطالع السعيد ، إذ قال حكاية عن أبيه فيما أظن :
قدم المذكورُ - يعني المخزومي - على غرناطة أيام ولاية أبي بكر ابن سعيد ،

١ الإحاطة ١ : ٤٣٢ - ٤٣٥ .

ونزل قريباً مني ، وكنت أسمع به بنار صاعقة يُرسلها الله على مَنْ يشاء من عباده ،
ثم رأيت أن أبدأه بالتأنيس والإحسان ، فاستدعيته بهذه الأبيات :

يا ثانياً للمعري	في حُسْنِ نَظْمٍ وَتَرْي
وَقَرِطَ ظَرْفٍ وَتُبْلٍ	وَعَوَّصَ فَهْمٍ وَفِكْرٍ
صِلْ ثُمَّ وَاصِلْ حُفِيّاً	بِكُلِّ بَرٍّ وَشُكْرٍ
وَلَيْسَ إِلَّا حَدِيثٌ	كَمَا وَهَى عَقْدُ دُرٍّ
وَشَادِنٌ يَتَغَنَّى	عَلَى رِبَابٍ وَزَمْرِ
وَمَا يُسَامِحُ فِيهِ إِلَّا	غَفُورٌ مِنْ كَأْسٍ خَمْرٍ
وَبَيْنَنَا عَهْدٌ حِلْفٌ	لِيَأْسِرَ حَلْفُ كَفْرِ
نَعَمْ فَجَدَدَهُ عَهْداً	بَطِيبٍ سُكْرٍ وَيُسْرِ
وَالْكَأْسُ مِثْلُ رِضَاعٍ	وَمَنْ كَثَلِكَ يَدْرِي

ووجه له الوزير أبو بكر^٢ ابن سعيد عبداً صغيراً قاده ، فلمّا استقر
به المجلس ، وأفعمته روائح الندّ والعود والأزهار ، وهزّت عِطْفَه الأوتار ، قال :

دارُ السَّعِيدِيّ ذِي أُمِّ دَارٍ رِضْوَانٍ	مَا تَشْتَهِي النِّفْسُ فِيهَا حَاضِرٌ دَانِي
سَقَّتْ أَبَارِيقَهَا لِلنَّدَى سَحْبٌ نَدَى	تُحْدَى بِرَعْدٍ لِأَوْتَارٍ وَعِيدَانٍ ^٤
وَالْبَرْقُ مِنْ كُلِّ دَنْ سَاكِبٌ مَطَرًا	يُجِيا بِهِ مَيِّتُ أَفْكَارٍ وَأَشْجَانٍ
هَذَا النَّعِيمُ الَّذِي كُنَّا نُحَدِّثُهُ	وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَّا بِأَذَانٍ

فقال له أبو بكر ابن سعيد : وإلى الآن لا سبيل له إلاّ بأذان ؟ فقال : حتى

١ ق والإحاطة : بكل شكر وبر .

٢ في النسخ : شكر . دوزي : فقم نجدده .

٣ أبو بكر : سقطت من ق .

٤ ق ط ج : وألحان .

يبعث الله ولد زلي كلما أنشدت هذه الأبيات قال : إن قائلها أعمى ، فقال : أما أنا فما أنطق بحرف ، فقال : من صمت نجا . وكانت نزهون بنت القلاعي حاضرة فقالت : وترالك يا أستاذ قديم النعمة بمجمر ندّ وغناء وشراب ، فتعجب من تأتبه وتشبهه بنعيم الجنة ، وتقول : ما كان يعلم إلاّ بالسماع ، ولا يبلغ إليه بالعيان ؟ ولكن من يحيى من حصن المدور ، وينشأ بين تيوس وبقر ، من أين له معرفة بمجالس النعيم ؟ فلما استوفت كلامها تنحنح الأعمى^١ ، فقالت له : ذبحة ، فقال : من هذه الفاضلة ؟ فقالت : عجوز مقام أمك ، فقال : كذبت ، ما هذا صوت عجوز ، إنما هذه نغمة قحبة محترقة تشم روائح منها على فرسخ ، فقال له أبو بكر : يا أستاذ ، هذه نزهون بنت القلاعي الشاعرة الأدبية ، فقال : سمعت بها ، لا أسمعها الله خيراً ، ولا أراها إلاّ أيراً . فقالت له : يا شيخ سوء تناقضت ، وأي خير للمرأة مثل ما ذكرت ؟ ففكر ساعة ثم قال :

على وجه نزهون من الحسن مسحة^٢ وإن كان قد أُمسى من الضوء عاريا
قواصيد نزهون توارك غيرها ومن قصد البحر استقل السواقيا

فأعملت فكرها ثم قالت :

قل للتوبييع مقالا	يُثَلّ إلى حين يُحشّر
من المدور أنشد	مت والحر منه أعطّر
حيث البدوة أمست	في مهبها تتبخّر
لذلك أمست صبا	بكل شيء مدور
خلقت أعمى ولكن	تهيم في كل أعور
جازيت شعرا يشعر	قل لعمرى من أشعر

١ الأعمى : سقطت من لك .

إن كنتُ في الخلق أنثى فإنَّ شعري مُذكَّرٌ

فقال لها اسمي :

ألا قلّ لتزهُوثة ما لها تجرُّ من التّيه أذيالها

ولو أبصرت فيشّة شمّرت - كما عودتني - سربالها

فحلف أبو بكر ابن سعيد أن لا يزيد أحدهما على الآخر في هجوه كلمة ، فقال المخزومي : أكونُ هجاء الأندلس وأكفُّ عنها دون شيء ؟ فقال : أنا أشترى منك عرضها فاطلب ، فقال : بالعبد الذي أرسلته فقادني إلى منزلك ، فإنه لين اليد رقيق المشي ، فقال أبو بكر : لولا كونه صغيراً كنت أبلغك به مرادك ، وأهبه لك ، ففهم قصده وقال : أصبر عليه حتى يكبر ، ولو كان كبيراً ما آثرتني به على نفسك ! فضحك أبو بكر ، وقال : إن لم تهجُ نظماً هجوت نثراً ، فقال : أيّها الوزير لا تبديل لخلق الله . وانفصل المخزومي بالعبد بعدما أصلح الوزير بينه وبين نزهون ، انتهى .

وفي كتاب « الدر المنضد » ، في وفيات أعيان أمة محمد « تأليف الأمير صارم الدين إبراهيم بن دُقْمَاق^١ ، قال أبو القاسم بن خلف : كان - يعني المخزومي المذكور - حياً بعد الأربعين وخمسمائة ، انتهى .

* * *

[قصة استطراذية]

ونقلت من كتاب « قطب السرور »^٢ لابن الرقيق المغربي ، ما ملخصه^٣ :

١ إبراهيم بن محمد بن أيمن بن دُقْمَاق القاهري صارم الدين (- ٨٠٩) مؤرخ مصر ، كان مكثراً من التأليف في التاريخ ، وهو صاحب كتاب « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » في تاريخ مصر (الضوء اللامع ١ : ١٤٥) ؛ وفي ك : الإمام صارم الدين .
٢ قطب السرور في وصف الأنبياء والخمور . (انظر تكملة بروكلمان ١ : ٢٥٢ ومنه جزء بنزلة الرباط) .

٣ ورد النص في « المقتطفات » : ٤٣ وما بعدها .

وممن أدركته وعاشرته عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب ، وذكرته هنا لأنه ملحق بالأمراء المتقدمين غير خارج منهم ولا مقصر عنهم ، بل كان واحد عصره في الغناء الرائق ، والأدب الرائع ، والشعر الرقيق ، واللفظ الأنيق ، ورقة الطبع ، وإصابة النادر ، والتشبيه المصيب ، والبديهة التي لا يُلْحَقُ فيها ؛ مع شرف النفس ، وعلو الهمة ، وكان قد قطع عمره ، وأفنى دهره ، في اللهو واللعب ، والفكاهة والطرب ، وكان أعلم الناس بضرب العود ، واختلاف طرائقه ، وصنعة اللحون ، وكثيراً ما يقول المعاني اللطيفة في الأبيات الحسنة ، ويتصوَّغ عليها الألحان المطربة البديعة المعجبة ، اختراعاً منه وحيداً ، وكانت له في ذلك قريحة وطبع ، وكان إذا لم يَزُرْهُ أحد من إخوانه أحضر مائدته وشرابه عشرة من أهل بيته ، منهم ولده وعبد الله ابن أخيه وبعض غلمانه ، وكلهم يُغَنِّي فيجيد ، فلا يزالون يغنون بين يديه حتى يطرب ، فيدعو بالعود ويغني لنفسه ولهم ، وكان بشارة الزامر الذي يزمر عليه من حُذَّاق زمرة المشرق ؛ وكان بعيد الهمة سَمَحاً بما يجد ، تُغَلُّ عليه ضياعه كل عام أموالاً جليلة ، فلا تحولُ السنة حتى ينفدَ جميع ذلك ويستسلف غيره ، فكان لا يطرأ من المشرق مُغَنٍّ إلا سأل من يقصد بهذا الشأن ، فيدل عليه ، فمن وصلته منهم استقبله بصنوف البر والإكرام ، وكساه وخلطه بنفسه ولم يدعه إلى أحد من الناس ، فلا يزال معه في صَبُوح وغَبُوق ، وهو مُجَدِّد له كل يوم كرامة ، حتى يأخذ جميع ما معه من صَوْتٍ مُطَرَّبٍ أو حكاية نادرة .

وجلس يوماً وقد زاره رجلان من إخوانه ، وحضر أقرباؤه ، فَطَعِمُوا وشربوا وأخذوا في الغناء ، فارتجَّ المجلس ، إذ دخل عليه بعض غلمانه فقال : بالباب رجل غريب عليه ثياب السفر ، ذكر أنه ضيف ، فأمر بإدخاله ، فلما دخل الرجل أسمر سِنَاط^١ ، رث الهيئة ، فسلم عليه ، قال : أين بلد الرجل ؟

١ سِنَاط : ليس في عارضيه شعر .

قال : البصرة ، فرحب به ، وأمره بالجلوس ، فجلس مع الغلمان في صُفّة ،
وأُتي بطعام فأكل وسقي أقداحاً ، ودار الغناء في المجلس ، حتى انتهى إلى
آخرهم ، فلما سكتوا اندفع يغني بصوت نديّ وطبع حسن :

ألا يا دارُ ما الهجرُ لسُكّانِك مِن شاني
سُقيت الغيثَ من دارٍ وإن هبّت أشجاني
ولو شئتُ لما استسقيتُ غيثاً غيرَ أجفاني
بنفسي حلّ أهْلوكِ وإن بانُوا بِسُلْواني
وما الدهرُ بمأمونٍ على تشيتِ خِلّاني

فطرب عبد الوهاب وصاح ، وتبين الخلق في إشارته ، والطيب في طبعه ،
وقال : يا غلام ، خذ بيده إلى الحمام ، وعجل عليّ به ، فأدخل الحمام ، ونظف ،
ثم دعا عبد الوهاب بخلعة من ثيابه فألقيت عليه ، ورفعها فأجلسه عن يساره ،
وأقبل عليه وبسطه ، فغنى له :

قومي امزجي التبر باللّجينِ واحتَملي الرطل باليدَيْنِ
واغنمني غفلةً اللّيلِ فربّما أيقظتُ لَحَيْنِ
فقدَ لعمري أقرّ منّا هلالُ شوالٍ كلَّ عَيْنِ
ذاتُ الخلاخيلِ أبصرتهُ كنِصفِ خَلْخالها اللّجَيْنِ

فطرب وشرب ، واستزاده ، فغناه :

مَنْ لي على رَغَمِ الحُسودِ بَقَهوةُ بِكِرِ رَبِيبَةِ حانةِ عَدّراءِ
مَوْجٍ من الذهبِ المذابِ تَضُمُهُ كأسُ كَفَشِرِ الدُّرّةِ البِيضاءِ
والنجمُ في أفقِ السماءِ كأنَّهُ عَيْنُ تَخالُسِ غَفْلَةِ الرُقَباءِ

فشرب عبد الوهاب ثم قال : زدني ، فغناه :

وَأَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ عَيْنِي بِمَائِهَا وَعَلَّمْتَهَا بِالْهَجْرِ أَنْ تَهْجَرَ الْغُمْضَا
وَأَغْرَقْتَهَا بِالْدمْعِ حَتَّى جَفَّوْنَهَا لَيْسُنْكِ مِنْ فَقْدِ الْكُرَى بَعْضُهَا بَعْضًا

فمرَّ يوم من أحسن الأيام وأطيبها ، ووصله وأحسن إليه ، ولم يزل عنده
مُقَرَّبًا مكرَّمًا ، وكان خليعًا ماجنًا مشتهرًا بالنبذ ، فعلاًه وما أحب ، ثمَّ
وصف له الأندلس وطيبها ، وكثرة خمورها ، فمضى إليها ومات بها ، وعلى
نحو هذه الحال كان يفعل بكل طارئ يطرأ من المشرق ، ولو ذكرتهم ل طال بهم
الكتاب ، انتهى .

وغرضي من إيراد هذه الحكاية هنا كونه وصف للمشرقي الأندلس وطيبها ،
وذلك أمر لا يشك فيه ولا يرتاب ، والله المستول في حسن المتاب .

* * *

[قصر باديس بغرناطة]

ورأيت في بعض كتب تاريخ الأندلس في ترجمة السلطان باديس الصنهاجي
صاحب غرناطة ، ما نصّه : وهو الذي أكل ترتيب قصبة مالقة ، وكان أفرس
الناس وأنبلهم ، ذا مروءة ونجدة ، وقصره بغرناطة ليس ببلاد الإسلام
والكفر مثله ، فيما قيل ، انتهى .

وهذا القصر هو الذي عناه لسان الدين بن الخطيب في قصيدته السينية المذكورة
في الباب الخامس من القسم الثاني من هذا الكتاب ، فلترجع ثمة .

* * *

[سرقة وخواصها]

وذكر غير واحد من المحدثين والمؤرخين أن مدينة سرقسطة لا يدخلها
الثعبان من قبل نفسه ، وإذا أدخله أحد لم يتحرك ، ونظير هذا المعنى في بعض
الحيوانات بالنسبة إلى بعض البلاد كثير ، وذلك برصد أو طليسم ، وقد استطرد
بعض علماء أصول الدين ذلك عندما تكلموا على السحر حسبما قرّر في محله ،

والله أعلم .

هكذا رأيت في كلام بعض علماء المشاركة ، والذي رأيته لبعض مؤرخي المغرب في سرقسطة^١ أنها لا تدخلها عقرب ولا حية إلا ماتت من ساعتها ، ويؤتى بالحيات والعقارب إليها حية فبنفس ما تدخل إلى جوف البلد تموت ، قال : ولا يتسوس فيها شيء من الطعام ولا يعفن ، ويوجد فيها القمح من مائة سنة ، والعنب المعلق من ستة أعوام ، والتين والخوخ وحب الملوك والتفاح والإجاص اليابسة من أربعة أعوام ؛ والفول والحمص من عشرين سنة ، ولا يسوس فيها خشب ولا ثوب صوفاً كان أو حريراً أو كتناً ، وليس في بلاد الأندلس أكثر فاكهة منها ، ولا أطيب طعاماً ، ولا أكبر جيراً ، والبساتين مُحْدَقة بها من كل ناحية ثمانية أميال ، ولها أعمال كثيرة : مدن وحصون وقرى مسافة أربعين ميلاً ، وهي تضاهي مدن العراق في كثرة الأشجار والأنهار ، وبالجملة فأمرها عظيم ، وقد أسلفنا ذكرها .

* * *

[السّمور بالأندلس]

واعلم أن بأرض الأندلس من الخِصْب والنّضرة وعجائب الصنائع وغرائب الدُّنيا ما لا يوجد مجموعُه غالباً في غيرها ، فمن ذلك ما ذكره الحجاري في المسهب : أن السّمور الذي يُعمل من وبّره الفراء الرفيعة يُوجد في البحر المحيط بالأندلس من جهة جزيرة برطانية ، ويُجلب إلى سرقسطة ويُصنع بها . ولما ذكر ابنُ غالب وبّره السّمور الذي يُصنع بقرطبة قال : هذا السّمور المذكور هنا لم أنحَق ما هو ، ولا ما عني به ، إن كان هو نياتاً عندهم أو وبر الدابة المعروفة ، فإن كانت الدابة المعروفة فهي دابة تكون في البحر ، وتخرج إلى البر ، وعندها قوّة مَيّز . وقال حامد بن سمجون الطبيب صاحب كتاب الأدوية

١ انظر مخطوطة الرباط : ٦٢ .

المفردة^١ : هو حيوان يكون في بحر الروم ، ولا يحتاج منه إلاّ إلى خُصّاه ، فيخرج الحيوان من البحر في البر ، فيؤخذ وتقطع خُصّاه ، ويطلق ، فربّما عرض للقنّاصين مرّة أخرى^٢ ، فإذا أحسّ بهم وخشي أن لا يفوتهم استلقى على ظهره وفرّج بين فخذه ليُرى موضع خُصّيه خالياً ، فإذا رآه القناصون كذلك تركوه ، قال ابن غالب : ويسمى هذا الحيوان أيضاً الجندبادستر^٣ ، والدواء الذي يُصنّع من خُصّيه من الأدوية الرفيعة ، ومنافعه كثيرة ، وخاصيته في العلل الباردة ، وهو حارّ يابس في الدرجة الرابعة .

* * *

[فراء القنّية]

والقنّية^٤ حيوان أدق من الأرنب وأطيب في الطعم وأحسن وبراً ، وكثيراً ما تُلبس فراؤها ، ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى ، ولا توجد في برّ البربر إلا ما جلب منها إلى سبّنة فنشأ في جوانبها ، قال ابن سعيد : وقد جلبت في هذه المدّة إلى تونس حضرة إفريقية .

* * *

[سائر حيواناتها وطيرها]

ويكون بالأندلس من الغزال والأيل وحمار الوحش وبقره وغير ذلك ممّا يوجد في غيرها كثير^٥ ، وأما الأسد فلا يوجد فيها البتّة ، ولا الفيل والزرافة

١ أبو بكر حماد بن سيجون (٣٩٢-) طبيب أندلسي ، متميز في قوى الأدوية المفردة وكتابه فيها كان مشهوراً بالجودة وقد بالغ فيه وأجهد نفسه في تأليفه ، وقد كتبه المنصور بن أبي عامر . (انظر ابن أبي أصيبعة ٢ : ٥١ - ٥٢) .
٢ ق : ثانية .

٣ الجندبادستر : حيوان كهينة الكلب ويسمى القنّدر ، ويسمى السمور أيضاً ، وهو على هيئة الثعلب أحمر اللون وذنبه طويل (الدميري ١ : ٢٤٣ ونخبة الدهر : ١٤٧) .

٤ شبه بالأرنب ويسمى بالإيطالية (Coniglio) . وفي ط : القنّية .
٥ ك : ما لا يوجد . . . كثيراً .

وغير ذلك مما يكون في أقاليم الحرارة ، ولها سبعٌ يُعرف باللب^١ أكبر بقليل من الذهب في نهاية من القِحة ، وقد يقرس الرجل إذا كان جائعاً .
وبغالُ الأندلس فارمة ، وخيلُها ضخمة الأجسام ، حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح والعدو في خيل البرّ الجنوبي .
ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول ، وكذلك حيوان البحر ، ودوابّ بحرها المحيط في نهاية من الطول والعرض .
قال ابن سعيد : عاينتُ من ذلك العجب ، والمسافرون في البحر يخافون منها لثلاث تقلب المراكب ، فيقطعون الكلام ، ولها تنفخُ بالماء من فيها يقوم في الجو إذا ارتفع مفرط .

* * *

[أنواع الأفاويه فيها]

وقال ابن سعيد : قال المسعودي في « مروج الذهب » : في الأندلس من أنواع الأفاويه خمسة وعشرون صنفاً : منها السنب ، والقرنفل ، والصندل ، والقرفة ، وقصب الذريرة ، وغير ذلك .
وذكر ابن غالب أن المسعودي قال : أصول الطيب خمسة أصناف : المسك ، والكافور ، والعود ، والعنبر ، والزعفران ، وكلها من أرض الهند ، إلا الزعفران والعنبر ، فإنهما موجودان في أرض الأندلس ، ويوجد العنبر في أرض الشحر .
قال ابن سعيد : وقد تكلموا في أصل العنبر^٢ ، فذكر بعضهم أنه عيون تنبع في قعر البحر يصير منها ما تبلعه الدواب وتقلده . قال الجباري : ومنهم من قال : إنه نبات في قعر البحر .
وقد تقدم قول الرازي إن المحلب — وهو المقدم في الأفاويه ، والمفضل في

١ هو ما يسمى بالإسبانية (Lobo) وباللاتينية (Lupus) ، وقد أطلق الاسم ملأً على كثير من الرجال المترجم بهم في كتب التراجم الأندلسية .

٢ انظر مختلف الأقاويل في أصل العنبر في ابن البيطار ٣ : ١٣٤ .

أنواع الأشنان — لا يوجد في شيء من الأرض إلا بالهند والأندلس .
قال ابن سعيد : وفي الأندلس مواضع ذكروا أن النار إذا أطلقت فيها فاحت
بروائح العود وما أشبهه ، وفي جبل شلير أفاويه هندية .

* * *

[ثمارها وفواكهها]

قال : وأما الثمار وأصناف الفواكه فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ،
ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز ، المعدومان^١ في الأقاليم الباردة ، ولا
يعدم منها إلا التمر ، ولها من أنواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل^٢ ، كالتين
القوطي والتين الشعري^٣ بإشبيلية .

قال ابن سعيد : وهذان صنفان لم تر عيني ولم أذق لهما منذ خرجت من
الأندلس ما يفضلهما ، وكذلك التين المالتقي والزبيب المنكبي والزبيب العسلي^٤
والرمان السفري^٥ والخوخ والجوز واللوز ، وغير ذلك مما يطول ذكره .

* * *

[معادنها وأحجارها وقرمزها]

وقد ذكر ابن سعيد أيضاً أن الأرض الشمالية المغربية فيها المعادن السبعة ،
وأنتها في الأندلس التي هي بعض تلك الأرض ، وأعظم معدن للذهب بالأندلس
في جهة شنت ياقوه قاعدة الجلالة على البحر المحيط ، وفي جهة قرطبة الفضة
والزئبق ، والنحاس في شمال الأندلس كثير ، والصفر الذي يكاد يشبه الذهب ،
وغير ذلك من المعادن المتفرقة في أماكنها .

.....

١ ك : ويوجدان .

٢ ك : السفري .

٣ الرمان السفري : حدث الحفني (قضاة قرطبة) : ٣٢ كيف دخل الأندلس ، وقال إن الذي
زرعه رجل اسمه «سفر» ، وهذا الرمان يعرف بالإسبانية باسم (Zafari) وسيتحدث عنه
المقري بتفصيل في الباب الرابع .

والعينُ التي يخرج منها الزاج في لبلة مشهورة ، وهو كثير مفضل في البلاد منسوب ، وبجبل طليطلة جبل الطقل الذي يجهز إلى البلاد ، ويفضل على كل طقل بالشرق والمغرب .

وبالأندلس عدة مقاطع للرخام ، وذكر الرازي أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الأبيض الناصع^١ والحمري ، وفي ناشرة^٢ مقطع عجيب للعمد ، ويباغه من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة مؤشاة في حمرة وصفرة ، وغير ذلك من المقاطع التي بالأندلس من الرخام الحالك والمجزع .
وحصى المربة يحمل إلى البلاد فإنه كالدر في رونقه ، وله ألوان صجية ، ومن عاداتهم أن يصفعوه في كيزان الماء .

وفي الأندلس من الأمان التي تنزل من السماء القرمز الذي ينزل على شجر البكتوط فيجمله الناس من الشعرا ويصبغون به ، فيخرج منه اللون الأحمر الذي لا تفوقه حمرة .



[مصنوعاتها]

قال ابن سعيد : وإلى مصنوعات الأندلس ينتهي التفضيل ، وللمتعصبين لها في ذلك كلام كثير ، فقد اختصت المربة^١ ومالقة^٢ ومُرسية بالوشي^٣ المذهب الذي يتعجب من حسن صنعه أهل الشرق إذا رأوا منه شيئاً ، وفي تنثالة^٤ من عمل مُرسية تعمل البسط التي يُغالى في ثمنها بالشرق ، ويُصنع في غرناطة وبسطة من ثياب اللباس المحررة الصنف الذي يُعرف بالمبلد المخم ذو الألوان العجيبة ، ويُصنع في مُرسية من الأميرة^٥ المرصعة والحصر الفتانة^٦ الصنعة وآلات الصفر والحديد من السكاكين والأمقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس

١ ك : الناصع اللون .

٢ ك : بالموثق .

والجنديّ ما يتبهر العقل ، ومنها تجهز هذه الأصناف إلى بلاد إفريقية وغيرها .
ويُصنع بها وبالمرية ومالقة الزجاجُ الغريب العجيب وفخار مزجج مذهب ، ويُصنع
بالأندلس نوع من المفصص^١ المعروف في المشرق بالقُسَيْفَساء ونوع يبسط به
قاعات ديارهم يُعرف بالزلّنجي^٢ يشبه المفصص ، وهو ذو ألوان صجية بقيمونه
مقام الرخام الملون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم كالشاذروان^٣ ،
وما يجري مجراه .

* * *

[الأسلحة]

وأما آلات الحرب من التراس والرّماح والسّروج والألجم^٣ والدروع
والمخافر فأكثر همم أهل الأندلس - فيما حكى ابنُ سعيد - كانت مصروفة
إلى هذا الشأن ، ويُصنع منها في بلاد الكفر ما يبهر العقول ، قال : والسيوف
البرذليات مشهورة بالجودة ، وبرذيل : آخر بلاد الأندلس^٤ من جهة الشمال
والمشرق ، والفولاذ الذي بإشبيلية إليه النهاية ، وفي إشبيلية من دقائق الصنائع
ما يطول ذكره .

* * *

[الآثار الأولية بالأندلس]

وقد أفرد ابنُ غالب في « فرحة الأنفس » للآثار الأولية التي بالأندلس من
كتابه مكاناً ، فقال : منها ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح إلى الأرحي^١
التي بيطر كونة على وزن لطيف وتدبير محكم حتى طحنت به ، وذلك من
أعجب ما صنع . ومن ذلك ما صنعه الأول أيضاً من جلب الماء في البحر المحيط

١ ك : المفضض .

٢ هو ما يسمى بالإسبانية : (Azulejo) ؛ وفي ق : بالزلنجي ، وهو خطأ .

٣ ج : واللجم .

٤ ق ط ج : آخر الأندلس .

إلى جزيرة قادس من العين التي في إقليم الأصنام ، جلبوه في جوف البحر في الصخر المجوّف ذكراً في أنثى وشقّوا به الجبال ، فإذا وصلوا به إلى المواضع المنخفضة بنّوا له قناطر على حنايا ، فإذا جاوزها واتصل بالأرض المعتدلة رجّعوا إلى البنيان المذكور ، فإذا صادف سبخة بنى له رصيف وأجرى عليه ، هكذا إلى أن انتهى به إلى البحر ، ثمّ دخل به في البحر ، وأخرج في جزيرة قادس ، والبنيان الذي عليه الماء في البحر ظاهر بيّن ، قال ابن سعيد : إلى وقتنا هذا .

ومنها الرصيف المشهور بالأندلس^١ ، قال في بعض أخبار رومية : إنّه لما وليّ يوليش المعروف بجاشر ، وابتدأ بتدريج الأرض وتكسيورها ، كان ابتداءه بذلك من مدينة رومية إلى المشرق منها وإلى المغرب وإلى الشمال وإلى الجنوب ، ثمّ بدأ بفرش المبلّطة^٢ ، وأقبل بها على وسط دائرة الأرض إلى أن بلغ بها أرض الأندلس وركزها شرقي قرطبة ببابها المتطامن المعروف بباب عبد الجبار ، ثمّ ابتدأها من باب القنطرة قبليّ قرطبة إلى شقنّدة إلى إسّيجّة إلى قرمونة إلى البحر ، وأقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه من مدينة رومية ، وذكر أنّه أراد تسقيفها في بعض الأماكن راحة للخاطرين من وهج الصيف وهول الشتاء ، ثمّ توقع أن يكون ذلك فساداً في الأرض وتغييراً للطرق^٣ عند انتشار اللصوص وأهل الشرّ فيها في المواضع المنقطعة النائية عن العمران ، فتركها على ما هي عليه . وذكر في هذه الآثار صنم قادس الذي ليس له نظير إلا الصنم الذي بطرف جليقية ، وذكر قنطرة طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة ، وملعب مرّينطر .

قال ابن سعيد : وفي الأندلس عجائب ، منها الشجرة التي لولا كثرة ذكر العامة لها بالأندلس ما ذكرتها ، فإن خبرها عندهم شائع متواتر ، وقد رأيت من

١ ومنها . . . بالأندلس : سقطت من ق .

٢ ك : المبلّطة .

٣ ق : الطريق .

يَشْهَدُ بِخبرها ورؤيتها ، وهم جمٌ غفيرٌ ، وهي شجرة زيتون تصنع الورق والتَّور والتمر في يوم واحد معلوم عندهم من أيام السنة الشمسية .

ومن العجائب السارية التي بغرب الأندلس ، ما يزعم الجمهور أن أهل ذلك المكان إذا أحبوا المَطَر أقاموها فيمطر الله جهتهم .

ومنها صنم قادم ، طول ما كان قائماً كان يمنع الرياح أن تهبَّ في البحر المحيط فلا تستطيع المراكب الكبار على البحري فيه ، فلما هُدم في أول دولة بني عبد المؤمن صارت السفن تجري فيه .

وبكورة قَبْرَة مَغارة ذكرها الرازي وحكى أنه يقال : إنَّها باب من أبواب الرياح لا يُدرك لها قعر .

وذكر الرازي أن في جهة قلعة ورد جبلاً فيه شقٌّ في صخرة داخل كهفٍ فيه فأسٌ حديدية متعلِّق من الشق الذي في الصخرة ، تراه العيون وتلمسه اليد ، ومن رام إخراجَه لم يطق ذلك ، وإذا رفعته اليد ارتفع وغاب في شق الصخرة ثم يعود إلى حالته .

وأما ما أورده ابن بَشْكُوَال^١ من الأحاديث والآثار في شأن فضل الأندلس والمغرب فقد ذكرها ابن سعيد في كتابه المغرب ، ولم أذكرها أنا ، والله أعلم بحقيقة أمرها ، وكذلك ما ذكره ابن بَشْكُوَال من أن فتح القسطنطينية إنما يكون من قِبَل الأندلس ، قال : وذكره سيف^٢ عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه — والله أعلم بصحة ذلك — ولعل المراد بالقسطنطينية رومية ، والله أعلم .

قال سيف : وذلك أن عثمان ندَّب جيشاً من القيروان إلى الأندلس ، وكتب لهم : أما بعد ، فإن فتح القسطنطينية إنما يكون من قِبَل الأندلس ، فإنَّكم إن

١ سقطت « ما » من ك .

٢ ما ينقله المقرئ عن ابن بَشْكُوَال إنما هو من كتاب له في تاريخ الأندلس لم يصلنا ، وقد وردت

هذه الأحاديث في مخطوطة الرباط : ١٠ .

٣ يعني الاخباري « سيف بن عمر » أحد الرواة الذين اعتمد عليهم الطبري .

فتحتموها كنتم الشركاء في الأجر ، والسلام ، انتهى .
قلت : عهدة هذه الأمور على ناقلها ، وأنا بريء من عهدها ، وإن ذكرها
ابن بَشْكُوَال وصاحب المغرب وغير واحد فلإنها عندي لا أصل لها ، وأي
وقت بعث عثمان إلى الأندلس ؟ مع أن فتحها بالاتفاق إنما كان زمان الوليد ،
وإنما ذكرت هذا للتنبيه عليه ، لا غير ، والله أعلم .

* * *

[وصف ابن سعيد للأندلس]

قال ابن سعيد : وميزان وصف الأندلس أنها جزيرة قد أهدقت بها البحار ،
فأكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة ، فمضى سافرت من مدينة إلى مدينة
لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع ، والصحارى فيها معدومة .
ومما اختصت به أن قراها في نهاية من الجمال لتصنع أهلها في أوضاعها وتبييضها ،
لثلاث تنبو العيون عنها ، فهي كما قال الوزير ابن الحمارة فيها ^١ :

لأحس قراها بين خضرة أيكها كالدّر بين زبرجد مكنون

ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التي تكدر العين
بسوادها ، ويضيق الصدر بضيق أوضاعها ، وفي الأندلس جهات تقرب فيها
المدينة العظيمة المصيرة من مثلها ، والمثال في ذلك أنك إذا توجهت من إشبيلية
فعلّ مسيرة يوم وبعض آخر مدينة شريش ، وهي في نهاية من الحضارة
والنضارة ، ثم يليها الجزيرة الخضراء كذلك ، ثم مالقة ، وهذا كثير
في الأندلس ، ولهذا كثرت مدنها وأكثرها مسور من أجل الاستعداد للعدو ،
فحصل لها بذلك التشييد والترزين ، وفي حصونها ما يبقى في محاربة العدو ما ينصف

١ محمد بن الحمارة القرنابي أبو عامر ، تلميذ ابن باجة ، كان بارعاً في علم الألحان وصناعة الأمواد
(ترجمته في بنية الملئس ص : ١٧٥ والمغرب ٢ : ١٢٠) وسيدكره المقرئ باسم « أبو الحسين
علي بن الحمارة » ، فلعله شخص آخر .

على عشرين سنة لامتناع معاقبتها ، ودُرْبَة أهلها على الحرب ، واعتيادهم لمجاورة العدو بالطعن والضرب ، وكثرة ما تنخزن الغلة في مطاميرها ، فمنها ما يطول صبره عليها نحواً من مائة سنة . قال ابن سعيد : ولذلك أدامها الله تعالى من وقت الفتح إلى الآن ، وإن كان العدو قد نَقَصَهَا من أطرافها ، وشارك في أوساطها ففي البقية منعة عظيمة ، فأرض بقي فيها مثل إشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية وما ينضاف إلى هذه الحواضر العظيمة المصيرة الرجاء فيها قوي بحول الله وقوته ، انتهى .

قلت : قد خاب ذلك الرجاء ، وصارت تلك الأرجاء للكفر معرجاً ، ونسأل الله تعالى الذي جعل اللهم فرجاً ، وللضيق مخرجاً ، أن يعيد إليها كلمة الإسلام حتى يستنشق أهلها منه فيها أرجاء ، آمين .

* * *

[بيلتا طليطلة]

ومن غرائب الأندلس : البيلتان^١ اللتان بطليطلة ، صنعتهما عبد الرحمن^٢ لما سمع بخبر الطلسم الذي بمدينة أرين من أرض الهند ، وقد ذكره المسعودي ، وأنه يدور بإصبعه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، فصنع هو هاتين البيلتين خارج طليطلة في بيت مجوف في جوف النهر الأعظم في الموضع المعروف بباب الدباغين ، ومن عجبهما أنهما تمثلتان وتنحسران مع زيادة القمر ونقصانه ، وذلك أن أول انهلال الهلال يخرج فيهما يسيراً ماء ، فإذا أصبح كان فيهما [ربيع]^٣ سبعهما من الماء ، فإذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ، ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع حتى يكمل من الشهر سبعة أيام وسبع ليال ، فيكون

١ البيلة : حوض النافورة ، وترادفها في الاستعمال أحياناً لفظة « غصة » وهي بالإسبانية والإيطالية (Pila) ، وخبر البيلتين ووصفهما مذكور بتفصيل في مخطوطة الرباط : ٣٨ .

٢ يعني أبا القاسم عبد الرحمن الزرقال ، كما جاء في مخطوطة الرباط .

٣ زيادة لازمة عن مخطوطة الرباط سقطت من النسخ .

فيهما نصفهما ، ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم واليلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر ، فإذا كان في ليلة خمسة عشر وأخذ القمر في النقصان نَقَصْنَا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف سبع [حتى يتم القمر واحداً وعشرين يوماً فينقص منهما نصفهما ولا يزال كذلك ينقص في كل يوم وليلة نصف سبع]^١ فإذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شيء من الماء ، وإذا تكلف أحدٌ حين تنقصان أن يملأهما وجلبَ لهما الماء ابتلعتا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما إلا ما كان فيهما في تلك الساعة ، وكذا لو تكلف عند امتلائهما إفراغهما ولم يُبقَ فيهما شيئاً ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما يملؤهما في الحين . وهما أعجب من طليسم الهند ، لأن ذلك في نقطة الاعتدال حيث لا يزيد الليل على النهار ، وأما هاتان فليستا في مكان الاعتدال ، ولم تزالا في بيت واحد حتى ملك النصارى - دمرهم الله - طليطلة ، فأراد الفُتُشُّ أن يعلم حركاتهما ، فأمر أن تُقلع الواحدة منهما لينظر من أين يأتي إليها الماء ، وكيف الحركة فيهما ، فقلعت ، فبطلت حركتهما ، وذلك سنة ٥٢٨ . وقيل : إن سبب فسادهما حُتَيْن اليهودي^٢ الذي جلب حمام الأندلس كلها إلى طليطلة في يوم واحد ، وذلك سنة ٥٢٧ ، وهو الذي أعلم الفُتُشُّ أن ولده^٣ سيدخل قرطبة ويملكها ، فأراد أن يكشف حركة البيلتين ، فقال له : أيها الملك ، أنا أقلعهما وأردُّهما أحسن مما كانتا ، وذلك أني أجعلهما تمتلئان بالنهار وتحسيران في الليل ، فلما قلعت لم يقدر على ردها ، وقيل : إنَّه قلع واحدة ليسرق منها الصنعة فبطلت ، ولم تزل الأخرى تعطي حركتها ، والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

١ سقطت من ل و ط وهي مشيتة في دوزي ومخطوطة الرباط وق وج .

٢ سماه في مخطوطة الرباط : حنين بن ربة اليهودي المنجم .

٣ مخطوطة الرباط : أن حفيده .

[عود إلى ذكر إشبيلية]

وقال بعضهم في إشبيلية : إنها قاعدة بلاد الأندلس وحاضرتها ، ومدينة الأدب واللاهو والطرب ، وهي على ضفة النهر الكبير ، عظيمة الشأن ، طيبة المكان ، لها البر المديد ، والبحر الساكن ، والوادي العظيم ، وهي قريبة من البحر المحيط ، إلى أن قال : ولو لم يكن لها من الشرف إلا موضع الشرف المقابل لها المطل عليها المشهور بالزيتون الكثير الممتد فراسخ في فراسخ لكفى^١ ، وبها منارة في جامعها بناها يعقوب المنصور ، ليس في بلاد الإسلام أعظم بناء منها . وعسل الشرف يبقى حيناً لا يترمل ولا يتبدل ، وكذلك الزيت والتين .

وقال ابن مفلح^٢ : إن إشبيلية عروس بلاد الأندلس ، لأن تاجها الشرف ، وفي عنقها سمط النهر الأعظم ، وليس في الأرض أتم حسناً من هذا النهر ، يضاهي دجلة والفرات والنيل ، تسير القوارب فيه للترهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار ، وتغريد الأطيار ، أربعة وعشرين ميلاً ، ويتعاطى الناس السرج من جانبيه عشرة فراسخ في عمارة متصلة ومنارات مرتفعة وأبراج مشيدة ، وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى . وبالحملة فهي قد حازت البر والبحر ، والزرع والضرع ، وكثرة الثمار من كل جنس ، وقصب السكر ، ويجمع منها القرمز الذي هو أجل من اللك^٣ الهندي ، وزيتونها يخزن تحت الأرض أكثر من ثلاثين سنة ، ثم يُعْتَصَر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو ظري ، انتهى ملخصاً .

ولما ذكر ابن اليسع الأندلس قال : لا يتزوّد فيها أحد ماء حيث سلك ، لكثرة أنهارها وعيونها ، وربما لقي المسافر فيها في اليوم الواحد أربع مدائن ، ومن

١ لكفى : سقطت من ط ج ق ، اكتفاء ، وفي دوزي : لكفاهما .

٢ لعله المؤرخ إبراهيم بن محمد بن مفلح (- ٨٨٤) قاضي دمشق (الفصول اللامع ١ : ١٥٢) .

٣ قد تقدم ذكر القرمز وأنه نوع من المن الذي يجمع عن الشجر ، أما اللك فإنه مادة شبيهة به تدخل في تركيب الأدوية (ابن البيطار ٤ : ١١٠)

المعاقل والقُرَى ما لا يحصى ، وهي بطاح خُضر ، وقصور بيض . انتهى .

* * *

[مقارنة ابن سعيد بين الأندلس وسواها]

قال ابن سعيد : وأنا أقول كلاماً فيه كفاية : منذ خرجت من جزيرة الأندلس وطُفْتُ في بر العُدْوَة ، ورأيت مدنها العظيمة كمراكش وفاس وسلا وسَبْتَة ، ثم طُفْتُ في إفريقية وما جاورها من المغرب الأوسط فرأيت بجاية وتونس ، ثم دخلت الديار المصرية فرأيت الإسكندرية والقاهرة والفُسطاط ، ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلب وما بينهما — لم أر ما يُشْبِهُ رَوْنُق الأندلس في مياهها وأشجارها إلا مدينة فاس بالمغرب الأقصى ، ومدينة دمشق بالشام ، وفي حِمَاة مَسْجِدِ أُنْدَلُسِيَّة ، ولم أر ما يشبهها في حسن المباني والتشييد والتصنيع ، إلا ما شيد بمراكش في دولة بني عبد المؤمن ، وبعض أماكن في تونس ، وإن كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كالإسكندرية ، ولكن الإسكندرية أفسحُ شوارعَ وأبسطُ وأبدعُ ، ومباني حلب داخلة فيما يُستحسن ، لأنها من حجارة صلبة ، وفي وضعها وترتيبها إتقان ، انتهى .

* * *

[أشعار في وصف الأندلس]

ومن أحسن ما جاء من النظم في الأندلس قولُ ابن سفر المريني ، والإحسانُ له عادة :

في أرض أُنْدَلُسٍ تُلْتَذُّ نَعْمَاءُ ولا يفارقُ فيها القلبَ سراءُ
وليس في غيرها بالعيشِ مُتَفَعٌ ولا تقومُ بحقِّ الأُنْسِ صَهْبَاءُ
وأين يُعْدَلُ عن أرضٍ تَحُضُّ بها على المَدَامَةِ أمواهُ وأفْيَاءُ
وكيف لا يبهجُ الأبصارَ رُؤْيُهَا وكلُّ رَوْضٍ بها في الوُثْيِ صَنْعَاءُ
أنهارُها فِضَّةٌ ، والمسكُ تُرْبَتُهَا والخزُّ رَوْضَتُهَا ، والدُرُّ حَصْبَاءُ

وللهواء بها لطفٌ يرقُّ به ليس النسيمُ الذي يَهْفُو بها سَحَرًا
ولا انتثارُ لآليِ الطلِّ أُنْدَاء وإنما أَرَجُ التَّدَّةِ استِثَارَ بها
وَأينَ يَبْلُغُ مِنْهَا ما أَصْنَفُهُ وأينَ مُمِيزَتِ من جهات الأرض حين بدت
قد مُمِيزَتِ من جهات الأرض حين بدت دارتْ عليها نِطاقًا أَبْحَرُ خَفَقَتْ
لِلذَّكَ يَبْسِمُ فيها الزَّهْرُ من طَرَبٍ لذلكَ يَبْسِمُ فيها الزَّهْرُ من طَرَبٍ
فيها خَلَعَتْ عِذارِي ما بها عِوَضُ فيها خَلَعَتْ عِذارِي ما بها عِوَضُ

ولله دَرُّ ابن خفاجة حيث يقول :

إِن لِلْجَنَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ مُجْتَلَى مَرَأَى وَرَبَا نَفْسِ
فَسَنَا صُبُّحَتِهَا مِنْ شَنْبٍ وَدُجَى ظَلَمَتِهَا مِنْ لَعَسِ
فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَاً صَحَّتْ وَاشَوْقِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ

وقد تقدمت هذه الأبيات ١ .

قال ابن سعيد : قال ابن خفاجة هذه الأبيات وهو بالمغرب الأقصى في برِّ
الْعُدْوَةِ ، ومثله في شرق الأندلس بجزيرة شقر .

• • •

[رِخَاءُ الْأَنْدَلُسِ كَمَا يَصِفُهُ ابْنُ حَوْقَل]

وقال ابن سعيد في المغرب ما نصّه : قواعد من كتاب « الشهب الثاقبة » ، في
الإنصاف بين المشاركة والمغاربة ٢ أولُ ما تقدم الكلام على قاعدة السلطنة

١ انظر ص : ١٧٠ من هذا الكتاب .

٢ لم يصلنا هذا الجزء من المغرب ، ولكن المعري أورد منه فقرات كثيرة في مسالك الأبيصار الجزء
الثالث ، القسم الأول ، قال : والمناظرة بين المشرق والمغرب تحمل كتاباً وقد صنفته بالشام
لضرورة دعت إلى ذلك من شدة إلهام المشاركة على المغاربة من كل جهة وسميت الكتابـ

بالأندلس ، فنقول : إنها مع ما بأيدي عبّاد الصليب منها أعظم سُلطنة كثرت ممالكها ، وتشعبت في وجوه الاستظهار للسلطان إعاتتها ، وندعُ كلامنا في هذا الشأن ، وننقل ما قاله ابن حوقل النصيبي في كتابه لما دخلها في مدة خلافة بني مروان بها في المائة الرابعة ، وذلك أنه لما وصفها قال ^١ : وأما جزيرة الأندلس فجزيرة كبيرة ، طولها دون الشهر في عرض نيّف وعشرين مرحلة ، تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر ، والرخص والسعة في الأحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر ، إلى أسباب التملك الفاشية فيها ، ولما هي به من أسباب رَغَد العيش وسَعَتِهِ وكَثْرَتِهِ ، يملك ذلك منهم مَهِينُهُمْ وأرباب صنائعهم لقلة مؤنتهم وصلاح معاشهم وبلادهم . ثم أخذ في عظم سلطانها ووصف وفور جباياته وعظم مرآفقه ، وقال في أثناء ذلك : ومما يُدَلُّ بالقليل منه على كثيره أن سكة دار ضَرْبِهِ على الدراهم والدنانير دَخَلُهَا في كل سنة مائتا ألف دينار ، وصَرَفُ الدينار سبعة عشر درهماً ، هذا إلى صدقات البلد وجباياته ، وخرجاته وأعشاره وضماناته والأموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة وغير ذلك . وذكر ابن بَشْكُوَال أن جباية الأندلس بلغت في مدّة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألفاً ، ثم ^٢ من السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار .

ثم قال ابن حوقل : ومن أعجب ما في هذه الجزيرة بقاؤها على مَنْ هي في يده مع صغر أحلام أهلها ، وضَعَة نفوسهم ، ونقْصُ عقولهم ، وبُعْدُهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ، ولقاء الرجال ، ومِرَاسِ الأُنْجَادِ والأبطال ، مع علم أمير المؤمنين بمحلّها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها .

* * *

« الشهب الثاقبة في الإنصاف بين المشارقة والمغاربة » (الورقة : ١٠٤) .

١ صورة الأرض : ١٠٤ ، وفي النص بعض اختلاف عبا أثبت ابن سعيد .

٢ ثم : سقطت من ك .

[ردّ ابن سعيد على بعض كلام ابن حوقل]

قال علي بن سعيد مكمل هذا الكتاب : لم أر بدءاً من إثبات هذا الفصل وإن كان على أهل بلدي فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ، ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة ، وليت شعري إذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة فمن الذين دبّروها بآرائهم وعقولهم مع مُراصدة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة وفيه ؟ ومن الذين حمّوها ببسالتهم من الأمم المتصلة بهم في داخلها وخارجها نحو ثلاثة أشهر على كلمة واحدة في نصرة الصليب ؟ وإنّي لأعجب منه إذ كان في زمان قد دلّقت فيه عبّاد الصليب إلى الشام والجزيرة وعاثوا كل العبث في بلاد الإسلام ، حيث الجمهور والقبة العظمى ، حتى إنهم دخلوا مدينة حلب ، وما أدراك ، وفعلوا فيها ما فعلوا ، وبلاد الإسلام متصلة بها من كل جهة ، إلى غير ذلك ممّا هو مسطور في كتب التاريخ ، ومن أعظم ذلك وأشدّه أنهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الإسلام التي يتمكنون بها من بساطت بلادهم ، فيسبّون ويأسرون ، فلا تجتمع همم الملوك المجاورة على حسم الداء في ذلك ، وقد يستعين به بعضهم على بعض ، فيتمكن من ذلك الداء الذي لا يُطَبُّ ، وقد كانت جزيرة الأندلس في ذلك الزمان بالضد من البلاد التي ترك وراء ظهره ، وذلك موجود في تاريخ ابن حيّان وغيره ، وإنّما كانت الفتنة بعد ذلك : الأعلام بيّنة ، والطريق واضح .

فلنرجع إلى ما نحن بسبيله :

* * *

[ابن سعيد يقدم سرداً لتطوّر التاريخ الأندلسي]

كانت سلطنة الأندلس في صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها

١ كتب : سقطت من ق ط ج .

من سلاطين إفريقية ، واختلافُ الولاة دأب إلى الاضطراب ، وعدم تأثُل الأحوال وتربية الضخامة في الدولة ، ولما صارت الأندلس لبني أمية وتوارثوا ممالكها وانقاد إليهم كل أبيّ فيها وأطاعهم كل عَصِيّ عظمت الدولة بالأندلس ، وكبرت الهمم وترتبت^١ الأحوال ، وترتبت القواعد ، وكانوا صَدْرًا من دولتهم يخطبون لأنفسهم بأبناء الخلائف ، ثم خطبوا لأنفسهم بالخلافة ، وملكوا من برّ العُدوة ما ضخمت به دولتهم ، وكانت قواعدهم لإظهار الهيبة ، وتمكن الناموس من قلوب العالم ، ومراعاة أحوال الشرع في كل الأمور ، وتعظيم العلماء ، والعمل بأقوالهم ، وإحضارهم في مجالسهم واستشارتهم ، ولهم حكايات في تاريخ ابن حيّان : منها ما هو مذكور من توجّه الحُكْم على خليفتهم أو على ابنه أو أحد حاشيته المختصين ، وأنهم كانوا في نهاية من الانقياد للحق^٢ لهم أو عليهم ، وبذلك انضبط لهم أمر الجزيرة . ولما خرّقوا هذا الناموس كان أول ما تهتِك أمرهم ، ثم اضمحل ، وكانت ألقابُ الأول منهم الأمراء أبناء الخلائف ، ثم الخلفاء أمراء المؤمنين ، إلى أن وقعت الفتنة بحسدٍ بعضهم لبعض ، وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذي رتبت عليه ، فاستبدّت ملوك الممالك الأندلسية ببلادها ، وسُمُّوا بملوك الطوائف واستبدوا^٣ ، وكان فيهم مَنْ خَطَب للخلفاء المروانيين وإن لم يبق لهم خلافة ، ومنهم من خطب للخلفاء العباسيين المجمع على إمامتهم ، وصار ملوك الطوائف يتباهون في أحوال الملك ، حتى في الألقاب ، قال أمرهم إلى أن تلقّبوا بنُعُوت الخلفاء ، وترفعوا إلى طبقات السلطنة العظمى ، وذلك بما في جزيرتهم من أسباب الترفّهِ والضخامة التي تتوزع على ملوك شتى فتكفيهم ، وتنهض بهم للمباهاة . ولأجل توثبهم على النعوت العباسية ، قال ابن رشيق القيرواني^٤ :

١ ق ج : وترتيب .

٢ ك : إلى الحق .

٣ واستبدوا : سقطت من ك .

٤ ديوان ابن رشيق : ٥٩ ، وهما في وفيات الأعيان ٤ : ٥٢ لابن عمار الأندلسي .

مما يزهدني في أرض أندلسٍ تلقبُ معتضدٍ فيها ومُعْتَمِدِ
ألقابُ مملكةٍ في غير موضعها كالحُرِّ يحكي انتفاخاً صَوْلَةَ الأسدِ

وكان عَبَّاد بن محمد بن عَبَّاد قد تلقب بالمعتضد ، واقتفى سيرة المعتضد العباسي أمير المؤمنين ، وتلقب ابنه محمد بن عَبَّاد بالمعتمد ، وكانت لبني عَبَّاد مملكة لإشبيلية ثم انضاف إليها غيرها .
وكان خلفاء بني أمية يظهرون للناس في الأحيان على أبهة الخلافة ، وقانون لهم في ذلك معروف ، إلى أن كانت الفتنة ، فازدرت العيون ذلك الناموس ، واستخفت به .

وقد كان بنو حَمُود من ولد إدريس العكوي الذين توثبوا على الخلافة في أثناء الدولة المروانية بالأندلس يتعاضمون ، ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بني العباس ، وكانوا إذا حضرهم منشد للبح أو من يحتاج إلى الكلام بين أيديهم يتكلم من وراء حجاب ، والحاجب واقف عند الستر يجاب بما يقول له الخليفة ، ولما حضر ابن مقان الأشبوني أمام حاجب إدريس بن يحيى الحمودي الذي خطب له بالخلافة في مالقة ، وأنشده قصيدته المشهورة النونية التي منها قوله ١ :

وكانَ الشَّمْسُ لَمَّا أَشْرَقَتْ فابْتَسَتْ عنها عيونُ الناظرينُ
وَجَهْ إدريس بن يحيى بن علي بن حمودٍ أمير المؤمنين

وبلغ فيها إلى قوله :

انظُرُونَا نَقْتَحِسُ مِنْ نُورِكُمْ لَإِنَّهُ من نور ربِّ العالمين

رفع الخليفة الستر بنفسه ، وقال : انظر كيف شئت ، وانبسط مع الشاعر ، وأحسن إليه .

عبد الرحمن بن مقان الأشبوني القيداني أبو زيد من شعراء الدخيرة (القسم الثاني : ٣٠١ ، وانظر المغرب ١ : ٤١٣ والهاشية في مصادر ترجمته) .

ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة وكثير من العامة ، ويظهرون
مدارة^١ الجند وعوام البلاد ، وكان أكثرهم يحاضر العلماء والأدباء ، ويجب
أن يشهر عنه ذلك عند مباريه في الرياسة .

ومذ وقعت الفتنة بالأندلس اعتاد أهل الممالك المتفرقة الاستبداد عن إمام
الجماعة ، وصار في كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة كما يتوارث
ملوكها الملك ، ومترنوا على ذلك ، فصعب ضبطهم إلى نظام واحد ، وتمكن
العدو منهم بالتفرق وعداوة بعضهم لبعض بقيبج المنافسة والطمع ، إلى أن انقادوا
إلى عبد المؤمن وبنيه ، وتلك القواعد في رؤوسهم كامنة ، والثوار في المعامل تنور^٢ ،
وتروم الكثرة ، إلى أن ثار ابن هود ، وتلقب بالمتوكل ، ووجد قلباً^٣ منحرفاً
عن دولة بر العدو ، مهياً للاستبداد ، فملكها بأيسر محاولة ، مع الجهل
المفرط وضعف الرأي ، وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة ، يمشي في
الأسواق ويضحك في وجوههم ويأدرهم بالسؤال . وجاء للناس منه ما لم
يعتادوه من سلطان ، فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء ، وكان
كما قيل :

أمرٌ يضحكُ السفهاء منها ويبكي من عواقبها الحليمُ

قال ذلك إلى تكلف القواعد العظيمة ، وتملك الأمصار الجلييلة ، وخروجها
من يد الإسلام .

والضابط فيما يقال في شأن أهل الأندلس في السلطان أنهم إذا وجدوا فارساً
يبرع الفرسان أو جواداً يبرع الأجواد تهافتوا في نصرته ، ونصبوه ملكاً من غير
تدبير في عاقبة ، آل الأمر إلى ما يؤول إليه ، وبعد أن يكون الملك في مملكة

١ ق ج ط : لمدارة .

٢ ط ق : تنور .

٣ ك : القلوب .

قد تُورث وتداولت ، ويكون في تلك المملكة قائد من قوادها قد شهرت عنه وقائع في العدو وظهر منه كرم نفس للأجناد ومراعاة ، قدّموه ملكاً في حصن من الحصون ، ورَفَضُوا عيالهم وأولادهم - إن كان لهم ذلك - بكرسيّ الملك ، ولم يزالوا في جهاد وإتلاف أنفس حتى يظفر أصحابهم بطليبتيه . وأهلُ المشرق أصوبُ رأياً منهم في مراعاة نظام الملك ، والمحافظة على نصابه ، لئلاّ يدخل الخلل الذي يقضي باختلال القواعد وفساد التربية وحلّ الأوضاع .

ونحن نمثل في ذلك بما شاهدناه : لما كانت هذه الفتنة الأخيرة بالأندلس تمخّضت عن رجل من حصن يقال له أَرْجُونَة ، ويُعرف الرجل بابن الأحمر ، كان يكثر مغاورة العدو من حصنه ، وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة ، إلى أن سار اسمه في الأندلس ، وآل ذلك إلى أن قدّمه أهلُ حصنه على أنفسهم ، ثم تهنّئ فملك قرطبة العظمى ، وملك إشبيلية ، وقتل ملكها الباجي ، وملك جيتان أحصنَ بلد بالأندلس وأجلّه قدراً في الامتناع ، وملك غرناطة ومالقة ، وسَمّوه بأمير المسلمين ، فهو الآن المشار إليه بالأندلس والمعتمد عليه .

* * *

[ابن سعيد يصف الخطط الأندلسية : ١ - الوزارة]

وأما قاعدة الوزارة بالأندلس فلإنّها كانت في مدة بني أمية مشتركة في جماعة يُعيّنهم صاحبُ الدولة للإعانة والمشاورة ، ويخصّهم بالمجالسة ، ويختار منهم شخصاً لمكان النائب المعروف بالوزير فيسمّيه بالحاجب ، وكانت هذه المراتب لضبطها عندهم كالمتوارثّة في البيوت المعلومّة لذلك ، إلى أن كانت ملوك الطوائف ، فكان الملكُ منهم - لعظم اسم الحاجب في الدولة المرثوانية ، وأتّه كان نائباً عن خليفتهم - يسمّى بالحاجب ، ويرى أن هذه السمة أعظم ما تُنوّس فيه وظنّ به ، وهي موجودة في أمداح شعرائهم وتواريخهم . وصار

١ ك : طار .

اسم الوزارة عامّاً لكل من يُجالس الملوك ويختص بهم ، وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يُعرف بذئ الوزارتين ، وأكثر ما يكون فاضلاً في علم الأدب ، وقد لا يكون كذلك ، بل عالماً بأمور الملك خاصة .

[٢ - الكتابة]

وأما الكتابة فهي على ضربين : أعلاهما : كاتب الرسائل ، وله حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس ، وأشرف أسمائه الكاتب ، وبهذه السّمة يخطّطه^١ من يعظمه في رسالة . وأهل الأندلس كثير و الانتقاد على صاحب هذه السّمة ، لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة ، فإن كان ناقصاً عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطقن عليه وعلى صاحبه . والكاتب الآخر كاتب الزمام ، هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ، ولا يكون بالأندلس وبرّ العبدوة لا نصرانياً ولا يهودياً البتّة ، إذ هذا الشغل نبيه يحتاج إلى صاحبه عظماء الناس ووجوههم .

[٣ - الخراج]

وصاحب الأشغال الخراجية في الأندلس أعظم من الوزير ، وأكثر أتباعاً وأصحاباً وأجندى منفعة . فإليه تميل الأعناق ، ونحوه تمد الأكف ، والأعمال مضبوطة بالشهود والنظار ، ومع هذا إن تأملت حاله واغتر بكثرة البناء والاكتساب نُكِب وصُودر ، وهذا راجع إلى تقلب الأحوال وكيفية السلطان .

[٤ - القضاء]

وأما خُطّة القضاء بالأندلس فهي أعظم الخطط عند الخاصة والعامة ، لتعلقها بأمور الدين ، وكون السلطان لو توجه عليه حكم حصّر بين يدي القاضي ، هذا

١ ك : يخصه .

وضعها في زمان بني أمية ، ومن سلك مسلكهم ، ولا سبيل أن يتسمى بهذه السمة إلا مَنْ هو والٍ للحكم الشرعي في مدينة جليلة ، وإن كانت صغيرة فلا يُطلق على حاكمها إلا مسدّد ، خاصة ، وقاضي القضاة يقال له : قاضي القضاة ، وقاضي الجماعة .

[٥ - خطة الشرطة]

وأما خطة الشرطة بالأندلس فإنها مضبوطة إلى الآن ، معروفة بهذه السمة ، ويُعرف صاحبها في ألسن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل ، وإذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن يجب^١ عليه دون استئذان السلطان ، وذلك قليل ، ولا يكون إلا في حضرة السلطان الأعظم ، وهو الذي يحدّ على الزنا وشرب الخمر ، وكثير من الأمور الشرعية راجع إليه ، قد صارت تلك عادة تقرّر عليها رضا القاضي ، وكانت^٢ خطة القاضي أوقر وأتقى عندهم من ذلك .

[٦ - الحسبة]

وأما خطة الاحتساب فإنّها عندهم موضوعة في أهل العلم والفيطن ، وكان صاحبها قاض ، والعادة فيه أن يمشي بنفسه راكباً على الأسواق ، وأعوانه معه ، وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان ، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان للربع من الدرهم رقيق على وزن معلوم ، وكذلك للثمن ، وفي ذلك من المصلحة أن يرسل المبتاع الصبي الصغير أو الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتياه به من السوق مع الخاذق في معرفة الأوزان ، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بصره ، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون^٣ ما حدّ له المحتسب في

١ لك : وجب .

٢ قد : وكان .

٣ قد ودوني : أن يبيع بدون .

الورقة ، ولا يكاد تخفى خيانتة ، فإن المحتسب يدسّ عليه صبيّاً أو جارية يبتاع أحدهما منه ، ثم يخبر الوزن المحتسب ، فإن وجد نقصاً قاس على ذلك حاله مع الناس ، فلا تسأل عمّا يلقي ، وإن كثّر ذلك منه ولم يتبّ بعد الضرب والتجريس^١ في الأسواق نُفي من البلد . ولهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها^٢ ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه ، لأنها عندهم تدخل في جميع المباحات وتتفرع إلى ما يطول ذكره .

[٧ - خطة الطواف بالليل]

وأما خطة الطواف بالليل وما يقابل من المتخرب أصحاب أرباع في المشرق فإنهم يُعرفون في الأندلس بالدرابين ، لأن بلاد الأندلس لها دروب بأغلاق تُغلق بعد العتمة ، ولكل زقاق بائت فيه ، له مراج معلق وكلب يسهر وسلاح معدّ ، وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم ، وإغياهم^٣ في أمور التلصص ، إلى أن يظهروا على المباني المشيدة ، ويفتحوا الأغلاق الصعبة ، ويقتلوا صاحب الدار خوف أن يقرّ عليهم أو يطالبهم بعد ذلك ، ولا تكاد في الأندلس تخلو من سماع « دار فلان دُخلت البارحة » و « فلان ذبحه اللصوص على فراشه » وهذا يرجع الكثير منه والتقليل إلى شدة الوالي وليته ، ومع إفراطه في الشدة وكون سيفه يقطر دماً فإن ذلك لا يعدم ، وقد آل الحال عندهم إلى أن قتلوا على عنفود سرقه شخص من كثرّم وما أشبه ذلك ، فلم يته اللصوص .

• • •

[الأندلسيون والتجريس]

وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم فإنها تختلف بحسب الأوقات والنظر

١ التجريس : النصح والتنبير .

٢ يتداولونها : سقطت من ق ط ج .

٣ ك : وإغياهم .

إلى السلاطين ، ولكن الأغلب عندهم إقامة الحدود ، وإنكار التهاون بتعطيلها ، وقيام العامة في ذلك وإنكاره إن تهاون فيه أصحاب السلطان ، وقد يلج السلطان في شيء من ذلك ولا ينكره ، فيدخلون عليه قصره المشيد ولا يعاؤون بخيله ورجله حتى يخرجوه من بلدهم ، وهذا كثير في أخبارهم . وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للأعمال إذا لم يتعدوا فكل يوم .

* * *

[الأندلسيون والتصوف]

وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدروزة^١ التي تُكسِلُ عن الكد ونحو^٢ الوجوه للطلب في الأسواق فمستقبحة عندهم إلى نهاية^٣ ، وإذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة يطلب سبّوه وأهانوه ، فضلاً عن أن يتصدقوا عليه ، فلا تجد بالأندلس سائلاً إلا أن يكون ضاحك عذر .

* * *

[الأندلسيون والعلوم والآداب]

وأما حال أهل الأندلس في فنون العلوم^٤ فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز ، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ، ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً عالمة على الناس ؛ لأن هذا عندهم في نهاية القبح ، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة ، يشار إليه ويحال عليه ، وينسب قدره وذكره عند الناس ، ويكرم في جوار أو ابتياح حاجة ، وما أشبه ذلك . ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل يقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة ، فهم يقرءون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جاريًا ،

١ ك : النورة ؛ والدروزة من الفارسية « دروزم » أي الكدية والشحد .

٢ ك : وتخرج .

٣ ك : النهاية .

٤ ق : العلم .

فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم يباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه ، ويتفق من عنده حتى يعلم ، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء ، إلا الفلسفة والتنجيم ، فإن لهما حظاً عظيماً عند خواصهم ، ولا يُتظاهر بهما خوف العامة ، فإنه كلما قيل « فلان يقرأ الفلسفة » أو « يشتغل بالتنجيم » أطلقت عليه العامة^١ اسم زنديق ، وقيدت عليه أنفاسه ، فإن زلّ في شبهة رجّموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان ، أو يقتله السلطان تقريباً لقلوب العامة ، وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت ، وبذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه وإن كان غير خالٍ من الاشتغال بذلك في الباطن على ما ذكره الحنجاري ، والله أعلم .

وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة ، وللفقه رونق ووجاهة ، ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك ، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوي الهنم في العلوم . وسيمّة الفقيه عندهم جليلة ، حتى إن المثلثين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويبه بالفقيه ، وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق ، وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنها عندهم أرفع السمات . وعلم الأصول عندهم متوسط الحال ، والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة ، حتى إنهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه ، لا يزداد مع هَرَم الزمان إلا جِدَّةً ، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه ، وكل عالم في أي علم لا يكون متمكناً من علم النحو — بحيث لا تحفى عليه الدقائق — فليس عندهم بمستحق للتمييز ، ولا سالم من الازدراء ، مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية ، حتى لو أن شخصاً من العرب سمع كلام الشلويني أبي عليّ المشار إليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه

١ العامة : سقطت من ك .

وشرقت وهو يُقَرِّىء درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذي في لسانه ،
والخاص منهم إذا تكلم بالإعراب وأخذ يتجَرَّى على قوانين النحو استقلوه
واستبردوه ، ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات والمخاطبات بالرسائل .
وعلمُ الأدب المنشور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبلُ
علم عندهم ، وبه يُتَقَرَّب مِن مجالس ملوكهم وأعلامهم ، وَمَن لا يكون فيه
أدب من علمائهم فهو غُفْلٌ مستَقَل .

والشعر عندهم له حظ عظيم ، وللشعراء من ملوكهم وجاهة ، ولهم عليهم
وظائف ، والمجيدون منهم يُنْشِدُونَ في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ،
ويوقع لهم بالصلوات على أقدارهم ، إلا أن يختل الوقت ويغلب الجهل في حين
مّا ، ولكن هذا الغالب . وإذا كان الشخص بالأندلس نحوياً أو شاعراً فإنه
يُعْظَم في نفسه لا بحالة ويسخف ويظهر العُجْب ، عادة قد جُبِلوا عليها .

• • •

[الزي الأندلسي في السلم والحرب]

وأما زِيُ أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمامة ، لا سيما في شرق
الأندلس ، فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيهاً مشاراً إليه إلا وهو
بعمامة ، وقد تسامحوا بشرقها في ذلك ، ولقد رأيت عزيز بن خطاب^١ أكبر
عالم بمُرْسِيّة ، حضرة السلطان في ذلك الأوان ، وإليه الإشارة ، وقد خُطِبَ
له بالملك في تلك الجهة ، وهو حامي الرأس ، وشيْبُهُ قد غلب على سواد شعره .
وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تَرَاه بعمّة في شرق منها أو في غرب ،
وابنُ هود الذي ملك الأندلس في عصرنا رأيتُه في جميع أحواله ببلاد الأندلس
وهو دون عمامة ، وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده ، وكثيراً

١ عزيز بن عبد الملك بن محمد بن خطاب القيسي ، أبو بكر مرسي سرقسلي الأصل ، كان زاهداً
عابداً ناشراً للعلم حتى امتحن برياسة بلده فلم تحمد سيرته ، قتل سنة ٦٣٦ . (ترجمته في الذيل
والتكلمة ٥ : ١٤٤ وفي الحاشية ثبت بالمصادر) .

ما يترتباً سلاطينهم وأجنادهم بزّيّ النصارى المجاورين لهم ، فسلّاحهم كسلّاحهم ، وأقبيتهم من الإشكرلاط^١ وغيره كأقبيتهم ، وكذلك أعلامهم وسُروجهم .
 ومحاربتهم بالتراس والرّماح الطويلة للطعن ، ولا يعرفون الدبابيس ، ولا قيسيّ العرب ، بل يعدّون قيسيّ الإفرنج للمحاصرات في البلاد ، أو تكون للرجالة عند المصاففة للحرب ، وقليلاً^٢ ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم لأن يؤثروها ، ولا نجد في خواص الأندلس وأكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان ، إلاّ أنّه لا يضعه على رأسه منهم إلاّ الأشياخ المعظمون ، وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً ، والصّفّر مخصوصة باليهود ، ولا سبيل إلى يهودي^٣ أن يتعمّم البتّة ، والدّوّابة لا يرخيها إلاّ العالم ، ولا يصرفونها بين الأكثاف ، وإنّما يُسَدِّلونها من تحت الأذن اليسرى . وهذه الأوضاع التي بالشرق في العمائم لا يعرفها أهل الأندلس ، وإن رأوا في رأس مشرقى داخل إلى بلادهم شكلاً منها أظهروا التعجب والاستظراف ، ولا يأخذون أنفسهم بتعليمها لأنهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم ، وكذلك في تفصيل الثياب .

• • •

[تدبير الأندلسيين ومروءتهم]

وأهل الأندلس أشدّ خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يفرشون ، وغير ذلك ممّا يتعلّق بهم ، وفيهم من لا يكون عنده إلاّ ما يقوته يومه ، فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها .

وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذلّ السؤال ، فلذلك قد يُنسبون للبخل ، ولهم مروءات على عادة بلادهم ، لو فطن لها حاتم

١ الإشكرلاط ، ويقال أيضاً الاشكيلاط (écarlate) نوع من الجوخ ، قرمزي أحمر .

٢ ك : وكثيراً .

٣ ك : ليهودي .

لفضّل دقائقها على عظامه ؛ ولقد اجتزت مع والدي على قرية من قرأها ،
وقد نال منا البرد والمطر أشدّ النّيل ، فأويّتنا إليها ، وكنا على حالٍ ترقّب من
السلطان وخلوّ من الرفاهية ، فترلنا في بيت شيخ من أهلها ، من غير معرفة
متقدمة ، فقال لنا : إن كان عندكم ما أشترى لكم فحمًا تسخنون به فلأني أمضي
في حوائجكم ، وأجعل عيالي يقومون بشأنكم ، فأعطيناه ما اشترى به فحمًا ،
فأضرم ناراً ، فجاء ابنٌ له صغير ليصطلي ، فضربه ، فقال له والدي : لم ضربته ؟
فقال : يتعلّم استغنام مال الناس والصّجّر للبرد من الصغر ، ثم لما جاء النوم
قال لابنه : أعطِ هذا الشاب كساءك الغليظة يزيدّها على ثيابه ، فدفع كساءه إليّ ،
ولما قمنا عند الصباح وجدتُ الصبيّ متبهاً ويدو في الكساء ، فقلت ذلك
لوالدي ، فقال : هذه مروءات أهل الأندلس ، وهذا احتياطهم ، أعطاك الكساء
وفضلك على نفسه ، ثم أفكر في أنك غريب لا يعرف هل أنت ثقة أو لص ،
فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه خوفاً من انفصالك بها وهو نائم ، وعلى هذا
الشيء الحقيق فقس^٢ الشيء الجليل ، انتهى كلام ابن سعيد في « المغرب »
باختصار يسير .

• • •

[منهج كتاب المغرب لابن سعيد]

ولله درّه ، فإنّه أبدع في هذا الكتاب ما شاء ، وقسمه إلى أقسام ، منها :
كتاب « وشي الطرس » ، في حلى جزيرة الأندلس « وهو ينقسم إلى أربعة
كتب :

الكتاب الأول : كتاب « حليّ الغرس » ، في حلى غرب الأندلس .
الكتاب الثاني : كتاب « الشفاه اللّعنس » ، في حلى موسطة الأندلس .

١ ك : أموال .

٢ ق : قس .

الكتاب الثالث : كتاب « الأئس في حلّ شرق الأندلس » .
الكتاب الرابع : كتاب « لحظات المريب ، في ذكر ما حماه من الأندلس
عُبّاد الصليب » .

والقسم الثاني كتاب « الألحان المسلية ، في حلّ جزيرة صقلية » وهو أيضاً
ذو أنواع .

والقسم الثالث كتاب « الغاية الأخيرة ، في حلّ الأرض الكبيرة » وهو أيضاً
ذو أقسام ، وصوّر - رحمه الله تعالى - أجزاء الأندلس في كتاب « وتني
الطرس » وقال أيضاً : إن كلاً من شرق الأندلس وغربها ووسطها يقرب
في قدر المساحة بعضه من بعض ، وليس فيها جزء يجاوز طوله عشرة أيام ، ليصدق
التثليث في القسمة ، وهذا دون ما بقي بأيدي النصارى .

وقدم - رحمه الله - كتاب « حلّي العرس ، في حلّ غرب الأندلس » لكون
قرطبة قطب الخلافة الروانية وإشبيلية التي ما في الأندلس أجمل منها فيه ،
وقسمه إلى سبعة كتب^١ ، كل كتاب منها يحتوي على مملكة متعازة عن
الأخرى :

- الكتاب الأول : كتاب « الحلقة المذهبة ، في حلّ مملكة قرطبة » .
- الكتاب الثاني : كتاب « الذهبية الأصيلية ، في حلّ المملكة الإشبيلية »
- الكتاب الثالث : كتاب « خدع المألفة ، في حلّ مملكة مالقة^٢ » .
- الكتاب الرابع : كتاب « الفردوس ، في حلّ مملكة بطليوس » .
- الكتاب الخامس : كتاب « الخلب ، في حلّ مملكة شلب » .
- الكتاب السادس : كتاب « الديباجة ، في حلّ مملكة باجة » .
- الكتاب السابع : كتاب « الرياض المصونة ، في حلّ مملكة أشبونة » وقد

١ راجع المغرب ١ : ٣٤ .

٢ جاء هذا الكتاب « ساباً » حسب ترتيب المغرب المطبوع .

ذكر - رحمه الله تعالى - في كل قسم ما يليق به ، وصوّر أجزاءه على ما ينبغي ،
فالله يجازيه خيراً ، والكلام في الأندلس طويل عريض .

* * *

[خاتمة في نبذة جغرافية]

وقال بعض المؤرخين : طول الأندلس ثلاثون يوماً ، وعرضها تسعة أيام ، ويشقها أربعون نهراً كبيراً^١ ، وبها من العيون والحمامات والمعادن ما لا يحصى ، وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار ، وأزيد من ثلثمائة من المتوسطات ، وفيها من الحصون والقُرى والبروج ما لا يحصى كثرة ، حتى قيل : إن عدد القُرى التي على نهر إشبيلية اثنا عشر ألف قرية ، وليس في معمور الأرض صُقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعاً من يومه إلا بالأندلس ، ومن بَرَكتها أن المسافر لا يسير^٢ فيها فرسخين دون ماء أصلاً ، وحيشما سار من الأقطار يجد الحوانيت في الفلوات والشعاري^٣ والأودية ورؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه والخبز واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة .
وذكر صاحب الجغرافيا أن جزيرة الأندلس مسيرة أربعين يوماً طولاً في ثمانية عشر يوماً عرضاً ، وهو مخالف لما سبق .

وقال ابن سيده : أخذت الأندلسُ في عرض الإقليمين الخامس والسادس من البحر الشامي في الجنوب إلى البحر المحيط في الشمال ، وبها من الجبال سبعة وثمانون جبلاً ، انتهى .

* * *

[مقطعات في مدح الأندلس]

ولبعضهم :

لله أندلسٌ وما جَمَعَتْ بها من كل ما ضَمَّت لها الأهواء

١ كباراً : سقطت من ق .

٢ ك : لا يسافر .

٣ ك : والصحاري .

فكأنّما تلك الديار كواكب
وبكل قطر جدول في جنة
وكانت تلك البقاع سماء
ولعت به الأفياء والأنداء

وقال غيره :

في أرض أندلس تُلدُّ نَعْماء
وليس في غيرها بالعيش مُنتَفَعٌ
وَأَيْنَ يُعْدَلُ عَنْ أرض تحض بها
وَأَيْنَ يُعْدَلُ عَنْ أرض تحثُّ بها
وكيف لا تُسهِجُ الأبصار رؤيتها
أنهارها فضة ، والمسك تُرْبَتُها
وللهواء بها لطف يرقّ به
ليس النسيم الذي يهفو بها سحرًا
ولأنما أَرَجُ الندّ استثار بها
وَأَيُّ بِلَافٍ منها ما أَصَنَّفُهُ
قد مُيزت من جهات الأرض ثم بدت
دارت عليها نطافاً أبحر خَفَقَتْ
لذلك يَبْسِمُ فيها الزهرُ من طَرَبٍ
ففيها خلعت عِذارِي ما بها عوض

ولا يُفارق فيها القلبَ سرّاً
ولا تقومُ بحقِّ الماءِ صَهْبَاءُ
على الشهادة أزواج وأبناء
على المُدَامَةِ أفياء وأنداء^١
وكلُّ أرض بها في الوشي صَنَعاءُ
والخز رَوْضَتُها ، والدُّرُّ حَصْبَاءُ
من لا يرقُّ ، وتَبْدُو منه أهواء
ولا انتشار لآلي الطلّ أنداء
في ماء ورْدٍ فطابت منه أرجاء
وكيف يحوي الذي حازته إحصاء
فريدة^٢ ، وتولّى مَيَازِها الماء
وجداً بها إذ تبدّت وهي حسناء^٣
والطيرُ يشدو ، وللأغصان إصغاء
فهي الرياض وكل الأرض صحراء

وقد تقدمت هذه القصيدة^٤ .

وقال آخر :

حبذا أندلس من بلد
لم تزل تَنسِجُ لي كلَّ سُرُورٍ

١ ك : الأنس .

٢ ك : أمواه وأفياء .

٣ هذا البيت وأربعة قبله سقطت من ق ط ح .

٤ انظر ص : ٢٠٩ - ٢١٠ في ما تقدم .

طائر شاذٍ ، وظلٌّ وارفٌ ومياهٌ سائحات وقشورٌ

وقال آخر :

يا حسن أندلس وما جُمِعَتْ لنا	فيها من الأوطار والأوطانِ
تلك الجزيرة لست أنسى حُسْنَهَا	بتعاقبِ الأحيان والأزمانِ
نَسَجَ الربيعُ نباتَهَا من سُندُسٍ	مَوْشِيَّةٍ ببدائعِ الألوانِ
وغدا النسيمُ بها عليلًا هائمًا	برُبُوعِها وتلاطمَ البحرانِ
يا حُسْنَهَا والطلّ ينثر فوقها	دُرَرًا خلالَ الورْدِ والرَّيحانِ
وسواعدُ الأنهار قد مدّت إلى	نُدَمَائِها بِشقائقِ النُّعْمانِ
وتجاوَبَتْ فيها شَوَادِي طَيْرِهَا	والتفتِ الأغصانُ بالأغصانِ
ما زُرْتُهَا إِلَّا وَحَيَّانِي بها	حدَقُ البَهَارِ وأتمَلُ السُّوسانِ
من بعدها ما أعجبتني بلدة	مَعَ ما حلَّتْ به من البلدانِ

* * *

[من معاصم الأندلس]

وحكى بعضهم أن بالجامع من مدينة أڤليش بلاطاً فيه جوائز منشورة مربعة
مستوية الأطراف ، طول الجائزة منها مائة شبر وأحد عشر شبراً .
وفي الأندلس جبل مَن شربَ من مائه كثر عليه الاحتلام ، من غير إرادة
ولا تفكر ، وفيها غير ذلك ممّا يطول ذكره ، والله أعلم .
ولنُؤسِّيك العِنانَ في هذا الباب ، فإن بحر الأندلس طويل مديد ، وربما
كررنا الكلام لارتباط بعضه ببعض ، أو لنقل صاحبه المروي عنه ، أو لاختلاف
مّا ، أو غير ذلك من غرض سديد .

الباب الثاني

في إلقاء الأندلس للمسلمين بالقياد ، وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد ، وصيرورتها ميداناً لِسَبْق الجياد ، ومحطاً رَحْل الارتياء^١ والارتياذ ، وما يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه ازدياد ، ونيل وصل إليه اعتياد وتقرر بعثله اعتياد

اعلم أنه لما قضى الله سبحانه بتحقيق قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « زُوِيَتْ لي مشارق الأرض ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمي ما زوي لي منها » وقع الخلاف بين لُذَرِيْقَ ملك القُوط وبين ملك سبته الذي على مجاز الزقاق ، فكان ما يُذكر من فتح الأندلس على يد طارق وطريف ومولاهما الأمير موسى ابن نصير ، رحم الله الجميع .

* * *

[أخبار الفتح حسب مختلف الروايات]

وذكر الحجاري وابن حبان وغيرهما أن أول مَنْ دخل جزيرة الأندلس من المسلمين برسم الجهاد طريف البربري مولى موسى بن نصير الذي تُنسب إليه جزيرة طريف التي على المجاز ، غزاها بمَعُونَة صاحب سبته يُلَيان النصراني ، لحقده على لُذَرِيْقَ صاحب الأندلس ، وكان في مائة فارس وأربعمائة راجل ، جاز البحر في أربعة مراكب ، في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين ، وانصرف

.....

١ في جميع الأصول : الارتياذ ، والصواب ما أثبتته ، والارتياذ : هو تقديم الرتبة أي الطليعة وهو موافق للارتياذ .

بغنيمة جلييلة ، فعقد موسى بن نُصَيْر صاحبُ المغرب لمولاه طارق بن زياد على الأندلس ، ووجهه مع يُلَيَّان صاحب سَبْتَة ، انتهى .

وسأني في أمر طريف وغيره ما يخالف هذا السياق^١ ، وهي أقوال .
وقال ابن حيَّان : إن أول أسباب فتح الأندلس كان أن ولَّى الوليدُ بن عبد الملك موسى بن نُصَيْر مولى عمِّه عبد العزيز على إفريقية وما خلفها سنة ثمان وثمانين فخرج في نفر قليل من المُطَوَّعة ، فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثاً ، وفعل ذلك في إفريقية ، وجعل على مقدمته مولاه طارقاً ، فلم يزل يقاتل البربر ويفتح مدائنهم ، حتى بلغ مدينة طَنْجَة ، وهي قصبة بلادهم وأم مدائنهم ، فحصرها حتى فتحها ، وأسلم أهلها ، ولم تكن فُتحت قبله ، وقيل : بل فُتحت ثم استغلت .

وذكر ابن حيَّان أيضاً استصعاب سَبْتَة على موسى بتدبير صاحبها الداهية الشجاع يُلَيَّان النصراني ، وأنه في أثناء ذلك وقع بينه وبين لُذْرِيْق صاحب الأندلس ، ثم سرد ما يأتي ذكره .

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله : وحديثُ الفتح ، وما مَنَّ الله به على الإسلام من المنح ، وأخبار ما أفاء الله من الخير ، على موسى بن نُصَيْر ، وكتب من جهاد ، لطارق بن زياد ، مملول قُصَّاصٍ وأوراق ، وحديثُ أقول وإشراق ، وإرعاد وإبراق ، وعَظُم امتشاش ، وآلة معلقة في دكان قَشَّاش ، انتهى .

وقال في المغرب : طارق بن زياد من إفريقية .

وقال ابن بَشْكُوَال : إنه طارق بن عمرو ، فتح جزيرة الأندلس ودونها ، وإليه يُنسب جبل طارق الذي يعرفه العامة بجبل الفتح ، في قِبلة الجزيرة الخضراء ، ورحل مع سيِّده بعد فتح الأندلس إلى الشام وانقطع خبره ، انتهى .

.....

١ ك : الانسياق .

وقال أيضاً : إن طارقاً كان حسن الكلام ينظم ما يجوز كتبه . وأما المعارف السلطانية فيكفيه ولاية سلطنة الأندلس وما فتح فيها من البلاد إلى أن وصل سيده موسى بن نصير .

ومن تاريخ ابن بَشْكُوَال : احتل طارق بالجليل المنسوب إليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين في اثني عشر ألفاً غير اثني عشر رجلاً من البربر ، ولم يكن فيهم من العرب إلا شيء يسير . وإنه لما ركب البحر رأى وهو نائم النبي . صلى الله عليه وسلم ، وحوله المهاجرون والأنصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي ، فيقول له رسول الله . صلى الله عليه وسلم : يا طارق . تقدم لشأنك ، ونظر إليه وإلى أصحابه قد دخلوا الأندلس قد آامه . فهب من نومه مستبشراً . وبشّر أصحابه ، وثابت نفسه ببشراه . ولم يشك في الظفر ، فخرج من الجبل ، واقتحم بسيط البلد شاتاً للغارة . وأصاب عجزاً من أهل الجزيرة فقالت له في بعض قولها : إنه كان لها زوج عالم بالحدثان ، فكان يحدّثهم عن أمير يدخل إلى بلدهم هذا فيغلب عليه ، ويصف من نعته أنه ضخم الهامة . فأنت كذلك . ومنها أن في كتفه اليسرى شامة عليها شعرة ، فإن كانت فيك فأنت هو . فكشف ثوبه فإذا بالشامة في كتفه على ما ذكرت . فاستبشر بذلك ومن معه .

ومن تاريخ ابن حيّان : لما حرّض يُلَيّانُ النصرانيُّ صاحبُ سبّنة . للأمر الذي وقع بينه وبين صاحب الأندلس . موسى بن نصير على غزو الأندلس جهز لها مولاه طارقاً المذكور في سبعة آلاف من المسلمين ، جلّتهم من البربر . في أربع سفن ، وخط بجبل طارق المنسوب إليه يوم السبت في شعبان سنة اثنتين وتسعين . ولم تزل المراكب تعود حتى توافي جميع أصحابه عنده بالجليل . قال : ووقع على لدريق صاحب الأندلس الخبر . وأن يُلَيّان السبب فيه ، وكان يومئذ غازياً في جهة البشكنس . فبادر في جموعه وهم نحو مائة ألف ذوي عددٍ وعدة ١ .

١ ك : عدة وعدد .

وكتب طارق إلى موسى بأنه قد زحف إليه^١ لُدْرِيْق بما لا طاقة له به ، وكان عمل من السفن عِدَّة ، فجهَّز له فيها خمسة آلاف من المسلمين ، فكملوا بمن تقدَّم اثني عشر ألفاً ، ومعهم يُلَيَّانُ صاحبُ سَبْتَةِ في حَشْدِهِ يَدْلُهُمْ عَلَى الْعَوْرَاتِ ، وَيتجسَّس لهم الأخبار ، وأقبل نحوهم لُدْرِيْق ومعه خيار العجم وأملاكها وفرسانها ، وقلوبهم عليه ، فتلاقوا فيما بينهم ، وقالوا : إن هذا الخبيث غلب على سلطاننا ، وليس من بيت الملك ، وإنما كان من أتباعتنا ، ولنا نعدم من سيرته خبالاً واضطراباً ، وهؤلاء القوم الذين طَرَقُوا لا حاجة لهم في إيطان بلدنا ، وإنما مرادهم أن يملأوا أيديهم من الغنائم ويخرجوا عنا ، فهلم فلننهزم بأبن الخبيثة إذا نحن لقينا القوم ، فلعلهم يكفوننا أمره ، فإذا هم انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنا مَنْ يستحقه ، فأجمعوا على ذلك ، انتهى .

وقال ابن خلدون^٢ — بعد ذكره أن القوطيين كان لهم ملك الأندلس ، وأن ملكهم لعهد الفتح يسمى لُدْرِيْق — ما نصّه : « وكانت لهم خَطْوَةٌ وراء البحر في هذه العُدْوَةُ الجنوبية خَطْوَتُهَا من فُرْضَةِ المجاز بطَنَجَة ، ومن زقاق البحر إلى بلاد البربر ، واستعبدهم ، وكان ملك البرابرة بذلك القطر الذي هو اليوم جبال غمارة يسمى يُلَيَّان ، فكان يَدِينُ بطاعتهم ويملئهم ، وموسى بن نُصَيْر أمير المغرب^٣ إذ ذاك عامل على إفريقية من قِبَل الوليد بن عبد الملك ، ومترئيه بالقيروان ، وكان قد أغزى لذلك العهد عساكر المسلمين بلاد المغرب الأقصى ، ودَوَّخَ أقطاره ، وأثخن^٤ في جبال طَنَجَة هذه حتى وصل خليج الرُّقَاق ، واستنزل يُلَيَّان لطاعة الإسلام ، وخلف مولاة طارق بن زياد الليثي والياً بطَنَجَة ، وكان يُلَيَّان ينقم على لُدْرِيْق ملك القوط لعده بالأندلس فعلةً فعلها زعموا .

١ ك : زحف عليه .

٢ تاريخ ابن خلدون ٤ : ١١٧ .

٣ ابن خلدون وق : أمير العرب .

٤ ابن خلدون : وأوغل .

بأبنته الناشئة في داره على عادتهم في بنات بطارقتهم ، فغضب لذلك ، وأجاز إلى لدريق ، وأخذ ابنته منه ، ثم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلّهم على عورة^١ فيهم أمكنت طارقاً فيها الفرصة فانتهازها لوقته ، وأجاز البحر سنة اثنتين وتسعين من الهجرة بإذن أميره موسى بن نصير في نحو ثلثمائة من العرب ، واحتشد معهم من البربر زهاء عشرة آلاف ، فصبرهم عسكرين : أحدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح ، فسمي جبل طارق به ، والآخر على طريف بن مالك النخعي ، ونزل بمكان مدينة طريف ، فسمي به ، وأداروا الأسوار على أنفسهم للتحصن ، وبلغ الخبر إلى لدريق فنهض إليهم يجرّ أمم الأعاجم وأهل ملّة النصرانية في زهاء أربعين ألفاً ، وزحفوا إليه ، فالتقوا بفتح شريش^٢ ، فهزمه الله ونقلهم أموال أهل الكفر ورقابهم ، وكتب طارق إلى موسى بن نصير بالفتح وبالغنائم ، فحركته الغيرة ، وكتب إلى طارق يتوعده إن توغّل بغير إذنه ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ، واستخلف على القيصر^٣ وأن ولده عبد الله ، وخرج معه حبيب بن أبي عبيدة^٤ الفهري ، ونهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في عسكر ضخم من وجوه العرب الموالي^٥ وعرفاء البربر ، ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء ، فأجاز إلى الأندلس ، وتلقاه طارق فانقاد واتبع ، وأتم موسى الفتح ، وتوغّل في الأندلس إلى برشلونة في جهة الشرق وأربونة في الجوف ، وصنم قادس في الغرب ، ودوّخ أقطارها ، وجمع غنائمها ، وأجمع أن يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ، ويتجاوز إلى الشام ودروبه ودروب الأندلس ، ويخوض إليه ما بينهما من أمم الأعاجم النصرانية ، مجاهداً فيهم ، مستلحماً

١ ابن خلدون : غرة .

٢ كذا في دوزي ؛ وفي ق : حبيب بن سعيد ؛ وفي ك : حبيب بن مند ؛ وفي ط : بن بناة ؛ وفي ج : ميدة ؛ وفي ابن خلدون : حسين بن أبي عبد الله المهدي الفهري .

٣ ج ودوزي : والموالي .

لهم . إلى أن يلحق بدار الخلافة ، ونمي الخبر إلى الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب . ورأى أن ما هم به موسى غرر بالمسلمين ، فبعث إليه بالتوبيخ والانصراف ، وأسر إلى سفيره أن يرجع بالمسلمين إن لم يرجع ^١ ، وكتب له بذلك عهده ، ففت ذلك في عزم موسى ، وقفل عن الأندلس بعد أن أنزل الرابطة والحامية بشغورها ، وأنزل ابنه عبد العزيز لسدّها وجهاد عدوها ^٢ ، وأنزله بقرطبة فاتخذها دار إمارة ، واحتل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين ، وارتحل إلى المشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والأموال على العجل والظهر ، يقال : إن من جمعتها ثلاثين ألف رأس من السبي ، وولّى على إفريقية ابنه عبد الله ، وقدم على سليمان بن عبد الملك فستخطه وتكبه ، وثارَت عساكر الأندلس بابنه عبد العزيز بإغراء سليمان فقتلوه لستين من ولايته ، وكان خيراً فاضلاً ، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة ، وولي من بعده أيوب بن حبيب اللخمي . وهو ابن أخت موسى بن نصير ، فولّى عليها ستة أشهر ، ثم تابعت ولاة العرب على الأندلس : تارة من قبل الخليفة ، وتارة من قبل عامله بالقيروان ، وأثخنوا في أمم الكفر ، وافتتحوا برشلونة من جهة المشرق ، وحصون قشتالة وبسائطها من جهة الجوف ، وانقضت أمم القوط ، وأرزّ الجلالقة ومن بقي من أمم العجم إلى جبال قشتالة وأربونة وأفواه الدروب فتحصنوا بها ، وأجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة حتى احتلوا البسائط وراءها ، وتوغّلوا في بلاد الفرنجة ، وعصفت ريح الإسلام بأمم الكفر من كل جهة ، وربما كان بين جنود الأندلس من العرب اختلاف وتنازع أوجد العدو بعض الكثرة ، فرجع الإفرنج ما كانوا غلبوهم عليه من بلاد برشلونة لعهد ثمانين

١ ابن خلدون . إن لم يرجع هو .

٢ ابن خلدون . لغزوها وجهاد أعدائها .

٣ ك : وأوى ؛ وأرز بمعنى لجأ وأوى .

سنة من لدن فتحها ، واستمر الأمر على ذلك » .

« وكان محمد بن يزيد عامل إفريقية لسليمان بن عبد الملك — لما بلغه مهلكُ عبد العزيز بن موسى بن نصير — بعث إلى الأندلس الحرَّ بن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ، فقدم الأندلس ، وعزَّل أيوبَ بن حبيب ، ووليَ ستين وثمانية أشهر » .

« ثمَّ بعث عمرُ بن عبد العزيز على الأندلس السَّمَحَ بن مالك الخولاني على رأس المائة من الهجرة ، وأمره أن يخمس أرض الأندلس ، فخمسها وبني قنطرة قرطبة ، واستشهد غازياً بأرض الفرنجة سنة ثنتين ومائة ، فقدم أهل الأندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي إلى أن قدم عَنبَسَةَ بن سَحِيم الكلبي من قبَل يزيد بن أبي مسلم عامل إفريقية ، فقدمها في صفر سنة ثلاث ومائة ، فاستقام أمر الأندلس ، وغزا الفرنجة ، وتوغَّل في بلادهم ، واستشهد سنة سبع ومائة لأربع سنين وأربعة أشهر » .

« ثمَّ تابعت ولاةُ الأندلس من قبَل أمراء إفريقية : فكان أولهم يحيى بن سلمة الكلبي ، أنفذه بيشرُ بن صَفْوَان الكلبي والي إفريقية ، لما استدعى منه أهل الأندلس والياً بعد مقتل عَنبَسَةَ ، فقدمها آخر سنة سبع ، وأقام في ولايتها سنتين ونصفاً ، ولم يغزُ ، وقدم إليها عثمان بن أبي نسعة الخثعمي^١ والياً من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السُّلَمي صاحب إفريقية ، وعزله لخمسة أشهر بخديفة بن الأحوص القيسي فوافاها سنة عشر ، وعزَّل قريباً يقال : لسنة من ولايته ، واختلف : هل تقدَّمه عثمان أو هو تقدَّم عثمان ؛ ثمَّ وليَ بعده الهيثم بن عبيد الكلبي من قبل عُبَيْدَةَ بن عبد الرحمن أيضاً ، قدم في المحرم سنة إحدى عشرة ، وغزا أرض مَقَوْشَةَ^٢ فافتتحها وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائة لستين من ولايته ، وقدم بعده محمد بن عبد الله الأشجعي ، فوليَ شهرين ، ثمَّ قدم عبد الرحمن بن

١ الخثعمي في جميع النسخ .

٢ كذا في الأصول وابن خلدون ، ويبدو أن صوابه : « منوسة » كما في دوزي .

عبد الله الغافقي من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب إفريقية ، فدخلها سنة ثلاث عشرة ، وغزا الإفرنجية ، وكانت له فيهم وقائع ، وأصيب عسكره في رمضان سنة أربع عشرة ، في موضع يُعرف ببلاط الشهداء ، وبه عُرِفَت الغزوة ، وكانت ولايته سنة وثمانية أشهر ، ثم وليَ عبدُ الملك بن قَطَنَ الفِهْرِي ، وقدم في رمضان سنة أربع عشرة فولّي ستين - وقال الواقدي : أربع سنين - وكان ظلوماً جائراً في حكومته ، وغزا أرض البُشْكُنْس سنة خمس عشرة ومائة ، فأوقع بهم وغنم ، ثم عُرِل في رمضان سنة ست عشرة ، وولي عَقْبَةُ بن الحجاج السُّلُوي من قبل عُبيد الله بن الحبحاب ، فأقام خمس سنين محمودَ السيرة مجاهداً مظهرًا ، حتى بلغ سكنى المسلمين أربُونة ، وصار رِبَاطُهم على نهر رودنة^١ ، ثم وثب عليه عبد الملك بن قَطَنَ الفِهْرِي سنة إحدى وعشرين ، فخلعه وقتله ، ويقال : أخرجته من الأندلس وولي مكانه إلى أن دخل بَلَجُ بن بشر بأهل الشام سنة أربع وعشرين ، فغلب عليه ، وولي الأندلس سنة أو نحوها .

« وقال الرازي : ثار أهل الأندلس بأمرهم عَقْبَةُ في صفر سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام بن عبد الملك ، وولوا عليهم عبد الملك بن قَطَنَ ولايته الثانية ، فكانت ولاية عقبه سنة أعوام وأربعة أشهر ، وتوفي بقرقشونة^٢ في صفر سنة ثلاث وعشرين ، واستقام الأمر لعبد الملك ، ثم دخل بَلَجُ بن بشر القُشَيْرِي بجند الشام ناجياً من وقعة كلثوم بن عياض مع البربر بملوية^٣ ، فثار على عبد الملك ، وقتله وهو ابن سبعين سنة ، واستوثق له الأمر بعد مقتل عبد الملك ، وانحاز الفِهْرِيُّونَ إلى جانب ، فامتنعوا عليه ، وكاشفوه ، واجتمع إليهم مَنْ أنكر فعله بابن قَطَنَ ، وقام بأمرهم قَطَنَ وأميّة ابنا عبد الملك بن قَطَنَ ،

١ في الأصول (حيثما وقع) وابن خلدون : ردونة ، والتصويب عن دوزي .

٢ ك : بقرمونة وفي ق : بقرشونة .

٣ يريد انتصار البربر على العرب عند بليدة بقدورة (أو نقدورة) على مقربة من تاهرت ، وكان العرب بقيادة كلثوم بن عياض القشيري .

والتقوا فكانت الدائرة على الفهريين وهلك بئسج من الجراح التي نالته في حربهم ،
 وذلك سنة أربع وعشرين لسنة أو نحوها من إمارته ، ثم ولي ثعلبة بن سلامة
 الجندامي ، وغلب على إمارة الأندلس بعد مهلك بلج ، وانحاز عنه الفهريون فلم
 يطيعوه ، وولي سنتين أظهر فيهما العدل ودانت له الأندلس عشرة أشهر ، إلى أن
 مالت به العصبية في يمانيته ، ففسد أمره ، وهاجت الفتنة ، وقدم أبو الخطار
 حسام بن ضرار الكلبي من قبل حنظلة بن صفوان عامل إفريقية ، ركب إليها
 البحر من تونس سنة خمس وعشرين ، فدان له أهل الأندلس وأقبل إليه ثعلبة
 وابن أبي نسعة وابنا عبد الملك ، فلقبهم وأحسن إليهم ، واستقام أمره ، وكان
 شجاعاً كريماً ذا رأي وحزم ، وكثر أهل الشام عنده ، ولم تحملهم قرطبة ،
 ففرقهم في البلاد ، وأنزل أهل دمشق إلىيرة لشبهها بها ، وسمّاها دمشق ، وأنزل
 أهل حمص إشبيلية ، وسمّاها حمص ، وأهل قنسرين جيان ، وسمّاها قنسرين ،
 وأهل الأردن رية ومالقة ، وسمّاها الأردن ، وأهل فلسطين شدونة —
 وهي شريش — وسمّاها فلسطين ، وأهل مصر تدوير ، وسمّاها مصر ،
 وقتل ثعلبة إلى المشرق ، ولحق بمرّوان بن محمد ، وحضر حروبه ، وكان أبو
 الخطار أعرابياً عصبياً أفرط عند ولايته في التعصب لقومه من اليمانية ، وتحامل
 على المضرية ، وأسخط قيساً ، وأمر في بعض الأيام بالصميل بن حاتم كبير
 القيسية — وكان من طوابع بلج ، وهو الصميل بن حاتم بن شمير بن ذي الجوشن
 ورأس على المضرية — فأقيم من مجلسه ، وتقنع ، فقال له بعض الحجاب وهو
 خارج من القصر : أقم عماملك يا أبا الجوشن ، فقال : إن كان لي قوم
 فيقيمونها ، فسار الصميل بن حاتم أميرهم يومئذ وزعيمهم ، وألب عليه
 قومه ، واستعان بالمنحرفين عنه من اليمانية ، فخلع أبو الخطار سنة ثمان وعشرين
 لأربع سنين وتسعة أشهر من ولايته ، وقدم مكانه ثوابة بن سلامة الجندامي ،

١ دوزي : وهي مالقة .

وهاجت الحرب المشهورة ، وخاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب إفريقية ، فكتب إلى ثوابة بعهدده على الأندلس مُنْسَلَخَ رجب سنة تسع وعشرين ، فضبط الأندلس ، وقام بأمره الصَّمِيل ، واجتمع عليه الفريقان ، وهلك لسنة من ولايته ، ووقع الخلاف بإفريقية والثالث أمر بني أمية بالمشرق ، وشغلوا عن قاصية الثغور بكثرة الخوارج ، وعظم أمر المسوِّدة فبقي أهل الأندلس قَوْضَى ، ونصبوا للأحكام خاصّة عبد الرحمن بن كثير ، ثم اتفق جندُ الأندلس على اقتسام الإمارة بين المضرية واليمانية وإدالتها بين الجندين سنة لكل دولة ، وقدم المضريّة على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفيهري سنة تسع وعشرين ، واستتم سنة ولايته بقرطبة دار الإمارة ، ثم وافته اليمانية لميعاد إداثتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيههم واتفاقهم ، فبيّتهم يوسف بمكان نزولهم في شَقْنْدَة من قرى قُرْطُبة بمالأة من الصَّمِيل بن حاتم والقيسية وسائر المضريّة ، فاستلحموهم ، وثار أبو الخطار فقاتله الصَّمِيل وهزمه وقتله سنة تسع وعشرين ، واستبدّ يوسف بما وراء البحر من عُدْوَة الأندلس ، وغلب اليمانية على أمرهم ، فاستكانوا لِعَلْبِهِ ، وتربّصوا الدوائر إلى أن جاء عبد الرحمن الداخل . وكان يوسف ولّى الصَّمِيل سَرَقُسطة ، فلما ظهر أمرُ المسوِّدة بالمشرق ثار الحُبابُ الزهري بالأندلس داعياً لهم ، وحاصر الصَّمِيل سَرَقُسطة ، واستمد يوسف ، فلم يمدّه رجاء هلاكه لما كان يغضّ به ، وأمدته القيسية ، فأفرج عنه الحُبابُ ، وفارق الصَّمِيل سَرَقُسطة فملكها الحُباب ، وولى يوسف الصَّمِيل على طليطلة إلى أن كان من عبد الرحمن الداخل ما كان . انتهى كلام وليّ الدين بن خلدون ببعض اختصار .

وقال بعضُ المؤرخين^١ : إن عبد الله بن مَرْوَانَ أخا عبد الملك كان والياً على مصر وإفريقية ، فبعث إليه ابنُ أخيه الوليدُ الخليفةُ يأمره بإرسال موسى

١ انظر ابن خلكان : ٤ : ٤٠٢ .

ابن نُصَيْرٍ إلى إفريقية ، وذلك سنة سبع وثمانين للهجرة ^١ ، فامتثل أمره في ذلك . وقال الحميدي في « جذوة المقتبس » ^٢ : إن موسى بن نُصَيْرٍ ولي إفريقية والمغرب سنة سبع وسبعين فقدمها ومعه جماعة من الجند ، فبلغه أن بأطراف البلاد مَنْ هو خارج عن الطاعة ، فوجه ولده عبد الله ، فأتاه بمائة ألف رأس من السبايا ، ثم ولده مروان إلى جهة أخرى ، فأتاه بمائة ألف رأس ، وقال الليث بن سعد : بلغ الخمس ستين ألف رأس ، وقال الصديقي : لم يُسمع في الإسلام بمثل سبَايا موسى بن نُصَيْرٍ ، ووجد أكثر مدن إفريقية خالية لاختلاف أيدي البربر عليها . وكانت البلاد في قَحْط شديد ، فأمر الناس بالصوم والصلاة وإصلاح ذات البين ، وخرج بهم إلى الصحراء ومعه سائر الحيوانات ، وفرق بينها وبين أولادها ، فوقع البكاء والصراخ والضجيج ، وأقام على ذلك إلى مُنْتَصَفِ النهار . ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك ، فقيل له : ألا تدعو لأمير المؤمنين ؟ فقال : هذا مقام لا يدعى فيه لغير الله تعالى ، فسقوا حتى رَوُوا ثم خرج موسى غازياً ، وتتبع البربر ، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وسبى سبباً عظيماً ، وسار حتى انتهى إلى السُّوس الأدنى لا يُدافعه أحد ، فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا ، وبَدَلُوا له الطاعة فقبل منهم . وولّى عليهم والياً . واستعمل على طَنْجَة وأعمالها مولاة طارق بن زياد البربري . ويقال : إنّه من الصَّدَفِ ، وترك عنده تسعة عشر ألفاً من البربر بالأسلحة والعدّة الكاملة . وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم ، وترك موسى عندهم خَلْقاً يسيراً من العرب ليُعَلِّمُوا البربر القرآن وفرائض الإسلام ، ورجع إلى إفريقية . ولم يبقَ بالبلاد مَنْ يُنازعه من البربر ولا من الروم . ولما استقرت له القواعد كتب إلى طارق وهو بطَنْجَة يأمره بغزو بلاد الأندلس . فغزاها في اثني عشر ألفاً من البربر خلا اثني عشر رجلاً ، وصعد على الجبل المنسوب إليه

١ ابن خلكان : تسع وثمانين .

٢ نقل ابن خلكان هذا النص ، في الجذوة : ٣١٧ أنه وليها سنة تسع وسبعين .

يوم الاثنين خامس رجب سنة اثنتين وتسعين ، وذكر عن طارق أنه كان نائماً في المركب وقت التعدية ، فرأى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ، هكذا ذكر ابن بشكّو^١ .

وقيل : إن موسى ندم على تأخّره ، وعلم أن طارقاً إن فتح شيئاً نُسب الفتح إليه دونه ، فأخذ في جمع العساكر ، وولّى على القيروان ابنه عبد الله ، وتبع طارقاً فلم يدركه إلاّ بعد الفتح . وقال بعض العلماء : إن موسى بن نصير كان عاقلاً شجاعاً كريماً نقيّاً لله تعالى ، ولم يُهزم له قطّ جيش^٢ ، وكان والده نصير على جيوش معاوية ، ومنزلته لديه مكينة ، ولما خرج معاوية^٣ لصفين لم يخرج معه ، فقال له : ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد^٤ لم تكافئي عليها ؟ فقال : لم يمكني أن أشكرك بكفري مَنْ هو أولى بشكري منك ، فقال : من هو ؟ فقال : الله عزّ وجلّ ، فأطرق مكيّاً ثم قال : أستغفر الله ، ورضي عنه .

رجع إلى حديث طارق — قال بعض المؤرخين^٥ : « كان لُدَريق ملك الأندلس استخلف عليها شخصاً يقال له تُدمير ، وإليه تُنسب تُدمير بالأندلس ، فلما نزل طارق من الجبل كتب تُدمير إلى لُدَريق : إنّه قد نزل بأرضنا قوم لا ندري أمين السماء هم أم من الأرض ، فلما بلغ لُدَريق ذلك — وكان قصد بعض الجهات البعيدة لغزو له في بعض أعدائه — رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس ، ومعه العجّل تحمل الأموال والمتاع ، وهو على سريره بين دابتين ، وعليه مظلة مكللة بالدرّ والياقوت والزبرجد . فلما بلغ طارقاً دنوّه قام في أصحابه ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثمّ حثّ المسلمين على الجهاد ، ورغبهم ثم قال : أيّها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعند^٦ أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيّع

١ ابن خلكان : عل حرس .

٢ عود إلى النقل من ابن خلكان بشي من التصرف ، وانظر الإمامة والسياسة (ملحق ابن القوطية : ١٣٧) .

من الأيتام ، في مادُبّة اللثام ، وقد استقبلكم عدوّكم بجيشه وأسلحته ، وأقواته موفورة ، وأنتم لا وَزَرَ لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوّكم ، وإن امتدّت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ربحكم ، وتعوضت القلوب من رُعبها منكم الجراءة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمُناجزة هذا الطاغية ، فقد أَلقت به إليكم مدينته الحصينة ، وإنّ انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإنّي لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خُطة أرخص متاع فيها النفوس [إلا وأنا] ^١ أبداً بنفسي ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشقّ قليلاً ، استنعمت بالأرفق الألدّ طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ، فما حظكم فيه بأوفى من حظي ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسن ، من بنات اليونان ، الرافلات في الدرّ والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقّيان ، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان ، وقد انتخبكم الوليد ابن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عُرْبانا ، ورضيكم ملوك هذه الجزيرة صهاراً وأختانا ، ثقةً منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم بمُجالدة الأبطال والفرسان . ليكون حظّه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مَعْنَمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى وليّ إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين ، واعلموا أنّي أوّل مجيب إلى ما دعوتكم إليه ، وأنّي عند مُلتقى الجمعين حاملٌ بنفسي على طاغية القوم لُدْرِيْق فقاتله إن شاء الله تعالى ، فاحملوا معي ، فإن هلك بعدة فقد كفيتكم أمره ، ولم يُعوزكم بطلٌ عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلك قبل وصولي إليه فاخلقوني في عزيمتي هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يُخذلون .

« فلمّا فرغ من تحريض أصحابه على الصبر في قتال لُدْرِيْق وأصحابه وما

١ زيادة من ابن خلّكان .

وعدهم من الخير الجزيل انبسطت نفوسهم ، وتحققت آمالهم ، وهبت رياح النصر عليهم ، وقالوا له : قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمنا عليه ، فاحضر إلينا فإتينا معك وبين يديك ، فركب وأصحابه فباتوا ليلتهم في حرس إلى الصبح ، فلما أصبح الفريقان تكتبا وعبوا جيوشهم ، وحمل لذرّيق وهو على سريره ؛ وقد حمل على رأسه رواق ديباج يظله ، وهو مقبل في غابة من البنود والأعلام ، وبين يديه المقاتلة والسلاح ، وأقبل طارق في أصحابه عليهم الرّرد ، من فوق رؤوسهم العمام البيضاء ، وبأيديهم القسيّ العربية ، وقد تقلّدوا السيوف ، واعتقلوا الرماح ، فلما نظر إليهم لذرّيق حلف وقال : إن هذه الصور هي التي رأيناها ببيت الحكمة ببلدنا ، فداخله منهم الرعب ، فلما رأى طارق لذرّيق قال : هذا طاغية القوم ، فحمل وحمل أصحابه معه ، ففترقت المقاتلة من بين يدي لذرّيق ، فخلص إليه طارق فضربه بالسيف على رأسه ، فقتله على سريره ، فلما رأى أصحابه مصرع صاحبهم اقتحم الجيشان ، وكان النصر للمسلمين ، ولم تقف هزيمة العدو على موضع ، بل كانوا يسلمون بلداً بلداً ومعقلاً معقلاً .

« ولما سمع موسى بن نصير بما حصل من النصرة لطارق عبّر الجزيرة بمن معه ، ولحق بمولاه طارق ، فقال له : يا طارق ، إنّه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يمنحك^١ الأندلس ، فاستبّحه^٢ هنيئاً مريئاً ، فقال له طارق : أيّها الأمير ، والله لا أرجع عن قصدي هذا ، ما لم أنته إلى البحر المحيط أخوض فيه بفرسي ، يعني البحر الشمالي الذي تحت بنات نعش ، ولم يزل طارق يفتح وموسى معه إلى أن بلغ إلى جليقية وهي ساحل البحر المحيط » انتهى .

وقال الحافظ الحميدي في كتابه « جذوة المقتبس »^٢ : « إن موسى بن نصير

١ ابن خلكان : يبيحك .

٢ انظر هذا النص في الجذوة - ترجمة طارق بن زياد : ٢٣٠ وقد نقله ابن خلكان أيضاً .

نَسَمَ على مولاه طارقٍ إذ غزا بغير إذنه ، وَهَمَّ بقتله ، ثم ورد عليه كتاب
الوليد بإطلاقه ، فأطلقه وخرج معه إلى الشام « انتهى .

* * *

[خبر بيت الحكمة بالأندلس]

« وقولٌ لُذريق : إن هذه الصور هي التي رأيناها في بيت الحكمة إلخ »
أشار به إلى بيت حكمة اليونان ، وكان من خبره^١ — فيما حكى بعض علماء
التاريخ — أن اليونان ، وهم الطائفة المشهورة بالحكم ، كانوا يسكنون بلاد الشرق
قبل عهد الإسكندر ، فلما ظهرت الفرس^٢ ، واستولت على البلاد ، وزاحمت
اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك ، انتقلَ اليونان إلى جزيرة الأندلس ،
لكونها طرفاً في آخر العمارة ، ولم يكن لها ذكر إذ ذاك ، ولا مَلِكُها أحدٌ من
الملوك المعبرة ولم تكُ عامرة ، وكان أولَ من عَمَرَ فيها واختطها أندلسُ بن
يافث بن نوح عليه السلام ، فسميت باسمه ، ولما عمرت الأرض بعد الطوفان
كانت الصورة المعمورة منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق ، والجَنُوب
والشمال رجلاه ، وما بينهما بطنه ، والمغرب ذَنَبُهُ ، وكانوا يزدرونَ المغربَ
لنسبته إلى أخسَّ أجزاء الطير . وكانت اليونان لا ترى فتناء الأمم بالحروب لما
فيها من الأضرار والاشتغال عن العلوم التي كان الاشتغال بها عندهم من أهم
الأمور ، فلذلك انحازوا من بين يدي الفرس إلى الأندلس ، فلما صاروا إليها
أقبلوا على عمارتها ، فشَقُّوا الأنهار ، وبَنَوْا المعازل ، وغرسوا الجَنَّات والكروم ،
وشَيَّدوا الأمصار ، وملئوها حرثاً ونسلاً وبنیاناً ، فعظمت وطابت ، حتى قال
قائلهم لما رأى بَهْجَتَها : إن الطائر الذي صُوِّرَت هذه العمارة على شكله وكان
المغرب ذنبه كان طاووساً معظمُ جماله في ذنبه . »
وحكي أن الرشيد هرونَ — رحمه الله — لما حضر بين يديه بعضُ أهل

١ عاد إلى النقل من ابن خلكان ٤ : ٤٠٦ .

المغرب قال الرشيد : يقال : إن الدنيا بمثابة طائر ذنبه المغرب ، فقال الرجل : صدقوا يا أمير المؤمنين ، وإنه طاووس ، فضحك أمير المؤمنين الرشيد ، وتعجب من سرعة جواب الرجل وانتصاره لقطره .

رجع - قال^١ : « فاعبث اليونان بالأندلس أتمّ اغتباط ، وانخذلوا دار الحكمة والملك بها طليطلة لأنها أوسط البلاد ، وكان أهمّ الأمور عندهم تحصينها عمّن يتصل به خبرها من الأمم ، فنظروا فإذا هو أنّه لا يحسدكم على رَغَد العيش إلا أرباب الشَّطَف والشَّقاء والتعب ، وهم يومئذ طائفتان : العرب ، والبربر ، فخافوهم على جزيرتهم العامرة ، فعزموا على أن يتخذوا لهُذين الجنسَيْن من الناس طليطساً ، فرصدوا لذلك أرصاداً ، ولما كان البربر بالقرب منهم وليس [بينهم] سوى تعدية البحر ويردّ عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع ، خارجة عن الأوضاع ، ازدادوا منهم نفوراً ، وكثر تحذرهم من نسب أو مجاورة ، حتّى ثبت ذلك في طبائعهم ، وصار بعضهم مركباً في غرائزهم ، فلمّا علم البربر عداوة أهل الأندلس وبُغْضهم لهم أبغضوهم وحسدوهم ، فلم يجد أندلسياً إلا مبغضاً بربرياً ، وبالعكس ، إلا أن البربر أحوج إلى أهل الأندلس ، لوجود بعض الأشياء عندهم وفقدّها ببلاد البربر » .

« وكان بنواحي غرب الأندلس ملك يوناني بجزيرة يقال لها « قادس » وكانت له ابنة في غاية الجمال ، فتسامع بها ملوكُ الأندلس ، وكانت الأندلس كثيرة الملوك ، لكل بلدة أو بلدين ملك ، فخطبوها ، وخشي أبوها إن زوجها من واحد أسخط الباقين ، فتحير ، وأحضر ابنته ، وكانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكوريهم وإناثهم ، ولذا قيل : إن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء من أهل الأرض : أدمغة اليونان ، وأيدي أهل الصين ، وألسنة العرب ، فقال لها : يا بُنَيَّة ، لآتي أصبحت على حيرة في أمرك ممّن يخطبك

١ يعني ابن خلكان .

من الملوك ، وما أرضيت واحداً إلا أسخطت الباقيين ، فقالت له : اجْعَلِ الأمرَ ليّ "مُخْلِصاً" ، فقال : وما تقترحين ؟ فقالت : أن يكون ملكاً حكيماً ، فقال : نِعم ما اخترتِه لنفسك . فكتب في أجوبة الملوك الخُطَّاب ، أنها اختارت من الأزواج الملك الحكيم ، فلمّا وقفوا على الجواب سكت من لم يكن حكيماً ، وكان في الملوك الخاطبين حكيমান ، فكتب كل واحد منهما : أنا الملك الحكيم ، فلمّا وقف على كتابيهما قال لهما : يا بنية ، بقي الأمر على إشكال ، وهذان ملكان حكيمان ، أيّهُما أرضيتِ أسخطتِ الآخر ، فقالت : سأقترح على كل واحد منهما أمراً يأتي به ، فأيهما سبق إلى الفراغِ ممّا التمسْتُ كنت زوجته ، قال : وما الذي تقترحين عليهما ؟ قالت : إنّنا ساكنون بهذه الجزيرة ، ومحتاجون إلى أرْحِيّ تدور بها ، وإلّني مقترحة على أحدهما لإدارتها بالماء العذب البحاري إليها من ذلك البر ، ومقترحة على الآخر أن يتخذ لي طِلْسُماً يَحْصِنُ به جزيرة الأندلس من البربر . فاستظرف أبوها ذلك ، وكتب إلى الملكين بما قالت ابنته ، فأجاباه إلى ذلك ، وتقاسماه على ما اختارا ، وشرع كل واحد منهما في عمل ما أسند إليه من ذلك .

«فأمّا صاحب الرُّحِيّ فإِنَّه عمد إلى أشكال اتخذها من الحجارة نَصَدَ بعضها إلى بعض في البحر المالح الذي بين جزيرة الأندلس والبر الكبير في الموضع المعروف بِزُقَاقِ سَبْتَةٍ ، وسدّد الفُرْجَ التي بين الحجارة بما اقتضت حكمته ، وأوصل تلك الحجارة من البر إلى الجزيرة ، وآثاره باقيةٌ إلى اليوم في الزُقَاقِ الذي بين سَبْتَةٍ والجزيرة الخضراء - وأكثر أهل الأندلس يزعمون أن هذا أثر قَنْطَرَة كان الإسكندر قد عملها ليعبرَ عليها الناسُ من سَبْتَةٍ إلى الجزيرة ، والله أعلم أي القولين أصح ، غير أن الشائع إلى الآن عند الناس هو الثاني - فلمّا تم تنفيذُ الحجارة للملك الحكيم جَلَبَ الماء العذب من جبل عالٍ في البر الكبير وسلّطه من ساقية محكمة وبني بجزيرة الأندلس رَحِيّ على هذه الساقية .

«وأمّا صاحب الطِّلْسَمِ فإِنَّه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله ،

غير أنه عمل أمره ، وأحكمه ، وابتنى بنياناً مربعاً من حجر أبيض على ساحل البحر في رمل عاليج حفر أساسه إلى أن جعله تحت الأرض بمقدار ارتفاعه فوق الأرض ليثبت ، فلما انتهى البناء المربع إلى حيث اختار صَوَّر من النحاس الأحمر والحديد المصفى المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجلٍ بربري ، وله لحية ، وفي رأسه ذؤابة من شعر جعله قائمة في رأسه لجمودتها ، وهو متأبط بصورة كساء قد جمَّع طَرَفَيْهِ على يده اليسرى بالطف تضيوير وأحكمه ، في رجله نعل ، وهو قائم من رأس البناء على مستهدف^١ بمقدار رجله فقط ، وهو شاهق في الهواء ، طولُه نَيْفٌ عن ستين أو سبعين ذراعاً ، وهو محدود^٢ الأعلى ، إلى أن ينتهي ما سَعَتَهُ قدرُ ذراع ، وقد مدَّ يده اليمنى بمفتاح قُفْلٍ قابضاً^٣ عليه مشيراً إلى البحر كأنه يقول : لا عبور ، وكان من تأثير هذا الطلسم في البحر الذي تجاهه أنه لم يَرِ قَطُّ ساكناً ولا كانت تجري فيه قِطٌّ سفينة بربر حتى سقط المفتاح من يده . وكان الملكان اللذان عملا الرُّحِيَّ والطلسم يتسابقان إلى فراغ العمل ، إذ بالسَّبق يستحق زواج المرأة ، وكان صاحب الرُّحِيَّ فرغ أولاً لكنَّه أخفى أمره عن صاحب الطلسم لئلا يترك عمله فيبطل الطلسم ، لتحظى المرأة بالرُّحِيَّ والطلسم ، فلما علم باليوم الذي يَفْرُغُ صاحبُ الطلسم في آخره أجري الماء في الجزيرة من أوله وأدار الرُّحِيَّ ، واشتهر ذلك ، فأتصل الخبرُ بصاحب الطلسم وهو في أعلى القبة يتصقَّل وجهه ، وكان الطلسم مذهباً ، فلما تحقق أنه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من أعلى البناء ميتاً ، وحصل صاحب الرُّحِيَّ على المرأة والرُّحِيَّ والطلسم ، وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على الأندلس من البربر للسبب الذي قلنا ذكره ، فاتفقوا وجعلوا الطلسمات في أوقات

١ ابن خلكان : مستدق .

٢ ك : محدود .

٣ في الأصول : قابض .

٤ في الأصول : إلا .

اختاروا أرسادها ، وأودعوا تلك الطلسمات تابوتاً من الرخام ، وتركوه في بيت بطليطلة ، وركبوا على ذلك الباب قفلاً تأكيداً لحفظ ذلك البيت ، فاستمر أمرهم على ذلك ^١ .

« ولما حان وقت انقراض دولة من كان بالأندلس ودخول العرب والبربر إليها ، وذلك بعد مضي ستة وعشرين ملكاً من ملوكهم من تاريخ عمل الطلسمات بطليطلة ، وكان لندريق المذكور آنفاً هو تمام السابع والعشرين من ملوكهم ، فلما اقتعد أريكة الملك قال لوزرائه وخواص دولته وأهل الرأي منهم : قد وقع في نفسي من أمر هذا البيت الذي عليه ستة وعشرون قفلاً شيء ، وأريد أن أفتحه لأنظر ما فيه ، لأنه لم يعمل عبثاً ، فقالوا : أيها الملك ، صدقت ، إنه لم يصنع عبثاً ، ولم يقفل سُدًى . والرأي والمصلحة أن تلقي أنت أيضاً عليه قفلاً أسوة بمن تقدمك من الملوك ، وكان آباؤك وأجدادك لم يهملوا هذا فلا تهمله ، وسر سيرهم ، فقال لهم : إن نفسي تنازعني إلى فتحه ، ولا بد لي منه ، فقالوا له : إن كنت تظن أن فيه مالاً فقدّره ونحن نجمع لك من أموالنا نظيره ، ولا تحدث علينا بفتحه حادثاً لا نعرف عاقبته ، فأصرّ على ذلك ، وكان رجلاً متحياً . فلم يقدرُوا على مراجعته ، وأمر بفتح الأقفال ، وكان على كل قفل مفتاحه معلقاً ، فلما فتح الباب لم يَرَ في البيت شيئاً إلا مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكشّلة بالجوهر . وعليها مكتوب : هذه مائدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، ورأى في البيت ذلك التابوت ، وعليه قفل ، ومفتاحه مُعلّق ، ففتحه ، فلم يجد فيه سوى رَقٍّ ، وفي جوانب التابوت صور فرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على أشكال العرب ، وعليهم الفراء ، وهم مُعتمّون على ذوائب جُعد . ومن تحتهم الخيل العربية ، وهم متقلدون السيوف المحلاة ، معتقلون الرماح ، فأمر بنشر ذلك الرَقِّ ، فإذا فيه : متى فُتح هذا البيت وهذا

١ ابن خلكان : وركبوا على ذلك البيت باباً وأقفلوه ، وتقدموا إلى كل من ملك منهم بعد صاحبه أن يلقى على ذلك الباب قفلاً . . . الخ .

التابوت المقلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم في التابوت إلى جزيرة الأندلس ، وذهب ملك من فيها من أيديهم ، وبطلت حكمتهم ، فلما سمع لُدَريق ما في الرّقّ ندم على ما فعل ، وتحقق انقراض دولتهم ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى سمع أن جيشاً وصل من المشرق جهّزه ملك العرب ليفتح بلاد الأندلس^١ انتهى .

فهذا هو بيت الحكمة الذي أشار إليه لُدَريق ، والله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك كله .

على أن في هذا السياق مخالفة لما سذكّره عن بعض ثقات مؤرخي الأندلس وغيرهم في شأن المائدة وغيرها ، وما ذكر في هذه القصة من جلب الماء من برّ العُدوة إلخ . فية بُعد عندي ، لأن بلاد الأندلس أكثر بلاد الله مياهاً وأنهاراً ، فأنتى تحتاج إلى جلب الماء إليها من العُدوة الأخرى ؟ إلا أن يقال : إن المرأة أرادت تعجيز الرجل بذلك ، أو اختبار حكمته حتى يفعل هذا الأمر الغريب ، وعلم الله من وراء ذلك كله ، وفوق كل ذي علم عليم ، ومنتهى العلم إلى الله الحكيم .

* * *

[عود إلى أخبار الفصح]

وقال ابن حيّان في «المقتبس» : «ذكروا أن لُدَريق لم يكن من أبناء الملوك ، ولا بصحيح النسب في القوط ، وأنه إنما نال الملك من طريق الغصب والتسوّر عندما مات إغطشة^٢ الملك الذي كان قبله ، وكان أثيراً لديه ، مكيناً ، فاستصغر أولاده لمكانه ، واستمال طائفة من الرجال مالوا معه ، فانتزع الملك من أولاد إغطشة واستبقاهم ، فكانوا هم الذين دبّروا عليه - فيما ذكر - عندما لقي

.....

١ انتهى النقل عن ابن خلّكان .

٢ ك : غيطشة .

رجال العرب المقتحمين عليه بالأندلس من تلقاء بحر الزقاق وعليهم طارق بن زياد مولى موسى بن نصير طماعة منهم في أن يودي ويخلص إليهم ملك أبيهم ، فالتقوا بموضع يدعى وادي لكّة من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الأندلس القبلي مكان عبورهم ، وذلك لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، فانهزم القوط أعظم هزيمة ، وقتل ملكهم لئذريق ، وغلبت العرب على الأندلس ، فصارت أقصى فتوحهم من أرض المغرب ، ومصادق موعده نبيهم ، صلى الله عليه وسلم ، الكفيل بفتح ما بين المشرق والمغرب عليهم بوحى الله تعالى إليه أنجزه لهم بفتح الأندلس ، والله القوة .

قال : « وقام بأمر العرب بالأندلس منذ فتحت الأمراء المرسلون منهم عليها من قبل أئمة المسلمين بالشرق طوال دولة بني أمية ، رضي الله تعالى عنهم ، إلى أن طرأ إليها فتلهم عند غلبة بني العباس عليهم ، وذلك عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان ، فملكها وأعاد إليها الدولة الأموية التي أورثها عقيقه حقيقه ، فكانت عدة هؤلاء الأمراء من لدن أولهم طارق بن زياد إلى آخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري عشرين عاملاً ، وعدة سنيهم بالشمسي خمس وأربعون سنة ، وبالقمرى سبع وأربعون سنة غير أشهر » انتهى .

وقال في موضع آخر ، نقلاً عن الرازي : « وافتتحت الأندلس في أيام الوليد ابن عبد الملك ، فكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت في ظهور الملة الحنيفية ، وكان عمر بن عبد العزيز - رضوان الله عليه - متهماً بها ، معتنياً بشأنها ، وقد حوّلها عن نظر والي إفريقية وجرد إليها عاملاً من قبله اختاره لها ، دلالة على معنيته بها ، ووقعت المقاسم فيها عن أمره وبفضل رأيه » انتهى .

* * *

١ ك : ودخل .

[ملخص خبر الفتح من الكتاب الخزانى وغيره]

وفي الكتاب الخزانى وغيره سياقة فتح الأندلس على أتم الوجوه ، فلنذكر ملخصه ، قالوا : استعمل أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك - رحمه الله تعالى - موسى بن نصير مولى عمته عبد العزيز بن مروان ، ويقال : بل هو بكري ، وذلك أن أباه نصيراً أصله من علوج أصابهم خالد بن الوليد - رضي الله عنه - في عين التمر ، فادعوا أنهم رهن ، وأنهم من بكر بن وائل ، فصار نصير وصيفاً لعبد العزيز بن مروان ، فأعتقه ، فمن هذا يختلف فيه ، وقيل : إنه لخمسي ؛ وعقد له على إفريقية وما خلفها في سنة ثمان وثمانين ، فخرج إلى ذلك الوجه في نفر قليل من المطوعة ، فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثاً ، وأتى إفريقية عملته ، فأخرج من أهلها معه ذوي القوة والجلد ، وصير على مقدمته طارق بن زياد ، فلم يزل يقاتل البربر ويقتض جموعهم ، ويفتح بلادهم ومدائنهم ، حتى بلغ طنجة ، وهي قصبة ملك البربر وأم مدائنهم ، فحصرها حتى افتتحها - وقيل : لأنها لم تكن افتتحت قبله ، وقيل : افتتحت ثم أُرجمت - فأسلم أهلها ، وخطبها قروناً للمسلمين . ثم ساروا إلى مدائن على شط البحر فيها عمال لصاحب الأندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها ، ورأس تلك المدائن سبتة ، وعليها عليج يسمى يلىان ، قاتله موسى فألفاه في نجدة وقوة وعدة فلم يطيعه ، فرجع إلى مدينة طنجة فأقام بمن معه ، وأخذ في الغارات على ما حولهم والتضييق عليهم ، والسفن مختلف إليهم بالميرة والأمداد من الأندلس من قبل ملكها غيطشة ، فهم يدبون عن حريمهم ذباً شديداً ، ويحمون بلادهم حماية تامة ، إلى أن هلك غيطشة ملك الأندلس ، وترك أولاداً لم يرضهم أهلها للملك ، فاضطرب حبل أهل الأندلس ، ثم تراضوا بعليج من كبارهم يقال له لدرى مجرب شجاع بطل ، ليس من بيت أهل الملك ، إلا

١ أهل : سقطت من ق .

أَنَّهُ مِنْ قَوَادِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ ، فَوَلَّوهُ أَمْرَهُمْ ، وَكَانَتْ طُلَيْطَلَةُ دَارَ الْمَلِكِ بِالْأَنْدَلُسِ حَيْثُنَا ، وَكَانَ بِهَا بَيْتٌ مَغْلَقٌ مَتَحَامِي الْفَتْحِ عَلَى الْأَيَّامِ ، عَلَيْهِ عِدَّةٌ مِنَ الْأَقْفَالِ يُلْزِمُهُ قَوْمٌ مِنْ ثِقَاتِ الْقَوَاطِ ، قَدْ وَكَّلُوا بِهِ لَثَلَاثَةً يَفْتَحُ ، وَقَدْ عَهْدَ الْأَوَّلُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْآخِرِ ، فَكَلَّمَا قَعَدَ مِنْهُمْ مَلِكٌ أَنَّهُ أُولَئِكَ الْمُوَكَّلُونَ بِالْبَيْتِ فَأَخَذُوا مِنْهُ قُفْلًا وَصَبَرُوهُ عَلَى ذَلِكَ الْبَابِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيلُوا قُفْلَ مَنْ تَقَدَّمَ ، فَلَمَّا قَعَدَ لِمُدْرِيْقٍ هَذَا ، وَكَانَ مَتَهَمًا يَقْضَى ذَا فِكْرٍ ، أَنَّهُ الْحِرَاسُ يُسْأَلُونَهُ أَنْ يُقْفَلَ عَلَى الْبَابِ ، فَقَالَ لَهُمْ : لَا أَفْعَلُ أَوْ أَعْلَمُ مَا فِيهِ ، وَلَا بَدَلِي مِنْ فَتْحِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّهُ لَمْ يَقْعَلْ هَذَا أَحَدٌ مِمَّنْ قَبْلَكَ ، وَتَنَاهَوْا عَنْ فَتْحِهِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ ، وَمَشَى إِلَى الْبَيْتِ ، فَأَعْظَمَتْ ذَلِكَ الْعَجْمُ وَضَرَعَ إِلَيْهِ أَكَابِرُهُمْ فِي الْكَفِّ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَظَنَّ أَنَّهُ بَيْتُ مَالٍ ، فَفَضَّ الْأَقْفَالَ عَنْهُ وَدَخَلَ ، فَأَصَابَهُ فَارْغًا لَا شَيْءَ لَهُ ، إِلَّا تَابُوتًا عَلَيْهِ قُفْلٌ ، فَأَمَرَ بِفَتْحِهِ يَحْسِبُ أَنْ مَضْمُونَهُ يُقْبِنُهُ لِقَاسَةً ، فَأَلْفَاهُ أَيْضًا فَارْغًا لَيْسَ فِيهِ إِلَّا شَقَّةٌ مَدْرُجَةٌ قَدْ صُوِّرَتْ فِيهَا صُورُ الْعَرَبِ عَلَيْهِمُ الْعِمَائِمُ وَتَحْتَهُمُ الْخِيُولُ الْعِرَابُ مَثْقَلِي السُّيُوفِ مَتَنَكِّي الْقِيَسِي رَافِعِي الرِّيَابِ عَلَى الرَّمَاحِ ، وَفِي أَعْلَاهَا أَسْطَرٌ مَكْتُوبَةٌ بِالْعَجْمِيَّةِ ، فَقَرَأَتْ فَلَاذَا فِيهَا : إِذَا كَسَرْتَ الْأَقْفَالَ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ وَفَتَحْتَ هَذَا التَّابُوتَ فَظْهَرَ مَا فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصُّورِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمُصَوَّرَةَ فِي هَذِهِ الشَّقَّةِ تَدْخُلُ الْأَنْدَلُسَ ، فَتَغْلِبُ عَلَيْهَا وَتَمْلِكُهَا ، فَوَجَّهَ لِمُدْرِيْقٍ وَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ ، وَعَظَّمَ غَمَّهُ وَغَمَّ الْعَجْمِ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِرَدِّ الْأَقْفَالِ وَإِقْرَارِ الْحِرَاسِ عَلَى حَالِهِمْ ، وَأَخَذَ فِي تَدْبِيرِ الْمَلِكِ ، وَذُهِلَ عَمَّا أُنْذِرَ بِهِ .

وَقَدْ كَانَ مِنْ سَيِّرِ أَكَابِرِ الْعَجْمِ بِالْأَنْدَلُسِ وَقَوَادِهِمْ أَنْ يَبْعَثُوا أَوْلَادَهُمُ الَّذِينَ يَرِيدُونَ مَنَافِعَهُمْ وَالتَّنْوِيهِ بِهِمْ إِلَى بِلَادِ الْمَلِكِ الْأَكْبَرِ بِطُلَيْطَلَةَ لِيَصِيرُوا فِي خِدْمَتِهِ ، وَيَتَأَدَّبُوا بِأَدَبِهِ ، وَيَنَالُوا مِنْ كِرَامَتِهِ ، حَتَّى إِذَا بَلَّغُوا أَنْكَحَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا اسْتِثْلَافًا . لَأَبَائِهِمْ ، وَحَمَلَ صَدُوقَاتِهِمْ . وَتَوَلَّى تَجْهِيْزَ لِنَائِهِمْ إِلَى أَزْوَاجِهِمْ . فَاتَّفَقَ أَنْ فَعَلَ ذَلِكَ يَلْبِيَانِ عَامِلَ لِمُدْرِيْقٍ عَلَى سَبْتَةٍ ، وَكَانَتْ يَوْمَئِذٍ فِي يَدِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَهْلُهَا عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ . رَكِبَ الطَّرِيقَ بَابِنَةَ لَهُ بَارِعَةً بِالْحِمَالِ تَكْرُمُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا

صارَت عند لُذْرِيْق وَقَعَت عَيْنُهُ عَلَيْهَا فَأَعْجَبَتْهُ وَأَحْبَبَهَا حُبًّا شَدِيدًا ، ولم يملك نفسه حتَّى اسْتَكْرَهَهَا وَافْتَضَّهَا ، فَاحْتَالَتْ حَتَّى أَعْلَمَتْ أَبَاهَا بِذَلِكَ سِرًّا ، بِمَكَاتِبَةٍ خَفِيَّةٍ ، فَأَحْفَظَهُ شَأْنَهَا جَدًّا ، وَاشْتَدَّتْ حَمِيَّتُهُ ، وَقَالَ : وَدَيْنَ الْمَسِيحِ لَأَزِيلَنَّ سُلْطَانَهُ ^١ ، وَلَأَحْفِرَنَّ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، فَكَانَ امْتِعَاضُهُ مِنْ فَاحِشَةِ ابْنَتِهِ هُوَ السَّبَبُ فِي فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ بِالَّذِي سَبَقَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى .

ثُمَّ إِنْ يُلْيَانُ رَكِبَ بَحْرَ الزُّفَاقِ مِنْ سَبْتَةٍ فِي أَصْعَبِ الْأَوْقَاتِ فِي يَنْبَرٍ ^٢ قَلْبَ الشِّتَاءِ ، فَصَارَ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَأَقْبَلَ إِلَى طُلَيْطَلَةَ نَحْوِ الْمَلِكِ لُذْرِيْقِ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ مَجِيئَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا لَدَيْهِ ^٣ وَلَمْ يَجَأْ فِي مِثْلِ وَقْتِهِ ؟ فَذَكَرَ خَيْرًا ، وَاعْتَلَّ بِذِكْرِ زَوْجَتِهِ ، وَشَدَّةِ شَوْقِهَا إِلَى رُؤْيَا بَنَتِهَا الَّتِي عِنْدَهُ ، وَتَمَنِّيَا لِقَاءَهَا قَبْلَ الْمَوْتِ ، وَالْحَاحِهَا عَلَيْهِ فِي إِحْضَارِهَا ، وَأَنَّهُ أَحَبُّ إِسْعَافِهَا ، وَرَجَا بِلَوْغِهَا أَمْنِيَّتِهَا مِنْهُ ، وَسَأَلَ الْمَلِكَ إِخْرَاجَهَا إِلَيْهِ ، وَتَعْجِيلَ إِطْلَاقِهِ لِلْمُبَادَرَةِ بِهَا ، فَفَعَلَ ، وَأَجَازَ الْجَارِيَةَ ، وَتَوَثَّقَ مِنْهَا بِالْكَتْمَانِ عَلَيْهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَى أَبِيهَا ، فَانْقَلَبَ عَنْهُ . وَذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا وَدَّعَهُ قَالَ لَهُ لُذْرِيْقُ : إِذَا قَدِمْتَ عَلَيْنَا فَاسْتَفِرْهُ لَنَا مِنْ الشُّذَانِقَاتِ ^٤ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تُطْرَفُنَا بِهَا فَلَهَا آثَرُ جَوَارِحِنَا لَدَيْنَا ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَحَقَّ الْمَسِيحُ لَنْ بَقِيْتُ لَأَدْخِلَنَّ عَلَيْكَ شُدَانِقَاتٍ مَا دَخَلَ عَلَيْكَ مِثْلُهَا قَطْ — عَرَّضَ لَهُ بِالَّذِي أَضْمَرَهُ مِنَ السَّعْيِ فِي إِدْخَالِ رِجَالِ الْعَرَبِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَقْطِنُ — فَلَمْ يَتَنَهَ يَلْيَانُ عِنْدَمَا اسْتَفَرَّ بِسَبْتَةٍ عَلَيْهِ أَنْ تَهَيَّأَ لِلْمَسِيرِ نَحْوَ مُوسَى بْنِ نُصَيْرِ الْأَمِيرِ ، فَمَضَى نَحْوَهُ بِإِفْرِيقِيَّةٍ ، وَكَلِمَهُ فِي غَزْوِ الْأَنْدَلُسِ ، وَوَصَفَ لَهُ حُسْنَهَا وَفَضْلَهَا ، وَمَا جَمَعَتْ مِنْ أَسْبَابِ الْمَنَافِعِ ، وَأَنْوَاعِ الْمُرَافِقِ ،

..

١ ك : ملكه وسلطانه .

٢ « يَنْبَر » اسم الشهر : (Enero) = كانون الثاني ، وفي ك : صَنْبَر ، وَصَنْبَر : تعني شدة البرد .

٣ زاد في ك : وما جاء فيه .

٤ الشُدَانِقَات : الصقور .

ه ك : أشتات .

وطيب المزارع ، وكثرة الثمار ، وثرارة المياه وعذوبتها ، وهون عليه مع ذلك حال رجالها ، ووصفهم بضعف البأس وقلة الغناء ، فشوق موسى إلى ما هناك ، وأخذ بالحزم فيما دعاه إليه يثليان ، فعاقده على الانحراف إلى المسلمين ، واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة أهل ملته من الأندلس المشركين والاستخراج إليهم بالدخول إليها وشن الغارة فيها ، ففعل يثليان ذلك ، وجمع جمعاً من أهل عمله ، فدخل بهم في مركبين وحلّ بساحل الجزيرة الخضراء ، فأغار وقتل وسبي وغنم ، وأقام بها أياماً ، ثم رجع بمن معه سالمين ، وشاع الخبر عند المسلمين ، فأنيسوا بيثليان واطمأنوا إليه ، وكان ذلك عقب سنة تسعين ، فكتب موسى بن نصير إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك يخبره بالذي دعاه إليه يثليان من أمر الأندلس ، ويستأذنه في اقتحامها ، فكتب إليه الوليد : أن خضفها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ، ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأحوال ، فراجعه أنه ليس ببختر زخار ، وإنما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه ، فكتب إليه : وإن كان فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه . فبعث موسى عند ذلك رجلاً من مواليه من البرابرة اسمه طريف يكنى أبا زُرعة في أربعمئة رجل معهم مائة فرس سار بهم في أربعة مراكز ، فنزل بجزيرة تُقابل جزيرة الأندلس المعروفة بالخضراء التي هي اليوم متعب سفائنهم ودار صناعتهم ، ويقال لها اليوم « جزيرة طريف » لتزوله بها ، وأقام بها أياماً حتى تمام^٢ إليه أصحابه ، ثم مضى حتى أغار على الجزيرة فأصاب سبباً لم ير موسى ولا أصحابه مثله حسناً ، ومالاً جسيماً ، وأمتعة ، وذلك في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين ، فلمّا رأى الناس ذلك تسرعوا إلى الدخول ، وقيل : دخل طريف في ألف رجل ، فأصاب غنائم وسبباً ، ودخل بعده أبو زُرعة شيخ من البرابرة ، وليس بطريف ، في ألف رجل منهم أيضاً فأصابوا أهل الجزيرة قد تفرقوا عنها ، فصرموا عامتها بالنار ،

١ ج : وغزارة .

٢ ك : التام .

وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظمة ، وأصابوا سبياً يسيراً ، وقتلوا
وانصرفوا سالمين .

وقال الرازي : هو أبو زرعة طريف بن مالك المَعافيري ، الاسم طبق الكنية .
قالوا : ثم عاود يُلَيَّان القُدوم على موسى بن نُصَيْر محرّكاً في الاقتحام على
أهل الأندلس ، وخبرته بما كان منه ومن طريف وأبي زُرعة ، وما نالوه من
أهلها ، وبأشروه من طيبتها ، فحمد الله على ذلك ، واستجدَّ عزماً في إقحام
المسلمين فيها ، فدعا مولى له كان على مُقَدَّمته يسمّى طارق بن زياد بن عبد
الله فارسيّاً همدانيّاً - وقيل : إنّه ليس بمولى لموسى ، وإنّما هو رجل من
صَدَف ، وقيل : مولى لهم ، وقد كان بعض عقبه بالأندلس ينكرون ولاء موسى
إنكاراً شديداً ، وقيل : إنّه بربري من نَفْزَة - فعقد له موسى ، وبعثه في
سبعة آلاف من المسلمين جُلُّهم البربر والموالي ، وليس فيهم عرب إلا قليل ،
وَوَجَّه معه يُلَيَّان ، فهيّا له يُلَيَّان المراكب ، فركب في أربع سفن لا صناعة
له غيرها ، وَحَطَّ بجبل طارق المنسوب إليه يوم سبت في شعبان سنة اثنتين وتسعين ،
في شهر أغسطس^١ ، ثم صرف المراكب إلى مَنْ خَلْفَه من أصحابه ، فركب من
بقي من الناس ، ولم تزل السفائن تختلف إليهم حتى توافى جميعهم عنده بالجبل ،
وقيل : حلَّ طارق بجبله يوم الاثنين لخمس خلون من رجب من السنة في اثني عشر
ألفاً غير ستة عشر رجلاً من البرابرة^٢ ، ولم يكن فيهم من العرب إلا يسير ،
أجازهم يُلَيَّان إلى ساحل الأندلس في مراكب التجار من حيث لم يُعلم بهم ،
أولاً^٣ أولاً ، وركب أميرهم طارق آخرهم ..

قيل^٣ : وأصاب طارق عجوزاً من أهل الجزيرة ، فقالت له في بعض قولها :
إنّه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن أمير يدخل إلى بلدهم هذا ،

١ ك : أغسطس .

٢ ق : البربر .

٣ انظر ما تقدم ص : ٢٣١ .

ويغلب عليه ، ويصف من نعته أنه ضخم الهامة ، فأنت كذلك ، ومنها أن في كتفه الأيسر شامة عليها شَعَرٌ ، فإن كانت بك هذه العلامة فأنت هو ، فكشف طارق ثوبه فإذا بالشامة في كتفه على ما ذكرته العجوز ، فاستبشر بذلك هو ومن معه .

وذكر عن طارق أنه كان نائماً في المركب فرأى في منامه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الأربعة أصحابه عليهم السلام يمشون على الماء حتى مرّوا به ، فبشّره النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بالفتح ، وأمره بالرفق بالمسلمين ، والوفاء بالعهد . وقيل : إنه لما ركب البحر غلبته عينه فكان يرى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وحوله المهاجرون والأنصار قد تقلّدوا السيوف وتكبّوا القسي ، فيقول له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : يا طارق ، تقدم لشأنك ، ونظر إليه وإلى أصحابه قد دخلوا الأندلس قدّامه ، فهبّ من نومه مستبشراً ، وبشّر أصحابه ، وثابت إليه نفسه ثقةً ببشّراه ، فقيّست نفسه ، ولم يشك في الظفر ، فخرج من البلد ، واقتحم بسيط البلاد شائناً للغارة .

قالوا : ووقع على لُذْرَيْقَ الملكِ خبرُ اقتحام العرب ساحلَ الأندلس ، وتوالي غاراتهم على بلد الجزيرة ، وأن يُلَيَّانِ السبب فيها ، وكان يومئذ غائباً بأرض بَنَنْبَلُونَةَ في غَزَاةٍ له إلى البُشْكَنْسِ لأمر كان استصعب عليه بناحيّتهم ، فعظم عليه ، وفهم الأمر الذي منه أُنِي ، وأقبل مبادراً الفَتْقَ في جموعه ، حتى احتل بمدينة قُرْطُبَةَ من الموسطة^١ ، ونزل القصر المدعو بها ببلاط لُذْرَيْقِ المنسوب إليه ، وليس لأنه بناه أو اخترعه — وهو بناء من تقدمه من الملوك اتخذوه لمتزلّجهم في قرطبة إذا أتوها — إلا أن العرب لما غلبوا لُذْرَيْقَ وهذا القصر من مَواطِنه نسبوه إليه ، إذ لم يعرفوا مَنْ بناه . ويزعم العجم أن الذي بناه ملك منهم كان ساكناً بمحصن المدور أسفل قرطبة ، وخرج يوماً يتصيد حتى

..

١ : الموسطة .

وذكرها ابن دحية بمخالفة لما سردهناه .

قال عتبة التاجر : وجهني الأمير الحكم وابنه عبد الرحمن إلى المشرق
وعبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل المأمون ، فلقيته بالعراق ، فسألني عن هذه
القصيدة هل أحفظها للغزال ؟ قلت : نعم ، فاستثدنيها ، فأشده إياها ،
فسر بها وكتبها ، قال عتبة : ونلت بها حظاً عنده .
والبهانة : المرأة الطيبة النفس والأرج ، كما في الصحاح ، وقيل : اللينة
في منطقتها وعملها ، وقيل : الضحكة المتهللة ، والرعيوب : السبطة البيضاء ،
والسبطة : الطويلة .

وقال ساعده الله تعالى :

سألت في النوم أبي آدمًا فقلنت والقلب به وامي
إبنك بالله أبو حازم ؟ صلتى عليك المالك الخالق
فقال لي : إن كان مني ومن نسلي فحوا أمكم طالق

وقال رضي الله تعالى عنه :

أرى أهل اليسار إذا توفوا بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخراً على الفقراء حتى في القبور
فإن يكن التفاضل في ذراها فإن العدل فيها في القصور
رضيت بمن تأنق في بناء فبالغ فيه تصريف الدهور
ألم يصبوا ما خربته الد هور من المدائن والقصور
لعمرك أبيهم لو أبصروهم لما عرف الغني من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالى ولا عرفوا الإناث من الذكور
ولا من كان يلبس ثوب صوف من البدن المبشير للحريز

١ ج : تصريف الأمور .

نهرها قبالةَ القصر ، ولم يطمئنتوا إلى الدخول على لُذَرِيْقٍ أخذاً بالحزم ، إلى أن استتبَّ جهاز لُذَرِيْقٍ وخرج ، فانضموا إليه ، ومتصّواً معه وهم مُرْصِلُونَ لمكروهه . والأصح - والله أعلم - ما سبق أن مُلْكَ القوط اجتمع للذَرِيْقِ ، واختلف في اسمه فقيل : رُذَرِيْق - بالراء أوله - وقيل : باللام لُذَرِيْق وهو الأشهر ، وقيل : إن أصله من أصبهان ويسمى الإشبان ، والله أعلم^١ .

قالوا : وعسكر لُذَرِيْقٍ في نحو مائة ألف ذوي عَدَدٍ وعُدَّةٍ ، فكتب طارق إلى موسى يستمدّه ويعرفه أنه فتح الجزيرة الخضراء فُرْضَةَ الأندلس ، ومُتْلِكَ المجاز إليها ، واستولى على أعمالها إلى البحيرة ، وأن لُذَرِيْقٍ زحف إليه بما لا قِبَلَ له به ، إلا أن يشاء الله ، وكان موسى منذ وجه طارقاً لوجهه ، قد أخذ في عمل السفن حتى صار عنده منها عِدَّةٌ كثيرة ، فحمل إلى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مَدَدًا كُتِلَ بهم عدة مَنَ معه اثني عشر ألفاً أقوياء على المغام ، حِرَاصاً على اللقاء ، ومعهم يُلَيَّان المستأمن إليهم في رجاله وأهل عمله يَدُلُّهم على العَوْرَات ، ويتجسس لهم الأخبار ، وأقبل نحوهم لُذَرِيْقٍ في جموع العجم ، وملوكها وفرسانها ، فتلاقوا فيما بينهم وقال بعضهم لبعض : إن هذا ابن الحبيثة قد غلب على سلطاننا ، وليس من أهله ، وإنما كان من أتباعنا ، فلننا نعدم من سيرته خبلاً في أمرنا ، وهؤلاء القوم الطارقون لا حاجة لهم في استيطان بلدنا ، وإنما مُرَادهم أن يملأوا أيديهم من الغنائم ، ثم يخرجوا عنا ، فهلم فلننهزم بابن الحبيثة إذا نحن لقينا القوم لعلهم يكفوننا إِيَّاه ، فإذا انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنا من يستحقه ، فأجمعوا على ذلك ، والقضاء يُبْرَم ما ارتسأوه .

وكان لُذَرِيْقٍ ولّى ميمته أحد ابني غيطشة ، وميسرته الآخر ، فكانا

١ وقيل ... أعلم : هذه الجملة موجودة في جميع الأصول وهي قلقة ولا تلتزم مع ما تقدم من حديث عن إشبان .

رأسي الذين أداروا عليه الهزيمة ، وأداهما إلى ذلك طمع رجوع ملك والدهما إليهما .

وقيل : لما تقابل الجيشان أجمع أولادُ غيطشة على الغدر بلذريق ، وأرسلوا إلى طارق يُعلمونه أن لذريق كان تابعاً وخادماً لأبيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه وأنهم غير تاركين حقهم لديه ، ويسألونه الأمان على أن يميلوا إليه عند اللقاء فيمن يتبعهم ، وأن يسلم إليهم إذا ظفر ضياع والدهم بالأندلس كلها ، وكانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة ، وهي التي سميت بعد ذلك صفايا الملوك ، فأجابهم إلى ذلك ، وعاقدهم عليه ، فالتقى الفريقان من الغد ، فأنحاز الأولاد إلى طارق ، فكان ذلك أقوى أسباب الفتح ، وكان الالتقاء على وادي لكّة من كورة شكونة ، فهزم الله الطاغية لذريق وجموعه ، ونصر المسلمين نصراً لا كفاء له ، ورمى لذريق نفسه في وادي لكّة وقد أثقلته السلاح^١ ، فلم يُعلم له خبر ولم يوجد .

وقيل : نزل طارق بالمسلمين قريباً من عسكر لذريق منسلخ شهر رمضان سنة ٩٢ ، فوجّه لذريق عِلْجاً من أصحابه قد عرّف نجذته ووثق ببأسه ليشرف على عسكر طارق فيحزّر عددهم ويعين هيئاتهم ومراكبهم ، فأقبل ذلك العليج حتى طلع على العسكر ، ثمّ شدّ في وجوه من استشرفه من المسلمين ، فوثبوا إليه ، فولّى منصرفاً راكضاً ، وفاتهم بسبب فرسه ، فقال العليج للذريق : أتلك الصور التي كشف لك عنها التابوت ، فخذ على نفسك ، فقد جاءك منهم من لا يريد إلا الموت أو إصابة ما تحت قدميك ، قد حرّقوا مراكبهم إبّاساً لأنفسهم من التعلّق بها ، وصفوا في السهل موطنين أنفسهم على الثبات ، إذ ليس لهم في أرضنا مكان مهرب ، فرعب وتضاعف جزعه ، والتقى العسكران بالبحيرة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، إلى أن انهزمت ميمنة لذريق وميسرته ،

١ ك : الجراح .

انهزم بهما. أبناء غيطشة ، وثبت القلبُ بعدهما قليلاً وفيه لُذْرِيْق ، فعَدْرُ ١
أهلُه بشيء من قتال ، ثم انهزموا ولُذْرِيْقُ أمامهم ، فاستمرت هزيمتهم ،
وأذرع المسلمون القتل فيهم ، وخفي أثر لذر يق فلا يدري أمره ، إلا أن
المسلمين وجدوا فرَسَه الأشهب الذي فُقد وهو راكبه ، وعليه سَرَج له من
ذهب مُكَلَّل بالياقوت والزبرجد ، ووجدوا أحد خفيّه وكان من ذهب
مُكَلَّل بالدرّ والياقوت ٢ ، وقد ساخ الفرسُ في طين وحمأة ، وغرق
العليج ، فثبت أحد خفيّه في الطين فأخذ ، وخفي الآخر ، وغاب شخص العليج
ولم يوجد حيّاً ولا ميتاً ، والله أعلم بشأنه .

وقال الرازي : كانت الملاقاة يوم الأحد لليتين بقيتا من شهر رمضان ،
فاتصلت الحربُ بينهم إلى يوم الأحد لخمس خَلَوَن من شوال بعد تمة ثمانية
أيام ، ثم هزم الله المشركين ، فقُتِل منهم خلق عظيم ٣ ، أقامت عظامهم بعد
ذلك بدّهْر طويل ملبسة لتلك الأرض ، قالوا : وحاز المسلمون من عسكرهم
ما يحلُّ قَدْرُه ، فكانوا يعرفون كبار العجم وملوكهم بخواتم الذهب يجدونها في
أصابيحهم ويعرفون مَنْ دُونهم بخواتم الفضة ، ويميزون عبيدهم بخواتم النحاس ،
فجمع طارق الفتيء وخَمَسَه ، ثم اقتسمه أهله على تسعة آلاف من المسلمين
سوى العبيد والأتباع ، وتسامع الناسُ من أهل برّ العُدُوّة بالفتح على طارق
بالأندلس وسعة المغانم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وَجّه ، وخرقوا البحر على
كل ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلاحقوا بطارق ، وارتفع أهلُ الأندلس
عند ذلك إلى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال ، ثم أقبل

.....

١ اي لك ط ودوزي : فندر . وطر : دفع عن نفسه اللوم بفعل كأنه تقمير ؛ وسقط من ج :

فندر ... وخفي أثر لذر يق .

٢ زاد في ك : والزبرجد .

٣ ك : خلق كثير عظيم .

٤ ج : الغنائم .

طارق حتى نزل بأهل مدينة شَدُونَة ، فامتنعوا عليه ، فشَدَّ الحصر عليهم حتى نَهَكَهُمْ وأَضْرَمَهم ، فتهيأ له فتحها عَنَوَة ، فحاز منها غنائم ، ثم مضى منها إلى مورور^١ ، ثم عطف إلى قَرْمُونَة فمر بعينه المنسوبة إليه ، ثم مال على إشبيلية فصالحه أهلها على الجزية ، ثم نازل أهل إسْتِجَة وهم في قوة ومعهم فلّ عسكر لُذْرِيْق. فقاتلوا قتالاً شديداً حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين ، ثم إن الله تعالى أظهر المسلمين عليهم ، فانكسروا ، ولم يلتقَ المسلمون فيما بعد ذلك حرباً مثلها ، وأقاموا على الامتناع إلى أن ظفر طارق بالعِلْج صاحبها ، وكان مغترّاً سبيء التدبير ، فخرج إلى النهر لبعض حاجاته وحده ، فصادف طارقاً هناك قد أتى لمثل ذلك ، وطارق لا يعرفه ، فوثب عليه طارق في الماء ، فأخذه وجاء به إلى العسكر ، فلمّا كاشفَه اعترف له بأنه أمير المدينة ، فصالحه طارق على ما أحبَّ ، وضرب عليه الجزية ، وخلّى سبيله ، فوفى بما عاهد عليه ، وقذف الله الرُّعْبَ في قلوب الكفرة لما رأوا طارقاً يُوغِل في البلاد ، وكانوا يحسبون أنه راغباً في المغنم عاملاً على القُفُول ، فسقط في أيديهم ، وتطايروا عن السهول إلى المعازل ، وصعد ذَوُو القُوَّة منهم إلى دار مملكتهم طُلَيْطَلَة ، قيل : وكان من إرهاب طارق لنصارى الأندلس وحيله أن تقدّم إلى أصحابه في تفصيل لحوم القتلى بحضرة أسراهم وطبخها في القدور ، يروّنهاهم أنهم يأكلونها ، فجعل من انطلق من الأسرى يحدّثون مَنْ وراءهم بذلك فتمتلىء منه قلوبهم رُعباً ويُجفِلُون فراراً ، قالوا : وقال يُلْيَان لطارق : قد فضضت جيوش القوم ورعبوا ، فاصمد لبيضتهم ، وهؤلاء أدلاء من أصحابي مهرة ، ففرّق جيوشك معهم في جهات البلاد ، واعمد أنت إلى طُلَيْطَلَة حيث مُعْظَمهم ، فاشغل القوم عن النظر في أمرهم والاجتماع إلى أولي رأيهم ، ففرّق طارق جيوشه من إسْتِجَة ، فبعث مغيثاً الرومي مولى الوليد بن

١ ك : ملور ؛ ومورور : (Moron) كورة متصلة بأحواز قرمونة .

عبد الملك إلى قَرْطُبَة ، وكانت من أعظم مدائنهم ، في سبعمائة فارس ، لأن المسلمين ركبوا جميعاً خيلَ العجم ، ولم يبق فيهم راجلٌ ، وفَضَلَتْ عنهم الخيلُ ، وبعث جيشاً آخر إلى مالِقَة ، وآخر إلى غَرْناطة مدينة إلبيرة ، وسار هو في معظم الناس إلى كورة جَيَّان يريد طُلَيْطَلَة ، وقد قيل : إن الذي سار لقَرْطُبَة طارق بنفسه ، لا مغيث ، قالوا : فكمنوا بعددِوه نهر شَقْسُنْدَة في غَيْضَة أَرْزٍ شاحنة ، وأرسلت الأدلاء فأمسكوا راعيَ غنمٍ فسُئِلَ عن قرطبة فقال : رحل عنها عظماء أهلها إلى طُلَيْطَلَة ، وبقي فيها أميرها في أربعمائة فارس^١ من حُمَاتِهِمْ مع ضعفاء أهلها ، وسُئِلَ عن سورها فأخبر أنه حصين عالٍ فوق أرضها إلا أنه فيه ثَغْرَة ووصفها لهم^٢ ، فلمّا أَجَنَّتْهُم الليل أقبلوا نحو المدينة ووطئاً الله لهم أسبابَ الفتح بأن أرسل السماء برّاذلٍ أخفى دققة حوافر الخيل ، وأقبل المسلمون رويداً حتى عبروا نهر قَرْطُبَة ليلاً ، وقد أغفل حَرَسُ المدينة احتراسَ السور ، فلم يظهروا عليه ضيقاً بالذي نالهم من المطر والبرد ، فترجّل القومُ حتى عبروا النهر ، وليس بين النهر والسور إلا مقدار ثلاثين ذراعاً أو أقل^٣ ، وراموا التعلّق بالسور فلم يجدوا متعلّقاً ، ورجعوا إلى الراعي في دلالتهم على الثغرة التي ذكرها ، فأراهم إياها ، فإذا بها غير متسهلة التسلّم ، إلا أنه كانت في أسفلها شجرة تين مكنت أفنانها من التعلّق بها ، فصعد رجل من أشدّاء المسلمين في أعلاها ، ونزع مغيث عمامته فناولها طرفها ، وأعان بعضُ الناس بعضاً حتى كثروا على السور ، وركب مغيث ووقف من خارج ، وأمر أصحابه المرتقين للسور بالهجوم على الحرس ، ففعلوا ، وقتلوا نفرًا منهم ، وكسروا أقفال الباب ، وفتحوه ، فدخل مغيث ومن معه وملكوا المدينة عَنَوَة ، فصمد إلى البلاط منزِلَ الملك ومعه أدلاؤه ، وقد بلغ الملك دخولهم

١ فارس : سقطت من ق ط ج .

٢ لهم : سقطت من ط ح ق .

٣ أو أقل : سقطت من دوزي .

المدينة فبادر بالفرار عن البلاط في أصحابه ، وهم زهاء أربعمائة ، وخرج إلى كنيسة بغربي المدينة ، وتحصن بها ، وكان الماء يأتيها تحت الأرض من عين في ستّح جبل ، ودافعوا عن أنفسهم ، وملك مغيث المدينة وما حولها ، وقال من ذهب إلى أن طارقاً لم يحضر فتح قرطبة وأن فائحها مغيث : إنه كتب إلى طارق بالفتح ، وأقام على محاصرة العليج بالكنيسة ثلاثة أشهر ، حتى ضاق من ذلك وطال عليه ، فتقدم إلى أسود من عبيده اسمه ربّاح ، وكان ذا بأس ونجدة ، بالكمون في جنانٍ إلى جانب الكنيسة ملتفة الأشجار ، لعلّه أن يظفر له بعليج يقف به على خبر القوم ، ففعل ، ودعاه ضعف عقله إلى أن صعد في بعض تلك الأشجار ، وذلك أيام الثمر ، ليحني ما يأكله ، فبصر به أهل الكنيسة ، وشدّوا عليه ، فأخذوه فملكوه^١ ، وهم في ذلك هائبون له منكرون لخلقته ، إذ لم يكونوا عاينوا أسود قبله ، فاجتمعوا عليه ، وكثرت لغطهم وتعجبهم من خلقه ، وحسبوا أنّه مصبوغ أو مطلي ببعض الأشياء التي تُسود ، فجردوه وسط جماعتهم ، وأدنوه إلى القناة التي منها كان يأتيهم الماء ، وأخذوا في غسله وتدليكه بالحبال الخرش ، حتى أدموه وأعنتوه ، فاستغاثهم ، وأشار إلى أن الذي به خِلقة من بارئهم ، عز وجلّ ، ففهموا إشارته^٢ ، وكفّوا عن غسله^٣ واشتد فزعهم منه ، ومكث في إسايرهم سبعة أيام لا يتركون التجمّع عليه والنظر إليه إلى أن يسّر الله له الخلاص ليلاً ، ففرّ وأتى الأمير مغيثاً فخبّره بشأنه وعرفه بالذي اطلع عليه من موضع^٤ الماء الذي يتتابونه ، ومن أي ناحية يأتيهم ، فأمر أهل المعرفة بطلب تلك القناة في الجهة التي أشار إليها الأسود حتى أصابوها ، فقطعوها عن جرّيتها إلى الكنيسة ، وسدّوا منافذها ، فأيقنوا

١ دوزي : وملكوه .

٢ ق ط ج : ففهموا عنه .

٣ ك : وكفّوا عنه وعن غسله .

٤ ك : اطلع عليه من شأنهم وموضع .

بالهلاك حينئذ ، فدعاهم مغيث إلى الإسلام أو الجزية ، فأبوا عليه ، فأوقد النار عليهم حتى أحرقهم فسميت كنيسة الحرقى ، والنصارى تعظمها لصبر من كان فيها على دينهم من شدة البلاء ؛ غير أن العليج أميرهم رغب بنفسه عن بليتهم عند إيقان الهلاك ، ففرّ عنهم وحده ، وقد استغفلهم ورام اللحاق ببطليظة ، فنسي^١ خبره إلى مغيث ، فبادر الركض خلفه وحده ، فلحقه بقرب قرية تطليزة^٢ هارباً وحده ، وتحت فرس^٣ أصفر ذريع الخطو ، وحرك مغيث خلفه ، فالتفت العليج ودُهِش لما رأى مغيثاً قد رَهَقَه ، وزاد في حَتِّ فرسه فقصر به ، فسقط عن الفرس واندقت عنقه ، فقع على ترسه مستأسراً قد هاضته السقطة ، فقبض عليه مغيث ، وسلبه سلاحه ، وحبس عتده ليقدّم به على أمير المؤمنين الوليد ، ولم يؤسر من ملوك الأندلس غيره ، لأن بعضهم استأمن وبعضهم هرب إلى جليقية^٤ ، وفي رواية أن مغيثاً استنزل أهل الكنيسة بعد أسره للكهم ، فضرب أعناقهم جميعاً ، فمن أجل ذلك عُرِفَت بكنيسة الأسرى وأن مغيثاً جمع يهود قُرطُبة فضمهم إلى مدينتها استئاماً إليهم ، دون النصارى ، للعداوة بينهم ، وأنه اختار القصر لنفسه ، والمدينة لأصحابه .

وأما مَنْ وُجِّهَ إلى مالقة ففتحوها ، ولجأ علُوجها إلى جبال هناك ممتعة ، ثم سَلَقَ ذلك الجيشُ بالجيش المتوجّه إلى البيرة ، فحاصروا مدينتها غرناطة ، فافتتحوها^٥ عَنَوَةً ، وضموا اليهود إلى قصبة غرناطة ، وصار ذلك لهم سُنَّةً متبعة^٦ في كل بلد يفتحونه أن يضموا يهوده إلى القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها ، ويمضي معظم الناس لغيرها ، وإذا لم يجدوا يهوداً وقروا عدد المسلمين المخلفين لحفظ ما فتح ، ثم صنعوا عند فتح كورة رِيَّة التي منها مالقة مثل ذلك .

١ ك : فبلغ

٢ كذا في ق ك ط ج ، ولعلها : طليزة .

٣ ك : فافتتحوها .

٤ متبعة : سقطت من ك .

ومضى الجيش إلى تَدْمِير ، وتدمير : اسم العليج صاحبها ، سميت به ، واسم قصبتها أريولة ، ولها شأن في المنعة . وكان ملكها علياً داهية ، وقاتلهم مضحياً^١ ، ثم استمرت عليه الهزيمة في فتحها ، فبلغ السيف في أهلها مَبْلَغاً عظيماً أفنى أكثرهم وبلأ العليج إلى أريولة في يسير من أصحابه لا يُغْنُون شيئاً ، فأمر النساء بنشر الشعور وحمل القَصَب والظهور على السور في زي القتال متشبهات بالرجال ، وتصدر قُدَّامهن في بقية أصحابه يُغَالط المسلمين في قوته على الدفاع عن نفسه ، فكره المسلمون مِرَّاسَه لكثرة مَنْ عاينوه على السور ، وعرضوا عليه الصلح ، فأظهر الميل إليه ، ونكَّرَ زيه ، فنزل إليهم بأمان على أنه رسول ، فصالحهم على أهل بلده ، ثم على نفسه ، وتوثق منهم ، فلمَّا تمَّ له من ذلك ما أراد عرفهم بنفسه ، واعتذر إليهم بالإبقاء على قومه ، وأخذهم بالوفاء بعهده ، وأدخلهم المدينة ، فلم يجدوا فيها إلا العيال والذرية ، فندموا على الذي أعطوه من الأمان ، واسترجحوه فيما احتال به ، ومضوا على الوفاء له ، وكان الوفاء عادتهم ، فسلمت كورة تَدْمِير من مَعَرَّة المسلمين بتدبير تَدْمِير ، وصارت كلها صلحاً ليس فيها عَنُوة ، وكتبوا إلى أميرهم طارق بالفتح ، وخطفوا بقصبة البلد رجالاً منهم ، ومضى معظمهم^٢ إلى أميرهم لفتح طَلَيْطَلَة . قال ابن حبان : وانتهى طارق إلى طَلَيْطَلَة دار مملكة القُوط ، فألفاها خالية قد فرَّ أهلها عنها^٣ ولجأوا إلى مدينة بها خلف الجبل ، فضم اليهود إلى طَلَيْطَلَة ، وخلف بها رجالاً من أصحابه^٤ ، ومضى خلف مَنْ فر من أهل طَلَيْطَلَة فسلك إلى وادي^٥ الحجارة ، ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمِّي به

١ ق ك ط ج ودوزي : مضحياً ، واللفظة تحتاج تصويباً ، واقتراح مراجع ط . ليدن أن تقرأ

« مضحياً » بمعنى « في وقت الضحى » .

٢ ق ط ج : المعظم .

٣ ك : عنها أهلها .

٤ من أصحابه : سقطت من ق .

٥ ك : فلك وادي .

بعد ، فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل ، وهي المنسوبة لسليمان بن داود عليهما السلام ، وهي خضراء من زَبَرَجْدَة^١ حافاتها منها وأرجلها ، وكان لها ثلاثمائة وخمسة وستون رجلاً ، فأحرزها عنده ، ثم مضى إلى المدينة التي تحصنوا بها خلف الجبل ، فأصاب بها حلياً ومالاً ، ورجع ولم يتجاوزها إلى طُلَيْطَلَة سنة ثلاث وتسعين . وقيل : لأنه لم يرجع ، بل اقتحم أرض جَلَيْقِيَّة واخترقها حتى انتهى إلى مدينة اسْتُرْقَة ، فدوخ الجبهة ، وانصرف إلى طُلَيْطَلَة ، والله أعلم . وقيل : إن طارقاً دخل الأندلس بغير أمر مولاه موسى بن نُصَيْر ، فأنه أعلم . قال بعضهم : وكانت إقامته في الفتوح وتدوين البلاد إلى أن وصل سيده موسى ابن نُصَيْر سنة ، وكان ما سيذكر .

وأُنشد في «المسهب» وابنُ اليسع في «المعرب» لطارق من قصيدة قالها في الفتح :

ركبته سَقِيناً بالمجاز مُقَيَّرَا عسى أن يكون الله مِنّاً قد اشترى
نفوساً وأموالاً وأهلاً بِجَنَّةٍ إذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسراً
ولسنا نُبالي كيف سالتْ نفوسُنَا إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرَا

قال ابن سعيد : وهذه الأبيات ممّا يُكتب لمراعاة قائلها ومكانته ، لا لعلّو طبقتها^٢ ، انتهى .

وأما أولاد غيطشة فإنهم لما صاروا إلى طارق بالأمان ، وكانوا سبب الفتح حسبما تقدم ، قالوا لطارق^٣ : أنت أمير نفسك أم فوقك أمير ؟ فقال : بل على رأسي أمير ، وفوق ذلك الأمير أمير عظيم ، فاستأذنوه بالتحاق بموسى بن نُصَيْر بإفريقية ليؤكد سببهم به ، وسألوه الكتاب إليه بشأنهم معه ، وما أعطاهم من عهده ، ففعل ، وساروا نحو موسى فتَلَقَّوْهُ في انحداره إلى الأندلس بالقرب^٤

١ ك : زبرجد .

٢ ق ط ج ودوزي : لعلو طبقتة .

٣ انظر ابن القوطية : ٢٩ - ٣٠ .

٤ في ق « بالمغرب » وفي بعض الأصول « بالمغرب » ولعل الصواب « بالغرب » وهو ما ثبت في ك ط .

من بلاد البربر وعرفوه بشأنهم ، ووقف على ما خاطبه به طارق في ذمتهم وسابقتهم ، فأنفذهم إلى أمير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق ، وكتب إليه بما عرفه به طارق من جميل أثرهم ، فلما وصلوا إلى الوليد أكرمهم وأنفذ لهم عهد طارق في ضياع والدهم ، وعقد لكل واحد منهم سجلاً ، وجعل لهم أن لا يقوموا لداخل عليهم ، فقدموا الأندلس ، وحازوا ضياع والدهم أجمع ، واقتسموها على موافقة منهم ، فصار منها لكبيرهم أَلْمُنْدُ^١ ألف ضيعة في غرب الأندلس ، فسكن من أجلها إشبيلية مقرباً منها ، وصار لأرطباش^٢ ألف ضيعة ، وهو تلوه في السن ، وضياعه في موسطة الأندلس ، فسكن من أجلها قرطبة ، وصار لثالثهم وقيلة^٣ ألف ضيعة في شرقي الأندلس وجهة الثغر ، فسكن من أجلها مدينة طليطلة ، فكانوا على هذه الحال صدّر الدولة العربية ، إلى أن هلك أَلْمُنْدُ كبيرهم ، وتخلّف ابنته سارة المعروفة بالقوطية وابنين صغيرين ، فبسط يده أرطباش على ضياعهم ، وضمها إلى ضياعه ، وذلك في خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ، فأنشأت سارة بنت أَلْمُنْدُ مركباً بإشبيلية حصيناً كامل العدة ، وركبت فيه مع أخويها الصغيرين تريد الشام حتى نزلت بعسقلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره بدمشق ، فأنهت خبرها ، وشكت ظلامتها من عمّها واستعدت عليه^٤ ، واحتجت بالعهد المنعقد لأبيها وأخويه^٥ على الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فأوصلها هشام إلى نفسه ، وأعجبه صورتها^٦ وحزمها ،

١ أَلْمُنْدُ : (Olmundo) .

٢ أرطباس ويكتب أحياناً « أرطبان » وهو أردبست بن غيطشة : (Ardabast) .

٣ دوزي : رمله على أنها تعريب (Romulus) وكذلك هي عند ابن القوطية ولكن يبدو أن الصواب « وقلة » وهو تعريب أقيلا : (Aquila) .

٤ ك : وخلف .

٥ ك : وتعديه عليها .

٦ ق ك ط ج : وإخوته .

٧ صورتها : ليست كذلك في النسخ وإنما وردت في ق ط : صورتها ، وفي أصول أخرى : صورتها ، صرمها ؛ ولعل الأخيرة أصوب بمعنى « الحزم » .

وكتب إلى حنظلة بن صفوان عامله بإفريقية بإلصافها من عمها أرباش وإمضائها وأخوها^١ على سنة الميراث فيما كان في يد والدها ممّا قاسم فيه أخويه ، فأنفذ لها الكتاب بذلك إلى عامله بالأندلس أبي الخطار ابن عمه ، فتم لها ذلك ، وأنكحها الخليفة هشام من عيسى بن مزاحم^٢ ، فابتنى بها بالشام ، ثم قدم بها إلى الأندلس ، وقام لها في دفاع عمها أرباش عن ضياعها ، فنال بها نعمة عظيمة ، ووُلِدَ له منها ولداه إبراهيم وإسحاق فأدركا الشرف المؤثّل والرياسة بإشبيلية ، وشهرا ولسلتهما بالنسبة إلى أمهما سارة القوطية . وكانت أيام وفادتها على الخليفة هشام رأث عنده حفيده عبد الرحمن بن معاوية الداخل بعد إلى الأندلس ، وعرفها ، فتوسّلت بذلك^٣ إليه لما ملك الأندلس ووفدت إليه ، فاعترف بذمامها وأكرمها ، وأذن لها في الدخول إلى قصره متى جاءت إلى قرطبة فيجدد تكرمتها ولا يحجب عياله منها ، وتوفّي زوجها عيسى^٤ في السنة التي ملك فيها عبد الرحمن الأندلس ، فزوجها عبد الرحمن من عمير بن سعيد .

وكان لها ولأبيها ألمند وعمها أرباش في صدر الدولة العربية بالأندلس أخبار ملوكية : فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المالكي^٥ أنّه قصد أرباش يوماً إلى منزله عشرة من رؤساء رجال الشاميين فيهم الصمّيل وابن الطّفيّل وأبو عبدة وغيرهم ، فأجلسهم على الكراسي ، وبالح في تكريمهم ، ودخل على أثرهم ميمون العابد جد بني حزم ، وكان في عداد الشاميين ، إلا أنّه كان شديد الانقباض عنهم لزهده وورعه ، فلما بصّر به أرباش قام إليه دونهم إعظاماً ، ورقاه إلى كرسيه الذي كان يجلس عليه ، وكان ملتبساً صفائح الذهب ، وجذبه

١ ق ل ط ١ وإخوتها .

٢ عيسى بن مزاحم : من موالى عمر بن عبد العزيز ؛ انظر ترجمة ابن القوطية في ابن خلكان ٤ : ٤ .

٣ - ٦ وفيه خبر سارة القوطية في إيجاز .

٤ بذلك : سقطت من ك .

٥ عيسى : سقطت من ق .

ه انظر هذا الخبر في ابن القوطية : ٦١ .

ليجلسه مكانه ، فامتنع عليه ميمون ، وقعد على الأرض ، فقعد أرطباش معه عليها ، وأقبل عليه قبلهم ، فقال له : يا سيدي ، ما الذي جاء بك إلى مثلي ؟ فقال له : ما تسمعه ، إنا قدمنا إلى هذا البلد غُرّة نحسب أن مقامنا فيه لا يَطُول ، فلم نستعدّ للمقام ولا كَثَرْنَا من العدة ، ثمّ حدث^١ بعدنا على موالينا وفي أجنادنا ما قد أيسّنا معه من الرجوع إلى أوطاننا ، وقد وسّع الله عليك ، فأحب أن تدفع إلي ضياعاً من ضياعك أعتمرها بيدي ، وأؤدي إليك الحق منها وأخذ الفضل لي طيباً أتعيش منه ، فقال : لا أرضى لك بالمساهمة ، بل أهب لك هبة مسوغة ، ثمّ ادعاً بوكيل له فقال له : سلّم إليه المتجشّراً^٢ الذي لنا على وادي شوش بما لنا فيه من العبيد والدواب والبقر وغير ذلك ، وادفع إليه الضيعة التي يجيئان ، فتسلّم ميمون الضيعتين وورثهما ولده ، وإليهم نُسبت قلعة حزم ، فشكره ميمون وأثنى عليه ، وقام عنه . وقد أنف الصّميل من قيامه إليه ، فأقبل على أرطباش وقال له : كنت أظنّك أرجح وزناً ، أدخلُ عليك وأنا سيدُ العرب بالأندلس في أصحابي هؤلاء ، وهم سادة الموالي ، فلا تزيدنا من الكرامة على الإقعاد على أعوادك هذه ، ويدخل هذا الصّعلوك فتصير من إكرامه إلى حيث صرت ؟ فقال له : يا أبا جوشن ، إن أهل دينك يخبروننا أن أدبهم لم يُرهِفْكَ ولو كان لم تنكر عليّ ما فعلته ، إنكم أكرمكم الله إنّما تكرمّونَ لدنياكم وسلطانكم ، وهذا إنّما أكرمه الله تعالى ، فقد روينا عن المسيح ، عليه السلام ، أنّه قال : من أكرمه الله تعالى من عباده بالطاعة له وجبت كرامته على خلقه ، فكأنّما ألقمه حجراً . وكان الصّميل أميّاً ، فلذلك عرّض به ، فقال له القوم : دعنا من هذا ، وانظر فيما قصدنا له ، فحاجتنا حاجة الرجل الذي قصدك فأكرمه ، فانظر في شأننا ، فقال له : أنتم ملوك الناس ، وليس يرضيكم إلّا الكثير ، وها أنا أهب لكم مائة ضيعة تقسمونها عشراً عشراً ، وكتب لهم بها ، وأمر وكلاءه بتسليمها

١ ك : وحادث ، وفي بقية الأصول : ثم حدث .

٢ المجشّر : المرعى .

إليهم ، فكان القوم يرونها من أطيب أملاكهم ، انتهى .

قال ابن حبان وغيره : ولما بلغ موسى بن نصير ما صنعه طارق بن زياد وما أتيح له من الفتوح حسده ، وتبيهاً للمسير إلى الأندلس فعسكر وأقبل نحوها ومعه جماعة الناس وأعلامهم ، وقيل : إنهم كانوا ثمانية عشر ألفاً ، وقيل : أكثر ، فكان دخوله إلى الأندلس في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ، وتنكب الجبل الذي حله طارق ، ودخل على الموضع المنسوب إليه المعروف الآن بجبل موسى ، فلما احتل الجزيرة الخضراء قال : ما كنت لأسلك طريق طارق ، ولا أقفو أثره ، فقال له العلوج الأدلاء أصحاب يُلَيان : نحن نسلك بك طريقاً هو أشرف من طريقه ، وندلك على مدائن هي أعظم خطراً وأعظم خطباً وأوسع غنماً^٢ من مدائنه ، لم تفتَحْ بعد ، يفتحها الله عليك إن شاء الله تعالى ، فملىء سروراً . وكان شغوف طارق قد غمته ، فساروا به في جانب ساحل شدونة ، فافتتحها عتوة ، وألقوا بأيديهم إليه ، ثم سار إلى مدينة قرمونة ، وليس بالأندلس أحصن منها ، ولا أبعد على من يرؤمها بحصار أو قتال ، فدخلها بجيلة توجهت بأصحاب يُلَيان ، دخلوا إليهم كأنهم فلأل وطرقهم موسى بخيله ليلاً ففتحوا لهم الباب ، وأوقعوا بالأحراس ، فملكيت المدينة . ومضى موسى إلى إشبيلية جارتها فحاصرها ، وهي أعظم مدائن الأندلس شأنًا ، وأعجبها بنيانًا ، وأكثرها آثاراً ، وكانت دار الملك^٣ قبل القوطيين ، فلما غلب القوطيون على ملك الأندلس حولوا السلطان إلى طليطلة ، وبقي رؤساء الدين فيها أعني إشبيلية ، فامتنعت أشهراً على موسى ، ثم فتحها الله عليه ، فهرب العلوج عنها إلى مدينة باجة ، فضم موسى يهودها إلى القصبة ، وختلف بها رجالاً ، ومضى من إشبيلية إلى

١ ك : نسلكك .

٢ بعض الأصول : هي أوسع خطراً وأعظم خطباً . . . الخ ؛ وقد سقطت « أعظم خطراً » من ق ط ؛ وفي ج : هي أعظم وأوسع غنماً .

٣ ق ك : الملكة .

لَقُتَتْ^١ إلى مدينة ماردة ، وكانت أيضاً دار مملكة لبعض ملوك الأندلس في سالف الدهر ، وهي ذات عزٍّ ومَنَعَةٍ ، وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جليلة القدر فائقة الوصف ، فحاصرها أيضاً ، وكان في أهلها مَنَعَةٌ شديدة وبأس عظيم ، فقالوا من المسلمين دفعات ، وآذوهم ، وعمل موسى دَبَابَةً دَبَّ المسلمون تحتها إلى برج من أبراج سورها جعلوا ينقبونها ، فلمَّا قلعوا الصخر أَفْضَوْا بعده إلى العمل المدعو بلسان العجم ألاشه ماشه^٢ ، فَنَبَتْ عنه مَعَاوِلُهم وعدتهم ، وثار بهم العدو على غفلة ، فاستشهد بأيديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة ، فسمي ذلك الموضع برج الشهداء ، ثم دعا القوم إلى السلم ، فترسل إليه في تقريره قوم من أمثالهم أعطاهم الأمان واحتال في توهيمهم في نفسه ، فدخلوا عليه أول يوم ، فإذا هو أبيض الرأس واللحية كما نَصَلَّ خضابه ، فلم يتفق لهم معه أمر ، وعاودوه قبل الفطر بيوم ، فإذا به قد قَتْنَا لحيته بالحِثَام فجاءت كضيرام عَرَفِج ، فعجبوا من ذلك ، وعاودوه يوم الفطر ، فإذا هو قد سَوَّدَ لحيته ، فازداد تعجبهم منه ، وكانوا لا يعرفون الخضاب ولا استعماله ، فقالوا لقومهم : إِنَّا نقاتل أنبياء يتخلقون كيف شاءوا ، ويتصورون في كل صورة أحبوا ، كان ملكهم شيخاً فقد صار شاباً ، والرأي أن نقاربه ولعطيه ما يسأله ، فما لنا به طاقة ، فأذعنوا عند ذلك ، وأكملوا صلحهم مع موسى على أن أموال القتل يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين^٣ ، ثم فتحوا له المدينة

١ في ك ط : ألقت والتصحيح عن دوزي ، وهي تقابل (Fuenta de Cantos) إذ لا يمكن أن تكون هي «لقت» في جنوب الشاطئ الغربي من الجزيرة وقرأها بعض الباحثين لاكانتوس ، وهي تعني «هين كانتوس» .

٢ ألاشه ماشه : (Argamasa) أي الإسنت ، كما أثبت ذلك في خواشي ط . ليدن ؛ وفي معجم بيدرو دالكالا إن . (Laxmāx = Argamasa) .

٣ في هذا النص اضطراب إذ يبدو أن شروط الصلح على هذا النحو لا يمكن أن يقبل بها أهل ماردة ؛ وقد جاء في أخبار مجموعة : ١٨ «فصالحوه على أن نجيع أموال القتل يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية للمسلمين ، وأموال الكنائس وحليها له» وإذا قرأت «ها» بدل «له» كان هذا النص أصوب ، فيما أرى .

يوم الفطر سنة أربع وتسعين فملكها . ثم إن عجم إشبيلية انتقضوا على المسلمين ، واجتمعوا من مدينتي باجة ولبلنة إليهم ، فأوقعوا بالمسلمين وقتلوا منهم نحو ثمانين رجلاً ، وأتى فتلهم الأمير موسى وهو بماردة فلما أن فتحها وجه ابنه عبد العزيز بن موسى في جيش إليهم ففتح إشبيلية وقتل أهلها ، ونهض إلى لبلنة ففتحها ، واستقامت الأمور فيما هنالك ، وعلا الإسلام ، وأقام عبد العزيز^١ بإشبيلية ، وتوجه الأمير موسى من ماردة في عقب شوال من العام المؤرخ يريد طليطلة ، وبلغ طارقاً خبره ، فاستقبله في وجوه الناس ، فلقبه في موضع من كورة طليطلة ؛ وقيل : إن موسى تقدم من ماردة فدخل جليقية من فج نُسب إليه ، فخرقها حتى وافى طارق بن زياد صاحب مقدمته بمدينة استرقة ، ففرض منه علانية ، وأظهر ما بنفسه عليه من حقد ، والله أعلم ؛ وقيل : لما وقعت عينه عليه نزل إليه إعظاماً له ، فقَتَّعه موسى بالسَّوط ، ووبَّخه على استبداده عليه ومخالفته لرايه . وساروا إلى طليطلة ، فطالبه موسى بأداء ما عنده من مال الفتيء وذخائر الملوك ، واستعجله بالمائدة ، فأثابها وقد خلع من أرجلها رجلاً وخبأه عنده ، فسأله موسى عنه ، فقال : لا علم لي به ، وهكذا أصبتها ، فأمر موسى فجعل لها رجل من ذهب جاء بعيد الشبه من أرجلها يظهر عليه التعمُّل ، ولم يقدر على أحسن منه ، فأخل بها .

وقال ابن الفرصي^٢ : موسى بن نصير صاحب فتح الأندلس لخمي يكنى أبا عبد الرحمن ، يروي عن تميم الداري ، وروى عنه يزيد بن مسروق اليحصبي . وقيل : غزا موسى بن نصير في المحرم سنة ثلاث وتسعين ، فأتى طنجة ، ثم عبر إلى الأندلس ، فأدّاخها ، لا يأتي على مدينة إلا فتحها ونزل أهلها على حكمه ، ثم سار إلى قرطبة ، ثم قفل عن الأندلس سنة أربع وتسعين ، فأتى إفريقية ، وسار عنها سنة خمس وتسعين إلى الشام يؤم الوليد بن عبد الملك يجرّ الدنيا بما

١ ق : عبد العزيز بن موسى .

٢ ابن الفرصي : ١٤٤ وفيه : « يقال : مول نعم » ، وهو عجيب .

احتمله من غنائم الأندلس من الأموال والأمتعة يحملها على العَجَل والظَّهْر ،
ومعه ثلاثون ألف رأسٍ من السبي ، فلم يلبث أن هلك الوليدُ بن عبد الملك^١
وولي سليمان ، فنكب موسى نكباً أداه إلى المتَّربَةِ ، فهلك في نكبته تلك بوادي
القُرَى سنة سبع وتسعين .

قال ابن حيَّان : وهذه المائدة المنوَّه باسمها المنسوبة إلى سليمان النبي عليه
الصلاة والسلام لم تكن له فيما يزعم رواة العجم ، وإنَّما أصلها أن العجم في أيَّام
ملكهم كان أهل الحسنة منهم إذا مات أحدُهم أوصى بمال للكنائس ، فإذا
اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الفضة من الموائد والكراسي وأشباهاها
من الذهب والفضة ، تحمل الشَّماسة والقُسُوس فوقها مصاحف الأناجيل
إذا أبرزت في أيَّام المناسك ، ويضعونها^٢ على المذابح في الأعياد للمباهاة بزيتها ،
فكانت تلك المائدة بطُلَيْطَلَة ممَّا صيغ^٣ في هذه السبيل ، وتأنقت الأملاك في
تفخيمها ، يزيد الآخر منهم فيها على الأوَّل ، حتَّى برزت على جميع ما اتخذ من
تلك الآلات ، وطار الذكر مطاره عنها ، وكانت مَصُوغَة من خالص الذهب ،
مُرَصَّعة بفاخر الدرِّ والياقوت والزمرد ، لم تر الأعين مثلاً ، وبولغ في تفخيمها
من أجل دار المملكة ، وأنَّه لا ينبغي أن تكون بموضع آلة جمال أو متاع مباهاةٍ
إلا دون ما يكون فيها ، وكانت توضع على مذبح كنيسة طُلَيْطَلَة ، فأصابها
المسلمون هناك ، وطار النبا الفخم عنها . وقد كان طارق ظن بموسى أميره مثل
الذي فعله من غيَّره على ما نهيَّأ له ومطالبته له بتسليم ما في يده إليه ، فاستظهر
بانتراع رجلٍ من أرَّجل هذه المائدة خبأه عنده ، فكان من فلتجه به على
موسى عدوّه عند الخليفة إذ تنازعا عنده بعد الأثر في جهادهما ما هو مشهور ،
انتهى .

١ ابن عبد الملك : سقطت من ق ج ط .

٢ ق ودوزي : ويسفونها .

٣ ط : صنع .

وقال بعض المؤرخين^١ : إن المائدة كانت مصنوعة من الذهب والفضة ، وكان عليها طَبُوقٌ لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد ، وكلها مكلّلة بالجواهر ، انتهى .

وما ذكره ابن حيّان من أن الذي نكّب موسى بن نُصَيْر هو سليمان بن عبد الملك صواب ، وأمّا ما حكاه ابن خلكان من أن المنكب^٢ له الوليد . فليس بصحيح ، والله أعلم .

رجع إلى كلام ابن حيّان — قالوا : ثمّ إن موسى اصطليح مع طارق ، وأظهر الرضى عنه ، وأقرّه على مقدمته على رسمه ، وأمره بالتقدّم أمامه في أصحابه ، وسار موسى خلفه في جيوشه ، فارتقى إلى الثغر الأعلى ، وافتتح سَرَقُسطة وأعمالها ، وأوغل في البلاد ، وطارق أمامه لا يمرّان بموضع إلّا فتح عليهما ، وغنمهما الله تعالى ما فيه . وقد ألقى الله الرعب في قلوب الكفرة فلم يعارضهما أحد إلّا بطلب الصلح^٣ ، وموسى يجيء على أثر طارق في ذلك كله ، ويكمل ابتداءه ، ويوثق للناس ما عاهدوه عليه ، فلما صفا القطر كلّهُ وطامن نفوس منّ أقام على سلمه ، ووطئاً لأقدام المسلمين في الحلول به ، أقام لتمييز ذلك وقتاً ، وأمضى المسلمين إلى إفرنجية ففتحوا وغنموا وسلموا وعلوا وأوغلوا ، حتى انتهوا إلى وادي رُودنة^٤ ، فكان أقصى أثر العرب ومنتهى موطنهم من أرض العجم . وقد دوّخت بعوث طارق وسراياه بلد إفرنجية فملكّت مدينتي بَرشِلُونة وأربونة

١ ابن خلكان ٤ : ٤١١ .

٢ جزء ٤٠ : ٤١٢ ، وليس هناك كلمة « المنكب » وإنما قال ابن خلكان : « ويقال إن الوليد كان قد نعم عليه أمراً فلما وصل ، وهو يشق ، أقامه في الشمس يوماً كاملاً في يوم صائف حتى خسر مفشياً عليه » وعندني أن المنكب تصحيف لكلمة « المبكت » .

٣ ط : صلح .

٤ في الأصول : ردونة ، وهي تقابل نهر الرون ، ويشك المؤرخون في أن يكون موسى قد تغلغل في هذه المناطق .

وصخرة أبنيون^١ وحصن لودون^٢ على وادي رُودنة ، فبعدوا عن الساحل الذي منه دخلوا جدّاً ، وذكر أن مسافة ما بين قَرْطُبة وأربونة من بلاد إفرنجة ثلاثمائة فرسخ وخمسة وثلاثون فرسخاً ، وقيل : ثلاثمائة فرسخ وخمسون فرسخاً ، ولما أوغل المسلمون إلى أربونة ارتاع لهم قارلُ^٣ ملكُ الإفرنجية بالأرض الكبيرة ، وانزعج لانيساطهم ، فحشد لهم ، وخرج عليهم في جمع عظيم ، فلمّا انتهى إلى حصن لودون وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت عن وجهه ، وأقبل حتى انتهى إلى صخرة أبنيون ، فلم يجد بها أحداً ، وقد عسكر المسلمون قُدّامه فيما بين الأجل المجاورة لمدينة أربونة ، وهم بحال غيرة لا عُيُون لهم ولا طلائع ، فما شعروا حتى أحاط بهم عدو الله قارله ، فاقتطعهم عن اللجأ إلى مدينة أربونة ، وواضعهم الحرب ، فقاتلوا قتالاً شديداً استشهد فيه جماعة منهم ، وحمل جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها ، ودخلوا المدينة ، ولاذوا بحصانتها ، فنازلهم بها أيتاماً أصيب له فيها رجال ، وتعدّر عليه المقام ، وخامرته ذعر وخوف مدد للمسلمين ، فزال عنهم راحلاً إلى بلده ، وقد نصب في وجوه المسلمين حصوناً على وادي رُودنة شكّتها بالرجال فصيرّها ثغراً بين بلده والمسلمين ، وذلك بالأرض الكبيرة خلف الأندلس .

وقال الحِجاري في المسهب : إن موسى بن نُصَيْر نصره الله نصرّاً ما عليه مزيد ، وأجفَلت ملوك النصارى بين يديه ، حتى خرج على باب الأندلس الذي في الجبل الحاجز بينها وبين الأرض الكبيرة ، فاجتمعت الإفرنج إلى ملكها الأعظم قارله ، وهذه سِمَة لملكهم ، فقالت له : ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب ؟ كئنا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس ، حتى أتوا من مغربها ، واستولوا على بلاد الأندلس وعظيم ما فيها من العُدّة والعدَد يجمعهم القليل ،

١ أبنيون : (Avinionum) ، إلى الشمال من آرل على نهر الرون .

٢ لودون : (Leon) .

٣ Carlus = Charles .

وقلة عدتهم ، وكونهم لا دروع لهم ، فقال لهم ما معناه : الرأي عندي أن لا تعترضوهم في خراجتهم هذه ، فإنهم كالسيل يحمل من يُصادره ، وهم في إقبال أمرهم ، ولهم نيات تغني عن كثرة العدد ، وقلوب تغني عن حصانة الدروع ، ولكن أهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ، ويتخذوا المساكن ، ويتنافسوا في الرياسة ، ويستعين بعضهم ببعض^١ ، فحينئذ يتمكنون منهم بأبسر أمر ، قال : فكان والله كذلك بالفتنة التي طرأت بين الشاميّين والبلديّين والبربر والعرب والمُضَرِّيَّة واليمانية ، وصار بعض المسلمين يستعين على بعض بمن يجاورهم من الأعداء ، انتهى .

وقيل : إن موسى بن نصير أخرج ابنه عبد الأعلى إلى تدمير ففتحها ، وإلى غرناطة ومالقة وكورة رية ففتح الكل ، وقيل : إنه لما حاصر مالقة - وكان ملكها ضعيف الرأي قليل التحفظ - كان يخرج إلى جنان له بجانب المدينة طلباً للراحة من غمة الحصار من غير نصيب عيّن وتقديم طليعة ، وعرف عبد الأعلى بأمره ، فأمكن له في جنّبات البلنة التي كان ينتابها قوماً من وجوه فرسانه ذوي رأي وحزم ، أُرصدوا له ليلاً فظفروا به وملكوه ، فأخذ المسلمون المدينة^٢ عتوة ، وملأوا أيديهم غنيمة .

وقيل : كانت نفس موسى بن نصير في ذلك كله تتزعج^٣ إلى دخول دار الكفر جليقية ، فبينما هو يعمل في ذلك ويعدّ له إذ أتاه مغيث الرومي رسول الوليد بن عبد الملك ومولاه بأمره بالخروج عن الأندلس^٤ والإضراب عن اللوغول فيها ، وبأخذه بالقفول إليه ، فسأه ذلك ، وقطع به عن إرادته ؛ إذ لم يكن في الأندلس بلد لم تدخله العرب إلى وقته ذلك غير جليقية ، فكان شديد الحرص

١ الصواب : على بعض .

٢ ك : البلد .

٣ ق : فازمج .

٤ عن الأندلس : سقطت من ق .

على اقتحامها ، فلاطف موسى مغيثاً رسولَ الخليفة ، وسأله إنظاره إلى أن يُنفذ عزمه في الدخول إليها والمسير معه في البلاد أياً ما ويكون شريكه في الأجر والغنيمة ، ففعل ، ومشى معه حتى بلغ المفازة ، فافتتح حصن بارو^١ وحصن لُك^٢ ، فأقام هناك ، وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بِلَاي^٣ على البحر الأخضر ، فلم تبق كنيسة إلا هُدمت ، ولا ناقوس إلا كُسر ، وأطاعت الأعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية ، وسكنت العرب المفاوز ، وكان العرب والبربر كلما مرّ قوم منهم بموضع استحسّوه حطّوا به ونزلوه قاطنين ، فأتسع نطاق الإسلام بأرض الأندلس ، وخُذِلَ الشرك ، وبينما موسى كذلك في اشتداد الظهور وقوّة الأمل إذ قدم عليه رسولٌ آخر من الخليفة يكنى أبا نصر أردف به الوليدُ مغيثاً لما استبطأ موسى في القفول ، وكتب إليه يوجّه ، ويأمره بالخروج ، وألزم رسوله إزعاجه ، فانقلع^٤ حيثنذ من مدينة لُك^٥ بجليقية ، وخرج على الفج المعروف بفج موسى^٥ ، ووافاه طارق في الطريق منصرفاً من الثغر الأعلى ، فأقفله مع نفسه ومتّصياً جميعاً ومعهما من الناس من اختار القفول ، وأقام من أثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها ، وقتل معهم الرسولان مغيث وأبو نصر حتى احتلّوا بإشبيلية ، فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على إمارة الأندلس ، وأقرّه بمدينة إشبيلية لاتصالها بالبحر نظراً لقربه من مكان^٦ المجاز ،

١ دوزي : بازو ؛ وقد اختار هذه القراءة لتقابل (Viscu) الواقعة إلى الجنوب الشرقي من أوبورتو . ويرى بعض المؤرخين أن وصول موسى إليها حيث كان ، في وقت قصير ، أمر عسير جداً ، ولذا قدروا أن تكون بارو في منطقة بلد الوليد أي البلدة المسماة (Villabaruz) ويكون الاسم « باروز » .

٢ لك : هي (Lucus Asturum) ، وتسمى اليوم : (Maria de Lugo) .

٣ صخرة بلاي : (Pena de Pelayo) وهي أقصى نقطة من أشتريس على المحيط الأطلسي (البحر الأخضر) .

٤ ق : فانخلع ، وسقطت « حيثنذ » بعدها .

٥ فج موسى : (Valmusa) (أي وادي موسى) .

٦ ك : مكاره .

وركب موسى البحر إلى المشرق بلدي حجة سنة خمس وتسعين وطارق معه ، وكان مقام طارق بالأندلس قبل دخول موسى سنة وبعد دخوله سنتين وأربعة أشهر ، وحمل موسى الغنائم والسبي ، وهو ثلاثون ألف رأس والمائة منوهاً بها ومعها من اللخائر والجواهر ونفيس الأمتعة ما لا يُقدَّر قدره ، وهو مع ذلك متلهف على الجهاد الذي فاتته ، أسيفاً على ما لحقه من الإزعاج ، وكان يؤمل أن يفتقر ما بقي عليه من بلد إفرنجية ، ويقتحم الأرض الكبيرة حتى يتصل بالناس إلى الشام مؤملاً أن يتخذ مخرجاً من تلك الأرض طريقاً مهيباً يسلكه أهل الأندلس في مسيرهم وبعثهم من المشرق وإليه على البر لا يركبون بحراً ، وقيل : إنه أوغل في أرض الفرنجة حتى انتهى إلى مفازة كبيرة وأرض سهلة ذات آثار ، فأصاب فيها صنماً عظيماً قائماً كالسارية مكتوباً فيه بالثغر كتابة عربية ^٢ قرئت ، فإذا هي : يا بني إسماعيل ، انتهيت فارجعوا ، فهاله ذلك ، وقال : ما كُتِبَ هذا إلا لمعنى كبير ، فشاوَر أصحابه في الإعراض عنه وجتَوَّاه إلى ما وراءه ، فاختلفوا عليه ، فأخذ برأي جمهورهم ، وانصرف بالناس ، وقد أشرفوا على قطع البلاد وتقصي الغاية .

وحكى الرازي : أن موسى خرج من إفريقية إلى الأندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين ، واستخلف على إفريقية أَسَنَ ولده عبد الله بن موسى ، وكان موسى في عشرة آلاف ، قال : وكان عبد الملك بن مروان هو الذي أغرى موسى المغرب في خلافته ، ففتَح له في أهله البرابرة فتوح كبار ، حتى لقد بعث إلى عبد الملك في الخمس بعشرين ألف سبيّة ، ثم أَرَدَهَا بعشرين ألفاً أخرى ، كل ذلك من البربر ، فعجب عبد الملك يومئذ من كثرة ذلك .

وزعم ابن حبيب ^٣ : أنه دخل الأندلس رجل واحد من أصاغر الصحابة ، وهو

١ ك : بلاد .

٢ كذا في جميع الأصول .

٣ سياتي الحديث عن التابعين الذين دخلوا الأندلس في أول الباب السادس .

المنيزر ، قال : ودخلها من التابعين ثلاثة : موسى الأمير ، وعلي بن رباح اللخمي ، وحيوة بن رجاء التميمي ، وقيل : إن ثالثهم إنما هو حنش بن عبد الله الصنعاني ، صنعاء الشام ، وإنهم قفلوا عنها بقول موسى ، وأهل سرقسطة يزعمون أن حنشاً مات عندهم ولم يقفل للمشرق ، وقبره لديهم مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه ، فالله أعلم .

وقيل : إن التابعين أربعة. بأبي عبد الرحمن الحُبليّ الأنصاري ، واسمه عبد الله بن يزيد ، والله أعلم ، وخمسهم بعضهم بحيان^١ بن أبي جبلة مولى بني عبد الدار وكان في ديوان مصر ، فبعث به عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية في جماعة من الفقهاء ليفقهوا أهلها ، وكان روى عن عمرو بن العاص وابن عباس وابن عمر ، وحدث عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وغيره ، وغزا مع موسى حين افتتح الأندلس ، وانتهى معه إلى حصن من حصون العدويقال له قرقشونة ، وقيل : بل قفل إلى إفريقية^٢ فتوفي بها بعد العشرين ومائة .

وقال بعضهم : إن بين قرقشونة هذه وبين برشيلونة مسافة خمسة وعشرين يوماً ، وفيها الكنيسة المعظمة عند الفرنج المسماة شنت مرية ، وقد حكى ابن حبان أن فيها سبع سوار من فضة خالصة لم يتر الراؤون مثلها لا يحيط الإنسان بدراعيه على واحدة منها مع طول مقيرط .

وحنش الصنعاني المذكور تابعي^٣ جليل ، كان مع علي رضي الله عنه بالكوفة ، وقدم مصر بعد قتله ، فصار عدادُه في المصريين ، وكان فيمن قام مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فعفا عنه ، وكفى الأندلس شرّاً دخوله لها . وعلي بن رباح بصري تابعي ، يكنى أبا عبد الله ، وهو لخمى ، وُلد عام البرمؤك سنة خمس عشرة ، قال ابن مَعِين : أهل مصر يقولونه بفتح العين ،

١ في جميع الأصول : بحيان (حيثما وقع) ؛ وأثبت ابن حجر (التبصير ١ : ٢٧٨) بالهاء الموحدة .

٢ وقيل . . . إفريقية : سقطت من ك .

٣ تابعي : سقطت من ق ، وهو سهو .

وأهل العراق يقولونه بضمها ، وروى الليث عن ابنه موسى بن عليّ ، وكانت
لعليّ بن رباح عند عبد العزيز بن مروان مكانة ، وهو الذي زفّ ابنته أم البنين
لزوجها الوليد ، ثمّ عتب عليه عبد العزيز فأغزاه لإفريقية .

وأما المنذر الصحابي فلم ينسبه ابن حبيب ، وذكره ابن عبد البر في الصحابة^١
وقال : إنّه المنذر الإفريقي ، وروى عنه أبو عبد الرحمن الحُبلي ، قال :
حدثنا المنذر الإفريقي^٢ ، وكان سكن إفريقية ، وكان صحب رسول الله صلى
الله عليه وسلّم ، أنّه سمعه صلى الله عليه وسلّم يقول : « من قال : رضيت
بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلّم نبياً ، فأنا الزعيم
له ، فلا تخدّن بيده ، فلا تدخلته الجنة » ورواه عنه ابن عبد البر بسنده إليه ،
وسألتني إن شاء الله تعالى في حق المنذر مزيد بيان^٣ .

ولما قتل موسى بن نصير إلى المشرق وأصحابه سأل مغيباً أن يسلم إليه
العلاج صاحب قُرطبة الذي كان في إيساره ، فامتنع عليه ، وقال : لا يؤديه
للخليفة سواي ، وكان يُدِلُّ بولائه من الوليد ، فهجم عليه موسى فانترعه منه ،
فقليل له : إن سرت به حياً معك ادعاه مغيب ، والعلاج لا ينكر قوله ، ولكن
اضرب عنقه ، ففعل ، فاضطغنها عليه مغيب ، وصار إلثباً مع طارق الساعي
عليه ، واستخلف موسى على طنجة وما يليها من المغرب ابنه الآخر عبد
الملك ، وقد كان - كما مرّ - استخلف بإفريقية أكبر أولاده عبد الله ، فصار
جميع الأندلس والمغرب بيد أولاده ، وابنه عبد الله الذي خلفه بإفريقية هو
القابع بلزيرة ميسورة . وسار موسى فورد الشام ، واختلف الناس : هل كان
وروده قبل موت الوليد أو بعده ؟ فمن يقول بالثاني قال : قدم على سليمان
حين استخلف ، وكان منحرفاً عنه ، فسبق إليه طارق ومغيب بالشكية

١ انظر الاستيعاب : ١٤٨٥ .

٢ وروى . . . الإفريقي : سقطت سهواً من ق .

٣ يعني في أول الباب السادس .

منه ، ورَمَيَاهُ بالخيانة ، وأخبراه بما صنع بهما من خير المائدة والعليج صاحب قرطبة ، وقال له : إنه قد غلَّ جوهرًا عظيم القدر أصابه لم تحوِّ الملوك من بعدِ فتح فارس مثله ، فلمَّا وافى سليمان وجده ضغيئاً عليه ، فأغْلَظَ له ، واستقبله بالتأنيب والتوبيخ ، فاعتذر له ببعض العذر ، وسأله عن المائدة ، فأحْضَرَهَا ، فقال له : زعم طارق أنَّه الذي أصابها دونك ، قال : لا ، وما رآها قطُّ إلا عندي ، فقال طارق : فليسأله أمير المؤمنين عن الرجل التي تنقصها ، فسأله ، فقال : هكذا أصبْتُها ، وعرضتها رجلاً صنعَها لها ، فحول طارق يده إلى قِبَائِهِ فأخرج الرجل ، فعلم سليمان صدقه وكذب موسى ، فحقَّقَ جميع ما رمي به عنده ، وعزله عن جميع أعماله ، وأقصاه وحبسه ، وأمر بتقصي حسابه ، فأغرَمه غرمًا عظيمًا كشفه فيه ، حتَّى اضطره إلى أن سأل العربَ معرُونَتَهُ ، فيقال : إنَّ لحمًا حملت عنه في أعطيتها تسعين ألفاً ذهباً ، وقيل : حملة سليمان غرم مائتي ألف ، فأدَّى مائة ألف ، وعجز ، فاستجار بيزيد بن المهلب أثير سليمان ، فاستوهبه من سليمان ، فوهبه إِيَّاه ، إلا أنَّه عزل ابنه عبد الله عن إفريقية .

وقال الرازي : إن الذي أزعج موسى عن الأندلس أبو نصر رسول الوليد فقبض على عنانه وثناه قافلاً ، وقفل معه من أحبَّ المشرق ، وكان أكثر الناس قَطَنُوا ببلاد الأندلس لطبيها ، فأقاموا فيها .

* * *

[نهاية موسى وابنه عبد العزيز]

وذهب جماعة من أهل التاريخ إلى أن موسى إنَّما قدم على الوليد ، وأن سليمان وليَّ العهد لما سمع بقرب موسى بن نُصَيْرٍ من دِمَشْقَ - وكان الوليد مريضاً - كتب - أي سليمان - إلى موسى يأمره بالتربص ، رجاء أن يموت الوليد قبل قدوم موسى فيقدم موسى على سليمان في أول خلافته بتلك الغنائم

الكثيرة التي ما رثي ولا سُمِعَ مثلها ، فيعظم بذلك مقام سليمان عند الناس ، فأبى موسى من ذلك ، ومنعه دينه منه ، وجدَّ في السير^١ حتى قدم والوليد^٢ حي^٣ ، فسَلَّم له الأخماس والمغانم والتحف والذخائر ، فلم يمكث الوليد إلا يسيراً بعد قدوم موسى ، وتوفي ، واستخلف سليمان ، فحقَّد عليه وأهانته ، وأمر بإقامته في الشمس حتى كاد يهلك ، وأغرَمه أموالاً عظيمة ، ودسَّ إلى أهل الأندلس بقتل ابنه الذي استخلفه على الأندلس ، وهو عبد العزيز بن موسى ، وكان تولى الأندلس بعد قُتُول أبيه عنها باستخلافه إياه كما سبق ، فضبط سلطانها ، وضمَّ نَشْرَهَا ، وسدَّ ثغورها ، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة ممَّا كان قد بقي على أبيه موسى منها ، وكان من خير الولاة ، إلا أن مدته لم تطل لوثوب الجند به وقتلهم إياه عقب سنة خمس وتسعين في خلافة سليمان المُوَظَّع بأبيه موسى لأشياء نَقَمُوا عليها^٤ : منها^٥ زعموا تزوُّجَه لزوجته للدَّريق المكنانة أم عاصم وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح ، وباءت بالجزية ، وأقامت على دينها في ظل نعمتها إلى أن نكحها الأمير عبد العزيز ، فحظيت عنده . ويقال : إنَّه سكن بها في كنيسة بإشيلية ، وإنَّها قالت له : لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد للدَّريق — زوجها الأول — أهل مملكته ؟ فقال لها : إن هذا حرام في ديننا ، فلم تقنع منه بذلك ، وفهم لكثرة شغفه بها أن عدم ذلك ممَّا يُزري بقلده عندها ، فاتَّخذ باباً صغيراً قبالة مجلسه يدخل عليه الناس منه ، فينحنون ، وأفهمها أن ذلك الفعل منهم تحية له ، فرضيت بذلك ، فنُسي الخبر إلى الجند ، مع ما انضم إلى ذلك من دسيسة سليمان لهم في قتله ، فقتلوه ، ساعه الله تعالى .

وذكر بعض المؤرخين أنهم وجدوا في الحجر بعد ما تقدّم من الكتابة التي

١ ط : وأجد السير ؛ ج : وجد السير ؛ دوزي : وأخذ السير .

٢ انظر أخبار مجموعة : ٢٠ وابن القوطية : ٣٧ وتاريخ ابن عبد الحكم : ٢٨٥ .

٣ منها : سقطت من ك .

هي « ارجعوا يا بني إسماعيل إلخ » ما معناه : وإن سألتكم لم ترجعوا فاعلموا أنكم ترجعون ليضرب بعضكم رقاب بعض ، انتهى .

قال ابن حبان : وليحيى بن حكيم الشاعر المعروف بالغزال في فتح الأندلس ، أرجوزة حسنة مطولة ذكر فيها السبب في غزوها نظماً^١ ، وتفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها ، وعداد الأمراء عليها وأسماءهم ، فأجاد وتقصى ، وهي بأيدي الناس موجودة ، انتهى .

وقد عرفت بما سبق تفصيل ما أجمله ابن خلدون^٢ ، والروايات في فتح الأندلس مختلفة ، وقد ذكرنا نحن بحسب ما اقتضاه الوقت ما فيه كفاية ، وأشرنا إلى بعض الاختلاف في ذلك ، ولو بسطنا العبارة في الفتح لكان وخده في مجلد أو أكثر .

* * *

[عبد الرحمن الداخل]

وعلم مما ألمعنا به من كلام ابن خلدون السابق ذكر الولاة للأندلس من لدن الفتح ، وهم من قبل بني مروان بالشرق المنفردين بإمامة المسلمين أجمعين قبل تفرقهم ، إلى أن انقضت دولتهم العظيمة التي هي ألف شهر ، فافتتح الأندلس عن بني العباس الدائنين على بني مروان الناسخين لهم قل الروائيين عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، واقتعدوا دار مملكة مستقلة لنفسه ولأعقابيه ، وجمع بها شمل بني أمية ومواليهم ، وأورثها بنيه حقبته من الدهر ، بعد أن قاسى في ذلك خطوباً ، واجتمع عليه ثم على ذريته من بعده أهل الأندلس أجمعون رضى بهم دون بني العباس ، بعد أن حاول بنو العباس ملكها بأن ولّوا بعض رؤساء العرب ، وأمروهم بالقيام على عبد الرحمن والدعاء للعباسيين القاطعين جرثومة دولة بني مروان ، فلم يتيسر ذلك ، وظفر

١ ق : فظم فيها ذكر السبب في غزوها .

٢ انظر ص : ٢٣٢ - ٢٣٨ من هذا الكتاب .

عبد الرحمن بمن نصب له الحرب في ذلك ، وقتل منهم آلافاً ، وذلك في مدة المنصور كما سيأتي إن شاء الله تعالى عند ذكر عبد الرحمن الداخل في موضع آخر ، وسنذكر قريباً ولاية الأندلس من حين الفتح إلى إمارة الداخل ، وإن سبق في كلام ابن خلدون .

* * *

[مزيد بيان في نهاية موسى وشيء من شخصيته]

وقال بعضهم : كانت ولادة موسى بن نُصَيْر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة تسع عشرة من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأجل السلام ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، انتهى .

وقال الحجاري في « المسهب » : يحكى أن موسى بن نُصَيْر ألقى بنفسه على يزيد بن المهلب لمكانه من أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، وطلب منه أن يكلمه في أن يخفف عنه ، فقال له يزيد : أريد أن أسألك فأصغر لي ، قال : سل عما بدا لك ، فقال له : لم أزل أسمع عنك أنك من أعقل الناس ، وأعرفهم بمكايد الحروب ومُدَاراة الدنيا ، فقل لي : كيف حصلت في يد هذا الرجل بعدما ملكت الأندلس ، وألقيت بينك وبين هؤلاء القوم البحر الزخار ، وثقنت بُعْدَ المرام واستصعابه ، واستخلصت بلاداً أنت افترعتها^١ ، واستملكك رجالاً لا يعرفون غير خيرك وشرّك ، وحصل في يدك من اللخائر والأموال والمعاقل والرجال ما لو أظهرت به الامتناع ما ألقىت عنقك في يد من لا يرحمك ، ثم إنك علمت أن سليمان وليّ عهد ، وأنه المولى بعد أخيه ، وقد أشرف أخوه على الهلاك لا محالة ، وبعد ذلك خالفته ، وألقيت بيدك إلى التهلكة ، وأحققت مالكك ومملوكك — قال : يعني سليمان وطارقاً — وما رضى هذا الرجل عنك إلاّ بعيد ، ولكن لا ألزجهداً ، فقال موسى : يا ابن الكرام ، ليس هذا وقت

١ ك : اخترعتها .

تعديد ، أما سمعت « إذا جاء الحيتن ، غطى العين »^١ فقال : ما قصدت بما قلت لك تعديداً ولا تبكيتاً ، وإنما قصدت تلقيح العقل ، وتنبيه الرأي ، وأن^٢ أرى ما عندك ؛ فقال موسى : أما رأيت المدهد يرى الماء تحت الأرض عن بُعد ، ويقع في الفخ وهو يبرأى عينه ؟ ثم كلم فيه سليمان ، فكان من جوابه « إنّه قد اشتمل رأسه بما تمكن له من الظهور ، وانقياد الجمهور ، والتحكم في الأموال والأبشار ، على ما لا يحويه إلا السيف ، ولكن قد وهبت لك دمه ، وأنا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يردّ ما غلّ من مال الله » . قال : وآلت حاله إلى أن كان يُطاف به ليسأل من أحياء العرب ما يفتك به نفسه ، وفي تلك الحال مات ، وهو من أفقر الناس وأذلهم ، بوادي القُرى ، سائلاً من كان نازلاً به .

وقال أحد غلمانه ممّن وفي له في حال الفقر والحمول : لقد رأيتنا نطوف مع الأمير موسى بن نصير على أحياء العرب ، فواحد يخبينا^٣ ، وآخر يحتجب عنا ، ولربما دفع إلينا على جهة الرحمة الدرهم والدرهمين ، فيفرح بذلك الأمير ليدفعه إلى الموكلين به ، فيخفون عنه من العذاب ، ولقد رأيتنا أيام الفتوح العظام بالأندلس نأخذ السلوك^٤ من قصور النصارى ، فنفصل منها ما يكون من الذهب وغير ذلك ونرمي به ، ولا نأخذ إلا الدرّ الفاخر ، فسبحان الذي بيده العزّ والذل والغنى والفقر .

قال : وكان له مولى قد وفى له وصبر عليه إلى أن ضاق ذرعُه بامتداد الحال ، فعزم على أن يُسلمه وهو بوادي القُرى في أسوأ حال ، وشعرَ بذلك موسى ، فخضع للمولى المذكور ، وقال له : يا فلان ، أتسلمني في هذه الحالة ؟

١ ك : غطى على .

٢ ط : وأنا .

٣ ق ط : يخبينا .

٤ ك : السلوب .

فقال له المولى ، من شدة ما كان فيه من الضجر : قد أسلمك خالقك ومالكك الذي هو أرحم الراحمين ، فدمعت عيناه ، وجعل يرفعهما إلى السماء خاضعاً مهيناً بشفتيه ، فما سمرت تلك الليلة إلا عن قبض روحه ، رحمة الله عليه ، فقد كان له من الأثر ما يوجب أن يترحم عليه ، وإن فعل سليمان به وبولده وكونه طرح رأس ابنه عبد العزيز الذي تركه نائباً عنه^١ بالأندلس وقد جيء به من أقصى المغرب بين يديه من وصماته التي تُعدّ عليه طول الدهر ، لا جرم أن الله تعالى لم يمتعه بعده بملكه وشبابه .

وذكر ابن حيّان^٢ أن موسى كان عريباً فصيحاً . وقد سبق من مراجعة يزيد بن المهلب ما يدل على بلاغته ، ويكفي منها ما ذكره ابن حيّان أنه كتب إلى الوليد بن عبد الملك فيما هاله من فتوح الأندلس وغنائمها «إنها ليست الفتوح ، ولكنها الحشر»^٣.

وقال الحجاري : إن منازعة جرت بينه وبين عبد الله بن يزيد بن أسيد بمحضّر عبد الملك بن مروان أبلغته إلى أن قال شعراً منه :

جارت غير ستّوم في مطاولة لو نازع الحفل لم ينزع إلى حصّير

وتقدم ما ذكره غير واحد كابن حيّان أن موسى مولى عبد العزيز بن مروان ، وكذا ذكر الحجاري أنه^٤ تجهز مع أم البنين بنت عبد العزيز حين ابتنى بها الوليد ابن عبد الملك ، فكانت تُنمّي مكانته عند الوليد إلى أن بلغ ما بلغ . وأشهر من كان في صحبة موسى بن نصير من مواليه طارق المشهور بالفتوح العظيمة ، وطريف ، وقد جرى ذكرهما في كتابنا هذا بما اقتضاه الاختصار .

١ ق : حته نائباً .

٢ ق : وقال غيره ؛ ط ج : وقيل .

٣ انظر تاريخ ابن عبد الحكم : ٢٨١ .

٤ أنه : سقطت من ك .

وقال ابن سعيد ، بعد ذكره الخلاف في ^١ موسى هل هو نخعي صريح أو بالولاء ، أو بربري ، أو مولى لعبد العزيز بن مروان ، ما صورته : وأكان في عقيبه نباهة في السلطنة ، وليّ ابنه عبد العزيز سلطنة الأندلس ، وعبد الملك سلطنة المغرب الأقصى ، وعبد الله سلطنة إفريقية ، وذكر الحجاري ^٢ أن أصله من وادي القرى بالحجاز ، وأنه خدم بني مروان بدمشق ، وتنبه شأنه ، فصرّفوه في ممالكهم إلى أن وليّ إفريقية وما وراءها من المغرب في زمن الوليد بن عبد الملك ، فدوّخ أفاصي المغرب ، ودخل الأندلس من جبل موسى المنسوب إليه المجاور لسبتة ، ودوّخ بلاد الأندلس ، ثمّ أوفده الوليد إلى الشام ، فوافق مرضه ثمّ موته وخلافة أخيه سليمان ، فعذبه واستصفى أمواله ، وآل أمره إلى أن وجّهه إلى قومه بوادي القرى لعلهم يعطفون عليه ويؤدون عنه ، فمات بها ، وقد نصّ ابن بشكّوآل على أنّه مات بوادي القرى .

أمّا معارفه السلطانية فيكفيه ولاية ما خلتف مصر إلى البحر المحيط بين بربري البربر والأندلس .

وأما الأدبية فقد جاءت عنه بلاغة في النثر والنظم تُدخّله — مع نزارتها — في أصحاب در الكلام . وذكر ابن بشكّوآل أنّه من التابعين الذين روى الحديث ، وأن روايته عن تميم الداري ، وذكره في كتب الأئمة من المصنفين أنبّه وأوعب من أن يختص بذكره واحد منهم ، وهو غرة التواريخ الأندلسية ، وذكره إلى الآن جديد في ألسن الخاصة والعامة من أهلها .

ومن مُسْتَهَب الحجاري : كان قد جمع — رحمه الله — من خلال الخير ما أعانه الله سبحانه به على ما بنى له من المجد المشيّد ، والذكر الشهير المخلّد ، الذي لا يُبْلِيه الليل والنهار ، ولا يُعَفّي جديده بلى الأعصار ، إلا أنّه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيسٌ يسلم منه ، وهو الحقد والحسد ، والمنافسة لا تخلو .

١ ك : في أن .

٢ ق : قال بعضهم ؛ ط ج : وقيل .

من ذلك ، وأنشد بعض الرؤساء :

وليس رئيسُ القومِ مَن يُحمِلُ الحَقدا

فقلبه الرئيس وقال « من يترك الحقددا » ثم قال : إن السيد إذا ترك إضمار الخير والشر والمجازاة عليهما اجترأ عليه ، ونُسب للضعف والغفلة ، وهل رأيت صفقةً أخسر من غفلة^١ رئيس أحقده غيره فنسي ذلك أو تناساه ، وعدوه لا يغفل عنه ، وحاسده لا ينفعه عنده إلا الراحة منه ، وهو في واد آخر عنه ، والله درُّ القائل :

وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعُلَا مُضِيرٌ، كَوَضِعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

ولكن الأصوب أن يكون الرأي ميزاناً : لا يزن الوافي لناقص ، ولا يزن الناقص لواف ، ويدبر أمره على ما يقتضيه الزمان ، ويقدر فيه حسن العاقبة .
ونص ابن بشكّوال على أن موسى بن نصير مات بوادي القرى سنة سبع وتسعين ، وأغزى^٢ الأندلس سنة إحدى وتسعين ، ودخلها سنة ثلاث وتسعين ، وقتل عنها إلى الوليد بن عبد الملك بالغنائم سنة أربع وتسعين ، وذكر أن ولابته على الأندلس بالمباشرة - مذ دخلها إلى حين خروجه منها - سنة واحدة ، ومكث فيها مولاه طارق سنة ، انتهى . وقد تقدم شيء من ذلك^٣ .

* * *

[عود إلى ذكر التابعين في الأندلس]

وذكر ابن بشكّوال أيضاً أن ابن حبيب قال عن ربيعة : غلّ الناس كلهم يوم فتح الأندلس ، إلا أربعة نفر فقط كانوا من التابعين : حنش الصنعاني ،

١ ق : صفقة .

٢ ك : وغزا .

٣ وقد . . . ذلك : سقطت من ق .

وأبو عبد الرحمن الحُبليّ ، وابن شِماسة ، وعياض بن عقبة ، انتهى .
قال ابن سعيد : وممن دخل الأندلس من غير هؤلاء الأربعة من التابعين
علي بن رباح اللخمي ، وموسى بن نُصَيْر فاتح الأندلس ، وحِيتان بن أبي
جبلَة القرشي مولاهم ، وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي صاحب الأندلس المذكور
في سلاطينها ، ومحمد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، وزيد بن قاصد السكسكي ،
والمغيرة بن أبي بردة الكِناني ، وعبد الله بن المغيرة الكِناني ، وحيّوة بن رجاء
التميمي ، وعبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عتوف ، ومنصور بن
خزيمة ، وعلي بن عثمان بن خطاب .

وذكر ابن حبيب أن عدة من دخل الأندلس من التابعين سوى من لا يعرف
نحو عشرين رجلاً . وفي كتاب ابن بَشْكُوَال أنه دخل الأندلس من التابعين
ثمانية وعشرون رجلاً ، وهم أسسُوا قبلة المسجد الجامع بقرطُبة ، وسمى
الحجاري في المُسَهَب هؤلاء المتقدمين .

وذكر ابن سعيد أنه لم يتحقّق المواضع التي تختص بهؤلاء التابعين من بلاد
الأندلس ، مع جزمه بأنهم دخلوا الأندلس وكانوا^١ بها ، وسيأتي ذكر التابعين
الداخلين الأندلس بما هو أشمل من هذا ، وقد تقدّم غُلُولُ من عدا التابعين من
الغنائم .

* * *

[مغانم الأندلس]

وقال الليث بن سعد ، بعد ذكره أن طارقاً أصاب بالأندلس مغانم كثيرة
من الذهب والفضة^٢ : إن كانت الطَّنْفِيسَةُ لتُوجد منسوجة بقضبان الذهب ،
وتُنظَّم السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وكان البربر ربما وجدوها
فلا يستطيعون حملها حتى يأتوا بالفأس فيضربوا به وسطها فيأخذ أحدهم نصفها

١ ك : وسكنوا .

٢ النص في تاريخ ابن عبد الحكم : ٢٨١ .

والآخر النصف الآخر لنفسه ، ويسير معهم جماعة والناسُ مشتغلون بغير ذلك .
وعن يحيى بن سعيد : لما افتتحت الأندلس أصاب الناسُ فيها غنائم ،
فغلبوا منها غلولاً كثيراً حملوه في المراكب وركبوا البحر ، فسمعوا منادياً يقول :
اللهم غرق بهم ، وتقلدوا المصاحف ، فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصف ،
وضربت المراكب بعضها بعضاً حتى تكسرت ، وغرق بهم ، وأهل مصر ينكرون
ذلك ، ويقولون : أهل الأندلس ليس هم الذين غرقوا ، وإنما هم أهل سردانية ،
فإن الله أعلم بحقيقة الحال .

ورأيت في بعض كتب التاريخ^١ أنه وُجد في طُلَيْطَلَة حين فتحت من
الدخائر والأموال ما لا يحصى ، فمن ذلك مائة وسبعون تاجاً من الذهب الأحمر
مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة ، ووجد فيها ألف سيف ملوكي ، ووجد
فيها من الدر والياقوت أكيال ، ومن أواني الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف ،
ومائدة سليمان ، وكانت — فيما يُذكر — من زمردة خضراء ، وزعم بعض
العجم أنها لم تكن لسليمان ، وإنما أصلها أن العجم أيام ملكهم كان أهلُ الحسنة
في دينهم إذا مات أحد منهم أوصى بمال للكنائس ، فإذا اجتمع عندهم مال
له قدّر صاغوا منه الآلة من الموائد العجيبة ، والكراسي من الذهب والفضة ،
تحمل الشمامسة والقُسُوس فوقها الأناجيل في أيام المناسك ، ويضعونها في الأعياد
للمباهاة ، فكانت تلك المائدة بطُلَيْطَلَة مما صُنِع في هذا السبيل ، وتأنق الملوك
في تحسينها ، يزيد الآخر منهم فيها على الأول ، حتى برزت على جميع ما اتُّخذ
من تلك الآلات ، وطار الذكر بها كلَّ مَطَّار ، وكانت مَصْبُوغَة من الذهب
الخالص مُرَصَّعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد ، وقيل : إنها من زبرجدة
خضراء حافاتها وأرجلها منها ، وكان لها ثلاثمائة وخمسة وستون رجلاً ، وكانت
توضع في كنيسة طُلَيْطَلَة ، فأصابها طارق ، انتهى .

١ تقدم ما هو شبهه بذلك ، انظر ص : ٢٧٢ من هذا الكتاب ؛ وفي ك : ورأيت لبعض أهل التاريخ .

وقد ذكرنا فيما مرّ عن ابن حيّان ما فيه نظير هذا ، وذكرنا فيما مضى من أمر المائدة وغيرها ما فيه بعض تخالف ، وما ذلك إلّا لأنّا ننقل كلام المؤرخين ، وإن خالف بعضهم بعضاً ، ومرادنا تكثير الفائدة ، وبالحملة فالمائدة جليلة المقدار ، وإن حصل الخلاف في صفتها وجنسها وعدد أرجلها ، وهي من أجلّ ما غنّم بالأندلس ، على كثرة ما حصل فيها من الغنائم المتنوّعة الأجناس التي ذكرها إلى الآن شائع بين الناس .

* * *

[استيطان العرب في الأندلس]

واعلم أنّه لما استقرّ قدم أهل الإسلام بالأندلس وتنامّ فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب همهم إلى الحلول بها ، فتزل بها من جرائيم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم إلى أن كان من أمرهم ما كان . فأما العدنانيون فمنهم خنيدف ومنهم قريش ، وأما بنو هاشم من قريش فقال ابن غالب في فرحة الأنفس : بالأندلس منهم جماعة كلّهم من ولد إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، ومن هؤلاء بنو حمّود ملوك الأندلس بعد انتشار سلك بني أمية^١ ، وأما بنو أمية فمنهم خلفاء الأندلس ، قال ابن سعيد : ويُعرفون هنالك إلى الآن بالقرشيين ، وإنّما عمّوا نسبتهم إلى أميّة في الآخر لما انحرف الناس عنهم ، وذكروا أفعالهم في الحسين رضي الله عنه ، وأما بنو زُهرة فهم^٢ بإشبيلية أعيان متميزون ، وأما المخزوميون فمنهم أبو بكر المخزومي الأعمى الشاعر المشهور من أهل حصن المدور ، ومنهم الوزير الفاضل في النظم والنثر أبو بكر بن زيدون ووالده الذي هو أعظم منه أبو الوليد بن زيدون وزير معتضد بني عبّاد . وقال ابن غالب : وفي الأندلس من يُنسب إلى جُمّح ، وإلى بني عبد الدار ، وكثير من قريش المعروفون بالفهريين من بني مُحارب

.....

١ انظر جمهرة ابن حزم : ٥٠ - ٥١ في أنساب الحموديين .

٢ في بعض الأصول : فمنهم .

ابن فيهر ، وهم من قريش الظواهر ، ومنهم عبد الملك بن قطن سلطان الأندلس ، ومن ولده بنو القاسم الأمراء الفضلاء ، وبنو الجند الأعيان العلماء . ومن بني الحارث بن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهري سلطان الأندلس الذي غلبه عليها عبد الرحمن الأموي الداخل ، وجد يوسف عقبة بن نافع الفهري صاحب الفتوح بإفريقية ، قال ابن حزم : ولهم بالأندلس عتد وثروة . وأما المنتسبون إلى عموم كنانة فكثير وجلهم في طليطلة وأعمالها ، ولهم ينسب الوقشيون الكنانيون الأعيان الفضلاء الذين منهم القاضي أبو الوليد والوزير أبو جعفر ، ومنهم أبو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة ، وقد ذكرناه في محله . وأما هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر فذكر ابن غالب أن منزلهم بجهة أريثولة من كورة تدمير . وأما تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر فذكر ابن غالب أيضاً أنهم خلق كثير بالأندلس ، ومنهم أبو الطاهر صاحب المقامات الزومية . وأما ضبة بن أد بن طابخة فذكر أنهم قليلون بالأندلس ، فهؤلاء نخندف من العدنانية .

وأما قيس عيلان بن إلياس بن مضر من العدنانية ففي الأندلس كثير منهم ينتسبون إلى العموم ، ومنهم من ينتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ، كعبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه صاحب الإمام مالك رضي الله عنه ، وكالقاضي أبي حنيفة بن عمر قاضي قرطبة . ومن قيس من ينتسب إلى هوازن بن منصور بن عكرمة ، قال ابن غالب : وهم بإشبيلية خلق كثير ، ومنهم من ينتسب إلى بكر بن هوازن ، قال ابن غالب : ولهم منزل بجوف بلنسية على ثلاثة أميال منها ، وإشبيلية وغيرها منهم خلق كثير ، ومنهم بنو حزم ، وهم بيت غير البيت الذي منه أبو محمد بن حزم الحافظ الظاهري ، وهو فارسي الأصل . ومنهم من ينتسب إلى سعد بن بكر بن هوازن ، وذكر ابن غالب أن منهم بغرناطة كثيراً ، كبني جودي ، وقد رأس بعض بني جودي . ومنهم من ينتسب إلى سلول امرأة نسيب إليها بنوها ، وأبوهم مرة بن صعصعة

ابن معاوية بن بكر بن هوازن . ومنهم من ينتسب إلى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . ومنهم من ينتسب إلى نُمَيْر بن عامر ابن صعصعة ، قال ابن غالب : وهم بغرناطة كثير . ومنهم من ينتسب إلى قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ومنهم بلج بن بشر صاحب الأندلس وآله ، وبنو رَشِيق . ومنهم من ينتسب إلى فزارة بن ذُبْيَان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان بن سعد بن قيس عيلان . ومنهم من ينتسب إلى أَشْجَع بن رَيْث بن غَطَفَان ، ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الأشجعي سلطان الأندلس . وفي ثقيف اختلاف ، فمنهم من قال : إنها قيسية ، وإن ثقيفاً هو قَسِيٌّ بن منبه بن بكر بن هوازن ، ومنهم بالأندلس جماعة ، وإليهم ينتسب الحرُّ بن عبد الرحمن الثقفي صاحب الأندلس ، وقيل : إنها من بقايا ثمود ؛ انتهى قيس عيلان وجميع مضر .

وأما ربيعة بن نزار فمنهم من ينتسب إلى أسد بن ربيعة بن نزار ، قال في فرحة الأنفس : إن إقليم هؤلاء مشهور باسمهم بجَوْفِيَّ مدينة وادي آش ، انتهى ؛ والأشهر بالنسبة إلى أسد أبداً بنو أسد بن خُرَيْمَة بن مدركة بن إلياس ابن مضر . ومنهم من ينتسب إلى مُحَارِب بن عمرو بن وديعة بن لُكَيْزٍ بن أَفْصَى بن دُعْمِي بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة ، قال ابن غالب في فرحة الأنفس : ومنهم بنو عطية أعيان غرناطة . ومنهم من ينتسب إلى التَّمِير بن قاسط بن هِنَب بن أَفْصَى بن دُعْمِي بن جَدِيلَة بن أسد ، كني عبد البر الذين منهم الحافظ أبو عُمَر بن عبد البر . ومنهم من ينتسب إلى تَغْلِب بن وائل بن قاسط بن هِنَب ، كني حمدين أعيان قرطبة ، ومنهم من ينتسب إلى بكر ابن وائل ، كالبكرين أصحاب أوثبة وشَلَطِيش الذين منهم أبو عُبَيْد البَكْرِي صاحب التصانيف ؛ انتهت ربيعة .

١ في الأصول : بكير .

وأما إِيَاد بن فِزَار ، وقد يقال : لأنه ابن معد ، والصحيح الأول ، فينسب إليهم بنو زُهر المشهورون بإشبيلية وغيرهم^١ ، انتهت العدنانية ، وهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام .

واختلف في القحطانية : هل هم من ولد إسماعيل أو من ولد هود ، على ما هو معروف ، وظاهر صنيع البخاري الأول ، والأكثر على خلافه ، والقحطانية هم المعروفون باليمانية ، وكثيراً ما يقع بينهم وبين المُضَرَّة وسائر العدنانية الحروب بالأندلس ، كما كان يقع بالشرق ، وهم الأكثر بالأندلس ، والملك فيهم أرسخ ، إلا ما كان من خلفاء بني أمية ، فإن القرشية قد متمهم على الفرقتين ، واسم الخلافة لهم بالشرق ، وكان عرب الأندلس يتميزون بالقبائل والعماير والبطون والأفخاذ ، إلى أن قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الأندلس ، وقصد بذلك تشتيتهم وقطع التحامهم وتعصبتهم في الاعتزاء ، وقدم القواد على الأجناد ، فيكون في جند القائد الواحد فريق من كل قبيل ، فالتحسنت مادة الفن والاعتزاء بالأندلس ، إلا ما جاءت على غير هذه الجهة .

قال ابن حزم : جماع أنساب اليمن من جِذَمين : كهَـلَان وحِمْيَر [ابني سبأ] بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان بن عَابِر بن شَالِح بن أَرْفَخْشَد ابن سام بن نوح ، وقيل : قحطان بنُ الْهَمَيْسَعِ بن تَيْهَانَ بن نَبْت بن إسماعيل ، وقيل قحطان بنُ هود بن عبد الله بن رِبَاح بن حَارِف بن عاد بن عَوْص^٢ بن لَرم بن سام ، والخلف في ذلك مشهور . فمنهم كهَـلَان بن سبأ بن يَشْجُب ابن يَعْرُب بن قحطان ، ومنهم الأَزْدُ بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهَـلَان ، وإليهم ينسب محمد بن هانئ الشاعر المشهور الإلبيري ، وهو من بني المهلب ، ومن الأَزْد من ينسب إلى غَسَّان ، وهم بنو مازن بن الأَزْد ، وغَسَّان : ماء شَرِبُوا منه ، وذكر ابن غالب أن منهم بني القُلْبَيْعي من أعيان

١ قال ابن حزم (الجهرة : ٣٢٧) إن دار إياد بالأندلس هي قرمونة ولبلة .

٢ في الأصول : عوص .

غَرْناطة ، وكثير منهم بصالحية قرية على طريق مالقة ؛ ومن الأزد من ينتسب إلى الأنصار على العموم ، وهم الجح الغفير بالأندلس .
قال ابن سعيد : والعجب أنك تعدّ هذا النسب بالمدينة وتجد منه بالأندلس في أكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثرة ، ولقد أخبرني من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد إلاّ شيخاً من الخزرج وعجوزاً من الأوس .
قال ابن غالب : وكان جزء الأنصار بناحية طليطلة ، وهم أكثر القبائل بالأندلس في شرقها ومغربها ، انتهى .

ومن الخزرج بالأندلس أبو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المشهور بالموشحات ، وإلى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الأحمر سلاطين غَرْناطة الذين كان لسان الدين بن الخطيب أحد وزراءهم ، وعليهم انقرض ملك الأندلس من المسلمين ، واستولى العدو على الجزيرة جميعاً كما يُذكر^١ .
ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى الأوس أخي الخزرج ، ومنهم من ينتسب إلى غافق بن عكّ بن عدنان بن هزان بن الأزد ، وقد يقال : عك بن عدنان - بالنون - فيكون أخا معد بن عدنان ، وليس بصحيح ؛ قال ابن غالب : من غافق أبو عبد الله بن أبي الخيصال الكاتب ، وأكثر جهات شقورة ينتسبون إلى غافق^٢ . ومن كهلان من ينتسب إلى همدان ، وهو أوسيلة بن مالك بن زيد بن

.....

١ من الأنصار الذين ذكر ابن حزم مواطنهم : بنو ربيع بن محمد بن ربيع من الأوس كانوا بقرطبة يتولون الأهرار (٣٣٣) وبنو عثيم بن سفيان برية (٣٤٧) وبقرطبة ، وكانوا يحملون الألوية خلفاء بني مروان (٣٤٨) ، وكان من ولد عبادة بن الصامت قوم يسكنون بالمدينة عندنا بباب المطارين بقرطبة يعرفون ببني هارون (٣٥٤) ومن ولد مالك الأغر بنو خبيب وبنو قطين البيازون الساكنون بقرية اختيافة من قبرة (٣٦٣) ومن ولد النعمان بن بشير قوم بقرية شوش الأنصار من إشبيلية (٣٦٤ - ٣٦٥) ولعميد بن سعد عقب بالأندلس بقرية يقال لها قريلان من عمل سرقطة (٣٦٥) .

٢ قال ابن حزم : ودارهم (أي غافق) بالأندلس معروفة باسمهم في الجوف في شمال قرطبة ؛ منهم =

أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان^١ ، ومترل همدان مشهور على ستة أميال من غَرْناطة ، ومنهم أصحاب غَرْناطة بنو أضْحى^٢ . ومن كهلان من ينتسب إلى مَدْحِج ، ومَدْحِج : اسمُ أكمة حمراء باليمن ، وقيل : اسم أم مالك وطية ابني أدد بن زيد بن كهلان ، قال ابن غالب : بنو سِرَاج الأعيان من أهل قُرْطُبة ينتسبون إلى مَدْحِج . ومترل طية بقبلي مُرْسِيَّة . ومنهم من ينتسب إلى مُراد بن مالك بن أدد ، وحصنُ مراد بين إشبيلية وقُرْطُبة مشهور ، قال ابن غالب : وأعرف بمراد منهم خلقاً كثيراً . ومنهم من ينتسب إلى عَنَس بن مالك بن أدد ، ومنهم بنو سعيد مصنفو كتاب « المغرب » وقلعة بني سعيد مشهورة في مملكة غَرْناطة . ومن مَدْحِج من ينتسب إلى زُبَيْد ، قال ابن غالب : وهو مُنَبِّه بن سعد العَشِيرَة بن مالك بن أدد . ومن كهلان من ينتسب إلى مُرَّة بن أدد بن زيد بن كهلان ، قال ابن غالب : منهم بنو المنتصر العلماء من أهل غَرْناطة . ومنهم من ينتسب إلى عامِلَة ، وهي امرأة من قُضاعة ولدت للحارث ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد ، فنُسب ولدها منه إليها ، قال ابن غالب : منهم بنو سِمَاك القُضاعة من أهل غَرْناطة ، وقوم زعموا أن عاملة هو ابن سبأ ابن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان ، وقيل : هم من قُضاعة . ومن كَهْلان خَوَلان بن عمرو بن الحارث بن مُرَّة ، وقلعة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء وإشبيلية ، ومنهم بنو عبد السلام أعيان غَرْناطة . ومنهم من ينتسب إلى المَعَاقر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مُرَّة ، ومنهم المنصور بن أبي عامر صاحب الأندلس . ومنهم من ينتسب إلى لَحْم بن عدي بن الحارث بن مُرَّة ، منهم

١ - بنو أسلم . . . ومنهم كان أمير الأندلس عبد الرحمن [الفافقي] . . . وله عقب قد حمل بمرئانة

الفافقيين ، بقرب إشبيلية على النهر الأكبر (٣٢٩) .

٢ ثبت في طبعة ليدن تصويهاً : وهو أوسلة بن ربيعة بن الخيار . . . الخ . وما ثبت هنا أقرب إلى

نص حجة المبتلي (ص ١٢٣) .

٢ قال ابن حزم : ودار همدان بالأندلس البيرة (٣٩٧) وهناك قرية همدان إلى الجنوب من غَرْناطة ،

(الإحاطة ١ : ١١٨) .

بنو عبّاد أصحاب إشبيلية وغيرها ، وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة ، ومنهم بنو الباجي أعيان إشبيلية ، وبنو وافد الأعيان . ومنهم من ينتسب إلى جندام مثل ثَوَابَة بن سلامة صاحب الأندلس ، وبنو هُودٍ ملوك شرقيّ الأندلس ، ومنهم المتوكل بن هُودٍ الذي صحت له سلطنة الأندلس بعد الموحدّين ، ومنهم بنو مرْدَنيش أصحاب شرقيّ الأندلس ، قال ابن غالب : وكان لجندام جزء من قلعة ربّاح ، واسم جندام عامر ، واسم لحم مالك ، وهما ابنا عدي . ومن كهلان مَنْ ينتسب إلى كِنْدَة ، وهو ثَوْر بن عَفِير بن عدي [بن الحارث] ابن مرة بن أدد ، ومنهم يوسف بن هرون الرمادي الشاعر . ومنهم من ينتسب إلى تُجِيب وهي امرأة أَشْرَسَ بن السَّكُون بن أَشْرَس بن كندة . ومن كهلان من ينتسب إلى خَثْعَم بن أنمار بن اراش بن عمرو بن الغوث بن تبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، ومنهم عثمان بن أبي نِسْعَة سلطانُ الأندلس ، وقد قيل : أنمار بن نزار بن معدّ بن عدنان ؛ انتهت كهلان .

وأما حمير بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان فمنهم من ينتسب إلى ذي رُعَيْن ، قال ابن غالب : وذو رُعَيْن هم ولد عمرو بن حِمَيْر في بعض الأقوال ، وقيل : هو من ولد سهّل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُثَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع بن حمير ، قال : ومنهم أبو عبد الله الحنّاط الأعمى الشاعر ^١ ، قال الحازمي ^٢ في كتاب النسب ^٣ واسم ذي رُعَيْن يَرِيم ^٤ بن زيد بن سهل ، ووصل

١ سنعرف به في موضعه ؛ قال ابن حزم (٤٣٤) : ودار رعين بالأندلس الفحص المنسوب إليهم برية .

٢ هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي الهمداني (- ٥٨٤) راجع ترجمته في ابن خلكان : ٣ : ٤٢١ وطيقات السبكي : ٤ : ١١٩ وهو صاحب كتاب « عجالة المبتدي

ومصالة المنتهي » في النسب ؛ حققه الأستاذ عبد الله كنون (القاهرة : ١٩٦٥) .

٣ انظر عجالة المبتدي : ٦٦ .

٤ يريم : كذا هو في دوزي والمجالة ، وفي المخطوطات : عريم .

النسب ، ومنهم من ينتسب إلى ذي أصْبَح ، قال ابن حزم^١ : هو ذو أصبح ابن مالك بن زيد من ولد سبأ الأصغر بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ، ووصل النسب ، وذكر الحازمي^٢ أن ذا أصبح من كَهْلان ، وأخبر أن منهم مالك بن أنس الإمام ، والمشهور أنهم من حِمِير ، والأصْبَحِيون من أعيان قُرْطُبَة ، ومنهم من ينتسب إلى يَحْصُب ، قال ابن حزم : إنه أخو ذي أصبح وهم كثير بقلعة بني سعيد ، وقد تُعرف من أجلهم في التواريخ الأندلسية بقلعة يَحْصُب ، ومنهم من ينتسب إلى هَوَزَن^٣ بن عَوْف بن عبد شمس بن وائل بن الغوث ، قال ابن غالب : ومثلهم بشرف إشبيلية^٤ ، والهوزنيون من أعيان إشبيلية . ومنهم من ينتسب إلى قُضَاعَة بن مالك بن حِمِير ، وقد قيل : إنه قضاعة بن معد بن عدنان ، وليس بمرضي ، ومن قُضَاعَة من ينتسب إلى مَهْرَة كالوزير أبي بكر ابن عمار الذي وُكِّب على ملك مُرْسِيَة ، وهو مَهْرَة بن حَيْدَان^٥ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ومنهم من ينتسب إلى خُشَيْن بن نمر بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، ومنهم من ينتسب إلى تَنْوُخ ، قال ابن غالب : وهو ابن مالك بن فهم بن نمر بن وبرة بن تغلب ، قال الحازمي^٦ : تَنْوُخ هو مالك بن فهم بن تَيْم الله بن أسد بن وبرة . ومنهم من ينتسب إلى بَلْكي بن عمرو ابن الحاف بن قُضَاعَة ، ومنهم البَلْكَوَيُّون بإشبيلية^٧ . ومنهم من ينتسب إلى جُهَيْنَة بن سود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَة ، قال ابن غالب :

١ انظر الجمهرة : ٤٣٥ .

٢ حباله المبتدي : ١٧ .

٣ ط ودوزي : هوازن ، وهو خطأ .

٤ قال ابن حزم (٤٢٤) : ودار بني هوزن بالأندلس القريتان المذكورتان بهما بإشبيلية .

٥ ط : حيدان .

٦ حباله المبتدي : ٢٢ .

٧ حدد ابن حزم (٤٤٢) منازل بني بقوله : ودار بني بالأندلس الموضع المعروف باسمهم بشمال قرطبة ، وهم هناك إلى اليوم على أنسابهم ، لا يحسنون الكلام بالطينية لكن بالمرية فقط نساؤهم ورجالهم . . . وكانت لهم دار أخرى بكورة مورور أيضاً .

وبقرطبة منهم جماعة . ومنهم من يتنسب إلى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان كني أبي عبدة الذين منهم بنو جهنور ملوك قرطبة ووزراؤها . ومنهم من يتنسب إلى عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن سود بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، ومنهم أعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة^١ .

ومن أهل الأندلس من يتنسب إلى حضرموت ، منهم الحضرميون بمرومية وعرناطة وإشبيلية وبطليوس وقرطبة ؛ قال ابن غالب : وهم كثير بالأندلس ، وفيه خلاف ، قيل : إن حضرموت هو ابن فحطان ، وقيل : هو حضرموت بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جندب - بالبحيم - بن قطن بن العريب بن الغرر^٢ بن نبت بن أيمن بن الهميسع ابن حمير ، كذا نسق النسب الحازمي^٣ .

ومن أهل الأندلس من يتنسب إلى سلامان ، ومنهم الوزير لسان الدين بن الخطيب حسبما ذكر في محله .

* * *

[ثبت بأسماء الأمراء]

وقد رأيت أن أسرد هنا أسماء ملوك الأندلس من لدن الفتح إلى آخر ملوك بني أمية ، وإن تقدم ويأتي ذكر جملة منهم بما هو أتم مما هنا ؛ فنقول : طارق بن زياد مولى موسى بن نصير .

ثم الأمير موسى بن نصير ، وكلاهما لم يتخذ سريراً للسلطنة .

ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وسريه إشبيلية .

ثم أيوب بن حبيب اللخمي ، وسريه قرطبة ، وكل من يأتي بعده فسريه

.....

١ قال ابن حزم (٤٥٠) ودار بني عذرة بالأندلس : دلالة ، وبجيان منهم ، وبالفكر منهم بنو فوارث ، ولم تعد بمرقطة .

٢ مجلة المجتبي : الفز .

٣ انظر مجلة المجتبي : ٤٩ .

قرطبة أو الزهراء والزهرة بجانبها إلى أن انقضت دولة بني مروان على ما ينه عليه .

- ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفي .
- ثم السّمح بن مالك الخولاني .
- ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي .
- ثم عَنبَسَةُ بن سَحِيم الكلبي .
- ثم عُدْرَةُ^١ بن عبد الله الفِهْرِي .
- ثم يحيى بن سلمة الكلبي .
- ثم عثمان بن أبي نِسْعَةَ الخثعمي .
- ثم حذيفة بن الأحوص القيسي .
- ثم الهيثم بن عدي^٢ الكلابي .
- ثم محمد بن عبد الله الأشجعي .
- ثم عبد الملك بن قَطَن الفِهْرِي .
- ثم بلج بن بشر بن عياض القُشَيْرِي .
- ثم ثعلبة بن سلامة العاملي .
- ثم أبو الخطار [حُسام] بن ضرار الكلبي .
- ثم ثوابة بن سلامة الجُدَامِي .
- ثم يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِي .

وههنا انتهى الولاية الذين ملكوا الأندلس من غير مُوارثة ، أفراداً ، عددهم عشرون فيما ذكر ابن سعيد ، ولم يتعدوا في السّمة لفظ الأمير .

قال ابن حيّان : مدتهم منذ تاريخ الفتح من^٣ لُدَرْيَق سلطان الأندلس النصراني — وهو يوم الأحد لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين — إلى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِي ، وتغلب عبد الرحمن بن معاوية

٢ في الأصول : عبيد .

١ دوزي : عزرة .

٣ ق ط ج : في .

المرواني على سرير الملك قرطبة - وهو يوم الأضحى لعشر خلون من ذي الحجة
سنة ثمان وثلاثين ومائة - ست وأربعون سنة وخمسة أيام ، انتهى .

* * *

[حكام بني أمية]

ثم كانت دولة بني أمية :
أولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك .
ثم ابنه هشام الرضى .
ثم ابنه الحكم بن هشام .
ثم ابنه عبد الرحمن الأوسط .
ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن .
ثم ابنه المنذر بن محمد .
ثم أخوه عبد الله بن محمد .
ثم ابن ابنه عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله .
ثم ابنه الحكم المستنصر ، وكسبهما الزهراء .
ثم هشام بن الحكم ، وفي أيامه بنى حاجبه المنصور بن أبي عامر الزاهرة .
ثم المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر ، وهو أول خلفاء الفتنة ،
وهُدمت في أيامه الزهراء والزاهرة ، وعاد السرير إلى قرطبة .
ثم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر .

* * *

[المعتمدون]

ثم تخللت دولة بني حمّود العلويين :
وأولهم الناصر علي بن حمّود العكوي الحسني الإدريسي .

١ ط : ثم المزيد .

ثمّ أخوه المأمون القاسم بن حمود .
ثمّ المعتلي يحيى بن الناصر علي بن حمود .

* * *

[بقية بني أمية]

ثمّ كانت دولة بني أمية الثانية :
وأولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر .
ثمّ المستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر .
ثمّ المعتد^١ هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ، وهو آخر خلفاء الجماعة
بالأندلس ، وحين خلع أسقط ملوك الأندلس الدعوة للخلافة المروانية .

* * *

[ملوك الطوائف ومن بعدهم]

واستبدت ملوك الطوائف كابن جهور في قرطبة ، وابن عباد بإشبيلية ،
وغيرهما ، ولم يعد نظام الأندلس إلى شخص واحد ، إلى أن ملكها يوسف بن
تاشفين الملقب من برّ العُدوة ، وقتل في ملوك الطوائف ، وبعد ذلك ما خلصت
له ولا لولده علي بن يوسف ، لأن بني هود نازعوه في شرقها بالثغر ، إلى أن
جاءت دولة عبد المؤمن وبنيه ، فما صفت لعبد المؤمن بمحمد بن مرّدنيش الذي
كان ينازعه في شرق الأندلس ، ثمّ صفت ليوسف بن عبد المؤمن بموت ابن
مرّدنيش . ثمّ لمن بعده من بنيه ، وحضرته مراكش ، وكانت ولايتهم تتردّد
على الأندلس وممالكها ، ولم يولوا على جميعها شخصاً واحداً لعظم ممالكها ،
إلى أن انقرضت منها دولتهم بالمتوكل محمد بن هود من بني هود ملوك سرقسطة
وجهاتها . فملك معظم الأندلس بحيث يُطلق عليه اسم السلطان ، ولم ينازعه فيها
إلاّ زيان بن مرّدنيش في بِلَنَسِيّة من شرق الأندلس ، وابن هلالة في طبرة^٢

١ ط : المعتد .

٢ ط : طبرزة .

من غرب الأندلس ، ثم كثرت عليه الخوارج قريباً موته ، ولما قتله وزيره ابن الرُّمَيْمي بالمريّة زاد الأمر إلى أن ملك بنو الأحمر . وكان أهل غرب الأندلس في المائة السابعة يخطبون لصاحب إفريقية السلطان أبي زكرياء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص ، ثم تقلّصت تلك الظلال ، ودخل الجزيرة الانحلال ، إلى أن استولى عليها حزب الضلال ، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وقد ذكرت في هذا الكتاب جملة من أخبار ملوك الأندلس ممّا يصلح للمذاكرة ، وربما سرت طرف القلم في بعضهم .

وبنو جهنور المشار إليهم قريباً كانوا وُزَرَاءَ الأمويين ، ثمّ إنّه لما انتشر سلك الخلافة استبدّ بقُرْطُبة الوزير أبو الحزم بن جهنور من غير أن يتعدى اسم الوزارة .

* * *

[جهنور بن محمد بن جهنور]

قال في «المطمح»^١: الوزيرُ الأجلُ جَهَنورُ بن محمد بن جهنور، [وبنو جهنور] أهل بيت وزارة ، اشتهروا كاشتهار ابن هُبَيْرَة في فَرَازَة ، وأبو الحزم أمجدهم في المكرمات ، وأنجدهم في الملمات ، ركب مُتُونُ الفتن فَرَاضَهَا ، ووقع في بحور المحن فخاضها ، منبسط غير منكش ، لا طائشُ اللسان ولا رَعش ، وقد كان وُزَرَ في الدولة العامرية فشرُفت بجلاله ، واعترفت باستقلاله ، فلما انقرضت وعاقَتِ الفتنُ واعترضت ، تحيز عن التدبير مُدَّتْهَا ، وغلّى لخلافه أعباء الخلافة وشدتها ، وجعل يُقبل مع أولئك الوزراء ويُدبّر ، وينهل^٢ الأمر معهم ويُدبّر ، غير مظهر للانفراد^٣ ، ولا متصرف^٤ في ميدان ذلك الطراد ، إلى أن بلغت الفتنة مداها ، وسوَّغت ما شاءت رَدَاها ، وذهب مَنْ كان يَحْدُ^٥ في

٢ ك : ويدبر .

١ انظر المطمح : ١٤ .

٢ ط : إلى انفراد

٤ المطمح : ولا مقصر .

٥ ط ج : يحد .

الرياسة ويخبث^١ ، ويسعى في الفتنة ويدب^٢ ، ولما ارتفع الوبال ، وأدبر ذلك الإقبال ، راسل^٣ أهل التقوى مستمدآ بهم ، ومعتمداً على بعضهم ، تحيلاً^٤ منه وتمويها ، وتداهياً على أهل الخلافة وذويها ، وعرض عليهم تقديم المعتد^٥ هشام ، وأومض منه لأهل قُرطبة برق خلب^٦ يشام ، بعد سرعة التياها ، وتعجيل انتكاشها ، فأناجوا إلى الإجابة ، وأجابوا إلى استرعائه الوزارة والحجابة^٧ ، وتوجهوا مع ذلك الإمام ، وألّوا بقرطبة أحسن للمام ، فدخلوها بعد فن كثيرة ، واضطرابات مستثيرة ، والبلد مقفر ، والجلد مسفر ، فلم يبق غير يسير حتى جبد^٨ واضطرب أمره فخلع ، واختطف من الملك وانتزع ، وانقضت^٩ الدولة الأموية ، وارتفعت الدولة العلوية ، واستولى على قُرطبة عند ذلك أبو الحزم ، ودبرها^{١٠} بالجد والعزم ، وضبطها ضبطاً آمناً خائفها ، ورفع طارق تلك الفتنة وطائفها ، وخلا له الجوّ قطار ، واقتضى^{١١} اللبانات والأوطار ، فعادت له قُرطبة إلى أكمل حالتها ، وانجلي به نور جلالتها ، ولم تزل به مشرقة ، وغصون^{١٢} الآمال فيها مؤرقة ، إلى أن توفي سنة ٤٣٥ هـ فانتقل الأمر إلى ابنه أبي الوليد ، واشتمل منه على طارف وتليد ، وكان لأبي الحزم أدب ووقار وحلم سارت بها الأمثال ، وعدم فيها الميثال ، وقد أثبت من شعره ما هو لائق ، وفي سماء الحسن رائق ، وذلك قوله في تفضيل الورد^{١٣} :

.....

١ في المطمح : تحببلا .

٢ المطمح . خلافة .

٣ دوزي . فأناجوا إلى دعائه ، وأجابوا إلى استرعائه .

٤ ك : جيد ؛ ط : جيد ؛ ج : جهد .

٥ ك : وانقرضت .

٦ ك : ودبر أمرها .

٧ ك : وقضى .

٨ تابع المقرئ هنا خطأ الفتح في المطمح ، وقد نبه ابن الأبار في الحلة (١ : ٢٥٠) على هذا الخطأ ، قال : أنشد أبو نصر الفتح بن عبيد الله الإشبيلي في كتاب « مطمح الأنفس ومسرح التأنس في محاسن أهل المغرب والأندلس » من تأليفه أكثر هذه الأبيات والتي قبلها ، ونسبها لأبي الحزم =

الوردُ أحسنُ ما رأت عيني وأذ كي ما سقى ماء السحاب الجائدُ
خضعتُ نواويرُ الرياض لحسنه فتذلت تنقاد وهي شوارِدُ
وإذا تبدى الوردُ^١ في أغصانه يزهُو فداميتٌ وهذا حاسِدُ
وإذا أتى وقدُ الربيعُ مبشراً بطلوع وفدته فنعم الوافِدُ
ليس المبشّرُ كالمبشّرِ باسمه خبرٌ عليه من النبوة شاهدُ
وإذا تعرّى الوردُ من أوراقه بقيت عوارِفُه فهنَّ خوالِدُ

انتهى المقصود منه .

وكأنه عارض بهذه الأبيات في تفضيل الورد قول ابن الرومي في تفضيل
الرجس عليه من قصيدة :

للرجس الفضلُ المبين وإن أبى آبٍ وحاد عن الحقيقة حائِدُ

وهي مشهورة .

ورد على ابن الرومي بعضهم بقوله :

يا من يُشَبَّهُ نَرَجِساً بنواظر دُعجٍ تَنبَّهُ إنَّ فهِمَكَ فاسِدُ

الخ وهي أيضاً مشهورة .

* * *

[انقراض حال الأندلس]

رجع إلى ما كنّا فيه — وكانت لأهل الأندلس بين زمان الفتح وما بعده وقائع
في الكفّار شَقَّت الصدور من أمراضها ، ووفت النفوس بأغراضها ، واستولت
على ما كان ملّة الكفر من جواهرها وأعراضها ، ثم وقع الاختلاف ، بعد ذلك

— جهور بن محمد بن جهور رئيس قرطبة المتأخر غلطاً منه ووهماً لا خفاء به وإنما هي بلدة جهور
ابن عبيد الله [بن أبي عبدة الوزير] . قلت : انظر ترجمة جهور أبي الحزم في الحلة ٢ : ٣٠ .
١. في الأصول : النصن .

الائتلاف ، فعَصَفَتْ رِيحُ العدوِّ والحروبِ سِجَالاً ، وأَعْنَى العِلاجُ حُكْماءَ الرجالِ ، فصارَ أهلُ الأندلسِ يتذكرونَ موسى بنَ نُصَيْرٍ وطارقاً^١ ، وَمَنْ بعدهما من ملوكِ الأندلسِ الذين رَاعَتِ العدوُّ الكافرَ منهم طوارق .

• • •

[رسائل أبي المطرف بن عميرة]

وما أحسن ما أعرب الإمام الكاتبُ القاضي أبو المطرف بن عميرة^٢ ، عمّا يشمل هذا المعنى وغيره في كتابٍ بَعَثَ به إلى الشيخ أبي جعفر بن أمية ، حين حلَّ الرُزءُ ببِلَنسِيَّةِ ، وهو^٣ :

ألا أيّها القلبُ المصْرُحُ بالوَجْدِ	أما لكَ مِنْ بادي الصَّبابةِ من بُدٍّ
وهل من سُلُوٍّ يرتجى لِمَتِّمْ	له لَوْعةُ الصّادي وروعةُ ذي الصّدِّ
يحنُّ إلى نَجْدٍ ، وهيهات حَرَمَتْ	صروفُ اللَّيالي أن يعودَ إلى نَجْدِ
فيا جَبَلِ الرِّيانِ لا رِيَّ بَعْدَ ما	عَدَتْ غَيْرُ الأَيامِ عن ذلك الوَرْدِ
ويا أهلَ وُدِّي والحوادثُ تَقْتَضِي	خُلُويَ عن أهلِ يُضْبَافِ إلى الوَدِّ
ألا متعة يوماً بعاريةِ المُنَى	فلنّا نراها كلَّ حينٍ إلى الرَدِّ
أمينٌ بعدَ رُزءٍ في بِلَنسِيَّةِ ثوى	بأحنائنا ؛ كالنَّارِ مُضْمِرَةِ الوَقْدِ
يُرْجِي أناسٌ جُنَّةً من مصائبِ	تطاعنُ فيهم بالثَّقَفَةِ المُلْدِ

١ كذا للجمع ، وحقه أن يكون «وطارقاً» .

٢ أبو المطرف بن عميرة : أحمد بن عبد الله المخزومي ، سترجم له المقري ، وانظر ترجمته أيضاً في الجزء الأول من الدليل والتكملة لابن عبد الملك ، ولسان الميزان وتحفة القادم : ١٤٥ والوافي ٧ الورقة : ٦٤ والفهريني : ١٧٨ والإعلام بمن حل مراکش ١ : ٣٥٤ ، وللأستاذ محمد بن شريفة رسالة جامعة في حياته وآثاره (الرباط : ١٩٦٥) . ورسائله في مجلدين ، وبعض رسائله في صبح الأعشى ورحلة التجاني ورحلة العياشي وشرح المقصورة والروض المطار والدليل والتكملة ج ٥ «ترجمة الرعيي» .

٣ المقتطفات (الورقة : ٨٠) وورد بعضها في الروض المطار : ٥٠ - ٥١ .

٤ ط : بأحنائنا ؛ ج : بأحيائنا .

ألا ليت شعري هل لها من مطالع معادٌ إلى ما كان فيها من السعدِ
وهلْ أذنبَ الأبناء ذنبَ أبيهم فصاروا إلى الإخراج من جنة الخلدِ

مرحباً بالسَّحابة ، وما أعارت أفقي من الإضاءة ، وَرَدَتْ تسحرُ النُّهى ،
وتسحب ذيلاً على السُّها ، وتهزُّ من المسرة أعطافاً ، وتردُّ من نجوم المجرة نطافاً ،
عامت من الظلمة في مَوْجها ، ثم غلبت الشهبَ على أَوْجها ، فقلبُ العُرب يجب ،
وسُهيل بداره يحتجب ، والطرف غَضِيض ، وجَنَاح الطائر مهَيِّض ، وصاحب
الأخبية يقرض ، والدابح عن ذبيحته يُعْرِض^١ ، ورامح السماكين تحوُّنه السلاح ،
وواقعُ النَّسْرَيْن يودُّ^٢ أن يُخَفِّيه الصباح ، بلاغة. تفنُّنُ كلِّ لبيب ، وترعى
روض كلِّ أديب ، وتغضُّ على رَغَم العدوِّ من حبيب ، إن من البيان لسحراً ،
ويا أيتها الجواد وَجَدْنَاكَ بَحْرًا ، أدْرَيْتَ ، أي بَرِّي بريت ، وبأي قمر
اهتديت ، ليلة سريت ، افتتحت بأبياتك الحسان ، ونظمتها نظم الجُمان ،
فعوذتُ سَتَّهَا^٣ بالسَّبع ، وعرفتُ منها بَرَّاعة ذلك الطبع ، ثم نثرت ،
على القُرطاس [من] شذورَ المنثور ، بل من جواهر النحور ، ما استوقف النظَّار ،
وبهَرَجَ اللُّجَيْن والنُّضار ، ورأيتك استمددتِ ولك الباع الأمد ، وأعرت
محاسنك والعارية تُرَدَّ ، وجئت بالرائية^٤ تروق أربعُها ، وتخرسُ بها قعقة
الأشعار وَجَعَجَعَتْهَا ، فأدت من حسنها ما يسر ، واجتمع لمن روى القطعتين
ما نظم فيها وهو الدر . وأجريت^٥ خبر الحادثة التي مَحَقَّتْ بدر التمام ،
وذهبت بنضارة الأيام ، فيا من حضر يوم البطشة ، وعُزِّي في أنسه بعد تلك

١ يريد سعد الأخبية وسعد الدابح .

٢ ك : يود لو أنه .

٣ ق ط ك : سنها ؛ ج : سيتها ، والتصويب عن دوزي ؛ وستها : سته أبياتها ، والسبع :
السبع المثاني .

٤ هذه الكلمة مضطربة في الأصول ما عدا ط ؛ والرائية : القصيدة الرائية ، وفي ك : اللألاء .
وفي ق : الراية ، وفي ج : بدلالة .

٥ من هنا ورد في الروض المطار حتى قوله : « لقد طال الأمل عليهم والأسف » .

الوحشة ، أحقاً أنه دُكَّتِ الأرض ، ونزف المعين والبرص ، وصَوَّحَ روض
المنى ، وصَرَخَ الخطب وما كنى ؟ أبين لي كيف فقدت رَجَاحَةَ الأحلام ،
وعقدت مَنَاحَةَ الإسلام ، وجاء اليوم العَسير ، وأوقدت نار الحزن فلا تزال تستعر ؟
حلم ما نرى ؟ بل ما رأى ذا حالم ، طوفان يقال عنده لا عاصم ، مَنْ يُنْصِفُنَا من
الزَمان الظالم ؟ الله بما يلقى الفؤاد عالم ، بالله أيّ نحو تنحو ، ومَسْطُور تُخَيِّبُ
ونمحو ، وقد حذف الأصلي والزائد ، وذهبت الصَّلَة والعائد ، وباب التعجب
طال ، وحالُ البائس لا تخشى الانتقال ، وذهبت علامة الرفع ، وفُقدت سلامة
الجمع ، والمعتلّ أعدى الصحيح ، والمثلثُ أَرْدَى الفصيح ، وامتنعت العجمةُ
من الصَّرف ، وأمنت زيلدتها من الحذف ، ومالت قواعدُ الملة ، وصرنا إلى
جمع القلّة ، وللشرك صيال وتَخَمُّط ، ولقرنه في شَرِّكَه نَجْط ، وقد عاد
الدين إلى غُرْبته^١ ، وشَرِّق الإسلام بكربته ، كأن لم يسمع بنصر ابن نُصَيْر ،
وطَرَّق طارق بكل خير ، ونهَشات حنش^٢ وكيف أعيّت الرُقَى ، وأدالت بلبل
السليم يوم الملتقى ، ولم تخبر عن المروانية وصوائفها ، وفي مَعَاْفَرٍ وتعفيره
للأوثان وطوائفها ، لله ذلك السلف ، لقد طال الأمل عليهم والأسف ، وبقي
الحكَم العدل ، والربُّ الذي قوله الفصل ، وبيده الفضل ، ربنا أمرت فقصينا ،
ونهيّت فما انتهينا ، وما كان ذلك جزاء إحسانك إلينا ، أنت العليم بما أعلنّا وما
أخفينّا ، والمحيط بما لم نأت وما أتينا ، لو أننا فيك أحببنا وقَلَّينا ، لم تُرنا من
الفُرقة ما رأينا ، ولم تُسَلِّطْ عدوك وعدونا علينا ، لكن أنت أرحم من أن تؤاخذنا
بما جئنا ، وأكرم من أن لا تهب حقوقك لدينا .

وأشرت أيها الأخ الكريم إلى استراحة إليّ ، وتنسم بما لديّ ، لتبرد - كما
زعمت - حَرَّ نَفْسٍ ، وتقدح زناد قَبَسٍ ، وهيهات صليد الزند ، وذَوَى العَرَار

١ إشارة إلى الحديث : « يدعى الإسلام غريباً وميعود غريباً . . . » .

٢ يريد « حنش الصنماني » الذي تقدم ذكره .

٣ في معافر هو المنصور بن أبي عامر .

والرَّند ، وأشع الشُّبوب ، وركد ما كان يظن به الهُبوب ، فالقلم دفينٌ لا يُحشر ،
وميتٌ لا يُنشر ، والطبع قد نكص القهقري ، وقلٌ منزله أن يدعى له النَقري ،
فها هو لا يملك مبيتاً ، ولا يجد لقلمه ثبيتاً ، وأنت — أبقاك الله عز وجل —
بمقتبل الآداب ، طائر مبيعة الشباب ، وأين سن السمو من سن الانحطاط ،
ووقت الكسل من وقت النشاط ، وقد راجعتك لا داخلاً في حلتبك ، بل قاضياً
حق رغبتك ، والله تعالى يجعلك بوسيلة العلم مترقياً ، وبجئنة الطاعة متوقياً ،
ولهناء الأنفس مستقبلاً ومتلقياً ، بمنه ، والسلام ، انتهى .

وكتب رحمه الله^٢ إلى سلطان إفريقية الوارث مُلك بني عبد المؤمن بتلك
النواحي ، المستولي على البلدان والضواحي ، وقد كان لأهل الأندلس أملٌ في
أخذه بثأرهم ، وضم انتشارهم ، ما صورته :

شاقه غيب الخيال الوارد	بارق هاج غرام الهاجد
صدقا وعد ^٣ التلاقي ثم ما	طرقا إلا بخلف الواعد
وكلا الزورين من طيف ومن	وافد تحت الدياجي واري
لم يكن بعد السرى مستمتع	فيه للرأي ولا للرائد
وشديد بث قلب هائم	يشتكيه عند ربيع هامد
بالأمير المرتضى عز الهدى	وثنى عطف الملى الواجد
وبه أصحب ما كان يرى	حاملاً أنف الأبي الشارد
إنما الفخر لمولانا أبي	زكرياء بن عبد الواحد
ملك لولا حلاه الغر لم	يجر بالحمد لسان الحامد

١ في الأصول : هيمة .

٢ أورد ستة من الأبيات في المقتطفات : (الورقة : ٨٢) .

٣ في الأصول : صدق وعد ؛ صدق الوعد ؛ صدى عند .

٤ ط : أيها .

٥ هذا البيت والذي بعده سقطا من ط .

وَلَوْ أَنَّ الْعَذَابَ أَبْدَى رَغْبَةً
 فضله مثل سنا الشمس، وهل
 قَهَرَ الْبَغْيَ بِجِدِّ صَادِعٍ
 إِنَّمَا آلُ أَبِي حَقْصٍ هُدَى
 قعدوا فوق النجوم الزهر عن
 وعن الإسلام ذادوا عندما
 أَيُّ فخرٍ عُمَرِيٍّ الْمُنتَمَى
 مَا الْفُتُوحُ الْغُرُ إِلَّا لَهُمْ
 فِي مُحَبِّتٍ لَاحِقٍ مِنْ سَابِقٍ
 وَلِيَحْيَى رَاجِعُ الْحِلْمِ الَّذِي
 عَقْدُ أَحْسَابِهِمْ تَمَّ بِهِ
 أَبْهَاجُ الْجَامِعِ مَا قَدْ أَحْرَزُوا
 هَذِهِ الْأُمَّةُ قَدْ أَوْسَعَتْهَا
 لَمْ تَزَلْ مِنْكَ بِخَيْرٍ طَارِفٍ
 وَلَهُمْ مِنْكَ لِيَوْمٍ حَاضِرٍ
 أُرْشِدَ اللَّهُ لِأَوَّلَى نَظَرٍ
 وَتَوَلَّاهُ بِتَوْفِيقِ الْأَلَى
 وَلَهُ فِي اللَّهِ أَوْفَى كَافِلٍ
 عَنْهُ لَمْ يَشْفِ غَلِيلَ الْوَارِدِ
 لَسْنَا الشَّمْسُ يَرَى مِنْ جَاوِدِ
 مَا تَعَدَّاهُ وَجَدَّ صَاعِدِ
 لِلْوَرَى مِنْ غَائِبٍ أَوْ شَاهِدِ
 هِمَمٍ نَبَّهْنِ عَزَمَ الْقَاعِدِ
 فَلِطُولِ الْعَهْدِ غَرَبَ الدَّائِدِ
 وَرِثُوهُ مَاجِدًا عَنْ مَاجِدِ
 بَيْنَ مَاضٍ بَادٍ أَوْ عَائِدِ
 وَعَلَى الْمَوْلُودِ سَيِّمِ الْوَالِدِ
 تَرَكَ الطَّوْدَ بِعِطْفِي مَائِدِ
 مِثْلُ مَا تَمَّ حَسَابُ الْعَاقِدِ
 جَمَعَ مَنْ هِمَّتُهُ فِي الزَّائِدِ
 نَظَرًا يَكْلَأُ لَيْلَ الرَّاقِدِ
 رِيشُهُ تَالِ قُدَامِي تَالِدِ
 وَغَدِي رَأْيِي الْبَصِيرِ النَّاقِدِ
 بِالْوَرَى رَأْيِي الْإِمَامِ الرَّاشِدِ
 سَعِيدُوا مِنْ عَاقِدٍ أَوْ عَاهِدِ
 بِالَّذِي يَبْقَى وَأَكْفَى عَاضِدِ

نَصَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَوْلَانَا وَأَيَّدَهُ ، وَشَدَّ مَلَكُهُ وَشَيَّدَهُ ، وَأَبْقَى لِلْفَضْلِ أَيْتَامَهُ ،
 وَلِلْفَضْلِ أَحْكَامَهُ ، وَأَظْفَرَ بِأَعْنَاقِ الْأَشْقِيَاءِ حُسَامَتَهُ ، وَوَفَّرَ مِنْ اتِّسَاقِ النِّعَمِ وَالْأَلَاءِ
 حَظَّوْظَتَهُ وَأَقْسَامَتَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ جَعَلَ بِهِ حَرَمَ الْأُمَّةِ أَمْنًا ،
 وَوَهَجَ الْفِتْنَةِ سَاكِنًا ، وَأَبْوَابَ الصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ لَا تَعْرِفُ إِلَّا وَاصِلًا أَوْ آذَنًا ،
 وَتَلَاوَفِي فَلِإِسْلَامٍ مِنْهُ بِفَيْئَاتِهِ الَّتِي مِنْهَا يَنْتَظِرُونَ الْكُرَّ ، وَبِهَا يُوعَدُونَ الْفَتْحَ

الأعز والنصر الأغر ؛ فهم بين جِدَّةٍ قبضوها ، وعِدَّةٍ رضوها ، وارتقاب
 للفتح أكبر همهم منه دَرَكَ النار ، وانتصاف لأهل الجنة من أهل النار ، فأما
 الأوطان فقد أسَلَّتْهُمْ عنها جهة تُنَبِّئُ العز فيما تنبته ، وتنفي من الضيم ما تلك
 تثبته ، وما ذكر الساخط ، على المحل الساقط ، منازلَ عادت على مبانيها أطلالاً .
 ومغانيها محالاً ، وللعبد حالٌ يستقبل بها من النظر الكريم — أدامه الله تعالى —
 ما أعيُنُ الآمالُ إليه صُور ، ورجاء الجميع عليه مقصور . انتهى .

والغاية في هذا الباب ما كتب به — رحمه الله — من جملة كتاب لبعض
 ذوي الألباب ، ونصُّ محل الحاجة منه : نخصُّ الجهة البعيدة الصَّيت والاسم ،
 الشهيرة العمل والعلم ، دُرَّة تاجنا ، وضوء سراجنا ، ونكتة احتجاجنا ، أبقاها
 الله تعالى في أعيننا مناراً ، ولأندلسنا فخاراً ، على أنه وإن بقيت المتفاخر ،
 فقد أودى المتفاخر ، وإن أضاء الطالع ، فقد دَجَّتْ المطالع ، وغلب عليها
 عُدَاةٌ زوَّوا عنها وجوهنا ، وأروا فيها مكروهنا ، حتى إنني أتيت بشعر فيه
 استسقاء للديار ، على عادة الأشعار ، فقلت :

زِدْنَا على النائينَ عَنْ أوطانهم وإن اشترَكْنَا في الصَّبَابَةِ والجنوى
 إِنَّا وَجَدْنَاهُمْ قد اسْتَسْقَوْا لها من بعد أن شَطَطَتْ بهم عَنْهَا النوى
 وَيَصُدُّنَا عن ذاك في أوطانِنَا معَ حُبِّهَا الشُّرْكُ الذي فيها نوى
 حَسَنَاء طاعتُها استقامتْ بعدنا لعدونا ، أفِستَقِيم لها الهوى ؟
 انتهى .

قلت : وما رأيت ولا سمعت مثل هذه الأبيات في معناها ، العالية في مبناها ،
 فإن فيها الإشارة إلى استيلاء النصارى — دمرهم الله — على تلك الديار ، وثبوت
 قَدَمهم فيها على طَبَقٍ ما حصل لهم فيه اختيار ، مع إدماج حبه لها الذي لا يُشكُّ
 فيه ولا يُرتاب ، واشتمالها على المحاسن التي هي بغية الرائد ونُجْعة المتاب ،
 ولكل أجل كتاب ، وإذا نفذ سهم المقدور فلا عتاب .

وممّا يستولي على الخواطر ، ويروي رياض الأفكار بسحب بلاغته المواطر ،
قوله - رحمه الله تعالى - يخاطب أبا الحسن الرّعيني سنة ١٦٣٤ :

يا صاحبي والدهر - لولا كَرّة	منه على حفظ الدّمام - ذَمِيمُ
أُمنّازعي أنت الحديث ؟ فإنه	ما فيه لا لَغْوٌ ولا تَأْثِيمُ
ومروّضٌ - مرعى مُنّاي فنبتُهُ	من طول إخلّاف الغُيوم هَشِيمُ
طال اعتباري بالزمان ، وإنّما	دائ الزمان كما علمت قديمُ
متجفّو حظّ لا ينادى ثم لا	ينفكّ عنه الحذفُ والبرخيمُ
وأرى إمالته تدومُ وقصره	فعلامَ يُلغى المدُّ والتفخيمُ
وعلامَ أدعو والجوابُ كأنّما	فيه بنصّ قد أتى التحريمُ
لم ألقَ إلّا مُقْعِداً ، غير الأسي	فلتديّ منه مُقْعِدٌ ومُقيمُ
وشرايَ الهَمّ المَعْتَقُ خالصاً	فمسيّ يُساعدني عليه نديمُ
غارات أيتامي عليّ خوارج	قَعْدِيّها في طبعه التحكيمُ
ولوّاعجٌ يحتاجُ صالي حرّها	أمرأ به قد خُصَّ إبراهيمُ
ولقد أقولُ لصاحبٍ هو بالذي	أدركتُ من علم الزمان عليمُ
لا يأس من رَوْح الإله وإن قَسّتْ	يوماً قلوبُ الخلق قهّو رحيمُ

ويهزني ، ويستفزني ، ما كتبه - رحمه الله تعالى - من رسالة :

كتبته إلى سيدي وهو السيد حقيقة ، وأخي وقد كتب الدهرُ بذلك وثيقة ،
أبقى الله تعالى جلاله محروساً ، وربّع وفائه لا يخشى دُروساً ، من رِباط الفتح
وأنا بحقه عليم ، وعلى عهده مُقيم ، وشأني توقير له وتعظيم ، وحب فيه خالص
كريم ، ووَصَلْني خطابه الخطير المبرور ، فكنت به كالصائم رأى الهلال ،

١ هو علي بن محمد بن علي بن الفخار أبو الحسن الرّعيني (٥٩٢ - ٦٦٦) راجع ترجمته في الدليل
والكلمة ٥ : ٣٢٣ ومقدمة كتابه « برنامج شيوخ الرّعيني » تحقيق الأستاذ إبراهيم شيوخ (دمشق
١٩٦٢) والأبيات في الدليل : ٣٦٣ .

والهائم عَيْنَ الماءِ الزُّلالِ ، عِلَقٌ لَيْسَ يُوَازِيهِ عِلَقٌ ، وسحر لَكِنَّهُ حَلَالٌ طَلِقٌ ،
ونظم لذكر الطائي طَائِرٌ ، وصنعة لم يرها ولم يروها رَاوٍ ولا رَاوٍ ، رَمَتِ ابْنُ
الروميَّ بالحمول ، وبَشَّرَتْ اسمَ بَشَارٍ من الفحول ، وحكمت بأن النمرى
في نَمِيرَةٍ الهَوَانِ مُدْرَجٌ ، والسريَّ عن سَرََاةِ الإحسانِ مُخْرَجٌ ، فأما
النثر فصهيل لا يجاوبه الرُّغَاءُ ، وطراز لا يحسنه البُلْغَاءُ ، ونَقْدٌ تَزْيِيفٌ معه
النقود ، ومَدَى تنقطع دونه الضُّمَرُ القُودُ ، غادر الصَّابِيَّ وصَبَاهُ غير ذات
هبوب ، والصاحبَ وهو من العجز مع شرِّ مصحوب ، والميكاليَّ وميكالهُ
مرفوض ، والحريبيَّ وحريره في سوق الكَسَادِ معروض ، فأما بحر رئيس
أَرْجَانٌ ، فقد استخرج منه اللؤلؤ والمرجان ، وأبقاه في ضَحَضٍ ، بل تركه
يمشي بأدرجٍ ضاح ، فمن ذا يُجَارِي فَارِسَ الصَّفَيْنِ وإمام الصَّفَيْنِ ؟ أبلغ من
خط بقلم ، وأشهر من نار على علَم ، وماذا يقال في أنامل تطرز بها الصحف ،
وخمائل تفخر بها الروضة الأنف ، واسم في شرق البلاد وغربها ظاهر ، ووَسْمٌ
بالكتابة والنجابة لم يكن لبني وَهْبٍ وآل طاهر ، فالزمان يَأْثِرُ ، ما ينثر ، ويعظم ،
ما ينظم ، ولو أن الأزمنة قبله عمرت المحاضر بكل ناجم ، ونشرت المقابر عن
الصَّنَوْبِرِيِّ وكُشَاجِمٍ ، وجاءت بالكتاب من كل جيل ، والشعراء رَعِيلاً بعد
رَعِيلٍ ، لطال هذا العصر بواحدة آلافاً ، وأنسى بِخَلْفِهِ أسلافها ، انتهى .
وكتب - رحمه الله تعالى - إلى صاحبين له في معنى ما ألعنا به آثفاً ، ما
صورته :

نَحِيَّةٌ مِنْكُمْ أَتَتْنِي طَابَتْ كَمَا طَابَ مُرْسِلَاهَا
وَيَا لَهَا أَذْكَرَتْ عَهْدًا قَلْبِي وَاللَّهِ مَا سَلَاهَا
حَلَلْتُمَا فِي الْبِلَادِ أَرْضًا رِيحُ صَبَاهَا عَنِي سَلَاهَا
لَمْ يَصُبْ قَلْبِي إِلَى سِوَاهَا يَوْمًا وَلَمْ يَسْلُ عَنْ سَلَاهَا

كتابي أيها الأخوان اللذان بודהما أقول ، وعن عهديما لا أحول - أنزلكما

الله تعالى خير منزل ، وجعلكما من النوائب والشوائب بمَعزِل - من رباط الفتح
ولُبِّي قديماً ملكتما رِقَّة ، وقلبي تعلماً وتعلماً عرفتما صدقه ، كيف حالكما
من سَقَر طويتما خبره ، حين تجشمتما غرَرَه ؟ وكيف سَخَتْ نفوسكما بأَم
الخصون ، وذات الظلال والعيون ؟ تربة الآباء ، ومترلة الجُمَحِيِّين النُّجباء ،
حتى صرمتا حبلتها ، وهجرتما حَزَنَتها وسَهْلَتها ، وخضمتا غُبْرَ الفِجَاج ،
وخَضِرَ الأمواج ؟ ما ذلك إلا لتغلب الحادث النُّكر ، وتألَّب المعشر الغُدُر ،
ومن أجل الداهية النكاد^١ ، والحادثة الشنيعة على البلاد ، أزعجتكم حين أزعجتنا ،
وأخرجتكم كما أخرجتنا ، وطوّحت بنا طوائفها ، واجتاحت ثمرنا وشجرنا
جوائفها ، فشكراً لله تعالى على قضائه ، وتضرعاً فيما نرفعه من دعائه ، وهنيئاً
لنا ولكم معشر الشُّرَداء ، المنظورين من الشجن على شرِّ داء^٢ ، ذلك الطَّوْد الذي
إليه أُوْتِئْتما ، وفي ظله ثَوَيْتُما ، وعن رأيه تَرَيَان ، وبسَعِيهِ تَسْعَيَان ، فوجهه
المبارك لا يعدم رأيه نجحاً ، ولا يعدو لصبحه إذا دجا ليلُ الهَمِّ صَبْحاً ، انتهى .

* * *

[تعريف بأبي المطرف]

وكان أبو المطرف بن عميرة المذكور كما قال فيه بعض علماء المغرب :
قلوة البلاء ، وعمدة العلماء ، وصدر الجِلَّة الفضلاء ، وهو أحمد بن عبد الله
ابن عميرة المخزومي ؛ ونكتة البلاغة التي قد أحرزها وأودعها ، وشمسها التي
أخفت ثواقب كواكبها حين أبدعها ، مبدع البدائع التي لم يحظ^٣ بها قبله إنسان ،
ولا ينطق عن تلاوتها لسان ؛ إذ كان ينطق عن قريحة صحيحة ، وروية بدر
العلم فصيحة ، ذلت له صعب الكلام ، وصدقَتْ رؤياه حين وَضَعَ سيدُ المرسلين

١ كذا في الأصول ؛ ويقال أيضاً « داهية نَاد » .

٢ ط : شر الداء .

٣ ك : يحط .

صلى الله عليه وسلم وهو الذي أوتي جوامع الكلم^١ في يديه الأقلام ، وأصل سَلْتَه من جزيرة شَقَر ، وولد بمدينة بَلَسَنَسِيَّة ، وروى عن أبي الخطاب بن واجب وأبي الربيع بن سالم وابن نوح والشلوبيني النحوي وابن عات وابن حَوْط الله ، وغيرهم من الحفاظ ، وأجازه من أهل المشرق جماعة ، وكان شديد العناية بشأن الرواية فأكثر من سماع الحديث ، وأخذه عن مشايخ أهله ، ثم تفنن في العلوم ، ونظر في المعقولات وأصول الفقه ، ومال إلى الأدب ، فبرع براعة عُدَّ فيها من مجيدي النظم ، فأما الكتابة فهو فارسها الذي لا يُجَارى ، وصاحب عينها الذي لا يُبَارى ، وله وعظ على طريقة ابن الجَوَزي ، ورسائل خاطب بها الملوك وغيرهم من الموحدين والحقصيين ، وله تأليف في كائنة مَيُورقة وتغلب الروم عليها^٢ نحا في الخبر عنها منحى الإمام الأصبهاني في الفتح القدسي ، وله كتاب تعقب فيه على الفخر الرازي في كتاب « المعالم » ، وله كتاب ردّ به على كمال الدين الأنصاري في كتابه المسمّى « بالبيان » ، في علم البيان ، المطلع على إعجاز القرآن « وسمّاه « بالتنبيهات ، على ما في البيان من التوجيهات » ، وله اختصار نبيل من تاريخ ابن صاحب الصلاة^٣ ، وغير ذلك .

ورد - رحمه الله - حضرة الإمامة مرّاً كُشِّصَ حبة أمير المؤمنين الرشيد حين قُفُوله من مدينة سَلَا ، واستكتبه مدّة يسيرة ، ثم صرفه عن الكتابة ، وقلده قضاء هيلانة ، ثم نقله إلى قضاء سَلَا ، ثم نقله السعيد إلى قضاء مَكْنَسَة الزيتون ، ثم قصد سَبْتَة ، وأخذ ماله في قافلة في فتنة بني مَرِين ، ثم توجه إلى بلاد إفريقية ، ووصف حاله في رسالة خاطب بها ابن السلطان أبي زكريا الحَقْصِي ، وهو أبو زكريا ابن السلطان أبي زكريا ، وكان صاحب بجاية لأبيه ، ولم يزل - رحمه الله تعالى - مذ فارق الأندلس متطلعاً لسكنى إفريقية ، معمور القلب بسكناها ، ولما

١ ط . الكلام .

٢ يعني عام ٦٢٧ هـ .

٣ يريد كتاب « المن بالإمامة على المستضعفين » وقد نشرت قطعة منه (بيروت - ١٩٦٤) .

قدم تونس مال إلى صُحبة الصالحين والزهاد وأهل الخير بُرْهة من الزمان ، ثم استقضي بالأُرْبُس^١ من إفريقية ، ثم بقابس مدة طويلة ، ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصي ، وأحضره مجالس أنسه ، وداخله مداخلة شديدة ، حتى تغلب على أكثر أمره .

ومولده بجزائر شُقر في شهر رمضان المعظم سنة ٥٨٠ ، وتوفي ليلة الجمعة الموفية عشرين من ذي الحجة سنة ٦٥٨ ، ألحقه الله رضوانه ، وجدد عليه غفرانه .

وقال ابن الأبار في « تحفة القادِم »^٢ في حق أبي المطرف المذكور : فائدة هذه المائة ، والواحدُ يَقي بالفتنة ، الذي اعترف باتحاده الجميع ، وانصف بالإبداع فماذا يتصف به البديع ، ومعاذ الله أن أحابه بالتقديم ، لما له من حق التعليم ، كيف وسبقه الأشهر ، ونطقه الياقوت والجوهر ، تحلت به الصفات والمهارق ، وما تخلت عنه المغارب والمشارق ، فحسبي أن أجهد في أوصافه ، ثم أشهد بعدم انصافه ، هذا على تناول الخصوص والعموم لذكره ، وتناوب المنثور والمنظوم على شكره ؛ ثم أورد له جملة منها قوله :

وأجلتُ فكري في وشاحك فأنثي	شوقاً إليك يتجول في جَوَالِ
أنصفتُ غُصْنِ البانِ إذ لم تدعه	لثأودٍ معَ عطفك الميَالِ
ورحمتُ دُرَّ العقد حين وضعته	متوارياً عن ثغرك المتلالي
كيف اللقاء وفعلٌ وعندك سيئه	أبدأً تخلصه للاستقبال
وكما قوَمِك نارُهُم ووقيدُها	للطارقين أسنة وعوالي

وله مما يكتب على قوس قوله :

ما أتاد مُعتَقَلُ القَنَا إلا لأن يحكي تاطر قامي العوجاء

١ ط : بالأبرس .

٢ انظر المقتضب من التحفة : ١٤٥ والوافي (ترجمة أبي المطرف ٧ الورقة : ٦٤) .

تَحْنُو الضلوع على القلوب وإنتي ضِلَع ثوى فيها بأعْضَل داء
وله وقد أهدى ورّداً :

خذها إِلَيْكَ أبا عَبدِ الإلهِ فَقَدْ جاءكَ مثَلٌ خلودِ زَانِها الخَفَرُ
أنتَ تَحْكِي سَجَايا مِنْكَ قد عَدَبْتَ لَكِنْ تَغَيَّرَ هذا دُونَهُ الْغَيَرُ
إن شِئتَ مِنْها بروقَ الْغَيْثِ لَامِعَةٌ فَسَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ ماءِ لها مَطَرُ
قال : وكتب إلي مع تحفة أهداها مكافئاً عن مثلها :

يا واحدَ الأدبِ الذي قَدْ زَانَهُ بِمَنَاقِبِ جَعَلْتَهُ فَارِسَ مَقْبِهِ^١
بِالْفَضْلِ في الهبةِ ابْتَدَأْتَ فَإِنْ تُعَيَّرُ طَرَفَ الْقَبُولِ لَمْ وَهَبْتُ خَتَمْتُ بِهِ
قال : وله ارتجالاً بقصر الإمارة من بِلَنْتَسِيَّةِ وأنا حاضر في صبيحة بعض
الجمع ، وقد حُجِمَ صاحب لنا من أهل النظم والنثر ، وأحسن إلى الحُجَمِ
المُخْصُوصِ^٢ :

أرى مَنْ جاءَ بِالْمُوسَى مُواسِي وَرَاحَةَ ذِي الْقَرِيضِ تَعُودُ صِفْراً
فهذا مَخْفِقٌ إنْ قَصَّ شِعْراً وَهذا مُنْجِحٌ إنْ قَصَّ شِعْراً
وله أيضاً :

هو ما عَلِمْتَ مِنَ الْأَمِيرِ ، فما الَّذِي تزدادُ مِنْهُ وفيه لا يُرْتَابُ ؟
لا تَتَّقِي الْأَجْنَادُ فِي أَيَّامِهِ فَقَرَأَ ، ولا يَرْجُو الْغِنَى الْكَتَابُ
وله بعد انفصاله من بلنسية عن وحشة في ذي القعدة سنة ٦٢٨ :

أسيرُ بأَرْجاءِ الرَّجَاءِ ، وإنَّما حديثُ طريقي طارقَ الْحَدَثَانِ

١ ك : منصبه .

٢ ك : بالخصوص .

وأحضر نفسي إن تقدّمت خيفةً لغض عينٍ أو لغض زمانٍ
أترك حظي للحضيض وقد سرى لإمكانه فوق الذرا جبالانٍ
وأخبطُ في ليل الحوادث بعدما أضاء ليعيني منهما القمرانِ
فيخبي لآمالي حياةً مُعادة وإنّ عزيزاً عزّةً لمكاني
وقالوا : اقترحْ إنّ الأمانيّ منهما وإن كنّ فوق النجم تحت ضمانِ
فقلت : إذا ناجاهُما بقضيّتي ضميري لم أحفل بشرح لساني

وله أيضاً :

سلب الكسرى من مقلتي فلم يبيء منه على نأي خيالٍ يطرقُ
أهفو ارتياحاً للنسيم إذا سرى إنّ الغريقَ بما يرى يتعلقُ

انتهى ما نخّص من « تحفة القادم » في ذكر ابن عميرة أبي المطرف .

• • •

[رسالة لأبي المطرف]

ومما كتب أبو المطرف — رحمه الله — وفي أثنائه إشارة إلى الكفار الغالبيين
على بلاد الأندلس ، ما نصّه :

ألا إنّ شخصينا على القطع واحد وجاحدٌ هذا للضرورة جاحد
فإن لم تصدّق ما نطقْتُ بصدقه فإنّك لي لاحٍ وللودّ لاحد
ومعاذ الله ، عزّ وجلّ ، أن تلحاني ، أو تمنع أنفك ريحَ ربحاني ، وكيف
تصدّ عني بوجهك ، أو تشخذ لي غرْبَ نجهك^١ ، وأنا على غيبك أمين ،
ولشمالك يمين ، ولكم دعوتُ بي فأجبتُ ، واستغنيت عني فحجبت ، وأردت
الاستبداد فما استطعت ، ونعت^٢ الوداد فما أحسنت النعت ، وإنّما تُحمّد

١ النجم : الردع والانتهاز .

٢ ج : وأنفت .

فَرَاهَةُ الْأَعْوَجِيِّ إِنْ جَرَى ، وَتَذَكَّرَ فَضِيلَةَ ابْنِ السَّرِيِّ إِذَا سَرَى ، فَأَمَّا
الْاِقْتِنَارُ عَلَى عَظْمِ بَادٍ ، وَالْاِنْتِظَارُ لَعَيْنِ عَدَمَتِ السَّوَادِ ، فَخَطَأٌ مِنَ الْقَائِلِ ،
وَيُخْطَلُ عِنْدَ الْعَاقِلِ ، وَلِلَّهِ دَرُ أَخِيكَ مِنْ مَغْمُضِ طَرَفِ التَّطَرُّفِ ، يَقَارَى أَدَبُ
الصَّحْبَةِ عَلَى السَّبْعَةِ الْأَحْرَفِ ، كَرَّحَ فِي أَعَزِّ مَوْرِدٍ ، وَتَوَاضَعَ فِي شَرَفِ مَوْلِدٍ ،
وَسَمَا بِنَفْسِهِ عَنْ أَنْ يَسْتَخْفَهُ نَسَبُ يَرْفَعُهُ ، وَحَسَبَ مَا مَنَّا أَحَدٌ يَدْفَعُهُ ، وَكَذَلِكَ
الْكَرَامُ يَرُونَ عَلَيْهِمْ حَقًّا ، وَيَتَوَقَّوْنَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْكِبَرِ مُوقَى ، وَلِنَعْتَهْدِي
بِهِ وَظِلُّ الثَّرْوَةِ بَارِدٌ ^١ ، وَشَيْطَانُ الشَّيْبَةِ مَارِدٌ ، وَبُشْرُهُ فِي الْمِلْمَاتِ يَرْفُ ، وَقَدَمُهُ
إِلَى الْحَاجَاتِ تَخْفُ ، يَصُونُ غَيْرُضَهُ بِمَالِهِ ، وَيَخْفِي صَدَقَةَ يَمِينِهِ عَنْ شِمَالِهِ ،
وَيَقْسَمُ جِسْمَهُ فِي جُسُومٍ ^٢ ، وَيَقُومُ بِالْحَقُوقِ غَيْرَ مَكُولٍ وَلَا مَلُومٍ ، تِلْكَ الْمَكَارِمُ
لَا قَعْبَانٌ ^٣ ، وَمَا تَسْتَوِي الْبَدَنَةُ الْمَهِيضَةُ مَعَ غَيْرِهَا فِي الْقُرْبَانِ ، وَعَرَضَتْ بِذِكْرِ
الْعَصْرِ الْخَالِي ، وَالْقَصْرِ الْعَالِي ، وَظَلَّ مِنْ فَنِّ وَرَيْقٍ ، وَعَاشَ مَعَ أَكْرَمِ فَرِيقٍ ،
وَمَا تَذَكَّرَ مِنْ زَمَنِ تَوَلَّى ، وَعَهْدَ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ تَأَلَّى ، فَارَقْنَاهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ ،
وَوَدَعْنَاهُ بِهَ الْأَطْيَبِينَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ ، فَعَفَّتِ الرُّسُومُ ، وَأَفْلَكَتْ تِلْكَ النُّجُومُ ،
وَرَمَتْنَا عَنْ قَوْسِهَا الرُّومُ ، ثُمَّ خَلَفْتَنَا فِي الْمَغَانِي ، وَقَسَمْتَنَا بَيْنَ الْأَسِيرِ وَالْعَانِي ،
فَأَوْدَى الْقُلُوبَ وَالْكَثُرَ ، وَاشْتَفَى مِنَ الْإِسْلَامِ الْكُفْرَ ، فَكَمْ كَأْسُ أَنْسَ أَرْقَنَاهُ ،
وَمَتَزَلَّ فَرْقَةُ الْأَبَدِ فَارَقْنَاهُ ، وَذَكَرْتَ اجْتِيَازَكَ بَيْنَ الْعَلَمِينَ ^٤ ، وَقَطَعْتَ مَتْنِ
الْيَمِّ فِي يَوْمَيْنِ ، وَأَنْتَكَ انْتَقَلْتَ مِنْ ذَوَاتِ الْأُلُوحِ ، إِلَى عَدَدَاتِ الْأَدْوَاخِ ،
وَمِنْ مَتَاهَاتِ الشَّرَاعِ ، إِلَى مَنَابِتِ الْيَرَاعِ ، وَمِنْ سَكْنَى بَيْتِ السَّكَّانِ ، إِلَى مَتَزَلِّ
بِهِ الْفَلَاحِ وَالْمَلَّاحِ يَشْتَرِكَانِ ، حَيْثُ اجْتَمَعَ الضَّبُّ وَالنُّونُ ، وَأَبْنَعُ التِّينِ وَالزَّيْتُونُ ،

١ ج : وارد .

٢ من قول عروة بن الورد :

أقسم جسمي في جُوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

٣ من قول أمية بن أبي الصلت :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

٤ ج : العالمين .

وظللت الساحات ، وذلت الثمار المباحات ، فلا تُشْرِقنا يا أصيل ، ولأمّ
تلك الأرض الويل ، انتهى .
ووصل هذا الكلام بالأبيات التي تقدّمت قريباً ، وهي قوله « زدنا على
النّائين عن أوطانهم إلخ » .

* * *

[رسالة أخرى لأبي المطرف]

وكتب رحمه الله عن أهل شاطِبة أيام كان قاضياً بها ، مهنتاً أمير المسلمين
ابن هُود المستولي على الأندلس آخر دولة الموحّدين . بوصول الكتاب العباسي
الكریم إليه من بغداد بولاية الأندلس ، إذ كان ابن هُود حين ثار على الموحّدين
يدعو إلى الخليفة العباسي الذي كان أكثر الملوك في ذلك الزمان يَدِينون بطاعته ،
بما نصّه بعد الصدر :

أمّا بعد ، فكتب العبيدُ — كتب الله تعالى للمقام العلي المجاهدي المتوكلي
سعادة لا تبلغ أمدّاً إلا تخطته ، ويدأ علوها أثبتته أيدي الأقدار وخطته — من شاطبة
وبركات الأمر المجاهدي المتوكلي ، والعهد الوثّقي المعتصمي ، تنسكب كالطر ،
وتنسحب على البشر ، وتقضي بعادة النصر والظفر ، وسعادة الورد والصدر ،
والحمد لله ، وعند العبيد من أداء فروض الخدم ، والقيام بحقوق النعم ، ما
عقّدت عليه ضمائرهم ، وسمت إليه نواظرهم ، واشترك فيه بادِئهم وحاضرهم ،
فجناب أملمهم فسيح ، وتَجَرُّ خدمتهم ربيع ، وحديث طاعتهم حسن صحيح ،
وبسنا النظر العلي اهتداؤهم ، وفي الباب الكريم رجاؤهم ، وبصدق العبودية
اعتزازهم وإليها اعتراؤهم ، والله تعالى ينهضهم بوظائف المثابة العلية ، ويملمهم
على المناهج السّوية ، ووصل الكتاب الكريم متحلياً بِرُوءاء الحق ، فاطقاً بلسان
الصدق ، واصفاً من التشريف والفَخار المنيف ، ما صدر عن إمام الخلق ، فلا

.....

١ ك : ومتجر .

بيان أعجب من ذلك البيان ، ولا يوم كذلك اليوم تبدى نظره للعيان ، أو تأدى خبره في أخبار الزمان ، نثرت فيه الخلع العباسية في أعلى الصور ، وبرز منها للعيون ما يعثر البليغ عند وصفه في ذيل الحصر ، ويهدي سواده سواد القلب والبصر ، فيا لمشهد ما أعجب ما كان ، ومرآها الذي راع الكفر وراق الإيمان ، وأشبه يومه بالأندلس يوم خرجت الرايات السود من خراسان ، وكفى بهذا فخاراً لا يحتاج ثابته مثبتاً ، أن باشرت برّداً باشر البدن الذي طاب حياً وميتاً ، فهو علو في الإسناد ولا نظير له في العوالي ، وفخار ضلّت عن مثله العصور الخوالي ، وجلّت بهجته أن تُخلّق جدّتها الأيتام والليالي ، ودل الكتاب العزيز على التسمية المشتقة من الجهاد ، والسمة من سيف أمير المؤمنين بما لا يدخل في جنس ذوات الأغمد ، وخير الأوصاف ما صدقه الموصوف ، وللكریم النسب نسبة "يُباهي" بها الدين وتزهى السيوف :

فإن نحن سَمِينَاكَ خَلِينَا سِوْفَنَا من التيه في أغمادها تبسّم

ومما أفاده الكتاب المبهج بطيب أنبائه ، نص علامة سيدنا صلوات الله عليه وعلى آبائه ، فإنّها تضمّنت صفة الله ، عزّ وجلّ ، من صفات الكمال ، ودلّت على مذهب أهل السنّة في خلق الله ، عزّ وجلّ ، الأعمال ، وأشعرتنا معشر العبيد بعناية سبقت بالمقام المجاهدي المتوكلي - أحسن الله تعالى إليه - حين تولّى خلافة أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، فإنّه لما شايعه بعزيمة مساعدة ، ونية في مشاريع الصفاء والإخلاص واردة ، ألهم زيادة في العلامة شاركت الإمامة في صفة واحدة ، فهذه كرامة في العلامة ، هي علامة الكرامة ، وهبة من مواهب الكشف يجدها من امثال قوله ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ (هود : ١١٢) فكان من أهل الاستقامة ، وتضمن الكتاب الكريم بيعة أهل جيان وما معها ، وإن هذه البشائر وما تبعها ، لفُروغ عن هذا الأصل الصحيح ، وأقيسة عن هذا النص الصريح ، فأدلّة

١ دوزي : يباهي .

الخِلافة قد استقلت ، وشبهة الخِلاف قد بطلت واضمحلت ، والحمد لله على أنْ مَنْحَ جَزِيلَ النِّعَماءِ ، وشرح باليقين صدور الأولياء ، وشرف هذه الأُمَّة بِإِمَامَةِ نَجْلِ الأئمة الخلفاء ، وابن عمِّ سيد الرسل وخاتم الأنبياء ، والعبيد يهتثون بهذه النِّعَم ، التي لا يستقلُّ بذكرها عِلْمٌ ، ولا يُقَطِّع عِلْمٌ من وصفها إلا بدا عِلْمٌ ، وبهم من الأشواق إلى مشاهدة المعالم السنيّة ، ولثُم اليمين الطاهرة العليّة ، ما أكده دنو الدار ، وجدّده ما تجدد للمقام العالي المتوكلي من نعم الله تعالى الجليلة المقدار ، والشاهدة له بإسعاد الأيتام وإسعاف الأقدار ، فلو أمكنهم الإقدام لأقدموا ، ولو وجدوا رُخْصَةً في المسير لعزموا ، وهم يستلمون البساط الأشرفي توهماً ومِنْ أَمَلهم أنهم في الحقيقة قد استلموا ، انتهى .

وبه تعلم أن الدولة العباسية خُطِب لها ببلاد الأندلس — أعادها الله للإسلام — ولا يخفالك أن ما جَلَبَسناه من ذلك وغيره مناسب للمقام ، فلا انتقاد ولا ملام .

، * *

[رسالة لسان الدين إلى أحمد بن قلاوون]

وقد رأيت أن أذكر هنا مخاطبة صَدَرَتْ من الغني بالله صاحب الأندلس إلى السلطان المنصور أحمد ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من إنشاء الوزير الكبير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله ، لما اشتملت عليه من أحوال الأندلس ، ونصّها : الأبواب التي تُفْتَح لنصرها أبواب السماء ، وتُسْتَدَرّ من آفاقها سحاب النعماء ، وتجلى بأنوار سعدا دياجي الظلماء ، وتعرف نكرة البلاد والعباد بالانتساب إلى محبتها والانتماء ، على اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد الأسماء ، ويُجْتَرَأ من صِلات صلاتها عند الموانع من كمال حالات صفاتها بالإيماء ، وتحمل لها التحية ذوات الدُّسُر والألواح طاعنة نحر الصباح على كتد الماء ، أبواب السلطان الكبير ، الجليل الشهير ، الطاهر الظاهر ، الأوحد الأسعد ، الأصعد الأمجد ، الأعلى العادل ، العالم الفاضل الكامل ، سلطان الإسلام والمسلمين ،

عماد الدنيا والدين ، رافع ظلال العدل على العالمين ، جمال الإسلام ، عَلم الأعلام ، فخر الليالي والأيتام ، ملك البرين والبحرين ، إمام الحرمين ، مؤتمل^١ الأمصار والأقطار ، عاصب تاج الفخار ، هازم الفرنج والترك والتتار ، الملك المنصور ابن الأمير الرفيع الجادة ، الكريم الولادة ، الطاهر الظاهر ، الكبير الشهير ، المعظم الممجّد الأسمى ، الموقر الأعلى ، فخر الجلالة ، سيف الملة ، تاج الإمارة ، عزّ الإسلام ، مستظلّ الأنام ، قمر الميدان ، أسد الحرب العوان ، المقدس المطهر ، الأمير أحمد ابن والد السلاطين ، ومالك المسلمين ، وسيف خلافة الله على العالمين ، وولي المؤمنين ، سلطان الجهاد والحج ، ومقيم رسم العجّ والثجّ ، محيي معالم الدين ، قانع المعتدين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، ناصر السنة ، محيي الملة ، ملك البرين والبحرين ، سلطان الحرمين ، الملك العادل ، العالم العامل ، المنصور المؤيّد المعان المرفع المعظم المبجل المؤمل ، المجاهد المرباط الغازي^٢ الممجّد المكمل ، المطهر الكبير الشهير ، المقدس الملك الناصر أبي عبد الله محمد بن قلاوون الصالحى ، جعل الله فسْطاط دعوته معموداً بعمود الصبح ، وحركات عزمه مبنية على الفتح ، ومجمل سعادته غنيّةً عن الشرح ، وجياد أوصافه متبارية في ميدان المدح ، وزناد رأيه^٣ وارية على القدح ، من موجب حقه وجوب الشعائر الخمس ، المرحب لأجل أفقه الشرقيّ بوفادة الشمس ، المجدّد في اليوم حكم ما تقرر بين السلف رحمهم الله بالأمس ، أمير المسلمين بالأندلس عبد الله الغني بالله الغالب به محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر : سلام كريم كما زحفت راية الصبح تقدمها طلائع مبشرات الرياح ، يفواح أرجه زهير^٤ الأدواح ، ويحاسن طُرّر الوجوه الملاح ، يخص أبوكم التي

.....

١ ك : مؤمن .

٢ ك : المغازي .

٣ ط ودوزي : آرائه .

٤ دوزي : زهر .

رتب العز فصولها ، وعضدت نصوص النصر نصوصها ، ورحمة الله تعالى وبركاته .
 أمّا بعد حمد الله الذي جعله فاتحة القرآن ، وخاتمة دعاء أهل الجنان ،
 وشكّره على ما أولى من مواهب الإحسان ، حمداً وشكراً يستخدمان من الإنسان ،
 ملكي القلب واللسان ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله
 كما أن الأكوام ، وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والألوان ، الذي أذل
 بعزة الله أنوف الطغيان^١ ، وغطى بسديته الحق على الأديان ، وزويت له
 الأرض فرأى ملك أمته يبلغ ما زوي له فكان الخبر وفق العيان ، والرضا عمّن
 له من الأصحاب والأحباب والأعمام والأخوال والإخوان ، صلاةً يجدّها
 الجديدان ، ويحمليها الملوان ، وتزاحم على تربته المقدسة مع الأحيان ، ما سجت
 طيور البراعة من أعواد البراعة على الأفنان ، والتفت عيون المعاني ما بين أجفان
 البيان ، والدعاء لأبوابكم الشريفة جعل الله تعالى عصمته تقيم بها وظيفتي الحجابة
 والاستئذان ، وضرب بدعوتها التي هي لذّة الإقامة والأذان على الآذان ، واستخدم
 بروج الفلك الدوار في أمرها العزيز استخدام^٢ الأنصار والأعوان ، حتى يُعلم
 ما في المدافعة عن حماها مخالب السرحان ، وفي الإشادة بعلمها كفتي الميزان ،
 ويهدي لها من الزهرة كورة الميدان ، ومن الهلال عوض الصوبخان ، وأبقى في
 عواملها ضمير الأمر والشان ، إلى يوم تنو وجوه الملوك إلى الملك الديان ،
 فإنّا كتبناه إلى تلك الأبواب كتب الله لعبتها النصر الداخلة ، كما أنجل بمكارمها
 السحب الباخلة ، وجعل مقارق مناصلها المختضبة من نجيع عداها غير ناصلة^٣ ،
 وقرّن بكل سبب من أضدادها فاصلة ، من دار ملك الإسلام بالأندلس حمراء
 غرناطة — وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن أرجائها ، وشدة بأيدي اليقين عسرى
 أملها في الله ورجائها — حيث المصاف المعقود ، وثن النفوس المنقود ، ونار

١ ك : الذي أذل بعزة الله نفوس أهل الطغيان .

٢ استخدام : سقطت من ق ط ج ودوزي .

٣ ق ط ج ودوزي : الناصلة .

الحرب ذات الوقود ؛ حيث الأفق قد تردّى بالقتام وتعمّم ، والسيف قد تجرد
وتيمّم ، وغُبار الجهاد يقول : أنا الأمان من دخان جهنم ؛ حيث الإسلام من
عدوّه كالشامة من جلد البعير ، والثمرة من أوسق العير ؛ حيث المصارع
تتراحم الحورُ على شهدائها ، والأبطال يعلو بالتكبير مسمع^١ ندائها ، حيث
الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زينتها الكلوم بدماؤها ، وإن هذا القطر الذي مهدت
لسياستنا^٢ أكوار مطّاياها ، وجُعلت بيدنا - والمنّة لله - عياب عطّاياها ، قطر مستقل
بنفسه ، مُربّ يومه في البرّ على أمسه ، زكيّ المنابت عذب المشارب ، متمّم
المآمل مكملّ المآرب ، فارّه الحيوان ، معتدل السحن والألوان ، وسيطة في
الأقاليم السبعة ، شاهدة لله بإحكام الصنعة ، أما خيله فقارها ، وإلى الرّكض
شارها ، وأما سيوفه فلمواطن الغمود كارها ، وأما أسلّته فمتداركة الخطف ،
وأما عوامله فبيئة الخذف ، وأما نباله فمحذورة القذف ، إلا أن الإسلام به
في سَفَطٍ مع الحيات^٣ ، وذريعة للمنيات الوحيات ، وهَدَفٌ للنبال ، وأكلة
للشّبال ، تطوهم الغارات المتعاقبة ، وتحيفهم^٤ الحدود المصاوبة ، وتجنّوس^٥
خلافهم العيون المراقبة ، وتريب من أشكال مختطّهم إلا أن يتفضل الله بحسن
العاقبة ، فليس إلا الصبر ، والضرب والهبر^٥ ، والهمز والنبر ، والمقابلة والجبر ،
وقد حال البحر بينهم وبين إخوان ملّتهم ، وأساءة علّتهم ، يقومون بهذا الفرض ،
عن أهل الأرض ، ويُقرضون ملكَ يوم العرض ، أحسن القرض ، فلولا بُعد
المدى ، وغُول الردى ، ولتغطّ العدا ، وما عدا ممّا بدا ، لسمعت تكبير
الحمّلات ، وزئير تلك الفلّات ، ودويّ الخوافر ، وصليل السيوف من فوق
المغافر ، وصُراخ الثكالى ، وارتفاع الأدعية إلى الله تعالى ، ولو ارتفع قيد^٦
المكان ، وهو للأولياء مثلكم من حيّز الإمكان ، لمقلّم مقلّ الأسنة الزُّرق ، حالة

١ دوزي : مستمع .

٢ إشارة إلى قول الشاعر : كيف الحياة مع الحيات في سَفَط

٣ ك : وتحيفهم .

٤ ق ك ط ج : والضرب الهبر .

٥ ق : بند ؛ ك : هذا ؛ ج : نبد ؛ ط ودوزي : نبد .

من أطراف قَصَب الرماح محالٌ الورق ، وأبصرتم القنا الخطّار قد عاد أخلّة ،
والسيوف قد صارت فوق بدور الخوذِ أهلةً ، وعقود الشهادة عند قاضي السعادة
مستقلة ، وكان كما تحصره علومكم الشريفة حديق سور الفتح ، وآخر دلاء ذلك
المنع^١ ، عُرِض على الفاروق فاحتاط ، وأغرى به من بعده فاشتاط ، وسرحت
خيّل ابن أبي سرح ، في خبر يتدعو إلى شرح ، حتى إذا ولّد مروان تقلدوا
كُرّتها التي هَوّت^٢ ، وخَضَمُوا^٣ ما أنضجت ورثة الحق وشوت ، ويدهم على
الأمر احتوت ، وفازت منه بما نوت ، نفل ولأئده الوليد ، وجلب له الطريف
والتليد ، وطرقت خيل طارق ، وضاحت عن أخباره المهارق ، وجلّت الفائدة ،
وظهر على الذخيرة التي منها المائدة ، ثم استرسل المهَبُّ ، ونصر الربُّ ، ويكثر
الطير حين ينتثر الحبُّ^٤ ، وصرفت أشراف الشام أعينتها إلى التماس خيره ،
وطارت بأجنحة العزائم تيمناً بطيِّره ، وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر
وغيره ، ففتحت الأقفال ، ونفلت الأنفال ، ونجح الفال ، ووُسمت الأغفال ،
وافتُحت البلاد الشهيرة ، وانتقيت العذارى الحيرة ، واقتنيت الذخيرة ، وتجاوز
الإسلام الدروب وتخطّى ، وخضد الأرطى ، وأركب وأمطى ، واستوثق
واستوطا ، وتشاءب وتمطّى ، حتى تعددت مراحل البريد ، وسَخِنَت عين
الشیطان المرید ، واستوسق للإسلام ملكٌ ضَخَمُ السُّرادق ، مرهوب البوارق ،
رفیع العمَد ، بعيد الأمَد ، تشهد بذلك الآثار والأخبار ، والوقائع الكبار ،
والأوراق والأسطار ، وهل يخفى النهار ؟ ولكل هبوب رُكود ، والدهر
حَسُود لمن يَسُود ، فراجعت الفرنج كَرَّتْها ، واستلرکت مَعَرَّتْها ، فدوَّمت
جوارحها وحلَّقَتْ ، وأومضت بوارقها وتألقت ، وتشبّثت وتعلقت ، وأرسلت

١ ك : وآخر ولاء ذلك المنع .

٢ الخضم : التناول بجميع الفم ، أما القضم فهو بمقدم الفم .

٣ من قول بشار :

يسقط الطير حيث ينتثر الحب وتنفث منازل الكرماء

٤ ك : والأوداق والأمطار .

الأعينة وأطلقت ، وراجعت العقائل التي طَلَقَتْ ، حتى لم يبق من الكتاب إلا الحاشية ، ولا من الليل إلا الناشية ، وسقطت الغاشية ، وأخلدت الفثة المتلاشية ، وتقلصت الظلال الفاشية ، إلا أن الله تدارك بقوم رُجِحَ من سَلَفنا أثبتوا في مستنقع الموت^١ أقدامهم ، وأخلصوا لله بأسهم وإقدامهم ، ووصلوا سيوفهم الباترة^٢ بحُطاهم ، وأعطاهم منشور العز من أعطاهم ، حين تعين الدين ونجيز ، واشتد بالمداغة وتميز ، وعادت الحروب سيجالاً ، وعلم الروم أن لله رجالاً ، وقد أوفد جدنا - رضي الله عنه - على أبواب سلفكم من وقائعه في العبدو كل مُبَشِّرَة ، ووجودية منتشرة ، ضحكت لها ثغور الثغور ، وسرت بها في الأعطاف حُمية السرور ، وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور ، وتسامت في الدور^٣ ، وخفّرت في وجوه البسور ، فإن ذمام الإسلام موصل ، وفروعه تجمعها في الله أصول ، وما أقرب الحزن ممّن داره صول^٤ ، والملة - والمنّة لله - واحدة ، والنفوس لا منكورة للحق ولا جاحدة ، والأقدار معروفة ، والآمال إلى ما يوصل إلى الله مصروفة ، فإذا لم يكن الاستدعاء ، أمكن الدعاء ، والخواطر فعالة ، والكل على الله عالة ، والدين غريب والغريب يحن إلى أهله ، والمرء كثير بأخيه على بُعد محله .

انتهى المقصود من المخاطبة ممّا يتعلّق بهذا الباب ، والله سبحانه وتعالى الموفّق للصواب ، وإليه المرجع والمآب^٥ .

.....

١ ك : الحرب ؛ وهو من قول أبي تمام :

فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الخشر

٢ ك : البارقة .

٣ ك : في درر النحور .

٤ من قول الحماسي :

ما أقدر الله أن يذني على شحط - من داره الحزن من داره صول

٥ وإليه . . . والمآب : سقطت من ك .

الباب الثالث

في سرد بعض ما كان للدين بالأندلس من العز السامي العماد ، والقهر للعدو
في الرواح والغدو والتحرك والهدو والارتياح البالغ غاية الآماد ، وإعمال
أهلها للجهاد ، بالحد والاجتهاد ، في الجبال والوهاد ، بالأسنة المشرعة
والسيوف المستلثة من الأغمار

أقول : قدّمنا في الباب قبل هذا ما كان من نصر المسلمين ، وفتحهم
الأندلس . ، وما حصل لهم من سلطان بها إلى مجيء الداخل ، فتقررت القواعد
السلطانية ، وعلت الكلمة الإيمانية ، كما نسرد هنا إن شاء الله تعالى .
وذكر غير واحد — منهم ابن حزم^١ — أن دولة بني أمية بالأندلس كانت
أنبلّ دول الإسلام ، وأنكاهها في العدو ، وقد بلغت من العز والنصر ما لا مزيد
عليه ، كما سترى بعضه .

• • •

[عبد الرحمن الداخل]

وأصل هذه الدولة — كما قال ابن خلدون^٢ وغير واحد — أن بني أمية لما
نزل بهم بالمشرق ما نزل ، وغلبهم بنو العباس على الخلافة ، وأزالوهم عن
كرسيها ، وقتل عبد الله بن علي مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر
خلفائهم سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وتبع بني مروان بالقتل ، فطلبوا بطن الأرض

١ راجع ابن عذاري ٢ : ٥٨ .

٢ تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٢٠ وسيورد المقرئ ترجمة مصحبة لعبد الرحمن في الباب السادس .

من بعد ظهرها ، وكان ممّنْ أفلّتْ منهم عبدُ الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكان قومه يتحيّنون له ملكاً بالمغرب ، ويرون فيه علامات لذلك يَأْثُرُونَهَا عن مَسْلَمَةَ بن عبد الملك ^١ ، وكان هو قد سمعها منه مشافهة ، فكان يحدّث نفسه بذلك ، فخلص إلى المغرب ، ونزل على أخواله نَفْزَةً من برابرة طرابلس ، وشعر به عبدُ الرحمن بن حبيب ، وكان قد قتل ابني الوليد ابن يزيد بن عبد الملك لما دخلا إفريقية ، فلحق بمُغَيْلَةَ ، وقيل : بمكناسة ، وقيل : يقوم من زَنَاتِهِ ، فأحسنوا قبوله ، واطمأن فيهم ، ثم لحق بمُكَلِيلَةَ ، وبعث بَدْرًا مولاه إلى مَنْ بالأندلس من موالي المروانيين وأشياعهم ، فاجتمع بهم وبتّوا له في الأندلس دعوة ، ونشروا له ذكراً ، ووافق قدومه ما كان من الإحترار بين اليمينية والمضريّة فأصفقت اليمينية على أمره لكون الأمر كان ليوسف بن عبد الرحمن الفهري وصاحبه الصّميل ، ورجع بَدْر مولاه إليه بالخبر ، فأجاز البحر سنة ثمان وثلاثين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور ، ونزل بساحل المنكب ، وأتاه قوم من أهل إشبيلية فبايعوه ، ثم انتقل إلى كورة ريّة فبايعه عاملها عيسى ابن مُساور ، ثم إلى شَدُوْنَة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي ، ثم إلى مورور فبايعه ابن الصباح ، ونهّد إلى قُرْطُبَة فاجتمعت إليه اليمينية ، ونُحِيَ خبره إلى والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، وكان غازياً بجَلْقِيَّة ، فانفضّ عسكره ، ورجع إلى قُرْطُبَة ، وأشار عليه وزيره الصّميل بن حاتم بالتلطّف له ، والمكر به ، لكونه صغير السن ، حديث عهد بنعمة ، فلم يتم ما أراد ^٢ ، وارتحل عبدُ الرحمن من المنكب ، فاحتلّ بمالقة فبايعه جندها ، ثم برُندة ^٣ ، ثم بشرّيش كذلك ، ثم بإشبيلية ، فتوافت إليه جنود الأمصار ، وتسايلت المضرية إليه ، حتى إذا لم يَبْقَ مع يوسف بن عبد الرحمن غيرُ الفهرية والقيسية

١ سيورد المقرئ من بعد طرفاً من هذه الأخبار عن مسلمة .

٢ ابن خلدون : فلم يتم له مراده .

٣ زاد ابن خلدون : فبايعه جندها .

لمكان الصَّمِيل منه زَحَفَ حينئذ عبدُ الرحمن الداخل ، وناجزهم الحرب بظاهر قرطبة ، فأنكشف يوسف ، ونجا^١ إلى غرناطة فتحصن بها ، واتبعه الأمير عبدُ الرحمن فنازله ، ثم رغب إليه يوسف في الصلح ، فعقد له على أن يسكن قرطبة ، ثم أقفله معه ، ثم نقض يوسف عهده ، وخرج سنة إحدى وأربعين ومائة^٢ ، ولحق بطليطلة ، واجتمع إليه زهاء عشرين ألفاً من البربر ، وقدم الأمير عبدُ الرحمن للقائه عبدُ الملك بن عمر المرواني ، وكان وفدَ عليه من المشرق ، وكان أبوه عمر بن مروان بن الحكم في كنفالة أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر ، فلما دخلت المسودة أرضَ مصر خرج عبد الملك يومُ الأندلس في عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس والنجدة ، حتى نزل على عبد الرحمن سنة أربعين ، فعقد له على إشبيلية^٣ ، ولابنه عمر بن عبد الملك على مَرُور ، وسار يوسف إليهما ، وخرجا إليه ولقياه ، وتناجز الفريقان ، فكانت الدائرة على يوسف ، وأبعد المفرّ ، واغتاله بعض أصحابه بناحية طليطلة ، واحتز رأسه ، وتقدم به إلى الأمير عبد الرحمن ، فاستقام أمره ، واستقر بقرطبة ، وثبت قدمه في الملك ، وبني المسجد الجامع والقصر بقرطبة ، وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ، ومات قبل تمامه ، وبني مساجد ، ووفد عليه جماعة من أهل بيته من المشرق ، وكان يدعو للمنصور ، ثم قطع دعوته ، ومهدّ الدولة بالأندلس ، وأثّل بها الملك العظيم لبني مروان والسلطان العزيز ، وجدّد ما طُمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها ، واستلحم الثّوار عليه على كثرتهم في التّواحي ، وقطع دعوة آل العباس من منابر الأندلس ، وسدّ المذاهب منهم دونها ، وهلك سنة ثنتين وسبعين ومائة ، وكان يُعرف بعبد الرحمن الداخل ، لأنّه أول داخل من ملوك بني مروان إلى الأندلس ، وكان أبو جعفر المنصور يُسميه « صقر قریش »^٣

١ كذا في ط وقد تقرأ « وبلغاً » في بقية الأصول .

٢ انظر ابن عذاري ٢ : ٧٣ في تفصيل الخبر عن نهاية يوسف الفهري .

٣ ابن خلدون : صقر بني أمية .

لَمَّا رَأَى أَنَّهُ فَعَلَ بِالْأَنْدَلُسِ مَا فَعَلَ^١ ، وَمَا رَكِبَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَخْطَارِ ، وَأَنَّهُ نَهَدَ
إِلَيْهَا مِنْ أُنَاىِ دِيَارِ الْمَشْرِقِ مِنْ غَيْرِ عَصَابَةٍ وَلَا أَنْصَارٍ ، فَغَلَبَ أَهْلَهَا عَلَى أَمْرِهِمْ ،
وَتَنَاوَلَ الْمَلِكُ مِنْ أَيْدِيهِمْ بِقُوَّةِ شَكِيمَةٍ ، وَمَضَاءِ عَزَمٍ حَتَّى انْقَادَ لَهُ الْأَمْرُ ، وَجَرَى
عَلَى اخْتِيَارِهِ ، وَأَوْرَثَهُ عَقِبَهُ ، وَكَانَ يَسْمَى بِالْأَمِيرِ ، وَعَلَيْهِ جَرَى بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ ،
فَلَمْ يُدْعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَأْدِبًا مَعَ الْخِلَافَةِ بِمَقَرِّ الْإِسْلَامِ وَمُسْتَدَى
الْعَرَبِ ، حَتَّى كَانَ مِنْ عَقِبِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ ، وَهُوَ ثَامِنُ بَنِي أُمِيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ ،
فَتَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا سَنَذْكُرُهُ ، لَمَّا رَأَى مِنْ ضَعْفِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ
الثَّلَاثِمِائَةِ ، وَغَلَبَةِ الْأَعَاجِمِ عَلَيْهِمْ ، وَكَوْنِهِمْ لَمْ يَتْرَكُوا لَهُمْ غَيْرَ الْإِسْمِ ، وَتَوَارِثَ
التَّلْقِيبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَنُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ .

• قَالَ ابْنُ خُلْدُونُ^٢ : وَكَانَ لِبَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ بِالْعُدُوَّةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ مُلْكٌ
ضَخِيمٌ وَدَوْلَةٌ مَتَسَعَةٌ انْصَلَتْ إِلَى مَا بَعْدَ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ ، وَعِنْدَمَا شُغِلَ الْمُسْلِمُونَ بِعَبْدِ
الرَّحْمَنِ وَتَمْهِيدِ أَمْرِهِ قَوِيَّ أَمْرُ الْجَلَالَةِ ، وَاسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُمْ ، وَعَمِدَ فَرَوِيلَةُ بْنُ
أَذْفُونِشَ مَلِكَهُمْ إِلَى ثَغُورِ الْبِلَادِ فَأَخْرَجَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا ، وَمَلَكَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ ،
فَمَلَكَ مَدِينَةَ لُكَّ^٣ وَبَرْتَقَالَ وَسَمَّوْرَةَ وَشَلْمَنْقَةَ وَقَشْتَالَةَ وَشَقُوبِيَّةَ^٤ ، وَصَارَتْ
لِلْجَلَالَةِ حَتَّى افْتَتَحَهَا الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ آخِرَ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ اسْتَعَادَهَا بَعْدَهُ
فِيمَا اسْتَعَادُوهُ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَاسْتَوَلَوْا عَلَى جَمِيعِهَا حَسْبَمَا يُذَكَّرُ ، وَلِلَّهِ
سُبْحَانَهُ الْأَمْرُ ؛ انْتَهَى .

وَخَاطَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَارِلَهُ^٤ مَلِكَ الْإِفْرَنْجِ ، وَكَانَ مِنْ طُغَاةِ الْإِفْرَنْجِ ،
بَعْدَ أَنْ تَمَرَّسَ بِهِ مَدَّةً ، فَأَصَابَهُ صُلْبُ الْمَكْسِرِ ، تَامَّ الرَّجُولِيَّةُ ، فَعَالَ مَعَهُ إِلَى

١ ابن خلدون : لما رأى ما فعل بالأندلس .

٢ كذا في ج ، والنقل عن ابن خلدون ما يزال مستمراً ؛ وفي ق : قال ابن سعيد ؛ وفي ك : قال
ابن حيان ؛ وفي ط يابس .

٣ شقوبية : (Segovia) .

٤ قارله : سقطت من ط ؛ وفي ج : فارله .

المدارة ، ودعاه إلى المصاهرة والسلم ، فأجابه للسلم ، ولم تم المصاهرة .
قال ابن حيّان^١ : ألفى^٢ الداخل الأندلس ثغراً قاصياً غفلاً من حيلة
الملك عاطلاً ، فأرّهف أهلها بالطاعة السلطانية ، وحتّكهم بالسيرة الملوكية ،
وأخذهم بالآداب فأكسبهم عمّا قليل المروءة ، وأقامهم على الطريقة ، وبدأ
فدوّن الدواوين ، ورفع الأواوين ، وفرض الأعطية ، وعقّد الأثوية ،
وجنّد الأجناد ، ورفع العِماد ، وأوثق الأوتاد ، فأقام للملك آله ، وأخذ
للسلطان عدّته ، فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحذّروا جانبه ، وتحمّوا
حوزّته ، ولم يلبث أن دانت له بلاد الأندلس ، واستقلّ له الأمر فيها . فلذلك
ما ظلّ عدوّه أبو جعفر المنصور - بصيدٍ حيسٍ ، وبُعسدٍ غمّوره ،
وسعة إحاطته - يسترجع عبد الرحمن كثيراً ، ويتعدّ له بنفسه ، ويكثر ذكره ،
ويقول : لا تعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مِرّاسه وقوة أسبابه ، فالشان في أمر
فني قريش الأخوذّي الفد في جميع شؤونه ، وعدمه لأهله ونشبهه ، وتسليه
عن جميع ذلك ببعد مرقى همته ، ومتضاء عزيمته ، حتى قدّف نفسه في بلج
المهالك لابتناء مجده ، فاقتحم جزيرة شاسعة المحل ، نائية المطمع ، عصبية^٣
الجند ، ضرب بين جنّديها بخصوصيته ، وقمّع بعضهم ببعض بقوة حيلته ،
واستمال قلوب رعيّتها بقضية سياسته ، حتى انقاد له عصيهم^٤ ، وذلّ له
أبيهم ، فاستولى فيها على أريكته ، ملكاً على قطعت^٥ ، قاهراً لأعدائه ، حامياً
لدماره ، مانعاً لحوزّته ، خالطاً الرغبة إليه بالرهبة منه ، إن ذلك هو الفتي كلّ^٥
الفتي لا يكذب مادحه . وجعل ابن حيّان من النوادر العجيبة موافقة عبد
الرحمن هذا لأبي جعفر المنصور في الرجولية والاستيلاء والصّرامة ، والاجترأ

١ هكذا في ك ؛ والكلام متصل في ج ؛ وفي ط بياض ؛ وفي ق : وقال في المطبع .

٢ ك : لما ألفى . . . أرهف .

٣ ط : عصبية .

٤ ك : قطيعته .

على الكبائر والقساوة ، وأنَّ أم كل واحد منهما بربرية .
 وكان الداخل يقعد للعامّة ، ويسمع منهم ، وينظر بنفسه فيما بينهم ،
 ويتوصل إليه من أراده من الناس ، فيصل الضعيف منهم إلى رفع ظلامته إليه
 دون مشقة ، وكان من عادته أن يأكل معه من أصحابه مَنْ أدرك وقت طعامه ،
 ومَنْ وافق ذلك من طلاب الخوايج أكل معه .
 وفي كتاب ابن زيدون^١ أنّه كان أصهَب ، خفيف العارضين ، بوجهه
 خال^٢ ، طويل القامة ، نحيف الجسم ، له ضفّيرتان ، أعور أخشم ، والأخشم :
 الذي لا يشم ، وكان يلقب « بصقر قریش » لكونه تغرّب وقطع البر والبحر ،
 وأقام ملكاً قد أدبر وحده .

ولمّا ذكر الحجازي أنّه أعور قال : ما أنشد فيه إلّا قول امرئ القيس^٣ :

لكن عُوَيْرَ وَفَى بدمته لا عَوْرَ شأنه ولا قِصْرُ

وقال ابن خلدون^٤ : « وفي سنة ست وأربعين سار العلّاء بن مُغيث اليحصبي
 من إفريقية إلى الأندلس ، ونزل بباجة الأندلس داعياً لأبي جعفر المنصور ،
 واجتمع إليه خلق ، فسار عبد الرحمن إليه ولقيه بنو آحي إشبيلية ، فقاتله أبّاماً ،
 ثمّ انهزم العلّاء ، وقتل في سبعة آلاف من أصحابه ، وبعث عبد الرحمن برؤوس
 كثير منهم إلى القيروان ومكة ، فألقيت في أسواقها سرّاً ، ومعها اللواء الأسود ،
 وكتاب المنصور للعلّاء^٥ » ، فارتاع المنصور لذلك وقال : ما هذا إلا شيطان ،
 والحمد لله الذي جعل بيننا وبينه البحر ، أو كلاماً هذا معناه ، وقد مرّ ذكر ذلك .

١ هو كتاب « التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس » لأبي الوليد ابن زيدون (ولعله لابنته أبي بكر)
 جعله على مثال « كتاب التبيين في خلفاء المشرق » للمسعودي ، ذكره ابن سعيد في تذييله على رسالة
 ابن حزم في فضل الأندلس .

٢ ديوان امرئ القيس ١٣٣٠ وعوير هو العوير بن شجنة من بني عوف ، مدحه بالوفاء .

٣ تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٢٢ وانظر ابن حذاري ٢ ٧٧ وابن القوطية : ٥٧ .

٤ هنا يتّهي النقل عن ابن خلدون .

وكثرت ثورة رؤساء العرب بالأندلس على عبد الرحمن الداخل ، ونافسوه ملكه ، ولقي منهم خطوباً عظيمة ، وكانت العاقبة له ، واستراب في آخر أمره بالعرب ، لكثرة من قام عليه منهم ، فرجع إلى اصطناع القبائل من سواهم ، واتخاذ الموالي ، ثم غزا بلاد الإفرنج والبشكنس ومن وراءهم ، ورجع بالظفر ، وكان في نيته أن يحدد دولة بني مروان بالمشرق ، فمات دون ذلك الأمل ، وكانت مدة ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ، إذ دخل الأندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة ، ومات سنة اثنتين وسبعين ، وقيل : إحدى وسبعين ومائة ، في خلافة الرشيد ، وأمه أم ولد بربرية اسمها راح ، ومولده سنة ثلاث عشرة ومائة ، بدير حنا من أرض دمشق ، وقيل : بالعلياء من تدمر ، ومات أبوه في أيام أبيه هشام سنة ثمانى عشرة عن إحدى وعشرين سنة ، وكفله وإخوته جدّهم هشام ، وذهب لعبد الرحمن هذا جميع الأخماس التي اجتمعت للخلفاء بالأندلس ، وأقطعه إيتاها ، ووجه لحيازتها من الشام سعيد بن أبي ليلى ، وقيل : لأنه لما قصد المغرب من فلسطين خرج معه أربعة : بدر مولى أبيه ، وأبو شجاع ، وزباد ، وعمر ، وقيل : إن بدرأ لحقه ولم يخرج معه ، فالله أعلم ، وخلف من الولد عشرين ، منهم أحد عشر رجلاً وتسع إناث .

وحكى غير واحد أنه لما هرب من الشام إلى إفريقية قاصداً الأندلس نزل بمغيلة ، فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس ، ويكنى أبا قرّة ، فاستتر عنده وقتاً ، وخلق به بدر مولى أبيه بجوهر وذهب أنفدته أخته إليه ، فلما دخل الأندلس واستتب أمره به سار إليه أبو قرّة وانسوس البربري ، فأحسن إليه ، وحظي عنده ، وأكرم زوجته تكفات البربرية التي خبأته تحت ثيابها عندما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه ، فقال لها عبد الرحمن مداعباً حين استظلت بظله في الأندلس : لقد عذبتني بريح لبطنك يا تكفات على ما كان بي من الخوف ، وسعطني^١ بأنتن من ريح الجيف ، فكان جوابها له مسرعة : بل ذلك

١ ك : وسعطني .

كان والله يا سيدي منك خرج ولم تشعر به من فرط فزعك ، فاستظرف جوابها ،
وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك ، وهذا من آفات المزاح .
ومن محاسنه أنه أدار السور بقرطبة ، رحمه الله تعالى .

* * *

[هشام بن عبد الرحمن]

وتولى الملك بعده ابنه هشام بعهد منه إليه ، وأمه أم ولد اسمها حُلُل^١ ،
وأفضى إليه الملك وهو بماردة^٢ وال عليها ، وكان أبوه يوليه في حباه ويرشحه
للأمر ، وكان الداخِل كثيراً ما يسأل عن ابنه سليمان وهشام ، فيذكر له أن
هشاماً إذا حضر مجلساً امتلاً أدباً وتاريخاً وذكر لأُمُور الحرب ومواقف الأبطال ،
وما أشبه ذلك ، وإذا حضر سليمان مجلساً امتلاً سخفاً وهدياناً ، فيكبر هشام في
عينه بمقدار ما يصغر سليمان^٣ ، وقال يوماً لهشام : لمن هذا الشعر :

وتَعْرِف فيه من أبيه شاملاً^٤ ومن خاله أو من يزيد ومن حُجْر
سماحة ذا ، وبرّ ذا ، ووفاء ذا ، وتائل ذا ، إذا صحا وإذا سكر

فقال له : يا سيدي لامرئ القيس ملك كندة ، وكأله قاله في الأمير أعزّه
الله ، فضمه إليه استحساناً بما سمع منه ، وأمر له بإحسان كثير ، وزاد في غينه .
ثم قال لسليمان على انفراد : لمن هذا الشعر ؟ وأنشده البيتين ، فقال : لعلهما
لأحد أجلاف العرب ، أما لي شغل غير حفظ أقوال بعض الأعراب^٥ ؟ فأطرق عبد
الرحمن ، وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية .

ولما ولي هشام^٦ أشخصَ المنجم المعروف بالضبي من وطنه الجزيرة الخضراء

١ ابن عذاري : جمال ؛ والحميدي : حوراء .

٢ انظر الحلة السراء ١ : ٤٢ .

٣ ط : أقوال بفناء العرب .

٤ ابن القوطية : ٦٤ والمتعلقات (الورقة : ٨٢) .

إلى قُرْطُبَة ، وكان في علم النجوم والمعرفة بالحركات العلوية بطليموس زمانه
 حذوقاً وإصابة ، فلما أتاه خلا به وقال له : يا ضبي ، لست أشك أنه قد عثاك
 من أمرنا إذ بلغك ما لم يُدْعَ تجديد^١ النظر فيه ، فأشددك الله إلا ما نبأتنا بما ظهر
 لك فيه ، فلتجَلِّج وقال : أعفني أيها الأمير ، فإنني أملت به ، ولم أحقق النظر
 فيه لخلالته في نفسي ، فقال له : قد أجَلَلْتُكَ لذلك ، فتفرَّغ للنظر فيما بقي عليك
 منه ، ثم أحضره بعد أيام ، فقال : إن الذي سألتك عنه جدّ مني ، مع أنني
 والله ما أثق بحقيقته ، إذ كان من غَيَّب الله الذي استأثر به ، ولكنني أحب أن
 أسمع ما عندك فيه ، فالنفس طَلَعَة ، وألزمه الصلّة أو العقوبة ، فقال : اعلم
 أيها الأمير أنه^٢ سوف يستقر ملكك ، سعيداً جدّك ، قاهراً لمن عاداك ، إلا أن
 مدّتك فيه فيما دل عليه النظر تكون ثمانية أعوام أو نحوها ، فأطرق ساعة ثم
 رفع رأسه وقال : يا ضبي ما أخوفني أن يكون النذير كلّمني بلسانك ، والله
 لو أن هذه المدّة كانت في سَجْدَة لله تغالي لقلّت طاعة له ، ووصلته ونخلع
 عليه ، وزهد في الدنيا ، والترم أفعال البر^٣ .

ومن حكاياته في الجود^٤ أنه كان قاعداً لراحته في عِلْيَة على النهر في حياة
 والده ، فنظر إلى رجل من قدماء صنائعه من أهل جَيَّان قد أقبل يوضع السير
 في الهاجرة ، فأكر ذلك ، وقدّر شراً وقع به من قبل أخيه سليمان ، وكان والياً
 على جَيَّان ، فأمر بإدخاله عليه ، فقال له : مهيم يا كناني ، فلأمر ما جئت ، وما
 أحسبك إلا^٥ مزعجاً لشيء دَهَمَكَ^٥ ، فقال : نعم يا سيدي ، قَتَلَ رجل من
 قومي رجلاً خطأ ، فحملت الدية على العاقلة ، فأخذ بها من كنانة عامة ، وحُمِلَ^٦

١ ك : لم ندع تجديد . ٢ أنه : سقطت من ق ط ج .

٣ ك : ولزم أفعال الخير والبر .

٤ أخبار مجموعة : ١٢١ - ١٢٤ ، وابن عذاري ٢ : ٩٩ (٦٧ ط . لندن) .

٥ في ط بياض موضع « مهيم » و « جئت » وفي أخبار مجموعة : ما خبرك يا كناني ، فلا أحسبك
 إلا قد هلك أمر .

٦ أخبار مجموعة وابن عذاري : وحيث .

عليّ من بينهم خاصّة ، وقصدي أنخوك بالاعتداء إذ عرف مكاني منك ، فمد هشام يده إلى جارية كانت وراء السرّ ، وقطع قلادة عقد نفيس كان في نحرها ، وقال له : دونك هذا العقد يا كناني ، وشرأوه عليّ ثلاثة آلاف دينار ، فلا تُخذَ عَنّْ عنه ، وبعه ، وأدّ عن نفسك وعن قومك ، ولا تمكن الرجل من اهتضامك ، فقال : يا سيدي ، لم آتلك مستجدياً ولا لضيق المال عمّا حملته ، ولكنّي لما اعتُمدتُ بظلم صُراح أحببت أن يظهر عليّ عزّ نصرك ، وأثر ذبّك وامتناعك^١ ، فأتمجّد بذلك عند من يحسدني على الانتماء إليك ، فقال هشام : فما وجه ذلك ؟ فقال : أن تكتب إلى أخيك في الإمساك عنيّ ، والقيام بدمّتك لي ، فقال : أمسك العقد ، وركب من حينه إلى والده الداخل ، واستأذن عليه في وقت أنكره ، فانزعج ، وقال : ما أتى بأبي الوليد في هذا الوقت إلاّ أمر مقلق ، ائذنوا له ، فلما دخل سلّم عليه ، ومثّل قائماً بين يديه ، فقال له : اجلس يا هشام ، فقال : أصلح الله الأمير سيدي ، وكيف جلوسي بهمّ وذل مزعج ، وحقّ لمن قام بمقامي أن لا يجلس إلا مطمئنّاً ، ولن يقعدني إلا طيب نفسي بإسعاف الأمير لحاجتي ، وإلا رجعتُ على عقبي ، فقال له : حاشاك من انقلابك خائباً ، فاقعد مُجاباً مُشَفَّعاً ، فجلس ، فقال له أبوه : فما الحدث المقلق ؟ فأعلمه ، فأمر بحمّل الدية عنه وعن عشيرته من بيت المال ، فسُرّ هشام وأطنب في الشكر ، وكتب الأمير إلى ولده سليمان في ترك التعرض لهذا الكناني . ولما دخل الكناني لوداع هشام قال له : يا سيدي قد تجاوزتُ بك حدّ الأمنية ، وبلغت غاية النصر ، وقد أغنى الله عن العقد المبدول بين يدي العناية الكريمة ، فتعيده إلى صاحبه ، فأبى من ذلك ، وقال : لا سبيل إلى رجوعه إلينا .

وكان هشام يذهب بسيرته مذهبَ عمر بن عبد العزيز ، وكان يبعث بقوم

.....

١ أخبار مجموعة : وأثر عنايتك .

من ثقافته إلى الكُور^١ فيسألون الناس عن سِير عُمّاله ، ويخبرونه بمحافاتها ، فإذا انتهى إليه حَيْف من أحدهم أوقع به وأسقطه وأنصف منه ، ولم يستعمله بعد .

ولمّا وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن أنس قال^٢ : ليت أن الله تعالى زين مؤسماً بمثل هذا^٣ .

وفي أيامه فُتحت أربؤنة الشهيرة^٤ ، واشترط على المعاهدين من أهل جليقية من صغاب شروطه انتقال عدد من أحمال التراب من سور أربؤنة المفتوحة يحملونها إلى باب قصره بقُرْطُبة ، وبني منه المسجد الذي قدّام باب الجنان ، وفضلت منه فضلة بقيت مكومة .

وقاسى مع المخالفين له من أهل بيته وغيرهم حروباً ، ثم كانت الدائرة له . وقصد إلى بلاد الحرب غازياً ، وقصد ألبّة والقلاع ، فلقي العدوّ وظفر بهم ، وفتح الله عليه سنة خمس وسبعين^٥ . وبعث العساكر إلى جليقية مع يوسف بن بخت^٦ فلقي ملكها برمند^٧ ، وهزمه ، وأُتخّن في العدوّ .

وفي سنة ست وسبعين^٨ بعث وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة العدوّ ، فبلغ ألبّة والقلاع ، فأُتخّن في نواحيها ، ثمّ بعثه في العساكر سنة سبع وسبعين إلى أربؤنة وجرنندة^٩ فأُتخّن فيها ، ووطىء أرض برطانية ، وتوغل

١ ابن عذاري ٢ : ٩٨ (٦٦ ط . ليدن) .

٢ أخبار مجموعة : ١٢٠ وابن القوطية : ٦٥ .

٣ ق : ان الله تعالى زين . . . وأخبار مجموعة : وددت أن الله ؛ وسقطت « ليت أن » أو ما يقابلها من ط . وفي ك : نسأل الله أن يزين . . .

٤ كان ذلك عام ١٧٧ .

٥ في ابن عذاري : سنة ١٧٦ .

٦ هكذا في البيان المغرب : ٩٥ وفي ط ق : بن نجبة ؛ وفي ك ج : ابن نجبة .

٧ ك : ابن منده ، اقرأ « ابرمنده » وفي البيان : برمود = (Vermudo) .

٨ انظر ابن عذاري ٢ : ٩٥ (٦٤ ط . ليدن) .

٩ جرنندة : (Gerona) إلى الشمال الشرقي من برشلونة .

عبدُ الملك في بلاد الكفار وهزمهم ، ثم بعث العساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد إلى ألبه والقلاع سنة ثمان وسبعين ، ومع أخيه عبد الملك بن عبد الواحد إلى بلاد جليقية ، فأنتهى إلى استرقة^١ ، فجمع له ملك الجلالقة واستمد بملك البُسْكُنْس ، ثم خام عن اللقاء ، ورجع أدراجته ، واتبعه عبدُ الملك ، وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحية أخرى ، فالتقوا بعبد الملك ، وأُتخِنوا في البلاد ، واعترضتهم عساكر الفرنج فنالوا منهم بعض الشيء ، ثم خرجوا سالمين ظافرين . ومن محاسنه أنه جدّد القنطرة التي يُضْرَب بها المثل بقرطبة كما سبق ، وكان بَنَاهَا السَّمُحُ الحَوَّلَانِي عاملُ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فأحكم هشام بناءها إلى الغاية ، وقال يوماً لأحد وزرائه^٢ : ما يقول أهل قرطبة ؟ فقال : يقولون : ما بناها الأمير إلا ليمضي عليها إلى صيده وقتنّصه ، فألى هشام على نفسه أن لا يسلك عليها ، فلم يمرّ عليها بعدُ ، ووفى بما حلف عليه .

ومن محاسنه^٣ أيضاً إكمال بناء الجامع بقُرْطُبة ، وكان أبوه شرّع فيه ، ومن محاسنه أنه أخرج المصدّق لأخذ الزكاة على الكتاب والسنة ، رحمه الله . ثم توفّي سنة ثمانين ومائة ، لسبع سنين وتسعة أشهر من إمارته ، وقيل : لثمان - وكان من أهل الخير والصلاح ، كثير الغزو والجهاد - وعمره أربعون سنة وأربعة أشهر ، ووُلِدَ في شوال سنة ١٣٩ هـ .

* * *

[الحكم بن هشام]

وولي بعده ابنه الحكم^٤ بعهدٍ منه إليه ، فاستكثر من الماليك ، وارتبط

١ استرقة أو اشتركة : (Astorga) من منطقة جليقية إلى الغرب في اتجاه الشمال من مدينة لبله (Niebla) .

٢ ابن عذاري ٢ : ٦ (٦٦ ط. ليدن) .

٣ هذا النص متأخر في أصول النسخ عن قوله : « ثم توفّي ... الخ » فاصل خبر الوفاة إلى جزئين ، يبدأ الثاني منهما بقوله « وعمره ... » ولهذا الاضطراب أبحث لنفسي إعادة ترتيبه .

٤ في الأصول : ١٣٧ . ابن خلدون ٤ : ١٢٥ .

الحيل ، واستفحل ملكه ، وباشر الأمور بنفسه ، وفي خلال فتنة كانت بينه وبين عميه اغتنم العدو الكافر الفرصة في بلاد المسلمين ، وقصدوا^١ برشيلونة فملكوها سنة خمس وثمانين ، وتأخرت عساكر المسلمين إلى ما دونها ، وبعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث^٢ إلى بلاد الجلالقة ، فأثنوا فيها ، وخالفهم العدو إلى المضايق ، فرجع على التعبئة ، وظفر بهم ، وخرج إلى بلاد الإسلام ظافراً .

وكانت له الواقعة الشهيرة مع أهل الربض^٣ من قرطبة لأنه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذاته ، فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة ، مثل يحيى ابن يحيى الليثي^٤ صاحب مالك وأحد رواة الموطأ عنه وطالوت الفقيه وغيرهما ، فثاروا به ، وخلعوه ، وبايعوا بعض قرابته ، وكانوا بالربض الغربي من قرطبة ، وكان محلة^٥ متصلة^٦ بقصره ، فقاتلهم الحكم فغلبهم واقتروا وهدم دورهم ومساجدهم ، ولحقوا بفاس من أرض العدو ، وبالإسكندرية من أرض المشرق ، ونزل بها جمع منهم ، ثم ثاروا بها ، فزحف إليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمأمون بن الرشيد ، وغلبهم ، وأجازهم إلى جزيرة أفرطيش ، فلم يزالوا بها إلى أن ملكها الإفرنج من أيديهم بعد مدة .

... ..

١ في الأصول : وقصد

٢ الصواب : عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث .

٣ انظر تفصيل الخبر عن هيج أهل الربض أولا سنة ١٨٩ وثانيا سنة ٢٠٢ في ابن عذاري ١٠٦٠٢ ،

١١٣ وابن القوطية : ٧٢٠ والحلة السيرة ١ : ٤٤ وأوجز ابن خلدون الخبر عن وقتهم ٤ : ١٢٦٠ .

٤ يحيى بن يحيى الليثي : مصمودي سنع من مالك وعاد إلى الأندلس يعلم كثير وأصبح يفتي فيها برأي

مالك (توفي سنة ٢٣٣ أو ٢٣٤) راجع ترجمته في ابن الفرعي ٢ : ١٧٦ والجلوة : ٣٥٩

وبغية الملتبس رقم : ١٤٩٧ وابن خلكان ٥ : ١٩٤ ؛ وسيرتجم له المقرئ في الراحلين إلى المشرق

رقم : ٢ .

٥ راجع ترجمة طالوت بن عبد الجبار في الذيل والتكملة ٤ : ١٤٩ وابن القوطية : ٧٥ - ٧٧

والتكملة : ٣٤٥ .

٦ في الأصول : محله متصلا ، والتصويب عن ابن خلدون .

وكانت في أيام الحكم حروب وفتن مع الثوَّار المخالفين له من أهل طَلَيْطَلَة وغيرهم .

وفي سنة ثنتين وتسعين^١ جمع لُدَرِيْقُ^٢ بن قارُلُهُ^٣ ملك الفرنج جموعه ، وسار إلى حصار طَرَسُونَة^٤ ، فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن في العساكر ، فهزمه ، ففتح الله على المسلمين ، وعاد ظافراً .

ولما كثر عَيْثُ الفرنج في الثغور بسبب اشتغال الحكم بالخارجين عليه سار بنفسه إلى الفرنج سنة ست وتسعين^٥ ، فافتتح الثغور والحصون ، وخرَّب النواحي ، وأثخن في القتل والسبي والنهب ، وعاد إلى قُرْطُبَة ظافراً .

وفي سنة مائتين^٦ بعث العساكر مع ابن مَغِيث إلى بلاد الفرنج فحرب وهدم عدة حصون ، وأقبل عليه أليط^٧ ملك الجلالقة في جموع عظيمة ، وتنازلوا على نهر ، واقتتلوا عليه أياماً ، ونال المسلمون منهم أعظم النِّيل ، وأقاموا كذلك ثلاث عشرة ليلة ، ثم كثرت الأمطار ، ومدَّ النهر ، وقفل المسلمون ظافرين ظاهرين .

وهو أوَّل من جَنَد الأجناد ، واتخذ العدة ، وكان أفحل^٨ بني أمية بالأندلس ، وأشدَّهم إقداماً ونجدة ، وكان يشبه بأبي جعفر المنصور من خلفاء بني العباس في شدة الملك وتوطيد الدولة وقمع الأعداء ، وكان يؤثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن^٩ ، وحضر يوماً عنده ، وقد غضب فيه على خادم له لإيصاله

١ ابن عذاري ٢ : ١٠٨ وتاريخ الحملة ١٩٣ .

٢ هكذا في الأصول ودوزي ولعل الأصوب لدويق - بالواو - وهو تمريب (Ludovico) .

٣ البيان المغرب : طرطوشة .

٤ أثبت دوزي سنة ١٩٤ ولا خلاف فإن الغزو اتصل بين عامي ١٩٤ - ١٩٦ كما ورد عند ابن عذاري .

٥ ابن عذاري ٢ : ١١٢ .

٦ أليط : وردت في الأصول ، ولم يرد الاسم في ابن عذاري وأسقطه دوزي .

٧ هذه العبارة إلى قوله «وقمع الأعداء» في المغرب ١ : ٣٨ .

٨ زياد بن عبد الرحمن الملقب بشيطون (١٩٩ أو ٢٠٤) قيل إنه أول من أدخل الأندلس فقه مالك -

إليه كتاباً كره وصوله ، فأمر بقطع يده ، فقال له زياد : أصلح الله الأمير ، فإن مالك بن أنس حدثني في خبر رفعه أن « مَنْ كَظَمَ غِيظاً يَقْدِرَ عَلَى إِنْفَاذِهِ مَلَأَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَمْنًا وَإِيمَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ، فأمر أن يمسك عن الخادم ، ويعفى عنه ، فسكن غضبه ، وقال : آله إن مالكا حدثك بهذا ؟ فقال زياد : آله إن مالكا حدثني بهذا ^١ .

وكانت المجاعة الشديدة سنة سبع وتسعين ومائة ^٢ ، فأكثر فيها مواساة أهل الحاجات ، وفي ذلك يقول عباس بن ناصح الجزيري فيه ^٣ :

نَكِدَ الزَّمَانُ فَأَمِنْتُ أَيَّامَهُ مِثْلَ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُ عُسْرُ
ظَلَعَ الزَّمَانُ بِأُزْمَةٍ فَجَلَّأَ لَهُ تِلْكَ الْكَرْبَةَ جُودُهُ الْغَمْرُ

وكان نقش خاتمه « بالله يثق الحكم ويعتصم » .

وذكور ولده عشرون ، وإناتهم عشرون ، وأمه جارية اسمها زخرف .
وكان أسمر ، طوالاً ، أشم ، نحيفاً .

ومدة ملكه ست وعشرون سنة ، سامحه الله .

وقال غير واحد : إنه أول من جعل للملك بأرض الأندلس أبته ، واستعد بالممالك حتى بلغوا خمسة آلاف : منهم ثلاثة آلاف فارس ، وألفا راجل .
ثم توفي الحكم بن هشام آخر سنة ست ومائتين لسبع وعشرين سنة من ولايته ، ومولده سنة ١٥٤ .

وقال ابن خللون وغير واحد ^٤ : إنه أول من جند بالأندلس الأجناد

= وكانوا قبله على مذهب الأوزاعي (الجدوة : ٢٠٣) .

١ انظر المقتطفات (الورقة : ٨٣) .

٢ يذكر ابن عذاري أنها كانت سنة ١٩٩ .

٣ عباس بن ناصح الجزيري ، ثقفي بالولاء ، رحل إلى المشرق غير مرة ، وكان شاعراً كثير الملح للأمر الحكم ، ثم ولي قضاء الجزيرة الخضراء وشذونة (راجع ترجمته في ابن الفرعي ١ : ٣٤٠ وطبقات الزبيدي : ٢٨٤ والمغرب ١ : ٣٢٤ وبغية الوعاة ٢ : ٢٨) .

٤ انظر ابن خللون ٤ : ١٢٧ والمغرب ١ : ٣٩ .

والمرتزقة ، وجمع الأسلحة والعدَد ، واستكثر من الخدم والحواشي والحشم ،
وارتبط الخيول على بابه ، واتخذ الممالك ، وكان يسميهم الخرس لعجمتهم ،
وحكى في عدتهم ما تقدم ، ثم قال : وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس ،
وكان يباشر الأمور بنفسه ، ويقرب الفقهاء والعلماء والصالحين ، وهو الذي وطأ
الملك لعقبه بالأندلس ، انتهى .

وكان له - فيما حكى غير واحد - ألفا فرس مرتبطة على شاطئ النهر
بقبلي قصره يجمعها داران . وهو القائل لما قتل أهل الربض وهدم ديارهم
وحرثها^١ :

رَأَيْتُ صُدُوعَ الْأَرْضِ بِالسِّيفِ رَاقِعَا وَقَدْ مَا لَأَمْتُ الشَّعْبَ مَدَ كُنْتُ يَافِعَا
فَسَائِلُ ثُغُورِي هَلْ بِهَا الْيَوْمَ ثُغْرَةٌ أَبَادِرُهَا مُسْتَنْضِي السِّيفِ دَارِعَا
تُنَبِّئُكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاعِهِمْ بِيَوَانٍ ، وَقَدْ مَا كُنْتُ بِالسِّيفِ قَارِعَا
وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَفَيْتُهُمْ صَاعَ قَرَضِهِمْ فَوَاقُوا مِنَايَا قُدَّرْتُ وَمَصَارِعَا
فَهْدِي بِلَادِي ، لَأَتِّي قَدْ تَرَكْتُهَا مِهَادَا ، وَلَمْ أَتْرِكْ عَلَيْهَا مُنَازِعَا

وقال ابن حزم في حقه^٢ : إنه كان من المجاهرين بالمعاصي ، السافكين
للدماء ، ولذلك قام عليه الفقهاء والصلحاء . وقال غيره^٣ إنه تنصل أخيراً ،
وتاب ، سامحه الله .

ومن نظمه قوله متغزلاً^٤ :

قُضِبَ مِنَ الْبَانِ مَا سَتَ فَوْقَ كُثْبَانٍ وَلَكِنَّ عَنِّي وَقَدْ أَرَمَعْنَ هِجْرَانِي

١ الأبيات في ابن عذاري ٢ : ١٠٧ وأخبار مجموعة : ١٣٢ والحلة ١ : ٤٧ ومخطوط الرباط :

١٠٧ والمغرب ١ : ٤٤ .

٢ ورد هذا في نطق العروس : ٧٣ (نشر الدكتور ضيف) وانظر المغرب ١ : ٤٤ ومخطوط
الرباط : ١٠٦ .

٣ ك : غير واحد .

٤ انظر الحلة ١ : ٥٠ ومخطوط الرباط : ١٠٦ .

ومنها :

من لي بمُقتَضِيَاتِ الرُّوحِ من بدني يَغْصِبُنِي في الهوى عِزِّي وسلْطاني
وقيل : إنَّه كان يمسك أولاد الناس ويخصيهم ، ونقلت عنه أمور ، ولعلته
تاب منها كما قدّمنا ، والله أعلم بحقيقة أمره .
ومن بديع أخبار الحكماء أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر ، فلما نزل
بوادي الحجارة سمع امرأة تقول : واغوثاه بك يا حكم ، لقد أهملتنا حتى
كَلَبَ العدو علينا ، فأيتمنا وأيتمنا ، فسألها عن شأنها ، فقالت : كنت مُقبلة
من البادية في رُفقة ، فخرجت علينا خيل العدو ، فقتلت وأسرت ، فصنع قصيدته
التي أولها :

تملكتُ في وادي الحجارة مُسَهراً أراعي نجوماً ما يُردنَ تغوراً^٢
إليك أبا العاصي نَضَيْتُ مَطِيَّتِي تسيرُ بهم سارياً ومُهَجراً
تداركُ نساء العالمين بنصرة فلانك أحرزى أن تغيثَ وتُنصراً

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة
باسمه ، فأنف وناذى في الحين بالجهاد والاستعداد ، فخرج بعد ثلاث إلى وادي
الحجارة ومعه الشاعر ، وسأل عن الخيل التي أغارت من أي أرض العدو كاتب ،
فأعلم بذلك ، فغزا تلك الناحية وأثنى فيها ، وفتح الحصون ، وخرب الديار ،
وقتل عدداً كثيراً ، وجاء إلى وادي الحجارة فأمر بإحضار المرأة وجميع من
أسر له أحد في تلك البلاد ، فأحضر ، فأمر بضرب رقاب الأسرى بحضرتها ،
وقال للعباس : سكتها : هل أغاثها الحكم ؟ فقالت المرأة ، وكانت نبيلة : والله لقد
شفى الصدور ، وأنكى العدو ، وأغاث الملهوف ، فأغاثه الله ، وأعز نصره ؛

١ ورد هذا الخبر نصاً في مخطوط الرباط ١٠٧ - ١٠٨ وفي المقتطفات الورقة : ٨٣ .

٢ في الأصول ودوزي : تغيرا .

فارتاح لقولها ، وبدا السرور في وجهه وقال :

أَلَمْ تَرَ يَا عَبَّاسُ أَنِّي أَجَبْتُهَا عَلَى الْبُعْدِ أَفْتَادُ الْخَمِيسَ الْمُظْفَرَا
فَأَدْرَكْتُ أَوطَاراً وَبَرَدْتُ غَلَّةً وَنَقَسْتُ مَكْرُوباً وَأَغْنَيْتُ مُعْسِراً

فقال عباس : نعم ، جزاك الله خيراً عن المسلمين ، وقبل يده .
ومما عيبَ به أنه قتل الفقيه أبا زكريا يحيى بن مُضَرَّ القَيْسِي ، وكان
قُدُوةً في الدين والورع ، سمع من سُفْيَان ومالك بن أنس ، وروى عنه مالك
وقال : حدثنا يحيى بن مضر عن سفیان الثوري أن الطَّلَح المنضود هو الموز ،
وكان قتل المذكور مع جماعة من العلماء وغيرهم .

* * *

[عبد الرحمن بن الحكم]

وقام بأمره^١ من بعده ابنه عبد الرحمن ، بعهد منه إليه ، ثم لأخيه المغيرة
بعده ، فغزا عبدُ الرحمن لأول ولايته إلى جليقية وأبعد ، وأطال المغيب ،
وأنخن في أمم النصرانية هنالك ، ورجع .
وقدم عليه سنة ست ومائتين زرياب المغني من العراق^٢ ، وهو مؤلّي المهدي
ومتعلم إبراهيم الموصلّي ، واسمه علي بن نافع ، فركب بنفسه لتلقيه ، على ما
حكاه ابن خلدون ، وبالغ في إكرامه ، وأقام عنده بغير حال ، وأورث
صناعة الغناء بالأندلس وخلف أولاداً فخلفه كبيرهم عبدُ الرحمن في صناعته
وحفظوته .

وفي سنة ثمان^٣ أغزى حاجبه عبدَ الكريم بن عبد الواحد إلى ألبّة

١ سياق الأخبار التاريخية عن عهد عبد الرحمن بن الحكم جار وفق ما أورده ابن خلدون ٤ : ١٢٧ -

١٣٠ مع حذف ، ويظل النقل مستمراً حتى قوله « واحتجب عن العامة » .

٢ ستأتي أخبار زرياب في موضعها مفصلة .

٣ ابن عذاري ٢ : ١٢٣ ، قلت : وسياق تاريخ الممارك من بعد يختلف عما أورده ابن خلدون .

والقلاع ، فخرّب كثيراً من البلاد وانتسفها ، وفتح كثيراً من حصونهم ، وصالح بعضها على الجزية وإطلاق أسرى المسلمين ، وانصرف ظافراً .

وفي سنة أربع وعشرين بعث قريبه عبيد الله بن البلّخي في العساكر لغزو ألبّة والقلاع ، فسار ولقي العدو فهزمهم وأكثر القتل والسبي ، ثم خرج لُدّريق ملك الجلائقة ، وأغار على مدينة سالم^١ بالثغر ، فسار إليه فرتون بن موسى ، وقاتلته ، فهزمه وأكثر القتل والسبي في العدو والأسر ، ثم سار إلى الحصن الذي بناه أهل ألبّة بالثغر نكاية للمسلمين ، فافتتحه وهدمه ، ثم سار عبد الرحمن في الجيوش إلى بلاد جليقية ، فلدّونها وافتتح عدّة حصون منها ، وجال في أرضهم ، ورجع بعد طول المقام بالسبي والغنائم .

وفي سنة ست وعشرين بعث عبد الرحمن العساكر إلى أرض الفرنجة ، وانتهوا إلى أرض برّطانيّة^٢ ، وكان على مقدمة المسلمين موسى بن موسى عامل تُطيلّة^٣ ، ولقيهم العدو ، فصبر حتى هزم الله عليهم ، وكان لموسى في هذه الغزاة مقام محمود .

وفي سنة تسع وعشرين بعث ابنه محمداً بالعساكر ، وتقدم إلى بنّبلونة^٤ ، فأوقع بالمشرّكين عندها ، وقتل غربيّة صاحبها ، وهو من أكبر ملوك النصاري . وفي أيامه ظهر المجوس^٥ ، ودخلوا إشبيلية ، فأرسل إليهم عبد الرحمن العساكر مع القوّاد من قُرطبة ، فترّل المجوس من مراكبهم ، وقاتلهم المسلمون ،

١ مدينة سالم : (Medinacelli) كانت من أعظم مدن الثغر الأوسط وبينها وبين وادي الحجازة خمسون ميلاً ، وكانت أولاً عاصمة هذا الثغر ثم حلت محلها طليطلة .

٢ تطيلة : (Tudela) من مدن الثغر الأعلى إلى الشمال الغربي من سرقطة .

٣ بنبلونة : (Pamplona) عند المداخل الغربية من جبال البرت ، وتقع في سهل ريوخه (Rioja) وهي من أوائل المناطق التي استقلت عن الحكم الإسلامي .

٤ المجوس أو الاردمانيون (Nordmani) (النورمان = Norsemen) كانوا يغيرون على الأندلس من المنازل النهرية ؛ وقد ساهم العرب المجوس لأنهم كانوا يشعلون النيران كثيراً فظن العرب أنهم يبدونها ؛ انظر ابن عذاري ٢ : ١٣٠ في غارتهم سنة ٢٣٠ هـ .

فهزموهم بعد مقام صعب ، ثم جاءت العساكر مددًا من قُرطُبة فقاتلهم المجوس .
فهزمهم المسلمون وغنموا بعض مراكبهم وأحرقوها ، ورحل المجوس إلى
شدُّونة فأقاموا عليها يومين ، وغنموا بعض الشيء ، ووصلت مراكب عبد
الرحمن إلى إشبيلية فأقلع المجوس إلى لبلة ، وأغاروا وسبّوا ، ثم إلى باجة
ثم أشبونة ، ثم انقطع خبرهم حين ألقوا من أشبونة ، وسكنت البلاد ، وذلك
سنة ثلاثين ، وتقدّم عبدُ الرحمن بإصلاح ما خربوه من البلاد ، وأكثف
حاميتها .

وفي سنة إحدى وثلاثين^١ بعث العساكر إلى جليقية فدونخوا ، وحاصروا
مدينة ليون ورمّوها بالمجانيق ، وهرب أهلها عنها وتركوها ، فغنم المسلمون
ما فيها وأحرقوها ، وأرادوا هدم سورها فلم يقدروا عليه ، لأن عرضه كان
سبعة عشر ذراعاً ، فشكّموا فيه ثلثة ورجعوا .

ثم أغزى عبدُ الرحمن حاجبه عبدَ الكريم في العساكر إلى بلاد برشلونة ،
فعاث في نواحيها وأجاز الدروب التي تسمى البرت إلى بلاد الفرنجة فدونخوا قتلاً
وأسراً وسبياً ، وحاصر مدينتها العظمى جرتدة^٢ ، وعاث في نواحيها ، وقبّل .
وقد كان ملك القسطنطينية من ورائهم توفلس^٣ بعث إلى الأمير عبد الرحمن
سنة خمس وعشرين بهدية يطلب مواصلته ويرغبه في ملك سلفه بالمشرق من
أجل ما ضيق به المأمونُ والمعتصم حتى إنّه ذكرهما له في كتابه له وعبرَ عنهما
بابني مَرّاجل وماردة ، فكافأه الأمير عبدُ الرحمن عن الهدية ، وبعث إليه
يحيى الغزّال^٤ من كبار أهل الدولة ، وكان مشهوراً في الشعر والحكمة ، فأحكم

١ ابن عذاري ٢ : ١٣٢ .

٢ توفلس : (Theophilus) .

٣ سيترجم له المقرئ ؛ وهنا يذكر المقرئ نقلاً عن ابن خلدون خبر سفارته إلى القسطنطينية ، وأطنب
ابن دحية في تفصيل سفارته إلى بلاد المجوس ، ولعل تعاقب النصين هو منشأ الوهم حول هذه
السفارة . راجع المطرب : ١٢٥ - ١٤١ (وانظر ترجمة الغزّال في الحلقة : ٣٥١ ، ونهية
الملئس رقم : ١٤٦٧ ، والمغرب ٢ : ٥٧ ودراسي عنه في تاريخ الأدب الأندلسي : ١١١) ، =

بينهما الوُصلة ، وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند منازعيه من بني العباس .
ويُعرف الأمير عبد الرحمن بالأوسط ، لأن الأول عبدُ الرحمن الداخل ،
والثالث عبد الرحمن الناصر .

ثم توفي عبد الرحمن الأوسط سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، بربيع الآخر ،
لإحدى وثلاثين سنة من إمارته ؛ ومولده بِطَلَيْطَلَة في شعبان سنة ست وسبعين
ومائة .

وكان عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة ، وكانت أيامه أيام هدوء وسكون ،
وكثرت الأموال عنده ، واتخذ القصور والمنتزهات ، وجلب إليها المياه من الجبال ،
وجعل لقصّره مصنّعاً اتخذ الناس شريعة ، وأقام الجسور ، وبُنيت في أيامه
الجوامع بكُور الأندلس ، وزاد في جامع قُرْطُبة رِوَاقَيْنِ ، ومات قبل أن
يستتمه^١ ، فأتمه ابنه محمد بعده ، وبني بالأندلس جوامع كثيرة ، ورثب رسوم
المملكة ، واحتجب عن العامة .

وعدد ولده مائة وخمسون من الذكور ، وخمسون من الإناث^٢ ، ونقش
خاتمه « عابدُ الرحمن بقضاء الله راض » وفي ذلك قيل^٣ :

خاتَمٌ لِلْمُلْكِ أَضْحَى حُكْمُهُ فِي النَّاسِ مَاضِي
عَابِدُ الرَّحْمَنِ فِيهِ بِقَضَاءِ اللَّهِ رَاضِي

= وقد كتب عن سفارته عدة دراسات آخرها كتاب :

(The Poet And The Spae-Wife, by W. E. D. Allen ; London, 1960) .

١ قال ابن حيان في المقتبس (نسخة القرويين : ١٤٠) نقلاً عن الرازي : وزاد الأمير عبد الرحمن
ابن الحكم الزيادة الأولى الظاهرة من قبلته للداخل إليه . . . ؛ وقد كانت أهواء المسجد تسعة
أهواء زاد عليها عبد الرحمن بهوين من كل جانبيه فأكملها أحد عشر بهواً ؛ وكان الشروع في هذه
الزيادة سنة ٢٣٤ . . . وقال ابن القوطية : مات الأمير عبد الرحمن وقد بقي عليه في هذه الزيادة
بقايا يسيرة من تنجيد وزخرفة أتمها الأمير ابنه محمد الوالي في مكانه . (وانظر ابن القوطية : ٨٤) .
٢ ابن عذاري ٢ : ١٢٢ أن الذكور ٤٥ والبنات ٤٢ وجاء ابن سعيد (المغرب ١ : ٤٥) بأرقام
أخرى نقلاً عن ابن حزم .

٣ انظر ابن عذاري ٢ : ١٢٢ ومخطوطة الرباط : ١١٣ .

وهو أول من أحدث هذا النقش ، وبقي وراثته لمن بعده من ولده .
قال ابن سعيد^١ : وفي أيامه انتهى مالُ الجباية إلى ألف ألف دينار في السنة ،
وكان قبلُ لا يزيد على ستمائة ألف ، وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ما يخالف
هذا فليراجع ، والله أعلم .

ومن توقيعاته^٢ : من لم يعرف وجهَ طلبه ، فالحرمانُ أولى به .
ومن شعر عبد الرحمن المذكور قوله :

وَلَقَدْ تَعَارَضُ أَوْجُهُ لَأَوَامِرُ فَيَقُودُهَا التَّوْفِيقُ نَحْوَ صَوَابِهَا
وَالشَّيْخُ إِنْ يَحْوِي النُّهْيَ بِتَجَارِبِ فَشِبَابُ رَأْيِ الْقَوْمِ عِنْدَ شَبَابِهَا

وفي زيادته في جامع قرطبة يقول ابن المثنى^٣ رحمه الله تعالى :

بَنَيْتَ لِلَّهِ خَيْرَ بَيْتٍ يَخْرُسُ عَنْ وَصْفِهِ الْأَنَامُ
حَجَّ إِلَيْهِ بِكُلِّ أَوْبٍ كَأَنَّهُ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ
كَأَنَّ مِحْرَابَهُ إِذَا مَا حُفَّ بِهِ الرُّكْنُ وَالْمَقَامُ

وقال آخر^٤ :

بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ لَمْ يَكْ مِثْلُهُ وَلَا مِثْلُهُ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ مَسْجِدُ
سُورَى مَا ابْتَنَى الرَّحْمَنُ وَالْمَسْجِدَ الَّذِي بَنَاهُ نَبِيُّ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدُ
لَهُ عُمْدٌ حُمْرٌ وَخُضْرٌ كَأَنَّمَا تَلَوَّحُ يَوَاقِيتُهَا وَزَبَرْتَجِدُ
أَلَا يَا أَمِينَ اللَّهِ ، لَا زِلْتَ سَالِمًا وَلَا زِلْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ تَسَدَّدُ
فِيَا لَتَبْتَنَّا نَفْدِيكَ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ وَأَتَتْكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ تَخْلُدُ

١ المغرب ١ : ٤٦ .

٢ المغرب ١ : ٤٦ وأخبار مجموعة : ١٣٩ والمقتبس (تحقيق مكّي) : ٨٩ .

٣ هو عثمان بن المثنى النحوي ، هاجر إلى المشرق ولقي أبا تمام وروى عنه شعره (انظر طبعات
الزبيدي : ٢٨٨ وابن الغرضي ١ : ٣٤٦) وهذا الشعر لابن المثنى ورد في مخطوطة الرباط : ١١٦ .

٤ مخطوطة الرباط : ١١٦ .

وكان كثير الميل للنساء ، وولع بجاريته طرُوب^١ ، وكلف بها كلفاً شديداً ، وهي التي بنى عليها الباب ببِدَر المال حين تجنّت عليه ، وأعطاهها حلياً قيمته مائة ألف دينار ، فقليل له : إن مثل هذا لا ينبغي أن يخرج من خزانة الملك ، فقال : إن لابسَه أنفُس منه خطراً ، وأرفع قدراً ، وأكرم جوهرأ ، وأشرف عنصراً ، وفيها يقول :

إذا ما بدت لي شمسُ النّها ر طالعةً ذكّرتني طرُوبا
أنا ابن التيامين من غالبٍ أشبُّ حرُوباً وأطفي حرُوبا
وخرج غازياً إلى جليقية فطالت غيبته فكتب إليها :
عدائي عَنكَ مَزَارُ العِدا وقودي إليهم سيهاماً مُصِيباً
فكم قد تخطيتُ من سَبَسَبٍ ولاقيتُ بعدَ دُرُوبٍ دُرُوبا
ألا في بوجهي سُمُوم الهَجِيرِ إذ كاد مِنهُ الحَصَى أن يذُوبا
تَدَارِكْ بي الله دينَ الهُدَى فأحييتُهُ وأمتُ الصليبا
وسيرتُ إلى الشُّركِ في جَحْفَلٍ ملأتُ الحُزُونَ به والسُّهوبا

وساق بعض المؤرخين قصة طرُوب هذه بقوله : إن السلطان المذكور أغضبها فهجرته ، وصدت عنه ، وأبت أن تأتيه ، ولزمت مقصورتها ، فاشتد قلقه لهجرها ، وضاق ذرعُه من شوقها ، وجهد أن يرضّاها بكل وجه فأعيّاه ذلك ، فأرسل من خِصيانِه من يُكرهها على الوصول إليه ، فأغلقت باب مجلسها في وجوههم ، وآلت أن لا تخرج إليهم طائعة ، ولو انتهى الأمر إلى القتل ، فانصرفوا إليه وأعلموه بقولها ، واستأذنوه في كسر الباب عليها ، فنهاهم وأمرهم بسد الباب عليها من خارجه ببِدَر الدراهم ، ففعلوا ، وبنّوا عليها بالبدَر ، وأقبل حتى وقف بالباب وكلّمها مسترضياً راعباً في المراجعة على أن لها جميع ما سد به الباب ،

١ راجع أخباره مع طرُوب وشعره فيها في المغرب ١ : ٤٦ وابن عذاري ٢ : ١٣٧ والحلة السراء ١ : ١١٤ وابن القوطية ٨٢ - ٨٣ والمقتطفات (الورقة : ٨٣ - ٨٤) .

فأجابت وفتحت الباب ، فأنهالت البِدَر في بيتها ، فأكبت على رجليه تقبلها ، وحازت المال ، وكانت تبرم الأمور مع نصر الخصي فلا يرد شيئاً مما تبرمه . وأحب أخرى اسمها مدثرة فأعتقها وتزوجها ، وأخرى كذلك اسمها الشفاء ، وأمّا جاريته قلم فكانت أديبة ، حسنة الخط ، راوية للشعر ، حافظة للأخبار ، عالمة بضروب الأدب . وكان مولعاً بالسماع ، مؤثراً له على جميع لذاته ، وله أخبار كثيرة ، رحمه الله .

* * *

[محمد بن عبد الرحمن]

ولما مات وليّ ابنه محمد^١ ، فبعث لأوّل ولايته عساكر مع موسى بن موسى صاحب طليطة^٢ ، فعاث في نواحي ألبّة والقلاع ، وفتح بعض حصونها ، ورجع ، وبعث عساكر أخرى إلى نواحي برّشيلونة وما وراءها ، فعاثوا فيها وفتحوا حصونها من برّشيلونة ورجعوا .

ولما استمدّ أهل طليطة المخالفون^٣ من أهل بلاد الأمير محمد عليه بملكي جليقية والبشكنس لقيهم الأمير محمد على وادي سليطة^٤ ، وقد أكن لهم ، فأوقع بهم ، وبلغت عدّة القتلى من أهل طليطة والمشرّكين عشرين ألفاً . وفي سنة خمس وأربعين ظهرت مراكب المجوس^٥ ، وعاثوا في الأندلس ،

.....

١ يتبع المقرئ في سياق الأحداث ونصّها ما أورده ابن خلدون ٤ - ١٣٠ - ١٣٢ . وقارن بما في المقتبس (تحقيق مكّي) : ٢٩٢ وما بعدها .

٢ ك في : طليطة ، وهو خطأ ، والتصويب عن ابن خلدون وط .

٣ ثار أهل طليطة أول ما تولى الإمارة (٢٣٨) فأخرج إليهم في العام التالي ابنه الحكم ثم خرج إليهم بنفسه في العام بعده فاستعانوا بصاحب جليقية (٢٤٠) . انظر ابن عذاري وتفصيل الأخبار عن تمرد طليطة في حكم الأمير محمد ٢ : ١٤٢ وما بعدها .

٤ ابن خلدون وابن عذاري : وادي سليط : (Auzalet) وهو نهر يصب في التاجه جنوبي طليطة ، وأثبتنا ما في الأصول .

٥ انظر تفصيل هذا الغزو في المقتبس (تحقيق مكّي) : ٣٠٧ - ٣٠٩ .

فلقيهم مراكبُ الأمير محمد ، فقاتلوهم وغنموا منهم مركبين ، واستشهد جماعة من المسلمين .

وفي سنة سبع وأربعين^١ أغزى محمد إلى نواحي بَنَبْلُونة ، وصاحبها حيثند غَرْسِيَّةُ بن ونقه^٢ ، وكان يظاهر أردون^٣ بن أذفنش ، فعاث في نواحي بَنَبْلُونة ، ورجع وقد دَوَّخها وفتح كثيراً من حصونها ، وأسر فرتون ابن صاحبها ، فبقي أسيراً بقرطبة عشرين سنة .

ثم بعث سنة إحدى وخمسين أخاه المنذر في العساكر إلى نواحي ألبّة والقلاع فعاثوا فيها ، وجمع لُدَرْيقُ للقائهم ، فلقيهم وانهزم ، وأثنى المسلمون في المشركين بالقتل والأسر ، فكان فتحاً لا كيفاء له .

ثم غزا الأمير محمد بنفسه سنة إحدى وخمسين بلاد الجلالقة ، فأثنى وخرب . وفي سنة ثلاث وستين أغزى الأمير محمد ابنه المنذر إلى دار الحرب ، وفي السنة التي بعدها إلى بلاد بَنَبْلُونة فدَوَّخها ورجع . وفي سنة ثمان وستين أغزاه أيضاً إلى دار الحرب ، فعاث في نواحيها وفتح حصوناً .

وفي أيام الأمير محمد خربت ماردة وهدمت ولم يبق لها أثر . وذكر بعضهم أنه رأى بالمشرق هذه الأبيات قبل أن تخرب ماردة بأعوام ، ولم يعلم قائلها ، وذلك سنة ٢٥٤ :

وَيْلٌ لِمَارْدَةَ الَّتِي مَرَدَتْ وَتَكَبَّرَتْ عَنْ عُدْوَةِ النِّهْرِ
كَانَتْ تُرَى لَهُمْ بِهَا زَهْرٌ فَخَلَّتْ مِنَ الزَّهْرَاتِ كَالْقَفْرِ
فَالْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْحُ حِينَ غَزَا بِجَمِيعِهِمْ مِنْ صَاحِبِ الْأَمْرِ

... ..

١ ابن عذارى : وفي سنة ٢٤٦ .

٢ (Garcia) ابن (Inigo) ، وفي فك طج : وبقة .

٣ في الأصول أردن ، والاسم (Ordano) .

ثم توفي الأمير محمد في شهر صفر سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، لخمس وثلاثين سنة من إمارته ، ومولده سنة سبع ومائتين .

* * *

[المنذر بن محمد]

وولي بعده ابنه المنذر^١ ، ولم تطل مدته ، وأقام في الملك سنتين إلا نصف شهر ، وتوفي منتصف صفر سنة خمس وسبعين ومائتين ، وفيه قيل :

بالمنذر بن محمد صلتحت بلاد الأندلس

* * *

[عبد الله بن محمد]

ثم ولي أخوه عبد الله ، قال ابن خلدون^٢ : كان خراج الأندلس قبله ثلاثمائة ألف دينار : مائة ألف للجيوش ، ومائة ألف للنفقة في النواصب وما يعرض ، ومائة ألف ذخيرة ووفرأ ، فأنفق الوفر حين اضطربت عليه نواحي الأندلس بالثورات والمغلبين في تلك السنين ، وقل الخراج ، انتهى .
ومن نظم الأمير عبد الله قوله^٣ :

يا مُهْنَجَةَ المَشْتاق ما أوجَعَكَ ويا أَسِيرَ الحُبِّ ما أَخْشَعَكَ
ويا رَسُولَ العَيْن من لَحْظِهَا بالردِّ والتبليغ ما أَسْرَعَكَ
تذهبُ بالسُرِّ فتأتي بِهِ في مَجْلَسٍ يَخْفَى على من مَعَكَ
كم حَاجَةٌ أَنْجَزَتْ لِإِبْرَازِهَا تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ ما أَطْوَعَكَ

١ أوجز المقرئ في أخبار هذا الأمير فراجع ابن خلدون ٤ : ١٣٢ والمغرب ١ : ٥٣ وابن القوطية : ١١٩ وأخبار مجموعة : ١٤٩ ومخطوطة الرباط : ١٢٤ .
٢ تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٣٣ وراجع المصادر السابقة في ولاية عبد الله وأخباره ، وقد بقي جزء من المقتبس خاص بهذا الأمير ، نشره ملشور أنطونية (باريس ١٩٣٧) .
٣ ابن عذاري ٢ : ٢٣٢ والحلة ١ : ١٢١ .

وهذه الأبيات عنوان فضله ، وبراعة استهلال نبله .
وكان الوزراء يُطالعون بأرائهم الخليفةَ في بطاقة ، فطالعه وزيره النَّضْرُ بن
سَلَمَةَ^١ برأيه في أمر في ورقة ، فلمّا وقف عليها لم يعجبه ذلك الرأي ، فكتب^٢ :

أَنْتَ يَا نَضْرُ أَبْدَهُ لَيْسَ تُرْجَى لِفَائِدِهِ
إِنَّمَا أَنْتَ عُدَّةٌ لِكَيْفٍ وَمَائِدَةٍ

وتوفي الأمير عبد الله سنة ثلاثمائة ، ومدة ملكه نحو من خمس وعشرين سنة .

* * *

[عبد الرحمن الناصر]

وولي حافيدُهُ عبد الرحمن الناصر^٣ ابن ابنه محمد قتيل أخيه المُطَرَف ،
وكانت ولايته من الغريب ، لأنّه كان شابّاً ، وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون ،
فتصدّى إليها واحتازها دونهم ، ووجد الأندلس مضطربة بالمخالفين ، مضطربة
بنيران المتغلبين ، فأطفأ تلك النيران ، واستنزل أهل العصيان ، واستقامت له
الأندلس في سائر جهاتها بعد نيف وعشرين سنة من أيامه ، ودامت أيامه
نحو خمسين سنة استفحل فيها ملك بني أميّة بتلك الناحية ، وهو أول من تسمّى
منهم بالأندلس بأمر المؤمنين ، عندما التّاث أمر الخلافة بالمشرق ، واستبدّ
مؤالي الترك على بني العباس ، وبلغه أن المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع
عشرة وثلاثمائة ، فتلقب باللقاب الخلافة ، وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو إلى دار
الحرب ، إلى أن هُزم عام الخندق سنة ثلاث وعشرين^٤ ، ومَحَصَّ الله فيها

١ ترجمته في ابن الفرضي ٢ : ٢٨ استقصاه الأمير عبد الله بقرطبة ثم استوزره (توفي سنة ٢٠٢) .

٢ ابن عذاري ٢ : ٢٣١ والحلة ١ : ١٢٢ .

٣ انظر ابن خلدون ٤ : ١٣٧ .

٤ الصواب سنة ٣٢٠ .

٥ اقرأ : سنة ٣٢٧ .

المسلمين ، ففعد عن الغزو بنفسه وصار يردّد الصّوائف في كل سنة ، فأوطأ
عساكر المسلمين من بلاد الإفرنج ما لم يطؤوه قبل^١ في أيّام سلكه ، ومدّت إليه أمم
النصرانية من وراء الدروب يدّ الإذعان ، وأوفدوا عليه رُسُلهم وهداياهم من
رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعتماد فيما يعنّ في مرضاته ،
ووصل إلى سُدّته الملوك من أهل جزيرة الأندلس المتأخمين لبلاد المسلمين بجهات
قشتالة وبَنبُلونة وما يُنسب إليها من الثغور الجوفية ، فقبِلوا يده ، والتمسوا
رضاه ، واحتقبوا جوائزه ، وامتطّوا مراكبه ، ثم سما إلى ملك العُدوة فتناول
سَبْتَةَ - قفل الفُرْضة^١ - من أيدي أهلها سنة سبع عشرة وثلاثمائة^٢ ، وأطاعه بنو
إدريس أمراء العُدوة وملوك زَنّانة والبربر ، وأجاز إليه الكثير منهم كما يُعلم
من أخباره ، وبدأ أمره أولَ ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا ، انتهى كلام
ابن خلدون .

وفيه يقول ابن عبد ربّه صاحبُ العقد يوم تولّى الملك^٣ :

بدا الهلالُ جديداً والملكُ غَضُّ جديداً
يا نِعْمَةَ الله زَيْدِي إن كان فيك مَزِيدُ
إن كان للصَّومِ فِطْرُ فَأَنْتَ للدهرِ عِيدُ

وأراد بأول الأبيات أنّه وليَ مستهلَّ ربيع الأول كما علّم .
وما أشار إليه ابنُ خلدون في غَزْوَةِ الخندق فصلّه المسعودي فقال^٤ ، بعد أن
أجرى ذكر مخالفة أُمّية بن إسحاق على الناصر ودخوله أرض النصرارى ودلالته
لإياهم على عَوْرَات المسلمين ، ما ملخصه : وغزا عبدُ الرحمن صاحب الأندلس

١ قفل الفُرْضة : مضطربة في النسخ فهي في ق : قفل الفُرْضة ؛ وفي ك : ونقل الفُرْضة ؛ وفي

ط : نقل الفُرْضة ؛ ج : قفل الفُرْضة ، وسقطت من طبعة بولاق من تاريخ ابن خلدون .

٢ كذلك عند ابن خلدون ؛ وعند ابن عذاري : (٣١٩) .

٣ ورد منها بيتان في ابن عذاري ٢ : ٢٣٦ والمغرب ١ : ١٧٧ .

٤ مروج الذهب ٢ : ٣٧ .

سمورة دار الجلالقة ، وكان عبد الرحمن في مائة ألف أو يزيدون ، وكانت الوقعة بينه وبين رذمير^١ ملك الجلالقة في شوال سنة ٣٢٧ بعد الكسوف الذي كان في هذا الشهر بثلاثة أيام ، فكانت للمسلمين عليهم ، ثم ثابوا بعد أن حوصروا وأبجثوا إلى المدينة ، فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين ألفاً ، وقيل : إن الذي منع رذمير من طلب من نجا من المسلمين أمية بن إسحاق ، وخوفه الكمين ، ورغبه فيما كان في عسكر المسلمين من الأموال والعدة والخزائن ، ولولا ذلك لآتى على جميع المسلمين ، ثم إن أمية استأمن بعد ذلك إلى عبد الرحمن وتخلص من رذمير ، وقبله عبد الرحمن أحسن قبول . وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عيدة من قواده إلى الجلالقة ، فكانت لهم بهم عدة حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قُتل من المسلمين في الوقعة الأولى ، وكانت للمسلمين عليهم إلى هذه الغاية ، ورذمير ملك الجلالقة إلى هذا الوقت وهو سنة ٢٣٣٢ ، انتهى .

وقال في موضع آخر ما ملخصه^٢ : إن عبد الرحمن غزا في أزيد من مائة ألف من الناس ، فنزل على دار مملكة الجلالقة ، وهي مدينة سمورة ، وعليها سبعة أسوار من أعجب البنيان قد أحكمته الملوك السالفة ، وبين الأسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة ، وافتتح منها سورين ، ثم إن أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدركه الإحصاء وممن عُرِفَ أربعين ألفاً ، وقيل : خمسين ألفاً ، وكانت للجلالقة والبشكنس على المسلمين ، انتهى كلام السعودي .
رجع إلى أخبار الناصر — فنقول : إن الناصر — رحمه الله — كان له نظم ، ومما نسب إليه بعضهم قوله :

لا يضر الصغير حيداً ثانُ سنّ إنما الشأن في سَعُود الصغيرِ

١ رذمير = (Ramiro)

٢ ط ح ق ودوري : وهو سنة ٣٣٦ ، وما هنا موافق لما في المروج ، وفي ك : ٣٢٩ .

٣ المروج ١ : ١٦٢ .

كم مقيمٍ فازَتْ يداه بغنمٍ لم تَنَلْه بالرَّكنِض كَفُّ مُغِيرٍ
هكذا أُلْفِتُ البيتين منسوبين إليه بخط بعض الأكابر ، ثم كتب بأثره ما
نصّه : الصحيح أنهما لغيره ، والله أعلم ، انتهى .

* * *

[هدية ابن شهيد للناصر]

وكان الناصر — رحمه الله — قد استحجب موسى بن محمد بن حُدَيْر ،
واستوزر عبدَ الملك بن جَهَّور ، وأحمد بن عبد الملك بن شُهَيْد ، وأهدى
له ابنُ شُهَيْدٍ هديته المشهورة المتعددة الأصناف ، وقد ذكرها ابن حبان وابن
خلدون^١ وغيرهما من المؤرخين ، قال ابن خلدون : وهي ممّا يدل على ضخامة
الدولة الأموية ، واتساع أحوالها ؛ وكان ذلك سنة^٢ سبع وعشرين وثلاثمائة ،
لثمان خلون من شهر جمادى الأولى ، وهي هدية عظيمة الشأن ، اشتهر ذكرها
إلى الآن ، واتفق على أنّه لم يهادَ أحد من ملوك الأندلس بمثلها ، وقد أعجبت
الناصر وأهل مملكته جميعاً ، وأقروا أن نفساً لم تسمح بإخراج مثلها ضريبةً
عن يدها ، وكتب معها رسالة حسنة بالاعتراف للناصر بالنعمة والشكر عليها
استحسنها الناس وكتبوها ، وزاد الناصر وزيره هذا حُظوة واختصاصاً ، وأسمى
منزلته على سائر الوزراء جميعاً ، وأضعف له رزق الوزارة ، وبلغه ثمانين ألف
دينار أندلسية ، وبلغ مصروفه إلى ألف دينار ، وثنى له العظمة لتثنيته له الرزق ،
فسمّاه « ذا الوزارتين » لذلك ، وكان أول من تسمى بذلك بالأندلس امتثالاً
لأسم صاعد بن مَخْلَد وزير بني العباس ببغداد ، وأمر بتصدير فراشه في البيت ،
وتقديم اسمه في دفتر الارتزاق أول التسمية ، فعظم مقداره في الدولة جداً .

.....

١ ابن خلدون ٤ : ١٣٨ .

٢ أورد المقرئ الحديث عن هذه الهدية مفصلاً أيضاً في أزهار الرياض ٢ : ٢٦١ إلا أنه لم يمزج بين
روايي ابن خلدون وابن الفريسي بل اكتفى بالثانية .

وتفسير هديته المذكورة على ما ثبت في كتاب ابن خلدون على ما يفسر :
خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين ، وأربعمائة رطل من التبر ، ومصارفة^١
خمسة وأربعون ألف دينار من سبائك الفضة في مائتي بكرة ، واقتصر ابن الفرضي^٢
على خمسمائة ألف دينار فقط ؛ واثنًا عشر رطلاً من العود الهندي الذي يختم
عليه كالشمع ، ومائة وثمانون رطلاً من العود المتخير ، ومائة رطل من العود
الشبه المنتقى ، هكذا ذكره ابن خلدون .

وقال ابن الفرضي^٣ مستنداً إلى الكتاب الذي وجهه ابن شهيد مع الهدية : إن
العود الغالي من ذلك أربعمائة رطل ، منها في قطعة واحدة مائة وثمانون رطلاً .
وقال ابن خلدون : ومائة أوقية من المسك الذكي المفضل في جنسه ، انتهى .
وقال ابن الفرضي^٤ ، نقلاً عن الكتاب المصحوب مع الهدية : إن المسك مائتا
أوقية ، واثنًا عشرة أوقية . ومن العنبر الأشهب الباقي على خلخته بغير صناعة
خمسمائة أوقية ، منها قطعة عجيبة ململمة الشكل وزن مائة أوقية ، هكذا في
تاريخ ابن خلدون .

وفي ابن الفرضي^٥ أن الكل مائة أوقية ، وأن هذه القطعة أربعون أوقية .
ومن الكافور المرتفع النقي^٦ الذكي ثلاثمائة أوقية .
قال ابن خلدون : ومن اللباس ثلاثون شقة^٧ من الحرير المخم المرقوم بالذهب
كلباس الخلفاء المختلف الألوان والصنائع ، وعشرة أفرية^٨ من عالي جلود
الفنك الخراسانية .

وخالفه ابن الفرضي^٩ ، إذ قال : ومن أنواع الثياب ثلاثون شقة^{١٠} خنج^{١١}
خاصية للباسه بيضاء وملونة ، وخمس ظهائر شعبية^{١٢} خاصة له ، وعشر فراء من

١ أفرية : جمع فروة .

٢ الفقرة من قوله « وخالفه . . . أدري » كلها سقطت من ق .

٣ خنج لعلها من الفارسية « خنك » بمعنى حرير أبيض ، وهي كذلك في ك ط .

٤ الشعبية : نوع من الأقمشة .

عالي الفَنَنك منها سبعة بيض خراسانية وثلاث ملوثة ، وستة مطارف عراقية
خاصية له ، وثمان وأربعون ملحفة زهرية لكسوته ، ومائة ملحفة زهرية لرقاده .
ولم يذكر ابن خلدون ذلك ، وابنُ الفرضي أعرف ، لا سيما وقد استند إلى
كتاب المهدي ، وصاحبُ البيت أدرى .

قال ابن خلدون : وعشرة قناطر شدّ فيها مائة جلد سمّور ، وقاله ابن
الفرضي أيضاً ، وزاد ابن خلدون : وستة من السراقات العراقية ، وثمانية
وأربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ، ثم قالاً معاً :
وأربعة آلاف رطل من الحرير المغزول ، وألف رطل من لون الحرير المنتقى
للاستغزال ، وزاد ابن خلدون : وثلاثون شقة من الفريون^١ لسروج الهبات ، وزاد
ابن الفرضي في الحرير المذكور : قيل : إنّه قبضه منه صاحب الطراز ولم يأت
به مع الهدية ، وإنّما دفعه لصاحب الطراز ، وأثبت في الدفتر ، قالاً : وثلاثون
بساطاً من الصوف مختلفة الصناعات طول كل بساط منها عشرون ذراعاً ، وقال
ابن خلدون : منتقاة مختلفة الألوان ، قالاً : ومائة قطعة مُصَلَّيات من وجوه الفرش
المختلفة ، زاد ابن الفرضي : الصناعات من جنس البُسُط ، قالاً : وخمسة عشر
نخساً^٢ من عمل الخز المقطوع شطرها ، قال ابن الفرضي : وسائرهما من جنس
البُسُط الوجوه ، قال ابن خلدون : ومن السلاح والعدّة ثمانمائة من التجافيف
المزينة أيام البروز والمواكب ، وقال ابن الفرضي : مائة تجفاف بأبدع الصناعات
وأغربها وأكملها ، قالاً : وألف تُرْس سلطانية ، ومائة ألف سهم ، زاد ابن
خلدون : من النبال البارة الصنعة ، قال ابن خلدون : ومن الظهر خمسة عشر
فرساً من الخيل العيراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة التّعوت ، وقال ابن
الفرضي : ومن الخيل مائة فرس منها من الخيل العيراب المتخيرة لركابه خمسة
عشر فرساً ، وخمس من عرض هذه الخيل مُسَرَّجة مُلْجَمة لمراكب الخلافة

١ كذا وردت هذه اللفظة في ق ك وللمها : « البزيون » وهو سندس .

٢ في ق ك : نوحاً ؛ والنخ : بساط طويل طوله أكثر من عرضه .

مجالسُ سروجها خز عراقي ، وثمانون فرساً ممّا يصلح للوصفاء والحشَم ، وقال ابن خلدون : مائة فرس من الخيل التي تصلح للركوب في التصرف والغزوات ، وقال ابن الفرضي : وخمسة أبغل عالية الركاب ، وقال ابن خلدون : وعشرون من بغال الركاب مُسَرَّجة ملجَمة لمراكب الخلافة مجالسُ سروجها خز جعفري عراقي . قالوا : ومن الرقيق أربعون وصيفاً وعشرون جارية من متخير الرقيق بكسوتهم وجميع آلاتهم ، وقال ابن خلدون في الجواري : متخيرات بكسوتهم وزيتتهن ، وقال ابن خلدون : ومن سائر الأصناف قرية تغلُّ آلافاً من أمداد الزرع ، ومن الصخر للبناء ما أنفق عليه في عام واحد ثمانون ألف دينار ، وعشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب وأصلبه^١ وأقومه قيمتها خمسون ألف دينار ، انتهى .

وقال ابن الفرضي نقلاً عن كتاب ابن شهيد المصحوب مع الهدية عندما ذكر الرقيق ما صورته : وكان قد أمرني^٢ - أيدهُ الله - بابتاعهم من مال الأخصاس ، فابتعتهم من نعمته عندي ، وصيرتهم من بعثي ، ومع ذلك عشر قناطير سكر طبرزد لا سُحاق فيه .

وفي آخر الكتاب : ولما علمت تطلُّع مولاي - أيده الله تعالى - إلى قرية كذا بالقنباية^٣ المنقطعة الفرس في شرقها ، وترداده - أيده الله تعالى - لذكرها لم أهنأ بعيشٍ حتى أعملت الحيلة في ابتياعها بأحوازها ، وأكثبت وكيله ابن بقية الوثيقة فيها باسمه ، وضممتها إلى ضياعه ، وكذلك صنعت في قرية شيرة^٤ من نظر جيّان عندما اتصل بي من وصّفه لها وتطلُّعه إليها ، فما زلت أتصدّي لمسرتّه بها حتى ابتعتها الآن بأحوازها وجميع منازلها وربوعها ، واحتاز ذلك

.....

١ ط ك : وأصله .

٢ ك : قد أرى .

٣ قد مر التعريف بالقنباية ، وهي تدل على الحقول ، وإن كانت تطلق علماً على كثير من المواضع بالأندلس أهمها البساط الواقعة إلى جنوب قرطبة في حوض الوادي الكبير .

كلّهُ الوكيلُ ابنُ بقية ، وصار في يده له أبقاه الله سبحانه ، وأرجو أنّه سيرفع فيها في هذه السنة آلاف أمداد من الأطعمة إن شاء الله تعالى . ولما علمت نافلاً عزمه — أبقاه الله تعالى — في البنيان ، وكلفه به ، وفكرت في عدد الأماكن التي تطلع نفسه الكريمة إلى تخليد آثاره في بنيانها — مد الله تعالى في عمره ، وأوفى بها على أقصى أمله — علمت أن أسه وقوامه الصخر والاستكثار منه ، فأثارت لي همتي ونصيحتي حكمة حيلة أحكمها سعدك وجَدُّك اللذان يَبْعَثَان ما لا يتوهم عليه ، حيلة أقيم لك فيها بعام واحد عدَدَ ما كان يقوم على يدي عبدك ابن عاصم في عشرين عاماً ، وينتهي تحصيل النفقة فيه إلى نحو الثمانين ألفاً أعجل شأنه في عام ، سوى التوفير العظيم الذي يُبْئِديه العيان قبلاً إن شاء الله تعالى ، وكذلك ما ثاب إليّ في أمر الخشب لهذه المنية المكرمة ، فإن ابن خليل عبدك المجتهد الدؤوب انتهى في تحصيل عدد ما تحتاج إليه إلى ثلاثمائة ألف عود ونيف على عشرين ألف عود ، على أنّه لا يدخل منه في السنة إلاّ نحو الألفي عود ، ففتح لي سعدك رأياً أقيم له بتمامه جميع هذا الخشب العام على كماله بورود الجليية^١ لوقتها ، وقيمته على الرخص ما بين الخمسين ألفاً والستين ألفاً ، انتهى .

* * *

[عود إلى أخبار الناصر]

ومن غريب ما يُحكى^٢ عن أمير المؤمنين الناصر المذكور أنّه أراد الفَصْد ، فقعده بالبَهْو في المجلس الكبير المُشْرِف بأعلى مدينته بالزهراء ، واستدعى الطبيب لذلك ، وأخذ الطبيبُ الآلة وجَسَّ يد الناصر ، فبينما هو إذ أطل زُرْزور فصعد على إناء ذهب بالمجلس ، وأنشد :

أيّها الفاصدُ رفقاً بأمر المؤمنين

١ الجليية : كذا جاءت في ق ك ، فإن لم تكن تعني « الخشب المجلوب » فلا أدري دلالتها بدقة .

٢ انظر أزهار الرياض ٢ : ٢٦٥ .

إنّما تفصد عِرْقاً فيه مَحْيَا العالمينا

وجعل يكرّر ذلك المرّة بعد المرة ، فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف ، وسرّ به غاية السرور ، وسأل عمن اهتدى إلى ذلك وعلم الزُّرُور ، فذكر له أن السيدة الكبرى مَرَجَانة أم ولده وليّ عهده الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك ، وأعدّته لذلك الأمر ، فوهب لها ما ينيّف على ثلاثين ألف دينار .

وذكر ابنُ بَسَّام^١ أن أبا عامر بن شُهَيْد أحمد بن عبد الملك الوزير أهدي له غلام من النصارى لم تقع العيون على شبهه ، فلمحه الناصر فقال لابن شهيد : أننى لك هذا ؟ قال : هو من عند الله ، فقال له الناصر : تتحفوننا بالنجوم وتستأثرون بالقمر ، فاستعذر واحتفل في هدية بعثها مع الغلام ، وقال : يا بني كن مع جملة ما بعثت به ، ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي ، وكتب معه هذين البيتين^٢ :

أمولاي هذا البدرُ سار لأفقيكم^٣ ولألفق^٤ أولى بالبدور من الأرضِ
أرضيكم بالنفس وهي نفيسة^٥ ولم أرَ قبلي منْ بمهجته يُرضي

فحسن ذلك عند الناصر ، وأتحفه بمال جزيل ، وتمكنت عنده مكانته ، ثم إنّه بعد ذلك أهديت إليه جارية من أجمل نساء الدنيا ، فخاف أن ينهى^٦ ذلك إلى الناصر فيطلبها فتكون كقصبة الغلام ، فاحتفل في هدية أعظم من الأولى ، وبعثها معها ، وكتب له :

أمولاي هذي الشمسُ والبدرُ أولّا^٧ تقدّم كيما يلتقي القمرانِ

.....

١ انظر مطالع البدور ١ : ٢٤٠ والمقتطفات (الورقة : ٨٤٠) .

٢ في الأصول : هذه الأبيات .

٣ ك : ينتهي .

قِرآنٌ لِعَمْرِي بالسعادة قد أتى قدُمٌ منهما في كوثر وجنانٍ
فما لهما والله في الحُسْنِ ثالثٌ وما لك في مُلك البرية ثاني

فتضاعفت مكانته عنده .

ثمَّ إنَّ أحدَ الوشاة رفع للملك أنه بقي في نفسه من الغلام حرارة ، وأنه لا يزال يذكره حين تُحرَّكه الشَّمول ، ويقرع السن على تعذر الوصول ، فقال للواشي : لا تحرك به لسانك ، وإلاَّ طار رأسك ، وأعمل الناصر حيلة في أن كتب على لسان الغلام رقعة منها : « يا مولاي ، تعلم أنك كنت لي على انفراد ، ولم أزل معك في نعيم ، وإنِّي وإن كنت عند الخليفة مشارك في المنزلة ، محاذر ما يبدو من سطوة الملك ، فتحيل في استدعائي منه » ، وبَعَثَها مع غلام صغير السن ، وأوصاه أن يقول : من عند فلان ، وإن الملك لم يكلمه قط ، إن سأله عن ذلك ، فلمَّا وقف أبو عامر على تلك الرسالة واستخبر الخادم علم من سؤاله ما كان في نفسه من الغلام ، وما تكلم به في مجالس المدام ، فكتب على ظهر الرقعة ولم يزد حرفاً :

أمن بعد لإحكام التجاربِ يَبْتَغِي لديَّ سقوطُ الطير^١ في غابة الأسد
وما أنا ممَّنْ يغلب الحبُّ قلبه ولا جاهل ما يدَّعيه أولو الحَسَدِ
فإن كنت زُوحى قد وهبتك طائِباً وكيف يُردُّ الروحُ إن فارق الجَسَدِ

فلمَّا وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ، ولم يَعدْ إلى استماع واشٍ به .

ودخل عليه بعد ذلك فقال له : كيف خلصت من الشَّرِك ؟ فقال : لأنَّ عقلي بالهوى غير مشترك ، فأنعم عليه ، وزادت محبته عنده ، وممَّن ذكر هذه الحكاية صاحب « مطالع البدور ، في منازل السرور »^٢ .

١ المطالع : سقوط العير ؛ وهو أقرب إلى الصواب .

٢ هو علاء الدين علي بن عبد الله الغرولي .

[غزوات الناصر]

وأخبار الناصر طويلة جداً ، وقد مُنِحَ الظفر على الثَّوَار ، واستترلهم من معاقلهم ، حتى صفا له الوقت ، وكانت له في جهاد العدو اليد البيضاء ، فمن غزواته أنه غزا سنة ثمان وثلاثمائة إلى جليقية وملكها أردون بن أذفونش ، فاستنجد بالبُشْكَنْس والإفرنجية وظاهر شانجة^١ بن غرسية صاحب بَنْبُلُونَة أمير البُشْكَنْس ، فهزمهم ، ووطىء بلادهم ، ودوخ أرضهم ، وفتح معاقلهم ، وخرب حصونهم ، ثم غزا بَنْبُلُونَة سنة ثني عشرة ، ودخل دار الحرب ، ودوخ البسائط ، وفتح المعقل ، وخرب الحصون ، وأفسد العمار ، وجال فيها ، وتوغل في قاصيتها ، والعدو يُحاذيه في الجبال والأوعار ، ولم يظفر منه بشيء ، ثم بعد مدة ظفر ببعض الثَّوَار عليه ، وكان استمدد بالنصارى فقتل الناصر مَنْ كان مع الثائر من النصارى أهل ألبّة ، وفتح ثلاثين من حصونهم ، وبلغه انتفاض طوطة^٢ ملكة البُشْكَنْس فغزاها في بَنْبُلُونَة ودوخ أرضها واستباحها ، ورجع إلى قُرْطُبَة ، ثم غزا غزوة الخندق سنة سبع وعشرين إلى جليقية فانهزم وأصيب فيها المسلمون ، وقعد بعدها عن الغزو بنفسه ، وصار يردد البعوث والصوائف إلى الجهاد ، وبعث جيوشه إلى المغرب فملك سبّنة وفاساً وغيرهما من بلاد المغرب ، وطار صيته وانتشر ذكره كما سبق . ولما هلك غرسية بن شانجة ملك البُشْكَنْس قام بأمرهم بعده أمه^٣ طوطة ، وكفلت ولده ، ثم انتقضت على الناصر سنة خمس وعشرين ، فغزا الناصر بلادها ، وخرب نواحي بَنْبُلُونَة وردد عليها كما مرّ الغزوات ، وكان قبل ذلك سنة ثنتين وعشرين غزا إلى وَخْشَمَة^٤ ،

١ شانجة : (Sancho) ملك البشكنس أي منطقة نبره (Navarra) ، وفي ك : شانجة بن فرويلة ؛

وفي ط : شنجة .

٢ طوطة (Teoda) وفي تاريخ بروفسال (٢ : ٧٣) (Toda) .

٣ ابن خلدون : أخته .

٤ وخشمة : (Osma) وفي ك : خشمة .

ثم رحل إلى بَنبِلُونَة ، فجاءته طوطة بطاعتها وعقد لابنها غَرْسِيَّةَ على بنبِلُونَة ،
ثم عدل إلى ألبَة وبسائطها فدوَّخها وخرب حصونها ، ثم اقتحم جليقية
وملكها يومئذ رُذْمِير بن أردون ، فخام عن لقائه ، ودخل وَخْشَمَة ، فنازله
الناصر فيها ، وهدم بُرْغُش^١ وكثيراً من معانقلهم ، وهزمهم مراراً ، ورجع ،
ثم كانت بعدها غزوة الخندق السابقة ، وهابته أمم النصرانية .

* * *

[الوفود على بلاط الناصر]

ثم وفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب قسطنطينية وهديته — وهو
يومئذ قسطنطين — واحتفل الناصر لقدمهم في يوم مشهود ، قال ابن خلدون^٢ :
ركبت في ذلك اليوم العساكر بالسلاح في أكمل شيكَّة ، وزين القصر الخلافي
بأنواع الزينة وأصناف الستور ، وجُمِّلَ السرير الخلافي بمقاعد الأبناء والإخوة
والأعمام والقَرابة ، ورُتِبَ الوزراء والخدمة في مواقعهم ، ودخل الرسلُ
فهاهم ما رأوه ، وقَرَّبوا حتى أدَّوا رسالتهم ، وأمر يومئذ الأعلام أن يخطبوا
في ذلك الحفل ، ويعظموا من أمر الإسلام والخلافة ، ويشكروا نعمة الله على
ظهور دينه وإعزازة ، وذلة عدوه ، فاستعدُّوا لذلك ، ثم بهرهم هَوَلُ المجلس
فوجموا ، وشرعوا في القول فأرتيجَ عليهم ، وكان فيهم أبو علي القالي وافدُ
العراق ، كان في جملة الحكم ولي العهد وتَدَيَّه لذلك استثناراً بفخره^٣ ، فلما
وجمَّوا كلهم قام مُنْذِر بن سعيد البسكوطي من غير استعداد ولا رَويَّة وما
تقدَّم له أحد بشيء من ذلك ، فخطب واستحضر^٤ وجلَّي في ذلك القصد ، وأنشد

١ برغش : (Burgos) إحدى مدن الحدود الشمالية ، وانظر شرساً لغزوات الناصر في تاريخ
بروفسال ٢ : ٣٣ — ٧٨ .

٢ تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٤٢ وأزهار الرياض ٢ : ٢٥٨ وابن عذاري ٢ : ٣١٩ .

٣ ك : فجز ، وفي ق وابن خلدون : لفخره ، وفي ج : لمجزه .

٤ ج ك : واستحضر .

شعراً طويلاً ارتجله في ذلك الغرض^١ ، ففاز بفخر ذلك المجلس ، وعجب الناس من شأنه أكثر من كل ما وقع ، وأعجب به الناصر ، وولاه القضاء بعدها ، وأصبح من رجالات العالم^٢ ، وأخباره مشهورة ، وخطبته في ذلك اليوم منقولة في كتب ابن حيّان وغيره . ثم انصرف هؤلاء الرسل ، وبعث الناصر معهم هشام بن هذيل^٣ بهدية حافلة ليؤكد المودة ويحسن الإجابة ، ورجع بعد سنتين وقد أحكم من ذلك ما شاء وجاءت معه رسل قسطنطين .

ثم جاء رسول من ملك الصقالبة - وهو يومئذ هوتو^٤ - ورسول آخر من ملك الألمان ، ورسول آخر من ملك الإفرنجية وراء البرت - وهو يومئذ أوفه^٥ - ورسول آخر من ملك الإفرنجية بقاصية المشرق - وهو يومئذ كلدة^٦ - واحتفل الناصر لقدمهم ، وبعث مع رسول الصقالبة ربيعاً الأسقف إلى ملكهم هوتو ورجع بعد سنتين .

وفي سنة أربع وأربعين جاء رسول أردون يطلب السلم ، فقبل له ، ثم بعث في سنة خمس وأربعين يطلب إدخال فرذلند قومس قشتيلية في عهده ، فأذن له في ذلك ، وأدخل في عهده ، وكان غرسية^٧ بن شانجة قد استولى على جليقية بعد أبيه شانجة بن فرويلة^٨ ثم انتفض عليه أهل جليقية ، وتولى كبيرهم قومس قشتيلية فرذلند المذكور ، ومال إلى أردون بن رذمير ، وكان غرسية بن شانجة حافداً لطوطة ملكة البشكنس ، فامتعضت لحافدها غرسية ، ووفدت على الناصر سنة

١ ط : العرض .

٢ ج : العالم .

٣ ابن خلدون : هشام بن كليب البجليق .

٤ هوتو : (Otton) وفي نسخ النسخ الخطوط في رسم الاسم بين : هوتو في ج ؛ وذو قوة في ك ؛ وذو إقو ؛ وذو قوة في غيرهما .

٥ ق ك ط ؛ أوفه ، ج : أرمه ، والصواب ما أثبتناه إذ يقابل : (Hugo) وهو (Hugues d'Arles) مركيز بروفانس .

٦ (Guido) وهو ابن أدلبرت مركيز تسكانية .

٧ فرويلة : (Fruela) .

سبع وأربعين مُلقية بنفسها في عَقْد السلم لها ولولدها شانجة بن رذمير الملك ، وإعانة حافدها غَرْسِيَّة بن شانجة على ملكه ، ونصره من عدوّه ، وجاء الملكان معها ، فاحتفل الناصر لقدمهم ، وعقد الصلح لشانجة وأمه ، وبعث العساكر مع غَرْسِيَّة ملك جليقية فردّ عليه ملكه ، وخلع الجلالقة طاعة أردون إليه ، وبعث إلى الناصر يشكره على فعلته ، وكتب إلى الأمم في النواحي بذلك ، وبما ارتكبه فردلند قومس قَشْتِيَّة في نكته ووثوبه ، ويعيره بذلك عند الأمم ، ولم يزل الناصر على موالاته وإعانتته إلى أن هلك ، ولما وصل رسول كلدة ملك الإفرنجية بالشرق كما تقدّم وصل معه رسول ملك بَرَشِلُونَة وطَرَكُونَة راغباً في الصلح ، فأجابه الناصر ، ووصل بعده رسول صاحب رومة يخطب المودة فأجيب ، انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار .

ولنفصل بعض ما أجمله فنقول : ذكر ابن حَيَّان وغير واحد أن ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الضخامة ورقة الشأن ، وهادته الروم ، وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعضيم الذخائر ، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والإفرنجية والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة ، وانصرفت عنه راضية ، ومن جملةهم صاحب القسطنطينية العظمى ، فإنه هاداه ، ورغب في مؤادعته ، وكان وصول أرساله في صفر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وتقدّم في كلام ابن خلدون أنها ست وثلاثون ، فإله أعلم أيهما أصح ، وتأهب الناصر لورودهم وأمر أن يُتلقوا أعظم تلقٍ وأفخمه ، وأحسن قبولاً وأكرمهم ، وأخرج إلى لقائهم ببجانة يحيى بن محمد بن الليث وغيره لخدمة أسباب الطريق ، فلمّا صاروا بأقرب المحلات من قَرْطُبة خرج إلى لقائهم القوّاد في العدد والعدة والتعبية ، فتلقوهم قائداً بعد قائد ، وكل اختصاصهم بعد ذلك ، بأن أخرج إليهم الفتيين الكبيرين الحصين ياسراً وتاماً ، لإبلاغاً في الاحتفال بهم ، فلقياهم بعد القوّاد ،

١ ق ط ج : قبوله .

فاستبان لهم بمخرج الفتيين إليهم بسط الناصر وإكرامه ، لأن الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة ، لأنهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمة وبيدهم القصر السلطاني ، وأنزلوا بمشية ولي العهد الحكم المنسوبة إلى نصر^١ بعدوة قُرطبة في الرَبَضِ ، ومنعوا من لقاء الخاصة والعامة جملة ومن ملابسة الناس طرّاً . ورُتّب لحجابتهم رجال تخيروا من الموالي ووُجوه الحشَم فصيروا على باب قصر هذه المنية ستة عشر رجلاً لأربع دول ، لكل دولة أربع منهم ، ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء إلى قصر قُرطبة لدخول وفود الروم عليه ، فقعد لهم يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من السنة المذكورة في بهو المجلس الزاهر قعوداً حسناً نبيلاً ، وقعد عن يمينه ولي العهد من بني الحكم ثم عبيد الله ثم عبد العزيز أبو الأصبغ ثم مروان ، وقعد عن يساره المنذر ثم عبد الجبار ثم سليمان ، وتخلّف عبد الملك لأنه كان عليلاً لم يُطيق الحضور ، وحضر الوزراء على مراتبهم يميناً وشمالاً ، ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالي والوكلاء وغيرهم ، وقد بسط صحن الدار أجمع بعناق البُسُط وكرائم الدرائك^٢ ، وظلّلت أبواب الدار وحناياها بظُلُل الديباج ورفيع الستور ، فوصل رسل ملك الروم حائرين ممّا رأوه من بهجة الملك وفخامة السلطان ، ودفعوا كتاب ملكهم صاحب القسطنطينية العظمى قسطنطين بن ليون ، وهو في رقّ مصبوغ لوناً سماوياً مكتوب بالذهب بالخط الإغريقي^٣ ، وداخل الكتاب مدوّجة مصبوغة أيضاً مكتوبة بفضّة بخط إغريقي أيضاً فيها وصف هديته التي أرسل بها وعددها ، وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل ، على الوجه الواحد منه صورة المسيح ، وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده ، وكان الكتاب بداخل درج فضّة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين

١ ك : نصير ، وهو خطأ .

٢ الدرائك : البسط .

٣ في الأصول : الاغريقي .

الملك معمولة من الزجاج الملون البديع ، وكان الدرج داخل جعّة ملبسة بالديباج ، وكان في ترجمة عنوان الكتاب في سطر منه : قسطنطين ورومانس^١ المؤمنين بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم ، وفي سطر آخر : العظيم الاستحقاق المفخر الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس ، أطل الله بقاءه ؛ ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه ، وتصف ما تهيأ من توطيد الخلافة في دولته ، وتقديم إلى الأمير الحكيم ابنه ولي عهده بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، ويقدمه أمام نشيد الشعراء ، فأمر الحكيم صنيعة الفقيه محمد بن عبد البر الكسنياني^٢ بالتأهب لذلك ، وإعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة ، وكان يدعي من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره ؛ وحضر المجلس السلطاني ، فلما قام يحاول التكلّم بما رأى حاله وبهّره هولُ المقام وأبهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لقطة ، بل غشي عليه وسقط إلى الأرض ، فقبل لأبي علي البغدادي إسماعيل بن القاسم القالي صاحب الأمالي والنوادر ، وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وأمير الكلام وبحر اللغة : قم فارقع هذا الوهمي ، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم — هكذا ذكر ابن حبان وغيره وكلام ابن خلدون السابق يقتضي أن القالي هو المأمور بالكلام أولاً والمُعَدُّ لذلك ، ونحوه في المطمح ، والخطب سهل — ثم انقطع القول بالقالي ، فوقف ساكناً مفكراً في كلام يَدْخُلُ به إلى ذكر ما أريد منه ، وقال في المطمح^٣ : إن أبا علي القالي انقطع ، وبُهِتَ وما وصل إلّا قطع ، ووقف ساكناً متفكراً ، لا ناسياً ولا متذكراً ، فلما رأى ذلك مُنْذِر بن سعيد — وكان ممّن حضر في زمرة الفقهاء — قام من

١ ق ك ط ج : ورومانين .

٢ في ج : الكسنياني ؛ وفي ط ق ودوزي كما أثبت ، وكذلك ورد في لب الباب ؛ وفي أزهار الرياض و ك ٢ : ٢٧٣ : الكسنياني .

٣ المطمح : ٣٨ .

ذاته ، بدرجة من مِرْفَاته ، فوصل افتتاح أبي علي لأوّل خطبته بكلام عجيب ، ونادى في الإحسان من ذلك المقام كلّ مجيب ، يسحّه سحاً كأنّما كان يحفظه قبل ذلك بمدة ، وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو عليّ البغدادي ، فقال ^١ : أمّا بعد حمد الله والثناء عليه ، والتعداد لآلآئه ، والشكر لنعمايه ، والصلاة والسلام على محمد صفيّه وخاتم أنبيائه ، فإن لكلّ حادثة مقاماً ، ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحقّ إلا الضلال ، وإنّي قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فأصغوا إليّ معشر الملأ بأسماعكم ، والقنوا ^٢ عني بأفئدتكم ، إن من الحقّ أن يقال للمحق صدقت ، وللمبطل كذبت ، وإن الجليل تعالى في سبائه ، وتقدّس بصفاته وأسمائه ، أمر كليمه موسى ، صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه ، أن يذكرّ قومه بأيّام الله ، جلّ وعزّ ، عندهم ، وفيه وفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم ، أسوة حسنة ، وإنّي أذكركم بأيّام الله عندهم ^٣ ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمّت شعثكم ^٤ ، وأمّنت سيرتكم ، ورفع قرقكم ^٥ ، بعد أن كنتم قليلاً فكثركم ، ومستضعفين فقوّاكم ، ومُستبدّتين فنصركم ، ولآه الله رعايتكم ، وأسند إليّه إمامتكم ، أيّام ضربت الفتنة سُرَادِقَهَا على الآفاق ، وأحاطت بكم شعلُ النفاق ، حتى صرتم في مثل حدقة البعير ، من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدّة بالرخاء ، وانتقلتم بيمن سياسته إلى تمهيد كنّف العافية بعد استيطان البلاء ، أنشدكم ^٦ الله معاشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكه فحقنّها ، والسبلُ مخوفةً فأمنّها ، والأموال منتهبةً فأحرزها وحصنّها ؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمّرها ، وثغور المسلمين مهتضمةً فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع

١ نص الخطبة في أزهار الرياض ٢ : ٢٧٣ والرقبة العليا : ٦٦٠ والمطبع : ٣٨ .

٢ ك : واتقنوا ؛ ط : والقنوا ؛ ق : والفتوا ؛ وأثبتنا ما في ج والمطبع .

٣ المطبع : وأنا أذكركم نعم الله تعالى عليكم . ٤ لمّت شعثكم : سقطت من المطبع .

٥ ك : قوتكم ؛ وفي ق ط : فوقكم ؛ وفي المطبع : خوفكم .

٦ المطبع : ناشدكم .

كلمتكم بعد افراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرتم يداً على عدوكم ، بعد أن كان بأسكم بينكم ، ناشدكم^١ الله ألم تكن خلافته قفلاً الفتنه بعد انطلاقها من عقالها ؟ ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ولم يكل ذلك إلى القواد والأجناد ، حتى باشره بالقوة^٢ والمهجة والأولاد ، واعتزل النسوان ، وهجر الأوطان ، ورفض الدعة وهي محبوبة ، وترك الركون إلى الراحة وهي مطلوبة ، بطويئة صحيحة^٣ ، وعزيمة صريحة ، وبصيرة ثابتة^٤ نافذة ثابتة ، وريح هابئة غالبة ، ونصرة من الله واقعة واجبة ، وسلطان قاهر ، وجدّ ظاهر ، وسيف منصور ، تحت عدل مشهور ، متجسلاً للنصب ، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنه عند حدتها ، ولم يبق لها غارب إلا جبتها ، ولا نجم لأهلها قرن إلا جذه ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً ، وبلم أميز المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعواناً ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات^٥ ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقصيين والأدنيين مستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل فج عميق ، وبلد سحيق ، لأخذ جبل بينه وبينكم جملة وتفصيلاً ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ولن يخلف الله وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أمور باطنة خافية ، دليلها قائم ، وجفنها غير نائم ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (النور: ٥٥) وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب ،

١ ك : فأنشدكم .

٢ بالقوة : زيادة من ك .

٣ المطمح : خالصة .

٤ ثابتة : زيادة من ك والمطمح .

٥ المطمح : فقد فتح الله تعالى عليكم أبواب البركات وتواترت عليكم أسباب الفتوحات .

ولكل نيل مستقر ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بيمن خلافة أمير المؤمنين أيده الله بالعصمة والسداد ، وألهمه بخالص التوفيق إلى سبيل الرشاد ، أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالآل ، وأعزهم قَرَاراً ، وأمنعهم داراً ، وأكثفهم جمعاً ، وأجملهم صنْعاً ، لا تهاجون ولا تزدادون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفتككم وابن عم نبيّكم ، صلى الله عليه وسلّم ، فإن من نزع يداً^١ من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، ومَرَق من الدّين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، وقد علمتم أن في التعلّق بعصمتها ، والتمسك بعزوتها ، حفظ الأموال وحققن الدماء ، وصلاح الخاصة والدّهماء ، وأن بقوام الطاعة تقام الحدود ، وتوفى العهود ، وبها وُصِلت الأرحام ، ووضحت الأحكام ، وبها سدّ الله الخلل ، وأمن السُّبُل ، ووطئ الأكناف ، ورفع الاختلاف ، وبها طاب لكم القَرَار ، واطمأنت بكم الدار ، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به ، فإنه تبارك وتعالى يقول ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ الآية (النساء : ٥٩) ، وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين ، وصنوف الملحدين ، الساعين في شقّ عصاكم ، وتفريق ملاكم^٢ ، الآخذين في محاذلة دينكم ، وهتك حريمكم ، وتوهين دعوة نبيّكم ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين ، أقول قولي هذا وأختم بالحمد لله رب العالمين : مستغفراً الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين .

* * *

١ المطمح : يده .

٢ المطمح : ملتكم ؛ وملاكم مخففة من ملاكم .

[ترجمة منذر بن سعيد البلوطي عن المغرب]

وساق ابنُ سعيد في « المغرب » هذه الحكاية فقال ما صورته ^١ : منذر بن سعيد البلوطي ، قاضي الجماعة بقرطبة ، خطيبٌ مصنّع ، وله كتب مؤلفة في القرآن والسنة والورع ، والرد على أهل الأهواء والبدع ، شاعر بليغ ، وُلد سنة خمس وستين ومائتين ^٢ ، وأوّلُ سببه في التعلّق بعبد الرحمن الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره ، أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه ، لذكر جلالة مقعده ، ووَصَف ما تهيأ له من توطيد الخلافة ، ورمي ملوك الأمم بسهام بأسه ونَجْدته ، وتقدّم إلى الأمير الحكم ابنه ووليّ عهده بإعداد مَنْ يقوم لذلك من الخطباء ، ويقدمه أمام إنشاد الشعراء ، فتقدّم الحكم إلى أبي عليّ البغدادي ضيف الخليفة وأمير الكلام وبحر اللغة ، أن يقوم ، فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع ، وبُهِت فما وصل ولا قطع ، ووقف ساكناً مفكراً ، فلما رأى ذلك منذرُ بن سعيد قام قائماً بدرجة من مِرْقاة أبي عليّ ، ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جَزَّالة ، وملاّ الأسماع جلالة ، ثم ذكر الخطبة كما سبق ، وقال بعد إيرادها ما صورته : فصلب العِلج وغلب على قلبه ، وقال : هذا كبير القوم ، أو كبش القوم ، وخرج الناس يتحدّثون عن حُسن مقامه ، وثبات جَنّانه ، وبلاغة لسانه ، وكان الناصر أشدّهم تعجباً منه ، وأقبل على ابنه الحكم - ولم يكن يُثبّت معرفته - فسأله عنه ، فقال له : هذا منذر بن سعيد البلوطي ، فقال : والله لقد أحسن ما شاء ، ولئن أخبرني الله بعدُ لأُرفَعَنَّ مَنْ ذكره ، فنَضَعُ يدك يا حكم عليه ، واستخلصه ، وذكرني بشأنه ، فما للصنيعة مَذْهَب عنه ، ثم ولاّه الصلاة والخطابة في المسجد

.....

١ لم ترد ترجمة لمندر بن سعيد في المغرب المطبوع .

٢ صوابه : ٢٧٣ .

الجامع بالزهراء ، ثم توفي محمد بن عيسى^١ القاضي فولاً قضاء الجماعة
بقرطبة ، وأقره على الصلاة بالزهراء .
ومن شعره في هذه الواقعة قوله^٢ :

مقال ^٣ كحدّ السيف وسطّ المحافل	فرقتُ به ما بين حقّ وباطل
بقلب ذكيّ ترتبي جنباته ^٤	كبارق رعدٍ عند رَعش الأنامل
فما دحضتُ رجلي ولا زلّ مِقولي	ولا طاش عقلي يوم تلك الزلازل
وقد حدقتُ حولي عُيونُ إخالها	كمثل سهامٍ أُثبتت في المقاتل
نخير إمام كان أو هو كائن	لمقتبيلٍ أو في العصور الأوائل
ترى الناسَ أفواجاً يؤمّون بابه	وكلّهم ما بين راجٍ وآمل
وفودُ ملوكِ الروم وسطّ فنائه	مخافة بأس أو رجاء لئائل
فعيش ^٥ سالماً أقصى حياة مؤملاً	فأنت غياثُ كلِّ حافٍ وناعل
ستَملكُها ما بين شرق ومغرب	إلى درب قسطنطين أو أرض بابل

انتهى كلام ابن سعيد ، وهو يؤيد كلام ابن خلدون أن المأمور بالخطبة هو
القالي .

وذكر أن الناصر قال لابنه الحكم بعد أن سأله عنه^٥ : لقد أحسن ما شاء ،
فلئن كان حبّس خطبته هذه وأعدّها مخافة أن يدور ما دار فيتلافى الوهي فإنه

..

١ الصواب : محمد بن أبي عيسى ؛ وهو محمد بن عبد الله بن أبي عيسى الذي ظل قاضياً للجماعة حتى
سنة ٣٣٩ (انظر ترجمته في الجذوة : ٦٩ وبنية الملتمس رقم : ٢١٨ وابن القرضي ٢ : ٦١
والخشني : ١٧٢ والمرقبة العليا : ٥٩ ، وسيترجم له المقرئ في الراحين رقم : ٣) .
٢ المطمح : ٤٠ .
٣ ك : جمراته .
٤ ك : رجاء الكل .
٥ أزهار الرياض ٢ : ٢٧٦ .

لَتَبْدِيعٍ مِنْ قُدْرَتِهِ وَاحْتِيَاطِهِ ، وَلِئِنْ كَانَ أَنَّى بِهَا عَلَى الْبِدِيَةِ لَوْقَتُهُ فَإِنَّهُ لَأَعْجَبُ وَأَغْرَبُ .

قال ابن سعيد : ولما فرغ منذر من خطبته أنشد^١ :

هذا المقام^٢ الذي ما عابه فَنَدُّ لَكِنْ قائله أزرى به البلدُ
لو كُنْتُ فيهم غريباً كنت مُطَرِّفاً لَكُنْتُ منهمُ فاغتالي النكدُ
ويروى بدل هذا الشطر :

ولا دهاني لهم بغيٌ ولا حسدُ
لولا الخلافة أبقي الله حرمتها ما كنت أرضى^٣ بأرض ما بها أحدُ
قلت : كأنه عرض بأبي علي القالي ، وتقديمهم إياه في هذا المقام ، والله أعلم .
ومن نظم منذر بن سعيد قوله :

الموتُ حَوْضٌ وكلُّنا نَرِدُّ لم يَسْجُ ممّا يخافُهُ أحدُ
فلا تكن مُغْرَماً برزقٍ غدٍ فليست تدري بما يجيء غدُ
وخذُ من الدهر ما أُنّاك به ويسلم الروحُ منك والجسدُ
والخيرُ والشرُّ لا تُدْعُهُ فما في الناس إلا التشيعُ والحسدُ

وله وقد آذاه شخص فخطبه بالكُنية ، ف قيل له : أيؤذك وأنت مخاطبه
بالكنية ؟ فقال :

لا تعجبوا من أني كُنيتُ من بعد ما قد سبّنا وأذانا
فإن الله قد كُنّي أبا لب و ما كناه إلا خِزْيَةً وهواناً

* * *

١ الجلوة : ٣٢٦

٢ الجلوة : المقال .

٣ الجلوة : أبقي .

[ترجمة مندر في المطمح]

وقال في المطمح^١ : مندر بن سعيد البلوطي ، آية حركة وسكون ، وبركة لم تكن معدة ولا تكون ، وآية سقاها في تحلّم ، وجهامة ورّع في طيّ تبسم . إذا جدّ وجدّ^٢ ، وإذا هزل نزل ، وفي كلتا الحالتين لم ينزل للورع من مرّقب . ولا اكتسب إثمًا ولا احتقّب ، وليّ قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن . وناهيك من عدلّ أظهر ، ومن فضل أشهر ، ومن جور قبض ، ومن حقّ رفع ومن باطل خفض ، وكان مهيباً صليلاً صارماً غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لأحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم ، واستمر في القضاء إلى أن مات الناصر لدين الله ثم ولي ابنه الحكم فأقرّه ، وفي خلافته استعفى مراراً فما أعفى . وتوفي بعد ذلك لم يحفظ عنه^٣ مدة ولايته قضية جور ، ولا عدت عليه في حكومته زلة ، وكان غزير العلم ، كثير الأدب ، متكلماً بالحق ، متيناً بالصدق ، له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع ، والرد على أهل الأهواء والبدع ، وكان خطيباً بليغاً وشاعراً محسناً ، وُلد عند ولاية المنذر بن محمد^٤ ، وتوفي سنة ٣٥٥ ، ومن شعره في الزهد قوله :

كم تصابى وقد علاك المشيبُ وتعمى عمداً وأنت اللبيبُ ؟
كيف تكلهُو وقد أذاك نذيرُ أن سيأتي الحيامُ منك قريبُ ؟
يا سفيهاً قد حان منه رحيلُ بعد ذاك الرحيلِ يومٌ عصيبُ
إنّ للموت سكرةً فارتقبها لا يدأوي إذا أتتك طيبُ
كم تَوَانِي حتى تصير رهيناً ثمّ تأتلك دَعْوَةٌ فتجيبُ

١ المطمح : ٢٧ .

٢ المطمح : تجرد .

٣ المطمح : تحفظ عليه .

٤ زاد في المطمح سنة ثلاث وسبعين ومائتين (وفي طبعة الجوانب : ثلاث وعشرين ، وهو خطأ) .

بأمر المعاد أنت عليم^١ فاعملن^٢ جاهداً له يا أريب^١
وتذكرن يوماً تحاسب فيه إن من يدكر فسوف يُنيب^٢
ليس من ساعة من الدهر إلا للمنايا بها عليك رقيب^١

ولعلنا نذكر شيئاً من أحوال مندر في غير هذا الموضع .

رجع لأخبار الناصر لدين الله - حكى^٢ أنه لما أَعَدَّ لأولاد ابنه أبي مروان
عبيد الله اتخذ لذلك صنيعاً عظيماً بقصر الزهراء لم يتخلف أحد عنه من أهل مملكته
وأمر أن يُنذَرَ لشهوده الفقهاء المشاورون ومن يليهم من العلماء والعدول ووجوه
الناس ، فتخلف من بينهم المشاور أبو إبراهيم ، وافتقد مكانه لارتفاع منزلته ،
فسأل في ذلك الخليفة الناصر ، إذ أبو إبراهيم من أكابر علماء المالكية الذين
عليهم المدار ، ووجد الناصر بسبب ذلك على أبي إبراهيم ، وأمر ابنه ولي^٢
العهد الحكم بالكتاب إليه ، والتفتيد له ، فكتب إليه الحكم رقعةً نسختها :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، حفظك الله وتولاك ، وسددك ورعاك ، لما امتحن
أمير المؤمنين مولاي وسيدي - أبقاه الله - الأولياء الذين يستعد بهم وجَدَكَ
مقدماً في الولاية ، متأخراً عن الصلة ، على أنه قد أُنذرك - أبقاه الله -
خصوصاً للمشاركة في السرور الذي كان عنده ، لا أعدمه الله توالي المسرة ،
ثم أُنذرت من قبل إبلاغاً في التكرمة ، فكان منك على ذلك كله من التخلّف
ما ضاقت عليك فيه الملعدة ، واستبلغ أمير المؤمنين في إنكاره ومعاتبتك عليه ،
فأعيت عليك عنك الحجة ، فعرفتني - أكرمك الله - ما العذر الذي أوجب
توقفك عن إجابة دعوته ، ومشاهدة السرور الذي سرّ به ورغب المشاركة فيه ،
لنعرفه - أبقاه الله - بذلك ، فتسكن نفسه العزيزة إليه إن شاء الله تعالى » . فأجابه
أبو إبراهيم : « سلام على الأمير سيدي ورحمة الله ، قرأت - أبقى الله الأمير

١ في الأصول ما عدا ج : ربيب .

٢ أزهار الرياض ٢ : ٢٨٢ .

سيدي - هذا الكتاب وفهمته ، ولم يكن توقفي لنفسي ، إنما كان لأمر المؤمنين سيدنا أبقى الله سلطانه ، لعلمي بمذهبه ، وسكوني إلى تقواه ، واقتضائه لأثر سلكه الطيب رضوان الله عليهم ، فإنهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتنعونها بما يشينها ، ولا بما يغض منها ويطرق إلى تنقيصها ، يستعدون بها لدينهم ، ويتزينون بها عند رعاياهم ومن يفد عليهم من قصّادهم ، فلهذا تخلفت ، ولعلمي بمذهبه توقفت ، إن شاء الله تعالى . فلما أقرأ الحكم أباه الناصر لدين الله جواب أبي إبراهيم لإسحاق أعجبه ، واستحسن اعتذاره ، وزال ما بنفسه عليه .

وكان الفقيه أبو إبراهيم المذكور معظماً عند الناصر وابنه الحكم ، وحقّ لهما أن يعظماه ؛ وقد حكى الفقيه أبو القاسم بن مفرّج قال ^١ : كنت أختلف إلى الفقيه أبي إبراهيم - رحمه الله تعالى - فيمن يختلف إليه للتفقه والرواية ، فلإني لَعِنْدَه في بعض الأيام في مجلسه بالمسجد المنسوب لأبي عثمان الذي كان يصلي به قرب داره بجوفي قصر قُرْطُبَة ، ومجلسه حافل بجماعة الطلبة ، وذلك بين الصلاتين ، إذ دخل عليه خَصِيٌّ من أصحاب الرسائل ، جاء من عند الخليفة الحكم ، فوقف وسلّم ، وقال له : يا فقيه ، أجب أمير المؤمنين أبقاه الله ، فإن الأمر خرج فيك ، وها هو قاعد ينتظرك ، وقد أمرت بإعجالك ، فالله الله ، فقال له : سمعاً وطاعة لأمر المؤمنين ، ولا عَجَلَة ، فارجع إليه وعرفه وفقه الله عني أنك وجدني في بيت من بيوت الله تعالى معي طلابُ العلم أسمعهم حديث ابن عمّه رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فهم يُقَيِّدُونَه عني ، وليس يمكنني ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المعهود لهم في رضا الله وطاعته ، فذلك أوكد من مسيري إليه الساعة ، فإذا انقضى أمر من اجتمع إليّ من هؤلاء المحتسبين في ذات الله الساعين لمرضاته مشيتُ إليه إن شاء الله تعالى . ثم أقبل على

شأنه ، ومضى الخصي يهينم متصاجراً من توقفه ، فلم يك إلا ريشماً أدنى جوابه ، وانصرف سريعاً ساكن الطيش ، فقال له : يا فقيه ، أنهيت قولك على نصته إلى أمير المؤمنين أبقاء الله ، فأصغى إليه ، وهو يقول لك : جزاك الله خيراً عن الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين ، وأمتعهم بك ، وإذا أنت أوعبت^١ فامض إليه راشداً إن شاء الله تعالى ، وقد أمرت أن أبقى معك حتى ينقضي شغلك وتمضي معي ، فقال له : حسن جميل ، ولكني أضعف عن المشي إلى باب السدة ، ويصعب عليّ ركوب دابة لشيخوختي وضعف أعضائي ، وباب الصناعة الذي يقرب إليّ من أبواب القصر المكرّم أحوط وأقرب وأرقق بي ، فإن رأى أمير المؤمنين - أيّده الله تعالى - أن يأمر بفتحه لأدخل إليه منه هوّن عليّ المشي ، ووّدّع جسمي ، وأحب أن تعود وتُنهي إليه ذلك عني حتى تعرف رأيه فيه ، وكذلك تعود إليّ فلنّني أراك في سديداً ، فكن على الخير مُعيناً . ومضى عنه الفتى ، ثم رجع بعد حين وقال : يا فقيه ، قد أجابك أمير المؤمنين إلى ما سألت ، وأمر بفتح باب الصناعة وانتظارك من قبله ، ومنه خرجت إليك ، وأمرت بملازمتك مذكراً بالنهوض عند فراغك ، وقال : افعل راشداً ، وجلس الخصي جانباً حتى أكمل أبو إبراهيم مجلسه كأفسح^٢ ما جرت به عادته غير مترعج ولا قَلِق ، فلمّا انفضضنا عنه قام إلى داره فأصلح من شأنه ثم مضى إلى الخليفة الحكم فوصل إليه من ذلك الباب ، وقضى حاجته من لقائه ، ثم صرفه على ذلك الباب ، فأعيد لإغلاقه على إثر خروجه . قال ابن مفرّج : ولقد تعمّدنا في تلك العشيّة إثر قيامنا عن الشيخ أبي إبراهيم المرور بهذا الباب المعهود لإغلاقه بدُبُر^٣ القصر لنرى تجشّم الخليفة له ، فوجدناه كما وصف الخصي مفتوحاً^٤ ، وقد حَفّه الخدم والأعوان مترعجين ما بين

١ ك : أوعيت .

٢ ك : بأكمل وأفسح .

٣ في الأصول : بدير .

٤ ك : مفتوحاً كما وصف .

كنّاس وفرّاش متأهّبين لانتظار أبي إبراهيم ، فاشتدّ عجبنا لذلك ، وطال
تحدّثنا عنه ، انتهى . فهكذا تكون العلماء مع الملوك والملوك معهم^١ ، قدس
الله تلك الأرواح .

ثم توفي الناصر لدين الله ثاني - أو ثالث - شهر رمضان ، من عام خمسين
وثلاثمائة ، أعظم ما كان سلطانه ، وأعز ما كان الإسلام بملكه .
قال ابن خلدون : خلف الناصر في بيوت الأموال خمسة آلاف ألف
ألف ثلاث مرات ، انتهى .

وقال غير واحد^٢ : إنّه كان يقسم الجباية أثلاثاً : ثلث للجند ، وثلث
للبناء ، وثلث مدّخر ، وكانت جباية الأندلس يومئذ من الكور والقري
خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ، ومن السوق والمستخلص
سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار ، وأمّا أخماس الغنائم العظيمة فلا
يُخصّصها ديوان .

وحكي^٣ أنّه وجد بخط الناصر - رحمه الله - أيام السرور التي صفت
له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا ، وعدّت
تلك الأيام فكانت أربعة عشر يوماً ، فاعجب أيها العاقل لهذه الدُّنيا وعدم صفائها ،
وبخلها بكمال الأحوال لأوليائها ، هذا الخليفة الناصر حلف السعود ، المضروب
به المثل في الارتقاء في الدنيا والصعود ، ملكها خمسين سنة وستة - أو سبعة -
أشهر وثلاثة أيّام ، ولم تصفُ له إلا أربعة عشر يوماً ، فسبحان ذي العزة القائمة ،
والملكة الدائمة ، لا إله إلا هو .

ومما يُنسب للناصر من الشعر ، وقيل : لابن الحكيم ، قوله^٤ :

١ ك : مع العلماء .

٢ المغرب ١ : ١٧٩ وأزهار الرياض ٢ : ٢٧١ .

٣ المغرب ١ : ١٧٧ وأزهار الرياض ٢ : ٢٨٢ .

٤ المغرب ١ : ١٧٩ .

ما كُلُّ شَيْءٍ فَقَدْتُ إِلَّا عَوَضَنِي اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا
إِنِّي إِذَا مَا مَنَعْتُ خَيْرِي تَبَاعَدَ الْخَيْرُ مِنْ يَدَيَا
مَنْ كَانَ لِي نِعْمَةٌ عَلَيْهِ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ عَلَيَا

* * *

[ترجمة أحمد بن عبد الملك بن شهيد]

ومما زين الله به دولة الناصر وزراؤه الذين من جملتهم ابن شهيد ،
قال في المطمح^١ : أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد ، مفخر الإمامة ،
وزهر تلك الكمامة ، وحاجب^٢ الناصر عبد الرحمن ، وحامل^٣ الوزارتين على
سُمُوهُما في ذلك الزمان ، استقل^٤ بالوزارة على ثقلها ، وتصرف فيها كيف
شاء على حد^٥ نظرها والتفات مقلها ، فظهر على أولئك الوزراء ، واشتهر مع
كثرة النظراء ، وكانت إمارة عبد الرحمن أسعد إمارة ، بعد^٦ عنها كل نفس
بالسوء أمارة ، فلم يطرقها صرْف ، ولم يرمقها محذور بطرف ، ففرغ^٧ الناس
فيها هِضاب الأمان^٨ ورُبَاهَا ، ورتعت^٩ ظباؤها في ظلال^{١٠} ظبَاهَا ، وهو أسد^{١١} على
برائته رابض ، وبطل^{١٢} أبدأ على قائم سيفه قابض ، يروع الروم طيفه ، ويجوس
خلال تلك الديار خوفه ، ويروى^{١٣} بل يحسم كل آونة سيفه ، وابن شهيد ينتج
الآراء ويلقحها ، وينقذ تلك الأنحاء وينقحها ، والدولة مشتملة بغنائها ،
متجملة بسنائها ، وكرمه منتشر على الآمال ، ويكسو الأولياء بذلك الإجمال ،
وكان له أدب تزخر لجججه ، وتبهر حُجَجُه ، وشعره رقيق لا يُنقَد ، ويكاد
من اللطافة يُعقَد ، فمن ذلك قوله :

ترى البدرَ منها طالعا فكأنما يجول وشاحها على لؤلؤ رطبٍ

١ المطمح : ٩ والمقتطفات (الورقة ٨٥ - ٨٦) وانظر ترجمة الوزير ابن شهيد أيضاً في الحلة
١ : ٢٢٧ وجذوة المقتبس : ١٢٣ (وبغية الملتص رقم : ٤٣٩) ، وسقطت ترجمته من
المغرب المطبوع .
٢ لك : وصاحب .

بعيدة مَهْوَى القُرْطِ مَخْطَفَ الحشا ومُفْعَمَةُ الخَلِخالِ مُفْعَمَةُ ١ القُلُوبِ
من اللآءِ لم يَرْحَلْنَ فوق رِواحِل ولا سِرْنَ يوماً في رِكابٍ ولا رِكبٍ
ولا أْبْرَزْنَهُنَّ المَدَامُ لِنَشْوَةِ وشَدْوٍ كما تشدو القِيَانُ على الشَّرْبِ

وكان بينه وبين الوزير عبد الملك بن جهور متولي الأمر معه ، ومشاركه
في التدبير إذا حضر مجتمعه ، منافسة ، لم تنفصل لهما بها مُداخلة ولا ملابسة ،
وكلاهما يتربصُ بصاحبه دائرة السَّوء ، ويغص به غَصَصُ الأفق بالنَّوْء ،
فاجتاز يوماً على رَبَضِهِ ، ومال إلى زيارته ولم تكن من غَرَضِهِ ، فلمَّا استأمر
عليه ، تأخَّرَ خروج الإذن إليه ، فشَنَى عِينَانِهِ حَنَقاً من حِجَابِهِ ، وضجراً
من حُجَابِهِ ، وكتب إليه مُعَرَّضاً ، وكان يلقَّب بالحمار :

أَتَيْنَاكَ لَا عَنَّا حَاجَةٌ عَرَضَتْ لَنَا إِلَيْكَ وَلَا قَلْبٌ إِلَيْكَ مَشُوقٍ
وَلَكِنَّا زُرْنَا بِفَضْلِ حُلُومِنَا جَمَاراً تَوَلَّى بَرَّاناً بِعُقُوقِ ٢

فراجعه ابن جهور بغض منه ، بما كان يشيع عنه ، بأن جدّه أبا هشام ، كان
بَيْطَاراً بالشام ، بقوله :

حَجَبْنَاكَ لَمَّا زَرْتَنَا غَيْرَ تَائِقٍ بَقْلِبِ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
وَمَا كَانَ بَيْطَارُ الشَّامِ بِمَوْضِعٍ يُبَاشِرُ فِيهِ بَرَّاناً بِخَلِيقٍ

ومن شعره قوله يتغزل :

حَلَفْتُ بَمَنْ رَمَى فَأَصَابَ قَلْبِي وَقَلْبَهُ عَلَى جَمْرِ الصُّدُودِ
لَقَدْ أَوْدَى تَذَكُّرُهُ بِقَلْبِي وَلَسْتُ أَشْكُ أَنْ النَّفْسُ تُودِي

١ ط ق : مقمة .

٢ في ق ك :

ولكننا زرنا بفضل حلومنا فكيف تلاقي برنا بعقوق
والتصحيح عن الحميدي والحلة السراء .

فَقِيدٌ وَهُوَ موجودٌ بِقَلْبِي فَوَاعَجَبَا لموجودٍ فَقِيدٍ

وقد تقدّم الكلام على هدية ابن شهيد وبعض أخباره ، رحمة الله عليه .

* * *

[الحكم المستنصر]

ولما توفي الناصر لدين الله^١ تولى الخلافة بعده وليٌ عهده الحكم المستنصر بالله فجرى على رَسْمِهِ ، ولم يفقد من ترتبه إلا شخصه ، وولي حجابته جعفر المصحفي . وأهدى له يوم ولايته هدية كان فيها من الأصناف ما ذكره ابن حيّان في « المقتبس » وهي : مائة مملوك من الإفرنج ناشئة^٢ على خيول صافنة كاملو الشبكة والأسلحة من السيوف والرماح والدّرق والتراس والقلائس الهندية ، وثلاثمائة ونيّف وعشرون درعاً مختلفة الأجناس ، وثلاثمائة خوذة كذلك ، ومائة بَيْضَة هندية ، وخمسون خوذة خشبية^٣ من بيضات القرنجة من غير الخشب^٤ يسمونها الطشطانة^٥ ، وثلاثمائة حربة إفرنجية ، ومائة ترس سلطانية^٦ ، وعشرة جَوَاشِن فضّة مذهبة ، وخمسة وعشرون قرناً مذهبة من قرون الجاموس ، انتهى . قال ابن خلدون^٧ : ولأوّل وفاة الناصر طمع الجلالقة في الثغور ، فغزا الحكم المستنصر بنفسه ، واقتحم بلد فرذلند بن غندشلب^٨ ، فنازل عشته الشّيبين^٩ .

١ سياق الخبر حسبما ورد في ابن خلدون ٤ : ١٤٤ .

٢ ك : ناشبة .

٣ ق : وخمسون هندية خشبية .

٤ كذا ولعلها : « من غير الخشب » .

٥ ابن خلدون : الطاشانة ؛ والطشطانة (Tistina) كلمة مشتقة من البروفنسالية (Testa) (أي الرأس Tête) وتكتب أيضاً طشتانية وتعني « الخوذة » .

٦ ابن خلدون : سلطانية الجنس .

٧ تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٤٤ والكلام متصل بما قبله في النقل عنه .

٨ فرذلند (Fernando = Ferdinand) ؛ غندشلب (جنتال) (Gonzalo) .

٩ شنت اشيبين (وفي ق ك ط قدمت الباء الموحدة على الياء) (San Esteban) وبها يسمى غير موضع بالأندلس ، ولكن المعنى ها المدينة القريبة من وشقة (Huesca) .

وفتحها عتوة واستباحها ، وقفل ، فبادروا إلى عقدِ السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ، ثم أغزى غالباً مولاه بلادَ جليقية وسار إلى مدينة سالم لدخول دار الحرب ، فجمع له الجلالقة ، ولقيهم فهزمهم واستباحهم وأوطأ العساكر بلد فرذلند ودوخها ، وكان شانجة^١ بن رُدْمير ملك البُشْكَنْس قد انتقض ، فأغزاه الحكمُ التجيبيُّ صاحبَ سرقسطة في العساكر ، وجاء ملك الجلالقة لنصره ، فهزمهم ، وامتنعوا بقُورِيَّة^٢ ، وعاثوا في نواحيها ، وقفل ، ثم أغزى الحكمُ أحمدَ بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي إلى بلاد بَرَشِلُونَة ، فعاثت العساكر في نواحيها ، وأغزى هُدَيْل بن هاشم ومولاه غالباً إلى بلاد القومس ، فعاثا فيها ، وقفلا ، وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور في كل ناحية ، وكان من أعظمها فتح قَلَهْرَة^٣ من بلاد البُشْكَنْس على يد غالب ، فعمرها الحكم ، واعتنى بها ، ثم فتح قُطُوبِيَّة^٤ على يد قائد وشقة وغنم فيها من الأموال والسلاح والأقوات والأثاث وفي بسيطها من الغنم والبقر والرمك والأطعمة والسبي ما لا يحصى .

وفي سنة أربع وخمسين سار غالب إلى بلد ألبَة ، ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون ، فابتنى حصن غُرْمَاج^٥ ، ودوخ بلادهم ، وانصرف .

وظهرت في هذه السنة مراكبُ المجوس في البحر الكبير ، وأفسدوا بسائط أشبُونَة وناشبهم الناسُ القتال ، فرجعوا إلى مراكبهم ، وأخرج الحكمُ

١ ق ج ك ط : شنجة .

٢ قورية (Coria) من مدن كورة ماردة وكانت تعرف قبل فتح العرب باسم (Caurium) .

٣ في ك : قلمرية (Coimbra) من مدن البرتغال إلى الغرب من قورية قريباً من الساحل . أما قلهرة (Calahorra = Calagurri) فهي حسب التقسيمات القديمة من قسم طركونة ومن قواعد منطقة نبره (نافار) .

٤ كذا في ق ج ط وعند دوزي ، ولعل الصواب : قطريه (Yerba) .

٥ غرماج (Gormaz) ؛ (وانظر أخباراً عما حدث لهذا الحصن في المقتبس : ٢٣٤ ط . بيروت) .

القوَّاد لاحتِراس السواحل ، وأمر قائد البحر عبد الرحمن بن رُماحس بتعجيل حركة الأسطول ، ثم وردت الأخبار بأن العساكر نالت منهم في كل جهة من السواحل .

ثمَّ كانت وفادة أردون بن أذفونش ملك الجَلالِقة ، وذلك أن الناصر لما أعان عليه شانجة بن رذمير - وهو ابن عمِّه ، وهو الملك^١ من قبَل أردون - وحمل النصرانية على طاعته ، واستظهر أردون بصهره فرذلند قومس قشتيلة ، توقع مظاهرة الحكم لشانجة كما ظاهره أبوه الناصر ، فبادر إلى الوفاة على الحكم مستجيراً به ، فاحتفلَ لقدمه ، وعبَّى العساكر ليوم وفادته ، وكان يوماً مشهوداً وصفه ابن حيَّان كما وصف أيتام الوفادات قبله ، ووصل إلى الحكم ، وأجلسه ، ووعدته بالنصر من عدوِّه ، وخلع عليه ، وكتب بوصوله ملقياً بنفسه ، وعاقده على موالاة الإسلام ، ومقاطعة فرذلند القومس ، وأعطى على ذلك صَفَقَةً يَمِينَهُ . ورهن ولده غَرْسِيَّة ، ودفعت الصَّلَّات والحُمْلان له ولأصحابه ، وانصرف معه وُجوه نصارى الدِّمَّة ليوطدوا له الطاعة عند رعيته ، ويقبضوا رهنته .

وعند ذلك بعث ابنُ عمِّه شانجةُ بن رذمير ببيعته وطاعته مع قواميس أهل جليقية وسمَّورة وأساقفتهم ، يرغب في قبوله ، ويمتَّ بما فعل أبوه الناصر معه ، فتقبل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والأبراج القريبة من ثغور المسلمين .

ثمَّ بعث ملكا برُشِلونة وطَرَّكونة وغيرُهما يسألان تجديد الصلح وإقرارهما على ما كانا عليه ، وبعثا بهدية ، وهي : عشرون صبيّاً من الحصيان الصقالبة ، وعشرون قنطاراً من صوف السمور ، وخمسة قناطير من القصدير ، وعشرة أذراعٍ صقلبية ، ومائتا سيف فرنجية ، فتقبل الهدية وعقد لهم على أن يَهْدِمُوا

... ..

١ ق : الملك .

الحصون التي تضرُّ بالثغور ، وأن لا يظاهروا عليه أهلَ ملَّتْهم ، وأن يندروا بما يكون من النصارى في الإجلاب على المسلمين .

ثم وصلتُ رسلُ غرسية بن شانجة ملك البشكنس في جماعة من الأساقفة والقواميس يسألون الصلح ، بعد أن كان توقف وأظهر المكر ، فقعدهم الحكم ، فاغبتوا ورجعوا .

ثمَّ وفدت على الحكم أم لُدَريق بن بلاشك القومس^١ بالغرب من جليقية ، وهو القومس الأكبر ، فأخرج الحكم لتلقيها أهلَ دولته ، واحتفل لقدمها في يوم مشهود مشهور ، فوصلت وأسعفت ، وعقد السلم لابنها كما رغبت ، ودفع لها مالاً تقسّمه بين وفدها ، دون ما وصلت به هي ، وحملت على بغلة فارهة بسرج ولحام مثقلين بالذهب وملحفة ديباج ، ثم عاودت مجلس الحكم للوداع ، فعاودتها بالصلوات لسفرها ، وانطلقت .

ثمَّ أوطأ عساكره أرضَ العُدوة من المغرب الأقصى والأوسط ، وتلقى دعوته ملوك زَنَانة من مَغْراوة ومِكناسة ، فبثوها في أعمالهم ، وخطبوا بها على منابرهم ، وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ، ووفد عليه من بني خزر وبني أبي العافية ، فأجزل صلتهم ، وأكرم وفادتهم ، وأحسن مُنصَرَفَهم ، واستنزل بني إدريس من ملكهم بالعدوة في ناحية الرّيف ، وأجازهم البحر إلى قُرطُبة ، ثم جلاهم إلى الإسكندرية .

وكان مُحِبّاً للعلوم ، مكرماً لأهلها ، جَمّاعاً للكتب في أنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله ، قال أبو محمد بن حزم^٢ : أخبرني تليد الخصي^٣ — وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان — أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، وفي كل فهرسة عشرون ورقة^٣ ، ليس فيها

١ لدرّيق بن بلاشك (أو بلاشك) (Rodrigo Velasques) وأمه هي : (Oneca) .

٢ انظر الجهمرة : ١٠٠ وابن خلدون ٤ : ١٤٦ .

٣ الجهمرة : خمسون ورقة .

إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير ، وأقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة جُلِبَت إليها بضائعه من كل قطر . ووفد على أبيه^١ أبو عليّ القالي صاحبُ كتاب « الأماي » من بغداد فأكرم مَثْوَاه ، وحَسُنَت منزلته عنده ، وأورث أهل الأندلس علمه ، واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه ؛ وكان يبعث في الكتب^٢ إلى الأقطار رجالاً من التجار ، ويرسل^٣ إليهم الأموال لشراؤها ، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه ، وبعث في كتاب « الأغاني » إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني ، وكان نسب في بني أمية ، وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العين ، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرج به إلى العراق ، وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم ، وأمثال ذلك . وجمع بداره الخدّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد ، فأوعى من ذلك كله ، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده ، إلا ما يُذكر عن إلتاصر العباسي بن المستضيء ، ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها في حصار البربر ، وأمر بإخراجها وبيعها الحاجبُ واضح من مَوالي المنصور بن أبي عامر ، ونُهِب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم إياها عشوة ، انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار .

ولنبسط الكلام على الحكم فنقول^٤ : إن الحكم المستنصر اعتلى سرير الملك ثاني يوم وفاة أبيه يوم الخميس ، وقام بأعباء الملك أتم قيام ، وأنفذ الكتب إلى الآفاق بتمام الأمر له ، ودعا الناس إلى بيعته ، واستقبل من يومه النظر في تمهيد سلطانه ، وثقيف مملكته ، وضبط قصوره ، وترتيب أجناده ، وأول ما أخذ

١ ك : قال أبو محمد بن خلدون ولما وفد . . . أكرم . . .

٢ ك : في شراء الكتب .

٣ ج : ويسدي ؛ ط ق : ويسري .

٤ انظر أزهار الرياض ٢ : ٢٨٦ والنص متفق مع النسخ حتى آخر قصيدة المرادي ص : ٣٩٤ .

البيعة على صقالة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر ، كجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم ، وتكفلوا بأخذها على مَنْ وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم ، وأوصل إلى نفسه في الليل دون هؤلاء الأكابر من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء ، فبايعوه ، فلمّا كملت بيعة أهل القصر تقدّم إلى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض إلى أخيه شقيقه أبي مروان عبيد الله المتخلف بأن يُلزّمه الحضور للبيعة دون معذرة ، وتقدم إلى موسى بن أحمد بن حدير بالنهوض أيضاً إلى أبي الأصبغ عبد العزيز شقيقه الثاني ، فمضى إليهما كل واحد منهما في قطيع من الجند ، وأتيا بهما إلى قصر مدينة الزهراء . ونفذ غيرهما من وجوه الرجال في الخيل لإتيان غيرهما من الإخوة ، وكانوا يومئذ ثمانية ، فوافي جميعهم الزهراء في الليل ، فترلوا في مراتبهم بفصلان^١ دار الملك ، وقعدوا في المجلسين الشرقي والغربي ، وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الأوسط من الأبهاء المذهبة القبلية التي في السطح الممرّد ، فأول مَنْ وصل إليه الإخوة فبايعوه ، وأنصتوا لصحيفة البيعة ، والتزموا الإيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ، ثم بايع بعدهم الوزراء وأولادهم وإخوانهم ، ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة ، وقعد الإخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله ، إلا عيسى بن فطيس فإنه كان قائماً يأخذ البيعة على الناس ، وقام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة ، فأصطف في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتيان يميناً وشمالاً إلى آخر البهو كل منهم على قدره في المنزلة ، عليهم الظهائر البيض شعار الحزن ، قد تقلدوا فوقها السيوف ، ثم تلاهم الفتيان الوصفاء ، عليهم الدروع السابعة والسيوف الحالية ، صفين منتظمين في السطح ، وفي الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتيان الصقالة الجحسيان لابسين البياض ، بأيديهم السيوف ، يتصل بهم مَنْ دونهم من طبقات

^١ الفصلان والفصل : جمع فصيل ، ويقابل (Porticus) باللاتينية ، وهو الرحبة عند مدخل البيت ، وتكون الفصلان فيما يبدو على شكل رحاب وصحون متوالية تحددها هيئة الأعمدة .

الخصيان الصقالبة ، ثم تلاهم الرماة متكبين قسيّهم وجعابهم ، ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين في الأسلحة الرائقة والعدة الكاملة ، وقامت التعبئة في دار الجند والترتيب من رجالة العبيد عليهم الجواشن والأقبية البيض ، وعلى رؤوسهم البيضات الصقيلة^١ ، وبأيديهم التّراس الملوّنة والأسلحة المزينة ، انتظموا صفين إلى آخر الفُصْل ، وعلى باب السّدة الأعظم البوابون وأعوانهم ، ومن خارج باب السّدة فرسان العبيد إلى باب الأقباء ، واتصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة ، موكباً إثر موكب ، إلى باب المدينة الشارع إلى الصحراء ، فلما تمت البيعة أذن للناس بالانفضاض ، إلا الإخوة والوزراء وأهل الخدمة فإنهم مكثوا بقصر الزهراء إلى أن احتُمل جسد الناصر - رحمه الله - إلى قصر قُرطُبة للدفن هنالك في تربة الخلفاء .

وفي ذي الحجة من سنة خمسين تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحكم من البلاد للبيعة والتماس المطالب ، من أهل طُلَيْسطة وغيرها من قواعد الأندلس وأصقاعها ، فتوصلوا إلى مجلس الخليفة بمحضر جميع الوزراء والقاضي مُنْذِر ابن سعيد والملاّ ، فأخذت عليهم البيعة ، ووُقعت الشهادات في نسخها .

* * *

[وفود أردون على المستنصر]

وفي آخر صفر من سنة إحدى وخمسين أخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله مَوْلِيَّه محمدًا وزيادًا ابني أفلح الناصري بكتيبة من الحشم لتلقّي غالب الناصري صاحب مدينة سالم المورد للطاغية أردون بن أذفونش الخبيث في الدولة المتملك على طوائف من أمم الجلالقة والمنازع لابن عمّه المملّك قبله شانجة بن رذمير ، وتبرع هذا اللعين أردون بالمسير إلى باب المستنصر بالله من ذاته ، غير

.....

١ ك : الصقلية ؛ وفي بعض النسخ : الصقلية .

طالب إذن ولا مستظهر بعهد ، وذلك عندما بلغه اعتزامُ الحكمِ المستنصر بالله في عامه ذلك على الغزو إليه ، وأخذُهُ في التأهب له ، فاحتال في تأميل المستنصر بالله والارتقاء عليه ، وخرج قبل أمانٍ يُعقَد له أو ذِمّة تعصمه في عشرين رجلاً من وجوه أصحابه ، تكتفهم غالب الناصري الذي خرجوا إليه ، فجاء به نحو مولاه الحكم ، وتلقاهم ابنا أفلح بالجيش المذكور فأنزلاهم ، ثم تحركا بهم ثاني يوم نزولهم إلى قرطبة ، فأخرج المستنصر بالله إليهم هشاماً المصحفي في جيش عظيم كامل التعبئة ، وتقدّموا إلى باب قرطبة ، فمروا بباب قصرها ، فلما انتهى أردون إلى ما بين باب السدة وباب الجنان سأل عن مكان رمسِ الناصر لدين الله فأشير إلى ما يوازي موضعه من داخل القصر في الروضة ، فخلع قلنسوته ، وخضع نحو مكان القبر ، ودعا ، ثم ردّ قلنسوته إلى رأسه . وأمر المستنصر بإنزال أردون في دار الناعورة ، وقد كان تقدّم في فرشها بضروب الغطاء والوطاء ، وانتهى من ذلك إلى الغاية ، وتوسّع له في الكرامة ولأصحابه ، فأقام بها الخميس والجمعة ، فلما كان يوم السبت تقدم المستنصر بالله باستدعاء أردون ومن معه بعد إقامة الترتيب وتعبية الجيوش والاحتفال في ذلك من العدد والأسلحة والزينة ، وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في المجلس الشرقي من مجالس السطح ، وقعد الإخوة وبنوهم والوزراء ونظرائهم صفّاً في المجلس فيهم القاضي منذر بن سعيد والحكام والفقهاء ، فأثنى محمد بن القاسم بن طُمْلُس^١ بالملك أردون وأصحابه وعالي لبوسه^٢ ثوباً ديباجي^٣ روميّ أبيض وبتليوال^٣ من جنسه وفي لونه ، وعلى رأسه قلنسوة رومية منظومة

.....

١ محمد بن قاسم بن طملس : كان يشغل في أيام المستنصر منصب الوزير صاحب الخشم ، وقد قتل في حروب العدو أول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة بفحص مهران (المقتبس : ٩٦ ط . بيروت).

٢ ق : لباسه .

٣ لعلها من اللفظة (Pluvial) ، أو (Palio) (فتقرأ : بليون) ، وفي ق : ويلبوال ؛ ج : يلنوال ؛ ك : بليون .

بجوهر ، وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالآندلس يؤنسونه ويبصرونه ، فيهم وليد بن خيزران^١ قاضي النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة^٢ وغيرهما ، فدخل بين صفتي الترتيب يُقَلَّب الطرف في نظم الصفوف ، ويُجِيل الفكر في كثرتها وتظاهر أسلحتها ورائق حليتها ، فراعهم ما أبصروه ، وصلبوا على وجوههم ، وتأملوا ناكسي رؤوسهم غاضين من أجفانهم قد سُكِّرت أبصارهم حتى وصلوا إلى باب الأقباء أول باب قصر الزهراء ، فترجل جميع^٣ من كان خرج إلى لقائه ، وتقدم الملك أردون وخاصة قوامسه على دوابهم ، حتى انتهوا إلى باب السُدَّة ، فأمر القوامس بالترجل هنالك والمشي على الأقدام ، فترجلوا ، ودخل الملك أردون وحده راكباً مع محمد بن طُمْلُس ، فأنزل في بُرْطُل^٣ البهو الأوسط من الأقباء القبلية التي بدار الجند على كرسي مرتفع مكسو الأوصال بالفضة ، وفي هذا المكان بعينه نزل قبله عدوّه ومناوئه شانجة بن رُدْمير الوافد على الناصر لدين الله — رحمه الله تعالى — فقعّد أردون على الكرسي ، وقعد أصحابه بين يديه ، وخرج الإذن لأردون الملك من المستنصر بالله بالدخول عليه ، فتقدم يمشي وأصحابه يتبعونه إلى أن وصل إلى السطح ، فلما قابِلَ المجلس الشرقي الذي فيه المستنصر بالله وقف وكشف رأسه وخلع بُرْنُسَهُ ، وبقي حاسراً أعظماً لما بان له من الدنو إلى السرير ، واستنْهَضَ فمضى بين الصفيين المرتبين في ساحة السطح ، إلى أن قطع السطح وانتهى إلى باب البهو ، فلما قابِلَ السريرَ

..

١ كذا في قج طودوزي ؛ وهو مضطرب في النسخ فهو : خيزان ؛ خيزون (في ك) ؛ خيرون ؛ ولعل الأخيرة «خيرون» هي الصواب ؛ وهذا القاضي فيما يبدو هو الذي أمان على ترجمة كتاب هروشيوش حين أهداه إمبراطور القسطنطينية إلى الناصر (ابن خلدون ٢ : ٨٨) وفي أحداث سنة ٣٦٠ من المقتبس أن قاضي النصارى بقرطبة كان اسمه «أصبيغ بن نبيل» (ص : ١٤٦ ، ٦٤) .

٢ سماه في المقتبس (٤٧) مطران إشبيلية ، وكان المستنصر يعتمد عليه في الترجمة وفي مرافقة الوفود وشؤون السفارات .

٣ البرطل : يقابل بالإسبانية (Portal) أي المدخل .

خَرَّ ساجداً سُويعةً ، ثم استوى قائماً ، ثم نهض خطواتٍ ، وعاد إلى السجود ،
ووالى ذلك مراراً إلى أن قدم بين يدي الخليفة وأهوى إلى يده فناوله إياها. وكرَّ
راكعاً مقهقراً على عقبه إلى وسادٍ ديباجٍ مُثقل بالذهب ، جعل له هنالك ،
ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير ، فجلس عليه . والبهرُ قد علاه .
وأنهض خلفه من استدنى من قوامسه وأتباعه ، فدنوا ممثلين في تكرير الخنوع
وناوهم الخليفة يَدَه فقبَلوها وانصرفوا مقهقرين فوقفوا على رأس ملكهم .
ووصل بوصولهم وليدُ بن خيزران قاضي النصارى بقُرْطُبة ، فكان الترجمان
عن الملك أردون ذلك اليوم ، فأطرق الحكم عن تكليم الملك أردون إثر قعوده أمامه
وقتاَ كيما يُفْرِخَ رَوْعُهُ ، فلما رأى أن قد خُفِّضَ عليه افتتاح تكليمه فقال :
ليسرك إقبالك ويغبطك تأميلك ، فلدينا لك من حسن رأينا ورَحْب قبولنا فوق ما قد
طلبته ، فلما ترجم له كلامه إياه تطلَّق وجه أردون ، وانحط عن مرتبته ، فقبل
البساط ، وقال : أنا عبد أمير المؤمنين مولاي ، المتوركُ على فضله ، القاصد إلى
مجده ، المحكم في نفسه ورجاله ، فحيث وضعني من فضله وعوضني من خدمته
رجوت أن أتقدم فيه بنية صادقة ، ونصيحة خالصة ، فقال له الخليفة : أنت
عندنا بمحلٍّ مَنٌ يستحق حسن رأينا ، وسينالك من تقديمنا لك وتفضيلنا إياك
على أهل ميلتك ما يغبطك ، وتتعرف به فضل جنوحك إلينا ، واستظلالك بظل
سلطاننا ، فعاد أردون إلى السجود عند فهمه مقالة الخليفة ، وابتهل داعياً ، وقال :
إن شائجة ابن عمي تقدم إلى الخليفة الماضي مستجيراً به مني ، فكان من إعزازه
إياه ما يكون من مثله من أعظم الملوك وأكارم الخلفاء لمن قصدهم وأملهم ،
وكان قصده قصد مضطر قد شتات رعيته ، وأنكرت سيرته ، واختارني
لمكانه من غير سعي مني علم الله ذلك ، ولا دعاء إليه ، فخلعته وأخرجته عن
ملكه مضطراً مضطهداً ، فتطوّل عليه — رحمه الله — بأن صرّفه إلى ملكه ،

١ في الأصول : يفرج ..

وقوى سلطانه ، وأعز نصره ، ومع ذلك فلم يقم بفرض النعمة التي أسديت إليه ، وقصّر في أداء المفروض عليه وحقه وحق مولاي أمير المؤمنين من بعده ، وأنا قد قصدت باب أمير المؤمنين لغير ضرورة ، من قرارة سلطاني وموضع أحكامي ، مُحْكَمًا له في نفسي ورجالي ومعالي ومن تحويه من رعيتي ، فشتان ما بيننا بقوة الثقة ومطرح الهمة ، فقال الخليفة : قد سمعنا قولك ، وفهمنا مغزأك ، وسوف يظهر من إقراضنا إياك على الخصوصية شأنه ، ويترادف من إحساننا إليك أضعاف ما كان من أيينا - رضي الله تعالى عنه - إلى نذك ، وإن كان له فضلُ التقدّم بالجنوح إلينا والقصد إلى سلطاننا ، فليس ذلك مما يؤخره عنه ، ولا ينقصك مما أئلناك ، وسنصرفك مغبوطاً إلى بلدك ، ونشدّ أواخِيَّ ملكك ونُملِّكك جميع من انحاش إليك من أمتك^١ ونعقد لك بذلك كتاباً يكون بيدك تقرّر به حدّ ما بينك وبين ابن عمك ، ونقبضه عن كل ما يصرفه من البلاد إلى يدك ، وسيترادف عليك من إفضالنا^٢ فوق ما احتسبته ، والله على ما نقول وكيل .

فكرّر أردون الخضوع ، وأسهب في الشكر ، وقام للانصراف مقهقراً لا يولّي الخليفة ظهره ، وقد تكفّفه الفتيان^٣ ، فأخرجوه إلى المجلس الغربي في السطح ، وقد علاه البهّر وأذهله الرّوع ، من هَوْل ما باشره وجلالة ما عاينه من فخامة الخليفة وبهاء العزّة ، فلما أن دخل المجلس ووقعت عينه على مقعد أمير المؤمنين خالياً منه انحطّ ساجداً إعظاماً له ، ثم تقدّم الفتيان به إلى البهو الذي بجوّفي هذا المجلس ، فأجلسوه هنالك على وساد مثقل بالذهب ، وأقبل نحوه الحاجب جعفر ، فلما بصر به قام إليه ، وخنع له^٤ ، وأوماً إلى تقبيل يده ،

.....

١ من أمتك : سقطت منك .

٢ ق : إحساننا .

٣ زاد بعدها في ق : من جملة الفتيان .

٤ ك : وخضع له .

فقبضها الحاجبُ عنه ، وانحنى إليه فعانقه ، وجلس معه ، فغَبَطَهُ ، ووعدته من إنجاز عِدَات الخليفة له بما ضاعف سروره ، ثم أمر الحاجب جعفر فصُبَّت عليه الخلج التي أمر له بها الخليفة ، وكانت دُرَّاعَة منسوجة بالذهب ، وبرنسا مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت ملأت عين العليج نجلة ، فخرّ ساجداً وأعلن بالدعاء ، ثم دعا الحاجب أصحابه رجلاً رجلاً فخلع عليهم على قدر استحقاقهم ، فكمل جميع ذلك بحسب ما يصلح لهم ، وخرّ جميعهم خائعين^١ شاكرين ، ثم انطلق الملك أردون وأصحابه ، وقُدِّم لركابه في أوّل البهو الأوسط فرس^٢ من عتاق خيل الركاب عليه سَرَج حلي ولحام حلي مفرغ ، وانصرف مع ابن طُمْلُس إلى قصر الرصافة مكان تضييفه ، وقد أُعِدَّ له فيه كل ما يصلح لمثله من الآلة والفرش والماعون ، واستقر أصحابه فيما لا كفاء له من سعة التضييف وإرغاد المعاش .

واستشعر الناس من مَسَرَّة هذا اليوم وعزة الإسلام فيه ما أفاضوا في التبيّج به والتحدث عنه أياماً ، وكانت للخطباء والشعراء بمجلس الخليفة في هذا اليوم مقامات حسان ، وإنشادات لأشعار محكمة مِتان ، يطول القول في اختيارها ، فمن ذلك قولُ عبد الملك بن سعيد المرادي من قصيدة حيث يقول^٣ :

ملك الخليفة آيةُ الإقبالِ وسعودُه مَوْصُولَة بتوالي^٤
والمسلمون بعِزَّةٍ وبرفَعَةٍ والمشركون بدِلَّةٍ وسَقالِ
أَلَقَتْ بِأَيْدِيهَا الْأَعَاجِمُ نَحْوَهُ متوقعين لَصَوْلَةِ الرُّثْبَالِ
هذا أَمِيرُهُمْ أَنَاهُ أَخَذَ مِنْهُ أَوَاصِرَ ذِمَّةٍ وَحِبَالِ
متواضِعاً لِحِلَالِهِ متخَشِّعاً متبرِّعاً لَمَّا يَسْرَعُ بِقِتَالِ
سينال بالتأميل للملك الرضى عِزّاً يعمُّ عِدَاهُ بِالْإِذْلَالِ

١ ك : خاضعين .

٢ منها أربعة أبيات في البيان المغرب ١ : ٢٣٥ (ط . ليدن) .

٣ في الأصول : بدوال .

لا يوم أعظم للولاء مسرة^١ وأشدّه غيظاً على الأقبال
من يوم أردون الذي إقباله أمل المدى ونهاية الإقبال
ملك الأعاجم كلها ابن ملوكها والي الرعاة وللأعاجم والي
إن كان جاء ضرورة فلقد أتى عن عز مملكة وطوع رجال
فالحمد لله المنيل إمامنا حفظ الملوك بقدره المتعالي
هو يوم حشر الناس إلا أنهم لم يسألوا فيه عن الأعمال
أضحى القضاء مفعماً^٢ بجيوشه والأفق أقتم أغبر السربال
لا يهتدي الساري الليل قتامة إلا بضوء صوارم وعوالي
وكان أجسام الكماة تسربلت وكان عريته عنه جسوم صلال
وكانتا العقبان عقبان الفلا منقصة لتخطف الضلال
وكان منتصب القنا مهترّة أشطان نازحة بعيدة جال
وكانما قبل التجافيف اكتست ناراً توهجها^٣ بلا إشعال

• • •

[عود إلى سيرة الحكم]

وقال بعض المؤرخين في حق الحكم المستنصر عن فتاه^٤ تليد صاحب خزانته العلمية فيما حدث عنه الحافظ أبو محمد بن حزم : إن عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر الدواوين فقط ، انتهى ، وقد قدمناه عن ابن خلدون^٥ ، ونقله ابن الأبار في التكملة^٥ .

وقال بعض المؤرخين في حق الحكم : إنه كان حسن السيرة ، مكرماً للقادمين

١ في نسخة : منيماً .

٢ النازحة : البشر البعيدة الفور ؛ الحال والجول : صفحة البشر .

٣ ك : تزججها . ٤ ص : ٣٨٥ فيما سبق .

٥ لم أجده في التكملة المطبوعة ، وهو في الحلة السراء ١ : ٢٠٣ وانظر المقتطفات (الورقة : ٨٦) .

عليه ، جمع من الكتب ما لا يُحَدُّ ولا يوصف كثرة ونفاًسة ، حتى قيل : إنها كانت أربعمئة ألف مجلد ، ولأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها ، وكان عالماً نبيهاً صافي السريرة ، وسمع من قاسم بن أصبغ وأحمد بن دُحيم ومحمد ابن عبد السلام الخُشْتِي وزكريا بن خطاب وأكثر عنه ، وأجاز له ثابت بن قاسم ، وكتب عن خلق كثير سوى هؤلاء . وكان يستجلب المصنفات من الأقاليم والنواحي باذلاً فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه ، وكان ذا غرام بها ، قد أثر ذلك على لذات الملوك ، فاستوسع علمه ودق نظره ، وجمت استفادته ، وكان في المعرفة بالرجال والأخبار والأنساب أحوذياً نسيج وحده ، وكان ثقة فيما ينقله ، بهذا وصفه ابن الأبار وبأضعافه ، وقال : عجباً لابن الفرصي وابن بشكوال كيف لم يذكره وقلتما يوجد كتاب من خزائنه إلا وله فيه قراءة أو نظر في أيّ فنّ كان ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده لعنايته بهذا الشأن^١ . ومما يُنسب إليه من النظم قوله^٢ :

إلى الله أشكو من شمائلٍ مُتَرَفٍ^٣ عَلَيَّ ظُلُومٌ لَا يَدِينُ بِمَا دَنْتُ
نأتُ عنه . داري فاستراد صدوده وإنِّي على وجدي القديم كما كُنْتُ
ولو كُنْتُ أدري أن شوقي بالغ من الوجدي ما بلغته لم أكنُ بِنْتُ

وقوله^٤ :

عجبتُ وقد ودّعْتُها كيف لم أمتُ وكيف انثنتُ بعد الوداعِ يدي معي
فيا مقلتي العبري عليّ اسكبي دماً ويا كيدي الحرّى عليّا تقطعي

١ بعض هذا النص موجود في الحلة السراء .

٢ المغرب ١ : ١٨١ والمقتطفات (الورقة : ٨٦) .

٣ ك : مسرف .

٤ انظر الحلة السراء ١ : ٢٠٣ والمغرب ١ : ١٨٢ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بقصر قُرْطبة ثاني صفر سنة ست وستين
وثلاثمائة ، لست عشرة سنة من خلافته ، وكان أصابه الفالج ، فلزم الفراش
إلى أن هلك - رحمه الله تعالى - وكان قد شدد في إبطال الخمر في مملكته
تشديداً عظيماً .

* * *

[خلافة هشام بن الحكم وتسلط المنصور بن أبي عامر]

وفي بعده ابنه هشامٌ صغيراً سنة تسع سنين ، ولا ينافيه قولُ ابن خلدون :
« قد نامز الحلم » وكان الحكم قد استوزر له محمد بن أبي عامر ، ونقله من
خطة القضاء إلى وزارته ، وفوض إليه أموره ، فاستقل .

قال ابن خلدون ^١ : وترقت حالُ ابن أبي عامر عند الحكم ، فلما توفي
الحكم وبويع هشام ولقب المؤيد بعد أن قُتل ليلثد المغيرة أخو الحكم المرشح
لأمره تناول الفتك به محمد بن أبي عامر هذا بمائة من جعفر بن عثمان المصحفي
حاجب أبيه وغالب مولى الحكم صاحب مدينة سالم ومن خصيان القصر يومئذ
ورؤسائهم فائق وجوذر ، فقتل ابن أبي عامر المغيرة بمائة من ذُكر ، وتمت
البيعة لهشام ، ثم سَمَا لابن أبي عامر أُمْلٌ في التغلب على هشام لمكانه في السن ،
وثاب له رأي في الاستبداد ، فمكر بأهل الدولة ، وضرب بين رجالها ، وقتل
بعضاً ببعض ، وكان من رجال اليمنية من معافر ، دخل جَدُّه عبد الملك مع
طارق ، وكان عظيماً في قومه ، وكان له في الفتح أثر ، وعظم ابن أبي عامر
هذا ، وغلب على المؤيد ، ومنع الوزراء من الوصول إليه إلا في النادر من الأيام
يُسَكِّمون وينصرفون ، وأرضخ للجند في العطاء ، وأعلى مراتب العلماء ،
وقمع أهل البدع ، وكان ذا عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين ،
ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه ، فمال عليهم ، وحطهم عن

١ ابن خلدون ٤ : ١٤٧ .

مراتبهم ، وقتل بعضاً ببعض ، كل ذلك عن [أمر] هشام وخطه وتوقيعه ، حتى استأصلهم وفرّق جموعهم ، وأول ما بدأ بالصقالبة الخصيان الخدّام بالقصر ، فحمل الحاجب المصحفيّ على نكبتهم ، فنكبتهم وأخرجهم من القصر ، وكانوا ثمانمائة أو يزيدون ، ثم أصهر إلى غالب مولى الحكم ، وبالع في خدمته والتنصّح له ، واستعان به على المصحفيّ فنكبه ومحا أثره من الدولة ، ثم استعان على غالب بجعفر بن عليّ بن حمدون صاحب المسيلة وقائد الشيعة ممدوح ابن هانيء بالفائية المشهورة وغيرها^٢ ، وهو النازع إلى الحكم أوّل الدولة بمن^٣ كان معه من زنّانة والبربر ، ثم قتل جعفرأ بمالأة ابن عبد الودود وابن جهور وابن ذي النون وأمثالهم من أولياء الدولة من العرب وغيرهم ، ثمّ لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشّحين للرياسة رجع إلى الجند ، فاستدعى أهل العُدوة من رجال زنّانة والبرابرة فرتب منهم جنداً ، واصطنع أولياء ، وعرف عُرّفاء من صنهاجة ومغراوة وبني يفرن وبني برزال ومكّناسة وغيرهم ، فتغلّب على هشام وحجّره ، واستولى على الدولة ، وملأ الدنيا وهو في جوف بيته ، من تعظيم الخلافة ، والخضوع لها ، وردّ الأمور إليها ، وترديد الغزو والجهاد ، وقدرّ رجال البرابرة وزنّانة ، وأخّر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم ، فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر ، وبقي لنفسه مدينة لتزله سمّاها الزاهرة ، ونقل إليها خزائن الأموال والأسلحة ، وقعد على سرير الملك . وأمر أن يُحيا بتحية الملوك ، وتسمى بالحاجب المنصور ، ونقلت الكتب والمخططات والأوامر باسمه ، وأمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقب الدعاء للخليفة ، ومحا رسم الخلافة بالجملة ، ولم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء على

١ زيادة لازمة .

٢ يعني ابن هانيء الأندلسي شاعر الغبيدين ، ومطلع قصيدته الفائية : -

أليتنا إذ أرسلت وارداً وحفاً وبتنا رى الجوزاء في أذنّها شفا

٣ في الأصول : ومن .

المنابر وكتب اسمه في السكة والطرز ، وأغفل ديوانه مما سوى ذلك ؛ وجئت البرابرة والممالك ، واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرتبة ، وقهر من تطاول إليها من العلية ، فظفر من ذلك بما أراد ، وردد الغزو بنفسه إلى دار الحرب ، فغزا ستاً وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه لم تنتكس له فيها راية ، ولا قل له جيش ، وما أصيب له بعث ، وما هلك له سرية ، وأجاز عساكره إلى العدو ، وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض ، فاستوثق له ملك المغرب ، وأخبت له ملوك زناتة وانقادوا لحكمه وأطاعوا سلطانه ، وأجاز ابنه عبد الملك إلى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر ، ولما سخط زيري بن عطية ملكهم لما بلغه ما بلغه من إعلانه بالنيل منه والغض من منصبه والتأفف لِحَجَرِ الخليفة هشام أوقع به عبد الملك سنة ست وثمانين ، ونزل بفاس وملكها ، وعقد للملوك زناتة على ممالك المغرب وأعماله من سجلماسة وغيرها ، وشرّد زيري بن عطية إلى تاهرت ، فأبعد المقر ، وهلك في مفره ذلك ، ثم قفل عبد الملك إلى قُرطبة ، واستعمل واضحاً على المغرب ، وهلك المنصور أعظم ما كان ملكاً ، وأشد استيلاء ، سنة أربع وتسعين وثلاثمائة^١ ، بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته ، ودُفن هناك ، وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكه ، انتهى كلام ابن خلدون ، وبعضه بالمعنى وزيادة يسيرة . ولا بأس أن نزيد عليه فنقول : مما حكي أنه مكتوب على قبر المنصور رحمه الله تعالى^٢ :

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ، ولا يحمي الثغور سيواه

وعن شجاع مولى المستعين بن هود : لما توجهت إلى أذفونش وجدته في

١ الصواب : سنة ٣٩٢ .

٢ الحلة السيرة ١ : ٢٧٣ .

مدينة سالم ، وقد نصب على قبر المنصور بن أبي عامر سريره ، وامرأته متكئة إلى جانبه ، فقال لي : يا شعجاع ، أما تراني قد ملكت بلاد المسلمين ، وجلست على قبر ملكهم ؟ قال : فحملتني الغيرة أن قلت له : لو تنفّس صاحبُ هذا القبر وأنت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه ، ولا استقر بك قرار ، فهمّ بي ، فحالت امرأته بيني وبينه ، وقالت له : صدقك فيما قال ، أيفخر مثلك بمثل هذا ؟ وهذا تلخيص ترجمة المنصور من كلام ابن سعيد^١ ، قال رحمه الله :
ترجمة الملك الأعظم المنصور أبي عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر ابن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، المَعافري ، من قرية تَرْكُش^٢ ، وعهد الملك جدّه هو الوافد على الأندلس مع طارق في أوّل الداخلين من العرب ، وأمّا المنصور فقد ذكره ابنُ حَيّان في كتابه المَخْصُوص بالدولة العامرية ، والفتح في المظمح ، والحِجاري في المُنْهَب ، والشَّقْنُدي في الطرف ، وذكر الجميع أن أصله من قرية تَرْكُش ، وأنه رحل إلى قُرْطُبة ، وتأدّب بها ، ثم اقتعد دكاناً عند باب القصر يكتب فيه لمن يَعرِفُ له كتب من الخدم والمرافعين للسلطان ، إلى أن طلبت السيدة صُبُح أم المؤيد من يكتب عنها ، فعرفها به مَنْ كان يأنس إليه بالجلوس من فتيان القصر ، فترقى إلى أن كتب عنها ، فاستحسنته ونسبت عليه الحكم ورغبت في تشريفه بالخدمة ، فولّاه قضاء بعض المواضع ، فظهرت منه نجابة ، فترقى إلى الزكاة والمواريث بِإِسْبِيلِيّة وتمكّن في قلب السيدة بما استمالها به من التّخف والخدمة ما لم يتمكن لغيره ولم يقصر - مع ذلك - في خدمة المصحفيّ الحاجب ، إلى أن توفي الحكم وولي ابنه هشام المؤيد ، وهو ابن اثني عشرة سنة ، فجاشت الرومُ ، فجهز المصحفيّ ابن أبي عامر لدفاعهم ، فنصره الله عليهم ، وتمكّن حبه من قلوب الناس .

١ راجع المغرب ١ : ٣٩٤ والنص عند المقرئ مختلف عما ورد في كتاب ابن سعيد ، ولم يقل المقرئ

إنه ينقل عن المغرب ؛ وانظر المقتطفات (الورقة : ٨٦ - ٨٧) .

٢ كذا هنا ، وفي المغرب : « كرتش » وفي المعجب : طرش من أعمال الجزيرة الخضراء .

وكان جواداً عاقلاً ذكياً ، استعان بالمصحفيّ على الصّقالبة ، ثمّ بغالب على المصحفيّ ، وكان غالب صاحب مدينة سالم - وتزوج ابن أبي عامر ابنته أسماء ، وكان أعظم عُرُس بالأندلس - ثمّ بجعفر بن عليّ الأندلسي ممدوح ابن هانيء على غالب ، ثمّ بعبد الرحمن بن محمد بن هشام التّجيبّي على جعفر ، وله في الحزْم والكَيْد والجلْد ما أفرد له ابن حيّان تأليفاً ، وعدّد غزواته المنشأة من قرطبة نيّف وخمسون غزوة ، ولم تُهزَم له راية ، وقبره بمدينة سالم في أقصى شرق الأندلس .

ومن شعره^١ :

رَمَيْتُ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ	وخطرتُ والحرُّ الكريمُ يخاطرُ
وما صاحبي إلا جنانٌ مُشَبَّعٌ	وأسمُرُ خططيّ وأبيضُ باترُ
فشدتُ بنفسِي أهلَ كُلِّ سِيادةٍ	وفاخرتُ حتى لم أجِدْ مَنْ أفاخرُ
وما شدتُ بنياناً ولكن زيادةً	على ما بقى عبدُ المليك وعامِرُ
رفعنا المعالي بالعوالي حديثة ^٢	وأورثناها في القديم معافيرُ

وجوده مع صاعد البغدادي اللغوي مشهور .

وصدر عن بعض غزواته فكتب إليه عبدُ الملك بن شهيد^٣ ، وكان قد تخلف عنه :

أنا شَيْخٌ والشَّيْخُ يَهْوَى الصَّبَا يا بِنَفْسِي أَقْبِكَ كُلَّ الرِّزايا
ورسول الإلهِ أسْهَمَ في الفِيءِ لَمْ يَنْجِبْ فِيهِ المَطايا
فبعث إليه بثلاث جَواري من أجمل السبي ، وكتب معهنّ ، وكانت واحدة أجملهنّ ، قوله :

١ الحلة ١ : ٢٧٤ وابن عذاري ٢ : ٤٠٩ .

٢ في الأصول : مثلها .

٣ اللخيرة ٤ : ١٨ والحلة ١ : ٢٧٦ .

قد بَعَثْنَا بها كَشَمْسَ النَّهَارِ في ثَلَاثٍ من المَهَا أَبْكَارِ
وَأَمْتَحَنَّا بِعَذْرَةِ الْبَكْرِ إِنْ كَذَبْتَ تَرْجِي بَوَادِرَ الإِعْذَارِ
فاجتهدْ وابتدِرْ^١ فَإِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ جَلَّ لَيْلَهُ بِيَاضُ النَّهَارِ^٢
صَانِكَ اللَّهُ مِنْ كَلَالِكَ فِيهَا فَمَنْ الْعَارِ كَلَّةَ الْمِسْمَارِ

فاقتضهنَّ من ليلته ، وكتب له بُكْرَةً :

قد فَضَضْنَا خَتَامَ ذَاكَ السَّوَارِ وَاصْطَبَغْنَا مِنَ النَّجِيعِ الْخَارِ
وَصَبَّرْنَا عَلَى دِفَاعٍ وَحَرْبٍ فَلَعِينَا بِالذُّرِّ أَوْ بِالْدرَارِ^٣
وَقَضَى الشَّيْخُ مَا قَضَى بِحُسَامٍ ذِي مَقْصَدٍ عَفْصِ الظُّبَا بَتَّارِ
فَاصْطَنَعَهُ فَلَيْسَ يَجْزِيكَ كُفْرًا وَاتَّخِذْهُ فَحْلًا عَلَى الْكُفَّارِ

وقدِمَ بعض التجَّارِ ومعه كيس فيه يا قوت نفيس ، فتجرَّد ليسبح في
النهر ، وترك الكيس ، وكان أحمر ، على ثيابه ، فرفعته حِدَاةً في مخالبتها ،
فجري تابِعاً لها وقد ذُهِل ، فتغلَّلت في البساتين ، وانقطعت عن عينه ، فرجع
متعجِّراً ، فشكا ذلك إلى بعض مَنْ يَأْنَسُ به ، فقال له : صف حالك لابن أبي
عامر ، فتلطَّف في وصف ذلك بين يديه ، فقال : فنظر إن شاء الله تعالى في
شأنك ، وجعل يستدعي أصحاب تلك البساتين ، ويسأل خُدَّامَهَا عَمَّنْ ظهر
عليه تَبْدِيلُ حال ، فأخبروه أن شخصاً ينقل الزبل اشترى حماراً ، وظهر من
حاله ما لم يكن قبل ذلك ، فأمر بمجيئه ، فلمَّا وقعت عينه عليه قال له : أحضر
الكيس الأحمر ، فتملك الرعب قلبه وارتعش ، وقال : دعني آتي به من منزلي ،
فوكَّل به من حملة إلى منزله وجاء بالكيس ، وقد نقص منه ما لا يقدر في

١ الحلة : وَاَتَدَّ .

٢ الحلة : خفي الليل عن بياض النهار .

٣ اختلفت روايته في كل من اللخيرة والحلة .

٤ انظر القصة في ابن عذاري ٢ : ٣٥ مع اختلاف في التفاصيل .

مُسَرَّةٌ صاحبه ، فجبره ، ودفعه إلى صاحبه ، فقال : والله لأحدثنَّ في مشارق الأرض ومغاربها أن ابن أبي عامر يحكم على الطيور ويُنصف منها ، والتفت ابنُ أبي عامر إلى الزبال فقال له : لو أتيت به أغنيانا ، لكن تخرج كفافاً لا عقاباً ولا ثواباً .

وتوفي رحمه الله في غزاته للإفرنج بصفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، وحُمل في سريره على أعناق الرجال ، وعسكره يحفّ به وبين يديه ، إلى أن وصل إلى مدينة سالم .

ودامت دولته ستاً وعشرين سنة ، غزا فيها اثنتين وخمسين غزوة واحدة في الشتاء وأخرى في الصيف ، انتهى كلام ابن سعيد ، وفي بعضه مخالفة لبعض كلام ابن خلدون

• • •

[الحاجب المصحفي عن المطمح]

وقال الفتح في «المطمح» في حق المصحفي الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ، ما صورته^١ : تجرد للعكيا ، وتمرد في طلب الدنيا ، حتى بلغ المني ، وتسوّغ ذلك الحق ، ووصل إلى المنتهى ، وحصل على ما اشتهى ، دون مجد تفرّع من دَوْحَتِهِ ، ولا فخر نشأ بين مَغْدَاه وروْحَتِهِ ، فسمّا دون سابقة ، ورمى إلى رُتْبَةٍ لم تكن لنفسه^٢ مطابقة ، فبلغ بنفسه ، ونزع عن جنسه ، ولم يزل يستقل ويضطلع^٣ ، وينتقل من مطلع إلى مطلع ، حتى التاح في أفق الخلافة ، وارتاح إليها بعِطْفِهِ^٤ كَنَشْوَانِ السَّلَاقَةِ ، واستوزره المستنصر ، وعنه كان يسمع وبه يُبْصَر ، وَحَجَبَ الإمام ، وأسكب برأيه ذلك الغمام ، فأدرك لذلك

١ المطمح : ٤ - ٨ ونقل ابن طاري بعض هذه الترجمة ٢ : ٣٧٩ وصدرها بقوله : قال ابن بسام .

٢ المطمح : لينته .

٣ ك : يستقل ويطلع .

٤ في الأصول : إليه معظمها .

ما أدرك ، ونصب لأمانيه الحبال والشرك ، فافتنى اقتناء مدّخِر ، وأزرى
 بمن سواه وسخر ، واستعطفه ابنُ أبي عامر ونجمه غائر لم يُلح ، وسره مكتوم لم
 يبع ، فما عطف ، ولا جنّى من روضة دنياه ولا قَطَف ، وأقام في تدبير
 الأندلس ما أقام وبُرهانه مستقيم ، ومن الفن عقيم ، وهو يجري من السعد
 في ميدان رَحْب ، ويكرّع من العزّ في مشرب عذب ، ويقض ختام
 السرور ، وينهض بملك على لبته مزور ، وكان له أدب بارع ، وخاطر
 إلى نظم القريض^١ مُسارع ، فمن محاسنه التي بعثها ليناس دهره وإسعاده ،
 وقاله حين ألهته سكتاه وسعاده ، قوله :

لَعَيْنِيكَ فِي قَلْبِي عَلَى عِيون^٢ وَبَيِّنَ ضُلُوعي للشُّجون فُنونُ
 نصيبي من الدنيا هواك ، وإنّه غِذاي ، وَلَكِنِّي عليه ضَبِنُ

. وستأتي هذه الترجمة من المطمح الصغير إن شاء الله تعالى بما فيه بعض زيادة
 ونقصان في الباب الرابع .

* * *

[ترجمة ابن أبي عامر في المطمح]

وقال في المطمح في حقّ ابن أبي عامر^٣ : إنّه تمرّس ببلاد الشرك أعظم
 تمرّس ، ومحا من طواغيتها كلّ تعجرف وتغطرّس ، وغادرهم صرعى
 البقاع ، وتركهم أذلّ من وتدّ بقاع ، ووالى على بلادهم الوقائع ، وسدّد إلى
 أكبادهم سهام الفجائع ، وأغصّ بالخيماء أرواحهم ، ونفّص بتلك الآلام
 بكورهم ورواحهم ، ومن أوضح الأمور هنالك ، وأفصح الأخبار في ذلك ، أن
 أحد رسله كان كثير الانتياب ، لذلك اختاب ، فسار في بعض مسيراته إلى غرسيّة

١ هذه رواية المطمح ، وفي المقرئ : البديع .

٢ في الأصول : شجون .

٣ قد ذكر المقرئ المطمح الصغير ؛ وهناك مطمح متوسط وآخر كبير ؛ وترجمة ابن أبي عامر هذه
 غير موجودة في المطمح الذي بين أيدينا ، وقد وردت في ابن عذاري ٢ : ٤٤٤ .

صاحب البُشْكَنْس فوالى في إكرامه ، وتناهى في برّه واحترامه ، فطالت مدته فلا متنزّه إلا مرّ عليه متفرّجاً ، ولا منزل إلاّ سار عليه مُعَرَّجاً ، فحلّ في ذلك ، أكثر الكنائس هنالك ، فبينما هو يَـجُول في ساحتها ، ويُـجِيل العَيْنَ في مساحتها ، إذ عرضت له امرأة قديمة الأسر ، قديمة على طول الكسر ، فكلمته ، وعرفته بنفسها وأعلمته ، وقالت له : أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بئوسها ، ويتمتع بلبّوس العافية وقد نصت لبئوسها ، وزعمت أن لها عدة سنين بتلك الكنيسة محبسة ، وبكل ذل وصغار ملبسة ، وناشدته الله في إنهاء قصبتها ، وإبراء عُصَّتها ، واستحلفته بأغلظ الأيمان ، وأخذت عليه في ذلك أوكد موافيق الرحمن ، فلمّا وصل إلى المنصور عرفه بما يجب تعريفه به وإعلامه ، وهو مُصنَّع إليه حتى تمّ كلامه ، فلمّا فرغ قال له المنصور : هل وقفت هناك على أمر أنكرته ، أم لم تقف على غير ما ذكرته ؟ فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه إليه ، وبالموافيق التي أخذت عليه ، فعتبته ولامه ، على أن لم يبدأ بها كلامه ، ثم أخذ للجهد من قوّره ، وعرض منّ من الأجناد في نَجْدِه وغَوْرِه ، وأصبح غازياً على سَرَجِه ، مُبَاهِياً مروان يوم مَرَجِه ، حتى وافى ابن شاميّة في جمعه ، فأخذت مَهَابَتِه بيصره وسَمْنِه ، فبادر بالكتاب إليه يتعرف ما الجليّة ، ويخلف له بأعظم أليّة ، أنّه ما جئى ذنباً ، ولا جفا عن مضجع الطاعة جنّباً ، فعنف أرساله وقال لهم : كان قد عاقدني أن لا يَبْقَى ببلاده مأسورة ولا مأسور ، ولو حملته في حواصلها النُـسُور ، وقد بلغني بعدُ بقاء فلانة المسلمة في تلك الكنيسة ، ووالله لا أنتهي عن أرضه حتى أكتسحها ، فأرسل إليه المرأة في اثنتين معها ، وأقسم أنّه ما أبصرهن ولا سمع بهنّ وأعلمه أن الكنيسة التي أشار بعلمها ، قد بالغ في هدمها ، تحقيقاً لقَوْلِه ، وتضرع إليه في الأخذ فيه بطَوْلِه ، فاستحيا منه ، وصرف الجيش عنه ، وأوصل المرأة إلى نفسه ، وألحف توحّشها بأنسه ، وغيّر من حالها ، وعاد بسواكب نُـعْمَاه على جدّها وإمحائها ، وحملها إلى قومها ، وكحلها بما كان شردّ من نومها ، انتهى .

وقال في المطمح أيضاً في حقّه ما نصّه^١ : فردّ نابه على مَنْ تقدّمه ، وصرّفه^٢ واستخدمه ، فإنّه كان أمضاهم سيناً ، وأذكاهم جنّاناً ، وأنهم جتلاً ، وأعظمهم استقلالاً ، قال أمره إلى ما آل ، وأوهم العقول بذلك المال ، فإنّه كان آية الله في اتفاق سَعْدِهِ ، وقربه من الملك بعد بُعْدِهِ ، بهر برفعة القَدَر ، واستظهر بالأناة وسعة الصّدْر ، وتحرك فلاح نجم الهدوّ ، وتملّك فما خفّق بأرضه لواء عدوّ ، بعد خمول كابد منه غصّصاً وشرّفاً ، وتعذر مأمول طارد فيه سَهراً وأرقاً ، حتى أنجز له الموعود ، وفرّ نحسه أمام تلك السعود ، فقام بتدبير الخلافة ، وأقعد من كان له فيها إنافة ، وساس الأمور أحسن سياسة ، وداس الخطوب بأخشن دياسة ، فانتظمت له الممالك ، واتضح به المسالك ، وانتشر الأمن في كل طريق ، واستشعر اليمن كل فريق ، وملك الأندلس بضعاً وعشرين حِجّة ، لم تُدحض لسعادتها حُجّة ، ولم تزخر لمكروه بها بلحّة ، لبست فيه البهاء والإشراق ، وتنفست عن مثل أنفاس العِراق ، وكانت أيامه أحمدَ أيام ، وسهام بأسه أسدّ سهام ، غزا الروم شاتياً وصائفاً ، ومضى فيما يروم زاجراً وعائفاً ، فما مرّ له غير سَنج ، ولا فاز إلا بالمعلّى لا بالمنج ، فأوغل في تلك الشعاب ، وتغلغل حتى راع ليث الغاب ، ومشى تحت ألويته صيدُ القبائل ، واستجرت في ظلّها بيض الظبّا وسُمُر الدوابل ، وهو يقتضي الأرواح بغير سَوم ، ويتنضي الصفاح على كل روم ، ويتلف من لا ينساق للخلافة وينقاد ، ويخطف منهم كل كوكب وقّاد ، حتى استبد وانفرد ، وأنس إليه من الطاعة ما نفر وشرّد ، وانتظمت له الأندلس بالعدوّ ، واجتمعت في ملكه اجتماع قريش بدار النّدوّ ، ومع هذا لم يخلع اسم الحجابة ، ولم يدع السمع لخليفته والإجابة ، ظاهرٌ يخالفه الباطن ، واسم تنافره مواقع الحكم والمواطن ، وأذل قبائل الأندلس بإجازة البرابر ، وأخمل بهم أولئك الأعلام

١ ابن عذاري ٢ : ٤٠٧ (٢٧٣ ط . ليدن) .

الأكابر ، فإنه قاومهم بأضدادهم ، واستكثر من أعدادهم ، حتى تغلبوا على الجمهور ، وسلبوا عنهم الظهور ، ووثبوا عليهم الوثوب المشهور ، الذي أعاد أكثر الأندلس قفراً يَبَاباً ، وملأها وحشاً وذئاباً ، وأعراها من الأمان ، برُهة من الزمان ، وعلى هذه الهيئة فهو وابنه المظفر كانا آخر سعد الأندلس . وحده السرور بها والتأنس ، وغزواته فيها شائعة الأثر ، رائعة كالسيف ذي الأثر ، وحسبه وافر ، ونسبه معافر ، ولذا قال يفتخر « رميت بنفسي ... الأبيات » وزاد هنا بعد قوله « أبيض باتر » بيتاً ، وهو :

ولمّني لزجاء الجيوش إلى الوغى أسود تلاحقها أسود خوادِرُ

وكانت أمّه تيمية ، فحاز الشرف بطرفيه ، والتحف بمِطْرِقيّه ، ولذا قال القسطلي فيه ^١ :

تلاقست عليه من نعيم ويعرب شمس تلالا في العلا وبدور
من الحيميريين الذين أكفهم سحاب تهني بالندي وبحور

وتصرف قبل ولايته في شتى الولايات ، وجاء من التحدث بمتهى أمره بآيات ، حتى صبح زجره ، وجاء بصُبْحه فجره ، تؤثر عنه في ذلك أخبار . فيها عجب واعتبار ، وكان أدبياً محسناً ، وعالماً متفتناً ، فمن ذلك قوله يعني نفسه بملك مصر والحجاز ، ويستدعي صلور تلك الأعجاز ^٢ :

منع العين أن تذوق المناما حُبّها أن ترى الصفا والمقاما
لي ديون بالشرق عند أناس قد أحلّوا بالمشعرين الحرّاما
إن قضوها نالوا الأمانى ، وإلا جعلوا دونها رقاباً وهاما

.....

١ القسطلي أبو عمر ابن دراج ؛ انظر ديوانه : ٣٠١ .
٢ الحلة ١ : ٢٧٥ ، والبيان المغرب ٢ : ٢٧٥ (ط . ليدن) .

عن قريب ترى خيولَ هشام يبلغ النّيلَ نَحْطُوهَا والشّاما

انتهى ما نقلته من المطمح .

* * *

[أخبار في سيرة المنصور]

وفي المنصور المذكور أيضاً قال بعض مؤرخي المغرب^١ ، مازجاً كلامه ببعض كلام الفتح ، بعد ذكر استعائته ببعض الناس على بعض ، وذكر قتله لجعفر ابن علي^٢ ، فقال بعده ما صورته : ثم انفرد بنفسه وصار ينادي صُروفتَ الدهر هل من مبارز ، فلمّا لم يجد به حبل الدهر على حكمه ، فانقاد له وساعده ، فاستقام أمره منفرداً بمملكة لا سلف له فيها ، ومن أوضح الدلائل على سَعْدِهِ أنّه لم يُنْكَب قطّ في حرب شهدها ، وما توجهت عليه هزيمة ، وما انصرف عن موطن إلاّ قاهراً غالباً ، على كثرة ما زاول من الحروب ومارس من الأعداء وواجه من الأمم ، وإنّما لخاصّة ما أحسب أحداً من الملوك الإسلامية شاركه فيها ، ومن أعظم ما أعين به مع قوّة سعده وتمكّن جَدِّهِ سَعْدُهُ جودُهُ ، وكثرة بذله ، فقد كان في ذلك أعجوبة الزمان ، وأوّل ما اتكأ على أرائك الملوك وارتفق ، وانتشر عليه لواء السعد وخفّق ، حط صاحبه المصحفي^٣ ، وأثار له كامن حقه الخفي^٤ ، حتى أصاره للهُمُوم لبيساً ، وفي غيابات السجن حبيساً ، فكتب إليه يستعطفه بقوله^٥ :

هَبِّتِي أَسَاتُ فَأَيْنَ الْعَفْوُ وَالكَرَمُ إِذْ قَادَنِي نَحْوُكَ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ
يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتِ الْيَدِي إِلَيْهِ أَمَا تَرْنِي لَشَيْخٍ رَمَاهُ عَنْدَكَ الْقَلَمُ

١ البيان المغرب ٢ : ٤٢٧ وبمضه في أعمال الأعلام : ٧٧ .

٢ قال ابن الأبار (الحلة ١ : ٢٦٥) هذه الأبيات متنازعة ينسبها إلى المصحفي جماعة ، وقد وجدتها منسوبة إلى أبي عمر ابن دراج التسلي ، وذكر أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق في تاريخه أنّها لكاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، قلت انظر البيان المغرب ١ : ١٦١ واسم الكاتب هذا محمد بن حيون ويعرف بابن البريدي .

بالغنى في السُّخْطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ إنَّ الملوكَ إذا ما اسْتَرْحِمُوا رَحِمُوا
فما زاده ذلك إلا حَقّاً وحَقّداً ، وما أفادته الأبيات إلا تَضَرُّماً ووقْداً ،
فراجعه بما أياسه ، وأراه مَرْمَسَه ، وأطبق عليه محبسه ، وضيق تروُّحه من
المحنة وتنفُّسه :

الآن يا جاهلاً زلتَ بكَ القَدَمُ تبغي التَّكْرُمَ لما فاتكَ الكَرَمُ
أغرَيْتَ بي مَلِكاً لولا تثبُّتُهُ ما جاز لي عنْدَهُ نطقٌ ولا كَلَمُ
فأياسُ من العيش إذ قد صيرتَ في طَبَقٍ إنَّ الملوكَ إذا ما اسْتَنَقَمُوا نَقَسُوا
نَفْسِي إذا سَخِطْتَ لَيْسَتْ بِراضِيَةٍ ولو تَشَقَّعَ فيكَ العُربُ والعَجَمُ
وكان من أخباره الداخلة في أبواب البر والقربة بنيانُ المسجد الجامع ، إلى
أن قال ^١ :

ومن ذلك بناؤه قنطرة على نهر قرطبة الأعظم ، ابتداءً ببناءها المنصور سنة
ثمان وسبعين وثلاثمائة ، وفرغ منها في النصف من سنة تسع وسبعين ، وانتهت
النفقة عليها إلى مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار ، فعظمت بها المنفعة ، وصارت
صدراً في مناقبه الجليلة ، وكانت هنالك قطعة أرض لشيخ من العامة ، ولم يكن
للقنطرة عدولٌ عنها ، فأمر المنصور أمناءه بإرضائه فيها ، فحضر الشيخ عندهم ،
فساوموه بالقطعة ، وعرفوه وجه الحاجة إليها وأن المنصور لا يريد إلا إنصافه
فيها ، فرماهم الشيخ بالغرض الأقصى عنده فيما ظنَّه أنَّها لا تخرج ^٢ عنه بأقل
من عشرة دنانير ذهباً كانت عنده أقصى الأمانة ، وشرطها صحاحاً ، فاغتم
الأمناء خفلته ، ونقدوه الثمن ، وأشهدوا عليه ، ثم أخبروا المنصور بخبره ،
فضحك من جهالته ، وأنف من غبنه ، وأمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل ،

١ البيان المغرب ٢ : ٤٣٠ ، والنقل مستمر حتى بدء النقل من كتاب « الأزهار المشرقة » .

٢ البيان : ألا تخرج .

وتُدفع له صحاحاً كما قال ، فقبض الشيخ مائة دينار ذهباً ، فكاد أن يخرج من عقله ، وأن يُجَنَّ عند قبضها من الفرح ، وجاء محتفلاً في شكر المنصور ، وصارت قصته خبراً سائراً .

ومن ذلك أيضاً بناء قنطرة على نهر إستِجّة ، وهو نهر شتيل ، وتجمم لها أعظم مؤنة ، وسهل الطريق الوعرّة والشعاب الصعبة .

ومن ذلك أيضاً أنه خط بيده مصحفاً كان يحمله معه في أسفاره يَدْرُس فيه ، ويتبرك به .

ومن قوّة رجائه أنه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده ، فكان الخدمُ يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازلهم ، حتى اجتمع له منه صُرّة ضخمة ، عهد بتصويره في حنوطه ، وكان يحملها حيث سار مع أكفانه ، توقّعاً لخلول منيته ، وقد كان اتخذ الأكفان من أطيّب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزّل بناته ، وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد ، فكان كذلك .

وكان متّسماً بصحة باطنه ، واعترافه بذنبيه ، وخوفه من ربه ، وكثرة جهاده ، وإذا ذُكِرَ بالله ذكر ، وإذا خُوف من عقابه ازدجر ، ولم يزل متّزهاً عن كل ما يفتن به الملوك سوى الخمر ، لكنه أفلح عنها قبل موته بستين^١ ، وكان عدله في الخاصة والعامة وبسط الحق على الأقرب فالأقرب من خاصته وحاشيته أمراً مضروباً به المثل .

ومن عدله أنه وقف عليه رجل من العامة بمجلسه ، فنادى : يا ناصر الحق ، إن لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك ، وأشار إلى الفقي صاحب الدرقة ، وكان له فضل محلّ عنده ، ثم قال : وقد دعوته إلى الحاكم فلم يأت ، فقال له المنصور : أو عبد الرحمن بن فطيس بهذا العجز والمهانة ، وكنتما

.....

١ ق ط ج : بستين .

نظنته أمضى من ذلك ؟ اذكر مظلمتك يا هذا ، فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما فقطعها من غير نصّف ، فقال المنصور : ما أعظم بليّتنا بهذه الحاشية ، ثم نظر إلى الصّقلي وقد ذُهِل عقله ، فقال له : ادفع الدركة إلى فلان ، وانزل صاغراً ، وسأول خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضجك ، ففعل ، ومثل بين يديه ، ثم قال لصاحب شرطته الخاص به : خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه إلى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره ، ففعل ذلك ، وعاد الرجل إليه شاكراً ، فقال له المنصور : قد انتصفت أنت ، اذهب لسيلك ، وبقي انتصافي أنا ممّن تهاون بمنزلتي ، فتناول الصّقلي بأنواع من المذلة ، وأبعده عن الخدمة .

ومن ذلك ^١ قصة فتاه الكبير المعروف بالبورقي ^٢ مع التاجر المغربي ، فلما تنازعا في خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى المذكور ، وهو يومئذ أكبر خدم المنصور ، وإليه أمر داره وحرمة ، فدافع الحاكم ، وظن أن جأه يمنع من إحلافه ، فصرخ التاجر بالمنصور في طريقه إلى الجامع متظلماً من الفتى ، فوكل به في الوقت من حمله إلى الحاكم ، فأنصفه منه ، وسخط عليه المنصور ، وقبض نعمته منه ونفاه .

ومن ذلك ^٣ قصة محمد فصّاد المنصور وخادمه وأمينه على نفسه ، فإن المنصور احتاجه يوماً إلى الفصد ، وكان كثير التعهد له ، فأنفذ رسوله إلى محمد ، فألفاه الرسول محبوساً في سجن القاضي محمد بن زرب ^٤ ليحيّف ظهر منه على امرأته قدر أن سيّله من الخدمة يحّميه من العقوبة ، فلما عاد الرسول إلى المنصور بقصته أمر بإخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن يلزمه إلى أن يفرغ

١ البيان المغرب ٢ : ٤٣٣ .

٢ البيان : بالمبورقي .

٣ المصدر نفسه ، وصدرها بقوله : ومن دهائه .

٤ محمد بن يحيى بن زرب (المرقبة العليا : ٧٧ - ٨٢) .

من عمله عنده ، ثم يرده إلى محبسه ، ففعل ذلك على ما رسمه ، وذهب الفاصدُ إلى شكوى ما ناله ، فقطع عليه المنصور ، وقال له : يا محمد ، إنَّه القاضي ، وهو في عدِّه له ، ولو أخذني الحق ما أطق الامتناع منه ، عدُّ إلى محبستك أو اعترف بالحق فهو الذي يطلقك ، فانكسر الحاجم ، وزالت عنه ريح العناية ، وبلغت قصته للقاضي ، فصالحه مع زوجته ، وزاد القاضي شدةً في أحكامه . وقال ابن حيَّان^١ : إنَّه كان جالساً في بعض الليالي ، وكانت ليلة شديدة البرد والرياح والمطر ، فلما بأحد الفُرسان وقال له : انهض الآن إلى فيج طليارش وأقم فيه فأول خاطر يخطر عليك سقه إليّ ، قال : فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والرياح والمطر واقفاً على فرسه ، إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هَرَم على حمار له ، ومعه آلة الخطب ، فقال له الفارس : إلى أين تريد يا شيخ ؟ فقال : وراء حطب ، فقال الفارس في نفسه : هذا شيخ مسكين نهض إلى الجبل يسوق حطباً ، فما عسى أن يريد المنصور منه ؟ قال : فركبته ، فسار عني قليلاً ، ثم فكرت في قول المنصور ، وخفت سَطَوته ، فنهضت إلى الشيخ وقلت له : ارجع إلى مولانا المنصور ، فقال له : وما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي ؟ سألتك بالله أن تتركني لطلب معيشتي ، فقال له الفارس : لا أفعل ، ثمَّ قدم به على المنصور ، ومثله بين يديه وهو جالس لم يتنم ليَلته تلك ، فقال المنصور للصقالبة : فتشوه ، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً ، فقال : فتشوا برذعة حماره ، فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزعوا إلى المنصور يخذمون عنده إلى أصحابهم من النصارى ليُقبِلوا ويضربوا في إحدى النواحي الموطومة^٢ ، فلما انبلج الصبح أمر بإخراج أولئك النصارى إلى باب الزاهرة ، فضربت أعناقهم ، وضربت رقبة الشيخ معهم .

.....

١ المصدر نفسه : ٤٣٤ .

٢ في ج : الموطومة ؛ والموطومة (قراءة ق ط ك) لعلها الأرض التي كثر فيها الوباء وهو نبات يشبه الأذخر ، وذلك تأويل بعيد ، وأقدر أن تكون مصحفة عن «الموصوفة» أي التي وصفت في الكتاب .

ثم ذكر هذا المؤرخ^١ قصة الجوهري التي قدمنا نقلها من مغرب ابن سعيد ، ولكننا رأينا إعادتها بلفظ هذا المؤرخ ، لأنه أتمّ مساقاً إذ قال عطفاً على دهائه : ومن ذلك قصة الجوهري التاجر ، وذلك أن رجلاً جوهرياً من تجّار المشرق قصد المنصور من مدينة عدّان بجوهر كثير وأحجار نفيسة ، فأخذ المنصور من ذلك ما استحسّنه ، ودفع إلى التاجر الجوهري صُرّته ، وكانت قطعة يمانية ، فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شطّ النهر ، فلما توسّطها واليوم قائط وعرقه منصبّ دَعَتَه نفسه إلى التبرّد في النهر ، فوضع ثيابه وتلك الصّرة^٢ على الشطّ ، فمرّت حيدة فاختطفّت الصّرة تحسبها لحماً ، وصاعدت في الأفق بها ذاهبة ، فقطعت الأفق الذي تنظر إليه عينُ التاجر ، فقامت قيامته ، وعلم أنّه لا يقدر أن يستدفع ذلك بحيلة ، فأسرّ الحزن في نفسه ، ولحقه لأجل ذلك علة اضطرب فيها ، وحضر الدفع إلى التجّار فحضر الرجل لذلك بنفسه ، فاستبان للمنصور ما بالرجل^٣ من المهانة والكآبة ، وفقد ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة ، فسأله المنصور عن شأنه ، فأعلمه بقصته ، فقال له : هلاًّ أتيت إلينا بمجدّثان وقوع الأمر فكنتما نستظهر على الحيلة ، فهل هُديت إلى الناحية التي أخذ الطائر إليها ؟ قال : مرّ مشرقاً على سمّت هذا الجبل الذي يلي قصرك ، يعني الرملة ، فدعا المنصور شُرطيّه الخاص به ، فقال له : جثني بمشيخة أهل الرملة الساعة ، فمضى وجاء بهم سريعاً ، فأمرهم بالبحث عمّن غير حالّ الإقلال منهم سريعاً ، وانتقل عن الإضاقة دون تدريج ، فتناظروا في ذلك ثمّ قالوا : يا مولانا ما نعلم إلا رجلاً من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم ويتناولون السبّيق بأقدامهم عجزاً عن شراء دابة ، فابتاع اليوم دابة ، واكتسى هو وولده كسوة متوسطة ، فأمر بإحضاره من الغد ، وأمر التاجر

١ البيان المغرب ٢ : ٤٣٥ ؛ وانظر ص : ٤٠١ فيما سبق .

٢ بمض النسخ : وترك الصرة .

٣ بمض النسخ : ما نال الرجل .

بالغدو^١ إلى الباب ، فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور ، فاستدناه والتاجر حاضر ، وقال له : سَبَب ضاع منّا وسقط إليك ، ما فعلت به ؟ قال : هوذا يا مولاي ، وضرب بيده إلى حُجْزَة سَرَاويله فأخرج الصُّرة بعينها ، فصاح التاجر طَرَباً ، وكاد يطير فرحاً ، فقال له المنصور : صِف لي حديثها ، فقال : بَيْنَا أنا أعمل في جناني تحت نخلة إذ سقطت أمامي ، فأخذتها وراقني منظرها ، فقلت : إن الطائر اختلسها من قَصْرِكَ لقرب الجوار ، فاحترزت بها ، ودعيتي فاقتي إلى أخذ عشرة مثاقيل عيوناً كانت معها مصرورة ، وقلت : أقل^٢ ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها ، فأعجب المنصور ما كان منه ، وقال للتاجر : خذ صُرتك وانظرها واصدقني عن عددها ، ففعل وقال : وحقّ رأسك يا مولاي ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له ، فقال المنصور : نحن أولى بذلك منك ولا نُنْقِصُ^٣ عليك فرحك ، ولولا جَمْعُهُ بين الإصرار والإقرار لكان ثوابه موفوراً عليه ، ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضاً من دنانيره ، وللجَنَانِ بعشرة دنانير ثواباً لتأنيهِ عن فساد ما وقع بيده ، وقال : لو بدّأنا بالاعتراف قبل البحث لأوسعناه جزاء ، قال : فأخذ التاجر في الثناء على المنصور ، وقد عاوده نشاطه وقال : والله لأبشُر^٤ في الأقطار عظيم ملكك ، ولأبشُر^٥ أنك تملك طير أعمالك كما تملك إنسها ، فلا تعتصم منك ولا تمتنع ، ولا تؤذي جارك ، فضحك المنصور وقال : اقصد في قولك يغفر الله لك ، فعجب الناس من تَلَطُّفِ المنصور في أمره وحيلته في تفريج كُرْبَتِهِ . ثم حكى هذا المؤرخ^٦ غزوة المنصور لمدينة شنت ياقُبَ قاصية غليسية ، وأعظم مشاهد النصاري الكائنة ببلاد الأندلس ، وما يتصل بها من الأرض الكبيرة ، وكانت

.....

١ ق ط : ننقص .

٢ ق ط : ولأبشُر .

٣ البيان المغرب ٢ : ٤٣٩ وهذه بداية ج ، فأما في ق ك فقد بدأ بقوله « ومن ذلك » وذلك خطأ لأن القصة ليست من قصص الدهاء التي مرت أمثلتها . وفي ط يياض .

كنيستها عندهم بمتزلة الكعبة عندنا ، وللكعبة المثل الأعلى ، فيها يحلفون ، وإليها يحجّون من أقصى بلاد رومة وما وراءها ، ويزعمون أن القبر المَرْوَر فيها قبر ياقب الجوّاري أحد الاثني عشر ، وكان أخصّهم بعيسى ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وهم يسمّونه أخاه للزومه إياه ، وياقب بلسانهم يعقوب ، وكان أسقفًا ببيت المقدس فجعل يستقري الأرضين داعيًا لمن فيها حتى انتهى إلى هذه القاصية ، ثم عاد إلى أرض الشام فمات بها وله مائة وعشرون سنة شمسية ، فاحتمل أصحابه ريمته فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى أثره ، ولم يطمع أحد من ملوك الإسلام في قصدها ولا الوصول إليها ، لصعوبة مدخلها ، وخشونة مكانها . وبعد شقّتها ، فخرج المنصور إليها من قُرطُبة غازيًا بالصائفة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وهي غزوته الثامنة والأربعون ، ودخل على مدينة قُوربة ، فلمّا وصل إلى مدينة غليسية وافاه عددٌ عظيم من القوامس المتمسكين بالطاعة في رجالهم ، وعلى أتم احتفالهم ، فصاروا في عسكر المسلمين ، وركبوا في المغاورَةِ سيّلتهم ، وكان المنصور تقدّم في إنشاء أسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس^١ من ساحل غرب الأندلس ، وجهزه برجاله البحريين وصنّف المترجلين ، وحمل الأقوات والأطعمة والعُدَد والأسلحة استظهاراً على نفوذ العزيمة إلى أن خرج بموضع يرتقال على نهر دُويره^٢ ، فدخل في النهر إلى المكان الذي عمل المنصور على العبور منه ، فعقد هنالك من هذا الأسطول جسراً يقرب الحصن الذي هنالك ، ووجّه^٣ المنصور ما كان فيه من الميرة إلى الجند ، فتوسّعوا في التزود منه إلى أرض العدو ، ثم نهض منه يريد شنت ياقُوبَ ، فقطع أرضين متباعدة الأقطار .

١ قصر أبي دانس (Alcacer do Sal) مرسى الأسطول ، على ساحل البرتغال جنوبي الألبونة (لبونة) .

٢ نهر دويره (Duero = Duoro) يصب عند بورتو في المحيط الأطلسي .

٣ دوزي : وزع ؛ لمطابقة المعنى نقلا عن البيان المغرب .

وقطع بالعبور عدة أنهار كبار وخلجان يمدّها البحر الأخضر ، ثم أفضى العسكر بعد ذلك إلى بسائط جلييلة من بلاد فرطارش^١ وما يتصل بها ، ثم أفضى إلى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه ولا طريق ، لم يهتد الأدلاء إلى سواه ، فقدّم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه ، فقطعه العسكر ، وعبروا بعده وادي منيه^٢ ، وانبسط المسلمون بعد ذلك في بسائط عريضة وأرضين أريضة ، وانتهت مغيرتهم إلى دير قسطن^٣ وبسيط بلبنو^٤ على البحر المحيط ، وفتحوا حصن شنت بلاية^٥ ، وغنموه ، وعبروا سباحة^٦ إلى جزيرة من البحر المحيط لجأ إليها خلق عظيم من أهل تلك النواحي ، فسبّوا من فيها ممن لجأ إليها ، وانتهى العسكر إلى جبل مراسية^٦ المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط ، فتحلّلوا أقطاره ، واستخرجوا من كان فيه ، وحازوا غنائمه ، ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليجاً في معبرين أرشد الأدلاء إليهما ، ثم نهر أيلة^٧ ، ثم أفضوا إلى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة^٨ ، ثم انتهوا إلى موضع من مشاهد صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى في الفضل ، يقصد نسّاكهم له من أقاصي بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما ، فغادره المسلمون قاعاً ، وكان النزول بعده على مدينة شنت ياقب البائسة ، وذلك يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شعبان ، فوجدها المسلمون خالية من أهلها ، فحاز المسلمون غنائمها ، وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها ، وحفّوا آثارها ، ووكل المنصور بقبر ياقب من يحفظه ويدفع الأذى عنه ، وكانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيماً

- ١ البيان المغرب : فلطارش .
 ٢ منيه = منيو أو منهو (Minho = Rio Mino) .
 ٣ بعض النسخ : قسان .
 ٤ البيان المغرب : بلبنو ، وفي نسخة : بيلنو .
 ٥ شنت بلاية : (San Pelayo) .
 ٦ مراسية (Morrazo) .
 ٧ أيلة (Ulla) .
 ٨ زاد في البيان : منها بسيط أونبة وترجيطة ودير شنت برية .

كَأَن لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ ، وَانْتَسَفَتْ بِعَوْثِهِ بَعْدَ ذَلِكَ سَائِرَ الْبَسَائِطِ ، وَانْتَهَتْ
الْجِيُوشُ إِلَى جَزِيرَةِ شَنْتِ مَا نَكَشَ مَنَقَطَ هَذَا الصَّبَقِ عَلَى الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ، وَهِيَ
غَايَةُ لَمْ يَبْلُغْهَا قَبْلَهُمْ مُسْلِمٌ ، وَلَا وَطَنُهَا لِغَيْرِ أَهْلِهَا قَدَمٌ ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَهَا لِلْخَيْلِ
مَسْجَالٌ ، وَلَا وَرَاءَهَا انْتِقَالٌ ، وَانْكَفَأَ الْمَنْصُورُ عَنْ بَابِ شَنْتِ يَاقُوبَ وَقَدْ بَلَغَ
غَايَةَ لَمْ يَبْلُغْهَا مُسْلِمٌ قَبْلَهُ ، فَجَعَلَ فِي طَرِيقِهِ الْقَصْدَ عَلَى عَمَلِ بَرْمَنْدِ بْنِ أَرْدُونِ
لِيَسْتَقْرِيه عَائِثًا وَمُفْسِدًا ، حَتَّى وَقَعَ فِي عَمَلِ الْقَوَامِيسِ الْمَعَاهِدِينَ الَّذِينَ فِي
عَسْكَرِهِ ، فَأَمَرَ بِالْكَفِّ عَنْهَا ، وَمَرَّ بِمَجْتَازِهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى حَصْنِ بَلِيقِيَّةٍ^١ مِنْ افْتِتَاحِهِ ،
فَأَجَازَ هُنَاكَ الْقَوَامِيسَ بِجَمَلَتِهِمْ عَلَى أَقْدَارِهِمْ ، وَكَسَاهُمْ وَكَسَا رِجَالَهُمْ وَصَرَفَهُمْ
إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَكَتَبَ بِالْفَتْحِ مِنْ بَلِيقِيَّةٍ ، وَكَانَ مَبْلُغٌ مَا كَسَاهُ فِي غَزَاتِهِ هَذِهِ لِلْمُلُوكِ
الرُّومِ وَلَمْ يَحْسُنْ غَزَاؤُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْفِينَ وَمِائَتَيْنِ وَخَمْسًا وَثَمَانِينَ شَقَّةً مِنْ
صَنُوفِ الْخَزَرِ الطَّرَازِيِّ ، وَأَحَدًا وَعِشْرِينَ كِسَاءً مِنْ صُوفِ الْبَحْرِ ، وَكَسَاءً مِنْ
عَنْبَرِينَ ، وَأَحَدَ عَشَرَ سَقْلَاطُونًا ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ مَرِيشًا ، وَسَبْعَةَ أَنْمَاطٍ دِيْبَاجٍ ،
وَتُوبِي دِيْبَاجٍ رُومِيٍّ ، وَفَرُؤِيٍّ فَتَنَكٍّ ، وَوَافِيٍّ جَمِيعَ الْعَسْكَرِ قَرطَبَةً غَانِمًا ،
وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَالْمِنَّةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَجِدِ الْمَنْصُورُ بِشَنْتِ يَاقُوبَ إِلَّا شَيْخًا
مِنَ الرُّهْبَانِ جَالِسًا عَلَى الْقَبْرِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ مَقَامِهِ ، فَقَالَ : أُونَسُ يُعَقُوبَ ، فَأَمَرَ
بِالْكَفِّ عَنْهُ .

قَالَ^٢ : وَحَدَّثَ شَعْلَةَ قَالَ : قُلْتُ لِلْمَنْصُورِ لَيْلَةَ طَالَ سَهْرُهُ فِيهَا : قَدْ أَفْرَطَ
مَوْلَانَا فِي السَّهْرِ ، وَبَدَنُهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا النَّوْمِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَحْرُكُهُ
عَدَمُ النَّوْمِ مِنْ عِلَّةِ الْعَصَبِ ، فَقَالَ : يَا شَعْلَةُ ، الْمَلِكُ لَا يَنَامُ إِذَا نَامَتِ الرِّعْيَةُ ،
وَلَوْ اسْتَوْفِيَتْ نَوْمِي لَمَا كَانَ فِي دَوْرِ هَذَا الْبَلَدِ الْعَظِيمِ عَيْنُ نَائِمَةٍ ، انْتَهَى مَا نَقَلْتَهُ
مِنَ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ .

* * *

١ ابن عذارى : مَلِيقَهُ ، وَلَعَلَّهَا لَمِيقَهُ = لَامِيجُور (Lamego) .

٢ لَيْسَ هَذَا الْخَبَرُ فِي الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ : ٧٦ .

[أخبار المنصور من كتاب الأزهار المشرقة]

وقد رأيت أن أذكر هنا أخباراً ، نقلتها من كتاب « الأزهار المشرقة » ، في الأخبار المأثورة ^١ .

قال في الزهرة التاسعة والعشرين : تقدم إلى المنصور وانضمام بن أبي بكر البرزالي أحد جند المغاربة ، وقد جلس للعرض والتميز ، والميدان خاص بالناس ، فقال له بكلام يضحك الثكلى : يا مولاي ، ما لي ولك ، أسكنتني فلانتي في الفحص ، فقال : وما ذلك يا وانضمام ؟ وأين دارك الواسعة الأقطار ؟ فقال : أخرجني عنها والله نعمتك ، أعطيتني من الضياع ما انصب علي منها من الأطعمة ما ملأ بيوتي وأخرجني عنها ، وأنا بربري مجوع حديث عهد بالبؤس ، أتراني أبعد القمح عني ؟ ليس ذلك من رأيي . فتطلق المنصور وقال : لله درك من فد عيسى ، لتعيك في شكر النعمة أبلغ عندنا ، وأخذ بقلوبنا من كلام كل أشدق متزيد وبلغ متفنن ، وأقبل المنصور على من حوله من أهل الأندلس فقال : يا أصحابنا ، هكذا فلتشكر الأيادي وتستدام النعم ^٢ ، لا ما أنتم عليه من الجحد اللازم ، والتشكي المبرح ، وأمر له بأفضل المنازل الحالية .

وفي الموافقة ثلاثين ما نصه : أصبح المنصور صبيحة أحد ، وكان يوم راحة الخدمة الذي أعفوا فيه من قصد الخدمة ، في مطر وإبل غب أيام مثله ، فقال : هذا يوم لا عهد بمثله ، ولا حيلة للمواظين لقصدنا في مكابדתه ، فليت شعري هل شد أحد منهم عن التقدير فأغرب في البكور ؟ أخرج وتأمل ، يقوله لحاجبه ، فخرج وعاد إليه ضاحكاً ، وقال : يا مولاي ، على الباب ثلاثة من البرابرة : أبو الناس ابن صالح واثان معه ، وهم بحال من البلل إنما توصف بالمشاهدة ، فقال : أوصلهم إلي وعجل ، فدخلوا عليه في حال الملاح بللاً

١ لم أعتد إلى مؤلفه ، وأرجح أنه ابن سعيد ، وأنه « كتاب الزهرات » الذي ينقل عنه ابن هذيل في كتابه « عين الأدب والسياسة » وينسبه لابن سعيد .

٢ ق ج ط ودوزي : واستديموا النعم .

وفند آوة ، فضحك إليهم وأدنى مجلسهم ، وقال : خبروني كيف جئتم ؟ وعلى أي حال وصلتكم ؟ وقد استكان كل ذي روح في كتفه ، ولاذ كل طائر بوكّره ، فقال له أبو الناس بكلامه : يا مولانا ، ليس كل التجار قعد عن سوقه ، وإذا عذّر التجار على طلب الربح بالفلوس فنحن أعذر بإدراكها بالبدل ومن غير رؤوس الأموال ، وهم يتناوبون الأسواق على أقدامهم ويذيلون في قصدها ثيابهم ، ونحن نأتيك على خيالك ، ونذيل على صهواتها ملابسك ، ونجعل الفضل في قصدك مضموناً إذا جعله أولئك طمعاً ورجاء ، فترى لنا أن نجلس عن سوقنا هذا ؟ فضحك المنصور ودعا بالكُسا والصّلات ، فدُفعت لهم ، وانصرفوا مسرورين بغلوتهم .

وفي الزهرة الرابعة والأربعين ما نصّه : كان بقُرطُبة على عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر فقي من أهل الأدب قد رقت حاله في الطلب ، فتعلق بكتاب العمل ، واختلف إلى الخزائن مدة ، حتى قلّد بعض الأعمال ، فاستهلك كثيراً من المال ، فلما ضمّ إلى الحساب أبرز عليه ثلاثة آلاف دينار ، فرفع خبره إلى المنصور ، فأمر بإحضاره ، فلما مثل بين يديه ولزم الإقرار بما برز عليه قال له : يا فاسق ، ما الذي جرّأك على مال السلطان تنتهبه ؟ فقال : قضاء غلب الرأي ، وفقر أفسد الأمانة ، فقال المنصور : والله لأجعلنك نكالا لغيرك ، ليحضّر كبّل وحدّاد ، فأحضرا ، فكبّل الفتي وقال : احملوه إلى السجن ، وأمر الضابط بامتحانه والشدة عليه ، فلما قام أنشأ يقول :

أَوَاهُ أَوَاهُ وَكَمْ ذَا أَرَى أَكْثَرُ مِنْ تَذْكَارِ أَوَاهِ
مَا لِمَرِيءٍ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ الْحَسُولُ وَالْقُوَّةُ لِلَّهِ

فقال المنصور : ردوه ، فلما رُدّ قال : أتمثلت أم قلت ؟ قال : بل قلت ، فقال : حلّوا عنه كبّله ، فلما حلّ عنه أنشأ يقول :

١ ك : تكرر .

أَمَا تَرَى عَقَوَ أَبِي عَامِرٍ لَا بُدَّ أَنْ تَتَّبِعَهُ مِنْهُ
كَذَلِكَ اللَّهُ إِذَا مَا عَقَا عَنْ عَبْدِهِ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ

فأمر بإطلاقه ، وسوَّغَه ذلك المال ، وأبرأه من التبعة فيه .
وفي الخامسة والأربعين : عُرِضَ عَلَى المنصور بن أبي عامر اسمُ أحد خَدَمِهِ
فِي جُمْلَةٍ مَنْ طَالَ سَجْنُهُ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْحَقْدِ عَلَيْهِ ، فَوَقَّعَ عَلَى اسْمِهِ بِأَنْ لَا
سَبِيلَ إِلَى إِطْلَاقِهِ حَتَّى يَلْحَقَ بِأُمِّهِ الْهَآوِيَةِ ، وَعُرِّفَ الرَّجُلُ بِتَوَقُّعِهِ ، فَاعْتَمَ^١
وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي الدَّعَاءِ وَالْمُنَاجَاةِ ، فَأَرَقَ الْمَنْصُورُ إِثْرَ ذَلِكَ ، وَاسْتَدْعَى النَّوْمَ
فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يَأْتِيهِ عِنْدَ تَنَوُّيمِهِ آتٍ كَرِيهُ^٢ الشَّخْصِ عَنيفٍ الْأَخْلَدِ بِأَمْرِهِ
بِإِطْلَاقِ الزَّجْلِ ، وَيَتَوَعَّدُهُ عَلَى حَبْسِهِ ، فَاسْتَدْفَعَ شَأْنَهُ مَرَاراً إِلَى أَنْ عَلِمَ أَنَّهُ
نَذِيرٌ مِنْ رَبِّهِ ، فَانْقَادَ لِأَمْرِهِ ، وَدَعَا بِالدَّوَاةِ فِي مَرْقَدِهِ فَكُتِبَ بِإِطْلَاقِهِ ، وَقَالَ فِي
كِتَابِهِ : هَذَا طَلِيقُ اللَّهِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ زَمَانًا بِمَا
كَانَ مِنْهُ .

وفي الثامنة والأربعين^٢ ما نصَّه : انْتَهَتْ هَيْبَةُ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ
وَضَبْطُهُ لِلْجُنْدِ وَاسْتِخْدَامُ ذُكُورِ الرِّجَالِ وَقُوَّامُ الْمَلِكِ إِلَى غَايَةٍ لَمْ يَصِلْهَا مَلِكٌ
قَبْلَهُ ، فَكَانَتْ مَوَاقِفُهُمْ فِي الْمِيدَانِ عَلَى لِحْتِفَالِهِ مِثْلًا^١ فِي الْإِطْرَاقِ ، حَتَّى إِنْ الْخَيْلُ
لِتَتِمِّثَلْ إِطْرَاقَ فَرَسَانِهَا فَلَا تُكْثِرُ الصَّهِيلَ وَالْحَمَّحَمَةَ ، وَلَقَدْ وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى
بَارِقَةِ سَيْفٍ قَدْ سَلَّهَ بَعْضُ الْجُنْدِ بِأَقْصَى الْمِيدَانِ لَهْزَلٍ أَوْ جَدٍّ بِحَيْثُ ظَنَّ أَنْ لَحَظَ
الْمَنْصُورُ لَا يَنَالُهُ ، فَقَالَ : عَلَيَّ بِشَاهِرِ السَّيْفِ ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ لَوْقَتَهُ ، فَقَالَ :
مَا حَمَلْتُكَ عَلَى أَنْ شَهَرْتَ سَيْفَكَ فِي مَكَانٍ لَا يُشْهَرُ فِيهِ إِلَّا عَنْ^٢ إِذْنٍ ؟ فَقَالَ :
إِنِّي أَشَرْتُ بِهِ إِلَى صَاحِبِي مُغْنَمًا فَوَلَقْتُ مِنْ غَمْدِهِ ، فَقَالَ : إِنْ مِثْلَ هَذَا لَا
يَسُوغُ بِالْدَّعْوَى ، وَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ بِسَيْفِهِ ، وَطُيِفَ بِرَأْسِهِ ، وَنُودِيَ عَلَيْهِ
بِذَنْبِهِ ، انْتَهَى .

١ ك : فَاغْتَمَّ وَاعْتَمَ .

٢ ك : فِي السَّادَةِ وَالْأَرْبَعِينَ .

وحكى غير واحد^١ أن المنصور كان به داء في رجله ، واحتاج إلى الكي فامر الذي يكويه بذلك وهو قاعد في موضع مشرف على أهل مملكته ، فجعل يأمر وينهى ويفري الفري في أموره ، ورجله تُكوى والناس لا يشعرون ، حتى شمتوا رائحة الجلد واللحم ، فتعجبوا من ذلك وهو غير مكترث .

وأخبره - رحمه الله تعالى - تحتل مجلدات ، فلنمسك العنان ، على أننا ذكرنا في الباب الرابع والسادس من هذا الكتاب جملة من أخباره ، رحمه الله تعالى ، فلترجع إلى آخره .

* * *

[عود إلى النقل عن المطمح]

وقال الفتح في المطمح^٢ : وكان ممّا أُعِين به المنصور على المُصَحِّفِيّ ميل الوزراء إليه ، وإيثارهم له عليه ، وسَعْيُهُمْ في ترقّيه ، وأخذهم بالعصية فيه ، فإنّها وإن لم تكن حَمِيَّةً أعرابية ، فقد كانت سلفية سلطانية ، يقتفي القوم فيها سبيل سلفهم ، ويمنعون بها ابتذال شرفهم ، غادروها سيرة ، وخلفوها عادة أئيرة ، تشاح الخلف فيها تشاح أهل الديانة ، وصانوا بها مراتبهم أعظم صيانة ، ورأوا أن أحداً لا يلحق فيها غاية ، ولا يتعاقد لها راية^٣ ، فلمّا اصطفى الحكم المستنصر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه ، ووَضَعَه من أثرته حيث وَضَعَه ، وهو نزع بينهم ونايغ^٤ فيهم ، حسدوه وذمّوه ، وخصّوه بالمطالبة وعمّوه ، وكان أسرع صنف الطائفة من أعالي الوزراء وأعظم الدولة إلى مهاودة المنصور

.....

- ١ ك : وفي السابعة والأربعين ؛ ق : وفيه ؛ وفي ط بياض .
- ٢ بياض في ط ؛ وفي ك : وفي الثامنة والأربعين ؛ وفي ج ق : قال في المطمح ؛ والنص في المطمح :
- ٧ وفي البيان المغرب ٢ : ٤٠٥ (٢ : ٢٧١ ط . ليدن) .
- ٣ ابن حذاري : لا يدرك ولا يلحق . ق : ولا يناقد ؛ ط : ولا يناقد .
- ٤ دوزي : وقايح ؛ ج : ونايغ .

عليه ، والانحراف عنه إليه ، آلُ أبي عبدة وآل شهيد وآل فطيس من الخلفاء وأصحاب الردافة^١ ، من أولي الشرف والإنافة^٢ ، وكانوا في الوقت أزمة الملك وقوام الخدمة ، ومصاييح الأمة ، وأغير الخلق على جاه وحرمة ، فأحفظوا محمد بن أبي عامر مشايعة ، ولبعض أسبابه الجامعة متابعة ، وشادوا بناءه ، وقادوا إلى عنصره ستاءه ، حتى بلغ الأمل ، والتحف بمناء واكتحل^٣ ، وعند التمام هذه الأمور لابن أبي عامر استكان جعفر بن عثمان للحادثة ، وأيقن بالنكبة ، وزوال الحال وانتقال الرتبة ، وكفّ عن اعتراض محمد وشركته في التدبير ، وانقبض الناس^٤ من الرواح إليه والتبكير ، وانثالوا على ابن أبي عامر ، فخف موكبه ، وغار من سماء العز كوكبه ، وتوالى عليه سعي ابن أبي عامر وطلبه ، إلى أن صار يغدو إلى قرطبة ويروح وليس بيده من الحجابة إلا اسمها ، وابن أبي عامر مشتمل على رسمها ، حتى محاه ، وهتك ظلّه^٥ وأضحاه ، قال [محمد] بن إسماعيل : رأيت يَسَاقُ إلى مجلس الوزارة للمحاسبة راجلاً فأقبل يدرم ، وجوّارحُه باللواعج تضطرم ، ووائقُ الضّاغِطُ ينهره ، والزّمعُ يقهره ، والبحر والسنن قد هاضاه^٦ ، وقصّرا خطاه ، فسمعت يقول : رفقا بي فسندرك ما تحبه وتشتهيه ، وترى ما كنت تترتجيه ، وبا ليت أن الموت يباع فأغلي^٧ سؤمّه ، حتى يردّه من أطال عليه حوّمه ، ثم قال^٨ :

لا تأمنن من الزمانِ تقلّباً إنَّ الزمانَ بأهله يتقلّبُ

١ ق ط ج : الردانة .

٢ ق ط ج : والأمانة .

٣ المطمح : والتحف يمينه بمناء واشتمل .

٤ المطمح : غلاله .

٥ زيادة من المطمح .

٦ المطمح : والزمع والبحر قد هاضاه .

٧ دوزي : فأغل الله .

٨ انظر أيضاً الحلة ١ : ٢٦٧ .

ولقد أُراني والليوثُ تخافي فأخافني من بعدِ ذاك الثعلبُ
حَسْبُ الكريمِ مذلةٌ ومهانةٌ أن لا يزال إلى لثيمٍ يطلبُ

فلما بلغ المجلس جلس في آخره دون أن يسلم على أحد ، أو يوميء إليه
بعين أو يد ، فلما أخذ مجلسه تسرع إليه الوزير محمد بن حَقَص بن جابر فعنفه
واستجفاه^١ ، وأنكر عليه ترك السلام وجفاه ، وجعفر مُعرض عنه ، إلى أن كثر
القول منه ، فقال له : يا هذا ، جهلت المبرة فاستجهلت معلمها^٢ ، وكفرت
النعم^٣ فقصدت بالأذى ولم ترهب مقدّمها ، ولو أتيت نُكُرا ، لكان غيرك
أدرى ، وقد وقعت في أمر ما أظنك تخلص منه ، ولا يسعك السكوت عنه ،
ونسيت الأيادي الجميلة ، والمبرات الحليّة ، فلما سمع محمد بن حفص ذلك من
قوله قال : هذا البهت بعينه ، وأي أياديك الغرّ التي مننت بها ، وعيّنت
أداء واجبها ؟ أيدُ كذا أم يد كذا ؟ وعدّد أشياء أنكرها منه أيام إمارته ،
وتصرف الدهر طوع لإشارته ، فقال جعفر : هذا ما لا يُعرف ، والحق الذي
لا يُردّ ولا يُصرف ، دَفَعِي^٤ القطع عن يمينك ، وتبليغي لك إلى مُناك ، فأصرّ
محمد بن حَقَص على الجحد ، فقال جعفر : أنشدُ الله من لّه علم بما أذكره ،
إلا اعترف به فلا ينكره ، وأنا أحوج إلى السكوت ، ولا تحجب دعوتي فيه
عن الملكوت ، فقال الوزير أحمد بن عباس^٥ : قد كان بعض ما ذكرته يا أبا
الحسن ، وغيرُ هذا أولى بك . وأنت فيما أنت فيه من ميحتك وظلبك ، فقال :
أخرجني الرجل فتكلمت ، وأحوجني إلى ما به أعلمت ، فأقبل الوزير ابن
جَهْزور على محمد بن حَقَص وقال : أسأت إلى الحاجب ، وأوجبت عليه غيرَ

.....

١ ق ط ج . واستجفاه .

٢ المطمح والبيان : عالمها .

٣ المطمح : وكفرت اليد .

٤ ق ط ج : رفعي .

٥ البيان المغرب : أحمد بن عباس .

الواجب ، أو ما علمت أن منكوب السلطان لا يسلم على أوليائه لأنه إن فعل
الزمهم الرد لقوله تعالى ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا
أَوْ رُدُّوها ﴾ (النساء : ٨٦) فإن فعلوا لطاف بهم من إنكار السلطان ما يخشى
ويخاف ، لأنه تأنيس لمن أوحش وتأمين لمن أخاف ، وإن تركوا الرد أسخطوا
الله ، فصار الإمساك أحسن ، ومثل هذا لا يخفى على أبي الحسن ، فانكسر
ابن حفص ، وخجل مما أتى به من النقص .

وبلغه أن قوماً توجهوا له ، وتفجعوا مما وصله ، فكتب إليهم :

أَحِنُّ إِلَى أَنْفَاسِكُمْ فَأَظْنَتْهَا بِوَاعِثِ أَنْفَاسِ الْحَيَاةِ إِلَى نَفْسِي
وإِنَّ زَمَانًا صَرْتُ فِيهِ مُقْبِدًا^١ لِأَثْقَلُ مِنْ رَضْوَى وَأَضْيَقُ مِنْ رَمْسٍ
انتهى ما ترجم به المنصور بن أبي عامر .

* * *

[عبد الملك المظفر الحاجب]

ولنرجع^٢ فنقول : ولما توفي المنصور قام بالأمر بعده ابنه عبد الملك المظفر
أبو مروان فجرى على ستن أبيه في السياسة والغزو ، وكانت أيامه أعياداً دامت
مدة سبع سنين وكانت تسمى بالسابع ، تشبيهاً بسابع العروس ، ولم يزل مثل
اسمه مظفراً إلى أن مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة في المحرم ، وقيل : سنة
ثمان وتسعين .

وكاتبه المعز بن زيري ملك مغرّاة بعد أن استرجع فاساً والمغرب إثر
موت أبيه ، فكتب له العهد على المغرب ، وثار الطوائف في ممالكهم ،
ونحركات الجلالقة لاسترجاع معاقلم وحصونهم .

* * *

١ نسخة : مفنداً .

٢ انتهى . . . ولنرجع : سقط من بعض النسخ ؛ وفي ق : انتهى كلام ابن أبي عامر فنقول .
وسقطت لفظة « كلام » من ط ج .

[عبد الرحمن شنجول]

قال ابن خلدون^١ : ثمّ قام بالأمر بعده أخوه عبد الرحمن ، وتلقب بالناصر لدين الله ، وقيل : بالمأمون ، وجرى على سنن أبيه وأخيه في الحجر على الخليفة هشام ، والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ، ثمّ ثاب له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة ، فطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده ، فأجابته ، وأحضر لذلك الملاء من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد ، فكان يوماً مشهوداً ، فكتب عهده من إنشاء أبي حفص بن بُرْد بما نصّه^٢ : « هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامّة ، وعاهد الله عليه من نفسه خاصّة ، وأعطى به صقفة يمينه بيعة تامّة ، بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة ، وأهمّه ما جعل الله لإليه من الإمامة ، وعصّب به من أمر المؤمنين ، واتقى حلول القدر بما لا يؤمن ، وخاف نزول القضاء بما لا يُصْرف ، وخشي إن هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره به ولم يرفع لهذه الأمة علماً تأوي إليه ، ولمدجاً تنعطف عليه ، أن يكون يلقي ربّه تبارك وتعالى مُفسّراً ساهياً عن أداء الحقّ لإليها ، وتفصّي عند ذلك من أحياء قريش وغيرها من يستحق أن يسند هذا الأمر إليه ، ويعول في القيام به عليه ، ممّن يستوجه يدينه وأمانته ، وهديّه وصيانيته ، بعد اطّراح الهوى ، والتحرّي للحق ، والتزلف^٣ إلى الله جل جلاله بما يرضيه ، وبعد أن قطع الأواصر ، وأسخط الأقارب ، فلم يجد أحداً أجدر أن يوليه عهده ، ويفوض إليه الخلافة بعده ، لفضل نفسه وكرم خيّمه

١ تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٤٨ ؛ وسقطت عبارة « قال ابن خلدون » من ط ج ؛ وفي ج : ولما هلك المظفر قام . . . الخ .
٢ انظر هذا العهد أيضاً في أعمال الأعلام : ٩١ والبيان المغرب ٣ : ٤٤ ، وابن برد كاتِب العهد هو أحمد بن برد أبو حفص الوزير المعروف بابن برد الأكبر تمييزاً له عن حفيده ابن برد الأصغر ، وكان الجد رئيساً مقدماً في الدولة العاصرية توفي سنة ٤١٨ (جذوة المقتبس : ١١١) .
٣ ك : والزلفى .

وشرف مرتبته وعلو منصبه ، مع ثقاه وعفافه ومعرفته وحزمه ، من المأمون الغيب ، الناصح الجيب ، أبي المطرف^١ عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد ابن أبي عامر ، وفقه الله ؛ إذ كان أمير المؤمنين - أيده الله تعالى - قد ابتلاه واختبره ، ونظر في شأنه واعتبره ، فرآه مسارعاً في الخيرات ، سابقاً في الحلبات ، مستولياً على الغايات ، جامعاً للمأثرات ، ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه ، فلا غرو أن يبلغ من سبيل البر مداه ، ويحوي من خلال الخير ما حواه ؛ مع أن أمير المؤمنين - أيده الله - بما طالع من مكنون العلم ، ووعاه من مخزون الأثر ، يرى أن يكون ولي عهد القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه . فلمّا استوى له الاختيار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ، ولم يجد عنه مدحاً ، ولا إلى غيره معدلاً ، خرج إليه من تدبير الأمور في حياته ، وفوض إليه الخلافة بعد وفاته ، طائعاً راضياً مجتهداً ، وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازره ، وأنجزه وأنفله ، ولم يشترط فيه ميثاقية ولا خياراً ، وأعطى على الوفاء به في سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه ، وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وذمم الخلفاء الراشدين من آبائه ، وذمة نفسه ، أن لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يزول^٢ ، وأشهد الله على ذلك والملائكة ، وكفى بالله شهيداً ، وأشهد [من أوقع اسمه في هذا]^٣ وهو جائر الأمر ماضي القول والفعل بمحضر من ولي عهد المأمون أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور وفقه الله تعالى ، وقبوله ما قلّده ، وإلزامه نفسه ما ألزمه ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم ، وتسمى

١ في الأصول : أبي المظفر .

٢ أعمال الأعلام : ولا يتأول .

٣ ساقطة من أصول النفع ، مثبتة في أعمال الأعلام .

بعدها بولي العهد^١ .

ونقم عليه أهل الدولة ذلك^٢ ، فكان فيه حتفه ، وانقراض دولته ودولة قومه ، وكان أسرع الناس كراهةً لذلك الأمويين والقرشيين ، فغصّوا بأمره ، وأسفوا من تحويل الأمر جملة من المضربة إلى اليمانية ، فاجتمعوا لشأنهم ، وتمشّت من بعض إلى بعض رجالانهم ، وأجمعوا أمرهم في غيبة من المذكور ببلاد الجلالة في غزاة من صوّافه ، ووثبوا بصاحب الشرطة فقتلوه بمقعده من باب قصر الخلافة بقَرْطُبة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وخلعوا هشاماً المؤيد .

* * *

[بيعة المهديّ بالله]

وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله من أعقاب الخلفاء ، ولقبوه المهدي بالله ، وطار الخبر إلى عبد الرحمن الحاجب ابن المنصور بمكانه من الثغر ، فانفضّ جمعُه ، وقبّل إلى الحضرة مُدِلّاً بمكانه ، زعيماً بنفسه ، حتى إذا قرب من الحضرة تسلّل عنه الناس من الجند ووجوه البربر ، ولحقوا بقَرْطُبة ، وبايعوا المهدي القائم بالأمر ، وأغرّوه بعبد الرحمن الحاجب ، لكونه ماجناً مستهتراً غير صالح للأمر ، فاعترضه منهم مَنْ قبض عليه ، واحتزّ رأسه ، وحمله إلى المهدي وإلى الجماعة . وذهبت دولة العامريين كأن لم تكن ، ولله عاقبة الأمور .
وفي المهدي يقول بعضهم :

قَدْ قَامَ مَهْدِيُنَا وَلَكِنْ بِمِلَّةِ الْفَسَقِ وَالْمُجُونِ

.

١ في أعمال الأعلام والبيان المغرب : وهذا الكتاب نسختان ، أول الشهود فيه قاضي الجماعة أحمد ابن عبد الله بن ذكوان ويليه من الوزراء خاصة أسماء تسعة وعشرين رجلاً ، يليه أسماء مائة وثمانين رجلاً من أصحاب الشرطة وسائر أهل الخدمة .

٢ لا يزال النقل في هذه الفقرة والتي تليها مستمراً عن ابن خلدون .

وشاركَ الناسَ في حريمٍ لولاه ما زال بالمصُونِ
مَنْ كان من قبلِ ذا أجمًا فاليَوْمَ قد صار ذا قُرُونِ

* * *

[خبر الفتنة البربرية^١]

وكان رؤساء البربر^٢ وزناة لحقوا بالمهدي لما رأوا من سوء تدبير عبد الرحمن وانتقاض أمره ، وكانت الأموية تعتدّ عليهم ما كان من مظاهرهم العامرين ، وتنسب تغلب المنصور وبنيه^٣ على الدولة إليهم ، فسخطتهم القلوب ، وخزرتهم العيون ، ولولا ما لهم من العصبيّة لاستأصلهم الناس ، ولغطت^٤ السنة الدهماء من أهل المدينة بكراتهم ، وأمر المهدي أن لا يركبوا ولا يتسلّحوا ، وردّ بعض رؤسائهم في بعض الأيّام من باب القصر ، فانتهبت العامة دُورهم ، وشكا بعضهم إلى المهدي ما أصابهم ، فاعتذر [إليهم]^٥ وقتل من اتّهم من العامة في أمرهم ، وهو مع ذلك مظهر لبغضهم ، سّجّاهر بسوء الثناء عليهم ، وبلغهم أنّه يريد الفتك بهم ، فتمشّت رجالاتهم ، وأسروا نجواهم ، واشتوروا في تقديم هشام بن سليمان ابن أمير المؤمنين الناصر ، وفشا في الخاصة حديثهم ، فعوجّلوا عن مرامهم ذلك ، وأغرى بهم السواد الأعظم ، قثاروا بهم ، وأزعجهم عن المدينة ، وتقبض على هشام وأخيه أبي بكر ، وأحضرا بين يدي المهدي ، فضرب أعناقهما .

* * *

١ تفصيل الخبر عن هذه الفتنة عند ابن عذاري ٣ : ٥٠ - ١١٩ وفي أصل الأعلام : ١٠٤ - ١٢٨

والذخيرة ١ / ١ : ٢٤ - ٤٠ .

٢ انظر تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٥٠ .

٣ ك : وغيره .

٤ ط : ولغظت .

٥ إليهم : سقطت من ق ط ج ك .

[بيعة سليمان المستعين]

ولحق سليمان^١ ابن أخيهما الحكم بجنود البربر ، وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتوأمروا ، فبايعوه ولقبوه المستعين بالله ، ونهضوا به إلى ثغر طليطلة ، فاستجاش بابن أذفونش ، ثم نهض في جموع البرابرة والنصرانية إلى قرطبة ، وبرز إليه المهدي في كافة أهل البلد وخاصة الدولة ، فكانت الدائرة عليهم ، واستلحم منهم ما يزيد على عشرين ألفاً ، وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدنتها ومؤذنيها عالم ، ودخل المستعين^٢ قرطبة ختام المائة الرابعة . ولحق المهدي بطليطلة . واستجاش^٣ بابن أذفونش ثانية ، فنهض معه إلى قرطبة ، وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر^٤ من ظاهر قرطبة ، ودخل قرطبة — أعني المهدي — وملكها ، وخرج المستعين مع البربر ، وتفرقوا في البسائط ينهبون ولا يبقون على أحد ، ثم ارتحلوا إلى الجزيرة الخضراء ، فخرج المهدي ومعه ابن أذفونش لاتباعهم ، فكروا عليهم ، فانهزم المهدي وابن أذفونش ومن معه من المسلمين والنصارى ، واتبعهم المستعين إلى قرطبة ، فأخرج المهدي هشاماً المؤيد للناس ، وبايع له ، وقام بأمر حجابته ، ظناً منه أن ذلك ينفعه ، وهيئات ، وحاصرهم المستعين والبربر ، فعشي أهل قرطبة من اقتحامهم عليهم ، فأغروا أهل القصر وحاشية المؤيد بالمهدي وأن الفتنة إنما جاءت من قبله ، وتولى كبير ذلك واضح العامري ، فقتلوا المهدي ، واجتمع الكافة على المؤيد ، وقام واضح بحجابته ، واستمر الحصار ، ولم يفن عن أهل قرطبة ما فعلوه شيئاً ، إلى أن هلكت القرى والبسائط بقرطبة ، وعُدت المرافق ، وجهدهم الحصار ، وبعث المستعين إلى أهل [ابن] أذفونش يستقدمهم^٥ لمظاهرة ، فبعث إليهم هشام وحاجبه واضح يكفونهم عن ذلك ، بأن ينزلوا لهم عن ثغور قشتالة التي كان المنصور

١ تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٥١ .

٢ عقبة البقر (El-Vacar) على عشرين كيلومتراً شمالي قرطبة .

٣ ق : يستقدمهم ؛ ج : يستقدمهم .

افتتحها^١ ، فسكن عن مظاهرتهم عزم^٢ أذفونش ، ولم يزل الأمر حتى دخل المستعين^٣ قرطبة ومن معه من البربر عتوة سنة ثلاث وأربعمائة ، وقتل هشام سرّاً ، ولحق بيوتات قرطبة معرة في نسائهم وأبنائهم .

وظن المستعين^٤ أن^٥ قد استحکم أمره ، وتوثبت^٦ البرابرة والعبيد على الأعمال ، فولوا المدن العظيمة ، وتقلدوا البلاد^٧ الواسعة ، مثل باديس بن حبّوس في غرناطة ، والبرزالي في قرمونة ، واليفرني في رندة ، وخزرون^٨ في شريش ، وافترق شمل الجماعة بالأندلس ، وصار الملك طوائف في آخرين من أهل الدولة ، مثل ابن عبّاد بإشبيلية ، وابن الأفطس ببطليوس ، وابن ذي النون بطليطة ، وابن أبي عامر ببكنسية ، وابن هود بسرّقسطة ، ومجاهد العامري بدانية والجزائر وكان ماثلاً لبني حمّود يهجو سليمان المستعين :

لا رحيم الله سُلَيْمانكم . فإنه ضدّ سُلَيْمان
ذاك به غلّت شياطينها وحلّ هذا كلّ شيطان
فباسمه ساحت على أرضينا هلك سكان وأوطان

وكان من أعظم الأسباب في فساد دولة المستعين أنّه قال هذه الأبيات مستريحاً بها إلى خواصّه ، وهي قوله :

حلفتُ بمن صلّتي وصيام وكبّرتا لأغمدّها فيمن طغى ونجّبرا^٩
وأبصر دين الله تحيا رسومه فبدّل ما قد لاح منها^{١٠} وغيّرا

١ ابن خلدون : اقتحمها .

٢ لا يزال النقل عن ابن خلدون مستمراً .

٣ ق : وترتبت .

٤ بعض النسخ : الأعمال .

٥ ق ج ط ك : وهرزون .

٦ بياض في ط ، وفي ك : قال ابن خلدون . وفي ق : وقال الشاعر .

٧ ق : وتكبّرا .

٨ ك : كان منه .

فَوَاعَجِبَا مِنْ عَبْثِشَمِيِّ مَمْلَكٍ بِرَغْمِ الْعَوَالِي وَالْمَعَالِي تَبَرُّبَرَا
فَلَوْ أَنَّ أَمْرِي بِالْخِيَارِ نَبَذْتُهُمْ وَحَاكَمْتُهُمْ لَلسَيْفِ حُكْمًا مَحَرَّرَا
فَلَمَّا حَيَاةٌ تُسْتَلَدُّ بِفَقْدِهِمْ وَلَمَّا حِمَامٌ لَا نَرَى فِيهِ مَا زَرَى

وقد سلك هذا المسلك المرتضى المرواني فقال :

قَدْ بَلَغَ الْبَرَبُ فِينَا بِنَا مَا أَفْسَدَ الْأَحْوَالَ وَالنَّظْمَا
كَالسَّهْمِ لِلطَّائِرِ لَوْلَا الَّذِي فِيهِ مِنْ الرِّيشِ لَمَّا أَضْمَى
قَوْمُوا بِنَا فِي شَأْنِهِمْ قَوْمَةٌ تُزِيلُ عَنَّا الْعَارَ وَالرَّغْمَا
لَمَّا بِهَا تَمَلَّكَ ، أَوْ لَا نَرَى مَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ بِهِ أَعْمَى

وكان علي بن حمّود الحسني وأخوه قاسم من عقب إدريس ملك فاس وبانيها قد أجازوا مع البربر من العدوّة إلى الأندلس ، فدعّوا لأنفسهم ، واعصوب عليهم البربر ، فملكوا قرطبة سنة سبع وأربعمائة ، وقتلوا المستعين ، ومحوّوا ملك بني أمية ، واتصل ذلك في خلفٍ منهم سبع سنين ، ثم رجع الملك إلى بني أمية .

وكان المستعين المذكور أديباً بليغاً ، ومن شعره يعارض هرون الرشيد في قوله ^١ :

ملك الثلاث الأنسات عناني

الأبيات - قوله :

عَجَبًا يَهَابُ اللَّيْثُ حَدَّ سِنَانِي وَأَهَابُ سَحَرًا فَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ
وَأَقَارِعُ الْأَهْوَالِ لَا مَتَهَيَّبًا مِنْهَا سِوَى الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرَانِ
وَتَمَلَّكَ نَفْسِي ثَلَاثٌ كَالدُّمَى زُهِرَ الْوُجُوهِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ

١ اللخيرة ١ / ١ : ٣٣ والبيان المغرب ٣ : ١١٨ والحلة ٦ : ٨ - ٩ والجلوة : ٢٠ - ٢١ .

٢ ك : لحظ .

ككواكب الظلّماء لُحْنٌ لناظري مِنْ فوقِ أغصانٍ على كُثبانٍ
 حَاكَمْتُ فِيهِنَّ السُّلُوكَ إِلَى الرِّضَى^١ فَقَضَى بِسُلْطَانٍ عَلَى سُلْطَانِي
 هَذَا الْهَلَالُ ، وَتِلْكَ بِنْتُ الْمُشْتَبِرِي حُسْنًا ، وَهَذَا أُخْتُ غُصْنِ الْبَانِ
 فَأُبْحَنَ مِنْ قَلْبِي الْحَمَى وَتَرَكْنِي فِي عِزِّ مُلْكِي كَالْأَسِيرِ الْعَانِي
 لَا تَعْدِلُوا مُلْكَاً تَذَلُّلٌ فِي الْهَوَى ذُلُّ الْهَوَى عِزٌّ وَمُلْكٌ ثَانِي
 مَا ضَرَّ أَنْتِي عَبْدُكُمْ صَبَابَةٌ وَبَنُو الزَّمَانِ وَهْنٌ مِنْ عَبْدَانِي
 إِنْ لَمْ أَطِيعْ فِيهِنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى كَلَفًا بَيْنَ فَلَسْتُ مِنْ مَرَّوَانِ

* * *

[بنو حمود]^٢

وولي الأمر بعده علي^٣ بن حمود الحسني ، تلقب بالناصر ، وخرج عليه
 العبيد وبعض المغاربة ، وبايعوا المرتضى أخا المهدي ، ثم اغتيل المرتضى ،
 واستقام الملك لعلي بن حمود نحو عامين ، إلى أن قتلته صقالبته بالحمام سنة
 ثمان وأربعمائة ، فولي مكانه أخوه القاسم ، وتلقب بالمأمون ، ونازعه الأمر بعد
 أربع سنين من خلافته يحيى ابن أخيه ، وكان على سبته ، فأجاز إلى الأندلس
 سنة عشر ، واحتل بمالقة وكان أخوه إدريس بها منذ عهد أبيهما ، فبعثه إلى
 سبته ، ثم زحف يحيى إلى قرطبة فملكها سنة ثني عشرة وأربعمائة ، وتلقب
 المعتلي ، وفرّ عمّه المأمون إلى إشبيلية وبايع له القاضي ابن عبّاد ، واستجاش
 بعض البرابرة ، ثم رجع إلى قرطبة سنة ثلاث عشرة وملكها ، ثم لحق المعتلي
 بمكانه من مالقة ، وتغلب على الجزيرة الخضراء وتغلب أخوه إدريس على
 طنجة من وراء البحر ، وكان المأمون يعتدّها حصناً لنفسه ، وفيها ذخائره ،

١ ك : الهوى ؛ دوزي : العبا .

٢ انظر جذوة المقتبس ٢١ - ٢٤ في الحموديين .

٣ وولي ... علي : موضعها يياض في ط ؛ وفي ج : ولما ملك علي ... الخ . وفي ق : ثم إن
 ابن حمود ... الخ .

فلَمَّا بلغه الخبر اضطرب ، وثار عليه أهل قرطبة ، ونَقَضُوا طاعته ، وخرج فحاصروهم فدافعوه ، ولحق بإشبيلية فَمَنَعُوهُ ، وكان بها ابنه فأخرجوه إليه ، وضبطوا بلدهم ، واستبدَّ ابنُ عباد بملكها ، ولحق المأمون بشرش ، ورجع عنه البربر إلى يحيى المعتلي ابن أخيه ، فبايعوه سنة خمس عشرة ، وزحف إلى عمِّه المأمون فتغلب عليه ولم يزل عنده أسيراً وعند أخيه لإدريس بمالقة إلى أن هلك بمحبسه سنة سبع وعشرين ، وقيل : إنَّه خُنِقَ كما سيأتي ، واستقل المعتلي بالأمر ، واعتقل ابني عمِّه القاسم .

وكان المستكفي من الأمويين استولى على قرطبة في هذه المدة عندما أخرج أهلها العلوية ، ثم خلع أهل قرطبة المستكفي الأموي سنة ست عشرة ، وصاروا إلى طاعة المعتلي ، واستعمل عليهم ابن عَطَّاف من قبيلة ، ثمَّ نقضوا سنة سبع عشرة ، وصرفوا عاملهم ، وبايعوا للمعتد الأموي أنخي المرتضى ، وبقي المعتلي يردّد لحصارهم العساكر إلى أن انفقت الكلمة على إسلام الحصون والمدائن له ، فعلا سلطانه ، واشتدَّ أمره إلى أن هلك سنة تسع وعشرين ، اغتاله أصحابه بدسياسة ابن عبيد الله بن عبيد الله بإشبيلية ، فاستدعى أصحابه أخاه لإدريس ابن علي [بن حمود] من سبنة وملكوته ، ولقبوه المتأيد ، وبايعته رُنْدَة وأعمالها والمريّة والجزيرة الخضراء ، وبعث عساكره لحرب أبي القاسم إسماعيل ابن عبيد الله والد المعتضد بن عباد ، فجاءوه برأسه بعد حروب ، وهلك ليومين بعد ذلك سنة إحدى وثلاثين ، وبويع ابنه يحيى ، ولم يَمُتْ له أمر ، وبويع حسن المستنصر بن المعتلي ، وفر يحيى إلى قمارش^٢ فهلك بها سنة أربع وثلاثين ، ويقال : إنَّه قتله نجا ، وهلك حسن مسموماً بيد ابنة عمِّه لإدريس ، ثارت منه بأخيها ، وكان لإدريس بن يحيى المعتلي معتقلاً بمالقة فأخرج بعد خطوب وبويع بها ، فأطاعته غرناطة وقرمونة ، ولقب العالي ، وهو المدوح بالقصيدة

١ في الأصول : بني .

٢ قمارش (Comares) .

المشهورة بالمغرب التي قالها فيه أبو زيد عبد الرحمن بن مقانا القبيداني^١
الأشبوبي من شعراء الذخيرة ، وهي :

أَلْبَرَقِ لَاحِجٍ مِنْ أُنْدَرِينَ ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ بِالْمَاءِ^٢ الْمَعِينُ
لَعَبْتُ أَسْيَافُهُ عَارِيَةً كَمْ خَارِقَ بِأَيْدِي اللَّاعِينَ
وَلِصَوْتِ الرَّعْدِ زَجْرٌ وَحْنِينَ وَلِقَلْبِي زَفَرَاتٌ وَأَنِينُ
وَأُنَاجِي فِي الدَّجَى عَاذِلَتِي وَيَلِكْ لَا أَسْمَعُ^٣ قَوْلَ الْعَاذِلِينَ
عَبَّرْتَنِي بِسَقَامٍ وَضَنَى إِنَّ هَذَيْنِ لَتَدِينُ الْعَاشِقِينَ
قَدْ بَدَأَ لِي وَضَحُ الصُّبْحِ الْمُبِينُ فَاسْقِنِيهَا قَبْلَ تَكْبِيرِ الْأَذِينَ^٤
إِسْقِنِيهَا مِرَّةً مَشْمُولَةً لَبِثْتُ فِي دَنْهَا بِضَعِ سِنِينَ
نَشَرْتُ الْمَرْجُ عَلَى مَقْرِقِهَا دُرَّرَا عَامَتُ فَعَادَتُ كَالْبُرِينَ^٥
مَعَ فِتْيَانِ كَرَامٍ نُجِبِ يَتَهَادَوْنَ رِيَّاحِينَ الْمَجُونِ^٥
شَرَبُوا الرَّاحَ عَلَى خَدِّ رَشَا نَوَّرَ الْوَرْدُ بِهِ وَالْيَاسَمِينَ
وَجَلَّتْ آيَاتُهُ^٥ عَامِدَةً سَبَّحَ الشَّعْرُ عَلَى عَاجِ الْبَلْبِينَ
لَوْتُ الصُّدُغَ عَلَى حَاجِبِهِ ضَمَمْتُ اللَّامَ عَلَى عَطْفَةِ نُونِ^٥
فَتَرَى غَصْنًا عَلَى دِعْصٍ نَقَا وَتَرَى لَيْلًا عَلَى صُبْحِ مَبِينِ
وَسَيُسْقَوْنَ إِذَا مَا شَرَبُوا بِأَبَارِقِ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينِ

١ تصحفت هذه اللفظة في النسخ فهي الفنداني في ق ط ك ؛ والقنداني في ج ؛ والقيداني ؛ والقيداني ؛ وقد أثبتها محقق المغرب « القبيداني » (١ : ٤١٣) فالخرف الأخير منها كاف على التأكيد إذ يوافق سجع ابن سميد « كتاب حديقة الأحداق في حل قرية القبيداني » ؛ وهي من قرية أشبونة ويقول ابن بسام إن القبيداني (٢) من ساحل شنرة ، وقصيدة ابن مقانا ورد قسم منها في المغرب ؛ وفي الذخيرة (القسم الثاني ، الورقة : ٣٠٣) .

٢ ق ج : بالدمع .

٣ الذخيرة : لا أقبل .

٤ بعد هذا البيت في الذخيرة :

وعلهم زاجر من حلمهم ولديهم قاصرات الطرف عين
ه اقرأ : رجلت داياته ، وهي رواية المغرب .

وَمَصَابِيحُ الدُّجَى قَدْ طُفِثَتْ
وَكُنَّ الظِّلَّ مِسْكٌ فِي الشَّرَى
وَالْتَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسِهِ
وَالثَرِيَّا قَدْ هَوَتْ مِنْ أَفْقِهَا
وَانْبَرَى جَنَحُ الدُّجَى عَنْ صُبْحِهِ
وَكُنَّ الشَّمْسُ لَمَّا أَشْرَقَتْ
وَجْهٌ لِادْرِيسَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ
مَلِكٌ ذُو هَيْبَةٍ لَكِنَّهُ
خَطٌّ بِالْمِسْكِ عَلَى أَبْوَابِهِ :
فَإِذَا مَا رَفَعَتْ رَايَاتُهُ
وَإِذَا أَشْكَلَ خُطْبُ مُعْضِلٍ
فَبِئْسَ رَاهُ يَسَارُ الْمَعْسِرِينَ
يَا بَنِي أَحْمَدَ يَا خَيْرَ الْوَرَى
نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ فَاحْتَبَى
خُلُقُوا مِنْ مَاءِ عَدْلٍ وَتَقَى
انْظُرُونَا نَقْتَبِسَ مِنْ نَوْرِكُمْ

فِي بَقَايَا مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جُونُ
وَكُنَّ الظِّلَّ دُرٌّ فِي الْغُصُونِ
كَدُمُوعٍ أَسْبَلْتَهُنَّ الْجُفُونُ
كَقَضِيبِ زَاهِرٍ مِنْ يَاسَمِينِ
كَغُرَابٍ طَارَ عَنْ بَيْضِ كَنِينِ
فَانْتَبَتْ عَنْهَا عُيُونُ النَّاطِرِينَ
بَنِي حَمُودٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
خَاشِعٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ^٢
خَفَقَتْ بَيْنَ جَنَاحِي جَبَرَتَيْنِ
صَدَعَ الشَّكَّ بِمِصْبَاحِ الْبَقِينِ
وَيُسْمَنَاهُ لِيَوَاءِ السَّابِقِينَ^٣
لَأَبِيكُمْ كَانَ وَفْدُ الْمُسْلِمِينَ
فِي الدُّجَى فَوْقَهُمُ الرُّوحُ الْأَمِينُ
وَجَمِيعُ النَّاسِ مِنْ مَاءٍ وَطِينِ
إِنَّهُ مِنْ نَوْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وقيل : إنه أنشده إياها من وراء حجاب اقتفاءً لطريقة خلفاء بني العباس ،
فلما بلغ إلى قوله :

انْظُرُونَا نَقْتَبِسَ مِنْ نَوْرِكُمْ إِنَّهُ مِنْ نَوْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
أمر حاجبه أن يرفع الحجاب ، وقابل وجهه وجه الشاعر دون حجاب ،

١ الذخيرة : قد علت في

٢ بعده في الذخيرة :

وينادي الجود في آفاته بموا قصر أوبر المؤمنين

٣ صدر البيت سقط من ج ط

وأمر له بإحسان جزيل^١ ، فكان هذا من أنبل ما يُحكى عنه .
 وخلع العالي سنة ثمان وثلاثين ، وولي ابن عمه محمد بن إدريس بن
 علي ، وتلقب بالمهدي ، وتوفي سنة أربع وأربعين .
 وبويع إدريس بن يحيى بن إدريس ، ولقب الموفق ، ولم يخطب له بالخلافة
 وزحف إليه العالي إدريس المخلوع المدوح بالقصيدة السابقة ، وكان بقمارش ،
 فدخل عليه مالتقة^٢ ، وأطلق أيدي عبيده عليها لحقده عليهم ، ففر كثير منهم ،
 وتوفي العالي سنة ست أو سبع وأربعين .
 وبويع محمد بن إدريس ، ولقب المستعلي ، ثم سار إليه باديس بن حبّوس
 سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، فتغلب على مالتقة ، وسار محمد إلى المريّة
 مخلوعاً ، ثم استدعاه أهل المغرب إلى مليلة [فأجاز إليهم]^٣ وبايعوه سنة ست
 وخمسين ، وتوفي سنة ستين .
 وكان محمد بن القاسم بن حمّود لما اعتقل أبوه القاسم بمالتقة سنة أربع
 عشرة قرّاً من الاعتقال ولحق بالجزيرة الخضراء وملكها ، وتلقب بالمتصم ،
 إلى أن هلك سنة أربعين ، ثم ملكها بعده ابنه القاسم الواثق ، إلى أن هلك سنة
 خمسين ، وصارت الجزيرة للمعتضد بن عبّاد ، ومالتقة لابن حبّوس مزاحماً
 لابن عبّاد .
 وانقرضت دولة الأشراف الحمّوديين من الأندلس ، بعد أن كانوا
 يدعون الخلافة .

* * *

[خلافة المستظهر]^٣

وأما قرطبة فإن أهلها لما قطعوا دعوة الحمّوديين بعد سبع سنين من ملكهم

.. ..

١ في نسخة : بمال جزيل .

٢ زيادة من ابن خلدون وفي ق ط ج : إلى مليلة وجارت .

٣ انظر الحلة السيرة ٢ : ١٢ .

وزحف إليهم القاسم بن حَمَّود في البربر ، فهزمهم أهل قُرْطُبَة ، ثم اجتمعوا
واتفقوا على ردِّ الأمر لبني أمية ، واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن
عبد الجبار أخا المهدي ، وبايعوه في رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة ،
ولقبوه المستظهر وقاموا بأمره ، ومن شعره قوله ^١ :

طال عُمُرُ الليلِ عندي مَدَّ^٢ تولَّعتَ بصِدِّي
يا غزالاً نقضَ العهدَ دَ ولم يُوفِ بوَعْدِ
أنسيتَ العهدَ إذ به ما على مَفْرَشٍ وَرَدِ
واجتمعنا في وشاحٍ وانتظمتنا نظمَ عِقْدِ
ونجومُ الليلِ تحكي ذَهَباً في لازورْدِ

قال الحِجاري : لو قال « لؤلؤاً في لازوردٍ » لكان أحسن تشبيهاً ، وأنشد
متمثلاً :

إنَّا عِصَابُكَ الأُلى كنَّا نُكَايِدُ ما تُكَايِدُ^٤
هذا أوانٌ بُلُوغُنا^٣ إل نَعْمَى وإنجازِ المواعِدِ^٥

وكان حسان بن أبي عبدة^٤ من وزراء المستظهر ، ولما أكثر المستظهر دونه
الاستبداد كتب إليه بقوله ^٥ :

إذا غِبتُ لم أحضِرْ ، وإن جئتُ لم أَسْلُ^٥ فسيانَ مني مَشْهَدٌ ومَغِيبُ

١ الخلة ٢ : ١٦ .

٢ ك : قد .

٣ ج ط ق : بلوغ أواننا .

٤ حسان بن مالك بن أبي عبدة الوزير من الأئمة في الأدب واللغة ، ألف للمنصور كتاباً في الأسفار
ووزر للمستظهر ، وتوفي قبل سنة ٤٢٠ (الجذوة : ١٨٣ والبنية رقم : ٦٦٢ والمطبع .
٢٦) .

٥ البيتان في المصادر السابقة .

فأصبحتُ تيمياً ، وما كنتُ قبلها لَتَيْمٍ ، ولكنَّ الشَّيْبَةَ نَسِيتُ
يشير إلى قول الأول :

ويُقضى الأمرُ حينَ تَغيبَ تَيْمٌ ولا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودٌ
وعاتبه أيضاً بقوله :

إذا كان مثلي لا يُجَازَى¹ بَصْبَرِهِ فَمَنْ ذَا الَّذِي بَعْدِي يَجَازِي عَلَى الصَّبْرِ
وكم مَشْهَدٌ حَارَبْتُ فِيهِ عَدُوَّكُمْ وَأَمَلْتُ فِي حَرْبِي لَهُ رَاحَةً الدَّهْرِ
أخوضُ إلى أعدائكم لُجَجَ الْوَغَى وَأَسْرِي إِلَيْهِمْ حَيْثُ لَا أَحَدٌ يَسْرِي
وقَدْ نامَ عَنْهُمْ كُلُّ مُسْتَبْطِنٍ الْحِشَا أَكُولٍ إِلَى الْمُنْسَى نَوْمٌ إِلَى الظُّهْرِ
فما بالُ هذا الأمرِ أَصْبَحَ ضَائِعاً وَأَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ تَحْكُمُ فِي الْأَمْرِ
وسَيأتي إن شاء الله تعالى من كلام الوزير المذكور ما يدلُّ على عظيم قدره ،
وهناك نذكر تحلية الفتح له .

* * *

[بيعة المستكفي والمعتد]

ثمَّ ثارَ عليه لشهرين من خلافته محمدُ بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن أمير
المؤمنين الناصر لدين الله ، فاتَّبعه الغَوغاءُ ، وفتك بالمستظهر ، وتلقَّبَ بالمستكفي ،
واستقلَّ بأمر قُرْطُبَةَ ، وهو والد الأديبة الشهيرة ولأدَّة ، ولعلَّنا نلَمُ ببعض
أخبارها إن شاء الله تعالى فيما بعد ، وكان أبوه عبد الرحمن قتله المنصور بن
أبي عامر لسعيه في الخلاف ² .

ثم بعد ستة عشر شهراً من بيعة المستكفي رجع الأمر إلى المعتلي يحيى بن
علي بن حمّود سنة ست عشرة ، وخلع أهل قُرطبة المستكفي ، وولى عليهم

.....

١ ق : يجاز ؛ ط ج : يجاز .

٢ ك : الخلافة .

المعتلي من قبله ، وفرّ المستكفي إلى ناحية الثغر ، ومات في مَفَرَّة ، ثم بدا لأهل قَرْطُبَة فخلعوا المعتلي بن حَمُود سنة سبع عشرة ، وبايع الوزير أبو محمد جَهْمُور ابن محمد بن جهور عميد الجماعة وكبير قرطبة لهشام بن محمد أخى المرتضى ، وكان بالثغر في لارِدَة عند ابن هُود ، وذلك سنة ثمانى عشرة ، وتلقّب المعتد بالله ، وأقام متردداً في الثغر ثلاثة أعوام ، واشتدت الفتن بين رؤساء الطوائف ، واتفقوا على أن ينزل دار الخلافة بقَرْطُبَة ، فاستقدمه ابن جَهْمُور والجماعة ، ونزلها آخر سنة عشرين ، وأقام بها يسيراً ، ثم خلعه الجند سنة ثنتين وعشرين ، وفرّ إلى لارِدَة فهلك بها سنة ثمان وعشرين .

* * *

[انقضاء الأموية وظهور ملوك الطوائف]

وانقطعت الدولة الأموية من الأرض ، وانتثر سلك الخلافة بالمغرب ، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف ، وانتزى الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات ، واقتسموا خُطَّتْها ، وتغلّب بَعْضٌ على بعض ، واستقل أخيراً بأمرها منهم ملوك استقحل أمرهم وعظم شأنهم ، ولاذوا بالجزى للطاغية أن يظاهر عليهم أو يبتزهم ملكهم ، وأقاموا على ذلك برهة من الزمان ، حتى قطع إليهم البحر ملكُ العُدُوَّة وصاحبُ مراكش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللّْمُتُونِي ، فخلعهم وأخلى منهم الأرض .

* * *

[ملوك الطوائف]

[١ - بنو عباد وبنو جهور]

فمن أشهرهم بنو عباد ملوك إشبيلية وغرب الأندلس الذين منهم المعتمد ابن عباد الشهير الذكر بالمغرب والمشرق ، وفي الذخيرة والقلائد من أخباره ما هو كافٍ شافٍ .

ومنهـم بنو جهنـور ، كانوا بقـرطبة في صورة الوزارة ، حتى استولى عليهم المعتمد بن عبـاد ، وأخذ قرطبة ، وجعل عليها ولده ، ثم كانت له وعليه حروب وخطوب ، وفرق أبناؤه على قواعد الملك ، وأنزلهم بها ، واستفحل أمره بغرب الأندلس ، وعـلـت يـدُه على من كان هنالك من ملوك الطوائف ، مثل ابن حبـوس^١ بغرناطة ، وابن الأفطس ببـطليوس ، وابن صـمـادح بالمريـة ، وغيرهم ، فكانوا يخطبون سـلـمـه ، ويغـلـون^٢ في مرضاته ، وكلهم يـدـآرون الطاغية ويتقونه بالجزى ، إلى أن ظهر يوسف بن تاشفين ، واستفحل ملكه ، فتعلقت آمال الأندلس بإعـانـته ، وضايقهم الطاغية في طلب الجزية ، فقتل المعتمد اليهودي الذي جاء في طلب الجزية للطاغية ، بسبب كلمة آسـفـه بها ، ثم أجاز البحر صريخاً إلى يوسف بن تاشفين ، فأجاز معه البحر ، والتقوا مع الطاغية في الزلاقة ، فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى ، ونصر الله تعالى الإسلام نصراً لا كفاء له ، حتى قال بعض المؤرخين : إنـه كان عدد النصارى ثلاثمائة ألف ، ولم ينج منهم إلا القليل ، وصبر فيها المعتمد صبر الكرام ، وكان قد أعطى يوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء ليتمكن من الجواز متى شاء ، ثم طلب الفقهاء بالأندلس من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلمات عنهم ، فتقدم بذلك إلى ملوك الطوائف ، فأجابوه بالامتنال ، حتى إذا رجع من بلادهم رجعوا إلى حالهم ، وهو خلال ذلك يـرـدـد عساكره للجهاد ، ثم أجاز إليهم وخلع جميعهم ، ونازلت عساكره جميع بلادهم ، واستولى على قـرطبة وإشبيلية وبـطـليـوس وغرناطة وغيرها ، وصار المعتمد بن عبـاد كبير ملوك الأندلس في قبضته أسيراً بعد حروب ، ونقله إلى أغـمـات قرب مراكش سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، واعتقله هنالك إلى أن مات سنة ثمان وثمانين ، وسـلـم بما قاله الوزير لسان الدين بن الخطيب فيه حين زار قبره .

١ في الأصول : ابن باديس .

٢ يغـلـون : سقطت من ق ؛ وفي ج ط : ويغـلـون .

وللمعتمد هذا أخبار مأثورة خصوصاً مع زوجته أمّ أولاده الرميكية الملقبة
 باعتماد ، وقد روي أنّها رأت ذات يوم بلاشبيلية نساء البادية يبعن اللبن
 في القربّ وهنّ رافعات عن سوقهنّ في الطين ، فقالت له : أشتهي أن أفعل
 أنا وجواريّ مثل هؤلاء النساء ، فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء
 الورد ، وصيّر الجميع طيناً في القصر ، وجعل لها قِرباً وحبالاً من إبريسم ،
 وخرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين ، فيقال : إنّها لما خلّعت وكانت
 تتكلّم معه مرّة فجري بينهما ما يجري بين الزوجين ، فقالت له : والله ما
 رأيت منك^١ خيراً ، فقال لها : ولا يوم الطين ؟ تذكيراً لها بهذا اليوم الذي
 أباد فيه من الأموال ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى ، فاستحيت وسكتت .
 ومن أعظم ملوك الطوائف^٢ غير من تقدّم بنو رزيّن أصحاب السهلة ،
 وبنو الفهري أصحاب البونت ، وتغلّب عليهما أخيراً يوسف بن تاشفين .

[٢ - بنو ذي النون بطليطة]

ومن أعظم ملوك الطوائف بنو ذي النون ملوك طليطلة من الثغر الجوّفي ،
 وكانت لهم دولة كبيرة ، وبلغوا في البذخ والتّرف إلى الغاية ، ولهم الإعذار
 المشهور الذي يقال له « الإعذار الدُّثُوني » وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ،
 وهو عندهم بمثابة عُرْس بُورَّان عند أهل المشرق ، والمأمون من بني ذي النون
 هو صاحب ذلك ، وهو الذي عظم بين ملوك الطوائف سلطانه ، وكان بينه
 وبين الطاغية مواقف مشهورة ، وغلب على قرطبة ، وملكها من يد ابن عبّاد
 المعتمد ، وقتل ابنه أبا عمرو ، وغلب أيضاً على بكنسية وأخذها من يد بني
 ابن أبي عامر .

١ منك : سقطت من ق ط ج .

٢ ك : وولي بعده غير من تقدم ، وسقط ما يقابله من ط ؛ وفي ج : ومن ملوك . . . الخ ؛
 وسقطت « غير من تقدم » من ك .

وفي أيام حافد المأمون - وهو القادر بن ذي النون - كان الطاغية ابن أذفونش قد استفحل أمره ، لما خلا الجوّ من مكان الدولة الخلافة ، وخفّ ما كان على كاهله من إصر العرب ، فاكسح البسائط ، وضايق ابن ذي النون ، حتى أخذ من يده طُلَيْطَلَة ، فخرج له عنها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة كما سبق ، وشرط عليه أن يظاھرہ على أهل بِلَنْسِيَّة ، فقبل شرطه ، وتسلمها [ابن] القونش ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم .
ومن أعظم ملوك الأندلس الموالي العامريون^١ مثل خيران وزهير وأشباههما .
وأخبار الجميع تطول .

* * *

[بنو هود بسرّسطة]

ومن ملوك الطوائف بالأندلس بنو هُود ملوكُ سَرَقُسْطَة وما إليها ، ومن أشهرهم المقتدر بالله ، وابنه يوسف المؤمن ، وكان المؤمن قائماً على العلوم^٢ الرياضية ، وله فيها تآليف ، ومنها كتاب الاستكمال^٣ والمناظر ؛ وولي بعده ابنه المستعين أحمد سنة أخذ طُلَيْطَلَة ، وعلى يده كانت وقعة وشُقّة - زَحَفَ سنة تسع وثمانين في آلاف لا تُحصى من المسلمين ليدافع الطاغية عن وشُقّة ، وكان محاصراً لها ، فلقيه الطاغية وهزمه ، وهلك من المسلمين نحو عشرة آلاف ، وهلك هو شهيداً سنة ثلاث وخمسمائة ، بظاهر سَرَقُسْطَة في زحف الطاغية إليها ، وولي ابنه عبد الملك عماد الدولة ، وأخرجه الطاغية من سَرَقُسْطَة سنة ثني عشرة ، وتولى ابنه سيّف الدولة ، وبالغ في النكاية بالطاغية ، ثم اتفق معه ، وانتقل بحشّمه إلى طُلَيْطَلَة ، فكان فيها حِمّامه .

ومن شعر المقتدر بن هود قوله رحمه الله في مبانیه :

.....

١ ك : ثم زحف على الموالي العامريين ؛ مع اتصال النص بما قبله .

٢ ق ك : الأمور ؛ والتصويب عن ابن خلدون .

٣ ابن خلدون : الاستهلال .

قَصَرَ السرور ومجلس الذهبِ بكما بَلَغَتْ نهايةَ الأربِ
لو لَمْ يَحْزُ ملكي خلافتكما كانتْ لديَّ كفايةُ الطلبِ

“ * “

[بنو الأفطس ببطليوس]

ومن مشاهير ملوك الطوائف^١ بنو الأفطس أصحاب بطليوس وما إليها ،
والمظفر منهم هو صاحب التأليف المسمى بالمظفري في نحو الخمسين مجلداً ،
والتوكل منهم قُتل على يد جيش يوسف بن تاشفين ، وفيه قال ابن عَبدُون
قصيدته المشهورة :

الدهرُ يَفْجَعُ بعد العَيْنِ بالآثِرِ فما البكاء على الأشباح والصُورِ

وهي من غرر القصائد^٢ .

* * *

[الممتنون ثم الموحدون]

فلما استولى^٣ لِمَتُونَة على بلاد الأندلس^٤ وأزالوا ملوك الطوائف
منها ، وبقيت عمالهم تتردد إليها وبنوهم حتى فَشِلَتْ ريجهم ، وهبَّت ريع
الموحدين ، أعني عبد المؤمن بن عليّ وبنيه ، فحاربوا لِمَتُونَة ، واستولوا
على ملكهم بالمغرب بعد حروب كثيرة ، ثمَّ أجازوا البحر إلى الأندلس ،
وملكوا أكثر بلاد الأندلس ، وملك بنو مردنيش شرق الأندلس ، وملخص
ذلك أن الأندلس كان ملكها مجموعاً لِمَتُونَة بعد خلعهم ملوك الطوائف ،
فلما اشتغل لِمَتُونَة في العُدوة بحرب الموحدين اضطربت عليهم الأندلس ،

.

١ سقطت كلمة « الطوائف » من ط ج ق ك .

٢ ك : القصائد الأندلسية .

٣ ج : أخذ . . . الأندلس .

٤ فلما استولى . . . الأندلس : سقطت هذه الجملة من ك .

وعادت إلى الفرقة بعض الشيء ، ثم خلص أكثرها لعبد المؤمن وبنيه بعد حروب منها ما حصل بين عبد المؤمن وبين ابن مَرْدَنِيْش وقائده ابن هَمْشَك^١ بِفَحْص غَرْنَاطَة ، وقد استعان ابنُ مَرْدَنِيْش بالنصارى على الموحدين ، فهزمهم عبدُ المؤمن ، وقتلهم أَبْرَحَ قَتْل ، واستخلص غَرْنَاطَة سنة سبع وخمسين وخمسمائة من يد ابن مَرْدَنِيْش .

* * *

[غزوة الأرك]

وولي الأمر بعد عبد المؤمن ابنُه يوسف ، وأجاز إلى الأندلس ، وكانت له مواقف في جهاد العدو ، وولي بعده ابنُه يعقوب المنصور الطائر الصيت ، وكانت له في النصارى بالأندلس نكاية كبيرة ، ومن أعظمها غزوة الأرك التي تُضاهي وقعة الزلاقة أو تزيد ، والأرك : موضع بنواحي بَطَلَيْوس^١ ، وكانت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، وغنم فيها المسلمون ما عظم قدره ، وكان عدّة مَنْ قُتِلَ من الفرنج - فيما قيل - مائة ألف وستّة وأربعين ألفاً ، وعدّة الأسارى ثلاثين ألفاً ، وعدّة الخيام مائة ألف وخمسين ألف خيمة ، والخيل ثمانين ألفاً ، والبغال مائة ألف ، والحُمير أربعمائة ألف ، جاء بها الكفّار لحمل أثقالهم لأنّهم لا لبل لهم ، وأمّا الجواهر والأموال فلا تحصى ، وبيع الأسير بدرهم ، والسيف بنصف درهم ، والفرس بخمسة دراهم ، والحصار بدرهم ، وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ، ونجا الفنش ملكُ النصارى إلى طُلَيْطَلَة في أسوأ حال ، فحلق رأسه ولحيته ، ونكس صلبه ، وآلى أن لا ينام على فراش ، ولا يقرب النساء ، ولا يركب فرساً ولا دابة ، حتى يأخذ بالثأر ، وصار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعدّ ، ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه إلى طُلَيْطَلَة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيق عليها ، ولم

.....

١ ق ك ط : همشكه .

يبقى إلا فتحها ، فخرجت إليه والدته الأذفونش وبناته ونساؤه وبكينين بين يديه ، وسألته إبقاء البلد عليهن ، فرقّ لهنّ ومنّ عليهن بها ، ووهب لهنّ من الأموال والجواهر ما جَلَّ ، وردّهنّ مكرمات ، وعفا بعد القدرة ، وعاد إلى قرطبة ، فأقام شهراً يقسم الغنائم ، وجاءته رسلُ الفنش بطلب الصلح ، فصالحه ، وأمنّ الناس مدّته ، وفيه يقول بعض شعراء عصره :

أهلٌ بأن يُسعى إليه ويرتجى ويُزار من أقصى البلاد على الرجا
منّ قد غدا بالمكرّمات مقلداً وموشحاً ومختتماً ومُتوجّسا
عمرتُ مقاماتُ الملوكِ بذكره وتعطّرتُ منه الرياحُ تأرجا

* * *

[بين صلاح الدين ويعقوب الموحدي]

وهو الذي ^١ أرسل له السلطان صلاح الدين بن أيوب شمس الدين ^٢ بن منقذ يستنجد به على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدّسة ^٣ ، ولم يخاطبه بأمر

١ هذه رواية ج ؛ وفي د : ولما تغلبت الفرنج على الساحل أرسل السلطان ؛ وفي ط : أرسل ... الخ ؛ وفي ك : ولما أرسل ...

٢ في الروضتين : شمس الدولة ؛ واسمه عبد الكريم (انظر مقدمة ابن خلدون : ٦٣١) .
٣ لدينا من الكتب التي أرسلها صلاح الدين للخليفة الموحدي المنصور كتاب تاريخه سنة ٥٨٥ من إنشاء الفاضل ، وفيه يستجيشه على الفرنج أثناء قتاله معهم حول عكا (صبح الأعشى ٦ . ٥٢٦ - ٥٣٠) يلقبه فيه بأمر المؤمنين ، يتلوه كتاب ثان في ٢٧ شعبان سنة ٥٨٦ بقلم الفاضل أيضاً إلى شمس الدين بن منقذ (الروضتين ٢ : ١٧٠) يطلب فيه المعاونة بإرسال قطع من الأسطول المغربي أثناء حصار الفرنج لعكا ، ويحتوي التعليمات الموجه بها شمس الدين ، ثم خطاب مرسل إلى المنصور (الروضتين ٢ : ١٧١) وهو الذي يشير إليه المقرئ وبدايته « من الفقير إلى رحمة ربه يوسف بن أيوب » (وتاريخه شعبان سنة ٥٨٦) ؛ وهناك كتاب للقاضي الفاضل رفعه إلى صلاح الدين (الروضتين ٢ : ١٧٤) وهو يحاول فيه أن يقنع صلاح الدين بقبول صيغة « من الفقير إلى الله تعالى » ويستقبح أن يكتب « الخادم » ؛ ومن رأي الفاضل أن لا تتم المكاتبة لأن الجواب عنها يستغرق سنتين وفي هذه المدة « فما يتخلل الله عنا ولا تستمر هذه الشدة ولا نسيء الظن بالله » . وأثناء مقام ابن منقذ في المغرب أرسل إليه كتاب يشرح فيه أخبار القتال حول عكا (الروضتين ٢ : ١٨٨) .

المؤمنين ، فلم يُجِبه إلى ما طلبه ، وكلُّ ذلك في سنة ٥٨٧ هـ ، ومدحه ابنُ منقذ بقوله من قصيدة :

سأشْكُرُ بِحَرٍّ ذَا عُبَابٍ قَطَعْتُهُ إلى بحر جُودٍ ما لأخراه سَاحِلُ
إلى مَعْدِنِ التَّقْوَى إلى كَعْبَةِ النَّدى إلى مَنْ سَمَتْ بِالذِّكْرِ منه الأوائلُ
إليكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَسَمُ تَزَلُ إلى بابِكَ المَأْمُولِ تُزْجِي الرَّوَاحِلُ
قَطَعْتُ إِلَيْكَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ مُوقِنًا بأنَّ نَدَاكَ الْغَمْرَ بِالنُّجْحِ كَافِلُ
وَحِزْتُ بِقَصْدِكَ الْعُلَا فَبَلَّغْتُهَا وأدْنَى عَطَايَاكَ الْعُلَا وَالْفَوَاضِلُ
فَلَا زِلْتَ لِلْعَلِيَاءِ وَالْجُودِ بَانِيًا تَبْلَغُكَ الْآمَالُ مَا أَنْتَ آمِلُ
وَعَدَّتْهَا أَرْبَعُونَ بَيْتًا ، فَأَعْطَاهُ بِكُلِّ بَيْتٍ أَلْفًا ، وقال له : إِنَّمَا أُعْطِيْنَاكَ لِفَضْلِكَ وَلِبَيْتِكَ .

وكان عنوان الكتاب الذي أرسله صلاح الدين « إلى أمير المسلمين » وفي أوله « الفقير إلى الله تعالى يوسف بن أيوب » وبعده من إنشاء الفاضل « الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفة من استعمر الأرض ، وأغنى من أهلها مَنْ سَأَلَهُ الْقَرَضَ ، وأجْزَى مَنْ أَجْرَى عَلَى يَدِهِ النَافِلَةَ وَالْفَرْضَ ، وَزَيَّنَ سَمَاءَ الْمِلَّةِ بِدَرَارِي الدَّرَارِي الَّتِي بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ » وهو كتاب طويل سأله فيه أن يقطع عنه مادة البحر ، واستنجد به على الإفرنج إذ كانت له اليد عليهم ، وعاد ابن منقذ من هذه الرسالة سنة ٥٨٨ هـ بغير فائدة ، وبعث معه هدية حقيرة ، وأمّا ابن منقذ فإنه أحسن إليه وأغناه ، لا لأجل صلاح الدين ، بل لبَيْتِهِ وَفَضْلِهِ كَمَا مَرَّ ، وما وقع من يعقوب في صلاح الدين إنما هو لأجل أَنَّهُ لَمْ يُؤَقِّهِ حَقَّهُ فِي الْخُطَابِ .

* * *

[الموحدون والأندلس]

رجع^١ : ولما استفحل أمر الموحدين بالأندلس استعملوا القرابة على الأندلس

١ في ق : رجع إلى أخبار يعقوب ؛ والنص متابع لما ورد عند ابن خلدون ٤ : ١٦٦ .

وكانوا يُسمّونهم السادة ، واقتسموا ولاياتها بينهم ، ولهم مواقف في جهاد العدوّ المذكورة ، وكان صاحب الأمر بمراكش يأتي الأندلس للجهاد ، وهزم يعقوب المنصور كما سبق قريباً بالأرك ابن أذفونش ملك الجلالقة الهزيمة الشنعاء .

* * *

[العقاب والنيابا أمر الموحدين]

وأجاز ابنه الناصر الوالي بعده البحر إلى الأندلس من المغرب سنة تسع وستمائة ومعه من الجنود ما لا يحصى ، حتى حكى بعض الثقات من مؤرخي المغرب أنّه اجتمع معه من أهل الأندلس والمغرب ستمائة ألف مقاتل ، فمحص الله المسلمين بالموضع المعروف بالعقاب ، واستشهد منهم عِدّة ، وكانت سبب ضعف المغرب والأندلس ، أمّا المغرب فبِخلاء كثير من قُرّاه وأقطاره ، وأمّا الأندلس فبطلب العدو عليها ، لأنّه لما الثالث أمر الموحدين بعد الناصر ابن المنصور انتزى السادة بنواحي الأندلس كل في عمله ، وضعف ملكهم بمراكش ، فصاروا إلى الاستجاشة بالطاغية بعضهم على بعض ، وإسلام حصون المسلمين إليه في ذلك ، فمشت رجالات الأندلس وأعقاب العرب منذ الدولة الأموية ، وأجمعوا على إخراجهم ، فثاروا بهم حين واحد وأخرجوهم ، وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجُلّامي الناصر بالأندلس وابن مرّديش وثوار آخرون .

* * *

[ابن هود ومنافسه ابن الأحمر]

قال ابن خلدون^١ : ثم خرج على ابن هود في دولته من أعقاب دولة العرب أيضاً وأهل نسبهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر ، وتلقّب محمد هذا بالشيخ ، فجاذبه الحبل ، وكانت لكل واحد منهما دولة أورثها بنيه ، انتهى .

١ تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٦٧ .

وكان ابن هود يخطب للعباسي صاحب بغداد ، ثم حصلت لابن هود وأعقابته حروبٌ وخطوب إلى أن كان آخرهم الواثق بن المتوكل ، فضايقه الفنش والبرشلوني فبعث بالطاعة لابن الأحمر ، فبعث إليه ابن أشقيلولة ، وتسلم مُرْسِيَّةَ منه ، وخطب لابن الأحمر بها ، ثم خرج منها راجعاً إلى ابن الأحمر ، فأوقع به النصاري في طريقه ، ثم رجع الواثق إلى مُرْسِيَّةِ ثالثة ، فلم يزل إلى أن ملكها العدو من يده ستة ثمان وستين وستمائة ، وعوّضه عنها حصناً يسمى يُسْر ، وهو من عملها ، فبقي فيه إلى أن هلك . وانقرضت دولة ابن هود ، والله وارثُ الأرض ومنّ عليها .

* * *

[دولة بني الأحمر]

ولندكر ملوك بني الأحمر^١ إجمالاً لأن لسان الدين وزير أحدهم ، ولأنهم آخر ملوك الأندلس ، ومن يدهم استولى النصاري على جميعها كما سنذكره . قال ابن خلدون^٢ : أصلهم من أَرْجُونَةَ من حصون قُرْطُبَة ، ولهم فيها سَلَفٌ من أبناء الجند ، ويُعرفون ببني نصر ، وينتسبون إلى سعد بن عبّادة سيد الخزرج ، وكان كبيرهم لآخر دولة الموحّدين محمد بن يوسف بن نصر ، ويُعرف بالشيخ ، وأخوه إسماعيل وكانت له وجاهة في ناحيتهم . ولما فشلت ريع الموحّدين ، وانتزى الثوار بالأندلس ، وأعطى السادة حصونها للطاغية ، استقل بأمر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الناصر بمُرْسِيَّة بدعوة العباسية ، وتغلب على شرق الأندلس أجمع ، فتصدى الشيخ هذا للثورة وبويع له سنة تسع وعشرين وستمائة ، ودعا لأبي زكرياء صاحب إفريقية ، وأطاعته جيّان وشَريش سنة ثلاثين بعدها ، واستظهر على أمره بقرابته من

١ في ك : رجع إلى ذكر دولة أولاد الأحمر ؛ وسقطت لفظة « ملوك » من ج .

٢ ابن خلدون ٤ : ١٧٠ .

بني نصر وأصهاره بني أشقيلولة ، ثم بايع لبني هُود سنة إحدى وثلاثين ،
عندما بلغه خطاب الخليفة من بغداد ، ثم ثار بإشيلية أبو مروان الباجي عند
خروج ابن هود عنها ورجوعه إلى مُرسية ، فدخله محمد بن الأحمر في الصلح
على أن يزوجه ابنته ، فأطاعه ، ودخل لإشيلية سنة اثنتين وثلاثين ، ثم فتك
بأبن الباجي فقتله ، وتناول البطش^١ به علي بن أشقيلولة ، ثم راجع أهل إشيلية
بعدها بشهر دعوة ابن هُود ، وأخرج ابن الأحمر ، ثم تغلب على غرناطة
سنة خمس وثلاثين بمداخلة أهلها^٢ حين ثار ابن أبي خالد بدعوته فيها ،
ووصلته بيعتها وهو بجيآن ، فقدم إليها علي بن أشقيلولة ، ثم جاء على أثره ،
ونزلها ، وابتنى بها حصن الحمراء لتزوله ، ثم تغلب على مالقة ، ثم تناول
المرية من يد ابن الرميحي وزير ابن هُود الثائر بها سنة ثلاث وأربعين ، ثم
بايعه أهل لُورقة سنة ثلاث وستين ، وكان ابن الأحمر أول أمره وصل يده
بالطاغية استظهاراً على أمره ، فعضده وأعطاه ابن هُود ثلاثين حصناً في كَفّ
غربه بسبب ابن الأحمر ، وليعينه على ملك قُرطبة ، فتسلمها ، ثم تغلب على
قُرطبة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، أعادها الله ، ثم نازل لإشيلية سنة ست
وأربعين وابن الأحمر معه ، ثم دخلها صلحاً ، وملك أعمالها ، ثم ملك
مُرسية سنة خمس وستين ، ولم يزل الطاغية يقطع ممالك المسلمين كورة
كورة وثغراً ثغراً إلى أن لحاً المسلمون^٣ إلى سيف البحر ما بين رُنْدَة من الغرب
وإلبيرة من شرق الأندلس نحو عشر مراحل من الغرب إلى الشرق ، وفي قدر
مرحلة أو دونها في العرض ما بين البحر والجوف ، ثم سحق ابن الأحمر وطمع
في الاستيلاء على سائر الجزيرة فامتنعت عليه ، وتلاحق بالأندلس الغزاة من
بني مَرين وغيرهم ، وعقد ملك المغرب يعقوب بن عبد الحق لنحو الثلاثة

١ ابن خلدون . الفتك .

٢ كذلك في ابن خلدون وبعض الأصول ؛ وفي ك . مداخلة أهلها .

٣ ابن خلدون : ألحاً المسلمين .

آلاف منهم ، فأجازوا في حدود الستين وستمائة ، وتقبَّل ابن الأحمر إجازتهم ، ودفع بهم في تحرّ عدوّه ، ورجعوا ، ثم تناسلوا إليه بعد ذلك ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن هلك الشيخ ابن الأحمر سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وولي بعده ابنه محمّد الفقيه ، وأوصاه باستصراخ بني مَرّين ، ملوك المغرب بعد الموحدين ، إن طرّقه أمر أن يعتضد بهم ، فأجاز الفقيه إلى يعقوب بن عبد الحقّ سلطان فأس والمغرب سنة ثنتين وسبعين ، فأجاب صريحه ، وأرسل ابنه وعساكره معه ، ثمّ أجاز على أثره وتسلّم الجزيرة الخضراء من ثائر كان بها وجعلها ركاباً لجهاده ، ونزل إليه ابنُ الأحمر عن طريف وما إليها من الحصون ، وهزم هو وابنُ الأحمر زعيمَ النصرانية دنته^١ وفرق جمعه ، وأوقع بجموع الطاغية من كل جهة ، وبثّ سراياه وبُعْثه في أرض النصرانية ، ثم خاف ابنُ الأحمر على ملكه ، وصالح الطاغية ثمّ عاد ، انتهى كلام ابن خلدون ملخصاً .

وثبت قدم عقب ابن الأحمر بالأندلس ، واستولوا على جميع ما بأيدي المسلمين من ملكها مثل الجزيرة وطريف ورُنْدَة التي كانت بيد بني مَرّين .

* * *

[بين دون بطره وأبي الوليد ابن الأحمر]

وبعد مدة ألّـبَ ملوكُ النصارى سنة تسع عشرة وسبعمائة على غرناطة ، وجاءها الطاغية دون بيطرُه^٢ في جيش لا يُحصى ومعه خمسة وعشرون ملكاً ، وكان من خبر هذه الواقعة أن الإفرنج حشدوا وجمعوا وذهب سلطانهم دون بيطرُه إلى طُلَيْطَلَة ، ودخل على مرجعهم الذي يقال له البابا ، وسجد له ، وتضرّع ، وطلب منه استئصال ما بقي من المسلمين بالأندلس ، وأكد عزمه ، فقلق المسلمون بغرناطة وغيرها ، وعزموا على الاستنجاد بالمريني أبي سعيد

١ دنته = (Don Nuno) .

٢ دون بطره = (Don Pedro) .

صاحب فاس ، وأنفذوا إليه رُسُلًا ، فلم ينجح ذلك الدواء ، فرجعوا إلى أعظم الأدوية وهو اللّجأ إلى الله تعالى ، وأخلصوا النّيّات ، وأقبل الإفرنج في جموعٍ لا تحصى ، ففضى ناصر مَن لا ناصر له سِواه بهزم أمم النصرانية ، وقتل طاغيتهم دون بيطرُهُ ومن معه ، وكان نصراً عزيزاً ويوماً مشهوداً .

وكان السلطان إذ ذاك بالأندلس الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد فرج بن نصر المعروف بابن الأحمر رغب أن يحصن البلاد والثغور ، فلمّا بلغ النصارى ذلك عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء ، فانتدب السلطان ابن الأحمر لردّهم ، وجهاز الأساطيل والرجال ، فلمّا رأوا ذلك طلبوا إلى طليطلة ، وعزموا على استئصال بلاد المسلمين وتأهبوا لذلك غاية الأبهة ، ووصلت الأتقال والمجانيق وآلات الحصار والأقوات في المراكب ، ووصل العدو إلى غرناطة ، وامتألت الأرض بهم ، فتقدم السلطان إلى شيخ الغزاة الشيخ العالم أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء المريني بالخروج إلى لقائهم بأنجاد المسلمين وشجعانهم ، فخرج إليهم يوم الخميس . الموفي عشرين لربيع الأول . ولما كانت ليلة الأحد أغارت سرّية من العدو على ضيعة من المسلمين ، فخرجت إليهم جماعة من فرسان الأندلس الرماة ، فقطعوه عن الجيش ، وفرت تلك السرية أمامهم إلى جهة سلطانهم ، فتبعهم المسلمون إلى الصبح ، فاستأصلوهم ، وكان هذا أول النصر .

ولما كان يوم الأحد ركب الشيخ أبو سعيد لقتال العدو في خمسة آلاف من أبطال المسلمين المشهورين ، فلمّا شاهدتهم الفرنج عجبوا من إقدامهم مع قتلهم في تلك الجيوش العظيمة ، فركبوا وحملوا بحمّلتهم عليهم ، فانهزم الفرنج أقبح هزيمة ، وأخذتهم السيوف ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيّام ، وخرج أهل غرناطة لجمع الأموال ، وأخذ الأسرى ، فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب - فيما قيل - ثلاثة وأربعون قنطاراً ، ومن الفضة مائة وأربعون قنطاراً ، ومن السّبي سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك

بعض الغرناطين إلى الديار المصرية ، وكان من جملة الأسرى^١ امرأة الطاغية وأولاده ، قبذلت في نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصناً فيما حكى بعض المؤرخين ، فلم يقبل المسلمون ذلك ، وزادت عدة القتلى في هذه الغزوة على خمسين ألفاً ، ويقال : إنه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد ، لعدم معرفتهم بالطريق ، وأمّا الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون ، وقتل الملوك الخمسة والعشرون جميعهم ، واستمر البيع في الأسرى والأسباب والدواب ستة أشهر ، ووردت البشائر بهذا النصر العظيم إلى سائر البلاد .

ومن العجب أنه لم يقتل من المسلمين والأجناب سوى ثلاثة عشر فارساً ، وقيل : عشرة أنفس ، وقيل : كان عسكر الإسلام نحو ألف وخمسمائة فارس ، والرجالة نحواً من أربعة آلاف راجل ، وقيل دون ذلك .

وكانت الغنيمة تفوت الوصف ، وسُلخ الطاغية دون بيطرته وحشني جلده قطعاً ، وعُلّق على باب غرناطة ، وبقي معلقاً سنوات ، وطلبت النصاري الهدنة ، فعقدت لهم بعد أن ملكوا جبل الفتح الذي كان من أعمال سلطان فاس والمغرب ، وهو جبل طارق ، ولم يزل بأيديهم إلى أن ارتجعه أمير المسلمين أبو الحسن المريني صاحب فاس والمغرب ، بعد أن أنفق عليه الأموال ، وصرف إليه الجنود والحشود ، ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه ، وضيقوا به ، إلى أن استرجعوه ليد المسلمين ، واهتم بينائه وتحصينه ، وأنفق عليه أجمال مال في بنائه وحصنه وسوره وأبراجه وجامعه ودوره ومخازنه ، ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برّاً وبحراً ، فصبر المسلمون ، وخيب الله سعي الكافرين ، فأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور يحيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو في منازلته ، ولا يجد سبيلاً للتضييق عند محاصرته ، ورأى الناس ذلك من المحال ، فأنفق الأموال ، وأنصف العمال ، فأحاط بمجموعه إحاطة

١ ك : الأسارى .

الهائلة بالهلال ، وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو نيفاً وعشرين سنة ، وحاصره السلطان أبو الحسن ستة أشهر ، وزاد في تحصينه ابنه السلطان أبو عنان ، ولما أجاز السلطان أبو الحسن المذكور إلى الأندلس ، واجتمع عليه ابن الأحمر ، وقتلهم الطاغية ، هزمهم في وقعة طريف ، واستولى على الجزيرة الخضراء ، حتى قبض الله من بني الأحمر الغني بالله محمداً الذي كان لسان الدين بن الخطيب وزيره ، فاسترجعها وجملتها بلاد كجيان وغيرها .

وكانت له في الجهاد مواقف مشهورة ، وامتد ملكه واشتد حتى محا دولة سلاطين فاس ممّا وراء البحر ، وملك جبل الفتح ، ونصر الله الإسلام على يده ، كما ستقف عليه في بعض مكاتبات لسان الدين — رحمه الله — في مواضع من هذا الكتاب ، وسعد هذا الغني بالله من العجائب .

وبقي ملك الأندلس في عقبه إلى أن أخذ ما بقي من الأندلس العدو الكافر واستولى على حضرة الملك غرناطة أعادها الله للإسلام ، كما نبين إن شاء الله ، وخلت جزيرة الأندلس من أهل الإسلام ، وأبدلت من النور بالظلام ، حسبما اقتضته الأقدار النافذة والأحكام^١ ، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

* * *

[شيخ الغزاة أيام بني الأحمر]

قال ابن خلدون^٢ : واتفق بنو الأحمر سلاطين غرناطة أن يجعلوا مشيخة الغزاة لواحد يكون من أقارب بني مَرِين سلاطين المغرب ، لأنهم أوّل من ولي الأندلس عند استيلاء بني عمهم على ملك المغرب لما بينهم من المنافسة ،

١ سقطت من ق ط ج .

٢ في ق : قلت وكان بنو الأحمر (دون ذكر لابن خلدون) . وفي ج : ولقد كان بنو الأحمر ... يحملون .

وكان لهؤلاء في الجهاد مواقف مشهورة ، وسأذكر لك ما كتب على قبر شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء لتستدل عند ذلك على ما ذكرناه : « بحمد الله تعالى ، هذا قبر شيخ الحماة ، وصدر الأبطال الكُماة ، واحد الجلالة ، ليث الإقدام والبسالة ، علم الأعلام ، حامي دمار الإسلام ، صاحب الكتائب المنصورة ، والأفعال المشهورة ، والمغازي المسطورة ، وإمام الصفوف ، القائم بباب « الجنة تحت ظلال السيوف » ، سيف الجهاد ، وقاصم الأعداء ، وأسد الآساد ، العالي الهيم ، الثابت القدام ، المهام المجاهد الأرضي ، البطل الباسل الأمضي ، المقدس ، المرحوم أبي سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل المهام الكبير ، الأصيل الشهير ، المقدس المرحوم أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق ، كان عمره ثمانياً وثمانين سنة أنفق ما بين رَوْحَةٍ في سبيل الله وغَدْوَةٍ ، حتى استوفى في المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غَزْوَةً ، وقطع عمره مجاهداً مجتهداً في طاعة الرب ، محتسباً في إدارة الحرب ، ماضي العزائم في جهاد الكفار ، مُضادماً بين جموعهم تدفق التيارات ، وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ، ما سار ذكره في الأقطار ، أشهر من المثل السيّار ، حتى توفي رحمه الله وغُبار الجهاد طيُّ أثوابه ، وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه ، فمات على ما عاش عليه ، وفي ملحمة الجهاد قبضه الله تعالى إليه ، واستأثر به سعيداً مرتضى ، وسيفه على رأس ملك الروم مُنْتَضِي ، مقدّمة قبول وإسعاد ، ونتيجة جهاد وجياد ، ودليلاً على نيته الصالحة ، وتجارته الراجحة ، فارتجت الأندلس لبُعده ، أتحفه الله تعالى رحمة من عنده ، توفي يوم الأحد الثاني للذي الحجة من عام ثلاثين وسبعمائة » انتهى .

ومنها ما كتب به لسانُ الدين بن الخطيب - رحمه الله - في تولية علي ابن بدر الدين مشيخة الغزاة ما نصّه : « هذا شيخ الغزاة الذي فتح على الإسلام

١ ك : منها ما كتب ؛ وفي ط بياض . وفي ج : فلنذكر منها .

أبواب السراء ، وراق طرازاً مذهباً على عاتق الدولة الغراء ، وأعمل عَوَامِل
الجهاد ، في طاعة ربّ العباد ، شارعةً لأهل الكفر والعناد ، من باب الأعمال
والإغراء ، أمر به فلان صدر صدور أودّائه ، وحسامه المشهور على أعدائه ،
ووليّه الذي خبّر صدق وفائه ، وجلّى في مِضْمَارِ الخلوص له مُغَبَّراً في وجوه
أكفائه ، شيخ شيوخ المجاهدين ، وقائد كتائبه المنصورة إلى غَزْوِ الكافرين
المعتدين ، وعِثْرَتِهِ التي يَدَافِعُ بها عن الدين ، وسابق وُدِّهِ المبرِّز في
الميادين ، الشيخ الأجل ، إلى آخر ما وصفه به ممّا ضاق الوقت عن مثله ،
والله وليّ التوفيق .

الباب الرابع

في ذكر قَرْطَبَة التي كانت الخلافة بمصرها للأعداء قاهرة ، وجامعها الأموي
ذي البدائع الباهية الباهرة ، والإمام بحضرتي الملك الناصرية الزهراء
والعامرية الزاهرة ، ووصف جملة من منزهات تلك الأقطار ومصانعها ذات
الحاسن الباطنة والظاهرة ، وما يجرّ إليه شجُون الحديث من أمور تقضي
بمُحَسِّن إيرادها القرائح الوقادة والأفكار الماهرة

[نقول في وصف قرطبة]

قال ابن سعيد ، رحمه الله : مملكة قَرْطَبَة في الإقليم الرابع ، وإيالته
للسمس ، وفي هذه المملكة معدن الفضة الخالصة في قرية كَرْتَش ، ومعدن
الزئبق والزنجفر في بلد بسطاسة ^١ ، ولأجزائها خواص مذكورة في متفرقاتها ،
وأرضها أرض كريمة للنبات ^٢ ، انتهى .

وقدّم ، رحمه الله ، في المغرب الكلام عليها على سائر أقطار الأندلس وقال :
إنّما قدمنا هذه المملكة من بين سائر الممالك الأندلسية لكون سلاطين الأندلس
الأوّل اتخذوها سريراً لسلطنة الأندلس ؛ ولم يعدلوا عن حضرتها قرطبة ، ثم
سلاطين بني أمية وخلفائهم لم يعدلوا عن هذه المملكة ، وتقلّبوا منها في
ثلاثة أقطاب ^٣ أداروا فيها خلافتهم : قرطبة ، والزهراء ، والزاهرة ، وإنّما

١ ج : والزنجفور ... بسطاسة .

٢ ك : كريمة النبات .

٣ ك : أقطار .

اتخذوها لهذا الشأن لما رأوها لذلك أهلاً ، وقُرطبة أعظم علماً وأكثر فضلاً
بالنظر إلى غيرها من الممالك ، لاتصال الحضارة العظيمة والدولة المتوارثة فيها .
ثم قسم ابن سعيد كتاب « الحلة الذهبية » ، في حلى ممالك قُرطبة » بالنظر
إلى الكُور إلى أحد عشر كتاباً :

- الكتاب الأول كتاب « الحلة الذهبية » ، في حلى الكورة القرطبية .
 - الكتاب الثاني كتاب « الدرر المصونة » ، في حلى كورة بلكونة .
 - الكتاب الثالث كتاب « محادثة السмир^١ » ، في حلى كورة القصير .
 - الكتاب الرابع كتاب « الوثنى المصوّر » ، في حلى كورة المدوّر .
 - الكتاب الخامس كتاب « نيل المراد » ، في حلى كورة مراد .
 - الكتاب السادس كتاب « المنزلة » ، في حلى كورة كزنة .
 - الكتاب السابع كتاب « الدر النافق » ، في حلى كورة غافق .
 - الكتاب الثامن كتاب « النفحة الأرجة » ، في حلى كورة إستيجة .
 - الكتاب التاسع كتاب « الكواكب الدريّة » ، في حلى الكورة القبرية .
 - الكتاب العاشر كتاب « رقة المحبة » ، في حلى كورة إستبة .
 - الكتاب الحادي عشر كتاب « السوسانة » ، في حلى كورة اليُسّانة » انتهى .
- ثم قال ، رحمه الله تعالى : إن العمارة اتّصلت في مباني قُرطبة والزهاء
والزاهرة ، بحيث إنّه كان يُمشى فيها لضوء السُرج المتصلة^٢ عشرة أميال
حسبما ذكره الشّقنّدي في رسالته ، ثم قال : ولكل مدينة من مدن قُرطبة
وأعمالها ذكر مختص به ، ثم ذكر المسافات التي بين ممالك قُرطبة المذكورة
فقال : بين المدوّر وقُرطبة ستة عشر ميلاً ، وبين قُرطبة ومُرّاد خمسة
وعشرون ميلاً ، وبين قُرطبة والقصير ثمانية عشر ميلاً ، وبين قرطبة وغافق
مرحلتان ، وبين قرطبة وإستبة ستة وثلاثون ميلاً ، وبين قُرطبة وبلكونة

١ ك : السير .

٢ ق ط : السراج ؛ ك : الممتدة .

مرحلتان ، وبين قُرْطُبة واليُسَانة أربعون ميلاً ، وبين قرطبة وقبرة ثلاثون ميلاً ، وبين قرطبة وبَيَانة مرحلتان ، وبين قرطبة وإسْتِجَة ثلاثون ميلاً ، وكورة رُنْدَة كانت في القديم من عمل قُرْطُبة ، ثم صارت من مملكة إشبيلية ، وهي أقرب وأدخل في المملكة الإشبيلية ، انتهى .

ثمّ قسم رحمه الله تعالى كتاب « الحلة الذهبية » في حلى الكورة القرطبية إلى خمسة كتب :

الكتاب الأول كتاب « النغم المطربة » ، في حلى حضرة قُرْطُبة .

الكتاب الثاني كتاب « الصبيحة الغراء » ، في حلى حضرة الزهراء .

الكتاب الثالث كتاب « البدائع الباهرة » ، في حلى حضرة الزاهرة .

الكتاب الرابع كتاب « الوردة » ، في حلى مدينة شقنّدة .

الكتاب الخامس كتاب « الجرعة السيّعة ^١ » ، في حلى كورة ^٢ وزّعة .

وقال ، رحمه الله تعالى ، في كتاب « النغم المطربة » ، في حلى حضرة قرطبة :
إن حضرة قرطبة إحدى عرائس مملكتها ، وفي اصطلاح الكتاب أن للعرّوس الكاملة الزينة منّصة ، وهي مختصة بما يتعلّق بذكر المدينة في نفسها ، وتاجاً ، وهو مختصّ بالإيالة السلطانية ، وسلكاً ، وهو مختصّ بأصحاب دُرر الكلام من النُّثَار والنُّظَام ، وحلّة ، وهي مختصة بأعلام العلماء المصنّفين الذين ليس لهم نظم ولا نثر ، ولا يجب إهمال تراجمهم ، وأهداباً ، وهي مختصة بأصحاب فنون الهزل وما ينحو منحاه ، انتهى .

ثمّ فصل ، رحمه الله تعالى ، ذلك كلّهُ بما تعدّدت منه الأجزاء ، وقد خلصت منه هنا بعض ما ذكر ، ثمّ أردفته بكلام غيره ، فأقول ^٣ : قال في كتاب أجار ^٤ :

١ ج : المسوغة .

٢ ق ط : قرية .

٣ ق : فقلت ذكر ابن خلدون في كتاب أجار ، وهو وهم كما ترى .

٤ كتاب أجار هو نزعة المشتاق المعروف بجغرافية الإدريسي ، وأجار هو رجار (Rujiero) . =

إن قُرْطُبَةَ - بالظاء المعجمة - ومعناه أَجِير ساكنها^١ ، يعني عربت بالطاء ، ثمَّ قال : ودَوَّرُ مدينة قُرْطُبَةَ ثلاثون ألف ذراع ، انتهى .

وقال غيره : إن تكسيرها ومساحتها التي دار السور عليها دون الأرباض طولاً من القبلة إلى الجوف ألف وستمائة ذراع ، واتصلت^٢ العمارة بها أيام بني أمية ثمانية فراسخ طولاً وفرسخين عرضاً ، وذلك من الأميال أربعة وعشرون في الطول ، وفي العرض ستة ، وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادي المسمى بالوادي الكبير ، وليس في الأندلس وادٍ يُسمَّى باسم عربي غيره . ولم تزل قُرْطُبَةُ في الزيادة منذ الفتح الإسلامي إلى سنة أربعمائة ، فانحطت ، واستولى عليها الخرابُ بكثرة الفتن إلى أن كانت الطامة الكبرى عليها بأخذ العدو الكافر لها ثالث عشري شوال سنة ستمائة وثلاث وثلاثين^٣ . ثمَّ قال هذا القائل : ودَوَّرُ قرطبة أعني المسور منها دون الأرباض ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ، ودَوَّرُ قصر إمارتها ألف ذراع ومائة ذراع ، انتهى .

وعدد أرباضها واحد وعشرون ، في كل رِبَض منها من المساجد والأسواق والحمامات ما يقوم بأهله ولا يحتاجون إلى غيره ، وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية ، في كل واحدة منبر وفقية مقلَّص^٤ تكون الفُتُيا في الأحكام والشرائع له ، وكان لا يجعل القالصة عندهم على رأسه إلاَّ مَنْ حفظ الموطأ ، وقيل : من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ المدونة ، وكان هؤلاء المقلَّصون المجاورون لقُرْطُبَةَ يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ، ويسلمون عليه ، ويطالعونه بأحوال بلدهم . انتهى .

= (روجر Roger) الذي ألف له الإدريسي الكتاب ، وهو أحد ملوك صقلية النورمنديين ، حسبما مر .

١ الروض المطار : ١٥٦ وقيل معناه « القلوب المختلفة » .

٢ من هنا حتى آخر الفقرة في مخطوط الرباط : ٢٤ ، ويبدو أن النقل عن ابن حيان .

٣ ك : في ثاني وعشرين شوال سنة ٦٢٣ .

٤ مقلَّص - بالصاد والسين - الذي يلبس قلنسوة ؛ وانظر النص في مخطوط الرباط : ٢٧ .

قال : وانتهت جباية^١ قرطبة أيام ابن أبي عامر إلى ثلاثة آلاف ألف دينار ،
بالإنصاف ، وقد ذكرنا في موضع آخر ما فيه مخالفة لهذا ، فאלله أعلم .
وما أحسن قول بعضهم^٢ :

دَعْ عَنْكَ حَضْرَةَ بَغْدَادٍ وَبَهْجَتَهَا وَلَا تُعْظِمْ^٣ بِلَادَ الْفَرَسِ وَالصِّينِ
فَمَا عَلَى الْأَرْضِ قُطْرٌ مِثْلُ قُرْطُبَةٍ وَمَا بِشَى فَوْقَهَا مِثْلُ ابْنِ حَمْدَانَ

وقال بعضهم^٣ : قُرْطُبَةُ قَاعِدَةِ الْأَنْدَلُسِ وَدَارِ الْمَلِكِ الَّتِي يُجْنَى لَهَا ثَمَرَاتُ
كُلِّ جِهَةٍ وَخَيْرَاتُ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَأَسْطَةُ بَيْنِ الْكُورِ ، مَوْفِيَةٌ عَلَى النَّهْرِ ، زَاهِرَةٌ
مُشْرِقَةٌ ، أَحْدَقَتْ بِهَا الْمُنَى فَحَسَنَ مَرَاةَا ، وَطَابَ جَنَاهَا .
وفي كتاب « فرحة الأندلس » لابن غالب : أَمَا قُرْطُبَةُ فَإِنَّهُ اسْمُ يَنْحُو
إِلَى لَفْظِ الْيُونَانِيِّينَ ، وَتَأْوِيلُهُ الْقُلُوبُ الْمَشْكُوكَةُ . -

- وقال أبو عبيد البكري^٤ : إِنَّهَا فِي لَفْظِ الْقَوَطِ بِالظَّاءِ الْمَعْجَمَةِ .
وقال الحِجَارِيُّ : الضَّبِطُ فِيهَا بِإِهْمَالِ الطَّاءِ وَضَمِّهَا ، وَقَدْ يَكْسِرُهَا
الْمَشْرِقِيُّونَ^٥ فِي الضَّبِطِ ، كَمَا يَعْجَمُهَا آخَرُونَ . انْتَهَى .

وقال بعض العلماء^٦ : أَمَا قُرْطُبَةُ فَهِيَ قَاعِدَةُ الْأَنْدَلُسِ ، وَقُطْبُهَا وَقَطْرُهَا
الْأَعْظَمُ ، وَأَمَّ مَدَائِنُهَا وَمَسَاكِنُهَا ، وَمُسْتَقَرُّ الْخُلَفَاءِ ، وَدَارُ الْمَمْلَكَةِ فِي النُّصْرَانِيَّةِ
وَالْإِسْلَامِ ، وَمَدِينَةُ الْعِلْمِ ، وَمَقَرُّ^٧ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، نَزَلَهَا جُمْلَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ

.....

١ مخطوط الرباط : ٢٧ .

٢ المصدر السابق : ٣٥ .

٣ هو أحمد الرازي كما في المتن من فرحة الأنفس : ٢٩٥ ؛ وفي ق : وقال غيره ، وسقطت
اللفظتان من ط ؛ وفي ج : وفي كتاب الرازي .

٤ انظر مخطوطة المسالك : ٢١٨ (رقم : ٤٨٨ ق بالخزانة العامة بالرباط) .

٥ ط ح : المشرقون .

٦ مخطوط الرباط : ٢٢ .

٧ ك : ومستقر .

وتابعي^١ التابعين ، ويقال : نزلها بعض من الصحابة^٢ ، وفيه كلام .
وهي مدينة عظيمة أزلية من بُنيان الأوائل ، طيبة الماء والهواء ، أهدت
بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب ، وبها
المَحْرَثُ العظيم^٣ الذي ليس في بلاد الأندلس مثله^٤ ولا أعظم منه بركة .
وقال الرازي : قرطبة أم المدائن ، وسُرَّة الأندلس ، وقرارة الملك في
القديم والحديث والجاهلية والإسلام ، ونهرها أعظم أنهار الأندلس ، وبها القنطرة
التي هي إحدى غرائب الأرض في الصنعة والإحكام ، والجامع الذي ليس في
بلاد الأندلس والإسلام أكبر منه .

وقال ابن حوقل^٥ : هي أعظم مدينة بالأندلس ، وليس بجميع المغرب لها
عندي شبيه في كثرة أهل ، وسعة محل ، وفُسْحَة أسواق ، ونظافة محال ،
وعماره مساجد ، وكثرة حمامات وفنادق ، ويزعم قوم من أهلها أنها كأحد
جانبى بغداد ، وإن لم تكن كأحد جانبى بغداد فهي قريبة من ذلك ولا حقة به ،
وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ، وفيها كان سلاطينهم
قديماً ، ودورهم داخل سورها المحيط بها ، وأكثر أبواب القصر السلطاني من
البلد وجنوب قرطبة على نهرها .

قال : وقرطبة هذه بائنة عن مساكن أرباضها ظاهرة ودُرْتُ بها في غير
يوم في قدر ساعة وقد قطعت الشمس خمس عشرة درجة ماشياً .
وقال الحجاري^٥ : وكانت قرطبة في الدولة المروانية قبلة الإسلام ،

١ ق ج ط : وتابع .

٢ مخطوط الرباط : نزلها - فيما نقل - رجل من الصحابة .

٣ ك : الذي ليس له في بلاد الأندلس نظير .

٤ في ك : وقال بعضهم ؛ وفي ق : وقال ابن سعيد رحمه الله في المغرب ؛ وفي ط : وقال الرازي ؛
وفي ج : وفي كتاب ابن حوقل والنص منقول عن ابن حوقل ، انظر صورة الأرض : ١٠٧ -

١٠٨ مع اختلاف في بعض النص .

٥ في ج : وفي المسهب ؛ وفي ق : وقال الفتح في الملمح ؛ وفي ط : قال ابن سعيد .

وَجَمَعَ علماء الأنام^١ ، بها استقر سرير الخلافة المروانية ، وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية ، وإليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء ، إذ كانت مَرَكز الكرماء ، ومَعَدِن العلماء ، ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب ، ويُبَارِي فيها أصحابُ الكتب أصحابَ الكتاب ، ولم تهرح ساحاتها مَجَرَّ عوالٍ ومجرى سوابق ، ومَحَطَّ مَعَالٍ وحِمَى حقائق ، وهي من بلاد الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد ، والزَّوَر من الأسد ، ولها الداخلُ الفسيح ، والخارجُ الذي يمتنع البصر بامتداده فلا يزال مستريحاً وهو من ترددُ النظر طليح .

وقال الحجاري^٢ : حضرة قرطبة منذ استفتحت^٣ الجزيرة هي كانت منتهى الغاية ، ومركز الولاية ، وأمّ القزى ، وقرارة أولي الفضل والتقى ، ووطن أولي العلم والنهى ، وقلب الإقليم ، وينبوع متفجر العلوم ، وقبة الإسلام ، وحضرة الإمام ، ودار صَوْب العقول ، وبستان ثمر الخواطر ، وبحر دُرر القرائح ، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر وفرسان النظم والنثر ، وبها أنشئت التأليفات الرائقة ، وصُنِّفَت التصنيفات الفائقة ، والسبب في تبرز القوم حديثاً وقديماً على من سواهم أن أفقَهُم القرطبي لم يشتمل قط إلا على البحث والطلب ، لأنواع العلم والأدب . انتهى .

قال الإمام عليّ بن سعيد^٤ : أخبرني والدي أن السلطان الأعظم أبا يعقوب ابن عبد المؤمن قال لوالده محمد بن عبد الملك بن سعيد : ما عندك في قرطبة ؟ قال : فقلت له : ما كان لي أن أتكلّم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها ، فقال السلطان : إن ملوك بني أمية حين اتخذوها حضرة ملكهم لتعلّى بصيرة :

١ ك : ومجتمع أعلام الأنام الأعلام .

٢ في ق : وقال أيضاً ؛ وفي ط يياض ؛ وفي ج : وقال في الذخيرة .

٣ ك : افتتحت .

٤ انظر ما تقدم في هذا الكتاب ص : ١٥٤

الديار الكثيرة المنفسحة ، والشوارع المتسعة ، والمباني الضخمة ، والنهر الجاري ،
والهواء المعتدل ، والخارج النضر ، والمحراث العظيم ، والشعراء الكافية ،
والنوسط بين شرق الأندلس وغربها ، قال : فقلت : ما أبقي لي أمير المؤمنين
ما أقول .

ثم قال ابن سعيد : ومن كلام والذي في شأنها : هي من أحسن بلاد الأندلس
مباني ، وأوسعها مسالك ، وأبرعها ظاهراً وباطناً ، وتفضل إشبيلية بسلامتها
في فصل الشتاء من كثرة الطين ، ولأهلها رياسة ووقار ، لا تزال سيمية^١
العلم متوارثة فيهم ، إلا أن عامتها أكثر الناس فضولاً ، وأشدهم تشنيعاً وتشغيلاً ،
ويضرب بهم المثل ما بين أهل الأندلس في القيام على الملوك والتشجيع على الولاة
وقلة الرضى بأموورهم ، حتى إن السيد أبا يحيى بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن
لما انفصل عن ولايتها قبل له : كيف وجدت أهل قرطبة ؟ قال : مثل الحمل
إن خففت عنه الحمل صباح ، وإن أثقلته به صباح ، ما ندري أين رضاهم
فنقصده ، ولا أين سخطهم فتجنبه^٢ ، وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى
كان عامتها شرّاً من عامة العراق ، وإن العزل عنها لما قاسيت من أهلها عبيدي
ولاية ، وإنني إن كُلفت العود إليها لقاتل : لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين.
قال والذي : ومن محاسنها ظرف اللباس ، والتظاهر بالدين ، والمواظبة
على الصلاة ، وتعظيم أهلها لجامعها الأعظم ، وكسر أواني الخمر حيثما وقع
عين أحد من أهلها عليها ، والتستر بأنواع المنكرات ، والتفاخر بأصالة البيت
وبالجندية وبالعلم ، وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً ، وأشدّ الناس اعتناء
بخزائن الكتب ، صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة ، حتى إن الرئيس
منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب ،
ويستخب فيها ليس إلا لأن يقال : فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفلاني

.....

١ ط : سعة .

٢ لك ط : فتجنبه .

ليس هو عند أحد غيره ، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به .
قال الحضرمي : أقمت مرة بقرطبة ، ولازمت سوق كتبها مدة أترقب
فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء ، إلى أن وقع وهو بخط جيد وتفسير مليح^١ ،
ففرحت به أشد الفرح ، فجعلت أزيد في ثمنه ، فيرجع إليّ المنادي بالزيادة
عليّ ، إلى أن بلغ فوق حده ، فقلت له : يا هذا ، أرني من يزد في هذا
الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي ، قال : فأراني شخصاً عليه لباس رياسة ،
فدنوت منه ، وقلت له : أعز الله سيّدنا الفقيه ، إن كان لك غرض في هذا
الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده ، قال : فقال لي : لست
بفقيه ، ولا أدري ما فيه ، ولكنني أقمت خزانة كتب ، واحتفلت فيها لأتجمل
بها بين أعيان البلد ، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب ، فلما رأيته حسن الخط
جيد التجليد استحسنته ، ولم أبال بما أزيد فيه . والحمد لله على ما أنعم به من
الرزق فهو كثير . قال الحضرمي : فأخرجني ، وحملني على أن قلت له :
نعم لا يكون الرزق كثيراً إلا عند مثلك ، يعطى الجوز من لا عنده^٢ أستان ،
وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب ، وأطلب الانتفاع به ، يكون الرزق عندي
قليلاً ، وتحول قلّة ما بيدي بيدي وبينه .

قال ابن سعيد : وجرت مناظرة بين يدي منصور بني عبد المؤمن بين الفقيه
العالم أبي الوليد بن رشد والرئيس أبي بكر بن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر
في كلامه : ما أدري ما تقول ، غير أنه إذا مات عالم بإشيلية فأريد بيع كتبه
حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع
تركته حملت إلى إشيلية .

ولما ذكر ابن بشكوال قصر قرطبة قال^٣ : هو قصر أولي تداولته ملوك

١ ك : بخط نصيح وتفسير مليح ، والتفسير : التجليد .

٢ ك : من لا له .

٣ ك : وسئل ابن بشكوال عن قصر قرطبة فقال .

الأمم من لدن عهد موسى النبي ، صلى الله على نبيّنا وعليه وسلّم ، وفيه من المباني
الأولى والآثار العجيبة لليونانيين ثمّ للروم والقوط والأمم السالفة ما يُعجز
الوصف ، ثم ابتدع الخلفاء من بني مروان - منذ فتح الله عليهم الأندلس بما فيها -
في قصرها البدائع الحسان ، وأثروا فيه الآثار العجيبة ، والرياض المونقة ^١ ،
وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة ، وتموتوا
المؤن بالحسمة حتى أوصلوها إلى القصر المكرّم ^٢ ، وأجروها في كل ساحة من
ساحاته وناحية من نواحيه في قنّوات الرصاص تؤديها منها إلى المصانع صوراً
مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضة الخالصة والنحاس المموه إلى البحيرات
الهائلة والبرك البديعة والصهاريج الغريبة في أحواض الرخام الرومية المنقوشة
العجيبة .

قال : وفي هذا القصر القيصابُ العالية السمو ، المنيفة العلو ، التي لم يرَ
الراؤون مثلاً في مشارق الأرض ومغاربها .

قال : ومن قصوره المشهورة ، وبساتينه المعروفة : الكامل ، والمجدد ،
وقصر الحائر ، والروضة ، والزاهر ، والمعشوق ، والمبارك ، والرشيق ، وقصر
السرور ، والتاج ، والبديع .

قال : ومن أبوابه التي فتحها الله لنصر المظلومين ، وغياث الملهوفين ، والحكم
بالحق ، الباب الذي عليه السطح المشرف الذي لا نظير له في الدنيا ، وعلى هذا
الباب باب حديد ، وفيه حلقٌ لاطون ^٣ قد أثبتت في قواعدها ، وقد صورت
صورة لإنسان فتح فمه ، وهي حلق باب مدينة أربؤنة من بلد الإفرنج ، وكان
الأمير محمد قد افتتحها ، فجلب حلقها إلى هذا الباب ، وله باب قبلي أيضاً ،
وهو المعروف بباب الجنان ، وقدّام هذين البابين المذكورين على الرصيف

١ ك : الأنيقة .

٢ ك : الكريم ، ق : الكرم .

٣ لاطون (وبالاسبانية Laton) : الأصغر من الصفر (النحاس) .

المشرف على النهر الأعظم مسجدان مشهوران بالفضل كان الأمير هشام^١ الرضى يستعمل الحكم في المظالم فيهما ابتغاء ثواب الله الجزيل ، وله باب ثالث يُعرف بباب الوادي ، وله باب بشماله يُعرف بباب قُورِيَّةَ ، وله باب رابع يدعى بباب الجامع ، وهو باب قديم كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة إلى المسجد الجامع على الساباط ، وعدد أبواباً بعد هذا طمست أيام فتنة المهدي ابن عبد الجبار^١ .

وذكر ابن بَشْكُوَال رحمه الله أن أبواب قرطبة سبعة أبواب^٢ : باب القنطرة إلى جهة القبلة ويُعرف بباب الوادي وبباب الجزيرة الخضراء وهو على النهر ، وباب الحديد ويُعرف بباب سَرَقُسْطَةَ ، وباب ابن عبد الجبار وهو باب طُلَيْطَلَة ، وباب رومية وفيه تجتمع الثلاثة الرُصَف التي تشق دائرة الأرض من جزيرة قادس إلى قَرْمُونَة إلى قُرْطُبَة إلى سَرَقُسْطَةَ إلى طَرَكُونَة إلى أَرْبُونَة مارّة في الأرض الكبيرة ، ثم باب طَلْبِيرَة وهو أيضاً باب لِيُون ، ثم باب عامر القرشي وقدّامه المقبرة المنسوبة إليه ، ثم باب الجوز^٣ ويُعرف بباب بَطَلَيْيُوس ، ثم باب العطارين^٤ ، وهو باب إشبيلية ، انتهى . وذكر أيضاً أن عدد أرباض قُرْطُبَة عند انتهائها في التوسيع^٥ والعمارة واحد وعشرون رِبْضاً ، منها القبليّة بعدوّة النهر : رِبْض شَقْنَدَة ، وربض مُنْيَة عَجَب ، وأما الغربية فتسعة : رِبْض حوانيت الريحان^٦ ، وربض الرقاقين ، وربض مسجد الكهف ، وربض بلاط مُغِيث ، وربض مسجد الشفاء ، وربض

١ عدها في مخطوطة الرباط على النحو التالي : باب السدة وباب الجنان وباب العدل وباب الصناعة

وباب الملك وباب الساباط (انظر الورقة : ٢٥) .

٢ انظر مخطوطة الرباط في عد أبواب قرطبة : ٢٤ .

٣ مخطوطة الرباط : باب الجوزة .

٤ ذكر أرباض قرطبة في مخطوطة الرباط : ٢٥ .

٥ ك : التوسع .

٦ مخطوطة الرباط : رِبْض الريحاني ؛ وفي ق ط : الريحاني .

حَمَامَ الإلبيري^١ ، وربض مسجد المسرور ، وربض مسجد الروضة^٢ ، وربض السّجن القديم ، وأما الشمالية فتلاثة : ربض باب اليهود ، وربض مسجد أم سلمة ، وربض الرّصافة ، وأما الشرقية فسبعة : ربض شبّلاز ، وربض فُرْنِ بَرِيل^٣ ، وربض البُرج^٤ ، وربض مُنية عبد الله ، وربض مُنية المُغيرة ، وربض الزاهرة ، وربض المدينة العتيقة^٥ .

قال : ووسط هذه الأرباض قصبة قرطبة التي تختص بالسور دونها ، وكانت هذه الأرباض دون سور ، فلما كانت أيام الفتنة صُنِعَ لها خندق يدور بجميعها وحائط مانع . وذكر ابن غالب أنّه كان دورُ هذا الحائط أربعة عشر ميلاً^٦ ، وشقنّدة معدودة في المدينة لأنّها مدينة قديمة كانت مسورة .

[منتزهات قرطبة]

قال ابن سعيد في « المغرب » : ولنذكر الآن من منتزهات قرطبة ومعاهدها المذكورة في الألسن نظماً ونثراً ما انتهى إليه الضبط ، من غير تغلغل في غير المشهور منها والأهم^٧ ، ونوثي ذلك بجميع ما يحضرني من مختار النظم في قرطبة ، وما يحتوي عليه نطاقها المذكور .

فأول ما نذكر من المنتزهات منتزه الخلفاء المروانية ، وهو قصر الرّصافة ؛ قال والذي^٨ رحمه الله : كان ممّا ابتناه عبد الرحمن بن معاوية في أول أيامه لنزّهه وسكنائه أكثر أوقاته : مُنية الرّصافة التي اتخذها بشمال قرطبة

١ جـ مخطوط الرباط : ربض الأبوري .

٢ ق : وربض الرضفة .

٣ مخطوطة الرباط : فرن بلي .

٤ مخطوطة الرباط : ربض الفرج .

٥ في مخطوط الرباط : « ربط المدوة » وسقط من العدد هناك ربض مسجد أم سلمة .

٦ في ك : أربعة وعشرين ميلاً .

٧ ج : قال ابن حيان .

منحرفة إلى الغرب ، فأتخذ بها قصرًا حسنًا ، ودحا جَنَانًا واسعة ، ونقل إليها غرائب الغُرُوس وأكارم الشجر من كل ناحية ، وأودعها ما كان استجلبه يزيد وسَفَرُ رسولاه إلى الشام من النوى المختار والحبوب الغريبة ، حتى نمت بِيَمْنِ الجلد وحسن التربية في المدة القريبة أشجاراً مُعْتَمَةً أثمرت بغرائب من الفواكه انتشرت عما قليل بأرض الأندلس ، فاعترف بفضلها على أنواعها . قال : وسَمَّاها باسم رُصَافَة جدّه هشام بأرض الشام الأثيرة لديه . وامتنله في اختيار رصافته هذه ^١ ، وكلفه بها وكثرة تردّده عليها ، وسُكْنَاهُ . أكثر أوقاته بها ، فطار ^٢ لها الذكر في أيامه ، واتصل مِنّ بعده في إثارتها . قال : وكلّهم فضلها ، وزاد في عمارتها ، وانبرى وُصَاف الشعراء لها ، فتناغوا ^٣ في ذلك فيما هو إلى الآن مأثور ^٤ عنهم ، مستجاد منهم .

قال ابن سعيد : والرُّمَّان السّفري الذي فاض على أرجاء الأندلس ، وصاروا لا يفضلون عليه سواه ، أصله من هذه الرُصَافَة . وقد ذكر ابن حيّان شأنه ، وأفرد له فصلًا ^٥ ، فقال : إنّه الموصوف بالفضيلة ، المقدم على أجناس الرُّمَّان بعدوبة الطعم ، ورقة العَجم ، وغزارة الماء ، وحسن الصورة ، وكان رسوله إلى الشام في توصيل أخيته ^٦ منها إلى الأندلس قد جلب طرائف منها من رُمَّان الرصافة المنسوبة إلى هشام ، قال : فعرضه عبدُ الرحمن على خواص رجاله مُباهيًا به ، وكان فيمن حضره منهم سفر بن عبيد الكلاعي من جند الأردن ، ويقال : هو من الأنصار الذين كانوا يحملون ألوية رسول الله صلى الله عليه وسلّم في غزواته ، قال : وهم يحملون الألوية بين يدي الخلفاء من بني

١ ك : ولميله في اختياره هذه

٢ ك : طار .

٣ في ك : فتنازعوا .

٤ ك : مشهور مأثور .

٥ ج : وأفرد فضله .

٦ في ك : أخيه .

أمية ، فأعطاه من ذلك الرمان جزءاً فَرَّاقَهُ حُسْنُهُ وخُبْرُهُ ، فسار به إلى قرية بكورة رِيَّةَ ، فعالج عَجْمَهُ واحتال لغرسه وغذائه وتنقيه حتى طلع شجراً أثمر وأينع ، فترع إلى عِرْقِهِ ، وأغرب في حسنه ، فجاء به عمّاً قليل إلى عهد الرحمن ، فإذا هو أشبه شيء بذلك الرصافي ، فسأله الأمير عنه ، فعرفه وجهه حيلته ، فاستبرع استنباطه ، واستنبل همته ، وشكر صنعه ، وأجزل صلته ، واغترس منه بمُنية الرصافة وبغيرها من جناته ، فانتشر نوعه ، واستوسع الناسُ في غِراسه ، ولزمه النسب إليه ، فصار يُعرف إلى الآن بالرمان السقري . قال : وقد وصف هذا الرمان أحمد بن فرج^١ الشاعر في أبيات كتب بها إلى بعض مَنْ أهداه له ، فقال :

ولايسة صدفاً أحمرَا	أنتك وقد ملئتُ جوهرَا
كانتكَ فاتحُ حقّ لطيفٍ	تضمنَ مرّجانهُ الأحمرَا
حبوباً كمثل لِيثاتِ الحبيب	رُضاباً إذا شئتَ أو منظرَا
ولسّفر تُعزّي وما سافرت	فتشكو النوى أو تقاسي السرى
بلى فارقتُ أيكها ناعماً	رطيباً وأغصانتها نُضراً
وجاءتك مُعتاضةً إذ أنتك	بأكرم من عودها عُنُصراً
بعودٍ ترى فيه ماء الندى	ويُورِقُ من قبل أن يُثمِرَا
هديةً مَنْ لو غدتُ نفسه	هديته ظنّه قَصراً

وقال ابن سعيد : وأخبرني والدي قال : أخبرني الوشّاح المبرّز المحسن أبو الحسن المربّني^٢ قال : بينما أنا أشرب مع نديماني بإزاء الرصافة ، إذا بإنسان

١ هو ابن فرج صاحب كتاب الخدائق ، الذي ألفه للحكم المستنصر ، من شعراء عصر الخلافة الأموية ، جرى عليه أيام الحكم ما أدى إلى سجنه وتوفي حوالي ٣٦٦ هـ (انظر ترجمته في الجذوة ٩٧ وبغية الملتبس رقم : ٣٣١ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٣٦ والصلة ١١ ، ومسالك الأبحار ١١ : ١٩٥٠ والمغرب ٢ : ٥٦ والمطلع ٧٩ والوفاي ج ٨. الورقة : ٣٤ وله أشعار في القيمة) .
٢ هو علي بن المربّني أبو الحسن ، شاعر وشاح توفي في مدة منصور بني عبد المؤمن وكان كثير التجول =

رث الهيئة ، مَجْفُوءٌ^١ الطلعة ، قد جاء فجلس معنا ، فقلنا له : ما هذا الإقدام
على الجلوس معنا دون سابق معرفة ؟ فقال : لا تعجلوا علي ، ثم فكر قليلاً
ورفع رأسه فأنشدنا :

استقنيها إزاء قصر الرُصافة^٢ واعتبر في مآل أمر الخلافة^٣
وانظر الأفق كيف بُدِّل أرضاً كي يطيل اللبيب فيه اعترافه^٤
ويرى أن كل ما هو فيه من نعيم وعز أمر سخافة^٥
كل شيء رأيت غير شيء ما خلا لذة الهوى والسُلفة^٦

قال المربني : فقبِلت رأسه ، وقلت له : بالله من تكون ؟ فقال : قاسم بن
عبّود الرياحي ، الذي يزعم الناس أنه موسوس أحق ، قال : فقلت له :
ما هذا شعر أحق ، وإن العقلاء لتعجز عنه ، فبالله إلا ما تممت مسرتنا بمؤانستك
ومنادمتك ومناشدة طُرف أشعارك ، فنادم وأنشد ، وما زلنا معه في طيبة
عيش إلى أن ودّعناه وهو يتلاطم مع الحيطان سُكراً ، ويقول : اللهم غفراً .
انتهى^٧ .

١ = (المغرب ٢ : ٢١٣) وسيورد المقرئ له موشحة في سد قرطبة ، وفي المغرب موشحة تنازع
نسبها هو واليكبي (٢ : ٢١٨) .

١ ج : مجلو .

٢ زاد بعد هذه الكلمة في نسخة (ج) : « فائدة : قال الذهبي في المشتبه : والرصافة مواضع منها
رصافة بناها هشام بن عبد الملك بقرب الرقة ورصافة بغداد - محلة كبيرة جداً أنشأها المنصور
لابنه المهدي وتلقب بمسكر المهدي ، منها أئمة ، ورصافة البصرة قرية منها شيخان روياء ورصافة
قرطبة بليدة أنشأها عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، سماها باسم رصافة جده هشام خرج منها فضلاء ؛
ورصافة الكوفة صغيرة ، ورصافة نيسابور قرية ، ورصافة الأنبار بناها السفاح ، ورصافة بليدة
بإفريقية ، والرصافة قلعة أحدثها الإسماعيلية بالشام . انتهى باختصار . قال في القاموس ، في
فصل الراء باب الفاء : والرصافة كمكناسة بلد بالشام منه أبو منيع عبد الله بن أبي زياد وابن ابنه
الحجاج ، ومحلة ببغداد منها محمد بن بكار بن جعفر بن محمد بن علي ، وبلد بالبصرة منها محمد بن
عبد الله بن صيمون ، وقرية بواسط منها عبد المجيد وقرية بنيسابور وبالكوفة وبلد بإفريقية
وقرية للإسماعيلية ، وعمي الرصافة موضع بالحجاز ، انتهى . رجع إلى قرطبة ؛ قال ابن
سعيد . . . الخ » .

قال : ومن أبدع قصورا خارج قرطبة قصر السيد أبي يحيى بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن ، وهو على متن النهر الأعظم ، تحمله أقواس ، وقيل للسيد : كيف تأنقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة ؟ فقال : علمت أنهم لا يذكرون والياً بعد عزله ولا له عندهم قدر ، لما بقي في رؤوسهم من الخلافة المروانية ، فأحببت أن يبقى لي في بلادهم أثر أذكر به على رغمتهم .

قال ابن سعيد : وأخبرني والذي أن ناهض بن إدريس^٢ شاعر وادي آش في عصره أنشده لنفسه في هذا القصر :

ألا حبّذا القصر الذي ارتفعت به على الماء من تحت الحجارة أقواسُ
هو المصنّع الأعلى الذي أنيف الثرى ورفعة عن لثمة المجد والباسُ
فأركب متن النهر عزاً ورفعةً وفي موضع الأقدام لا يوجد الرأسُ
فلا زال معمور الجناب وبابه بغص وختب أفقه الدهر أعراسُ

وقال الفتح في قلائده ، لما ذكر الوزير ابن عمّار^٣ : وتترّ بالدمشق بقرطبة ، وهو قصر شيّده بنو أمية بالصفايح والعمد ، وجري في إتقانه إلى غير أمد ، وأبدع بناؤه ، ونمّقت ساحاته وفناؤه ، واتخذوه ميدان مراحهم ، ومضمار أفراحهم ، وحكوا به قصرهم بالمشريق ، وأطلعوه كالكوكب المشريق ، وأنشد فيه لابن عمّار :

كل قصر بعد الدمشق يدّم فيه طاب الجنى ولذّ المشمّ
منظر رائق ، وما نعيم وثرى عاطر ، وقصر أشمّ
بيت فيه والليل والفجر عيني عنبر أشهب وميسك أحمّ

١ ق : ومن المنزّهات قصور خارج قرطبة ؛ ط : ومن أعظم قصور . . .

٢ ناهض بن إدريس : من مداح ناصر بني عبد المؤمن (المغرب ٢ : ١٤٥) .

٣ قلائد المقيان : ٨٤ .

وهي منسوبة للحاجب أبي عثمان جعفر بن عثمان المصحفي .
 وذكر الحِجاري في « المسهب » أن الرئيس أبا بكر محمد بن أحمد بن جعفر
 المصحفي ، اجتاز بالثنوية المصحفية التي كانت لجدّه أيام حجابته للخليفة الحكم
 المستنصر ، فاستعبر حين تذكّر ما آل إليه حال جده مع المنصور بن أبي عامر ،
 واستيلاءه على ملكه وأملاكه ، فقال :

قف قليلاً بالمصحفية واندب مقلّة أصبحت بلا إنسان
 واسألنّها عن جعفر وسطاه ونداه في سالف الأزمان
 جعفر مثل جعفر حكم الدهر رُعلينهُ بعُسرة وهوان
 ولكم حذر الردي فصمنا لا أمان لصاحب السلطان
 بيئنا ينعثلي غدا خافضاً منهُ اكتساب ككفّة الميزان^١

ومثنية الزبير منسوبة إلى الزبير بن عمر المثلث^٢ ملك قرطبة .
 قال ابن سعيد : أخبرني والدي عن أبيه قال : خرج معي إلى هذه المثنية
 في زمان فتح الثوّار أبو بكر بن بَقِيّ الشاعر^٣ المشهور ، فجلسنا تحت سطر
 من أشجار اللوز قد نَوَّرَتْ ، فقال ابن بَقِيّ :

سَطَرٌ من اللوز في البُستان قابلتي - ما زاد شيء على شيء ولا نقصا
 كأنما كل غُصْنٍ كُمٌ جارِيَة إذا النسيمُ ثنى أعطافه رقصا

١ - ك : اكتساب ؛ ج : اكتساباً .

٢ الزبير بن عمر من ولاية المثلثين (المرابطين) على قرطبة ؛ وقد عده في مفاخر البربر (٨٢)
 من ولاية غرناطة ولكن ابن سعيد (٢ : ١٢٧) يسميه صاحب قرطبة ، وهو مهجو الشاعر المعروف
 بالأبيض .

٣ أبو بكر يحيى بن بقي الطليطل من كبار الشعراء الوشاحين في عصر المرابطين توفي سنة ٥٤٠
 (انظر ترجمته في - الذخيرة القم الثاني : ٢٤٤ والقلائد : ٢٧٩ ومعجم الأدباء : ١٩ : ٢١)
 والتكملة : ٢٠٤٢ ووفيات الأعيان ٥ : ٢٤٨ ومسالك الأبصار ٢١ : ٢٨٠ والمغرب ٢ : ١٩
 وله موشحات في دار الطراز وفي غطوطة جيش التوشيح لسان الدين) .

ثم قال شعراً منه :

عجبت لمن أبقي على خمر دته غداة رأى لوز الحديقة نوراً
ولا أذكر بقية الأبيات ، قال جدي : ثم اجتمعت به بعد ذلك بغرناطة ،
فلذكرته باجتماعه في منية الزبير ، فتهتد وفكر ساعة وقال : اكتبوا عني ،
فكتبنا :

سقى الله بستان الزبير ، ودام في مجاريه سيل النهر ما غنت الورق
فكائن لنا من نعمة في جنبابه كبرته الخضراء طالعها طلق
هو الموضع الزاهي على كل موضع أما ظله ضاف أما ماؤه دلت
أهيم به في حالة القرب والنوى وحق له مني التذكر والعشق
ومن ذلك النهر الحفوق فؤاده بقلبي ما غيبت عن وجهه خفي

قال : فقلت له : جمع الله بينك وبينه على الحالة التي تشتهي ، قال : ذلك
لك ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : تدفع لي هذا السيف الذي تفلدت به أتزود
به إليه ، وأنفق الباقي فيه على ما تعلم ، قال : فقلت له : هذا سيف شرفني
به السلطان أبو زكرياء ابن غانية ، وما لعطائه سبيل ، ولكن أعطيك قيمته ،
فخرج وأتى بشخص يعرف قيمة السيوف ، فقدّره وجعل يقول : إنّه سيف
السلطان ابن غانية ، ليعظم قدره في عينه فيزيد في قيمته ، ثم قبض ما قدر به ،
وأنشد أرنجالاً :

أطال الله عمر فتي سعيد وبقاه ورقته السعود
غدا لي جوده سبباً لعودي إلى وطني فها أنا ذا أعود
والثم كفه شكراً ويتلوا طريق أي نعماه النشيد

١ لك ج ط : ذراه ميل .

حباني من ذخائره بسيف به لم يبق للأحزان جيد

والقصر الفارسي من القصور المقصودة للتزاهة بخارج قرطبة ، وقد ذكره الوزير أبو الوليد ابن زيدون في قصيد ضمته من منتزعات قرطبة ما تقف عليه ، وكان قد فر من قرطبة أيام بني جهنور ، فحضره في فراره عيد ذكره بأعياد وطنه ومعا هذه الأنسية مع ولادة التي كان يهاها ويتغزل فيها ، فقال^١ :

خليلي لا فطر يسر ولا أضحي فما حال من أسمى مشوقاً كما أضحي

وستأتي هذه القصيدة في هذا الباب ، كما ستأتي قصيدة أبي القاسم ابن هشام القرطبي التي أولها :

يا هبة باكرت من نحو دارين

وفيها كثير من منتزعات قرطبة .

قال ابن سعيد : كان والدي كثيراً ما يأمرني بقراءتها عليه ، ويقول : والله لقد أنبأت عن فضل لهذا الرجل ، قال : وكان أبو يحيى الحضرمي يحفظها ، ويزين بها مجالسه ، ويحلف أن لا ينشدها بمحضر جاهل لا يفهم ، أو حاسد لا ينصف في الاهتزاز لها ، وإنه ليتدبر بذلك ، وإنها لمن كنوز الأدب .
ثم قال : والمرج التضير المذكور بها هو مترج الخز ، أخبرني والدي أنه حضر في زمان الصبأ بهذا المرج على راحة ، ومعه الرئيس الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبي جعفر الوقشي^٢ والمسني^٣ ابن دريدة^٤ المشهور بخفة الروح ، قال : فسبحت أمامنا إوز ، وجعلت تمرح وتثر ما عليها من الماء فوق المرج ،

١ ديوان ابن زيدون : ١٥٨ .

٢ أبو الحسين الوقشي ، سيذكره صاحب النفع ، وكان ذا صوت يديع عارفاً بالألحان ؛ وقد مر ذكره في المغرب (١ : ٢٢٠) في مجلس مع والد ابن سعيد .

٣ في بعض النسخ : الحسن ؛ وفي نسخة : دويذة ؛ وقد ذكره ابن سعيد في المغرب ٢ : ١٨١ وأورد بعض نوادره ؛ وهو قلبي أي ينسب إلى قلعة بني سعيد ؛ وفي ج : ودريده .

والمرج قد أحرق به الوادي ، والشمس قد مالت عليه للغروب ، فقال لي أبو الحسين : بالله صيف يومنا وحسن^١ هذا المنظر ، فقلت : لا أصفه أو تصفه أنت ، فقال : ولك مني ذلك ، فأفكر كل منّا على انفراد بعدما ذكرنا ما نصف نثرأ ، فقال أبو الحسين الوقشي :

لله يوم بمرج الخبز طاب لنا . فيه النعيم بحيث الروض والنهر
وللإوز على أرجائه لعب^٢ . إذا جرت بددت ما بيننا الدُرر
والشمس تمنح نحو الين مائلة^٣ . كأن عاشقها في الغرب ينتظر
والكأس جائلة باللب حائرة^٤ . وكلنا غفلات الدهر نبدر

قال : فقلت :

ألا حبذا يوم ظفرنا بطييه . بأكتاف مرج الخبز والنهر ينسجم
وقد مريحت فيه الإوز ، وأرسلت . على سندس درأ به يتنظم
ومد به للشمس فهو كأنه . لثام لها ملقى من النور معصم
أدركنا عليه أكوساً بعث به . من الأنس ميتاً عاد وهو يكلم
غلو لنا إليه صامتين سكينه^٥ . فرحنا وكل بالهوى يترسم

فأظهر كل منّا لصاحبه استحسان ما قال تنشيطاً وتنميماً للمسرة ، ثم قلنا للمسن : ما عندك أنت ما تعارض^٢ به هاتين القطعتين ؟ قال : بهذا ، ورفع رجله وحبس حبة فرقت^٣ منها أرجاؤه ، فقال له أبو الحسين : ما هذا يا شيخ السوء ؟ فقال : الطلاق له لازم^٤ إن لم تكن أوزن من شعركا ، وأطيب رائحة ، وأغن صوتاً ، وأطرب معنى ، فضحكنا منه أشد ضحك ، وجعلنا نهتر غاية

١ ق : في حسن .

٢ ق ط ج : بما تعارض .

٣ ق ط ج : قرقت .

٤ ك : يلزمه .

الاهتزاز لموقع نادرته ، فقال : والدليل على ذلك أنكم طربتم لما جئت به أكثر ممّا طربتم من شعركم .

ثم قال ابن سعيد : ومن منتهات قرطبة المشهورة فحص السراشق ، مقصود للفرجة ، يسرح^١ فيه البصر ، وتبتهج فيه النفس ، أخبرني والذي عن أخيه أبي جعفر بن عبد الملك بن سعيد قال : خرجت مع الشريف الأصم القرطبي إلى بسيط الجزيرة الخضراء - وقد تديج بالأنوار^٢ - فلما حركنا حسن المكان ، وتشوقنا إلى الأركان^٣ ، قال الشريف : لقد ذكرني هذا البسيط بسيط فحص السراشق ، فقلت له : فهل ثار في خاطرك^٤ نظم فيه ؟ قال : نعم ، ثم أنشد :

ألا فـدَعُوا ذكـرَ العـُدَيْبِ وبارقِ ولا تسأـموا من ذكـرِ فـحصِ السـراشقِ
يجرُّ ذبـولُ السُّكْرِ من كلِّ مُتَرَفٍ ويجري الكؤوسُ المـترعاتِ السّوابقِ
قصرْتُ عليه اللَّحْظَ ما دُمْتُ حاضِراً وفـي كـريٍّ في غـيـبٍ لـمـرَّاهِ شافقي
أيا طيِّبَ أَيْامٍ تَقْضَتْ بِرَوْضَةٍ على لـمـحِ غُـدْرانٍ وشمِّ حـداثـقِ
إذا غرَّدَتْ^٥ فِيهَا حَمَامٌ دَوَّحِهَا نَحِيلُهَا الكُتَّابَ بَيْنَ المـهـارقِ
وما باختيارِ الطَّرَفِ فارقتُ حُسْنَهَا ولكن بكيدٍ من زَمانٍ مُنَافِقِ

قال أبو جعفر : فلما سمعت هذا الشعر لم أتمالك من الاستعبار ، وحررتني ذلك إلى أن قلت في حَوْزٍ مؤمل سيد منتهات غرناطة ، ولم يذكر هنا ما قاله فيه ، وذكره في موضع آخر لم يحضرني الآن حتى أوردته هنا ، والله أعلم . ومن منتهات قرطبة السُّدُ ، قال ابن سعيد : أخبرني والذي أن الشاعر

١ ق : ليس

٢ ك : بالنواذ .

٣ لعل الصواب : الأوطان .

٤ ك : خاطركم .

٥ ق : رددت ؛ ط ج : وردت .

٦ بعض النسخ : حوز .

المبرز أبا شهاب المالقي^١ أنشده لنفسه واصفاً يوم راحة بهذا السد :

وَيَوْمَ لَنَا بِالسَّدِّ لَوْ رُدَّ عَيْشُهُ بِعِيشَةِ أَيَّامِ الزَّمانِ رَدَدْنَاهُ
بَكَرْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خَيْدَرِ شَرْقِهَا إِلَى أَنْ أَجَابَتْ إِذْ دَعَا الْغَرْبُ دَعْوَاهُ
قَطَعْنَاهُ شِدْوً وَاعْتَبَاقاً وَنَشْوَةً وَرَجَعَ حَدِيثٌ لَوْ رَقِيَ الْمَيِّتَ أَحْيَاهُ
عَلَى مِثْلِهِ مِنْ مِثْرِهِ تُبْتَغَى الْمُنَى فَلَلَهُ مَا أَحْلَى وَأَبْدَعَ مِرَّاهُ
شَدَّتْنَا بِهِ الْأَرْحَا وَأَلْقَتْ نَثَارَهَا عَكَيْنَا فَأَصْبَغْنَا لَهُ وَقَبْلَنَاهُ
لَنْ بَانَ إِنَّا بِالْأَيْنِ لَفَقَدَهُ وَبِالدَّمْعِ فِي لَأَثْرِ الْفِرَاقِ^٢ حَكَيْنَاهُ

وأنشدني والذي موشحة لأبي الحسن المبرزي معاصره وصاحبه يذكر فيها
هذا السد ، وهي ٣ :

فِي نَغْمَةِ الْعُودِ وَالسَّلَافَةِ وَالرَّوْضِ وَالنَّهْرِ وَالنَّدِيمِ
أَطَالَ مِنْ لَامِنِي خِلَافَةٍ فَظَلَّ فِي نَصْحِهِ مُلِيمِ
دَعَيْتِي عَلَى مِنْهَجِ التَّصَابِي مَا قَامَ لِي الْعَذْرُ بِالشَّبَابِ
وَلَا تُطْلُ فِي الْمُنَى عِتَابِي فَلَسْتُ أَصْنَعِي إِلَى عِتَابِ
لَا تَرْجُ رَدِّي إِلَى صَوَابِ^٤ وَالكَأْسُ تَفْتَرُ عَنْ حُبَابِ
وَالْغُصْنُ يُبْدِي لَنَا انْعِطَافَهُ إِذَا هَفَا فَوْقَهُ النَّسِيمُ
وَالرَّوْضُ أَهْدَى لَنَا قِطَافَهُ وَاخْتَالَ فِي بُرْدِهِ الرَّقِيمُ

١ أبو شهاب المالقي : من شعراء المائة السابعة ، صحبه والده ابن سعيد أيام الشباب ووصفه بأنه كان
خليج العذار في شرب العقار (المغرب ١ : ٤٣٧) .

٢ ق : الغرام .

٣ استعمل في ك كلمتي « مطلع » و « دور » للدلالة على القفل وعلى كل غصن من أغصان الموشحة .

٤ ك : إلى جواب ؛ ق : إلى الجواب .

يا حَبِّدَا عَهْدِي الْقَدِيمُ
رِيمٌ عَنْ الْوَصْلِ لَا يَرِيمُ
مَا تَمَّ إِلَّا بِهِ النِّعَمُ
وَمَنْ بِهِ هَمْتُ مُسْعِدِي

مُعْتَدِلُ الْقَدِّ ذُو نَحَافَةٍ
وَرَامَ طَرَفِي بِهِ انْتِصَافَهُ
أَسْقَمَنِي طَرَفُهُ السَّقِيمُ
فَخَدَّ فِي خَدِّهِ الْكَلِيمُ

غَضُّ الصَّبَا عَاطِرُ الْمَقْبَلِ
ظَامِي الْحَشَا مُفْعَمُ الْمَخْلُخْلِ
لِكُلِّ مَنْ رَامَهُ تَوَصَّلِ
أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ وَالْأَمَلِ

أَشْكُو فَيُسَبِّدِي لِي اعْتِرَافَهُ
لَا أَعْدَمُ الدَّهْرُ فِيهِ رَافَهُ
فَحَقَّ لِي فِيهِ أَنْ أَهْمِ
إِنْ حَادَ عَنْ نَهْجِهِ الْقَوْمُ

لِلَّهِ عَصْرٌ لَنَا تَقْضَى
أَرَى ادَّكَارِي إِلَيْهِ فَرَضَا
فَكَمْ خَلَعْنَا عَلَيْهِ غَمَضَا
بِالسَّدِّ وَالْمَنْبَرِ الْبَهِيْجِ

وَرَدُّ أَطَالِ الْمُنَى ارْتِشَافَهُ
لِلَّهِ مَا أَسْرَعَ انْخِرَافَهُ
حَتَّى انْقَضَى شَرْبُهُ الْكَرِيمُ
وَهَكَذَا الدَّهْرُ لَا يَدِيمُ

يَا مَنْ يَحِثُّ الْمَطْيَ غَرْبَا
وَانْتَرَبَهَا إِنْ سَقَحَتْ غَرْبَا
وَاسْمِعْ إِلَى مَنْ أَقَامَ صَبَا
عَرَّجَ عَلَى حَضْرَةِ الْمُلُوكِ

مَنْ مَدَمَعَ عَاطِلُ سُلُوكِ
وَاحْكُ صِدَاحَهُ لَا فُضَّ فُوكِ

بَلَّغْ سَلامِي قَصْرَ الرُّصَافَةِ وَذَكَرُوا عَهْدِي الْقَدِيمَ
وَحَيَّ عَنِّي دَارَ الْخِلَافَةِ وَقِفْ بِهَا وَقْفَةَ الْغَرِيمِ

قال ابن سعيد : والمنبر المذكور في هذه الموشحة من منبرها قرطبة ،
والسد هو الأرحا التي ذكرها في زجله قاسم بن عبتود الرياحي ، رَوَيْتُهُ عَنْ
والذي عن قائله ، وهو ٢ :

بِاللّهِ أَيْنَ نَصِيبُ مَنْ لَمْ يَلِ فِيهِ نَصِيبُ
مُحِبُّونَا مُخَالَفَ وَمَعُونُ رَقِيبُ

حِينَ نَقْصِدُ مَكَانَهُ يَقُومُ فِي الْمَقَامِ
وَيُبْخَلُ عَلَيْنَا بِرَدِّ السَّلَامِ
أَدْخَلْتَ يَا قَتْلِي رُوحَكَ فِي زَحَامِ ٣

سَلَامَتِكَ عِنْدِي هِيَ شَيْ عَجِيبُ
وَكَيْفَ بِاللّهِ يَسْلَمُ مَنْ هُوَ فِي هَلِيبُ

بِاللّهِ يَا حَبِيبِي أَتَرَكَ ذَا النِّفَارِ
وَأَعْمَلُ أَنْ نَطْيِوَا فِي هَذَا النَّهَارِ
وَأَخْرَجَ مَعِيَ لِلْوَادِي لَشَرِبِ الْعُقَارِ

نُتَمِّمُ نَهَارَنَا فِي لَذَّةٍ وَطِيبِ
فِي الْأَرْحَا وَإِلَّا فِي الْمَرْجِ الْخَصِيبِ

١ ك : وذكره ؛ والصواب قراءته حسب النطق الدارج « وذكر » ، وهي قراءة ق .
٢ اسعمل أيضاً في ك في تقسيم هذا الزجل لفنّي مطلع ودور .
٣ ج : الزحام .

أَوْ عِنْدَ النَّوَاعِرِ^١ وَالرُّوَضِ الشَّرِيقِ^٢
أَوْ قَصْرِ الرِّصَافَةِ^٣ أَوْ وَادِي الْعَقِيقِ
رَحِيقِ^٤ وَاللَّهِ دُونَكَ هُوَ عِنْدِي الْحَرِيقِ
وَفِي حُبِّكَ أَمْسَيْتُ فِي أَهْلِي غَرِيبُ
وَمَا الْمَوْتُ عِنْدِي إِلَّا حِينَ تَغِيبُ
اتَّكَلْتُ عَلَى اللَّهِ وَكُنْتُ فَظًا جَسُورًا
وَلِنْ رَيْتُ فُضُولِي وَقَتْلُ لَيْلِي تَمُورُ
كَشَّ عَنْوَتِي وَجْهَكَ فَإِنْ رَأَيْتَ نَقُورُ
يَهْرَبُ عَنْكَ خَائِفًا وَيَبْقَى مُرِيبُ
وَأَمْسَى أَنْتَ مُوقِّرًا كَأَنَّكَ خَطِيبُ
مَا أَعْجَبَ حَدِيثِي لَيْشَ هَذَا الْخُتُونِ
نَطْلُبُ وَنُدَبِّرُ أَمْرًا لَا يَكُونُ
وَكَمْ ذَا نُهَوِّنُ شَيْئًا لَا يَهُونُ
وَلَيْشَ مَقْدَارُ مَا نَصْبِرُ لِبُعْدِ الْحَيِّيبِ
رَبِّ اجْمَعْنِي مَعَهُ عَاجِلًا قَرِيبُ

١ ج : النواير .
٢ ج : الرشيق .
٣ ك ط : حرق ؛ ج : حرق
٤ ك : حقي .

[نهرها وقنطرتها]

قال ابن سعيد : وأما نهر قرطبة فلأنه يصغر عن عظمه عند إشبيلية ، بحيث صنع عليه قنطرة من حجارة لا يتأتى مثلها في نهر إشبيلية ، ومنبعه من جهة شقورة^١ يمر النصف منه إلى مرسية^٢ مشرقاً والنصف إلى قرطبة وإشبيلية مغرباً .

ولما ذكر الرازي قرطبة قال : « ونهرها الساكن في جريه ، اللين في انصبابه ، الذي تؤمن مغبة ضرره في حمله » . وقال هذا لأنه يعظم عند إشبيلية ، فإذا حان حمله في أيام الأمطار أشفت إشبيلية على الغرق ، وتوقع أهلها الهلاك . والقنطرة التي على هذا النهر عند قرطبة من أعظم آثار الأندلس وأعجبها ، أقواسها سبع عشرة قوساً ، وبانيها - على ما ذكره ابن حيّان وغيره - السّمح ابن مالك الخولاني صاحب الأندلس بأمر عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، وشيّدوها بنو أمية بعد ذلك وحسّنوها ، قال ابن حيّان : وقيل : لأنه قد كانت في هذا المكان قنطرة من بنيان الأعاجم قبل دخول العرب بنحو مائتي سنة أثّرت فيها الأزمان بمكابدة المدود حتى سقطت حناياها ، وحيت أعاليها ، وبقيت أرجلها وأسافلها ، وعليها بنى السّمح في سنة إحدى ومائة ، انتهى .

وقال في مناهج الفكر : إن قنطرة قرطبة إحدى أعاجيب الدنيا ، بنيت زمن عمر بن عبد العزيز على يد عبد الرحمن بن عبيد الله الخافقي ، وطولها ثمانمائة ذراع^٢ ، وعرضها عشرون باعاً ، وارتفاعها ستون ذراعاً ، وعدد حناياها ثمان عشرة حنيّة ، وعدد أبراجها تسعة عشر برجاً ، انتهى .

١ شقورة : (Segura de la Sierra) مدينة كانت من عمل جيان ، ويلسب إليها نهر شقورة وهو نهر مرسية .

٢ ق : باع .

رجع إلى قرطبة

ذكر ابن حبان والرازي والحجاري أن أكتيان^١ - ثاني قياصرة الروم الذي ملك أكثر الدنيا وفتح نهر رومية بالصُّفْر ، فأرخت الروم من ذلك العهد ، وكان من قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثمان وثلاثين سنة - أمر ببناء المدن العظيمة بالأندلس ، فبنيت في مدته قرطبة وإشبيلية وماردة وسرقسطة ، وانفرد الحجاري بأن أكتيان المذكور وجه أربعة من أعيان ملوكه للأندلس فبنى كل واحد منهم مدينة في الجهة التي ولاة عليها ، وسماها باسمه ، وأن هذه الأسماء الأربعة كانت أسماء لأولئك الملوك ، وغير الحجاري جعل أسماء هذه المدن مشتقة مما تقتضيه أوضاعها كما مر ، وذكروا أنه قد تداولت على قرطبة ولاة الروم الأخيرة الذين هم بنو عيصو بن إسحاق بن إبراهيم ، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، إلى أن انتزعها من أيديهم القوط من ولد يافث المتغلبون على الأندلس ، إلى أن أخذها منهم المسلمون . ولم تكن في الجاهلية سريراً لسلطنة الأندلس ، بل كرسياً لخاص مملكتها ، وسعدت في الإسلام ، فصارت سريراً للسلطنة العظمى الشاملة ، وقطباً للخلافة المروانية ، وصارت إشبيلية وطلستة تبعاً لها ، بعدما كان الأمر بالعكس ، والله يفعل ما يشاء ، بيده الملك والتدبير ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا هو العلي الكبير .

وقال صاحب «نشق الأزهار»^٢ عندما تعرض لذكر قرطبة : هي مدينة مشهورة ، دار خلافة ، وأهلها أعيان ناس في العلم والفضل ، وبها جامع ليس في الإسلام مثله ، انتهى .

١ ق : اكتيان ؛ ك : الثيان ؛ والصواب ما أثبتناه فهو (Octavian) المعروف باسم اكتافيوس .
قيصر .

٢ أظن المراد هنا هو «نشق الأزهار في حجاب الأقطار» لابن إلياس الحنفي المتوفى سنة ٩٣٠ .

[الفتنة البربرية والنزاع بين الحموديين والأمويين]

ومن الأسباب في سلب محاسن قرطبة عيث البربر بها في دخولهم مع سليمان المستعين الأموي حين استولى على قرطبة في دولته التي افتتحت بالقهر وسفك الدماء ، وكان من أمراء البربر المعاضدين لسليمان علي بن حمود من بني علي بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين - وجدته إدريس هرب من هرون الرشيد إلى البربر ، فتربر ولده ، وبني ابنه إدريس مدينة فاس ، وكان المؤيد هشام يشغل بالملاحم ، ووقف على أن دولة بني أمية تنقرض بالأندلس على يد علوي أول اسمه عين ، فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومحو كثيراً من محاسنها ومحاسن أهلها كان من أكبر أمرائهم علي بن حمود ، وبلغ هشام المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه فدرس إليه أن الدولة صائرة إليك ، وقال له : إن خاطري يحدثني أن هذا الرجل يقتلني ، يعني سليمان ، فإن فعل فخذ بثأري ، وكان هذا الأمر هو الذي قوّى نفس ابن حمود على طلب الإمامة ، وحمله على الأخذ بثأر هشام المؤيد ، فكان المؤيد أحد من أخذ بثأره بعد موته .

وتولّى بعد ذلك علي بن حمود^١ ، وبويع بقرطبة في قصرها في اليوم الذي قُتل فيه سليمان المستعين^٢ ، وأخذ الناس بالإرهاب والسطوة ، وأذل رؤوس البربر ، وبرقت للعدل في أيامه بارقة خلب لم تكد تقيد حتى خبت ، وجلس للمظالم ، وقدمت له جماعة من البربر في إجرام فضرب رقابهم ، وأهلهم وعشائهم ينظرون ، وخرج يوماً على باب عامر فالتقى فارساً من البربر وأمامه حمل عنب ، فاستوقفه وقال له : من أين لك هذا ؟ فقال : أخذته كما يأخذ الناس ، فأمر بضرب عنقه ، ووضع رأسه وسط الحمل ، وطيف به في البلد ،

١ انظر تفصيل الخبر عن ولاية علي بن حمود في الذخيرة ١/١ : ٧٩ نقلاً عن ابن حبان ، وهذا الذي أوردته المقرئ تلخيص لما جاء هناك .

٢ وبويع ... المستعين : سقطت هذه العبارة من ق .

واستمر على هذا مع أهل قرطبة في أحسن عيشة نحو ثمانية أشهر ، حتى بلغه قيام الأندلسيين بالمرتضى المرواني في شرق الأندلس ، فتغير عما كان عليه ، وعزم على إخلاء قرطبة وإبادة أهلها ، فلا يعود لأئمتهم بها سلطان آخر الدهر ، وأغضى للبربر عن ظلمهم فعاد البلاء إلى حاله ، وانتزع الإسلام من أهل قرطبة^١ ، وهدم المنازل ، واستهان بالأكابر ، ووضع المغارم ، وقبض على جماعة من أعيانهم وألزمهم بمال ، فلمّا غرموه سرتهم ، فلمّا جيء إليهم بدوابهم ليركبوها أمر من أخذ الدواب ، وتركهم ينزلون إلى منازلهم على أرجلهم ، وكان منهم أبو الحزم الذي ملك قرطبة بعد وصارت دولته بوراثته ولده معدودة في دول الطوائف ، فانجمعت عن عليّ النفوس ، وتوالى عليه الدعاء ، فقتله صبيان أعمار من صقالبة بني مروان في الحمام ، وكان قتله غرة ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة ، وكان الصقالبة ثلاثة فهربوا واختفوا في أماكن يعرفونها ، وصح عند الناس موته ، ففرحوا ، وكانت مدته كما مر نحو عامين ، وحققها بعض فقال : أحد وعشرون شهراً وستة أيام .

وكان الناصر علي بن حمّود - على عجمته ، وبُعده من الفضائل - يصغي إلى الأمداح ، ويثيب عليها ، ويظهر في ذلك آثار النسب العربي والكرم الهاشمي ، ومن شعرائه المختصين به ابن الخطّاط القرطبي^٢ ، ومن شعره قوله^٣ :

راحت تذكّر بالنسيم الراحا وطقاء تكسر للجشّوح جناحا
أخفى مسالكها الظلام فأوقدت من برقها كي تهندي مصباحا

.....

١ ك : وانتزع أهل قرطبة .

٢ ابن الخطّاط (وفي ق ك ط ج : الخطّاط) : محمد بن سليمان بن الخطّاط الرصيني القرطبي الأصبى ، كان أبوه يبيع الخنطة بقرطبة ، ثم تعهد ابنه بنو ذكوان بالتعليم واتصل بدولة بني حمود ومنح أمراءها وتوفي سنة ٤٣٧ (انظر الذخيرة ١/١ : ٣٨٣ والجدوة : ٥٣ وبغية الملتمس رقم : ١٢٤ والمغرب ١ : ١٢١ والعلة : ٦٤٠ والتكملة : ٣٨٧ .

٣ الذخيرة ١/١ : ٣٩٠ .

وعبادة بن ماء السماء^١ ، وكان معروفاً بالتشيع ، وفيه يقول من قصيدة

أبركم علي^٢ كان بالشرق بدء ما ورثتم ، وذا بالغرب أيضاً سمية^٣
فصلوا عليه أجمعون وسلموا له الأمر إذ ولّاه فيكم وليه^٤

ومدحه ابن درّاج القسطلي^٥ بقوله^٦ :

لعلك يا شمس^٧ عند الأصيل شجيت لشجو الغريب الدليل
فكوني شفيحي لابن الشفيح وكوني رسولي لابن الرسول

وكان أخوه القاسم بن حمّود أكبر منه بعشر سنين ، وأمهما واحدة ، وهي علوية ، ولما قُتل الناصر كان القاسم والياً على إشبيلية ، وكان يحيى بن علي والياً على سبّنة ، فاختلفت أهواء البربر^٨ ، فمال أكثرهم إلى القاسم لكونه غيّب أولاً ، وقُدّم عليه أخوه الأصغر ، وكونه قريباً من قرطبة ، وبينهم وبين يحيى البحر ، فلما وصلت رُسُلهم إلى القاسم لم يُظهر فرحاً بالإمامة ، وخاف أن تكون حيلة من أخيه عليه ، فتتهدّون له أن اتضح له الحق ، فركب إلى قرطبة ، وبويع فيها بعد ستة أيّام من قتل أخيه ، وأحسن السيرة ، وأحسن من البربر الميل إلى يحيى ابن أخيه عليّ صاحب سبّنة ، فتهاك في اقتناء السودان ، وابتاع منهم كثيراً ، وقوّدهم على أعماله ، فأنتف البرابر من ذلك ، وانحرفوا عنه . وفي سنة تسع وأربعمائة^٩ قام عليه بشرق الأندلس المرتضى عبد الرحمن من أعقاب الناصر ، لأن أهل الأندلس صعب عليهم ملك بني حمّود العلويين بسبب البرابر ، فأرادوا رجوع الإمامة إلى بني مروان ، واجتمع له أكثر ملوك الطوائف ، وكان معه حين أقبل لقرطبة منلدر التجي^{١٠} صاحب سرقسطة

١ ديوان ابن دراج : ٧٥ .

٢ ك : فاختلف هؤلاء البربر ؛ ج : فاختلف أحوال ...

٣ انظر تفصيل هذه الأحداث في ابن عذاري ٣ : ١٢٥ .

وخَيْرَان العامري الصَّقْلِي صاحب المَرِيَّة ، وانضاف إليهم جمعٌ من الفرنج ، وتأهَّب القاسم والبرابرة للقائهم ، فكان من الاتفاق العجيب أن فسدت نيَّة منذر وخَيْرَان على المرتضى ، وقالوا : أرانا في الأول وجهاً ليس بالوجه الذي نراه حين اجتمع إليه اللحم الغفير ، وهذا ماكر غير صافي النيَّة ، فكتب خيران إلى ابن زيري الصَّنْهَاجِي المتغلب على غَرْنَاطَة - وهو داهية البربر - وضمن له أنه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه إلى قرطبة خَذَلَ عن نصرته المَوَالِيَّ العامريين أعداء المروانيين وأصحاب رياسة الثغور ، فأصنى ابن زيري إلى ذلك ، وكتب المرتضى إلى ابن زيري يدعوه لطاعته ، فقلب الكتاب ، وكتب في ظهره ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ - السورة﴾ (السورة : ١٠٩) فأرسل إليه كتاباً ثانياً يقول فيه : قد جئتكم بجميع أبطال الأندلس وبالفرنج ، فماذا تصنع ؟. وختم الكتاب بهذا البيت :

إِنْ كُنْتَ مِنَّا أَبْشَرُ بِحَيْرٍ أَوْ لَا فَأَيْقِنْ بِكُلِّ شَرٍّ

فأمر الكاتب أن يحوّل الكتاب ويكتب في ظهره ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ - السورة﴾ (السورة : ١٠٢) فازداد حنقه ، وحمله الغيظ إلى أن ترك السير إلى حضرة الإمامة قُرْطُبَة ، وعدل إلى محاربته ، وهو يرى أنه يَصْطَلِمُه في ساعة من نهار ، ودامت الحرب أياماً ، وأرسل ابنُ زيري إلى خَيْرَان يستنجزه وعده ، فأجابه : إنما توقفتَ حتى ترى مقدار حربنا وصبرنا ، ولو كنّا ببواطنتنا معه ، ما ثبتَ جمعك لنا ، ونحن ننهزم عنه ونخذله في غد .

ولما كان من الغد رأى أعلام خَيْرَان وأعلام منذر وأصحاب الثغور قد ولّت عنه ، فسقط في يد المرتضى ، وثبت حتى كادوا يأخلونه ، واستحضر القتل ، وصُرع كثير من أصحابه ، فلما خاف القبض عليه ولّى ، فوضع عليه خيران عيوناً فلحقوه بقرب وادي آش وقد جاوز بلاد البريز وأمن على نفسه ، فجمعوا عليه ، فقتلوه. وجاؤوا برأسه إلى المَرِيَّة ، وقد حل بها خيران ومنذر ،

فتحدث الناس أنهما اصطبحا^١ عليه سروراً بهلاكه .

وبعد هذه الواقعة أذعن أهل الأندلس للبرابرة ، ولم يجتمع لهم بعدها جمع ينهضون به إليهم ، وضرب القاسم^٢ بن حمود سراق^٣ المرتضى على نهر قرطبة ، وغشيه خلق من النظارة وقلوبهم تنقطع حشرات ، وأنشد عبادة ابن ماء السماء قصيدته التي أولها^٤ :

لَكَ الْخَيْرُ خَيْرَانُ مَضَى لِسَيْلِهِ وَأَصْبَحَ أَمْرُ اللَّهِ فِي ابْنِ رَسُولِهِ

وتمكنت^٣ أمور القاسم ، وولّى وعزل ، وقال وفعل ، إلى أن كشف وجهه في خلع طاعته ابن أخيه يحيى بن علي ، وكتب من سبته إلى أكابر البرابر بقرطبة : إن عمي أخذ ميراثي من أبي ، ثم إنّه قدّم في ولاياتكم التي أخذتموها بسيوفكم العبيد والسودان ، وأنا أطلب ميراثي ، وأوليتكم مناصبكم ، وأجعل العبيد والسودان كما هم عند الناس ، فأجابوه إلى ذلك ، فجمع ما عنده من المراكب وأعانه أخوه إدريس صاحب مالقة ، فجاز البحر بجمع وافر ، وحصل بمالقة مع أخيه ، وكتب له خيران صاحب المريّة مذكراً بما أسلفه في إعانة أبيه ، وأكد المودة فقال له أخوه إدريس : إن خيران رجل خلدّاع ، فقال يحيى : ونحن منخدعون فيما لا يضرنا ، ثم إن يحيى أقبل إلى قرطبة واثقاً بأن البرابر معه ، ففرّ القاسم إلى إشبيلية في خمسة فرسان من خواصه ليلة السبت ٢٨ من شهر ربيع الآخر سنة ٤١٢ هـ ، وحلّ يحيى بقرطبة ، فبايعه البرابر والسودان وأهل البلد يوم السبت مستهل جمادى الآخرة ، وكان يحيى من النجباء ، وأمه فاطمية ، وإنما كانت آفته العُجب واصطناع السفلة ،

١ ك : اصطبحا .

٢ ابن عذاري ٣ : ١٣٠ دون نسبة ، وفي اللخيرة ١/١ : ٣٩٦ أن القصيدة لابن الحناط قالها في أبي القاسم بن حمود يصف خيران الصقلي وقتل المرتضى المرواني .

٣ ق ط : ومشت ؛ ج : وتمت .

٤ ك : ٤١٣ .

واشتط أكابر البرابر عليه ، وطلبوا ما وعدهم من إسقاط مراتب السودان ، فبذل لهم ذلك ، فلم يقنعوا منه ، وصاروا يفعلون معه ما يخرق الهبة ويفرغ بيت المال ، وفر السودان إلى عمته إشبيلية ، ومن البرابر ومن جند الأندلس من احتجب عنهم يحيى وتكبر عليهم ، ولم يعل إليه ملوك الطوائف ، وبقي منهم كثير على الخطبة لعمته القاسم ، إلى أن اختلست الحال بحضرة قرطبة ، وأيقن يحيى أنه متى أقام بها قبض عليه ، وكان قد ولّى على سبّته أخاه لإدريس ، وبلغه أن أهل مالقة خاطبوا خيران وكاتبوه ، فطمع خيران فيها ، وفرّ يحيى في خواصه نحت الليل إلى مالقة ، ولما بلغ القاسم فراره ركب من إشبيلية إلى قرطبة ، فخطب له بها يوم الثلاثاء لاثني عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٤١٣ ، ولم تصلح الحال للقاسم منذ وصل إلى الحضرة ، ووقع الاختلاف ، وكان هوى السودان معه ، وهوى كثير من البرابر مع يحيى ، وهوى أهل قرطبة مع قائم من بني أمية يشيعون ذكره ولا يظهر ، وكثر الإرجاف بذلك ، ووقع الطلب على بني أمية ففترقوا في البلاد ، ودخلوا في أغمار الناس ، وأخفّوا زيتهم ، ثم إن الخلاف وقع بين البربر وأهل قرطبة ، وتكاثر البلديون ، وأخرجوا القاسم وبرابره فضرب خيمة بغربها ، وقاتلهم مدة خمسين يوماً قتالاً شديداً ، وبني القرطبيون أبواباً مدينتهم ، وقاتلوا القاسم من الأسوار إلى أن طال عليهم الحصار ، فهدموا باباً من الأبواب وخرجوا خرّجة رجل واحد وصبروا^١ فمنحهم الله تعالى الظفر ، وفر السودان مع القاسم إلى إشبيلية ، وفرّ البرابرة إلى يحيى وهو بمالقة ، وكان فرار القاسم من ظاهر قرطبة يوم الخميس لثني عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٤١٤ .

وكان ابنه محمد بن القاسم والياً على إشبيلية ، وثقته المدبر لأمره محمد بن زيري من أكابر البرابرة ، وقاضيه محمد بن عباد ، فعمل القاضي لنفسه ، وهو

.....

١ في ق ك : وصفروا ، وفي بعض النسخ : وظفروا .

جده المعتمد بن عباد ، وأطمع ابنَ زيري في التملك ، فأغلق الأبواب في وجه مصطنعه-وحاربه ، فقتل من البرابر والسودان خلق كثير ، وابنُ عباد يضحك على الجميع ، فيش القاسم ، وقنع أن يُخرجوا إليه ابنه وأصحابه ويسير عنهم ، فأخرجوهم إليه ، فسار بهم إلى شَريش . وعندما استقرَّ بها وصل إليه يحيى ابنُ أخيه من مالقةَ ومعه جمع عظيم وحاصره في المدينة عشرين يوماً كانت فيها حروب صعب ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، وأجلت الحرب عن قهر يحيى لعمته وإسلام أهل شَريشَ له ، وفرَّ سودانه ، وحصل القاسم وابنه في يد يحيى ، وكان قد أقسم أنه إن حصل في يده ليقتلنه ، ولا يتركه حتى يلي الإمامة بقرطبة مرة ثانية ، فرأى التبرص في قتله حتى يرى رأيه فيه ، فحدث عنه بعض أصحابه أنه حمله بقيد إلى مالقةَ ، وحبسه عنده ، وكان كلما سكر وأراد قتله رغبه لنماؤه في الإبقاء عليه لأنه لا قدرة له على الخلاص ، وكان كلما نام رأى والده عليه في النوم ينهيه عن قتله ، ويقول له : أخي أكبر مني ، وكان محسناً إلي في صغري ومُسْلِماً لي عند إمارتي ، الله الله فيه ، وامتلئت الحال على ذلك إلى أن قتله خنقاً بعد ثلاث عشرة سنة من حين القبض عليه ، لأنه كان قد حبسه في حصن من حصون مالقةَ ، فنُمِّيَ إليه أنه قد تحدث مع أهل الحصن في القيام والعصيان فقال : أوبقي في رأسه حديث^١ بعد هذا العمر ؟ فقتله سنة ٤٢٧ ، وبقي أهل قرطبة بعد فرار القاسم عنها نيفاً عن شهرين يَروُن رأيتهم فيمن يباعدونه بالإمامة .

ولما كان يوم الثلاثاء^٢ نصف شهر رمضان سنة ٤١٤ أُحضِرَ المستظهر وسليمان بن المرتضى وأموي آخر معه ، فبايعا المستظهر ، وقبلاً يده بعدما كان قد كُتِبَ عقْدُ^٣ البيعة باسم سليمان بن المرتضى على ما ارتضاه الأماثل ،

١ ق : حدث .

٢ قارن هذا بما في الذخيرة ١/١ : ٣٥ - ٣٦ .

٣ ك : قبل البيعة .

فبُشِّرَ اسمُه ، وكتب اسمَ المستظهر وركب إلى القصر ، وحمل معه ابني عمته المذكورين فحبسهما ، وكان قد رفع جماعة من الأتباع ذهب بهم العجب كل مذهب ، كأبي عامر ابن شهيد المنهك^١ في بطالته ، وأبي محمد ابن حزم المشهور بالرد على العلماء في مقاله ، وابن عمته عبد الوهاب بن حزم الغزالي المتوفى في حالته ، فأحقد بذلك مشايخ الوزراء والأكابر ، وبادر المستظهر باصطناع البرابر ، وأكرم مثواهم ، وأحسن مأواهم ، واشتغل مع ابن شهيد وابني حزم بالمباحثة في الآداب ، ونظم الشعر والتمسك بتلك الأهداب ، والناس في ذلك الوقت أجهل ما يكون ، وكان جماعة من أهل الشر في السجون يتعين أن لا يخرج منهم إنسان ، فأخرج منهم شخصاً يقال له أبو عمران ، وقد كان أشار بعض الوزراء عليه بعدم إخراجهم ، فأخرجهم وخالفه في ذلك ، ولم يقبل النصيحة ، وفعل ما أداه إلى الفضيحة ، فسعى القوم الذين خرجوا من الحبوس ، على إفساد دولته وإبدال فرجه باليوس ، لما اشتغل عنهم بالأدباء والشعراء حسبما اقتضاه رأيه المعكوس ، فسعوا في خلعه مع البرابر ، وقتل في ذي القعدة من السنة التي بويغ فيها وصار كأمس الدابر ، بعد سبعة وأربعين يوماً من يوم بويغ بالخلافة ، وإذا أراد الله أمراً فلا يقدر أحد أن يأتي خلافه ، وعمره ثلاث وعشرون سنة كأنها سنة .

ومن شعر المستظهر المذكور ، وهو من القريض الممدوح صاحبه بالبلاغة المشكور^٢ :

طال عُمرُ اللَّيْلِ عِنْدِي مُدَّ تَوَلَّعْتُ بِصِدْدِي
يَا غَزَالاً نَقَضَ الْعَهْدَ لَمَّا وَلَّمْتُ يَوْفَ بَوْعَدِي
أَنْسَيْتَ الْعَهْدَ إِذْ بَيْتُ نَا عَلَى مَقَرِّشٍ وَرَدِي

١ ق ط : المنهك ؛ ج : المهتك .-

٢ مرت هذه الأبيات ص : ٤٣٦ .

واعْتَنَقْنَا فِي وَشاحٍ وانتَظَمْنَا نَظْمَ عَقْدٍ
وَنَجُومُ اللَّيْلِ تَسْرِي ذَهَباً فِي لَازُورْدٍ

وكتب إليه شاعر في طرسٍ مكشوط :

والطَّرْسُ مَبْشُورٌ وفيه بَشَارَةٌ بَيْتًا لِلْإِمَامِ الْفَاضِلِ الْمُسْتَظْهِرِ
مَلِكِ أَعَادِ الْعَيْشَ غَضًّا مُلْكُهُ وَكَذَا يَكُونُ بِهِ طَوَالِ الْأَعْصَرِ

فأجزل صلته ، وكتب في ظهر الورقة :

قبلنا العُدْرَ فِي بَشْرِ الْكِتَابِ لَمَّا أَحْكَمْتَ فِي فَصْلِ الْخُطَابِ

وقد قدّمنا في الباب الثالث شيئاً من هذه الأخبار ، وما حصل بعد ذلك بقرطبة إلى أن تولّى الأمر ابنُ جَهَنور في صورة الوزارة ، ثم ابنه ، إلى أن أخذ قرطبة منه المعتمد بن عباد ، حسبما ذُكر في أخباره .
ثم آل الأمر بعد ذلك كله إلى استيلاء ملوك الجُدّة من المُلثمين والموحّدين ، على قرطبة ، إلى أن تسلّمها النصارى ، أعادها الله تعالى للإسلام ، كما يُذكر في الباب الثامن .

وقال صاحب «مناهج الفكر» في ذكر قرطبة ، ما ملخصه : فأما ما اشتمل عليه غرب الجزيرة ، من البلاد الخطيرة ، فمنها قُرْطُبة ، وكانت مقر الملك ، ودار الإمارة ، وأمّا ما عداها من البلاد ، منذ افتتحها المسلمون سنة ٩٢ زمن الوليد بن عبد الملك إلى أن خرجت عن أيديهم ، وتنقلت في أيدي ملوك المسلمين إلى أن وصلت إلى الناصر عبد الرحمن ، فبنى في تجاهها مدينة سمّاها الزهراء ، يجري بينهما نهر عظيم ، انتهى .

[استطراد في وصف المباني العامة]

واعلم أن المباني دالة على عظيم قدر بانيها ، كما ذكرناه في كلام الناصر

الذي طابت له من الزهراء مجانيها ، ولم يزل البلغاء يصفون المباني ، بأحسن الألفاظ والمعاني ، ورأينا أن نذكر هنا بعض ذلك ، زيادة في توسيع المسالك ، فمن ذلك قول ابن حمديس الصقلي^١ يصف داراً^٢ بناها المعتمد على الله^٣ :

ويا حَبْدًا دار قَضَى الله أَنتها	يُجَدِّدُ فيها كُلَّ عِزٍّ ولا يَبْلى
مُقَدَّسَةً لو أن مُوسَى كَلِمَةً	مَشَى قُدُماً في أَرْضِها خَلَعَ النُّعْلا
وما هِيَ إلا خُطَّةُ الملك الذي	يَخْطُ إلى كُلِّ ذي أَمَلٍ رَجُلا
إذا فَتَحَتْ أبوابُها خِلَتْ أَنتها	تَقولُ بِرُحِيبٍ لِدَاخِلِها أَهْلا
وقد نَقَلَتْ صُنُاعُها من صفاتِهِ	إِلِها أَفانِياً فَأَحْسَنَتْ النُّقْلا
فمن صَدْرِهِ رَحِياً ومن نورِهِ سَناً	ومن صِيَتِهِ فرحاً ومن حِلْمِهِ أَصْلا
فأَعْلَتْ به في رُتَبَةِ الملك نادياً	وَقَتْلَ له فوق السَّمَاكِين أن يُعْلَى
نَسِيتُ به إِيوانَ كَسْرَى لَأَنْتِي	أَراه له مَوْلَى من الحَسَنِ لا مِثْلا
كَأَنَّ سَليمانَ بن داود لَمْ تُبْخِ	مَخافَتُهُ للجِنَّ في صُنْعِهِ مَهْلا
تَرَى الشَّمْسَ فيه لِقَةً تَسْتَمِدُّها	أَكْفُ أَقامَتُ من تَصاوِيرِها شَكْلا
لها حَرَكَاتٌ أودِعَتْ في سَكُونِها	فما تَبَعَتْ في نَقْلِها يَدُ رَجُلا
ولما عَشِينا مِنْ تَوَقُّدِ نورِها	تَخِذْنا سَناءَهُ في نَوَاطِرِنا كَحِلا

وقال من أخرى يصف داراً بناها المنصور بن أعلى الناس ببجاية* :

١ أبو بكر عبد الجبار بن محمد بن حمديس الصقلي ، هاجر من بلده إلى الأندلس وأصبح من مداح المعتمد بن عباد ، إلى أن عزل عن ملكه (٤٨٤) فغادر الأندلس إلى المغرب وظل متنقلاً يمدح ملوكها إلى أن توفي سنة ٥٢٧ هـ (انظر مقدمة ديوانه ، ط . صادر - بيروت ١٩٦٠) .

٢ ك : في دار ٤ ق : يمدح داراً .

٣ المقتطفات (الورقة : ٢٩) وديوان ابن حمديس : ٣٧٨ .

٤ رواية الديوان :

ويا حَبْدًا دار يد الله مسحت عليها بتجديد البقاء فما تبلى

٥ المقتطفات (الورقة : ٣٠) وديوان ابن حمديس : ٥٤٥ نقلاً عن النسخ ونهاية الأرب ومطالع البدور .

اعْمُرْ بِقَصْرِ الْمَلِكِ نَادِيكَ الَّذِي
 قَصْرٌ لَوْ أَنَّكَ قَدْ كَحَلَّتْ بَنُورُهُ
 وَاشْتَقَى مِنْ مَعْنَى الْحَيَاةِ نَسِيمُهُ
 نُسِيَّ الصَّبِيحِ مَعَ الْمَلِيحِ^١ بِذِكْرِهِ
 وَلَوْ أَنَّ^٢ بِالْإِيوَانِ قَوِيلَ حُسْنِهِ
 أَعْيَتْ مَصَانِعُهُ عَلَى الْفُرْسِ الْأَلَى
 وَمَضَتْ عَلَى الرُّومِ الدَّهُورُ وَمَا بَنَوْا
 أَذْكَرْتَنَا الْفِرْدَوْسَ حِينَ أَرَيْتَنَا
 فَاَلْمَحْسُونُونَ تَزِيدُوا أَعْمَالَهُمْ^٣
 وَالْمَذْنُوبُونَ هَلُّوا الصِّرَاطَ وَكَفَّرَتْ
 فَلَكَ^٤ مِنَ الْأَفْلَاكِ إِلَّا أَنَّهُ
 أَبْصَرْتُهُ فَرَأَيْتُ أَبْدَعَ مِنْظَرٍ
 وَظَنَنْتُ أَنِّي حَالِمٌ فِي جَنَّةٍ
 وَإِذَا الْوَلَايِدُ فَتَحَتْ أَبْوَابَهُ
 عَضَّتْ عَلَى حُلُقَانِهَا ضِرَاجِمُ^٥
 فَكَأَنَّهَا لَبَدَتْ لَتَهْصِرَ عِنْدَهَا
 تَجْرِي الْخَوَاطِرُ مُطْلَقَاتٍ أَعْنَتِ
 بِمُرْخَمِ السَّاحَاتِ تَحْسِبُ أَنَّهُ
 وَمُحْصَبٌ بِالْأُتْرُجِ تَحْسِبُ تَرْبَهُ
 تَسْتَخْلِفُ الْأَبْصَارُ مِنْهُ إِذَا أَتَى^٦

أَضْحَى بِمَجْدِكَ بَيْتُهُ مَعْمُورًا
 أَعْمَى لَعَادَ إِلَى الْمَقَامِ بَصِيرًا
 فَيَكَادُ يُحْدِثُ لِلْعِظَامِ^٢ نُشُورًا
 وَمَتَا فُفَاقَ خَوَرِنَقًا وَسَدِيرًا
 مَا كَانَ شَيْئًا عِنْدَهُ مَذْكُورًا
 رَفَعُوا الْبِنَاءَ وَأَحْكَمُوا التَّدْبِيرَ
 لِلْمُلُوكِ شَبَهًا لَهُ^٣ وَنَظِيرًا
 غُرْفًا رَفَعَتْ بِنَاءَهَا وَقُصُورًا
 وَرَجَوْا بِذَلِكَ جَنَّةً وَحَرِيرًا
 حَسَنَاتُهُمْ^٤ لِلذُّنُوبِ تَكْفِيرًا
 جَقَرَتِ الْبُيُوتُ فَاطْلَعَتِ الْمَنْصُورُ
 ثُمَّ^٥ انْتَبَهَتْ بِنَاطِرِي مَحْشُورًا
 لَمَّا رَأَيْتُ الْمَلِكَ فِيهِ كَبِيرًا
 جَعَلَتْ تَرْحَبُ بِالْعَفَاةِ صَرِيرًا
 فَغَرَّتْ بِهَا أَفْوَاهُهَا تَكْشِيرًا^٦
 مَنْ لَمْ يَكُنْ بِدُخُولِهِ مَأْمُورًا
 فِيهِ فَتَكْبُورُ عَنْ مَدَّاهِ قُصُورًا
 فُرْشَ الْمَاهِ وَتَوْشَحَ الْكَافُورًا
 مَسْكَ تَضُوعِ نَشْرِهِ وَعَبِيرًا
 صُبْحًا عَلَى غَسَقِ الظَّلَامِ مُنِيرًا

١ ك : الجنان .

٢ ك : بالعظام .

٣ ك : تكبيرا .

٤ ق ج ط : تستخلف الاصباح منه إذا انقضى .

٥ ق ج ط : عتق .

ثم ذكر بركة فيه عليها أشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه ، وتنفذ
فذكر أسوداً على حافاتها قاذفة بالمياه أيضاً ، فقال ^١ :

وضراغم سكنت عرينَ رياسة ^٢ تركت خريبر الماء فيه زئيرا
فكانت غشى النضارُ جسمها وأذاب في أفواهِها البكتورا
أمدُّ كأنَّ سكُونها متحرك في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتدكرت فتكاتها فكانت أفتت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها نارا وألسنها اللواحس نورا
فكانت سكت سيوف جداول ذابت بلا نارٍ فعدن غديرا
وكانت نسج النسيم لائه درعا فقدّر سردها تقديرا
وبديعة الثمرات تعبّر نحوها عيناى بحر عجائب مسجورا
شجيرة ذهبية نزعَت إلى سحرٍ يؤثر في النهى تأثيرا
قد صولجت أغصانها فكانت قنصت بين ^٣ من الفضاء طيورا
وكانت تأبى لواقع ^٤ طيرها أن تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها ماء كسكسال اللجين نميرا
خرس تعد من الفصاح فلان شدت جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكانت في كل غصن فضة لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج مرفق قطرها فوق الزبرجد لؤلؤا متثورا
ضحكت محاسنه إليك كأنما جعلت لها زهر النجوم ثغورا
ومصقح الأبواب تبرا نظروا بالنقش فوق شكوله ^٥ تنظيرا
تبدو مسامير النضار كما عكت تلك النهود من الحسان صدورا

١ المقتطفات (الورقة : ٣٠) وديوان ابن حمديس : ٥٤٧ .

٢ ق ج ط : قد صوبت . . . قبضت بين . ٣ ك : لوقع .

٤ ق ج ط : بين شكوله .

٥ ق ك ج ط : من الجنان صديرا .

خَلَعَتْ عَلَيْهِ غِلَظًا وَرُسِيَّةً^١ شَمْسٌ تَرِدُ الطَّرْفَ عَنْهُ حُسِيرًا
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غَرَائِبِ سَقْفِهِ أَبْصَرْتَ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرًا
 وَعَجِبْتَ مِنْ خُطَافِ عَسْجَدِهِ الَّتِي حَامَتْ لَتَبَتِي فِي ذُرَاهُ وَكُورًا
 وَضَعْتَ بِهِ صُنَاعَهُ^٢ أَقْلَامَهَا فَأَرْتِكَ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصْوِيرًا
 وَكَأَنَّمَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لَبِقَةٌ مَشَقُّوا بِهَا التَّرْوِيقَ وَالتَّشْجِيرَا
 وَكَأَنَّمَا بِاللَّازُورِدِ^٣ مَخْرَمٌ بِالْخَطِّ فِي وَرَقِ السَّمَاءِ سُطُورَا
 وَكَأَنَّمَا وَشَوْا عَلَيْهِ مَلَاءَةٌ تَرَكُّوا مَكَانَ وَشَاحِهَا مَقْصُورَا

ثم مدح المنصور بعد ذلك ، وختم القصيدة بقوله :

يَا مَالِكَ الْأَرْضِ الَّذِي أَضْحَى لَهُ مَلِكُ السَّمَاءِ عَلَى الْعُدَاةِ نَضِيرَا
 كَسَمَ مِنْ قُصُورٍ لِلْمُلُوكِ تَقَدَّمَتْ وَاسْتَوْجَبَتْ بِقُصُورِكَ^٤ التَّأْخِيرَا
 فَعَمَرَتْهَا وَمَلَكَتْ كُلَّ رِيَاسَةٍ مِنْهَا وَدَمَرَتْ الْعِدَا تَدْمِيرَا

قلت : لم أر لهذه القصيدة من نظير ، في معناها اليناع النضير ، ولفظها العذب التميم ، الذي شَمَّرَ فيه قائلها عن ساعد الإجازة أي تشمير ، غير أن فيها عندي عيباً واحداً ، وهو ختمها بلفظ التدمير ، وعلى كل حال فالحسن والإحسان ، يُقَادَانِ فِي أَرْسَانِ ، لعبد الجبار بن حمديس المذكور ذي المقاصد الحسان ، وخصوصاً في وصف المباني والبرك ، فما أبقي لسواه في ذلك حسناً ولا تَرَكَ .

ومن ذلك قوله في وصف بركة تجري إليها المياه من شاذِرَوَانِ من أفواه

١ ق : موشية .

٢ ك : صناعها .

٣ ك : اللازورد فيه .

٤ ق : لقصورك .

طيور وزرافات وأسود ، وكل ذلك في قصر أطنب في وصفه في قصيدة طويلة^١

والماء مِنْهُ سَبَائِكُ^٢ فضيَّةٌ
وكأنما سيفٌ هناك مُشَطَّبٌ
كم شاخصٍ فيه يُطِيلُ تَعَجُّباً
عَجَباً لها تَسْقِي الرِّياضَ بِنَابعِها
خُصَّتْ بِطائِرةٍ على فَنَنِ لها
قُسُ الطيور الخاشعات بلاغةً
فلِذَا أُتِيحَ لها الكلامُ تَكَلَّمَتْ
وكانَ صانعُها استبدَّ بصنعةٍ
أَوْفَتْ على حَوْضٍ لها فكأنَّها
فكأنَّها ظنَّتْ حلاوةَ مائها
وَزَرَّافَةً في الجوفِ من أنبويها
مركوزة كالرمحٍ حيثُ ترى له
وكأنما تَرْمِي السماءَ بِسُنْدُوقٍ
لو عاد ذاك الماءَ نَقْطاً أحرقت
في بركةٍ قامت على حافاتِها
نَزَعَتْ إلى ظُلَمِ النفوسِ نفوسُها
وكانَ بَرْدَ الماءِ مِنْها مُطْفِئٌ
وكأنما الحياتُ من أفواهِها
وكأنما الحيتانُ إذ لم تَخْشَها

ذابتَ على دَوَّحاتٍ^٣ شاذِرَوانٍ
ألقتهُ يومَ الحربِ كَفَّ جَبانٍ
من دَوَّحةٍ نَبَتَتْ^٤ من العقيانِ
نَبَعَتْ من الثمراتِ والأغصانِ
حَسُنَتْ فَأفَرِدَ حُسْنُها من ثاني
وفصاحةٍ من مَنطِقٍ وبيانِ
بِخَرِيرِ ماءٍ دائِمٍ الهَمَلانِ
فَخَرَّ الجِمامُ بها على الحيوانِ
منها على العَجَبِ العُجَابِ رَوَّافٍ
شَهِداً فذاقَتَهُ بكلِّ لسانِ
ماءٍ يُرِيكَ الجَرَيَّ في الطيرانِ
من طعنه الخلقَ انعطافَ سنانِ
مُسْتَنْبِطٍ من لؤلؤٍ وجُمانِ
في الجِوِّ مِنْهُ قَميصٌ كلِّ عَتانِ
أَسَدٌ تذلُّ لعزَّةِ السلطانِ
فلذلك انتزَعَتْ من الأبدانِ
ناراً مُضَرَّمةً من العدوانِ
يَطْرَحْنَ أَنفُسَهُنَّ في الغُدرانِ
أخذتَ من المنصورِ عقدَ أمانِ

١ المقطعات (الورقة : ٢٢) وديوان ابن حنيس : ٤٩٥ ، ونهاية الأرب .

٢ ك : من فضة .

٣ ك : درجات .

٤ ق ج ط : بنيت .

وهاتان القصيدتان لابن حمديس - كما في المناهج - مع طولهما تدلان على الإبداع الذي ابتكره ، والاختراع الذي ما ولج سمع أحد من الفضلاء إلا شكره ^١ .

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي ^٢ يصف قصرأ بمصر يسمى « منزل العز » بناه حسن بن علي [بن يحيى] بن تميم بن المعز العبدي ^٣ :

منزل العز كاسمه معناه	لا عدا العز من به سمائه
منزل ودت المنازل في أع	لى ذراه لو صيرت إياه
فأجل فيه لحظ عينيك تبصير	أي حستن دون القصور حواه
سال في سقفه الثضار ولكن	جمدت في قراره الأمواه
وبأرجائه متجال طراد	ليس تنفك من وعى خيلاه
تبصر الفارس المدجج فيه	ليس تدمى من الطعان قناه
وترى النابل المواصل للتر	ع بعيداً من قرنيه مرماه
وصفوفاً من الوحوش وطير	جوا كل مستحسن مرآه
سكنات نخالها حركات	واختلاف كأنه إشباه

... ..

١ زاد في ك : لما أسكره .

٢ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز : ولد بدانية سنة ٤٦٠ ثم رحل إلى الإسكندرية أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أبي تميم معد ، وسجن بمصر مدة ، ثم عاد إلى المغرب فأنزل بجيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي ، وتوفي سنة (٥٢٩) وكان أبو الصلت طبيباً شاعراً ومن مؤلفاته كتاب الحديقة ، والرسالة المصرية (وقد نشرت هذه بتحقيق عبد السلام هارون في سلسلة نواذر المخطوطات ، القاهرة ١٩٥١) . انظر ترجمته في ابن أبي أصيبعة ٢ : ٥٢ ومعجم الأدباء ٧ : ٥٢ وتحفة القادام ص : ٣ ووفيات الأعيان ١ : ٢٢٠ وتاريخ الحكماء : ٨٠ والمغرب ١ : ٢٥٦ .

٣ كلمة العبدي هنا مضللة لأن « حسن بن علي بن تميم بن المعز » أحد سلاطين بني زيري بالقيروان وكان المعز عبدياً بالتبعية أي يدين للبيديين ولكنه تنكر لهم سنة ٤٤١ وعاد إلى مله أهل السنة ، وحسن لا يبي قصرأ بمصر ، ولا بد من أن يكون المقرئ قد وهم فذكر قصرأ بناء أحد البيديين بمصر أو بناء حسن بالمهدية . أما الشاعر تميم بن المعز العبدي فكان عقيماً (الحلقة ١ : ٢٩١) .

كُحَيَّا الحبيب حرقاً بحرفٍ ما تعدَّى صفاته إذْ حكا
وَرَدُّهُ وَجَتَاهُ ، نرجسه الفتى انْ عَيْنَاهُ ، آسَهُ عارضاه
وَكأنَّ الكافور والمسك في الطيب بـ وفي اللون صُبْحه ومسا
منظرٌ يبعثُ السرورَ ومَرَأى يذكرُ المرءَ طيبَ عَصْرِ صباه

وقال أبو الصلت أمية الأندلسي المذكور يذكر بناء بناء علي^١ بن تميم
ابن المعز العبدي :

لله مجلسك المنيفُ قبابُهُ بموطدٍ فوق السَّمَاءِ^٢ مؤسَّسِـ
مُوفٍ على حُبِّكَ المجرة تلتقي فيه الجوّاري بالجوّاري الكُنُوسِـ
تقابلُ الأنوارُ من جَنَابَتِهِ فالليلُ فيه كالنَّهارِ المشمِسِـ
عَطَفَتْ حَنَائِيهِ دُورَيْنِ سَمَائِهِ عَطَفَ الأهلَةُ والجوّاجِبُ والقَيْسِـ
واستشرفتْ عمُدَ الرخامِ وظهورتْ بأجلٍ من زهر الربيعِ وأنفُسِـ
فهواؤه من كلِّ قَدَةٍ أهيفِـ وقرارُهُ من كلِّ خَدَةٍ أملتِـ
فلنكَّ: نَحِيرُ فِيهِ كلُّ منجَمِـ وأقرَّ بالتقصيرِ كلُّ مَهْتَدِسِـ
فَبدا لِيَلْحَظَ العَيْنُ أَحْسَنَ منظرِـ وغدا لطيب العيشِ خَيْرُ^٣ مَعْرَسِـ
فاطلعْ به قمرًا إذا ما أطلعتْ شمسُ الدُّورِ عليكِ شمسُ الأكُوسِـ
فالناسُ أَجْمَعُ دونَ قَدْرِكَ رُبَّةُ والأرضُ أَجْمَعُ دونَ هذا المجلسِـ

ويُعْجِبُنِي قول أبي الصلت أمية المذكور يصف حال زيادة النيل ونقصانه :

ولله مَجْرَى النيلِ منها إذا الصَّبَا أَرْتَنَّا به من مَرَّها عَسْكَرًا مَجْرَا
إذا زاد يحكي الوردَ لَوْنًا وإن صفا حكي مائه لَوْنًا ولم يعلِّه نَشْرًا^٤

١ تحفة القادِم : يحيى بن تميم .

٢ ق ج ط : السماء .

٣ ك : ولم يحكه مرا .

٤ ك : طيب .

وقال رحمه الله تعالى يصف الرصد الذي بظاهر مصر :

يا نُزْهَةَ الرصد اللاتي قَدِ اشْتَمَلَتْ من كلِّ شيءٍ حلا في جانب الوادي^١
فذا غديرٌ، وذا رَوْضٌ ، وذا جَبَلٌ والضْبُ والنونُ والملاحُ والحادي

وهو مأخوذ من قول الأول يصف قصر أنس بالبصرة^٢ :

زُرُّ وادي القصر ، نعم القصرُ والوادي لا بُدَّ من زَوْرَةٍ مِنْ غَيْرِ مِيعَادِ
زُرُّهُ فَلَيْسَ لَهُ نِدٌّ يُشَاكِلُهُ من منزلٍ حاضِرٍ إن شئت أو بادي
تلقَى به السُّفْنُ والظِّلْمَانِ حاضِرَةٌ والضْبُ والنونُ والملاحُ والحادي

وقال رحمه الله تعالى يذكر الهرميين^٣ :

بَعِيشِكَ هل أبصرت أحسنَ مِنْظَرًا على طول ما عاينت من هَرَمِيٍّ مِصْبَرٍ
أنافا بأعنانٍ ، السماء ، وأشرفا على الجولِ إشرافَ السَّمَاءِ أو النَّسْرِ^٤
وقدَ وافيا نَشْرًا مِنْ الأرضِ عاليًا كأنهُما ثديانٍ^٥ قاما على صدرٍ

وستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى في الباب الخامس .

وعلى ذكر الأنهار والبرك فما أحسن قول بعض الأندلسيين يصف بركة
عليها عدة فَوَارَاتٍ^٦ :

غَضِبَتْ مجاريها فأظهر غَيْظَهَا ما في حشاها من خَفِيٍّ مُضْمَرٍ

١ ق ط : النادي .

٢ الشعر لابن أبي عينة المهلبى كما في الأغاني ٢٠ : ٣٧ (دار الثقافة) ومعجم البلدان (قصر عيسى) مع بعض اختلاف في الرواية .

٣ الأبيات في مسالك الأبحار ١ : ٢٣٧ وبدائع البداهة : ١٣٦ (ط . بولاق) .

٤ ك : بأكناف .

٥ ك : على النسر .

٦ ك : نهْدان . ٧ المقطعات (الورقة : ٣٣) .

وكانَ نَبَعَ الماءِ من جَنابَتِها والعينُ تَنْظُرُ منه أحسنَ منظرٍ
قُضِبَ من البلّورِ أثمرَ فرْعُها لما انتهت بالؤلؤ المتحدِّرِ

وقال ابن صارة الأندلسي^١ يصف ماء بالركة والصفاء^٢ :

والنهرُ قد رَقَّتْ غِلالَةٌ خَصَره وعليه من صِبْغِ الأصيل طِرازُ
تترَقُّرُ الأمواجِ فيه كأنَّها عُكِنُ الحُصُورِ تَهزأ الأعجازُ

وما أحسن قول بعض الأدباء ولم يحضرني الآن اسمه^٣ :

والنهرُ مكسوفٌ غِلالَةٌ فضَّةٍ فإذا جرى سيلاً فتوبَ نُصارٍ
وإذا استقام رأيت صفحةً مُنْصَلٍ وإذا استدار رأيت عطفَ سِوارٍ

وقال ابن حَمْدِيسَ المغربي يصف نهراً بالصفاء^٤ :

ومُطَرَّدِ الأمواجِ يصقُلُ متته صَباً أعلنت للعين ما في ضميره
جريحاً بأطرافِ الحصى كلَّما جرى عليها شكا أوْجاعهُ بَحْرِيَّره

وهذا النهج متسع ، ولم نطل السير في هذه المهامه ، وإنما ذكرنا بعض
كلام المغاربة ليتنبه به مُنتَقِصهم من سِنَّة أوهامه ، ولأن في أمرها عبرة لمن
عقل ، إذا أصدأ مرآة حسننها ولطالما كان لمتنها صَقَل .

١ ابن صارة الأندلسي : أبو محمد عبد الله بن صارة الشتريني (ويكتب أيضاً : سارة بالسين)
سكن إشبيلية وتعيش فيها بالوراقة وتجول في بلاد الأندلس مادحاً (توفي سنة ٥١٧) . انظر
ترجمته في الذخيرة ، القسم الثالث : ٣٢٣ والمغرب ١ : ٤١٩ والقلائد : ٢٦٠ والتكملة :
٨١٦ ومسالك الأبصار ١١ : ٣٨٣ وأخبار وتراجم أندلسية : ١٥ ؛ وهذه الأبيات في المقتطفات
(الورقة : ٣٣) .

٢ زاد في ك : يجري على الصفا .

٣ المقتطفات (الورقة : ٣٣) .

٤ ديوان ابن حديد : ١٨٦ والمقتطفات (الورقة : ٣٣) .

[البكاء على غراب العمران]

وقد وقفت على كلام لصاحب المناهج في هذا المعنى فأحببت ذكره ملخصاً ، وهو : ونُلحق بذكر المنازل التي راق منظرها ، وفاق منبرها ، وارتفع بناؤها ، واتسع فناؤها ، طَرَفاً من الكلام على ما عتقاه الدهرُ من رسومها ، وعماه من محاسن صُور كانت أرواحاً لجسومها .

وَصِفْ أعرابي محلة قوم ارتحلوا عنها فقال نثرأ : ارتحلت عنها ربّات الخُدُور ، وأقامت بها أثافي القدور ، ولقد كان أهلها يعفون آثار الرياح فعفت الرياح آثارهم ، وذهبت بأبدانهم وأبقت أخبارهم ، والعهد قريب ، واللقاء بعيد .

وقال عمر بن أبي ربيعة فأحسن^١ :

يا دارُ أُمسَى دارساً رَسْمُهَا وَحَشاً قَفاراً ما بيها آهِلُ
قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ بِهَا ذَيْلَهَا وَاسْتَنَّتْ فِي أَطْلَالِهَا الْوَابِلُ

ومن كلام الفتح بن خاقان ، في قلائد العقيان ، يذكر آل عبّاد من فصل أكثر فيه التفجّع ، وأطال به التوجّع^٢ : والغصون^٣ تختال في أدواحها ، والأزاهر يُحْيِي مِيتَ الصَّبَابَةِ شَدّاً أرواحها^٤ ، وأطيّارُ الرِّياضِ^٥ قد أشرفت عليهم^٦ كَشْكَالِي يَنْجُنَ عَلَى خَرَابِهَا ، وانقراض أطرابها ، والوهي بمشيدها لاعِب ، وعلى كل جدار منها غُرَاب ناعِب ، وقد محت الحوادث ضياءها ، وقَلَصَتْ ظلالها وأفياءها ، ولطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت ، وفاحت من

١ ديوان عمر : ٣٠١ .

٢ قلائد العقيان : ١٠ .

٣ ق ك ج ط : والقصور .

٤ القلائد : وتنشئ في أكف أرواحها .

٥ القلائد : وآثار الديار .

٦ قد أشرفت عليهم : زيادة من القلائد .

شَدَّاهُمْ وَأَرْجَت^١ ، أَيَّامَ نَزَلُوا خِلَالَهَا ، وَتَفَيَّأُوا ظِلَّالَهَا ، وَعَمَرُوا حُدَاتِهَا
وَجَنَّتَاهَا ، وَتَبَّهُوا الْآمَالَ مِنْ سِنَاتِهَا ، وَرَاعُوا اللَّيْثَ فِي آجَامِهَا ، وَأَخْجَلُوا
الْفَيْوْثَ عِنْدَ انْسِجَامِهَا ، فَأَصْبَحَتْ وَلَهَا بِالنَّدَايِ^٢ تَلْفُعٌ وَاعْتِجَارٌ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ
آثَارِهَا إِلَّا نُؤْيٍ وَأَحْجَارٌ ، قَدْ هَوَّتْ قِيَابُهَا ، وَهَرِمَ شَبَابُهَا ، وَقَدْ يَلِينُ
الْحَدِيدُ ، وَيَبْتَلَى عَلَى طَيْهِ الْحَدِيدُ .

وقال أبو صخر القُرْطُبِيُّ يذكر ذلك من أبيات ينعمهم بها :

ديار عَليَها مِنْ بَشَاشَةِ أَهْلِها بقايا تُسَرُّ النَّفْسَ أَنْسَا وَمَنْظَرَا
رُبُوعَ كَسَاها الْمَزْنُ مِنْ خِلَعِ الْحَيَا بُرُوداً وَحَلَاها مِنَ النَّوْرِ جَوَاهِرَا
تُسْرُكُ طَوْرًا ثُمَّ تُشْجِيكَ تَارَةً فَرْتَا حُ تَأْنِيساً وَتَشْجِي تَذَكُّرَا

ومن كلام أبي الحسن القاشاني يصف نادي رئيس خلا من ازدحام الملا ،
وعَوَضَهُ الزَّمَانُ مِنْ تَوَاصُلِ أَحِبَّابِهِ هَجْراً وَقِيلَ : « قَدْ كَانَ مِثْلَهُ مَأْلَفَ
الْأَضْيَافِ ، وَمَأْنَسَ الْأَشْرَافِ ، وَمُنْتَجِعَ الرِّكَبِ ، وَمَقْصِدَ الْوَفْدِ ،
فَاسْتَبَدَلَ بِالْأَنْسِ وَحَشَّةً ، وَبِالضِّيَاءِ ظُلُمَةً ، وَاعْتَاضَ مِنْ تَزَاحُمِ الْمَوَاقِبِ ،
تَلَاطُفَ النَّوَادِبِ ، وَمِنْ ضَجِيجِ النَّدَاءِ وَالصَّهِيلِ ، عَجِيجَ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ » .
ومن رسالة لابن الأثير الجزري يصف دِمْنَةَ دَارٍ^٣ لعبت بها أيدي الزمن ،
وفُرِّقَتْ بَيْنَ الْمَسْكَنِ وَالْمَسْكَنِ : « كَانَتْ مَقَاصِيرَ جَنَّةٍ ، فَأَصْبَحَتْ وَهِيَ مَلَاغِبُ
جَنَّةٍ ، وَقَدْ عَمِيَتْ أَخْبَارُ قُطَّانِهَا ، وَآثَارُ أَوْطَانِهَا ، حَتَّى شَابَهَتْ إِحْدَاهُمَا فِي
الْخَفَاءِ ، الْأُخْرَى فِي الْعَفَاءِ ، وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهَا لَا تُسْقَى بَعْدَهُمْ بَغَامٌ ، وَلَا
يُرفَعُ عَنْهَا جَلِيبَابُ ظَلَامٍ ، غَيْرَ أَنَّ السَّحَابَ بَكَاهُمْ فَأَجْرَى بِهَا هَوَامِعَ دُمُوعِهِ ،
وَاللَّيْلَ شَقَّ عَلَيْهِمْ جَيُوبَهُ فَظَهَرَ الصَّبَاحُ مِنْ خِلَالِ صُدُوعِهِ » .

١ ك : وتأرجت .

٢ بالتداعي : زيادة من القلائد .

٣ دار : سقطت من ك .

وقد لمح في بعض كلامه قول الشريف^١ من أبيات يصف فيها ما كان في
الحيرة من منازل النعمان بن المنذر^٢ :

ما زلتُ أطرقُ المنازلُ باللّوى حتى نزلتُ منازل النعمانِ
بالحيرةِ البيضاء حيث تقابلتُ شَمَّ العِماد عريضة الأعطانِ
شهدتُ بفضل الرّافعين قبابها ويبينُ بالبنان فضلُ الباني
ما يفتحُ الماضين أن بقيتُ لهم خططُ مَعَمرةٍ بعمُرٍ فاني

يقول فيها :

ولقد رأيتُ بديراً هندياً منزلاً ألبأ من الضراء والحيدانِ
يُغْضِي كَسَمِيعِ الهَوَانِ تَغَيَّبَتْ أنصارُهُ وخلا من الأعوانِ
بالي المعالم أطرقَت شرفانهُ إطراقاً مُنْجذبِ القرينة عاني
أَمَقاصِرِ الغِزلانِ غَيْرَكِ البلى حتى غَدَوْتُ مَرابضَ الغِزلانِ
وملاعِبِ الإنسِ الجميع طوى الردى منهمُ فصِرْتُ ملاعبَ الجِنانِ

ومنها :

مِسْكِيَّةُ النّفحاتِ تحسبُ ثُرْبَها بُرْدَ الخَلِيعِ مُعَطَّرَ الأردنِ
وكأنما نسيَ الثّجارُ لَطِيمَةَ جَرَّتِ الرّياحُ بها على القِيعانِ^٣
ماء كجيبِ الدّرعِ يَصْقُلُهُ الصّبا وفيهِ بدوْحَتُهُ النّسيمُ الوافي
زَفَرَ الزّمانُ عَلَيهِمْ ففَرَّقُوا وجَلَّوْا عن الأوطار والأوطانِ

١ يعني الشريف الرضي .

٢ ديوان الشريف ٢ : ٤٦٨ .

٣ ق لـ والديوان : المقيان .

٤ الديوان : وفقاً يدرجه .

وقال أبو إسحاق الصابي ، وتواردَ مع الشريف الرضي في المعنى والقافية ،
يصف قصر رَوْحٍ بالبصرة ^١ :

أَحْبَبَ إِلَيَّ بِقَصْرِ رَوْحٍ مِثْلًا شهدتْ بَنِيَّتُهُ بِفَضْلِ الْبَانِي
سُورٌ عَلَا وَتَمَنَعَتْ شُرْفَاتُهُ فَكَأَنَّ إِحْدَاهُنَّ هَضْبُ أَبَانٍ
وَكَاثِمًا يَشْكُو إِلَى زُورَاهِ بَيْنَ الْخَلِيطِ وَفُرْقَةِ الْخَيْرَانِ
وَكَاثِمًا يُبْدِي لَهْمٍ مِنْ نَفْسِهِ إِطْرَاقَ مَحْزُونِ الْحَشَا حَرَّانِ

ولأحمد بن فرج الإلبيري من أبيات :

سَأَلْتَهَا بِهَا فَمَا رَدَّتْ جَوَابًا عَلَيْكَ ، وَكَيْفَ تَخْبِرُكَ الطَّلُولُ ؟
وَمِنْ سَقَمِهِ سَأَلْتُكَ رَسْمَ دَارٍ مَضَى لِعَقَائِهِ زَمَنٌ طَوِيلُ
فَإِنْ تَكُ أَصْبَحْتَ قَفْرًا خَلَاءَ لَعَيْنِكَ فِي مَغَانِيهَا هُمُولُ
فَقِدْمًا قَدْ نَعِمْتَ قَرِيرَ عَيْنٍ بِهَا وَبَرَبْعِهَا الرِّشَاءُ الْكَحِيلُ

وقال أبو عبد الله بن الخطاط ^٢ الأندلسي الأعمى :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا بِالْقَلْبِ مِنْ نَارٍ لَمْ تَوْقِدِ النَّارَ بِالْهِنْدِيِّ وَالْغَارِ
يَا دَارَ عُلُوٍّ قَدْ هِيَجَتْ لِي شَجَنًا وَزِدْتَنِي حُرْقًا ، حُبَيْتٍ مِنْ دَارِ
كَمْ بَتُّ فَيْكَ عَلَى اللَّذَاتِ مُعْتَكِفًا وَاللَّيْلُ مُدْرَعٌ ثَوْبًا مِنَ الْقَارِ
كَأَنَّهُ رَاهِبٌ فِي الْمِسْنَحِ مَلْتَحِفٌ شَدَّ الْمَجْدُ لَهُ وَسْطًا بَزْنَارِ
يُدِيرُ فِيهِ كُؤُوسَ الرِّاحِ ذُو حَوَرٍ يَدِيرُ مِنْ طَرَفِهِ ^٣ الْخَاطِ سَحَارِ

ولا مزيد في التفجع على الديار ، والتوجع للدمن والآثار ، على قول
البحري من قصيدة يرثي بها المتوكل ^٤ :

١ أبيات الصابي في البيتة ٢ : ٢٦٩ . ٢ في الأصول : ابن الخطاط .

٣ ك : من لفظه .

٤ ديوان البحري : ١٠٤٥ (القصيدة رقم : ٤١٣) .

عَلَّ عَلَى الْقَاطُولِ أَخْلَقَ دَائِرُهُ
 كَانَ الصَّبَا تُوْفِي نَذُوراً إِذَا انْبَرَتْ
 وَرُبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ تَمَّ عَهْدُهُ
 تَغَيَّرَ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ وَأُنْسُهُ
 تَحْمَلُ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فَجَاءَهُ
 إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَ لَنَا الْأَسَى
 وَلَمْ أُنْسُ وَحْشَ الْقَصْرِ إِذْ رِيحَ سِرْبِهِ
 وَإِذْ صَبِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَيْتَكَ
 وَأَوْحَشَهُ^٣ حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ بِهِ
 كَانَ لَمْ تَبَيَّتْ^٤ فِيهِ الْخَلَاقَةُ طَلْقَةً
 وَلَمْ نَجْمَعِ الدُّنْيَا لِأَيِّهِ بَتَاءَهَا
 فَأَيْنَ الْحِجَابُ الصَّعْبُ حَيْثُ تَمْنَعَتْ
 وَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوْبَةٍ
 وَغَادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ جِيْشاً تُغَاوِرُهُ^٥
 تُرَاوِحُهُ أَذْيَالُهَا وَتَبَاكِيرُهُ
 تَرَقُّ حَوَاشِيهِ وَيُونَقُ نَاضِرُهُ
 وَقُتُوصَ بَادِي الْجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُهُ^٦
 فَعَادَتْ سِوَاءَ دَوْرِهِ وَمُقَابِرُهُ
 وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهُ
 وَإِذَا ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَاذِرُهُ
 عَلَى عَجَلٍ أَسْتَارُهُ وَسَتَائِرُهُ
 أُنَيْسُ^٧ وَلَمْ تَحْسُنْ لِعَيْنٍ مَنَاطِرُهُ
 بِشَاشَتِهَا وَالْمُلْكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهُ
 وَبَهْجَتِهَا وَالْعَيْشُ غَضُّ مَكَاسِرُهُ
 يَهْبِئُهَا أَبْوَابُهُ وَمُقَاصِرُهُ
 تَنْوِبُ وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَأَمْرُهُ

وعلى قول أبي إسحاق بن خفاجة الأندلسي^٨

وَمُرْتَبَعٍ حَطَطَتْ الرَّحْلُ فِيهِ
 نَحْرَمَ حُسْنُ مَنْظَرِهِ مَلِكٌ
 بِحَيْثُ الظِّلُّ وَالْمَاءُ الْقَرَّاحُ
 تَخْرَمَ مُلْكُهُ الْقَدَرُ الْمُتَّاحُ
 فَجَرِيَّةُ مَاءِ جَدْوَلِهِ بَكَاءُ
 عَلَيْهِ ، وَشَدْوُ طَائِرِهِ نُجَاحُ

. وهذا النوع من البكاء على الدمن ، والتأسف على ما فعلت بها أيدي الزمن ،

١ القاطول : نهر كان في موضع سامرا قبل عمرائها ؛ وفي ق ك ج ط : تغادره .

٢ الجعفري : قصر المتوكل .

٣ الديوان : ووحشته .

٤ ق ط ج : لم يتم .

٥ ق ك : تبين .

٦ ديوان ابن خفاجة : ١٣٧ ، يقولها في صفة مصنع جميل خلقه سلطانه .

كثير جداً ، لا يعرف الباحث عنه له حدّاً ، وذلك لشدة ولّوع النفوس بذكر أحبائها ، وحنينها إلى أماكنها التي هي مواطن أطرابها ، ولهذا اقتصرنا على هذه النبذة القليلة ، وجعلناها نُغْبَةً^١ يشفي المشوقُ بها غليله ، وقد كره بعض العقلاء التأسف على الديار لعلمهم أنّه لا يُجْدِي ، ولا يدفع عادية الدهر الخوون ولا يُعْدِي ، ونهوا عنه لما فيه من تجديد المصاب ، المجرّع لصاحبه الصاب والأوصاب .

قال أبو عمر بن عبد البر :

عفت المنازل غير أرْسُمٍ دِمْنَةٍ حَيَّتُهَا من دِمْنَةٍ ورُسُومٍ
كم ذا الوقوف ولم تَقِفْ في منسكٍ كم ذا الطواف ولم تطفِ بحريمٍ
فَكِيلِ الديار إلى الجنائب والصَّبَا ودَعِ القِفَارِ إلى الصدى والبوم

انتهى كلامه رحمه الله تعالى بأكثر لفظه مع بعض اختصار .

رجع إلى قرطبة - فنقول :

[رسائل لسان الدين]

وقد ألمّ لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى بذكر قرطبة وبعض أوصافها في كتاب له كتبه على لسان سلطانه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرناه بجملة في الباب الخامس من القسم الثاني فليراجع ثمة^٢ ، ونص محلّ الحاجة منه هنا : ثم كان الغزو إلى أم البلاد ، ومثوى الطارف والتلاد ، قرطبة ، وما قرطبة ؟ المدينة التي على عمل أهلها في القديم بهذا الإقليم كان العمل ، والكرومي^٣ الذي بعصاه رُعي الممّس^٤ ، والمصر الذي له في خطة المعمور الناقة والجمل^٥ ، والأفق الذي هو لشمس الخلافة العبّشمية الحمل ، فخيم الإسلام

١ ك : نعمة ؛ هامش ج : بلغة .

٢ ك : والمصر والمعمور الذي ... إلخ .

في عقوتها^١ المستباحة ، وأجاز نهرها الميبي على^٢ السباحة ، وعمّ دوحها الأشيب بواراً ، وأدار المحلات بسورها سواراً ، وأخذ بمُخَنَّقها حصاراً ، وأعمل النصر بشجرة أصلها اجتناء ما شاء واهتصاراً ، وجدّل من أبطالها من لم يرضَ انجحاراً ، فأعمل إلى المسلمين إصحاراً ، حتى قرع بعض جهاتها غلاباً جهاراً ، ورفعت الأعلام إعلاماً بغزّ الإسلام وإظهاراً ، فلولا استهلال الغوادي ، وأن أتى الوادي ، لأفضت إلى فتح الفتوح تلك المبادي ، ولقضى تَفَنَّتْه العاكفُ والبادي . انتهى .

وممّا كتب به لسان الدين - رحمه الله تعالى - في وصف هذه الغزوة لسلطان بني مرّين على لسان صاحب الأندلس ، ما صورته : المقامُ الذي نُطالعه بأخبار الجهاد ، ونُهدّي إليه عواليّ العواليّ صحيحة الإسناد ، ونُبشّره بأخبار الفتح البعيد الآماد ، ونسأل الله تعالى له تَوَالِيّ الإسعاف ودوام الإسعاد والإمداد^٣ ، ونرتقب من صنّع الله تعالى على يديه تكييفاً يخرق حجاب المعتاد ، وامتعاضاً يُطْلِيع بِآفاق البلاد نجومَ غرر الجياد ، ويفتح أبواب الفتوح بأقاليد السيوف الحِداد ، وينبئ عن مكارم منّ سلف من الآباء الكرام والأجداد ، مقامٌ محلّ أخينا الذي نستفتح له بالفتح والظهور ، ونهدي إلى معجده لما نعلم من فضل نيّته وحسن قصده لطائف السرور ، ونستظهر بملكه المؤيد^٤ المؤمل ومجده المشهور ، ونتوعد منهما العدو بالحبيب المتدخّر والولي المنتصور ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى عالي القدر ، قرير العين منشرح الصدر ، ولا زال حديث فخره سائراً مسير الشمس والبلد ، عَظَّمَ سلطانه الخلقَ بالتعظيم ، الوائقُ منه بالدُّخْر الكريم ، المثني على

١ ك : في عقوتها ؛ ق ط : بعقوتها ، والعقوة - بالواو - : الساحة .

٢ ك : المنفي عن .

٣ ك : توالي الأسعار والإمداد ؛ وسقطت « الأمداد » من ط ج .

٤ المؤيد : زيادة في ك .

مجدد الصِّمِيم وفضلته العميم ، أميرُ المسلمين عبد الله الغني بالله محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر: سلام كريم ، برّ عميم ، يخص مقامكم الأعلى ، وأخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله ربّ العباد ، ومُلهِم الرِّشَاد ، ومُكَيِّف الإِسْعَاف والإِسْعَاد ، الولي النصير الذي تُلْقِي إلى التَّوَكُّلِ عليه مقاليدَ الاعتماد ، ونمِد إلى إنجاده^١ أيديَ الاعتداد ، ونرفع إليه أكفَّ الاستمداد ، ونُخْلِصُ لوجهه الكريم عملَ الجهاد ، فتتعرَّف عوارف الفضل المزداد ، ونجني ثمار النصر من أغصان القنا الميَّاد ، ونجتلي وجوه الصنع الوسيم أبهر من وجه الصباح الباد ، ونظفر بالنعيم العاجل في الدنيا والنعيم الآجل يوم قيام الأشهاد ، ونَتَقَيَّأ ظلال الجنة من تحت أوراق السيوف الحِداد ، والصلاة على سيّدنا ومولانا محمد رسوله النبيّ الهاد ، رسول المَلْحَمَةِ المؤيَّد^٢ بالملائكة الشداد ، ونبيّ الرحمة الهامية الميَّاد ، أكرم الخلق بين الرائح والغاد ، ذي اللواء المعقود والخَوْض المورود والشفاعة في يوم التناد ، الذي بجأه نجدع أنوف الآساد يوم الجِلَاد ، وبركته تنال أقصى الأمل والمراد ، وفي مَرَضَاتِهِ نصلُ أسباب الدوداد ، فنمود بالتجرّ الرابع من مَرَضَاتِ رَبِّ العباد ، ونستولي من ميدان السعادة المعادة على الآماد ، والرضى عن آله وصحبه وأنصاره وحزبه الكرماء الأُمّجَاد ، دعائم الدين من بَعْدِهِ وهُدَاة العباد ، أنجاد الأنجاد وآساد الآساد ، الذين ظاهره في حياته بالحلوم الراجحة الأطواد ، والبَسَالَةُ التي لا تُنَالُ بالعدَد في سبيل الله والأعداد ، حتى بَوَّأوا الإسلام في القواعد الشهيرة والبِلَاد ، وأرغموا أنوفَ أهل الجحد والإلحاد ، فأصبح الدينُ رفيعَ العِمَاد ، منصور العساكر والأجناد ، مستصحب العزّ في الإصدار والإيراد ، والدعاء لمقامكم الأعلى بالسَّعْد الذي يُغْنِي عن اختيار الطوالع وتقويم الميَّاد ، والنصر الذي تُشْرِقُ أنبأؤه في

١ ل : انجاده وامداده .

٢ ط : المؤيدة .

جنح ليل المداد ، والصنع الذي تُشرع له أبواب التوفيق والسداد ، من حمراء
غُرناطة حرسها الله واليسر وثيق المهاد^١ ، والخير واضح الأشهاد ، والحمد
لله في المبدل والمعاد ، والشكر له على آلائه المتصلة الترداد ، ومقامكم الذخر
الكافي العتاد ، والمردد المتكفل بالإنجاد ، وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس
مجدكم ، ووالى نصركم وعصدكم^٢ وبلغكم من فضله العميم أملككم
وقصدكم ، فإتينا نؤثر تعريفكم بتافه المتزيدات^٣ ، ونورد عليكم أشات^٤
الأحوال المتجدات ، إقامة لرسم الخلوص في التعريف بما قل^٥ ، ومودة
خالصة في الله ، عز وجل^٦ ، فكيف إذا كان التعريف بما تهتر منابر الإسلام
ارتياحاً لوروده ، وتنشرح الصدور منه لمواقع فضل الله وجوده ، والمكيفات
البديعة الصفات في وجوده ، وهو أنتنا قدمنا إعلامكم بما تويناه من غزو
مدينة قُرطبة أم البلاد الكافرة ، ومقر الحامية المشهودة^٧ والخيرات الوافرة ،
والقُطر الذي عهده بللّام الإسلام متقاد ، والركن الذي لا يتوقع صدمة
صادم ، وقد اشتمل سورها من زعماء ملّة الصليب على كل رئيس بئيس^٨ ،
وهيزبر خيس^٩ ، وذو مكر وتكليس ، ومن له سمة تذيع مكانه وتشيعه ،
وأتباع على المنشط والمكره تطيعه ، فاستدعينا المسلمين من أقاصي البلاد ،
وأذعنا في الجهات نفير الجهاد ، وتقدمنا إلى الناس بسعة الأزواد ، وأعطينا
الحركة التي تخلف المسلمون فيها وراءهم جمهور الكفر من الأقطار والأعداد
حقها من الاستعداد ، وأفضنا^{١٠} العطاء والاستلحاق والاستركاب في أهل الغناء

١ ك : قد وطأ المهاد .

٢ زاد في ك : وعدكم وعدكم .

٣ ق : المستزيدات . ٤ ق : بعد الشتات .

٥ ق : الشهيرة .

٦ بئيس : سقطت من ق .

٧ ق ودوزي : خيس ؛ والنيس : الفيل .

٨ ك : وأفضينا .

وأبطال الجلال ، فحشر الخلق في صعيد ، وأخذوا الأهبّة والزينة في عيد سعيد ، وشمل الاستدعاء كل قريب وبعيد عن وعد ووعد ، ورحلنا وفضلُ الله شامل ، والتوكّل عليه كافٍ كافٍ ، وخيّمنا بظاهر الحضرة حتى استوفى الناس أربابهم ، واستكملوا أسرارهم ، ودُسّنا منهم بلادَ النصارى بجموع كثراها الله وله الحمد وأتمّها ، وأبعد في التماس ما عنده من الأجر مُنتمّاها ، وعندما حَكَلْنَا قاشرة^١ وجدنا السلطان دُونُ بيطرته مؤمل نصرنا وإنجادنا ، ومستعيد حفظه من لواحق^٢ جهادنا ، ومقتضي دين كدّحه بإعانتنا إياه وإنجادنا ، قد نزل بظاهرها في محلات ممّن استقر على دعوته ، وتمسك بطاعته ، وشمله حكم جماعته ، فكان لقائنا إياه على حالٍ أقرّت عيون المسلمين ، وتكفّلت بإعزالي الدين ، ومجملها يغني عن التعمين ، والشرح والتبيين ، ورأى هو ومن معه من وفور جيش الله ما هالهم ، وأشكّ في حال اليقظة خيالهم ، من جموع تسدّ الفضاء ، وأبطال تُقارع أسود الغضا ، وكتائب منصور ، ورايات منشورة ، وأمم محشورة ، تفضل عن مرأى العين ، وتُردي العدو في مهاوي الحين ، فاعترفوا بما لم يكن في حسابهم ، واعتبر في عزة الله سبحانه أولو ألبابهم ، وإذا كثّر الله تعالى العدد تما وزكا ، وإذا أزاح العليل ما اعتذر غاز ولا شكا ، وسالت من الغد الأباطح بالأعراف ، وسمّت الهوادي إلى الاستشراف ، وأخذ الترتيب حقه من المواسط الجهادية والأطراف ، وأحكمت التعبئة التي لا ترى العين فيها خفلا ، ولا يجد الاعتبار^٣ عندها دخلا ، وكان التزول على فرسخ من عُدوة النهر الأعظم من خارج المدينة أنجز الله تعالى وعدّ دمارها ، وأعادها إلى عهدّها في الإسلام وشعارها ، ومحا ظلام الكفر من آفاقها بلمة الإسلام وأنوارها ، وقد برزت من حاميتها شوكة سابعة الدروع ، وافرة الجموع ، واستجنت

١ قاشرة : ذكر ياقوت أنها من أحواز لبله ، وفي نسخة البدرية : قشرة ، وفي ق ج : ناشرة .

٢ ك : مواقع .

٣ ق ط ج ودوزي : الاختيار ، وصوابها « الاختبار » .

من أسوار القنطرة العظمى بحمى لا يُخْفَر ، وأخذ أعقابها من الحُماة والكمأة
العددَ الأوفر ، فبادر إليهم سرعانُ خيل المسلمين فصَدَّ قُوهم الدفاع والقيراع ،
والمِصال والمِصاع ، وخالطوهم هتيراً بالسيوف ، ومباكرة بالحثُوف ،
فتركوهم حصيداً ، وأذاقوهم وبلاً شديداً ، وجدلوا منهم جملة وافرة ،
وأمة كافرة ، وملكوا بعضَ تلك الأسوار فارتفعت بها راياتهم الخافقة ،
وظهرت عليها عزوماتهم الصادقة ، واقتحم المسلمون الوادي سبجاً^١ في غمره ،
واستهانةً في سبيل الله بأمره ، وخالطوا حامية العدو في ضفته فاقتلعوها ،
وتعلّقوا بأوائل الأسوار فقرعوها ، فلو كنّا في ذلك اليوم على عزم من القتال ،
وتيسير الآلات وترتيب الرجال ، لدُنْخِل البلد ، ومُلك الأهل والولد ، لكن
أجار الكفّار من الليل كافر ، وقد هلك منهم عدد وافر ، ورجع المسلمون
إلى محلاتهم ونصرُ الله سافر ، والعزم ظافر ، ومن الغد خُصُنّا البحر الذي جعلنا
العزم فيه سقيناً ، والتوكل على الله للبلاغ ضميناً ، ونزلنا من ضفتيه القُصُوى^٢
متزلاً عزيزاً مكيناً ، بحيث يجاور سورها طُنُب القباب ، وتصيب دورها من
بين المخيمات^٣ بوارق النشّاب ، وبرزت حاميتها على متعددات الأبواب ،
مقيمة أسواق الطعان والضراب ، فأبت بصفقة الحُسُر والتباب ، ولما شرعنا
في قتالها ، وربنا أشتات التكايات لنكالها ، وإن كنا لم نُبق على مُطاوله
نزالها ، أنزل الله المطر الذي قدّم بعِهاده العهد ، وساوى النجدُ من طوفانه
الوهْد ، وعظم به الجهد ، ووقع الإبقاء على السلاح ، والكف بالضرورة
عن الكفاح ، وبلغ المقام عليها ، والأخذ بمُخَنَقها والثواء لديها ، خمسة
أيام لم تخلُ فيها الأسوار من اقتراع ، ولا الأبواب من دفاع عليها وقيراع ،
وأنفذت مقاتل السناثر أنقاباً ، وارتقب الفتح الموعود ارتقاباً ، وفشت في

١ في الأصول : سيما .

٢ ك : من ضفة القوي العزيز ؛ ج ق ط : ضفة القوي .

٣ ك : الخيمات .

أهلها الجراح والعَيْثُ الصُّراح ، وساءهم المساء بعزة الله والصُّباح ^١ ، ولولا عائق المطر لكان الإجهاز والاستفتاح ، والله بعدها الفَتَّاح ، وصُرِفَت الوجوه إلى تخريب العُمران ، وتسليط النيران ، وعَقَرُ الأشجار ، وتعفية الآثار ، وأتى منها العَفَاء على المَصْر الشهير في الأمصار ، وتركت زروعها المائحة عِبرة لأولي الأبصار ^٢ ، ورحلنا عنها وقد ألبسها الدخان حداداً ، ونكس من طغاتها أجياداً ، فاعتادت الدلّ اعتياداً ، وألفت الهون قياداً ، وكادت أن تستباح عَنوة لولا أن الله تعالى جعل لها ميعاداً ، وأتى القتل من أبطاها ، ومشاهير رجالها ، ممّن يبارز ويناطح ، ويماسي بالناس ويُصابح ، على عدد جمّ أخبرت سيماهم المشهورة بأسمائهم ، ونُبّهت علاماتها على نبهائهم ، وظهر لإقدام المسلمين في المعرّكات ^٣ ، وبيروزم ^٤ بالحدود المشتركة ، وتنقيلهم الأسلاب ، وقوّدهم الخيل المسومة قوّد الغلاب ، وكان القُفول ، وقد شمل الأمن والقبول ، وحصل الجهاد المقبول ، وراع الكفر العزّ الذي يهول ، والإقدام الذي شهدت به الرماح والخيول ، وخاض المسلمون من زرع الطرق التي ركبوها ، والمنازل التي استباحوها وانتهبوها ، بحوراً بعدد منها الساحل ، وفلاحة مُدركة تتعدد فيها المراحل ، فصيروها صريعاً ، وسلّطوا عليها النار غريماً ، وحكّوا بظاهر حصن أندُوجر ^٥ وقد أصبح مألّف أذمار غير أوشاب ، ووكر طينور ^٦ نشاب ، فلما بلونا ميراسه صعباً ، وأبراجه ملئت حرساً شديداً وشهباً ، ضننّا بالنفوس أن تفيض دون افتتاحه ، فسلطنا العَفَاء على

.....

١ وفشت والصباح : سقطت العبارة من ق .

٢ ك ط : عبرة للأبصار .

٣ ق : حل المعرّكات .

٤ ق ط ودوزي : ويدرم ؛ ج : وندرهم .

٥ أندوجر (Andujar) (أندوشر عند ياقوت) حصن قريب من قرطبة إلى شمال شرقها على

نهر الوادي الكبير . وفي ك : أندجر .

٦ ك : طبر ؛ ج : طور .

ساحه ، وأغرينا الغارات باستيعاب ما بأحوازه واكتساحه ، وسلطنا النار على
حُزُونِهِ وبِطَاحِهِ ، وألصقنا بالرغام ذوائبَ أدواحيه ، وانصرفنا بفضل الله
والمناجلُ دامية ، والأجورُ نامية ، وقد وطننا المواطىء التي كانت على الملوك
قبلنا بَسْلاً ، ولم نترك بها حرثاً يرفد ولا نسلاً ، ولا ضَرْعاً يرسل رَسْلاً ،
والحمد لله الذي يتمم النعيم بحمده ، ونسأله صلة النصر^١ فما النصرُ إلا من عنده ؛
عرفناكم بهذه الكيفيات^٢ ، الكريمة الصفات ، والصنائع الروائع التي بَعُدَ
العهدُ بمثلها في هذه الأوقات ، علماً بأنها لديكم من أحسن الهديات الوُدَيَات ،
ولما نعلمه لديكم من حسن النيات وكرم الطويات ، فإنكم سُلالة الجهاد
المقبول ، والرُّفْد المبدول ، ووعده النصر المفعول ، ونرجو الله ، عزَّ وجلَّ ،
أن ينتقل خيالكم للمعاهد الجهادية ، إلى المعاينة في نصر الملة المحمدية ، وأن
يجمع الله بكم كلمة الإسلام ، على عبدة الأصنام ، ويتم النعمة على الأنام ،
وودُّنا لكم - ما علمتم - يزيد على ممرِّ الأيام ، والله يجعله في ذاته لكم متصل
الدوام ، مُبْتَلِغاً إلى دار السلام ، وهو سبحانه يتصلُّ سَعْدُكُمْ ، ويحرس مجدهم ،
ويضاعف الآلاء عندكم ، والسلام الكريم بخصمكم^٣ ورحمة الله وبركاته ، انتهى .
ومن هذا المنحى ما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى عن سلطانه ،
ونصّه : المقامُ الذي أحاديثُ سعادته لا تُمَلُّ على الإعادة والتكرار ، وسبيل
مَجَادته الشهيرة أوضح من شمس الظهيرة عند الاستظهار ، وأخبارُ صنائع
الله للملكه ، ونظمُ فرائد الآمال في سلكه ، تخلدها أقلامُ الأقدار ، بمداد الليل
في قرطاس النهار ، وترسُّمها بتذهيب الإسفار في صفحات الأقمار ،
وتجعلها هيجري حُملاء الأسفار - وحُدادة القطار في مسالك الأقطار ، مقامُ

١ ك : حلة النصر .

٢ ق ط ودوزي : المكيفات .

٣ ك : يصحبكم .

٤ ق : صحائف .

محل أحيانا الذي نلذ عادة هنائه مع الإعادة ، ونلتقى أنباء علائه بالإذاعة والإشادة ،
 ونُطَرِّزُ بأعلام ثنائه صحائف المجادة ، ونشكر الله أن وَهَبَ لنا من أخوته
 المضافة إلى المحبة والودادة ، ما يرجح في ميزان الاعتبار أخوة الولادة ، وعرفنا
 بيمُنْ ولايته عوارف السعادة ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان
 الكذا أبقاه الله تعالى في أعلام الملك السعيد ، بَيَّتَ القصيد ، ووَسَطَى القِلادة ،
 ومجلى الكمال الذي تبارى بميدان بأسه وجوده جنسا بالإبادة والإفادة ، ولا زالت
 آماله القاصية تنثال طَوَّع^١ الإرادة ، ويمن نقيبته يجمع من أشنات الفتح
 والعز المنوح بين الحسنى وزيادة^٢ ، مُعَظَّمُ سلطانه العالي ، المثني على مجده
 المرفوع إسنادُه في عوالي المعالي ، المسرور بما يسنيه الله له من الصنع المتوالي ،
 والفتح المقدَّم والتالي ، أميرُ المسلمين عبد الله الغني بالله محمد ابن أمير المسلمين
 أبي الحجَّاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر ، أَيْدَ الله أمره ،
 وأسعد عصره^٣ : سلام كريم يتأرَّجُ في الآفاق شذا بطييه ، وتُسْمَعُ في ذِرْوَةِ
 الودِّ بلاغة خطييه ، ويتضمَّنْ نوره سواد المداد ، عند مُرَّاسِلَةِ الوداد ، فيكاد
 يذهب بعُبُوسِهِ المجهول وتقطييه ، ورحمة الله وبركاته ، أما بعد حمد الله
 فاتح الأبواب بمقاليد الأسباب ، مهما استصعبت ، ومُيسِّرِ الأمور بمحكم
 المقلدور إذا أجهدت الحِيلُ وأتعبت ، مُخْمِدِ نيران الفتن ما التهبَّتْ ،
 وجامع كلمة الإسلام وقد تصدَّعَتْ وتَشَعَّبَتْ ، ومُسْكِنِ رَجَقَانِ^٤ الأرض
 بعدما اضطربت ، ومُحْيِيهَا بعِهاد الرحمة مهما اهترت وربَّتْ ، اللطيف
 الخبير الذي قدرت حكمته الأمور ورتبَتْ ، مُنْهِي كل نفس إلى ما خطَّتْ
 الأقلام عليها وكتبَتْ ، ونفت وأوجبت وشامت وأبت ، ومُجَازِيهَا يوم المرض

١ ق : طول .

٢ ك ط ح : والزيادة .

٣ ك : نصره .

٤ ق : رجفات .

بما كسبت^١ ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله هازم الأحزاب لما تألفت وتآلّبت^٢ ، وجالب الخلف إليها عندما أجلبت^٣ ، رسول الملحمة إذا الليوث وثبتت^٤ ، ونبي الرحمة التي هيأت النجاة وسببت^٥ ، وأبلغت النفوس المطمئنة من السعادة ما طلبت^٦ ، ومداوي القلوب المريضة وقد انتكبت وانقلبت ، بلطائفه التي راضت وهتبت^٧ ، وقادت إلى الجنة العليا واستجلبت^٨ ، وأدت عن الله وأدت^٩ ، الذي يجاهه نستكشف الغمائم إذا طبت^{١٠} ، ونستوكمف للنعماء إذا أخلفت البروق وكذبت^{١١} ، ونتحاب في طاعته ابتغاء الوسيلة إلى شفاعته فنقول وجبت حسبما ثبت^{١٢} ، والرضى عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه التي استحققت المزية المرضية واستوجبت^{١٣} ، لما انتهت إلى كماله وانتسبت^{١٤} ، وببذل نفوسها في الله ومرضاته تقربت^{١٥} ، وإلى نصرته في حياته انتدبت^{١٦} ، والمناصل قد رويت من دماء الأعداء واختضبت^{١٧} ، وخلفته في أمته بعد مماته بالهمم التي عن صدق اليقين أعربت^{١٨} ، فتداعت لمجاهدة الكفار وانتدبت^{١٩} ، وأبعدت المغار وأدربت^{٢٠} ، حتى بلغ ملك أمته أقاصي البلاد التي نبتت^{٢١} ، فكسرت الصلْب التي نُصبت^{٢٢} ، ونقلت^{٢٣} التيجان التي عُصبت^{٢٤} ، ما همت السحب وانسحبت^{٢٥} ، وطلعت الشمس وغربت^{٢٦} ، والدعاء لما تابكم العليا بالنصر العزيز كلما جهزت الكتاب وتكتبت^{٢٧} ، والفتح المبين كلما ركنت عقائل القواعد إذا خُطبت^{٢٨} ، والصنائع التي مهما جدّقت فيها العيون تعجبت^{٢٩} ، أو جالت في لطائفها الأفكار استطابت مذاق الشكر واستعذبت^{٣٠} ، حتى تنجز لكم مواعيد النصر فقد اقتربت^{٣١} ، فإننا كتبنا إليكم كتّبه الله لكم أغيا ما سألت الألسن السائلة واستوعبت^{٣٢} ، من

١ ق : ما اكتسبت .

٢ ك ط : أطبت .

٣ ق : ثبتت .

٤ ك : وأخصبت ، وفي الهامش : نسخة « وأخصبت » . ط : وأخصبت .

٥ ق : لجهاد .

٦ ك : ونقلت ؛ ج ط : ونقلت .

حَمَرَاءُ غِرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَجُنُودُ اللَّهِ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَنِعْمَتِهِ قَدْ غَلَبَتْ ،
وَفَتَحَتْ وَسَلَبَتْ ، وَأَسْوَدُ جِهَادِهِ قَدْ أَرَدَتْ الْأَعْدَاءَ بَعْدَمَا كَلَبَتْ ، وَمِرَاعِي
الْأَمَالِ قَدْ أَخْصَبَتْ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَحُلُّو وَجْهَ الرِّضَى بَعْدَمَا احْتَجَبَتْ ،
وَيَفْتَحُ أَبْوَابَ الْمَزِيدِ فَكَلَّمَا اسْتَقْبَلَهَا الْأَمَلُ رَحَّبَتْ ، وَالشُّكْرُ لِلَّهِ شُكْرًا يُقَيِّدُ
شَوَارِدَ النِّعَمِ مِمَّا أَبَقَتْ وَمَا هَرَبَتْ ، وَإِلَى هَذَا - وَصَلَ اللَّهُ لِقَامَكُمْ أَسْبَابَ الظُّهُورِ
وَالْإِعْتِلَاءِ ، وَعَرَفَكُمْ عَوَارِفَ الْآلَاءِ عَلَى الْوَلَاءِ - فَإِنَّا لَمَّا وَرَدَ عَلَيْنَا كِتَابُكُمْ
الْبِرُّ الْوَفَادَةُ ، الْجَمُّ الْإِفَادَةُ ، الْجَامِعُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالزِّيَادَةِ ، جَالِي غُرَّةِ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ
مِنْ ثَنَائِ السَّعَادَةِ ، وَوَاهِبِ الْمُنِّ الْمُتَّاحَةِ وَوَاصِفِ النِّعَمِ الْمُبَادَاةِ ، فَوَقَفْنَا^١
مِنْ رَقَّةِ الْمُنْشُورِ عَلَى تَحْفِ سَنِيَّةٍ ، وَأَمَانِي هَنِيَّةٍ ، وَقِطَافِ لِلنَّصْرِ جَنِيَّةٍ ،
ضَمِنَتْ سَكُونِ الْبِلَادِ وَقَرَارَهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ الْفِتْنَ وَأَوَارَهَا وَأَخْمَدَ نَارَهَا ،
وَنَضَحَ عَنْ وَجْهِ الْإِسْلَامِ عَارَهَا ، وَجَمَعَ الْأَهْوَاءَ عَلَى مِنْ هَوِيَّتِهِ السَّعَادَةِ بَعْدَ
أَنْ أَجْهَدَ اخْتِيَارَهَا ، فَأَصْبَحَ الشَّتِيتُ مَجْتَمَعًا ، وَجَنَحَ الْخِتَاحُ مَرْتَفَعًا ، وَالْجَبَلُ
الْمُخَالَفُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا ، وَأَصْحَبُ^٢ فِي الْقِيَادِ مَنْ كَانَ مُتَمَنِّعًا^٣ ، فَاسْتَوْثَقَتْ
الطَّاعَةُ ، وَتَبَجَّحَتْ السَّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ ، وَارْتَفَعَتْ الشَّنَاعَةُ ، وَتَمَسَّكَتِ الْبِلَادُ
الْمَكْرَهَةَ بِأَذْيَالِ وَلِيِّهَا لَمَّا رَأَتْهُ ، وَعَادَتْ الْأَجْيَادُ الْعَاطِلَةَ إِلَى حَكْمِهَا بَعْدَمَا أَنْكَرَتْهُ ،
أَجَلْنَا جِيَادَ الْأَقْلَامِ فِي مَلْعَبِ الْهَنَاءِ وَمَيْدَانِهِ ، لِأَوَّلِ أَوْقَاتِ إِمْكَانِهِ عَلَى بُعْدِ
مَكَانِهِ ، وَأَجْهَدْنَا عِبَارَةَ الْكَلَامِ فِي إِجْلَالِ هَذَا الصَّنْعِ وَتَعْظِيمِ شَأْنِهِ ، وَأَغْرَيْنَا
النِّثَاءَ بِشَيْمِ مَجْدِكُمْ فِي شَرْحِهِ لَنَا وَبَيَانِهِ ، رَأَيْنَا أَنْ لَا نَكِيلَ ذَلِكَ إِلَى الْيَرَّاعِ ،
وَنَفْرَدَهُ فِيهِ بِالْاجْتِمَاعِ ، وَمَا يَتَعَاطَاهُ مِنْ مُنَّةِ الدَّرَاعِ ، وَأَنْ نَشْدُ^٤ بِرِدِّهِ
مِنْ الْمَشَافَهَةِ أَزْرَهُ ، وَنَعْضِدَ بِمَعِينِ مِنَ اللِّسَانِ أَمْرَهُ ، فَعَيْنًا لِمَنْ يَفْسِّرُ مِنْهُ
الْمُجْمِلَ ، وَيَمْتَدِّ الْمَقْصِدَ الْمُعْمَلَ ، حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَ أَغْرَاضِ الْبِرِّ ، وَالْعَلْنِ مِنْهُ

١ ك : فَأَوْقَفْنَا ؛ ق : فَوَاقَفْنَا .

٢ ق : وَأَوْضَحَتْ ؛ ط ج : وَأَضَحَتْ .

٣ ق ط : مُتَمَنِّعًا ؛ دُوْزِي : مُتَمَنِّعًا .

والسر ، وقيم شتّى الأدلّة على الوداد المستقر ، ووجهنا في غرض الرسالة به إليكم ، واختارنا لشرحه بين يديكم ، خطيب الوفود ، وبركة المشايخ في هذا المقام المحمود ، الشيخ الحليل الشهير الكبير الصالح الفاضل أبا البركات ابن الحاج^١ - وصل الله حفظه ، وأجزل من الحمد واللفظ حفظه - وهو البطل الذي لا يُعلّم الإجمالة في الميدان ، ولا يبصر بوطنائف ذلك الشأن ، ومُرَادنا منه أن يطيل ويطيب ، ويحيل في وصف محاسنكم اللسان الرطيب ، ويقرّر ما عندنا لمقامكم من التشيع الذي قام على الحب المتوارث أساسه ، واطّرد حكمه وأنتج قياسه ، وليجعل تلو مقصد الهناء ، بمجلسكم الباهر السناء ، الصارف إلى الجهاد في سبيل الله والفناء ، وجه التهمم والاعتناء ، على مر الآناء ، ما تجده لدينا من الأبناء في جهاد الأعداء ، وإن كان رسولكم - أعزه الله تعالى - قد شارك في السرى والسبر ويؤمن الطير ، وأغنى في الحكاية عن الغير ، فلا سرف في الخير ، وهو أننا لما انصرفنا من منازلة قرطبة نظراً للحشود التي فیدت مُعیدات أزوادها ، وشابت بهشيم الغلّة المستغلّة^٢ مفارق بلادها ، وإشفافاً لفساد أقواتها ، بفوات أوقاتها ، رحلنا عنها وقد انطوينا من إعفاء أكثر^٣ تلك الزروع ، المائلة الفروع ، الهائلة الروع ، على همّ مُمِض ، وأسف للمضاجع مُقِض^٤ ، إذ كان عاذل المطر يكف ألسنة النار عن المبالغة في التهاجها ، وحلاق لهاجها ، ونفض أغوارها ، ونهب شوارها ، وإذاعة أسرارها ، وهي البحور المتلاطمة ، إذا حطمتها الرياح الحاطمة ، واللّجج الزانخة ، إذا حرّكتها

١ أبو البركات ابن الحاج : محمد بن محمد بن إبراهيم ابن الحاج البليقي السلمي (توفي ٧٧٣ أو ٧٧١) أحد شيوخ لبان الدين ، سترجم له المغربي وانظر الكتيبة الكامنة : ١٢٧ والإحاطة ٢ : ١٠١ والمرقبة العليا : ١٦٤ والديباج ١٦٤ والتعريف بآبن خلدون : ٦١ وغاية النهاية ٢ : ٢٣٥ .
٢ ق : المستقبل .
٣ أكثر : سقطت من ق .
٤ ق ك : مفض .

السوافي الماخرة ، تود العيون أن تتحدى حدودها القاصية فلا تطيق ، والركائب
الراكضة أن تُشرف على غايتها فيفضل عن مراحلها الطريق ، قد جللها الربيع
أرزاقاً تغص بها الخزائن والأطباق ، وحبوباً مفضلة لا يرزوها الإنفاد والإنفاق ،
ولو اعتصبت^١ على انتسافها الآفاق ، فَخَفَفْنَا في سبيل الله لتعقيب غزو تلك
الأقطار المخالفة ، بمحق الصائفة ، وإحانة^٢ تلك الطائفة ، بكلوم المجاعة
الجاهفة^٣ ، خوفاً لم نقنع فيه بالاستنابة ، حرصاً على استئصال الصُّبابة ، وأعفينا
الرحل من اتصال الكد ، وقابلنا قبولهم على استصحابنا فيها بالرد ، وأطللنا
على قرطبة بمحلاتنا ننسف جبال النعم^٤ نَسْفًا ، ونعم^٥ الأرض زلزلاً وخَسْفًا ،
ونستقري مواقع البلر لإحراقاً^٥ ، ونخترق أجوابها المختلفة بحَبِّ الحصيد اختراقاً ،
ونسَلْط عليها من شرر النار أمثال^٦ الجمالات الصفر مدَّت من الشواطئ أعناقاً ،
ونوسيع القرى الواسعة قتلاً واسترقاقاً ، وندير على مستديرها أكواس الحُتُوف
دهاقاً ، وأخذت النيران واديها الأعظم من كلا جانبيه حتى كأن القيون^٧
أحمت سبيكته فاستحالت ، وأذابت صفيحته فسالت ، وأتت الكفار سماؤهم
بالدخان المبين ، وصارت الشمس من بعد سفورها وعموم نورها منقبة المحيا
معصبة الجبين ، وخَضْنَا أحشاء القرنيرة^٨ نَعْمُ^٩ أشتات النعم انتسافاً ، وأقوات
أهلها إتلافاً ، وآمال سكانها إخلاقاً ، وقد بُهِتُوا لسرعة الرجوع ، ودُهِشُوا

.....

- ١ هذه اللقطة مصحفة في الأصول ، فهي : اعتصمت في ج ؛ وفي ق ك ط : اعتصت .
- ٢ ق ك ج : واعانة ؛ وفي ط : لمحق الصائفة .
- ٣ ق ك ط ج ودوزي : المجاع الخائفة .
- ٤ في ك : الجبال ؛ وفي ق : جليل النعم ؛ ج : جبائل النعم .
- ٥ ك : احتراقاً .
- ٦ ط : أفتال .
- ٧ ق ك : العيون .
- ٨ تصحفت هذه الكلمة على عدة وجوه ؛ فهي القرنيرة في ق والقريرة في ك . . . والقرنيرة في ط ج والعنواب القرنيرة (La Frontera) .

لوقوع الجوع ، وتسبب تخريب الربوع ، فمن المنكر البعيد ، أن يتأني بعدُ
 صرائها المعهود ، وقد اصطلم الزرع واجتثت العود ، وصار إلى العدم منها
 الوجود ، ورأوا من عزائم^١ الإسلام خوارق تشيّد عن نطاق العوائد ، وعجائب
 تستريب فيها عين المشاهد ، إذ اشتمل هذا العام ، المتعرف فيه من الله تعالى
 الإنعام ، على غزوات أربع دمرت فيها القواعد الشهيرة تدميراً ، وعلا فوق
 مراقبها الأذان^٢ عزيزاً جهورياً ، وضويقت كراسي^٣ الملك تضييقاً كبيراً ،
 وأذيقن وبالأ^٤ مبيراً ، ورياح الإدالة إن شاء الله تعالى تستأنف هبوباً ، وبأساً
 مشبوباً ، والثقة بالله قد ملأت نفوساً مؤمنة وقلوباً ، والله سبحانه المسؤول
 أن يوزع شكر هذه النعم التي أثقلت الأكتاد ، وأبهظت الطوق المعتاد ،
 وأبهجت المسيم^٥ والمرئاد ، فبالشكر يستلذ مزيدها^٦ ، ويتوالى تجديددها ، وقطعنا
 في بحبوحة تلك العمالة المستبحرة العمارة ، والفلتج المغني وصفها عن الشرح
 والعبارة ، مراحل نختمنا بالتعريج على حزب^٧ جيان حربها ، فقللنا ثانية غربها ،
 وجددنا كربها ، واستوعبنا حرقها وخربها ، ونظمنا اليلاد في سلك البلاء ،
 وحشمتنا في أنجادها وأغوارها ركائب الاستيلاء ، فلم نترك بها ملقظ طير ،
 فضلاً عن معاف غير ، ولا أسارنا لفلها المحروب بلالة^٨ خير ، وقفلنا وقد
 تركنا بلاد النصارى التي منها لكيادنا المدد ، والعُدّة والعدد ، وفيها الخصام
 واللدد ، قد لبست الحداد حريقاً ، وسلكت إلى الخلاء والجللاء طريقاً ، ولم
 نترك بها مضغة تخالط ريقاً ، ولا نعمة تصون من الفراق فريقاً ، وما كانت تلك
 النعم لولا أن أعان الله تعالى من عنصري النار والهواء بجنود كونه الواسع ،
 ومدركه البعيد الشاسع ، لتتولى الأيدي البشرية تخريبها ولا ترزأ كثيرها ، ولا

١ ق : غرائب .

٢ ك : المشيم .

٣ ك ق ط ج : فريدها .

٤ ق : غرب ؛ ك : حرب .

لتمتاع بالاعتراف غديرها ، بل لله القدرة جميعاً ، فقدوته لا تتحامي ريباً ،
ولا حمى مريباً منيعاً ، وعدنا والعود في مثلها أحمد ، وقد بعد في شفاء النفوس
الأمم ، ونُسَخ بالسُرور الكمد ، ورُفِعَت من عز الإسلام العمَد ، والحمد لله
حمد الشاكرين ، ومنه نلتبس عادة النصر على أعدائه فهو خير الناصرين ،
عرفناكم به ليسر دينكم المتين ، ومجدكم الذي راق منه الجبين ، والله يصل
سعدكم ، ويحرس مجدكم ، ويبلغكم أملككم من فضله ، وقصدكم بمَنِّه
وطوله ، والسلام الكريم يخضعكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، انتهى .

رجع إلى ما كنّا بسبيله من أخبار قرطبة الجلييلة الوصف ، وذكر
جامعها البديع الإثقان والوصف ، فنقول :

قد شاع وذاع على السنة الجهم الغفير من الناس في هذه البلاد المشرقية
وغيرها أن في جامع قرطبة ثلاثمائة وتسو ستين طاقاً ، على عدد أيام السنة ، وأن
الشمس تدخل كل يوم من طاق ، إلى أن يتم الدور ثم تعود ، وهذا شيء لم
أقف عليه في كلام المؤرخين من أهل المغرب والأندلس ، ولو كان كما شاع
لذكروه وتعرضوا له ، لأنه من أعجب ما يُسَطَّر ، مع أنهم ذكروا ما هو
دونه ، فالله أعلم بحقيقة الحال في ذلك^١ ، وستأتي في الباب السابع رسالة
الشَّقْندي الطويلة وفيها من محاسن قرطبة وسائر بلاد الأندلس الطم والرّم ،
وقد ذكرنا في الباب الأول جملة من محاسن قرطبة ، فأغنى ذلك عن إعادتها
هنا ، على أن رسالة الشَّقْندي تكرر فيها بعض ما ذكرناه ، لأننا لم نرد أن
نخل منها بحرف ، فأتينا بها بلفظها ، وإن تكرر بعض ما فيها مع بعض ما أسلفناه ،
والعذر واضح للمنصف المُغضّي ، والله نسأل سلوك السبيل الذي يرضي ،
بمنه وكرمه .

١ في ذلك : سقطت من ق .

وقال صاحب «نشق الأزهار» : إن في جامع قرطبة بُنّوياً من نحاس أصفر يحمل ألف مصباح ، وفيه أشياء غريبة ، من الصنائع العجيبة ، يعجز عن وصفها الواصفون ، قيل : أحكم عمله في سبع سنين ، وفيه ثلاثة أعمدة من رخام أحمر ، مكتوب على الواحد اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف ، وعلى الثالث ^١ صورة غراب نوح عليه الصلاة والسلام ، الثلاثة خلقها الله تعالى ولم يصنعها صانع ، انتهى .

قلت : لم أر أحداً من محققي المؤرخين للأندلس وثقاتهم ذكر هذا ، على قلة اطلاعي ، وهو عندي بعيد ، لأنه لو كان لذكره الأئمة . وقد حكى القاضي ^٢ عياض في الشفاء أشياء وجد عليها اسم نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر هذا ، ويستبعد أن يكون بجامع قرطبة ولا يذكره ، والله تعالى أعلم بحقيقة الأمر .

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب : ن دَوَّرَ قرطبة أربعة عشر ميلاً ، وعرضها ميلان ، وهي على النهر الكبير وعيه جسران ، وبها الجامع الكبير الإسلامي ، وبها الكنيسة المعظمة بين النصاي ، وبهذه المدينة معدن الفضة ومعدن الشاذنج ^٣ ، وهو حجر من شأنه أن يقطع الدم ؛ وكان يُجلب منها البغال التي تباع كل واحدة منها بخمسمائة دينار من حسناتها وعلوها الزائد ، انتهى .

رجع إلى أخبار البنيان :

ولا خفاء أنه يدل على عظيم قدر بانيه ، ولذلك قال أمير المؤمنين الناصر المرواني باني الزهراء رحمه الله تعالى حسبما نسبهما له بعض العلماء وبعض ينسبهما لغيره ، وسيأتيان في ترجمة نور الدين بن سعيد عليّ منسوبين :

١ ط : وعلى الأرض ؛ ق ج : وعلى الآخر .

٢ القاضي : سقطت من ك ط ج .

٣ الشاذنج والشاذنة : يسمونه حجر الدم ، ويستعمل لدمل القروح ، وتعمل منه شياطات لأمراض العين .

هممُ الملوك إذا أرادوا ذِكْرَها من بَعْدِهِم فبِأَلْسُنِ الْبُنْيَانِ
إن البناء إذا تعاظم قَدْرُهُ أضْحَى يَدْلٌ على عَظِيمِ الشَّانِ

وتذكرت هنا قصيدة قالها بعض الشاميين ، وهو الأديب الفاضل الشيخ
أسد بن معين الدين ، مما يُكتب على أبراج دار الحسيب النسب ، الشهير
البيت ، الكبير الحمي والميت ، القاضي عبد الرحمن بن الفرْفُور الدمشقي ،
وضمَّنها بيئي الناصر المذكورين :

زُرْتُ مَجْلِساً أضْحَى أعزَّ مَكَانِ ومَحَلَّ أهل العلم والعِرْفَانِ
المجدُ خِيَمَ في ذرى أبراجِهِ والسعدُ عبدُ البابِ طولَ زَمانِ
كالخلد مرفوع البناء ، وأرضُهُ مفروشة بالسدر والعُقيانِ
بيت به فخر البيوت لأنَّه بيت القصيد ومَنَزَلُ الضيفانِ
مَغْنَى فسيح فيه معنى مُفَضَّح عن قدر بانيه بغير لسانِ
قد قال بعض ذوي الفضائل قبلنا قولاً بديعاً واضحَ التبيانِ
هممُ الملوك إذا أرادوا ذِكْرَها من بعدهم فبِأَلْسُنِ الْبُنْيَانِ
إن البناء إذا تعاظم قدره أضْحَى يَدْلٌ على عَظِيمِ الشَّانِ
قد شاده مِن ساد أهل زمانه بالأصل والإفضال والرجحانِ
وَرِثَ السيادة كابراً عن كابر وسَمَا برفعته على كيوانِ
قاضي القضاة ومفخر العُصرِ الذي قد جاء فيه سابقَ الأقرانِ
في العلم بحرٌ لا يُنالَ قَرَارُهُ في الحُكْمِ مثل مُهْتَدٍ وسِنانِ
يَروِي عطاءً عن يديه قد اقْتَفَى آثارَ آباءِ ذوي إحسانِ
لا زال يبقى شالداً بيتَ العُلا وعدُوهُ في الوهن والنقصانِ
يا أيُّها المولى الذي يجري مع الإله بال والإسعاد طَلَّقَ عِنانَ ٢

١ أبراج : سقطت من ط .

٢ ق : طول زمان .

دُمُ شامخِ المِقْدَارِ مرتفعِ البنا والناسُ تحتَ رضاك كَالْغِلْمانِ
متمتعاً ببنيك ساداتِ الورى في عِزِّ رَبِّ دَائِمِ السُّلْطانِ
ما رجَعَ القُصْرِيُّ في تقريره في الروضِ فوقِ منابرِ الأغصانِ

وكان القاضي عبدُ الرحمن بن فَرْقُور المذكور عالي الهمة ، تضيق يده عما يريد ، فلذلك كان كثيراً ما يبتِث شكواه في الطروس والدفاتر ، ويعتب على الزمان الذي أخفى على أهل الأدب وقطع آمالهم بحُسامه الباتر ، ويرحم الله القائل :

هذا زمان دريهمي لا غيره فدعِ الدفاتر للزمان الفاتر

فمن نظم المذكور وقد أبطأ بجزء استعاره من بعض إخوانه ، فكتب إليه معتذراً ، وأدمج شكوى الزمان الذي كان من شماتة الأعداء به حذراً :

أبطأتُ في ذا الجزء يا سيدي كتابة من جورِ دهرٍ غييضُ
صابرته فابجسمُ مني لقي تجلداً والقلبُ مني مريضُ
فلذ أبي إلا تلافي وقد أحلّني منه محلّ النقيضُ
واقنادني قسراً إلى مصرعٍ قد رَقَّ منه اللحم والعظمُ هيضُ
سلمتُ للأقدار مستسرعاً لباب موَلّتي ذي عطاء عريضُ
جمُومُ صبر كنت أسطو به على روايا الدهر بالهم غييضُ
فلا تلم يا صاحٍ من بعد ذا إذا تمثلت بـ « حال الجريضُ »

ورأيت بخطه رحمه الله تعالى ممّا نسبته جده القطب الخيضي الحافظ لإبراهيم بن نصر الحموي ثم المصري المعروف بابن الفقيه :

يا زماناً كلما حا ولتُ أمراً يتمنعُ
إن تعصبتُ فلاني باصطباري أتقتعُ

وهذه بورية بديعة للغاية في التعصب والتفتّح ، مع حلاوة النظم وجودة السبك وخفة الوزن ، والله سبحانه يروح تلك الأرواح في الجنان ، ويعاملنا وإياهم بمحض الفضل والامتنان ، ويكفيننا شجون دهر جرى بنا طلق العنان .

رجع إلى ما كنّا فيه : وكنت وقفت في كلام بعض العلماء على أن البيتين السابقين المنسوبين إلى أمير المؤمنين الناصر المرواني - رحمه الله تعالى - قاطما في الزهراء التي بناها ، وسيأتي ذكرها قريباً .

وقال الشيخ سيدي محي الدين بن عربي في « المسامرات » : قرأت على مدينة الزهراء بعد خرابها وصيرورتها مأوى الطير والوحش ، وبناؤها عجيب في بلاد الأندلس ، وهي قرية من قرطبة ، أحياناً تذكر العاقل ، وتنبيه الغافل ، وهي :

ديارٌ بأكتاف المتلاعب تلمعُ وما إن بها من ساكنٍ وهي بلقعُ
ينوحُ عليها الطيرُ من كل جانبٍ فيصنمُ أحياناً وحيناً يرجعُ
فخاطبت منها طائراً متفرداً^١ له شجنٌ في القلب وهو مروعُ
فقلت : على ماذا تنوح وتشتكي ؟ فقال : على دهرٍ مضى ليس يرجعُ

ثم قال : وأخبرني بعض مشايخ قرطبة عن سبب بناء مدينة الزهراء أن الناصر مات له سُرّة ، وتركت مالا كثيراً ، فأمر أن يفك بذلك المال أسرى المسلمين ، وطلب في بلاد الإفرنج أسيراً فلم يوجد ، فشكر الله تعالى على ذلك ، فقالت له جاريته الزهراء - وكان يحبها حباً شديداً - : اشتيت لو بنيت لي به مدينة تسميها باسمي ، وتكون خاصة لي ، فبناها تحت جبل العروس من قبة الجبل ، وشمال قرطبة ، وبينها وبين قرطبة اليوم ثلاثة أميال أو نحو ذلك ، وأتقن بناءها ، وأحكم الصنعة فيها ، وجعلها مستترها ومسكناً للزهراء

١ ق : متفرداً .

وحاشية أرباب دولته ، ونقش صورتها على الباب ، فلما قعدت الزهراء في مجلسها نظرت إلى بياض المدينة وحسنها في حجر ذلك الجبل الأسود ، فقالت : يا سيدي ، ألا ترى إلى حسن هذه الجارية الحسنة في حجر ذلك الزنجي ؟ فأمر بزوال ذلك الجبل ، فقال بعض جلسائه : أعيد أمير المؤمنين أن يخطر له ما يشين العقل سماعه ، لو اجتمع الخلق ما أزالوه حفراً ولا قطعاً ، ولا يزيله إلا من خلقه ، فأمر بقطع شجره وغرسه تيناً ولوزاً ، ولم يكن منظر أحسن منها ، ولا سيما في زمان الإزهار وتفتح الأشجار^١ ، وهي بين الجبل والسهل ، انتهى ببعض اختصار .

[وصف ابن خلكان للزهراء]

وقال ابن خلكان^٢ في ترجمة المعتمد بن عباد ما صورته^٣ : الزهراء — بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الراء ، وبعدها همزة ممدودة — [سراية] وهي من عجائب أبنية الدنيا ، وأنشأها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر ، أحد ملوك بني أمية بالأندلس ، بالقرب من قرطبة ، في أول سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ، ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلاث ميل ، وطول الزهراء من الشرق إلى الغرب ألفان وسبعمئة ذراع ، وعرضها من القبلة إلى الجنوب ألف وخمسمئة ذراع ، وعدد السواري التي فيها أربعة آلاف سارية وثلاثمائة سارية ، وعدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب ، وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثاً : ثلث للجند ، وثلث مدخر ، وثلث ينفقه على عمارة الزهراء ، وكانت جباية الأندلس خمسة آلاف دينار وأربعمائة ألف

١ ق : وتفتح الأزهار .

٢ في ج : وقال ابن خلدون .

٣ وفيات الأعيان ٤ : ١١٧ .

٤ كذا في الأصول وابن خلكان ، والصواب : أبو المطرف .

وثمانين ألف دينار ، ومن السوق والمستخلص^١ سبعمائة ألف دينار وخمسة وستون ألف دينار ، وهي من أهول ما بناه الإنس ، وأجله خطراً ، وأعظمه شأناً ، ذكر ذلك كله ابن بشكوال في تاريخ الأندلس ، انتهى كلامه .
وحكى في المطمح^٢ أن الوزير الكبير الشهير أبا الحزم بن جهور قال وقد وقف على قصور الأمويين التي تقوّضت أبنيتهما ، وعوّضت من أنيسها بالوحوش^٣ أفنيتهما :

قلت يوماً لدار قوم تفانوا : أين سكّانك المزاز عيّنا ؟
فأجابت : هنا أقاموا قليلاً ، ثم ساروا ، ولست أعلم أينما

وفيه أن أبا عامر بن شهيد بات ليلة بإحدى كنائس قرطبة وقد فرشت بأضغاث آس ، وعرشت بسرور^٤ واثناس ، وقرع النواقيس بهيج سمعه ، وبرق الحميا يسرع^٥ لمعه ، والقس قد برز في عبدة المسيح ، متوشحاً بالزنانير أبداع توشيع ، قد هتجروا الأفراح ، واطرحوا النعم كل اطراح :

لا يعمدون إلى ماء بآنية إلا اغترافاً من الغدران بالراح

وأقام بينهم يعملها حمياً ، كأنما يرشف من كأسها شفة لَميا ، وهي تنفخ له بأطيب عَرَف ، كلما رشفها أعذب رشف ، ثم ارتحل ، بعدما ارتحل ، فقال :

ولربّ حان قد شَمِمتُ بدَيْرِهِ خمراً الصبا مُزِجَتْ بصِرْفِ عَصِيرِهِ
في فتية جعلوا السرورَ شعارَهُمْ متصاغرين نخشعاً لكبيرِهِ

١ ك : المستخلص ؛ ج ق ط : ومن السوق المستخلص .

٢ انظر المطمح : ١٥ .

٣ ك : بالوحش .

٤ المطمح : ١٨ .

٥ ق ط : يسرج .

والقَسُّ مِمَّا شَاءَ طَوْلَ مُقَامِنَا يَدْعُو بَعُوْدَ حَوْلِنَا بِزَبُوْرِهِ
يُهْدِي لَنَا بِالرَّاحِ كُلِّ مُصَقَّرٍ كَالْحِشْفِ خَقَّرَهُ التَّمَاْحُ خَفِيرَهُ
يَتَنَاوَلُ الظُّرُقَاءَ فِيهِ وَشُرْبُهُمْ لِسَلَاْفِهِ ، وَالْأَكْلُ مِنْ خَتْرِيرِهِ

رجع إلى بناء^١ الزهراء :

قال بعض من أَرَخَ الأندلس : كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم
من الخدام والفَعْلَة عشرة آلاف رجل ، ومن الدواب ألف وخمسمائة دابة ،
وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة ، وكان يصرف
فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الآجر
والصخر غير المعدل ، انتهى ، وسيأتي في الزهراء^٢ مزيد كلام .

وقال ابن حيَّان^٣ : ابتدأ الناصر بناء الزهراء أول يوم من محرم سنة ٣٢٥ ،
وجعل طولها من شرق إلى غرب ألفين وسبعمائة ذراع ، وتكسيها تسعمائة
ألف ذراع وتسعون ألف ذراع ، كذلك نقله بعضهم ، وللنظر فيه مجال ، قال^٤ :
وكان يثيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنائير سوى ما كان يلزمه
[من النفقة]^٥ على قطعها ونقلها ومؤونة حملها^٦ ، وجلب إليها الرخام الأبيض
من المَرِيَّة ، والمَجَزَّع من رِيَّة ، والوردِي والأخضر من إفريقية من إسفاس
وقرطاجنة ، والحوض المنقوش المذهب من الشام ، وقيل : من القسطنطينية ،
وفيه نقوش وتماثيل^٧ على صور الإنسان ، وليس له قيمة ، ولما جلبه أحمد^٨

١ ك : أنباء .

٢ ق : الزاهرة .

٣ انظر مخطوط الرباط : ١٣٥ .

٤ قارن بما جاء في أزهار الرياض ٢ : ٢٧٠ .

٥ زيادة من مخطوط الرباط .

٦ مخطوط الرباط : سوقها .

٧ ك : وتماثيل وصور .

٨ ساء في مخطوط الرباط : أحمد بن حزم الفيلسوف .

الفيلسوف - وقيل غيره - أمر الناصر بنصبه في وسط المجلس الشرقي المعروف بالموئن ، ونصب عليه اثني عشر تمثالا ، وبني في قصرها المجلس المسمى بقصر الخلافة ، وكان سمكه من الذهب والرخام الغليظ في جرمه^١ الصافي لونه المتلونة أجناسه ، وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك وجعلت في وسطه اليتيمة التي أنحف الناصر بها أليون^٢ ملك القسطنطينية ، وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة ، وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق ، وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والآبنوس الموضّع بالذهب وأصناف الجواهر ، قامت على سواري من الرخام الملون والبلّور الصافي ، وكانت الشمس تدخل على تلك الأبواب فيضرب شعاعها في صدر^٣ المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالأبصار ، وكان الناصر إذا أراد أن يُفزع أحداً من أهل مجلسه أو ما إلى أحد صقالبته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلمعان البرق من النور ، ويأخذ بمجامع القلوب ، حتى يخيل لكل من في المجلس أن المجل قد طار بهم ، ما دام الزئبق يتحرك ، وقيل : إن هذا المجلس كان يدور ويستقبل الشمس ، وقيل : كان ثابتاً على صفة^٤ هذا الصهريج ، وهذا المجلس لم يتقدم لأحد بناؤه في الجاهلية ولا في الإسلام وإنما تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم ، وكان بناء الزهراء في غاية الإتقان والحسن ، وبها من المرمر والعُمد كثير ، وأجرى فيها المياه ، وأحرق بها البساتين ، وفيها يقول الشاعر السمسير^٥ :

وَقَفَّيْتُ بِالزَّهْرَاءِ مُسْتَعْبِرًا مُعْتَبِرًا أُنْدُبُ أَشْثَانَا
فَقُلْتُ : يَا زَهْرَا أَلَا فَارِجِي قَالَتْ : وَهَلْ يَرْجِعُ مَنْ مَاتَا؟

١ في جرمه : سقطت من له .
٢ ق ط ج : في سلك .
٣ ج ط : ضفة .
٤ مخطوط الرباط : ١٣٧ .

فلم أزل أبكي وأبكي بها هيهات يُغني الدمع هيهات
كأنما آثار من قد مضى نوادب يندبن أمواتا

انتهى كلام هذا المؤرخ ملخصاً ، وسيأتي ما يوافق جُلّه ، ويخالف قُلّه ،
والله سبحانه يعلم الأمر كُلّه ، فإنه ربّما ينظر المتأمل هذا الكتاب فيجد في
بعض الأخبار تخالفاً ، فيحمل ذلك على الغلط ، وليس كذلك ، وإنّما السبب
الحامل لذلك جُلُبُ كلام الناس بعباراتهم ، والناقد البصير لا يخفاه مثل هذا ،
وربّما يقع التكرار ، وذلك من أجل ما ذكر ، والله أعلم .

[قصور بني ذي النون]

وتذكرت بما وصفه من مجلس الناصر ما حكاه غير واحد عن القصر العظيم
الذي شاده ملك طليطلة المأمون ابن ذي النون بها^١ ، وذلك أنّه أتقنه إلى
الغاية ، وأنفق عليه أموالاً طائلة ، وصنع في وسطه بحيرة ، وصنع في وسط
البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب ، وجلب الماء على رأس القبة
بتدبير أحكمه المهندسون ، فكان الماء يتزل من أعلى القبة على جوانبها محيطاً
بها ويتصل بعضه ببعض ، فكانت قبة الزجاج في غلالة ممّا سكب^٢ خلف
الزجاج لا يفتّر من الحرّي ، والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولا
يصله ، وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظرٌ بديع عجيب ، وبينما هو فيها
مع جواريه^٣ ذات ليلة إذ سمع منشدًا ينشد :

أتبني بناء الخالدين ، وإنّما بقاؤك^٤ فيها لو عكمت قليل
لقد كان في ظل الأراك كفاية لمن كلّ يوم يقتضيه رحيل

١ الذخيرة ٤ : ١٠٢ وما بعدها .

٢ ق ط ج : من ماء سكب .

٣ ق : وجواريه .

٤ ك : نقامك .

فنخص عليه حاله ، وقال : إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أظن أن الأجل قد قرب^١ ، فلم يلبث بعدها غير شهر وتوفي ، ولم يجلس في تلك القبة بعدها ، وذلك سنة ٤٦٧ ، تجاوز الله تعالى عنه ، هكذا حكاه بعض مؤرخي المغرب . وقد ذكر في غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكاية هذه القبة بلفظ ابن بدرون^٢ شارح العبدونية فليراجع .

وتذكرت هنا قول أبي محمد المصري^٣ في صفة قصر طُلَيْطَلَة :

قَصْرٌ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاهُ الْفَرْقَدُ عَدُبَتْ مَصَادِرُهُ وَطَابَ الْمَوْرِدُ
نَشَرَ الصَّبَاحُ عَلَيْهِ ثَوْبَ مَكَارِمِ فَعَلَيْهِ الْوَيْيَةُ السَّعَادَةُ تُعَقِّدُ
وَكَاثِمًا الْمَأْمُونُ فِي أَرْجَائِهِ بَدْرٌ تَمَامَ قَابِلَتِهِ أَسْعُدُ
وَكَاثِمًا الْأَقْدَاحُ فِي رَاحَتِهِ دُرٌّ جَمَادٌ ذَابَ فِيهِ الْعَسَجَدُ

وله في صفة البركة والقبة عليها :

شَمْسِيَّةُ الْأَنْسَابِ بِدْرِيَّةُ يَحَارَ فِي تَشْبِيهِهَا الْخَاطِرُ
كَأَنَّمَا الْمَأْمُونُ بِدْرُ الدُّجَى وَهِيَ عَلَيْهِ الْفَلَكَ الدَّائِرُ

* * *

[أشعار ورسائل للأندلسيين في وصف المجالس]

وكان ملوك الأندلس في غاية الاحتمال بالمجالس والقصور ، وللوزير الجزيري^٤ — رحمه الله تعالى — في وصف مجلس للمنصور بن أبي عامر ما

١ ق : أظن الأجل قرب .

٢ ق : ابن زيدون — وهو خطأ —

٣ اللخيرة ٤ : ١٠٩ .

٤ الوزير الجزيري : أبو مروان عبد الملك بن إدريس أحد كتاب الدولة العامية وكان حيناً على الشرطة للمنصور ، سخط عليه المنصور فسجنه وله القصيدة الرائية المشهورة في السجن ، ثم كتب بعده للمظفر فلما قتل صهره عيسى بن سعيد بن القطاع تغير المظفر على أبي مروان فسجنه في برج من طرطوشة وقتله (٣٩٤) هناك . (ترجمته في الخزانة : ٢٦١ وبقيّة المتنص رقم : ١١٥٨ =

يشهد لذلك ، وهو قوله ^١ :

وتوسّطتها بلحة في قعرها	بنت السّلاحف ما تزال تُنقّقُ
تنساب من فكّي هزبر إن يكن	ثبّت الجنان فإن فاه أخرقُ
صاغوه من ندّ وخلق صفحتي	هاديه محض الدرّ فهو مطوقُ ^٢
للياسمين تطلّع في عرشه	مثل المليك عرّاه زهو مطرقُ
ونضائل من نرجس وبنفسج	وجنيّ خيريّ وورد يعبقُ
ترنو بسحر عيونها وتكاد من	طرب إليك بلا لسان تنطقُ
وعلى يمينك سوسنات أطلعت	زهر الربيع فهنّ حسناً تشرقُ
فكأنما هي في اختلاف رُقومها	رايات نصرك يوم بأسك تخفقُ
في مجلس جمع السرور لأهليه	ملك إذا جمعت قنّاه يفرقُ
حازت بدولته المغارب عزة ^٣	فقداء ليحسّدها عليه المشرقُ

ومن هذه القصيدة :

أمّا الغمام فتشاهدك أنته	لا شك صنوك أو أخوك ^٤ الأوثى
وافى الصنيع فحين تمّ تمامه	في الصّحو أنشأ ودّقه يتدقّ
وأظنه يحكيك جوداً إذ رأى	في اليوم بحرك زائراً يتفهق

وكان السبب في هذه الأبيات أن المنصور صنع في ذلك الأوان صنيعاً لتطهير
ابنه عبد الرحمن ، وكان عام قحطٍ ، فارتفع السعر بقرطبة ، وبلغ ربع الدقيق

= والمغرب ٢ : ٣٢١ واعتاب الكتاب : ١٩٣ والخيرة ٤ : ٣١ والمطبع : ١٣ والصلة : ٣٥٠
وله شعر في اليثمة والتشبيات والبديع .

١ المقتطفات (الورقة : ٢٣) .

٢ المقتطفات : فيه مطبق ؛ وفي ك : فهو مخلق .

٣ ك : رفعة .

٤ ق : بل أخوك .

إلى دينارين ، فجلا الناس من قرطبة ، فلما كان يوم ذلك الصنيع نشأت في السماء سحابة عمّت الأفق ، ثم أتى المطر الوابل ، فاستبشر الناس ، وسُرَّ المنصور بن أبي عامر فقال الجزيري بديهة : أما الغمام إلخ .
وهو القائل على لسان نرجس العامرية^١ :

حَيْثُكَ يَا قَمَرَ الْعُلَا وَالْمَجْلِسِ أَزْكِي تَحْيِيَّتَهَا عَيُونُ النُّرَجْسِ
زهر تريك بِحُسْنِهَا^٢ وبلونها زُهر النجوم الجاريات الكُنُوسِ
مُلْكُنْ أَفَلْدَةَ التَّدَامِي كُلَّمَا دارت بِمَجْلِسِهِمْ مَدَارَ الْأَكُوسِ
مُلْكُ الْمُتَمَامِ الْعَامِرِيِّ عَمَدٍ لِلْمَكْرَمَاتِ وَلِلنُّهْيِ وَالْأَنْفُسِ .

قال ابن بسام^٣ : ومن شعر الجزيري ما اندرج له أثناء نثره^٤ الذي ملح فيه مخاطبته للمنصور على السنة أسماء كرائمه بزهر رياضه ، فمن ذلك عن بهار العامرية :

حَدَقُ الْحَسَانِ تُقِيرُ لِي وَتَغَارُ وَتَضِلُّ فِي صِنْفِي النُّهْيِ وَتَحَارُ
طَلَعَتْ عَلَى قَضْبِي عَيُونُ كَثَامِي^٥ مِثْلَ الْعَيُونِ تَحْفَتُهَا الْأَشْفَارُ
وَأَخْصُ شَيْءٍ بِي إِذَا شَبَّهْتَنِي دَرُّ تَنْطَقَ سَلَكُهَا دِينَارُ
أَهْدَى لَهُ قَضْبَ الزَّمَرْدِ سَاقَهُ وَجَاهُ أَنْفَسَ عَطْرِهِ الْعَطَارُ
أَنَا نَرَجِسُ حَقًّا بَهْرَتْ عَقُولَهُم بِبَدِيعِ تَرْكِيبِي فَقِيلَ بِتَهَارُ

ومن أخرى عن بنفسج العامرية^٦ : إذا تدافعت الخصوم — أيد الله مولانا

١ الذخيرة ٤ : ٣٢ والبدیع : ١١٥ - ١١٦ والمقتطفات : ٣٣ .

٢ البدیع : بشكلها .

٣ الذخيرة ٤ : ٣٣ والبدیع : ٩٩ والمقتطفات : ٣٣ .

٤ ك : مدحه .

٥ في الأصول : تَمَامِي ، والتصويب عن البدیع .

٦ الذخيرة ٤ : ٣٣ والبدیع : ٧٨ - ٧٩ والمقتطفات : ٣٣ - ٣٤ .

المنصور - في مذاهبها ، وتنافرت في مفاخرها ، فإليه ^١ مفرعها ، وهو المقنع في فصل القضية بينها لاستيلائه على المفاخر بأسرها ، وعلمه بسرّها وجهرها ، وقد ذهب البهار والرجس في وصف محاسنها ، والفخر بمشابهتها ، كل مذهب ، وما منها إلا ذو فضيلة غير أن فضلي عليهما أوضح من الشمس التي تملونا ، وأعذب من الغمام الذي يسقينا ، وإن كانا قد تشبّها في شعرهما ببعض ما في العالم من جواهر الأرض ومصايح السماء وهي من الموات الصامت ، فلئن تشبّه بأحسن ما زيّن الله به الإنسان وهو الحيوان الناطق ، مع أنني أعطر منهما عطراً ، وأحمد خبراً ، وأكرم إمتاعاً شاهداً وغائباً ويانعاً وذابلاً ، وكلاهما لا يتمتع ، إلا ريشما ينع ^٢ ، ثم إذا ذبل تستكره النفوس ^٣ شمته ، وتستدفع الأكف ^٤ ضمته ، وأنا أمتع يابساً ورطباً ، وتدخرني الملوك في خزائنها ^٥ وسائر الأطباء ، وأصرف في منافع الأعضاء ، فإن فخرا باستقلالهما على ساق هي أقوى من ساق ، فلا غرو أن الوشي ضعيف ، والهوى لطيف ، والمسك خفيف ، وليس المجد يدرك بالضرّاع ، وقد أودعت أيّد الله مولانا قوافي الشعر من وصف مشاهي ما أودعاه ، وحضرت بنفسني لثلاث أغيب عن حضرتهما ، فقد يماً فضل الحاضر وإن كان مفضولاً ، ولذا قالوا : ألد الطعام ما حضر لوقته ، وأشعر الناس من أنت في شعره ، فلمولايّا أتم الحكم في أن يفصل بحكمه العدل ، وأقول :

شهدت لنوّار البنفسج السنّ من لونه الأحوى ومن إيناعه ^٥

-
- ١ البديع : فإليك ، وكذلك جرى القمير في سائر الرسالة للخطاب ، وفي النعين اختلافات كثيرة ، نشير إلى بعضها .
 ٢ البديع : وكلاهما لا يتمتع إلا ريشما يبدو للعيون ويسلم من الذبول .
 ٣ البديع : ثم تستكره الأنوف .
 ٤ البديع : فإن هدم الحال من الاستمتاع في رطباً وادخاري في خزائن الملوك جافاً .
 ٥ ق ط ج : ومن أتباعه .

لمشابه الشعر الأعمّ أعاره ١
ولربّما جمع^١ النجيع من الطلى
فحكاه غير مخالف في لونه
ملك جهلنا قبله سُبُل العلا
في سيفه قصّر لطلول نِجاده
ذو همّة كالبرق في إسرائيه
تلقى الزمان له مطيعاً سامعاً
وترى الملوك الشّم من أتباعه
قَمَرُ المنيرُ الطلقُ نورَ شعاعه
من صارم المنصور يوم قِراعه
لا في روائحه وطيب طباعه
حتى وضّحنَ بنهجه وشراعه
وتمام ساعده وفُسحة باعه
وعزيمة كالحِثْنِ في إيقاعه
وترى الملوك الشّم من أتباعه

ما أحسن قول بغض الأندلسيين يصف حديقة^٢ :

وحديقة مخضرة أثوابها
نادمتُ فيها فتية صفحاتهم
والجلدول الفضيّ يضحك ماؤه
وإذا تجعد بالنسيم حسيتته
وتناثرتْ نقطٌ على حافاته
وتدحرجت^٣ للناظرين كأنها
في قُضْبِها للطير كل مغرد
مثل الدور تُنير بين الأسعد
فكأنه في العين صَفْحُ مهتد
كما تراه مشبهاً للمبرد
كالعقد بين مجمع ومُبدّد
دُرٌّ نثيرٌ في بساط زبرجد

وكان بحمّام الشطارة بإشبيلية صورة بديعة الشكل فوصفها بعض أهل
الأندلس بقوله :

ودُمّية مزمر تُزهي بجيد
لها ولدٌ ولم تعرف حليلاً
ونعلمُ أنها حَجَرٌ ، ولكن
تتأهى في التورّد والبياض
ولا ألت بأوجاع المخاض
تُتيمُنَا بالحافظ مِراض

١ البديع : جن .

٢ وردت الأبيات في المقطعات (الورقة : ٢٤) .

٣ ق ط : وترجرت ؛ وفي ج ؛ وترجرفت .

وكان بسرّ قُسْطَة في القصر المسمى^١ بدار السرور ، مجلس الذهب أحد
قصور المقتدر بن هود وفيه يقول ذو الوزارتين بن عُثْدَ شَلْب^٢ يهجو وزيراً
كان^٣ يَنْبِزُ بتحفون :

ضَجَّ من تحفون بيتُ الذهبِ ودعا ممّا به وأحرّبي
رَبّ طهرني فقد دنسني عارُ تحفون الموفّي الذنبِ

وكتب بعض كبراء الأندلس إلى إخوانه^٤ : « كتابي هذا من وادي الزيتون ،
ونحن فيه مختلفون^٥ ، ببقة اكتست من السندس الأخضر ، وتخلّت بأنواع
الزهر ، وتخالبت بأنهار تتخلّلها ، وأشجار تُظللّها ، تحجب أدواحها الشمس
لالتفافها ، وتأذن للنسيم فيميل من أعطافها ، وما شتم من محاسن تروق وتعجب ،
وأطيار تتجاوب بألحان تلهي وتطرب ، في مثلها يعود الزمان كله ضيأ ،
وتجري الحياة على الأمل والمنى ، وأنا فيها - أبقاكم الله سبحانه - بحالٍ من
طاب غذاؤه ، وحسُن استمراؤه ، وصحا من جنون العقار ، واستراح من
مضض^٦ الخمار ، وزايلته وساوسه ، وخلصت من الخباط هواجسه » ، ثم
ذكر كلاماً من هذا النمط في وصف الخبار والدعاء إلى العقار .

١ ق : الذي يسمى .

٢ ك : عيد شلب - وهو خطأ -

٣ كان : سقطت من ق .

٤ هذه الرسالة للكاتب أبي المطرف عبد الرحمن بن فاخر المعروف بابن الدباغ ، كان كاتباً عند
المقتدر بن هود فاستوحش منه ولحق بالمتنمذ بن عباد فرحب به وسفر بينه وبين المتوكل ابن
الأفطس ، ثم اختلف مع ابن همار فهرب إلى المتوكل في بطليوس وكانت نهايته أن قتل ببطليوس
(راجع ترجمته في اللخيرة - القسم الثالث : ٨٢ وهذه القطعة من رسالته فيها نص : ٩٣ ؛
والقتال : ١٠٦ والمغرب ٢ : ٤٤٠ ومسالك الأبيصار ٨ : ٢٢١) .

٥ كذا في ق ك ولعله : مختلفون ، وفي ط ج : مختلفون ، وهو صواب .

٦ اللخيرة : فضول .

فراجعهُ أبو الفضل بن حسداي برقعة قال في صدرها^١ : « إلى سيدنا^٢
الذي ألزَمنا بامتنانه الشكر ، وكَبَّرنا الذي عَلَّمنا ببيانه السَّحر ، وَعَمِدنا الذي
عَقَدنا بحرمه والنحل^٣ ، ورمانا بدائه وانسل^٤ ، أَبَقاك الله تعالى لتوبة نَصُوح
تَمَرَّها ، ويمين غموس تَبَرُّها ، وَرَدَّ أَبَقاك الله تعالى كتابك الذي أَنفَذته من
مُعَرَّسِك بوادي الزيتون ، ووقفنا على ما لَقِنت في أوصافه من حَجَّة المفتون ،
ولعِجابك بالضاف شجره ودوحاته ، واهتزازك بلطف بَوَاكره وروحاته ،
وغرورك^٥ به وهو حَوَّ تِلَاعُه ، مورودة هضابه وأجراعُه ، وكل المشارب
ما خلاه ذَمِيم^٦ ، وماؤه الدهر خَصِير والمياه خَمِيم ، وتلك عادة ثَلَوْتُك ،
وسجِيَّة تخضرمك^٧ ، وشاكلة ملائِكَ وسأَمُك ، وأشعر الناس عندك مَنْ^٨ أنت
في شعره ، وأحب البلاد إليك ما أنت في عَقْره ، فأين منك بساتين جَلَّتِ
وجنانه ، ورياضه الموقفة وخُلُجانه ، وقبابه البيض في حدائقه الخضر ،
وجوَّة العطر في جنبابه النضر^٩ ، وما تَضُمُّه^{١٠} حيطانه ، وتمجِّه أنجاده^{١١}
وغِيْطانُه ، من أمهات الراح التي طَلَقَتْها^{١٢} بزَعَمك ، ومواد^{١٣} الشَّمول التي

١ الرسالة في الأخيرة (القسم الثالث) : ٩٤ وأبو الفضل بن حسداي : هو حسداي بن يوسف بن
حسداي الإسرائيلي أخذ كتاب عصر الطوائف ، الأخيرة (القسم الثالث) : ١٥٢ والقلال : ١٨٣ .
والغرب ٢ : ٤٤١ والمطرب : ١٩٦ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٥٦ .

٢ ق ج : يا سيدنا .

٣ ق ك ط : بحمة الخل ؛ ج : بحمة الخل .

٤ ق ج ودوزي : ومرورك ؛ ك : ومرورك .

٥ إشارة إلى قول الشاعر :

اقرأ على الوشل السلام وعقل له - كل المشارب مذ هجرت ذميم

٦ ق ط : تخضرمك ؛ وفي ج ط ق ودوزي : وشجبة .

٧ دوزي وق : ووجوه العطر في جنبانه النضر ؛ ج : وجون العطر في جنبانه النضر .

٨ دوزي : وما تَضُمُّه .

٩ الأخيرة : وتحتوي عليه نجاده .

١٠ ق : هجرتها .

١١ ك : ومورد ؛ ج : وموارد .

طلّقتها برغمك ، وهيئات فوالله ما فارقتك تلك الأجارعُ والمجاني ، ولا شأقتك تلك المنازل والمغاني ، إلا تذكّراً لما لدينا من طيب المعاهد ، وحنيناً إلى ما عندنا من جميل المشاهد ، وأين من المشتاق عنقاء مغرب « ثم ذكر كلاماً في جواب ما مرّ من الخمار لم يتعلّق لي به غرض .

وما أحلى ما كتب به أبو إسحاق بن خفاجة من رسالة في ذكر منته ١ :
ولما أكتب الغمام لكباباً ، لم أجد منه إغياً ، واتصل المطر اتّصلاً ، لم ألق منه انفصلاً ، أذن الله تعالى للصّحور أن يُطلع صَفْحته ، وينشر صحيفته ، فقشعت الريح السحاب ، كما طوى السجلُ الكتاب ، وطفقت السماء تخلع جلبابها ، والشمس تحطّ ٢ نقابها ، وتطلّعت ٣ الدنيا تبتهج كأنها عروس تجلّت ، وقد تجلّت ، ذهبت في لُمة من الإخوان نستبق إلى الراحة ركضاً ، ونطوي للتفرّج أرضاً ، فلا ندفع إلا إلى غدير ، نخير ، قد استدارت منه في كل قرارة سماء ، سحابها غمماً ، وانساب في كل تَلْعَة حُبّاب ، جلده حَبّاب ، فردّنا بتلك الأباطح ، نتهادي تهادي أغصانها ، وننضاحك تضاحك أقحوانها ، وللتسيم ، أثناء ذلك المنظر الوسيم ، تراسلُ مَشْيي ، على بساطٍ وشي ، فإذا مر بغدير لسجه درّعاً ، وأحكمه صنّعاً ، وإن عثر بجدول شَطَبَ منه نَصلاً ، وأخلصه صَقلاً ، فلا ترى إلا بطاحاً ، مملوءة سلاحاً ، كأنما انهزمت هنالك كتائب فألقت بما لبسته من درّع مصقول ، وسيف مسلول .

ومن فصل منها : فاحتلنا قبة خضراء مملوءة أشطان الأغصان ، سنْدُسية رِواق الأوراق ، وما زلنا نلتحف منها ببرد ظلّ ظليل ، ونشتمل عليه برداء

١ انظر هذه الرسالة في الصغيرة (القم الثالث) : ١٧٣ وديوان ابن خفاجة : ٣١٧ والمقتطفات (الورقة : ٢٢) .

٢ ك : تميط .

٣ ك : وطلمة .

نسيم عليل ، ونجيل الطرف في نهر صقيل ، صافي لجين الماء ، كأنه مَجَرَّةُ
 السماء ، مؤتلق جوهر الحباب ، كأنه من ثغور الأحباب ، وقد حَصَّرْنَا
 مُسْمِيعٌ يجري مع النفوس لطافة فهو يعلم غرضها وهَوَاها ، ويغني لها مَفْرَحَهَا
 ومُنَاهَا ، فصيح لسان النقر ، يشفي من الوقْر ، كأنه كاتب حاسب ، تمشق
 يمناه ، وتعقله يسراه :

يحرك حين يشدو ساكناتٍ وتنبعث الطبايعُ للسكون

وكانت بين أبي إسحاق وبعض إخوانه مقاطعة ، فاتفق أن ولي ذلك
 الصديق حصناً ، فخطبه أبو إسحاق برقعة ، منها^١ : أطل الله بقاء سيدي
 النبيلة أوصافه التزييه عن الاستثناء ، المرفوعة إمارته الكريمة بالابتداء ، ما
 انحلفت ياء يرمي للجزم ، واعتلت واو يغزو لموضع الضم ، كتبت عن ودّ
 قديم هو الحال ، لم يلحقها انتقال ، وعهد كريم هو الفعل لم يدخله الاعتلال ،
 والله يجعل هاتيك من الأحوال الثابتة اللازمة ، ويتعصم هذا بعد من الحروف
 الجازمة ، وأنا أستنهض طولك إلى تجديد عهدك بمطالعة ألف الوصل ، وتعديّة
 فعل الفصل ، وعدولك عن باب ألف القطع ، إلى باب الوصل والجمع ،
 حتى يسقط لدرج الكلام بيننا هاء السكت ، ويدخل الانتقال حال الصمت ، فلا
 تتخيّل أعزك الله أن رَسَمَ إخالك عندي ذُو حَسَا^٢ قد دَرَسَ عَقَاء ، ولا
 أن صدري دارُ مية أمسى من ودك خلا^٣ ، وإنما أنا فعلٌ إذا تُنِّيَ ظهر من
 ضمير ودّه ما بطن ، وبدا منه ما كمن ، وهنيئاً أعزك الله أن فعل وزارتك
 حاضر لا يلحق رفعه تغيير ، وأن فعل سيفك ماضٍ ما به للعوامل تأثير ، وأنت
 بمجدك جماع أبواب الظرف ، تأخذ نفسك العلية بمطالعة باب الصرف ،

١ الأخيرة : ١٧٦ والديوان : ٣٢٦ والمقطعات : ٢٣ .

٢ إشارة إلى قول النابغة : « عفا ذو حساً من فرتنا فالقوارح » وفي ك : دوحه قد درس .

٣ إشارة أخرى إلى قول النابغة في وصف دار مية : « أمست خلا وأسى أهلها احتلوا » .

و درس حروف العطف ، وتدخل لام التبرئة على ما حدث من عتبتك ، وتوجب بعد النفي ما سلف من قُرْبِكَ^١ ، وتدع ألف الألفة أن تكون بعدُ من حروف اللين ، وترفع بالإضافة بيننا وجود التنوين ، وتسوم ساكن الود أن يتحرك ومعتلّ الإخاء أن يصح ، وكتابي هذا حرف صلة فلا تحذفه حتى تعود الحال الأولى صفة ، وتصير هذه النكرة معرفة ، فأنت أعزك الله مصدر فعل السرور والنبل ، ومنك اشتقاق اسم السؤدد والفضل ، وإنك وإن تأخر العصر بك كالفاعل وقع مؤخرًا ، وعدوك وإن تكبر كالكُمَيْت لم يقع إلا مُصَغَّرًا ، ولالأيتام علل تبسط وتقبض ، وعوامل ترفع وتخفض ، فلا تدخل عروضك قبض ، ولا غاقب رفعك خفض ، ولا زلت مرتبطاً بالفضل شرطك وجزاؤك ، جارياً على الرفع سروك الكريم وسناؤك ، حتى يُخفَض الفعل ، وتبنى على الكسر قبيل ، إن شاء الله .

وكتب رحمه الله تعالى يستدعي عود غناء^٢ : انتظم من إخوانك — أعزك الله تعالى — عقد شرب يتساقون في ودك ، ويتعاطون ربحانة شكرك وحمدك ، وما منهم إلا شره المسامع إلى رنة حمامة ناد ، لا حمامة بطن واد ، والطول لك في صلتها بجماد ناطق قد استعار من بنان لساناً ، وصار لضمير صاحبه ترجماناً ، وهو على الإساءة والإحسان لا ينفك من إيقاع به ، من غير إيجاع له ، فإن هفا عركت أذنه وأدب ، وإن تأتى^٣ واستوى بُعِج بطنه وضرب ، لا زلت منتظم الجدل ، ملتئم الأمل ، انتهى .

* * *

[قصيدة لابن خفاجة]

ومن نظمه رحمه الله تعالى يتفجع ويتوجع^٤ :

١ ك : حيدك ؛ ق : عتبتك . ٢ اللخيرة : ١٧٤ والديوان : ٣١٩ .

٣ ك : تأب ؛ ق ج : تأنى .

٤ اللخيرة : ١٨١ والديوان : ٢١٧ وفيها يرثي الوزير أبا محمد بن ربيعة إثر وفاة جملة من إخوانه .

شَرَابُ الْأَمَانِي لَوْ عَلِمْتُ سَرَابُ
 وَهَلْ مُهَنْجَةُ الْإِنْسَانِ إِلَّا طَرِيدَةٌ
 يَنْجُبُ بِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
 وَكَيْفَ يَغِيضُ الدَّمْعُ أَوْ يَبْرِدُ الْحَشَا
 أَقْلَبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ لَيْلَةٍ
 كَأَنِّي، وَقَدْ طَارَ الصَّبَاحُ، حَمَامَةٌ
 دَعَا بِهِمْ دَاعِي الرَّدَى فَكَأَنَّمَا
 فَهَاهُمْ وَسِلْمُ الدَّهْرِ حَرْبُ كَأَنَّمَا
 مَجُودٌ وَلَا غَيْرَ التَّرَابِ حَشِيَّةٌ
 وَلَسْتُ بِنَاسٍ صَاحِبًا مِنْ رِيْعَةٍ
 وَمَا شَجَانِي أَنْ قَضَى حَتْفَ أَنْفِهِ
 وَأَنَا تَجَارِينَا ثَلَاثِينَ حِجَّةً
 كَانَ لَمْ نَبْتَ فِي مَنَزَلِ الْقَصْفِ لَيْلَةٍ
 إِذَا قَامَ مَنَّا قَائِمٌ هَزَّ عَظْفَهُ
 وَلَمَّا تَرَأَتْ لِلْمَشِيبِ بُرَيْقَةً
 نَهَضْنَا بِأَعْبَاءِ اللَّيَالِي جَزَالَةً
 فَيَا ظَاعِنًا قَدْ حَطَّ مِنْ سَاحَةِ الْبَلَى
 كَفَى حَزَنًا أَنْ لَمْ يَزُرْنِي عَلَى النَّوَى
 وَأَنْتِي إِذَا بَعِمْتُ قَبْرَكَ زَائِرًا
 وَلَوْ أَنْ حَيًّا كَانَ حَاوَرَ مَيِّتًا
 وَأَعْرَبَ عَمَّا عِنْدَهُ مِنْ جَلِيَّةٍ

وَعُتْبَى اللَّيَالِي لَوْ عَرَفْتُ عِتَابُ
 يَحُومُ عَلَيْهَا لِلْحِمَامِ عُقَابُ
 مَطَايَا إِلَى دَارِ الْبَلَى وَزَكَابُ
 وَقَدْ بَادَ أَقْرَانُ وَفَاتَ شَبَابُ
 وَقَدْ حُطَّ عَنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ نِقَابُ
 يَمُدُّ جَنَاحِيهِ عَلَيَّ غَرَابُ
 تَبَارَتْ بِهِمْ خَيْلٌ هُنَاكَ عِرَابُ
 جَثَا بِهِمْ^١ طَبْعُنْ لَمْ وَضَرَابُ
 بَلْخَبٍ وَلَا غَيْرَ الْقُبُورِ قِيَابُ
 إِذَا تَسَيَّتُ رَسْمَ الْوَفَاءِ صَحَابُ
 وَمَا انْدَقَ رَمْعٌ دُونَهُ وَكَمَابُ^٢
 فَوَاتَ^٣ سِبَاقًا وَالْحِمَامِ قِيَابُ
 نَجِيبُ بِهَا دَاعِي الصَّبَا وَنَجَابُ
 شَبَابُ أَرْقَنَاهُ بِهَا وَشَرَابُ
 وَأَقْشَعُ مِنْ ظِلِّ الشَّبَابِ سَحَابُ
 وَأَرَسْتُ بِنَا فِي النَّائِبَاتِ هِضَابُ
 بِمَنَزَلٍ بَيْنَ لَيْسَ عَنْهُ مَسَابُ
 رَسُولٌ وَلَمْ يَنْفُذْ إِلَيْكَ كِتَابُ
 وَقَفَّتُ وَدُونِي التَّرَابِ حِجَابُ
 لَطْسَالُ كَلَامُ بَيْنَنَا وَخَطَابُ
 فَأَقْشَعُ عَنْ شَمْسٍ هُنَاكَ ضِيَابُ

١ ك : بينهم .

٢ اللخيرة والديوان : وذباب .

٣ أصول المقرئ : حقة ، فمات .

[عود إلى عمران قرطبة]

وقد أبعدنا عما كنا بصدد من ذكر قرطبة أعادها الله للإسلام ، فنقول :
قال بعض من أرَّخ الأندلس :

انتهت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل إلى أربعمئة وتسعين مسجداً ،
ثم زادت بعد ذلك كثيراً كما يأتي ذكره .

وقال بعضهم^١ : كانت قرطبة قاعدة الأندلس ، وأم المدائن ، وقرارة
الملك ، وكان عدد شرفاتها أربعة آلاف وثلاثمئة ، وكانت عدة الدور في القصر
الكبير أربعمئة دار ونيقاً وثلاثين ، وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها
الواجب على أهلها المبيت في السور مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار ، حاشا
دور الوزراء وأكابر الناس والبياض .

ورأيت في بعض الكتب أن هذا العدد كان أيام لَمْسُونَة والموحدين ، قال :
وكانت ديار أهل الدولة إذ ذاك ستة آلاف دار وثلاثمئة دار ، انتهى .

وعدد أرباضها ثمانية وعشرون ، وقيل : واحد وعشرون ، ومبلغ المساجد
بها ثلاثة آلاف وثمانمئة وسبعة وثلاثون مسجداً ، وعدد الحمامات المبرزة للناس
سبعمئة حمام ، وقيل : ثلاثمئة حمام .

وقال ابن حيان : إن عدة المساجد عند تناسلها في مدة ابن أبي عامر ألف
وستمئة مسجد ، والحمامات تسعمئة حمام^٢ .

وفي بعض التواريخ القديمة : كان بقرطبة في الزمن السالف ثلاثة آلاف
مسجد وثمانمئة وسبعة وسبعون مسجداً — منها بشقنة ثمانية عشر مسجداً —
وتسعمئة حمام وأحد عشر حماماً ، ومائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار للرعية
خصوصاً ، وربما نصف العدد أو أكثر لأرباب الدولة وخاصتها ، هكذا نقله

١ انظر أزهار الرياض ٢ : ٢٧٢ .

٢ دوزي : تسعمئة حمام .

في المغرب ، وهو أعلم بما يأتي ويَدَّر ، رحمه الله تعالى ،
وقال بعض المؤرخين — بعد ذكره نحو ما تقدّم^١ — : ووسط الأرباض
قبة قرطبة التي تحيط^٢ بالسور دونها ، وأما اليتيمة التي كانت في المجلس البديع
فلإنها كانت من تُحَفِّف قصر اليونانيين بَعَثَ بها صاحب القسطنطينية إلى
الناصر مع تحف كثيرة سنية ، انتهى .

ونحوه لابن الفَرَضِي وغير واحد ، لكن خالفهم صاحب « المسالك
والممالك »^٣ فذكر أن عدد المساجد بقرطبة أربعمائة مسجد وأحد وسبعون مسجداً ،
وهو بعيد ، وقال قبله^٤ : إن دَوْرَ قرطبة في كمالها ثلاثون ألف ذراع ، وتفسيرها
باللسان القوطي القلوب المختلفة ، وهي بالقوطية بالظاء المشالة ، وقيل : إن
معنى قرطبة أجر فاسكنها^٥ ، قال : وبقرطبة أقاليم كثيرة وكُورٌ جليلة ، وكانت
جبايتها في أيام الحكم بن هشام مائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار وعشرين
ديناراً ، وسبق ما يخالف هذا ، ومن القمح أربعة آلاف مدي وستمئة مدي ،
ومن الشعير سبعة آلاف مدي وستمئة مدي وسبعة وأربعين مدياً .

وقال بعض العلماء : أحصيت دور قرطبة التي بها وأرباضها أيام ابن أبي
عامر فكان مائتي ألف دار وثلاثة عشر ألف دار وسبعاً وسبعين داراً ، وهذه
دور الرعيّة ، وأما دور الأكابر والوزراء والكتّاب والأجناد وخاصة الملك
فستون ألف دار وثلاثمائة دار ، سوى مصاري^٦ الكراء والحمامات والخانات ،
وعدد الحوانيت ثمانون ألف حانوت وأربعمئة وخمسة وخمسون ، ولما كانت
الفتنة على رأس المائة الرابعة غيرت رسوم ذلك العمران ، ومحيّت آثار تلك

١ أزهار الرياض ٢ : ٢٧٢ .

٢ ق ط ج : تختص .

٣ غطوطة المسالك والممالك (الورقة : ٢٢٠) .

٤ المصدر السابق (الورقة : ٢١٩) .

٥ قد مر أنه « أجر ساكنها » وفي نسخة الروض المعطار : « آخر فاسكنها » .

٦ المصاري : جمع مصرية وهي غرفة علوية منزلة ، تكرر أو تجعل للخدم .

القرى والبلدان ، انتهى ملخصاً . وسيأتي في رسالة الشَّعْنُدي ما هو أشمل من هذا .

* * *

[قصيدة القرطبي والمتزهات]

ولما رقت حال أبي القاسم عامر بن هشام القرطبي^١ بقرطبة وزين له بعض أصحابه الرحلة إلى حضرة ملك الموحدين مراكش قال وذكر المتزهات القرطبية :

يا هبةً باكرت من نحو دارين	وافت إليّ على بُعدٍ تُحييني
سرت على صفحات النهر ناشرة	جناحها بينَ خيرِي ونسرين
ردت إلى جسدي روح الحياة وما	خلت النسيم إذا ما متُ يحيني
لولا تنسّمها من نشر أرضكم	ما أصبحت من أليم الوجع تُبريني
مرت على عقيدات الرمل حاملة	من سرّكم خبراً بالوحي يشفيني
عرفت من عرفه ما لست أجهله ^٢	لما تنسم في تلك الميادين
نزوت من طربٍ لما هفا سحرأ	وظلّ ينشُرني طوراً ويطويني
خلت الشمال شمولاً إذ سكرت بها	سكراً بما لست أرجوه يُمنيني
أهدت إليّ أريجاً من شمائلكم	قلت : قرّبي من كان يقصيني
وخلت من طمع أن اللقاء على	إثر النسيم وأضحى الشوق يحدوني
فظلّت أليم من تعظيم حقكم	مجرّ أذيالها والوجد يُغرّيني
مسارح كم بها سرحت من كمد	قلبي وطرتي ولا ملوان يشيني
بين المصلّى إلى وادي العقيق وما	يزال مثل اسمه مذ بان يُبكييني
إلى الرصافة فالترج النصير فوا	دي الدير فالعطف من بطحاء عبدون

١ شاعر وشاح مترسل مشهور بالبطالة صلحت حاله بأخرة وأقبل على النكس (توفي سنة ١٢٢٣) -

انظر التكملة رقم : ١٩٤٤ والمغرب ١ : ٧٥ .

٢ ك : ما كنت أجهله .

لباب عبد سقته السحب وابلقها
لا باعد الله عيتي عن منازيه
حاشا لها من محلات مفارقة
أين المسير ورزق الله أدركه
يا من يزين لي الترحال عن بلدي
وأين يعدل عن أرجاء قرطبة
قطر فسيح ونهر ما به كدر
يالت لي عمر نوح في إقامتها
كلاهما كنت أفنيه على نشوا
ولئنا أستي أني أميم بها
أرى بعيني ما لا تستطيل يدي
وأنكد الناس عيشاً من تكون له
يغض طرف التصابي حين تبهته
قالوا: الكفاف مقيم قلت: ذاك لمن
ولا يبلبله حب الصبا سحراً
ولا يهيم بفتح الخدود ورماً
لا تجتني راحة إلا على تعب
وصاحب العقل في الدنيا أخو كدر
يا أمري أن أحت العيس عن وطني
نصحت لكن لي قلباً ينازعني
لألزم من وطني طوراً تطاوعني

فلم يزل بكؤوس الأنس يسقيني
ولا يقرب لها أبواب جيترون
من شيتق دونها في القرب محزون
من دون جهنم وتأمل يعنيني
كم ذا تحاول تنسلاً عند عيني
من شاء يظفر بالدنيا وبالدين
حقت بشطيه ألف البسائين
وأن مالي فيه كثير قارون
ت الراح نهبا ولا قبل بالخر العين
وأن حظي منها خطل مغبون
له وقد حازه من قدره دوني
نفس الملوك وحالات المساكين
قضبان نعمان في كئيبان يترين
لا يستخف إلى بيت الزراجين
ولا يلطفه عرف الرياحين
ن الصدور وترجيع التلاحين
ولا تنال العلا إلا من الهون
ولئنا الصفو فيها للمجانين
لما رأى الرزق فيه ليس يرضيني
فلو ترحلت عنه حله دوني
قود الأمانى وطوراً فيه تعصيني

١ ق ط : مجلات .

٢ ك : الحور والعين .

٣ دوزي : النود .

مُدَلَّلًا بَيِّنَ عِرْفَانِي وَأَضْرَبُ عَنْ سَيْرَ لَأَرْضٍ بِهَا مَنْ لَيْسَ يَدْرِينِي
 هَذَا يَقُولُ غَرِيبٌ سَاقَهُ طَمَحٌ وَذَلِكَ حِينَ أَرَاهُ الْبَرَّ يَجْفُونِي
 إِلَيْكَ عَنِّي آمَالِي فَبَعْدُكَ يَهْ لَدِينِي وَقُرْبُكَ يُطْغِينِي وَيُغْوِينِي
 يَا لِحَظِّ كُلِّ غَزَالٍ لَسْتُ أَمْلِكُهُ يَدْنُو وَمَا لِي حَالٌ مِنْهُ تُدْنِينِي
 وَيَا مُدَامَةَ دَيْرٍ لَا أَلِيمُ بِهِ لَوْلَا كَمَا كَانَ مَا أُعْطِيتُ يَكْفِينِي
 لِأَصْبِرَنَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ كَدَرٍ لِمَنْ عَطَايَاهُ بَيِّنَ الْكَافِ وَالنَّوْنِ

وتسمى هذه القصيدة عند أهل الأندلس « كثر الأدب » وقد أشرنا في الباب ١ الأول إلى كثير مما يتعلق بقرطبة ، أعادها الله تعالى إلى الإسلام ، فأغنى عن إعادته ، وإن كان ذكره هنا أنسب ، لأن ما تقدم إنما هو في ذكرها مع غيرها من بلاد الأندلس ، وهذا الباب ٢ لها بالاستقلال .

وأنشد أبو العاصي غالب بن أمية الموروي ١ لما جلس على نهر قرطبة بإزاء الرِّبض ملتفتاً إلى القصر ، بديهة ٢ :

يَا قَصْرُ كَمْ [قَدْ] حَوَيْتَ مِنْ نَعْمٍ عَادَتْ لَقَى فِي عَوَارِضٍ السَّكَنِ
 يَا قَصْرُ كَمْ [قَدْ] حَوَيْتَ مِنْ مَلِكٍ دَارَتْ عَلَيْهِ دَوَائِرُ الْفَلَكَ
 ابْقِ بِمَا شِئْتَ كُلُّ مُتَّخِذٍ يَعُودُ يَوْمًا ٦ بِحَالٍ مُتْرَكٍ

وقال القاضي أبو الفضل عياض عند ارتحاله عن قرطبة ٧ :

- ١ ق ك ط ج : الفصل . ٢ ق ك ط ج : الفصل .
 ٣ غالب بن أمية بن غالب الموروي (ويترجم له أيضاً تحت أمية بن غالب) من شعراء القرن الرابع
 سكن قرطبة . (انظر ترجمته في التكملة رقم : ١٩٥٥ والجلوة : ٣٠٥ وبغية الملتص رقم :
 ١٢٧٥) والأبيات الواردة له المذكورة في هذه المصادر .
 ٤ حولت الأبيات حسب رواية النفع إلى الوزن الكامل المرفل ، ولكنها جاءت مع أبيات أخرى في
 الجلوة والبنية على وزن المنسرح فلذلك عدلنا بها إلى ذلك الوزن .
 ٥ أصول النفع : بموارض .
 ٦ أصول النفع : ما شئت فابق فكل متخذ يوماً يعود .
 ٧ وردت الأبيات في ترجمة القاضي عياض في القلادة : ٢٢٢-٢٢٦ وانظر أزهار الرياض ٣ : ١٨ .

أقول وقد جدّ ارتحالي وغرّدتْ حدّاتي وزُمتْ للفراق ركائي
وقد غمضتْ من كثرة الدّمعِ مُقلتي وصارت هواء من فؤادي ترائي
ولم يَبْقَ إلا وقفة يستحثّها وداعي للأحباب لا للحبائب
رعى الله جيراناً بقرطبة العلا وجاد ربّها بالعهاد السواكيب
وحياً زماناً بينهم قد ألفتُهُ طليق المحيا مُستلان الجوانب
أخواننا بالله فيها تذكّروا مودة جارٍ أو مودة صاحب
غدوت بهم من برّهم واحتفائهم كائني في أهلي وبين أقاربي

* * *

[حود إلى مسجد قرطبة]

وأما مسجد قرطبة فشهرته تغني عن كثرة الكلام فيه ، ولكن نذكر من أوصافه وننشر من أحواله ما لا بدّ منه ، فنقول :
قال بعض المؤرخين : ليس في بلاد الإسلام أعظم منه ، ولا أعجب بناء وأتقن صنعة ، وكلّما اجتمعت منه أربع سواري كان رأسها واحداً ، ثم صف رخام منقوش بالذهب واللازورد في أعلاه وأسفله ، انتهى .
وكان الذي ابتدأ ببناء^١ هذا المسجد العظيم عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ، ولم يكمل في زمانه ، وكله ابنه هشام ، ثم توالى الخلفاء من بني أمية على الزيادة فيه ، حتى صار المثل مضروباً به ، والذي ذكره غير واحد أنّه لم يزل كل خليفة يزيد فيه على من قبله إلى أن كمل على يد نحو الثمانية من الخلفاء .
وقال بعض المؤرخين : إن عبد الرحمن الداخل لما استقر أمره وعظم^٢ بنى القصر بقرطبة ، وبنى المسجد الجامع ، وأنفق عليه ثمانين ألف دينار ، وبنى بقرطبة الرصافة تشبيهاً برصافة جده هشام بدمشق .

.....

١ ك : بناء .

٢ وعظم : زيادة في ك .

وقال بعض^١ : إنه أنفق على الجامع ثمانين ألف دينار ، واشترى موضعه
إذ كان كنيسة بمائة ألف دينار ، قاله تعالى أعلم .

وقال بعض^١ في ترجمة عبد الرحمن الداخل ما صورته : إنه لما تمهد
ملكه شرع في تعظيم قرطبة ، فجدد مغانيها ، وشيد مبانيها ، وحصنها بالسور ،
وابتنى قصر الإمارة والمسجد الجامع ، ووسع فناءه ، وأصلح مساجد الكُور ،
ثم ابنتى مدينة الرصافة متزهة له ، واتخذ بها قصراً حسناً ، وجنائاً واسعة ،
نقل إليها غرائب الفراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الأقطار ،
انتهى .

وكانت أخته أم الأصبح ترسل إليه من الشام بالغرائب ، مثل الرمان العجيب
الذي أرسلته إليه من دمشق الشام كما مر ، وسيأتي كلام ابن سعيد بما هو أتم
من هذا .

ولما ذكر ابن بشكُوال زيادة المنصور بن أبي عامر في جامع قرطبة قال^٢ :
ومن أحسن ما عاينه الناس في بنيان هذه الزيادة العامرية أعلاج النصارى مُصَنَّفَدين
في الحديد من أرض قشتالة وغيرها ، وهم كانوا يتصرفون في البنيان عوضاً
من رجالة المسلمين ، إذ لا للشرك وعزة للإسلام ، ولما عزم على زيادته هذه
جلس لأرباب الدور التي تقل أصحابها عنها بنفسه ، فكان يُؤتي بصاحب المنزل
فيقول له : إن هذه الدار التي لك يا هذا أريد ابتاعها^٣ لجماعة المسلمين من
مالهم ومن قيتهم لأزيدها في جامعهم وموضع صلاتهم ، فشَطَطَ واطلب ما
شئت ، فإذا ذكر له أقصى الثمن أمر أن يضاعف له ، وأن تشتري له بعد ذلك
دار عوضاً منها ، حتى أتى بامرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة ، فقالت :
لا أقبل عوضاً إلا داراً بنخلة ، فقال : تُبتاع لها دار بنخلة ، ولو ذهب فيها

١ ك : وقال بعض المؤرخين .

٢ قارن بما ورد في مخطوط الرباط : ٣٠ .

٣ ك : أريد أن أبتاعها .

بيت المال ، فاشترت لها دار بنخلة ، وبولغ في الثمن ، وحكى ذلك ابن حبان أيضاً .

وقيل : إن إتفاق الحكم في زيادة الجامع كان مائة ألف وواحدًا وستين ألف دينار ونيّفًا ، وكلّه من الأ خمس .

وقال صاحب كتاب « مجموع المفترق » : وكان سقف البلاط من المسجد الجامع من القبلة إلى الجوّف قبل الزيادة مائتين وخمسة وعشرين ذراعاً ، والعرض من الشرق إلى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع وخمسة أذرع ، ثم زاد الحكم في طوله مائة ذراع وخمسة أذرع ، فكمل الطول ثلاثمائة ذراع وثلاثين ذراعاً ، وزاد محمد بن أبي عامر بأمر هشام بن الحكم في عرضه من جهة المشرق ثمانين ذراعاً ، فتم العرض مائتي ذراع وثلاثين ذراعاً ، وكان عدد بلاطاته أحد عشر بلاطاً ، عرض أوسطها ستة عشر ذراعاً ، و عرض كل واحد من اللذين يليانه غرباً والذين يليانه شرقاً أربعة عشر ذراعاً ، و عرض كل واحد من الستة الباقية أحد عشر ذراعاً ، وزاد ابن أبي عامر فيه ثمانية عشر كل واحد عشرة أذرع ، وكان العمل في زيادة المنصور ستين ونصفاً ، وخدم فيه بنفسه ، وطول الصحن من المشرق إلى المغرب مائة ذراع وثمانية وعشرون ذراعاً ، و عرضه من القبلة إلى الجوّف مائة ذراع وخمسة أذرع ، و عرض كل واحدة من السقائف المستديرة بصحنه عشرة أذرع ، فتكسره ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ومائة وخمسون ذراعاً ، وعدد أبوابه تسعة : ثلاثة في صحنه غرباً وشرقاً وجوّفاً ، وأربعة في بلاطاته : اثنان شرقيان واثنتان غربيّان ، وفي مقاصير النساء من السقائف بابان ، وجميع ما فيه من الأعمدة ألف عمود ومائتا عمود وثلاثة وتسعون عموداً رخاماً كلّها ، وباب مقصورة الجامع ذهب ، وكذلك جدار المحراب وما يليه قد أُجري فيه الذهب على الفُسَيْفَساء ، وثريّات المقصورة فضة محضّة ، وارتفاع الصومعة اليوم — وهي من بناء عبد الرحمن ابن محمد — ثلاثة وسبعون ذراعاً إلى أعلى القبة المفتحة التي يستديرُ بها المؤذن ،

وفي رأس هذه القبة تفافيح^١ ذهب وفضة ، ودور كل تفاعلة ثلاثة أشبار ونصف ، فائتان من التفافيح ذهب لإبريز ، وواحدة فضة ، وتحت كل واحدة منها وفوقها ستوستة قد هُنِست بأبدع صنعة ، ورمانة ذهب صغيرة على رأس الزجاج ، وهي إحدى غرائب الأرض .

وكان بالجامع المذكور^٢ في بيت منبره مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي خَطّه بيده ، وعليه حلية ذهب مكلّلة بالدر والياقوت ، وعليه أغشية الديباج ، وهو على كرسيّ العود الرطب بمسامير الذهب .

رجع إلى المنارة :

وارتفاعُ المنارة إلى مكان الأذان أربعة وخمسون ذراعاً ، وطول كل حائط من حيطانها على الأرض ثمانية عشر ذراعاً ، انتهى بحروفه . وفيه بعض مخالفة لما ذكره ابن الفرضي وبعضهم ، إذ قال في ترجمة المنصور بن أبي عامر ما صورته^٣ : وكان من أخبار المنصور الداخلة في أبواب البر^٤ والقربة بنيانُ المسجد الجامع والزيادة فيه سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، وذلك أنه لما زاد الناس بقُرطبة وانجلب إليها قبائل البربر من العُدوة وإفريقية ، وتناهى حالها في الجلالة ، ضاقت الأرباض وغيرها ، وضاق المسجد الجامع عن حمل الناس ، فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه حيث تمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة ، فبدأ ابن أبي عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولاً من أول المسجد إلى آخره ، وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في

١ تسمى في مخطوطة الرباط : « رمانات » .

٢ انظر مخطوط الرباط : ٣٣ ؛ والروض المطار : ١٥٥ .

٣ النص في ابن عذاري ٢ : ٤٢٨ .

٤ ق ودوزي : الخير والبر .

الإتقان والوثاقة ، دون الزخرفة ، ولم يقصّر - مع هذا - عن سائر الزيادات جودة ، ما عدا زيادة الحكم . وأول ما عمله ابن أبي عامر تطيب نفوس أرباب الدور الذين اشتريت منهم للهدم لهذه الزيادة بإنصافهم من الثمن ، وصنع في صحنه الحبّ العظيم قدره ، الواسع فناءه ، وهو - أعني ابن أبي عامر - هو الذي رتب إحراق الشمع بالجامع زيادة للزيت^١ ، فتطابق بذلك النوران ، وكان عدد سواري الجامع الحاملة لسماؤه واللاصقة بمبانيه وقبابه ومَناره بين كبيرة وصغيرة ألف سارية وأربعمائة سارية وسبع عشرة سارية ، وقيل : أكثر ، وعدد ثُرَيَّات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة مائتان وثمانون ثُرَيَّا ، وعدد الكؤوس سبعة آلاف كأس وأربعمائة كأس وخمسة وعشرون كأساً ، وقيل : عشرة آلاف وثمانمائة وخمس كؤوس ، وزنة مَشَاكِي الرصاص للكؤوس المذكورة عشرة أرباع^٢ أو نحوها ، وزنة ما يحتاج إليه من الكتان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار ، وجميع ما يحتاج إليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة ربيع أو نحوها ، يُصرف منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد ، ومما كان يختصّ بـرمضان المعظّم ثلاثة قناطير من الشمع وثلاثة أرباع القنطار من الكتان المقطن لإقامة الشمع المذكور ، والكبيرة من الشمع التي تؤخذ بجانب الإمام يكون وزنها من خمسين إلى ستين رطلاً ، يحترق بعضها بطول الشهر ، ويعم الحرق لجميعها ليلة الختمة ، وكان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر ويتصرف فيه من أئمة ومقرئين وأمناء ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم من المتصرفين مائة وتسعة وخمسين شخصاً^٣ ، ويوقد من البخور ليلة الختمة أربع أواقٍ من العنبر الأشهب وثمانٍ أواقٍ من العود الرطب ، انتهى .

... ..

١ ابن عذاري : للرسم .

٢ ابن عذاري : عشرة أرباع القنطار .

٣ مخطوطة الرباط : ثلاثمائة رجل ، وهو يوافق ما سيأتي من نقل عن ابن سعيد .

وقال بعض المؤرخين : كان للجامع كل ليلة جمعة^١ رطل عود ، وربع رطل عنبر ، يتبخر به ، انتهى .

وقال ابن سعيد ، نقلاً عن ابن بَشْكُوَال : طول جامع قرطبة الأعظم الذي هو بداخل مدينتها من القبلة إلى الجوف ثلاثمائة وثلاثون ذراعاً ، الصحنُ المكشوف عنه ثمانون ذراعاً ، وغير ذلك مَقَرَّمَد ، وعرضه من الغرب إلى الشرق مائتان وخمسون ذراعاً ، وعدد أبوابه عند اكتمالها بالشمال التي زادها المنصور بن أبي عامر بعد هذا تسعة عشر بَهْوً ، وتسمى البلاطات ، وعدد أبوابه الكبار والصغار واحد وعشرون باباً : في الجانب الغربي تسعة أبواب ، منها واحد كبير للنساء يشرع إلى مقاصيرهن ، وفي الجهة الشرقية تسعة أبواب ، منها لدخول الرجال ثمانية أبواب ، وفي الجهة الشمالية ثلاثة أبواب ، منها لدخول الرجال بابان كبيران وباب لدخول النساء إلى مقاصيرهن^٢ ، وليس لهذا الجامع في القبلي سوى باب واحد بداخل المقصورة المتخذة في قبلته متصل بالسباط المُنْفِضِي إلى قصر الخلافة منه كان السلطان يخرج من القصر إلى الجامع لشهود الجمعة ، وجميع هذه الأبواب مُلَبَّسَة بالنحاس الأصفر بأغرب صنعة ، وعدد سوارى هذا المسجد الجامع الحاملة لسمائه والملصقة^٢ بمبانيه وقبابه ومنازه وغير ذلك من أعماله بين كبار وصغار ألف وأربعمائة سارية وتسع سوار ، منها بداخل المقصورة مائة وتسع عشرة سارية .

وذكر المقصورة البديعة التي صنعها الحكم المستنصر في هذا الجامع فقال :
إنه خطر بها على خمسة بلاطات من الزيادة الحكيمية ، وأطلق حفافها على الستة الباقية : ثلاثة من كل جهة ، فصار طولها من الشرق إلى الغرب خمسة وسبعين ذراعاً ، وعرضها من جدار الخشب إلى سور المسجد بالقبلة اثنين

١ ق : كل جمعة .

٢ في ط : والملصقة ؛ ج : والملصقة .

وعشرين ذراعاً ، وارتفاعها في السماء إلى حدّ شرفاتها ثمانية أذرع ، وارتفاع كل شرفة ثلاثة أشبار ، وهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش شارعة إلى الجامع شرقيّ وغربيّ وشماليّ ، ثم قال : وذرعُ المحراب في الطول من القبلة إلى الجوف ثمانية أذرع ونصف ، وعرضه من الشرق إلى الغرب سبعة أذرع ونصف ، وارتفاع قبوه في السماء ثلاثة عشر ذراعاً ونصف ، والمنبر إلى جنبه مؤلف من أكارم الخشب ما بين آبنوس وصندل وتبّع وبَقَمٍ وشَوَحَطٍ وما أشبه ذلك ، ومبلغ النفقة فيه خمسة وثلاثون ألف دينار وسبعمائة دينار وخمسة دنانير وثلاثة دراهم وثُلث درهم^١ وقيل غير ذلك ، وعدد درجه تسع درجات صنعة الحكم المستنصر رحمه الله .

وذكر أن عدد ثُرَيَّات الجامع التي تُسرج فيها المصابيح بداخل البلاطات خاصّة - سوى ما منها على الأبواب - مائتان وأربع وعشرون ثُرَيّاً ، جميعها من لاطون مختلفة الصنعة ، منها أربع ثُرَيَّات كبار معلقة في البلاط الأوسط أكبرها الضخمة المعلقة في القبّة الكبرى التي فيها المصاحف حيال المقصورة ، فيها من السُرُج - فيما زعموا - ألف وأربعة وخمسون^٢ ، تستوقد هذه الثريات الضخام في العشر الأخير من شهر رمضان ، تسقى كل ثُرَيّاً منها سبعة أرباع في الليلة ، وكان مبلغ ما ينفق من الزيت على جميع المصابيح في هذا المسجد في السنة أيام تمام وقوده في مدّة ابن أبي عامر مكملّة بالزيادة المنسوبة ألف ربيع ، منها في شهر رمضان سبعمائة وخمسون ربيعاً ، قال : وفي بعض التواريخ القديمة كان عدد القوّة بالمسجد الجامع بقرطبة في زمن الخلفاء وفي زمن ابن أبي عامر ثلاثمائة ، انتهى . وفيه مخالفة لبعض ما تقدّم .

وذكر بعضهم الزيت - ولكن قوله أولى بالاتباع ، لنقله عن ابن بشكوال ،

١ وثلاث دراهم : سقطت من ك .

٢ في ك : ألف وأربعمائة وأربعة وخمسون .

ولمعرفة ابن سعيد بمثل هذا وتحقيقه فيه أكثر من غيره ، والله سبحانه أعلم —
 فقال : ألف ربيع وثلاثون ربيعاً ، منها في رمضان خمسمائة ربيع ، وفي الثريات
 التي من الفضة — وهي ثلاث — اثنان وسبعون رطلاً ، لكل واحدة ثمانية عشر
 في ليلة وقدها . وقال في المنبر : إنّه مركب من ستة وثلاثين ألف وصل ،
 قام كل واحد منها بسبعة دراهم فضّة ، وسمرت بمسامير الذهب والفضّة ،
 وفي بعضها نفيس الأحجار ، واتصل العمل فيه تسعة ، ثم قال : ودور الثريا
 العظيمة خمسون شهراً ، وتحتوي على ألف كأس وأربعة وثمانين ، كلّها موشاة
 بالذهب ، إلى غير ذلك من الغرائب .

* * *

[وصف جامع قرطبة لابن صاحب الصلاة]

وكتب الفقيه الكاتب أبو محمد إبراهيم ابن صاحب الصلاة الوليّني يصف
 جامع قرطبة بما نصّه^١ : عمر الله سبحانه بشمول السعادة رسمك ، ووفر من
 جزيل الكرامة قسّمك ، ولا بترحت سحائب الإنعام همّي عليك ثرة ،
 وأنامل الأيام تهدي إليك كلّ مسرة ، لئن كان أعزك الله طريق الوداد بيننا
 عامراً ، وسبيل الاتحاد^٢ غامراً ، لوجب أن نفص ختمه ، ونرفض كتمه ،
 لا سيّما فيما يدرّ أخلاف الفضائل ، ويبرز أعطاف الشمائل ، وإنّي شخصت
 إلى حضرة قرطبة — حرسها الله تعالى — منشرح الصدر ، لحضور ليلة القدر ،
 والجامع — قدس الله تعالى بقعته ومكانه ، وثبت أساسه وأركانه — قد كسي
 ببردة الازدهاء ، وجلي في معرض البهاء ، كأن شرفاته فلول في سنان ، أو أشرف^٣
 في أسنان ، وكأنّما ضُربت على سمائه كيل ، أو خلعت على أرجائه حُلل ،
 وكأن الشمس قد خلّفت فيه ضياءها ، ونسجت على أقطاره أفياءها ، فترى نهراً

١ وردت هذه الرسالة في المقتطفات (الورقة : ٣٥ - ٣٧) .

٢ ك : وسبيل المحبة ؛ وفي ط بياض موضع « الاتحاد » .

قد أحرق به ليل ، كما أحرق برَبْوَة سيل ، ليل دامس ، ونهار شامس ، وللدُّبَال
تألَّق كنَضْنَضَة الحيات ، أو إشارة السبَّابات في التحيَّات ، قد أترعت من
السليط كؤوسها ، ووُصِلت بمحاجن الحديد رؤوسها ، ونيطت بسلاسل
كالخدوع القائمة ، أو كالشعابين العائمة ، عُصبت بها تفاح من الصُّفَر ، كاللِّفَاح
الصُّفَر : بولغ في صقلها وجلالها ، حتى بهرت بحسنها ولألائها ، كأنها
جلّيت باللهب ، وأشربت ماء الذهب ، إن سامتها طولاً رأيت منها سبائك
عسجد ، أو قلائد زبرجد ، وإن جنتها^١ عرضاً رأيت منها أفلاكاً ولكنها
غير دائرة ، ونجوماً ولكنها ليست بسائرة ، تتعلّق تعلّق القرط من الدُّفَرى ،
وتبسّط شعاعها بسَطَّ الأدبم حين يُقَرى ، والشمع قد رُفعت على المنار رفع
البنود ، وعُرِضت عليها عرض الجنود ، ليحتلي طلاقة روائها القريب والبعيد ،
ويستوي في هداية ضيائها الشقي والسعيد ، وقد قوبل منها مُبَيَّضٌ بمحمر^٢ ،
وعورض مخضرٌ بمصفر^٣ ، تضحك ببكائها وتبكي بضحكها ، وتهلك بجيائها
ونحيي بهلكها ، والطيب تفغم أفواحه ، وتنسم أرواحه ، وقتارُ الأُلنَجوج
والند ، يسترجع من رَوْح الحياة ما ندّ ، وكلّما تصاعد وهو محاصر ، أطال من
العمر ما كان تقاصر ، في صفوف^٤ مجامر ، ككعوب مُقامر ؛ وظهور القباب
مؤلّة ، وبطونها مهللة ، كأنها تيجان ، رُصّع فيها ياقوت ومرجان ، قد قوس
عرايها أحكم تقويس ، ووُشم بمثل ريش الطواويس ، حتى كأنه بالمجرة
مُقَرَّطق ، وبقوس قُزَح مُمَنطَق ، وكأنّ اللازورد حول وشومه ، وبين
رسومه ، نُتِف من قوادم الحمام ، أو كسف من ظُلُل الغمام ، والناس أخفاف
في دواعيهم ، وأوزاع في أغراضهم ومراميهم ، بين رُكّع وسُجّد ، وأيقاظ
وهُجّد ، ومزدحم على الرقاب يتخطاها ، ومقتحم على الظهور يتمطّاها ،

١ ك : أنيتها .

٢ ق : الحياة ما هو مزجوج وأقيمت في صفوف (وهو مضطرب ناقص) .

كانتهم بردّ خلال قَطَرٍ ، أو حروف في عرض^١ سطر ، حتى إذا قرعت
أسماعهم روعة التسليم ، تبادروا بالتكليم ، وتجادبوا بالاثواب ، وتساقوا
بالأكواب ، كأنهم حضور طال عليهم غياب ، أو سقّر أتيح لهم إياب ،
وصفيك مع إخوان صديق ، تنسكب العلوم بينهم انسكاب الودق ، في مكان
كوكر العصفور ، أستغفر الله أو ككيناس اليعفور ، كأن إقليدس قد
قسم بيننا مساحته بالموازين ، وارتبطنا فيه ارتباط البيادق بالفرازين ، حتى صار
عقدنا لا يُحلّ ، وحدّنا لا يُفلّ ، بحيث نسمع سور التزويل كيف تُحلى ،
ونتطلع صور التفصيل^٢ كيف تجلى ، والقومة حولنا يجهدون في دفع الضرر ،
ويعمدون إلى قرع العمود بالدّرر ، فإذا سمع بها الصبيان قد طبقت الخافقين ،
وسرت نحوهم^٣ سرى القين ، توهموا أنّها إلى أعطافهم واصله ، وفي أقحافهم
حاصلة ، ففروا بين الأساطين ، كما تفرّ من النجوم الشياطين ، كأنما ضربهم
أبو جهنم^٤ بعصاه ، أو حصبهم عمير بن ضابئ^٥ بحصاه ، فأكرم بها مساع
تشوق إلى جنة الخلد ، ويهون في السعي إليها إنفاق الطوارف والتلذذ ، تعظيماً
لشعائر الله ، وتنبهها لكل ساهٍ ولاه ، حكمة تشهد لله تعالى بالربوبية ، وطاعة
تذل لها كل نفس أبيّة ، فلم أرَ ، أدام الله سبحانه عزك ، منظراً منها أبهى ،
ولا مخبراً أشهى ، وإذا لم تتأمله عياناً ، فتخيّله بياناً ، وإن كان حظ منطقي
من الكلام ، حظ السفيح^٦ من الأزلام ، لكن ما بيننا من مودة أكدنا وسائلها ،
وأذمة تقلدنا حماثلها ، يوجب قبول إتحافى سميناً وغشاً ، ولبس إلفاني جديداً

.....

١ ق ودوزي : عروض ، وما ثبت هنا في نسخة ك ط ج .

٢ ق ط : التفصيل .

٣ دوزي : بعدهم .

٤ فيه إشارة إلى ما قاله الرسول (ص) في أبي جهنم المدوي من أنه لا يرفع عصاه عن أهله .

٥ عمير بن ضابئ البرجمي من حصب الحجاج حين جلس على منبر الكوفة .

٦ السفيح : قبح لا نصيب له في الميسر ، وكذلك المنج .

ورثاً ، لا زلت لزناد النبل مُورياً ، وإلى آماذ الفضل مجرباً ، والتحية العبيقة
الريّا ، المشرقة المحيّا ، عليك ما طلع قمر ، وأينع ثمر ، ورحمة الله تعالى
وبركاته ، انتهى .

* * *

[تمام الحديث في متعلقات الجامع]

وذكر ابن بَشْكُوَال أن الحكم المستنصر هَدَمَ المِبْضَاةَ القديمة التي كانت
بفناء الجامع ، يستسقى لها الماء من بئر السانية ، وبنى موضعها أربع مِبْضَاتٍ في كل
جانب من جانبي المسجد الشرقي والغربي منها ثنتان كبيرى للرجال وصغرى للنساء ،
أجرى في جميعها الماء في قناة اجتلبها من سفح جبل قُرْطُبة إلى أن صبت ماءها في
أحواض رخام لا يتقطع جريانه الليل والنهار ، وأجرى فضل هذا الماء العذب إلى
سقايات اتخذ من على أبواب هذا المسجد بجهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية ،
أجراها هنالك إلى ثلاث جواب من حياض الرخام استقطعها بمقطع المنستير^١
بسفح جبل قرطبة بالمال الكثير ، وألقاه الرخامون^٢ هنالك ، واحتفروا
أجوافها بمناقبهم في المدّة الطويلة حتى استوت في صورها البديعة لأعين
الناس ، فخفض ذلك من ثقلها ، وأمكن من إهابها إلى أماكن نصبها بأكتاف
المسجد الجامع ، وأمد الله تعالى على ذلك بمعونته ، فتهيأ حمل الواحدة منها
فوق عجلة كبيرة اتخذت من ضخام خشب البلوط على فلكٍ موثقة بالحديد
المثقف محفوفة بوثاق الحبال قُرِنَ لجرّها سبعون دابة من أشد الدواب ، وسهلت
قدامها الطرق والمسالك ، وسهل الله تعالى حملها واحدة بعد أخرى على هذه
الصفة في مدة اثني عشر يوماً ، فنصبت في الأقباء المعقودة لها ، قال : وابتنى
المستنصر في غربي الجامع دارَ الصدقة ، واتخذها معهداً لتفريق صدقاته المتوالية ،

١ في ط : المنسبر ؛ ق : النسر ؛ ج : المنتسين .

٢ ك : الرخاميون .

وابتغى للفقراء البيوت قبالة باب المسجد الكبير الغربي ، انتهى .

* * *

[عمل أهل قرطبة حجة في الفقه]

واعلم أنه لعظم أمر قرطبة كان عملها حجة بالمغرب ، حتى إنهم يقولون في الأحكام : هذا مما جرى به عمل قرطبة ، وفي هذه المسألة نزاع كثير ، ولا بأس أن نذكر ما لا بد منه من ذلك ، قال الإمام ابن عرفة^١ رحمه الله تعالى : في اشتراط الإمام على القاضي الحكم بمذهب معين — وإن خالف معتقد المشترط اجتهاداً وتقليداً — ثلاثة أقوال : الصحة للباجي ، ولعمل أهل قرطبة ، ولظاهر شرط سحنون على مذهب من ولاه الحكم بمذهب أهل المدينة ؛ قال المازري : مع احتمال كون الرجل مجتهداً . الثاني : البطلان ، للطرطوشي ، إذ قال في شرط أهل قرطبة : هذا جهل عظيم . الثالث : تصح التولية ويبطل^٢ الشرط ، تخريجاً على أحد الأقوال في الشرط الفاسد في البيع للمازري عن بعض الناس ، انتهى مختصراً .

قال ابن غازي : إن ابن عرفة نسب للطرطوشي البطلان مطلقاً ، وابن شاس إنما نسب له التفصيل ، انتهى .

ولما ذكر مولاي الجلد الإمام قاضي القضاة بفاس سيدي أبو عبد الله المقرئ التلمساني^٣ في كتابه « القواعد » شرط أهل قرطبة المذكور ، قال بعده ما نصه :

١ هو محمد بن محمد بن عرفة الورغي التونسي (٧١٦ - ٨٠٣) تلميذ قاضي الجماعة بتونس محمد ابن عبد السلام ، وأحد الفقهاء المشهورين بها ، وله مختصر فقهي ومؤلفات أخرى في مذهب مالك تشهد بتقدمه وإمامته (انظر ترجمته في نيل الابتهاج : ٢٨١ والديباج : ٣٣٧ والضوء اللامع ٩ : ٢٤٠ وغاية النهاية ٢ : ٢٤٣) .

٢ ك : ويلهب .

٣ جد المؤلف هذا هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ التلمساني الذي تولى قضاء فاس أيام السلطان أبي عنان المريني ، وكان آية في غزارة الحفظ ومادة العلم (انظر ترجمته في المرقبة العليا : ١٦٩ والتعوييف بآين خلدون : ٥٩ والإحاطة ٢ : ١٣٦ ونيل الابتهاج : ١٤٩ وسيرتجم له المقرئ) .

وعلى هذا الشرط ترتب إيجاب^١ عمل القضاة بالأندلس ، ثم انتقل إلى المغرب ،
فبينما نحن ننازع الناس في عمل المدينة ونصيح بأهل الكوفة مع كثرة من نزل
بها من علماء الأمة كعلي وابن مسعود ومن كان معهما :

ليس التَّكْحُلُ في العينين كالكَحَلِ

سنح لنا بعض الجُمُود ، ومعدن التقليد^٢ :

الله أَخَّرَ مُدَّتِي فَتَأَخَّرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمانِ عَجائِبًا

يا لله وللمسلمين ، ذهبت قرطبة وأهلها ، ولم يبرح من الناس جهلها ،
ما ذاك إلا لأن الشيطان يسعى في نحو الحق فينسيه ، والباطل لا زال يلقيه ،
ويلقيه ، ألا ترى خصال الجاهلية كالنياحة والتفاخر والتكاثر والطعن والتفضيل
والكهانة والنجوم والخط والتشاؤم وما أشبه ذلك ، وأسماءها كالعتمة ويثرب ،
وكذا التنازع بالألقاب وغيره مما نهي عنه وحذر منه ، كيف لم تزُل من أهلها ،
وانتقلت إلى غيرهم مع تيسر أمرها ، حتى كأنهم لا يرفعون بالدين رأساً ،
بل يجعلون العادات القديمة أساً ، وكذلك محبة الشعر والتلحين^٣ والنسب وما انحط
في هذا السلك ثابتة الموقع من القلوب ، والشرع فينا منذ سبعمائة سنة وسبع
وستين سنة لا نحفظه إلا قولاً ، ولا نحمله إلا كلاً ، انتهى .

وقال الحافظ ابن غازي — بعد ذكر كلام مولاي الجلد — ما نصّه : وحديثي
ثقة ممن لقيت أنه لما قدم مدينة فاس العلامة أبو يحيى الشريف التلمساني وتصدى
لإقراء التفسير بالبلد الجديد وأمر السلطان أبو سعيد المريني الحفيد أعيان الفقهاء

.

١ إيجاب : سقطت منك .

٢ كذا وردت هذه العبارة ، واقترح فليشر أن تقرأ « سنح لنا بفض المجهود ومودة التقليد » وهو

تخريج بعيد .

٣ ط : والتأخير .

بمحضور مجلسه كان ممّا ألقاه إليهم متّرع المقرّي^١ هذا ، فبالغوا في إنكاره ،
ورأوا أنّه لا معدل عمّا عول عليه زعماء الفقهاء كابن رشد وأصحاب الوثائق
كالمتيطي من اعتماد عمل أهل قرطبة ومَن في معناهم ، انتهى .

* * *

[رجع إلى وصف قرطبة ومسجدها]

وقال بعض المؤرخين — حين ذكر قرطبة — ما ملخصه : هي قاعدة بلاد
الأندلس ، ودار الخلافة الإسلامية ، وهي مدينة عظيمة ، وأهلها أعيان البلاد
وسرّة الناس ، في حسن المآكل والمشرب^٢ والملابس والمراكب ، وعلو الهنم ،
وبها أعلام العلماء ، وسادات الفضلاء ، وأجلاد الغزاة ، وأنجاد الحروب ،
وهي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضاً ، وبين المدينة والمدينة سور عظيم
حصين حاجز ، وكل مدينة مستقلة بنفسها ، وفيها ما يكفي أهلها من الحبّات
والأسواق والصناعات ، وطول قرطبة ثلاثة أميال في عرض ميل واحد ، وهي في
سفح جبل مطل عليها ، وفي مدينتها الثالثة وهي الوسطى القنطرة والجامع الذي
ليس في معمور الأرض مثله وطوله مائة ذراع في عرض ثمانين ، وفيه من السواري
الكبار ألف سارية ، وفيه مائة وثلاث عشرة ثريباً للوقود أكبرها تحمل ألف
مصباح ، وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه ، وبقبلته صناعات
تدهش العقول ، وعلى فرجة^٣ المحراب سبع قيسيّ قائمة على عمد طول كل
قوس فوق القائمة قله تحيط الروم والمسلمون في حسن وضعها ، وفي عيصادتي
المحراب أربعة أعمدة : اثنان أخضران واثنان لازوردیان ، ليس لها قيمة لنفستهما ،
وبه منبر ليس على مغمور الأرض أنفوس منه ولا^٤ مثله في حسن صنعته ، وخشبه

١ ك : مشرح المقرّي .

٢ والمشارب : زيادة من ك .

٣ ق ودوزي : فرجة ؛ ط : فرجة ؛

٤ أنفوس منه ولا : زيادة من ك .

ساج وآبنوس وبقم^١ وعُود قاقلي^٢ ، ويذكر في تاريخ بني أمية أنه أحكم عمله ونقشه في سبع سنين ، وكان يعمل فيه ثمانية صنّاع لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدي^٣ ، فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالاً^٤ ، وفي الجامع حاصل^٥ كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لأجل وقوده ، وبهذا الجامع مصحف يقال : إنه عثمانى ، وللجامع عشرون باباً مصفحات بالنحاس الأندلسي مخرّمة تخريماً عجيباً بديعاً يعجز البشر ويبهزهم ، وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة ، وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالملكي المعروف بالرشاشي^٦ ، وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته ، وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر ، مكتوب على الواحد اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح ، والجميع خلقة ربانية ، وأما القنطرة التي بقرطبة فهي بديعة الصنعة ، عجيبة المرائي ، فاقت قناطر الدنيا حسناً^٧ ، وعدد قيسيتها سبع عشرة قوساً ، سعة كل قوس منها خمسون شبراً وبين كل قوسين خمسون شبراً ، وبالجملة فمحاسن قرطبة أعظم من أن يحيط بها وصف ، انتهى ملخصاً . وهو وإن تكرّر بعضه مع ما قدمته^٨ فلا يخلو من فائدة زائدة ، والله الموفق . وما ذكره في طول المسجد وعرضه مخالف لما مرّ ، ويمكن الجواب بأن هذا الذراع أكبر من ذلك ، كما أشار إليه هو في أمر الصومعة ، وكذا ما ذكره في

١ وبقم : زيادة من ك .

٢ يقال إن الدنانير المحمدية منسوبة إلى محمد بن الناصر الموحلي وفي الأوقية الواحدة ٢٣ درهماً ، وهناك دنانير محمدية تنسب إلى محمديّة البراق وأخرى إلى مدينة المحمدية بالمغرب (انظر الدوحة المشتبكة : ٨٩ والهاشية رقم : ٥) .

٣ الحاصل : المخزن أو المستودع .

٤ الرشاشي : ذراع ينسب إلى الرشاش الذي جرى التكسير بذرعه أي اتخذ طوله وحدة لقياس الأطوال والمساحات . (انظر طبقات الزبيدي : ٢٨٤ وابن الفريسي : ١ : ١٩٦) .

٥ ق : عدداً .

٦ ج : مع ما تقدم .

عدد السواري ، إلا أن يقال : ما تقدم باعتبار الصغار والكبار ، وهذا العدد الذي ذكره هنا إنما هو للكبار فقط ، كما صرح به ، والله تعالى أعلم .
وأما الثريات فقد خالف في عددها ما تقدم ، مع أن المتقدم هو قول ثقات مؤرخي الأندلس ، ونحن جلبنا النقل من مواضعه ، وإن اختلفت طرقه ومضموناته .

وقال في المغرب - عند تعرضه للذكر جامع قرطبة - ما نصه : اعتمدت فيما أنقله^١ في هذا الفصل على كتاب ابن بشكّو^٢ ، فقد اعتنى بهذا الشأن أتم اعتناء ، وأغنى عن الاستطلاع إلى كلام غيره : عن الرازي أنه لما افتتح المسلمون الأندلس امتثلوا مساهمة فعله أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد عن رأي عمر رضي الله تعالى عنه بالشام من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحاً ، فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة كنائسهم العظمى التي كانت داخل مدينتها تحت السور ، وكانوا يسمونها بشت بِنَجْنَتْ ، وابتنوا في ذلك الشطر مسجداً جامعاً ، وبقي الشطر الثاني بأيدي النصارى ، وهدمت عليهم سائر الكنائس بحضرة قرطبة ، واقتنع المسلمون بما في أيديهم ، إلى أن كثروا ، وتزيدت عمارة قرطبة ، ونزلها أمراء العرب ، فضابق عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة يستكنّون بها ، حتى كان الناس ينالون في الوصول إلى داخل المسجد الأعظم مشقة لتلاصق تلك السقائف ، وقصر أبوابها ، وتطامن سقفها ، حتى ما يمكن أكثرهم القيام على اعتدال لتقارب سقفها من الأرض ، ولم يزل المسجد على هذه الصفة إلى أن دخل الأمير عبد الرحمن بن معاوية المرواني إلى الأندلس ، واستولى على إمارتها ، وسكن دار سلطانها قرطبة ، وتمددت به ، فنظر في أمر الجامع ، وذهب إلى توسعته وإثقان بنيانه ، فأحضر أعظم النصارى ،

١ ك : نقله .

وسامتهم بيع ما بقي بأيديهم من كنيساتهم لصق الجامع ليُدخله فيه ، وأوسع لهم البذل وفاء بالمعهد الذي صولحوا عليه ، فأبوا من بيع ما بأيديهم ، وسألوا بعد الجدل بهم أن يباحوا بناء كنيستهم^١ التي هُدمت عليهم بخارج المدينة على أن يتخلّوا للمسلمين عن هذا الشطر الذي طولبوا به ، فتم الأمر على ذلك ، وكان ذلك سنة ثمان وستين ومائة ، فابتنى عند ذلك عبد الرحمن المسجد الجامع على صفة ذكرها لا حاجة إلى تفسير^٢ الزيادة فيه ، وإنما الحاجة في وصفه بكماله . وفي بنائه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلوي^٣ من قصيدة :

وَأُنْفَقَ فِي دِينِ الْإِلَهِ وَوَجْهِهِ ثَمَانِينَ أَلْفًا مِنْ لُجَيْنٍ وَعَسْجِدٍ
تَوَزَّعَهَا فِي مَسْجِدِ أَسْهُ التَّقَى وَمَنْتَهَجَهُ دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
تَرَى الذَّهَبَ النَّارِيَّ فَوْقَ سَمُوكِهِ يَلُوحُ كَبْرُوقُ الْعَارِضِ الْمُتَوَقِّدِ

قال : وكل سنة سبعين ومائة ، ثم ذكر زيادة ابنه هشام الرضوي وما جدّده فيه ، وأنه بناه من خمّس فتيّء أربؤنة ، ثم زيادة ابنه عبد الرحمن الأوسط لما تزايد الناس^٤ ، قال : وهلك قبل أن يتم الزخرفة ، فأتتها ولده محمد بن عبد الرحمن^٥ ، ثم رمّ المنذر بن محمد ما وهى منه ، وذكر ما جدّده خليفتهم الناصر ونقضه للصومعة الأولى وبنائه للصومعة العظيمة ، قال : ولما ولي الحكم المستنصر بن الناصر — وقد اتسع نطاق قرطبة ، وكثر أهلها ، وتبين الضيق في جامعها — لم يقدم شيئاً على النظر في الزيادة ، فبلغ الجهد ، وزاد الزيادة العظمى ، قال : وبها كملت محاسن هذا الجامع ، وصار في حدّ يحسر^٦ الوصف عنه ، وذكر حضوره لمشاورة العلماء في تحريف القبلة إلى نحو المشرق ، حسبما فعله

١ ق ط : كنائسهم .

٢ ق : في تفسير .

٣ ق ودوزي : البلوي . والأبيات في مخطوطة الرباط : ٩٥ مصدره بقوله : قال بعضهم .

٤ لما تزايد . . . عبد الرحمن : سقطت من ق — وهو سهو واضح —

٥ ك : يقصر .

والدهُ الناصر في قبلة جامع الزهراء ، لأن أهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديمة إلى نحو الغرب ، فقال له الفقيه أبو إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، إنه قد صلى إلى هذه القبلة خيار هذه الأمة من أجدادك الأئمة وصلحاء المسلمين وعلمائهم ، منذ افتتحت الأندلس إلى هذا الوقت ، متأسين بأول مَنْ نصبها من التابعين كعمى بن نُصير وحنش الصنعاني وأمثالهما ، رحمهم الله تعالى ؛ وإنما فَصَّلَ مَنْ فَضَّلَ بالاتباع ، وهلك من هلك بالابتداع ، فأخذ الخليفة برأيه ، وقال : نِعَمَ ما قلت ، وإنما مذهبنِ الاتباع .

قال ابن بَشْكُوَال : ونقلت من خط أمير المؤمنين المستنصر أن النفقة في هذه الزيادة وما اتصل بها انتهت إلى مائتي ألف دينار وأحد وستين ألف دينار وخمسمائة دينار وسبعة وثلاثين ديناراً ودرهمين ونصف .

ثم ذكر الصومعة نقلاً عن ابن بَشْكُوَال فقال : أمر الناصر عبد الرحمن بهدم الصومعة الأولى سنة ١٣٤٠ وأقام هذه الصومعة البديعة ، فحفر في أساسها حتى بلغ الماء مدة من ثلاثة وأربعين يوماً ، ولما كملت ركب الناصر إليها من مدينة الزهراء وصعد في الصومعة من أحد درجتيها ، ونزل من الثاني ، ثم خرج الناصر وصلى ركعتين في المقصورة ، وانصرف ، قال : وكانت الأولى ذات مَطْلَع واحد ، فصير لهذه مطلعين ، فَصَّلَ بينهما البناء ، فلا يلتقي الراقون فيها إلاّ بأعلاها ، تزيد مراقي كل مطلع منها على مائة سبعة .

قال : وخبر هذه الصومعة مشهور في الأندلس ، وليس في مساجد المسلمين صومعة تعلوها .

قال ابن سعيد : قال ابن بَشْكُوَال هذا لأنّه لم يرَ صومعة مراکش ولا صومعة لإشبيلية اللتين بناهما المنصور من بني عبد المؤمن ، فهما أعظم وأطول ، لأنّه ذكر أن طول صومعة قرطبة إلى مكان موقف المؤذن أربعة وخمسون ذراعاً

١ ق : ٣٣٠ .

٢ ك ط ج : في الأرض .

وللى أعلى الرمانة الأخيرة بأعلى الزجاج ثلاثة وسبعون ذراعاً ، وعرضها في كل
تربيع منها ثمانية عشر ذراعاً ، وذلك اثنان وسبعون ذراعاً ، قال ابن سعيد : وطول
صومعة مراکش مائة وعشرة أذرع . وذكر أن صومعة قرطبة بضخام الحجارة
المقطعة^١ مُنْجَدة غاية التنجيد ، وفي أعلى ذروتها ثلاث شمسات يسمونها
زمانات ملصقة في السفود البارز في أعلاها من النحاس : الثنتان منها ذهب إبريز ،
والثالثة منها وسطى بينهما من فضة لكسير ، وفوقها سوسنة من ذهب مسدسة
فوقها رمانة ذهب صغيرة في طرف الزجاج البارز بأعلى الجوّ ، وكان تمام هذه
الصومعة في ثلاثة عشر شهراً .

وذكر ابن بشكّوال^٢ في رواية أن موضع الجامع الأعظم بقُرْطُبة كان
حفرة عظيمة يطرح فيها أهل قرطبة قُماماتهم وغيرها ، فلمّا قدم سليمان بن
داود صلّى الله عليهما ودخل قرطبة قال للجن : اُردِمُوا هذا الموضع وعدّلوا
مكانه ، فيسكون فيه بيت يُعبد الله فيه ، ففعلوا ما أمرهم به ، وبني فيه بعد
ذلك الجامع المذكور ، قال : ومن فضائله أن الدارات المائلة في تراويق سمائه
مكتوبة كلّها بالذكر والدعاء إلى غيره بأحكام صنعة ، انتهى .

وذكر مصحف عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه الذي كان في جامع
قرطبة وصار إلى بني عبد المؤمن فقال : هو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن
عفّان رضي الله تعالى عنه ، ممّا خطّه بيمينه ، وله عند أهل الأندلس شأن
عظيم ، انتهى . وسندكر فيه زيادة على هذا .

• • •

[الزهراء]

وأما للزهراء فهي مدينة الملك التي اخترعها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر

١ في ق : القُطِمة ، وفي ك : القُطِمة ، وفي ج : المنقطعة .

٢ انظر مخطوط الرباط : ٢٨ والسند فيه « قال صاحب التاريخ - عفّا الله عنه - ذكر ابن عتاب
عن عبيد الله الزهراوي عن شيوخه . . . إلخ » .

لدين الله ، وقد تقدّم ذكره ، وهي من المدن الجلييلة العظيمة القدر ، قال ابن
الفرضي وغيره : كان يعمل^١ في جامعها حين شُرع فيه من حُدّاق الفعلة
كلّ يوم ألف نسمة منها ثلاثمائة بِنَاء ومائتا نجّار وخمسمائة من الأجراء وسائر
الصنائع ، فاستمّ بنيانه وإتقانه في مدّة من ثمانية وأربعين يوماً ، وجاء في غاية
الإتقان من خمسة أبهاء عجيبة الصنعة ، وطوله من القبلة إلى الجوف — حاشا
المقصورة — ثلاثون ذراعاً ، وعرض البهو الأوسط من أبهائه من الشرق إلى
الغرب ثلاثة عشر ذراعاً ، وعرض كل بهو من الأربعة المكتنفة له اثنا عشر
ذراعاً ، وطول صحنه المكشوف من القبلة إلى الجوف ثلاثة وأربعون ذراعاً ،
وعرضه من الشرق إلى الغرب واحد وأربعون ذراعاً ، وجميعه مفروش بالرخام
الحمري ، وفي وسطه فتّارة يجري فيها الماء ، فطول هذا المسجد أجمع من
القبلة إلى الجوف — سوى المحراب — سبعة وتسعون ذراعاً ، وعرضه من الشرق
إلى الغرب تسعة وخمسون ذراعاً ، وطول صومعته في الهواء أربعون ذراعاً ،
وعرضها عشرة أذرع في مثلها .

وأمر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد ، فصنع في نهاية من
الحسن ، ووضع في مكانه منه ، وحظرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة ، وكان
وضع هذا المنبر في مكانه من هذا المسجد عند إكماله يوم الخميس لسبع بقين
من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

قال^٢ : وفي صدر هذه السنة كمل للناصر بِنْيَان القناة الغربية الصنعة التي جرى^٣
فيها الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربي قرطبة ، في المناهر
المهندسة ، وعلى الحنايا المعقودة ، يجري ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة
إلى بركة عظيمة ، عليها أسدٌ عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد

.....

١ قارن بما في أزهار الرياض ٢ : ٢٦٥ - ٢٦٦ .

٢ المصدر السابق ٢ : ٢٦٦ ، وسقطت كلمة « قال » من ق ط ج ومطبوعة ليدن .

٣ ك : التي أجراها وجرى .

أبْهَى مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكَ فِي غَابِرِ الدَّهْرِ ، مَطْلِي بِذَهَبٍ إِبْرِيْزٍ ، وَعَيْنَاهُ جَوْهَرَتَانِ
لَهُمَا وَبَيْضٌ^١ شَدِيدٌ ، يَجُوزُ هَذَا الْمَاءُ إِلَى عَجَزِ هَذَا الْأَسَدِ فَيَمِجُّهُ فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ
مِنْ فِيهِ ، فَيَبْهَرُ النَّازِرُ بِحُسْنِهِ وَرُوعَةِ مَنْظَرِهِ وَتَعْجَاجِهِ صَبَّهِ ، فَتُسْقَى مِنْ
مُجَاجِهِ جَنَانُ هَذَا الْقَصْرِ عَلَى سَعْتِهَا ، وَيَسْتَفِيضُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَاتِهِ ، وَيَمْدُ
النَّهْرُ الْأَعْظَمُ بِمَا فَضَّلَ مِنْهُ ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْقَنَاةُ وَبَرَكَتُهَا وَالتَّمَثَالُ الَّذِي يَصُبُّ
فِيهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَابِرِ الدَّهْرِ ، لِبُعْدِ مَسَافَتِهَا ، وَاخْتِلَافِ مَسَالِكِهَا ،
وَفَخَامَةِ بَنِيَانِهَا ، وَاسْمِ أَبْرَاجِهَا الَّتِي يَتَرَقَّى الْمَاءُ مِنْهَا وَيَتَصَوَّبُ مِنْ أَعَالِيهَا ،
وَكَانَتْ مَدَّةَ الْعَمَلِ فِيهَا مِنْ يَوْمِ ابْتَدَأَتْ مِنَ الْجَبَلِ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ - أَعْنِي الْقَنَاةُ -
إِلَى هَذِهِ الْبَرَكَةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ انْطِلَاقُ الْمَاءِ فِي هَذِهِ الْبَرَكَةِ الْانْطِلَاقَ
الَّذِي اتَّصَلَ وَاسْتَمَرَ يَوْمَ الْخَمِيسِ غُرَّةَ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ ، وَكَانَتْ لِلنَّاصِرِ
فِي هَذَا الْيَوْمِ بِقَصْرِ النَّاعُورَةِ دَعْوَةٌ حَسَنَةٌ أَفْضَلُ فِيهَا عَلَى عَامَّةِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ،
وَوَصَلَ الْمُهَنْدِسِينَ وَالْقَوَّامَ بِالْعَمَلِ بِصِلَاتٍ حَسَنَةٍ جَزِيلَةٍ^٢ .

وَأَمَّا مَدِينَةُ الزَّهْرَاءِ فَاسْتَمَرَ الْعَمَلُ فِيهَا مِنْ عَامِ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ إِلَى
آخِرِ دَوْلَةِ النَّاصِرِ وَابْنِهِ الْحَكَمِ ، وَذَلِكَ نَحْوَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدِ الزَّهْرَاءِ عَلَى مَا وَصَفَ كَانَتْ أَوَّلُ جَمَاعَةٍ صَلَّيَتْ
فِيهِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ مِنْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ لَثَمَانِ بَقِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ ، وَكَانَ الْإِمَامُ الْقَاضِي
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَيْسَى ، وَمِنْ الْقَدِّ صَلَّى النَّاصِرُ فِيهِ الْجُمُعَةَ ،
وَأَوَّلَ خُطْبٍ^٣ بِهِ الْقَاضِي الْمَذْكُورُ .

وَلَمَّا بَنَى النَّاصِرُ قَصْرَ الزَّهْرَاءِ الْمُتَنَاهِي فِي الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى
أَنَّهُ لَمْ يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ الْبَتَّةَ ، وَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ قَطُّ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ
وَالنَّحْلِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ مَلِكٍ وَارِدٍ وَرَسُولٍ وَافِدٍ وَتَاجِرٍ جَهْبَذٍ ، وَفِي هَذِهِ الطَّبَقَاتِ

١ ك : وَيَبْهَرُ أَي تَلْأَلُو - وَهُوَ صَوَابٌ أَيْضًا -

٢ ك : حَسَنَةٌ جَلِيلَةٌ جَزِيلَةٌ .

٣ ك : وَأَوَّلَ مِنْ خُطْبٍ .

من الناس تكون المعرفة والفطنة ، إلا وكلهم قطع أنه لم يرَ له شبيهاً ، بل لم يسمع به ، بل لم يتوهم كون مثله ، حتى إنه كان أعجب ما يؤمله القاطع إلى الأندلس في تلك العصور النظر إليه ، والتحدث عنه ، والأخبار عن هذا تتسع جداً ، والأدلة عليه تكثر ، ولو لم يكن فيه إلاّ السطح المردّ المشرف على الروضة المباهي بمجلس الذهب والقبة وعجيب ما تضمنته من إتقان الصنعة وفخامة المهمة وحسن المستشرف وبراعة الملبس والحلة ما بين مرمر مسنون وذهب موضون^١ وعمد كائناً أفرغت في القوالب ، ونقوش كالرياض ، وبرك عظيمة بحكمة الصنعة ، وحياض وتمائيل عجيبية الأشخاص لا تهدي الأوهام إلى سبيل استقصاء التعبير عنها ، فسبحان الذي أقدر هذا المخلوق الضعيف على إبداعها واختراعها من أجزاء الأرض المنحلة كما يري الغافلين عنه من عباده مثلاً لما أعدّه لأهل السعادة في دار المقامة التي لا يتسلط عليها الفناء ، ولا تحتاج إلى الرّم ، لا إله إلاّ هو المنفرد بالكرم .

وذكر المؤرخ أبو مروان ابن حبان^٢ صاحب الشرطة أن مباني قصر الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية ، ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ، ونيف هو ثنتا عشرة على ثلاثمائة سارية^٣ ، قال : منها ما جلب من مدينة رومة ، ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية ، وأن مصاريع أبوابها صغارها وكبارها كانت نيف على خمسة عشر ألف باب ، وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموّ ، والله سبحانه أعلم فإنّها كانت من أهول ما بناه الإنس ، وأجلّه خطراً ، وأعظمه شأنًا ، انتهى .

قلت : فسر بعضهم ذلك النيف في كلامه بثلاث عشرة ، والله أعلم .

١ ك : مصون .

٢ أزهار الرياض ٢ : ٢٦٨ .

٣ أزهار الرياض : وفسر بعضهم هذا النيف بثلاث عشرة ؛ وفي ك : نيف على ثلاثمائة هو ست عشرة .

وقال بعض من أَرَّخ الأندلس^١ : كان عدد الفتيان بالزَهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمئة وخمسين فتى ، ودُخِلَ لهم من اللحم في كل يوم - حاشا أنواع الطير والحيوت - ثلاثة عشر ألف رطل ، وعدة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار ، وخدم الخِدْمَة ستة آلاف وثلاثمئة امرأة وأربع عشرة ، انتهى .
وقيل : إن عدد الفتيان^٢ الصقابة ثلاثة آلاف وسبعمئة وخمسون ، وجعل بعض^٣ مكان الخمسين سبعة وثمانين .

وقال آخر : ستة آلاف صَقْلِي وسبعة وثمانون ، والمرتب من الخبز لحيثان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة كل يوم ، ويُنقَع لها من الحمص الأسود ستة أقفزة كل يوم ، انتهى .

ثم قال الأول : وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ، تقسم من عشرة أرطال للشخص إلى ما دون ذلك ، سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان ، انتهى .

وقال ابن حبان^٤ : ألفت بخط ابن دحون الفقيه ، قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس : بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بنيان^٥ الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلاثمئة ، وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت^٦ المنجور المعدل ستة آلاف صخرة ، سوى الصخر المصروف في التبليط ، فإنه لم يدخل في هذا العدد ، وكان يخدم في الزهراء كل يوم ألف وأربعمئة بغل ، وقيل أكثر ، منها أربعمئة زوامل الناصر لدين الله ، ومن دواب الأكرياء^٧ الراكبة للخدمة ألف بغل ، لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر ، يجب لها في الشهر

١ أزهار الرياض : وقال بعض المؤرخين .

٢ ك : عدد الصبيان .

٣ أزهار الرياض ٢ : ٢٦٩ .

٤ ك : بمسارة .

٥ المنحوت : سقطت من ط ج ق .

٦ ك : الأكرية .

ثلاثة آلاف مثقال ، وكان يرد الزهراء من الجيار^١ والحص في كل ثالث من الأيام ألف ومائة حمل ، وكان فيها حمّامان : واحد للقصر ، وثانٍ للعامة .
وذكر بعض أهل الخدمة في الزهراء أنّه قدّر النفقة فيها في كل عام بثلاثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاماً التي بقيت من دولة الناصر من حين ابتدأها ، لأنّه توفي سنة خمسين ، فحصل جميع الإنفاق فيها فكان مبلغه خمسة عشر بيت مال .

قال^٢ : وجلب إليها الرخام من قرطاجنة وإفريقية وتونس ، وكان الذين يجلبونه عبد الله بن يونس عريف البنائين^٣ وحسن وعلي بن جعفر^٤ الإسكندراني ، وكان الناصر يَصِلُهُم على كل رخامة صغيرة وكبيرة بعشرة دنائير ، انتهى .

وقال بعض ثقات المؤرخين : إنّّه كان يَصِلُهُم على كل رخامة صغيرة بثلاثة دنائير ، وعلى كل سارية بثمانية دنائير سجلماسية^٥ ، قيل^٦ : وكان عدد السواري المجلوبة من إفريقية ألف سارية وثلاث عشرة سارية ، ومن بلاد الإفرنج تسع عشرة سارية ، وأهدى إليه ملك الروم مائة وأربعين سارية ، وسائرهما من مقاطع الأندلس طرّكوكة وغيرها ، فالرخام المجزّع من ريّة ، والأبيض من غيرها ، والوردي والأخضر من إفريقية من كنيسة إسفاقس^٧ ، وأمّا الحوض المنقوش المذهب الغريب الشكل الغالي القيمة فجلبه إليه أحمد اليوناني من القسطنطينية مع ربيع الأسقف القادم من إلباء ، وأمّا الحوض الصغير الأخضر المنقوش بتماثيل الإنسان فجلبه أحمد من الشام ، وقيل : من القسطنطينية ، مع ربيع الأسقف

١ ك ج : الجير .

٢ أزهار الرياض ٢ : ٢٧٠ .

٣ ط : البنيان .

٤ أزهار الرياض : وحسن ومحمد ابنا جعفر الإسكندراني . وفي ك : وحسن بن محمد وعلي بن جعفر .

٥ سجلماسية : زيادة من ج وأزهار الرياض .

٦ في ق : قال ؛ وسقطت من ج ، وموضعها بياض في ط .

أيضاً ، وقالوا : إنّه لا قيمة له لفرط غرابته وجماله ، وحُمل من مكان إلى مكان حتى وصل في البحر ، ونصبه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف بالمونس ، وجعل عليه اثني عشر تمثالاً من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي ممّا عمل بدار الصناعة بقرطبة : صورة أسد إلى جانبه غزال إلى جانبه تمساح ، وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل ، وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحيدة ونسر^١ ، وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ، ويخرج الماء من أفواهها ، وكان المتولي لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم ، لم يتكل فيه الناصر على أمين غيره ، وكان يخبز في أيامه في كل يوم برسم حيتان البحيرات ثمانمائة خبزة ، وقيل : أكثر ، إلى غير ذلك ممّا يطول تتبعه .

قال^٢ : وكان الناصر كما قدمنا قسم الجباية أثلاثاً : ثلث للجند ، وثلث للبناء ، وثلث مدخر ، وكانت جباية الأندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ، ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار ، وأمّا أخماس الغنائم العظيمة^٣ فلا يحصيها ديوان .

وقد سبق هذا كله ، وإنّا كرّرت له لقول بعضهم إثر حكايته له ، ما صورته : وقيل : إن مبلغ تحصيل النفقة في بناء الزهراء مائة مدي من الدراهم القاسمية بكييل قرطبة ، وقيل : إن مبلغ النفقة فيها بالكييل المذكور ثمانون مدياً وسبعة أقفزة من الدراهم المذكورة . واتصل بنيان الزهراء أيام الناصر خمساً وعشرين سنة شطر خلافته ، ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلّها ، وكانت خمسة عشر عاماً وأشهرأ ، فسيحان الباقي بعد فناء الخلق ، لا إله إلا هو ، انتهى .

• • •

١ هذه ثلاثة عشر تمثالاً وقد ذكر أنها اثنا عشر ، وفي أزهار الرياض عد منها أحد عشر ثم قال : والثاني عشر لم يحضر في اسمه الآن ، وذلك أنه لم يذكر الحداة والنسر .

٢ قال : سقطت من ك ج ط .

٣ في ق أخماس العظيمة ؛ ط : أخماس الغنائم ؛ ك : أخماس البغيمة .

[بين الناصر ومنذر بن سعيد في شأن المباني]

وقال ابن أصبغ الحمداني^١ والفتح في المطمح^٢ : كان الناصر ككيفا بعمارة الأرض ، وإقامة معالمها ، وانبساط أمرها^٣ ، واستجلاها من أبعد بقاعها ، وتحليل الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة ، فأفضى به الإغراق في ذلك إلى أن ابنتى مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره ، الدائع خبره ، المنتشر في الأرض أثره ، واستفرغ وسعه^٤ في تنميتها ، وإتقان قصورها ، وزخرفة مصانعها ، وانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذته ثلاث جمع متواليات ، فأراد القاضي منذر أن بغض منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب والحكمة والتذكر بالإجابة والرجوع ، فابتدأ في أول خطبته بقوله تعالى : ﴿ أَتَبْسُتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ - إِنْ قَوْلُهُ تَمَلَّ : فَلَا تَكُنْ مِنْ الْوَاغِظِينَ ﴾ (الشعراء : ١٢٨) ثم وصله بقوله : فمتاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ، وهي دار القرار ، ومكان الجزاء ، ومضى في ذم تشييد البنيان ، والاستغراق في زخرفته ، والإسراف في الإنفاق عليه ، بكلام جزل ، وقول فصل ، قال الحاكي : فجرى فيه طلقاً ، وانتزع فيه قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ أَكُنَّ بُنْيَانَهُ - إِنْ آخِرُ الْآيَةِ ﴾ (التوبة : ١٠٩) وأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت ، والتحذير من فجأته ، والدعاء إلى الزهد في هذه الدار الفانية ، والحض على اعتزالها ، والرفض لها ، والندب إلى الإعراض عنها ، والإقصار عن طلب اللذات ، ونهي النفس عن اتباع هواها ، فأسهب في ذلك كله ، وأضاف إليه من آي القرآن ما يطابقه ، وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله ، حتى أذكر من حضره من الناس

١ في ك : ابن البديع الحمداني ؛ وفي ق : ابن حيان الحمداني . وسيدكره في الكتاب الخامس باسم « ابن أصبغ الحمداني » وكذلك ورد في ج وأزهار الرياض ٢ : ٢٧٧ والمرقبة العليا : ٦٩ .
٢ انظر المطمح : ٤٠ والمرقبة العليا : ٦٩ وأزهار الرياض ٢ : ٢٧٨ - ٢٧٩ .
٣ دوزي : وانبساط مياها ؛ وفي المطمح : وتكثير مياها .
٤ ك : جهده .

وَحَشَعُوا وَرَقُوا وَاعْتَرَفُوا^١ وَبَكَوا وَضَجُّوا وَدَعَوْا وَأَعْلَنُوا التَّضَرُّعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّوْبَةِ وَالِابْتِهَالِ فِي الْمَغْفِرَةِ ، وَأَخَذَ خَلِيفَتُهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِأَوْفَرِ حِظٍ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ بِهِ ، فَبَكَى وَنَدِمَ عَلَى مَا سَلَفَ لَهُ مِنْ فُرْطِهِ ، وَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ وَجِدَ عَلَى مَنْذَرٍ لَغْلَظَ مَا قَرَّعَهُ بِهِ^٢ ، فَشَكَا ذَلِكَ لَوْلَدِهِ الْحَكَمَ بَعْدَ انْصِرَافِ مَنْذَرٍ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ تَعَمَّدَنِي مَنْذَرٌ بِخُطْبَتِهِ ، وَمَا عَنَى بِهَا غَيْرِي ، فَأَسْرَفَ عَلَيَّ^٣ ، وَأَفْرَطَ فِي تَقْرِيعِي^٤ ، وَلَمْ يَحْسَنِ السِّيَاسَةَ فِي وَعْظِي ، فَرَزَعُ قَبْلِي ، وَكَادَ بِعَصَاهُ يَقْرَعُنِي ، وَاسْتَشَاطَ غَيْظًا عَلَيْهِ فَأَقْسَمَ أَن لَا يَصْلِي خَلْفَهُ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ خَاصَّةً ، فَجَعَلَ يَلْتَزِمُ صَلَاتَهَا وَرَاءَ أَحْمَدَ بْنِ مَطْرُوفٍ صَاحِبِ الصَّلَاةِ بِقَرْطَبَةِ ، وَيُجَانِبُ الصَّلَاةَ بِالزَّهْرَاءِ ، وَقَالَ لَهُ الْحَكَمُ : فَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ عَزْلِ مَنْذَرٍ عَنِ الصَّلَاةِ بِكَ وَالِاسْتِبْدَالِ بِغَيْرِهِ مِنْهُ إِذْ كَرِهْتَهُ ؟ فَزَجَرَهُ وَانْتَهَرَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَمِثْلَ مَنْذَرٍ بَنَ سَعِيدٍ فِي فَضْلِهِ وَخَيْرِهِ وَعِلْمِهِ — لَا أُمَّ لَكَ — يُعْزَلُ لِإَرْضَاءِ نَفْسٍ نَاكِبَةٍ عَنِ الرَّشْدِ ، سَالِكَةٍ غَيْرِ الْقَصْدِ ؟ هَذَا مَا لَا يَكُونُ ، وَلِأَنِّي لَأَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا أَجْعَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ شَفِيعًا مِثْلَ مَنْذَرٍ فِي وَرَعِهِ وَصَدْقِهِ ، وَلَكِنَّهُ أُحْرِجُنِي ، فَأَقْسَمْتَ ، وَلَوَدِدْتَ أَنِّي أَجِدُ سَبِيلًا إِلَى كَفَّارَةِ يَمِينِي بِمَلِكِي ، بَلْ يُصَلِّتُنِي بِالنَّاسِ حَيَاتَهُ وَحَيَاتُنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَمَا أَظُنُّنَا نَعْتَاضُ مِنْهُ أَبَدًا^٥ . وَقِيلَ : إِنْ الْحَكَمُ اعْتَدَرَ عَمَّا قَالَ مَنْذَرٌ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ ، وَمَا أَرَادَ إِلَّا خَيْرًا ، وَلَوْ رَأَى مَا أَنْفَقْتَ وَحَسَنَ تِلْكَ الْبَنِيَّةَ لَعَذَرَكَ ، فَأَمَرَ حَيْثُنَا النَّاصِرَ بِالْقُصُورِ فَفُشِّرَتْ ، وَفُشِّرَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ بِأَصْنَافِ فُرَشِ الدِّيْبَاجِ ، وَأَمَرَ بِالْأَطْعَمَةِ ، وَقَدْ أَحْضَرَ الْعُلَمَاءَ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْأَمْرَاءِ^٥ وَغَصَصَ بِهِمُ الْمَجْلِسَ ، فَدَخَلَ مَنْذَرٌ فِي آخِرِهِمْ ،

١ ج : واعتبروا .

٢ ك ط ج : تفرعه به .

٣ زاد في ك : وتقزيمي .

٤ هنا انقطع النقل عن المطبع .

٥ وغيرهم من الأمراء : سقطت من ك ج ، وفي ط بواض .

فأومأ إليه الناصر أن يقعد بقربه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس ، ولا يتخطى الرقاب ، فجلس في آخر الناس وعليه ثياب رثة ، ثم ذكر هذا القائل بعد هذا كلاماً من كلام المنذر يأتي قريباً .

وقحط الناس آخر مدة الناصر ، فأمر القاضي منذر المذكور بالبروز إلى الاستسقاء بالناس ، فتأهب لذلك ، وصام بين يديه أياماً ثلاثة تنفلاً وإجابة ورهبة ، واجتمع له الناس في مصلى الرّيس بقرطبة بارزين إلى الله تعالى في جمع عظيم ، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانعه المرتفعة من القصر ليشarf الناس ، ويشاركهم في الخروج إلى الله تعالى والضرّاعة له ، فأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس وغصت بهم ساحة المصلى ، ثم خرج نحوهم ماشياً متضرّعاً مُخْبِتاً متخشّعاً ، وقام ليخطب ، فلما رأى بداراً الناس إلى ارتقائه ، واستكانتهم من خيفة الله ، وإخباتهم له ، وابتاهلهم إليه - رقت نفسه ، وغلبته عيناه ، فاستعبر وبكى حيناً ، ثم افتتح خطبته بأن قال : يا أيّها الناس ، سلام عليكم ، ثم سكت ووقف شبه الحصير ، ولم يكُ من عادته ، فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه ولا ما أراد بقوله ، ثم اندفع تالياً قوله تعالى ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ ، إل قوله : رَحِيمٌ ﴿ (الأنعام : ٥٤) ﴾ ثم قال : استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً ، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، وتزلفوا بالأعمال الصالحة لديه ، قال الحاكبي : فضج الناس بالبكاء ، وجأروا بالدعاء ، ومضى على تمام خطبته ، ففرّج النفوس بوعظه ، وانبعث الإخلاص بتذكيره ، فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر ، روى الثرى ، وطررد المحلّ ، وسكنّ الأزلّ ، والله لطيف بعباده . وكان لمنذر في خطب الاستسقاء افتتاح عجيب ، ومنه أن قال يوماً - وقد سرح طرفه في ملائ الناس عندما شخصوا

...

١ عاد النقل عن المطبع ، وانظر كذلك المرقبة العليا وأزهار الرياض .

٢ ج : تبادر .

إليه بأبصارهم ، فهتف بهم كالمنادي - : يا أيها الناس ، وكررها عليهم مشيراً بيده في نواحيهم ﴿ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ . . . ﴾ إلى بعزير ﴿ (فاطر : ١٥) ﴾ فاشتد وجُدُّ الناس ، وانطلقت أعينهم بالبكاء ، ومضى في خطبته .
وقيل ^١ : إن الخليفة الناصر طلبه مرة ^٢ للاستسقاء ، واشتدَّ عزمه ^٣ عليه ، فتسابق الناس للمصلّي ، فقال للرسول - وكان من خواص الناس - : ليت شعري ، ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا ؟ فقال له : ما رأينا قطُّ أخشع منه في يومنا هذا ، إنه متبذّ حائر منفرد بنفسه ، لا يلبس أحسن ^٤ الثياب ، مفترش التراب ، وقد رَمَدَ به على رأسه وعلى لحيته ، وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول : هذه ناصيتي بيدك ، أترك تعذب بي الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء مني ، قال الحاكمي : فتهلّل وجه القاضي منذر عندما سمع قوله ، وقال : يا غلام احمل المطر معك فقد أذن الله تعالى بالسّقيا ، إذا خشع جبار الأرض فقد رحم جبار السماء ، وكان كما قال ، فلم ينصرف الناس إلا عن السّقيا ^٥ .
وكان منذر شديد للصلاية ^٦ في أحكامه ، والمهابة في أقضيته ، وقوة الحكومة ^٧ والقيام بالحق في جميع ما يجري على يده ، لا يهاب في ذلك الأمير الأعظم فمن دونه .

وقال ابن الحسن النّباهي ، وأصله في المطمح وغيره ^٨ : ومن أخبار منذر المحفوظة له مع الخليفة الناصر في إنكاره عليه الإسراف في البناء ، أن الناصر كان

١ ق : ومته . وفي ط بياض ؛ ج : وذكر أن -

٢ ك : خرج مرة ؛ ج : جركه مرة . -

٣ ك : وأسرع عزمه ؛ ج : ووطن عزمه .

٤ ج : أخشن .

٥ إذا . . . السقيا : سقط من ج .

٦ المطمح : من ذوي الصلاية .

٧ ق ط ودوزي : الخلوّة .

٨ المرقبة العليا : ٧١ والروض المطار : ١٤٠ - ١٤١

اتخذ لسطح القبية المصغرة الاسم للخصوصية التي كانت ماثلة على الصرح
المرد المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد [مغشاة] ^١ ذهباً ونفثة أنفق عليها
مالاً جسيماً ، وقَرَمَدَ سقفها به ، وجعل سقفها صفراء فاقعة ، إلى بيضاء ناصعة ،
تستلب الأبصار بأشعة نورها ، وجلس فيها إثر تمامها يوماً لأهل مملكته ،
فقال لقرايته ومن حضر من الوزراء وأهل الخدمة مفتخراً عليهم بما صنعه من
ذلك مع ما يتصل به من البدائع الفتاة : هل رأيتم أو سمعتم ملكاً كان قبلي فعل
مثل هذا أو قدَرَ عليه ؟ فقالوا : لا والله يا أمير المؤمنين ، وإنك لأوحد في
شأنك كله ، وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ، ولا انتهى إلينا خبره ،
فأبهجه قوهم وسره ، وبينما هو كذلك إذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد وهو
ناكس الرأس ^٢ ، فلما أخذ مجلسه قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف
المذهب واقتداره على إبداعه ، فأقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال
له : والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ،
ولا أن تمكثه من قيادك هذا التمكين ، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته ، وفضلك
به على العالمين ، حتى يترك منازل الكافرين ، قال : فافعل عبد الرحمن لقوله ،
وقال له : انظر ما تقول ، وكيف أنزلني منزلهم ؟ قال : نعم ، أليس الله تعالى
يقول ﴿ وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ — الآية ﴿ (الزخرف : ٢٢) ﴾
فوجم الخليفة ، وأطرق ملياً ودموعه تتساقط خشوعاً لله تعالى ، قال الخاكي ^٣ :
ثم أقبل على منذر وقال له : جازاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيراً وعن الدين
والمسلمين أجل جزائه ، وكثر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو الحق ، وقام
عن مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى ، وأمر بنقش سقف القبية ، وأعاد
قرمدها تراباً على صفة غيرها ، انتهى ما حكاه ابن الحسن النباهي .

١ زيادة من المرقبة العليا . وفي ط ج ق : قراميد ذهب . . . الخ .
٢ المرقبة العليا : واجماً ناكس الرأس . وفي ل ط : واحماً — وذلك تصحيحه —
٣ قال الخاكي : سقطت من ك .

ولندكر هذه الحكاية وغيرها ، وإن خالف السياق ما سبق ، وهذا منقول من كلام الحنجاري في « المسهب في أخبار المغرب » فإنه أتم فائدة ، إذ قال رحمه الله : دخل منذر بن سعيد يوماً على الناصر بأبي الزهراء ، وهو مكب على الاشتغال بالبنيان ، فوعظه ، فأنشده عبد الرحمن الناصر^١ :

هيمَ للملوك إذا أرادوا ذكراً
مينَ بعدهم فبالسنِ البنيانِ
أوما ترى الهرميين قد بقيا وكم
ملكٍ عاه حوادث الأزمانِ
إنّ البناء إذا تعظم شأنه
أضحى يدلّ على عظيم الشأنِ

قال : فما أدري أهذا شعره أم تمثّل به ؟ فإن كان شعره فقد بلغ فيه إلى غاية الإحسان ، وإن كان تمثّل به فقد استحقّه بالتمثّل به في هذا المكان ، وكان منذر يكثر تعنيته^٢ على البنيان ، ودخل عليه مرة وهو في قبة قد جعل قرمدها من ذهب وفضة ، واحتفل فيها احتفالاً ظن أن أحداً من الملوك لم يصل إليه ، فقام خطيباً والمجلس قد غصّ بأرباب الدولة ، فتلا قوله تعالى ﴿ وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ — الآية ﴿ وأتبعها بما يليق بذلك ، فوجم الملك ، وأظهر الكآبة ، ولم يسعه إلا الاحتمال لمندّر بن سعيد لعظم قدره في علمه ودينه .

وحضر معه يوماً في الزهراء ، فقام الرئيس أبو عثمان بن إدريس فأنشد الناصر قصيدة منها^٣ :

سيشهد ما أبقيت أنّك لم تكن
مُضيعاً وقد مكنت للدين والدنيا
فبالجامع المعمور للعلم والتقى
وبالزهرة الزهراء للملك والعليا

١ انظر المغرب ١ : ١٧٤ .

٢ ك : تعنيته .

٣ المغرب ١ : ١٧٤ .

فاهتزَّ الناصر ، وابتهج ، وأطرق منذر بن سعيد ساعة ، ثم قام منشداً :

يا بائيَ الزهراء مُستغرقاً أوقاته فيها أما تمهل
لله ما أحسنها رَوْناً لو لم تكن زهرتها تبدل

فقال الناصر : إذا هبَّ عليها نسيم التذكار والحنين ، وسقَّتْها مدامع الخشوع
يا أبا الحكم لا تبدل إن شاء الله تعالى ، فقال منذر : اللهم اشهد أنني قد بثت
ما عندي ولم آلُ نُصْحاً ، انتهى .

ولقد صدق القاضي منذر رحمه الله تعالى فيما قال ، فإنَّها ذبلت بعد ذلك في
الفتنة ، وقُلب ما كان فيها من مِنحة مِحنة ، وذلك عندما وليَّ الحجابة عهد
الرحمن بن المنصور بن أبي عامر الملقب بشنجول^١ ، وتصرف في الدولة مثل
ما تصرف أخوه المظفر وأبوهما المنصور ، فأساء التدبير ، ولم يميز بين القليل
والدبير ، فهدس إلى المؤيد هشام بن الحكم مَنْ خَوَّفَه منه حتى ولاه عهده كما
بيَّننا نص العهد فيما سبق ، فأطبق الخاصة والعامة على بغضه ، وإضمار سوء
له ، وذلك سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، فعند ذلك خرج عليه محمد بن هشام بن
عبد الجبار بن الناصر سنة تسع وتسعين وتلقب بالمهدي وخلع المؤيد وحبسه ،
وأسلمت الجيوش شنجول فأُخذ وأسر وقتل .

^١ قال ابن الرقيق : ومن أعجب ما روي أنَّه من نصف نهار يوم الثلاثاء
لأربع بقين من جمادى الآخرة إلى نصف نهار يوم الأربعاء فُتحت قرطبة ،
وهُدِمت الزهراء ، وخلع خليفة وهو المؤيد ، وولي خليفة وهو المهدي ، وزالت
دولة بني عامر العظيمة ، وقتل وزيرهم محمد بن عَسَقَلَاجَة^٢ ، وأقيمت جيوش
من العامة ، ونُكِب خلق من الوزراء وولي الوزارة آخرون ، وكان ذلك كله
على يد عشرة رجال فحامين وجزارين وزبالين ، وهم جند المهدي هذا ، انتهى .

١ شنجول أي شانجة الصغير ؛ وكان شانجة (Sancho) اسم غاله .

٢ ك : علاجه .

وقد تقدم بعض الكلام على المهدي هذا ، وهو الذي قيل فيه لما قام على الدولة ^١ :

قد قام مهديُّنا ولكن بملَّة ٢ الفِسْقِ والمُجُونِ
وشاركَ الناسَ في حريمِ لولاه ما زال بالمصُونِ
مَنْ كان من قبلَ ذا أجمًا فاليومَ قد صار ذا قُرُونِ

ومن شعر المهدي هذا وقد حَبَّاه في مجلس شرا به غلامٌ بقضيب آسٍ :

أهدَيْتَ شِبْهَ قِوَامِكَ المِياسِ غُصْنًا رَطْبِيًّا ناعِمًا من آسٍ
وكأنَّما يَحْكِيكَ في حَرَكَاتِهِ وكأنَّما تَحْكِيهِ في الأنفاسِ

وقد ذكرنا فيما سبق في الفصل الثالث خبر المهدي هذا وقتله ^٣ . ولقد كان قيامه مشغولاً على الدين والدنيا ، فإنه فاتحُ أبوابِ الفتنة بالأندلس ومأخوذ معالِمها ، حتى تفرقت الدولة ، وانتشر السلك ، وكثر الرؤساء ، وتطاول العدو إليها ، وأخذها شيئاً فشيئاً حتى عفا اسم الإسلام منها ، أعادها الله تعالى .

• • •

[حديث ابن خلدون عن الزهراء]

وقد أُلِّمَ الولي ابن خلدون في تاريخه بذكر الزهراء في جملة مباني الناصر ، فقال ما نصه ^٤ : ولما استفحل ملك الناصر صرف نظره إلى تشييد القصور والمباني ، وكان جده الأمير محمد وأبوه عبد الرحمن الأوسط وجده الحكم قد احتفلوا^٥ في ذلك وبنوا قصورهم على أكل الإتيقان والضخامة ، وكان فيها المجلس الزاهر

١ انظر ما سبق ص : ٤٢٦ .

٢ ق ج : بآلة .

٣ يريد الباب الثالث ؛ انظر ما سبق ص : ٤٢٨ .

٤ تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٤٤ .

٥ ابن خلدون : قد اغتلفوا ، وكذلك في ق .

والبهو والكامل والمنيف ، فبنى هو إلى جانب الزاهر قصره العظيم ، وسمّاه « دار الروضة » ، وجلب الماء إلى قصورهم من الجبل واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر ، فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية ، ثم أخذ في بناء المنتزهات ، فاتخذ منية الناعورة خارج القصور ، وساق لها الماء من أعلى الجبل على أبعاد مسافة ، ثم اختط مدينة الزهراء ، واتخذها لشُرْله ، وكرسيّاً للملكه ، وأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين ما عَفَى على مبانيهم الأولى ، واتخذ فيها محلات للوحش-فسيحة الفِئاء ، متباعدة السياج ، ومسارح للطيور مظلة بالشباك ، واتخذ فيها دوراً لصناعة الآلات من آلات السلاح للحرب والخلي للزينة وغير ذلك من المهن ، وأمر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس ، انتهى .

* * *

[الزاهرة]

وأما الزاهرة فهي من مباني المنصور محمد بن أبي عامر . قال ابن خلدون أثناء كلامه على المنصور ما صورته^١ : وابتنى لنفسه مدينة لشُرْله سماها الزاهرة ، ونقل إليها جزءاً من الأموال والأسلحة ، انتهى . وقال غيره ، وأظنّه صاحب المطمح^٢ : وفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة أمر المنصور بن أبي عامر ببناء الزاهرة ، وذلك عندما استفحل^٣ أمره ، واتقد جَمْرُه ، وظهر استبداده ، وكثر حُسّاده وأنداده^٤ ، وخاف على نفسه في الدخول إلى قصر السلطان ، وخشي أن يقع في أشطّان ، فتوثق لنفسه ، وكشف

١ ابن خلدون ٤ : ١٤٨ .

٢ لم يرد هذا النص في المطمح ، وإنما هو في البيان المغرب لابن عذاري ٢ : ٤١٠ - ٤١٥ (٢٧٧ ط . ليدن) .

٣ ك : تكامل واستفحل .

٤ ك : وأضداده وأنداده .

له ما ستر عنه في أمسه ، من الاعتزاز عليه ، ورفع الاستناد إليه ، وسما إلى ما سَمَتْ إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ، ويحله بأهله وذَوِيه ، ويضم إليه رياسته ، ويتم به تدبيره وسياسته ، ويجمع فيه فتياه وغلمانه ، فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة ، الموصوفة بالقصور الباهرة ، وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم ، ونَسَقَ فيها كل اقتدار معجز ونظم ، وشرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة ، وحشد الصنّاع والفعلّة ، وجلب إليها الآلات الجليلة ، وسَرَبَلَهَا بهاء يردُّ الأعين ككيلة ، وتوسع في اختطاطها ، وتولّع بانتشارها في البسيطة وانبساطها ، وبالغ في رفع أسوارها ، وثابر على تسوية أنجاده وأغوارها ، فاتسعت هذه المدينة في المدة القريبة ، وصار بناؤها من الأنباء الغريبة ، وبني معظمها في عامين .

وفي سنة سبعين وثلاثمائة انتقل المنصور إليها ونزلها بخاصته وعامته ، فقبواها وشحنها بجميع أسلحته وأمواله وأمتعته ، واتخذ فيها الدواوين والأعمال وعمل في داخلها الأهراء ، وأطلق بساحتها الأرحاء ، ثم أقطع ما حولها لوزرائه وكتابه ، وقواده وحجابه ، فابتننوا بها كبار الدور ، وجليلات القصور ، واتخذوا خلالها المستغلات المفيدة ، والمنازه المشيدة ، وقامت بها الأسواق ، وكثرت فيها الأرفاق ، وتنافس الناس بالتزول بأكنافها ، والحلول بأطرافها ، للدنو من صاحب الدولة ، وتناهى الغلو في البناء حوله ، حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة وكثرت بحوزتها العمارة ، واستقرت في بحبوحتها الإمارة ، وأفرد الخليفة من كل شيء إلا من الاسم الخلافي ، وصير ذلك هو الرسم العافي ، ورتب فيها جلوس وزرائه ، ورؤوس أمرائه ، وندب إليها كل ذي خطة بخطته ، ونصب ببابها كرسي شُرطته ، وأجلس عليها والياً على رسم كرسي الخليفة ، وفي صفة تلك المرتبة المنيفة ، وكتب إلى الأقطار بالأندلس والعُدوة

١ ك : من الأبنية .

بأن تُحمَّل إلى مدينته تلك أموالُ الحبايات ، ويقصدها أصحاب الولايات ،
ويتابها طلابُ الحوائج ، وحدَّر أن يعوج عنها إلى باب^١ الخليفة عائج ،
فاقتضيت إليها اللبانات والأوطار ، وانحشد الناس إليها من جميع الأقطار ، وتم
لمحمد بن أبي عامر ما أراد ، وانتظم بلبنة أمانيه المراد ، وعطل قصر الخليفة
من جميعه ، وصيَّره بمعزلة من سامعه ومطيعه ، وسدَّ باب قصره عليه ،
وجدَّ في خبر ألا يصل إليه ، وجعل فيه ثقة من صنائه يفضط القصر ،
ويسط فيه النهي والأمر ، ويُسرف منه على كل داخل ، ويمنع ما يحلره من
الدواخل ، ورتب عليه الخُرَّاس والبوابين ، والسُّمَّار والمتائين ، يلَازمون
حراسة مَنْ فيه ليلاً ونهاراً ، ويراقبون حركاتهم سرّاً وجهاراً ، وقد حَجَّر
على الخليفة كل تدبير ، ومنعه من تملك قبيل أو دَير ، وأقام الخليفة هشام
مهجور الفناء ، معجوز الغناء ، خفيّ الذكر ، عليل الفكر ، مسدود الباب ،
محجوب الشخص عن الأحباب ، لا يراه خاص ولا عام ، ولا يُخاف منه
بأس ولا يرجى منه إنعام ، ولا يُعهد فيه إلا الاسم السلطاني في السَّكة والدعوة ،
وقد نسخهُ ولَبَسَ أبهته ، وطمس بَهْجته ، وأغنى الناس عنه ، وأزال أظماهم
منه ، وصيرهم لا يعرفونه ، وأمرهم أنهم^٢ لا يذكرونه ، واشتدَّ ملك محمد بن
أبي عامر منذ نزل قصر الزاهرة وتوسَّع مع الأيام في تشييد^٣ بنيَّتها حتى كملت
أحسن كمال ، وجاءته في نهاية الجمال ، نقاوة بناء ، وسعة فناء ، واعتدال
هواء رقي أدومه ، وصقالة جوّ اعتل^٤ نسيمه ، ونضرة بستان ، وبهجة للنفوس
فيها افتنان ، وفيها يقول صاعد اللغوي :

يا أيُّها الملكُ المنصُورُ مِن^٥ يمنٍ والمُبْتَنِي نَسَباً غَيْرَ الذي انتسبا

١ ك : دار .

٢ أنهم : زيادة من ق ط .

٣ ق : تجديد .

٤ ق : اعتدل .

بغزوة^١ في قلوب الشرك رائحة
أما ترى العين تجري فوق مرمىها
أجريتها فطما الزاهي بجريتها
تخال فيه جنود الماء رافلة
تحفها من فنون الأيك زاهرة
بديعة الملك ما يتفك ناظرها
لا يحسن الدهر أن ينشي لها مثلاً
ولو تعنت فيها نفسه طلباً

ودخل عليه ابن أبي الحباب^٢ في بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامرة ،
والروض قد تفتحت أنواره ، وتوشحت أنجاده وأغواره ، وتصرف فيها الدهر
متواضعاً ، ووقف بها السعد خاضعاً ، فقال :

لا يوم كالיום في أيامك الأول
هواؤها في جميع الدهر معتدل
ما إن يبالي الذي يحل ساحتها
بالسعد أن لا تحل الشمس بالحتمل

وما زالت هذه المدينة^٣ رائقة ، والسعود^٤ بلبتها متناسقة ، تراوحها
الفتوح وتغادها ، وتجلب إليها منكسرة أعادها ، لا تزحف عنها راية إلا

.....

١ ط : بكرة .

٢ البيان : على أحاسنها الطربا ؛ وفي ق : الرطبا ؛ ج : أخفافها .

٣ البيان : أثمرت .

٤ البيان : عمرو بن أبي الحباب ؛ وهو خطأ ؛ وأظن أن ابن أبي الحباب هو أحمد بن عبد العزيز بن
أبي الحباب النحوي (- ٤٠٠) أحد تلامذة القاضي (الصلة : ٢٥) وقد ترجم له الحميدي في
موضعين مرة باسمه ومرة بكنيته « أبو المطرف » (١١١ ، ٣٧٧) وكناه في الأول بأبي عمرو
ولعل هذا موضع اللبس والاضطراب بتسميته « عمرو » في البيان ؛ وفي الترجمة الثانية أورد
الحميدي شمره في المنية العامرة .

ه ك : المنية .

إلى فتح ، ولا يصدر عنها تدبير إلاّ إلى نُجُوح ، إلى أن حان يومُها العصيب ،
وقبُض لها من المكروه أوفر^١ نصيب ، فتولت فقيدة ، وخلت من بهجتها
كل عقيدة ، انتهى .

وقد حكى الحميدي في «جلوة المقتبس»^٢ هذه الحكاية الواقعة لابن أبي
الخباب بزيادة ، فقال - بعد أن ذكر هذه المنية العامرية التي إلى جانب الزهراء - :
إن أبا المطرف بن أبي الخباب الشاعر دخل إلى المنصور في هذه المنية ، فوقف
على روضة فيها ثلاث سوسنات ثتان منها قد تفتحتا وواحدة لم تفتح ، فقال :

لا يَوْمَ كالْيَوْمِ في أيماننا الأوّلِ	بالعامرية ذات الماء والظّلّل ^٣
هواؤها في جميعِ الدهر معتدلٌ	طيباً ، وإن حلّ فصلٌ غير معتدلٍ
ما إن يُبالي الذي يحلُّ ساحتها	بالسعد ألاّ تحلّ الشمسُ في الحملِ
كأنما غرست في ساعة وبدا	سوسانٌ من حينه فيها على عجلِ
أبدت ثلاثاً من السوسان مائلةً	أعناقهنّ من الإعياء والكسلِ
فبعضُ نوارها للبعض مُنفتح	والبعضُ منغلق عنهنّ في شغلِ
كأنّها راحة ضمت أاملها	من بعد ما ملئت من جودك الخفيلِ
وأختها بسطت منها أاملها	ترجو نذاك كما عودتها فصلِ

وقد ذكر ابن سعيد^٤ أن ابن العريف النحوي دخل على المنصور بن أبي عامر
وعنده صاعد اللغوي البغدادي ، فأنشده وهو بالموضع المعروف بالعامرية من
أبيات :

فالعامريّة تزهى على جميع المتباني

١ ق ج ط : وانظر .

٢ انظر الجلوة : ٣٧٧ (وبنية الملتبس رقم : ١٥٤٥) .

٣ ق : والقلل .

٤ لم يرد هذا النص في مطبوعة المغرب ؛ وانظر المقتطفات : ٢٤ - ٣٥ .

وَأَنْتَ فِيهَا كَسَيْفٍ قَدْ حُلَّ فِي غُمْدَانٍ^١

فَقَامَ صَاعِدٌ ، وَكَانَ مُنَاقِضاً لَهُ ، فَقَالَ : أَسْعِدَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَاجِبَ الْأَجَلَ ،
وَمَكَّنَ سُلْطَانَهُ ؛ هَذَا الشَّعْرُ الَّذِي قَالَهُ^٢ قَدْ أَعَدَّهُ وَرَوَى^٣ فِيهِ أَقْدَرُ أَنْ أَقُولَ أَحْسَنَ
مِنْهُ أَرْتَجِلُ^٤ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : قُلْ لِيُظْهِرَ صَدْقُ دَعْوَاكَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ مِنْ
غَيْرِ فِكْرَةٍ طَوِيلَةٍ :

يَا أَيُّهَا الْحَاجِبُ الْمُعَدُّ تَلَيَّ عَلَى كَيَوَانٍ
وَمَنْ بِهِ قَدْ تَنَاهَى فَخَارُ كُلِّ يَمَانٍ^٥
الْعَامِرِيَّةُ أَضْحَتْ كَجَنَّةِ الرِّضْوَانِ
فَرِيدَةٌ لَفَرِيدٍ مَا بَيْنَ أَهْلِ الزَّمَانِ

ثُمَّ مَرَّ فِي الشَّعْرِ إِلَى أَنْ قَالَ فِي وَصْفِهَا :

انْظُرْ إِلَى النَّهْرِ فِيهَا يَنْسَابُ كَالشُّعْبَانِ
وَالطَّيْرِ يُخْطِبُ شُكْرًا عَلَى ذُرَا الْأَغْصَانِ
وَالْقُضْبُ تَلْتَفُ سَكْرًا بِمَيْسِ الْقُضْبَانِ
وَالرُّوْضُ يُفْتَرُ زَهْوًا عَنْ مَبْسِمِ الْأَقْحَوَانِ
وَالزَّرْجَسُ الْغَضُّ يُرْنُو بِوَجْنَةِ النُّعْمَانِ
وَرَاحَةُ الرِّيحِ تَمْتَا رَ نَفْحَةِ الرِّيحَانِ
فَدُمُ مَدَى الدَّهْرِ فِيهَا فِي غَبِطَةٍ وَأَمَانِ

فَاسْتَحْسَنَ الْمَنْصُورُ أَرْتَجِلُهُ ، وَقَالَ لِابْنِ الْعَرِيفِ : مَا لَكَ فَائِدَةٌ فِي مُنَاقِضَةٍ

١ يعني سيف بن ذي يزن وقصره « غمدان » باليمن .

٢ قاله : سقطت من ك .

٣ ك : وروى .

٤ ك : كثيرة .

٥ ق : في الحسن كل يمان .

مَنْ هذا ارتجائه ، فكيف تكون رويته ؟ فقال ابن العريف : إنما أنطقه وقرب عليه المأخذ إحسانك ، فقال له صاعد : فيخرج من هذا أن قلة إحسانه لك أسكتتك وبعدت عليك المأخذ ، فضحك المنصور وقال : غير هذه المنازعة أليق بأدبكما .

قلت : وقد ذكر مؤرخو الأندلس منى كثيرة بها : منها منية الناعورة السابقة ، ومنية العامرية هذه ، ومنية السرور ، ومنية الزبير منسوبة إلى الزبير بن عمر الملقب ملك قرطبة .

قال أبو الحسن بن سعيد^١ : أخبرني أبي عن أبيه قال : خرج معي إلى هذه المنية في زمان فتح نوار اللوز أبو بكر بن بَقِيّ الشاعر المشهور ، فجلسنا تحت سطر لوز قد نور ، فقال ابن بَقِيّ :

سَطَّر من اللوز في البُسْتَان قَابِلَتِي ما زاد شيء على شيء ولا نَقَصَا
كأنما كل غُصْنٍ كُفٌّ جارِيَةٌ إذا النسيمُ ثَنَى أعطافَهُ رَقَصَا
ثم قال :

عجبت لمن أبقى على خمر دَنِّهِ غُدَّاءَ رأى لَوَزَ الحديقة نَوْرَا
وذكر بعض مؤرخي الأندلس أن المنصور بن أبي عامر كان يزرع كل سنة ألف مدي من الشعير قصيلاً لدوابه الخاصة به ، وأنه كان إذا قدم من غزوة من غزواته لا يحلُّ عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ما مات منها وما عاش ، وصاحب الأبنية لما وهى من أسواره ومبانيه وقصوره ودوره ، قال : وكان له دخالة^٢ كل يوم اثني عشر ألف رطل من اللحم ، حاشا الصيد والطير

١ انظر هذا فيما تقدم ص : ٤٧١

٢ في المعاجم : الدخل فقط بمعنى الحاصل ، ويبدو أن الأندلسيين استعملوا لفظة « دخالة » ليعنوا القسط أو النصيب أو الحصة .

والحيتان ، وكان يصنع في كل عام اثني عشر ألف تُرْس عامرية لقصر الزاهرة
والزهراء ، قال : وابتنى على طريق المباحاة والفخامة مدينة الزاهرة^١ ذات القصور
والمنتزهات المخترعة كنية السرور وغيرها من مناشئه البديعة ، انتهى .

* * *

[المنصور وابن شهيد]

ومن المطمح^٢ : أن المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوة وأبعد فيها
الإيغال ، وغال فيها من عظماء الزوم من غال ، وحل^٣ من أرضهم ما لم يُطرق ،
وراع منهم ما لم يُبرع قط ولم يتفرق^٤ ، وصدّر صدراً سما به على كل حساء
عقيلة ، وجلا به كل صفحة للحسن صقيلة ، ودخل قرطبة دخولاً لم يُعهد ،
وشهد له فيها يوم مثله لم يُشهد ، وكان ابن شهيد متخلفاً عن هذه الغزوة
ليُقْرِس عداه عائده ، وحده متجعّعه ورائده ، وابن شهيد هذا أحد حجاب^٥
الناصر ، وله على ابن أبي عابر أباد محكمة الأواصر ، وهو الذي نهض به
أول انبعاثه ، وشكى أمره زمن الثياث ، وخاصم المصحفي عنه بلسان من الحماية
الد ، وتوخاه بإحسان قلده من الرعاية ما قلده ، وأسمى رتبته ، وحلّى
بأعظم جديده ولبته^٤ ، وكان كثيراً ما يُثخفه ، ويصّله ويُلطّفه ، فلما
صدر المنصور من غزوته هذه وقفل ، نسي متاحفته وغفل^٥ ، فكتب إليه
ابن شهيد :

أنا شيخ والشيخ يتهوى الصبايا يا بنقي أميك كل الرزايا
ورسول الإله أسهم في الفتي لمن لم يُخب فيه المطايا

١ ك : العامرية .

٢ لم يرد هذا النص في المطمح المطبوع .

٣ ط : أصحاب .

٤ ق : وحل بأعظم بجاه جديده وليته . والعبارة في ط دون لفظة « جديده » .

٥ ق : أو غفل .

فاجعلني - فديت - أشكر معرو فك وابعث بها عذاب الشنايا
فبعث إليه بعقيلة من عقائل الروم يكتفها ثلاث جوار ، كأنهن نجوم سوار ،
وكتب إليه :

قد بعثنا بها كشمس النهار في ثلاث من المتها أباكرا
فاتشد واجتهد فإنك شيخ سلك الليل عن بياض النهار
صانك الله عن كلالك فيها فمن العار كلة المسمار
فكتب إليه ابن شهيد :

قد فضضنا ختام ذاك السوار واصطبغنا من التجميع الجاري
ونعمنا في ظل أنعم ليل وهونا بالبدر ثم الدراري
وقضى الشيخ ما قضى بحسام ذي مضاء عصب الطي بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفراً واتخذهُ سيفاً على الكفار

وقد قدمنا هذه الحكاية في أخبار المنصور من الباب الثالث^١ ، ولكننا أعدناها
هنا بلفظ المطمح لما فيه من العلوية والفائدة الزائدة .

* * *

[ترجمة الجزيري من المطمح]

ومن كان في أيام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب أبو مروان
عبد الملك بن إدريس الخولاني ، قال في المطمح^٢ : عكَم من أعلام الزمان^٣ ،
وعين من أعيان البيان ، باهر الفصاحة ، طاهر الجنب والساحة ، تولى

١ انظر ما سبق ص : ٤٠٠ - ٤٠١ .

٢ المطمح : ١٣ .

٣ ك : علم من الأعلام فريد الزمان .

التجبير أيام المنصور والإنشاء ، وأشعر بدولته الأفراح والانتشاء ، ولبس العزة
 ضافية البرود^١ ، وورد بها النعمة صافية الورود ، وامتنى من جياذ التوجيه ،
 اعتق من لاحق والوجيه^٢ ، وتمادى طلقه ، ولا أحد يلحقه ، إلى أيام المظفر
 فمشى على سننه ، وتمادى السعد يترنم على فتنه ، إلى أن قتل المظفر صهره
 عيسى بن القطاع ، صاحب دولته وأميرها المطاع ، وكان أبو مروان قديم
 الاصطناع له والانتفاع ، فأنهم معه ، وكاد أن يلدق حمامه ومصرعه^٣ ،
 إلا أن إحسانه شفع ، وبيانه دفع ودفع^٤ ، فحط عن تلك الرتب ، وحمل إلى
 طرطوشة على القتب ، فبقي هنالك معتقلاً في برج من أبراجها نائي المنتهى^٥ ،
 كأنما يناجي السها ، قد بعد ساكنه عن الأنيس ، وقعد من النجم بمنزلة الجليس ،
 تمر الطيور دونه ولا تجوزه ، ويرى منه الثرى ولا يكاد يحوزه ، فبقي فيه
 دهرآ لا يرتقي إليه راق ، ولا يرجى لبثه راق ، إلى أن أخرج منه إلى ثراه ،
 واستراح مما عراه ، فمن بديع نظمه قوله يصف المعتقل^٦ ، الذي فيه اعتقل :

ياوي إليه كل أعور ناعق^٧ ونهب فيه كل ربح صرصر
 ويكاد من يرتقى إليه مرة من عمره يشكو انقطاع الأبهـر

ودخل ليلة على المنصور^٨ والمنصور قد اتكا وارتفق ، ونحلى بمجلسه ذلك
 الأفق ، والدنيا بمجلسه ذلك مسوقة ، وأحاديث الأماني به منسوقة ، فأمره

.....

١ ك : ولبس العزة مدة ضافية البرود .

٢ لاحق والوجيه : فعلان من نحول الخيل .

٣ المطيح : أن يلدق الحمام فيصرعه .

٤ ق ودوزي : وبيانه منع ودفع ؛ وفي نسخة المطيح « صنع » وهو مصحف .

٥ المطيح : فات المنتهى .

٦ ك : المعتقل .

٧ المطيح : ناعب .

٨ على المنصور : سقطت من ق .

بالتزول^١ فتزل في جملة الأصحاب ، والقمر يظهر ويختجب في السحاب ،
والأفق يبدو به أغر^٢ ثم يعود مبهماً ، والليل يترأى منه أشقر ثم يعود أدهماً ،
وأبو مروان قد انتشى ، وجال في ميدان الأنس وهشي ، وبُردُ خاطره قد
دبجه السرور وهشي ، فأقلقه ذلك المغيب والالتياح ، وأنطقه ذلك السرور
والارتياح ، فقال :

أرى بدر السماء يلوح حيناً فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك أنه لما تبدى وأبصرَ وجهك استحباً فغابا
مقال لو نمي عندي إليه لراجعي بهذا حقاً جوابا

وله في مدة اعتقاله ، وتردده في قبليه^٣ وقاله^٤ :

شحط المزار فلا مزار ، ونافرت عيني المجوع فلا خيال^٥ يعتري
أزرى بصبري وهو مشدود العرى^٦ وألان عودي وهو صلب المكسير
وطوى سروري كله وتلذذي بالعيش طي^٧ صحيفة لم تُشْرِ
ها إنما ألقى الحبيب توهماً بضير تذكاري وعين تذكري
عجبا لقلبي يوم راعني النوى ودنا وداعي^٨ كيف لم يتفطر

رجع إلى المنصور :

وكان المنصور إذا أراد أمراً مهماً شاور أرباب الدولة الأكابر من
خدام الدولة الأموية ، فيشرون عليه بالوجه الذي عرفوه وجرت الدولة
الأموية عليه ، فيخالفهم إلى المنهج الذي ابتدعوه ، فيقضون في أنفسهم

١ ك : بالتزول عنده .

٢ في رواية من أصول المطبع : في قيده وعقاله ؛ وهذه الأبيات من رائيته المشهورة عند الأندلسيين
وفيها نصائح وحكم لابه (انظر فهرست ابن خير : ٤١٠) .

٣ ك : القوى .

٤ ك : ودنا وداع .

بالهلاك في الطريق الذي سلكه ، والمهيج الذي اخترعه ، فتُسفر العاقبة عن السلامة التامة التي اقتضاها سَعْدُهُ ، فيكثرون التعجب من موارد أموره ومصادرها .
وقيل له مرة : إن فلاناً مشؤوم فلا تستخدمه ، فقال : أفّ لسعد لا يغطي على شؤمه ، فاستخدمه ، ولم ينله من شؤمه الذي جرت به العادة شيء .
وحكي عنه أنه كان في قصره بالزاهرة^١ ، فتأمل محاسنه ، ونظر إلى مياهه المطردة ، وأنصت لأطياره المغردة ؛ وملأ عينه من الذي حواه من حسن وجمال ، والتفت في الزاهرة من اليمين إلى الشمال ، فانحدرت دموعه ، وتجههم وقال :
ويها^٢ لك يا زاهرة ، فليت شعري من الخائن الذي يكون خرابك على يديه عن قريب ؟ فقال له بعض خاصته : ما هذا الكلام الذي ما سمعناه من مولانا قط ؟
وما هذا الفكر الرديء الذي لا يليق بمثله شغل البال به ؟ فقال : والله لترون ما قلت ، وكأني بمحاسن الزاهرة قد محيت ، وبرسومها قد غُيرت ، وبمبانيها قد هُدمت ونُحيت ، وبخزائنها قد نُهبت ، وبساحاتها قد أضرمت بنار الفتنة وألهمت ، قال الخاكي : فلم يكن إلا أن توفي المنصور وتولى المظفر ولم تطل مدته ، فقام بالأمر أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجل^٣ ، فقام عليه المهدي والعامّة ، وكانت منهم عليه وعلى قومه الطامة ، وانقرضت دولة آل عامر ، ولم يبقَ منهم أمر ؛

كان لم يكن بين الحنجلون إلى الصفا أنيس^٤ ولم يسمر^٥ بمكة سامر^٦
بلى نحن كنتا أهلها فأبادنا صروف الليالي والحدود العوائر^٧

وخربت الزاهرة ، وذهبت^٨ كأمس الدابر ، وخلت منها اللسوت الملوكة

١ ك : الذي بالزاهرة .

٢ ك : ويل .

٣ ك ج : شنجل ؛ ط : شنجل .

٤ سقط هذا البيت من ق .

٥ ك : ومضت .

والمنابر ، واستولى النهب على ما فيها من العدة والنخائر ، والسلاح ، وتلاشى أمرها فلم يُرَجَّ لفسادها صلاح ، وصارت قاعاً صَفَصَفاً ، وأديلت بأيام الترح عن أيام الفرح والصفا .

ويروى أن بعض أولياء ذلك الزمان مر بها ، ونظر إلى مصانعها السامية الفائقة ، ومبانيها العالية الرائقة ، فقال : يا دار فيك من كل دار ، فجعل الله منك في كل دار . قال الخاكي : فلم تكن بعد دعوة ذلك الرجل الصالح إلا أيام يسيرة حتى نُهبت ذخائرها ، وعُمَّ بالخراب سائرُها ، فلم تبقَ دار في الأندلس إلا ودخلها من فيها حصّة كثيرة أو قليلة ، وحقق الله تعالى دعاء ذلك الرجل الذي هَمَّتْه مع ربّه جليلة .

ولقد حكى أن بعض ما نهب منها بيع ببغداد وغيرها من البلاد المشرقية ، فسبحان من لا يزول سلطانه ولا ينقضي ملكه لا إله إلا هو . وتذكرت هنا ما رآه في المنام بعضُ أهل المغرب بالليلّة التي انقضى فيها ملك الموحدين أن شخصاً ينشده :

مُلْكُ بني مؤمن تولّى وكان فوق السّمَاك سمكه
فاعتبروا وانظروا وقولوا : سبحان من لا يبید ملكه

لا إله إلا هو .

وكان المهدي القائم على العامريين ماجناً فائكاً ، وقال — وقد حيّاه في مجلس شرا به غلام بقضيب آس^١ :

أهديت شِبّهَ قوامك الميَّاسِ غصناً رطيباً ناعماً من آسِ
وكأنّما يحكيك في حركاته وكأنّما تحكيه في الأنفاسِ
وكان المنصور بن أبي عامر حين تغلب على ملك الأمويين غير مكترث بمثل

١ انظر ص : ٥٧٧ .

المهدي المذكور ، فسلطه الله تعالى على كل ما أسسه المنصور حتى هدمه ، وأخّر
كلّ ما قدّمه ، ولم ينفع في ذلك احتياط ولا حزم ، ولا رادّ للقضاء المبرم
الجزم :

والله يحكم ما يشاء فلا تكن متعرضاً

* * *

[طرف من أخبار المنصور]

وقد قدمنا شيئاً من أخبار المنصور ، ولا بأس أن نُلِمّ هنا ببعضها وإن حصل
منه نوع تكرار في نبذة منها لارتباط الكلام بعضه ببعض .
قال بعض المحققين من المؤرخين : حَجَرَ المنصور بن أبي عامر على هشام
المؤيد بحيث لم يره أحد منذ ولي الحجابة ، وربما أركبه بعد سنين وجعل عليه
برنساً ، وعلى جواريه مثل ذلك ، فلا يُعرف منهن ، ويأمر من ينحّي الناس من
طريقه ، حتى ينتهي المؤيد إلى موضع تنزهه ، ثم يعود ، غير أنّه أركبه بأبهة
الخلافة في بعض الأيام لغرض له ، كما ألعنا به فيما سبق ، وكان المنصور إذا
سافر وكلّ بالمؤيد من يفعل معه ذلك ، فكان هذا من فعله سبباً لانقطاع ملك بني
أمية من الأندلس ، وأخذ مع ذلك في قتل من يخشى منه من بني أمية خوفاً أن
يثوروا به ، ويظهر أنّه يفعل ذلك شفقة على المؤيد ، حتى أفنى من يصلح منهم
للولاية ، ثم فرق باقيهم في البلاد ، وأدخلهم زوايا الخمول عارين من الطّراف
والثّلاذ ، وربما سكن بعضهم البادية ، وترك مجلس الأبهة وناديه ، حتى قال
بعض من ينقم على المنصور ذلك الفعل من قصيدة :

أبني أمية ابن أقمار الدّجى منكم ؟ وأين نجومها والكوكب ؟
غابت أسود منكم عن غايها فلذلك حاز الملك هذا الثّعلب

مع أن للمنصور مفاخر بدّة بها الأوائل والأواخر ، من المثابرة على جهاد

العدو ، وتكرار الذهاب بنفسه في الرواح والغدو ؛ وله مع المصحفي وغيره أخبار مرت ويأتي بعضها ، ولا بأس أن نلخص ترجمة المصحفي فنقول :

• • •

[ترجمة المصحفي من المطمح]

قال الفتح في المطمح ^١ : الحاجب جعفر المصحفي - تجرد للعتيا ، وتمرد في طلب الدنيا ، حتى بلغ المني ، وتسوَّغ ذلك الجحني ، فسمادون سابقة ، وارتمى إلى رتبة لم تكن لينسبته ^٢ بمطابقة ، فالتاح في أفياء الخلافة ، وارتاح إليها بعطفه كنشوان السلافة ، واستوزره المستنصر ، وعنه كان يسمع وبه كان ^٣ يبصر ، فأدرك بذلك ما أدرك ، ونصب لأمانيه الحبال والشرك ، واقتنى وادّخر ، وأزرى ^٤ بمن سواه وسخر ، واستعطفه المنصور بن أبي عامر ونجمه بعد غائر لم يلبح ، وسره مكتوم لم يبيع ، فما عطف ، ولا جنى من روضة دنياه ولا قطف ، فأقام في تدبير الأندلس ما أقام والأندلس متغيرة ، والأذهان في تكيف سعده متحيرة ، فناهيك من ذكر خلد ، ومن فخر تقلد ، ومن صعب راض ، وجتاح فتنة هاض ^٥ ؛ ولم يزل بنجاح تلك الخلافة معتقلا ، وفي مطالعها منتقلا ، إلى أن توفي الحكم ، فانتقض عقده المحكم ، وانبرت إليه النوائب ، وتسددت إليه من الخطوب ^٦ سهام صواب ، واتصل إلى المنصور ذلك الأمر ، واختص به كما مال يزيد أخوه الغمر ، وأناف في تلك الخلافة كما شَبَّ قبل اليوم عن طوقه عمرو ، وانتدب للمصحفي بصدر كان أوغره ، وساء وصغره ، فاقتصر من تلك الإساءة ، وأغص حلقه بأي مساءة ^٧ ،

.....

٢ ك : ليته ؛ ق : إلى بيته .

١ انظر المطمح ٤ - ٨ .

٣ كان : سقطت من ك .

٤ ج ط : وزرى .

٥ من الخطوب : زيادة من المطمح .

٦ ق ك : بأي أشاءة .

فأخمله ونكبه ، وأرجله عما كان الدهر أركبه ، وأهب نجوارحه ^١ حزنًا ، ونهب
له مدحخرًا ومُختَرَنًا ، ودمر عليه ما كان حاط ، وأحاط به من مكروهه ما
أحاط ، وغبر سنين في مهوى تلك النكبة ، وجوى ^٢ تلك الكربة ، ينقله المنصور
معه في غزواته ، ويعتقله بين ضيق المطبق ولواته ، إلى أن تكورت شمسُه ،
وفاظت بين أثناء المحن نفسه ، ومن بديع ما حفظ له في نكبته ، قوله يستريح
من كربته :

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ لَمَّا تَوَلَّيْتُ . وَالزَّمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتِ
فَوَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتِرَافَهُ . وَلِلنَّفْسِ بَعْدَ الْعِزِّ كَيْفَ اسْتِدْلَلَّتِ
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى . فَإِنْ طَمَعَتْ تَأَقَّتْ وَإِلَّا تَسَلَّتِ
وكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً . فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الدَّلِّ ذَلَّتِ
فَقُلْتُ لَهَا : يَا نَفْسُ مُوقِي كَرِيمَةٍ . فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا ثَمًّا وَلَّتِ

وكان له أدبٌ بارع ، وخاطر إلى نظم القريض يُسارع ^٣ ، فمن محاسن
إنشاده ^٤ ، التي بعثها إيناسُ دهره بإسعاده ، قوله :

لَعَيْنِكَ فِي قَلْبِي عَلَيَّ عَيُونُ . وَبَيْنَ ضُلُوعِي لِلشَّجُونِ فُنُونُ
لَنْ كَانَ جَسْمِي خُلُقًا فِي يَدِ الْهَوَى . فَحَبْلِكَ عِنْدِي فِي الْفُؤَادِ مَصُونُ

وله وقد أصبح عاكفًا على حُمَيَّاه ، هاتفًا بإجابة دنياه ، مرتشفًا ثغر الأنس
متنسمًا رِيَّاه ، والمملك يغازله بطرف كليل ، والسعد قد عقد عليه منه إكليل ،
يصف لون مُدامه ، وما تعرف له منها دون ندامه :

.....

١ دوزي : جوانحه .

٢ ق ك ط : وجراه ؛ ج : وجزاء .

٣ دوزي : مسارع .

٤ ك : نظامه وإنشاده .

صَفْرَاءُ تَطْرُقُ فِي الزَّجَاجِ فَلَمَّ سَرَتْ فِي الْجِسْمِ دَبَّتْ مِثْلَ صَيْلٍ لَادَغٍ
خَفِيَّتْ عَلَى شُرَابِهَا فَكَأَنَّمَا يَجِدُونَ رِيّاً مِنْ إِيَاءٍ فَارِغٍ

ومن شعره الذي قاله في السفَرَجَلِ مشبهاً ، وغدا به لنائم البديع مُنبهاً ،
قوله يصف سفرجلة ، ويقال إنه ارتجله :

وَمُصْفَرَّةٌ تَخْتَالُ فِي ثَوْبِ نَرْجِسٍ وَتَعْبِقُ عَنْ مِسْكِ ذَكِيٍّ التَّنْفَسِ
لَهَا رِيحٌ مَحْبُوبٌ وَقَسْوَةٌ قَلْبِيهِ وَلَوْ نُحِبُّ حُلَّةَ السَّقَمِ مُكْتَنَسِي
قَصْفَرَتَهَا مِنْ صُفْرَتِي مُسْتَعَارَةً وَأَنْفَاسُهَا فِي الطَّيِّبِ أَنْفَاسُ مُؤْنِسِي
وَكَانَ لَهَا ثَوْبٌ مِنَ الزَّغَبِ أَغْبَرَ عَلَى جِسْمِ مُصْفَرَّةٍ مِنَ التَّيْرِ أَمْلَسِ
فَلَمَّا اسْتَمَتَتْ فِي الْقَضِيبِ شَبَابُهَا وَحَاكَتْ لَهَا الْأُورَاقُ أَثْوَابَ سُئْدُسِ
مَدَدَتْ يَدِي بِاللُّطْفِ أَبْغَى اجْتِنَاءَهَا لِأَجْلِهَا رَيْحَانَتِي وَسَطَّ مَجْلِسِي
فَبَرَزَتْ يَدِي غَضَباً لَهَا ثَوْبَ جِسْمِهَا وَأَعْرَيْتُهَا بِاللُّطْفِ مِنْ كُلِّ مَلْبَسِ
وَلَمَّا تَعَرَّتْ فِي يَدِي مِنْ بُرُودِهَا وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا فِي غِيَالَةِ نَرْجِسِ
ذَكَرْتُ لَهَا مَنْ لَا أَبْزَحُ بِذِكْرِهِ فَأَذْبَلْتُهَا فِي الْكَفِّ حَرُّ التَّنْفَسِ

وله وقد أعاده المنصور إلى المطبق ، والشجون تُسْرِعُ إِلَيْهِ وَتَسْبِقُ ،
معزياً لنفسه ^١ ، ومجتزياً بإسعاد ^٢ أمسه :

أَجَازِي الزَّمَانَ عَلَى حَالِهِ مُجَازَاةً نَفْسِي لِأَنْفَاسِهَا
إِذَا نَفَسٌ صَاعِدٌ شَقَّهَا تَوَارَتْ بِهِ دُونَ جُلَاسِهَا
وَلِنْ عَكَفَتْ نَكْبَةَ الزَّمَانِ عَطَفْتُ بِنَفْسِي ^٣ عَلَى رَاسِهَا

ومما حُفِظَ لَهُ فِي اسْتِعْطَافِهِ ، وَاسْتِزَالِهِ لِلْمَنْصُورِ وَاسْتِلْطَافِهِ ، قَوْلُهُ :

١ ق : لنفسه بنفسه .

٢ المطبع : بأخبار .

٣ المطبع وق ط : عطفت بصلدي ؛ دوزي وج : بصدري .

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، أَلَا رَحْمَةً تَجُودُ بِعَفْوِكَ أَنْ أَبْعَدَا
لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ فَأَنْتَ أَجَلٌ وَأَعْلَى يَدَا
أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ وَمَوَلًى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى
وَمُفْسِدًا أَمْرٍ تَسْلَفِيَّتُهُ فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا
أَقِلْتِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَتَّقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى

عود وانعطاف إلى أخبار المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى ، وجازاه عن
جهاده أفضل الجزاء بمنته وكرمه وفضله وطوله ، فنقول :

وكان له في كل غزوة من غزواته المنيفة على الخمسين مفخر من المفاخر
الإسلامية ، فمنها أن بعض الأجناد نسي رايته متركزة على جبل يقرب إحدى
مدائن الروم ، فأقامت عدة أيام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العساكر ،
وهذا بلا خفاء مما يفتخر به أهل التوحيد على التثليث^١ ، لأنهم لما أشرب
قلوبهم خوف شير ذمة المنصور وحزبه ، وعلم كل من ملوكهم أنه لا طاقة
له بحزبه ، لجأوا إلى الفرار والتحصن بالمعاقل والقلاع ، ولم يحصل منهم غير
الإشراف من بُعد والاطلاع .

ومن مفاخر المنصور في بعض غزواته أنه مرَّ بين جبَلَيْن عَظِيمَيْن في طريق
عرض بريد^٢ بوسط بلاد الإفرنج ، فلما جاوز ذلك المحل — وهو آخذ في التحريق
والتخريب والغارات والسبي يميناً وشمالاً — لم يجسر أحد من الإفرنج على لقائه ،
حتى أقصرت البلاد مسافة أيام ، ثم عاد فوجد الإفرنج قد استجاشوا مَنْ وراءهم ،
وضبطوا ذلك المدخل الضيق الذي بين جبَلَيْن ، وكان الوقت شتاء ، فلما رأى
ما فعلوه رجع واختار منزلاً من بلادهم أناخ به فيمن معه من العساكر ، وتقدم
ببناء الدور والمنازل ، ويجمع آلات الحرب ونحوها ، وبث سراياه فسبّت

١ ك : أهل التثليث .

٢ عرض بريد : سقطت من ط .

وغنمت ، فاسترق الصغار ، وضرب أعناق الكبار ، وألقى جثثهم حتى
سد بها المدخل الذي من جهته ، وصارت سرباً يخرج قلائد إلا بلداً خراباً ،
فلما طال البلاء على العدو أرسلوا إليه في طلب الصلح ، وأن يخرج بغير أسرى
ولا غنائم ، فامتنع من ذلك ، فلم تزل رسلهم تتردد إليه حتى سألوه أن يخرج
بغنائمه وأسراهم ، فأجابهم : إن أصحابي أبوا أن يخرجوا ، وقالوا : إننا لا نكاد
نصل إلى بلادنا إلا وقد جاء وقت الغزوة الأخرى ، فنقعد ههنا إلى وقت الغزاة ،
فلذا غرونا عندنا ، فما زال الإفرنج يسألونه إلى أن قرر عليهم أن يحملوا
على دوابهم ما معه من الغنائم والسبي ، وأن يمدّوه بالميرة حتى يصل إلى بلاده ،
وأن يُنَحِّوْا جِيْفَ القتلى عن طريقه بأنفسهم ، ففعلوا ذلك كله ، وانصرف .
ولعسري إن هذا لعزٌّ ما وراءه مطمح ، ونصر لا يكاد الزمان يتجود بمثله
ويَسْمَحُ ، خصوصاً لزالهم جِيْفَ قتلاهم من الطريق ، وغصصهم في شرب
ذلك بالريق .

ومن مآثره التي هي في جبين عصره غُرَّةٌ ، ولعين دهره قُرَّةٌ ، أنه
لما خُتِنَ أولاده ختن معهم من أولاد أهل دولته خمسمائة صبي ، ومن أولاد
الضعفاء عدد لا ينحصر^١ ، فبلغت النفقة عليهم في هذا الإعذار ، خمسمائة ألف
دينار ، وهذه مكرمة مُخَلَّدَةٌ ، ومنَّةٌ مُقَلَّدَةٌ ، فآله سبحانه يجازيه عن
ذلك أفضل الجزاء ، ويجعل للمسلمين في فقد مثله أحسن العزاء .

ومن مناقبه التي لم تتفق لغيره من الملوك في غالب الظن^٢ ، أن أكثر جنده
من سببه على ما حققه بعض المؤرخين ، وذلك غاية المنح من الله والمن .
ومن أخباره الدالة على إقبال أمره وخيبة عدوه وإدباره ، أنه ما عاد قطُّ
من غزوة إلا استعدت لأخرى ، ولم تُهْزَمْ له قطُّ راية مع كثرة غزواته شاتية
وصائفة وكفاه ذلك فخراً .

١ ك : لا يحصر .

٢ كذا في ك ط ج - ، وفي مطبوعة ليدن : في غابر الزمن .

ومنها أنه لقيته - وقد عاد من بعض غزواته - امرأة فقمت عليه بلوغ
 مناه وشهواته ، وقالت له : يا منصور ، استمع ندائي ، فأنت في طيب عيشك
 وأنا في بكائي ، فسألها عن مصيبتها التي عمتها وغمتها^١ ، فذكرت له أن لها
 ابناً أسيراً في بلاد سمّتها ، وأنها لا يهنا عيشها لفقده ، ولا يخبو ضيرّام قلقها
 من وقّده ، وأنشد لسان حالها ذلك الملك العلي :

أيا ويح الشّجيّ من الخليّ^٢

فرحب المنصور بها ، وأظهر الرقة بسببها ، وخرج من القابلة إلى تلك
 المدينة التي فيها ابنها وجاسّ أقطارها وتخلّلتها ، حتى دوّخها إذ أناخ عليها
 بكلّكله وذلتها ، وأعراها من حُمايتها وبينود الإسلام المنصورة ظلّلتها ،
 وختّص جميع من فيها من الأسرى ، وجلبت عوامله إلى قلوب الكفرة
 كسّرا ، وانقلبت عيون الأعداء حسّري ، وتلا لسان حال المرأة ﴿ فَإِنَّ مَعَ
 الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ^(الشرح : ٦٠٥) .
 فهكذا تكون الهمة السلطانية ، والنخوة الإيمانية ، فالله سبحانه يروح تلك
 الأرواح في الجنان ، ويرقي درجاتها ويعاملها بمحض الفضل والامتنان .

* * *

[رسالة ابن عبد البر إلى المنصور الصغير]

وقد تذكرت هنا والحديث شجون ، وفي ذكر المناسبات^٣ يبلّغ الطلاب
 ما يرّجون ، كتاباً كتبه الأديب الكاتب أبو محمد ابن الإمام الحافظ محدث

١ وغمّتها : سقطت من ق ط ج .

٢ شطر بيت لأبي تمامه :

وبالي الربع من إحدى يلى

٣ ك : وبذكر المناسبة .

الأندلس أبي عمر بن عبد البر التميمي^١ ، إلى المنصور بن أبي عامر ، وهو من ذرية المنصور الكبير الذي كنا نتحدث في أخباره ، يمت^٢ إليه بسلفه ومعاملتهم لمن تقدم من آباءه بتعظيم قدره وإكباره ، وهو^٣ : عمر الله ببقاء مولاي^٤ ذي السابقتين بهجة أوطانه ، وملكه عنان زمانه ، ومد^٥ عليه ظلال أمانه ، إنني ، أبقى الله^٦ الملك الكريم ، والسيد الزعيم ، لما أضاءت لي أهلة مفاخركم^٧ في سماء الفخار ، وأشرقت شمس مكارمكم على مفارق الأحرار ، وأبصرت شمائلك الزهر تهدي إليك من الهمم كامن^٨ها ، ومحاسنك الغر توقظ لك من الآمال نائم^٩ها ، تيقنت أن^{١٠} بحق أنقادت لك القلوب بأعنتها ، وتهادت إليك النفوس بأزمتها ، فأليت أن لا ألم^{١١} إلا بحماك ، ولا أخط^{١٢} رحلاً إلا بفيناك^{١٣} ، علماً بأتلك نثرة الفخر ، وغرة الدهر ، فتيممت سارياً في ساطع نورك ، متيمناً بيمين طائرك ، محققاً للربح^{١٤} ، موقناً بالفليح والنجى ، حتى حللت في دوحة المجد ، وأنحت بدولة السعد ، واستشعرت لبسة الشكر والحمد ، وجعلت أنظي^{١٥} من جواهر الكلام ، ما يربي على جواهر النظام ، وأنشر من غطر الثناء ، ما يزري بالروضة الغناء ، وحاشا للفهم^{١٦} أن يعطل ليلى من أقمارك ،

١ أبو محمد ابن عبد البر كاتب من كتاب عصر ملوك الطوائف البارزين اتصل بخدمة مباد صاحب إشبيلية ، فضاق به ابن زيدون ذرعاً ، ما اضطر ابن عبد البر إلى مفارقة الدولة العبادية والالتحاق بالعمريين أصحاب دانية وغيرهم (انظر ترجمته في اللخيرة - القسم الثالث : ٣٩ والقالة : ١٨١) .

٢ انظر هذه الرسالة في اللخيرة : ٥٣ مع حذف في مواضع ، والمقتطفات (الورقة : ٣٧) .

٣ ك : سيدي .

٤ اللخيرة : أيد الله .

٥ اللخيرة : مفاخره ، والضمير في سائر الرسالة لثقالب .

٦ اللخيرة : تثير من الهمم كامن^٨ها . ك : من الهمم محامدها .

٧ هذه رواية اللخيرة : وفي ك : رواها ، وفي قد طبع : راقها .

٨ اللخيرة : إلا بحماه . . . في ذراه .

٩ اللخيرة : بأمل متحقق للربح .

١٠ اللخيرة : الفضل .

أو يخلي أفقي من أنوارك ، فأراني منخرطاً في غير سلكه ، ومنحطاً إلى غير ملكه ، لا جرم أنه من استضاء بالهلال ، غني عن الدُّبال ، ومن استنار بالصباح ، ألقى^١ سنا المصباح ، وتالله ما هزّت^٢ آمالي ذوائبها إلى سواك ، ولا حدّت أوطاري ركائبها إلى من عداك ، ليكون في أثر الوسمي في الماحل ، وعلى جمال الحلي على العاقل ، لسيادتك السنية ، ورياستك الأولية ، التي يتقصر عنها لسان إفصاحي^٣ ، ويعبأ في بعضها بياني وإيضاحي^٤ ، فالقرايطس عند بث مناقبك تفتنى ، والأقلام في رسم مآثرك تحفنى ، وما أملّ^٥ المجدب ، في حياة المخصب ، ولا جدل المذنب ، برضى المعتب ، كأمل في التعزّز بحوزتك ، والتجمل بمجملتك ، والترفع بخدمتك ، فالسعيد من نشأ في دولتك ، وظهر في أمّتك ، واستضاء بعزّتك ، لقد فاز بالسبق من لحظّته عين رعايتك ، وكنفّته حوزة^٥ حمايتك ، فأنت الذي أمنت بعدله نواب الأيام ، وقويت بسلطانه دعائم الإسلام ، تحتال بك المعالي اختيال العروس ، وتخضع لجلالك أعزة النفوس ، سابقة أشهر من الفجر ، وفطنة أنور من البدر ، وهمة أنفذ من الدهر :

لقد فاز من أضحي بكم متمسكاً يشدّ على^٦ تأميل عزكم يدا
سلكت سبيل الفخر^٨ خلقاً مركباً وغيرك لا يأتيه إلا تجلدا
فأنتم لواء الدين لا زال قيماً بآرائكم في ظلّمة الخطب يهتدى

١ اللخيرة : ألقى .

٢ اللخيرة : مدت .

٣ اللخيرة : عن وصفها إفصاحي .

٤ ويصا . . إيضاحي : لم يرد في اللخيرة

٥ اللخيرة : وكنفه حرز .

٦ اللخيرة : أبعد .

٧ اللخيرة : يمد إلى .

٨ اللخيرة : الفضل .

لِيَهْنِكُمْ عَجْدٌ تَلِيدٌ بَنِيْتُمْ أَغَارَ سَنَاهُ فِي الْبِلَادِ وَاتَّجَدَا

ومثله أبقاه الله سبحانه يستثمر لإبراقه ، فيثمر جَنَاهُ ، ويستمطر لإبراقه ،
فيُمطر حَيَاهُ ، لا سَيِّمًا وَإِنِّي نَشَأْتُ حَقَّقَهَا إِحْسَانُ أَوْلَئِكَ الطَّاهِرِينَ ، وَأَلْفَهَا
إِنْعَامُ أَكَابِرُكَ الْأَخْيَارُ الطَّيِّبِينَ ، وَجَدِيرٌ بِقَبُولِكَ وَإِقْبَالِكَ ، وَبِرِّكَ وَإِجْمَالِكَ ،
مَنْ أَصْلُهُ ثَابِتٌ فِي أَهْلِ مَحَبَّتِكَ ، وَقَرَعُهُ نَابِتٌ فِي خَاصَّتِكَ ٢ :

وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسَجْدٍ أَسْتَفِيدُهُ وَلَكِنِّي فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُهُ
فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِي نِدُهُ
فَكُنْ فِي أَصْطِنَاعِي مُحَسَّنًا كَمَجْرِبٍ يَبِينُ لَكَ تَقَرُّبُ الْجَوَادِ وَشَدُّهُ
إِذَا كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ السِّيفِ فَابْلُهُ فَلَمَّا تُنَافِيهِ وَلَمَّا تُعَدُّهُ
وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النُّجَادُ وَغِمْدُهُ

ولا غرو ٣ أن يتطوّل مولاي بغرّس الصنّيعه في أزكى التّربّ ، ووضع الهناء
مكان النّقب ، والله سبحانه يُبقي مولاي آخذاً بزمام الفخر ، ناهضاً بأعباء البرّ ،
مالكاً لأعيّنة الدهر ، وصنع الله سبحانه لسيدي أتم الصنع وأجمله ، وأفضله
وأكمّله ، بمَنّة لا ربّ سواه ، انتهى .

رجع إلى أخبار المنصور الكبير محمد بن أبي عامر ، رحمه الله :

وكنّا قد ذكرنا أنّه قبض على الوزير الحاجب المصحفي مع أنّه كان أحد
أتباعه .

.....

١ الأخيار : زيادة من ك .

٢ هذه الأبيات من قصيدة للمتنبّي يمدح بها كافوراً ومظلمها :

أود من الأيام ما لا توده وأشكر إليها بيننا وهي جنده

٣ ك : ولا بأس .

٤ ق ط : مكان النّوب ؛ وأصله من المثل : « يضع الهناء مواضع النّقب » ، والهاء :
القطران ، والنّقب : الحرب ؛ يعني يضع الشيء موضعه مدداً مصيباً .

قال صاحب كتاب « روضة الأزهار » ، وبهجة النفوس ونزهة الأبصار ^١ :
ولما أمر المنصور بن أبي عامر بسجن المصحفي بالمطابق في الزمراء ودّع أهله
وودّعوه وداع الفرقة ، وقال لهم : لستم ترونني بعدها حيّاً ، فقد أتى وقت
إجابة الدعوة ، وما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة ، وذلك أنني أشركت ^٢ في
سجن رجل في عهد الناصر ، وما أطلقته إلاّ برؤيا رأيته بأن قيل لي : أطلق
فلاناً فقد أجيبك فيك دعوته ، فأطلقته وأحضرتة وسألته عن دعوته عليّ ، فقال :
دعوت عليّ من شارك في أمري أن يميتة الله في أضيق السجون ، فقلت ^٣ : إنّه
قد أجيبك ، فإني كنت مبن شارك في أمره ، وندمت حين لا ينفع الندم ،
فيروي أنّه كتب للمنصور بن أبي عامر بهذه الأبيات ^٤ :

هَبَّتِي أَسَاتُ فَأَيْنَ الْعَفْوُ وَالكَرَمُ إِذْ قَادَنِي نَحْوُكَ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ
يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ أَيْدِيهِ إِلَيْهِ أَمَا تَرْنِي لَشَيْخٍ نَعَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ
بَالِغَتِ فِي السُّخْطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتُرْجِحُوا رَحِمُوا
فأجابه المنصور بأبيات لعبد الملك الجزيري :

يَا جَاهِلًا بَعْدَمَا زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمُ تَبْنِي التَّكْرُمَ لَمَّا فَاتَكَ الْكَرَمُ
نَدِمْتَ إِذْ لَمْ تَعُدْ مِثِّي بِطَائِلَةٍ وَقَلَّمَا يَنْفَعُ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ
نَفْسِي إِذَا جَمَعَتْ لَيْسَتْ بِرَاجِعَةٍ وَلَوْ تَشَفَّعَ فِيكَ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ

فبقي في المطبق حتى مات ، نعوذ بالله تعالى من دعوة المظلوم ، انتهى .
وقد ذكر بعضهم في هذه الأبيات زيادة حسبما ذكرناه في غير هذا المحل ،
فإن هذه الأبيات للمنصور ، وهذا المؤرخ مصرح بأنها لعبد الملك الجزيري ،

١ لم أعرف إلى مؤلف هذا الكتاب ، ولكن النص منقول عن ابن حيان في الذخيرة ٤ : ٥٠ .

٢ كذا في الأصول ، وفي مطبوعة ليدن : شاركت ، وفي الذخيرة : أسرفت .

٣ الذخيرة : فعلت .

٤ انظر ما تقدم ص : ٤٠٧ - ٤٠٨ والذخيرة ٤ : ٥١ .

وقد يقال : لا منافاة بينهما ، فإن المنصور أجاب بالأبيات ، وهل هو قائلها أم لا ؟ الأمر أعم ^١ ، فبيّن هنا ، والله أعلم .

وقال بعض مؤرخي المغرب ^٢ : إن الحاجب المصحفي حصل له في هذه النكبة من الهلع والجزع ما لم يظن أنه يصدر من مثله ، حتى إنه كتب إلى المنصور ابن أبي عامر يطلب منه أن يقعد في دهليزه معلماً لأولاده ، فقال المنصور بدهائه وحذقه : إن هذا الرجل يريد أن يحط من قدري عند الناس ، لأنهم طالما رأوني بدهليزه خادماً ومسلماً ^٣ ، فكيف يروونه الآن في دهليزي معلماً ^٤ ؟ وكان المنصور يذهب به بعد نكبته معه في غزواته ، حتى لأنه حكى بعضهم أنه رأى الحاجب المصحفي في ليلة نَهَى المنصور فيها الناس عن إيقاد النيران تعمية على العدو الكافر ، وهو ينفخ فحماً في كانون صغير ويخفيه تحت ثيابه ، أو كما قال ، فسبحان مديل الدول ، لا إله إلا هو ، فإن هذا المصحفي بلغ من الجلالة والعظمة والتحكم في الدولة المدة المديدة أمراً لا مزيد عليه ، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ولقد ذكر بعض العلماء ^٥ المغاربة أن من أعاجيب انقلاب الدنيا بأهلها قصة المنصور بن أبي عامر مع الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي . ولم يزل أعداء المنصور بن أبي عامر يترتبون به الدوائر ، فغلب سعدُه الذي هو المثل السائر ، وربما همس بعض الشعراء بهجوه وهجو الدولة جميعاً إذ قال ^{*} :

اقتَرَبَ الوعدُ وحان الهلاكُ وكلُّ ما تحذره قد أُنْاكُ
خليفة يلعبُ في مكتَبِ وأمه حُبلى وقاضٍ يَناكُ

١ يقترح فليشر أن تقرأ « الأمر أصم » أي مبهم غامض .

٢ قارن بما أورده ابن عذاري ٢ : ٣٩٩ - ٤٠٠ .

٣ ج : ومعلماً .

٤ ك : بعض علماء .

٥ ابن عذاري ٢ : ٤١٨ .

يعني بالخليفة هشاماً المؤيد لكونه كان صغيراً ، وأمه صبيح البشكنسية كان الأعداء يتهمون بها المنصور ، وذلك بهتان وزور ، وأفطع منه رميهم القاضي بالفجور ، والله عالم بسرائر الأمور ، ونعوذ بالله من ألسنة الشعراء الذين لا يراعون إلا ولا ذمة ، ويطلقون ألسنتهم في العلماء والأئمة ، ومن كان حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب^١ ، جدير بأن لا يدرك ما يؤمل ويتطلب ، لأنه يعترض على الله سبحانه في أحكامه ، نعوذ بالله من شر أنفسنا ومن شر كل ذي شر ، بإحسان نبينا عليه أزكى صلوات الله وأفضل سلامه .

وقد قدمنا أن المنصور بن أبي عامر كان أولاً يخدم جعفر بن عثمان المصحفي مدبر مملكة هشام المؤيد ، ويريه النصيحة ، وأنه بما زال يستجلب القلوب بجوده وحسن خلقه ، والمصحفي ينفرها ببخله وسوء خلقه ، إلى أن كان من أمره ما كان ، فاستولى على الحجابة ، وستجن المصحفي ، وفي ذلك يقول المصحفي^٢ :

غَرَسْتُ قُضِيّاً خَلِئْتُهُ عُوذَ كَرَمَةٍ وَكُنْتُ عَلَيْهِ فِي الْحَوَادِثِ قَيِّمًا
وَأَكْرَمُهُ دَهْرِي فَيَزْدَادُ خُبْنُهُ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَصْلِ كَرِيمٍ تَكْرَمًا
ولم يثس المصحفي من عفو المنصور قال^٣ :

لِي مُدَّةٌ لَا بَدْءَ أَبْلَغُهَا . فَلَإِذَا انْقَضَتْ أَيَامُهَا مَتُّ
لَوْ قَابِلْتَنِي الْأُسْدُ ضَارِيَةً . وَالْمَوْتُ لَمْ يَقْرِبْ^٤ لَمَّا خِفْتُ
فَانْظُرْ إِلَيَّ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ فِي مِثْلِ حَالِكَ أَمْسَ قَدْ كُنْتُ
ومن أحسن ما نعي به نفسه قوله حسبما تقدم^٥ :

١ أخذه من قول الشاعر :

وأظلم أهل الأرض من كان حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

٢ الدخيرة ٤ : ٥٢ .

٣ الحلة السيرة ١ : ٢٦٧ والدخيرة ٤ : ٥١ .

٤ الحلة : لم يقدر ؛ الدخيرة : لم يدن . ٥ انظر ما سبق ص : ٥٩٣ .

صبرتُ على الأيام حتى تولتُ وألزمتُ نفسي صبرها فاستمريتُ
فوا عجباً للقلب كيف اعترافه وللنفس بعد العز كيف استدلتُ
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتي فإن طمعت تافت وإلا تسكتُ
وكانتُ على الأيام نفسي عزيزة فلما رأيت صبري على الذل ذلتُ
فقلتُ لها يا نفس موتي كريمة فقد كانت الدنيا لنا ثم ولتُ

وأنشد له الفتح في المطمح ، ونسبهما غيره لأحمد بن الفرج صاحب
الحدائق^١ :

كلمتني فقلت دُرّ سقيط فتأملت عقدها هل تناثر
فازدهاها تبسم فأرتني نظم دُرّ من التبسم آخر

وله كما مر^٢ :

صفراء تطير في الزجاج ، فإن سرت في الجسم دبت مثل صلٍ لادغ
خفيت على شرابها فكانما يجيدون ريثاً من إناء فارغ

وله :

يا ذا الذي أودعتني سيرة لا ترج أن تسمعه مني
لم أجره بعدك في خاطري كأنه ما مر في أذني

وأنشد له صاحب بدائع التشبيهات^٣ :

سألتُ نجومَ الليل هل ينقضي الدجى فخطتُ جواباً بالثريّا كخط لا

١ الحلة : ٢٦٠ والتشبيهات واليتمية ومسالك الأبحار ، ولكن لم يوردهما صاحب المطمح .

٢ الحلة والتشبيهات واليتمية ؛ وقد مرا ص : ٥٩٤ .

٣ لعل المعنى هنا كتاب الفرائد في التشبيه لابن أبي الحسين القرطبي ، والأبيات في الحلة : ٢٥٩ والتشبيهات لابن الكفاني .

وَكُنْتُ أَرَى أَنِّي بِأَخِيحٍ لِبَلَّتِي فَأَطْرُقُ حَتَّى خِلْتُهُ عَادَ أَوَّلًا
وَمَا عَنْهُ هَوًى سَامَرَتْهَا ، غَيْرَ أَنِّي أَنَالِسُهَا الْمَجْرَى إِلَى طَرْقِ الْعَلَا

* * *

[المصحف العثماني بقرطبة]

رجع : وكان كما تقدم بقرطبة المصحف العثماني ، وهو متداول بين^١
أهل الأندلس ، قالوا ثم آل أمره إلى الموحدين ، ثم إلى بني مَرِّين ، قال
الخطيب ابن مرزوق في كتابه « المسند الصحيح الحسن »^٢ ما ملخصه : وكان
السلطان أبو الحسن لا يسافر^٣ إلا ومعه المصحف الكريم العثماني ، وله عند أهل
الأندلس شأن عظيم ، ومقام كبير ، وكيف لا ؟ قال ابن بَشْكُوَال : أُخْرِجَ
هذا المصحف من قرطبة وغُرِّبَ منها وكان يجامعها الأعظم ، ليلة
السبت حادي عشر شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في أيام أبي محمد عبد
المؤمن بن علي وبأمره ، وهذا أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان رضي
الله تعالى عنه إلى الأمصار : مكة ، والبصرة ، والكوفة ، والشام . وما قيل
إن فيه دم عثمان هو بعيد ، وإن يكن أحدها فلعله الشامي ، قاله ابن عبد الملك .
قال أبو القاسم التجيبي السبتي : أما الشامي فهو باقٍ بمقصورة جامع بني أمية
بدمشق المحروسة ، وعايته هناك سنة ٦٥٧ ، كما عاينت المكي بقبة اليهودية ،
وهي قبة التراب ، قلت^٤ : عايتهما مع الذي بالمدينة سنة ٧٣٥ وقرأت فيها ،
قال النخعي : لعله الكوفي أو البصري . وأقول : اختبرت الذي بالمدينة والذي

.....

١ ق ط ج ودوزي : وهو متواتر عند .

٢ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني الأصل (- بعد ٧٨٠) من أكابر رجالات الدولة
المرينية ، وسيترجم له المقرئ ترجمة طويلة وانظر الديباج المذهب : ٣٠٥ ونيل الابتهاج : ٢٦٧
وتاريخ ابن خلدون ٧ : ٣١٢ والتعريف بابن خلدون : ٤٩ ؛ وكتابه هذا في مناقب السلطان
المعظم أبي الحسن المريني .

٣ ك : يسافر موضعاً .

٤ هذا تعليق ابن مرزوق .

نقل من الأندلس فألفيت خَطَّهما سواء ، وما توهموا أنه خطّه بيمينه فليس بصحيح ، فلم يخطّ عثمان واحداً منها ، وإنّما جمع عليها بعضاً من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المدني ، ونص ما على ظهره : هذا ما أجمع عليه جماعة من^١ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصي ، وذكر العدد الذي جمعه عثمان رضي الله تعالى عنه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على كتّيب المصحف ، انتهى .

واعتنى به عبد المؤمن بن علي ، ولم يزل الموحدون يحملونه في أسفارهم متبركين به ، إلى أن حمّله المعتضد ، وهو السعيد علي بن المأمون أبي العلاء لإدريس ابن المنصور ، حين توجه لتلمسان آخر سنة ٦٤٥ ، فقتل قريباً من تلمسان ، وقُدِّمَ ابنه إبراهيم ، ثم قُتل ، ووقع النهب في الخزائن ، واستولت العرب وغيرهم على معظم العسكر ، ونهب المصحف ولم يُعلم مستقرّه ، وقيل : إنّه في خزانة ملوك تلمسان ، قلت : لم يزل هذا المصحف في الخزانة إلى أن افتتحها إمامنا أبو الحسن أواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧ ، فظفر به وحصل عنده إلى أن أصيب في وقعة طريف^٢ ، وحصل في بلاد برتقال ، وأعمل الحيلة في استخلاصه ، ووصل إلى فاس سنة ٧٤٥ على يد أحد تجار أزموور ، واستمر بقاؤه في الخزانة ؛ انتهى باختصار .

واعتنى به ملوك الموحدين غاية الاعتناء ، كما ذكره ابن رُشيد في رحلته ، ولا بأس أن أذكر كلامه بجملة ، والرسالة في شأن المصحف لما فيها من الفائدة ، ونص محل الحاجة منه : أنشدني الخطيب أبو محمد بن بُرطُلُ من لفظه وكتبته من خطّه ، قال : أنشدني الشيخُ الفقيهُ القاضي أبو القاسم عبد الرحمن ابن كاتب الخلافة أبي عبد الله بن عياش لأبيه رحمهم الله تعالى ممّا نظمه ، وقد أمر أمير

١ جماعة من : سقطت من ق .

٢ كانت وقعة طريف سنة ٧٤١ وفيها غلب أبو الحسن المريني ، وعاد إلى المغرب مغلولاً صابراً محتسباً يروم الكرة ويرتقب الطائلة (اللمحة البدرية : ٩٣) .

المؤمنين المنصور بتحلية المصحف :

وَنُقِلَّتْهُ مِنْ كُلِّ مَلِكٍ ذَخِيرَةٌ كَأَنَّهُمْ كَانُوا بِرِسْمٍ مَكَاسِبُهُ
فَإِنْ وَرِثَ الْأَمْلَاقَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَكَمْ قَدْ أَخْلَتُوا جَاهِلِينَ بِوَاجِبِهِ
وَكَيْفَ يَفُوتُ النَّصْرُ جَيْشًا جَعَلْتَهُ أَمَامَ قَيْتَاهُ فِي الْوَعْيِ وَقَوَاضِيهِ
وَالْبَسْتَهُ الْيَاقُوتَ وَالْدُرَّ حِلْيَةً وَغَيْرَكَ قَدْ رَوَاهُ مِنْ دَمِ صَاحِبِهِ

وعلى ذكر هذا المصحف الكريم فلنذكر كيفية الأمر في وصوله إلى الخليفة
أمير المؤمنين عبد المؤمن ، وما أبدى في ذلك من الأمور الغريبة التي لم يُسمع
بمثلها في سالف الدهر ، حسبما أطرفنا به الوزير الأجل أبو زكرياء يحيى بن
أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طُفَيْل القيسي حفظه الله تعالى وشكره ،
مما استفاده وأفاده لنا مما لم نسمع به قبل ، عن كتاب جده الوزير أبي بكر
محمد بن عبد الملك بن طُفَيْل المذكور ، مما تضمنه من وصف قصّة المصحف ،
فقال : وصل إليهم أدام الله سبحانه تأييدهم قمر الأندلس النيران ، وأميرها
المتخيران ، السيدان الأجلان أبو سعيد وأبو يعقوب أيدهما الله ، وفي ضحبتهما
مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، وهو الإمام الذي لم يختلف فيه
مختلف ، وما زال ينقله خلف عن سلف ، قد حفظ شخصه على كثرة المتداولين ،
وذخره الله لخليفته المخصوص بمن سخر لخدمته من المتداولين ، وله من غرائب
الأنباء ومتقدم الإشعار بما آل إليه أمره من الإيماء ما ملئت به الطروس ، وتحفظه
من أهل الأندلس الرئاس والمرؤوس ، فتلقني عند وصوله بالإجلال والإعظام ،
وبودر إليه بما يجب من التبجيل والإكرام ، وعُكف عليه أطول العكوف والتزم
أشدّ الالتزام . وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر الكرامة
ما هو معتبر لأولي الألباب ، وبلاغ في الإغراب والإعجاب ، وذلك أن سيدنا
ومولانا الخليفة أمير المؤمنين ، أدام الله له عوائد النصر والتمكين ، كان قبل
ذلك بأيام قد جرى ذكره في خاطره الكريم ، وحرّكته إليه دواعي خلقه العظيم ،

وتراعي مع نفسه المطمئنة المرضية ، وسجاياه الحسنة الرضية ، في معنى اجتلابه من مدينة قَرْطُبَة محل مَثْوَاه القديم ، ووطنه الموصّل بحرمته للتقديم ، فتوقع أن يتأذى أهل ذلك القطر بفراقه ، ويستوحشوا لفقدان إضاءته في أفقهم وإشراقه ، فتوقف عن ذلك لما جُبِل عليه من رحمته وإشفاقه ، فأوصله الله إليه تحفة سنية ، وهدية هنية ، وتحية من عنده بمباركة زكية ، دون أن يكدرها من البشر اكتساب ، أو يتقدمها استدعاء أو اجتلاب ، بل أوقع الله سبحانه وتعالى في نفوس أهل ذلك القطر من الفرح بإرساله إلى مستحقه ، والتبرع به إلى القائم إلى الله تعالى بحقه ، ما اطلع بالمشاهدة والتواتر على صحته وصدقه ، وعضدت غايلَ بَرِّقه سواكبُ ودِّقه ، وكان ذلك من كرامات سيّدنا ومولانا الخليفة معبوداً ، وإلى أمره الذي هو أمر الله مردوداً ، وجمع^١ عند ذلك بحضرة مراکش — حرسها الله تعالى — سائر الأبناء الكرام ، والسادة الأعلام ، بدور الآفاق ، وكواكب الإشراق ، وأهل الاستئصال للمقامات الرفيعة وذو^٢ الاستحقاق ، فانظم عند ذلك هذا القصيد مشيراً إلى اجتماع هذه الدراري الزاهرة ، والتثام بخطوطها على مركز الدائرة ، ووصول المتقدم ذكره ، المشهور في جميع المعمور أمره^٣ ، وهو هذا :

دَرَارِيٍّ مِنْ نَوْرِ الْهَدَى تَتَوَقَّدُ مَطَالِعُهَا فَوْقَ الْمَجَرَّةِ أَسْعَدُ
وَأَنْهَارُ جُودٍ كُلَّمَا أَمْسَكَ الْحَيَا يَمُدُّ بِهَا طَائِمِي الْغَوَارِبِ مُزِيدُ
وَأَسَادُ حَرْبٍ غَابُهَا شَجَرُ الْقَنَا وَلَا لَبْدَةٌ إِلَّا الْعَجَاجُ الْمَلْبَدُ
مَسَاعِيرٍ فِي الْهَيْجَا مَسَارِيحُ * لَلنَّدَى بِأَيْدِيهِمْ يَحْمِي الْهَجِيرُ وَيَبْرُدُ

١ ق : وأجمع .

٢ وذو : سقطت من ك .

٣ ق ط ج : منه .

٤ ك : ولا لبد .

٥ ك : مساعير .

تَشْبُ بِهِم نَارَانِ لِلْحَرْبِ الْقِيرَى
وَيَسْتَمْطِرُونَ الْبَرْقَ وَالْبَرْقُ عَنْدهُمْ
إِذَا عَنْ سَجَفِ السَّارِيَّاتِ مَضَاوِهَا
وَيَسْتَرشِدُونَ النُّجُومَ وَالنُّجُومُ عَنْدهُمْ
تَزَاحِمُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ كَأَنَّمَا
تَخَازَرُ الْحَاطُ الْكَوَاكِبِ دُونَهَا
أَلَمْ تَرَهَا فِي الْأَفْقِ خَافِقَةً الْحَشَا
وَلَيْسَ أَحْمَرَارُ الْفَجْرِ مِنْ أَثَرِ السَّنَا
وَمَا انْبَسَطَتْ كَفُّ الثَّرِيَّا فَدَا فَعَتِ
وَحَطَّ سُهَيْلًا ذُعْرُهُ عَنْ سَمِيهِ
وَلَمَّا رَأَى نَسْرًا وَقُوعَ الْيَفِهِ
مَوَاقِعُ أَمْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
أَهَابَ بِأَفْصَى الْخَافِقِينَ فَنَظَّمَتْ
وَأَضْفَى عَلَى الدُّنْيَا مَلَابِيسَ رَحْمَةٍ
وَأَخْضَلَ أَرْجَاءَ الرَّبِّي فَكَأَنَّمَا
فَمِنْ طَرَبٍ مَا أَصْبَحَ الْبَرْقُ بِاسْمًا
وَعَنَى عَلَى أَفْنَانِ كُلِّ أَرَاكَةِ
وَكَبَّرَ ذُو نَطْقٍ وَسَبَّحَ صَامِتٌ
وَأَبْرَزَ لِلْأَذْهَانِ مَا كَانَ غَائِبًا
سَلَامٌ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، أَمَّا قَضَاؤُهُ
إِمَامُ الْوَرَى عَمَّ الْبَسِيطَةَ عَدْلُهُ
بَصِيرٌ رَأَى الدُّنْيَا بَعَيْنٍ جَلِيلَةٍ
وَلَمَّا مَضَى الْأَمْرُ لِلَّهِ وَحْدَهُ
تَرَدَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رِدَاءَهُ

وَيَجْرِي بِهِمْ سَيْلَانِ جَيْشٍ وَعَسْجَدُ
سَيُوفٍ عَلَى أَفْقِ الْعُدَاةِ تُجَرَّدُ
فَمَاذَا الَّذِي يُغْنِي الْحَدِيدُ الْمَسْرَدُ
نُصُولُ إِلَى حَبِّ الْقُلُوبِ تُسَدَّدُ
عَوَامِلُهَا فِي الْأَفْقِ صَرَحٌ مَمْرَدُ
وَيَفْرَقُ مِنْهَا الْمِرْزَمَانِ وَفِرْقَهُ
كَمَا تَطْرَفُ الْعَيْنَانِ وَالْقَلْبُ يَزُادُ
وَلَكِنَّهُ ذَاكَ التَّجْيِيعُ الْمَوْرَدُ
وَلَكِنَّهَا فِي الْحَرْبِ شِلْوُ مُقَدَّدُ
فَأَضْحَى عَلَى أَفْقِ الْبَسِيطَةِ يَرْعَدُ
تَطَايَرَ مِنْ خَوْفٍ فَمَا زَالَ يَجْهَدُ
بَكَادُهَا رَأْسُ الثَّرَى يَتَمَيَّدُ
وَهَيَّبَ جَمْعَ الْمُخَفِقِينَ فَبُدِّدُوا
نُضَارَتُهَا فِي كُلِّ حِينٍ تَجِدُّ
عَلَيْهَا مِنَ التَّبَتِّ النَّصِيرِ زَبَرُجَدُ
وَمِنْ قَرَحٍ مَا أَضْحَتْ الْمُزْنَ تُرْعَدُ
غَذَاهَا حَيَا النُّعْمَى حَمَامٌ مُغْرَدُ
وَكَادَ بِهِ الْمَعْدُومُ يَحْيَا وَيُوجَدُ
فَسَيَّانٍ فِيهَا مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدُ
فَحَتَمَ ، وَأَمَّا أَمْرُهُ فَمُؤَكَّدُ
عَلَى حِينٍ وَجْهُ الْأَرْضِ بِالْجُورِ أُرِيدُ
فَلَمْ يَغْنِهِ إِلَّا الْمَقَامُ الْمَجْدُ
وَبُلَّغَ مَأْمُولُ وَأُنْجِزَ مَوْعِدُ
وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالنَّاسِ هُجْدُ

بعزْمَةٍ شَيْحَانِ الْفَوَادِ مُصْتَمِ
 مَشِيئَتُهُ مَا شَاءَهُ اللَّهُ ، إِنَّهُ
 كِتَابِيَهُ مَشْفُوعَةٌ بِمَلَائِكَ
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا نِيَّةٌ خَلَصَتْ لَهُ
 إِذَا خَطَبَتْ رَايَاتُهُ وَسَطَ مَحْفَلِ
 وَإِنْ نَطَقَتْ بِالْفَصْلِ فِيهِمْ سُوْفُهُ
 مُعِيدُ عُلُومِ الدِّينِ بَعْدَ ارْتِفَاعِهَا
 وَبَاسِطُ أَنْوَارِ الْهِدَايَةِ فِي الْوَرَى
 وَقَدْ كَانَ ضَوْءُ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا
 فَمَا زَالَ يَجْلُو عَنْ مَطَالِمِهَا الصُّدَا
 جَزَى اللَّهُ عَنْ هَذَا الْأَنَامِ خَلِيفَةً
 وَحَيَّاهُ مَا دَامَتْ مَحَاسِنُ ذِكْرِهِ
 بِمُصْحَفِ عُثْمَانَ الشَّهِيدِ وَجَمْعِهِ
 تَحَامَتُهُ أَيْدِي الرُّومِ بَعْدَ انْتِسَافِهِ
 فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَمْرُسَ صَارِخُ
 وَجَاءَ وَلِيُّ النَّارِ يَرْغُبُ نَصْرَهُ
 رَأَى أَثَرَ الْمَسْفُوحِ فِي صَفْحَاتِهِ
 وَشَبَّهَ بِالْبَدْرِ وَقْتَ خُسُوفِهِ
 زَمَانَ ارْتِفَاعِ الْعِلْمِ كَانَ خُسُوفُهُ
 أَتَتْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْوَكَّةُ
 سَيْوْفُ بَنِي عِيْلَانَ قَامَتْ شَهِيرَةٌ
 وَطَافَتْ بَيْتَ اللَّهِ فَاشْتَدَّ شَوْقُهُ
 وَحَجَّ إِلَيْكَ الرُّكْنَ وَالْمَرْوُ وَالصُّفَا

يَقُومُ بِهِ أَقْصَى الْوُجُودِ وَيَقْعُدُ
 إِذَا هُمْ فَالْحَكْمُ الْإِلَهِيُّ يُسْعِدُ
 تُرَادِفُهَا فِي كُلِّ حَالٍ وَتُرْفَدُ
 فَلَيْسَ لَهُ فِيمَا سِوَى اللَّهِ مَقْصِدُ
 تَرَى قِيَمَ الْأَعْدَاءِ فِي التُّرْبِ تَسْجُدُ
 أَقْرَبَ بِأَمْرِ اللَّهِ مَنْ كَانَ يَتَجَحَّدُ
 وَمُبْدِي عُلُومٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ تَعَهَّدُ
 وَقَدْ ضَمَّ قَرَصَ الشَّمْسِ فِي الْغَرْبِ مَلْحَدُ
 يُغَانُ بِأَكْنَانِ الضَّلَالِ وَيُغَمِّدُ
 وَيُبْرِزُهَا بِيضَاءَ وَالْجَوْ أَسْوَدُ
 بِهِ شَرَبُوا مَاءَ الْحَيَاةِ فَخُلِدُوا
 عَلَى مَدَرَجِ الْأَيَّامِ تُثَلِّ وَتُنْشَدُ
 تَبَيَّنَ أَنَّ الْحَقَّ بِالْحَقِّ يُعْضَدُ
 وَقَدْ كَادَ لَوْلَا سَعْدُهُ يَتَبَدَّدُ
 بِدَعْوَتِهِ الْعَلْيَا فَصِيحَ الْمَبْدُ
 فَلْيَاهُ مِنْهُ عَزَمُهُ الْمُتَجَرَّدُ
 فِقَامَ لِأَخَذِ النَّارِ مِنْهُ مُؤَيَّدُ
 فَلِلَّهِ تَشْبِيهُ لَهُ الشَّرْعُ يَشْهَدُ
 وَقَدْ عَادَ بِالْمُهْدِي وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ
 مِنْ الْحَرَمِ الْأَقْصَى لِأَمْرِكَ تَمْهَدُ
 لِدَعْوَتِكَ الْعِلْيَاءَ تَهْدِي وَتُرْشِدُ
 إِلَيْكَ وَلَبِىَّ مِنْهُ حِجْرٌ وَمَسْجِدُ
 فَأَنْتَ لَذَاكَ الْحَيِّ حَيٌّ وَمَقْصِدُ

مَشَاعِرُهَا الْأَجْسَامُ وَالرُّوحُ أَمْرُكُمْ وَمِنْكُمْ لَهَا يَرْضَى الْبَقَاءُ الْمَخْلُودُ
فَلِلَّهِ حَاجٌ وَاعْتِمَارٌ وَزَوْرَةٌ أَتَيْنَا وَلَمْ يَبْرَحْكَ بِالْغَرْبِ مَشْهُدُ
وَاللَّهُ سَبْعُ نَيِّرَاتٍ تَقْسَارُنْتُ بِهَا فِئَةُ الْإِسْلَامِ تُحْمَى^٢ وَتُسَعَدُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِئَاكَ عَصْمَةٌ فَمَاذَا الَّذِي يَرْجُو الْقَصِيَّ الْمُبْعَدُ
فَدُمُ لَوَرَى غِيثًا وَعِزًّا وَرَحْمَةً فَقُرْبُكَ فِي الدَّارَيْنِ مُنْجٍ وَمُسْعِدُ
وَزَادَتْ بِكَ الْأَعْيَادُ حُسْنًا وَبِهَجَةً كَأَنَّكَ لِلْأَعْيَادِ زِيٌّ مَجْدَدُ
وَلَا زِلْتَ لِلْأَيَّامِ تُبْلِي جَدِيدَهَا وَعَمْرُكَ فِي رِبْعَانِهِ لَيْسَ يَنْقُودُ

ثم إنهم أدام الله سبحانه تأييدهم ، ووصل سعودهم ، لما أرادوا من المبالغة
في تعظيم المصحف المذكور ، واستخدام البواطن والظواهر فيما يجب له من
التوقير والتعزير^٣ ، شرعوا في انتخاب كسوته ، وأخلوا في اختيار حليته ،
وتأنقوا في استعمال أحفظته ، وبالغوا في استجادة أصونته ، فحشروا له الصُّنَاعَ
المتقنين والمهرة المتفنين^٤ ، ممن كان يحضرهم العلية ، أو سائر^٥ بلادهم
القريبة والقصية ، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ، ومهرة كل طائفة من
المهندسين والصواغين والنظاميين والحلائين والنقاشين والمرصعين والتجارين
والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين ، ولم يبق من يوصف ببراعة ،
أو ينسب إلى الحذاق في صناعة ، إلا أحضر للعمل فيه ، والاشتغال بمعنى من
معانيه ، فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل أمثلة مخترعة ، وأشكال مبتدعة ،
وضمّنوها من غرائب الحركات ، وخفي إمداد الأسباب للمسيبات ، ما بلغوا فيه
منتهى طاقتهم ، واستفرغوا فيه جهده قوتهم ، والهمة العلية أدام الله سموها

١ ك : المقام .

٢ ك : تحيا .

٣ ق ط ج : والتعزير .

٤ والمهرة المتفنين . سقطت من ك .

٥ ك : وسائر .

ترقى فوق معارجهم ، وتتخلص كالشهاب الثاقب وراء مواجهم ، وتنيف على ما ظنوه الغاية القصوى من لطيف مدارجهم ، فسلخوا من عمل هذه الأمثلة كل شغب ، ورأبوا من منتشرها كل شغب ، وأشرفوا عند تحقيقها وإبراز دقتها على كل صعب ، فكانت منهم وقفة كادت لها النفس تأس عن مطلبها ، والخواطر تكرر راجعة عن خفي مذهبها ، حتى أطلع الله خليفته في خلقه ، وأمينه المرتضى لإقامة حقّه ، على وجه انقادت فيه تلك الحركات بعد اعتيائها ، وتخلصت أشكالها عن الاعتراض على أحسن وجوه خلاصها ، ألقوا ذلك - أيدهم الله بنصره ، وأمدهم بمعونته ويُسره - إلى المهندسين والصنّاع فقبلوه أحسن القبول ، وتصوروه بأذهانهم فأروه على مطابقة المأمول ، فوقفتهم حسن تنبيهه ممّا جهلوه على طور غريب من موجبات التعظيم ، وعلموا أن الفضل لله يؤتاه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - وسيأتي بعد هذا إشارة إلى تفصيل تلك الحركات المستغرّبة ، والأشكال المونقة المعجبة ، إن شاء الله تعالى - ؛ ممّا صنّع للمصحف العظيم من الأصونة الغريبة ، والأحفظة العجيبة ، أنّه كُسي كلّ بصيرّان واحد من الذهب والفضّة ذي صنائع غريبة من ظاهره وباطنه ، لا يشبه بعضها بعضاً ، قد أجري فيه من ألوان الزجاج الرومي ما لم يُعهد له في العصر الأول مثال ، ولا عمر قبله يشبهه خاطر ولا بال ، وله مفاصل تجتمع إليها أجزاءه وتلتئم ، وتناسق عندها عجائبه وتنظم ، قد أسلست للتحرك أعطافها ، وأحكم إنشاؤها على البغية وانعطافها ، ونظم على صفحته وجوانبه من فاخر الياقوت ونفيس الدُرّ وعظيم الزمرد ما لم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية تتنافس في أفرادها ، وتتوارثه على مرور الزمن وترداده ، وتظنّ العزّ الأقدس ، والملك الأنفس ، في ادخاره وإعداده ، وتسمي الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم لشذوذه في صنفه واتحاده ، فانظم عليه منها ما شاكلة زهر الكواكب في تلالؤه

١ ط : بيد الله .

وانقاده ، وأشبهه الروض المزخرف غبّ سماء أقلعت عن إمداده ، وأتى هذا الصّوّانُ الموصوف رائق المنظر ، آخذاً بمجامع القلب والبصر ، مستولياً^١ بصوّرته الغريبة على جميع الصّوّر ، يدهش العقول بهاء ، ويحير الأبواب رُواء ، ويكاد يُعشي الناظر تألقاً وضياء ، فحين تمتّ خصاله ، واستركبت أوصاله ، وحان ارتباطه بالمصحف العظيم واتصاله ، رآوا - أدام الله تأييدهم ، وأعلى كلمتهم - مما رزقهم الله تعالى من ملاحظة الجهات ، والإشراف على جميع الثنيات ، أن يُتَلَطَّف في وجه يكون به هذا الصّوّان المذكور طوراً متصلاً ، وطوراً منفصلاً ، ويتأتى به للمصحف الشريف العظيم أن يبرز تارة للخصوص متبذلاً ، وتارة للعموم متجملاً ، إذ معارج الناس في الاستبصار تختلف ، وكلُّ له مقام إليه ينتهي وعنده يقف ، فعمل فيه على شاكلة هذا المقصد ، وتلطف في تميم هذا الغرض المعتمد ، وكسي المصحف العزيز بصيوان لطيف من السندس الأخضر ، ذي حلية خفيفة تلازمه في المغيب والمحضر ، ورتب ترتيباً يتأتى معه أن يكسى بالصّوّان الأكبر ، فيلتئم به التثاماً يغطي على العين من هذا الأثر ، وكل ذلك كله على أجمل الصفات وأحسنها ، وأبدع المذاهب وأتقنها ، وصنع له محمل غريب الصنعة ، بديع الشكل والصيغة ، ذو مفاصل ينبو عن دقتها الإدراك ، ويشد بها الارتباط بين المفصلين ويصح الاشتراك ، مُغَشَّى كله بضروب من الترصيع ، وفنون من النقش البديع ، في قطع من الآبنوس والخشب الرفيع ، لم تُعمل قطُّ في زمان من الأزمان ، ولا انتهت قطُّ إلى أيسره نوافذ الأذهان ، مُدار بصنعة قد أُجريت في صفائح الذهب ، وامتدت امتداد ذوائب الشهب ، وصنع لذلك المحمل كرمي يحمله عند الانتقال ، ويشاركه في أكثر الأحوال ، مرصع مثل ترصيعه الغريب ، ومُشاكل له في جودة التقسيم وحسن الترتيب ، وصنع لذلك كله تابوت يحتوي عليه احتواء المشكاة على أنوارها .

١ ط : متولياً .

والصدور على محفوظ أفكارها ، مكعب الشكل سامٍ في الطول ، حسن الجملة والتفصيل ، بالغ ما شاء من التتميم في أوصاله والتكميل ، جارٍ مجرى المحمل في التزيين والتجميل ، وله في أحد غواربه بابٌ ركبت عليه دفتان قد أحكم إرتاجهما ، ويسر بعد الإبهام انفراجهما ، ولانفتاح هذا الباب وخروج هذا الكرسي من تلقائه وتركب المحمل عليه ، ما دبرت الحركات الهندسية ، وتلقيت تلك التنبيهات القدسية ، وانتظمت العجائب المعنوية والخصية ، والتأمت الدخائر النفيسة والنفسية ، وذلك أن بأسفل هاتين الدفتين فيصلاً فيه موضع قد أعيد له مفتاح لطيف يدخل فيه ، فإذا أدخل ذلك المفتاح فيه وأدبرت به اليد انفتح الباب بانعطاف الدفتين إلى داخل الدفتين من تلقائهما ، وخرج الكرسي من ذاته بما عليه إلى أقصى غايته ، وفي خلال خروج الكرسي يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة مقترنة بحركته يأتي بها من مؤخر الكرسي زحفاً إلى مقدمه ، فإذا كمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انغلق الباب برجوع الدفتين إلى موضعهما من تلقائهما دون أن يسهما أحد ، وترتبت هذه الحركات الأربع على حركة المفتاح فقط دون تكلف شيء آخر ، فإذا أدير المفتاح إلى خلف الجهة التي أدير إليها أولاً انفتح الباب وأخذ الكرسي في الدخول والمحمل في التأخر عن مقدم الكرسي إلى مؤخره ، فإذا عاد كلٌّ إلى مكانه انسدَّ الباب بالدفتين أيضاً من تلقائه ، كل ذلك يترتب على حركة المفتاح ، كالذي كان في حال خروجه ، وصحَّت هذه الحركات اللطيفة على أسباب ومُسَبِّبات غائبة عن الحس في باطن الكرسي ، وهي ممّا يَدِقُّ وصفها ، ويصعب ذكرها ، أظهرتها بركاتُ هذا الأمر السعيد ، وتنبيهات سيدنا ومولانا الخليفة ، أدام الله تعالى أمرهم وأعزَّ نصرهم .

وفي خلال الاشتغال بهذه الأعمال التي هي غُرر الدهر ، وفرائد العمر ، أمروا - أدام الله تعالى تأييدهم - ببناء المسجد الجامع بمحضرة مراکش - حرسها

الله تعالى - فبدأ بنيانه^١ وتأسيس قبلته في العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وكل متتصف شعبان المكرم من العام المذكور ، على أكمل الوجوه ، وأغرب الصنائع ، وأفسح المساحة ، وأبعد البناء والنجارة . وفيه من شمسيت الزجاج وحركات^٢ المنبر والمقصورة ما لو عمل في السنين العديدة لاستغرب تمامه . فكيف في هذا الأمر اليسير الذي لم يتخيل أحد من الصُّنَّاع أن يتم فيه فضلاً عن بنائه ؟ وصليت فيه صلاة الجمعة متتصف شعبان المذكور ، ونهضوا - أدام الله سبحانه تأييدهم - عقب ذلك لزيارة البقعة المكرمة ، والروضة العظيمة ، بمدينة تينمل^٣ أدام الله رفعتها ، فأقاموا بها بقية شعبان المكرم ، وأكثر شهر رمضان المعظم ، وحملوا في صحتهم المصحف العزيز ومعه مصحف الإمام المهدي المعلوم رضي الله تعالى عنه في التابوت الموصوف ، إذ كان قد صنَّع له غرفة في أعلاه ، وأحكمت فيه إحكاماً كل به معناه ، واجتمع في مشكاته فعاد النور إلى مبتداه . وختم القرآن العزيز في مسجد الإمام المعلوم ختمات كادت لا تحصى لكثرتها ، وهنا انتهى ما وجدناه من هذا المكتوب . ثم قال ابن رُشَيْد - بعد إيزاد ما تقدّم - ما صورته : نجزت الرسالة في المصحف العظيم ، والحمد لله رب العالمين ، انتهى محل الحاجة منه .

• • •

[شعر في قرطبة]

وما أحسن قول الشيخ الإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية^٤ يستودع أهل قرطبة :

١ ك : بينائه . ط : فبدأ بنيانه .

٢ ك : ودرجات .

٣ تينمل : المدينة التي دفن فيها المهدي ابن تومرت .

٤ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الحاربي (- ٥٤٢) من أهل غرناطة كان واسع المعرفة قوي الأدب متفنناً في العلوم (الصلة : ٣٦٧ والقلائد : ٢٠٨ وصيرجم له المقرئ) .

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ أَهْلَ قَرْطَبَةَ^١ حَيْثُ عَهَدْتُ^٢ الْحَيَاءَ وَالْكَرَمَا
وَالْجَامِعَ الْأَعْظَمَ الْعَتِيقَ وَلَا زَالَ مَدَى الدَّهْرِ مَأْمَنًا حَرَمًا

وقال أبو الربيع ابن سالم^٣ : حدثني بذلك أبو الحسن عبد الرحمن بن ربيع
الأشعري^٤ قال : أنشدني أبو محمد بن عطية لنفسه ، فذكرهما بعد أن قال :
إنه لما أزمع القاضي أبو محمد بن عطية الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع
وأنشد^٥ البيتين ، انتهى .

وقال ابن عطية أيضاً رحمه الله تعالى^٥ :

بَارِيعٍ فَاقَتْ الْأَمْصَارَ قَرْطَبَةُ^٦ وَهُنَّ قَنْطَرَةُ الْوَادِي وَجَامِعُهَا
هَاتَانِ ثَنَانٌ ، وَالزَّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ ، وَالْعِلْمُ أَكْبَرُ شَيْءٍ وَهُوَ رَابِعُهَا
وقد تقدم إنشادنا لهذين البيتين من غير نسبة لأحد^٦.

* * *

[أبو المغيرة والجارية]

ومما يدخل في أخبار الزاهرة من غير ما قدمناه ما حكاه عن نفسه الوزير^٧

١ ك : وجدت .

٢ أبو الربيع ابن سالم : سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي (- ٦٣٤) من أجل شيوخ
الأندلس علماً وتأليفاً وأولي الخزم والجرأة والإقدام ، استشهد بموقعة أنيشة صابراً محتسباً .
(راجع ترجمته في الذيل والتكملة ٤ : ٨٣ والتكملة رقم : ١٩٩١ والمرقبة إلخ : ١١٩
وبرنامج الرعي : ٦٦ ونخبة القادم : ١٢٩ وإعتاب الكتاب : ٢٤٩ والديباج : ١٢٢ وتذكرة
الحفاظ : ١٤١٧ وسيرجم المقرئ له في النسخ) .

٣ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري من أهل قرطبة يعرف بابن أبي له برنامج
شيوخ أخذ عنه أبو الربيع ابن سالم وعنه أخذ تلميذه ابن الأبار ، ولي القضاء باستجة وكان شيخاً
جليلاً معنياً بصناعة الحديث ، توفي بفرب العدو صادراً عن مراكش سنة ٥٨٥ (التكملة رقم :
١٦١٩) .

٤ ك : وأنشدني .

٥ انظر البيتين في ترجمة ابن ربيع الأشعري في التكملة .

٦ انظر ما تقدم ص : ١٥٣ .

الكاتب أبو المغيرة بن حَزْم قال : نادمت يوماً المنصور بن أبي عامر في منية السرور بالزاهرة ذات الحسن النضير ، وهي جامعة بين روضة وغدير ، فلماً تضمخ النهار بزعفران العشي ، ورفرف غرابُ الليل الدَّجُوجي ، وأسبل الليلُ جُنْحَه ، وتقلد السماءُ رُمَحَه ، وهمَّ النسر بالطيران ، وعام في الأفق زورق الزُّبرقان ، أوقدنا مصابيح الراح ، واشتملنا مُلأء الارتياح ، وللدَّجَنِ فوقنا رواق مضروب ، فغتننا عند ذلك جارية تسمى أنس القلوب ^١ :

قدم اللَّيْلُ عند سَيْرِ النَّهَارِ وبدا البدرُ مثل نصف سوارٍ ^٢
فكَأَنَّ النَّهَارَ صَفْحَةً خَدَّ وكَأَنَّ الظَّلامَ خَطُّ عِذارٍ
وكَأَنَّ الكؤُوسَ جامدُ ماء وكَأَنَّ المدامَ ذائبُ نارٍ
نظري قد جتَّى عليَّ ذنوباً كيف مما جتته عيني اعتذارِي؟
يا لقومي تعَجَّبوا من غزال جائر في محبتي وهو جاري
ليت لو كان لي إليه سبيلٌ فأقضي من حبه ^٣ أوطاري

قال : فلماً أَكملت الغناء ، أَحسست بالمعنى ، فقلت :

كيف كيف الوصول للأقمارِ بين سُمُر القنا وبيض الشِّقَارِ
لو عَلِمْنَا بأن حُبَّكَ حَقٌّ لطلبنا الحياةَ منكَ بثارٍ
وإذا ما الكرامُ هَمَّوا بشيء خاطروا بالنفوس في الأخطارِ

قال : فعند ذلك بادر المنصور لحسامه ، وغلظ في كلامه ، وقال لها : قولي واصدقي إلى مَنْ تشيرين ، بهذا الشوق والحنين ؟ فقالت الجارية : إن كان الكذب أنجى ، فالصدق أحرى وأولى ، والله ما كانت إلا نظرة ، ولدت في

.

١ زاد في ك : وقالت .

٢ ك : السوار .

٣ ك : من الهوى .

القلب فكرة ، فتكلّم الحب على لساني ، وبرّحَ الشوق بكتماي ، والعفو
مضمون لديك عند المقدرة ، والصفح معلوم منك عند المعذرة ؛ ثم بكّت فكان
دمعها دُرٌّ تناثر من عقد ، أو طلّ تساقط من ورد ، وأنشدت :

أذنبْتُ ذنباً عظيماً فكيفَ منه اعتذاري ؟
واللهُ قدَرٌ هذا ولمْ يَكُنْ باختيارِي
والعفو أحسن شيء يكونُ عِنْدَ اقتدارِ

قال : فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب إليّ ، وسلّ سيف السخط
عليّ ، فقلت : أيدك الله تعالى ، إنما كانت هفوةً جرّها الفكر ، وصبوةً
أيدها النظر ، وليس للمرء إلا ما قدر له ، لا ما اختاره وأمله . فأطرق المنصور
قليلاً ثم عفا وصفح ، وتجاوز عتاً وسمح ، وخلّى سبيلي ، فسكّنت وجيب قلبي
وغلّيلي ، ووهب البخارية لي قبّتنا بأنعم ليلة ، وسحبنا فيها للصبا ذيله ، فلمّا
شمّر الليل غدّأثره ، وسلّ الصباح بواتره ، وتجاوبت الأطيّار بضروب
الألحان ، في أعالي الأغصان ، انصرفت بالبخارية إلى منزلي ، وتكامل سروري .

. . .

[المأمون والبخارية]

قال بعضهم : ذكرتني حكاية أبي المغيرة هذه حكاية قرأتها في النوادر^١
لأبي علي القالي البغدادي حدّثت في الظرف حدّوها ، وزهت في الإغراب زهوها ،
وهي ما أسنده عن منصور البرمكي أنّه كانت للرّشيد جارية غلامية وكان
المأمون يميل إليها ، وهو إذ ذاك أمرّد ، فوقفت تصبّ على يد الرّشيد من إبريق
معه ، والمأمون [جالس] خلف الرّشيد ، فأشار إليها [كأنّه] يقبلها ، فأنكرت
ذلك بعينها ، وأبطأت في الصب على قدر نظرها للمأمون وإشارتها إليه ، فقال

^١ انظر القصة في أمالي القالي ١ : ٢٢٢ وما بين معقنين زيادة منه .

الرشيد : ما هذا ؟ ضعي الإبريق من يدك ، ففعلت ، فقال : والله لئن لم تصدقيني لأقتلنك ، فقالت : يا سيدي ، أشار إليّ [عبد الله] كأنه يقبلني ، فأنكرت ذلك عليه ، فالتفت إلى المأمون فنظر إليه كأنه ميت لما داخله من الجزع والحجل ، فرحمه وضمه إليه ، وقال : يا عبد الله ، أنحبّها ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : هي لك فاخلُ بها في تلك القبة ، ففعل ، ثم قال له : هل قلت في هذا الأمر شيئاً ؟ فقال : نعم يا سيدي ، ثم أنشد :

ظبيٌ كَتَبْتُ بِطَرْفي من الضمير إليه
قَبْلَتُهُ مِنْ بعيدٍ فاعْتَلَّ من شَفَتَيْهِ
وردٌ أَخْبَثَ رَدٌّ بالكسر من حاجبيه
فما بَرِحْتُ مكاني حتى قَدَرْتُ عليه

وفي هذا المعنى يقول بعض البلغاء : اللحظُ ، يُعْرَبُ عن اللفظ ، وقال آخر : رب كناية تنفي عن إيضاح ، ورب لفظ يدل على ضمير ، ونظمه الشاعر فقال :

جَمَعْنَا عِلَامَاتِ المودّةِ بَيْنَنَا دَقَائِقَ لَحْظٍ هُنَّ أَمْضَى مِنَ السَّحْرِ
فَأَعْرِفُ مِنْهَا الوصلَ في لِينِ لَحْظِهَا وَأَعْرِفُ مِنْهَا الهجرَ بالنظرِ الشَّرِّ

وفي هذا قال بعض الحكماء : العين باب القلب ، فما في القلب ظَهَر في العين ، وقال الشاعر :

العينُ تُبْئِدِي الذي في نفسِ صاحبها من المحبةِ أو بُغْضٍ إذا كانا
فَالْعَيْنُ تنطقُ والأفواه صامِتةٌ حتى تَرَى من ضميرِ القلبِ تَبَيّانَا

• • •

[ترجمة أبي المغيرة من المطمح]

وأبو المغيرة ابن حَزْم قال في حقه في المطمح ما نصّه^١ : الوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم ، وبنو حزم فِتْيَةٌ عَظِيمٌ وأدب ، وثَنِيَّةٌ مَجْدٌ وحَسَبٌ ، وأبو المغيرة هذا في الكتابة أَوْحَدٌ ، لا يُنْشَعُ ولا يُجَدُّ ، وهو فارس المضمار ، حامي ذلك الدِّمَار ، وبطل الرِّعِيل ، وأسد ذلك الغِيل ، نَسَقَ المعجزات ، وسَبَقَ في المعجزات الموجزات ، إذا كتب وَثَّقَ المهارق ودَبَّجَ ، وركب من بحر البلاغة الشَّبَجَ ، وكان هو وأبو عامر ابن شهيد خليلي صفاء ، وحليفي وفاء ، لا ينفصلان في رواح^٢ ولا مقيل ، ولا يفترقان كمالك وعقيل^٣ ، وكانا بقرطبة رافعي ألوية الصَّبوة ، وعامري أندية السلوة ، إلى أن اتَّخِذَ أبو عامر في حيلة الردى وعلق ، وغدا رَهْنُهُ فيها قد غلق^٤ ، فانفرد أبو المغيرة بذلك المَيْدَان ، واستردَّ من سَبَقِهِ ما فاتته منذ زمان ، فلم تُذكر له مع أبي عامر حسنة ، ولا سَرَتْ له فِيقَرَةٌ مستحسنة ، لتعذر ذلك وامتناعه ، بشُفُوف أبي عامر وامتداد باعه ، وأما شعر أبي المغيرة فمرتبط بثَره ، ومختلط زهره بدُرّه^٥ ، وقد أثبت له منها فنوناً ، تجنّ بها الأفهام جنوناً ، فمن ذلك قوله :

ظَعَنْتُ وفي أحداجها من شَكْلها عَيْنٌ فَضَحْنَ بحسنهنَّ العِينا

١ المطمح : ٢٢ ؛ قلت وانظر ترجمة أبي المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن حزم في الذخيرة ١/١ : ١١٠ والصلة : ٣٧٤ والمغرب ١ : ٣٥٧ والجدوة : ٢٧٣ وبغية الملتقى رقم : ١١١٠ ؛ وتوفي أبو المغيرة بطليطلة ٤٣٨ .

٢ ق ك ط ج : رواد .

٣ مالك وعقيل : نديما جذيمة بن الأبرش ويضرب بهما المثل في عدم الافتراق ، قال أبو خراش الهذلي :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خيلا صفاء مالك وعقيل

٤ المطمح : أخذ .

٥ ك : وخلق .

٦ المطمح : ومختلط بزهره .

ما أنصفت في جنب توضيح إذ قرئت ضيف الوداد بـلابلا^١ وشجونا
أضحى الغرام قطين ربع فؤاده إذ لم يجد بالرقمتين^٢ قطينا
وله :

لما رأيت الهلال منطويا في غرة الفجر قارن الزهرة^٣
شبهته والعيان^٤ يشهد لي بصوبخان أوفى^٥ لضرب كره^٦

* * *

[ترجمة ابن شهيد من الملمح]

وأبو عامر ابن شهيد المذكور قال في حقه ما صورته^٣ :
الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعي ، عالم بأقسام
البلاغة ومعانيها ، حائز قصب السبق فيها ، لا يشبهه أحد من أهل زمانه ، ولا
ينسق ما نسق من دُرّ البيان وجُمانه ، توغل في شعاب البلاغة وطرقها ، وأخذ
على متعاطيها ما بين مغربها ومشرقها ، لا يتقاه عمرو بن بحر ، ولا تراه
يغترف إلا من بحر ، مع انطباع ، مشى في طريقه بأمد باع ، وله الحسب
المشهور ، والمكان الذي لم يعد للظهور^٤ ، وهو من ولد الوضاح ، المتقصد تلك
المفاخر والأوضاع ، صاحب الضحك^٥ يوم المرج ، وراكب ذلك الهرج ،
وأبو عامر حفيده هذا من ذلك النسب ، وتبع لا يرأس إلا من ذلك الغرب^٦ ،
وقد أثبت له ما هو بالسحر لاحق ، ولنور المحاسن ماحق ، فمن ذلك قوله^٧ :

١ ق : بالرقمتين .

٢ في الأصول : انفى ، وأثبتنا ما في الجذوة .

٣ الملمح : ١٩ .

٤ ك : الظهور .

٥ ق ك ط ج : والضحك صاحب .

٦ ق ط ج : مع ذلك الغرب ؛ ك : من ذلك الزغب .

٧ ديوانه : ١٦٤ .

إنَّ الكريم إذا نابته مَخْمَصَةٌ أبدى إلى الناس رِيّاً وهو ظَمآنُ
يَحْتِي الضَّلُوعَ على مثل اللَّظَى حُرْقاً والوجهُ غَمَرٌ بماء البِشْرِ رِيَّانُ^١
وهو مأخوذ من قول الرضى^٢ :

ما إن رأيت كمعشر صبروا عزّاً على الأزمات والأزمِ
بسَطُوا الوجوه وبين أضلعهم حرّاً الجوى ومآلم الكَلَمِ
وله أيضاً^٣ :

كَلِفْتُ بالحب حتى لو دنا أجلي لما وجدتُ ليطعم الموت من ألمِ
كلا الندى والهوى قدماً ولعتُ به ويلى من الحب أو ويلى من الكرمِ

وأخبرني الوزير أبو الحسين^٤ بن سراج - وهو بمنزل ابن شهيد - وكان من البلاغة في مدى غاية البيان ، ومن الفصاحة في أعلى مراتب التبيان ، وكنا نحضر مجلس شرابه ، ولا نغيب عن بابه^٥ ، وكان له بباب الصَّومعة من الجامع موضع لا يفارقه أكثر نهاره ، ولا يُخلّيه من ثر درره وأزهاره ، فقعده في ليلة ٢٧ من رمضان في لمة من إخوانه ، وأئمة سُلُوانه ، وقد حَقَّقُوا به ليقطفوا نُحْبَ أدبه ، وهو يخلط لهم الجدة بهزل ، ولا يفرط في انبساط. مشتهر ولا انقباض جزل ، وإذا بجارية من أعيان أهل قرطبة معها من جواربها ، من يسترها ويواربها ، وهي ترتاد موضعاً لمناجاة ربها ، وتبتغي متراً لاستغفار

١ ق ط ج : ملان .

٢ ديوان الرضى ٢ : ٢٢٢ مع اختلاف في بعض الرواية .

٣ ديوان ابن شهيد : ١٤٨ .

٤ ق ك ج ط : أبو الحسن .

٥ في طبعة ليدن أن في أصول المطمح هنا : « أن منزل أبي عامر بن شهيد كان متلى الأعيان ومسرى البيان ، وكان كل شاعر أو كاتب منه بين صلة أو راتب ، وكانوا يحضرون مجلس شرابه ولا ينفصلون ساعة عن بابه » وهذه العبارة غير موجودة في المطمح المطبوع .

ذنبها ، وهي متنقبة ، خائفة ممن يرقبها مرقبة ، وأمامها طفل لها كأنه غصن
 آس ، أو ظبي يمرح في كناس ، فلما وقعت عينها على أبي عامر ولت سريعة ،
 وتولت مروعة ، خيفة أن يشبب بها ، أو يشهرها باسمها ، فلما نظرها ،
 قال قولاً فضحها به وشهرها ^١ :

وناظرة تحت طي القناع	دعاهما إلى الله بالخير داعي
سعت خيفة تبغى منزلاً	لوصل التبتل والانقطاع
فجاءت تهادى كئل الرؤوم	تُراعي ^٢ غزلاً برؤوس اليقاع ^٣
وجالت بموضعنا جولة	فحل الربيع بتلك اليقاع
أنتنا تبختر في مشيها	فحلت بوادٍ كثير السباع
وريعت حذاراً على طفليها	فناديت يا هذه ^٤ لا تُراعي
غزالك تفرق منه الليوث	وتفرع منه كمامة ^٥ المصاع
فولت وللمسك في ذيلها	على الأرض خطاً كظهر الشجاع

انتهى المقصود منه .

* * *

[استيلاء المعتد على قرطبة]

رجع : ومما ينخرط في سلك أخبار الزهراء ما حكاه الفتح في ترجمة المعتد
 ابن عباد إذ قال ^٦ : وأخبرني الوزير الفقيه أبو الحسين ^٧ بن سراج أنه حضر مع

١ انظر الديوان : ٩٤ وبدائع البدائع ٢ : ١٠٨ .

٢ دوزي : تنافي .

٣ ق ط ج : اليقاع .

٤ البدائع : بأكنافه .

٥ البدائع : فقلت أيا هذه .

٦ البدائع : وتهرب منه أسود .

٧ قلائد القيان : ١٠ .

٨ القلائد وق ط ج : أبو الحسن ؛ وفي ك : أحمد بن سراج .

الوزراء والكتّاب بالزهراء في يوم قد غَمَل عنه الدهر فلم يَرْمُقْهُ بطَرْفٍ ،
ولم يطَرْفُهُ بِصَرْفٍ ، أَرَحَتْ به المسراتُ عَهْدَهَا ، وأبرزت له الأمانى
خداها^١ ، وأرشفَتْ فيه لماها ، وأباحَتْ للزائرين حِمَاها ، وما زالوا ينقلون من
قصر إلى قصر ، ويتدلون الغصون بِجَنَى وهَصَرٍ ، ويتوقّلون^٢ في تلك
الغُرُفَات ، ويتعاطون الكؤوسَ بين تلك الشُرُفَات ، حتى استقروا بالروض
من بعد ما قضوا من تلك الآثار أوطاراً ، وأوقروا^٣ بالاعتبار قطاراً ، فحلّوا
منها في درائك ربيع مُقَوِّفَة بالأزهار ، مطرزة بالجداول والأنهار ، والغصونُ
تختال في أدواحها ، وتثنى في أكفٍ أرواحها ، وآثارُ الديار قد أشرفت عليهم
كثكالى يَسُحْنُ على خرابها ، وانقراض أطرابها^٤ ، والوهي بمشيدها لاعب ،
وعلى كل جدارٍ غرابٌ ناعب ، وقد محت الحوادث ضيائها ، وقلصت ظلالها
وأفياها ، وطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت ، وفاحت من شلّاهم وأرجت^٥ ،
أيام نزلوا خلالها ، وتغيّأوا ظلّالها ، وعَمَرُوا حدائقها وجنّاتها ، ونَبَّهوا
الآمال من سنّاتها ، وراعوا الليوث في آجامها ، وأخجلّوا الغيوثَ عند
انسجامها^٦ ، فأضحى لها بالتداعي تلفّع واعتجار ، ولم يبق من آثارها إلا
نُؤْيٌ وأحجار ، قد وَهَتْ قِيَابُها ، وهَرِمَ شَبَابُها ، وقد يلين الحديد ،
ويَبْلَى على طيّه الحديد ، فبينما هم يتعاطونها صغاراً وكباراً ، ويُدِيرونها
أنساً واعتباراً ، إذا برسول المعتمد قد وافاهم برقعة مكتوب^٧ فيها :

حَسَدَ القصرُ فيكم الزهراء ولَعَمْرِي وعَمْرِكُم ما أساء

١ ك : خلها ونهدها .

٢ ك : ويتنقلون .

٣ دوزي : ووقروا . وفي ك ق ط ج : ووقروا .

٤ ك : آتراها وأطرابها .

٥ ك : وتأرجت .

٦ ك : في انسجامها .

٧ مكتوب : سقطت من ك ؛ ط : فيها مكتوب .

قد طَلَعْتُمْ بِهَا شَمُوساً صَبَاحاً فَاطْلُوعُوا عِنْدَنَا بُدُوراً مَسَاءً

فساروا إلى قصر البستان بباب العطارين فألفوا مجلساً قد حار فيه الوصف ، واحتشد فيه اللهو والقصف ، وتوقدت نجومٌ مداميه ، وتأودت قدودٌ خُداميه ، وأزبى على الخورنق والسدير ، وأبدى صفحة البدر من أزرار المدير ، فأقاموا ليلتهم ما عَرَّاهم نوم ، ولا عُداهم عن طيب اللذات سَوم ، وكانت قرطبة منتهى أمله ، وكان رَومٌ أمرها أشهى عمله ، وما زال يخطبها بمداخلة أهلها ، ومُواصلة واليها ، إذ لم يكن في منازلها قائد ، ولم يكن لها إلا حَيْلٌ ومكائد ، لاستمساكهم بدَعْوَةِ خلفائها ، وأنفتحت من طُمُوس رسوم الخلافة وعقائدها ، وحين اتفق له تملكها ، وأطلعه فلکها ، وحصل في قطب دائرتها^٢ ، ووصل إلى تدبير رياستها وإدارتها ، قال^٣ :

مَنْ لِلْمُلُوكِ بِشَاوُ الْأَصِيدِ الْبَطْلُ ؟ هِيَهَاتَ جَاءَتْكُمْ مَهْدِيَّةُ الدُّوَلِ
خَطَبْتُ قَرْطُبَةَ الْحَسَنَاءِ إِذْ مَنَعْتُ مَنْ جَاءَ يَخْطُبُهَا بِالْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
وَكَمْ غَدَتْ عَاطِلًا حَتَّى عَرَضْتُ لَهَا فَأَصْبَحْتُ فِي سَرِيٍّ الْحَلِيِّ وَالْحَلَلِ
عِيرَسُ الْمُلُوكِ لَنَا فِي قَصْرِهَا عُرْسٌ كُلُّ الْمُلُوكِ بِهَا فِي مَأْتَمِ الْوَجَلِ
فَرَاقِبُوا عَنْ قَرِيبٍ لَا أَبَا لَكُمْ هَجُومَ لَيْثٍ بِدَرَعِ الْبَاسِ مُشْتَمَلِ

ولما انتظمت في سلكه ، واتسمت بملكه ، أعطى ابنه الظافر زمامها ، وولاه نقضها وإبرامها ، فأفاض فيها نداءه ، وزاد على أمده ومداه ، وجمّلها بكثرة حبيائه ، واستقل بأعبائها على فتائه^٤ ، ولم يزل فيها أمراً وناهياً ، غافلاً عن المكر ساهياً ، حُسنَ ظنٍّ بأهلها اعتقده ، واغتراراً بهم ما رواه ولا انتقده ،

١ القلائد : ما طرقتهم .

٢ ط ق ج : دارتها .

٣ ديوان المعتمد : ٦٥ .

٤ القلائد : واشتغل بأعبائها من فتائه .

وهيهات كم من ملك كَفَّتْهُ دُمائِهِ ، ودفنوه بذبائِهِ ، وكم من عرشٍ
 ثَلَوهُ^١ ، وكم من عزيزٍ ملك أذلوه ، إلى أن ثار فيها ابن عكاشة ليلاً^٢ ، وجرَّ
 إليها حرباً وويلاً^٣ ، فبرز الظافر منفرداً عن كُفَّائِهِ ، عارياً من حُفَّائِهِ ، وسيفه
 في يمينه ، وهاديه في الظلماء نور جبينه ، فإنه كان غلاماً كما بلله^٤ الشباب
 بأندائِهِ ، وألحفه الحُسْنُ بردائِهِ ، فدافعهم أكثر ليلة ، وقد منع منه تلاحق
 رَجُلِهِ وخَيْلِهِ ، حتى أمكنتهم منه عثرة لم يقل لها لَعَا ، ولا استقل منها^٥ ، ولا
 سعى ، فترك ملتحفاً بالظلماء^٦ ، تحت نجوم السما^٧ ، معترراً في وسط الحمى^٨ ،
 تحرسه الكواكب ، بعد المواكب ، ويستزه الحيند من بعد السندس ، فمرَّ بمصرعه
 سَحَرًا أحد أئمة الجامع المغلسين ، فرآه وقد ذهب ما كان عليه ومضى ، وهو
 أعرى من الحسام المتشقى ، فخلع رداءه عن منكبيه ونفضاه ، وستره به سترًا
 أقنع المجد به وأرضاه ، وأصبح لا يعلم رب تلك الصنيعة ، ولا يعرف فتشكر له
 يده الرفيعة ، فكان المعتمد إذا تذكر صرَّعته ، وسَعَّرَ الحزنُ لوعته ، رقع
 بالعويل نداءه ، وأنشد :

ولم أدْرِ مَنْ ألقى عليه رداءه^٩

ولما كان من الغد حَزَّ رأسه ورُفِعَ على سن رمح وهو يشرق كنار على
 علم ، ويرشق نفس كل ناظر بألم ، فلمَّا رَمَقَتْهُ الأبصار ، وتحققته الحماة
 والأنصار ، رَمَوْا أسلحتهم ، وسَوَّوْا للقرار أجنتهم ، فمنهم من اختار فراره
 وجلاله ، ومنهم من أتت به إلى حَيِّنه رجلاه ، وشغل المعتمد عن رثائه بطلب

١ ط : فلوه .

٢ ك : قد بلله .

٣ ك : استقال منها ؛ ق : انتقل منها .

٤ ق ك ط : في الظلماء ؛ ج : ملتفماً في الظلما .

٥ تحت نجوم السما : ساقطة من القلائد .

٦ ك : وسط اكما ؛ ط : الجما .

٧ صدر بيت لأبي خراش الغنلي ، وعجزه : « على أنه قد سل عن ماجد محض » .

ثاره ، ونصّب الحبال لوقوع ابن عكاشة وعثاره ، وعدل عن تأيينه ، إلى البحث عن مفرقه وجبينه ، فلم تحفظ له فيه قافية ، ولا كلمة للوعته شافية ، إلا إشارته إليه في تأبين أخويه ، المأمون والراضي المقتولين في أول النائرة ، والفتنة النائرة ، انتهى .

* * *

[ذكر المنزهات في سياق التراجم]

وقد رأيت أن أزيد على ما تقدم - مما قصدت جملته في هذا الموضع - نبذة من كلام الفتح في ذكر منتهات قرطبة وغيرها من بلاد الأندلس ، ووصف مجالس الأنس التي كانت بها مما تشرح له الأنفس ، ووقع ذكر غير قرطبة والزهراء لما تبعاً ، ولا يخلو ذلك من عبرة بحال من جعل في اللهو مصيفاً ومُرتباً ، ثم طواه الدهر طي السجل ، ومحا آثاره التي كانت تسمو وتجلى ، وما قصدنا عليم الله غير الاعتبار ، بهذه الأخبار ، لا الحث على الحرام ، وتسهيل القصد إليه والمرام ، والأعمال بالنيات ، والله سبحانه كفيل بفضله وكرمه ببلوغ الأمنيات ، وتعويضنا عن هذه النعم القانيات ، بالنعم الباقيات السنيات .

* * *

[١ - من ترجمة ابن زيدون في القلائد]

قال الفتح رحمه الله تعالى في ترجمة الوزير أبي الوليد بن زيدون ، ما صورته^١ : وأخبرني الوزير الفقيه أبو الحسين^٢ بن سراج رحمه الله تعالى أنه في وقت فراره أضحي ، غداة الأضحى . وقد ثار به الوجد بمن كان يألفه والغرام ، وتراءت لعينه تلك الطبء الأوانس والآرام ، وقد كان الفطر واقاه ،

.....

١ كانت : سقطت من ق ط ج .

٢ القلائد : ٧٢ .

٣ ق ك ج : أبو الحسن .

والشقاء قد استولى على رسم عافيته حتى عفاه^١ ، فلمّا عادته منهما ما عاد ، وأعياه ذلك النكد المعاد ، استراح إلى ذكر عهده الحسن ، وأراح جفونه المسهدة بتوهم ذلك الوسن ، وذكر معاهد كان يخرج إليها في العيد ، ويتفرج بها مع أولئك الغيد ، فقال^٢ :

خَلِيلِي لَا فِطْرٌ يَسْرُ وَلَا أَضْحَى
لِثَنٍ شَافِي شَرَقَ الْعُقَابَ فَلَمْ أَزَلْ
وَمَا انْفَكَ جَوْفِي الرُّصَافَةَ مُشْعِرِي
وَبِهَتَاجُ قَصْرِ الْفَارِسِي صَابَةِ
وَلَيْسَ ذَمِيمًا عَهْدٌ مَجْلِسِ نَاصِحِ
كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَدَى عَيْنِ شَهِدَةٍ
وَقَائِعُ جَانِبِهَا التَّجَنِّي فَإِنْ مَشَى
وَأَيَّامٌ وَضَلَّ بِالْعَقِيقِ اقْتَضِيَتْهُ
وَأَصَالُ هَوِي فِي مُسْتَاةٍ مَالِكِ
لَدَى رَاكِدِ تُصْبِيكَ مِنْ صَفْحَاتِهِ
مَعَاهِدُ لَدَاتٍ وَأُوطَانُ صَبْوَةٍ
أَلَا هَلْ إِلَى الزَّهْرَاءِ أُوبَةُ نَازِحِ
مَقَاصِيرُ^٣ مَلِكٍ أَشْرَقَتْ جَنَابُهَا
يَمَثَلُ قُرْطِينَهَا لِي الْوَهْمُ جَمْرَةٌ
مَحَلَّ ارْتِيَاكِ يَذْكُرُ الْخُلْدَ طَيْبُهُ

فَمَا حَالُ مَنْ أَمْسَى مَشْهُوقًا كَمَا أَضْحَى
أَخْصُ بِمَحْوُضِ الْهَوَى ذَلِكَ السَّفْحَا
دَوَاعِي بَثِّ تُعْقِبُ الْأَسْفَ الْبَرْحَا
لِقَلْبِي لَا يَأْلُو زِنَادَ الْأَسَى قَدَحَا
فَأَقْبَلَ فِي فِرطِ الْوَلُوعِ بِهِ نُصْحَا
نَزَالَ عِتَابُ كَانَ آخِرُهُ الْفَتْحَا
سَفِيرُ خُضُوعٍ بَيْنَنَا أَكَّدَ الصِّلْحَا
فَلِنْ لَمْ يَكُنْ مِعَادُهُ الْعِيدُ فَالْفَيْصَحَا
مُعَاطَاةً نَدْمَانِ إِذَا شَتَّ أَوْ سَبَحَا
قَوَارِيرُ خُضْرٍ خَلَّتْهَا مُرَدَّتْ صَرْحَا
أَجَلْتُ الْمُعَلَّى فِي الْأَمَانِي بِهَا قِدْحَا
تَقْصَى تَنَائِيهَا مَدَامَعُهُ نَزْحَا
فَخَلْنَا الْعَشَايَا الْجُونِ أَثْنَاءَهَا صَبْحَا
فَقُبَّتْهَا فَالْكُوكَبُ الْجُونِ^٤ فَالْسَطْحَا
إِذَا عَزَّ أَنْ يَصْدَى الْفَتَى فِيهِ أَوْ يَضْحَى

١ في الأصول : أعفاه .

٢ انظر ديوان ابن زيدون : ١٥٨ .

٣ في الأصول : مقاصر .

٤ القلائد : الرحب .

هناك الجِمامُ الزُّرْقُ تَنَدَّى حِفَافُهَا ظلالُ عَهْدَتُ الدَّهْرِ فِيهَا فَتَى سَمَحَا
تَعَوَّضْتُ^١ مِنْ شَدْوِ الْقِيَانِ خِلَالُهَا صَدَى فُلُوتٍ قَدْ أَطَارَ الْكَرَى صُبْحَا
وَمِنْ حَمَلِي الْكَاسُ الْمَقْدَى مُدِيرُهَا تَقَحُّمُ أَهْوَالِ حَمَلْتُ لَهَا الرَّمْحَا
أَجَلٌ^٢ إِنْ لَيْلِي فَوْقَ شَاطِئِ بَيْطَةٍ^٣ لَأَقْصِرُ مِنْ لَيْلِي بَأْتَةٍ فَالْبَطْنَا

وهذه معاهد بني أمية قطعوا بها لياليَ وأياماً ، وظلّت فيها الحوادث عنهم
نياماً ، فهموا بشرق العقاب ، وشاموا به برقاً يَبْدُو من نِقَاب ، ونعموا
بجَوْفِي الرُّصَافَةِ ، وطعموا عيشاً تولى الدهر جلاءه وزِفافه ، وأبعدوا نصح الناصح ،
وحمدوا أنس مجلس ناصح ، وعمّوا بالزهراء ، وصمّوا عن نيل صاحب
الزوراء ، حتى رحلهم الموت عنها وقوَّضهم ، وعوَّضهم منها ما عوَّضهم ،
فصاروا أحاديث وأنباء ، ولم يتزودوا منها إلاَّ حَنُوطاً وكَبَاء ، وغدّت تلك
المعاهدُ تصافحها أيدي الغيّر ، وتناوحها نعبات الطير ، وراحت بعد الزينة
سُدَى ، وأمست مسرحاً لليوم وملعباً للصدى ، يُسْمَعُ للجنّ بها عزيف ،
ويُصْرَعُ فيها البطلُ الباسل والتزيف ، وكذا الدنيا أعمالها خراب ، وآمالها^٤
آلٌ وسَرَاب ، أهلك أصحاب الأخدود ، وأذهبت ما كان بمأرب من
حيازات وحدود ، انتهى .

وقال الفتح بعد كلام ما صورته^٥ : ولما عَصَّته نابُ الاعتقال ، ورضَّته
تلك النُوبُ الثقال ، وعوَّض بخشانة العيش من اللين ، وكابد قَسْوَةَ خَطْبِ
لا تَليْن ، تذكّر عهد عيشه الرقيق ، ومَرَّحَه بين الرُّصَافَةِ والعقيق ، وحنّ إلى سعد
زُرَّتْ عليه جُيُوبُهُ ، واستهدى نسيمَ عيشٍ طاب له هُيُوبُهُ ، وتأسَّى بمن

١ ط : تعرضت .

٢ ق ك ج : نيطه ؛ ط : ليطه .

٣ ك ط : وآمالها .

٤ القلائد : ٧٧ .

باتت له النوايب بمرصاد ، ورمته بسهام ذات إقصاد [وضم من عهد الأحص إلى ذات الإصاء]^١ فقال^٢ :

المحوى في طلوع تلك النجوم والمتى في هبوب ذاك النسيم
سرتنا عيشنا الرقيق الحواشي لو يدوم السرور للمستديم
وطر ما انقضى إلى أن تقضى زمن ما ذمامه بالذميم
أيها المؤذي بظلم الليالي ليس يومي بواحد من ظلوم
ما ترى البدر إن تأملت والشمس من هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو بالمصائب العظيم نحو العظيم

وقال الفتح أيضاً في شأن ابن زيدون ، ما صورته^٣ :

ولما تعلد انفكاكه^٤ ، وعقر فرقه وسماكه ، وعادته الأوهام والفكر ،
وخانه من أبي الحزم الصارم الذكّر ، قال يصف ما بين مسراته وكروبه ،
ويذكر بعد طلوع أمله^٥ من غروبه ، ويبكي لما هو فيه من التعذير ، ويعذر
أبا الحزم وليس له غيره من عذير ، ويتعزى بإخفاء^٦ الدهر على الأحرار ،
ولإلحاحه على التمام بالسرار ، ويخاطب ولادة^٧ بقاء عهده ، ويقيم لها
البراهين على أرقه وسهده^٨ :

١ ما بين ممقلين زيادة ليست في ق ك ؛ والذي ضم في الأحص وذات الأصاء هم بنو مرة أولا ثم
ثأروا بقتل كليب .

٢ ديوان ابن زيدون : ٢٧٨ .

٣ القلائد : ٧٦ .

٤ القلائد : فكاه .

٥ ك : سعه .

٦ ك : باخناء .

٧ القلائد : ٧٧ وديوان ابن زيدون : ٢٥٠ .

ما جالَ بَعْدَكَ لَحْظِي فِي سَنَا الْقَمَرِ
 وَلَا اسْتَطَلْتُ ذِمَاءَ اللَّيْلِ مِنْ أَسْفَى
 فِي نَشْوَةٍ مِنْ شَبَابِ الْوَصْلِ^١ مُوَهِّمَةٍ
 يَا لَيْتَ ذَاكَ السَّوَادَ الْجَوْنَ مُتَّصِلِ
 يَا لِرِّزَايَا لَقَدْ شَافَهُتُ مَنَّهُلَهَا
 لَا يَهْنُ الشَّامَتِ الْمُرْتَاحَ بِخَاطِرُهُ
 هَلِ الرِّيحُ بَنَجُمِ الْأَرْضِ عَاصِفَةٌ
 إِنْ طَالَ فِي السَّجْنِ إِيدَاعِي فَلَا عَجَبُ
 وَإِنْ يُثَبِّطُ^٢ أَبَا الْحَزْمِ الرِّضَى قَدَرُ
 مَن لَمْ أَرِ مِنْ تَأْتِيهِ^٣ عَلَى ثِقَةٍ

إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذَكَرَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ
 إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَّتْ مَعَ الْقِصْرِ
 أَنْ لَا مَسَافَةَ بَيْنَ الْوَهْنِ وَالسَّحَرِ
 قَدَرِ اسْتِعَارِ سَوَادِ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ
 غَمْرًا فَمَا أَشْرَبُ الْمَكْرُوهَ بِالْفُصْرِ
 أَنِّي مُعْنَى الْأَمَانِي ضَائِعُ الْخَطَرِ
 أَمْ الْكُشُوفُ لَغَيَّرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
 قَدْ يُودَعُ الْجَفْنُ حَتَّى الصَّارِمِ الدَّكْرِ
 عَنْ كَشْفِ ضُرِّي فَلَا عَتَبَ عَلَى الْقَدْرِ
 وَلَمْ أَبْتَ مِنْ تَجَنُّبِهِ عَلَى حَذَرِ

وله يتغزل ، ويعاتب من يستعطفه ويتنزل^٤ :

يَا مُسْتَخْفًا بِعَاشِقِيهِ وَمُسْتَغِيثًا لِنَاصِحِيهِ
 وَمَنْ أَطَاعَ الْوُشَاةَ فِينَا حَتَّى أَطْعَمْنَا السُّلُوفَ فِيهِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَرَانِي نَكَذِيبَ مَا كُنْتُ تَدَّعِيهِ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَهْزَمَ التَّسْلِي وَيَغْلِبَ الشُّوقُ مَا يَلِيهِ

وما أحسن قول ابن زيلون المذكور في قصيدته النونية الشهيرة :

١ الدخيرة والقلائد : سنوات الدهر .

٢ ك : من تدانيه ؛ الديوان : تأتبه .

٣ الديوان : ١٩٠ .

غِيظُ^١ العدا من تساقينا الهوى قَدَعَوْا بَأْنُ نَغَصٍ فقال الدَّهْرُ آمِينَا

* * *

[موشحة ابن الوكيل]

ومن أغرب^٢ ما وقفتُ عليه مَوْشَحَةٌ لابن الوكيل دخل فيها على أعجاز
نونية ابن زيدون ، وهي :

غدا مُنَادِينَا مُحَكَّمًا فِينَا يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا نَأْسِينَا

بَحْرُ الهوى يُغْرِقُ	مَنْ فِيهِ جَهْدُهُ عَامُ
وَنَارُهُ تُحْرِقُ	مَنْ هَمٌّ أَوْ قَدْ هَامُ
وَرُبَّمَا يُقْلِقُ	فَتَى عَلَيْهِ نَامُ

قد غَيَّرَ الْأَجْسَامَ وَصَيَّرَ الْأَيَّامَ سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ بَيْضًا لَيَالِينَا

يَا صَاحِبَ النَّجْوَى	قِفْ وَاسْتَمِعْ مِنِّي
إِيَّاكَ أَنْ تَهْوَى	إِنَّ الهوى يُضْنِي
لَا تَقْرَبِ الْبَلْوَى	اسْمَعْ وَقُلْ عَنِّي

بِحَارِهِ مَرَّةً خُضْنَا عَلَى غَيْرِهِ حِينًا فَقَامَ بِهَا لِلنَّعْيِ نَاعِينَا

مَنْ هَامَ بِالْغَيْدِ	لَاقَى بِهِمْ هَمًا
بَذَلْتُ مَجْهُودِي	لِأَخْصَوْرٍ أَلْمَى
بِهِمْ بِالْجُودِ	وَرَدَ مَا هَمًا

١ ك : غص .

٢ ق : ومن غريب .

وعندما قد جاد بالوصل أو قد كاد أضحي التناهي بديلاً من تدانينا

بيحَقَّ ما بيَّني وبَيَّنَكُمْ إلا
أَقَرَّرْتُكُمْ عَيْتِي فَتَجْمَعُوا الشَّمْلَا
فَالْعَيْنُ بِالْبَيْنِ بِفَقْدِكُمْ أَبْلى

جديداً ما قد كان بالأهل والإخوان وموِّد اللهو صافٍ من تصافينا

يا جيرةً بَانَتْ عَنْ مُغْرَمٍ صَبَّ
لَعْنُهُ خَانَتْ مِنْ غَيْرِ ما ذَنْبِ
ما هَكَذَا كَانَتْ عِبَائِدُ الْعُسْرِ

لا تحسبوا البُعْدُ يُغَيِّرُ العهدا إذ طالما غيَّرَ النَّايُ المحبِّينا

يا نازلاً بالبَّانِ بالشَّقْعِ وَالْوَتْرِ
وَالنَّمْلِ وَالْفَرْقَانِ وَاللَّيْلِ آذَا يَسْرِ
وَسُورَةِ الرَّحْمَنِ وَالنَّحْلِ وَالْحَجْرِ

هل حل في الأديان أن يقتل الظَّمان من كان صرف الهوى والود يسقينا

يا سائل القطرِ عَرَجَ عَلَى الْوَادِي
مِنْ سَاكِنِي بَدْرِ وَقِفْتُ بِهِمْ نَادِي
عسى صَباً تَسْرِي لِمَغْرَمٍ صَادِي

إن شئت تُحِينَا بَلِّغْ تَحِينَا من لو على البُعْدِ حياً كان يحِينَا

وَأَنْتَ لَنَا أَيَّامَ كَانَتْهَا أَعْوَامَ
وَكَانَ لِي أَعْوَامَ كَانَتْهَا أَيَّامَ

تَمُرُّ كالأحلام بالوصلِ لي لو دام
والكأسُ مُتَرَعَةً . حُتَّتْ مُشْعَشَعَةً فينا الشَّمولُ وغَنَانَا مُغَنِّينَا

* * *

[٢ - من ترجمة بني القبطورية]

رجع إلى ما يتعلق بقرطبة : قال الوزير أبو بكر بن القَبْطُرُونِي ، يخاطب
الوزير أبا الحسين بن سراج ، ويذكر لَمَّةً من إخوانه بقرطبة ^١ :

يا سيدي . وأبي هوَى وجَلالةٌ ورسولٌ وُدِّي إن طلبت رسولا
عَرَجَ بقرطبةٍ ولُدُّ إن جئتُها ^٢ بأبي الحسين وناديه تمويلا ^٣
فلإذا سعدتَ بنظرةٍ من وجهه فاهدِ السلامَ لكفِّه تقييلا
واذكر له شكري وشوقي جملا ^٤ ولو استطعتَ شرحته تفصيلا
بتحيةٍ تُهْدِي إِلَيْهِ كَأَنَّمَا جَرَّتْ على زهرِ الرياضِ ذُبُولَا
وأشم منها المصحفي على النوى نَفْسًا يَنْسِي السوسن المبلولا
وإلى أبي مَرْوَانَ مِنْهُ نَفْخَةٌ - تُهْدِي له بُورَ الرُّبَى مَطْلُولَا
وإذا لقيتَ الأخطبي فَسَقَةٍ - من صفوِ وُدِّي قرقفًا وشَمُولَا
وأبو عليٍّ سَقٍ ^٥ مِنْهَا رِبْعَةٌ - مَسْكَأَ بِمَاءِ غمامةٍ محلولا
واذكر لهم زمناً يهبُ نسيمةً أَصْلًا كَنَفَتْ الرَاقِيَاتِ عِلِيلَا
موليٍّ وموليٍّ نعمةٍ وكرامةٍ وَأَنَا إِخَاءَ غَلَصًا وخليلا

١ مر بعض هذه الأبيات فيما تقدم ص : ١٥٦ وانظر القلائد : ١٥٢ .

٢ ق ط ج : إن أنت بلغتها .

٣ ك : تمويلا ؛ والتمويل : أن تقول « يا مولاي » .

٤ ك : سرده .

٥ القلائد : وأبا علي بل .

بالخيّر ما عبت هناك غمامة إلاّ تضاحك إذخيراً وجليلاً
يوماً وليلاً كان ذلك كله سحراً وهذا بكرة وأصيلاً
لا أدركت تلك الأهلّة دهرها نقصاً ولا تلك النجوم أفولاً

قال أبو نصر : الخير الذي ذكره هنا هو خير الزّجالي خارج باب اليهود
بقرطبة الذي يقول فيه أبو عامر بن شهيد^١ :

لقد أطلعوا عند باب اليهود شمساً أبي الحسن أن تكسفا
تراه اليهود على بابها أميراً فتَحَسَّبَهُ يوسُفاً

وهذا الخير من أبدع المواضع وأجملها ، وأتمها حسناً وأكملها ، صحنه
مرمر صافي البياض ، يخرقه جدول كالحية النّضناض ، به جابية ، كل بلحة
بها كابية ، قد قربصت بالذهب واللازورد سماؤه ، وتأزّرت بهما جوانبه
وأرجاؤه ، والروض قد اعتدلت أسطاره ، وابتسمت من كرائمها أزهاره ،
ومنع الشمس أن ترمق ثراه ، وتعطر النسيم بهبويه عليه ومَسْرله ، شهدت
له ليالي وأياماً كأنما تصورت من لمحات الأحباب ، أو قدّدت من صفحات
أيام الشباب ، وكانت لأبي عامر بن شهيد به فرج وراحات ، أعطاه فيها الدهر
ما شاء ، ووالى عليه الصبح والانشاء ، وكان هو وصاحب الروض المدفون
بإزائه أليف صَبْوة ، وحليف نشوة ، عكفا فيه على جريالهما ، وتصرفا بين
زَهْوِيهما واختيالهما ، حتى ردّاهما الردى ، وعداهما الحيام عن ذلك المدى ،
فتجاورا في الممات ، تجاورهما في الحياة ، وتقلصت عنهما وارفات تلك القبيات ،
وإلى ذلك العهد أشار ابن شهيد وبه عرّض ، وبشوقه صحح وما مرض ،
حيث يقول عند موته يخاطب أبا مروان صاحبه وأمر أن يُدفن بإزائه ويُكتب

١ القلائد : ١٥٣ وديوان ابن شهيد : ١٠٠ ؛ وقد مرا في الكتاب ص : ١٥٦ .

على قبره^١ :

يا صاحبي قم فقد أطلنا أنحن طول المدى هجود^٢
فقال لي : لن نقوم منها . ما دام من فوقنا الصعيد
تذكركم ليلة نعيمنا في ظلها والزمان عيد
وكم سرور همتي علينا سحابة ثرة تجود ؟
كل كأن لم يكن تقضى^٣ وشؤمه حاضر عتيد
حصلة كاتب حفيظ وضمة صادق شهيد
يا ويلنا إن تنكبنا رحمة من بطشه شديد
يا رب عفوا فأنت مولى قصّر في أمرك العبيد

انتهى .

ثم قال بعد كلام^٤ : وركب أبو الحسن ابن القبطرنة إلى سوق الدواب
بقرطبة ومعه أبو الحسين ابن سراج ، فنظر إلى أبي الحكم ابن حزم غلاماً كما
عتق تائه ، وهو يروق كأنه زهر فارق كئامه ، فسأل أبا الحسين ابن سراج
أن يقول فيه ، فأرتج عليه ، فثنى عنان القول إليه ، فقال :

رأى صاحبي عمراً فكلف وصفه وحملتني من ذاك ما ليس في الطوق
فقلت له : عمرو كعمرو ، فقال لي : صدقت ولكن ذاك شب على الطوق^٤

وكان بنو القبطرنة بالأندلس أشهر من نار على علم ، وقد تصرفوا في
البراعة والقلم ، ولهم الوزارة المذكورة ، والفضائل المشكورة ، ولذا قال أبو

١ القلائد : ١٥٣ والديوان : ٤٦ واللعيرة ١ / ١ : ٢٨٧ .

٢ ك : فغيره مرمعاً تقضى .

٣ القلائد : ١٥٥ .

٤ ق ط ج : ذا أشب على الطوق .

نصبر في حقهم ما صورته^١ :

هم للمجد كالآثافي ، وما منهم إلا موفور القوادم والخوافي ، إن ظهوروا ،
زَهَرُوا ، وإن تجمَعُوا ، تَضَوَّعُوا ، وإن نطقوا ، صدقوا ، ماؤهم صفو ،
وكل واحد منهم لصاحبه كُفُو ، أنارت بهم نجومُ المعالي وشموسُها ، ودانت
لهم أرواحُها ونفوسُها ، ولهم النظام الصافي الزجاجي ، المضمحل العجاجة ،
انتهى .

ثم قال^٢ : وبات منهم أبو محمد مع أخويه في أيام صباه ، واستطابة^٣ جَنُوب
الشَّباب وصباه ، بالمنية المسماة بالبديع ، وهو روض كان المتوكل يَكْلِفُ
بموافاته ، ويبتهج بحسن صفاته ، ويقطف رباحينته وزَهَرَه ، ويوقف عليه
لغفاهُ وسَهَرَه ، ويستغزئه الطرب متى ذكره ، وينتهز فرصَ الأئس فيه
رَوَّحاته وبُكْرَه ، ويدير حُمَيَّاه على ضفة نهره ، ويخلع سره فيه لطاعة جهره ،
ومعه أخواه فطاردوا اللذات حتى أنفضوها ، ولبسوا برود السرور وما نَضَبُوها ،
حتى صرعتهم العُقار ، وطلحتهم تلك الأوقار ، فلما همَّ رداء الفجر أن
يَسْنِدَ ، وجينُ الصبح أن يتبدَّى ، قام الوزير أبو محمد فقال :

يا شقيقي وافى الصباحُ بوجهي سترَ الليلَ نوره وبهاؤه
فاضطربحْ واغتمْ مَسْرَةَ يومٍ لستَ تدري بما يجيء مساؤه

ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال^٤ :

يا أخي قُسمْ تَرَ النَّسِيمَ عليلاً باكرِ الرِّوَضَ والمدامَ شَمُولاً
لا تَنَسِّمْ واغتمْ مَسْرَةَ يومٍ إنَّ تحتَ الترابِ نوماً طويلاً

١ القلاد : ١٤٨ .

٢ القلاد : ١٥١ .

٣ القلاد : استطابته .

٤ القلاد : ١٥١ والمغرب ١ : ٣٦٧ .

في رياضٍ تعانقُ الزهرُ فيها مثلَ ما عانق الخليلُ الخليلاً^١

ثمَّ استيقظ أخوهما أبو الحسن ، وقد هبَّ من غفلة الوَسَن^٢ ، فقال :

يا صاحبي ذرَّا لَوْمي ومَعْتَبِي قُمْ تَصْطَبِخْ خَمْرَةً من خَيْرِ ما ذَخَرُوا
وبادِرًا . غفلةَ الأيامِ واغْتَنِمَا فالْيَوْمَ خمرٌ ويَبْدُو في غَدٍ خَيْرٌ^٣

وساق صاحبُ البدائع هذه القصة فقال^٤ : وذكر الفتح ما هذا معناه أنه
خرج الوزراء بنو القبطرنة إلى المنية المسماة بالبديع ، وهو روض قد اخضرت
مسارحُ نباته ، واخضلت مساري هباته ، ودمعت بالطلَّ عيونُ أزهاره ،
وذاب على زبرجده بتور أنهاره ، وتجمعت فيه المحاسن المتفرقة ، وأضحت
مقلَّ الحوادث عنه مطرقة ، فخيولُ النسيم تركض في ميادينه فلا تكبُّو ،
ونُصولُ السواقي تحسمُ أدواء الشجر فلا تنبو ، والزروع قد نقبت وجه الثرى ،
وحجبت الأرض عن العيون فما تبصر ولا تُرى ، وكان المتوكل بن الألفطس
يَعُدُّه غاية الأرب ، ويَعُدُّه مشهداً^٥ للطرب ، ومدفعاً للكرب ، فباتوا فيه ليلتهم
يديرولن لحن هُلب يتمنون فيه الخلود ، ويتحسَّون ذَوْبَ ذهب لا يُصْهر
به ما في بطونهم والجلود ، حتى تركتهم ابنة الخاوية ، كأنهم أعجازُ نخل خاوية ،
فلما هزم روميُّ الصباح زنجيَّ الظلام ، ونادى الديكُ حيَّ على المُدام ، انتبه

١ ك : الخليل خليلاً ..

٢ القلاله : وقد ذهب عن عقله الوسن .

٣ هو من قول بشار :

اليوم هم ويبدو في غد خير والدمر ما بين إنعام وإيأس

وأصله من قول امرئ القيس : اليوم خمر وغداً أمر .

٤ البدائع ٢ : ١٤٠ .

٥ البدائع : تصول لحسم .

٦ البدائع : منبهة .

كبيرهم أبو محمد مستعجلاً ، وأنشد مرتجلاً « يا شقيقي . . . الخ » فانتبه أخوه أبو بكر لصوته ، وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته ، وأنه أخاهما أبا الحسن وهو يرتجل « يا أخي قم تر النسيم . . . الخ » فانتبه أخوه لكلامه ، دافعاً لذة منامه للذة قيامه ، وارتنجلاً « يا صاحبي ذرّاً . . . الخ » انتهى .

قال الفتح ^١ : ولما أمر المعتمد بن عباد أبا بكر بن القبطرنة السابق الذكر مع الوزير أبي الحسين ابن سراج بقاء ذي الوزارتين أبي الحسن ابن اليسع القائد والمشي إليه ، والتزول عليه ، تنوياً لمقدمه ^٢ ، وتنبيهاً على حظوته لديه وتقديمه ، فصارا إلى بابه ، فوجداه مقفراً من حُجابه ، فاستغرباً خلّوه من خول ، وظنّ كل واحد منهما وتأول ، ثم أجمعا على قَرع الباب ، ورفع ذلك الارتباب ، فخرج وهو دهش ، وأشار إليهما بالتحية ويده ترتعش ، وأنزلهما ختجلاً ، ومشى بين أيديهما عَجِلاً ، وأشار إلى شخص فتوارى بالحجاب ، وبارى الريح سرعة في الاحتجاب ، فقعدا ومُقلّة الخيشف ، ترمق من خلال السجف ، فانصرفا عنه ، وعزّما أن يكتبا إليه بما فهما منه ، فكتبا إليه :

سَمِعْنَا خَشْفَةَ الْخِشْفِ وَشَمْنَا طَرْفَةَ الطَّرْفِ
وَصَدَقْنَا وَلَمْ نَقْطَعْ وَكَلَبْنَا وَلَمْ نَنْفِ
وَأَغْضَيْنَا لِإِجْلَالِ لَكَ عَنْ أَكْرَمَةِ الظَّرْفِ
وَلَمْ تُنْصِفْ وَقَدْ جِئْنَا لَكَ مَا نَنْهَضُ مِنْ ضَعْفِ
وَكَانَ الْحُكْمُ أَنْ تَحْمِلَ لَوْ أَوْ تُرْدِفَ فِي الرَّدْفِ

١ انظر القلائد : ١٦٨ .

٢ أهله بنو اليسع كانوا أعيان حصن قولبة من عمل بسطة ، وكان الأمير أبو الحسن يتولى مرسية للمعتمد بن عباد فتأثر عليه أهلها وعلموه ، ووصفه الفتح بأنه كان صاحب بطالة وراحة (انظر ترجمته في القلائد : ١٦٧ والمغرب ٢ : ٨٧ والحلة السراء ٢ : ١٧٢) .

٣ لك : بمقدمه .

٤ دوزي : الحق .

فراجعهما في الحين^١ بقطعة منها :

أيا أسقي على حالٍ سُلِبْتُ^٢ بها من الظرفِ
ويا لهفي على جهلي بصنفٍ كان من صنفٍ^٣

انتهى . ولأهل الأندلس في مغاني الأئس الحسان ، ما لا يفني به لسان .

* * *

[٣ - من ترجمة ابن حسداي]

وقال الفتح في ترجمة الوزير أبي الفضل بن حسداي ، بعد كلام ، ما صورته^٤ : فمئنا هذه القطعة التي أطلعتها نيرة ، وترك الألباب بها متحيرة ، في يوم كان عند المقتدر بالله مع عليّة ، قد اتخلوا المجد حليّة ، والأمل قد سقر لهم عن مُحَيّاه ، وعبق لهم عن رَيّاه ، فصافحه الكل منهم وحَيّاه ، وشمس الراح ، دائرة على فلك الراح ، والملك ينشر فضله ، وينثر وابله وطّله ، يُسدي العلاء ، ويهب الغنى والغناء ، فصَدَحَت الغواني ، وأفصحت الثالث والثاني ، بما استنزل من مرّقب الوقار ، وسرى في النفوس مسرى العقار :

توريدُ خَدَكْ للأحداق لَدَاتُ عليه من حَثِيرِ الأصداغ لَامَاتُ
نِيرَانُ هَجْرِكَ للعُشاق نَارُ لَطَيِ لَكِنْ وَصَلَكْ إِنْ وَاصَلَتْ جَنَاتُ
كَأَنَّمَا الرَّاحُ وَالرَّاحَاتُ تَحْمِلُهَا بُدُورُ نَيْمٍ وَأَيْدِي الشَّرْبِ هَالَاتُ
حُشَاشَةٌ مَا تَرَكْنَا الْمَاءَ يَقْتُلُهَا إِلَّا لَتَحْيَا بِهَا مَنَا حُشَاشَاتُ

١ في نسخة : فراجعهما أبو الحسن .

٢ دوزي : سلّت .

٣ في ق ط : بنصف كان من نصف ؛ ج : لضيّف كان من ضيّف .

٤ القلائد : ١٨٣ .

قد كان في كأسها من قبلها ثِقَلٌ فحَفَّ إذ مُلِئَتْ منها الرُّجَاجَاتُ
عَهْدٌ لِيُبَيِّنَ تَقَاضِيَهُ الْأَمَانَاتُ بَانَتْ وما قُضِيَتْ منها لُبَانَاتُ
يُدْنِي التَّوَهُّمُ لِلْمَشْتَاكِ مُنْتَرِحاً من الأمور ، وفي الأوهامِ رَاحَاتُ
تُقْضَى عِدَاتُ إِذَا هَبَّ الْكَرَى ، وَإِذَا هَبَّ النِّسِيمُ فَقَدْ تُهْدَى نَحِيَّاتُ
زُورٌ يُعَلِّلُ قَلْبُ الْمُسْتَهَامِ بِهِ دَهْرًا ، وَقَدْ بَقِيَتْ فِي النَفْسِ حَاجَاتُ
لَعَلَّ عَتَبَ اللَّيَالِي أَنْ يَعُودَ إِلَى عَتْبِي فَتُبْلَغَ أَوْطَارُ وَلَدَاتُ
حَتَّى نَقُوزَ بِمَا جَادَ الْخَيَالُ بِهِ فَرُبَّمَا صَدَقَتْ تِلْكَ الْمَنَامَاتُ

ولما أعرس المستعين بالله^٢ بينت الوزير الأجل^٣ أبي بكر بن عبد العزيز^٤
احتفل أبوه المؤمن في ذلك احتفالاً شهرة ، وأبدع فيه إبداعاً راق من حضره
وبهره ، فإنه أحضر فيه من الآلات المبتدعة ، والأدوات المخترعة ، ما بهر
الآلباب ، وقطع دون معرفتها الأسباب ، واستدعى إليه جميع أعيان الأندلس ،
من: دان وقاص ، ومطيع وعاص ، فأتوه مسرعين ، ولبؤه متبرعين ، وكان
مُدِيرَ تِلْكَ الْأَرَاءِ وَمُدَبِّرَهَا ، ومنشئ مخاطباتها ومُحِبِّهَا ، الوزير الكاتب
أبو الفضل ، وصدرت عنه في ذلك الوقت كتب ظهر إعجازها ، وبهر اقتضاها
وليجازها ، فمن ذلك ما خاطب به صاحب المظالم أبا عبد الرحمن بن طاهر^٥ :

١ القلائد : عاد .

٢ المستعين بالله : أحمد بن محمد بن سليمان بن هود ، تولى الحكم بعد أبيه المؤمن محمد بن المقتر
أحمد سنة ٤٧٨ وظل في الحكم حتى سنة ٥٠١ ، ولم يكن من نزهة يوسف بن تاشفين عن الحكم
من أمراء الطوائف .

٣ أبو بكر بن عبد العزيز كان وزيراً ببلنسية للمظفر عبد الملك بن المنصور عبد العزيز بن الناصر
العامري (انظر ترجمته في القلائد : ١٦٣ وأعمال الأعلام : ٢٠٢) .

٤ أبو عبد الرحمن بن طاهر ، محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر : قام بأمر مرسية حيناً حتى ثار
عليه أهلها واستفتوا بالمعتمد بن عباد فأرسل إليه ابن عمار فأخذها منه وعندئذ انحاز ابن طاهر إلى
بلنسية وظل فيها حتى توفي سنة ٥٠٧ هـ . (انظر ترجمته في القلائد : ٥٦ والخيرة - القمم
الثالث : ٨ والمغرب ٢ : ٢٤٧ وأعمال الأعلام : ٢٠١) . وفي طبع : أبا عبد الله ابن طاهر .

محلّك أعزّك الله^١ في طيّ الجوانح ثابتٌ وإن نرحت الدار ، وعيائُك في أجناء الضلوع بادٍ وإن شحطَ المزار ، فالنفس فائزة منك بتمثّل الخاطر بأوفر الحظ ، والعين نازعة إلى أن تمتع من لقاءك بظفّر اللحظ ، فلا عائدة أسبغُ برّدا ، ولا موهبة أسوِّغُ ورّدا ، من تفضلك بالخفوف^٢ إلى مأنسٍ يتم بمشاهدتك الثمائم ، ويتصل بمحاضرتك انتظامه ، ولك فضل الإجمال ، بالإمتاع من ذلك بأعظم الآمال ، وأنا أعزّك الله على شرف سُوددك حاكم ، وعلى مَشْرِع سائلك حائم ، وحسبي ما تتحقّقه من نزاعي وتشوّقي ، وتتيقنه من تطلعي وتوقّي ، وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة ، واعترض الاقتراح باستحباب^٣ الصلة ، وأنت وصلّ الله سعّدك بسماحة شيمك ، وبارع كرمك ، تُنشئ للمؤانسة عهدا ، وتُوري بالمكارمة زُنّدا ، وتقتضي بالمشاركة شكراً حافلاً وحمداً ، لا زلت مهنتاً بالسعود المقبلة ، مُسوِّغاً اجتلاء غرر الأمانى المتلهلة ، بمنّه ، انتهى .

ثم قال بعد هذا يبسير ، ما نصّه^٤ : وركب المستعين بالله يوماً نهرَ سَرَقُسْطَة يريد طيرآدَ لذته ، وارتياذ نزهته ، وافتقاد أحد حصونه المنتظمة بلبّته ، واجتمع له من أصحابه ، من اختصه لاستصحابه ، وفيهم أبو الفضل مشاهداً لانفراجهم ، سالكاً لمنهاجهم ، والمستعين قد أحضر من آلات إيناسه ، وأظهر من أنواع ذلك وأجناسه ، ما رآقَ مَنْ حضر ، وفاق حسنه الروض الأنضر ، والزوارق قد حفّت به ، والنفت بجوانبه ، ونغمات الأوتار تحبس السائر عن عدّوه ، ونخرس الطائر المُفْصِح بشدّوه ، السمك تثيرها المكاييد ، وتغوص إليها المصايد ، فتبرز منها للعين ، قُضبان درٍ أو سبائك لجّين ، والراح لا

١ ق : نصرّك الله .

٢ ك : بالحق .

٣ القلائد : الانزاح بارتقاب .

٤ القلائد : ١٨٥ .

يطمس لها لمع ، ولا يبخر منها بصر ولا سمع ، والدهر قد غضت صروفه ،
واقص من نكره معروفه ، فقال :

لله يومٌ أنيقٌ واضحُ الغررِ - مَقْصَصٌ مُذْهَبُ الآصالِ والبُكرِ
كأتما الدهرُ لما ساءَ أعتَبنا فيه بعُتبي وأبدي صفحَ مُعتدِرِ
نسيرُ في زورقِ حَفِّ السَّفينِ به من جانيه بمنظومٍ ومُنْتَشِرِ
مُدَّ الشراعُ بهِ نَشراً على مَلِكٍ بَدَأَ الأوائلَ في أيامِهِ الأُخِرِ
هو الإمامُ الهمامُ المستعينُ حوى علياء مؤتمنٍ عن هَدْيِ مُقتدِرِ
تحوي السفينةُ مِنْهُ آيةٌ عَجَباً بحرٌ تَجَمَّعَ حتى صارَ في نَهَرِ
تُصاد من قَعَرِهِ النِّيانُ مُصْعَدَةً صيداً كما ظفرَ الغَوَاصُ بالدُرِّ
وللندامى به عَبٌّ ومُرْتَشَفٌ كالريقِ يَعدُّبُ في وِرْدٍ وفي صَدَرِ
والشَّربُ في مدحِ مولَى خَلَقَهُ زَهَرٌ يَذْكُو وغرَّتْهُ أُمِّي من القَمَرِ

* * *

[٤ - من ترجمة ابن السيد]

وقال في ترجمة العلامة الكبير ، الأستاذ أبي محمد عبد الله بن السيد
البطلوسي شارح أدب الكتاب^٢ وسقط الزند وغيرهما ، ما صورته^٣ : أخبرني
أنه حضر مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمح إليها
المنى ، ومَرَّأها هو المقترح والتمنى ، والمأمون قد احتسبى ، وأفاض الحبا ،
والمجلسُ يروق كالشمس في أفقه ، والبدر [كالتاج]^٤ في مفرقه ، والنور
عيق ، وعلى ماء النهر مُصْطَبِحٌ ومُخْتَبِقٌ ، والدولاب يثنُ كناقاة إثر الحُوار ،
أو كَشَكْلِي من حرِّ الأوار ، والجو قد عَنَبَرَتْهُ أنواؤه ، والروض قد رَشَتْهُ

١ القلائد : في ود مولى .

٢ ك : أدب الكاتب .

٣ القلائد : ١٩٣ .

٤ زيادة من القلائد .

أندائه ، والأسد قد فَعَرَت أفواهها ، ومجت أمواهها ، فقال :

يا مَنظَرًا إنْ نَظَرْتُ بِهِجَتَهُ أَذْكَرَني حُسْنَ جَنَّةِ الخُلْدِ
تُرْبَةُ مَسْكٍ ، وَجَوْ عَثْبَرَةٍ ، وَغَيْمٌ نَدٌّ ، وَطَشٌ ما وَرَدِ
والماء كاللَّازُورْدِ قد نَظَمَت فِيهِ اللَّالِي فَوَاغِرُ الأسدِ
كَأَنَّمَا جائلُ الحِبابِ بِهِ يَلْعَبُ في جَانِبِهِ بالزُّرْدِ
تَراهُ يَزْهُو إذا يَحُلُّ بِهِ الـ حَامُونُ زَهْوِ الفَتاةِ بالعَقْدِ
تَخالهِ إنْ بَدَأَ بِهِ قَمَرًا نِمْأًا بَدَأَ في مَطالِعِ السَّعْدِ^٢
كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْ حَدَائِقَهُ ما حازَ من شِيمةٍ ومن مَجْدِ
كَأَنَّمَا جادَها فَرَوَضَها بَوابِلِ من بِمِينَةٍ رَغْدِ
لا زَالَ في رِفْعَةٍ^٣ مُضاعِفَةٍ مَتَمَّ الرُّفْدِ وآرِي الزُّنْدِ

وقال في وصف هذا المجلس بعينه ، في الكتاب الذي أفردَه لترجمة ابن
السَّيِّد ، ما صورته^٤ : فمن ذلك أَنَّهُ حضر مع القادر بالله بنِ ذي النون بمجلس
الناعورة بطُلَيْطَلَة في المنيّة المتناهية البهاء والإشراق ، المباهية لزُوراء العراق ،
التي ينفح شِدَّاءُها العَطر ، ويكاد من الغَضارة يُمَطِّر ، والقادر بالله رحمه
الله قد التحف الوَقار وارْتداه ، وحكَّم العُقارَ في جوده وفداه ، والمجلسُ
يشرق كالشمس في الحمل ، ومن حواه^٥ يبتهج كالنفس عند منال الأمل ، والزهر
عَبِق ، وعلى ماء النهر مُصْطَبِح ومَغْتَبِق ، والدولابُ يثنُّ كَنَاقَة إثر حُوار ،
إلى آخر ما سبق .

١ ط ج : يزهي -

٢ قبل هذا البيت في القلائد : « ومنها » .

٣ ق ط ج : في عزة .

٤ هذا التأليف الذي أفردَه الفتح لابن السَّيِّد أورده المقرئ بمجلته في أزهار الرياض ٣ : ١٠٣ والنص

الوارد هنا ثابت في الأزهار ص : ١٠٧ .

٥ ط : حماء .

وقال ابن ظافر^١ في وصف هذا المجلس حاذياً حذو الفتح ، ما صورته :
 حضر الأستاذ أبو محمد ابن السيد عند المأمون ابن ذي النون في بعض منزهاته ،
 في وقت^٢ طاب نعيمه ، وسرت بالسعود نجومه ، والروض قد أجاد وشيته
 راقمه ، والماء قد جرت بين الأعشاب أراقمه ، وثم بركة مملوءة ، كأنها
 مرآة مجلوة ، قد اتخذت سباع الصفر بشاطئها غاباً ، ومجت بها من سائغ الماء
 لعاباً ، فكانتها آساد عيّن ، أدلعت ألسته من لجين ، وهي لا تزال تقلد
 الماء ولا تقتر ، وتنظم لآلي الحباب بعدما تنثر ، فأمره بوصف ذلك الموضع ،
 الذي تحيد^٣ إليه ركائب القلوب وتوضع ، فقال بديها « يا منظرأ . . . إلخ » ،
 انتهى .

ثم قال الفتح في هذا التصنيف بعد كلام في المذكور ، ما نصّه : وما أبدع
 قوله في وصف الراح ، والخصن على النبد للهموم والاطرّاح ، بمعاطاة كاسها ،
 وموالة ليناسها^٤ ، ومعاقرة دنانها ، واهتصار ثمار الفتوة وأفنانها^٥ ، والإعراض
 عن الأيام وأنكادها ، والجرى في ميدان الصبوة إلى أبعد آمادها :

نسل^١ الهموم إذا نبأ زمن . جمدامة - صفراء - كالذهب
 مزجت فمن دُرّ على ذهب . طاف ومن حبّس على لهب
 وكان^٢ ساقبها يثير شداً . مسك لدى الأقوام منتهب

ولله هو فقد ندب إلى المندوب ، وذهب إلى مداواة القلوب من الندوب ،
 وإبرائها من الآلام ، وإهدائها كلّ تحية وسلام ، وإبهاجها بأصال وبكر ،
 وعلاجها من هموم وفكر ، في زمن حليّ عاطله ، وجليّ في أحسن الصور

١ في ك ط ج : وقال الفصل ؛ وصوابه ما أثبت ، فهذا النص في يدائع البدائه ٢ : ٤٠ .

٢ البدائه : يوم .

٣ البدائه : تحب .

٤ أنهار الرياض : بمعاطاة كزوسها ، وموالة تأنيسها .

٥ ك : من أفنانها .

باطله ، ونفقت مُحالاته ، وطبقت أرضه وسماؤه استحالاته ، فليته كأسد ،
وذبه مُستأسد ، وحفاته تنمر ، وبغائه قد استنسر ، فلا استراحة إلا في مُعاطاة
حُميّا ، ومواخاة وسيم المحيّا ، وقد كان ابن عمار ذَهَب مذهب ، وقَضَبه
بالإبداع وذَهَبه ، حين دخل سَرَقُسطة ورأى غباوة أهلها ، وتكاثف جهلها ،
وشاهد منهم من لا يعلم معنى ولا فصلاً ، وواصل من لا يعرف قَطْعاً ولا
وصلاً ، فأقبل على راحيه يتعاطاها ، وعكف عليها ما تعدّها ولا تخطّاها ،
حتى بلغه أنهم نغموا مُعاقرة العقار ، وجالت ألسنتهم في توبيخه مَجالَ ذي
الفقار ، فقال :

نغمم علىّ الرّاح أدمنُ شربها وقلم فتى راحٍ وليس فتى مجدٍ
ومن ذا الذي قادَ الجيادَ إلى الوغى سيّوي ومن أعطى كثيراً ولم يُكْدِ ؟
فديتكم لم تفهموا السرّ ، إنّما قلّيتكم جهنّدي فأبعدتكم جهنّدي

ودعي ابن السّيد ليلة إلى مجلس قد احتشد فيه الأُنس والطرب ، وقرع فيه
السرورُ نبعه بالغرب ، ولاحت نجوم أكواسه ، وفاح نسيم رنّده وآسه ،
وأبدت صدور أباريقه أسرارها ، وضمت عليه المجالس أزارها ، والراح
يديرها أهيف أوطف ، والأمانى تُجنّى وتُقطّف ، فقال :

يا ربّ ليلٍ قد هتكت حجابهُ بمدامة وقّادة كالكوكبِ
يسعى بها أحوى الخفونِ كأنّها من خدّه ورّضاب فيه الأشنبِ
بدرانٍ بدرٌ قد أمّنت غروبه يسعى ببدر جانح للمغربِ
فلذا نيمت برشف بدر غارب فأنعم برشفه طالع لم يغربِ

١ ق ك ط ج ودوزي : وأضفائه تنسر ، وفي أزهار الرياض : وأحفاشه ، وكل ذلك خطأ ؛
والحفاث تحدث عنه الجاحظ في الحيوان (٤ : ١٤٧) فقال : « وفي البادية حية يقال لها الحفاث...
ولها وعيد منكر ونفخ وإظهار للصولة وليس وراء ذلك شيء ».

حتى ترى زهرَ النجوم كأنها حولَ المجرة رَبرَبٌ في مشربٍ
والليلُ مُنَحْفِزٌ^١ يطير غرابه والصَّبحُ يطرده بيازٍ أشهبٍ

ثم قال الفتح ، بعد كلام كثير ، ما صورته^٢ : ودخل - يعني ابن السيد - سَرَقُسطة أيام المستعين وهي جنة الدنيا ، وقتنة المحيا ، ومنتهى الوصف ، وموقف السرور والقصف ، ملك غير البشاشة ، كثير الهشاشة ، وملك أبهجُ الفناء ، أريجُ الأرجاء ، يروق المجتلي ، ويفوق النجم المعتلي ، وحضرة مناسبة الماء ، منجاة السماء ، يبسم زهرها ، وينساب نهرها ، وتفتح خمائلها ، وتتضوع صباها وشماثلها ، والحوادث لا تعترضها ، والكوارث لا تقرضها^٣ ، ونازلها من عرس إلى موسم ، وآبلها متصل بالأمان ومُتَسِّم ، فنزل منها في مثل الخورنق والسدير ، وتصرف فيها بين روضة وغدير ، فلم يخف على المستعين احتلاله^٤ ، ولم تخف لديه خلالة ، فذكره معلماً به ومعرفاً ، وأحضره مُنَوَّهاً به ومشرقاً ، وقد كان فرّ من ابن رزيق ، فرار السرور من نفس الحزين ، وخلص من اعتقاله ، خلوص السيف من صقاله ، فبال يمدحه^٥ :

همُ سلبوني حسن صبري إذ بانوا بأقمار أطواق مطالعها بانُ
لئن غادروني باللوى إن مهجتي مسيرة أظعانتهمُ حيثما كانوا
سقى عهدهم بالخيف عهدُ غمائم ينازعها نهرٌ من الدمع هتانُ
أحبابنا هل ذلك العهد راجعٌ وهل لي عنكم آخِر الدهر سلوانُ
ولي مقلّة عبّري وبين جوانحي فؤادٌ إلى لُقَيّاكم الدهر حنانُ
تنكرت الدنيا لنا بعد بُعدكم وحفت بنا من معضل الخطب ألوانُ

١ ك : منفجر .

٢ أزهار الرياض ٣ : ١٠٩

٣ ك : تقرضها .

٤ الأزهار : اختلاله ؛ ج : اجلاله .

٥ انظر القلائد أيضاً : ١٩٩ .

أناخت بنا في أرض شتَمَرِيَّةٍ
وشِمْنَا بروقاً للمواعيد أتعبت
فسِرْنَا وما نُلوي على متعذر
ولا زاد إلا ما انتشته من الصِّبَا
رحلنا سَوَامَ الحمد^٢ عنها لغيرها
إلى ملك حاباه بالمجد يوسف
إلى مُسْتَعِينٍ بالإله مؤيد ،
جَفَّتْنَا بلا جرم - كأنَّ مودَّةً
ولم تُفِدْ منَّا سوى الشعر وحده
فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسباً
ولا نحن ممن يرتضي الشعر خُطَّةً
ومن أوهمته غير ذاك ظنونه
خليلي من يُعدي علي زمن له
وهل ريء من قلبي غريق مدامع
وهل طرقت عين لمجد ولم يكن
بوجه ابن هود كلما غرض الورى
ففي المجد في بُردية بدر وضيم
من النفر الشم الذين أكفهم
ليوث شرى ما زال منهم لدى الوغى
وهل فوق ما قد شاد مقتدر لهم
ألا ليس فخر في الورى غير فخرهم

هو اجس ظن خان والظن خوان
نواظرنا دهرأ ولم يهتم تيهتان^١
إذا وطن أقصاك آوتك أوطان
أنوف وخازته من الماء لجفان
فلا ماؤها صدها ولا النبت سعدان^٣
وشاد له البيت الرفيع سليمان
له النصر حزب والمقادير أعوان
فنى نحونا منها الأعنة شنان
لحق لنا ير عليه وإحسان
فيوجب للمكدي جفاء وحرمان
وإن قصرت عن شأونا فيه أعيان
فتم مجال للمقال وميذان
إذا ما قضى حيف علي وعدوان
يفيض بعينه الحيا وهو حران
لها مقلة من آل هود وإنسان
صحيقة إقبال لها البشر عُنوان
وبحر وقدس ذو المضاب وهلان
غيوث ولكن الخواطر نيران
هزبر بيمناه من السمر ثعبان
ومؤمن بالله لقيه إيمان
وإلا فإن الفخر زور وبهتان

١ لك والأزهار : هتان .

٢ لك : الخمر ؛ ط : الخمر .

٣ إشارة إلى المثل : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان .

فَتَيَا مُسْتَعِينًا مُسْتَعَانًا^١ لِمَنْ نَبَا بِهِ وَطَنُ يَوْمًا وَعَضَّتْهُ أَرْزَامُ^٢
كسوتك من نظمي قلادة مَفْخَر يباهي بها جيدُ الزمانِ^٣ وَيَزْدَانُ^٤
وإن قَصُرَتْ عَمَّا لَبِستُ فَرُبَّمَا تجاور^٥ در^٦ في النظامِ ومَرَّجَانُ^٧
معانٍ حَكَتْ غَنَجَ الحِسانِ كَأَنِّي بهن حبيب أو بَطَلْيُوسُ^٨ بَغْدَانِ
إذا غَرَسْتَ كَفَّكَ غَرَسَ مَكَارِم بأرضي أَجْنَتِكَ الثَّنَا مِنْهُ أَغْصَانُ^٩

وقال في وصف مجلس^٤ لأبي عيسى ابن لبون^٥ حضر إليه ابن السيد منوهاً قدره ، ما صورته^٦ : وأحضره^٧ إلى مجلس قام عنه الدهر وغفل ، وقام لفرط أنسه واحتفل ، قد يانت صُرُوفه ، ودنت من الزائر قطوفه ، وقال : هلم بنا إلى الاجتماع . بملهيك ، والاستمتاع بما شئت ببراعة^٧ أدبك ، فأقاموا يُعْمِلُونَ كاسهم ، ويصلون إيناسهم ، وباتوا ليلهم^٨ ما طرقتهم نوم ، ولا عداهم عن طيب اللذات سَوَم .

ثم قال بعد كلام كثير^٩ : وحضر ابن السيد عند عبد الرحمن الظافر بن ذي النون مجلساً رَفَعَتْ فِيهِ الْمَنَى لَوَاءَهَا ، وَتَحَلَّتْ عَلَيْهِ^{١٠} أَضْوَاءُهَا ، وَزَقَّتْ

.....

١ ك : مستعاناً .

٢ ك : جيد المعاني ؛ ط والأزهار : جيد المعالي .

٣ ط : تجاوز .

٤ ط ج ق : في وصفه مجلساً .

٥ أبو عيسى ابن لبون : هو لبون بن عبد العزيز بن لبون من أصحاب القادر بن ذي النون ، رأس بربيطر من أعمال بلنسية ثم نحل عنها لأبي مروان بن رزين ، وكان معدوداً في الأجواد موصوفاً بتجويد القريض (انظر ترجمته في الحلة ٢ : ١٦٧ والقلائد : ٩٩ والمغرب ٢ : ٣٧٦ والخيرة

— القسم الثالث : ٢٣) .

٦ أزهار الرياض ٣ : ١٢١ .

٧ ك : من براعة .

٨ ك : ليلتهم .

٩ أزهار الرياض ٣ : ١٢٧ .

١٠ زاد في الأزهار : الشمس .

إليه المسرات أبكارها ، وفارقت إليه الطير أوكارها ، فقال يصفه :

[ومجلس جمّ الملامي أزهرًا	الذّي الأجفان من طعم الكرى] ^١
لم ترَ عيني مثله ولا ترى	أنفَسَ في نفسي وأبهى منظرًا
إذا تردّى وشيّه المصورًا	من حوك صنعا وحوك عبقرًا
ونسج قرقوب ونسج تُسترا ^٢	خلت الربيع الطلق فيه نورًا
كأنما الإبريق حين قرقرا	قدّ أمّ ثم الكأس حين فغرا
وحشية ظلت تناغي جؤذرا	ترضيه الدّرّ ويرنو حدرا
كأنما معجّ عقيقًا أحمرًا	أوفت من رياه مسكًا أذفرا
أو عابد الرحمن يومًا ذكرًا	فتمّ مسكًا ذكره وعنبرا
الظافر الملك الذي من ظفرا	بقربه نال العلاء الأكبرا
لو أن كسرى راءه أو قبصرا	هكّل إكباراً له وكبيرا
تُبدي سماء الملك منه قمرا	إذا حجابُ المجد عنه سقرا
يا أيها المنضي المطايا بالسرى	تبغي غمامَ المكرمات المطرا

* * *

[٥ - من ترجمة ابن العطار]

وقال الفتح في ترجمة الأديب أبي القاسم ابن العطار ، ما صورته ^٣ :

هو أحد أدباء إشبيلية ونحاتها ، العامرين لأرجاء المعارف وساحاتها ، لولا مواصلة راحاته ، وتعطيل بؤكره وروحاته ، وموالاته للفرج ، ومغالاته في عرّف للأنس أو أرج ^٤ ، لا يُعرج إلا على ضفة نهر ، ولا يلهج ^٥ إلا بقطعة

١ زيادة من أزهار الرياض .

٢ تستر : مدينة بخوزستان ، وقرقوب : قرية من أعمالها .

٣ القلاله : ٢٨٤ (قلت : وانظر ترجمة أبي القاسم ابن العطار في المغرب ١ : ٢٥٤) .

٤ ك : عرف الأنس والأرج .

٥ ك : ولا يتهج .

زهر ، ولا يحفل بسلام ، ولا يتنقل^١ إلا في طاعة غلام ، ناهيك من رجل مخلوع
العنان في ميدان الصبابة ، مغرم بالحسان غرام يزيد بحبابة ، لا تراه إلا في
ذمة انهماك ، ولا تلقاه إلا في لئمة انهماك ، رافعاً لرايات الهوى ، فارعاً لثنيات
الجوى ، لا يقف فؤاده من كلف ، ولا يبيت إلا رهن تلف ، أكثر خلق
الله تعالى علاقة ، وأحضرهم لمشهد خلاقة^٢ ، مع جزالة تحرك السكون ،
وتضحك الطير في الوكون ، وقد أثبت له ما يرتجله^٣ في أوقات أنسه وساعاته ،
وينفث^٤ به أثناء زفراته ولوعاته ، فمن ذلك ما قاله في يوم ركب فيه النهر
على عادات انكشافه ، وارتضاعه لثغور اللذات وارتشافه^٥ :

عَبَرْنَا سماءَ النهرِ والجوِّ مُشْرِقٌ وليس لنا إلا الحجابَ نُجُومٌ
وقد ألبسته الأيكُ بُرْدَ ظِلَالِها وللشمس في تلك البرود رُقُومٌ
وله فيه :

مَرَرْنَا بِشاطِئِ النهرِ بينَ حَدائِقٍ بها حَدَقُ الأزهارِ تَسْتَوْقِفُ الحَدَقُ
وقد نَسَجَتْ كَفُ النسيمِ مُقَاضَةً عليه وما غيرُ الحبابِ لها حَلَقُ
وله :

هَبَّتِ الرِّيحُ بالعشيِّ فحاكتُ زَرَدًا للغديرِ ناهيكَ جُنَّةُ
وانجلي البدرُ بعدَ هَدْءِ فصاغتُ^٦ كَفَّهُ للقيالِ مِنْهُ أَسِيَّةُ

.....

- ١ القلائد : ينتقل عن المدام ، وفي ق ج ط : لم يحفل بسلام ولم يتنقل إلا . . . الخ .
- ٢ ج : خلاقة ؛ وقد أثبتنا دوزي في ملحق المعاجم « خلاقة » عن القلائد ، وقال : كأنها تعني (Réunion de debauchés) .
- ٣ هذه رواية ق ج ط والقلائد ؛ وفي ك : مما ارتجله .
- ٤ هذه رواية ج ط ق والقلائد ؛ وفي ك : ونفث .
- ٥ انظرهما أيضاً في المغرب ١ : ٢٥٤ .
- ٦ ق ط ج : بعد هذا فحاكت .

وقوله ١ :

لله بهجةٌ منزهةٌ ضربتَ بهِ فوقَ الغديرِ رواقها الأنشامُ
فمعَ الأصيلِ النهرُ دِرْعُ سابغٍ ومعَ الضحى يلتاحُ منه حُسامُ

وله :

ما كالعشيّة في رواءِ جمالها وبُلُوغِ نفسي مُنتهى آمالها
ما شئتُ شمسَ الأرضِ مُشرقةً السّنا والشمسُ قد شدّت مطيَّ رحالها
في حيثُ تنسابُ المياهُ أراقماً وتُعيّرُكَ الأفياءُ بُردَ ظلالها

وله :

لله حُسنٌ حديقةٌ بسّطت لنا منها النفوسَ سوافٌ ومعاطفُ
تُخالُ في حُللِ الربيعِ وحلّيه ومِنَ الربيعِ قلائدٌ ومطارِفُ

• • •

[٦ - من ترجمة ابن عمار]

وقال الفتح في ترجمة ابن عمار ٢ : أخبرني ذو الوزارتين الأجل أبو المطرف
ابن عبد العزيز أنّه حضر معهُ عند المؤتمن في يومٍ جادت فيه السماءُ بهطلها ،
وأُتبعَ وبَلّها بطلّها ، وأعقبَ ٣ رعدُها برقُها ، واتسكبَ دِراكُها ودُقُها ،
والأزهارُ قد تجلّت من كامها ، وتجلّت بدُرّ غمامها ، والأشجارُ قد جُلّي
صدّاهَا ، وتوشّحت بِنَدَاها ، وأكّوسُ الراح كأنّها كواكبٌ تتوقّد ، تديرُها
أناملُ تكاد من اللطافة تُعقّد ، إذا بفتى من فتیان المؤتمن أخرس لا يُفصح ،

١ هذه الأبيات متقدمة في القلائد على القطعتين اللتين قبلها ، وانظر المغرب ١ : ٢٥٤ .

٢ القلائد : ٨٥ .

٣ ج ط : وارتقب .

ومستعجم لا يبين ولا يوضح ، متمرّ تَنَمَّرَ الليث ، متمرّ كالبطل الفارس عند الغيث^١ ، وقد أفاض على نفسه دِرْعاً ، تضيق بها الأسنة ذِرْعاً ، وهو يريد استشارة المؤمن في التوجه^٢ إلى موضع بَعَثَهُ إليه ووجهه ، وكلُّ من صده عنه نهره ونَجْهَهُ ، حتى وصل إلى مكان انفراده ، ووقف بإزاء سادته^٣ ، فلما وقعت عينُ ابنِ عمار عليه ، أشار بيده إليه ، وقَرَّبَهُ واستدناهُ ، وضمَّته إليه كأنَّه تَبَتَّاه ، وحدّ^٤ أن يخلع عنه ذلك الغدير ، وأن يكون هو الساقى والمُدِير ، فأمره المؤمن بخلعه ، وطاعة أمره وسمعه ، فنَضَّاه عن جسمه ، وقام يسقي على حكمه ورسمه ، فلما دبت فيه الحميّا ، وشبَّ غرامه بهجةً ذلك المحيّا ، واستنزله سورة العُقار ، من مرقب الوقار ، قال :

وهَوَيْتُهُ يَسْقِي المدام كأنَّه - قمرٌ يَدُورُ بكَوْكَبٍ في مجلسٍ
متأرجحُ الحركات تَنَدَّى ربحُهُ - كالغصن هَزَّتْهُ الصَّبَا بِنَفْسٍ
يَسْعَى بكأسٍ في أنامل سَوَسَنِ - ويُديرُ أُخْرَى من حَاجِر نرجسٍ
يا حاملَ السيفِ الطويلِ نجادُهُ - ومُصَرِّفِ الفرسِ القصيرِ المحبسِ
إِيَّاكَ بادِرَةَ الوغى من فارسٍ - خَشِينِ القِنَاعِ على عِذارِ أُمْلَسٍ
جَهْمٍ وإن حَسَرَ اللثامُ^٥ فإنَّما - كَشَفَ الظلامُ عن النهارِ أَلَمْسِ
يَطْنِي ويلعبُ في دلالِ عِذارِهِ - كالمُهرِ يَمْرَحُ في اللجامِ المُجْرَسِ
سَلَّمَ فقد قصفَ القَنَا غصنُ النقا - وَسَطًا بليث الغابِ ظبيُّ المَكْنِيسِ
عَنَّا بكاسيكَ ، قد كَفَّتْنَا مَقْلَةً - حَوْرَاءَ قائِمة بسُكْرِ المجلسِ^٦

١ القلائد : متمرّ تشمر البطل الياسل عند النيث .

٢ القلائد : في الخروج .

٣ ق ج ط : اساده .

٤ هذه رواية القلائد : . واحد ؛ وفيك : وجد ؛ وفي ق ط ج : وأشار .

٥ دوزي : القناع ؛ ج : حذر اللثام .

٦ بعض أصول القلائد : رفع . ٧ بعض أصول القلائد : الأنفس .

وأورد هذه القصة صاحبُ البدائع بقوله^١ : حضر أبو المطرف ابن عبد العزيز عند المؤمن بن هود في يوم أجرى الجو فيه أشقرَ برقيهِ ، ورمى بنبل^٢ ودقه ، وتحملت^٣ الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها ، وتمايلت قاماتُ الأغصان في الحُلل الخضر من أوراقها^٤ ، والرياحُ قد أشرقت نجومُها في بروج الراح ، وحاکت شمسُها شمسَ الأفق فتلفت بغيوم الأقداح ، ومُدِيرُها قد ذاب ظرفاً فكاد يسيل من إهابه ، وأخجل خدَّها حسناً فتظلل بعرق حَبابه ، إذا بفتى من فتيان المؤمن قد أقبل مندرعاً كالبلدر اجتاب سحاباً ، والخمر قد اكتست حجاباً^٥ ، وقد جاء يريد استشارة المؤمن في الخروج إلى موضع كان عَوَّل فيه عليه ، وأمره أن يتوجه إليه ، فحين لمح ابنُ عمار والسكر قد استحوذ على لبِّه ، وبثَّ سراياه في ضواحي قلبه^٦ ، جدَّ في أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدِّلاص ، وأن يجلي عنه سَهْمَكَ كما يجلي الخبث عن الخِلاص ، وأن يكون هو الساقِ^٧ ، فأمره المؤمن بقبول أمره وامتناله ، واحتذاء مثاله ، فحين ظهرت تلك الشمس من حُجُبها ، ورُميت شياطين النفوس من كُميت المدام بشُهْبها ، ارتجل ابنُ عمار « وهويته ... إلخ » إلا أنه قال إثر قوله :

- ١ انظر بدائع البدائه ٢ : ١٣٣ وسرد هذا النص في الباب السابع من النفع .
- ٢ البدائع : بيندق .
- ٣ البدائع : وحملت .
- ٤ زاد في البدائع والباب السابع : والأزهار قد تفتحت عيونها والكمائم قد ظهر مكنونها ، والأشجار قد انصقلت بالقطر (بمدوس القطر) ؛ ونشرت ما يفوق ألوان البز ، وبثت ما يعلو أرواح العطر .
- ٥ بعدها في البدائع والباب السابع : والطاوس انقلب حجاباً ، فهو ملك حسناً إلا أنه جسد ، وغزال ليناً إلا أنه (في هيئة) الأسد .
- ٦ بعدها في البدائع والباب السابع : فأشار إليه وقربه واستبدع ذلك اللباس واستغريه وجد ...
- ٧ في البدائع والباب السابع : وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ، ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسه .

إِيَّاكَ بَادِرَةَ الْوَعَى مِنْ فَارِس

ما صورته :

يضع السنان على العِذار الأملس

ولابن عمار الرائية المشهورة في مدح المعتضد عباد والد المعتضد ، وهي^١ :
أدير المدامة^٢ فالنسيمُ قد انبرى والنجمُ قد صرف العينان عن السرى
والصبحُ قد أهدى لنا كافورة^٣ لَمَّا استردَّ الليلُ مِنَّا العنبرا
والروض كالخسنا كساه زهره^٤ وشيئا وقلَّده نداء جوهرا
أو كالغلام زها بورد خدوده^٥ خجلا وتاه بأسهين^٦ مُعتدرا
روض^٧ كأنَّ النهرَ فيه معصم^٨ صاف أطلَّ على رداء أخضرا
وتهزه ريح الصبا فتخاله^٩ سيف ابن عباد يبدد عسكرا
عباد^{١٠} المخضر نائل كفه^{١١} والجو قد ليس الرداء الأغبرا
ملك^{١٢} إذا ازدحم^{١٣} الملوك بمورد^{١٤} ونحاه لا يردون حتى يصدرا
أندى على الأكباد من قطر الندى^{١٥} وألذ في الأجفان من سنة الكرى
يختار إذ يهب الخريدة كاعبا^{١٦} والطرف أجرد والحسام مجوهرا
قد أح زندي^{١٧} المجد لا ينفك^{١٨} نار الوعى إلا إلى نار القيرى
لا خلقي أقرأ من شفار حسامه^{١٩} إن كنت شبهت المواكب أسطرا
أيقنت أني من ذراه^{٢٠} بجنة^{٢١} لما سقاني من نداء الكوثر
وعلمت^{٢٢} حقاً أن ربني مخصب^{٢٣} لما سألت^{٢٤} به الغمام المظير
من لا توازنه^{٢٥} الجبال إذا احتبي^{٢٦} من لا تسابقه الرياح إذا جرى
ماض^{٢٧} وصدر^{٢٨} الرمح يكهم^{٢٩} والظبا^{٣٠} تشبو وأيدي الخيل تعثر في الثرى

١ انظر القلائد : ٩٦ ومحمد بن صابر لصلاح خالص ص : ١٨٩ ولم تورد منها ج إلا بضعة أبيات وسائرهما بياض .

٢ ج : الزجاجة .

٣ القلائد : أسال .

قَادَ الْكَتَابِ كَالْكَوَاكِبِ فَوْقَهُمْ
 مِنْ كُلِّ أْبْيَضَ قَدْ تَقَلَّدَ أْبْيَضاً
 مَلِكٌ يَرُوقُكَ خَلْقُهُ أَوْ خَلْقُهُ
 أَقْسَمْتُ بِاسْمِ الْفَضْلِ حَتَّى شِمْتُهُ
 وَجَهَلْتُ مَعْنَى الْجُودِ حَتَّى زُرْتُهُ
 فَاحَ الثَّرَى مُتَعَطِّراً بِثَنَائِهِ
 وَتَوَجَّجْتُ بِالزَّهْرِ صُلُغٌ هَضَابِهِ
 هَضَرْتُ بِدِي غُصْنِ الْغِيِّ مِنْ كَفِّهِ
 حَسَنِي عَلَى الصُّنْعِ الَّذِي أَوْلَاهُ أَنْ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَازَ الْعُلَا
 السِّيفُ أَفْصَحُ مِنْ زِيَادِ خُطْبَةٍ
 مَا زِلْتُ تُغْنِي مَنْ عَنَّا لَكَ رَاجِياً
 حَتَّى حَلَلْتَ مِنَ الرِّيَاسَةِ مَحْجِيراً
 شَقِيتُ بِسَيْفِكَ أُمَّةً لَمْ تَعْتَقِدْ
 أَثْمَرَتْ رُمُوحَكَ مِنْ رُؤُوسِ مَلُوكِهِمْ
 وَصَبَغَتْ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ كُفَّائِهِمْ
 وَإِلَيْكَهَا كَالرُّوضِ زَارَتِهِ الصَّبَا
 نَمَقَّتُهَا وَشَيْئاً بِذِكْرِكَ مُذْهِباً
 مِنْ ذَا يُنَافِحُنِي وَذِكْرُكَ مَسْدَلٌ
 فَلَنْ وَجَدْتُ نَسِيمَ مَدْحِي عَاطِراً

مِنْ لَأَمِهِمْ مِثْلُ السَّحَابِ كَنَّهُوْرَا
 عَضْباً وَأَسْمَرَ قَدْ تَقَلَّدَ أَسْمَرَ
 كَالرُّوضِ يَحْسُنُ مَنَظَرَا أَوْ غَيْرَا
 فَرَأَيْتُهُ فِي بُرْدَتَيْهِ مُصَوَّراً
 فَقَرَأْتُهُ فِي رَاحَتَيْهِ مُفَسِّراً
 حَتَّى حَسِبْنَا كُلَّ تَرْبٍ عَشِيرَا
 حَتَّى ظَنَّنَا كُلَّ هَضْبٍ قَيْصَرَا
 وَجَنَّتْ بِهِ رَوْضَ الْمَرْوْرِ مَنُورَا
 أَسْعَى بِجِدَّةٍ أَوْ أَمُوتَ فَأَعْذَرَا
 وَحَبَاهُ مِنْهُ بِمِثْلِ حَمْدِي أَنُورَا
 فِي الْحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ مَنِيرَا
 نَيْلَا وَتُغْنِي مَنْ عَنَّا وَتَجَبَّرَا
 رَحْباً وَضِمَّتْ مِنْكَ طَرْفَا أَحُورَا
 إِلَّا الْيَهُودَ وَإِنْ تَسَمَّتْ بَرَبَّرَا
 لَمَّا رَأَيْتَ الْفُصْنَ يُعْشَقُ مِثْرَا
 لَمَّا عَلِمْتَ الْحَسْنَ يُلْبَسُ أَحْمَرَا
 وَحَنَّا عَلَيْهِ الطَّلُّ حَتَّى نُورَا
 وَفَتَقْتُهَا مِسْكَاً بِحَمْدِكَ أَذْفَرَا
 أَوْرَدْتُهُ مِنْ نَارِ فِكْرِي مِجْمَرَا
 فَلَقَدْ وَجَدْتُ نَسِيمَ بَرِّكَ أَعْطَرَا

• • •

١ الكنهوز : قطع السحاب .

[٧ - من ترجمة ابن وهبون]

وقال في ترجمة عبد الجليل بن وهبُون المُرسي^١ : ركب بإشييلية زورقاً في
نهرها الذي لا تدانيه الصَّراة ، ولا يضاهيه الفُرات ، في ليلة تنقبت بظلمتها^٢ ،
ولم يبدُ وَضَحٌ في دُهمتِها ، وبين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما في
اللجّة ، وزاد في تلك البهجة ، فقال :

كأنّما الشمعتانِ إذ سمّتا خدّاً غلامٍ مُحسّنٍ الغَيْدِ
وفي حشّا النهر من شعاعهما طريقٌ نارٍ الهوى إلى كبدي

وكان معه غلام البكري^٣ معاطياً للراح ، وجارياً في ميدان ذلك المراح ،
فلما جاء عبد الجليل بما جاء ، وحلّى^٤ للإبداع الجوانب والأرجاء ، حسده على
ذلك الارتجال ، وقال بين البطء والاستعجال :

أعجِبْ بِمَنْظَرِ لَيْلَةٍ لِيَلَاءٍ تُجَنِّي بِهَا اللَّذَاتُ فَوْقَ الْمَاءِ
فِي زُورْقٍ يَزْهُو بِغُرَّةٍ أَغْيَدٍ يَخْتَالُ مِثْلَ الْبَانَةِ الْغَيْثَاءِ
قَرَرْتُ يَدَاهُ الشَّمْعَتَيْنِ بِوَجْهِهِ كَالْبَدْرِ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْجُوزَاءِ
وَالْتَحَ تَحْتَ الْمَاءِ ضَوْؤُ جَبِينِهِ كَالْبَرْقِ يَخْفُقُ فِي غَمَامِ سَمَاءِ

* . . *

[٨ - من ترجمة ابن طاهر]

وقال الفتح رحمه الله^٥ : دعيتُ يوماً إلى منية المنصور بن أبي عامر ببلنسية ،

١ القلائد : ٢٤٢ .

٢ ق ج ط ك : في ظلمتها .

٣ هو أبو الحسن حكيم بن محمد غلام أبي عبيد البكري (انظر ترجمته في الذخيرة - ألقم الثاني -
٢٢٠ والقلائد : ٢٩٠ وبغية الملتصق من : ٢٦٥ والمساك : ١١ : ٣٨١ والمغرب ١ : ٢٤٨) .

٤ ق ط ج : وحل .

٥ القلائد : ٦٨ .

وهي منتهى الجمال ، ومزهى الصبأ والشمال ، على وهي بنائها ، وسكنى^١
 الحوادث برهة بفنائها^٢ ، فوافيتها والصبح قد ألبسها قميصه ، والحسن قد شرح
 بها عويصه ، وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض أبوابه ، وتوشحت بالأزر
 الذهبية^٣ أثوابه ، يخترقه جدول كالحسام المسلول ، وينساب فيه انسياب الأيم
 في الطلول ، وضيقاته بالأدواح محفوفة ، والمجلس يروق كالخريدة المزفوفة ،
 وفيه يقول علي^٤ بن أحمد أحد شعرائها ، وقد حله مع طائفة من وزرائها :

قم سقني^٥ والرياض^٦ لابس^٧ وشياً من النور حاكه القطر
 في مجلس^٨ كالسما^٩ لاح^{١٠} به^{١١} من وجه^{١٢} من قد هويته بدر^{١٣}
 والشمس قد عصفت غلائلها^{١٤} والأرض تندى ثيابها الخضر^{١٥}
 والنهر^{١٦} مثل^{١٧} المجرة حف^{١٨} به^{١٩} من الندامى كواكب^{٢٠} زهر^{٢١}

فحللت ذلك المجلس وفيه^{٢٢} أخذان^{٢٣} ، كأنهم الولدان ، وهم في عيش لدن^{٢٤} ،
 كأنهم في جنة^{٢٥} عدن^{٢٦} ، فأنحت لديهم ركائبي وعقلتها ، وتقلدت بهم رغائبي
 واعتقلتها ، وأقمنا ننتعم بحسنه طول^{٢٧} ذلك اليوم ، ووافى الليل فلدنا عن
 الجفون طروق النوم ، وظللنا بليلة كأن الصبح منها مقدود ، والأغصان تميس
 كأنها قنود^{٢٨} ، والمجرة تراءى نهراً ، والكواكب تخالها في الجو زهراً ،
 والثريا كأنها راحة تشير ، وعطارد لنا بالطرب بشير ، فلما كان من الغد وافيت
 الرئيس أبا عبد الرحمن زائراً ، فأفضنا في الحديث إلى أن أفضى بنا إلى ذكر

١ القلائد : وسكون .

٢ القلائد : في فنائها .

٣ القلائد : المذهبة .

٤ ك والقلائد : فاسقني .

٥ تأخر هذا البيت من الذي يليه في القلائد .

٦ ق : وفيهم .

٧ ق : جئات .

منتزها بالأمس ، وما لقينا فيه من الأنس ، فقال لي : ما بهجة موضع قد بان
قطينه وذهب ، وسلب الزمان بهجته وانتهب ، وباد فلم يبق إلا رسمه ، ومحا
الحدثان فما كاد يلوح وسمه^١ ، عهدي به عندما فرغ من تشييده ، وتُنوحي
في تنسيقهِ وتنضيده ، وقد استدعاني إليه المنصور في يوم^٢ حَلَّت فيه الشمس
برج شرفها ، واكتست^٣ الأرض بزخرفها ، فحللت به والدوح تيمس معاطفه ،
والنور ينجله قاطفه ، والمدام تطلع به وتغرب ، وقد حلَّ به قَحْطَانٌ وَيَعْرُبُ ،
وبين يدي المنصور مائة غلام ما يزيد أحدهم على العشر غير أربع ، ولا يحل
غير الفؤاد من مَرَبِّع ، وهم يديرون رحيقاً ، خلقتها في كأسها دُرّاً أو عقيقاً ،
فأقمنا والشَّهْبُ تغازلنا ، وكأن الأفلاك منازلنا ، ووهب المنصور في ذلك اليوم
ما يزيد على عشرين ألفاً من صِلَاتٍ متصلات ، وأقطع ضياعاً ، ثم توجع لذلك
العهد ، وأفصح بما بين ضلوعه من الوجد ، وقال :

سَقِيّاً لِمَنْزِلَةِ النَّوَى وَكثيها إذ لا أرى زمناً كأزمانِي بها

* * *

[٩ - من رسالة للفتح]

وما أحسن ما كتب به الفتح إلى بعض الملوك يصف نزهة ببعض منتزهات
الأندلس المونقة ، ويذكر استضاءته فيها بِشَمُوسِ المِسْرَةِ المشرقة ، وهو :
أطال الله سبحانه بقاء ناصر الدولة ، ومحبي الملة ، الذي حَسُنَ بَلْقِيَاهُ
العيش ، وتزين بمحياه الجيش ، وراق باسمه الملك ، وجَرَتْ بسعده الفُلكُ ،
وأثار به الليل الدامس ، ولاح له الأثر الطامس ، وجرى الدهر لسطوته خائفاً ،
وغدا السعد بعقوته طائفاً ، والزمان يبرود عليها ملتحف ، ولثغور نَدَاهُ

.....

١ ق : إلا وسمه .

٢ ك : وقت .

٣ ك : واكتست فيه .

مرتشف ، ولا زال للمجد يتملكه ، والسعد يحمله فلكه ، أما وقد وافقتني أيامه
أيده الله سبحانه وفاقاً ، ورأيت للبيان عنده نقاقاً ، فلا بد أن أرسل كتابه أفواجاً ،
وأفيض من بحره أمواجاً ، وأصف ما شاهدته من اقتداره ، وعايته من حسن
إبراده وإصداره ، بمقال أفصح من شكوى المحزون ، وأملح من رياض
الحزون ، وقد كنت ، أيده الله تعالى ، كلفاً بالدول وبهائها ، لهجاً بالبلوغ إلى
انتهائها ، لأجد دولة أرتضيها ، وحظوة علياء أقتضيها ، فكلُّ ملكٍ فاوضته سرّاً
وجهرّاً ، وكلُّ ملكٍ قلبته بطناً وظهراً ، والنفس تصدُّ عنه صدود الجبان عن
الحرب ، والملائكة الكرام عن الشرب ، إلى أن حصّلتُ لديه ، ووصلت بين
يديه ، فقلت : الآن أمكن من راح البغية الانتشاء ، وتمثّلت ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾
(فاطر : ٢٤) وما زلتُ أسايره حيث سار ، وأخذ اليمين تارة وتارة اليسار ، وكل
ناحية تُسفر لي عن خلد روض أزهر ، وعيدار نبت أخضر ، وتبسم عن ثغر
حباب ، في نهر كالحباب ، وترقّل من الربيع في ملابس سندسيات ، وتُهني
إلينا نوافح مسكيات ، وتزهّي من بهجتها بأحسن منظر ، وتتيه بجلباب أبتّع
من بُرد الشباب الأنضر^١ ، فجعلنا فيها يميناً وشمالاً ، واستخبرنا عن أسرارها
صباً وشمالاً ، ثم مال بنا : أيده الله تعالى ، عن هذه المسارح السنيّة ، والمنازل
البهيّة ، إلى إحدى ضياعه الحالية ، وبقاعه العالية ، فحللناها والأيمُ قد
عريّ من جلبابه ، واليوم قد اكتهل بعد شبابه ، فترلنا في قصور يقصر عنها
جعفري^٢ جعفر ، وقصور بني الأصفر ، تهدي من لبّاتها بُرداً مجبرّاً ، وتُهدي
من شدّاها مسكاً وعنبراً ، وقد لاحت من جوانبها نجومُ أكواس لو رآها أبو
نواس لجعلها شعاره ، ووقف على نعتها أشعاره ، ولم يتخذ سواها نُجعة ،
ولا نُبّه خَمّاره بعد هجعة ، فتعاطيناها والسعد لنا خادم ، وما غير السرور

١ هذه رواية ق ك ج ط ؛ وفي دوزي : الأصفر .

٢ يعني جعفر المتوكل وقصره المسمى بالجعفري .

علينا قادم ، وخذود سقّاتها قد اكتسبت من سناها ، وقلدودهم تتهيل علينا
 بجناها ، ونحن بين سكر وصحو ، وإثبات لها وعو ، وإصاحّة إلى بسم وزير ،
 والفتاة إلى ملك ووزير ، إلى أن ولّى النهار فحيّانا ، وأقبل الليل المميت فأحيانا ،
 فوصلنا بلهؤ وقصف ، وعيش يتجاوز كل وصف ، فكأن يومنا مقيم ، أو
 كأن ليلنا من الظلام عقيم ، ولما سلّ الفجر حسامه ، وأبدى لعبوس الليل
 ابتسامه ، وجاء بختال اختيالاً ، ويمحو من بقايا الليل نيالاً ، قمنا ننادب للمسير ،
 وكلّنا في يد النشوة أسير ، فسّرنا والملك الأجلّ يقدمنا ، والأيام تخدمنا ، فلا
 زالت الأيام به زاهية. وعن سواه لاهية ، ما عمر وكرأ عقاب ، وكان للشهور
 غرور وأعقاب ، انتهى .

* * *

[١٠ - من ترجمة الراضي]

وقال الفتح في ترجمة الراضي بالله أبي خالد يزيد بن المعتمد بن عباد بعد
 كلام ما صورته^١ : وأخبرني المعتر^٢ بالله أن أباه المعتمد وجّهه - يعني أخاه
 الراضي - إلى شلب واليا ، وكانت ملعب شبابيه ، ومآلف أحبابه ، التي عمر
 نهودها غلاماً ، وتذكر عهودها أحلاماً ، وفيها يقول يخاطب ابن عمار وقد
 توجه إليها :

ألا حيّ أوطاني بشلب أبا بكرٍ وسلّهنّ هل عهد الوصال كما أدري
 وسلّم على قصر الشراحيب من فتى له أبدأ شوق إلى ذلك القصر

وقصر الشراحيب هذا متناه في البهاء والإشراق ، مباح لزوّراء العراق ،
 ركضت فيه جياذ راحاته ، وأومضت برُوق أمانيه في ساحاته ، وجرى الدهر
 مطيعاً بين بكره وروحاته ، أيام لم تحلّ عنه تائمه ، ولا خلت من أزهير

١ القلائد : ٣٢ .

٢ القلائد وق ط : المعتد ؛ ك ج : المعتمد .

الشباب كئامه ، وكان يعتدُّها مُشْتَهَى^١ آماله ، ومنتهى أعماله ، إلى بهجة
جنباتها ، وطيب نفحاتها وهباتها ، والتفاف خمائلها ، وتقلدها بنهرها مكان
حمائلها ، وفيها يقول ابن اللبانة :

أما عليمَ المعتزِّ^٢ بالله أنْني بحضرتَه في جنةٍ شقَّها نهرٌ
وما هوَ نهرُ أعشَبَ النَّبتِ حَوْلَه ولكنَّه سيفٌ حمائله خُضرٌ

فلما صدر عنها وقد حسنت آثاره في تدبيرها ، وانسدلت رعايته على
صغيرها وكبيرها ، نزل المعتمد عليه مشرفاً لأوبته ، ومعرفاً بسُمُو قدره. لديه
وربته ، وأقام يومه عنده مستريحاً ، وجرى في ميدان الأُنس بطلاً مُشيحاً ،
وكان واجداً على الراضي فجَلَّت الحميا أفقَه ، ومحت غيظه عليه وحنقه ،
وصورته له عين حنوة ، وذكرته بَعْدَه فجَنَح إلى ذنوه ، وبين ما استدعى
وأوفى ، مالت بالمُعتمد نشوته وأغفى ، فألفاه صريعاً في منتداه ، طريحاً في
منتهى مداه ، فأقام تجماه ، يرتقب انتباهه ، وفي أثناء ذلك صنع شعراً أنقنه
وجوَّده ، فلما استيقظ أنشده :

أَلانَ تَعُودُ حَيَاةُ الأَمَلِ وَيَدْنُو شِفاءُ فُؤادِ مُعَلِّ
ويُورِقُ للزَّ غُصْنُ ذَوَى وَيَطْلُعُ للسَّعدِ نَجْمٌ أَفْلُ
فقد وَعَدْتَنِي سَحَابُ الرِّضا بَوَابِلِها حينَ جادت بِطَلِّ
أيا مَلِكاً أَمْرُهُ نافِذٌ فَمَنْ شا أَعَزَّ وَمَنْ شا أَذَلَّ
دَعَوْتَ فَطارَ بِقَلْبِي السُّرورُ إِلَيْكَ ، وإنْ كانَ مِنْكَ الوَجَلُ
كما يَسْتَطِيرُكَ حُبُّ الوَغَى إِلَيْها وفيها الظُّبا والأَسَلُ
فلا غَرَوَ إنْ كانَ مِنْكَ اغْتِثارٌ وإنْ كانَ مِنْنا جَميعاً زَلَلُ

١ في القلائد : مجنى ؛ وفي دوزي : محيا .

٢ في الأصول : المعتد .

فمثلك - وهو الذي لم نجده عاد^١ بحلم على من جهل^٢

* * *

[١١ - من ترجمة المتوكل]

وقال في ترجمة المتوكل على الله ابن الأفتس ، ما صورته^٣ : وأخبرني
الوزير أبو محمد بن عبدون ، أن الجذب^٤ توالى بحضرته^٥ حتى جفت^٦ مذانيبها ،
واغبرت^٧ جوانيبها ، وغرد المكاء في غير رؤضه ، وخاض اليأس^٨ بالناس
أعظم خووضه ، وأبدت الحمايل^٩ عبوسها ، وشكت الأرض^{١٠} للسماء بوسها ،
فأقلع المتوكل^{١١} عن الشرب واللهو ، ونزع ملايس^{١٢} الخيلاء والزهو ، وأظهر
الخشوع ، وأكثر السجود والركوع ، إلى أن غيى^{١٣} الجوّ ، وانسجم النوّ ،
وصاب الغمام ، وترنمت^{١٤} الحمام ، وسفرت^{١٥} الأنوار ، وزهت^{١٦} النجوم
والأغوار ، وافق أن وصل أبو يوسف^{١٧} المغيثي والأرض^{١٨} قد لبست زخارفها ،
ورقم^{١٩} الغمام^{٢٠} مطارفها ، وتديجت^{٢١} الغيطان^{٢٢} والرّبي^{٢٣} ، وأرجت^{٢٤} نفحات
الصبا ، والمتوكل ما فض^{٢٥} لتوبته خيتاماً ، ولا نفص^{٢٦} عن قلبه منها قتاماً^{٢٧} ،
فكتب إليه :

ألم^{٢٨} أبو يوسف^{٢٩} والمطر^{٣٠} فيا ليت^{٣١} شعري ما ينظّر^{٣٢}
ولست^{٣٣} باب^{٣٤} وأنت^{٣٥} الشهيد^{٣٦} حضور^{٣٧} نديك^{٣٨} فيمن^{٣٩} حضر^{٤٠}
ولا مطلعي^{٤١} وسط^{٤٢} تلك السماء^{٤٣} بين^{٤٤} النجوم^{٤٥} وبين^{٤٦} القمر^{٤٧}

١ . القلائد : لم يزل يعود .

٢ . القلائد : ٤٣ .

٣ . ك : أن الأرض توالى عليها الجذب بحضرته .

٤ . القلائد : وغنت .

٥ . في الأصول : الأزهار .

٦ . هذه رواية القلائد ، وفي ق ك ط ج : وتوجت .

٧ . ك : ولا قوض ... غيماً .

وركضي فيها جياة المدام مَحْثُوثَةً بِسَيَاطِرِ الْوَتَرِ

فبعث إليه مركوباً ، وكتب معه :

بَعَثْتُ إِلَيْكَ جَنَاحاً فَطِيرٌ عَلَى خَفِيَةٍ مِنْ عُيُونِ الْبَشَرِ
عَلَى ذُلِّلٍ^١ مِنْ نَتَاجِ الْبُرُوقِ وَفِي ظُلُلٍ مِنْ نَسِيجِ الشَّجَرِ
فَحَسْبِي مِمَّنْ نَأَى مَنْ دَنَا وَمَنْ غَابَ كَانَ فِداً مِنْ حَضَرِ

فوصل القصبة^٢ المطلّة على البطحاء ، المزينة بمنازل الرّوحاء ، فأقام منها
حيث قال عديّ بن زيد: يصف مصنعا^٣ :

فِي قَبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ حَوَّلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنْشَعَا

ومرّ لهم من السرور يوم ما مرّ للذي رعين ، ولا تصوّر قبل عيونهم لعين .
وأخبرني أنّه سايره إلى شنترين قاصية أرض الإسلام ، السامية الذرا والأعلام ،
التي لا يروّعها صرّف ، ولا يتفرّعها طرف ، لأنّها متوعّرة المراقي ،
مُعَقَّرَةٌ^٤ للرّاق ، متمكّنة الرّواسي والقواعد ، من^٥ ضفة نهر استدار بها
استدارة القلب بالساعد ، قد أطلّت على خمائلها ، إطلال العروس من
منصّتها ، واقتطعت من الجوّ أكثر من حصّتها ، فمروا باللبش^٦ فطير سالت
به جدائله ، واختالت فيه خمائله ، فما يحول الطّرف منه إلّا في حديقة ،

١ ك : على فلك .

٢ القلائد : فوصل إلى القصبة ؛ وفي ك : فوصل القبة .

٣ البيت في اللسان (دسكر) منسوباً للأخطل ؛ والمسكر : بناء كالقصر حوله بيوت الهو والغراب .

٤ القلائد : ومضى .

٥ القلائد : معصرة .

٦ القلائد : حل .

٧ في الأصول : بأنفس ؛ والبش - كما في القلائد ودوزي - هي (Elvas) وتقع الى الغرب

من بطليوس (Badajoz)

أو بُقعة أنيقة ، فتلقاهم ابنُ مقانا قاضي حَضْرته وأنزلهم عنده ، وأورى لهم بالمبرة زَنْدَه ، وقَدَّم لهم طعاماً ، واعتقد قبوله مَنّاً وإنعاماً ، وعندما طَعِمُوا قعد القاضي بباب المجلس رقيقاً لا يبرح ، وعينُ المتوكل حياءَ منه لا تجول ولا تمرح ، فخرج أبو محمد وقد أبرمه بثقله ، وحرّمه راحة رواجه ومقيله ، فلقى ابنُ خَيْرُونٍ منتظراً له ، وقد أعد لخلوله منزله ، فسار إلى مجلس قد ابتَسَمَت ثغور نُورِهِ ، ونجّلت خدود ورده من زُورِهِ ، وأبدت صدورُ أباريقه أسرارها ، وضمت عليه المحاسن أزرارها ، ولما حضر له وقتُ الأنس وحينُهُ ، وأرجت له رياحينُهُ ، وجهَ مَنٍ بِرُقْبِ المتوكل حتى يقوم جليسه ، ويزول مُوحِشُهُ لا أنيسُهُ ، فأقام رسوله وهو بمكانه لا يَريمُهُ ، قد لازمه كأنه غريمُهُ ، فما انفصل ، حتى ظن أن عارض الليل قد نَصَلَ ، فلمّا علم أبو محمد بانفصاله بعث إلى المتوكل قطع راح^١ وطبق ورد ، وكتب معهما :

إليكمها فاجتليها منيرةً وقد خبا حتى الشهابُ الثاقبُ
واقفةً بالباب لم يؤذنْ لها إلا وقد كاد يتامُ الحاجبُ
فبعضُها من المخافِ جامدٌ وبعضُها من الحياءِ ذائبُ

فقبلها منه ، رحمه الله تعالى وعفا عنه ، وكتب إليه :

قد وصلتُ تلك التي زَفَفَتْها بَكَراً وقد شابتْ لها ذوائبُ
فهبُّ حتى نَسْتُرِدَّ ذاهباً من أنسنا إن استُرِدَّ ذاهبُ

فركب إليه ، ونَقَلَ معه ما كان بالمجلس بين يديه ، وباتا ليلتهما لا يريمان السهر ، ولا يشيمان برقاً إلا الكاس والزهر .
ثم قال بعد كلام^٢ : وأخبرني الوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية أنه مرّ

١ القلائد : بقطع خسر ؛ والقطع - بلغة الأندلسيين - الترجاجة .

٢ القلائد : ٤٦ .

في بعض أيامه برّوض مُقْتَرّ المباسم ، مُعَطَّر الرياح النواسم ، قد صَقَلَ الربيعُ
 حَوْدَانَه ، وأنطق بلبله وَوَرَشَانَه^١ ، وألحف غصونه بروداً مُحَضَّرَةً ، وجعل
 إشراقه للشمس ضرة ، وأزاهيره تنبه على الكواكب ، وتختال في خِلَعِ الغمام
 السواكب ، فارتاح إلى الكون به بقيّة نهاره ، والتنعّم بينفُسَجِه وبهاره ، فلمّا
 حصل من أنسِه في وسط المدى ، عَمَدَ إلى وَرَقَةٍ كُرُنْبٍ قد بللها الندى ،
 وكتب فيها بطرف غصن ، يستدعي الوزير أبا طالب ابن غانم ، أحد ندمائه ،
 ونجوم سمائه :

أَقِيلْ أبا طالب إلينا وَقَعْ وَقَعِ الندى عَلَيْنَا
 فَتَحْنُ عَقْدٌ بغيرِ وَسْطَى ما لَمْ تَكُنْ حاضراً لَدِينَا

* * *

[١٢ - من ترجمة المعتصم بن صمادح]

وقال في ترجمة المعتصم بن صمادح ، ما صورته^٢ : وأخبرني الوزير أبو
 خالد بن بَشْتَغِيرٍ^٣ أنه حضر مجلسه بالصمادحية في يوم غيم وفيه أعيان الوزراء ،
 ونُبّهاء الشعراء ، فقعّد على موضع يتداخل الماء فيه ، ويلتوي^٤ في نواحيه ،
 والمعتصم منشرح النفس ، مجتمع الأنس ، فقال :

أَنْظَرُ إِلَى حُسْنِ هَذَا الْمَاءِ فِي صَبَبِهِ كَأَنَّهُ أَرْقَمُ قَدْ جَدَّ فِي هَرَبِهِ
 فاستبدعوه ، وتيمّموه به وأولّعوه ، فأسكب عليهم شآبيب نداه ، وأغرب
 بما ظهر من بشره وأبداه .

.....

١ الورشان : طائر مفرد يشبه الحمام .

٢ القلائد : ٤٨ .

٣ تصحفت هذه الكلمة كثيراً في الأصول ، وفي نسخة بهامش ك : يستعير ، وعند دوزي : يشتغير .

٤ القلائد : ويتلوى .

ثم قال بعد كلام^١ : وخرج إلى بَرْجَةٍ ودَلَايَةٍ وهما نظران^٢ لم يجُلَّ في مثلهما ناظر ، ولم تَدَّعِ حَسَنُهُمَا الخدودُ التواضر ، غصونٌ تُشَتِّبُهَا الرياح ، ومياه لها انسياح ، وحدائق تهدي الأرج والعرف ، ومنازل^٣ تبهجُ النفس وتمتع الطرف ، فأقام فيها أياماً يتدرج في مسارحها ، ويتصرف في منازعها ، وكانت نزهة أُرْبِتْ على نزهة هشام بدير الرُصافة ، وأنافت عليها أيّ إنافة .

* * *

[١٣ - من ترجمة ابن رزين]

وقال في ترجمة ابن رزين ، ما ملخصه^٤ : أخبرني الوزير أبو عامر [ابن سنون]^٥ أنه اصطبح يوماً والجو سِماكِي العَوَارِف ، لازوردِي المطارف ، والروض أنيقة لَبَّاتِه ، رقيقة هَبَّاتِه ، والنور مُبْتَلٍ ، والنسيم مُعْتَلٍ ، ومعه قومُه ، وقد راقهم يَوْمُه ، وصلاته تُصافح مُعْتَبِيهِمْ ، ومبرَّاته تُشَافِه مُوَافِيهِمْ ، والراح تُشَعْشَعُ ، وماء الأمانِي ينشع ، فكتب إلى ابن عمار وهو ضيفه :

ضَمَانٌ على الأَيَّامِ أنْ أَبْلُغَ الْمُنَى إِذَا كُنْتُ فِي وَدْيِ مُسْرَأٍ وَمُعَلِّينَا
فَلَوْ تَسَأَلُ الأَيَّامُ : مَنْ هُوَ مُفْرَدٌ بُوْدَ ابنِ عَمَّارٍ ؟ لَقُلْتُ لها : أَنَا
فَإِنْ حَالَتِ الأَيَّامُ بَيْتِي وَبَيْنَهُ فَكَيْفَ يَطِيبُ العِيشُ أَوْ يَحْسُنُ العَنَا^٦

فلما وصلت الرقعة إليه تأخَّر عن الوصول ، واعتذر بعذر غثل المعافي

١ القلائد : ٥١ .

٢ ك : منظران .

٣ ك : ومنازه .

٤ القلائد : ٥١ .

٥ زيادة من القلائد .

٦ دوزي : مسكي .

٧ ك : أو يحصل المنى .

والفُصُول ، فقال أحد الحاضرين : لآني لأعجب من قعود ابن عمار ، عن هذا المضمار ، مع مَبْلِهِ إلى السَّمَاع ، وَكَتَفِهِ بِمَثَلِ هذا الاجتماع ، فقال ذو الرياستين : إن الجواب تعذر ، فلذا اعتذر ، لأنه يُعاني قوله وَيُعَلِّله ، وَيُرَوِّيه ولا يرتجله ، ويقول في المدة الممتدة ، فرأى أن الوصول بلا جواب لإحجال لأدبه ، وإخلال لمنازله في الشعر ورُتبه ، فلما كان من الغد وَرَدَ ابن عمار ومعه الجواب ، وهو :

هَصَرْتُ لِي الآمَالَ طَيِّبَةً الْجَنَى	وَسَوَّغْتَنِي الْأَحْوََالَ مُقْبِلَةَ الدُّنَى
وَالْبَسْتَنِي النِّعْمَا أَغْضَى مِنَ النَّدَى	وَأَجْمَلُ مِنْ وَشْيِ الرَّبِيعِ وَأَحْسَنَا
وَكَمْ لَيْلَةٍ أَحْظَيْتَنِي بِمَحْضُورِهَا	فَبِتُّ سَمِيراً لِلْسَّاءِ وَلِلْسَيِّئَا
أَعْلَلْتُ نَفْسِي بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا	وَأَذْنِي وَكَفِّي بِالْغِنَاءِ وَبِالْغِنَى
سَأَقْرَنُ بِالتَّمْوِيلِ ذَكَرَكَ كُلَّمَا	تَعَاوَرَتِ الْأَسْمَاءُ غَيْرَكَ وَالْكُنَى
لَأَوْسَعْتَنِي قَوْلًا وَطَوَّلًا كَلَامًا	يُطَوِّقُ أَعْنَاقًا وَيُخْرِسُ أَلْسِنَا
وَشَرَفْتَنِي مِنْ قِطْعَةِ الرُّوضِ بِالَّتِي	تَنَاطَرُ فِيهَا الطَّبَعُ وَرَدَاً وَسَوْسَنَا
تَرْوِقُ بِجَيْدِ الْمَلِكِ عَقْدًا مَرْصَعًا	وَتَزْهَوُ عَلَى عِطْفِيهِ بُرْدًا مُزِينًا ^١
فَدُمْتُ هَكَذَا يَا فَارِسَ الدَّسْتِ وَالْوَعَى	لِتَطْعَنَ طَوْرًا بِالْكَلامِ وَبِالْقَنَا

وأخبرني الوزير [الكاتب أبو جعفر]^٢ ابن سعدون. أنه اصطحب^٣ يوماً بحضرته وللرذاذ رَشٌّ ، وللربيع علي وجه الأرض فرش ، وقد صَقَلَ الغمامُ الأزهار حتى أذهب نَمَشَهَا ، وسقاها فأرَوَى عَطَشَهَا ، فكتب إليه :

فَدَيْنَاكَ لَا يَسْطِيعُكَ النِّظْمُ وَالنَّثْرُ فَأَنْتَ مُلِكُ الْأَرْضِ ، وَاتَّصِلُ الْأَمْرُ

١ ق ط ج : وشياً معينا .

٢ زيادة من القلائد .

٣ ق ط : أصبح .

٤ القلائد : وانفصل .

مَرَيْنَا نَدَاكَ الْغَمْرُ فَانْهَلُ صَيْبًا كَمَا سَكَبَتْ وَطْفَاءً أَوْ سَكَبَ الْبَحْرُ^١
وَجَاءَ الرَّبِيعُ الطَّلَقُ يَبْدِي غَضَارَةً فَحَيْثُكَ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالرُّوْضُ وَالنَّهْرُ

إلى أن قال^٢ : ثُمَّ وَجَّهَ فِيهِ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ أُرْجَتْ نَفْحَاتُهَا ، وَتَدْبِيحُ سَاحَاتِهَا ،
وَتَفْتِيحُ كَنَائِمِهَا ، وَأَفْصَحُ حَمَائِمِهَا^٣ ، وَجَرَدَتْ جَدَاوِلَهَا كَالْبَوَاتِرِ ،
وَرَمَقَتْ أَزْهَارَهَا كَالْعَيُونِ الْفَوَاتِرِ^٤ ، وَأَقَامُوا يُعْمِلُونَ أَكْوَاسَهُمْ^٥ ، وَيَشْتَمِلُونَ
إِيْنَاسَهُمْ ، فَقَالَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ^٦ :

وَرَوْضٍ كَسَاهُ الطَّلُّ وَشَيْئًا مَجْدَادًا فَأَضْحَى مُقِيمًا لِلنَّفُوسِ وَمُقْنَعِدًا
إِذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ خَلَّتْ غَصُونُهُ رَوَاقِصٌ فِي خَضِرٍ مِنَ الْقُضْبِ^٧ مَيِّدًا
إِذَا مَا انْسَكَبَ الْمَاءُ عَايَنْتَ خَلَّتَهُ وَقَدْ كَسَرَتْهُ رَاحَةُ الرِّيحِ مَبْرَدًا
وَإِنْ سَكَنْتَ عَنْهُ حَسِبْتَ صَفَاءَهُ حُسَامًا صَقِيلًا صَافِيَّ الْمَتْنِ جُرْدًا
وَعَنْتَ بِهِ وَرُقُ الْحَمَائِمِ بَيْنَنَا غِنَاءٌ يُنَسِّيكَ الْغَرِيضَ وَمَعْبَدًا
فَلَا تَجْفُونَ^٨ الدَّهْرَ مَا دَامَ مَسْعَدًا وَمُدَّ إِلَى مَا قَدْ حَبَاكَ بِهِ يَدَا
وَنَخَلَهَا مُدَامًا مِنْ غَزَالِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا سَقَى بَلَدًا تَحْمِلُ فَرْقَدًا

إلى أن قال^٩ : وَأَخْبِرْنِي الْوَزِيرَ [أَبُو عَامِرٍ]^٩ ابْنَ سَتْنُونٍ ، أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ
فِي مَنِيَةِ الْعَيُونِ ، فِي يَوْمِ مُطَرَّرِ الْأَدِيمِ ، وَمَجْلِسِ مَعَزِ النَّدِيمِ ، وَالْأَنْسِ يَغَازِلُهُمْ

١ دوزي : أَوْ فَتَقِ الزَّهْرَ ؛ ق ج ط : أَوْ فَتَقِ الْبَحْرَ .

٢ القلائد : ٥٣ .

٣ القلائد : كَنَائِمِهَا . . . حَمَائِمِهَا .

٤ القلائد : بِعَيُونِ فَوَاتِرٍ .

٥ القلائد : كَأَسْمِهِمْ .

٦ انظر أيضاً المغرب ٢ : ٤٢٨ .

٧ دوزي : الْعَصْبُ ؛ وَفِي الْقَلَائِدِ : الْمَصْفُ ، خَطَأً .

٨ القلائد : ٥٥ .

٩ زيادة من القلائد .

من كل ثنية ، ويواصلهم بكل أمنية ، فسكّر أحد الحاضرين سكراً مثل له ميدان الحرب ، وسهّل عليه مستوعر الطعن والضرب ، فقلب مجلس الأنس حرباً وقتالاً ، وطلب الطعن وحده والنزالاً^١ ، فقال ذو الرياستين :

نفس الدليل تعزُّ بالجيريالِ فيقاتل الأقرانَ دون قتالِ
كم من جبان ذي افتخار باطلٍ بالراح^٢ تحسبه من الأبطالِ
[كبشُ النديّ تحمطاً وعرامةً^٣ وإذا تشبَّ الحربُ شاةُ نزالِ^٤]

* * *

[١٤ - من ترجمة ابن طاهر]

وقال في ترجمة ابن طاهر ، ما صورته^٥ : وجتته يوماً وقد وقفت بباب الحنش ، فقال لي : من أين ؟ فأعلمته ، ووصفت له ما عاينته من حسنه وتأمّلته ، فقال لي : كنت أخرج إليه في أكثر الليالي مع الوزير الأجل أبي بكر - يعني ابن عبد العزيز - إلى روضته التي ودّت الشمس أن يكون منها طلوعها ، وتمنى المسك أن تنضم عليه ضلوعها ، والزمان غلام ، والعيش أحلام ، والدنيا نحية وسلام ، والناس قد انتشروا في جوانبه ، وقعدوا على مَدانبه ، وفي ساقيته الكبرى دولاب يئن كناقاة إثر حُوار ، أو ككلكي من حرّ الأوار ، وكل مغرم يجعل فيه ارتياحه ، بكُرتَه ورّواحه ، ويغازل عليه حبيبه ، ويصرف إليه تشبيهه ، فخرجت عليه ليلة والمنتبي الجزيري^٦ واقف وأمامه ظبي آنس ، تهيم

١ من قول المنتبي :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزال

٢ القلائد : بالخمر .

٣ سقط هذا البيت من الأصول .

٤ القلائد : ٦٤ .

٥ هو أبو طالب عبد الجبار كان يلقب بالمنتبي ويعرف بالجزيري نسبة إلى جزيرة شقر (الأخيرة

٢/١ : ٤٠١) .

به المكانس ، وفي أذنيه قرطان ، كأنهما كوكبان ، وهو يتأوّد تأوّد غصن
البان ، والمتنبي يقول :

مَعَشَرَ النَّاسِ بِبَابِ الْخَنْشِ بِدْرِ تَيْمٍ طَالَعٍ فِي غَبَشٍ
عَلَّقَ الْقُرْطَ عَلَى مِسْمَعِهِ مَنْ عَلَيْهِ آفَةُ الْعَيْنِ خَشِي
فَلَمَّا رَأَى أَمْسَكَ ، وَسَبَّحَ كَأَنَّهُ قَدْ تَنَسَّكَ .

* * *

[١٥ - من ترجمة ابن عمار]

وقال في ترجمة ابن عمار ، ما صورته^١ : وتنزه بالدمشق بقرطبة ، وهو
قصر شيّده بنو أميّة بالصفّاح والعمّد ، وجروا في إتقانه إلى غير أمد ،
وأبدع بناؤه ، ونمقت ساحته وفناؤه ، واتخلوه ميّدان مراحهم ، ومضماراً
لانشراحهم ، وحكوا به قصرهم بالمشرق ، وأطلعوه كالكوكب الثاقب
المشرق ، فحلّه أبو بكر ابن عمار على أثر بوسيه ، وابتسم له دهره بعد عبوسه ،
والدنيا قد أعطته عقّوها ، وسقته صفّوها ، وبات فيه مع لئمة من أتباعه ،
ومتفئثي رباعه . وكلهم يحيه بكاس ، ويفديه بنفسه من كل باس ، فطابت
له ليلته في مشيده ، وأطربه الأنس ببسيطة ونشيده ، فقال :

كُلُّ قَصْرٍ بَعْدَ الدَّمَشْقِ يُلْدَمُ فِيهِ طَابَ الْجَنَى وَفَاحَ الْمَشْمُ
مَنْظَرُ رَائِقٍ ، وَمَسَاءٌ نَمِيرٌ وَثَرَى عَاطِرٌ ، وَقَصْرٌ أَشْمُ
بَيْتٌ فِيهِ وَاللَّيْلُ وَالْفَجْرُ عِنْدِي عَنَبٌ أَشْهَبُ وَمَسْكٌ أَحْمُ

وعبّر صاحب البدائع عن هذه القصة بقوله^٢ : تنزه ابن عمار بالدمشق
بقرطبة ، وهو قصر شيّده خلفاء بني أميّة وزخرفوه ، ودفعوا صرف الدهر

.....

١ القلائد : ٨٤ ، وقد ورد بعض هذا النص من قبل ، انظر ما تقدم ص : ٤٧٠ .

٢ انظر بدائع البدائه ٢ : ١٣١ .

عنه وصَرَّفُوهُ ، وأَجْرُوهُ على إِرَادَتِهِمْ وصَرَّفُوهُ ، وَذَهَبُوا سُقْفَتَهُ وَفَضَّضُوهَا ، وَرَخَّصُوا أَرْضَهُ وَرَوَّضُوهَا ، فَبَاتَ بِهِ وَالسَّعْدُ يَلْحَظُهُ بِطَرَفِهِ ، وَالرُّوْضُ يَحْيِيهِ بِعَرَفِهِ ، فَلَمَّا اسْتَنْفَدَ كَافُورُ الصَّبَاحِ بِهِ مَسَكُ الْغَسَقِ ، وَرَصَعَ آبَنُوسُ الظَّلَامِ نَضَارَ الشَّفَقِ ، قَالَ مَرْتَجِلًا : « كُلُّ قَصْرِ بَعْدَ الدَّمَشَقِ يُلْذَمُّ » . . . إلخ ، انتهى .

* * *

[١٦ - من ترجمة ابن لبّون]

وَقَالَ فِي تَرْجُمَةِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عَيْسَى ابْنِ لَبَّوْنَ^١ : أَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرِ ابْنِ الطَّوِيلِ أَنَّهُ كَانَ بِقَصْرِ مُرَبِّيطَرٍ بِالْمَجْلِسِ الْمَشْرِفِ مِنْهَا^٢ ، وَالْبَطْحَاءُ قَدْ لَبَسَتْ زَخْرَفَهَا ، وَدَبَّحَ الْغِيَامُ مِطْرَفَهَا ، وَفِيهَا حَدَائِقُ تَرْنُو عَنْ مُقَلِّ نَرْجِسِهَا ، وَتَبَثُّ طَيْبُ تَنْفُسِهَا ، وَالْجَلْتَنَارُ قَدْ لَبَسَ أَرْضِيَةَ الدَّمَاءِ ، وَرَاعَ أَفْتَدَةَ الدَّمَاءِ ، فَقَالَ :

قُمْ يَا نَدِيمُ أَدْرِ عَلَيَّ الْقَرْقَفَا أَوْ مَا تَرَى زَهْرَ الرِّيَاضِ مُفَوَّفَا
فَتُخَالُ مَحْبُوبًا مُدِلًّا وَرَدَهَا وَتَظُنُّ نَرْجِسَهَا مَحَبًّا مُدْنَفَا
وَالْجَلْتَنَارُ دَمَاءُ قَتْلَى مِعْرَكَ وَالْيَاسَمِينَ حَبَابُ ثَمَاءٍ قَدْ طَفَا

إِلَى أَنْ قَالَ^٣ : وَشَرِبَ مَعَ الْوُزَرَاءِ وَالْكِتَابَ بِيْطْحَاءَ لَوْرَقَةٍ [عِنْدَ أَخِيهِ ، وَابْنُ الْيَسْعِ غَائِبٌ عَنْهَا]^٤ فِي عَشِيَةِ تَجُودِ بِلْمَائِهَا ، وَيَصُوبُ عَلَيْهَا دَمْعَ سَمَائِهَا ، وَالْبَطْحَاءُ قَدْ خُلِعَ عَلَيْهَا سَنَدُهَا ، وَدَنَّرَهَا^٥ نَرْجِسَهَا ، وَالشَّمْسُ تَنْفُضُ عَلَى الرَّبِّيِّ زَعْفَرَانَهَا ، وَالْأَنْوَارُ تَغْمُضُ أَجْفَانَهَا ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِ الْيَسْعِ :

١ القلائد : ٩٩ وانظر المغرب ٢ : ٣٧٦ .

٢ ج ق ط : المشرق منها .

٣ القلائد : ١٠٠ والمغرب ٢ : ٣٧٧ .

٤ زيادة من القلائد .

٥ في الأصول : ودراها .

لو كنتَ تشهد يا هذا عشيَّتَنَا والمزنُ تسكُبُ أحياناً وتنحدرُ
والأرض مصفرة بالشمس^١ كاسية أبصرتَ تبرأ عليه الدرُّ ينتثرُ

* * *

[١٧ - من ترجمة ابن رُحيم]

وقال في ترجمة ذي الوزارتين أبي بكر ابن رُحيم ، ما صورته^٢ : ووصل
هو وابن وضاح^٣ صهر المرتضى ، وابن جمال الخلافة صاحب صقلية ، إلى إحدى
جنّات مُرسية ، فحلوا منها في قبة فوق جدول مُطرّد ، وتحت أدواح طيرها
غريد ، فأقاموا يتعاطون رحيقهم ، ويعمرون في الموانسة طريقهم ، إذا بالحنّان
قد وقف عليهم وقال : كان بموضعكم بالأمس صاحب الموضع ومعه شعور
منشورة ، وخذود غير مستورة ، قد رفعت عنها البراقع ، وما منها نظرة إلا^٤
ومعها سهم واقع ، فاستدعى فحماً وكتب في إحدى زوايا القبة :

قَادَنَا وَدُنَا إِلَيْكَ فَجِئْنَا بِنَفْسٍ تَفْدِيكَ مِنْ كُلِّ بَوسٍ
فَنَزَلْنَا مَنَازِلًا لِبَدْوٍ وَحَلَلْنَا مَطَالَعًا لَشُمُوسٍ

* * *

[١٨ - من ترجمة ابن عبدون]

وقال في ترجمة الوزير الكاتب أبي محمد ابن عبدون ، ما صورته^٥ : حللت
بـيَابرة^٥ فأنزلي واليها بقصرها ، ومكنني من جتي الأمانى وهصرها ، فأقمت

.....

١ القلائد : بالمزن .

٢ القلائد : ١١٦ .

٣ في بعض أصول القلائد : وابن صمادح .

٤ القلائد : ١٤٥ .

٥ يابرة (Evora) مدينة من كورة باجة أي هي من البرتغال ، تقع على بعد ١١٧ كيلومتراً بالسكة
الحديدية من الأشبونة (لشبونة) ؛ وفي الأصول : حللت يابرة .

ليلي ، أجزرُ على المجرة ذيلي ، وتطارِد في ميدان السرور خيلي ، فلمّا كان
من الغد ياكُرني الوزير أبو محمد مسلماً ، ومن تَنَكُّبي عنه متألماً ، ثم عطف
على القائد عاتباً عليه ، في كوفي لديه ، ثم انصرف وقد أخذني من يديه ، فحلت
عنده في رحب ، وهَمَّت عليّ من البرّ أطار سحِب ، في مجلس كأن الدراري
فيه مصفوفة ، أو كأن الشمس إليه مزفوفة ، فلمّا حان انصرافي ، وكثرت طلعي
إلى مآبي واستشرافي ، ركب معي إلى حديقة نضرة ، مجاورة للحضرة ، فأخذنا
عليها أيدي عيسينا ، وللنا منها ما شئنا من تأيسنا ، فلمّا امتطيت عزمي ، وسدّدت
إلى غرض الرحلة سهمي ، أنشدني :

سلام يُناجي منه زهر الرُّبى عَرَفُ فلا سَمْعَ إلّا ودّ لو أنّه أنفُ
حَنِينِي إلى تلك السّجايا فإنّها لآثارُ أعيانِ المساعي التي أقفُو

ثم سرّد القصيدة إلى أن قال : وله رحمه الله تعالى ١ :

سقاها الحيا من مغان فيساح فكَم لي بها من معان فيصاح
وحلّى أكاليل تلك الرُّبى ووثنى معاطف تلك البيطاح
فما أنس لا أنس عهدِي بها وجرتي فيها ذبول الميراح
ونومي على حَبَرَات الرِّياض يُجاذب بُردِي مرّ الرِّياح
ولم أعطِ أمرَ النّهي طاعة ولم أصغِ سَمْعاً إلى لحي لاح ٢
ولبيل كرجعة طرف المريب لم أدِر له شَقّاً من صباح

* * *

[١٩ - من ترجمة ابن مالك]

وقال في ترجمة الوزير أبي محمد ابن مالك بعد كلام له فيه وإنشاده بيتيه

١ القلائد : ١٤٦ والمغرب ١ : ٣٧٥ .

٢ ك : سمي إلى قول لاح .

البديعين اللذين هما :

لا تَكُلمْتِي بِأَنْ طَرَبْتُ لَشَجْوٍ يَبْعَثُ الْأنْسَ فَالْكَرِيمُ طَرُوبُ
لَيْسَ شَقُّ الْجُيُوبِ حَقًّا عَلَيْنَا إِنَّمَا الشَّانُ ١. أَنْ تَشُقَّ الْقُلُوبُ

ما صورته ٢ : وخرجتُ من إشبيلية مشيعاً لأحد زعماء المرابطين ، فألفيته معه مسيراً له في جملة من شيعه ، فلما انصرفنا مال بنا إلى مُعَرَّس أمير المسلمين أدام الله تعالى تأييده الذي ينزله عند حاوله إشبيلية ٣ ، وهو مَوْضِعُ مُسْتَبَدَع ، كأن الحسن فيه مُودَع ، ما شئت من نهر ينساب انسياب الأرقام ، وروض كما وشت البرد يد راقم ، وزهر يحسد المسك ريتاه ، ويتمنى الصبح أن يسيم به مُحَيَّاه ، فقطف غلام وسيم من غلمانة نورة ومد يده إليّ وهي في كفّه ، فعزم عليّ أن أقول بيتاً في وصفه ، فقلت :

وبدُرٍ بدا والطرفُ مَطْلَعُ حُسْنِهِ وفي كفّه من رائق النور كَوُكُوبُ

فقال أبو محمد :

يَرُوحُ لَتَعْدِيبِ النَّفُوسِ وَيَغْتَدِي وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ الْجَمَالِ وَيَغْرُبُ
وَيَحْسُدُ مِنْهُ الْغَصْنُ أَيَّ مُهْتَفَفٍ يَجِيءُ عَلَى مِثْلِ الْكُتَيْبِ وَيَتَهَبُ

* * *

[٢٠ - من ترجمة ابن السقاط]

وقال في ترجمة الوزير أبي القاسم ابن السقاط بعد كلام كثير ، ما صورته ٤ :
وحملنا الوزير القاضي أبو الحسن ابن أضحى إلى إحدى ضياعه بخارج غرناطة ،

١ القلائد : إنما الحق .

٢ القلائد : ١٧١ .

٣ ك : بإشبيلية .

٤ القلائد : ١٧٤ .

ومعنا الوزيرُ أبو محمد ابن مالك ، وجماعة من أعيان تلك الممالك ^١ ، فحللنا بضَيْعَةً لم يَنْحَتِ المحلُّ أثلها ، ولم ترمق العيون مثْلها ، وجُلْنَا بها في أكناف ، جنات ألفاف ، فما شئت من دَوْحة لَفَاء ، وغصن يمس كعِطفي هَيْفَاء ، وماء ينساب في جداوله ، وزهر يُضْمَخُ بالمسك راحة متناوله ؛ ولما قضينا من تلك الحدايق أرباً ، وافترضنا منها أتراباً عُرْباً ، ملنا إلى مَوْضِعِ المقييل ، وزلنا عن منازِهِ تَزُرِّي بمنازه جديمة مع مالك وعَقِيل ، وعند وصولنا بدا لي من أحد الأصحاب تقصيراً في المبرّة ، عرض لي منه تكدير لتلك العين ^٢ الثرة ، فأظهرتُ التثاقلَ أكثر ذلك اليوم ، ثم عَدَلْتُ عنهم إلى الاضطجاع والنوم ، فما استيقظتُ إلا والسماء قد نُسِخَ صَحْوُهَا ، وغَيِمَ جَوْهَا ، والغمام منهمل ، والثرى من سقياه ثمل ، فبَسَطَني بتحفيهِ ، وأبهجني ببرِّ له لم يزل يتممه ويوفيه ، وأنشدني :

يَوْمٌ نَجْهَمُ فِيهِ الْأَفْقُ وَانْتَثَرَتْ مَدَامِيعُ الْغَيْثِ فِي خَدِّ الثَّرَى هَمَلًا
رَأَى وَجُومَكَ فَارِبَدَّتْ ^٣ طَلَاقَتُهُ مُضَاهِيًا لَكَ فِي الْأَخْلَاقِ مُمْتَسِلًا

* * *

[٢١ - من ترجمة ابن أضحى]

وقال في ترجمة الوزير القاضي أبي الحسن ابن أضحى ، ما نصّه ^٤ : وكان لصاحب البلد الذي كان يتولّى القضاء به ابنٌ من أحسن الناس صورة ، وكانت محاسن الأفعال والأقوال عليه مقصورة ، مع ما شئت من لَسَنٍ ، وصوت حسن ، وعَقَف ، واختلاط بالبهاء ^٥ والتفاف ، فحملنا إلى إحدى ضياعه بقرب من

١ القلائد : المسالك .

٢ دوزي : العيون .

٣ ق ل ج ط . فارتدت .

٤ القلائد : ٢١٧ .

٥ دوزي : بالنبهاء .

حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهر ، أحسن من شاذمهر^١ ، تشقها
جداول كالصلال ، ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ، ومعنا جملة من
أعيانها ، فأحضرنا من أنواع الطعام ، وأرانا من فرط الإكرام والإنعام ، ما لا
يطاق ولا يحد ، ويقصر عن بعضه العد ، وفي أثناء مقامنا بدا لي من ذلك الفتى
المذكور ما أنكرته فقابلته بكلام أحقده ، وملام اعتقده^٢ ، فلما كان من الغد
لقيت منه اجتنابه ، ولم أر منه ما عهدته من الإنابة ، فكتبت إليه مداعبا ،
فراجعي بهذه القطعة :

أنتني أبا نصير نتيجة خاطر	سريع كرجع الطرف في الخطرات
فأعزبت عن وجد كين طويته	بأهيف طائر فاتر اللحظات
غزال أحمر المقلتين عرفته	بخيف منى للحسن أو عرفات
رماك فأصمى والقلوب رمية	لكل كحيل الطرف ذي فتكات
وظن بأن القلب منك محصب	فلبأك من عيني بالجمرات
تقرب بالنسك في كل منسك	وضحي غداة النحر بالمهجات
وكانت له جيان مثنوى فأصبحت	ضلوعك مثنواه بكل فلاة
يعز علينا أن تهم فتتنطوي	كثييا على الأشجان والزفرات
فلو قبيلت للناس في الحب فدية	فدينأك بالأموال والبشرات

* * *

[٢٢ - من ترجمة ابن خفاجة]

وقال في ترجمة أديب الأندلس وشاعرها أبي إسحاق ابن خفاجة بعد كلام ،
ما صورته^٣ : وقال يندب معاهد الشباب ، ويتفجع لوفاة الإخوان والأحباب ،

... ..

١ شاذمهر : موضع نزه بنيسابور .

٢ ك : بكلام اعتقده وملام أحقده .

٣ القلائد : ٢٣٦ والديوان : ١٧٧ .

بمقرب نَسِيلُ أَعَاد الدِّيارَ آثاراً ، وقضى عليها وهياً وانتشاراً :

ألا عَرَسَ^١ الإخوانُ في ساحةِ البَيْلى وما رَفَعُوا غَيْرَ القُبُورِ قِياباً
فدَمَعُ^٢ كما سَحَّ الغَمَامُ وَلَوَعَةُ^٣ كما أَضْرَمَتْ رِيحُ الشَّمَالِ شِهَاباً
إذا اسْتَوْقَفْتَنِي في الدِّيارِ عَشِيَّةً^٤ تَلَدَّدْتُ^٥ فِيهَا جَيْثَةً وَذَهَاباً
أَكُرُّ بِطَرْقِي في مَعَاهِدِ فِتْيَةٍ تَكَلِّتُهُمْ بِيضَ الوجوهِ شَبَاباً
فَطَالُ وَقُوفِي بَيْنَ وَجَدٍ وَفُرْقَةٍ^٦ أَنَادِي رُسُوماً لا تُحِيرُ جَوَاباً
وَأَمْنُ حُجُومِ الصَّبْرِ طَوَّراً بَعْبَرَةً أَخْطُ بِهَا في صَفْحَتِي كِتَاباً
وَقَدْ دَرَسْتُ أَجْسَامَهُمْ وَدِيَارَهُمْ فَكَمْ أَرَى إِلَّا أَعْظَمًا وَيَبَاباً
وَحَسْبِي شَجَوُا أَنْ أَرَى الدَّارَ بَلَقاً خَلَاءَ وَأَشْلَاءَ الصَّدِيقِ تُرَاباً

ولقد أحلتي بهذه الديار المندوبة وهي كمهدا في جَوْدَةٍ مَبْنَاهَا ، وعودة سَنَاهَا ، في ليلة اكتحلنا ظلامها لإمِّدْ ، وَمَحَوْنَا بها من نفوسنا كَدّاً ، ولم يزل ذلك الأُنس ييسطه ، والسُرور ينشطه ، حتى نشر لي ما طَوَاه ، وبثَّ مكتوم لوعته وجَوَاه ، وأعلمني بلباليه فيها مع أترابه ، وما قضى بها من أطرايه . انتهى ما وقع عليه اختياري من كلام أبي نصر الفتح بن عبيد الله رحمه الله تعالى في وصف بعض منتزهات الأندلس البديعة ، ورياضها الموثقة المريعة .

* * *

[٢٣ - من رسالة الفتح]

وما أحسن رسالة له مختصرة كتبها مهنتاً لبعض ملوك الأندلس بما منحه الله تعالى من التمكين الذي أيده الله به ونصره ، وقد جَوَّدَ أوصافه ، واستطرد منها إلى ذكر الناصر وولده الحكم اللذين عَمَّرَا الزَّهْرَاءَ والرُّصَافَةَ ، ونَضَّيَا :

١ ق ك ج ط : ألا مرض .

٢ ق ك ج ط : تلذذت .

٣ القلائد : وزفرة . دوزي : وحرقة .

أدام الله تعالى أيام الأمير للأرض^١ يتملكها ، ويستدير بسعده فلكها ،
وقد استبشر الملك أيدك الله وحق^٢ له الاستبشار ، فقد أوما إليه السعد^٣ وأشار ،
بما اتفق له من توليتك ، وحقق عليه من ألويتك ، فلقد حبي منك بملك أمضى
من السهم المسدد ، طويل نجاد السيف رحب المقلد ، يتقدم حيث يتأخر
الذابل ، ويتكرم إذا بخل الوابل ، ويحتمي الحمي كربيعة بن مكدم^٢ ،
ويسقي الظبأ نجماً كلون العندم ، فهنيئاً للأندلس فقد استردت عهد خلفائها ،
واستجدت رسوم تلك الإمامة بعد عفاها ، فكان لم تمت أعاصرها ، ولم يمت
حكمتها ولا ناصرها ، اللذان عمرا الرصافة والزهرا ، ونكحها عقائل الروم
وما بدلا غير المشرقية مهراً ، والله سبحانه أسأله إظهار أيامك ، وبه أرجو
انتشار أعلامك ، حتى يكون عصرك أجمل من عصرهم ، ونصرك أغرب من
نصرهم ، بمنته وكرمه ويمنه .

* * *

[٢٤ - من ترجمة ابن عطية]

وقال رحمه الله تعالى في ترجمة الفقيه القاضي الحافظ أبي محمد عبد الحق
ابن عطية صاحب التفسير الشهير ، بعد كلام كثير ، ما صورته^٣ : ومررنا في
إحدى نزهتنا بمكان مقفر ، وعن المحاسن مسفر ، وفيه بكير نرجس كأنه
عيون مراض ، يسيل وسطه ماء رضرارض ، بحيث لا حس إلا للهام ، ولا أنس
إلا ما يتعرض للأوهام ، فقال :

نرجس^١ باكرت منه روضة^٢ لذ قطع الدهر فيها وعدب^٣
حشيت الريح بها خمر حيا رقص النبت لها ثم شرب^٤

١ بعض النسخ : للأذن .

٢ ق : ربيعة بن المكدم .

٣ القلاد : ٢١١ .

فَغَدَا يُسْفِرُ عَنْ وَجْنَتِهِ تَوَرَّهُ الْغَضُّ وَيَهْتَزُّ طَرَبُ
خَلَّتْ لَمَعَ الشَّمْسِ فِي مَشْرِقِهِ لَهَا يَجْمَدُ مِنْهُ فِي لَهَبِ
وَبَيَاضِ الطَّلِّ فِي صُفْرَتِهِ نُقِطَةُ الْفَضَّةِ فِي خَطِّ الذَّهَبِ

انتهى .

وسأني إن شاء الله تعالى كثير من وصف بلاد الأندلس ومنتزهاتها ، وما اشتملت عليه من المحاسن ، في كلام غير واحد ممن يجري ذكره في هذا الكتاب ، وخصوصاً أديب زمانه غير مُدَافِعٍ ، من اعترف له أهل الشرق ، بالسبق ، وأهل المغرب ، بالإبداع المُغْرَب ، النور أبو الحسن علي بن سعيد العنسي ، فإنه لما دخل مصر اشتاق^١ إلى تلك المواطن الأندلسية الرائقة ، ووصفها بالقصائد والمقطوعات الفائقة ، وقد أسلفنا أيضاً فيما مر من هذا الكتاب بعض ما يتعلق بمحاسن الأندلس ، فليراجع في محله من هذا الكتاب . قلت : وماذا عسى أن نذكر من محاسن قرطبة والزاهرة والزهراء ، أو نصف من محاسن الأندلس التي تبصر بكل موضع منها ظلاً ضافياً ونهراً وزهراً ، ويرحم الله تعالى أديبها المشهور ، الذي اعترف له بالسبق الخاصة والجمهور ، أبا إسحاق ابن خفاجة ، إذ قال^٢ :

يَا أَهْلَ أُنْدَلُسِ لَللّهِ دَرْكُكُمْ مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ
مَا جَنَّةِ الْخُلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ أُخْتَارُ
لَا تَحْسَبُوا فِي غَدٍ أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرًا فَلَيْسَ تُدْخَلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ

ويروى مكان قوله :

ولو تخيَّرتُ هذا كنتُ أُختارُ

١ ك : لما اتصل بمصر ودخلها اشتاق . . . إلخ .

٢ ديوان ابن خفاجة : ٣٦٤ .

٣ ك : لا تحسبوا بعد ذا .

ما مثاله :

وهذه كنتُ لو خُيِّرْتُ أختارُ

وكذا رأيت بخط الحافظ التَّنَسِّي ، والأول رأيت بخط العلامة الوائشَرِي شِي ،
رحمهما الله تعالى .

وحكي أن الخليلي لما قدم من الأندلس رسولا إلى سلطان المغرب أبي
عنان فارس ابن السلطان أبي الحسن المريني أنشد بحضرة السلطان المذكور
أبيات ابن خفاجة هذه كالمفتخر ببلاد الأندلس ، فقال السلطان أبو عنان :
كذب هذا الشاعر — يشير إلى كونه جعلها جنة الخلد ، وأنه لو خُيِّر لاختارها
على ما في الآخرة — وهذا خروج من رِبْقَةِ الدين ، ولا أقلّ من الكذب والإغراق ،
وإن جرت عادة الشعراء بذلك الإطلاق ، فقال الخليلي : يا مولانا ، بل صدق
الشاعر ، لأنها موطن جهاد ، ومُقارعة للعدوِّ وجِلاد ، والنبي صلى الله عليه
وسلّم الرؤوف الرودود الرحيم العطوف^١ ، يقول : « الجنة تحت ظلال السيوف » ،
فاستحسن منه هذا الكلام ، ورفع عن قائل الأبيات الملام ، وأجزل صِلته ،
ورفع منزلته . ولعمري إن هذا الجواب ، بلخير بالصواب ، وهكذا ينبغي أن
تكون رسلُ الملوك في الافتنان ، روح الله تعالى أرواح الجميع في الجنان .

* * *

[قصائد لابن خفاجة]

وأبو إسحاق ابن خفاجة كان أوحده الناس في وصف الأنهار والأزهار
والرياض والخياض والرياحين والبساتين ، وقد سبق بعضُ كلامه ، ويأتي
أيضا منه بعضُ أثناء الكتاب ، ومن ذلك قوله^٢ :

١ هكذا في ك ؛ وفي ق : الرحيم الرؤوف يقول ...

٢ ديوان ابن خفاجة : ٣٣٦ .

وكِمامة حَذَرَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهَا
 فِي أَبْطَحَ رَضَعَتُ ثُغُورُ أَقَاحِهِ
 نَثَرْتُ بِحِجْرِ الْأَرْضِ فِيهِ يَدُ الصَّبَا
 وَقَدْ ارْتَدَى غُصْنُ النَّقَا، وَتَقَلَّدَتْ
 فَحَلَلْتُ حَيْثُ الْمَاءُ صَفْحَةُ ضَاكِكِ
 وَالرِّيحُ تَنْفُضُ بُكْرَةَ لَمَ الرُّبَى
 مُتَقَسِّمَ الْأَلْحَاطِ بَيْنَ مَحَاسِنِ
 وَأَرَاكَةَ سَجَعِ الْهَدِيلِ بِفَرْعِهَا
 هَزَّتْ لَهُ أَعْطَافَهَا وَلَرَبَّمَا
 وَقوله ١ :

عَنْ صَفْحَةِ تَنْدَى مِنَ الْأَزْهَارِ
 أَخْلَافَ كُلِّ غِمَامَةٍ مِدْرَارِ
 دُرَّرَ النَّدَى وَدَرَاهِمِ الثُّوَارِ
 حَلَّتِي الْحَبَابِ سَوَالِفُ الْأَنْهَارِ
 جَدَلُ وَحَيْثُ الشَّطُّ بَدَأَ عِيدَارِ
 وَالطَّلُّ يَنْضَحُ أَوْجُهُ الْأَشْجَارِ
 مِنْ رِدْفِ رَابِيَةٍ وَخَصَرِ قَرَارِ
 وَالصَّبْحُ يَسْفِرُ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ
 خَلَعَتْ عَلَيْهِ مَلَأَةَ الْأَنْوَارِ

سَقِيًّا لِيَوْمٍ قَدْ أَنْخَسْتُ بِسَرْنَحَةٍ
 سَكْرَى يُغْنِيهَا الْحَمَامُ فَتَنْتَنِي
 يَلْهُوُ فْتَرْفَعُ لِلشَّيْبَةِ رَابِيَةٌ
 وَالرُّوْضُ وَجْهٌ أَزْهَرُ، وَالظَّلُّ فَر
 فِي حَيْثُ أَطْرَبْنَا الْحَمَامُ عَشِيَّةً
 وَاهْتَزَّ عِطْفُ الْغُصْنِ مِنْ طَرَبِ بَنَا
 فَكَأَنَّهُ وَالْحُسْنُ مُقْتَرِنٌ بِهِ
 فِي فَيْثَةٍ تَسْرِي فَيَنْصَدَعُ الدُّجَى
 كَرُمُوا فَلَا غَيْثُ السَّمَاحَةِ غُلْفُ
 مِنْ كُلِّ أَزْهَرٍ لِلنَّعِيمِ بِوَجْهِهِ

رَبَا تُلَاعِبُهَا الرِّيحُ فَتُلْعَبُ
 طَرَبًا وَيَسْقِيهَا الْغَمَامُ فَتَشْرَبُ
 فِيهِ ، وَيَطْلُعُ لِلبَهَارَةِ كَوَكَبُ
 عَ أَسْوَدٌ ، وَالْمَاءُ ثَغْرُ أَشْنَبُ
 فَشَدَا يَغْنِيْنَا الْحَمَامُ الْمُطْرِبُ
 وَافْتَرَّ عَنْ ثَغْرِ الْهَلَالِ الْمُتَغْرِبُ
 طَوَّقٌ عَلَى بُرْدِ الْغَمَامَةِ مُذْهَبُ
 عَنْهَا ، وَتَنْزِلُ بِالْجَدِيدِ فَيُخْصَبُ
 يَوْمًا ، وَلَا بَرَقُ اللَّطَافَةِ خُلْبُ
 مَاءٍ يُرْقِرُهُ الشَّبَابُ فَيَسْكَبُ

وقال يمدح الأمير أبا يحيى بن إبراهيم ٢ :

- ١ ديوانه : ٢٨٩ ، وفي ق : وقال .
 ٢ ديوان ابن خفاجة : ٣٣ وأبو يحيى هو أبو بكر بن إبراهيم المعروف بابن تيملويت (- ٥١٠هـ) -

سَمَحَ الخيالُ على النوى بمزارِ
فرَقَعْتُ من ناري لضيْفِ طارقِ
ركب الدُّجى أحسنَ به من مركبِ
وأناخ حيث دموعُ عيني منهلِ
وسَقَى فأروى غلّةَ من ناهلِ
يتلوى الضلوعُ من الولوعِ لخطرةِ
والليلُ قد نضجَ الندى سِرْبَالَهُ
مُترَقِّبٌ رسلَ الرياحِ عشيةَ
ومَجَرَّ ذَيْلَ غَمَامَةٍ لَتَبَتْ به
خَفَقَتِ ظلالُ الأيكِ فيه ذوائباً
وَلَوَّى القصبُ هناك جيداً أنلماً
بأكثرته والغنمُ قطعةَ عَنبرِ
والريحُ تَلَطُّمٌ فيه أردافَ الرُّبى
ومتأبرِ الأشجارِ قد قامت بها
في فنية جَنَّبُوا العجاجةَ لَيْلَةً
ثارَ القتامُ بهم دُخَاناً وارتمى
شاهدتُ من هَيْثانِهِم وهِيَاثِهِم
مِنْ كُلِّ مُنْتَقِبٍ بوردَةٍ خجلةِ
في عِمةٍ خُلِعَتْ عليه للمّةِ
ضاني رِداءِ المجدِ طمّاحِ العُلا

والصبحُ يَمَسُّحُ عَنْ جَبِينِ نهارِ
يَعْشُو إليها من خيالِ طاريِ
وَطَوَى السرى أحسنَ به من ساريِ
يُرْوِي، وحيث حشايَ مَوْقَدُ ناريِ
أُورِي بِجَانِحَتَيْهِ زَنْدَ أوارِ
من شَيْمٍ بَرَقَ أو شميمِ عَرَارِ
فانهلْ دَمْعُ الطلِّ فوق صِدارِ
بِمَسَاقِطِ الأنواءِ والأنوارِ
وَتَشِي الحُبابُ معاطِفُ الأنهارِ
وارتجَّ رَدْفاً مائجٌ التَّيارِ
قَدْ قَبَلَتْهُ مَباسِمُ الثَّوارِ
مَشْبُوبَةٌ والبرقُ لَفْحَةٌ ناريِ
لَعْباً وتلثِمُ أوجهَ الأزهارِ
خُطباءُ مُفَصِّحةٍ من الأطيارِ
ولربّما سَفَرُوا عن الأعمارِ
زَنْدُ الحَقِيقَةِ منهم بشرارِ
إِشْرَافَ أطوادِ وفَيْضِ بحارِ
كِرْماً ومُشْتَمِلِ بثوبِ وقارِ
وذُؤَابَةٍ قُرِنتُ بها لِعِدارِ
طامي عُبَابِ الجودِ رَحْبِ الدارِ

— أحد أمراء المرابطين ، وكان والياً مدة على مرقسة وهو مدوح الفيلسوف ابن باجة . والشاعر يسأله في هذه القصيدة أن يشكر القائل الأمل أبا عبد الله ابن عائشة لبرّ خلق ابن خفاجة من جهته .

١- الناهل : الطمان .

٢ ق ك : مائل .

جَرَّارٌ أَذْيَالِ الْمَعَالِي وَالْقَنَا
طَرْدَ الْقَنِيصِ بِكُلِّ قَبْدٍ طَرِيدَةٍ
مُلْتَفَّةٍ أَعْطَافُهُ بِحَبِيرَةٍ
يُرْمَى بِهِ الْأَمَلُ الْقَصِي فَيَنْثَنِي
وَبِكُلِّ نَائِي الشَّوْطِ أَشْدَقُ أَخْزَرِ
يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ النَّصَالِ^١، وَإِنَّمَا
مُسْتَقَرِّيَا أَثَرِ الْقَنِيصِ عَلَى الصَّفَا
مِنْ كُلِّ مُسْوَدٍّ تَلْهَبُ طَرَفِيهِ
وَمُورَسِ السَّرْبَالِ يُخْلَعُ قَدُّهُ
يَسْتَنُّ فِي سَطْرِ الطَّرِيقِ وَقَدْ عَقَا
عَطَفَ الضُّمُورِ سَرَائِهِ فَكَأَنَّهُ
وَلَرِبَ رَوَّاحٍ هُنَالِكَ أَنْبَطِ
يَجْرِي عَلَى حَذَرٍ فَيَجْمَعُ بِسَطِّهِ
مَمْتَدَّ حَبْلِ الشَّأْوِ يَغْسِلُ رَائِعًا
مُتَرَدِّدٍ يَرْمِي بِهِ خَوْفُ الرَّدَى
وَلَرِبَ طَيَّارٍ خَفِيفٌ قَدْ جَرَى
مِنْ أَكْلِ قَاصِرَةِ الْخَطَا مَخَالَةً
مَخْضُوبَةِ الْمِنْقَارِ تَحْسَبُ أَنَّهَا
وَلَوْ اسْتَجَارَتْ مِنْهُمَا بِحِمَى أَبِي
خَدَمَ الْقَضَاءِ مُرَادَهُ فَكَأَنَّمَا
وَعَنَا الزَّمَانُ لِأَمْرِهِ فَكَأَنَّمَا
وَجَلَا الْإِمَارَةُ فِي رَفِيفِ نَضَارَةٍ

حَامِي الْحَقِيقَةِ وَالْحِمَى وَالْحَارِ
رَجَلِ الْجَنَاحِ مُورَدِ الْأُظْفَارِ
مَكْحُولَةٍ أَجْفَانُهُ بِنُضَارِ
مَخْضُوبِ رَأْيِ الظُّفْرِ وَالْمِنْقَارِ
طَاوِي الْحِشَا حَالِي الْمَقْلَدِ ضَارِي
يَمْنَحِي عَلَى مِثْلِ الْقَنَا الْخَطَارِ
وَاللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ بِشِمْلَةٍ قَارِ
تَرْمِيكَ فَحَمْتُهُ بِشُعْلَةٍ نَارِ
عَنْ نَجْمٍ رَجْمٍ فِي سَمَاءِ غُبَارِ
قَدَمًا فَتَقْرَأُ أَحْرُفَ الْأَثَارِ
وَالنَّقْعُ بِحُجْبِهِ هَلَالُ سِرَّارِ
ذَلِكِ الْمَسَامِعِ أَطْلَسِ الْأُظْمَارِ
يَهْوِي فَيَنْعَطِفُ انْعِطَافِ سِيَّارِ
فَيَكَادُ يُقْلِتُ أَيْدِي الْأَقْدَارِ
كَرَّةً تَهَادَتْهَا أَكْفُ قِفَارِ
فَشِلًّا بِجَارٍ خَلْفَهُ طَيَّارِ
مَشْيِ الْفَتَاةِ تَجْرُ فَضْلُ لِزَارِ
كَرَعَتْ عَلَى ظِلِّ بَكَاسٍ عِقَارِ
يَحْيَى لِأَمْنِهَا أَعَزُّ جِوَارِ
مَلَكْتُ يَدَاهُ أَعْيَنَةُ الْأَقْدَارِ
أَصْغَى الزَّمَانُ بِهِ إِلَى أَمَارِ
جَلَّتِ الدُّجَى فِي حُلَّةِ الْأَنْوَارِ

١ ك : دره ؛ والمعنى أن ظفره ومنقاره موهجان كحرف « الراء » .

١ ق : النضار .

فِي حَيْثُ وَشَحَّ لُبَّةٌ بِقِلَادَةٍ
 جَذْلَانِ يَمْلَأُ مِئْخَةً وَبَشَاشَةً
 أَرِجَ النَّدِيِّ بِذِكْرِهِ فَكَأَنَّهُ
 بَطَلَ حَوَى الْفَلَكَ الْمَحِيطَ بِسَرَّجِهِ
 يَمِينُهُ يَوْمَ الْوَعْدَى وَشِمَالُهُ
 وَالسَّمَرُ حُمْرًا^١، وَالْجِيَادُ عَوَابِسُ^٢
 وَالْخَيْلُ تَعَثُرُ فِي شَبَاشُوكِ الْقَنَا
 وَالْبَيْضُ تَحْتَى فِي الطَّلَى فَكَأَنَّمَا
 وَالنَّقْعُ يَكْسِرُ مِنْ سَنَا شَمْسِ الضُّحَى
 صَحْبَ الْحَسَامِ النَّصْرُ صُحْبَةُ غَيْبَةِ
 لَوْ أَنَّهُ أَوْمَى لَمَيَّهْ بِنَظْرَةٍ
 وَمَضَى وَقَدْ مَلَكَتْهُ هِزَّةٌ عِزَّةٌ
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ٣ :

مِنْهَا وَحَلَّى مِعْصَمًا بِسَوَارِ
 أَيْدِي الْعُقَاةِ وَأَعْيُنَ الزُّوَارِ
 مَتَنَفَّسٌ عَنْ رَوْضَةِ مِعْطَارِ
 وَاسْتَلَّ صَارِمَةً يَدُ الْمِقْدَارِ
 مَا شَاءَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ إِعْصَارِ
 وَالْجَوَّ كَاسٍ^٤، وَالسُّيُوفُ عَوَارِي
 قَصْدًا وَتَسْبِغٌ فِي الدَّمِ الْمَوَارِ
 تُلَوَّى عُرَى مِنْهَا عَلَى أَزْوَارِ
 فَكَأَنَّهُ صَدَأٌ عَلَى دِينَارِ
 فِي كَفِّ صَوَالٍ بِهِ سَوَارِ
 يَوْمًا لَثَارَ وَلَمْ يَنْتَمْ عَنْ نَارِ
 تَحْتَ الْعَجَاجِ وَضَحْكَةٍ اسْتَبْشَارِ

وَأَرَاكَةَ ضَرَبَتْ سَمَاءَ فَوْقَنَا
 حَفَّتْ بِدَوْحَتِهَا مَجْرَّةٌ جَدُولِ
 وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ جَدُولَ مَائِهَا
 زَفَّ الزَّجَاجُ بِهَا عُرُوسَ مُدَامَةٍ
 فِي رَوْضَةِ جَنَحِ الدَّجَى ظِلٌّ بِهَا
 غَنَاءٌ يَنْشُرُ وَشَيْهَ الْبَزَازِ لِي
 قَامَ الْغِنَاءُ^٥ بِهَا وَقَدْ نَضَحَ النَّدَى^٦

تَنَدَّى وَأَفْلَاكُ الْكُؤُوسِ تُدَارُ
 نَشَرَتْ عَلَيْهِ نَجُومَهَا الْأَزْهَارُ
 حَسَنَاءُ شَدَّ بِخَصْرِهَا زُنَّارُ
 تُجَلَّى وَنُورُ الْغُصُونِ نِثَارُ
 وَنَجَسَتْ نُورًا بِهَا الْأَنْوَارُ
 فِيهَا وَيَفْتَقُ مِسْكَةَ الْعِطَارُ
 وَجَهَ الثَّرَى وَاسْتَيْقِظَ النُّورُ

١ ق : والشمس خمر .

٢ ديوان ابن خفاجة : ٣٥١ .

٣ ج ط : الفبار .

٤ ج : الدجى .

والماء في حللي الحجاب مُقَلَّد زَرَّتْ عَلَيْهِ جِوْبُهَا الْأَشْجَارُ
وقال ملترماً ما لا يلزم^١ :

خُذْهَا إِلَيْكَ وَإِنِّهَا لَتَنْصِيرَةٌ حَمَلْتُ وَحْسَبُكَ بِهِجَةً مِنْ نَفْحَةٍ^٢
طَرَأَتْ إِلَيْكَ قَلِيلَةَ النَّظَرَاءِ مِنْ كُلِّ وَارِسَةِ الْقَمِيصِ كَأَنَّمَا
عَبَقْتُ الْعُرُوسَ وَخَجَلَةَ الْعَدْرَاءِ نَجْمَتْ تَرُوقُ بِهَا نَجُومًا حَسْبَهَا^٣
نَشَأَتْ تُعَلُّ بِرَيْقَةِ الصَّفَرَاءِ وَأَتْنُكَ تَسْفِيرُ عَنْ وَجْهِهِ طَلْقَةً
بِالْأَيْكَةِ الْخَضِرَاءِ مِنْ خَضِرَاءِ يَسْدِي بِهَا وَجْهَ النَّدَى وَلَرُبَّمَا
وَتَنُوبُ مِنْ لُطْفٍ عَنِ الشَّعْرَاءِ فَاسْتَضْحَكَتْ وَجْهَ الدَّجَى مَقْطُوعَةً
بَسَطْتَ هُنَاكَ أَسْرَةَ السَّرَاءِ
حَمَلْتُ جَمَالَ الْغُرَّةِ الْغَرَاءِ

وقال أيضاً^٤ :

وَصَدْرٌ نَادٍ نَظَمْنَا فِي مَنَازِلٍ قَدَّ سَحَبْنَا
لَهُ الْقَوَافِي عَقْدًا تَذَكُّو بِهِ الشُّهْبُ جَمْرًا
بِظَلِّهِ الْعَزَّ بُرْدًا وَقَدْ تَأَرَّجَ نَوْرُ
وَيَعْبَقُ اللَّيْلُ نَدَاً كَمَا تَتَنَفَّسُ ثَغْرُ
غَضُّ يُوْخَالِطُ وَرْدًا
عَذَبٌ يَقْبَلُ خَدًّا

وقال من قصيدة يصف منترماً^٥ :

- ١ ديوانه : ٧١ .
٢ ق ط ج : نفحة في بهجة .
٣ ق : نجوم حسبا .
٤ ك : هنالك أوجه .
٥ ديوان ابن خفاجة : ٨٠ .
٦ ديوانه : ٣٣٧ .

يا رَبُّ وَضَّاحِ الجِبِينِ كَأَنَّمَا
تُغَرِّى بطلعته العيون مهابة^١
خُلِعَتْ عليه من الصَّبَاحِ غِلاَلة^٢
فَكَرَعَتْ من ماء الصَّبَا في منهل^٣
في حيثُ للريح الرِّخاء تَنفَّسُ^٤
ولربَّ غَضٍّ الجَسَمِ مدَّ بِمَوْضِعِهِ^٥
ولقد أَنَحْتُ بِشَاطِئِهِ يَهْزُني^٦
وبَكَيتُ دَجَلَتَهُ يُضَاكِني بها^٧
تُجَلِّي من الدنيا عَرُوسَ بَيْتِنَا^٨
ثم اِرْتَحَلْتُ وللنَّهارِ ذُوَابَةٌ^٩
تَكْوِي معاطفي الصَّبَابَةِ والصَّبَا

رَسَمُ العِذارِ بِصَفْحَتِهِ كِتَابُ
وَتَبَّيْتُ تَعَشَّقُ عَقْلَهُ الأَلْبَابُ
تَتَنَدَّى ومن شَفَقِ المِساءِ نقابُ^١
قد شَفَّ عنه من القَمِيصِ سرابُ^٢
أَرِجُ ، وللماء الفُرَاتِ عُبَابُ^٣
سَبَّحاً كما شَقَّ السَّمَاءِ شهابُ^٤
طرباً شَبَابُ راقِتي وشرابُ^٥
مَرَحاً حَبِيبُ شاقِتي وحَبَابُ^٦
حَسَناءُ ترشِفُ والمِدامُ رُضَابُ^٧
شَيَاءُ تَخْضِبُ والظلامُ خِفِضَابُ^٨
والليلُ دون الكاشِحِينَ حِجَابُ^٩

وقال ^١ :

مَرَّ بِنَا وَهَوَّ بِدَرْ تِمَّ
بِقَامَةٍ تَنْشِي قَضِيماً
يَقْرَأُ وَاللَّيْلُ مُدْلِمٌ
وَرُبَّ لَيْلٍ سَهَرَتْ فِيهِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ مَالُ سَكْرًا
يَسْنَحِبُ من ذِيلِهِ سَحَابَا
وَعُرَّةٌ تَلْتَظِي شَهَابَا
لنُورِ إِجْلَالِهِ كِتَابَا
أَزْجَرُ من جُنْحِهِ غُرَابَا^٧
وَشَقَّ بِسِرْبَالِهِ وَجَابَا

١ ق ك ج ط : السماء .

٢ يعلم هذا البيت في الديوان « ومنها » اعتماداً على النسخة .

٣ الديوان : مر يغوضه ؛ ج : مر .

٤ الديوان : وعبرت . ج : وبكت وحلته .

٥ ق ك ج ط : والنهار .

٦ ديوان ابن خفاجة : ٣٣٨ وهي في النسخة أيضاً ، وفي الروايتين اختلافات .

٧ ق ك ج ط : نكبا .

وحام من سُدْفَةٍ غُرَابٌ طالتُ به سنهُ^١ فشابا
ازدَدْتُ من لَوْعَتِي خَبَالاً فحثُّ من غُلَّتِي شَرَابا
وما خطا قادمًا فوافي حتى انثى ناكصاً فأبا
وبَيْنَ جَفَّتِي بحرُ شَوْقٍ يعبُّ في وَجْنَتِي عُبَابا
قد شَبَّ في وَجْهِهِ شُعاع وشَبَّ عن قَلْبِي التهابا
ورَوْضَةٌ طَلْقَتْ حَياءً غَناء مُخَضَّرَةٌ جَنَابا
ينجابُ عن نَوْرِها كَمامٌ يحطُّ عن وَجْهِهِ نِقَابا
بات بها مَبْسُومُ الأَقاحي يرشفُ مِن طَلَّتْها رُضابا
ومِن خُفُوقِ البروقِ فيها ألْوِيَّةٌ خُمِرَتْ خِضابا
كَأَنَّها أُنْمُلٌ وِرَادٌ تحصر قطرَ الحيا حِسَابا

وله أيضاً^٢ :

رَحَلْتُ عنكم ولي فؤادٌ تُنْقِضُ أضْلَاعُهُ حَيْنَا
أَجُودُ فيكم بعلق دَمْعٍ كُنْتُ به قَبْلَكُمْ ضَبِينَا
يَثُورُ في وَجْنَتِي جَيْشاً وكان في جَفْنِهِ كَمِينَا
كَأَنِّي بَعْدَكُمْ شِمَالٌ قَدْ فَارَقْتُ مِنْكُمْ يَمِينَا

وقال^٣ :

فيا لشَجَا صدرُ من الصبرِ فارِغٍ ويا لقلدى طَرْفٍ من الدمعِ ملآنٍ
ونَفْسٍ إلى جَوِّ الكَنيسة صَبَّةٍ وقلبٍ إلى أَفْقِ الجَزيرة حَنَّانٍ

١ ق : مدة .

٢ ديوانه : ٣٤٠ والخيرة ؛ ولفظة أيضاً سقطت من ك ج ط .

٣ ديوان ابن خفاجة : ٣٤٥ والخيرة .

٤ ك : قلب .

تَعَوَّضْتُ مِنْ وَاهَاً بَاهٍ وَمِنْ هَوًى
وَمَا كُلُّ بَيْضَاءٍ تَرُوقُ بِشَحْمَةٍ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لِدَهْرِي عَظْفَةٌ
مَيَادِينِ أَوطَارِي وَلَذَّةٌ لَدَاتِي
كَأَن لَمْ يَصِلْنِي فِيهِ ظَنَبِي يَقُومُ لِي
فَسَقِيًّا لَوَادِيهِمْ وَإِنْ كُنْتُ لَأَتَمَّا
فَكَمْ يَوْمٍ لَوْ قَدْ أَدْرَنَّا بِأَفْقِيهِ
وَالْقُضْبِ وَالْأَطْيَارِ مَلَهَى بِجَزَعِهِ^١
وَبِالْحَضْرَةِ الْغُرَاءِ غَيْرُ^٢ حَلِيقَتِهِ
رَقِيقُ الْحَوَاشِي فِي عَمَاسِنِ وَجْهِهِ
أَغَارُ لُحْدَائِهِ عَلَى الْوَرْدِ كُلَّمَا
وَهَبْتِي أَجْتَنِي وَرَدَّ خَدَّ بِنَاطِرِي
يُعَلِّلَنِي مِنْهُ بِمَوْعِدٍ وَشَفَةِ
حَبِيبِ عَلَيَّهِ بِلَحَّةٍ مِنْ صَوَارِمِ
تَرَامِي لَنَا فِي مِثْلِ صُورَةِ يَوْسُفَ
طَوًى بُرْدُهُ مِنْهَا صَحِيفَةٌ فَتَنَةٌ
مَحَبَّتُهُ دِينِي وَمَتَوَاهُ كَعْبَتِي
وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^٣ :

بِهَوْنٍ وَمِنْ إِخْوَانٍ صَدَقَ بِخَوَّانٍ
وَمَا كُلُّ مَرَعَى تَرْتَعِيهِ بِسَعْدَانٍ
فَتُجْمَعُ أَوطَارِي عَلَيَّ وَأَوطَانِي
وَمَنْشَأُ تَهْيَامِي وَمَلْعَبُ غَزَلَانِي
لَمَّا وَصُدَّ غَايَ بِرَاحِي وَرِيحَانِي
أَبَيْتُ لَذَكَرَاهُ بِغُلَّةٍ ظَمَّانٍ
نَجُومَ كَوْوَسٍ بَيْنَ أَقْمَارِ نَدْمَانٍ
فَمَا شَتَّ مِنْ رَقْصٍ عَلَى رَجْعِ الْخَانِ
فَأَحْيَيْتُ حُبًّا فِيهِ قُضْبَانُ نَعْمَانٍ
وَمَنْطِقِيهِ مَسَلَى قُلُوبٍ وَأَذَانٍ
بَدَأَ وَلَعِيطَقِيهِ عَلَى غُصْنِ الْبَانِ
فَمَنْ أَيْنَ لِي مِنْهُ بِتَفْخَاحِ لُبْنَانٍ
خِيَالٌ لَهُ يُغْزِي بِمِطْلٍ وَلِبْنَانٍ
عَلَامَا حَبَابٍ مِنْ أَسِنَّةٍ مُرَّانٍ
تَرَامِي لَنَا فِي مِثْلِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ
قَرَأْنَا لَهَا مِنْ وَجْهِهِ سَطْرَ عُنْوَانٍ
وَرُؤْيَتْهُ حَتَجَتِي وَذَكَرَاهُ قَرَاتِي

وَلَيْلٍ تَعَاظَيْنَا الْمَدَامَ وَبَيَّنَّا
نُعَاوِدُهُ وَالْكَاسُ يَعْبِقُ فَفُتِحَ^٤

١ في بعض النسخ : بأفقه .

٢ ق : الفراء أن .

٣ ديوان ابن خلفجة : ٢٤٨ .

٤ الديوان : تبق مسكة .

ونَقَلِي أَقَاحُ الثَّغَرِ أَوْ سَوَسَنُ الطَّلِي
إِلَى أَنْ سَرَتْ فِي جِسْمِهِ الْكَاسُ وَالْكَرَى
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَهْدِي لِمَا بَيْنَ أَضْلُعِي
وَعَايَنْتُهُ قَدْ سُلَّ مِنْ وَثْيِ بُرْدِهِ
لِيَانِ مَجَسَّ وَاسْتِقَامَةِ قَامَةٍ
أَغَاظُ مِنْهُ الْغَضْنَ فِي مَغْرَسِ النَّقَا
فَإِنْ لَمْ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ
تَسَافَرُ كَلْتَا رَاغَتِي بِجِسْمِهِ
فَتَهَيِّطُ مِنْ كَشْحَتِهِ كَفَّ^٢ تَهَامَةً

وقال أيضاً^٣ :

ورداء لَيْلِ بَاتَ فِيهِ مُعَانِقِي
فَجَمَعْتُ بَيْنَ رُضَابِهِ وَشِرَابِهِ
وَالْتَمْتُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلَةٍ وَقَرِهِ
وَاللَّيْلُ مُشْمَطُ الدَّوَابِّ كَبِيرَةٍ
ثُمَّ انْتَنَى وَالصَّبِيحُ يَسْحَبُ فِرْعَهُ
تَنْدَى بَفِيهِ أَفْحُوَانَةُ أُجْرَعِ
وَتَمِيسُ فِي أَثْوَابِهِ رِيحَانَةٌ
نَفَاحَةُ الْأَنْفَاسِ إِلَّا أَنَّهَا

طَيْفٌ أَلَمٌ لَطِيبَةٌ الْوَعْشَاءُ
وَشَرِيبَتْ مِنْ رَيْقٍ وَمِنْ صَهْبَاءِ
شَقَقًا هُنَاكَ لِيَوْجَنَةِ حِمْرَاءِ
خَرَفَ يَدْبُ عَلَى عَصَا الْجُوزَاءِ
وَيُجْرُ مِنْ طَرَبٍ فَضُولَ رَدَاءِ
قَدْ غَاظَلَتْهَا الشَّمْسُ غَبَّ سَمَاءِ
كَرَعَتْ عَلَى ظِلْمٍ بِجَدُولِ مَاءِ
حَذَرَ النَّدَى خَفَاقَةَ الْأَفْيَاءِ

١ هذه رواية الذخيرة والديوان ، وفي ق ك ج ط : الضلوع .

٢ ق ك ج ط : كفي .

٣ ديوان ابن خفاجة : ١٥٣ .

٤ في ق ك ط : بطيبة . ج : بطيبة الوعشاء .

٥ ق ج ط : اللواية .

فلوئثُ معطَفَها اعتناقاً حسبنا^١ فيه بقطر الدَّمع من أنواء

* * *

[قصيدتان لابن سعيد]

وكان المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى كثيراً ما ينتاب وادي الطلح مع
رُمَيْكَيْته ، وأولي أنسه ومسرته ، وهو وادٍ بشرفٍ إشبيلية مُلتَف الأشجار ،
كثير ترنم الأطيَّار ، وفيه يقول نور الدين ابن سعيد :

سائل بوادي الطلح ريح الصَّبَا	هل سَخَّرْتَ لي من زمانٍ الصَّبَا
كانت رسولاً فيه ما بيَّتنا	لنْ نَأْمَنَ الرُّسُلَ ولنْ نَكْتُبَا
يا قاتِلَ الله أناساً إذا	ما استؤمنوا خائفوا فما أعجبنا
هلاً رَعَوْا أَنَا وثِقْنَا بِهِمْ	وما اتَّخَذْنَا عَنْهُمْ مَذْهَبَا
يا قاتِلَ الله الذي لم يَتَّبِ	من غدرهم من بعد ما جربا
واليمُّ لا يَعْرِفُ ما طعمه	إلا الذي وافى لأن يشربا
دعني من ذكرِ الوُشاة الألى	لما يَزَلْ فكري بهم مُلْهَبَا
واذكرْ بوادي الطلح عهداً لنا	لله ما أحلى وما أطيبا
بجانب العطف وقد مالت الـ	أغصانُ والزهرُ يَبُثُّ الصَّبَا
والطيرُ مازت بين الخانيها	وليس إلا مُعْجِباً مُطْرِبَا
وخاني من لا أَسْمِيهِ مِينْ	شَحَّ أخافُ الدهرُ أن يسلبا
قد أترع الكأسَ وحيّا بها	وقلتُ أهلاً بالثني مَرْحَبَا
أهلاً وسهلاً بالذي شئتُه	يا بدرَ تيمٍ مُهْدِيَا كوكبا
لكنتي أَلْبَيْتَ أَسْقَى بها	أو تُودِعْنَهَا ثَغْرَكَ الْأَشْنَبَا
فمَجَّ لي في الكأس من ثغره	ما حَبَّبَ الشرب وما طيبَا

١ الديوان : حسبها .

٢ دوزي : في زمان .

وقال ها لثمي نَقْلًا ولا
 واقطف بخدي الورد والآس^١ والـ
 أسعفتُه غصناً غداً مثمراً
 قد كنتُ ذا نهيٍ وذا إمرةٍ
 ولم أصُنْ عِرْضِي في حبه
 حتى إذا ما قال لي حاسدٌ
 أرسلتُ من شعري سحراً له
 وقال عرفتُه بأنِّي سَاحِدٌ
 فزاد في شوقي له وعده
 أمْدُ طريقي ثم أثنيه من
 أصدق الوعد وطوراً أرى
 أني ومن سخره بعدما
 قبلتُ في الترب ولم أستطيع
 هنأتُ ربي إذ غدا هالةٌ
 بالله ميلٌ مُعْتَنِقاً لائماً
 فقال ما ترغبُ قلتُ اتشد
 فقال لا مذهب^٢ عن ذكر ما
 وكان^٣ ما كان فوالله ما
 تشم^٤ إلا عَرَفِي الأطيبا^٥
 تسمين لا تحفيل بزهر الربى
 ومن جناه ميسه قربا
 حتى تبدى فحلت الحبا
 ولم أطع فيه الذي أنبا
 ترجوه والكوكب أن يغربا
 يسترُ المرغَبَ والمطلبا
 نالُ فما أجنب المكتبا
 ولم أزل مُقْتَعِداً^٦ مَرَقِبا
 خوف أني التغيص أن يرقبا
 تكليبه والحر^٧ لن يكذبا
 أياس^٨ بطة كاد أن يغضبنا
 من حصر التقيا سيوى مَرَحِبا
 وقلت يا من لم يضع أشعبا
 فمال كالغصن ثنته الصبا
 أدركتُ إذ كلمتني المرغبا^٩
 ترغبه قلتُ إذن مركبا
 ذكرته دهري أو أغلبا

- ١ بعض النسخ : الطيبا .
 ٢ بعض النسخ : الآس والورد .
 ٣ ق ك ج ط : معتقداً .
 ٤ ق ج ط : آيس .
 ٥ في نسخة : الماربا .
 ٦ ق ك : مرغب .

وستأتي هذه القصيدة بكاملها^١ في جملة من نظم ابن سعيد المذكور^٢ .
وقال يتشوق إلى إشبيلية ، وهي حمص الأندلس :

أنّ الخليجُ وغطت الورقاء هل برّحاً إذ هاجت البرحاء
أنا منكما أولى بحلية عاشقٍ أفنى وما نمتُ بي الصُّعداء
أخشى الوُشاة فما أفوه بلفظةٍ والكمُ عندَ العاشقين عتاء
لولا تشوّقُ أرضِ حمصٍ ما جرى دمي ولا شمتتُ بي الأعداء
لم أستطيعُ كتماً له فكأنتي ما كان لي كنمٌ ولا إخفاء
والبدرُ مهما رام كتماً من سرى فيه يئمُّ على سراهُ ضياء
بلدٌ متى يخطُرُ له ذكرٌ هفا قلبي وخانَ تصبُّرٌ وعزاء
من بعده ما الصبح يشرق نورهُ عندي ، ولا تبدّل الظلماء
كم لي به من ذي وفاء لم يخنُ عهندي ، ويئتمُّ بالودادِ وفاء
فتراه إما مرّ ذكرى سائلاً^٣ عنّ حالي إن قلتِ الأنباء
يُسمي ويُصبح في تذكُّرٍ مدّة يرضى بها الإصباح والإساء
مع كلّ مَبْنُولِ الوصال ممّتعٍ من غيرنا تسمُّو به الخيلاء
كالظبي ، كالشمس المنيرة ، كالنقا كالغصن يثني معطّقه رُخاء
يسعى براح كالشهاب ، براحة كالبدر ، والوجه المنيرُ ذُكاء
ما لان نحو الوصلِ حتى طال مِنْهُ هُ الهجرُ واتصلتْ به البلّواء
خير المحبّة ما تأتت عن قِلّي تُدرّي ببؤسِ الفاقةِ النّعماء
ما زلتُ أرقي بالقريض جنونهُ حتى استكان ، وكان مِنْهُ إباء
فظفّرتُ مِنْهُ بملّة لو أنّها دامت للامت لي بها السّراء

١ بكاملها : زيادة من نسخة ك .

٢ سيأتي شعر ابن سعيد في الباب الخامس من الكتاب .

٣ ط ج ق : قرئ إذا ما مر ذكرى سائل .

صفو تكدر بالتحرك ، ليه
 إنّ الفراق هو المنية ، إنما
 لولا تذكر لذة طابت لنا
 وجرى النسيم على الخليج معطرأ
 ما كابدت نفسي أليم تفكر
 يا نهر حمص لا عدتكَ مسرة
 كل النفوس تهش فيك كأنما
 ودّي إليك مع الزمان مُجدد
 ولوّ آتني لم أحيي ذكراً للذي
 ما كنت أطمع في الحياة لو آتني
 غيري إذا ما بان حان ، وإنما
 ما زال^١ ، لكن لا يرّد قضاء
 أهل النوى ماتوا وهم أحياء
 بذراً الجزيرة حيث طاب هواء
 وتبدت في الدوحة الأنداء
 ألوى به عن جفني الإغفاء^٢
 ماء يسيلُ لديك أم صهباء
 جمعت عليك شتاتها الأهواء
 ما إن يحولُ تذكر وعناء
 أوليته^٣ ما كان في حياء
 أيقنت أن لا يُسترد لقاء
 أبقى حياتي ، حين بنيت ، وجاء

وسياتي إن شاء الله تعالى لهذا النمط وغيره مزيد أثناء الكتاب ، بحسب ما
 اقتضته المناسبة ، والله تعالى المرجو في حسن المتاب ، وهو سبحانه لا إله إلا هو
 الموفق للصواب^٣ .

تم المجلد الأول

١ ق ط ج : ليه ما زلت .

٢ ك : الإغفاء .

٣ عند هذا الحد تنتهي النسخة ك ، وفي آخرها : « انتهى السفر الأول من كتاب نفع الطيب . . . الخ » .

محتويات المجلد الأول

٢٤ - ٥	مقدمة المحقق
٣٢ - ٢٥	نماذج من المخطوطات

١ - ١٢١ مقدمة المؤلف

١	خطبة الكتاب
١٣	حنين إلى الوطن
٣٣	ركوب البحر وبلوغ مصر
٣٩	زيارة مكة والمدينة
٥٤	زيارة بيت المقدس
٥٦	عود إلى مصر ثم إلى القدس
٥٨	الرحلة إلى دمشق
٦٩	ابن شاهين يقترح على المؤلف تأليف كتاب عن لسان الدين
٧١	اعتذار المؤلف عن تلبية المطلب
٧٥	إصرار ابن شاهين على رأيه
٨٠	اعتزام المقرئ إجابته
٨١	وداع الشام
٩٩	شروعه في التصنيف بمصر
٩٩	رسالة من ابن شاهين تحثه على المضي
١٠٣	مقتطفات من رسالة ابن شاهين
١٠٦	تهنئ المؤلف لاستئناف التصنيف
١١٢	منهج الكتاب
١١٧	خاتمة المقدمة

القسم الأول

فيما يتعلق بالأندلس من الأخبار . . . [ثمانية أبواب تشمل الأجزاء ١ - ٤]

الباب الأول

٢٢٨ - ١٢٥	في وصف جزيرة الأندلس
١٢٥	مقدمات عامة في مزايا الأندلس
١٢٧	مسلحتها وأبعادها
١٣٣	الأمم التي استوطنت الأندلس
١٣٦	موقع الأندلس من الأقاليم
١٣٧	رجوع إلى الأمم التي استوطنتها
١٤٠	مناخها وغيرواتها
١٤٤	الأندلسيون والأمم المجاورة
١٤٥	بحر المجاز
١٤٦	نبذة عن خراجها
١٤٧	خير ابن خلزون عن الأمم التي استوطنتها
١٤٧	شيء عن غرناطة واعمالها
١٥٠	شهرة سرقسطة وبرجة ومالقة وأشبونة
١٥٣	نبذة عن قرطبة وشهرتها
١٥٦	إشبيلية وإقليمها
١٥٩	شهرة باجة وجبل طارق
١٦١	أكورة طليطلة وما تشتهر به
١٦٢	مدينة المري وما تشتهر به
١٦٤	شجرة وخواصها
١٦٤	شئ وسهيل وتلميع

١٦٥	أقاليم الأندلس وكور كل إقليم .
١٦٧	الجزر البحرية .
١٦٨	قرطاجنة وخواصها .
١٧٠	رسالة أبي البحر في تقارير مدن الأندلس
١٧٥	عود إلى ذكر غرناطة .
١٧٩	بلنسية وبعض قرانا .
١٨٢	مضرجات إشبيلية .
١٨٢	موسى بن سعيد بأبي فراق الأندلس
١٨٤	شريش ومجنتها .
١٨٤	شلب وكورة أكشونة .
١٨٦	أشعار في بطليوس وشاطبة وبرجة .
١٨٦	رسالة لسان الدين في تفضيل الجهاد على الحج .
١٩٠	تشبيه الأندلس بالعقاب .
١٩٠	المخزومي الأعشى ونزموه الفرناطية
١٩٣	قصة من كتاب ابن الرقيق .
١٩٦	قصر باديس بفرناطة .
١٩٦	سرقسطة وخواصها .
١٩٧	السمور بالأندلس .
١٩٨	فراء القنلية .
١٩٨	سائر حيواناتها وطيورها
١٩٩	أنواع الأفاويه فيها .
٢٠٠	ثمارها وفواكهها .
٢٠٠	سمادنها وأحجارها وقرمزها
٢٠١	مصنوعاتها .
٢٠٢	الأسلحة .
٢٠٢	الأثار الأولية بالأندلس .

٢٠٥	وصف ابن سعيد للأندلس
٢٠٦	بيلتا طليطلة
٢٠٨	عود إلى ذكر إشبيلية
٢٠٩	مقارنة ابن سعيد بين الأندلس وسواها
٢٠٩	أشعار في وصف الأندلس
٢١٠	رخاء الأندلس كما يصفه ابن حوقل ^١
٢١٢	رد ابن سعيد على ابن حوقل
٢١٢	ابن سعيد يسرد تاريخ الأندلس
٢١٦	ابن سعيد يصف الخطط الأندلسية
٢١٦	١ - الوزارة
٢١٧	٢ - الكتابة
٢١٧	٣ - الخراج
٢١٧	٤ - القضاء
٢١٨	٥ - خطة الشرطة
٢١٨	٦ - الحسبة
٢١٩	٧ - خطة الطوائف بالليل
٢١٩	الأندلسيون والتشريع
٢٢٠	الأندلسيون والتصوف
٢٢٠	الأندلسيون والعلوم والآداب
٢٢٢	الزري الأندلسي
٢٢٣	تدبير الأندلسيين ومروءتهم
٢٢٤	منهج كتاب المغرب
٢٢٦	خاتمة في نبذة جغرافية
٢٢٦	مقطعات في مدح الأندلس
٢٢٨	من خصائص الأندلس

الباب الثاني

في فتح الأندلس ٢٢٩ - ٢٢٦

٢٢٩	أخبار الفتح حسب مختلف الروايات
٢٤٣	خبر بيت الحكمة بالأندلس
٢٤٨	عود إلى أخبار الفتح
٢٥٠	ملخص خبر الفتح من الكتاب الخزائني وغيره
٢٨٠	نهاية موسى وابنه عبد العزيز
٢٨٢	عبد الرحمن الداخل
٢٨٣	مزيد بيان في نهاية موسى
٢٨٧	عود إلى ذكر التابعين بالأندلس
٢٨٨	مغائم الأندلس
٢٩٠	استيطان العرب في الأندلس
٢٩٨	ثبت بأسماء الأمراء
٣٠٠	حكّام بني أمية
٣٠٠	الحموديون
٣٠١	بقية بني أمية
٣٠١	ملوك الطوائف ومن بعدهم
٣٠٢	ترجمة جهور بن محمد من المطمح
٣٠٤	انتفاض حال الأندلس
٣٠٥	رسائل أبي المطرف ابن عميرة
٣١٣	تعريف بأبي المطرف
٣١٧	رسالة أخرى لأبي المطرف
٣١٩	رسالة غيرها لأبي المطرف
٣٢١	رسالة لسان الدين إلى ابن قلاوون

الباب الثالث

في سرد بعض ما كان للدين بالأندلس من العز السامي . . . ٣٢٧ - ٤٥٤

٣٢٧	عبد الرحمن الداخل .
٣٣٤	هشام بن عبد الرحمن .
٣٣٨	الحكم بن هشام .
٣٤٤	عبد الرحمن بن الحكم .
٣٥٠	محمد بن عبد الرحمن .
٣٥٢	المنذر بن محمد .
٣٥٢	عبد الله بن محمد .
٣٥٣	عبد الرحمن الناصر .
٣٥٦	هدية ابن شهيد للناصر .
٣٦٠	عود إلى أخبار الناصر .
٣٦٣	غزوات الناصر .
٣٦٤	الوفود على بلاط الناصر .
٣٧٢	ترجمة منذر بن سعيد عن المغرب .
٣٧٥	ترجمة منذر في المطمح .
٣٧٦	رجع لأخبار الناصر .
٣٨٠	ترجمة الوزير أحمد بن شهيد .
٣٨٢	الحكم المستنصر .
٣٨٨	وفود أرواق على المستنصر .
٣٩٤	عود إلى سيرة الحكم .
٣٩٦	خلافة هشام بن الحكم وتسلط ابن أبي عامر .
٣٩٩	ترجمة المنصور عن ابن سعيد .
٤٠٢	الحاجب المصنفي عن المطمح .

٤٠٣	ترجمة المنصور في المطمح
٤٠٧	أخبار في سيرة المنصور .
٤١٧	أخبار المنصور من كتاب الأزهار المشوذة
٤٢٠	عود إلى النقل عن المطمح .
٤٢٣	عبد الملك المظفر
٤٢٤	عبد الرحمن شنجول
٤٢٦	بيعة المهدي بالله
٤٢٧	خبر الفتنة البربرية
٤٢٨	بيعة سليمان المستعين
٤٣١	بنو حمود
٤٣٥	خلانة المستظهر
٤٣٧	بيعة المستكفي والمعتد
٤٣٨	انقضاء الأموية وظهور ملوك الطوائف
٤٣٨	ملوك الطوائف .
٤٣٨	١ - بنو عياد وبنو جهور
٤٤٠	٢ - بنو ذي النون بطليطة
٤٤١	٣ - بنو هود بسرقة
٤٤٢	٤ - بنو الأنطس ببطليوس
٤٤٢	الستونيون ثم الموحدون
٤٤٣	غزوة الأرك
٤٤٤	بين صلاح الدين ويعقوب الموحدي
٤٤٥	الموحدون والأندلس
٤٤٦	العقاب والنياب أم الموحدون
٤٤٦	ابن هود ومنافسه ابن الأحمر
٤٤٧	دولة بني الأحمر
٤٤٩	بين دون بطره وأبي الوليد ابن الأحمر
٤٥٢	شيخ الغزاة أيام بني الأحمر

الباب الرابع

٦٩٤ - ٤٥٥	في ذكر قرطبة والزهراء والزاهرة
٤٥٥	تقول في وصف قرطبة
٤٦٦	متنزهات قرطبة
٤٨٠	نهرها وقنطرةها
٤٨١	رجع إلى قرطبة
٤٨٢	الفننة البربرية
٤٩٠	استطرد في وصف المباني العامة
٥٠٠	البكاء على خراب العمران
٥٠٩	رجع إلى قرطبة - رسائل للسان الدين
٥١٩	رجع إلى أخبار قرطبة
٥٢٠	رجع إلى أخبار البنيان
٥٢٣	حديث عن الزهراء
٥٢٤	وصف ابن خلكان للزهراء
٥٢٦	رجع إلى بناء الزهراء
٥٢٨	قصود بني ذي النون
٥٢٩	أشعار ورسائل أندلسية في وصف المجالس
٥٣٨	قصيدة لابن خفاجة
٥٤٠	عود إلى عمران قرطبة
٥٤٢	قصيدة القرطبي والمتنزهات
٥٤٥	عود إلى مسجد قرطبة
٥٤٨	رجع إلى المنارة
٥٥٢	وصف جامع قرطبة لابن صاحب الصلاة
٥٥٥	تمام الحديث في متعلقات الجامع
٥٥٦	عمل أهل قرطبة حجة في الفقه

٥٥٨	رجع إلى وصف قرطبة ومسجدها .
٥٦٣	الزهراء
٥٧٠	بين الناصر ومنذر بن سعيد
٥٧٧	حديث ابن خلدون عن الزهراء
٥٧٨	الزاهرة
٥٨٥	المنصور وابن شهيد
٥٨٦	ترجمة الجزيري من المطمح
٥٨٨	رجع إلى المنصور
٥٩١	طرف من أخبار المنصور
٥٩٢	ترجمة المصحفي من المطمح
٥٩٥	عود وانعطاف إلى أخبار المنصور
٥٩٧	رسالة ابن عبد البر إلى المنصور الصغير
٦٠٠	رجع إلى أخبار المنصور الكبير
٦٠٥	المصحف العثماني بقرطبة
٦١٥	شعر في قرطبة
٦١٦	أبو المغيرة ابن حزم والجارية
٦١٨	المأمون والجارية
٦٢٠	ترجمة أبي المغيرة من المطمح
٦٢١	ترجمة ابن شهيد من المطمح
٦٢٣	استيلاء المعتمد على قرطبة
٦٢٧	ذكر المنزهات في سياق التراجم
٦٢٧	١ - من ترجمة ابن زيدون في القلائد
٦٣٢	[موشحة ابن الوكيل]
٦٣٤	٢ - من ترجمة بني القبطاونة
٦٤٠	٣ - من ترجمة ابن حسداي
٦٤٣	٤ - من ترجمة ابن السيد
٦٥٠	٥ - من ترجمة ابن العطار

٦٥٢	٦ - من ترجمة ابن عمار .
٦٥٧	٧ - من ترجمة ابن وهيون .
٦٥٧	٨ - من ترجمة ابن طاهر .
٦٥٩	٩ - من رسالة للفتح .
٦٦١	١٠ - من ترجمة الراضي .
٦٦٣	١١ - من ترجمة المتوكل .
٦٦٦	١٢ - من ترجمة المعتصم بن سادح .
٦٦٧	١٣ - من ترجمة ابن رزين .
٦٧٠	١٤ - من ترجمة ابن طاهر .
٦٧١	١٥ - من ترجمة ابن عمار .
٦٧٢	١٦ - من ترجمة ابن لبون .
٦٧٣	١٧ - من ترجمة ابن رحيم .
٦٧٣	١٨ - من ترجمة ابن عبدون .
٦٧٤	١٩ - من ترجمة ابن مالك .
٦٧٥	٢٠ - من ترجمة ابن السقاط .
٦٧٦	٢١ - من ترجمة ابن أحمى .
٦٧٧	٢٢ - من ترجمة ابن خفاجة .
٦٧٨	٢٣ - من رسالة للفتح .
٦٧٩	٢٤ - من ترجمة ابن عطية .
٦٨١	قصائد لابن خفاجة .
٦٩١	قصيدتان لابن سعيد .
٦٩٥	محتويات المجلد الأول .

نَفْحُ الطَّيِّبِ

مِنْ
غَضَنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ

تأليف
الشيخ أحمد بن محمد القرني التيماني

حققه
الدكتور إحسان عباس

المجلد الثاني

دار صادر
بيروت

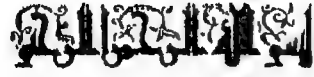
نفع الطيب

٢

جميع الحقوق محفوظة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار صادر : صندوق برید ١٠ - بیروت



ابواب الخامس

في التعريف ببعض مَنْ رَحَلَ من الأندلسيين إلى بلاد المشرق الزاكمة
العرّار والبشام ، ومدنح جماعة من أولئك الأعلام ، ذوي العقول
الراجعة والأحلام ، لشامة وجنّة الأرض دِمَشْق الشام ، وما اقتضته
المناسبة من كلام أعيانها ، وأرباب بيانها ، ذوي السؤدد والاحتشام ،
ومخاطباتهم للفقير المؤلف حين حكّها سنة ألف وسبع وثلاثين للهجرة ،
وشاهدَ برق فضلها المبين وشام

اعلم - جعلني الله تعالى وإياك ممن له للمذهب الحق انتحال - أنّ حَتَر
أهل الارتحال ، لا يمكن بوجه ولا بحال ، ولا يتعلم ذلك على الإحاطة إلاّ علام
الغيوب الشديد المحال ، ولو أطلقنا عينان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء
الأعلام ، لطال الكتاب وكثر الكلام ، ولكنّا نذكر منهم لمعاً على وجه التوسط
من غير إطناب داع إلى الملal واختصار مؤدّ للملام ، فنقول مستمدين من واهب
العقول :

١ - منهم عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب السُّلَمي^١ : وقد عرف
به القاضي عياض في المدارك وغير واحد ، ورأيت في بعض التواريخ أن تواليفه

١ قد مر التعريف به والإشارة إلى مراجع ترجمته ص ١ : ٤٦ .

بلغت ألفاً ، ومن أشهرها كتاب « الواضحة » في مذهب مالك ، كتاب كبير مفيد ، ولابن حبيب مذهب في كتب المالكية مسطور ، وهو مشهور عند علماء المشرق ، وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر وصاحب المواهب وغيرهما .

ومن نظمه يخاطب سلطان الأندلس^١ :

لا تَنْسَ لا يَنْسُكَ الرَّحْمَنُ عَاشُورَا واذكره لا زلت في التاريخ مذكورا
قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ تَشْمَلُهُ قَوْلًا وجدنا عَلَيْهِ الحق والنورا
فِيمَنْ يَوْسَعُ فِي إِنْثَاقٍ مَوْسِمُهُ أن لا يزال بذاك العام ميسورا
وهذا البيت الثالث نسيت لفظه فكتبته بالمعنى والوزن إذ طال عهدي به ،
والله تعالى أعلم .

وقال الفتح في المطمح^٢ : الفقيه العالم أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي ،
أي شرف لأهل الأندلس ومَفْخَر ، وأي بحر بالعلوم يَزْخَر^٣ ، خلدت منه
الأندلس فقيها عالماً ، أعاد مجاهل جهلها معالماً ، وأقام فيها للعلوم سوقاً نافقة ،
ونشر منها ألوية خافقة ، وجلا عن الألباب صدأ الكسل ، وشحذها شحذ
الصَّوَارِمِ والأسل ، وتصرف في فنون العلوم ، وعرف كل معلوم ، وسمع
بالأندلس وتفقه ، حتى صار أعلم من بها وأفقه ، ولقي أنجاء مالك ،
وسلك من مناظرهم أوعر المسالك ، حتى أجمع عليه الاتفاق ، ووقع على
تفضيله الإصفاق ، ويقال : إنه لقي مالكا آخر عمره ، وروى عنه عن سعيد

١ الأبيات في ابن عذاري ٢ : ١٦٥ وهذه روايتها :

لا تَنْسَ لا يَنْسُكَ الرَّحْمَنُ عَاشُورَا واذكره لا زلت في الأخبار مذكورا
من بات في ليل عاشوراء ذا سعة يكن بعيشته في الحول محبورا
فارغب فديتك فيما فيه رغبتنا خير الورى كلهم حياً ومقبورا

٢ المطمح : ٣٦ .

٣ هذه العبارة في المطمح « وأي محند شيد الإسلام وسحر » وهي شديدة التصحيف ولعل صوابها :
وأي مجد شيد للإسلام وسخر .

٤ المطمح : للمعالم ، وفي نسخة : للمعارف ؛ وفيك : أسواقاً .

ابن المسيَّب أن سليمان بن داود، صلى الله عليهما وسلّم، كان يركب إلى بيت المقدس فيتغدّي به، ثم يعود فيتعشّى بإصطخّر، وله في الفقه كتاب «الواضحة»، ومن أحاديثه غرائب، قد تحلّت بها للزمان نحرًا وترائب.

وقال محمد بن لبابة^١: فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك ابن حبيب، وراويها يحيى بن يحيى. وكان عبد الملك قد جمع إلى علم الفقه والحديث علم اللغة والإعراب، وتصرف في فنون الآداب، وكان له شعر يتكلم به متبحراً، ويُرَى ينبوعه بذلك متفجراً، وتوفي بالأندلس في رمضان سنة ٢٣٨ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة بعدما جال في الأرض، وقطع طولها والعرض، وجال في أكنافها، وانتهى إلى أطرافها.

ومن شعره قوله :

قد طاحَ أمري والذي أبتغي هين على الرحمن في قدّرتيه
ألف من الحُمرِ وأقليلٌ بها لعالمٍ أرْبى على بُغيّتيه
زُرْباب قد أعطيها جملة^٢ وحيرَني أشرف من حيرَفتيه

وكتب إلى الزجالي^٣ رسالة وصلها بهذه الأبيات :

كيف يُطيقُ الشُّعْرَ مَنْ أَصْبَحَتْ حالتهُ اليومَ كحالِ الغرقِ

١ هو محمد بن عمر بن لبابة أبو عبد الله القرطبي الفقيه مولد عثمان بن عبيد الله بن عثمان، كان مقدماً على أهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتيا مشاوراً في أيام الأمير عبد الله مع بعض المشاورين ثم انفرد بالفتيا أول أيام الناصر إلا أنه لم يكن له علم بالحديث ولا ضبط لروايته (توفي سنة ٣١٤) (ابن القزويني ٢ : ٣٦). والنقل عن ابن لبابة موجود أيضاً في ابن عذاري ٢ : ١٦٥ وابن القزويني ٢ : ١٧٧.

٢ في أصول المطمح: زورباب قد يأخذها دفعة، وقد سقط هذا البيت من المطمح المطبوع، وانظر الأبيات في الجذوة: ٢٦٥ وطبقات الزبيدي: ٢٨٣ وفيه «قد يأخذها قفلة» وإنهاء الرواة. ٣ في المطمح: وكتب إلى محمد بن سعيد الترحالي، وفي طبقات الزبيدي: محمد بن سعيد الزجالي، والشعر أيضاً في طبقات الزبيدي وإنهاء الرواة.

والشعرُ لا يُسْلِسُ إلَّا على فَرَاحٍ قلبٍ واتساعِ الخلقِ
فاقتنع بهذا القول من شاعري يَرْضَى من الحظِّ بأدنى العنقِ
ففضلك قد بانَ عليته كما بانَ لأهل الأرض ضوءُ الشفقِ
أما ذِمَامُ الودِّ مِنِّي لَكُمْ فهو من المحتومِ فيما سبقُ

ولم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من مُعْتَلِّه ، ولا يفرق بين مستقيمه ومُخْتَلِّه ، وكان غرضه الإجازة ، وأكثر رواياته غير مستجازه . قال ابن وضاح : قال إبراهيم بن المنذر : أنى صاحبكم الأندلس - يعني عبد الملك هذا - بغير آرة مملوءة ، فقال لي . هذا علمك ، قلت له : نعم . ما فرأ عليّ منه حرفاً ولا قرأته عليه . وحكي أنه قال في دخوله المشرق وحضر مجلس بعض الأكابر فازدراه من رآه :

لا تَنْظُرَنَّ إلى جسمي وقلتي وانظُرْ لصُدري وما يحوي من السنِ
فدُرْبٌ ذي مَنْظَرٍ من غير مَعْرِفَةٍ ورُبٌّ مَنْ تزدريه العينُ ذو بطنِ
ورُبٌّ لؤلؤةٍ في عينٍ مَرْبُلةٍ لم يُلْقَ بالِ لها إلَّا إلى زمنِ
انتهى ما في المطمح الصغير .

قلتُ : أمّا ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو غير مُسَلَّم ، وقد نقل عنه غير واحد من جُهاذة المحدثين ، نعم لأهل الأندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين ، حتى إن في شفاء عياض أحاديث لم يعرف أهل المشرق النُقَاد مخرجها ، مع اعترافهم بجلالة حفاظ الأندلس الدين نقلوها كبتقيي ابن مَحَلْد وابن حبيب وغيرهما على ما هو معلوم . وأمّا ما ذكره عنه في الإجازة بما في الغرارة فذلك على مذهب مَنْ يرى الإجازة ، وهو مذهب مستفيض . واعتراض من اعترض عليه إنما هو بناء على القول بمنع الإجازة ، فاعلم ذلك ، والله سبحانه الموفق .

٢ - ومن الراحلين من الأندلس الفقيه^١ المحدث يحيى بن يحيى الليثي^٢ راوي الموطأ عن مالك ، رضي الله تعالى عنه ، ويقال : إن أصله من برابر مَصْمُودَة^٣ . وحُكي^٤ أنه لما ارتحل إلى مالك لازمه ، فبينما هو عنده في مجلسه مع جماعة من أصحابه إذ قال قائل : حضر الفيل ، فخرج أصحاب مالك كلهم ، ولم يخرج يحيى ، فقال له مالك : مالك لم تخرج وليس الفيل في بلادك ؟ فقال : إنما جئت من الأندلس لأنظر إليك ، وأتعلم من هديك وعلمك . ولم أكن لأنظر إلى الفيل ، فأعجب به مالك ، وقال : هذا عاقل الأندلس ، ولذلك قيل^٥ : إن يحيى هذا عاقل الأندلس^٦ ، وعيسى بن دينار فتيها . وعبدُ الملك بن حبيب عالمها . ويقال : إن يحيى راويها ومحدثها ، وتوفي يحيى بن يحيى سنة ٢٣٤ هـ رجب . وقبره يُستسقى به بقَرْطُبَة ، وقيل : إن وفاته في السنة التي قبلها ، والله تعالى أعلم .

وروايته الموطأ^٦ مشهورة ، حتى إن أهل المشرق الآن يُسندون الموطأ من روايته كثيراً . مع تعدد رواة الموطأ ، والله أعلم . وكان يحيى بن يحيى روى الموطأ بقَرْطُبَة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بشبّطون ، وسمع من يحيى بن مُضَرّ القيسي الأندلسي . ثم ارتحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب في كتاب الاعتكاف . تسكّ في سماعها ، فأثبت روايته فيها عن زياد ، وذلك ممّا يدلّ على ورّعه . وسمع بمصر من الليث بن سعد ، وبمكة من سُفْيَان بن عُيَيْنَة . وتفقه

١ - قد مر التعريف والإشارة إلى مصادر ترجمته ، انظر ج ١ ص : ٣٣٩ .
 ٢ - نسبة يحيى بن يحيى بن كثير بن سلاس (أو وسلاس) بن شمال بن منفايا وقد ضبط ابن حلكان هذه الأسماء .
 ٣ - النقل عن ابن خلكان ٥ : ١٩٤ .
 ٤ - هذا هو قول محمد بن عمر بن لبابة ، انظر الترجمة السابقة .
 ٥ - ولذلك . . الأندلس : سقط هذا من ط ق ، واندرج كأنه من كلام مالك .
 ٦ - قد . في الموطأ .

بالمدينين والمصريين كعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم العُتُقِي^١ ، وسمع منهما ، وهما من أكابر أصحاب مالك ، بعد انتفاعه بمالك وملازمته له .
وانتهت إليه الرياسة بالأندلس ، وبه اشتهر مذهب مالك في تلك الديار ، وتفقه به جماعة لا يُحْصَوْنَ عدداً ، وروى عنه خلق كثير ، وأشهر رواة الموطأ وأحسنهم رواية يحيى المذكور ، وكان - مع أمانته ودينه - مُعْظِماً عند الأمراء ، يُكَنِّتُ عندهم ، عفيفاً عن الولايات متزهاً ، جلّت رتبته عن القضاء ، وكان أعلى من القضاة قدراً عند ولاة الأمر بالأندلس لزهده في القضاء وامتناعه .

قال الحافظ ابن حزم^٢ : مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان : مذهب أبي حنيفة ، فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية ، فكان لا يولي إلا أصحابه والمتسبين لمذهبه ، ومذهب مالك عندنا بالأندلس ، فإن يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاة ، وكان لا يلي قاضٍ في أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته واختياره ، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه ، والناس سراع إلى الدنيا ، فأقبلوا على ما يترجون بلوغ أغراضهم به ، على أن يحيى لم يكل قضاء قط ، ولا أجاب إليه ، وكان ذلك زائداً في جلالته عندهم ، وداعياً إلى قبول رأيه لديهم ، انتهى .

وذكرنا في غير هذا الموضع قولاً آخر في سبب انتشار مذهب مالك بالأندلس ، والله سبحانه أعلم بحقيقة الأمر ، انتهى .

وقال ابن أبي الفياض^٣ : جمع الأمير عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء في

١ في ق : المعتلي وسقطت من ط ؛ وقال ابن خلكان (٢ : ٣١٢) نسبة إلى المعتقاء ، جماع من القبائل كانوا يقطعون الطريق على من أراد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيمض إليهم فأتى بهم أسرى فأعتقهم فقليل لهم : المعتقاء .

٢ انظر ابن خلكان ٥ : ١٩٥ . ٣ النقل أيضاً عن ابن خلكان .

قصره ، وكان وقع على جارية يحبها في رمضان ، ثم ندم أشدّ ندم ، فسألهم عن التوبة والكفارة ، فقال يحيى : تكفّر بصوم شهرين متتابعين ، فلمّا بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتى خرجوا ، فقال بعضهم له : لم لَمْ تُفْتِ بمذهب مالك بالتخير ؟ فقال : لو فتحنا له هذا الباب سَهَّلَ عليه أن يَطأ كل يوم ويعتق رقبة ، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلاّ يعود .

وقال بعض المالكية : إن يحيى ورى بهذا ، ورأى أنّه لم يملك شيئاً إذ هو مستغرق الذمة فلا عتق له ولا إطعام ، فلم يبق إلّا الصيام ، انتهى .

ولمّا انفصل يحيى عن مالك ووصل إلى مصر رأى ابن القاسم يدوّن سماعه من مالك ، فنشيط للرجوع إلى مالك لسمع منه المسائل التي رأى ابن القاسم يدوّنها ، فرحل رحلة ثانية ، فألقى مالكاً عليلاً ، فأقام عنده إلى أن مات وحضر جنازته ، فعاد إلى ابن القاسم وسمع منه سماعه من مالك ، هكذا ذكره ابن الفرّضي في تاريخه^٢ ، وهو ممّا يردُّ الحكاية المشهورة الآن بالمغرب أن يحيى سأل مالكاً عن زكاة التين ، فقال له : لا زكاة فيها ، فقال : إنّها تُدخّر عندنا ، ونذّر إن وصل إلى الأندلس أن يرسل للمالك سفينة مملوءة تيناً ، فلمّا وصل أرسلها فإذا مالك قد مات ، انتهى .

قال ابن الفرّضي^٣ : ولمّا انصرف يحيى إلى الأندلس كان إمام وقته ، وواحد بلاده ، وكان ممّن اتهم بالهيج^٤ في وقعة الرّبض المشهورة ففرّ إلى طليطلة ثم استأمن فكتب له الأمير الحكم أماناً ، وانصرف إلى قرطبة .
وقيل^٥ : لم يعط أحد من أهل الأندلس منذ دخلها الإسلام ما أعطي يحيى من الحظوة ، وعظم القدر ، وجلالة الذكر .

١ ق ط ج : وإنه لم ير أنّه يملك .

٢ ابن الفرّضي ٢ : ١٧٧ وانظر أيضاً ابن خلكان .

٣ المصدر نفسه ، وهو منقول باختصار .

٤ بالهيج : سقطت من ط .

٥ هو قول أحمد بن خالد كما نقله ابن الفرّضي وابن خلكان .

وقال ابن بشكوال^١ : إن يحيى بن يحيى كان مجاب الدعوة . وإنه أخذ في سَمِّه وهَيْئته ونفسه ومَقْعده هيئات مالك . ويحكى عنه أنه قال^٢ : أخذت بركاب الليث بن سعد . فأراد غلامه أن يعنني ، فقال : دَعِه ، ثم قال لي الليث : خَدَمَكَ الْعِلْمُ ؛ فلم تزل بي الأيام حتى رأيت مالكا ، انتهى .

٣ - ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن [أبي] عيسى^٣ . قال في المَطْمَح^٤ : من بني يحيى بن يحيى الليثي . وهذه ثنيةٌ علمٍ وعقل . وصحة ضبط ونقل ، كان علَمُ الأندلس ، وعالمها السُّدُس^٥ . ولي القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها إلى المشرق ، وجمع فيها من الروايات والسماع كل مَفرَق ، وجال في آفاق ذلك الأفق ، لا يستقر في بلد ، ولا يستوطن في جَسَد^٥ . ثم كَرَّ إلى الأندلس فسمت رتبته ، وتخلَّت بالأمان في لَبَّته ، وتصرف في ولايات أحميد فيها مَنابِه ، واتصلت بسببها بالخليفة أسبابه ، وولاه القضاء بقرطبة فتولاه بسياسة محمودة ، ورياسة في الدين مبرمة القوى مجهودة . والتزم فيها الصَّراخ في تنفيذ الحقوق ، والحزامة في إقامة الحدود ، والكشف عن البيِّنات في السر ، والصَّدْع بالحق في الجهر ، لم يَسْتَمِلْه مخادع ، ولم

١ ليس هذا النقل من الصلة إذ لم يترجم فيها ليحيى وإنما هو من تاريخ ابن بشكوال كما صرح بذلك ابن خلكان (ص : ١٩٦) .

٢ ابن خلكان : ١٩٦ .

٣ ق ط ج : محمد بن عيسى ، وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أيوب بن أبي عيسى القاضي عمه الثعالبي (اليتيمة ٢ : ٦٣) ومحمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي أبو عبد الله (عند ابن الفرضي ٢ : ٦١) وهو على أية حال من بني يحيى بن يحيى الليثي ، ولي القضاء أيام الأمير عمه الرحمن بن محمد وأدرك عهد الناصر وأصبح قاضي الجماعة بقرطبة عام ٣٢٦ وكان يستعين به في السماعات ، توفي سنة ٣٣٩ . (انظر أيضاً قضاة قرطبة للخشني : ١٧٢ والمراقبة العليا : ٥٩ والجذوة ٦٩٠ وبنية الملتبس رقم ٢١٨) .

٤ مَطْمَح الأَنْفُس ٤٦ .

٥ المَطْمَح : في مظلومة جلد ، والمعنى واحد ، إذ المظلومة هي الأرض . والجلد . أدبها

يكده مخاتل ، ولمْ يهَبْ ذا حرمة ، ولا داهن ذا مرتبة ، ولا أغضى لأحد من أسباب السلطان^١ وأهله ، حتى تحاموا جانبه ، فلم يحسر أحد منهم عليه ، وكان له نصيب وافر من الأدب ، وحظ من البلاغة إذا نظم وإذا كتب .
ومن ملح شعره ما قاله عند أوبّته عن غربته^٢ :

كأنْ لم يكنْ بيّنْ ولمْ تكْ فرقةٌ إذا كان من بَعْدَ الفراقِ تلاقٍ
كأنْ لمْ تُورّقْ بالعيرَاقينِ مُقلتي ولمْ تَمُرْ كَفُ الشّوقِ ماءً مآقي
ولمْ أزرِ الأعرابَ في جَنبِ أرضهم بذاتِ اللّوى من رامةٍ وبراقٍ
ولمْ أصطَبِحْ بالبيد من قهوةِ النّدى وكأسٍ سقاها في الأزهيرِ ساقٍ
وله أيضاً^٣ :

ماذا أكابدُ من ورّقٍ مُغرّدةٍ على قضيبٍ بذاتِ الجزعِ مَيّاسٍ
ردّدنْ شجواً شجا قلب الخليّ فهل في عبّرة ذرفتْ في الحب من باسٍ
ذكرته الزمّنَ الماضي بقُرْطبةٍ بينَ الأحبةِ في أمنٍ * وإيناسٍ
همُ الصبايةُ لولا هيمّةٌ شُرُفتْ فصيرتْ قلبه كالجندلِ القاسي

وله أخبار تدل على رقة العراق ، والتغذي بماء تلك الآفاق : فمِنها أنّه خرج إلى حضور جنازة بمقابر قريش ، ورجل من بني جابر^٤ كان يواخيه له منزل هناك ، فعزم عليه في الليل إليه ، وعلى أخيه فبّزلا عليه ، فأحضر لهما طعاماً ، وأمر جارية له بالغناء ، فغنّت :

.....

١ ك : أرباب .

٢ انظر هذا الشعر أيضاً في الجذوة وبغية الملتبس .

٣ الشعر في الجذوة : ٧٠ .

٤ الجذوة : ويل ام ذكراي .

٥ الجذوة : لمو .

٦ الجذوة : بني حدير .

طَابَتْ بِطِيبِ لِيَاثِكَ الْأَقْدَاخُ وَزَهَبَتْ بِحُمْرَةِ خَدِّكَ التَّفَاحُ
وإذا الرِّبْعُ تَنَسَّمَتْ أرواحُهُ طَابَتْ بِطِيبِ نَسِيمِكَ الْأرواحُ^١
وإذا الحنَادِسُ أَلْبَسَتْ ظُلُمَاءَهَا فُضِيَاءَ وَجْهِكَ فِي الدُّجَى مِصْبَاحُ

فكتبها القاضي في ظهر يده ، وخرج من عنده ، قال يونس بن عبد الله^٢ :
فلقد رأيته يكبر للصلاة على الجنائز والأبيات مكتوبة على ظهر كفه .

وكان ، رحمه الله تعالى ، في غاية اللطف ، حكى بعض أصحابه قال^٣ : ركبنا
معه في مركب حافل من وجوه الناس ، إذ عرض لنا فتى متأدب قد خرج من
بعض الأزقة سكران يتمايل ، فلما رأى القاضي هابه وأراد الانصراف فخافته
رجلاه ، فاستند إلى الحائط وأطرق ، فلما قرب القاضي رفع رأسه وأنشأ يقول :

ألا أيها القاضي الذي عمَّ عدُّهُ فأضحى به بين الأنامِ فريدا
قرأت كتابَ الله تسعينَ مرةً فلم أرَ فيه للشرابِ حُدُودا
فإن شئتَ جلدًا لي فدُونكَ منكبًا صَبُورًا على ريبِ الزَّمانِ جليدا
وإن شئتَ أن تعفُو تكنْ لك منَّةٌ تروحُ بها في العالمينَ حميدا
وإن أنتَ تختارُ الحديدَ فإنَّ لي لسانًا على هَجْوِ الزَّمانِ حديدا

فلما سمع شعره وميز أدبه أعرض عنه وترك الإنكار عليه ، ومضى لشأنه ؛
انتهى ملخصاً من المطمح .

ورأيت بخطي في بعض مَسَوِّدَاتِي ما صورته^٤ : محمد بن عبد الله بن يحيى
ابن يحيى اللبثي قاضي الجماعة بقبرطبة ، سمع عمَّ أبيه عبيد الله^٥ بن يحيى ومحمد

١ ق ط ج : أدواحه . . . الأدواح .

٢ هو أبو الوليد ابن الصفار قاضي قرطبة ، وهو يروي الحكاية عن أبيه وعنه ابن حزم ، كما في
الجدوة .

٣ هو كاتبه القاسم بن محمد أيام قضائه بالبيعة ، انظر المرقبة العليا : ٦١ وفيها الشعر .

٤ هذه هي ترجمته كما أوردها ابن الفرضي ٢ : ٦١ ، مع شيء من إيجاز .

٥ ق ك : سمع من أبيه عبد الله .

ابن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ، ورحل من قرطبة سنة ٣١٢ ، ودخل مصر وحبس وسمع بمكة من ابن المنذر والعقيلي وابن الأعرابي وغيرهم ؛ وكان حافظاً معتنياً بالآثار جامعاً للسُّنَن ، متصرفاً في علم الإعراب ومعاني الشعر ، شاعراً مطبوعاً ؛ وشاوره القاضي أحمد بن بنقي ، واستقصاه الناصر عبد الرحمن ابن محمد على البيرة وبجّانة^١ ، ثم ولّاه قضاء الجماعة بقرطبة بعد أبي طالب سنة ٣٢٦ ، وجُمعت له مع القضاء الصلاة ، وكان كثيراً ما يخرج إلى النغور ويتصرف في إصلاح ما وهى منها ، فاعتلّ في آخر خرجاته ومات في بعض الحصون المجاورة لطلّيطلة سنة ٢٣٣٧^٢ ، ومولده سنة ٢٨٤ ؛ انتهى وأظن أنّي نقلته من كتاب ابن الأبار الحافظ ، والله أعلم .

٤ — ومنهم عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الأندلسي^٣ ، الدمشقي وفاة ، يكنى أبا بكر : فزبل دمشق ، كان مشهوراً بالصلاح ، وانتفع به جماعة من الفقهاء ، وولد على ما قيل سنة ٥١٦ ، وتوفي سنة ٦١٦ بدمشق ، ودُفن بمقابر الصوفية ، فيكون عمره على هذا مائة سنة ، رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته وبركات أمثاله .

٥ — ومنهم أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري الأندلسي الأُبْدِي ، الملقب في البلاد الشرقية ببرهان الدين — وأبْدَعُ ، بضم الهزّة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعدها ذال معجمة ، بلد بالأندلس — سمع المذكور بمكة وغيرها من البلاد ، ودمشق من الحافظ ابن طبرزد ، وأمّ بالصخرة ، وكان فاضلاً صالحاً شاعراً ، توفي سنة ٦٥٦ ، وأخبر عن بعض الأولياء المجاورين ببيت المقدس أنّه سمع هاتفاً يقول لما خربت القدس :

١ بعد أبي طالب : سقطت من ابن الفرضي .

٢ ابن الفرضي : سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .

٣ عتيق بن أحمد بن عبد الباقي : وردت ترجمته في حواشي الذيل والتكملة (٥ : ١١٥) من تقييدات أبي القاسم التجيبي .

إِنْ يَكُنْ بِالشَّامِ قَلَّ نَصِيرِي ثُمَّ خُرْبْتُ وَاسْتَمَرَّ هُلُوكِي
فَلَقَدْ أَثْبَتَ الْغَدَاةَ خِرَابِي سَمِرَ الْعَارُ فِي حَيَاةِ الْمُلُوكِ

هكذا رأيتُه بخط الصفدي « في حياة » ويحتمل أن يكون « في جباه » جمع جَبْهَة . والله أعلم .

٦ — ومنهم القاضي مُنْذِرُ بن سعيد البلوطي^١ ، قاضي الجماعة بقَرْطُبَة ، وفد قدمنا جملة من أخباره في الباب الثالث والرابع من هذا القسم ، وكان لا يخاف في الله لومة لائم ، ومن مشهور ما جرى له في ذلك قصته في أيتام أخيه تَجْدَة^٢ ، وحدث بها جماعة من أهل العلم والرواية ، وهي أن الخليفة الناصر احتاج إلى شراء دار بقَرْطُبَة لحظيَّة من نسائه تَكْرُم عليه ، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخيه تَجْدَة ، وكانت بقرب النشارين في الرَبَضِ الشرقي منفصلة عن دوره ، ويتصل بها حَمَامٌ له غلة واسعة ، وكان أولاد زكريا أخيه تَجْدَة أيتاماً في حجر القاضي ، فأرسل الخليفة من قوَّمها له بعدد ما طابت نفسه ، وأرسل ناساً أمَرَهُمْ بمداخلة وصي الأيتام في بَيْعِهَا عليهم ، فذكر أنه لا يجوز إلاّ بأمر القاضي ، إذ لم يجوز بيع الأصل إلاّ عن رأيه ومَشُورته ، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار ، فقال لرسوله : البيع على الأيتام لا يصح إلاّ لوجوه : منها الحاجة ، ومنها الوَهْمُ الشديد ، ومنها الغبطة ، فأما الحاجة فلا حاجة لهؤلاء الأيتام إلى البيع ، وأما الوَهْمُ فليس فيها ، وأما الغبطة فهذا مكانها ، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة أمرت

١ قد مرت أخبار لمنذر بن سعيد في هذا الكتاب ١ : ٣٦٨ ، ٥٧٠ (وراجع ترجمته في مطبقات الزبيدي : ٣١٩ والجدوة : ٣٢٦ وبنية الملتبس رقم : ١٣٥٦ وابن الفرضي ٢ : ١٤٢ والحشني : ١٧٥ والمرقبة العليا : ٦٦ والمطبخ : ٣٧ والروض المعطار : ١٤٠ وبنية الوعاة : ٣٩٨ وإنباه الرواة ٣ : ٣٢٥ وأزهار الرياض ٢ : ٢٧٢ ومعجم الأدباء ١٩ : ١٧٤) .
٢ القصة في المطبخ : ٤٣ .

وصيهم بالبيع ، وإلا فلا ، فنقل جوابه إلى الخليفة ، فأظهر الزهد في شراء الدار طمعاً أن يتوخى رغبته^١ فيها ، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأيتام سورتها ، فأمر وصي الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ، ففعل ذلك وباع الأنقاض ، فكانت لها قيمة أكثر مما قومت به للسلطان ، فاتصل الخبر به ، فعز عليه خرابها ، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها ، فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك ، فأرسل عند ذلك للقاضي مُنذِر ، وقال له : أنت أمرت بنقض دار أخي تَجْدَة ؟ فقال له : نعم ، فقال : وما دعاك إلى ذلك ؟ قال : أخذت فيها بقول الله تعالى ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ، وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (الكهف : ٧٩) مَقْوموك لم يقدروها^٢ إلا بكذا ، وبذلك تعلق وهمك ، فقد نَضَّ^٣ في أنقاضها أكثر من ذلك ، وبقيت القاعة والحمام فضلاً ، ونظر الله تعالى للأيتام ، فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك ، وقال : نحن أولى من انقاد إلى الحق ، فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيراً .

قالوا^٤ : وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدُّعابة ، فربما ساء ظنُّ من لا يعرفه ، حتى إذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار له ثورة الأسد الضاري ، فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال : قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم مع أبينا للإفطار بداره البرانية ، فإذا سائل يقول^٥ : أطعمونا من عشايتكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة ، هذه الليلة ، ويكثر من ذلك ، فقال القاضي : إن استعجب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد .

١ ط : رغبته .

٢ المطمح : فمقومك لم يقدرها .

٣ نض : تحصل ، من الناض أي المال العين .

٤ المطمح : ٤٤ .

٥ المطمح : يا أهل هذه الدار الصالح أهلها .

وحكى عنه قاسم بن أحمد الجهني^١ أنه ركب يوماً لحيازة أرض مُحَبَّسَةٍ في رَكْبٍ من وُجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو إبراهيم المؤلّوي ونظراؤه ، قال : فسرنا نَقْفُوهُ وهو أماننا ، وأمامه أماناؤه يحملون خرائطه وذووه عليهم السكينة والوقار ، وكانت القضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشي ، فعرض له في بعض الطريق كلاب مع مُسْتَوْحمة ، والكلاب تعلق هَتَّهَا وتدور حولها ، فوقف وصرف وجهه إلينا وقال : ترون يا أصحابنا ما أبرَّ الكلاب بالهن الذي تعلقه وتكرمه ، ونحن لا نفعل ذلك ؛ ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا ، وبقينا متعجبين من هَزْلِهِ .

وحضر^٢ عند الحكم المستنصر بالله يوماً في خلوة له في بستان الزهراء على بركة ماء طافحة ، وسط روضة نافحة ، في يوم شديد الوَهَج ، وذلك إثر مُنْصَرَفِهِ من صلاة الجمعة ، فشكا إلى الخليفة من وَهَج الحرِّ الجهد ، وبث منه ما تجاوز الحد ، فأمره بخلع ثيابه والتخفيف عن جسمه ، ففعل ولم يُطْفِ ذلك ما به ، فقال له : الصواب أن تنغمس في وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك ، وليس مع الخليفة إلاّ الحاجب جعفر الخادم الصقلي أمين الخليفة الحكم ، لا رابع لهم ، فكأنه استحيا من ذلك وانقبض عنه وقاراً ، وأقصر عنه إقصاراً ، فأمر الخليفةُ حاجبَه جعفرًا بسبّقه إلى النزول في الصهريج ليسهل عليه الأمر فيه ، فبادر جعفر لذلك ، وألقى نفسه في الصهريج ، وكان يحسن السباحة ، فجعل يحول يميناً وشمالاً فلم يسع القاضي إلاّ لإنفاذ أمر الخليفة ، فقام وألقى بنفسه خلف جعفر ، ولاذ بالقعود في دَرَج الصهريج ، وتدرّج فيه بعض تدرّج ، ولم ينبسط في السباحة ، وجعفر يمر مُصْعَداً ومصوباً ، فدسّه الحكم على القاضي ، وحمله على مساجلته في العَوَم ، فهو يُعَجِّزُهُ في إخلاده إلى القعود ، ويعابته

١ المطمح : ٤٤ .

٢ النص في المطمح : ٤٤ والمرقبة العليا : ٧٢ .

باللقاء الماء عليه ، والإشارة بالجدب إليه ، وهو لا ينبعث معه ، ولا يفارق موضعه ، إلى أن كلمه الحكم وقال له : ما لك لا تساعد الحاجب في فعله وتقبل^١ صنعه ؟ فمن أجلك نزل ، وبسبك تبدل ، فقال له : يا سيدي يا أمير المؤمنين ، الحاجب سلمه الله تعالى لا هو جل معه ، وأنا بهذا الهوجل الذي معي يعقلني ويمنعني من أن أجول معه مجالته^٢ - يعني أن الحاجب خصي لا هو جل معه ، والهوجل : الدكر - فاستفرغ الحكم ضحكاً من نادرته ولطيف تعريضه لجعفر ، وخجل جعفر من قوله ، وسبه سب الأشراف ، وخرجا من الماء ، وأمرهما الخليفة بخليع ، ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما .
وحكي أن الخليفة الحكم قال له يوماً^٣ : لقد بلغني أنك لا تجتهد للأيتام ، وأنتك تقدم لهم أوصياء سوء يأكلون أموالهم ، فقال : نعم ، وإن أمكنهم نيك أمهاتهم لم يعفوا عنهم ، قال : وكيف تقدم مثل هؤلاء ؟ قال : لست أجد غيرهم ولكن أحلني على اللؤلؤي وأبي إبراهيم ومثل هؤلاء ، فإن أبوا أجبرتهم بالسوط والسجن ، ثم لا تسمع إلا خيراً .
وقال القاضي منذر^٣ : أتيت وأبو جعفر ابن النحاس في مجلسه بمصر يملئ في أخبار الشعراء شعر قيس المجنون حيث يقول :

خليلي هل بالشام عين حزينه^١ تبكي على نجد لعلي أعينها
قد أسلمها الباكون إلا حمامة^٢ مطوقة باتت ويات قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة^٣ يكاد يدتها من الأرض لينها

فقلت له : يا أبا جعفر ، ماذا ، أعزك الله تعالى ، باتا يصنعان ؟ فقال لي : وكيف تقول أنت يا أندلسي ؟ فقلت له : بانت وبان قرينها ، فسكت ، وما

١ ق ط : وتقبل .

٢ المطمح : ٤٥ والمرقبة العليا : ٧٣ .

٣ طبقات الزبيدي : ٢٤٠ .

زال يستثقلني بعد ذلك ، حتى منعي كتاب العين ، وكنت ذهبت إلى الانتساخ من نسخته ، فلمّا قطع بي قيل لي : أين أنت عن أبي العباس ابن ولّاد ؟ فقصدته ، فلقيت رجلاً كاملاً العلم حسن المروءة ، فسألته الكتاب ، فأخرجه إليّ ، ثم ندم أبو جعفر لما بلغه إباحة أبي العباس الكتاب لي ، وعاد إلى ما كنت أعرفه منه . قال : وكان أبو جعفر لثيم النفس ، شديد التقدير على نفسه ، وربما وهبت له العبادة فيقطعها ثلاث عمائم ، وكان يأبى شراء حوائجه بنفسه ، ويتحمل فيها على أهل معرفته ، انتهى . وأبو جعفر هذا يقال : إن تواليفه تزيد على خمسين ، منها شرح عشرة دواوين للعرب ، و«إعراب القرآن» ، و«معاني القرآن» ، و«شرح أبيات الكتاب» ، وغير ذلك .

رجع - وقال منذر بن سعيد : كتبت إلى أبي علي البغدادي أستعير منه كتاباً من الغريب ، وقلت :

بَحَقَّ رِيْمٌ مُهَقِّهَفٌ وَصُدَّغَهُ الْمُتَعَطِّفُ
لِإِبْعَثَ إِلَيَّ بِجُزْءٍ مِنْ الْغَرِيبِ الْمُصَنَّفِ

فقضى حاجتي ، وأجاب بقوله :

وَحَقَّ دُرٌّ تَأَلَّفَ بِفِيكَ أَيَّ تَأَلَّفِ
لِأَبْعَثَنَّ بِمَا قَدْ حَوَى الْغَرِيبُ الْمُصَنَّفِ
وَلَوْ بَعَثْتُ بِنَفْسِي إِلَيْكَ مَا كُنْتُ أُسْرِفُ

فرحم الله تعالى تلك الأرواح الطاهرة .
وذكر ابن أصبغ الهمداني عن منذر أنه خطب يوماً ، وأراد التواضع ، فكان من فصول خطبته أن قال ^١ : حتى متى أعظ ولا أتعظ ، وأزجر ولا

١. انظر المرقبة العليا : ٦٩ .

أزدجر ، أدل الطريق على المستدلين ، وأبقى مُقيماً مع الحائرين ؟ كلاً إن هذا هو البلاء المبين ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ (الأعراف : ١٥٥) ، اللهم فرّغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما تكفّلت لي به ، ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك ، يا أرحم الراحمين .

وسمع منذر بالأندلس^١ من عبيد الله بن يحيى بن يحيى ونظرائه ، ثم رحل حاجاً سنة ثمان وثلاثمائة فاجتمع بعده أعلام وظهرت فضائله بالمشرق ، وممن سمع عليه منذر بالمشرق ثم بمكة محمد بن المنذر النيسابوري ، سمع عليه كتابه المؤلف في اختلاف العلماء المسمى « بالإشراف » وروى بمصر كتاب « العين » للخليل عن أبي العباس ابن ولّاد ، وروى عن أبي جعفر ابن النحاس . وكان منذر متفتناً في ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود ابن علي الأصبهاني المعروف بالظاهري ، فكان منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالاته ويأخذ به في نفسه وذويه ، فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه ، وهو الذي عليه العمل بالأندلس ، وحمل السلطان أهل مملكته عليه ، وكان خطيباً بليغاً عالماً بالجدل حاذقاً فيه ، شديد العارضة حاضر الجواب عتيده ، ثابت الحجّة ذا شارة^٢ عجيبة ومنظر جميل وخلق حميد وتواضع لأهل الطلب وانحطاط إليهم وإقبال عليهم ، وكان مع وقاره التام — فيه دُعاة مستملحة ، وله نوادر مستحسنة ، وكانت ولايته القضاء بقُرطبة للناصر في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، ولبت قاضياً من ذلك التاريخ للخليفة الناصر إلى وفاته ، ثم للخليفة الحكم المستنصر إلى أن توفي ، رحمه الله تعالى ، عقب ذي القعدة من سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، فكانت ولايته لقضاء

١ فيه متابعة لابن الفريسي ٢ : ١٤٢ - ١٤٣ والزبيدي : ٢٤٠ .

٢ ق : إشارة .

الجماعة المعبر عنها في المشرق بقضاء القضاة ستة عشر عاماً كاملة ، لم يُحفظ عليه فيها جور في قضية ، ولا قسم بغير سَوِيَّة ، ولا ميل بهوى ، ولا إصغاء إلى عناية ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ؛ ودُفِنَ بمقبرة قريش بالربض الغربي من قرطبة أعادها الله تعالى ، جوفيَّ مسجد السيدة الكبرى ، بقرب داره .
وله ، رحمه الله تعالى ، تواليف مفيدة : منها كتاب «أحكام القرآن» و«الناسخ والمنسوخ» وغير ذلك في الفقه والكلام في الرد على أهل المذاهب ، تغمده الله تعالى بفضله .

وكتب بعض الأدباء إلى القاضي منذر بقوله :

مسألة . جئتكَ مُسْتَفْتِيًا عنها ، وأنت العالمُ المستشارُ
علامَ تَحْمَرُّ وجوهُ الظُّبَا وأوجهُ العشَّاقِ فيها اصفرارُ

فأجاب منذر بقوله :

احمَرَّ وجهُ الظُّبِّي إِذْ لحظهُ سَيْفٌ على العشَّاقِ فيه احْوِزارُ
واصفَرَّ وجهُ الصَّبِّ لَمَّا نأى والشمسُ تُبْقِي للمغيبِ اصفرارُ

٧ - وممن رحل إلى المشرق^١ من الأندلس فشهد له بالسبق ، كل أهل المغرب والشرق ، الإمام العلامة أبو القاسم الشاطبي^٢ ، صاحب «حزر الأمان» و«العقيلة» وغيرهما .

١ إلى المشرق : سقطت من ط .

٢ أبو القاسم الشاطبي : القاسم بن فيره - بكسر الفاء وسكون الياء آخر الحروف وتشديد الراء وضما (Fero) وهذا من لغة اللطيني من أعاجم الأندلس ومعناه الحديد . ترجمته في ابن خلكان ٣ : ٢٣٤ ومعجم الأدباء ١٦ : ٢٩٣ ونكت الهميان : ٢٢٨ وطبقات السبكي ٤ : ٢٩٧ وغاية النهاية ٢ : ٢٠ وفيه نقل ترجمته عن رحلة ابن رشيد وشذرات الذهب ٤ : ٣٠١ وبغية الوعاة : ٣٧٩ والتكملة رقم : ١٩٧٣ والذيل والتكملة ٥ : ٥٤٨ والديباج المذهب : ٢٢٤ .

وهو أبو القاسم^١ ابن فيره بن خلف بن أحمد الرعيتي الشاطبي المقرئ ،
 الفقيه الحافظ الضرير أحد العلماء المشهورين والفضلاء المذكورين ، خطب ببلده
 شاطبية مع صغر سنه ، ودخل الديار المصرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ،
 وحضر عند الحافظ السلفي وابن بترقي وغيرهما ، وولد بشاطبية آخر سنة ثمان
 وثلاثين وخمسمائة ، وتوفي بالقاهرة يوم الأحد الثامن والعشرين ، وقيل :
 الثامن عشر ، من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ، بعد العصر ، ودُفِن من
 الغد بالتربة الفاضلية بسفح المقطم .

وحكي أن الأمير عز الدين موسك الذي كان والد ابن الحاجب حاجباً له
 بعث إلى الشيخ الشاطبي يدعوه إلى الحضور عنده ، فأمر الشيخ بعض أصحابه
 أن يكتب إليه :

قُلْ لِلْأَمِيرِ مَقَالَةٌ مِنْ نَاصِحِ قَطِينِ نَبِيهِ
 إِنَّ الْفَقِيهَ إِذَا أَتَى أَبَوَابَكُمْ لَا خَيْرَ فِيهِ

ومن نظمه ، رحمه الله تعالى :

خَالَصْتُ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ فَلَمْ أَجِدْ مَنْ لَمْ أَرُمْ^٢ مِنْهُ ارْتِيَادِي مَخْلَصِي
 رَدُّ الشَّبَابِ وَقَدْ مَضَى لِسَيْلِهِ أَهْمِيَا وَأَمَكُنْ مِنْ صَدِيقٍ مَخْلَصٍ

وكان ، رحمه الله تعالى ، قرأ بشاطبية القراءات ، وأتقنها على النفري^٣ ، ثم
 انتقل إلى بَلَنْسِيَّةَ فقرأ بها «التيسير» من حفظه على ابن هُدَّيْل ، وسمع الحديث منه
 ومن ابن النعمة وابن سعادة وابن عبد الرحيم وغيرهم ، وارتحل إلى المشرق
 فاستوطن القاهرة ، واشتهر اسمه وبعُدَ صيته ، وقصده الطلبة من النواحي ،

١ ق : أبو القاسم القاسم .

٢ ق : خالصة . . . من لم أر .

٣ مفهوم كلام ابن عبد الملك أن قراءة الشاطبي على النفري كانت أيضاً ببلنسية .

وكان إماماً علامة ذكياً كثير الفنون منقطع القرين رأساً في القراءات ، حافظاً للحديث بصيراً بالعربية واسع العلم ، وقد سارت الركبانُ بقصيدته «حرز الأمان» و«عقيلة أتراب الفضائل»^١ اللتين في القراءات والرسم ، وحفظيهما خلق لا يُحْصَوْنَ ، وخضع لهما فحول الشعراء وكبار البلغاء وخذّاق القراء ، ولقد أوجز وسهّل الصعب .

وممن روى عنه أبو الحسن ابن خيرة ، ووصفه من قوة الحفظ بأمر معجب ، وممن قرأ عليه بالروايات الإمام الشهير محمد بن عمر القرطبي .
وثصدر الشاطبي ، رحمه الله تعالى ، للإقراء بالمدرسة الفاضلية ، وكان موصوفاً بالزهد والعبادة والانقطاع . وقبره بالقرافة يُزار ، وتُرجى استجابة الدعاء عنده ، وقد زرتة مراراً ، ودعوت الله بما أرجو قبوله . وترك أولاداً : منهم أبو عبد الله محمد ، عاش نحو ثمانين سنة .

وقال السبكي في حق الإمام الشاطبي : إنّه كان قويّ الحافظة ، واسع المحفوظ ، كثير الفنون فقيهاً مقرئاً محدثاً نحويّاً زاهداً عابداً ناسكاً يتوقد ذكاء ؛ قال السخاوي^٢ : أقطع أنّه كان مكاشفاً ، وإنّه سأل الله كتمان حاله ، ما كان أحد يعلم أي شيء هو ، انتهى .

وترجمته واسعة ، رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين .

سوّال ابن خلكان : ولقد أبدع كل الإبداع^٣ في «حرز الأمان» وهي عمدة قرأ هذا الزمان في نقلهم ، فقلّ من يشتغل بالقراءات إلاّ ويقدم حفظها ومعرفتها ، وهي مشتملة على رموز عجيبة وإشارات لطيفة ، وما أظنّه سبق إلى أسلوبها . وقد روي عنه أنّه كان يقول : لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلاّ وينفعه

١ سماها ابن عبد الملك : «عقيلة القصائد في أسنى المقاصد» .

٢ هو تلميذه علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب الهمداني السخاوي .

٣ هذا نص ابن خلكان ، وفي ق ط ج : إنّه أبدع في حرز . إلخ .

الله ، عزّ وجلّ ، لأنني نظمته لله تعالى مخلصاً . وكان عالماً بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيراً ، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مبرزاً فيه ، وكان إذا قرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ يُصحح النسخ من حفظه ، ويُملئ النكت على المواضع المحتاج إليها ، وكان أوحده في علم النحو واللغة ، عارفاً بتعبير^١ الرؤيا ، حسن المقاصد ، مخلصاً فيما يقول ويفعل ، وكان يجتنب فضول الكلام ، ولا ينطق في سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه ضرورة ، ولا يجلس للقراءة إلا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانة ، وكان يعتلّ العلة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه ، وإذا سُئل عن حاله قال : العافية ، لا يزيد على ذلك . وكان كثيراً ما ينشد هذا الغز في النعش ، وهو لأبي زكريا يحيى بن سلامة الخطيب :

أَتَعْرِفُ شَيْئاً فِي السَّمَاءِ نَظِيرُهُ إِذَا سَارَ صَاحَ النَّاسُ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مُرَكُوباً وَتَلْقَاهُ رَاكِباً وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أُسِيرُ
يَحْضُرُ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبُهُ وَتَنْفَرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يَسْتَرْزِ عَنْ رَغْبَةٍ فِي زِيَارَةٍ وَلَكِنْ عَلَى رَغْمِ الْمَرْزُورِ يَزُورُ

وكان يقال عند دخوله إلى مصر : إنّه يحفظ وقرّ بعير من العلوم ، وكان نزيل القاضي الفاضل ، ورتبه بمدرسته بالقاهرة ، وقيل : إن كنيته أبو محمد^٢ حسبما وُجد في بعض إجازاته ، رحمه الله تعالى .

٨ — ومن الراحلين إلى المشرق من الأندلس الإمام القاضي أبو بكر ابن العربي^٣ .

١ ط ج ودوزي : بتفسير .

٢ أكثر المصادر على أن اسمه « القاسم » وأن له كنيته : أبو القاسم وأبو محمد ، إلا أن أبا بكر ابن مسدي سماه في معجم مشيخته « خلفاً » .

٣ أبو بكر ابن العربي : ترجمته في ابن خلكان ٣ : ٤٢٣ والصلة ٥٥٨ والمرقبة العليا : ١٠٥ =

قال ابن سعيد : هو الإمام العالم القاضي الشهير فعزr المغرب^١ ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري ، قاضي قضاة كورة إشبيلية ، ذكره الحجارى فى المسهب ، طبّق الآفاق بفوائده ، وملأ الشام والعراق بأوابده ، وهو إمام فى الأصول والفروع وغير ذلك^٢ . ومن شعره وقد ركب مع أحد أمراء الملثمين ، وكان ذلك الأمير صغيراً ، فهز عليه رُميحاً كان فى يده مداعباً ، فقال^٣ :

يَهْزُ عَلَيَّ الرُّمَحَ ظَبْيٌ مُهَفِّفٌ لَعُوبٌ بِالْبَابِ الْبَرِيَّةِ عَابُ
فَلَوْ أَنَّهُ رَمَحَ إِذْنَ لَا تَقْبِيئُهُ وَلَكِنَّهُ رَمَحَ وَثَانٍ وَثَالِثُ

وقوله وقد دخل عليه غلام جميل الصورة فى لباس خشن :

لبس الصوف لكي أنكره وأتانا شاجياً قد عبسا
قلتُ إليه قد عرفناك وذا جلُّ سوء لا يعيبُ الفرسا
كلُّ شيء أنت فيه حسن لا يبالي حسن ما لبسا

وزعم بعض أن الأبيات ليست له ، وإنما تمثل بها ، فالله تعالى أعلم .
ومن عرّف بابن العربي وذكره ابنُ الإمام فى «سمط الجُمان» ،

١ = والديباج المذهب : ٢٨١ وتذكرة الحفاظ : ١٢٩٤ وشذرات الذهب ٤ : ١٤١ (وفيات : ٥٤٦) والمطمح : ٦٢ وأزهار الرياض ٣ : ٦٢ ، ٨٦ - ٩٥ وبغية الملثمين رقم : ١٧٩ والمغرب ١ : ٢٤٩ .

٢ ق : العرب ؛ وهو صواب أيضاً لأن ابن العربي «معافري» .

٣ وغير ذلك : سقطت من ط .

٤ فى هذه القطعة والثنتين التاليتين يتابع المقرئ ابن سعيد فى المغرب ١ : ٢٥٠ .

٥ هو تحوير البيت :

فلو كان سهماً واحداً لاتقيته البيت

ه ط ج : شاجباً .

والشَّقْنَدِي في « الطرف » ، وكان قد صحب المهدي محمد بن تُوْمَرْتْ
بالمشرق^١ ، فأوصى عليه عبد المؤمن وكان مكرماً عنده ، وحكي أنه كتب
كتاباً فأشار عليه أحد من حضر أن يذُرَّ عليه نشارة ، فقال : قف ، ثم فكَّرَ
ساعة ، وقال : اكتب^٢ :

لَا تَشْنِهُ بِمَا تَذُرُّ عَلَيْهِ فَكْفَاهُ هُبُوبُ هَذَا الْهَوَاءِ
فَكَأَنَّ الَّذِي تَذُرُّ عَلَيْهِ جُدْرِيٌّ بِوَجْهَةٍ حَسَنَاءِ

ولقي أبا بكر الطُّرُطُوشِي . وما برح معظماً إلى أن تولى خِطَّةَ الْقَضَاءِ ،
ووافق ذلك أن احتاج سور إشبيلية إلى بنيانٍ جهةٍ منه ، ولم يكن فيها مال متوفر ،
ففرض على الناس جلود ضحاياهم ، وكان ذلك في عيد أضحى ، فأحضروها
كارهين ، ثم اجتمعت العامة العمياء ، وثارَت عليه ونهبوا داره ، وخرج إلى
قرطبة .

وكان في أحد أيام الجمع قاعداً ينتظر الصلاة ، فإذا بغلام رومي وضيء
قد جاء يَحْتَرِقُ الصفوف بشمعة في يده وكتاب مُعْتَقٍ ، فقال :

وَشَمْعَةٌ تَحْمِلُهَا شَمْعَةٌ يَكَادُ يُخْفِي نَوْرُهَا نَارَهَا
لَوْلَا نَهَى نَفْسٍ نَهَتْ غِيَّهَا لَقَبِلْتَهُ وَأَتَتْ عَارَهَا

ولما سمعهما أبو عمران الزاهد قال : لأنه لم يكن يفعل ، ولكنه هزته
أريحية الأدب ولو كنت أنا لقلت :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَخَوْفُ اللَّهِ يَمْنَعُنِي وَأَنْ يَقَالَ صَبَا مُوسَى عَلَى كِبَرِهِ
إِذَا لَمَتَّعْتُ لِحْظِي فِي نَوَاطِرِهِ حَتَّى أَوْقَى جَفَوْنِي الْحَقَّ مِنْ نَظَرِهِ

١ في هذا القول نظر ، وقد سئل ابن العربي بعد عودته إلى المغرب هل لقي الإمام المهدي بن تومرت ،
وكان ذلك في مجلس عبد المؤمن ، فقال : لم ألقه وإنما سمعت به (الحلل الموشية : ١٢٢ - ١٢٣) .
٢ انظر المغرب ١ : ٢٥٠ .

رجع إلى أخبار ابن العربي - فنقول : إنه سمع بالأندلس أباه وخاله أبا القاسم الحسن الهوزني وأبا عبد الله السَّرْقُسْطِي ، وببجاية أبا عبد الله الكلاعي ، وبالمهدية أبا الحسن ابن الحداد الخولاني ، وسمع بالإسكندرية من الأنماطي ، وبمصر من أبي الحسن الخلعي وغيره ، وبدمشق غير واحد كأبي الفتح نصر المقدسي ، وبمكة أبا عبد الله الحسين الطبري وابن طلحة وابن بُنْدَار ، وقرأ الأدب على التبريزي وعمل ، رحمه الله تعالى ، على مدينة إشبيلية سوراً بالحجارة والآجر بالنورة من ماله . وكان - كما في الصلة - [مقدماً في المعارف كلها] حريصاً على أدائها ونشرها^١ ، ثاقب الذهن في تمييز الصواب فيها ، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق ، مع حسن المعاشرة ولين الكَنَفِ ، وكثرة الاحتمال وكرم النفس ، وحسن العهد وثبات الود .

وذكره ابن بَشْكُوَال في الصلة وقال فيه : الإمام الحافظ ، ختام علماء الأندلس ، رحل إلى المشرق مع أبيه مستهلاً^٢ ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، ودخل الشام والعراق وبغداد ، وسمع بها من كبار العلماء ، ثم حج في سنة تسع وثمانين ، وعاد إلى بغداد ، ثم صدر منها^٣ .

وقال ابن عساكر : خرج من دمشق راجعاً إلى مقره سنة ٤٩١ ، ولما غَرَبَ صَنَّفَ «عارضة الأخوذي» ولقي بمصر والإسكندرية جملة من العلماء ، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين ، وقدم إشبيلية بعلم كثير ، وكان موصوفاً بالفضل والكمال ، وولي القضاء بإشبيلية ، ثم صُرف عنه ، ومولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة ، وتوفي بمغيلة بمقربة^٣ من مدينة فاس ، ودُفِنَ بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين

.....

١ في أصول النفع : آدابها وسيرها ، والتصحيح عن الصلة وابن خلكان ، والضمير راجع إلى «المعارف» ، واضطرب النقل على المقري .

٢ النقل عن الصلة باختصار شديد .

٣ ق : بمقيلة بقرية .

وخمسمائة ؛ انتهى كلام ابن سعيده وغيره ملخصاً .

وما وفي ابن سعيده حافظ الإسلام أبا بكر ابن العربي حقه ، فلنعززه بما حضرنا من التعريف به ، فنقول : إنه لقي ببغداد الشاشي أبا بكر والإمام أبا حامد الطوسي الغزالي ، ونقل عنه أنه قال : كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به من العلم إلاّ الباجي ، أو كلاماً هذا معناه ، وكان من أهل التفنن في العلوم ، متقدماً في المعارف كلّها ، متكلّماً على أنواعها ، حريصاً على نشرها ، وقام بأمر القضاء أحمد قيام ، مع الصرامة في الحق ، والقوة والشدة على الظالمين والرفق بالمساكين ، وقد روي عنه أنه أمر بثقب أشدّاق زامر ، ثم صُرف عن القضاء ، وأقبل على نشر العلم وبثّه ، وقرأ عليه الحافظ ابن بشكّووال بإشيلية .

وقال ابن الأبار^١ : إن الإمام الزاهد العابد أبا عبد الله ابن مجاهد الإشيلي لازم القاضي ابن العربي نحواً من ثلاثة أشهر ، ثم تخلّف عنه ، فقليل له في ذلك ، فقال : كان يدرس وبغلته عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان ، انتهى . وذكره ابن الزبير في صلته^٢ ، وقال : إنّه رحل مع أبيه أبي محمد عند انقراض الدولة العبّادية ، وسنّه نحو سبعة عشر عاماً ، إلى أن قال : وقيد الحديث ، وضبط ما روى ، واتسع في الرواية ، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام على أئمة هذا الشأن ، ومات أبوه — رحمه الله تعالى — بالإسكندرية أول سنة ثلاث وتسعين فأنصرف حينئذ إلى إشيلية ، فسكنها ، وشوّر فيها وسمع ، ودرّس الفقه والأصول ، وجلس للوعظ والتفسير ، وصنف في غير فن تصانيف مليحة حسنة مفيدة ، وولي القضاء مدّة أولها في رجب من سنة ثمان وعشرين ، فنفع الله تعالى به لصراّمته ونفوذ أحكامه ، والتزم^٣ الأمر بالمعروف والنهي عن

١ انظر أيضاً المرقبة العليا : ١٠٦ وأزهار الرياض : ٦٣ .

٢ المصدران السابقان أيضاً .

٣ ط : والتزام .

المنكر ، حتى أُوذي في ذلك بذّهاب كتبه وماله ، فأحسن الصبر على ذلك كله ، ثم صُرِفَ عن القضاء ، وأقبل على نشر العلم وبثّه ، وكان فصيحاً حافظاً أديباً شاعراً كثير المליح المجلّس .

ثم قال : اقال القاضي عياض - بعد أن وصفه بما ذكرته - : ولكثرة حديثه وأخباره وغريب حكاياته ورواياته أكثر الناس فيه الكلام ، وطعنوا في حديثه ، وتوفي مُنْصَرَفَه من مراكش من الوجهة التي توجه فيها مع أهل بلده إلى الحضرة بعد دخول الموحدّين مدينة إشبيلية ، فحبسوا بمراكش نحو عام ، ثم سرحوا ، فأدركته منيته ، وروى عنه خلق كثير ، منهم القاضي عياض وأبو جعفر ابن الباذش وجماعة ، انتهى ملخصاً .

ووقع في عبارة ابن الزبير تبعاً لجماعة أنّه دُفِنَ خارج باب الحيسّة بفاس ، والصواب خارج باب المحروق ، كما أشبعت الكلام على ذلك ، في « أزهار الرياض »^١ ، وقد زُرْتُه مراراً ، وقبره هنالك مقصود للزيارة خارج القصبة ، وقد صرح بذلك بعض المتقدمين الذين حضّروا وفاته ، وقال : إنّه دُفِنَ بتربة القائد مظفر خارج القصبة ، وصلى عليه صاحبه أبو الحَكَم ابن حجاج ، رحمه الله تعالى . ومن بديع نظمه^٢ :

أَتَتْنِي تُؤْنِبْنِي بِالْبُكَ فَأَهْلًا بِهَا وَبِثَانِيَّيْهَا
تَقُولُ فِي نَفْسِهَا حَسْرَةً : أَتَبْكِي بَعِينَ تَرَانِي بِهَا ؟
فَقُلْتُ : إِذَا اسْتَحْسَنْتُ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ جَفُونِي بِتَعْذِيبِهَا

وقال ، رحمه الله تعالى : دخل عليّ الأديبُ ابن صارة وبين يديّ نار علاها رماد ، فقلت له : قل في هذه ، فقال :

١ أزهار الرياض ٣ : ٦٥ ، ٨٧ - ٨٨ .

٢ أزهار الرياض ٣ : ٨٨ .

شَابَتْ نَوَاصِي النَّارِ بَعْدَ سَوَادِهَا وَتَسْتَرَّتْ عَنَّا بِشَوْبِ رِمَادٍ

ثم قال لي : أجز ، فقلت :

شَابَتْ كَمَا شَيْبْنَا وَزَالَ شَبَابُنَا فَكَأَنَّمَا كُنَّا عَلَى مِيعَادٍ

وقد اختلف حُذَاقُ الأدباء في قوله : « ولكنه رمح وثن وثالث » ما هو الثاني والثالث ؟ فقليل : القَدِّ واللحظ ، وقيل غير ذلك .

ولما ذكر ، رحمه الله تعالى ، في كتابه « قانون التأويل » ركوبه البحر في رحلته من إفريقية قال ^١ : وقد سبق في علم الله تعالى أن يعظم علينا البحر بزوله ، ويغرقنا في هَوْلِهِ ، فخرجنا من البحر ، خروج الميت من القبر ، وانتهينا بعد خَطْبِ طویل إلى بيوت بني كعب بن سليم ، ونحن من السَّغْب ، على عَطْب ، ومن العُرْي ، في أقبح زي ، قد قذف البحر زقاق زيت مزقت الحجارة منيشتها ^٢ ، ودسّمت الأدهان وبَرَّهَا وجلدتها ، فاحترمناها أزرأ ، واشتملناها لِفَافاً ^٣ ، تمجّتنا الأبصار ، وتخذلّنا الأنصار ، فعطف أميرهم علينا فأوينا إليه فأوانا ، وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا ، وأكرم مشوانا ، وكسانا بأمر حقير ضعيف ، وفنّ من العلم طريف ، وشرحه أنا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه ^٤ ، فعمل السامد اللاه ، فدنوت منه في تلك الأظمار ، وسمع لي بياذفته إذ كنت من الصغر في حدّ يُسَمَّح فيه للأغمار ، ووقفت بإزائهم ، أنظر إلى تصرفهم من ورائهم ، إذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القرابة في خلّس البطالة ، مع غلبة الصبوة والجهالة ، فقلت للبياذقة : الأمير أعلم من

١ النص في أزهار الرياض ٣ : ٨٩ - ٩١ .

٢ المنية : المجلد أول عهده بالدباغ ، وفي ق ط ج ودوزي : هيئتها ؛ وأظنه أصوب .

٣ الأزهار : لفعاً .

٤ يريد أنه يلعب الشطرنج .

صاحبه ، فلمحوني شَزْراً ، وعظمتُ في أعينهم بعد أن كنت نَزْراً ، وتقَدَّ
الأمير مَنْ نَقَلَ إلّيه الكلام ، فاستدنا في فدنوت منه ، وسألني : هل لي بـ
فيه بَصَرٌ ؟ فقلت : لي فيه بعض نظر ، سيبدو لك ويظهر ، حرّك تلك القط
ففعل وعارضه صاحبه ، فأمرته أن يحرك أخرى ، وما زالت الحركات ؛
كذلك تَتَرى ، حتى هزمهم الأمير ، وانقطع التدبير ، فقالوا : ما أنت بصيغ
وكان في أثناء تلك الحركات قد ترنم ابنُ عم الأمير منشداً :

وأحلى الهوى ما شكّ في الوصل ربُّه وفي الهجر فهو الدهر يَرْجو

فقال : لعن الله أبا الطيّب ، أويشكُّ الربُّ ؟ فقلت له في الحال : ليس
ظنّ صاحبك أيها الأمير ، إنّما أراد بالرب ههنا صاحب ، يقول : ألدّ اما
ما كان المحبُّ فيه من الوصال ، وبلوغ الغرض من الآمال ، على ريب ،
في وقته كلّه على رجاء لما يؤمله ، وثقاة لما يقطع به ، كما قال :

إذا لم يكن في الحبّ سُخْطٌ ولا رِضا فأيّن حلاوات الرسائل والكُ

وأخذنا نضيف إلى ذلك من الأغراض ، في طرقي الإبرام والانتقاض
حرّك منهم إلى جهتي داعي الانتهاض ، وأقبلوا يتعجبون مني ويسألونني
سني ، ويستكشفونني عني ، فبَقَرْتُ لهم حديثي ، وذكرت لهم نجيثي
وأعلمت الأمير بأن أبي معي فاستدعاه ، وقمنا الثلاثة إلى مَثْواه ، فخلع
خِلَعَه ، وأسبل علينا أدمعه ، وجاء كل حيوان ، بأفنان الألوان .

ثم قال بعد المبالغة في وصف ما نالهم من إكرامه : فانظر إلى هذا العليم
هو إلى الجهل أقرب ، مع تلك الصُّبابة اليسيرة من الأدب ، كيف أنقذا
العطب ؟ وهذا الذكر يرشدكم إن عقلتم إلى المطلب . وسرنا حتى انتهينا
ديار مصر . انتهى مختصراً .

والزول : العجب ، ونجيث الخبر : ما ظهر من قبيحه ، يقال : بدا نجي

القوم ، إذا ظهر سرهم الذي كانوا يحقّونه ، قالهما الجوهرى .
 وذكر ، رحمه الله تعالى ، في رحلته عجائب ، منها : أنّه حكى دخوله
 بدمشق بيوت بعض الأكابر أنّه رأى فيه النهر جاثياً إلى موضع جلوسهم ،
 ثم يعود من ناحية أخرى ، فلم أفهم معنى ذلك حتى جاءت موائد الطعام في النهر
 المقبل إلينا ، فأخذها الخدم ووضعوها بين يدينا ، فلما فرغنا ألقى الخدم
 الأواني وما معها في النهر الراجع ، فذهب بها الماء إلى ناحية الحرير من غير أن
 يقرب الخدم تلك الناحية ، فعلمت السر ، وإن هذا لعجيب ، انتهى بمعناه .
 وقال في « قانون التأويل »^١ : ورد علينا دانشمند^٢ — يعني الغزالي —
 فنزل برباط أبي سعد بإزاء المدرسة النظامية ، معرضاً عن الدنيا ، مُقبلاً
 على الله تعالى ، فمشينا إليه ، وعرضنا أمنيّتنا عليه ، وقلت له : أنت ضالّتنا
 التي كنّا ننشد ، وإمامنا الذي به نسترشد ، فلقينا لقاء المعرفة ، وشاهدنا منه
 ما كان فوق الصفة ، وتحققنا أن الذي نُقيل إلينا من أن الخبر على الغائب
 فوق المشاهدة ليس على العموم ، ولو رآه عليّ بن العباس^٣ لما قال :

إذا ما مدّحتَ امرأ غائباً فلا تغلّ في مدّحه واقصِدِ
 فإنّك إنْ تغلّ تغلّ الظنّ نْ فيه إلى الأمدِ الأبعدِ
 فيصغُرَ من حيثُ عظُمته لفَضْلِ المغيّبِ على المشهدِ

وكنّ نقلت من المطمح في حقّه ما صورته^٤ : علّم الأعلام الطاهر الأثواب ،
 الباهر الأبواب^٥ ، الذي أنسى ذكاء إياس ، وترك التقليد للقياس ، وأنتج الفرع

.....

١ أزهار الرياض : ٩١ .

٢ دانشمند : الحكيم العلامة .

٣ أي ابن الرومي .

٤ انظر المطمح : ٦٢ ونقل المقرئ هذا النص في أزهار الرياض : ٩٢ .

٥ ط : الباهر الأبواب .

من الأصل ، وغدا في يد^١ الإسلام أمضى من التَّصَلُّ ، سقى الله تعالى به الأندلس بعدما أجديت من المعارف ، ومد عليها منه الظلَّ الوارف ، وكساها رَوْنَقَ نُبُلِهِ ، وسقاها رَيْقَ وَبْلِهِ ، وكان أبوه أبو محمد بإشبيلية بدرأ في فلكها ، وصدرأ في مجلس ملكها ، واصطفاه معتمد بني عَبَّاد ، اصطفاه المأمون لابن أبي دُوَاد ، وولاه الولايات الشريفة ، وبَوَّاه المراتب المنيفة ، فلَمَّا أَفْقَرَتْ حمص من ملكهم وخَلَّتْ ، وألقنهم منها وتَخَلَّتْ ، رَحَّلَ به إلى المشرق ، وحلَّ فيه علَّ الخائف الفَرِّق ، فجال في أكنافه ، وأجال قِداح الرجاء في استقبال العز واستنائه ، فلم يَسْرُدْ ذاهباً ، ولم يَجِدْ كَعَمْدِهِ باذلاً له وواهباً ، فعاد إلى الرواية والسماع ، وما استفاد من آمال تلك الأطماع ، وأبو بكر إذ ذاك في ثرى الذكاء قَضِيبٌ ما دَوَّح ، وفي روض الشباب زهر ما صَوَّح ، فالزمه مجالس العلم رائحاً وغادياً ، ولازمه سائقاً إليها وحادياً ، حتى استقرت به مجالسه ، واطردت له مقاييسه ، فجَدَّ في طلبه ، واستجد به أبوه متمزق أربه ، ثم أدركه حِمَامُهُ ، ووارته هناك رِجَامُهُ ، وبقي أبو بكر متفرداً ، وللطلب متجرداً ، حتى أصبح في العلم وحيداً ، ولم تجد عنه رياسته مَحِيداً ، فكَرَّ إلى الأندلس فحلَّها والنفوسُ إليه متطلِّعة ، ولأنباله متسمعة ، فناهيك من حُظْوَةٍ لقي ، ومن عزة سَقَى ، ومن رفعة سما إليها ورَقَى ، وحسبك من مفاخر قَلَّدَها ، ومحاسن أنس أثبتتها فيها وخَلَّدَها ، وقد أثبت من بديع نظمه ما يهز أعظافاً ، وترده الأفهام نطافاً ، فمن ذلك قوله يتشوق إلى بغداد ، ويخاطب فيها أهل الوداد :

أَمِنْكَ سَرَى وَاللَّيْلُ يَخْدَعُ بِالْفَجْرِ خِيَالٌ حَبِيبٌ قَدْ حَوَى قَصَبَ الْفَخْرِ؟
جَلَا ظَلَمَ الظُّلَمَاءَ مَشْرِقُ نَوْرِهِ وَلَمْ يَخْبِطِ الظُّلَمَاءَ بِالْأَنْجَمِ الزُّهْرُ

١ يد : سقطت من ق ط ج ، ووردت في المطبع .

ولم يَرْضَ بالأرضِ البسيطةِ مُسَحَباً فسار على الجَوَزا إلى فَلَكَ يَجْري
وَحَثَّ مَطَايَا قَدَّ مَطَاها بِعِزَّةٍ فأوْطأها قَسراً على قُنَّةِ النَّسْرِ
فصارَتْ ثِقَالاً بِالْجَلَالَةِ فَوْقَهَا وسارت عَجالاً تَتَقِي أَلَمَ الزَّجْرِ
وَجَرَّتْ على ذَيْلِ المَجْرَةِ ذَيْلُها فمن ثَمَّ يَبْدُو ما هُنَاكَ لِمَن يَسْري
ومرَّتْ على الجَوَزا تُوَضِّعُ فَوْقَهَا فأثْرُ ما مَرَّتْ به كَلَفُ البَدْرِ
وساقَتْ^١ أريجَ الخلدِ من جَنَّةِ العُلا فدَعُ عَنْكَ رَمَلاً بِالْأَنْيَعِمْ يَسْتَدْري
فما حَذَرَتْ قَيْساً ولا خَيْلاً عامِراً ولا أَضْمَرَتْ خَوْفاً لِقَاءَ بَنِي ضَمْرِ
سقى اللهُ مِصرَ والعِراقَ وأهلَها وبغدادَ والشامَينِ مِنْهَلَّ القَطْرِ
النتهى .

ومن تأليف الحافظ^٢ أبي بكر ابن العربي المذكور كتاب « القبس في شرح موطأ مالك بن أنس » وكتاب « ترتيب المسالك » ، في شرح موطأ مالك ، وكتاب « أنوار الفجر » وكتاب « أحكام القرآن » وكتاب « عارضة الأحوذى في شرح الترمذى » — والأحوذى بفتح الهزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وآخره ياء مشددة — وكتاب « مراقي الزكف » وكتاب « الخلافات » وكتاب « نواهي الدواهي » وكتاب « سراج المريدين » وكتاب « المشكلين : مشكل القرآن والسنة » وكتاب « الناسخ والمنسوخ في القرآن » وكتاب « قانون التأويل » وكتاب « النيرين في الصحيحين » وكتاب « سراج المهتدين » وكتاب « الأمد الأقصى ، بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى » وكتاب « في الكلام على مشكل حديث السُّبُحات والحجاب » ، وكتاب « العقد الأكبر للقلب الأصغر » و « تبين الصحيح في تعيين الذبيح » و « تفصيل التفضيل بين

١ لعل الأصوب : وسافت .

٢ عد المقرئ مؤلفات ابن العربي أيضاً في أزهار الرياض ٣ : ٩٤ - ٩٥ وسقط بعض ما ذكره في النفع .

التحميد والتهليل « ورسالة « الكافي في أن لا دليل على النافي » وكتاب « السبايعات » وكتاب « المسلسلات » وكتاب « المتوسط في معرفة صحّة الاعتقاد والرد على من خالف أهل السنّة من ذوي البدع والإلحاد » وكتاب « شرح غريب الرسالة » وكتاب « الإنصاف في مسائل الخلاف » عشرون مجلداً ، وكتاب « حديث الإفك » وكتاب « شرح حديث جابر في الشفاعة » وكتاب « شرح حديث أم زرع » وكتاب « ستر العورة » وكتاب « المحصول في علم الأصول » وكتاب « أعيان الأعيان » وكتاب « ملجاة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين » وكتاب « ترتيب الرحلة » وفيه من الفوائد ما لا يوصف .

ومن فوائد القاضي أبي بكر ابن العربي رحمه الله تعالى قوله ^١ : قال علماء الحديث : ما من رجل يطلب الحديث إلاّ كان على وجهه نَضْرَة ، لقول النبي ، صلّى الله عليه وسلم : « نَضْر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها — الحديث » قال : وهذا دعاء منه عليه الصلاة والسلام لحملة علمه ، ولا بدّ بفضل الله تعالى من نيل بركته ، انتهى .
وإلى هذه النَضْرَة أشار أبو العباس العزّفي بقوله :

أهلُ الحديثِ عِصابةُ الحقِّ فازُوا بدَعْوَةِ سيّدِ الخَلْقِ
فوجُوهُهُمْ زُهُرٌ مُنَضَّرَةٌ لألأوها كتألّقِ البرقِ
يا لَيْتَنِي مَعَهُمْ فيُدْرِكَنِي ما أدركوه بها من السَّبَقِ
انتهى .

ولا بأس أن نذكر هنا بعض فوائد الحافظ أبي بكر ابن العربي ، رحمه الله تعالى :

فمنها قوله في تصريف المحصنات : يقال : أَحَصَنَ الرجلُ فهو مُحَصَّنٌ — بفتح العين في اسم الفاعل — وأسَهَبَ في الكلام فهو مُسَهَّبٌ ، إذا أطال

١ أزهار الرياض : ٩٥ .

البحث فيه ، وألفج فهو مُلْفَج ، إذا كان عديماً ، لا رابع لها ، والله تعالى أعلم ، انتهى .

ومنها قوله : سمعت الشيخ فخر الإسلام أبا بكر الشاشي وهو يتنصر للمذهب أبي حنيفة في مجلس النظر يقول : يقال في اللغة العربية لا تَقْرَبُ كذا — بفتح الراء — أي لا تتلبس بالفعل ، وإذا كان بضم الراء كان معناه لا تَدْنُ من الموضوع ، وهذا الذي قاله صحيح مسموع ، انتهى .

ومنها قوله : شاهدت المائدة بطورزيتا مراراً ، وأكلت عليها ليلاً وسهاراً ، وذكرت الله سبحانه وتعالى فيها سرّاً وجهاراً ، وكان ارتفاعها أشْفَ من القامة بنحو الشبر ، وكان لها درجتان قبيلاً وجنوبيّاً ، وكانت صخرة صَلُوداً لا تؤثر فيها المعاول ، وكان الناس يقولون : مسخت صخرة إذ مسخ أربابها قرده وخنازير ، والذي عندي أنها كانت صخرة في الأصل قطعت من الأرض محلاً للمائدة النازلة من السماء ، وكل ما حولها حجارة مثلها ، وكان ما حولها محفوفاً بقصور ، وقد نُحِتَتْ في ذلك الحجر الصلد بيوت أبوابها منها ومجالسها منها ، مقطوعة فيها ، وخناياها في جوانبها ، وبيوت خدمتها قد صُوِّرَتْ من الحجر كما تُصوِّر من الطين والخشب ، فإذا دخلت في قصر من قصورها ورددت الباب وجعلت من ورائه صخرة مقدار ثمن درهم لم يفتحها أهل الأرض للصوفة بالأرض ، وإذا هبَّتِ الرياحُ وحَتَّتْ تحتها التراب لم يُفْتَحْ إلا بعد صب الماء تحتها والإكثار منه حتى يسيل بالتراب ، وينفجر مُنْفَرَجُ الباب ، وقد باربها قومٌ بهذه العلة ، وقد كنت أدخلو فيها كثيراً للدرس ، ولكنني كنت في كل حين أكنس حول الباب ، مخافة ممّا جرى لغيري فيها ، وقد شرحت أمرها في كتاب « ترتيب الرحلة » بأكثر من هذا ، انتهى .

ومنها قوله ، رحمه الله تعالى : تذاكرتُ بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبي بكر

الفهرري الطرطوشي في حديث أبي ثعلبة المرفوع : « إن من ورائكم أيتاماً للعامل فيها أجر خمسين منكم » فقالوا : بل منهم ، فقال : « بل منكم ، لأنكم تجلدون على الخير أعواناً ، وهم لا يجلدون عليه أعواناً »^١ ، وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتي من الأمة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الإسلام ، وعضدوا الدين ، وأقاموا المنار ، وافتتحوا الأمصار ، وحملوا البيضة ، ومهدوا الملة ، وقد قال ، صلى الله عليه وسلم ، في الصحيح : « لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أسد ذهباً ما بلغ مثله أحدهم ولا نصيفه » ، فراجعنا القول ، ونحصل ما أوضحناه في شرح الصحيح ، وخلاصته : أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد ، ولا يلدانيهم فيها بشتر ، وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الأجر من أخلص لإخلاصهم ، وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والإسلام ، وهو أيضاً انتهاؤه ، وقد كان قليلاً في ابتداء الإسلام ، صعب المرام ، لغلبة الكفار على الحق ، وفي آخر الزمان أيضاً يعود كذلك ، لوعده الصادق ، صلى الله عليه وسلم ، بفساد الزمان ، وظهور الفتن ، وغلبة الباطل ، واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق ، وركوب من يأتي سنن من مضى من أهل الكتاب ، كما قال ، صلى الله عليه وسلم : « لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تحرب لدخلتموه »^٢ وقال ، صلى الله عليه وسلم : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ »^٣ فلا بد ، والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق ، أن يرجع الإسلام إلى واحد ، كما بدأ من واحد ، ويضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى إذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف وباع نفسه من الله تعالى في الدعاء إليه كان له من الأجر أضعاف

١ الحديث في جميع الزوائد ٧ : ٢٨٢

٢ رواه الحاكم في المستدرک (الراموز : ٣٤٦) .

٣ انظر جميع الزوائد ٧ : ٢٧٧ - ٢٧٩

ما كان لمن كان متمكناً منه مُعاناً عليه بكثرة الدُّعاة إلى الله تعالى ، وذلك قوله :
« لَأَتَّكِم تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَاناً وَهُمْ لَا يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَاناً » حتى ينقطع ذلك
انقطاعاً باتاً لضعف اليقين وقلّة الدين ، كما قال ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقُومُ
السَّاعَةُ حَتَّى لَا يَقَالَ فِي الْأَرْضِ اللهُ اللهُ »^١ يروى برفع الهاء ونصبها ، فالرفع
على معنى لا يبقى موحّد يذكر الله ، عزّ وجلّ ، والنصب على معنى لا يبقى
أمرٌ بمعروف ولا ناهٍ عن منكر يقول : أخاف الله ، وحينئذ يتمنّى العاقلُ
الموتَ ، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ
الرَّجُلِ فَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَهُ »^٢ انتهى .
وأنشد رحمه الله تعالى لبعض الصوفية :

امْتَحَنَ اللهُ بِلَذَا خَلْقِهِ فَالْنَارُ وَالْجَنَّةُ فِي قَبْضَتِهِ
فَهَجَرَهُ أَعْظَمُ مِنْ نَارِهِ وَوَصَلَهُ أَطْيَبُ مِنْ جَنَّتِهِ

ومن فوائد ابن العربي رحمه الله تعالى أنّه قال : كنت بمجلس الوزير العادل
أبي منصور ابن جَهْمٍ على رتبة بيتائها في كتاب « الرحلة للترغيب في الملة »
فقرأ القارئ ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (الأحزاب : ٤٤) وكنت في
الصف الثاني من الحلقة بظهر أبي الوفاء علي بن عقيل^٣ إمام الحنبلية بمدينة السلام ،
وكان معتزلي الأصول ، فلما سمعتُ الآية قلت لصاحب لي كان يجلس علي

١ مجمع الزوائد ٨ : ١٢ .

٢ صحيح مسلم ٢ : ٢٧٨ ومجمع الزوائد ٧ : ٢٨٢ .

٣ علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الأصولي الواعظ المتكلم (٤٣١ - ٥١٣) درس
على أعلام عصره ، وأخذ الكلام على بعض المعتزلة ولذلك نقم عليه الحنابلة وطلبوا أذاه فاعتفى
والتجأ إلى دار السلطان ، وسمع من الفزالي والجويني وغيرهما من الأعلام ؛ قال السلفي : ما
رأت هينائي مثل الشيخ أبي الوفاء ابن عقيل ، ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لفزارة طبعه وحسن
إيراده وبلاغة كلامه وقوة حجته ؛ وله في الفقه والأصول استنباطات جيدة ، وخلف عدداً
كبيراً من المؤلفات (انظر ذيل ابن رجب ١ : ١٤٢ - ١٦٣) .

يساري : هذه الآية دليل على رؤية الله في الآخرة : فإن العرب لا تقول « لقيت فلاناً » إلا إذا رأيته ، فصرف وجهه أبو الوفاء مُسْرِعاً إلينا ، وقال ينتصر للمذهب الاعتزال في أن الله تعالى لا يُرَى في الآخرة : فقد قالَ اللهُ تعالى ﴿ فَأَعْقِبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ (التوبة : ٧٧) وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى في الآخرة ، وقد شرحنا وجه الآية في المشككين ، وتقدير الآية : فأعقبهم هو نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه ، فيحتمل ضمير يلقونه أن يعود إلى ضمير الفاعل في (أعقبهم) المقدر بقولنا هو ، ويحتمل أن يعود إلى النفاق مجازاً على تقدير الجزاء ، انتهى .

ومنها ما نقله عن ابن عباس، رضي الله تعالى عنهما « لا يقل أحدكم انصرفنا من الصلاة » فإن قوماً قيل فيهم ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾ (التوبة : ١٢٧) وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك القيسي الواعظ، أخبرنا أبو الفضل الجوهري سماعاً منه : كنت في جنازة فقال المنذر بها : انصرفوا رحمكم الله تعالى ، فقال : لا يقل أحدكم انصرفوا فإن الله تعالى قال في قوم ذمهم ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾ ولكن قولوا : انقلبوا رحمكم الله . فإن الله تعالى قال في قوم مدحهم ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى دَارِهِمْ لِيَمْسَسُوهُمْ أَسْوَفَ ﴾ (آل عمران : ١٧٤) انتهى .

ومنها ، وقد ذكر الخلاف في شاهد يوسف ، ما صورته : فإذا قلنا إنه القميص ، فكان يصح من جهة اللغة أن يخبر عن حاله بتقديم مقاله ، فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال في بعض الأمور ، وقد تُضَيَّفُ العرب الكلام إلى الجملات بما تخبر عنه بما عليها من الصفات ، ومن أحلاه قول بعضهم : قال الحائط للوتد : لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني ، ما يتركني ورائي^١ ، هذا الذي ورائي ، لكن قوله تعالى بعد ذلك ﴿ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ (يوسف : ٢٦) في

١ ورائي : بمنى ورايبي .

صفة الشاهد يبطل أن يكون القميص ، وأما من قال إنه ابن عمها أو رجل من أصحاب العزيز فإنه يحتمل ، لكن قوله ﴿ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ يعطي اختصاصها من جهة القرابة ؛ انتهى .

ومنها قوله : إنه كان بمدينة السلام إمام من الصوفية وأي إمام ، يُعرف بابن عطاء ، فتكلم يوماً على يوسف وأنجباره حتى ذكر تبرئته ممّا يُنسب إليه من مكروه ، فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة فقال : يا شيخ ، يا سيدنا ، فإذن يوسف همّ وما تمّ ، فقال : نعم ، لأن العناية من ثمّ ، فانظروا إلى حلاوة العالم والمتعلم وفطنة العامي في سؤاله ، والعالم في اختصاره واستيفائه ، ولذا قال علماؤنا الصوفية : إن فائدة قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (يوسف : ٢٢) أن الله تعالى أعطاه العلم والحكمة أيام غلبة الشهوة لتكون له سبباً للعصمة ؛ انتهى .

ومنها قوله : كنت بمكة مقيماً في ذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، وكنت أشرب ماء زمزم كثيراً ، وكلّما شربته نويت به العلم والإيمان ، ففتح الله تعالى لي ببركته في المقدار الذي يَسْرَهُ لي من العلم ، ونسيت أن أشربه للعمل ، ويا ليتني شربته لهما حتى يفتح الله تعالى لي فيهما ، ولم يُقَدَّر فكان صَغُوي^٢ للعلم أكثر منه للعمل ، وأسأل الله تعالى الحفظ والتوفيق برحمته .

ومنها قوله : سمعت إمام الحنابلة بمدينة السلام أبا الوفاء علي بن عقيل يقول : إنّما تبع الولد الأم في المالية وصار بحكمها في الرق والحرية لأنّه انفصل عن الأب نُطْفَةً لا قيمة له ، ولا مالية فيه ، ولا منفعة مبنوثة عليه ، وإنّما اكتسب ما اكتسب بها ومنها ، فلذلك تبعها ، كما لو أكل رجل تمرّاً في أرض رجل وسقطت منه نواة في الأرض من يد الآكل فصارت نخلة فإنّها ملك صاحب

١ ط : نسب .

٢ في ط ق ودوزي : صفوي ؛ ج : صفري .

الأرض دون الآكل بإجماع من الأمة ، لأنها انفصلت عن الآكل ولا قيمة لها ، وهذه من البدائع ، انتهى .

ومنها قوله : ومن نوادر أبي الفضل الجوهري ما أخبرنا عنه محمد بن عبد الملك الواعظ وغيره أنه كان يقول : إذا أمسكت علاقة الميزان بالإبهام والسبابة ، وارتفعت سائر الأصابع كان شكلها مقررًا بقولك « الله » ، فكأنها إشارة منه سبحانه في تيسير الوزن كذلك إلى أن الله سبحانه مطلع عليك ، فاعدل في وزنك ، انتهى .

ومنها قوله : كان ابن الكازروني يأوي إلى المسجد الأقصى ، ثم تمتعنا به ثلاث سنوات ، ولقد كان يقرأ في مهد عيسى ، عليه السلام ، فيسمع من الطور ، فلا يقدر أحد أن يصنع شيئاً دون قراءته ، إلا الإصغاء إليه ، انتهى .

ومنها قوله في تفسير قوله تعالى ﴿ في أيام نحسات ﴾ (فصلت : ١٦) قيل : إنها كانت آخر شوال ، من الأربعاء إلى الأربعاء ، والناس يكرهون السفر يوم الأربعاء لأجل هذه الرواية ، حتى إنني لقيت يوماً مع خالي الحسن بن أبي حنيفة رجلاً من الكتّاب ، فودعنا بنية السفر ، فلما فارقنا قال لي خالي : إنك لا تراه أبداً لأنه سافر في يوم أربعاء لا يتكرر ، وكذلك كان ، مات في سفره ، وهذا ما لا أراه ، لأن يوم الأربعاء يوم عجيب ، بما جاء في الحديث من الخلق فيه والترتيب ، فإن الحديث ثابت بأن الله تعالى خلق يوم السبت التربة ، ويوم الأحد الجبال ، ويوم الاثنين الشجر ، ويوم الثلاثاء المكروه ، ويوم الأربعاء النور ، وروي النون ، وفي غريب الحديث أنه خلق يوم الأربعاء الثّقن ، وهو كل شيء تثقن به الأشياء ، يعني المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص ، فالיום الذي خلق فيه المكروه لا يعافه الناس ، واليوم الذي خلق فيه النور أو الثّقن يعاقونه ، إن هذا هو الجهل المبين . وفي المغازي أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على الأحزاب من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء بين الظهر والعصر ، فاستجيب له ، وهي ساعة فاضلة ، فالآثار الصّحاح تدل على

فضل هذا اليوم ، فكيف يُدعى فيه التحذير والنحس بأحاديث لا أصل لها ،
وقد صور قوم أيتاماً من الأشهر الشمسية ادّعوا فيها الكراهية لا يحل لمسلم أن
ينظر إليها ولا يشغل بالاً بها والله حسبهم ، انتهى .

ومنها : وكان يقرأ معنا برباط أبي سعيد على الإمام دانشمند من بلاد المغرب
خشي ليس له لحية وله ثديان وعنده جارية ، فربك أعلم به ، ومع طول الصبحة
عقّلتني الحياء عن سؤاله ، وبودي اليوم لو كاشفته عن حاله ، انتهى .
ومن شعر ابن العربي ممّا نسب له الشيخ أبو حيان قوله ^١ :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوَا أَيَّ قَلْبٍ مَلَكُوا
وَفُؤَادِي لَوْ دَرَى أَيَّ شَيْبٍ سَلَكُوا
أَتَرَاهُمْ سَلِمُوا أَمْ تَرَاهُمْ هَلَكُوا
حَارَ أَرْبَابُ الْهَوَى فِي الْهَوَى وَارْتَبَكُوا

ومن فوائده : أخبرني المهرّة من السحرة بأرض بابل أنّه من كتب
آخر آية من كل سورة ويعلقها لم يبلغ إليه سحرنا ، قال : هكذا قالوا ، والله تعالى
أعلم بما نقلوه .

وقال رحمه الله تعالى : حلقت القرآن ابن تسع سنين ثم ثلاثاً لضبط القرآن
والعربية والحساب ، فبلغت ست عشرة وقد قرأت من الأحرف نحواً من عشرة
بما يتبعها من إظهار ، وإدغام ونحوه ، وتمرنّت في العربية والشعر واللغة ،
ثم رحل بي أبي إلى المشرق ، ثم ذكر تمام رحلته ، رحمه الله تعالى .

٩ — ومنهم أبو بكر محمد بن أبي عامر ابن حجاج ، الغافقي ، الإشبيلي ،
ومن نظمه بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :

١ في هامش إحدى النسخ : والصواب أن الأبيات للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي ، رضي الله
عنه ، وهي في ابتداء ترجمان الأشواق له . قلت : انظر ص : ١١ من الديوان المذكور .

لم يَبْقَ لي سؤلٌ ولا مَطْلَبٌ مذ صِرْتُ جاراً الحبيب الحبيب
لا أبتغي شيئاً سوى قُربه وها أنا منه قريبٌ قريبٌ
مَنْ غاب عن حَضْرَةِ محبوبه فليستُ عن طَيِّبَةٍ ممن يغيبُ
لا تَسْأَلِ المَعْبُوطَ عن حاله جارٌ كريمٌ وعملٌ خصيبٌ
العيشُ والموتُ هنا طيبٌ بطيبةٍ لي كلُّ شيءٍ بطيبٍ

وممن روى عنه هذه الأبيات الأشرف بن الفاضل .

١٠ — ومنهم الشيخ الأديب الفاضلُ البارِعُ جمالُ الدين أبو عبد الله محمد
ابن الفقيه الخطيب أبي الحسن محمد بن أبي عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن علي
ابن ذي النون^١ ، الأنصاري ، المالقي ، من أشياخ أبي حيَّان ، لقيه ببُلْبَيسَ
من ديار مصر ، قال : وأنشدني لشيخه أبي عبد الله^٢ الاستيجي من قصيدة :

ما للنَّسيمِ سرى^٣ الأصيلَ عليلاً أتراه يشكو لَوَعَةً وغَلِيلاً
جرَّ الذُّيُولَ على ديار أحبَّتِي فأثى يجرُّ من السَّقامِ ذُيُولاً

وأنشد ، رحمه الله تعالى ، لرضوان المخزومي :

إن كنتَ يُوسُفَ حُسْنًا وكنتَ عبدَ العزيز
فإن يوسفَ من قَبِ لُ كان عبدَ العزيز

وأخذ ابنُ ذي النون المذكور عن أبي عبد الله ابن صالح ، وقرأ للشبعة على
أبي جعفر الفحام^٤ وأبي زيد القُمارِشي ، وعلى أبي جعفر السَّهيلي ، ووُلد ابن

.. .. .

١ في ط : ابن ذنون ؛ وحققها أن تكون ابن ذنون (كما في ط) ، وهو الاسم الأصلي الذي
يكتب « ذي النون » تعريباً له .

٢ دوزي : عبد الله .

٣ ق : جرى .

٤ دوزي : العجام ؛ ج : اللحام .

ذي النون سنة ٦١٧ بمالقة ، ومن تواليفه « نفح المسك الأذفر في مدح المنصور ابن المظفر » و « أزهار الحميلة في الآثار الحميلة » و « استطلاع البشير » و « محض اليقين وروض المتقين » .

١١ - ومنهم زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي^١، المعروف بشبّطون^٢، يكنى أبا عبد الله ، كان فقيه الأندلس على مذهب مالك ، وهو أول من أدخل مذهبه الأندلس ، وكانوا قبله يتفقّهون على مذهب الأوزاعي ، وأراد الأمير هشام على القضاء بقُرطبة وعزم عليه ، فهرب ، فقال هشام : ليت الناس كلهم كزياد حتى أكفي أهل الرغبة في الدنيا ، وأرسل إلى زياد فأمنه حتى رجع إلى داره .

ويحكى أنّه لما أراد القضاء كلمه الوزراء في ذلك عن الأمير ، وعرفوه عزمه عليه ، فقال لهم : أما إن أكرهتموني على القضاء فزوجني فلانة طالق ثلاثاً ، لئن أتاني مُدّع في شيء ممّا في أيديكم لأخرجنّه عنكم ثم أجعلكم مدّعين فيه ؛ فلمّا سمعوا منه ذلك علموا صدقه ، فتكلّموا عند الأمير في مُعافاته .

سمع من مالك الموطأ ، ويُعرّف سماعه بسماع زياد ، وسمع من معاوية ابن صالح ، وكانت ابنة معاوية تحتّه ، وروى يحيى بن يحيى الليثي عن زياد هذا الموطأ قبل أن يرحل إلى مالك ، ثم رحل فأدرك مالكاً فرواه عنه إلاّ أبواباً في كتاب الاعتكاف ، شك في سماعها من مالك ، فأبقى روايته فيها عن زياد عن مالك .

وتوفي سنة أربع ومائتين ، وقيل : سنة ١٩٣ ، وقيل : في التي بعدها ، وقيل : سنة ١٩٩ ، والأول أولى بالقبول ، والله تعالى أعلم .

ورحل في ذلك العصر جماعة من أنظار شبّطون ، كفرغوس بن العباس

١ زياد بن عبد الرحمن اللخمي ، شبطون : ترجمته في الحشّي : ١٤ والمرقبة العليا : ١٢ وابن الفرضي : ١ و١٨٢ والجلدوة : ٢٠٣ (وبغية الملتبس رقم : ٧٥٢) .

وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم ممن رحل إلى الحج أئام هشام ابن عبد الرحمن والد الحكم ، فلمّا رجعوا وصَفُّوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به صيته بالأندلس ، فانتشر يومئذ رأيه وعلمه بالأندلس ، وكان رائد الجماعة في ذلك شبطون .

وهو أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس مكملًا متقنًا ، فأخذه عنه يحيى بن يحيى كما مر ، وهو إذ ذاك صدر في طلاب الفقه ، فأشار عليه زياد بالرحيل إلى مالك ما دام حيًّا ، فرحل سريعًا ، وأخذ يحيى عن زياد هذا الكتب العشرة المنسوبة إلى يحيى .

ولقي أيضًا عبد الله بن وهب صاحب مالك ، وسمع منه الموطأ^١ ، ولقي أيضًا عبد الله بن نافع المدني صاحب مالك ، وسمع منه ومن الليث بن سعد فقيه مصر ، ومن سفيان بن عيينة بمكة ، وقدم يحيى الأندلس أيام الحكم ، فانتشر به وبزياد وعيسى بن دينار علم مالك بالأندلس ، رضي الله تعالى عن الجميع .

وقد قدمنا الحديث الذي رواه زياد بن عبد الرحمن عن مالك ، فليراجع في الباب الثالث^٢ .

١٢ - ومنهم سوار بن طارق^٣ مولى عبد الرحمن بن معاوية ، قرطبي ، حج ودخل البصرة ، ولقي الأصمعي ونظراءه ، وانصرف إلى الأندلس ، وأدب الحكم ، ومن ولده محمد بن عبد الله بن سوار ، حج أيضًا ، ولقي أبا حاتم بالبصرة والرياشي وغيرهما ، وأدخل الأندلس علماً كثيراً ، رحم الله

١ ق : موطأ .

٢ انظر ما تقدم ١ : ٣٤٠ - ٣٤١ .

٣ سوار بن طارق : ترجمته في طبقات الزبيدي ٢٧٩ ؛ وترجمة ابنه عبد الله في طبقات الزبيدي ٢٨٢ وكذلك حفيده محمد ، وترجم ابن الغرضي ٢ : ٢٦ لحفيده محمد هذا .

تعالى الجميع .

١٣ - ومنهم بقيّ بن مخلد^١ ، الشهير بالذكر ، صاحب التآليف التي لم يؤلّف مثلها في الإسلام ، ولقي مائتين وأربعة وثمانين شيخاً ، وكانت له خاصة من الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله تعالى ، وستأتي جملة ممّا يتعلّق بقيّ بن مخلد في رسالة ابن حزم في الباب السابع ، وبقيّ على وزن عليّ ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ؛ وقد عرّف بقيّ بن مخلد غير واحد من العلماء كصاحب « النبراس »^٢ وغيره .

١٤ - ومنهم قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف ، أبو محمد ، البّستاني^٣ - وبّيّانة من أعمال قرطبة - وأصل سلفه من موالي الوليد بن عبد الملك ، وسمع المذكور بقرطبة من بقيّ بن مخلد ومحمد بن وضاح ومطرّف بن قيس وأصبغ ابن خليل وابن مسرة وغير واحد ، ورحل إلى المشرق مع محمد بن عبد الملك ابن أيمن ومحمد بن زكريا بن عبد الأعلى^٤ سنة أربع وسبعين ومائتين ، فسمع بمكة من محمد بن إسماعيل الصائغ وعلي بن عبد العزيز ، ودخل العراق ، فلقي من أهل الكوفة إبراهيم بن أبي العنيس قاضيها وإبراهيم بن عبد الله القصار ، وسمع ببغداد من القاضي إسماعيل^٥ وأحمد بن زهير بن حرب وغيرهما كعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل والحارث بن أبي أسامة وكتب عن ابن أبي خيثمة

١ بقي بن مخلد : ترجمته في الجذوة : ١٦٧ (وبنية الملتس : ٥٨٤) والصلة : ١١٨ وابن الفرضي ١ : ١٠٧ وتذكرة الحفاظ : ٦٢٩ .

٢ النبراس : من كتب ابن دحية الكلبي ، ولا أدري أهو المقصود هنا أو غيره .

٣ قاسم بن أصبغ : ترجمته في الجذوة : ٣١١ (وبنية الملتس : ١٢٩٨) وابن الفرضي ١ : ٤٠٦ وتذكرة الحفاظ : ٨٥٣ .

٤ ابن الفرضي : ابن أبي عبد الأعلى .

٥ ابن الفرضي : إسماعيل بن إسحاق قاضي القضاة .

تاريخه^١ ، وسمع من ابن قتيبة كثيراً من كتبه ، وسمع من المبرّد وثعلب وابن الجهم في آخرين ، وسمع بمصر من محمد بن عبد الله العمري ومطلب بن شعيب وغيرهما ، وسمع بالقنيطرة من أحمد بن يزيد المعلم وبكر بن حماد التاهرتي الشاعر ، وانصرف إلى الأندلس بعلم كثير ، فمال الناس إليه في تاريخ أحمد ابن زهير وكتب ابن قتيبة ، وأخذوا ذلك عنه دون صاحبيه ابن أيمن وابن عبد الأعلى ، وكان بصيراً بالحديث والرجال ، نبيلاً في النحو والعربية^٢ والشعر ، وكان يشاور في الأحكام ، وصنّف على كتاب « السنن » لأبي داود كتاباً في الحديث ، وسببه أنّه لما قدم العراق سنة ست وسبعين ومائتين مع صاحبه محمد ابن أيمن ، فوجدا أبا داود قد مات قبل وصولهما بيسير ، فلما فاتهما عمل كل واحد منهما مصنفاً في السنن على أبواب كتاب أبي داود ، وخرّجا الحديث من روايتهما عن شيوخهما وهما مصنفان جليلان ، ثم اختصر قاسم بن أصبغ كتابه وسماه « المجتني » — بالنون — وابتدأ اختصاره في المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، وجعله باسم الحكم المستنصر ، وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثاً في سبعة أجزاء .

ومولده يوم الاثنين عاشر ذي الحجة سنة سبع وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

وحكى القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ (البقرة : ٣٢) أن قاسم بن أصبغ قال : لما رحلت إلى المشرق نزلت القيروان ، فأخذت عن بكر بن حماد حديث مُسَدَّد ، فقرأت عليه يوماً فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم « أنّه قدم عليه قوم من مُضَرَّ مجتبي النمار » فقال : إنّما هو مجتبي الثمار ، فقلت : إنّما هو مجتبي النمار ، هكذا قرأته

.. .. .

١ هو أحمد بن زهير نفسه ، الذي ذكره قبل قليل .

٢ ط : والغريب .

على كل من لقيته بالأندلس والعراق ، فقال لي : بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا ؟ أو نحو هذا ، ثم قال لي : قم بنا إلى ذلك [الشيخ] لشيخ كان في المسجد ، فإن له بمثل هذا علماً ، فقمنا إليه وسألناه عن ذلك ، فقال : إنما هو محتاجي النمار كما قلت ، وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم ، والنمار : جمع نَمِرَة ، فقال بكز بن حماد وأخذ بأنْفِهِ : رَغِمَ أنْفي للحق ، وانصرف ، انتهى .

وهذه الحكاية دالة على عظيم قدر الرجلين ، رحمهما الله تعالى ورضي عنهما ، ونفعنا بهما .

١٥ - ومنهم قاسم بن ثابت ، أبو محمد ، العوفي ، السَّرْقُسْطِي^١ ، رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شُعَيْب النسائي وأحمد بن عمرو البزار ، وبمكة من عبد الله بن علي بن الجارود ومحمد بن علي الجوهري ، واعتنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه ، فأدخلا إلى الأندلس علماً كثيراً ، ويقال : إنهما أول من أدخل كتاب « العَيْن » إلى الأندلس ، وألف قاسم في شرح الحديث كتاباً سماه « الدلائل » ، بلغ فيه الغاية في الإقتان ، ومات قبل إكماله ، فأكماله أبوه ثابت بعده ، وقد روي عن أبي علي البغدادي أنه كان يقول : كتبتُ كتاب « الدلائل » ، وما أعلم أنه وضع بالأندلس مثله ، وكان قاسم عالماً بالحديث واللغة^٢ ، متقدماً في معرفة الحديث والنحو والشعر ، وكان مع ذلك ورعاً ناسكاً ، وأريد على القضاء بِسَرْقُسْطَة ، فأبى ذلك ، فأراد أبوه إكراهه عليه ، فسأله أن يتركه ينظر في أمره ثلاثاً ، ويستخير الله تعالى ، فمات في هذه الثلاثة الأيام ، فيروون أنه دعا لنفسه بالموت ، وكان حجاب

١ قاسم بن ثابت ، ترجمته في الجذوة : ٣١٢ (وبنية الملتبس : ١٣٠٠) وابن الفريسي ١ :

٤٠٢ ؛ وطبقات الزبيدي : ٣٠٩ ؛ ويتابع المقرئ ما جاء عند ابن الفريسي في هذه الترجمة .

٢ ط : والفقه .

الدعوة ، توفي سنة ٣٠٢ بسرقسطة ، رحمه الله تعالى .

١٦ - ومنهم علم الدين أبو محمد المرسي اللورقي^١ ، وهو قاسم بن أحمد ابن موفق^٢ بن جعفر ، العلامة المقرئ الأصولي النحوي ، ولد سنة خمس وسبعين وخمسائة ، وقرأ بالروايات قبل الستمائة على أبي جعفر الحصار وأبي عبد الله المرادي وأبي عبد الله ابن نوح الغافقي ، وقدم مصر فقرأ بها على أبي الجود غياث بن فارس ، وبدمشق على التاج زيد الكندي ، وسمع ببغداد من أبي محمد ابن الأنخضر ، وأخذ العربية عن أبي البقاء ، ولقي الجزولي بالمغرب ، وسأله عن مسألة مشكلة في مقدمته ، فأجابه ، وبرع في العربية وفي علم الكلام والفلسفة ، وكان يقرئ ذلك ويحققه ، وأقرأ بدمشق ودرس ، وشرح « المفصل » في النحو في أربع مجلدات فأجاد وأفاد ، وشرح « الجزولية » و « الشاطبية » ، وكان مليح الشكل ، حسن البزة ، موطئاً الأكثاف ، قرأ عليه جماعة ، وتوفي سابع رجب سنة ٦٦١ ، وكان معمرًا مشغولاً بأنواع العلوم ، وسمّاه بعضهم أبا القاسم ، والأول أصح .

١٧ - ومنهم قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار^٣ ، أبو محمد ، من أهل قرطبة ، وجدّه مولى الوليد بن عبد الملك^٤ ، رحل فسمع بمصر من محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم والمزني والبرقي والحارث بن مسكين ويونس بن عبد الأعلى وإبراهيم بن المنذر وغيرهم ، ولزم ابن عبد الحكم للتحقق به وبالمزني ، وكان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد ، ويميل إلى مذهب

١ قاسم بن أحمد اللورقي : ترجمته في غاية النهاية ٢ : ١٥ وذيل الروضتين : ٢٢٧ .
٢ قال أبو شامة : بن (أبي) السداد ، وكان هو لا يكتب ابن أبي السداد ويحمل مكانه الموفق وكان أبو السداد كنية الموفق .

٣ قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار : ترجمته في الجذوة : ٣١٩ (ويغية الملتبس رقم : ١٢٩٣) وابن الفرضي ١ : ٣٩٧ والمقري ينقل عن ابن الفرضي يثني من التصرف يسير .

٤ الجذوة : مولى هشام بن عبد الملك .

الشافعي ، ولما قال له ابنه محمد بن القاسم : يا أبت أوصني ، قال : أوصيك بكتاب الله ، فلا تنسَ حفظك منه ، واقرأ منه كلَّ يوم جزءاً ، واجعل ذلك عليك واجباً ، وإن أردت أن تأخذ من هذا الأمر بحظ ، يعني الفقه ، فعليك برأي الشافعي ، فإنتي رأيته أقل خطأ . قال أبو الوليد ابن الفرّاضي : ولم يكن بالأندلس مثله في حسن النظر والبصر بالحجة . وقال أحمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة : ما رأينا أفقه من قاسم بن محمد ممن دخل الأندلس من أهل الرحلة . وقال أسلم بن عبد العزيز : سمعت عن ابن عبد الحكم أنّه قال : لم يقدم علينا من الأندلس أحد أعلم من قاسم بن محمد ، ولقد عاتبته في حين انصرافه إلى الأندلس ، وقلت له : أقم عندنا فإنّك تقتعد ههنا رياسة ويَحْتَاج الناس إليك ، فقال : لا بدّ من الوطن . وقال سعيد بن عثمان^١ : قال لي أحمد ابن صالح الكوفي : قدم علينا من بلادكم رجل يسمى قاسم بن محمد ، فرأيت رجلاً فقيهاً .

وألّف رحمه الله تعالى كتاباً نبيلاً في الرد على ابن مزيّن^٢ وعبد الله بن خالد والعنبي يدل على علمه ، وله كتاب في خبر الواحد . وكان يلي وثائق الأمير محمد طول أيامه . روى عنه ابن لبابة وابن أيمن والأعناقى وابنه محمد بن قاسم في آخرين^٣ . توفي سنة ست - أو سبع ، أو ثمان - وسبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

١٨ - ومنهم أبو بكر الغساني ، وهو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أسود^٤ ، من أهل المرية ، قدم إلى مصر ولقي بها أبا بكر الطرطوشي ، ثم عاد إلى بلده ،

١ هو الأعناقى .

٢ يحيى بن إبراهيم بن مزيّن .

٣ ابن الفرّاضي : في جماعة سواهم .

٤ محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أسود : ترجمته في الصلة : ٥٥٣ ومعجم شيوخ الصدي : ١٢٦ .

وشوور واستقضي بمُرُسية مدة طويلة ، ثم صُرف وسكن مراکش . قال ابن بَشْكُوَال : توفي بمراكش في رجب سنة ٦٣٦ ، وقال أبو جعفر ابن الزبير : إن له « كتاب تفسير القرآن » ، وبيته بيت علم ودين .

١٩ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن حيّون^١ ، من أهل وادي الحِجارة ، قال ابن الفرضي : سمع من ابن وضاح والحشي ونظرائهما بالأندلس ، ورحل إلى المشرق ، فتردد هناك نحواً من خمس عشرة سنة ، وسمع بصنعاء ومكة وبغداد ولقي جماعة من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل : منهم عبد الله ابن أحمد ، وسمع بمصر من الخفاف^٢ النيسابوري وإبراهيم بن موسى وغيرهما ، وبالمصيصة والقيروان ، وكان إماماً في الحديث ، عالماً ، حافظاً للعلل^٣ ، بصيراً بالطرق ، ولم يكن بالأندلس قبله أبصر بالحديث منه ، وهو ضابط متقن ، حسن التوجيه للحديث ، صدوق ، ولم يذهب مذهب مالك . وممن روى عنه ابن أيمن وقاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة وأحمد بن سعيد بن حزم ، وقال خالد بن سعيد^٤ : لو كان الصدوق إنساناً^٥ لكان ابن حيّون . وكان يُزَنُّ بالتشيع لشيء كان يظهر منه في حق معاوية ، رضي الله تعالى عنه ، وكان شاعراً ، وتوفي بقرطبة سنة ٣٠٥ ، ساعه الله تعالى .

٢٠ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن غالب ، المالقي^٦ ، قال ابن نقطة : سمع بالإسكندرية من أبي الحسن ابن المقدسي ، وكان فاضلاً ،

١ محمد بن إبراهيم بن حيّون : ترجمته في ابن الفرضي ٢ : ٢٨ وجذوة المقتبس : ٣٩ (وبغية

الملتص : ٤٣) وتذكرة الحفاظ : ٧٨١ .

٢ دوزي وق : الحفاظ .

٣ للعلل : سقطت من ق .

٤ ابن الفرضي : خالد بن سعد .

٥ في ط : لساناً .

٦ محمد بن إبراهيم المالقي : ترجمته في التكملة : ٦٣٨ والذيل والتكملة ٦ : ٣٥ (نسخة باريس) .

رأيت بخطه إجازة بمصر لبعض المصريين في رجب سنة ٦٠٤ ، وسمع بمصر شيئاً من الخليليّات ، قال ابن فُرْتُون الفاسي في « ذيل تاريخ الأندلس » : روى بمالقة ، ورحل إلى المشرق وحج ، ولقي أبا الحسن علي بن المفضل المقدسي ، وأخذ عنه كتاب « تحقيق الجواب عمّن أُجيز له ما فاتته من الكتاب » من تأليفه ، ورجع إلى الأندلس ، ثم نهض إلى مراكش فتوفي في أقصى بلاد السّوس في حدود سنة ٦٤٥ ، رحمه الله تعالى .

٢١ - ومنهم اليقّوري ، وهو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم مصنف كتاب « إكمال الإكمال » للقاضي عياض على صحيح مسلم ، وكتب على كتاب الشهاب القرافي في الأصول ، وسمع الحديث ، وقدم إلى مصر ومعه مصحف قرآن حمل بغل بعثه ملك المغرب ليوقف بمكة ، ثم عاد بعد حجّه ، ومات بمراكش سنة ٧٠٧ ، وقد زرت قبره بها مراراً ، قال الحافظ القريري : واليقّوري نسبة إلى يقّورة - بياض آخر الحروف مفتوحة ، وقاف مشددة ، وراء مهملة - بلد بالأندلس ، انتهى .

٢٢ - ومنهم أبو عبد الله الأنصاري ، وهو محمد بن إبراهيم بن موسى ابن عبد السلام^١ ، ويُعرف بابن شق الليل . من أهل طليطلة ، سمع بمصر أبا الفرج الصوفي وأبا القاسم الطحان الحافظ وأبا محمد ابن النحاس وأبا القاسم ابن ميسرة وأبا الحسن ابن بشر وغيرهم ، وسمع بطليطلة من جماعة ، وحدث عن جماعة من المحدثين كثيرة .

قال ابن بشكوال : وكان فقيهاً عالماً ، وإماماً متكلماً . حافظاً للفقه ، والحديث ، قائماً بهما متقناً لهما ، إلا أنّ المعرفة بالحديث وأسماء رجاله والبصر

١ محمد بن إبراهيم بن عبد السلام الأنصاري : ترجمته في الصلة : ٥١١ وانظر الفصل لابن حزم ٤ : ١٨٠ .

بمعانيه وعلمه كان أغلب عليه ، وكان مليح الخط ، جيد الضبط ، من أهل الرواية والدراية والمشاركة في العلوم ، وكان أديباً شاعراً مجيداً لغوياً ديناً فاضلاً ، كثير التصانيف والكلام على علم الحديث ، حلو الكلام في تأليفه ، وله عناية بأصول الديانات وإظهار الكرامات ، توفي بطنجة يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٤٥٥ هـ ، رحمه الله تعالى .

٢٣ - ومنهم الشيخ الإمام الشهير الكبير الولي العارف بالله تعالى سيدي أبو عبد الله القرشي الهاشمي الأندلسي^١ ، شيخ السالكين ، وإمام العارفين ، وقُدوة المحققين ، قدم مصر بعدما صحب ببلاد المغرب جماعة من أعلام الزهاد ، وكان يقول : صحبت ستمائة شيخ اقتديت منهم بأربعة : الشيخ أبي الربيع ، والشيخ أبي الحسن ابن طريف ، والشيخ أبي زيد القرطبي ، والشيخ أبي العباس الجوزي ، وسلك على يده جماعة : منهم أبو العباس القسطلاني ، فإنه أخذ عنه كلامه وجمعه في جزء . وخرج سيدي أبو عبد الله القرشي من مصر إلى بيت المقدس فأقام به إلى حين وفاته عشية الخميس السادس من ذي الحجة سنة ٥٩٩ عن خمس وخمسين سنة ، ودُفن هنالك ، وقبره ظاهر يُقصد للزيارة زُرته أول قدّماني على بيت المقدس سنة ١٠٢٨ ، ومن كلامه : من لم يدخل في الأمور بالأدب لم يدرك مطلوبه منها ، وقوله : العاقل يأخذ ما صفا ويدع التكلف ، فإنه تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ (يونس : ١٠٧) . وقال : مَنْ لَمْ يَرَأِ حَقَّ الْإِخْوَانِ بَرَكَ حَقُّهُ بِرَكَةِ الصَّحْبَةِ ، وقال : سمعت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن طريف يقول : لما حضرت الشيخ أبا الحسن ابن غالب الوفاة قال لأصحابه : اجتمعوا واهللوا سبعين ألف مرة ، واجعلوا ثوابها لي ، فإنه بلغني أنها فداء كل مؤمن من النار ، قال : فعملناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابها له .

١ محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي : ترجمته في ابن خلكان ٣ : ٤٣٢ والوفاي ٢ : ٧٨ .

ثم حكى عن شيخه أبي زيد القرطبي ما حكاه السنوسي عنه في أواخر شرح
صُغْرَاهُ ، وقد أنكر غير واحد من الحفاظ كابن حجر وغيره كون ما ذكر
حديثاً ، ولعل هؤلاء أخذوه من جهة الكشف ونحوه ، والله تعالى أعلم .

وقال رحمه الله تعالى : دخلت على الشيخ أبي محمد عبد الله المغاور ، فقال
لي : أعلمك شيئاً تستعين به ، إذا احتجت لشيء فقل : يا واحد يا أحد يا واجد
يا جواد ، إنفَحْنَا منك بنفحة خير ، إنك على كل شيء قدير ، قال : فأنا
أنفق منها منذ سمعتها . وقال رحمه الله تعالى : ما من حال ذُكر في رسالة
القشيري إلا وقد شاهدته نفسي . وتزوج رحمه الله تعالى بنساء حدثن عنه
بكرامات ، ومنهنَّ أم القطب القسطلاني ، وحكت أنها خرجت عنه يوماً
لحاجتها ، ثم عادت فسمعت عنده في طبقته حِسَّ رجل ، فتوقفت وافتقدت
الباب فوجدته مُغْلَقاً ، فلما انقطع الكلام دخلت إليه ، فإذا هو وحده كما
تركته ، فسألته عن ذلك ، فقال : هو الخضر دخل علي وفي يده حية فقال :
هذه جثتك بها من أرض نجد ، وفيها شفاء مَرَضِكَ ، فقلت : لا أريد ، اذهب
أنت وحيثك لا حاجة لي بها . ودخل عليه بعض نسائه يوماً ، فوجدته بصيراً
نقي الجسم من الجُذَامِ ، فلما نظرته قال لها : أتريدين أن أبقي لك هكذا ؟ فقالت
له : يا سيدي كن كيف شئت ، إنما مقصودي خدمتك وبركتك . وقيل له ،
وقد تكاثرت منه رؤية الأشياء وإخباره بها ، مع كونه ضريراً ، عن ذلك ،
فقال : كلتي عين ، بأي عضو أردت أن أنظر به نظرت . وقال : هممت أن
أدعو برفع الغلاء ، فقبل لي : لا تدعُ فما نسمع لأحد منكم في هذا الأمر دعاء ،
فسافرت إلى الشام ، فلما وصلت إلى بلد الخليل ، عليه السلام ، تلقاني رسول
[الله] الخليل حين ورودي عليه ، فقلت له : يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك
أهل مصر ، فدعا لهم ففرَّج الله عنهم . ومناقبه رحمه الله تعالى وكراماته لا
يفي بها هذا المختصر ، وإنما قصدنا بذكرها البركة وكفارة ما وقع في هذا
الكتاب من الإحماض ، والله المرجو في العفو ..

ومن فوائده ما نقله عن شيخه أبي الربيع المالقي أنه قال له : ألا أعلمك كنزاً تنفق منه ولا ينفد ؟ قلت : بلى ، قال قل : « يا الله ، يا أحد ، يا واحد ، يا موجود ، يا جَوَاد ، يا باسط ، يا كريم ، يا وهَّاب ، يا ذا الطَّوَل ، يا غني ، يا مُغْنِي ، يا فتَّاح ، يا رزَّاق ، يا عليم ، يا حيّ ، يا قيَّوم ، يا رحمن ، يا رحيم ، يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حنان ، يا منان ، انفخي منك بنفحة خير تُغنيني بها عن سواك ﴿ إِنَّ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ (الأنفال : ١٩) ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ (الفتح : ١) ﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ (الصف : ١٣) اللهم يا غني يا حميد ، يا مبدئ يا معيد ، يا ودود^١ يا ذا العرش المجيد ، يا فعَّالاً لما يريد ، اكفني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عن سواك ، واحفظني بما حفظت به الذكر وانصرتني بما نصرت به الرسل ، إنك على كل شيء قدير » . فمن داوم على قراءته بعد كل صلاة خصوصاً صلاة الجمعة حفظه الله تعالى من كل مَخُوف ، ونصره على أعدائه ، وأغناه ورزقه من حيث لا يحتسب ، ويسّر عليه معيشته ، وقضى عنه دينه ولو كان عليه أمثال الجبال ديناً ، بكرمه وإحسانه ، انتهى . نقله عنه العلامة ابن داود البَلَّوي الأندلسي ، ومن خطه نقلت ، رحم الله تعالى الجميع ، ونقله الياضي كما ذكر رحمه الله تعالى ، إلا أنه لم يقل فيه « يا ودود » ، واتفقا فيما عدا ذلك ، والله سبحانه أعلم .

وقال ابن خلكان في حقّه : محمد بن أحمد^٢ بن إبراهيم القرشي الهاشمي العبد الصالح الزاهد من أهل الجزيرة الخضراء ، كانت له كرامات ظاهرة ، ورأيت أهل مصر يحكون عنه أشياء خارقة ، ولقيت جماعة ممّن صحبه ، وكل منهم قد نمي عليه^٣ من بركته ، وذكروا عنه أنه وعد جماعته الذين صحبوه مواعيد

١ يا ودود : مكررة في ق ط .

٢ ابن أحمد : سقطت من دوزي ، وهي ثابتة في ق وابن خلكان .

٣ ط ج ق : قد يثني عليه ، وما أثبتناه في ابن خلكان أيضاً .

من الولايات والمناصب العلية ، وأنها صحت كلها . وكان من السادات الأكابر والطراز الأول ، وهو مغربي صحب بالمغرب أعلام الزهاد وانتفع بهم ، فلما وصل إلى مصر انتفع به مَنْ صحبه أو شاهده ، ثم سافر إلى الشام قاصداً زيارة بيت المقدس ، فأقام بها إلى أن مات ، وصُلِّي عليه بالمسجد الأقصى ، وهو ابن خمس وخمسين سنة ، وقبره ظاهر للزيارة والتبرك به ^١ .

والجزيرة الخضراء في بلاد الأندلس : مدينة تقابل سبَّنة من بر العدو . ومن جملة وصاياه لأصحابه : سيروا إلى الله تعالى عُرْجاً ومكاسير فإن انتظار الصحة ببطالة ، انتهى ببعض اختصار .

٢٤ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن أبي الحسين القرطبي ^٢ ، سمع من قاسم بن أصبغ وغيره ، وقدم مصر فسمع بها من ابن الورد وابن أبي الموت والبارودي ^٣ وابن السكَّين في آخرين ، وسمع بالرملة وبيت المقدس ، وكان ضابطاً بصيراً بالنحو واللغة فصيحاً لميعاً طويل اللسان . ولي الشرطة ببلاد المغرب . توفي سنة ٣٧٢

٢٥ - ومنهم أبو بكر محمد بن علي بن حلف التَّجِيبِي الإشبيلي ، الحافظ الكاتب ، روى عن ابن الجلد وغيره ، ومر بمصر حاجتاً فلقي بمكة أبا حفص الميائشي وأبا الحسن المكناسي ، ولقي بالإسكندرية السَّلَفي وابن عوف وغيرهما ، وكان مدرّساً للفقهاء ، فقيهاً جليلاً ، متقدماً فيه عارفاً فاضلاً سَنِيّاً ، توفي بعد امتحان من منصور بن عبد المؤمن سنة ٥٩٦ ، وذلك أنه وشي به للمنصور

١ به : سقطت من ق ط .

٢ محمد بن علي بن الحسن بن أبي الحسين القرطبي : ترجمته في ابن الفرضي ٢ : ٨٥ وعنه ينقل المقرئ باختصار .

٣ ط ودودي : والبارودي .

٤ ترجمته في التكملة : ٥٥٧ والذيل والتكملة ٦ : الورقة ١٧٩ (نسخة باريس) وأورد له ترجمة مفصلة .

أبّام عزم على ترك التقليد والعمل بالحديث^١ .

٢٦ - ومنهم أبو بكر الأندلسي الجياني محمد بن علي بن عبد الله بن محمد ابن ياسر ، الأنصاري ، الجياني^٢ ، سافر من بلده ودخل ديار مصر والشام والعراق وخراسان وما وراء النهر ، ولقي أئمتها ، وتفقه ببخارى حتى تمهر في المذهب والخلاف والجلد ، ثم اشتغل بالحديث وسماعه وحفظه وحصل منه كثيراً ، ثم سكن بلخ مدة ، وعاد إلى بغداد ودخلها سنة ٥٥٩ ، وتوجه إلى مكة فحج ورجع إلى الشام واستوطن حلب ، إلى أن توفي بها ، ووقف كتبه ، وكان متديناً صديقاً حافظاً عالماً بالحديث ، وفيه فضل ، ولد بجياني سنة ٤٩٢ ، ومات بحلب سنة ٥٦٣ .

٢٧ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي التّجيبّي الدهان الغرناطي^٣ ، كان حسن السّمت بارع الخط والخلق والخلق ، رحل إلى الحج ، وجال في البلاد في حدود سنة ست وستمائة فأخذ بمكة والشام ومصر والإسكندرية عن جماعة كثيرة ، وكان عدلاً^٤ فاضلاً على خير ودين ، وكان متحرّفاً بالتجارة بغرناطة ، ثم خرج منها آخر عمره فمات بقوص بعدما حج سنة ٦٥٠ ، وصدر من مكة سنة ٦٥٣ فمات قبل منتصف السنة ، رحمه الله تعالى .

٢٨ - ومنهم أبو عمر محمد بن علي بن محمد بن أبي الربيع القرشي العثماني

١ كان المنصور قد حمل الناس على الكتاب والسنة ، فعل أهل الظاهر ، ورفض الاشتغال بالفروع ، فتمرض التجيبي للمحنة بسبب ذلك ، وخلص من النكبة فلزم داره ، وكانت له غرفة مشرفة على الدرب الذي فيه داره يكثر الجلوس فيها ، فخطر للمنصور أن يستدعيه ويؤنسه ، فتوجه إليه الشرطيون ، فرأهم من غرفته تلك وظن أنهم جاءوا لشر فاستطير قلبه ذعراً ، وأصابه شيء كالفالج أقعده ، وظل كذلك حتى أدركته منيته .

٢ محمد بن علي بن ياسر الأنصاري الجياني : ترجمته في التكملة : ٥٠٠ .

٣ محمد بن علي التجيبي الدهان : ترجمته في الذيل والتكملة ٦ : ١٩٨ (نسخة باريس) .

٤ دوزي : عادلاً .

الأندلسي الإشبيلي النحوي ، ولد سنة ٦١٧ بإشبيلية ، وقدم مصر فسمع الكثير بها ، وبلد مشق وغيرها ، وكان إماماً عالماً نحويّاً فاضلاً ، كتب عنه أبو محمد الدميّاطي والقطب عبد الكريم ، وناهيك بهما .

٢٩ - ومنهم أبو بكر [و] أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي ابن هُذَيْل البَلَنْسِي^١ ، رحل وسمع من السلفي ، وحج ، قال أبو الربيع ابن سالم : هو شيخ صدوق متيقّظ ، سمع أباه وأبا الوليد ابن الدباغ وأبا الحسن طارق بن موسى بن يعيش وجماعة ، وأخذ بمكة سنة ٥٣٩ عن أبي علي الحسن المُقَرِّي ، وقفّل إلى الأندلس سنة ٥٤٦ ، فأخذ عنه بها ، وسمع منه جماعة ، قال ابن الأبار : كان غاية في الصلاح وأعمال البر والورع ، توفي ببعض قرى بلنسية سنة ٥٨٣^٢ ، ومولده سنة سبع أو تسع عشرة وخمسمائة ، وله حظ من علم التعبير واللغة ، رحمه الله تعالى .

٣٠ - ومنهم أبو عبد الله ، ويقال : أبو سلّمة ، محمد بن علي البَيّاسي الغرناطي الأنصاري ناصر الدين ، روى عن الحافظ أبي جعفر^٣ بن الزبير وغيره ، وقدم إلى القاهرة واستوطنها بعد الحج ، حتّى مات بها سنة ٧٠٣ ، وكان عارفاً بعلم الحديث وكتب منه كثيراً ، ومال إلى مذهب الظاهرية ، وانتفع به جماعة من طلبة الحديث ، وكان ثقة ، رحمه الله تعالى .

٣١ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي بن الشامي الأندلسي ، الغرناطي ، قدم مصر حاجّاً ، وأقام بمكة والمدينة ، وكان إماماً فاضلاً عالماً متفهمّاً^٤ في علوم ما بين فقه وأصول ونحو ولغة وقراءات ونظم ونثر ، ومع

١ محمد بن علي بن هذيل : ترجمته في التكملة : ٥٤٥ والذيل والتكملة ٦ : ٢٠٠ . (نسخة باريس) .

٢ التكملة : سنة ٥٨٨ ، وفي ق ط : ٥٣٨ .

٣ ق ودوزي : أبي حفص .

٤ في نسخة : متفهمّاً .

معرفته بمذهب مالك ينقل كثيراً من مذهب الشافعي ، وسمع الموطأ بتونس من أبي محمد ابن هرون القرطبي ، ومولده بغرناطة سنة ٦٧١ ، وتوفي سنة ٧١٥ .

ومن شعره :

إِذَا كُنْتُ جَاراً لِلنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ وَمَكَّةُ بُيْتُ اللَّهِ مِنِّي عَلَى قُرْبِ
فَمَا ضَرَّتْني أَنْ فَاتَنِي رَغْدُ عَيْشَةٍ وَحَسْبِي الَّذِي أُوتِيَتْهُ نِعْمَةٌ حَسْبِي

وقوله :

نَزِيلُ الْكَرَامِ عَزِيزُ الْجَوَارِ وَإِنِّي نَزِيلٌ عَلَيْكُمْ وَجَارُ
حَلَلْتُ ذَرَاكَ وَأَنْتَ الْكَرِيمُ وَمَنْ حَلَّ مَثْوَى كَرِيمٍ يُجَارُ

٣٢ — ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاعي الميُورقي^١ ، قدم مصر ، وروى عن ابن الوليد بها ، وكان عالماً ، وله قصيدة طويلة فيها حِكَم ومواعظ يوصي ابنه بها ، منها قوله :

وِطَاعَةٌ مَنْ لِيهِ الْأَمْرُ فَالزَّمْ وَإِنْ جَارُوا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ
فَلِنْ كَفَرُوا كَكَفَرِ بَنِي عُبَيْدٍ فَلَا تَسْكُنْ دِيَارَ الْكَافِرِينَ

واسم ابنه حسن ، وسمع من المذكور الحافظ القاضي أبو بكر ابن العربي في رحلته سنة ٤٨٥ ، ووصفه بالعلم ، وعمّار : بالراء .

٣٣ — ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن الفخّار القوطبي الحافظ^٢ ، روى عن [أبي] عيسى^٣ الليثي وابن عون الله وأبي جعفر التميمي

١ محمد بن عمار الكلاعي : ترجمته في التكملة : ٤٠٣ ؛ وقد سقط أكثر هذه الترجمة في ق ولم يبق منها إلا ابتداء من قوله « واسم ابنه حسن . . . بالراء » ودخلت في الترجمة السابقة .

٢ انظر ترجمة ابن الفخار في الصلة : ٤٨٣ وعنه ينقل المقرئ .

٣ في الأصول : عن عيسى .

وأبني محمد الباجي ، وقدم مصر ، وحج ، وجاور بالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام ، وأفتى بها ، واقتخر بذلك على أصحابه ، وقال : لقد شُوِّرتُ بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم دار مالك بن أنس ومكان شوره ، ولقي جماعة من العلماء وأخذ عنهم ، وكان من أهل العلم والذكاء والحفظ والفهم ، عارفاً بمذاهب الأئمة وأقوال العلماء ، ذاكراً للروايات ، يحفظ « المدونة » و « النوادر » لابن أبي زيد ، ويوردها من صدره دون كتاب .

قال ابن حيّان مؤرخ الأندلس : توفي الفقيه المشاور الحافظ المتبحر^١ الرواية الطويل الهجرة في طلب العلم الناسك المتقشف بمدينة بِلَنَسِيَّة في ربيع الأول سنة ٤١٧ لعشر خلون من الشهر ، وكان الحفل في جنازته عظيماً ، وعان الناس فيها آية من ظهور أشباه الخطاطيف بها تجللت الجمع رافة فوق النعش لم تفارق نعشه إلى أن وُوريَ ، فتفرقت ، ومكث مدة ببِلَنَسِيَّة مطاعاً عظيم القدر عند السلطان والعامّة .

وذكر جُماهيرُ بن عبد الرحمن حديث الطير ، وكذا ذكر الحسن بن محمد القيسي خبر الطير . قال : وكانت سنّة نحو الثمانين سنة ، وكان مجاب الدعوة ، وظهرت في دعوته الإجابة .

وقال أبو عمرو الداني : إن وفاته يوم السبت لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وأربعمائة ، ودُفِن يوم الأحد بمدينة بِلَنَسِيَّة ، وبلغ نحو ست وسبعين سنة ، وهو آخر الفقهاء الحفاظ الراسخين العالمين بالكتاب والسنة بالأندلس ، رحمه الله تعالى .

٣٤ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمرو القروطي^٢ ، سمع علي بن مفرج وغيره من شيوخ قرطبة ، وقدم مصر فأخذ بها عن ابن المهندس وغيره ،

١ ط : المستبحر .

٢ ترجمة ابن عمرو في الصلاة : ٤٦٢ .

وحجّ ودخل العراق ، وسمع من أبي بكر الأبهري والدارقطني وجماعة ، وعاد إلى الأندلس ، وشُهر بالعلم والمال ، وولي الأحباس بقرطبة ، حدث عنه أبو عمر ابن عبد البر وغيره ، ومات في جمادى الآخرة سنة أربعمائة ، رحمه الله تعالى .

٣٥ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح^١ ، المعافري ، المعروف بالأعشى ، القرطبي ، رحل سنة ١٧٩ فسمع سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن وهب وجماعة ، وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار ، وكان صالحاً عاقلاً سرياً جواداً يذهب إلى مذهب أهل العراق^٢ ، وتوفي سنة ٢٢١ ، ذكره ابن يونس وغيره .

٣٦ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن فُطَيْس الغافقي^٣ ، الإلبيري ، الزاهد ، قال الحميدي في حقه : هو من أهل الحديث والحفظ والفهم والبحث عن الرجال ، وله رحلة سمع فيها من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومن ابن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب وغيرهما ، وروى بالأندلس عن جماعة منهم بقسيّ ابن مَخْلَد وابن وضاح ، وسمع بمكة وغيرها من مائة شيخ ، قال ابن الفَرَضِي : كان شيخاً نبيلاً ، ضابطاً لكتبه ، ثقة في روايته ، صدوقاً في حديثه ، وكانت الرحلة إليه بإلبيرة ، وبها مات في شوال سنة ٣١٩ وهو ابن تسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

٣٧ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيّار ، القرطبي^٤ ، من موالى بني أمية ، سمع من أبيه ومن بقسيّ بن مَخْلَد وغيره ، ورحل سنة ٢٩٤ فسمع بمصر من النسائي ، ومن أحمد بن حماد زغبة ، وسمع بمكة والبصرة والكوفة وبغداد ودمياط والإسكندرية والقيسروان

١ ترجمة ابن نجيح في الجذوة : ٦٩ (وبغية الملتبس رقم : ٢١٢) وابن الفرضي ٢ : ٧ .
٢ ابن الفرضي : وكان يذهب في الأثرية لمذهب أهل العراق ، إذ كان علمه عراقياً .
٣ ترجمته في الجذوة : ٧٨ (وبغية الملتبس رقم : ٢٥٢) وابن الفرضي ٢ : ٤٢ .
٤ ترجمته في الجذوة : ٨٠ (وبغية الملتبس رقم : ٢٦٠) وابن الفرضي ٢ : ٤٨ .

من مائة وستين رجلاً ، قال أبو محمد الباجي : لم أدرك بقرطبة أكثر حديثاً منه ، وكان عالماً بالفقه ، متقدماً في علم الوثائق رأساً فيها ، وكان مشاوراً ، سمع من الناس كثيراً ، وكان ثقة صدوقاً ، وغزاه سنة ٣٢٧ ، ومات ثالث ذي الحجة منها ، ومولده سنة ٢٦٣ ، وقيل : توفي سنة ٣٢٨ ، قاله ابن يونس والحميدي .

٣٨ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم القرشي الفهري ، عُرِفَ بابن رمان ، الغرناطي ، قرأ على أبي جعفر ابن الزبير بها ، وقدم إلى القاهرة سنة ٧٢٢ ، ومات بالمدينة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام سنة ٧٢٩ .

ومن شعره قوله :

فُديتمْ خَبَرُونِي كَيْفَ صَحَّتْ فريضةٌ هالكٌ من غير مَينٍ
لزيدٍ زوجةٌ ولها ابنٌ أمٌّ فماتتْ عنهُما لا غَيْرَ ذينِ
فَحَارَ البَعْلُ ما تركتهُ إرثاً وولّى غيره صِفَرِ اليدينِ
ولا رِقٌ فُديتْ على أخيها وليس بكافرٍ يُرمى بشَيْنِ
وليس مُعَجَّلاً إرثاً بقتلٍ مخافة أن يتال شقاوتينِ

٣٩ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن لبّ الشاطبي^١ ، حدث بالقاهرة ، وتوفي قريباً من سنة ٦٤٠ ، وهو أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن ابن الصباغ ، ومن كلامه : اشتغالك بوقتٍ لم يأتِ تضييعٌ للوقت الذي أنت فيه ، ولعمري لقد صدق .

٤٠ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن سُراقَة الشاطبي بن محمد بن إبراهيم ابن الحسين بن سُراقَة^٢ ، يحيي الدين ، ويكنى أيضاً أبا القاسم وأبا بكر ،

١ ق : ٣١٨ .

٢ ترجمة محمد بن لب الشاطبي في التكملة : ٦٥٢ .

٣ انظر ترجمته في الوافي ١ : ٢٠٨ وشذرات الذهب ٥ : ٣١٠ (وفيات : ٦٦٢) والنجوم

الزاهرة ٧ : ٢١٦ وذيل الروضتين : ٢٣٠ والفوات ٢ : ٣٠٦ .

الأنصاري الشاطبي ، المالكي ، ولد بشاطبة سنة ٥٩٢ هـ ، وسمع من أبي القاسم ابن بَقِيٍّ ، ورحل في طلب الحديث ، فسمع ببغداد من الشيخ أبي حفص عمر السهروردي وأبي طالب القُبَيْطِي وأبي حفص الدينوري وجماعة ، وسمع بحلب من ابن شداد وغيره ، وتولى مشيخة دار الحديث البهائية^١ بحلب ، ثم قدم مصر وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابن سهل القصري سنة ٦٤٢ هـ ، وبقي بها إلى أن توفي بالقاهرة في شعبان سنة ٦٦٢ هـ ، ودفن بسفح المقطم ، وكان الجمع كبيراً ، وهو أحد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنبيل ، وأحد المشايخ الصوفية ، له في ذلك إشارات لطيفة مع الدين والعفاف والبشر والوقار والمعرفة الجيدة بمعاني الشعر ، وكان صالح الفكرة في حلّ التراجم ، مع ما جُبِّل عليه من كرم الأخلاق ، واطّراح التكلف ، ورقة الطبع ، ولين الجانب .

ومن شعره قوله :

نَصَبْتُ ومثلي للمكارم يَنْصَبُ	ورُمْتُ شروق الشمس وهي تُغْرَبُ
وحاولتُ إحياء النفوس بِأَسْرِها	وقد غَرَّغَرْتُ يا بُعْد ما أنا أَطْلُبُ
وأَتَعَبُ إن لم تمنح الخلق راحةً	وغيري إن لم تتعب الخلق يتعبُ
مُرَادِي شَيْءٌ والمقاديرُ غيره	ومنْ عاند الأقدارَ لا شكَّ يَغْلِبُ

وقوله^٢ :

إلى كم أَمَنِّي النفسَ ما لا تَنَالُه	فيذهبَ عمري والأمانُ لا تُقْضَى
وقد مرَّ لي خمسٌ وعشرون حَجَّةً	ولم أرضَ فيها عِيشَتِي فمَتَى أَرْضَى
وأَعْلَمُ أَنِّي والثلاثون مُدَّتِي	حَرَّ بِمَغَانِي اللهو أوسِعُها رَفَضاً

١ في ق ط ج ودوزي : البهادية ، والتصويب عن الوافي .

٢ الأبيات ما عدا الأخير منها في الوافي والفوات .

فماذا عَسَى في هذه الخمس أرتجي ووَجدي إلى أوبٍ من العشر قد أفضى
وقال رحمه الله تعالى ^١ :

وصاحب كالألّالِ يَمْحُو صفاؤه الشكَّ باليقينِ
لم يُحْصِ إلّا الجميلَ مِنِّي كأنه كاتبُ اليمينِ

وهذا عكس قول المنازي :

وصاحب خيلته خليلاً وما جرّى غدره ببالي
لم يُحْصِ إلّا القبيحَ مِنِّي كأنه كاتبُ الشمالِ

٤١ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الفريشي - بكسر الفاء ،
وتشديد الراء المهملة ، بعدها شين معجمة - نسبة إلى فريش - إحدى مدائن
قُرطبة ^٢ . ولد بغرناطة سنة ٥٥٧ ، وقرأ بالروايات على أبي القاسم ابن غالب ،
وسمع عليه وعلى أبي القاسم ابن بشكّو والغيره ، وسمع بمكة ، وحدث
بمصر ، وعاد إلى الأندلس فمات بقرطبة سنة ٦٣٣ ، وكان مشهوراً بالصباح ،
معروفاً بإجابة الدعاء ، ورعاً ثقة زاهداً فاضلاً ، رحمه الله تعالى .

٤٢ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن خيرون ^٣ ، وقيل : محمد بن
عمر بن خيرون ، أندلسي ، سكن القيروان ، ورحل إلى المشرق ، وأخذ
القراءات بمصر عن محمد بن سعيد الأنماطي وغيره كعبيد بن رجاء وأبي الحسن

١ البيتان وبيننا المنازي في الوافي والشذرات والنجوم الزاهرة .
٢ تقع فريش إلى الشمال من قرطبة ، وقال الحميري في تحديدها : بين الجوف والغرب من قرطبة .
٣ ترجمته في ابن الفرضي ٢ : ١١٢ وجذوة المقتبس : ٥٠ (وبغية الملتبس رقم : ١٠٨) وكنيته
فيها أبو جعفر ؛ وفي غاية النهاية ٢ : ٢١٧ واسمه محمد بن عمر وكنيته أبو عبد الله . ومن
مؤلفاته كتاب الابتداء والتمام وكتاب الألفات واللام ، وذكر ابن الجزري أن وفاته كانت
سنة ست وثلاثمائة ، وعند دوزي وق ط ج : ٣٥٦ ولعله سهو .

إسماعيل بن يعقوب الأزرق المدني ، ودخل العراق ، وسمع به من أصحاب علي ابن المديني ويحيى بن معين ، وعاد إلى القيروان ، وسمع بها وبقرطبة ، وقدم بقراءة نافع على أهل إفريقية ، وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ، ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلا الخواص ، حتى قدم بها فاجتمع إليه الناس ، ورحل إليه أهل القيروان من الآفاق ، وكان يأخذ أخذاً شديداً على مذهب المشيخة من أصحاب ورش ، وتوفي بشعبان سنة ٣٠٦ ، وكان رجلاً صالحاً فاضلاً كريم الأخلاق إماماً في القراءات ، مشهوراً بذلك ، ثقة ، مأموناً ، واحد أهل زمانه وأتمتهم في علم القرآن ، رحمه الله تعالى .

٤٣ - ومنهم ضياء الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن صابر بن بُندار ، القيسي ، الأندلسي ، المالقي^١ ، ولد بمالقة سنة ٦٢٥ وسمع الكثير ، وقدم القاهرة حاجاً فسمع بها وبدمشق وكتب بخطه كثيراً ، وكان سريع الكتابة سريع القراءة كثير الفوائد ، ديناً خيراً فاضلاً ، له مشاركة جيدة في عدة علوم ، توفي شاباً بالقاهرة سنة ٦٦٢ ، رحمه الله تعالى .

٤٤ - ومنهم أبو بكر محمد الزهري ، المعروف بابن محرز ، البلسني^٢ ، ولد بها سنة ٥٢٩ ، وقدم مصر فسمع ابن الفضل^٣ وغيره ، وروى عنه جماعة ، وكان أحد رجال الكمال علماً وإدراكاً وفصاحة وحفظاً للفقه وتفناً في العلوم ومتانة في الأدب ، حافظاً للغة والغريب ، وله شعر رائق ، ودين متين ، وأخذ الناس عنه ببلده وبمُرسِيّة وإشبيلية ومالقة وغرناطة في اجتيازه عليها ، وبغيرها من البلاد ، وعلا ضيئه ، وعُرف بالدين والعلم والفضل ، وكان أبو الخطاب

١ ترجمته في الوافي ١ : ٢٠٠ .

٢ هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان أبو بكر الزهري البلسني : انظر ترجمته في الوافي ١ : ١٩٨ والتكملة : ٦٦٤ .

٣ ط ج : ابن المفضل .

يُثْنِي عَلَى عِلْمِهِ وَدِينِهِ ، تَوَفِّي بِبَغْدَادِ سَنَةَ ٦٥٥ عَنْ سِنٍ عَالِيَةٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

٤٥ — وَمِمَّنْ ارْتَحَلَ^١ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ^٢ . وَقَالَ ابْنُ مَكُولَا فِي حَقِّهِ : إِنَّهُ فَقِيهٌ مُتَكَلِّمٌ أَدِيبٌ شَاعِرٌ ، سَمِعَ بِالْعِرَاقِ ، وَدَرَسَ الْكَلَامَ وَصَنَّفَ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَكَانَ جَلِيلًا رَفِيعَ الْقَدْرِ وَالْخَطَرِ .

وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ : إِنَّهُ وَلِدَ سَنَةَ ٤٠٣ ، وَارْتَحَلَ سَنَةَ ٤٢٦ ، وَجَاوَرَ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ مَلَاذِمًا لِأَبِي ذَرِّ الْحَافِظِ يَخْدُمُهُ ، وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادٍ وَدِمَشْقَ ، وَلَقِيَ فِي رِحْلَتِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ ، وَتَفَقَّهَ بِالْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبْرِيِّ وَغَيْرِهِ .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ سَكْرَةَ : مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا عَلَى هَيْئَتِهِ وَسَمَّتِهِ وَتَوَقَّرَ مَجْلِسُهُ ، وَلَمَّا كُنْتُ بِبَغْدَادٍ قَدِمَ وَلَدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ ، فَسَرَتْ مَعَهُ إِلَى شَيْخِنَا قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّاشِيِّ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى عَزْلَكَ ، هَذَا ابْنُ شَيْخِ الْأَنْدَلُسِ ، فَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ الْبَاجِيِّ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ . قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ : وَكَثُرَتِ الْقَالَةُ فِي الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ لِمُدَاخَلَتِهِ الرُّؤْسَاءَ ، وَوَلِي قَضَاءَ أَمَاكُنْ تَصْغُرُ عَنْ قَدْرِهِ ، وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى تِلْكَ النُّوَاحِي خُلَفَاءَهُ ، وَرَبَّمَا أَتَاهَا الْمَرَّةَ وَنَحْوَهَا ، وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مُقْلًا حَتَّى احْتِاجَ إِلَى الْقَصْدِ بِشَعْرِهِ ، وَاسْتَأْجَرَ نَفْسَهُ مَدَّةَ مَقَامِهِ بِبَغْدَادٍ ، فِيمَا سَمِعْتَهُ مُسْتَفِضًا ، لِحِرَاسَةِ دَرْبٍ . وَقَدْ جَمَعَ ابْنَهُ بِشَعْرِهِ .

قَالَ : وَلَمَّا قَدِمَ الْأَنْدَلُسَ وَجَدَ لِكَلَامِ ابْنِ حَزْمٍ طَلَاوَةً ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ خَارِجًا عَنِ الْمَذْهَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْأَنْدَلُسِ مَنْ يَشْتَغِلُ بِعِلْمِهِ ، فَقَصُرَتْ أَلْسِنَةُ الْفُقَهَاءِ عَنْ

١ ق ج : وَمِنَ الرَّاحِلِينَ ، ط : وَمِنْ رَحَلَ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي دَوْزِي .

٢ انظر ترجمة أبي الوليد الباجي سليمان بن خلف في الذخيرة (القسم الثاني : ٣٨) والقلائد : ١٨٨

والصلة : ١٩٧ وبقية الملتصق رقم : ٧٧٧ والمغرب ١ : ٤٠٤ ووفيات الأعيان ٢ : ١٤٢

ومعجم الأدباء ١١ : ٢٤٦ والديباج المذهب : ١٢٠ وتذكرة الحفاظ : ١١٧٨ وتهذيب ابن

عساكر ٦ : ٢٤٨ وشذرات الذهب ٣ : ٣٣٤ والمراقبة العليا : ٩٥ .

مُجادلته ، وكلامه ، واتبعه على رأيه جماعة من أهل الجهل ، وحل بجزيرة مَيُورَقَة ، فرأس فيها واتبعه أهلُها ، فلما قدم أبو الوليد كلموه في ذلك ، فدخل إليه ، وناظره وشهر باطله ، وله معه مجالس كثيرة .

ولما تكلم أبو الوليد في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي في البخاري قال بظاهر لفظه ، فأنكر عليه الفقيه أبو بكر الصائغ وكفره بإجازة الكتّاب على الرسول الأُمي ، صلّى الله عليه وسلّم ، وأنه تكذيب للقرآن ، فتكلّم في ذلك مَنْ لم يفهم الكلام ، حتى أثاروا عليه الفتنة وقبّحوا عليه عند العامة ما أتى به ، وتكلّم به خطبائهم في الجمع ، وقال شاعرهم :

برئتُ ممّن شرّى دُنْيَاً بآخِرَةٍ وقال : إن رسولَ الله قد كتبَا

فصنف أبو الوليد رحمه الله تعالى رسالة بيّن فيها أن ذلك غير قادح في المعجزة ، فرجع بها جماعة ؛ إذ ليس مَنْ عَرَفَ أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أُمِّيًّا لأنّه لا يُسمّى كاتباً ، وجماعة من الملوك قد أدمنوا على كتابة العلامة وهم أُمِّيّون ، والحكم للغالب لا للصور النادرة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « إِنَّا أُمَّة أُمِّيّون » أي : أكثرهم كذلك ، لندور الكتابة في الصحابة ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ (الجمعة : ٢) انتهى ، وبعضه بالمعنى .

وذكر ابنُ بَسّام أن أبا الوليد الباجي نشأ وهمته في العلم ، وأنه بدأ بالأدب ، فبرز في ميادينه ، وجعل الشعر بضاعته ، فنال به من كل الرغائب ، ثم رحل فما حلّ بلدًا إلّا وجّده ملآن بذكره ، نشوان من قهوّيّ نظمه ونثره ، فمال إلى علم الديانة ، فمشى بمقياس ، وبنى على أساس ، حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه ، ويرتاحون للأخذ عنه ، ثم كرّ واستقضى في طريقه بحلب ، فأقام بها نحواً من عام .

قال : وبلغني عن ابن حزم أنّه كان يقول : لو لم يكن لأصحاب المذهب

المالكى بعد عبد الوهاب إلاّ مثل أبي الوليد الباجي لكفاهم .

وصنف أبو الوليد كتباً كثيرة منها كتاب « التسديد إلى معرفة التوحيد » وكتاب « سنن المنهاج وترتيب الحجاج » وكتاب « إحكام الفصول في أحكام الأصول » وكتاب « التعديل والتجريح لمن خرّج عنه البخاري في الصحيح » وكتاب « شرح الموطأ » وهو نسختان : نسخة سمّاها « الاستيفاء » ، ثم انتقى منها فوائد سمّاها « المنتقى » في سبع مجلدات ، وهو أحسن كتاب ألف في مذهب مالك ، لأنّه شرح فيه أحاديث الموطأ ، وفرّع عليها تفريعاً حسناً ، وأفرد منه شيئاً سمّاه « الإيماء » ، وقال بعضهم : إنّهُ صنف كتاب « المعاني في شرح الموطأ » فجاء عشرين مجلداً عديم النظير ، وكان أيضاً صنف كتاباً كبيراً جامعاً بلغ فيه الغاية سمّاه « الاستيفاء » ، وله كتاب « الإيماء » في الفقه ، خمس مجلدات ، انتهى .

ومن تصانيفه « مختصر المختصر » في مسائل المدونة ، وله كتاب « اختلاف الموطأ » وكتاب « الإشارة في أصول الفقه » وكتاب « الحدود » وكتاب « سنن الصالحين » وكتاب « التفسير » لم يتمّه ، وكتاب « شرح المنهاج » وكتاب « التبيين لسبيل المهتدين » في اختصار فرق الفقهاء ، وكتاب « السراج » في الخلاف ، ولم يتم ، وغير ذلك .

وحجّ الباجي رحمه الله تعالى أربع حجج جاور فيها ثلاثة أعوام ملازماً لأبي ذر عبد بن أحمد الحرّوي ، وكان يسافر معه للسراوات^١ لأن أبا ذر تزوّج من العرب ، وسكن بها .

* * *

١ السراوات ثلاث : واحدة بين تهامة ونجد وواحدة في بلاد علوان وثالثة أرض عالية وجبال تشرف على البحر من الغرب وعلى نجد من الشرق .

[ترجمة أبي ذر الهروي]^١

وأبو ذر المذكور هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري المالكي ، ويعرف بابن السمّاك ، سمع بهرّاة وسرّخس وبَلْخ ومَرو والبصرة وبغداد ودمشق ومصر ، وجاور بمكة ، وألّف معجماً لشيّوخه ، وعمل الصحيح ، وصنف التصانيف ، قال الخطيب : قدم أبو ذرّ بغداد وأنا غائب ، فحدث بها ، ثم حجّ وجاور ، ثم تزوّج في العرب ، وسكن السّروّات ، وكان يمجّ كل عام ويحدث ويرجع ، وكان ثقة ضابطاً ديناً ، وقال الحسن بن بقيّ المالقي : حدثني شيخي قال : قيل لأبي ذر : من أين تمذهب بمذهب مالك ورأي الأشعري مع أنّك هروزي ؟ فقال : قدمت بغداد ، وكنت ماشياً مع الدارقطني ، فلقينا أبا بكر ابن الطيب ، فالتزمه الدارقطني ، وقبّل وجهه وعينه ، فلما افرقنا قلت : من هذا ؟ قال : هذا إمام المسلمين ، والذّاب عن الدين ، القاضي أبو بكر ابن الطيب ، فمن ذلك الوقت تكررت إليه وتمذهبت بمذهبه ، انتهى .

قلت : هذا صريح في أن القاضي أبا بكر الباقلاني مالكي ، وهو الذي جزم به غير واحد ، ولذا ذكره عياض في المدارك في جملة المالكية ، وكذلك شيخُ السّنة الإمام أبو الحسن الأشعري مالكي المذهب فيما ذكره غير واحد من الأئمة ، وذكر بعض الشافعية أنّهما شافعيان ، والله تعالى أعلم .

وقال عبد الغافر في « تاريخ نيسابور » : كان أبو ذرّ زاهداً ، ورعاً ، عالماً ، سخيّاً لا يدّخر شيئاً ، وصار كبير مشيخة الحرم ، مشاراً إليه في التصوف ، خرّج على الصحيح تخريجاً حسناً ، وكان حافظاً ، كثير الشيوخ ، توفي سنة ٤٣٥ ، وقال أبو علي ابن سكرة : توفي عقب شوال سنة ٤٣٤ ، وقال الخطيب : في ذي القعدة من سنة أربع وثلاثين ، رحمه الله تعالى ، وأكثر

١ ترجمة أبي ذر الهروي في تبين كذب المفتري : ٢٥٥ وتذكرة الحفاظ : ١١٠٣ .

نسخ البخاري الصحيحة بالمغرب لما من رواية الباجي عن أبي ذر عبد بن أحمد الهروي المذكور ، ولما من رواية أبي علي الصدقي الشهير المعروف بابن سكرة بسنده .

وأعلم أن هـ راة المنسوب إليها الحافظ أبو ذر ليست بهـ راة التي وراء النهر نظيرة بـ لـ خ ، وإنما هي هـ راة بني شيمانة بالحجاز^١ ، وبها كان سكنى أبي ذر ، والله أعلم .

رجع إلى القاضي أبي الوليد الباجي رحمه الله تعالى

ثم إنّه - أعني الباجي - قدم بغداد ، وأقام بها ثلاثة أعوام يُدرّس الفقه ، ويقرأ الحديث ، فلقني بها عدّة من العلماء كأبي الطيب الطبري والإمام الشهير أبي إسحاق الشيرازي والصيّمرى وابن عُمُروس المالكي ، وأقام بالموصل سنة مع أبي جعفر السّمّاني يأخذ عنه علم الكلام ، فبرع في الحديث وعيّلته ورجاله ، وفي الفقه وغوامضه وخلافه ، وفي الكلام ومضائقه ، وتدبج مع الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي بحيث روى كل واحد منهما عن الآخر ، رضي الله تعالى عنهما ونفع بهما . ورجع إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة سنة يعلم جَمَّ حَصَلَه مع الفقر والتَّعَفُّف . .

ومما يفتخر به أنّه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر ابن عبد البر والخطيب أبو بكر ابن ثابت البغدادي ، وناهيك بهما ، وهما أسنّ منه وأكبر ، وأبو عبد الله الحميدي ، وعلي بن عبد الله الصقلي ، وأحمد بن علي بن غَزَلُون ، وأبو بكر الطرطوشي ، وأبو علي ابن الحسين السبتي ، وأبو بحر سفيان بن العاصي ،

١ لم يذكر أحد أن في الحجاز موضعاً اسمه « هـ راة » أو قوماً اسمهم بنو شيمانة وإنما أورد ياقوت في مادة « شباية » : سـ راة بني شباية من نواحي مكة ينسب إليها أبو جميع عيسى ابن الحافظ أبي ذر عبد الله بن أحمد الهروي الشباني ، حدث بهذا الموضع عن أبيه أبي ذر ، روى عنه أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن الرّؤاسي ، وكان يحدث سنة ثيف وستين وأربعمائة .

وممن روى عنه ابنه أبو القاسم أحمد . وكان لما رجع إلى الأندلس فشا علمه ،
وتهيات الدنيا له ، وعظم جاهه ، وأجزلت له الصلّات ، فمات عن مال وافر ،
وترسل للملوك ، وولي القضاء بعدة مواضع ، رحمه الله تعالى .

وأما ما تقدّم عن القاضي أبي الوليد الباجي من إجراء حديث الكتابة على
ظاهره فهو قول بعض ، والصواب خلافه ، قال القاضي أبو الفضل عياض :
حدثنا محمد بن علي المعروف بابن الصيقل الشاطبي من لفظه ، قال : حدثني
أبو الحسن ابن مَنُوز قال : كان أبو محمد ابن أحمد بن الحاج الهواري من أهل
جزيرة شقر ممن لازم الباجي وتفقه عنده ، وكان يميل إلى مذهب الباجي في
جواز مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة بيده في حديث المقاضاة في
الحديثة على ما جاء في ظاهر بعض رواياته ، ويعجب به ، وكنت أنكر ذلك
عليه ، فلما كان بعد بُرْهَة أتاني زائراً على عادته ، وأعلمني أن رجلاً من
إخوانه كان يترى في النوم أنه بالمدينة ، وأنه يدخل المسجد ، فيرى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم أمامه ، فيجد له قُشْعْرِيْرَة وهيبة عظيمة ، ثم يراه
ينشئ ويميد ولا يستقر ، فيعتريه منه فزع عظيم ، وسألني عن عبارة رؤياه ،
فقلت : أخشى على صاحب هذا المنام أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغير صفته ، أو ينحله ما ليس له بأصل ، أو لعله يفترى عليه ، فسألني : من أين
قلت هذا ؟ قلت له : من قول الله تعالى ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُّرْنَ مِنْهُ ﴾
- إلى قوله تعالى : وَلَدَأْ ﴿ (مريم : ٩٠) فقال لي : لله درك يا سيدي ، وأقبل
يقبل رأسي وبين عيني ، ويبكي مرة ويضحك أخرى ، ثم قال لي : أنا صاحب
الرؤيا ، واسمع تمامها يشهد لك بصحة تأويلك ، قال : إنّه لما رأيتني في ذلك
الفرع العظيم كنت أقول : والله ما هذا إلاّ أنّي أقول وأعتقد أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتّب ، فكنت أبكي وأقول : أنا نائب يا رسول الله ،
وأكرّر ذلك مراراً ، فأرى القبر قد عاد إلى هيأته أولاً وسكن ، فاستيقظت ،
ثم قال لي : وأنا أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب قطّ حرفاً ،

وعليه ألقى الله تعالى ، فقلت : الحمد لله الذي أراك البرهان ، فاشكرك له كثيراً ، انتهى .

قال ابن الأبار : حدثني بهذه الحكاية أبو الربيع ابن سالم بقراءتي عليه ، عن الكاتب أبي بكر عبد الرحمن بن مُغاور قراءة عليه ، عن القاضي أبي حفص أحمد بن عبد الرحمن بن جَحْدَر عن أبي الحسن طاهر بن مُفَوِّز قال : كان أبو محمد - إلى آخرها ، وهي أتم من هذه ، انتهى .

رجع إلى الباجي

ذكر أبو العرب عبد الوهاب البقاسي بسنده إلى القاضي أبي الوليد الباجي أنه كان يقول ، وقد ذكرت له صحيفة السلطان : لولا السلطان لنقلتني الدر من الظل إلى الشمس ، أو ما هذا معناه ، انتهى .

ومن فوائد الباجي أنه حكى أن الطلبة كانوا ينتابون مجلس أبي علي البغدادي ، واتفق أن كان يوماً مطراً ووحل ، فلم يحضر من الطلبة سوى واحد ، فلما رأى الشيخ حرصه على الاشتغال وإتيانه في تلك الحال أنشده^٢ :

دَبَبَتْ للمجد والسَّاعُونَ قد بَلَغُوا . حَدَّ النَّفُوسِ وَالتَّقْوَا دُونَهُ الْأَزْرَا
وَكَابَدُوا المجدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ . وَعَانَقَ المجدَ مَنْ وَافَى وَمَنْ صَبَّرَا
لَا تَحْسَبِ المجدَ نِعْمًا أَنْتَ أَكَلْتَهُ . لَنْ تَبْلُغَ المجدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا
انتهى .

وروى عن القاضي أبي الوليد الباجي رحمه الله تعالى الخطيب البغدادي قوله رحمه الله تعالى^٣ :

١ ط ج : أبي جعفر .

٢ انظر القصة والأبيات في الصلة : ٦٢٠ - ٦٢١ ؛ والأبيات في أمالي القاضي : ١ : ١١٢ .

٣ البيتان وردا في أكثر المصادر التي ترجمت للباجي .

إذا كنتُ أعلمُ عِلْمَ اليقينِ بأنَّ جميعَ حياتي كساعةٌ
فليمَ لا أكونُ ضنيناً بها وأجعلها في صلاحٍ وطاعةٍ

وقد ذكرناهما فيما يأتي قريباً من كلام الفتح ، لكوننا نقلنا كلامه بلفظه ،
رحمه الله تعالى ، ورضي عنه .

وقال في القلائد في حق الباجي رحمه الله تعالى ، ما صورته : بدرُ العلوم
اللائح ، وقطرُها الغادي الرائح ، وثبيرها الذي لا يُزحم ، ومُنيرها الذي
ينجلي به ليلها الأسحم ، كان إمام الأندلس الذي تُقْتَسَب أنواره ، وتُنتَجع
نَجْوَدُهُ وأغْوَارُهُ ، رحل إلى المشرق فعكف على الطلب ساهراً ، وقطفَ من
العلم أزهاراً ، وتفنن في اقتنائه ، وثنى إليه عِنانَ اعتنائه ، حتى غدا مملوء
الوطاب ، وعاد بَسَّحَ طلبه إلى الإرتاب ، فكَرَّ إلى الأندلس بجرأ لا تخاض
لُجَجُهُ ، وفجراً لا يُطْمَس منهجه ، فتهادته الدول ، وتلقته الخيل والحول ،
وانتقل من مَحْجِرٍ إلى ناظر ، وتبدل من يانع بناضر ، ثم استدعاه المقتدر بالله
فصار إليه مرتاحاً ، وبدا بأفقه مُلتاحاً ، وهناك ظهرت تواليفه وأوضاعه ،
وبدا وخذله في سبُل العلم وإيضاعه ، وكان المقتدر يباهي باتحياشه إلى سلطانه ،
وليثاره لخصرته باستيطانه ، ويحتفل فيما يرتبه له ويُجْريه ، ويتزله في مكانه
متى كان يُوافيه ، وكان له نَبْطُم يوقفه على ذاته ، ولا يصرفه في رَفَث القول
وبَدَائِهِ^١ .

فمن ذلك قوله في معني الزهد :

إذا كنتُ أعلمُ عِلْمَ اليقينِ بأنَّ جميعَ حياتي كساعةٌ
فليمَ لا أكونُ ضنيناً بها وأجعلها في صلاحٍ وطاعةٍ

وله يرثي ابنه وماتا مغترين ، وغربا كوكبين ، وكانا ناظرِي الدهر ،

١ دوزي : وبداذاته .

وساحري النظم والنثر ١ :

رعى الله قبرين استكانا ببلدة
لثين غيبا عن ناظري وتبوءا
يقتر بعيني أن أزور تراهما
وأبكي وأبكي ساكنيها لعلتي
فما ساعدت ورق الحمام أبا أسى
ولا استعذبت عيني بعدهما كرى
أحين وبني اليأس نفسي عن الأسمى

وله يرثي ابنه محمداً :

أحمداً ، إن كنت بعدك صابراً
ورزئت قبلك بالنبى محمد
فلقد علمت بأنى بك لاحق
لله ذكر لا يزال بخاطري
فلذا نظرت فشخصه متخيل
وبكل أرض لي من آجلك لوعة
فلذا دعوت سواك حاد عن اسمه
حكيم الردى ومناهج قد سنّها

انتهى .

ولعمري إنه لم يوف القاضي أبا الوليد الباجي حقه الواجب المفترض ،
ووددت أنه مدّ النفس في ترجمته بعبارة التي يعترف ببراعتها من سلم

١ انظر أيضاً المغرب ١ : ٤١٤ .

له ومن اعترض ، فإن ترجمة المذكور مما سطره أفسح مجالا ، وأفصح روية وارتجالا ، وبالحملة فهو أحد أعلام الأندلس ، وهو سليمان بن خلف ابن سعد بن أيوب بن وارث التَّجِيبِي ، وذكره ابنُ بَسَّام في الذخيرة وابن خلسكان وغير واحد ، وأصله من بَطْلَيْمُس ، وانتقل جدّه إلى باجّة قرب إشبيلية ، وليس هو من باجّة القيروان ، ومولده سنة ٤٠٣ . ورحل سنة ٤٢٦ ، فقدم مصر ، وسمع بها ، وأجزّ نفسه ببغداد لحراسة الدروب ، وكان لما رجع إلى الأندلس يضرب ورق الذهب ، ويعقد الوثائق ، إلى أن فشا علمه ، وشبّأت له الدنيا ، وشهرته تغي عن وصفه .

ومن نظمه قوله :

ما طال عهدي بالديار ، وإنما أنسى معاهدَها أسمى وتبلدُ
لو كنتُ أنبأتُ الديارَ صبايتي رَقَّ الصفا بفنائها والجلّمندُ

وله في المعتضد بن عباد والد المعتمد :

عبّادُ استعبدَ البرايا بأنعم تبلى النعائم
مدبجهُ ضمّن كل قلبٍ حتى تغت به الحمائم

ومن أشهر نظمه قوله :

إذا كنت أعلم - النيتين ، وقد سبقا

وممن ذكره أيضاً الحِجَارِي في المسهب ، وابن بشكّوال في الصلة ، وأنه حج أربع حجج ، رحمه الله تعالى ، وتوفي في المربة لإحدى عشرة بقية من رجب ، وقيل : ليلة الخميس تاسع رجب ، وقيل^١ : تاسع عشر صفر ،

١ تاسع رجب ، وقيل : سقطت من دوزي .

سنة أربع وسبعين وأربعمائة .

ومن تواليفه « المنتقى في شرح الموطأ » ذهب فيه مذهب الاجتهاد وإيراد الحجج ، وهو مما يدل على تبحره في الفنون ، ولما قدم من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عاماً وجد ملوك الطوائف أحزاباً مفترقة ، فمشى بينهم في الصلح ، وهم يُجِلُّونه في الظاهر ، ويستثقلونه في الباطن ، ويستبدون نزعته ، ولم يفد شيئاً ، قاله تعالى يحاويه عن نيته ، ولما ناظر ابن حزم قال له الباجي : أنا أعظم منك همّة في طلب العلم ، لأنك طلبته وأنت مُعان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائث السوق^١ ، فقال ابن حزم : هذا الكلام عليك لا لك ، لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي ، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته ، فلم أرجُ به إلاّ علوّ القدر العلمي في الدنيا والآخرة ، فأفحمه .

قال عياض : قال لي أصحابه : كان يخرج إلينا للإقراء ، وفي يده أثر المطرقة ، إلى أن فشا علمه ، ونوّهت الدنيا به ، وعظم جاهه ، وأجزلت صلاته ، حتى مات عن مال وافر ، وكان يستعمله الأعيان في ترسلهم ، ويقبل جوائزهم ، وولي القضاء بمواضع من الأندلس .

* * *

[ترجمة ابن حزم]^٢

وابن حزم المذكور هو أبو محمد ابن حزم الظاهري ، قال ابن حيّان وغيره : كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل ، وله كتب كثيرة في المنطق

١ يريد أنه يسهر على قنديل الدراب وهو الحارس الليلي وسماه «بائث السوق» لأنه يبيت فيه للحراسة.
٢ ترجمة ابن حزم في الجزء : ٢٩٠ (والبنية رقم : ١٢٠٤) والصلة : ٣٩٥ وطبقات الأمم : ٨٦ والذخيرة ١/١ : ١٤٠- والمطبع : ٥٥ والمغرب ١ : ٣٥٤ والمعجب : ٣٠ وتاريخ الحكماء للقفطي : ١٥٦ وتذكرة الحفاظ ٣ : ٢٤١ وممالك الأبيصار (الجزء الثامن) وخلط شعره بشعر ابن عمه أبي المغيرة ، وفي طوق الحمامة معلومات عنه وكذلك في سائر كتبه ورسائله .

والفلسفة لم يخلُ فيها من غلط ، وكان شافعيّ المذهب ، يُناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهريّاً ، فوضع الكتب في هذا المذهب ، وثبت عليه إلى أن مات ، وكان له تعلق بالأدب ، وشنّع عليه الفقهاء ، وطعنوا فيه ، وأقصاه الملوك وأبعدوه عن وطنه ، وتوفي بالبادية^١ عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة .

وقال صاعد في تاريخه : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة ، مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسيّر والأخبار ، أخبرني ابنه الفضل أنّه اجتمع عنده بخط أبيه من تواليفه نحو أربعمائة مجلد ، نقله عن تاريخ صاعد الحافظ الذهبي .

قال الذهبي : وهو العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح ، الأموي ، مولا هم ، الفارسي الأصل ، الأندلسي القرطبي الظاهري ، صاحبُ المصنفات ، وأول سماعه سنة ٣٩٩ ، وكان إليه المنتهى في الذكاء وحدةُ الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر ، مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة وكثرة الكتب .

قال الغزالي رحمه الله تعالى : وجدتُ في أسماء الله تعالى كتاباً لأبي محمد ابن حزم يدل على عظم حفظه وسيّلان ذهنه ، انتهى باختصار . وعلى الجملة فهو تسبيحٌ وحده ، لولا ما وصف به من سوء الاعتقاد ، والوقوع في السلف الذي أثار عليه الانتقاد ، سامحه الله تعالى .

وذكر الذهبي أن عمره اثنان وسبعون سنة ، وهو لا ينافي قول غيره «إنّه كان عمره إحدى وسبعين سنة وعشرة أشهر» لأنّه ولد رحمه الله تعالى بقرطبة بالجانب الشرقي في ربّض مُنيّة المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام

١ يعنى بقريته التي منها منبته وهي ببادية لبلة ، واسمها منت لثم . وفي ق ط ج : من بلده بلد لبلة .

الإمام من صلاة الصبح آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان ، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، بطالع العقرب ، وتوفي ليومين بقيا من شعبان سنة ٤٥٦ ، وكان كثير المواظبة على التأليف ، ومن جملة تأليفه كتاب « الفِصَل بين أهل الأهواء والتَّحَل » وكتاب « الصادع والرادع على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد » وكتاب « شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله » وكتاب « الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها » وكتاب « التلخيص والتخليص^١ في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والحديث » وكتاب « منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف » وكتاب « الإمامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها » وكتاب « أخلاق النفس » وكتاب « الإيصال إلى فهم كتاب الخصال » وكتاب « كشف الالتباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس » انتهى .

وقال ابن سعيد في حق ابن حزم ، ما ملخصه : الوزير العالم الحافظ أبو محمد علي ابن الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي ، وشهرته تُغني عن وصفه ، وتوفي متنفياً بقرية من بلد لبلة ، ووصله من ابن عمه أبي المغيرة رسالة فيها ما أوجب أن جاوبه بهذه الرسالة ، وهي : سمعت وأطعت ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف : ١٩٩) وأسلمت وانقذت لقول نبيه عليه الصلاة والسلام : « صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ » ورضيت بقول الحكماء : كفالك انتصاراً ممن تعرض لأذاك إعراضاً عنه ، وأقول :

تَتَبَّعْ سِوَايَ امْرَأً يَنْتَغِي سِيَابَكَ إِنَّ هَوَاكَ السَّبَابُ
فَلَمَّا نَتَيْ أَبَيْتُ طِلَابَ السَّفَاهِ وَصَنْتُ مَحَلِّيَّ عَمَّا يُعَابُ

١ والتخليص : سقطت من ق .

وقُلْ ما بدا لك من بعد ذا وأكثرُ فإنَّ سُكُوتِي خِطَابُ
وأقول :

كفاني بذكرِ الناسِ لي ومآثري وما لكَ فيهم يا ابنَ عمِّي ذاكِرُ
عدوِّي وأشياعي كثيرٌ كذاك من غدا وهو نَقَّاعُ المساعي وضائرا
وإنِّي وإن آذيتني وعَقَّقتني لمحتملٌ ما جاءني منك صابر
فوقع له أبو المغيرة على ظهر رقعة : قرأتُ هذه الرقعة العاقَّة ، فحين
استوعبتها أنشدتني :

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلَ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسْلُ
فأردت قطعها ، وترك المراجعة عنها ، فقالت لي نفسي : قد عرفت مكانها ،
بالله لا قَطَعَتْهَا إِلَّا يَدُهُ ، فَأَثَبْتُ عَلَى ظَهْرِهَا مَا يَكُونُ سَبِيًّا إِلَى صَوْنِهَا ، فَقُلْتُ :

نَعَمْتُ وَلَمْ تَدْرِ كَيْفَ الْجَوَابُ	وَأَخْطَأْتُ حَتَّى أَتَاكَ الصَّوَابُ
وَأَجْرَيْتَ وَحَدَّكَ فِي حَلْبَةٍ	نَأَتْ عَنْكَ فِيهَا الْجِيَادُ الْعِرَابُ
وَبَتَّ مِنَ الْجَهْلِ مُسْتَبَحًا	لَغَيْرِ قِرَى فَأَتَكَ الذَّنَابُ
فَكَيْفَ تَبَيَّنْتَ عُقْبَى الظَّلُومِ	إِذَا مَا انْقَضَتْ بِالْحَمِيسِ الْعُقَابُ
لِعَمْرِكَ مَا لِي طِبَاعٌ تُذَمُّ	وَلَا شِيْمَةٌ يَوْمَ مَجْدٍ تُعَابُ
أُنِيلُ الْمَنَى وَالطُّبَا سُخْطُ	وَأَعْطَى الرِّضَى وَالْعَوَالِي غَضَابُ

وأقول :

وِغَاصِبِ حَقٍّ أَوْبَقَّتْهُ الْمَقَادِرُ يُذَكِّرُنِي حَامِيمَ الرَّمْحِ شَاجِرُ^٢
غدا يستعيرُ الفخرَ من خِيَمِ خَصْمِهِ وَيَجْهَلُ أَنَّ الْحَقَّ أَبْلَجُ ظَاهِرُ

١ هذا البيت متقدم على الذي قبله في ق .

٢ قوله « يذكّرني حاميم » مأخوذ من أبيات للأشتر النخعي قالها عندما قتل محمد بن طلحة وفيها :
يذكّرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم

ألم تتعلَّمْ يا أخا الظُّلَمِ أنِّي
تُذِلُّ ليَ الأَمَلاكُ حُرَّ نفوسها
وأبعثُ في أهلِ الزمانِ شوارداً
فلنْ أثوِي في أرضِ فِائِتي سائرٌ
وحسبك أن الأرضَ عندك خاتمٌ
ولا لومَ عِندي في استِراحتك التي
فلِئني للحِلفِ الذي مرَّ حافظٌ
هَنيئاً لكلِّ ما لديه فإِننا

برغمك ناهٍ منذَ عَشْرِ وأمر
وأركبُ ظهراً النسرِ والنسرُ طائر
تُليِّنُهُمْ وهي الصَّعابُ النوافر
وإنَّ أنا عَن قومٍ فِائِتي حاضر
وأنتك في سطحِ السَّلامةِ عاثر
تنفستَ عنها والخطوبُ فواقر
وللزعة الأولى بِحاميمٍ ذاكر
عطيةٌ من تُبلى لديه السرائر

ومن شعر أبي محمد ابن حَزَمٍ يخاطب قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن
ابن بشر^١ :

أنا الشمسُ في جِوِّ العلومِ منيرةٌ
ولو أنني من جانبِ الشرقِ طالعٌ
ولي نحو آفاقِ العراقِ صبايةٌ
فلنْ يُنزلَ الرحمنُ رحليَ بينهم
فكم قائلٍ أغفلتُهُ وهو حاضرٌ
هنالك يدري أن للعبدِ قصةٌ
فيا عجباً مَنْ غاب عنهمُ تشوَّقُوا
وإنَّ مكاناً ضاق عني لَصَيِّقٌ
وإنَّ رجالاً ضيَّعوني لَصَيِّعٌ

ولكنَّ عَيَّني أنْ مَطَّلَعِي الغربُ
بلحداً على ما ضاع من ذكرِي النهبُ
ولا غرو أن يستوحشَ الكَلِيفُ الصبُ
فحيثُ يَبْدُو النَّاسُفُ والكربُ
وأطلبُ ما عنه نُجْيَاءُ بهِ الكُتُبُ
وأن كسادَ العلمِ آفته القربُ
له ، ودُنُوُّ المرءِ من دارهم ذنبُ
على أَنَّهُ فيحُ مَهَامِيههُ سُهْبُ
وإنَّ زماناً لمْ أنلْ خِصْبَهُ جَدْبُ

١ في الأصول : عبد الرحمن بن بشير والتصويب عن الصلة : ٣١٣ والمرقبة العليا : ٨٧ - ٨٩
وهو عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غرسية قاضي الجماعة بقرطبة يكنى أبا
المطرف ويعرف بابن الحصار ، ولاء علي بن حمود القضاء في صدر سنة ٤٠٧ فظل في منصبه
إلى أن عزله المعتد المرواني سنة ٤١٩ وتوفي سنة ٤٢٢ .

ومنها في الاعتذار عن مدحه لنفسه^١ :

ولكن لي في يوسف خير أسوة وليس على من بالني اتسى ذنب
يقول مقال الصدق والحق لاني حفيظ عليم ، ما على صادق عتب

وقوله :

لا يسمن جاسدي إن نكبة عرّضت فالدهر ليس على حال بمترك
ذو الفضل كالتبر يلقي تحت مرتبة طوراً ، وطوراً يرى تاجاً على ملك

وقوله لما أحرق المعتضد بن عباد كتبه بإشيلية :

دعوني من إحراق رقي وكاغدي وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
فلان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضسته القرطاس ، بل هو في صدري
يسر معي حيث استقلت ركائي ويترل إن أنزل ويدفن في قبري

وقوله :

لئن أصبحت مرتحلاً بشخصي فقلّبي عندكم أبداً مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعاينة الكلام

وقوله :

وذي عدل فيمن سباني حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره ولم تدري كيف الجسم أنت عليل
فقلت له أسرفت في اللوم فاتشد فعندي رد لو أشاء طويل
لم تر أنني ظاهري ، وأنني على ما أرى حتى يقوم دليل

١ في الأصول : ومنها في مدحه لنفسه .

وهو أبو محمد علي بن أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن مزهد ،
القرطبي . قال ابنه أبو رافع الفضل : اجتمع عندي بخط أبي من تواليفه نحو
أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة ، انتهى .
وأبوه الوزير أبو عمر المذكور كان من وزراء المنصور بن أبي عامر ،
وتوفي — كما قال ابن حيان — بلدي القعدة سنة الثنتين وأربعمائة ، وكان منشؤه
ومولده بقرية تُعرف بالزاوية .

وحكي أن الحافظ أبا محمد ابن حزم قصد أبا عامر ابن شهيد في يوم غزير
المطر والوَحَل شديد الريح ، فلقبه أبو عامر ، وأعظم قصده على تلك الحال ،
وقال له : يا سيدي ، مثلك يقصدني في مثل هذا اليوم ! فأنشده أبو محمد ابن
حزم بتديها :

فلو كانت الدنيا دُونَنكَ لَجَّةٌ وفي الجَوِّ صَعْتُ دَائِمٌ وحريقٌ
لسَهْلٌ ودِّي فيكَ نحوكَ مسلِكاً ولم يتعدَّرْ لي إليك طريقٌ

قال الحافظ ابن حزم^١ : أنشدني الوزير أبي في بعض وصاياه لي :

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن على حالةٍ إلا رضىتَ بدونها

وهذا كافٍ في فضل الفرع والأصل ، سامح الله الجميع .
قال ابن حزم في « طوق الحمامة »^٢ : إنه مرَّ يوماً هو وأبو عمر ابن عبد
البر صاحب « الاستيعاب » بسكة الخطايين من مدينة إشبيلية ، فلقبهما شاب
حسن الوجه ، فقال أبو محمد : هذه صورة حسنة ، فقال له أبو عمر : لم نَرَ
إلا الوجه ، فلعلَّ ما سترته الثياب ليس كذلك ، فقال ابن حزم ارتجالاً :

١ انظر الجذوة : ١١٨ في ترجمة أحمد بن سعيد ووالد الفقيه أبي محمد ابن حزم .

٢ لم يرد هذا في طوق الحمامة .

وذِي عَذَلٍ فِيمَنْ سَبَانِي حُسْنَهُ ...
الأبيات .

ولابن حزم أيضاً قوله :

لا تَلُمْنِي لَأَنَّ سَبْقَةَ لَحْظٍ فَاتَ إِدْرَاكُهَا ذَوِي الْأَلْبَابِ
يَسْبِقُ الْكَلْبُ وَثْبَةَ اللَّيْثِ فِي الْعَدَّةِ وَ يَعْلُو التُّخَالُ فَوْقَ اللَّبَابِ
ولأبي بكر ابن مَفْوُز جزء يردُّ فيه على أبي محمد ابن حزم ، وفيه قال
معرضاً :

يَا مَنْ تُعَانِي أُمُوراً لَنْ تُعَانِيَهَا خَلَّ التَّعَانِي وَأَعْطَى الْقَوْسَ بَارِيَهَا
تَرْوِي الْأَحَادِيثَ عَنْ كُلِّ مُسَاحَةٍ وَإِنَّمَا لِمُعَانِيهَا مَعَانِيهَا
وقيل : إنه خاطب بهما بعض أصحاب ابن حزم .

رجع إلى القاضي أبي الوليد الباجي

ومن نظمه قوله من مرثية :

أَحْنُ وَيَشْنِي الْيَأْسُ نَفْسِي عَلَى الْأَسَى كَمَا اضْطُرَّ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَرْكَبِ الصَّعْبِ

ومن جيد نظمه قوله :

أَسْرَوْا عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ سُرَاهِمُ فَنَمَّتْ عَلَيْهِمُ فِي الشَّمَالِ شِمَائِلُ
مَتَى نَزَلُوا ثَاوِينَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى بَدَتْ لَهُوًى بِالْمَازِمِينَ مَخَايِلُ
فَلَلَهُ مَا ضَمَّتْ مِنِّي وَشِعَابُهَا وَمَا ضُمَّتْ تِلْكَ الرَّبَى وَالْمَنَازِلُ
وَلَمَّا التَّقَيْنَا لِلْجِمَارِ وَأَبْرَزْتُ أَكُفُّ لَتَقْبِيلِ الْحَصَى وَأَنَامِلُ
أَشَارَتْ إِلَيْنَا بِالْغَرَامِ مَحَاجِرُ وَبَاحَتْ بِهِ مَنَّا جُسُومُ نَوَاحِلُ

وقال الباجي أبو الوليد رحمه الله تعالى :

مَضَى زَمَنُ الْمَكَارِمِ وَالْكَرَامِ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ
وَكَانَ الْبِرُّ فِعْلاً دُونَ قَوْلٍ فَصَارَ الْبِرُّ نُطْقاً بِالْكَلامِ

وذيلته بعضهم بقوله :

وَزَالَ النَّطْقُ حَتَّى لَسْتَ تَلْقَى فَتَى يَسْخُرُ بِرَدِّ السَّلَامِ
وَزَادَ الْأَمْرُ حَتَّى لَيْسَ إِلَّا سَخِيٌّ بِالْأَذَى أَوْ بِالْمَلَامِ

٤٦ - ومنهم الفقيه العالم الشهير أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي^١ صاحب «سراج الملوك» ، ويُعرف بابن أبي رندة^٢ - بالراء المهملة المفتوحة ، وسكون النون - وكفى بسراج الملوك دليلاً على فضله .

ذكره ابن بشكوال في الصلة ، وتوفي بالإسكندرية في شعبان ، وقيل : جمادى الأولى سنة عشرين وخمسمائة^٣ ، وزرت قبره بالإسكندرية ، وممن أخذ عنه الحافظ القاضي أبو بكر ابن العربي وغيره .
ومن نظم الطرطوشي قوله من رسالة :

أَقْلَبُ طَرَفِي فِي السَّمَاءِ تَرَدُّدًا لَعَلِّي أَرَى النَّجْمَ الَّذِي أَنْتَ تَنْظُرُ
وَأَسْتَعْرِضُ الرُّكْبَانَ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ لَعَلِّي بَعْدَ شَمِّ عَرَفِكَ أَظْفَرُ

١ ترجمة أبي بكر الطرطوشي في الصلة : ٥٤٥ ووفيات الأعيان ٣ : ٣٩٣ وبقية الملتصق رقم : ٢٩٥ والمغرب ٢ : ٤٢٤ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٣٩ وشذرات الذهب ٤ : ٦٢ والديباج المذهب : ٢٧٦ وأزهار الرياض ٣ : ١٦٢ .

٢ قال ابن خلكان : هي لفظة فرنجية ، سألت بعض الفرنج عنها فقال معناها : «رد تعال» .
٣ أثار ابن خلكان شيئاً من الإشكال حول تاريخ وفاة الطرطوشي ، فقد وجد في مشيخة جيمع لبهاء الدين بن شداد أن الطرطوشي أجازته ، وابن شداد ولد سنة ٥٣٩ فكيف يجيزه إذا كان قد توفي سنة ٥٢٠ ؟ (وفي بعض أصول المقرئ أن الطرطوشي توفي سنة ٥٤٠) .

وَأَسْتَقْبِلُ الْأَرْوَاحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا
وَأَمْشِي وَمَا لِي فِي الطَّرِيقِ مَارِبٌ
وَالْمَحُ مِنْ أَلْقَاهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ
وَمَنْ نَظَّمَهُ أَيْضاً قَوْلُهُ :

يَقُولُونَ تَكْلِي وَمَنْ لَمْ يَذُقْ
لَقَدْ جَرَّعَتْنِي لَيْلِي الْفِرَاقِ
وَمِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ ١ :

إِذَا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا
فَارْسِلْ بِأَكْمِهِ جَلَّابَةً
وَدَعْ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سِوَى
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَنْشُدُ ٢ :

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطِنَا
فَكَّرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا
جَعَلُوهَا لَجَّةً وَاتَّخَذُوا
صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفُنًا

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ٣ : كُنْتُ لَيْلَةً نَائِمًا بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ إِذْ سَمِعْتُ فِي
الْجَلِيلِ صَوْتًا حَزِينًا يَنْشُدُ :

أَخْوَفُ وَنَوْمٌ ، إِنَّ ذَا الْعَجِيبِ
أَمَّا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ صَادِقًا
تَكَلُّتُكَ مِنْ قَلْبٍ فَأَنْتَ كَذُوبٌ
لَا كَانَ لِلْإِغْمَاضِ فِيكَ نَصِيبٌ

١ انظر تحقيق ذلك في ابن خلكان .

٢ جاءت هذه الأبيات منسوبة له في العلة .

٣ النقل عن ابن خلكان .

قال : فأيقظ النّوَام ، وأبكى العيون .
وكان رحمه الله تعالى زاهداً ، متورعاً ، متقللاً من الدنيا ، قوَّالاً للحق .
وكان يقول : إذا عرض لك أمرٌ دُنياً وأخرى ، فبادر بأمر الأخرى يحصل لك
أمر الدنيا والأخرى . وله طريقة في الخلاف .

ودخل مرة على الأفضل ابن أمير الجيوش فوعظه ، وقال له ^٢ : إن الأمر
الذي أصبحت فيه من الملك إنما صار إليك بموت من كان قبلك ، وهو خارج
عن يدك بمثل ما صار إليك ، فاتّق الله فيما خوّلك من هذه الأيّمة ، فإن الله ،
عز وجل ، سأللك عن النقيير والقِطْمير والفَسِيل ، وأعلم أن الله ، عز وجل ،
أتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها فسخر له الإنس والجن والشياطين
والطير والوحش والبهائم ، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ،
ورفع عنه حساب ذلك أجمع ، فقال عز من قائل : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ
أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (مر : ٣٩) فما عدّ ذلك نعمة كما عدتموها ، ولا
حسبها كرامة كما حسبتموها ، بل خاف أن يكون استدراجاً من الله ، عز وجل ،
فقال : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (النمل : ١٠)
فافتح الباب ، وسهّل الحجاب ، وانصر المظلوم .

وكان إلى جانب الأفضل رجل نصراني فأنشده ^٣ :

يا ذا الذي طاعته قُرْبَةٌ وحقّه مفترَضٌ واجبٌ
إن الذي شَرُفَتْ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هذا أنّه كاذِبٌ

وأشار إلى النصراني ، فأقامه الأفضل من مكانه .
والطُّرْطُوشِي — بضم الطاءين — نسبة إلى طُرْطُوشَة من بلاد الأندلس ،

١ دوزي : أمران .
٢ ورد هذا النص في سراج الملوك : ٦١ مع بعض اختلاف ، وأزهار الرياض ٣ : ١٦٤ .
٣ النقل عن ابن خلكان .

وقد تفتح الطاء الأولى .

وعبر عنه ابن الحاجب في مختصره الفقهي في باب العتق بالأستاذ .

وكان رحمه الله تعالى صاحب القاضي أبا الوليد الباجي رحمه الله تعالى بسرّ قسطة ، وأخذ عنه مسائل الخلاف ، وسمع منه وأجازته ، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه ، وقرأ الأدب على أبي محمد ابن حزم بمدينة إشبيلية ، ثم رحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة ، ودخل بغداد والبصرة فتفقه عند أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني ، وسمع بالبصرة من أبي علي التستري ، وسكن الشام مدة ، ودوس بها ، وكان راضياً باليسير .

وقال الصفدي في ترجمة الطرطوشي^١ : إن الأفضل ابن أمير الجيوش أنزله في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد ، وكان يكرمه ، فلما طال مقامه به ضجر ، وقال لخادمه : إلى متى نصبر ؟ اجمع لي المباح ، فجمعه ، وأكله ثلاثة أيام ، فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه : رميته الساعة ، فلما كان من الغد ركب الأفضل فقتل ، وولي بعده المأمون بن البطاحي فأكرم الشيخ إكراماً كثيراً ، وله ألف الشيخ «سراج الملوك» ، انتهى .

ومقامه — أعني الطرطوشي — مشهور ، وهذه الحكاية تكفي في ولايته .

ومن تأليفه «مختصر تفسير الثعالبي» ، و «الكتاب الكبير في مسائل الخلاف» ، وكتاب «في تحريم جبن الروم» ، وكتاب «بدع الأمور ومحدثاتها» ، وكتاب «شرح رسالة الشيخ ابن أبي زيد» .

وولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة تقريباً ، ولما توفي صلى عليه ولده محمد ، ودفن رحمه الله تعالى قبيل الباب الأخضر بإسكندرية ، وزرت قبره مراراً ، رحمه الله تعالى ، ورضي عنه ، وثقنا به .

وكان القاضي عياض ممن استجازه فأجازه ولم يلقه ، وشهرته رضي الله

١ انظر ابن خلكان ٣ : ٣٩٤ .

تعالى عنه تغني عن الإطتاب .

وحكي أنه كتب على «سراج الملوك» الذي أهده لولي الأمر بمصر :

الناسُ يُهْدُون عَلَى قَدْرِهِمْ لَكُنِّي أَهْدِي عَلَى قَدْرِي
يُهْدُون مَا يَفْقَى وَأَهْدِي الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْإِيَامِ وَالْدَّهْرِ

وحكي أنه سمع رضي الله تعالى عنه منشداً ينشد للوأواء :

قَمَرٌ أَتَى مِنْ غَيْرِ وَعَدٍ فِي لَبْلَةٍ طَرَقَتْ بِسَعْدٍ
بَاتَ الصَّبَاحُ إِلَى الصَّبَا حِمْيَ مُعَانِقِي خَدًّا بِخَدٍّ
يَمْتَنِازُ فِي وَنَاطِرِي مَا شَتَّ مِنْ خَمَرٍ وَشَهْدٍ

فقال : أويظن هذا الدمشقي أن أحداً لا يحسن ينظم الكذب غيره ؟ لو
شئنا لكذبنا مثل هذا ؛ ثم أنشد لنفسه يعارضه :

قمرٌ بَدَا مِنْ غَيْرِ وَعَدٍ حُفَّتْ شَمَائِلُهُ بِسَعْدٍ
قَبْلَتْهُ وَرَشَقَتْ مَا فِي فِيهِ مِنْ خَمَرٍ وَشَهْدٍ
فَرَشَقَتْ مُزْنَ السُّلْبِ لِي بِزَنْجَبِيلٍ مُسْتَعْدٍ
وَلَثِمَتْ فَاةَ مِينَ الْغُرُ بِ إِلَى الصَّبَاحِ الْمُسْتَجِدِّ
وَسَكِرَتْ مِنْ رَشْفِي الْعَقِي قَ عَلَى أَقَاحٍ تَحْتَ رَنْدٍ
فَنَزَعَتْ عَنْ فِيهِ فَمِي وَوَضَعَتْ خَدًّا فَوْقَ خَدِّ
وَشَمِمَتْ عَرَفَ نَسِيمِهِ جَارِي عَلَى مِسْكِ وَنَدِّ
وَصَحَوْتُ مِنْ رِيَا الْقَرَدِ فُلٍ بَيْنَ رِيحَانٍ وَوَرْدٍ
وَالدُّ مِنْ وَصْلِي بِهِ شَكْوَاهُ وَجَدًّا مِثْلَ وَجْدِي

ومن نظم الطرطوشي قوله أيضاً :

١ كذا في الأصول ؛ وفي دوزي « يمتاز » .

كَأَنَّ لِسَانِي وَالْمُشْكَلَاتِ سَنَا الصُّبْحَ يَنْحَرُّ لَيْلًا بَتَيْمَا
وغيريَ إِنْ رَامَ مَا رَمَتْهُ خَبِيٍّ يُحَاوِلُ فَرَجًا عَقِيمًا
وقوله أيضاً :

فَاغْمَلْ لِمَعَادِكَ يَا رَجُلٌ فَالْقَوْمُ^١ لِدُنْيَاهُمْ عَمِلُوا
وَإِذْخِرْ لِمَسِيرِكَ مِنْ زَادٍ فَالْقَوْمُ^٢ بِلَا زَادٍ رَحَلُوا

٤٧ - ومنهم محمد بن عبد الجبار الطرطوشي^٣ ، وفد إلى المشرق ،
وذكره العماد في « الخريدة » وله في الأمدي العلي^٤ بمصر ، وكان يخضب بسواد
الرمان^٥ ، يخضب بأقبح سواد خضب به^٦ :

اخْلِطِ الْعَفْصَ فِيهِ يَا أَحْوَجَ النَّاسِ إِلَى الْعَفْصِ حِينَ يُعَكِّسُ عَفْصَ

٤٨ - ومنهم القاضي الشهير الشهيد أبو علي الصدفي^٧ ، وهو حسين بن
محمد بن فيرة بن حيّون ، ويعرف بابن سُكْرَةَ^٨ ، وهو من أهل سَرْقُسْطَةَ ،
سكن مُرْسِيَةَ ، وروى بِسَرْقُسْطَةَ عن الباجي وأبي محمد عبد الله بن محمد بن
إسماعيل وغيرهما ، وسمع بِبِلَنْتْسِيَّةَ من أبي العباس العنزي ، وسمع
بالمريّة من أبي عبد الله محمد بن سعدون القروي وأبي عبد الله ابن المرباط وغيرهما ،

- ١ ق ط : فالقلب ، وهو سهو ، وفي بعض النسخ : فالناس .
٢ اسمه في نسخة باريس من الخريدة (حسبما ذكر في هوامش طبعة ليدن) : محمود بن عبد الجبار
الطرطوسي .
٣ ق : الآمد العجلي .
٤ الخريدة : الرماد ، وهو الصواب فيما يبدو .
٥ يخضب . . . يخضب به : وردت في ط ق وسقطت من ج .
٦ في ط : الصيرقي .
٧ دوزي : شكره بالشين ؛ وانظر ترجمته في الصلة : ١٤٣ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٥٩
وتذكرة الحفاظ : ١٢٥٣ وشذرات الذهب : ١٠٤ وفي أصحابه ألف ابن الأبار « المعجم في
أصحاب القاضي أبي علي الصدفي » (ط . مدريد ١٨٨٥) وقد شهر بابن الدراج .

ورحل إلى المشرق أول المحرم من سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، وحج من عامه ، ولقي بمكة أبا عبد الله الحسن^١ بن علي الطبري وأبا بكر الطرطوشي وغيرهما ، ثم سار إلى البصرة فلقي بها أبا يعلى المالكى وأبا العباس الجرجاني وأبا القاسم ابن شعبة وغيرهم ، وخرج إلى بغداد فسمع بواسط من أبي المعالي محمد بن عبد السلام الأصبهاني وغيره ، ودخل بغداد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ، فأطال الإقامة بها خمس سنين كاملة ، وسمع بها من أبي الفضل ابن خَيْرُون مُسْنِدِ بغداد ، ومن أبي الحسين المبارك ابن عبد الجبار الصيرفي ، وطراد الزينبي ، والحميدي ، وغيرهم ، وتفقه عند أبي بكر الشاشي وغيره ، ثم رحل منها سنة سبع وثمانين ، فسمع بدمشق من أبي الفتح نصر المقدسي وأبي الفرج^٢ الأسفراييني وغيرهما ، وسمع بمصر من القاضي أبي الحسن الخليلي وأبي العباس أحمد بن إبراهيم الرازي ، وأجاز له الجبال مُسْنِدِ مصر في وقته ومكثها ، وسمع بالإسكندرية من أبي القاسم الوراق^٣ وشعيب بن سعيد وغيرهما ، ووصل إلى الأندلس في صفر من سنة تسعين^٤ وأربعمائة ، وقصد مُرُسية ، فاستوطنها ، وقعد يُحدِّث الناس بجامعها ، ورحل الناس من البلدان إليه ، وكثر سماعهم عليه ، وكان عالماً بالحديث وطرقه ، عارفاً بعلمه ، وأسماء رجاله ونقلته ، وكان حسن الخط جيّد الضبط ، وكتب بخطه علماً كثيراً ، وقيّده ، وكان حافظاً لمصنّفات الحديث ، قائماً عليها ، ذاكراً لمتونها وأسانيدها ورواياتها ، وكتب منها « صحيح البخاري » في سيفر ، و« صحيح مسلم » في سيفر ، وكان قائماً على الكتابين مع مُصنّف أبي عيسى الترمذي ، وكان فاضلاً ديناً متواضعاً حلوماً وقوراً عالماً عاملاً ، واستقضى بِمُرُسية ، ثم استعفى فأعفى ،

١ الصلة : الحسين .

٢ اسمه : سهل بن بشر .

٣ اسمه : مهدي بن يونس .

٤ ق ط : سبعين ، وهو خطأ نسخي .

وأقبل على نَشْر الغلم وبَثَّه^١ .

وقد ذكره أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه الدخوله الشام ، قال^٢ : وبعد أن استقرت به النوى ، واستمرت إفادته بما قيّد وروى ، رفعتة ملوك أوانه ، وشقّعتَه في مطالب إخوانه ، فأوسعته رعيّاً ، وأحسنّت فيه رأياً ، ومن أبنائهم من جعل يقصده ، لسماع يُسَنِّده ، وعلى وقاره الذي كان به يُعرف ، نَدَرَ له مع بعضهم ما يُستطرف ، وهو أن فتّى يسمى يوسف لازم مجلسه ، معطراً رائحته ومنظفاً ملبّسه ، ثم غاب لمرض قطعه ، أو شغل منعه ، ولما فرغ أو أبلّ ، عاود ذلك النادي المبارك والمحلّ ، وقبل إفضائه إليه ، دلّ طيبه عليه ، فقال الشيخ على سلامته من المجون ، وخلّاصه من الفتون : ﴿لَئِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ لَوْ لَا أَنْ تُفَشِّدُونِ﴾ (يوسف : ٩٤) وهي من طُرَف نوادره^٣ رحمه الله عليه .

ولما قلّّد قضاء مُرْسِيّة وعزم عليه صاحب الأمر فيه فرّاً إلى المريّة فأقام بها سنة خمس وبعض سنة ست وخمسمائة ، وفي سنة ست قبّل قضاءها على كرهه إلى أن استخفى آخر سنة سبع في قصّة يطول إيرادها ، وبطول مقامه بالمريّة أخذ الناس عنه بها ، فلما كانت وقعة كُشْنْدَة^٤ كان ممّن حضرها فقُفِد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

وقال القاضي عياض : ولقد حدّثني الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر أنّه قال له : خذ الصحيح ، واذكر أيّ متن شئت منه أذكر لك سنده ، أو أيّ سند شئت أذكر لك متنه . انتهى .

١ إلى هنا كانت الترجمة نقلاً عن الصلة ، مع شيء يسير من الإيجاز .

٢ لم يرد شيء من هذا النص في تهذيب ابن عساكر ، وظني أنه ليس من تاريخ دمشق ، فهو مبني على السجع ، إلا أن يكون ابن عساكر ناقلاً له من مصدر آخر .

٣ ق : ظرف نوادره ؛ ط : وهي من نوادره .

٤ تكتب أيضاً « فشندة » وتقع في حيز دروكة (Doroca) من عمل سرقسطة .

وذكر غير واحد أنه حدث ببغداد بحديث واحد ، والله أعلم ؛ وهو من أبناء الستين ^١ .

٤٩ — ومنهم ابن أبي روح الجزي ، ومن شعره لما تغرب بالمشرق قوله :

أَحِينُ إِلَى الْخَضْرَاءِ فِي كُلِّ مَوْطَنٍ حَتِينٌ مَشُوقٌ لِلْعَنَاقِ وَلِلضَّمِّ^٢
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ جَسَمِي رَضِيعُهَا وَلَا بُدَّ مِنْ شَوْقِ الرَضِيعِ إِلَى الْأُمِّ

٥٠ — ومنهم العالم أبو حَفْصٍ عمر بن حسن الهوزني ^٣ ، الحسيب العالم المحدث ، ذكره ابن بسام في « الذخيرة » والحجاري في « المسهب » ^٤ ، وسبب رحلته للمشرق أنه لما تولى المعتضد بن عباد خاف منه ، فاستأذنه في الحج سنة ٤٤٤ ، ورحل إلى مصر ، ثم إلى مكة ، وسمع [في طريقه كتاب] صحيح البخاري ، وعنه أخذه أهل الأندلس ، ورجع ، وسكن إشبيلية وخدم المعتضد ، فقتله [ومن خاف ^٥ من شيء سلط عليه ، وكان قتله يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول] سنة ستين وأربعمائة .
ومن شعره يُحَرِّضُهُ عَلَى الْجِهَادِ :

أَعْبَادَ جَلَّ الرُّزْمُ وَالْقَوْمُ هُجَّعٌ عَلَى حَالَةٍ مِنْ مِثْلِهَا يُتَوَقَّعُ
فَلَنَقُ كِتَابِي مِنْ فَرَاغِكَ سَاعَةً وَإِنْ طَالَ فَالْمَوْصُوفُ لِلطَّوْلِ مَوْضِعُ
إِذَا لَمْ أَبْثُ الدَّاءَ رَبَّ شَكَايَةٍ أَضَعْتُ ، وَأَهْلُ الْمَلَامِ الْمَضِيعُ

[ووصله بنثر ، وهو] : وما أخطأ السبيل مَنْ أثنى البيوت من أبوابها ،

.....

- ١ هذه الجملة ثبتت في ق ط ، وسقطت من دوزي وج .
- ٢ ترجمة الهوزني في الذخيرة (القسم الثاني : ٢٣) والصلة : ٣٨١ والمغرب ١ : ٢٣٤ .
- ٣ ذكره . . . المسهب : سقطت من ق ط ج .
- ٤ ما بين مقفين زيادة من الذخيرة .
- ٥ الذخيرة : ٣٤ - ٣٥ .

ولا أرجأ الدليل من أناط الأمور بأربابها ، ولربّ أمل بين أئناء المحاذير مُدمّج ،
ومحبوب في طي المكاره مُدرّج ، فانتهاز فرصتها فقد بان من غيرك العجز ،
وطبّق مفاصلها^١ فقد أمكنتك الحزّ ، ولا غرو أن يُستَطر الغمام في الجذب ،
ويُستصحب الحُسام في الحرب .

: وله^٢ :

صرّح الشرُّ فلا يستقلُّ إن نهلتُم جاءكم بعدُ علُّ
بدء صَعق الأرض رَشَّ وطلُّ ورياحٌ ثم غَيِّمٌ أبُلُّ
خفَضُوا فالداء رُزءٌ أجَلُّ واغمدوا سيِّفًا عليكم يُسلُّ

وابنه أبو القاسم هو الذي كان سبب فساد دولة المعتمد بن عباد بسبب قتل
المعتضد والدّه^٣ كما مرّ^٤ ؛ [وبيت بني الهوزني بالأندلس بيت كبير مشهور
ومنهـم عدّة علماء وكبراء ، رحم الله الجميع]^٥ .

٥١ - ومنهم أبو عمرو عثمان بن الحسين^٦ ، أخو الحافظ أبي الخطاب ابن
دحيّة الآتي ذكره^٧ ، كان أسنّ من أخيه أبي الخطاب ، وكان حافظاً للغة العرب ،
قيماً بها ، وعزل الملك الكامل أبا الخطاب عن دار الحديث الكاملية التي أنشأها
بين القصرين ورتب مكانه أخاه أبا عمرو المذكور ، ولم يزل بها إلى أن توفي

١ ق ط ج : مضاربها .

٢ اللخيرة : ٣٧ .

٣ في دوزي : وبسبب قتل بني عباد لأبي حفص الهوزني المذكور تسبب ابنه أبو القاسم في فساد دولة
المعتمد بن عباد ، وحرص عليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب حتى أزال ملكه
ونثر ملكه وسبب هلكه ، كما ذكرناه في غير هذا الموضع من هذا الكتاب غير مرة ، فليراجعـه
من أراد في محاله .

٤ زدنا هذه العبارة من دوزي .

٥ ترجمته في شذرات الذهب ٥ : ١٦٨ وذيل الروضتين : ١٦٤ ووفيات الأعيان ٣ : ١٢٣ .

٦ ذكره : سقطت من ق ط ج ، وانظر الترجمة رقم ٥٥ فيما يلي .

سنة ٦٣٤ بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم كأخيه ، وكان موت أبي عمرو بعد أبي الخطاب بسنة ، رحمهما الله تعالى .

٥٢ - ومنهم الكاتب أبو بكر محمد بن القاسم^١ ، من أهل وادي الحجارة ، ويُعرف باشكندادة^٢ ، وارتحل إلى المشرق لما نبتت به حضرة قرطبة عند قلب دَوْلها ، وتحول ملوكها وخولها ، فجال في العراق ، وقامى ألم الفراق ، واجتاز بحلب ، وأقام بها مقام غريب لم يصف له حَلَب ، وقال^٣ :

أين أقصَى الغرب من أرض حَلَب	أمل في الغرب موصول التعب
حن من شوق إلى أوطانه	من جفاه صبره لما اغترَب
جال في الأرض لحاجاً حائراً	بين شوق وعناء ونصب
كل من يلقاه لا يعرفه	مستغيثاً بين عجم وعرب
لهف نفسي أين هاتيك العلا	واضياعاه ويا غيبن الحسب
والذي قد كان ذخراً وبه	أرتجي المال وإدراك الرتب
صار لي أبخس ما أعددته	بين قوم ما دروا طعم الأدب
يا أحيائي اسمعوا بعض الذي	يثلقاه الطريد المغترَب
وليسكن زجراً لكم عن غربته	يرجع الرأس لديها كالذنب
واحمِلوا طعناً وضرباً دائماً	فهو عيني بين قومي كالضرب
ولئن قاميت ما قاسيته	فبما أبصر لحظي من عجب
ولقد أخبركم أن ألتقي	بكم حتى تقولوا قد كذب

١ ترجمته في المغرب ٢ : ٣١ .

٢ في المغرب : اشكباط ؛ وأعتقد أن هذا هو نفسه الذي ورد في اللخيرة ١/١ : ١٩٥ باسم « أبو بكر المعروف باشكباط » وقد عرّضت عليه فصول لأبي عامر ابن شهيد ، فقال فيها : فقر حسان إلا أنه مثر عليها ، فكتب إليه ابن شهيد رسالة (اللخيرة ١/١ : ١٩٦) .

٣ بعض هذه القصيدة في المغرب :

واجتاز بدمشق فقال من أبيات رحمه الله تعالى :

دَمَشْقُ جَنَّةِ الدُّنْيَا حَقِيقًا وَلَكِنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْغَرِيبِ
بِهَا قَوْمٌ لَهُمْ عَدَدٌ وَمَجْدٌ وَصُحْبَتُهُمْ تَوُولُ إِلَى حُرُوبِ

ثم إنّه ودع الشرق بلا سلام ، وحلّ بحضرة دانيّة لدى ملكها مجاهد
العامري في بحبوحة عزّ لا يخشى فيه الملام ، واستقبل الأندلس بخاطر جديد ،
ونال بها بعد من بلوغ الآمال ما ليس له عليه مزيد ، وقال ^١ :

وَكَمْ قَدْ لَقِيتُ الْجَهْدَ قَبْلَ مُجَاهِدٍ وَكَمْ أَبْصَرْتُ عَيْنِي وَكَمْ سَمِعْتُ أُذُنِي
وَلَا قِتَ مِنْ دَهْرِي وَصَرَفَ خَطْوَبِهِ كَمَا جَرَّتِ النُّكْبَاءُ فِي مِعْطَفِ الْفَصْنِ
فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ فِرَاقِ جَهَنَّمَ وَلَكِنْ سَلُونِي عَنْ دُخُولِي إِلَى عَدْنِ

وله من كتاب : وحامل كتابي — سلّمه الله تعالى وأعانه — ممّن أخنى
عليه الزمان ، وأدار عليه وما صحا إلى الآن كؤوس الهوان ، وقد قصد على بعد
جنابتك الرحيب الخصب ، قصّد الحسن محلّ الخصب ، ويمم جناب ابن
طاهر حبيب ، ولأني لأرجو أن يرجع منك رجوع نصيب عن سليمان ^٢ ،
ويستعين في شكرك بكل لسان ، وأنت عليم بأن الثناء هو الخلف ، وقد قال
الأول :

أَرَى النَّاسَ أَحَدُوثَةً فَكُونِي حَدِيثًا حَسَنًا

وأنا القائل :

فَلَا تَزْهَدَنَّ فِي الْخَيْرِ قَدْ مَاتَ حَاتِمٌ وَأَخْبَارُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ تُذَكِّرُ

١ انظر هذا الشعر في المغرب .

٢ الحسن بن هانيء أبو نواس أم جناب الخصب صاحب الخراج بمصر ، وحبيب أبو تمام أم عبد الله
ابن طاهر ، ونصيب أم سليمان بن عبد الملك .

ومع هذا فهو عليه بقدر ما يحتمل من التكليف هذا الأوان ، عارف وجوه
الأعداء غير ذي عَجَل في العتب قبل البيان ، وعند سيدي من التهدي للإيصاء ،
ما يحقق فيه جميع الرجاء ، دامت أرجاؤه مؤملة ، ولا برحت نعمه سائفة
مكاملة .

٥٣ - ومنهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد ربه المالقي^١ ، وقال
بعضهم : لأنه من الجزيرة الخضراء ، له رحلة إلى الديار المصرية ، صنع فيها
مقامة يقول فيها :

وفي جَنَابَاتِ الرُّوضِ نَهْرٌ ودوحةٌ يروقُكَ منها سُنْدُسٌ وتُضَارُ
تقولُ وضوءُ البدرِ فيه مغربٌ^٢ ذراعُ فتاةٍ دارَ فيه سِوَارُ
ومن شعره :

ما كلُّ إنسانٍ أخٌ منصفٌ ولا ليالي أبدأ تُسَعِفُ
فلا تُضَعُ إن أمكنتُ فرصةً واصحب من الإخوان من ينصفُ
وانتف من الدهر ولو ريشةً فإنما حظك ما تَنْتِفُ

وقوله يرثي السيد أبا عمران ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد
المؤمن بن علي ملك المغرب والأندلس :

بجيدِ المعالي أيُّ عقدٍ تَبَدَّدَا وصدرِ العوالي أيُّ رمحٍ تَقَصَّدَا

١ ترجمته في تحفة القادم : ٩٤ والمغرب ١ : ٤٢٧ والمعجب : ٣٧٥ - ٣٧٨ والوافي رقم :
٢٠٣ وكنيته في التحفة « أبو عمرو » ، وقال إن أبا بكر ابن صقلاب كناه في بعض ما خاطبه
به أبا عبد الله ، وكان صديقاً لصاحب المعجب وقال : إن له اتساعاً في صناعة الشعر إلا أنه نحل
كثيراً من شعره السيد الأجل أبا الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن أيام كتابته له ، وقال
ابن سبيد : وله رسالة في صقلية ذكر فيها ما جرى له بمصر وحذر فيها من الأسفار لما قاسى فيها .
٢ في الأصول : مغرباً .

ولما دهمت خيلُ الشقي فجاءةً^١ وسال العدا بحراً من الموت مُزِيداً
شهدت بوجهه كالغزالة مشرقاً وإن كان وجه الشمس بالتقاع مربداً
عزائم صدق ليس تصرفُ هكذا إلى الموت تسمى أو على الموت يعتدى

وكان السيد أبو عمران المرثي قتله الميُورقي^١ صاحب فتنة إفريقية في المزيمة
المشهورة على تاهرت ، وجمع ابن عبد ربه المذكور شعر السيد أبي الربيع ابن
عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ، وكان ابن عبد ربه المذكور كاتباً
للسيد أبي الربيع سليمان المذكور ، ولما أنشد لبعض الشعراء^٢ :

حاككتُ يمينَ الرياحِ محكمةً في نَهَرٍ واضحٍ الأساريرِ
فكُلُّما ضَعُفَتْ بِهِ حَلَقًا قام لها القَطَرُ بالمساميرِ

أنشد لنفسه^٣ :

بينَ الرياضِ وبينَ الجوِّ معرَكٌ بيضٌ من البرقِ أو سمرٌ من السُّمْرِ
لأن أوترت قوسها كف السماء رمت نبلًا من الماء في زَغَفٍ من الغُدْرِ
لأجلِ ذاك إذا هبت طلائعها تدرّع النهرُ واهترت قنا الشجرِ

واجتمع ابن عبد ربه المذكور في رحلته بالسعيد ابن سناء الملك ، وأخذ عنه
شيئاً من شعره ، ورواه بالمغرب .

١ هذا الميُورقي هو يحيى بن غانية ، وكان السيد أبو عمران موسى والياً يومئذ على تلمسان ، فاتصل
كبراء زناتة فيها يحيى بن غانية ووصفوا له ما فيه أبو عمران من ضعف وعدم استعداد ، ففاجأه
ابن غانية ونقض عليه وعل أكثر من معه واقتحم مدينة تاهرت ونهبها وغربها (سنة ٦٠٥) انظر
ابن خلدون ٦ : ٢٤٩ ، ٢٧٨ .

٢ هذا ما أنشده إياه صديقه عبد الواحد المراكشي ، انظر المعجب : ٣٧٦ .

٣ من الغريب أن هذا الشعر ثابت في ديوان أبي الربيع : ١٤٠ ، بما قد يرجح القول بأن المالقي
نحل كثيراً من شعره لهذا الأمير .

٥٤ - ومنهم الشاعر الأديب أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان ،
المالقي^١ ، ومن نظمه في السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من قصيدة رحمه
الله تعالى^٢ :

وفي صَهَوَاتِ الْمُقَرَّبَاتِ وفي القَتْنَا حُصُونُ حُمَى لَا فِي هَضَابِ الْمَعَاوِلِ
ومنها :

ولا ملك يأتي كَيُوسُفُ آخرًا كما لم يحمى مثلٌ له في الأوائل

٥٥ - ومنهم الحافظ أبو الخطاب ابن دحية^٣ ، وهو مجد الدين عمر بن
الحسن بن علي بن محمد [بن الحميل] بن فرح بن خلف ، الظاهري المذهب ،
الأندلسي ، كان من كبار المحدثين ، ومن الحفاظ الثقات الأثبات المحصلين ،
استوطن بجاية في مدة أبي عبد الله ابن يومور ، وروى بها ، وأسمع ، وكان
من أحفظ أهل زمانه باللغة ، حتى صار حُوشِيُّ اللغة عنده مستعملاً غالباً ،
ولا يحفظ الإنسان من اللغة حُوشِيَّتَهَا إِلَّا وذلك أضعاف أضعاف يحفظه من
مستعملها ، وكان قصده - والله تعالى أعلم - أن ينفرد بنوع يشتهر به دون
غيره ، كما فعل كثير من الأدباء حيث تركوا طريق العرب وانفردوا بالطريق
الآخر ، ولو سلكوا طريق العرب لكانوا فيه كآحاد الناس ، وكذا الشيخ أبو
الخطاب ابن دحية له رسائل ومخاطبات كلها مُغْلَقَاتٌ مَقْفَلَاتٌ ، وكان - رحمه
الله تعالى - إذا كتب اسمه فيما يميزه أو غير ذلك يكتب « ابن دحية ودحية
معاً المتشبه به جبريل وجبرائيل » ، ويذكر ما ينيّف على ثلاث عشرة لغة مذكورة

١ ترجمته في الفوات ٢ : ٣٥ وابن أبي أصيبعة ٢ : ١٥٧ وكنيته فيهما أبو الفضل والنسبة
إلى جليانة (أبو جيان) لا إلى مالقة ، وكان مقرباً عند صلاح الدين ، ماهراً في الطب ،
وله عشرة دواوين عدها صاحب الفوات وابن أبي أصيبعة .

٢ من قصيدة له ورد بعض أبياتها في الفوات ٢ : ٣٦ .
٣ ترجمة أبي الخطاب ابن دحية في وفيات الأعيان ٣ : ١٢١ والنبريني : ١٥٩ وشذرات الذهب
٥ : ١٦٠ ومرآة الزمان ٢ : ٦٩٨ وذيل الروضتين : ١٦٣ والتكملة رقم : ١٨٣٢ وصلة
الصلة : ٧٣ .

في جبريل ، ويقول عند فاطر السموات والأرض ، وهذا فرع انفرد به عمن
عداه من أهل العلم .

قال صاحب عنوان الدراية : رأيت له تصنيفاً في رجال الحديث لا بأس
به ، وارتحل إلى المشرق في دولة بني أيوب ، فرفعوا شأنه ، وقربوا له مكانه ،
وجمعوا له علماء الحديث ، وحضروا له مجلساً أقرروا له بالتقدم ، وعرفوا أنه
من أولي الضبط والإتقان والتفهم ، وذكروا أحاديث بأسانيد حوّلوا متونها ،
فأعاد المتون المحوّل ، وعرف عن تغييرها ، ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه
من متونها الأصلية ، ومثل هذه الحكاية اتفق لأبي عمر ابن عات في كتاب مسلم
بمراكش بيت الطلبة منها .

ومن شعر أبي الخطاب ما كتب به إلى الكامل بن العادل بن أيوب :

ما لي أسائلُ بَرَقَ بَارِقُ عَنَّاكُمْ من بَعْدَ ما بَعُدَتْ دِيَارِي مِنَّاكُمْ
فمَحَلُّكُمْ قَلْبِي وَأَنْتُمْ بِالْحَشَا لا بِالْعَقِيقِ وَلَا بِرَامَةِ أَنْتُمْ
وَأَنَا الْمُقِيمُ عَلَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِكُمْ يَا مَالِكِينَ ، وَقَيْتُمْ أَوْ خُنْتُمْ
وهي طويلة ، ومنها :

رَفَعَتْ لَهُ الْأَمْلاكُ مِنْهُ سَجِيَّةً مَلَكَ السَّمَاءِ الرَّمَحَ وَهُوَ مُحَرَّمُ
ومنها أيضاً :

لذوي النُّهى والفهم سِرُّ حَكُومَةٍ قَدْ حَارَ فِيهَا كَاهِنٌ وَمُنَجِّمُ
فَاقْصِدْ مُرَادَكَ حَيْثُ سَرَتْ مُظْفَرًا وَاللَّهِ يَكْلَأُ وَالْكَوَكِبُ نُومُ
وليهنك الشهرُ السعيدُ تَصُومُهُ وَتَفُوزُ فِيهِ بِالثَّوَابِ وَتَغْنَمُ
فَلَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا كَلِيلَةُ قَدْرِهِ قَدْرًا ، فَقَدْرُكَ فِي الْمُلُوكِ مُعْظَمُ

فأجابه السلطان مكافأةً بنثر ونظم ، فمن النظم :

وَمَيَّجَنُ شَوْقِي لِلْأَجَارِعِ بِاللَّوَى وَأَيْنَ اللَّوَى مِنِّي وَأَيْنَ الْأَجَارِعُ
مَرَّابِعُ لَوْ أَنَّ الْمَرَّابِعَ أَنْجُمُ لَكَانَ نَجُومَ الْأَرْضِ تِلْكَ الْمَرَّابِعُ
رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا لَهَا وَلَوْ أَنَّهَا إِلَيَّ وَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ رَوَّاجِعُ
لِيَالِي لَا لَيْلَى إِذَا رُمْتُ وَصَلَهَا يُلُوحُ لَهَا مِنْ صُبْحِ شَيْبِي مَوَاقِعُ

في جملة أبيات

ومن النثر : الحمد لله ولي الحمد ، وقف ولده على الأبيات التي حَسِنَ شعرها ، وصفا دُرُّها ، وليس من البديع أن يقذف البحر درأ ، أو ينظم الخليل شِعْرًا ، وقد أخذت الورقة لأنتزه في معانيها ، وأستفيد بما أودعها فيها ، فالحمد تعالى لا يخلينا من فوائد فكرته ، وصالح أدعيته ، والسلام .
فأجابه الحافظ أبو الخطاب عن الأبيات بقوله من قصيدة :

شَجَّتَنِي شَوَاجٍ فِي الْغُصُونِ سَوَاجِعُ ففَاضَتْ هَوَامٍ لِلْجَفُونِ هَوَامِعُ
وَأَكْثَرُ فِيهَا مِنَ التَّغْزَلِ ، إِلَى أَنْ قَالَ :

وَلَا حَاكِمٌ أَرْضَاهُ بِنِي وَبَيْنَهَا سَوَى حَاكِمٍ دَهْرِي لَهُ الْيَوْمَ طَائِعُ
يُدَافِعُ عَنِّي الضَّيِّمَ قَائِمٌ سَيْفُهُ إِذَا عَزَّ مَنْ لِلضَّيِّمِ عَنِّي يُدَافِعُ
هُوَ الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ وَالْمَلِكُ الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ بِالْكَمَالِ الْأَصَابِعُ
وَيَبِيضُ أَيْادِيهِ الْكَرِيمَةِ فِي الْوَرَى قَلَائِدُ فِي الْأَعْنَاقِ وَهِيَ الصَّنَائِعُ
وَيَوْمَاهُ يَوْمَاهُ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا إِذَا جُمِعَتْ غُلُبَ الْمُلُوكِ الْمَجَامِعُ

ومنها :

فَمَا رَوْضَةٌ غَنَّا بِهَا مَرَّتِ الصَّبَا وَنَشْرُ شَذَاهَا الطَّيِّبِ النَّشْرُ ذَائِعُ

١ ق : أودعته .

٢ ق : جمعت منه .

له من شَدِيّ الزهر بُرْدٌ مُفَوِّفٌ
فَرَأَيْتُكَ مِنْهَا أَخْضَرُ الثوبِ نَاضِرٌ
وَأَحْمَرُ قَانٍ لِلْخُدُودِ مُورَدٌ
بِأَحْسَنَ مِنْ تَوْشِيْعٍ مَدْحِيٍّ الَّذِي لَهُ
وَمَا ضَائِعٌ مِنْ نَشْرِ شُكْرِي الَّذِي بِهِ
وَلَوْ لَمْ يُقَيِّدْنِي نَدَاكَ لَكُنَّا لِي
فَأَنْتَ الَّذِي لِي وَالْأَعَادِي كَثِيرَةٌ

ومنها :

بَقِيَتْ لِعَبْدٍ جَدُّهُ دِحْيَةُ الَّذِي
وَجَدَّتُهُ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ
وَلَا عَدَمْتُ مِنْكَ الْمَمَالِكُ مَا لَكَ
وَمِنْكَ عَيْوُنٌ لِلْمَهْمَاتِ يُقَظُّ
يُشَابِهَ جِبْرِيلَ لَهُ وَيُضَارِعُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّائِمُ الْمُتَابِعُ
يُقَرِّبُ لِلْأَمَالِ مَا هُوَ شَاسِعُ
وَعَنْكَ عَيْوُنُ الْحَادِثَاتِ هَوَاجِعُ

وقال المقرئ في ترجمة الملك الكامل : إنّه كان مشغولاً بسماع الحد
النبوي ، وتقدم عنده أبو الخطاب ابن دِحْيَةَ ، وبني له دار الحديث الكام
بين القصرين بالقاهرة ، انتهى .

وقال أبو الخطاب ابن دِحْيَةَ : أنشدني أبو القاسم السهيلي لنفسه^١ ، وذ
أنّه ما سأل الله تعالى بها إلّا أعطاه :

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ
يَا مَنْ يَرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا
أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ

١ الأبيات في المطمح : ٢٣٤ وأبو القاسم السهيلي هو عبد الرحمن بن عبد الله (توفي ٥٨١ هـ) صاحب
الروض الأنف ، انظر ترجمته في التكملة رقم : ١٦١٣ والمطرب : ٢٣٠ وأدباء مالقا
الورقة : ١٢٧ .

يا من خزائن رزقه في قول كُنْ امنُنْ فإن الخيرَ عندك أجمعُ
 ما لي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقري أدفعُ
 ما لي سوى قرعي لبابك حيلة فلئن رُدِدْتُ فأني باب أقرعُ
 ومن الذي أدعُو وأهتفُ باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يُمنعُ
 حاشا لحدودك أن يُفَنِّطَ عاصياً الفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ

ومن نظم السهيلي رضي الله تعالى عنه ^١ :

أسائلُ عن جيرانه من لقيتهُ وأعرضُ عن ذكره والحالُ تنطقُ
 وما بي إلى جيرانه من صبايةٍ ولكنَّ نفسي ^٢ عن صبحِ ترقُّقُ
 وله ^٣ :

لما أجابَ بلا طمعتُ بوصله إذ حرفُ لا حرفان معتقانِ
 وكذا نَعَمُ بنعيمٍ وصلِ آذنتُ فتَعمُ ولا في اللفظِ متفقانِ

ولد أبو الخطاب ابن دحية في ذي القعدة سنة سبع - أو ثمان - وأربعين
 وخمسمائة* وتوفي في انفجار الفجر ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول سنة
 ثلاث وثلاثين وستمائة بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم .
 وتكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجار ، وقدره أجلُّ ممَّا ذكروه ،
 وقد رَوَى رحمه الله تعالى بالمغرب ومصر والشام والعراق وخراسان وعراق
 العجم ، وكل ذلك في طلب الحديث ، وسمع بالأندلس من ابن بشكَّوَال وابن

١ أدباء مالقة : ١٢٩ .

٢ أدباء مالقة : قلبي ... يرقق ؛ وفيه إشارة إلى المثل « أحن صبح ترقق » .

٣ أدباء مالقة : ١٣٠ .

٤ أدباء مالقة : في الحب .

٥ مختلف في عام ولادته ، راجع وفيات الأعيان ؛ وفيه أنه ولد ٥٤٤ هـ .

زرقون في جمع كبير ، وبيفداد من أبي الفرج ابن الجوزي ، وبأصبهان من أبي جعفر الصيدلاني «معجم الطبراني» ومن غيره ، وبنيسابور من أبي سعيد ابن الصفار ومنصور بن الفراوي والمؤيد الطوسي ، وحصل الكتب والأصول ، وحدث ، وأفاد ، وكان من أعيان العلماء ، ومشاهير الفضلاء ، متقناً لعلم الحديث وما يتعلق به ، عارفاً بالنحو واللغة وآيام العرب وأشعارها . .

وصنف كتباً كثيرة مفيدة جداً ، منها كتاب «التنوير في مولد السراج المنير» صنفه عند قدومه إلى إربل سنة أربع وستمائة ، وهو متوجه إلى خراسان لما رأى ملك إربل مظفر الدين كوكبري معتبياً بعمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول كل عام ، مهتماً به غاية الاهتمام ، وكله وقرأه عليه بنفسه ، وختمه بقصيدة طويلة ، فأجازه بألف دينار ، وصنف أيضاً «العلم المشهور في فضائل الآيام والشهور» ، و «الآيات البيّنات في ذكر ما في أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم» وكتاب «التبراس في أخبار خلفاء بني العباس» وكتاب «الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفّين»^١ .

وولي قضاء بلد أصوله ذاتيّة مرتين ، ثم صرف عن ذلك لسيرة نعت عليه ، فرحل عنها وحدث بتونس سنة ٥٩٥ هـ ، ثم حجّ وكتب بالمشرق عن جماعة بأصبهان ونيسابور ، وعاد إلى مصر ، فاستأذنه العادل لولده الكامل ، وأسكنه القاهرة ، فنال بذلك دنيا عريضة ، ثم زادت حظوته عند الكامل ، وأقبل عليه إقبالاً عظيماً وكان يعظمه ويحترمه ، ويعتقد فيه الخير ، ويتبرك به ، حتى كان يسوي له المداس حين يقوم ، وهو بكتنسي كما قاله ابن خلكان وغيره ، وبتنسية مشهورة بشرق الأندلس .

١ لم يذكر كتاب «المطرب» الذي ألفه ليعرف بالأدباء الأندلسيين والأدب الأندلسي .

٥٦ - ومنهم خلف بن القاسم بن سهل بن الدباغ ، الحافظ ، الأندلسي^١ ، رحل إلى المشرق ، وكان حافظاً فهماً عارفاً بالرجال ، حدث حديث مالك وشعبة وأشياء في الزهد ، وسمع بمصر أبا الحسن ابن الورد البغدادي ومسلم بن الفضل والحسن بن رشيق وجماعة ، وسمع بدمشق علي بن أبي العقب وأبا الميمون ابن راشد وبمكة من بكير الحداد وأبي الحسن الخزاعي والآجري ، وبقرطبة من أحمد بن يحيى بن الشاهد ومحمد بن معاوية ، وتوفي سنة ٣٩٣ .

٥٧ - ومنهم خلف بن سعيد بن عبد الله بن زرارة أبو القاسم ابن المرباط^٢ ، الكلبي ، من ذرية الأبرش الكلبي ، ويعرف بالمبرقع^٣ ، المحتسب ، القرطبي ، رحل إلى المشرق مرتين ، أولاهما سنة ٣٣٢^٤ ، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وسمع أبا سعيد ابن الأعرابي وابن الورد وأبا بكر الآجري ، وروى عنه أبو إسحاق ابن شنظير وأبو جعفر الزهراوي ، وقال ابن شنظير : إنه توفي في نحو الأربعمئة ، رحمه الله تعالى ، ورضي عنه .

٥٨ - ومنهم سابق فضلاء زمانه ، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الإشيلي^٥ .

يقال : إن عمره ستون سنة ، منها عشرون في بلده لإشبيلية ، وعشرون في إفريقية عند ملوكها الصنهاجيين ، وعشرون في مصر محبوساً في خزانة الكتب ، وكان وجهه صاحب المهديّة إلى ملك مصر فسُجن بها طول تلك المدة في خزانة الكتب ، فخرج في فنون العلم إماماً ، وأمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين ،

١ ترجمته في الجذوة : ١٩٥ (والبيعة رقم : ٧١٧) وابن الفرضي ١ : ١٦٣ .

٢ ترجمته في النسلة : ١٥٩ .

٣ الصلة : بابن المبرقع .

٤ كذلك هو في الصلة أيضاً ، وفي ط : ٣٣٣ .

٥ قد مرت الإشارة إليه وذكر مصادر ترجمته ، انظر ما سبق ١ : ٤٩٦ وله ترجمة في الخريدة ١/٤ : ٢٢٣ - ٣٤٣ فيها مختارات من أشعاره مرتبة على الحروف .

وله في ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته ، وكان يكنى بالأديب الحكيم ، وهو الذي لحن الأغاني الإفريقية ؛ قال ابن سعيد : وإليه تُنسب إلى الآن . وذكره العماد في «الخريدة» . وله كتاب «الحديقة» على أسلوب «يتيمة الدهر» للشمالي ، وتوفي سنة ٥٢٠ ، وقيل : سنة ٥٢٨ ، بالمهدية ، وقيل : مستهل السنة بعدها ، ودفن بها .

وله فيمن اسمه واصل^١ :

يا هاجر أسموه عمداً واصلًا وبضدّها تتبينُ الأشياءُ
ألغيتني حتى كائنك واصلٌ وكأنتي من طول هجري الراء
وقوله ، وهو من بدائع^٢ :

لا غرّو أن سبقت لُهاك مدائحي وتدقّتْ جدواك ملء إناثها
يُكسى القضيْبُ ولم يحينُ إثماره وتطوّقُ^٣ الورقاء قبل غنائها
وقال في الأفضل^٤ :

تردي بكلّ فتى إذا شهد الوغى نثرَ الرماحَ على الدروبِ كعوبا
قد لوحتهُ يدُ المواجيرِ فاغتندى مثلَ القنّاةِ قضاةً وشحوبا
تخذوا القنا أشطانهم واستنبطوا في كلّ قلبٍ بالطعان قليباً
ومنها^٥ :

تعطي الذي أعطتكهُ سُمُرُ القنا أبداً فتغدو سالباً مسلّوبا

١ الخريدة : ٢٢٤ .

٢ الخريدة : ٢٢٦ .

٣ ق ط ج ودوزي : وتطلق .

٤ الخريدة : ٢٢٨ .

٥ هذا البيت والذي يليه في الخريدة : ٢٣٠ .

ومنها :

وأنا الغريبُ مكانهُ وبيانهُ فاجعلُ صنيعَكَ في الغريبِ غريبا

وله ^١ :

ومهفهفٍ شربتُ ^٢ محاسنُ وجهه ما مَجَّهُ في الكاسِ من إبريقه
ففعالها من مقلتيه ، ولونُها من وجنتيه ، وطعمُها من ريقه

أخذه من ابن حَيَّوس ، وقصر عنه ، في قوله :

ومهفهفٍ يَغْنَى بلحظٍ جفونه عن كاسه الملائى وعن إبريقه
فِعِلُّ المدام ولونُها ومذاقُها في مقلتيه ووجنتيه وريقه

ولأبي الصلت فيمن اسمه مُحْسِن :

أيُّها الظالم المسيء مدى دهره بينا
ما لهم أخطأوا الصواب فسَنَوَكَ محسنا

وله في لابس قرمزية حمراء ^٣ :

أقبلَ يَسْعَى أبو الفوارس في مَرَأى عَجِيبٍ وَمَنْظَرٍ أُنِيقٍ
أقبلَ في قرمزيةٍ عَجَبٍ قد صبغت لون خده الشرق
كأنما جِيدهُ وغُرَّتْه من دُونِها إِذْ بَدَوْنَ في نسق
عَمُودُ فجرٍ من فَوْقه قمرٌ دارَتْ به قِطْعَةٌ من الشَّقَقِ

١ ابن خلكان ١ : ٢٢١ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٥٧ .

٢ في المصدرين السابقين : شركت .

٣ الخريدة : ٣٠٢ .

٤ الخريدة : برزن .

٥ الخريدة : فويقه .

وله في ثقیل^١ :

لي جليسٌ عَجِبْتُ كَيْفَ اسْتَطَاعَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ تَقْلُهُ
أَنَا أَرْعَاهُ مُكْرَهَا^٢ وَيَقْلَنِي مِنْهُ مَا يُقْلِقُ الْجِبَالَ أَقْلَهُ
فَهُوَ مِثْلُ الشَّيْبِ أَكْرَهُ مَرًّا • وَلَكِنْ أَصَوْتُهُ وَأَجْلُهُ

أخذه من قول أبي الحسن نخعمر بن الحاج اللوزي^٣ ، وهما في عصر واحد :

لي صاحبٌ عَمِيتَ عَلَيَّ شُؤُونُهُ حَرَكَاتُهُ مَجْهُولَةٌ وَسُكُونُهُ
يَرْتَابُ بِالْأَمْرِ الْجَلِيَّ تَوَهَّمَا فَإِذَا تَيَقَّنَ نَازَعَتْهُ ظُنُونُهُ
لِمَنِّي لِأَهْوَاهُ عَلَى شَرَقِي بِهِ كَالشَّيْبِ تَكْرَهُهُ وَأَنْتَ تَصُونُهُ

وأوصى أن يكتب على قبره أبو الصلت المذكور ممّا نظمهُ قبيل موته^٤ :

سَكَنْتُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا بَأَنِّي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَائِرٌ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يَجْجُورُ
فِيَا لَبْتَ شَعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
فَإِنْ أَكُ مَجْزِيًّا بِذَنْبِي فَلِئَنِّي بِشَرِّ عِقَابِ الْمَذْنِبِينَ جَدِيرُ
وَلِنْ يَكُ عَبَقُؤُنِي عَنِّي وَرَحْمَةُ فَمَنْ نَعِيمٌ دَائِمٌ وَسُرُورُ

وله أيضاً^٥ :

١ الخريدة : ٣١٢ .

٢ الخريدة : مكرماً .

٣ في الأصول ودوزي : الميوزي ، وهو خطأ ؛ فأخذه من بيوتات لوزقة (المغرب ٢ : ٢٧٧) .
٤ ج : وأمر .

٥ الخريدة : ٣٤٢ وابن خلكان ١ : ٢٢٢ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٥٤ .

٦ الخريدة : ٢٢٦ وابن خلكان ١ : ٢٢٠ والبيتان يفسهان أيضاً لأبي العرب الصقلي .

إذا كان أصلي من تُراب فكلُّها بلادي ، وكلُّ العالمين أقاربي
ولا بدّ لي أن أسأل العيس حاجةً تشقُّ على شُمِّ الذِّرا والغواربِ

وقال ١ :

دبَّ العذارُ بخدّه ثم انثنى عنّ لثَمِ مَبْسَمِهِ البرودِ الأشنبِ
لا غرّوا أن خشي الردى في لثمه فالريقُ سُمٌّ قاتلٌ للعقربِ
وقد ذكروا أن من خواصّ ريق الإنسان أنه يقتل العقرب ، وهو مجرب .

وقال ٢ :

لا تدعني ولتدع من شئت إليك من عجمٍ ومن عربِ
فتحنُّ أكلون للسُّحتِ في ذراكِ سمّاعون للكذبِ

وقال ٣ :

لا تسألني عن صنيع جفونها يومَ الوداعِ وسلْ بذلك من نجا
لو كنتُ أملك خدّها للثمنه حتى أعيد به الشقيق بنفسجا
أو كنتُ أجمع لأحتضنتُ خيالها ومنعتُ ضوءَ الصبح أن يتلبجا
وبشتُ في الظلماء كُحل جفونها وعقدتُ هاتيك النواذب بالدُّجى

وقال مهنّا بمولود ٤ :

يلكّوح في المهد على وجهه تجهّمُ البأس وبُشرى التدى

١ الخريدة : ٢٢٧ .

٢ الخريدة : ٢٣٨ .

٣ الخريدة : ٢٤٧ .

٤ الخريدة : ٢٥٧ .

٥ الخريدة : وبشر .

والشمسُ والبدرُ إذا استجمعا لم يلبثا أن يلبدا فرقدا
فابقَ له حتى ترى نجلته وإن عرا خطبُ فنحنُ الفدا
قال ابن سعيد : وهذا البيت الأخير من أثقل الشعر يُتطير من سماعه ،
وتركه أولى .

وقال رحمه الله تعالى في الرصد :

فذا غديرٌ وذا روضٌ وذا جبلٌ فالضَّبُّ والنُّونُ والملاحُ والحادي

٥٩ — ومنهم الفقيه أبو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول
السَّرقُسطي ، ذكره العباد الأصبهاني في « الخريدة »^١ وذكره السمعاني في
الذيل ، وأنه دخل بغداد في حدود سنة ست عشرة وخمسمائة^٢ .

ومن شعره^٣ :

أيا شمسُ إنِّي إن أتتكَ مدائحِي وهُنَّ لآلٍ نُظِّمَتْ وَقَلَّيْدُ
فلستُ بمن يبغي على الشَّعْرِ رشوةً أبى ذاك لي جدٌ كريمٌ ووالدُ
وأني من قوم قديمًا ومُحدثًا تباعُ عليهم بالآلوف القصائدُ

٦٠ — ومنهم الفقيه المقرئ أبو عامر التياري^٤ ، من رجال « الذخيرة »
رحل إلى المشرق ، وقرأ على أبي جعفر الديباجي كتابه في العروض وسائر
كتبه ، ولقي شيخ القيروان في العربية ابن القزاز وأديبها الحُصْري . وأخبر
عن نفسه أنه كان بين يسديه تلميذ له وسيم ، فمرَّ به أبو جعفر التَّجاني

١ انظر الخريدة ١/٤ : ٣٩٠ ووصفه بأنه من الفقهاء الفضلاء والشعراء النبلاء ، ولما ورد بغداد
(حدود : ٥١٦) أقام في المدرسة النظامية ، ثم خرج إلى خراسان وسكن بمرور الروذ ، وفي
الخريدة أنه توفي أيضاً في حدود : ٥١٦ .

٢ في إحدى النسخ : ٥١٠ .

٣ الخريدة : ٣٩١ .

٤ في قودوزي : « المتباري » وفي طبع : المتباري ١٧٢ وفي فهرست الذخيرة « البيماري »
وترجمته في القسم الثالث : ١٧٢ ، وما أورده المقرئ مأخوذة عن الذخيرة .

بسّحاء كتب له فيها وخلاها بين يديه ، وهو قد غلب النوم عليه ، فقال :

يا نائماً متعمداً لبصار طيف حبيبهِ
هو جوهراً فائقته ن الطيب في مشقوبهِ
أو أركبني ظهره إن لم تقل بركوبهِ

فلما قرأها علم أنها للتجاني^١ ، فكتب تحتها :

يا طالباً أضحي حجا ب دُون ما مَطْلُوبهِ
لو لم يكن في ذاك إذ م لم أكن أسخو به
لأنني أغار عليه من أثوابه ورقبهِ

وأشدد يوماً في حلقة لابن الرومي في خبّاز :

إن أنس لا أنس خبّازاً مررت به يلحوا الرقاة وشك الملح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء يرمل في الحجر

فقال بعض تلامذته : أما إنه لا يُقدّر على الزيادة على هذا ، فقال :

فكاد يضرط إعجاباً برؤيتها ومن رأى مثل ما أبصرت منه خري

فضحك من حضر وقال : البيت لائق بالقطعة ، لولا ما فيه من ذكر

الرجيع ، فقال :

إن كان بيتي هذا ليس يعجبكم فعجلوا مجنوه أو فاعقوه طري

٦١ - ومنهم الأديب الطبيب أبو الحجاج يوسف بن عتبة الإشيلي^٢ ،

١ في نسخة الذخيرة : الجاني ، ولا ريب في أنه مصحف ، ولعل الصواب : « الجاني » .

٢ ترجمة أبي الحجاج يوسف بن عتبة في المغرب ١ : ٢٥٨ واختصار القدر : ١٦١ .

مطبوع في الشعر والتوشيح ، قال ابن سعيد^١ : اجتمعت به في القاهرة مراراً بمجلس الأمير جمال الدين أبي الفتح موسى بن يغمور بن جلدك وفي غيره ، وتوفي في مارستان القاهرة . ومن شعره :

أَمَّا الْغُرَابُ فَإِنَّهُ سَبَبُ النَّوَى لَا رَيْبَ فِيهِ وَلِلنَّوَى أَسْبَابُ
يَدْعُو الْغُرَابُ وَبَعْدَ ذَلِكَ يَجِيبُهُ جَمَلٌ وَتَعْوِي بَعْدَ ذَلِكَ ذَثَابُ
لَا تَكْذِبَنَّ فَهَذِهِ أَسْبَابُهُ لَكِنَّ مِنْهَا بَدَأَ وَجَوَابُ

٦٢ - ومنهم الإمام المحدث الحافظ جمال الدين أبو بكر محمد بن يوسف ابن موسى ، الأندلسي ، المعروف بابن مُسْنَدِي^٢ ، وهو من الأئمة المشهورين بالمشرق والمغرب ، قال رحمه الله تعالى : أنشدني رئيس الأندلس وأديبها أبو الحسن سهيل بن مالك الأزدي^٣ الغرناطي لنفسه سنة ٦٣٧ في شوال بداره بغرناطة :

مُنْغَصَّ الْعَيْشِ لَا يَأْوِي إِلَى دَعَةٍ مِنْ كَانَ ذَا بِلْدٍ أَوْ كَانَ ذَا وَلَدٍ
وَالسَّائِكُنُ النَّفْسِ مَنْ لَمْ تَرْضَ هِمَّتَهُ سَكُنَى مَكَانٍ وَلَمْ يَسْكُنْ إِلَى أَحَدٍ

٦٣ - ومنهم الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي

١ يقول ابن سعيد في القدرح حين يحكي أخبار المترجم به في مصر : وأخبرني صاحبه بمصر أبو الفضل التيفاشي قال : قدم علينا بالقاهرة الطبيب أبو الحجاج ابن عتبة فلم يجد من يقبل عليه إلا كهف المفاربة الرئيس السيد جمال الدين بن يغمور . إلخ . وقال : وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٦٣٦ .

٢ ترجمة ابن مسدي في تذكرة الحفاظ : ١٤٤٨ وقال إنه قتل غيلة بمكة سنة ٦٦٣ ؛ وله معجم في ٣ مجلدات ، وكان يداخل الزيدية بمكة فولوه خطابة الحرم .

٣ ترجمة سهل بن مالك في برنامج الرعيي : ٥٩ والتكملة رقم : ٢٠٠٧ والذيل والتكملة ٤ : ١٠١ واختصار القدرح : ٦٠ ومسالك الأبصار : ١١ : ٤٨٢ وزاد المسافر رقم : ٢٣ والديباج :

١٢٥ والمغرب ٢ : ١٠٥ وبغية الوعاة : ٢٦٤ وسيرد له ذكر في مواضع من النسخ .
٤ البيتان في الديباج : ١٢٥ والذيل والتكملة : ١٠٤ .

الحميدي^١، نسبة بلخده حميد الأندلسي ، ولد أبوه بقُرطبة ، وولد هو بالجزيرة بُلَيْدة بالأندلس ، قبل العشرين وأربعمائة ، وكان يحمل على الكتف للسمع سنة ٤٢٥ ، فأول ما سمع من الفقيه أبي القاسم أصبغ . قال : وكنت أفصح من يقرأ عليه ؛ وكان قد لقي ابن أبي زيد وقرأ عليه وتفقه ، وروى عنه رسالته ومختصر المدونة ، ورحل سنة ٤٤٨ ، وقدم مصر وسمع بها من الضَّرَّاب والقُضاعي وغير واحد ، وكان سمع بالأندلس من ابن عبد البر وابن حزم ولازمه وقرأ عليه مصنفاته وأكثر من الأخذ عنه وشهر بصحبته وصار على مذهبه إلا أنه لم يكن يتظاهر به ، وسمع بدمشق وغيرها ، وروى عن الخطيب البغدادي وكتب عنه أكثر مصنفاته ، وسمع بمكة من الزنجاني ، وأقام بواسط مدة بعد خروجه من بغداد ، ثم عاد إلى بغداد واستوطنها وكتب بها كثيراً من الحديث والأدب وسائر الفنون ، وصنّف مصنفات كثيرة ، وعلق فوائد ، وخرّج تخاريج للخطيب وغيره ، وروى عنه أبو بكر الخطيب أكثر مصنفاته وابن ماكولا ، وكان إماماً من أئمة المسلمين في حفظه ومعرفة وإتقانه وثقته وصدقه ونُبله وديانته وورعه ونزاهته ، حتى قال بعض الأكابر ممّن لقي الأئمة : لم ترَ عيناى مثل أبي عبد الله الحميدي في فضله ونبله ونزاهة نفسه وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم وبثه في أهله ، وكان ورعاً ثقة إماماً في علم الحديث وعلله ومعرفة متونه ورواته ، محققاً في علم الأصول على مذهب أصحاب الحديث ، مُتَبَحِّراً في علم الأدب والعربية ، ومن تصانيفه كتاب « جلدوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس » وكتاب « تاريخ الإسلام » وكتاب « من ادعى الأمان من أهل الإيمان » وكتاب « الذهب المسبوك في وعظ الملوك » وكتاب « تسهيل السبيل إلى علم الترسيل » وكتاب « مخاطبات الأصدقاء في

١ ترجمة الحميدي في الصلة : ٥٣٠ وتذكرة الحفاظ : ١٢١٨ وشذرات الذهب ٣ : ٣٩٢ وبيعة الملتمس رقم : ٢٥٧ ووفيات الأعيان ٣ : ٤١٠ ومواطن من فهرسة ابن خير .

المكاتبات واللقاء « وكتاب « ما جاء من النصوص والأخبار في حفظ الجار » وكتاب « النميمة » وكتاب « الأمانى الصادقة » وغير ذلك من المصنفات والأشعار الحسان في المواعظ والأمثال . وكان من كثرة اجتهاده ينسخ بالليل في الحر ويجلس في إجازة ماء يتبرد به ، ومن مشهور مصنفاته كتاب « الجمع بين الصحيحين » .

وذكره الحنجاري في المسهب وقال عنه : لآته طرق ميورة بعدما كانت عطلاً^١ من هذا الشأن ، وترك لها فخراً تباري به خواص البلدان ، وهو من علماء أئمة الحديث ، ولأزم أبا محمد ابن حزم في الأندلس واستفاد منه ، ورحل إلى بغداد ، وبها ألف كتاب « الجذوة » ، ومن شعره قوله رضي الله تعالى عنه :

ألفت النوى حتى أنست بوحيها وصرت بها لا في الصبابة مؤلعا
فلم أحص كم رافقت من مرافق ولم أحص كم خيمت في الأرض موضعا
ومن بعد جوب الأرض شرقاً ومغرباً فلا بد لي من أن أوافي مصرعاً
وقال رحمه الله تعالى^٢ :

لقاء الناس ليس يُفيد شيئاً سوى الهديان من قيل وقال
فأقليل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو لإصلاح حال

وذكره ابن بشكّو في « الصلة » ، وتوفي ببغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

قال ابن ماكولا : أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدي ، وهو من أهل العلم والفضل واليقظ ، لم أر مثله في عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم ، وكان أوصى مظهر ابن رئيس الرؤساء أن يدفنه عند قبر بشر الحافي ، فخالف وصيته

١ في التجارية : أنه أظهر العلم في طرق ميورة بعدما كانت عطلاء .

٢ البيعان في وفيات الأعيان .

ودفنه في مقبرة باب أبرز^١ ، فلمّا كانت مدّة رآه مظفر في النوم كأنّه يعاتبه على مخالفته ، فنُقل في صفر سنة ٤٩١ إلى مقبرة باب حرب ، ودفن عند قبر بشر ، وكان كفنه جديداً وبدنه طرياً تفوح منه رائحة الطيب ، ووقف كتبه على أهل العلم ، رحمه الله تعالى .

ومن مناقبه أنّه قال لمن دخل عليه فوجده مكشوف الفخذ : تعديت بعين إلى موضع لم ينظره أحد منذ عقلت ، انتهى .
ومن شعر الحميدي أيضاً قوله :

طريق الزُّهْدُ أَفْضَلُ ما طريقٍ وتقوى الله تالِيسَةُ الحَقُوقِ
فَتَقِيَّ باللهِ يَكْفِيكَ ، واستَعِينَهُ يُعِينُكَ ، ودَعَّ بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ
وقوله :

كلامُ الله عزَّ وجلَّ قَوَّلي وما صحَّتْ بِهِ الآثارُ ديني
وما اتفقَ الجميعُ عليه بلهأ وعوداً فهو عن حقِّ مُبين
فدَعَّ ما صدَّعَ عن هذي وخذها تكن منها على عَيْنِ اليقين

٦٤ - ومنهم الكمال أبو العباس أحمد الشريشي^٢ ، وهو أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن ، القيسي ، من أهل شَرِيشَ . روى عن أبي الحسن ابن لبَّال وأبي بكر ابن أزهر وأبي عبد الله ابن زَرْقُون وأبي الحسين ابن جبير وغيرهم ، وأقرأ العربية ، وله تواليف أفاد بما حشر فيها : منها « شرح الإيضاح » للفارسي ، و « الحمل » للزجاج ، وله في العروض تواليف ، وجمع مشاهير قصائد العرب ، واختصر « نوادر » أبي علي القالي .

١ ق : باب البرر ؛ ط : باب البر ؛ ج : باب البرر .

٢ ترجمة الشريشي في التكملة : ١١١ والمهمل الصافي ١ : ٣٥٤ وبغية الوعاة : ١٤٣ وبرنامج الرعيي : ٩٠ والوافي بالوفيات ٧ الورقة : ٧٧ .

قال ابن الأبار : لقيته بدار شيخنا أبي الحسن ابن حريق من بلنسية ، قبل توجهي إلى إشبيلية في سنة ست عشرة وستمائة ، وهو إذ ذاك يقرأ عليه شرحه للمقامات ، فسمعت عليه بعضه ، وأجاز لي سائره مع رواياته وتواليقه ، وأخذ عنه أصحابنا ، ثم لقيته ثانية مقدمه من مرسية ، انتهى .

ومن بديع نظمه وهو بمصر يتشوق إلى الشام :

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبرٌ فإن قلبي بنار الشوق يستعرُ
بَعُدْتُ عنكم فلا والله بَعْدُكُمْ ما لَدَّ للعَيْنِ لا نومٌ ولا سهر
إذا تَذَكَّرْتُ أوقاتاً نأت ومضتْ بِقُرْبِكُمْ كادتِ الأحشاء تنفطرُ
كأنّني لم أكن بالديرَينِ ضحّي والغيمُ يبكي ومنه يضحك الزهر
والورقُ تُنشدُ ، والأغصانُ راقصةٌ والدوحُ يطربُ بالتصفيق والنهر
والسفعُ ابن عَشِيَّتِي التي سلفت لي منه فهي لعمرى عندي العمر
سقاك يا سفعُ سفعُ الدَمْعِ مِنْهُمَلًا وقلْ ذاكِ له إن أعوزَ المطرُ

وله رحمه الله تعالى شروح لمقامات الحريري : كبير ، ووسط ، وصغير ، وفي الكبير من الآداب ما لا كفاء له ^١ ، وكان رحمه الله تعالى مُعْجَباً بالشام . وقال ابن الأبار عندما ذكره : إنّه شرح مقامات الحريري في ثلاث نسخ : كبراه الأديبة ، ووسطاها اللغوية ، وصغراها المختصرة ، انتهى . وتوفي يشريش بلده سنة تسع عشرة وستمائة ، رحمه الله تعالى .

٦٥ - ومنهم أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد ، الأزدي ، القرطبي ، الملقّب بضياء الدين ^٢ ، أحد الأئمة المتأخرين في القراءات وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك .

١ الشرح الكبير هو المطبوع من شروح المقامات .

٢ ترجمته في وفيات الأعيان ٥ : ٢١٩ وغاية النهاية ٢ : ٣٧٢ .

قال القاضي الشمس ابن خلّكان : إنّه رحل من الأندلس في عنفوان شبابه وقدم مصر فسمع بالإسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي ، وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري وأبا طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني المعروف بالسّلّقي وغيرهم ، ودخل بغداد سنة ١٥١٧^١ ، وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقرئ المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط ، وسمع عليه كتباً كثيرة منها كتاب سيويه ، وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزار المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم ابن الحصين وأبي العز وغيرهم ، وكان ديتاً ورعاً عليه وقار وسكينة ، وكان ثقة صدوقاً ثبتاً نبيلاً قليل الكلام كثير الخير مفيداً ، أقام بدمشق مدّة ، واستوطن الموصل ، ورحل منها إلى أصفهان ، ثم عاد إلى الموصل ، وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر . وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل ، وقال : إنّه اجتمع به بدمشق ، وسمع عنه مشيخة أبي عبد الله الرازي ، وانتخب عليه أجزاء ، وسأله عن مولده فقال : ولدت سنة ٤٨٦ في مدينة قرطبة ، ورأيت في بعض الكتب أن مولده سنة ٤٨٧ ، والأول أصح ، وكان شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن^٢ يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر بروايته وقراءته عليه ، وقال : كنّا نقرأ عليه بالموصل ، ونأخذ عنه ، وكنّا نرى رجلاً يأتي إليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ، ثم يمد يده إلى الشيخ بشيء ملفوف ، فيأخذه الشيخ من يده ، ولا نعلم ما هو ، ويتركه ذلك الرجل ويذهب ، ثم تقفينا ذلك فعلمنا أنّها دجاجة مسمومة كانت تُرسم للشيخ في كل يوم ، يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها ، وإذا دخل الشيخ إلى منزله تولى طبخها بيده .

١ ابن خلّكان : سبع وعشرين وخمسمائة .

٢ أبو المحاسن : لم ترد في ق ط ج .

وذكر في كتاب^١ «دلائل الأحكام» أنه لازم القراءة عليه إحدى عشرة سنة ، آخرها سنة ٥٦٧ .

وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيراً ما ينشد مسنداً إلى أبي الخير الكاتب الواسطي :

جَرَى قَلَمُ الْقَضَاءِ بِمَا يَكُونُ فَيَسَّانُ التَّحْرُكُ وَالسَّكُونُ
جُنُونُ مَنْكَ أَنْ تَسْعَى لِرِزْقٍ وَيُرْزَقُ فِي غَشَاوَتِهِ الْجَنِينُ

وتوفي القرطبي المذكور بالموصل يوم عيد الفطر سنة ٥٦٧ ، رحمه الله تعالى . انتهى كلام ابن خلكان ببعض اختصار .

٦٦ - ومنهم الوزير أبو عبد الله محمد ، ابن الشيخ الأجلّ أبي الحسن ابن عبد ربه^٢ ، وهو من حفدء صاحب كتاب «العقد» المشهور . حدث الشيخ الأجلّ أبو عبد الله محمد بن علي اليحصبي القرموني رفيقه قال : اصططبت معه في المركب من المغرب إلى الإسكندرية ، فلما قربنا منها هاج علينا البحر ، وأشفينا على الفرق ، فلاح لنا ونحن على هذه الحال منار الإسكندرية ، فسررنا برؤيته ، وطمعنا في السلامة ، فقال لي : لا بد أن أعمل في المنار شيئاً ، فقلت له : أعلى مثل هذه الحال التي نحن فيها ؟ فقال : نعم ، فقلت : فاصنع ، فأطرق ثم عمل بديهاً :

لله دَرُّ مَنَارِ اسْكَندريّةٍ كم يَسْمُو إِلَيْهِ عَلَى بُعْدٍ مِنَ الْخَدَقِ
من شامخِ الأنفِ في عِرْنِينِهِ شَمَمٌ كأنّه باهتٌ في دارةِ الأفقِ
يكسّرُ الموجُ منه جانبي رجلٍ مُشَمِّرِ الذيلِ لا يخشى من الفرقِ
لا يبرحُ الدهرُ من وردٍ على سُنْفِنٍ ما بينَ مصطبحٍ منها ومغتبِقِ

١ ابن خلكان : في كتابه الذي سماه .

٢ انظر الترجمة رقم : ٥٣ فيما سبق .

للمنشآت الجوّاري عند رؤيته كموقع النوم من أجفانٍ ذي أرقٍ
وتقدمت ترجمة الكاتب أبي عبد الله ابن عبد ربه ، وأظنه هذا ، فليُستنبه
له ، بل أعتقد أنه هو لا غيره ، والله تعالى أعلم .

٦٧ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن الصفار ، القرطبي ^١ . قال في القدح
المعلّى : بيتهم ^٢ مشهور بقرطبة ، لم يزل يتوارث في العلم والجاه وعلو المرتبة ،
ونشأ أبو عبد الله هذا حافظاً للآداب ^٣ ، إماماً في علم الحساب ، مع أنه كان
أعمى مقعداً مشوّه الخلق ، ولكنه إذا نطق علم كل منصف حقه ، ومن
عجائبه أنه سافر على تلك الحالة ، حتى غدت بغداد له هالة . اجتمعت به ^٤ بحضرة
تونس فرأيت بجرّاً زاحراً ، وروضاً ناضراً ، إلا أنه حاطبٌ ليلٍ ، وساحبٌ
ذيل ، لا يبالي ما أورده ، ولا يلتفت إلى ما أنشده ، جامعاً بين السمين والغث ،
حافظاً للمتين والرث ، وكان يُقرىء الأدب بمراكش وفاس وتونس وغيرها .
ومن مشهور حكاياته أنه لما قال أبو زيد الفازاري في أبي العلاء المستنصر
قصيدته التي مطلعها :

الحزمُ والعزمُ منسوبان للعربِ

عارضه بقصيدة * ، ثم قال فيه وفي ابن أخيه يحيى بن الناصر الذي نازعه
في ذلك الأوان [رداء السلطان] ^٥ :

١ انظر القدح المعلّى : ٢٠٣ والمغرب ١ : ١١٧ .

٢ القدح : بيته .

٣ القدح : لفنون الآداب .

٤ زاد في القدح : غير ما مرة .

٥ زاد في القدح : ذم فيها أنصاره .

٦ زيادة من القدح .

وإن يُنَارِعَكَ في المنصور ذو نَسَبٍ فنَجَلُ نوحٍ ثَوَى في قَمَّةِ العُطَبِ
وإن يقلُّ أنا عَمُّ فاجوابُ له عمُّ النبيِّ بِلَا شَكٍّ أبو هَبِ
وشاعت القصيدة فبلغت أبا العلاء ، فحرض على قتله ، وسلّمه الله تعالى منه ،
ومات سنة ٦٣٩ .

ومن شعره قوله ٢ :

لا تحسبِ الناسَ سَوَاءً متى تشابهوا فالناسُ أطوارُ
وانظرُ إلى الأحجارِ ، في بعضها ماءٌ ، وبعضُ ضمنها نارُ

وقوله :

يا طالماً في جُفوني وغائباً في ضلوعي
بالغت في السُّخْطِ ظِلماً وما رحمت خُضوعي
إذا نوَيْتَ انقطاعاً فاحسب حساب الرجوع

انتهى باختصار يسير .

٦٨ — ومنهم أبو الوليد ابن الجَنّانِ محمد بن المشرف أبي عمرو ابن
الكاتب أبي بكر ابن العالم الجليل أبي العلاء ابن الجنّان الكِناني الشاطبي ٣ . قال
ابن سعيد : توارثوا بشاطبة ، مراتبَ تحسُدُها النجوم الثاقبة ، وأبو الوليد
أشعرهم ، وقد نجدد به في أقطار المشرق ، مَفْخَرُهُم ، وهو معروف هناك
بفخر الدين ، ومتصدر في أئمة النحويين ، ومرتب في شعراء الملوك الناصر
صاحب الشام ، ومُقَطَّعاته الغرامية قلائدُ أهل الغرام ، صحبته بمصر ودمشق

١ في الأصول : قسمة ، والتصويب عن المغرب .

٢ هذا الشعر والذي يليه وردا في المغرب والقدح ؛ وقد سقطا من نسخة ق .

٣ ترجمته في القدح : ٢٠٦ والمغرب ٢ : ٣٨٣ وبغية الوعاة : ٤٥ والفوات ٢ : ٣٢١ .

٤ القدح : شرق الأندلس .

وحلب ، وجريتُ معه طلق الجموح في ميادين الأدب ، وأنشدني بدمشق ^١ :

أنا من سُكْرِ هَواهُمُ تَمِيلُ لا أبا لي هَجَرُوا أم وَصَلُوا
فَبِشَعْرِي وَحْدِي فِيهِمْ زَمَزَمَ الحادي وسار المثلُ
إِنَّ عِشاقَ الحِمى تعرفني والحمى يعرفني والطللُ
رَحَلُوا عن رَبْعِ عيني فلذا أَدْمَعِي عن مُقَلَّتِي تَرْمَلُ
ما لها قد فارقتْ أوطانها وهي ليست لحماهم تصلُ
لا تَظُنُّوا أَنِّي أَسْلُو فما مذهبي عن حُبِّكُمْ يَنْتَقِلُ

وقوله رحمه الله تعالى ^٢ :

بالله يا بانةَ الوادي إذا خَطَرَتْ تلك المعاطفُ حيث الشَّيْحُ والغارُ
فَعانِقِيها عن الصَّبِّ الكَثيبِ فما على معانقة الأغصانِ إنكارُ
وعَرَّفِيها بأَنِّي فيكَ مَكْتُوبٌ فبعض هذا لها بالحبِّ إخبارُ
وأَنْتُمْ جيرةُ الجرعاء من لَضَمِّ لي في حماكم أحاديث وأسمارُ
وأَنْتُمْ أَنْتُمْ في كُلِّ آوَنَةٍ وإنما حُبُّكم في الكونِ أطوارُ
ويا نَسِماً سَرَى تَحْدُو رِكاثَهُ لي بالغويرِ لُباناتٌ وأوطارُ
ولهُ ^٣ :

يا رعى الله أنسنا بين رَوْضٍ حيثُ ماء السرور فيه يحولُ
تَحَسَّبُ الزهر عنده يَتَنى وتخال الغُصُونُ فيه تَمِيلُ

ولهُ ^٤ :

١ الأبيات في القدح الممل .

٢ القدح : ٢٠٧ .

٣ قالهما في بستان على نهر ثورا أحد أنهار دمشق ، انظر القدح : ٢٠٨ والفوات : ٣٢٤ .

٤ القدح : ٢٠٨ .

هاتِ المدامَ فقد نأح الحمامُ على
وأعينُ الزهرِ من طولِ البُكا رمدتْ
والكأسُ حلَّتْها حمراءُ مُذهَّبةٌ
كم قلتُ للأفقِ لما أن بدا صلَفاً
إن تيهتْ بالشمسِ يا أفقَ السماءِ فلي
قُم اسقنيها وثغرُ الصبحِ مبسمٌ
والسُّحبُ قد لبيستْ سودَ الثيابِ وقد

وله ١ :

عَلَيْكَ مِنْ ذَاكَ الْحَمَى يَا رَسُولَ
جَنَّتْ وَفِي عِطْفَيْكَ مِنْهُمْ شَدَا
بشرى علاماتِ الرضى والقبول
يسكرُ من خمرِ هواه العذول

ومنها :

أحبابنا ودَّعَمُ ناظِرِي
حلَّمتُ قلبي وَهَوَ الَّذِي
أنا الَّذِي حَدَّثَ عَنِي الْهَوَى
فليزِدِ العاذلُ في عَذْلِهِ
وأنتُمُ بينَ ضلوعي نُزُولُ
يقولُ في دينِ الهوى بالحلولُ
بأنتي عن حبِّكم لا أحولُ
وليقُلِ الواشي لكم ما يقولُ

انتهى كلام النور بن سعيد .

وقال غيره : ولد المذكور بشاطِبةَ منتصفِ شوال سنة ٦١٥ ، ومات
بدمشق ودفن بسفح قاسيون ، وكان عالماً فاضلاً ، دمث الأخلاق كريم السمائل ،
كثير الاحتمال واسع الصدر ، صاحب الشيخ كمال الدين بن العديم وولده قاضي

القضاة مجد الدين ، فاجتذبوه إليهم ، وصار حنفي المذهب ، ودرس بالمدرسة الإقبالية الحنفيّة بدمشق ، وله مشاركة في علوم كثيرة ، وله يد في النظم ، ومنه قوله :

لله قومٌ يعشقون ذوي اللحى « لا يسألونَ عن السوادِ المقبلِ »
وبمُهجتي قومٌ وإنّي منهمُ « جُبِلوا على حبِّ الطرازِ الأولِ »
وله أيضاً :

قُم اسقنيها وليلُ الهمّ منهزمٌ والصبحُ أعلامهُ محمّرةُ العَدَبِ
والسُّحبُ قد نثرت في الأرضِ لؤلؤها تَضَمُّهُ الشمسُ في ثوبٍ من الذهبِ
وقد تقدم عن ابن سعيد له ما يقارب هذا ^١ .
وله — رحمه الله تعالى — في كاتب :

وبي كاتبٌ أضمرتُ في القلبِ حُبّه غافّةً حُسّادي عليهٍ وعُدّالي
له صنعةٌ في خطِّ لامٍ عذارِهِ ولكن سها إذ نَقَطَ اللامُ بالخال

٦٩ — ومنهم أبو محمد القرطبي ^٢ ، قال ابن سعيد : لقينته بالقاهرة ، وكأنّه لا خبر عنده من الآخرة ، وقد طال عمره في أكلِ الأعراض ، وفسادِ الأعراض ، ومما بقي في أذني من شعره قوله :

رَحِمَ اللهُ من لقيتُ قديماً فلَقَدْتُ كانَ بي رؤوفاً رحيماً
أتمنى لقاءَ حرٍّ وقدْ أعْزَ ورَزَّ بختي كما عدمتُ ^٣ الكريماً

١ انظر البيتين الأخيرين في البائية ص : ١٢٢ .
٢ ترجمته في القدح : ٢١٢ واسمه فيه « أبو المعامد » وقال إنه كان يلقب بأبي بغل ولقب أيضاً بجسر بلبيس لأنه أقام فيها زمناً يكره كل من جاء من الشام أو من سافر إليها .
٣ ق ط ج : علمت .

وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٣ ، انتهى .

٧٠ - ومنهم علي بن أحمد ، القادسي ، الكناني^١ ، قال ابن سعيد :
لقيته ببيت المقدس على زي الفقراء ، وحصلت منه هذه الأبيات ، وندمت بعد
ذلك على ما فات ، وهي :

ذاك العذارُ الـالُّ دمي عليه يُطَلُّ
كأنّما الخلدُ ماءٌ وقد جرى فيه ظلُّ
عُقودُ صبري عليه مذ حلَّ قلبي تحلُّ
جرتُ دموعي عليه فقلتُ آسُ وطَلُّ

٧١ - ومنهم أبو عبد الله ابن العطار ، القرطبي^٢ ، قال ابن سعيد : هو
حلو المنازع ، ظريف المقاطع والمطالع ، مطبوع النوادر ، موصوف بالأديب
الشاعر ، مازجته بالإسكندرية ، وبهذه الحضرة العلية ، وما زال يدين بالانفراد ،
والتجول في البلاد ، حتى قضى مناه ، وألقى بهذه المدينة عصاه ، لا يخطر
الهمُّ له ببال ، ولا يبيت إلاّ على وعد من وصال ، وله حين سمع ما ارتجلته
في السكين بالإسكندرية حين داعبني باختلاسها القاضي زين القضاة ابن الرّيفي ،
وقال : ما لي إليه سبيل ، حتى يحضر مصري نبيل :

أيا سارقاً ملكاً مصوناً ولم يَجِبْ على يده قطعٌ وفيه نِصابُ
ستندُبه الأقلامُ عند عثارها ويكيه إن يعدُّ الصوابَ كتابُ
فقال :

١ ترجمته في القدح : ٢١٣ وقال ابن سعيد : وكان اجتماعي به سنة ثلاث وأربعين (وستمائة) ولم
أسع له خبراً منذ ذلك الحين .
٢ ترجمته في القدح : ٢١٥ .

أحاجيك ما شيء إذا ما سرقته وفيه نصاب ليس يلزمك القطع
على أن فيه القطع والحد ثابت ولا حد فيه ، هكذا حكّم الشرع

انتهى كلام ابن سعيد من كتابه « القدر المعلي » فيما أظن .

* * *

[رسالة لسان الدين]

ويعني والله سبحانه وتعالى أعلم بقوله « وبهذه الحضرة العلية » حضرة
تونس المحروسة^١ ، فإنّها كانت محط رحال الأفاضل ، من الأواخر والأوائل ،
حتى إن قاضي القضاة ابن خلدون أقام بها مدة ، ومنها ارتحل إلى مصر ، وكذلك
الخطيب الجليل سيدي أبو عبد الله ابن مرزوق رحمه الله تعالى ، ومنها خاطب
الوزير لسان الدين بن الخطيب وسلطانه في الشفاعة له عند سلطان المغرب ، فكتب
لسان الدين عن سلطانه في ذلك ما نصّه : المقام الذي نؤكد إليه ببر سلفه الوداد ،
ونغري بتخليد فخره وأمره القلّم والمداد ، ونصل به الاستظهار على عدو
الله تعالى والاعتداد ، ونخطب له من الله بهزّ أعطافه للخير والتوفيق والسداد ،
والإعانة منه والإمداد ، مقام محلّ أخينا الذي اشتهر فضله ودينه ، ووضع
سعدته متألّفة براهيته ، وحيّاه الصنع الجميل وبّياه مشرقاً جبينه ، السلطان
الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله يرعى الدّم ، ويسلك
من الفضائل المنهج الآمّم ، ويغلي البضائع النافقة عند الله تعالى ويعليّ الهمم ،
معظم قدره ، وملتزم بره ، الحريص على توفير أجره وتخليد فخره ، فلان .
أمّا بعد حمد الله تعالى ناصر الإمرة المطاعة ، المحافظة على السنّة والجماعة ،

١ هذا واضح من أن ابن سعيد ألف القدر ليخدم به أبا زكريا ابن الإمام المستنصر بالله الحفصي
صاحب تونس .

وحافظها من الإضاعة ، إلى قيام الساعة ، الذي جعل المودة فيه أنفع الوسائل
النفّاعة ، والصلاة والسلام على سيّدنا ومولانا محمد رسوله المخصوص بمقام
الشفاعة على العموم والإشاعة ، متمم مكارم الأخلاق من الفضل والبذل والحياء
والشجاعة ، والرضى عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة ،
وزرعوا الخير في العاجلة ففازوا في الآجلة بفائدة تلك الزراعة ، والدعاء لمقامكم
الأعلى بصنع يَرْوِي فيه عن الأشمط الباتر خبر النصر المتواتر لسان البراعة ، وتأيد
لا ترضى فيه القنا بمقام القناعة ، فإنّا كتبناه إليكم كتب الله تعالى لثنائكم
العاطر بتخليد المفاخر منشور الإذاعة ، في أيدي النواصم الضواعة ، من حمراء
غَرَناطة — حرسها الله تعالى — عن خير هامي السحاب ، وبشر مفتّح الأبواب ،
وعز للإسلام — ببركة الاعتداد بملككم المنصور الأعلام — مقتبل الشباب ،
ويمن ضافي الجلباب ، والحمد لله على تضافر الأيدي في ذاته وتوفّر الأسباب ،
وجانبكم الرفيع الأمل للمنتاب ، إذا حدّت الحداة ذوات الأقتاب ، ومطمح
الوسائل المطرزة المسائل بتصحيح الود اللباب ، وإلى هذا وصل الله تعالى ،
سوايغ نعمه وآلائه دائمة الانسكاب ، وجعل ما عجل لكم من نعمه كفيلة
بالزلفى وخسّن المآب ، وألهمكم تقييد شواردها بالشكر قولاً وعملاً فالشكر
مستدعي المزيد كما وعدّ في الكتاب ، فإن من المنقول الذي اشتهر ، وراق
فضله وبهرّ ، قوله « اشفعوا تؤجروا » وما في معناه من المعتبر في الخبر ، وتنفيس
كربة عن مسلم ، وسماع شكوى من متظلم ، ولولا أن مقامكم السني أغنى ،
لجلبنا الكثير من هذا المعنى ، ولما تحقّق ما أنتم عليه من سلوك سبيل والدكم الملك
الصالح — قدس الله تربته ، وضاعف قربته — من يمن الظفر ، وسلوك سبيل
الخير وإقامة رسوم الدين ، والاهتداء من هديّه بالنور المبين ، خفّ علينا
أن نقصدكم بالشفاعات مع الساعات ، ونتجر لكم مع الله بأنفس البضاعات ،
فما أثمر من ذلك شكرنا الله تعالى عليه حقيقة وشكرناكم عليه شريعة ، وما
تأخّر أوسّعناكم فيه عذراً يسد ذريعة ، وعلمنا أن الله تعالى لم يأذن في تعجيله ،

وسألناه في تيسيره وتسهيله ، سواء لدينا في ذلك ما عاد ، بإعانة عامة وإمداد ، وساهم في قصد جهاد ، وما لم يَعدْ علينا خصوصاً وعلى المسلمين عموماً بإعانة ولا إرفاد ، إنَّما علينا أن نجلب الخير الباقي والأجر الراقي إلى بابكم ، ونذلّ عليه كريم جنابكم ، بمقتضى وداد ، صُبْحِه باد ، وجميل ظن في دينكم المتين واعتقاد ، سلّم مجمله ومفصلّه من انتقاد ، وذلك أن الشيخ الخطيب الفقيه الكبير الشهير الصدر الأوحّد سلاله الصالحين ، وخطيب والدكم كبير الخلفاء والسلاطين ، ويا لها من مزية دنيا ودين ، أبا عبد الله ابن مرزوق جبرّ الله تعالى على يدكم البرّة حاله ، وسنّى من مقامكم السني آماله ، جرى عليه من المحن ، وتباريح^١ الإحن ، ما يعلم كلّ ذي مروءة وعقل ، واجتهاد ونقل^٢ ، أن ذلك من الجنيات على والدكم السلطان محسوب ، وإلى معقّاته منسوب ، ولو كانت ذنوبه رَضُوْنِي وثَبِيرَا ، لاستدعت إلى تعمدّها عفواً كبيراً ، رَعِيّاً لذلك الإمام الصالح الذي كَبَّرَ خلفه وأحرم ، وتشهد وسلّم ، وأمنّ عقب دعائه ، ونَصَبَ كَفِّه لمواهب الله تعالى وآلائه ، وأنصت لخطبته ووعظه ، وأوجب المزية لسعة حفظه وعدوبة لفظه ، فأحبط ذلك من أحبط الأعمال الصالحة ، وعَطَّلَ المتاجر الراجحة ، وأسِفَ الملك المذكورُ بدم ولده ، وإحراق خزائنه وعدده ، وتغيير رسومه وحدوده ، وإسخاطه وإسقاط الله معبوده ، إلى أن طَهَّرَ سيفكم المُلْك من عاره ، وأخذ منه بثاره ، وتقرب إلى الله وإلى السلف الكريم بمحو آثاره ، والحمد لله على ما خَصَّه من إيثاره ، وتدارك الإسلام بإقالة عثاره ، وإنّه خاطبنا الآن من حضرة تونس يقرّر من حاله ما يَتَقُتُّ الفؤاد ، ويوجب الامتناع له والاجتهاد ، يطلب منّا الإعانة بين يديكم والإنجاد ، ويشكو العيْلة والأولاد ، والغربة التي أحكته الأقطار النازحة والبلاد ، والحوادث التي سلبته الطارف

١ ق ط ج : ونتائج .

٢ ق ج : وفضل .

والقتلاد ، وأن نذكركم بوسيلته ، وضعف حيلته ، فبادرنا لذلك عملاً بالواجب ، وسلوكاً من بره ورعني حقه على السنن الاحب ، وإن كنا نطوقه في أمرنا عند الحادثة علينا تقصيراً ، ولا نشكر إلا الله ولياً ونصيراً ، فحقه علينا أوجب ؛ فهو الذي لا يُجحد ولا يُحجب ، ولا يلتبس منه المذهب ، وكيف لا يشفع فيمن جعله السلف إلى الله تعالى شافعاً ، وأحلّه محلاً منياً رفيعاً ، إلى وليه الذي جبر ملكه سريعاً ، وصير جنابه بعد المحول مريعاً ، وجدّد رسومه تأصيلاً لها وتفريراً ، ومثلكم من اغتم برّه في نصر مظلوم ، وسبر مكولوم ، وإعداء كرم على لوم ، وهي منّا ذكرى تنفع ، وحرص على أجر من يشفع ، وإسعاف لمن سأل ما يُعلي من قدركم ويرفع ، وثأدية لحق سلفكم الذي توفّرت حقوقه ، وإبلاغ نصيحة دينية إلى مجدكم الذي لا يمنعه عن المجد مانع ولا يعوقه ، ومطلبه في جنب ملككم الكبير حقير ، وهو إلى ما يفتح الله تعالى به على يد صدقتكم فقير ، ومنهلكم الأروى ، وباعكم في الخير أطول وساعدكم أقوى ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللهُ ﴾ (البقرة : ١٩٧) ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (البقرة : ١٩٧) والله عزّ وجلّ ، يسلك بكم المسالك التي تمّلك بالجميل ذكركم ، وتعظم عند الله أجركم ، فما عند الله خير للأبرار ، والدنيا دار الغرور والآخرة دار القرار ، وهو سبحانه يصيل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، انتهى .

والسلطان المخاطب بهذا هو أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المربني ، وكان ابن مرزوق غالباً على دولة السلطان أبي سالم أخي أبي فارس المذكور ، فقتله الوزير عمر بن عبد الله الفودودي ، وتغلب على الملك ، ونصب أخاً لأبي سالم معتوهاً ، وسجن ابن مرزوق ، ورام قتله ، فخلّصه الله تعالى منه ، ثم إن السلطان أبا فارس ثار على الوزير المتغلب وقتله ، واستقل بالملك ، فخطب في شأن ابن مرزوق بما ذكر .

رجع إلى ما كنّا فيه من ذكر الراحلين من أعلام الأندلسيين إلى البلاد
المشرقية المحروسة بالله سبحانه وتعالى ، فنقول :

٧٢ - ومنهم أبو الوليد وأبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر ،
الأزدي ، القرطبي ، المعروف بابن الفَرَضِي ، الحافظ المشهور^١ ، كان فقيهاً
عالماً^٢ عارفاً بعلم الحديث ورجاله ، بارعاً في الأدب وغيره ، وله من التصانيف
« تاريخ علماء الأندلس » ، وقفت عليه بالمغرب ، وهو بديع في بابه وهو الذي
ذيل عليه ابن بَشْكُوَال بكتاب « الصلة » ، وله كتاب حسن في « المؤلفات
والمختلف » وفي « مشته النسبة » ، وكتاب في « أخبار شعراء الأندلس » ، وغير
ذلك ، ورحل من الأندلس إلى المشرق سنة ٣٨٢ ، فحجّ وسمع من العلماء
وأخذ منهم وكتب من أماليهم ، وروى عن شيوخ عدّة من أهل المشرق .
ومن شعره :

أسيرُ الخطايا عندَ بابك واقفُ على وجلٍ ممّا به أنتَ عارفُ
يخافُ ذنوباً لم يغيبْ عنك غيبها ويرجوك فيها فهو راجٍ وخائفُ
ومن ذا الذي يُرجى سواك ويتقى وما لك في فصلِ القضاء مُخالفُ
فيا سيّدي لا تُخزني في صحيفتي إذا نُشرتْ يومَ الحسابِ الصّحائفُ
وكنْ مؤنسي في ظلمة القبر عندما يصدُّ ذوو القربى ويحفو المؤلفُ
لئن ضاق عني عَفْوُكَ الواسع الذي أرجي لإسرافي فلإني لتأليفُ

وكان - رحمه الله تعالى - حسنَ الشعر والبلاغة . ومن شعره أيضاً ،

١ انظر ترجمة الحافظ ابن الفرضي في الجذوة : ٢٣٧ (وبنية الملتبس رقم : ٨٨٨) والصلة :
٢٤٦ والمطبخ : ٥٧ والذخيرة ٢/١ : ١٣٠ والمغرب ١ : ١٠٣ والمغرب : ١٣٢ ووفيات
الأعيان ٢ : ٢٩٠ وتذكرة الحفاظ : ١٠٧٦ والديباج المذهب : ١٤٣ وشذرات الذهب ٣ :
١٦٨ .

٢ هذا النص حتى بداية النقل عن « المطبخ » متابع لما أورده ابن خلكان مع شيء من التصرف .

رحمه الله تعالى :

إن الذي أَصْبَحْتُ طَوَّعَ يمينه إن لم يكن قمرًا فليس بدونه
ذُلِّي له في الحبِّ من سلطانه وسَقَامُ جسمي من سقامِ جفونه

وله شعر كثير . ومولده في ذي القعدة ليلة الثلاثاء لتسع بقين منه سنة ٣٥١ ، وتولى القضاء بمدينة بَلَنَسْنية في دولة محمد المهدي المرواني ، وقتله البربر يوم فتح قرطبة يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ٤٠٣ ، وبقي في داره ثلاثة أيام ، ودفن متغيراً من غير غسل ولا كفن ولا صلاة ، رحمه الله تعالى . وروي عنه أنه قال : تعلقت بأستار الكعبة ، وسألت الله تعالى الشهادة ، ثم انخرفت وفكرت في هَوُلَ القتل ، فندمت وهممت أن أرجع فأستقيل الله سبحانه وتعالى فاستحييت . وأخبر من رآه بين القتل ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف : « لا يُكَلِّمُ أحد في سبيل الله ، والله أعلم بمن يُكَلِّمُ في سبيله ، إلاَّ جاء يوم القيامة وجرحه يَتَشَعَّبُ دماً اللونُ لونُ الدم والريح ريح المسك » كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك ، قال : ثم قَضَى على أثر ذلك . وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه .

وقد ساق في المطمح حكايته فقال : كان حافظاً عالماً كلفاً بالرواية ، رحل في طلبها ، وتبحر في المعارف بسببها ، مع حظ من الأدب كثير ، واختصاص بنظير منه ونثير ، حجَّ وبرع ، في الزهادة والورع ، فتعلَّق بأستار الكعبة يسأل الله الشهادة ثم فكَّر في القتل ومرارته ، والسيِّف وحرارته ، فأراد أن يرجع ويستقيل الله تعالى فاستحيا ، وآثر نعيم الآخرة على شقاء الدنيا ، فأصيب في تلك الفتن مكلوماً ، وقُتِلَ مظلوماً ، ثم ذكر مثل ما مرَّ . وممَّا قال في طريقه ، يتشوق إلى فَرِيْقِهِ ١ :

١ الشعر في المطمح والخذوة والمنرب .

مَضَتْ لي شهورٌ منذُ غبتم ثلاثةٌ وما خِلْتُني أبقي إذا غبتم شهرًا
وما لي حياةٌ بعدكم أَسْتَلِدُّها ولم يُسَلِّني طولُ التناهي عَليكمُ
وَيُمَثِّلكم لي طولُ شوقي إليكمُ سَأَسْتَعْبُ الدهرَ المَفرِّقَ بَيننا
أَعْلَلُ نَفسِي بِالمُنَى في لِقائكمُ وَيُؤْنِسُنِي طيُّ المَراحِلِ عَينكمُ
وَتالله ما فارقتكم عن قِلَى لَكمُ وتالله من الرَحمَن عَينٌ بِصِيرةٍ
وما خِلْتُني أبقي إذا غبتم شهرًا ولو كان هذا لم أكن في الهوى حُرًّا
بلى زادني وجدًّا وجدَّد لي ذكري ويدنِكم حتى أُنَاجِكمُ سرًّا
وهل نَافعي أن صرتُ أَسْتَعْبُ الدَهرَ وأَسْتَسْهَلُ البَرَّ الَّذي جُبْتُ والبحرا
أروحُ على أرضٍ وأغدو على أخرى ولكنها الأقدارُ تُجْري كما تُجْري
ولا كَشَفْتُ أَيْدِي النَوَى عَينكمُ سَترا

وقد عرّف به ابن حيان في المقتبس ، وذكر قصّة شهادته ، رحمه الله تعالى .

٧٣ — ومنهم الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ، البكري ، الشريشي ، المالكي^١ ، ولد بشريش سنة ٦٠١ ، ورحل إلى العراق ، فسمع به المشايخ كالقطيعي وابن رَوَزْبَةِ^٢ وابن الكثير وغيرهم ، واشتغل وساد أهل زمانه ، واشتهر بين أقرانه ، ثم عاد إلى مصر فدرس بالفاضلية ، ثم انتقل إلى القدس الشريف ، فأقام به شيخ الحرم ، ثم جاء إلى دمشق المحروسة بالله ، وتولى مشيخة الحديث بتربة أم صالح ومشيخة الرباط الناصري ومشيخة المالكية ، وعُرض عليه القضاء فلم يقبل ، وكانت وفاته يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب ، بالرباط الناصري ، ودفن بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى ، وذلك سنة خمس وثمانين وستمائة .

وليس هو بشارح المقامات^٣ ، بل هو غيره ، وقد اشتركا في البلد ، فيسبب

١ ترجمة الشريشي في شذرات الذهب ٥ : ٣٩٢ .

٢ ق ط ج : وابن زروبة .

٣ قد نسب إليه في الشذرات أنه شرح المقامات ، وهو وهم كالذي نبه عليه المقرئ .

ذلك ربّما يقع في الأذهان الوهم في أمرهما ، وشارح المقامات أحمد وهذا محمد ، وقد ترجمنا صاحب شرح المقامات فيما تقدم من هذا الباب ^١ ، فليراجع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

٧٤ - ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن المغلس ، القيسسي ، الأندلسي ، البلسنسي ^٢ : كان من أهل العلم باللغة والعربية ، مشاراً إليه فيهما ، رحل من الأندلس ، وسكن بمصر واستوطنها ، وقرأ الأدب على أبي العلاء صاعد اللغوي صاحب كتاب « الفصوص » ، وعلى أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن خُرّزاذ بن النّجيريّمي ^٣ . ودخل بغداد ، واستفاد وأفاد ، وله شعر حسن ، فمن ذلك قوله :

مريضُ الجُفُونِ بلا علةٍ ولكنّ قلبي به مُمرّضُ
أعان السُّهادَ على مقتلتي بفيضِ الدموعِ فما تغمضُ
وما زارَ شوقاً ولكنّ أتى يُعرّضُ لي أنّه مُعرّضُ

وله أشعار كثيرة . وتوفي يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الأولى سنة ٤٢٧ هـ ، وقيل : سنة ٤٢٩ هـ ، بمصر ، وكان استوطنها ، وصلى عليه الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي صاحب التفسير في مصلى الصّديقي ، ودفن عند أبي إسحاق ، رحمه الله تعالى .

ومُغلّس : بضم الميم ، وفتح الغين ، وتشديد اللام المكسورة ، وبعدها سين مهملة . وكانت بينه وبين أبي الطاهر إسماعيل بن خلف ^٤ صاحب كتاب

١ انظر الترجمة رقم : ٦٤ فيما سبق .

٢ ترجمة ابن المغلس في وفيات الأعيان ٢ : ٣٦٠ وعنه ينقل المقرئ أكثر الترجمة . والجلوة : ٢٦٩ (وبغية الملتبس رقم : ١٠٨٨) والصلة : ٣٥١ .

٣ ق ط ج : يوسف بن خرقان ، والتصويب عن ابن خلكان .

٤ هو إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران المالكي المقرئ الأندلسي ، أبو طاهر ، استوطن مصر . وحدث بها (الصلة : ١٠٥ - ١٠٦) .

« العنوان » معارضات في قصائده . ومن شعر ابن المغلس أيضاً قوله في حمام :

ومنزلة أقوام إذا ما اغتدوا به تشابه فيه وغدّه ورئيسه
يُخالط فيه المرء غير خليطه ويُضحى عدو المرء وهو جليسه^١
يفرج كربى إن تزايد كربه ويؤنس قلبى أن يُعدّ أنيسه
إذا ما أعرت الخوض ماء^٢ تكاثرت على مائه أقماره وشموسه

٧٥ — ومنهم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الحكيم الأديب المعروف بالمغربي^٣ ، وهو من أهل المديّة ، وانتقل إلى المشرق ، وكان كامل الفضيلة ، وجمع بين الأدب والحكمة ، وله ديوان شعر جيّد ، والخلاعة والمجون غالبية عليه ، وذكر العماد في « الخريدة » أنّه كان طبيب المارستان المستصحب في معسكر السلطان السلجوقي حيث خيّم ، وكان السديد يحى ابن سعيد المعروف بابن المرخّم الذي صار أقضى القضاة ببغداد في أيام المقتفي فاصداً وطبيباً في هذا المارستان . وأثنى العماد على أبي الحكم المذكور ، وذكر فضله وما كان عليه ، وأن له كتاباً سمّاه « نهج الوضاعة ، لأولي الخلاعة » ، ثم إن أبا الحكم انتقل إلى الشام ، وسكن دمشق ، وله فيها أخبار ومجاريات^٤ طريقة تدل على خفّة روحه .

قال ابن خلكان : رأيت في ديوانه أنّ أبا الحسين أحمد بن منير الطرابلسي كان عند الأمراء بني مُنقذ بقلعة شَيْزَر ، وكانوا مقبلين عليه ، وكان بدمشق شاعر يقال له أبو الوحش^٥ ، وكانت فيه دُعابة ، وبينه وبين أبي الحكم المذكور

١ ق : وهو فيه جليسه .

٢ ق ج ط : أعرت الجو طرفاً .

٣ ترجمة أبي الحكم المغربي في وفيات الأعيان ٢ : ٣٠٧ (وعنه ينقل المقرئ) وابن أبي أصيبعة

٢ : ١٤٤ - ١٥٥ .

٤ أقرأ أيضاً : ومجاريات .

٥ هو سبع بن خلف الفقعي وكانوا يصغرون كنيته فيقولون « وحيش » وقد مرت الإشارة إليه وإلى مصادر ترجمته ، انظر ١ : ٦١ .

مداعبات ، فسأل منه كتاباً إلى ابن منير بالوصية عليه ، فكتب أبو الحكم :

أبا الحسينِ اسْتَمِيعْ مقالَ فتى
هذا أبو الوحشِ جاء ممتدحاً
واتلُ عليهم بحسنِ شرحك ما
وخبِرَ القومُ أَنَّهُ رَجُلٌ
تَنُوبُ عَنْ وصفِهِ شمائله
لا يَبْتَغِي عاقلٌ به بَدَلاً
عُوجِلَ فيما يقولُ فارْتَجِلاً
للقومِ فاهناً به إذا وَصَّلاً
أَنقلُهُ من حديثِهِ جُمَلاً
ما أبصرَ الناسُ مثلهُ رَجُلاً
ومنها :

وهو على خِفَّةٍ بهِ أبداً
يَمُتُّ بالثُلُبِ والرقاعةِ والـ
إنْ أَنْتَ فَاتَحْتَهُ لَتَخْبِرَ ما
فَنُبِّهْهُ إنْ حلَّ خِطَّةَ الخسفِ والـ
وَأَسْقِهِ السمَّ إنْ ظفرتِ بِهِ
مَعْرِفٌ أَنَّهُ من الثُّقَلَا
سُخْفٍ ، وأما بغيرِ ذاكِ فَنَلَا
يَصْدُرُ عنه فتحتِ منه خِلا
هونٍ ورَحَبٌ به إذا رَحَلَا
وامزجَ لَهُ من لسانِكَ العَسَلَا

وله أشياء مستملحة ، منها مقصورة هزلية ، ضاهى بها مقصورة ابن دريد ،
من جملتها :

وكلُّ مَلُومٍ فَلَا بدَّ لَهُ من فُرْقَةٍ لو أُلْزِمَهُ بِالْغِيَرَا

وله مرثية في عماد الدين زنكي بن آق سنقر الأتابكي ، شاب فيها الجدة
بالهزل ، والغالبُ على شعره الانطباع . وتوفي ليلة الأربعاء رابع ذي القعدة
سنة ٥٤٩ ، وقيل : في السنة التي قبلها ، بدمشق ، رحمه الله تعالى .
والقاضي ابن المرخَّم المذكور هو الذي يقول فيه أبو القاسم هبة الله ابن
الفضل الشاعر المعروف بابن القطان ^١ :

١ ابن القطان من شعراء الحريرة ، كان شاعراً رقيقاً مجوداً غلب عليه الهجاء (توفي ٥٥٨) انظر
ابن خلكان ٥ : ١٠٤ .

يا ابن المرخّم صرتَ فينا قاضياً خرفَ الزمانُ نُراهُ أمْ جُنَّ الفسَلَكُ
إنْ كُنْتَ تحكُمُ بالنجومِ فربّما أمّا بشرعِ محمدٍ مِن أينَ لك ؟

وكان أبو الحكم المذكور فاضلاً في العلوم الحكيمة ، مثقناً للصناعة الطبية ،
حسن النادرة ، كثير المداعبة ، محباً للهو والخلاعة والشراب ، وكان يعرف
صناعة الموسيقى ويلعب بالعود ، ويجلس في دكان يجيرون للطب ، وسكناه
باللبادين ، وأتى في ديوانه « نهج الوضاعة » بكل غريب ، يدل على أنه أريب ،
سامحه الله تعالى وغفر له .

٧٦ - ومن الراحلين من الأندلس إلى المشرق ، من هو الأحق بالتقديم
والسبق ، الشهير عند أهل الغرب والشرق ، الحافظ المقرئ الإمام الرباني ،
أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر ، الأموي^١ ،
مولاهم ، القرطبي ، صاحب التصانيف التي منها « المقنع » و « التيسير » ، وعرف
بالداني لسكناه دانية ، وولد سنة ٣٧١ ، وابتدأ بطلب العلم سنة ٣٨٧ ورحل
إلى المشرق سنة ٣٩٧ ، فمكث بالقيروان أربعة أشهر ، ودخل مصر في شوالها ،
فمكث بها سنة ، وحج ، ورجع إلى الأندلس في ذي القعدة سنة ٣٩٩ ، وقرأ
بالروايات على عبد العزيز بن جعفر الفارسي وغيره بقرطبة ، وعلى أبي الحسن
ابن غلبون وخلف بن خاقان المصري وأبي الفتح فارس بن أحمد ، وسمع
من أبي مسلم الكاتب ، وهو أكبر شيخ له ، ومن عبد الرحمن بن عثمان
القشيري ، وحاتم بن عبد الله البزار^٢ ، وغير واحد من أهل مصر وسواها ،
وسمع من الإمام أبي الحسن القاسبي ، وخلف كتبه بالحجاز ومصر والمغرب
والأندلس ، وتلا عليه خلق^٣ منهم مفرج الأقفالي وأبو داود ابن نجاح^٣ صاحب

١ ترجمة أبي عمرو الداني في الصلة : ٣٨٥ وغاية النهاية ١ : ٥٠٣ والدياج المذهب : ١٨٨ ومجمع

الأدباء ١٢ : ١٢٥ والجذوة : ٢٨٦ وبقية الملتبس رقم : ١١٨٥ .

٢ ط : البزار .

٣ ق : حجاج .

«التنزيل» في الرسم ، وهو من أشهر تلامذته ، وحدث عنه خلق كثير ، منهم خلف بن إبراهيم الطليطلي .

قال أبو محمد عبيد الله الحَجَرِي : ذكر بعض الشيوخ أنه لم يكن في عصر الحافظ أبي عمرو الداني ولا بعد عصره أحد يضاهيه في حفظه وتحقيقه . وكان يقول : ما رأيت شيئاً قط إلا كتبه ، ولا كتبه إلا حفظه ، ولا حفظه فنسيته .

قال ابن بَشْكُوَال : كان أبو عمرو أحد الأئمة في علم القرآن وروايته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه ، وجمع في ذلك كله تواليف حسناً ، وله معرفة بالحديث وطرقه وإعرابه^١ وأسماء رجاله ، وكان حسن الخط والضبط ، من أهل الحفظ والذكاء واليقين ، وكان ديناً فاضلاً ورعاً سنياً . وقال بعضهم ، وأظنّه المتغامي^٢ : كان أبو عمرو مُجَاب الدعوة ، مالكي المذهب .

وقال بعض أهل مكة : إن أبا عمرو الداني مقرئ متقدم ، وإليه المنتهى في علم القراءات وإتقان القرآن ، والقراء خاضعون لتصانيفه ، واثقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك ، وله مائة وعشرون مصنفاً ، وروى عنه بالإجازة رجلاً : أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني ، وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبي حمزة ، وكانت وفاته رحمه الله تعالى بدانية في نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة .

٧٧ — ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن أحمد بن أبي حبيب ، الأندلسي^٣ ، من بيت علم ووزارة ، صرّف عمره في طلب العلم .

١ وإعرابه : سقطت من ج ط ق .

٢ انظر غاية النهاية ١ : ٥٠٤ ، والمغامي هو محمد بن عتيق بن فرج المقرئ الطليطلي لقي أبا عمرو الداني وعليه اعتمد .

٣ ترجمة ابن حبيب في التكملة : ٨٣٤ وهو شلبي الأصل ؛ وقد ذكر أنه توفي في جمادى الآخرة .

وكان غزير العلم في الفقه والحديث والأدب وولي القضاء بالأندلس مدة^١ ،
ثم دخل الإسكندرية ومصر ، وجاور بمكة المشرقة^٢ ، ثم قدم العراق وأقام
ببغداد مدة^٣ ، ثم وافى خراسان فأقام بنيسابور وبلخ ، وكانت ولادته ببلاد
الأندلس ، وتوفي بهراة في شعبان سنة ٥٤٨ هـ ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

٧٨ - ومنهم أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن علي بن شكر الأنديسي
المقرئ^٤ ، رحل وأخذ القراءات عن أبي الفضل جعفر الهمداني ، وسمع من
أبي القاسم ابن عيسى ، وسكن الفيوم ، واختصر « التيسير » وصنف شرحاً
للشاطبية ، وتوفي سنة ٦٤٠ هـ ، رحمه الله تعالى .

٧٩ - ومنهم العلامة ذو الفنون علم الدين القاسم بن أحمد المريني ،
اللورقي ، المقرئ ، النحوي^٥ ، ولد سنة ٦٥٧ هـ ، وقرأ القراءات وأحكم
العربية وبرع فيها ، واجتمع بالجزولي ، وسأله عن مسألة في مقدمته ، وقرأ علم
الكلام والأصولين^٦ والفلسفة ، وكان خبيراً بهذه العلوم ، مقصوداً بإقراءها ، وولي
مشيخة قراءة العادلية ، ودرس بالعزيرية نيابة ، وصنف شرحاً للشاطبية ،
وشرحاً للمفصل في عدة مجلدات ، وشرح الجزوليّة ، وغير ذلك ، وكان مليح
الشكل ، حسن البزّة ، وتوفي سنة ٦٦١ هـ ، رحمه الله تعالى ، ورضي عنه .

٨٠ - ومنهم أبو عبد الله ابن أبي الربيع ، القيسي ، الأنديسي ، الغرناطي ،

١ - سنة ٥٥١ هـ ؛ وراجع أخبار وتراجم أندلسية : ٥٧ - ٥٨ حيث عرف به السلفي .

٢ - تولى القضاء تسعة أعوام ثم امتحن بالأمراء لإقامته الحق وإظهاره العدل .

٣ - كان ذهابه إلى مكة عام ٥٢٧ هـ .

٤ - ترجمته في غاية النهاية ١ : ٨٧ .

٥ - غاية النهاية : في حدود الأربعين وستمائة .

٦ - هذه الترجمة مكررة ، راجع في ما تقدم الترجمة رقم : ١٦ .

٧ - في إحدى النسخ : ٥٨٥ .

٨ - ق ودوزي : والأصوليين ؛ ج : والأصول .

قدم مصر سنة ٥١٥ أو بعدها ، فسمع على السلفي ، وبقرائه على جماعة من
شيوخ مصر ، وكان لديه فقهٌ وأدبٌ ، ثم سافر إلى باب الأبواب ، وكان حياً
سنة ٥٥٦ .

ومن نظمه يمدح كتاب « الشهاب » :

إن الشهابَ له فَضْلٌ على الكتبِ بما حوَّى من كلام المصطفى العربي
كم ضمَّ من حكمةٍ غرّاً وموعظةٍ ومن وعيدٍ ومن وعدٍ ومن أدبٍ
أما القضاءيُّ فالرحمنُ يرحمُهُ كما حباه من التأليفِ بالعجب

٨١ - ومنهم الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجى ، القرشي ،
العبدي^١ ، من أهل مَيُورُقة من بلاد الأندلس ، سكن بغداد ، وسمع بها
من أبي الفضل ابن خيرون وطَرَّاد الزينبي وأبي عبد الله الحميدي وجماعة ،
ولم يزل يسمع إلى حين وفاته ، وكتب بخطه كثيراً من الكتب والأجزاء ،
وجمع وخرَّج ، وكان صحيح العقل ، معتمد الضبط ، مرجوعاً إليه في الإنقار ،
وكفاه فخراً وشرفاً أن روى عنه الحافظان أبو طاهر السلفي وأبو الفضل محمد
ابن ناصر ، وكان فهامة علامة ذا معرفة بالحديث ، متعففاً مع فقره ، وكان
يذهب إلى أن المناولة والعرض كالسماع .

وقال السلفي فيه : إنَّه من أعيان علماء الإسلام بمدينة السلام ، متصرف في
فنون من العلم أدباً ونحواً ومعرفةً بأنساب العرب والمحدثين ، وكان داودي المذهب
قرشي النسب ، وقد كتب غني وكتبت عنه وسمعنا معاً كثيراً على شيوخ بغداد ،
ومولده بقرطبة من مدن الأندلس . وقبل اجتماعي به كنت أسمع إسماعيل
ابن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يثني عليه ، فلمَّا اجتمعنا وجدته فوق ما
وصفه ، انتهى .

١ ترجمة ابن سعدون في معجم البلدان : « ميورقة » نقلاً عن ابن عساكر . وفي الصلة : ٥٣٤ .

وقال ابن عساكر : كان أحفظ شيخ لقيته ؛ وربما حكى عنه بعضهم
كابن عساكر أموراً منكراً ، فإله أعلم . وتوفي في ربيع الآخر سنة ٥٢٤
ببغداد ، رحمه الله تعالى .

٨٢ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعدون ، الباجي^١ ، سمع بمصر من
ابن الورد وابن السكن وابن رشيق ، وبمكة من الآجري ، وكان صالحاً فاضلاً
زاهداً ورعاً ، حدث ، ومات ببطلينوس فجأة سنة ٣٩٢ ، ومولده سنة ٣٢٢ .

٨٣ - ومنهم أبو بكر محمد بن سعدون ، التميمي ، الجزي ، المتعبد ،
كانت آدابه كثيرة ، وحجّ غير مرة ، ورابط ببلاد المغرب ، وكان حسن
الصوت بالقرآن ، سمع بمصر من جماعة وبمكة ، وصحب الفقراء وطاف
بالشام ، وغزاً غزوات وتعرض للجهاد وحرّض عليه ، وساح بجبل المقطم ،
وذكر أنّه صلّى بمصر الضحى اثنتي عشرة ركعة ، ثم نام فرأى النبي صلّى الله
عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ، إن مالكاً والليث اختلفا في الضحى ،
فمالك يقول : اثنتا عشرة ركعة ، والليث يقول : ثمان ، فضرب عليه الصلاة
والسلام بين وركي ابن سعدون وقال : رأي مالك هو الصواب ، ثلاث
مرّات ، قال : وكان في وركي وجع ، فمن تلك الليلة زال عني . وكان له
براهين من نور يضيء عليه إذا صلّى ونحوه ، وأنشد :

سَجَنُ اللسانِ هو السلامةُ للفتى مِنْ كلِّ نازلةٍ لها استئصالُ
إنَّ اللسانَ إذا حللتَ عِقاله أَلْقَاكَ في شَنَعاءٍ ليس تُقالُ

توفي سنة ٣٤٤ .

١ كان يسكن حصن مورة من عمل باجة ، ويعرف بابن الزنوني ، وكان رجلاً صالحاً زاهداً ورعاً
ضعيف الكتاب غير ضابط (ابن الفرسي ٢ : ١٠٧) .

٨٤ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعد الأعرج ، الطَّلَيْطَلِي الخطيب^١ ،
وقال فيه ابن سعيد : سمع بمصر ابن الورد وابن السكن ، وحدث ، مولده سنة
٣٠٩ ، وتوفي في ربيع الآخر سنة ٣٨٤ .

٨٥ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن إسحاق بن يوسف^١ ، الأموي ،
القرطبي^٢ ، وأصله من لبلة ، ولكن سكن قرطبة ، وقدم مصر ، وحج ،
وسمع في طريقه من الشيخ أبي محمد ابن أبي زيد صاحب الرسالة ، وأخذ عن
القاسبي وعن جماعة من علماء مصر والحنابلة ، ومولده سنة ٣٥٢ ، ورحلته
سنة ٤١٨ .

٨٦ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حسان بن الحكم بن هشام ،
القرطبي^٣ ، سمع من أبيه ويحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب ، ورحل ، فسمع
من أشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم ، وعاد إلى
الأندلس وبها توفي سنة ٢٦٠ ، رحمه الله تعالى .

٨٧ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن سليمان ، المعافري ، الشاطبي^٤ ،
نزىل الإسكندرية ويعرف بابن أبي الربيع ، أحد أولياء الله تعالى ، شيخ الصالحين ،
صاحب الكرامات المشهورة ، جمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع
إلى الله تعالى والتخلي عن الناس والتمسك بطريقة السلف ، قرأ القرآن ببلده
بالقراءات السبع على أبي عبد الله محمد بن سعادة الشاطبي وغيره ، وقرأ بدمشق
على الواسطي ، وسمع عليه الحديث ، ورحل فسمع من الزاهد أبي يوسف يعقوب

١ ترجمته في ابن الفرضي ٢ : ١٠٠ .

٢ ترجمته في الصلة : ٤٨٦ .

٣ ترجمته في ابن الفرضي ٢ : ٩ والحنوة : ٥٥ (وبغية الملتبس رقم : ١٣٠) .

٤ ترجمته في الذيل والتكملة ٦ . الورقة ٨١ (نسخة باريس) ؛ وهو محمد بن سليمان بن محمد بن
سليمان بن عبد الملك المعافري الحميري الملقب بعلم الدين .

خدام أضياف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ ، وسمع بدمشق على أبي القاسم ابن صَصْرَى^١ وأبي المعالي ابن خضر وأبي الوفاء ابن عبد الحق وغيرهم ، وانقطع لعبادة الله تعالى في رباط سوار من الإسكندرية بتربة أبي العباس الراسي^٢ ، وتَلَمَّذَ للشاطبي تلميذ الراسي ، وصنّف كتاباً حسنة : منها كتاب « المسلك القريب في ترتيب الغريب » وكتاب « اللعنة الجامعة في العلوم النافعة » في تفسير القرآن العزيز ، وكتاب « شرف المراتب والمنازل في معرفة العالي في القراءات والنازل » وكتاب « المباحث السنية في شرح الحصريّة » وكتاب « الحرقّة في لباس الحرقّة » وكتاب « المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد » وكتاب « النبذة الجلية في ألفاظ اصطلاح عليها الصوفية » وكتاب « زهر العريش في تحريم الحشيش » وكتاب « الزهر المضي في مناقب الشاطبي » وكتاب « الأربعين المضية في الأحاديث النبوية » . ومولده بشاطبة سنة ٥٨٥ ، ووفاته بالإسكندرية في رمضان سنة ٦٧٢ ، ودفن بتربة شيخه^٣ المجاورة لزاويته ، رحمهما الله تعالى ، ونفع بهما .

٨٨ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن شُرَيْح الرُّعَيْنِي الإشبيلي^٤ ، قدم مصر وسمع بها من ابن نفيس وأبي علي الحسن البغدادي وأبي جعفر النحوي وأبي القاسم ابن الطيب البغدادي الكاتب ، وبمكة من أبي ذر الهروي . قال ابن بَشْكُوَال : كان من جملة المقرئين وخيارهم ، ثقة في روايته ، وكانت رحلته إلى المشرق سنة ٤٣٣ ، وولد سنة ٣٩٢ ، وتوفي سنة ٤٧٦ ، وعمره أربع وثمانون سنة إلا خمسة وخمسين يوماً ، وروى بإشبيلية عن جماعة ،

.....

١ ق ج : مصري ؛ ط : مصري .

٢ ق ج : الراس .

٣ يعني أبا العباس أحمد بن محمد اللخمي المعروف بالراسي .

٤ انظر الصلة : ٥٢٣ وغاية النهاية ٢ : ١٥٣ .

رحمه الله تعالى .

٨٩ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح الأنصاري ، المالقي . قال السلفي : هو شاب من أهل الأدب له خاطر سمح كان يحضر عندي بالإسكندرية ، كثير السماع للحديث ، وذكر أنه قرأ الأدب على أبي الحسين ابن الطراوة النحوي^١ بالأندلس ، وعلى نظرائه ، وأنشدني لنفسه :

كم ذا تُقَلِّقُنِي النوى وتُسَوِّقُنِي وإلى متى أشجى بها وأسامُ
أَلِفْتُ رَكائِي الفلا فكأتما للبين عهدٌ بيننا وذِمَامُ
يا وَيْحَ قَلْبِي من فراقِ أَحِبَّةٍ أبداً تُصَدِّعُهُ به الأيامُ

٩٠ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني الماعري الأنديسي المالكي^٢ ، رحل إلى المشرق فسمع بالشام نخيثة بن سليمان ، وبمكة أبا سعيد ابن الأعرابي ، وببغداد إسماعيل بن محمد الصفار ، وسمع بالمغرب بكر ابن حماد التاهرتي ومحمد بن وضاح وقاسم بن أصبغ ، وبمصر جماعة من أصحاب يونس والمزني . روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال : اجتمعنا به بهمدان ، مات ببخارى سنة ٣٨٣ ، وقيل : سنة ثمان ، وقيل : سنة تسع وسبعين . وقال فيه أبو سعيد الإدريسي : لأنه كان من أفاضل الناس ، ومن ثقاتهم . وقال غُنجار : لأنه كان فقيهاً حافظاً ، جمع تاريخاً لأهل الأنديس . وقال السمعاني فيه : كان فقيهاً حافظاً ، رحل في طلب العلم إلى المشرق والمغرب ، رحمه الله تعالى .

٩١ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر بن علي بن عيسى الخزرجي

١ هو سليمان بن محمد بن الطراوة المالقي النحوي (ترجمته في تحفة القادِم : ١١ والمغرب ٢ :

٢٠٨ وبنية الوعاة : ٢٦٢ وبنية الملتبس : ٢٩٠) .

٢ ترجمة محمد بن صالح الماعري في ابن الفرضي ٢ : ٩١ والتكملة : ٣٧٢ .

الدَّانِي النُّحُوي^١ ، أخر أبو العباس ابن عيسى ، سمع بدانيّة من أبي داود المقرئ وغيره ، وقدم دمشق سنة ٥٥٤ حين خرج حاجّاً ، وأقرأ بدمشق النحو مدّة ، ثم خرج إلى بغداد ، وأقام بها إلى أن مات سنة ٦١٩ ، وولد سنة ٥١٢ ، وقدم مصر سنة ٥٧٢ ، وله من المصنّفات كتاب « تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب » ومن كلامه : ليست هيئة الشيخ لشبيه ولا لسنّه ولا لشخصه ، ولكن لكمال عقله ، والعقل هو المُهاب ، ولو رأيت شخصاً جمع جميع الخصال وعَدِمَ العقل لما هيّته ، وقال : من جهل شيئاً عابه ، ومن قصّر عن شيء هابه .

٩٢ - ومنهم القاضي الشهير محمد بن بشير ، وهو محمد بن سعيد بن بشير ابن شراحيل ، المعافري^٢ ، وقيل في آبائه غير ذلك كما يأتي ، ولمّا أُشير على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بتقديم ابن بشير إلى خطّة القضاء بقرطبة وَجّه إليه بباجة ، فأقبل ولا يعلم ما دُعي إليه ، ونزل على صديق له من العبّاد^٣ ، فتحدث في شأن استدعائه ، وقدّم أنّه يصرف في الكتابة ، فقال له العابد^٤ : ما أراه بعث فيك إلّا للقضاء ، فإن القاضي بقرطبة مات وهي الآن دون قاضٍ ، فقال ابن بشير : فأنا أستشيرك في ذلك إن وقع ، فقال : أسألك عن أشياء ثلاثة ، وأعزم عليك أن تصدقني فيها ، ثم أُشير بعد ذلك عليك ، فقال : ما هي ؟ فقال : كيف حُبّك للأكل الطيب واللباس اللين وركوب الفاره ؟ فقال : والله لا أبالي ما رددتُ به جوعي وسترْتُ به عورتي وحملتُ به

١ ترجمته في بقية الوعاة : ٤٩ نقلًا عن ابن عساكر وابن التّجار ٤ وفي الرواي ٣ : ١٦٨ .
٢ ترجمته في قضاة قرطبة للحشني : ٤٧ والمرقبة العليا : ٤٧ - ٥٣ والذيل والتكملة ٦ : الورقة ٧٧ (مخطوطة باريس) وفيه تفصيل للخلاف في اسمه ونسبه . والتكملة : ٣٥٥ وأغفله ابن الفرعي فلم يترجم له .

٣ الحشني : فلما صار بسهولة المدور مال إلى صديق له كان بها من العبّاد فنزل عليه .

٤ سقط من ق ما بين لفظي « العبّاد » و « العابد » سهواً .

رحلي ، فقال : هذه واحدة ، فكيف حبّك للتمتّع بالوجوه الحسان والتبطن للكواعب الغيد وما شاكل ذلك من الشهوات ؟ فقال : هذه حال والله ما استشرقت قط إليها ، ولا خطرت ببالي ، ولا اكرثت لفقدها ، فقال : وهذه ثانية ، فكيف حبّك للمدح الناس لك وثنائهم عليك ؟ وكيف حبّك للولاية وكراهيتك للعزل ؟ فقال : والله ما أبالي في الحق من مدّحني وذمّني ، وما أسرّ للولاية ولا أستوحش للعزل ، فقال : وهذه الثالثة ، اقبل الولاية فلا بأس عليك ، فقدم قرطبة ، فولاه الأمير الحكم القضاء والصلاة .

قال ابن وضاح^١ : أخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلا على باب المسجد الجامع يوم الجمعة ، وعليه رداء مُعَصْفَر ، وفي رجله نعل صرّارة ، وله جُمّة مفرقة ، ثم يقوم فيخطب ويصلّي وهو في هذا الزي ، وبه كان يجلس للقضاء بين الناس ، فإن رام أحد من دينه شيئا وجده أبعد من الثريا .

وأما رجل لا يعرفه ، فلما رأى ما هو فيه من زي الحدّاءة من الجمة المفرقة والرداء المعصفر وظهور الكحل والسواك وأثر الخناء في يديه ، توقّف وقال : دلوني على القاضي ، فقيل له : ها هو ، وأشير إليه ، فقال : إنّي رجل غريب ، وأراكم تستهزئون بي ، أنا أسألكم عن القاضي وأنتم تدلونني على زامير ، فصحبّوا له أنّه القاضي ، فتقدم إليه واعتذر ، فأدناه ونحّث معه ، فوجد عنده من العدل والإنصاف فوق ما ظنّه ، فكان يحدث بقصّته معه .

وعوتب في إرسال لثته ولبسه الخز والمعصفر ، فقال : حدّثني مالك بن أنس أن محمد بن المنكدر - وكان سيّد القراء - كانت له لثة ، وأن هشام بن عروة فقيه هذا البلد - يعني المدينة - كان يلبس المعصفر ، وأن القاسم بن محمد كان يلبس الخز .

١ الخشني : ٥٢ .

ولقد سئل يَحْيَى بن يَحْيَى عن لباس العمام فقال : هي لباس الناس في المشرق ، وعليه كان أمرهم في القديم ، فقليل له : لو لبستها لاتبعتك الناس في لباسها ، فقال : قد لبس محمد بن بشير الخنز فما تبعه الناس فيه ، وكان ابنُ بشير أهلاً أن يُقْتَدَى به ، فلعلِّي لو لبست العمامة لتركني الناس ولم يتبعوني كما تركوا ابن بشير .

وكان أول^١ ما نظر فيه محمد بن بشير - حين ولي القضاء - التسجيل على الخليفة الحكم في أرُحي القنطرة إذ قِيمَ عليه فيها وثبت عنده حق المدعي ، وأعذر إلى الحكم فلم يكن عنده مدفع ، فسجّل فيها ، وأشهد على نفسه ، فما مضت مُدَيِّدة حتى ابتاعها الحكم ابتياعاً صحيحاً ، فسُرَّ بذلك ، وقال : رحم الله محمد بن بشير ، فلقد أحسن فيما فعل بنا على كره متنا ، كان في أيدينا شيء مشتبّه فصححه لنا ، وصار حلالاً طيب الملك^٢ في أعقابنا ، وحكم على ابن فُطَيْس الوزير ، ولم يُعرّفه بالشهود ، فرفع الوزير ذلك إلى الحكم ، وتظلم من ابن بشير ، فأوماً الحكم إليه أن الوزير ذكر حُكْمَكَ عليه بشهادة قوم لم تعرّفه بهم ، ولا أعذرت إليه فيهم ، وإن أهل العلم يقولون : إن ذلك له ، فكتب إليه ابن بشير : ليس ابن فُطَيْس ممن يُعرّف بمن شهد عليه ، لأنّه إن لم يجد سبيلاً إلى تجرييحهم لم يتخرج عن طلب أذاهم في أنفسهم وأموالهم ، فيدعون الشهادة هم ومن ائتمس بهم ، وتضيع أموال الناس .

وأكثر موسى بن سماعة أحد خواص الأمير الحكم في ابن بشير الشكاية ، وأنّه يجور عليه ، فقال له الحكم : أنا أمتحن قولك الساعة ، فاخرج إليه فوراً ، واستأذن عليه ، فإن أذن لك عزلته ، وصدقت قولك فيه ، وإن لم يأذن لك دون خصمك ازددتُ بصيرة فيه ، فليس هو عندي بجائر^٣ على حال ، وإنما

١ الخشني : ٤٩ .

٢ في ق ودوزي : المسلك ، وفي الخشني : « وطاب لنا ملكه » .

٣ ق ودوزي : بجائر .

مقصده الحق في كل ما يتصرف فيه ، فخرج يؤم دار ابن بشير ، وقد أمر الحكم مَنْ يثق به من الفتيان الصَّقالبة أن يَتَقَفُوا أثره ويعلموا ما يكون منه ، فلم يكن إلا رَيْثُما بلغ ، ثمَّ انصرف فحكى للحكم أنَّه لما خرج الآذن إلى موسى وعلم القاضي بمكانه عاد إليه فقال له : إن كانت لك حاجة فاقصد فيها إذا جلس القاضي مجلس القضاء ، فتبسَّم الحكم ، وقال : قد أعلمته أن ابن بشير صاحبُ حقٍّ لا هوادة فيه عنده لأحد .

وولي القضاء مرتين ، فلمَّا عُرِّلَ المرَّة الأولى انصرف إلى بلده ، وكان بعض إخوانه يعاتبه في صلابته ، ويقول له : أخشى عليك العزْل ، فيقول له : ليته قُدْرٌ ، إن الشقراء—يعني بغلته—تقطع الطريق بي حانة نحو باجة . فما مضى إلا يسير حتى عتب عليه الأمير في قصَّة اشتدَّ فيها على بعض خاصَّته ، فكانت سبباً لعزله ، وانصرف كما تمنى ، فلم يمكث إلا يسيراً حتى أتى فيه رَقَاص من قبل الأمير الحكم ، — والرقاص عند المغاربة : هو الساعي عند المشاركة — فعاد إلى قُرْطُبة ، وجبَّره على القعود للقضاء الأمير الحكم ، فلاذ منه باليمين بطلاق زوجته وبصدقة ما يملك في سبيل الله تعالى ، إن حَكَمَ بين اثنين ، فلم يَعُدْره ، وأخرجه من ماله ، وعَوَّضه من طيب ما عنده ، ووهب له جارية من جواريه ، فعاد إلى القضاء ثانية .

وممَّا يحكى عنه في العدل أن سعيد الخير ابن السلطان عبد الرحمن الداخل وكلَّ عند ابن بشير وكيلاً يخاصم عنه لشيء اضطر إليه ، وكانت بيده فيه وثيقة فيها شهادات شهود قد ماتوا ، ولم يكن فيها من الأحياء إلا الأمير الحكم وشاهد آخر مبرز ، فشهد لسعيد الخير ذلك الشاهد ، وضُرِبَتْ على وكيله الآجالُ في شاهد ثانٍ ، وجَدَّ به الخصام ، فدخل سعيد الخير بالكتاب إلى الحكم وأراه^١ . شهادته في الوثيقة ، وقد كان كتبها قبل الخلافة في حياة أبيه ، وعرفه مكان

١ قد طج ودوزي : وأراد .

حاجته إلى أدائها عند قاضيه خوفاً من بطلان حقه ، وكان الحكم يعظم سعيد الخير عمّه ، ويلتزم مبرته ، فقال له : يا عمّ ، إنّنا لسنا من أهل الشهادات ، وقد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله ، ونخشى أن توقفنا مع القاضي موقف مَخْزَاة كنّا نفديه بملكنا ، فصيرُ في خصامك حيث صيرك الحق إليه ، وعلينا خَلَفُ ما انتقصك ، فأبى عليه ، وقال : سبحان الله ، وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك ؟ وأنت ولّيته ، وهو حسنة من حسناتك ، وقد لزمك في الديانة أن تشهد لي بما علمته ، ولا تكتمني ما أخذ الله عليك ؛ فقال : بلى ، إن ذلك لمن حقك كما تقول ، ولكنك تدخل علينا به داخله ، فإن أعفيتنا منه فهو أحبُّ إلينا ، وإن اضطررتنا لم يمكننا عقوبك ، فعزم عليه عزمٌ من لم يشك أن قد ظفر بحاجته ، وضايقته الآجال ، فألح عليه ، فأرسل الحكم عند ذلك إلى فقيهين من فقهاء زمانه ، وخط شهادته بيده في قرطاس ، وختم بخاتمه^١ ، ودفعها إلى الفقيهين وقال لهما : هذه شهادتي بخطّي تحت ختمي ، فأدّياها إلى القاضي ، فأتياه بها إلى مجلسه وقت قعوده للسّماع من الشهود ، فأدّياها إليه ، فقال لهما : قد سمعت منكما فقوما راشدين في حفظ الله تعالى ، وجاء وكيل سعيد الخير ، وتقدّم إليه مُدلياً واثقاً ، وقال له : أيّها القاضي ، قد شهد عندك الأمير — أصلحه الله تعالى — فما تقول ؟ فأخذ كتاب الشهادة ونظر فيه ، ثم قال للوكيل : هذه شهادة لا تعمل عندي ، فجثني بشاهد عدل ، فدُهِش الوكيل ، ومضى إلى سعيد الخير فأعلمه ، فركب من فوره إلى الحكم ، وقال : ذهب سلطاننا ، وأزيل بهاؤنا ، يجترىء هذا القاضي على ردّ شهادتك ، والله سبحانه قد استخلفك على عباده ، وجعل الأمر في دمائهم وأموالهم إليك ؟ هذا ما لا يجب أن تُحمّل عليه ، وجعل يُغْريه بالقاضي ويحرّضه على الإيقاع به ، فقال له الحكم : وهل شككت أنا في هذا يا عمّ ؟ القاضي رجلٌ صالح والله ،

١ إلى فقيهين . . . بخاتمه : سقط هذا من ق .

لا تأخذه في الله لومة لائم ، فعل ما يجب عليه ويلزمه ، وسدّ دونه باباً كان يصعب عليه الدخول منه ، فأحسن الله تعالى جزاءه ؛ فغضب سعيد الخير ، وقال : هذا حسبي منك ، فقال له : نعم ، قد قضيتُ الذي كان لك علي ، ولست والله أعارض القاضي فيما احتاط به لنفسه ، ولا أخون المسلمين في قبض يد مثله . ولما عوتب ابن بشير فيما أتاها من ذلك قال لمن عاتبه : يا عاجز ، أما تعلم أنه لا بد من الإعذار في الشهادات ، فمن كان يجترئ على الدفع في شهادة الأمير لو قبلتها ؟ ولو لم أعذر لبخستُ المشهود عليه حقّه .

وتوفي القاضي محمد بن بشير سنة ١٩٨ قبل الشافعيّ بست سنين كما يأتي قريباً ، ومحاسنه - رحمه الله تعالى - كثيرة ، وقد استوفى ترجمته بقدر الإمكان القاضي عياض في المدارك ، فليراجعها من أرادها ، فإن عهدي بها في المغرب ^١ . وقال بعض من عرف به ، ما نصّه ^٢ : القاضي محمد بن بشير بن محمد المعافري ، أصله من جند باجة من عرب مصر ، ولده الحكم بن هشام قضاء القضاة الذي يعبرون عنه بالمغرب بقضاء الجماعة ، بقرطبة ، بعد المصعب بن عمران ، ثم صرفه وولى مكانه القرج بن كنانة . وعن ابن حارث ، قال أحمد ابن خالد : طلبتُ محمد بن بشير العلم بقرطبة عند شيوخ أهلها حتى أخذ منه بحظ وافر ، ثم كتب لأحد أولاد عبد الملك بن عمر المرواني ^٣ لمظلمة نالته على وجه الاعتصام به وتصرف معه تصرفاً لطيفاً ، ثم انقبض عنه ، وخرج حاجباً ، قال ابن الحارث : وكتب محمد بن بشير في حديثه للقاضي مُصْعَب بن عمران ، ثم خرج حاجباً فلقي مالك بن أنس وجالسه وسمع منه ، وطلب العلم أيضاً بمصر ، ثم انصرف فلزم ضيعته في باجة .

١ دوزي : فإن عهدي بها لمغرب ، واستدركها فليشر في تصويباته ؛ وفي ج ط ق : فإن عهدي بها المغرب .

٢ راجع التكملة : ٣٥٥ .

٣ في ق ط ج : عبد الملك بن مروان المرواني ، والتصويب عن الخشني .

وقال ابن حيّان : إنّه استُقدِم من باجة للقضاء برأي العباس بن عبد الملك .
وقال ابن شعبان في الرواة^١ عن مالك من أهل الأندلس : محمد بن بشير بن
سَرَافيل ، ويقال شراحيل ، ولي القضاء ، وكان رجلاً صالحاً ، وبعدله تُضرب
الأمثال ، واستوطن قرطبة ، وتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائة ، انتهى ،
وبعضه عن غيره .

ومن شعره قوله :

إنّما أُرَى بقدري أنّي لستُ من بابة^٢ أهل البلدِ
ليس منهم غيرُ ذي مقلبيّةٍ لذوي الألبابِ أو ذي حسدِ
يَتَحامَوْنَ لِقائي مثلما يتحامَوْنَ لقاء الأمدِ
مَطلَعي أثقلُ في أعينهم وعلى أنفُسِهِم من أحدِ
لورأوني وَسَطَ بحرٍ لم يَكُنْ أحدٌ يأخذُ منهم بيسدي

٩٣ — ومنهم محمد بن عيسى بن دينار ، الغافقي^٣ ، من أهل قرطبة ،
كان فقيهاً زاهداً ، وحج وحضر افتتاح إقريطش ، واستوطنها ، قاله الرازي .

٩٤ — ومنهم محمد بن يحيى بن يحيى الليثي^٤ ، خرج حاجاً ، ولقي
سَحَنُون بن سعيد بإفريقية ، ولقي بمصر رجلاً من أصحاب مالك فسمع
منهم ، وعُرف بالفقه والزهد ، وجاور بمكة ، وتوفي هنالك .

٩٥ — ومنهم محمد بن مروان بن خطاب ، المعروف بابن أبي جَمْرَة^٥ ،

١ ق ودوزي : في الرواية .

٢ دوزي : لست من باجة ، وصوبه فليشر

٣ ترجمته في التكملة : ٣٥٦ .

٤ ترجمته في التكملة : ٣٥٦ .

٥ ترجمته في التكملة : ٣٥٦ وانظر ترجمة « حميرة بن عبد الرحمن بن مروان » في ابن القرضي

١ : ٣٧١ .

رحل حاجباً هو وابناه خطاب وعميرة في سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، وسمعوا ثلاثتهم من سَحْنُون بن سعيد المدوّنة بالقيروان ، وأدركوا أصبغ بن الفرّج . وأخذوا عنه .

٩٦ - ومنهم محمد بن أبي عِلَاقَةَ البواب^١ ، من أهل قرطبة ، كانت له رحلة إلى المشرق ، ولقي فيها جماعة من أهل العلم ، وأخذ عن أبي إسحاق الزجاجي ، وعن أبي بكر ابن الأنباري ، وعن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش ، وأبي عبد الله نِفْطَوِيه ، وغيرهم ، وسمع من الأَخْفَش « الكامل » للمبرّد ، وقال الحكم المستنصر : لم يصح كتاب « الكامل » عندنا من رواية إلاّ من قبل ابن [أبي] علاقة ، وكان ابن جابر الإشبيلي قد رواه قبل بمصر بمدة ، وما علمت أحداً رواه غيرهما ، وكان ابن الأحمر القرشي^٢ يذكر أنّه رواه ، وكان صدوقاً ، ولكن كتابه ضاع ، ولو حضر ضاهى الرجلين المتقدمين .

٩٧ - ومنهم محمد بن حزم بن بكر ، التّشُوخي^٣ ، من أهل طَلَيْطَلَة ، وسكن قرطبة ، يُعرف بابن المدني ، سمع من أحمد بن خالد وغيره^٤ ، وصحب محمد بن مسرة الحبلي قديماً ، واختص بمرافقته في طريق الحج ، ولازمه بعد انصرافه ، وكان من أهل الورع والانقباض ، وحكى عن ابن مسرة أنّه كان في سكناه المدينة يتتبع آثار النبي صلّى الله عليه وسلّم ، قال : ودلّه بعض أهل المدينة على دار ماريّة أم إبراهيم سرّيّة النبي صلّى الله عليه وسلّم ، فقصد إليها فإذا دُويرة لطيفة بين البساتين بشرقي المدينة عرضها وطولها واحد قد شق في وسطها بحائط ، وفُرش على حائطها خشب غليظ يرتقى إلى ذلك الفرش

١ ترجمته في التكملة : ٣٦٢ .

٢ كذا في الأصول ، ولعلها : الفريشي .

٣ ترجمته في التكملة : ٣٦٥ .

٤ بن بكر . . . وغيره : سقط من ق .

على خارج لطيف ، وفي أعلى ذلك بيتان وسقيفة كانت مقعد النبيّ صلى الله عليه وسلم في الصيف ، قال : فرأيت أبا عبد الله بعدما صلى في البيتین والسقيفة وفي كل ناحية من نواحي تلك الدار ضرب أحد البيتین بشبره ، فكشفتُهُ بعد انصرافي وهو ساكن في الجبل عن ذلك ، فقال : هذا البيت الذي تراني فيه بنته على تلك الحالة^١ في العرض والطول بلا زيادة ولا نقصان ، انتهى .

٩٨ - ومنهم محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عاقل^٢ ، ولد أبي زكريا الراوية ، من أهل طرطوشة ، يكنى أبا بكر ، تأدّب بقرطبة ، وسمع بها من قاسم بن أصبغ ومحمد بن معاوية القرشي وأحمد بن سعيد ومنذر بن سعيد وأبي علي القالي وغيرهم ، وكان حافظاً للنحو واللغة والشعر ، يفوت مَنْ جاراه على حدّاته سنّه ، شاعراً مجيداً مرسلًا بليغاً ، وزحل مع أبيه إلى المشرق سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، فسمع بمصر من ابن الوردي وابن السكن وحمزة الكناني وغيرهم ، وسمع أيضاً بالبصرة وبغداد كثيراً ، وخرج إلى أرض فارس فسمع هناك ، وجمع كتباً عظيمة ، وأقام بها إلى أن توفي بأصبهان مُعْتَبِطاً مع الستين وثلاثمائة ، ومولده بطرطوشة صدر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، ذكره ابن حيّان ، رحمه الله تعالى .

٩٩ - ومنهم محمد بن عبدُون الجبلي العددي^٣ من أهل قرطبة ، أدّب بالحساب والهندسة ، ورحل في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، فدخل مصر والبصرة ، وعُني بعلم الطب فمهر فيه ، ودبّر في مارستان القسطنطين ، ثم رجع

١ ق ج ط : الحكاية .

٢ ترجمته في التكملة : ٣٦٧ ، وفي ق ط ودوزي : « عاين » بدل « عاقل » .

٣ انظر ترجمة محمد بن عبدون الجبلي في التكملة : ٣٦٧ وطبقات ابن جليل : ١١٥ والدليل والتكملة ٦ : ١٧٢ (نسخة باريس) . وابن أبي أصيبعة ٢ : ٤٦ وطبقات صاعد : ٨١ والوافي

٣ : ٢٠٧ .

إلى الأندلس في سنة ستين وثلاثمائة ، فاتصل بالمستنصر بالله وابنه المؤيد بالله ،
وله في التفسير تأليف حسن ، رحمه الله تعالى .

١٠٠ — ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأزدي القراء القرطبي ^١ ،
صحب أبا بكر ابن يحيى بن مجاهد ، واختص به ، ولطف محله منه ، وقرأ عليه
القرآن ، ورحل صحبته لأداء فريضة الحج ، وكان رجلاً صالحاً كثير التلاوة
للقرآن والخشوع ، إذا قرأ بكى ورتّل وبَيّن في مهل ، ويقول : أبو بكر علّمني
هذه القراءة ، وحكي أنّه سرّد الصوم اثني عشرة سنة قبل موت ابن مجاهد
مفطراً كلّ ليلة وقت الإفطار ، ثم تّمدى على ذلك بعد موته مفطراً عقب العشاء
الآخرة لالتزامه الصلاة من المغرب إليها ، تزيّداً من الخير ، واجتهاداً في العمل .

١٠١ — ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح ، المعافري ، الأندلسي ^٢ ،
رحل إلى المشرق فسمع خيثمة بن سليمان وأبا سعيد ابن الأعرابي وإسماعيل
ابن محمد الصفار وبكر بن حمّاد التاهرتي وغيرهم ، روى عنه أبو عبد الله
الحاكم وقال : اجتمعنا بهمذان سنة إحدى وأربعين ، يعني وثلاثمائة ، فتوجّه
منها إلى أصبهان ، وكان قد سمع في بلاده وبمصر من أصحاب يونس ، وبالحجاز
وبالشام وبالحزيرة من أصحاب علي بن حرب ، وببغداد ، وورد نيسابور في
ذي الحجة سنة إحدى وأربعين فسمع الكثير ، ثم خرج إلى مرو ومنها إلى بخارى
فتوفي بها في رجب من سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، وروى عنه أيضاً أبو القاسم
ابن حبيب النيسابوري وغيرهما ، ذكره ابن عساكر ، وأسند إليه قوله :

وَدَعْتُ قَلْبِي سَاعَةَ التَّوْدِيعِ وَأَطَعْتُ قَلْبِي وَهُوَ غَيْرُ مُطِيعِي
إِنْ لَمْ أَشِيعَهُمْ فَقَدْ شِيعْتُهُمْ بِمُشِيعَيْنِ تَنَقَّسِي وَدَمُوعِي

١ ترجمته في التكملة : ٣٦٩ والذيل والتكملة ٦ : ١٤٧ (نسخة باريس) .

٢ هذه الترجمة مكررة . انظر الترجمة رقم : ٩٠ في ما تقدم .

وذكره ابن الفَرَضِي وقال : إنه استوطن بُخَارَى ، وجعل وفاته بها سنة ثمان وسبعين ، والأول قول الحاكم ، وهو أصح .

١٠٢ — ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، السَّرْقُسْطِي^١ ، روى عن الباجي وابن عبد البر ، ورحل حاجباً فقدم دمشق وحدث بها عن شيوخه الأندلسيين ، وعن أبي حفص عمر بن أبي القاسم ابن أبي زيد القفصِيّ ، وذكره ابن عساكر ، وقال : سمع عنه أبو محمد الأكفاني ، وحكى عنه تدليساً ضعفه به ، وتوفي سنة ٤٧٧ .

١٠٣ — ومنهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن بَقَاء ، الأنصاري^٢ ، من بلاد الثغر الشرقي^٣ ، أخذ القراءات عن أبي داود سليمان بن نجاح ، ورحل حاجباً ، فقدم دمشق ، وأقرأ بها القرآن بالسبع ، وأخذ عنه جماعة من أهلها ، وكان شيخاً فاضلاً حافظاً للحكايات ، قليل التكلف في اللباس ، ذكره ابن عساكر وقال : رأيته وسمعتة ينشد قصيدة يوم خرج الناس للمصلّى للاستسقاء على المنبر ، أولها :

أستغفرُ الله من ذنبي وإن كَبُرَ وأستقلُّ له شكري وإن كَثُرَ

وكان يسكن في دار الحجارة ، ويُقْرَأ بالمسجد الجامع . ولد في الثاني والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وتوفي يوم الأربعاء عند صلاة العصر ، ودفن يوم الخميس لصلاة الظهر الثاني من ذي الحجة سنة اثني عشرة وخمسمائة ، ودفن في مقابر الصحابة بالقرب من قبر أبي الدرداء ، رضي الله تعالى عنه ، قال : وشهدت أنا غسله والصلاة عليه

١ ترجمته في التكملة : ٣٩٧ والذيل والتكملة ٦ : ١٩ (نسخة باريس) .

٢ ترجمته في التكملة : ٤١٣ .

٣ من أهل بلخي في الثغر الشرقي .

ودفنه ؛ وذكره السلفي .

١٠٤ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن ظاهر بن علي بن عيسى ، الأنصاري ،
الخزرجي^١ ، من أهل دانية ، سمع كتاب «التقصي» لابن عبد البر ، ولقي أبا
الحسن الحصري ثم خرج حاجاً فقدم دمشق سنة أربع وخمسمائة ، وأقام بها
مدة يُقْرَى العربية ، وكان شديد الوسوسة في الوضوء .
ذكره ابن عساكر وقال : أنشدني أخي أبو الحسين هبة الله بن الحسن الفقيه
قال : أنشدنا ابن طاهر الأندلسي بدمشق قال : أنشدني الحصري لنفسه :

يموتُ مَنْ في الأنام طُرّاً من طيّبٍ كان أو خبيثٍ
فمُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرَاخٌ مِنْهُ ، كما جاء في الحديثِ

قال : وأنشدني الحصري لنفسه :

لو كان تحت الأرض أو فوق الذرى حرّاً أتبع له^٢ العدوّ ليؤذى
فاحذرْ عدوك وهو أهونُ هينٍ إنَّ البعوضةَ أَرْدَتِ النمرودا

١٠٥ - ومنهم محمد بن أبي سعيد الفرج بن عبد الله ، البزاز^٣ ، من أهل
سَرْقُسْطَة ، لقي بدانية الحصري ، وسمع منه بعض منظومه ، ورحل حاجاً
فأدّى الفريضة ، ودخل العراق فسمع من جماعة وأجازوا له : منهم ابن
خَيْرُون ، والحُمَيْدي ، وأبو زكريا التبريزي ، والمبارك بن عبد الجبار ،
وثابت بن بُنْدَار ، وهبة الله بن الأكفاني ، وغيرهم ، ونزل الإسكندرية ،
وحدث بها وأخذ الناس عنه ، وتوفي هنالك ، وأنشد للحصري :

١ ترجمته في التكملة : ٤١٩ والذيل والتكملة ٦ : ٨٧ - ٨٨ (نسخة باريس) .
٢ ق : لو كنت . . . حرّاً أتبع له . . . وهو مضطرب .
٣ ترجمته في التكملة : ٤٣٣ وفي ق ودوزي : «البزاز» .

الناسُ كالأَرْضِ ، ومنها هُمُ من خَشِنَ اللَّمَسُ ومن لَيِّنَ
صَلْدُ تشكَّى الرَّجُلُ منه الْوَجَى وإِعدُّ يُجعلُ في الْأَعْيُنِ

وروى عنه ابن الحضرمي وابن جارة ، وغيرهما .

١٠٦ - ومنهم أبو بكر محمد بن الحسين ، الشهير بالتيورقي^١ لأن أصله
منها ، وسكن غرناطة ، وروى عن أبي علي الصّدّقي ، ورحل حاجباً فسمع
بمكة من أبي الفتح عبد الله بن محمد البيضاوي ، وأبي نصر عبد الملك بن أبي
مسلم النهاوندي ، في شوال وذي القعدة من سنة ٥١٧ هـ ، وبالإسكندرية من
أبي عبد الله الرازي وأبي الحسن ابن مُشَرَّف وأبي بكر الطرطوشي وغيرهم ،
وعاد إلى الأندلس بعد مدة طويلة فحدث في غير ما بلد لتجوّله ، وكان فقيهاً
ظاهرياً ، عارفاً بالحديث وأسماء الرجال ، متقناً لما رواه ، يغلب عليه الزهد
والصلاح ، روى عنه أبو عبد الله النميري الحافظ ويقول فيه : الأزدي تدليساً ،
لأن الأنصار من الأزد ، وأبو بكر ابن رزق وأبو عبد الله ابن عبد الرحيم وابنه
عبد المنعم وسواهم ، وصار أخيراً إلى بجاية هارباً من صاحب المغرب^٢ حينئذ
بعد أن حمل إليه هو وأبو العباس ابن العريف وأبو الحكم ابن برّجان ، وحدث
هنالك ، وسمع منه في سنة ٥٣٧ هـ ، رحمه الله تعالى .

١٠٧ - ومنهم أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن الطّفَيْل العبدوي
الإشبيلي^٣ ، ويُعرف بابن عَظِيمة ، أخذ القراءات عن أبي عبد الله السَّرْقُسْطِي

١ ترجمته في التكملة : ٤٤٠ والذيل والتكملة ٦ : ٦٣ (نسخة باريس) وهو محمد بن الحسين بن
أحمد بن يحيى بن بشر الأنصاري الخزرجي ، وأسقط ابن الزبير « الحسين » من نسبه وقال في
بشر « بشير » وكلاهما غلط ، هذا ما حققه ابن عبد الملك وهو ينقل من خطه .

٢ يعني علي بن يوسف بن تاشفين ؛ وقال ابن عبد الملك : إن علياً ضربه بالسوط وسجنه وقتل ثم
سرحه وعاد إلى الأندلس .

٣ ترجمته في التكملة : ٤٤٥ والذيل والتكملة ٦ : ١٤٣ (نسخة باريس) .

وروى عن أبي عبد الله الخولاني وأبي عبد الله ابن فرج وأبي علي الغساني وأبي داود المقرئ وأبي جعفر ابن عبد الحق وأبي الرايد ابن طريف ، ورحل حاجتاً فروى بمكة عن رزين بن معاوية ، ثم بالإسكندرية عن ابن الحضرمي أبي عبد الله محمد بن منصور وأبي الحسن ابن مُشَرَّف الأنطاقي ، وبالمهدية عن المازري ، وكانت رحلته مع أبي علي منصور بن الخير الأحذب للقاء أبي معشر الطبري ، فبلغهما نعيه بمصر ، فلما قَفَّلاً من حجتهما قعد منصور يقول : قرأت على أبي معشر ، واقتصر أبو الحسن في تصدره للإقراء على التحديث عمّن لقي ، فعُرف مكانه من الصدق والعدالة ، وولي الصلاة ببلده ، وتقدّم في صناعته ، واشتهر بها ، وتلاه أهل بيته فيها ، فأخذ عنهم الناس ، وله أرجوزة في التتميمات السبع ، وأخرى في مخارج الحروف ، وشرح قصيدة الشُّقْرَاطسي ، وله أيضاً كتاب « الفريدة الحمصية »^١ في شرح القصيدة الحصرية ، وإليه وإلى بنيه بعده كانت الرئاسة في هذا الشأن ، ومن جلة الرواة عنه أبو بكر ابن خير ، قرأ عليه « الشهاب » للقضاعي^٢ ، وأجاز له جميع رواياته وتوابعه في رجب سنة ٥٣٦ هـ ، وتوفي في حدود الأربعين وخمسمائة ، وروى عنه أبو الضحّاك القزاري .

١٠٨ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى بن هشام ابن جراح الخزرجي^٣ ، من أهل جتيان ، ويُعرف بالبغدادي لطول سكناه لباتها ، روى عن أبي علي الغساني ، وأبي محمد ابن عتاب ، ورحل حاجتاً فلقي أبا الحسن الطبري المعروف بالكّيتا ، وأبا طالب الزيني ، وأبا بكر الشاشي ،

١ سماها ابن خير « منح الفريدة الحمصية » - (الفهرسة : ٧٤) .

٢ انظر فهرست ابن خير : ١٨٢ .

٣ ترجمته في التكملة : ٤٧٤ والذيل والتكملة ٥ : ٥٨٢ صنف في مسائل الخلاف تعليقه المشهور في سبعة أسفار ، ومن مصنفاته « أسرار الإيمان » في سفر ؛ درس الفقه بفاس ثم تحول إلى جيان فجلس فيها للوعظ والقصص وخرج من بلده في الفتنة وعاد إلى فاس فنزلها ٥٤٤ هـ وبقي يدرس فيها الفقه ومسائل الخلاف إلى أن توفي .

وغيرهم . وكان فقيهاً مشاوراً ، حدث عنه أبو عبد الله الثميري ، وأبو محمد ابن عبيد الله ، وأبو عبد الله ابن حميد ، وأبو القاسم عبد الرحيم بن الملجوم ، وغير واحد ، وتوفي بفاس سنة ٥٤٦ .

١٠٩ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن ياسر ، الأنصاري الجياني^١ ، ونزل حلب ، يُكنى أبا بكر ، رحل إلى المشرق ، وأدّى الفريضة ، وقدم دمشق قبل العشرين وخمسمائة ، وسكن قنطرة سنان^٢ منها ، وكان يعلم القرآن ، ويردّد إلى أبي عبد الله^٣ نصر الله بن محمد يسمع الحديث منه ، ثم رحل صحبة أبي القاسم ابن عساكر صاحب « تاريخ الشام » إلى بغداد سنة عشرين ، وكان زميله ، فسمع بها معه من هبة الله بن الحصين وغيره ، ثم خرج إلى خراسان فسمع بها من حمزة الحسيني وأبي عبد الله الفراوي وأبي القاسم الشّحامي وغيرهم ، وسمع ببسخ جماعة منهم أبو محمد الحسن بن علي الحسيني^٤ وأبو النجم مصباح ابن محمد المسكي وغيرهما ، وبلغ الموصل فأقام بها مدة يُسَمَّعُ منه ويؤخذ عنه ، ثم انتهى إلى حلب فاستوطنها ، وسلّمت إليه خزانة الكتب النورية ، وأُجريت عليه جراية ، وكان فيه عُسْر في الرواية والإعارة معاً ، ووقف كتبه على أصحاب الحديث ، وله عَوَالٍ مخرّجة من حديثه ساوى [بها] بعض شيوخه البخاريّ ومسلماً وأبا داود والترمذي والنسائي ، روى عنه أبو حَقْص الميانشي وأبو المنصور مظفر بن سوار اللخمي وأبو محمد عبد الله بن علي بن سويدة وابن أبي السنان وغيرهم .

ذكره ابن عساكر في تاريخه وقال : سمعت منه ، ومات [بحلب] في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وخمسمائة على ما بلغني .

١ ترجمته في التكملة : ٥٠٠ .

٢ هكذا في ق ط ج ، وجعل في دوزي « سنتين » ؛ وصوبه فليشر .

٣ التكملة : أبي الفتح .

٤ التكملة : الحسيني .

وقال ابن نقطة : حدثت عن جماعة منهم أبو القاسم سهل بن إبراهيم النيسابوري وأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الهمداني ، حدثنا عنه أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الحلبي وأخوه أبو العباس أحمد ، وحكي عن الحسن بن هبة الله بن صصرى أنه توفي بحلب في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وخمسمائة كما تقدم ، وقد بلغ السبعين ، قاله ابن الأبار .

١١٠ — ومنهم أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة^١ ، مُرسِيّ سكن شاطيئة ، ودار سلفه بكنسية ، سمع أبا علي الصدّقي واختص به ، وأكثر عنه ، وإليه صارت دواوينه وأصوله العتاق وأمّهات كتبه الصحاح ، لصهر كان بينهما ، وسمع أيضاً أبا محمد ابن أبي جعفر ، ولازم حضور مجلسه للثقة به ، وحمل ما كان يرويه ، ورحل إلى غرب الأندلس فسمع أبا محمد ابن عتاب وأبا بحر الأسدي وأبا الوليد ابن رشد ، وأبا عبد الله الخولاني ، وأبا عبد الله ابن الحاج ، وأبا بكر العربي وغيرهم ، وكتب إليه أبو عبد الله الخولاني وأبو الوليد ابن طريف وأبو الحسن ابن عفيف وأبو القاسم ابن صواب وأبو محمد ابن السيد وغيرهم ، ثم رحل إلى المشرق سنة عشرين وخمسمائة ، فلقي بالإسكندرية أبا الحجّاج ابن نادر الميوّقي ، وصحبه وسمع منه ، وأخذ عنه الفقه وعلم الكلام ، وأدّى فريضة الحج في سنة إحدى وعشرين ، ولقي بمكة أبا الحسن رزيّ بن معاوية العبّديّ إمام المالكية بها ، وأبا محمد ابن صدقة المعروف بابن غزال من أصحاب كريمة المروزيّة فسمع منهما وأخذ عنهما ، وروى عن أبي الحسن علي بن سند بن عياش الغساني ما حمل عن أبي حامد الغزالي من تصانيفه ، ثم انصرف إلى ديار مصر فصحب ابن نادر إلى حين وفاته بالإسكندرية ، ولقي أبا طاهر ابن عوف وأبا عبد الله ابن مسلم القرشي وأبا طاهر السلفي وأبا

١ ترجمة ابن سعادة في التكملة : ٥٠٥ .

زكريا الزناتي وغيرهم ، فأخذ عنهم ، وكان قد كتب إليه منها أبو بكر الطرطوشي وأبو الحسن ابن مُشَرَّف الأنماطي ، ولقي في صَدْرِهِ بالمهدية أبا عبد الله المازري فسمع منه بعض كتاب « المعلم » ، وأجاز له باقيه ، وعاد إلى مَرْسِيَةِ في سنة ست وعشرين .

وقد حصَّل في رحلته علوماً جمّة ورواية فسيحة ، وكان عارفاً بالسنن والآثار ، مشاركاً في علم القرآن وتفسيره ، حافظاً للفروع ، بصيراً باللغة والغريب ، ذا حظ من علم الكلام ، ماثلاً إلى التصوّف ، مؤثراً له ، أديباً بليغاً خطيباً فصيحاً ، ينشئ الخطب مع الهدى والسمت والوقار والحلم ، جميل الشارة ، محافظاً على التلاوة ، [بادي] الخشوع^١ ، راتباً على الصوم ، وولي خطة الشورى بمَرْسِيَةِ مضافة إلى الخطبة بجامعها ، وأخذ في إسماع الحديث وتدريس الفقه ، ثم ولي القضاء بها بعد انقراض دولة الملمّين ، ونقل إلى قضاء شاطبيّة فاتخذها وطناً ، وكان يسمع الحديث بها وبمَرْسِيَةِ وبلنسية ، ويقيم الخطب أيتام الجمع في جوامع هذه الأمصار الثلاثة متعاقباً عليها ، وقد حدث بالمريّة وهناك أبو الحسن ابن موهب وأبو محمد الرُّشَاطي وغيرهما ، وسمع منه أبو الحسن ابن هُذَيْل « جامع الترمذي » ، وألف كتابه « شجرة الوهم المترقية إلى ذروة الفهم » ولم يُسبق إلى مثله ، وليس له غيره ، وجمع فهرسة حافلة .

ووصفه غير واحد بالتفّن في العلوم والمعارف ، والرسوخ في الفقه وأصوله ، والمشاركة في علم الحديث والأدب .

وقال ابن عباد في حقّه : إنّه كان صليّاً في الأحكام ، مقتفياً للعدل ، حسن الخلق والخلق ، جميل المعاملة ، لين الجانب ، فكّه المجالسة ، ثباتاً ، حسن الخط ، من أهل الإتيان والضبط . وحكي أنّه كانت عنده أصول حسان

١ ق ط ج ودوزي : مل التلاوة بالخشوع .

بخط عمّة ، مع الصحيحين بخط الصّدفي في سفيرين ، قال : ولم يكن عند شيوخنا مثل كتبه في صحتها وإتقانها وجودتها ولا كان فيهم من رزق عند الخاصة والعامة من الخطوة والذكر وجلالة القدر ما رزقه .

وذكره أبو سفيان أيضاً وأبو عمر ابن عات ، ورفعوا جميعاً بذكره .
وتوفي بشاطبة مصروفاً عن قضائها آخر ذي الحجة سنة خمس وستين وخمسمائة^١ ودفن أول يوم من سنة ست وستين وخمسمائة ، بالروضة المنسوبة إلى أبي عمر ابن عبد البر ، ومولده في رمضان سنة ٤٩٦ .

١١١- ومنهم محمد بن إبراهيم بن وضاح ، اللخمي^٢ ، من أهل غرناطة ، ونزل جزيرة شقر ، يكنى أبا القاسم ، وأخذ القراءة عن أبي الحسن ابن هذيل وسمع منه كثيراً ، ورحل حاجاً فأدّى الفريضة ، وأخذ القراءات بمكة عن أبي علي ابن العرجاء في سنة ست وأربعين وخمسمائة وسنة سبع بعدها ، وحج ثلاث حجّات ، ودخل بغداد ، وأقام في رحلته نحواً من تسعة أعوام ، وقفل إلى الأندلس ، فترّل جزيرة شقر من أعمال بلنسية ، وأقرأ بها القرآن نحواً من أربعين سنة لم يأخذ من أحد أجراً ، ولا قبل هدية ، وولي الصلاة والخطبة بجامعها ، وكان رجلاً صالحاً ، زاهداً يشار إليه بإجابة الدعوة ، معروفاً بالورع والانقباض ، وتوفي في صفر سنة ٥٨٧ .

١١٢- ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ، التّجّبي ، نزيل تلمسان^٣ ، من أهل لقنت عمل مُرسية ، وسكن أبوه أوريولة ، رحل إلى

١ هكذا هو تاريخ وفاته في التكملة و ط ج ؛ وعند ق ودوزي أنه توفي ٥٥٥ ودفن أول يوم من سنة ٥٥٦ .

٢ ترجمته في التكملة : ٥٤٤ والذيل والتكملة ٦ : ٣٩ (نسخة باريس) .

٣ ترجمته في التكملة : ٥٨٨ والذيل والتكملة ٦ : ١٣٩ (نسخة باريس) وقد أطلب ابن عبد الملك في ذكره شيوخه والآخذين منه .

المشرق فأدّى الفريضة ، وأطال الإقامة هناك ، واستوسع في الرواية ، وكتب العلم عن جماعة كثيرة أزيد من مائة وثلاثين ، من أعيانهم المشرقيين أبو طاهر السلفي ، صحبه واختص به وأكثر عنه ، وحكى أنه لما ودّعه في قفوله إلى المغرب سأله عنّا كتب عنه ، فأخبره أنه كتب كثيراً من الأسفار ومئين من الأجزاء ، فسُرَّ بذلك ، وقال له : تكون محدث المغرب إن شاء الله تعالى ، قد حصلت خيراً كثيراً ، قال : ودعا لي بطول العمر حتى يؤخذ عني ما أخذتُ عنه ، وقد جمع في أسماء شيوخه على حروف المعجم تأليفاً مفيداً أكثر فيه من الآثار والحكايات والأخبار ، وقصّل من رحلته ، وله أربعون حديثاً في المواعظ ، وأخرى في الفقر وفضله ، وثالثة في الحب في الله تعالى ، ورابعة في فضل الصلاة على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ومسلّاته في جزء ، وكتاب « فضائل الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان » وكتاب « فضل عشر ذي الحجة » وكتاب « مناقب السبطين » وكتاب « الفوائد الكبرى » مجلد ، و « الفوائد الصغرى » جزء ، وكتاب « الترغيب في الجهاد » خمسون باباً في مجلّد ، وكتاب « المواعظ والرقائق » أربعون مجلساً ، سفران ، وكتاب « مشيخة السلفي » وغير ذلك .

ومولده بِلَقَنْتَ^١ الصغرى في نحو الأربعين وخمسمائة ، وتوفي سنة عشر وستمائة ، رحمه الله تعالى .

١١٣ - ومنهم الشيخ الأكبر ، ذو المحاسن التي تَبَهَّرَ ، سيّدي محيي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله ، الحاتمي^٢ ، من ولد

١ ق ط : بالقنت .

٢ ترجمة ابن عربي الصوفي في التكملة : ٦٥٢ والذيل والتكملة ٦ : ٢٠٢ (نسخة باريس) وعنوان الدراية : ٩٧ والوالي ٤ : ١٧٣ - ١٧٨ والفوات ٢ : ٤٧٨ وشدرات الذهب ٥ : ١٩٠ - ٢٠٢ والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٣٩ ومراة الزمان : ٧٣٦ . وراجع طبقات المناوي ولسان=

عبد الله بن حاتم أخى عدي بن حاتم ، الصوفي الفقيه المشهور الظاهري ، ولد بمُرْسِيَّة يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة ٥٦٠ ، قرأ القرآن على أبي بكر ابن خلف بلشبيلية بالسبع وبكتاب الكافي ، وحدّثه به عن ابن المؤلف أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرُعَيْثِي عن أبيه ، وقرأ أيضاً السبع بالكتاب المذكور على أبي القاسم الشَّراط القرطبي ، وحدّثه به عن ابن المؤلف ، وسمع على أبي بكر محمد بن أبي جَمْرَةَ كتاب « التيسير » للدّاني عن أبيه عن المؤلف ، وسمع على ابن زَرْقُون وأبي محمد عبد الحق الإشيلي الأزدي وغير واحد من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم .

وكان انتقاله من مُرْسِيَّة لإشبيلية سنة ٥٦٨ ، فأقام بها إلى سنة ٥٩٨ ، ثم ارتحل إلى المشرق ، وأجازته جماعة منهم الحافظ السلفي وابنُ عساكر وأبو الفرج ابن الجوزي ، ودخل مصر ، وأقام بالحجاز مدّة ، ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم ، ومات بدمشق سنة ٦٣٨^١ ، ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ، ودفن بسفح قاسيُون ، وأنشدني لنفسه مؤرخاً وفاته الشيخُ محمد ابن سعد الكلشني سنة ١٠٣٧^٢ ، حفظه الله تعالى :

إنما الخاتمي في الكونِ فردٌ وهو غوثٌ وسيدٌ وإمامٌ
كتمَ علومٍ أتى بها من غيوبٍ من بحارِ التوحيدِ يا مُستَهامُ
إن سألتُم متى توفي حميداً قلتُ أرختُ: مات قطبُ همامُ

وقال ابن الأبار : هو من أهل المَرِيَّة ، وقال ابن النجار : أقام بلشبيلية

١ الميزان . وفي كتبه معلومات كثيرة عنه ، وقد كتب الأستاذ آسبن يلايوس دراسة لحياته مؤلفاً بين الأخبار التي وردت فيها (ترجم الدكتور عبد الرحمن بنوي هذا الكتاب ، القاهرة ١٩٦٥) وللأستاذ أبو العلا عفيفي دراسات عنه . (وراجع بروكلمان ١ : ٥٧١) .
١ في ق : ٦٣٧ ، وكذلك قال ابن عبد الملك في الدليل والتكملة .
٢ في نسخة : ١٠٣٨ .

إلى سنة ٥٩٨ هـ ، ثم دخل بلاد المشرق ، وقال ابن الأبار : إنه أخذ عن مشيخة بلده ، ومال إلى الآداب ، وكتب لبعض الولاة ، ثم رحل إلى المشرق حاجتاً ، ولم يعد بعدها إلى الأندلس . وقال المنذري : ذكر أنه سمع بقُرْطُبة من أبي القاسم ابن بَشْكُوَال وجماعة سواه ، وطاف البلاد ، وسكن بلاد الروم مدة ، وجمع مجاميع في الطريقة ، وقال ابن الأبار : إنه لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين ، وأخذوا عنه ، وقال غيره : إنه قدم بغداد سنة ٦٠٨ هـ ، وكان يومئذٍ إليه بالفضل والمعرفة ، والغالبُ عليه طرق أهل الحقيقة ، وله قدم في الرياضة والمجاهدة وكلام على لسان أهل التصوف ، ووصفه غير واحد بالتقدم والمكانة من أهل هذا الشأن بالشام والحجاز ، وله أصحاب وأتباع .

ومن تأليفه مجموع ضمَّنه منامات رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وما سمع منه ومنامات قد حدثت بها عمَّن رآه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن النجار : وكان قد صحب الصوفية ، وأرباب القلوب ، وسلك طريق الفقر ، وحجَّ وجاور ، وكتب في علم القوم ، وفي أخبار مشايخ المغرب وزهادها ، وله أشعار حسنة وكلام مليح ، اجتمعت به في دمشق في رحلتي إليها ، وكتبت عنه شيئاً من شعره ، ونِعْمَ الشيخ هو ، ذكر لي أنه دخل بغداد سنة ٦٠١ هـ ، فأقام بها اثني عشر يوماً ، ثم دخلها ثانياً حاجتاً مع الركب سنة ٦٠٨ هـ ، وأنشدني لنفسه :

أيا حائراً^١ ما بينَ علم وشهوة ليتصلا ، ما بينَ ضدين من وصل
ومن لم يكن يستشيقُ الريح لم يكن يرى الفضل للمسك الفتيق على الزبل

وسأله عن مولده فقال : ليلة الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ بمُرُسية من بلاد الأندلس ، انتهى .

١ انظر هذا النص في الوافي ٤ : ١٧٨ نقلاً عن ابن النجار .

٢ الوافي : أنا حائر .

وقال ابن مُسْنَدِي : إنَّه كان جميل الجملة والتفصيل ، محصلاً لفنون العلم أخصّ تحصيل ، وله في الأدب الشأو الذي لا يُلْحَق ، والتقدم الذي لا يُسْبَق ، سمع ببلاده من ابن زَرْقُون والحافظ ابن الجلد وأبي الوليد الحضرمي وبسبْطَة من أبي محمد ابن عبد الله ، وقدم عليه لإشبيلية أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجي فسمع منه ، وأبو جعفر ابن مُصَلِّي ، وذكر أنَّه لقي عبد الحق الإشبيلي ، وفي ذلك عندي نظر ، انتهى .

قلت : لا نظر في ذلك ، فإن سيدي الشيخ محيي الدين ذكر في إجازته للملك المظفر غازي ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب ما معناه أو نصّه : ومن شيوخنا الأندلسيين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي ، رحمه الله تعالى ؛ حدثني بجميع مصنفاته في الحديث ، وعين لي من أسمائها تلقين المهتدي ، والأحكام الكبرى ، والوسطى ، والصغرى ، وكتاب التهجد ، وكتاب العاقبة ، ونظمه ونثره ، وحدثني بكتب الإمام أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم عن أبي الحسن شُريح بن محمد بن شُريح عنه ، انتهى .
وقال : إن الحافظ السُّلَفي أجاز له ، انتهى : قال بعض الحفاظ : وأخسبها الإجازة العامة .

وكان ظاهريّ المذهب في العبادات ، باطنيّ النظر في الاعتقادات ، وكان دَفَنه يوم الجمعة بجبل قاسيون ، واتفق أنَّه لما أقام ببلاد الروم زكاه ذات يوم الملكُ فقال : هذا تذُلُّ له الأسود^١ ، أو كلاماً هذا معناه ، فسُئِلَ عن ذلك ، فقال : خدمت بمكّة بعض الصلحاء ، فقال لي يوماً : الله يُذِلُّ لك أعزَّ خلقه ، وأمر له ملك الروم مرةً بدارٍ تساوي مائة ألف درهم ، فلما نزلها وأقام بها مرّةً به في بعض الأيّام سائل ، فقال له : شيء الله ، فقال : ما لي غير هذه الدار ، خذها لك ، فتسلّمها السائل وصارت له .

١ الوائي : هذا بدعوة الأسود ؛ الفوات : تذر له الأسود .

وقال الذهبي في حقه : إن له توسعاً في الكلام ، وذكاء ، وقوة خاطر ، وحافظة ، وتدقيقاً في التصوف ، وتوايف جمّة في العرفان ، لولا شططه في كلامه وشعره ، ولعلّ ذلك وقع منه حال سكره وغيبته ، فيرجى له الخير ، انتهى .

وقال القطب اليوناني في ذيل « مرآة الزمان » : عن سيدي الشيخ محيي الدين — رضي الله تعالى عنه ونفعنا به — أنّه كان يقول : إنّي أعرف اسم الله الأعظم ، وأعرف الكيمياء ، انتهى .

وقال ابن شوّذكين عنه : إنّه كان يقول : ينبغي للعبد أن يستعمل همته في الحضور في مناماته ، بحيث يكون حاكماً على خياله يصرفه بعقله نوماً ، كما كان يحكم عليه يقظة ، فإذا حصل للعبد هذا الحضور وصار خُلُقاً له وجد ثمرة ذلك في البرزخ وانتفع به جدّاً ، فليهم العبد بتحصيل هذا القدر ، فإنّه عظيم الفائدة بإذن الله تعالى .

وقال : إن الشيطان ليقنع من الإنسان بأن ينقله من طاعة إلى طاعة ليفسخ عزّمه بذلك .

وقال : ينبغي للسالك أنّه متى حضر له أنّه يعقد على أمرٍ ويعاهد الله تعالى عليه ، أن يترك ذلك الأمر إلى أن يجيء وقته ، فإن يسّر الله تعالى فعله فعلته ، وإن لم يسّر الله فعله ، يكون مخلصاً من نكث العهد ، ولا يكون متصفاً بنقض الميثاق .

ومن نظم الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى قوله :

بَيْنَ التَّدَلُّلِ وَالتَّدَلُّلِ نُقْطَةٌ فِيهَا يَتَّهِ الْعَالَمُ التَّحْرِيرُ
هِيَ نَقْطَةُ الْأَكْوَانِ إِنْ جَاوَزَتْهَا كُنْتَ الْحَكِيمَ وَعَلِمْتَ الْإِكْسِيرُ
وقوله أيضاً رحمه الله :

يَا دُرَّةَ بَيْضَاءِ لَاهُوتِيَّةٍ قَلْبُ رُكِبَتْ صَدَقًا مِنَ النَّاسُوتِ .

جهل البسيطة^١ قدرها لشقايتهم وتنافسوا في الدُرِّ والياقوتِ .

وحكى العماد بن النحاس الأطروش^٢ أنه كان في سَفْح جبل قاسيُون على مستشرف ، وعنده الشيخ محيي الدين ، والغيث والسحاب عليهم ، ودمشق ليس عليها شيء ، قال : فقلت للشيخ : أما ترى هذه الحال ؟ فقال : كنت بمراكش وعندي ابن خروف الشاعر ، يعني أبا الحسن علي بن محمد القرطبي القَبْدَاقِي^٣ ، وقد اتفق الحال مثل هذه ، فقلت له مثل هذه المقالة ، فأنشدني :

يطُوفُ السحابُ بمَرَاكشٍ طوافَ الحجيجِ بيتَ الحَرَمِ
يرومُ نَزُولاً فَلَا يَسْتَطِيعُ لسفكِ الدماءِ وهتكِ الحُرَمِ

وحكى المقرئ في ترجمة سيدي عمر بن الفارض - أفاض الله علينا من أنواره - أن الشيخ محيي الدين بن العربي بعث إلى سيدي عمر يستأذنه في شرح التائية ، فقال : كتابك المسمّى بالفتوحات المكيّة شرحٌ لها ، انتهى . وقال بعض مَنْ عَرَفَ به : إنّه لما صَنَّفَ « الفتوحات المكيّة » كان يكتب كلَّ يوم ثلاث كراريس حيث كان ، وحصلت له بدمشق دنيا كثيرة ، فما ادَّعَرَ منها شيئاً ، وقيل : إن صاحب حمص رَتَّبَ له كلَّ يوم مائة درهم ، وابن الزكي كلَّ يوم ثلاثين درهماً ، فكان يتصدَّق بالجميع ، واشتغل الناس بمصنّفاته ، ولها ببلاد اليمن والروم صيت عظيم ، وهو من عجائب الزمان ، وكان يقول : أعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب .
ومن نظمه :

١ دوزي : جهل البرية .

٢ ط : الأطرش .

٣ ق ط ج : القيداق .

وما رآها بَصَرِي	حَقِيقَتِي هِمَّتُ بِهَا
قَتِيلَ ذَاكَ الْحَوَرِ	وَلَوْ رَأَاهَا لَفَدَا
صِرْتُ بِحُكْمِ النَّظَرِ	فَعِنْدَمَا أَبْصَرْتُهَا
أَهِيمٌ حَتَّى السَّحَرِ	فَبْتُ مَسْحُورًا بِهَا
لَوْ كَانَ يُغْنِي حَذْرِي	يَا حَذْرِي مِنْ حَذْرِي
جَمَالُ ذَاكَ الْخَفَرِ	وَاللَّهِ مَا هَيَّئَنِي
تَرَعَى بِذَاتِ الْخَمَرِ	فِي حُسْنِهَا مِنْ ظَلِيمَةٍ
تَسْبِي عَقُولَ الْبَشَرِ	إِذَا رَكَتْ أَوْ عَطَفَتْ
أَعْرَافُ مَسْكٍ عَطِرٍ	كَأَنَّمَا أَنْفَاسُهَا
فِي النُّورِ أَوْ كَالْقَمَرِ	كَأَنَّمَا شَمْسُ الضُّحَى
نُورُ صَبَاحٍ مَسْفَرٍ	إِنْ أَسْفَرَتْ أَبْرَزَهَا
سَوَادُ ذَاكَ الشَّعَرِ	أَوْ سَدَلَتْ غَيَّبَهَا
خَلْدِي فَوَّادِي وَذَرِي	يَا قَمْرًا تَحْتَ دُجَى
إِذَا كَانَ حَظِّي نَظْرِي	عَيْنِي لَكِي أَبْصِرْكُمْ

وقال الخوئي : قال الشيخ سيدي عبيد الدين بن عربي رضي الله تعالى عنه : رأيت بعض الفقهاء في النوم في رؤيا طويلة ، فسألني : كيف حالك مع أهلك ؟ فقلت ١ :

إذا رأت أهل بيبي الكيس ممتلئاً تبسمت ودكت مني تمازحني
وإن رآته خليلاً من دراهيم تههمت وانثنت عني تقابحني
فقال لي : صدقت ، كلنا ذلك الرجل .

وذكر الإمام العالم بالله تعالى لسان الحقيقة ، وشيخ الطريقة ، صفي الدين

١ ديوان ابن عربي : ٢٢٦ .

حسين ابن الإمام العلامة جمال الدين أبي الحسن علي ، ابن الإمام مفتي الأنام كمال الدين أبي منصور ظافر الأزدي الأنصاري رضي الله تعالى عنه ، في رسالته الفريدة المحتوية على مَنْ رَأَى من سادات مشايخ عصره ، بعد كلام ، ما صورته : ورأيت بدمشق الشيخ الإمام العارف الوحيد محيي الدين بن عربي ، وكان من أكبر علماء الطريق ، جمع بين سائر العلوم الكسبية ، وما وقر^١ له من العلوم الوهية ، ومنزله شهيرة ، وتصانيفه كثيرة ، وكان غلب عليه التوحيد^٢ علماً وخلقاً وحالاً ، لا يكثرث بالوجود ، مقللاً كان أو معرضاً ، وله علماء أتباع أرباب مَوَاجِيد ، وتصانيف ، وكان بينه وبين سيدي الأستاذ الحرّار إخاء ورفقة في السياحات ، رضي الله تعالى عنهما ، في الآصال والبكرات ، ومن نظم سيدي الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه قوله :

يا مَنْ يَرَانِي وَلَا أَرَاهُ كَمْ ذَا أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي
قال رحمه الله تعالى : قال لي بعض إخواني لما سمع هذا البيت : كيف تقول : إنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك ؟ فقلت له مرتجلاً :

يا مَنْ يَرَانِي مُجْرِمًا وَلَا أَرَاهُ آخِذَا
كَمْ ذَا أَرَاهُ مُنْعِمًا وَلَا يَرَانِي لَاثِذَا

قلتُ : من هذا وشبهه تعلم أن كلام الشيخ رحمه الله تعالى مؤوّل ، وأنه لا يقصد ظاهره ، وإنّما له محامل تليق به ، وكفاك شاهداً هذه الجزئية الواحدة ، فأحسن الظنّ به ولا تنتقد ، بل اعتقد ، وللناس في هذا المعنى كلام كثير ، والتسليم أسلم ، والله سبحانه بكلام أوليائه أعلم . ومن النظم المنسوب لمحاسن الشيخ سيدي محيي الدين رضي الله تعالى عنه ، في ضابط ليلة القدر :

.....

١ ق ط ج : وقر .

ولمّا جميعاً إنّ نَصَمَ يَوْمَ جُمُعَةٍ ففي تاسع العشرين خُذَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
 وإن كان يومُ السبتِ أوَّلَ صومِنا فحادي وعشرين اعْتَمِدَهُ بِلا عُسْرِ
 وإن كانَ صومَ الشَّهْرِ في أحدٍ فخذ ففي سابع العشرين ما شئتَ فاستقْري
 وإن هَلَّ بالإثنينِ فاعْلَمْ بأنَّهُ يُواتيك نَيْلُ الوجدِ في تاسع العشر
 ويومُ الثلاثاءِ إن بدا الشهرُ فاعتمد على خامسِ العشرين فاعمل بها تدري
 وفي الأربعاءِ إن هَلَّ يا من يَرُومُها فدوِّك فاطلبْ وصلها سابعَ العشر
 ويومَ خميسٍ إن بدا الشهرُ فاجتهد ففي ثالثِ العشرين تظفرْ بالنصر
 وضابطُها بالقولِ لَيْلَةُ جُمُعَةٍ تُوافيكَ بعد النّصفِ في ليلةِ الوتر

قلت : لستُ على يقين من نسبة هذا النظم إلى الشيخ رحمه الله تعالى ، فإن
 نَفْسَه أعلَى من هذا النظم ، ولكنّي ذكرته لما فيه من الفائدة ، ولأن بعض
 الناس نسبته إليه ، فالله تعالى أعلم بحقيقة ذلك .

وممّا نسبته إليه رحمه الله تعالى غيرُ واحد قوله :

قَلْبِي قَطْبِي ، وَقَالِي أَجْفَانِي سَرِّي خَضْرِي ، وَعَيْنِي عِرْفَانِي
 رُوحِي هَرُونٌ وَكَلِيمِي مُوسَى نَفْسِي فِرْعَوْنٌ ، وَالْهَوَى هَامَانِي

وذكر بعض الثقات أن هذين البيتين يُكتبان لمن به القَوْلَانِجُ في كَفِّهِ
 ويلحسهما ، فإنّه يبرأ بإذن الله تعالى ، قال : وهو من المجربّات .
 وقد تأوّل بعضُ العلماء قول الشيخ رحمه الله تعالى بإيمان فرعون أن مراده
 بفرعون النفس بدليل ما سبق ، وحكى في ذلك حكاية عن بعض الأولياء ممّن
 كان ينتصر للشيخ ، رحمه الله تعالى .

* * *

[سعد الدين ابن الشيخ محيي الدين]

وُلد للشيخ محيي الدين — رحمه الله تعالى — ابنه محمد المدعو سعد الدين^١ بملطية في رمضان سنة ٦١٨ ، وسمع الحديث ، ودرس ، وقال الشعر الجليد ، وله ديوان شعر مشهور ، وتوفي بدمشق سنة ٦٥٦ سنة دخل هولاكو بغداد وقتل الخليفة المستعصم ، ودفن المذكور عند والده بسفح قاسيون ، وكان قدم القاهرة ، وسكن حلبا ، ومن شعره^٢ :

لَمَّا تَبَدَّى عَارِضَاهُ فِي نَمَطٍ قِيلَ ظِلَامٌ بِضِيَاءٍ اخْتَلَطُ
وَقِيلَ سَطَرُ الْحَسَنِ فِي خَدَّيْهِ خَطٌ وَقِيلَ نَمَلٌ فَوْقَ عَاجٍ انْبَسَطُ^٣
وَقِيلَ مِسْكٌ فَوْقَ وَرْدٍ قَدْ نَقِيطُ وَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّهَا اللَّامُ فَقَطُ

* * *

[حكاية عن ابن جزري]

قلت : تذكرت بهذا ما قاله الكاتب أبو عبد الله ابن جزري الأندلسي^٤ كاتبُ سلطان المغرب أبي عنان حين تنازع الكتابُ أربابُ الأَقلامِ والرؤساءُ أصحابُ السيوفِ في تشبيه العِذار ، وقالت كل فرقة : لا نشبهه إلا بما هو مناصب لصنعتنا ، فلما فرغوا قال ابن جزري :

أَتَى أُولُو الْكُتُبِ وَالسِّيفِ الْأُولَى عَزَمُوا مِنْ بَعْدِ سِلْمِي عَلَى حَرْبِي وَإِسْلَامِي

١ انظر ترجمة سعد الدين بن عربي في فوات الوفيات ٢ : ٣٢٥ والوافي ١ : ١٨٦ وشذرات الذهب ٥ : ٢٨٣ .

٢ انظر الفوات ٢ : ٣٢٦ والوافي ١ : ١٨٨ .

٣ الفوات والوافي : قد سقط .

٤ هو محمد بن أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزري الكلبسي (٧٢١ - ٧٥٧) غرناطي الأصل ، كتب عن السلطان أبي الحجاج يوسف ثم ارتحل ولحق بجناب السلطان أبي عنان ، وهو الذي كتب رحلة ابن بطوطة ورتبها (انظر ترجمته في الإحاطة ٢ : ١٨٦ والكثيبي الكامنة : ٢٢٣ وأزهار الرياض ٣ : ١٨٩ ونثير فرائد الجمان ، الورقة : ٤ ونثير الجمان الورقة : ٧٨) .

بكلّ معنى بديعٍ في العِذارِ على ما تقتضي مِنْهُمْ أفكارُ أحلامي
فقال ذو الكتب : لا أرضى المحارب في تشبيهه لا وأنقاسي وأقلامي
وقال ذو الحرب : لا أرضى الكاتب في تشبيهه ومِظَلَّاتي وأعلامي
فقلت : أجمعُ بين المذهبين معاً باللام ، فاستحسنوا التشبيه باللام .

وهذه الغاية التي لا تدرك مع البديهة ولزوم ما لا يلزم .

رجع - ومن نظم سعد الدين قوله ^١ :

سهرى من المحبوب أصبح مُرسلاً وأراه مُتصلاً بفيضٍ مدامع
قال الحبيب : بأنّ رِيقِي نافعٌ فاسمعَ روايةَ مالِكٍ عن نافع
ومن نظمه أيضاً قوله :

وقالوا : قصيرٌ شعَرُ مَنْ قد هَوَيْتَهُ فقلت : دَعُونِي لا أرى مِنْهُ مخلصاً
مُحيّاهُ شمسٌ قد علتْ غُصْنٌ قد هـ مُحيّاهُ شمسٌ قد علتْ غُصْنٌ قد هـ
وقوله ^٢ :

وربّ قاضٍ لنا مَلِيحٍ يُعَرِّبُ عن مَنطِقٍ لليدِ
إذا رمانا بسَهْمٍ لحظٍ قُلْنَا لَهُ دَائِمُ النُّفُودِ

وقوله ^٣ :

لكَ والله مَنظَرٌ قلّ فيه المُشاركُ
إنّ يوماً تكونُ فيه لِنَومٍ مُباركُ

١ انظر البيتين في الواقي : ١٨٨ .

٢ البيتان في الفوات والواقي .

٣ هما في الفوات من مقطوعة في تسعة أبيات .

ومن نظمه أيضاً ما كتب به إلى أخيه عماد الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ
الأكبر محيي الدين بن عربي أفاض الله تعالى علينا من فتوحاته ، قوله :

ما للنوى رقة* ترثي لمكتب* حرّان في قلبه والدمع في حلب*
قد أصبحت حلب ذات العماد بكم* وجيتي لرم* هذا من المعجب*

وتوفي الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧ ، ودفن بسفح قاسيون عند
والده بترية القاضي ابن الزكي ، رحم الله تعالى الجميع .
وابن الزكي أيضاً محيي الدين .

ومن نظم سعد الدين المذكور في وسيم رآه بالزيادة في دمشق ١ :

يا خليلي في الزيادة ظي* سلبت مقلتهاه جفني رقادة*
كيف أرجو السلو عنه وطرفي* ناظر حُسن وجهه في الزيادة*

وله :

علقت صوفياً كيدر الدجى لكته في وصلي الزاهد*
يشهد وجلي يغرامي له* قديت صوفياً له شاهد*

وله أيضاً :

صبوت إلى حريري مليح تكرر نحو منزله مسيري
أقول له : ألا ترثي لصب* عديم للمساعد والنصير
أقام ببايكم خمسين شهراً فقال : كذا مقامات الحريري

وله :

وغزال من اليهود أتاني زائراً من كنيسه أو كناسه*

١ انظر القوات والوافي .

بتُ أجني الشقيق من وجنتيه . وأشمُ العبيرَ من أنفاسه
 واعتنقنا. إذ لم نخف من وقيب . وأمننا الوشاة من حرأسه
 مَنْ رآني يظنني لنحولي واصفِراري علامة فوق راسه
 وله :

لي حبيبٌ بالنحو أصبح مغررى فهو مني بما أعانيه أدري
 قلتُ : ماذا تقول حين تُنادي يا حبيبي المضاف نحوك جَهراً
 قال لي : يا غلامُ ، أو يا غلامي قلتُ : لبئسك ثم لبئسك عشراً
 وله أيضاً :

ساءلتني عن لفظة لغوية سأجبت مبتدئاً بغير تفكير
 خاطبتني متبسماً فرأيتها من نظم تغرك في صحاح الجوهر
 وله :

وعلمتُ أن من الحديد فؤاده لما انتضى من مقلتيه مهندا
 آتست من وجدي بجانب خده نارا ولكن ما وجدتُ بها هدى

• • •

[رجع إلى الشيخ محيي الدين]

وقال الشيخ محيي الدين — أفاض الله تعالى علينا من أنواره ، وكسانا بعض
 حلل أسرارهِ — إنه بلغني في مكة عن امرأة من أهل بغداد أنها تكلمت في بأمور
 عظيمة ، فقلت : هذه قد جعلها الله تعالى سبياً لخير وصل إلي فلا كافيتها ،
 وعقدت في نفسي أن أجعل جميع ما اعتمرت في رجب لها ، ففعلت ذلك ، فلما
 كان الموسم استدل علي رجل غريب ، فسأله الجماعة عن قصده ، فقال : رأيت
 بالينبع في الليلة التي بت فيها كأن آلافاً من الإبل أوقارها المسك والعنبر والجوهر ،

ف عجبت من كثرتة ، ثم سألت : لمن هو ؟ فقيل : هو لمحمد بن عربي يهديه إلى
فلانة ؛ وسمى تلك المرأة ثم قال : وهذا بعض ما تستحق ، قال سيدي ابن
عربي : فلما سمعت الرؤيا واسم المرأة ، ولم يكن أحد من خلق الله تعالى علم
مني ذلك ، علمت أنه تعريف من جانب الحق ، وفهمت من قوله إن هذا بعض
ما تستحق أنها مكذوب عليها ، فقصدت المرأة وقلت : اصدقيني ، وذكرت
لها ما كان من ذلك ، فقالت : كنت قاعدة قبالة البيت ، وأنت تطوف ،
فشكرك الجماعة الذين كنت فيهم ، فقلت في نفسي : اللهم إني أشهدك أنني
قد وهبت له ثواب ما أعمله في يوم الاثنين وفي يوم الخميس ، وكنت أصومهما
وأصدق فيهما ، قال : فعلت أن الذي وصل مني إليها بعض ما تستحق فإنها
سبقت بالجميل ، والفضل للمتقدم .

ومن نظم الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى :

يا غاية السؤل والمأمول يا سندي شوقي إليك شديد لا إلى أحد
ذُبْتُ اشتياقاً ووجداً في محبتكم فآه من طول شوقي آه من كمدي
يدي وضعت على قلبي مخافة أن ينشق صدري لما خاني جلددي
ما زال يرفعها طوراً ويخفضها حتى وضعت يدي الأخرى تشد يدي

وحكى سبط ابن الجوزي عن الشيخ محيي الدين أنه كان يقول : إنه
يحفظ الاسم الأعظم ، ويقول : إنه يعرف السيميا بطريق التنزل ، لا بطريق
التكسب ، انتهى . والله تعالى أعلم ، والتسليم أسلم .

ومن نظم الشيخ محيي الدين قوله :

ما فاز بالتوبة إلا الذي قد تاب قديماً والورى نؤم
فمن يتب أدرك مَطْلُوبُهُ من توبة الناس ولا يعلم

وله ، رحمه الله تعالى ، من المحاسن ما لا يُستوفى .

وأُشْدِنِي لِنَفْسِهِ بِدَمَشْقٍ صَاحِبُنَا الصَّوْفِيِّ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ الْكُلَشْتِيِّ -
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَوْلُهُ شَيْخُنَا : الْخَاتَمِيُّ . . . (الْأَبْيَات) ١ ؛ وَأُشْدِنِي لِنَفْسِهِ :

أَمَوْلَايَ حَيِّى الدِّينِ أَنْتَ الَّذِي بَدَتِ عُلُومُكَ فِي الْآفَاقِ كَالْفَيْثِ مُذْ هُمَا
كَشَفْتَ مَعَانِي كُلِّ عِلْمٍ مُكْتَمٍ وَأَوْضَحْتَ بِالتَّحْقِيقِ مَا كَانَ مُبْهِمًا

وبالجملة فهو حجة الله الظاهرة ، وآيته الباهرة ، ولا يلتفت إلى كلام من
يكتلم فيه ، والله درُّ السيوطي الحافظ فإنه أَلَفَ « تنبيه الغبي على تنزيه ابن
عربي » ومقامُ هذا الشيخ معلوم ، والتعريف به يستدعي طولاً ، وهو أظهر
من نار^٢ على عِلْمٍ .

وكان بالمغرب يُعرَفُ بابن العربي بالألف واللام ، واصطلاح أهل المشرق
على ذكره بغير ألف ولام ، فرقاً بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي .
وقال ابن خاتمة في كتابه « مزية المريّة » ما نصّه : محمد بن علي بن محمد
الطائفي الصوفي ، من أهل إشبيلية ، وأصله من مُرُسيّة ، يكنى أبا بكر ، ويُعرف
بابن العربي وبالحاتمي أيضاً ، أخذ عن مشيخة بلده ، ومال إلى الآداب . وكتب
لبعض الولاة بالأندلس ، ثم رخل إلى المشرق حاجتاً فأدّى الفريضة . ولم يعد
بعدها إلى الأندلس ، وسمع الحديث من أبي القاسم الحرّستاني ومن غيره .
وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبي الحسن ابن أبي نصر في شوال سنة ٦٠٦ .
وكان يحدث بالإجازة العامة عن أبي طاهر السلفي ، ويقول بها . وبرع في
علم التصوّف ، وله في ذلك تواليف كثيرة : منها « الجمع والتفصيل في
حقائق التنزيل » و « الجنوة المقتبسة . والخطرة المختلصة » وكتاب « كشف
المعنى في تفسير الأسماء الحسنى » وكتاب « المعارف الإلهية » وكتاب « الإسرا

١ أثبت في الأصول الأبيات التي مرت ص : ١٦٢ .

٢ ق ط ج ق : من نور ، وصوبت في هامش ج .

إلى المقام الأسرى » وكتاب « مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم » وكتاب « عنقاء مغرب في صفة ختم الأولياء وشمس المغرب » وكتاب « في فضائل مشيخة عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدي » ، والرسالة الملقبة بـ « مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية » في كتب أخر عديدة ، وقدم على المريّة من مرسية مُستَهَلَّ شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وبها ألّف كتابه الموسوم بـ « مواقع النجوم » ، انتهى .

ولا خفاء أن مقام الشيخ عظم بعد انتقاله من المغرب ، وقد ذكر ، رحمه الله تعالى ، في بعض كتبه أن مولده بمرسية .

وفي الكتاب المسمى بـ « الاغتباط بمعالجة ابن الحياط » تأليف شيخ الإسلام قاضي القضاة مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزابادي الصديقي صاحب القاموس ، قدّس الله تعالى روحه ، الذي ألّفه بسبب سؤالٍ سُئل فيه عن الشيخ سيدي محيي الدين بن عربي الطائي قدّس الله تعالى سرّه العزيز في كتبه المنسوبة إليه ، ما صورته :

ما تقول السادة العلماء شدّ الله تعالى بهم أزر الدين ، ولسمّ بهم شعث المسلمين ، في الشيخ محيي الدين بن عربي في كتبه المنسوبة إليه كالفتوحات والفصوص ، هل تحلّ قراءتها وإقراؤها ومطالعتها ؟ وهل هي الكتب المسموعة المقرّوة أم لا ؟ أفنونا مأجورين جواباً شافياً لتحوزوا جميل الثواب ، من الله الكريم الوهاب ، والحمد لله وحده .

فأجابه بما صورته : الحمد لله ، اللهم أنطقنا بما فيه رضاك ، الذي أعتقده في حال المسؤول عنه وأدين الله تعالى به ، أنّه كان شيخ الطريقة حالاً وعلماً ، وإمام الحقيقة حقيقة ورسماً ، ومحيي رسوم المعارف فعلاً واسماً :

إذا تَغَلَّغَلَ فَيَكْثُرُ الْمَرْءُ فِي طَرْفٍ مِنْ بَحْرِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ

وهو عُبَابٌ لَا تَكْدِرُهُ الدَّلَالُ ، وسحابٌ لَا تَتَقَاصِرُ عَنْهُ الْأَنْوَاءُ ، وكانت

دعواته تخترق السبع الطباق ، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق ، وإنّي أصفه وهو
يقيناً فوق ما وصفته ، وناطق بما كتبه ، وغالب ظني أنني ما أنصفته :

وما عَلَيَّ إذا ما قلت مُعْتَقَلِي دع الجَهِولَ يَظُنُّ العَدْلَ عُدُّوَانَا
والله والله والله العظيم وَمَنْ أَقَامَهُ حُجَّةٌ لِلدِّينِ بِرُهَاَنَا
بأنَّ ما قلتُ بعضُ مَنْ مَنَاقِبِهِ ما زدتُ إلاَّ لعلِّي زدتُ نَقْصَانَا

وأما كتبه ومصنّفاته فالبهار الزواهر ، التي بلجواهرها وكثرتها لا يُعرف
لها أول ولا آخر ، ما وضع الواضعون مثلها ، وإنّما خصَّ الله سبحانه بمعرفة
قدرها أهلها ، ومن خواص كتبه أن مَنْ واطب على مطالعتها والنظر فيها ،
وتأمّل ما في مبانيها ، انشرح صدره لحل المشكلات ، وفك العضلات ، وهذا
الشأن لا يكون إلا لأنفاس مَنْ خصّه الله تعالى بالعلوم الدّينية الربّانية ، ووقفت
على إجازة كتّبتها للملك المعظم فقال في آخرها : وأجزته أيضاً أن يروي عني
مصنفاي . ومن جملتها كذا وكذا ، حتى عدّ نيّفاً وأربعمئة مصنف ، منها
التفسير الكبير الذي بلغ فيه إلى تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ
مِنْ لَدُنَّا عِلْماً ﴾ (الكهف : ٦٥) وتوفّي ولم يكمل ، وهذا التفسير كتاب عظيم ،
كل سفر بحر لا ساحل له ، ولا غرو فإنّه صاحب الولاية العظمى ، والصدّيقية
الكبرى ، فيما نعتقد وندين الله تعالى به . وثم طائفة ، في الغي حائفة ، يُعْظِمُونَ
عليه التكبر ، وربّما بلغ بهم الجهل إلى حد التكفير ، وما ذاك إلا لقصور
أفهامهم عن إدراك مقاصد أقواله وأفعاله ومعانيها ، ولم تصل أيديهم لقصّرها
إلى اقتطاف مجانيها :

عَلَيَّ نَحْنُ الْقَوَانِي مِنْ مَعَادِنِهَا وما عَلَيَّ إذا لم تفهم البَقَرُ

هذا الذي نعلم ونعتقد ، وندين الله تعالى به في حقه ، والله سبحانه وتعالى
أعلم ، وصورة استشهاده : كتبه محمد الصديقي الملتجئ إلى حرم الله تعالى ،

عفا الله عنه .

وأما احتجاجه بقول شيخ الإسلام عزّ الدين بن عبد السلام مشايخ الشافعية فغير صحيح ، بل كذب وزور ، فقد روينا عن شيخ الإسلام صلاح الدين العلائي عن جماعة من المشايخ كلهم عن خادم الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام أنّه قال : كنّا في مجلس الدرس بين يدي الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، فجاء في باب الردّة ذكر لفظة الزنديق ، فقال بعضهم : هل هي عربية أو عجميّة ؟ فقال بعض الفضلاء : إنّما هي فارسيّة معرّبة ، أصلها زن دين ، أي على دين المرأة ، وهو الذي يضمّر الكفر ويظهر الإيمان ، فقال بعضهم : مثل من ؟ فقال آخر إلى جانب الشيخ : مثل ابن عربي بدمشق ، فلم ينطق الشيخ ولم يردّ عليه ، قال الخادم : وكنت صائماً ذلك اليوم ، فاتفق أن الشيخ دعاني للإفطار معه ، فحضرت ووجدت منه إقبالاً ولطفاً ، فقلت له : يا سيّدي ، هل تعرف القطب الغوث الفرد في زماننا ؟ فقال : ما لك ولهذا ؟ كلّ ، فعرفت أنّه يعرفه ، فركّبت الأكل وقلت له : لوجه الله تعالى عرّفني به ، من هو ؟ فتبسّم ، رحمه الله تعالى ، وقال لي : الشيخ محيي الدين بن عربي ، فأطرقت ساكناً متحيراً ، فقال : ما لك ؟ فقلت : يا سيّدي ، قد حيرتُ ، قال : لم ؟ قلت : أليس اليوم قال ذلك الرجل إلى جانبك ما قال في ابن عربي وأنت ساكت ؟ فقال : أسكت ، ذلك مجلس الفقهاء ، هذا الذي روي لنا بالسند الصحيح عن شيخ الإسلام عزّ الدين بن عبد السلام .

وأما قول غيره من أضراب الشيخ عزّ الدين فكثير ، كان الشيخ كمال الدين الزمكاني من أجلّ مشايخ الشام أيضاً يقول : ما أجهل هؤلاء ! ينكرون على الشيخ محيي الدين بن عربي لأجل كلمات وألفاظ وقعت في كتبه قد قصرت أفهامهم عن درك معانيها ، فليأتوني لأحلّ لهم مشكله ، وأبين لهم مقاصده ، بحيث يظهر لهم الحق ، ويزول عنهم الوهم .

وهذا القطب سعد الدين الحموي سئل عن الشيخ محيي الدين بن عربي لما

رجع من الشام إلى بلاده : كيف وجدت ابن عربي ؟ فقال : وجدته بحراً زخاراً لا ساحل له .

وهذا الشيخ صلاح الدين الصفدي له كتاب جليل وضعه في تاريخ علماء العالم في مجلدات كثيرة ، وهي موجودة في خزانة السلطان ، تنظر في باب الميم ترجمة محمد بن عربي لتعرف مذاهب أهل العلم الذين بابُ صدورهم مفتوح لقبول العلوم الدنية والمواهب الربانية .

وقوله في شيء من الكتب المصنفة كالفصوص وغيره : إنه صنّفه بأمر من الحضرة الشريفة النبوية ، وأمره بإخراجه إلى الناس ، قال الشيخ محيي الدين الذهبي حافظ الشام : ما أظن المحيي يتعمد الكذب أصلاً ، وهو من أعظم المنكرين وأشدّهم على طائفة الصوفية .

ثم إن الشيخ محيي الدين ، رحمه الله تعالى ، كان مسكنه ومظهره بدمشق ، وأخرج هذه العلوم إليهم ، ولم ينكر عليه أحد شيئاً من ذلك ، وكان قاضي القضاة الشافعية في عصره شمس الدين أحمد الخويسي يخدمه خدمة العبد ، وقاضي القضاة المالكية زوجته بابنته ، وترك القضاة بنظرة وقعت عليه من الشيخ .

وأما كراماته ومناقبه فلا تحصرها مجلدات ، وقول المنكرين في حقّ مثله غثاء وهباء لا يُعْبَأُ به ، والحمد لله تعالى ، انتهى ما نقلته من كلام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني ، رضي الله تعالى عنه .

وقد حكى الشيخ رضي الله تعالى عنه ، عن نفسه في كتبه ما يبهر الألباب ، وكفى بذلك دليلاً على ما منحه الله ، الذي يفتح لمن شاء الباب ، وقد اعتنى بتربيته بصاحبة دمشق سلاطين بني عثمان ، نصرهم الله تعالى ، على توالي الأزمان ، وبني عليه السلطانُ المرحومُ سليم خان المدرسة العظيمة ، ورتب له الأوقاف ، وقد زرت قبره وتبركت به مراراً ، ورأيت لوائح الأنوار عليه

١ الصواب : شمس الدين ، فهذا هو لقب اللامبي .

ظاهرة ، ولا يجد منصف مَحِيداً إلى إنكار ما يشاهد عند قبره من الأحوال الباهرة ، وكانت زيارتي له بشعبان ورمضان وأول شوال سنة ١٠٣٧ .

وقال في « عنوان الدراية » : إن الشيخ محيي الدين كان يُعرف بالأندلس بابن سُرّاقة ، وهو فصيح اللسان ، بارع فهم الجنان ، قوي على الإيراد ، كلما طلب الزيادة يزاد ، رحل إلى العُدوة ، ودخل بِجَايَةٍ في رمضان سنة ٥٩٧ ، وبها لقي أبا عبد الله العربي وجماعة من الأفاضل ، ولما دخل بِجَايَةٍ في التاريخ المذكور قال : رأيت ليلة أني نكحت نجوم السماء كلها ، فما بقي منها نجم إلا نكحته بلذة عظيمة روحانية ، ثم لما اكملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها ، ثم عرضت رؤياي هذه على مَنْ قَصَّها على رجل عارف بالرؤيا بصير بها ، وقلت للذي عرضتها عليه : لا تذكرني ، فلما ذكر الرؤيا استعظمها وقال : هذا هو البحر الذي لا يُدْرَك قعره ، صاحب هذه الرؤيا يفتح الله تعالى له من العلوم العلوية وعلوم الأسرار وخواص الكواكب ما لا يكون فيه أحد من أهل زمانه ، ثم سكت ساعة وقال : إن كان صاحب هذه الرؤيا في هذه المدينة فهو ذاك الشاب الأندلسي الذي وصل إليها .

ثم قال صاحب العنوان ما ملخصه : إن الشيخ محيي الدين رحل إلى المشرق ، واستقرت به الدار ، وألّف تواليفه ، وفيها ما فيها ، إن قيّض الله تعالى مَنْ يسمع ويتأول سهل المرام ، وإن كان ممّن ينظر بالظاهر فالأمر صعب ، وقد فقد عليه أهل الديار المصرية وسعوا في إراقة دمه ، فخلّصه الله تعالى على يد الشيخ أبي الحسن البجائي ، فإنه سعى في خلاصه وتأول كلامه ، ولما وصل إليه بعد خلاصه قال له الشيخ ، رحمه الله تعالى : كيف يحبس من حل منه اللاهوت في الناسوت ؟ فقال له : يا سيدي ، تلك شطحات في محل سكر ولا عتب على سكران .

وتوفي الشيخ محيي الدين في نحو الأربعين وستمائة ، وكان يحدث بالإجازة العامة عن السلفي ، رحمه الله تعالى ، انتهى .

ومن موشحات الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه قوله ^١ :

سَرَائِرُ الْأَعْيَانِ	لَا حَتَّ عَلَى الْأَكْوَانِ	لِلنَّسَاطِيرِ
وَالْعَاشِقُ الْغَيْرَانُ	مَنْ ذَاكَ فِي بُحْرَانٍ ^٢	يُبْذِي الْأَيْنِ
يَقُولُ وَالْوَجْدُ	أَضْنَاهُ وَالْبُعْدُ ^٣	قَدْ خَيْرَهُ
لَمَّا دَنَا الْبُعْدُ	لَمْ أَدْرِ مَنْ بَعْدُ	مَنْ غَيْرَهُ
وَهَيْمَ الْعَبْدُ	وَالوَاحِدُ الْفَرْدُ	قَدْ خَيْرَهُ
فِي الْبَوَّاحِ وَالْكَيْثَمَانِ	وَالسَّرِّ وَالْإِعْلَانِ	فِي الْعَالَمِينَ
أَنَا هُوَ الدِّبَّانِ	يَا عَابِدَ الْأَوْثَانِ	أَنْتَ الضَّنِّينِ
كُلُّ الْهَوَى صَعْبُ	عَلَى الَّذِي يَتَشَكُّو	ذُلُّ الْحِجَابِ
يَا مَنْ لَهُ قَلْبُ	لَوْ أَنَّهُ يَذْكُو	عِنْدَ الشَّابِ
قَرَّبَهُ الرَّبُّ	لَكِنَّهُ إِفْكَ	فَانْوِ الْمَتَابِ
وَنَادِ يَا رَحْمَنُ	يَا بَرُّ يَا مَتَّانُ	إِنِّي حَزِينُ
أَضْنَانِي الْهَجْرَانِ	وَلَا حَتِيبَ دَانِ	وَلَا مُعِينِ
فَنِيَّتُ بِاللَّهِ	عَمَّا تَرَاهُ الْعَيْنُ	مِنْ كَوْنِهِ
فِي مَوْقِفِ الْجَاهِ	وَصِحْتُ أَيْنَ الْأَيْنِ	فِي بَيْتِهِ
فَقَالَ : يَا سَاهِي	عَايَنْتَ فُطْرَ عَيْنِ	بِعَيْنِهِ
أَمَا تَرَى غَيْلَانُ	وَقَيْسَ أَوْ مَنْ كَانَ	فِي الْغَابِرِينَ
قَالُوا الْهَوَى سُلْطَانُ	إِنْ حَلَّ بِالْإِنْسَانِ	أَفْنَاهُ دِينَ

١ انظر ديوانه ابن عربي : ٨٥ .

٢ في ق ط : في حران ، والتصحيح عن الديوان ؛ ج : في هجران .

٣ الديوان : والسهد .

كَمْ مَرَّةً قَالَا	أَنَا الَّذِي أَهْوَى	مَنْ هُوَ أَنَا
فَلَا أَرَى حَالَا	وَلَا أَرَى شَكْوَى	إِلَّا الْفَنَّا
لَسْتُ كَمَنْ مَالَا	عَنِ الَّذِي يَهْوَى	بَعْدَ الْجَنَى
وَدَانَ بِالسُّلْوَانِ	هَذَا هُوَ الْبُهْتَانِ	لِلْعَارِفِينَ
سَلُّوهُمْ مَا كَانَ	عَنْ حَضْرَةِ الرَّحْمَنِ	وَالْآفِيكِينَ
دَخَلْتُ فِي بُسْتَانِ	الْأَنْسِ وَالْقُرْبِ	كَمْ كُنْسِيهِ
فَقَامَ لِي الرَّيْحَانُ	يَخْتَالُ بِالْعُجْبِ	فِي سُنْدُسِيهِ
أَنَا هُوَ يَا إِنْسَانُ	مُطَيَّبُ الصَّبِّ	فِي مَجْلِسِيهِ
جَنَّانَ يَا جَنَّانَ	اجْنِ مِنَ الْبُسْتَانِ	الْيَاسَمِينَ
وَحَلَّلَ الرَّيْحَانُ	بِحَرْمَةِ الرَّحْمَنِ	لِلْعَاشِقِينَ

وقال الإمام الصفي ابن ظافر الأزدي في رسالته^١ : رأيت بدمشق الشيخ الإمام العارف الوحيد محيي الدين بن عربي ، وكان من أكبر علماء الطريق ، جمع بين سائر العلوم الكسبية وما وفر له من العلوم الوهبية ، ومنزلته شهيرة ، وتصانيفه كثيرة ، وكان غلب عليه التوحيد علماً وخلقاً وحالاً ، لا يكثر بالوجود مقبلاً كان أو معرضاً ، وله علماء أتباع أرباب مواجيد وتصانيف ، وكان بينه وبين سيدي الأستاذ الحرار إخاء ورفقة في السياحات ، رضي الله تعالى عنهما ، انتهى .

وذكر الإمام سيدي عبد الله بن سعد اليافعي اليمني في « الإرشاد » أنه اجتمع مع الشهاب السهروردي ، فأطرق كل واحد منهما ساعة ، ثم افترقا من غير كلام ، ف قيل للشيخ ابن عربي : ما تقول في السهروردي ؟ فقال : مملوء سنة من قرنه إلى قدمه ، وقيل للسهروردي : ما تقول في الشيخ محيي

١ قد تقدم هذا ص : ١٦٨ .

الدين ؟ فقال : بحر الحقائق .

ثم قال الياضي ما ملخصه : إن بعض العارفين كان يقرأ عليه كلام الشيخ ويشرحه ، فلما حضرته الوفاة نهى عن مطالعته ، وقال : إنكم لا تفهمون معاني كلامه ، ثم قال الياضي : وسمعت أن العز بن عبد السلام كان يطعن عليه ويقول : هو زنديق ، فقال له بعض أصحابه : أريد أن تريني القطب ، أو قال ولياً ، فأشار إلى ابن عربي ، فقال له : فأنت تطعن فيه ، فقال : أصون ظاهر الشرع ، أو كما قال .

وأخبرني بهذه الحكاية غير واحد من ثقات مصر والشام ، ثم قال : وقد مدحه وعظمه طائفة كالنجم الأصبهاني والتاج بن عطاء الله وغيرهما ، وتوقف فيه طائفة ، وطعن فيه آخرون ، وليس الطاعن فيه بأعلم من الخضر عليه السلام ، إذ هو أحد شيوخه ، وله معه اجتماع كثير .

ثم قال : وما يُنسب إلى المشايخ له محامل : الأول أنه لم تصح نسبته إليهم ، الثاني بعد الصحة يلتبس له تأويل موافق ، فإن لم يوجد له تأويل في الظاهر فله تأويل في الباطن لم نعلمه ، وإثماً يعلمه العارفون ، الثالث : أن يكون ذلك صدر منهم في حال السكر والغيبة ، والسكران سكرأ مباحاً غير مؤاخذ ولا مكلف ، انتهى ملخصاً .

وممن ذكر الشيخ محيي الدين الإمام شمس الدين محمد بن مُسدي في معجمه البديع المحتوي على ثلاث مجلدات . وترجمه ترجمة عظيمة مطولة أذكر منها أنه قال : إنه كان ظاهري المذهب في العبادات ، باطني النظر في الاعتقادات ، خاض بحر تلك العبارات ، وتحقق بمُحييّا تلك الإشارات ، وتصانيفه تشهد له عند أولي البصر بالتقدم والإقدام ، ومواقف النهايات في مزالق الأقدام . ولهذا ما ارتبت في أمره ، والله تعالى أعلم بسرّه ، انتهى .

ونقلت من خط ابن علوان التونسي ، رحمه الله تعالى : وقال الشيخ

محيي الدين :

بالمال يَتَشَقَّادُ كُلُّ صَعْبٍ من عَالَمِ الأَرْضِ والسَّمَاءِ
يَتَحَسَّبُهُ عَالَمٌ حَجَاباً لم يعرفوا لذَّةَ العَطَاءِ
لولا الذي في النفوسِ مِنْهُ لَمْ يُجِبِ اللهُ في الدعاءِ
لا تحسبِ المالَ ما تَرَاهُ من عَسَجَدَ مُشْرِقَ لَرَاهُ
بل هو ما كنتَ يا بني بهِ غَنِيّاً عَنِ السَّوَاءِ
فكن بربِّ العَلَا غَنِيّاً وعامِلِ الخَلْقَ بالوَفَاءِ

وقال :

نَبَّهْ عَلَى السَّرِّ وَلَا تُفْشِهْ فالبَتَّوحُ بالسَّرِّ له مَقْتُ
على الذي يَبْدِيهِ فاصْبِرْ لَهُ واكْتُمْهُ حَتَّى يَصِلَ الْوَقْتُ

وقال :

قد ثابَ غِلْمَانُنَا عَلَيْنَا فما لَنَا في الوجودِ قَدْرُ
أَذْنَابُنَا صُيِّرَتْ رُؤُوساً ما لي على ما أَرَاهُ صَبْرُ
هذا هوَ الدَّهْرُ يا خَلِيلِي فَمَنْ يُقَاسِيهِ فهو قَهْرُ

ونظمُ الشَّيْخِ محيي الدين هو البحر الذي لا ساحلَ له .
ولنختم ما أوردنا منه بقوله :

يا حَبِذَا المسجدَ من مَسْجِدِ وحَبِذَا الروضَةَ من مَشْهَدِ
وحَبِذَا طَيِّبَةَ من بِلَدِ فيها ضَرِيحُ المصْطَفَى أَحْمَدِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ من سَيِّدِ لَوَلَاهُ لَمْ نُفْلِحْ وَلَمْ نَهْتَدِ
قد قَرَنَ اللهُ بِهِ ذِكْرَهُ في كُلِّ يَوْمٍ فاعتبرْ تَرْشُدِ
عَشْرُ حَقِيقَاتٍ وَعَشْرُ إِذَا أَهْلُنَّ بالتَّأْذِينِ في المَسْجِدِ
فَهَذِهِ عِشْرُونَ مَقْرُونَةً بِأَفْضَلِ الذِّكْرِ إِلَى المَوْعِدِ

١١٤ - ومنهم الصوفي الشهير أبو الحسن علي الشُّشْتَرِي ، وهو علي ابن عبد الله النميري^١ ، عروس الفقهاء ، وأمير المتجربين ، وبركة لابسِي الخرقَة ، وهو من قرية شُشْتَر من عمل وادي آس ، وزقاق الشُّشْتَرِي معلوم بها ، وكان مجوِّداً للقرآن ، قائماً عليه ، عارفاً بمعانيه ، من أهل العلم والعمل ، جال الآفاق ، ولقي المشايخ ، وحجَّ حجَّات ، وآثر التجرد والعبادات . وذكره القاضي أبو العباس الغبريني في « عنوان الدراية » فقال : الفقيه الصوفي ، من الطلبة المحصلين ، والفقراء المنقطعين ، له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية ، وتقدُّم في النظم والنثر على طريقة التحقيق ، وأشعاره وموشحاته وأزجاله الغاية في الانطباع .

أخذ عن القاضي محيي الدين محمد بن إبراهيم بن الحسن بن سُراقَة الأنصاري الشاطبي وغيره من أصحاب السُّهْرَوْرْدِي صاحب « عوارف المعارف » واجتمع بالنجم بن إسرائيل الدمشقي سنة ٦٥٠ ، وخدم أبا محمد ابن سبعين ، وتكلمت له ، وكان ابن سبعين دونه في السن ، لكن اشتهر باتباعه ، وعول على ما لديه ، حتى صار يعبر عن نفسه في منظوماته وغيرها بعبد ابن سبعين ، وقال له لما لقيه - يريد المشايخ - : إن كنت تريد الجنة فسر إلى أبي مدين ، وإن كنت تريد ربَّ الجنة فهلم إليّ ، ولما مات أبو محمد انفرد بعده بالرياسة والإمامة على الفقراء المتجربين ، فكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربعمائة فقير فيتقسّمهم الترتيب في وظائف خدمته .

صنف كتباً : منها كتاب « العروة الوثقى في بيان السنن وإحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمل ويعتقده إلى وفاته » وله كتاب « المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية » و « الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة » و « المراتب

١ ترجمة أبي الحسن الششتري في عنوان الدراية : ١٤٠ ؛ وانظر مقدمة ديوانه بتحقيق الدكتور علي سامي النشار (ط. الإسكندرية ١٩٦٠) .

الإيمانية والإسلامية والإحسانية » و « الرسالة العلمية » وغير ذلك .
وله ديوان شعر مشهور ، ومن نظمه قوله ، رحمه الله تعالى ^١ :

لقد تَهْتُّ عَجْباً بالتجرد والفقر
وجاءت لقلبي نَفْحَةٌ قُدُسِيَّةٌ
طويتُ بساطَ الكون والطِّيُّ نشره
وغَمَضْتُ عَيْنَ القلبِ غيرَ مطلق
وصلتُ لمن لم تنفصلُ عنه لحظة
وما الوصفُ إلاَّ دُونَهُ غيرَ أنِّي
وذلك مثلُ الصوتِ أيقظُ نائماً
فقلتُ لهُ الأسماءُ تبغي بيانه

وقال ^٢ :

مَنْ لَامَنِي لَو أَنَّه قَدْ أَبْصَرَ
وَعَدَا يَقُولُ لَصَحْبِهِ إِنْ أَنْتُمْ
شَدَّتْ أُمُورُ الْقَوْمِ عَنْ عَادَاتِهِم

وقال ، وهي من أشهر ما قال ^٣ :

أرى طالباً منّا الزيادة لا الحُسنى
وطالبنا مطلوبنا من وجودنا
بفكرٍ رمى سَهْمًا فعدى به عدنا
نغيبُ به عنّا لدى الصَّعَقِ إِنْ عَنَّا

وهي طويلة مشهورة بالشرق والغرب ، وقد شرحها شيخ شيوخنا

١ ديوان الشجري : ٥١ .

٢ ديوانه : ٤١ .

٣ ديوانه : ٧٢ .

العارف بالله تعالى ، سيدي أحمد زروق ، نفعنا الله تعالى ببركاته . وأشار ابن الخطيب في « الإحاطة » إلى أنها لا تخلو عن شذوذ من جهة اللسان ، وضعف في العربية ، قال : ومع ذلك فهي غريبة المنزع ، أشار فيها إلى مراتب الأعلام من أهل هذه الطريقة ، وكأنها مبنية على كلام شيخه الذي خاطبه به عند لقائه حسبما قدّمناه ، إذ الحسنى : الجنة ، والزيادة : مقام النظر ، وقوله فيها :

وأظهرَ مِنْهَا الغَافِقِي لَنَا جَنِّي وَكشَفَ عن أطواره الغيم والدَّجَنَّا

هو شيخه أبو محمد ابن سبعين لأنه مُرْسِي الأصل غَافِقِيَّة . ولما وصل الشُّشْتري من الشام إلى ساحل دِمياط وهو مريض مرض موته نزل قرية بساحل البحر الرومي فقال : ما اسم هذه القرية ؟ فقيل : الطينة ، فقال : حنّتِ الطينة إلى الطينة ، وأوصى أن يُدفن بمقبرة دِمياط ، إذ الطينة بمفازة ، وأقرب المدن إليها دِمياط ، فحمله الفقراء على أعناقهم إلى دِمياط . وكانت وفاته يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ٦٦٨ ، فدفن بدِمياط ، رحمه الله تعالى ، ورضي عنه .

١١٥ - ومنهم سيدي أبو الحسن علي بن أحمد الحرّاني الأندلسي^١ - وحرّالة : قرية من أعمال مُرْسِيَّة - غير أنه ولد بمراكش ، وأخذ بالأندلس عن أبي الحسن ابن خروف وغير واحد ، ورحل إلى المشرق فأخذ عن أبي عبد الله القرطبي إمام الحرم وغيره ، ولقي جلة من المشايخ شرقاً وغرباً . وهو إمام ورع صالح زاهد ، كان بقية السلف ، وقدوة الخلف ، وقد زهد في الدنيا وتخلّى عنها ، وأقام في تفسير الفاتحة نحواً من ستّة أشهر يُلقِي في التعليل قوانين تنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام ، حتى من الله تعالى بـبركات ومواهب لا تحصى ، وعلى أحكام تلك القوانين

١ ترجمة أبي الحسن الحرّاني في عنوان الدراية : ٨٥ وشذرات الذهب ٥ : ١٨٩ .

وضع كتابه « مفتاح اللبّ المقفل على فهم القرآن المنزل » وهو ممن جمع العلم والعمل ، وصنّف في كثير من الفنون كالأصلين والمنطق والطبيعيّات والإلهيّات ، وكان يُقرىء « النجاة » لابن سينا فينقضه عُرْوَة عُرْوَة ، وكان من أعلم الناس بمذهب مالك ، ولمّا ظنّ فقهاء عصره أنّه لا يحسن المذهب لاشتغاله بالمعقولات أقرأ « التهذيب » وأبدى فيه الغرائب ، وبيّن مخالفته للمدوّنة في بعض المواضع ، ووقع بينه وبين الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام شيء ، وطلب عزّ الدين أن يقف على تفسيره ، فلمّا وقف عليه قال : أين قول مجاهد ؟ أين قول فلان وفلان ؟ وكثر القول في هذا المعنى ، ثم قال : يخرج من بلادنا إلى وطنه — يعني الشام — فلمّا بلغ كلامه الشيخ قال : هو يخرج وأقيم أنا ، فكان كذلك . وله عدّة مؤلّفات في الفنون ؛ وقال ، رحمه الله تعالى : أقمت ملازماً لمجاهدة النفس سبعة أعوام ، حتى استوى عندي مَنْ يُعطيني ديناراً ومن يزدريني . وأصبح — رحمه الله تعالى — ذات يوم ولا شيء لأهله يقيمون به أوّدهم ، وكانت أم ولده جارية تسمّى كريمة ، وكانت سيّئة الخلق ، فاشتدّت عليه في الطلب ، وقالت له : إن الأصاغر لا شيء لهم ، فقال : الآن يأتي من قبل الوكيل ما نقوّت به ، فبينما هم كذلك وإذا بالحمّال يضرب الباب ومعه قمح ، فقال لها : يا كريمة ، ما أعجبتك ، هذا الوكيل بعث بالقمح ، فقالت : ومن يصنعه ؟ فأمر فتصدّق به ، ثم قال لها : يأتيك ما هو أحسن منه ، فانتظرت يسيراً ، وبدأ لها فتكلّمت بما لا يليق ، فبينما هم كذلك ، وإذا بحمّال سميد ، فقال لها : هذا السميد أسر وأسهل من القمح ، فلم يقنعها ذلك ، فأمر أيضاً بصدّقه ، فلمّا تصدّق به زادت في المقال ، وإذا برجل على رأسه طعام ، فقال لها : يا كريمة ، قد كُفيت المؤونة ، هذا الوكيل قد علم بحالك .

ومن كراماته أن بعض طلبته اجتمعوا في نزهة ، وأخذوا حلياً من زينة النساء ، فزيّنوا به بعض أصحابهم ، فلمّا انقضى ذلك واجتمعوا بمجلس الشيخ صار الذي كان في يده الحلي يتحدّث ويشير بيده ، فقال الشيخ : يد يجعل

فيها الحلبي لا يشار بها في الميعاد .

ومنها أنه أصاب الناس جَدْبٌ ببجايةَ ، فأرسل إلى داره مَنْ يَسُوق ماء إلى الفقراء ، فامتنعت كريمة ، ونَهَرَتْ رُسْلَهُ ، فسمع كلامها ، فقال للرسول : قل لها يا كريمة ، والله لأَشْرِبَنَّ من ماء المطر الساعة ، فرمَتْ السماء بطرفه ، ودعا الله سبحانه وتعالى ، ورفع يده به ، وشرع المؤذن في الأذان ، ولم يحتم المؤذن أذانه حتى كان المطر كأفواه القِرَب .

وتوفي ، رحمه الله تعالى ، بحمّة من بلاد الشام سنة سبع وثلاثين وستمائة ؛ انتهى ملخصاً من « عنوان الدراية » للغبريني .

ووقع للذهبي في حقّه كلام على عادته في الخطّ على هذه الطائفة ، ثم قال : ورأيت شيخنا المجد التونسي يتغالى في تفسيره ، ورأيت غير واحد معظماً له وقوماً تكلموا في عقيدته ، وكان نازلاً عند قاضي حمّة البارزي ؛ وقال لنا شرف الدين البارزي : تزوّج بحمّة ، وكانت زوجته تشتمه وتؤذيه وهو يتبسّم ، وإن رجلاً راهباً جماعةً على أن يُحَرِّجَهُ ، فقالوا : لا تقدر ، فأتى وهو يعظ وصاح ، وقال له : أنت أبوك كان يهودياً وأسلم ، فنزل من الكرسي ، فاعتقد الرجل أنه غضب وأنه تمّ له ما رامه حتى وصل إليه فخلع مرطيه عليه ، وأعطاه إياهما ، وقال له : بَشِّرْكَ الله بالخير ، لأنك شهدت لأبي أنه كان مسلماً ، انتهى .

وظاهر كلام الغبريني أن تفسير الشيخ الحرالي كامل ، وقال بعض : إنه لم يكمل ، وهو تفسير حسن ، وعليه نسج البقاعي مناسباته ، وذكر أن الذي وقف عليه منه من أوّل القرآن إلى قوله في سورة آل عمران ﴿ كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ (آل عمران : ٣٧) .

وكلام الذهبي في الشيخ يرده كلام الغبريني ، إذ هو أعرف به ، والله تعالى أعلم .
وحكى الغبريني أنه أنشد بين يديه الرجل المشهور^١ :

جَتَّانَ يَا جَتَّانَ اجْنِ مِنَ البُسْتَانِ اليَاسَمِينَ
وَاتْرُكِ الرِّيحَانَ بِحُرْمَةِ الرَّحْمَنِ للعَاشِقِينَ

فسأل بعض عن معناه ، فقال بعض الحاضرين : أراد به العذار ، وقال آخر : إنما أشار إلى دَوَامِ العهد ، لأن الأزهار كلها ينقضي زمانها إلا الرِّيحَانَ فلأنه دائم ، فاستحسن الشيخ هذا أو وافق عليه .

١١٦ - ومنهم ولي الله العارف به^٢ الشيخ الشهيرُ الكرامات ، الكبير [المقامات]^٣ سيدي أبو العباس المرسي ، نفعنا الله تعالى به^٤ . وهو من أكابر الأولياء ، صاحب سيدي الشيخ الفردّ القطب الغوث الجامع سيدي أبا الحسن الشاذلي ، أعاد الله تعالى علينا من بركاته ، وخلفه بعده ، وكان قدم من الأندلس من مُرسية ، وقبره بالإسكندرية مشهور بإجابة الدعوات ، وقد زرته مراراً كثيرة ، ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله .

وقد عرف به الشيخ العارف بالله ابنُ عطاء الله في كتابه « لطائف المنن في مناقب الشيخ سيدي أبي العباس وشيخه سيدي أبي الحسن ، رضي الله تعالى عنهما » .

وقال الصفدي في الوافي : أحمد بن عمر بن محمد الشيخ الزاهد الكبير العارف أبو العباس ، الأنصاري المرسي ، وارث شيخه الشاذلي تصوّفاً ، الأشعري معتقداً ،

١ انظر ما تقدم ص : ١٨٢ .

٢ المقامات : زيادة من ج ليست في ق ط .

٣ ترجمة أبي العباس المرسي في طبقات الشمراني ولطائف المنن لابن عطاء الله ونيل الابتهاج : ٦٤ (على هامش الديباج) والوافي للصفدي ج ٧ الورقة : ١٢٨ .

توفي بالإسكندرية سنة ٦٨٦ ، ولأهل مصر ولأهل النغر فيه عقيدة كبيرة ، وقد زرته لما كنت بالإسكندرية سنة ٧٣٨ ، قال ابن عَرَّام سبط الشاذلي : ولولا قوة اشتهاره وكراماته لذكرت له ترجمة طويلة ، كان من الشهود بالنغر ، انتهى وكان سيدي أبو العباس يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله تعالى ، حتى إنّه ربّما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به ، وربّما دخل عليه عاصٍ فأكرمه ، لأن ذلك الطائع أتى وهو متكثّر لعمله^١ ناظر لفعله ، وذلك العاصي دخل بكسر معصيته وذلة مخالفته ، وكان شديد الكراهة للوسواس في الصلاة والطهارة ، ويثقل عليه شهود من كان على صفته ، وذُكر عنده يوماً شخصٌ بأنّه صاحب علم وصلاح ، إلّا أنّه كثير الوسوسة ، فقال : وأين العلم ؟ العلم هو الذي ينطبع في القلب كالبياض في الأبيض والسواد في الأسود .

وله كلام بديع في تفسير القرآن العزيز : فمن ذلك أنّه قال : قال الله سبحانه وتعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ علم الله عجز خلقه عن حمده ، فحمد نفسه بنفسه في أزله ، فلمّا خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمّدوه بحمده ، فقال ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي : الحمد الذي حمد به نفسه بنفسه هو له ، لا ينبغي أن يكون لغيره ، فعلى هذا تكون الألف واللام للعهد . وقال في قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ : إِيَّاكَ نعبد شريعة ، وإِيَّاكَ نستعين حقيقة ، إِيَّاكَ نعبد لإسلام ، وإِيَّاكَ نستعين لإحسان ، إِيَّاكَ نعبدُ عبادة ، وإِيَّاكَ نستعين عبودية ، إِيَّاكَ نعبدُ فرق ، وإِيَّاكَ نستعين جمع . وله في هذا المعنى وغيره كلام نفيس يدلّ على عظيم ما منحه الله سبحانه من العلوم الدنية . وقال ، رضي الله تعالى عنه ، في قوله تعالى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ : بالتثيت^٢ فيما هو حاصل ، والإرشاد لما ليس بحاصل ؛ وهذا

١ في نسخة : متكبر بعمله ؛ وفي ق : متكثّر بعمله .

٢ في نسخة : بالتثيت .

الجواب ذكره ابن عطية في تفسيره ، وبسطه الشيخ ، رضي الله تعالى عنه ، فقال : عمومُ المؤمنين يقولون ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل ، فإنَّهم حصل لهم التوحيد ، وفاتَّهم درجات الصالحين ، والصالحون يقولون ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل ، لأنَّهم حصل لهم الصلاح ، وفاتَّهم درجات الشهداء ، والشهيد يقول ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي بالتثبيت فيما هو حاصل ، والإرشاد لما ليس بحاصل ، فإنه حصلت له درجة الشهادة ، وفاته درجة الصديقية ، والصديق كذلك يقول ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ إذ حصلت له درجة الصديقية ، وفاته درجة القطب ، والقطب كذلك يقول ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ فإنه حصلت له رتبة القطبانية ، وفاته علم إذا شاء الله تعالى أن يطلعه عليه أطلعه . وقال ، رضي الله تعالى عنه : الفتوة الإيمان ، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف : ١٣) وقال ، رضي الله تعالى عنه ، في قوله سبحانه وتعالى حاكياً عن الشيطان ﴿ ثُمَّ لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ . . . الْآيَةُ ﴾ (الأعراف : ١٧) ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لأن فوقهم التوحيد وتحتهم الإسلام . وقال ، رضي الله تعالى عنه : التقوى في كتاب الله ، عز وجل ، على أقسام : تقوى النار ، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ (آل عمران : ١٣١) وتقوى اليوم ، قال الله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ (البقرة : ٢٨١) وتقوى الربوبية ، قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ (الحج : ١ ، لقمان : ٢٣) وتقوى الألوهية ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (المائدة : ٤٤ ، ٨٧ ، ١١٠) وتقوى الإنسية ﴿ وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة : ١٩٧) وقال ، رضي الله تعالى عنه ، في قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، « أنا سيّد ولد آدم ولا فخر » أي : لا أفتخر بالسيادة ، وإنما الفخر لي بالعبودية لله ، وكان كثيراً ما ينشد :

يا عمرو نادِ عبدَ زهراءِ يَعْرِفُهُ السامِعُ والرائي
لا تَدْعُنِي إِلَّا بِمَا عَبَدَهَا فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمَائِي

وقال رضي الله تعالى عنه ، في قول سَمَنُونَ المحب :

وليس لي في سواكَ حَظٌّ فكَيفَما شِئْتَ فاخترني

الأولى أن يقول : فكيفما شئت فاعفُ عني إذ طلب^١ العفو أولى من طلب الاختبار . وقال رضي الله تعالى عنه : الزاهد جاء من الدنيا إلى الآخرة ، والعارف جاء من الآخرة إلى الدنيا . وقال رضي الله تعالى عنه : العارف لا دُنْيَا له ، لأن دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ ، وآخِرَتُهُ لِرَبِّهِ . وقال : الزاهد غريب في الدُّنْيَا ، لأن الآخرة وطنه ، والعارف غريب في الآخرة .

قال بعض العارفين : معنى الغربة في كلام الشيخ ، رضي الله تعالى عنه ، أن الزاهد يكشف له^٢ عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومُعَشَّشَ رُوحِهِ ، فيكون غريباً في الدُّنْيَا ، إذ ليست وطناً لقلبه ، عاين الآخرة فأخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها ، وفيما شهد من عقوبتها ونكالاتها ، فتغرب في هذه الدار . وأمّا العارف فإنه غريب في الآخرة إذ كشف له عن صفات معروفة فأخذ قلبه فيما هناك ، فصار غريباً في الآخرة ، لأن سرّه مع الله تعالى ، بلا أيّن ، فهؤلاء العباد تصير الحضرة مُعَشَّشَ قُلُوبِهِمْ ، إليها يأوون ، وفيها يسكنون ، فإن تنزلوا إلى سماء الحقوق ، أو أرض الخصوص ، فبالإذن والتمكين ، والرسوخ في اليقين ، فلم ينزلوا إلى الخصوص لشهوة ، ولم يصعدوا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة ، بل كانوا في ذلك كلّهم بآداب الله تعالى وآداب رسله وأنبيائه متأدبين ، وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين ، رضي الله تعالى عنهم ، ونفعنا بهم آمين .

١ في بعض النسخ : لأن طلب .

وكلام سيّدي الشيخ أبي العباس ، رضي الله تعالى عنه ، بحر لا ساحل له ، وكراماته كذلك ، وليُراجع كتاب تلميذه ابن عطاء الله ، فإن فيه من ذلك ما يشفي ويكفي ، وما بقي أكثر .

ومن كراماته ، رضي الله تعالى عنه ، أنه عزم عليه إنسان وقدّم إليه طعاماً يختبره به ، فأعرض عنه ولم يأكله ، ثم التفت إلى صاحب الطعام وقال له : إن الحارث المحاسبي ، رضي الله تعالى عنه ، كان في إصبعه عرق إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه ، وأنا في يدي سبعون عرقاً تتحرك عليّ إذا كان مثل ذلك ، فاستغفرَ صاحبُ الطعام ، واعتذر إلى الشيخ ، رضي الله تعالى عنه ، ونفعنا به .

١١٧ - ومنهم أبو إسحاق الساحلي ، المعروف بالطُّوَيْجِين^١ - بضم الطاء المهملة ، وفتح الواو ، وسكون الياء التحتية ، وكسر الجيم ، وقيل بفتحها - العالم المشهور ، والصالح المشكور ، والشاعر المذكور ، من أهل غرناطة من بيت صلاح وثروة وأمانة ، وكان أبوه أمين العطّارين بغرناطة ، وكان مع أمانته من أهل العلم فقيهاً متفنّناً ، وله الباع المديد في الفرائض .

وأبو إسحاق هذا كان في صغره مؤثّقاً بسماط شهود غرناطة ، وارتحل عن الأندلس إلى المشرق ، فحجّ ، ثم سار إلى بلاد السودان فاستوطنها ، ونال جاهاً مكيّناً من سلطانها ، وبها توفي ، رحمه الله تعالى ، انتهى ملخصاً من كلام الأمير ابن الأحمر في كتابه « نثر الجمان » ، فيمن نظمني وإياه الزمان . وقال أبو المكارم منديل بن آجرؤم : حدثني من يوثق بقوله أن أبا إسحاق الطُّوَيْجِين كانت وفاته يوم الاثنين ٢٧ جمادى الأخيرة سنة ٧٤٧^٢ بِتَنْبُكْتُو

١ ترجمة الطويين في الإحاطة ١ : ٣٣٧ ومسالك الأبصار ١١ : ٥١٦ والكتيبة الكامنة : ٢٣٥ ونثر فرائد الجمان : الورقة ٥٣ ونثر الجمان : الورقة ٥٨ والاستقصاء ٣ : ٥٢ .
٢ في نسخة : ٧٦٧ .

موضع بالصحراء من عمالة مالي ، رحمه الله تعالى ؛ ثمّ ضبط الطويحين بكسر
الجيم ، قال : وبذلك ضبطه بخطّ يده ، رحمه الله تعالى ، قال : ومن نسبه
للساحلي فإنّ نسبه بلجده للأُم ، انتهى .

١١٨ - ومنهم الشيخ الأديب الفاضل المعمّر ضياء الدين أبو الحسن علي
ابن محمد بن يوسف بن عفيف ، الخزرجي ، الساعدي^١ ، من أهل غرناطة ،
ويشهر بالخزرجي ، مولده ببغّة ، رحل عن الأندلس قديماً واستقرّ أخيراً
بالإسكندريّة ، وبها لقيه الحافظ ابن رشيد غير مرّة ، وقد أطل في رحلته
في ترجمته ، إلى أن قال : وذكره صاحبنا أبو حيان ، وهو أحد من أخذ عنه
ولقيه ، فقال : تلا القرآن بالأندلس على أبي الوليد هشام بن واقف المقرئ ،
وسمع بها من أبي زيد الفازي العشرينيّات ، وسمع بمكة من شهاب الدين
الشهروردي صاحب « عوارف المعارف » وتلا بالإسكندريّة على أبي القاسم
ابن عيسى ، ولا يُعرف له نظم في أحد من العالم إلاّ في مدح رسول الله ، صلّى
الله عليه وسلّم .

ومن شعره يعارض الحريري :

أهين لأهل^٢ البدع^١ والهجر^٢ والتصنع^١ ودنّ بترك^١ الطمع
ولذّ بأهل الورع^١
وعدّ عن كلّ بدعي^١ لم يكثرث بالنّبذ^١ والهج^١ ببر جهبذ^١
وعالم^١ متّضع^١
واندب زماناً قد سلف^١ ولم تجد منه خلف^١ وابعث^١ بأنواع الأسف^١
رسائل^١ التضرّع^١

١ راجع ترجمة ابن عفيف الخزرجي في رحلة ابن رشيد (القسم الثالث من مخطوطة الاسكوريال ،
الورقة ٨) .

٢ ابن رشيد : هون بأهل .

وهي طويلة^١ ؛ فلتراجع ترجمته في « ملء العيبة » لابن رُشيد ، رحمه الله تعالى .

١١٩ - ومنهم الفقيه الجليل ، العارف النبيل ، الحاذق الفصيح البارع أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ، الشهير بابن سبعين ، العكي ، المرسى ، الأندلسي ، ويلقب من الألقاب المشرقية بقطب الدين^٢ . قال الشيخ المؤرخ ابن عبد الملك : درس العربية والآداب بالأندلس ، ثم انتقل إلى سبّنة ، وانتحل التصوّف ، وعكف برهة على مطالعة كتبه ، والتكلم على معانيها ، فمالت إليه العامة ، ثم رحل إلى المشرق ، وحجّ حججاً ، وشاع ذكره ، وعظم صيته ، وكثر أشياعه ، وصنف أوضاعاً كثيرة تلقوها منه ، ونقلوها عنه ، ويرمى بأمور ، الله تعالى أعلم بها وبحقيقتها ، وكان حسن الأخلاق ، صبوراً على الأذى ، آية في الإيثار ، انتهى .

وقال غير واحد : إن أغراض الناس فيه متباينة ، بعيدة عن الاعتدال ، فمنهم المرهق المكفر ، ومنهم المقلّد المعظم الموقر ، وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والاعتقاد ، والنفرة والانتقاد ، ما لم يقع لغيره ، والله تعالى أعلم بحقيقة أمره . ولما ذكر الشريف الغرناطي عنه أنّه كان يكتب عن نفسه ابن ○ يعني الدارة التي هي كالصفر ، وهي في بعض طرق المغاربة في حسابهم سبعون ، وشهر لذلك بابن دارة - ضمن فيه البيت المشهور :

محا السيّف ما قال ابن دارة أجمعاً

١ قال ابن رُشيد : عددها أحد وأربعون بيتاً .

٢ ترجمة ابن سبعين في عنوان الدراية : ١٣٩ والإحاطة : ٣١٧ (النسخة المطبوعة) وفيها نقل عن ابن عبد الملك ؛ والفوات ١ : ٥١٦ والبداية والنهاية ١٣ : ٢٦١ وشذرات الذهب ٥ : ٣٢٩ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٣٢ وله ترجمة في المنهل الصافي والوافي (راجع مقدمة رسائله) وقد نشر الدكتور عبد الرحمن بدوي مجموعة من رسائله في سلسلة تراثنا - الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة (تاريخ المقدمة : ١٩٥٦) .

حسبما ذكره الشريف في شرح مقصورة حازم ، وقد طال عهدي به ، فليراجعه من ظفر به ^١ .

وقال صاحب « درة الأسلاك » في سنة ٦٦٩ ، ما صورته ^٢ : وفيها توفي الشيخ قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن سبعين المُرسي ، صوفي متفلسف ، متزهّد متقشّف ، يتكلّم على طريق أصحابه ، ويدخل البيت ولكن من غير أبوابه ، شاع أمره ، واشتهر ذكره ، وله تصانيف وأتباع ، وأقوال يعيل إليها بعض القلوب وتملّتها بعض الأسماع ، وكانت وفاته بمكّة المشرّفة عن نحو خمسين سنة ، تغمّده الله تعالى برحمته ، انتهى .

وقال بعض الأعلام في حقّ ابن سبعين : إنّه كان ، رحمه الله تعالى ، عزيز النفس ، قليل التصنّع ، يتولى خدمة الكثير من الفقراء والسّفارة أصحاب العبادات والدّفافيس ^٣ بنفسه ، ويحفون به في السكك ، ولمّا توفّرت دواعي النّقْد عليه من الفقهاء كثر عليه التأويل ، ووجّهت لألفاظه المعارض ، وفُلِيتْ موضوعاته ، وتعاورته الوحشة ، وجرت بينه وبين الكثير من أعلام المشرق والمغرب خطوب يطول ذكرها .

ووقع في رسالة لبعض تلامذة ابن سبعين المذكور ، وأظن اسمه يحيى

.....

١ كتب الفقيه أبو البركات ابن الحاج علي جزء فيه كلام ابن سبعين :

ألا فدعوا ما قال عنكم فإنّه يحا السيف ما قال ابن دارة أجمعاً

وشرح ما أراد أن أصحاب ابن سبعين يعبرون عنه بابن دارة ، لأنّ شكل سبعين في رسوم الحساب الرومية دارة هكذا ه . . . إلخ ؛ (انظر شرح المقصورة ١ : ٩٩) .

٢ اسمه « درة الأسلاك في دولة الأتراك » لمحمد بن حبيب الحلبي (- ٧٧٩) ابتدأ فيه في سنة ٦٤٨ وائتمى إلى آخر سنة ٧٧٨ والتزم رعاية السجع في كلامه (كشف الظنون ١ : ٧٣٧) .

٣ في الأصول : العبادات ، ثم تصحفت الكلمة التالية على صور أخرى مثل « الدنافيس » و « الدقاقيس » وقد وردت بصورة المفرد في الطالع السعيد : ٤٤ حيث جاء : « إني كنت في طريق عيذاب ومعنا شخص من المغاربة فمات ففسلته فوجدت معه في دفاسه ذهباً . . . إلخ » فاللفظة تشير إلى نوع من الثياب ، ولذا صححت كلمة « العبادات » وجعلتها « العبادات » لكي تتناسب اللفظتان .

ابن أحمد بن سليمان ، وسمّاها بـ «الوراثّة المحمديّة والفصول الذاتية» ما صورته : فلن قيل : ما الدليل على أن هذا الرجل الذي هو ابن سبعين هو الوارث المشار إليه ؟ قلنا : عدم النظر ، واحتياج الوقت إليه ، وظهور الكلمة المشار إليها عليه ، ونصيحته لأهل الملة ، ورحمته المطلقة للعالم المطلق ، ومحبته لأعدائه ، وقصده لراحتهم مع كونهم يقصدون أذاه ، وعفوه عنهم مع قدرته عليهم ، وجذبهم إلى الخير مع كونهم يطلبون هلاكه ، وهذه كلّها من علامات الوراثّة والتبعية المحضّة التي لا يمكن أحداً أن يتصف بها إلاّ بمجد أزلي وتخصيص إلهي ، وها أنا أصف لك بعض ما خصّه الله سبحانه وتعالى به من الأمور التي هي خارقة للعادة ، ونلغي عن الأمور الخفيّة التي لا نعلمها ، ونقصد الأمور الظاهرة التي نعلمها ، والتي لا يمكن أحداً أن يستريب فيها إلا من أصمّه الله تعالى وأعماه ، ولا يجحدها إلا حسود قد أتعب الله تعالى قلبه وأنساه رشده ، ونعوذ بالله ممّن عاند ممّن الله تعالى مُساعدته ومؤيده ، وهو معه بنصره وعونه ، فما أتعب معانده ، وما أسعد موادده ، وما أكبت مرادده ، فنبداً بذكر ما وعدنا ، فنقول :

أول ما ذكر في شرفه واستحقاقه لما ذكرنا ، كونه خلقه الله تعالى من أشرف البيوت التي في بلاد المغرب ، وهم بنو سبعين ، قرشيّاً هاشميّاً علويّاً ، وأبواه وجدوده يشار إليهم ، ويُعوّل في الرئاسة والحسب والتّعين عليهم .
والثاني : كونه من بلاد المغرب ، والنبي عليه السلام قال : « لا يزال أهل المغرب ظاهرين إلى قيام الساعة » وما ظهر من بلاد المغرب رجل أظهر منه ، فهو المشار إليه بالحديث ، ثمّ نقول : أهل المغرب أهل الحق ، وأحقّ الناس بالحق وأحقّ المغرب بالحق علماؤه لكونهم القائمين بالقسط ، وأحقّ علمائه بالحق شحّتهم وقطبهم الذي يدور الكل عليه ويعول في مسائلهم ونوازلهم السهلة والعويصة عليه ، فهو حقّ المغرب ، والمغرب حقّ الله تعالى ، والملة حقّ العالم ، فهو المشار إليه بالوراثّة ، ثمّ نقول : أهل المغرب ظاهرون على الحق ،

أي على الدين ، والحق سر الدين ، والمحقق سر الحق ، فالمحقق سر الدين ، فهو المشار إليه بالوراثة . ثم نقول : أهل الله خير العالم ، وأهل الحق هم خير أهل الله ، والمحقق خير أهل الحق ، فالمحقق خير العالم ، فهو المشار إليه . ثم نقول : انظر في بدايته وحفظ القديم له في صغره ، وضبطه له من الله واللعب ، وإخراجه من اللذة الطبيعية التي هي في جيلة البشرية ، وتركه للرياسة العرضية المعول عليها عند العالم ، مع كونه وجدها في آبائه ، وهي الآن في إخوته ، وخروجه عن الأهل والوطن الذي قدره الحق مع قتل الإنسان نفسه ، وانقطاعه إلى الحق انقطاعاً صحيحاً تعلم تخصيصه وخرقه للعادة ، ثم انظر في تأييده وفتح من الصغر ، وتأليف كتاب «بدء العارف» وهو ابن خمس عشرة سنة ، وفي جلاله هذا الكتاب وكونه يحتوي على جميع الصنائع العلمية والعملية ، وجميع الأمور السنية والسنينة ، تجده خارقاً للعادة ، وفي نشأته في بلاد الأندلس ولم يعلم له كثرة نظر وظهوره فيها بالعلوم التي لم تسمع قط تعلم أنه خارق للعادة ، وفي تواليفه واشتمالها على العلوم كلها ، ثم انفرادها وغرابتها وخصوصيتها بالتحقيق الشاذ عن أفهام الخلق تعلم بأنه مؤيد بروح القدس ، وفي شجاعته وقوة توكله في عزمه ونصره لصنائه وظهور حجته على خصمائه وإقامة حقه وبرهانه وفصاحة كلامه وبيان سلطانه تعلم أن ذلك بقوة إلهية وعناية ربانية ، وفي امتحان أهل المغرب له ، واجتماعهم عليه في كل بلد معتبر للمناظرة ، ويظهر الله تعالى حجته ، ويقمع خصمه ، ويكبت عدوه ، ويعجز معارضه ، ويُفْخَم معترضه ، وفي غير الحق عليه ، وهلاك من تعرض بالأذى إليه — يعلم العاقل المخصوص ، أنه عند الله مخصص ، وفي خلقه وقهره لقواه النزوعية والغضببية وإسلام قرينه وجلالة قوته الحافظة التي لا تنسى شيئاً والمفكرة التي تتصور الذوات المجردة والمعلومة أسر عين الطيف^١ ،

١ ق : أسرعين ؛ وسقطت لفظة «الطيف» ؛ وفي دوزي : أسرعين الطبق ، وأشار إلى قراءة أخرى وإلى أن العبارة سقطت من بعض النسخ .

وكذلك الذاكرة ، وسرعة ظهوره وانتشار رايته واستجلاب ثنائه في الجهات كلها ، وبالجمله جميع ما ذكرت هو فيه خارق للعادة البشريّة ، ومعجز لمعارضه من كل الجهات ، ولولا خوف التطويل لكنت أفصّل كل صفة ذكرت فيه بالكلام الصناعي ، ونقيم الأدلّة القطعيّة على تعجيزها ، ولكن أعطيت الأنموذج ، وعرفت أن النبيه يعن فكره ، ويجد ذلك كما قلته . وبالجمله جميع جزئياته إذا تؤملت توجد خارقة للعادة ، وتشهد لها ماهيّة الوجود بالتخصيص ، فصحّ أنّه هو المشار إليه ، والمعول في جملة الأمور عليه . وإنّما أعطيت الأمر المشهور ، وتركت ما يُعلم منه من خرق العوائد في ظهور الطعام والشراب والسمن والتمر وأخذ الدراهم من الكون ، وإخباره عن وقائع قبل وقوعها بسنين كثيرة وظهرت كما أخبر ، فصحّ أنّه هو المذكور ؛ انتهى ما تعلّق به الغرض ممّا في الرسالة في شأن الشيخ ابن سبعين .

وقد ذكر غير واحد من المؤرخين — ومنهم لسان الدين بن الخطيب في « الإحاطة » كما سيأتي قريباً — أن ابن سبعين عاقه الخوف من أمير المدينة عن القدوم إليها ، فعظم عليه بذلك الحمل . وقبحت الأحداث عنه ، انتهى . لكن قال شهاب الدين بن أبي حنّلة التلمساني الأديب الشهير ، وهو صاحب كتاب « السكردان » و « ديوان الصبابة » و « منطق الطير » و « الاعتراض على العارف بالله تعالى ابن الفارض » ، ما معناه : أخبرني الشيخ الصالح أبو الحسن ابن بُرغوش التلمساني شيخ المجاورين بمكّة وكانت له معرفة تامّة بهذا الرجل ، أنّه صدّه عن زيارة رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه كان إذا قرب من باب من أبواب مسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام يُهرق منه دم كدم الحيض ، والله تعالى أعلم بحقيقة أمره ، انتهى . وقال غيره : نعم زار النبي ، صلّى الله عليه وسلّم ، مستخفياً على طريق المشاة ، حدث بذلك أصهاره بمكّة ، انتهى .

وقال لسان الدين^١ : أما شهرته ومحلّه من الإدراك والآراء والأوضاع والأسماء والوقوف على الأقوال والتعمق في الفلسفة والقيام على مذاهب المتكلمين فما يقضى منه العجب .

وقال الشيخ أبو البركات ابن الحاج البُلْفِيّقي ، رحمه الله تعالى^٢ : حدّثني بعض أشيائنا من أهل المشرق أن الأمير أبا عبد الله ابن هُودٍ سألَ طاغيةَ النصراني ، فنكث به^٣ ، ولم يَتَفِ بشرطه ، فاضطره ذلك إلى مخاطبة القس^٤ الأعظم برومية ، فوكل أبا طالب ابن سبعين أخا أبي محمد عبد الحق بن سبعين في التكلّم عنه ، والاستظهار بين يديه ، قال : فلما بلغ ذلك الشخص رومية^٥ ، وهو بلد لا يصل إليه المسلمون ، ونظر إلى ما بيده ، وسئل عن نفسه ، فأخبر بما ينبغي ، كتّم ذلك القس من دنا منه بكلام معجم تُرجم لأبي طالب بما معناه : اعلموا أن أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه ، انتهى .

وقال غير واحد : إنّه اشتهرت عنه أشياء كثيرة ، الله تعالى أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه منها : فمنها قوله — فيما زعموا — وقد جرى ذكر الشيخ وليّ الله ، سيدي أبي مَدِينٍ نفعنا الله تعالى ببركاته : « شُعَيْبُ عَبْدِ عَمَلٍ » ونحن عبيد حضرة « وممّن حكى هذا لسانُ الدين في الإحاطة^٦ .

وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه الكبير^٧ في ترجمة السلطان المستنصر بالله تعالى أبي عبد الله محمد ابن السلطان زكريا بن عبد الواحد بن أبي حَقْلَصٍ ملك إفريقية وما إليها : أن أهل مكة بايعوه ، وخطبوا له بعَرَقة^٨ ، وأرسلوا له بيعتهم ،

١ انظر الإحاطة : ٣١٩ (المخطوطة) .

٢ المصدر نفسه .

٣ الإحاطة : فنكث عهده .

٤ الإحاطة : القومس .

٥ الإحاطة : فلما بلغ باب ذلك الشخص المذكور برومة .

٦ انظر الإحاطة : ٣١٩ .

٧ الحديث عن خلافة المستنصر الحفصي ورد في ابن خلدون ٦ : ٢٨٠ وما بعدها ، ولكن ليس فيه ذكر لبيعة أهل مكة أو سرد لرسالة ابن سبعين .

وهي من إنشاء ابن سبعين ، وسردها ابن خلدون بجملة ، وهي طويلة ، وفيها من البلاغة والتلاعب بأطراف الكلام ما لا مطمح وراءه ، غير أنه يشير فيها إلى أن المستنصر هو المهدي المبشر به في الأحاديث الذي يحشؤ المال ولا يعلده ، وحمل حديث مسلم وغيره عليه ، وذلك ما لا يخفى ما فيه ، فليراجع كلام ابن خلدون في محله .

ولابن سبعين من رسالة : سلام عليك ورحمة الله ، سلام عليك ثم سلام مناجاتك ، سلام الله ورحمة الله الممتدة على عوالمك كلها ، السلام عليك يا أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته ، وصلى الله عليك كصلة إبراهيم من حيث شريعتك ، وكصلة أعز ملائكتك من حيث حقيقتك ، وكصلاته من حيث حقه ورحمانيته ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا قياس الكمال ، ومقدمة العلم ، ونتيجة الحمد ، وبرهان المحمود ، ومن إذا نظر الذهن إليه قرأ ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ ﴾ (سورة ص : ٣٠) السلام عليك يا من هو الشرط في كمال الأولياء ، وأسرار مشروطات الأذكياء الأتقياء ، السلام عليك يا من جاوز في السموات مقام الرسل والأنبياء ، وزادك رفعة واستعلاء على ذوات الملأ الأعلى ، وذكر قوله تعالى ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (الأعلى : ١) .

وقال بعضهم عند إيراد جملة من رسائله التي منها هذه : إنها تشتمل على ما يشهد له بتعظيم النبوة وإيثار الورع ، انتهى .

وقال بعض العلماء الأكابر ، عند تعرضه لترجمة الشيخ ابن سبعين المترجم به ، ما نصه ببعض اختصار : هو أحد المشايخ المشهورين بسعة العلم ، وتعدد المعارف ، وكثرة التصانيف ، ولد سنة ٦١٤ ، ودرس العربية والأدب بالأندلس ، ونظر في العلوم العقلية ، وأخذ عن أبي إسحاق ابن دهاق ، وبرع في طريقه ، وجال في البلاد ، وقدم القاهرة ، ثم حج واستوطن مكة . وطار صيته ، وعظم أمره ، وكثر أتباعه ، حتى إنه تلمذ له أمير مكة ، فبلغ من التعظيم الغاية . وله كتاب « الدرج » وكتاب « السفر » وكتاب « الأبوبة اليمنية » وكتاب « الكد »

وكتاب «الإحاطة»^١ ورسائل كثيرة في الأذكار وترتيب السلوك والوصايا
والمواعظ والغنائم .

ومن شعره^٢ :

كم ذا تُمَوِّهُ بالشعبين والعَلَمِ والأمرُ أوضحُ من نارٍ على عَلَمِ
وكيم تعبُّرُ عن سَلَمٍ وكَاظِمَةٍ وعن زُرودٍ وجيرانٍ بذِي سَلَمِ
ظَلَلْتَ تَسْأَلُ عن نَجْدٍ وَأَنْتَ بِهَا وعن تَهَامَةٍ ، هذا فَعْلٌ مَتَهَمِ
في الحَيِّ حَيٌّ سَوَى لَيْلِي فَتَسْأَلُهُ عنها؟ سَوَالُكَ وَهَمٌ جَرٌّ لِّلْعَدَمِ

ونشأ ، رحمه الله تعالى ، تَرَفّاً مَبْجَلّاً في ظلّ جاه ونعمة ، لم تفارق معها
نفسه البأو ، وكان وسيماً ، جميلاً ، ملوكي البزة ، عزيز النفس ، قليل التصنع ،
وكان آية من الآيات في الإيثار والجلود بما في يده ، رحمه الله تعالى .
وقال في الإحاطة : للناس في أمره اختلاف بين الولاية وضدها^٣ ، ولما وجه
إلى كلامه سهام الناقدين^٤ قصر أكثرهم عن مداه في الإدراك ، والخوض في تلك
البحار والاطلاع^٥ ، وساءت منهم في الممازجة له السيرة^٦ ، فانصرفوا عنه
مكلومين^٧ ، ييذرون عنه في الآفاق من سوء القالة ما لا شيء فوقه ، وجرت
بينه وبين أعلام المشرق خطوب ، ثم نزل مكة^٨ ، وعاقه الخوف من أمير المدينة

١ ورد هذا الكتاب في «رسائل ابن سمين» : ١٣٠ - ١٥٠ .

٢ انظر الأبيات في الإحاطة : ٣٢١ .

٣ نص ما ورد في الإحاطة : وأغراض الناس في هذا الرجل متباينة بعيدة عن الاعتدال .

٤ الإحاطة : ولما توفرت دواعي النقد عليه ؛ هذا ما ثبت في حواشي دوزي ، أما في النسخة التي
اعتمدتها من الإحاطة فقد اضطربت هذه الجملة ؛ والمقري ينقل حاذفاً عبارات كثيرة .

٥ الإحاطة : قصر أكثرهم عن مداه في الإدراك والاطلاع والخوض في تلك الأغراض .

٦ الإحاطة : وساءت منه لهم [في] الملائقة السيرة .

٧ الإحاطة : مكظ مين .

٨ زيادة من الإحاطة .

[المعظمة] ^١ عن الدخول إليها إلى أن توفي فعظم بذلك الحمل عليه ^٢ ، وقبحت الأحذوثة عنه ، ولما وردت على سبئة المسائل الصقلية - وكانت جملة من المسائل الحكمية وجهها علماء الروم تبكيتاً للمسلمين - انتدب للجواب المقنع عنها ، على فناء من سنه ، وبديهة من فكرته ، رحمه الله تعالى ، انتهى .
وقال بعض من عرف به : إنه من أهل مُرُسيّة ، وله علم وحكمة ومعرفة ونباهة وبراعة وفصاحة وبلاغة .

وقال في «عنوان الدراية» ^٣ : رحل إلى العدو ، وسكن ببجاية مدة ، ولقي من أصحابنا ناساً ^٤ ، وأخذوا عنه ، وانتفعوا به في فنون خاصة ، له مشاركة في معقول العلوم ومنقولها ، وله فصاحة لسان ، وطلاقة قلم ، وفهم جنان ، وهو أحد الفضلاء ، وله أتباع كثيرة من الفقراء ومن عامة الناس ، وله موضوعات كثيرة هي موجودة بأيدي أصحابه ، وله فيها ألغاز وإشارات بحروف أبجد ، وله تسميات مخصوصة في كتبه من نوع الرموز ، وله تسميات ظاهرة هي كالأسامي المعهودة ، وله شعر في التحقيق ، وفي مراقي أهل الطريق ، وكتابته مستحسنة في طريق الأدباء ، وله من الفضل والمزية ملازمته لبيت الله الحرام . والتزامه الاعتمار على الدوام ، وحجته مع الحجاج في كل عام ، وهذه مزية لا يُعرف قدرها ولا يُبرام ، ولقد مشى به للمغاربة في الحرم الشريف حظ لم يكن لهم في غير مدته ، وكان أهل مكة يعتمدون على أقواله ، ويهتدون بأفعاله . توفي ، رحمه الله تعالى ، يوم الخميس تاسع شوال ٦٦٩ ، انتهى ببعض اختصار ^٥ .

.....

١ زيادة من الإحاطة ؛ وفي دوزي : النبوية .

٢ الإحاطة : فعظم عليه الحمل لأجل ذلك .

٣ عنوان الدراية : ١٣٩ - ١٤٠ وهو أيضاً في الإحاطة : ٣١٨ .

٤ عنوان الدراية : ولقيه من أصحابنا أناس .

٥ كذا قال ، ولم يختصر من النص الذي نقله شيئاً .

وذكر^١، رحمه الله تعالى ، في ترجمة تلميذه الشيخ أبي الحسن الششتري السابق الذكر أن أكثر الطلبة يُرَجَّحُونَهُ على شيخه أبي محمد ابن سبعين ، وإذا ذكر له هذا يقول : إنما ذلك لعدم إطلاعهم على حال الشيخ وقصور طباعهم . ومن تأليف ابن سبعين « الفتح المشترك » .

* * *

[رجع إلى الششتري]

ومما حكاه صاحب « عنوان الدراية »^٢ في ترجمة الششتري — مما لم نذكره في ترجمته الماضية ، ورأينا ذكره هنا تبركاً — أن الششتري كان في بعض أسفاره في البرية ، وكان رجل من أصحابه قد أسير فسمعه الفقراء يقول : إلينا يا أحمد ، فقليل له : مَنْ أحمد الذي ناديت يا سيدي في هذه البرية ؟ فقال لهم : مَنْ تُسْرُونَ به غداً إن شاء الله تعالى . فلما كان من الغد ورد الشيخ وأصحابه بلدة قابيس ، فعند دخولهم إذا بالرجل المأسور ، فقال الشيخ للفقراء : هنيئاً لنا باقتحام العقبة ، صافحوا أخاكم ، المنادى به .

ومن مناقبه — نفع الله تعالى به — أنه لما نزل ببلدة قابيس برباط البحر المعروف [بمسجد] الصهريج جاءه الشيخ الصالح أبو إسحاق الزرناني^٣ نفع الله تعالى به بجميع أصحابه برسم الزيارة ، فوافق وصوله وصول الشيخ الصالح الفاضل الولي أبي عبد الله الصنهاجي — نفع الله تعالى به — مع جملة أصحابه للزيارة ، فوجدوا الشيخ أبا الحسن قد خرج إلى موضع بخارج المدينة برسم الخلوة ، فجلسوا لانتظاره ، فلم يكن إلا قليل إذ أقبل الشيخ على هيئة معتبر متفكر ، فلما دخل الرباط سلم على الواصلين برسم الزيارة ، وحيث المسجد ، وأقبل على الفقراء ، وأثر العبرة على وجنته ، فقال : اثنوني بمداد ،

١ عنوان الدراية : ١٤١ .

٢ انظر المصدر المذكور : ١٤١ وما بعدها .

٣ في عنوان الدراية : الورقاني ؛ وفي نسخة : الزناني .

فلما أحضر بين يديه تأوّه تأوّهًا شديدًا كاد أن يحرق بنفسه جليسه ، وجعل يكتب في اللوح هذه الأبيات ^١ :

لا تلتفت بالله يا ناظري لأهيف كالغصن الناصب
يا قلب واصرف عنك وهم البقا وخل عن سرب حمى حاجر
ما السرب والبان وما لعلع ما الخيف ما ظبي بني عامر ؟
جمال من سميت دائر ما حاجة العاقل بالدائر
ولما مطلبه في الذي هام الوري في حسنه الباهر
أفاد للشمس سنًا كالذي أعاره للشمس الزاهر
أصبحت فيه مغرمًا حائرًا لله درُّ المغرم الحائر

وكانوا يوماً ببلد مالمقة ، وكثيراً ما يجود عليه القرآن العزيز ، فقرأ طالب قوله تعالى ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ (طه : ١٤) فقال معجلاً رضي الله تعالى عنه ، وفهم من الآية ما لم يفهم ، وعلم منها ما لم يعلم ^٢ :

انظر للفظ أنا يا مغرمًا فيه من حيث نظرنا لعل تدريه
خل ادتارك لا تفخر بعارية لا يستعير فقير من مواليه
جسوم أحرفه للسرّ حاملة إن شئت تعرفه جرب معانيه

ودخل عليه شخص بيجاية من أهلها يُعرف بأبي الحسن ابن علال ، من أهل الأمانة والديانة ، فوجده يذاكر بعض أهل العلم ، فاستحسن منه إirاده للعلم ، واستعماله لمحاضرة الفهم ، فاعتقد شيأخته وتقدمه ، ثم نوى أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين ديناراً شكرًا لله تعالى ، ويأتيهم بما كول ، فلما يسر جميع ما اهتم به أراد أن يقسمه فيعطيه شطره ويدع الشطر الثاني إلى حين انصراف الشيخ ،

١ ديوانه : ٤٨ .

٢ ديوانه : ٨٠ .

ليكون للفقراء زاداً ، فلما كان في الليل رأى في منامه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ومعه أبو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما ، قال الرجل : فنهضت إليه بسرور رؤية النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقلت : يا رسول الله ادعُ الله تعالى لي ، فالتفت لأبي بكر ، رضي الله تعالى عنه ، وقال : يا أبا بكر ، أعطه ، فإذا به ، رضي الله عنه ، قسم رغيفاً كان بيده وأعطاني نصفه ، ثم أفاق الرجل من منامه ، وأخذه وجدٌ من هذه الرؤيا المباركة ، فأيقظ أهله ، واستعمل نفسه في العبادة ، فلما كان من الغد سار وأتى الشيخ ببعض الطعام ونصف الدراهم المحتسب بها ، فلما دفعها للشيخ قال له الشيخ : يا علي ، اقرب ، فلما قرب قال له : يا علي ، لو أتيت بالكل لأخذت منه الرغيف بكامله ، انتهى .

١٢٠ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، الشهير بابن غصن الإشبيلي^١ ، من ولد شداد بن أوس الأنصاري ، الجزيري ، نسبة إلى الجزيرة الخضراء . الإمام ، المقرئ ، الزاهد ، عرض على الأستاذ ابن أبي الربيع الموطأ من حفظه . وأخذ عنه النحو ، وكان من أولياء الله تعالى الصالحين ، وعباده الناصحين ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، قوَّالاً بالحق . لا تأخذه في الله لومة لائم . عارفاً بمشؤون الحديث وأحكامه ، فقيهاً متقناً للمذاهب الأئمة الأربعة والصحابة والتابعين . لا يقبل من أحد شيئاً ، مخلصاً لله تعالى ، يتكلم على المنبر على عادة أهل العلم من تعليم المسائل الدينية ، وأقرأ القرآن بمكة مدّة بالقراءات وبالمدينة وببيت المقدس ، وممن قرأ عليه خليل إمام المالكية بالحرم ، والشهاب الطبري إمام الحنفية بالحرم ، وله مصنفات في القراءات : منها « مختصر الكافي » وكتاب « في معجزات النبي » صلى الله عليه وسلم ، ومولده سنة ٦٣١ تخميناً^٢ ،

١ انظر ترجمة ابن غصن في غاية النهاية ٢ : ٤٧ ولم ينسب إشبيليّاً أو جزيرياً وإنما قال فيه :
القصري السبتي .

٢ في غاية النهاية : سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

وتوفي ببيت المقدس آخر سنة ١٧٢٣ ، رحمه الله تعالى .

١٢١ - ومنهم الشيخ الفقيه ، الأستاذ النحوي التاريخي اللغوي أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري التّلي^٢ يكنى أبا العباس وأبا جعفر ، قرأ بالأندلس على مشايخ من أفضلهم الأستاذ أبو علي عمر الشّكّوين ، ثم ارتحل إلى العدوة وسكن بجاية ، وأقرأ بها مدّة ، وارتحل إلى المشرق فحج ، ثم رجع إلى حضرة تونس واتخذها وطناً ، واشتغل بها بالإقراء إلى أن مات . كان يتبسّط لإقراء سائر كتب العربية ، وله علم جليل باللغة ، وله تواليف كثيرة : منها^٣ على الجمل و « شرح الفصيح » لثعلب ، ولم يشذ فيه شيء من فصيح كلام العرب . قال الغبريني ، رحمه الله تعالى : ورأيت له تأليفاً في الأذكار ، وله عقيدة في علم الكلام ، ورأيت له مجموعاً سمّاه « الإعلام بحدود قواعد الكلام » تكلم فيه على الكلم الثلاث ، الاسم والفعل والحرف ، وله تواليف أخر ، وكان من أساتيد إفريقية في وقته ، وممّن أخذ عنه ، واستفيد منه ، انتهى .

وذكر الشيخ أبو الطيب ابن علوان التونسي عن والده أحمد التونسي الشهير بالمصري أن للمذكور تأليفاً سمّاه « التجنيس » ، وله شرح أبيات الجمل ، سمّاه « وشي الحلل » رفعه للملك المستنصر الحفّصي بتونس ، فدفعه المستنصر للأستاذ أبي الحسن حازم ، وأمره أن يتعقب عليه ما فيه من خلل وجَدّه ، فحكى أبو عبد الله القطان المسفّر - وكان يخدم حازماً - قال : كنت يوماً بدار أبي الحسن حازم وبين يديه هذا الكتاب ، فسمعت نقر الباب ، فخرجت فإذا بالفقيه أبي جعفر ، فرجعت وأخبرت أبا الحسن ، فقام مبادراً حتى أدخله وبالف في بره وإكرامه ، فرأى الكتاب بين يديه ، فقال له : يا أبا الحسن ، قال الشاعر :

١ هكذا هو في غاية النهاية أيضاً ؛ وفي إحدى نسخ النسخ : ٧٢٢ .

٢ ترجمته في عنوان الدراية : ٢١١ وبغية الوعاة : ١٧٦ .

٣ بعد لفظة « منها » يياض في ج بقدر كلمة .

وعَيْنُ الرضى عن كلِّ عيبِ كَلِيلَةٍ

فقال له : يا فقيه أبا جعفر ، أنت سيدي وأخي ، ولكن هذا أمر الملك لا يمكن فيه إلا قول الحق ، والعلم لا يحتمل المُدَاهَنَةَ ، فقال له : فأخبرني بما عثرت عليه ، قال له : نعم ، فأظهر له مواضع ، فسَلَّمَهَا أبو جعفر وبشَّرَهَا وأصلحها بخطه .

وأصل هذا اللَّبْلِي من لَبْلَلَةٍ بالأندلس^١ ، اجتمع في رحلته للمشرق بالقاضي ابن دقيق العيد ، وكان نحوياً ، فلما دخل عليه اللَّبْلِي قال له القاضي : خَيْرَ مَقْدَمٍ ، ثم سأله بعد حين : بمَ انتصب خير مقدم ؟ فقال له اللَّبْلِي : على المصدر وهو من المصادر التي لا تظهر أفعالها ، وقد ذكره سيويوه ، ثم سرد عليه الباب من سيويوه إلى آخره ، فإنه كان يحفظ أكثره ، فأكرمه القاضي وعظمه .
ثم قال ابن علوان : وذكر والذي أيضاً ، رحمه الله تعالى ، ومن خطه المبارك نقلت . أن الأستاذ أبا جعفر اللَّبْلِي المذكور ، رحمه الله تعالى ، قرء عليه يوماً قول امرئ القيس^٢ :

حَيَّ الحَمُولَ بِجَانِبِ العَزَلِ إِذْ لَا يَلَاثِمُ شَكْلُهَا شَكْلِي

فقال لطلبته : ما العامل في هذا الظرف يعني «إذ» ؟ فتنازعا القول ، فقال : حسبكم ، قرء هذا البيت على أستاذنا أبي علي الشَّالَوِيِّ ، فسألنا هذا السؤال ، وكان أبو الحسن ابن عصفور قد برع واستقل وجلس للتدريس ، وكان الشلوبين يَغُضُّ منه ، فقال لنا : إذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل ، يعني ابن عصفور ، فلما خرجنا سرنا إليه بجمعنا ، ودخلنا المسجد ، فرأيناه قد دارت به حلقة كبيرة ، وهو يتكلم بغرائب النحو ، فلم نجسر على سؤاله لهيئته ،

١ دوزي : قرية بالأندلس ، وسقطت «قرية» من ق ط ج .

٢ ديوان امرئ القيس : ٢٣٦ .

وانصرفنا ، ثم جئنا بعدُ على عادتنا لأبي علي ، فنسي حتى قرىء عليه قول النابغة :

فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ^١

فتذكر ، وقال : ما فعلتم في سؤال ابن عصفور ؟ فصدقنا له الحديث . فأقسم ألا يخبرنا ما العامل فيه ، ثم قال التبلي لطلبته : وأنا أقول لكم مثل ذلك ، فانظروا لأنفسكم ، قالوا : فنظرنا فإذا المسألة مسألة فحص ونظر ، كلما حكمنا بحكم صدقنا عنه قوانين نحوية ، حتى مضت مدة طويلة ، فوفد علينا بتونس المحروسة أحدُ طلبة ابن أبي الربيع ، وكان ابن أبي الربيع هذا ساكناً بـسببته ، وهو أحد طلبة الشلوين أيضاً ، ومن كبار هذه الطبقة التي نشأت بعده ، قالوا : فتذاكرنا مع هذا الطالب في مسائل نحوية ، فمرت هذه المسألة في قوله تعالى ﴿ إِذْ نَسَوِيكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء : ٩٨) فقال هذا الطالب إن هذا الظرف وقع موقع لام العلة ، فعلمنا أن هذا هو الذي أراد الأستاذ أبو علي ، ثم ناقشنا الطالب وقلنا له : إذا جعلته ظرفاً فلا بد من العامل ، وإذا جعلته واقعاً موقع الحرف كان هذا على شذوذ قول الكوفيين ، والذي يجوز عكسه على مذهب الجميع ، وإنما الأولى أن يقال : إذ حرفٌ معناه التعليل تشترك فيه الأسماء والحروف كما اشتركت في عن ، والله أعلم بغيبه ، انتهى .

١٢٢ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن قنبر القرطبي^٢ ، قال الحافظ المقرئ : وفترح بسكون الراء ، وقال الحافظ عبد الكريم في حقه : إنه كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين الورعين ، الزاهدين في الدنيا المشتغلين بما يعينهم من أمور الآخرة ، فيما بين توجه وعبادة وتصنيف ، جمع في تفسير القرآن كتاباً خمسة عشر مجلداً ، وشرح أسماء الله الحسنى في

١ عجز البيت : « وائم القنود على عيرانة أجد » .

٢ ابن فرح هو صاحب التفسير المشهور بتفسير القرطبي واسمه « جامع أحكام القرآن » ؛ انظر ترجمته في الوافي ٤ : ١٢٢ وطبقات المفسرين : ٢٨ (وبروكلمان : التكملة ١ : ٧٣٧) .

مجلدين، وله كتاب «التذكرة في أمور الآخرة» في مجلدين^١، وشرح «التقصي» ، وله تأليف غير ذلك مفيدة ، وكان مطّرح التكلف ، يمشي بثوب واحد ، وعلى رأسه طاقية . سمع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب «المفهم في شرح مسلم» بعض هذا الشرح ، وحدث عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي ، وعن الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد البكري وغيرهما ، وتوفي بمينة ابن خصيب ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ ، ودفن بها ، رحمه الله تعالى .

وفي تاريخ الكتبي في حقه ما نصه : كان شيخاً فاضلاً ، وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه ، منها «تفسير القرآن» مليح إلى الغاية اثنا عشر مجلداً ، انتهى .

وكتب بعض تلامذته على الهامش ما صورته : قد أجحف المصنف في ترجمته جداً ، وكان متفنناً متبحراً في العلم ، انتهى . وكتب بعض بإثر هذا الكلام ما نصه : قال الذهبي : رحل وكتب وسمع ، وكان يقطاً فهماً حسن الحفظ مليح النظم حسن المذاكرة ثقة حافظاً ، انتهى . وكتب آخر إثر ذلك الكلام ما صورته : مشاحة شيخنا للمصنف في هذه العبارة ما لها فائدة ، فإن الذهبي قال في تاريخ الإسلام : العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرّج الإمام القرطبي إمام متفنن ، متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة ، تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله ، ثم ذكر موته ، وقال بعده : وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان ، وله «الأسنى في شرح الأسماء الحسنى» و «التذكرة» وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه ، انتهى . وكتب آخر بإثر هذا الكلام ما نصه : غفر الله لك ، إذا كان الذهبي ترجمه بما ذكرت ، وهو والله فوق ذلك ، فكيف تقول : إن مشاحة شيخك لا فائدة فيها ، وتسمي الأدب معه

.....

١/ هو المعروف باسم «التذكرة القرطبية» وله مختصر صنه الشعرا في وطبع ببولاق سنة ١٣٠٠ .

وتقول إن كلامه لا فائدة فيه ؟ فالله يسر عليك ، انتهى .

١٢٣ - ومنهم أبو القاسم ابن حاضر ، الجزيري ، الخزرجي ، محمد بن أحمد ، من جزيرة شقر ، قدم مصر ، وسكن قُوصَ بعدما كان من عدول بَلَنْسِيَّة ، وكان فصيحاً ، عالماً بصناعة التوريق ، وله نظم لم يحضرني الآن شيء منه ، ومات بالقاهرة سنة تسع وثلاثين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

١٢٤ - ومنهم أبو القاسم التَّجِيبي ، محمد بن أحمد التَّجِيبي^١ ، من أهل بَلَنْسِيَّة ، قرأ على ابن مفرج وابن أبي الأحوص ، ورحل فاستوطن القاهرة ، وكان شيخاً فاضلاً خيراً ، له أدب وشعر ، منه قوله من أبيات^٢ :

أحوى الجفون له رقيباً حولُ الشيء في إدراكه شَيْثَانِ
يا ليتَه ترك الذي أنا مُبْصِرٌ وهو المخيرُ في الغزالِ الثاني

ولد بَلَنْسِيَّة سنة ٦٢٣ ، وتوفي بالحسينية خارج القاهرة سلخ المحرم سنة ٦٩٥^٣ وممن روى عنه نحويُّ الزمان أنير الدين أبو حيان وغيره ، رحمه الله تعالى الجميع .

١٢٥ - ومنهم أبو بكر الخزرجي ، محمد بن أحمد بن حسن ، وقيل : محمد بن عيسى المالقي المالكي^٤ ، قال الشريف أبو القاسم : إنه كان أحد الزهاد الورعين ، وعباد الله المتقين ، مشغلاً بنفسه ، متخلياً^٥ عما في أيدي الناس ، يأكل من كسب يده ، ولا يقبل لأحد شيئاً ، مع وجْد وعمل وفضل وأدب ،

١ هو محمد بن أحمد بن حسن بن عامر بن أحمد بن محمد بن حسن التجيبي . انظر ترجمته في الوافي

٢ : ١٤٠ .

٣ البيتان في الوافي .

٤ في ق : ٦٩٩ وفي دوزي : ٦٩٤ .

٥ ترجم له السيوطي في بغية الوعاة : ٨٨ باسم محمد بن عيسى ، وهو ينقل عن البدر السافر .

٥ ق ط ج : مستخلياً .

ولم يكن في زمانه من اجتمع فيه ما اجتمع له .
وقال الحافظ عبد الكريم : إنه دخل لإشبيلية ، واشتغل بالعربية على الشلوّيين
وقرأ القراءات السبع ، ثم قدم مصر واشتغل بمذهب مالك ، وكان والده نجاراً
وكان لا يأكل إلاّ من كسب يده ، يخيّط الثياب ، فازدحم الناس عليه تبركاً
به ، فترك ذلك وصار يدق القصدير ويأكل منه ويتصدق بما فضل عنه ، وكان
شديد الزهد ، كثير العبادة ، لا يسلم يده إلى أحد ليقبّلها ، وجاءه شخص قد
زيد عليه في أجرة مسكنه ليشفع إلى صاحب الدار أن لا يقبل الزائد ، فمضى إلى
صاحب الدار وأعطاه الزائد مدة أشهر ، فعلم بذلك الساكن بعد مدة ، فقال له :
يا سيدي ما سألت إلاّ شفاعتي ، وأنت تزن عني ^١ ، فقال له : رجل له دار يأخذ
أجرها يبيحها لغيره الخرجي يقطع عليه حقه ؟ والله ما يدفع هذا إلاّ أنا ، فلم يزل
يدفع الزائد إلى أن انتقل الساكن إلى غيره ، ومات ليلة الثامن والعشرين من
شهر ربيع الآخر سنة ٦٥١ ، عن خمس وأربعين سنة ، ودفن بالقرافة ، رحمه
الله تعالى ، ونفعنا به .

١٢٦ - ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن خليل بن فرج الهاشمي ^٢ ،
مولاهم ، لأن ولاءه لبني العباس من أهل قرطبة ، ولد في شهر رمضان سنة ٣٢٢
بقرطبة ، وسمع بها من وهب بن مسرة ، وخالد بن سعيد ^٣ وغيره ، ورحل فحج
وأدرك بمصر ابن الوردة وابن رشيق وأبا علي ابن السكن ونظراءهم في سنة ٣٤٩ ،
وعاد إلى بلده ، وبها مات في شهر رمضان سنة ست وأربعمائة .
قال ابن بشكّو ^٤ : كان رجلاً صالحاً فاضلاً ، من أهل الاجتهاد في
العبادة ماثلاً إلى التقشف والزهادة . قديم الطلب حسن المذهب متبعاً للسنن .

١ دوزي : وأنت تنقد .

٢ ترجمته في الصلة : ٤٧٠ .

٣ الصلة : خالدة بن سعد .

٤ لم يرد هذا في الطبعة المصرية من كتاب الصلة .

١٢٧ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان^١ بن أحمد بن إبراهيم الزهري الأندلسي الإشبيلي^٢ ، ولد بمالقة . وطاف الأندلس . وطلب العلم . وحصل طرفاً صالحاً من علم الأدب . ودخل مصر قبل التسعين وخمسمائة فسمع الحديث بها . ودخل الشام وبلاد الجزيرة . وقدم بغداد سنة ٥٩٠ . وعمره ثلاثون سنة . وأقام بها مدة ، وسمع من شيوخها كأبي الفرج ابن كليب ونحوه . وقرأ ونسخ بخطه ، وسافر إلى أصبهان وبلاد الجبل . وكان فاضلاً حسن المعرفة بالأدب ، يقول الشعر ، وينشئ المقامات . وصنف كتاب « البيان والتبيين في أنساب المحدثين » ستة أجزاء ، وكتاب « البيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن » مجلد ، وكتاب « أقسام البلاغة وأحكام الصناعة »^٣ في مجلدين . وكتاب « شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي » في خمسة عشر مجلداً . وكتاب « شرح المقامات » مجلد ، وكتاب « شرح اليميني »^٤ في مجلد ، قال المنذري : توفي شهيداً . قتله التتار في رجب ؛ وقال ابن النجار : في سابع عشر رجب سنة ٦١٧ . رحمه الله تعالى .

١٢٨ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الأعلى بن القاسم . القرطبي ، المقرئ المعروف بالورشي ، نسبة إلى قراءة ورش لاشتهاره بها . وهو أحد القراء المعروفين . قال الحاكم : هو من الصالحين المذكورين بالتقدم في علم القرآن . سمع بمصر والشام والحجاز والعراقين والجبل وأصبهان . وورد نيسابور ، ودخل خراسان فسمع علي بن المرزبان بأصبهان ، وبالأهواز عبد الواحد ابن خلف الجنديسابوري ، وبفارس أحمد بن عبد الرحمن بن البخارود الرقي .

١ دوزي : سلمان .

٢ ترجمته في بنية الوعاة : ١١ والوافي ٢ : ١٠٤ والنقل عن ابن النجار .

٣ كذلك هو في البنية ، أما في الوافي : وأحكام الفصاحة .

٤ كتاب في التاريخ المتبني .

وقال ابن النجار : قدم بغداد . وحدث بها . توفي بسجستان في ربيع الأول سنة ٣٩٣ .

١٢٩ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الباجي ، اللخمي ^١ . قال ابن بشكوال : مولده في صفر سنة ٣٥٦ . وسمع عن جده . ورحل إلى المشرق . وقال ابن غلبون في مشيخته : إنه كان من أهل العلم والحديث والرواية والحفظ للمسائل . قائماً بها . واقفاً عليها . قاعداً للشروط . محسناً لها . عارفاً . وبيتهم بيت علم . ونشأ فيهم هو وأبوه وجده ، وكان جميعهم في الفضل والتقدم على درجاتهم في السن . وعلى منازلهم في السبق ، وكانت رحلته مع أبيه وروايتهما واحدة ، وشاركه في السماع والرواية عن جده . وسمع بمصر على أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن حميد بن رزيق المخزومي .

وقال ابن بشكوال : كان من أجلّ الفقهاء عندنا دراية ورواية ، بصيراً بالعقود . ومتقدماً على أهل الوثائق ^٢ ، عارفاً بعلومها . وألف فيها كتاباً حسناً . وكتاباً في السجلات إلى ما جمع فيه من أقوال الشيوخ والمتأخرين . مع ما كان عليه من الطريقة المثلى ، وتوفية العلم حقه من الوفاء والتصون ، توفي في المحرم سنة ٤٣٣ لعشرين بقين منه .

١٣٠ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز ، العُتبي . الأندلسي ، القرطبي ، الفقيه المالكي المشهور . صاحب العُتبية ^٣ : سمع بالأندلس من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ، ورحل إلى المشرق فسمع من سحنون وأصبغ بن الفرج وغيرهما . وكان حافظاً للمسائل . جامعاً لها ، عالماً بالنوازل ، وهو الذي جمع المستخرجة من الأسمعة المسموعة غالباً من مالك

١ ترجمته في الصلة : ٤٩٥ .

٢ الصلة : متقدماً في علم الوثائق .

٣ ترجمته في جذوة المقتبس : ٣٦ (وبغية الملتبس رقم : ٩) وابن الفرضي ٢ : ٨ والوافي ٢ : ٣٠ .

ابن أنس ، وتعرف بالعتبية ، وأكثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة ، وكان يؤتى بالمسألة الغريبة الشاذة فإذا سمعها قال : أدخلوها في المستخرجة ، ولذا روي عن ابن وضاح أنه كان يقول : المستخرجة فيها خطأ كثير ، كذا قال ، ولكن الكتاب وقع عليه الاعتماد من أعلام المالكية كابن رشد وغيره .
قال ابن يونس : توفي بالآندلس سنة ٢٥٥ .
والعتبي : نسبة إلى عتبة بن أبي سفيان ابن حرب ، وقيل : إلى جده للمذكور يسمى عتبة ، وقيل : إلى ولاء عتبة بن أبي يعيش .

١٣٩ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن زكريا المعافري ، المقرئ ، الفَرَضِي ، الأديب ، ولد بالآندلس سنة ٥٩١ ، ونشأ ببليسية ، وأقام بالإسكندرية ، وقرأ القرآن على أصحاب ابن هُدَيل ، ونظم قصيدة في القراءات على وزن الشاطبية ، لكن أكثر أبياتاً ، وصرح فيها بأسماء القراء ، ولم يرمز كما فعل الشاطبي ، وكانت له يد في الفرائض والعروض ، مع معرفة القراءات والأدب .

ومن شعره :

إذا ما اشترت بنتاً أباهاً فعتقها بنفس الشرا شرعاً عليها تأصلاً
وميراثه إن مات من غير عاصب ومن غير ذي فَرَضٍ لها قد تأثلاً
لها النصف بالميراث والنصف بالولا فإن وُهبَ ابناً أو شَرَاهُ تفضلاً
فأعتق شرعاً ذلك الابن ما لها سوى الثلث ، والثلثان للأخ أصلاً
وميراثها فيه إذا مات قبلها كميراثها في الأب من قبل يحتل
ومولى أبيها ما لها الدهر فيه من ولاء ولا إرث مع الأب فاعتلى

وهذه المسألة ذكر الغزالي في « الوسيط » أنه قضى فيها أربعمائة قاضٍ وغلطوا
وصورتها ابنة اشترت أباهاً فعتق عليها ، ثم اشترى الأب ابناً فعتق عليه ، ثم

اشترى الأب عبداً فأعتقه ، ثم مات الأب ، فورثه الابن وال بنت للذكر مثل .
حظ الأنثيين ، ثم مات العبد المعتقد ، فلمن يكون ولاؤه ؟ وفرضها المالكية
على غير هذا الوجه وهي مشهورة .

١٣٢ - ومنهم محمد بن أحمد بن محمد بن سهل ، أبو عبد الله الأموي ،
الأندلسي ، الطَّلَيْطَلِي ، المعروف بالنقاش ، نزل مصر ، وقعد للإقراء بجامع
عمرو بن العاص ، وأخذ عنه جماعة ، وتوفي بمصر سنة ٥٢٩ .

١٣٣ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي القَبْرِي ، القُرْطُبي ،
المؤدب^١ ، رحل من الأندلس سنة ٣٤٢ ، فسمع بمصر من أبي محمد ابن الورد
وأبي قتيبة مسلم بن الفضل البغدادي وغيره ، وكان صالحاً خيراً مؤدباً ، سمع
الناس منه كثيراً^٢ ، وتوفي سنة ٣٦٢ .

والقَبْرِي - بفتح القاف ، وسكون الباء الموحدة ، ثم راء مهملة - نسبة
إلى قَبْرَة بلد بالأندلس بقرب قُرْطُبة بنحو ثلاثين ميلاً .

١٣٤ - ومنهم جمال الدين أبو بكر الوائلي ، محمد بن أحمد بن محمد
ابن عبد الله بن سُجْمَان^٣ ، الشريشي ، المالكي^٤ ، ولد بشرش سنة ٦٠١ ،
ورحل فسمع بالإسكندرية من ابن عماد^٥ الحراfi ، ودمشق من مكرم بن أبي
الصقر ، وبحلب من أبي البقاء يعيش بن علي النحوي ، وسمع بإربيل وبغداد ،
وأقام بالمدرسة الفاضلية من القاهرة مدة يفيد الناس فتخرج به جماعة ، وولي
مشيخة المدرسة بالقدس ، ومشيخة الرباط الناصري بالجليل ، وأقام بدمشق يفتي

.....

١ ترجمته في ابن الفرضي ٢ : ٧٤ .

٢ في ط ق ج : سمع من الناس ، والتصويب عن ابن الفرضي .

٣ ضبطه السيوطي : يضم السين المهملة وسكون الحاء أي «سحمان» .

٤ انظر ترجمته في بغية الوعاة : ١٨ .

٥ في الأصول : ابن عمار .

ويدرس ، وكان من العلماء الزهاد كثير العبادة والورع والزهد . أحد الأئمة
المبرزين المتبحرين في العربية والفقه على مذهب الإمام مالك ، والتفسير . والأصول ،
وصنّف كتاباً في الاشتقاق ، وشرح ألفية ابن معطي ، وأخذ عنه الناس ، وطُلب
للقضاء بدمشق فامتنع منه زهداً وورعاً ، وبقي المنصب لأجله شاغراً إلى أن مات
برجب سنة ٦٨٥ ، ودفن بقاسيُون .
وسُجّمان : بسين مهملة مضمومة ، ثم جيم ساكنة ، بعدها ميم مفتوحة ،
ونون .

١٣٥ — ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مُفَرَّج القرطبي ،
المعروف والده بالقنْطوري^١ ، وكان جد أبيه مفرج صاحب الركاب للحكم بن
عبد الرحمن الداخل . وكان أبوه أحمد بن يحيى رجلاً صالحاً ، وولد هو سنة
٣١٥^٢ ، وكان سكناه بقَرْطُبة بقرب عين قنت أوربة ، وسمع بقرطبة من قاسم
ابن أصبغ كثيراً ، ومن ابن أبي دَلِيم والخشني ، ورحل سنة ٣٣٧ فسمع بمكة
من ابن الأعرابي ، ولزمه حتى مات . وسمع بها من جماعة غيره ، وسمع
بجدة ، وبالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام . ودخل صنعاء وزبيد وعدن
وسمع بها من جماعة ، وسمع بمصر من البرقي صاحب أحمد البزار ، وسمع
من السيرافي وجماعة كثيرة . وسمع بغرّة وعسقلان وطبرية ودمشق وطرابلس
وبيروت وصيدا والرملة وصور وقيسارية والقلزم والفرما والإسكندرية ،
فبلغت عدة شيوخه إلى مائتين وثلاثين شيخاً ، وروى عنه أبو عمر الطلمنكي
وجماعة ، وكتب تاريخ مصر عن مؤلفه أبي سعيد ابن يونس ، وروى عنه ابنُ
يونس وهو من أقرانه ، وعاد إلى الأندلس من رحلته سنة ٣٤٥ ، واتصل بالحكم
المستنصر ، وصارت له عنده مكانة ، وألّف له عدة كتب ، واستقضاه على

١ انظر ترجمته في جذوة المقتبس : ٣٨ (وبغية الملتبس رقم : ١٤) وابن الفرضي ٢ : ٩٣ .
٢ في أصول النفع : ٣٢٥ ٤ والتصويب عن ابن الفرضي ؛ وقد اتفقت المصادر على أن رحلته سنة
٣٣٧ ، وهذا يعني أنه رحل وهو ابن اثني عشرة سنة إذا قلنا إنه ولد سنة ٣٢٥ وهو أمر مستبعد .

إِسْتِجَاعَةً ثُمَّ عَلَى الْمَرِيَّةِ ، ومات برجب سنة ١٣٤٨ .
قال الحميدي : هو محدث ، حافظ جليل . صنف كتباً في فقه الحديث ،
وفي فقه التابعين : فمنها « فقه الحسن البصري » في سبع مجلدات ، و « فقه
الزهري » في أجزاء كثيرة . وسمع مسند ابن الفريضي وحديث قاسم بن أصبغ .
قال ابن الفريضي : وكان عالماً بالحديث ، بصيراً برجاله ، صحيح النقل
حافظاً ، جيد الكتابة على كثرة ما جمع .
وقال ابن عفيف في حقه : إنه كان من أعنى الناس بالعلم ، وأحفظهم
للحديث وأبصرهم بالرجال ، ما رأيت مثله في هذا الفن ، من أوثق المحدثين
بالأندلس . وأصحهم كتباً ، وأشدّهم تعباً لروايته ، وأجودهم ضبطاً لكتبه ،
وأكثرهم تصحيحاً لها . لا يدع فيها شبهة ، رحمه الله تعالى .

١٣٦ - ومنهم أبو عبد الله القيسي الوضاحي محمد بن أحمد بن موسى^٢ ،
رحل من المغرب . وسمع من السلفي وغيره جملة صالحة ، ثم عاد إلى الأندلس
بعد الحج ، وسكن المريّة مدة وبها مات سنة ٥٣٩ ، وقيل : في التي بعدها ،
وكان من أطرف الناس . وأحسنهم أدباً . فقيهاً ، فاضلاً ، ثقة ، ذا فرائد
جمّة ، عفيفاً ، معتمداً بالعلم .

١٣٧ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل ،
العبدري ، البلسني^٣ ، ولد سنة ٥١٩ ، وسمع من أبيه وجماعة ، ورحل
حاجباً فسمع من السلفي وابن عوف^٤ والحضرمي والتنوخي والعماني وغيرهم ،

١ ذكر ابن الفريضي أنه توفي سنة ثمانين وثلاثمائة وهذا هو المعقول إذ ان المستنصر لا يستقصيه قبل
سنة ٣٥٠ وهي السنة التي تولى فيها الحكم .

٢ ترجمة الوضاحي في أخبار وتراجم أندلسية : ١١٥ - ١١٦ .

٣ ترجمة ابن هذيل في الذيل والتكملة : ٢٤ (نسخة باريس) وقال فيه مريباطري ، وذكر أنه توفي
بمربيطر سنة ٥٩٣ وانظر كذلك التكملة : ٥٥٢ وإنما نسب إلى بلنسية لأنه من أيبشة وهي من
ثغور بلنسية .

٤ ق : وابن عون ؛ وهو خطأ .

ورجع بعد الحج إلى الأندلس فحدث ، وكان غاية في الصلاح والورع وأعمال البر ، وله حظ من علم العبارة ، ومشاركة في اللغة . وكتب بخطه على ضعفه كثيراً ، رحمه الله تعالى .

١٣٨ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نوح الإشيلي ، ومولده سنة إحدى وثلاثين وستمائة بإشبيلية ، وجال في بلاد المغرب والمشرق ، وقرأ على الشيوخ الفضلاء ، وحصل كثيراً في علم القرآن والأدب ، وله نظم ونثر ، وكان كثير التلاوة للقرآن ، جيد الأداء له ، وأقام بدمشق حتى مات بها سنة ٦٩٩ ، رحمه الله تعالى .

١٣٩ - ومنهم محمد بن أسباط ، المخزومي ، القرطبي^١ ، روى عن يحيى ابن يحيى ، وقدم مصر فسمع من الحارث بن مسكين ، وكان حافظاً للفقهاء ، عالماً ، توفي سنة ٢٧٩ .

١٤٠ - ومنهم أبو بكر محمد بن إسحاق ، الشهير بابن السليم^٢ ، قاضي الجماعة بقرطبة مولده سنة ٣٠٦ ، روى عن قاسم بن أصبغ وطبقته ، ورحل سنة ٣٣٢ ، فسمع بمكة من ابن الأعرابي ، وبمصر من الزبير بن النحاس وغيرهما ، وعاد إلى الأندلس فأقبل على الزهد ودراسة العلم ، وحدث ، فسمع منه الناس ، وكان حافظاً للفقهاء ، بصيراً بالاختلاف ، حسن الخط والبلاغة متواضعاً ، وتوفي بجمادى الأولى سنة ٣٦٧ .
وسليم بفتح السين مكبراً .

١٤١ - ومنهم موسى بن بهيج المغربي الأندلسي الواعظ الفقيه العالم ،

١ ترجمته في ابن الفرعي ٢ : ١٣ .

٢ ترجمة القاضي ابن السليم في جذوة المقتبس : ٤٠ (وبغية الملتبس رقم : ٥٧) وابن الفرعي

٢ : ٧٩ والمرقبة العليا : ٧٥ .

من أهل المَرْيَة ، نزل مصر ، يكنى أبا عمران ، كان من أهل العلم والأدب ، وله في الزهد وغيره أشعار حُمِلت عنه ، وحدث المَرْشَانِي عنه بِمُخَمَّسَة فِي الْحَجِّ وَأَعْمَالِهِ كُلِّهَا ، وَلَقِيَهُ بِمِصْرَ وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ .
ولا بن بهيج هذا قوله :

إِنَّمَا دُنْيَاكَ سَاعَةٌ فَاجْعَلِ السَّاعَةَ طَاعَةً
وَاحْذَرِ التَّقْصِيرَ فِيهَا وَاجْتَنِبِهَا مَا قَدَّرُ سَاعَهُ
وَإِذَا أَحْبَبْتَ عِزًّا فَالْتَمَسْ عِزَّ الْقَنَاعَةِ

١٤٢ - ومنهم أبو عمران موسى بن سعادة^١ ، مولى سعيد بن نصر^٢ ، من أهل مَرْسِيَّة^٣ ، سمع صهره أبا علي ابن سُكْرَةَ الصَّدَقِي ، وكانت بنته عند أبي علي ، ولازمه وأكثر عنه ، وروى عن أبي محمد ابن مُهْمُوزٍ الشَّاطِبِي وأبي الحسن ابن شفيع ، قرأ عليهما الموطأ ، ورحل ، وحج ، وسمع السنن من الطرطوشي ، وعُني بالرواية ، وانتسخ صحيحي البخاري ومسلم بخطه ، وسمعهما على صهره أبي علي ، وكانا أصليين لا يكاد يوجد في الصحة مثلهما ، حكى الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد أنهما سمعا على أبي علي نحو ستين مرة ، وكتب أيضاً « الغريبين » للهَرَوِي ، وغير ذلك ، وكان أحد الأفاضل الصُّلَحَاءِ ، والأجواد السُّمَحَاءِ ، يؤم الناس في صلاة الفريضة ، ويتولى القيام بمؤن صهره أبي علي وبما يحتاج إليه من دقيق الأشياء وجليلها ، وإليه أوصى عند توجُّهه إلى غزوة كَتَنَلْدَةَ الَّتِي فُتِدَ فِيهَا سَنَةٌ أَرْبَعٌ عَشْرَةً وَخَمْسَمِائَةً ، وكانت له مشاركة في علم اللغة والأدب ، وقد حدث عنه ابنُ أَخِيهِ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ سَعَادَةَ بِكِتَابِ « أَدَبِ الْكِتَابِ » لابن قتيبة ، و« الفصيح » لثعلب .

١ ترجمة موسى بن سعادة في معجم شيوخ الصدي : ١٨٨ .

٢ كان سعيد بن نصر مولى أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر .

٣ أصله من بلنسية ولكنه خرج منها عندما استولى عليها الروم سنة ٤٨٦ فانتقل إلى دانية ثم إلى مرسية .

١٤٣ - ومنهم أبو محمد عبد الله بن طاهر ، الأزدي ^١ ، من أهل وادي آش ، له رحلة إلى المشرق أدى فيها الفريضة ، وسمع بدمشق من أبي طاهر الخشوعي مقامات الحريري وابن عساكر وغيرهما ، ثم قفّل إلى بلده ، انتهى ملخصاً من ابن الأبار .

وحكى الصفدي ^٢ أن ابن المستكفي اجتمع بالمتنبي بمصر ، وروى عنه شيئاً من شعره ، ومما روى عنه أنه قال : أنشدني المتنبي لنفسه :

لأعبت بالخاتم إنسانةً كمثل بدّر في الدجى الفاحيم
وكلّما حاولتُ أخذي له من البتّان المترف الناعم
ألقتُهُ في فيها فقلت : انظروا قد خبّبت الخاتم في الخاتم ^٣

١٤٤ - ومن الراحلين من الأندلس إلى المشرق أبو عبد الله ابن مالك ^٤ ، صاحب التسهيل والألفية ، وهو : جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله ابن مالك الإمام العلامة الأوحّد الطائي الجياني المالكي حين كان بالمغرب ، الشافعي حين انتقل إلى المشرق ، النحوي نزّيل دمشق .

ولد سنة ستمائة أو في التي بعدها ، وسمع بدمشق من مكرم وأبي صادق الحسن بن صبحّ وأبي الحسن السخاوي وغيرهم ، وأخذ العربية عن غير واحد ، فممن أخذ عنه بجيّان أبو المظفر ، وقيل : أبو الحسن ، ثابت بن خيار ، عُرِف بابن الطيلسان ، وأبي رزين ابن ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعي

^١ هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، انظر التكملة : ٨٧٥ وقال ابن الأبار إنه وقف على خطه بالسماح منه والإجازة في ذي القعدة سنة ٥٩٩ .

^٢ لا أدري علاقة هذا النص بما قبله . ولعله : وحكى [عنه] الصفدي . . .

^٣ عند هذا الحد تنتهي نسخة ط وقد جاء في آخرها : « انتهى الجزء الأول من كتاب نفع الطيب . . . »
الغ ، يتلوه إن شاء الله في أول الثاني : ومن الراحلين من الأندلس إلى المشرق أبو عبد الله ابن مالك .

^٤ ترجمة ابن مالك في الوافي ٣ : ٣٥٩ والفوات ٢ : ٥/٢ وغاية النهاية ٢ : ١٨٠ وبغية الوعاة : ٥٣ .

من أهل لبَّلة ، وأخذ القراءات عن أبي العباس أحمد بن نَوَّار ، وقرأ كتاب سيبويه على أبي عبد الله ابن مالك المرشاني ، وجالس يعيش وتلميذه ابن عَمْرُون وغيره بحلب ، وتصدَّر بها لإقراء العربية ، وصرف همهته إلى إتقان لسان العرب ، حتى بلغ فيه الغاية ، وأربى على المتقدمين ، وكان إماماً في القراءات ، وعالمًا بها ، وصنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية ، وأما اللغة فكان إليه المنتهى فيها .

قال الصفدي : أخبرني أبو الثناء محمود قال : ذكر ابن مالك يوماً ما انفرد به صاحب المحكم عن الأزهري في اللغة ، قال الصفدي : وهذا أمر مُعْجَز ، لأنه يحتاج إلى معرفة جميع ما في الكتابين ^١ ، وأخبرني عنه أنه كان إذا صلتى في العادلية — لأنه كان إمام المدرسة — يُشَيِّعه قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان إلى بيته تعظيماً له .

وقد روى عنه الألفية شهابُ الدين محمود المذكور ، ورواها الصفدي خليل عن شهاب الدين محمود قراءة ، ورواها إجازةً عن ناصر الدين شافِعِ بن عبد الظاهر وعن شهاب الدين بن غانم بالإجازة عنهما عنه .

وأما النحو والتصريف ^٢ فكان فيهما ابن مالك بجرأ لا يُشَقُّ لُجَّةً ، وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يُسْتَشْهَدُ بها على النحو واللغة فكان أمراً عجيبيّاً ، وكان الأئمة الأعلام يتحبرون في أمره ، وأما الاطلاع على الحديث فكان فيه آية ، لأنه أكثر ما يستشهد بالقرآن ، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث ، وإن لم يكن فيه شيء ^٣ عدل إلى أشعار العرب ، هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وصدق اللهجة ، وكثرة النوافل ، وحُسن السمت ، وكمال العقل ،

١ الروائي : لأنه يريد ينقل الكتابين .

٢ النقل من الصفدي أيضاً .

٣ دوزي : شاهد .

وأقام بدمشق مدة يصنف ويشغل بالجامع وبالتربة العادلية ، وتخرج به جماعة ، وكان نظم الشعر عليه سهلاً رَجَزُهُ وطَوِيلُهُ وبَسِيطُهُ ، وصنف كتاب «تسهيل الفوائد» ، قال الصفدي^١ : ومدحه سعد الدين محمد بن عربي بأبيات مليحة إلى الغاية ، وهي :

إن الإمام جمالَ الدين جَمَلَهُ ربُّ العُلا ولنَشر العلم أهْلَهُ
أُمِّلِي كتاباً له يُسَمَّى «الفوائد» لم يزل مفيداً الذي لبَّ تأمله
وكلَّ مسألة في النحو يَجْمَعُهَا إن الفوائد جمع لا نظير له

قال : وفي هذه الأبيات مع حسن التورية فيها ما لا يخلو من إيراد ذكرته في كتابي «فض الختام»^٢ ، انتهى .

قلت : أجاب العجيسي عن ذلك بأن الأبيات ليست في التسهيل ، وإنما هي في كتاب له يسمى «الفوائد» وهو الذي لخصه في «التسهيل» ، فقوله في اسم التسهيل «تسهيل الفوائد» معناه تسهيل هذا الكتاب ، وذكر أيضاً أنه مثل التسهيل في القدر على ما ذكره مَنْ وقف عليه ، وقال : وإليه يشير سعد الدين محمد بن عربي بقوله «إن الإمام — إلى آخره» وسعد الدين ابنُ الشيخ محيي الدين صاحب «الفُصُوص» وغيرها .

ثم قال العجيسي : وذكر غير واحد من أصحابنا أن له كتاباً آخر سماه «المقاصد» ، وضمَّتها تسهيله ، فسماه لذلك «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» فعلى هذا لا يصح قول الصفدي : إن المدح المذكور في التسهيل ، إلاّ بارتكاب ضرب من التأويل ، انتهى كلام العجيسي .

قلت : وذكر غيره أن قوله في الألفية «مقاصدُ النحو بها محوية» إشارة لكتاب المقاصد ، وتعقب بقوله «محوية» فإنه لو كان كما ذكر لقال محوي ،

١ الوافي : ٣٦٠ .

٢ في الأصول ودوزي : فص الخاتم ؛ والمراد كتابه «فض الختام عن التورية والاستخدام» .

وأجاب بعضهم بأنه من باب الاستخدام ، وفيه تعسف .

رجع — ومن تصانيف ابن مالك « الموصل في نظم المفصل » وقد حل هذا النظم فسماه « سبك المنظوم وفك المختوم » ومن قال « إن اسمه فك المنظوم وسبك المختوم » فقد خالف النقل والعقل ، ومن كتب ابن مالك كتاب « الكافية الشافية » ثلاثة آلاف بيت ، وشرّحها ، و « الخلاصة » وهي مختصر الشافية ، و « إكمال الإعلام بمثلث الكلام » وهو مجلد كبير كثير الفوائد يدل على اطلاع عظيم ، و « لامية الأفعال » وشرحها ، و « فَعَلَّ وَأَفْعَل » ، و « المقدمة الأسدية » وضعها باسم ولده الأسد ، و « عُدَّة الالفاظ وعمدة الحافظ » ، و « النظم الأوجز فيما يهزم » ، و « الاعتضاد في الظاء والضاد » مجلد ، و « إعراب مشكل البخاري » ، و « تحفة المودود في المقصور والممدود » وغير ذلك كشرح التسهيل . وروى عنه ولده بدر الدين محمد ، وشمس الدين بن جعوان ، وشمس الدين بن أبي الفتح ، وابن العطار ، وزين الدين أبو بكر المزني ، والشيخ أبو الحسين اليونيني ، وأبو عبد الله الصبري ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وشهاب الدين محمود ، وشهاب الدين بن غانم ، وناصر الدين بن شافع ، وخلق كثير سواهم . ومن نظمه في الحَلَبَة :

خَيْلُ السِّبَاقِ المَجَلِّي يَقتَفيه مُصَّة لِّ المُسَلِّي وتال قبل مرتاح
وعاطفٌ وحَظِيّ والمُؤمِّلُ والْمَطِيمُ والفَيْسُكِيْلُ السُّكَيْتُ يا صاح

وله من هذه الضوابط شيء كثير .

وكان يقول عن الشيخ ابن الحاجب : إنه أخذ نحوه من صاحب المفصل ، وصاحب المفصل نحوه صُغِيرَات ، وناهيك بمن يقول هذا في حق الزمخشري . وكان الشيخ ركن الدين بن القَوْبُع يقول : إن ابن مالك ما خَلَّتْ للنحو حرمة . وحكي عنه أنه كان يوماً في الحمام وقد اعتزل في مكان يستعمل فيه الموسيقى ، فهجم عليه فتى فقال : ما تصنع ؟ فقال : أكنس لك الموضع للقعود ، قال

بعضهم : وهذا مما يُستبعد على دين ابن مالك . والعُهدّة على ناقله ، قال
 الصفدي : ولا يستبعد ذلك من لطف النحاة وطباع أهلى الأندلس .
 وتوفي ابن مالك بدمشق سنة اثنتين وسبعين وستمائة .
 وقال بعضهم : من أحسن شعر ابن مالك قوله :

إذا رَمِدَتْ عيني تداوَيْتُ منكمُ بنظرة حسن أو بستمعِ كلام
 فإن لم أجده ماءً تيممتُ باسمكم وصليتُ فرضي والديارُ أمامي
 وأخلصت تكيري عن الغير مُعرضاً وقابلت أعلام السوى بسلام
 ولم أر إلا نور ذاتك لائحاً فهل تدعُ الشمسُ امتدادَ ظلام

وقدم - رحمه الله تعالى - القاهرة ، ثم رحل إلى دمشق ، وبها مات كما علم .
 وقال الشرف الحصني يرثيه ^١ :

يا شتاتَ الأسماء والأفعال بَعْدَ موتِ ابن مالكِ المفضلِ
 وانحرافَ الحروفِ من بعدِ ضَبْطِ منه في الانفصالِ والاتصالِ
 مَصْدَرًا كانَ للعلومِ بإذنِ الـ له من غيرِ شُبُهَةٍ ومحالِ
 عدمِ النعتِ ^٢ والتعطفِ والتو كيدُ مُسْتَبْدَلٍ من الأبدالِ
 ألمُ إعتراه أسكنَ منه حركاتِ كانت بغيرِ اعتلالِ
 يا لها سكتةٍ لحزِ قضاءِ أورتُ طولَ مدةِ الانفصالِ
 رَفَعُوهُ في نَعَشِهِ فانتصبنا نصبَ تمييزٍ ، كيفَ سَيرُ الجبالِ
 فَخَمُوهُ عندَ الصلاةِ بدلَ فأملتُ أسرارَهُ للدلالِ
 صَرَفُوهُ يا عَظُمَ ما فَعَلُوهُ وهنَّ عَدْلُ معرفِ بالجمالِ
 أدْغَمُوهُ في التربِ من غيرِ مثلِ سالماً من تغيّرِ الإنتقالِ

١ وردت في الفوات والوافي وبغية الوعاة .

٢ في ق ج و دوزي : النحو .

وَقَفُّوا عِنْدَ قَبْرِهِ سَاعَةً الدَّفْنِ نِ وَوُقُوفًا ضَرُورَةً الْإِمْتِثَالِ
وَمَدَدْنَا الْأَكْفَ نَطْلُبُ قَصْرًا مَسْكَنًا لِلنَّزِيلِ مِنْ ذِي الْجَلَالِ
آخِرَ الْآيِ مِنْ سَبَا الْحِظِّ مِنْهُ^١ حِظَّهُ جَاءَ أَوَّلَ الْأَنْفَالِ
يَا بَيَانَ الْأَعْرَابِ^٢ يَا جَامِعَ الْإِغْ رَابِ يَا مُفْهِمًا لِكُلِّ مَقَالِ
يَا فَرِيدَ الزَّمَانِ فِي النِّظْمِ وَالنَّثْ رِ وَفِي نَقْلِ مُسْتَنْدَاتِ الْعَوَالِ
كَمْ عُلُومٍ بَشَّطَتْهَا فِي أَنْاسِ عِلْمُوا مَا بَشَّتْ^٣ عِنْدَ الزُّوَالِ
انتهت ملخصة .

قال الصفدي : وما رأيت مَرثِيَّةً في نحوي أحسن منها على طولها ، انتهى .
ودفن ابن مالك بسفح قاسيون ، بتربة القاضي عز الدين ابن الصائغ ، وقال
العجيسي : بتربة ابن جعوان . ورثاه الشيخ بهاء الدين ابن النحاس بقوله^٤ :

قُلْ لَابْنَ مَالِكٍ أَنْ جَرَّتْ بِكَ أَدْمَعِي حُمُرًا يُحَاكِهَا النَّجِيعُ الْقَانِي
فَلَقَدْ جَرَحْتَ الْقَلْبَ حِينَ نُعِيَّتْ لِي وَتَسَلَّفَتْ بِدَمِائِهِ أَجْفَانِي
لَكِنْ يَهُونَ مَا أُجِينُ مِنَ الْأَمْسِ عِلْمِي بِثِقَلَتِهِ إِلَى رِضْوَانِ
فَسَقَى ضَرْحًا ضَمَّتْهُ صَوْبُ الْحَيَا بِتَهْمِي بِهِ بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ

وابن النحاس المذكور أحد تلامذة ابن مالك ، وهو القائل يخاطب رضي
الدين الشاطبي الأندلسي ، وقد كلفه أن يشتري له قطراً :

أَيُّهَا الْأَوْحِدُ الرِّضِيُّ الَّذِي طَا لَ عِلَاءٌ وَطَابَ فِي النَّاسِ نَشْرَا
أَنْتَ بَحْرٌ لَا غُرُورَ إِنَّ نَحْنُ وَافِي نَاكَ رَاجِينَ مِنْ نَدَاكَ الْقَطْرَا

١ الوافي : حفظنا منه .

٢ ج ودوزي : يا لسان الأعراب .

٣ ق ودوزي : ما ثنيت .

٤ انظر البغية : ٥٧ .

وابن النحاس المذكور له نظم كثير مشهور بين الناس ، وهو : بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن نصر ، الحلبي الأصل ، المعروف بابن النحاس ، وهو شيخ أبي حيّان ، ولم يأخذ أبو حيّان عن ابن مالك وإن عاصره بنحو ثلاثين سنة . وقال بعض من عرف بابن مالك : إنه تصدر بحلب مدة ، وأمّ بالسلطانية ، ثم تحول إلى دمشق ، وتكاثر عليه الطلبة ، وحاز قصبَ السبق ، وصار يُضرب به المثل في دقائق النحو ، وغوامض الصرف ، وغريب اللغات ، وأشعار العرب ، مع الحفظ والدكاء والورع والديانة وحسن السمّت والصيانة والتحري لما ينقله والتحرير فيه ، وكان ذا عقل راجح ، حسن الأخلاق مهذباً ، ذا رزّانة وحياء ووقار ، وانتصاب للإفادة ، وصبر على المطالعة الكثيرة ، تخرج به أئمة ذلك الزمان كابن المنجي وغيره ، وسارت بتصانيفه الرّكبان ، وخضع لها العلماء الأعيان ، وكان حريصاً على العلم ، حتى إنه حفظ يوم موته ثمانية شواهد . وقال بعض الحفاظ حين عرف بابن مالك : يقال إن عبد الله في نسبه مذكور مرتين متواليّتين ، وبعض يقول : مرة واحدة ، وهو الموجود بخطه أول شرحه لعمدته ، وهو الذي اعتمده الصفدي وابن خطيب دارياً محمد بن أحمد بن سليمان الأنصاري ، وعلى كل حال فهو مشهور بجده في المشرق والمغرب . وحكى بعضهم أن ولادته سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وعليه عدّول شيخ شيوخ شيوننا ابن غازي في قوله :

قد خبّع ابن مالك في خبعا وهو ابن عه كذا وعى من قد وعى

وقيل ، كما تقدم : إن مولده سنة ستمائة أو بعدها بختّان الحرير مدينة من مدن الأندلس جبر الله كسرهما — وهي مفتوحة الجيم ويأؤها مشددة تحتانية — وتصدّر ابن مالك بحمّة مدة ، وانتقد بعضهم على ابن خلّكان إسقاطه من تاريخه ،

١ يريد أن مقدار حروف « خبج » في حساب الجمل يساوي ٦٧٣ وهي سنة وفاته ، وعه = ٧٥

مع كونه كان يعظمه إلى الغاية . وقدّم ، رحمه الله تعالى ، لصاحب دمشق قصة يقول فيها عن نفسه : إنه أعلم الناس بالعربية والحديث ، ويكفيه شرفاً أن من تلامذته الشيخ النووي ^١ ، والعلم الفارقي ، والشمس البعلبي ، والزين الميزي ، وغيرهم ممن لا يحصى .

وكان ، رحمه الله تعالى ، كثير المطالعة ، سريع المراجعة ، لا يكتب شيئاً من محفوظه حتى يراجعه في محله ، وهذه حالة المشايخ الثقات ، والعلماء الأثبات ، ولا يُرى إلا وهو يصلي أو يتلو أو يصنف أو يقرأ ، وكذا كان الشيخ أبو حيّان ، ولكن كان جِدُّه في التصنيف والإقراء .

وحكي أنه توجه يوماً مع أصحابه للفرجة بدمشق ، فلما بلغوا الموضع الذي أرادوه غفّسوا عنه بسوية ، فطلبوه فلم يجدوه ، ثم فحصوا عنه فوجدوه منكباً على أوراق .

وأغرب من هذا في اعتنائه بالعلم ما مر أنه حفظ يوم موته عدة أبيات حدّثها بعضهم بثمانية ، وفي عبارة بعض « أو نحوها » لقنه ابنه إياها ، وهذا ممّا يصدق ما قيل : بقدر ما تتعنى ، تنال ما تتمنى ، فجزاه الله خيراً عن هذه المهمة العلية .

وذكر أبو حيّان في الجوازم من تذييله وتكميله ، أنه لم يصحب من له البراعة في علم اللسان ، ولذا تَضَعُفُ استنباطاته وتعقباته على أهل هذا الشأن ، وينفر من المنازعة ، والمباحثة والمراجعة ، قال : وهذا شأن من يقرأ بنفسه ، ويأخذ العلم من الصحف بفهمه ، ولقد طال فَحْصِي وتنقيري عمّن قرأ عليه ، واستند في العلم إليه ، فلم أجده من يذكر لي شيئاً من ذلك ، ولقد جرى يوماً مع صاحبنا تلميذه علم الدين سليمان بن أبي حرب الفارقي الحنفي فقال : ذكر لنا أنه قرأ على ثابت بن خيار من أهل بلده ، جيّان ، وأنه جلس في حلقة

١ ق ج ودوزي : النووي .

الأستاذ أبي علي الشلوين نحواً من ثلاثة عشر يوماً ، وثابت بن خيار ليس من أهل الجلالة والشهرة في هذا الشأن ، وإنما بجلالته وشهرته في إقراء القرآن ، هذا حاصل ما ذكره أبو حيان .

قال بعض المحققين ، وهو العلامة يحيى العجيسي : وليس ذلك منه بإنصاف ولا يحمل على مثله إلاّ هوى النفس وسرعة الانحراف ، فنفيه المسند عنه والمتبع . شهادة نفي فلا تنفع ولا تُسمع ، ويكفي ما سطر في حقه قوله في أثنائه : نظم في هذا العلم كثيراً ونثر ، وجمع باعتكاف على الاشتغال به ومراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربية وطول السن من هذا العلم غرائب ، وحوت مصنفاته منها نواذر وعجائب ، وإن منها كثيراً استخرجه من أشعار العرب وكتب اللغة إذ هي مرتبة الأكابر النقاد ، وأرباب النظر والاجتهاد ، وقوله في موضع آخر من تذييله « لا يكون تحت السماء أنحى ممّن عرّف ما في تسهيله » وقرنه في « بحره » بمصنف سيويه فما ينبغي له أن يغمصه ، ولا أن يحط عليه ، ولا أن يقع فيما وقع فيه ، فإنه ممّا يُجَرّى على أمثاله الغبي والنيه ، والحليم والسفيه ، وما هذا جزاء السلف من الخلف ، والدُّر من الصدف ، والجيد من الخشف ، أوّما ينظر إلى شيخه أبي عبد الله ابن النحاس ، فإنه لا يذكره إلاّ بأحسن ذكر كما هو أدب خيار الناس ، ومن كلامه في نقله عنه : وهو الثقة فيما ينقل والفاضل حين يقول : وإلى تلميذه أبي البقاء المصري حيث يقول فيه ، أعني في أبي حيان :

هو الأوحِدُ الفردُ الذي تمَّ عِلْمُهُ وسار مسيرَ الشمسِ في الشرقِ والغربِ
ومن غايةِ الإحسانِ مبدأ فضليهِ فلا غرو أن يسمو على العُجمِ والعُربِ

ومن غاية الإحسان ، في هذا الشأن ، التصانيف التي سارت بها الرُكبان . في جميع الأوطان ، واعترف بحسنها الحاضر والبادي ، والداني والقاصي . والصدّيق والعدو ، فتلقّاها بالقبول والإذعان ، فسامح الله تعالى أبا حيان ، فإن

كلامه يحقق قول القائل : كما تدين تدان ، ورحم الله تعالى ابن مالك ، فلقد أحيا من العلم رسوماً دارسة ، وبيّن معالم طامسة ، وجمع من ذلك ما تفرق ، وحقق ما لم يكن تبين منه ولا تحقق ، ورحم شيخه ثابت بن الحيار ، فإنه كان من الثقات الأخيار . وهو أبو المظفر ثابت بن محمد بن يوسف بن الحيار الكلّاعي — بضم الكاف على ما كان يضبط بيده فيما حكاه ابن الخطيب في الإحاطة — وأصله من لبّنة ، ويُعد في أهل جَيّان ، وتوفي بغرناطة سنة ٦٢٨ .

وكان أبو حَيّان يفض من هذا الكتاب ويقول : ما فيه من الضوابط والقواعد حائد عن مَنهَج الصواب والسداد ، وكثيراً ما يشير إلى ذلك في شرحه المسمى « منهج السالك » ومن غَضّه منه بالنظم في ملأ من الناس من جعلتهم شيخه بهاء الدين ابن النحاس والأقسراني يجاريه مقتفياً له ومتأسياً في تسويد القوطاس :

ألفيّة ابن مالكِ مطموسةُ المسالكِ
وكم بها مشغل أوقع في المهالكِ

ولا تغتر أنت بهذا الغرر ، فإنه ما كل سحاب أبرق مطر ، ولا كل عود أورك ثمر . وقيل معارضة للقوم . وتنبهوا لهم مما هم فيه من النوم :

ألفيّة ابن مالكِ مشرقةُ المسالكِ
وكم بها من مشغل عَلا على الأرائكِ

وما أحسن قول ابن الوردي في هذا المعنى :

يا عائبا ألفيّة ابن مالكِ وغائباً عن حفظها وفهمها
أما تراها قد حوت فضائلاً كثيرة فلا تجرّ في ظلمها
وازجر لمن جادل من يحفظها برابع وخامس من اسمها

يعني « صه » فإنه عند الاستقلال بمعنى اسكت ، انتهى ملخصاً .

وقال أيضاً عند ذكره مصنفات ابن مالك : وهي كما قيل غزيرة المسائل ، ولكنها على الناظر بعيدة الوسائل ، وهي مع ذلك كثيرة الإفادة ، موسومة بالإجادة ، وليست لمن هو في هذا الفن في درجة ابتدائه ، بل للمتوسط يترقى بها درجة انتهائه ، انتهى .

واعلم أن الألفية مختصرة الكافية كما تقدم ، وكثير من أبياتها فيها بلفظها ، ومتبوعه فيها ابنُ مُعْطِي ، ونظمه أجمع وأوعب ، ونظم ابن معطي أسلس وأعذب ، وذكر الصفدي عن الذهبي أن ابن مالك صنف الألفية لولده تقي الدين محمد المدغو بالأسد ، واعترضه العلامة العجيسي بأن الذي صنفه له عن تحقيق « المقدمة الأسدية » قال : وأما هذه — يعني الألفية — فذكر لي من أثقُ بقوله أنه صنفها برسم القاضي شرف الدين هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين بن إبراهيم بن عفيف الدين بن هبة الله بن مسلم بن هبة الله بن حسان الجهنبي الحموي الشافعي الشهير بابن البارزي ، ويقال : إن هذه النسبة إلى باب أبرز أحد أبواب بغداد ، ولكن خفف لكثرة دَوْرِهِ على الألسنة ، انتهى مختصراً.

وقال بعض من عرّف بابن مالك : هو مقيم أود ، وقاطع لدّد ، ومزين سماء موّهت الأصائلُ ديباجتها ، وشعشت البُكْرُ زجاجتها ، وجاءت أيامه صافية من الكدر ، ولياليه وما بها شائبة من الكبر ، قد خلّقها العشي بردّعه ، وخلفها الصباح برّبعه ، فكان كل متعين حول مسجده ، وكل عين فاخرة بعسجده ، هذا وزُمُرُ الطلاب ، وطلبة الأجلاب ، لا تزال تُزجّي إليه القِلاص ، وتكثر من سِرْيِهِ الاقتناص ، كان أوحده وقته في علم النحو واللغة مع كثرة الديانة والصلاح ، انتهى .

وقال بعض المغاربة :

لقد مَزَّقَتْ قَلْبِي سِيْهَامُ جُفُونِهَا كما مَزَّقَ اللَّخْمِيْ مَذْهَبَ مَالِكٍ
وَصَالَ عَلَى الْأَوْصَالِ بِالْقَدِّ قَدُّهَا فأُضْحَتْ كَأَيَّاتِ بَتَقَطِيعِ مَالِكٍ

وقلدت إذ ذاك الهوى لمرادهما كتقليد أعلام النحاة ابن مالك
ومسكتها رقي لرقعة لفظها وإن كنت لا أرضاه ملكاً لملك
وناديتها يا منيّي بدّل مهجتي ومالي قليل في بديع جمالك

ويعني بقوله « بتقطيع مالك » مالك بن المرحّل السبتي ، رحمه الله تعالى .
ولما سئل ابن مالك عن قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « نعوذ بالله من
الحوّز بعد الكوّر » هل هو بالراء أو بالنون ؟ أنكر النون ، فقيل له : إن في
« الغريبين » للهروي رواية بالنون ، فرجع عن قوله الأول ، وقال : إنما هو
بالنون ، انتهى .

وقد ذكر في « المشارق » النون والراء ، فقال : « الحوّز بعد الكوّر »
بالراء رواه العذري وابن الحدّاء ، وللباقيين بالنون ، معناه النقصان بعد الزيادة ،
وقيل : من الشذوذ بعد الجماعة ، وقيل : من الفساد بعد الصلاح ، وقيل :
من القلة بعد الكثرة ، كآر عمامته إذا لفها على رأسه واجتمعت ، وحرّها
إذا نقّصها فافترقت ، ويقال : حار إذا رجع عن أمر كان عليه ، ووهم
بعضهم رواية النون ، وقيل : معناها رجع إلى الفساد بعد أن كان على خير ممّا
رجع إليه ، وقال عياض في موضع آخر بعد : الحور بعد الكور ، كذا للعذري ،
والكون للفارسي والسجزي وابن ماهان ، وقول عاصم في تفسيره « حار بعدما
كار » وهي روايته ، ويقال : إن عاصماً وهم فيه ، انتهى .
والسائل لابن مالك عن اللفظة هو ابن خلكان ، لأن ابن الأثير سأل ابن
خلكان عنها ، فسأل هو ابن مالك ، رحم الله تعالى الجميع .

* * *

[تعريف بابنه بدر الدين]

وقد عرف الحافظ الذهبي بابن مالك في تاريخ الإسلام ، وذكر فيه ترجمة
لولده بدر الدين محمد ، وأنه كان حادّ الذهن ، ذكياً ، إماماً في النحو وعلم

المعاني والمنطق ، جيد المشاركة في الفقه والتدريس ، وأنه تصدّر بعد والده للتدريس ، ومات شاباً قبل الكهولة سنة ٦٨٦ . ومن أجل تصانيفه شرحه على ألفية والده ، وهو كتاب في غاية الإغلاق ، ويقال : إنه نظير الرضي في شرح الكافية ، وللناس عليه حواشٍ كثيرة . رحمهم الله تعالى أجمعين .

١٤٥ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر القيسي التدميري^١ ويعرف بالشهيد ، كان عظيم القدر جداً بالأندلس ، بعيد الأثر في الخير والصلاح والعلم والنسك والانقطاع إلى الله تعالى ، وكان من وجوه أهل كورة تدمير ذوي البيوت الرفيعة ، وبرعَ بخصاله المحمودة ، فكان في نفسه فقيهاً ، عالماً ، زاهداً ، خيراً ، ناسكاً ، متبتلاً ، نشأ على الاستقامة والصلاح والاهتداء والدعة ، طلب العلم في حدثان سنّه ، ورحل إلى قرطبة فرَوَى الحديث وتفقه وناظر ، وأخذ بحظٍّ وافر من علم المسألة والجواب ، وكان أكثر علمه وعمله الورع ، والتشدد فيه ، والتحفظ بدينه ومكسبه ، ورسخ في علم السنّة ، ثم ارتحل إلى المشرق ، فمر بمصر حاجتاً ، فأقام بالحرمين ثمانية أعوام يتعيش فيها من عمل يده بالنسخ ، ثم سار إلى العراق ، فلقى أبا بكر الأبهري وأخذ عنه ، وأكثر من لقاء الصالحين وأهل العلم ، ولبس الصوف ، وقنع ، وتورع جداً ، وأعرض عن الشهوات ، وكان إذا سثم من النسخ الذي جعل قوته منه آجر نفسه في الخدمة رياضة لها ، فأصبح عابداً متقشفاً منيباً مخبئاً عالماً عاملاً منقطع القرين ، قد جرت منه دعوات مُجابهة ، وحفظت له كرامات ظاهرة ، ثم عاد إلى بلدة تدمير سنة ست أو سبع وسبعين وثلاثمائة ، وبها أبوه أبو الحسام طاهر حياً ، فنزل خارج مدينة مُرْسِيَّة تورعاً عن سكناها وعن الصلاة في جامعها ، فاتخذ له بيتاً سقفه من حطب السدر يأوي إليه ، واعتمر جنينة بيده يقات منها ، وصار يغزو مع المنصور محمد بن أبي عامر ، ثم تحول من قريته بعد عامين إلى الثغر ، وواصل

١ ترجمته في ابن القرضي ٢ : ٩٠ .

الرباط ، ونزل مدينة طَلَبِيرَة ، وكان يدخل منها في السرايا إلى بلد العَدُو فيغزو ويتقوت من سُهْمَانِه ، وَيُعَوِّل على فرس له ارتبطه لذلك ، وكان له بأس وشدة وشجاعة وثقافة ، يحدث عنه فيها بحكايات عجيبة ، إلى أن استشهد مقبلاً غير مدبر . سنة ٣٧٩ ، أو في التي قبلها ، عن اثنتين وأربعين سنة ، وأبوه حي ، رحم الله تعالى الجميع .

١٤٦ — ومنهم أبو عبد الله القبيجاطي محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جَهْوَز ، مولده سنة ٥٩٠ بَقِيَّجَاطَة ، وكتب عنه الحافظ المنذري ، ومن شعره قوله :

إِذَا كُنْتَ تَهْوَى مِنْ نَأَتْ عَنكَ دَارُهُ فَحَسْبُكَ مَا تَلْقَى مِنَ الشَّوْقِ وَالْبُعْدِ
فِيَا وَيْحَ صَبٍّ قَدْ تَضَرَّمَ نَارُهُ وَوَاخَرَ قَلْبَ ذَابٍ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ

١٤٧ — ومنهم أبو عبد الله — ويقال : أبو حامد — محمد بن عبد الرحيم ، المازني ، القيسسي ، الغرناطي^١ ، ولد سنة ٤٧٣ ، ودخل الإسكندرية سنة ٥٠٨ ، وسمع بها من أبي عبد الله الرازي ، وبمصر من أبي صادق مرشد بن يحيى المدني وأبي الحسن الفراء الموصلي وأبي عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوي وغيرهم ، وحدث بدمشق ، وسمع أيضاً بها وببغداد ، وقدمها سنة ٥٥٦ ، ودخل خراسان ، وأقام بها مدة ، ثم رجع إلى الشام ، وأقام بحلب سنين ، وسكن دمشق ، وكان يذكر أنه رأى عجائب في بلاد شتى ، ونسبه بعض الناس بسبب ذلك إلى ما لا يليق ، وصنف في ذلك كتاباً سماه « تحفة الألباب » وكان حافظاً عالماً أديباً ، وتكلم فيه الحافظ ابن عساكر ، وزنه بالكذب ، وقال ابن النجار : ما علمته إلا آميناً .

١ ترجمة أبي حامد الغرناطي في الوافي ٣ : ٢٤٥ نقلاً عن ابن النجار ، وفي الترجمة المقطوعتان اللتان أوردهما المقرئ ، وكتابه « تحفة الألباب » في العجائب نشره جبرائيل فراند في المجلة الآسيوية سنة ١٩٢٥ .

ومن شعره قوله :

تكتب العلم وتلقي في سَقَطٍ ثم لا تحفظ؟ لا تُفْلِحُ قَطَّ
إنما يُفْلِحُ مَنْ يحفظه بعد فهمٍ وتوقٍ مِنْ غَلَطٍ

وقوله :

العلم في القلب ليس العلم في الكتبِ فلا تكن مُغرماً باللهو واللعبِ
فاحفظه وافهمه واعمل كي تفوز به فالعلم لا يجتنى إلاّ مع التعبِ
توفي بدمشق في صفر سنة ٥٦٥ .

١٤٨ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام ، القرطبي^١ ، من ذرية أبي
ثعلبة الخشني صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رحل قبل الأربعين
ومائتين ، فحج ، وسمع بالبصرة من محمد بن بشار وأبي موسى الزمّين ونضر
ابن علي الجتهضي ، ولقي أبا حاتم السجستاني والعباس بن الفرج الرياشي ،
وسمع ببغداد من أبي عبيد القاسم بن سلام^٢ ، وبمكة من محمد بن يحيى العدي ،
وبمصر من سلمة بن شبيب صاحب عبد الرزّاق والبرقي وغيرهما ، وأدخل
الأندلس علماً كثيراً من الحديث واللغة والشعر ، وكان فصيحاً جَزَل المنطق ،
صاوماً ، أنوفاً ، منقبضاً عن السلطان ، أرادته على القضاء فأبى ، وقال : إياي
إشفاق لا إياي عصيان^٣ ، فأعفاه ، وكان ثقة مأموناً ، وتوفي في رمضان سنة
٢٨٦ عن ثمان وستين سنة ، رحمه الله تعالى .

١ ترجمة الخشني في ابن الفرضي ٢ : ١٦ والجذوة : ٦٣ (وبنية الملتبس رقم : ٢٠٢) وتذكرة
الحفاظ : ٦٤٩ .

٢ يبدو أن هذا وهم من المقرئ ، فقد ذكر ابن الفرضي أن محمد بن عبد السلام دخل بغداد وكتب
بها كتب أبي عبيد القاسم بن سلام عن محمد بن وهب المسعري تلميذ أبي عبيد ، وهذا ما ذكره
الحميدي وزاد على ذلك أن من شيوخه محمد بن المغيرة وهو تلميذ آخر لأبي عبيد .

٣ انظر خبر إياه القضاء في « المرقبة العليا » : ١٣ .

١٤٩ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج ، القرطبي ^١ ،
سمع من محمد بن وضاح وأكثر عنه ، وأخذ عن محمد الخُشْتِي وقاسم بن أصبغ
ولإبراهيم بن قاسم بن هلال ^٢ ، ورحل سنة ٢٧٤ ، فسمع بمصر من المطلب بن
شعيب والمقدام ^٣ بن داود الرُّعَيْتِي ، وأدرك بالعراق لإسماعيل القاضي وعبد الله
ابن أحمد بن حنبل .

قال الحميدي : حدث بالمغرب وبالمشرق ، وصنّف السنن ، وممّن روى عنه
نخالد بن سعيد ، وقال لنا أبو محمد ابن حزم : مُصَنَّف ابن أيمن مصنف رفيع
احتوى من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات ، وتوفي
في ذي القعدة سنة ٣٣٠ ، بقرطبة ، رحمه الله تعالى .

١٥٠ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون اللخمي ^٤ ،
الرصافي ، القرطبي ، الحداد ، سمع بقرطبة من عبد الله بن يونس وقاسم بن
أصبغ ، وحج سنة ٣٣٩ سنة ردّ القرامطة الحجر الأسود إلى مكانه ، وسمع
بمكة من ابن الأعرابي ، وبمصر من ابن الورد ^٥ وأبي علي ابن السكن وعبد الكريم
النسائي وغيرهم وسمع بأطرابلس والقيروان من جماعة ، وكان رجلاً صالحاً ^٦ ،
عدلاً ، حدث وكتب عنه الناس ، وعَلَّتْ سنه ، وتوفي بشوال سنة ٣٩٤ ،
وولد فيما أظن سنة ٣٠٢ ، وكانت وفاته بقرطبة ، وقد اضطرب في أشياء
قرئت عليه ، وممّن أخذ عنه الحافظ أبو عمر ابن عبد البر ، رحم الله تعالى الجميع .

١ ترجمة ابن أيمن في ابن الفريسي ٢ : ٥٢ والبدوة : ٦٣ (وبغية الملتبس رقم : ١٩٧)
وتذكرة الحفاظ : ٨٣٦ .

٢ ابن الفريسي : ويحيى بن قاسم بن هلال .

٣ ج : والمقداد .

٤ ترجمته في ابن الفريسي ٢ : ١١٠ والبدوة : ٦٣ (وبغية الملتبس رقم : ١٩٩) وزاد في
ك : ابن مروان بعد لفظة « ضيفون » في نسبه .

٥ ق : من أبي الورد .

٦ صالحاً : سقطت من ج .

١٥١ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك ، الخزرجي ، السعدي ،
القرطبي ، روى عن أبي الحسن علي بن هشام ، وروى عنه أبو القاسم ابن
بشكّوَال ، وقدم مصر وحدث بها ، وممن سمع منه بها ابن وردان وأبو الرضى
القيسّراني في آخرين ، واستوطن مصر ، وتوفي سنة ٥٨٨ .

١٥٢ - ومنهم أبو بكر ابن السراج ، النحوي ^١ - بتشديد الراء - وهو
محمد بن عبد الملك بن محمد بن السراج الشنتمري ، أحد أئمة العربية المبرزين
فيها ، ويكفيه فخراً أنه أستاذ أبي محمد عبد الله بن بري المصري اللغوي النحوي ،
وحدث عن أبي القاسم عبد الرحمن ^٢ بن محمد النفطي ^٣ ، وقرأ العربية بالأندلس
على ابن أبي العافية وابن الأنخضر ، وقدم مصر سنة ٥١٥ ، وأقام بها ، وأقرأ
الناس العربية ، ثم انتقل إلى اليمن ، وروى عنه أبو حفص عمر بن إسماعيل
وأبو الحسن علي والد الرشيد العطار ، وله تواليف منها « تنبيه الألباب في فضل
الإعراب » ^٤ وكتاب في العروض ، وكتاب « مختصر العمدة » لابن رشيق وتنبيه
أغلاطه . قال السلفي : كان من أهل الفضل الوافر ، والصلاح الظاهر ، وكانت
له حلقة في جامع مصر لإقراء النحو ، وكثيراً ما كان يحضر عندي - رحمه الله
تعالى - مدة مقامي بالفسطاط ، توفي بمصر سنة ٥٤٩ ، وقيل : سنة خمس وأربعين ،
وقيل : خمسين وخمسمائة ، برمضان ، والأول أثبت .

١٥٣ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن سعيد
[العنسي] ، ويكنى أيضاً أبا القاسم ، الغرناطي ، سمع من الجليّة بمصر
والإسكندرية ودمشق وبغداد : منهم الحرائي أبو عبد الله وأبو محمد عبد الصمد

١ ترجمة السراج في بنية الوعاة : ٦٨ والواقي ٤ : ٤٦ (وبروكلمان ١ : ٣٧٧) .

٢ البنية : عبد الرحيم .

٣ ج : السقطي .

٤ الواقي : تلقيح الألباب في عوامل الإعراب .

ابن داود بدمشق ، وكتب الحديث [وعني] بالرواية أتم عناية ، وفقد بأصبهان حين استولى عليها التتار قبل الثلاثين وستمائة .

١٥٤ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الدفاع^١ ، بالمدال المهمة ، وقيل : بالراء ، قرطبي ، سمع عبد الملك بن حبيب ، ورحل فسمع بمصر من الحارث بن مسكين وغيره ، وكان زاهداً فاضلاً ، وتوفي سنة ٢٨١ ، رحمه الله تعالى .

١٥٥ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد ، المتعافري القرطبي^٢ ، ولد بقرطبة سنة ٣٥٨ ، ودخل مصر فسمع من أبي بكر ابن المهندس وأبي بكر البصري ، وروى عن أبي عبد الله ابن مفرج وأبي محمد الأصيلي وجماعة ، ولقي الشيخ أبا محمد ابن أبي زيد في رحلته سنة ٣٨١ فسمع منه رسالته في الفقه وغيرها . وحج من عامه . ثم عاد من مصر إلى المغرب سنة ٣٨٢ ، وكان معتنياً بالأخبار والآثار ، ثقة فيما رواه ، وعني به ، خيراً ، فاضلاً ، ديناً ، متواضعاً ، متصوناً ، مقبلاً على ما يعنيه ، صاحب حظ من الفقه ، وبصير بالمسائل ، ودعي إلى الشورى بقرطبة فأبى ، ومات سنة ٤٣٩ . وعابد جده بالباء الموحدة . رحم الله تعالى الجميع .

١٥٦ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجد^٣ الأنصاري البكسي ، أخذ القراءات^٤ عن جماعة من أهل بلده ، وخرج حاجاً سنة ٥٧١ ، فجاور بمكة ، وسمع بها وبالإسكندرية من السلفي ، وعاد إلى بلده

١ ترجمة ابن الدفاع في ابن الفرضي ٢ : ١٤ والجلدوة : ٥٨ (وبغية الملتبس رقم : ١٥٨) .

٢ ترجمة ابن عابد في الصلة : ٥٠١ وبغية الملتبس رقم : ١٧٧ .

٣ ترجمته في التكملة : ٥٥٩ وفيه «ابن هاجد» وغاية النهاية ٢ : ١٧٩ وفيه وفي دوزي : ابن هاجر .

٤ ج : القراءة .

سنة ٥٩٦^١ ، وحدث وكان من أهل الصلاح والفضل والورع ، كثير البر ، ومفاداة الأسرى ، ويحترف بالتجارة ، ومولده بعد سنة ٥٣٠^٢ ، ومات سنة ٥٩٨ بمرسية ، رحمه الله تعالى .

١٥٧ — ومنهم أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة^٣ ، القرطبي ، المالكي ، الحافظ^٤ ، ولد سنة ٤٧٩^٥ ، وأخذ الفقه عن القاضي أبي الوليد ابن رشد ، والحديث عن ابن عتاب ، وروى الموطأ عن أبي بحر سفيان بن العاص بن سفيان^٦ ، وأخذ الأدب عن أبي الحسين^٧ سراج بن عبد الملك بن سراج الأموي ، وعن مالك بن عبد الله العُتبي ، وخرج من قُرطُبة في الفتنة بعدما درّس بها وانتفع الناس به في فروع الفقه وأصوله ، وأقام بالإسكندرية خوفاً من بني عبد المؤمن بن علي ، ثم قال : كأني والله بمراكبهم قد وصلت إلى الإسكندرية ، ثم سافر إلى مصر بعدما روى عنه السلفي ، وأقام بها مدة ، ثم قال : والله ما مصر والإسكندرية بمتباعدتين ، ثم سافر إلى الصعيد ، وحدث في قُوصَ بالموطأ ، ثم قال : والله ما يصلون إلى مصر ويتأخرون عن هذه البلاد ، فمضى إلى مكة ، وأقام بها ، ثم قال : وتصل إلى هذه البلاد ولا تحج ؟ ما أنا إلا هربت منه إليه ! ثم دخل اليمن ، فلما رآها قال : هذه أرض لا يتركها بنو عبد المؤمن ، فتوجه إلى الهند ، فأدركته وفاته بها سنة ٥٥١ ، وقيل : بل مات بزبيد من مدن اليمن ، وكان من جيلة العلماء الحفاظ مُتَقَنَّاً متفناً في المعارف كلها جامعاً لها ، كثير الرواية ، واسع المعرفة ، حافل الأدب ، من كبار فقهاء المالكية

١ في التكملة : سنة ٥٧٦ .

٢ دوزي : بعد سنة ٥٢٠ ، والتصويب عن التكملة ونسخة من أصول النفع .

٣ ترجمة ابن خيرة في الصلة : ٥٦٠ وبغية الملتبس رقم : ١٧٨ .

٤ في نسختين : ٤٨٩ وفي دوزي : ٤٢٩ .

٥ ج : صفوان . . . صفوان .

٦ ك : عن مولانا أبي الحسين .

يتصرف في علوم شتى حافظاً للآداب ، عارفاً بشعراء الأندلس ، وكان علمه أوفر من منطقه ، ولم يرزق فصاحة ولا حسن لإيراد [والله أعلم]^١ .
قال قال ابن نقطة : خيِّرة بكسر الحاء المعجمة وفتح الياء المنقوطة من تحتها باثنتين .

١٥٨ — ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل ، السلمي ، المُرسي^٢ ، قال ابن النجار : ولد بمُرسيّة سنة ٥٧٠ هـ ، وقال غيره : في التي قبلها ، وخرج من بلاد المغرب سنة ٦٠٧ هـ ، ودخل مصر ، وسار إلى الحجاز ، ودخل مع قافلة الحجّاج إلى بغداد ، وأقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والأصليين بالنظامية ، ثم سافر إلى خراسان ، وسمع بنيسابور وهرّاة ومرو ، وعاد إلى بلاد بغداد ، وحدث بكتاب السنن الكبير^٣ للبيهقي عن منصور ابن عبد المنعم القراوي ، وبكتاب غريب الحديث للخطابي ، وقدم إلى مصر فحدث بالكثير عن جماعة منهم أم المؤيد زينب وأبو الحسن المؤيد الطوسي ، وخرج من مصر يريد الشام فمات بين الزعقة والعريش من منازل الرمل في ربيع الأول سنة ٦٥٥ هـ ، ودفن بتل الزعقة ، وكان من الأئمة الفضلاء في جميع فنون العلم من علوم القرآن والحديث والفقه والخلاف والأصليين والنحو واللغة ، وله فهم ثاقب ، وتدقيق في المعاني ، مع النظم والنثر المليح ، وكان زاهداً ، متورعاً ، حسن الطريقة ، متديناً ، كثير العبادة ، فقيهاً ، مجرداً^٤ ، متعففاً ، نزه النفس ، قليل المخالطة^٥ لأوقاته ، طيب الأخلاق ، متودداً ، كريم النفس ،

١ ما بين معقّفين زيادة من ج .
٢ ترجمة ابن أبي الفضل المُرسي في الوافي ٣ : ٣٥٤ وبغية الوعاة : ٦٠ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٠٩ ويلقب بشرف الدين ، وله استدراكات على المفصل للزنجشيري في سبعين موضعاً ، وله كلام على شعر أبي الطيب ، وقد عدّ ياقوت له مؤلفات أخرى .

٣ ج : السنن الكبرى .

٤ ج : متجرداً .

٥ ج : قليل المحافظة .

قال ابن النجار : ما رأيت في فنه مثله ، وكان شافعي المذهب ، وله كتاب تفسير القرآن سماه « ري الظمان » كبير جداً ، وكتاب « الضوابط الكلية » في النحو ، وتعليق على الموطأ ، وكان مكثراً شيوخاً وسماعاً ، وحدث بالكثير بمصر والشام والعراق والحجاز ، وكانت له كتب في البلاد التي ينتقل إليها بحيث إنه لا يستصحب كتباً في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر إليه ^١ ، وكان كريماً ، قال أبو حيان : أخبرني الشرف الجزائري بتونس أنه كان على رحلة ، وكان ضعيفاً ، فقال له : خذ ما تحت هذه السجادة أو البساط ، فرفعت ذلك ، فوجدت تحته نحواً من أربعين ديناراً ذهباً ، فأخذتها . وقال الجمل اليعقوبي : أنشدني لنفسه بالقاهرة ^٢ :

قالوا فلان قد أزال بهاءه ذاك العذارُ وكان بدراً تمام
فأجبتهم بل زاد نورُ بهائه ولذا تضايفَ فيه فرطُ غرامي
استقصرت الحاظه فتكاثرت فأتى العذارُ يمدُّها بسهام

ومن شعره قوله ^٣ :

من كان يرغب في النجاة فما له غيرُ اتباعِ المصطفى فيما أتى
ذاك السبيلُ المستقيم ، وغيره سبُلُ الغواية والضلالة والردي
فاتبع كتاب الله والسنن التي صحت ، فذاك إذا اتبعت هو الهدى
ودع السؤال بكم وكيف فإنه بابٌ يمرُّ ذوي البصيرة للعمى
الدين ما قال النبي وصحبه والتابعون ومن مناهجهم قفا

١ ذكر الصفدي أنه خلف كتباً عظيمة كانت مودعة بدمشق فرسم السلطان ببيعها فكانوا يحملون منها كل يوم ثلثاً (لعله : ثلاثاء) إلى دار السعادة لأجل الباذراتي فاشترى منها جملة كثيرة وبيعت في سنة ٥ وفي ج ق : في البلاد التي ينتقل إليها .

٢ انظر معجم الأدباء : ٢١٢ .

٣ معجم الأدباء : ٢١٢ .

١٥٩ - ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله البُنْتِي ، الأندلسي ، الأنصاري ،
قدم مصر ، وأقام بالقرافة مدة ، وكان شيخاً صالحاً زاهداً فاضلاً ، وتوجه إلى
الشام فهلك ، قال الرشيد العطار : كان من فضلاء الأندلسيين ونبيهاهم ، ساح
في الأرض ودخل بلاد المعجم وغيرها من البلاد البعيدة ، وكان يتكلم بالسنة شتى .
ومن شعره قوله :

إذا قَلَّ مِنْكَ السَّعْيُ فالعزمُ ناشدُ وكلُّ مكانٍ في مَرَاثِكِ واحدُ
توجهُ بصدقٍ واثقِ الميْنِ واقتَصِدْ تَجْنُكُ رهينَاتِ النجاحِ المقاصدُ

والبُنْتِي - بضم الباء ، وسكون النون - نسبة إلى بُنْتُ حصن بالأندلس .
ويقال « بونت » بزيادة واو .

١٦٠ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، الخولاني ، الباجي ، ثم
الإشبيلي ، المعروف بابن القوق^١ ، سمع بقرطبة من جماعة ، ورحل إلى المشرق
سنة ٢٦٦ . فسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وغيره . وبمصر من محمد بن عبد
الحكم ومن أخيه سعد ، وكان فقيهاً في الرأي ، حافظاً له . عاقداً للشروط ،
قال ابن الفرضي : كان رجلاً صالحاً ورعاً ثقة ، وكان خالد بن سعيد قد رحل
إليه وسمع منه ، وكان يقول إذا حدث عنه : كان من معادن الصدق ، توفي
سنة ٣٠٨ .

١٦١ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، اللوشي ، الطيب ،
اشتغل بالطب ، وبرع فيه ، وأقام بمصر مدة ، وبها مات في عَشْرِ السنين
وستمائة .

١ ترجمة ابن القوق في ابن الفرضي ٢ : ٣٢ (وفيه : ابن القون وفي بعض الأصول كتب :
القوف أو القوق وفي ج : الفرق) .

١٦٢ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبدون ، العذري ، القرطبي^١ ،
رحل سنة ٣٣٧ ، فدخل مصر والبصرة ، وعني بعلم الطب ، ودبر مارستان
مصر ، ثم رجع إلى الأندلس سنة ٣٦٠ ، واتصل بالحكم المستنصر وابنه المؤيد ،
وله في التفسير كتاب حسن .

قال صاعد : تمهر في الطب ، ونبل فيه ، وأحكم كثيراً من أصوله ،
وعانى صنعة المنطق مُعَانَاةً صحيحةً ، وكان شيخه فيه أبو سليمان محمد بن محمد
ابن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي ، وكان قبل أن يتطب مؤدباً للحساب
والهندسة ، وأخبرني أبو عثمان سعيد الطليطلي ، أنه لم يلق^٢ في قرطبة مَنْ
يلحق محمد بن عبدون في صناعة الطب ، ولا يجاريه في ضبطها وحسن درجته
فيها وإحكامه لغوامضها ، رحمه الله تعالى .

١٦٣ - ومن الراحلين إلى المشرق من أهل الأندلس أبو مروان عبد
الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زُهر^٣ ، الإيادي ، الأندلسي ، صاحب
البيت الشهير بالأندلس ، رحل المذكور إلى المشرق ، وتطب به زماناً ، وتولى
رئاسة الطب ببغداد ، ثم بمصر ، ثم القيروان ، ثم استوطن مدينة دانية ، وطار
ذكره فيها إلى أقطار الأندلس والمغرب ، واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى
بزَّ أهل زمانه ، ومات في مدينة دانية ، رحمه الله تعالى .

ووالده محمد بن مروان^٤ كان عالماً بالرأي ، حافظاً للأدب ، فقيهاً حاذقاً
بالفتوى متقدماً فيها ، متقناً للعلوم ، فاضلاً ، جامعاً للدراية والرواية ، وتوفي
بطلسيرة سنة ٤٢٢ ، وهو ابن ست وثمانين سنة ، حدث عنه جماعة من علماء

١ ترجمة ابن عبدون هذه مكررة ، انظر رقم : ٩٨ ومصادر التخريج في الحاشية .

٢ ج : لم يبق .

٣ ترجمة عبد الملك بن زهر في المغرب ٢ : ٢٦٥ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٦٦ والتكملة رقم :

١٧١٧ والذيل والتكملة ٥ : ١٨ والمطرب : ٢٠٣ .

٤ انظر ترجمة محمد بن مروان بن زهر في الصلة : ٤٨٧ .

الأندلس ، ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل ، رحمه الله تعالى .
وأما أبو العلاء زهر بن عبد الملك المذكور فقال ابن دحية فيه ^١ : إنه
كان وزير ذلك الدهر وعظيمه ، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه ، وتوفي
ممتحناً من نغلة بين كتفيه سنة ٥٢٥ بمدينة قرطبة ، انتهى .

وكانت بينه وبين الفتح صاحب القلائد عداوة ، ولذلك كتب في شأنه إلى
أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ما صورته : أطال الله تعالى بقاء الأمير
الأجل سامعاً للتداء ، دافعاً للتناول والاعتداء ، لم ينظم الله تعالى بلبتلك
الملك عقداً ، وجعل لك حلاً للأمور وعقداً ، وأوطأ لك عقباً ، وأصار من
الناس لعونك منتظراً ومرتباً ، إلا أن تكون للبرية حائطاً ، وللعدل فيهم باسطاً ،
حتى لا يكون فيهم من يضام ، ولا ينال أحد منهم اهتضام ، ولتقصر يد كل
معتد في الظلام ، وهذا ابن زهر الذي أجرت له رَسَنًا ، وأوضحت له إلى
الاستقالة سَنَنًا ، لم يتعد من الإضرار إلا حيث انتهيته ، ولا تهادى على غيئه
إلا حين لم تنهه أو نهيته ، ولما علم أنك لا تنكر عليه نُكْرًا ، ولا تغير له
متي ما مكر في عباد الله مَكْرًا ، جرى في ميدان الأذية ملء عنانه ، وسرى
إلى ما شاء بعدوانه ، ولم يراقب الذي خلقه ، وأمد في الحظوة عندك طَلَقَه ،
وأنت بذلك مرتين عند الله تعالى ، لأنه مكثك لثلاً يتمكّن الجور ، ولتسكن
بك القلاة والغور ، فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل في كل طريق ،
وأخفق به كل فريق ، وقد علمت أن خالقك الباطش الغيور ، يعلم خائنة
الأعين وما تخفي الصدور ، وما تخفى عليه نجوأك ، ولا يستتر عنه تقلبك
ومثوأك ، وستقف بين يدي عدل حاكم ، يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم ، قد
علم كل قضية قضاها ، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فبمحتاج
معي لديه ، إذا وقفت أنا وأنت بين يديه ؟ أنرى ابن زهر ينجيك في ذلك

١ المطرب : ٢٠٣ وانظر التكملة : ٣٣٤ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٦٤ .

المقام ، أو يحميك من الانتقام ؟ وقد أوضحت لك المحبة ، لتقوم عليك المحبة ،
والله سبحانه النصير ، وهو بكل خلق بصير لا ربّ غيره ، والسلام ، انتهى .

• * •

[رسالة للفتح في غريق]

وقد تذكرت هنا بذكر الفتح ما كتبه وقد مات بعض إخوانه غريقاً :

أنا في ورّحلي بالعراق عشيّة ورّحل المطايا قد قَطَعْن بنا نجدا
نعيّ أطار القلب عن مُستقرّه . وكنت على قصدٍ فأغلطني القصدُ

نَعَوّا والله باسق الأخلاق لا يخلف . ورموا قلبي بسهم أصاب صميمه
فما أخلف ، لقد سام الردى منه حسناً وجمالاً ووَسامة ، وطوى بطيّه نجده
وتيهامه ، فعطّل منه النديّ والندى . وأكل فيه الهدى والهدى . كم قلّ
السيوف طول قراعه . ودل عليه الضيوف موقد ناره بيفاعه ، وكم تشوّف
إليه السرير والمنبر . وتصرف فيه الثناء المُحَبَّر . وكم راع البدر ليلة
إبداره . وروّع العدو في عُقر داره . وأي فتى غدا له البحر ضريحاً ، وأعدى
عليه الحين ماء وريحاً . فبدل من ظلّل على ومفاخر . بقعر بحر طامي
اللّجج زاهر . وبدل من صهوات الخيل ، بلهوات اللّجج والسيل ، غريق
حكى مقلّي في دمعها . وأصاب نفسي في سمعها . ومن حزن لا أستسقي
له الغمام فما له قبر تجوده . ولا يرى تروى به تهايمه ونجوده . وقد آليت
أن لا أودع الريح تحية ، ولا يورثني هبوبها أريحية ، فهي التي أثارت في
الموج حنقاً ، ومشت عليه خبباً وعنقاً ، حتى أعادته كالكُثبان ، وأودعته
قضيّب بان ، فيا أسفا لزال غاض في أجاج ، وللسلسال فاض عليه بحر عجاج ،
وما كان إلاّ جوهرأ ذهب إلى عنصره ، وصدفاً بان عن عين مبصره ، لقد
آن للحسام أن يُغمد فلا يُشام ، وللحمام أن تبكيه بكل أراكة وبشام ،
وللعذارى أن لا يحجبهن الحضر والاحتشام . ينحّن فتى ما ذرّت الشمس

إلاّ ضرّاً أو نفع ، ويبكين مَنْ لم يدع فقدّه في العيش من مُنتَقِع ، فكم
 نعمنا بدنوّه ، ونسمنّا نسيم الأنس في رَوّاحه وغدوّه ، وأقمنا بروضة مَوْشِيّة ،
 ووقفنا بالمسرات عَشِيّة ، وأدّرناها ذهباً سائلة ، ونظرناها وهي سائلة ، لم
 نرم السهر ، ولم نَشِمْ بَرَقاً إلاّ الكأس والزهر . ولو غير الحمام زَحَفَ إليه
 جيشه ، أو غير البحر رجف به ارتجاجه وطيشه ، لفداه من أسرته كلُّ أروع
 إن عاجله المكروه تثبّطه ، أو جاءه الشرّ تأبّطه ، ولكنتها المنايا لا تردّها
 الصّوارم والأسل ، ولا تفوتها ذئاب الغضا العُسل ، قد فرقت بين مالك
 وعَقيل ، وأشرقت بعدهما جذيمة بالحسام الصّقيل ، انتهى .
 وقد عرفنا بالفتح في غير هذا الموضع فليراجع .

رجع إلى بيت بني زُهرٍ ، رحمهم الله تعالى - وأما أبو بكر محمد بن أبي
 مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر^١ المذكور ، فهو عين ذلك البيت ، وإن
 كانوا كلّهم أعياناً علماء رؤساء حكماء وزراء ، وقد نالوا المراتب العليّة ،
 وتقدموا عند الملوك ، ونفذت أوامرهم ، قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية
 في « المطرب من أشعار أهل المغرب » : كان شيخنا الوزير أبو بكر ابن
 زُهرٍ بمكان من اللغة مكين ، ومورد من الطلّب عَدَبٌ معين ، وكان يحفظ
 شعر ذي الرُّمّة وهو ثلث لغة العرب ، مع الإشراف على جميع أقوال أهل
 الطب ، والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب ، مع سموّ النسب ، وكثرة
 الأموال والنّسب ، صحبته زماناً طويلاً ، واستفدتُ منه أدباً جليلاً ،
 وأنشد من شعره المشهور قوله^٢ :

ومُوسِّدين على الأكفّ خدودهم قد غالم نومُ الصّباح وغالتي

١ انظر ترجمة ابن زهر الحفيد في ابن أبي أصيبعة ٢ : ٦٧ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢١٦ والمطرب :
 ٢٠٤ والتكملة : ٥٥٥ والذيل والتكملة ٦ : ١٦٠ (نسخة باريس) وله موشحات في دار
 الطراز والمغرب ١ : ٢٦٦ وابن خلكان ٤ : ٦١ .
 ٢ الشعر في المطرب وابن خلكان .

ما زِلْتُ أُسْقِيهِمْ وَأَشْرَبُ فَضْلَهُمْ حَتَّى سَكَرْتُ وَنَالَهُمْ مَا نَالِي
وَالْحَمْدُ تَعَلَّمْ كَيْفَ تَأْخُذُ ثَارَهَا . إِنِّي أَمَلْتُ إِنْاءَهَا فَأَمَّا لِي

ثُمَّ قَالَ ابْنُ دَحْيَةَ : وَسَأَلْتَهُ عَنْ مَوْلَدِهِ ، فَقَالَ : وَلِدْتُ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ،
قَالَ : وَبَلَّغْتَنِي وَفَاتَهُ آخِرَ سَنَةِ ٥٩٥ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، انْتَهَى .
وَزَعَمَ ابْنُ خَلِّكَانَ أَنَّ ابْنَ زُهْرٍ أَلَمَّ فِي الْأَبْيَاتِ الْمَذْكُورَةِ بِقَوْلِ الرَّئِيسِ
أَبِي غَالِبٍ عبيد الله بن هبة الله ^١ :

عَاقَرْتُهُمْ ^٢ مَشْهُوْلَةً لَوْ سَأَلْتُ شُرَابَهَا مَا سُمِّيَتْ بِعُقَارٍ
ذَكَرْتَ حَقَائِدَهَا الْقَدِيمَةَ إِذْ غَدْتُ صَرَعَى تُدَاسُ بِأَرْجُلِ الْعَصَّارِ
لَأَنْتَ لَهُمْ حَتَّى انْتَشَرُوا وَتَمَكَّنْتَ مِنْهُمْ وَصَلَحْتَ فِيهِمْ بِالثَّارِ

وَمِنَ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ابْنِ زُهْرٍ قَوْلُهُ فِي كِتَابِ جَالِينُوسَ الْمُسَمَّى بِحِيلَةِ
الْبَرِّ ، وَهُوَ مِنْ أَجْلِ كَتَبَهُمْ وَأَكْبَرَهَا ^٣ :

حِيلَةُ الْبَرِّ صَنْعَةُ لَعْلِيلٍ يَتَرَجَّى الْحَيَاةُ أَوْ لَعْلِيلُهُ
فَإِذَا جَاءَتِ الْمَتِيَةُ قَالَتْ : حِيلَةُ الْبَرِّ لَيْسَ فِي الْبَرِّ حِيلَةٌ

وَمِنْ شَعْرِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، يَتَشَوَّقُ وَلَدًا لَهُ صَغِيرًا بِإِشْبِيلِيَّةٍ وَهُوَ
بِمَرَاشٍ ^٤ :

وَلِي وَاجِدٌ مِثْلُ فَرَخِ الْقَطَاةِ صَغِيرٍ تَخَلَّفْتُ قَلْبِي لَدَيْهِ
وَأَفْرَدْتُ عَنْهُ فَيَا وَحْشَتَا لَذَاكَ الشَّخِصَ وَذَاكَ الْوُجْهَ ^٥

١ ابن خلكان : عبيد الله بن هبة الله بن صاعد ؛ وفي بعض النسخ : الأصباغي .

٢ ابن خلكان : عقرتهم .

٣ ابن خلكان : ٦٢ .

٤ الشعر في ابن خلكان والمطرب والذيل وابن أبي أصيبعة .

٥ ابن خلكان : نأت عنه داري فيا وحشتا .

تَشَوَّقَتِي وَتَشَوَّقْتُهِ فَيَبْكِي عَلَيَّ وَأَبْكِي عَلَيْهِ ١
وَقَدْ تَعِيبَ الشَّوْقُ مَا بَيْنَنَا فَمِنْهُ إِلَيَّ وَمِنْهُ إِلَيْهِ

وأخبرني الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدي أبو القاسم ابن محمد الوزير
الغساني الأندلسي الأصل الفاسي المولد والنشأة حكيم حضرة السلطان المنصور
بالله الحسيني صاحب المغرب رضي الله تعالى عنه أن ابن زُهر لما قال هذه الأبيات
وسمعتها أمير المؤمنين يعقوب المنصور سلطان المغرب والأندلس أواخر المائة
السادسة أرسل المهندسين إلى إشبيلية ، وأمرهم أن يحتاطوا علماً ببيوت ابن زُهر
وحارته ثم يبنوا مثلها بحضرة مراکش ، ففعلوا ما أمرهم في أقرب مدة ، وفرشها
بمثل فرشها ، وجعل فيها مثل آلاتها ، ثم أمر بنقل عيال ابن زُهر وأولاده وحشمته
وأسيابه إلى تلك الدار ، ثم احتال عليه حتى جاء [إلى] ذلك الموضع ، فرآه
أشبه شيء ببيته وحارته ، فاحتار لذلك ، وظن أنه نائم ، وأن ذلك أحلام ،
فقبل له : ادخل البيت الذي يشبه بيتك ، فدخله ، فإذا والده الذي تشوق إليه
يلعب في البيت ، فحصل له من السرور ما لا [مزيد عليه ، ولا] يعبر عنه :
هكذا هكذا وإلا فلا لا ٢ .

ومن نظم ابن زُهر المذكور حيث شاخ وغلب عليه الشيب ٣ :

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْمَرَاةِ قَدْ جُلِيَّتْ فَأُنْكَرْتُ مُقْلَتَايَ كُلَّ مَا رَأَا
رَأَيْتُ فِيهَا شَوْيْحًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ وَكُنْتُ أَعْهَدُهُ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ فَي
فَقُلْتُ : أَيْنَ الَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ هُنَا ؟ مَتَى تَرْحَلُ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ ؟ مَتَى ؟

١ سقط هذا البيت من ج .

٢ صدر بيت ، وصجزه : طرق الجد غير طرق المزاح .

٣ الأبيات في ابن خلكان وابن أبي أصيبعة .

٤ في رواية : شبيخاً .

فاستضحكت ثم قالت وهي مُعْجَبَةٌ : إِنَّ الذي أَنْكَرْتَهُ مُقْلَتَاكَ أُنَى^١
كَانَتْ سُلَيْمَى تَنَادِي يَا أَخِي وَقَدْ صَارَتْ سُلَيْمَى تَنَادِي اليَوْمَ يَا أَبْتَا^٢
وَالْبَيْتَ الْآخِرَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ الْأَخْطَلِ^٣ :

وإذا دَعَوْنَكَ عَمَّهِنَّ فَإِنَّهُ نَسَبٌ يَبْدُوكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالًا
وإذا دَعَوْنَكَ يَا أَخِي فَإِنَّهُ أَذُنَى وَأَقْرَبُ خَلَّةً وَوَصَالًا

وقال ابن دحية في حقه أيضاً^٤ : والذي انفرد به شيخنا وانقادت لتحليلته
طباعه ، وصارت البهاء فيه من خَوَلِهِ وأتباعه ، الموشحات ، وهي زُبْدَةُ الشعر
وتَحَبَّتْهُ ، وخلاصة جواهره وصفوته^٥ ، وهي من الفنون التي أغرب بها أهل
المغرب على أهل المَشْرِقِ ، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المَشْرِقِ ،
انتهى .

ومن مشهور موشحات ابن زُهْرٍ قوله^٦ :

مَا لِلْمَوْلَى مِنْ سَكْرِهِ لَا يَفِيْقُ

وهذا مطلع موشح يستعمله أهل المغرب إلى الآن ، ويرون أنه من أحسن
الموشحات .

- ١ هذه رواية ابن خلكان ، وأما ابن أبي أصيبعة ففيه :
فاستجھلتني وقالت لي وما نطقت قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى
هون عليك فهذا لا بقاء له أما ترى المشب يفنى بعدما نبأ
٢ ابن أبي أصيبعة :
كان الفواني يقلن يا أخي فقد صار الفواني يقلن اليوم يا أبْتَا
٣ ديوان الأخطل : ٤٣ .
٤ المطرب : ٢٠٤ .
٥ ج : وخلاصته وصفوته .
٦ أورد ابن سعيد هذه الموشحة عندما تحدث عن متنزهات إشبيلية ، وهي في جملة ما سقط من المغرب .

ومن موشحاته قوله :

سَلَّمَ الأَمْرَ للقَضَا فهو للنَّفْسِ أَنْفَعُ

واغْتَمُّ حِينَ أَقْبَلَا

وَجْهَهُ بِسَدْرِ تَهَلَّلَا

لَا تَقُلْ بِالْهُمُومِ لَا

كُلْ مَا فَاتَ وَانْقَضَى لَيْسَ بِالْحَزَنِ يَرْجِعُ

وَاصْطَبِحْ بِابْنَةِ الْكُرُومِ

مَنْ يَلْدِي شَادِنِ رَحِيمِ

حِينَ يَفْتَرِّ عَنْ نَفْطِيمِ

فِيهِ بَرْقٌ قَدْ أَوْمَضَا وَرَحِيقٌ مُشْتَعِشُ

أَنَا أَفْلَدِيهِ مِنْ رَشَا

أَهْبِيفِ الْقَدَّ وَالْحَشَا

سُقِّيَ الْحَسَنَ فَاَنْتَشَى

مُدُّ تَوَلَّى وَأَعْرَضَا ففَوَادِي يُقَطِّعُ

مَنْ لَصَبَ غَدَا مَشُوقِ

ظَلَّ فِي دَمْعِهِ غَرِيقِ

حِينَ أَمَّوَا حَيَّ الْعَقِيقِ

وَاسْتَقَلُّوا بِذِي الْغَضَا أَسْفِي يَوْمَ وَدَّعُوا

مَا تَرَى حِينَ أَظْعَنَا

وَسَرَى الرِّكْبُ مَوْهِنَا

وَاكْتَسَى اللَّيْلُ بِالسَّنَا

نورهمُ ذا الذي أضأ أم مع الركب يوشعُ
ورأيت من هذا موشحاً آنح لا أدري هل هو لابن زُهر أم لا ، وهو هذا :

فُتِقَ المسك بكافور الصّباح وَوَشَّتْ بالروّضِ أعرافُ الرياح

فأسقنيها قبل نورِ الفلقِ
وغناء الورق بين الورقِ
كاحمرار الشمس عند الشفقِ

نَسَجَ المزجُ عليّهما حينَ لاح . فلك اللهو وشمس الاصطباح

وغزال سامي بالملقِ
وبرى جسمي وأذكي حرقي
أهيف مذ سل سيف الحدقِ

قصرت عنه أنابيب الرماح وثني الذعر مشاهير الصفاح

صار بالدّلّ فؤادي كلفا
وجفون ساحرات وطفأ
كلما قلت جوى الحب انطفأ

أمبرّضَ القلبَ بأجفانٍ صحاح وسبى العقلَ بجِدِّ ومزاح

يوسفِيُ الحسن عذب المبتسم
قمرِيُ الوجه ليليّ اللمم
عنترِيُ البأس علويُّ الهمم

غصنيُّ القَدِّ مهْضومُ الشَّاحِ مادريُّ الوصلِ طائيُّ السَّاحِ

قَدِّ بالقَدِّ فَوادي هَيِّفا

وسبي عَقلي لَمَّا انعطفا

ليته بالوصلِ أحيَا دَنيفا

مُسْتَطارُ العقلِ مقصودُ الجَنَاحِ ما عليه في هواه من جُنَاحِ

يا علي أنت نورُ المُقَلِّ

جُدِّ بوصلِ منك لي يا أُملي

كم أغنيك إذا ما لحت لي

طَرَقَتْ واللَّيلُ ممدودُ الجَنَاحِ مرحباً بالشمس من غير صباح

١٦٤ - ومنهم أبو الحجاج الساحلي ، يوسف بن إبراهيم بن محمد بن قاسم بن علي ، الفيهري ، الغرناطي ، قال في الإحاطة : صدر من صدور حملة القرآن على وتيرة الفضلاء و [سنن] الصالحين ، حج ولقي الأشياخ بعد أن قرأ على الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير وطبقته ، ومن نظمه يخاطب الوزير ابن الحكيم^١ وقد أصابته حمى تركت على شفته بثوراً :

حاشاك أن تَمْرُضَ حاشاكَا قَدِّ اشتكى قلبي لشكواكا

إن كنتَ محموماً ضعيف القوى فلإنتي أَحْسَدُ حُمَاكا

ما رَضِيتَ حُمَاكَ إذ باشرت جِسْمَكَ حتى قَبَلْتَ فَاكا

قال أبو الحجاج ، رحمه الله تعالى : وكتب إلي شيخنا محمد بن محمد بن عتيق

١ المعني هنا هو أبو عبد الله ابن الحكيم ذو الوزارتين ، وسيترجم له المقري كما سترجم لابنته الوزير القائد الكاتب أبي بكر (توفي سنة ٧٥٠) وانظر الكتيبة الكامنة : ١٩٥ .

ابن رشيق في الاستدعاء الذي أجازني فيه ولمن ذكر معي :

أَجَزْتُ لَهُمْ أَبْقَاهُمْ اللهُ كُلَّ مَا رَوَيْتُ عَنْ الْأَشْيَاخِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
وَمَا سَمِعْتُ أَذْنَايَ مِنْ كُلِّ عَالَمٍ وَمَا جَادَ مِنْ نَظْمِي وَمَا رَاقَ مِنْ نَثْرِي
عَلَى شَرْطِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَضَبَطِهِمْ بَرِيءٌ عَنِ التَّصْحِيفِ عَارٍ عَنِ النُّكْرِ
كَتَبْتُ لَهُمْ خَطِّي وَإِسْمِي مُحَمَّدٌ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَكْنِيُّ مَا فِيهِ مِنْ نَكْرٍ
وَجَدْتُ رَشِيقَ شَاعٍ فِي الْغَرْبِ ذِكْرُهُ وَفِي الشَّرْقِ أَيْضاً فَادِرٌ إِنْ كُنْتُ لَا تَدْرِي
وَلِي مَوْلَدٌ مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً ثَمَانٍ عَلَى السَّتِّ الْمَثْنِ ابْتِدَاءَ عَمْرِي
وَبِاللَّهِ تَسْوِيفِي عَاقِبَةَ تَوَكُّلِي لَهُ الْحَمْدُ فِي الْحَالَيْنِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

• ومولد أبي الحجاج المذكور سنة ١٦٦٢ ، وتوفي سنة ٢٧٠٢ ، رحمه الله تعالى ، انتهى باختصار .

١٦٥ - وممن ارتحل من الأندلس إلى المشرق شاعر الأندلس يحيى بن الحكم البكري الجبائي الملقب بالغزال بلخماله^٢ ، وهو في المائة الثالثة ، من بني بكر بن وائل .

قال ابن حيان في «المقتبس» : كان الغزال حكيم الأندلس ، وشاعرها ، وعرفاها ، عمراً أربعاً وتسعين سنة ، ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المرورية بالأندلس : أولهم عبد الرحمن بن معاوية ، وآخرهم الأمير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم .

١ في نسخة : سنة ٦٦٧ .

٢ في نسخة : سنة ٧٥٢ .

٣ انظر ترجمة الغزال في المطرب : ١٣٣ والحدوة : ٣٥١ (وبنية الملتبس رقم : ١٤٦٧) والمغرب ٢ : ٥٧ وأورد ابن دحية خبر رحلة له إلى بلاد المجوس ، وقد شك فيها بروفنسال وذهب إلى أنها كانت إلى القبطانية ، راجع تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة من : ١١١ - ١٢٧ وانظر (The Poet and the Spac-Wife by W. Allen (Lodon, 1960)

ومن شعره :

أدركتُ بالمرءِ ملوكاً أربعةً وخامساً هذا الذي نحنُ معه

وله على أسلوب ابن أبي حكيمة راشد بن إسحاق الكاتب^١ :

خَرَجْتَ إِلَيْكَ وَتَوْبُهَا مَقْلُوبٌ	وَلَقَلْبُهَا طَرِباً إِلَيْكَ وَجِيبٌ
وَكَأَنَّهَا فِي الدَّارِ حِينَ تَعَرَّضْتَ	ظِيٌّ تَعَلَّلَ بِالْفَلَا مَرْعُوبٌ
وَتَسَمَّتْ فَأَتَتْكَ حِينَ تَسَمَّتْ	يَحْمَانُ دُرٌّ لَمْ يَشْنِهْ ثَقُوبٌ
وَدَعَتْكَ دَاعِيَةُ الصَّبَا فَتَطَرَّبَتْ	نَفْسٌ إِلَى دَاعِيِ الضَّلَالِ طَرُوبٌ
حَسْبُكَ فِي حَالِ الْغَرَامِ كَمَعْدَهَا	فِي الدَّارِ إِذْ غُصِّنُ الشَّبَابِ رَطِيبٌ
وَعَرَفْتُ مَا فِي نَفْسِهَا فَضَمَمْتُهَا	فَتَسَاقَطَتْ بِهَنَانَةٍ رُعُوبٌ
وَقَبَضْتُ ذَلِكَ الشَّيْءَ قَبْضَةً شَاهِنَ	فَنَزَا إِلَيَّ عَصْنَتُكَ حَلُوبٌ
بِيَدِي الشَّمَالِ وَالشَّمَالِ لَطَافَةٌ	لَيْسَتْ لِأُخْرَى وَالْأَدِيبِ أَرِيبٌ
فَأَصَابَ كَفِّي مِنْهُ حِينَ لَمَسْتُهُ	بَلَلٌ كَمَا الْوَرْدُ حِينَ يَسِيبُ
وَتَحَلَّلْتُ نَفْسِي لِلذَّوَةِ رَشْحُهُ	حَتَّى خَشِيتُ عَلَى الْفَوَادِ يَذُوبُ
فَتَقَاعَسَ الْمَلْعُونُ عَنْهُ وَرُبَّمَا	نَادَيْتُهُ خَيْرًا فَلَيْسَ يُجِيبُ
وَأَبَى فَحَقَّقَ فِي الْإِبَاءِ كَأَنَّهُ	جَانُ يُقَادُ إِلَى الرَّدَى مَكْرُوبُ
وَتَغَضَّنَتْ جَنَابَاتُهُ فَكَأَنَّهُ	كَبِيرٌ تَقَادِمُ عَهْدِهِ مَقْشُوبُ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبْحُ لَاحَ عَمُودُهُ	قَبَسًا وَحَانُ مِنَ الظَّلَامِ ذُهُوبُ
سَاءَ لُتْهَا خَجَلًا : أَمَا لَكَ حَاجَةٌ	عِنْدِي ؟ فَقَالَتْ : سَاخِرُ وَحَرُوبُ
قَالَتْ حَرَّ أَمَلِكَ إِذْ أَرَدْتَ وَدَاعِهَا	قَرِينٌ فِيهِ عَوَارِضٌ وَشُعُوبُ

١ ابن أبي حكيمة أحد الشعراء المحدثين ، أسرف في وصف عنته ورثاء متاعه ، وكان صديقاً لابن الزيات . راجع ترجمته في طبقات ابن المعتز : ٣٨٩ وتخرُّيج ترجماته ص : ٥٢٣ ، وانظر أبيات الغزل هذه في المطرب : ١٤٩ برواية مختلفة .

وذكرها ابن دحية بمخالفة لما سرّدناه .

قال عتبة التاجر : وجّهني الأمير الحكم وابنه عبد الرحمن إلى المشرق
وعبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل المأمون ، فلقيته بالعراق ، فسألني عن هذه
القصيدة هل أحفظها للغزال ؟ قلت : نعم ، فاستثدنيها ، فأثدته إياها ،
فسر بها وكتبها ، قال عتبة : ونلت بها حظاً عنده .
والبهنّانة : المرأة الطيبة النفس والأرج ، كما في الصّباح ، وقيل : اللينة
في منطقها وعملها ، وقيل : الضحّاكة المتهلّلة ، والرعبوب : السبّطة البيضاء ،
السبّطة : الطويلة .

وقال سامحه الله تعالى :

سألتُ في التَّوَمِ أبي آدمَ فقلْتُ والقلبُ به واميُّ
إبنك بالله أبو حازم ؟ صلّى عليك المالك الخالقُ
فقال لي : إن كان مني ومن نسلي فحواً أمكم طالقُ

وقال رضي الله تعالى عنه :

أرى أهلَ اليسار إذا توفّوا بنّوا تلك المقابر بالصخور
أبنوا إلا مباحاة وفخراً على الفقراء حتى في القبور
فإن يكن التفاضل في ذراها فإن العدل فيها في القُور
رَضِيْتُ بمن تأنّق في بناء فبالغ فيه تصريف الدهور
ألمّا يبصروا ما خربته الد هور من المدائن والقُصور
لعمُر أبيهم لو أبصروهم لما عرِفَ الغني من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالي ولا عرفُوا الإناث من الذكور
ولا من كان يلبس ثوبَ صوفٍ من البدنِ المباشير للحريّر

١ ج : تصريف الأمور .

.. إذا أكل الشرى هذا وهذا .. فما فضلُ الكبيرِ على الحقيقِ

وقال رضي الله تعالى عنه :

لا ، وَمَنْ أَعْمَلَ الْمَطَايَا^١ إِلَيْهِ كُلُّ مَنْ يَرْتَجِي إِلَيْهِ نَصِيْبًا
ما أَرَى هَهُنَا مِنْ النَّاسِ إِلَّا ثَعْلَبًا يَطْلُبُ الدَّجَاجَ وَذِيَا
أَوْ شَبِيهَا بِالْقَطِّ^٢ أَلْقَى بِعَيْنَيْهِ ٤ إِلَى فَارَةٍ يَرِيدُ الْوُثُوبَا

وقال رضي الله تعالى عنه :

قَالَتْ أَحِبُّكَ قُلْتُ كَاذِبَةٌ غُرِّي بِذَا مَنْ لَيْسَ يَنْتَقِدُ
هَذَا كَلَامٌ لَسْتُ أَقْبَلُهُ الشَّيْخُ لَيْسَ يَحْبُّ أَحَدُ
سَيِّانَ قَوْلِكَ ذَا وَقَوْلِكَ إِنْ الرِّيحُ نَعَقْدَهَا فَتَنْعَقِدُ
أَوْ أَنْ تَقُولِي النَّارُ بَارِدَةٌ أَوْ أَنْ تَقُولِي الْمَاءُ يَنْتَقِدُ

وحكى أبو الخطاب ابن دحية في كتاب « المطرب »^٣ أن الغزال أرسل إلى بلاد المجوس وقد قارب الخمسين ، وقد وخطه الشيب ، ولكنه كان يجتمع الأشد ، فسأله زوجة الملك يوماً عن سنه ، فقال مداعباً لها : عشرون سنة ، فقالت : وما هذا الشيب ؟ فقال : وما تكرر من هذا ؟ ألم تَرَي قَطُّ مهراً ينتج وهو أشهب ؟ فأعجبت بقوله ، فقال في ذلك ، واسم الملكة تود^٤ :

كُلِّفْتُ يَا قَلْبِي هَوًى مَتَعِبَا غَالِبَتْ مِنْهُ الضَّيْفَمُ الْأَغْلَبَا
إِنِّي تَعَلَّقْتُ مَجْجُوسِيَّةً ثَابَى لَشَمْسِ الْحَسَنِ أَنْ تَغْرِبَا
أَقْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِي حَيْثُ لَا يُلْفِي إِلَيْهِ ذَاهِبٌ مَذْهَبَا

١ ج : المطي .

٢ ج : أومي .

٣ انظر المطرب : ١٤٤ .

٤ ج والمطرب : تود ؛ ويرى بروفنسال أن تود هو اختصار تيودورا Theodora .

يا تود يا رُودَ الشَّبَابِ التي تُطْلِعُ من أُرْرارها الكوكبا
يا بآبي^١ الشخصَ الذي لا أرى أحلى على قلبي ، ولا أعذبا
إن قلتُ يوماً إنَّ عيني رأتُ مُشَبَّهه لم أعدُ أن أكذبا
قلتُ : أرى فَوْدِيَه قد نَوَّرا دُعابة توجب أن أدعبا
قلتُ لها : ما باله ؟ إنَّه قد ينتج المهرُ كذا أشعبا
فاستضحكت عجباً بقولي لها وإنما قلتُ لكي تعجبا

قال : ولما فهمها الترجمان شعر الغزال ضحكت ، وأمرته بالخضاب ،
فغدا عليها وقد اختضب وقال^٢ :

بَكَرْتُ تحسَّن لي سَوادَ خضابي فَكَأَنَّ ذاكَ أعادَني لِشِبابي
ما الشيبُ عندي والخضابُ لواصف إِلَّا كَشَمْسٍ جُلَّتْ بِضباب
تخفى قليلاً ثُمَّ يَقْشَعُهَا الصَّبَا فيصيرُ ما سَتَرْتُ بِهِ لَذهاب
لا تنكري وَضَحَ المشيبِ فإنَّما هوَ زهرةُ الأفهامِ والألباب
فلَدَيَّ ما تَهْوِين من شأن الصَّبَا وطلاوة الأخلاقِ والآداب

وحكى ابن حيان في «المقتبس» أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم المرواني
وجّه شاعره الغزال إلى ملك الروم ، فأعجبه حديثه ، ونحف على قلبه ،
وطلب منه أن يناديه ، فامتنع من ذلك ، واعتذر بتحريم الخمر ، وكان يوماً
جالساً عنده ، وإذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها ، وهي كالشمس
الطالعة حسناً ، فجعل الغزال لا يُميل طرفه عنها ، وجعل الملك يحدثه وهو
لاهٍ عن حديثه ، فأنكر ذلك عليه ، وأمر الترجمان بسؤاله ، فقال له : عرفه
أنِّي قد بهرتني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه ، فإنِّي لم أر قطُّ

١ ج : يا حبذا .
٢ المطرب : ١٤٦ .

مثلها ، وأخذ في وصفها والتعجب من جمالها ، وأنها شوقته إلى الخور العين ،
فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حُظُوتُه عنده ، وسُرَّت الملكة بقوله ،
وأمرت الترجمان أن يسأله عن السبب الذي دعا المسلمين إلى الختان ، وتجشم
المكروه فيه وتغيير خلق الله ، مع خلوه من الفائدة ، فقال للترجمان : عرفها
أن فيه أكبر فائدة ، وذلك أن الغصن إذا زُبِرَ قَوِيَ واشتد وغلظ ، وما
دام لا يفعل به ذلك لا يزال رقيقاً ضعيفاً ، فضحكت وفطنت لتعريضه ، انتهى .

ومن شعر الغزال قوله ^١ :

يا راجياً ودَّ الغواني ضلَّةً	وفؤاده كليلٌ بهنٍ مُوَكَّلٌ
إن النساء لكالسروجِ حقيقةً	فالسَّرجُ سرَّجك ريثما لا تنزلُ
فإذا نزلتَ فإنَّ غيرك نازلٌ	ذاك المكانَ وفاعلٌ ما تفعلُ
أو منزلُ المجتازِ أصبحَ غادياً	عنهُ وينزلُ بعدهُ من ينزلُ
أو كالثمارِ مُباحةٍ أغصانها	تدنو لأول من يمر فيأكلُ
أعطِ الشبيبةَ لا أبا لكَ حقَّها	منها ، فإنَّ نعيمها متحوِّلُ
وإذا سلبتَ ثيابها لم تنتفع	عندَ النساءِ بكل ما تستبدلُ

وقال ^٢ :

قال لي يحیی وصرنا	بينَ موجِ كالجبالِ
وتولتُننا ریحاً	من دُبورِ وشمالِ
شقتِ القلَّعينِ وانه	تتُ عُرَى تلك الجبالِ
وتمطى مَلِكُ المو	ت إلینا عن حِیالِ
فرأينا الموتَ رأيَ الـ	حينَ حالاً بعد حالِ

١ المطرب : ١٤٦ .

٢ المطرب : ١٣٩ - ١٤٠ والخزوة : ٣٥٢

لم يَكُنْ لِلْقَوْمِ فِينَا يا رفيقي رأسُ مالٍ

ومنها :

وسُلِّمى ذاتُ زُهْدٍ في زهيدٍ في وصالٍ
كلّما قُلْتُ صِلْني حاسبتني بالخيالِ
والكرى قد منعتهُ مقلتي أخرى الليالي
وهي أدري فلماذا دافعتني بمحسّالِ
أترى أنا اقتضينا بعدُ شيئاً من نوالِ

وله :

من ظنَّ أن الدهر ليس يصيبه بالحادثات^١ فإنه مغرورٌ
فالتقَ الزمانَ مهوَّناً لخطوبه وانجراً حيثُ يجرُّك المقلورُ
وإذا تقلّبتِ الأمور ولم تدُم فسواء المحزونُ والمسرورُ

وعاش الغزال أربعاً وتسعين سنة ، وتوفي في حدود الخمسين والمائتين ،
سأحه الله تعالى .

وكان الغزال أقْدع في هجاء علي بن نافع المعروف بزرياب ، فذكر ذلك
لعبد الرحمن ، فأمر بنفيه ، فدخل العراق ، وذلك بعد موت أبي نواس بمدة
يسيرة ، فوجدهم يلهجون بذكره ، ولا يساوون شعر أحد بشعره ، فجلس
يوماً مع جماعة منهم فأزروا بأهل الأندلس ، واستهجنوا أشعارهم ، فتركهم
حتى وقعوا في ذكر أبي نواس ، فقال لهم : من يحفظ منكم قوله^٢ :

١ ج : بالنائبات .

٢ انظر بعض هذه الأبيات في الجذوة : ٢١٢ ، وهي جميعاً في المطرب : ١٢٤٨ .

ولما رأيتُ الشَّرْبَ ١ اكْدَتُ سَمَاوَهُمْ تَابَتُ زِقَتِي ٢ وَاحْتَبَسْتُ ٣ عَنَائِي
فلَمَّا أَتَيْتُ الحَانَ نَادَيْتُ رَبَّهُ ٤ فَنَابَ خَفِيفَ الرُّوحِ نَحْوَ نَدَائِي
قَلِيلَ هَجُوعِ العَيْنِ إِلَّا تَعَلَّةً ٥ عَلَى وَجَلٍ مِنِّي وَمِنْ نَظْرَائِي
فَقُلْتُ أَذِقْنِيهَا فَلَمَّا أَذَاقَهَا طَرَحْتُ عَلَيْهِ رِيْطِي وَرَدَائِي
وَقُلْتُ أَعِزَّنِي بِذَلِكَ أَسْتَعِزُّ بِهَا بِذَلِكَ لَهُ فِيهَا طَلَاقُ نَسَائِي
فَوَاللَّهِ مَا بَرَّتْ يَمِينِي وَلَا وَقَّتْ ٦ لَهُ غَيْرَ أَنِّي ضَامِنٌ ٧ بِوَفَائِي
فَأَبْتُ إِلَى صَحْبِي وَلَمْ أَكُ آفِيًا ٨ فَكُلُّ يَفْدِيَنِي وَحَقُّ فِدَائِي

فأصحبوا بالشعر ، وذهبوا في مدحهم له ، فلما أفرطوا قال لهم : خفضوا
عليكم ، فإنه لي ، فأنكروا ذلك ، فأنشدهم قصيدته التي أولها :

تَدَارَكْتُ فِي شَرِبِ النَّبِيلِ خَطَائِي وَفَارَقْتُ فِيهِ شَيْمَتِي وَحَيَائِي

فلما أتم القصيدة بالإنشاد خجلوا ، وفارقوا عنه .

وحكي أن يحيى الغزال أراد أن يعارض سورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾
فلما رام ذلك أخذته هَيْبَةٌ وَحَالَةٌ لَمْ يَعْرِفْهَا ، فَأَنَابَ إِلَى اللَّهِ ، فَعَادَ إِلَى حَالِهِ .
وحكي أن عباس بن ناصح الثقفي قاضي الجزيرة الخضراء كَانَ يَفْدِي
عَلَى قَرْطَبَةٍ وَيَأْخُذُ عَنْهُ أَدْبَاؤُهَا ، وَمَرَّتْ عَلَيْهِمْ قَصِيدَتُهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

لَعَمْرُكَ مَا الْبَلَوَى بِعَارٍ وَلَا الْعَدَمُ إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْدِمِ تَقَى اللَّهَ وَالْكَرَمَ

حتى انتهى القارىء إلى قوله :

تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا فَمَا لِمُعْجَزٍ وَلَا عَاجِزٍ إِلَّا الَّذِي خُطَّ بِالْقَلَمِ

١ الجلوة : وكنت إذا ما الشرب .

٢ الجلوة : واحتضنت ؛ المطرب : واحتسبت .

٣ الجلوة : نهت أهله .

فقال له الغزال ، وكان في الحلقة ، وهو إذ ذاك حَدَثُ نظامٍ متأدب
 ذكي القريحة : أيها الشيخ ، وما الذي يصنع مُفَعَّل مع فاعل ؟ فقال له : كيف
 تقول ؟ فقال : كنت أقول : فليس لعاجز ولا حازم ، فقال له عباس : والله
 يا بني لقد طلبها عَمَّكَ فما وجدها .

وأنشد يوماً قوله من قصيدة :

بَقَرْتُ بطونَ الشعرِ فاستُفْرِغَ الحشا بكفِّي حتى آبَ خاويه من بَقَرِي

فقال له بكر بن عيسى الشاعر : أما والله يا أبا العلاء ، لئن كنت بقرت
 الحشا لقد وسخت يدك بقَرَّيه ، وملاَّتْهُما بدمه ، وخَبِثَتْ نَفْسُكَ
 بنتنه ، وخَشَمْتَ أنفك بعَرَفه ، فاستحيا عباس وأفحم عن جوابه .

١٦٦ - ومنهم الشهير بالمغرب والمشارق ، المحلِّي بجواهره صدور
 المهارق ، أبو الحسن ، علي بن موسى بن سعيد العنسي^١ ، متمم كتاب « المغرب
 في أخبار المغرب » قال فيه : وأنا أعتذر في إيراد ترجمتي هنا بما اعتذر به
 ابن الإمام في كتاب « سبط الحُمان » وبما اعتذر به الحجاري في كتاب « المسهب »
 وابن القطّاع في « الدرة الخطيرة » وغيرهم من العلماء .

فمن نظمهُ عندما ورد الديار المصرية :

أَصْبَحْتُ أَعْرِضُ الوُجُوهَ ولا أرى ما بَيَّنَّها وَجْهًا لَمَنْ أَدْرِيهِ
 صَوْدِي على بَدَنِي ضالالاً بينهم حتى كَأَنِّي مِنْ بَقايا التَّيِّهِ
 وَيَسَّجَ الغريب تَوَحَّشَتْ أَلْحاظه في عالم لَيْسُوا لَهُ بِشَبِيهِ
 إِنِّ عادَ لي وَطَنِي اعترفتُ بِحَقِّهِ . إن التَّغْرُبَ ضاعَ عَمْرِي فِيهِ

١ ابن سعيد المغربي : ترجمته في المغرب ٢ : ١٧٨ واختصار القدح ص : ١ والفوات ٢ :
 ١٧٨ والديباج المذهب : ٢٠٨٠ وتاريخ السلامي : ١٤٥ وبنية الوعاة : ٣٥٧ ومسالك الأبصار
 ٨ : ٣٨٢ وله ترجمة مبتورة في الذيل والتكملة ٥ : ٤١١ - ٤١٢ .

وله من قصيدة يمدح ملك إفريقية أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي
حَقِصٍ :

الأفقُ طَلَقُ النَّسِيمِ رُخَاءُ وَالرُّوحُ وَشَتَّ بُرْدَهُ الْأَنْدَاءُ
وَالنَّهْرُ قَدْ مَالَتْ عَلَيْهِ غُصُونُهُ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْبِلَةٌ وَطَفَاءُ
وَبَدَا نِثَارُ الْجَلْتَارِ بِصَفْحَةٍ فَكَأَنَّمَا هُوَ حَيَّةٌ رَقِطَاءُ
وَالشَّمْسُ قَدْ رَقِمَتْ طِرَازاً فَوْقَهُ فَكَأَنَّمَا هِيَ جِلَّةٌ إِرْقَاءُ
فَأَذْرَكَ وَسْكَ كَيْ يَمَّ لَكَ الْمَنَى وَاسْمَعْ إِلَى مَا قَالَتْ الْوَرْقَاءُ
تَدْعُوكَ حَيَّ عَلَى الصَّبُوحِ فَلَا تَمُوتَنَّ عَلَى الْمَتَامِ لَدَى الصَّبَاحِ عَفَاءُ
وله أيضاً :

كَمْ جَفَانِي وَرُمْتُ أَدْعُو عَلَيْهِ فَنَوَقَفْتُ لِمَنْ نَادَيْتُ قَائِلُ
لَا شَفَى اللَّهَ لِحَظِهِ مِنْ سَقَامٍ وَأَرَانِي عِيَادُهُ وَهُوَ سَائِلُ

وله من قصيدة كتب بها إلى مالك سبته الموفق أبي العباس أحمد بن أبي
الفضل السبتي شافعاً لشخص رغب في خدمته :

بِالْعَدْلِ قِمَّتَ وَبِالسَّمَاكِ فَدِنْ وَجُدْ لَا فَارَقْتُكَ كَفَايَةً وَعِطَاءُ
مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ السَّعَادَةَ نَالَهَا وَطِلَابُ مَا يَتَأَبَى الْقَضَاءُ شَقَاءُ
ومنها :

وَقَدْ اسْتَطَارَ بِأَسْطُرِي نَحْوَ النَّدَى مَنْ أَنْهَضْتَهُ لِنَحْوِكَ الْعَلِيَاءُ
طَلَبَ النَّبَاهَةَ فِي ذَرَاكَ فَمَا لَهُ إِلَّا لَدَيْكَ تَأَمَّلْ وَرِنَاءُ
وَهُوَ الَّذِي بَعْدَ التَّجَازِبِ أَحْمَدَتُ أَحْوَالَهُ وَجَرَى عَلَيْهِ ثَنَاءُ

١ ج : الشقاعة .

لا يقربُ الدنسَ المريبَ كواصيل . هجرتهُ خوفاً أن يشان الراء
 [قد مارس الحربَ الزبونَ زمانه] وجرت عليه شدة ورتقاء^١
 وعلاك تقضي أن يسود بأفقها لا غرو أن يُعلي الشهابَ بهاء

وقوله من قصيدة :

ألفَ التغرُّبَ والتوحُّشَ مثلَ ما . ألفَ التوحُّشَ والنفورَ ظباء
 حُجَّابَه ألقوا التجهُّمَ والجفا . فهمُ لكلِّ أخي هُدًى أعداء
 مهما يَرُمُ طيلبٌ إليه تقرُّباً . بعُدَتْ بذاك البدرِ عنه سماء
 لكنتي ما زلتُ أخدعُ حاجباً . ومُرَاقباً حتى ألانَ حياء
 والأرضُ لم تُظهِرْ محجَّبَ نبتِها . حتى حَبَّتْها الديمةُ الوطفاء^٢

قيل : وهذا معنى لم يُسمع من غيره ، وقوله في خسوف البدر :

شان الخسوفُ البدرَ بعدَ جماله . فكأنَّه ماء عليه غُشاء
 أو مثلَ مرآةٍ لحوْدٍ قد قُضت . نظراً بها فعلا الجلاء غشاء

وله من قصيدة عتاب يقول فيها :

ولقد كسبتُ بكم عللاً لكنها . صارتْ بأقوالِ الوشاةِ هباء
 فغَدَوْتُ ما بين الصحابةِ أجرباً . كلُّ يُحاذِرُ مِنِّي الإعداء
 ولقد أرى أن النجومَ قِليلٌ لي . حُجُباً وأصغرُ أن أحلَّ سماء
 فليهجروا هجرَ الفَظِيمِ لدَرِهِ . ويُساعدوا الزمَنَ الخئونَ جَفاء
 فلقد شكوتُ لهم لإحالةٍ ودَّهم . إذ لم أكنْ أرضى بهم خُلُماء

١ البيت زيادة من إحدى النسخ .

٢ ورد وحده في المقتطفات (الورقة : ٩) وقدم له بقوله : وله من قصيدة وهو معنى بديع ، ومن الغريب أن البيت وما بعده لاحق بأخبار الغزال .

إِيَّاهُ فَذَكَرُهُمْ أَقْلًا ، وَإِنَّمَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ قَيْنٌ لَمَا فَتَكَتْ ظُبًا
وَلَوْ أَنِّي أَرْجُو أَرْجَاؤَكَ لَمْ أَطِلْ
لَكِنْ رَأَيْتُكَ لَا تَمِيلُ سَجِيَّةً
إِنْ لَمْ يَكُنْ عَظْفٌ فَمَنُوا بِالنَّوَى

أَوْمِي إِلَيْكَ فَتَفْهَمُ الْإِيمَاءُ
أَنْتَ الَّذِي صَبَرْتَهُمْ أَعْدَاءُ
شَكَاوَى وَلَمْ أَسْتَبْعِدِ الْإِغْصَاءُ
نَحْوِي وَلَا تَتَكَلَّفُ الْإِصْغَاءُ
إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا أَهَيْنَ تَنَاءَى

وقوله :

وَلَكُمْ سَرَيْنَا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ
مِنْ أَدْهَمِ كَاللَّيْلِ حُجْلٍ بِالضُّحَى
أَوْ أَشْهَبَ يَحْكِي غَدَائِرَ أَشْيَبِ
أَوْ أَشْقَرَ قَدْ تَمَقَّقَتْ بِشُعْلَةٍ
أَوْ أَصْفَرَ قَدْ زَيَّنَتْهُ غُرَّةٌ
طَارَتْ ، وَلَكِنْ لَا يُبْهَاضُ جَنَاحُهَا

تَشْنِي أَعْنَتَهَا مِنْ الْخِيَلَاءِ
فَتُشَقِّ غُرَّتُهُ عَنْ ابْنِ ذُكَاةٍ
خَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّهْبُ فَضَلَ رِءَاءِ
كَالزَّجِ ثَارَ بِصَفْحَةِ الصَّهْبَاءِ
حَتَّى بَدَأَ كَالشَّمْعَةِ الصَّفَرَاءِ
هَبَّتْ ، وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ بِرُغَاءِ

وقوله من أبيات في افتضاض بكر :

وَحَرِيدَةٌ مَا إِنْ رَأَيْتُ مِثْلَهَا
فَسَأَلْتُهَا سَمْعَ الشَّكَاةِ فَأَفْهَمَتْ
وَتَبِعْتُهَا وَسَأَلْتُ مِنْهَا قُبْلَةً
فَنُتِنْتُ عَلَيَّ قَوَامُهَا بِتَعَانِقِ
وَوَجَدْتُهَا لَمَّا مَلَكَتْ عَيْنَانِهَا
جَاءَتْ إِلَيَّ كَوَرْدَةٍ حَمْرَاءُ^٢
وَسَلَبْتُهَا مَا أَحْمَرَّ مِنْهَا صَفْوُهُ

حَيَّتْ مِنَ الْأَلْحَاطِ بِالْإِيمَاءِ
أَنَّ الرَّقِيبَ جُهِتِنَةَ الْأَنْبَاءِ
فِي خَلْوَةٍ مِنْ أَعْيُنِ الرِّقَابِ
أَحْيَا فَوَادًا مَاتَ بِالْبُرْحَاءِ
عَذْرَاءُ مِثْلَ الدُّرَّةِ الْعَذْرَاءِ
فَتَرَكْتُهَا كَعَرَّارَةٍ صَفْرَاءِ
فَعَجَرَى مُدَابَّاءَ مُنْجِحًا لِرَجَائِي

١ ورد هذا البيت أيضاً وحده في المقتطفات (الورقة : ٩) .

٢ ج : عمرة .

وقوله من أبيات :

أحبابنا عودوا علينا عوداً	فما منكمُ بَعْدَ التفرُّقِ مَرُغِبُ
كم ذا أداريكم بنفسي جاهداً	وكألما أرضيكم كي تغضبوا
وأزيد بعداً ما اقتربت إليكم	كالستهم أبعد ما يرى إذ يقرب
وأجوب نحوكم المنازل جاهداً	ومع اجتهادي فأنني ما أطلب
كالبدري أقطع منزلاً في منزل	فلذا التهيت إلى ذراكم أغرب

وقوله من أبيات :

سألتك يا من يستلان فيصعب	ومن يترضى بالحياة فيغضب
أما خدك البدر المنير غدت	نحل به ضد القضية عقرب

وقوله ، وقد داعيته أحد الفقهاء وسرق سكينه من حرز :

أيا سارقاً ملكاً مصوصاً ولم يحب	على يده قطع وفيه نصاب
ستندبه الأعلام عند عثاها	ويبكيه إن بعد الصواب كتاب

وقوله في تفاحة عنبر أهديت للملك الصالح نجم الدين أيوب

أنا لون الشباب والخال أهدى	متلن قد كسا الزمان شبابا
ملك العالمين نجم بني آية	وب لا زال في المعالي شهابا
جئت ملأى من الثناء عليه	من شكور إحسانه والثوابا
لست ممن له خطاب ولكن	قد كفاني أريج عرقي خطابا

وقوله من قصيدة :

فالحمد لله على ساعة	قد قربتني من علا الصاحب
وليعذر المولى على أنني	قد كنت من علياه في بجانب

كَمْ أَتَى نَافِلَةً أَوَّلًا ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ بِالْوَاجِبِ

وقوله من أبيات ١ :

فإن كنتُ في أرضِ التغرِبِ غارِبًا . فسوف تَرَانِي طَالِعًا فَوْقَ غَارِبِ
فصَمَّصَامُ عَمِرُو حِينَ فَارَقَ كَفَّهُ رَمَوْهُ وَلَا ذَنْبٌ لِعِزِّ الْمَضَارِبِ
وما عِزَّةُ الضَّرْغَامِ إِلَّا عَرِينَهُ وَمِنْ مَكَّةَ سَادَتْ لُؤْيُ بْنُ غَالِبِ

وقوله في فرس أصفر أغر أكحل الحلية ٢ :

وأَجْرَدَ تَبِيرِي أَثَرْتُ بِهِ الثَّرِي وَلِلْفَجْرِ فِي خَصْرِ الظَّلَامِ وَشَاحُ
له لونُ ذِي عِشْقٍ وَحُسْنُ مُعِشَقٍ لِدَلِّكَ فِيهِ دَلَّةٌ ٣ وَمَرَّاحُ
عَتَجِبْتُ لَهُ وَهُوَ الْأَصِيلُ بِعَرِفِهِ ظَلَامٌ وَبَيْنَ النَّاطِرَيْنِ صَبَاحُ
يَقِيدُ طَيْرَ اللَّحْظِ وَالْوَحْشَ عِنْدَمَا يَطِيرُ بِهِ نَحْوَ النِّجَاحِ جَنَاحُ

وقوله من أبيات :

إذا مَا غُرَابُ الْبَيْنِ صَاحَ فَقُتِلَ لَهُ تَرَفَّقَ رَمَاكَ اللَّهُ يَا طَيْرُ بِالْبَعْدِ
لَأَنْتَ عَلَى الْعُشَّاقِ أَقْبَحُ مَنْظَرًا وَأَكْرَهُ فِي الْأَبْصَارِ مِنْ ظِلْمَةِ اللَّحْدِ
تَصِيحُ بَنَوْحٍ ثُمَّ تَعَثَّرُ مَاشِيًا وَتَبْرُزُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْحَزَنِ مُسْوَدَّ
مَتَى لَحْتَ صَنَعَ الْبَيْنِ وَانْقَطَعَ الرِّجَا كَأَنَّكَ مِنْ وَشْكَ الْفِرَاقِ عَلَى وَعْدِ

وقوله في غلام جميل الصورة أهلى تفاحة :

نَابَ مَا أَهْدَيْتَ عَنْ عَرٍّ فِي وَعْنِ رَيْقٍ وَخَدٍّ

١ المقتطفات (الورقة : ٩) .

٢ المغرب ٢ : ١٧٣ والمقتطفات (الورقة : ٩) .

٣ دوزي : لذة ، وفي ج ق والمقتطفات : ذلة ، والتصليب عن المغرب .

حَبَّذا تَفَاحَةً قَدْ أَشْبَهْتَ أَوْصَافَ مُهْذِي
بَيْتٌ مِنْهَا فِي سُورٍ فَكَأَنَّ قَدْ بَتَّ عِنْدِي

وقوله من قصيدة :

هذا الذي يَهَبُ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا وَبَعْدَ ذَلِكَ يُلْفِي وَهُوَ يَعْتَذِرُ
إِنْ مَرَّهَ الْمَدْحُ فَالْأَمْوَالُ فِي بَدَدٍ وَالْفَضْنُ مَا هَزَّ إِلَّا بُدَّدَ الثَّمَرُ
[فَقُلْتُ لَمَّا بَدَأَ لِي حُسْنُ مَنْظَرِهِ لَكِنَّهُ زَادَ إِشْرَاقًا : هُوَ الْقَمَرُ] ^١
مَتَّعَ لِحَاطْلِكَ فِي وَجْهِهِ بِلَا ضَرَرٍ إِنْ كَانَ شَمْسًا يَدَاهُ تَحْتَهَا مَطَرُ

وقوله من أبيات :

لِي جِيرة ضَنَوَا عَلَيَّ وَجَارُوا غَنَبْتَ بِي الْأَرْطَانُ وَالْأَوْطَارُ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنِّي مَعَ جَوَارِهِمْ مَا قَرَّ لِي بِسَعْدِ الْفِرَاقِ قَرَارُ

وقوله :

أَنَا شَاعِرُ أَهْوَى التَّخْلِيّ دُونَ مَا زَوْجَ لَكِي مَا تَخْلُصُ الْأَفْكَارُ
لَوْ كُنْتُ ذَا زَوْجٍ لَكُنْتُ مُنْخَصَّصًا فِي كُلِّ حِينٍ رِزْقَهَا أَمْتَارُ
دَعْنِي أَرْحَ طَوْلَ التَّغْرِبِ خَاطِرِي حَتَّى أَعُودَ وَيَسْتَقِيرَ قَرَارُ
كَمْ قَائِلٍ لِي ضَاعَ شَرَحُ شَبَابِهِ مَا ضَيَعَتْهُ بَطَالَةٌ وَعُقَارُ
إِذْ لَمْ أَزَلْ فِي الْعِلْمِ أَجْهَدُ دَائِمًا حَتَّى تَأْتَتْ هَذِهِ الْأَبْكَارُ
مَهْمَا أَرَمْتُ مِنْ دُونَ زَوْجٍ لَمْ أَكُنْ كَلًّا وَرِزْقِي دَائِمًا مِيدَارُ
وَإِذَا خَرَجْتُ لِفُرْجَةٍ هَنَيْتُهَا لَا صَنَعْتُ ضَاعَتْ وَلَا تَذْكَارُ

وقوله من قصيدة :

١ زيادة لم ترد في ج ق و دوزي .

ما كنتُ أحسبُ أن أضيق وأنت في الـ دُنْيَا وأن أُمسي غَرِيباً مُعْشِيراً
أنا مثلُ سَهْمٍ سَوَفَ يَرْجِعُ بَعْدَمَا أَقْصَاهُ رَامِيهِ المَجِيدُ لِيُخْبِرَا
وقوله ساعده الله تعالى :

وَأَفَى عَلَيَّ لَنَا بِسَيْفٍ وَالْبَيْنُ قَدْ حَانَ وَالْوَدَاعُ
فَقَالَ شَبَّهَ قَلَّتْ شَمْسٌ قَدْ مَدَّ مِنْ نُورِهَا شِعَاعُ

وقوله من قصيدة في ملك لإشبيلية الباجي ، وقد هزم ابن هُود :

لله فُرسَانٌ غَدَّتْ رَايَاتُهُمْ مِثْلَ الطَّيُورِ عَلَى عِيدَاكَ تَحْلِقُ
السُّمَرُ تَنْقُطُ مَا تُسَطَّرُ بِيضُهُمْ وَالتَّقَعُ يُتْرَبُ وَالدَّمَاءُ تَحْلُقُ

وقال ارتجالاً بمحضر زكي الدين بن أبي الإصبع وجمال الدين أبي الحسين
الجزار المصري الشاعر ونجم الدين بن إسرائيل الدمشقي بظاهر القاهرة ، وقد
مشى أحدهم على بسيط نرجس :

يَا وَاطِئِ النَّرْجِسَ مَا تَسْتَحِي أَنْ تَطَأَ الْأَعْيُنَ بِالْأَرْجُلِ

فتهاقنوا بهذا البيت ، وراموا إجازته ، فقال ابن أبي الإصبع مجزاً :

قَلَّتْ دَعْنِي لَمْ أَزَلْ مُحْبَرَجاً عَلَى لِحَاطِ الرِّشْلِ الْأَكْحَلِ

وكان أمثل ما حضرهم ، ثم أبوا أن يميزه غيره ، فقال :

قَابِلٌ جُفُونًا بِجُفُونٍ وَلَا تَبْتَذِلُ الْأَوْقَعَ بِالْأَسْفَلِ

وقوله في الجزيرة الصالحية بمصر ، وهي الشهيرة الآن بالروضة :

تَأْمَلُ لِحُسْنِ الصَّالِحِيَّةِ إِذْ بَدَتْ مَنَاطِيرُهَا مِثْلَ النُّجُومِ تَلَالَا

وللقلعة الغراء كالبدر طالعا تفجّر صدر الماء عنه هيلالا
ووافي إليها النبل من بعد غاية كما زار متشغوف يروم وصالا
وعانقها من قرط شوق بحسنها فمدت يميناً نحوها وشمالا
جرى قادماً بالسعد فاخبط حوّلها من السعد إعلماً بذلك دالا

وقوله من أبيات في ملك إفريقية وقد جهز ولده الأمير أبا يحيى بعسكر :

وقد أرسلته نحو الأعادي كما جرّدت من غمد حساما

وقوله في قوس :

أنا مثل الهلال في ظلم النقب حـ سهام تنقّض مثل النجوم
تقصّر القضب والقنا عن مجالي عيشة رجمي بها لكل رجم
قد كستها الطيور لما رأتها كافلات لها برزق عميم

وقوله من أبيات ^١ :

وأشقر مثل البرق لوناً وسرعة قصّدت عليه عارض الجود فانهى

ولنذكر ترجمته من الإحاطة ملخصة ، فنقول :

قال لسان الدين ^٢ : علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن محمد بن عبد
الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن حميد الله بن سعد بن عمار بن ياسر بن
كنانة بن قيس بن الحصين العنسي ، المدلجي ، من أهل قلعة يحضب ،
غرناطي ، قلنعي ، سكن تونس ، أبو الحسن ابن سعيد ، وهذا الرجل وسطي
عقد بيته ، وعلم أهله ، ودرة قومه ، المصنف ، الأديب ، الرحالة ، الطرفة ،

١ المنرب : ١٧٩ .

٢ الإحاطة ، الورقة : ٣٢٣ .

الأخباري ، العجيب الشأن في التجول في الأقطار ، ومداخلة الأعيان والتمتع بالخزائن العلمية ، وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية ، أخذ عن أعلام إشبيلية كأبي علي الشلّوئين ، وأبي الحسن الدباج ، وابن عصفور وغيرهم ، وتواليفه كثيرة : منها « المرقصات والمطربات » و « المقتطف من أزاهر الطرف » و « الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد » تاريخ بلده وبيته ، والموضوعان الغريبان المتعددا الأسفار ، وهما « المغرب في حلى المغرب » و « المشرق في حلى المشرق » وغير ذلك مما لم يتصل إلينا ، فلقد حدثني الوزير أبو بكر ابن الحكيم أنه تخلف كتاباً يسمى « المِرْزَمَة »^١ يشتمل على وقتر بعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية والأخبارية إلاّ الله تعالى ، وتعاطى نظم الشعر في حد من الشبيبة يُعْجَبُ فيه من مثله ، فيذكر أنه خرج مع أبيه إلى إشبيلية وفي صحبته سهل ابن مالك ، فجعل سهل بن مالك يباحثه عن نظمه إلى أن أنشده في صفة نهر والنسيم يرذده والغصون تميل عليه :

كأنما النّهر صفحةٌ كتبت أسطرّها ، والنّسيم يُنشئها
لما أبانت عن حُسن منظرها مالت عليّها الغُصون تقرؤها

فطرب وأثنى عليه .

ثم ناب عن أبيه في أعمال الجزيرة ، ومازج الأدباء ، ودوّن كثيراً من نظمه ، ودخل القاهرة ، فصنع له أدباؤها صنيعاً في ظاهرها ، وانتهت بهم الفرجة إلى رَوْضِ^٢ نرجس ، وكان فيهم أبو الحسين الجزار فجعل يدوس النرجس برجله ، فقال أبو الحسن :

يا واطيء النرجس ما تستحي أن تَطأَ الأعينَ بالأرجل

١ الإحاطة : المزيد له .

٢ ق : أنوار ، ج : صنف .

فتهافتوا بهذا البيت ، وراموا إجازته ، فقال ابن أبي الإصبع :
فقال دعني لم أزل مُحَنِّقًا على لحاظ الرسل الأكمل
وكان أمثل ما حضرهم ، ثم أبوا أن يجيزه غيره ، فقال :
قابل جفونا بجفون ، ولا تبذل الأرفع بالأسفل
ثم استدعاه^١ سيف الدين ابن سابق إلى مجلس بِيضَفَةِ النيل مبسوط بالورد ،
وقد قامت حوله شمامات ترجس ، فقال في ذلك :
مَنْ فَضَّلَ التَّرجسَ فهو الذي يرضى بحكم الوردِ إذ يَرَأْسُ
أما ترى الوردَ غداً قاعيداً وقام في خدمته التَّرجسُ
ووافق ذلك ممالك التَّرك وقوفاً في الخدمة ، على عادة المشاركة ، فطرب
الحاضرون .

ولقي بمصر أئندَمُرَ التُّركي والبهاء زُهَيْرًا وجمال الدين بن مطروح وابن
يغمور وغيرهم ، ورجل صحيحة كمال الدين بن العديم إلى حلب ، فدخل على
الناصر صاحب حلب .، فأنشده قصيدة أولها :

جُدْ لي بما ألقى الخيالُ من الكرى لا بُدَّ للضيفِ المُلِمِّ من القِرَى
فقال كمال الدين : هذا رجل عارف ، ورأى بمقصوده من أول كلمة ،
وهي قصيدة طويلة ، فاستجلسه السلطان ، وسأله عن بلاده ومقصوده برحلته ،
وأخبره أنه جمع كتاباً في الحلى البلادية والعلی العبادية المختصة بالشرق ،
وأخبره أنه سمّاه « الشرق في حلى الشرق » وجمع مثله فسمّاه « المغرب
في حلى المغرب » فقال : نعينك بما عندنا من الخزائن ، ونوصلك إلى ما ليس

١ انظر هذا الخبر في المقتطفات (الورقة : ٩) .

عندنا كخزائن الموصل وبغداد ، وتُصنّف لنا ، فخدم على عادتهم ؛ وقال :
أمر مولاي بذلك لإنعام وتأنيس ، ثم قال له السلطان مداعباً : إن شعراءنا ملقبون
بأسماء الطيور ، وقد اخترت لك لقباً يليق بحسن صوتك وإيرادك للشعر ، فإن
كنت ترضى به ، وإلا لم نعلم به أحداً غيرنا ، وهو البُلْبُل ، فقال : قد رضي
المملوك يا خوند ، فتبسّم السلطان . وقال له أيضاً يُداعبه : اختر واحدة من ثلاث :
إمّا الضيافة التي ذكرتها أول شعرك ، وإمّا جائزة القصيدة ، وإمّا حق الاسم ،
فقال : يا خوند المملوك ممّا لا يختنق بعشر لُقمٍ لأنّه مغربي أكل فكيف
بثلاث ؟ فطرب السلطان وقال : هذا مغربي ظريف ، ثم أتبعه من الدنانير
والخلع الملوكة والتواقيع بالأرزاق ما لا يوصف . ولقي بحضرته عون الدين
العجمي ، وهو بحر لا تنزفه الدلاء ، والشهاب التلعفري ، والتاج ابن شُقيّر ،
وابن نجيم الموصل ، والشرف بن سليمان الإربلي ، وطائفة من بني الصاحب . ثم
تحول إلى دمشق ، ودخل الموصل وبغداد ، ودخل مجلس السلطان المعظم [ابن
الملك الصالح]^١ بدمشق ، وحضر مجلس خلوته ، وكان ارتحاله إلى بغداد في عقب
سنة ثمان وأربعين وستمائة في رحلته الأولى إليها ، ثم رحل إلى البصرة ودخل
أرجان ، وحج ، ثم غاد إلى المغرب ، وقد صنّف في رحلته مجموعاً سمّاه
بـ « النفحة المسكية في الرحلة المكية » وكان نزوله بساحل مدينة إقليبيّة^٢
من إفريقية في إحدى جمادى سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، واتصل بخدمة
الأمير أبي عبد الله المستنصر ، فقال الدرجة الرفيعة من حظوته .
حدثني شيخنا الوزير أبو بكر ابن الحكيم أن المستنصر جفاه في آخر عمره
وقد أسنّ لجراًء خدمة مالية أسندها إليه ، وقد كان بلا منه قبل جفوة أعقبها
انتشال وعناية ، فكتب إليه بنظم من جملته :

١ ما بين معقنين سقط من ق ج وزاده دوزي من نسخة الإحاطة .

٢ إقليبيّة : حصن قريب من قرطاجنة ، وفي ج : اقلبيّة .

لا ترُعني بالجفا ثانية

فرق له ، وعاد إلى حسن النظر إليه ، إلى أن توفي تحت بر وعناية^١ .
مولده بغرناطة ليلة القطر سنة عشر وستمائة^٢ ، ووفاته بتونس في حدود
خمس وثمانين وستمائة ، انتهى باختصار .
وذكرت حكاية إجازة بيته في الرجس وإن تقدمت لاتصال الكلام .
قلت : قد كنتُ وقفتُ على بعض ديوان شعره المتعدد الأسفار ، ونقلت
منه قوله من قصيدة ينهى ابن عمه الرئيس أبا عبد الله ابن الحسين^٣ بقدمه
من حركة هَوّارة :

أما واجبٌ أن لا يحولَ وجيبٌ	وقدْ بَعُدَتْ دارُ وخانَ حبيبٌ
وليسَ أليفٌ غيرُ ذكرٍ وحسرةٍ	ودَمَعٌ على من لا يرقُ صيبٌ
وخفقُ فؤادٍ إن هفا البرقُ خافقاً	وشوقٌ كما شاء الهوى ونجيبٌ
ويَعْذِلني من ليسَ يَعْرِف ما الهوى	وعَدْلُ مَشْئوقٍ في البكاء عَجيبٌ
ألا تَعِسَ اللّوامُ في الحبِّ قد عَمُوا	وصَمُوا ودائي ليس منه طيبٌ
يرومون أن يَشْفِي الملامُ ^٤ صبابتي	وليس إلى داعي الملامِ أجيبٌ
وفائي إذا ما غبتُ عنكم مُجدِّدٌ	وغيري ذو غديرٍ أو أن يغيبُ
ولو لم يَكُنْ مني الوفاء سَجِيَّةً	لكنْتُ لغير ابنِ الحسين أنيبُ
سَمَوَالُ هذا العَصْرِ حاتمُ جوده	مُهَلَّبُهُ إن مارسَتْهُ ^٥ حُرُوبُ

-
- ١ في الإحاطة حسب مقارنة دوزي : ورعاية ؛ ويبدو أن نسخة الإحاطة التي اعتمدها قد أخلت بجوانب كثيرة من أخبار ابن سعيد ؛ أما النسخة التي اعتمدها دوزي فهي أوفى .
 - ٢ كذا في ق ج ، وأثبت دوزي : سنة ٦١٥ اعتماداً على الإحاطة .
 - ٣ ستأتي ترجمته .
 - ٤ في نسخة : غريب .
 - ٥ ق : يشفي الغرام ؛ ج : يفي الضمام .
 - ٦ دوزي : ما مارسته .

فَتَنَى سَيِّرَ الْأَمْدَاحِ شَرْقاً وَمَغْرِباً
إِذَا رَقَمَ الْقِرطَاسَ قَلْتَ ابْنَ مُقْلَةَ
وَلِنْ نَثَرَ الْأَسْجَاعَ قَلْتَ سَمِيَّةُ
وَمَا أَحْرَزَ الصُّوْلِيُّ آدَابَهُ الَّتِي
أَبُو دُلْفٍ مِنْ دُونِهِ وَخَصِيْبُ
وَلِنْ نَظَّمَ الْأَشْعَارَ قَلْتَ حَبِيبُ
وَلِنْ سَرَدَ التَّارِيخَ قَلْتَ عَرِيبُ
إِذَا مَا تَلَّاهَا لَمْ يُعْجِبْهُ أَدِيبُ

ومنها :

وَأَمَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَحْمَدُ نَارَهَا
فَكَمْ قَارَعَ الْأَبْطَالَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
وَكَاثِنٌ لَهُ بِالْغَرْبِ مِنْ مَوْقِفٍ لَهُ
بِمَرَاكِشٍ سَلَّ عَنْهُ تَعَلَّمَ غَنَاءَهُ
إِذَا مَا ثَنَى الرُّمُوحَ الطَّوِيلَ كَأَنَّهُ
وَلِنْ جَرَّهُ أَبْصَرَتْ نَجْمًا جَرَّارًا
يَهِيمٌ بِهِ مَا لِنْ يَزَالُ مُعَانِقًا
مُحَمَّدُ ، لَا تُبْدِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرُ
نَفْوذُ سِهَامِ الْعَيْنِ أَوْدَى بِمُضْغَبٍ
أَلَا فَهَيْنًا أَنْ رَجَعْتَ لَتُونُسٍ
كَوَاكِبُهَا تَبْدُو إِذَا مَا تَرَكْتَهَا
إِذَا سُدَّتْ فِي أَرْضٍ فَغَيْرِكَ تَابِعُ

فَفِيهِ تَلَطَّيْتُ مَارِجٌ وَلُهِيبُ
نَحَاها وَكَمْ لُفَّتْ عَلَيْهِ حُزُوبُ
حَدِيثٌ إِذَا يَتُّلَى تَطِيرُ قُلُوبُ
وَقَدْ سَاءَ هَمٌّ يَوْمَ هُنَّاكَ عَصِيبُ
مُدِيرُ لُغْصَنِ الْخِيزَرَانِ لَعُوبُ
ذُرَّابَتُهُ ، مِنْهُ الْكُمَامَةُ تَلُوبُ
لَهُ رَاكِمَاتٌ مَا تَحُوزُ كَعُوبُ
عَلَيْهِ ، وَخَفَّ عَيْنًا عُلَاكَ تَصِيبُ
وَطَاحَ بِهِ بَعْدَ الشُّبُوبِ شَبِيبُ
فَاطْلَعَتْ شَمْسًا وَالسُّفَارُ غُرُوبُ
وَقَدْ جَعَلْتَ مَهْمَا حَضَرَتْ تَغِيبُ
عُلَاكَ ، وَمَهْمَا سَادَ فَهُوَ مَرِيبُ

- ١ ج : سرد .
٢ ج : أظهر .
٣ دوزي : تلفظ .
٤ ج : في الغرب .
٥ دوزي : ساءه .
٦ ق ج : والشفار .

ومنها :

كفاني أني أستظل بظلكم
فأصلك أصلي والفروع تباينت
وحسبي فخراً أن أقول محمد
تركت جميع الأقربين لقصده
رأيت به جنات عدن فلم أبل
فقبّلت كفاً لا أعاب بلثما
وكيف وليس الرأس كالرجل، فرقت
ولو كان قدرتي مثل قدرك في العلا
ولولا الذي أسمعت من مكر حاسد
لما كنت محتاجاً لقولي آنفاً
إذا كنت ذا طوع وشكر وغبطة
لقد كنت معتاداً ببشر فما الذي
أن رفع السلطان سعيي بقدركم^١
فأحسب ذنبي ذنب صخر^٢، بيدارها
وحاشاك من جور عليّ، وإلّا
صحاب هم الداء الدفين فليتي
كلامهم شهد ولكن فعلهم
سأرحل عنهم والتجارب لم تدع

وَمَنْ هَابَ ذَاكَ الْمَجْدَ فَهُوَ مَهِيْبٌ
بَعِيدٌ عَلَيَّ مَنْ رَامَهُ وَقَرِيبٌ
نَسِيبٌ عَلَيَّ جَلَّ مِنْهُ نَصِيبٌ
عَلَى حِينَ حَانَتْ فِتْنَةٌ وَخَطُوبٌ
إِذَا وَصَلْتَنَا لِلْخُلُودِ شَعُوبٌ
وَأَيْدِي الْأَيْدِي لَثْمُهُنَّ وَجُوبٌ
شِيَاتٍ لَعَمْرِي بَيْنَنَا وَضُرُوبٌ
لَحَقَّ بِأَنْ يَعْلُو الشَّابَابُ مَشِيبٌ
أَنْتَاكَ بِقَوْلٍ وَهُوَ فِيهِ كَذُوبٌ
تَخَلَّيْتُ مِنْ ذَنْبٍ وَجِئْتُ أَتُوبُ
فَمَنْ أَيْنَ لِي يَا ابْنَ الْكَرَامِ ذُنُوبٌ
تَقْلَدَتْهُ حَتَّى يَزَالَ قُطُوبٌ
أَحَلَّ عَنْ وَرْدٍ لَكُمْ وَأُخِيبُ
إِلَى الْبِرِّ عِنْدَ الْخَابِرِينَ مَعِيبُ
أَخَاطِيبُ مَنْ أَصْفَى^٣ لَهُ فَيَشُوبُ
وَلَمْ أَدْنُ مِنْهُمْ ، لِلذَّئَابِ صَحُوبُ
كَسَمَّ لَهُ بَيْنَ الضُّلُوعِ دَبِيبُ
بِقَلْبِي لَهُمْ شَيْئًا عَلَيْهِ أَثِيبُ

١ في نسخة : بقريكم .

٢ ذنب حر : مثل ، وذلك أن لقمان بعد أن قتل زوجته لقيته ابنته صخر فقتلها أيضاً قائلاً « وهل أنت إلا امرأة ؟ » دون ذنب جنته ، فضرب بذلك المثل . وفي ج ق ودوزي : صخر

- بالمعجمة - .

٣ في نسخة : أصفر .

إذا اغترَبَ الإنسانُ عَمَّنْ يسوءُهُ فما هوَ في الإِبْعَادِ عَنْهُ غَرِيبُ
فقدَارِكُ برَأْبٍ منك ما قد خَرَقَتْهُ ليحسنَ مِنِّي مَشْهَدُ ومَغِيبُ
ولا تَسْمَعُ قولَ الوِشَاةِ فَإِنَّمَا عَدَوْهُمُ بَيْنَ الأَنَامِ نَجِيبُ
فيا لَيْتَ أَنِّي لم أَكُنْ مُتَأَدِّبًا ولم يَكُ لي أَصلٌ هناكَ رَسوبُ
وكنْتُ كِبْعُضَ الجاهِلينَ محبِّبًا فما أَنَا للهِمِّ المُلِمِّ حَبِيبُ
وما إِن ضَرَبْتُ الدهرَ زِيدًا بَعَمْرِهِ ولم يَكُ لي بَيْنَ الكِرَامِ ضَرِيبُ
أَشْكوكَ أَمْ أَشْكُو إِلَيْكَ فما عَدَدْتُ عِدائِي حَتَّى حَانَ مِنكَ وَثُوبُ
سَأشْكُرُ ما أُولَى وأَصْبِرُ للذي تَوَالِي ، عَلَيَّ أَنَّ العِزَّاءَ سَلِيبُ
فدُمُ في سُروِرٍ ما بَقِيتَ فَإِنِّي وَحَقُّكَ مُدَّ دَبِّ الوِشَاةِ كَتِيبُ

قال : وكان سبب التغير بيني وبين ابن عمي الرئيس المذكور أن ملك إفريقية استوزر لأشغال الموحدين أبا العلاء^٢ لإدريس بن علي بن أبي العلاء ابن جامع ، فاشتمل عليّ ، وأولاني من البرّ ما قيّدني وأمال قلبي إليه ، مع تأكيد ما بينه وبين ابن عمي من الصّحبة ، فلم يزل ينهضُ بي ، ويرفع أمداحي للملك ، ويوصلُ إليه رسائلي ، مُتَّبِعًا على ذلك مرشعًا ، إلى أن قبض الملكُ على كاتب عسكره ، وكان يقرأ بين يديه كتبَ المظالم ، فاحتيج إلى من يتخلّفه في ذلك ، فنبه الوزير عليّ ، وارتهن فيّ ، مع أنّي كنت من كتّاب الملك ، فقلدني قراءة المظالم المذكورة ، وسفّر لي الوزيرُ عنده في دار الكاتب المؤخّر ، فأنعِم بها ، فوجد الوشاة مكانًا متسعًا للقول ، فقالوا وزوّروا من الأقاويل المختلفة ما مال بها حيث مالوا ، وظهر منه مخايل التغير ، فجعلت أداريه وأستطفه ، فلم ينفع فيه قليل ولا كثير ، إلى أن سعى في تأخير والدي عن الكتّاب للأمير الأسعد أبي يحيى ابن ملك إفريقية ، ثم سعى في تأخيري ، فأخّرت عن الكتابة وعن

١ ق ج : برأي .

٢ ج ق ودرزي : أبا العل

قراءة^١ المظالم ، فانفردت بالكتابة للوزير المذكور ، وفوض إليّ جميع أموره ،
وأولاني من التأنيس ما أنساني تلك الوحشة ، ومن العز ما أنقذني من تلك الدلة :

فردّ عليّ العيشَ بَعْدَ ذهابِهِ وأنسي بعد انفرادي من الأهل
وقال إذا ما الوبلُ فاتك فافتنع بما قد تَسَنَّى عندك الآن من طلّ
ووالله ما نُعَمّاه طلٌّ وإنّما تأدُّبهُ غيثٌ يجودُ عليّ الكلّ
رآنيَ أظنّما في الهَجيرة ضاحياً فرقَ وآواني إلى الماء والظلّ

ولم أزل عنده في أسرٍ حال ما لها تكدير إلاّ ما يبلغني من أن ابن عمّي لا
يزال يسعى في حقّي بما أخشى مَغَبَّتَهُ ، وخِفْتُ أن يطول ذلك ، فيُسمع
منه ، ولا ينفع حِفْاضُ الوزير المذكور عني ، فرغبتُ له في أن يرفع للملك أنّي
راغبٌ في السّراح إلى المشرق برسم الحج :

ومن بَلّة الغيثِ في بطنِ وادٍ وباتَ فلا يأمنُ السّيولا

فلم يُسْعِفني في ذلك ، ولا متي على تخوُّفي ، وقبلة ثقتي بحمايته ، فرفعت
له هذه القصيدة :

هل الهجرُ إلا أن يطولَ التجنُّبُ ويبعدَ مَنْ قد كان منه التقربُ
وتُقطَعَ رُسلُ بَيْننا ورسائلُ ويمنعَ لُقيانا نوى وتجنبُ
ولو أنّي أدري لنفسي زلّةً جعلتُ لكم عذراً ولم أكُ أعتبُ
ولكنّكم لما ملّتم^٢ هجرتمُ وذنبتمُ في الحبّ من ليس يُذنبُ
إلى الله أشكو غدركم وملا لكم وقلباً له ذاك التعذبُ يعذبُ
فلو أنّه يميزكمُ بفعالكمُ لكان له عنكم مرّادٌ ومذهبُ^٣

١ دوزي : وعن كناية .

٢ كذا في قدّوح ؛ وفي نسخة : ملككم .

٣ دوزي : ومطلب .

ولكن أبي أن لا يحنّ لغيركم
فهلّا رعيتم أنه في ذراكم
لزمك لما أن رأيتك كاملاً
ولاني لأخشى أن يطول اشتكاؤه
فلم أسع إلا لارتياح وراحة
فأنت الذي آويتني ورحمتني
فما مرّ يوم لا يدير مصيبة
وهبه ثبوتاً لا يحيل أما ترى
وهبه له سداً فكم أنت حاضر
وما إن أرى إلا الفرار مخلصاً
فأنه إلى الأمر العليّ شكيتني
ولا تطمعوني في الذي لست نائلاً
ألا فلتتمنوا بالسراح فإنه
سلوا الكأس عني إذ تُدار فلاني
ولا أسمع الألحان حين تهزني
فديتكم كم ذا أهون بأرضيكم
أبخل عليّ؟ ما سواك يصيخ لي
تقلّص عني كل ظيلٍ ولم أجد
أذو طمع في العيش يبقى وحوله
أجزني أنجو^٣ بالفرار فإنه

وأن لا يرى عنكم مدى الدهر مذهب
غريب ، وليس الموت إلا التغرب
جمالاً وإجمالاً وذاك يحبب
لمن إن أتى مكرراً فليس يثرب
وغيري وقد آواه غيرك يتعّب
وذو الرحيم الدنيا لناري يحطب
عليك ، وبالتدبير منك يخيب
مجرّ حبال في الحجارة يرسب
أحاذر خرقاً منه أن يتسببوا
وما راغب في الضيم من عنه يرغب
وأن خطوب الدهر نحوي تحطب
فلا أنا عرقوب ولا أنا أشعب
لراحة من يشقى لديكم وينصب
لأتركها همّاً ودميّ أشرب
ولو كان نوحاً كنت أصغي وأطرب
أهذا جزاء للسدي يتغرب
فهل لي مما كدّر العيش مهرب
كما كنت ألقى^١ من أود وأصحاب
مدى الدهر أفعى لا تزال^٢ وعقرب
وحقك من نعماك عندي يحسب

١ ج ودوزي : أكني .

٢ ج : لا تزول .

٣ ج ق : أجزني ، ق : أنجز .

فلا زلت يا خيرَ الكِرام مهناً فَعِيشِي منه الموتُ أشهى وأطيبُ
وصانَكَ من قد صُنْتَ في حقهِ دمي وغيرُكَ من ثوبِ المروءةِ يسلبُ
ولم يزل الوزير — لا أزال الله عنه رضاه — يحمي جانبي ، إلى أن أصابني
فيه العين ، فأصابه الحَيْن ، فقلت في ذلك :

وطيَّبَ نفسي أَنَّهُ ماتَ عندما تَبَاهَى ولم يشمتْ به كلُّ حاسدٍ
ويحكمُ فيه كلُّ من كان حاكماً عليه ويُعطي الثَّارَ كلُّ معاندٍ
وقلتُ أرثيه :

بَكَتْ لك جَنَى الماطلاتِ السواكِبُ وشَقَّتْ جيوباً فيكَ حتَّى السحابُ
فكيف بمن دافعتَ عنه وَمَنْ به أحاطتْ وقد بُوعِدَتْ عنه المصائبُ
ألا فانظروا دمعي فأكثرهُ دمٌ ولا تذهبوا عني فلانِّي ذاهبُ
وقولوا لمن قد ظلَّ يندبُ بعده وفاؤك لو قامتْ عَلَيْكَ النوادِبُ
لعمرك ما في الأرضِ وافٍ بدمّةٍ أيصمتُ إدريس ومثلي يخطبُ
دعوتك يا مَنْ لا أقومُ بِشكرِهِ فهل أنتَ لي بعدَ الدعاءِ مجابُ
أيا سيداً قد حالَ بَيْنِي وبَيْنَهُ ترابٌ حَوَتْ ذكراكَ منهُ الترائبُ
لمن أشتكي إن جارَ بعدك ظالمٌ عليَّ وإن نابتْ جَنابِي النَّوابُ
لَمَنْ أرثيهِ عِنْدَ الأميرِ بمنطقٍ تحفُّ به حولي المنى والمواهبُ
وهي طويلة ، ومنها قُبيل الختم :

وقد كنتُ أجتارُ الترحُّلَ قبل أن يُصَيِّبَكَ سهمٌ للمنيّةِ صائبُ
ولكن قَضَاءَ اللهِ مَنْ ذا يردُّه فصبراً فقد يَرْضَى الزمانُ المغاضِبُ

١ دوزي : النوايب .

٢ دوزي : أشتكي .

ومنها ، وهو آخرها :

ولائي لأدري أن في الصبر راحة إذا لم تكن فيه عليّ متالب
وإن لم يؤب من كنت أرجو انتصاره عليك فلطف الله نحوي آيب

قال رحمه الله تعالى : . ولما قدمت مصر والقاهرة أدركني^١ فيهما وحشة ،
وأثار لي تذكّر ما كنت أعهد بجزيرة الأندلس من المواضع المبهجة التي قطعت
بها العيش غضاً خصبياً ، وصحبت بها الزمان غلاماً ولبست الشباب قشياً ،
فقلت :

هذه . مصر فأتيت المغرب ؟	مُدّ نأى عني دُموعي تسكُبُ
فارتقتهُ النفسُ جهلاً إنما	يُعرفُ الشيء إذا ما يذهبُ ^٢
أين حِمصٌ ؟ أين أبيامي بها ؟	بعدها لم ألق شيئاً يُعجبُ
كم تقصّي لي بها ^٣ من لذة	حيث للنهر خيرٌ مطربُ
وحمام الأيكة تشدو حولنا	والثاني في ذراها تُصخبُ
أي عيشٍ قد قطعناه بها	ذكره من كل نغمى أطيبُ
ولكم بالمرج لي من لذة	بعدها ما العيشُ عندي يعذبُ
والنواعير التي تذكّارها	بالنوى عن مُهجتي لا تُسلبُ
ولكم في شنتبوس من منى	قد قضيناه ولا من يعتبُ
[حيث هاتيك الشراحيب التي	كم بها من حُسن بذر مُعصبُ] ^٤
وغناء كل ذي فقرٍ له	سامعٌ غضباً ولا من يغضبُ
بلدة طابت ورب غافر	ليتني ما زلت فيها أذنبُ

١ ج : أدركتني .

٢ سقط هذا البيت من ج .

٣ ق : كم بميش نالنا ، واضطربت في ج .

٤ البيت زيادة من إحدى النسخ ، ولم يرد في ق ج .

أَيْنَ حُسْنُ النِّيلِ مِنْ نَهْرِهَا كَمَ بِهِ مِنْ زَوْرَقٍ قَدْ حَلَّتْهُ
لَذَّةُ النَّاطِرِ وَالسَّمْعِ عَلَى كَمَ رَكْبَانَهَا فَلَمْ تَجْمَحْ بِنَا
طَوْعَنَا حَيْثُ اتَّجَهْنَا لَمْ نَجِدْ قَدْ أَثَارَتْ عَشِيرًا يُشَبِّهُهُ
كَلِمًا رِشْنَا لَهَا أَجْنَحَهُ كَطَيُورٍ لَمْ تَجِدْ رِيًّا لَهَا
بَلْ عَلَى الْخَضِرَاءِ لَا أَنْفَكَ مِنْ حَيْثُ لِلْبَحْرِ زَيْرٌ حَوْلَهَا
كَمَ قَطَعْنَا اللَّيْلَ فِيهَا مَشْرِقًا وَكَانَ الْبَحْرُ ثَوْبٌ أَزْرَقُ
وَلِي الْحَوْرِ حَنِينِي دَائِمًا حَيْثُ سُلَّ النِّهَرُ عَضْبًا وَانْتَشَتْ
وَتَشَقَّتْ أَعْيُنُ الْعُشَّاقِ مِنْ مَلْعَبٍ لِلْهَوَى مَدَّ فَارِقَتَهُ
وَلِي مَالِقَةٍ يَهْوَى هَوَى أَيْنَ أَبْرَاجُهَا قَدْ طَالَمَا
حَفَّتِ الْأَشْجَارُ عَشْقًا حَوْلَنَا جَاءَتِ الرِّيحُ بِهَا ثُمَّ انْتَشَتْ

كُلُّ نَغَمَاتٍ لَدِينِهِ تُطْرِبُ
قَمَرٌ سَاقٍ وَعُودٌ يَضْرِبُ
شَمَّ زَهْرٍ وَكُؤُوسٍ تُشْرَبُ
وَلَكُمْ مِنْ جَامِعٍ إِذَا يُرْكَبُ
تَعَبًا مِنْهَا إِذَا مَا نَعَبُ
نَشْرُ سَلَكٍ فَوْقَ بُسْطٍ يُنْهَبُ
مِنْ قَلَاعٍ خَلَّتْ مِنْهَا تَعَجُّبُ
فَبَدَا لِلْعَيْنِ مِنْهَا مَشْرَبُ
زَقَرَةٌ فِي كُلِّ حِينٍ تَلْهَبُ
تَبْصُرُ الْأَغْصَانِ مِنْهُ تَرْهَبُ
بِحَبِيبٍ وَمُدَامٍ يُسْكَبُ
فِيهِ لِلْبَدْرِ طِيرَازٌ مُذْهَبُ
وَعَلَى شَنْبِلٍ دَمْعِي صَيِّبُ ٢
فَوْقَهُ الْقُضْبُ وَغَنَّتِي الرَّبْرُبُ
حَوْرٍ عَيْنٍ بِالْمَوَاضِي تُحْجَبُ
مَا ثَنَانِي نَحْوَ لُحْيٍ مَلْعَبُ
قَلْبُ صَبٍّ بِالنَّوَى لَا يُقْلَبُ
حَثَّ كَأْسِي فِي ذَرَاهَا كَوْكَبُ
قَارَةٌ تَتَأَى وَطُورًا تَقْرُبُ
أَتَرَاهَا حَذَرَتْ مِنْ تَرْقُبُ

١ يعني الجزيرة الخضراء ، وقد قضى ابن سميذ فيها جانباً من حياته إذ كان والده والياً عليها ، وكان هو ينوب عنه أحياناً .

٢ الحور : حور مؤمل وهو من متزهات غرناطة (المغرب ٢ : ١٠٣) وشنبيل هو نهرها ، وقد مر التعريف به في هذا الكتاب .

وعلى مُرْسِيَّةٍ أَبْكِي دماً
مَعَ شمسٍ طَلَعَتْ في ناظري
هذه حالي ، وأما حالي
سَمِعْتُ أَذني محالاً ، ليتها
وكذا الشيء إذا غاب انتهوا
ها أنا فيها فريدٌ مُهْمَلٌ
وأرى الألفاظَ تَنبُو عندما
وإذا أَحْسِبُ في الديوان لَمْ
وَأُنَادِي مغربياً ، لَيْتَنِي
نَسَبٌ يَشْرِكُ فِيهِ خَامِلٌ
أَتُرَانِي لَيْسَ لي جَدٌّ لَهُ
سَوْفَ أَتْنِي راجعاً لا غرَّتني

متزلٌ فِيهِ نعيمٌ مُعْشَبٌ
ثم صارت في فؤادي تَغْرُبُ
في ذَرَا مصرَ ففكر مُتْعِبُ
لم تصدقَ ويحها من يكذبُ
فيه وصفاً كي يميل الغُيْبُ
وكلامي ولساني مُعْرَبُ
أَكْتُبُ الطُّرسَ أَفِيهِ عَقْرَبُ ؟
يَذُرُ كِتَابَهُمْ ما أَحْسَبُ
لم أَكُنْ للغربِ يوماً أَنْسَبُ
ونبيهُ ، أينَ مِنْهُ المَهْرَبُ ؟
شهرةٌ أو ليس يَذُرِي لي أَبُ
بعد ما جَرَّبْتُ بَرَقَ خُلْبُ

وقال بقرمونة متشوقاً إلى غرناطة ١ :

أَغِيثْنِي إِذَا غَتَّى الحِمَامُ المطرَبُ
وميلٌ مَيْلَةً حَتَّى أَعَانِقَ أَيْكَةَ
ولَمْ أَرَ مَرْجَاناً وَدُرّاً خِلَافَهُ
فَدَيْتُكَ مِنْ غُصْنٍ تَحْمَلُهُ نَقّاً
وَجَنَّتُهُ جَنَاتٌ عَدْنٌ وَفِي لَظَى
وَيَعْدِلُنِي الْعَدَالُ فِيهِ وَإِنِّي
لَقَدْ جَهِلُوا ، هل عن حياتي أَتْنِي
يَقُولُونَ لي قد صار ذَكَرُكَ مَخْلَقاً

بكأسٍ بِهَا وَسْوَاسٌ فَكْرِي يُنْهَبُ
وَأَلِيمٌ تُغْرَأُ فِيهِ لِلصَّبِّ مَشْرَبُ
يُطِيفُ بِهِ وَرْدٌ مِنَ الشَّهْدِ أَعْدَبُ
تَطْلَعُ أَعْلَاهُ صَبَاحٌ وَغِيْهَبُ
فؤادي وما لي من ذُنُوبٍ تَعْدَبُ
لَأَعْصِي عَلَيْهِ مَنْ يُلُومُ وَيَعْتَبُ
إِذَا تَمَقَّوْا أَقْوَاهُمْ وَتَأَلَّبَوْا
وَأَصْبَحَ كُلُّ فِي هَوَاهُ يُؤْتَبُ

١ سقط هذا السطر من ج .

وعِزُّكَ مَبْدُولٌ ، وَعَقْلُكَ تَالِفٌ
فَقُلْتُ لَهُمْ عِزُّي وَعَقْلِي وَالْعُلَا
جَنُونَ أَبَى أَنْ لَا يَلِينَ لِعَازِمٍ
فَقَالُوا أَلَا قَدْ خَانَ عَهْدَكَ قُلْتُ لَمْ
وَكَمْ ذُوْنَهُ مِنْ صَارِمٍ وَمُثَقِّفٍ
عَلَى أَنَّهُ يَسْتَسْهَلُ الصَّعْبَ عِنْدَمَا
وَكَمْ حِيلَةٌ تَبْرَى عَلَى لِثَرِ حَالَةٍ
عَلَى أَنَّهُ لَوْ خَانَ عَهْدِي لَمْ أَزَلْ
فَأَيْنَ زَمَانٌ لَمْ يَخْنِي سَاعَةً
وَلَا فِيهِ مِنْ بَخْلٍ وَلَا بِي قَنَاعَةٌ
وَيَا رَبَّ يَوْمٍ لَا أَقُومُ بِشُكْرِهِ
عَلَى نَهْرِ شَتَلٍ وَلِلْقُضْبِ حَوْلَنَا
وَقَدْ قَرَعَتْ مِنْهُ سَبَائِكُ^٢ فَضَّةً
شَرَبْنَا عَلَيْهَا قَهْوَةً ذَهَبِيَّةً
كَانَ يَاسِينًا وَسَطَ وَرْدٍ تَفْتَحَتْ
إِذَا مَا شَرَبْنَاهَا لَيْلٍ مَسْرَّةً
أَتَتْ دُونَهَا الْأَحْقَابُ حَتَّى تَخَالَهَا
نَعِيمُنَا بِهَا وَالْيَوْمُ قَدْرَقَ بُرْدُهُ
فَقَالُوا أَلَا هَاتُوا السَّرَاجَ فَكُلْ مَنْ
وَقَالَ أَلَا تَدْرُونَ مَا فِي كُؤُوسِكُمْ
كَوَاكِبُ أَمَسَتْ بَيْنَ شَرْبٍ وَلَمْ تَخْلُ

وَجِسْمُكَ مَسْلُوبٌ ، وَمَالُكَ يُنْهَبُ
وَفَخْرِي لَا أَرْضَى بِهَا حِينَ يَغْضَبُ
بَسْحَرٍ بِآيَاتِ الرُّقَى لَيْسَ يَذْهَبُ
يَخُنُ مَنْ إِذَا قَرَّبَتْهُ يَتَقَرَّبُ
فِيَا مَنْ رَأَى بَدْرًا يَهْدِينِ يُحْجِبُ ؟
يَزُورُ فَلَا يُجِدِي حِمِّي وَتَرَقَّبُ
وَذُو الْوَدِّ مَنْ يَحْتَالُ أَوْ يَتَسَبَّبُ
لَهُ رَاعِيًا ، وَالرَّعِي لِلصَّبِّ أَوْجِبُ
بِهِ وَهُوَ مِثِّي فِي التَّنَعُّمِ أَرْغَبُ
كَلَانَا بِلَدَاتِ التَّوَاصِلِ مُعْجَبُ
عَلَى أَتَيْتِ مَا زِلْتُ أَتِي وَأُطْنَبُ
مَتَابِرُ مَا زَالَتْ بِهَا الطَّيْرُ تَخْطُبُ
خِلَالَ رِيَاضٍ بِالْأَصِيلِ تَذْهَبُ
غَدَتْ تَشْرَبُ الْأَلْبَابُ آيَانَ تَشْرَبُ
أَزَاهِرُهُ آيَانَ فِي الْكَأْسِ تُسْكَبُ
تَبَسُّمٌ عَنْ دُرٍّ لَهَا فَتَقْطُبُ
سَرَابًا بِآفَاقِ الزَّجَاجَةِ يَلْعَبُ
إِلَى أَنْ رَأَيْنَا الشَّمْسَ عَنَّا تَغْرُبُ
دَرَى قَدْرًا مَا فِي الْكَأْسِ أَقْبَلَ يَعْجَبُ
فَلَا كَأْسَ إِلَّا وَهُوَ فِي اللَّيْلِ كَوَكْبُ
بِأَنَّ النُّجُومَ الزُّهْرَ تَدْنُو وَتَغْرُبُ

١ ج : زماناً .

٢ ق : وقد قرعت منه سبائك .

ظللنا عليها عاكفينَ وليلسنا
فلم نثنِ عن دين الصَّبُوحِ عناننا
صُرْعنا فأَمسى يحسبُ السكرَ قد قضي
وكمْ لَيْلَةٌ في إثرِ يومٍ وعدَّلي
فيا ليتَ ما وَلَّى مُعادٌ نعيمُهُ
وأَيُّ نعيمٍ عندَ مَنْ يُتَغَرَّبُ
نهارٌ إلى أنْ صاحَ بالأَيْكِ مطربُ
إلى أنْ غدا مَنْ ليس يعرفُ يندبُ
علينا ، وذاك السكرُ أَشهى وأعجبُ
وعُدَّ لُ مَنْ يُصْنِعي لقولي خُيِّبُ
وأيُّ نعيمٍ عندَ مَنْ يُتَغَرَّبُ

قال : وقلت بلإشبيلية ذاكرًا لوادي الطَّلَحِ ، وهو بشرق إشبيلية ملتف الأشجار ، كثير مُترنم الأَطْيَار ، وكان المعتمد بن عباد كثيرًا ما ينتابه مع رميكيتيه ، وأولي أنسه ومسرته ١ :

سائلُ بوادي الطَّلَحِ رِيحَ الصَّبَا
كانتَ رسولاً فيه ما بيننا
يا قاتِلَ الله أناساً إذا
هلاً رَعَوْا أنا وثِقنا بهم
يا قاتِلَ الله الذي لم يتبْ
واليمُّ لا يَعْرِفُ ما طعمُهُ
دَعْنِي من ذكر الوُشاةِ الألى
واذكرُ بوادي الطَّلَحِ عهداً لنا
بجانبِ العطفِ وقد مالتِ الأغْ
والطيرُ مازتْ بينَ أَلحانها
وخانتني مَنْ لا أَسْمِيهِ مِنْ
قد أترع الكأسَ وحيّاً بها
أهلاً وسهلاً بالذي شِئتَه
هل سَخَّرتْ لي في زمان الصَّبَا
لن نأمن الرُّسلَ ولن نَكُتِبَا
ما استؤمنوا خائفوا ، فما أعجبا
وما اتَّخذنا عنهم مَدَهَبَا
من غدرهم من بعد ما جرَّبا
إلا الذي وافى لأن يشربا
لما يَزَلْ فكري بهم مُلْهَبَا
لله ما أحلى وما أطيبا
صانُ والزهرُ يبتُ الصَّبَا
وليسَ إلا مُعْجِباً مطربا
شَحَّ أخافُ الدهرَ أن يُسْلِبَا
وقلتُ أهلاً بالني مرحبا
يا بدرَ تمَّ مُهْدياً كوكبا

١ انظر هذه القصيدة فيما تقدم ج ١ ص ٦٩١ وفي روايتها بعض اختلاف ، ليس من الضروري إثباته .

لكنني آليتُ أسقى بها
فَمَجَّ لي في الكأس من ثغره
فقال : ها لثمي نُقْلاً ولا
فاقطف بخدي الورد والآس والـ
أسعفته غصناً غدا مشمراً
قَدْ كُنْتُ ذا نهي وذا إمرة
ولم أصنْ عِرْضِي في حُبِّه
حتى إذا ما قال لي حاسدي
أرسلتُ من شعري سحراً له
وقالَ عَرَفَهُ بِأَنْتِي سَاحِ
فَزَادَ في شوقي لَهُ وَعَدَهُ
أَمْدُ طَرْفِي ثُمَّ أَثْنِيهِ مِنْ
أُصْدَقِ الوعدِ وطوراً أرى
أتى ومن سَخَّرَهُ بَعْدَما
قَبِلْتُ في التَّربِ ولم أَسْتَطِعْ
هَنَأْتُ رَبِّي إِذْ غَدَا هَالِكاً
بِاللهِ مِيلُ مَعْتَقاً لَأَمَّا
وقالَ : ما تَرْغَبُ ؟ قلتُ : اتُّدْ
فقالَ : لا مَرْغَبَ عن ذَكَرِ ما
فكانَ ما كانَ ، فوالله ما

أو تودِعَها ثَغْرَكَ الأَشْبَا
ما حَبَّبَ الشَّرْبَ وما طَيَّبَا
تَتَمَّ إِلَّا عَرَفِي الأَطْيَا
نَسْرِينَ لا تَحْفَلُ بِزَهْرِ الرُّبَى
ومن جَنَاهِ مَيْسَهُ قَرَّبَا
حتى تَبَدَّي فَحَلَلْتُ الحُبَا
ولم أَطْعِ فيه الذي أَتْبَا
ترجوه والكوكبَ أن يغربا
ييسرُ المَرْغَبَ والمَطْلَبَا
نالُ فَمَا أَجْتَنَّبُ المَكْتَبَا
ولم أَزَلْ مُقْتَعِداً مَرْقَبَا
خوفِ أَنَحِي التَّنْغِيصِ أن يرقبا
تَكْذِيبَهُ والحُرُّ لَنْ يَكْذُبا
أَيَّاسُ بَطْنُنا كَادَ أن يُغْضِبا
من حَصَرِ اللُّقْيَا سِوَى مَرْحَبَا
وقلتُ : يا مَنْ لَمْ يُضِيعْ أَشْعَبَا
فمال كالغصنِ ثَنَّتْهُ الصَّبَا
أدركتَ إِذْ كَلَّمْتَنِي المَأْرَبَا
تَرْغِبُهُ ، قلتُ : إِذَا مَرْكَبَا
ذَكَرْتُهُ دَهْرِي أَوْ أَغْلَبَا

قال : وقلت باقتراح الملك الصالح نور الدين صاحب حِمص أن أكتب
بالذهب على تفاعلة عَنبر قدمها لابن عمه الملك الصالح ملك الديار المصرية ^١ :

١ انظر ما سبق ص : ٢٦٦ .

أَنَا لَوْنُ الشَّبَابِ وَالْخَالِ أَهْدِي تُمْ لَنْ قَدْ كَسَا الزَّمَانَ شَبَابًا
مَلِكِ الْعَالَمِينَ نَجْمِ بَنِي أَبِي وَبَ ، لَا زَالَ فِي الْمَعَالِي مَهَابًا
جِئْتُ مَلَأَى مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ شُكُورِ إِحْسَانِهِ وَالثَّوَابِ
لَسْتُ مَمَّنْ لَهُ خُطَابٌ وَلَكِنْ قَدْ كَفَانِي أُرِيحُ عَرَفِي خُطَابًا

قال : ولما أنشد أبو عبد الله ابن الأَبَّار كاتب ملك إفريقية لنفسه :

لِللَّهِ دَوْلَابٌ يَدُورُ كَأَنَّهُ فَلَيْلُكَ وَلَكِنْ مَا ارْتَقَاهُ كَوْكَبُ
هَامَتْ بِهِ الْأَحْدَاقُ لَمَّا نَادَمَتْ مِنْهُ الْحَدِيقَةُ سَاقِيًا لَا يَشْرَبُ
نَصَبَتْهُ فَوْقَ النَّهْرِ أَيْدٍ قَدَّرَتْ تَرْوِيحَهُ الْأَرْوَاحُ سَاعَةً يُنْصَبُ
فَكَأَنَّهُ وَهُوَ الطَّلِيقُ مُقَيَّدٌ وَكَأَنَّهُ وَهُوَ الْحَبِيسُ مُسَيَّبُ
لِلْمَاءِ فِيهِ تَصَعُّدٌ وَتَحْدُرُ كَالْمُزْنِ يَسْتَسْقِي الْبَحَارَ وَيَسْكَبُ

حلف أبو عبد الله ابن أبي الحسين ابن عمي أن يصنع في ذلك شيئاً ، فقال

وَعُثْيَةَ الْأَصْلَاحِ^٢ تَجْنُو عَلَى الثَّرَى وَتَسْقِي نَبَاتَ التَّرْبِ دَرَّ^٣ التَّرَائِبِ
تُعَدُّ^٤ مِنَ الْأَفْلَاقِ أَنْ^٥ مِيَاهَهَا نَجُومٌ لِرَجْمِ الْمُتَحَلِّ ذَاتُ ذَوَائِبِ
وَأَعْجَبَهَا رَقْصُ الْغُصُونِ ذَوَابِلًا فَدَارَتْ بِأَمْثَالِ السُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
وَتَحْسَبُهَا وَالرُّوضَى : سَاقٍ وَقِينَةٍ فَمَا بَرَحَا مَا بَيْنَ شَادٍ وَشَارِبِ
وَمَا خَلَّتْهَا تَشْكُو بِتَحْنَانِهَا الصَّدَى وَمِنْ فَوْقِ^٦ مَتْنِهَا أَطْرَادُ الْمَدَائِبِ

١ انظر هذه الأبيات في المغرب ٢ : ١٦٩ .

٢ المغرب : الأصْلَاب .

٣ المغرب : دَمَع .

٤ المغرب : تَقْنَن .

٥ المغرب : وَأَطْرَبَهَا .

٦ المغرب : وَمَا بَيْنَ .

فَخُذْ مِنْ مَجَارِيهَا وَدُهْمَةً لُونَهَا «بياض العطايا في سواد المطالب»^١

ثم كلفت في أن أقول في ذلك ، وأنا أعتذر بأن هذين لم يتركا لي ما أقول :

وذا تَحَنَّنْ لَا تَزَالُ مُطِيفَةً
كَأَنَّ أَلِفًا بَانَ عَنْهَا فَأَصْبَحَتْ
إِذَا ابْتَسَمَتْ فِيهَا الرِّيَاضُ شِمَاتَةً
فَكَمْ رَقَصَتْ أَغْصَانُهَا فَرَمَتْ لَهَا
لَقَدْ سَخَطَتْ مِنْهَا الثُّغُورُ وَأَرْضَتْ
شَرِبَتْ عَلَى تَحَنُّنِهَا ذَهَبِيَّةً
فَهَاجَتْ لِي الْكَأْسُ أَدْكَارَ مُغَاضِبٍ
فَلَا تَدْعُ التَّبْرِيزَ فِي كَثْرَةِ الْهَوَى

تَنْ تَبْكِي بِالدَّمْعِ السَّوَكَبِ
بِمَرْبَعِهِ كَالصَّبِّ بَعْدَ الْحَبَائِبِ
تَرْعُنَا بِأَمْثَالِ السُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
نِثَارًا كَمَا بَدَّدَتْ حَلْيَ الْكَوَاعِبِ
قَدُودَ وَلَمْ تَحْفَلِ بِتَثْرِيْبِ عَائِبِ
ذَخِيرَةَ كَسْرَى فِي الْعَصُورِ الذَّوَاهِبِ
فَحَاكَيْتُهَا وَجَدًا بِذَلِكَ الْمَغَاضِبِ
فَلَوْلَايَ كَانَتْ فِيهِ إِحْدَى الْعَجَائِبِ

قال : وقلت بغرناطة :

بَاكَرَ اللَّهُ وَمَنْ شَاءَ عَتَبَ
مَا تَوَانَى مَنْ رَأَى الزَّهْرَ زَهَا
وَشَدَّاهُ صَانَهُ حَتَّى اغْتَدَى
يَا نَسِيمًا عَطَّرَ الْأَرْجَاءَ ، هَلْ
هُمْ أَعْلَوْهُ وَهُمْ يَشْفُونَهُ
خَلَعَ الرُّوضُ عَلَيْهِ زَهْرَهُ
فَأَبَى إِلَّا شَدَّاهُ^٢ فَانْتَقَى
لَسْتُ ذَا نَكْرِ لَأَنْ يُشْبِهَكُمْ

لَا يَلْدُ الْعِشُّ إِلَّا بِالطَّرَبِ
وَالصَّبَا تَمْرُجُ فِي الرُّوضِ خَبَبِ
بَيْنَ أَيْدِي الرِّيحِ غَضَبًا يَنْتَهَبِ
بَعَثُوا ضَمْنَكَ مَا يَشْفِي الْكُرْبَ ؟
لَا شَفَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَاكَ الْوَصَبِ !
حِينَ وَافَى مِنْ ذَرَاكُم فِعْلَ صَبِ
حَامِلًا مِنْ عَرَفِهِ مَا قَدْ غَضِبِ
مَنْ بَعَثَ ، غَيْرُ ذَا مِنْهُ الْعَجَبِ

١ من قول أبي تمام :

وأحسن من نور تفتحه الصبا

بياض العطايا في سواد المطالب

٢ ج : ثناه .

غَالِبَ الْأَغْصَانِ فِي بَدَائِهِ ثُمَّ لَمَّا زَادَ أُعْطِيَتْهُ الْغَلَبُ
 فَبَكَى الطَّلُّ عَلَيْهَا رَحْمَةً أَوْ بَكَى مِنْ وَعْظِ طَيْرٍ قَدْ خَظَبُ
 كُلُّ هَذَا قَدْ دَعَانِي لِلَّي مَلَكَتْ رَقِي عَلَى مَرِّ الْحَقَبِ
 قَهْوَةً أَسْمُ مِنْ عُجْبٍ لَهَا عِنْدَمَا تَبَسِّمُ عُجْبًا عَنْ حَبِّ
 حَاكَتِ الْخَمْرَ فَلَمَّا شُعْشِعَتْ قُلْتُ مَا لِلْخَمْرِ بِالمَاءِ التَّهَبِ
 وَبَدَتْ مِنْ كَأْسِهَا لِي فَضَّةٌ مَلْتُ إِذْ جَمَدْتُ ذَوْبَ الذَّهَبِ
 سَقْنِيهَا مِنْ يَدَيَّ مِثْلَهَا بِالنَّيِّ يَحْوِيهِ طَرْفٌ وَشَنَبِ
 لَا جَعَلْتُ الدَّهْرَ نُقْلِي غَيْرَ مَا لَدَّ لِي مِنْ رِيْقٍ ثَغِيرٍ كَالضَّرْبِ
 لَا جَعَلْتُ الدَّهْرَ رِيْحَانِي سِوَى مَا يَخْدِيهِ مِنَ الْوَرْدِ انْتِخَبِ
 لَمْ أَزَلْ أَقْطَعُ دَهْرِي هَكَذَا وَكَذَا أَقْطَعُ مِنْهُ الْمُرْتَقَبِ
 حَبْدًا عَيْشٌ قَطَعْتَاهُ لَدَى مَعْطَفِ الْخَابُورِ مَا فِيهِ نَصَبِ
 مَعَ مَنْ لَمْ يَلِدْ يَوْمًا مَا الْخَفَا مَنْ أَرَاكَ الصَّبَّ فِيهِ مِنْ تَعَبِ
 كُلُّ مَا يَصْدُرُ مِنْهُ حَسَنٌ لَمْ يُذَقْنِي فِي الْهَوَى مَرًّا الْغَضَبِ
 أَيُّ غَيْثٍ سَمِعَ الدَّهْرُ بِهِ (كُلُّ نَعْمَى ذَهَبَتْ لَمَّا ذَهَبِ

قال : ودخلتُ بنونس مع أبي العباس القسّاني حمّامًا ، فنظرنا إلى غيلمان
 في نهاية الحسن ونُعومة الأبدان ، فقلت مخاطبًا له :

دَخَلْتُ حَمَّامًا وَقَصَلْتَنِي بِهِ تَنْعِيمُ جَسْمٍ فَغَدَا لِي عَذَابُ
 قُلْتُ لَطْفِي فَاعْتَرَضَتْ حُورُهُ وَقُلْتُ عَدْنُ فَفَنَاهِي التَّهَابُ
 وَأَنْتَ فِي الْفَضْلِ إِمَامٌ فَكُنْ فِي الْحَكَمِ مَعْنُ حَازَ فَصْلَ الْخَطَابِ
 فقال :

لَا تَأْمَنِ الْحَمَّامَ فِي فَعْلِهِ فَلَيْسَ مَا يَأْتِيهِ عِنْدِي صَوَابُ

١ ترجم له ابن سعيد في القتح : ١٢ ، وكان كاتب العلامة عند المستنصر الحفصي وبينه وبين
 ابن سعيد شيء كثير من المطارحات والرسلات نظمًا وفنًّا .

فَمَا أَرَى أَخْذَعَ مِنْهُ وَلَا أَكْذِبَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ السَّرَابُ
يُبْذَى لَكَ الْغَيْدَ كَحُورِ الدَّمَى وَيُلْبِسُ الشَّيْخَ بِرُودِ الشَّبَابِ
ظُنَّ بِهِ النَّارَ فَلَا جَنَّةَ لِلْحُسْنِ إِلَّا مَا حَوَتْهُ الثِّيَابُ

° ° °

[لقول عن ابن سعيد]

[١ - بناء الهودج بروضة مصر]

ومن فوائده ^١ ، أعني ابن سعيد رحمه الله تعالى - في كتابه « المحلى بالأشعار » ^٢
نقلاً عن القرطبي ^٣ - قضية بناء الهودج بروضة مصر ، وهو من منتزهات
الخلفاء الفاطميين العظيمة العجيبة البناء البديعة ، وذلك أنه يقال : إن الباني له الخليفة
الأمير بأحكام الله ^٤ ، للبدوية التي غلب عليه حبها ، ببحوار البستان المختار ،
وكان يردد إليه كثيراً وقتل وهو متوجه إليه ، وما زال منتزهاً للخلفاء من بعده .
وقد أكثر الناس في حديث البدوية وابن ميثاق من بني عمها ، وما يتعلق
بذلك من ذكر الأمر ، حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كحديث البطال
وآلف ليلة وليلة وما أشبه ذلك ، والاختصار منه أن يقال : إن الأمر قد كان
بلي بعشق الجوّاري العرييات ، وصارت له عيون في البوادي ، فبلغه أن بالصعيد
جارية من أكمل العرب وأظرفهم ، شاعرة جميلة ، فيقال : إنه تزيا بزوي بُدأة

١ ورد هذا الخبر في المقتطفات ، الورقة : ٩ ، والمخطوط ٢ : ٣٧٦ .

٢ ذكره أيضاً المقرئ في المخطوط ٢ : ٣٧٦ ولعله يعني كتابه « القدر الممل في التاريخ
المحل » ، وهو يضم - فيما يبدو - أخباراً تاريخية أخرى عدا التراجم التي وردت في القسم
الباقي منه المسمى « اختصار القدر » .

٣ في قج ودوزي والمقتطفات : « القرطبي » والصواب ما أثبتته ، وهو محمد بن سعد أبو بكر القرطبي ؛
صنف كتاباً في تاريخ مصر في أيام المماليك وعنه ينقل ابن سعيد في القسم المصري من المغرب
(انظر ترجمته في المغرب ١ : ٢٦٧) .

٤ من متأخري الخلفاء الفاطميين (٤٩٥ - ٥٢٤) قام بأمره أمير الجيوش الأفضل شامشاه ابن
بدر الجمالي .

الأعراب ، وكان يحول في الأحياء إلى أن انتهى إلى حبيها ، وبات هناك ، ونحيل حتى عاينها هناك ، فما ملك صبره ، ورجع إلى مقر ملكه ، وأرسل إلى أهلها يخطبها ، وتزوجها ، فلما وصلت إليه صعب عليها مفارقة ما اعتادت ، وأجبت أن تسرح طرفها في الفضاء ، ولا تنقبض لنفسها تحت حيطان المدينة ، فبنى لها البناء المشهور في جزيرة القسوطا المعروف بالهودج ، وكان غريب الشكل ، على شط النيل ، وبقيت متعلقة بالخاطر بآبن عم لها رُبِّيت معه ، يُعرف بآبن مَيَّاح ، فكتبت إليه من قصر الأمر :

يا ابن مَيَّاح إليك المشتكى	مالك ^١ من بعدكم قد ملكا
كنت في حبي طليقاً آمراً	نالا ^٢ ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر موصد	لا أرى إلا حسيماً ^٣ مسكاً
كم تشيننا كأغصان اللوى	حيث لا نخشى علينا دركا ^٤

فأجابها بقوله :

بنت عمي والتي غداً يئسها	بالهوى حتى علا واحتكا ^١
بُحبت بالشكوى وعندى ضعفتها	لو غداً ينفع منا المشتكى
مالك ^٢ الأمر إليه يشتكى	هالك ^٣ ، وهو الذي قد أهلكا

قال : والناس في طلب ابن مَيَّاح واختلافه أخبار تطول .
وكان من عرب طيء في عصر الأمر طراد بن مهلهل ، فقال وقد بلغته هذه الأبيات :

١ ج ودوزي : خبيثاً .
٢ سقط من ج .
٣ ق ودوزي : واحتكا .
٤ ج : ملك .

ألا بلغوا الأمر المصطفى مقال طراد ونعم المقال
قطعت الألفين عن ألفه بها سمر الحمي حول الرحال
كذا كان آباؤك الأكرمون ؟ سألت فقل لي جواب السؤال

فقال الخليفة الأمر لما بلغته الأبيات : جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله ،
فطلب في أحياء العرب فلم يوجد ، فقل : ما أخسر صفقة طراد ، باع عدة
أبيات بثلاثة أبيات .

* * *

[٢ - مكين الدولة ابن حديد]

وكان بالإسكندرية^١ مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد
ابن الحسن بن حديد ، له مروءة عظيمة ، ويحتلني أفعال البرامكة ، وللشعراء
فيه أمداح كثيرة ، ومدحه ظافر الحداد وأمية أبو الصلت وغيرهما ، وكان
له بستان يتفرج فيه ، به جرن كبير من رخام ، وهو قطعة واحدة ينحدر فيه
الماء فيبقى كالبركة من كبره ، وكان يجد في نفسه برؤيته^٢ زيادة على أهل
التعم والمباهاة في عصره ، فوشى به للبدوية محبوبية الأمر ، فسألت الأمير في
حمل الجرن إليها ، فأرسل إلى ابن حديد في إحضار الجرن ، فلم يجد بداً من
حملة من البستان ، فلما صار إلى الأمر أمر بعمله في المودج [وتركيبه هنالك]^٣ ،
فقلق ابن حديد ، وصارت في قلبه حزازة^٤ من أخذ الجرن ، فأخذ يخدم البدوية
وجميع من يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة ، حتى قالت
البدوية : هذا الرجل أنجّلنا بكثرة تحفه ، ولم يكلفنا قط أمراً نقدر عليه عند

١ هذا الخبر في المقتطفات (الورقة : ١٠) والمقريري ٢ : ٣٧٧ .

٢ المقتطفات : وكان كمن يجد في نفسه برؤيته له .

٣ زيادة من المقتطفات .

٤ ق : حرارة .

الخليفة مولانا ، فلما قيل له عنها هذا القول قال : ما لي حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها في عزٍّ غير رَدِّ السَّقِيَّة التي قُلِّعت من دارِي التي بنيتها في أيامهم من نعمتهم^١ تُرَدُّ إلى مكانها ، فتعجبت من ذلك ، وردتها عليه ، فقيل له : قد حصلت في حد أن خَيْرَتِكَ البدوية في جميع المطالب^٢ ، فنزلت همتك إلى قطعة حجر ، فقال : أنا أعْرِفُ بنفسِي ، ما كان لها أمل سوى أن لا تُغلب في أخذ ذلك الحجر من مكانه ، وقد بلغها الله تعالى أملها .

وكان هذا المكين متولي قضاء الإسكندرية ونظرها في أيام الأمر ، وبلغ من علو همته وعظيم مروءته أن سلطان الملوك حَيَدَرَة أخا الوزير المأمون ابن البطايعي لما قتلده الأمر ولاية نجر الإسكندرية سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وأضاف إليها الأعمال البحرية ، ووصل إلى الثغر - وصف له الطيب دهن الشمع بحضرة القاضي المذكور ، فأمر في الحال بعض غلمانه بالمضي إلى داره لإحضار دهن الشمع ، فما كان أكثر من مسافة الطريق إلا وقد أحضر حَقّاً مختوماً ، فكأنه ، فوجد فيه متدبيل لطيف مذهب على مراق^٣ بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر : بيت دهن مُمَسَّك ، وبيت دهن بكافور ، وبيت دهن بعنبر طيب ، ولم يكن فيه شيء مصنوع لوقته ، فعندما أحضره الرسول تعجب المؤمن والحاضرون من علو همته ، فعندما شاهد القاضي ذلك بالغ في شكر إنعامه ، وحلف بالجرام إن عاد إلى ملكه ، وكان جواب المؤمن : وقد قبلته منك لا حاجة إلي ، ولا نظر في قيمته ، بل لإظهار هذه الهمة وإذاعتها ، وذكر أن قيمة هذا المِداد وما عليه خمسمائة دينار .

فانظر ، رحمك الله تعالى ، إلى مَنْ يكون دهن الشمع عنده في إناء قيمته خمسمائة دينار ، ودهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج إليه ، فماذا تكون ثيابه

١ المقتطفات : من يستاني الذي أنشأته من نعمهم .

٢ المقتطفات : في ما تطلب .

٣ ق : مذاق .

وحلّى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجملات ؟ وهذا إنما هو حال قاضي الإسكندرية ومن قاضي الإسكندرية بالنسبة إلى أعيان الدولة بالحضرة ؟ ! وما نسبة أعيان الدولة وإن عظمت أحوالهم إلى أمر الحسلافة وأبتهتها إلا يسير حقير .

وما زال الخليفة الأمر يتردد إلى الهودج المذكور إلى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة سنة ٥٢٤ يريد الهودج ، وقد كمن له عدة من الترابية^١ على رأس الجسر من ناحية الروضة ، فوثبوا عليه وأثخنوه بالجراحة ، وحمل في العشاري^٢ إلى اللؤلؤة^٣ ، فمات بها ، وقيل : قبل أن يصل إليه ، وقد خرب هذا الهودج ، وجُهل مكانه من الروضة ، والله عاقبة الأمور ، نقل ذلك كله الحافظ المقرئ^٤ ، رحمه الله تعالى .

• • •

[٣ - الشهاب التلعفري]

قال النور ابن سعيد ، ومن خطه ثقلت : لما نزلنا بتلّعفر حين خرجنا من سنّجار إلى الموصل سألت أحد شيوخنا عن والد شهاب الدين التلّعفري ، فقال : أنا أدركته ، وكان كثير التجول ، وأنشدني لنفسه في عيد أدركه في غير بلده :

يبتهجُ الناسُ إذا عَيِدُوا وعينُ سرّائهمُ أكْدُ
لأنّني أبصرُ أحبابهم ومُقلّتي محبوبها تفقيدُ

١ الزارية : هم الذين يرون تسلسل الإمامة في خلفاء الفاطميين حتى زار بن المستنصر ولا يرون إمامة من بعده ، والزارية تظن في إمامة النشعل ، وتضادها الفرقة المستعلية وهي ترى صحة خلافة المستعل والأمر والحافظ ... إلخ .

٢ العشاري : نوع من السفن .

٣ اللؤلؤة : موضع نزاهة الخلفاء الفاطميين وقصورهم ، بناها الخليفة العزيز .

٤ انظر الخطط المقرئية ٢ : ٣٤٨ - ٣٥١ .

قال : وخرج ابنه الشهاب أجول منه شخصاً وشعراً ، وصدق فيما قاله .
وأنشد ابن سعيد للشهاب التلعفري ^١ :

لَكَ ثَغَرٌ كَلَوُلِي فِي عَقِيْقٍ وَرُضَابٌ كَالشَّهْدِ أَوْ كَالرُّحِيْقِ
وَجُفُؤُنٌ لَمْ يُمْتَشَقْ سَيْفُهَا لَا لِمُغَرَّرِي بِقَدِّكَ الْمَشُوقِ
تِهْنَتٌ عَجَبًا بِكُلِّ فَنٍّ مِنَ الْحُسْنِ نِ جَلِيلٍ وَكُلِّ مَعْنَى دَقِيْقِ
وَتَفَرَّدَتْ بِالْجَمَالِ الَّذِي خَا لِأَنَّكَ مُسْتَوْحِشًا بِغَيْرِ رَفِيْقِ
بِالْحَافِظِ الَّتِي بِيهَا لَمْ تَزَلْ تَرَى شَقِيٌّ قَلْبِي وَبِالْقَوَامِ الرَّشِيْقِ
لَا تُغَيِّرُ بِالْغَوِيْرِ إِذْ تَتَعَنَّنِي فِيهِ أَعْطَافُ كُلِّ غَصْنٍ وَرِيْقِ
وَإِنَّ حَمَرَ وَرْدٍ خَدَّيْكَ وَاسْتَرَى هُوَ إِلَّا يَنْشَقُّ قَلْبُ الشَّقِيْقِ

قال ابن سعيد : وحظي الشهاب التلعفري بمُنادمة الملوك ، وكونهم يقدمونه ،
ويُقْبِلُون على شعره . وعهدي به لا ينشد أحدٌ قبله في مجلس الملك الناصر ،
على كثرة الشعراء ، وكثرة من يعتني بهم ، ولما نجمتُ للملك الناصر كتاب
« ملوك الشعر » جعلتُ ملك شعر الشهاب البيت الرابع من المقطوعة المتقدمة ،
فإنه كان كثيراً ما ينشده وينوه به . والتشفي من ذكر الشهاب ومحاسن شعره
له مكان بكتاب « الغرة الطالعة في فضلاء المائة السابعة » وهو الآن عند الملك
المنصور صاحب حمّاة قد علّتُ سنّه ، وما فارقه غرامه ودّقته ، انتهى .

• • •

١ هو محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة منسوب إل تل أفر أو تل يعفر (ثم تدغم الكلمتان)
ولد بالموصل سنة ٥٩٣ وكان خليعاً ممتحناً بالقمار أهلك فيه كل ما ناله من عطاء وكسب ،
توفي سنة ٦٧٥ وديوانه مطبوع . (انظر ترجمته في الفوات ٢ : ٥٤٦ والنجوم الزاهرة ٧ :
٢٥٥ وشذرات الذهب ٥ : ٣٤٩ وتاريخ ابن الفرات ٧ : ٧٦ ومادة « تل أفر » بمعجم
البلدان) .

[٤ - العادل بن أيوب]

ولما أجرى ابنُ سعيد في بعض مصنفاته ذكرَ الملك العادل بن أيوب^١ قال ما نصّه : وكان من أعظم السلاطين دَهَاءً وَحَزْمًا ، وكان يُضرب به المثل في إفساد القلوب على أعدائه وإصلاحها له ، ويحكى أنه بَشَّرَه شخص بأن أميراً من أمراء الأفضل ابن صلاح الدين فسَدَ عليه ، فأعطاه مالاَ جزيلاً ، وأرسل مستخفياً إلى المذكور يزيده بصيرة في الانحراف عن الأفضل ، ويَعِدّه بما يفسد الصالح فكيف الفاسد ، قال : وكان يمنع حتى يوصف بالبخل ، ويمرّ في مواضع الجود حتى يوصف بالسماخ ، وكان صلاح الدين - وهو السلطان - يأخذ برأيه ، وقدّم له أحدُ المصنفين كتاباً مُصَوِّراً في مكاييد الحروب ومنازلة المدن ، وهو حينئذٍ على عَكَا محاصراً للفرنج ، فقال له : ما نحتاج إلى هذا الكتاب ومعنا أخونا أبو بكر ، وكان كثير المُدَاراة والحزم ، ومن حكاياته في ذلك أن أحد الأشياخ من خَوَاصِّه قال له يوماً ، وهو على سماطه يأكل : يا خُونَد ، ما وفيتَ معي ولا رعيتَ سابقَ خدمتي ، وكلمه بدالّةِ السن وقَدِمَ الصبحبة قبل الملك ، فقال لماليكه : انظروا وسطه ، فجسّوا الكَمَرَانِ ؛ وقال : خذوا الصرة التي فيه ، فوجدوا صُرّةً ، فقال : افتحوها ، ففتحوها فإذا فيها ذَرُور ، فقال العادل : كُلْ مِنْ هذا الذرور ، فتوقف ، وعلم أنه مُطَّلَع على أنه سم ، فقال : كيف نَسَبْتَنِي إلى قلة الوفاء ، وأنا منذ سنين أعلم أنك تريد أن تسمي بهذا السم ، وقد جعل لك الملك الفلاني على ذلك عشرة آلاف دينار ، فلا أنا أمكنتك من نفسي ، ولا أشعرتك ، لكلا يكون في ذلك ما لا خفاء به ، وتركتك على

١ هو الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب بن شاذي ، ولد سنة ٥٣٩ هـ واشترك في معظم الأعمال الحربية التي قام بها أخوه صلاح الدين ، فأعطاه مصر ثم حلب ثم الشرق والكرك والشويك ، ثم جرت بينه وبين أولاد أخيه غطوب ، فملك دمشق سنة ٥٩٢ هـ ، وملك مصر سنة ٥٩٦ هـ وامتد ملكه على مناطق واسعة وتوفي سنة ٦١٥ هـ ؛ وأخباره مشروحة في تاريخ ابن الأثير ومفرج الكروب ومرآة الزمان وغيرها .

حالك ، وأنا مع هذا لا أُغَيِّر عليك نعمة ، ثم قال : ردوا سمه إلى كثرانه ، لا أبقي الله تعالى عليه إن قدر وأبقى علي ، فجعل يقبل الأرض ويقول : هكذا والله كان ، وأنا تائب لله تعالى ، ثم إن الشيخ جدد توبة ، واستأنف أدباً آخر وخدمة أخرى ، وكانت هذه الفعلة إحدى عجائب العادل .

قال : وكان كثير المصانعات حتى إنه يصوغ الحلي الذي يصلح لنساء الفرنج ويوجّه في الخفية إليهن ، حتى يمكن أزواجهن عن الحركة ، وله في ذلك مع ملوك الإسلام ما يطول ذكره .

ولما خرج ابن أخيه المعز إسماعيل بن طغتكين^١ باليمن ، وخطب لنفسه بالخلافة ، وكتب له أن يبایعه ويخطب له في بلاده ، كان في الجماعة من أشار إلى النظر في توجيه عسكر له في البر والبحر ، وإنفاق الأموال قبل أن يتفاهم أمره ، فضحك وقال : من يكون عقله هذا العقل لا يحوج خصمه إلى كبير مؤونة ، أنا أعرف كيف أفسد عليه حاله في بلاده ، فضلاً عن أن يتطرق^٢ فساده لبلادي ، ثم إنه وجّه في السر لأصحاب دولته بالوعد والوعيد وقال لهم : أنتم تعلمون بعقولكم أن هذا لا يسوغ لي ، فكيف يسوغ له ؟ وقد أدخل نفسه في أمر لا يخرج منه إلا بهلاكه ، فاحذروا أن تهلكوا معه ، واتعظوا بالآية ﴿ وَلَا تَرَكُنْوْا إِلَى الدِّينِ ظَلَمْتُمْ أَتَمْسِكُمْ النَّارُ ﴾ (هود : ١١٣) وما لهذا عقل يدبر به نفسه ، فكيف يفضل عن تدبير خاصته إليكم ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (مر : ٨٨) فعندما وعت أسماعهم هذا وتدبروه بعقولهم قبضوا عليه وقتلوه ، وعادت البلاد للعادل ، وقال للمشيرين عليه في أول الأمر بتجهيز العسكر : قد كفينا المؤونة بأيسر شيء من المال ، ولو حاولناه بما أشرتم به لم تقم خزائن ملكنا بالبلوغ إلى غايته .

١ ق : طغتكين ؛ ج : طغرلكين .

٢ ج : يطرُق .

وكان - على ما بلغه من عظمة السلطان ، واتساع الممالك - يحكي ما جرى له في زمان خُلبوّه من ذلك ، ويجب الاستماع لنوادر أنذال العالم ، واشتهر في خدمته مسأخر أشهرهم خضير صاحب البستان المشهور عند الربوة بغوطة دمشق ، ومن فواذره الحارّة معه أنه سمعه يوماً وهو يقول في وضوئه : اللهم حسبي حساباً يسيراً ، ولا تحاسبني حساباً عسيراً ، فقال له : يا خوندُ على أي شيء يحاسبك حساباً عسيراً ؟ إذا قال لك : أين أموال الخلق التي أخذتها ؟ فقل له : تراها بأمانتها في الكرك ، وكان قد صنع بهذا العقل الحسرات ، سميت بذلك لأن من رآها ، يتحسر إذا نظرها ، ولا يستطيع على شيء منها بحيلة ، وهي خواب مفروغة من ذهب وفضة تركت بمرأى من الناظرين ليشتهر ذلك في الآفاق . وقال العادل مرة ، وقد جرى ذكر البرامكة وأمثالهم ممن ذكر في كتاب « المستجاد في حكايات الأجواد » : إنما هذا كذب مخلق من الوراقين ومن المؤرخين ، يقصدون بذلك أن يحركوا همم الملوك والأكابر للسخاء وتبذير الأموال ، فقال خضير : يا خوند ، ولأي شيء لا يكذبون عليك ؟ قال ابن سعيد : من وقف على حكايات أبي العيثاء مع عبيد الله بن سليمان يجد مثل هذه الحكاية .

قال ابن سعيد : ووجدت الشهاب القوصي قد ذكر السلطان العادل في كتاب « [تاج] المعاجم »^١ وأبدأ الكتاب المذكور بمحاسنه والثناء عليه وخرج عنه الحديث النبوي عن الخافظ السلفي ، وتمثل فيه عند وفاته^٢ :

١ في ق ج ودوزي : المعاجم ، واسم الكتاب « تاج المعاجم » كما سيرد بعد قليل ، ومؤلفه هو إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي القوصي الملقب بشهاب الدين ، وكنيته أبو الطاهر وأبو العرب وأبو المحامد وأبو الفداء ، نزل دمشق وجميع لنفسه مجموعاً في أربع مجلدات رسمه « تابع المعاجم » وذكر فيه من لقيه من محدثين ، وتوفي بدمشق ٦٥٣ (الطالع السعيد ٨١ - ٨٢) .

٢ مر البيهقان الثاني والثالث في مقدمة التنقيح ج ١ : ١٤ .

أَلَامُ عَلَى بُكَائِي خَيْرَ مَسَلِكٍ وَقَلَ لَهُ بُكَائِي بِالسَّجِيحِ
بِهِ كَانَ الشَّبَابُ جَمِيعَ عُمُرِي وَدَهْرِي كُلَّهُ زَمَنَ الرَّبِيعِ
فَفَرَّقَ بَيْنَنَا زَمَنٌ خَوْوَنٌ لَهُ شَغَفٌ بِتَفْرِيقِ الْجَمِيعِ

قال ابن سعيد : ودفن العادل بالمدرسة العادلية بدمشق ، وكان أنشأها
للشافعية ، وهي في نهاية الحسن ، وبها خزانة كتب ، فيها تاريخ ابن عساكر ،
وذيّل هذا التاريخ واختصره أبو شامة ، سمعت عليه منه هناك ما تيسر أيام
إقامتي بدمشق .

وأولاد العادل ملوك البلاد في صدر هذه المائة السابعة ، منهم الكامل والمعظم
والأشرف ، وهؤلاء الثلاثة شهرُوا بالفضل وحب الفضلاء وقول الشعراء ،
انتهى .

• • •

[٥ - المزدغاني]

وقال ابن سعيد ، في ترجمة الرئيس صفى الدين أحمد بن سعد المزدغاني ^١ ،
وهو من بيت وزارة ورئاسة بدمشق : إن من شعره قوله :

كَيْفَ طَابَتْ نَفْسُكُمْ بِفِرَاقِي وَفِرَاقُ الْأَحْبَابِ مُرُّ الْمَذَاقِ
لَوْ عَلِمْتُ بِلَوْعَتِي وَصَبَابَا قِي وَوَجْدِي وَزَقَرْتِي وَاحْتِرَاقِي
لَرَتَيْتُمْ لِلْمُسْتَهَامِ الْمُعْنَى وَوَفَيْتُمْ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ

قال ابن سعيد : وفقت على ذكر هذا الرئيس في كتاب « نوح المعاجم »
ووجدت صاحبه الشهاب القوصي قد قال : أخبرني بدمشق أنه قد كان عزم
على السفر منها إلى مصر ، لأمر ضاق به صدره ، فهتف به هاتف في النوم ،
وأنشده :

١ لم أستطع التثبت من ضبط هذه النسبة ، وفي بعض الأصول : المزدغاني ، وأبردغاني .

يا أحمَدُ افنَّعْ بالذي أُعْطِيتَهُ إنْ كُنْتَ لا ترَضَى لنفسك ذُلَّها
ودَّعِ التَّكاثُرَ في الغِنَى لمعاشر أضْحَوْا على جَمْعِ الدِّراهمِ ولَّتْها
واعلَمْ بأنَّ اللهَ جلَّ جلالُهُ لم يَخْلُقِ الدُّنيا لأجلِكَ كلَّها
فانثني عزمه عن الحركة ، ثم بلغ ما أمَّله دون سفر .

* * *

[٦ - دفترخوان الدمشقي]

وقال ابن سعيد ، في ترجمة المنتجب أحمد بن عبد الكريم الدمشقي المعروف
بـدِفْتَرِخْوَان^١ ، وهو الذي يقرأ الدفاتر بين أيدي الملوك والأكابر^٢ : إنَّه
كان يقرأ الدفاتر بين يدي العادل بن أيوب ، وكان يكتب له بالأشعار في المواسم
والفصول ، فينال من خيره ، وكتب له مرَّةً وقد أظل الشتاء في دمشق فقال :

مَوَلايَ جاءَ الشتاءُ والكيسُ منها خِلاهُ
لا زَالَ يَجْري بما تَرُ تَضِي عَلاكَ القَضاءُ
وكلُّ كافٍ إِلَيْهِ يُحْتَاجُ فِيهِ التَّواءُ^٣

فقال له العادل : هذا الضمير الذي في البيت الأول على ماذا يعود ؟ قال :
بحسب مكارم السلطان ، إن شئت على الدراهم ، وإن شئت على الدنانير !
فضحك وقال : هات كيسك ، فأخرج له كيساً يسع قدر مائة دينار ، فملاه

١ ترجمته في الوافي : ٧ الورقة : ٣٧ ولقبه منتجب الدين ؛ وبعد خدمته للعادل وشي به الحساد
لديه فحرره وهجره ، وتوفي دفترخوان سنة ٦١٥ بعد وفاة العادل ، وكان العادل قد رضي عنه
قبل وفاته ؛ وقد نقل الصفدي ترجمته عن معجم الشباب القوسي .
٢ قال الصفدي في تعريف دفترخوان : « هو الذي يتحدث في أمر الكتب المجلدات ويكون
أمرها راجعاً إليه ، وهو الذي يقرأ على السلطان فيها ، إما ليلاً وإما نهاراً ، ينادمه بذلك » .
٣ يشير إلى كافات الشتاء : كالكن والكيس والكانون . . . إلخ وقد جمعها ابن سكرة في بيت
واحد .

له ، وقال : أظنه كان مُعَدَّاً عندك ، فقال : مثل السلطان مَنْ يكون جوده
مظنوناً .

وكتب إليه مرّة وقد أملت^١ :

انظر إليّ بعين جُودِكَ مرّةً فلعلّ محروم المطالب يُرزقُ
طيرُ الرجاء على علاكَ^٢ عُلّق وأظنه سيعود وهو مَخْلُقُ

فأعطاه جملة دنائير ، وقال له : اشترِ بهذه ما تَخْلُقُ به طير رجائك ، انتهى .

* * *

[٧ - الزناضي وابن الرّيب]

وأنشد ابن سعيد رحمه الله تعالى لبعض المغاربة ، وهو أبو الحسن علي بن
مروان الزناضي^٣ الكاتب :

أنسُ أخِي الفضل كتابٌ أُنِيقُ أو صاحبٌ يُعَتَى بُوْدٌ وثيقُ
فإن تُعِرَّهُ دونَ رَهْنٍ به تخسّرهُ أو تخسّرُ وداد الصديق
وربّما تخسّرُ هذا وذا فاسمّع رعاكَ الله نُصْحَ الشفيق

قال : وأجابه المخاطب بهذه الأبيات ، وهو ابن الرّيب^٤ ، بنثر نصّه :

١ البيتان في الوافي للصغدي .

٢ الوافي : إلى علاك .

٣ كذا في ق ج ودوزي ؛ وفي نسخة : الرباطي .

٤ ابن الرّيب : ينصرف هذا الاسم إلى الحسن بن محمد بن أحمد بن الرّيب القيرواني صاحب
الرسالة التي وجهها لأبي المنيرة ابن حزم يذكر له إهمال أهل الأندلس في تقييد أخبارهم ومآثرهم
(وستأتي في الباب السادس) ؛ وقد ترجم العمري لابن الرّيب وسماه الحسين بن محمد (المسالك
١١ : ٣١٩) وقال فيه : «ولو قرئت به البلاذري لعصفت به ريحه النكباء فذري» قدل على
أنه مؤرخ ؛ ويؤكد هذا ما نقله عن أنموذج ابن رشيّق من أن ابن الرّيب «بلغ نهاية من الأدب
وعلم النسب» ، ولكنني لست أقطع يقيناً بأنه المعنى في هذا المقام لأنني لم أستطع تحديد الزمن الذي
عاش فيه معاصره علي بن مروان .

مثلك يُفِيد تجربة قد نفق عليها عمر ، وضل عن فوالدها غير غُمر ، وقد أنفدتُ رهناً لا يسمح بإخراجه من اليد إلا ليدك ، فتفضل بتوجيه الجزء الأول ، فأنا أعلم أنه عندك مثل ولدك ، قال : فوجهه ومعه بطاقة صغيرة فيها : يا أخي ، إن عرّضت بولدي فكذاك كنت مع والدي وقد توارثنا العقوق كإبراً عن كابر ، فكن شاكرأ فلاني صابر .

ثم قال ابن سعيد : وتفاقم أمر ولده فقَيِّده بغير حديد وقال فيه :

لي ولَدٌ يا لَيْتَهُ لم يَتَكُ عِنْدِي بِمُحَلِّقٍ
يَتَجَهَّدُ فِي كُلِّ الَّذِي يَرْغَمُ وَهُوَ يَعْشَقُ
وإن أكن قَيِّدَتُهُ دَمْعِي عَليَّهِ مُطَلِّقُ

ولذكر ابن سعيد أن الكاتب أبا الحسن المذكور كان كثيراً ما يستعير الكتب ، فإذا طُلبت منه فكأنها ما كانت ، فذكر لبعض أصحابه — وهو ابن الربيب المؤرخ — أن عنده نسخة جليلة من تاريخ عريب^١ الذي ألخص فيه تاريخ الطبري واستدرك عليه ما هو من شرطه وذيل ما حدث بعده ، فأرسل إليه في استعارتها ، فكتب إليه : يا أخي ، سدّد الله آراءك ، وجعل عقلك أمامك لا وراءك ، ما يلزمني من كونك مُضَيِّعاً أن أكون كذلك ، والنسخة التي رُمت إعارتها هي مؤنسي إذا أوحشني الناس ، وكاتم سرّي إذا خانوني ، فما أعيرها إلا بشيء أعلم أنك تتأذّي بفقده إذا فقد جزء من النسخة ، وأنا الذي أقول :

١ هو عريب بن سعد القرطبي من بيت من الموالي يعرفون ببني التركي ، كان أديباً شاعراً تاريخياً ، أضاف إلى تاريخ الطبري بعد أن اختصره « أخبار إفريقية وإندلس » وقد نشر له ملحق بتاريخ الطبري عرف باسم « صلة عريب » ولكنه لا يمثل الإضافة التي قام بضمها إلى تاريخ أبي جعفر ، وله من الكتب كتاب الأنواء ، نشره دوزي باسم « التوقييم القرطبي » ، وأورد له الثعالبي شعراً في البيت ٢ : ٥٢ وهو أحد الذين ذكروهم ابن فرج في كتاب الحقائق (الطراز الذليل والتكملة ٥ : ١٤١ - ١٤٣) .

أنس أخى الفضل كتاب أنيق

إلى آخره .

وأنشد للكاتب أبى الحسن المذكور :

إنَّ ذاك العِدار قام بعُدري وفشا فيه للعَوَازل سِرِّي
ما رأينا من قبل ذلك مسكاً صاغ منه الإلهُ هالَةً بَدَرِ
أيُّ آسٍ مِنْ حَبُولِ جَنَّةٍ وردٍ ليس منه آسٍ مدى الدهر يُبري
ولما اشتد مرضه بين تليمان وفاس قال هذه الأبيات ، وأوصى أن تُكتب
على قبره :

ألا رحمَ الله حَيًّا دعا لَمَيَّتٍ قَضَى بالفلا نَحْبُهُ
تمرُّ السَّوافي على قبره فتَهدي لأحبابه تُرَبُّهُ
وليس له عملٌ يُرَتِّجِي ولكنَّهُ يَرْتَجِي رَبَّهُ

رجع إلى نظم ابن سعيد المترجم به ، فنقول :

وقال لما سار المعظم من حصن كيفا ، وآل أمره إلى الملك ، ثم القتل والهلك^١ :

لَيْتَ المعظم لم يَمِيرْ مِنْ حصنه يوماً ولا وافى إلى أملاكه
إن العناصير^٢ إذ رَأَتْهُ مَكْمَلًا حَسَدَتْه فاجْتَمَعَتْ على إهلاكه

ومما نقلته من ديوانه الذي رتبته على حروف المعجم قوله ، رحمه الله تعالى
— وقلتُ بالقاهرة على لسان من كلَّفني ذلك :

شرفَ الدين أبين لي ما السببُ في انقلاب الدهر لي عند الغضبِ

١ انظر اختصار القلح : ٨ .

٢ القلح : الطابع .

فَلْتَدُمْ غَضَبَانِ أَظْفَرُ بِالْمُنَى لَيْسَ لِي فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ أَرْبٍ
إِنَّمَا ظَهَرُكَ عِنْدِي قِبَلَةٌ وَوَضُوئِي الدَّهْرَ مِنْ ذَلِكَ الشَّنْبُ

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلِ الْكَذِبِ ، قَالَ : وَقَلْتُ بِإِسْبِيلِيَّةَ :

قَدْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَالصَّبْحُ لَمَّا رَضِيَّتْ « صُبْحُ »
فَهَنَّتُونِي بَارْتِجَاعِ الْمُنَى لَوْلَا الرِّضَى مَا بَرَحَ الْبَرْحُ
يَا أَوْرَقًا يَا غُصْنًا يَا نَقًّا يَا ظِيَّةً بِاللَّيْلِ يَا صَبْحُ
يَصْحُو جَمِيعُ النَّاسِ مِنْ سَكْرِهِمْ وَلَسْتُ مِنْ سَكْرِكُمْ أَصْحُو
بَلَّغْتُ فِيهِ غَايَةَ لَمْ يُبَيِّنْ غَايَتَهَا التَّفْسِيرُ وَالشَّرْحُ
وَيَنْصَحُ الْعَدَالُ ، مَنْ لِي بَأَن يَعْذِلْنِي عَنْ غِيَّكَ النَّصْحُ

وَقَلْتُ بِإِسْبِيلِيَّةَ :

وَضَحَّ الصَّبْحُ فَأَيْنَ الْقَدَحُ يَعْرِفُ اللَّذَاتِ مَنْ يَصْطَبِخُ
مَا تَرَى اللَّيْلَ كَطَرَفِ أَدْهَمِ وَضِيَاءُ الْفَجْرِ فِيهِ وَضَحُ
وَالثَّرَى دَبَّجَهُ دُرُّ النَّدَى وَعَلَى الْأَغْصَانِ مِنْهُ وَشَحُ
وَمَدِيرُ الرَّاحِ لَمْ يَعْدُ الْمُنَى كُلُّ مَا يَأْتِي بِهِ مُقْتَرَحُ
فِي بَطَاحِ الْمَرْجِ قَدْ نَادَمَنِي رَشًا مِنْ سَكْرِهِ يَنْبَطِحُ
جَعَلَ الْمَسْوَكَ سِرًّا لِلْمُنَى فَكَانَ قَبْلَ فَاهُ قَرْحُ
كَلَّمَا شَتَّ الَّذِي قَدْ شَاءَهُ فَحَنِي لِي كَاسَهُ أَفْتَحُ
مَا أَبَالِي أَنْ رَأَيْ كَاشِحُ أَمْ رَأَيْ مَنْ لَدَيْهِ نَصْحُ
هَكَذَا الْعَيْشُ وَدَعِ عَيْشَ الَّذِي خَافَ مِنْ نَقْدٍ إِذَا يَفْتَضَحُ

وَقَلْتُ بِشَرِيَشَ :

طَابَ الشَّرَابُ لِمَعْشَرٍ سَلَبُوا الْمَرْوَةَ فَاسْتَرَا حُوا

لا يعرفون تستُراً السكرُ عندهمُ مُباحُ
 مهتكون لدى المني وفسادهمُ فيها صلاحُ
 ساقِيهمُ متبذلُ هل يُمنعُ الماءُ القراحُ
 غُصنُ يميلُ به الصبا رَدَّتْهُ طَوْعَ الراحِ راحُ
 طَوْعُ الأمانِي، كلُّ ما يأتي به فهو اقتراحُ
 ما إن نُبالي إن بدا أن لا يلوحَ لنا الصباحُ
 ما زلتُ أرشِفُ ثَغْرَهُ وعليه من عَضْدِي وشاحُ
 والقلْبُ يَهْفُو طائرًا ولعاً ولا يُخْشِي افتضاحُ
 ولَوْ أَنَّا نَحْشَاهُ كَا ن لنا من الظَّلْمَا جَنَاحُ
 لكننا في عصبية ما في تهتكهمُ جُنَاحُ
 لا يُنكرونَ سوى ثَقِيهِ ل لا يميلُ به مزاحُ
 أفنى الذي قد جَمَعُو هُ الكأسُ والحَدَقُ الملاحُ

وقلت بأركش :

قُمْ هاتِها لاحَ الصباحُ ما العيشُ إلا الإصطباحُ
 معَ فتيةٍ ما دأبهم إلا المروءةُ والسَّمَّاحُ
 جَرَّبَتْهُمْ فوجدتُهُمُ ما للجنِّي عنهم بَرَّاحُ
 يَشْنِيهِمْ نَحْوَ الصَّبَا نَقَرُ المثاني والمراحُ
 ما نادموا شخصاً فكَا ن لهم بخلْمَتِهِ استراحُ
 بَلْ يعرفونَ مكانَهُ فلهُ إذا شاءَ اقتراحُ
 همُ يتعبونَ وضيْفُهُم ما دامَ عندهمُ يُراحُ
 ما إن يملّونَ التريه لَ وبالرضى منه السراحُ

١ ج : طائفاً .

يدعونه بأجل ما يدعى به الحرُّ الصُّراحُ
حتى إذا ما بان كدُّ رَ عيشهمُ منه انتراحُ
فعلى مثلهم يُبَا حُ لي المدامعُ والنواحُ
كرهاً فقدتهمُ فما لي بعد بُعدهمُ ارتياحُ
لله شوقي إنْ هَفَّتْ من نحو أرضهمُ الرياحُ
فهناكَ قلبي طائرٌ لهمُ ومن شوقي جناحُ

قال : وقلت بمدينة ابن السليم^١ في وصف كلبٍ صيد أسود في عُنقه
بياض :

وأدهمَ دونَ حلِّي ظلَّ حالي كأنَّ لَيْلاً يُقْلَدُهُ صباحُ
يطيرُ وما له ريشٌ ولكنَّ متى يَهْفُو فأربعهُ جناحُ
تكلُّ الطيرُ مَهْمَا نازعتهُ ونحسدهُ إذا مرقَ الرياحُ
له الألاحظُ مَهْمَا جاء سلكُ ومهما سارَ فهي له وشاحُ

قال : وقلت بنيل مصر :

يا نيلَ مِصرٍ أينَ حِمَصُ ونهرُها حيثُ المناظرُ أنجمُ تلتاحُ
في كلِّ شطِّ للنواظيرِ مَسْرَحُ تدعو إليه منازحُ وبطاحُ
وإذا سبحتُ فليستُ أسبحُ خائفاً ما فيه تيّارٌ ولا تمساحُ

قال : وقلت وقد حضرت مع إخوان لي بموضعٍ يُعرف بالسلطانية على نهر
إشبيليةٍ وقد مالت الشمس للغروب :

رقَّ الأصيلُ فواصلِ الأقداحِ واشربْ إلى وقتِ الصباحِ صباحا

١ مدينة ابن السليم : اسم لمدينة شذونة ، وكان بنو السليم قد استوطنوها بعد خراب قلشانة فسميت
باسمهم (الروض المطار : ١٦٢) .

وانظرُ لشمسِ الأفقِ طائرةً وقد ألقَتْ على صَفْحِ الخليجِ جَنَاحا
فاظفرَ بصفوِ الأفقِ قبل غروبها واستنطقِ المني وحُثَّ الراحا
متعُ جفونك في الحديقة قبل أن يكسو الظلامُ جمالها أساحا
وقلت بمُرْسِيَةٍ :

أقلقه وجدُّه فَبَاحا وزاد تبريحُه فَنَاحا
ورام يثني الدموعَ لَمَّا جَرَّتْ فزادتْ له جمَاحا
يا من جفا فارفقنْ عليه مستعبداً لا يرى السراحا
يكابدُ الموتَ كلَّ حينٍ لو أَنَّهُ ماتَ لاسَراحا
يتزو إذا ما الرياحُ هَبَّتْ كأنَّهُ يَعشَقُ الرياحا
يسألها عن ربوع حِمصٍ لَمَّا نَمَا عَرَفُها وفَاحا
كم قد بكى للحمام كيما يعيرهُ نحوها جَنَاحا

قال : وخرجت مرة مع أبي إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي^١ إلى مَرَج
الفضة بنهر إشبيلية فتشاركنا في هذا الشعر^٢ :

غيري يميلُ إلى كلامِ اللاحي ويَمُدُّ راحتهُ لغيرِ الراحِ
لا سيما والغصنُ يزهرُ زهره ويُميلُ عطفَ الشاربِ المرتاحِ
وقد استطارَ القلبَ ساجعُ أَيْكَةٍ من كلِّ ما أشكوهُ ليس بصاحِ .

١ إبراهيم بن سهل من أشهر شعراء الأندلس في عصر الموحدين وهو صديق ابن سعيد وزميله أيام
الدراسة ، وسيرد جانب من أخباره في مواطن من نفع الطيب . (انظر ترجمته في المغرب ١ :
٢٦٤ واختصار القدح : ١٤٠ - ١٤١ والمسالك ١١ : ٤٧٣ وشدرات الذهب ٥ : ٢٤٤ ،
٢٩٦ والفوات ١ : ٤١ وهو ينقل عن تحفة القادِم لابن الأَبار) . وقد نُشر ديوانه (دار
صادر : ١٩٦٧) عن نسخة خطية فيها كثير من شعره الذي لم يفتش من قبل ، وكتبنا دراسة
في حياته وشعره جعلناها مقدمة للديوان .

٢ انظر الأبيات في اختصار القدح : ٧٦ وديوان ابن سهل : ٩٢ والمسلك السهل : ٢٥٠ .

قَدْ بَانَ عَنْهُ جَنَاحُهُ عَجَباً لَهُ مِنْ جَانِحٍ لِلْعَجَزِ حِلْفٍ جَنَاحِ
 بَيْنَ الرِّيَاضِ وَقَدْ غَدَا فِي مَأْتَمٍ وَتَحَالَهُ قَدْ ظَلَّ فِي أَفْرَاحِ
 الْغَصْنُ يَمْرُحُ تَحْتَهُ وَالنَّهْرُ فِي قَصْفٍ تَرْجِيهِ يَدُ الْأَرْوَاحِ
 وَكَأَنَّمَا الْأَنْشَامُ فَوْقَ جِنَانِهِ أَعْلَامُ خَزَرٍ فَوْقَ سُمْرِ رِمَاحِ
 لَا غُرُوَّ أَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ أَسْطَرٌ لَمَّا رَأَتْهُ مُدْرَعًا لِكِفَاحِ
 فَإِذَا تَتَابَعَ مَوْجُهُ لِدِفَاعِهِ مَالَتْ عَلَيْهِ فَظَلَّ حِلْفَ صِيَاحِ

قال : وقلت بمالقّة متشوقاً إلى الجزيرة الخضراء :

يَا نَسِيمًا مِنْ نَحْوِ تِلْكَ التَّوَاهِي كَيْفَ بِاللَّهِ تَوَرُّ تِلْكَ الْبِطَاحِ
 أَسَقَّتْهَا الْغَنَامُ رِيًّا فَلَاحَتْ فِي رِدَاءٍ وَمُتَرٍّ وَوَشَاحِ
 أَمْ جَفَّتْهُ فَصِيرَتُهُ هَشِيمًا تَرَكْتَهُ تَذَرُوهُ هُوجُ الرِّيحِ
 يَا زَمَانِي بِالْحَاجِيَّةِ إِنِّي لَسْتُ مِنْ سَكْرِ مَا سُقِيتُ بِصَاحِي
 آهَ مِمَّا لَقِيتُ بِعَدْلِكَ مِنْ هَذَا مَ وَشَوْقٍ وَغُرْبَةٍ وَانْتِرَاحِ
 أَيْنَ قَوْمٌ أَلِفَتْهُمْ فِيكَ لَمَّا قَرَّبَ الدَّهْرُ آذَنُوا بِالرَّوَاحِ
 تَرَكُونِي أُسِيرَ وَجْدٍ وَشَوْقٍ مَا لَقَيْتَنِي مِنَ الْجَوَى مِنْ سَرَاحِ
 أَسْلَمُونِي لِلْوَيْلِ حَتَّى تَوَلَّوْا وَأَصَاخُوا ظُلْمًا لِقَوْلِ التَّوَاهِي
 أَعْرَضُوا ثُمَّ عَرَّضُونِي لَشَوْ تَرَكْتَ الْقَلْبَ مُتَخَنَّنًا بِجِرَاحِ
 أَسْهَرُ اللَّيْلِ لَسْتُ أَغْفِي لَصَبْحِ أَتَرَى النَّوْمَ ذَاهِبًا بِالضَّبَاحِ
 قَدْ بَدَأَ يُظْهِرُ النَّجُومَ حُلِيًّا وَهُوَ مِنْ لِبْسَةِ الصَّبَا فِي بَرَاكِ
 مَسِيلًا سَرَّهُ مُنْعَمَ بِالْ وَجَفَوْنِي مِنْ سُهُودِهِ فِي كِفَاحِ
 أَيُّهَا اللَّيْلُ لَا تَوَمِّلْ خُلُودًا عَنْ قَرِيبٍ يَمْحُو ظِلَامَكَ مَاحِ
 وَيَلُوحُ الصَّبَاحُ مَشْرِقَ نَوْرِ فِيهِ لِلْمُسْتَهَامِ بَدْءُ نَجَاحِ
 إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ بَدْءُ شَمْلِي طَائِرًا لَيْتَهُ بِغَيْرِ جَنَاحِ
 حَالِكِ اللَّوْنِ شَبَّ لَوْنُكَ فَاعْزَبِ عَنْ عِيَانِي يَا شَبَّهِ طَيْرِ انْتِرَاحِ

ولإذا ما بدا الصباح فما يش به إلا لَوْنَ الخلود الملاح
وقلت بالجزيرة الخضراء :

قد رُفِعَتْ رايةُ الصِّباحِ تدعو الندامى للاصطباحِ
فبادروا للصُّبُوحِ إني قد بعْتُ في غيِّهِ صلاحِي
ولا تميلوا عن رَشْفِ نَفْرِ وسمعَ شَدْوٍ وشُرْبِ راحِ
وأنتَ يا مَنْ يرومُ نُصْحِي قد يثسَّ القومُ من فلاحِي
فلستُ أصْنِي إلى نصيحِ ما نهضتُ بالكؤوسِ راحِي

قال : وقلت أمدح ملك إفريقية وأهنته بقتل ثائر من زَنائَةٍ يدعي أنه
من نسل يعقوب المنصور :

بَرَّحَ بِي مَنْ لَيْسَ عَنْهُ بَرَّاحٌ وَمَنْ رَأَى قَتْلِي حَلالاً مُباحٌ
مَنْ صَرَّحَ الدَّمْعُ^١ بِحُبِّي لَهُ وَمَا لِقَلْبِي عَنْ هَوَاهُ سَرَّاحٌ
ظَلِمْتُ عَدَمْتُ الصَّبْحَ مَذْصِدَّتِي وَكَيْفَ لَا يُعْذَمُ وَهُوَ الصَّبَّاحُ
مُورَدُ^٢ الخلدِ شَهِي^٢ اللَّيْلِ مُنْعَمُ الرَّدْفِ جَدِيبُ الوِشَّاحِ
تَظَنَّهُ مِنْ قَلْبِهِ جَلْمِداً وَمِنْهُ لِلْمَاءِ يَجْفِي^٢ انْشِيَا
لَرَدْفِهِ أَضْعَفُ مِنْ صَبِّهِ وَلَمْ أَزَلْ مِنْ لِحْظِهِ فِي كِفَّاحِ
نَشْوَانُ مِنْ رِيْقَتِهِ عَرِبِدَتْ^٢ أَجْفَانُهُ بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّفَّاحِ
فَهَا أَنِنِي خَافِتٌ مِثْلَ مَا أَنَا أُسِيرٌ مُخْخَنٌ بِالْجِرَّاحِ
يَا قَاتِلِي صَدّاً أَمَا تَسْتَجِي أَنْ تَلْزَمَ الْبِخْلَ بِأَرْضِ السَّمَاحِ^٢
مَنْ ذَا الَّذِي يَبْخُلُ فِي تُونِسِ وَالْمَلْحُ فِيهَا صَارَ عَذْباً قَرَّاحِ
وَأَصْبَحَتْ أَرْجَاؤُهَا جَنَّةً مُبِضَّةً الْأَبْرَاجِ خُضْرَ الْبَطَّاحِ

١ ق : صرح الدمع ؛ وفي نسخة : صرح القلب .

٢ سقط من ق . وأثبتته دووي في الحاشية .

لولا ندى يحيى وتدبيره
لكن يده سحِب كلما
هذا وقد آمن من حلها
كم شئتوا من قبل تأميره
يا سائراً يترجؤ بلوغ المني
وحبه بالمدح فهو الذي
بالشرق والغرب غدا ذكره
ساعده السعد وأضححت له
وبسر الله له ملكه
وكل من كان على غيره
وكم جَموح عندما قام بالأم
كف بكف للندي والردى
حتى لقد أحسب من سعده
قولوا ليعقوب فماذا جنى
قد أصبحنا من فوق جِذعين لا
واسأل عن الداعي الدعي الذي
أكان من صيره والدأ
شكراً لسعد لم يدع فرقة
راموا بلا جاه ولا عتد
زفاته بهنيكم فعلكم
كفر ما قد متهم آخر
عهدي به في موكب الملك ما

ما برحت تغبر منها النواح
حلت بأرض حل فيها النجاح
وحقها ، من غربة وانتراح
وحكمت فيهم عوالي الرياح
باكر ذرا يحيى وقل لا رواح
يهتر كاهنلدي حين امتداح
بحث من حمد وشكر جناح
آمال لا تجري بغير اقتراح
من غير أن يشهر فيه السلاح
ذا منعة أمسى به مستباح
رأى القهر فخلت الجراح
بها معان وهي خرس فصاح
نجري على ما يرتضيه الرياح
وابن أبي حمزة ماذا استباح
يؤنسهم غير هبوب الرياح
حاول أمراً كان عنه انضراح
بزعمه أمل فيه فلاح
قد صير الملك كضرب القيداح
ما حُرّت بالحق فكان افتضاح
عاجلكم ثائركم باجتياح
والخير لن يبرح للشر ماح
بينكم نشوان من غير راح

١ ق : آخراً .

يَحْسَبُ أَنَّ الْأَرْضَ مَلِكٌ لَهُ وروحهُ مَلِكٌ لِسُمر الرماح
غداً بعزّ الملك لَكِنَّهُ أهونُ مملوكٍ على الأرض راح
جاءوا به يَمْرَحُ في عزّه وهم أزالوا عنه ذاك المراح
توقّعوا في القرب مِنْهُ الردى : من صحبة الأجرِبِ يَحْشَى الصّحاح
فأسرعوا نَحْوَك يَبْغون ما عَوَدَتْهُمْ من عطفةٍ والتماخ
فَعَادروه جانِباً غَدْرَهُ لطائر البَيْنِ عليه نباح
فالحمدُ لله على كلِّ ما سنّى لك السعدُ برغم اللّواح
مِثْلِكَ لا يَنْفَدُ ما شادَهُ¹ فلست تأتِي الدهرَ إلّا صلاح
لا زلتَ في عزٍّ وفي مُكْنَةٍ وفي سرورٍ دائمٍ وانفساح

قال : وقلت بِنْيُونِشٍ موضع الفرجة بسببته :

اشربْ على بِنْيُونِشٍ بين السواني والبطاخ
مع فتيةٍ مثلِ النّجو م لهم إذا مروا جماع
ساقِيهمُ متبَذِّلٌ لا يمنعُ الماءُ القَرّاح
كلُّ بِمدٍّ يَمِينُهُ ما في الذي يأتي جُناح
هَبُوا عليه . كلّما هَبَّتْ على الروضِ الرّياح
طَوَّعُ الأمانِي كلِّ ما يأتي به فهو اقتراح
عَانَقْتُهُ حتّى تركه تُ بِخَصْرِهِ أثرَ الوشاح

وقلت بلشبيلىة :

أوجهُ صُبْحٍ أم الصّباح ولحظُها أم ظُي الصّفاخ
وثغرها أم نَظِيمُ دُرٍّ وريقُها أم سُلّافُ راح
وقدّها أم قَوّامُ غصنٍ وعرفُها أم شدا البطاخ

١ ق : لا ينفد ما شاءه .

يا حَبِّدَا زورةٌ تَأْتَتْ مِنْهَا عَلَى غَفْلَةٍ اللَّوَاخُ
فلم أَصْدَقُ بِهَا سروراً وظَلَلْتُ نَشْوَانَ دُونَ رَاخٍ
أما مَنَعَتِ السَّلامَ دَهراً ولا رَسولٌ سِوى الرِّياحِ
قالتُ : أَلَا فانسَ ما تَقْضَى فَمَنْ يَدْعُ ما مَضَى اسْتِراحِ
يا حَبِّدَاها وَقَدْ تَأْتَتْ مِنْ دُونَ وَعْدٍ وَلَا اقْتِراحِ
زارَتْ وَمِنْ نورِها دَليلٌ والليلُ قَدْ أَسْبَلَ الجَناحِ
أَخْفَتِ سُرَّها فَباحَ نَبْشُراً لَهَا بِعَرَفٍ فشا وَفاحِ
واقَتِ فَأَمْسَى فَمي مُداماً وساعدايَ لَهَا وشاحِ
كَأَنَّمَا بَتٌ بَيْنَ رَوْضٍ والفَصْنِ وَالوردِ وَالْأفاحِ
فَينما الشَّمْلُ في انْتِظامٍ إِذْ سَمِعْتُ داعِيَ الفَلاحِ
فنادَرتَنِي ، قَلْتُ : غَدَراً ؟ قالتُ : أَمَّا تَحْذَرُ اقْتِضاحِ
وَلَتْ وما خِلْتُ مِنْ صَباحٍ يَبْدُو على إِثْرِهِ صَباحِ

قال : وقلت بتؤنس :

لا مَرَحَباً بالَتَيْنِ لَمَّا بَدَا يَسْحَبُ مِنْ لَيْلٍ عَلَيْهِ الوِشاحُ
مَزَّقُ الجَلَبَابِ يَحْكِي ضَحَى هَامَةً زَنْجِيَّ عَلَيْهَا جِراحُ
وإن تُصَحِّفْهُ فلا حَبِّدَا ما قَدْ أَتَى تَصْحِيفَهُ بَانْتِراحُ

وقلت بالجزيرة الخضراء ، وقد كُفِّتُ ذلك :

غَرَّابِي بِأَقْوالِ العِدا كَيْفَ يُنْسخُ وَعَهْدِي وَقَدْ أَحْكَمْتُهُ كَيْفَ يُفْسخُ
كَلَامُكُمْ لا يَدْخُلُ السَّمْعَ نُصْحُهُ وَلَكِنْ إِذَا حَرَضْتُمْ فَهَوَ يَرْسخُ
وَبِي بَدْرٍ تِمَّ قَدْ ذَلَّتْ لِحْسنُهُ فَمَنْ ذا الَّذِي فِيمَا أَتَيْتُ يُوْبِّخُ ؟
إِذا خَاصِمُونِي في هَواهُ خَصَمْتُهُمْ وَيَبْغُونَ تَنْقِصِي بِنَاكَ فَأُشْمَخُ

١ تصحيف « تين » ، « بين » أي فراق وانتزاع .

أرى أن لي فضلاً على كل عاشقٍ فقصّتنا في الدهر ممّا يؤرّخُ
فما بشّرٌ مثله في جماله ووجدني به في العشق ليس له أخُ

وقلت بالإسكندرية ، وقد تعدّر عليّ الحجّ عند وصولي إليها سنة تسع
وثلاثين وستمائة :

قرب المزار ولا زمان يُسعدُ ورحمةً لتيّم ذي غربّة
قد سار من أقصى المغرب قاصداً فلكم بحار مع قفار جبتها
كابدتها عرباً وروماً ، ليتني يا سائرين ليشرّب بُلغثمُ
أعلمتُم أن طرت دون محلّها يا عاذلي فيما أكابد قلّ في
لم تلق ما لقيته فعدلتني لو كنت تعلم ما أروم دُئوّه
لا طاب عيشي أو أحلّ بطيئة صلتى عليه من براه خيرة
يا ليتني بُلغث لثمّ ترابه فهناك لو أعطى مناي محلة
عيني شكّت رمداً وأنت شفاؤها يا خير خلق الله مهما غبت عن
ما باختيار القلب يترك جسمه يا جنة الخلد التي قد جثتها
صرم التواصل ذُبُلٌ وصوارمُ صرّم التواصل ذُبُلٌ وصوارمُ

فلئن حُرِّمْتُ بلوغَ ما أُمِّلْتُهُ
فلتنعشوا مني الدَّمَاءَ بذكرِهِ
لولاهُ ما بقيتُ حياتي ساعةً
ذكرٌ يليهِ من الثناءِ سحابٌ
مَنْ ذا الذي نرجوهُ لليوم الذي
يا لهفَ مَنْ وافي هُناكَ وما لهُ
ما أُرْجى عملاً ولكنْ أُرْجى
ما صحَّ إيمانٌ خِلا مِنْ حَبِّهِ
عن ذكرِهِ لا حُلَّتْ عنه لحظةٌ
يا مادحي يبغي ثواباً زائلاً
لولا رسولُ الله لم نلِ الهدى
يا رحمةً للعالمين بُعثتِ والدَّةُ
أُطْلِمَتْ صباحاً ساطعاً فهدِيتْ لا
لم تحشَ في مولاكَ لومةَ لائمٍ
ونصرتِ دينَ الله غيرَ مُحاذِرٍ
ولقيتِ من حربِ الأعادي شدةً
أَيَّانَ لا أحدٌ عليهم عاضدٌ
فحماك بالغارِ الذي هو من أد
ووقاك من سَمِّ الدُّراعِ بلطفِهِ
والمجدُّ حنَّ إليك والماءُ انهمى
والذئبُ أنطقَ للذي أضحى به
وبليلةِ الإسراءِ حَبَّاك وسَمِّيَ الـ
وحَبَّاك بالخلْقِ العظيمِ ومعجزِ الـ
وبُعِثْتَ بالقرآنِ غيرِ معارضٍ

فلديّ ذكرى لا تزالُ تَرَدُّدُ
ما دمتُ عن تلكِ المعالمِ أبعدُ
هو لي إذا متُّ اشتياقاً مولدُ
أبدأ على مرِّ الزمانِ يُجَدِّدُ
يُقْصِي الظَّماءَ به ويُحْشِي المورِدُ
من حَبِّهِ ذخِرٌ به يتروَدُ
ثِقَتِي به ولحَسْبُ من يتروَدُ
أبى رياشٍ يُسْتَعَدُّ مهتدُ ؟
ومديحهُ في كلِّ حفلٍ أُسرَدُ
فتوابُ مدحي في الجنانِ أُخلدُ
وبه غداً نرجو النِّجاةَ ونسعدُ
يا . بجنحِ الكفرِ ليلٌ أربدُ
إيمانٍ إلا مَنْ يَحِيدُ وَيَجْعَلُ
حتى أقرَّ به الكفورُ الملحدُ
ودعوتِ في الأخرى الألى قد أضلُّوا
لو كابدوها ساعةً لتبدُّوا
إلا الإلهَ ولم يحُنْ من يَعْصُدُ
لن المعجزاتِ وخابَ مَنْ يترصدُ
كيما يُغَاظَ بك العدى والحُسَدُ
ما بينَ خمسينَ والصِّحابةِ شُهدُ
يُهدى إلى سبيلِ النِّجاحِ ويرشدُ
صديقٌ مَنْ أضحى لقولك يُسعدُ
كلمِ الذي يُهدى به إذ يوردُ
فيه وأُسمي مَنْ نَحاه يغرَّدُ

فتوالت الأحقابُ وهو مبرأ
ولكم بليغ جال فصل خطابه
زويت لك الأرض التي لا زال
ونصيرت بالرعب الذي لما يزل
فمتى تعرّض طاعن أو حاد عن
يا من تُخِير من ذؤابة هاشم
لستاك حين بدا بآدم أقبلت
لم أستطع حصراً لما أعطيته
ماذا أقول إذا وصفت محمداً
فعليك يا خير الخلائق كلها

قال : وقلت بإشيلية :

هل تمنع اليهود ما أبدت الحدود
نعم وكم طعين يطعنهما شهيد
يا ربة المحيا حقت به السعود
لم تُسكر الحميا بل ريقك البرود
لله يا عدولي ما تكلم البرود
ما زلت فيه أفنى والوجد مستزيد
يا هل ترى زماناً مضى لنا يعود
لدى العروس سقت جنابها العهد
حيث الغصون مالت كأنها قود
وزهرها نظيم كأنه عقود

١ المروس : من متزهات لإشيلية .

أعْطَافُهَا تُمِيدُ	حَمَامُهَا تُغْنِي
لنَهْرِهَا بُرُودُ	وَبالنَّسِيمِ شُقَّتْ
وَسُورُهُ بُنُودُ	فِرْعَوْنُهُ سَيُوفُ
إِلَى الْوَرُودِ رُودُ	هَنَّاكَ كَمْ دَعَتْنِي
يَقْتِي بِهِ الْحَسُودُ	فَلَنْتُ كُلَّ سُولِ
مَا بَعْدَهُ مُزِيدُ	قَضَيْتُ فِيهِ عَيْشًا
مَرْنَحًا أُمِيدُ	أَضْحَى بِهِ وَأَمْسَى
كَأَنِّي الْوَلِيدُ	كَأَنِّي يَزِيدُ
بِكُلِّ مَا أُرِيدُ	يَجْرِي الزَّمَانُ طَوْعِي
فَالْخَلْقُ لِي عِيدُ	الْحَمْرُ مَلَكْتَنِي
أَبْصَرْتُهَا تَجُودُ	يَحِقُّ لِي إِذَا مَا
فَقَدْتُهَا فَقِيدُ	فَهَا أَنَا إِذَا مَا
الْعَدْلُ لَا يُفِيدُ	يَا مَنْ يَلُومُ بَغْيًا
فَلَيْسَ لِي وَجُودُ	إِذَا عَدْتُ كَأْسِي

قال : وقلت بإشبيلية :

وَالْغَصْنُ مِنْ طَرَبٍ بِهَا يَتَأَوَّدُ	أَوْ مَا نَظَرْتَ إِلَى الْحَمَامَةِ تُنْشَدُ
لَمَّا يَزَلُ بِيَدِ النَّسِيمِ يِيدُدُ	وَنَثَارَهُ الْفَقَاهُ جَائِزَةً لَهَا
فَنَثَاؤُهُ طَوَّلَ الزَّمَانَ يَرْدَدُ	أَلْقَى عَلَيْهَا الطَّلُ بُرْدًا سَابِغًا
أَوَّلَى بِشُكْرِ حِينَ تَغْمُرُهُ يَدُ	أَتَرَى الْحَمَامَةَ مِنْ حُبِّ مَخْلَصٍ
لِي الْغَصْنِ حَتَّانُ الْهَدِيلِ مَغْرَدُ	فَلَا تُنِينَ عَلَيْكَ مَا أَتْنِي بِأَعْدُ
بِدُ جَهْدِهَا ؟ أَيْتَانِ بَرَكَ يَجْهَدُ ؟	كَمْ نِعْمَةٍ لِي فِي جَنَابِكَ ؟ كَمْ أَكَا

١ ق ج : ألقى جواره .

وقال :

أرى العينَ منّي تحسدُ الأذنَ كلِّما جرتْ مدحةٌ للعلمِ والفضلِ والمجدِ
أحقّقُ أنباءَ ولَمَ أَرَّ صورةً كتحقيقي الأخبارَ عن جنةِ الخلدِ
فمنَّ على عيني بليّاكَ إنّي أخذتُ لها أماناً بذاك من السُّهدِ

قال : وقلت أمدح ابن عمي وأشكره^١ ، على ما أذكره :

آه ممّا تكنُ فيكَ الجوانحُ ودموعي على نَوَاكٍ سوافحُ
واشفاءُ من العلوِّ بينِ كدَرِ العيشِ ، أيُّ عيشٍ لنازحُ
يا أتمَّ الأنامِ حُسناً أما تحو سنُّ حتى يتمَّ إطرأه مادحُ
يا زمانَ الوصالِ عوداً فإنّي طوّحتُ بي لما غدرتِ الطوائعُ
أين عيشُ العروسِ إذ يبطحُ السك رُحيبي ما بينَ تلك الأباطعُ
والأمانِ ترى ولا أحدٌ ين صبحُ إذ لا يُصغى إلى قولِ ناصحُ
وزمانُ السرورِ سَمَحُ مطيعُ ورسولُ الحبيبِ غادِ ورائعُ
ولكُم ليلةُ أُناني بلا طي بٍ ولكنْ يزري بأذكي الروائعُ
هو ظبيُّ فليس يحتاجُ طيباً قد كفاه عَرَفٌ من المسلكِ فائعُ
مثلُ عليا محمدٍ لم تكنْ كه بآ وما لا يكونُ في الطبعِ فاضعُ
يا كريماً أتى من الجودِ ما لا كان يُدرى فأوجدته المدايحُ
وعلا كلَّ ذي علاءٍ وأضحى نحو ما لا يرومهُ الناسُ طامعُ
قد أُناني لإحسانك الغمرُ في إذ رٍ سواهُ فكنتَ أكلَ مادحُ
فاض بحرُ النوالِ منك ولا سا حلّ يبدو ولم أزلْ فيه سابغُ
حلَّلْ مثل ما كسوتك في المد ح تميّتُ العدا ومالٍ وسابغ^٢

١ دوزي : وأشكره .

٢ ق ج ودوزي : وسائغ ؛ والسابغ فرس أهداه إليه .

أوردَ الورْدُ^١ منطقي كلَّ شكرٍ
لنَّ خدَّ الحبيبِ حينَ كسَّوهُ
شَفَقَ سألَ بينَ عينيهِ صبحُ
لم أجِدْ فيه من جماعٍ ولكِ
للَّ يا ابنَ الحسينِ ذكراً جميلاً
قد هدى نحوكَ الثناء كما يته
فاعذِرِ الناسَ إن أتوا لك أفوا
ما هدَّتْهم إليك إلا الأمانِي
قلْ لذي المفخرِ الحديثِ تأخَّرْ
أيُّ أصلٍ وأيُّ فرعٍ أقاما
قد حوتْ مذحجٌ من الفخرِ لما
أفتى متجندٌ قد زانه منك بدرٌ
بدرٌ تيمَّ حَقَّتْ به هالةٌ من
يا سماكاً بمسكِهِ القلَمِ الآءِ
رفعَ اللهَ للكتابةِ قدراً
يا أعزَّ الأنامِ نفساً وأعلا
أين أعداؤك الذين رعى سي
أفسدَ الدهرُ حالهم ليُرى حا
دُمتَ في عزَّةٍ وسعدٍ مدى الدهرِ
حينَ أضحى طوعَ البنانِ مسامحُ
حلَّةَ الحسنِ بالعيونِ اللوامعُ
حُسْنُهُ قَيَّدَ اللحاظَ السوارحُ
نَّ ثنائِي عليك ما زال جامعُ
صَيَّرَ الكلَّ نحو بابك جانحُ
لدي إلى الروضِ بِاسماتِ النوافحُ
جأ فكلُّ بقصدٍ فضلك رابعُ
لم تُحلِّهم إلا عَليكَ القرائعُ
ليس مُهَرِّجٌ في شأوهِ مثلَ قارحُ
شرفاً ظلَّ للنجومِ يناطحُ
كنتَ منها ما ليس يحويه شارحُ
في ظلامِ الخطوبِ ما زال لائحُ
بيتِ مجدٍ علاؤها الدهرُ واضحُ
لى بدّاً بين أنجمِ الملكِ رابعُ
بعدها كابدتْ توالي الفضائحُ
هَمُّ علاءٍ لا زالَ أمرُك راجعُ
فمكَ فيهم فأشبَّهوا قومَ صالحُ
لُكَ رغباً بمن يناويك صالحُ
رِ ولا زال طائرُ منك سانحُ

[أبر عبد الله ابن سعيد]

وابن عمه المذكور قال في حقه في «المغرب» ما ملخصه^٢ :

١ الورْد : الفرس الوردي اللون .

٢ انظر المغرب ٢ : ١٦٨ ونص المقرئ يختلف كثيراً عما هو في المغرب، وفي هذا تأكيد لاختلافه

لأنه الرئيس الأعلى ، ذو الفضائل الجمة ، أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبي الحسين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن سعيد ، قال : واجتماع نسبنا مع هذا الرئيس في سعيد بن خلف ، وهو الآن قد اشتمل عليه ملك إفريقية اشتمال المقلة على إنسانها ، وقدمه في مهماته تقديم الصعدة لسانها ، وأقام لنفسه مدينة حذاء حضرة تونس ، واعتزل فيها بعسكر الأندلس الذين صيّرهم الملك المنصور إلى نظره ، وهو كما قال الفتح صاحب القلائد « فقد جاء آخرهم ، فجدد مفاخرهم » ، ومن نظمه وقد نزل على من قدم له مشروباً أسود اللون غليظاً وخروباً وزيبياً أسود وزيبياً كثير الغضون جاءت به عجوز في طبق ، فقال :

ويومَ نزلنا بعبد العزيز فلا قدسَ اللهُ عبدَ العزيزِ
سقانا شراباً كلون الهناء ونقلنا بقرونِ العنوزِ
وجاءتْ عجوزٌ فأهدتْ لنا زيبياً كخيلائِ خَدِّ العجوزِ

ونزل السلطان أبو يحيى في بعض حركاته لموضع فيه نهر ، وعلى شطئه نورٌ ، فقال الرئيس أبو عبد الله ابن الحسين يصفه أو أميرَ بذلك :

ونهر يرفُّ الزهر^١ في جنباتِهِ ويثني النسيمُ قُضْبَهُ فَنَاطِرُ
يسيلُ كما عَنَ الصِّباحُ بأفقه وإلا كما شيمَ الحسامُ المِجَهرُ
عليه ليحيى قُبَّةٌ ، هل سمعْتُم بقرصةِ شمسٍ حلَّ فيها غُضُنْفَرُ ؟
فإن قلتَ هذي قُبَّةٌ لعُفَاتِها فقلْ ذلك الوادي الذي سال كوثُرُ

وقال أبو عمرو أحمد بن مالك بن سيد أمير اللخمي الشابي في ذلك :
وأرضٍ من الحصباءِ بيضاء قد جرت جداولُ ماءٍ فوقها تتفجّرُ

.....
= نسخ الكتاب ؛ وانظر ترجمة أبي عبد الله ابن سعيد أيضاً في تاريخ ابن خلدون ٦ : ٢٩٤ .
١ ق ودوزي : النور .

كما سَبَحَتْ تَبْغِي الحَيَاةَ أَرَاقِمُ على روضةٍ فيها الأَقَاحُ المنُورُ
ولا كما شَقَّتْ سبائكُ فضةٍ بساطاً على حافاتِهِ الدُّرُ يُنثرُ

وقال أبو علي يونس :

انظرُ إلى منظرٍ يَسْنِيكَ مَنظَرُهُ ويزدهيكُ بإذنِ الله مَخْبَرُهُ
وَمُعْجَبٌ مُعْجِبٌ لَأَشْيَاءَ بُشْبِهِ خَرِيرُ ماءٍ نَمِيرٍ ثُمَّ مَنَهَرُهُ
كَأَنَّمَا فَرِشَتْ بِالدُّرِّ صَفْحَتُهُ فالماءُ يَنْظُمُهُ طَوْرًا وَيَنْثَرُهُ
كَأَنَّ خُلُجَانَهُ قَدَّتْ عَلَى قَدَرٍ بِمَائِهَا قَسَمٌ يَجْرِي مَفْجَرُهُ
أَحْلَى سِيدُنَا المِيمُونُ قُبَّتَهُ بِحُوزِهِ فَعْدَا يزدانُ جَعْفَرُهُ

رجع إلى ما كنا فيه من أخبار الرئيس ابن الحسين ، فنقول : رأيت
بالمغرب آخر كتاب «روح السحر» من نسخة ملوكية كتبت له أبياتاً علق
بخطي منها الآن ما نصه :

تَمَّ رُوحُ السَّحْرِ نَسْخًا فَأَتَى مُصْنَحَبًا بِالْيُمْنِ وَالْفَخْرِ البَعِيدُ
لَأَبِي عَبْدِ الإِلَهِ المُرْتَقِي فِي ذَرَا المَجْدِ الرِّيسِ ابنِ سَعِيدُ

ولم أحفظ تمام الأبيات .

وقال أبو الحسن علي بن سعيد : كتبت إليه من أبيات بحضرة تونس وقد
نقل إليه بعض الحساد ما أوجب تغييره :

وَمِنْ بَعْدِ هَذَا قَدْ أَتَيْتُ بِزَلَّةٍ أَمَا حَسَنٌ أَنْ لَا تَضِيقَ بِهَا صَدْرَا
وَعَلِمُكَ حَسْبِي بِالأُمُورِ فَإِنِّي عَهْدْتُكَ تَدْرِي سَرَّ أَمْرِي وَالجَهْرَا
وَقَدْ أَصْلَحَ اللهُ الأُمُورَ بِسَعْيِكُمْ وَنَيْتُكُمْ صَلَاحًا عَلَى البِشْرِ وَالبُشْرَا
وَلَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا رِضَاكَ فَإِنْ بِهِ كَتَبْتَ وَلَوْ حَرْفًا أَطْبَتَ لِي العُمْرَا
فَبُقِّيتَ كَهْفًا لِلْجَمِيعِ وَمِثْلًا وَلَا زِلْتَ مَا دَامَ الزَّمَانُ لَنَا سِتْرَا

فكتب إلي هذه الأبيات ، وكان متمرصاً ، وبعث إلي بما يذكر :

أَكُفُّ الصَّبَا حَقَّتْ جَنَى زَهَرِ الرَّبِيِّ سؤالك عن نِصْبٍ يُسَامِي بك الزَّهْرَا
بَعَثَتْ بِمَثَلِ الزَّهْرِ فِي مِثْلِ صَفْحَةٍ لذلكَ مَا قَلَّدَتْهَا الشَّدَرُ وَالْدَّرَا
مَعَانِ لَهَا أَعْنُو وَأُعْنِي بِهَا فَكَمْ وَقَفْتُ عَلَيْهَا الْعَيْنَ وَالسَّمْعَ وَالْفَكْرَا
فَلَوْ عَرَّضْتُ لِلْبَحْرِ لَمْ يَلْفِظِ الدَّرَا وَلَوْ عَارَضْتُ هَارُوتَ لَمْ يَنْفِثِ السَّحْرَا
أَبَا حَسَنٍ هَنَّتْ مَا قَدْ مُنِحَتْهُ ضَرْوباً مِنَ الْآدَابِ تُحَلِّي بِهَا الدَّهْرَا
وَدُونَكَ بِحَرّاً مِنْ وَدَادِي تَلَا طَمَتُ بِهِ زَاخِرَاتُ الْمَدِّ لَا يَعْرِفُ الْجَزْرَا
فَإِنْ نَحَطَّ رَتُّ فِي جَانِبٍ مِنْكَ هَفْوَةٌ فَلَا تَحْسَبْنِ أَنِّي أَضِيقُ بِهَا صَدْرَا
يَزُلُّ الْجَوَادُ عِنْدَمَا يَبْلُغُ الْمَدَى وَيَعْتُرُّ بِالرَّمْثِ النَّسِيمُ إِذَا أُسْرَى
فَدَعُ ذَا وَخَلَّهَا شَائِبَاتُ قُرُونِهَا عَرُوباً لَعُوباً جَائِزاً حَكَمَهَا بَكْرَا
وَلَوْ غَادَرْتُ أَوْصَافُهَا مَتَرْدِماً لَشَنَّفْتُ مِنْ أَشْعَارِهَا أُذُنَ الشَّعْرَى
أَلَا فَاحِجُ جُبْنِهَا عَنْ صَدِيقٍ مَعْتَمٍ فَإِنَّ قُصَارَى الْغَمْرِ أَنْ يَبْكِيَ الْعَمْرَا
وَمَنْ كَانَ ذَا حِجَرٍ وَثُبُلٍ وَرَقَةٍ فَلَا يَخْلُونُ إِلَّا عَلَى الْخَمْرَةِ الْحَمْرَا
قَرَنْتُ بِهَا صَفْرَاءَ لَمْ تَعْرِفِ الْهُوَى وَلَا أَلْفَتْ وَصَلاً وَلَا عَرَفَتْ هَجْرَا
وَلَا ضُمُّنَتْ نَضِجَ الْعَبِيرِ وَإِنْ غَدَتْ تَوَخَّرَهُ لَوْنًا وَتَفَضَّحَهُ نَشْرَا
فَإِنْ خَلَّتْهَا بِنْتُ الظَّلِيمِ أَظْلَمَهَا فَقَدْ قَرَّشَ الْإِذْخِيرَ مِنْ تَحْتِهَا تَبْرَا
لَهَا نَسَبٌ بَيْنَ الثَّرِيَّا أَوْ الثَّرَى وَسَلَّ بِزِيَابِهَا الْمَزْنَ وَالْغُصْنَ النَّضْرَا
فَشَرِبَا دِهَاقاً وَانْتِشَاقاً وَلَا تَرِمَ عَنِ الْبَيْتِ فَرّاً أَوْ تَقِيمَ بِهِ شَهْرَا
وَلَهُ فِي الْخَشْكَالَانِ ١ :

هُوَ الْأَهْلَةُ لَكِنْ .. تَدْعُونَهُ خَشْكَالَانَا
فَإِنْ تَفَاءَلْتِ صَحْفٌ تَجِدُ : حَبِيبَكَ لَانَا

انتهى باختصار .

١ الخشكالان (بالفارسية : خشك نان) نوع من الخبز أو البقساط في شكل هلامي .

وحظي المذكور جدّاً عند السلطان ملك إفريقية أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ، ولما مات السلطان المذكور ، وحدّثت فتنة بموته واختلاف ، ثم استقرت الدولة لابنه الشهير الكبير القدر أبي عبد الله المستنصر مملوح حازم بالمقصورة ، وقاتل ابن الأبار القضاعي^١ - سخط على الرئيس ابن الحسين المذكور ، وقبض على دياره وأمواله ، وصيره كالمحبوس ، فكتب إليه رقعة يطلب الاجتماع به في مصلحة للدولة ، فأخبره ، وسأله فأخبره بأن أباه صنع داراً عظيمة تحت الأرض ، وأودع فيها من أنواع المال والسلاح ما جعله عُدّة وذخيرة لسلطانه ، ولم يترك على وجه الأرض من له علم بهذا الموضع الذي أودعه نفائس أمواله غيري ، وأوصاني أنّه إذا انتقل إلى جوار ربّه ، إذ توقع أن تقع فتنة بين أقاربه ، أنّه إذا انقضت سنة واستقر الأمر لأحد من ولدي أو من يتيقن أنّه يصلح لأمر المسلمين ، فأطلعه على هذه الذخائر ، فربما فنيت الأموال بالفتنة ، فلا يجد القائم بالأمر ما يصلح به الدولة إذا تفرغ للتدبير والسياسة ، ففرح السلطان ، وبادر إلى تلك الدار ، فرأى ما ملأ عينه ، وسرّ قلبه ، وخرج الرئيس ابن الحسين والحليل تجنب أمامه ، وبدر الأموال بين يديه ، وأعاده إلى أحسن أحواله ، وجعله وزيراً لديه ، كما كان أبوه مفوضاً أموره إليه ، وقال السلطان : إن من أوجب شكر الله عليّ أن أفتتح المال بأن أؤدي منه للرعيّة الذين نهبت دورهم واحترقت في الفتنة التي كانت بيني وبين أقاربي ما خسروه ، وأمر بالنداء فيهم ، وأحضرهم وكل من حلف على شيء قبضه وانصرف .

* * *

[ذكر المستنصر الحفصي]

وكان السلطان المستنصر المذكور في بعض متصيداته ، فكتب لأبي عبد الله

١ ستأتي ترجمة حازم وابن الأبار والتعريف بهما ؛ أما مقصورة حازم فمطلها :
 لله ما قد هجت يا يوم النوى على فؤادي من تباريح الجوى
 وهي التي شرحها الشريف الغرناطي في ما ساء « رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة » .

الرئيس المذكور يأمره بإحضار الأجناد لأخذ أرزاقهم بقوله :

لِيَحْضُرْ كُلُّ لَيْثٍ ذِي مَنَالٍ زَكَاءَ فَرَعَاةٍ الْإِسْدَاءِ التَّوَالِ
غَدَا يَوْمَ الْخَمِيسِ فَمَا شَغِلْنَا بِأَسَدِ الْوَحْشِ عَنْ أَسَدِ الرِّجَالِ

وحكي أن السلطان المذكور عرّض مرة أجناده ، وقيل : بل سلّم عليه الموحدون يوم عيد بتونس ، وفيهم شاب مليح وسيم اسمُ جده النعمان ، فسأله السلطانُ عن اسمه ، وأعجبه حسنه ، فحجل واحمر وجهه ، وازداد حسناً ، فقال السلطان هذا المصراع :

كَلِمَتُهُ فَكَلِمَتُ صَفْحَةٍ خَدَّهْ

وسأل من الحاضرين الإجازة ، فلم يأتوا بشيء ، فقال السلطان مجيزاً شطره :

فَتَفَتَّحَتْ فِيهَا شَفَاتُ جَدَّهْ

وهذا من البدائع مع ما فيه من التورية والتجنيس .
وممّا نسب له أبو حيان بسنده إليه :

مَا لِي عَلَيَّكَ سِوَى الدُّمُوعِ مُعِينُ إِنْ كُنْتَ تَغْدِرُ فِي الْهَوَى وَتَخُونُ
مَنْ مُنْجِدِي غَيْرُ الدُّمُوعِ وَإِنَّهَا لِمَغِيثَةُ مَهْمَا اسْتَغَاثَ حَزِينُ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنْ مَا حَمَلْتَنِي صَعْبٌ وَلَكِنْ فِي رِضَاكَ يَهُونُ

وكان للسلطان المذكور سعد يُضْرَبُ به المثل ، حتى إنّه كتب له صاحب مكة البيعة من إنشاء ابن سبعين المتصوف ، كما ذكر ذلك ابن خلدون في تاريخه الكبير ، وسرد نصّها ، وهي من الغرائب .

ومن سعه أن الفرنسيّ الذي كان أسيراً بمصر وجُعِلَ في دار ابن لقمان والطواشي صبيح يحرسه لما سُرِّحَ جاء من أمم النصرانية لبلاد المسلمين بما لم يجتمع قط مثله ، حتى قيل : إنهم كانوا ألف ألف ، فكتب إليه أهل مصر من

نظم ابن مطروح القصيدة المشهورة التي منها :

قُلْ للفرنسيس إذا جِئْتَهُ مَقَالَةً من ذي لِسَانٍ فَصِيح

إلى أن قال :

دارُ ابنِ لُقْمان على حالها ومِصْرُ مِصْرٍ والطَّواشي صبيح

والقصيدة مشهورة فلذلك لم أُسرُدْها ، فصرف الفرنسيس جيوشه إلى تونس ، فكتب إليه بعض أدباء دولة المستنصر :

أفرنسيس ، تونسُ أختُ مصرٍ فتأهَّبْ لما إليه تَصِيرُ
لك فيها دارُ ابنِ لقمان قَبْرٌ وطواشيك مُنْكَرٌ وَتَكْبِيرُ

فقضى الله سبحانه وتعالى أنه مات في حركته لتونس ، وغنم المستنصر غنيمة ما سمع بمثله قط ، ويقال : إنه دس إليه سيفاً مسموماً من سلكه أثر فيه سمه ، وقتلده رسولاً إليه بعد أن جعل عليه من الجواهر النفيسة ما لم ير مثله عند غيره ، وقال للرسول : إن الفرنسيس رجل كثير الطمع ، ولولا ذلك ما عاود بلاد المسلمين بعد أسره ، وإنه سيرى السيف ، ويكثر النظر إليه ، فإذا رأيته فعل ذلك فانزعه من عنقك وقبّله ، وقل له : هذا هدية مني إليك ، لأن من آدابنا مع ملوكنا أن كل ما وقع نظر الملك عليه وعاود النظر إليه بالقصد فلا بد أن يكون له ، ويحرم علينا أن نمسكه ، لأن ما أحبه المولى على العبيد حرام ، وتكراره النظر إليه دليل على حبه له ، ففرح النصراfi بذلك ، وأسرع الرسول العود إلى سلطانه ، فسلّ النصراfi السيف ، فتمكّن فيه السم بالنظر ، فمات في الحين ، وفرّج الله تعالى عن المسلمين .

رجع إلى أخبار أبي الحسن علي بن سعيد :

قال ابن العديم في تاريخ حلب : أنشدني شرف الدين أبو العباس أحمد بن

يوسف التيفاشي^١ بالقاهرة في أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي يشير إلى كتاب أبي الحسن الذي جمعه في محاسن المغرب وسمّاه «المغرب» :

سَعِيدَ الغربُ وازدهى الشرقُ عَجَباً وابتهاجاً بِمُغْرِبِ ابنِ سعيدٍ
 طَلَعَتْ شمسُهُ من الغربِ تَجَلَّى فَأَقَامَتْ قِيَامَةَ التَّقْيِيدِ
 لم يَسْدَعْ للمؤرخينَ مقالاً لا ولا للرواة بيتَ نشيدٍ
 إن تَلَاهُ على الحَمَامِ تَغَنَّتْ ما على ذا في حُسْنِهِ من مزيدٍ
 وأنشدني أبو العباس التيفاشي لنفسه فيه :

يا طَيِّبَ الأَصْلِ والفرعِ الزَكِيِّ كما يبدو جَنَى ثَمَرٍ من أَطْيَبِ الشَّجَرِ
 وَمَنْ خَلَّاهُ مِثْلُ النِّسِيمِ إِذَا يَهْفُو على الزَّهْرِ حَوْلَ النِّهْرِ في السَّحَرِ
 وَمَنْ مُحْيَاهُ وَاللهُ الشَّهِيدُ إِذَا يبدو إلى بصري أبهى من القَمَرِ
 أَثَقَلْتُ ظَهْرِي بِبِرٍّ لَا أَقُومُ بِهِ لو كُنْتُ أَثْلُوهُ قَرَأْنَا مَعَ السَّوَرِ
 أَهْدَيْتَ لي الغربَ مجموعاً بعالمه في قابِ قوسينِ بين السَّمْعِ والبَصَرِ
 كَأَنِّي الآنَ قد شَاهَدْتُ أَجْمَعَهُ بكلِّ من فيه من بَدْوٍ ومن حَضَرِ
 نَعَمْ وَلَا قَيْتُ أَهْلَ الفَضْلِ كُلَّهُمْ في مُدَّتِي هَذِهِ والأَعْصَرِ الأَخِيرِ
 إِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَهُمْ في الصِّدْرِ عُمُرِي فقد رَدَدْتَ عَلَيَّ الصِّدْرَ من عَمْرِي
 وَكُنْتُ لِي واحِداً فيهِمْ جَمِيعُهُمْ ما يُعْجِزُ اللهَ جَمْعُ الخَلْقِ في بَشَرِ
 جَزَيْتَ أَفْضَلَ ما يَجْزِي به بَشَرٌ مفيدَ عَمْرٍ جَدِيدِ الفَضْلِ مَبْتَكِرِ

١ التيفاشي (- ٦٥١) منسوب إلى تيفاش من قرى قفصة بإفريقية هاجر من بلاده إلى القاهرة وتعلم فيها ثم عاد إلى بلاده وتولى القضاء فيه ، ورجع إلى المشرق فسلم ماله وكتبه في البحر ، فلجأ إلى صاحب محمد بن محمد بن سعيد بن ندى الجزري الذي عاش ابن سعيد مدة في كنفه ، وألف مستعيناً بمكتبة ابن ندى كتابه الكبير « فصل الخطاب في مدارك الخواص الخمس لأولي الأبواب » في ٢٤ مجلدة ، وقد اختصره ابن منظور وسمّاه « سرور النفس بمدارك الخواص الخمس » ويمثل « نثار الأزهار » قطعة منه ، وألف أيضاً كتابين في الجواهر (الوافي ٨ الورقة : ١٣٣) .

ومن نظم أبي الحسن ابن سعيد قوله :

وعَشِيَّةٌ بَلَغَتْ بَنَا أَيْدِي التَّوَي مِنْهَا عَاسَنَ جَامِعَاتُ الشُّخْبِ
فَحْدَائِقُ مَا بَيْنَهُنَّ جَدَاوِلُ وَبِلَابِلُ فَوْقَ الْغُصُونِ لَهَا طَرَبُ
وَالْتَخَلُّ أَمْثَالُ الْعَرَائِسِ لُبْسُهَا خَزُّ وَجِلِيَّتِهَا قَلَائِدُ مِنْ ذَهَبُ

ومن نظمه رحمه الله تعالى في حلب قوله :

حَادِي الْعَيْسِ كَمْ تُنِيخُ الْمَطَايَا سَقُّ فُرُوحِي مِنْ بَعْدِهِمْ فِي سِيَاقِ
حَلَبُ لَهَا مَقَرُّ غَرَامِي وَمِرَامِي وَقِبْلَةُ الْأَشْوَاقِ
لَا خَلَا جَوَّسَقُ وَبِطْيَاسُ وَالسَّهْ لِدَاءِ مِنْ كُلِّ وَابِلٍ غِيْدَاقِ
كَمْ بِهَا مَرْتَعٌ لَطَرَفٍ وَقَلْبٍ فِيهِ يُسْقَى الْمُنَى بِكَأْسِ دِهَاقِ
وَتُغْنِي طُيُورُهُ لَارْتِسَاحِ وَتَشْنِي غُصُونُهُ لَلْعَنَاقِ
وَعَلُو الشَّهْبَاءِ حَيْثُ اسْتَدَارَتْ أَنْجَمُ الْأَفْقِ حَوْلَهَا كَالنَّطَاقِ

وقوله أيضاً في حماة :

حَمَى اللَّهُ مِنْ شَطَطِي حِمَاةَ مَنَاظِرَا وَقَفْتُ عَلَيْهَا السَّمْعَ وَالْفَكْرَ وَالطَّرْفَا
تُغْنِي حِمَامٌ أَوْ تَمِيلُ خِمَائِلُ وَتُزْهِمِي مَبَانَ تَمْنَحُ الْوَاصِفَ الْوَصْفَا
يَلُومُونَ أَنْ أَعْصِيَ التَّصَوُّنَ وَالنَّهْيَ بِهَا وَأَطِيعَ الْكَأْسَ وَاللَّهُوَ وَالْقَصْفَا
إِذَا كَانَ فِيهَا النَّهْرُ عَاصٍ فَكَيْفَ لَا أَحَاكِيهِ عَصِيَانَا وَأَشْرِبَهَا صِرْفَا
وَأَشْدُو لَدَى تِلْكَ النَّوَاعِيرِ شَدَّوَهَا وَأَغْلِبُهَا رَقْصَا وَأَشْبِهَا غَرْفَا
تَنْ تَنْدُرِي دَمْعَهَا فَكَأَنَّمَا تَهِيمُ بِمَرَّهَا وَتَسْأَلُهَا الْعَطْفَا

وقوله في وداع ابن عمه وكتب بهما إليه :

وَدَاعٌ كَمَا وَدَّعْتَ فَصْلَ رَبِيعِ يَفِضُّ ضُلُوعِي أَوْ يُفَيْضُ دُمُوعِي
لَنْ قِيلَ فِي بَعْضٍ يُفَارِقُ بَعْضَهُ فَلَايَ قَدْ فَارَقْتُ مِنْكَ جَمِيعِي

قال : فأرسل إليَّ إحساناً ، واعتذر ولسان الحال ينشد عنه :

أَحِبُّكَ فِي الْبَتُولِ وَفِي أَبِيهَا وَلَكِنِّي أَحِبُّكَ مَنْ بَعِيدٍ

وقوله ، وقد أفلت المركب الذي كان فيه من العدو :

أَنْظُرْ إِلَى مَرْكَبِنَا مُنْقَذَاً مِنْ الْعِدَا مِنْ بَعْدِ إِحْرَازِ
أَفْلَتَ مِنْهُمْ فَقَدْ طَائَرَا كَطَائِرٍ أَفْلَتَ مِنْ بَازِي

وقال رحمه الله تعالى لما خرج من حدود إفريقية :

رَفِيقِي جَاوَزْنَا حُدُودَ مَوَاطِنٍ صَحَبْنَا بِهَا الْأَيَّامَ طَلَقًا حَيَّاهَا
وَمَا لَنْ تَرْكَنَاهَا بِالْجَهْلِ بِقَدْرِهَا وَلَكِنْ ثَنَّتْ عَنَّا أَعْنَةً سَقِيَاهَا
فَسَرْنَا نَحْثُ السَّيْرِ عَنْهَا لَغِيرِهَا إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ يَوْمًا بِلُقْيَاهَا

وكان وصوله الإسكندرية في السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وستمائة .

وقال رحمه الله تعالى : أخذت مع والدي يوماً في اختلاف مذاهب^١ الناس ، وأنهم لا يسلمون لأحد في اختياره ، فقال : متى أردت أن يسلم لك أحد في هذا التأليف - أعني المغرب - ولا تُعْتَرَضَ أتبعت^٢ نفسك باطلاً ، وطلبت غاية لا تُدْرَك ، وأنا أضرب لك مثلاً : يحكى أن رجلاً من عقلاء الناس كان له ولد ، فقال له يوماً : يا أباي ، ما للناس ينتقدون عليك أشياء وأنت عاقل ؟ ولو سمعت في مجانبتها سلمت من نقدهم ، فقال : يا بني ، إنك غيرٌ لم تجرب الأمور ، وإن رضى الناس غاية لا تُدْرَك ، وأنا أوقفك على حقيقة ذلك ، وكان عنده حمار ، فقال له : اركب هذا الحمار وأنا أتبعتك ماشياً ، فبينما هما كذلك إذ قال رجل :

١ مذاهب : سقطت من دوزي .

٢ ق ج : أتبعت .

أنظر ، ما أقلّ هذا الغلام بأدب ، يركب ويمشي أبوه ، وانظر ما أشد تخلف والده لكونه يتركه لهذا ، فقال له : انزل أركب أنا وامش أنت خلفي ، فقال شخص آخر : انظر هذا الشخص ، ما أقلّه بشفقة ، ركب وترك ابنه يمشي ، فقال له : اركب معي ، فقال شخص : أشقاهما الله تعالى ، انظر كيف ركبا على الحمار ، وكان في واحد منهما كفاية ، فقال له : انزل بنا ، وقدّماه وليس عليه راكب ، فقال شخص : لا خفف الله تعالى عنهما ، انظر كيف تركا الحمار فارغاً وجعلنا يمشیان خلفه ، فقال : يا بني ، سمعت كلامهم ، وعلمت أن أحداً لا يسلم من اعتراض الناس على أي حالة كان ، انتهى .

* * *

[مقتبسات من خطبة المغرب]

وقال في أثناء خطبة المغرب ما نصه : والحمد لله الذي جعل الأدب أفضل ما اكتسب ، وأفضل ما انتخب ، إذ هو ذو خسر لا يخاف كساده ، وكثر لا يخشى انتقاصه وإن كثر مرثاه ، والله درّ القائل :

رأيت جميع الكسب يفقدهُ الفتي وتبقى له أخلاقه والتأدّب
إذا حلّ في أرض أقام لنفسه بأدابه قدراً به يتكسّب
وأوما كُلهُ نحوه ، ولعلّه إلى غير أهل للنباهة ينسب

وقال في أثناء الكلام لبعض المغاربة :

فأثبتت في كلّ المواطنِ همة إلى طلب العلم الذي كان مطرّح
وصيرت من قد كان بالنظم جاهلاً يُحاوله كيما تجود لك المدح

وقال أيضاً في الخطبة : وبعد ، فهذا كتاب راحة قد تعبت في جمعه الأسماع والأبصار والأفكار ، وكل عناء سهل إذا أنجح القصد ، وقد بدأ فيه من سنة ثلاثين وخمسمائة ، ومنتهاه إلى غرة سنة إحدى وأربعين وستمائة ، قال : وأول

مَنْ كان السبب في ابتداء هذا الكتاب جَدَّ والذي عبد الملك بن سعيد ، وهو
إذ ذاك صاحب قلعة بني سعيد تحت طاعة علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين
ملك البربر ، إلى أن استبدَّ بها سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وقصَّده في سنة
ثلاثين وخمسمائة حافظ الأندلس أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن الحجاري
وصنف له كتاب « المسهب في غرائب المغرب » في نحو ستة أسفار ، وابتدأ
فيه من فتح الأندلس إلى التاريخ الذي ابتدأه فيه ، وهو سنة ثلاثين وخمسمائة ،
ثم ثار في خاطر عبد الملك أن يضيف إليه ما أغفله الحِجاري ، وتولع بمطالعة
ابناه أبو جعفر ومحمد ، وأضافا له ما استفاداه ، ولم يزل يزيد إلى أن استبدَّ به
محمد ، فاعتنى به أشد اعتناء ، ثم استبدَّ به والذي — وكان أعلمهم بهذا الشأن —
وبلغ من اجتهاده في هذا الكتاب أنني أذكره يوماً وقد نوّه به ابن هود وهو ملك
الأندلس وولاه الجزيرة الخضراء ، فأعانه شخص أن عند أحد المنسوين إلى بيت
نباهة كرايس من شعر شعرائها ، وأخبار رؤسائها ، الذين تحتوي عليهم
دولة بني عبد المؤمن ، فأرسل إليه راعياً في استعارتها ، فأبى ، وقال : عليّ
يمين أن لا تخرج عن منزلي ، وقال : إن كانت له حاجة يأتي على رأسه ، وكان
جاهلاً ، فلما سمع والذي ضحك وقال : سر معي إليه ، فقلت له : ومن يكون
هذا حتى نمشي له على هذه الصورة ؟ فقال : إني لا أمشي له ، ولكن أمشي
للفضلاء الذين تضمنت الكرايس أشعارهم وأخبارهم ، أتراهم لو كانوا أحياء
مجتمعين في موضع أنيفت أن أمشي إليهم ؟ قلت : لا ، قال : فإن الأثر ينوب
عن العين ، فمشينا إلى منزل الرجل ، فوالله ما أنصفنا في اللقاء ، فلما قضينا منها
الغرض صرّفها إليه والذي وشكره ، وقال : هذه فائدة لم أجدها عند غيرك ،
فجزاك الله تعالى خيراً ، ثم انفصل وقال : ألم تعلم يا بني أنني سررت بهذه
الفائدة أكثر من الولاية ، وإن هذا والله أول السعادة ، وعنوان نجاحها .

* * *

[قلعة بني سعيد]

والقلعة التي كان بها بنو سعيد تُعرفُ بهم فيقال لها : قلعة بني سعيد ، وكانت تُعرف قبل بقلعة أسطير ، وهو عين لها ، وقال الملاح في تاريخه : إنها تُعرف بقلعة يَحْصُب ، قَبِيل من اليمن نزل بها عند فتح الأندلس ، وبها كما مرَّ صَنَّف الحجاري كتاب « المسهب » لصاحبها عبد الملك بن سعيد .
وفي بني سعيد يقول الحجاري :

قومٌ لهم في فَخْرِهِمْ شَرَفُ الحديثِ مع القديمِ
وَرِثُوا الندى والبأسَ والد حَلْيَا كَرِيماً عَنْ كَرِيمِ
مِنْ كُلِّ وَضَاحٍ بِهِ يُجَلَّى دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ

* * *

[أولية بني سعيد]

وكان أول من دخل الأندلس^١ من ولد عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه عبدُ الله بن سعد بن عمار ، وقد ذكره ابن حبان في مُقْتَبَسِه ، وأخير أن يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِي صاحب الأندلس آخِرَ دولة بني أمية بالشرق كتب إليه أن يدافع عبد الرحمن بن معاوية المرواني الداخل للأندلس ، وكان إذ ذاك أميراً على اليمانية من جند دمشق، وإنَّما ركن إليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبين بني أمية من الثأر بسبب قتل عمَّار بصِفَتَيْن على يد عسكر معاوية رضي الله تعالى عنه ، وكان عمار من شِيعَةِ علي رضي الله تعالى عنهما .

* * *

١ قارن بما ورد في المغرب ٢ : ١٦١ .

[شعر لأبي بكر ابن سعيد]

وقال الحجابري : أنشدني أبو بكر محمد بن سعيد صاحب أعمال غرناطة
في مدة الملتزمين لنفسه ، فيما يليق بجنسه :

إن لم أكن للعلاء أهلاً بما تراه فمن يكونُ
وكلُّ ما أبتغيه دوني ولي على همّي ديونُ
ومن يرُمُّ ما يقلُّ عنه فذاك من فعله جنونُ
فرعٌ بأفق السماء سامٍ وأصله راسخٌ مكينُ

ومن نظمه قوله أيضاً :

اللهُ يعلمُ أنني أحبُّ كَسْبَ المعالي
وإنما أتوانى عنها لسوء المآلِ
تحتاجُ للكدِّ والبذلِ لـ واصطناعِ الرجالِ
دعُ كلَّ مَنْ شاءَ يسمو لها بكلِّ احتيالِ
فحالمهمُ بانعكاسٍ فيها وحالي وحالي

* * *

[ترجمة الغساني من المغرب]

ولما ذكر ابنُ سعيد في « المغرب »^١ ترجمة الكاتب الرئيس المجيد أبي
العباس أحمد الغساني كاتب ملك إفريقية قال : بماذا أصفه ؟ ولو أن النجومَ
تصير لي نثراً لما كنت أنصفه ، وكفاك أنني اختبرت الفضلاء من البحر المحيط
إلى حضرة القاهرة ، فما رأيت أحسنَ ولا أفضلَ عشرة منه ، ولما فارقت لم

١ ليس له ترجمة في المغرب المطبوع ، وقد أشرت من قبل إلى ترجمته في اختصار القديح : ١٢ .

أشعر إلا برسالة قد وافقتني بالإسكندرية من تونس ، وفيها قصيدة فريدة منها ^١ :
إيه أبا الحسن استمع شَدَّوي فقله يُصْغِي الحمامُ إذا الحمامُ ترنما
ثمَّ سرد بعضاً من القصيدة ، وستأتي قريباً إن شاء الله تعالى ، بزيادة على
ما ذكر منها في المغرب .

* * *

[إجازته للتيفاشي رواية المغرب]

رجع - وجد بخطه رحمه الله تعالى آخر الجزء من كتاب « المغرب » ما
نصّه : أجزتُ الشيخَ القاضي الأجلَّ أبا الفضل أحمد ابن الشيخ القاضي أبي
يعقوب التيفاشي ، أن يروي عني مُصَنَّفِي هذا ، وهو « المغرب في محاسن
المغرب » ويُرْوِيهِ من شاء ثقة بفهمه ، واستقامة إلى علمه ، وكذلك أجزت
لفناه النبيه جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن خطّـلـخ الفارسي الأرموي
أن يرويهِ عني ، ويُرْوِيهِ من شاء ، وكتبه مصنفه علي بن موسى بن محمد بن
عبد الملك بن سعيد في تاريخ الفراغ من نَسْخِ هذا السِّفَر ، انتهى .

* * *

[شعر لابن سعيد]

وقال في وسيم من أبناء العجم صحبه في الطريق من حَلَّـب إلى بغداد فمات ،
وكان ظريفاً أديباً ^٢ :

لهفي على غُصْنٍ ذَوَى أَفْقِدْتُهُ لَمَّا اسْتَوَى
رَيَّانٌ مِنْ مَاءِ الصَّبَا وَمِنَ الْمَدَامِعِ مَا ارْتَوَى

١ انظر هذه القصيدة في اختصار القدح : ١٩ وجواب ابن سعيد عليها ص : ٥ .

٢ الأبيات في اختصار القدح : ٨ .

لا تعذلوني إن نطقه مت الدهر فيه عن الهوى
كم ضلّ صاحبه بسحر ر اللحظ منه وكم غوى
أنا لا أفيق الدهور فيه ه من الصبابة والجوى
إنّ الهوى حيّاً وميّ نأ لا يزال به سوا
كم قد نويت به التّعيا م فقدّر الله النوى
دار السلام حوت من كلّ المحاسن قد حوى
مجموع حسن قد ثوى في جنة وبها ثوى

وولد أبو الحسن علي بن موسى يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رمضان
عام عشرة وستمائة ، وهو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف
ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد
الله بن سعيد بن عمار بن ياسر ، رضي الله تعالى عنه .

* * *

[ترجمة والد ابن سعيد من المغرب]

وقال في « المغرب » لما عرف بوالده الكاتب الشهير أبي عيمران موسى
ابن محمد بن عبد الملك بن سعيد ، ما محصله ^١ : لولا أنّه والدي لأطنبت في
ذكره ، ووفيته من الوصف حق قدره ، لكن كفاه وصفاً ما أثبت له في هذه
الترجمة ، وما مر له ويمر في أثناء هذا الكتاب ، وكون كل من اشتغل بهذا
التأليف نهراً وهو بحر ، واشتهاره في حفظه التاريخ والاعتناء بالآداب في بلاده ،
بحيث لا يحتاج إلى تنبيه ولا إطناب ، وله من النظم والنثر ما تضحج الأقلام من
كثرته ، ويستمد القطر من درّته ، ومما شاهدت من عجائبه أنّه عاش سبعاً

١ المغرب ٢ : ٩٩ ويشبه أن يكون نص المغرب المطبوع تلخيصاً لهذه الترجمة التي أوردها
المقري .

وستين سنة ولم أره يوماً يخلي مطالعة كتاب أو كَتَب ما يخلده ، حتى إن أيام الأعياد لا يخليها من ذلك ، ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكَتَب ، فقلت له : يا سيدي ، أفي هذا اليوم لا تستريح ؟ فنظر إلي كالمغضب وقال : أظنك لا تُفْلح أبداً ، أترى الراحة في غير هذا ؟ والله لا أحسب راحة تبلغ مبلغها ، ولوددت أن الله تعالى يُضاعف عمري حتى أتم كتاب « المغرب » على غرضي ؛ قال : فأثار ذلك في خاطري أن صرت مثله لا ألتدُّ بنعيم غير ما ألتدُّ به من هذا الشأن ، ولولا ذلك ما بلغ هذا التأليف إلى ما تراه . وكان أولع الناس بالتجول في البلدان ، ومشاهدة الفضلاء ، واستفادة ما يرى وما يسمع . وفي تولعه بالتحديد والمطالعة للكتب يقول :

يا مَفْنِياً عُمُرَهُ في الكأس والوَتَرِ	وراعياً في الدُّجَى لِلأُنْجَم الزُّهَرِ
يَبْكِي حَبِيباً جَفَاهُ أو ينادمُ مَنْ	يَهْفُو لَدَيْهِ كغُصْنٍ بِاسْمِ الزُّهَرِ
مَنْعَمًا بَيْنَ لَدَاتٍ بِمَحَقِّهَا	ولا يخلدُ مِنْ فَخْرٍ ولا سِيرِ
وعاذلاً لي فيما ظَلَمْتُ أَكْتَبُهُ	بيدي التعجبَ من صبري ومن فكري
يَقُولُ ما لك قَدْ أَفْنَيْتَ عُمُرَكَ في	حبرٍ وطِرسٍ عن الأغصان والخبر
وظَلَمْتُ تَسَهَّرُ طَوْلَ اللَّيْلِ في تَعَبِ	ولا تَتَنَّى أَمَدَ الأَيَّامِ ^١ في ضَجَرِ
أَفْصِيرُ فَلَنْتِي أَدْرَى بالذي طَمَحْتُ	لأَفْقَهُ هَمِّي واسْأَلْ عَنِ الأَثَرِ ^٢
واسمَعْ لِقَوْلِ الذي تُتَلَّى مُحَاسِنُهُ	من بعدِ ما صارَ مِثْلَ التُّرْبِ كالسُورِ
«جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم	بعد الممات جمالُ الكتب والسير»

انتهى .

وولد أبو عمران موسى بن محمد في الخامس من رجب عام ثلاثة وسبعين

١ المغرب : ولا ترى أبد الأيَّام .

٢ ق : الخبر .

وخمسمائة ، وتوفي بـنـغـر الإسكندرية يوم الاثنين الثامن من شوال عام أربعين وستمائة .

* * *

[محمد بن عبد الملك بن سعيد]

وولد أبوه محمد بن عبد الملك صاحب أعمال غرناطة وأعمال إشبيلية عام أربعة عشر وخمسمائة ، وتوفي بشعبان عام تسعة وثمانين وخمسمائة بـغـرناطة^١ .

وكان محمد بن عبد الملك وزيراً جليلاً ، بعيد الصيت ، عالي الذكر ، رفيع الهمّة ، كثير الأموال ، وذكره ابن صاحب الصلاة في كتابه « تاريخ الموحدين »^٢ ونبه على مكانته منهم في الحظوة والأخذ في أمور الناس ، وأثنى عليه ، وذكره السهيلي في « شرح السيرة الشريفة »^٣ حيث ذكر الكتاب الموجه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هيرقل وأن محمد بن عبد الملك عاينه عند أذفونش مكرماً مفتخراً به ، والقصة مشهورة ؛ ومدحه الرصافي بقصيدة أولها^٤ :

ذهناً يفيضُ ونحاطراً متوقداً ماذا عسى يُثني على علم الندى^٥

ولما أنشده قصيدته فيه التي أولها^٦ :

لمحلّك الترفيعُ والتعظيمُ ولوجهك التقديسُ والتكريمُ

حكّفَ لا يسمعها ، وقال : عليّ إجازتك ، ولكن طباعي لا تحمل مثل

١ انظر المغرب ٢ : ١٦٢ .

٢ يعني كتاب « المن بالإمامة على المستضعفين » ، انظر ص : ٢٥١

٣ هو كتاب « الروض الأنف » .

٤ ديوانه : ٦٢ .

٥ الديوان : أبدأ تفيض . . . دعها تبت قبساً على علم الندى .

٦ الديوان : ١٣١ وفيه أنها في مدح أبي جعفر الوشحي وزير ابن هشك .

هذا ، فقال له الرصافي : وَمَنْ مِثْلِكَ يَسْتَحِقُّ هَذَا فِي الْوَقْتِ غَيْرُكَ ؟ فقال له :
دعني من خداعك ، أنا وما أعلمه من قلبي .
وأنشد له في « الطالع السعيد »^١ :

فَلَا تُظْهَرَنَّ مَا كَانَ فِي الصَّدْرِ كَامِنًا وَلَا تَرْكَبَنَّ بِالْغِيظِ فِي مَرْكَبٍ وَعَرِيٍّ
وَلَا تَبْحَثَنَّ فِي عُدُنٍ مِنْ جَاءَ تَائِبًا فَلَيْسَ كَرِيمًا مَنْ يُبَاحِثُ فِي الْعُدُنِ
وولي للموحدين أعمالاً كثيرة بمراكش وسلا وإشبيلية وغرناطة ،
وانصلت ولايته على أعمال غرناطة ، وكان من شيوخها وأعيانها ، وكتب عليه
عقد أن في داره من الحلى وأصنافه ما لا يمكن إلا في دار الملك ، وأنه إذا
ركب في صلاة الصبح شوش . . .^٢ ونُباح الكلاب ، فأمر المنصور بالقبض عليه
وعلى ابن عمه صاحب أعمال إفريقية أبي الحسين سنة ٥٩٣ ، ثم رضي عنهما ،
وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كل ما أخذ له ، فصرفه عليه ، ولم
ينقص منه شيئاً ، وغرم له ما فات منه ، وهذا مما يدل على قوة سَعْدِ محمد
ابن عبد الملك المذكور ونباهة قدره ، وحَسْبُهُ من الفخر مدحُ أديب الأندلس
وشاعرها أبي عبد الله الرصافي^٣ له ، وهو مِمَّنْ يمدحُ الخلفاء في ذلك العصر ،
رحمه الله تعالى .

[عبد الملك بن سعيد]

وولد أبوه عبد الملك بن سعيد عام ستة وتسعين وأربعمائة ، وتوفي بحضرة

-
- ١ البيهقي في المغرب ٢ : ١٦٢ .
 - ٢ بياض بقدر سطر في ج ق وجاء في هامش إحدى النسخ : « هذا سطر بخط المؤلف رحمه الله ما قدرنا على استخراج جبره الله تعالى » .
 - ٣ أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي (- ٥٧٢) قد جمعنا شعره وقدمنا له بدراسة عن الشاعر ، وانظر في ترجمته المغرب ٢ : ٢٩٧ والتكملة : ٥٢٠ والمعجب : ١٣٧ وتحفة القادم : ١٨٣ وأدباء مالقة ، الورقة : ١٨ .

مزاكش عام اثنين وستين وخمسمائة . قال الجيجاري : لما مات يحيى بن غانية الملقب بملك الأندلس بحضرة غرناطة ، وكان وزيره ومُدبر دولته عبد الملك بن سعيد ، بادر الفرار لغرناطة عندما سمع بموته إلى قلعته ، وثار بها ، وطلبه خليفة يحيى بن غانية طلحة^١ بن العنبر ، فوجده قد فاته .

وقد قدمنا أن عبد الملك هذا هو السبب في تأليف كتاب « المغرب في أخبار المغرب » ثم تمه ابنه محمد بن عبد الملك ، ثم تمم ما بقي منه ابنه موسى ابن محمد ، ثم أربى على الكل في إتمامه أبو الحسن علي بن موسى الذي قصدناه بالترجمة في هذا الكتاب ، وقد ذكرنا من أحواله جملة كافية .

* * *

[وصف ابن سعيد الفسطاط]

ومن غوائد ابن سعيد أبي الحسن ما حكاه عن صاحب كتاب « الكمائم » وهو^٢ : فأما فسطاط مصر فإن مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس ، وجاء الإسلام وبها بناء^٣ يُعرف بالقصر حوله مساكن ، وهو الذي عليه نزل عمرو بن العاص ، وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب إليه ، ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ، ونسب المدينة إليه ، فقبيل : فسطاط عمرو ، وتداولت عليها بعد ذلك^٤ ولادة مصر ، فاتخذوها سرير السلطنة ، وتضاعفت عمارتها ، فأقبل الناس من كل جانب إليها ، وقصروا أمانهم عليها ، إلى أن رسخت بها دولة بني طولون ، فبنوا إلى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع ، وبها كان مسجد ابن طولون الذي هو الآن إلى جانب القاهرة ، وهي مدينة

١ طلحة : ثبتت في ج وسقطت من ق .

٢ قارن هذا النص بما ورد في المغرب ١ : ١ والخطط المقيزية ٢ : ١٤٦ ، وأما كتاب الكمائم المذكور فإنه للبيهقي .

٣ المغرب : مبن .

٤ بعد ذلك : سقطت من دوزي .

مستطيلة يمر النيل مع طولها ، وتحطُّ في ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بأنواع القوائد ، وبها منترهات ، وهي في الإقليم الثالث ، ولا ينزل فيها مطر إلا في النادر ، وترايبها ينتن^١ الأرجل ، وهو قبيح اللون ، تستكدر^٢ منه أرجاؤها ، ويسوء بسببه هواؤها ، ولها أسواق ضخمة إلا أنها ضيقة ، ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة . ومذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة القسطنطينية ، وفُرت في الاعتناء بها بعد الإفراط ، وبينهما نحو ميلين ، وأنشدت فيها للشريف العقيلي^٣ :

أحسَّ إلى القسطنطينية شوقاً وإنني لأدعو لها أن لا يحلَّ بها القطرُ
وهل في الحيا من حاجةٍ لحنائها وفي كل قطرٍ من جوانبها نهرُ
تبدَّت عروساً والمقطمُ تاجها ومن نيلها عقدٌ كما انتظم الدرُّ

وقال عن كتاب أجار^٤ : والقسطنطينية هو قصب مصر ، والجبل المقطم شرقيها ، وهو متصل بجبل الزمرذ ، وقال عن كتاب ابن حوقل^٥ : القسطنطينية مدينة حسنة ، ينقسم النيل لديها ، وهي كبيرة ، ومقدارها نحو فرسخ ، على غاية العمارة والطيب واللذة ذات رحاب في محالها ، وأسواق عظام فيها ضيق ،

١ المغرب : تثيره .

٢ المغرب : تستكدر .

٣ هو أبو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة من شعراء المائة الرابعة ، أكثر شعره في الوصف ولم يكن يمدح (انظر المغرب ١ : ٢٠٥ قسم مصر والحريفة ٢ : ٦٢ والمسالك ١١ : ١٩٥) والأبيات ليست في ديوانه المطبوع .

٤ يعني كتاب « نزهة المشتاق » للإدريسي الذي ألفه للملك رجار (ويقال فيه أجار) : Roger وانظر المغرب ١ : ٢ .

٥ انظر كتاب صورة الأرض : ١٣٧ والنقل عنه باختصار ، ولذا لم نثبت فروق القراءة ؛ والمغرب ١ : ٢ .

٦ ج : وأسواقها .

ومتاجر فخام^١ ، ولها ظاهر أنيق ، وبساتين نضرة ، ومتزهات على ممر الأيام
خضرة ، وفي الفسطاط قبائل وخطط للعرب تُنسب إليها كالكوفة والبصرة ،
إلا أنها أقل من ذلك ، وهي سبخة الأرض ، غير نقية التربة ، وتكون الدار
بها سبع طبقات وخمسا وستا ، وربما يسكن في الدار المائتان من الناس ،
ومُعظم بنيانهم بالطوب ، وأسفل دورهم غير مسكون ، وبها مسجدان للجمعة ،
بنى أحدهما عمرو بن العاص في وسط الفسطاط ، والآخر على الموقف^٢ بناه
ابن طولون ، وكان خارج الفسطاط أبنية بناها أحمد بن طولون ميلا في ميل
يسكنها جنده ، وتُعرف بالقطائع ، كما بنى بنو الأغلب خارج القيروان رقادة ،
وقد خربتا في وقتنا هذا ، وأخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة .
قال ابن سعيد^٣ : لما استقررت بالقاهرة تشوّفت^٤ إلى مُعانة الفسطاط ،
فسار معي إليها أحد أصحاب القرية^٥ ، فرأيت عند باب زويلة من الحمير المُعدّة
لركوب من يسير إلى الفسطاط جملة عظيمة ، لا عهد لي بمثلها في بلد ، فركب
منها حمارا ، وأشار إليّ أن أركب حمارا آخر ، فأنفست من ذلك جرّيا على
عادة ما خلفته من بلاد المغرب ، فأخبرني^٦ أنه غير معيّب على أعيان مصر ،
وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها ، فركبت ، وعندما
استويت راكبا أشار المُكاري إلى الحمار ، فطار بي ، وأثار من الغبار الأسود
ما أعمى عيني ، ودنس ثيابي ، وعابنت ما كرهته ، ولقلة معرفتي بركوب
الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهد ، وقلة رفق المُكاري ، وقعت في تلك
الظلمة الماثرة من ذلك العجاج ، فقلت :

١ كذا في ج ؛ وفي ق : ضخام .

٢ الموقف : بقعة شمال الفسطاط (الانتصار لابن دقاق ٤ : ١٠) ؛ وفي ج : والآخر على الآخر .

٣ المغرب ١ : ٥ (قسم مصر) .

٤ كذا في ج والمغرب ؛ وفي ق ودوزي : تشوقت .

٥ المغرب : العزمة .

٦ المغرب : فأعلمني .

لَقِيتُ بِمِصْرَ أَشَدَّ الْبَوَارِ رُكُوبَ الْحِمَارِ وَكُحْلَ الْغُبَارِ
وَحَلَفِي مُكَارٍ يَفُوقُ الرِّيحَ لَا يَعْرِفُ الرِّفْقَ مَهْمَا اسْتَطَارَ
أَنَادِيهِ مَهْلًا فَلَا يَرْعَوِي إِلَى أَنْ سَجَدْتُ سُجُودَ الْعَنَارِ
وَقَدْ مَدَّ فَوْقِي رَوَاقَ الثَّرَى وَأَلْحَدَ فِيهِ ضِيَاءَ النَّهَارِ

فدفعني إلى المكارى أجرته ، وقلت له : إحسانك أن تتركني أمشي على رجلي ، ومشيت إلى أن بلغتها ، وقدرت الطريق بين الفسطاط والقاهرة وحققته بعد ذلك نحو ميلين ، ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عني المسرة ، وتأملت أسواراً مثبلمة سوداء وآفاقاً مغبرة ، ودخلت من بابها وهو دون غلقتي يفضي إلى خراب معمور بمبانٍ متشتتة الوضع ، غير مستقيمة الشوارع ، قد بُنيت من الطوب الأدكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة ، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال ما يقبض نفس التنظيف ، ويغض طرف الظريف ، فسرت وأنا مُعَاين لاستصحاب تلك الحال ، إلى أن صرت في أسواقها الضيقة ، فقاسيت من ازدحام الناس فيها لحوائج السوق والروايا التي على الجمال ما لا تنفي به إلا مشاهدته ومقاساته ، إلى أن انتهيت إلى المسجد الجامع ، فعاينت من ضيق الأسواق التي حوله ما ذكرت به ضده في جامع إشبيلية وجامع مرآكش ، ثم دخلت إليه فعاينت جامعاً كبيراً قديماً البناء ، غير مزخرف ، ولا مُحْتَفَل في حُصْره التي تدور مع بعض جيطانه ، وتنسبط فيه ، وأبصرت العامة رجالاً ونساء قد جعلوه معبراً بأوطئة أقدامهم يعوزون فيه من باب إلى باب ليقرب عليهم الطريق ، والبياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والكمك وما سوى ذلك^١ ، والناس يأكلون في عدة أمكنة منه غير محتشمين بحري العادة عندهم بذلك ، وعدة صبيان بأواني ماء يطوفون على كل من يأكل ، قد جعلوا ما يحصل لهم منه رزقاً ، وفضلات ما كلهم مطروحة في صحن الجامع ، وفي زواياه العنكبوت قد عظم

١ المغرب : وما جرى مجرى ذلك .

نسجه في السقف والأركان والحيطان ، والصبيان يلعبون في صحته ، وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة^١ ، إلا أن مع ذلك على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده في جامع إشبيلية مع زخرفته والبستان الذي في صحته ، ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والأنس^٢ دون منظر يوجب ذلك ، فعلمت أن ذلك سر مودع من وقوف الصحابة رضي الله تعالى عنهم في ساحته عند بنائه ، واستحسن ما أبصرته من حلق المتصدين لإقراء القرآن والفقه والنحو في عدة أماكن ، وسألت عن مواد أرزاقهم فأخبرت أنها من فروض الزكاة وما أشبه ذلك ، ثم أخبرت أن اقتضاء ذلك يصعب إلا بالجاه والتعب . ثم انفصلنا من هناك إلى ساحل النيل ، فرأيت ساحلاً كدير التربة ، غير نظيف ولا متسع الساحة ، ولا مستقيم الاستطالة ، ولا عليه سور أبيض ، إلا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الأرزاق التي تصل من جميع أقطار النيل ، ولئن قلت لئن لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فلئن أقول حقاً ، والنيل هنالك ضيق ، لكون الجزيرة التي بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعة قد توسطت الماء ومالت إلى جهة القسقاط ، وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة في ذلك الساحل . وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذي يكون ممتداً من القسقاط إلى الجزيرة ، وهو غير طويل ، ومن الجانب الآخر إلى البر الغربي المعروف ببر الجزيرة^٣ جسر آخر من الجزيرة إليه ، وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم في المراكب ، لأن هذين الجسرين قد احتُرما لخصولهما في حيز قلعة السلطان ، ولا يجوز أحد على الجسر الذي بين القسقاط والجزيرة ركباً احتراماً

١ المغرب : العوام .

٢ ج ق : والحسن .

٣ في ج : ببر الجزيرة .

لموضع السلطان ، وبتنا في ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل ، فقلت ^١ :

نَزَلْنَا مِنَ الْفُسْطَاطِ أَحْسَنَ مَنَزَلٍ بِحَيْثُ امْتَدَّادُ النَّيْلِ قَدْ دَارَ كَالْعِقْدِ
وَقَدْ جُمِعَتْ فِيهِ الْمَرَائِبُ سُحْرَةً كَسِرْبٍ قَطًّا أَضْحَى يَرْفُ عَلَى وَرْدٍ
وَأَصْبَحَ يَطْفُو الْمَوْجُ فِيهِ وَيَرْتَمِي وَيَطْرُبُ أحيانًا وَيَلْعَبُ بِالرَّدِ
حَلَا مَآوَاهُ كَالرِّيْقِ مَمَّنْ أَحَبَّهُ فَمَدَّتْ عَلَيْهِ حُلَّةً مِنْ حُلَى الْخَدِّ
وَقَدْ كَانَ مِثْلَ النَّهْرِ مِنْ قَبْلِ مَدَّةٍ فَأَصْبَحَ لَمَّا زَادَهُ الْمَدُّ كَالْوَرْدِ

وقلت هذا لأنني لم أذق في المياه أحلى من مائه ، وإنه يكون قبل المد الذي يزيد به ويفيض على أقطاره أبيض ، فإذا كان عباب النيل صار أحمر ، وأنشدني علم الدين فخر الترك أيدمر ^٢ عتيق وزير الجزيرة في مدح الفسطاط ^٣ :

حَبَّبْنَا الْفُسْطَاطَ مِنَ وَالِدَةٍ جَنَّبْتُ أَوْلَادَهَا دَارَ الْجَفَا
يَرِدُ النَّيْلُ إِلَيْهَا كَدِرًا فَإِذَا مَازَجَ أَهْلِيهَا صَفَا
لَطَفُوا فَالْمَزْنُ لَا تَأْلِفُهُمْ خَجَلًا لَمَّا رَأَتْهُمْ أَلْفَا

ولم أر في أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط ، حتى إنهم ألطف من أهل القاهرة ، وبينهما نحو ميلين ، والحال أن أهل الفسطاط في نهاية من اللطافة واللين في الكلام ، وتحت ذلك من الملتق وقلة المبالاة برعاية قدر الصحبة وكثرة الممازجة والألفة ما يطول ذكره .

وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الإسكندراني والبحر الحجازي

١ الأبيات في المقتطفات (الورقة : ٢٨) ، والخطط ٢ : ١٤٨ .

٢ هو علم الدين أيدمر المحيوي التركي ، راجع ترجمته في فوات الوفيات (١ : ١٤٠) وهو ينقل عن المشرق في حل المشرق لابن سعيد ، وله ديوان شعر يمثل قسماً من شعره (دار الكتب : ١٩٣١) .

٣ وردت هذه الأبيات في كتاب الانتصار ٤ : ١٠٩ ، وانظر مقدمة ديوانه ، والمغرب (قسم مصر ١ : ٩) ، والخطط ٢ : ١٤٨ .

٤ المغرب (قسم مصر) : ١١ .

فإنه فوق ما يوصف ، وبها مجمع ذلك ، لا بالقاهرة ، ومنها يجهز إلى القاهرة وسائر البلاد .

وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجري هذا المجرى ، لأن القاهرة بُنيت للاختصاص بالجند ، كما أن جميع زيّ الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط ، وكذلك ما يُنسج ويصاغ وسائر ما يُعمل من الأشياء الرفيعة السلطانية ، والخراب في الفسطاط كثير ، والقاهرة أجْدُّ وأَعمَرُ وأكثر زحمة ، باعتبار انتقال^١ السلطان إليها ، وسكنى الأجناد فيها ، وقد نفخ روح الاعتناء والنمو في مدينة الفسطاط الآن ، لمجاورتها للجزيرة الصالحية ، وكثير من الجند قد انتقل إليها للقرب من الخدمة ، وبني على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر ، انتهى .

قال المقرئ^٢ : يعني ابنُ سعيد ما بُني على شفة مصر من جهة النيل . انتهى . وقال ابن سعيد المذكور في « المغرب من حلى المغرب » ما ملخصه : الروضة أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجزيرة ، وبها مقياس النيل ، وكانت منتزهاً لأهل مصر ، فاختارها الملك الصالح ابن الملك الكامل سريراً لسلطنته ، وبني فيها قلعة مُسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالي السَّمْك لم تَرَ عيني أحسنَ منه ، وفي هذه الجزيرة كان الهودج الذي بناه الخليفة الأمر لزوجته البدوية التي هام في حبها ، والمختار بستان الإخشيد وقصره ، وله ذكر في شعر تميم بن المعز وغيره ، ولشعراء مصر في هذه الجزيرة أشعار ، منها قول أبي الفتح ابن قادوس الدميّطي :

أرى سُرجَ الجزيرة من بعيدٍ كأحداق تُغازلُ في المغازل
كأنَّ مجرّةَ الجوزاء خَطَّتْ وأثبتتِ المنازلَ في المنازل

١ المغرب : بسبب انتقال .

٢ الخطط ٢ : ١٤٩ .

قال : وكنت أبيتُ بعض الليالي بالفسطاط ، فيزدهيني ضحك البدر في وجه النيل مع سور هذه الجزيرة اللويّ اللون ، ولم أنفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة ، وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه همّة بانيها ، وهو من أعظم السلاطين في البناء ، وأبصرت بهذه الجزيرة إيواناً جلوسه لم تر عيني مثاله ، ولا يُقدَّر ما أنفق عليه ، وفيه من صحائف الذهب والرخام الآبنوسي والكافوريّ والمجزَّع ما يذهل الأفكار ، ويستوقف الأبصار ، ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة في بعضها حاضر^١ حصر فيه أصناف الوحوش التي يتفرج عليها السلطان ، وبعدها مروج تنقطع فيها مياه النيل فتنظر فيها أحسن منظر ، قال : وقد تفرجت كثيراً في طرف^٢ هذه الجزيرة ممّا يلي أثر الفسطاط فقطعت به عشيات مُذهّبات ، لم تزل لأحزان الغربة مُذهّبات ، وإذا زاد النيل فصل برها عن بر الفسطاط من جهة خليج القاهرة ، ويبقى موضع الجسر تكون فيه المراكب ، انتهى .

وأورد الصفدي في تذكرته لابن سعيد المذكور في هذه الجزيرة :

انظر إلى سور الجزيرة في الدجى والبدر يلثم منه تُغبراً أشنبا
تضاحك الأنوار في جنباته فريك فوق النيل أمراً مُعجبا
بيننا تراه مُفضّضاً في جانب أبصرت منه في سواه مُذهّبا
لله مرأى ما رآه ناظري إلا خلعت له المقام تطربا

* * *

[وصف القاهرة]

وقال في « المغرب » نقلاً عن بعضهم ما صورته^٣ : وأما مدينة القاهرة ، فهي الحالية الباهرة ، التي تنفن فيها القاطميون وأبدعوا في بنائها ، واتخذوها

١ ق : حاصر . ٢ ق : طرق .

٣ المخطوط ٢ : ١٨٦ - ١٩٠ والنقل عن البيهقي .

قُطِباً لخلافتهم ومركزاً لأرجائها ، فنُسِي الفسطاط ، وزُهد فيه بعد الاغتيال ،
وسميت القاهرة لأنها تَقْهَر من شد عنها ورام مخالفة أميرها ، انتهى . قال ابن
سعيد : هذه المدينة اسمها أعظم منها ، وكان ينبغي أن تكون في ترتيبها ومبانيها
على خلاف ما عاينته ، لأنها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبَّاسيين ، وكان
سلطانه قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية إلى البحر المحيط .

وسارت مَسِيرَ الشمس في كلِّ بلدةٍ وهبَّتْ هبوبَ الريح في البرِّ والبحر
لاسيما وقد عاين مباني أبيه المنصور في المدينة المنصورية إلى جانب القبروان
وعاين المهدي مدينة جدَّة عبَّيد الله المهدي ، لكن الهمة السلطانية ظاهرة على
قصور الخلفاء بالقاهرة ، وهي ناطقة إلى الآن بألسن الآثار ، والله در القائل :

هَمُُّ الملوك إذا أرادوا ذِكْرَها من بَعْدِهِمُ فبالسَّنِ البُشَيَّانِ
إنَّ البِناء إذا تعاظَمَ شأنُهُ أَضْحَى يدلُّ على عَظِيمِ الشَّانِ

وهم من بعده الخلفاء المصريون في الزيادة في تلك القصور ، وقد عاينت
فيها إيواناً يقولون إنَّه بُني قدر إيوان كسرى الذي بالمئات ، وكان يجلس فيها
خلفاؤهم ولهم على الخليج الذي بين الفسطاط والقاهرة مَبَانٍ عظيمة جليلة
الآثار ، وأبصرت في قصورهم حيطاناً عليها طاقات عديدة من الكِلْس والجبس
ذُكر لي أنهم كانوا يجدُّون تبييضها في كل سنة ، والمكان المعروف بالقاهرة
بين القصرين هو من الترتيب السلطاني ، لأن هناك ساحة متسعة للعسكر
والمُتَرَجِّين ما بين القصرين ، ولو كانت القاهرة كلَّها كذلك كانت عظيمة القدر
كاملة الهمة السلطانية ، ولكن ذلك أمد قليل ، ثم تسير منه إلى أمد ضيق ، وتمر
في ممر كدر حرج بين الدكاكين ، إذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان
مما تضيق به الصدور ، وتسخن منه العيون ، ولقد عاينت يوماً وزير الدولة
وبين يديه الأمراء ، وهو في موكب جليل ، وقد لقي في طريقه عجلة بقر تحمل

حجارة ، وقد سدت جميع الطرق بين يدي الدكاكين ، ووقف الوزير وعظم
الإزدحام ، وكان في موضع طباحين ، والدخان في وجه الوزير ، وعلى ثيابه ،
وقد كاد يهلك المشاة ، وكدت أهلك في جملتهم . وأكثر دُروب القاهرة ضيقة
مظلمة كثيرة التراب والأزبال ، والمباني عليها من قصب وطين مرتفعة قد
ضَيَّقَتْ مسلك الهواء والضوء بينها ، ولم أرَ في جميع بلاد المغرب أسوأ منها
حالا في ذلك ، ولقد كنت إذا مشيت فيها يضيق صدري ، وتُدْرِكني وجشة
عظيمة ، حتى أخرج إلى بين القصرين .

ومن عيوب القاهرة أنها في أرض النيل الأعظم ويموت الإنسان فيها عطشاً
لبعد ما عن مجرى النيل ، لثلا يصادرها ويأكل ديارها ، وإذا احتاج الإنسان إلى
فرجة في نيلها مشى في مسافة بعيدة بظاهرها بين المباني التي خارج السور إلى
موضع يُعرف بالمقنس ، وجوؤها لا يبرح كدراً بما تنثره الأرض من التراب
الأسود ، وقد قلت فيها حين أكثر علي رفاقي من الخض على العود فيها :

يقولون سافِرْ إلى القَاهِرَةِ وما لي بها رَاحَةً ظاهِرَةً
زِحَامٌ وضيقٌ وكَرْبٌ وما تُشِيرُ بها أَرْجُلُ سائِرَةٍ

وعندما يُقْبِلُ المسافر عليها يرى سوراً أسود كدراً ، وجوّاً مغبراً ،
فتنقبض نفسه ، ويفرُّ أنسه ، وأحسن موضع في ظواهرها للفرجة أرض الطباله ،
لا سيما أرض القرط والكتان ، وقلت :

سقى الله أرضاً كلما زُرَتْ رَوْضُهَا كَسَّاهَا وَحَلَّاهَا بِزَيْتِيهِ الْقَرطُ
تَجَلَّتْ عَرُوساً والمياه عَقُودُهَا وفي كل قطر من جوانبها قرطُ

وفيها خليج لا يزال يضعف بين حضرتها حتى يصير كما قال الرصافي :

ما زالتِ الْأَمْحَالُ تأخذه حتى غَدَا كَدُّوَابَةُ النِّجَمِ

وقلت في نور الكتان على جانبي الخليج :

انظر إلى النهر والكتان يرمقه من جانبيه بأجفان لها حدق
رأته سيفاً عليه للصبأ شطب فقابلته بأحداق بها أرق
وأصبحت في يد الأرواح تنسجها حتى غدت حلقاً من فوقها حلق
فقم فزرها ووجه الأرض مضطج أو عند صفريته إن كنت تغيب

وأعجني في ظاهرها بركة الفيل ، لأنها دائرة كالبدر ، والمناظر فوقها
كالنجوم ، وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل ، وتُسرج أصحاب المناظر
على قدر همتهم وقدرتهم ، فيكون لها بذلك منظر عجيب ، وفي ذلك قيل^١ :

انظر إلى بركة الفيل التي اكتنفت بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنما هي والأبصار ترمقها كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت إليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت :

انظر إلى بركة الفيل التي فجرت لها الغزالة فجراً من مطالعها
ونخل طرفك مجنوناً ببهجتها يهيم وجداً وحباً في بدائعها

والفسطاط أكثر أرزاقاً ، وأرخص أسعاراً من القاهرة ، لقرب النيل من
الفسطاط ، والمراكب التي تصل بالخيرات تحط هناك ، ويبيع ما يصل فيها
بالقرب منها ، وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة ، لأنه يبعد عن المدينة ،
والقاهرة هي أكثر عمارة واحتراماً وحشمة من الفسطاط ، لأنها أجل مدارس ،
وأضخم خانات ، وأعظم دياراً لسكنى الأمراء فيها ، لأنها المخصوصة بالسلطنة ،
لقرب قلعة الجبل منها ، فأمر السلطنة كلها فيها أيسر ، وأكثر ، وبها الطراز
وسائر الأشياء التي يتزين بها الرجال والنساء ، إلا أن في هذا الوقت لما اعتنى

١ سقط البيتان من ج .

السلطان ببناء قلعة الجزيرة التي أمام القسطنطينية وصيرها سرير السلطنة عَظُمَت
عمارة القسطنطينية ، وانتقل إليها كثير من الأمراء ، وضخمت أسواقها ، وبنى
فيها السلطان أمام الجسر الذي للجزيرة قيسارية عظيمة ، فنقل إليها من القاهرة
سوق الأجناد التي يُباع فيها القيراء والخوخ وما أشبه ذلك .

إلى أن قال : وهي الآن عظمة أهلة ، يُجَبَى إليها من الشرق والغرب
والجنوب والشمال ما لا يحيط بِحِمْلِهِ وتفسيره إلا خالق الكل جلّ وعلا ، وهي
مستحسنة للفقير الذي لا يخاف طلب زكاة ولا ترسيماً ولا عذاباً ، ولا يطالب
برفيق له إذا مات ، فيقال له : ترك عندك مالاً ، فربما سجن في شأنه أو ضرب
أو عَصِر ، والفقير المجرد فيها يستريح بجهة رخص الخبز وكثرة ، ووجود السماع
والفرج في ظواهرها ودَوَآخِلِهَا ، وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب إليه نفسه ،
يحكم فيها كيف شاء من رقص في وسط السوق أو تجريد أو سكر من حشيشة
أو صحبة مُرْدَانٍ وما أشبه ذلك ، بخلاف غيرها من بلاد المغرب ، وسائر الفقراء
لا يتعرضون إليهم بالقبض للأسطول إلا المغاربة ، فذلك وقف عليهم لمعرفة
بمعاونة البحر ، وقد عمّ ذلك مَنْ يعرف معاونة البحر منهم وَمَنْ لا يعرف ،
وهم في القدوم عليها بين حالين : إن كان المغربي غنياً طوّل بالزكاة وضيق
عليه السعاة ، وإن كان مجرداً فقيراً حُمِلَ إلى السجن حتى يموت وقت الأسطول .
وفي القاهرة أزاهر كثيرة غير منقطعة الاتصال ، وهذا الشأن في الديار
المصرية يفضل كثيراً من البلاد ، وفي اجتماع النرجس والورد فيها أقول :

مَنْ فَضَّلَ النرجسَ وَهُوَ الذي يَرْضَى بحكم الوردِ إِذْ يَرَأْسُ
أما ترى الوردَ غداً قاعداً وقامَ في خِدْمَتِهِ النرجسُ

وأكثر ما فيها من الثمرات والقواكه الرمان والموز ، أما التفاح والإجاص
فقليل غال ، وكذلك الخوخ ، وفيها الورد والنرجس والتسرين والنيلوفر والبنفسج
والياسمين والليمون الأخضر والأصفر ، وأما العنب والتين فقليل غال ، ولكثرة

ما يعصرون العنب في أرياف النيل لا يصل منه إلا القليل ، ومع هذا فشرابه عندهم في غاية الغلاء ، وعامتها يشربون المِزْرَ الأبيض المتخذ من الخنطة ، حتى إن الخنطة يطلع سعرها بسببه ، فينادي المنادي من قبل الوالي بقطعه وكسر أوانيهِ ، ولا ينكر فيها إظهار أواني الخمر ولا آلات الطرب ذوات الأوتار ، ولا تبرُّج النساء العواهر ، ولا غير ذلك ممّا ينكر في غيرها من بلاد المغرب ، وقد دخلت في الخليج الذي بين القاهرة ومصر وتعظم عمارته فيما يلي القاهرة ، فرأيت فيه من ذلك العجائب ، وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب ، وذلك في بعض الأحيان ، وهو ضيق ، عليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم التهكم والطرب والمخالفة ، حتى إن المحتشمين والرؤساء لا يميزون العُيُور به في مركب ، وللسُرُج في جانبيه بالليل منظر ، وكثيراً ما يتفرج فيه أهل السُر في الليل ، وفي ذلك أقول :

لا تركبتن في خليج مِصْرٍ	إلا إذا أُسْدِلَ الظَّلَامُ
فقد علمت الذي عليّه	مين عالم كلّهم طغام
صفان للحرب قد أطلا	سلاح ما بينهم كلام
يا سيدي لا تسير إليّه	إلا إذا هوّم النيام
والليل ستر على التصابي	عليّه مين فضليه لثام
والسُرُج قد مُدّت عليه	منها دنابر لا ترام
وهو قد امتدّ والمتباني	عليه في خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا	هناك أثمارها الأثام

قال المقرئزي : وفيه تحامل كثير ، انتهى .

ومنّ نظر بعين الإنصاف علم أن التحامل في نسية التحامل إليه ، والله

تعالى الموفق .

قال ابن سعيد : ومعاملة المُسْتَطَاط والقاهرة بالدراهم المعروفة بالسوداء ،

كل درهم منها ثلاثة من الدرهم الناصري ، وفي المعاملة بها شدة وحساسة في البيع والشراء . ومخاصمة بين الفريقين ، وكان بها قديماً الفلوس ، فقطعها الملك الكامل ، فبقيت الآن مقطوعة منها .

وهي في الإقليم الثالث : وهواؤها رديء ، لا سيما إذا هبَّ المَرِيسي من جهة القبلة ، وأيضاً فرمَدُ العين فيها كثير ، والمعيش فيها متعذرة نَزْرة ، لا سيما أصناف الفضلاء ، وجوامك المدارس قليلة كدرة ، وأكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى في كتابة الطب والخراج ، والنصارى بها يمتازون بالزَّناز في أوساطهم ، واليهود بعمائم صُفر ، ويركبون البغال ، ويلبسون الملابس الجليلة ، ويأكل أهل القاهرة البطارخ ، ولا تُصنع حلوة القمح إلا بها وبغيرها من الديار المصرية . وفيها جَوَارٍ طبائحات أصلُ تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين . وهن في الطبخ صنائع عجيبة ، ورياسة متقدمة ، ومطابخ السكر والمواضع التي يصنع بها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة . انتهى المقصود من هذا الموضع من كلام أبي الحسن النور بن سعيد رحمه الله تعالى . وقال رحمه الله :

كَمْ ذَا تُقِيمُ بِمِصْرَ مُعَذَّباً بِسَدَوِيهَا
وكيف ترجو نَدَاهُمُ والسُّحْبُ تَبْخَلُ فِيهَا

وقال رحمه الله تعالى :

لابن الزبير مكارم أضحت بها طيرُ المذائح في البلاد تُغَرَّدُ
إن قَبِّلُوهُ وَبَالَغُوا فِي عَصْرِهِ فَالْكَرْمُ يُعْصَرُ وَالْجَوَادُ يُقَيَّدُ^١

١٦٦ — ولندكر بعض أخبار والده ، فإنه ممّن رحل إلى المشرق وتوفي بالإسكندرية ، وقد ذكر ابنه أبو الحسن في «المغرب» وغيره من أخباره

١ ق : يعقد .

العجائب ، ولا بأس بأن نلم بشيء من ذلك ، سوى ما تقدّم ، فنقول :
من أخباره أنه لما اجتاز بالثقة ومشرفها إذ ذاك أبو علي ابن مبقى وجهه
إليه من نقل أسبابه إلى داره وأقبل عليه منشداً :

أَكْذَا يَجُوزُ الْقَطْرُ لَا يَنْتِي عَلَى أَرْضٍ تَوَالِي جَدُّبُهَا مِنْ بَعْدِهِ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهَا مَا أَنْبَتَتْ زَهْرًا وَلَا ثَمَرًا بِمَدَّةِ فَقْدِهِ
عَرَجٌ عَلَيْهَا سَاعَةٌ يَا مَنْ لَهُ حَسَبٌ يَفُوقُ الْعَالِينَ بِمَجْدِهِ
وَانْتَرُ عَلَيْهَا مِنْ أَزَاهِيرِكَ الَّتِي تَشْفِي الْمَيْتِمَّ مِنْ لَوَاعِجِ وَجْدِهِ
وَاللَّهُ مَا ذَاكَرْتُ فَكَرَكَ سَاعَةً إِلَّا وَأَقْبَسَ خَاطِرِي مِنْ زَنْدِهِ
قال موسى : فارتجلت للحين :

أَنْتَ الَّذِي تَعْرِفُ كَيْفَ الْعُلَا وَتَبْتَدِي فِي سُبُلِ الْمَجْدِ
بَدَأْتَ بِالْفَضْلِ الْمُنِيرِ الَّذِي أَكْمَلَ بِدَرِّ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
وَاللَّهُ مَا أَبْصَرْتُكُمْ سَاعَةً إِلَّا بَدَأَ لِي طَالِعُ السَّعْدِ
وانصرفت معه إلى منزله :

فلم أزل في كرامته . ليست كظل غمامه

ولما كان أبو عمران موسى بن سعيد بالجزيرة الخضراء مُقَدِّمًا على أعمالها
من قبل ابن هود وصله كتاب من الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن عسكر
قاضي الثقة مع أحد الأدباء ، منه :

أَفَاتَحُ مَنْ قَلْبِي بِعَلَيَّاهِ وَاتَّقُ وَإِنْ كَانَتِ الْأَبْصَارُ لَمْ تَنْسَخِ الْوَدَّ
وَتَقِنْتُ بِمَا لِي مِنْ ذِمَامِ تَشِيْعِي بِأَلِ سَعِيدٍ فَاِبْتَغَيْتُ بِهِ السَّعْدَ
وَبِالْحَبِّ يَدْنُو كُلُّ مَنْ أَقْصَتِ النَّوَى بِرَغْمِ حِجَابِ النَّوَى بَيْنَنَا مُدًّا

يا سيدي الذي حملني ما أُمال أَسْمَاعِي مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، أَنْ أَهْجُمَ عَلَى مَفَاتِحِهِ

شافعاً في موصلها إليه ، واثقاً بالفرع لعلم الأصل ، مؤملاً للإفضال بتحقيق الفضل ، إن لم تنقُضِ باجتماع بيننا الأيتام ، فلا تجزىء من المشافهة بيننا ألسن الأقلام ، ويوحى بعضنا إلى بعض بسُور الوداد ، والحمد لله الذي أطلعك في ذلك الأفق بدرأ ، وأدناك من هذه الدار فصرنا لقُرب مَنْ يرد عنك لا نعدم لك ذكراً ، فكلُّ يُثني بالذي علمت سعد ، ويصف من خلالها ما يقضي ذلك المجد ، ولما كان إحسانك يبشر به الصادر والوارد ، ويحرض عليه الغائب والشاهد ، مدَّ أمله نحوك موصل هذه المفاتحة ، وليس له وسيلة ولا بضاعة إلاّ الأدب وهي عند بيتك الكريم رابحة ، وهو من شتت خطوب هذا الزمان شمله ، وأبانت نوائبه صبره وفضله ، وما طمح ببصرة إلا إلى أفقك ، ولا وجه رجاءه إلاّ نحو طرفك ، والرجاء من فضلك أن يعود وقد أثنت حقائبه ، وأعنت من الحمد ركائبه ، دُمت غرة في الزمن البهيم ، مخصوصاً بأفضل التحية والتسليم ، انتهى .

وابن عسكر المذكور عالم بالتاريخ متبحر في العلوم ، وله كتاب في أنساب بني سعيد أصحاب هذه الترجمة ، ومن شعره :

أهواك يا بدرُ وأهوى الذي يَعدُّني فيك وأهوى الرقيبُ
والجارَ والدارَ ومَنْ حلَّها وكلَّ من مرَّ بها من قريبُ
وكلَّ مُبدٍ شبَّهاً منكمُ وكلَّ مَنْ يلقِظُ باسم الحبيبُ

* * *

[وصية ابن سعيد الأب لابنه علي]

رجع :

قال ابنه علي : لما أردت النهوض من ثغر الإسكندرية إلى القاهرة أول وصولي إلى الإسكندرية ، رأى أن يكتب لي وصية أجعلها إماماً في الغربية ،

فبقي فيها أياماً إلى أن كتبها عنه ، وهي هذه ، وكفى بها دليلاً على ما اختبر وعلم :

أودِعْكَ الرَّحْمَنَ فِي غُرْبَتِكَ	مُرْتَقِباً رُحْمَاهُ فِي أَوْبَتِكَ
وما اختياري كان طَوْعَ النُّوَى	لكنني أجري على بُغْيَتِكَ
فلا تُطِيلْ حَبَلَ النُّوَى لِنَتِي	والله أَشْتَاقُ إِلَى طَلْعَتِكَ
مَنْ كَانَ مَقْشُوثاً بِأَبْنَائِهِ	فلأنتي أَمَعْنْتُ فِي خَبْرَتِكَ
فاختَصِرِ التَّوَدِيعَ أَخْذاً ، فما	لي ناظرٌ يَقْوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
واجْعَلْ وصاتي نُصْبَ عَيْنٍ وَلَا	تَبْرَحْ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةً الْعُمُرِ الَّتِي حُنُكَّتْ	فِي سَاعَةِ زُفَّتْ إِلَى فِطْنَتِكَ
فللتَّجَارِبِ أُمُورٌ إِذَا	طَالَعَتْهَا تَشْحَدُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فلا تَنَمَّ عَنْ وَعْيِهَا سَاعَةً	فإنَّهَا عَوْنٌ إِلَى يَقْظَتِكَ
وكلُّ ما كَاهَدْتَهُ فِي النُّوَى	إِيَّاكَ أَنْ يَكْسَرَ مِنْ هِمَّتِكَ
فليس يُدْرَى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ	وإنَّما تُعْرِفُ مِنْ شَيْمَتِكَ
وكلُّ ما يُفْضِي لَعْدِرٍ فَلَا	تَجْعَلُهُ فِي الْغُرْبَةِ مِنْ إِرْبَتِكَ
ولا تَجَالِسْ مَنْ فَشَا جَهْلُهُ	واقْصِدْ لِمَنْ يَرْغَبُ فِي صِنْعَتِكَ
ولا تَجَادَلْ أَبَدًا حَاسِدًا	فإنَّهُ أَدْعَى إِلَى هَيْبَتِكَ
وامْشِرِ الْهُوَيْنَا مُظْهِراً عِفَّةً	وابْغِرْ رِضَى الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْبَتِكَ
أَفْشِرِ التَّحِيَّاتِ إِلَى أَهْلِهَا	وَنَبِّهِ النَّاسَ عَلَى رَثْبَتِكَ
وانْطِقْ بِحَيْثُ الْعِيُّ مُسْتَقْبَحٌ	واصْمِتْ بِحَيْثُ الْخَيْرُ فِي سَكْنَتِكَ
ولا تَزَلْ مُجْتَمِعاً طَالِباً	مِنْ دَهْرِكَ الْفُرْصَةَ فِي وَثْبَتِكَ
وكلَّما أَبْصَرْتَهَا أَمَكْنَتْ	ثِبْ واثِقاً بِاللَّهِ فِي مَكْنَتِكَ
ولِجْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ	واقْصِدْ لَهُ مَا عَشْتَ فِي بُكْرَتِكَ

وإيأس من الود لدى حاسد
 ووقر الجهد فمن قصده
 ووف كلاً حقه ولتكن
 ولا تكن تحقير ذا رتبة
 وحيثما خيمنت فاقصده إلى
 وللزايبا وثبة ما لها
 ولا تقل أسلم لي وحلق
 ولتزين الأحوال وزناً ولا
 ولتجعل العقل حكماً وخد
 واعتبر الناس بالفاظهم
 بعد اختبار منك يقضي بما
 كم من صديق مظهر نصحه
 إياك أن تقر به ، إنه
 واقنع إذا ما لم تجد مطمعا
 وانم نمو النبت قد زاره
 وإن نبا دهر فوطن له
 فكل ذي أمر له دولة
 ولا تضيع زمنا ممكنا
 والشر مهما استطعت لا تأته
 ضد ونافسه على خطتك
 قصدك لا تعثبه في بغضتك
 تكسر عند الفخر من حدثك
 فإنه أنفع في غربتك
 صيحة من ترجوه في نصرتك
 إلا الذي تدخر من عدتك
 فقد تقاسي الدل في وحدتك
 ترجع إلى ما قام في شهوتك
 كلاً بما يظهر في نقدتك
 واصحب أخا يرغب في صحبتك
 يحسن في الأخدان من خلطتك
 وفكره وقف على عشرتك
 عون مع الدهر على كبريتك
 واطمع إذا نفست من عسرتك
 غب الندى واسم إلى قدرتك
 جاشك وانظيره إلى مدتك
 فوف منا وآفاك في دولتك
 تذكاره يذكى لظى حسرتك
 فإنه حوب على مهجتك

يا بني الذي لا ناصح له مثلي ، ولا منصوح لي مثله : قدمت لك في
 هذا النظم ما إن أخطرت به بخاطرك في كل أوان رجوت لك حسن العاقبة ، إن
 شاء الله تعالى ، وإن أخف منه للحفظ وأعلق بالفكر وأحق بالتقدم

١ ج : قد قدمت .

قول الأول :

يزينُ الغريبَ إذا ما اغتربَ ثلاثُ فمَنهنَّ حُسْنُ الأدبِ
وثانيةُ حُسْنُ أخلاقِهِ وثالثةُ إجتِنابُ الرِّيبِ

وإذا اعتبرت هذه الثلاثة ولزمتها في الغربة رأيتها جامعة نافعة ، لا يلحقك
إن شاء الله تعالى مع استعمالها ندم ، ولا يفارقك بر ولا كرم ، والله درُّ القائل :

يُعَدُّ رفيعَ القومِ مَنْ كانَ عاقلاً وإن لم يكنْ في قَومِهِ بِحَسَبِ
إذا حلَّ أرضاً عاشَ فيها بعقلِهِ وما عاقلٌ في بِلَدَةٍ بِغَرِيبِ

وما قصَّرَ القائل حيث قال :

واصْبِرْ على خُلُقِ مَنْ تُعَاشِرُهُ وَدَارِهِ فَالليْبُ مَنْ دَارَى
واِتَّخَذِ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا وَمَثَلَ الْأَرْضِ كُلِّهَا دَارًا

وأصغِرِ يا بني إلى البيت الذي هو يتيمة الدهر ، وسَلِّمِ الكرم والصبر :

وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَا

إذ حُسِنَ الخلقُ أَكْرَمَ نَزِيلُ ، والأدبُ أرحبُ منزل ، ولتكن كما قال أحدهم
في أديب متغرب : وكانَ كلِّما طرأ على ملك فكأنته معه ولد ، وإليه قصد ،
غير مستريب بدهره ، ولا منكراً شيئاً من أمره ، وإذا دعاك قلبك إلى صحبة
مَنْ أخذَ بمجامعِ هواه فاجعل التكلف له سَلَمًا ، وهُبْ في روضِ أخلاقه
هبوبَ النسيم ، وحُلْ بطرفه محلَّ الوسن^١ ، وانزل بقلبه نزولَ المسرة ، حتى يتمكن
لك وداده ، ويخلص فيك اعتقاده ، وطهر من الوقوع فيه لسانك ، وأغلق
سمعك ، ولا ترخصْ في جانبه لحسود لك منه ، يريد إبعادك عنه ، لمنفعته ،

١ ج : على الوسن .

أو حسود له يغار لتجمله بصحبتك ، ومع هذا فلا تغتر بطول صحبته ، ولا تتمهد بدوام رقدته ، فقد ينبيه الزمان ، ويغير منه القلب واللسان ، ولذا قيل : إذا أحببت فأحِبْ هوناً مآ ، ففي الممكن أن ينقلب الصديق عدوّاً والعدوّ صديقاً ، وإنّما العاقل مَنْ جعل عقله معياراً ، وكان كالمرآة يلقي كل وجه بمثاله ، وجعل نصب ناظره قول أبي الطيّب :

ولمّا صار وُدُّ النَّاسِ خُبّاً جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامٍ

وفي أمثال العامة : من سبقك بيوم فقد سبقك بعقل ، فاحتذى مثله^١ مَنْ جَرَّبَ ، واستمع إلى ما خلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الأقوال ، فإنّها خلاصة عمرهم ، وزُبْدَةُ تجاربهم^٢ ، ولا تتكلّ على عقلك ، فإن النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم وابتاعوه غالياً بتجاربهم يُربحك ، ويقع عليك رخيصةً ، وإن رأيت مَنْ له مروءةٌ وعقل وتجربة فاستفد منه ، ولا تضيّع فعله ولا قوله ، فإن فيما تلقاه تلقيحاً لعقلك ، وحثّاً لك واهتداءً ، وإيتاك أن تعمل بهذا البيت في كل موضع :

فَالْحُرُّ يُخْذَعُ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ

فقد قال أحدهم : ما قيل أضرّ من هذا البيت على أهل التّجمل ، وليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحسن بك أن تتبعه ، حتى تتدبره ، فإن كان موافقاً لعقلك مصلحاً لخالق قواه ذلك عندك ، وإلاّ فانبذْه نَبْذَ النّواة ، فليس لكل أحد يُتَّبَسَّم ، ولا كل شخص يُكَلِّم ، ولا الجود ممّا يُعَمُّ به ، ولا حسن الظنّ وطيب النفس ممّا يعامل به كل أحد ، والله در القائل :

وَمَا لِي لَا أُوْفِي الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدَرٍ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ

١ كذا في ج ق ، وقد يقرأ معطوفاً على « وجعل » ولعل الصواب « فاحتذى أمثلة » .

٢ ق : نخائبهم ؛ ج : تحايبهم ؛ دوزي : حياتهم .

ولإياك أن تعطي من نفسك إلا بقدر ، فلا تعامل الدون بمعاملة الكفاء ،
ولا الكفاء بمعاملة الأعلى ، ولا تضع عمرك فيمن يملكك^١ بالمطامع ، ويستنيك^٢
عن مصلحة حاضرة عاجلة بغائبة آجلة ، واسمع قول الأول :

وبيع آجلاً منك بالعاجل

وأقلل من زيارة الناس ما استطعت ، ولا تجفهم بالجملة ، ولكن يكون
ذلك بحيث لا يلحق منه ملل ولا ضجر ولا جفاء ، ولا تقل أيضاً أقعد في كسر
بيتي ولا أرى أحداً ، وأستريح من الناس ، فإن ذلك كسل داع إلى الذل
والتهانة ، وإذا علم عدو لك أو صديق منك ذلك عاملاً بحسبه ، فازدرك
الصديق وجسّر عليك العدو ؛ وإياك أن يغررك صاحب واحد عن أن تذخر
غيره للزمان ، وتطيعه في عداوة سواه ، ففي الممكن أن يتغير عليك فتطلب
إعانة عليه أو استغناء عنه فلا تجد ذخيرة قدمتها ، وكان هو في أوسع حال وأعلى
رأي بما دبره بحيلته في انقطاعك عن غيره ، فلو اتفق لك أن تصحب من كل
صناعة وكل رياسة من يكون لك عُدّة لكان ذلك أولى وأصوب ، وستلني
فإنني خبير ، طال والله ما صحبت الشخص أكثر عمري لا أعتمد على سواه ،
ولا أعتد إلا إياه ، منخدعاً بسرايه ، موثقاً في حبال خطابه ، إلى أن لا يحصل
لي منه غير العَصّ على البنان ، وقول : « لو كان ولو كان » ، ولا يحملنك
أيضاً هذا القول أن تظنه في كل أحد ، وتعجل المكافأة ، وليكن جُسن الظن
بمقدار ما ، واصبر بقدر ما ، والفطن لا تخفى عليه مخايل الأحوال ، وفي الوجوه
دلالات وعلامات ، وأصنع إلى القائل :

ليس ذا وجه من يضيف ولا ية ري ولا يدفع الأذى عن حريم

فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه فول وجهك عنه قبله ترضاه ، ولتحرص

١ ج : يملك .

جهدك على أن لا تصحب أو تخدم إلا ربَّ حشمة ونعمة ، ومن نشأ في رفاهة ومروءة ، فلأنك تنام معه في ميهاد العافية ، وإن الجياد على أعراقها تتجري ، وأهل الأحساب والمروءات يتركون منافعهم متى كانت عليهم فيها وصمة ، وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان : أشرب مصعب الخمر ؟ فقال عبد الملك - وهو عدو له محارب له على الملك - : لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ما شربه .

والفضل ما شهدت به الأعداء

يا بني ، وقد علمت أن الدنيا دار مفارقةٍ وتغير ، وقد قيل : اصحب من شئت فلأنك مفارقة ، فمتى فارقت أحداً فعلى حسنى في القول والفعل ، فلأنك لا تدري هل أنت راجع إليه ، فلذلك قال الأول :

ولما مضى سلم بكيت على سلم

وإياك والبيت السائر^١ :

وكنت إذا حلت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا

واحرص على ما جمع قول القائل^٢ : ثلاثة تبقي لك الود في صدر أخيك ، أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه ، واحذر كل ما بينه لك القائل : كل ما تغرسه تجنيه إلا ابن آدم فلأنك إذا غرسه يقلعك ، وقول الآخر : ابن آدم يتمسكن حتى يتمكن ، وقول الآخر : ابن آدم ذئب مع الضعف ، أسد مع القوة . وإياك أن تثبت على صحبة أحد قبل أن تطيل اختباره ، فيحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صحبته ، فجأبه :

١ البيت لجرير (ديوانه : ٢١٦) .

٢ ورد في عيون الأخبار ٣ : ٩ مروياً عن مجاهد .

إن الصحبة رِقٌّ ، ولا أضع رقي في يلك حتى أعرف كيف مَلَكَتْكَ . واستمَلِ
من عين من تعاشره ، وتفقد في فلتات الألسن وصفحات الأوجه ، ولا يحملك
الحياء على السكوت عما يضررك أن لا تبينه ، فإن الكلام سلاح السلم ، وبالإئين
يُعرف ألم الجرح ، واجعل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك ، وأكد ما
أوصيك به أن تطرح الأفكار ، وتسلم للأقدار :

واقبل من الدهر ما أتاكَ بهِ مَنْ قَرَّ عيناً بعيشهِ نفعهٗ

إذ الأفكار تجلب الهموم ، وتضاعف الغموم ، وملازمة القُطُوب ، عنوان
المصائب والخطوب ، يستريب بهِ الصاحب ، ويشمت العدو المجانب ، ولا تضرَّ
بالوساوس إلا نفسك ، لأنك تنصر بها الدهر عليك ، وللهِ دُرُّ القائل :
إذا ما كنتَ للأحزان عَوْنًا عَليكَ معَ الزَّمانِ فَمَنْ تَلُومُ
مع أنه لا يردُّ عليك الفاتت الحزن^١ ، ولا يرعوي بطول عتبك الزمن .
ولقد شاهدتُ بغرناطة شخصاً قد ألفته الهموم ، وعشقتة الغموم ، من صغره
إلى كبره ، لا تراه أبداً خلياً من فكره ، حتى لُقِّبَ بصدر الهم ، ومن أعجب
ما رأيته منه أنه يتنكد في الشدة ، ولا يتعلل بأن يكون بعدها فرج . ويتنكد
في الرخاء خوفاً من أن لا يدوم ، وينشد :

توقَّع زَوَالًا إذا قيل تَمَّ^٢

وينشد^٣ :

وعِندَ التَّناهِ يَقتَصِرُ المتطاول

١ من قول المتنبي :

فما يديم سرور ما سررت بهِ ولا يرد عليك الفاتت الحزن

٢ صدر البيت : إذا تم شيء بدأ نقصه .

٣ للمعري ، وصدره : فإن كنت تبني المزفايف توسطاً .

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا عمره مخسور يمر ضياعاً . ومتى رَفَعَكَ الزمان إلى قوم يَدْمُون من العلم ما تحسنه حسداً لك ، وقصداً لتصغير قدرك عندك ، وتزهيداً لك فيه ، فلا يحملك ذلك على أن تزهّد في علمك ، وتركن إلى العلم الذي مدحوه ، فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مَشْيُ الحَجَلَة فرام أن يتعلّمه فصعب عليه ، ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فنسيه ، فبقي نخبل المشي^١ . ولا يفسد خاطرك من جعل يذم الزمان وأهله ، ويقول : ما بقي في الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يستراح فيه ، فإن الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممّن صحبه الحرمان ، واستحقّت طلعتة للهوان ، وأبرموا على الناس بالسؤال ، فمقتوهم ، وعجزوا عن طلب الأمور من وجوهها فاستراحوا إلى الوقوع في الناس ، وإقامة الأعذار لأنفسهم بقطع أسبابهم ، وتعذير أمورهم . ولا تُزل هذين البيتين من فكرك :

لِنْ إِذَا مَا نَلْتَ عَزّاً فَأَخُو الْعَزِّ يَلِينُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

ولا قول الآخر :

تِهْ وَارْتَفِيعْ إِنْ قِيلَ أَقْدَرُ وَانْخَفَضَ إِنْ قِيلَ أَثْرَى
كَالْغُصْنِ يَسْفِلُ مَا اكْتَسَى ثَمَرًا وَيَعْلُو مَا تَعَرَّى

ولا قول الآخر^٢ :

١ زاد في مطبوعة التجارية بعد هذه اللفظة « كما قيل :

حسد القطا وأراد بمشي مشيها فأصابه ضرب من العقال

فأضل مشيته وأخطأ مشيها فلذلك سواه أبا المرقال »

وقد سقط هذا من ج ق ودوزي .

٢ البيت لعبيد بن الأبرص ، ديوانه : ٤٩ ونسب لطرفة في ديوانه : ٤٥ .

الخيرُ يبقى وإن طال الزَّمان به والشرُّ أُخْبِتْ ما أوعيتَ من زادٍ

واعتقد في الناس ما قاله القائل ^١ :

ومنْ يَلْتَقِ خَيْرَ النَّاسِ يُحْمَدُ أَمْرَهُ ومن يَتَعَوَّلَا يَعدَمُ على الغيِّ لاثمًا ^٢

وتحفَّظ بما تضمَّنَه قول الآخر ^٣ :

ومن دَعَا النَّاسَ إلى ذمِّه ذمَّوه بالحقِّ وبالباطل

ولله درَّ القائل ^٤ :

ما كلُّ ما فوقَ البَسيطةِ كافيًا فإذا اقتنَّعتَ فكلُّ شيءٍ كافي

والأمثال يضربها لذي اللبِّ الحكيم ^٥ ، وذو البصر يمشي على الصراط
المستقيم ، والفطن يقنع بالقليل ، ويستدل باليسير ، والله سبحانه خليفتي عليك ،
لا ربَّ سواه .

نجزت الوصية وتكفيك عنواناً على طبقته في النثر .

* * *

١ البيت للمرقش الأصغر من مفضلية له (ص : ٥٠٣) .

٢ زاد بعده في مطبوعة التجارية : وقريب منه قول القائل :

يقدر الصمود يكون الهبوط فأياك والرتب العاليه

وكن في مكان إذا ما سقطت تقوم ورجلاك في عافيه

وقد سقط هذا من ج ق ودوزي ؛ كما أنه غير قريب مما قبله ، ولعله من زيادة بعض

المعلقين .

٣ البيت مما ينسب لكمب بن زهير ؛ انظر نهاية الأرب ٣ : ٦٨ والتمثيل والمحاضرة : ٦٢ .

٤ البيت لأبي فراس الحمداني ، ديوانه ٢ : ٢٥٦ (تحقيق الدكتور سامي الدمان) .

٥ من قول يزيد بن الحكم بن أبي العاص يعط ابنه بدرأ (حماسة المرزوقي : ١١٩٠) :

يا بدر والأمثال يضربها لذي اللب الحكيم

[رسالة ابن سعيد الأب لعبد الواحد الموحد]

وله رسالة^١ كتب بها إلى ملك المغرب أبي محمد عبد الواحد بن أبي يعقوب ابن عبد المؤمن مهناً له بالخلافة حين بوع بها بمراكش ، وكان إذ ذاك بإشبيلية ، وكان قبل ذلك كاتباً له ومختصاً به :

الحضرة العلية ، السامية السنية ، الطاهرة القدسية ، حضرة الإمامة ، وجنة دار الإقامة ، مد الله على الإسلام ظلالها ، وأنى في سماء السعادة تمامها وكمالها ، وهناً المؤمنين باستقبال إمارتها ، وأدام لهم بركة خلافتها ، عبداً أيادها ، وخديماً ناديا ، المتوسل بتقديم الخدمة ، المتوصل بعميم النعمة وكريم الحرمة ، المنشد بلسان السرّة ، حين أطلع الزمان هذه الغرّة^٢ :

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تَجَرُّرُ أَذْيَالِهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

موسى بن محمد بن سعيد لا زال هذا الأمر العلي محموداً سعيداً ، ولا يرح يستريد ترقياً وصعوداً :

يا نعمة الله زيدي إن كان فيك مزيد

سلام الله الكريم ، ينخص حضرة الإجلال والتعظيم ، والتقديس والتفخيم ، ورحمته وبركاته ، وبعد حمد الله الذي بلغ الإسلام بهذه الخلافة آماله ، وحلّى بهذه الولاية السعيدة أحواله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الكريم ، الذي دحض الله تعالى بنبوته الكفر وضلاله ، وعلى آله وصحبه الطاهرين الذين سمعوا أقواله ، وامثلوا أفعاله ، والرضى عن الإمام المهدي المعلوم الذي أفاء الله

١ وردت هذه الرسالة في المقتطفات (الورقة : ١٧) .

٢ البيتان لأبي المتأمية ، انظر ديوانه : ٦١٢ (تحقيق الدكتور شكري فيصل) .

به على الدين الخفيفي ظلاله ، وأذهب عنه طواغيته وضلاله ، والدعاء للمقام العالي
الكريم ، بالسعد المتوالي والنصر الجسيم ، وكتب العبد وقد ملأت هذه البشري
المسرة أفقه ، ووسعت عليه هذه المرتبة العلية طرقه :

فهذه رتبة^١ ما زلت أرقبها فالיום أبسط آمالي وأحتكم

ولا أقنع مني إن اقتصرت على السماء داراً ، والهلal للبشير سواراً ،
والنجوم^٢ عِقداً ، والصبح بندا ، حتى أسرَّ كل أحد بشكله ، وأقابل كل
شخص بمثله :

ومن خدَم الأقوام يَرْجُو نوالهم فإني لم أخدُك إلا لأُخدَمَا
وما بعد الخلافة رتبة ، ودون تَبِير تنحطُّ كلُّ هَضْبَةٍ ، فالحمد لله ربَّ
العالمين ، وهنيئاً لعباده المؤمنين ، حيث نظر لهم نظر رحمة ، فأسبل عليهم ستر
هذه النعمة :

ولقد علمتُ بأنَّ ذلك مِعْصَمٌ^٣ ما كان يتركُه بغيرِ سِوارٍ^٢

والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وإلى مَنْ يشير بآياته ، فله صباح ذلك
اليوم السعيد وليلته ، لقد سَقَر عن وجه من البشري أضواء الآفاق شرقاً
وغرباً غرته ، ولقد اجتمعت آراء السداد ، حتى أنت الإسلام بالمراد ، فأخذ
القوس باريها ، وحل بالدار بانيها ، هنيئاً زادك الرحمن^٣ خيراً ، ولا يرحت
المسرات تسير إليك سِيراً ، وهل يصلح النور إلا للمُكَلِّ ، وهل يليق بالحسن
إلا الحُلُل ، فالآن مهتد الله البرين ، وأفاض العدل على العبدوتين ، وقدَّم

١ ق : والنجم .

٢ البيت لأي تمام من قصيدته في الثماتة بمصرع الأنشين ، ديوانه ٢ : ٢٠٩

٣ ج : الإسلام .

للنظر من لا يعزب عن حفظه مكان ، ولا يختصُّ بحفظه إنسان دون إنسان ، خليفة له النفس العُمرية ، والآراء العُمرية ، والفراصة الإيائية ، ولا ينبئك مثل خبير ، فلقد شاهد العبد ما لا يحصره تفسير ، ولعمري لقد عاد الصباح في إشراق النهار ، ولم يخف عنا ما زاد الدنيا من البهجة^١ والمسار ، وشملت الناسَ هذه البشائر ، وعمت كل باد وحاضر ، وأصاخوا لتاليها إصاخة المجدين لمرئادهم ، وأهطعوا لها مهتللين ومكبرين إهطاع الناس لأعيادهم ، وأما العبد فقد أخذ بحظه ، حتى خاف أن يغلب السرور على قلبه ولحظه :

ومن فَرَحِ النفس ما يَقتُلُ^٢

وهذه نعمة يقصر عنها النثر والنظم ، ويحسد عليها الهلال والنجم ، بل يسلمان لما استحقته من المراتب ، ويخضعان إليها خضوع المفترض الواجب ، أقرَّ الله بها عيون المسلمين ، وأفاض سُحُبَهَا على الناس أجمعين ، وحفظها بعينه التي لا تنام ، ووقف على خدمتها الليالي والأيام .

* * *

[من شعر أبي عمران ابن سعيد]

١ ولما قدم من الأندلس على تونس مدح سلطانها أبا زكريا بقوله :

بُشْرَى وَيُسْرَى قَدْ أَنَا زَ الْمَظْلِمُ	نَجْمًا وَقَدْ وَضَحَ الصَّبَاحُ الْمُعْلَمُ
وَرَّتْ عِيُونَ الْأَمْنِ وَهِيَ قَرِيرَةٌ	وَبَدَتْ ثُغُورُ السَّعْدِ وَهِيَ تَبَسُّمُ
فَارْحَلْ لَتُونَسَ وَاعْتَقَدْ أَعْلَامَ مَنْ	قَوِيَ الضَّعِيفُ بِهِ وَأَثَرَى الْمَعْدَمُ
حَيْثُ الْمَعَالِي وَالْمَعَانِي وَالنَّدَى	وَالْفَضْلُ وَالْقَوْمُ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
أَجْرُوا إِلَى الْغَايَاتِ مَلءَ عَنَانَهُمْ	سَبَقًا وَبَدَّ هُمْ الْجَوَادُ الْمُنْعَمُ

١ ق : البهجات .

٢ عجز بيت المتنبي ، صدره : فلا تنكرون لما صرعة .

ساد الإمامُ المَلِكُ يحيى سادةُ أعطى أَلورى لهمُ القيادةَ وسلّموا
 إنَّ الإمارةَ مُدَّ غداً يفتادُها يقظى وأجفانُ الحوادثِ نُومُ
 لله منك مُباركٌ ذو فطنة بزغتُ فأحجمَ عندها مَنْ يُقدمُ
 يقظانُ لا وان ولا متقاعسٌ كالدهرِ بيني ما يشاء ويهدمُ
 إن صال فالليثُ الهَـصُورُ المقدمُ أو، سال فالغيثُ المغيثُ المشجمُ
 أعلى منارَ الحقِّ حينَ أماله قومُ تَبرأتِ المنايرُ منهمُ
 أعلى الإلهُ مكانهَ وزمانهُ والنصرُ يقدمُ والسعادةُ تخدمُ

وقال يخاطب ملك المغرب مأمون بنى عبد المؤمن ، حين أخذ البيعة لنفسه
 بإشبيلية ، وكان المذكور بمراكش ولبنى سعيد بهذا الملك اختصاص قديم :

الحزمُ والعزمُ موجودان والنظرُ واليُمنُ والسعدُ مضمونان والظفرُ
 والنورُ فاض على أرجاء أندلسٍ والزورُ ليس له عينٌ ولا أثرُ
 حُثَّ الركابُ إلى هذا الجنابِ فقد ضلّوا فما تنفعُ الآياتُ والتدُرُ
 واعزمُ كما عزم المأمونُ إذ تَشَرَّتْ أرضُ العراقِ فزال البؤسُ والضررُ

ولما قدم العادلُ القائمُ بمُرُسية المتولي على مملكة البرّينِ إلى إشبيلية كان
 في جملة من خرج للقائه ، ورفع له قصيدة منها :

لقاء به للبرِّ والشكرِ مَجْمَعُ إلى يومه كنّا نَحْبُ ونُوضِعُ
 لقد يَسَّرَ الرحمنُ صَعَبَ مرامِهِ فأبصرتُ أضعافَ الذي كنتُ أسمعُ

وله أيضاً :

يا مُنْعِماً قد جاءني ببرُّهُ مِن غَيْرِ أن أُجري له ذكرا
 إنَّ أَحَبَّ الحَيرِ ما جاءني عَفْواً ، ولَمْ أَغْمُرْ بهِ فكرا

وله في غلام واعظ ، وهو من حسناته :

وشادن ظلّ للوعظ ظ تالياً بين جمع
متعت طرقي بمرآه في خفارة سمعي

وله من أبيات :

ومن عجب أن الليالي تغيّرت ولكنّها ما غيرت منّي العهدا
ومن الفضلاء الذين أدركهم وأخذ عنهم الحافظ أبو بكر ابن الجلد ، وأبو
بكر ابن زهر ، وغيرهما ، وحضر حصار طليطلة مع منصور بني عبد المؤمن ،
وكتب للملك البرين أبي محمد عبد الواحد ، وكتب أيضاً عن مأمون بني عبد
المؤمن ، وكتب أخيراً عن ملك بجاية والغرب الأوسط الأمير أبي يحيى ابن
ملك إفريقية ، رحم الله تعالى الجميع .

رجع إلى أبي الحسن ابن سعيد :

قال رحمه الله تعالى : حضرت ليلة أنس مع كاتب ملك إفريقية أبي
العباس أحمد الغساني ، فاحتاجت الشمعة أن تقط ، فتناول قطعها غلام بينانه ،
فقلت :

ورخص البنان تصدّي لأن يقطّ السراج بمثل العنم

فقال :

ولم يهب النار في لمسه ولا احتاج في قطه للجلم

فقلت :

وما ذاك إلا لسكناه في فؤادي على ما حوى من صرم

فقال :

تَعُوذَ حَرًّا لِهَيْبٍ بِهِ فليس بهِ مِنْ أَوَارٍ أَلَمْ
وَأُنشِدَ فِي « الْمَغْرِب » لِلْغَسَانِي الْمَذْكُورِ فِي خُسُوفِ الْقَمَرِ مِمَّا قَالَه اِرْتَجَالًا :

كَأَنَّ الْبَدْرَ لَمَّا أَنْ عَلاهُ خُسُوفٌ لَمْ يَكُنْ يَعْتَادُ غَيْرَهُ
سَجَنَجَلٌ غَادَةً قَلْبَتَهُ لَمَّا أَرَاهَا شَبِيهَا حَسَدًا وَغَيْرَهُ

وخطابه المذكور برسالة يقول في آخرها : وعند حامل هذه الأحرف —
سَلِّمهُ اللهُ تَعَالَى — كُنْهُ خَبْرِي ، واستيعاب ما قصر عنه قلبي فضافت بحمله
أُسْطُورِي ، لتعلم ما أجده وأفقده من تشوقي وتصبري ، وأنتي لا أزال أنشد
حيث تذكُرِي وتفكُرِي :

يَا نَائِيًا قَدْ نَأَى عَنِّي بِمُضْطَبَّرِي وَثَاوِيًا فِي سَوَادِ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ
إِذَا تَنَاسَيْتَ عَهْدًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ فَاذْكُرْ عَهْدِي فَمَا أَخْلَيْكَ مِنْ فِكْرِي
وَارْدَدَ عَلَيَّ تَحِيَّاتِي بِأَحْسَنِهَا تَرَدُّدٌ عَلَيَّ حَيَاتِي آخِرَ الْعَمْرِ
وَلِنُؤْمُسِيكَ الْعَنَانَ عَنِ الْجُرِي فِي مِيدَانِ أَخْبَارِ ابْنِ سَعِيدٍ ، فَلَيْتَهَا لَا يُشَقِّ
غِبَارَهَا ، ومنها قوله رحمه الله تعالى : سمعت كثيرًا من السماع المشرقي ، فلم
يهزني مثلُ قول الشريف الشمسي المكي ^١ :

مُقَلَّ بِالْدمْعِ غَرَقَى وَفُؤَادٌ طَارَ خَفَقًا
وَتَجَسَّنَّ وَتَشَنَّ شَقَّ جَنِبِ الصَّبْرِ شَقًا
يَا ثِقَاتِي خَبِرُونِي عَنْ حَدِيثِ الْيَوْمِ حَقًّا
أَكْذَا كُلُّ عَجَبٍ فَارَقَ الْأَحْبَابَ يَشَقَّى؟
لَا وَعِيشٌ قَدْ تَقَضَّى وَغَرَامٌ قَدْ تَبَقَّى
وَنَعِيمٌ فِي ذَرَاكُم قَدْ صَفَا ذَهْرًا وَرَقًا

١ وردت الأبيات في المقتطفات (الورقة : ٢٨) .

ونسيم من حيماكم حمل الوجد فرقا
برسالات صبابسا ت على المشتاق تلقى
وغصون ناعمات بمياه الدن تستقى
ووجوه فيضن حسنا فملأن الأرض عشقا
لو رضىتم بي عبدا ما رضىت الدهر عتقا

وقال : ما سمعت ولا وقفت على شيء أبدع من قول الجزار ، وقد تردد
إلى جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية فلم يُقدّر له الاجتماع به :

أسأل الله أن يلديم لك اله ز ويُبقيك ما أردت البقاء
كل يوم أرجو النعيم بقليا لك فألقى بالبعد عنك شقاء
علم الدهر أني أشتكيه لك إذ نلتقي فعاق اللقاء

فبعث له بما أصلح حاله من الإحسان ، وكتب في حقّه إلى ولاية الصعيد
كُتُباً أغنته مدّة عن شكوى الزمان ، انتهى .

وقال أيضاً : ولم أسمع في وضع الشيء موضعه أحسن من قول المتنبي :
وأصبح شعيري مُتَهِماً في مكانه وفي عنق الحسناء يُستَحَسَنُ العقدُ

ولم أسمع في وضع الشيء غير موضعه أحسن من قول أبي الفرج :

مرّ مدّحي ضائعاً في لؤمِهِ كضياحِ السيفِ في كفّ الجبانِ

ومن تأليف النور بن سعيد كتاب « عِدّة المستنجز وعُقَلَة المستوفز »
وذكر فيه أنّه ارتحل من تونس إلى المشرق رحلته الثانية سنة ٦٦٦ ، وأورد في
هذا الكتاب غرائب وبدائع ، وذكر فيه أنّه لما دخل الإسكندرية لم يكن عنده

١ ق ج : وغفلة .

آكد من السؤال عن الملك الناصر ، فأخبر بحاله ، وما جرى له مع التتر^١ حتى قتلوه بعد الأمان ، ثم ساق فيه دخول هولاكو حلب فقال بعد كلام كثير : وارتكب في أهل حلب التتر المرتدون ونصارى الأرمن ما تصم عنه الأسماع ، وكان فيمن قُتل بتلك الكائنة البدر بن العديم الذي صدر عنه من الطبقة العالية في الشعر مثل قوله^٢ :

واهاً لعقرب صدغِهِ لو لم تكن للماه تحمي
ولغفل خط عذارِهِ لو بت أعجمهُ بلشي

وابن عمه الافتخار بن العديم الذي وقع له مثل قوله :

والغصن فيه الماء مطرد والماء فيه الغصن منعكس

ثم قال ، لما ذكر أحوال الناصر بعد استيلاء التتر على بلاد حلب والشام وما يليهما ، ما نصه : قال من دخل على الملك الناصر وقد نزل بميدان دمشق : قبّلت يده ، وجعلت أدعو له ، وأظهر تعزيته على ما جرى من تلك المصائب العظيمة ، فأضرب عن ذلك ، وقال لي : فيم تتغزل اليوم ؟ ثم أنشدني قوله في مملوك فقده في هذه الكائنة :

والله ما أبكي لملك مضى ولا لحال ظاعين أو مقيم
وإنما أبكي وقد حق لي لفقد من كنت به في نعيم
يطلع بدرأ ينثني بانه يمر فيما رُمته كالنسيم
في خاطري أبصره خاطراً فالتوي مثل التواء السقيم
يا عاذلي دعني وما حلّ بي فما سوى الله بحالي عليم
إن مت من حزن له أسترح وإن أعيش عشت بهم عظيم

١ ق : الططر .

٢ سقط البيتان من ج .

قال : ثم إنه سار نحو هولاء ، فلما مرَّ بحلب ونظر إلى معاهده على غير ما يعهد قال :

مررتُ بجَرَءِ الحِمَى فتلفتُ لحاظي إلى الدَّار التي رحلوا عنها
ولو كان عندي ألفُ عَيْنٍ وقمتُ في معلمي عمري لما شَبَّعتُ منها

وصنع في نعيمها أشعاراً يغني بها المستمعون ، ثم رحل إلى صحراء يوش
في جهة طريق أرمينية ، فوجد هولاء هنالك في تلك المروج المشهورة بالخصب ،
فأنزله ، وأقام يشرب معه إلى أن وصل الخبر بوقعة عين جالوت على التتر للملك
المظفر قطز صاحب مصر سنة ٦٥٨^١ ، فقتلوه ، وخلعوا عظم كتفه ، وجعلوه
في أحد الأعلام على عادته في أكتاف الملوك ، انتهى باختصار .

رجع :

١٦٧ - ومن الوافدين من الأندلس إلى المشرق الأديب الحبيب عبد
الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد^٢ ، وكان صعب الخلق ، شديد الأنفة ،
جرى بينه وبين أقاربه ما أوجب خروجه إلى أقصى المشرق ، وفي ذلك يقول ،
وكتب به إليهم :

مَنْ لَصَبَ يرعى النجومَ صبابَهْ ضَيَّعَ السيرُ في الهمومِ شبَابَهْ
زدتُ بُعداً فزدتُ فيه اقتراباً بودادي كذاك حُكْمُ القِرابه
منزلي الآن سَمَرْقَنْدُ وبالقلندمة رُبْعُ وطئتُ طفلاً تُرابه
شدَّ ما أبعدَ الفراقُ انتراحي هكذا الليثُ ليس يدري اغترابه
لا أرتمي الإيابَ لأمرٍ إن يكنْ يرتجي غريبُ لإبابه

١ في ق : سنة خمس مائة وثمانين ، وسقط التاريخ من ج .

٢ له ترجمة في المغرب ٢ : ١٧٢ .

وكتب لهم من بخارى :

إذا هبَّتْ رياحُ الغربِ طارتْ إلَيْهَا مُهْجَتِي نحوَ التَّلَاقِ
وأحْسَبُ من تركتُ به يلاقي إذا هبَّتْ صَبَاحًا ما أُلَاقِ
فيا ليتَ التفرقَ كانَ عَدْلًا فَحُمِّلَ ما يطيق من اشتياقي
وليتَ العمرَ لم يبرحْ وصلاً ولم يُخْتَمَ^١ علينا بالفراقِ

إذا كان الشوق فوق كل صفة ، فكيف تعبّر عنه الشفة ، لكن العنوان دلالة على بعض ما في الصحيفة ، والحاجب قد ينوب في بعض الأمور مناب الخليفة ، وما ظنكم بمشوق طريح ، في يد الأشواق طليح ، يقطع مسافات الآفاق يتقلب تقلب الأفياء ، ويتلون تلوّن الحرباء ، حتى كأنه يخبر مساحات الأرض ، ذات الطول والعرض ، ويحوب أهوية الأقاليم السبع ، خارجاً بما أدخله فيه اللّجاج عن الشرع ، فكان خليفة الإسكندر ، لكن بما يحيش من هموم الغربة بفكري قائمة مقام الجيش والعسكر ، جرت إلى برّ العدوّة من الغرب الأقصى ، فطمحت نفسي إلى مشاهدة الغرب الأوسط فلاقيت فيما بينهما من المسافة من المشاق ما لا يحصر^٢ ، ثم تشوقت إلى إفريقية درب بلاد الشرق ، فاستشعرت من هنالك ما بينها وبين بلادني من الفرق ، واختطفت من عيني تلك الطلاوة ، وانتزعت من قلبي تلك الخلاوة :

فلله عينٌ لم ترَ العينُ مثلها ولا تلتقي إلا بجنّاتِ رِضْوَانِ

ثم نازعتني النفس التواقة إلى الديار المصرية ، فكابدت في البحر ما لا يفي بوصفه إلا المشافهة إلى أن أبصرت منار الإسكندرية ، فيا لك من استئناف عمر جديد ، بعد اليأس من الحياة بما لقينا من الهول والتنكيد ، ثم صعدت إلى القاهرة

١ المغرب : يحكم .

٢ ج : يحصى .

قاعدة الديار المصرية ، لمعينة الهَرَمَيْن وما فيهما من المعالم الأزلية ، وعايَنت القاهرة المعزّية ، وما فيها من الهمم الملوكية ، غير أنني أنكرت مبانيها الواهية ، على ما حوت من أولي الهمم العالية ، وكونها حاضرة العسكر الحرّار ، وكُرسيّ الملك العظيم المقدار ، وقلت : أصداف فيها جواهر ، وشوك مُحَدِّق بأزاهر ، ثم ركبت النيل وعايَنت تماسيحه ، وجُرُتْ بِحَرِ جِدة وذقت تباريحه ، وقضيت الحج والزيارة ، وملت إلى حاضرة الشام دمشق والنفس بالسوء أمّارة ، فهناك بعثُ الزيارة بالأوزار ، وآلت تلك التجارة إلى ما حكمت به الأقدار ، إذ هي كما قال أحد من عاينها^١ :

أما دمشقُ فجنّاتٌ مُعَجَّلَةٌ للطالين بها الولدانُ والخورُ

فلله ما تضمن داخلها من الخور والولدان ، وما زُيِّنَ به خارجها من الأنهار والجنان ، وبالجملة فإنّها حمى تتقاصر عن إدراكها أعناقُ الفصاحة ، وتقصر عن تناولتها في ميدان الأوصاف كل راحة ، ولم أزل أسمع عن حلب ، أنّها دار الكرم والأدب ، فأردت أن يحظى بصري بما حظي به سمعي ، ورَحَلْتُ إليها وأقمت جابراً بالذاكرة والمطايبة صدّعي ، ثم رحلت إلى الموصل. فألفيت مدينة عليها رَوْنَقُ الأندلس ، وفيها لطافة وفي مبانيها طلاوة ترتاح لها الأنفس ، ثم دخلت إلى مقر الخلافة بغداد ، فعايَنت من العِظَم والضخامة ما لا يفي به الكتب ولو أن البحر مِداد ، ثم تغلّلت في بلاد العجم بلداً بلداً ، غير مقتنع بغاية ولا قاصد أمداً ، إلى أن حللت ببُخارى قبة الإسلام ، ومجمع الأنعام ، فألفيت بها عصا التسيار ، وعكفت على طلب العلم واصلاً في اجتهاده سَوَادَ الليل وبياضَ النهار ، انتهى .

وكتب إليهم أيضاً من هذه الرسالة : كتبت وقد حصلني السعادة ، وحظ

١ الشعر للمرقلة الدمشقي ، أبي الندى حسان بن نيمر أحد شعراء الحريّة (قسم الشام ١ : ١٧٨ وفي الحاشية ثبت بتخريج ترجمته) والبيت في الحريّة : ٢٠٤ ورحلة ابن بطوطة : ٨٥ .

الأمل والإرادة ، بحضرة بخارى قبة الإسلام .
وأجابه أهله من الغرب بكلام من جملته : « وإن كنت قد تحصنت^١ بقبة
الإسلام ، فقد تعجلت لنا ولك الفقد قبل وقت الحِمام » . وأتبعوا ذلك بما
دعاه لأن خاطبهم بشعر منه :

عتبتم على حثي المطي وقلتمُ
إذا لم يكن حالي مُهمّاً لديكمُ
تعبّلت فقدأ قبل وقت حِمام
سواء عليكم رحلتي ومقامي

وقُتل المذكور ببخارى ، حين دخلها التتر ، وهو عمُّ علي بن سعيد الشهير .
وكان لعبد الرحمن المذكور أخٌ يسمى يحيى قد عانى الجندیّة ، فلمّا بلغه
أن أبا القاسم عبد الرحمن قُتل ببخارى قال : لا إله إلاّ الله ، كان أبدأ يُستفّه
رأسي في الجندیّة ، ويقول : لو اتبعت طريق النجاة كما صنعتُ أنا لكان خيراً
لك ، فيها هو ربُّ قلمٍ قد قُتل شرّ قتلة بحيث لا ينتصر وسلب سلاحه ، وأنا ما زلت
أغازي في عبّاد الصليب وأخلص ، فما يقدر أحد يحسن لنفسه عاقبة ، انتهى .
قال أبو الحسن علي بن سعيد : ثمّ إن يحيى المذكور بعد خوضه في الحروب
صرّعه في طريقه غلام كان يخدمه ، فذبّحه على نَزَرٍ من المال ، أفلّت به ،
فانظر إلى تقلّب الأحوال كيف يجري في أنواع الأمور لا على تقدير ولا احتياط ،
انتهى .

ومن شعر أبي القاسم عبد الرحمن المذكور ما خاطب به نقيب الأشراف
ببخارى ، وقد أهدى إليه فاخيتاً مع زوجه :

أيا سيّد الأشراف لا زلتَ عالياً معاليك تنبؤ الدهر عن كلّ ناعٍ
مين الفضل إقبالٌ على ما بعثتهُ لمغناك من شادٍ دَعَوُهُ بفاخت
ألا حبّدا من فاخيتٍ ساد جنسهُ وأصبحَ مقروناً بستِ الفواخت

١ ج ق : تحصلت .

لئن فاتني منه الأنيسُ فكلّ ما يحلّ إلى عليك ليس بفات

١٦٨ — ومنهم الشيخ الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن عبد الله بن يوسف ابن حمزة ، القرطبي ، الأنصاري ، المعروف بابن العابد ، نزيل رباط الصاحب الصفي بن شُكْر^١ ، قال بعض المشاركة عنه : إنّما سميت الحمر بالعجوز لأنّها بنتُ ثمانين ، يعني عددَ حدّها ، وأنشد له :

عدلنا فلاناً على فعله ولمنّاه في شربه للعجوز
فقال : دعوني من أجلها أنال أنا وأخي والعجوز

١٦٩ — ومنهم الشيخ الفاضل المتقن أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف ابن محمد بن يوسف الأنصاري ، الشاطبي الأصل ، البَلَنْسِي المولد في أحد ربيعي سنة إحدى وستمئة ، ولقبه المشاركة برضي الدين^٢ . وتوفي بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ٦٨٤ ، رحمه الله تعالى .
ومن نظمها لما حضر أجله ، وقد أمر خادمه أن ينظف له بيته ، وأن يغلق عليه الباب ويفتقده بعد زمان ، ففعل ذلك ، فلمّا دخل عليه وجده ميتاً ، وقد كتب في رقعة :

حان الرحيلُ فودّع الدارَ التي ما كان ساكنها بها بمخلدٍ
واضرعْ إلى الملكِ الجوادِ وقلْ له عبدٌ ببابِ الجود أصبح يَجْتَدِي
لم يرضَ غيرَ الله معبوداً ولا ديناً سوى دينِ النبيّ محمّدٍ
ومن نظمها أيضاً رحمه الله تعالى :

١ يريد وزير الملك العادل بمصر وهو صفي الدين أبو محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شكر .
٢ ترجمة رضي الدين الشاطبي في الوافي ٤ : ١٩٠ وغاية النهاية ٢ : ٢١٣ وبغية الوعاة : ٨٣ وشدرات الذهب ٥ : ٣٨٩ .

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ قَابِلَهَا الرَّدَى فرامتَ فراراً منه يُسْرَى إلى يُمْنَى
قِرِي تَحْمِلِي بَعْضَ الَّذِي تَكْرِهِيهِ فقد طالما اعتدتِ الفرارَ إلى الأَهْنَى
أنشده تلميذه أبو حَيَّانَ إمام عصره في اللّغة .

حدث عن ابن المنير وغيره ، واشتغل الناسُ عليه بالقاهرة ، وله تصانيف مفيدة ، وسمع من الحافظ أبي الربيع ابن سالم ، وكتب على صحاح الجوهر وغيره حواشي في مجلدات ، وأثنى عليه تلميذه أبو حيان ، رحم الله تعالى الجميع . ومن فوائده قوله : نقلت من خط أبي الوليد ابن خيرة الحافظ القرطبي في فهرست أبي بكر ابن مفوز : قد أدركته بسني ولم آخذ عنه واجتمعت به ، أنشدني له أبو القاسم ابن الأبرش يخاطب بعض أكابر أصحاب أبي محمد ابن حزم ، والإشارة لابن حزم الظاهري :

يا من تُعاني أموراً لَنَ تُعانيها خلّ التعاني وأعطِ القوس باريها
تَروِي الأحاديث عن كلِّ مَسَاحَةٍ وإتّما لمُعانيها مُعانيها

وقد سبق في ترجمة القاضي أبي الوليد الباجي ذكر هذين البيتين عندما أجرينا ذكر ابن حزم^١ ، قال : وإتّما قال هذا الشعر في ذكر رواية ادّعت على قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن خالداً قدي احتبس أذراعه وأعتدّه في سبيل الله » وصحح رواية من روى « أعتدّه » جمع عبد . وعكّل رواية من روى « أعتدّه » بالياء مثناة باثنتين من فوق جمع عتد . وهو القرس : قال ابن خيرة : الإحاطة ممتنعة ، وهذه الرواية قد رواها جماعة من الأثبات والعلماء المحدثين . فهو إنكار غير معروف ، والله تعالى أعلم . ومن فوائده ما نقله تلميذه أبو حيان النحوي عنه ، قال : أنشدنا للمقري ونقلته من خطّه :

١ انظر ما تقدم ٢ : ٨٤ .

إذا ما شئت مَعْرِفَةً بما حارَ الورى فيه
فخذُ خمساً لأربعةٍ ودعْ للثوبِ رافيه

وهو لغز في ورد .

وقال : وأنشدنا لبعضهم :

لا رعى الله عزيمةً ضمنت لي سألوةَ الصبرِ والتصبرِ عنه
ما وقت غير ساعةٍ ثمَّ عادت مثلَ قلبي تقول : لا بُدَّ منه

قال : وأنشدنا لغيره :

وكان غريبَ الحُسنِ قبلَ التحائه فلما التحى صار « الغريبَ المصنفاً »^١

وأنشدنا لغيره :

طبَّ على الوحدةِ نفساً وارضىَ بالوحشةِ أنسا
ما عليَّها من يساوي حينَ يُستخبرُ فلنسا

وقرأ الرضيُّ ببلده على ابن صاحب الصلاة^٢ آخر أصحاب ابن هذيل ،
وسمع منه كتاب التلخيص للوافي^٣ ، وسمع بمصر من ابن المقيّر وجماعة ،
وروى عنه الحافظ المزني واليوني والظاهرى وآخرون ، وانتهت إليه معرفة
اللغة وغريبها ، وكان يقول : أعرف اللغة على قسمين : قسم أعرف معناه
وشواهدة ، وقسم أعرف كيف أنطق به فقط ، رحمه الله تعالى .

١ فيه تورية ، يشير إلى كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام .

٢ اسمه محمد بن أحمد بن صاحب الصلاة .

٣ كذا في ج ق ودوزي ٤ وفي غاية النهاية « للداني » بالدال المهملة ، ولم يرد كتاب « التلخيص »
بين كتب أبي عمرو الداني شيخ القراء الأندلسيين في مقدمة المحكم (تحقيق الدكتور عزة حسن ،
دمشق : ١٩٦٠) .

ومن فوائد الرضي الشاطبي المذكور ما ذكره أبو حيان في البحر قال :
وهو من غريب ما أنشدنا الإمام اللغوي رضي الدين أبو عبد الله محمد بن علي
ابن يوسف الأنصاري الشاطبي لزيب بنت إسحاق النصراني الرّسّعي :

عديّ وتيم لا أحاولُ ذكرَهُمْ بسوء ، ولكنّي محبٌ لهاشمِ
وما يعتريني في عليّ ورهطه إذا ذُكروا في الله لومةٌ لائمِ
يقولون : ما بال أنصاري تحبهم وأهلُ النهي من أعربٍ وأعاجمِ
فقلتُ لهم : إنّي لأحسبُ حبّهم سرى في قلوبِ الخلقِ حتّى البهائمِ

ومن نظم الرضي المذكور :

مُنْغَصَّ العيشِ لا يأوي إلى دَعَاةٍ مَنْ كانَ ذا بلدٍ أو كانَ ذا ولدٍ
والساكنُ النفسِ من لم ترضَ هِمَّتُهُ سَكُنِي بلادٍ ولم يَسْكُنْ إلى أحدٍ
وله :

لولا بناقي وسيّاتي لطرتُ شوقاً إلى المماتِ
لأنني في جوارِ قومٍ بغَضّتي قُرْبَهُمْ حياقي

وقرأ عليه أبو حيان كتاب « التيسير » وأثنى عليه ، ولما توفّي أنشد ارتجالاً :

تَعَوُّوا لي الرضيّ فقلتُ لقد نُعِيّ لي شيخُ العُلا والأدبِ
فمَنْ اللُّغاتِ وَمَنْ اللُّثَقَاتِ وَمَنْ للنَّحَاةِ وَمَنْ للنَّسَبِ
لقد كان للعلمِ بحرّاً فغار وإنَّ غُورَ البحارِ العجبِ
فقدّسُ من عالمٍ عامِلٍ أثارَ لشجويّ لما ذهب

وتحاكم إلى رضي الدين المذكور الجزّار والسّراج الورّاق أيّهما أشعر ،
وأرسل إليه الجزّارُ شيئاً ، فقال : هذا شعر جَزَلٌ ، من نمط شعر العرب ، فيبلغ
ذلك الورّاق ، فأرسل إليه شيئاً فقال : هذا شعر سَلَسٌ ، وآخر الأمر قال :

ما أحكم بينكما ، رحمه الله تعالى .
قلت : رأيتُ بخطّه كتباً كثيرة بمصر وحواشي مفيدة في اللغة وعلى دواوين
العرب ، رحمه الله تعالى .

١٧٠ - ومنهم حميد الزاهد ، وهو الأديب الفاضل الزاهد أبو بكر حميد
ابن أبي محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله ، الأنصاري ،
القرطبي ، نزيل مالقة^١ . قال الرضي الشاطبي المذكور قريباً : أنشدني حميد^٢
بالقاهرة لأبيه أبي محمد وقد تأخر شبيهه مع علوّ سنّه^٣ :

وهلّ ناعفي أن أخطأ الشيبُ مفرقي وقد شابَ أترابي وشابَ لداني
إذا كانَ خطُّ الشيبِ يوجِدُ عينه يتربي فمَعْنَاهُ يَقُومُ بِلَدَانِي
واللّٰدات : مَنّ وُلد معه في زمان واحد ، انتهى .

وفي ذكره أنّه قال هذين البيتين لما قال له القاضي عياض : شيبنا ولم
تشب .
وقال الرضي أيضاً : أنشدني حميد^٤ لأبيه فيمن يكتب في الورق بالمِقْص .
وهو غريب :

وكاتبٍ وَشِي طِرْسِهِ حَبَرٌ لم يَشِهَا حَبْرُهُ وَلَا قَلَمُهُ
لَكِنْ بِمَقْرَاضِهِ يُنَمِّنُهَا نَمَمَةُ الرُّوضِ جَادَةٌ رِهْمُهُ
يُوجِدُ بِالْقَطْعِ أَحْرَفًا عُدِمَتْ فاعجبْ لشيء وجوده عِلْمُهُ
والرهم : المطر .

١ حميد هذا هو أحمد - وشهر باسم حميد - ؛ وأبوه عبد الله بن الحسن هو أبو محمد القرطبي
أحد العلماء الحفاظ ، ترجم له ابن عبد الملك ترجمة ضافية في الذيل والتكملة ٤ : ١٩١
(وانظر التكملة : ٨٧٩ وتذكرة الحفاظ : ١٣٩٦) .
٢ انظر البيتين والقصة بين أبي محمد القرطبي والقاضي عياض في برنامج الرعي : ٨٨ والذيل
والتكملة ٤ : ٢٠٩ - ٢١٠ .

قال : وتوفي حميد الزاهد هذا بمصر ، قبيل الظهر من يوم الثلاثاء ، وصلي عليه خارج مصر بجامع راشدة بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء المذكور ، ودفن بسفح المقطم بتربة الشيخ الفاضل الزاهد أبي بكر محمد الخرجي الذي يدق الرصاص ، حذاء رجله ، في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، ومولده سنة ست وستمائة ؛ انتهى .

١٧١ - ومنهم اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عبد الله الغافقي^١ من أهل بكنسية وأصله من جيان ، وسكن الميرية ثم مالقة ، يكنى أبا يحيى ، كتب لبعض الأمراء بشرقي الأندلس^٢ ، وله تأليف سماه « المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب » ، جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالديار المصرية بعد أن رحل إليها من الأندلس سنة ستين وخمسمائة ، وبها توفي يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

١٧٢ - ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد التجيبي ، يكنى أبا عبد الله ، من أهل إشبيلية^٣ ، تجول في بلاد الأندلس طالباً للعلم ، ثم حج ، ولقي الحافظ السلفي وغيره ، واستوطن تلمسان ، وبها توفي في جمادى الأولى سنة عشر وستمائة ، وله تواليف كثيرة .

١٧٣ - ومنهم أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي ، الباجي^٤ ،

١ ترجمته في المغرب ٢ : ٨٨ والتكملة رقم : ٢١١٢ وشذرات الذهب ٤ : ٢٥٠ .
٢ في المغرب : وكان بالأندلس يكتب عن المستنصر بن هود .
٣ ترجم له في التكملة : ٥٨٨ ، وقال إنه من أهل لقنت عمل مرسية ، ولم ينسب إلى إشبيلية ، وذكر عدداً كبيراً من مؤلفاته .
٤ ترجمته في التكملة : ٦٣٧ ؛ خرج من وطنه عند مقتل ابن أخيه أبي مروان الباجي على يد ابن الأحمر ، ونزل في مرسى عكا ومنها توجه إلى دمشق وحج وزار ثم عاد إلى مصر عن طريق مصر

من أهل إشبيلية ، ولي القضاء بها وأصله من باجة إفريقية ، دخل المشرق لأداء الفريضة فحج ، وتوفي بمصر بعدما دخل الشام ، في اليوم الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ومولده عام أربعة وستين وخمسمائة ، وكانت رحلته من المغرب أول يوم من المحرم عام أربعة وثلاثين وستمائة .

١٧٤ - ومنهم وليد بن بكر بن مخلد بن زياد العمري^١ من أهل سرقسطة ، يكنى أبا العباس ، له كتاب سماه «الوجازة في صحة القول بالإجازة» وله رحلة لقي فيها ألف شيخ ومحدث وفقهه ، توفي بالدينور سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، يروي عنه أبو ذر الهروي وعبد الغني الحافظ ، وكفاه فخراً بهذين الإمامين العظيمين ، رحم الله تعالى الجميع .

١٧٥ - ومنهم عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعيثي الرندي ، يكنى أبا محمد^٢ ، استوطن مالقة ، ورحل إلى المشرق ، وحج ، ولقي جماعة من العلماء ، وقفل إلى المغرب أواخر عام واحد وثلاثين وستمائة ، وولي الإمامة بالمسجد الجامع بمالقة ، وبها توفي في ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، ولقب في المشرق برشيد الدين ، وولد في ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بقرية من قرى الأندلس يقال لها يلماطين^٤ كورة

= عذاب ماراً بقنا وقوص ؛ وقد أطلب ابن عبد الملك في خبر رحلته وتنقلاته ووفاته (الذيل والتكملة ٥ : ٦٨٧) .

١ ترجمته في الصلة : ٦٠٧ وفيها « ابن أبي زياد » ؛ وكنيته أبو العباس ونسبته الغمري ، بالغين المعجمة ؛ إلا أنه ذكر أنه عمري النسبة لكنه دخل إفريقية أيام العبديين فكان يضع نقطه فوق العين حتى يسلم ؛ وكان يقول إنه إذا عاد إلى الأندلس جعل النقطة ضمة ، غير أنه توفي بالدينور بعيداً عن وطنه ؛ وعنه رويت الأشعار الأندلسية التي ضمنها الثعالبي في يتيمة الدهر (انظر اليتيمة ٢ : ٣٦) .

٢ ترجمته في التكملة رقم : ١٩٢٩ وصلة الصلة : ٥١ والذيل والتكملة ٥ : ٩٥ .

٣ أقام في رحلته بالمشرق نحو عشرين عاماً .

٤ دوزي : يلماطين .

بَشْتَغِيرَ ، ذكر ذلك ابن المستوفي في تاريخ لاربل .

١٧٦ — ومنهم أبو الربيع سليمان بن أحمد ، الينبي^١ ، من أهل الأندلس ، استوطن المشرق ومدح الملك الكامل ، ومن شعره رحمه الله تعالى قوله :

لولا تحدييه بآية سحره . ما كنت ممثلاً شريعة أمره .
رثاً أصدقهُ وكاذبُ وعده . يُبْئدي لعاشقه أدلة عُدْهِ .
ظهرت نبوة حسنه في فترة . من جفنه وضلالة من شعره .

١٧٧ — ومنهم أبو جعفر أحمد بن يحيى الضبي^٢ ، رحل حاجباً فلقي ببيجاية عبد الحق الإشبيلي ، وبالإسكندرية أبا الطاهر ابن عوف ، ولقي غير واحد في رحلته كالفرنوي^٣ وابن بري^٤ وأبي النناء الحراني وأبي الحسين الخديثي^٥ — وللخديثي أحاديث ساوى بها البخاري ومسلماً — ولقي جماعة ممن شارك السلفي في شيوخه .

١٧٨ — ومنهم أبو الحسين محمد بن أحمد جبّير ، الكنتاني صاحب الرحلة^٦ ، وهو من ولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، أندلسي ،

.....

- ١ ق ودوزي : الينبي ؛ وهي غير واضحة الإعجام في ج .
- ٢ ترجمة الضبي في التكملة : ٩٣ ، وله كنية ثانية هي أبو العباس ، وقد توفي في مرسية عام ٥٩٩ سقط عليه هدم .
- ٣ في دوزي : كالمربوي ، وفي نسخة : كالفرنوي ، وأثبت ما في التكملة .
- ٤ ج ق ودوزي : وابن بر .
- ٥ ج ق ودوزي : الحرثي .
- ٦ انظر ترجمة ابن جبّير في التكملة : ٥٩٨ ، والذيل والتكملة : ٥٩٥- وإرشاد الأريب ٢ : ١٠٦ ومسالك الأبصار ٨ : ٣١١ والمطرب ١ : ٨٦ والإحاطة ٢ : ١٦٨ والمغرب ٢ : ٣٨٤ ، وغاية النهاية ٢ : ٦٠ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٢١ وشذرات الذهب ٥ : ٦٠ ؛ وانظر مقدمة الرحلة ففيها نقول عن المقفى ورحلة العبدري وبدائع البدائيه ؛ وأورد له ابن عبد الملك أشعاراً يهاجم فيها الفلسفة في ترجمة أبي الوليد ابن رشد في الجزء السادس .

شاطبي ، بَلَكَنَسِي ، مولده ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة أربعين وخمسمائة
بَبَلَكَنَسِيَّة ، وقيل في مولده غير ذلك ، وسمع من أبيه بشاطبة ومن أبي عبد الله
الأصيلي وأبي الحسن ابن أبي العيش ، وأخذ عنه القراءات ، وعُني بالأدب فبلغ
الغاية فيه ، وتقدم في صناعة القريض والكتابة .
ومن شعره قوله ، وقد دخل إلى بغداد فاقتطع غصناً نضيراً من أحد بساينها
فدَوَى في يده :

لا تَغْتَرِبْ عَنْ وَطَنٍ واذكر تصاريِفَ النَّوَى
أما ترى الغصنَ إذا ما فارق الأصلَ ذَوَى

وقال رحمه الله تعالى يخاطب الصدر الحُجَنْدِي^١ :

يا مَنْ حَوَّاهُ الدِّينُ فِي عَصْرِهِ صَدْرًا يَحُلُّ الْعِلْمُ مِنْهُ فَوَادُ
ماذا يرى سَيِّدُنَا الْمُرْتَضَى فِي زَائِرٍ يَخْطُبُ مِنْهُ الْوَدَادُ
لا يَبْتَغِي مِنْهُ سِوَى أَحْرَفٍ يَعْتَدُّهَا أَشْرَفَ ذُخْرِ يَفَادُ
تَرْسُمُهَا أَمَلُهُ مِثْلَ مَا تَمْتَقُّ زَهْرَ الْروضِ كَفِّ الْعَهَادُ
فِي رَقْعَةٍ كَالصَّبْحِ أَهْدَى لَهَا يَدَ الْمَعَالِي مَسْكُ لَيْلِ الْمَدَادُ
إِجَازَةً يُورِثُهَا الْعُلَا جَائِزَةً تَبْقَى وَتَفْنِي الْبِلَادُ
يَسْتَصْحَبُ الشُّكْرَ خَدِيمًا لَهَا وَالشُّكْرُ لِلْأَمْجَادِ أَسْنَى عِتَادُ

فأجابه الصدر الحُجَنْدِي :

لَكَ اللَّهُ مِنْ خَاطِبٍ خُلِّي وَمَنْ قَابِسٍ يَجْنَدِي سَقِطَ زَنْدِي
أَجَزْتُ لَهُ مَا أَجَازُوهُ لِي وَمَا حَدَّثُوهُ وَمَا صَحَّ عِنْدِي
وَكَاتِبُ هَذِي السَّطُورِ الَّتِي تَرَاهُنَّ عَبْدُ الْلطِيفِ الْحُجَنْدِي

١ هو عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف الحُجَنْدِي أَبُو الْقَاسِمِ صدر الدين من أهل أصبهان ،
كان فقيهاً أدبياً واعظاً توفي سنة ٥٨٠ هـ (انظر طبقات السبكي ٤ : ٢٦١) .

١٧٩ — ورافقَ ابنَ جبّير في هذه الرحلة أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القُضاعي ، وأصله من أُنْدَلَة من بِلَنَسِيَة^١ ، رحل معه فأدبَا الفريضة ، وسمعا بدمشق من أبي الطاهر الخشوعي ، وأجاز لهما أبو محمد ابن أبي عَصْرُون وأبو محمد القاسم بن عساكر وغيرهما ، ودخلا بغداد وتجوّلا مدّة ، ثمّ قَفَلَا جميعاً إلى المغرب ، فسُمِعَ منهما به بعضُ ما كان عندهما . وكان أبو جعفر هذا متحقّقاً بعلم الطب ، وله فيه تقييد مفيد ، مع المشاركة الكاملة في فنون العلم . وكتبَ عن السيد أبي سعيد ابن عبد المؤمن ، وجدّه لأُمّه القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية . وتوفّي أبو جعفر هذا بمرّآكش سنة ثمان ، أو تسع وتسعين وخمسمائة ، ولم يبلغ الخمسين في سنه ، رحمه الله تعالى .

رجع إلى ابن جبّير :

قال لسان الدين في حقّه : إنّه من علماء الأندلس بالفقه والحديث والمشاركة في الآداب ، وله الرحلة المشهورة ، واشتهرت في السلطان الناصر صلاح الدين ابن أيوب له قصيدتان : إحداهما أولها^٢ :

أطلّمتُ على أفقك الزّاهرِ سُعودٌ مِـن الفلّكِ الدائرِ

ومنها :

رَفَعْتَ مغارمَ مَسْكُوسِ الحجازِ بإنعامك الشاملِ الغامِرِ
وأمتت أكنافَ تلك البلادِ فهانَ السبيلُ على العابرِ
وسُحِبُ أياديكَ فيأضةً على واردٍ وعلى صادرِ
فكم لك بالشرقِ من حامِدٍ وكم لك بالغربِ من شاكرِ

١ ترجمته في التكملة : ٩٣ وعنّها ينقل المقرئ إلا خبر الكتابة عن السيد أبي سعيد ، وفي الإحاطة والذيل « أبي جعفر ابن حسان » .

٢ انظر القصيدة في الذيل والتكملة : ٥٩٨ ومقدمة الرحلة : ٢٨ .

والأخرى منها في الشكوى من ابن شُكْر الذي كان أخذ المكس من الناس
في الحجاز^١ :

وما نال الحجازُ بكم صلاحاً وقد نالتهُ مصرُ والشَّامُ
ومن شعره :

أُخْلَاءُ هذا الزَّمانِ الخُثُونُ تَوَالَّتْ عَلَيْهِمْ حُرُوفُ الْعِلَلِ
قَضِيَتْ التَّعَجُّبَ مِنْ بَابِهِمْ فَصَرْتُ أَطَالُ بَابَ الْبَدَلِ
وقوله^٢ :

غَرِيبٌ تَذَكَّرَ أوطَانَهُ فَهَيَّجَ بِالذِّكْرِ أَشْجَانَهُ
يَحِلُّ عُرَى صَبْرِهِ بِالْأَسَى^٣ وَيَعْقِدُ بِالنَّجْمِ أَجْفَانَهُ
وقال رحمه الله تعالى ، لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفاً :
بَدَتْ لِي أَعْلَامُ بَيْتِ الْهُدَى بِمَكَّةَ وَالنُّورُ بَادَ عَلَيْهِ
فَأَحْرَمْتُ شَوْقاً لَهُ بِالْهُوَى وَأَهْدَيْتُ قَلْبِي هَدِيّاً إِلَيْهِ
وقوله يخاطب مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ مَوْزاً^٤ :

يَا مُهْدِيَّ الْمَوْزِ تَبَقَّى وَمِيمُهُ لَكَ فَاءُ
وَزَايُهُ عَنْ قَرِيبٍ لَمَنْ يُعَادِيكَ تَاءُ

.....

١ الذيل والتكملة : ٦١٧ ومطلعها :

صلاح الدين أنت له نظام فما يخشى لمروته انفصام
والقصيدة تحريض لصلاح الدين كي يزيل التشيع من المدينة .

٢ المغرب : ٣٨٥ .

٣ المغرب : يحل جواه عقود العزاء .

٤ الذيل والتكملة : ٦٢٠ .

وقال رحمه الله تعالى :

قد ظَهَرَتْ في عصرنا فرقةٌ ظُهِرَها شُؤْمٌ على العصرِ
لا تقتدي في الدين إلا بما سنَّ ابن سينا وأبو نصرِ

- وقال :

يا وحشةَ الإسلامِ من فرقةٍ شاغلةٌ أنفُسَها بالسَّفةِ
قد نبذت دينَ الهدى خَلَقَها وادَّعَتْ الحكمةَ والفلسفَ

وقال :

ضَلَّتْ بأفعالها الشيعةُ طائفةٌ عن هُدَى الشريعةِ
لَيْسَتْ ترى فاعلاً حكيماً بفعلٍ شيئاً سوى الطبيعةِ

كان انفصاله ، رحمه الله تعالى ، من غرناطة بقصد الرحلة المشرقية أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال سنة ٥٧٨ ، ووصل الإسكندرية يوم السبت التاسع والعشرين من ذي القعدة الحرام من السنة ، فكانت إقامته على متن البحر من الأندلس إلى الإسكندرية ثلاثين يوماً ، ونزل البر الإسكندراني في الحادي والثلاثين ، وحجَّ ، رحمه الله تعالى ، ونجَّول في البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها ، وكان ، رحمه الله تعالى ، كما قال ابن الرقيق : من أعلام العلماء العارفين بالله ، كتب في أول أمره عن السيد أبي سعيد ابن عبد المؤمن صاحب غرناطة ، فاستدعاه لأن يكتب عنه كتاباً وهو على شرابه ، فمدَّ يده إليه بكأس ، فأظهر الانقباض ، وقال : يا سيدي ما شربتها قط ، فقال : والله لتشربنَّ منها سبعةً ، فلما رأى العزيمة شرب سبع أكؤس ، فملأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصبَّ ذلك في حجره ، فحمله إلى منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ، ثم رغب إلى السيد ، وأعلمه أنه حلف

بإيمان لا خروج له عنها أنه يحج في تلك السنة ، فأسعفه ، وباع ملكاً له تزود به ، وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر .

ومن شعره في جارية تركها بغرناطة^١ :

طولُ اغترابٍ وبتُّرُحُ شوقٍ لا صَبَرَ والله لي عليه
إليك أشكو الذي أُلَاقِي يا خيرَ مَنْ يُشْتَكَى إليه
ولي بغرناطة حبيبٌ قد غلِقَ الرهنُ في يديه
ودَعَتْهُ وهو في دلالٍ^٢ يُظْهَرُ لي بعضَ ما لديه
فلَوْ ترى طَلَّ نرجسِه ينهلُ في وردٍ وجنتِه^٣
أبصرتَ دُرّاً على عقيقٍ من دمعٍ فوقَ صفحتِه^٤
وله رحلة مشهورة بأيدي الناس .

ولمّا وُصل بغداد تذكّر بلده ، فقال :

سقى الله بابَ الطاقِ صَوْبَ غمامةٍ وردًا إلى الأوطانِ كلَّ غريبٍ

وقال في رحلته في حق دمشق^٥ : جنة المشرق ، ومطلع حسنه المونق المشرق ، هي خاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها ، وعروس المدن التي اجتليناها ، قد تحلّت بأزاهير الرياحين ، وتجلّت في حلل سندسية من البساتين ، وحلّت من موضع^٦ الحسن بمكان مكين ، وتزينت في منصّتها أجمل تزيين ، وتشرفت بأن آوى الله تعالى المسيح وأمه منها إلى ربّوة ذاتِ قَرَارٍ ومعين ، ظلّ ظليل ، وماء

١ المغرب : ٣٨٤ .

٢ المغرب : بارتماض .

٣ المغرب : صفحتيه .

٤ المغرب : وجنتيه .

٥ الرحلة : ٢٦٠ .

٦ الرحلة : موضوع .

سلسيل ، تنساب مَذَانِه انسيابَ الأرقام بكل سبيل ، ورياض يحمي النفوس
نَسِيمُهَا العليل ، تتبرج لناظريها بمجتلَى صقيل ، وتناديهم هلمُّوا إلى مُعَرَّسٍ
للحسن ومَقِيل ، قد سثمت أرضها كثرة الما ، حتى اشتاقت إلى الظَّما ، فتكاد
تناديك بها الصَّمُ الصلاب ، ﴿ اركضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ
وَشَرَابٌ ﴾ (ص : ٤٢) قد أهدقت بها البساتينُ إحداقَ الهالة بالقمر ، واكتنفتها
اكتناف الكمامة للزهر ، وامتدتْ بشرقيها غُوطَتُها الخضراء امتداد البصر ،
فكلُّ موقع لحظة بجهاتها الأربع نظرتة اليانعة قَبْدُ النظر ، ولله صدق القائلين
فيها : إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شكَّ فيها ، وإن كانت في السماء
فهي بحيث تُسامتها وتحاذيها .

قال العلامة ابن جابر الوادي آثي ، بعد ذكره وصف ابن جبير لدمشق ،
ما نصّه : ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد ، وتوقّ الأنفس للتطلع على
صورتها بما أفاد ، هذا ولم تكن له بها إقامة ، فيعرب عنها بحقيقة علامة ، وما
وصف ذهبيّات أصيلها وقد حان من الشمس غروب ، ولا أزمان فصولها
المتنوعات ، ولا أوقات سرورها المهثثات ، ولقد أنصف من قال : ألفتها كما
تصف الألسن ، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلدّ الأعين ، انتهى .

رجع إلى كلام ابن جبير فنقول :

ثمّ ذكر في وصف الجامع^١ أنّه من أشهر جوامع الإسلام حسناً ، وإتقان
بناء ، وغرابة صنعة ، واحتفال تنميق وتزيين ، وشهرته المتعارفة في ذلك تغني
عن استغراق الوصف فيه ، ومن عجيب شأنه أنّه لا تنسج به العنكبوت ، ولا
تدخله ، ولا تُلمُّ به الطير المعروفة بالخطاف . ثمّ مدّ النَّقَس في وصف الجامع
وما به من العجائب ، ثمّ قال بعد عدة أوراق ما نصّه^٢ : وعن يمين الخارج من باب

١ الرحلة : ٢٦١ .

٢ الرحلة : ٢٧٠ .

جَيَّرُونِ فِي جِدَارِ الْبَلَاطِ الَّذِي أَمَامَهُ غُرْفَةٌ ، وَلَهَا هَيْئَةُ طَاقٍ كَبِيرٍ مُسْتَدِيرٍ فِيهِ طَيْقَانُ صُفْرٍ ، وَقَدْ فَتَحَتْ أَبْوَاباً صَغَاراً عَلَى عِدَدِ سَاعَاتِ النَّهَارِ ، دُبُرَتْ تَدْبِيراً هَنْدَسِيّاً ، فَعِنْدَ انْقِضَاءِ سَاعَةِ مِنَ النَّهَارِ تَسْقُطُ صَنْجَتَانِ مِنَ صُفْرِ مِنْ فَمِي بَازِيْنٍ مَصُورَيْنِ مِنَ صُفْرِ قَائِمَيْنِ عَلَى طَاسَتَيْنِ مِنَ صُفْرِ تَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، أَحَدُهُمَا تَحْتَ أَوَّلِ بَابٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ وَالثَّانِي تَحْتَ آخِرِهَا ، وَالطَّاسَتَانِ مَثْقُوبَتَانِ ، فَعِنْدَ وَقُوعِ الْبُسْدُقَتَيْنِ فِيهِمَا تَعُودَانِ دَاخِلَ الْجِدَارِ إِلَى الْغُرْفَةِ ، وَتَبْصُرُ الْبَازِيْنِ يَمْدَانِ أَعْنَاقَهُمَا بِالْبِنْدُقَتَيْنِ إِلَى الطَّاسَتَيْنِ وَيَقْدِفَانِهِمَا بِسُرْعَةٍ بِتَدْبِيرٍ عَجِيبٍ تَخَيَّلُهُ الْأَوْهَامُ سَحَرًا ، وَعِنْدَ وَقُوعِ الْبِنْدُقَتَيْنِ فِي الطَّاسَتَيْنِ يُسْمَعُ لِهَمَا دَوِيٌّ ، وَيَنْغَلِقُ الْبَابُ الَّذِي هُوَ لَتِلْكَ السَّاعَةِ لِلْحَيْنِ بِلَوْحٍ مِنَ الصُّفْرِ ، لَا يَزَالُ كَذَلِكَ عِنْدَ انْقِضَاءِ كُلِّ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ حَتَّى تَنْغَلِقَ الْأَبْوَابُ كُلُّهَا وَتَنْقُضِي السَّاعَاتُ ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى حَالِهَا الْأَوَّلِ ، وَلَهَا بِاللَّيْلِ تَدْبِيرٌ آخَرٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي الْقَوْسِ الْمُنْعَطِفِ عَلَى تِلْكَ الطَّيْقَانِ الْمَذْكُورَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ دَائِرَةً مِنَ النِّحَاسِ مَخْرُومَةً ، وَتَعْتَرِضُ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ زَجَاجَةٌ مِنْ دَاخِلِ الْجِدَارِ فِي الْغُرْفَةِ ، مَدْبُرٌ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْهَا خَلْفَ الطَّيْقَانِ الْمَذْكُورَةِ ، وَخَلْفَ الزَّجَاجَةِ مَصْبَاحٌ يَدُورُ بِهِ الْمَاءُ عَلَى تَرْتِيبِ مَقْدَارِ السَّاعَةِ ، فَلِذَا انْقَضَتْ عَمَّ الزَّجَاجَةُ ضَوْءُ الْمَصْبَاحِ ، وَفَاضَ عَلَى الدَّائِرَةِ أَمَامَهَا شِعَاعُهَا فَالَاحَتْ لِلْأَبْصَارِ دَائِرَةٌ مَحْمَرَّةٌ ، ثُمَّ انْتَقَلَ ذَلِكَ إِلَى الْآخَرِى حَتَّى تَنْقُضِي سَاعَاتُ اللَّيْلِ وَتَحْمَرَّ الدَّوَائِرُ كُلُّهَا ، وَقَدْ وَكَّلَ بِهَا فِي الْغُرْفَةِ مُتَفَقِّدٌ لِحَالِهَا ، دَرَبٌ بِشَأْنِهَا وَانْتَقَالِهَا ، يَعِيدُ فَتَحَ الْأَبْوَابِ وَصَرَفَ الصَّنَجَ إِلَى مَوْضِعِهَا ، وَهِيَ الَّتِي تَسْمِيهَا النَّاسُ الْمُنْجَانَةِ ، انْتَهَى الْمَقْصُودُ مِنْهُ .

قُلْتُ : كُلُّ مَا ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ دِمَشْقِ الشَّامِ وَأَهْلِهَا فَهِيَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ يَسِيرٌ ، وَمَنْ ذَا يَرُومُ عَدَّةَ مَحَاسِنِهَا الَّتِي إِذَا رَجَعَ الْبَصَرُ فِيهَا انْقَلَبَ وَهُوَ حَسِيرٌ ، وَقَدْ أَطْنَبَ النَّاسُ فِيهَا ، وَمَا بَقِيَ أَكْثَرُ مِمَّا ذَكَرُوهُ ، وَقَدْ دَخَلْتُهَا أَوَاخِرَ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَلْفٍ لِلْهَجْرَةِ ، وَأَقَمْتُ بِهَا إِلَى أَوَائِلِ شَوَّالٍ مِنْ السَّنَةِ ، وَارْتَحَلْتُ عَنْهَا إِلَى مِصْرَ وَقَدْ تَرَكْتُ الْقَلْبَ فِيهَا رَهْنًا ، وَمَلِكٌ هَوَاهَا

مني فكراً وذهناً ، فكأنها بلدي التي بها ربيت ، وقتراري الذي لي به أهل
وبيت ، لأن أهلها عاملوني بما ليس [لي] بشكره يدان ، وها أنا إلى هذا التاريخ
لا أرتاح لغيرها من البلدان ، ولا يشوقني ذكر أرض بابل ولا بغداد ، فالله
سبحانه وتعالى يعطر منها بالعافية الأردن .

[أشعاري وصف دمشق]

وقد عنّي لي أن أذكر جملة ممّا قيل فيها من الأمداح الرائقة ، وأسرد
ما خاطبني به أهلها من القصائد الفائقة ، فأقول
قال البدر بن حبيب^١ :

يتمّ دمشق وملّ إلى غربيّها والمجّ محاسن حُسن جامع يلبّغا
من قال من حسدٍ رأيت نظيره بين الجوامع في البلاد فقد لغا
وقال رحمه الله :

لله ما أحلى محاسن جلقٍ وجهاتها اللاقي تزوق وتعدّب
يزيد ربوتها الفرات وجنتكها يا صاح كم كنتا نخوض وتلعب
وقال في كتاب « شنف السامع بوصف الجامع »^٢

لله ما أجمل وصّف جلقٍ وما حوى جامعها المنفرد

١ من التعريف بالبدر بن حبيب ، انظر ١ : ٦٨ ؛ وهو الحسن بن عمر بدر الدين الحلبي المتوفى
سنة ٧٧٩ ؛ وهذا هو ابنه طاهر بن الحسن بن عمر يعرف أيضاً بإبن حبيب (توفي سنة ٨٠٨) وقد
ذيل على تاريخ أبيه المسمى «درة الأسلاك» ، وهو صاحب كتاب شنف السامع ؛ وربما كان
الأصوب أن يقال فيه «ابن البدر» .

٢ ينقل عنه البدر صاب زحمة الأنام في محاسن الشام ويسميه «تشنيف السامع» (انظر ص :
٤٤) ، وأسنه في كشف الظنون كما أوزده المقرئ .

قد أطربَ الناسَ بصوتِ صيتهِ وكيف لا يُطربُ وهو مَعْبُدُ
وقال في ذكر باب الجامع المعروف بالزيادة^١ :

يا راغباً في غيرِ جامعٍ جَلِّتِ هل يستوي الممنوعُ والممنوحُ
أقصرَ عَتَاكَ وفي غلوك لا تزدُ إنَّ الزيادةَ بابُها مَفْتُوحُ
وقال في متارته المعروفة بالعروس^٢ :

معبدُ الشامِ يجمعُ الناسَ طُرّاً وإليه شوقاً تميلُ النفوسُ
كيف لا يجمعُ الوردى وهو بيتُ فيه تُجلى على النوامِ العروسُ
ومنه في ذكر بانيه الوليد :

تالله ما كانَ الوليدُ عابثاً في صَرَفِهِ المالَ وبذلِ جُهدِهِ
لكنَّهُ أحرزَ مُلكاً مَعْبُوداً لا ينبغي لأحدٍ منْ بعدهِ
ومن أبيات في آخره :

بجامعٍ جَلِّتِ ربُّ الزعامَةِ أقمْ تلقِ العِنايةَ والكرامَةِ
ويعمُّ نحوهُ في كلِّ وقتٍ وصلَّ به تَصَلِّ دارَ الإقامَةِ
مُصَلِّتي فيه للرحمن سرٌّ ومثوًى للقبولِ بهِ علامَةِ
عملٍ كَمَلَّ الباري حُلاه وبيتُ أبدعَ الباني نظامِهِ
دمشقُ لم تزلْ للشامِ وجهاً ومسجدُها لوجهِ الشامِ شامِهِ
وبينَ معابدِ الآفاقِ طُرّاً لهُ أمرُ الإمارةِ والإمامَةِ
أدام اللهُ بَهْجَتَهُ وأبقى محاسنَهُ إلى يومِ القيامَةِ

١ البيتان في نزعة الأنام : ٤٥ .

٢ هما في نزعة الأنام : ٤٥ .

ولم أقف على كل هذا الكتاب المذكور ، بل على بعضه فقط .

ومن قصيدة القاضي المهذب بن الزبير ^١ :

ل إذا اشتملت الرند ^٢ بردا	بالله يا ريح السما
مى ما اغتدى للنند نيدا	وحملت من عرف ^٣ الخزا
ن إذا اعتقن ^٤ هوى وودا	ونسجت ما بين الغصو
أعطافها قدا فقدا	وهزرت عند الصبح من
أجاديها للزهر عقدا	ونثرت فوق الماء من
حتى اكتسى آسا ووردا	فملأت صفحة وجهه
منهما صدغا وخدا	وكأتما النقيت فيه
ه يزيد في مسراك بردا	مري على بردى عسا
سر متنه الأزهار عمدا	نهر كنصل السيف تك
م بمرهن فليس يصدا	صقلته أنفاس النسي

ومنها :

أحببتنا ما بالكُم
وحياة حبكم وحر
فينا من الأعداء أعدى
مة وصالكم ^٥ ما خنت عهدا

١ هو الحسن بن علي بن إبراهيم بن الزبير ، أبو محمد القاضي المهذب (٥٦١ -) أحد شعراء الحريدة (وانظر معجم الأدباء ٩ : ٤٧) ، وبعض أبياته هذه في الحريدة ١ : ٢١٤ (قسم مصر) . وهي في المقتطفات (الورقة : ٢٥) .

٢ الحريدة : الليل ؛ ق ودوزي : الروح ، وفي الحاشية نقلا عن هامش إحدى النسخ : لعله « الرند » ؛ ج : الريح .

٣ الحريدة : نشر .

٤ الحريدة : ونسجت في الأشجار بين غصونهن .

٥ في بعض الأصول : أصلكم ، وفي إحدى النسخ : عهدكم ، وأثبتنا ما في الحريدة .

وقال الكمال الشريشي^١ :

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبرٌ فلن قلبي بنار الشوق يستعيرُ
بعدت عنكم فلا والله بعدكم ما لدنّ للعين لا نوم ولا سهرُ
إذا تذكرت أوقاتاً نأت ومضت بقربكم كادت الأحشاء تنفطرُ
كأنّني لم أكن بالنيرين^٢ ضحى والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر^٣
والورق تنشد والأغصان راقصة والدّوح يطرب بالتصفيق والنهرُ
والسفع أين عشتاتي التي ذهبّت^٤ لي فيه غمي لعمرى عندي العمرُ
سقاك بالسفع^٥ سفع الدمع منهمراً^٦ وقلّ ذاك له إن أعوز المطرُ

وحكى ابن سعيد وغيره أن غرناطة تسمى « دمشق الأندلس » لسكنى أهل دمشق الشام بها عند دخولهم الأندلس ، وقد شبهوها بها لما رأوها كثيرة المياه والأشجار ، وقد أطل عليها جبل الثلج ، وفي ذلك يقول ابن جبير صاحب الرحلة .

يا دمشق الغرب هاتي لك لقد زدت عليها
تحتك الأنهار تجري وهي تنصب إليها

قال ابن سعيد : أشار ابن جبير إلى أن غرناطة في مكان مشرف وغوطتها

- ١ في هامش طبعة ليدن أن هذه الأبيات في « درة الأسلاك » لابن حبيب مخطوطة ليدن رقم ٤٢٥ ص : ٢٦٠ ، ولم أطلع عليها وإنما أثبت الفروق التي وردت في حاشية الطبعة المذكورة ، وهي كذلك في المقتطفات الورقة : ٣٦ ولكمال الدين الشريشي ترجمة موزونة في الفوات ١ : ١٠٩ والشذرات ٦ : ٤٧ .
- ٢ في المقتطفات : بالنيرين .
- ٣ درة الأسلاك : والزهر .
- ٤ درة الأسلاك : سلفت .
- ٥ درة الأسلاك : يا سفع .
- ٦ دوزي : منهلاً .

تحتها تجري فيها الأنهار ، ودمشق في وَهْدَة تنصبُ إليها الأنهار ، وقد قال
الله تعالى في وصف الجنة ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ انتهى .
وقال الشيخ الصفدي في تذكرته : أنشدني المولى الفاضل البارع شمس الدين
محمد بن يوسف بن عبد الله الحياط بقاعة الجبل من الديار المصرية حرسها الله تعالى
لنفسه في شعبان المكرم سنة ١٧٣٢ :

قصدت مصرًا من رُبى جلتى بهمة تجسري بتجربي
فلم أر الطرّة حتى جرت دموع عيني بالمرزيب^٢
وأنشدني لنفسه أيضاً :

خلّفت بالشام حبيبي وقد يسمّت مصرًا ليعنّا طارق
والأرض قد طالت فلا تبعدني بالله يا مصرُ على العاشق^٣
وأنشدني لنفسه أيضاً :

يا أهل مصر أنتم للعلا كواكب الإحسان والفضل
لو لم تكونوا لي سعوداً لما وافيتكم أضرب في الرمل
وذكرته برمته لحسن مغزاه .

وقال الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد المعروف بابن الظهير الحنفي
الإربلي^٤ :

١ قد مر البيت وكذلك التعريف بابن الحياط (راجع النفع ١ : ٩٦) .
٢ في الأصول : بالمرزيب ، وقد غيرت في طبعة ليدن فجعلت « بالمرازيبي » خلافاً لما أثبت
به من قبل ج ١ ص : ٦٤ من الطبعة المذكورة ، وصححها المعلق في المستدركات إلى « المرزيب »
وهو الصواب .
٣ في أمثالنا العامة بفلسطين : « مصر على المشتاق ما هي بعيدة » ، وفي البيت تلميح إلى هذا المثل .
٤ محمد بن أحمد بن عمر ابن الظهير الإربلي (٦٧٧) شاعر من فقهاء الحنفية ولد بإربل وتنقل
في البلاد وكانت وفاته يلحش ، وهو صاحب مختصر أمثال الشريف الرضي (انظر الفوات =

لعلّ سَنَا بَرَقَ الحمى يتألقُ
فلا نارُها تبدو لمرتقبٍ ولا
لعلّ الرياحَ الهُوجَ تُدني لنازحٍ
ديارُ قضينا العيشَ فيها منعماً
سَحَبْنَا بها بُرْدَ الشبابِ وشربنا
مواطنُ منها السهمُ سهمي وظلّه
كلا^٣ جانبَيْه معلّمٌ متجددٌ
إذا الشمسُ حَلَّتْ مثنّه فهو مُذهبٌ
وإن فُرَجَ الأوراقِ جادت بنورها
يُطلُّ عليه قاسيونُ كأنّه
تسافرُ عنه الشمسُ قبلَ غروبها
وتصفرُّ من قبلِ الأصيلِ كأنّها
وفي النيربِ الميمونِ للُبّ سالبٌ
بدائع من صنع القديم ومحدثٌ
رياض كوشِيّ البرودِ يَشُقُّها^٦
فمينُ نرجسٍ يخشى فراقَ فريقه
على النَّأيِ أو طيفاً لأسماءٍ يَطْرُقُ
وعودُ الأمانِي الكواذبِ تَصْدُقُ
من الشامِ عَرَفاً كاللطيمةِ يعبقُ
وأيامنا تحنو علينا وتُشفقُ
لدينا كما شِئنا لذيذٌ مُروّقُ^١
تَخُبُّ مطايا اللهو فيه وتُعْنِقُ^٢
من الماءِ في أطلاله يتدفقُ
وإن حَجَبَتْها دَوْحُهُ فهو أزرقُ
فرَقَمُ أجادته الأكفُ منمقُ
غمامٌ مُعلّى أو نعامٌ معلقُ
وترجفُ لإجلالٍ له حين تشرقُ
حُبٌّ من البين المشتتِ مُشفقُ
من المنظر الزاهي للطرفِ مومقُ^٥
تأنقُ فيها المحدثُ المتأنقُ
جداولها ، فالنورُ بالماءِ يَشْرُقُ
ترى الدمعَ في أجفانه يترقرقُ

٢ : ٣٥٦ وذكر أن ديوان شعره في مجلدين وأنطأ في سنة وفاته إذ جعلها ٦٩٧ ؛ والواقي
٢ : ١٢٣) وقصيدته هذه في الفوات وهي طويلة كثيراً ؛ والأبيات الواردة هنا موجودة في
المقتطفات الورقة : ٢٦ .

١ الفوات : مصفى مصفق .

٢ الفوات : فكلنا نخب ... ونعنى .

٣ في ج ق ودوزي : جلا ، والتصويب عن الفوات .

٤ الفوات : المرموق .

٥ الفوات : موقق .

٦ في المطبوع : كوشي البرود ؛ وفي الفوات : رياض كوشي البرد تزهو بحسنها .

ومِنْ كلِّ ريحانٍ مُقيمٍ وزائِرٍ
 كأنَّ قدودَ السَّروِ فيهِ مَوائِسا
 إذا ما تَدَلَّتْ للشَّقائِقِ صَدَّها
 وقَصْرٌ يَكِلُ الطرفُ عنه كَأَنَّهُ
 وَكَمْ جَدُولٍ جارٍ يُطارِدُ جَدولاً
 وَكَمْ بركةٍ فيها تُضاحِكُ بركةً
 وَكَمْ مَزلٍ يَبعْثُ العيونَ كَأَنَّمَا
 وفي الرَبوةِ الفِحاءُ^٢ للقلبِ جاذِبُ
 عروسُ جَلاها الدَهرُ فوقَ منصَّةِ
 فِهامِ بها الوادي ففاضتْ عيونُهُ
 تكفَّلَ من دونِ الجَدولِ شَربَها
 بِصافحِ رِيَّاهِ الرِياضِ^١ فَمَتَّبِقُ
 قدودُ عَداري مَيلُها مَترَفُ
 عيونُ من النُّورِ المَفْتَحِ تَرمِقُ
 إلى النَّسرِ نَسْرُ في السَّما مَعلَقُ
 وَكَمْ جَوَّسٍ عالٍ يَوازيه جَوَّسُ
 وَكَمْ قَسْطَلٍ للماءِ فيهِ تَدَفَّقُ^٣
 تَأَلَّقَ فيها بَارقُ يَتَأَلَّقُ
 وَلِلهَمِّ مَسْلاةٌ وَلِلعينِ مَرْمَقُ
 من الدَهرِ والأبصارِ تَرمي وتَرمَقُ
 فكلُّ قَرارٍ مِنْهُ بالدَمعِ يَشْرقُ
 يَزيدُ يُصَفِّيه لها وَيُروِّقُ

وقال أبو تمام في دمشق^٤ :

لولا حَدائِقُها وَأَنِّي لا أرى
 وأرى الزَّمانَ غداً عَلَيْكَ بوجِهُه
 قد بوركَتْ تلكَ البَطونُ وَقَد سَمَتِ
 عَرشاً هَناكَ ظَننتُها بَلَقِيسا
 جَدلانَ بَساماً وَكانَ عَقبوسا
 تلكَ الظُّهورُ وَقَد سَتَتْ تَقديسا

وقال البحتري^٥ :

أما دَمشقُ فَقَد أَبَدَتْ مَحاسِنَها
 وَقَد وَفَى لكَ مُطَرِّبُها بما وَعَدَا

١ الفوات : تضاعف رياه الرياح .

٢ الفوات : للماء في الماء يدفق .

٣ الفوات : السماء .

٤ ديوان أبي تمام ٢ : ٢٦٤ .

٥ ديوان البحتري ٢ : ٧١٠ والأبيات أيضاً في تاريخ دمشق ٢ : ١٧١ ومعجم البلدان مادة « دمشق » والأعلاق الخطيرة (دمشق : ٢٣٥) .

إذا أردتَ ملأتَ العينَ من بلدٍ مستحسنَ زمانٍ يشبهُ البلدا
تمشي السحابُ على أجاها فِرَقاً ويصبحُ النورُ في صحرائها بددا
فلستَ تبصرُ إلاً واكفاً خضلاً أو يانعا خضيراً أو طائراً غريدا
كأنما القِيطُ والى بعدَ جيئته أو الربيعُ دنا من بعد ما بعدا
وفي دمشق يقول بعضهم :

برزتَ دمشقُ لزائري أوطانها من كلِّ ناحيةٍ بوجهٍ أزهرٍ
لو أن إنساناً تعمَّدَ أن يرى مَغْنَى خلا من نزهةٍ لم يقلدِ
وقال القيراطي في قصيدته التي أولها^١ :

للصَّبِّ بعدك حالة لا تعجبُ

لله ليلٌ كالتَّهَارِ قَطَعْتُهُ بالوصلِ لا أخشَى به ما يُرْهَبُ
وركبتُ منهُ إلى التصابي أدهماً من قبل أنْ يبدؤ لصبحِ أشهبُ
أيام لا ماء الحدودِ يشوبُهُ كدَرُ العذار ولا عذارِي أشيبُ
كم في مَسْجَلِ اللّهُو لي من جولةٍ أضحتْ تَرْقِصُ بالسَّماعِ وتطربُ
وأقمتُ للندماءِ سُوقَ خلاعةٍ تُجسِبِي المجونُ إليّ فيه وتُجلبُ
وذكرتُ في مَغْنَى دمشقِ معشراً أمُ الزمانِ بمثلهم لا تُنْجِبُ
لا يسألُ القُصَّادُ عن نادبهمُ لكنْ يدلُّهمُ الثناء الطَّيِّبُ
قومٌ بحسنِ صفاتهمُ وفعالهمُ قد جاء يعتذرُ الزمانُ المذنبُ

١ هو إبراهيم بن عبد الله الطائي برهان الدين القيراطي (٧٨١) ، شاعر قاهري جمع بين الفقه والأدب وتوفي بمكة ، وله ديوان مطبوع سماه « مطلع النيرين » وأبياته في المقتطفات (الورقة : ٢٧) وبعض أبياته في نزهة الأنام : ٥٠ وحلبة الكميته : ٢٧٧ (وترجمته في الدرر الكامنة ١ : ٣١ وشذرات الذهب ٦ : ٢٩٦) .

يا من لحرّانِ الفؤادِ وطرفُهُ
أشفاقُ في وادي دمشقٍ معهداً
ما فيه إلا روضةٌ أو جَوْسَقُ
وكانَ ذاكَ النهرَ فيه معصمُ
وإذا تكسّرَ ماؤه أبصرتهُ
وشدتْ على العيدانِ ورَقُ أطربتْ
فالورقُ تنشدُ والنسيمُ مشبَّبُ
وضياعُها ضاعَ النسيمُ بها فكم
وحلتْ بقلبي من عساكرِ جنةٍ
ولكم رقصتْ على السماعِ بجنكها
فمتى أزورُ معالماً أبوابها
بدمشقِ أدمعُهُ غَدَتْ تَتَحَلَّبُ
كلُّ الجمالِ إلى حماه يُنسبُ
أو جدولٌ أو بلبلٌ أو رَبْرَبُ
بيدِ النسيمِ مُنْقَشٌ ومكتَبُ
في الحالِ بينَ رياضِهِ يتشعَّبُ
بغنائها من غابَ عنه المطربُ
والنهرُ يسقي والحدائقُ تشربُ
أضحى له من بينِ روضِ مطلبُ
فيها لأربابِ الخلاعةِ ملعبُ
وغدا بربوتها اللسانُ يشبَّبُ
بسماحها كُتِبَ السّماحُ تَبُوبُ

وقال الصّفيّ الحلبيّ عند نزوله بدمشق مسمطاً لقصيدة السموأل بالحماسة^١:

قبيحٌ بمن ضاقتْ عن الرّزقِ أرضُهُ
وطولُ الفلا رَحْبٌ لديه وعرضُهُ
ولم يُبلِّ سربالٌ الدجى فيه ركضُهُ
إذا المرء لم يدنّسْ من اللّومِ عِرضُهُ فكلُّ رداء يرتديه جميلُ

إذا المرء لم يحجبْ عن العينِ نومنها
ويُخلِ من النفسِ النقيصةِ سَومنها
أضحى ولم تأمنْ معاليه لبومنها
وإن هو لم يحملْ على النفسِ ضيمها فليس إلى حُسنِ الثناء سبيلُ

١ ديوان الصفي : ٣٦ ، والخمسة أيضاً في المقتطفات (الورقة : ٢٤) .

رَفَعْنَا عَلَى هَامِ السَّمَاءِ مَحَلَّنَا
فَلَا مَلِكٌ إِلَّا تَغَشَّاهُ ظَلَّنَا
لَقَدْ هَابَ جَيْشُ الْأَكْثَرِينَ أَقْلَنَّا
وَلَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَا وَكَهُولُ

يُوَاذِي الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَقَارُنَا
وَتُبْنِي عَلَى هَامِ الْمَجْرَةِ دَارُنَا
وَيَأْمَنُ مِنْ صَرْفِ الزَّمَانِ جَوَارُنَا
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

وَلَمَّا حَلَلْنَا الشَّامَ تَمَّتْ أُمُورُهُ
لَنَا وَحَيَانَا مَلِكُهُ وَوَزِيرُهُ
وَبِالنَّيْرَبِ الْأَعْلَى الَّذِي عَزَّ طُورُهُ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نَجِيهِهِ مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ

يُرِيكَ الثَّرِيَا مِنْ خِلَالِ شَعَابِهِ
وَتَحْدِقُ شُهْبُ الْأَفْقِ حَوْلَ مَضَابِهِ
وَيَقْصُرُ خَطْوُ السُّحُبِ دُونَ ارْتِكَابِهِ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرْعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلُ

وَقَصِرَ عَلَى الشَّقَرَاءِ قَدْ فَاضَ نَهْرُهُ
وَفَاقَ عَلَى فَخْرِ الْكَوَاكِبِ فَخْرُهُ
وَقَدْ شَاعَ مَا بَيْنَ الْبَرِيَّةِ شُكْرُهُ
هُوَ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِي سَارَ ذِكْرَهُ يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ

إذا ما غَضَبْنَا في رضا المجدِ غَضِبَةً
لندركَ ثأراً. أو لنبلغَ رتبةً
نزيدَ غداةَ الكرِّ في الموتِ رغبةً
وإنا لَنَقُومُ لا نرى الموتَ سُبَّةً إذا ما رَأَتْهُ عامرٌ وسَلُول

وكتب الشيخ محب الدين الحموي في ترجمة الشيخ^١ إسماعيل النابلسي شيخ
الإسلام من مصر^٢ :

لواء التَّهَانِي بالمسرةِ يَخْفِقُ	وشمسُ المعالي في سما الفضلِ تُشْرِقُ
وسَعْدٌ وإِقْبَالٌ وَمَجْدٌ مَخِيَمٌ	وأَيَّامٌ عَزَّ بِالوَفَا تَتَخَلَّقُ
فَيَا أَيُّهَا المولى الذي جَلَّ قَدْرُهُ	ويا أَيُّهَا الحَبْرُ اللَّيْبُ المَدْقُقُ
أرى الشَّامَ مَدَّ فَارَقَتْهَا زَالُ نُورِهَا	وثوبٌ بِهَاهَا والنَّضَارَةُ يَخْلُقُ
إذا غَبَّتْ عَنْهَا غَابَ عَنْهَا جَمَالُهَا	ونفسٌ بِدُونِ الرُّوحِ لَا تَتَحَقَّقُ
وإن عُدَّتْ فِيهَا عادَ فِيهَا كَمَالُهَا	وصارَ عَلَيْهَا من بهائِكَ رَوْنَقُ
فيا ساكني وادي دَمَشَقَ مزارُكُمْ	بعيدٌ وبابُ الوصلِ دُونِي مُغْلَقُ
وليس على هذا النوى لي طَاقَةٌ	فهل من قيودِ البينِ والبعدِ أُطْلَقُ
ولاني إلى أخبارِكُمْ مُتَشَوِّفٌ	ولاني إلى لِقْيَاكُمْ مُتَشَوِّقُ
أودُّ إذا هبَّ النسيمُ لَنُحُوكُمْ	بأنِّي في أَذْيَالِهِ أَتَعَلَّقُ
وأصبو لذكراكُمْ إذا هبَّتِ الصَّبَا	لعلِّي مِن أخبارِكُمْ أَتَنَشَّقُ

١ ق : ترجمة للشيخ ، وسقطت « في » من ق ج .
٢ هو إسماعيل بن أحمد ابن الحاج إبراهيم النابلسي (٩٣٧ - ٩٩٣) شيخ الإسلام ، وصاحب
الفتاوى وصدر دمشق في عصره (انظر ترجمته في الكواكب السائرة ٣ : ١٣٠) . وأما
محب الدين الحموي فهو محمد بن تقي الدين أبي بكر ابن داود بن عبد الرحمن بن عبد الخالق
المحبي (٩٥١ - ١٠١٦) ، وهو صاحب تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات المعروف
بشواهد الكشاف وغيره من المؤلفات (خلاصة الأثر ٣ : ٣٢٢) .

ولي أنة أودت بجسمي ولوعة
فحنوا على المضني الذي ثوب صبره
غريب بأقصى مصر أضحت دياره
وقد نسخ التبريح جسمي فهل إلى
فيا ليت شعري هل أفوز بروضة
وأنظر واديا وآوي لربوة
ويخلو لي العيش الذي مر صفوه
وأنظر ذاك الجامع الفرد مرة
وأصحابنا فيه نجوم زواهر
فلا يرحوا في نعمة وسعادة

وقال ابن عنين^١ :

ماذا على طيف الأحيّة لو سرى
جئحو إلى قول الوشاة وأعرضوا
يا معرضاً عني بغير جناية
هني أسأت كما تقول وتفتري
ما بعد بُعدك والصلود عقوبة
لا تجمعن علي عتبك والنوى
عبء الصلود أخف من عبء النوى
فستقى دمشق وواديها والحمى

وعليهم لو ساعلوني^٢ بالكري
والله يعلم أن ذلك مفتري
إلا لما نقل العنود^٣ وزورا
وأيت في حبك شيئا منكرا
يا هاجري ما آن لي أن تغفرا
حسب الحب عقوبة أن يهجرأ
لو كان لي في الحب أن أتخيأ
متواصل الأرهام^٤ منقسم العرى

١ ديوان ابن عنين : ٣ وهي في مدح الملك العادل بن أيوب .

٢ الديوان : ساعلوني .

٣ الديوان : رقت الحسود .

٤ الديوان : الأرعاد .

حتى ترى وجهَ الرياضِ بعارضٍ أحوى وفودَ الدَّوحِ أزهَرَ نيراً
تلكَ المنازلُ لا ملاعبُ عالِجٍ ورمالُ كاظمةٍ ولا وادي القرى
أرضٌ إذا مرَّتْ بها ریحُ الصَّبَا حَمَلَتْ على الأغصانِ مسكاً أذفراً
فارقَتْها لا عن رضاً وهجرَتْها لا عن قِلَى ورحلتُ لا متخيراً
أسمى لرزقٍ في البلادِ مُشْتَتٍ ومن العجائبِ أن يكونَ مقتراً

* * *

[تعريف بابن عنين]

وابن عنين المذكور كان هجاء ، وهو صاحب « مقراض الأعراض »
تجاوز الله تعالى عنه ، فمن ذلك قوله ٢ :

أرحُ من نَزَحِ ماءِ البشرِ يوماً فَقَدْ أَفْضَى إِلَى تَعَبٍ وَعِيٍّ
مُرِّ القاضي بوضعِ يديه فيه وقد أَضْحَى كَرَأْسِ الدَّوْلَعِيٍّ

يعني أقرع ؛ وسببُ قوله البيتين أن المعظم أمر بترح ماء بقلعة دمشق ،
فأعياهم ذلك .

ومن هَجَوه قوله ٣ :

شكا شعري إليَّ وقال تهجو بمثلي عرضَ ذا الكلبِ اللثيمِ
فقلتُ له تَسَلَّ فَرُبَّ نَجْمٍ هوى في إثرِ شيطانٍ رجيمِ

وقال فيمن خرج حاجاً فسقط عن الهجين فتخلف :

إذا ما ذُمَّ فعلُ النُّوقِ يوماً فَإِنِّي شاكرٌ فعلَ النِّياقِ

١ الديوان : مفرق ، ومن البلية .

٢ ديوانه : ٢٣٥ .

٣ وردت هذه المقطعات في ديوانه : ١٨٨ ، ٢٢٧ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ١٧٩ ، ٦٩ .

أَرَادَ اللهُ بِالْحُجَّاجِ خَيْرًا فثَبَّتَ عَنْهُمْ أَهْلَ الثَّقَافِ

وقال :

وراحلٍ سِرْتُ فِي رَكْبٍ أَوْدَعَهُ تَبَارَكَ اللهُ مَا أَحْلَى تَلَاجِينَا
جئنا إلى بابِهِ لاجِينَ نَسْأَلُهُ فليتنا عاقنا موتٌ ولا جينا
راجينَ نَسْأَلُ مَبْتَأَ لَا حَرَكَ بِهِ مثلَ النَّصَارَى إِلَى الْأَصْنَامِ لاجينا

وقال :

وَصَلَتْ مِنْكَ رَقْعَةٌ أَسَامَتْنِي صَيَّرَتْ صَبْرِي الْجَمِيلَ قَلِيلًا
كَنَهَارِ الْمَصِيفِ حَرًّا وَكِرْبًا وَكَلِيلِ الشِّتَاءِ بَرْدًا وَطُولًا
وأول « مقراض الأعراض » قوله :

أَضَالَعُ تَنْطَوِي عَلَى كَرْبٍ وَمَقْلَةٍ مُسْتَهْلَةٍ الْغَرْبِ
شَوْقًا إِلَى سَاكِنِي دِمَشْقَ فَلَا عَدَتْ رُبَاهَا مَوَاطِرُ السُّحْبِ
مَوَاطِنُ مَا دَعَا تَوَطَّنَهَا إِلَّا وَلَبَّى نَدَاءَهَا لُبِّي
ثمَّ ذَكَرَ مِنَ الْمَجْهُوِّ مَا تَصَمَّ عَنْهُ الْأَذَانُ .

وهو القائل في دمشق :-

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَ لَيْلَةً وَظَلَمْتَ يَا مُقَرَّرِي عَلَيَّ ظَلِيلُ
وَهَلْ أَرَيْتَنِي بَعْدَمَا شَطَبْتَ النَّوَى وَلِي فِي ذَرَا رَوْضٍ هُنَاكَ مَقِيلُ

ومنها :

دِمَشْقُ بَنَا شَوْقٌ إِلَيْكَ مَبْرَحٌ وَإِنْ لَجَّ وَاشٍ أَوْ أَلَحَّ عَلْوُلُ

١ الديوان : ما أشقى المساكينا .

بلادُ بها الحصباءُ دُرٌّ ، وتربُّها عيرٌ ، وأنفاسُ الشَّمالِ شَمُولُ
تسلسلَ فيها ماؤها وهو مطلقٌ وصحَّ نسيمُ الروضِ وهو عليل
وقد تقدم التمثيل بهذه الأبيات الثلاثة في خطبة هذا الكتاب .

ومن هذه القصيدة :

وكيفَ أخافُ الفقرَ أو أحرمُ الغنى ورأيُ ظهيرِ الدينَ فيَّ جميلُ
منَ القومِ أمّا أحفٌ فمُسَقَّهٌ لديهمُ ، وأمّا حاتمٌ فبخيلُ
ففي المجدِ أمّا جارهُ فمُمنَّعٌ عزيزٌ ، وأمّا ضدهُ فذلِيلُ
وأمّا عطايا كفه فمباحةٌ حلالٌ^١ ، وأمّا ظلهُ فظليلُ

وظهير الدين الممدوح هو طُغْتِكِين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين .
وكان ملك اليمن ، وأحسن إلى ابن عنين إحساناً كثيراً وافرأ ، وخرج ابن
عين من اليمن بمال جم ، وطُغْتِكِين : بضم الطاء المهملة ، وبعدها غين معجمة ،
ثم تاء مشناة من فوقها مكسورة ، ثم كاف مكسورة أيضاً ، ثم ياء تحتية ، ثم
نون . وكان يلقب بالملك العزيز ، ولذلك قال ابن عنين لما رجع من عنده إلى
مصر أيام العزيز عثمان بن صلاح الدين فألزم أرباب الديوان ابن عنين بدفع
الزكاة من المتاجر التي وصلت صحبته^٢ :

ما كلُّ من يتسمّى بالعزيز له أهلٌ وما كلُّ برقٍ سحبه غدقه
بينَ العزيزين بَوْنٌ في فعالمهما هذاك يُعطي وهذا يأخذ الصدقة

ومن هجو ابن عنين قوله في فقيهين يلقَّب أحدهما بالبغل والآخر
بالخاموس^٣ :

١ الديوان : فسوانغ عذاب .

٢ ديوانه : ٢٢٣ .

٣ ديوانه : ٢٠٥ .

البغلُ والجاموسُ في حالَيْهِما قد أصبحا مثلاً لكلِّ مُناظِرِ
قَعْدًا عَشِيَّةً يومنا فتناظرا هذا بقرنيه وذا بالخافرِ
ما أحكما غيرَ الصياحِ كأنما لقنا جدال المرتضى بن عساكرِ
جلُفانٍ ما لهما شبيهٌ ثالثٌ إلا رَقَاعَةٌ مَذْلُوبِهِ الشاعرِ
لَقَظٌ طويلٌ تحتَ معنى قاصِرٍ كالعقلِ في عبد اللطيفِ الناظرِ

رجع إلى دمشق :

وقال العز الموصلي :

إليك حياضَ حمّامٍ مصريٍّ ولا تتكثري عندي بمِئينِ
حياضُ الشامِ أحلى منك ماءً وأظهُرُ وهي دونَ القُلَّتَيْنِ
وهذان البيتان جوابٌ منه عن قول ابن نُبّاتة ٢ :

أحواضُ ٣ حمّامِ الشّامِ مِ ألا اسمي لي كلمتينِ
لا تذكرِي أحواضَ مصرَ مرّ فأنتِ دونَ القُلَّتَيْنِ

وأما قول التّواحي سامحه الله تعالى :

مصرُ قالت : دمشقُ لا تَفْتَخِرُ قَطُّ باسمِها
لو رأَتْ قوسَ روضتي منه راحَتُ بِسَهمِها

فهو من باب تفضيل الوطن من حبه ، ومنه قول الوداعي :

روّ بمصرٍ وبسكانِها شوقي وجدّدَ عهدي الخالي

١ الديوان : برزا .

٢ ديوان ابن نُبّاتة : ٥٣٧ ، ومطلع البدر ٢ : ١٢ .

٣ الديوان : أبران .

وارو لنا يا سعدُ عن نيلها حديث صفوان بن عسال
فهو مُرادِي لا «يزيد» ولا «ثور» وإن رقًا ورقًا لي

ومن ذلك النمط قول الشهاب الحجازي :

قالوا دمشقٌ قد زَهَتْ لزهْرها فامض وشاهدْ جَوَزَهَا ولوزَهَا
فقلتُ لا أَبْدِلُ بِلدِّي بها ولستُ أَرْضَى زهرَهَا ولَوَزَهَا

وقول الآخر :

قدْ قالَ وادي جِلَقٍ للنيلِ إذ كسروه أعينُ جِبْهِي لك تُرْفَعُ
فأجابَ بحرُ النيلِ لما أن طغى عندي مقابلُ كلِّ عينٍ لأصبعُ
وقد تذكرت هنا قول بعضهم :

ماذا يفيدُ المعنى من الأذى المتتابع
بمصرَ ذات الأيادي ونيلها ذي الأصابع

وقد شاع الخلافُ قديماً وحديثاً في المفاضلة بين مصر والشام ، وقد قال بعضهم :

في حلبٍ وشامينا ومصرَ طالَ اللَّغَطُ
فقلتُ قولَ منصفٍ خيرُ الأمورِ الوسطُ

* * *

١ زاد في التجارية بعد هذا البيت : وقول الخفاجي قاضي مصر ، وإن لم يكن في دمشق لكن في السياق في النظم :

قد فتن العاشقين حين بدا بطلعة كالهلال أبرزها
طر له شارب على شفة كالورد في الأس حين طرزها
رذا ساقط من قج ودوزي .

[شعر في ذم دمشق]

وأما قول بعضهم :

يُجَنَّبُ دِمَشْقَ وَلَا تَأْتِهَا وَإِنْ رَأَيْتَ الْجَامِعَ الْجَامِعُ
فَسُوقُ الْفُسُوقِ بِهَا قَائِمٌ وَفَجَّرَ الْفُجُورُ بِهَا طَالِعُ

فلا يُلُصِقُ إِلَيْهِ ، وَلَا يَعُولُ عَلَيْهِ ، - إذ هو مجرد دعوى خالية عن الدليل ،
وهي من نزعات بعض المهجائين الذين يعملون إلى تقييخ الحسن الجميل
[الجليل] :

وما زالت الأشراف تُهْجَى وتَمْدَح

ولا يقابل ألف مثنى عدل بفسق يقدح :

وفي تعبٍ من يحسد الشمس نورها وَيَسْأَلُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ
وأخفٌ من هذا قول بعض الأندلسيين ، وهو الكاتب أبو بكر محمد بن
قاسم :

دِمَشْقُ جَنَّةٍ الدُّنْيَا حَقِيقًا وَلَكِنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْغَرِيبِ
بِهَا قَوْمٌ لَهُمْ عَدَدٌ وَمَجْدٌ وَصَحْبُهُمْ تَوَوُّلٌ إِلَى الْحُرُوبِ
تَرَى أَنْهَارَهُمْ ذَاتَ ابْتِسَامٍ وَأَوْجُهُهُمْ تَوَلَّعٌ بِالْقَطُوبِ
أَقَمْتُ بَدَارَهُمْ سِتِينَ يَوْمًا فَلَمْ أَظْفَرْ بِهَا بِفَتَى أَدِيبِ

والجواب واحد ، ولا يضر الحق الثابت إنكار الجاحد ، وأخفٌ من
الجميع قول العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه :

جَلِقَ جَنَّةٌ مِنْ تَاهٍ وَبَاهِي وَرُبَاهَا أَرِييَ لَوْلَا وَبَاهَا
قَالَ غَالٍ : بَرَدَى كَوَثَرُهَا قُلْتُ : غَالٍ بَرَدَاهَا بِرَدَاهَا

وطني مصرُ وفيها وطرِي ولنفسي مُشتهاها مُشتهاها
ولمَني غيرها إن سكنتُ يا خليلي سلاها ما سلاها
وأخفُ منه قول ابن عبد الظاهر :

لا تلوموا دمشقيَّ إن جئتموها فهي قد أوضحتْ لكم ما لديها
لأنَّها في الوجوه تضحكُ بالزَّهْدِ رِ لَمَنَ جاء في الربيع إليها
ونراها بالثلج تبصقُ في الح ية مَن مرَّ في الشتاء عليها
وقول ابن نباتة وهو بالشام يتشوق إلى المقياس والنيل^١ :

أرقُّ له بالشام نيلٌ مدامعٍ يُجريه ذِكْرُ منازلِ المقياسِ
سقيًّا لمصرَ منازلًا معمورةً بنجوم أفقٍ أو ظباء كناسِ
وطني سهرتُ له وشابتُ لِمَتي ونعمَ على عيني هواه وراسي
من لي به والحالُ ليس بآيسٍ كدِرٍ وعِطْفُ الدهرِ ليس بقاسي
والطرفُ يستجلي غزالًا آنسًا بالنيلِ لم يَعْتُدْ على باناسِ
رجع إلى مدح دمشق :

وقال الناصر داود بن المعظم عيسى^٢ :

إذا عاينتُ عيناىَ أعلامَ جِلَّتِي وبانَ من القَصْرِ المشيدِ قبابُهُ
تَيَقَّنْتُ أنَّ البينَ قد بانَ والنوى نأى شخصُهُ والعيش عاد شبابُهُ

١ ديوان ابن نباتة : ٢٦٤ - ٢٦٥ .

٢ هو صاحب الكرك (٦٠٣ - ٦٥٦) ، تغلب على الشام بعد موت عمه الكامل محمد ، ووقعت له أحداث كثيرة منثورة في كتب التاريخ كالنجوم الزاهرة ومرآة الزمان وغيرها ؛ (انظر ترجمته في الفوات ١ : ٣٨٢ والنجوم ٧ : ٦١ والشدرات ٥ : ٢٧٥) وله قطعة صالحة من شعر ونثر في المقتطفات (الورقة : ٦٢ وما بعدها) ؛ وهذا البيتان في النجوم والفوات والمقتطفات .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا راكباً من أعالي الشّام يجذبُهُ
حدّثني عن ربوعٍ طالما قُضِيَتْ
لدى رياضٍ سقاها المزنُ ديمتَهُ
شعّ الندى أن يسقيها مُجاجةً
بكّت عليها الغواصي وهي ضاحكةٌ
ياحُسْنُها حينَ زانتها جواسقُها
فهي السماءُ اخضراراً في جوانبها
حدّثني وأنا الظامي إلى نيلٍ
فهو الزلالُ الذي طابتَ مشاربُهُ
كرّرَ على نازحٍ شطّاً المزارُ به
وعلّلَ النفسَ عنهم بالحديثِ بهم
إلى العراقيّ إدلاجٌ وإسحارٌ
للنفسِ فيها لُباناتٌ وأوطارٌ
وزانها زهراً غصٌّ ونوّارٌ
فجاءها مُفعمٌ الشؤبوبِ مِدْرارٌ
وراحتَ الريحُ فيها وهي معطارٌ
وأينعتَ في أعالي النوحِ أثمارٌ
كواكبٌ زهراً تبدو وأقمارٌ
لا فُضَّ فوكَ فمِنّي الريّ تمارٌ
وفارقتَهُ غُشاءاتٌ وأكدارٌ
حديثك العذبَ لا شطّتك بك الدار
إنّ الحديثَ عن الأحبابِ أَسْمارٌ

وهذا الملك الناصر له ترجمة كبيرة ، وهو ممّن أدركته الحرفة الأدبية ، ومنع حقه بالحمية والعصبية ، وأنكرت حقوقه ، وأظهر عقوقه ، حتى قضى نحبه ، ولقي ربّه .

رجع :

وقال سيف الدين المشد رحمه الله تعالى ^١ :

بُشْرَى لأهل الهوى عاشوا به سَعْدًا وإن يموتُوا فَهُمْ مِنْ جَمَلَةِ الشَّهَدَا

١ هو علي بن عمر بن قزل بن جلدك التركماني (٦٠٢ - ٦٥٦) وهو نسيب جمال الدين بن يَمُور الذي اتصل به ابن سعيد ، وكان يتولى شه الدواوين (أي كان رفيقاً للوزير متحدثاً في استخلاص الأموال وما في معنى ذلك) وكان ظريفاً طيب العشرة (انظر ترجمته في الفوات ٢ : ١٢٨ والنجوم الزاهرة ٧ : ٦٤) .

شعارُهُمْ رِقَّةُ الشَّكْوَى وَمَذْهَبُهُمْ
عَيُونُهُمْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ سَاهِرَةٌ
تَجَرَّعُوا كَأْسَ خَمْرِ الْحُبِّ مُتَرَعَّةً
وَعَاسِلِ الْقَدِّ مَعْسُولٌ مُقْبَلُهُ
رَقِيمٌ عَارِضُهُ كَهْفٌ لِعَاشِقِهِ
نَادِمَتُهُ وَتُخَوِّرُ الْبَرْقِ بَاسِمَةٌ
كَأَنَّ جِلْقَ حَيَاةِ اللَّهِ سَاكِنَهَا
فَاسْتَرْسَلَ الْجَوْدُ مِنْهَا «يَزِيد» عَلَى

وَقَالَ أَيْضاً :

فَوَادِي إِلَى بَانَاتٍ جِلْقَ مَائِلُ
يُرْتَحَنِي لَوْزُ ابْنِ كَلَّابٍ مُزْهَرٌ
وَأَنِّي إِلَى زَهْرِ السَّفَرِجْلِ شَيْقُ
غِيَاضُ يَفِيضُ الْمَاءُ فِي عَرَصَاتِهَا
تَرَى بَرْدَى فِيهَا يَجُولُ كَأَنَّهُ
وَبِي أَحْوَرُ لَاحَ الْعِدَارُ بِخَدِّهِ
يَحَاوِرُنِي فِيهِ عَلَى الصَّبْرِ صَاحِبِي
إِذَا اشْتَقْتُ وَادِي النِّيرَبَيْنِ لِمَحْتُهُ
حَوَى الشَّرْفَ الْأَعْلَى مِنَ الْحَسَنِ خَدُّهُ

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَادٍ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ
وَادٍ يَفُوحُ الْمَسْكُ مِنْ جَنَابَاتِهِ
يَشْتَاقُهُ وَيُودُّ لِمَ تَرَاهُ
حَيَاةً مَعَاهِدَةً الْحَيَا وَالنَّيْلُ
وَيَصْحُ فِيهِ لِلنَّسِيمِ عَلِيلُ
شَوْقًا وَلَكِنْ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

مقلقلُ الأحشاءِ مسلوبُ الكرى
يصبو إلى الأثلاث من وادي الغضى
قالوا تبدّلْ ، قلتُ يا أهلَ الهوى
هل بعدَ قَطْعِ الأربعينَ مسافةٌ
ولقد هفا بي في دمشقَ مهتفٌ
يهترُ إن مرَّ النَّسيمُ بقَدّه
أبدى لنا برّداً تبسّمُ ثغره
لزمَ التسلسلَ ملحمي وعذاره
وسقمتُ من سَقَمِ الجفونِ لأنّها
لا تعجبوا إن راعني بدوائبُ
ما صَحَّ لي أنَّ النّوابةَ حيّةٌ

طلّقُ الدموعِ فؤادُه متبول
ويحنُّ إن خطرتُ هناك شَمُول
والناسُ فيهم عاذرٌ وجهول
للعمرِ فيها يحسنُ التبديل
يسبي العقولَ رُضابُه المعسول
ويعيلُ بي نحو الصّبا فأميل
ولذا انثنى فقوامه المجدول
فانظرُ إلى المُهتجاتِ كيف تسيل
هي عِلّةٌ وفؤاديّ المعلول
فالليلُ هوّلٌ والمحبُّ ذليل
حتى سَعَت في الأرضِ وهي تجول

وقال ناظر الجيش عون الدين بن العجمي^١ :

يا سائقاً يقطعُ البَيْداءَ معسفاً
إن جُرّت بالشّام شِم تلك البروق ولا
واقصِدْ أعالي قلاله فإنّ بها
من كلّ بيضاء هيفاء القوامِ إذا
وكلُّ أسمرٍ قد دانَ الجمالُ له
وربّ صُدغٍ بدا في خدّ مُرسِلِهِ

بضامٍ لم يكن في سيره وآني
تعدّلُ بلَغَتِ المني عن ديرِ مرّان
ما تشتهي النفسُ من حُورٍ وولدان
ماست فواخجَلُ^٢ المُرّانِ والبان
وكمّلَ الحسنَ فيه فِرطُ إحسان
في فترةٍ فتَنّت من سِحْرِ أجفان

١ هو سليمان بن عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن عون الدين بن العجمي الكاتب (٦٠٦ - ٦٥٦) . خدم الملك الناصر داود ، وكان كامل الرئاسة لطيف الشائل (انظر ترجمته في الفوات ١ : ٣٥٨ ومجمع الألقاب ٤ / ٢ : ٩٧٧ وله ترجمة في الوافي والمنهل الصافي) .
والقصيدة التي أوردتها المقرئ موجودة في الفوات : ٣٥٩ .
٢ الفوات : فيها شجيلة .

فلبت ريقته وردي ووجنته
وعج على دبر متي ثم حي به
فهت منه إشارات فهت بها
واعبر بدير حنينا وانتهز قرص
واستجل راحاً بها تحيا النفوس إذا
حمراء صفراء بعد المزج كم قدفت
كم رحت في الليل أسقيها وأثرها
سألت توماس عمن كان عاصرها
وقال : أخبرني شمعون ينقله
بأنها سقرت بالطور مشرقة
وهي المدام التي كانت معتقة
وهي التي عبدتها فارس فكنتي
سكرت منها فلا صحو وجدت بها
وسوف أمنحها أهلاً وأنشده
حتى تميل لها أعطافه طرباً

وردي ومن صدغيه آسي وربحاني
ربان بطرس فالربان رباني
وصنت منشورها في طي كتمان
لذات ما بين قسيس ومطران
دارت براح شماميس ورهبان
بشهبها من همومي كل شيطان
حتى انقضى وندي غير ندمان
أجاب رمزاً ولم يسمع بتبيان
عن ابن مريم عن موسى بن عمران
أنوارها فكثتوا عنها بنيران
من عهد هرمس من قبل ابن كنعان
عنها بشمس الضحى في قومه ماني
على الندامى وليس الشخ من شاني
ما قيل فيها بترجيع وألحان
وينثي الكون من أوصاف نشوان

وهذه وإن لم تكن في دمشق على الخصوص فلا تخرج عما نحن بصدده ،
والأعمال بالنيات ، وديباجة هذه القصيدة على نسج طائفة من الصوفية ، ومنمن
حاك هذه البرود الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى ، وقيل : إنه الشيخ شعبان
النحوي .

رجع :

وقال بعضهم :

شوقي يزيد وقلب الصب ما بردا وبان ياسي من المعشوق حين غدا

ومدّ معي قنوت^١، والعدول^٢ حكي
 على مغنيّة بالحنك جاوبها
 فالبدْرُ جَبَّهَتْهَا، والردفُ رَبَوَتْهَا،
 ثَوْرًا ، يلومُ الفتي في عشقه حسدا
 على مغنيّة بالحنك جاوبها
 وشبّابة^٣ كم بها من عاشقٍ سهدا
 وخيلها مات في خلخالها كدا

ولنذكر نبذة مما خوطبتُ به من علماء الشام وأدبائه حفظ الله تعالى
 كلماتهم ، وبلغ آمالهم .

فمن ذلك قول شيخ الإسلام ، مفتي الأنام ، سيدي الشيخ عبد الرحمن
 العمادي الحنفي^٤ حفظه الله تعالى ، وكتبه لي بخطه :

شمس الهدى ^١ أطلعتها المغربُ	وطار عتقاء بها مغربُ
فأشرقت في الشام أنوارها	وليتها في الدهر لا تغربُ ^٢
أعني الإمام العالم المقرري	أحمد من يكتب أو يخطبُ
شهاب علم ثاقب فضله	ينظم عقداً وهو لا يثقبُ
فرع علوم بالهدى مثمر	وروض فضل بالندى معشيبُ
قد ارتدى ثوب علّام امتطى	غارب مجد فزها المركبُ
درس غريب كل يوم له	يمل ولكن حفظه أغربُ
محاضرات مسكر لفظها	بكأس سمع راحها تشربُ
رياض آداب سقاها الحيا	فقاح مسكاً نشرها الأطيبُ
فضائل عمت وطمت فقد	قصر فيها كل من يطنبُ
قلوبنا قد جذبت نحوه	والحب من عادته يجذبُ
إن بعدت عن غربه شرقنا	فالفضل فينا نسب أقربُ

١ قد مر التعريف بمبد الرحمن العمادي ، انظر ١ : ٦٢ .

٢ ج : شمس هدى .

٣ سقط البيت من ج .

٤ ج : تطلقها .

كَمْ طَلَبْتُ تَشْرِيفَهُ شَامِنَا بِشَرَى لَهَا فَلِيْهِنَّ الْمَطْلَبُ
 قَدْ سَبَقَتْ لِي مَعَهُ صَحْبَةٌ فِي حَرَمٍ يُؤْمِنُ مَنْ يَرْهَبُ
 أُنْجُوهُ فِي اللَّهِ مِنْ زَمَزَمٍ رَضَاعُهَا طَابَ لَهَا الْمَشْرَبُ
 أَنَهَلِي ثَمَّ وَدَادًا فُسْلِي بِالشَّامِ مِنْهُ عَكَلٌ أَعْدَبُ
 أَهْدَيْتُ ذَا النِّظْمِ امْتِثَالًا لَهُ وَقَدْ هَجَرْتُ الشَّعْرَ مَدَّ أَحْقَبُ
 نَشِطَ قَلْبِي لَطْفُهُ فَانْتَنَى وَالْقَلْبُ فِي أَهْلِ الْهَوَى قَلْبُ
 ضَاءَ دُجَى الْعِلْمِ بِهِ لِلْوَرَى مَا نَارُ فِي جُنْحِ الدَّجَى كَوَكَبُ
 نَحْيَةُ الْفَقِيرِ الدَّاعِي ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعِمَادِي ، انْتَهَى .

وَأَجَبْتُهُ بِمَا نَصَّه :

مَا تَبَيَّرُ رَاحَ كَاسُهَا مُذْهَبٌ مَا لِلنَّهْيِ عَنْ حُسْنِهَا مَذْهَبُ
 تُسْتَدْفَعُ الْأَكْدَارُ مِنْ صَفْوِهَا وَتَنْهَلُ الْأَفْرَاحُ أَوْ تَنْهَبُ
 تَسْمَى بِهَا هَيْفَاءُ مِنْ ثَغْرِهَا أَوْ شَعْرُهَا النَّوْرُ أَوْ الْغَيْهَبُ
 فَتَنَانَةُ الْأَعْطَافِ تَفَاتُةٌ سِحْرًا بِالْبَابِ الْوَرَى يَلْعَبُ
 فِي رَوْضَةٍ قَدْ كَلَّتْ بِالنَّدَى وَالزَّهْرِ رَأْسَ الْغُصْنِ إِذْ يُعْصَبُ
 بِرُودِهَا بِالنَّوْرِ قَدْ نُمِنَتِ كَالْوَثْقِ مِنْ صَنْعَاءَ بَلَّ أَعْجَبُ
 وَالْمَاءُ يَجْرِي تَحْتَ جَنَاتِهَا وَالنَّارُ مِنْ نَارِجِهَا تُلْهَبُ
 وَالظِّلُّ ضَافٍ وَالتَّسْنِيمُ انْهَرَى وَالْجَوْ ذَاكِي الْعَرَفِ مُسْتَعْدَبُ
 وَالطَّيْرُ لِلْعَشَاقِ بِالْعُودِ قَدْ غَنَّتْ فَهَاجَتْ شَوْقَ مَنْ يَطْرَبُ
 أَبْهَى وَلَا أَبْجَ فِي مَنْظَرٍ مِنْ نَظْمٍ مَنْ تَقْدِيمُهُ الْأَصُوبُ
 مُفْتِي دِمَشْقِ الشَّامِ صَدْرُ الْوَرَى مَنْ فِي الْعُلَا تَمَّ بِهِ الْمَطْلَبُ
 عَلَامَةُ الدَّهْرِ وَلَا مِرْيَةُ وَمَكْنَجُ الْفَضْلِ وَلَا مَنَهْرَبُ

ج : تَشْرِيفُهُ .

لله ما امتاز به من حلى بغير من الله لا تكسب
 أبدى بها الرحمن في عبده مظهر المنح التي تحسب
 جود بلا من علم بلا دعوى به التحقيق يستجلب
 وبيت مجد مسند ركنه إلى عماد الدين إذ ينسب
 فبرقه الشامي من شامه نال مراما والسوى خلّب
 وما عسى أبدية في مدحه أو وصف أبناء له أنجبوا
 تسابقوا للمجد حتى حووا سبقا لما في مثله يرغب
 أعيدهم بالله من شر ما يخنثى من الأغيار أو يرهب
 وأسأل الله لهم عزة بادية الأضواء لا تحجب

ولما حلت دمشق المحروسة ، وطلبت موضعاً للسكنى يكون قريباً من
 الجامع الأموي الذي يُعجز البليغ وصفه وإن ملأ طُروسه ، أرسل إليّ أديب الشام
 فرد الموالي المدرسين صاحب أذيال الفخار^١ المولى أحمد الشاهيني^٢ حفظه الله
 تعالى بمفتاح المدرسة الحَقْمَقِيَّة ، وكتب لي معه ما نصّه^٣ :

كنف المقرّي شيعي مقرّي وإليه من الزمان مقرّي
 كنف مثل صدره في اتساع وعلوم كالدرّ في ضمن بحر
 أي بدر قد أطلع الغرب منه ملأ الشرق نوره أي بدر ؟
 أحمد سيدي وشيخي وذخري وسمي فوق ذاك وفخري^٤

١ ج : الفخر .

٢ قد مر التعريف بأحمد الشاهيني ، انظر ١ : ٦٤ .

٣ الأبيات في خلاصة الأثر ١ : ٣٠٤ .

٤ ج ق : شيخ مقرّي .

٥ خلاصة الأثر : كالبحر .

٦ خلاصة الأثر : وسمي وذاك أشرف فخري .

لو بغير الأقدام يسمى مشوق^١ جثته زائراً على وجه شكري
العبد الحقير المستعين ، المخلص أحمد بن شاهين ، انتهى .

فأجبتة بقولي^١ :

وتملأ بدرة صدر ذكرى	أي نظم في حسنه حار فيكثري
من بروص الندى له خير وكر	طائر الصيت لابن شاهين ينمي
ليعوان من المعالي ويكر	أحمد المتطين ذروة مجد
من معاني تعريفه دون نكر	حل مفتاح فضله باب وصل
بالعلاء وازدياد تجنيس شكر	يا بدیع الزمان دم في ازديان

وكتب إلي لما وقف على كتابي « فتح المتعال في مدح النعال » بما نصه :
لكاتبه الحقير أحمد بن شاهين الشامي في تقریظ تأليف سيدي ومولاي وقبلتي
ومعتقدي شيخ الدنيا والدين ، وبركة الإسلام والمسلمين ، حفظ الله تعالى
وجوده آمين :

بأحمد ذاك المقرري المسدد	أحمد ، فخرأ يا ابن شاهين سامياً
وناهلك في العليا بأرفع سودد	بمن راح خداماً لنعل محمد
غدا خادماً نعل النبي المجدد	فإن أنا أخدم نعله فلتظالما
كتاباً حوى إجلال كل موحد	بتأليفه في وصف نعل تكبرمت
خدوماً لخدام لنعل محمد	ويكفيك فخرأ يا ابن شاهين أن ترى
فقال كذا طوبى بخدمة أحمد	فقلت له طوبى بخدمة أحمد
وينتعل العيوق في رغب فرقد	فلا زال يرقى للمعالي مكرماً

فأجبتة بقولي :

١ انظر الأبيات في خلاصة الأثر ١ : ٣٠٥ .

أحمدَ وصف بالعوارفِ يَرتَدي
نُجُومُكَ إِذْ أَنْتَ الخليلُ تَوَقَّدَتْ
أَتَانِي نِظَامٌ مِنْكَ حَيَّرَ فِكْرِي
فَأَنْتَ ابنُ شاهينَ الذي طارَ صَيْتُهُ
فَبِرُّكَ مَوْصُولٌ وشَانِيكَ مُشْكِرٌ
وعِنْدَ حَدِيثِ الفَضْلِ أَسْنَدٌ عَالِيَا
فَوَجَّهَكَ عَنْ بَشَرٍ وَمِنَّاكَ عَنْ عَطَا
فَلَا زِلْتَ تَرْقَى أَوْجَ سَعْدٍ وَرَفْعَةٍ

ولما خاطبته بقولي :

بَصِيدُ ابنِ شاهينَ بِجَوْ بِلَاغَةٍ
وَمَا كَانَ دِيكَ الْبَحْنَ مَدْرَكَ نِيلَهَا
وَلَوْ جَادَ فِكْرُ الْبَحْرِيِّ بِمِثْلِهَا
وَلَوْ أَنَّ نَظْمَ ابنِ الْحُسَيْنِ أَتَيْحَهَا
فَلَا زَالَ مَتْلُحُوظًا بِعَيْنِ عَنَايَةٍ

أجابني بما نصّه :

أَنْفَاسَ عَيْسَى مَا بِرُوعِي يَنْفَخُ
وهَـذِي قَوَافِ أَمْ هِيَ الشَّمْسُ ؟ لِأَنْتِي
بَلَى هِيَ نَصٌّ مِنْ وَدَادِكَ مُحْكَمٌ
أَنْتِنِي بِمَدْحٍ مُخْجَلٍ فَكَأَنَّهَا
وَهَلْ أَنَا إِلَّا خَادِمٌ نَعْلَ سَيِّدِي

وأشرفَ مولى للمعارفِ يَهْتَدِي
فَأَنْتِي أَجَارِيهَا بِنَحْوِ الْمُبَرَّدِ
عَلَى أَنَّهُ أَعْلَى مَرَامِي وَمَقْصِدِي
بِجَوِّ الْعُلَا وَالضُّدِّ ضَلَّ بِفِرْقِدِ
وَقَدْرُكَ مَرْفُوعٌ عَلَى رَغَمِ حُسْدِ
بِشَامٍ فَهَمُّ يَرُودُونَ مُسْتَنَدَ أَحْمَدِ
وَفِكْرُكَ يَرُوي فِي الْهَلْدَى عَنْ مُسَدِّدِ
وَدَمْتَ بِتَوْفِيقِي وَعِزِّ مُخَلَّدِ

سَوَانِيحَ فِي وَكْرِ الْبَدَائِعِ تُفْرِحُ
إِذَا صَرَصَ الْبَازِي فَلَا دِيكَ يَصْرُخُ
لَكَانَ عَلَى الطَّائِي بِالْأَنْفِ يَشْمُغُ
لِنَقَازِ بَسْبَقِ حُكْمِهِ لَيْسَ يُنْسَخُ
وَكُتِبَ التَّهَانِي عَنْ عِلَاهُ تُورَخُ

أَمْ الطَّرْسُ أَضْحَى بِالْعَبِيرِ يُضْمَخُ
أَرَاهَا عَلَى الْجَوْزَاءِ بِالْأَنْفِ تَشْمُغُ
تَزُولُ الرُّوَاسِي وَهِيَ لَمْ تَكُ تُنْسَخُ
لِفَرْطِ حَيَاتِي قَدْ أَتَتْني تَوْبِخُ
وَبَيْتِي وَبَيْنَ الْمَدْحِ فِي الْحَقِّ بَرَزُخُ

١ ق : بحق .

وما هي إلا غُرَّةٌ حُزْتُ فخرها
فلا دَرَّ دَرِّي وانحرفتُ عن العُلا
وَحُبُّكَ مَهْمَا طَالَ شَرْقاً وَمَغْرَباً
وَلِئَنِّي وَإِنْ أَرْتَحْتُ مَجْداً لِمَا جَدُ
سَمِيئِي وَمَوْلَايَ الَّذِي رَاحَ مَدْحُهُ
وَدَمٌ يَا نَظِيرَ الْبَدْرِ تَرُقَى بِأَوَجِهِ
وَلِئَنِّي بِهَا بَادِي الْمَحَاسِنِ أَشْدُخُ^١
إِذَا كَانَ وَدَّيْ عَنْ مَعَالِكَ يُفْسَخُ
بِوَكْرِ ابْنِ شَاهِينَ الْوَفِيِّ يُفَرِّخُ
فَلِئَنِّي بِاسْمِ الْمُقَرِّي أَوْرَخُ
لِرَأْسِ الْأَعَادِي بِالْمَعَارِيضِ يَرْضَخُ
وَلَا زِلْتُ فِي طَرْفِي وَقَلْبِي تَرْمِخُ
وَكُنْتُ يَوْمَ أُرُومِ الصُّعُودِ لِمَوْضِعِ عَالٍ فُوقَعْتُ ، وَانْفَكَّتْ رَجْلِي ،
وَأَلْتُ ، فَكُتِبَ إِلَيَّ :

لَا أَلَمْتُ رَجْلُكَ يَا سَيِّدِي وَصَانَهَا اللَّهُ مِنْ الشَّيْنِ
مَا هِيَ إِلَّا قَدَمٌ لِلْعُلَا لَا احتَاجَ ذَاكَ التَّصْلُ لَلْقَيْنِ
زَانَتْ دِمَشْقَ الشَّامِ فِي حَلَّتْهَا فَلَا رَأَتْ فِيهَا سِوَى الزَّيْنِ
بَانَتْ عَنِ الْأَهْلِ لِتَشْرِيفِنَا لَا جَمَعَتْ أَيْنَا إِلَى بَيْنِ
عَجِبْتُ مِنْ رَاسِخَةٍ فِي الْعُلَا وَالْعِلْمِ إِذْ زَاغَتْ مِنَ الْعَيْنِ
لِئَنِّي أَعَافُ الْمَيْنَ بَيْنَ الْوَرَى وَلَسْتُ وَاللَّهِ أَخَا مَيْنِ
لِلْمُقَرِّي الْمُجْتَبَى أَحْمَدُ دِينُ الْهَوَى وَالْمَدْحِ كَالدَّيْنِ
وَأَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى أَنْتَنِي رَأَيْتُهُ حَازَ الْقَرِيبَيْنِ
فَلَا أَرَاهُ اللَّهُ فِي عَمْرِهِ بَيْنَا يُؤَدِّبُهُ إِلَى أَيْنِ

تعويذاً لمحِبِّ العبدِ الحقيرِ الداعي أحمدَ بنِ شاهين ، انتهى .
وأهديت إليه حفظه الله تعالى سبحةً وخاتماً ، وكتبتُ إليه ٢ :

يَا نَجْمَ شَاهِينَ الَّذِي أَحْيَا الْمَعَالِيَّ وَالْمَعَالِمَ

١ ج : أشرخ ، ق : أسرخ ، والأشخ : السائل الغرة .
٢ انظر خلاصة الأثر ١ : ٣٠٦ .

يا مَنْ به رِيشتُ من الـ
يا مَنْ دَمشقُ بطيبٍ ما
فالتَّهرُ منها ذو صفاً
والفُضنُ يَتَّني عِطْفَه
يا أحمدَ الأوصافِ يا
أنتَ الذي طَوَّقْتَنِي
فَمَتَى أُوَدِّي شُكْرَها
والعذرُ بادٍ إنْ بعدُ
بِنتِيجَةٍ^١ الذِّكرِ التي
وبِحائِمِ صَادٍ^٢ إلى
فامدِّدْ على جَهْدِ المَلَّةِ
واقْبَلْ عَقِيلَةَ فِكْرٍ مَنْ
لا زِلْتَ سابِقَ غَايَةٍ

مجلدِ الخوافي والقَوادمُ
يُبْدِيهِ عاطرةُ النِّوَاسِمِ
والزَّهرُ مُفْتَرُ المَباسِمِ^٣
طرباً لتغريدِ الحماثِمِ
مَنْ حازَ أنواعَ المِكارِمِ
مِنَّا لها تَعَنُّو الأعْظَمِ
والعِزُّ لي وصفٌ مُلَازِمٌ
تُ إلَيْكَ من جنسِ الرِّثائِمِ
جاءتْ بِتَصْغِيفٍ ملائِمِ
فيضُ النَّدَى من كَفِّ حاتمِ
لِ رِوَاقِ صَفْحٍ ذا دَعائِمِ
هوَ في بَحارِ العِتيِّ عائمِ
بينَ الأَعاربِ والأعاجِمِ

فأجاني بما صورته^٤ :

يا سَيِّداً شعري لَهُ
كَلًّا ، ولا قَدْرِي لَهُ
يا مَنْ رَأَيْتُ عُطاردًا
يا مَنْ بِنَصْحَةِ خُلُقِهِ
أُضْحِي يُرِنِّي مُعْجِزَةٍ

ما إنْ يَقاوي أوْ يَقاومُ
يوماً يُساوي أوْ يُساومُ
مِنْهُ بَدَأَ في شَخْصِ عَالَمِ
وَبنْظَمِهِ السَّامِي المَلائِمِ
نِ مِنْ النِّوَاسِمِ والمَباسِمِ

١ ج : البواسم ؛ ق : المناسم .

٢ خلاصة الأثر : تسيحة .

٣ خلاصة الأثر : وبخاتم داع .

٤ انظر خلاصة الأثر ١ : ٣٠٧ .

ما زلتُ أبصرُ مِنْهُمَا
بهما زماني حاسداً
قلّمي وقلّبي بينَها
حبّتي لأحمدَ سيّدي
المقريّ المعتلي
ما لي إليه وسيلةٌ
قد جاء ما شرفني
من خاتمٍ كفّي به
وجعلني لا أحسبُ إلا
وبسبحته شبتها
فلتحسد الجسوزاء ما
هي آلةٌ للدكر
فهواك في قلّبي وما
ما ذي رثائمٍ سيّدي
لو أنّها من جنسٍ ما
لكنّها قد زينت
يا من يريش إذا رمى
إنّ ابنَ شاهين حوى
هذي نوافلُ يا إما
العلرُ عنها مخجلٌ
بل أنت فوق العليّ قد
لا زالَ دهرُكَ سيّدي
يُهنّي إليك من المرا
ما لا يساومُ مثلهُ

حُسْنُ النُعمى والنّعائمِ
أضحى وبالتنغيصِ حاسمِ
م في الثناء له وهائمِ
شيخ الورى فرض ملازمِ
شرق المعالي والمعالِمِ
إلا هوّى في القلب دائمِ
بخصوصه دون الأعظمِ
ورثت سليمان العزائمِ
ميق لي في فصّ خاتمِ
بالشهب في أسلاكِ ناظمِ
أحرزت من تلك المكارمِ
كنّ ليس ذكراً في الحيازمِ
في القلب جلّ عن الرثائمِ
بلّ إنّها عندي تائمِ
يطوى غدت فوق العمائمِ
كفّي وأزرت بالخواتمِ
نسر السماء بلحظ حازمِ
منك الخوافي والقوادمِ
م الدهر ليست باللوازمِ
عبداً لتعلك جدّ خادمِ
أصبحت للشعري تُنادمِ
يلقاك منه ثغرُ باسمِ
حم والمكارم والغنائمِ
ذو الحظّ في أسنى المواسمِ

العبد الحقير الداعي لأستاذه مولاي الأجل بالتمكين، أحمد بن شاهين ،
حامداً مصلياً مسلماً ، انتهى .

وقال مستجيزاً :

الشيخُ يشربُ ماءً ونحنُ نشربُ قَهْوَةً

فقلت :

لأنَّه ذو قُصُورٍ فغَطُّ بالعُدْرِ سَهْوَةً

ولما أزمعتُ على العَوْدِ إلى مصر أوائل شهر^١ شَوَّال سنة ١٠٣٧ خاطبني
بقوله — حفظه الله — :

أبدأ إليك تَشَوُّقِي وحنيني	وإلى جَنَابِكَ ، ما علمت ، سكوني
ولديكَ قَلْبِي لا يزالُ رهينةً	غَلِقَتْ وتَعَلَّمُ ذِمَّةَ المرهونِ
وعليك قد حُبِسَتْ شواردُ ملحتي	لَمَّا رَأَيْتُكَ فوقَ كُلِّ قَرِينِ
قلبي كقلبك في المحبَّةِ والهوى	إذ كانَ في الأَشْواقِ دينُكَ دِينِي
وليتَّه يهواك أرفعَ رتبةٍ	وغلبتَ تَعَزُّلُ عنه كُلَّ خَدِينِ
وأطاعَ أَمْرَكَ في الودادِ فلو أشأ	منه — وجاشا — سلوةٌ يَعَصِينِي
ما كنتُ أحسبُ قبل طبعك أن أرى	يوماً عَطَّارِدَ ناطقاً بِفُتُونِ
حتى رَأَيْتُكَ فاستبَّنتُ بأنَّه	يروِي أحاديثَ العُلا بِشُجُونِ
وفيدُ سَمْعِي معجزاً بَهَرَّ النُّهْيِ	ويُري عيوني آيةَ التَّكْوِينِ
يا من غدا يُحيي القلوبَ بلفظه	ويردُّدُ الأنفاسَ عَن جِبَرِينِ
أحييتَ بِالوَحْيِ المينَ قلوبَنَا	وَحْيِي ^٢ ، لَعَمْرُ اللَّهِ ، جِدُّ مُبِينِ

١ شهر : سقطت من ج .

٢ ج : وحل ١ ق : وحل .

هذي دمشق، لعمرُ خُلقك، روضةٌ
قد زارها غيثُ الندى فبهارها
لو لم تكن بدرأ لما أحرزت ما
حققت ما قد قيل حين حلتتها
هي عادةٌ حلتيتها فترينت
مولاي أحمدُ يا سليل بني العلا
أغنى وجودك وهو عين الدين عن
انظره تستغني به عن غيره
تلقى علوم الناس في أوراقهم
فبعلمه اعبُر كل بحر زاجر
وبعلمه ارغب عن تحلم أحف
لما رأيتك فاستقمت لقيلي
ألفيت قطرك يمني فأفادني
فسقى الحيا للمقري أخي العلا
بلداً تبينت الهلال بأفقه
لولا هلال الغرب نور شرقنا
يا راحلاً رحل الفؤاد بعزمه
أستودع الله العظيم ، وإني
إني أودع يوم بينك مهجتي
وأعود من نوديع وجهك عودةً
حتى كأني قد فقدت تماماً
وتود نفسي أنها لو حرمت
أوشكت أقتل بين معترك الهوى
ولقد ددت بآتي متحمل

قد جاد طبعك دوحها بعين
أضحى يلوح بحلة النسرين
قد خص في الأنوار بالتلوين
إن المكان مشرف بمكين
ما كان أحوجها إلى التزين
يا فوق مدحي فيك أو تحسني
علامة الدنيا لسان الدين
وللى العيان ارغب عن المظنون
وعلمه في صدره المشحون
وبفهمه اسبر غامض المخزون
وبعزمه اصحب بأس ليث عرين
أدعو وأشكر واردات شؤني
فضل اليمين على اليسار يقيني
بلداً بأقصى الغرب جد هتون
ورأيت منه قرة لعيني
بتنا بليل الحدس والتخمين
رققاً بقلب للوفاء ضمين
مستودع منه أجل أمين
وشيبتي وتصبري وسكوني
خلطت يقيني في الهوى بظنون
تقضي علي بحالة المجنون
أبدأ سكوني للهوى وركوني
نفسى ومعترك الهوى بيميني
تلك الخطا بمحاجري وجفوني

كيفَ السبيلُ إلى الحياةِ ومهجتي
 ما أنتَ إلا البدرُ لاحَ بأفئتنا
 وإليكها يا شيخَ دهري عادةً
 جاءتكَ تعرّضُ في الودادِ كما لها
 هي بنتُ لحظتكِ التي تؤوي النهى
 ما الفخرُ في دعوى البديهةِ عندها
 حسبي أبا العباسِ منك إصاحبةُ
 يا لهفَ نفسي كيفَ أبلغُ مدحةً
 فلسانُ حبي بالغَ أقصى المدى
 ما الشعرُ يستوفي حقوقكَ لي ولو
 حَلَقَتْ أَصْطَادُ النجومِ ، وإلتها
 فرأيتُ في العَيَوقِ طبعكَ سيدي
 قد خفَ شعري من قصورِ طبعي
 يكفيكَ أحمدُ يا ابنَ شاهينِ بأن
 وإذا عجزتَ عن الفرائضِ جاهداً
 هو قبلي فلاغتدي مُتمسكاً
 واسلمَ فديتكَ زائراً ومشرفاً
 وكذلكَ عمري في هواكَ مُقسَّمٌ

وقال حفظه الله تعالى في ذلك :

حنانيكَ إنَّ الدمعَ بالودِ مُعَرَّبُ
 ورُحْماكَ بي لاني قتيلُ صبايةٍ
 وولدتُكَ لي بالعودِ لاني مُعلَّلُ
 ولاني في شرقٍ وأنتَ مُغْرَبُ
 بمن هوَ أوفى في الفؤادِ وأنجبُ
 به مهجةٌ قد أوْشَكَتْ تتصوَّبُ

وهبتك قلبي ما حييت ولم أقل
فلو كنت شيخاً واحداً هدّ صدّه
وإنّا بحمد الله لما خصصتنا
فرشنا له منّا الخلدود موطناً
وقلنا دمشق أنت فيها مُحَكَّمٌ
وأنت لها روحٌ ومولى ومفخرٌ
وفخرٌ عظيمٌ يا ابن شاهين إنّه
فتحنٌ ، ونحنُ الناس ، خُدّام نعله
وما نقوموا منه سوى أنّه امرؤ
هو الشيخُ شيخُ الدهرِ أحمدٌ من غدت
هو المقرّيُّ العالمُ العَلَمُ الذي
وما هو إلا الشمسُ أزمعَ رحلةً
أو الغيثُ قد وافي فأمرعتِ النّهي
أو الطائرُ العنقاء جاء مشرقاً
وإنّك لِلخَلِّ الوفي وإنّه
وإنّك بالتحقيق في كلّ حالة
رعى الله وجهاً رُحمتَ ترغّبُ نحوه
وحياً الحيا أرضاً وطئتَ ترابها
ولا فارقتَ يوماً علاكَ كلاءةً
ملئى الدهرِ ما حنتَ جوانحُ والهـ

« ولكن من الأشياء ما ليس يوهبُ »^١
فكيفَ بشيخٍ لم يكن مثله أبُ
بزورةٍ ذي ودّ دعاهُ التجبّبُ
وعدنا به شوقاً نجى ونذهبُ
وأشرافها ودّوا وجدّوا ورحبوا
وقد زنتَ شرقاً مثل ما ازدان مغربُ
غدا وكبرنا نسرُ السما فيه يرغبُ
فلا غرو أن يقلي الغصنُ فترَ أكلبُ
ليأكلُ فيما قدّروه ويشربُ
دمشقُ ومن فيها بعلياه تخطبُ
إليه تناهى الفضلُ والمجدُ يُنسبُ
وإنّا لفي ليلٍ إذا هي تغربُ
به وانشى والصدرُ بالودّ مُعشِبُ
فأغربَ والعنقاء في الطير مُغربُ
هو الواحد المطلوبُ إن عزّ مطلبُ^٢
لأسنى وأنلى ثمّ أوفى وأغربُ
وأَيُّ أخي جِدّ له أنتَ ترغّبُ
فأصبحَ مسكاً وهي بالمجدِ مُخصبُ
من الله أنى كنتَ والله أغلبُ
مشوقٍ فأمسى للحقيقة يطربُ

ولمّا قرأ عليّ - أدام الله تعالى عزته ، وحرس حوزته - عقيدتي المسماة

١ للمتنبي ، وصدره : « ولو جاز أن يحوا علاك وهبتها » .

٢ سقط البيت من ق .

بـ «إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة» سألني أن أجيزه فيها وفي غيرها ،
فكتبت له بما نصه :

أحمدُ من أطار في جوِّ العلا
وراش منه للمعالي أجنحة
وأسكن البيان من أوكار
فاصطاد كل شاردٍ بمخلب
والصقر لا يُقاس بالبُعْث
نشكر مَنْ بَلَغَهُ مِنْهُ
وننتحي نهجَ صلاةٍ باديها
مبيناً دلائل التوحيد
محمد خير البرايا. المنتقى
صلّى عليه الله مع أصحابه
ما اعترف العبدُ الفقيرُ ذو العدم
وبعد ، فالعلوم والعوارف
وروضة أزهارها تَضَوَّعَتْ
وليس يحاطُ بها نبيلُ
فليصرف القول إلى ما ينفعه
وإن في علم أصول الدين
لأنّه أصلٌ يعمُّ النفع
وكيف يعبدُ الإلهَ مَنْ لا
فهو الذي لا تُقبَلُ الأعمالُ
ولمّا كنتُ نظمتُ فيه
سميتها «إضاءة الدجنة»

صيت ابن شاهين الذي زان الحلّى
قالَ بها فضلاً غداً مستمنحة
أنهاسه بقنّة الأفكسار
أبحاثُهُ ومن يُعارضُ يُغلب
والحقُّ ممتازٌ عن الأضغاث
على نواله الذي سنّاهُ
لخير مَنْ جاء الأنام هاديا
وموضحاً طرائق التسديد
أجلُّ من خافَ الإلهَ واتقى
وآله الراوين عن صحابه
للربّ باستغنايه وبالقدّم
مَنْ أمّها يأوي لظلّ وارف
لأنّها أفنانها تنوّعت
إذ ذاك أمرٌ ما له سبيلُ
دنيا وفي أوجِ الأجور يرقعه
هدى وخيراً جلّ عن تبين
به وكلُّ ما سواه فرع
يعرفهُ وعن رشادٍ ضلّا
إلا به وتُنَجِّحُ الآمالُ
لطالب عقيدة تكفّيه
وقد رجوتُ أن تكون جنة

وبعدَ أن أقرأتها بمصرِ
درستها لما دخلتُ الشاما
وكان في المجلسِ جمعٌ وافرٌ
منهم فريدُ الدهرِ ذو المعالي
أحمدُ مَنْ راحَ لعلمٍ واغتندى
العالمُ الصدرُ الأجلُ المولى
وهو ابنُ شاهينَ وما أدراكا
ورام من مثلي بحسنِ الظنِّ
فحرتُ في أمرينَ قد تناقضا
تركُ الإجابةَ لوصفي بالخطلِ
وكمْ فرائضٍ بعجزٍ تسقطُ
أو فعلها بحسبِ الإمكانِ
منهُ وما له من الحقوقِ
وبعدَ ما مرَّ من التردادِ
وسرتُ في طُرُقٍ من التساهلِ
مع أنَّه أهلٌ لأنَّ يميزا
ومن رأى عيبي بعينِ الرضا
فليرو عني كلَّ ما أسمعتهُ
مع القصورِ راجياً للأجرِ
كهذه القصيدة السديدهُ
كذلك ما ألفتُ في عِمامةِ
والفقهِ والحديثِ والنحوِ وفي

ومكَّةَ بعضاً من أهلِ العصرِ
بجامعٍ في الحُسْنِ لا يُسامى
من جلَّةِ بدورهم سوافرُ
فخرُ دمشقَ الطيّبُ الفعالِ
وشامَ أنواراً لفهمٍ فاهتدى
مَنْ وصفهُ الممدوحُ يُعيبُ القولا
من بدَّ جنسَ العربِ والأنثراكا
إجازةً فيما رواهُ عني
بالنفي والإثباتِ إذ تعارضوا
وبالخطا، والجيدُ مني ذوا عطلِ
فكيفَ غيرها وهذا أخوطُ
رعيّاً لودِّ محكمِ الأركانِ
ولا يُجازي البرَّ بالعقوبِ
أسعفتهُ بمقتضى الودادِ
معتزلاً بالجهلِ لا التجاهلِ
لا أن يُجازَ إذ حوى التبريزا
لم يتقفُ نهجَ من غدا معترضا
لِياهُ بالشرطِ وما جمعتُهُ
مِنَ الفنونِ نَظْمِها والنثرِ
والنعلِ ذاتِ المدحِ العديدهُ
من خُصِّ بالإسراءِ والإمامه
أسرارِ وفنِّ وهو بالقصدِ وفي

١ ق : والجيد من در .

وغيرها مما به الوهابُ مَنْ
 وما أخذتُ في بلادِ المغربِ
 ولي أسانيدُ إذا سردتها
 وقد أخذتُ الجاميعَ الصحيحَ
 عمِّي سعيدٌ عن سفينٍ وهو عن
 العسقلاني الشهابِ ابنِ حَجَرٍ
 وقد أجزئتهُ بكلِّ مالي
 على شروطٍ قرروها كافيه
 وقال هذا المقرِّي الخطأ
 عامَ ثلاثين وألفٍ بعدها
 وكانَ ذا في رمضانَ السامي
 والله نرجو أن يتيحَ الختما
 بجاهِ خيرِ العالمينَ أحمدًا
 وآله وصحبه ومن زكا
 على فقيرٍ عاجزٍ في غير فنٍ
 عن كلِّ قَدٍّ في العلومِ مُغْرِبٍ
 طالتُ وفي كُتُبِي قد أوردتها
 وغيره عَمَّنْ حوى الترجيحَ
 القَلَقَشَندي عن الواعي السنن
 بما له من الرواياتِ اشتهر
 يصحُّ من ذاك بلا احتمالٍ
 ليست على أفكاره بخافية
 والعبيُّ عَمَّ لَقْظُهُ والخطأ
 سبعٌ أتمتَ في السنينَ عدّها
 بحضرةِ السَّعدِ دمشقي الشَّامِ
 بالخيرِ كي نُعطى القبولَ حتما
 صلتى عليه الله ما طال المدى
 فقالَ مِن حُسْنِ الختامِ مَدْرَكَ

وتذكرت بهذه الإجازة نظيرتها التي سألتني فيها مولانا عيْنُ الأعيان ، مفتي
 الأنام في مذهب النعمان ، مولانا الشيخ عبد الرحمن العِمادي مفتي الشام
 — حفظه الله تعالى — لأولاده الثلاثة ، وكتب لي أصغرهم سنّاً استدعاءً لذلك :

أحمدُ من شَيَّدَ بالإسنادِ
 وعمُّ من خَصَّصَ بالروايةِ
 وزانَ صَدَرَ النُّبْها كلَّ زمنٍ
 نحمدُه سُبْحانَهُ أن عَرَفَا
 ونسألُ المزيَدَ من صلاته
 ملجؤنا المعصومُ أعلى سندٍ
 بيتَ العلومِ الساميَ العمادِ
 بنورها النافي دُجَى الغوايةِ
 بجوهرِ الإجازةِ الغالي الشَّمنِ
 من الحديثِ ما بِهِ قد شَرَفَا
 لمن أُتِيحَ القصدُ من صلاته
 لنا برغمِ جاحدٍ مُفَنِّدٍ

كهف الضعيف والقوي المرتجي
 من جاءنا بالجامع الصحيح من
 من فضله ما شك فيه مسلم
 نبينا المرسل ذو الخلق الحسن
 محمد المرفوع قدّره على
 صلي عليه ربنا وسلما
 مع آله وصحبه ومن روى
 وبعد فالعلم عظيم القدر
 ولم تزل همة أهل المجد
 ومنه علم السنة الشريفة
 فمن درى الأخبار والشماثل
 وكم سميدع لأجله رقص
 وكيف لا وهو أجل ما طلب
 لأنه وسيلة السعادة
 ولانتي لما انتحيت المشرق
 ألقيت في مصر عصا التسيار
 وبعد ذا جئت دمشق الشام
 فشاهدت عيناى فيها ما ملا
 مدينة فياضة الأنهار
 أرجاؤها زاكية العير
 وجل أهلها بحبي دائوا
 فلاحظوا بالأعين الكليله
 وقابلوا عيني بما اقتضاه
 خصوصاً المولى الكبير المعبر

باب الهدايا وليس مرّجا
 كلامه الهادي إلى نهج أمن
 من حبه بكل خير معلم
 والمعجز المفحم أرباب اللسن
 سائر خلق الله جلّ وعلا
 أزكى صلاة ننتحيا معلما
 آثاره عن صحّة وما غوى
 وليس من يدري كن لا يدري
 منوطة بنيل علم مجدي
 لأنه ظلاله وريفسه
 لم يك عن صوب الهدى بمائل
 أوطانه وثوب ترحال نقض
 موثق بروم حسن المنقلب
 والعز في الإبداء والإعاده
 ميمّا بدّر اهتداء مشرقا
 بعد بلوغى أشرف الديار
 مسكن من يزدان باحتشام
 قلبي سرورا إذ بلغت الأملا
 فضفاضة الأنواب بالأزهار
 وملحها يحل عن تعير
 مع أن مثلي منهم يزدان
 عبدا غدا تقصيره دليله
 فضل لهم رب الورى ارتضاه
 قرّة عين من رآه واختبر

مفتي الوري في مذهب النعمان
ابن عماد الدين من تعيي القلم
حاوي طراف المجد والتلاد
وكنت في مكة قد أبصرت
جلالة ومحتداً وعلماً
مع التواضع الذي قد زانه
فحث من في الشام من أختيار
أن يأخذوا بعض الفنون عني
مع أنني والله لست أهلاً
وكان من جملتهم أبناؤه
وصنوه الشهاب من توقداً
وهو الذي قد ابتنى الإجازة
وكتب القصيدة الطنانه
وإنهم كحلقة قد أفرغت
فلم أجد بداً من الإجابة
فقد أجزتهم بما رويته
وكل ما صنف في الفنون
وما أخذت عن شيوخ المغرب
ولي أسانيد يطول شرحها
ولو سردت كل مروياني
وكل طول غالباً مملول
فلنقتصر إذن على القليل
وقد أخذت جامع البخاري
المقري سعيد الإمام عن

بها الوجيه عابد الرحمن
أوصافه اللاتي كنور في علم
نال المني في النفس والأولاد
منه علا عن ملحه قصرت
ورفعة وسودداً وجلما
حسن اعتقاد مثقل ميزانه
لم يسلكوا مناهج الأغيار
بما اقتضاه منه حسن الظن
لذلك ، والتصدير ليس سهلاً
عماد دين قد علا بناؤه
فهما وإبراهيم سباق المدى
لهم بوعد طالباً لإنجازه
في ذاك لي مهتصراً أفنانه
دامت لهم آلاء فيض سوغت
مع كون جهلي سادلاً حجابيه
طراً ، وما أرتجلت أو رويته
مؤمل التحقيق للظنون
وغيرهم من كل حبر مغرب
شيد على تقوى الإله صرحها
هنا لطلال القول في الأبيات
وحد من يعنى به مفلول
تبركاً بالمطلب الجليل
عن عمي الحائر للفخار
محمد يدعى خروفاً حين عن

التونسي^١ الطيب^٢ الأنفاس
عن الكمال^١ القادري^٢ المرتضى
نجل أبي المجد^١ عن الحجازي^٢
عن مسند^١ الإسلام^٢ عبد الأول^٣
عن^١ السر^٢ حسبي^٣ عن الفيربري^٤
وفضله أظهر^١ من أن يذكرو^٢
ومسلم^١ به^٢ إلى الكمال^٣
منسوب^١ بـلقين^٢ عن التتوخي^٣
كابن^١ المغير^٢ عن ابن ناصر^٣
عن جـوزقي^١ قد روى^٢ عن مكّي^٣
فليخبروا^١ عني^٢ بهذا^٣ والباقي^٤
كذا^١ موطأ^٢ الإمام^٣ مالك^٤
ومسند^١ الفذ^٢ الرضى^٣ ابن حنبل^٤
والطبراني^١ وما^٢ أرويه^٣
وكلها^١ تشمكه^٢ الإجازة^٣
فلتقبلوه^١ فهي^٢ من جهـد^٣ المقل^٤
ومن^١ أساندي^٢ عن القصّار^٣
عن شيخه^١ خروف^٢ الراقي^٣ الدرج^٤
قال^١ : سمعت^٢ المصطفى^٣ في النوم^٤
يقول^١ : من^٢ أصبح^٣ ، يعني^٤ آمنة^٥
ولنمسك^١ العنان^٢ في هذا^٣ الأرب^٤

نزيل^١ حضرة^٢ الملوك^٣ فاس^٤
عن الحجازي^١ عن الحبر^٢ الرضي^٣
عن^١ الزبيدي^٢ بنقل^٣ جاري^٤
عن^١ الشهير^٢ الداودي^٣ المعتلي^٤
عن^١ البخاري^٢ الإمام^٣ الحبر^٤
وعلمه^١ المعروف^٢ غير^٣ المنكر^٤
عن^١ عـلم^٢ الدين^٣ أخي^٤ الجلال^٥
عن^١ ابن^٢ حمزة^٣ عن^٤ الشيوخ^٥
عن^١ ابن^٢ مندة^٣ وهو^٤ القاصر^٥
عن^١ مسلم^٢ نافي^٣ دياجي^٤ الشك^٥
من^١ ميـتة^٢ حائزة^٣ السباق^٤
إمامنا^١ منير^٢ كل^٣ حالك^٤
والدارمي^١ ذي^٢ الشاء^٣ الأجل^٤
من^١ المعاجيم^٢ بما^٣ تحويه^٤
بشرطها^١ عند^٢ الذي^٣ أجاده^٤
إذ^١ لست^٢ بالمطلوب^٣ مني^٤ أسفل^٥
مفني^١ الأنام^٢ بهجة^٣ الأعصار^٤
عن^١ الشريف^٢ الطحطحي^٣ فرج^٤
صلّى^١ عليه^٢ الله^٣ كل^٤ يوم^٥
في^١ مره^٢ ، الحديث^٣ فاعرف^٤ كامنا^٥
مصلياً^١ على^٢ الذي^٣ زان^٤ العرب^٥

١ يخاص في ج و دوزي .

٢ ج ق : المعاجيم .

وآله وصحبه الأعلام
وخطَّ هذا المقرِّي العاصي
سنة سبعٍ وثلاثين تلت
عليه أزكى صلوات تستم

ومن تَلا من أنجم الإسلام
أجبرُ يوم الأخذ بالنواصي
ألفاً لهجرة بياسين عكَّت
نرجو بها الزلفى وحسن المختتم

ونص الاستدعاء المشار إليه هو :

فازت دمشق الشام بالمقرِّي
علامة العصر بلا مفترِّي
كم سمعت أخباراً أوصافه
جامع علم بث إملأه
يقري فتقري السمع أنفاسه
مولاي يا من درُّ الفاظه
إجازة نرفل من فضلها
مسبلة الذيل على أكبر
أطل لنا لإنشاءها بل أطيب
لا زلت في فقع الوري دائماً

الألمي اللوذعي العبقرى
وواحد الدهر بلا مُتري
فقصر المخبر عن منظر
بالشام مل الجامع الأكبر
أنفس ما يقري وما قد قري
صاحبها تزري على الجوهرى
في ثوب عزٍ وردا مفتح
وأوسط الإخوة والأصغر
وانظم لنا من درُّها وانشر
تجود جود العارض المطر

العبد الداعي إبراهيم العمادي ، انتهى .

ومن الإجازات التي قلتها بدمشق الشام ما كتبه للأديب الحسيب سيلدي
يحيى المحاسني^١ حفظه الله تعالى :

أحمدُ من زينَ بالمحاسنِ دمشق ذاتَ الماءِ غيرِ الآسنِ

١ هو يحيى بن أبي الصفا ابن أحمد المعروف بابن محاسن الدمشقي الحنفي ، درس على العمادي وغيره من شيوخ دمشق ، ولما وردوا المقرري لزمه لزوم الظل للشيخ وجمع من أماليه مجموراً ودرس العلم في الغزالية وتوفي سنة ١٠٥٣ (خلاصة الأثر ٤ : ٤٦٣) .

وأطلع النجوم من أعيان
فكّل أيامهم مواسم
وذكرهم قد شاع بين الأحياء
وبشرهم حديثه لا ينكر
وقد حكّت جوارح الذي ارتحل
فسمعه عن جابر ، والعين عن
فحل من أتاحهم آلاءه
نعمده سبحانه أن أسدى
ونسج صوب صلاة باهره
أجل من خاف الإله واتقى
صلّى عليه الله طول الأبد
وبعد ، فالعلم أساس الخير
وهو موصل إلى منهاج
وما بغير العلم يبلو العلم
خصوصاً الحديث عن خير البشر
ولم يزل يعنى به كل زمن
وانتي عينه دخول الشام
وشاهدت عيناى من إنصافهم
وإن من جملتهم أوج الذكا
ابن المحاسن الذي قد طابقا
اللوعى الألعى يحى
وهو الذي أغراه حسن الظن
وكان قارئ الحديث النبوي
بمحضر الجمع الغزير الوافر

بأفقه السامي مدى الأحياء
من الصفا ثغورها بواسم
إذ قطرهم به الكمال يحيا
ومُسند الجامع عنهم يذكر
إليهم صحيح ما له انتحل
قرة تروى ، واللسان عن حسن
حتى أبان نورهم لآلاءه
من الأمان ما أنال القصد
إلى الرسول ذي السجايا الطاهرة
محمد الهادي الرسول المتقى
مع آل وصحبه والمقتدى
وكيف لا وهو مزيج الضير
هدى ورشد ما له من هاجي
وليس من يدري كن لا يعلم
فإن فضله على الكل انتشر
من الرواة كل صديق مؤتمن
لقيت من بها من الأعلام
ما حقق المحكي عن أوصافهم
والنير المزري سناه بذمكا
منه مُسمّى الاسم إذ تسابقا
لا زال رسم المتجد منه يحيا
على انتمائه لأخذ عني
لدي في الجامع ، أعني الأموي
ممن وجوه فضليهم سوافر

وَبَعْدَ ذَلِكَ اسْتَمَطَرَ الْإِجَازَهُ
فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ الْإِجَابَةِ
وَلِنْ أَكُنْ أَجَبْتُ أَمْرًا يَمْتَثِلُ
فِي مَنْ دَرَى شَيْئًا وَغَابَتْ أَشْيَا
فَلْيُرِ عَنِّي كُلَّ مَا يَصِحُّ لِي
وَقَدْ أَخَذْتُ جَامَعَ الْبُخَارِيِّ
سَعِيدَ الَّذِي نَأَى عَنْ دَنْسِ
أَعْنِي أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ وَهُوَ عَنْ
عَنْ ابْنِ مَرْزُوقٍ مُحَمَّدَ الرِّضَا
الْفَارَقِيَّ عَنْ إِمَامٍ يُدْعَى
بِمَا لَهُ مِنْ الرِّوَايَاتِ الَّتِي
وَلْيُرِ عَنِّي مَا انْتَمَى لِلنُّوَوِيِّ
أَعْنِي ابْنَ مَرْزُوقٍ الْخَطِيبَ الرَّائِي
وَهُوَ رَوَى عَنْ صَاحِبِ التَّمَكِينِ
وَحَظًّا هَذَا أَحْمَدُ الْبَادِي الْوَجَلَّ
فِي عَامِ أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ خَلَّتْ
الْبَسَةُ اللَّهُ الْبُرُودَ الصَّافِيَةَ
بِجَاهِ سَيِّدِ الْبَرَايَا طُرًّا
عَلَيْهِ أَسْنَى صَلَوَاتٍ تُسَدِّدِي

مِنْ نَوَّءٍ وَعَدِي وَاقْتَضَى انْتِجَازَهُ
مَعَ أَنْتِي لَسْتُ بِلَدِي النِّجَابَةِ
مِنْهُ فَنِي ذَلِكَ تَصْدِيقُ الْمَثَلِ
عَنْهُ وَمَنْ أَهْدَى بِصَنَعَا وَشْيَا
بِشَرْطِهِ الَّذِي يَزِينُ كَالْحَلِيِّ
عَنْ عَمِّي الْإِمَامِ ذِي الْفَخَارِ
عَنْ شَيْخِهِ الْخَبِيرِ الشَّهِيرِ التَّنَسِّي
وَالِدِهِ مُحَمَّدٍ رَاوِي السَّنَنِ
عَنْ جَدِّهِ الْخَطِيبِ عَنْ بَدْرِ أَضَا
بَابِنِ عَسَاكَرِ الْجَمِيلِ الْمَسْعَى
عَلَى عُلُوِّ قَدْرِهِ قَدْ دَلَّتْ
بِذَا إِلَى السَّابِقِ ذِي النَّهْجِ السُّوَي
عَنْ شَيْخِهِ يَحْيَى الرِّضِيِّ الْمُرَاوِي
النُّوَوِيُّ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ
الْمُقَرِّي الْمَالِكِيُّ الَّذِي ارْتَجَلَ^١
مِنْ هَجْرَةِ الْهَادِي وَسَبْعَةٍ ثَلَاثِ
مِنْ مَنَّةٍ وَعَقْفُوهِ وَلِلْعَافِيَةِ
مَلْجَأُ مَنْ إِلَى الْكَرُوبِ اضْطُرًّا
حُسْنُ الْخِتَامِ بِلُغَةِ الْقَصْدِ

وَسَأَلَ مِنِّي بَعْضُ سَاكِنِي دِمَشْقٍ^٢ الْمَحْرُوسَةِ أَنْ أَقَرِّظَ لَهُ عَلَى شَرْحِهِ

١ الذي ارتجل : سقطت من ج .

٢ هو محمد بن سعد الكلثني كما يصرح المقرئ بذلك في أرجوزته، وكان من أدياء الصوفية، وكان فضلاء دمشق يعاشرهم منه رجلا سهلا خلوقا متوددا صاحب نوادر وآداب ؛ توفي سنة ١٠٣٧ (خلاصة الأثر ٣ : ٤٦٨) .

لرسالة العارف بالله تعالى سيدي الشيخ أرسلان ، فكتبت ما صورته :

أحمدُ من خصَّصَ بالأسرارِ
أتاحهم عوارف المعارفِ
فهم بهم تستمطر الأنواءُ
ومين أجلهم سناءً وسنى
شيخُ الشيوخ العارفُ الكبيرُ
فكم إشاراتٍ له أبانا
وكم عباراتٍ تلا آياتها
ومن رأى رسالة التوحيدِ
فهي تنادي من أبى أن يسلكها
ومن أضلَّ القصدَ في مهامه
وكم بها من بابٍ معنًى مغلقُ
فما بغيرِ الفتحِ يُدري الباطنُ
وقد رأيتُ في دمشق الشامِ
للكلشيّ ذي الوفا بالوعدِ
لا زال في أوجِ التجلّي صاعداً
ومُدَّ أجلتُ ناظري في حسنه
ودلَّ ما أبداهُ من معاني
لأنه أجادَ في تقريرِ
وأبرزَ الأبرارَ من خدورِ
فالله يجزيه الجزاء الأوفى
وخطَّ هذا المقرري من وجلّ
كشفَ كربٍ عقدَ صبرٍ حلَّتْ

قُدُماً من الصوفيّة الأبرارِ
والحكّم السابعة المطارفِ
وتظهرُ الأنوارُ والأضواءُ
من ذادَ عن عينِ المعالي الوسنا
الشيخُ أرسلانُ الشهيرُ
بها علوماً من حلاها ازدانا
تعي الفحولُ عن مدى غاياتها
له انتحى مناهج التسديدِ
يا معرضاً شركٌ خفيّ كلُّها
هدته للخروج عن أوهامه
عمن يقيّدُ الوجودَ المطلقُ
وواردُ الفيض له مواطنُ
شرحاً لها أنبا عن إلهامِ
شمسِ العلّام محمد بن سعدِ
وعونُ ربنا له مساعدُ
ألفيته مستبدعاً في فنه
على شهودٍ بالهدى معاني
ما اعتاص بالإتقانِ والتحريرِ
أفكاره حالية الصدورِ
في يوم تبدي الأنبياء الخوفا
مرتجياً من ربه عز وجلّ
مِنه وغفران ذنوبٍ جلّتْ

بجاه طه الهاشمي أحمدًا عليّهِ أزكى صلواتٍ سرمدًا
عاطرةً النثرِ بلا اكتنام تأرجعت بالمسك في الختام

وخاطبني السري الحسيبُ الماجد فخر المدرسين الأعيان مولانا الشمس
محمد بن الكبير الشهير مولانا يوسف بن كريم الدين الدمشقي^١ حفظه الله تعالى
بقوله :

شمس المحاسن شرقي أو غربي	سعدت منازلنا بشمس المغرب
شمس لنا منها شمس فضائل	وسنا هدى قد راح غير مُحجَّب
المقريُّ العالمُ النَّدْبُ الذي	لسوى اسمه درجُ الحجى لم يُكْتَب
بدرٌ ولم تبدُ البدورُ بمشرق	إلا بدت من قبل ذلك بمغرب
لسوى اكتساب سناه لم تغرب ذكَا	فلو أنها شعرت به لم تغرب
علامة ملأ البلادَ بِفَضْلِهِ	وأفساده لمشرقٍ ومغرب
عَمْرِي هو البحرُ المحيطُ فضائلًا	إن قيس بالعذب الذي لم يَعْدُب
مولي له سَنَدٌ قوي في العلا	فمن الحدود روى العلا وعن الأب
نسب له المجدُ المؤثِّلُ في الورى	والمجد لم يكسب إذا لم يوهب
هو في جبين الفضل أضحى غرة	يُجلى بها للجهل ظلمة غيَّهَب
آمالنا قطعت بيشر جبينه	أن لا ترى للدهر وجه مُقْطَب
بدر به زهيت دمشق وأهلها	أحبب بيدر حيث حل مُحَبَّب
طودُ الفضائل باكرت أرجاءه	ديمُ الحجى فغدا كروض مُخَصَّب
بحر الهدى والعلم إلا أنه	صفو من الأكدار عذب المشرب
هو قطب دائرة الفضائل في الورى	فيكاد يُخبرنا بكل مُغَيَّب

١ ترجمته في خلاصة الأثر (٤ : ٢٧٣) تلمذ للمقري والعمادي وغيرهما وكان متقناً للفارسية والتركية والموسيقى ملحناً ، تردد إلى الروم ودرس بالمدرسة العزية وله ديوان شعر ؛ توفي سنة ١٠٦٨ .

في الفضل ما جاولت يوماً مثله
 أنى يجارى في الفضائل من له إذ
 سننٌ لمدح الغير تسقط عندنا
 ما روضة حلى أزهارها الحيا
 ومشت بها خود الصبا فتعطرت
 للثور فيها جدولٌ أخذت به
 باتت تناشدني بها ذكر الهوى
 تشكو إليّ بمثل ما أشكو لها
 فعلمت ما قد حل من وجد بها
 لم تلتق فيها من عليل يشتكي
 بأغصن حسناً من ربي آداب من
 طبع أرق من النسيم ومنطق
 لو جاد صوب حجاه قفراً مجدباً
 مولاي عذراً فالزمان يعوقني
 عقوا إذا أخرت مدحك سيدي
 وكذلك يفعل بالأديب زمانه
 لم ألق يوماً من يديه مهرباً
 لولاك ما جال القريض بخاطري
 لولاك لم ينهض جواد قريحتي
 فاسمع ، ولست بأمر ، نظماً غدا
 كالراح يلعب بالعقول للطفه
 من كل قافية غدت من حسنها
 خود تقلد من ثناك قلائداً
 غنيت بمدحك زينة ولربما

كلاً ، ولا قست الدور بكوكب
 قادم الزمان بأدهم وبأشهب
 فله العلا تقضي بفرض أوجب
 فافتت فيها كل ثغر أشنب
 أذيالها من كل عرف طيب
 شهب المجرة حيرة المتعجب
 ورق الأراك بكل صوت مطرب
 شكوى المذنب في الهوى لمذنب
 وجهل ، وهو الفرق ، ما قد حل بي
 إلا التيسيم وذا الهوى إن تطلب
 حياً رياض حجاه أطف صيب
 مستعذب ، وكذلك كل مهذب
 نعمت منه بكل روض معشيب
 عن مطلبي والآن مدحك مطلبي
 فتعائق الأيام عذر المذنب
 فلماذا يطول على الزمان تعثبي
 إلا ثناك ، وجننا من مهرب
 فالدهر يوجب للقريض نجيب
 من كل واد للضلالة متعب
 في عقد مدحك لؤلؤ لم يشق
 لكن بغير مسامع لم يشرب
 مثلاً لغيرك في العلا لم يضرب
 بكر لغيرك في الورى لم تخطب
 يغني الجمال عن الوشاح المذهب

هي بعضُ أوصافِ لذاتك قد غدتُ
جاءتك تسألك القبولَ وحسبُها
وترومُ منك إجازةً فاقت بما
حسبي الإجازةُ منك جائزةً ولم
لا بدعَ والإطنابُ ليحازاً غدا
هيات لا تحصى مآثر فضله
كالبحرِ عذباً ماؤه لم ينضبِ
فخرأقبولك وهو جلُّ المطلبِ
ترويه بالسندِ القوي عن النبي
ألك قبلُ غيرَ الفضلِ بالمتطلبِ
في مدحه إن لم أطلُ أو أسهبِ
بالمُدحِ إن أطنبُ وإن لم أطنبِ

خدمة الداعي محمد بن يوسف الكريمي ، انتهى .

فأجزته بما نصّه :

أحمدُ مَنْ أطلعَ شمسَ الدينِ
وتخصَّ فضلاً منه بالإسنادِ
فلم يكنْ عصرٌ من الأعصارِ
يتنفونَ عن حوزةِ دينِ الله ما
وأنتحي سُبُلَ صلاةٍ كاملته
محمدٍ المرسلِ بالشرعِ الحسنِ
مع حزبه من صحبه وعترته
وبعدُ فالعلمُ أجلُّ ما اعتَمَدَ
خصوصاً الحديثَ عن خيرِ الورى
ولم يزلْ ذوو النهى يسعونَ في
وإنْ مولانا الشهيرَ السامي
سالكَ نهجِ السُنَّةِ القويمِ
لا زالَ في عزٍّ وفي أمانِ
وجّهَ لي لما حللتُ الشاما
قصيدةً بليغةً مُستعدّبه
في أفقِ الروايةِ المبينِ
أمةً طه مُذهِبِ العنادِ
إلا وفيه أهلُ الاستبصارِ
يرومُ مَنْ عليّه رشدُ أهما
على الذي له العطايا الشاملة
ذي المعجزِ المفعمِ أربابَ السن
ومَنْ تلا مؤملاً لأثرته
موفقٌ من فيضِ مولاه استمدَّ
صلّى عليه الله ما زئدُ ورى
تحصيله إذ فضله غيرُ خفي
الماجدَ المولى نبيهَ الشامِ
محمدَ بنَ يوسفَ الكريمي
مُبَلِّغاً من قصده الأمانِ
وبرقَ حُسنِ الظنِّ مني شاما
غريبةً في فنها مهذبّه

يسألُ من مثلي بها الإجازةُ بشرطها عندَ الذي أجازهُ
مُسْتَمْسِكاً بعُرْوَةِ الصَّوَابِ ولم أجدُ بُدّاً من الجوابِ
فلتُتَرَوْ عَنِّي ما سمعتُ كلَّهُ وما جمعتُ في الفنون جُمْلَهُ
على شروطٍ قُرِّرَتْ في الفنِّ مرتجياً حصولَ كلِّ من
وصنوهُ الأكملُ قد أبَحَّتهُ ذاك على الوجه الذي شرحتهُ
وإن أكنُ فيما ابتغى مقصّراً فذو الرضى ليسَ لعيبٍ مبصراً
ولي أسانيدُ أبى وقى عن تفصيلها لما من الرحلةِ عَن
والعذرُ بادٍ والكريمُ يَقْبَلُ والصفحُ نَهْجٌ يفتنيه الأنبُلُ
وخطَّ هذا المقرِّيُّ الجاني أَمَنهُ اللهُ من الأشجانِ
في عامِ ألفٍ وثلاثين قفا سبعا لهجرةِ الذي المصطفى
عليه أزكى صلواتٍ تُغْتَنَمُ يزكو بها مبتدأٌ ومُخْتَمٌ

وكتب إلي الفاضل الخطيب ، الفهامة الأديب ، وارث الفضل عن الأعلام
ذوي اللسن ، سيدي الشمس محمد المحاسني^١ سبط شيخ الإسلام مولانا
البوريني حسن ، حفظه الله تعالى ، بقوله :

يا سيّدي وملاذي وعالم الثّقَلَيْنِ
ومن غدا بمكان علا على النّيرَيْنِ
أجزّت بالدرسِ قوماً فاقوا به الفرقدينِ
فزيّن العبدَ أيضاً من مثلِ ذاك بزينِ
إن لم يكن^٢ في ختامِ فذلك قُرّةُ عيني

١ هو محمد بن تاج الدين بن أحمد المحاسني الدمشقي الحنفي ، درس على علماء دمشق ، ومنهم العمادي والمقري
وسافر إلى الروم صحبة والده وأخذ عن علمائها ثم تولى الخطابة بجامع السلطان سليم بصالحية
دمشق ثم الإمامة بجامع بني أمية ، وتولى مناصب أخرى بين إمامة وخطابة وتدرّيس ، وتوفي
سنة ١٠٧٢ (خلاصة الأثر ٣ : ٤٠٨) .

٢ ق : وإن يكن .

فأجزته بما نصّه :

أحمدُ مَنْ أَطْلَعَ من محاسن
وزانها بالجلّة الأعيانِ
الراغبين في الحديث النبوي
وبعدُ فالعلمُ أَجَلُ زِينَةٍ
وإنَّ علمَ السنّة الشريفة
لذلك كَانَ باعْتَنَاهُ أَجْدَرَا
وإنَّ ذَا الفضلِ الأديبَ البارِعُ
الماجدُ المسدّدُ السامي الحسبُ
ابنُ الشهيرِ الصدرِ تاجِ الدينِ
وجدهُ لأمّة الشيخِ الحسنِ
يسألني إجازةً بكلِّ ما
وها أنا أجبتُه غيرَ بَطَلٍ
فَلْيَرَوْ عني كلَّ ما يصحُّ
وهي عن الشروطِ لن تَرِيَا
وكلَّ ما أَلَفْتُ أو جمعتُ
ولي أسانيدُ يضيقُ الوقتُ
في غيرِ هذا فليُحَقِّقْ ذلك
وقد أخذتُ جامعَ البخاري
عمّي سعيدٍ وهو عمّن يُدْعَى
عن حافظِ الغربِ الرضّى أبيه
الحافظِ المجلِّلِ العراقي
وما لَهُ من الرواياتِ عِلْمُ

دمشقَ ما أُرْبَى على المحاسنِ
الرافلينَ في حُلَى التبيانِ
السالكينَ في الهدى النهجِ السوي
وسبُلُهُ في الرشدِ مستبينه
ظلاله ضافيةٌ وريفه
من كلِّ ما يمليه من تصدّرا
سابقَ ميدانِ الذكا المسارعِ
محمدُ مَنْ للمحاسنِ انتسبُ
لا زالَ في عزٍّ وفي تمكّينِ
وذاك بُورِينِهِمْ مُعْطَى اللّسنِ
أرويه عنواناً بحالي معلما
مستغفراً من خطي ومن خطلٍ
على شُروطٍ غَيْثِهَا يسعُ
وليسَ يخفي علمهُ الكَرِيما
نظماً ونثراً مثلَ ما أسمعُ
عن سرّديها وبعضها قد سقتُ
مقتضياً لأوضحِ المسالكِ
ومسلمٍ عَنْ حائِزِ الفخارِ
بالتَّنْسيِّ قد أفادَ الجمعا
عن ابنِ مرزوقٍ عن النبيهِ
وقد سما في سُلَمِ المراقِ
من كتبه التي حوتْ خَيْرَ الكَلِمِ

وَحَظَّ هَذَا الْمُقَرِّيُّ عَنْ عَجَلٍ مُؤَمَّلًا مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ
غُفْرَانًا مَا جَنَى مِنَ الذَّنُوبِ وَالصَّفْحَ عَنْ مَعْرَةِ الْعُيُوبِ
بِحَاكِ خَيْرِ الْعَالَمِينَ أَحْمَدًا صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ دَائِبًا سَرْمَدًا
وَأَلَّهُ وَصَحْبَهُ الْأَخْيَارِ وَمَنْ تَلَا لِآخِرِ الْأَعْيَارِ^١

ولما سألتني في الإجازة الفاضل الأديب سيدي محمد بن علي ابن مولانا عالم
الشام الشهير الذكر شيخ الإسلام سيدي ومولاي الشيخ عمر القاري^٢ - حفظه
الله تعالى - وأنا مستوفز للسفر ، كتبت له عن عجل ما صورته :

أحمدُ مَنْ زَيْنَ بِالْآثَارِ	جيداً من الراوي النبيه القاري
وشاد للعلية في أوجِ السَّنَدِ	منازلاً لم يُبلِّها طولُ الأمدِ
ومَيَّزَ الواعين للحديثِ	بالفضل في القديم والحديثِ
وزانَ منهمُ سماءَ الدينِ	فأشرقتْ بالحفظِ والتبيينِ
فهمُ ^٣ بها للمهتدي نجومُ	وانتهى للمعتدي رُجُومُ
فكم أراحوا عن حديثِ المجتبى	صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَبَا
تحريفَ ذي غلٍّ مضلٍّ غالي	شانٍ لمنهاجِ الرشادِ قالي
وبعدُ فالإسنادُ للروايةِ	وسيلةٌ ترحِّحُ الغوايةِ
والله قد خصَّصَ هذي الأُمَّةَ	به امتناناً وأزاح الغُمَّةَ
هذا ولولا ذاك قال من شا	ما شاءه فهو بحقٍ منشأ
فلم يزل أهلُ النُّهى كلَّ زَمَنٍ	يسعون في تحصيله عن مؤتمنٍ

١ إلى هنا تنتهي نسخة ج من النسخ وكتب في آخرها : « انتهى ما وجد في الجزء الأول من نفع

الطيب ويتلوه في الجزء الثاني : ولما سألتني في الإجازة الفاضل الأديب الشيخ محمد بن علي . . إلخ » .

٢ ترجمة محمد بن علي بن عمر المشهور بابن القاري في خلاصة الأثر (٤ : ٥٤) درس الحديث

على المقرئ وكان مدرساً بالمدرسة الشامية الجوانية ، وسافر إلى الروم ونال جِهاً ، وكان

بينه وبين أحمد الشافعي مودة أكيدة ومراسلات .

٣ ق : منهم .

وإنَّ من جملة من تحرَّى
 الفاضلُ المسدَّدُ التَّجيبُ
 محمدٌ سليلُ ذي المجدِ علي
 عمرُ الشيخُ الشهيرُ القاري
 شيخُ الشيوخِ في دمشقِ الشامِ
 فكان من جملة مَنْ عَنِّي روى
 وبعُدَ ذاك اقترحَ الإجازةُ
 فانعجمتُ نفسي عَن الإجابةِ
 معَ أَتني مقصِّراً ذو عيٍّ
 وخفتُ أن آتيها شنعاءُ
 وبعدَ ذا أجزتُ قصدَ الأجرِ
 وقدَّ أجَبته ولأني أعلمُ
 فكثيرَ وهسا ببالِغِ التمني
 مِن ذلك الجامعُ للبخاري
 سعيدُ الآخذِ عن سَفِينِ
 عن حافظِ الإسلامِ أعني ابنِ حجرٍ
 وبعضُها في صدرِ فتحِ الباري
 ولي أسانيدُ يطولُ شرحُها
 ومن رواياتي عن القَصَّارِ
 حدثنا خروفُ الداكي الأرجُ
 سمعتُ في المنام طه يملِي
 أي آمناً في سِرِّبه معافى

وَمَنْ بِسَبْقِ العلومِ غَرَّاً
 الواصلُ الممجَّدُ الأريبُ
 ابنُ الإمامِ العالمِ الخبرِ الولي
 طودُ السكونِ هَضْبَةُ الوقارِ
 لا زال مَحْفُوفاً بعزِّ سامي
 بعضُ الصحيحِ ظافراً بما نوى
 مني ووَعَدَها اقتضى لإنجازه
 إذ لستُ في ذا الأمرِ ذا نجابةٍ
 في مثلِ هذا المطلبِ المرعي
 بحملي الوشي إلى صنعاء
 مرتجياً بذاك ربحَ التَّجَرُّ
 أَنِّي من خوفِ الخطأ لا أسلمُ
 جميعَ ما يصحُّ لي وعني
 عن عمِّي الشهيرِ ذي الفَخَّارِ
 عَن قَلَقَشَندي مزيحِ المينِ
 بما لَهُ من الرواياتِ اشتهر
 مُبَيَّنَّ لطالبِ الأخبارِ
 والروضةُ الغنَاءُ يكفي نَفْحُها
 مُفْتي البرايا بهجةِ الأعصارِ
 عن الشريفِ الطحطحاتي فرجُ
 حديثَ مَنْ أَصْبَحَ وَفَقَّ النُّقْلِ
 في جسمه مع قوتِ يومٍ وافي

وكلُّ ما ألفتُ في الفنون أرجو به التحقيق للظنون
 فليرويه عنِّي بشرطٍ معتبرٍ وربّما يصدق الخبرُ الخبرُ
 ولي تأليف على العشرينا زادت ثمانياً حوتُ تعيننا^١
 فليروها إن شا بِلَا استثناء والله أرجو نيلَ قصدي نائي
 بجاهٍ من شُرفٍ بالإدناء صلّى عليّه الله في الآناء
 أحمدَ خيرِ المرسلين الهادي غوث البرايا مسلجاً الأشهاد
 عليّه أسنى صلوات زاكية مع صحبه ذوي المزايا الزاكية
 ومن تلا ممّن أطابَ عمَلَه فنال من رجائه ما أمَلَه
 وشمّ من عَرَفَ قبولٍ أرجا فنال من حُسْنِ الختام ما رجا

وخاطبني من أهلها أيضاً خادم الشيخ الأكبر ابن عربي محيي الدين ، وهو
 الشيخ الأكرمي سيدي إبراهيم^٢ ، سلك الله بي وبه سبل المهتدين ، بقوله

فكرتُ في فضلِ الإما مـ المقريّ الخبر حيناً
 فوجدته بكرّ الزما ن وواحد الدنيا يقينا
 ما إن رأيتُ ولا سمع تَ بمثله في العالمينا
 وافي دمشقاً زائراً لو أنّه أضحى قطينا
 وأتى عجيبُ الاتفا ق بفطري شهر الصائمين
 فكأنَّ غُرَّتَه الهلا لُ ونحن كنا ناذرينا
 والعلمُ قالَ مؤرخاً أدّى بها فضلاً مينا

وخاطبني أيضاً منهم الفقيه النبيه سيدي مصطفى بن محب الدين^٣ حفظه الله

١ ق ودوزي : تعينا .

٢ هو إبراهيم بن محمد الدمشقي الصالحي المعروف بالأكرمي ، كان شاعراً مشهوراً في عصره بنغمرياته
 وغزلياته ، وهو وآباؤه خدام باب الشيخ ابن العربي ، توفي سنة ١٠٤٧ ودفن بسفح قاسيون
 (خلاصة الأثر ١ : ٣٩) .

٣ هو مصطفى بن أحمد بن منصور بن إبراهيم بن محمد سلامة أبو الجود ابن محب الدين الدمشقي =

تعالى بقوله :

فضائلُ قطبِ الغربِ في العلمِ والفضلِ
حوى كلِّ علمٍ كلَّ عن بعضه السَّوى
وحازَ فنوناً من ضروبِ معارفِ
توخَّى دمشقَ الشامِ فافتَرَّ ثغرها
وشرفَ مصرَ قبلها فاكستَ به
لقدْ أشرقَتْ من أفقِ غربِ شمسِه
نفاستُه فيها تنافستِ الورى
مليٌّ من التحقيقِ إنَّ عَنَّ مشكلٌ
إذا ما أدار الدرَّ مِينَ كأسِ لفظِه
نظامٌ لهُ يحكي قلائدَ عسجدِ
وأُسجاعهُ إن حاكَ وشيَ نسيجها
لهُ القلَمُ الأعلى بشرقٍ ومغربِ
فيا سيداً حازَ المتفاخرَ والعُلا
إليكَ من العبدِ الحقيرِ تحيةٌ
مُوالٍ يوالي الحبَّ والقربَ منكمُ
قللاً زلتَ محبواً بسابغِ نعمةٍ
ودمتَ لدى الأسفارِ في نُججِ أوبةٍ

هو المقرئُ الأصلِ حائزةُ الخصلِ
فلا غرو أن أضحي فريداً بيلاً مثلِ
ومن فضلِ تحقيقِ ومن منطقِ فصلِ
سروراً به وازيَّنتُ من حلِ الفضلِ
ملايسَ فخيرَ زانها كرمُ الأصلِ
وناهيكَ أفقاً نورُهُ قدَرَه مُعلي
بما قد غدا من درُّ ألفاظه يمي
تكفلُ بالتيانِ والشرحِ والحلِ
سقانا عُقارَ الفضلِ عللاً على نهْلِ
وثغرُ مليحُ فائقُ الحسنِ والدلِ
حكَّتْ حيراً حيكَّتْ فمارقَ من غزلِ
لهُ الموضعُ الأسمى على الكلِّ في الكلِّ
وفاقتُ حلَى الآدابِ مِنْهُ على الحلّي
لقد نشأتُ عن خالصِ الودِّ من خلِ
بظاهرِ غيبٍ لا يحيدُ عَنِ الوصلِ
وفضلِ نعيمِ وافرٍ وارفِ الظلِ
وجمَّعَ لشمْلِ بالمواطنِ والأهلِ

وخطبني أيضاً الشيخُ سيدي محمد بن سعد الكلشني بقوله :

شهرُ شعبانَ جاءنا ليهنَّا بِقُلوْمِ الأستاذِ كثرِ الفضائلِ

== الأديب ، سافر مرتين إلى مصر ودرس في الجامع الأزهر ثم تولى التدريس بجامع بني أمية بدمشق ،
توفي سنة ١٠٦١ (علاصة الأثر ٤ : ٣٦٥) .

بتهنئة الكون روض علم وحلم
بمصاييح فضله قد أضاءت
وبمختار لفظه صار يحوي
ومن الغرب حين وافى لشرق
حلّ مني في القلب والطرف لما
وغدا بالأمان والسعد أرخ

وهو مُغني اللبيب إن جاء سائل
ساحة الجامع الكبير لآمل
لحديث مُسلسل عن أفاضل
فاق بدر التمام وسط المنازل
لاح سعد السعود لي غير آفل
أحمد المقرئ بالشام قائل

وقال أيضاً شكراً لله تعالى نيته ، وبلغه أمنيته :

أتاك دمشق الشام أكرم وارد
وهزني دلالة في أزاهر روضه
لك البشّر يا عيني ظفرت بأمجده
لقد شاع بين الناس واسع فضله
من العالم الفرد المفيد الذي له
وذاك أبو العباس أحمد من صفته
تراه إذا وافيتسه متهللاً
إمام سما قدراً على النجم رفعة
لديه ارتفاع المشتري وسعوده
شهدت بأن الله أولاه منحة
ومد حلّ في وادي دمشق ركابه
حوى كل إفضال وكل فضيلة
وماذا عسى في مدحه أنا قائل
إذا رمت أن تلقى نظيراً مثله
فكم من معان حازها ببيان
ومنطقه حاوي الشفا بجواهر

فقرّي به عيناً وللحسن شاهدي
معاطف لبي كالغصون الأمالد
رفيع الذرى من فوق فرق الفراقد
فكم قاصد يسعى لنيل الفوائد
أياد سمّت بالجود تولى لقاصد
مناهل دوماً إلى كل وارد
وبسم حباً في وجوه الأماجد
أرى وصفه في بيت نظم مشاهد
وسطوة بهرام وظرف عطارد
بنقل حديث في جميع المساجد
وسؤده وافى بأعدل شاهد
بها يهندي حقاً لنيل المقاصد
ولو جئت فيه مطناً بالقصائد
عجزت ورب الناس عن عد واحد
وفكرته قد قيّدت للشوارد
صباح بها يزدان عقد القلائد

من الغرب وافى نحو شرق فأشرقت
فناديته يا سيدي مَنْ بفضله
عسى عطفة منكم علي بنظرة
وأنت على ريب الزمان مُساعد
فلا زلت تولي كل من هو أمل
وتبقى مدى الأيام في المجد رافلاً
وهاك عروساً تجتلي في حليها
تُهَنّي بعيد الفطر من بعد صومكم
وترجو جميل الستر إن هي مُثَلّت
وعش في أمان الله بالعزّ دائماً
وما دارت الأفلاك من نحو قطبها

شموس علوم أسفرت عن محامد
تواترت الأخبار عن غير واحد
فأنت لموصول الحدّ خير عائد
وأنت يميني للحسود وساعدي
لبغيته من صادي ثمّ وارد
بثوب الهنا تكفي شرور الخواصد
إليك أتت في زيّ عذراء ناهد
بخير جزيل من لذيذ الموائد
بحضرتك العلياء يا خير ماجد
مدى الدهر ما سحّ الحيا في الفدا
وما بزغت شمس الضحى للمشاهد

وقال أيضاً زاده الله تعالى من فضله :

ظبي بوسط الفؤاد قائل
ظبي بأجفانه سباني
يرمي بسهم الحافظ لما
قد فتن العقل مذ تجنّني
له قوام كخوط بان
بدر بدا كامل المعاني
قد أسر القلب في هواه
وما بقي منه لي خلاص
أعني به المقبري مَنْ قد
أحمد مولى له أباد
علامة حاز كل فضل

أعجز بالوصف كل قائل
وسحرها ينتمي لبّابيل
يرنو فيصنمي الفؤاد عاجل
عليّ حتى غدوت ذاهل
أو كالفنا السّمهريّ عادل
في القلب والطرف عاد نازل
بقيد حُسن وفرع سابل
سوى مديحي رضى الأفاضل
سما على البدر في المنازل
كالغيث يغني لكل سائل
سبقاً ومن بالعلوم عامل

من قد نشأ في العلوم طُرّاً
طويلُ باعٍ بسيطُ فضلٍ
ووافرُ العقلِ راح يهدي
وجامعُ العلم في ابتهاجٍ
وهكذا في الكلامِ مهما
يروى صحيحَ الحديثِ دأباً
وكم علومُ أفاد مَنْ قد
وحلَّ لإيهامِ كلِّ شكلٍ
وغاص في بلجةِ المعاني
وفي فنونِ البديعِ أضْحى
وكم دليلاً أقام لَمَّا
إن كانَ وافي لنا أخيراً
بحرٌ محيطٌ يفيضُ مِنْهُ
وافي من الغربِ نحو شرقٍ
في مهمه صحصح مهوولٍ
وحثَّ فيه المسيرَ حتى
وجاء باليمنِ في أمانٍ
وحلَّ في الشامِ عند قومٍ
ذاك ابنُ شاهينِ ذو المعالي
كأنه الشمسُ جاء يهدي
بل كان غيثاً لهم وكانوا
فَبَجَلُوه وعظَّموه

وحازَ علمَ البيانِ كاملُ
مديدُ جودٍ لكلِّ آملٍ
سريعُ فضلٍ لكلِّ فاضلٍ
بمنطقٍ في الأصولِ حافلٍ
أفاده في الدروسِ شاملٍ
بالسندِ الواصلِ الدلائلُ
أتاهُ في مشكلِ المسائلِ
من فنٍّ وَفَّقَ إلى الوسائلِ^١
واستخرج الدرَّ في المحافلِ
جِناسُهُ قد حوى رسائلُ
برهانهُ أبْهَتَ المعازلُ
فهو الذي فاخَرَ الأوائلُ
على رياضٍ بكلِّ ساحلٍ
يحوبُ من فوقِ مني بازلٍ
وحزَنُهُ كم به غوائلُ
خلَقَهُ من وراءِ كاهلٍ
وصحَّةِ الجسمِ والشمائلُ
من أكرمِ الناسِ في القبائلُ
ربُّ الندى للألوفِ باذلٍ
للبدْرِ نوراً وليس آفلٍ
روضاً أريضاً لشكرِ وإبلٍ
وادخروا عاجلاً لآجلٍ

١ يشير إلى عنوان مؤلف للمقري وهو : في الوفق الخمس الحالي الوسط .

جزاهمُ اللهُ كُلَّ خيرٍ وصانهم من جدالِ جاهلٍ
وأحمدٌ دامَ في أمانٍ المقرِّي الرضى المعامل
لربه في دُجى اللَّيالي ويرشدُ الناسَ في الأصائل
لا زال في نعمةٍ وخيرٍ وفي أمانٍ يعودُ عاجلٌ

وخطبني الأديب الفاضل ، الشيخ أبو بكر العمري^١ شيخ الأدباء بدمشق ،
حفظه الله تعالى ، بقوله :

تاهت تليمان على مدن الدنى بعالم في العالمين يحمدهُ
المقرِّي أحمدُ ربُّ الحجى الكاملُ البحرُ الخضمُ المزبدُ
مالكُ هذا العصر شافعيهُ أحمدُه نُعمانُه المسدُّ
مذ حل مصر أذعن أعلامها لفضله وبجلوا ومجدوا
وفي دمشق الشام دام سعدا كان له بها المقامُ الأسعدُ
العلماء أجمعوا جميعهم على معاليه التي لا تُجحدُ
أقامَ شهراً أو يزيد واثني وفي الحشامنه المقيمُ المقعدُ
سالتُ على فراقه دموعنا وفي القلوب زفرةٌ لا تخمدُ
لو قيل من يُحمدُ في تاريخه ما قلتُ إلا المقرِّي أحمدُ
لا برحت أوقاته مفيدةٌ ما صاح فوق عوده مُغرَّدُ

قلتُ : وذكرى لكلام أعيان دمشق — حفظهم الله تعالى — ومديهم لي ،
ليس — علم الله — لاعتقادي في نفسي فضلاً ، بل أتيت به دلالة على فضلهم الباهر ،
حيثُ عاملوا مثلي من القاصرين بهذه المعاملة ، وكَسَوهُ حل تلك المجاملة ،

١ هو الأديب أبو بكر ابن منصور بن بركات بن حسن بن علي العمري الدمشقي ، كان ينظم الموشح والدوبيت وأنواع الزجل وهو سابق في كل فن منها ، وقد كان كثير الرحلة والتنقل ، توفي آخر جمادى الآخرة سنة ١٠٤٨ (خلاصة الأثر ١ : ٩٩) .

مع كوني لستُ في الحقيقة له بأهل ، لما أنا عليه من الخطأ والخطل والجهل .
ولقد خاطبتُ من مصر مفتي الشام صدر الأكابر ، وارث المجد كابرأ
عن كابر ، صاحب أذيال الكمال ، صاحب الحلال المبلغ الآمال ، مولانا شيخ
الإسلام الشيخ عبد الرحمن العمادي الحنفي ، بكتاب لم يحضرني منه الآن غير
بيتين في أوله ، وهما :

يا حادي الأظعان نحو الشام بلغ تحيائي لتلك الخيام^١
وابدا بمفتيها العمادي الرضى دام به شمل^٢ هنا في الشام

فأجاني بما نصه :

إلى أهالي مصر أهدي السلام مبتدئا بالمصري^٣ الهمام
من ضاع نشر العلم من عرفه ولم يضع منه الوفا للذمام

أهدي تحف التحية ، إلى حضرته العلية ، وذاته ذات الفضائل السنية الأحمدية ،
التي من صحتها لم يزل موصولا بطرائف الصلوات والعوائد ، الأوحديّة
الجامعة التي لها منها عليها شواهد^٤ :

وليسَ لله بمُسْتَنَكِرٍ أن يجمعَ العالم في واحد

فيا من جذب قلوب أهل عصره إلى مصره^٥ ، وأعجز عن وصف فضله
كلّ بليغ ولو وصل إلى الثرة^٥ بثره ، أو إلى الشعري بشعره ، ومن زرع حبّ
حبّه في القلوب فاستوى على سوقيه ، وكاد كل قلب يذوب بعدد بعده من

١ ق : التهام .

٢ دوزي : الهوى .

٣ البيت لأبي نواس .

٤ في نسخة : لمصره .

٥ الثرة : اسم لكوكبين .

حر شوقه ، وظهرت شمس فضله من الجانب الغربي فبهرت بالشروق ، وأصبح كل صب وهو إلى بهجتها مشوق ، زار الشام ثم ما سلم حتى ودّع ، بعد أن فرع بروضها أفنان الفنون فأبدع ، وأسهم لكل من أهلها نصيباً من وداده ، فكان أوفرهم سهماً هذا المحب الذي رفع بصحبته سمك عماده ، وعلق بمحبته شغاف فؤاده ، فإنه دنا من قلبه فتدلّى ، وفاز من حبه بالسهم المعلّى ، أدام الله تعالى لك البقا ، وأحسن لنا بك الملتقى ، ومنّ علينا منك بنعمة قرب اللقاء ، آمين بمنّه ويمنه . هذا ، وقد وصل من ذلك الخلّ الوفيّ ، كتابٌ كريم هو اللطف الخفيّ ، بل هو من عزيز مصر القميصُ اليوسفيّ ، جاء به البشير ذو الفضل السنيّ ، الخلّ الأعزّ الأجلّ التاج المحاسنيّ ، مشتملاً على عقود البواهر ، بل النجوم الزواهر ، بل الآيات البواهر ، تكاد تقطر البلاغة من حواشيه^١ ، ويشهد بالوصول إلى طرفها الأعلى لموشيه ، فليت شعري بأي لسان ، أنني على فصوله الحسان ، العالية الشان ، الغالية الأثمان ، التي هي أنفوس من قلائد العُقَيان ، وأبدع من مقامات بديع الزمان ، فطفقت أرتع من معانيها في أمتع رياض ، وأقطع بأنّ في منشئها اعتياضاً لهذا العصر عن عياض^٢ :

لَيْتَ الْكَوَاكِبَ تَدْنُو لِي فَأَنْظِمَهَا عَقُودَ مَدَحٍ فَلَا أَرْضَى لَهَا كَلِمِي

ولا سيما فصل التعزية والتسلية ، المشتمل على عقد التخلية بل عقود التحلية ، لتلميذكم الولد لإبراهيم ، فإنه كان له كَرُفِيّةُ السليم ، بعد أن كاد يهيم ، فجاء ولله درّه في أحسن المحالّ ، ووقع الموقع حتى كأن الولد نشط ببركته من عقال :

وَإِذَا الشَّيْءُ أَتَى فِي وَقْتِهِ زَادَ فِي الْعَيْنِ جَمَالاً بِحَمَال

١ تكاد . . . حواشيه : سقطت من ق .

٢ البيت لعمارة اليميني (النكت المصرية : ٣٣) من قصيدة يمدح فيها الفائز الفاطمي ووزير الملك الصالح طلائع بن رزيك ومطلعها :

الحمد للميس بعد العزم والهمم حمداً يقوم بما أولت من النعم

فجزاكم الله تعالى عنا أحسن الجزاء ، ثم أحسن لكم جميل العزاء ، فيمن ذكرتم من كريمي الأصل والفرع ، وأبقى منكم ماكنًا في الأرض من به للناس أعم النفع . وأما من كان وليي وسمي ومنجدي ، الشهيد السعيد المرحوم الشيخ عبد الرحمن المرشدي ، فإنها وإن أصابت منّا ومنكم الأخوين ، فقد عمّت الحرمين ، بل طمت الثقلين ، ولقد عُدّ مصابه في الإسلام ثلثة ، وفقد به في حرم الله تعالى من كان يدعى للملّة ، ولم يبق بعده إلاّ من يدعى إذا يحاس الحيس^١ ، واستحق أن ينشد في حقّه وإن لم يُقس به قيس^٢ :

وما كان قيسٌ هُلكهُ هُلكَ واحدٍ ولَكِنَّهُ بُنيانُ قومٍ تهدّما

فألله تعالى يرفع درجاته في عليّين ، ويبقي وجودكم للإسلام والمسلمين ، وتلامذتكم الأولاد ، يرجون من بركات أدعيتكم أعظم الأمداد ، ويُهذّون أكمل التحيّة ، إلى حضرتكم العليّة ، ونبلغكم دعاء صاحب السعادة ، أدام الله تعالى إسعادكم وإسعاده ، ونحن من صحبته الشهيّة ، في رياض فنون أدبية ، أبهاها لمعات محاضرة في ذكر شمائلكم الجميلة ، تنور المجالس ، وأشهاها نسّمات محاوره بنشر فضائلكم الجليلة ، تعطر المجالس ، وسلام جملة الأصحاب من أهل الشام ، وعامة الخواص والعام ، والدعاء على الدوام — المخلص الداعي عبد الرحمن العمادي ، مفتي الحنفية ، بدمشق المحمية .

ووردت عليّ مع المکتوب المذكور مكاتبات لجماعة من أعيان الشام حفظهم الله تعالى ؛ فمنها من الصديق الحميم ، الراقل في حلل المجد الصميم ، الخطيب ، الأديب ، سيدي الشيخ المحاسني يحيى ، أسمى الله تعالى قدره في الدين والدنيا ، كتابان نصّ أولهما : باسمه سبحانه :

١ إشارة إلى قول الشاعر (السمت : ٢٨٨ وذيله : ٨٦ ، ٨٤) :

وإذا تكون كريمة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جتدب

٢ البيت من قصيدة لعبدة بن الطبيب يرثي فيها قيس بن عاصم (حساسة المروزي : ٧٩٠) .

لئن حكمت أيدي النوى وتعرضت عوارض بين بيننا وتفرق
فطرفي إلى رؤياكم متشوق وقلبي إلى لقاءكم متشوق

يقبل الأرض الشريفة لا زالت مركزاً لدائرة التهانى ، وقطباً لفلك تجري
المجرة في حُجْرته على الدقائق والثواني ، ولا برحت ألسن البلاغة عن تمييز
براعة يراعة حامى حماها معربة ، وبلابل الآداب على الأغصان في رياض فضله
بمثاني الثناء صادحة ، وبألحان سجعها مطربة :

أرضٌ بها فلككُ المعالي دائرٌ والشمسُ تُشرقُ والبدورُ تحومُ
ولها من الزهرِ المنتصدِ أنجمٌ ولها على أفقِ السماءِ نجومُ

عمر الله تعالى بالمسرات محلّها ، وعمّ بالخيرات منّ حلتها ، ويتبدى
بسلام يخبر عن صحيح ودّه السالم ، ومزيد غرام يؤكد حبه الذي هو للولاء
حازم ، وينعت شوقاً يحرك ما سكن صميم الضمير ، من صدق حبّ سلم جمعه
من التكسير ، ويؤكد السلام بتوايع المدح والثناء ، ويعرب عن محبة مشيدة البناء ،
ويُنهي أن السبب في تسطيرها ، والباعث على تحريرها ، أشواق أضرم نارها في
الفؤاد ، ومحبة لو تجسّمت للمأت البلاد ، وأقول :

شوقي لذاتك شوقٌ لا أزالُ أرى أجدهُ يا إمامَ العصر أقدمهُ
ولي فمٌ كاد ذكرُ الشوقِ يُحرقهُ لو كان من قال: نارٌ، أحرقت فمهُ

هذا وإن تفضّل المولى بالسؤال عن حال هذا العبد فهو باقٍ على ما تشهد
الذات العلية، من صدق المحبة ورقّ العبودية، ولم يزل يزين أفق المجالس بذكركم ،
ولا يقتطف عند المحاضرة إلاّ من زهركم ، ولم ينس حلاوة العيش في تلك
الأوقات التي مضت في خدمتكم المحروسة بعناية الملك المتعال ، وليالي الأُنس
التي قيل فيها ، « وكانت بالعراق لنا ليال » :

واهاً لها من ليالٍ هل تعودُ كما كانت ، وأيُّ ليالٍ عاد ماضيها ؟
لم أنسها مذ نأت عني بيتهجتها وأيُّ أنسٍ من الأيام يُنسيها ؟

فنسأل الله تعالى أن يمن بالتلاق ، ويفصل مانعة الجمع بطي شقة الفراق ،
إن ذلك على الله يسير ، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير .

وبعدُ ، فالمعروض على مسامع سيدي الكريمة ، لا زالت من كل سوء
سليمة ، أتت وصلنا مكتوبكم الكريم ، صحة العم المحب القديم ، فحصل لهذا
العبد به جبرٌ عظيم ، وأنسٍ جسيم ، كما شهد بذلك السميع العليم ، فعزمت
على ترك الإجابة ، لعدم الإجابة ، ومتى تبلغ الألفاظ المذمومة ما بلغته الألفاظ
المقرية ؟ وأين يصل صاحب الزمر كما قيل إلى الدقات الخليلية ؟ ولكنتي خشيت
من ترك الإجابة توهم نقض ما أبنيه من رق العبودية وصحة الوداد ، ومن
انقطاع برق شيعي الذي هو لبنت شرفي العمدة والعماد ، فلزم من ذلك أن
كتبت لجنابه الشريف الجواب ، وإن كان خطؤه أكثر من الصواب ، وأرسلته
قبل ذلك بعشرة أيام ، ومكتوب هذا العبد صحبته مكتوبان : أحدهما من
محبكم شيخ الإسلام المفتي العمادي ، والآخر من محبكم أحمد أفندي الشاهيني ،
وهما وبقية أكابر البلدة وأعيانها يبلغونكم السلام التام ، ولا تؤاخذونا في هذا
المكتوب فلنأتي كتبه عاجلاً ، ومن جنابكم خجلاً ، دام خيركم على الدوام ،
إلى قيام الساعة وساعة القيام ، وحرره يوم الاثنين ١١ من جمادى الثانية سنة
١٠٣٨ ، الفقير الداعي يحيى المحاسني ، انتهى .

ونصّ الكتاب الثاني من المذكور أسماء الله باسمه سبحانه : مخلصك الذي
محض لك وداده ، ومحبك الذي أسلم لمحبتك قياده ، بل عبدك الذي لا يروم
الخروج عن رقتك ، وتلميذك الذي لم يزل مغترفاً من فيض علومك ، معترفاً
بحقك ، من أسكنك لبتّه ، وأخلص لك حبه ، واتخذك من بين الأنام ذخراً
نافعاً ، وكهفاً مانعاً ، ومولى ربيعاً ، وشهاباً ساطعاً ، وتشبّت بأسباب علومك

وتمسك ، يهدي إليك سلاماً كأنما تعطر بمسك ثنائك وتمسك ، واكتسب من لطف طبعك الرقة ، واستعار من سنا وجهك حلة مستحقة ، ونحية لم يكن مناه إلا أن تكون بالمواجهة ، والمحاضرة والمشافهة ، على أن فؤاده لم يبرح لك سكناً ، وأحشائه لك موطناً ، ويبدى دعوات يحقق الفضل أنها من القضايا المنتجة ، وأن أبواب القبول لها غير مُرتجة ، مقبلاً أياديك التي وكفت بوابل جودها ، وكفت المهم بنتائج سعودها ، وحاكت الوشي المرقوم ، وسلكت الدر المنظوم ، فهذا يرفل في حللها ، وهذا يتحلى بعقودها :

فهي التي تعنو الرياض لرقمها ويغار منها الدر في تنفيدها
ويحار أرباب البيان لنظمها فهم يحضرها كبعض عبيدها

متمسكاً من ولائك بوثق العرى ، متمسكاً من ثنائك الذي لا يزال الكون منه معبراً ، متشوقاً للقائك الذي بالمهج يستام وبالنفوس يشترى ، متشوقاً إلى ما يرد من أنبائك التي تسر خبراً ، وتحمد أثراً ، أعني بذلك المولى الذي أقام بفناء الفسطاط غيماً ، وانتجع حماه رائد الفضل ميمماً ، وشدت لفضائله الرحال ، ووقفت عندها بل دونها فحول الرجال ، وطلعت شمس علومه في سماء القاهرة ، فاخترت نجوم فضلائها والأشعة باهرة :

هو الشمس علماً والجميع كواكب إذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

فهو العالم الذي سرى ذكره في الآفاق ، مسير الصبا جاذب ذيلها النسيم الخفّاق ، الذي أطلع شمس التحقيق من أفق بيانه ، وأظهر بدر التدقيق من تيبانه ، فلهذا عكدت عليه الخناصر بين علماء عصره ، وانعطفت إليه الأواصر من فضلاء مصره ، فلا يضاهيه في ذلك أحد في زمانه ، وينسق ما نسقه من دره ومرجانه ، فهو المعول عليه في مشكلات العلوم ، معقولها ومنقولها والمنطوق والمفهوم ، الذي لم تسمح بمثله الأزمان والعصور ، ولم يأت بنظيره تتابع الأعصار

والدهور ، مَنْ عجز لسان القلم ، عن التصريح باسمه الشريف في هذا الرقم ، لا زالت المدارسُ مشرقة بإلقائه فيها الدروس ، ولا برحت البقعة عامرة بوجوده بعد الدروس ، ما سَطَّرت آيات الأشواق في الصحائف والطروس ، وأرسلت من تلميذ إلى أستاذ بسبب نِسبته إليه فحصل على المطلوب من شرف النفوس ، هذا ، والذي يُبدي لحضرتكم ، ويُنبئ لطلعتكم ، أن الراقم لهذه الصحيفة ، المشرفة ببعض أوصافكم اللطيفة ، المرسله لساحة فضائلكم المنيفة ، هو تلميذكم من تشرف بدرسكم ، واقتخر بإجازتكم ، يبدي لكم تلهفه لنيران أشواقه التي التهب ، وتأسفه على الأيام السالفة مذبذبة في خدمتكم^١ لا ذهبت ، وتوجَّعه لهذه الأزمان التي استرجعت بالبعد عنه من ذمته ما وهبت ، وتطلعه إلى ما يَسْتَفُّ به الأسماع من فضائله التي سلبت^٢ العقول وانتهت ، فلم يزل يسأل الرواة عنها ، ليلتقط منها ، وقد تحقَّق أن فرائدها لا يُلْفِي لها نظيراً ولا يدرك^٣ لها كُنْها ، وكيف لا ومنها يتعلَّم الفاضل اللبيب ، وإليها يفتقر السعيد ويتودَّد حبيب ، وعليها يعتمد ابن العميد ، ولم تنفك راقيةً في درج المريد ، وعبدُ الحميد عبدُ الحميد ، وعِلْمُ شيخني يحيط بصدق محبتي وإخلاصها ، وشدة حرصي على تحصيل فوائد مولانا واقتناصها ، وأنتي لا أزال ذاكراً لمحاسنه التي ليست في غيره مجموعة ، ومتطفلاً على ثمار أفكاره التي هي لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وخاطره الشريف على الحقيقة يشهد بذلك ، فلا يحتاج هذا العبد إلى بيّنة لدى مولانا الأستاذ المالك ، وحقيق على من فارق تلك الأخلاق الغرّ ، والشمائل الزهّرة ، والعشرة المعشوقة ، والسجايا الموموقة ، والفضائل الموفورة ، والمآثر المشهورة ، أن يشقَّ جيِّب الصبر ، ويجعل النار حشواً الصدر :

١ أشواقه . . . خدمتكم : سقطت من ق .

٢ ق : سلبها .

٣ ق ودوزي : ولا يدرك كنهها .

ولائي لتعروني للذكراك هزّة^١ كما انتفض العصفور بقله القطر^٢
 ولو ملكت مرادي ، لما اخضرر^٣ إلا في ذراه مرادي ، بل لو دار الفلك
 على اختياري ، لما نضوت^٤ إلا عنده ليلى ونهاري :
 ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان

* * *

وتحت ضلوعي لوعة لو كتمتها^٥ لحفت^٦ على الأحشاء أن تنضرها^٧
 ولو بحت^٨ في كتبي بما في جواني^٩ لأنطقتها^{١٠} ناراً وأبكيتهما^{١١} دماً

وأنا لا أقترح على الدهر إلا لقياءه ، ولا أقطع حاضر الوقت إلا بذكره ،
 وما أعد أيامي التي سعدت فيها بلقائه إلا مفاتيح السرور ، ومطالع السعد
 والحبور ، ولست أعيبها إلا بقلّة البقاء ، وسرعة الانقضاء ، وكذلك عمر السرور
 قصير ، والدهر بتفريق الأحبة بصير ، وربما اهتزّ العود بعد الذبول ، وطلع
 النجم بعد الأفول ، وأدبيل^{١٢} الوصال من الفراق ، وعاد العيش المرتحل^{١٣} المذاق :
 وما أنا من أن يجمع الله شملنا^{١٤} كأحسن ما كنّا عليه^{١٥} بآيس

فأمّا الآن فلا أزجي الوقت إلا بقلب شديد الاضطراب ، وجوانح لا تفيق
 من التوقد والالتهاب ، وكيف لا وحالي حال^{١٦} من^{١٧} ودّع^{١٨} صفو الحياة يوم ودّاعه ،
 وانقطع عنه الأنس ساعة انقطاعه ، وطوى الشوق^{١٩} جوانحه^{٢٠} على غليل ، وحلّ^{٢١}
 أضلاعه على كمد دخيل ، وأغرى بي فلزمني ولزمته ، وألف بيني وبين الوجد
 فالفقتي وألفته ، فلا أسلك للعزاء طريقاً إلا وجدته مسلوداً ، ولا أقصد للصبر
 باباً إلا ألفيته مردوداً ، ولا أعدّ اليوم بعد فراق سيدي إلا شهراً ، والشهر دون
 لقاءه إلا دهرأ ، ولست بناس^{٢٢} أيامنا^{٢٣} التي هي تاريخ زمني ، وعنوان الأماني ،
 إذ ماء الاجتماع عذب ، وغصن الازديار^{٢٤} رطب ، وأعين الحواسد راقدة ،

١ البيت لأبي صخر الهذلي (ديوان الهذليين : ٩٣٠) وينسب أحياناً لغيره .

٢ ق : الازدياد .

وأسواق صروف الدهر كاسدة ، فما كانت إلا لمحة الطرف ، ووثبة الطُرف ،
ولعة البرق الخاطف ، وزوارة الخيال الطائف ، وما تذكّر تلك الأيام في
أكناف فضائله ونصيرتها ، ورياض علومه في ظلّه وخضرتها ، إلاّ أوجب على
عينه أن تدمع ، وانثني على كبده خشية أن تصدّع^١ ، ثم لما ورد على عبدكم
مكتوبكم الكريم ، صحبة حضرة العم المحبّ القديم ، فكان كالغاية للصبّ
السيقم ، كما يشهد بذلك السميع العليم ، فوقف له منتصباً ، وخضف عنه
برؤيته وصبا ، وذكر أيام الجمع فهام وجداً وبها صبا ، فاستخفّه الإعجاب
طرباً ، وشاهد صدوره فقال : هكذا تكون الرياض ، وعين لطفه فقال :
هكذا تكون الصبا ، وقبل كل حرف منه ووضع على الراس ، وحصل له
بعد ترقبه غاية المجاورة^٢ والاستئناس ، فعند ذلك أنشد قول بعض الناس :

ورَدَ الكتابُ فكانَ عندَ ورودِهِ عيداً ، ولكن هبَّجَ الأشواقا
ألفائهُ قد عانقتَ صاداتِهِ كعناق مُشتاقٍ يخاف فراقا
فكأنما النوناتُ فيه أهْلَةٌ وكأنما صاداته أحداقا
فغسى الإلهُ كما قضى بفراقنا يقضي لنا يوماً بأن نتلاقى

فجعلته نصب عيني أتسلى به عند استيلاء الشوق على قلبي ، وأطفئ به تأملته
نيران وجدي إذا التهب في صدري ، وسُررت به سرور من وجد ضالة عمره ،
وأدرك جميع أمانيه من دهره ، وأنست بتصفحه أنس الرياض بانهلال القطر ،
والساري بطلوع البدر ، والمسافر بتعريس^٣ الفجر ، وكيف لا وقد أصبح
في وجه الأمانى خدّاً ، بل في خدّها ورداً ، وصار حسنة من حسنات دهري ،

١ إشارة إلى قول الصمة القشيري :

وأذكر أيام الحسنى ثم انثني على كبدي من خشية أن تصدعا

٢ ق : المجاورة .

٣ ق : بتعريسة .

لا يححو مرور الأيَّام موضعها من صدري ، وطلعت طوالع السرور وكانت آفلة ، واهتزت غصون الفرح وكانت ذابلة ، لا سيَّما لما تضمَّن من البشارة السارَّة بصحَّة المولى وسلامته ، وحلوله في منازل عزَّة وكرامته ، وموعده الكريم بعَوْدِهِ إلى دمشق الشام ، سقاها صوب الغمام^١ ، مرَّة ثانية ، ويتم افتخارها على غيرها فلا تزال مفاخرة مباهية ، نسأل الله تعالى أن يحقِّق ذلك ، وأن يسلك بسيلدي أحسن المسالك ، إنَّه سبحانه وتعالى سامع الأصوات ، ومجيبُ الدعوات ، فإنَّ عَوْدَكم يا سيَّدي والله مرَّة أخرى هو الحياة الشهية^٢ ، والأمنية التي ترتجي النفسُ بلوغها قبل المنيَّة ، وما أنا من الله بآيس من أن يتيح سببا ، يعيد المزار مقربيا ، والشمل مجتمعا ، وحيلَ البَيْن منقطعا .

ثمَّ ليعرض على مسامع سيدي الكريميَّة ، لا زالت من كل سوء سليمة ، أنا أوصلنا مكاتيبكم كما أمرتم لأربابها ، لا سيَّما مكتوب شيخ الإسلام سيدي عبد الرحمن أفندي المقي بالشام ، ومكتوب المولى الأعظم ، والممام الأفخم ، أحمد أفندي الشاهيني ، أعزَّه الله تعالى فإنَّه وقع عنده الموقع العظيم ، وحصل له به السرور المقيم ، كما يدل على ذلك جوابه الكريم ، المحفوف بالتعظيم والتكريم ، غير أنَّه قد سلَّعنا ما اتصل بمولانا من نفوذ قضاء الله تعالى الذي يعم ، في البنت والأم ، فجعل الله تعالى في عمر سيدي البركة ، وكان له في السكون والحركة ، وماذا عسى أن يُذكر لحنابكم في أمر التعزية ويقرَّر ، ومنكم يستفاد مثله وعنكم^٢ يُحرَّر ، والأساذ أدرى بصروف الدهر وتفتنَّها ، وأحوال الزمان وتلوَّنَّها ، وأعرف بأن الدنيا دار لها بسكانها مَدَّار ، وأن الحياة ثوب مستعار ، ونعيم الدنيا وبؤسها ما لواحد منهما فيها قَرَّار ، وأن لكل طالع أفولاً ، ولكل ناضر ذبولاً ، ووراء كل ضياء ظلاماً ، ولكل عروة من عرى الدنيا انفصاماً ، فهو

١ ق : صوب الغمام .

٢ عنكم : سقطت من ق .

محلّ لأن يقوى في العزاء عزائمه ، ويصغر في عينه نوائب الدهر وعظائمه ، ويفنيه عن عِظّة تجده له مقالاً ، وتحلّ عن عقله عِقْلاً ، وهو يتلقّى المصائب ، بفكر ثاقب ، وفهم ضائب ، وصبر يقصر عنه الطّوّد الأشم ، وعزم ينفلق دونه الصخر الأصم ، وحلم يترجّع إذا طاشت الأحلام ، وقَدَمٍ تثبّت إذا زلّت الأقدام ، ومدّ المقال في ضرب الأمثال ، إلى جنابكم الشريف نوعٌ من تجاوز حدّ الإجلال ، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذه المصيبة خاتمة ، ولا يُريه بعدها إلّا دولة قائمة ونعمة دائمة ، وأن يحرسه من غير الليل والنّهار ، ويجعله وارث الأعمار بجاه نبينا محمد المختار ، صلى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه الأطهار ، بمنّته وكرمه .

ثمّ أبلغ سيدي — أطال الله عمره ، وشرح صدره ، ونشر بالخير ذكره — السلام التام ، المقرون بألف تحية وإكرام ، من أهل البلدة جميعاً ، لا سيّما من مفتيها العِمادي ، حرس الله ذاته التي هي منهل للضادي والغادي ، وأولاده الكرام ، المستحقين للإعزاز والإكرام ، ومن كبيرها ، ومدبرها ومشيرها ، أحمد أفندي الشاهيني ، أعزه الله تعالى بعزه ، وجعله تحت كنفه وحِرْزه ، ومن خطيبها مولانا الشيخ أحمد البهنسي ، ونقيب أشرافها مولانا السيد كمال الدين ، وجميع المحبّين الداعين لذلك الجناح ، والمتمسّكين بثراب تلكم الأعتاب ، ومن الوالد والعم ، والله يا سيدي إنّه ناشرٌ لواء الثناء والمحامد ، وداعٍ لذلك الجناح الكاسب للمفاخر والمحامد ، وحضرة شيخنا شيخ الإسلام وبركة الشام ، مولانا وسيّدنا الشيخ عمر القاري ، أبقى الله تعالى وجُوده ، وضاعف علينا إحسانه وجُوده ، وأولاده يسلمون عليكم السلام الوافر ، وينهون لكم الشوق المتكاثر ، وحُرّر في ٢ جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ ، المحبّ الداعي يحيى المحاسني ، انتهى .

وكتب إليّ عمّه الفاضل الأسمى ما صورته : باسمه سبحانه وتعالى :

وإنّي لَمُشْتاقٌ إلى وَجْهِكَ الَّذِي تَهَلَّلَهُ أَهْدَى السَّناءِ إلى البَدْرِ
وأَخْلَقَكَ الغر اللّواني كأنّها تساقط أنداء الغمام على الزَّهرِ

سيدي الَّذي عبُوديتي إليه مَصْرُوفةٌ ، ودواعي محبّتي لديه موفورة وعليه
موقوفة ، علم الله سبحانه أنّني لا أُرْجِي أوقاتي إلا بذكراه ، ولا أُرْجِي اليُمنَ
من ساعاتي إلا باستنشاق نسيم رِيّاه ، وأنّني إلى طلعتة أشوق من الصادي إلى
ماء صدّاء^١ ، ومن كثير عزّة إلى نوء تيماء :

يُرتَحني إليك الشوقُ حتّى أميلَ مِنْ اليَمينِ إلى الشّمالِ
ويأخُذني لذكراك اهتِزازٌ كما نشط الأسيرُ من العِقالِ

ولي على صدق هذه الدّعوى من نَبَاهة لبّه شاهد مُعدّل ، ومن نزاهة
قلبه مُزكّ غير ملوم ولا مُعدّل ، كيف لا ومطالع البيان مشرقها من أفلاك
فهومه ، وجواهر التّبيان مقذفها من بحار علومه ، وهو بحر العلم الَّذي لا يُقْتحم
بسفن الأفكار ، وجبّل الحلم الَّذي رسخ بالهيبة والوقار :

لو اقْتَسَمَتْ أخلاقه الغر لم تجد مَعِيّاً ولا خلقاً من الناس عابثاً
وماذا عسى أَصِف به مولانا وقد عجز عن وصفه لسان كلّ واصف ،
وحار في بث فضائله أرباب المعارف والعوارف :

فَلَوْ نَظَمْتُ الثِّريّا والشُّعْرَيْنِ قريضاً
وكاهلِ الأرضِ ضرباً وشعبَ رَضْوَى عَرُوضاً
وَصَفْتُ للدُّرِّ ضداً وللِهَواءِ نقيضاً

ولكنّني أقول : الثناء منجّع أنّى سلك ، والسخرُ جودُهُ بما ملك ، وإن
لم يكن خمر فخلّ ، وإن لم يصيبها وابل فطلّ . هذا ، وقد أوصلنا مكاتيبكم

١ صداء : اسم ماء جرى فيه المثل : « ماء ولا كصداء » .

الشريفة لأربابها ، فكانت لديهم أكرم قادم ، وأشرف منادم ، وقد تدّأولها الأفاضل وشهدوا أنّها من بنات الأفكار ، التي لم يكشف عنها لغير سيدي حُجُب الاستتار ، وقد وجدنا كلاًّ منهم ملتهباً بجمرات الشوق ، متجاوزاً حدّ الصباية والتّوق ، ليس لهم شغل إلّا ذكر أوصافكم الحميدة ، وبثّ ما أبدىتموه بدروسكم المفيدة ، وما منهم إلّا ويرجو بَلّ الصدى وثقّع الظما برؤية ذلك المحيّا ، والتملّي بتلك الطلعة العليا . وإن سألت سيدي عن أخبار دمشق المحروسة ، دامت ربوعها المأنوسة ، فهي والله الحمد منتظمة الأحوال ، أمنها الله من الشرور والأهوال ، ولم يتجدد من الأخبار ما نُعلم به ذلكم الجنب ، لا زال ملحوظاً بعين عناية ربّ الأرباب ، وأنا أسألُ الله تعالى أن يصون جوهر تلك الذات من عوارض الحداث ، وأن يحمي تلك الحضرة العلية من طوارق حكم الدوران :

آمين آمين لا أرضى بواحدةٍ حتى أضيفَ إليها ألفَ آمين

وهذا دعاء للبرية شامل - العبد الداعي ، بجميع البواعث والدواعي ، تاج الدين المحاسني ، عفا الله تعالى عنه ، انتهى .
وبالهامش ما صورته : وكاتب الأحراف العبد الداعي محمد المحاسني يقبّل يدكم الشريفة ، ويخصكم بالسلام الوافر ، ويبثّ لديكم الشوق المتكاثر ، غير أنّه قد نازعته نفسه في ترك المعاتبة ، لسيدته الذي لم يُسعد عبده منه بالمكاتبة ، على أنّها مكاتبة تُحكّم عقد العبوديّة ، ولا تخرج رقبتّه من طوق الرقيّة ، والمطلوب أن يخصّه سيده وشيخه بدعوته المستطابة ، التي لا شك أنّها مستجابة ، كما هو في سائر أوقاته ، وحسبان ساعاته ، ودمتم ، وحرّر في رابع جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ ، انتهى .

وكتب سيدي التاج المذكور لي ضمن رسالة من بعض الأصحاب ما صورته :

يا فاضلَ العصرِ يا مَنْ للشرق والغرب شرف

يا أحمدة الناس طرأ في كل ما يتصرف
يُهدي إليك عبّ دموعه تتسدرّف
شوقاً ووداً قديماً مُتكرراً يتعرّف

ولنختم مخاطبات أهل دمشق لي بما كتبه لي أوحده الموالى الكبراء ، السري ،
عين الأعيان ، صدر أرباب البلاغة والبيان ، مولانا أحمد الشاهيني السابق الذكر
في هذا التأليف مرات ، ضاعف الله تعالى لديه أنواع المبرات والمسرات ، آمين ،
ليكون مسكاً للختام ، إذ محاسنه ليس بها خفاء ولا لها انكثام ، ونصّ محل
الحاجة منه هو الفياض :

« يا سيداً أحرز خصل العُلا بالباس والرأي السديد الشديد
ومنّ على أهل النهى قد علا بطبعه السامي المجيد المجيد
ومن يزّين الدهر منه حلى قول نظيم كالفريد النّصيد
ومن صدأ فكري منه جلا نظم له القلب عميد حميد
ومن له من يوم قالوا « بلى »^١ في مهجتي حبّ جديد مزيد
ومنّ غدا بين جميع المتلا بالعلم والحلم الوحيد الفريد
أفديك بالنفس مع الأهل لا بالمال ، والمال عتيد عديد

أقسم بالله الذي علت كلمته ، وغمّت رحمته ، وسحّرت القلوب والعقول
رأفته ومحبتّه ، وجعل الأرواح جنوداً مُجَنّدة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر
منها اختلف ، أتني أشوق إلى تقبيل أقدام شيعي من الظمآن للماء ، ومن الساري
لطلعة ذكاء ، وليس تقبيل الأقدام ، ممّا يدفع عن المشوق الأوام ، وقد
كانت الحال هذه وليس بيني وبينه حاجز إلا الجدار ، إذ كان حفظه الله تعالى
سجّار الدار ، فكيف الآن بالغرام ، وهو حفظه الله تعالى بمصر وأنا بالشام ،

١ قالوا : بل ، أي عندما سأل الله الخلق « ألسن بربكم ؟ » .

وليس غيبة مولانا الأستاذ عنا ، إلا غيبة العافية عن الجسم المضمنى ، بل غيبة الروح ،
عن الجسد البالي المطروح ، ولا العيشة بعد فراقه ، وهجر أحابيه ورفاقه ،
إلا — كما قال بديع الزمان — عيشة الخوت في البر ، والثلج في الحر ، وليس
الشوق إليه بشوق .، وإنما هو العظم الكسير ، والتزع العسير ، والسقم يسري
ويسير ، وليس الصبر عنه بصبر ، وإنما هو الصاب والمصاب ، والكبد في
يد القصاب ، والنفس رهينة الأوصاب ، والحين الحائن وأين يصاب ، ولا أعرف
كيف أصف شرف الوقت الذي ورد فيه كتابُ شيخني بخطّه ، مزيناً بضبطه ،
بلى ، قد كان شرف عطار د ، حتى اجتمع من أنواع البلاغة عندي كل شارد ،
وأما خطه فكما قال الصاحب بن عباد : أهذا خط قابوس ، أم جناح الطاووس ؟
أو كما قال أبو الطيّب :

من خطّه في كل قلب شهوةٌ حتى كأنّ مداده الأهواءُ

وأنا أقول ما هو أبدع وأبرع ، وفي هذا الباب أنفع وأجمع : بل هو خط
الأمان من الزمان ، والبراءة من طوارق الخلدان ، والحرز الحريز ، والكلام
الحر الإبريز ، والجوهر النفيس العزيز ، وأما الكتاب نفسه فقد حسدني عليه
إخواني ، واستبشر به أهلي وخيالاتي ، وكان تقبيلي لأماله ، أكثر من نظري
فيه ، شوقاً إلى تقبيل يد وشّته وحشّته ، واعتياداً للثم أنامل جسّته ومسّته ،
وأما البراعة ، فلا شك أنها ينبوع البراعة ، حتى جرى من سحر البلاغة منها
ما جرى :

فجاء الكتابُ كسحر العيون بما راح يسبي عقولَ الورى
ويُنَادِي بِإِحْرَازِ خَصْلِ سَحْرِ الْبَيَانِ مِنَ الثَّرْيَا إِلَى الثَّرَى ، ولم أر كتاباً قبلُ
تكون محاسنه متداخلة مترادفة ، ولطائفه وبدائعه متضاعفة متراصفة ، وذلك
لأنّه سرد من غرر دوره الأحاسن ، وورد على يد رأس أحابنا تاج بني محاسن :
أولئك قومٌ أحرزوا الحسنَ كلّهُ فما منهمُ إلا فتى فاق في الحسنِ

وكما قلت فيهم أيضاً :

فبنو المحاسن بيننا كبني المنجّم في النجابه
فهمُ القرايةُ إنْ عُدَّ متّ من الأنام هوى القرايه
فيهمُ محاسِنُ جَمَّةٌ منها الخطابةُ والكتابه

ثمّ لم يكتف سيدي وشيخي بما أنعم به ، وأحسن بكتبه ، من كتابه المزين بخطه ، المين بضبطه ، المسمى بين أهل الوفاء ، بكتاب الأصفياء ، حتى أضاف إليه كتاب الشفاء ، في بديع الاكتفاء ، كأنّه لم يرضَ طبعه الشريف المفرد المستثنى ، إلا أن تكون حسناته لدى أحبابه مثنى مثنى ، حتى كأن مراده بتضعيف هذا الإكرام والإحسان ، تعجيز العبد عن أداء خدمة الحمد بمحصر البيان وعقد اللسان ، إذ لست ذا لسانين ، حتى أؤدّي شكر إحسانين ، وغاية البليغ في هذا المضمار الخطير ، أن يعترف بالقصور ويلتزم بالتقصير .
ومن فصول هذا الكتاب ما نصّه : « ومن باب إدخال السرور على سيدي وشيخي وبركتي خبر المدرسة الداخلية التي تصدى لها ذلك المولى العظيم ، والسيد الحكيم ، صدرُ الموالى ، وروثقُ الأيام والليالي ، سيدي وسندي ، وعمادي ومعتمدي ، الفهامة شيخي أفندي ، المعروف بالعلامة ، حفظه الله ، ووقاه وأبقاه ، الذي صدق عليه وعليّ قولُ الأول :

ولي صديقٌ ما مَسَّتْني عَدَمٌ مذ وَقَعَتْ عينُهُ على عَدَمِي
أَغْنِي وَأَقْنِي فَمَا يُكَلِّفْنِي تَقْصِيلَ كَفِّ لَهْ وَلَا قَدَمِ
قَامَ بِأَمْرِي لَمَّا قَعَدْتُ بِهِ وَنَمْتُ عَنْ حَاجَتِي وَلَمْ يَنْمِ

وقول الثاني :

صديقٌ لي له أدبُ صداقةٌ مثْلِهِ نَسَبُ
رَعَى لي فوق ما يُرعى وأَوْجَبَ فوق ما يجب

فَلَوْ نُقِدَتْ خَلَاتُهَا لِبَهْرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

ولعمري إنَّه كذلك قد تصدَّى لحاجتي فقَصَّأَها ، ولحجَّتي فأَمْضَاها ، ولم يكن لي في الروم سواء وسواها ، وما أصنع بالروم ، إذا تخلف عني ما أروم ، أبى الله إلّا أن ينفعني ذلك الحرُّ الكريم بنهيه وأمره ، وأن يكون بياني وبناني مرتبطين بحمده وشكره ، وهذه حاجة في نفسي قضيتها ، وأمنية رضيت بها وأرضيتها ، والله الحمد .

ولست أحصي ، ولا أستقصي ، يا سيدي ومولاي ، شوقَ أنْخِيكم سيدي ومولاي المفتي العمادي ، حفظه الله تعالى وإياكم ، وقد بلغ به شوقه وغرامه ، وتمنَّشه وأوامه ، أن أفرد بِلِجْنَابِ مولانا كتاباً ، يستجلب مفخراً وجواباً ، إذ الشام كما رأيتم عبارة عن وجوده الشريف والسلام ، وكذلك أولاده الكرام ، تلامذتكم يقبلون الأقدام . وأما محبكم وصديقكم الشيخ البركة شيخ الإسلام مولانا عمر القاري فقد بلغته سلامَ سيدي ، فكان جوابه الدعاء والثناء ، مع العزيمة عليّ بأن أبالغ بِلِجْنَابِكُم الكريم في تأدية سلامه ، وتبليغ ما يتضمنه من المحبة الخالصة فصيح كلامه . وأما الكريميّان ولدكم محمد أفندي وأخوه سيدي أكمل الدين ، فهما لتقبيل أقدامكم من المستعدين . وكذلك لا أحصي ما هما عليه من الدعاء والثناء بِلِجْنَابِكُم الكريم العالي ، تلميذاكم بل عبداكم ولدنا الشيخ يحيى ابن سيدي أبي الصفاء ، وولدنا الشيخ محمد ابن سيدي تاج الدين المحاسنيان . وأما عبداكم وتلميذاكم ولداي الشِيْخَان الداعيان الأخوان الشيخ عبد السلام والقاضي نعمان ، فليس لهما وظيفة إلا الدعاء والثناء ، في كل صبح ومساء ، لأن كلاهما منهما خليفتي ، والاشتغال بالدعاء لسيدي وظيفتي ، ولا يقتنعان بتقبيل اليدين الكريمتين ، ولا بد من تقبيل القدمين المباركتين . وبعد ، فلا ينقصني عجبني من بلاغة كتابكم الشريف الوارد بِلِجْنَابِ أنْخِيكم المفتي العمادي حفظكم الله تعالى وإيَّاه ، ولا كان من يَشْنَاك ويَشْنَاه ، وعجبه به أعظم وأكبر ،

إذ هو — حفظه الله — بفهم كلام سيدي أحقُّ وأجدر ، فلا عدمنّا تلك الأنفاس
الملكية الفلكية ، من كل منكما إذ هي والله البغية والأمنية ، كما قلت :

ليسَ فخري ولا اعتدادي بدهرٍ غير دهر أراكُما مِن بَنِيهِ
اللهم اختم هذا الكلام ، للقبول التام ، بالصلاة على سيدنا محمد وآله
الطيبين الطاهرين .

ومن فصول هذا الكتاب ما صورته : « أطال الله يا سيدي بقاءك ، ولا كان
من يكره لقاءك ، وورعك . بعين عنايته ووقاك ، وأدامك وأبقاك ، وضمن لك جزاء
الصبر ، وعوّضك عن مصابك الخير والأجر ، ولقد كنت عزمت على أن أجعل
في مصاب سيدي بأمه ، متّع الله بعمره وعلمه ، ودفع عنه سَوْرَةَ همّة وغمّة ،
قصيدة تكون مرثية ، تتضمن تعزية وتسلية ، فنظرت في مرثية أبي الطيب المتنبي
لأمه ، واكتفيت بتنظيمها ونثرها ، وعقدتها وحلها ، وانتخبت قوله منها :

لك الله من مَفْجُوعَةٍ بحبيها قتيلةٍ شوقٍ غير مكسبها وصُما
ومنها :

ولو لم تَكُونِي بنت أكرم والد لكان أباك الضخمَ كَوْنُكَ لي أماً
لئن لَدَّ يَوْمُ الشامتين بيومِها لقدَ ولدتَ مني لَأَتُفْهِمَ رَغْماً

فقلت : هذه حال مولانا الراغم لأنوف الأعدا ، المجدّد لأسلافه حمداً
وعجداً ، القاتل بشوقه لا خطأ ولا عمداً ، ثم لآتي لما رأيتُ قوله في مرثية أخت
سيف الدولة :

إن يكن صبرُ ذي الرزيةَ فَضْلاً تَكُنِ الأفضَلَ الأعزَّ الأَجْلاً
أنتَ يا فوق أن تُعزِّيَ عَنِ الأح باب فوق الذي يُعزِّيك عَقْلاً
وبألفاظك اهتدى فإذا عزّا لك قالَ الذي لَهُ قُلْتَ قَبْلاً

قَدْ بَلَغْتَ الْخُطُوبَ حُلُوءًا وَمُرًّا وَسَلَكْتَ الْأَيَّامَ حَزَنًا وَسَهْلًا
وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يَفِي رَبُّ قَوْلًا وَمَا يَجِدُّ فِعْلًا

قلت : هذه والله حلى مولانا الأستاذ الذي عرف الزمان فعله ، وفهم قوله ،
قد استعارها أبو الطيّب وحلّى بها غلومه سيف الدولة ، وكيف أستطيع إرشاد
شيخي لطريق الصبر ، وأذكره بالثواب والأجر ، وكيف وأنا الذي استقيتُ
من ديممي ، واهتديت إلى سبيل المعروف بشيئمه ، وسلكت جادة البراعة
بهداية ألفاظه ، وارتقيت إلى سماء البلاغة برعاية ألقاظه ، وهل يكون التلميذ
معلمًا ، وهل يرشد الفرخ قشعجماً ، وكيف يعهد الشبل الأسد ، وهو ضعيف
المنة والمدد ، ومن يعلم الثغر الإيتسام ، والصدر الالتزام ، ويختبر الحسام ،
وهو يجرب صمصام ، وهل تفتقر الشمس في الهداية إلى مصباح ؟ وهل يحتاج
البدر في سراه إلى دلالة الصباح ؟ ذلك مثل شيخي ومثل من يرشده إلى فلاح
أو نجاح ، وإنما نأخذ عنه ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة ، ونحذو حذوه
في الطريق الموصلة إلى الجنة ، ثم لما وصلت في هذه القصيدة إلى قول أبي الطيّب :

إِنَّ خَيْرَ الدَّمْعِ عَيْنًا لَدَمْعٌ بَعَثَتْهُ رَعَايَةٌ فَاسْتَهَلَّتْ

رأيت قد أبدع فيه كل الإبداع ، ونظم ما يكاد يجري الدمع من طريق
السماع ، فقلت : إنا لله ، وأكثر الاسترجاع ، وقلت في نفسي : إن ذلك
الدمع الذي بعثته رعاية الحقوق ، هو دمع شيخي الذي حمى الله قلبه الشفوق
من العقوق ، للمصيبة في الأم ، التي حزنها يغم ، ومصابها يغم ، وكيف لا يعننا
مصابها ، وقد كمل للمصيبة كفهاها الله بموتها نصابها ، هذا مع الفقد للسليلة
الخليلة ، والكريمة الخليفة ، وأي دمع لم تبعثه تلك الرعاية ؟ وأي نفس لا تمنى أن
تكون لسيدنا من كل ما يكره وقاية ؟ وأي كبد قاسية ، لم تكن لأحبابها مؤاسية ؟
وأنتي يتسنّى ، للعبد المعنّى ، تسلية شيخه وهو الصبور الشكور ، العارف
بالأمور ، العالم بتصاريف الدهور ؟ وما ظننت أن بتاني ، يساعطني على تحرير

بياني ، لتعزية شيخي ، حفظه الله تعالى في أصله وفرعه ، وضُرعه وزرعه ، وفرعه ونبتة ، وأمه وبنته ، أما الوالدة الماجدة فإنّي إن أمسكت عن بيان كرم أصلها ، يسمو بها كرم فرعها ونسلها ، فرحم الله تعالى سَلَفَها ، وأبقى خَلَفَها ، ولا حرم سيدي ثمرة رضاها ، ورضي عنها وأرضاها ؛ وأما المخدّرة الصغيرة ، فالمصيبة فيها كبيرة ، إذ العمومة مقَرّية ، والخوالة وقائية ، فهي ذات النّجارين ، وحائِرة الفخارين ، كأن سيدي - أعزّه الله تعالى - لم يرض لها كفواً ومهرأ ، فاختر القبر أن يكون له صِهْرأ ، وخطِبة الحِمام لا يمكن ردها ، وسطوة الأيام لا يستطيع صدها ، كما قال أبو الطيّب المتنبي أيضاً :

خِطْبَةُ الحِمام ليسَ لها رَدٌّ وإن كانت المسماة تُكَلِّلا
وإذا لم تُجد من النَّاس كفواً ذاتُ خِدرٍ أرادتِ الموتَ بَعَلّا

أسأل الله تعالى أن تكون هذه الخِطْبَةُ قافية الخطوب ، وهذا النَّدْبُ المبرحُ أخيرَ الندوب ، وأن يعوض سيدي عن حبيبه المبرقع المقتنع ، حبيباً معتمماً تتحرى النجاة منه المصنع ، وأن يبدله عن ذات الخمار والخضاب ، بمن يَصُول بالحِراب ، ويسطو باليراع ويشغل بالكتاب .

وما التأنيثُ لاسمِ الشَّمسِ عَيْبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ

اللهم يا أرحم الراحمين ، إنّي أتوسّل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيّبين الطاهرين ، أن تأخذ بيد عبدك شيخي المقرّي في كل وقت وحين ، آمين .

ومن فصول هذا الكتاب ما صورته : « ولما وصلني سيدي بهديته التي أحسن بها من كتاب الاكتفاء ، داخلَ طبعي الصفاء ، ونشطت إلى نظم بيتين فيهما التزام عجيب لم أر مثله ، وهو أن يكون اللَّفْظُ المكتفى به بمعنى اللَّفْظِ المكتفى منه ، فإن الاحتفاء والاحتفال بمعنى الاعتناء ، كما أفاده شيخي ، فيكون على

هذا الاكتفاء وعدمه على حدّ سواء ، إذ لو قطع النظر عن لفظ الاحتفال لأغنى عنه لفظ الاحتفاء ، مع تسمية النوع فيهما ، وهما :

إِنَّ احْتِفَالَ المرءِ بالمرءِ لَا أَحِبَّهُ إِلَّا مَعَ الْاِكْتِفَاءِ
مِبَالِغَاتُ النَّاسِ مَذْمُومَةٌ فَاسْلُكْ سَبِيلَ الْقَصْدِ فِي الْاِحْتِفَاءِ

ولقد انقطع الثلج أيام الحريف ، وكانت الحاجة إليه شديدة بعد غيبة سيدي حفظه الله تعالى عن دمشق ، فتذكرت شغف شيخني به ، فزاد على فقدته غرامي ، وفاض عليه تعطشي وأوامي ، فجعلت في ذلك عدّة مقاطيع ، وأحببت عرضها على سيدي : أولها :

ثَلْجُ يَا ثَلْجُ يَا عَظِيمَ الصِّفَاتِ أَنْتَ عِنْدِي مِنْ أَعْظَمِ الْحَسَنَاتِ
مَا بَيَاضٌ بَدَأَ بِوَجْهِكَ إِلَّا كَبَيَاضٍ بَدَأَ بِوَجْهِ الْحَيَاةِ

ثانيها :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا ضَلَّ عَنِّي رَشْدِي وَمَا رَأَيْتُ الثَّلَجَ يَوْمًا عِنْدِي
لَا تَقْطَعِ اللَّهُمَّ عَن ذَا الْعَبْدِ أَعْظَمَ أَسْبَابِ الثَّنَا وَالْحَمْدِ

ثالثها :

ثَلْجُ يَا ثَلْجُ أَنْتَ مَاءُ الْحَيَاةِ ضَلَّ مِنْ قَالَ ضَرَّ ذَاكَ لَهَا قِي
مَا بَيَاضٌ بَدَأَ بِوَجْهِكَ إِلَّا كَبَيَاضٍ قَدْ لَاحَ فِي الْمِرْآةِ
قَدْ رَأَى النَّاسُ وَجْهَهُمْ فِي الْمَرَايَا وَأَنَا فِيكَ شِئْتُ وَجْهَ حَيَاتِي

وما علمت سيدي هذا التعليل ، إلا لأشوقه إلى نسيم دمشق الذي خلّفه سيدي حفظه الله علينا وهو على الصحة غير عليل ، ولم يشف أعزّه الله تعالى منه الغليل ، وليسيدي الدعاء بطول البقاء والارتقاء ، وهذه أبيات أحمدتها العبد في وصف القهوة ، طالباً من سيده أن يغفر خطأه فيها وسهوه :

وَقَهْوَةٌ كَالْعَنْبَرِ السَّحِيقِ سَوْدَاءُ مِثْلَ مَقْلَةٍ الْمَعْشُوقِ
 أَنْتَ كَمْسُكَ فَانَحِ فَتَيْقِ شَبَّهْتُهَا فِي الطَّعْمِ بِالرَّحِيقِ
 تُلْقِي الصَّدِيقَ مَنْ هُوَ الصَّدِيقِ وَتَرْبِطُ الْوَدَّ مَعَ الرَّفِيقِ
 فَلَا عَلِمْتُ مَرْجَبَهَا بِرِيقِي

وما زلتُ ألجُ بما أفادنيهِ شيخِي من أماليهِ ، وأنصفح الدهر الذي جمعته
 عنه من أسافله إلى أعاليهِ ، وأستشكل على الأحباب والأصحاب في أثناء المسامرة ،
 ما أفادنيهِ سيدي من تسمية المرحوم القاضي التنوخي كتابه «نشوار المحاضرة»
 حتى ظفرت بأصلها في القاموس في مادة «نشر» ، فإذا هي عربية مخضه ، فإنه
 قال : «وَنَشْوَرَتِ الدَّابَّةُ نِشْوَارًا : أَبْقَتْ مِنْ عِلْفِهَا» ، ولقد تعجبت من بلاغة
 هذه التسمية وعذوبتها ، وحسن المجاز فيها مع سلاستها وسهولتها ، وأجيب
 عرضها على شيخِي حفظه الله تعالى ليفرح لي بين تلامذته كما فرح طبعي به
 حفظه الله تعالى بين أساتذته ، وليعلم أنني لم أنس ما أفادنيهِ في خلال المحاورة ،
 أيام المؤانسة والمجاورة ، فوالله إنه سميري ، في ضميري ، وكليمي ، ما بين
 عظمي وأديمي :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأَدِيرُهُمْ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْإِكْلِ سَالِمٌ

• • •

الطرسُ طبا وما مَضَتْ قِصَّتُنَا لَا ذَنْبَ لَنَا حَدِيثُنَا لَدَّ فَطَالُ

وحرر يوم السبت المبارك غرة جمادى الآخرة من شهور سنة ثمان وثلاثين
 بعد الألف ، أحسن الله ختامها بخمرة بحمد وآله الطيبين الطاهرين ، وحسبنا
 الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله وحده ، عبده الفقير
 الحقير المشتاق ، المذنب المقصر لسيدته عن اللحاق ، الذي لم يبرح عن العهد المتين ،
 أحمد الشامي بن شاهين « انتهى » .

ولو تجمعت ما له حفظه الله تعالى من النظم والنثر ، اللذين غلب فيهما بكتافاه

أهل العصر ، بالشام ومصر ، وغيرهما من الأقطار ، لا زال مقامه مقضي
الأوطار ، لاستوعبت الأسفار ، وفي الإشارات ما يُغني عن الكلم ، وقد تقدم
في خطبة هذا التصنيف ، ذكر شيء من نظمه ونثره وأنه هو السبب الداعي إلى
جمع هذا التأليف ، والله سبحانه يديم جنابه السري الشريف ، ويُبهِوّه من العزّ الظلّ
الوريف ، فلقد أولى من الحقوق ما لا نؤدّي بعضه فضلاً عن كله ، وناهيك بما
جلبناه من كلامه دليلاً على شرفه وفضله .

ورسالته هذه إلي كانت جواباً عن مكتوب كتبته إليه من جملته :

يا مَنْ لَهُ طائرُ صيتٍ عَلا	في الجوّ قاضِطاً الشريدَ الشديد
يا نَجَلْ شاهينَ البديعِ الحلي	تَمَلَّ بالعزّ الطويلَ المديد
وفزّ بِحُصْل السَّيْبِ بَيْنَ الملا	وسرّ بِشَهْجِ المَعَالِي سديد
ورِدْ معَ الأحبابِ عذباً حَلا	مُنْتَظِماً من الأُماني البديد
وارفلْ على طولِ المدى في مُلا	مسرّة راقِثٍ وعزّ جديّد
والوالدُ المحروسُ بالله ، لا	بعُدّة الخلق ولا بالعديد

ومن نثرها : « سيدي الذي في الأجياد من عَوَارِفِه أطواق ، وفي البلاد
من مَعَارِفِه ما تشهد به الفِطْرَةُ السليمة والأذواق ، وتشتدُّ إلى مجده المطنب
الذي لا يحيطُ له رواقُ الأشواق ، وتعمر بفوائده وفرائده من الآداب الأسواق ،
وتنقطع دون نَداه السحب السواكب ، وتقصُر عن مَداه في السَّمَوِ الكواكب ،
والله سبحانه له واق ، المولى الذي أَلَقَتْ إليه البلاغة أفلاذها ، واتخذت البراعة
طاعته عصمتها وملاذها ، إذ بذَّ أفرادها وأفلاذها ، وأمطرت سماء أفكاره ،
غلى كل محبٍّ أو كاره ، طائر في جوٍّ أو مستقر في أوكاره ، صبيها ورذاذها ،
وفأخرت دمشقُ بعُلام وحلاه أقطارَ البسيطة وبغذاذها » .

ومنها : « أبقاه الله تعالى وحقيقته وعوده ينمقها النجاح ، وحقيقته سعوده
لا يطرُقها المجاز »

ومنها : « فأنت الذي نَقَسْتَ عني مُخَنَّقًا ، وأصفيت مشربي وكان مُرَنَّقًا ، وكأثرت بما به آثرت ، وما استأثرت - رَمَلَ النقا ، فلو رآك المأمون ابن الرشيد ، لعلم أنك المتمنى ببيتِي الغناء الذي غني به والنشيد :

ولائي لمشتاق إلى قرب صاحب يَرُوق ويصفو إن كدرتُ لَدَيْهِ
عذيري من الإنسان لا إن جَفَوْتُهُ صفا لي ، ولا إن كنت طوع يديه

ولم يقل : أعطني هذا الصديق وخُذْ مني الخلافة ، وأنا أقول : قد ظفرنا به بحمد الله ولم أجد أحداً في دهره وافقَ الغرضَ فلم نر خلافة .

ومنها : « فهذه يا ابنَ شاهين أياديك البيض ، تُفْرِخ لك الشكر وتبيض ، فلا دليل على ولائي ، كإملائي ، ولا شاهد لما في أحنائي ، كثنائي ، ولا حجة على ودادي ، كتكراري ذكرك وتردادي .

وهي طويلة ، لا يحضرني الآن منها سوى ما ذكرته .

ولنقتصر من مكاتبات أعيان العصر من أهل دمشق المحروسة على هذا المقدار ، ونسأل الله تعالى أن يحفظهم جميعاً في الإبراد والإصدار .

• • •

[رسائل من المغرب ترد للمؤلف]

وفي تاريخ ورود هذه المكاتيب الشامية السابقة عليّ ، اتفق ورودُ كتب من المغرب ، وجهتها جماعة من أعيانه إليّ .

فمن ذلك كتاب كتبه لي الأستاذ المجرّد الأديب الفهامة مُعَلِّم الملوك سيدي الشيخ محمد بن يوسف المراكشي التاملي^١ نصّه : « الحمد لله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد تتوالى ، من المحب المخلص المشتاق ، إلى السيد الذي

١ ترجمته في خلاصة الأثر ٤ : ٢٧١ (وفيه التاوي) وقال إنه لم يقف على تاريخ وفاته ؛ وانظر روضة الآس : ٢٥ .

وَقَعَ على محبته الاتفاق ، وطلعت شمس معارفه في غاية الإشراف ، وصار له في مَسِيدَانِ الكمال حُسْنُ الاستباق ، الصدر الكامل ، والعالم العامل ، الفقيه الذي تهتدي الفقهاء بعلمه وعمّله ، البليغ الذي تقتدي البلغاء ببراعة قلمه ، ناشر ألوية المعارف ، ومُسْنِدِي أنواع العوارف ، العلامة لإمام العصر ، بجميع أدوات الحصر ، سيدي أحمد بن محمد المَقْرِي قدّس الله السلف ، كما بارك في الخلف . سلامٌ من النسيم أرقُّ ، وألطف من الزهر إذا عَبِقَ .

وبعد ، فإن أخباركم دائماً تردُّ علينا ، وتصل إلينا ، بما يسر الخاطر ، ويقرّ الناظر ، مع كل وارد وصادر ، والعبد بحمد الله تعالى على ذلك ، ويدعو الله بالاجتماع معكم هنالك :

ويرحم الله عبداً قال آمينا

كتبته إليكم أيها السيد من الحضرة المراكشية مع كثرة أشواق ، لا تسعها أوراق ، كتبكم الله سبحانه فيمن عنده ، كما جعلكم ممن أخلص في مَوَالاة الحق قَصْدَه ، وودّي إليكم غَضُّ الحقائق ، مستَجِلٍ في مطلع الوفاء بمنظر رائق ، لا يحيله عن مركز الثبوت عائق ، وتحقيق بمودة ارتبطت في الحق وللحق معاهدها^١ ، وأسست على المحبة في الله قواعدها ، أن يزيد عقدها على مر الأيام شدة ، وعهدها وإن شط المزار جيدة ، وأن تدخر للأخرى عُدّة ، وإنّي ويعلم الله تعالى لمن يعتقد محبتكم وموالاتكم عملاً صالحاً يقرب من الله تعالى ويُنزِلُ إليه ، ويعتمدهما^٢ وزراً يعول في الآخرة يوم لا ظل إلا ظله عليه ، فإنكم واليتم فأخلصتم في الولا ، وعرفتم الله تعالى فقمتم بحقوق الصحبة على الولا ، معرضين في تلكم الأخوة عن غرض الدنيا وعرضها ، موفين

١ كذا في ق ودوزي ، وقد تقرأ : « معاهدها » .

٢ هذه رواية إحدى النسخ ؛ وفي ق ودوزي : ويعلم .

بشروط^١ نفلها ومفترضها ، إلى أن قضى الله تعالى بافتراقنا ، وحقوقكم المتأكدة دين علينا ، والأيام تطلُّ بقضائها عنا ، وتوجه الملام إلينا ، فأوتة^٢ أقف فأقرع السن على التقصير ندماً ، وأوتة أستنيم إلى فضلكم فأتقدم قُدماً ، وفي أثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق ، إلا وقد كر عليه منكم آخر له لاحق ، حتى وقفت موقف العجز ، وضائق علي العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس فكذت لا أتكلّم إلا بالرمز ، إجلالاً لحقكم الرفيع ، وإشفاقاً من التقصير المضيع ، وقد كنت كتبت - أعزكم الله تعالى - إليكم قبل هذا بكتب أربعة أو خمسة فيها عُدالة قصائد كالعصائد ، كالتريد من الكلام ككلامكم^٢ السلس الكثير الفوائد ، فعذراً ممن كان أخرس من سمكة ، وأشد تخبطاً من طائر في شبكة ، فما عرفت أوصل شيء من ذلك ، أم حصل في أيدي المعاطب والمهالك ؟ وما رأيت غير رجل من صعاليك الحجاج التقيت به يوماً بالحضرة المراكشية فقال لي : الشيخ الإمام المقرئ يسأل عنك ، وقد أرسل معي كتاباً إليك ، فوقع في البحر مع جملة ما وقع ، فقلت له : لا غرابة في ذلك فقد رجع إلى أصله ، ومن ظلمة البحار تُستخرج الدرر ، وقد جاءني كتاب من بعض الأخلاء الصديقين وهو الحاج الصالح السيد أبو بكر من مكة المكرمة شرفها الله تعالى ، وذكر لي فيه أنه متعه الله تعالى بلقائكم ، وأخبرني بسؤالكم عني كثيراً ، وإلى الآن يا نعم السيد إنما عرفته بما كتبت لسيادتكم تعريف تذكّر لا تعريف منّة ، فأنصفونا في الحكم عليكم في عدم الجواب بما ألفته الأدباء شريعة وسنة ، وبالجمل ففوادي لجدكم صحيح لا سقيم ، واعتدادي بودكم مُنتج غير عقيم ، والله تعالى يجعل الحب في ذاته الكريمة ، ويقضي عن الأجرة دين المحبة فيوفي كل غريم غريمه ، ويصلكم إن شاء الله تعالى هذا المرقوم ،

١ ق : بشروطها .

٢ كذا في ق ، والأصح هنا حذف كاف التشبيه .

وبه سؤال منظوم ، لتفضلوا بالجابوب عنه بعد حمد الله : والصلاة والسلام
على مولانا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

إلى المقرري الحبر صدر الأئمة	من المخلص الوداد أركي تحية
فذلك يا صدر الصدور عجالة	لتسمع بالجابوب عما أكنت
ففي قد رأى عند العذارى فتية	محرمة عند الزوال فحلت
وعادت حرأماً عند عصر فعندما	عشاء أتى عادت حلالاً تجلت
وفي صبح ثاني اليوم عادت محرماً	وزالت زوالاً منه في غير مربة
وفي ظهره حلت فطابت قريرة	وفي عصره محرماً قد تبدت
وعند العشاء بالضرورة حلت	وذلك بعد غرم مال كفدية
وفي صبحه عادت حرأماً ترى به	بروق سيوف لامعات بسنة
وكان يضيق حسرة وتأسفاً	وحلت له وقت العشاء وتمت
وعن أمة أيضاً يموت سريها	قد أولدها في ملكه بعد وطأة
وعادت لمملوك السري حليلة	بعقد نكاح بعد من غير شبهة
فجاءت بنت ، هل لها من تزوج	بنجل السري ؟ بيتوا لي قصتي
فإن السيوري مانع من تزوج	له بابتة منها بثلث القضية
وما الفرق بينها وبين التي أتى	بها ابن أبي زيد بأوضح حجة
وعن مشتر مملوكة غير محرم	ومسلمة شيراً صحيحاً بشرة
وليس بملكه له وطؤها يرى	جوازاً على التأيد تأخير جلّة
وما طالق من عدة خرجت ولا	يجوز على التأيد في خير ملّة
نكاح لها من واحد ومطلق	لها غير معصوم ترى في الشريعة
وتمت بحمد الله مبدية لكم	سلاماً كما أبدته في صدر طلعة

١ كذا في ق ؛ وجاء في دوزي : يا خير ، وفي التجارية : من حين حلت .

وتقرير السؤال الثاني : أمة أولدها سيدها فصارت حرة ، فمات عنها السيد ، ثم تزوجها عبدٌ سيدها ، فأنت بنت ، أما لولد سيدها أن يتزوج هذه البنت ؟ فلأن الرجل له أن يتزوج بنت زوجة أبيه من رجل غيره ، وهذه سرية أبيه ، فلأن الإمام السيوري يمنع هذه المسألة ، وما الفرق بينهما ؟ وتصلكم أيضاً إن شاء الله تعالى عَجالة رجزية ، في مآثركم السنية ، ضمنتها أشرطة من الألفية ، فتفضلوا بالإغضاء ، وحسن الدعاء ، أن يجمع الله شملنا بكم في تلك الأماكن المشرفة ، ثم المأمول من سيدنا ومولانا أن يتفضل علينا بكتاب « طبقات القراء » للإمام الحافظ الداني ، إذ ليس عندنا منه نسخة ، وأما تأليفكم الكثير الفوائد المسمى بـ « أزهار الرياض في أخبار عياض » ، وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض « فقد انتشر بهذه الأقطار المراكشية ، وانتسخت منه نسخ عديدة من نسخة المرحوم سيدي أحمد بن عبد العزيز بن الولي سيدي أبي عمر ، وكسا الله سبحانه تأليفكم المذكور جلاباب القبول ، فما رآه أحد إلا نسخة ، وعندني النسخة التي كتبها بخطه السيد أحمد المذكور بخط حسن ، وعلى هامشها في بعض الأماكن خطكم الرائق ، وبعض التنبيهات من كلامكم الفائق ، وأعلمونا بتأليفكم الذي سميتوه « قطف المهتصر من أفنان المختصر » هل خرج من المبيضة أم لا ؟ ووددنا لو اتصلنا منه بنسخة ، وقد اشتاق فقهاء هذا الإقليم إليه غاية كالفقيه قاضي القضاة محبكم سيدي عيسى وغيره من أخلاء خليل ، في كل حفل جليل ، إلى أن قال : وأنا أتمثل بكلام مولانا عليّ كرم الله وجهه حيث يقول ، تبرّكاً به :

رضيتُ بما قسم الله لي وفوّضتُ أمري إلى خالقي
كما أحسنَ الله فيما مضى كذلك يُحسنُ فيما بقي

١ ذكره المحبي في خلاصة الأثر باسم « قطف المهتصر في شرح المختصر » وهو حاشية على مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي .

ولي حفظكم الله تعالى تخميس على البيتين ، وذلك أنه نزلت بي شدة لا يمكن
الخلاص منها عادة ، فما فرغت من تخميسهما إلا وجاء الفرج في الحين ، ونصه :

إذا أزيمة نزلت قبلي
وضيقت وضاقت بها حيلي
تذكرت بيث الإمام علي
«رضيت بما قسم الله لي وفوتت أمري إلى خالقي»

لأن الإله اللطيف قضى
على خلقه حكمه المرتضى
فسلم وقل قول من فوضا
«كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي»

فعدوا — أعزكم الله سبحانه ونفع بإخائكم — عن إغباب المراسلة بالمكاتبة
عذراً ، وصبراً على بُعد اللقاء صبراً ، فإن يُقدر في هذه الدار لنا فيها ما نتمنى ،
وإلا فلن نعلم بفضل الله جزاء الحسنى ، ولقاء لا يَبِيدُ ولا يَفْنَى ، مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك
 رفيقاً ، إيقاناً بالوعد وتحقيقاً ، فمن أوجب له محبته ، أدخله جنته ، وأحضره
مأدبته ، وكَمَّلَ له أمنيته ، جعلنا الله من المتحابين في جلاله ، بكرمه وإفضاله ،
 وكتبه محبكم ومعظمكم ، الواصل حبل ودّه بودكم ، المشرف لعهدكم ،
 المنوّه بفخركم ومجدكم ، العبد الفقير الحقير ، المشفق على نفسه من التقصير
 والذنب الكبير ، محمد بن يوسف التاملي ، غفر الله ذنبه ، وستر عيبه ، وجبر
 قلبه ، وجمعه بمن أحبه ، بالنبي صلى الله عليه وسلم ، في عاشوراء المحرم
 فاتح سنة ثمان وثلاثين وألف ، انتهى .

وصحبة هذا المکتوب ورقة نصّها : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله

على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم^١ .

للهِ درُّ العالمِ الحيِّ باني
للمقريِّ العالمِ المفضالِ
وعالمٌ بأنَّتي مِنْ بَعْدِهِ
وما أَنَا بِاللَّهِ اسْتَعِينُ
بالشطرِ من أَلْفِيَةِ ابْنِ مالِك
قالَ مُحَمَّدٌ عبيدُ المالكِ
نُشِيرُ بالتَّضَمِّينِ للنَّحْوَيرِ
ذاكَ الإمامُ ذُو العلاءِ والهممِ
فلَنْ تَرَى في علمه مثيلاً
ومَدْحُهُ عِنْدِي لَأَزِمُ أَنِي
أوصافُ سيدي بهذا الرجزِ
فهو الذي له المعاني تعتري
رتبتهُ فوقَ العُلايا من فهمِ
وَكَمْ أَفادَ دهرُهُ من تحفِ
لَقَدْ رَفَى عَلَى المَقامِ الطاهرِ^٢
وفضلهِ للطَّالِبِينَ وجسداً
قَدْ حَصَلَ العِلْمَ وحرَّرَ السَّيرِ
في كلِّ فنٍّ ماهرٍ صفه ولا
سيرتهُ جَرَتْ^٣ على نهجِ الهدى

كأَنَّمَا يَنْظُرُ بِالْعِيَانِ
مُنْظُوراً بِأَحْسَنِ المِثَالِ
أشِيرُ في نظامنا لِقَصْدِهِ
مُضْمِناً وَرَبَّنَا المعسِينَ
أَيُّدنا اللهُ لَنَسْجِ ذلكَ
وسالِكُ الأحسنِ من مَسالِكِ
المَقَرِّيِّ الفاضِلِ الشَّهيرِ
«كَعَلِمَ الأشخاصَ لفظاً وهو عم»
«مستوجباً ثنائياً الخميلاً»
«في النظم والنثر الصحيح مثبناً»
«تقرَّبَ الأقصى بلفظٍ موجز»
«وتبسَّطَ البذلَ بوعده مُنْجِز»
«كلامنا لفظاً مفيداً كاستقيم»
«مبدي تأوَّلَ بيلاً تكلِّف»
«كطاهر القلب جميل الظاهر»
«على الذي في رَفَعِه قد عَهِدا»
«وما يَلاَّ أو يَلانَما انحصَرَ»
«يَكُونُ إلّا غاية الذي تَلا»
«ولا يلي إلّا اختياراً أبدا»

١ ورد بمض هذه الأرجوزة في خلاصة الأثر ٤ : ٢٧١ .

٢ خلاصة الأثر : إل المقام الباهر .

٣ خلاصة الأثر : سارت .

وعلمُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُنْكَرُ
 يَقُولُ دَائِمًا بِصَدْرٍ انْشَرَحَ
 يَقُولُ مَرَحِبًا لِقَاصِدِيهِ مَنْ
 صَدَقَ مَقَالَتِي وَكُنْ مُتَّبِعًا
 وَأَنْهَضَ إِلَيْهِ فَهُوَ بِالشَّاهِدَةِ
 وَالزَّمْ جَنَابَهُ وَإِيَّاكَ الْمَلَلُ
 وَأَقْصِدْ جَنَابَهُ تَرَى مَآثِرَهُ
 وَأَنْسِبْ لَهُ فَإِنَّهُ ابْنُ مُعْطِي
 وَاجْهَلُهُ نَصَبَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ وَلَا
 قَدْ طَالَمَا أَفْسَادَ عِلْمَ مَالِكٍ
 وَحَاسِدَ لَهُ وَمُبْغِضَ زَمَنِ
 وَلَيْسَ يَشْفِي مُبْغِضَ لَهُ أَعْلَى
 يَقُولُ عَبْدُ رَبِّهِ مُحَمَّدٌ
 وَهُوَ بِدَهْرِهِ عَظِيمُ الْأَمَلِ
 فَادْعَ لَهُ وَسَادَةَ قَدْ حَضَرُوا
 وَاجْبِرُهُ بِالْأَعْيَانِ عَسَاهُ يَغْتَمُ
 أَنْشَدْتُ فِيكُمْ ذَا وَقَالَ قَائِلُ
 أَدْعُوا لَكُمْ بِالسَّبْرِ فِي كُلِّ زَمَنِ
 مَآثِرَ لَكُمْ كَثِيرَةً سِوَى
 قَدْ أَنْتَهَى تَعْرِيفُ ذَا الْمَعْرِفِ
 لَأَنْتُمْ تَأْجُ الْأَثْمَةِ الْأَوَّلِ
 فَاللَّهُ يَبْقِيَكُمْ لَدِينَا وَكَفَى

«مِمَّا بِهِ عَنْهُ مُبِينًا يُخْبِرُ»
 «اعْرِفْ بَيْنَا فَلَانَا نَلْنَا الْمَنْحَ»
 «يَصِلُ إِلَيْنَا يَسْتَعْنُ بِنَا يُعْنُ»
 «وَلَمْ يَكُنْ تَصْرِيفُهُ مُمْتَنَعًا»
 «الْخَبَرُ الْجَزْءُ الْمَتَّ الْفَائِدَةُ»
 «إِنْ يَسْتَطِلَّ وَصَلْ وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِلَّ»
 «وَاللَّهُ يَقْضِي بِهِاتِ وَافِرَهُ»
 «وَيَقْضِي رَضَى بِغَيْرِ سَخَطٍ»
 «تَعْدِلُ بِهِ فَهُوَ يُضَاهِي الْمَثَلَا»
 «أَحْمَدُ رَبِّي اللَّهُ خَيْرَ مَالِكٍ»
 «وَهَالِكٍ وَمَيِّتَ بِهِ قَمَنُ»
 «عَيْنًا وَفِي مِثْلِ هَرَاوَةِ جَعَلَ»
 «فِي نَحْوِ خَيْرِ الْقَوْلِ لَأَنِّي أَحْمَدُ»
 «مُرَوَّعُ الْقَلْبِ قَلِيلُ الْحَيْلِ»
 «وَأَفْعَلُ أَوْافِقُ نَغْتَبِطُ إِذْ تَشْكُرُ»
 «فَجَرَهُ وَفَتَحَ عَيْنَهُ التَّرَمُ»
 «فِي نَحْوِ نِعَمٍ مَا يَقُولُ الْفَاضِلُ»
 «لَكُونَهُ بِمُضْمَرِ الرِّفْعِ اقْتَرَنُ»
 «مَا مَرَّ فَاَقْبِلْ مِنْهُ مَا عَدَلَ رَوَى»
 «وَذُو تَمَامٍ مَا بِرَفْعٍ يَكْتَفِي»
 «وَمَا بِجَمْعِهِ عُنِيَتْ قَدْ كَمَلُ»
 «مُصَلِّيًّا عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى»

١ خلاصة الأثر : لقاصد ومن .

تَشْرَى عَلَيْهِ دَائِماً منعطفنا « وآلهِ المستكملين الشُّرفا »

ومن ذلك ما كتبه لي بعض الأصحاب ممّن كان يقرأ عليّ بالمغرب^١ ،
وصورته : سيدنا وسيد أهل الإسلام ، حامل راية علوم الأُمّة الأحمدية ،
على صاحبها الصلاة والسلام ، آية الله في المعاني والمعالي ، وحسنة الأيام والليالي ،
وواسطة عقود الجواهر والآلي ، إمام مذهب مالك والأشعري والبخاري ، والواقدي
والخليل ، العلامة القدوة السيد الكبير الشهير بالخليل ، ذو الأخلاق العذبة
المتداق ، والشمال المُفصّصة عن طيب الأصول والأعراق ، كبير زمانه دون
منازع ، وعالم أوانه من غير منكر ولا مدافع ، شيخنا ومعلمنا ومفيدنا وحبيب
قلوبنا مولانا شيخ الشيوخ أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ المغربي التلمساني
نزّيل فاس ثم الديار المصرية ، حفظه الله تعالى في موطن استقراره ، ورفع درجته
بإشادة فخاره على مناره ، عن شوق يودُّ له الكاتب أن لو كان في طي كتابه ،
وتوقّي إلى مشاهدتكم هو الغاية في بابه ، بعد إهداء السلام المحفوظ بأنواع
التحيّات والكرامات والبركات ، الدائم ما دامت في الوجود السكنات والحركات ،
لمقامكم الأكبر ، ومُحفلكم الأشهر ، ومن تعلق بأذيالكم أو كان مستمطراً
لنوالكم ، أو صبّت عليه شآبيب أفضالكم ، من أهل ومحب وصاحب وخديم ،
هذا وإنّه ينهي إلى الوداد القديم ، أن أهل المغرب الأدنى والأقصى حاضرة
وبادية ، كلّهم يتفكّهون بل يتقوتون بذكركم ، ويشتاقون لرؤية وجهكم ،
ويتلذذون بطيب أخباركم ، وإن كان المغرب الآن في تفاقم أحوال ، وتراكم
أهوال ، في الغاية مدائن وبوادي ، لا سيما مدينة فاس فلئنّها في شر عظيم ،
وأمرها مولاي عبد الملك مات في السنة السابعة والثلاثين بل في ذي الحجة

١ اسم هذا الكاتب كما يتبين من خاتمة الرسالة « علي بن عبد الواحد الأنصاري » (ت : ١٠٥٤ هـ)
وكان فقيهاً محدثاً وله مؤلفات كثيرة ، استوطن الجزائر آخر عمره وفيها توفي (انظر ترجمته
في صفوة من انتشر للأفريقي ص : ١٣٥ ط . فاس وكتاب الزاوية الدلائية : ١٢٦) .

قبلها ؛ وفي المحرم من سنة سبع وثلاثين ، توفي ملك المغرب السلطان أبو المعالي زيدان^١ وبويع من بعده ابنه مولاي عبد الملك ، وتقاتل مع أخويه الأميرين الوليد وأحمد وهزمهما ، وإلى الله عاقبة الأمور . وأهل داركم بفاس بخير وعافية ، ونعم ضافية ، سوى ما أدركهم من طول الغيبة ، نسأل الله تعالى أن يملأ بقدمكم العيبة ، ومحبتكم الأكبر ، ووليكم الأصغر ، سيد أهل المغرب اليوم وشيخ الطريقة ، والمربي في سلوك أهل الحقيقة ، العارف بالله الشيخ الرباني ، ذو المقامات والكرامات سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي^٢ ، يُحْيِيكُمْ^٣ ويعظم قدركم ، ولسانه لكم ذاكر ناشر شاكر ، وهو على خير ، وقد اجتمعت عليّ من بركتكم في مدينة سلا جماعة من طلاب العلم وفتح الله تعالى عليّ بتأليف عديدة منها « كفاية الطالب النبيل في حل ألفاظ مختصر خليل » ومنها « شرح على المنهج المنتخب » للزقاق في قواعد مالك ، ومنظومة في أكثر من ألف بيت في السير والشمائل ، ومنها في رجال البخاري ولا كنسخ^٤ الكلاباذي ، ومنها خطب ، وغير ذلك ، والكل من بركتكم ، ونسبته إليكم في صحيفتكم ،

١ بويع أبو المعالي زيدان بن أحمد المنصور بعد وفاة والده سنة ١١١٢ ، وفي عهده جلا بقية من كان من العرب بالأندلس (سنة ١٠١٦) ؛ وقد خاض أبو المعالي حروباً كثيرة ضد الطامعين المحليين في كل من مراكش وفاس وضد الإسبان (راجع الاستقصا ٦ : ٣ - ٧٢) ؛ وقد بويع ابنه عبد الملك بعد وفاته سنة ١٠٣٧ في شهر المحرم ، فثار عليه أخواه الوليد وأحمد فوَقَعَت بينه وبينهما معارك وحروب إلى أن هزمهما واستولى على ما كان بينهما من المدة والذخيرة ، وقد كان عبد الملك فاسد السيرة ، قتله الملوج بمراكش سنة ١٠٤٠ (المصدر نفسه ٧٢ - ٧٨) .

٢ نسبة إلى زاوية الدلاء ، وهي زاوية أسسها أبو بكر ابن محمد المجاطي ، وكان لها دور كبير في تاريخ المغرب سياسياً ودينيّاً وعلمياً ، وقد وضح هذا الدور الأستاذ محمد حجي في كتابه : « الزاوية الدلائية » - الرباط : ١٩٦٤ ؛ ومحمد بن أبي بكر المذكور هنا هو من أعظم شيوخها ، وكان عالماً في التفسير والحديث والكلام (انظر الاستقصا ٦ : ٩٦ والزاوية الدلائية : ٧٦) وقد كان للمقري علاقة وثيقة بالزاوية الدلائية إذ أنه أقام مدة فيها ودرس الحديث على محمد بن أبي بكر .

٣ ق : يحبكم .

٤ كذا في ق ؛ وفي نسخ أخرى « كنسخ » .

والسلام من ولدكم المقر بفضلكم تراب نعالكم علي بن عبد الواحد الأنصاري ،
لطف الله تعالى به ، وحامله كبير كبراء قومه ممن يحبكم ويعرفكم ، وما تفعلوا
معه من خير فلن تُكفروهُ ، والسلام ، انتهى .

ومنها كتاب وافاني من علم قسطنطين وصالحها وكبيرها ومفتيها سلالة العلماء
الأكابر ، ووارث المجد كابرأ عن كابر ، المؤلف العلامة سيدي الشيخ عبد
الكريم الفكون^١ حفظه الله ، نصبه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على من أنزل عليه في القرآن ﴿ وَإِنَّكَ
لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : ٥) وآله وصحبه وسلّم أفضل التسليم ، من
مُدنس الإزار ، المتسربل بسراويل الخطايا والأوزار ، الراجي للتنصّل منه
رحمة العزيز الغفار ، عبد الله - سبحانه - ، عبد الكريم بن محمد الفكون ،
أصلح الله بالقوى حاله ، وبلغه من متابعة السنّة النبوية^٢ آماله ، إلى الشيخ الشهير ،
الصلبر النحرير ، ذي الفهم الثاقب والحفظ الغزير ، الأُحِبّ في الله المؤاخى من
أجله سيدي أبي العباس أحمد المقرّي ، أحمد الله عاقبتى وعاقبتى ، وأسبل على
الجميع عافيته ، أمّا بعد فلنّني أحمد الله إليك ، وأصلّني على نبيه سيدنا محمد ،
صلى الله عليه وسلّم ، ولا أريد إلا صالح الدعاء وطلبه منكم ، فلنّني أحوّجُ
الناس إليه ، وأشدهم في ظنّي إلحاحاً عليه ، لما تحققت من أحوال نفسي الأمّارة ،
واستبطنت من دخيلاتها المثابرة على حبّ الدنيا الغرّارة ، كأنّها عميت عن
الأهوال ، التي أشابت رؤوس الأطفال ، وقطعت أجنّاق كُمل الرجال ، فتراها في
بلحج هواها خائضة ، وفي ميّدان شهواتها راكضة ، طغت في غيها وما لانت ،
وجمّحت فما انقادت ولا استقامت ، فويلي ثمّ ويلي من يومٍ تبرز فيه

١ هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القسطيني (١٠٧٣ -) له مؤلفات كثيرة منها
« محمد السنان في تحور إخوان الدخان » (راجع ترجمته في صفوة من انشر ورحلة الهاشمي ،
واليواقيت الثمينة ١ : ٢٣٢) .
٢ ق : المصطفية .

القبائح ، وتنشر الفضائح ، ومُنَادِي العدل قائم بين العالمين ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء : ٤٧) ، فالله أسأل حسن الإلطاف ، والستر صمًا ارتكبناه من التعدّي والإسراف ، وأن يجعلنا من أهل الحمى العظيم ، وممن يُحْبِشَر تحت لواء خلاصته الكريم ، سيدنا ومولانا وشفيقنا النبي الرؤوف الرحيم ، ولنكفّ من القلم عنائه ، لما أرجو من أجله ثواب الله سبحانه ، وقدم اتصل بيدي جوابكم ، أطال الله في العلم^١ بقاءكم ، فرأيت من عذوبة ألفاظكم ، وبلاغة خطابكم ، ما يذهل من العلماء فحولها ، وينيلها لدى الخلق لسماعه سؤلها ، ومأمولها ، بيد ما فيه من أوصاف من أمره قاصر ، وعن الطاعة والاجتهاد فاتر ، وأصدق قول فيه عند مخبره ومُراه « أن تسمع بالمُعَيَّنِدي خير من أن تراه »^٢ لكن يجازيكم المولى بحسن النية ، البلوغ في بحوثة الحينان غابة الأمنية ، وقد ذيلتم ذلك بأبيات أنا أقلّ من أن أوصفَ بمثلها ، على أنني غير قائم بفرضها وتقبلها ، فالله تعالى يُسَيِّدُكم بمعونته ، ويجعلكم من أهل مناجاته في حضرته ، ويسقينا من كاسات القرب ما نتمتع منه بلذيد مُنَادِمته ، وقد ساعد البنان الحنان ، في إجابتكم بوزنها وقافيتها ، والمُدرُّ لي أنني لست من أهل هذا الشأن ، والاعتراف بأنني جبان وأيُّ جبان ، والكمال لكم في الرضي والقبول ، والكريم يُغْنِي عن عَوْرَات الأحمق الجتهول ، وظننا حقيقه الله تعالى أن نجعل على منظومتكم الكلامية يعني « إضاءة الدجئة »^٣ تقييداً ، أرجو من الله توفيقاً وتسديداً ، بحسب قدرتي لا على قدركم ، وعلى مثل فكري القاصر لا على عظيم فكريكم ، وإن ساعد الأوان ، وقضى بتيسيره ربُّ الزمان ، فأني به إن شاء

١ ق : في التعلم .

٢ من الأمثال ؛ وكان الكسائي يدخل فيه « أن » والعادة لا تذكرها فيه ، وقال البكري حذف « أن » من المثل أشهر عند العلماء ؛ يضرب في الرجل تكون له نباهة ولا منظر عنده (فصل المقال ؛

١٢١٠ وأمثال الضبي ٨ - ٩ والميداني ١ : ٨٦ والسكري ١ : ١٨٦ والفاخر ٥٣١) .

٣ هي « إضاءة الدجئة بمقائد أهل السنة » وهي منظومة للمقري ألفها ودرسها في الهجاز والشام وانتسخت منها في حياته نسخ كثيرة ؛ طبعت بمصر سنة ١٣٠٤ بهامش شرح عليش حل العقيدة السنية .

الله ، الآجل^١ معي ، لأنني بالأشواق ، إلى حضرة راكب البراق ، ومخترق
 السبع الطباق . وكنت عازماً على أن أبعث لكم من الأبيات أكثر من الواقع ،
 إلا أن الرفقة أعجلت ، وصادفتني أيام موت قعيدة البيت ، فلم يتيسر عاجلاً
 إلا ما ذكر وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل :

يا نُخْبَةَ الدَّهْرِ فِي الدَّرَايَةِ	عِلْماً تُعَاوِدُهُ ^٢ الرُّوَايَةِ
لَا زِلْتَ بِحَرّاً بِكُلِّ فَنٍّ	يُرْوِي بِهِ الطَّالِبُونَ غَايَةَ
لَقَدْ تَصَدَّرْتَ فِي الْمَعَالِي	كَمَا تَعَالَيْتَ فِي الْعَنَائَةِ
مَنْ فِيكَ تَسْتَنْظِمُ الْمَعَانِي	بُلُغْتَ فِي حُسْنِهَا النِّهَايَةَ
رَقَاكَ مَوْلَاكَ كُلَّ مَرَقَى	تَحْوِي بِهِ الْقُرْبَ وَالْوَلَايَةَ
أَعْجُوبَةُ مَا لَهَا نَظِيرٌ	فِي الْحِفْظِ وَالْفَهْمِ وَالْهُدَايَةِ
يَا أَحْمَدُ الْمُفْتَرِي دَامَتْ	بُشْرَاكَ تَصْحَبُهَا الرِّعَايَةُ ^٣
بِحَاثِ خَيْرِ الْعِبَادِ طُرّاً	وَالْآلِ وَالصَّحْبِ وَالنُّقَايَةِ
صَلَّيْ عَلَيْهِ الْإِلَهُ تَتَرَى	نُكْفَى بِهَا الشَّرَّ وَالْغَوَايَةِ

وأختم كتابي بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
 وكتب بغاية عجلة ، يوم السبت سابع أو ثامن رجب ، من عام ثمانية وثلاثين
 وألف للهجرة على صاحبها الصلاة والسلام ؛ انتهى ..
 والمذكور عالم المغرب الأوسط غير مدافع ، وله سلف علماء ذوو شهرة ،
 ولهم في الأدب الباع المديد ، غير أن المذكور مائل إلى التصوف ، ونعم ما فعل ،
 تقبّل الله تعالى عملي وعمله ، وبلغ كلاً منا أمله ؛ ولأشهر أسلافه العلامة الشيخ

١ يريد : العام الآجل .

٢ لا يتفق الشطران في الوزن .

٣ خرج في الشطر الثاني من وزن سائر الأبيات .

حسن بن علي بن عمر الفكون القسطنطيني أحد أشياخ العبدري^١ صاحب الرحلة قصيدة مشهورة عند العلماء بالمغرب ، وهي من درّ النظام ، وحرّ الكلام ، وقد ضمّنها ذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسطنطينة إلى مراكش ، وأولها :

ألا قُلْ للسَّريِّ ابنِ السَّريِّ أبي البدرِ الجوادِ الأريحي^٢

ومنها :

وكنْتُ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ طُرّاً	سوى زَيْدٍ وعَمْرٍو غَيْرَ شَيْءٍ
فَلَمَّا جِئْتُ مَيْلَةَ ^٣ خَيْرِ دَارٍ	أَمَلْتُني بِكُلِّ رِشَا أَبِي
وَكَمْ أَوْرَتْ ظَبَاءَ بَنِي وَرَارٍ	أَوَّارَ الشَّوْقِ بِالرِّيقِ الشَّهِي
وَجِئْتُ بِجَايَةٍ فَجَعَلْتُ بِدَوْرًا	يَضِيقُ بِوصفِها حَرْفُ الرَّوِي
وَفِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ هَامَ قَلْبِي	بِمَعْسُولِ المَرَاشِفِ كَوَثَرِي
وَفِي مِلْيَانَةٍ قَدْتُ شَوْقًا	بِلَيْنِ العِطْفِ وَالْقَلْبِ الْقَسِي
وَفِي تَنْسَرٍ نَسِيتُ جَمِيلَ صَبْرِي	وَهِمْتُ بِكُلِّ ذِي وَجْهِ وَضِي
وَفِي مَازُونَةٍ مَا زِلْتُ صَبًّا	بِوَسْنَانِ المَحَاجِرِ لَوْذَعِي
وَفِي وَهْرَانٍ قَدْ أَمْسِيتُ رَهْنًا	بِظَامِي الخَصْرِ ذِي رَدْفٍ رَوِي
وَأَبَدْتُ لِي تِلْمِيسَانَ ^٤ بِدَوْرًا	جَلَبَنَ الشَّوْقَ لِلْقَلْبِ الْخَلِي

١ وهم المقرئ هنا إذ أن العبدري لما حل بمدينة قسنطينة سأل من لقيه (وهو الحسن بن بلقاسم ابن باديس) عن الأديب أبي علي حسن بن علي بن عمر القسطنطيني المعروف بابن الفكون فذكر ابن بلقاسم أنه أدرك الفكون وهو طفل صغير ولكنه لا يحفظ عام ولادته أو وفاته . قال العبدري : ورمت أن أجده من يروي عنه قصيدته المشهورة في رحلته من قسنطينة إلى مراكش فلم أجده ، فقيدتها هناك غير مروية وكان القسطنطيني كتب بها إلى أبي البدر ابن مردنيش (رحلة العبدري : ٣٠ وأثبت القصيدة هناك ص ٣١ - ٣٢) وقد غارض العبدري هذه القصيدة بقصيدة أثبتها في آخر رحلته .

٢ هو أبو البدر ابن مردنيش ، كما في التعليق السابق .

٣ في قودوزي : بيلة ، والتصويب عن الرحلة .

ولما جئتُ وَجْدَةً هِمْتُ وَجْداً
وَحَلَّ رِشَا الرِّبَاطِ رِشَا رَبَاطِي
وَأَطْلَعَ قَطْرُ فَاسٍ لِي شَمُوساً
وَمَا مَكْنَسَةٌ إِلَّا كَنَاسٌ
وَلِنْ تَسْأَلِ عَمَّنْ أَرْضِ سَلَا فُفِيهَا
وَفِي مَرَاكِبِي يَا وَبِحَ قَلْبِي
بَنُورٍ بَلْ شَمُوسٍ بَلْ صَبَاحٍ
أَبْحَنَ مِصَارِعَ الْعِشَاقِ لَمَّا
بَقَامَةُ كُلِّ أَسْمَرٍ سَمْهَرِي
إِذَا أَنْتَيْنِي حُسْنًا فَلَانِي
فَهَا أَنَا قَدْ تَخَذْتُ الْغَرْبَ دَاراً
عَلَى أَنْ أَشْتِيَاقِي نَحْوَ زَيْدٍ
تَقْسَمُنِي الْهَوَى شَرْقاً وَغَرْباً
فَلِي قَلْبٌ بِأَرْضِ الشَّرْقِ عَانَ
فَهَذَا بِالْغُلْدُوِّ يَهِيمُ غَرْباً
فَلَوْلَا اللَّهُ مَتَّ هَوَايَ وَشَوْقاً
بِمَنْخَثِ الْمَعَاطِفِ مَعْنَوِي^١
وَتَيْمَنِي بِطَرْفِ بَابِلِي
مَغَارِبُهُنَّ فِي قَلْبِ الشَّجِي
لَأَحْوَى الطَّرْفِ ذِي حُسْنٍ سَنِي
ظِلَاءَ كَاسِرَاتٍ لِلْكَمِّي
أَتَيْتُ الْوَادِي فَطَمَّ عَلَى الْقَرِي
بَهِي فِي بَهِي فِي بَهِي
سَعَيْنَ بِهِ فِكْمَ مَيْتٍ وَحِي
وَمَقْلَةً كُلَّ أَبْيَضٍ مَشْرِفِي
أَنْتَيْهِمْ هَوَى غَيْلَانٍ مَيَّ
وَأَدْعَى الْيَوْمَ بِالْمَرَاكِبِي
كَشُوقِكَ نَحْوَ عَمْرٍو بِالسُّوِي
فَيَا لِلْمَشْرِقِي الْمَغْرِبِي
وَجِسْمٌ حَلَّ بِالْغَرْبِ الْقَصِي
وَذَاكَ يَهِيمُ شَرْقاً بِالْعِشِي
وَكَمَّ اللَّهُ مِنْ لَطْفٍ خَفِي

وقد خرجنا بالاستطراد إلى الطول ، وذلك منّا استرسال مع جاذب
الأدب ، فلنمسك العنان ، والله المستعان

وبما عددناه من القصائد والمقطوعات في مدح دمشق الشام فهو غيظ من
غيظ ، وفي نيتي أن أجمع في ذلك كتاباً حافلاً أسميه « نشق عرّف دمشق »

١ قال المهدري في تعليقه على هذا البيت : « قوله معنوي بعد منخث المعاطف . . . لقد استرقت به
حتى ظننت أنه مصحف ، ولا أتبرأ فيه من تصحيف » .

أو « منشق قلم المدح للدمشق »^١ ولسان حالي الآن ينشد قول بعض الأكابر :

نحن في مصرَ رَهْنٌ شوقٍ إليكم هل لديكم بالشامِ شوقٌ إلينا
فعبجنا عن أن ترونا لديكم وأبيتم عن أن نراكم لدينا
حفظ الله عهدَ مَنْ حفظَ العهد لمَ ووفى به كما قد وفينا

وقول ابن الصائغ

وددت لو أن عيني مكانَ كتبي إليكم
حتى أراكم وأملئ أخبارَ شوقي عليكم

رجع إلى ابن جبير رحمه الله تعالى :

ومن شعره قوله :

إيتاك والشهرة في متلبس والبس من الأثواب أسماها
تواضع الإنسان في نفسه أشرف للنفس وأسمى لها

وقال :

تنزَّه عن العوراء مَهْمَا سَمِعْتَهَا صيانةً لنفسٍ فهو بالحرِّ أشبه
إذا أنت جاوبت السفيه مشاماً فمن يتلقى الشتم بالشم أسفه

وقال :

أقول وقد حان الوداعُ وأسلمت قلوبٌ إلى حكم الأسي ومدامعُ :
أيا رب أهلي في يديك وديعة وما عدمت صوناً لديك الودائعُ

١ ذكره المحبِّي بين مؤلفاته وسماه « عرف النشق في أخبار دمشق » مما قد يدل على أنه حقق نيته وقام بتأليفه .

وقال أبو عبد الله ابن الحاج المعروف بمُذْغَلَيْس^١ صاحب الموشحات
يمدح ابن جبير المذكور :

لأبي الحسين مكارم^٢ لو أنها عُدَّتْ لما فرغتْ ليوم المحشر
ولهُ عليّ فضائل^٣ قد قصّرت عن بعض نِعَمِها عظامُ الأبحر

وقال ابن جبير من قصيدة مطلعها^٤ :

يا وفودَ الله فزتم بالمتى فهتينا لكم أهلَ ميني
قد عرّفنا عرفاتٍ بعدكم^٥ فلهذا برّح الشوق بنا
نحنُ في الغربِ ويجري ذكركم بغروبِ الدمعِ يجري هتنا

ومنها :

فيتأديه على شحطِ النوى من لنا يوماً بقلبٍ ملّنا
سر بنا يا حاديَ الركبِ^٦ عسى أن نلاقى يومَ جمعِ سربنا
ما دعا^٧ داعي النوى لما دعا غيرَ صبّ شفته برّح العنا
شيم لنا البرق إذا لاح^٨ وقل جمعَ الله بجمع شملنا

١ هو أبو عبد الله أحمد بن الحاج الزجال عاش في دولة الموحدين ويمد خليفة ابن قزمان في الزجل
(انظر المغرب ٢ : ٢١٤ ، ٢٢٠ ، والمائل الحالي : ١٨ - ٢٦ وسيأتي ذكره في النفع) .

٢ انظر هذه القصيدة في الذيل والتكملة ٥ : ٦١٤ وبمضها في المغرب ٢ : ٣٨٥ ومقدمة
الرحلة : ١٨ .

٣ الذيل : معكم .

٤ الذيل :

نحن بالمغرب نجري ذكركم فغروب الدمع يجري هتنا

٥ في النفع المطبوع : فقلت ، والتصويب عن الذيل والتكملة .

٦ الذيل : حادي العيس .

٧ الذيل : ما عى .

٨ الذيل : إذا هب .

عَلَّنَا نَلْقَى خِيَالًا مِنْكُمْ بِلَذِيذِ الذِّكْرِ وَهَنَا عَلَّنَا^١
 لَوْ حَتَا الدَّهْرُ عَلَيْنَا لَقَضَى بِاجْتِمَاعِ بِكُمْ بِالْمُنْحَى
 لَاحَ بَرْقٌ مَوْهِنًا مِنْ نَحْوِكُمْ فَلَعَمْرِي مَا هَتَا الْعَيْشُ هُنَا
 أَنْتُمْ الْأَحْيَابُ نَشْكُو بُعْدَكُمْ هَلْ شَكُوتُمْ بُعْدَنَا مِنْ بَعْدِنَا

وله رحمه الله تعالى من قصيدة مطوّلة أولها :

لَعَلَّ بِشِيرَ الرِّضَى وَالْقَبُولِ يُعْتَلُّ بِالْوَصْلِ قَلْبَ الْخَلِيلِ

وله أخرى أنشدها عند استقباله المدينة المشرفة ، على صاحبها الصلاة وآتم
 السلام ، وهي ثلاثة وثلاثون بيتاً من الغر ، أولها^٢ :

أَقُولُ وَأَتَسْتُ بِاللَّيْلِ نَارًا لَعَلَّ سِرَاجَ الْهُدَى قَدُ أَنْارَا
 وَإِلَّا فَمَا بَالُ أَفْتَقِ الدُّجَى كَانَ سَنَا الْبَرْقِ فِيهِ اسْتَطَارَا
 وَنَحْنُ مِنَ اللَّيْلِ فِي حِنْدِسٍ فَمَا بَالُهُ قَدُ تَجَلَّى نَهَارَا

وكان أبو الحسين ابن جُبَيْر المترجم به قد نال بالأدب دنيا عريضة ، ثم
 رَفَضَهَا وَزَهَدَ فِيهَا .

وقال صاحب « الملتبس » في حقه : الفقيه الكاتب أبو الحسين ابن جُبَيْر ،
 مِمَّنْ لَقِيْتَهُ وَجَالَسْتَهُ كَثِيرًا وَرَوَيْتَ عَنْهُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ شَاطِئَةِ ، وَكَانَ أَبُوهُ أَبُو
 جَعْفَرٍ مِنْ كُتَّابِهَا وَرُؤَسَائِهَا ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْيَسَّعِ فِي تَارِيخِهِ ، وَنَشَأَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلَى
 طَرِيقَةِ أَبِيهِ ، وَتَوَلَّعَ بَغْرَنَاطَةَ ، فَسَكَنَ بِهَا ، قَالَ : وَمِمَّا أَنْشَدْنِيهِ لِنَفْسِهِ قَوْلُهُ
 يُخَاطَبُ أَبَا عِمْرَانَ الزَّاهِدَ بِإِشْبِيلِيَةِ :

أَبَا عِمْرَانَ قَدُ خَلَفْتُ قَلْبِي لَدَيْكَ وَأَنْتَ أَهْلٌ لِلْوَدِيعَةِ

١ هذا البيت وما يليه من أبيات لم ترد في الدليل والتكملة .

٢ وردت هذه القصيدة في الدليل والتكملة ٥ : ٦٠٢ والإحاطة ٢ : ١٧١ .

صَحَبْتُ بِكَ الزَّمانَ أَنَا وفاءُ فَمَها هُوَ قَدَ تَنَمَّرَ لِقَطيعِهِ .

قال : وكان من أهل المروءات ، عاشقاً في قضاء الخواج ، والسمي في حقوق
الإخوان ، والمبادرة لإيناس الغرباء ، وفي ذلك يقول :

يَحسِبُ الناسُ بَأَنِّي مُتَعَبٌ في الشَّفاعاتِ وتكليف الورى
والذي يُشعِبُهُمْ مِن ذاكَ لي راحةٌ في غيرها لن أَفْكيراً
وهُودَي لو أَقْضَى العَمَرَ في خِدمةِ الطَّلَّابِ حتَّى في الكرى

قال : ومن أبدع ما أنشده رحمه الله تعالى أول رحلته :

طالَ شوقي إلى بِنِقاغٍ ثلاثٍ لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلّا لَئِبْها
إنَّ لِلنَّفْسِ في سِماءِ الأمانِ طائراً لا يَحومُ إلّا عَلَئِها
قُصٌّ مِنْه الجِناحُ فهو مَهَيَّضٌ كلَّ يومٍ يَرجو الوقوعَ لَدَئِها

وقال :

إذا بَلَغَ العَبْدُ أرضَ الحِجازِ فَقَدَ نالَ أَفْضَلَ ما أُمُّ لَهْ
فإنَّ زائرَ قَبْرِ نَبِيِّ الهُدَى فَقَدَ أَكَلَ اللهَ ما أَمَلَه

وعاد رحمه الله تعالى إلى الأندلس بعد رحلته الأولى التي حل فيها دمشق
والموصل وبغداد ، وركب إلى المغرب من عكا مع الإفرنج ، فعطب في خليج
صقلية الضيق ، وقامى شذائده إلى أن وصل الأندلس سنة ٥٨١ ، ثم أعاد السير
إلى المشرق بعد مدة إلى أن مات بالإسكندرية كما تقدم .

ومن شعره أيضاً :

لي صديقٌ خَسِرْتُ فيه ودادي حينَ صارتَ سلامتي مِنْه رِبحاً

١ البيتان في الإحاطة ٢ : ١٧٢ والدليل والتكملة ٥ : ٦٠٤ .

حَسَنُ الْقَوْلِ سَيِّئُ الْفَعْلِ كَالْحِ زَارِ سَمَى وَأَتْبَعَ الْقَوْلَ ذَبْحَا

وحدث رحمه الله تعالى بكتاب « الشفاء » عن أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي عن القاضي عياض ، ولما قدم مصر سمع منه الحفاظان أبو محمد المنذري وأبو الحسين يحيى بن علي القرشي .
وتوفي ابن جبير بالإسكندرية يوم الأربعاء السابع والعشرين من شعبان سنة ٦١٤ ، والدعاء عند قبره مستجاب ، قاله ابن الرقيق رحمه الله تعالى وقال ابن الرقيق : في السنة بعدها .

وقال أبو الربيع ابن سالم : أنشدني أبو محمد عبد الله بن التميمي البجائي ، ويُعرف بابن الخطيب ، لأبي الحسين ابن جبير ، وقال : وهو مما كتب به لي من الديار المصرية في رحلته الأخيرة لما بلغه ولايتي قضاء سبتة ، وكان أبو الحسين سكنها قبل ذلك ، وتوفيت هنالك زوجته بنت أبي جعفر الوقشي^١ فدفنها بها :

بسبتة لي سكن في الثرى . وخيل كريم إليها أتى
فلو أستطيع ركبت هوا فزرت بها الحى والميتا .

وأنشد ابن جبير رحمه الله تعالى لنفسه عند صدوره عن الرحلة الأولى إلى غرناطة ، أو في طريقها ، قوله^٢

لي نحو أرض المنى من شرق أندلس شوق يولف بين الماء والقبتس
إلى آخرها .

١ هي عائكة المصوة بأم المجد ووالدها هو الوزير الحبيب أحمد بن عبد الرحمن الوقشي ، وكانت وفاتها يوم السبت لشر خلون من شعبان سنة ٦٠١ بعد زمانة طاولتها مدة ؛ وقد قام ابن جبير برحلته الثالثة بعد وفاتها ، فوصل مكة سنة ٦٠٢ وجاور هنالك طويلا .
٢ قال هذه القصيدة لما قفل من رحلته الأولى ولاحت له وهو على ظهر البحر جبال دانية ، انظر الذيل والتكملة : ٦٠٤ .

ومن شعره قوله :

يا خَيْرَ مولى دعاه عبيدٌ
هَبْ لي ما قد علمت مني
أَعْمَلْ في الباطلِ اجتهادَه
يا عالمَ الغيبِ والشهادة

وقال رحمه الله تعالى :

وإني لأوثر منْ أصفني
وأهوى الزيارة ممنْ أحبُّ
وأغضي على زلّةِ العائرِ
لأعتقدَ الفضلَ للزائرِ

وقال رحمه الله تعالى :

عجبتُ للمرءِ في دنياه تُطْمِعه
يُمنّي ويُصبحُ في عشواءٍ يخطها
يَغترُّ بالدهرِ مسروراً بصحبته
ويجمعُ المالَ حرصاً لا يفارقه
تراه يُشفيقُ من تضييعِ درهمه
وأسوأ الناسِ تدبيراً لعاقبه
في العيشِ والأجلِ المحتومِ يقطعُه
أعمى البصيرةِ والآمالِ تخدعه
وقدْ تيقنَ أنَّ الدهرَ يصرعه
وقد درى أنه للغيرِ يجمعه
وليس يُشفيقُ من دينٍ يضيّعه
منْ أنفقَ العمرَ فيما ليس ينفعه

وقال :

صبرتُ على غدرِ الزمانِ وحقدِه
وجربتُ إخوانَ الزمانِ فلم أجِدْ
وكمْ صاحبٍ عاشرتهُ وألفتهُ
وكمْ غرّني تحسینُ ظنّي به فلم
وأغربُ من عشقاءِ في الدهرِ مغرِبِ
بنفسكِ صادمٌ كلَّ أمرٍ تريدةُ
وعزَمكَ جرْدُ عند كلِّ مهمّةٍ
وشاب لي السمُّ الزُّعافَ بشهدهِ
صديقاً جميلَ الغيبِ في حالِ بُعدهِ
فما دام لي يوماً على حُسْنِ عهدِه
يضيء لي على طولِ اقتداحي لزندِه
أخو ثقةٍ يسقيك صافي ودّه
فليس مضاء السيفِ إلا بحدّه
فما نافعُ مكثُ الحسامِ بغيرِ مندهِ

وشاهدتُ في الأسفارِ كلَّ عجيبةٍ فلم أرَ مَنْ قد نالَ جَدًّا بجِدِّه
فكن ذا اقتصادٍ في أموركِ كُلِّها فأحسنُ أحوالِ الفتى حُسْنَ قِصْدِه
وما يُحرِّمُ الإنسانُ رزقاً لعجزه كما لا ينالُ الرزقَ يوماً بكده
حُظوظُ الفتى من شقوةٍ وسعادةٍ جرتْ بقضاءٍ لا سبيلَ لردِّه

وقال :

الناسُ مثلُ ظروفٍ حَشَوُها صَبْرٌ وفوقَ أفواها شيءٌ من العسلِ
تَغَرُّ ذائقُها حتى إذا كُشِفَتْ لهُ تبيَّنَ ما تحويه من دَخلِ

وقال :

تَغَيَّرَ إِخْوَانُ هذا الزمانِ وكلُّ صديقٍ عَرَّاهُ الخللُ
وكانوا قديماً على صحَّةٍ فقد داخَلَتْهُمْ حروفُ العللِ
قضيتُ التعجبَ من أمرهم فصرتُ أطلعُ بابَ البدلِ

وقد تقدم بيتان من هذه الثلاثة على وجه آخر أوّل ترجمة المذكور ،
ورأيت بخط ابن سعيد البيتين على وجه آخر ، وهو قوله :

تَكَلِّتُ أَخِلَاءَ هذا الزمانِ فعنديّ ممّا جَنَوُه خَلَلُ
قضيتُ التعجبَ من شأنهم فصرتُ أطلعُ بابَ البدلِ

ولابن جبير رحمه الله تعالى ١ :

مِنْ اللهِ فاسألْ كلَّ أمرٍ تريدهُ فما يملكُ الإنسانُ نفعا ولا ضرا
ولا تتواضعْ للولاءِ فإنَّهم من الكبيرِ في حالٍ تموجُ بهم سُكرا

١ انظر ص : ٣٨٤ من هذا الجزء .

٢ الأبيات في الدليل والتكملة ه : ٦١٣ .

وإياك أن ترضى بتقيل راحة فقد قيل عنها إنها السجدة الصغرى

وهو نحو قول القائل

أيتها المستطيل بالبنى أقصر ربما طأطأ الزمان الرءوسا
وتدكر قول الإله تعالى ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾

وقال ، وقد شهد العيد بطنندة من قرى مصر :

شهدنا صلاة العيد في أرض غربية بأحوال مصر والأحبة قد بانوا
فقلت لخلي في النوى جلد بمدمع فليس لنا إلا المدامع قربان

وقال :

قد أحدث الناس أمورا فلا تعمل بها إنني امرؤ ناصح
فما جماع الخير إلا الذي كان عليه السلف الصالح

وقال :

رب إن لم تؤنني سعة فاطور عني فضلة العمر
لا أحب البث في زمن حاجتي فيه إلى البشر
فهم كسر المنجبر ما هم جبر المنكسر

ولما وصل ابن جبير ، رحمه الله تعالى ، إلى مكة في ١٢ ربيع الآخر
سنة ٥٧٩ أنشد قصيدته التي أولها :

بلغت المنى وحللت الحرم فعاد شبابك بعد الحرم

١ أنفردت إحدى النسخ بإيراد ما يلي بعد كلمة « القائل » :

قل لنصر والمرء في دولة السلطان أعصى ما دام يدعى أميراً
فإذا زالت الولاية عنه واستوى بالرجال عاد بصيرا
وقال ابن جبير رحمه الله تعالى : أيها المستطيل . . . إلخ البيتين .

فأهلاً بمكة أهلاً بها وشكراً لمن شكره يلتزم
وهي طويلة ، وسيأتي بعضها :

وقال رحمه الله تعالى عند تحريره للرحلة الحجازية :

أقولُ وقد دعا للخير داعٍ جننتُ له حنينَ المستهامِ
حرامٌ أن يلدَّ لي اغتماضٌ ولم أرحلْ إلى البيتِ الحرامِ
ولا طافستُ بي الآمالُ إن لم أطفَ بما بينَ زمزمَ والمقامِ
ولا طابتْ حياةٌ لي إذا لم أزرَ في طيبةٍ خيرَ الأنامِ
وأهديه السلامَ وأقتضيه رَحْمَى يُدني إلى دارِ السلامِ

وقال :

هنيئاً لمن حجَّ بيتَ الهدى وحطَّ عن النفسِ أوزارها
وإنَّ السعادةَ مضمونةٌ لمن حجَّ طيبةً أو زارها

ولنختم ترجمته بقوله :

أحبُّ النبيَّ المصطفى وابنَ عمِّه عليّاً وسيِّطيه وفاطمةَ الزهراء
همُ أهلُ بيتٍ أذهبَ الرجسُ عنهم وأطلعهم أفقُ الهدى أنجماً زهراً
مُؤلاتهم فرضٌ على كلِّ مسلمٍ وحبُّهم أسنى الدخائر للأخرى
وما أنا للصَّحْبِ الكرامِ بمغضٍ فلأني أرى البغضاءَ في حقِّهم كفراً
همُ جاهدوا في اللهِ حقَّ جهاده وهم نصروا دينَ الهدى بالظُّبى نصراً
عليهمُ سلامُ اللهِ ما دامَ ذكْرهمُ لدي الملائِ الأعلى وأكرِمُ به ذكراً

وقوله في آخر الميمية :

نبيُّ شفاعتهُ عصمةٌ فيومَ التنادي به يُعْتَصَمُ

١ البيتان في الدليل والتكملة ٥ : ٦٠٤ والإحاطة ٢ : ١٧٢ .

عسى أن تُجَابَ لنا دعوة^١ لديه فنُكفَى بها ما أهم
ويترعى لزواره في غدٍ ذماماً فما زال يترعى الذمم
عليه السلام ، وطوبى لمن ألمَّ بسترِبته فاستله
أخي كم نتابع أهواءنا ونخبطُ عشواءها في الظلم
رؤيدك جرّت قعجٍ واقتصد^٢ أمامك نهجُ الطريق الأعم
وتُب قبل عض بنان الأسي ومن قبل قرعك سين الند

ومنها :

وقل ربّ هبّ رحمة في غدٍ لعبدي بسيماء العُصاة اتّسم
جرى في مبادي عصيانهِ مسيئاً ودان بكفر النعم
فيا ربّ صفحك عما جنى وياربّ عقوبك عما اجترم

١٨٠ - ومن الراحلين إلى المشرق من الأندلس الأديب أبو عا
عيشون . قال الفتح^١ : رجل حلّ المشيدات والبلاقع ، وحكى السرير
والواقع ، واستدرّ خيلقي البؤس والنعيم ، وقعد مقعد البائس والز
فأونة في سماط ، وأخرى بين درائك وأنماط ، ويوماً في ناووس^٢ ، وأ
مجلس مأنوس ، رحل إلى المشرق فلم يحمده رحلته ، ولم يعلق بأمل نخلته
على عقبه ، وردّ من حباله الفوت إلى منتظره ومرقبه ، ومع هذا فل
بالأدب ، وتدفّق طبع إذا مدح أو نسب ، وقد أثبت له ما تعلّم حقيقة
وترى سرعة وخده في طريق الإحسان وإغذاذه .

ثم قال: وأخبرني أنّه دخل مصر وهو سارٍ في ظلم البوس ، عارٍ
لبوس ، قد خلا من النقد كيسه ، وتخلّى عنه إلا تعذيره^٣ وتنكيسه ، فتر

١ انظر قلائد المقيان : ٢٨٨ .

٢ القلائد : الناموس .

٣ القلائد : تغديره .

شوارعها لا يفرش إلا نكده ، ولا يتوسد إلا عضده ، وبات بليلة ابن عبدل^١ ،
تهب عليه صرصر لا ينفع منها عنبر ولا مندل ، فلمّا كان من السحر دخل عليه
ابن طوفان فأشفق لحاله ، وفرط إيماله ، وأعلمه أن الأفضل ابن أمير الجيوش
استدعاه ، ولو ارتاد جوده بقطعة يغنيها له لأخصب مرعاه ، فصنع له في حينه :

قل للملوك وإن كانت لهم همم^٢ تأوي إليها الأماني غير متشدد
إذا وصلت بشاهنشاه لي سبباً فلن أبالي بمن منهم نقصت يدي
من واجه الشمس لم يعدل بها قمراً يعشو إلى ضوئه لو كان ذا رمد

فلمّا كان من الغد وافاه فدفع إليه خمسين مثقالاً مصرية وكسوة
وأعلمه أنه غناه ، وجوّد الإظهار للفظه ومعناه ، وكرره ، حتى أثبت في سمعه
وقرره ، فسأله عن قائله فأعلمه بقلته ، وكلمه في رفع خلاته ، فأمر له بذلك
وله أيضاً رحمه الله تعالى :

قصّدتُ على أن الزيارة سنة^٣ يؤكدوها قرص من الود واجب
فألفيتُ باباً سهلاً الله إذته^٢ ولكن عليه من عبوسك حاجب
مرّضتُ ومرّضت الكلام تناقلاً إليّ إلى أن خيلت أنك عاتب
فلا تتكلف للعبوس مشقة^٣ سأرضيك بالهجران إذ أنت غاضب
فلا الأرض تدمير ولا أنت أهلها ولا الرزق إن أعرضت عني جانب
وله يستعيني^٣ :

كتبتُ ولو وقّيتُ برك حقه^٣ لما اقتصرت كفتي على رقيم قرطاس
ونابت عن الخط الخطا وتبادرت فطوراً على عيني وطوراً على راسي

١ إشارة إلى الحكم بن عبدل أحد شعراء العصر الأموي وأوصافه لما يقاسيه من هموم بالليل .

٢ القلائد : فتحه .

٣ الضمير عائد إلى الفتح بن خاقان صاحب القلائد .

سل الكأس عني هل أدبرت فلم أصغ مديحك ألحاناً يسوغ بها كاسي
وهل نافح الآس الندامى فلم أذع ثنائي^١ أذكى من منافحة الآس

١٨١ - ومن الراحلين من الأندلس إلى المشرق أبو مروان الطَّبَّي ، وهو
عبد الملك بن زيادة الله^٢ . قال في الذخيرة : كان أبو مروان هذا أحد حُماة
سُرْح الكلام ، وحَمَلَة ألوية الأقلام ، من أهل بيت اشتهروا بالشعر ، اشتهار
المنازل بالبدر ، أراهم طرأوا على قُرْطُبَة قبل افتراق الجماعة^٣ ، وانتشار^٤
شَمَث الطاعة ، وأناخوا في ظلّها ، ولحقوا بسرّوات أهلها ، وأبو مُضَرّ أبوه
زيادة الله بن علي التميمي الطَّبَّي هو أول من بنى بيت شرفهم ، ورفع في
الأندلس صوته بنباهة سلفهم .

قال ابن حيان : وكان أبو مُضَرّ نديم محمد بن أبي عامر أمتع الناس حديثاً
ومشاهدة^٥ ، وأنصفهم^٦ ظرفاً ، وأحذقهم بأبواب الشجذ والملاطفة ، وآخذهم
بقلوب الملوك والخلّة ، وأنظّمهم لشمس إفادة ونُجْمَة ، انتهى المقصود منه .
ثمّ قال في الذخيرة : فأما ابنه أبو مروان هذا فكان من أهل الحديث
والرواية ، ورحل إلى المشرق ، وسمع من جماعة من المحدثين بمصر والحجاز ،
وقتل بقرطبة سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، انتهى .
وقد ذكر قصّة قتله المستبشعة وأتهم باغتياله ابنه .

ومن نظم أبي مروان الطَّبَّي المذكور ما وجده صاحب الذخيرة في بعض
التعاليق بخط بعض أدباء قرطبة ، قال : لما عدا أبو عامر أحمد بن محمد بن أبي

١ القلائد : ثناءك .

٢ ترجمة عبد الملك بن زيادة الله ابن الطَّبَّي في الذخيرة ٥٢ : ٢ / ١ - ٥٧ والمغرب ٩٢ : ١ والصلة :

٣٤٣ .

٣ في بعض نسخ الذخيرة والتجارية : وانتشار .

٤ في ق : وأنصفهم ، والتصويب عن الذخيرة .

عامر على الحدلمي^١ في مجلسه وضربه ضرباً موجعاً ، وأقرّ بذلك أعين مطالبيه ،
قال أبو مروان الطُّبُّنِّي فيه :

شكرتُ للعامريّ ما صنّعا ولم أقلّ للحدّيلميّ لَمّا
ليثُ عَرَيْنَ عَدَا بعزّته مفترساً في وجاره ضَبْعُما
لا برحتُ كَفُّهُ ممكّنةً مِن الأمانِي فنِعمَ ما صنّعا
وددتُ لو كنتُ شاهداً لهما حتّى ترى العينُ ذُلَّ ما خضعنا
إن طالَ منه سُجوده فلقد طالَ لغير السجود ما ركعنا

* * *

[موقف ابن بسام في الذخيرة من الهجاء]

قال ابن بسام^٢ : وابن رشيق القائل قبله :

كم ركعة ركّع الصَّفْعان تحت يدي ولم يقل سمعَ الله لَمَن حمده
ثمّ قال ابن بسام في الذخيرة ما نصّه : والعَرَبُ تقول « فلان يركع لغير
صلاة^٣ » إذا كنوا عن عَهْر الخلوة ، ومن ملبح الكناية لبعض المتقدمين
يخاطب امرأته :

قلت : التشيعُ حُبُّ أصْلَحِ هاشم فترفضي إن شئت أو فتشيعي
قالت : أصْلَحِ هاشم ، وتنفستُ بأبي وأمي كل شيء أصْلَحِ
ولما صنت كتابي^٤ هذا من شين الهجاء ، وأكبرته أن يكون ميداناً للسفهاء ،

١ الذخيرة : الحديلمي .

٢ الذخيرة ١ / ٢ : ٦١ .

٣ الذخيرة : فلان يحبُّ العصا وفلان يركع . . . الخ .

٤ هذا من قول ابن بسام أيضاً إلى آخر القول في أقسام الهجاء .

أجريت ههنا طَلَقاً^١ من مليح التعريض ، في إيجاز القريض ، مما لا أدب على قائله ، ولا وَصْمَةٌ عَظْمَى^٢ على من قيل فيه ، والمعجاء ينقسم قسمين : فقسم يسمونه هجوا الأشراف وهو ما لم يبلغ أن يكون سبباً مُقْدِعاً ، ولا هجواً^٣ مستبشعاً ، وهو طأطأ قديماً من الأوائل ، وثُلَّ عرش القبائل ، إنما هو توبيخ وتعيير ، وتقدير وتأخير ، كقول النجاشي في بني العَجْلان ، وشهرة شعره منعتني عن ذكره ، واستعدوا عليه عمر بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنه ، وأنشدوه قول النجاشي فيهم ، فذراً الحلد بالشبهات ، وفعل ذلك بالزبرقان حين شكوا الخطيئة ، وسأله أن ينشد ما قاله فيه ، فأنشده قوله :

دعِ المكارمَ لا تَرَحَّلْ لبغيثها واقعدْ فإنك أنتَ الطاعمُ الكاسي

فسأل عن ذلك كعب بن زهير ، فقال : والله ما أودُّ بما قال له حُمر النعم ، وقال حسان : لم يَهْجُهُ ، ولكن سَلَحَ عليه بعد أن أكل الشُبْرُمَ ، فهمَّ عمر ، رضي الله تعالى عنه ، بعقابه ، ثم استعطفت بشعره المشهور . وقال عبد الملك بن مروان يوماً : أحسابكم^٤ يا بني أمية . فما أود أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس وأن الأعشى قال في :

تيتون في المشتى مِلَاءَ بَطُونُكُمْ وجاراتُكُمْ غَرَّتْني يَبِيتُنْ نَحْمائِصا

ولما سمعَ علقمة بن عُلاثة هذا البيت بكى ، وقال : أنحن نفعل هذا بجاراتنا ؟ ! ودعا عليه ، فما ظنك بشيء يُبْكي علاثة ، وقد كان عندهم لو ضُرب بالسيف ما قال حسن .

١ الذخيرة : طرفاً .

٢ الذخيرة : أعظم .

٣ الذخيرة : هجراً .

٤ الذخيرة : احفظوا أحسابكم .

وقد كان الراعي يقول : هجوت جماعة من الشعراء ، وما قلت فيهم ما تستحي العذراء أن تنشده في خلدوها .

ولما قال جرير :

فغُضَّ الطَّرْفُ إنك من نُمير فلا كَعْباً بلغت ولا كلاباً

أطفاً مصباحه ونام ، وقد كان بات ليلته يتململ ، لأنه رأى أنه قد بلغ حاجته وشفى غيظه .

قال الراعي : فخرجنا من البصرة فما وردنا ماء من مياه العرب إلا وسمعنا البيت قد سبقنا إليه ، حتى أتينا حاضر بني نمير فخرج إلينا النساء والصبيان يقولون : قبّحكم الله وقبّح ما جئتمونا به .

والقسم الثاني : هو السباب الذي أحدثه جرير أيضاً وطبقته ، وكان يقول : إذا هجوتهم فأضحكوا ، وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتاً ، ولا عُيرت به قبيلة ، وهو الذي صنّا هذا المجموع عنه ، وأعفيناه أن يكون فيه شيء منه ، فإن أبا منصور الثعالبي كتب منه في يتيمة ما شأنه اسمه ، وبقي عليه إثمه . ومن مליح التعريض لأهل أقمنا قول بعضهم في غلام كان يصحب رجلاً يسمى بالبعوضة :

أقولُ لشادنكمُ قولةً ولكنّها رمزةٌ غامضةٌ
لزومُ البعوضِ لهُ دائماً يدلُّ على أنّها حامضةٌ

وأنشدت في مثله قول بعض أهل الوقت :

بيّتي وبينك سرّاً أبوحُ بهِ الكلُّ يعلمه والله غافره

وحكى أبو عامر ابن شهيد عن نفسه قال : عاتبت بعض الإخوان عتاباً شديداً عن أمر أوجع فيه قلبي ، وكان آخر الشعر الذي مخاطبته به هذا البيت :

ولمّا نبي على ما هاج صدرّي وغازطني ليأمنني من كان عندي له سرّ

فكان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد ، ولم يزل يقلق به حتى بكى
إلى منه بالدموع ، وهذا الباب ممتلئ الأطناب ، ويكفي ما مر ويمرّ منه في أضعاف
هذا الكتاب ، انتهى كلام ابن بسام في الذخيرة بلفظه .

* * *

[من خطبة الذخيرة]

ولا خفاء أنّه عارض بالذخيرة يتيمةً تعاليّ ، ولذا قال في خطبة
الذخيرة^١ : أمّا بعد حمد الله وليّ الحمد وأهله ، والصلاة على سيّدنا محمد
خاتم رُسُلِهِ ، فإن ثمرة هذا الأدب ، العالي الرتب ، رسالة تنثر وترسل ،
وأبيات تُنظّم وتُفصل ، تنال تلك انثيال القِطار ، على صفحات الأزهار ،
وتتصل هذه اتصال القلائد ، على نُحُور الخرائد ، وما زال في أفقنا هذا الأندلسي
القصيّ إلى وقتنا هذا من فرسان الفَنّين ، وأئمة النوعين ، قوم هم ما هم طيب
مكّاسر ، وصفاء جواهر ، وعدوبة مَوّارد ومصادر ، لعبوا بأطراف الكلام
المشقق ، لعب الدجى بجُفُون المورّق ، وحدّوا بفنون السحر المنمّق ، حذاء
الأعشى بنبات المُحلّق ، فصبّوا على قوالب النجوم ، غرائب المنثور والمنظوم ،
وباهوا غرر الضحى والأصائل ، بعجائب الأشعار والرسائل ، نثر لو رآه البديع
لنسي اسمه ، أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه ، ونظم لو سمعه كثير ما نسب
ولا مدح ، أو تبعه جرّول ما عوى ولا نبح ، إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا
متابعة أهل الشرق ، يرجعون إلى أخبارهم المُعادة^٢ ، رجوع الحديث إلى قِتادة ،
حتى لو نعت بتلك الآفاق غراب ، أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب ، لحتّوا

١ انظر مقدمة الذخيرة ج ١ / ص ١ .

٢ الذخيرة : المعتادة .

على هذا صَنَمًا ، وتلوا ذلك كتاباً مُحْكَمًا ، وأخبارهم الباهرة ، وأشعارهم السائرة ، مرمى القصيدة ، ومناخ الرذيلة ، لا يعمر بها جنان ولا خلد ، ولا يصرف فيها لسان ولا يد ، فغاظني منهم ذلك ، وأنفت مما هنالك ، وأخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري ، وتتبع محاسن أهل بلدي وعصري ، غيرة لهذا الأفق الغريب أن تعود بدوره أهلة ، وتصبح بحوره ثماداً مضمحلة ، مع كثرة أدبائه ، ووفور علمائه ، وقديماً ضيّعوا العلم وأهله ، ورُبَّ محسن مات إحسانه قبله ، وليت شعري مَنْ قصر العلم على بعض الزمان ، وخص أهل المشرق بالإحسان ، وقد كتبت لأرباب هذا الشأن ، من أهل الوقت والزمان ، محاسن تبهير الألباب ، وتسحر الشعراء والكتّاب ، ولم أعرض لشيء من أشعار الدولة المروانية ، ولا المدائح العامرية ، إذ كان ابن فرج الحليّاني قد رأى رأيي في النصف ، وذهب مذهبي من الأئمة ، فأمل في محاسن أهل زمانه كتاب « الحداثق » معارضاً لكتاب « الزهرة » للأصبهاني ، فأضربت أنا عمّا ألف ، ولم أعرض لشيء مما صنف ، ولا تعدّيت أهل عصري ، ممّا شاهدته بعصري أو لحقه أهل دهري ، إذ كلُّ مُردّدٍ ثَقِيلٍ ، وكلُّ متكرّرٍ مملول ، وقد مَجَّتْ الأسماع :

يا دار مية بالعلياء فالسند

إلى أن قال بعد ذكره أنّه يسوق جملة من المشاركة مثل الشريف المرتضى والقاضي عبد الوهاب والوزير ابن المغربي وغيرهم ممّن يطول ، ما صورته : وإنما ذكرت هؤلاء اتساء بأبي منصور ، في تأليفه المشهور ، المترجم بـ « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » . انتهى المقصود منه .

* * *

١ الفخيرة : ويا رب .

[الجراوي يهجو قومه]

قلت : وتذكرت بما أنشده في الهجاء قول الباقعة الشاعر المشهور أبي العباس أحمد الغفجومي^١ الشهير بالحواري ، وعامة الغرب يقولون الجراوي ، يهجو قومه بني غفجوم وهم بربر يتادلا ، متوصلاً بذلك إلى هجو أصلاء فاس بني الملجوم ، ومستطرداً في ذلك ما هو في اطراذه بكلماء السجوم ، وهو قوله :

يا ابن السيل إذا مرت يتادلا لا تنزلن على بني غفجوم
أرض أغار بها العدو فلن ترى إلا مجاورة الصدى لليوم
قوم طووا ذكر الساحة بينهم لكنهم نشروا لواء اللوم
لا حظاً في أموالهم ونواهم للسائل العافي ولا المحروم
لا يملكون إذا استبيح حريمهم إلا الصراخ بدعوة المظلوم
يا ليثني من غيرهم ولو آتني من أرض فاس من بني الملجوم

وقد ذكر غير واحد من المؤرخين أن أحد بني الملجوم قضاة فاس وأصلاتها بيعت أوراق كتبه التي هي غير مجلدة بل متفرقة بستة آلاف دينار ، ويكفيك ذلك في معرفة قدر القوم ، ومع ذلك هجاهم بهذا ، والله سبحانه يغفر الزلات .

رجع إلى ما كنا فيه من ذكر من ارتحل من علماء
الأندلس إلى البلاد الشرقية المحروسة ، فنقول :

١٨٢ - ومنهم حبيب بن الوليد بن حبيب الداخل إلى الأندلس ابن عبد

١ هو أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي (- ٦٠٩) دتل الأندلس متردداً عليها وكان عالماً بالآداب ، وقف ابن الأبار على ديوان شعره وألف كتاباً سماه « صفوة الأدب ونخبة كلام العرب » ، وكانت وفاته بإشبيلية . ولم أجد أحداً سماه بغير « الجراوي » ولعله أن يكتب « الكواري » أو « القواري » ، لأنه يلفظ بجمع مصرية . انظر التكملة : ١٢٨ وصفحات مختلفة =

الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان^١ ، من أهل قرطبة ، ويعرف بدحّون ، رحل إلى المشرق أيام عبد الرحمن بن الحكم ، وحج ، ولقي أهل الحديث فكتب عنهم ، وقفل بعلم كثير ، وكانت له حلقة بجامع قرطبة بسمع الناس فيها ، وهو يلبس الوشي الشامي ، إلى أن أوصى إليه الأمير عبد الرحمن بترك ذلك ، فتركه ، وتوفي بعد المائتين .

ومن شعره قوله :

قالَ العَدُولُ : وأين قلبك ؟ كلّما رُمْتُ اهتدائك لم يزل متحيراً .
قُلْتُ : اتّشِدْ فالقلبُ أوّلُ خائنٍ لما تَغَيَّرَ مَنْ هَوَيْتُ تَغَيَّرَا
ونسأى فَبَانَ الصَّبْرُ عَنِّي جُمْلَةً وبقيتُ مَسْلُوبَ العِزِّاءِ كما ترى

ومن ولده سعيد بن هشام ، وكان أديباً عالماً فقيهاً ، رحم الله تعالى الجميع .
ودخل دمشق وطنهم الأقدم وعاملها يومئذ للمعتصم بن الرشيد عمر بن فرج الرُّخَّجِي ، فوافق دخوله إيّاها غلاء شديداً ومجاعة أشكت أهلها ، فضجوا إلى الرُّخَّجِي أن يخرج عنهم من عندهم من الغرباء القادمين عليهم من البلاد ، فأمر بالنداء في المدينة على كل مَنْ بها من طارئ وابن سبيل ليخرجوا عنها ، وضرب لهم أجلاً ثلاثة أيام أوعد من تخلف منهم بعدها بالعقاب ، فابتدر الغرباء الخروج عنها ، وأقام دَحُون لم يتحرك ، فجاء به إلى الرُّخَّجِي بعد الأجل ، فقال له : ما بالك عصيت أمري ؟ أو ما سمعت ندائي ؟ فقال له دَحُون : ذلك النداء الذي وقّعتني ، فقال له : وكيف ؟ فأنتمى له ، فقال

١ من البيان المغرب (طبع تطوان ١٩٦٠) . ويجب التمييز بينه وبين أبي العباس الجراوي المسمى أحمد بن حسن بن سيد فهذا الثاني مألقي أميل (انظر تحفة القادم : ٤٤ ومخطوطة الوافي ٨ : ٦٤ من بسوطة المؤلف) وقد خلط بينهما عبد القادر عداد في حواشيه على زاد المسافر لصفوان ص : ٧ .
١ ترجمة دحون في التكملة : ٢٧٧ والمقتبس : ٩٤ (تحقيق الدكتور محمود مكّي) وانظر نسب الحبيبيين في جمهرة ابن حزم : ٨٩ - ٩٠ .

له الرُّخَجِي : صدقت والله إنك لأحقُّ بالإقامة فيها منّا ، فأقم ما أحببت ،
وانصرف إذا شئت .

وكان لدَحَوْن هذا ابن يقال له بشر بن حبيب ، ويُعرف بالحبيبي ، وهو
من المشهورين بقربطبة ، وأمه المدنية الراوية عن مالك بن أنس رضي الله تعالى
عنه ، وبنته عبدة بنت بشر مشهورة ، ولها رواية عنه ، رحم الله تعالى الجميع .

١٨٣ - ومنهم بهلول بن فتح من أهل أقليم^١ ، له رحلة حج فيها ،
وكان رجلاً صالحاً خيراً ، حكى عن نفسه أنه رأى في منامه بعد قدومه من
الحج كأنه بمكة وقائل يقول : انطلق بنا نصل مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
قال : فكنت أقول لرجل من جيراني بأقليم : يا أبا فلان انطلق بنا نصل مع
النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيقول لي : لست أجِدُ إلى ذلك سبيلاً ، فكنت
أُتوجّه وأصلي مع الناس والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، إمامنا ، فلما سلّم من الصلاة
رجع إليّ وقال لي : من أين أنت ؟ قلتُ له : من الأندلس ، فكان يقول :
من أي موضع ؟ فكنت أقول : من مدينة أقليم ، فيقول لي : أتعرف أبا إسحاق
البوّاني ؟ فكنت أقول : هو جاري ، وكيف لا أعرفه ؟ فيقول لي : أقرئه منّي
السلام .

١٨٤ - ومنهم أبو الحسن ثابت بن أحمد بن عبد الولي ، الشاطبي^٢ .
روى عن أبي زيد عبد الرحمن بن يعيش المهري^٣ ، ورحل حاجّاً ، فسمع منه
بالإسكندرية أبو الحسن ابن المفضل المقدسي ، وحدث عنه بالحديث المسلسل في
الأخذ باليد عن ابن يعيش المذكور عن أبي محمد عبد العزيز بن عبد الله بن سعيد
ابن خلف الأنصاري عن أبي الحسن طاهر بن مُفَوِّز ، وعليه مداره بالأندلس ،

١ . ترجمة بهلول الأقليمي في التكملة : ٢٢٧ .

٢ . انظر ترجمته في التكملة : ٢٣٦ .

٣ . التكملة : الهروي .

عن نصر السمرقندي بإسناده ، وفيه بعد ، قال الحافظ ابن الأثير : وقد رويته
مسلسلاً من طرق بعضها عن ابن المفضل ، وأنبأني به ابن أبي جَمْرَةَ عن أبي
بَحر الأسدي ، عن نصر السمرقندي ، فصار ابن المفضل بمنزلة من سمعه ممن
سمعه مني ، والحمد لله تعالى ، انتهى .

١٨٥ — ومنهم أبو أحمد جعفر بن لُبّ بن محمد بن عبد الرحمن بن يونس
ابن ميمون ، اليحصبي^١ ، سكن شاطبة ، وأصله من أنشيان عملها ، ويكنى أبا
الفضل أيضاً ، حج وسمع أبا طاهر ابن عوف والحافظ السَلَكِي وأبا عبد الله ابن
الحضرمي وأبا الثناء الخرائي وبدر بن عبد الله الحبشي وأبا الحسن ابن المفضل
وغيرهم ، وكان من أهل العناية بالرواية مع الصلاح والعدالة ، حسن الخط
جيد الضبط سماه التَّجِيبِي في معجم مشيخته وهو في عداد أصحابه لا شراكتهم
في السماع بإسكندرية وتركه هنالك ، ثم قدم عليه تلمسان من شاطبة في أضحي
سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وحكى ممّا أفاده عن ابن المفضل أن أبا عبد الله
الكيزاني^٢ — وكان شاعراً مجيداً — أنه امرأة مات ولدها ، فسألته أن يرثيه ،
فقال :

تبكي عليّ بشَجْوٍ فقلتُ لا تندُبِيه
هذا زمانٌ عجيبٌ قد عاشَ مَنْ مات فيه

وأخذ عنه الحافظ أبو الربيع ابن سالم وقال : إنّه توفي بعد التسعين
 وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

١ ترجمة ابن لب الشاطبي في التكملة : ٢٤٢ .
٢ هو الفقيه الواعظ المصري أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت الأنصاري المعروف بابن
الكيزاني (٥٦٠ -) تنتمي إليه الطائفة الكيزانية وله شعر رقيق يذهب فيه مذهب المتصوفة
(انظر الخريدة ٢ : ١٨ قسم مصر ووفيات الأعيان رقم : ٦٥٠ والروايات ٢ : ٣٤٧ والمغرب
(قسم مصر) ١ : ٢٦١ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٦٨ .

١٨٦ - ومنهم أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونه ، الخزاعي ، العابد^١ ، من أهل قسطنطينية عمل دانية ، أخذ القراءات عن ابن هذيل ، وسمع منه ومن ابن النعمة بيلنسية ، ورحل حاججاً فأدى الفريضة ، ودخل الإسكندرية مرافقاً لمن سمع من السلفي ، ولم يسمع منه هو شيئاً ، قال ابن الأبار : فيما علمت ، وقفل إلى بلده مائلاً إلى الزهد والإعراض عن الدنيا ، وكان شيخ المتصوفة في وقته ، وعلا ذكره ، وبعد صيته في العبادة ، إلا أنه كانت فيه غفلة ، قال ابن الأبار : ورأيت له إذ قدم بلنسية لإحياء ليلة النصف من شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة ، وتوفي عن سن عالية تقارب المائة ، منتصف ذي القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة ، وشهد جنازته بشر كثير من جهات شتى ، وانتاب الناس قبره دهرأ طويلاً يتبركون بزيارته إلى حين إجملاء الروم من كان يشاركهم من المسلمين ببلاد شرق الأندلس التي تغلبوا عليها ، وذلك في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة .

١٨٧ - ومنهم أبو جعفر النحوي^٢ ، أندلسي نزل مصر ، وكان من رؤساء أهل العلم بالنحو ، وممن له حال جلييلة ، ذكره الطُّبُّبِي فيما حكاه ابن الأبار .

١٨٨ - ومنهم أبو الحسن جابر بن أحمد بن عبد الله ، الخزرجي القرطبي ، وكانه بعضهم أبا الفضل^٣ ، سمع ببلده من أبي محمد ابن عتاب وغيره ، ورحل حاججاً فأدى الفريضة ، وكان أديباً ناظماً ، كتب عنه أبو محمد العثماني بالإسكندرية بعض شعره .

١٨٩ - ومنهم أبو الحسن جَهْوَر بن خلف بن أبي عمر ابن قاسم بن ثابت

١ - ترجمته في التكملة : ٢٤٤ .

٢ - ترجمته في التكملة : ٢٤٤ .

٣ - ترجمته في التكملة : ٢٤٦ .

المعافري^١ . رحل حاجاً إلى المشرق فأدى الفريضة ، وسمع بالإسكندرية من أبي طاهر السلفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وسمع أيضاً من غيره ، وطال مكثه هنالك ، وهو — فيما رجحه بعضهم^٢ — من أهل غرب الأندلس .

١٩٠ — ومنهم أبو علي الحسن بن حفص بن الحسن ، البهرازي الأندلسي^٣ ، رحل وتجوّل ببلاد المشرق ، فسمع أبا محمد عبد الله بن حمّويه وأبا حامد أحمد ابن محمد بن رجاء بسرخس ، وأبا محمد ابن أبي شريح بهراة ، وأبا عبد الله الحسين بن عبد الله المفلحي بالأهواز ، وأبا بكر أحمد بن جعفر البغدادي وأبا حامد أحمد بن الخليل وأبا حاتم حامد بن العباس وأبا محمد الحسن بن رشيق بمصر ، وقدم دمشق فروى عنه من أهلها تمام بن محمد ، وبنيسابور أحمد بن منصور بن خلف المغربي وغيره .

ذكره ابن عساكر وقال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن علي بن فطيمة وأبو القاسم زاهر بن طاهر قالا : أنا أبو بكر أحمد بن منصور ، أنا أبو علي الحسن بن جعفر القضاعي ، وأنا الحسن بن رشيق بمصر ، أنا المفضل بن محمد الجندي ، أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري ، قال : سمعت مالك بن أنس يقول : لا يُحْمَلُ العلم عن أهل البدع كلهم ، ولا يحمل العلم عمّن لم يُعرف بالطلب ومجالسة أهل العلم ، ولا يحمل عمّن يكذب في حديث الناس ، وإن كان في حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صادقاً ؛ لأن الحديث والعلم إذا سُمِعَ من العالم فقد جُعِلَ حجة بين الذي سمعه وبين الله تبارك وتعالى ، وإنما قال فيه « القضاعي » لأن بهراء من قضاة .

١٩١ — ومنهم أبو علي الحسن بن خلف بن يحيى بن إبراهيم بن محمد ،

١ ترجمته في التكملة : ٢٥٤ .

٢ قال ابن الأبار : أحبه من أهل غرب الأندلس .

٣ ترجمته في التكملة : ٢٥٥ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ١٧٢ .

الأموي^١ . من أهل دانيّة ، ويُعرف بابن برّنجال ، سمع من أبي بكر ابن صاحب الأحباس وأبي عثمان طاهر بن هشام وغيرهما ، وله رحلة حج فيها وسمع من أبي إسحاق إبراهيم بن صالح القروي ، وببيت المقدس من أبي الفتح نصر بن إبراهيم سنة خمس وستين وأربعمائة ، وبعسقلان من أبي عبد الله محمد ابن الحسن بن سعيد الشجيري ، وأخذ عنه « كتاب الوقف والابتداء » لابن الأنباري بسماعه من عبد العزيز الشعيري عن مؤلفه ، وكان فقيهاً على مذهب مالك ، وولي الأحكام ببلده ، وحدث ، وأخذ عنه ، وسمع الناس منه بالإسكندرية سنة تسع وستين ، ثم بدانيّة سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ، وتوفي في نحو الخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

١٩٢ - ومنهم أبو علي الحسن بن إبراهيم بن محمد بن تقي ، الجُدّامي ، المالقي^٢ ، روى بقرطبة عن أبي محمد ابن عتّاب ، وعن أبي سُكرة الصّدّفي بمُرسّية سنة ثمان وخمسمائة ، وصحب أبا مروان ابن مَسْرّة ، وكان من أهل الرواية والتقيّد ، وكانت له رحلة سمع فيها من أبي طاهر السلفي مجالسه التي أملاها بسَلَماس بَرَج سنة خمس عشرة وخمسمائة حسبما ألفي بخط السلفي ، وفي رحلته لقيه أبو علي الحسن بن علي البَطْلَيُوسِي نزيل مكّة ، وحدث عنه أبو طالب أحمد بن مسلم المعروف بالتَّنُوخي من أهل الإسكندرية بكتاب « الاستيعاب » لابن عبد البر ، وأجاز له إجازة عامّة في السنة السابقة ، وقال ابن عساكر في تاريخه ، وذكر أبا ذر الهَرَوِي : سمعت أبا الحسن علي بن سليمان المُرادِي الحافظ الأندلسي بنيسابور يقول : سمعت أبا علي الحسن بن علي الأنصاري البَطْلَيُوسِي ، قال ابن عساكر : وقد لقيته ، ولم أسمعها منه ، قال : سمعت أبا علي الحسن بن إبراهيم بن تقي الجُدّامي المالقي يقول : سمعت بعض

١ ترجمته في التكملة : ٢٥٧ .

٢ ترجمته في التكملة : ٢٥٨ ومعجم أصحاب الصّدفي : ٧٢ .

الشيخ يقول : قيل لأبي ذر الهروي : أنت من هرة ، فمن أين تمذهبت لما لك والأشعري ؟ فقال : إنني قدمت بغداد أطلب الحديث ، فلزمت الدارقطني ، فلما كان في بعض الأيام كنت معه ، فاجتاز به القاضي أبو بكر ابن الطيب ، فأظهر الدارقطني من إكرامه ما تعجبت منه ، فلما فارقه قلت : أيها الشيخ الإمام من هذا الذي أظهرت من إكرامه ما رأيت ؟ فقال : أوما تعرفه ؟ قلت : لا ، فقال : هذا سيف الستة أبو بكر الأشعري ، فلزمت القاضي منذ ذلك ، واقتديت به في مذهبه ، انتهى .

١٩٣ - ومنهم أبو علي الحسن بن علي بن الحسن بن عمر ، الأنصاري ، البطلاني^١ ، رحل إلى المشرق ، فأدى الفريضة ، وتجوّل هناك ، ولقي أبا الحسن ابن المقرئ الصقلي وأبا عبد الله الفراوي ، فسمع منهما الصحيحين بعلو ، وسمع من أبي الفتح ناصر بن أبي علي الطوسي سنن أبي داود ، وحدث بالموطأ عن أبي بكر الطرطوشي ، وله أيضاً رواية عن زاهر بن طاهر الشحامي وعبد المنعم بن عبد الكريم القشيري وأبي محمد الحريري سمع منه مقاماته الخمسين ببستانه من بغداد ، ونزل بمكة ، وجاور بها ، وحدث فيها وفي غيرها ، وأسناناً ، وكان ثقة مسنداً يروي عنه أبو عبد الله ابن أبي الصيف اليمني وأبو جعفر ابن شراحيل الأندلسي وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الإربلي ، وسمع منه في صفر سنة ست وستين وخمسائة ، وقد لقيه أبو القاسم ابن عساكر الحافظ وروى عنه .

١٩٤ - ومنهم أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الأنصاري^٢ : من أهل لرية عمل بكنسية ، ويعرف بابن الرهيبيل^٣ ، سمع من أبي الحسن ابن النعمة

١ ترجمته في التكملة : ٢٦٠ .

٢ ترجمته في التكملة : ٢٦١ .

٣ التكملة وإحدى النسخ : الرهيبيل .

كثيراً ، واختص به ، وعنه أخذ القراءات ، وسمع من ابن هذيل أيضاً ، ثم رحل حاججاً ، فلقي بالإسكندرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أبا طاهر البسلفي وأبا عبد الله ابن الحضرمي ، وسمع منهما ، وجاور بمكة ، وأخذ بها عن أبي الحسن علي بن حميد الطرابلسي صحيح البخاري ، وكان يرويه عن أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي عن أبيه ، وسمع أيضاً من أبي محمد المبارك بن الطباخ البغدادي ، وأجاز له أبو المفاخر سعيد بن الحسين الهاشمي وأبو محمد عبد الحق ابن عبد الرحمن الإشبيلي ببجاية عند صدوره في ربيع الأول سنة سبع وسبعين ، وقفل إلى بلده فلزم الانقطاع والانتقاض عن الناس والإقبال على ما يعنيه ، وكان قد خطب به قبل رحلته ، وحكى التُّجِيبِي أن طلبة الإسكندرية تراحموا عليه لسماع « التيسير » لأبي عمرو المقرئ منه بروايته عن ابن هُذَيْل سماعاً في سنة ثلاث وخمسين ، وصارت له بذلك عندهم وجاهة . وبعد قُفُوله أصابه خَدَرٌ منعه من التصرف ، وكان الصلاح غالباً عليه ، وتوفي غدوة الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وكانت جنازته مشهودة ، رحمه الله تعالى .

١٩٥ — ومنهم الحسين بن أحمد بن الحسين بن حي ، التُّجِيبِي ، القرطبي^١ ، أخذ علم العدد والهندسة عن أبي عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن بُرْغُوث^٢ ، وكان كلفاً بصناعة التعديل ، وله زيج مختصر ذكره القاضي صاعد ونسبه ، وحكى أنه خرج من الأندلس في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة بعد أن نالته بها وبالبحر مخنّ شداد ، ولحق بمصر ، ثم رحل عنها إلى اليمن ، واتصل بأميرها ، فحظي عنده ، وبعثه رسولاً إلى القائم بأمر الله الخليفة ببغداد ، ونال هناك دنيا عريضة ،

... ..

١ ترجمته في طبقات صاعد : ٧٣ والتكملة : ٢٧٣ .

٢ انظر ترجمة ابن برغوث في طبقات صاعد : ٧١ وكان هذا متحققاً بالعلوم الرياضية وخاصة الفلك (توفي سنة ٤٤٠) .

وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد سنة ست وخمسين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

١٩٦ - ومنهم أبو يوسف حماد بن الوليد ، الكلّاعي^١ ، أخذ بقرطبة عن أبي المطرف القنازعي وغيره ، ورحل إلى المشرق ، وحدث بالإسكندرية فسمع منه بها يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن شبل « شرح الاعتقاد » من تأليفه ، ورسالة « قمع الخيرص » وقصّر الأمل والحث على العمل » ، وذلك في سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، ولقيه هنالك أبو مروان الطُّبُّي ، فسمع منه بعض فوائده .

١٩٧ - ومنهم أبو القاسم خلف بن فتح بن عبد الله بن جبّير^٢ ، من أهل طرطوشة ، يُعرف بالجبّيري ، وهو والد أبي عبيد القاسم بن خلف الجبيري الفقيه ، وكانت له رحلة إلى المشرق ، ومعه رَحْلُ ابنه وهو صغير ، وكان من أهل العلم والزهادة ، وعليه نزل القاضي مُنذِر بن سعيد بطرطوشة في ولايته قضاء الثغور الشرقية ، قال أبو عبيد : نزل القاضي مُنذِر بن سعيد على أبي بطرطوشة ، وهو يومئذ يتولى القضاء في الثغور الشرقية قبل أن يلي قضاء الجماعة بقرطبة ، فأنزله في بيته الذي كان يسكنه ، فكان إذا تفرغ نظر في كتب أبي ، فمر على يديه كتاب فيه أرجوزة ابن عبد ربّه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ، ولم يذكر عليّاً فيهم ، ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى عبد الرحمن بن محمد ، فلما رأى ذلك منذر غضب وسبّ ابن عبد ربّه ، وكتب في حاشية الكتاب :

أوما عليّ - لا برحت ملعناً يا ابن الخبيثة - عندكم بإمام؟

١ ترجمته في التكملة : ٢٨٥ .

٢ ترجمته في التكملة : ٢٩٢ .

ربُّ الكساء وخير آلِ محمدٍ داني الولاء مُقدِّم الإسلام
قال أبو عبيد : والأبيات بخطه في حاشية كتاب أبي إلى الساعة ، وكانت
ولاية منذر للثغور مع الإشراف على العمال بها والنظر في المختلفين من بلاد
الإفرنج إليها سنة ثلاثين وثلاثمائة .

١٩٨ - ومنهم أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف ، الغرناطي^١ ، له رحلة
روى فيها بالإسكندرية عن مهدي بن يوسف الوراق ، وحدث عنه أبو العباس
ابن عيسى الداني « بالتلقين » للقاضي عبد الوهاب .

١٩٩ - ومنهم أبو القاسم خلف بن فرج بن خلف بن عامر بن فحلون ،
القنطري^٢ ، من قنطرة السيف ، وسكن بطليوس^٣ ويُعرف بابن الروية ،
رحل حاجتاً فأدى الفريضة ، ولقي بمكة رزيق بن معاوية الأندلسي فحمل عنه
كتابه في « تجريد الصحاح » سنة خمس وخمسمائة ، وفيها حج وقفل إلى
بلده بعد ذلك ؛ وكان فقيهاً مشاوراً ، حدث عنه ابن خير في كتابه إليه من
بطليوس في نحو الثلاثين وخمسمائة^٤ .

٢٠٠ - ومنهم زرارة بن محمد بن زرارة الأندلسي^٥ ، رحل حاجتاً إلى
المشرق ، وسمع بمصر أبا محمد الحسن بن رشيق سنة سبع وستين وثلاثمائة وأبا
بكر مسرة بن مسلم الصديقي ، حدث ، وأخذ عنه .

٢٠١ - ومنهم طاهر الأندلسي ، من أهل مالقة ، يكنى أبا الحسين^٦ ،
رحل إلى قرطبة ، وخرج منها لما دخلها البرابر عترة سنة ثلاث وأربعمائة ،

١ ترجمته في التكملة : ٢٩٩ .

٢ ترجمته في التكملة : ٣٠٢ .

٣ ترجمته في التكملة : ٣٣٤ .

٤ ترجمته في التكملة : ٣٤٠ .

فلم يزل بمكة إلى حدود الخمسين وأربعمائة ، وكان من أصحاب أبي عمر الطلمنكي وملازميه لقراءة القرآن ، وطلب العلم مع أبي محمد الشننجالي وأبي أيوب الزاهد إمام مسجد الكوايين بقرطبة ، وجاور بمكة طويلاً ، وأقرأ على مقرأة من باب الصفا ، وكان الشيبون يكرمونه ويفرجون له لضعفه عند دخوله البيت الحرام ، ذكره الطُّبِّي ، قال ابن الأبار : وأحسبه المذكور في برنامج الخولاني ، والذي قرأ لهم أكثر المدونة على أبي عمر أحمد ابن محمد الزيات ، انتهى .

٢٠٢ - ومنهم أبو الطاهر الأندلسي ، من أهل لبلة^١ ، نزل مصر ، وكانت له حلقة بجامع عمرو بن العاص ، وكان - رحمه الله تعالى - نحوياً ، له شعر وترسيل وتعلق بالملوك للتأديب بالنحو ، ثم ترك ذلك .

٢٠٣ - ومنهم أبو محمد طارق بن موسى بن يعيش ، المتصفي ، المخزومي^٢ ، والمتصفي نسبة إلى قرية بغربي بلنسية ، ويكنى أيضاً أبا الحسن ، رحل قبل العشرين وخمسمائة ، فأدى الفريضة ، وجاور بمكة ، وسمع بها من أبي عبد الله الحسين بن علي الطبري ، ومن الشريف أبي محمد عبد الباقي الزهري المعروف بشمُقران أخذ عنه كتاب « الإحياء » للغزالي عن مؤلفه ، وسمع بالإسكندرية من أبي بكر الطرطوشي وأبي الحسن ابن مشرف وأبي عبد الله الرازي وأبي طاهر السلفي وغيرهم ثم قفل إلى بلده فحدث ، وأخذ الناس عنه ، وسمعوا منه ، وكان شيخاً صالحاً عالي الرواية ثقة ، قال ابن عياد : لم ألق أفضل منه ، وكان مُجاب الدعوة ، وحدث عنه بالسماع والإجازة جِلَّةٌ منهم أبو الحسن ابن هذيل وأبو محمد القلبي وأبو مروان ابن الصيقل وأبو العباس الإقليشي

١ ترجمته في التكملة : ٣٤٢ .

٢ ترجمته في التكملة : ٣٤٣ .

وأبو بكر ابن خير وابن سعد الخير وأبو محمد عبد الحق الإشبيلي وأبو بكر ابن جُزَيٍّ وغيرهم ، ثم رحل ثانية إلى المشرق مع صهره أبي العباس الإقبلي وأبي الوليد ابن خيرة الحافظ سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وقد نيّف على السبعين ، فأقام بمكة مجاوراً إلى أن توفي بها عن سن عالية - رحمه الله تعالى - سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

٢٠٤ - ومنهم محمد بن إبراهيم بن مُزَيْنٍ الأودي^١ من أهل أكشولة غربي الأندلس ، يكنى أبا مُضَرٍّ ، ولده عبد الرحمن بن معاوية قضاء الجماعة بقرطبة ، وذلك في المحرم سنة سبعين ومائة ، وأقام شهراً ، ثم استغنى فأعفاه . ورحل حاجتاً فأدى الفريضة ، وسمع في رحلته إمامنا مالك بن أنس وانصرف ومات عن سن عالية سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وذكره ابن شعبان في الرواة عن مالك وحكى أنه روى عنه : من قطع لسانه استؤني به عاماً . وأن مالكا قال له : قد بلغني أن بالأندلس من نبت لسانه فلان لم ينبت أقيد . انتهى .

٢٠٥ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد حبيّاز ، الشاطبي ، الأوسي ، قدم مصر ، وكان قد أخذ عن ابن بُرْطُلَه وابن البراء وغيرهما ، وعمل فهرست شيوخته على حروف المعجم . وحج وعاد إلى بلده ، ومات يوم الجمعة حادي عشر رجب سنة ثمانين عشرة وسبعمائة ، رحمه الله تعالى وغفر له .

٢٠٦ - ومنهم القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عهد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة ابن صخر بن سماعة اللخمي الأندلسي الإشبيلي^٢ . قال أبو شامة^٣ : هو من

١ ترجمته في التكملة : ٣٥٥ والذيل والتكملة ٦ الورقة : ٣٩ (نسخة باريس) .

٢ ترجمة أبي مروان الباجي هذه مكررة ، انظر رقم : ١٧٣ .

٣ انظر ذيل الروضتين : ١٦٤ .

بيت كبير بالأندلس يُعرف ببني الباجي مشهور كثير العلماء والفضلاء ، وأصلهم من باجة القيروان ، وليس منهم القاضي أبو الوليد الباجي الفقيه ، فإنه من بيت آخر من باجة الأندلس ، وقدم أبو مروان حاجاً من بلاده في البحر إلى عكا من ساحل دمشق ، ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة ، ونزل عندنا بالمدرسة العادلية ، وجدّه الأعلى أحمد ابن عبد الله بن محمد بن علي قدم إلى الديار المصرية ، وحجّ منها ومعه ولده محمد أخو عبد الملك ويُعرف بصاحب الوثائق ، وسمعا بها من جماعة من العلماء ، وذكر أبو عبد الله الحميدي أحمد بن عبد الله هذا في « جذوة المقتبس »^١ . وكنّاه أبا عمر ، وذكر أنّه سكن لإشبيلية وأثنى عليه كثيراً ، وقال : مات في حدود الأربعمئة ، وروى عنه ابن عبد البر وغيره .

وأبوه عبد الله بن محمد بن علي يُعرف بالرواية ، ذكره الحميدي^٢ أيضاً . وذكر ابن بشكّو^٣ في « الصلة » عبد الملك بن عبد العزيز جد هذا الشيخ القادم وأثنى عليه ، وقال : توفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمئة . وكان هذا الشيخ أبو مروان حسن الأخلاق فاضلاً متواضعاً محسناً ، وسمعته يقول ، وقد سئل إعاره شيء ، فبادر إليه . ثم قال : عندي في قوله تعالى ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ هو كل شيء .

واستفدنا من هذا الشيخ فائدة جليّة . وهي معاينة قدر مدّة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو عندهم مُتَوَارَثٌ ، وقد أخبر عن ذلك أبو محمد ابن حزم في كتابه « المحلى » وعابرت بذلك المدّة الذي لنا بدمشق حيثنّ ، وهو الكيل الكبير ، فوجدت مدّةنا يسع صاعين إلا يسيراً ، ووجدته ممسوحاً يسع صاعاً ونصفاً وشيئاً فيكون مدان ممسوحان ثلاثة أصع زائدة ، وقرأت في كتاب

١ الجذوة : ١٢٠ .

٢ الجذوة : ٢٢٣ .

٣ الصلة : ٣٤٧ .

« المحلى » لابن حزم ، قال أبو محمد ^١ : وخُصِرَ لي مُدٌّ على تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله بن علي الباجي ، وهو عند أكثرهم ^٢ لا يفارق داره ، أخرجه إليّ ثقي الذي كلفته ذلك علي بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي المذكور ، وذكر أنه مُدٌّ أبيه ، وأن جده أخذه وخرطه ^٣ على مُدٍّ أحمد بن خالد ، وأخبره أحمد بن خالد أنه خرطه على مد يحيى بن يحيى ، على مد مالك ، قال أبو محمد : ولا أشكُّ أن أحمد بن خالد صحَّحه أيضاً على مد محمد بن وضاح الذي صحَّحه ابن وضاح بالمدينة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . قال أبو محمد : ثم كَلْتُهُ بالقمح الطيب ، ثم وزنته فوجدته رطلاً ونصف رطل بالفلقلى لا يزيد حبة ، وكلته بالشعير إلا أنه لم يكن بالطيب فوجدته رطلاً واحداً ونصف أوقية ، وسألت عن الرطل الفلقل ، فقل لي : هو ست عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم ، وفي تقدير ابن حزم نظر .

وتوفي هذا الشيخ بالقاهرة سنة خمس وثلاثين وستمائة بعد رجوعه من الحج ، رحمه الله تعالى . انتهى كلام أبي شامة ، وبعضه بالمعنى .

٢٠٧ - ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد ، الواعظ ، الإشبيلي ، ثم المصري ^٤ ، فاضل شَرَحَ الصدور بلفظه ، ومتكلم أحيا القلوب بوعظه ، أحواله مشهورة ، ومجالسه بالذكر معمورة ، وله معرفة بالأدب ، وخبرة بالشعر والخطب ، وكلام وجهه حسن ، ونظم يمتاز به على كثير من أرباب

١ انظر المحل ٥ : ٢٤٥ - ٢٤٦ .

٢ المحل وأبو شامة : أكبرهم .

٣ المحل : وذكر أنه مد أبيه وجده وأبي جده خرطه . . . إلخ . وما في النسخ موافق لما في ذيل الروضتين .

٤ هذا هو الشاعر المشهور باسم « الزين كُتَاكْت » المصري (زين الدين كُتَاكْت) أصل أهله من إشبيلية ، أما هو فقد ولد بتونس عام ٦٠٥ وعلى ذلك فلا يصح أن يدرج في سياق الراحلين من الأندلس (انظر ترجمته في الوافي ٧ الورقة : ١٦٠ ، والفوات ١ : ١٠٨ ، والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٤) .

اللسن ، قاله ابن حبيب الحلبي ، قال : وهو القائل ^١ :

مَنْ أَنْتَ مَحْبُوبُهُ مَنْ ذَا يُعَيِّرُهُ وَمَنْ صَفَوْتَ لَهُ مَنْ ذَا يَكْدُرُهُ
هيهات عنك ملاحُ الكون تشغلني والكل أعراضُ حسن أنت جوهره

وقال ^٢ :

اكشِفِ البرقع عن بكرِ العقارِ واخْلُ في ليلك مع شمس النهارِ
وانْهَبِ العيشَ ودَعِهِ غلطاً ينقضي ما بَيْنَ هتِكِ واستتارِ
إن تكن شَيْخَ خَلَاعاتِ الصَّبَا فالبس الصبوة في خَلَعِ العذارِ
وارْضَ بالعارِ وقل : قد آن لي في هوى خمّارِ كاسي لبس عاري

وقال :

حُثُّوا إِلَى نَجْدٍ نِيَّاقِ الْهَوَى فَتَمَّ وادٍ جَوَّهُ مُعْشَبُ
وانْتَظِرُوا حَتَّى يَلُوحَ الْحَمَى فَالْعِيشُ فِيهِ طَيِّبٌ طَيِّبُ

وتوفي سنة أربع وثمانين وستمائة . هكذا ذكر ترجمته ابن حبيب ، ثم بعد كتبها حصل لي شك : هل هو ممّن ارتحل بنفسه من الأندلس أو ولد بمصر وإنّما ارتحل إليها بعض سلفه ؟ والله تعالى أعلم .

٢٠٨ — وكذا ذكر آخرَ بقوله في سنة سبع وثمانين وستمائة : وفيها توفي الإمام زكي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى بن علي الإشبيلي المالكي ^٣ ، محدث ، عالم ، زاهد فيما ليس بدائم ، كثير الخير .

.....

١ البيتان في النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٥ .

٢ الأبيات في الوافي : ١٦٠ .

٣ نسبته في المصادر « اللوري » لا الإشبيلي ، وقبل إن لورة قلعة من أعمال إشبيلية ، ولد سنة ٦١٤ هـ وحج — ومعنى هذا القول أنه هاجر من الأندلس وأقام في المشرق ، وتوفي بالينبع (انظر شذرات

جزيل المير ، كان حسن المناهج ، قاضياً للحوائج ، محسناً إلى الصامت والمعرب .
مَقْصِداً لمن يَرِدُ من الحجاز والمغرب ، سمع بمصر ودمشق وحلب ، وأقنى
ودرس ، مفيداً لذوي الطلب ، ولم يبرح يعين بأياديه ويغيث ، وهو أول من
باشر بظاهرة دمشق مشيخة الحديث . وكانت وفاته بدمشق عن نيف وسبعين
سنة ، انتهى .

٢٠٩ — ومنهم الأحق بالسبق والتقدم ، بقسي بن مخلد بن يزيد ،
أبو عبد الرحمن ، القرطبي ، الأندلسي ، الحافظ ، أحد الأعلام ، وصاحب
التفسير والمسند^١ . أخذ عن يحيى بن يحيى الليثي ومحمد بن عيسى الأصبهي ،
وارتحل إلى المشرق ، ولقي الكبار ، وسمع بالحجاز مُصَنَّباً^٢ الزهري وإبراهيم
ابن المنذر وطبقتهما ، وبمصر يحيى بن بكير وزهير بن عبَّاد وطائفة ، وبدمشق
إبراهيم بن هشام الغساني^٣ وصَفْوَان بن صالح وهشام بن عمار وجماعة ،
وببغداد أحمد بن حنبل وطبقته ، وبالكوفة يحيى بن عبد الحميد الحماني ومحمد
ابن عبد الله بن نمير وأبا بكر ابن أبي شيبه وطائفة ، وبالبصرة أصحاب حماد بن
زيد ، وعُني بالأثر عناية عظيمة لا مزيد عليها ، وعدد شيوخه مائتان وأربعة
وثلاثون رجلاً ، وكان إماماً ، زاهداً ، صواماً ، صادقاً ، كثير التهجد ،
مجاب الدعوة ، قليل المثل ، مجتهداً ، لا يقلد ، بل يفقي بالأثر .
ولد في رمضان سنة إحدى ومائتين ، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ست
وسبعين ومائتين .

= الذهب ٥ : ٤٠٠ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٨ ؛ وهذه الترجمة منقولة أيضاً عن درة الأسلاك
حسبما ورد في حاشية طبعة ليدن .

١ ترجمة بقي بن مخلد في الجذوة : ١٦٧ (وبغية الملتصق رقم : ٥٨٤) وابن القرضي ١ :
١٠٧ ، والمرقبة العليا : ١٨ ، وتذكرة الحفاظ : ٦٢٩ ، وطبقات المفسرين : ٩ .

٢ ابن القرضي : أبا المصعب .

٣ دوزي : إبراهيم بن إبراهيم الغساني ؛ وما هنا يوافق إحدى النسخ .

قال ابن حزم : أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسيره ، لا تفسير محمد ابن جرير ولا غيره ، وكان محمد بن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس محباً للعلوم عارفاً بها . فلما دخل بقيُّ بن مخلد الأندلس بمصنف ابن أبي شيبة وقرئ عليه أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف واستبشعوه ، وقام جماعة من العامة عليه ، ومنعوه من قراءته ، فاستحضره الأمير محمد وإياهم . وتصفع الكتاب جزءاً جزءاً حتى أتى على آخره ، ثم قال لحازن كتبه : هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه ، فانتظر في نسخته لنا ، وقال لبقِي : انشُرْ علمك ، واروِ ما عندك ، ونهاهم أن يتعرضوا له .

قال ابن حزم : مسند بقيّ روى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيّف . ورتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه فهو مُسَنَّدٌ ومُصَنَّفٌ^١ . وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله ، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله في الحديث ، وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين ممن ذكرهم أربى فيه على مُصَنَّف أبي بكر ابن أبي شيبة وعلى مصنف عبد الرزاق وعلى مصنف سعيد بن منصور . ثم ذكر تفسيره فقال : فصارت تصانيف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام ، لا نظير لها ، وكان متخيراً لا يقلّد أحداً ، وكان جارياً في مِضْمَار البخاري ومسلم والنسائي .

وذكر القشيري^٢ أن امرأة جاءتته فقالت له : إن ابني قد أسرته الفرنج . وإني لا أنام الليل من شوقي إليه ، ولي دُويرة أريد أن أبيعها لأفتكّه بها . فإن رأيت أن تشير إلى من يأخذها ويسعى في فكّكه ، فليس لي ليل ولا نهار . ولا صبر ولا قرّار ، فقال : نعم ، انصرفي حتى ننظر في ذلك إن شاء الله تعالى .

١ الفرق بين المسند والمصنف أن الأول رتب فيه الحديث بحسب روايته من الصحابة والثاني رتب فيه الحديث بحسب أبواب الفقه .

٢ وردت القصة في الحذوة : ١٦٨ مسندة إلى أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، إجازة عنه ، وفي النص اختلاف عما أورده المقرئ .

وأطرق الشيخ وحرك شفّتيه يدعو الله ، عزّ وجلّ ، لولدها بالخلّاص ، فذهبت .
 فما كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها فقالت : اسمع خبره يرحمك الله تعالى .
 فقال : كيف كان أمرك ؟ فقال : إنّي كنت فيمن يخدم الملك ، ونحن في
 القيود . فبينما أنا ذات يوم أمشي إذ سقط القيد من رجلي ، فأقبل عليّ الموكل
 بي فشتمني ، وقال : فككّ القيد من رجلك . فقلت : لا والله ولكن سقط
 ولم أشعر ، فجاءوا بالحدّاد فأعادوه ، وسَمّر مسماره وأبّده ، ثمّ قمت ، فسقط
 أيضاً ، فسألوا رُهبانهم . فقالوا : ألك والدّة ؟ فقلت : نعم ، فقالوا : إنّه
 قد استجيب دعاؤها له ، فأطلقوه . فأطلقوني ، وخفروني إلى أن وصلت إلى
 بلاد الإسلام ، فسألته [بقيّ] عن الساعة التي سقط القيد من رجليه فيها ، فإذا
 هي الساعة التي دعا له فيها ، رحمه الله تعالى .

٢١٠ — ومن الراحلين من الأندلس إلى المشرق يوسف بن يحيى بن يوسف
 الأزدي ، المعروف بالمتّامي^١ . من أهل قرطبة ، وأصله من طليطلة ، وهو
 من ذرية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

سمع من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان ، وروى عن عبد الملك بن حبيب
 مصنفاته ، وارتحل إلى مصر . وسمع من يوسف بن يزيد القراطيسي ، وعاد إلى
 الأندلس ، وكان فقيهاً ، نبيلاً ، فصيحاً [بصيراً]^٢ بالعربية ، ثمّ بعد عوّده من مصر
 أقام بقرطبة أعواماً ، ثمّ عاد إلى مصر . وأقام بها ، وسمع الناس منه ، وعظم أمره
 بالبلاد المشرقية . ثمّ إنّه عاد إلى المغرب فتوفّي بالقيروان سنة ثمان وثمانين
 ومائتين ، وبين بمصر « الواضحة » لابن حبيب ، وصنف شيئاً في الرد على
 الشافعية في عشرة أجزاء ، وألف كتاب « فضائل مالك » رضي الله تعالى عنه .
 والذي يرتضى أن من قلّد إماماً من المجتهدين لا ينبغي له أن يتغصّ من

١ ترجمته في حذوة المقتبس : ٣٥٠ (وبغية الملتبس رقم : ١٤٥٢) وابن الفرضي ٢ : ٢٠٠ .

٢ زيادة من ابن الفرضي وإحدى النسخ .

قدر غيره ، وإن كان ولا بد من الانتصار لمذهبه وتقوية حجته فليكن ذلك بحسن أدب مع الأئمة ، رضي الله تعالى عنهم ، فلأنهم على هدى من ربهم ، وقد ضلَّ بعض الناس فحملة التعصب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز في حق العلماء الذين هم نجوم الملة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وقد حكى أبو عبد الله الوادي آشي - حسبما رأيته بخطه - أن القاضي عبد الوهاب ابن نصر البغدادي المالكي ألَّف كتاباً لنصرة مذهب مالك على غيره من المذاهب في مائة جزء ، وسمَّاه « النصره لمذهب إمام دار الهجرة » ، فوقع الكتاب بخطه بيد بعض قضاة الشافعية بمصر ، فغرقه في النيل ، فقضى الله تعالى أن السلطان فرج بن برقوق سافر إلى الشام ومعه القضاة الأربعة وغيرهم من الأعيان لدفع تيمورلنك عن البلاد ، فلم يستطع شيئاً ، وهُزم إلى مصر ، وتفرقت العساكر ، وأخذ القضاة والعلماء أسارى ومن جملتهم ذلك القاضي ، فبقي في أسر تيمورلنك إلى أن ارتحل عن الشام ، فأخذه معه أسيراً إلى أن وصل إلى الفرات ، فغرق فيه ، أعني القاضي ، فرأى بعض الناس أن ذلك بسبب تغريقه الكتاب المذكور ، وإجزاء من جنس العمل ، والله تعالى أعلم .

* * *

[بين ابن خلدون وتيمورلنك]

وقد نجَّى الله تعالى من هذه الورطة قاضي القضاة أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المالكي صاحب كتاب « العبر » ، وديوان المبتدأ والخبر ، في تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، فإنه كان من جملة القضاة الحاضرين في الهزيمة ، فلما أدخلوا على تيمورلنك قال لهم ابن خلدون^١ : قدّموني للكلام تنجوا إن شاء الله تعالى . وإلا فأنتم أخير ،

.....

١ أخبار ابن خلدون مع تيمورلنك وردت في التعريف : ٣٦٦ وما بعدها وعجائب المقدور =

فقدّموه وعليه زي المغاربة ، فلمّا رآه تيمورلنك قال : ما أنت من هذه البلاد ؟ وتكلّم معه فخلبه ابن خلدون بلسانه ، وكان آية الله الباهرة ، ثم قال لتيمورلنك : إنّي ألّفت كتاباً في تاريخ العالم ، وحليته بذكرك ، أو كما قال ، ويقال : إن تيمورلنك هو الذي قال له : بلغني أنّك ألّفت كتاباً في تاريخ العالم ، ثم قال له تيمورلنك : كيف ساغ لك أن تذكرني فيه وتذكر بختنصر مع أنّنا جربنا العالم ؟ فقال له ابن خلدون : أفعالكما العظيمة ألحقتهما بالذكر مع ذوي المراتب الجسيمة ، أو نحو هذا من العبارات ، فأعجبه ذلك ، وقيل : إنّه لما أنس بـابن خلدون قال له : يا خُونْدُ ، ما أسفني إلا على كتاب ألّفته في التاريخ ، وأنفقت فيه أيام عمري ، وقد تركته بمصر ، وإن عمري الماضي ذهب ضياعاً حيث لم يكن في خدمتك وتحت ظل دولتك ، والآن أذهب فأقي بهذا الكتاب وأرجع سريعاً حتّى أموت في خدمتك ، ونحو هذا من الكلام ، فأذن له ، فذهب ولم يعد إليه ، وقال بعض العلماء : إنّه لم ينبج من يد ذلك البليار أحد من العلماء غير ابن خلدون ورجل آخر ، وقد ذكر ذلك ابنُ عرب شاه في « عجائب المقدور » وقد طال عهدي به فليراجع ، وحكى غير واحد أن تيمورلنك لما أخذ حلب على الوجه المشهور في كتب التاريخ جمع العلماء فقال لهم على عادته في التعنت : قَتِلْ مِنّا ومنكم جماعة ، فمن الذي في اللجنة قتلانا أو قتلاكم ؟ وكان مراده إبراز سبب لقتلهم ، لأنّهم إن قالوا أحد الأمرين هلكوا ، فقال بعض العلماء ، وأظنه ابن الشحنة : دعوني أجبه وإلا هلكم ، فتركوه . فقال له : يا خُونْدُ ، هذا السؤال أجاب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه ، فغضب تيمورلنك وقال : كيف يمكن أن يجيب عن هذا السؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن لم نكن في زمانه ؟ أو كلاماً هذا معناه ،

= والسلوك للمقرئ وتاريخ ابن قاضي شعبة وقد قام وتر فشل بدراستها في كتابه « ابن خلدون وتيمورلنك : ١٩٥٢ » .

فقال العالم المذكور : روينّا في الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حَمِيَّةً ويقاتل لِيُدَّكَرَ وَيُرى مكانه ، فمن الذي في الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلّم : « مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الذي في الجنة » أو كما قال صلى الله عليه وسلّم ، فتعجب تيمورلنك من هذا الجواب المفحم المسكت ، وحقّ له أن يتعجب منه ، فإنّ هذا من الأجوبة التي يقل نظيرها ، وفيها المخلص على كل حال بالإنصاف ، وقد وفق الله تعالى هذا العالم لهذا الجواب حتّى يتخلّص على يده أولئك الأقوام من الطاغية الجبار العنيد الذي جعل الله تعالى فتنه في الإسلام وفتنة جِنَكِزْخان وأولاده من أعظم الفتن التي وهى بها المسلمون .

وذكر بعض العلماء أن ابن خلدون لما أقبل على تيمورلنك قال له : دعني أقبل يدك ، فقال : ولم ؟ فقال له : لأنّها مفتاح الأقاليم ، يشير إلى أنّه فتح خمسة أقاليم ، وأصابع يده خمس : فلكل إصبع إقليم ، وهذا أيضاً من دهاء ابن خلدون .

وقد كدنا نخرج عن المقصود في هذه الترجمة فلنصرف العنان ، والله سبحانه المستعان .

٢١١ - ومن الراحلين من الأندلس الإمام الحافظ أبو بكر ابن عطية ، رحمه الله تعالى^١ ، قال الفتح : شيخ العلم ، وحامل لوائه ، وحافظ حديث النبي صلى الله عليه وسلّم وكوكب سمائه ، شرح الله تعالى لحفظه^٢ صدره ، وطاول به عمره ، مع كونه في كل علم وافر النصيب ، مياسراً بالمُعَلّي والرقيب ، رحل إلى المشرق لأداء الفرض ، لابس بُردٍ من العمر الغض ، فروى وقيد ،

١ ترجمة أبي بكر ابن عطية في قلائد القيان : ٢٠٧ ، وأزهار الرياض ٣ : ٩٩ ، وتذكرة الحفاظ : ١٣٦٩ ، والصلة : ٤٣٢ ، واسمه غالب بن عبد الرحمن بن عطية .
٢ القلائد : لتحفظه .

ولقي العلماء وأسند ، وأبقى تلك المآثر وخلّد ، نشأ في بيئة^١ كريمة ، وأرومة من الشرف غير مسرومة ، لم يزل فيها على وجه الزمان أعلامٌ عليم ، وأرباب مجد ضخّم ، قد قيدت مآثرهم الكتب ، وأطلعتهم التواريخ كالشهب ، وما برح الفقيه أبو بكر يتسّم كواهل المعارف وغوّارها ، ويقيد شوارد المعاني وغرائبها ، لاستضلاعه بالأدب الذي أحكم أصوله وفروعه ، وعمر برهة من شببته ربّوعه ، وبرز فيه تبرز الجواد المستولي على الأمد ، وجلّى عن نفسه به كما جلّى الصقال عن النصل الفسّد ، وشاهد ذلك ما أثبتته من نظمه الذي يروق جملة وتفصيلاً ، ويقوم على قوّة العارضة دليلاً ، فمن ذلك قوله يحذر من خلطاء الزمان ، وينبه على التحفظ من الإنسان :

كُنْ بذئب صائدٍ مُستأنساً وإذا أبصرت إنساناً فقيرٌ
إنما الإنسانُ بحرٌ ما له ساحلٌ فاحذره إياك الغررُ
واجعل الناسَ كشخصٍ واحدٍ ثم كن من ذلك الشخصِ حذِرُ
وله في الزهد :

أيّها المطرودُ من باب الرضى كم يراك الله تلهو مُعْرِضاً
كم إلى كم أنت في جهل الصبّا قد مضى عُمُرُ الصبّا وانقرضاً
قم إذا الليلُ دَجّت ظلمتهُ واستلذّ الحفنُ أن يغمضاً
فضع الحدة على الأرض ونُحْ واقرع السنّ على ما قد مضى
وله في هذا المعنى :

قلبي يا قلبي المعنى كم أنا أدعى فلا أجيبُ
كم أتمادى على ضلالٍ لا أرعوي لا ولا أنيبُ

١ دوزي : بيتنة ، القلائد : بيتة .

ويلاه من سوء ما دهاني يتوب غيري ولا أتوب
 واأسفني كيف برء دائي دائي كما شاءه الطيب
 لو كنت أدنو لكنت أشكو ما أنا من بابي قريب
 أبعدني منه سوء فعلي وهكذا يبعد المريب
 ما لي قدر وأي قدر لمن أخلت به الذنوب

وله في هذا المعنى أيضاً :

لا تجعلن رمضان شهر فكاكة تلهيك فيه من التبيح فتونه
 واعلم بأنك لا تنال قبوله حتى تكون تصومه وتصونه

وله في مثل ذلك^١ :

إذا لم يكن في السمع مني تصاون وفي بصري غص وفي مقولي صمت
 فحظي إذا من صومي الجوع والظما وإن قلت لاني صمت يوماً فما صمت

وله في المعنى الأول :

جفوت أناساً كنت آلف وصلهم وما في الحفا عند الضرورة من باس
 بلوت فلم أحمد ، وأصبحت آيساً ولا شيء أشفى للنفس من الياس
 فلا تعذلوني في انقباضي فلاني رأيت جميع الشر في خيلة الناس

وله يعاتب بعض إخوانه :

وكنْتُ أظن أن جبال رضى تزول وأن ودك لا يزول
 ولكن الأمور لها اضطراب وأحوال ابن آدم تستحيل
 فإن يك بيننا وصل جميل وإلا فليكن هجر طويل

١ ورد هذان البيتان أيضاً في أخبار وتراجم أندلسية ص : ٣١ .

وأما شعره الذي اقتلحه من مَرَّخ الشباب وعَفَّاره ، وكلامه الذي وشحه
بمآرب الغَزَل وأوطاره ، فإنه نسي إلى ما تناساه ، وتركه حين كساه العلم
والورع من ملابسه ما كساه ، فمما وقع من ذلك قوله :

كَيْفَ السَّلُوُّ وَلِي حَبِيبٌ هَاجِرٌ قَابِي الْفُؤَادِ يَسُومُنِي تَعْدِيَا
لَمَّا دَرَى أَنَّ الْخِيَالَ مُوَاصِلِي جَعَلَ السَّهَادَ عَلَى الْجَفُونِ رَقِيَا
وله أيضاً :

يَا مَنْ عُهُودِي لَدَيْكَ تُرْعَى أَنَا عَلَى عَهْدِكَ الْوَثِيقِ
إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْمَعِي غَرَامِي مِنْ خَيْرِ عَالَمٍ صَدُوقِ
فَاسْتَخْبِرِي قَلْبَكَ الْمَعْنَى يُخْبِرُكَ عَنْ قَلْبِي الْمَشْبُوقِ
انتهى كلام الفتح .

وأبو بكر ابن عطية المذكور هو والد الحافظ القاضي أبي محمد عبد الحق
ابن عطية صاحب التفسير الشهير ، رحم الله تعالى الجميع .

• • •

[ترجمة عبد الحق بن عطية]

قال في الإحاطة في حقه ما ملخصه ^١ : [هو] الشيخ الإمام المفسر عبد
الحق بن غالب بن عطية المحاربي ، فقيه عالم بالتفسير والأحكام والحديث والفقه
والنحو واللغة والأدب ، حسن التقييد ، له نظم ونثر ، ولي قضاء المرية سنة
تسع وعشرين وخمسمائة في المحرم ، وكان غاية في الذكاء والدهاء والتهتم
بالعلم ، سرياً الهمة في اقتناء الكتب ، توخى الحق ، وعدل في الحكم ، وأعز
الخطبة ، روى عن أبيه وأبوي علي الغساني والصدفي وطبقتهما ، وألف كتابه

١ انظر الإحاطة : ٣٠٨ (نسخة الكتاني) .

« الوجيز » في التفسير فأحسن فيه وأبدع ، وطار بحسن نيته كل مَطار ،
وبرنامجاً ضمَّنه مروياته وأسماء شيوخه فحرَّر وأجاد .

ومن نظمه يندب عهد شبابه^١ :

سَقِيًّا لِعَهْدِ شَبَابٍ ظَلَلْتُ أَمْرَحُ فِي رِيْعَانِهِ وَلِيَالِي الْعَيْشِ أَسْحَارُ
أَيَّامِ رَوْضِ الصَّبَا لَمْ تَذُوْ أَعْصَنُهُ وَرَوْنَقُ الْعَمْرِ غَضُّ وَالْهَوَى جَارُ
وَالنَّفْسُ تُرَكِّضُ فِي تَضْمِيرِ شَرَّتْهَا طَرِيفًا لَهُ فِي زَمَانِ اللَّهْوِ إِحْضَارُ
عَهْدًا كَرِيمًا لِبَسْنَا فِيهِ أُرْدِيَّةَ كَانَتْ عِيَانًا وَمَحَتْ فِيهِ آثَارُ
مَضَى وَأَبْقَى بِقَلْبِي مِنْهُ نَارَ أَسَى كُونِي سَلَامًا وَبَرْدًا فِيهِ يَا نَارُ
أَبْعَدْ أَنْ نَعِمْتَ نَفْسِي وَأَصْبَحَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ لَصْبَحِ الشَّيْبِ إِسْقَارُ
وَقَارَعَتْنِي اللَّيَالِي فَانْتَنَتْ كَسْرًا عَنْ ضَيْغَمٍ مَا لَهُ نَابٌ وَأُظْفَارُ
إِلَّا سِلَاحَ خِلَالٍ أُخْلِصَتْ فَلَهَا فِي مِنْهَلِ الْمَجْدِ إِيرَادٌ وَإِصْدَارُ
أَصْبُو إِلَى رَوْضِ عَيْشٍ رَوْضُهُ خَضِيلٌ أَوْ يَبْثِي بِي عَنْ الْعَتِيَاءِ إِقْصَارُ
إِذَا فَعَطَلْتُ كَفِّي مِنْ شَبَابٍ قَلَمُ آثَارِهِ فِي رِيَاضِ الْعِلْمِ أَزْهَارُ

مولده سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، وتوفي في الخامس والعشرين من
شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة ببلورقة^٢ ، قصد ميثورة^٣ يتولى
قضاءها فصدَّ عن دخولها وصُرف منها إلى لورقة اعتداء عليه ، رحمه الله
تعالى ، انتهى .

وقال الفتح في حقه ما نصه^٣ : فتي العمر كهل العلاء ، حديث السن قديم
السنة ، ليمس الجلالة برُداً ضافياً ، وورد ماء الأصالة صافياً ، وأوضح للفضل
رسماً عافياً ، وثني من ذهنه للأغراض فنناً قصداً ، وجعل فهمه شهاباً

١ لم ترد القصيدة في نسخة الإحاطة ، والمقري يشر أنه ما يزال ينقل عنها .

٢ الإحاطة : قصد مرسية .

٣ لم يرد هذا النص في القلائد والمطبع المطبوعين .

رَصَدًا ، سما إلى رُتَب الكهول صغيراً ، وشنَّ كَتِيبَةً ذهنه على العلوم مُغِيرًا ،
فَسَبَّاهَا معنى وفَصَّلًا ، وحوَّأها فرعاً وأَصْلًا ، وله أدبٌ يسيل رَضْرَاضًا ،
ويستحيل ألفاظاً مبتدعة وأغراضاً .

وقال أيضاً فيه ^١ : نَبْعَةُ دَوْحِ العَلَاء ، ومحزُّ ملابسِ الثناء ، فَنَدُّ الجلالة ،
وواحد العصر والأصالة ، وقار كما رسا الهضب ، وأدب كما اطرَّد السِّلْسَلُ
العذب ، وشيم تتضاءلُ لها قطع الرياض ، وتبادر الظن به ^٢ إلى شريف الأغراض ،
سابقَ الأجماد فاستولى على الأمد بعبابه ^٣ ، ولم ينض ثوب شبابه ، أدْمَنَ التعب
في السؤدد جاهداً ، فنى تناول الكواكب قاعداً ، وما اتكل على أوائله ، ولا
سكن إلى راحت بُكَرِه وأصائله ، أثره في كل معرفة عِلْمٌ في رأسه نار ،
وطواله في آفاقها صُبْحٌ أو منار ^٤ ، وقد أثبت من نظمه المستبدع ما ينفع عَبيراً ،
ويتضح منيراً ، فمن ذلك قوله من قصيدة :

وليلةٌ جُبْتُ فيها الجزع مرتدياً بالسيف أسحبُ أذيالاً من الظُلُمِ
والنجمُ حيرانُ في بحرِ الدجى غَرِقُ والبرقُ في طيلسانِ الليلِ كالعلمِ
كأنما الليلُ زنجيٌ بكاهلهِ جرحٌ فيثعَبُ أحياناً له بدمِ
انتهى المقصود منه .

وهو — أعني أبا بكر — أحدُ مشايخ عياض ، حسبما أُلعت به في « أزهار
الرياض » .

٢١٢ — ومنهم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فَرُوح — بالحاء المهملة —

١ انظر القلائد : ٢٠٨ .

٢ القلائد : ويبادر به الظن .

٣ القلائد : بغلابه .

٤ القلائد : نهار .

ابن أحمد بن محمد ، الإمام ، الحافظ ، الزاهد ، بقية السلف ، اللّخمي ،
الإشيليّ^١ ، الشافعي^٢ ، أسره الإفرنج سنة ست وأربعين وستمائة ، وخلص ،
وقدم مصر سنة بضع وخمسين ، وقيل : لأنه تمذهب للشافعي ، وتفقه على الشيخ
عز الدين بن عبد السلام قليلاً ، وسمع من شيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري
الحموي ، والمعين أحمد بن زين الدين وإسماعيل بن عزوز والنجيب بن
الصيقل وابن علاّق ، وبدمشق من ابن عبد الدائم وخلق ، وعني بالحديث ،
وأثّق ألفاظه ، وعرف رُؤاته وحفظه ، وفهم معانيه ، وانتقى لبابه ومبانيه .
قال الصفدي^٣ : وكان من كبار أئمة هذا الشأن ، وممن يجري فيه وهو
طَلَقُ اللسان^٤ ، هذا إلى ما فيه من ديانة ، وورع وصيانة ، وكانت له حلقة
اشتغال بكرة بالجامع الأموي يلازمها ، ويَحُومُ عليه من الطلب حوائجها ،
سمع عليه الشيخ شمس الدين الذهبي ، واستفاد منه ، وروى في تصانيفه عنه ،
وعرضت عليه مشيخة دار الحديث النورية فأبأها ، ولم يقبل حياها ، وكان
بزيّ الصوفية ، ومعه فقاها بالشافعية^٥ ، ولم يزل على حاله حتى أحزن الناس
ابن فرح ، وتقدّم إلى الله وسرح ، وشيع الخلق جنازته ، وتولّوا وضعه في
القبر وحيازته ، وتوفي رحمه الله تعالى تاسع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين
وستمائة ، ومولده سنة خمس وعشرين وستمائة .
وله قصيدة غزلية في ألقاب الحديث سمعها منه الدُّمياطي واليُونيني ،
وسمع منه البرزالي والمقاتلي والناقلي وأبو محمد ابن الوليد ، ومات بترية أم

١ ترجمته في أعيان العصر (الورقة ١٠٥ أ من المخطوطة رقم ٢٩٦٢ آياصوفيا) والوادي ٧ :
الورقة ١٣٨ وتذكرة الحفاظ : ١٤٨٦ وطبقات السبكي ٥ : ١٢ وشذرات الذهب
٥ : ٤٤٣ .

٢ النقل عن أعيان العصر . .

٣ أعيان العصر : العنوان .

٤ أعيان العصر : بالشامية .

الضالّح بالإسهال .

والقصيدة المذكورة هي هذه :

غَرَامِي صَحِيحٌ وَالرَّجَا فِيكَ مُعْضَلٌ
وَصَبْرِي عَنْكُمْ يَشْهَدُ الْعَقْلُ أَنَّهُ
وَلَا حَسَنٌ إِلَّا سَمَاعُ حَدِيثِكُمْ
وَأَمْرِي مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ لِي
وَلَوْ كَانَ مَرْفُوعاً إِلَيْكَ لَكُنْتُ لِي
وَعَدْلٌ عَدُولِي مُنْكَرٌ لَا أَسِيغُهُ
أَقْفِي زِمَانِي فِيكَ مَتَّصِلُ الْأَسَى
وَمَا أَنَا فِي أَكْفَانِ هَجْرِكَ مُدْرَجٌ
وَأَجْرَيْتُ دَمْعِي بِالْدمَاءِ مَدْبُجاً
فَمَتَّفِقٌ سَهْدِي وَجَفِّي^١ وَصَبْرِي
وَمُؤْتَلَفٌ شَجْوِي وَوَجْدِي^٢ وَلَوْعِي
خُلْدُ الْوَجْدِ عَنِّي مُسْتَدَاً وَمَعْنَعَاً
وَذِي نُبْدٍ مِنْ مَبْهَمِ الْحُبِّ فَاعْتَبِرْ
عَزِيزٌ بِكُمْ صَبٌّ ذَلِيلٌ لغيرِكُمْ
غَرِيبٌ يُقَاسِي الْبُعْدَ عَنْكَ ، وَمَا لَهُ
فَرْقاً بِمَقْطُوعِ الْوَسَائِلِ ، مَا لَهُ
فَلَا زِلْتَ فِي عَزٍّ مَنِيعٍ وَرَفْعَةٍ
أَوْرِي بِسُعْدِي وَالرَّبَابِ وَزَيْنَبِ
فَعَدْلٌ أَوَّلًا مِنْ آخِرٍ أُنْثَمُ أَوَّلًا

وَحَزَنِي وَدَمْعِي مُطْلَقٌ وَمُسْلَسٌ
ضَعِيفٌ وَمَتْرُوكٌ ، وَذُلِّي أَجْمَلٌ
مُشَافَهَةٌ يُمَسِّلِي عَلَيَّ فَأَنْقَلُ
عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ الْمُعْوَلُ
عَلَى رَغْمِ عُدَايَ تَرَقُّ وَتَعْدُلُ
وَزُورٌ وَتَدْلِيسٌ يُرَدُّ وَيُهْمَلُ
وَمُنْقَطَعٌ عَمَّا بِهِ أَتَوَصَّلُ
تُكَلِّفَنِي مَا لَا أَطِيقُ فَأَحْمَلُ
وَمَا هُوَ إِلَّا مُهْجَتِي تَتَحَلَّلُ
وَمُفْتَرِقٌ صَبْرِي وَقَلْبِي الْمُبْتَلُ
وَمُخْتَلَفٌ حَظِّي وَمَا مِنْكَ آمَلُ
فَغَيْرِي مَوْضُوعُ الْهَوَى يَتَحِيلُ
وَعَامِضُهُ إِنْ رَمَتْ شَرْحاً أَحْوَلُ
وَمَشْهُورٌ أَوْصَافُ الْمَحَبَّةِ التَّذَلُّلُ
وَحَقُّ الْهَوَى عَنْ دَارِهِ مُتَحَوَّلُ
إِلَيْكَ سَبِيلٌ لَا وَلَا عَنْكَ مَعْدِلُ
وَمَا زِلْتَ تَعْلُو بِالْثَجْنِي فَأَنْزِلُ
وَأَنْتَ الَّذِي تُعْنَى وَأَنْتَ الْمُؤَمَّلُ
مِنْ النِّصْفِ مِنْهُ فَهَوَى فِيهِ مَكْمَلُ

١ أعيان المصر : جفني وسهدي .

٢ أعيان المصر : وجدي وشجوي .

أَبْرُ إِذَا أَقْسَمْتُ أَنْتَ بِحَبَّةِ أَهِيمٍ وَقَلْبِي بِالصَّبَابَةِ يَشْعَلُ

وقد ذكرت شرحها في الجزء الثلاثين من تذكرتي ، انتهى كلام الصفدي .
وظاهر كلامه أنه ابن فرح — بفتح الراء — والذي تلقيناه عن شيوخنا أنه
بسكون الراء ، وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب يطول
تعدادهم ، وهي وحدها دالة على تمكن الرجل ، رحمه الله تعالى .

٢١٣ — ومنهم عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر ، أبو الأصبغ ، الأموي ،
الأندلسي ^١ ، سمع بمكة وبدمشق ومصر وغيرها ، وحدث عن سليمان بن
أحمد بن يحيى بسنده إلى جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إن لكل بني أب عَصْبَةٍ يَتَتَمُونَ إليها ، إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عَصْبَتُهُمْ ،
وهم عِشْرَتِي ، خَلَقُوا من طِينِي ، ويل للمُكَذِّبِينَ بفضيلهم ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ
الله ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ » . وحدث عن أبي العباس أحمد بن محمد البرذعي
بسنده إلى عبد الله بن المبارك قال : كنت عند مالك بن أنس وهو يحدثنا ،
فجاءت عقرب فلدغته ست عشرة مرة ، ومالك يتغير لونه ويتصبر ، ولا يقطع
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس
عنه قلت له : يا أبا عبد الله ، قد رأيت منك عجباً ، قال : نعم ، أنا صبرت
إجلالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولد أبو الأصبغ المذكور بقَرْطَبَة وتوفي ببخارى سنة ٣٦٥ .
قال الحاكم أبو عبد الله : رأيت أبا الأصبغ في المنام في بستان فيه خضرة
ومياه جارية وفُرُش كثيرة ، وكأني أقول : إنها له ، فقلت : يا أبا الأصبغ ، بماذا
وصلت إليه ؟ أبا الحديث ؟ فقال : إي والله ، وهل نجوت إلا بالحديث ؟ قال :
ورأيت أيضاً وهو يمشي بزى أحسن ما يكون ، فقلت : أنت أبو الأصبغ ؟ فقال :

١ ترجمته في ابن الفري ١ : ٣٢١ .

نعم ، قلت : ادعُ الله تعالى أن يجمعني وإيّاك في الجنة ، فقال : إن أمام الجنة أهوالاً ، ثم رفع يديه وقال : اللهم اجعله معي في الجنة بعد عمر طويل ، انتهى .

٢١٤ - ومنهم القاضي أبو البقاء خالد ، البَلَوِي ، الأندلسي ، رحمه الله تعالى ^١ ، وهو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد ، البلوي ، ووصفه الشاطبي بأنه الشيخ الفقيه القاضي الأعدل ، انتهى .
وهو صاحب الرحلة المسماة : « تاج المَفْرِق في تحلية أهل المشرق » ^٢ ، ومما أنشده رحمه الله تعالى فيها لنفسه :

ولقد جرى يومَ النّوى دمعي دماً حتى أشاعَ الناسُ أنك فاني
والله إن عادَ الزّمانُ بقرْبنا لكففتُ عن ذكر النّوى وكفاني

وهذه الرحلة المسماة بتاج المفرق مشحونة بالفوائد والفرائد ، وفيها من العلوم والآداب ما لا يتجاوزه الرائد ، وقد قال رحمه الله تعالى فيها في ترجمة الولي نجم الدين الحجازي ، رضي الله تعالى عنه ، ما نصّه ^٣ : وذكر لي رضي الله تعالى عنه قال : ممّا وصّى به الجلد الأكبر أبو الحجاج يوسف المذكور - يعني سيدي أبا الحجاج يوسف بن عبد الرحيم الأقصري القطب الغوث رضي الله تعالى عنه ، وأعاد علينا من بركاته - خواصّه وأصدقائه ، قال : إذا أدركتكم الضرورة والفاقة فقولوا : حسبي الله ، ربي الله يعلم أنني في ضيق ، قال : وذكر لي أيضاً رضي الله تعالى عنه قال : رأى هذا الجلد يوسف المذكور النبيّ صلى الله

١ ترجمة خالد البلوي في الإحاطة ١ : ٣٢٤ والكتيبة الكامنة : ١٣٤ ونيل الابتهاج : ٩٩ نقلا عن فهرسة الحضرمي .

٢ من هذه الرحلة نسخ كثيرة خطية ، وسنعمد منها النسخة رقم ١٠٥٣ جغرافياً بدار الكتب المصرية ، وإن لم تكن من خير النسخ .

٣ تاج المفرق ، الورقة : ١٤٠ .

عليه وسلم في النوم ، بعد أن سأل الله تعالى ذلك ، وقد كان أصابته فاقة ، فشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل يا بَرُّ١ يا رحيم ، يا بَرُّ٢ يا رحيم ، الطُّفُّ بي في قضائك ، ولا تولَّ أمري أحداً سواك ، حتى ألقاك » ، فلما قالها أذهب الله تعالى عنه فاقته . قال : وكان رحمه الله تعالى يوصي بها أصحابه وأحبابه ، انتهى .

ونسب بعضهم القاضي خالداً المذكور إلى انتقال كمال العماد في « البرق الشامي » ، لأن خالداً أكثر في رحلته من الأسجاع التي للعماد ، فلذا قال لسان الدين ابن الخطيب فيه :

خليليَّ إن يُقْضَ اجتماعُ بخالدٍ فقولا له قولاً ولن تعدُّوا الحقاً
سرفت العمادَ الأصهبانيَّ برقهُ وكيف تَرَى في شاعر سرقَ البرُّقا

وأظن أن لسان الدين كان منحرفاً عنه ، ولذلك قال في كتابه « خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف »^٢ عندما جرى ذكر قنْثُورِيَّة^٣ وقاضيهما خالد المذكور ما صورته : لم يتخلف ولد عن والد ، وركب قاضيهما ابن أبي خالد ، وقد شهرته النزعة الحجازية ، ولبس من خشن الحِجَا زِيَّةً ، وأرخی من البياض طيلساناً ، وتَشَبَّهَ بالمشارة شكلاً ولساناً ، والبداوة تَسِمُهُ على الخرطوم ، وطبع الماء والهواء يقوده قردَ الحمل المخطوم ، انتهى .

ومن نظم أبي البقاء خالد البكوي المذكور قوله :

أنى العيدُ واعتاد الأُحِبَّةُ بعضهم يبعض وأحبابُ المتيسِّمِ قلبه بانوا

١ تاج الفرق : يا رب .

٢ نشرها الدكتور أحمد مختار المبادي في كتابه « مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب » ص ٢٥ -

٥٣ ، وانظر النص ص : ٣٦ - ٣٧ .

٣ قنْثُورِيَّة : (Cantoria) تقع إلى جنوب برشانة (Purchena) ، في ولاية المرية ، وتكتب أيضاً « قنْثُورِيَّة » .

وأضحى وقد ضحّوا بقربانهم وما لديه سوى حُمُرِ المدامعِ قربانُ
وقال في رحلته : إنّه قال هذين البيتين بديهةً بمصلّى تونس في عيد النحر
من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

ومن نظمه أيضاً قوله رحمه الله تعالى :

ومستنكر شَيْبِي وما ذهبَ الصِّبَا ولا جَفَّ إيناعُ الشَّيْبَةِ مِن غصني
فَقُلْتُ فراقِي للأحبةِ مؤذن بشيبي وإن كنتُ ابنَ عشرين من سني

ومحاسنه — رحمه الله تعالى — كثيرة ، وفي الرحلة منها جملة .

٢١٥ — ومنهم برهان الدين أبو إسحاق ابن الحاج إبراهيم ، النميري ،
الغرناطي^١ ، وهو أيضاً مذكور في ترجمة ابن الخطيب بما يغني عن تكرير
ذكره هنا ، وقال رحمه الله تعالى في رحلته : أخبرني شيخنا — يعني الشيخ الإمام
الصالح أبا عبد الله محمد المعروف بخليل التوزري إمام المالكية بالحرم الشريف
رضي الله تعالى عنه — قال : اعتكفت بجامع عمرو بن العاص كَفّاً لشرّتي عن
الناس ، خصوصاً أذى الغيبة ، نحو خمسين ليلة ، أردت أن أدعو لطائفة من
أصحابي بمطالب مختلفة ، كلٌّ بحسب ظنّي فيه يومئذ ، فأدركتني حيرة في
التمييز والتخصيص ، فألهمت أن قلت بديهة :

شَهِدْنَا بتقصير ألبابنا فحُسُنُ اختيارك أولى بنا
وأنتَ البصيرُ بأعدائنا وأنتَ البصيرُ بأحبابنا

قال : ثم أردفتها بدعاء ، وهو : اللهم يا من لا يعلم خيره إلاّ هو ،
أنت أعلم بأعدائنا وأودائنا ، فافعل بكلّ منهم ما يناسب حسن اختيارك لنا ،
حسبما علمته منا ، وكفى بك عليمًا ، وكفى بك قديرًا ، وكفى بك بصيرًا ،

١ ستأتي له ترجمة صافية في النفع ، حيث نذكر أهم المصادر التي أوردت ترجمته .

وكفى بك لطيفاً ، وكفى بك خبيراً ، وكفى بك نصيراً ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً كثيراً .

وقال ابن الحاج المذكور في الرحلة المذكورة : إذا التقى الرجل بعدوه وهو على خوف منه فليقرأ هذه الحروف (كهيعص ، حمسق) وليعقد بكل حرف منها إصبعاً ، يبدأ بإبهام يده اليمنى ويختم بإبهام يده اليسرى ، فإذا قرب من عدوه فليقرأ في نفسه سورة الفيل ، فإذا وصل إلى قوله (ترميهم) فليكررها ، وكلما كررها فتح إصبعاً من أصابعه المعقودة تجاه العدو ، فيكررها عشر مرات ، ويفتح جميع أصابعه ، فإذا فعل ذلك أمن من شره إن شاء الله تعالى ، وهو مجرب ، انتهى .

ومن بديع نظم أبي إسحاق ابن الحاج التميمي المذكور قوله :

ياربّ كاس لم يُشجّ شمولها فاعجب لها جسماً بغير ميزاج
لما رأينا السحر من أشكالها جُملاً نسبناه إلى الزجاج

وله فيما أظن :

له شقّة أضاعوا التشر فيها بلثم حين سدّت ثغر بدر
فما أشهى لقلبي ما أضاعوا « ليوم كريمة وسداد ثغر »

وهو تضمين حسن .

٢١٦ - ومن الراحلين من الأندلس إلى المشرق إمام النحاة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، النقّري ، الأثري ، الغرناطي^١ . قال ابن مرزوق الخطيب في حقه : هو شيخ النحاة بالديار

١ ترجم له الصفدي في الوافي وأعيان العصر ونكت المبيان : ٢٨٠ وانظر أيضاً الكتيبة الكامنة : ٨١ والدرر : ٣٠٢ وبغية الوعاة : ١٢١ وطبقات الشافعية ٦ : ٣١ وغاية النهاية ٢ : ٢٨٥ .

المصرية ، وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية ، انتهت إليه رئاسه التبريز في علم العربية واللغة والحديث ، سمعت عليه وقرأت ، وأنشدني الكثير ، وإذا أنشدني شيئاً ولم أقيده استعاده مني فلم أحفظه ، فأنشدني وكنت أظنه لنفسه ارتجالاً إلى أن أخبرني أحد أصحابنا عنه أنه أخبره أنهما لأبي الحسن التتجاني أنشدهما له بيته بالمدرسة الصالحية رحمه الله تعالى :

إنَّ الذي يَرَوِي ولكنَّهُ يَحْفَظُ ما يروِي ولا يَكْتُبُ
كصخرةٍ تَنبُعُ أمواجُها تسقي الأراضِي وهي لا تشربُ

قال : ورويت عنه تواليف ابن أبي الأحوص : منها « التبيان في أحكام القرآن » و « العرب المفهم في شرح مسلم » ولم أقف عليه ، و « الوسامة في أحكام القسامة » و « المشرع السلسل في الحديث السلسل » وغير ذلك . وحدثني بسنن أبي داود عن ابن خطيب الميزة عن أبي حفص ابن طبرزاد عن أبي البدر الكروخي ومفلح الرومي عن أبي بكر ابن ثابت الخطيب عن أبي عمر الهاشمي عن اللؤلؤي عن أبي داود ، وبسنن النسائي عن جماعة عن ابن باقا عن أبي زرعة عن ابن حميد الدؤسي عن أبي نصر الكسار عن ابن السني عن النسائي ، وبالموطأ عن أبي جعفر ابن الطباع بسنده .

وشكوت إليه يوماً ما يلقاه الغريب من أذاعة العُداة ، فأنشدني لنفسه :

عُدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمَنَّةٌ فلا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِي الْأَعَادِيَا
هُمْ يُحْتَوُوا عَنْ رَلَّتِي فَاجْتَنَبَتْهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَاكْتَسَبَتْ الْمَعَالِيَا

وأنشدني أيضاً من مُداعباته ، وله في ذلك النظم الكثير مع طهارته وفضله :

عُلِّقَتْهُ سَبَبَجِيَّ اللَّوْنِ قَادِحَهُ ما ابيضَ منه سوى ثَغْرِ حَكِي الدُّرِّ رَا
قد صاغَهُ من سوادِ العينِ خالِقَهُ فكلُّ عَيْنٍ إِلَيْهِ تَدْمِينُ النَّظَرَا

وأنشدني في جاهل لبس صُوفاً وزَها فيه :

أيا كاسياً من جَيْدِ الصوفِ نَفْسَهُ ويا عارياً من كل فَضْلٍ ومن كَيْسٍ
أترهى بصوفٍ وهو بالأمس مصبجٌ على نَعْجَةٍ واليوم أمسى على تَيْسٍ
انتهى ما اختصرته من كلام الخطيب ابن مرزوق .

وأنشد الرحالة ابن جابر الوادي آشي لأبي حَيَّان قوله :

وقَصَّرَ آمالي مآلي إلى الردى وأنّي وإن طال المدى سوف أهلكُ
فصُنْتُ بماء الوجهِ نفساً أَيْتَةً وجادت يميني بالذي كنت أملكُ

ووقفت على «أعيان العصر وأعوان النصر» للصفدي ، فوجدت فيه ترجمة
أبي حيان واسعة فرأيت أن أذكرها بطولها لما فيها من الفوائد ، وهي :
الشيخ ، الإمام ، العالم ، العلامة ، الفريد ، الكامل ، حجة العرب ، مالك
أزمة الأدب ، أثير الدين ، أبو حَيَّان الأندلسي الجياني - بالجيم ، وإليه آخر
الحروف مشددة ، وبعد الألف نون - وكان أمير المؤمنين في النحو ، والشمس
السافرة شتاء في يوم الصَّحو ، والمتصرف في هذا العلم فإليه الإثبات والمحو ،
لو عاصر أئمة البصرة لبصّروهم ، أو أهل الكوفة لكف عنهم اتباعهم السواد
وحذرهم ، نزل منه كتاب سيبويه في وطنه بعد أن كان طريداً ، وأصبح به
التسهيل بعد تعقیده مفيداً ، وجعل مَرْحَةً شرحه وَجَنَةً راقمت النواظر توريداً ،
ملأ الزمان تصانيف ، وأمال عُنُقَ الأيتام بالتواليف ، تخرّج به أئمة في هذا
الفن ، وروّق لهم في عصره منه سُلالة الدّن ، فلو رآه يونس بن حبيب لكان
بغيضاً غير مُجيب ، أو عيسى بن عمر لأصبح من تقصيره وهو محدّر ، أو
الخليل لكان بعينه قَدّاه ، أو سيبويه لما تردى من مسأله الزنبورية بَرّاده ،
أو الكسائي لأعراه حلّة جاهه عند الرشيد وأناسه ، أو الفراء لفرّ منه ولم يقتسم
ولدا المأمون تقديم مداسه ، أو اليزيدي لما ظهر نقصه من مكانه ، أو الأخفش

لأخفى جملةً من محاسنه ، أو أبو عبّيدة لما تركه ينصب لشعب الشعوبية ، أو أبو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلّق بعربية ، أو السكري لما راق كلامه في المعاني ولا حلا ، أو المازني لما زانه قوله « إن مصابكم رجلا » ، أو قطرب لما دبّ في العربية ولا درج ، أو ثعلب لاستكن بمكره في وكره ولما خرج ، أو المبرد لأصبحث قواه مقترّة ، أو الزجاج لأمست قواريره مكسرة ، أو ابن الوزان لعدم نقده ، أو الثماني لما تجاوز حدّه ، أو ابن باب لعلم أن قياسه ما اطرّد ، أو ابن دُرَيْد لما بلغ ريقه ولا ازْدَرَد ، أو ابن قتيبة لأضاع رحله ، أو ابن السراج لمشاه إذا رأى وحله ، أو ابن الخشاب لأضرم فيه ناراً ، ولم يجد معه نوراً ، أو ابن الخباز لما سَجَر له تنوراً ، أو ابن القوّاس لما أغرق في نزعته ، أو ابن يعيش لأوقعه في نزعته ، أو ابن خروف لما وجد له مرعى ، أو ابن إياز لما وجد لأوزاره وقعا ، أو ابن الطراوة لم يكن نحوه طريّا ، أو ابن الدباج لكان من حلّته الرائقة عريّا ، وعلى الحملة فكان إمام النحاة في عصره شرقاً وغرباً ، وفريد هذا الفن الفذ بُعداً وقرباً ، وفيه قلت :

سلطانُ علم النحوِ أستاذُنا ۝ شيخُ أثيرِ الدينِ حَبْرُ الأنامِ
فلا تقلُ زيدٌ وعمرو ، فما في النحوِ معهُ لسواهُ كلامُ

خدم هذا العلم مدّة تقارب الثمانين ، وسلك من غرّائبه وغوامضه طرقاً متشعبةً الأفانين ، ولم يزل على حاله إلى أن دخل في خبر كان ، وتبدّلت حركاته بالإسكان ، وتوفّي رحمه الله تعالى بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة في يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وصلي عليه في الجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر ، ومولده بمدينة مطّحشارش في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة .

وقلت أنا أرثيه رحمه الله تعالى :

مات أثير الدين شيخ الوري
 ورق من حزن نسيم الصبا
 وصادحات الأيك في نوحها
 يا عين جودي بالدموع التي
 واجري دماً فالخطب في شأنه
 مات إمام كان في فته
 أمسى منادى لليلي مفرداً
 يا أسفا كان هدى ظاهراً
 وكان جتمع الفضل في عصره
 وعرف الفضل به برهته
 وكان ممنوعاً من الصرف لا
 لا أفعل التفضيل ما بينه
 لا بدّل عن نعته بالتقى
 لم بدغم في اللحد إلا وقد
 بكى له زيد وعمرو فمن
 ما أعقد التسهيل من بعده
 وجسم الناس على نحو فيه
 من بعده قد حال تميزه
 شارك من قد ساد في فته
 دأب بني الآداب أن يغسلوا
 والنحو قد سار الردي نحوه
 واللغة الفصحى غدت بعده
 تفسيره البحر المحيط الذي
 فوائده من فضله جمّة

فاستعر البسارق واستعبرا
 واعتل في الأسحار لما سرى
 رثته في السجع على خرف را
 يروى بها ما ضمه من ثرى
 قد اقتضى أكثر مما جرى
 يروى إماماً والورى من ورا
 فضمه القبر على ما ترى
 فعاد في تربته مضمرأ
 صح فلما أن قضى كسراً
 والآن لما أن مضى ذكراً
 يطرق من وافته خطب عراً
 وبين من أعرفه في الورى
 ففعله كان له مصدراً
 فك من الصبر وثيق العرى
 أمثلة النحو وممن قرا
 فكم له من عسرة يسراً
 إذ كان في النحو قد استبحرا
 وحظه قد رجع القهقري
 وكم له فن به استأثرا
 بدمعهم فيه بقايا الكرى
 والصرف للتصريف قد غيرأ
 يلغى الذي في ضبطها قورا
 يهدي إلى وراده الجوهرأ
 عليه فيها نعقد الحينصراً

وكان ثَبِتًا نَقْلُهُ حُجَّةً مثلَ ضياءِ الصبحِ إن أسفرا
 ورحلهُ في سُنَّةِ المصطفى أضدقُ من يسمعُ إن أخبرا
 له الأسانيدُ التي قد علتْ فاستفلتْ عنها سوامي الذُرَى
 ساوى بها الأحفادُ أجدادَهم فاعجبْ لماضٍ فاته مَنْ طَرَا
 وشاعراً في نظمه مفلحاً كم حرَّرَ اللفظَ وكم حَبَّرَا
 لها معانٍ كلَّما خطَّها تسترُ ما يرقمُ في تُسْتَرَا
 أفديه من ماضٍ لأمر الردى مستقبلاً من ربِّه بالقِرَى
 ما باتَ في أبيضِ أكفانه إلّا وأضحى سُنْدُها أخضرَا
 تُصافِحُ الخورُ له راحةً كم تعيبتُ في كلِّ ماسطَرَا
 إن مات فالذكرُ له خالدٌ يحيا به من قبل أن يُنْشَرَا
 جاد ثَرَى وافاه غيثٌ إذا مَسَّاهُ بالسَّقْيِ له بَكْرَا
 وتخصَّه من ربِّه رحمةً توردهُ في حشره الكوثرَا

وكان قد قرأ القراءات على الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله
 نحواً من عشرين نichte إفراداً وجمعاً ، ثم على الخطيب الحافظ أبي جعفر أحمد
 الغرناطي المعروف بالطباع بغرناطة ، ثم قرأ السبعة إلى آخر سورة الحجر على
 الخطيب الحافظ أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص بمالقة ،
 ثم لأنه قدم الإسكندرية ، وقرأ القراءات على عبد النصير بن علي بن يحيى
 المربوطي ، ثم قدم مصر فقرأ بها القراءات على أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله
 المليحي ، وسمع الكثير على الجهم الغفير بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية والإسكندرية
 وديار مصر والحجاز ، وحصل الإجازات من الشام والعراق وغير ذلك ،
 واجتهد في طلب التحصيل والتقييد والكتابة ، ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالا
 منه ، لأنني لم أره قط إلّا يسمع أو يشتغل أو يكتب ، ولم أره على غير ذلك ،
 وله إقبال على الطلبة الأذكياء ، وعنده تعظيم لهم ، ونظم ونثر ، وله الموشحات

البديعة ، وهو ثبت فيما ينقله ، محرّر لما يقوله ، عارف باللّغة ، ضابط لألفاظها ، وأما النحو والتصريف فهو إمام الناس كلّهم فيهما ، لم يُذكر معه في أقطار الأرض غيره في حياته ، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم ، خصوصاً المغاربة ، وتقييد أسمائهم على ما يتلفظون به من إمالة وترقيق وتفخيم ، لأنهم يجاورون بلاد الإفرنج وأسماءهم قريبة من لغاتهم ، وألقابهم كذلك ، وقيده وحرّره ، وسأله شيخنا الذهبي أسئلة فيما يتعلّق بذلك ، وأجابها عنها .

وله التصانيف التي سارت وطارت ، وانتشرت وما انتشرت ، وقرئت ودريت ونسخت وما فسخت ، أجملت كتب الأقدمين ، وألهمت المقيمين بمصر والقادمين ، وقرأ الناس عليه ، وصاروا أئمة وأشياخاً في حياته ، وهو الذي جتسّر الناس على مصنّفات ابن مالك رحمه الله تعالى ، ورغّبهم فيها وفي قراءتها ، وشرح لهم غامضها ، وخاض بهم بلججها ، وفتح لهم مقفلها ، وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب : هذه نحو الفقهاء ، وكان التزم أن لا يُقرئ أحداً إلاّ إن كان في كتاب سيويه أو في التسهيل لابن مالك أو في تصانيفه ، ولما قدم من بلاده لازم الشيخ بهاء الدين رحمه الله تعالى كثيراً ، وأخذ عنه كتب الأدب . وكان شيخاً حسن العمة ، مليح الوجه ، ظاهر اللون ، مُشرباً حمرة ، منور الشيبة ، كبير اللّحية ، مسترسل الشعر فيها لم تكن كثّة ، عبارته فصيحة بلغة الأندلس يعقد حرف القاف قريباً من الكاف ، على أنّه لا ينطق بها في القرآن إلاّ فصيحة ، وسمعه يقول : ما في هذه البلاد من يعقد حرف القاف . وكانت له خصوصية بالأمير سيف الدين أرغون كافل الممالك ، ينسبط

معه ، ويبيت عنده في قلعة الجبل ، ولما توفيت ابنته نُضار طلع إلى السلطان الملك الناصر محمد ، وسأل منه أن يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقية ، فأذن له في ذلك ، وكان أولاً يرى رأي الظاهرية ، ثمّ إنّهُ تمذهب للشافعي رضي الله تعالى عنه ؛ بحث على الشيخ علم الدين العراقي « المحرّر » للرافعي ، و« مختصر المنهاج »

لننوي ، وحفظ « المنهاج » لإيسر ، وقرأ أصول الفقه على أستاذه أبي جعفر ابن الزبير ، بحث عليه من « الإشارة » للباجي ، ومن « المستصفى » للغزالي ، وعلى الخطيب أبي الحسن ابن فضيلة ، وعلى الشيخ علم الدين العراقي ، وعلى الشيخ شمس الدين الأصبهاني ، وعلى الشيخ علاء الدين الباجي ، وقرأ أشياء من أصول الدين على شيخه ابن الزبير ، وقرأ عليه شيئاً من المنطق ، وقرأ أشياء من المنطق على بدر الدين محمد بن سلطان البغدادي ، وقرأ عليه شيئاً من « الإرشاد » للعميدي في الخلاف ، ولكنه برع في النحو ، وانتهت إليه الرئاسة والمشيخة فيه ، وكان خالياً من الفلسفة والاعتزال والتجسيم ، وكان أولاً يعتقد في الشيخ تقي الدين ابن تيمية وامتدحه بقصيدة . ثم إنه انحرف عنه لما وقف على كتاب « العرش » له ، قال الفاضل كمال الدين الأدفوي : وجرى على مذهب كثير من النحويين في تعصبه للإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه التعصب المتين ، قال : حكى لي أنه قال لقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة : إن علياً رضي الله تعالى عنه عهد إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق ، أتراه ما صدق في هذا ؟ فقال : صدق ، قال فقلت له : فالذين سلبوا السيوف في وجهه يبغضونه أو يحبونه أو غير ذلك ؟ قال : وكان سيء الظن بالناس كافة ، فإذا نُقل له عن أحد خبر لا يتكيف به وينثني عنه حتى عمّن هو عنده مجروح ، فيقع في ذم من هو بالسنة العالم ممدوح ، وبسبب ذلك وقع في نفس جمع كبير منه ألم كثير ، انتهى .

قلت : أنا لم أسمع منه في حق أحد من الأجيال والأموات إلا خيراً ، وما كنت أنقم عليه شيئاً إلا ما كان يبلغني عنه من الخط على الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، على أنني أنا ما سمعت في حقه شيئاً ، نعم كان لا يثق بهؤلاء الذين يدعون الإصلاح حتى قلت له يوماً : يا سيدي ، فكيف تعمل في الشيخ أبي مدّين ؟ فقال : هو رجل مسلم دين ، وإلا ما كان يطير في الهواء ، ولا يصلي الصلوات الخمس في مكة كما يدعي فيه هؤلاء الأغمار .

وكان فيه - رحمه الله تعالى - خشوع ، يبكي إذا سمع القرآن ، ويجري دمه
عند سماع الأشعار الغزلية . وقال كمال الدين المذكور : قال لي : إذا قرأتُ
أشعار العشق أميل إليها ، وكذلك أشعار الشجاعة تستميلني ، وغيرهما ، إلا
أشعار الكرم ما تؤثر فيّ ، انتهى .

قلت : كان يفتخر بالبخل ، كما يفتخر غيره بالكرم ، وكان يقول لي :
أوصيك احفظ دراهمك ويقال عنك بخيل ، ولا تحتج إلى السفل .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

رجاؤك فلساً قد غدا في حَبائلي قنيصاً رجاءاً للشتاج من العقم
أَتعبُ في تحصيله وأضيعه إذن كنتُ معترضاً من البرء بالسقم

قلت : والذي أراه فيه أنه طال عمره ، وتغرب ، وورد البلاد ولا شيء
معه ، وتعب حتى حصل المناصب تعباً كثيراً ، وكان قد جرب الناس ، وحلب
أشطرَ الدهر ومرت به حوادث ، فاستعمل الحزم ، وسمعتة غير مرة يقول :
يكفي الفقير في مصر أربعة أفلس : يشتري له بائة بفلسين ، وبفلس زيباً ، وبفلس
كوز ماء ، ويشترى ثاني يوم ليموناً بفلس يأكل به الخبز . وكان يعيب على
مشتري الكتب ويقول : الله يرزقك عقلاً تعيش به ، أنا أيّ كتاب أردته استعرتَه
من خزائن الأوقاف ، وإذا أردت من أحد أن يعيرني دراهم ما أجد ذلك ،
وأنشدني له إجازة :

إنّ الدراهم والنساء كلاهما لا تأمننّ عليهما : إنسانا
ينزعن ذا اللبّ المتين عن التقى فترى إساءة فعله إحسانا

وأنشدني له من أبيات :

أتى بشفيع ليس يمكن ردهُ دراهمُ بيضٌ للجروح مَراهمُ
تُصَيّرُ صعبَ الأمرِ أهونَ ما يُرى وتقضي لبانات الفنى وهو نائمُ

ومن حزمه قوله :

عُدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ - البيتين

وقد مدحه كثير من الشعراء ، والكبار الفضلاء ، فمنهم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر بقوله :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا أَنْ سَمِعْتُ مَبَاحِثًا فِي الذَّاتِ قَرَّرَهَا أَجَلٌ مُفِيدٌ
هَذَا أَبُو حَيَّانٍ قُلْتُ صَدَقْتُ وَبِرَرْتُمْ هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ

وكان قد جاء يوماً إلى بيت الشيخ صدر الدين ابن الوكيل فلم يجده ، فكتب بالخص على مصراع الباب ، فلما رأى ابن الوكيل ذلك قال :

قَالُوا أَبُو حَيَّانٍ غَيْرَ مُدَافِعٍ مَلِكُ النِّجَاحِ فَقُلْتُ بِالْإِجْمَاعِ
اسْمِ الْمَلُوكِ عَلَى النُّقُودِ وَإِنِّي شَاهَدْتُ كُنْيَتَهُ عَلَى الْمَصْرَاعِ

ومدحه شرف الدين ابن الوحيد بقصيدة مطولة أولها :

إِلَيْكَ أبا حَيَّانٍ أَعْمَلْتُ أَيْتُنِّي وَملْتُ إِلَى حَيْثُ الرِّكَائِبُ تَلْتَقِي
دَعَانِي إِلَيْكَ الْفَضْلُ فَأَنْقَدْتُ طَائِعاً وَلَبَّيْتُ أَحَدُوهَا بِلَفْظِي الْمَصْدَقِ

ومدحه نجم الدين إسحق بن ألمي التركي ، وبأله تكملة شرح التسهيل بقصيدة ، وأرسلها إليه من دمشق ، وأولها :

تَبَدَّى قُلْنَا وَجْهَهُ فَلَقَى الصُّبْحُ وَكَمَّلَهُ بِالْيُمْنِ فِيهِ وَبِالنُّجْحِ
وَسَهَّلْتُ تَسْهِيلَ الْفَوَائِدِ مُحْسِناً فَكُنْ شَارِحاً صَدْرِي بِتَكْمِلَةِ الشَّرْحِ

ومدحه مجير الدين عمر بن الملطي بقصيدة أولها :

يَا شَيْخَ أَهْلِ الْأَدَبِ الْبَاهِرِ مِنْ نَازِمٍ يُلْفَى وَمِنْ نَازِرٍ

ومدحه نجم الدين يحيى الإسكندري بقصيدة أولها :

ضَيْفُ أَلَمٍ بَنَّا مِنْ أَبْرَعِ النَّاسِ لَا نَاقِضُ عَهْدٍ أَيْامِي وَلَا نَاسِي
عَارٍ مِنَ الْكِبَرِ وَالْأَدْنَسِ ذُو شَرَفٍ لَكِنَّهُ مِنْ سَرَابِيلِ الْعُلَا كَاسِي

ومدحه نجم الدين الطوفي بقصيدتين أول الأولى :

أَتَرَاهُ بَعْدَ هِجْرَانٍ يَصِلُ وَيُرَى فِي ثَوْبٍ وَصَلٍ مَبْتَذِلُ
قَمَرٌ جَارٍ عَلَى أَحْلَامِنَا إِذْ تَوَلَّاهَا بِقَسْدٍ مَعْتَدِلُ

وأول الثانية :

اعْذِرُوهُ فَكَرِيمٌ مِنْ عَدَرٍ قَمَرَتُهُ ذَاتُ وَجْهِ كَالْقَمَرِ

ومدحه بهاء الدين محمد بن شهاب الدين الحيمي بقصيدة أولها ^١ :

فَضَضْتُ عَنْ الْعَذْبِ التَّمِيرِ خَنَامَهَا وَفَتَحْتُ عَنْ زَهْرِ الرِّيَاضِ كِمَامَهَا

ومدحه جماعة آخرون يطول ذكرهم ، وكتبت أنا إليه من الرحبة سنة ٧٢٩ :

أَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ مِنْ دَهْرِي جَنَاحَيْنِ لَطَرْتُ لَكِنَّهُ فَيَكُمُ جَنِي حَيَّتِي
يَا سَادَةً نَلْتُ فِي مَصْرِ بِهِمْ شَرْفًا أَرْقَى بِهِ شَرْفًا يَنَأَى عَنِ الْعَيْنِ
وَلِنْ جَرَى لِسَمَا كَيَوَانَ ذَكَرُ عَلَا أَحَلَّتِي فَضْلُهُمْ فَوْقَ السَّمَاكِينِ
وَلَيْسَ غَيْرُ أَثِيرِ الدِّينِ أَثْلَهُ فَشَادَ مَا شَادَ لِي حَقًّا بِلَا مَتِينِ
حَبْرٌ وَلَوْ قُلْتُ إِنَّ الْبَاءَ رَتَبْتُهَا مِنْ قَبْلُ صَدَقَكَ الْأَقْوَامُ فِي ذِينِ

١ وقع بعد هذا قوله في المطبوعة التجارية :

إِنَّ الْأَثِيرَ أَبَا حَيَّانٍ أَحْيَانًا يَنْثُرُهُ طِي عِلْمٍ مَاتَ أَحْيَانًا.

ومدحه القاضي ناصر الدين شافع بقصيدة أولها :

فَضَضْتُ عَنْ الْعَذْبِ (البيت)

ولم يرد هذا في ق أو دوزي .

أحيا علوماً أُمات الدهرُ أكثرها مذ جُلُدت خُلُدت ما بين دَفَيْنِ
يا واحدَ العصرِ ما قولي بُمُتَّهِمِ ولا أحاشي امرءاً بينَ الفريقينِ
هذي العلومُ بَدَتْ من سيبويهِ كما قالوا وفيكَ انتهتْ يا ثانيَ اثنينِ
فَدُمُ لها وبودّي لو أكونُ فِدَى لما يتألكَ في الأيامِ من شَيْنِ
يا سيبويه الوري في الدهرِ لا عَجَبُ إذا الخليلُ غدا يفديكَ بالعينِ

يقبَلُ الأرض وينهي ما هو عليه من الأشواق التي برَحَّتْ بألمها ، وأجرت
الدموع دماً ، وهذا الطرس الأحمر يشهد بدمها . وأربت بسَحَّتْها على السحاب
وأين دوام هذه من دِيَمِها . وفرقت الأوصال على السقم لوجود عدمها :

فيا شوقُ ما أبقي ، ويا لي من النوى ويا دمعُ ما أجرى ، ويا قلبُ ما أصبى
ويذكر ولاءه الذي تسجع به في الأرض الحمايم . ويسير تحت لوائه مسيرَ
الرياح بين الغمام ، وثنائه الذي يتضوع كالزهر بين الكمائم ، ويتنسّم تنسّمَ
هامات الرُبى إذا لبست من الربيع ملونات العمام ، ويشهد الله على ما قد قلته والله
سبحانه نعم الشهيد .

فكتب هو الجواب عن ذلك ولكنه عدم مني .

وأنشدته يوماً لنفسِي :

قلتُ للكاتبِ الذي ما أراهُ قطعاً إلاّ ونَقَطَ الدمعُ شكْلَه
إن تخطَّ الدموعُ في الخلدِ شيئاً ما يسمى ؟ فقال خطُّ ابنِ مُقلَه
وأنشدني هو من لفظه لنفسه :

سَبَقَ الدَّمْعُ بالمسيرِ المطايا إذ نوى من أحبِّ عني نُقْلَه
وأجاد الخطوطَ في صفحةِ الخ ولمْ لا يُجيدُ وهو ابنُ مُقلَه

وأنشدني في ملبحِ نوتي :

كلفْتُ بنوتيَ كأنَّ قوامهُ إذا ينثني خُوطٌ من البانِ ناعمُ

مَجَازِفُهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَجَازِبٌ وَهَرَاتُهُ لِلْعَاشِقِينَ هَزَائِمٌ
وَأَنشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي :

إِنَّ نَوْيَّ مَرْكَبٍ نَحْنُ فِيهِ هَامٌ فِيهِ صَبُّ الْفؤَادِ جَرِيحُهُ
أَقْلَعَ الْقَلْبُ عَنْ سُلُوبِي لَمَّا أَنْ بَدَأَ تُغْرِهُ وَقَدْ طَابَ رِيحُهُ
وَأَنشَدْتُهُ لِنَفْسِي أَيْضاً :

نَوَيْتُنَا حُسْنُهُ بَدِيعٌ وَفِيهِ بَدْرُ السَّمَاءِ مُغْرَى
مَا حَكَ بَرًّا إِلَّا وَقَلْنَا يَا لَيْتَ أَنَّا نَحْسُكُ بَرًّا
فَأَعْجَبَاهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَزَهَرَهُ لَهَا .
وَأَنشَدَنِي هُوَ لِنَفْسِهِ فِي مَلِيحِ أَحَدَبِ :

تَعَشَّقْتُهُ أَحَدَبًا كَيْسًا يَحَاكِي نَحِيًّا حَنِينَ النَّعَامِ
إِذَا كَدْتُ أَسْقَطُ مِنْ فَوْقِهِ تَعَلَّقْتُ مِنْ ظَهَرِهِ بِالسَّانِمِ
فَأَنشَدْتُهُ لِنَفْسِي :

وَأَحَدَبَ رَحْتُ بِهِ مَغْرَمًا إِذْ لَمْ تُشَاهِدْ مِثْلَهُ عَيْنِي
لَا غُرُوَ أَنْ هَامَ فؤَادِي بِهِ وَخَصَّرُهُ مَا بَيْنَ دَفَيْنِ
وَأَنشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ فِي أَعْمَى :

مَا ضَرَّ حُسْنَ الَّذِي أَهْوَاهُ أَنْ سَنَا كَرِيمَتِهِ بِلَا شَيْنٍ قَدْ احْتَجَبَا
قَدْ كَانَتَا زَهْرَتِي رَوْضٍ وَقَدْ ذَوَّتَا لَكِنَّ حَسَنَهُمَا الْفَتَانِ مَا ذَهَبَا
كَالسَيْفِ قَدْ زَالَ عَنْهُ صِقْلُهُ فَعَدَا أَنْكَى وَالْمَ فِي قَلْبِ الَّذِي ضَرَبَا
وَأَنشَدْتُهُ لِنَفْسِي فِي ذَلِكَ :

وَرَبُّ أَعْمَى وَجْهُهُ رَوْضَةٌ تَنْزُهُي فِيهَا كَثِيرُ الدِّيُونِ
وَحَدُّهُ وَرْدٌ غَنِينَا بِهِ عَنْ نَرْجَسٍ مَا فَتَحَتْهُ الْعِيُونِ
وَأَنْشَدْتَهُ أَيْضاً لِنَفْسِي فِي ذَلِكَ :

فِيَا حُسْنَ أَعْمَى لَمْ يَخْفُ حَدَّ طَرَفِهِ مَحَبُّ غَدَا سَكْرَانٍ فِيهِ وَمَا صَحَا
إِذَا صَادَ خَلِيلٌ بَاتَ يَرْعَى حُدُودَهُ غَدَا آمِناً مِنْ مَقْلَتِهِ الْجَوَارِحَا
وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ اسْتِدْعَاءٌ ، وَهُوَ : الْمَسْئُولُ مِنْ إِحْسَانِ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْعَالِمِ الْعَلَامَةِ ،
لِسَانِ الْعَرَبِ ، تَرْجِمَانِ الْأَدَبِ ، جَامِعِ الْفَضَائِلِ ، عَمْدَةِ وَسَائِلِ السَّائِلِ ، حُجَّةِ
الْمُقَلِّدِينَ ، زَيْنِ الْمُقَلِّدِينَ ، قُطْبِ الْمُؤْمِلِينَ ، أَفْضَلِ الْآخَرِينَ ، وَارِثِ عُلُومِ
الْأَوَّلِينَ ، صَاحِبِ الْيَدِ الطَّوْلِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ضَمِيقٍ ، وَالتَّصَانِيفِ الَّتِي تَأْخُذُ بِمَجَامِعِ
الْقَلْبِ فَكُلِّ ذِي لَبٍّ إِلَيْهَا شَيْقٌ ، وَالْمُبَاحِثِ الَّتِي أَثَارَتْ الْأَدْلَةَ الرَّاجِحَةَ مِنْ
مَكَامِنِ أَمَاكِنِهَا ، وَقَنْصَتْ أَوَابِدَهَا الْجَاخِجَةَ مِنْ مَوَاطِيءِ مَوَاطِنِهَا ، كَشَفَتْ مَعْضَلَاتِ
الْأَوَائِلِ ، سَبَّاقِ غَايَاتِ قَصَرٍ عَنْ شَأْوِهَا سَحَابَانِ وَائِلٍ ، فَارِعِ هَضْبَاتِ الْبَلَاغَةِ
فِي اجْتِلَاءِ اجْتِلَاءِهَا وَهِيَ فِي مَرْقَى مَرْقَدِهَا ، سَالِبِ تَيْجَانِ الْقِصَاحَةِ فِي اقْتِضَاءِ
اقْتِضَائِهَا مِنْ فَوْقِ فَرْقَدِهَا ، حَتَّى أُبْرَزَ كَلَامُهُ جَعَتَانُ فِكْلُ جَعَتَانِ مِنْ بَعْدِهِ
عَنِ الدُّخُولِ إِلَيْهَا جَبَانٌ ، وَأَتَى بِبِرَاهِينِ وَجْوهِ حُورِهَا لَمْ يَنْظُمِيْنَهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُ
وَلَا جَانٌ ، وَأَبْدَعَ خِمَائِلَ نَظْمٍ وَثَرٌ لَا تَصِلُ إِلَى أَفْنَانِ فَنُونِهَا يَدُ جَانٍ ، أَثِيرُ الدِّينِ
أَبِي حَيَّانٍ ، لَا زَالَ مِيتَ الْعِلْمِ يُحْنِيهِ ، وَهَلْ عَجِيبُ ذَلِكَ مِنْ أَبِي حَيَّانٍ :

حَتَّى يَنَالَ بَنُو الْعُلُومِ مَرَامَتَهُمْ وَيَحْلُتَهُمْ دَارَ الْمَنَى بِأَمَانٍ

إِجَازَةُ كَاتِبِ هَذِهِ الْأَحْرَفِ مَا رَوَاهُ — فَسَحَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَدَنَتِهِ — مِنَ الْمَسَانِيدِ
وَالْمُصَنَّفَاتِ وَالسَّنَنِ وَالْمَجَامِيعِ الْحَدِيثِيَّةِ ، وَالتَّصَانِيفِ الْأَدَبِيَّةِ ، نَظْماً وَنَثْراً ، إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْعُلُومِ عَلَى اخْتِلَافِ أَوْضَاعِهَا ، وَتَبَايُنِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا ،
مِمَّا تَلَقَّاهُ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ وَإِفْرِيقِيَّةِ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ الْحِجَازِيَّةِ

وغيرها من البلدان ، بقراءة أو سماع أو مناولة أو إجازة خاصة أو عامة ، كيفما تأدى ذلك إليه ، وإجازة ما له — أدام الله إفادته — من التصانيف في تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثية والأدبية وغيرها ، وما له من نظم ونثر لإجازة خاصة ، وأن يثبت بخطه تصانيفه إلى حين هذا التاريخ ، وأن يميزه لإجازة عامة لما يتجدد له من بعد ذلك على رأي من يراه ويجوزّه ، منعماً متفضلاً إن شاء الله تعالى .

فكتب الجواب رحمه الله تعالى : أعزك الله ، ظننت بإنسان جميلاً فغاليت ، وأبديت من الإحسان جزيلاً وما باليت ، وصفت من هو القتّام يظنه الناس سماء ، والسراب يحسبه الظمآن ماء ، يا ابن الكرام وأنت أبصر من بشيم ، أمع الروض النضير يرعى الهشيم ، أما أغنتك فضائلك ، وفواضلك ، ومعارفك ، وعوارفك ، عن نغمة من دأماء ، وتربة من يهّماء ، لقد تبلجت المهارق من نور صفحاتك ، وتأرجت الأكوان من أريج نفحاتك ، ولأنت أعرف من يُقصد للدراية ، وأنقد من يعتمد عليه في الرواية ، لكنك أردت أن تكسو من مطارفك ، وتتفضل من تالدك وطارفك ، وتجلو الحامل في منصة النباهة ، وتنقذه من لكن الفهاهة ، فتشيد له ذكراً ، وتعلي له قدراً ، ولم يمكنه إلا إسعافك فيما طلبت ، وإجابتك فيما إليه نذبت ، فإن المالك لا يُعصى ، والمتفضل المحسن لا يقصى ، وقد أجزت لك — أيدك الله تعالى — جميع ما رويته عن أشياخي بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية وديار مصر والحجاز وغير ذلك ، بقراءة أو سماع أو مناولة أو إجازة بمشافهة وكتابة ووجازة ، وجميع ما أجز لي أن أرويه بالشام والعراق وغير ذلك ، وجميع ما صنفته واختصرته وجمعت وأنشأته نظماً ونثراً ، وجميع ما سألت في هذا الاستدعاء : فمن مروياتي الكتاب العزيز قرأته بقراءة السبعة على جماعة من أعلامهم الشيخ المسند المعمار فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله المصري ابن المليحي ، آخر من روى القرآن بالتلاوة على أبي الجود ، والكتب الستة والموطأ ومسنّد عبّيد بن حمّيد ومسنّد الدارمي ومسنّد الشافعي ومسنّد الطيالسي والمعجم الكبير للطبراني والمعجم الصغير

له وسنن الدارقطني وغير ذلك .

وأما الأجزاء فكثيرة جداً ، ومن كتب النحو والآداب فأروي بالقراءة كتاب سيبويه ، والإيضاح ، والتكملة . والمفصل ، وجمل الزجاجي ، وغير ذلك ، والأشعار الستة والحماسة وديوان حبيب والمتنبي والمعري ، وأما شيوخي الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة فهم كثير . وأذكر الآن منهم جماعة : فمنهم القاضي أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن أبي الأحوص القرشي ، والمقرئ أبو جعفر أحمد بن سعيد بن أحمد بن بشير الأنصاري ، وإسحاق بن عبد الرحيم ابن محمد بن عبد الملك بن درباس ، وأبو بكر ابن عباس بن يحيى بن غريب القنّاس البغدادي ، وصفي الدين الحسين بن أبي منصور بن ظافر الخزرجي . وأبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ، ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأزدي بن الدهّان ، وقطب الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن القسطلاني ، ورضي الدين محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي اللغوي ، ونجيب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهنداني ، ومكي بن محمد بن أبي القاسم ابن حامد الأصبهاني الصفّار . ومحمد ابن عمر بن محمد بن علي السعدي الضرير ابن الفارض ، وزين الدين أبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن الأنماطي ، ومحمد بن إبراهيم بن ترجم بن حازم المازني ، ومحمد بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم الداري ابن الخليلي . ومحمد ابن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الأنصاري ابن الخيمي ، ومحمد بن عبد الله ابن محمد بن عمر العنسي عُرِفَ بابن النُّنَّ ، وعبد الله بن محمد بن هارون بن عبد العزيز الطائي القرطبي ، وعبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان بن فتيان ابن كامل الخزمي ، وعبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس التميمي ، وعبد الرحمن بن يوسف بن يحيى بن يوسف ابن خطيب المزة ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي المصري السكري ، وعبد العزيز بن عبد المنعم بن علي ابن نصر بن الصيقل الحرايبي ، وعبد العزيز بن عبد القادر بن إسماعيل الفيالي

الصالح الكتّاني ، وعبد المعطي بن عبد الكريم بن أبي المكارم ابن منجى الخزرجي ، وعلي بن صالح بن أبي علي ابن يحيى بن إسماعيل الحسني البهنسي المجاور . وغازي بن أبي الفضل ابن عبد الوهاب الحلّابي ، والفضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن ربيعة الخزرجي ، ويوسف بن إسحاق بن أبي بكر الطبري المكي ، واليسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليسر القشيري ، ومؤنس بنت الملك العادل أبي بكر ابن أيوب بن شادي ، وشامية بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد التيمية ، وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف ابن محمد بن علي البغدادي .

وممن كتبت عنه من مشاهير الأدباء أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن الفرج المالقي ابن المرحل ، وأبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأنصاري القرطاجي ، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن يحيى بن عبد الله الهذلي التطيلي ، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن ذنون المالقي . وأبو عبد الله محمد بن عمر بن جبير الجلياني العكي المالقي . وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الأنصاري الجزار ، وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولو القرشي ، وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي علي الحسن المصري الوراق . وأبو الربيع سليمان ابن علي بن عبد الله بن ياسين الكومي التلمساني ، وأبو العباس أحمد بن أبي الفتح نصر الله بن باتكين القاهري ، وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجي البوصيري . وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم العزازي . وممن أخذت عنه من النحاة أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشني الأبيدي ، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي ابن الضائع . وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي ، وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللبلي ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن نصر الحلبي ابن النحاس .

وممن لقيته من الظاهرية أبو العباس أحمد بن علي بن خالص الأنصاري

الإشيلي الزاهد ، وأبو الفضل محمد بن محمد بن سعلون الفهري الشنتمري
وجملة الذين سمعت منهم نحو من أربعمئة شخص وخمسين . وأما الذين
أجازوني فعالم كثير جداً من أهل غرناطة ومالقة وسببته وديار إفريقية وديار
بصر والحجاز والعراق والشام ، وأما ما صنفته فمن ذلك « البحر المحيط » في
تفسير القرآن العظيم . « إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب » . كتاب
« الأسفار الملخص من كتاب الصَّفَّار » شرحاً لكتاب سيويه . كتاب « التجريد
لأحكام سيويه » . كتاب « التذيل والتكميل في شرح التسهيل » . كتاب « التنخيل
الملخص من شرح التسهيل » . كتاب « التذكرة » . كتاب « المبدع » في التصريف
كتاب « الموفور » . كتاب « التقريب » . كتاب « التلريب » . كتاب « غاية الإحسان » .
كتاب « النكت الحسان » . كتاب « الشذا في مسألة كذا » . كتاب « الفضل
في أحكام الفصل » . كتاب « اللوحة » . كتاب « الشذرة » . كتاب « الارتضا
في الفرق بين الضاد والظاء » . كتاب « عقد اللآلي » . كتاب « نكت الأمالي » .
كتاب « النافع في قراءة نافع » . « الأثير في قراءة ابن كثير » . « الموزن
الغمر في قراءة أبي عمرو » . « الروض الباسم في قراءة عاصم » . « المزد
المامر في قراءة ابن عامر » . « الرزمة في قراءة حمزة » . « تقريب النائي
في قراءة الكسائي » . « غاية المطلوب في قراءة يعقوب » . قصيدة « النير الجلي
في قراءة زيد بن علي » . « الوهاج في اختصار المنهاج » . « الأنور الأجل
في اختصار المحلى » . « الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية » . كتاب
« الإعلام بأركان الإسلام » . « نثر الزهر ونظم الزهر » . « قطر الحبي
في جواب أسئلة الذهبي » . « فهرست مسموعاتي » . « نوافث السحر في
دمائث الشعر » . « تحفة الندس في نحاة الأندلس » . « الأبيات الوافية في
علم القافية » . « جزء في الحديث » . « مشيخة ابن أبي المنصور » . كتاب
« الإدراك للسان الأتراك » . « زهو الملك في نحو الترك » . « نفحة المسك
في سيرة الترك » . كتاب « الأفعال في لسان الترك » . « منطق الحرس في

لسان الفرس . ومما لم يكمل تصنيفه : كتاب « مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد » . كتاب « منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك » . « نهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب » . رجز « مجاني الحصر في آداب وتواريخ لأهل العصر » . « خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان » . رجز « نور الغبش في لسان الحبش » . « المخبور في لسان اليمحور » قاله وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان .

وأنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه في صفات الحروف :

أنا هاوٍ لمستطيلٍ أغنّ	كلّما اشتد صارت النفس رخوه
أهمسُ القول وهو يجهرُ سبّي	وإذا ما انخفضتُ أظهر علوه
فتح الوصل ثمّ أطبق هجرًا	بصفيرٍ والقلب قلقل شجوه
لان دهرًا ثمّ اغتدى ذا انحرافٍ	وفشا السرّ مذ تكررت نحوه

وأنشدني أيضاً لنفسه :

يقولُ ليّ العذولُ ولم أطعنه	نسلّ فقد بدا للحبّ لحيّة
تخيّلَ أنها شانتُ حبيبي	وعندي أنها زينٌ وحليه

وأنشدني لنفسه أيضاً :

شوقيّ لذلك المحيّا الزاهر الزاهي	شوقٌ شديدٌ وجسمي الواهنُ الواهي
أسهرتُ طرفي وولّتهُ الفؤادَ هوّى	فالطرفُ والقلبُ مني الساهرُ الساهي
نهبّت قلبيّ وتنهى أن أبوحَ بما	يلقّاهُ واشتوقهُ للتاهبِ الناهي
بهزت كلّ مليحٍ بالبهاء فما	في النيرين شبيهُ الباهرِ الباهي
لَهَجَّتْ بالحبِّ لما أن لهُوتَ به	عن كلّ شيءٍ فويح اللاهَجِ اللاهي

وأنشدني من لفظه لنفسه :

راضٍ حبيبي عارضٌ قد بدا
وظنَّ قَومٌ أنَّ قَلْبِي سَلا
يا حُسْنَهُ من عارضٍ راضٍ
والأصلُ لا يعتدُّ بالعارضِ
وأنشدني من لفظه لنفسه :

تعشَّقْتُهُ شَيْخًا كَانَ مَشِيبَهُ
أخا العقلِ يدري ما يُراد من الهوى
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى
ألا لاني لو كنتُ أصبو لأمرد
وسود اللحي أبصرت فيهم مشاركا
وأنشدني من لفظه لنفسه :

ألا إنَّ الحاظا بقلبي عوابثا
إذا رام ذو وجسدٍ سلوا منعه
وقيدن من أضحى عن الحب مطلقا
بروحي رشا من آل خاقان راحل
غدا واحدا في الحسنِ للفضل ثانيا
وأنشدني لنفسه ، ومن خطه نقلت :

أسحرٌ لتلك العينِ في القلبِ أم وخزُ
وأملودُ ذاك القَدِّ أم أسمرُ غدا
فتاةٌ كساها الحسنُ أفخَرَ حُلَّةٍ
وأهدى إليها الغصنُ لينَ قوامِهِ
يضوعُ أديمُ الأرضِ من نَشْرِ طيِّبها
وتختالُ في بُردِ الشبابِ إذا مضتْ
أصابَتْ فؤادَ الصبِّ منها بَنظَرَةٍ
ولينُ لذاك الجسمِ في اللمسِ أم خَزُ
له أبدأ في قلبِ عاشقه هَزُ
فصار عليها من محاسنها طَرَزُ
فماسَ كأنَّ الغصنَ خامرَه العزُ
ويخضرُ من آثارِ تَرْبَتِها الجُرُزُ
فيُنْهَضُها قدَّ ويُقْعِدُها عَجَزُ
فلا رقيةٌ تجدي المصابَ ولا حِرْزُ

وأنشدني إجازةً في ملبح أبرص ، ومن خطه نقلت :

وقالوا الذي قد صرّت طَوَّعَ جماله ونفسك لاقت في هواه نِزاعها
به وَضَحَ تَأباهُ نفسُ أُولي التَّهَى وأفطعُ داءِ ما يُثْنا في طباعها
فقلتُ لهم لا عَيْبَ فيه يَشِينُهُ ولا عِلَّةٌ فيه يرومُ دفاعها
ولكنّها شمسُ الضُّحَى حينَ قابلتُ محاسِنَهُ أَلْقَتْ عليه شعاعها

وأنشدني من لفظه لنفسه في فحّام :

وعُلِّقَتْهُ مُسَوِّدَ عَيْنٍ ووفرةٍ وثوبٍ يعاني صِنْعَةَ الفَحْمِ عن قصدي
كَانَ خَطوطَ الفَحْمِ في وجناتِهِ لطاخةٌ مسكٍ في جَنِيٍّ من الوردِ

وأنشدني إجازةً ، ومن خطه نقلت :

سألَ البدرُ هل تبدّى أخوه قلتُ يا بدرُ لن تطيقَ طلوعا
كيف يبدو وأنت يا بدرُ بادٍ أوبَدْرانِ يَطلُعانِ جميعا

وأنشدني من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمساني :

عاذِلِي في الأَهِيفِ الأَنسِ لو رآهُ -الآنَ- قد عَدَرَ

رَشًا قَدَ زانِه الحَوَرُ غُصْنٌ من فوقه قَمَرُ
قَمَرٌ من سُجْبِه الشَّعَرُ ثَغَرٌ في فيه أَم درُ

حالَ بَينَ الدَّرِّ واللَّعَسِ خَمَرَةٌ مَن ذاقها سَكرَا

رَجَّةٌ بالردِّفِ أَم كَسَلُ رِيقَةٌ بالثَغْرِ أَم عَسَلُ
وردةٌ بالخَلدِ أَم خَجَلُ كَحَلٌ بالعينِ أَم كُحْلُ

يا لها من أَعينِ نُعَسِ جَلَبَتِ للنَّظِيرِ السَّهَرَا

مذ نأى عن مقلتي ستي ما أذيقا لذّة الوسنِ
 طال ما ألقاهُ من شجنِ عجباً ضدّانِ في بدّنِ
 بفؤادي جسدوّةُ القبسِ وبعيّي الماءُ منفجِرا
 قد أتاني اللهُ بالفرجِ إذ دنا مني أبو الفرجِ
 قمرٌ قد حلّ في المهجِ كيف لا يخشى من الوهجِ
 غيرهُ لو صابهُ نفسي ظنّه من حرّهِ شرّاً
 نصّبَ العينينِ لي شركا فأنثى والقلبَ قد ملكا
 قمرٌ أضحى له فلكا قال لي يوماً وقد ضحكا
 أتجني من أرض أندلسِ نحو مصرَ تعشقُ القمرَا
 وأما مرشحة ابن التلمساني فهي :
 قمرٌ يجلو دُجى الغلسِ بهرّ الأبصارَ مذ ظهرا
 آمنٌ من شبهةِ الكلفِ ذبتُ من عينيه بالكلفِ
 لم يزل يسعى إلى تلقّي بركاب الدّلّ والصلفِ
 آه لولا أعينُ الحرسِ نلتُ منه الوصلَ مقتدرا
 يا أميراً جار مذ وليا كيف لا ترثي لمن بُلّيا
 فبغري منك قد جُلّيا قد حلا طعماً وقد حلّيا
 وبما أوتيت من كَيْسِ جدّ فما أبقيت مُصطبرا

بدرٌ تمَّ في الجمالِ سَيِّ
 قدَّ سَبَّاني لذَّةَ الوسنِ
 هو خِشْفِي وهو مُفْتَرِسِي
 فارو عن أعْجوبتي خبرا
 لك خَدُّ يا أبا الفَرَجِ
 وحديثُ عاطرُ الأَرْجِ
 زَيْنَ بالتَّورِيدِ والضَّرَجِ
 كم سبي قلباً بلا حَرَجِ
 لو رآكَ الغُصْنُ لم يَمِسِ
 أو رآكَ البسْدُ لاسْتَترا
 يا مذيبياً مهجتي كمدا
 يا كحِلاً كُحْلُهُ اعْتَمدا
 فُتَّتْ في الحسَنِ البِدورَ مَدَى
 عجباً أن تَبْرِيءَ الرَمْدَا
 وبسْقمِ الناظرينَ كُسي
 جَفَنُكَ السَّحَارُ وانكسرا
 وأنشئني من لفظه لنفسه أيضاً :

إن كان ليلٌ داجٌ وخائنا الإصباحُ
 فنورُها الوهاجُ يُغني عن المصباحُ
 سُلَافَةٌ تَبْلُو كالكوكبِ الأزهرُ
 مِزَاجُهَا شَهْدُ وَعَرَفُهَا عَنَبَرُ
 وَحَبْلُهَا الْوَرْدُ مِنْهَا وَإِنْ أُسْكِرُ
 قَلْبِي بِهَا قَدْ هَاجُ فَمَا تَرَانِي صَاحُ
 عَنْ ذَلِكَ الْمَنَاجُ وَعَنْ هَوَى يَ صَاحُ
 وَبِي رَشَأُ أَهْيَفُ قَدْ لَجَّ فِي بُعْدِي
 بَدْرُ فَلَا يُخَسَفُ مِنْهُ سَنَا الْخَدِ
 بِلَحْظِهِ الْمُرْهَفُ يَسْطُو عَلَى الْأُسْدِ
 كَسْطُوهُ الْحِجَاجُ فِي النَّاسِ وَالسَّفَاحُ
 فَمَا تَرَى مِنْ نَاجٍ مِنْ لَحْظِهِ السَّفَاحُ

عَلَّلَ بِالْمُسْكِ قَلْبَ رَشَا أَحْشُور
مُنْعَمَ الْمُسْكِ ذِي مَبْسَمٍ أَعْطَرَ
رِيَاهُ كَالْمُسْكِ وَرَيْقَهُ كَوَثَرَ

غَضَنُ عَلَى رَجْرَاجٍ طَاعَتُهُ الْأَرْوَاحُ فَحَبِذَا الْآرَاجُ إِنْ هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ

مَهْلًا أَبَا الْقَاسِمِ عَلَى أَبِي حَيَّانٍ
مَا إِنْ لَهُ عَاصِمٌ مِنْ لِحْظِكَ الْفَتَّانِ
وَهَجْرُكَ الدَّائِمِ قَسْدٌ طَالِ بِالْهِيمَانِ

فَدَمَعُهُ أَمْوَاجٌ وَسِرُّهُ قَدْ بَاحَ لَكِنَّهُ مَا عَاجَ وَلَا أَطَاعَ الْإِلَاحُ

يَا رَبَّ ذِي بُهْتَانٍ يَعْدِلُ فِي الرَّاحِ
وَفِي هَوَى غَزْلَانٍ دَافَعْتُ بِالرَّاحِ
وَقُلْتُ لَا سُلُوفَانٍ عَنْ ذَلِكَ يَا لَاحِ

سَبَّحُ الْوُجُوهَ وَالنَّجَاحُ هِيَ مَنِيَّةُ الْأَفْرَاحِ فَاخْتَرِي يَا زَجَّاجُ قِمَصَالَ وَزُوجَ أَقْدَاحِ

وَأُنْشِدُنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ الْقَصِيدَةَ الدَّالِيَّةَ الَّتِي نَظَمَهَا فِي مَدْحِ النُّحُوِّ وَالْخَلِيلِ
وَسَيِّبِيهِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى مَدِيحِ صَاحِبِ غُرْنَاظَةٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَشْيَاخِهِ ، وَأَوَّلَهَا :

هُوَ الْعِلْمُ لَا كَالْعِلْمِ شَيْءٌ تَرَاوَدَهُ لَقَدْ فَازَ بَاغِيهِ وَأُنْجَحَ قَاصِدُهُ
وَهِيَ قَصِيدَةٌ جَيِّدَةٌ تَزِيدُ عَلَى مِائَةِ بَيْتٍ .

وَحَكِي لِي أَنَّ الشَّيْخَ أَثِيرَ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ضَعُفَ فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ
يَعُودُونَهُ ، وَفِيهِمْ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ دَانِيَالٍ ، فَأُنْشِدَهُمُ الشَّيْخَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْقَصِيدَةَ
الْمَذْكُورَةَ ، فَلَمَّا فَرَّغَتْ قَالَ ابْنُ دَانِيَالٍ : يَا جَمَاعَةُ أَخْبِرْكُمْ أَنَّ الشَّيْخَ قَدْ عَوَّفَنِي ،
وَمَا بَقِيَ عَلَيْهِ بَأْسٌ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ فَضْلَةٌ ، قَوْمُوا بِاسْمِ اللَّهِ .

وأنشدني من لفظه لنفسه رحمه الله تعالى قصيدته السينية التي أولها :

أهـاجـك ربيعٌ حائـلُ الرـسمِ دارسُهُ كوَحـيَ كـتابٍ أضعـفَ الخطَّ دارسُهُ

انتهى نص الصفدي . وما ذكره رحمه الله تعالى في موضع ولادة أبي حيان غير مخالف لما ذكره في الوافي أنه ولد بغرناطة ، إلا أن قوله « بمدينة مسطخشارش » فيه نظر ، لأنه يقتضي أنها مدينة ، وليس كذلك ، وإنما هي موضع بغرناطة ، ولذا قال الرعيني : إن مولد أبي حيان بمسطخشارش من غرناطة ، ونحوه لابن جماعة ، انتهى ، وهو صريح في المراد ، وصاحب البيت أدري على أنه يمكن أن يرد كلام الصفدي لذلك ، والله تعالى أعلم .

وذكر في الوافي أنه تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية ، والإقراء بالجامع الأحمر ، قال الصفدي : وقال لي : لم أرَ بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءتك ، وكان ذلك حين قرأت عليه المقامات الحريزية بمصر جماعة ، انتهى .

وما وقع في كلام كثير من أهل المغرب أن أبا حيان توفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة غير ظاهر ، لأن أهل المشرق أعرف بذلك ، إذ توفي عندهم ، وقد تقدم أنه توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، فعلى كلام أهل المشرق في هذا المعول ، والله أعلم .

وكانت نضار بنت أبي حيان حجت ، وسمعت بقراءة العَلَم البرزالي على بعض الشيوخ ، وحدثت بشيء من مروياتها ، وحضرت على الدمياطي ، وسمعت على جماعة ، وهي بضم النون وتخفيف الضاد ، وأجازها من المغرب أبو جعفر ابن الزبير ، وحفظت مقدمة في النحو ، ولما توفيت عمل والدها فيها كتاباً سماه « النضار في المسئلة عن نضار » ، وكان والدها يثني عليها كثيراً ، وكانت تكتب وتقرأ ، قال الصفدي : قال لي والدها : إنها خرَّجت جزءاً لنفسها ولإنها تعرب جيداً ، وأظنه قال لي : إنها تنظم الشعر ، وكان يقول دائماً : ليت أخاها حيان كان مثلها ، وتوفيت رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠ ،

في حياة والدها ، فوجد عليها وجداً عظيماً ولم يثبت وانقطع عند قبرها بالبرقية ،
ولازمه سنة ، ومولدها في جمادى الآخرة سنة ٧٠٢ ، قال الصفدي : وكنت
بالرحبة لما توفيت ، فكتبت لوالدها بقصيدة أولها :

بكينا بالأجيين على نُضارٍ فسَيْلُ الدمع في الخدين جاري
فيا لله جاريةٌ تَوَلَّتْ فنُكِيها بأدمعنا الجواري

وقال الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الأندلسي في برناجه ،
عند ذكره شيخه أبا حيان زيادةً على ما قدمناه ، ما ملخصه : إن أبا حيان قال :
سمعت بغرناطة ومالقة وبلش والمرية وبجاية وتونس والإسكندرية ومصر والقاهرة
ودمياط والمحلة وطهرمس والجيزة ومنية بني خصيب ودشنا وقنا وقوص وبلييس
وبعيداب من بلاد السودان وبينبع ومكة شرفها الله تعالى وجدة وأيلة . ثم فَصَّلَ
من لقيه في كل بلد إلى أن قال : وبمكة أبا اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن
الحسن بن عبد الله بن عساكر ، إلى أن قال : فهذه نبذة من شيوخي ، وجملة من
سمعت منه خمسمائة ، والمجيزون أكثر من ألف ، وعدّ من كتب القراءات
التي أخذ تسعة عشر كتاباً ، وقال في حق ابن المليحي : إنه أعلى شيوخي في
القراءات وإن آخر من روى عنه السبع أبو الجود غياث بن فارس المنذري اللخمي
وإجازته منه سنة ٦٠٤ ، قال : وقرأت البخاري على جماعة أقدمهم إسناداً فيه
أبو العز الحرائي قرأته عليه بلفظي إلا بعض كتاب التفسير من قوله تعالى
﴿ ويسألونك عن المحيض ﴾ إلى قوله سبحانه ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾
في سورة النور ، فسمعت بقراءة غيري ، قال : أنبأنا به أبو المعالي أحمد بن يحيى
ابن عبيد الله الخازن البيه سماعاً عليه سنة ستمائة ببغداد ، أنبأنا أبو الوقت بسنده ،
وكمل له رحمه الله تعالى جامع الترمذي بين قراءة وسماع على ابن الزبير بغرناطة ،
وسمعه على محمد بن ترجم ، أنبأنا ابن البناء أنبأنا الكروخي بسنده ، وقرأ السنن
لأبي داود بغرناطة على أبي زيد عبد الرحمن الربيعي ، عُرِفَ بالتونسي ، أنبأنا

به سهل بن مالك ، وقرأه بالقاهرة على أبي الفضل عبد الرحيم ابن خطيب المزة
عن أبي حفص ابن طبرزد عن أبي بدر الكروخي ومفلح الرومي عن أبي بكر ابن
ثابت الخطيب أنبأنا أبو عمر الهاشمي أنبأنا اللؤلؤي أنبأنا أبو داود ، وقرأ الموطأ
على أبي حفص ابن الطباع عن أبي القاسم ابن بقي عن ابن عبد الحق عن ابن الطلاع
بسنده ، وهذا أعلى سنه يوجد عن يونس بن مغيث في عصره . وسمع أبو حيان
الأجزاء الخلعيات والغيلانيات والقطيعيات والنهروانيات والمحاملات والثقفيات
وسداسيات الرازي بعلو ، قرأها على صفى الدين عبد الوهاب بن الفرات عن
أبي الطاهر إسماعيل بن ياسين الجيلي ، وهو آخر من حدث عنه ، عن أبي عبد الله
الرازي سماعاً ، وقرأ جزء الأنصاري على أبي بكر ابن الأنماطي بسماعه حضوراً في
الرابعة على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي ، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي
اليزار سنة ٥٣٢ ، أنبأنا إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي قراءة عليه في رجب
سنة ٤٤٥ ، أنبأنا عبد الله بن إبراهيم بن ماس ، أنبأنا أبو مسلم الكشي البصري ،
أنبأنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، وقرأ جميع كتاب سيبويه على البهاء ابن النحاس
المشهور بالنحو في مصر والشام ، بقراءته على علم الدين أبي محمد القاسم بن أحمد
ابن الموفق ، بقراءته على التاج أبي اليمن الكندي ، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن علي
ابن أحمد البغدادي مؤلف كتاب « المبهج » ، أنبأنا أبو الكرم المبارك بن فاخر بن
محمد بن يعقوب عُرِف بابن الدباس ، أنبأنا أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن
عمر بن برهان الأسدي ، أنبأنا [أبو] القاسم علي بن عبيد الله الرقيق ، أنبأنا علي بن
عيسى بن عبد الله الرماني ، أنبأنا أبو بكر ابن السراج ، أنبأنا أبو العباس المبرد ،
أنبأنا أبو عمر الحرمي وأبو عثمان المازني ، قالوا : أنبأنا أبو الحسن الأنخض ،
أنبأنا سيبويه ، قال الشيخ أبو حيان : ولا أعلم راوياً له بمصر والشام والعراق
واليمن والمشرق غيري ، ورويته عن الأساتيد أبي علي ابن الضائع وابن أبي
الأحوص وأبي جعفر اللبلي عن أبي علي الشلوين ، وسنده مشهور بالمغرب .
ووقع لأبي حيان تساعيات كثيرة ، وأغرب ما وقع له ثلاثة أحاديث بينه وبين

رسول الله : صلى الله عليه وسلم ، فيها ثمانية ، أخبره المحدث نجيب محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني بقراءته عليه وإجليلة السلطانية مؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر ابن أيوب بن شادي قراءةً عليها وهو يسمع ، قال : أنبأنا أبو الفخر أسعد بن سعيد بن روح في كتابه ، أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزدانية ، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريدة الضبي الأصبهاني ، أنبأنا الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر اللخمي الطبراني ، أنبأنا عبيد الله بن رماحس القيسي برمادة الرملة سنة ٢٧٤ ، أنبأنا أبو عمر زياد بن طارق وقد أتت عليه عشرون ومائة سنة ، قال : سمعت أبا جَرَّوَل زهير بن صرد الجشمي يقول : لما أَسْرَنا رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوم هوازن أتيتُه فقلت :

امنٌ علينا رسول الله في كرم	فإنك المرء نرجوه وننتظرُ
امنٌ على بَيْضَةٍ قد عاقها قَدَرٌ	مشتت شملها في دهرها غيرُ
أبقت لنا الدهر هَتَانًا على حَزَنٍ	علا قلوبهمُ الغمائم والغمرُ
إن لم تداركهمُ نعماء تنشرها	يا أرجح الناس حلماً حين يُختبرُ
امنٌ على نسوةٍ قد كنت ترضعها	إذ فوك تملؤه من محضها الدرُ
إذ أنت طفلٌ صغير كنت ترضعها	وإذ بربيكَ مسأني وما تدرُ
لا تجعلنا كمن شالت نعمامتهُ	واستبق منّا فإننا معشرٌ زهرُ
إنّا لنشكرُ للنعماء إذ كُفِرَتْ	وعندنا بعد هذا اليوم مدّخرُ
فألبس العفو من قد كنت ترضعه	من أمهاتك إن العفو مشتهرُ
ياخير من مَرَحَت كُمتُ الجياد به	عند الهياج إذا ما استوقد الشرُ
إنّا نؤملُ عَفْوَ منك تلبسه	هذي البرية إذ تعفو وتنتصرُ
فاعفُ عفا الله عما أنت راهبهُ	يوم القيامة إذ يُهدى لك الظفرُ

فلما سمع ، صلى الله عليه وسلم ، هذا الشعر قال : « ما كان لي ولبني

عبد المطلب فهو لكم» ، فقالت قریش : ما كان لنا فهو لله ولرسوله ، وقالت الأنصار : ما كان لنا فهو لله ولرسوله ، قال أبو القاسم الطبراني : لا يروى عن زهير إلا بهذا الإسناد ، وتفرد به عبيد الله بن رباح ، وبالإسناد إلى الطبراني : أنبأنا جعفر بن حميد بن عبد الكريم بن فروخ بن ديزج بن بلال بن سعد بن بلال بن سعد الأنصاري الدمشقي ، قال : حدثني جدي لأمي عمر بن أبان بن مفضل بن أبان المدني ، قال : أراني أنس بن مالك الوضوء : أخذ ركوة فوضعها عن يساره ، وصبَّ على يده اليمنى فغسلها ثلاثاً ، ثمَّ أدار الركوة عن يده اليمنى وصبَّ على يساره فغسلها ثلاثاً وثلاثاً ، ومسح برأسه ثلاثاً وأخذ ماء جديداً لصِماخِيَه فمسح صِماخِيَه ، فقلت له : قد مسحت أذنك ، فقال : يا غلام ، هل رأيت وفهمت أو أعيد عليك ؟ فقلت : قد كفاني ، وقد فهمت ، قال : فكذا رأيت رسول الله ، صلَّى الله عليه وسلَّم ، يتوضأ ، قال الطبراني : لم يروِ عمر بن أبان عن أنس حديثاً غير هذا ، وبالإسناد إلى الطبراني : حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد القصاص البصري ، أنبأنا دينار بن عبد الله مولى أنس بن مالك ، حدثني أنس بن مالك قال : قال رسول الله ، صلَّى الله عليه وسلَّم ، « طوبى لمن رآني وآمن بي ، ومن رأى من رآني وآمن بي ، ومن رأى من رأى من رآني » .

ثمَّ قال الرعيني : وتصانيف أبي حيان تزيد على خمسين ما بين طويل وقصير ، ثمَّ قال الرعيني : وخرج أبو حيان من الأندلس مفتتح سنة ٦٧٩ ، واستوطن القاهرة بعد حجه ، وأنشد لشيخه أبي الحسن الرِّجَّاج^١ :

رضيتُ كفاني رتبةً ومعيشةً فلستُ أسامي موسيراً ووجيهاً
ومنَّ جرَّ أثواب الزمانِ طويلةً فلا بُدَّ يوماً أن سيعتُرَّ فيها

١ ق : الدجاج ، وفي نسخة من أصول دوزي : الدجاج .

وأنشد بإسناده لموسى بن أبي تليد :

حالي مع الدهر في تقلُّبه كطائرٍ ضمَّ رِجله شِرَكَهُ
فهَمُّهُ في خلاصٍ مهجته يرومُ تخليصها فتنشِبُ

ثمَّ أورد الرعيني جملة من نظم الإمام أبي حيان ، منها قوله :

أريدُ من الدنيا ثلاثاً وإنهسا لَغَايَةً مطلوبٍ لمن هو طالبُ
تلاوةُ قرآنٍ ، ونفسٌ عفيفةٌ ، وإكثارُ أعمالٍ عليها أو اظبُ

وقوله :

أرَحْتُ رُوحِي من الإيناسِ بالنَّاسِ لَمَّا غَنَيْتُ عن الأكياسِ باليَّاسِ
وصرتُ في البيتِ وحدي لا أرى أحداً بناتُ فكري وكتبي هُنَّ جُلَّاسِي

وقوله :

وَزَهَّدْتَنِي في جمعي المالِ أَنَّهُ إذا ما انتهى عند الفتي فارقَ العُمرا
فلا روحَهُ يوماً أراحَ من العنا ولم يَكْتَسِبْ حمداً ولم يدخر أجرا

وقوله :

يظنُّ العَمْرُ أنَّ الكُتُبَ تُجدي أحبا ذِهْنٍ لإدراكِ العلومِ
وما يدري الجهولُ بأنَّ فيها غوامضَ حيرتْ عقْلَ الفهيمِ
إذا رَمَتْ العلومُ بغيرِ شيخٍ ضللتْ عن الصراطِ المستقيمِ
وتلنَّسُ الأمورُ عليكَ حتَّى تصيرَ أضلَّ من توما الحكيمِ

وله لغز في قيراط زاعماً أنه لا يُفك :

وما اسمُ خماسيٍّ إذا ما فكَّكتَهُ يصيرُ لنا فعلينِ أمراً وماضياً

بعكسٍ وهو كلُّ جزءٍ وجمعهُ . بإبدالِ عينٍ حارٍ فيه التناهي
ومع كونه فرداً وجمعاً فأولُ " وآخره أضحي لشخصٍ معاديا
وفي عكسه صوتٌ فتنيه صيغةٌ وتبني بمعناه وما أنت بانيا
فكم فيه من معنى خفيٍّ وإنما عنيْتُ بذكرِي للذي ليس خافيا

ثمَّ قال الرعيني : وهو شيخ فاضل ، ما رأيت مثله ، كثير الضحك
والانبساط ، بعيد عن الانقباض ، جيد الكلام ، حسن اللقاء ، جميل المؤانسة ،
فصيح الكلام ، طلق اللسان ، ذولمة وافرة ، وهمة فاخرة ، له وجه مستدير ،
وقامته معتدلة التقدير ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، انتهى ما لخصته من كلام
الرعيني .

ولما قدم الأستاذ أبو حيان إلى مصر أوضى أهله بقوله : ينبغي للعاقل أن يعامل
كل أحد في الظاهر معاملة الصديق ، وفي الباطن معاملة العدو في التحفظ منه
والتحرز ، وليكن في التحرز من صديقه أشد من التحرز من عدوه ، وأن يعتقد
أن إحسان شخص إلى آخر وتودده إنما هو لغرض قام له فيه يتعلّق به يبعثه على
ذلك لا لذات ذلك الشخص ، وينبغي أن يترك الإنسان الكلام في ستة أشياء :
في ذات الله تعالى ، وما يتعلّق بصفاته ، وما يتعلّق بأحوال أنبيائه صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين ، وفي التعرض لما جرى بين الصحابة ، رضي الله تعالى عنهم
أجمعين ، وفي التعرض لأئمة المذاهب ، رجبهم الله تعالى ورضي عنهم ، وفي
الطعن على صالحِي الأمة نفع الله بهم وعلى أرباب المناصب والرتب من أهل زمانه ،
وأن لا يقصد أذى أحد من خلق الله سبحانه وتعالى إلاّ على حسب الدفع عن
نفسه ، وأن يعذر الناس في مباحثهم وإدراكاتهم ، فإن ذلك على حسب عقولهم ،
وأن يضبط نفسه عن المراء والاسترراء والاستخفاف بأبناء زمانه ، وأن لا يبحث
إلا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث ، وأن لا يغضب
على مَنْ لا يفهم مراده ومن لم يدرك ما يدركه ، وأن يلتمس مخرجاً لمن ظاهر

كلامه الفساد ، وأن لا يقدم^١ على تخطئة أحد ببادي الرأي . وأن يترك الخوض في علوم الأوائل ، وأن يجعل اشتغاله بعلوم الشريعة ، وأن لا ينكر على الفقهاء ، وليسلم لهم أحوالهم ، وينبغي للعاقل أن يلتزم نفسه التواضع لعبيد الله سبحانه وتعالى ، وأن يجعل نُصْبَ عينيه أنه عاجز مفتقر ، وأن لا يتكبر على أحد . وأن يُقِلَّ من الضحك والمزاح والخوض فيما لا يعنيه . وأن يتظاهر لكلِّ بما يوافقه فيما لا معصية لله تعالى فيه ولا خَرَمَ مروءة ، وأن يأخذ نفسه باجتنب ما هو قبيح عند الجمهور ، وأن لا يظهر الشكوى لأحد من خلق الله تعالى . وأن لا يعرض بذكر أهله ، ولا يجري ذكر حرمه بحضرة جلسه . وأن لا يطلع أحداً على عمل خير يعملهُ لوجه الله تعالى ، وأن يأخذ نفسه بحسن المعاملة من حسن اللفظ وجميل التقاضي ، وأن لا يركن إلى أحد إلاّ إلى الله تعالى ، وأن يكثر من مطالعة التواريخ فإنها تلقح عقلاً جديداً ، والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهت وصية أبي حيان الجامعة النافعة ، وقد نقلتها من خط الشيخ العلامة أبي الطيب ابن علوان التونسي المالكي الشهير بالمصري ، وهو ممن أخذ عن تلامذة الشيخ أبي حيان ، رحمه الله تعالى .

قلت : وبما في هذه الوصية من تهيه عن الطعن في صالحي الأمة نفع الله تعالى بهم وأمره بالتسليم لأحوالهم وعدم الإنكار عليهم ؛ تعلم أن ما نقله الصفدي عنه فيما تقدم من قوله « إن الشيخ أبا مدين إلى آخره » كلام فيه نظر ، لأن أبا حيان رضي الله تعالى عنه لا ينكر كرامات الأولياء ، كيف وقد ذكر رحمه الله تعالى منها كثيراً ، فمن ذلك ما حكى عنه تلميذه الرعيني بسنده إلى الفقيه المقرئ الصالح أبي تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونه الخزاعي ، حدث أنه زار قبر أبي الحسن ابن جالوت ، ولم يكن زاره قبلُ ، فاشتبه عليه فتركه ، فسمع النداء من قبر معين : يا غالب أتمشي وما زرتني ؟ فزار ذلك القبر ، وقعد عنده ، ثم جاء

١ ق : لا يقدر .

ابن أبي الحسن المذكور ، فسأله عن القبر . فقال : هو الذي قعدت عنده . وغالب هذا وابن جالوت هما من أصحاب الشيخ أبي أحمد جعفر بن سيد بونه الخزاعي . وهو من أصحاب الشيخ أبي مَدَّين . انتهى . فكيف ينكر أبو حيان كرامات الصالحين وهو يوصي على من ينهى عن الطعن فيهم . ويحكي كراماتهم . نعم قول الصفدي قبل ذلك الكلام « إنه كان ينكر على فقراء الوقت » كلامٌ صحيح في الجملة ، لكثرة الدعاوى الباطلة ممّن ليس من أهل الصلاح ، وأما إنكار الكرامات مطلقاً فمقام أبي حيان يحل عن إنكارها ، والله تعالى أعلم .

وقد أورد ابن جماعة له من قطعة قوله في أهل عصره :

ومن يكُ يدّعي منهم صلاحاً فزنديقٌ تغفلُ في الضلالِ
وأول هذه القطعة :

حلبتُ الدهرَ أشطُرَهُ زماناً	وأغنائي العيانُ عن السؤالِ
فما أبصرتُ من خيلٍ وفيّ	ولا ألفتُ مشكورَ الخلالِ
ذئابٌ في ثيابٍ قد تبدّتْ	لرائيها بأشكالِ الرجالِ
ومن يكُ يدّعي منهم صلاحاً	فزنديقٌ تغفلُ في الضلالِ
ترى الجهالَ تتبّعه وترضى	مشاركةً بأهلٍ أو بمالِ
فينهبُ ما لهم ويصيبُ منهم	نساءهم بمقبوحِ الفعالِ
وتأخذُ حاله زوراً فيرمي	عمامته ويهربُ في الرمالِ
ويجرون التيوسُ وراء رجسٍ	تقرمطُ في العقيدة والمقالِ

أي اعتقدوا رأي القرامطة ، ومذهبهم مشهور . فلا نطيل به ، فظهر بما ذكر أن أبا حيان إنما أنكر على أهل الدعاوى ، لا على غيرهم . والله تعالى أعلم .

وقد أورد قاضي القضاة ابن جماعة للشيخ أبي حيان من النظم غير ما قدمنا ذكره قوله :

أما إنه لولا ثلاث أحببها
فمنها رجائي أن أفوز بتوبة
ومنهن صوّتي النفس عن كل جاهل
ومنهن أخذني بالخليث إذا الوري
أترك نصّاً للرسول وتفتدي

وقوله :

سال في الخلد للحبيب عذار
وسألت الثنّامة فتجنّني
وهو لا شك سائل مرحوم
فأنا اليوم سائل محروم

وقوله :

أمدّ عيّا علماً ولست بقارىء
أتزعم أن الذهن يوضع مشكلاً
وإن الذي تبغيه دون معلّم
كتاباً على شيخ به يسهل الحزن
بلا موضع؟ كلا لقد كذب الذهن
كمؤقيد مصباح وليس له دهن

وقوله « عدائي - البيتين » قال : وأخذ هذا المعنى من قول الطغرائي :

مَنْ خَصَّ بِالرَّدِّ الصُّحَابَ فَإِنِّي
جَعَلُوا التَّنَافُسَ فِي الْمَعَالِي دَيْدَنِي
وَنَعَوْا إِلَيَّ مِثَالِي فَحَلَرْتُهَا
وَلَرَبَّمَا انْتَفَعَ الْفَتَى بَعْدَوَهُ
أَحْبُو بِخَالِصٍ وَدَيِّ الْأَعْدَاءِ
حَتَّى وَطِئْتُ بِأَخْمَصِي الْجُوزَاءِ
وَنَفَيْتُ عَنْ أَخْلَاقِي الْأَقْدَاءِ
كَالسَّمِّ أحياناً يَكُونُ دَوَاءُ

ومن نظم أبي حيان :

يا مُنْضِي الطَّرْفِ فِي مِيدَانِ لَذَتِهِ وَنَاضِي الطَّرْفِ بَيْنَ الرَّاحِ وَالرُّودِ

ستشربُ الروحُ راحَ الوقتِ كارهةً وَيذهبُ الجسمُ بينَ الترابِ في الدودِ
وله رحمه الله تعالى قصيدة سمّاها بـ «الموردِ العذبِ في معارضةِ قصيدةِ
كعب» وقصيدة في مدح الإمام الشافعي مطلعها :

غذيتُ بعلمِ النحويِّ إذ درّ لي ثديا

وله رحمه الله تعالى من قصيدة في مدح أم ولده حيّان :

جُنْتُ بها سَوْداءَ لونٍ وناظِرٍ ويا طالما كان الجنونُ بسوداءِ
وجدتُ بها بَرْدَ النعيمِ وإن يكن فؤاديَ منها في جحيمٍ ولأواءِ
وشاهدتُ معنى الحسنِ فيها مجسّداً فأعجبُ لمعنى صار جوهرَ أشياءِ
أطاعنةً من قدّها بمثقفٍ أصبتِ وما أغنى الفتيّ لبسُ حصاءِ
لقد طعنتُ والقلبُ سامٍ فما درى أبا القَبدِ منها أم بصعدَةٍ سمراءِ
ثمّ غير البيت الأول ، وأنشد :

جُنْتُ بها سوداءَ شعري وناظر وسمراءَ لونٍ تزدري كلَّ بيضاءِ

وقال يهني ، قال ابن جماعة : خاطبني به ارتجالاً عند ولادة ابني عمر

بعد بنتين :

حُببتُ بريحانتي روضةً وبعدهما جاء نَجْلٌ أغرّ
وسمّيته اسمَ إمامٍ إذا رآهُ أبو مُرّةٍ منه فرّ
ولا عجبٌ منك عَبْدَ العزيزِ إذا كان نَجْلُكَ يُسمى عمر
تفرّعتما من إمامٍ الهدى ويدري الدجى ورئيسِ البشر
فلا زال يوضّحُ سُبُلَ الهدى ولا زلتما تَقْفُوانِ الأثر

وقال :

لقد زادني بالناس علماً تجاربي ومن جرّب الأيام مثلي تعلّما
وإني وتطلّبي من الناس راحةً لكالمبتغي وسطّ الحميم تنعّما
سأزهد حتى لا أرى لي صاحباً وأنجد حتى لا ألقى متّهما

قال ابن جماعة : وقال في إملأك علي ابن قاضي القضاة شمس الدين السروجي
الحنفي ، وكان جميل الصورة ، على أختي شقيقتي فاطمة :

هنيئاً بتأليف غريب نظامه لقد حار في أوصافه نظم عارف
غدّت شمس حسن بنت بدر سيادة تُزف لبدر نجل شمس معارف
سميان للزهرا البتول وللرضا علي ونجلا الأكرمين الغطارف
فدام علي عالي الجدة سيّداً ولا زال في ظل من العيش وارف

وقال يخاطب شيخه ابن النحاس وقد أغب زيارته :

أعین حياقي والذي يبقائه بقائي لقد أصبحت نحوك شيقا
أقمت بقلبي غير أن لقلتي برؤيتك الحظ الذي يذهب الشقا
وما كان ظني أنك الدهر تاركه ولو أنني أصبحت بين الوري لقا
لطائف معني في العيان ولم تكن لتُدرّك إلا بالتزاور واللّقا

وقال يخاطب قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي ، وقد أعيد إلى
منصب القضاء ، وكان يتطلّع إليه رجل يدعى نجم الدين :

ذوّ العلم في الدنيا نجوم زواهر وإنك فيها الشمس حقاً بلا لبس
إذا لحت أخفى نوركم كل نير ألم تر أن النجم يخفى مع الشمس

١ ق : لكالمبتغي .

وقال :

لم أؤخّر عمّن أحبّ كتابي لقلّي فيه أو لترك هواه
غير أنّي إذا كتبتُ كتاباً غلبَ الدمعُ مقلّي فمعاه

وقال :

تذكّري للبلّ في قعرٍ مظلمةٍ أصارني زاهداً في المالِ والرّثبِ
أنّي أسرُّ بحالٍ سوفَ أسلبها عمّا قريبٍ وأبقي رمّةَ الرّيبِ؟

وقال :

أتيتُ وما أدعى وأقبلتُ سامعاً فوائده مولى سيدٍ ماجدٍ ندبِ
وأحضرُ جمعاً أنت فيه جماله أشتفُ سمعي منك باللؤلؤ الرّطبِ

وقال :

لنسا غرامٌ شديدٌ في هوى السّودِ نختارهنّ على بيضِ الطّلى الغيدِ
لونٌ به أشرقت أبصارنا وحكى في اللونِ والعرفِ نفتح المسك والعودِ
لا شيء أحسنُ من آسٍ تركّبه في آبنوسٍ ولا أشفى لمبرودِ
لا تهو بيضاء لون الجصّ واسمُ إلى سوداء حسنة لون الأعين السّودِ
في جيدها غيّدٌ ، في قلدها ميّدةٌ في خدّها صبيدٌ ، من سادةٍ صيدِ
من آل حامٍ حمت قلبي بنارٍ جوى من هجرها وابتلت عيني بتسفيدِ

وقال في عكسه :

إذا مالَ الفتي للسّودِ يوماً فلا رأيٍ لديه ولا رشادُ
أتهوى خنفساء كأنّ زفتاً كسا جلدأ لها وهو السّوادُ
وما السّوداء إلّا قيدُ فرنٍ وكانونٍ وفحمٌ أو مسدّادُ

وما البيضاء إلا الشمس لاحت
سبيكة فضة حشيت بورد
وبين البيض والسودان فرق
وجوه المؤمنين بها ايضاض
تنير العين منها والفؤاد
يلد السهد معها والرقاد
لدى عقل به انضح المراد
ووجه الكافرين به اسوداد

وقال رحمه الله تعالى :

أعاذل ذرتي وأنفرادي عن الوري
نداماي كتب استفيد علومها
وآسها القرآن فهو الذي به
لقد جللت في غرب البلاد وشرقها
فلم أر إلا طالباً لرياسة
قبضت يدي عنهم وآثرت عزلة
فلست أرى فيهم صديقاً مصافيا
أحيائي تغني عن لقائي الأعدايا
نجاتي إذا فكرت أو كنت تاليا
أنقب عمّن كان لله داعيا
وجمّاع أموال وشيخاً مراثيا
عن الناس واستغنيت بالله كافيا

قال العز ابن جماعة : وخاطبَ والدي وقد أبلّ من ضعف أشيع فيه موته
مهنتاً له :

أدامَ الإلهُ لك العافية
إذا لاح من بدركم نوره
تخذت كلامَ الإله الدوا
تشوّف ناساً لمنصبكم
فأين العلوم وأين الخلوم
هم عصبة لا تنال العلا
إذا كان خرق تداركته
فلن عن خطب ثبت له
سجياك لين ورفق بنا
وصيّر دور العدا عافية
فكل النجوم به خافية
فآياته كانت الشافية
وربتهم للملا نافية
وخلق موارده صافية
ولو أنها قد سعت حافية
وليست لما مزّمت رافية
وآراؤهم عنده هافية
وأخلاقهم كلها جافية

تصلي على سبعة منهم
يقيمون في تربهم همداً
فلا زلت في صحة دائماً
ويوردك الله عين الحياة
فلان زاد عشرأ فذاك المني
وهذي القواني أنت كملأ

وقال رحمه الله تعالى أيضاً :

خلق الإنسان في كبد
كل عضو فيه نافع
متيج ذلاً وفقد غنى
من يموت منهم يذقه أمي
عاش في أمن فتى عزب

وقال رحمه الله تعالى أيضاً :

يجن غري بعارض فترجى
وفؤادي بعارضين مصاب

وقال :

سعت حية من شعره نحو صدغ
وأعجب من ذا أن سلسال ريقه

وقال :

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا
تجد أكابرهم قد جرعوا غصصاً

عزلٌ ونهبٌ وضربٌ بالسياطٍ وحجٌ
وإنٌ وقيتَ بحمدِ اللهِ شِرَّتْهُمْ
سٌ ثم قتلٌ وتشريدٌ لمن ولدوا
فلتحمدِ اللهَ فالعُقْبَى لمن حمِدوا

وقال رحمه الله تعالى يمدح البخاري وكتابه الصحيح :

أَسَامِعْ أَخْبَارِ الرُّسُولِ لَكَ الْبُشْرَى
تَشْفُفُ آذَانًا بِعَقْدِ جَوَاهِرِ
جَوَاهِرُ كَمْ حَلَّتْ نَفُوسًا نَفِيسَةً
هَلَكَ الدِّينُ إِلَّا مَا رَوَتْهُ أَكَابِرُ
وَأَدَّوْا أَحَادِيثَ الرُّسُولِ مَصُونَةً
وإنَّ الْبُخَارِيَّ الْإِمَامَ الْجَامِعُ
عَلَى مَقَرِّقِ الْإِسْلَامِ تَاجٌ مُرْصَعٌ
وَبَحْرُ عُلُومٍ يَلْفُظُ الدَّرَّ لَا الْخَصَا
تَصَانِيفُهُ نُورٌ وَنُورٌ لِنَظَرِ
نَحَاسَنَةِ الْمُخْتَارِ يَنْظِمُ شَتَاهَا
وَكَمْ بَدَّلَ النَّفْسَ الْمَصُونَةَ جَاهِدًا
فَطُورًا عِرَاقِيًّا وَطُورًا يَمَانِيًّا
إِلَى أَنْ حَوَى مِنْهَا الصَّحِيحَ صَحِيفَةً
كِتَابٌ لَهُ مِنْ شَرْعِ أَحْمَدَ شِرْعَةً
لَقَدْ سُدَّتْ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فُزَتْ فِي الْآخِرَى
تَوَدُّ الْغَوَاثِي لَوْ تُقَلِّدَهُ النَّحْرَا
فَحَلَّتْ بِهَا صَدْرًا وَحَلَّتْ بِهَا قَدْرَا
لَنَا نَقَلُوا الْأَخْبَارَ عَنْ طَيِّبِ خَبْرَا
عَنِ الزَّيْفِ وَالتَّصْحِيفِ فَاسْتَوْجِبُوا الشُّكْرَا
بِجَامِعِهِ مِنْهَا الْيَوَاقِيتُ وَالْدَّرَا
أَضَاءَ بِهِ شَمْسًا وَنَارًا بِهِ يَدْرَا
فَأَنْفَسَ بِهَا دَرًّا وَأَعْظَمَ بِهِ بَحْرَا
فَقَدْ أَشْرَقَتْ زُهْرًا وَقَدْ أَيْنَعَتْ زَهْرَا
يَلْخُصُّهَا جَمْعًا وَيُخْلِصُّهَا تَبْرَا
فَجَازَ لَهَا بَحْرًا وَجَابَ لَهَا بَرَا
وَطُورًا حِجَازِيًّا وَطُورًا أَتَى مِصْرَا
فَوَافَى كِتَابًا قَدْ غَدَا الْآيَةَ الْكُبْرَى
مُطَهَّرَةً تَعْلُو السَّمَائِينَ وَالنُّسْرَا

قلت : وتتصل روايتي عن الإمام أبي حيان من طرق عديدة : منها عن
عمي ولي الله العارف به شيخ الإسلام مفتي الأنام الخطيب الإمام مُلْحِقِ الْأَحْفَادِ
بِالْأَجْدَادِ سيدي سعيد بن أحمد المقرئ التلمساني ، عن شيخه العالم أبي عبد الله
التنسي ، عن والده حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي
ثم التلمساني الأموي ، عن عالم الدنيا أبي عبد الله ابن مرزوق ، عن جده الرئيس
الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق ، عن الأثير أبي حيان بكل مروياته :

انتهى ، فليحرر .

ومنها أنّ أبا حيان قال : أنبأنا الأستاذ أبو جعفر الزبير صاحب الصلة ، أنبأنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدي ، أنبأنا عبد الله بن محمد ابن حسن بن عطية ، ح قال أبو حيان : وأنبأنا الأصولي أبو الحسين ابن القاضي أبي عامر ابن ربيع الأشعري ، عن أبي الحسن أحمد بن علي الغافقي ، قال : أنبأنا عياض ، ح وكتب لنا الخطيب أبو الحجاج يوسف بن أبي ركانة ، عن القاضي أبي القاسم أحمد بن عبد الودود بن سمحون عن عبد الله بن عطية قال هو وعياض : أنبأنا القاضي أبو بكر ابن العربي ، أنبأنا أبو محمد هبة الله الأكفاني ، أنبأنا الحافظ عبد العزيز الكثاني الدمشقي ، أنبأنا أبو عصمت نوح ابن الفرغاني قال : سمعت أبا المظفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن قتّ الخزرجي وأبا بكر محمد بن عيسى البخاري قالا : سمعنا أبا ذر عمّار بن محمد بن محمد بن مخلد التميمي يقول : سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد بن الفضل البخاري يقول : لما عزل أبو العباس الوليد بن إبراهيم بن يزيد الهمداني عن قضاء الري ورّد بخارى سنة ٣١٨ لتجديده مودة كانت بينه وبين أبي الفضل البلعي ، فنزل في جوارنا ، فحملني معلمي أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الحنّلي إليه فقال له : أسألك أن تحدث هذا الصبي ما سمعته من مشايحك ، فقال : ما لي سماع ، فقال : وكيف وأنت فقيه ؟ فما هذا ؟ قال : لأنني لما بلغت مبلغ الرجال تأقت نفسي إلى طلب الحديث ورواية الأخبار وسماعها ، فقصدت محمد بن إسماعيل البخاري ببخارى صاحب التاريخ والمنظور إليه في علم الحديث ، وأعلمته مرادي ، وسألته الإقبال على ذلك ، فقال لي : يا بني ، لا تدخل في أمر إلا بعد معرفة حلوده والوقوف على مقاديره ، فقلت : عرّفني - رحمك الله تعالى - حدود ما قصدتك له ، ومقادير ما سألتك عنه ، فقال لي : اعلم أن الرجل لا يصير محدثاً كاملاً في حديثه إلا بعد أن يكتب أربعاً مع أربع كأربع مثل أربع في أربع عند أربع بأربع على أربع عن أربع لأربع ، وكل هذه الرباعيات لا تتم إلا بأربع مع أربع ، فإذا تمت له كلها

هان عليه أربع ، وابتلي بأربع ، فإذا صبر على ذلك أكرمه الله تعالى في الدنيا بأربع وأثابه في الآخرة بأربع ، قلت له : فسّر - رحمك الله تعالى - ما ذكرت من أحوال هذه الرباعيات من قلب صافٍ بشرح كافٍ وبيان شافٍ طلباً للأجر الواف ، فقال : نعم ، أما الأربع التي تحتاج إلى كتبها فهي أخبار الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وشرائعه ، والصحابة ، رضي الله تعالى عنهم ، ومقاديرهم ، والتابعين وأحوالهم ، وسائر العلماء وتواريخهم ، مع أسماء رجالهم وكناهم وأمكناتهم وأزمانهم ، كالتحميد مع الخطب ، والدعاء مع التوسّل ، والبسملة مع السورة ، والتكبير مع الصلوات ، مثل المسندات والمرسلات ، والموقوفات والمقطوعات ، في صغره وفي إدراكه ، وفي شبابه وفي كهولته ، عند فراغه وعند شغله ، وعند فقره وعند غناه ، بالجبال والبحار ، والبلدان والبراري ، على الأحجار والأخزاف ، والخلود والأكتاف ، إلى الوقت الذي يمكنه نقلها إلى الأوراق ، عمّن هو فوقه وعمّن هو مثله وعمّن هو دونه ، وعن كتاب أبيه يتيقّن أنه بخط أبيه دون غيره . لوجه الله تعالى طلباً لمرضاته ، والعمل بما وافق كتاب الله ، عز وجل ، منها ، ونشرها بين طالبها وعجيبها ، والتأليف في إحياء ذكره بعده ، ثم لا تتم له هذه الأشياء إلاّ بأربع ، هي من كسّب العبد ، أعني معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو ، مع أربع هي من إعطاء الله تعالى ، أعني القدرة والصحة والحرص والحفظ ، فإذا صحت له هذه الأشياء كلها هان عليه أربع : الأهل ، والولد ، والمال ، والوطن . وابتلي بأربع : بشماتة الأعداء ، وملامة الأصدقاء ، وطعن الجاهلاء ، وحسد العلماء ، فإذا صبر على هذه المحن أكرمه الله جل وعلا في الدنيا بأربع : بعز القناعة ، وبهتية النفس ، وبلدة العلم ، وبحياة الأبد ، وأثابه في الآخرة بأربع : بالشفاعة لمن أراد من إخوانه ، وبظل العرش حيث لا ظل إلاّ ظله ، وبسقي من أراد من حوض نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، وبحوار النبيين في أعلى عليين في الجنة ، فقد أعلمتك يا بني بمجمّلات جميع ما سمعت من مشايخي متفرقاً في هذا الباب ، فأقبل الآن إلى ما قصدتني له أو دَع ، فهالني

قوله ، فسكت متفكراً ، وأطرقت متأدباً ، فلما رأى ذلك مني قال : وإن لم تطلق حمل هذه المشاق كلها فعليك بالفقه ، يمكنك تعلمه وأنت في بيتك قارئ ساكن لا تحتاج إلى بُعد الأسفار ، ووطء الديار ، وركوب البحار ، وهو ذا ثمرة الحديث ، وليس ثواب الفقيه دون ثواب المحدث . في الآخرة ، ولا عزه بأقل من عز المحدث . فلما سمعت ذلك ثقيض عزمي في طلب الحديث ، وأقبلت على دراسة الفقه وتعلمه إلى أن صرت فيه متقدماً ، ووقفت منه على معرفة ما أمكنني من علمه بتوفيق الله تعالى ومنته ، فلذلك لم يكن عندي ما أمليه لهذا الصبي يا أبا إبراهيم ، فقال له أبو إبراهيم : إن هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبي من ألف حديث يجده عند غيرك ، انتهى .

وجاء أبو حيان إلى ابن تيمية والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالاً :

لَمَّا أَتَيْنَا تَقِيَّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا	دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فَتَرَدُّ مَا لَهُ وَزَرُّ
عَلَى مَحْيَاهُ مِنْ سَيِّمَاتِي صَحَبُوا	خَسِيرَ الْبَرِيَّةِ نُورٌ دُونَهُ الْقَمَرُ
حَبْرٌ تَسْرِبِلَ مِنْهُ دَهْرُهُ خَيْرٌ	بَحْرٌ تَقَاذِفُ مِنْ أَمَوَاجِهِ الدُّرُّ
قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي نَصْرِ شَرَعِنَا	مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضَرُّ
فَأَظْهَرَ الْحَقَّ إِذْ آثَارُهُ دَرَسَتْ	وَأَحْمَدَ الشَّرَّ إِذْ طَارَتْ لَهُ الشَّرُّ
كَانَا نَحْدُثُ عَنْ حَسْبٍ يَجِيءُ فَهَـ	أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظَرُ

ثم انحرف أبو حيان فيما بعد عن ابن تيمية ، ومات وهو على انحرافه ، ولذلك أسباب : منها أنه قال له يوماً : كذا قال سيويو ، فقال : يكذب سيويو ، فانحرف عنه ، رحم الله تعالى الجميع .

وحضر الشيخ أبو حيان مع ابن بنت الأعز في الروضة فكتب إلى أبي حيان ووجهه مع بعض غلمانته :

حَبِيتُ أَثِيرَ الدِّينِ شَيْخَ الْأَدْبَا أَقْضِي لَهُ حَقًّا كَمَا قَدْ وَجِبَا
حَبِيتُ فَتَى بَطَاقِ آسٍ نَضِيرٍ كَالْقَدِّ بَدَا مِلْتُ مِنْهُ طَرِبَا

قال : فأنشدته :

أهدى لنا غُصْنًا مِن ناضِرِ الآسِ أقضى القُضَاةَ حَلِيفُ الجُودِ والبأسِ
لمَّا رأى سَقَمِي أهداهُ مَعَ رَشِي حلَّوِ الثَّني فكَانَ الشَّافِي الآسِي

ولما أنشد الشيخ أبو حيان قول نور الدين القَصْرِي في روضة مصر :

ذاتُ وجهينَ فيهما قُسِمَ الحس نُ فاضحتُ بها القلوبُ تهيمُ
ذا بِلَى مصر فهو مصرٌ وهذا يتولَّى وسيمٌ فهو وسيمٌ
قد أعادت عصرَ التصابي صباها وأبادتُ فيها الغيومَ الغيومُ

زاد فيها بيتاً ، وهو :

فَبِلُجِّ البحارِ يسبحُ نونٌ وَيَفْجُ القفارِ يَسْفَحُ ريمٌ

قال أبو حيان : وكنت ماشياً بين القصرين مع ابن النحاس ، فعبر علينا صبي يدعى بجمال ، وكان مصارعاً ، فقال البهاء : لينظم كل منا فيه ، ثم قال :

مصارعٌ تصرعُ الآسادَ شمرتهُ تيهأُ فكلُّ مليحٍ دونه سَمِجُ
لما غدا راجعاً في الحسنِ قلتُ لهم عن حسنه حدثوا عنه ولا حرجُ

فنظمت أنا :

سباني جمالٌ من مليحٍ مُصارعٍ عليه دليلٌ للملاحيةِ واضحُ
لئن عَزَّ منه المثلُ فالكلُّ دونه وإن خَفَّ منه الحصرُ فالرَّدْفُ راجحُ

وسمع العزازي نظمنا فقال ، وأنشدني :

هل حَكَمَ ينصفني في هَوَى مُصارعٍ يصرعُ أسدَ الشرى
مذ فرَّ عني الصبرُ في خبِّه حكى عليه مدمعي ما جرى

أَبَاحَ قَتْلِي فِي الْهَوَى عَامِداً وَقَالَ كَمْ لِي عَاشِقٌ فِي الْوَرَى
رَمَيْتُهُ فِي أَسْرِ حُبِّي وَمَنْ أَجْفَانُ عَيْنِهِ أَخَذَتْ الْكُرَى

وقال لسان الدين في الإحاطة : كان أثير الدين أبو حيان نسيجاً وحلده في ثقبوب الدهن ، وصحة الإدراك ، والاضطلاع بعلم العربية والتفسير وطريق الرواية ، إمام النحاة في زمانه غير مُدافع ، نشأ في بلده غرناطة مشاراً إليه في التبريز بميدان الإدراك ، وتغيير السوابق في مضمار التحصيل ، ونالته نبوة لحق بسببها بالشرق ، واستقر بمصر ، فنال بها ما شاء من عز وشهرة وتأثر وافر وحظوة ، وأضحى لمن حل بساحته من المغاربة ملجأ وعدة ، وكان شديد البسط مهيباً جهورياً ، مع اللطافة والغزل وطرح التسميت ، شاعراً ، مكثراً ، مليح الحديث ، لا يمل وإن أطال ، وأسنّ جدّاً فانتفع به ، قال لي بعض أصحابنا : دخلت عليه وهو يتوضأ ، وقد استقر على إحدى رجليه لغسل الأخرى كما تفعل البرك والإوز ، فقال لي : لو كنت اليوم جار شليّ ما تركني لهذا العمل في هذا السن . ثم قال لي بعد كلام حدثنا عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا كالحاج أبي يزيد خالد بن عيسى والمقري الخطيب أبي جعفر الشقوري والشريف أبي عبد الله ابن راجع وشيخنا الخطيب أبي عبد الله ابن مرزوق قال : حدثنا شيخنا أبو حيان في الجملة سنة ٧٣٥ بالمدرسة الصالحية بين القصرين بمنزله ، حدثنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير سمعاً من لفظه وكتبه من خطه بغرناطة ، عن الكاتب أبي إسحاق ابن عامر الحمداني الطوسي — بفتح الطاء — حدثنا أبو عبد الله ابن محمد العنسي القرطبي ، وهو آخر من حدث عنه ، أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد الحافظ الجياني ، أنبأنا حكيم بن محمد ، أنبأنا أبو بكر ابن المهندس ، أنبأنا عبد الله بن محمد ، أنبأنا طالوت بن عباد بن نصال بن جعفر ، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول « اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة ، إذا حدث أحدكم فلا يكذب ، وإذا ائتمن فلا يخن ، وإذا وعد فلا يخلف ،

غضبوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم . واحفظوا فروجكم » .
ثم قال ابن الخطيب : إن أبا حيان حملته حدة الشبيبة على التعرض للأستاذ
أبي جعفر الطباع ، وقد وقعت بينه وبين أستاذه ابن الزبير الوحشة ، فنال منه ،
وتصدى للتأليف في الرد عليه وتكذيب روايته ، فرفع أمره للسلطان ، فامتعض
له ، ونفذ الأمر بتنكيهه ، فاخفى ، ثم أجاز البحر مخفياً ، ولحق بالمشرق يلتفت
خلفه .

ثم قال : وشعره كثير يتصف بالإجادة وضدها ، فمن مطولاته قوله :
لا تعذلاه فما ذو الحب معذولُ العقلُ مخبيلُ والقلبُ مقبولُ
هزّت له أسمرًا من خُوطٍ قامتها فما انثنى الصبُّ إلا وهو مقبولُ
جميلة فُصل الحسنُ البديعُ لها فكسّم لها جُملٌ منه وتفصيلُ
فالنحرُ مرمرٌ ، والنشرُ عنبرةُ ، والثغرُ جوهرةُ . والريقُ معسولُ
والطرفُ ذو غنج . والعرفُ ذو أرج ، والخصرُ مختطفُ ، والمئنُ مجدولُ
هيفاء ينطقُ في الخصرِ الوشاحُ لها درماءُ تخرسُ في الساقِ الخلاخيلُ
من الاواني غداهنّ النعيمُ فما يشقين ، آباؤها الصيّدُ البهاليلُ

إلى أن قال : وقوله :

نورٌ بخدك أم توقدُ نارٍ وضنّى بجفئك أم فتورُ عِقارٍ
وشدأً بريقك أم تأرجُ مسكة وستاً بثغرك أم شعاع دراري
جمعت معاني الحسن فيك فقد غدت قبيد القلبُ وفتنة الأبصارِ
مُتصاوين خفراً إذا ناطقته أغضى حياءً في سكون وقارٍ
في وجهه زهرات روض تجلّ من نرجسٍ مع وردة وبهارٍ
خاف اقتطاف الورد من وجناتها فأدار من آسٍ سيمّاج عذارٍ
وتسلّت نملُ العذار بخدّه ليردّن شهدة ريقه المعطارِ
وبخدّه نارٌ حمته وردّها فوقنّ بين الورد والإصدارِ

كم ذا أداري في هَوَاهِ مَحَبَّتِي ولقد وَشَى بي فيه فرطُ أُوَارِي

وقال ابن رشيد : حدثنا أبو حيان قال : حدثنا التاجر أبو عبد الله البرجوني بمدينة عَيْذاب من بلاد السودان ، وبرجونة قرية من قرى دار السلام ، قال : كنت بجامع لَوُلُمَ من بلاد الهند ومعنا رجل مغربي اسمه يونس ، فقال لي : اذكر لنا شيئاً ، فقلت له : قال علي ، رضي الله تعالى عنه : « إذا وضع الإحسان في الكريم أثمر خيراً ، وإذا وضع في اللئيم أثمر شراً ، كالغيث يقع في الأصداف فيثمر الدر ، ويقع في فم الأفاعي فيثمر السم » ، فما راعنا إلا ويونس المغربي قد أنشد لنفسه :

صنائعُ المعروفِ إن أودعتْ عند كريمٍ زَكَتِ النِّعَمُ
وإن تكنْ عند لئيمٍ غَدَتْ مكفورةٌ موجِبَةً إثمًا
كالغيثِ في الأصدافِ درٌّ ، وفي فَمِ الأفاعي يُثْمِرُ السَّمَا

قال أبو حيان : فلما سمعت هذه الأبيات نظمت معناها في بيتين ، وهما :

إذا وَضَعَ الإحسانُ في الحبِّ لم يُفَيْدْ سوى كفره ، والحرُّ يجزي به شكرا
كَغَيْثٍ سَقَى أَفْعَى فجاءتْ بِسَمِّهَا وصاحبَ أصدافاً فأثمرت الدرّاً .

قال أبو حيان : وأنشدنا الأمير بلر الدين أبو المحاسن يوسف بن سيف الدولة أبي المعالي ابن رمتاح الهمداني لنفسه بالقاهرة :

فلا تَعَجَّبْ لِحُسْنِ المَدْحِ مِنِّي صفاتُكَ أظهرتْ حُكْمَ البوادي
وقَدْ تُبْذِرُ لَكَ المِراةُ شَخْصاً ويُسْمِعُكَ الصدى ما قد تُنادي

وبعد كتّبي ما نقله ابن رشيد عن أبي حيان رأيت لبعضهم أن أبا حيان هذا الذي ذكره ابن رشيد ليس هو أبا حيان النحوي الأندلسي ، وإنما هو شخص

آخر ، وفيه عندي نظر لا يخفى ، والذي اعتقده ولا أرتاب فيه أنه أبو حيان النحوي .

وقال ابن رشيد : وأنشدني أبو حيان لنفسه :

إذا غاب عن عيني أقولُ سَلَوْتُهُ وإن لاح حالُ اللونُ فاضطربَ القلبُ
يُهَيِّجُنِي عيناهُ والمبسمُ الذي به المسكُ منظومٌ به اللؤلؤ الرطبُ

وقال الشريف ابن راجح : رأيت أن ما وضعه الشيخ أبو حيان في تقدم لسان الأتراك تضييع لعمره . وقلت :

نفائسُ الأعمار أنفقَتْها أنا وأمثالي على غير شيء
شيوخُ سوء ليس يرضى بما ترضى به من المخازي صبي

ومن نظم أبي حيان قوله :

إنَّ علماً تعبتُ فيه زماني . باذلاً فيه طارفي وتلاذي
لجديرٌ بأن يكون عزيزاً ومصوناً إلا على الأجوادِ

وقوله :

ومنا لك والإتعابُ نفساً شريفةً وتكليفها في الدهرِ ما ليس يعدُّبُ
أرجحها فعن قربِ تلاقي حِمَامِها فتنعَمُ في دارِ البقا أو تُعَدِّبُ
استشكل هذان البيتان بأن ظاهرهما خلاف الشرع ، وأجيب بأن مراده أمر الرزق ، لا أمر التكليف .

وأفاد غير واحد أن سبب رحلة الشيخ أبي حيان عن الأندلس أنه نشأ شر بينه وبين شيخه أحمد بن علي بن الطباع . فآلف أبو حيان كتاباً سماه « الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع » فرفع ابن الطباع أمره للأمير محمد بن نصر المدعو بالفقيه ، وكان أبو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه . فنشأ شر عن

ذلك . وذكر أبو حيان أنه لم يُقِيمْ بفاس إلا ثلاثة أيام ، وأدرك فيها أبا القاسم المزياتي ، وخرج أبو حيان من الأندلس سنة تسع وسبعين وستمائة .

وكان جماعة من أعلام الأندلس رحلوا منها ، فلما وصلوا إلى العُدوة أقاموا بها ، ولم يذهبوا إلى البلاد المشرقية :

٢١٧ - منهم الشيخ النحوي الناظم النائر أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي^١ ، وهو القائل يمدح أمير المؤمنين المستنصر بالله صاحب تونس^٢ :

أمن بارق أورى بيجنح الدجى سقطا	تذكرت من حلّ الأجارع فالسقطا
وبان ولكن لم يبن عنك ذكره	وشطّ ولكن طيفه عنك ما شطّا
حبيب لو أن البدر جاره في مدى	من الحسن لاستدنى مدى البدر واستبطا
إذا انتجعت مرعى خصيباً ركابه	غدا لحظ عيني يشتكي الجذب والقحطا
لقد أسرعني المطي بشادن	تسرع في قتل النفوس وما أبطا
ظننت الفلا دار ابن ذي يزن بها	وخيلت المحارب الموادج والغبطا
فكم دمية للحسن فيها وصورة	تروق وتمثال من الحسن قد خطّا
حمائل لأحت كالحمايل بهجة	سقيط الحيا فيهن لا يسأم السقطا
توسد غزلان الأوانس والمها	به الوشي والديباج لا السدر والأرطى
ولم يسب قلبي غير أبرها سناً	وأطولها جيداً وأخفها قرطاً
أيا ربّة الأحداج سيري فتعلمي ^٣	وما بك جهل . أن سهمك ما أخطا

١ ترجمة حازم القرطاجي في اختصار القدح : ٢٠ وبغية الوعاة : ٢١٤ وأزهار الرياض
٢ : ١٧٢ وشذرات الذهب ٥ : ٣٨٧ (انظر بروكلمان ١ : ٣١٧ وتكملة ١ : ٤٧٤) ،
وجمع ديوانه الأستاذ عثمان الكماك (ط. دار الثقافة بيروت ١٩٦٤) .
٢ ديوانه : ٦٨ وبعض أبياتها في أزهار الرياض .
٣ ق ودوزي : سيري فنقلي ، وفي الديوان : عوجي فتعلمي .

قفني تستبينني ما بعينيك من ضنني
 فلم أرَ أعدى منك لحظاً وناظراً
 سقى الله عيشاً قد سقانا من الهوى
 وكم جنةٍ قد رُدْتُ في ظلِّ كافرٍ
 وكم ليلةٍ قاسيتها نابغيةٍ
 وبثُّ أظنُّ الشَّهْبَ مثلي لها هوى
 على أنها مثلي عزيزةٌ مطلبٍ
 كأنَّ الثريا كاعبٌ أزمعتْ نوى
 كأنَّ نجومَ الحقعةِ الزُّهرَ هودجٌ
 كأنَّ رشاءِ الدلوِ رشوةٌ خاطبٍ
 كأنَّ السُّها قد دقَّ من فَرطٍ شوقه
 كأنَّ سُهَيْلاً إذْ تناءتْ وأنجذتْ
 كأنَّ خُفوقَ القلبِ قلبُ متيمٍ
 كأنَّ كلا النسرينِ قد ريعَ إذْ رأى
 كأنَّ الذي ضمَّ القوادِمَ منهما
 كأنَّ أخاهُ رامَ فتوتاً أمامه
 كأنَّ بياضَ الصبحِ معصمٌ غادةٍ
 كأنَّ ضياءَ الشمسِ وجهُ إمامنا
 محمدُ الهادي الذي أنطق الورى
 إمامٌ غدا شمسَ المعالي وبدورها
 جميلُ المحيَّا مجملٌ طيبٌ ذكره
 إذا ما الزمانُ الجعدُ أبدى تجهماً

كجسمي وعنوان الهوى فيه مختطاً
 لقلبي ولا أعسى عليه ولا أسطى
 كؤوساً بمسول اللّمي خلطت خلطاً
 فلم أجزي ما أولاهُ كفرأ ولا غمطاً
 إلى أن بدتْ شيئاً ذوائبها شمطاً
 وأغبطها في طول ألفتها غبطاً
 ومن ذا الذي ما شاء من دهره يُعطى
 وأمتْ بأقصى الغربِ منزلةً شحطاً
 لها عن ذرِّا الحرفِ المُنَاخَةِ قد حُطّاً
 لها جُعِلَ الأشرافُ في مهرها شرطاً
 إليها كما قد دقَّتْ الكاتبُ النُّقْطُ
 غدا يائساً منها فأتهمَ وانحطاً
 تعدَّى عليه الدَّهرُ في البينِ واشتطاً
 هلالَ الدجى يهوي له مخلاً سلطاً
 هوى واقِعاً للأرضِ أو قص أو قُطاً
 فلم يَعدُ أنْ مَدَّ الجَنَاحَ وأنْ مَطَّ
 جَنَّتْ يَدُها أزهار زهرِ الدجى لقطاً
 إذا ازداد بشراً في الوغى وإذا أعطى
 ثناءً بما أسدى إليهم وما أنطى
 وقد أصبحتْ زُهرُ النجومِ له رَهْطاً
 يعاطى سروراً كالحميا ويستعطى
 أرانا الحياءَ الطلقَ والخُلُقَ السَّبْطاً

كلا أبوي حَقْنَصٍ نَمَاهُ إِلَى الْعَلَا
بِسِيمَاهُ تَدْرِي أَنَّ كَعْبًا جَدُودَهُ
إِذَا قَبِضَ الرُّوْعُ الْوُجُوهَ فَوُجَّهَهُ
بِهِ تَتَرَكُّ الْأَبْطَالُ صَرَغِي لَدَى الْوُغَى
تَرَاهُ إِذَا يُعْطِي الرِّغَائِبَ بِاسْمَا
وَكَمْ عُنُقِي قَدْ قُلِّدَتْ بَنَوَالِهِ
مَتَى مَا تَقْسِمُ جُودَ الْكِرَامِ بِجُودِهِ
يَشْفُ لَهُ عَنْ كُلِّ غَيْبٍ حِجَابُهُ
تَطِيعُ اللَّيَالِي أَمْرَهُ فِي عَصَابَتِهِ
وَتَمْضِي عَلَيْهِمْ سَيْفُهُ وَسَنَانُهُ
فَكَيْفَ تَرَجَّتْ غَيْرُهُ مِنْهُ فَرْقُهُ
وَكَمْ بِالنَّهْيِ وَالْحَلْمِ غَطَّى عَلَيْهِمْ
فَأَمْطَاهُمْ دُهُمَ الْخَدِيدِ وَطَالَمَا
وَرَامَ لَهُمْ هَدْيًا وَلَكِنَّهُمْ أَبَوْا
وَكَانَ لَهُمْ يَبْغِي الْمَثُوبَةَ وَالرَّضَى
وَلَوْ قُوِلْتُ بِالشُّكْرِ مِنْهُ مَا رَبُّ
هُوَ النَّاصِرُ الْمَنْصُورُ وَالْمَلِكُ الَّذِي
أَصَاخَتْ لَهُ الْأَيَّامُ سَمْعًا وَطَاعَةً
فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَمْلِكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا

فَأَصْبَحَ عَنْ مَرَقَاتِهِ النُّجْمُ مَنْحَطًا
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَسْذَكِرْ رِزَاحًا وَلَا قَرَطًا
يَزِيدُ ، لَكُنْ الْبَصِيرُ نَصْلًا ، لَهُ بَسْطًا
كَأَنَّ قَدْ سَقَوْا مِنْ خَيْمَتِ بَابِلَ إِسْفِنَطًا
لَهُ جَدَلٌ يَرْبِي عَلَى جَدَلِ الْمَعْطَى
فَرِيدًا وَقَدْ كَانَتْ قِلَادَتُهَا لَطًا^١
فَبِالْبَحْرِ قَايَسَتْ الْوَقِيعَةَ وَالْوَاقِطَا^٢
فَتَحْسِبُهُ دُونَ الْمُحَجَّبِ مَا لَطًا^٣
وَتَرْدِي أَعَادِيهِ أَسَاوِدَهَا نَشْطًا^٤
فَتَبْرِي الْكُلِّي طَعْنًا وَتَفْرِي الطُّلِّي قَطَا
غَدَا عَزُّهَا ذَلَا^٥ وَرَفَعْتُهَا هَبْطًا
إِلَى أَنْ جَنَنُوا ذَنْبًا عَلَى الْعِلْمِ قَدْ غَطَّى
أَنَالَهُمْ دُهُمَ الْجِيَادِ وَمَا أَمْطَى
بِغَيْبِهِمْ إِلَّا الضَّلَالَةَ وَالْخَبْطَا
وَلَكِنْ أَبَوْا إِلَّا الْعُقُوبَةَ وَالسَّخْطَا
لَا اعْتَاظَ مِنْهَا أَهْلُهَا الْأَثْلَ وَالْخَمْطَا
أَعَادَ شِبَابَ الدَّهْرِ مِنْ بَعْدِ مَا اشْمَطَا
وَأَحْكَمَتِ الدُّنْيَا لَهُ عَهْدَهَا رِبْطَا
وَأَنْ تَمْلَأَ الدُّنْيَا إِبَالَتَهُ قَسْطَا

١ اللط : القلادة من حب الحنظل .

٢ الوقيمة : نقرة يستقر الماء فيها ؛ الوقط : حوض يستنقع فيه الماء .

٣ لط : أسدل وسر .

٤ النشط : اللدغ .

٥ ق ودوزي : أهيل .

ويغزو في آفاق أندلس العدا
وكل جواد خف سنبكه فما
يوم بها الأعداء ملك أمامه
ويرمي جبال الفتح من شط سبتة
بحيث التقي بالخضر موسى ، وطارق
وسعيتك ينسي ذكر سعتيهما به
ويوقع في الأعداء أعظم وقعة
تجاوب سحيم الطير فيه وشهيهما
وتنكر فيهما الجو والأرض أعين
فتخضب منهم من أثابت بخوفهما
ويحسم أدواء العدا كل صارم^١
وكل كمي كلما خط صفحة
شجاع إذا التف الرماحان مثل ما
إذا ما رجت منه أعاديه غيرة
فيجدع آتاف العدا بسيفه
يبس الأعداء سطوة ومكيدة
سرى في طلاب المعلوات فلم يزل
ولو نازعت يناه جذبا شماله
يصول بخطي لكل مرشة
قناه تبصر الآكام فرعا كواسيا

بجيش تخط الأرض ذبله خطا
يمس الثرى إلا مغالسة فرط^١
من الرعب جيش يسرع السير إن أبطا
بها فتوافي سبتا ذلك الشطتا
وموسى به رحلا لغزو العدا خطا
ويوسع سعي المشركين به حبطا
بها تملأ الأسماع طير الملا لغطا
كما راطن الزنج النبط أو القبطا
تري الجو نارا والصعيد دما عبطا
نصول ترى منها بفؤد الدجى وخطا
حسام إذا لاقى الطلى حبه قطا
بسيف غدا بالرمح ينقط ما خطا
تقلقل^٢ في أسنان مشط يد مشطا
رأت دون ما ترجو الفتادة والخرطا
وينشقها بالرمح ريح الردى سعط^٣
فيحكي الأسود الغلب والأذوب المعط^٤
يمد يدا مبسوطة وندى بسطا
لبوسا من الماذي لانق وانعط^٥
به أثر يعزوه للحية الرقطا
بهن وقد أبصرن عارية مرطا

١ فرطاً : نيقاً وإسراعاً .

٢ الديوان : كل ضارب .

٣ الديوان : تغفل .

٤ في الأصل : قسطا ، بسطا ، والتصويب عن الديوان .

٥ في الأصول : قى ، والتصويب عن الديوان .

إذا نُسِبَتْ لِلخَطِّ أَوْ لِرُدْيَةِ
 كَمَاةٌ حَمَاءٌ مَا يَزَالُ إِلَى الْوَغَى
 عَلَيْهِمْ نَسِجُ السَّابِغَاتِ كَأَنَّمَا
 إِذَا لُمِعَ لِلشَّمْسِ لَاحِتٌ عَلَيْهِمْ
 تَرَجَّرَجُ كَالزَّارُوقِ^١ لِينًا وَمِثْلَهُ
 جِيوشٌ إِذَا غَطَى الْبِلَادَ عِبَابُهَا
 فَكَمْ قَدْ حَكَّتْ فِي حَصْرِ حِصْنٍ وَمَعْقِلٍ
 وَخَيْلٌ كَأَمْثَالِ النَّعَامِ تَخَالُهَا
 تَحِيَّالُهَا فَتُخَا إِذَا ارْتَفَعَتْ وَإِنْ
 فَيَنْعَقُ مِنْهَا مَرْطُ كُلِّ عَجَاجَةٍ
 وَكَمْ خَالَطَتْ سَمَرَ الرِّمَاحِ وَأُورِدَتْ
 يَجْمُؤُنَهَا لَيْلَ السُّرَى فَلِذَا دَعَا
 فَكَمْ جَنَّبُوهَا خَلْفَ مَعْتَادَةِ السُّرَى
 وَقَدْ وَسَمَتْ أَعْنَاقَهُنَّ أَزْمَةً
 إِذَا أَوْقَدَتْ نَارًا بِقَذْفِ الْحَصَا حَكَّتْ
 إِمَامَ الْهَدَى أَعْلَيْتَ لِلدِّينِ مَعْلَمًا
 وَأَلْقَحْتَهُمْ^٢ عُقْمَ الْمَنَى عَنْ حَيَالِهَا
 وَصِيرَهُمْ^٣ فِي عَقْلَةٍ سَارَحَ الْعَدَا
 وَمَنْ كَانَ يَشْكُو سَطْوَةَ الدَّهْرِ قَدْ غَدَا

نَسَبَ إِلَى الْعَلَنِيَا رَدِيَّةَ وَالْخَطِّ
 حَنِينٌ لَهُمْ مَا حَنَّ نِصْوُ وَمَا أَطَا
 جَاوَدُ عَنْ الْحَيَاتِ قَدْ كُشِطَتْ كَشِطًا
 رَأَيْتَ صِلَالًا^٤ أَلْبَسَتْ حُلُلًا رُقَطًا
 تَرَى نَقْطَةً مِنْ بَعْدِ مَا طَرَحَتْ خَطًّا
 وَأَمَاجِهَا غَطَّتْ نَفُوسَ الْعَدَا غَطًّا
 وَشَاحًا عَلَى خَصْرِ فَاسْتَفَنَهُ^٥ ضَغْطًا
 لِإِفْرَاطِ لَوْكِ اللَّجْمِ تَبْغِي لَهَا سِرْطًا
 سَبَحْنَ بِمَاءِ خَلْتِهَا خَفَّةً بَطًّا
 مَوَازِعَ لَا يَسْتَأْمِنُ مَرًّا وَلَا مِرْطًا
 مِيَاهًا غَدَتِ حَمْرُ الدِّمَاءِ لَهَا خِلَاطًا
 نَزَالِ امْتَطَوْا مِنْهُمْ أَشْرَفَ مَا يَعْطَى
 عَوَارِفَ لَمْ تَسْمَعْ لَهَا أَذْنَ نَحْطًا
 بِطُولِ السُّرَى حَتَّى تَظُنَّ لَهَا عِلْطًا^٦
 وَبَحْرُ الدَّجَى طَامَ سَفِينًا رَمَتْ نَفْطًا
 وَسُمَّتِ الْعَدَا مِنْ بَعْدِ رَفْعَتِهِمْ حَطًّا
 فَمَا وَلَدَتْ عَقْمًا وَلَا نَتَجَتْ سَقْطًا
 وَسَرَحْتُهُمُ الْآمَالَ مِنْ عَقْلِهَا نَشْطًا
 بَعْدَ ذَلِكَ لَا يُعْنَدِي عَلَيْهِ وَلَا يُسْطَى

١ الديوان : تدحرج كالزواروق .

٢ الديوان : فأوسعته .

٣ ق ودوزي : حتى تظن بها غلطا .

٤ في الأصول : والحفتهم .

٥ ق : وصيرتهم .

ففي كلّ حال تؤثر القسطة جاريّاً
 فبوركت سبطاً جدّه عمّير الرضى
 تلوت الإمام العدل^١ يحيى فلم تزل
 فزدت وضوحاً بعده واستقامة
 وما كان أبقى غايةً غير أنه
 إذا درر الأملاك^٢ في الفخر نُظِّمَتْ
 على سنن التقوى وتجنب القسطة
 وبورك من جدّ غدوت له سبطا
 تزيد أمور الخلق من بعده ضبطا
 وتوطئة نهج السبيل الذي وطأ
 حبيب بما لم يُحِبَّ خلق^٣ ولم يعطا
 على نسق عِقْدًا فدولتك الوسطى
 وله أيضاً^٤ فيه :

في كلّ أفق من صباح دجاكمُ نورٌ جلا خيطَ الظلامِ بخيطه
 راقت محاسنُ مجدكم فبهرنَ ما كُسيتهُ من حبرِ المديحِ وربطه

وله - رحمه الله تعالى - عدة تأليف ، وولد سنة ٦٠٨ ، وتوفي ليلة السبت ٢٤ رمضان سنة أربع وثمانين وستمئة بتونس ، وممن أخذ عنه الحافظ ابن رشيد الفهري ، وذكره في رحلته وأثنى عليه ، كما أثنى عليه العبدري في رحلته ، فقال : حازم ، وما أدراك ما حازم ، وقد عرفتُ به في « أزهار الرياض » ممّا يغني عن الإعادة ، وكان هو والحافظ أبو عبد الله ابن الأبار فرسيّ رِهان ، غير أن ابن الأبار كان أكثر منه رواية .

٢١٨ - وهو الإمام الحافظ الكاتب الناظم الناصر المؤلف الراوية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن عبد الله بن أبي بكر ، القضاعي ، الأندلسي ، البلسنسي^٤ ، كتب ببليسية عن السيد أبي عبد الله ابن السيد أبي حفص ابن أمير

١ العدل : سقطت من ق .

٢ الديوان : دول الأملاك .

٣ أيضاً : سقطت من ق ؛ والبستان في الديوان : ٧٣ .

٤ ترجمة ابن الأبار في اختصار القديح : ١٩١ وأزهار الرياض ٢ : ٢٠٤ وعنوان الدراية : =

المؤمنين عبد المؤمن بن علي ، ثم عن ابنه السيد أبي زيد ، ثم كتب عن الأمير ابن مردنيش ، ولما نازل الطاغية بِلَنَسِيَّة بعثه الأمير زيان بن مردنيش مع وفد أهل بلنسية بالبيعة للسلطان أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص وفي ضمن ذلك استصرخه لدفع عادية العدو ، فأنشده السلطان قصيدته السينية التي مطلعها :

أدرك بِحَيْثُكَ خيلَ اللهِ أنْدَلُسًا إنَّ السبيلَ إلى مَسْجَدِهَا دَرَسَا

وقد ذكرناها في غير هذا الموضع ، ثم لما كان من أمر بلنسية ما كان رجع بأهله إلى تونس غبطة بإقبال السلطان عليه ، فنزل منه بخير مكان ، ورشحه لكتّيب علامته في صدور مكاتباته ، فكتبها مدة ، ثم أراد السلطان صرفها لأبي العباس الغساني لكونه يحسن كتابتها ، فكتبها مدة بالخط المشرقي ، وكان أثر عند السلطان من المغربي ، فسخط ابن الأبار أنفةً من إثارة غيره عليه ، وافتأت على السلطان في وضعها في كتاب أمر بإنشائه ، لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه . وأن يبقى موضع العلامة منه لكتابها ، فجاهر بالرد ، ووضعها استبداداً وأنفة . وعوتب على ذلك ، فاستشاط غضباً ، ورمى بالقلم ، وأنشد متمثلاً :

اطلُبِ العِزَّ في لَظَى وذَرِ الدَّ لَّ ولو كان في جنان الخلود

فنمي ذلك إلى السلطان ، فأمر بلزومه بيته ، ثم استعتب السلطان بتأليف رفعه إليه عد فيه من عوتب من الكتّاب ، وأعتبه ، وسماه « إعتاب الكتّاب » واستشفع فيه بابنه المستنصر ، فغفر السلطان له ، وأقال عثرته ، وأعادته إلى الكتابة ، ولما توفي السلطان رفعه أمير المؤمنين المستنصر إلى حضور مجلسه ، ثم حصلت له أمور معه كان آخرها أنه تقبض عليه ، وبُعث إلى داره ، فرفعت إليه كتبه أجمع . وألّفى أثناءها ، فيما زعموا ، رقعةً بأبيات أولها :

== ١٨٧ والفوات ٢ : ٤٥٠ وشذرات الذهب ٥ : ٢٧٥ والمغرب ٢ : ٣٠٩ وقد كتب عنه الدكتور عبد العزيز عبد المجيد دراسة في كتاب (طبع بمعهد مولاي الحسن : ١٩٥١) .

طغى بتونس خكفٌ سمّوه ظلماً خليفه^١

فاستشاط السلطان لها ، وأمر بامتحانها ، ثمّ بقتله ، فقتل قنصاً بالرماح
وسط محرّم سنة ٦٥٨ ، ثمّ أحرق شيلوه ، وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه
ودواوينه فأحرقت معه ، وكان مولده ببكّنبسيّة سنة ٥٩٥ .
وقال في حقه ابن سعيّد في « المغرب » ما ملخصه^٢ : إحامل راية الإحسان ،
المشار إليه في هذا الأوان ، ومن شعره قوله يصف الياسمين^٣ :

حسديقة ياسمين لا تهمّ بغيرها الحدقُ
إذا جفّن الغمام بكى تبسم ثغرُها اليقنُ
فأطرافُ الأهلة سا ل في أنائها الشفقُ

وكتب إلى الوزير أبي عبدالله ابن أبي الحسين ابن سعيّد يستدعي منه منشور^٤ :

لك الخير أتخفي بخيري روضة لأنفاسه عند الهجوم هبوبُ
أليس أديبُ الروض يجعل ليله نهاراً فيذكو تحته ويطيبُ
ويطوى مع الإصباح منشورُ نشره كما بان عن ريع المحب حبيبُ
أهمُّ به عن نسبة أديبسة ولا غرو أن يهوى الأديب أديبُ
وقوله في الخسوف^٤ :

نظّرتُ إلى البدر عند الخسوفِ وقد شينَ منظره الأزينُ
كما سقرتُ صفحةً للحبيبِ بـ يحجبها برقعٌ أدكنُ

١ هذا النقل غير موجود في المغرب المطبوع ، فلما أن المقرئ ينقل عن نسخة أخرى وإما أنه ينقل
عن القدح الممل .

٢ المغرب ٢ : ٣١٠ ، واختصار القدح : ١٩١ .

٣ المغرب : ٣١٠ ، واختصار القدح : ١٩٢ .

٤ المغرب : ٣١٠ .

وقوله في المعنى ^١ :

ألم ترَ للخصوفِ وكيف أبدى ببدرٍ التَّمُّ لَمَاعَ الضياءِ
كمرآةٍ جلاها القَتِينُ حتى أنارتْ ثمَّ رُدَّتْ في غشاءِ

وقوله :

والثريَّا بجانبِ البدرِ تحكي راحةً أوماتْ لتلطمَ خَدَّأ

وقوله ^٢ :

مَنْ عاذري من بابليَّ طرفهُ ولعمره ما حَلَّ يوماً بابلأ
أَعْتَدُهُ خوطاً لعِيشي ناعماً فيعودُ خَطِيئاً لقتلي ذابلأ

وهو حافظ متقن ، له في الحديث والأدب تصانيف ، وله كتاب في متخير
الأشعار سماه « قطع الرياض » و« تكملة الصلة » لابن بَشْكُوَال ، و« هداية المعترف
في المؤلف والمختلف » ، وكتاب التاريخ ، وبسببه قتله صاحب إفريقيا ، وأحرقت
كتبه على ما بلغنا ، رحمه الله تعالى ، وله « تحفة القادم في شعراء الأندلس » ،
و « الحلة السراء في أشعار الأمراء » ^٣ .

ومن شعره قوله :

أمرى عجيبٌ في الأمورِ بين التواري والظهورِ
مستعملٌ عندَ المغيرة بمِهمَلٍ عندَ الحضورِ

وسبب هذا أن ملك تونس كان إذا أشكل عليه شيء أو ورد عليه لغز أو

١ اختصار القدح : ٣٤٨ .

٢ اختصار القدح : ١٩٣ ، والمغرب ٢ : ٣١٢ .

٣ طبع من كتبه الحلة السراء وتكملة الصلة والمقتضب من تحفة القادم وإعتاب الكتاب ومجمع
أصحاب الصديقي .

مُعَمَّى أو مترجم بعث به إليه ، فيحله ، وإذا حضر عنده لا يكلمه ولا يلتفت إليه ، ووجد في تعاليقه ما يشين دولة صاحب تونس ، فأمر بضربه ، فضرِب حتى مات ، وأحرقت كتبه ، رحمه الله تعالى ، وكان أعداؤه يلقبونه بالفار ، وحصلت بينه وبين أبي الحسن علي بن شلبون الماعفري البُلَنْسِي مُهاجاة^١ ، فقال فيه^١ :

لا تَعَجَّبُوا لِمُضَرَّةٍ نالتْ جميعَ معَ الناسِ صادرة عن الأبارِ
أوليسَ فاراً خِلْفَةً وخَلِيقَةً والفِيارُ مجبولٌ على الإصرارِ
فأجابه ابن الأبار :

قل لابن شلبون مقالَ تَنَزَّهَ غيري يجاريك الهجاءَ فجَارِ
[إِنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَا فحملتُ بَرَّةً واحتملتُ فجَارِ]

وهذا مضمَّن من شعر النابغة الذبياني ، انتهى ما لخصناه من كلام ابن سعيد في حقه .

ومن شعر ابن الأبار أيضاً :

لو عنَّ لي عونٌ من المقدارِ لهجرتُ للدارِ الكريمةِ دارِ
وحللتُ أطيبَ طيبة من طَيِّبَةٍ جاراً لمن أوصى بحفظِ الجارِ
حيث استبانَ الحقُّ للأبصارِ لما استثارَ حفاظَ الأنصارِ
يا زائرَينَ القَبْرَ قَبْرَ مُحَمَّدٍ بشري لكم بالسَّبْقِ في الزَّوارِ
أوضَعْتُمُ لنجاتكم فوضَعْتُمُ ما آدكم من فادحِ الأوزارِ
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذي حُمِلْتُمُ شوقاً إلى المختارِ

١ هو علي بن لب بن شلبون البُلَنْسِي أبو الحسن وترجمته والأبيات في الذيل والتكملة ٥ : ٢٧٤ ، وله ترجمة في تحفة القادم : ١٥١ .

أدُّوا السَّلامَ سلِّمْتُ وبرَّدَه ارجو الإجارة من ورودِ النارِ

اللهم أجرنا منها يا رحيم يا رحمن يا كريم .

ولنختم ترجمته بقوله :

رَجَوْتُ الله في الأواءِ لَمَّا بلوتُ الناسَ من ساءِ ولاهي
فمن يكُ سائلاً عني فإني غنيتُ بالافتقارِ إلى الهي

وقد جودت ترجمته في « أزهار الرياض في أخبار عياض » فليراجع ذلك
فيه من شاء .

رجع إلى ما كنّا فيه من ذكر المرتحلين من الأندلس إلى المشرق :

٢١٩ — ومنهم الحافظ أبو المكارم جمال الدين بن مُسَدِّي ، وهو أبو بكر
محمد ، ويقال : أبو المكارم ، ابن أبي أحمد يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى
ابن مُسَدِّي^١ ، المهلبي ، الأزدي ، الأندلسي .
شيخ السُنّة ، وحامل راياتها ، وفريد الفنون ، ومحكم آياتها ، عرف الأحاديث
وميز بين شهرتها وغلبيتها ، وكان المتلقي لراية السُنّة يمين عرابتها ، طلع بمغربه
شمساً قبل بزوغه بأفق المشرق ، وملأ جزيرته الخضراء من بحر علومه المتدفق .
وأفعمها بنوره المُشرق ، وطاف البلاد الإسلامية المغربية والمشرقية . فعقّدت على
كمالها الحناصر ، وجعله أربابُ الدراية لمقلة الدين الباصير . ولقي أعيان الشيوخ
في القطرَيْن ، وأخذ عنهم ما تقرُّ به العين ، ويدفع به عن القلب الرّين ، مع
فصاحة لسان ، وطلاقة بيان وبنان ، ونخلال حسان ، وبلاغة سجيته على سحبان .
وظهر أزهار بان ، وفوّضت إليه خطابة الحرم الشريف بمكة فكان كما يقال :

هذا السَّوار مثل هذا المعصم

١ ترجمة ابن مسدي في تذكرة الحفاظ : ١٤٤٨ ، وشذرات الذهب : ٥ : ٣١٢ .

فكم وشئى بها من مطارف للبلاغة وكم عنتم ، حتى يظن الرائي عود منبره من وعظه مائساً . ولئن مال من سجع الحمام رطباً فقد مال من سجع هذا الإمام يابساً ، وترجم على من لقي من الأعيان بسحر البيان ، وفصل أحوالهم بأحسن تبيان ، وعدتهم أربعة آلاف شيخ وناهيك بهذه مزية نقاد لها الفضائل في أرسان ، وأرى تحقيق قول القائل : جمع الله تعالى العالم في لإنسان ، وله موضوعات مفيدة من حديث وفقه ونظم ونثر . وله مُسند غريب جمع فيه مذاهب العلماء المتقدمين والمتأخرين^١ ، وهو أشهر من نارٍ على علم ، وكان يكتب بالقلمين المغربي والمشرقي ، وكلاهما في غاية الجودة ، ومثل هذا يُعدّ نادراً ، توفي شهيداً مطعوماً من أناس كانوا يحسدونه ، فحتم الله تعالى له بالشهادة ، وبُويء بها دار السعادة ، وتوفي سنة ٦٦٣ بمكة ، ومولده سنة ٥٩٨ ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا بأمثاله .

٢٢٠ - ومنهم الكاتب أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقي القبتوري^٢ - بفتح القاف ، وسكون الباء الموحدة ، وفتح التاء ثالثة الحروف ، وسكون الواو ، وبعدها راء - الإشبيلي المولد والمنشأ ، ولد في شوال سنة ٦١٥ ، وقرأ على الأستاذ الدباج كتاب سيويه والسبع ، وله باع مديد في الترسل مع التقوى والخير ، وله إجازة من الرضي بن برهان والنجيب بن الصبقل ، وكتب لأمير سببته ، وحدث بتونس عن الغرافي ، وجاور زماناً ، وتوفي بالمدينة سنة ٣٧٠٤ ، وحج مرتين .

قال أبو حيان : قدم القاهرة مرتين ، وحج في الأولى ، وأنشدني من لفظه لنفسه :

أسيلي الدمع يا عيني ولكن دماً ، ويقل ذلك لي ، أسيلي

١ ق ودوزي : المتقدمين والمتقدمين .

٢ ترجمة خلف بن عبد العزيز القبتوري في بغية الوعاة : ٢٤٢ نقلا عن الصفدي والدرر الكامنة .

٣ ق : ٧٤٠ وهو مخالف لما في المصادر ..

فكم في التُّرْبِ من طرف كحيل لِيَتْرَبَ لي ومن خَدَّيْ أُسِيلِ

وقال :

ماذا جَنَيْتُ على نَفْسِي بما كَتَبْتُ كَفِّي ، فيا وَيْحَ نَفْسِي من أذى كَفِّي
ولو يشاء الذي أجرى عليّ بهذا قضاءه الكَفَّ عنه كنت ذا كَفٍّ

وقال :

واحسَرَتَا لأُمُورٍ لَيْسَ يبلِغُها مِثَالِي وهُنَّ مِثِّي نَفْسِي وآمَالِي
أصبَحْتُ كالآلِ لا جَدْوَى لَدَيَّ وما أَلَوْتُ جَهْدًا ولكن جَدَّيَ الْآلِي

وقال العلامة فتح الدين ابن سيد الناس إنه أنشده لنفسه بالحرم الشريف
النبوي سنة ثلاث وسبعمئة^١ :

رجوتك يا رحمن إنك خير من رجاهُ لِقُضْرَانِ الجرائمِ مُرْتَجِي
فرحمتُكَ العُظْمَى التي ليس بابها وحاشاك في وجه المميءِ بِمُرتَجِي

وقد أنشده له أبو حيان كثيراً من نظمه ، رحمه الله تعالى .

٢٢١ — ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبي الخليل ، الأموي
الإشبيلي ، النبائي ، المعروف بابن الرومية^٢ ، كان عارفاً بالعُشْبِ والنبات ، صنف
كتاباً حسناً كثير الفائدة في الحشائش ، ورتب فيه أسماءها على حروف المعجم ،
ورحل إلى البلاد ، ودخل حلب ، وسمع الحديث بالأندلس وغيرها .
وقال البرزالي في حقه : إنه كان يعرف الحشائش معرفة جيدة ، وسمع

١ البيتان في البغية والدرر الكامنة .

٢ ترجمة ابن الرومية في اختصار القلح : ١٨١ والإحاطة ١ : ٢٢٠ وتذكرة الحفاظ : ١٤٢٥

والتكملة : ١٢١ وبرنامج الرعيي : ١٤٢ والديباج : ٤٢ .

الحديث بدمشق من ابن الحرستاني ، وابن ملاعب ، وابن العطار ، وغيرهم ، وقال بعضهم : اجتمعت به ، وتفاوضت معه في ذكر الحشائش ، فقلت له : قصب الذريرة قد ذكر في كتب الطب ، وذكروا أنه يُستعمل منه شيء كثير ، وهذا يدل على أنه كان موجوداً كثيراً ، وأما الآن فلا يوجد ، ولا يجبر عنه مخبر ، فقال : هو موجود ، وإنما لا يعلمون أين يطلبونه ، فقلت له : وأين هو ؟ فقال : بالأهواز منه شيء كثير ، انتهى^١ .

وأجاز البحر بعد سنة ٥٨٠ للقاء ابن عبيد الله بسببته فلم يتهيأ له ذلك ، وحجج - رحمه الله تعالى - في رحلته الأولى ، ولقي كثيراً ، وروى عن عدد من رجال ونساء ضمنهم التذكرة له ، وله مختصر كتاب «الكامل» لأحمد بن عدي في رجال الحديث ، وله كتاب «المعلم بما زاده البخاري على كتاب مسلم» . ويُعرف بالنباتي لمعرفته بالنبات ، ومولده في نحو سنة ٥٦١ ، وتوفي رحمه الله تعالى بإشيلية مُنْسَلَخ ربيع النبوي سنة ٦٣٧ ، وقد رثاه أناس من تلامذته ، وألف بعضهم في التعريف به ، وسمع من ابن زرقون وابن الجلد وابن عفير وغير واحد كأبي ذر الحبشي ، وسمع ببغداد من جماعة ، وحدث بمصر الأحاديث من حفظه ، ويقال له «الحزمي» - بفتح الحاء - نسبة إلى مذهب ابن حزم لأنه كان ظاهري المذهب ، وكان زاهداً صالحاً ، وحكى بعضهم عنه أنه كان جالساً في دكانه بإشيلية يبيع الحشائش وينسخ ، فاجتاز به الأمير أبو عبد الله ابن هود سلطان الأندلس ، فسلم عليه ، فرد عليه السلام ، واشتغل بنسخه ، ولم يرفع إليه رأسه ، فبقي واقفاً منتظراً أن يرفع إليه رأسه ، ساعة طويلة ، فلما لم يحفل به ساق فرسه ومضى ، وله كتابان حستان في علم الحديث : أحدهما يقال له «الحافل في تكملة الكامل» لابن عدي ، وهو كتاب كبير ؛ قال ابن الأبار : سمعت شيخنا أبا الخطاب ابن واجب يثني عليه ويستحسنه ؛ والثاني اختصر فيه

١ انتهى : سقطت من ق .

الكامل لأبي أحمد ابن عدي كما سبق في مجلدين . وسمع بدمشق والموصل وغيرهما جماعة من أصحاب الحفاظ أبي الوقت السجزي وأبي الفتح ابن البطي وأبي عبد الله الغراوي وغيرهم من الأئمة ، وله فهرسة حافلة أفرد فيها روايته بالأندلس من روايته بالمشرق ، وكان متعصباً لابن حزم بعد أن تفقه في المذهب المالكي على ابن زرقون أبي الحسين ، وطالت صحبته له . وكان بصيراً بالحديث ورجاله . كثير العناية به ، واختصر كتاب الدارقطني في غريب حديث مالك . وغيره أضبط منه ، وفاق أهل زمانه في معرفة النبات ، وقعد في دكان لبيعه ، قال ابن الأبار : وهناك رأيته ولقيته غير مرة ، ولم آخذ عنه ، ولم أستجزه ، وسمع منه جلُّ أصحابنا ، ومولده في شهر المحرم سنة ٥٦٧^١ ، وتوفي بإشبيلية ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة ٦٣٧^٢ ، وقال ابن زرقون : منسلخ شهر ربيع الأول . وحكى ذلك عن ولده أبي النور محمد بن أحمد ، انتهى .

٢٢٢ - ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد السلام ، الغافقي ، الإشبيلي ، الشهير بالمسيلي^٣ ، رحل حاججاً ، وقفل إلى بلده ، وحدث عنه أبو بكر ابن خير بوفاة القاضي ابن أبي حبيب ، وروى عن أبي محمد ابن أبي السعادات المروزي الخراساني ، وأنه أنشده بثر الإسكندرية عند وداعه إياه ، قال : أنشدني أبو تراب جندل^٤ عند الوداع لبعضهم :

السمُّ من ألسنِ الأفاعي أعذبُ من قبلة الوداعِ
ودَّعتهم والدموع تجري لما دعا للوداع داعي

٢٢٣ - ومنهم أبو العباس - ويقال : أبو جعفر - أحمد بن معد بن عيسى

١ التكملة : سنة إحدى وستين وخمسمائة .

٢ ق : ٦٣٨ ، وهو مخالف لما في التكملة .

٣ ترجمة المسيلي في التكملة : ٦٠ .

٤ التكملة : ابن جندل .

ابن وكيل ، التجيبي ، الزاهد ، ويُعرف بابن الإقليشي^١ ، صاحب كتاب «النجم من كلام سيد العرب والعجم» ، صلتى الله عليه وسلّم ، عارض به شهاب القضاء ، وأصل أبيه من اقليش ، وضبطها بعضهم بضم الهمزة ، وسكن دانية وبها ولد ونشأ ، سمع أباه أبا بكر وأبا العباس ابن عيسى ، وتلمذ له ، ورحل إلى بَلَنْسِيَة فأخذ العربية والآداب عن أبي محمد البَطَلَيْوْسِي ، وسمع الحديث من صهره أبي الحسن طارق بن يعش والحافظ أبي بكر ابن العربي وأبوي الوليد : ابن خيرة وابن الدباغ ، ولقي بالمرية أبا القاسم ابن ورد وأبا محمد عبد الحق بن عطية ووليّ الله سيدي أبا العباس ابن العريف ، ورحل إلى المشرق سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وجاور بمكة سنين ، وسمع بها من أبي الفتح الكروخي جامع الترمذي برباط أم الخليفة العباسي سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، ثم كر راجعاً إلى المغرب فقبض في طريقه ، وحدث بالأندلس والمشرق ، وكان عالماً ، عاملاً ، متصوفاً ، شاعراً مجوداً ، مع التقدم في الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا وأهلها ، والإقبال على العلم والعبادة ، وله تصانيف : منها كتاب «الغرر من كلام سيد البشر» وكتاب «ضيء الأولياء» وهو أسفار عدة ، وحمل الناس عنه معشراته في الزهد ، وكتبها الناس ، وكان يضع يده على وجهه إذا قرأ القارىء فيبيكي حتى يعجب الناس من بكائه ، وكان الناس يدخلون عليه بيته والكتب عن يمينه وشماله ، وقد وصف غير واحد إمامته وعلمه وورعه وزهده ، وروى عنه أبو الحسين ابن كوثر وابن يبيش وغيرهما .

ومن شعره قوله^٢ :

أسير الخطايا عند بابك واقف له عن طريق الحق قلب مخالف

١ ترجمة ابن معد الإقليشي في التكملة : ٦٠ ، وإنباء الرواة ١ : ١٧٦ ، وأخبار وتراجم

أندلسية : ٢٤ وياقوت «أقليش» .

٢ الشعر في التكملة : ٦١ .

قديمًا عصى عمداً وجهلاً وغيرةً
تزيدُ سنوهُ وهو يزداد ضلّةً
تطلعَ صبح الشّيب والقلبُ مظلم
ثلاثون عاماً قد تولّتْ كأنها
وجاء المشيب المنذر المرء أنه
فيا أحمد الخوان قد أدبر الصّبا
فهل أرق الطرف الزمان الذي مضى
فجُد بالدموع الحمر حزناً وحسرةً
ولم ينه قلبٌ من الله خائف
فما هو في ليل الضلالة عاكف
فما طاف منه من سنى الحق طائف
حلومٌ تقضّتْ أو بروق خواطف
إذا رحلتْ عنه الشيبة تالف
وناداك من سن الكهولة هاتف
وأبكاهُ ذنبٌ قد تقدّم سالف
فدمعك يُنبئ أن قلبك آسف

وقد وافق في أول هذه القطعة قول أبي الوليد ابن الفرّضي ، أو أخذه منه نقلاً ، وتوفي في صدره عن المشرق بمدينة قوص من صعيد مصر في عشر الحسين وخمسمائة ، ودفن عند الحميزة التي في المقبرة التالية لسوق العرب ، وقال ابن عياد: إنه توفي سنة خمسين أو إحدى وخمسين بعدها — رحمه الله تعالى — وقد نيّف على الستين .

٢٢٤ — ومنهم أبو العباس أحمد بن عمر ، المعافري ، المُرّسي ^١ ، وأصله من طلبيرة ، ويُعرف بابن إفرند ^٢ ، روى عن أبي الحسين الصفدي ^٣ وغيره كالقاضي الحافظ أبي بكر ابن العربي وأبي محمد الرشاطي وأبي إسحاق ابن حيش وغيرهم ، وله رحلة حج فيها ، ولقي أبا الفتح ابن الرندائقاني — بلد بين سرخس ومرو — من أصحاب أبي حامد الغزالي ، وأنشد عنه ممّا قاله في وداع لإخوانه بالبيت المقلّص :

لئن كان لي من بعدُ عودٌ إليكمُ
قضيتُ لباناتِ الفؤادِ لديكمُ

١ ترجمة أحمد بن عمر المعافري في التكملة : ٧٢ .

٢ التكملة : بابن إفرندو .

٣ أكبر الظن أن هذا خطأ ، ففي التكملة روى عن أبي علي ابن سكرة وهذا هو الصّدي .

وإن تكن الأخرى ولم تكن أوبة^١ وحان حيمامي فالسلام عليكم

وقد روى هذين البيتين أبو عمر ابن عياد وابنه محمد عن ابن إفرند هذا ، وكان صالحاً زاهداً متصوفاً ، رحمه الله تعالى .

٢٢٥ - ومنهم أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى ، الضبي^١ ، من أهل لورقة^٢ ، رجل حاجباً ، وكان منقبضاً زاهداً صواماً قواماً ، وأقرأ القرآن ، وأسمع الحديث ، وممن حدث عنه الحفاظ أبو سليمان وأبو محمد ابن حوط^٣ الله ، ولقيه أبو سليمان^٢ بلورقة سنة ٥٧٥ ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٥٧٧ ، وقد قارب المائة .

٢٢٦ - ومنهم أبو عمر ابن عات ، وهو أحمد بن -هارون بن أحمد بن جعفر بن عات النفزي^٣ ، من أهل شاطبة ، سمع أباه وأبا الحسن ابن هذيل وأبا عبد الله ابن سعادة وابن حبيش وغير واحد وطائفة كثيرة ، ورحل إلى المشرق فأدى الفريضة ، وسمع أبا الطاهر السلفي وأبا الطاهر ابن عوف وغيرهما ممن يطول ذكره ، وأجاز له أبو الفرج ابن الجوزي وغيره ممن أخذ عنه وسمع منه ، وقد ضمن ذكر أشياخه وجملته صالحاً من مروياته عنهم برناجيه اللذين سمى أحدهما بـ « التزهة في التعريف بشيوخ الوجهة » وهو كتاب حافل جامع ، والآخر بـ « ربحانة النفس وراحة الأنفس في ذكر شيوخ الأندلس » . قال ابن عبد الملك المراكشي في الصلة^٤ : حدثنا عنه شيخنا أبو محمد حسن بن علي بن

١ ترجمة أبي جعفر الضبي في التكملة : ٧٩ ، والمقري ينقل عنها بإيجاز .

٢ يعني ابن حوط الله .

٣ ترجمة أبي عمر ابن عات في التكملة : ١٠١ والنقل عنها باختصار وعن غيرها وخاصة الذيل

والتكملة ؛ وانظر الديباج : ٥٩ .

٤ الصواب : في الذيل والتكملة .

القطان ، وكان من أكابر المحدثين ، وجلة الحفاظ^١ المسندين للحديث والآداب بلا مدافعة ، يسرد الأسانيد والمتون ظاهراً فلا يخل بحفظ شيء منها ، متوسط الطبقة في حفظ فروع الفقه ومعرفة المسائل ، إذ لم يُعْنَ بذلك عنايته بغيره ، فكان أهل شاطبة يفاخرون بأبوي عمر ابن عبد البر وابن عات ، وكان على ستن السلف الصالح في الانقباض ، ونزارة الكلام ، ومثانة الدين ، وأكل الحشف ، ولزوم التقشف ، والتقل من الدنيا ، والزهد فيها ، والمثابرة على كثير من أفعال البر كالأذان والإمامة وبذل المعروف والتوسع بالصدقات على الضعفاء والمساكين . وحكي أنه حضر في جماعة من طلبة العلم لسماع السَّيَر على بغض شيوخهم ، فغاب الكتاب أو القارئ بكتابه ، فقال أبو عمر : أنا أقرأ لكم ، فقرأ لهم من حفظه ، وقال أبو عمر عامر بن نذير : لازمته مدة ستة أشهر ، فلم أرَ أحفظ منه ، وحضرت إسماع الموطأ وصحيح البخاري منه ، فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشر أوراق عرضاً بلفظه كل يوم عقب صلاة الصبح ، لا يتوقف في شيء من ذلك ، انتهى .

وقال بعض المؤرخين^٢ : إنه كان آخر^٣ الحفاظ للحديث ، يسرد المتون والأسانيد ظاهراً لا يخل بحفظ شيء منها ، موصوفاً بالدراية والرواية ، غالباً عليه الورع والزهد . على منهاج السلف ، يلبس الحُشَيْن^٤ ، ويأكل الحشف^٤ ، وربما أذن في المساجد ، وله تأليف دالة على سعة حفظه ، مع حظ من النظم والنثر ، وشهد وقعة العقاب التي أفضت إلى خراب الأندلس بالدائرة على المسلمين فيها ، وكانت السبب الأقوى في تحييف الروم بلادها حتى استولت عليها ، ففقد حينئذٍ ولم يوجد حياً ولا ميتاً ، وذلك يوم الاثنين منتصف صفر سنة تسع وستمائة ،

١ دوزي : وجلة الحفاظ .

٢ هو ابن الأبار في التكملة .

٣ التكملة : أحد .

٤ التكملة : الحشب .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، قاله ابن الأبار ، وهو ممّن أجاز له المذكور فيما رواه أو ألفه ، رحمه الله تعالى .

٢٢٧ — ومنهم أبو العباس أحمد بن تميم بن هشام بن أحمد بن حنّون ، البهراني ^١ ، من ساكني إشبيلية ، وأصله من لبّلة ، روى عن أبيه وابن الجند وابن زرقون وابن جهور وغيرهم من أعلام الأندلس ، ثمّ رحل إلى المشرق ، فسمع ببغداد من أبي حفص عمر بن طبرزد ، وبخراسان من المؤيد الطوسي ، وبهراة من أبي روح عبد المعز ، وبمرو من عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني ، ومن جماعة غير هؤلاء ، وسمع أيضاً بدمشق من أبي الفضل الحرّستاني وسواه ، وبها توفي قبل العشرين وستمائة ، فيما نقل ابن الأبار عن ابن نقطة ، وقال غيره : إنه مات سنة خمس وعشرين وستمائة .

٢٢٨ — ومنهم أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد ، المخزومي ^٢ ، من أهل قرطبة ، ويعرف أبوه بكوزان ^٣ ، روى عن أبيه وغيره من مشيخة بلده ، ورحل حاجاً فلقني بالإسكندرية أبا الحسن ابن المقدسي وسمع منه ، وأنشد من لفظه بعض أصحاب ابن الأبار ، قال : أنشدني شرف الدين أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي ، قال : أنشدني تقيّة بنت غيث بن علي الأرنازي لنفسها ^٤ :

لا خير في الخمر ، على أنها مذكورة في صفة الجنة
لأنها إن خامرت عاقلاً خامره في عقله جنة
يخاف أن تقدفه من علي فلا تقي مهجته جنة ^٥

- ١ ترجمة أحمد بن تميم البهراني في التكملة : ١١٢ .
٢ ترجمة أحمد بن إبراهيم المخزومي في التكملة : ١١٢ .
٣ التكملة : بكوزان .
٤ ق : بقية وكذلك في دوزي .
٥ زاد في ق : رحمها الله تعالى .
٦ ق : الجنة .

٢٢٩ - ومنهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن عياش ، الكناني ،
المُرسي^١ ، سمع من ابن بشكُوال موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى والقنبي
وابن بكير بقراءة أبي محمد ابن حنوط الله ، ورحل إلى المشرق سنة تسع وسبعين
 وخمسمائة ، فحج سنة ثمانين بعدها ، وأقام بالحجاز والشام مدة ، ولقي أبا الطاهر
 الخشوعي بدمشق فسمع منه مقامات الحريري وأخذها الناس عنه ، ومما أفاد
 وزاد في قول الحريري :

إذا ما حوت جنى نخلة

الآيات - قوله :

ولا تأسفن^٢ على خارج إذا ما ملحت منا الداخل
ولا تكثر الصمت في معشر وإن زدت عيًّا على باقل

وسمع من أبي القاسم ابن عساكر السنن للبيهقي ، ومن أبي حفص المياشي
جامع الترمذي ، وقفل إلى الأندلس في سنة سبع وتسعين ، وحدث بيسر ، وكان
يحسن عبارة الرؤيا ، وكُفَّ بصره سنة ثمان وعشرين وستمئة أو نحوها ، وتوفي
على إثر ذلك ، ومولده سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

٢٣٠ - ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حصن بن أحمد بن حزم
الغافقي^٣ ، ويقال فيه : إبراهيم بن حصن بن عبد الله بن حصن ، أندلسي ،
سكن دمشق ، وولي الحسبة بها ، ويكنى أبا إسحاق . سمع ببغداد من أبي بكر
ابن مالك القطيعي وطبقته ، وبدمشق من عبد الوهاب الكلبي ويوسف بن القاسم
الميانجي ، وبمصر من أبي طاهر الذهلي^٣ وأبي أحمد الغطريفني ، وله أيضاً سماع

١ ترجمة ابن عياش الكناني في التكملة : ١١٨ .

٢ ترجمة إبراهيم بن حصن في التكملة : ١٣٣ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٢٢ .

٣ التكملة : الذهبي .

بالرملة وأطرابلس والدينور وغيرها من البلدان ؛ وحدث بيسير ؛ روى عنه أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله الجبّان من شيوخ عبد العزيز بن أحمد الكنافي ، وكان مالكيّاً ، وقيل : إنه يذهب إلى الاعتزال ، وكان صارماً في الحِسْبَةِ ، ووليها سنة خمس وتسعين وثلاثمائة في أيام الحاكم العبيدي ، وتوفي بدمشق في ذي الحجة سنة أربع وأربعمئة ، قيل : ثاني عيد الأضحى ، وقيل غير ذلك ؛ ذكره ابن عساكر ، رحمه الله تعالى .

قلت : ما سمعت بمالكي معتزلي غير هذا ، ولعله كان مالكيّاً بالمغرب ، فلما دخل في خدمة الشيعة حصل منه ما حصل من نسبته للذهب الاعتزال ، فאלله تعالى أعلم .

٢٣١ - ومنهم أبو أمية إبراهيم بن منبه بن عمر بن أحمد ، الغافقي^١ ، من أهل المرية ، ونزل مُرْسِيَةَ ، سمع ببلده من ابن^٢ شفيح ، وأخذ عنه القراءات ، ومن الحفاظ ابن سُكرة وابن زغبة^٣ وعبد القادر بن الحناط ، وبقرطبة من ابن عتاب وابن طريف وأبي بحر الأسدي وابن مغيث وغيرهم ، ورحل حاجتاً ، فسمع بمكة من أبي عليّ ابن العرجاء أحاديث جعفر بن نسطور وغيرها في شعبان سنة ست وعشرين ، وسمع أيضاً من أبي الفتح سلطان بن إبراهيم المقدسي ، وقفل إلى بلده ، وانتقل بعد الحادثة عليه إلى مُرْسِيَةَ ، وولي القضاء والخطبة هنالك ، وحدث ، وأخذ عنه ، وكان فقيهاً مشاوراً ، وقيل : إن ابن حبّيش سمع منه الأحاديث النسطورية ، وأسمع صحيح البخاري آخر ذي الحجة سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، وكان يحدث به عن سلطان بن إبراهيم عن كريمة المروزية ، وحكى رحمه الله تعالى عن أبي ذرّ الهروي أنه قال عند موته : عليكم بكريمة فإنها تحمل

١ ترجمة إبراهيم بن منبه في التكملة : ١٤٩ .

٢ ابن : سقطت من ق .

٣ كذا في التكملة ؛ ق : ابن زغبة .

كتاب البخاري من طريق أبي الهيثم ، رحم الله تعالى الجميع .

٢٣٢ - ٢٣٣ - ومنهم أبو القاسم ابن فورتش ، وهو إسماعيل بن يحيى ابن عبد الرحمن ، السَّرْقُسطي^١ ، وأخوه القاضي محمد بن يحيى ، وكانا جميعاً زاهدين ، لهما رحلة سمعا فيها من أبي ذر الهروي بمكة ، وعادا إلى بلدهما ، وولي محمد منهما القضاء ، وقد لقيهما القاضي الحافظ أبو علي ابن سَكْرَةَ ولم يسمع منهما ، ويرويان عن أبي عمر الطلمنكي وأبي الحزم ابن أبي درهم ، وتوفي أبو القاسم في نحو الخمسمائة .

٢٣٤ - ومنهم أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد بن عمر ، القُرْشي ، العلوي ، الإشبيلي^٢ . رحل حاجتاً . ودخل العراق والموصل ، وقيد الكثير ورواه ، وسمع من أبي حفص الميائشي بمكة سنة ٥٧٠ ، وحدث بالموطأ عن أبي الحسن علي بن هابيل الأنصاري عن أبي الوليد الباجي ، وحدث أيضاً عن غيره بما دل على أنه كان يخلط ولا يضبط . وكذلك قال أبو الصبر : كان له في الموطأ إسناد عال جداً فصفحته فوجدته ينقص منه رجل واحد^٣ ، فاستربت في الرواية عنه بعد تحسين الظن به . ولم يتنبه أبو الصبر لأن ابن هابيل وغيره من شيوخه مجهولون ، وأبو الصبر ممن روى عن المذكور ، وهو أبو الصبر السبتي ، والله تعالى أعلم بحقيقة حال الرجل .

٢٣٥ - ومنهم أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد ابن عبد الله بن إبراهيم بن خليل ، النفزي ، الحميري ، التاكرُني . قال في تاريخ إربل : كان شاباً متأدباً فاضلاً ، قدم مصر ، وله شعر حسن ، وقال الحافظ عبد العظيم المنذري : أنشدنا المذكور لنفسه :

١ ترجمة ابن فورتش وأخيه محمد بن يحيى في التكملة : ١٨٢ .

٢ ترجمة أبي الطاهر العلوي في التكملة : ١٨٥ وفيها : إسماعيل بن عمر بن أحمد .

٣ التكملة : رجلا واحداً .

يا قلبُ ما لك لا تفيقُ من الهوى أو ما يَقَرُّ بك الزمانَ قرارُ؟
ألكلّ ذي وجه جميل حنة ولكلّ عهد سالف تذكّارُ؟

وله :

يا رب أضحية سوداء حالكة لم ترعَ في البیدِ إلا الشمس والقمر
تخالُ باطنها في اللون ظاهرها فهي الغداة كرنجٍ إذا كفرا

ولد سنة ٥٩٠ بتاكُرْتَا من بلاد الأندلس ، وهي من نظر قرطبة ، وتوفي
بأرزن من ديار بكر سنة ٦٢٩ ، عائداً من آمد ، رحمه الله تعالى .
ومن بديع شعره :

إن أودعَ الطرسَ ما وشّاه خاطره أبدى لعينيك أزهاراً وأشجاراً
وإن تهدّدَ فيه أو يَعِدْ كرمًا بثّ البريّة آجالاً وأعماراً

وتأكرنا - بضم الكاف والراء وتحفيفها ، وشد النون - وورد المذكور لإربل
سنة سبع وعشرين وستمائة ، وله أبيات أجاز فيها قول شرف الدين عمر بن
الفارض في غلام اسمه بركات ، قال الأسدي الدمشقي ، ومن خطه نقلت :
كنت حاضرَ هذه الواقعة بالقاهرة بالجامع الأزهر ، إذ قال ابن الفارض :

بركاتٌ يحكي البدرَ عند تمامه حاشاه بل شمسُ الضحى تحكيه
فقال أبو الروح ، وأنشدني ذلك :

هذا الكمالُ فقلْ لمن قد عابه حسداً وآية كل شيء فيه
لم تَدْرِ إحدى زهوتيهِ ، وإنما كملت بذلك ملاحجة التشبيه
وكأنه قد رام يُخلِقُ جفّنه ليصيب بالسهم الذي يرميه

وقال ابن المستوفي في تاريخ إربل : أنشدني أبو الروح لنفسه :

أوصيتُ قلبي أن يفرَّ عن الصِّبَا ظنّاً بأنّي قد دعوتُ سميحاً
فأجابني لا تخشَ مني بعدما أفنّيتُ من شركِ الغرامِ وقوعاً
حتى إذا نادى الحبيب رأيتُه آوى إليه مليّاً ومطيعاً
كذبالةٍ أحمدها فإذا دنا منها الضرامُ تعلّقتهُ سريعاً

قال : وأنشدني :

وزائرٍ زارني والليلُ مُعتَكِرٌ والطَّيبُ يفضحه والحلّيُ يشهره
أمسكتُ قلبي عنه وهو مضطربٌ والشوقُ يبعثه والصَّونُ يزجره
فبتُّ أصدى إلى من لا يحلّني والوردُ صافٍ ولا شيء يكدره
تراه عيني وكفّي لا تلامسه حتى كأنّي في المرأة أنظره

قال : وأنشدني الإمام أبو عمرو ابن غياث الشريشي لنفسه رحمه الله تعالى :

صبوتُ وهل عارٌ على الحرِّ إن صبا وقيد ثغر الأربعين إلى الصِّبَا
وقالوا مشيبٌ قلتُ واعجبا لكم أينكرُ صبيحٌ قد تخلل غيَّها
وليس مشيباً ما ترون ، وإنما كُمتُ الصِّبَا لما جرى عاد أشها

وتوفي أبو عمرو^١ سنة ٦٢٠ ، عن تسعين سنة .

قال ابن المستوفي : وأنشدني المذكور قال : أنشدني أبو عمرو أيضاً لنفسه :

أودعُ فؤادي حسرة^٢ أو دَعِ نفْسَكَ تؤذي أنت في أضلعي
أمسك سهام اللحظ أو فارمِها أنت بما ترمي مصابٌ معي
موقعها القلب وأنت الذي مسكنه في ذلك الموضع

قال : وأنشدني قال : أنشدني مطرف الغرناطي :

١ ق : عمران .

٢ دوزي : حرقاً .

أنا صَبَّ كما تشاء وتهوى شاعر ماجد كريم جوادُ
سُنَّة سَنِّها قديماً جميل وأتى المحدثون مثلي فزادوا

قال : وأنشدني أيضاً المطرف :

وفي فروع الأيك ورُقُّ إذا بلَّ الندى أعطاها تَسَجَعُ
أو هَزَّها نَفَحُ نسيم الصَّبَا شاقكَ منها غُرْدٌ شُرْعُ
كأنما رَيَّطَتْها مِنبَرٌ وهي خطيبٌ فوقه مِصْقَعُ
إن شَبَّها في طَرَفٍ لوعة جرى لها في طرفٍ مدمعُ

أخذه من قول عبد الوهاب بن علي المالقي الخطيب :

كأنَّ فؤادي وطرفي معاً هما طرفاً غُصْنٌ أخضر
إذا اشتعلَ النارُ في جانبٍ جرى الماءُ في الجانبِ الآخر

٢٣٦ — ومن المرتحلين من الأندلس إلى المشرق الإمام النحوي اللغوي نور الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن حمدون ، الحميري ، الأندلسي ، المالقي . قال شرف الدين الصابوني : أنشدنا المذكور لنفسه سنة ٦٦٧ :

فؤادُ بأيدي النائبات مُصابُ وجفَنَ لفيض الدمع فيه مَصَابُ
تناعت ديارُ قد ألفت وجيرةُ فهل لي إلى عهد الوصالِ إِيَابُ
وفارقتُ أوطاني ولم أبلغ المنى ودون مرادي أبحرُ وهِصابُ
مضى زمني والشيبُ حلَّ بمفرقي وأبعدُ شيء أن يُردَّ شِيَابُ
إذا مرَّ عمرُ المرء ليس براجع وإن حلَّ شيبٌ لم يُقْده خِصابُ
فحلَّ حمام الشيب في فرقٍ لَمِّي وقد طار عنها للشبابِ غرابُ
وكم عِظَّةٍ لي في الزمانِ وأهلِهِ وبين فؤادي والقَبولِ حِجابُ

فدعْ شهواتِ النفسِ عنكِ بمَعزول
 وسلِّ فؤاداً عن ربابٍ وزينبِ
 وأنوي متاباً ثمَّ أنقضْ نيتي
 أقرُّ بتقصيري وأطمعُ في الرضى
 ويعتبني في العجزِ خيلٌ وصاحبٌ
 أظهرُ أثوابي وقلبي مُدْتَسِرٌ
 وفارقتُ من غربِ البلادِ موطناً
 فبالقلبِ من نارِ التشوقِ حُرقةٌ
 وما بلغ المملوكُ قصداً ولا منى
 وأخشى سهامَ الموتِ تفجأ غفلةً
 وقلبي معمورٌ بحُبِّ محمدٍ
 يحنُّ إلى أوطانه كلُّ مسلمٍ
 فأسعدُ أيامي إذا قيل هذه
 فجسمي في مصر وروحي بطيبة
 على مثل هذا العجزِ والعمرِ منقُصٍ
 وأرجو ثواباً بامتداحي محمداً
 به أخدمتُ من قبلُ نيرانُ فارسٍ
 وكم قد سقى من كفه الجيشُ فارتووا
 أجيبَ لما يختارُ في حضرةِ العلا
 فلمْ لله دُنياه عَن خوفِ ربه
 محمدُ المختارُ أعلى الورى ندى
 أحسبُ أن تحصى بَعْدَ صفاته
 ثناءً رسولِ الله خيرُ ذخيرة
 وقد نُصِبَ الميزانُ واللهُ حاكمٌ

فعَذَّبُ الليالي مقتضاه عذابُ
 فما القصدُ منها زينبُ وربابُ
 فربَّعُ صلاحِي بالفسادِ خرابُ
 ومسا القصدُ إلا مرجعُ ومتابُ
 وهل نافعٌ في الجامداتِ عتابُ
 وأزعمُ صدقاً والمقالُ كِذابُ
 فسقى رُبى غربِ البلادِ سحابُ
 وبالعينِ من فيضِ الدموعِ عبابُ
 ولا حُطَّ عن وجهِ المرادِ نقابُ
 وما سارَ بي نحو الرسولِ ركابُ
 فما لي في غيرِ الحجازِ طِلابُ
 فقُدَّسَ منها منزلٌ وجنابُ
 منازلُ من وادي الحمى وقبابُ
 فللروحِ عن جسمي هناكِ متابُ
 تُشَقُّ قلوبٌ لا تُشَقُّ ثيابُ
 وما كلُّ مثنٍ في الزمانِ يُثابُ
 وحقق من ظبي الفلاة خطابُ
 وكم قد شفى منه العيونَ رُضابُ
 وما كلُّ خلقٍ حيثُ قال يجابُ
 ولا شغلتَه عن رضاه كعابُ
 وأكرمُ مَبْعُوثٍ أناه كتابُ
 وهيئاتِ ما يحصى علاه حسابُ
 وقد ذلَّ جبارٌ ونخيفَ عقابُ
 وذلتْ لأحكامِ الإلهِ رقابُ

فكلُّ ثناء واجبٌ لصفاته - فما مدحُ مخلوقٍ سواه صوابٌ
إليك رسولَ الله أنبي مدائحِي - وإنَّ رجائي راحةٌ وثوابٌ
إذا قيلَ مَنْ تعني بمدحك كله - فأنتَ إذا خبرتَ عنه جوابٌ
« فليتك تحلو والحياة مريرة » - وليتك ترضى والأنام غِضابٌ
فأنتَ أجلُّ العالمين مكانةً - وأكرمُ مدفونٍ حواه ترابٌ

وله يرثي العز بن عبد السلام :

أمدُّ الحياة كما علمتَ قصيرُ - وعليك نَقَّادٌ بها وبصيرُ
عجباً لمغترٍ بدارٍ فَنائِه - وله إلى دارِ البقاء مَصيرُ
فسلميها للنائباتِ مُعَرَّضٌ - وعزیزها بيد الردى مقهورُ
أيظنُّ أن العُمُرَ مملودٌ له - والعمرُ فيه على الردى مقصورُ

وهي طويلة ، ولم يحضرني سوى ما ذكرته

٢٣٧ - ومنهم عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الرحمن ، الغساني .
الوادي آشي ، أبو محمد^١ ، وله أخبار كثيرة في الحماسة وعلو الهمة . ومن نظمه
لما تعمم مخدمه ابن غانية^٢ بعمامة بيضاء ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء :

فَدَيْتُكَ بِالنَّفْسِ الَّتِي قَدْ مَلَكَتْهَا - بما أنتَ مولِها من الكرمِ الغَضُّ
تَرَدَّيْتُ لِلْحُسْنِ الْحَقِيقِيِّ بِهِجَةً - فصار لها الكليُّ في ذاك كالبعضِ
ولما تَلَلَا نَوْزُ غُرَّتِكَ الَّتِي - تُقَسِّمُ في طولِ البلادِ وفي عرضِ

١ ترجمة ابن فرسان الوادي آشي في المغرب ٢ : ١٤٢ ، والمقتضب من تحفة القادم : ١١٥ .

وكانت وفاة ابن فرسان سنة ٦١١ .

٢ هو أبو زكريا يحيى بن إسحاق بن غانية أحد الثائرين على الموحدين أيام منصور بن عبد المؤمن ،
وفي المغرب : أبو الحسن ابن غانية وهو أخو يحيى .

تَلَفَعَتْهَا^١ خَضِرَاءَ أَحْسَنَ نَاضِرٍ
وَأَسْدَلَتْ حَمْرَاءَ الْمَلَابِسِ فَوْقَهَا
فَأَصْبَحَتْ بَدْرًا طَالِعًا فِي غَمَامَةٍ
نَبَتَ عَنْكَ إِجْلَالًا وَذَاكَ مِنَ الْفُرْصِ
بِمَفْرَقِ تَاجِ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ الْمُحْضِ
عَلَى شَفَقِ دَانٍ إِلَى خَضِرَةِ الْأَرْضِ

وقال رحمه الله تعالى :

أَجْبُنًا وَرَمَحِي نَاصِرِي وَحَسَامِي
وَلِي مِنْكَ بَطَاشُ الْيَدِينِ غَضَنْفَرُ
وَعِجْزًا وَعِزْمِي قَائِدِي وَإِمَامِي
يَحَارِبُ عَنْ أَشْبَالِهِ وَيَحَامِي

وقال رحمه الله تعالى لما أَسَنَ يَسْتَأْذِنُ مَخْدُومَهُ فِي الْحَجِّ وَالزِّيَارَةِ^٢ :

أَمِنُنْ بِتَسْرِيحِ عَلِيٍّ فَعَلَّاهُ
وَلَكِنْ تَقُولُ كَاشِحٌ أَنْ هَدَوَى
فَمَقَالَتِي مَا إِنْ مَلَلْتُ وَإِنَّمَا
وَعِجْزْتُ عَنْ أَنْ أُسْتَثِيرَ كَمِينَهَا
سَبَبُ الزِّيَارَةِ لِلْحَظِيمِ وَيُثْرِبُ
دَرَسَتْ مَعَالِهِ وَأَنْكَرَ مِزْهِي
عَمْرِي أَبِي حَمَلِ النَّجَادِ وَمَنْكِي^٣
وَأَشَقَّ بِالصَّمْصَامِ صَدْرَ الْمَوْكَبِ

وقال رحمه الله تعالى ، ولا خفاء ببراعته^٤ :

نَدَى مَخْضَلًا ذَاكَ الْجَنَاحَ الْمَتَمَنَّمَا
أَعِيدَهْنَ أَلْحَانًا عَلَى سَمْعِ مَعْرَبٍ
وَطَرٌ غَيْرَ مَقْصُوصِ الْجَنَاحِ مَرْفَهًا
مُخَلَّتِي وَأَفْرَاخًا بَوَكَرَكَ نَوْمًا
وَسَقِيًا وَإِنْ لَمْ تَشْكُ يَا سَاجِعًا ظَمًا
يَطَارِحُ مَرْتَاجًا عَلَى الْقُضْبِ مَعْجَمًا
مَسَوَّغَ أَشْتَاتِ الْحُبُوبِ مِنْعَمًا
أَلَا لَيْتَ أَفْرَاخِي مَعِيَ كُنَّ نَوْمًا

وقال رحمه الله تعالى^٥ :

-
١ دوزي : تلففتها .
٢ الأبيات في المغرب .
٣ المغرب : بمنكي .
٤ الأبيات في التحفة .
٥ الأبيات في التحفة .

كفى حَزَنًا أنَّ الرماحَ صَقِيلَةٌ وأنَّ الشُّبَّاهُ رَهْنُ الصُّدَى بِدَمَائِهِ
وأنَّ بَيَاضَ بِلْدَانِ الْجَوَانِبِ فَرَزَّتْ ولم يَعْدُ رُخَّ الدَّسْتِ بَيْتَ بَنَائِهِ

وكان - رحمه الله تعالى - من جلَّة الأدباء ، وفحول الشعراء ، وبَرَعة
الكتَّاب ، كتب عن ابن غانية الأمير أبي زكريا يحيى بن إسحاق^٢ بن محمد بن علي
المسوفي الميرقي الناصر علي منصور بني عبد المؤمن ، ثم على مَن بعده من ذريته إلى
أيام الرشيد منهم ، وكان منقطعاً إليه ، وممَّن صحبه في حركاته ، وكان آيةً في
بُعد الهمة ، والذهاب بنفسه ، والغناء في مواقف الحرب ، والجنسية علة الضم ،
إذ ابنُ غانية كان غاية في ذلك أيضاً ، ووجهه الميرقي المذكور عشية يوم من أيام
حروبه إلى المأزق ، وقد طال العراق ، وكاد الناس ينفصلون عن الحرب [إلى أن
يباكروها من الغد ، فلمَّا بلغ الصدر اشتدَّ على الناس]^٣ وذمَّر أرباب الحفيظة .
وأنهى إليهم العزم من أميرهم في الحملة ، فأنهزم عدوُّهم شرَّ هزيمة ، ولم يعد
أبو محمد إلَّا في آخر الليل بالأسلاب والغنيمة ، فقال له الأمير : وما حملك على
ما صنعت ؟ فقال : الذي عملت هو شأني . وإذا أردت من يصرف الناس عن
الحرب ويذهب ريحه فانظر غيري .

وتشاجر له ولد صغير مع تِرْبٍ له من أولاد أميره أبي زكريا فنال منه ولد
الأمير ، وقال : وما قدَّرتُ أباك ؟ فلمَّا بلغ ذلك أباه خرج مغضباً لحينه . ولقي
ولدَ الأمير المخاطبَ لولده فقال : حفظك الله تعالى ، لستُ أشكُّ في أني خديم
أبيك ، ولكني أحب أن أعرفك بنفسي ومقداري ومقدار أبيك ، اعلم أن أباك
وجهني رسولاً إلى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه ، فلمَّا بلغتُ بغداد
أنزلت في دار اكتريت لي بسبعة دراهم في الشهر ، وأجري عليَّ سبعة دراهم في

١ التحفة : الزجاج .

٢ إسحاق : سقطت من ق .

٣ ما بين قوسين ساقط من ق ودوزي .

اليوم ، وطُولع بكتابي ، وقيل : مَنْ الميرقي الذي وجهه ؟ فقال بعض الحاضرين : هو رجل مغربي ثائر على أستاذه . فأقامت شهراً ، ثم استدعيت ، فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع مَنْ بها من الفضلاء وأرباب المعارف والآداب اعتذروا إليّ ، وقالوا للخليفة : هذا رجل جُهل مقداره ، فأعدتُ إلى محل اكتُري لي بسبعين درهماً ، وأجري عليّ مثلها في اليوم ، ثم استدعيت فودعت الخليفة ، واقتضيت ما تيسر من حوائجه وصدر لي شيء له حظ من صلته ، وانصرفت إلى أبيك ، فالمعاملة الأولى كانت على قدر أبيك عند مَنْ يعرف الأقدار ، والثانية كانت على قدري ، وترجمته رحمه الله تعالى متسعة .

٢٣٨ — ومنهم عبد المنعم بن عمر الفسافي ، الوادي آشي^١ ، المؤلف ، الرحالة ، المتجول ببلاد المشرق سائحاً ، صاحب المؤلفات الكثيرة التي منها « جامع أنماط السائل في العَرُوض^٢ والخطب والرسائل » .

ومن نظمه قوله رحمه الله :

ألا إنما الدنيا بحارٌ تلاطمتُ فما أكثر الغرقى على الجناباتِ
وأكثرُ من لاقيت يُغرقُ إلفهُ وقُلَّ فتى يُنجي من الغمراتِ

توفي سنة ٦٠٣ ، رحمه الله تعالى .

٢٣٩ — ومنهم أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد ، القرطبي ، الخزرجي ، كان إماماً في التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعَرُوض والطب ، وله تأليف حسان ، وشعر رائق ، فمنه قوله رحمه الله تعالى :

١ ترجمة عبد المنعم بن عمر الفسافي في الذيل والتكملة ٥ : ٥٧ والتكملة رقم : ١٨١٥ ، وصلة الصلة : ١٥ ، ونخبة القادِم : ٩٠ ، وفوات الوفيات رقم ٢٦٣ ، وابن أبي أصيبعة ٢ : ١٥٧ وهو الجلياني لأن جليانة من عمل وادي آش .
٢ الذيل والتكملة : في القريض .

وفي الوجّاتِ ما في الروضِ لكن لرونقِ زهرها معنى عجبُ
وأعجبُ ما التّعجبُ عنه أني أرى البستانَ يحمله قضيبُ
وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٦٠١ .

٢٤٠ - ومنهم أبو العباس القرطبي^١ ، صاحب « المفهم في شرح مسلم » ،
وهو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري ، المالكي ، الفقيه ، المحدث ،
المدرس ، الشاهد بالإسكندرية .

ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ ، وسمع الكثير هنالك ، ثم انتقل إلى المشرق ، واشتهر
وطار صيته ، وأخذ الناس عنه ، وانتفعوا بكتبه ، وقدم مصر ، وحدث بها ،
واختصر الصحيحين ، وكان بارعاً في الفقه والعربية ، عارفاً بالحديث ، وممن
أخذ عنه القرطبي صاحب التذكرة . ومن تصانيفه رحمه الله تعالى « المفهم
في شرح مسلم » وهو من أجل الكتب ، ويكفيه شرفاً اعتماد الإمام النووي ، رحمه
الله تعالى ، عليه في كثير من المواضع ، وفيه أشياء حسنة مفيدة . ومنها اختصاره
للصحيحين كما مر ، وله غير ذلك وتوفي رحمه الله تعالى بالإسكندرية رابع
ذي القعدة سنة ٦٥٦^١ . وكان يُعرف في بلاده بابن المزين ، وله كتاب « كشف
القناع عن الوجّه والسماع » أجاد فيه وأحسن ، وكان يشتغل أولاً بالمعقول .
وله اقتدار على توجيه المعاني بالاحتمال .

قال الشيخ شرف الدين الدميّاطي : أخذت عنه ، وأجاز لي مصنفاته ، رحمه
الله تعالى . وحدث بالإسكندرية وغيرها ، وصنف غير ما ذكرناه ، وكان
إماماً عالماً جامعاً لمعرفة الحديث والفقه والعربية وغيرها .

١ ترجمة أبي العباس القرطبي في الديباج : ٦٨ ، قال : وتوفي بالإسكندرية في ذي القعدة سنة
ست وعشرين وستمائة ، وفي كتاب الذيل والتكملة لقاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد الملك
المراكشي أنه توفي سنة ست وخمسين فأنظره .

٢ ق : ٦٥٠ .

٢٤١ - ومنهم العارف الكبير ، الولي الصالح الشهير . أبو أحمد جعفر ابن عبد الله بن محمد بن سيد بونه ، الخزاعي ، الأندلسي^١ . أحد الأعلام المنقطعين المقربين أولي الهداية ، كان - رضي الله تعالى عنه ونفعنا به - كثير الأتباع . بعيد الصيت ، فذآ شهيراً .

قال الحافظ ابن الزبير : هو أحد الأعلام المشاهير فضلاً وصلاً . قرأ بلسانية وتفقه ، وحفظ نصف المدونة . وأقرأها . وكان يؤثر التفسير والحديث والفقه على غيرها ، أخذ عن أبوي الحسن ابن النعمة وابن هذيل . وحج . ولقي في رحلته من الأندلس جيلة أكبرهم الولي الكبير سيدي أبو مدين شعيب . أفاض الله تعالى علينا من أنواره ، وانتفع به . ورجع عنه بعجائب . فشهـر بالعبادة . وتبرك الناس به ، فظهرت عليه بركته ، توفي رحمه الله تعالى في شوال سنة ٦٢٤ . وعاش نيلاً وثمانين سنة .

وله ترجمة في الإحاطة ملخصها ما ذكرناه .

٢٤٢ - ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب ، الخزرجي . الأنصاري . الشاطبي^٢ . الفقيه ، القاضي ، الصدر ، المتفنن . المحصل ، المجيد . له علم محكم ، وعقد صحيح مبرم ، رحل إلى المشرق وحج ، وكانت رحلته بعد تحصيله فزاد فضلاً إلى فضل ، ونُبلاً إلى نبل . وكان متنبأً في فقهه . لا يستحضر من النقل الكثير ، ولكنه يستحضر ما يحتاج إليه ، وكان له علم بالعربية وأصول الفقه ، ومشاركة في أصول الدين ، له شرح على الجزولية ، وكان أبوه قاضياً ، وبيتهم بيت قضاء وعلم وسؤدد متوارث ومجد مكسوب ومنسوب : ثم ولي قضاء بجاية ، فكان في قضائه على سنن الفضلاء وطريق الأولياء العقلاء بالحق مع

١ ترجمة ابن سيد بونه في الإحاطة ١ : ٢٩١ (ط . السلفية) .

٢ ترجمة محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي في عنوان الدراية : ٦٧ ، وقد كانت وفاته عام ٦٩١ .

الصدق ، معارضاً للولاء ، وكان يرى أن لا يقدم الشهود إلا عند الحاجة ، وأما إن حصل من تحصل به الكفاية فلا يقدم غيره ، ويرى أن الكثرة مفسدة ، وقد طلب منه الملك أن يقدم رجلاً من أهل بجاية ، فقال له مشافهة : إن شئت قدمتموه وأخرتموني ؛ وكان إذا جرى الأمر في مجرى الشهادة وما قاله القاضي ابن العربي أبو بكر وغيره من أنها « قبول قول الغير على الغير بغير دليل » يرى أن هذا من الأمر العظيم الذي لا يليق أن يمكن منه إلا الآحاد الذين تبيين فضلهم في الوجود ؛ وكان يرى أن جنيات الشاهد إنما هي في صحيفة من يقدمه من باب قوله عليه الصلاة والسلام « من سن سنة حسنة ، ومن سن سنة سيئة » ، وقد سئل^١ : من أولياء الله ؟ فقال : شهود القاضي ، لأنهم لا يأتون كبيرة ، ولا يواظبون على صغيرة ، وإن كانت الشهادة على هذه الصفة فلا شيء أجل منها ، وإن كانت خلة لا صفة فلا شيء أخس منها ، ولما كانت واقعة بني مرين^٢ بطنجة عرض عليه أهلها أن يتقدم وأن يبايعوه ، فقال : والله لا أفسد ديني . ولما توفي عجز القاضي الذي تولى بعده عن سلوك منجاه ، واقتفاء سنته الذي اقتفاه ، قال هذا كله بمعناه وبعضه بحروفه الغبرني في « عنوان الدراية في علماء بجاية » .

٢٤٣ - ومنهم محمد بن يحيى الأندلسي ، الألبسي - بلام فموحدة فسين - قاضي القضاة^٣ ، أخذ عن الحافظ ابن حجر ، ونوّه به عند الأشرف ، حتى ولاه قضاء المالكية بحماة ، وسار سيرة السلف الصالح ، ثم حنق على نائبها في بعض الأمور ، وسافر إلى حلب مظهراً لإرادة السماع على حافظها البرهان . ووصفه ابن حجر في بعض مجاميعه بقوله : الشيخ الإمام العالم العلامة في الفنون ، قاضي الجماعة . وقال : إنه إنسان حسن إمام في علوم منها الفقه

١ عنوان الدراية : وقد سئل الجنيدي .

٢ كذا هو في ق وعنوان الدراية ؛ وفي دوزي : مزين .

٣ ترجمة محمد بن يحيى الألبسي في الضوء اللامع .

والنحو وأصول الدين ، يستحضر علوماً كأنها بين عينيه ، ووصفه أيضاً بعلامة
دهره . وخلاصة عصره ، وعين زمانه ، وإنسان أوانه ، جامع العلوم ، وفريد
كل مشور ومنظوم ، قاضي القضاة ، لا زالت رايات الإسلام به منصورة ،
وأعلام الإيمان به منشورة ، ووجوه الأحكام الشرعية بحسن نظره محبورة ، ولد
سنة ٨٠٦ ، وتوفي ببرُستًا من بلاد الروم أواخر شعبان سنة ١٨٨٤ ، قاله السخاوي
« في الضوء اللامع » .

٢٤٤ — ومنهم الوزير الشهير أبو عبد الله ابن الحكيم ، الرندي ، ذو
الوزارتين^٢ ، رحل إلى مصر والحجاز والشام ، وأخذ الحديث عن جماعة ، وقد
ترجمناه في باب مشيخة لسان الدين عند تعرضنا لذكر ابنه الشيخ أبي بكر ابن الحكيم ،
ولا بأس أن نزيد هنا ما ليس هنالك ، فنقول^٣ : إن من مشايخه برُندة الشيخ
الأستاذ النحوي أبا الحسن علي بن يوسف العبدري السفاح ، أخذ عنه العربية ،
وقرأ عليه القرآن بالروايات السبع ، وأخذ عن الخطيب بها أبي القاسم ابن الأيسر ،
وأخذ — رحمه الله تعالى — عن جملة من أعلام الأندلس ، وأخذ في رحلته
عن الجليّة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر ، فمن شيوخه الحافظ أبو اليمن ابن
عساكر ، لقيه بالحرم الشريف ، وانتفع به ، وأكثر من الرواية عنه . والشيخ
أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني المعروف بابن هبة الله ، والشيخ الشرف
أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطي ابن الإمام الجزائري — جزائر
المغرب نزيل بغداد والشيخ أبو الصفاء خليل بن أبي بكر الحبلي ، لقيه بالقاهرة ،
والشيخ رضي الدين أبو بكر القسطيني ، والشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد
عبد المؤمن بن خلف الدميّاطي إمام الديار المصرية في الحديث وحافظها ومؤرخها ،

١ ق : ٨٤٠ .

٢ ستجيء له ترجمة أخرى في النفع نشير فيها إلى مصادر ترجمته .

٣ انظر الإحاطة ٢ : ٢٨٠ ، فالمقري يلخص ترجمة ابن الحكيم هنا .

والشهاب ابن الخيمي ، قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها :

يا مطلباً لتيس لي في غيره أربُّ إليك آلَ التقصِّي وانتهى الطلبُ

وفيه البيت المشهور الذي وقع النزاع فيه :

يا بارقاً بأعالي الرِّقْمَتَيْنِ بدا لقد حكيتَ ولكن فاتتك الشَّنْبُ

والشيخ جمال الدين أبو صادق محمد بن يحيى القرشي ، ومن تخريجه « الأربعون المروية بالأسانيد المصرية » وسمع الحلبيات من ابن العماد الحراني والشيخ أبي الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة^١ ، ومولده سنة ٥٩٨ ، وزينب بنت الإمام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى ، وتكنى أم الفضل ، وسمعت من أبيها . ومن أشياخ ذي الوزارتين بن الحكيم المذكور الملك الأوحى يعقوب ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب ، والشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان وأخوه محمد بن سليمان ، في طائفة كبيرة من مشايخ مصر والشام والعراق وغيرها من البلاد يطول تعدادهم ، وأخذ ببجاية عن خطيبها أبي عبد الله ابن رحيمة الكناني ، وبتونس عن قاضيهما أبي العباس ابن الغماز البَلَنْسِي وأخذ العربية عن قدوة النحاة أبي الحسين عبد الله^٢ بن أحمد ابن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي .

ومن شعر ذي الوزارتين ابن الحكيم المذكور قوله^٣ :

هل إلى رَدِّ عَشِيَّاتِ الوصالِ سببٌ أم ذاك من ضَرْبِ المحالِ
حالة يَسْرِي بها الوهمُ إلى أنها تثبتُ برءاً باعْتلالِ
وليلٍ ما تبقى بعدها غيرُ أشواقٍ إلى تلك الليالي

١ دوزي : الحيزة .

٢ هكذا في ق ودوزي ؛ الإحاطة : عبيد الله .

٣ الشعر في الإحاطة ٢ : ٢٨٩ ، وهي قصيدة رنمها إلى السلطان ببلدة رندة وهو إذ ذاك قى .

إذ مجالُ الوصلِ فيها مسرحي
ولحالاتِ التراضي جولةُ
فبوادي الخيفِ خوفي مُسعدُ
لستُ أنسى الأنسَ فيها أبداً
وغزالٍ قد بدا لي وجهه
ما أمسَّ التيهُ من أعطافه
نُحْصَ بالحسنِ فما أنت ترى
مَنْ تَسَلَّى عن هَوَاهُ فأنا
فلئن أتعبني حُبِّي له
إذ لآلي جيده من قبلي
خَلَّفَ النومُ لي الشَّهْدَ به
فنداوى بِلَمَاهُ ظمإي
أو إشاداتِ بناءِ الملكِ الأو
ملكُ إن قلتَ فيه مَلَكاً
أبَدَ الإسلامَ بالعدلِ فما
ذو أيادٍ شَمَلَتْ كُلَّ الوري
هِمَّةٌ هَامَتْ بِأَحْوالِ التَّقَى
وقفَ النَّفْسَ على إجهادها

وتعيمي أمرٌ فيها ووالِ
مَرِحَتْ بين قبولٍ واقتبالِ
وبأكتافِ منى أسنى موالِ
لا ولا بالعدلِ في ذاك أباي
فرأيتُ البدرَ في حالِ الكمالِ
لم يكنْ إلا على خَصَلٍ اعتدالِ
بعده للناسِ حظّاً في الجمالِ
بسواه عن هَوَاهُ غيرُ سالِ
فلكم نِلْتُ به أنعمَ حالِ
ووشاحه يَمِينِي وشمالي
وترامى الشخصُ لا طيفُ الخيالِ
مزجك الصَّهْبَاءُ بالماءِ الزلالِ
حدَّ الأسمى الحمامِ المُتَعَالِي
لم تَكُنْ إلا محقّقاً في المقالِ
إن ترى رسماً لأصحابِ الضلالِ
ومعالٍ يا لها خيرِ معالِ
وصفاتٍ بالجلالاتِ حوالِ
بين صومٍ وصلاةٍ ونوالِ

وهي طويلة ومنها :

أيها المولى الذي نعاؤه^٣ أعجزتُ عن شكرها كنهَ المقالِ

١ الإحاطة : الليل .

٢ الإحاطة : فضل .

٣ ق ودوزي : نعاكم ؛ وفي الإحاطة : نعاؤه .

ها أنا أنشدكم مهنتاً من بديع النظم بالسحرِ الحلالِ
فأنا العبدُ الذي حُبُّكم لم يزلْ والله في قلبي وبالي
أورقتُ روضةً آمالي بكم مذ تولاها الربَّابُ المتوالي^١
[واقنتيت الجاه من خدمتكم فهي ما أذخره من كثر مال^٢]

ومنها :

يا أميرَ المسلمين هذه خدمتي تنبيء عن صادق حالِ
هي بنتُ ساعةٍ أو ليلةٍ سهلت بالحب في ذاك الجلالِ
ما عليها إذ أجادت مدحها من بعيدِ الفهمِ يُلغِيها وقالِ
فهي في تأديةِ الشكر لكم أبداً بين احتفاء واحتفالِ

وكتب رحمه الله تعالى يخاطب أهله من مدينة تونس^٣ :

حيّ حيّ بالله يا ربحَ نجدٍ وتحمل عظيم شوقي ووجدني
وإذا ما بثت حالي فبلغ من سلامي لهم على قدرٍ ودّي
ما تناسيتهم وهل في مغربي قد نسوني على تطاولِ بُعدي
بي شوقٍ إليهم ليس يُعزّي بحميلٍ ولا لسكانِ نجدٍ
يا نسيم الصبا إذا جثت قوماً ملئت أرضهم بشيحٍ ورندي
فتلطّف عند المرورِ عليهم وحقوقاً لهم عليّ فأدّ
قل لهم قد غدوت من وجدهم في حالِ شوقٍ لكل رندٍ وزندي
وإن استفسروا حديثي فإني باعتناء الإلهِ بلغت قصدي

١ الإحاطة : الكبير المتعالي .

٢ سقط البيت من ق ودوزي ولم يرد في الإحاطة .

٣ الأبيات في الإحاطة ٢ : ٢٩١ .

٤ كذا في ق ودوزي ؛ الإحاطة : هم .

فلهُ الحَمْدُ إذْ حَبَانِي بِلُطْفِ عُنْدَهُ قُلْتُ كُلُّ شُكْرِ وَحَمْدٍ

وافتح مخاطبته لأخيه الأكبر أبي إسحاق إبراهيم بقصيدة أولها^١ :

ذكر اللّوى شوقاً إلى أقباره	ففضى أسيّ أو كاد من تذكاره
وعلاً زفيرُ حريقِ نارٍ ضلوعه	فرمى على وجناته بشراره
لو كنتُ تبصرُ خطّه في خدّه	لقرأت سرّ الوجد من أسطاره
يا عاذليه أقصروا فلشدّ ماساً ^٢	أفضى عيتابكم إلى إضراره
إن لم تعينوه على برّحائه	لا تنكروا بالله خلّج عيذاره
ما كان أكتّمه لأسرار الهوى	لو أنّ جند الصبر من أنصاره
ما ذنبه والبين قطع قلبه	أسفاً وأذكى النار في أعشاره
بخل اللّوى بالساكنيه وطيفهم	وحديثه ونسيمه ومزاره
يا برقُ خذْ دمي وعرج باللوى	فاسفّحه في باناته وعتراره
وإذا لقيت بها الذي بإخائه	ألقي خطوب الدهر أو بجواره
فاقرّ السلام عليه قدّر محبتي	فيه وترفعي إلى مقداره
والسمّ بسائر إخوتي وقرائي	من لم أكن بلحوارهم بالكاره
ما منهم إلاّ أخ أو سيّد	أبدأ أرى دأبي على إكباره
فابثت لذاك الحيّ أنّ أخاهم	في حفظ عهدهم على استبصاره

وقال رحمه الله تعالى في غرض كلفه سلطانه القول فيه^٣ :

ألا واصل مواصلة العقار ودع عنك التخلّق بالوقار

١ الإحاطة : ٢٩٢ .

٢ الإحاطة : فلربما .

٣ الأبيات في الإحاطة ٢٩٢ - ٢٩٣ .

وقم واخلع عذارك في غزالٍ يحقُّ لِمِثْلِهِ خلعُ العذارِ
 قضيبٌ مائسٌ من فوق دِعْصٍ تعمّمَ بالدجى فوقَ التّهارِ
 ولاحَ بجذّةِ ألفٍ ولامٍ فصارَ مُعرِّفاً بينَ الدّراري
 رماني قاسمٌ والسينُ صادٌ بأشْفارٍ تنوبُ عن الشّْفاري
 وقد قُسِمَتْ محاسنُ وجنتيه على ضدين من ماء و نارِ
 فذاك الماء من دَمْعِي عليه وتلك النارُ من فرطِ استعاري
 عَجَبْتُ لَهُ أَقامَ برِبعِ قلبي على ما شَبَّ فِيهِ من الأوارِ
 ألقتُ الحبَّ حتّى صارَ طبعاً فما أحتاجُ فيه إلى ادّكارِ
 فما لي عن مذاهبه ذهابٌ وهذا فيه أشعاري شعاري

وقال العلامة ابن رشيد في « ملء العيبة »^١ : لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان
 معي رفيقي الوزير أبو عبد الله ابن أبي القاسم ابن الحكيم ، وكان أرمدا . فلما
 دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الأكوار . وقوي الشوق لقرب المزار .
 فنزل وبادر إلى المشي على قدميه احتساباً لتلك الآثار . وإعظاماً لمن حل تلك
 الديار . فأحسّ بالشفاء ، فأنشد لنفسه في وصف الحال قوله :

ولما رأينا من ربوع حبّينا يَشْرِبُ أعلاماً أثرنَ لنا الحبّا
 وبالترّب منها إذ كحلنا جفوننا شَفِينا فتلا بأساً نخافُ ولا كربا
 وحينَ تبدّى للعيونِ جَمالُها ومن بُعدِها عتّا أدلت لنا قربا
 « نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن حلَّ فيها أن نُلِمَّ بهِ ركبا »
 نسحُ سجالَ الدمعِ في عَرَصاتها ونلثمُ من حُبِّ لواطئه التّربا
 وإنَّ ببقائي دونهُ لخسارةٌ ولو أن كَفَيْ تملأُ الشرقَ والغربا
 فيا عجبا ممّن يحبُّ بزعمه يقيمُ معَ الدعوى ويستعملُ الكتبا

١ لا يزال النقل مستمراً عن الإساطة : ٢٩٣ .

وزلاّت مثلي لا تُعَدِّدُ كثرةً وَبُعدي عن المختارِ أعظمُها ذنباً

انتهى .

وخط الوزير ابن الحكيم في غاية الحسن ، وقد رأيت مراراً ، وملكيت بعض كتبه ، ونثره — رحمه الله تعالى — أعلى من شعره كما نبّه عليه لسان الدين في الإحاطة .

ومن نثره في رسالة طويلة كتبها عن سلطانه ، ما صورته^١ : وقد تقرر عند الخاص والعام ، من أهل الإسلام ، واشتهر في آفاق الأقطار ، اشتها الصباح في سواد الظلام ، أننا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي العليا ، ونُسَمِّحَ في ذلك بالنفوس والأموال رجاء ثواب الله لا لعرض الدنيا . وأنا ما قصرنا في الاستنفار والاستنصار^٢ ، ولا أقصرنا عن الاعتضاد بكل من أملنا معاملته والاستظهار^٣ ، ولا اكتفينا بمطوّلات الرسائل وبنات الأفكار ، حتى اقتحمنا بنفسنا لجح البحر ، فسمحنا بالطارف من أموالنا والتلاد ، وأعطينا رجاء نصرة الإسلام موفور الأموال والبلاد ، واشترينا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على كافة أهل الإسلام من الجهاد ، فلم يكن بين تلبية المدعو وزهده ، ولا بين قبوله وردّه ، إلا كما يحسو الطائر ماء الثماد ، ويأبى الله أن يَكِلَ نُصْرَةَ الإسلام بهذه الجزيرة إلى سواه ، ولا يجعل فيها شيئاً ؛ إلا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته وتجنّواه ، ولما أسلم الإسلام بهذه الجزيرة الغربية إلى مُناوئيه ، وبقي المسلمون يتوقعون حادثاً ساءت ظنونهم لمباده^٤ ، ألقينا

١ انظر هذه الرسالة في الإحاطة : ٢٩٧ ، وما بعدها .

٢ الإحاطة : في الاستنصار والاستنفار .

٣ ق : من الاستظهار .

٤ الإحاطة : وأن يجعل فيها شيئاً ؛ ق ودوزي : ولا يجعل فيها شيئاً .

٥ وبقي . . . لمباده : سقط من ق .

إلى الثقة بالله تعالى يد الاستسلام ، وشمّرنا عن ساعد الجِدِّ^١ في جهاد عبدة الأصنام ، وأخذنا بمقتضى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (البقرة : ١٩٥) أخذ الاعتزام ، فأمدّنا الله تعالى في ذلك بتوالي البشائر ، ونصرنا باللطاف أغنى فيها خلوص الضمائر عن قود العساكر ، ونفلنا على أيدي قوادنا ورجالنا من السبابا والغنائم ما غدا ذكره في الآفاق كالمثل السائر ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (إبراهيم : ٣٤) وكيف يُحصيها المحصي أو يحصرها الحاصر ، وحين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتح سافرة المحيّا ، وانشققت نائم النصر^٢ الممنوح عبيقة الرّيا ، استخرنا الله تعالى في الغزو بنفسنا^٣ ونعم المستخار ، وكتبنا بما قد علمتم^٤ إلى ما قرب من أعمالنا بالخصّ على الجهاد والاستنفار ، وحين وافى من خفّ للجهاد من الأجناد والمطوّعين ، وغدّوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين ، خرجنا بهم ونصر الله تعالى أهدى دليل ، وعناية الله تعالى بهذه الفئة المفردة من المسلمين تقضي بتقريب البعيد من آمالنا وتكثير القليل ، ونحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضى والقبول ، وأن يرشدنا إلى طريق تُفْضِي إلى بلوغ الأمنية والمأمول .

وهذه رسالة طويلة سُقْنَا بعضها كالعنوان لسائرها .

ونال ابن الحكيم - رحمه الله تعالى - من الرياسة والتحكّم في الدولة ما صار كالمثل السائر ، وخدمته العلماء الأكابر^٥ ، كابن خميس وغيره ، وأفاض عليهم سجال خيره ، ثم ردت الأيام منه ما وهبت ، وانقضت أيامه كأن لم تكن وذهبت ، وقتل يوم خلّع سلطانه ، ومُثِّل به سنة ٧٠٨ ، رحمه الله تعالى ،

١ الإحاطة : الجد والاجتهاد .

٢ الإحاطة : من النصر . . . عبق .

٣ الإحاطة : بأنفسنا .

٤ بما قد علمتم : سقطت من الإحاطة .

٥ زاد في ق : الأخير .

وانتهب من أمواله وكتبه وتحفه ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى ، أثابه الله تعالى بهذه الشهادة بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم .

٢٤٥ - ومن المرتحلين من الأندلس إلى المشرق الحافظ نجيب الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الأمير القالد أبي علي الحسن بن عبد العزيز بن هلال ، اللخمي ، الأندلسي ، ولد سنة ٥٧٧ تقريباً ، ورحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم ، وببغداد من أبي بكر أحمد بن سكينه وابن طبرزد وطائفة ، وبواسط من أبي الفتح ابن المنداني ، وبأصبهان من عين الشمس الثقفية وجماعة ، وبخراسان من المؤيد الطوسي وأبي روح وأصحاب الفراوي وهذه الطبقة ، وخطه مليح مغربي في غاية الدقة . وكان كثير الأسفار ، ديناً متصوفاً كبير القدر ، قال الضياء في حقه : رفيقنا وصديقنا ، توفي بالبصرة عاشر رمضان سنة ٦١٧ ، ودفن إلى جانب قبر سهل التستري رضي الله تعالى عنه ، وما رأينا من أهل المغرب مثله ، وقال ابن نقطة : كان ثقة فاضلاً ، صاحب حديث وسنة ، كريم الأخلاق ، وقال مفضل القرشي : كان كثير المروءة غزير الإنسانية ، وقال ابن الحاجب : كان كيمس الأخلاق ، محبوب الصورة ، لين الكلام ، كريم النفس ، حلو الشمائل ، محسناً إلى أهل العلم بماله وجاهه ، وقيل : إنه أوصى بكتبه لأشرف المرُسي ، رحمه الله تعالى .

٢٤٦ - ومنهم محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد ، أبو بكر ابن العربي الإشبيلي ، حفيد القاضي الحافظ الكبير أبي بكر ابن العربي . قرأ لنافع على قاسم ابن محمد الزقاق صاحب شريح ، وحج فسمع من السلفي وغيره ، ثم رحل بعد نيّف وعشرين سنة إلى الشام والعراق ، وأخذ عن عبد الوهاب بن سكينه وطبقته ، ورجع فأخذوا عنه بقرطبة وإشبيلية ، ثم سافر سنة ٦١٢ ، وتصوّف

١ ترجمة ابن العربي الحفيد في التكملة : ٦٠٣ .

وتعبّد . وتوفي بالإسكندرية سنة ٦١٧ . قاله الذهبي في تاريخه الكبير .

٢٤٧ - ومن المرتحلين من الأندلس يحيى بن عبد العزيز . المعروف بابن الخراز ، أبو زكريا ، القرطبي ^١ . سمع من العتيبي وعبد الله بن خالد ونظرائهما من رجال الأندلس ، ورحل فسمع بمصر من المزني والربيع بن سليمان المؤذن ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الأعلى ومحمد بن عبد الله ابن ميمون وعبد الغني بن أبي عقيل وغيرهم . وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز ، وكانت رحلته ورحلته سعيد بن عثمان الأعناق وسعيد بن حميد وابن أبي تمام واحدة ، وسمع الناس من يحيى المذكور مختصر المزني ورسالة الشافعي وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وكان يميل في فقهه إلى مذهب الشافعي ، وكان مشاوراً مع عبيد الله بن يحيى وأضرابه ، وحدث عنه من أهل الأندلس محمد بن قاسم وابن بشر ^٢ وابن عباد وغير واحد ، ولم يسمع منه ابنه محمد لصغره ، وتوفي سنة ٢٩٥ ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

٢٤٨ - ومنهم الشيخ الإمام العالم العامل الكامل الزاهد الورع ، العلامة جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ، البكري ، الشريشي . المالكي ، كان من أكابر الصالحين المتورعين ، ومولده سنة ٦٠١ بشريش ، وتوفي برباط الملك الناصر بسفح قاسيون سنة ٦٨٥ في ٢٤ رجب ، ودفن قبالة الرباط . وله المصنفات المفيدة ، تولّى مشيخة الصخرة بحرم القدس الشريف ، وقدم دمشق ، وتولى مشيخة الرباط الناصري ، فلما توفي قاضي القضاة جمال الدين المالكي ولوه مشيخة المالكية بدمشق ، وعرضوا عليه القضاء فلم يقبل ، وبقي في المشيخة إلى أن توفي ، رحمه الله تعالى ونفعنا به وبأمثاله ، آمين .

١ ترجمة ابن الخراز في ابن الفريسي ٢ : ١٨٢ ؛ وفي دوزي : الخراز .

٢ يعني أحمد بن بشر الأغبس .

٢٤٩ - ومن الراحلين من الأندلس الفقيه الصالح أبو بكر ابن محمد بن علي بن ياسر ، الجياني ، المحدث الشهير .

ذكره ابن السمعاني وغيره ، سافر الكثير ، وورد العراق ، وطاف في بلاد خراسان ، وسكن بلخ ، وأكثر من الحديث ، وحصل الأصول ، ونسخ بخطه ما لا يدخل تحت حصر ، قال ابن السمعاني : وله أنس ومعرفة بالحديث ، لقبته بسمرقند ، وكان قد قدمها سنة ٥٤٩ مع جماعة من أهل الحجاز لدين له عليهم ، وسمعت منه جزءاً أخرجه من حديث يزيد بن هرون ممّا وقع له عالياً . وجزءاً صغيراً من حديث أبي بكر ابن أبي الدنيا ، وأحاديث أبي بكر الشافعي في أحد عشر جزءاً المعروف بالغيلانيات بروايته عن ابن الحصين عن ابن غيلان ، وكان مولده بيجيان سنة ٤٩٣ [أو في التي بعدها ، الشك منه ، ثم لقبته بنسّف في أواخر سنة خمسين]^١ ولم أسمع منه شيئاً ، ثم قدم علينا في^٢ بخارى في أوائل سنة إحدى وخمسين وسمعت من لفظه جميع كتاب الزهد لهناد بن السري الكوفي بروايته عن أبي القاسم سهل بن إبراهيم المسجدي عن الحاكم أبي عبد الرحمن محمد بن أحمد الشاذلي عن الحاكم أبي الفضل محمد بن الحسين الخدادي عن حماد بن أحمد السلمي عن مصنفه ، وأخبرنا الجياني بسمرقند ، أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ببغداد ، أنبأنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزار ، أخبرنا^٣ أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي ، أخبرنا^٤ محمد بن مسلمة ، أنبأنا يزيد بن هرون ، أنبأنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ناداهم نادٍ : يا أهل الجنة ، إن

١ ما بين معقنين ساقط من ق ودوزي ، ومثبت في التجارية .

٢ في : سقطت من ق .

٣ ق : أنبأنا .

٤ ق : حدثنا .

لكم عند الله موعداً لم تروه ، قالوا : وما هو ؟ ألم يثقل موازيننا وببيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويُنَجِّنَا من النار ؟ قال : « فيكشف الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه » ثم تلا هذه الآية ﴿ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس : ٢٦) .

وقال ابن السمعاني أيضاً : وأخبرنا الجياني المذكور بسمرقند ، أنبأنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ببغداد ، أنبأنا أبو طالب ابن غيلان ، أنبأنا أبو بكر الشافعي ، أنبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي ، أنبأنا محمد بن حسان ، أنبأنا مبارك بن سعيد ، قال : أردت سفراً ، فقال لي الأصمش : سَلْ رَبَّكَ أَنْ يَرْزُقَكَ صَحَابَةَ صَالِحِينَ ، فإن مجاهداً حدثني قال : خرجت من واسط فسألت ربي أن يرزقني صحابة ، ولم أشرط في دعائي ، فاستويت أنا وهم في السفينة فإذا هم أصحاب طنابير .

وقال ابن السمعاني أيضاً : أخبرنا أبو بكر الجياني المغربي بسمرقند ، سمعت الإمام أبا طالب لإبراهيم بن هبة الله يبلغ يقول : قرأت على أبي يعلى محمد بن أحمد العبدي بالبصرة قال : قرأت على شيخنا أبي الحسين ابن يحيى في كتاب « العين » بإسناده إلى الخليل بن أحمد أنه أنشد قول الشاعر :

إِنَّ فِي بَيْتِنَا ثَلَاثَ حَبَالٍ فوددنا أن قد وَضَعْنَ جميعاً
زَوْجَتِي ثُمَّ هَرَّقِي ثُمَّ شَاتِي فإذا ما وَضَعْنَ كَنَّ ربيعاً
- زَوْجَتِي لِلْخَبِيصِ ، وَالْمَرْءُ لِلْفَا رٍ ، وشَاتِي إِذَا اشْتَهَيْنَا جميعاً

قال أبو يعلى : قال شيخنا ابن يحيى : وذكر عن الخليل بن أحمد في العين أن الجميع أكل التمر باللبن ، انتهى .

٢٥٠ - ومنهم أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن ابن سعيد بن حزم ، الأندلسي ، المري ، ذكره الحميدي في تاريخه وأثنى

عليه ، وقال ^١ : كان من أهل العلم والأدب والذكاء والهمة العالية [في طلب العلم] ^٢ ، وكتب بالأندلس فأكثر ، ورحل إلى المشرق فاحتفل في العلم والرواية والجمع .

وذكره الحافظ الخطيب أبو بكر [أحمد بن علي] ^٣ بن ثابت البغدادي ، وقال : هو من بيت جلاله وعلم ورياسة ، وأخرج عنه في غير موضع من مصنفاته ، وقدم بغداد ودمشق وحدث فيهما ، ثم عاد إلى المغرب فتوفي ببلده المرية سنة ٤٥٤ ، وحدث عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري ، ويُعرف بابن الإفيلي ، الأندلسي النحوي وغيره ، وكان صدوقاً ثقة ، رحمه الله تعالى ^٤ .

٢٥١ - ومنهم أبو زكريا يحيى بن قاسم بن هلال ، القرطبي ^٥ ، الفقيه المالكي أحد الأئمة الزهاد ، كان يصوم حتى يخضر ، توفي سنة ٢٧٢ ، وقيل : سنة ٢٧٨ ، ورحل إلى المشرق ، وسمع من عبد الله بن نافع صاحب مالك بن أنس ، ومن سحنون بن سعيد ، وغيرهما ، وكان فاضلاً فقيهاً عابداً عالماً بالمسائل ، وروى عنه أحمد بن خالد ، وكان يفضله ويصفه بالفضل والعلم ، وهو صاحب الشجرة ، قال عباس بن أصبغ : كانت في داره شجرة تسجد لسجوده إذا سجد ، قاله ابن الفرضي رحمه الله تعالى ، ورضي عنه ، ونفعنا به .

٢٥٢ - ومنهم أبو بكر يحيى بن مجاهد بن عوالة ، الفزاري ، الإلبيري ،

١ ترجمة العلاء بن عبد الوهاب في جذوة المقتبس : ٢٩٨ (وبنية الملتبس رقم : ١٢٤١) وتاريخ بغداد ، والصلة : ٤٢١ .

٢ ما بين معقنين ساقط من ق .

٣ ما بين معقنين ساقط من ق .

٤ بعد هذه الترجمة وردت في ق ترجمة لأبي حفص عمر بن الحسن الهوزني وهي ترجمة مكررة نصاً وقد وردت رقم : ٥٠ ، ولذلك لم نجد ضرورة لإثباتها ، وكذلك سقطت عند دوزي .

٥ ترجمة يحيى بن قاسم بن هلال في جذوة المقتبس : ٣٥٥ (وبنية الملتبس رقم : ١٤٨٧) وابن الفرضي ٢ : ١٨٠

الزاهد^١ ، سكن قرطبة ، قال ابن الفرضي : كان منقطع القرين في العبادة ، بعيد الاسم في الزهد ، حججاً ، وعُني بعلم القرآن والقراءات والتفسير ، وسمع بمصر من الأسيوطي وابن الورد وابن شعبان وغيرهم ، وكان له حظ من الفقه والرواية إلا أن العبادة غلبت عليه ، وكان العمل أملك به ، ولا أعلمه حدث . توفي رحمه الله تعالى سنة ست وستين وثلاثمائة ، ودفن في مقبرة الرّبتّص ، وصلى عليه القاضي محمد بن إسحاق بن السليم ، ثم صلى عليه حيّان مرّة ثانية ، رحمه الله تعالى وأفاض علينا من أنوار عنايته آمين .

٢٥٣ — ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن إبراهيم ، الصديقي ، الإشبيلي^٢ .
الأديب البارع ، له نظم حسن ، وموشحات راقية ، قرأ على الأستاذ الشلوبين وغيره ، ومدح الملوك ، ورحل من الأندلس فقدم ديار مصر . ومدح بها بعض من كان يوصف بالكرم ، فوصله بنزّز يسير ، فكثر راجعاً إلى المغرب ، فتوفي ببرقة ، رحمه الله تعالى ، وكان من النجباء في النحو وغيره .

ومن نظمه من قصيدة :

ما بي مَوَارِدُ أُمسٍ ^٣ بل مَصَادِرُهُ	اللَّحْظُ أَوَّلُهُ وَاللَّحْدُ آخِرُهُ
أرسلتُ طريقيَ: مرثداً فطَلَّ دمي	روضٌ من الحسنِ مطلولٌ أزاهره
رَعَيْتُ في خَضْبِهِ لَحْظِي فَأَعْقَبَنِي	جَدْباً بِجَسَمِي ما يرويه هامره
وبي وإن لم أكن بالذكرِ أشهره	فالوصف فيه لفقد المثل شاهره

وهي طويلة ، وأثنى عليه أثير الدين أبو حيّان ، وأورد جملة من محاسن كلامه وبدائع نظامه ، رحم الله تعالى الجميع .

١ ترجمة يحيى بن مجاهد في ابن الفرضي ٢ : ١٨٨ وجذوة المقتبس : ٣٥٦ (وبنية الملتبس

رقم : ١٤٩٠) .

٢ ترجمة أبي بكر الصديقي في الوافي ٢ : ١٣٥ .

٣ الوافي : حبي ، التجارية : أمر .

٢٥٤ - ومنهم أبو يحيى زكريا بن خطاب ، الكلبي ، التُّطيلي^١ ، رحل سنة ٢٩٣ ، فسمع بعمكة كتاب « النسب » للزبير بن بكار من الجرجاني الذي حدث به عن علي بن عبد العزيز بن الجمحي عن الزبير ، وروى موطأ مالك ابن أنس رواية أبي مصعب أحمد بن عبد الملك الزهري عن إبراهيم بن سعيد الحذاء ، وسمع بها من إبراهيم بن عيسى الشيباني والقزاز في آخرين ، وقدم الأندلس فكان الناس يرحلون إليه إلى تَطِيلَة للسمع منه ، واستقلعه المستنصر الحكم وهو ولي عهد فسمع منه أكثر مروياته ، وسمع منه جماعة من أهل قرطبة ، وكان ثقة مأموناً ، ولي قضاء بلده. تَطِيلَة إحدى مدائن الأندلس بعد عمر بن يوسف ابن الإمام .

٢٥٥ - ومنهم سعد الخير بن محمد بن سعد ، أبو الحسن ، الأنصاري ، البَلَنَسِي ، المحدث^٢ ، رحل إلى أن دخل الصين ، ولذا كان يكتب البَلَنَسِي الصيني ، وركب البحار ، وقاسى المشاق ، وتفقه ببغداد على أبي حامد الغزالي ، وسمع بها أبا عبد الله النعمان وطراداً وغيرهما ، وبأصبهان أبا سعد المطرز ، وسكنها وتزوج بها وولدت له فاطمة بها ، ثم سكن بغداد ، وروى عنه ابن عساكر وابن السمعاني وأبو موسى المديني وأبو اليمن الكتندي وأبو الفرج ابن الجوزي وابنته فاطمة بنت سعد الخير في آخرين ، وتأدب على أبي زكريا التبريزي ، وتوفي في المحرم سنة ٥٤١ ، رحمه الله تعالى ، ببغداد ، وصلى عليه الغزنوي والشيخ الواعظ بجامع القصر ، وكان وصيه ، وحضر جنازته قاضي القضاة الزيني والأعيان ، ودفن إلى جانب عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهم أجمعين بوصية منه .

١ ترجمة زكريا بن خطاب في جلاة المفتيس : ٢٠٢ (وبغية الملتبس رقم : ٤٧٣) وابن الفرضي ١ : ١٧٦ .

٢ ترجمة سعد الخير البلسي في الدليل والتكملة ٤ : ١٦ ، والتكملة رقم : ٢٠١١ .

٢٥٦ - ومنهم أبو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون ، الإستحي^١ ،
سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ وابن أبي دليم وغيرهما ، ورحل فسمع بمكة من
ابن الأعرابي ، وبيغداد من أبي علي الصفار وجماعة ، وبها مات .

٢٥٧ - ومنهم أبو عثمان سعيد الأعناقى ، ويقال : العناقى ، القرطبي^٢ ،
كان ورعاً زاهداً عالماً بالحديث بصيراً بعلله ، سمع من محمد بن وضاح وصحبه ومن
يحيى بن إبراهيم بن مزين ومحمد بن عبد السلام الحسني وغيرهم ، ورحل فلقي
جماعة من أصحاب الحديث منهم نصر بن مرزوق كتب عنه مسند أسد بن موسى
وغير ذلك من كتبه ، ويونس بن عبد الأعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم
والخارث بن مسكين في آخرين ، وحدث عنه أحمد بن خالد وابن أيمن ومحمد
ابن قاسم وابن أبي زيد في عدد كثير ، ومولده سنة ٢٣٣ ، وتوفي سنة ٣٠٥
بصفر .

والأعناقى : نسبة إلى موضع يقال له أعناق وعناق .

٢٥٨ - ومنهم أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف ، النجيبى ، الإقليشي^٣ ،
روى عن أبي عثمان سعيد بن سالم المجريطي وأبي ميمونة دراس بن إسماعيل
فقيه فاس ، ورحل حاجاً سنة ٣٤٩ ، فسمع بمكة من أبي بكر الآجري وأبي
حفص الجمحي ، وبمصر من أبي إسحاق ابن شعبان ، وروى عنه كتاب « الزاهي »
جميعه وقد قرئ عليه جميعه ، وحمل عنه ، ومولده سنة ٣٠٣ ، رحمه الله تعالى .

١ ترجمة سعيد بن نصر الإستحي في الصلة : ٢٠٣ وجلوة المقتبس : ٢١٧ (رقم : ٤٨٤) وبغية
الملتبس (رقم : ٨٢٢) وقال ابن بشكوال والحميدي : توفي ببخارى سنة ٣٥٠ .
٢ ترجمة سعيد الأعناقى في جلوة المقتبس : ٢١٤ (وبغية الملتبس رقم : ٨٠٣) وابن الفرضي
١ : ١٩٥ ، وهو سعيد بن عثمان بن سعيد بن سليمان التجيبى الأعناقى .
٣ ترجمة عبد الرحمن الإقليشي في ابن الفرضي (١ : ٣١٠) .
٤ كذا في ق ودوزي ؛ وفي ابن الفرضي ثلاثمائة ؛ وفي التجارية : ٣١٣ .

٢٥٩ - ومنهم أبو الأصبع عبد العزيز بن علي ، المعروف بابن الطحان .
 الإشبيلي ، المقرئ^١ ، ولد بإشبيلية سنة ٤٩٨ ، ورحل فدخل مصر والشام وحلبا ،
 وتوفي بحلب بعد سنة ٥٥٩ ، وله كتاب « نظام الأداء في الوقف والابتداء » ،
 ومقدمة في مخارج الحروف ، ومقدمة في أصول القراءات ، وكتاب « الدعاء » .
 وكان من القراء المجوذين الموصوفين بالإتقان ومعرفة وجوه القراءات . وسمع
 الحديث على شريح بن محمد بن أحمد بن شريح الرعيني خطيب لإشبيلية وأبي
 بكر يحيى بن سعادة القرطبي .

وله شعر حسن منه قوله :

دع الدنيا لعاشقها سيصبحُ من رشايقها
 وعاد النفسَ مضطرباً ونكَّبَ عن خلائقها
 هلاكُ المرء أن يضحى مُجيداً في علائقها
 وذو التقوى يُدللها فيسلمُ من بوائقها

وأخذ القراءات ببلده عن أبي العباس ابن عيشون وشريح بن محمد ، وروى
 عنهما وعن أبي عبد الله ابن عبد الرزاق الكلبي ، وروى مصنف النسائي عن
 أبي مروان ابن مسرة ، وتصدّى للإقراء ، ثم انتقل إلى فاس ، وحج ودخل
 العراق ، وقرأ بواسط القراءات وأقرأها أيضاً ، ودخل الشام واشتهر ذكره ،
 وجل قدره ، وروى عنه أبو محمد عبد الحق الإشبيلي الحافظ ، وعلي بن يونس ،
 قال بعضهم : سمعت غير واحد يقول : ليس بالغرب أعلم بالقراءات من ابن
 الطحان ، قرأ عليه الأثير أبو الحسن محمد بن أبي العلاء وأبو طالب ابن عبد السميع
 وغيرهما ، رحم الله تعالى الجميع .

١ ترجمة ابن الطحان في التكملة رقم : ١٧٥٩ (ص : ٦٢٨) قال : ويعرف بالطحان وبابن الحاج
 ويكنى أبا محمد وأبا الأصبع ، رحل من إشبيلية بعد سنة ٥٥٤ وله من المؤلفات : « شعار الأنبياء
 الإبرار في التسبيح والاستغفار » . وانظر غاية النهاية ١ : ٣٩٥

٢٦٠ - ومنهم أبو الأصبع عبد العزيز بن خلف ، المتعافري^١ ، قدم مصر سنة ٥٠٢ ، وولد سنة ٤٤٨ ، وحدث بالموطأ عن سليمان بن أبي القاسم ، أنبأنا أبو عمر ابن عبد البر ، أنبأنا سعيد بن نصر ، عن قاسم بن أصبغ عن محمد ابن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، رضي الله تعالى عنه .

٢٦١ - ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة ، السعدي ، الشاطبي^٢ ، قدم مصر ودمشق طالب علم ، وسمع أبا الحسن ابن أبي الحديد وأبا منصور العكبري وغيرهما ، وصنف^٣ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام على حروف المعجم ، وسمعه عليه أبو محمد الأكفاني ، وتوفي بأرض حوران من أعمال دمشق في رمضان سنة ٤٦٥ ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

٢٦٢ - ومنهم الحكيم الطيب أبو الفضل محمد عبد المنعم ، الغساني ، الجلياني^٤ ، وهو عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان ، ولد بقرية جليانة من أعمال غرناطة سابع المحرم سنة ٥٣١ ، وقدم إلى القاهرة ، وسار إلى دمشق فنسكنها مدة ، ثم سافر إلى بغداد فدخلها سنة ٦٠١ ، ونزل بالمدرسة النظامية ، وكتب الناس عنه كثيراً من نظمته ، وكان أديباً فاضلاً ، له شعر مليح المعاني أكثره في الحكم والإلهيات وآداب النفوس والرياضيات ، وكان طبيباً حاذقاً ، وله رياضات ومعرفة بعلم الباطن ، وله كلام مليح على طريق القوم ، وكان مليح السمات ، حسن الأخلاق ، لطيفاً ، حاضر الجواب ،

١ ترجمة عبد العزيز بن خلف في التكملة رقم : ١٧٤٢ (ص : ٦٢٤) .

٢ ترجمة عبد العزيز السعدي في التكملة رقم : ١٧٣٩ (ص : ٦٢٣) وذكره ابن عساكر .

٣ الصواب : ورتب ، كما في التكملة .

٤ هذا هو حكيم الزمان عبد المنعم الجلياني الذي مرت ترجمته رقم : ٢٣٨ ولكن هذه الترجمة هنا أكثر إسهاباً ، وقد ذكرنا في الحاشية هنالك مصادر ترجمته ولا أدري كيف وقع في اسمه « محمد » ولعله محمد [أو] عبد المنعم ، لقول المقرئ من بعد : « وسماه بعضهم عبد المنعم » .

ومات بدمشق سنة ٦٠٢ ، وكان يقال له : حكيم الزمان ، وأراد القاضي الفاضل أن يَغْضُ منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب : كم بين جليانة وعرناطة ؟ فقال : مثل ما بين بيسان وبيت المقدس .

ومن شعره قوله :

خَبَرْتُ بَنِي عَصْرِي عَلَى الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ	وَكَاشَفْتُهُمْ كَشَفَ الطَّبَاعِ بِالْبُغْضِ
فَأَنْتَجَ لِي فِيهِمْ قِيَاسِي تَخْلِيًّا	عَنِ الْكُلِّ إِذْ هُمْ آفَةُ الْوَقْتِ وَالْعِرْضِ
أَلَا زِمُ كَسْرَ الْبَيْتِ خِلْوًا ، وَإِنْ يَكُنْ	خُرُوجُ فَرْدٍ مُلْصَقِ الطَّرْفِ بِالْأَرْضِ
أَرَى الشَّخْصَ مَنْ بَعْدَ فَأَغْضِي تَغَافُلًا	كَشْدُوهُ بِالِ فِي مَهْمَتِهِ يَمْضِي
وَيَجْسِبُنِي فِي غَفْلَةٍ وَفِرَاسَتِي	عَلَى الْفَوْرِ مِنْ لَحْيٍ بِمَا قَدْ نَوَى تَقْضِي
أُجَانِبُهُمْ سَلَمًا لَيْسَلِمَ جَانِبِي	وَلَيْسَ لِحِقْدِي فِي النُّفُوسِ وَلَا بُغْضِي
تَخَلَّيْتُ عَنْ قَوْمِي وَلَوْ كَانَ مُمْكِنِي	تَخَلَّيْتُ عَنْ بَعْضِي لَيْسَلِمَ لِي بَعْضِي

وقال :

قَالُوا نَرَاكَ عَنِ الْأَكَابِرِ تُعْرِضُ	وَسَوَاكَ زَوَارٌ لَهُمْ مُتَعَرِّضُ
قُلْتُ الزِّيَارَةُ لِلزَّمَانِ إِضَاعَةٌ	وَإِذَا مَضَى زَمْنٌ فَمَا يَتَعَوَّضُ
إِنْ كَانَ لِي يَوْمًا إِلَيْهِمْ حَاجَةٌ	فَبِقَدْرِ مَا ضَمِنَ الْقَضَاءُ تُقَيِّضُ

وقال :

حَاوِلْ مَنَازِكَ قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَا	فَالْحَالُ آخِرُهَا كَحَالِكَ أَوَّلَا
إِنَّ الْمَنِيَّ مِنَ الْمَنِيَّةِ لَفِظُهُ	لَتَدُلَّ فِي أَصْلِ الْبِنَاءِ عَلَى الْبَلِّ

وسماه بعضهم عبد المنعم ، وذكره العماد في « الخريدة » وقال : هو صاحب البديع البعيد ، والتوشيح والترشيح ، والترصيع والتصريع ، والتجنيس والتطبيق ، والتوفيق والتلفيق ، والتقريب والتقرير ، والتعريف والتعريب ، وهو مقيم

بدمشق ، وقد أتى العسكر المنصور الناصري سنة ٥٨٦ بظاهر ثغر عكا ، وكتب إلى السلطان صلاح الدين وقد جرح فرسه :

أيا ملكاً أفنى العداة حسامه^١ ومُنتَجِعاً أفنى العفاة ابتسامه^٢
لقاؤك يوماً في الزمان سعادة^٣ فكيف بثار في حماك حيامه^٤
وعبدك شاك دَيْنَه وهو شاكر^٥ ندالك الذي يُغني الغمام غمامه^٦
ولي فرس أصماه^٧ سهم^٨ فردة^٩ أثافي^{١٠} ربيع^{١١} بالثلاث قيامه^{١٢}
تعمّر فيه بالجرّاحة ساحة^{١٣} وعُطّل منه سرّجه^{١٤} ولجامه^{١٥}
أئينا لما عودتنا من^{١٦} مكارم^{١٧} يلوذ^{١٨} بها الراجي فيشفى غرامه^{١٩}
فرحماك غوث^{٢٠} لا يغيب نصيره^{٢١} ونعمالك غيث^{٢٢} لا يغيب انسجامه^{٢٣}

وله رحمه الله تعالى غير هذا ، وترجمته واسعة .

٢٦٣ — ومنهم الأستاذ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبي ، مؤلف « المفتاح » في القراءات ، ومقرئ أهل قرطبة^١ ، رحل وقرأ القراءات على أبي علي الأهوازي ، وبجرّان على أبي القاسم الرّبيدي ، وبمصر على أبي العباس ابن نفيس ، وبمكة على أبي العباس الكازريني ، وسمع بدمشق من أبي الحسن ابن السمسار ، وكان عجباً في تحرير القراءات ومعرفة فنونها ، وكانت الرحلة إليه في وقته ، ولد سنة ٤١٣ ، ومات في ذي القعدة سنة ٤٦١^٢ ، قرأ عليه أبو القاسم خلف ابن النحاس وجماعة ، رحمه الله تعالى .

٢٦٤ — ومنهم عبيد الله ، وقيل : عبد الله ، بغير تصغير ، ابن المظفر بن عبد الله بن محمد ، أبو الحكم ، الباهلي ، الأندلسي^٣ ، ولد بالمريّة سنة ٤٨٦ ،

١ ترجمة عبد الوهاب بن محمد القرطبي في الصلة : ٣٦٢ وغاية النهاية ١ : ٤٨٢ .

٢ الصلة : ٤٦٢ .

٣ ترجمة الحكيم المغربي في وفيات الأعيان ٢ : ٣٠٧ والخريدة (القسم الرابع ١ : ٣٦٩) وابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٤٠ .

وحج سنة ٥١٦ وحج أيضاً سنة ٥١٨ ، ودخل دمشق وقرأ بصعيد مصر
وبالإسكندرية ، ثم مضى إلى العراق ، وأقام ببغداد يعلم الصبيان وخدم السلطان
محمود بن ملك شاه سنة ٥٢١ ، وأنشأ له في معسكره مارستاناً يُنقل على أربعين
جمالاً ، فكان طبيبه ، ثم عاد إلى دمشق ومات بها سنة ٥٤٩ ، ودفن بباب
الفراديس ، وكان ذا معرفة بالأدب والطب والهندسة ، وله ديوان شعر سمّاه
« نهج الوضاعة لأولي الخلاعة » ذكر فيه جملة شعراء كانوا بمدينة دمشق
كطالب البصري ونصر الهيتي وغيرهما كعرفاة ، وفيه نزهات أدبية ، ومفاكهات
غريبة ، ممزوج جدّها بسخفها ، وهزلها بظرفها ، ورثى فيه أنواعاً من الدواب
وأشياء من الأثاث وخلقاً من المغنين والأطراف ، وشرح هذا الديوان ابنه
الحكيم الفاضل أبو المجد محمد بن أبي الحكم الملقب بأفضل الدولة ، وكان كثير
الهزل والمداعبة ، دائم اللهو والمطايبة ، وكان إذا أتاه الغلام وما به شيء فيجس
نفضه ثم يقول له : تصلح لك الهريسة ، وكان أعور فقال فيه عرقلة :

لنا طيّبٌ شاعرٌ أعورٌ أراحنا من طبهِ اللهُ
ما عاد في صبحه يومٍ فتى إلا وفي باقيه رثاهُ

وله أيضاً يرثيه :

يا عينُ سُحِّي بدمعٍ ساكبٍ ودمٍ على الحكيم الذي يكنى^١ أبا الحكمِ
قد كان لا رحيمَ الرحمنُ شيبته ولا سقى قبره من صيبِ الدّيمِ
« شيخاً يرى الصلوات الخمسَ نافلةً ويستحلُّ دم الحجاج في الحرمِ »

ومن كنايات أبي الحكم المستحسنه قوله :

ألم ترني أكابدُ فيك وجدي وأحملُ منك ما لا يُستطاعُ

١ ق : يسمى .

إذا ما أنجمُ الجوّ استقلتُ ومال الدلوُ وارْتَفَعَ الذراعُ

ومن شعره قوله :

محاسنُ العالم قد جُمِعَتْ في حُسْنِهِ المستكمل البارِعِ
وليس لله بمستنكِرٍ أن يجمعَ العالم في الجامعِ

٢٦٥ - ومنهم أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن صافي ، الغرناطي ،
القيساني ، وقيسانة من عمل غرناطة ، الفقيه المالكي ، ولد سنة ٥٦٤ ، وقدم
القاهرة وناب في الحسبة ، وله شعر حسن ، توفي بالقاهرة سنة ٦٣٤ ، رحمه
الله تعالى .

٢٦٦ - ومنهم طالوت بن عبد الجبار ، المعافري ، الأندلسي ^١ ، دخل
مصر ، وحج ولقي إمامنا مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه ، وعاد إلى قرطبة ،
وكان ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من أهل ربض شقندة
يريد خلعه وإقامة أخيه المنذر ، وزحفوا إلى قصره بقرطبة ، فحاربهم ، وقتلهم ،
وفرّ من بقي منهم ، فاستتر الفقيه طالوت عاماً عند يهودي ، ثم ترامى على
صديقه أبي البسام الكاتب ليأخذ له أماناً من الحكم ، فوشى به إلى الحكم ،
وأحضره إليه فعنفه ووبّخه ، فقال له : كيف يحل لي أن أخرج إليك وقد
سمعت مالك بن أنس يقول : سلطان جائرٌ مدةٌ خيرٌ من فتنة ساعة ؟ فقال :
ألله تعالى لقد سمعتَ هذا من مالك ؟ فقال طالوت : اللهم إني قد سمعته ،
فقال : انصرف إلى منزلك وأنت آمن ، ثم سأله : أين استتر ؟ فقال : عند
يهودي مدة عام ، ثم إني قصدت هذا الوزير فغدر بي ، فغضب الحكم على أبي
البسام وعزله عن وزارته ، وكتب عهداً أن لا يخدمه أبداً ، فرؤي أبو البسام
بعد ذلك في فاقة وذل ، فقيل : استجيب فيه دعوة الفقيه طالوت ، رحمه

١ ترجمة طالوت في الذيل والتكملة ٤ : ١٥٠ والتكملة : ٣٤٥ وابن القوطية : ٧٥ .

الله تعالى .

٢٦٧ - ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد ، ضياء الدين ونظامه ، ابن خروف الأديب ، القيسي ، القرطبي ، القيذافي ، الشاعر^١ ، قدم إلى مصر ، ثم سار إلى حلب ومات بها متردياً في جب حنطة سنة ٦٠٢ ، وقيل : في التي بعدها ، وقيل : سنة خمس وستمائة ، وله شرح كتاب سيبويه ، وحمله إلى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار^٢ ، وله شرح جمل الزجاجي ، وكتب في الفرائض ورد^٣ على أبي زيد السهيلي ، وغير ذلك^٤ ، ومدح الأفضل ابن السلطان صلاح الدين ومدح الظاهر ابن الناصر أيضاً .

وشعره جيد ، فمنه قوله في كأس^٥ :

أنا جسمٌ للحميّا والحميّا لي روحُ
بين أهلِ الظرفِ أغدو كلَّ يومٍ وأروحُ

١ المسمى علي بن محمد بن علي بن محمد المشهور بابن خروف وبالدريدة، له ترجمة في الدليل والتكملة ٥ : ٣١٩ وصلة الصلة : ١٢٢ والتكملة رقم : ١٨٨٤ ووفيات الأعيان ٣ : ٢٢ وبرنامج الرعيي : ٨١ وجذوة الاقتباس : ٣٠٧ ومعجم الأدباء ١٥ : ٧٥ وهذا هو ابن خروف النحوي الحضرمي الإشبيلي الذي توفي بإشبيلية سنة ٦٠٩ أما الشاعر فإن اسمه علي بن محمد بن يوسف بن خروف القرطبي وله ترجمة في صلة الصلة : ١١٤ ، والتكملة رقم : ١٨٩٤ والدليل والتكملة ٥ : ٣٩٦ ومسالك الأبصار ١١ : ٨٠ وهذا هو المقرئ يخلط بين الاسمين فيترجم للشاعر تحت اسم النحوي وقد وقع في هذا الخلط ابن شاعر في الفوات ٢ : ١٦٠ والسيوطي في بغية الوعاة ٣٥٤ وابن الساعي في الجامع المختصر : ٣٠٦ .

٢ وله . . . دينار سقط من ق .

٣ قلت : صاحب هذه الشروح هو ابن خروف النحوي لا الشاعر ، وشرحه على سيبويه يسمى « تنقيح الإلباب في شرح غوامض الكتاب » قال ابن عبد الملك : وكان كثير العناية بالرد على الناس فرد على إمام الحرمين . . . وأبي القاسم السهيلي .

٤ الفوات : ١٦٠ .

وقال^١ في صهي حبس :

أقاضي المسلمين حكمت حكماً غدا وجه الزمان به عبوسنا
حبست على الدراهم ذا جمال ولم تسجنه إذ سلب النفوسا

وقال :

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله في صفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فيأض على ترع تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا وإنما هي أرزاق وأرباح

والقيطاني : بقاف ، ثم ياء آخر الحروف ، بعدها ذال معجمة ، ثم ألف ،
وفاء . وله رسالة كتب بها إلى بهاء الدين بن شداد بحلب يطلب منه فروة ، وهي :

بهاء الدين والدنيا ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الأنوا من جند والك جيلند أبي
وفضلك عالم أني خروفاً بارع الأدب
حلبت الدهر أشطره وفي حلب صفا حلتبي

ذو الحسب الباهر ، والنسب الزاهر ، يسحب ذيول سير السراء ، ويحب النحاة
من أجل الفراء^٢ ، ويمن على الحروف النبيه ، يجلد أبيه ، قاني الصباغ ،
قريب عهد^٣ بالدباغ ، ما ضل طالب قرطه ولا ضاع ، بل ذاع ثناء صانعه
وضاع ، إذا طهر إهابه ، يخافه البرد ويهابه ، أثيث خمائل الصوف ، يهزأ

١ ق : وله ؛ والبيتان في الفوات أيضاً وكذلك سائر ما أورد له المقرئ من شعر ولم يورد في الفوات رسالته .

٢ ق ودوزي : من حيتاك .

٣ ق ودوزي : ويحب النجاة من أهل (أجل) البقاء ، وهو مصحف .

٤ ق : العهد .

بكل هتّجاء عصفوف ، ما في اللباس له ضريب ، إذا نزل الجليد والضريب ،
ولا في الثياب له نظير ، إذا عري من ورقة الغصن التّضير ، والمولى يبعثه فرجيّ
النوع ، أرجيّ الضوع ، يكون تارة لحافاً وتارة برّداً ، وهو في الحالين يحیی
حرّاً ويميت برّداً ، لا كطيّلسان ابن حرب ، ولا كجلد عمرو الممزق
بالضرب ، إن عزاه السواد إلى حام فحام ، أو نماء البياض إلى سام فسام ، كأنه
من جلد جمل الحرياء ، الذي يرعى القمر والنجم ، لا من جلد السّخّلة
الحرياء ، التي ترعى الشجر والنجم ، لا زال مهديه سعيداً ، ينجز للأخيار
وعداً وللأشرار وعيداً ، بالمنة والطّول ، والقوّة والحول .

٢٦٨ - ومنهم مالك بن مالك ، من أهل جيان ، رحل حاجّاً فأدى الفريضة ،
وسكن حلب ، ولقي عبد الكريم بن عمران ، وأنشد له قوله :

يَا رَبِّ خُلِدْ بِيَدِي مِمَّا دُفِعْتُ لَهُ فَلَسْتُ مِنْهُ عَلَى وَرْدٍ وَلَا صَدَرٍ
الْأَمْرُ مَا أَنْتَ رَائِيهِ وَعَالِمُهُ وَقَدْ عَتَبْتُ وَلَا عَتَبْتُ عَلَى الْقَدْرِ
مَنْ يَكْشِفُ السُّوءَ إِلَّا أَنْتَ بَارِئْنَا وَمَنْ يَزِيلُ بَصْفُوَ حَالَةَ الْكَدْرِ

٢٦٩ - ومنهم أبو علي ابن خميس ، وهو منصور بن خميس بن محمد بن
إبراهيم اللخمي من أهل المرية^١ . سمع من أبي عبد الله البوني^٢ وابن صالح ،
وأخذ عنهما القراءات ، وروى أيضاً عن الحافظ القاضي أبي بكر ابن العربي ،
وأبوي القاسم ابن رضا^٣ وابن ورد وأبي محمد الرشاطي وأبي الحجّاج القضاعي
وأبي محمد عبد الحق بن عطية وأبي عمرو الخضر بن عبد الرحمن وأبي القاسم
عبد الرحمن^٤ بن محمد الخزرجي وغيرهم ، ورحل حاجّاً فنزل الإسكندرية ،

١ ترجمة منصور بن خميس في التكملة : ٧١١ .

٢ التكملة : البوني .

٣ ق : وأبوي القاضي ابن رضي . . . الخ وهو خطأ .

٤ كذا في ق ودوزي ؛ وفي التكملة : وأبي القاسم عبد الرحيم ؛ التجارية : عبد الحق .

وسمع منه أبو عبد الله ابن عطية الداني سنة ٥٩٦ ، وحدث عنه بالإجازة أبو العباس العزفي وغيره .

٢٧٠ - ومنهم منصور بن لُبّ بن عيسى ، الأنصاري^١ ، من أهل المريّة ، يكنى أبا علي ، أخذ القراءات ببلده عن ابن خميس المذكور قبله ، ورحل بعده ، فترّل الإسكندريّة ، وأجازه أبو الطاهر السلفي في صغره^٢ ، وقد أخذ عنه فيما ذكر بعضهم ، ومولده سنة ٥٧١ ، رحمه الله تعالى .

٢٧١ - ومنهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج ، المَعافري^٣ ، من أهل قرطبة ، وهو جد ابن مفرج صاحب كتاب « الاحتفال بعلم الرجال » ، صحب المذكور محمد بن وضاح في رحلته الثانية ، وشاركه في كثير من رجاله ، وصدّرَ عن المشرق معه ، فاجتهد في العبادة ، وانتبذ عن الناس ، ثم كرّ راجعاً إلى مكّة عند موت ابن وضاح ، فترّلها واستوطنها إلى أن مات^٤ ، فقبّره هنالك .

وقال في حقّه أبو عمر عفيف : إنّه كان من الصالحين ، رحل فحجّ وجاور بمكّة نحو عشرين سنة إلى أن مات بها ، رحمه الله تعالى .

٢٧٢ - ومنهم محب بن الحسين^٥ ، من أهل الثغر الشرقي ، كانت له رحلة حج فيها ، وسمع بالقيروان من أبي عبد الله ابن سفيان الكتاب « الهادي في القراءات » من تأليفه ، وكان رجلاً صالحاً ، حدث عنه أبو عبد الله محمد بن عبد

١ ترجمة منصور بن لب في التكملة : ٧١٢ .

٢ كذا في التكملة ؛ ق : في سفره .

٣ ترجمة مفرج بن حماد المعافري في التكملة : ٧٢٠ ، قال : يعرف بالقبشي ، وحفيده هو الحسن ابن محمد بن مفرج أبو بكر .

٤ زاد في ق : بها .

٥ ترجمة محب بن الحسين في التكملة : ٧٣٤ .

الملك التجيبي من شيوخ أبي مروان ابن الصيقل .

٢٧٣ - ومنهم مساعد بن أحمد بن مساعد ، الأصمحي^١ ، من أهل أوريولة ، يكنى أبا عبد الرحمن ، ويُعرف بابن زعوقة ، روى عن ابن أبي تليد وابن جحدر ، والحافظين أبي علي الصدي وأبي بكر ابن العربي ، وكتب إليه أبو بكر ابن غالب بن عطية ، ورحل حاجاً في سنة أربع وتسعين وأربعمائة ، فأدى الفريضة سنة خمس بعدها ، ولقي بمكة أبا عبد الله الطبري ، فسمع منه صحيح مسلم ، مشتركاً في السماع مع أبي محمد ابن أبي جعفر الفقيه ، ولقي أبا محمد ابن العرجاء وأبا بكر ابن الوليد الطرطوشي وأصحاب الإمام أبي حامد الغزالي وأبا عبد الله المازري وجماعة سواهم ساوى بلقائهم مشيخته ، وانصرف إلى بلده فسمع منه الناس ، وأخذوا عنه لعلو روايته ، وكان من أهل المعرفة والصلاح والورع ، ومن حدث عنه من الجلة أبو القاسم ابن بَشْكُوَال ، وأبو الحجاج الثغري الغرناطي ، وأبو محمد عبد المنعم بن الفرس وغيرهم ، وأغفله ابن بَشْكُوَال فلم يذكره في الصلة مع كونه روى عنه ، وقال تلميذه أبو الحجاج الثغري الغرناطي : أخبرني أبو سليمان ابن حَوْط الله وغيره عنه ، قال : أخبرني الحاج أبو عبد الرحمن ابن مساعد رضي الله تعالى عنه : أنه لقي بالمشرق امرأة تُعرف بصباح عند باب الصفا ، وكان يقرأ عليها بعض التفاسير ، فجاء بيت شعر شاهد ، فسألت : هل له صاحب ؟ فسألوا الشيخ أبا محمد ابن العرجاء ، فقال الشيخ : لا أذكر له صاحباً ، فأنشدت :

طلعت شمسٌ من أحبِّك ليلاً واستضاءت فما لها من مغيب
إن شمسَ النهار تغربُ بالليلِ لشمسُ القلوبِ دون غروبِ

ولد في صفر سنة ٤٦٨ ، وتوفي بأوريولة سنة ٥٤٥ ، قاله ابن سفيان .

١ ترجمة مساعد بن أحمد الأصمحي في التكملة : ٧٣٦ .

٢٧٤ - ومنهم أبو حبيب نصر بن القاسم . قال ابن الأبار : أظنه من أهل غرناطة ، له رحلة حج فيها ، وسمع من أبي الطاهر السلفي ، وحدث عنه عن ابن فتح بمسند الجوهري ، انتهى

٢٧٥ - ومنهم النعمان بن النعمان ، الماعري^٢ ، من أهل مَيُورُوقَة منسوب إلى جده ، رحل حاجاً فأدى الفريضة وجاور بمكة ثم قفل إلى بلده ، واعتزل الناس ، وكان يُشار إليه بإجابة الدعوة ، وتوفي سنة ٦١٦ رحمه الله تعالى ونفعنا به .

٢٧٦ - ومنهم نعم الخلف بن عبد الله بن أبي ثور ، الحضرمي^٣ ، من أهل طُرُطُوشَة أو ناحيتها ، رحل إلى المشرق ، وأدى الفريضة ، ولقي بمكة أبا عبد الله الأصبهاني ، فسمع منه سنة ٤٢٢ ، حدث عنه ابنه القاسم بن نعم الخلف بيسير .

٢٧٧ - ومنهم ثابت - بالنون - ابن المفرج بن يوسف ، الخنعمي^٤ أصله من بَلَنَسِيَّة ، وسكن مصر ، يكنى أبا الزهر ، قال السلفي : قدم مصر بعد خروجه منها ، وتفقه على مذهب الشافعي ، وتأدب ، وقال الشعر الفائق ، وكتب إليّ بشيء من شعره ، ومات في رجب سنة ٥٤٥ بمصر .

٢٧٨ - ومنهم ضمام بن عبد الله ، الأندلسي^٥ ، رحل إلى المشرق ،

١ ترجمة نصر بن القاسم في التكملة : ٧٤٨ وفي ق : صخر بن القاسم وهو مخالف لما في التكملة .
٢ ترجمة النعمان بن النعمان الماعري في التكملة : ٧٥٣ .
٣ ترجمة نعم الخلف بن أبي ثور في التكملة : ٧٥٧ .
٤ ترجمة ثابت بن المفرج في التكملة : ٧٥٨ .
٥ ترجمة ضمام بن عبد الله في التكملة : ٧٧٠ والدليل والتكملة ٤ : ١٤٥ وجلوة المقتبس : ٢٢٩ (وبغية المتمس رقم : ٨٥٨) .

ودخل بغداد ، وهو ممّن يروي عن عبد السلام بن مسلمة^١ الأندلسي . وممّن روى عن ضمام أبو الفرج أحمد بن القاسم الحشّاب البغدادي من شيوخ الدارقطني ، قال ابن الأبار : هكذا وقع في نسخة عتيقة من تأليف الدارقطني في الرواة عن مالك في باب مسّلمة منه ضمام — بالضاد المعجمة — وهكذا ثبت في رواية أبي زكريا ابن مالك بن عائذ عن الدارقطني ، وقال فيه غيره : همّام بن عبد الله — بالهاء وتشديد الميم — وفي حرف الهاء أثبتته أبو الوليد ابن الفرضي من تاريخه^٢ ، والأول عندي أصح ، والله تعالى أعلم ، انتهى .

٢٧٩ — ومنهم ضرغام بن عروة بن حجاج بن أبي فُرَيْعَة^٣ ، واسمه زيد ، مولى عبد الرحمن بن معاوية والداخل معه إلى الأندلس ، من أهل لبّنة ، له رحلة إلى المشرق ، وكان فقيهاً ، ذكره الرازي .

٢٨٠ — ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر ، المعافري^٤ ، من أهل قرطبة ، وأصله من الجزيرة الخضراء ، وهو والد المنصور ابن أبي عامر ويكنى أبا حفص ، سمع الحديث ، وكتبه عن محمد بن عمر ابن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ، ورحل إلى المشرق فأدى الفريضة ، وكان من أهل الخير والدين والصلاح والزهد والقعود عن السلطان ، أثني عليه الراوية أبو محمد الباجي وقال : كان لي خير صديق أنفع به وينتفع بي ، وأقابل معه كتبه وكتبي ، ومات مُنْصَرَفَةً من حجّه . ودفن بمدينة طرابلس المغرب ، وقيل : بموضع يقال له رَقَادَة ، وكان رجلاً عالماً صالحاً ، وقال بعضهم : إنّه توفي في آخر خلافة عبد الرحمن الناصر .

١ في الأصول : مسلم ، والتصويب عن المصادر .

٢ انظر تاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٧٣ .

٣ ترجمة ضرغام بن عروة في التكملة : ٧٧٠ والذيل والتكملة ٤ : ١٤٥ .

٤ ترجمة عبد الله بن أبي عامر المعافري في التكملة : ٧٨١ .

٢٨١ - ومنهم أبو محمد عبد الله بن حمود ، الزبيدي ، الإشبيلي ، ابن عم أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي اللغوي^١ ، كان من مشاهير أصحاب أبي علي البغدادي ، ورحل إلى المشرق فلم يعد إلى الأندلس ، ولازم السيرافي في بغداد إلى أن توفي ، فلازم بعده صاحبه أبا علي الفارسي ببغداد والعراق ، وحيثما جال ، واتبه إلى فارس ، وحكى أبو الفتوح الجرجاني^٢ أن أبا علي البغدادي غلّس لصلاة الصبح في المسجد ، فقام إليه أبو محمد الزبيدي من مِدْوَد كان لدابته خارج الدار قد بات فيه أو أدلج^٣ إليه ليكون أول وارد عليه ، فارتاع منه ، وقال : ويحك ! من تكون ؟ قال : أنا عبد الله الأندلسي ، فقال له : إلى كم تبغني ؟ والله إن علي وجهه الأرض أنهي منك . وكان من كبار النحاة وأهل المعرفة التامة والشعر ، وجمع شرحاً لكتاب سيويه ، ويقال : إنه توفي ببغداد سنة ٣٧٢ .

٢٨٢ - ومنهم عبد الله بن رشيق ، القرطبي^٤ ، رحل من الأندلس ، فأوطن القيروان ، واختص بأبي عمران القاسمي ، وتفقه به ، وكان أديباً شاعراً عفيفاً خبيراً ، وفي شيخه أبي عمران أكثر شعره ، ورحل حاجتاً فأدى الفريضة ، وتوفي في انصرافه بمصر سنة ٤١٩ ، وأنشد له ابن رشيق في «الأنموذج» قوله رحمه الله تعالى :

خيرُ أعمالك الرضى بالمقادير والقضا

-
- ١ ترجمة عبد الله بن حمود الزبيدي في التكملة : ٧٨٣ والذيل والتكملة ٤ : ٢٢٠ وطبقات الزبيدي ٣٩٩ وبغية الوعاة : ٢٨٢ وإنباه الرواة ٢ : ١١٨ والمقري ينقل عن التكملة .
 ٢ انظر هذه الحكاية في إنباه الرواة ٢ : ١١٩ ومعجم الأدياء ١٤ : ٨١ .
 ٣ ق ودوزي : أو دلج .
 ٤ ترجمة عبد الله بن رشيق في التكملة : ٧٩٣ والذيل والتكملة ٤ : ٢٢٥ ومساك الأبصار ١١ : ٢٥٩

بينما المرء ناضرٌ قيل: قد مات وانقضى

وقوله :

سَأَقْطَعُ حَبْلِي مِنْ خَبَالِكَ جَاهِدًا وَأَهْجُرُ هَجْرًا لَا يَجُرُّ لَنَا عَرْضًا
وَقَدْ يُعْرِضُ الْإِنْسَانُ عَمَّنْ يُوَدُّهُ وَيُلْقَى بِبِشْرٍ مِنْ يُسِيرُهُ لَهُ الْبَغْضَا

قال في « الأعمودج » : وأراد الحج فناله وجع فمات بمصر بعد اشتهاؤه فيها بالعلم والجلالة ، وقد بلغ عمره نحو الأربعين سنة ، رحمه الله تعالى ، وهو مخالف لما قدمناه من أنه أدى الفريضة ، وقد ذكر ابن الأبار العبارتين ، والله تعالى أعلم .

٢٨٣ — ومنهم أبو بكر الياقوبي ، ويكنى أيضاً أبا محمد ، وهو عبد الله ابن طلحة بن محمد بن عبد الله ، أصله من يابرة ، ونزل هو لإشبيلية ، وروى عن أبي الوليد الباجي وعن جماعة بغرب الأندلس منهم أبو بكر ابن أيوب وأبو الحزم ابن عليم وأبو عبد الله ابن مزاحم البطلانيوسيون وغيرهم ، وكان ذا معرفة بالنحو والأصول والفقه وحفظ التفسير والقيام عليه ، وحلق به مدة بإشبيلية وغيرها ، وهو كان الغالب عليه مع القصص فيسرد منه جملاً على العامة ، وكان متكلماً ، وله رد على أبي محمد ابن حزم ، وكان أحد الأئمة بجامع العديس ، ورخل إلى المشرق ، فروى عن أبي بكر محمد بن زيدون بن علي كتابه المؤلف في الحديث المعروف بالزيدوني ، وألف كتاباً في شرح صدر رسالة ابن أبي زيد ، وبين ما فيها من العقائد ، وله مجموعة في الأصول والفقه منها كتاب سماء « المدخل » إلى كتاب آخر سماه « سيف الإسلام على مذهب مالك الإمام » ألّفه للأمير علي بن تميم بن المعز الصنهاجي صاحب المهنية ، وذكر

١ ترجمة أبي بكر الياقوبي في التكملة : ٨١٥٠ .

في فصل الحج منه أنه رحل إلى المهديّة سنة ٥١٤ ، واستوطن مصر مدة ، ثم رحل إلى مكّة ، وبها توفي رحمه الله تعالى ، وروى عنه أبو المظفر الشيباني وأبو محمد العثماني وأبو الحجاج يوسف بن محمد القتيرواني وأبو عمرو عثمان ابن فرج العبدري وأبو محمد ابن صدقة المنكبي وأبو عبد الله ابن يعيش البكّسي وغيرهم ، وكان سماع أبي الحجاج منه موثقاً مالك سنة ٥١٦ ، رحمه الله تعالى الجميع .

٢٨٤ - ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن مرزوق ، البَحْصِي ، الأندلسي^١ ، رحل حاجاً فسمع منه بالإسكندرية أبو الطاهر السلفي كتاب «طبقات الأئم» لأبي القاسم صاعد بن أحمد الطليظلي ، وحدث به عنه عن ابن بُرّال عن صاعد .

٢٨٥ - ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد ، الصريح ، المرسي ، ويعرف بابن مطحنة^٢ ، روى عن أبي بكر ابن القَرَظِي النحوي ، وتأدب به ، ورحل إلى المشرق ، ولقي أبا محمد العثماني وغيره ، وحج ، وقعد لتعليم الآداب ، ومن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام وأبو عبد الله المكتاسي وغيرهما ، وأنشد رحمه الله تعالى قال : أنشدني أبو محمد عبد الله بن البيّاسي^٣ بالإسكندرية لنفسه :

عِدُّ الدهرُ من أجلي وعُمُري كما أني أمدُّ من المداي
لنا خطّان مختلفان جدّاً كما اختلفَ الموالى والمُعادي
فأكتبُ بالسوادِ على يَياضٍ ويكتبُ بالبَيَاضِ على السوادِ

١ ترجمة ابن مرزوق البحصبي في التكملة : ٨١٨ .

٢ ترجمة ابن مطحنة في التكملة : ٨٣٥ .

٣ التكملة : ابن أبي الياس .

وهذا نظير قول الآخر :

ولي خطٌّ وللأيامِ خطٌّ وبَيْنَهُما مخالَفَةٌ المدادِ
فأَكْتَبَهُ سواداً في بياضٍ وتَكْتَبُهُ بياضاً في سوادِ

وبعضهم ينسب الأبيات الثلاثة السابقة للسلفي الحافظ ، فالله تعالى أعلم .

٢٨٦ — ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى ، الشَّلبِيّ^١ ، سمع من الصديقي وغيره ، وكان من أهل الحفظ للحديث ورجاله والعلم بالأصول والفروع ومسائل الخلاف وعلم العربية والهيئة مع الخير والدين والزهد ، وامتنحن بالأمراء في قضاء بلده بعد أن تقلده نحو تسعة أعوام لإقامته الحق وإظهاره العدل حتى أدى ذلك إلى اعتقاله بقصر إشبيلية ، ثم سُرح فرحل حاجباً إلى المشرق ، ودخل المهديّة فلقني بها المازري ، وأقام في صحبته نحو ثلاث سنين ، ثم انتقل إلى مصر ، وحج سنة ٥٢٧ ، وأقام بمكة مجاوراً ، وحج ثانية سنة ٥٢٨ ، ولقي بمكة أبا بكر عتيق بن عبد الرحمن الأوربلي في هذه السنة ، فحمل عنه ، ودخل العراق وخُرَّاسان ، وأقام بها أعواماً ، وطار ذكره في هذه البلاد ، وعظم شأنه في العلم والدين ، وكان من بيت شرف وجاه في بلده عريض مع سعة الحال والمال ، وتوفي بهرّة سنة ٥٥١ ، وقيل : إن وفاته سنة ٥٤٨ ، وذكره العماد في « الخريدة » والسمعاني في الدليل ، وأنشد له :

تَلَوْنَتِ الْآيَاتِ لِي بِبَصْرُوفِهَا فَكُنْتُ عَلَى لَوْنٍ مِنَ الصَّبْرِ وَاحِدٍ
فَإِنْ أَقْبَلْتُ أَدْبَرْتُ عَنْهَا وَإِنْ نَأَتْ فَأَهْوَيْتُ بِمَفْقُودٍ لِأَكْرَمِ فَاقِدٍ

وولد سنة ٤٨٤ بشلِّب ، رحمه الله تعالى .

٢٨٧ — ومنهم أبو محمد عبد الله بن موسى ، الأزدي ، المُرسِي ، ويُعرف

١ ترجمة عبد الله بن عيسى الشلبي في التكملة : ٨٣٤ وسرد ابن الأبار نسبه أطول مما هنا .

بابن بُرْطُلَه^١ ، سمع من صهره القاضي الشهيد أبي علي الصديقي ، ورحل حاجباً سنة ٥١٠ ، فأدى الفريضة ، وسمع من الطرطوشي والأنماطي والسلفي وغيرهم ، وانصرف إلى مُرْسِيَةِ بلدّه ، وكان حسن السمت خاشعاً مُخْبِتاً خيراً متواضعاً نبيهاً نزهاً سالم الباطن ، وحكى عن شيخه أبي عبد الله الرازي عن أبيه أنه أخبره أن قاضي البرلس ، وكان رجلاً صالحاً ، خرج ذات ليلة إلى النبل فتوضأ وأسبغ وضوءه ، ثم قام فقرن قدميه وصلى ما شاء الله تعالى أن يصلي ، فسمع قائلاً يقول :

لولا أناسٌ لهم سَرْدٌ يصومونا وآخرون لهم وَرْدٌ يقومونا
لزلزلتُ أرضُكم من تحتكم سحرّاً لأنكم قومٌ سوء لا تبالونا

قال : فتجوّزت في صلاتي ، وأدبرت طرفي فما رأيت شخصاً ولا سمعت حسّاً ، فعلمت أن ذلك زاجر من الله تعالى .

وقال ابن بُرْطُلَه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : أنشدني أبو عامر قال : دخلت بعض مَراسِي الثغر ، فوجدت في حَجَرٍ منقوش هذه الأبيات :

نزلتُ ولي أملٌ عودةٌ ولكنني لستُ أدري متى
ودافعني قَدَرٌ لم أُطِيقْ دفاعاً لمكروهيهٍ إذ أتى
ومن أمره في يَدَيَّ غيرِه سَيُغْلِبُ إن لَان أو إن عَتَا
فَيَا نازلاً بعدنا ههنا نَحْيِيكَ إن كنتَ نعمَ الفتي

فسألت عن منشدها ، فقبل لي : هو أبو بكر ابن أبي درهم الوشقي ، وكان قد حج وأراد العَوْدَةَ ، فقال هذه الأبيات ، ورواها بعضهم « رحلت » مكان نزلت ، وهو أصوب ، وأبدل قوله « يا نازلاً » بيا ساكناً ، والخطب سهل

١ ترجمة عبد الله بن موسى بن برطلة في التكملة : ٨٤١ ومعجم أصحاب الصديقي : ٢٢٦ .

فيه ، وبعض يقول : إن الأبيات وجدت بجامع مصر ، والله تعالى أعلم .

٢٨٨ - ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة ، الداني ، الأصبحي^١ ، لازم ابن سعد الخير ، واحتذى أول أمره مثال خطبة فقاربه ، وسمع منه ، ثم رحل إلى المشرق فسمع بالإسكندرية من أبي الطاهر ابن عوف والسلفي وغير واحد ، قال التجيبي : كان معنا بالإسكندرية بالعادية منها ، وبقراءته سمعنا صحيح البخاري على السلفي سنة ٥٧٣ هـ ، قال : وأنشدني لشيخه الأستاذ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سعد الخير البكستاني :

يا لاحظاً تمثال نعل نبيه قيل مثال النعل لا متكبراً
والثم له^٢ فلطالما عكفت به قدّم النبي مروحاً ومبكراً
أولا ترى أن المحبّ مقبلٌ طلالاً وإن لم يُلَفِ فيه مخبراً

وقد سبق ابن سعادة أبو عبد الله وهو غير هذا ، والله تعالى أعلم .

٢٨٩ - ومنهم أبو محمد عبد الله بن يوسف ، القضاعي ، المري^٣ ، سمع من أبي جعفر ابن غزلون صاحب الباجي وغير واحد ، ورحل إلى المشرق فسمع بالإسكندرية من السلفي والرازي ، وتبول هنالك ، وأخذ عنه أبو الحسن ابن الفضل المقدسي وغير واحد ، وقال ابن الفضل : أنشدني المذكور ، قال : أنشدني أبو محمد بن صارة :

وكوكبٍ أبصر العفريتَ مُسترقاً للسمع فانقضَّ يدي خلفه لهبه

١ ترجمة ابن سعادة الأصبحي في التكملة : ٨٥٠ والذيل والتكملة : ٢٢٧ .

٢ ق : به ، وكذلك في التكملة .

٣ ترجمة عبد الله بن يوسف القضاعي في التكملة : ٨٥٦ وقال إن أصله من أندة .

كفارسٍ حَلَّ إعصاراً^١ عمامته فجرحها كلتها من خلفه عذّبه

٢٩٠ — ومنهم شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر ، الوادي آشي ،
الحنفي^٢ ، سكن طرابلس الشام ، ثم انتقل إلى حلب ، وأقام بها ، وصار من
العدول المبرزين في العدالة بحلب ، يعرف النحو والعروض ، ويشغل فيهما ،
وله انتماء إلى قاضي القضاة الناصر ابن العديم ، قال الصفدي : رأيت بحلب أيام
مقامي بها سنة ٧٢٣ فرأيت حسن التودّد ، وأنشدني لنفسه من لفظه :

ملاح في درّعٍ يَصُولُ بِسَيْفِهِ والوجه منه يضيء تحت المغفر
إلا حسبت البحر مدّاً يَجُولُ والشمس تحت سحابٍ من عنبر

قال الصفدي : جمع هذا المقطوع بين قول ابن عباد^٣ :

ولما اقتحمت الوغى دارعاً وقتعت وجهك بالمغفر
حسبنا بجيالك شمس الضحى عليها سحابٌ من العنبر

وبين قول أبي بكر الرصافي^٤

لو كنت شاهدة وقد غشي الوغى يختال في درّع الحديد المسبل
لرأيت منه والقصيب بكفه بحراً يريق دم الكُماة يَجُول

وقال يمدح الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني وقد توجه إلى حلب قاضي
القضاة :

-
- ١ التكملة : إحصار .
 - ٢ ترجمته في الوافي ٧ الورقة : ٦٦ وأعيان العصر (نسخة آياصوفيا رقم : ٢٩٦٢) : ١٧٣
والدور الكامنة ١ : ١٨٢ والمقري ينقل عن الوافي .
 - ٣ ديوان المعتمد : ١٧ والقلائد : ٨ .
 - ٤ ديوان الرصافي البلنسي : ١٢٥ ولعلهما لغيره إذ كنية الرصافي البلنسي أبو عبد الله ، وهذا يكنى
أبا بكر .

يَمِنْ تَرْتَمَ فَوْقَ الْأَيْكِ طَائِرُهُ
وَسُودْدُ أَصْبَحَ الْإِقْبَالُ مِمْتَلَأُ
وَمِنْهَا ١ :

مَنْ مُخْبِرٌ عَنِ الشَّهَاءِ أَنْ كَمَا
وَأَنَّ تَقْلِيدَهُ الزَّاهِي وَخَلْعَتَهُ
بِالنَّفْسِ أَفْدِيكَ مِنْ تَقْلِيدِ مُجْتَهِدٍ
أَشْدَتْ حِينَ أَدَارَ الْبَشَرَ كَأْسَ طَلَى
وَقَدْ بَدَتْ فِي بِيَاضِ الطَّرْسِ أَسْطَرُهُ
سَاقٍ تَكُونُ مِنْ صَبْحٍ وَمِنْ غَسَقٍ
وَخَلْعَةٌ قَلْتُ إِذْ لَاحَتْ لَتَزْرِينَا
وَقَدْ رَأَى عَدُوٌّ كَانَ يُضْمِرُ لِي
وَرَامَ صَبْرًا فَأَعْيَتَهُ مُطَالِبُهُ
بَعُودَةِ الدَّوْلَةِ الْغَرَاءِ ثَالِثَةٌ
وَقَالَ أَيْضًا :

تَسْعَرُ فِي الْوُغَى نِيرَانُ حَرْبٍ
وَمِنْ عَجَبٍ لَظَى قَدْ سَعَرَتْهَا
وَقَالَ مَلْغَزًا فِي قَالِبِ لَبَنٍ :

مَا أَكَلُ فِي فَمَيْنِ يَغُوطُ مِنْ غُرْجِينِ
مُغْرَى بَقْبُضٍ وَبَسْطٍ وَمَا لَهُ مِنْ يَدَيْنِ
وَيَقْطَعُ الْأَرْضَ سَعِيًّا مِنْ غَيْرِ مَا قَدَمَيْنِ

١ ومنها : سقطت من ق ، وهي ثابتة في الواوي .

وخمسة لامية المعجم مدحاً في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الصفدي :
ولما كنت في حلب كتب إليّ أبياتاً ، انتهى .

٢٩١ - ومنهم أبو جعفر أحمد بن صابر ، القيسي^١ ، قال أبو حيان : كان المذكور رفيقاً للأستاذ أبي جعفر ابن الزبير شيخنا ، وكان كاتباً مترسلاً شاعراً ، حسن الخط ، على مذهب أهل الظاهر ، وكان كاتب أبي سعيد فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الأحمر ملك الأندلس ، وسبب خروجه من الأندلس أنه كان يرفع يديه في الصلاة على ما صح في الحديث ، فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله ، فتوعده بقطع يديه ، فضج من ذلك وقال : إن إقليماً تمت فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتوعد بقطع اليد من يقيمها بالخير أن يرحل منه ، فخرج وقدم ديار مصر ، وسمع بها الحديث ، وكان فاضلاً نبيلاً ، ومن شعره :

أتُنكرُ أن يبيّضَ رأسي لحادثٍ من الدهر لا يقوى له الجبلُ الراسي
وكانَ شعاراً في الهوى قد لبسته فرأسي أمي وقلبي عباسي

قلت : لو قال « شبي » لكان الغاية .

وأنشد له بعضهم :

فلا تعجبا ممن عوى خلف ذي علّا لكلّ عليّ في الأنام معاويه

قلت : لا يخفى ما فيه من عدم سلوك الأدب مع الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين^٢ ، ويرحم الله بعض الأندلسيين حيث قال في رجز كبير :

ومن يكنّ يقدح في معاويه فذاك كلب من كلاب معاويه

١ ترجمة أحمد بن صابر القيسي في المنهل الصافي ١ : ٢٩٩ .

٢ أجمعين : سقطت من ق .

وأنشد أبو حيان للمذكور :

أرى الدهر ساد به الأرذلو ن كالسَّيل يطفو عليه الغُثا
ومات الكرامُ وقات المديحُ فلم يبقَ للقولِ إلا الرثا

وأنشد له أيضاً :

لولا ثلاثٌ هنَّ والله من أكبر آمالي في الدنيا
حجٌ لبيت الله أرجو به أن يقبلَ النيةَ والسعيَا
والعلمُ تحصيلاً ونشراً إذا رويتُ أوسعتُ الورى رِيَا
وأهلُ ودٍّ أسألُ الله أنْ يُمتنعَ بالبقيا إلى اللقيا
ما كنتُ أخشى الموتَ أتى أتى بل لم أكنُ ألدُّ بالمحيا

وقال أبو حيان في هذه المادة :

أما إنه لولا ثلاثٌ أحبها تمنيتُ أني لا أعدُّ من الأحيا
فمنها رجائي أن أفوزَ بتوبةٍ تكفرَ لي ذنباً وتُنَجِّحَ لي سعيَا
ومنهن صوفي النفسَ عن كلِّ جاهلٍ لثيمٍ فلا أمشي إلى بابِهِ مشيا
ومنهن أخذي بالحديث إذا الورى نسوا سُنَّةَ المختارِ واتبعوا الرأيا
أتركُ نصّاً للرسول ، وتقتدي بشخص؟ لقد بدلتَ بالرشد الغيا

٢٩٢ - ومنهم الأستاذ أبو القاسم ابن الإمام القاضي أبي الوليد الباجي ،
سكن سرقسطة وغيرها ، وهوى عن أبيه معظم علمه ، وخلقه بعد وفاته
في حلقة غلب عليه علم الأصول والنظر ، وله تأليف تدل على حذقه :
منها « العقيدة في المذاهب السديدة » ورسالة « الاستعداد للخلاص من المعاد » ،

١ زاد في ق بعد هذا لفظة « انتهى » .

وكان غاية في الورع ، توفي بجدة بعد منصرفه من الحج سنة ٤٩٣ ، رحمه الله تعالى .

٢٩٣ - ومنهم الإمام الفاضل الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الساحلي ، الغرناطي^١ . قال الغز بن جماعة : قدم علينا من المغرب سنة ٧٢٤ ، ثم رجع إلى المغرب في هذه السنة ، وبلغنا أنه توفي بمراكش سنة نيّف وأربعين وسبعمائة^٢ ، وأنشد والذي قصيدة من نظمه امتدحه بها ، وأنا أسمع ، ومن خطه نقلت ، وهي :

قفا مورداً عيناً جرت بعدكم دما أناضي أسفار طوينَ على ظما
غدونَ أهلاًّت تناقل أنجماً ورُحْن حنّيات تفوق أسهما
يجشّمها الحادي الأمرين حُسراً ويوطئها الحادي الآخرين هيّما
على منسَميها للشقائق منبّت وفي فمويها للشقاشق مرثمى

إلى أن قال :

وتعساً لآمال جيّهام سحابها تُزجّى ركاماً ما استهلّ ولا همى
تجاذبها نفسٌ تجيشُ نفيسةً ومن لم يجدْ إلا صعيداً تيمّما
فهل ذمّ يرعاه ليل طويته طواني سرّاً بين جنبيه منهما
أقبلُ منه للبروق مباسما وأرشفُ من بهماء ظلماته لمى
إلى أن تجلّى من كنانة بدورها فعرّسَ ركبى في خِماه وخيما

١ ترجمة إبراهيم بن محمد الساحلي في الإحاطة ١ : ٣٣٧ والكتيبة الكامنة : ٢٣٥ ومسالك الأيصار ١١ : ٥١٦ وقد ترجم له ابن الخطيب أيضاً في التاج وعائد الصلة وابن الأحمر في نثر الجمان وفي فرائد نثر الجمان الورقة : ٥٢ وما بعدها . وهذا هو الطويين وترجمته هنا مكررة وقد وردت في النسخ برقم : ١١٦ .
٢ قلت : قد مر من قبل أنه توفي بتبكتوس سنة ٧٤٤ .

ثِمَالُ الْيَتَامَى حَيْثُ لَيْسَ مَظْلَلٌ وَكَهْفُ الْأَيَامَى أَيُّمَا عَزَّ مَرْتَمَى
ومنها :

فِيَا كَفَّهْ هَلْ أَنْتِ أُمُّ غَيْثٍ دِيمَةٍ أَسَالَتْ عُبَابًا فِي ثَرَى الْجُودِ عَيْلِمَا
وَيَا سَعْيِيهِ يَتَهْنِيكَ أَجْرٌ ثَنَى بِهِ عَلَى مَعْطَفِي عَلَيْهِ بُرْدًا مُسْتَهْمَا
قَضَى بِمَنْثَى أَوْطَارَ تَفْسٍ كَرِيمَةٍ وَرَوَّى صِدَاهَا حِينَ حُلٍّ بَزْمَمَا
وَنَادَاهُ دَاعِي الْحَقِّ حَيَّ عَلَى الْهُدَى فَاسْرَجَ طَوْعًا فِي رِضَاهِ وَالْحِمَا
فَلَلَهُ مَا أَهْدَى وَأَرْشَدَ وَاهْتَدَى وَلِلَّهِ مَا أُعْطِيَ وَأَوْفَى وَأَنْعَمَا

ومنها :

أُمْتُ بَآدَابٍ وَعِلْمٍ كِلَيْهِمَا أَقَامَا لَدَيْكَ الدَّعَى فَرَضًا وَالزَّمَا
وهي طويلة .

٢٩٤ - ومن الراحلين من الأندلس الوليد بن هشام ، من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين^١ ، خرج من الأندلس على طريقة الفقر والتجرد ، ووصل برقة بركة لا يملك سواها فعرف بأبي ركة ، وأظهر الزهد والعبادة ، واشتغل بتعليم الصبيان وتلقينهم القرآن ، وتغيير المنكر ، حتى خلع البربر بقوله وفعله ، وزعم أن مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته بما كان عنده من علم الحدثنان ، وكان يقال عن مسلمة : إنه أخذ علم الحدثنان عن خالد بن يزيد بن معاوية ، وأخرج لهم أرجوزة أسندها إلى مسلمة ، ومنها في وصفه :

وَإِبْنُ هِشَامٍ قَائِمٌ فِي بَرْقَةٍ بِهِ يَنَالُ عَبْدُ شَمْسٍ حَقَّةً

١ انظر أخبار أبي ركة في الدرة المضية ٦ : ٢٧٥ واتماظ الحنفا : ٣٠٤ وتاريخ ابن خلدون ٤ : ٥٨ وابن الأثير ٩ : ١٩٧-٢٠٣ .

يكونُ في بربرها قيامهُ وقرةُ العرب لها إكرامهُ

واتفق أن قرّة انصرفوا عن الحاكم فمالوا إليه ، وحصروا معه مدينة برقة حتى فتحوها ، وخطبوا له فيها بالخلافة ، وكان قيامه في رجب سنة ٣٩٧ ، فهزم عسكر باديس الصنهاجي صاحب إفريقية وعسكر الحاكم بمصر ، وأحيا أمره ، وخطبه بطانة الحاكم لكثرة خوفهم من سفك الحاكم الدماء ، ورغبوه في الوصول إلى أوسيم ، وهو مكان بالبحيرة قبالة القاهرة ، فلما وصل إليها قام بمحاربته الفضل بن صالح القيام المشهور إلى أن هزم أبا ركة ، ثم جاء به إلى القاهرة ، فأمر الحاكم أن يطاف به على جمل ، ثم قُتل صبراً في ١٣ رجب سنة ٣٩٩ ، ولما حصل في يد الحاكم كتب إليه :

فررتُ ولم يُغنِ الفرارُ ، ومن يكن مع الله لم يعجزه في الأرض هاربُ
ووالله ما كان الفرارُ حاجةً سوى فزعِي الموت الذي أنا شاربُ
وقد قادني جرّمي إليك برمتي كما اجترّ مبتاً في رحى الحرب سالبُ
وأجمع كلُّ الناس أنك قاتلي فيا ربّ ظنّ ربّه فيه كاذبُ
وما هو إلا الانتقامُ وينتهي وأخذك منه واجباً وهو واجبُ

ولأبي ركة المذكور أشعار كثيرة ، منها قوله :

بالسيفِ يقربُ كلُّ أمرٍ يترخُ فاطلبُ به إن كنتَ ممّن يُفلحُ

وله :

على المرء أن يسعى لما فيه نفعهُ وليس عليه أن يساعدهُ الدهرُ

وقوله :

إن لم أجلبها في ديار العدا تملأ وعراً الأرضِ والسّهلا
فلا سمعتُ الحمدَ من قاصدٍ يوماً ولا قلتُ له أهلا

وله غير ذلك مما يطول ، وخبره مشهور .

٢٩٥ - ومنهم أبو زكريا الطليطلي ، يحيى بن سليمان^١ ، قدم إلى الإسكندرية ، ثم رحل إلى الشام واستوطن حلب ، وله ديوان شعر أكثر فيه من المديح والهجاء ، قال بعض من طالعه : ما رأيته مدح أحداً إلا وهجاه ، وله مصنفات في الأدب ، ومن نظمه قوله :

أَرْضٌ سَقَتْ غَيْطَانَهَا أَعْطَانَهَا وَزَهَتْ عَلَى كُتُبَانِهَا قَضْبَانُهَا

ومنها :

فَتَكْتُ بِالْبَابِ الْكُؤَامَةَ فَيَسِفُهَا مِنْ طَرَفِهَا وَسِنَانُهَا وَسَنَانُهَا
لَمْ يَبْقَ شَخْصٌ بِالْبَسِيطَةِ سَالِمًا إِلَّا سَبَى إِنْسَانَهُ إِنْسَانُهَا

ومنها :

وَتَصَاحَبَتْ وَتَجَاوَبَتْ أَطْيَارُهَا وَتَدَاوَلَتْ وَتَنَاولَتْ أَلْحَانُهَا
وَتَسَمَّتْ وَتَبَسَّمَتْ أَيَامُهَا وَنَهَلَتْ وَتَكَلَّلَتْ أَزْمَانُهَا
بِمُدِيرِهَا وَمُنِيرِهَا وَنَمِيرِهَا وَمُعِيرِهَا حُسْنًا جَلَاهُ عِيَانُهَا

٢٩٦ - ومنهم أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد ، القرطبي ، المعروف بالمغيلي^٢ ، سمع من محمد بن عبد الملك بن أيمن وقاسم بن أصبغ وغيرهما ، ورحل فسمع من أبي سعيد ابن الأعرابي ، وكان بصيراً بالعربية والشعر ، ومؤلفاً جيد النظر حسن الاستنباط ، حدث ، وتوفي فجأة في شهر ربيع الأول سنة ٣٦٢ ، قاله ابن الفرضي .

١ ق : سلمان .

٢ ترجمة يحيى بن عبد الله المغيلي في ابن الفرضي ٢ : ١٨٨ .

٢٩٧ - ومنهم الإمام المحدث أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يحيى ابن سلمة ، الأنصاري ، الغرناطي ، قدم المشرق وتوفي بمصر سنة ٧٠٣ عن نحو خمسين سنة ، باليمارستان المنصوري ، قال قاضي القضاة عبد العزيز ابن جماعة الكنتاني في كتابه « نزهة الألباب »^١ : أنشدنا المذكور لنفسه بالقاهرة ، بعد قدومه من مكة والمدينة ، وقد رام أن يعود إليهما فلم يتيسر له :

لئن بَعُدْتُ عَنِّي ديارُ الذي أهوى	فقلبي على طولِ التباعدِ لا يَقْوَى
فحدثْ رعاكَ اللهُ عن عُربِ رامةٍ	فلأتني لهم عبدٌ على السرِّ والنجوى
فلئن متُّ شوقاً في الهوى وصبايةً	فيا شبرتي إن متُّ في حبٍّ من أهوى
فيا أيها العُدَّالُ كُفُّوا ملائِكُكمُ	فما عندكم بعض الذي بي من الشكوى
ويا جيرةَ الحَيِّ الذي وَلَّي بهم	أما ترحموا صبياً يحنُّ إلى حُرْوَى
ويا أهلَ ذِيكَ الحمى وحياتِكُمُ	يمينَ وفيَّ صادقِ القولِ والدَّعْوَى
ملكتم قيادي فارحموا وترفقوا	فأنتم مرادي لا سعادٌ ولا علوى
فما لي سواكم سادتي لا علمتكم	فجودوا بوصلٍ أنتم الغايةُ القصوى

انتهى .

٢٩٨ - ومنهم الفاضل الأديب أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي^٢ ، الغرناطي ، قال ابن جماعة في الكتاب المسمى قريباً : أنشدني المذكور لنفسه ، على قبر سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه :

يا سيّدَ الشّهداء بَعْدَ محمدٍ	ورضيعَ ذي المُجدِّ المرفعِ أحمدٍ
يا ابنَ الأعزّةِ من خلاصةِ هاشمٍ	سُرُجَ المعالي والكرامِ المُجدِّ
يا أيّها البطلُ الشّجاعُ المحنّي	دينُ الإلهِ ببأسِهِ المستأسدِ
يا نَبْعَةَ الشّرفِ الأصيلِ المُعتلي	يا ذروةَ الحسبِ الأثيلِ الأتلدِ

١ ق : الأولياء ؛ وفي كشف الظنون : نزهة الألباب ؛ ودوزي : الألباء .
٢ ترجمته في الدرر الكامنة ٤ : ٩٦ .

يا نَجْدَةَ المَلْهَوفِ في قَحَمِ الوغَى
 يا غَيْثَ ذِي الأَمَلِ البَعِيدِ مَرَامُهُ
 يا مَنْ لِعُظْمِ مَصَابِهِ خَصَّ الأَسَى
 يا حَمْزَةَ الخَبِيرِ المَوْمَلِ نَفْعُهُ
 وإفَّاكَ يا أَسَدَ الإِلَهِ وَسِيفَهُ
 جِئْنَاكَ يا عَمَّ الرُّسُولِ وَصِنُوهُ
 واسألْ إلهَكَ في اغْتِفَارِ ذُنُوبِنَا
 لَنُدْنَا بِجَانِبِكَ الكَرِيمِ تَوَسَّلًا
 فاشْفَعْ لَضَيْفِكَ فَالكَرِيمِ مُشَفَّعٌ
 يا ابنَ الكَرَامِ المَكْرَمِينَ نَزِيلَهُم
 نَزَلَ الضُّيُوفُ جَنَابَ سَاحَتِكَ الَّتِي
 فَاجْعَلْ أبا يَعْلَى قِرَانًا عَظْفَةً
 فَمَعَى يَمْنٌ عَلَى الجَمِيعِ بِتُوبَةٍ
 فَقَدْ اعْتَمَدْنَا مِنْكَ خَيْرَ وَسِيلَةٍ
 لِمَنْ لَا تُؤْمُ وَأَنْتَ عَمُّ مُحَمَّدٍ
 وَصَحْبَتِهِ وَنَصْرَتِهِ وَعَضْدَتِهِ
 وَبَدَلْتَ نَفْسَكَ فِي رِضَاهِ بِجَنَّةٍ
 فَجَزَاكَ عَنَّا اللَّهُ خَيْرَ جَزَائِهِ
 وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْهُ سَلَامُهُ

عِنْدَ التَّهَابِ جَحِيمِهَا المَتَوَقَّدِ
 يا غَوْثَ مَوْتَوْرِ الزَّمَانِ الأَنْكَدِ
 قَلْبَ الرُّسُولِ وَعَمَّ كُلَّ مَوْحِدِ
 يَوْمَ الهَيَاجِ وَعِنْدَ فَقْدِ المُنْجِدِ
 وَقَدْ أَلْتُوا مِنْ حِمَاكَ بِعَمْدِ
 قَصَدَ الزِّيَارَةِ فَاحْتَقِلْ بِالقُصْدِ
 شَيْمُ المَزُورِ قِيَامُهُ بِالْعُودِ
 وَكَذَا العَبِيدُ مَلَاذُهُمُ بِالسَّيْدِ
 عِنْدَ الكَرِيمِ وَمَنْ يَشْفَعُ يُقْصِدِ
 أَهْلَ المَكَارِمِ وَالْعُلَا والسُّودِ
 مِنْهَا يُؤْمَلُ كُلُّ عَظْفٍ مُسَعِدِ
 وَارْغَبْ لِرَبِّكَ فِي هُدَانَا وَاقْصِدِ
 يُهْدَى بِهَا نَهْجُ الطَّرِيقِ الأَرشِدِ
 نَرْجُو بِهَا حُسْنَ التَّجَاوُزِ فِي غَدِ
 وَلَدِينَهُ قَدْ صُلَّتْ صَوْلَةُ أَيْدِ
 وَذَبَبَتْ عَنْهُ بِاللسَانِ وَبِالْيَدِ
 فَقُبِلَتْ فِي ذَاتِ الإِلَهِ الأَوْحِدِ
 وَسَقَى ثَرَاكَ حَيَا الغَمَامِ المُرْعِدِ
 وَعَلَيْكَ مُتَّصِلُ الرِّضَى المُنْجِدِ

ولد ببعض أعمال غرناطة قبل التسعين وستمائة ، وتوفي بالمدينة الشريفة
 طابة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سنة ٧١٥ ، ودفن بالبقيع ، رحمه
 الله تعالى ، انتهى .

٢٩٩ - ومنهم الشيخ نور الدين أبو الحسن المايريقي ، من أقارب بعض

ملوك المغرب ، وكان من الفضلاء العلماء الأدباء ، وله مشاركة جيدة في العلوم ونظم حسن ، ومنه قوله :

القُضْبُ راقصةٌ ، والطيرُ صادحةٌ والنشرُ مرتفعٌ ، والماءُ منحدرُ
وقد تجلّتْ من اللذاتِ أوجهها لكنّها بظلالِ الدوحِ تسترُ
فكلُّ وادٍ به موسى يُفجّره وكلُّ رَوْضٍ على حافاته الخضرُ
وقوله :

وذي هَيْبٍ راقٍ العيونَ اثناؤه بقدرِ كريّانٍ من البانِ مُورِقِ
كتبْتُ إليّه : هل تجودُ بزورةٍ ؟ فوقَّعَ « لا » خوفَ الرقيبِ المصلِقِ
فأيقنتُ من « لا » بالعناقِ تفاؤلاً كما اعتنقتُ « لا » ثم لم تتفرّقِ

وهذا أحسن من قول ذي القرنين ابن حمدان^١ :

إنّي لأحسد « لا » في أحرفِ الصحفِ إذا رأيتُ اعتناقَ اللامِ للألفِ
وما أظنّهما طال - اجتماعهما - إلّا لما لقيّا من لوعةِ الأسفِ
وأحسن من هذا قول القيسراني :

أستشعرُ اليأسَ في « لا » ثم يُطمعني إشارةً في اعتناقِ اللامِ للألفِ

وكانت وفاة أبي الحسن المذكور في ربيع الأول سنة ٦٥٥ ، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى ، والأبيات التي أولها « القُضْبُ راقصة » . . الخ نسبها له اليوناني وغير واحد ، والصواب أنها ليست له ، وإنما هي لنور الدين ابن سعيد صاحب المغرب ، وقد تقدم ذكره ، ولعل السهو سرى من تشارك الاسم واللقب والقطر ، ومثل هذا كثير ما يقع ، والله تعالى أعلم .

٣٥٥ - ومن الراحلين من أهل الأندلس إلى المشرق ابن عتبة الإشبيلي ،

١ انظر اليتيمة ١ : ١٠٦ .

وكان فارق إشبيلية حين تولاهما ابن هود ، واضطربت بفتنته الأندلس ناراً ،
ولما قدم بمصر هارباً من تلك الأحوال تغيرت عليه البلاد ، وتعدّلت به الأحوال ،
فلما سئل عن حاله ، بعد بعده عن أرضه وتراحاله ، بادر وأنشد^١ :

أصبحتُ في مصر مُستَضاماً أرقصُ في دولة القروءِ
واضيعةَ العمرِ في أخيرِ معَ النصارى أو اليهودِ
بالحدِّ رزقُ الأنامِ فيهم لا بنواتٍ ولا جدودِ
لا تبصر الدهر منْ يُراعي معنى قصيدٍ ولا قصودِ
أودُّ من لؤمهم رجوعاً للغرب في دولة ابن هودِ

وتذكرت بقوله « أرقص في دولة القروء » ما وقع لأبي القاسم ابن القطان ،
وهو ممّا يُستظرف ويُستظرف ، وذلك أنّه لما ولي الوزارة الزينبيّ دخل عليه
أبو القاسم المذكور والمجلس حافل بالرؤساء والأعيان ، فوقف بين يديه ودعا
له ، وأظهر الفرح والسرور ، ورقص ، فقال الوزير لبعض من يُفضي إليه
بسرّه : قبح الله هذا الشيخ ، فإنّه يشير برقصه إلى قول الشاعر :

وأرقص للقرء في دولته

٣٥١ - ومن المرتحلين أبو عبد الله ابن جابر محمد بن جابر الضرير^٢ ، من
أهل المرية ، ويُعرف بشمس الدين بن جابر الضرير ، وله ترجمة في الإحاطة
ذكرناها مع زيادة عليها عند تعرضنا لأولاد لسان الدين ابن الخطيب ، رحمه الله
تعالى ، ورحل إلى المشرق ودخل مصر والشام واستوطن حلب ، وهو صاحب
البديعية المعروفة ببديعية العميان ، وله أمداح نبوية كثيرة وتوالمف : منها « شرح
ألفية ابن مالك » وغير ذلك ، وله ديوان شعر وأمداح نبوية في غاية الإجادة ،
ومن نظمه رحمه الله تعالى مؤروباً بأسماء الكتب :

١ الأبيات في اختصار القلح : ١٦٤ ومعها ترجمته وانظر المغرب ١ : ٢٥٨ .

٢ قد مرّت الإشارة إلى ابن جابر الهواري الضرير ، ترجمته ، ج ١ : ٣٨ .

عرائسُ مدحي كم أتيتَ لغيره فلما رأتهُ قلن هذا من الأكفأ
نوادِرُ آدابي ذخيرة ماجدٍ شمائلُكم فيهن من نُكَّتْ تُلْفَى
مطالعُها هنَّ المشارقُ للعلا قلائد قد راقَت جواهرها رَصفا
رسالةُ مدحي فيك واضحةٌ ، ولي مسالكُ تهذيبٍ لتنبيه مَنْ أغفى
فيا منتهى سؤلي ومحصولَ غايي لأنتَ امرؤٌ من حاصلِ المجد مستصفي

وقد اشتملت هذه الأبيات الخمسة على التورية بعشرين كتاباً ، وهي :
العرائس للتعالي ، والنوادر للقالبي وغيره ، والذخيرة لابن بسام وغيره ،
والشمائل للترمذي ، والنكت لعبد الحق الصقلي وغيره ، والمطالع لابن قرقول
وغيره ، والمشارق للقاضي عياض وغيره ، والقلائد لابن خاقان وغيره ،
و « رصف المباني في حروف المعاني » للأستاذ ابن عبد النور ، وهو كتاب
لم يصنف في فنه مثله ، والرسالة لابن أبي زيد وغيره ، والواضحة لابن حبيب ،
والمسالك للبكري وغيره ، والجواهر لابن شاس وغيره ، و « التهذيب في اختصار
الملونة » وغيره ، و « التنبيه » لأبي إسحاق وغيره ، و « منتهى السؤل » لابن
الحاجب ، و « المحصول » للإمام الرازي ، و « الغاية » للنووي وغيره^١ ،
و « الحاصل » مختصر المحصول ، و « المستصفي » للغزالي . وما أحسن قول الحكيم
موفق الدين :

لله أيا منّا والشملُ منتظمٌ نظماً به خاطرُ التفريقِ ما شعراً
والهفّ نفسي على عيشٍ ظفرتُ به قطعْتُ مجموعةُ المختارِ مختصراً

وهذه ثلاثة كتب مشهورة : المختار ، والمجموع ، والمختصر ، وأحسن
منه قول الآخر :

عن حالي يا نورَ عيني لا تسَلْ تَرَكُ الجوابِ جوابُ تلك المسألة

١ وغيره : سقطت من ق .

حالي إذا حدثت لا لمأ ولا جملاً لإيضاحي بها من تكمله
عندي جوى يتدرّ الفصيح ميلداً فأترك مفصّله ودونك مجمله
القلب ليس من الصباح فيرنجى لإصلاحه ، والعين سحِبْ مثقله
وقد أوردنا في ترجمة أبي عبد الله ابن جرّي الكاتب^١ الأندلسي جملة
مستكثرة في التورية بأسماء الكتب فلتراجع ثمة .
رجع إلى الشمس بن جابر ، فنقول : ومن نظمه رحمه الله تعالى تميمه
للأبيات المشهورة :

لم يبقَ في اضطبارُ
مد خلّفتوني وساروا
وللحييب أشاروا
جار الكرام فجاروا
لله ذاك الأوارُ
بانوا فما الدارُ دارُ

يا بدرُ أهلك جاروا وعلموك التجري

كانوا من الردّ أهلي
ما عاملوني بعدلٍ
أصمّوا فؤادي بنبلٍ
يا بينُ بينت ثكلي
يا روح قلبي قل لي
أهمّ دعوك لقتلي

وحرموا لك وصلي وحلّوا لك هجري

١ الكاتب : سقطت من ق .

حسي وماذا عنادُ
هُمُ المُنَى والمرادُ
وإن عن الحقِّ حادُوا
أو جامتلوني وجادوا
يا من به الكلُّ سادوا
والكلُّ عندي سدادُ

فَلْيَفْعَلُوا ما أرادوا فَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرِ

وتذكرت بهذا قول أبي البركات أيمن^١ بن محمد السعدي رحمه الله تعالى :

للعاشقين انكسارُ وذلّةٌ وافتقارُ
وللملاح افتخارُ وعزّةٌ واقتدارُ
وأهلُ بدري أشاروا وودعوني وساروا
يا بَدْرُ - إلخ .

كتبْتُ والوصلُ يُملي جلدَ الهوى بعد هزلِ
وحارَ ذهني وعقلي ما بينَ بدري وأهلي
يا بَدْرُ فاحكمْ بعذلِ إذا أتوكْ بعذلِ

وحَرَّمُوا - إلخ .

لولا هوائكَ المرادُ ما كنتُ ممن يُصادُ
ولا شجائي البعادُ يا بدرُ أهْلُكَ جادوا
غَلِطْتُ جاروا وزادوا لكنّهم بكَ سادوا

انتهى

فليفعلوا - إلخ .

١ أيمن : سقطت من ق .

رجع إلى ابن جابر ، فنقول :

توفني رحمه الله تعالى في البيرة في جمادى الآخرة سنة ٧٨٠ ، ومن نظمه
قوله :

يا أهل طيبة في مغناكم قمر يهدي إلى كل محمود من الطرقي
كالغيث في كرم ، والليث في حرم والبدر في أفق ، والزهر في خلق
وله :

ولما وقفنا كي نودع من نأى ولم يبق إلا أن تحث الركائب
بكينا وحق للمحب إذا بكى عشة سارت عن حماء الحباب
وقال :

أما معاني المعاني فهي قد جمعت في ذاته قيدت نارا على علم
كالبدر في شيم ، والبحر في ديم والزهر في نعم ، والدمر في نعم
وقال :

ضحكت فقلت كأن جيدك قد غدا يهدي للترك من جواهر عقده
وكان ورد الخلد منك بمائه قد شاب عذب لماك حالة ورده
وقال^١ :

منعتا قيرى الجمال وقالت : ليس في غير زادنا من مجال
فأقمنا على الرحال وقلنا ما لنا حاجة بحطة الرحال

١ ق : وقوله .

وقال :

عَدَبَ قَلْبِي رَشَاءُ نَاعِمٍ أَسْهَرَ جَفْنِي طَرْفُهُ النَّاعِسُ
يَحْرُسُ بِاللَّحْظِ جَنَى خَدِّهِ يَا لَيْتَهُ لَوْ غَفَلَ الْحَارِسُ

وله :

وَأَيْتَ رَبِّعَهُمْ وَقَدْ بَعُدَ الْمَدَى وَنَأَى الْفَرِيقُ مِنَ الدِّيَارِ وَسَارَا
مَا كَدْتُ أَعْرِفُ بَعْدَ طَوْلِ تَأْمُلٍ دَاراً بِهَا طَافَ السَّرُورُ وَدَارَا

وله :

وَلَسْتُ أَرَى الرِّجَالَ سِوَى أَنْاسٍ هُمُومُهُمْ مُوَافَاةُ الرِّجَالِ
أَطَالُوا فِي النَّدَى إِهْلَاكَ مَالٍ فَعَاشُوا فِي الْأَنَامِ ذَوِي كَمَالٍ

وقال :

أَيُّهَا الْمُتَنَهِمُونَ نَفْسِي فِدَاكُمْ أَنْجِدُونِي عَلَى الْوُصُولِ لِنَجْدٍ
وَقِفُوا بِي عَلَى مَنَازِلِ لَيْلِي فَوْجُودِي هُنَاكَ يُذْهِبُ وَجْدِي

وما كتبه على كتاب « نسيم الصَّبَا » لابن حبيب ، وصورته : لما وقفت
على الفصول الموسومة بنسيم الصَّبَا ، المرسومة في صفحات الحسن فإذا أبصرها
اللييب صَبَا ، انتعش بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام ، وهمت سحائب بيانها
فأثمرت حداثق الكلام ، وأخرجت أرضُ القرائح ما فيها من النبات ، وسمعت
الآذان صخبية الأذهان بهذه الأبيات :

هَذِي فُصُولُ الرِّبْعِ فِي الزَّمَنِ كَمْ حَسَنٍ أَسْتَدْتُ إِلَى حَسَنِ

رَقَّتْ وراقَتْ فمن شمائلها
 كم مُلَحٍّ قد حوتْ وكم لمح
 كم فيه من نُفَسَتْ ومن نُكَّتْ
 جَمَعٌ عدنا له النَظيرَ فلا
 يا خَيْرَ أَهْلِ العِلا وبَحْرَهُمْ
 بَدْرُكَ في مَطَلع الفضائل لا
 هذي الفصولُ التي آتيت بها
 كم فنٌ معنَى بها يذكرك في
 فمن نسيبٍ مع النسيم جرى
 وحُسنٍ سجعٍ كالزهر في أفق
 له مَعانٍ أَعيت مداركها
 لا زال راقٍ للمجدِ راقمها

بمثلِ صَرَفِ الشَّمولِ تُتَحَفِّي
 يُعْجِبُنِي لَمَظُّهَا وَيَعْجِزُنِي
 أَشْهَلُنِي حُسْنُهَا فَأَدْهَشُنِي
 يُصَرِّفُ عَن خَاطِرِي وَلَا أَذُنِ
 أَيُّ بَدِيعِ الكَلَامِ لَمْ تُرْفِي
 يَكُونُ مِثْلُ لَه وَلَمْ يَكُنْ
 قَدْ أَفْحَمْتُ كُلَّ نَاطِقٍ لَسِنْ
 شَجَوِي لَشَدُو الحَمَامِ فِي قَتَنِ
 لُطْفًا فَأَزْرِي بِالْجَوْهَرِ الثَمَنِ
 وَالزَّهْرِ فِي نَاعِمٍ مِنَ النُّصَنِ
 كُلُّ مُعَانٍ بَنِيْلُهُنَّ عُنِي
 ذَا سَنِي حَازَ أَحْسَنَ السَّنِي

فصول ، هي للعُسن أصول ، وشَمول ، لها على كل القلوب شَمول ، ليس
 لُقْدَامَةُ على التقدّم إليها حُصول ، ولا لَسَحْبَان لأن يسحب ذيلها وُصول ،
 ولا انتهى قسّ الإيادي لهذه الأيادي ، ولا ظفر بديع الزمان بهذه البدائع
 الحِسان ، لقد قصّر فيها حبيب عن ابنه ، وحار بين لطافة فضله وفضل ذهنه ،
 نزهت في طرف خمائلها ، ونبتت بلطف شمائلها ، تالله إنَّها لسحر حلال ،
 وخلال ما مثلها خلال ، كلام كلّه كمال ، ومجال لا يرى فيه إلا جمال ،
 راقم بردها ، وناظم عقدها ، في كل فصل ، جاء بكمال فضل ، وفي كل
 معنى ، عَمَّرَ بالبراعة مَعْنَى ، أعرب فأعرب ، وأوجز فأعجز ، وأطال
 فأطاب ، وأجاد حين أجاب ، فما أنفس فرائده ، وأنفع فوائده ، وأفصح
 مقالته ، وأفسح مجاله ، وأطوع للنظم طباعه ، وأطول في النثر باعه ، أزهـر
 نبئت في كتاب ، وجواهر تكوّنت من ألفاظ عذاب ، ومواهب لا تُدرك

بيد اكتساب ، فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب ، فصول أحلى في الأفواه من الشَّهْد ، وأشهى إلى النواظر من النوم بعد السَّهْد ، سكب أدبها في قالب النكت الحسان ، وذهب بمحامد عبد الحميد ومحاسن حَسَّان ، فما أحقها أن تسمى فصول الربيع ، وأصول البديع ، لا زال حُسْنُهَا يملأ الأوراق بما راق ، ويزين الآفاق بما فاق ، ولا برحت حدائق براعته نزهة للأحداق ، وحقائق بلاغته في جيد الإجازة بمنزلة الأطواق ، بمنَّ الله تعالى وكرمه ، انتهى .

وحيث جرى ذكر كتاب « نسيم الصَّبا » فلا بأس أن نذكر تقارير العلماء له ، فمن ذلك قول القاضي شرف الدين بن ريان : وقفت على هذا الكتاب الذي أبدع فيه مؤلفه ، ونظم فيه الجواهر النفيسة مُصَنَّفَه ، وأينعت حدائق أدبه فدنا ثمرها لمن يقطّفه ، وعرفت مقدار ما فيه من الإنشاء وأين مَنْ يعرفه ، فوجدته اللطف من اسمه ، وأحسن من الدرر في نظمه ، وأطيب من الورْد عند شمه ، هبَّتْ على رياض فصوله نسيمُ صباها ، ففاقت الأزهار في رُباها ، وتشوقت قلوب الأدباء إلى انتشاق شذآها وطيب رباها ، وفاضت عليه أنوار البدر فأغنى سنّاها ، عن الشمس وضحاها ، وتمحلت نحور البلغاء من كلامه بالدُر اليتيم ، ومن معانيه بالعقد التنظيم ، وترنحت أُنّان فنون الفصاحة لما هبَّ عليها ذلك النسيم ، كل فصل له في الفضل أسلوب على بابه ، وطريق انفرد به مُنْشِئُه محاسن لا توجد إلّا في كتابه ، صدرَ هذا الكتاب عن علم سابق ، وفكر ثاقب وذهن رائق ونفّس صادق ، وروية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق ، وقرينة إذا ذُقت جنتاها ، وشمّت سنّاها ، تذكّرت ما بين العُدَيْب وبارق ، فالله تعالى يبقي مصنفه قبلة لأهل الأدب وبديعه ، ويبلغه من سعادة الدنيا والآخرة ما يرومه ، بمنّته وكرمه ، انتهى .

وقرظ عليه بعضهم بقوله : وقف المملوك سليمان بن داود المصري على فصول الحكم من هذه الفصول ، ووجدَ من نسيم الصَّبا أمارات القبول ، ونزّه طرّفه في رياض هذا الكتاب ، وخاطب فكره العقيم في وصفه فعجز عن

رد الجواب :

ماذا أقولُ وكلُّ وصفٍ دونهُ أين الحضيض من السّمك الأعزلِ

يا لها كلمات نقصت قدر الأفاضل ، وفضحت فصحاء الأوائل ، وسحبت
ذيل الفصاحة على سحّبان وائل ، وزادت في البلاغة على فريد ، وغيرت حال
القدماء فما عبد الرحيم الفاضل وما عبد الحميد^١ ، وذلت لها تشبيهات ابن
المعتر طوعاً ، وملكت زمام البيان فما تركت للبديع منه نوعاً :

قَطَفَ الرجالُ القولَ حينَ نَبَاتِهِ وقطفتَ أنت القولَ لما نَوَّرَا

وخطاب أعجز الخطباء وَصَفُهُ ، وجواب ألغى البلغاء رَصِفُهُ ، وغرائب
تعرّفت بمبديها ، وشوارد تألفت بمهديها ، وجنان بلاغة لم يَطْمِثْ أبكارها
لأنس^٢ قبلك ولا جان^٣ ، ولم يقطف أزهارها عين ناظر ولا يدُ جانٍ ، معان تطرب
السمع لها حكم وأحكام ، وألفاظ هي الأرواح للأرواح أجسام ، فلما ألقى
فهمه عروة المتماسك ، وضائق عليه في وصفه المسالك ، وعجز عن وصف
بلوغ بلاغته ، عطف على حُسْن كتابته ، فرأى خطأ يسبي الطرف ، ويستغرق
الطرف ، نَسَجَ^١ قلمه الكريم من وشي البلاغة ديباجاً ، واتخذ من محاسن
الحسان طريقاً ومنهاجاً ، فألقى ألفاظ كاعتدال القدود ، ونونات كأهليّة
السعود ، وسينات كالطرر ، ونقطاً كالدرر ، جعل للأقلام حُجّة قاطعة على
السيوف ، وحلّى الأسماع بحلية زائدة على الشنوف ، فعطف ساعة يُطْنَب^٢
في دعائه وشكره ، وآوثة يميل من طَرَبه بألفاظه وسكره ، فليله درّ ألفاظك
ودرر فضلك ، وأحسن بوابلك الماثل بالبيان وطلّك :

١ ق ودوزي : ولا عبد الحميد .

٢ ق ودوزي : نسخ .

٣ ق ودوزي : يطيب .

لسانك غَوَاصٌ ، ولفظك جَوَهَرٌ وصدرك بحرٌ بالفضائلِ زاهرٌ
والله المسؤول أن يرفع قدر مقالك ومقام قدرك ، ويوضح منهاج الأدب بنور
بدرك بمنه وكرمه ، إنّه على كل شيء قدير .
وكتب قاضي القضاة تاج الدين السبكي ، رحمه الله تعالى ، في تقرير الكتاب
المذكور ما نصّه : الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم ، حدثت نحو الحداثق ، وفوّقت سَهْمِي تلقاء الغَرَضِ الشائق ، وطرقت
إلى ما يضيء أخا الحجى أسهل الطرائق ، فما عََلَلَ صَدَاي كنسيم الصَّبَا ،
ولا كُثِلَه سَهْمًا صائبًا صابه من لا صبا ، ولا نظرت نظيره حديقة تنبت فضة
وذها :

وتجيء من مُلَحِ الكلا م بطارفٍ أو تالده
كلمٌ نوابغٌ نحو آ فاقِ المطالعِ صاعده
لو رامها قسٌ لما ألفى أباه ساعده
أبدى نتائج عِيّه في ذي المعاني الشارده

فعين الله تعالى عليها كلمات عليها منه رقيب ، ومحاسن تسلي عندها بالحسن
حبيب ، وفوائد حسان يذكرونا بها حسان البعيد حسن القريب^١ ، كتبه
عبد الوهاب السبكي ، انتهى .

وكتب ناصر الدين صاحب دواوين الإنشاء ما صورته : وقفت على هذا الكتاب
الذي أشبه الدرّ في انتظامه ، والثغر في ابتسامه ، وقطر الندى في انسجامه ،
وزهر الروض في البُكر إذا غنت على غصونه مطربات حمامه ، فوجدت
بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبع مؤلفه السليم ، واتصالاً قريباً كاتصال
الصديق الحميم ، فتحققت أن مؤلفه - أبقاه الله تعالى وحرسه - أبدع في

١ وفوائد . . . القريب : سقط من ق .

تأليفه ، وأصاب في تمييزه بهذا الاسم وتعريفه ، فهو في اللطافة كالماء في إروائه ،
وكالهواء المعتدل في ملاءمة الأرواح بجوهر صفائه ، وكالسلك إذا انتقى جوهره
وأجيد في انتقائه ، قد أينعت ثمرات فضائله فأصبحت دانية القطوف ، وتجلت
عرائس بلاغته فظهر بدرها بلا كسوف ، وانجابت ظلمات الهموم بسماع
موصول مقاطعه التي هي في الحقيقة لأذن الجوزاء شنوف ، فأكرم به من كتاب
ما الروض بأهوى من وسيمه ، ولا الریحان بأعطر من شميمه ، ولا المدامة
بأرق من هبوب نسيمه ، ولا الدر بأسنى زهراً بل زهواً من رؤومه ، إذا تدبره
الأديب أغنته تلك الأفانين ، عن نغمات القوانين ، وإذا تأملته الأريب نزه
طرفه في رياض البساتين ، قد سُوّر على كل نوع من البديع باب ، لا يدخله
إلا من خُص من البلاغة باللباب ، والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب ،
ويمتّع بفضائله التي شهدها أهل العلم وذوو الألباب ، بمنّه وكرمه ، وكتبه محمد
ابن يعقوب الشافعي .

وكتب الصفدي شارح لامية العجم بما نصّه : وقفت على هذا المصنّف
الموسوم بنسيم الصبّا ، والتأليف الذي لو مرّ بالمجنون لما ألف ليلاه ولا مال إليها
ولا صبّا ، والإنشاء الذي إن شاء قائله جعل الكلام غيره في هبّات الهواء هبّا ،
والنثر الذي أغار قائله على سبائك الذهب الإبريز وسبّي ، والكلام الذي نبأ
عنه الجاحظ جاحداً وما له ذكر ولا نبأ ، فسبّحت جواهر حروفه لمن أوجده
في هذا العصر ، وعلمت أن ألفاظه ترمي قلوب حساده بِشَرَرٍ كالقصر ،
وتحققت أن قعقة طروسه أصوات أعلامه التي تتخفق له بالنصر ، وتيقنت
أن سطور غصون لا تصل إليها كف جناية بجنتي ولا هصر :

وقلت لأهل النظم والنثر قابلوا « ترائبها مصقولة كالسجنجل »
وميلوا بأعطاف التعجب إنها « نسيم الصبّا جاءت برياً القرنفل »
ولما ملت بعدما ثملت ، وغزلت بعدما هزلت ، جردت من نفسي شخصاً

أخاطبه وأجاره ، في أوصاف محاسنها التي أنابها منها وأناهيه ، فقال لي : هذا الفن الفذ ، والنثر الذي قهر أقران هذه الصناعة وبذ ، والأدب الذي سد الطرق على أوابده فما فاتته شيء ولا شذ ، وهذا الإنشاء الذي ما له عديل في هذا العديده ولا ضريب ، وهذا الكلام الذي فاق في الآفاق فما لحبيب بن أوس حُسنُ حُسن بن حبيب ، فعين الله تعالى على هذه الكلم الساحرة ، والفوائد التي أبقت جفن الأدب بعدما كان بالساهرة ، ومتع الله تعالى الزمان وأهله بهذا النوع الغض ، والنقد النض ، والبز البض ، والبديع الذي رَمَّ ما تشعث من ريع هذا الفن ورض ، واقتض المعاني أبكاره واقتض ، وأرسل جارج بلاغته على الجوارح فصاها وانقص وانقض ، وأنبط ماء الفصاحة لما تحدر وارقتض ، واستمال القلب اللفظ لما فك ختم ذهوله وفص ، إنّه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير ، بمنه وكرمه ، وكتبه خليل الصفدي ، انتهى .

٣٠٢ - ومنهم الأديب أبو جعفر الإلييري^١ ، رفيق ابن جابر السابق الذكر ، وهو البصير وابن جابر الأعمى ، وله نظم بديع منه قوله :

أبدت لي الصدغ على خدّها فأطلع الليل لنا صُبْحَهُ
فخذّها مع قدّها قائلٌ « هذا شقيق عارض رَحَهُ »
وقوله وقد دخل حمص :

حمص لمن أضحى بها جنّة يدنو لديها الأملُ القاصي
حلّ بها العاصي ألا فاعجبوا من جنّة حلّ بها العاصي
وقوله :

إنّ بَيْنَ الحبيب عندي موتٌ وبه قد حييت منذ زمانٍ

١ وأردت الإشارة إلى أبي جعفر الإلييري الرميبي ومصادر ترجمته في النفع ج ١ : ص ٤٤ .

لَيْتَ شعري متى تشاهده العَيَّ ن وتقضي من اللقاء الأمانى

قال : وفيه استخدام ، لأن البين يطلق على البعد والقرب ، انتهى .

ومن نظمه أيضاً رحمه الله تعالى :

وَمُورِدِ الْوَجَنَاتِ دَبَّ عِذارُهُ فَكَأَنَّهُ خَطٌّ عَلَى قِرطاسٍ
لَمَّا رَأَيْتُ عِذارَهُ مُستعجلاً قد رام يخفي الورد منه بآسٍ
ناديته قف كي أودعَ وردَه « ما في وقوفك ساعة من باس »

وهذا المعنى قد تبارى فيه الشعراء وتسبقوا في مضماره ، فمنهم من جلتى
وبرز ، وحاز خصل السبق وأحرز ، ومنهم من كان مُصَلِّياً ، ومنهم من غدا
بلعيد الإحسان مُحَلِّياً ، ومنهم من عاد قبل الغاية مولئياً .

رجع - ومن تأليفه رحمه الله تعالى شرحه لبديعية رفيقه ابن جابر المذكور .

وقال في خطبته : ولما كانت القصيدة المنظومة في علم البديع المسماة
« بالحلة السيرا في مدح خير الورى » التي أنشأها صاحبنا الإمام العلامة شمس
الدين أبو عبد الله ابن جابر الأندلسي ، نادرة في فنها ، فريدة في حسنها ،
يُجْنى ثمر البلاغة من غصنها ، وتنهل سواكب الإجادة من مُزْنِها ، لم يُنسج على
منوالها ، ولا سمحت قريحة بمثالها ، رأيت أن أضع لها شرحاً يحلو عرائس معانيها
لمعانيها ، ويبيدي غرائب ما فيها لموافيها ، لا أُمِلُّ الناظر فيه بالتطويل ، ولا
أعوقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل ، فخير الأمور أوسطها ، والغرض
ما يقرب المقاصد ويضبطها ، فأعرب من ألفاظها كل خفي ، وأسكت من لغاتها
عن كل جلي ، والله أسأل أن يبلغنا ما قصدناه ، ويوردنا أحسن الموارد فيما
أردناه ، انتهى . وسمى الشرح المذكور « طراز الحلة وشفاء الغلة » ، ومما
أورده رحمه الله تعالى في ذلك الشرح من نظم نفسه قوله :

طَيِّبَةُ ما أَطْيَبُها مَترلاً سَقَى ثَراها المَطرُ الصَيِّبُ
طابَتْ بَمن حَلٍّ بأَرجائِها فَالترَبُّ مَناها عَنبرٌ طَيِّبٌ
يا طَيِّبَ عِشِي عَندَ ذَكري لَها وَالعِشُّ في ذاك الحَما أَطيبُ

وَقال رَحِمَهِ اللهُ تَعالَى في هَذا الشَرح بَعد كَلام ما نَصَّه : وإِذا أَرَدت أن تَنظر
إلى تَفاوت دَرجات الكَلام في هَذا المَقام فَانظر إلى إِسحاق الموصِلي كَيف
جاء إلى قَصر مَشيد ، ومَحلَّ سرور جَديد ، فَخاطِبُه بِما يَخاطِبُ بِهِ الطُلول البالِية ،
والمَنازل الدارِسة الحالِية ، فَقال :

يا دارُ غَيرَكَ البَلي ومَحاكَ

فأَحزَن في مَوضع السَروُر ، وأَجري كَلامه على عَكس الأَمر ، وانظر إلى
قَول القَطامي :

إنا مَحيوُكَ فاسَلَم أَيَّها الطَلُّ وإن بَلِيتَ وإن طالَتْ بِكَ الطَيِّلُ

فانظر كَيف جاء إلى طَلَّلَ بالِ ، ورَسم خالٍ ، فأَحسَن حينَ حَيَّاه ، ودعا لَه
بالسَلامَة كالمِبتَهج بِرَؤية مُحَيَّاه ، فلم يَذكر دَروس الطَلُّ وبَلاه ، حَتى آنَسَ
المَسامع بأَوفى التَحية وأَزكى السَلامَة ، والذي فَتَح هَذا الباب ، وأَطنبَ فيهِ غايَة
الإِطناب ، صاحِبُ اللَواء ، ومَقدَمُ الشَعراء ، حيث قال :

أَلا عِمْ صَباحاً أَيَّها الطَلُّ البالي وَهل يَعمِنُ من كانَ في العُصُر الخالي
وَهَلْ يَعمِنُ إِلا سَعيدٌ مَخلَّدٌ قَليلُ المَومِ ما يَبيتُ بأَوجالِ

قيل : وَهَذا البَيت الأَخير يَحسن أن يَكونَ من أَوصاف الجَنَّة ، لأنَّ السَعادة
والخُلود وقلة المَوم والأَوجال لا تَوجد إِلاَّ في الجَنَّة ، انتَهِى .
وقال رَحِمَهِ اللهُ تَعالَى عَند رَحيلِهِ من غَمرَناطَة وأَعلام نَجد تَلوح ، وحَمايمه
تَشُدو على الأَيك وتَنوح :

ولما وقفنا للوداع وقد بدت قبابٌ بنجدٍ قد علّت ذلك الوادي
نظرتُ فألفيتُ السبيكةَ فضةً لحسن بياض الزهر في ذلك النادي
فلما كستتها الشمسُ عادَ لُجَيْنُها لها ذهباً فاعجب لإكسیرها البادي

والسبيكة : موضع خارج غرناطة .

وقال رحمه الله :

هذه عشرةٌ تنقّضتُ وعندي من أليم البعادِ شوقٌ شديدُ
وإذا ما رأيتَ إطفاءَ شوقي بالتلاقي فذاك رأيٌ سديدُ

وقال رحمه الله تعالى وقد أهدى طاقية :

خذها إليك هديةً ممّن يعزُّ على أناسِكُ
اخترتها لكَ عندما أضحت هدية كلِّ ناسِكُ
أرسلتها طاقيةً لتتوبَ عن تقبيلِ راسِكُ

وله من رسالة : وافى كتابك فوجدناه أزهى من الأزهار ، وأبهى من
حسن الحجاب على الأنهار ، يشرق لإشراق نجوم السماء ، ويسمو إلى الأسماع
سموً حجاب الماء .

وقال رحمه الله تعالى في العروض على مذهب الخليل :

خلّ الأنامَ ولا تخالطُ منهمُ أحداً ولو أصفى إليك ضمائرهُ
إنّ الموفّقَ من يكونُ كأنّه متقاربٌ فهو الوحيدُ بدائرةٍ

وقال على مذهب الأخفش :

إنّ الخلاصَ من الأنامِ لراحةٍ لكنّه ما نالَ ذلك سالِكُ
أضحى بدائرةٍ له متقاربٍ يرجو الخلاصَ فعاقه متداركُ

وله :

دائرةُ الحبِّ قد تناهت فما لها في الهوى مزيدُ
فبحرُ شوقي بها طويلٌ وبحر دُمعي بها مديد
، إنَّ وِجدي بها بسيطٌ فليفعلِ الحسنُ ما يريد

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيراً ، ومنهم الشيخ شهاب الدين بن صارو البعلي . قال أبو جعفر المترجم به : أنشدنا شهاب الدين المذكور لنفسه بحماسة :

وبني عروضيٌ سريعُ الخفا يغار غصنُ البانِ من عطفيه
الوردُ مِنُ وجنته وافرٌ لكنَّه يَمْتَنِعُ من قطفه

قال : وأنشدنا أيضاً لنفسه :

وبني عروضيٌ سريعُ الخفا وِجدي به مِثْلُ جفاه طويلُ
قلتُ له قَطَعْتَ قلبي أسَى فقال لي التقطِعي دأبُ الخليل

انتهى .

وأنشد رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر الضرير السابق الترجمة في ذلك :

إن صددٌ عني فإني لا أعاتبه فما التنافر في الغزلان تنقيصُ
شوقي مديدٌ وحيي كاملٌ أبداً لأجل ذلك قلبي فيه موقوفٌ

وأنشد له أيضاً في ذلك :

عالمٌ بالعروض يخبينُ قلبي في مديدِ الهوى بلحظٍ سريع
عنده وافرٌ من الردِّف يبدو وخفيفٌ من خصره المقطوع

وله :

صدوده لي مديدٌ وأمرٌ حبيّ طويلٌ
وفيه أسبابٌ حُسنٍ وتلك عندي الأصولُ
فخصره لي خفيفٌ وردفه لي ثقیلٌ

وله :

سببٌ خفيفٌ خَصَرُها ، ووراءه من ردفها سببٌ ثَقِيلٌ ظاهرٌ
لم يُجمعِ النوعانِ في تركيبها إلاّ لأنّ الحسَنَ فيها وافرٌ

وقد ذكر أبو جعفر - رحمه الله تعالى - لرفيقه ابن جابر السابق الذكر
مقطوعات كثيرة ، منها قوله :

يا أيها الحادي اسقني كأس السُرَى نحوَ الحبيب ومهجتي للساقِ
حيّ العراقَ على النوى واحملْ إلى أهلِ الحِجازِ رسائلَ العُشاقِ
يا حُسَنَ الحانِ الحُداة إذا جَرَّتْ نَعَمَاتُها بِمَسامعِ المُشتاقِ

وأورد له أيضاً ١ :

يا حُسَنَ ليلتنا التي قدّ زارني فيها فأُنجز ما مضى مِن وعْدِهِ
قَوِّمْتُ شَمْسَ جِماله فوجدتها في عَقْرَبِ الصُّدُغِ الذي في خَدِّهِ

رجع إلى أبي جعفر - رحمه الله تعالى - ومن فوائده أنّه لما ذكر قدّ لكّة
الحساب قال : هي التي يصنعها أهل الحساب آخر جملهم المتقدمة فيقولون :
فذلك كذا وكذا ، انتهى .

١ أيضاً : سقطت من ق .

ولما أنشد رحمه الله تعالى قول بعضهم :

غزالٌ قد غزا قلبي بالحاظِ وأحداقِ
لهُ الثلثان من قلبي وثلثا ثلثه الباقي
وثلثا ثلث ما يبقى وباقي الثلث للساقِ
وتبقى أسهمٌ ستُّ تُقسَمُ بينَ عشاقِ

قال ما نصّه : هذا الشاعر قسم قلبه إلى ٨١ سهماً ، فجعل لمحبوبه منها الثلثين ٥٤ ، وبقي الثلث ٢٧ ، فزاده ثلثيه ١٨ ، فصار له ٧٢ ، يبقى ثلث الثلث وهو ٩ ، زاده منها ثلثي ثلثها ، وهو اثنان ، وبقي من الثلث واحد أعطاه للساق ، فبقي من التسعة ستة ، قسمها بين العشاق ، فاجتمع لمحبوبه ٧٤ ، وللساق سهم واحد ، وللعشاق ستة ، والجملة ٨١ ، انتهى .

وأنشد رحمه الله تعالى في علم الحساب لرفيقه ابن جابر السابق الذكر :

قسَمَ القلبَ في الغرامِ بلحظٍ يضربُ القلبَ حين يرسلُ سهمه
هذه في هواه يا قومُ حالي ضاع قلبي ما بين ضربٍ وقسمه
وأنشد له في الهندسة :

مُحيطٌ بأشكالِ الملاحة وجهه كأنَّ به إقليدساً يتحدث
فعارضُهُ خطُّ استواء ، وخاله به نقطة ، والشكل شكلٌ مثلث
وأنشد له في خط الرمل :

فوق خدّيه للعذارِ طريقٌ قد بدا تحته بياضٌ وحُمْرَةٌ
قيل ماذا فقلتُ أشكالُ حُسنٍ تقتضي أن أبيعَ قلبي بنظرة
وأنشد له في علم الخط :

قد حقّق الحسنُ نونَ حاجبه وخطّ في الصّدغِ واوَ ريحانِ

ومَدَّ من حُسْنِ قَدِّهِ أَلِفًا أَوْقَفَ عَيْنِي وَقُوفَ حَيْرَانٍ
وَأَنشَدَ لَهُ أَيْضًا :

أَلِفُ ابْنِ مَقْلَةٍ فِي الْكِتَابِ كَقَدِّهِ وَالنُّونُ مِثْلُ الصُّدْغِ فِي التَّحْسِينِ
وَالْعَيْنُ مِثْلُ الْعَيْنِ لَكِنْ هَذِهِ شَكِلْتُ بِحُسْنِ وَقَاحَةٍ وَبِجَوْنِ
وَعَلَى الْجَبِينِ لَشَعْرُهُ سَيْنٌ بَدَتْ حَارَ ابْنِ مَقْلَةٍ عِنْدَ تِلْكَ السَّيْنِ
قُلْ لِلَّذِي قَدْ خَطَّ تَحْتَ الصُّدْغِ مِنْ خَيْلَانِهِ نُقْطًا بِحُلْبِ فَنُونِ
يَا لِلرَّجَالِ يَا لَهَا مِنْ فَتْنَةٍ فِي وَضْعِ ذَلِكَ النُّقْطِ تَحْتَ النُّونِ
وَأُورِدَ لَهُ فِي ذِكْرِ الْأَقْلَامِ السَّبْعَةِ وَغَيْرِهَا :

تَعْلِيْقُ رِدْفِكَ بِالْخَصْرِ الْخَفِيفِ لَهُ ثُلُثُ الْجَمَالِ وَقَدْ وَفَّقْتُهُ أَجْفَانُ
خَدٌّ عَلَيْهِ رِقَاعُ الرُّوضِ قَدْ جُعِلَتْ فِي حَوَاشِيهِ لِلصُّدْغِ رِيحَانُ
خَطَّ الشَّبَابِ بَطْنُومَارِ الْعَذَارِ بِهِ سَطْرًا فَفَضَّاحُهُ لِلنَّاسِ فِتْنَانُ
عَحَقَّقْ نَسْخَ صَبْرِي عَنْ هَوَاهُ وَمَنْ تَوَقَّعَ مَدْمَعِي الْمَثُورِ بَرَهَانُ
يَا حَسَنَ مَا قَلَّمْتُ الْأَشْعَارَ خَطَّ عَلَى ذَلِكَ الْجَبِينِ فَتَلَا يَسْلُوهُ إِنْسَانُ
أَقْسَمْتُ بِالمَصْحَفِ الشَّامِيِّ وَأَخْرَفَهُ مَا مَرَّ بِالْبَالِ يَوْمًا عَنْكَ سُلُوكَانُ
وَلَا غِبَارَ عَلَى حَبِي فَعَنْدَكَ لِي حِسَابُ شَوْقٍ لَهُ فِي الْقَلْبِ دِيْوَانُ
وَأَنشَدَ لَهُ :

يَا صَاحِبَ الْمَالِ أَلَمْ تَسْتَمِعْ لِقَوْلِهِ ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ﴾
فَاعْمَلْ بِهِ خَيْرًا فَوَاللَّهِ مَا يَبْقَى وَلَا أَنْتَ بِهِ مُخْلَدُ

وَلَهُ :

إِنْ شِئْتَ أَنْ تَجِدَ الْعَدُوَّ وَقَدْ غَدَا لَكَ صَاحِبًا يُؤْوِي الْجَمِيلَ وَيُحْسِنُ
فَاعْمَلْ كَمَا قَالَ الْخَبِيرُ بِخَلْقِهِ فِي قَوْلِهِ ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

وله :

إذا شئت رزقاً بلا حِسْبَةٍ فلذُّ بالتقى واتَّبِعْ سُبُلَهُ
وتصديقُ ذلك في قوله ﴿ومن يتَّقِ اللهَ يجعلْ لَهُ﴾

وأورد له أيضاً^١ :

عملٌ إن لم يوافق نيَّةَ فَهُوَ غَرَسٌ لا يُرى منه ثَمَرٌ
«إنما الأعمال بالنيَّات» قد نصَّه عن سيد الخلق عُمَرُ

وقوله :

الخير في أشياء عن خير الورى وَرَدَّتْ فَأَبْدَتْ كُلَّ نَهْجِ بَيِّنٍ
«دع ما يريبك ، واعملنَّ بنيَّةٍ ، وازهد ولا تغضب وخلقك حسنٍ»

وقوله :

حياء المرء يَزْجِرُهُ فيخشى فحَفَّ من لا يكون لَهُ حياءُ
فقد قال الرسولُ بأنَّ ممَّا به نَطَقَ الكرامُ الأنبياءُ :
«إذا ما أنت لم تستحي فاصنع كما تختارُ وافعل ما تشاء»

وقوله :

قال الرسول «الحياء خير» فاصحَبْ من الناس ذا حياء
وعن قليل الحياء فابعد فخيرهُ ليس ذا رجاء

وقوله :

« من سلم المسلمون كلهم وآمنوا من لسانه ويده »

١ ق : قوله .

فذلك المسلم الحقيق « بهذا جاء حديث لا شك في سنده »

ولابن جابر ممّا كتب به إلى الصلاح الصفدي^١ :

إن البراعة لفظ أنت معناه وكلُّ شيء بديع أنت مَعْنَاهُ
إنشاد نظمك أشهى عند سامعه من نظم غيرك لو إسحاق غَنَّاهُ
وهي طويلة ، فأجابه الصفدي بقوله :

يا فاضلاً كرمتُ فينا سَجَاياه وخصّصنا بالآلي في هداياهُ
خصّصتني بقريض شَفَّ جوهره لما تألّق منه نورُ معناهُ
من كل بيتٍ مَبَانِيهِ مشيدة كم من خبايا معانٍ في زواياهُ
وهي طويلة .

رجع إلى نظم أبي جعفر — فمن ذلك قوله :

تريكَ قدّاً على رِدْفٍ تجاذبه كخُوطَةٍ في كُثيبِ الرملِ قد نبئتُ
ريّاً القرنفل في ريح^٢ الصَّبَا سحرّاً يضُوعُ منها إذا نحوي قد التفتتُ
عقد بهما ألفاظ قول امرئ القيس :

إذا التفتتُ نحوي تضوع ريحها نسيم الصَّبَا جاءت بريّاً القرنفل
وأورد له قوله :

ولولا نَجَاء العيسِ حولَ ديارها غداةَ مِينَى لم يبق في الركبِ مُحْرِمُ
ف فوقَ ذَرَاَ المتنينِ بُردٌ مهلل وتحت رداء الخز وجهٌ مُعَلَّمُ

١ انظر القصيدة وجواب الصفدي عليها في الوافي ونكت الحميان .

٢ ق : ربا .

عقد في الأول قول قيس بن الخطيم^١ :

ديارُ التي كنّا ونحن على منى تحوطُ بنا لولا نَجاء الركائبِ

وعقد في الثاني قول ابن أخي ربيعة :

أماطتُ رداءَ الخَزّ عن حُرٍّ وجهها وأرختُ على المتنين بُرداً مهلاً

وأورد له قوله :

إن ادّعى لك مروانُ الجلالَ فقلْ لا يجهلُ المرءُ بينَ الناسِ رتبتهُ
إن الجلالةَ حقّاً للمقول له « هذا الذي تعرف البطحاء وطأته »

وقوله :

مَنْ مُنْصِفِي يا قومُ من ظبيةٍ تسرف في هجري وتأبى الوصالِ
وكلّما أسأل عن عذرها تقول لي : « ما كلُّ عذرٍ يقال »

وقوله :

همُ حَسَدُوا الرسولَ فلم يَجِيبُوا وكم حَسَدُوا فصار لهم فرارُ
وهاجَرَ عندما هَجَرُوا فأضْحَى لخيمة أمّ معبدٍ الفخارُ

وقوله :

بحسبك أن تبيتَ على رجاء ولو حَطَّتْكَ للأيّاسِ الخطوبُ
ومهما أكربتك صروفُ دهرٍ فقل ما قاله الرجلُ الأريبُ :
« عسى الكرب الذي أمسيتَ فيه يكون وراءه فرجٌ قريبُ »

١ ديوان قيس بن الخطيم : ٣٤ وفيه : تعل بنا .

وقوله :

خليليّ هذا قبر أشرف مرسلٍ « قفا نبك من ذكرى حبيب ومثلٍ »
رويدكما نبكي الذنوب التي خلّت « بسقط الأولى بين الدخول فحومل »
منازل كانت للتصابي فأققرت « لما نسجتّها من جنوب وشمال »

قال : ثم جرى على هذا النمط ، واستخرج الدرر النفيسة من ذلك السقّط ،
وقال قبله : إنّه أخذ أعجاز هذه القصيدة من أولها إلى آخرها على التوالي ، وصنع
لها صدوراً ، وصرفها إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء في ذلك بما لم
يُسبق إليه ، ولم يقف أحد في تلك المعاني على ما وقف عليه ، انتهى .

وقوله :

كم ليالٍ خلّت بكم كاللآلي نظمتمّها لنا يدُ الأزمانِ
أبها النازحون عن رأي عيني وهُمُ في جوانحي وجناني
ما ألدّ الوصال بعد الثنائي وأمرّ الفراق بعد التداي
قدّ وكلناكمُ لربّ كريمٍ غير وانٍ عن عبده في أوانٍ
ما رحلنا عن اختيارٍ ولكن رحلتنا تلونات الزمانِ

وقوله :

تشكي الصفّر من يديه وترضى الـ سمرُ عن راحتيه عند الحروبِ
أحمرّ السيف أخضر السبّ حيث الـ أرضُ غبراء من سوادِ الخطوبِ

وقوله مما التزم في أوله الدال :

دفاعٌ لمكروهٍ ، أمانٌ لخائفٍ سحابٌ لمستجندٍ ، هلاكٌ لمستعدي
دروبٌ على الحسنَى ، عفوٌ لمن جنى مثيبٌ لمن أثى ، مجيبٌ لئدي قصدي

دع الغيث إن أعطى ، دع الليث إن سطا دع الروض إذ يسهدي ، دع البدر إذ يهدي
وقوله :

غزالٌ ما توسّدَ ظلَّ بانٍ بهجرةٍ ولا عرّفَ الظلالا
تبسم لؤلؤاً ، واهتز غصناً وأعرض شادناً ، وبدا هلالا

وقوله :

رُفِعَ الخصرُ فوق منصوبٍ ردّف ولحزم القلوبِ فرعَيْنِ جرّاً
مال غصناً ، رنّارشاً ، فاح مسكاً تاه درّاً ، أرخى دُجىً ، لاح بدرّا

وقوله حين زار قبر قسّ بن ساعدة بجبل سمعان :

هذي منازلُ ذي العلا قسّ بن ساعدة الإيادي
كم عاشَ في الدنيا وكم أسدى إلينا من أيادي
قد زانها بحلّى البلاء غة مفصّحاً في كل نادي
قد قرّ في بطنِ الثرى متفرّداً بسينِ العبادِ

قال أبو جعفر : زرنا قبره فرأينا موضعاً ترتاح إليه النفس ، ويلوح عليه
الأنس ، وعند قبره عين ماء يقال : إنّه ليس بجبل سمعان عين تجري غيرها
هناك ، وأورد له قوله :

كرّامٌ فيخامٌ من ذؤابةٍ هاشمٍ يقولون للأضياف أهلاً ومرحباً
فيفعلُ في فقر المقلّين جودهم كفعل عليّ يوم حارب مَرحباً

رجع إلى أبي جعفر ، رحمه الله تعالى ، فنقول : إنّه كان بمدينة النبي صلى
الله عليه وسلم سنة ٧٥٥ ، ولما ذكر الروضة قال : قيل : ولا تكون الروضة
إلاّ بماء يسقيها أو إلى جنبها ، ولا يقال في موضع الشجر روضة ، انتهى ، وقال :

لقوامه الأليفُ التي جاءت بحسن ما ألفتُ
عانقتُهُ فكأنتي لامٌ معانقةُ الألفِ

وقال رحمه الله تعالى معتذراً عمّن لم يسلم :

لا تعتبنَّ على تركِ السلامِ فقد جاءتك أحرفُهُ كَتَباً بلا قَلَمٍ
فالسّين من طرقي واللامُ مع أليفٍ من عارضي وهذا الميمُ ميمٌ فمي

وقال رحمه الله تعالى :

لا يُقْنِطَنَّكَ ذَنْبٌ قد كان منك ، عظيمٌ
فألله قد قال قولاً وهو الجوادُ الكريمُ
﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

وقال :

إذا ظلم المرءُ فاصبر له فبالقربِ يُقْطَعُ منه الوَتَيْنُ
فقد قال ربُّكَ وهو القويُّ ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

ومن نثره لما ذكر قصيدة كعب بن زهير رضي الله تعالى عنه ما نصّه : وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ ، والحُكْم الذي لم يوجد له ناسخ ، أنشدها كعبٌ^١ في مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه ، وتوسّل بها فوصل إلى العفو عن عقابه ، فسدّ صلى الله عليه وسلم نخلته ، وخلع عليه حلّته ، وكفّ عنه كفّاً من أرادته ، وأبلغه في نفسه وأهله مرّاده ، وذلك بعد إهدار دمه ، وما سبق من هَدَرٍ كَلِمِهِ ، فمحت حسناتها تلك الذنوب ، وسترت محاسنها وجهَ تلك العيوب ، ولولاها لمنع المدح والغزل ، وقطّع من أخذ الجوائز على الشعر

١ كعب : سقطت من ق .

الأمل ، فهي حجة الشعراء فيما سلكوه ، وملاك أمرهم فيما ملكوه ، حدثني بعضُ شيوخنا بالإسكندرية بإسناده أن بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه إلا بقصيدة كعب ، فقليل له في ذلك ، فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، قصيدة كعب أنشدتها بين يديك ؟ فقال : نعم ، وأنا أحبها وأحب مني إليها ، قال : فعاهدت الله أنني لا أدخل من قراءتها كل يوم . قلت : ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن يتسجعون على مثنواها ، ويقتلون بأقوالها ، تبرئكم بمن أنشدت بين يديه ، ونسب مدحها إليه ، ولما صنع القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على وزن « بانه سعاد » قال :

لقد قال كعب في النبي قصيدةً وقلنا عسى في مدحه نشاركُ
فإن شملتنا بالجوائزِ رحمةً كرحمة كعب فهو كعب مباركُ
انتهى .

وقال رحمه الله تعالى :

لقد كثر العذارُ بوجنتيه كما كثر الظلامُ على النهارِ
فغابت شمسُ وجنته وجاءتُ على مهلٍ عشيَّاتُ العذارِ
فقلتُ لناظري لما رآها وقد خلط السواد بالاحمرارِ
« تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار »

وقال :

قالوا عشقت وقد أضربك الهوى فأجبتهم يا ليتني لم أعشقِ
قالوا سبقت إلى محبة حسنه فأجبتهم ما فاز من لم يسبقِ

ولما أنشد رحمه الله تعالى قول ابن الحشاش في المستضيء بالله :

وَرَدَ الْوَرَى سَلْسَالٌ جُودِكَ فَارْتَوَوْا وَوَقَفْتَ دُونَ الْوَرْدِ وَقِفَّةَ حَائِمٍ
ظِلْمَانٍ أَطْلُبُ خَفَّةً مِنْ زَحْمَةٍ وَالْوَرْدُ لَا يَزْدَادُ غَيْرَ تَزَاحِمٍ
قال ما نصّه : فانظر حسن هذين البيتين كيف جرى كالماء في سلاسته ، ووقعا
من القلوب كالشهد في حلاوته ، مع أن ناظمهما ما خرج عن وصف الماء
كلامه ، ولا تعدى ذلك المعنى نظامه ، حتى قيل : إن فيهما عشرة مواضع من
مراعاة النظير ، فهما في الحسن ما لهما من نظير ، لكنّه ما سلم مليح من عيب ،
ولا خلا من وقوع ريب ، فمع هذه المحاسن الوافية ، ما سلما من عيب القافية ،
انتهى .

ولنختم ترجمته بقوله عند شرح بيت رفيقه :

خَيْرُ اللَّيَالِي لَيَالِي الْخَيْرِ فِي لِضَمِّ الْقَوْمِ قَدْ بَلَغُوا أَقْصَى مُرَادِهِمْ

ما نصّه : يقول : إن خير الليالي التي تشرح لها الصدور ، ويحمد فيها
الورود والصدور ، ليالي الخير في لضم ، حيث التزيل لم يضم ، والقوم قد
وردوا موارد الكرم ، وبلغوا أقصى مرادهم في ذلك الحرم .

٣٠٣ — ومن الراحلين الولي الصالح أبو مروان عبد الملك بن إبراهيم
ابن بشر ، القيسي . وهو ابن أخت ابن صاحب الصلاة البجاسي ، نسبة إلى
بجاس قرية من قرى وادي آش ، وكان — رحمه الله تعالى — في أواسط المائة
السابعة ، وقد ذكره الفقيه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأزدي
الفشتالي في تأليفه الذي سماه « تحفة المغرب ببلاد المغرب » ، وقال فيه : راضوا
نفوسهم لتتقاد للمولى سرّاً وعلناً ، وزهدوا في الدنيا فلم يقولوا معنا ولا لنا ،
وانتدبوا لقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ .
(المنكوت : ٦٩) .

وقال صاحب التأليف المذكور : سألت الشيخ أبا مروان يوماً في مسيري
معه من وادي آش إلى بلده بجاس سنة تسع وأربعين وستمائة ، فقلت له : أنت

يا سيدي لم تكن قرأت ولا لازمت المشايخ قبل سفرك للمشرق ، ولا سافرت مع عالم تقتدي ببركته في هذا الطريق ، فقال لي : أقام الله تعالى لي من باطني شيخاً ، قلت له : كيف ؟ قال : كنت إذا عرض لي أمر نظرت في خاطري فيخطر لي خاطران في ذلك ، أحدهما محمود والآخر مذموم ، فكنت أجنب المذموم وأرتكب محمود ، فإذا وصلت إلى أقرب بلد سألت عمّن فيه من المشايخ والعلماء ، فأسأله عن ذلك ، فكان يذكر لي المحمود محموداً والمذموم مذموماً ، فأحمد الله تعالى أن وفقني ، ومع تتابع ذلك واتصاله دون مخالفة لم أعتمد على ما يقع بخاطري من الأمور الشرعية إلى الآن حتى أسأل عنه من حضر من العلماء ، انتهى .

ومن كلام صاحب التأليف المذكور قوله في حق الصوفية ، نفعا الله تعالى بهم : حَمَمُوا طريقَ الحق فحاماهم ، ونَوَّرَ بصائرهم فأصمهم عن الباطل وأعماهم ، وأهانوا في رضاه نفوسهم ، ورفضوا نعماهم ، فأعلى قدرهم عنده وعند الناس وأسماهم ، انتهى .

وما أحسن قوله في التأليف المذكور : يا هذا ، من حافظ حفوظ عليه ، ومن طلب الخير بصدق وصل إليه ، ومن أخلص العبودية لربه قام الأحرار خدّمة بين يديه ، انتهى .

٣٥٤ - ومنهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن البيطار^١ ، المالقي ، نزيل القاهرة . وهو الذي عناه ابن سعيد في كتابه « المغرب » بقوله : وقد جمع أبو محمد المالقي الساكن الآن بقاهرة مصر كتاباً في هذا الشأن حَسَرَ فيه ما سمع به فقلد عليه من تصانيف الأدوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الإدريسي الصقلي وغيرها ، وضبطه على حروف المعجم ، وهو النهاية في مقصده .

١ ترجمة ابن البيطار في ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٣٣ والفوات ١ : ٤٣٤ .

وقد ذكرت كلام ابن سعيد هذا بجملته في غير هذا الموضع ، فليراجع .
وكان ابن البيطار أوحّد زمانه في معرفة النبات ، سافر إلى بلاد الأغرقة
وأقصى بلاد الروم والمغرب ، واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا
الفن ، وعان متآبته وتحققها ، وعاد بعد أسفاره ، وخدم الكامل بن العادل ،
وكان يعتمد عليه في الأدوية والحشائش ، وجعله في الديار المصرية رئيساً على
سائر العشّابين وأصحاب البسطات ، ومن بعده خدم ولدّه الصالح ، وكان
حظيّاً عنده ، إلى أن توفي بشعبان سنة ٦٤٦ التي توفي بها ابن الحاجب ، وله
من المصنّفات كتاب « الجامع في الأدوية المفردة » وكتاب « المغني » أيضاً في
الأدوية ، وكتاب « الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الحلل والأوهام » ، وكتاب
« الأفعال العجيبة والخواص الغريبة » ، وشرح كتاب ديسقوريدوس ، قال
الذهبي : انتهت إليه معرفة تحقيق النبات وصفاته ، وأماكنه ومنافعه ، وتوفي
بدمشق ، انتهى .

٣٠٥ - ومنهم الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي ، القرشي ،
البسطي ، الشهير بالقلصادي - بفتحات - كما قال السخاوي^١ ، الصالح
الرحلة ، المؤلف ، الفرضي ، آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الأندلس ،
وأكثر تصانيفه في الحساب والفرائض ، كشرحيه العجيبين على تلخيص ابن
البناء والحوافي ، وكفاه فخرأ أن الإمام السنوسي صاحب العقائد أخذ عنه جملة
من الفرائض والحساب ، وأجازه جميع مرويّاته ، وأصله من بسطة ، ثم انتقل
إلى غرناطة ، فاستوطنها ، وأخذ بها عن جماعة كابن فتوح والسرقي
وغيرهما ، ثم ارتحل إلى المشرق ومصر بتلمسان فأخذ بها عن الإمام عالم الدنيا
ابن مرزوق والقاضي أبي الفضل قاسم العقباتي وأبي العباس ابن زاغ وغيرهم ،

١ ترجمة القلصادي في الضوء اللامع ٥ : ١٤ ونيل الابتهاج : ٢٠٩ (هامش الديباج) وانظر فيه
أعلام الزركلي للاطلاع على مصادر أخرى (٥ : ١٦٣) .

ثم ارتحل فلقى بتونس تلامذة ابن عرفة كابن عقاب والقلشاني وحلّولو وغيرهم ،
ثم حج ولقي أعلاماً ، وعاد فاستوطن غرناطة إلى أن حل بوطنه ما حل ،
فتحيل في خلاصه من الشرك وارتحل ، ومر بتلمسان فنزل بها على الكفيف
ابن مرزوق ابن شيخه ، ثم جدت به الرحلة إلى أن وافته منيته بباجة إفريقية
منتصف ذي الحجة سنة ١٨٩١ ، وكان كثير المواظبة على الدرس والكتابة
والتأليف ، ومن تأليفه « أشرف المسالك إلى مذهب مالك » وشرح مختصر
خليل ، وشرح الرسالة ، وشرح التلقين ، و« هداية الأنام في شرح مختصر
قواعد الإسلام » وهو شرح مفيد ، وشرح رجز القرطبي ، و« تنبيه الإنسان
إلى علم الميزان » ، و« المدخل الضروري » ، وشرح إيساغوجي في المنطق ، وله
شرح الأنوار السنية لابن جزّي ، وشرح رجز الشراز في الفرائض الذي أوله :

بحمد خير الوارثين أبتدي ، وبالسراج النبوي أهتدي

وشرح حيكّم ابن عطاء الله ، ورجز أبي عمرو بن منظور في أسماء النبي
صلى الله عليه وسلّم ، وشرح البردة ، ورجز ابن بري ، ورجز شيخه أبي
إسحاق بن فتوح في النجوم الذي أوله :

سبحان رافع السماء سقفا ناصبها دلالة لا تخفى

وشرح رجز أبي مفرعة ، وله « النصيحة في السياسة العامة والخاصة » ،
و« هداية النظّار في تحفة الأحكام والأسرار » ، و« كشف الجلباب عن علم
الحساب » ، و« كشف الأسرار عن علم الغبار » ، و« التبصرة » ، و« قانون
الحساب » في قدر التلخيص ، وشرحه ، وشرحان على التلخيص كبير وصغير ،
وشرح ابن الياسمين في الجبر والمقابلة ، ومختصره ، وكمليات الفرائض ، وشرحها ،

١ ق : ٨٧١ وهو مخالف لما في المصادر .

وشرحان للتلمسانية كبير وصغير ، وشرح فرائض صالح بن شريف وابن الشاط وفرائض مختصر خليل والتلقين وابن الحاجب ، وله كتاب « الغنية في الفرائض » ، و « غنية النحاة » وشرحاهما الكبير والصغير ، و « تقريب المواريث » ، و « منتهى العقول البواحد » ، وشرح مختصر العقباتي ، ولم يتم ، و « مدخل الطالبين » ، ومختصر مفيد في النحو ، وشرح رجز ابن مالك ، والجرومية ، وجمل الزجاجي ، ومُلححة الحريري ، والخَزْرَجِيَّة ، ومختصر في العروض ، وغير ذلك ، وأخذ بمصر عن الحافظ ابن حجر والزين طاهر النوري وأبي القاسم النوري والعلامة الجلال المحلي والتقي الشمني وأبي الفتح المراغي وغيرهم ، حسبما ذكر ذلك في رحلته الشهيرة ، وهي حاوية لشيونته بالمغرب والمشرق وجملة من أحوالهم ، رحم الله تعالى الجميع .

٣٥٦ - ومنهم أبو عبد الله الراعي ، وهو شمس الدين محمد بن إسماعيل ، الأندلسي القُرْطَابِي^١ ، ولد بها سنة ٧٨٢ تقريباً ، ونشأ بها ، وأخذ الفقه والأصول والعربية عن جماعة ، منهم أبو جعفر أحمد بن إدريس بن سعيد الأندلسي ، وسمع على أبي بكر عبد الله بن محمد بن محمد المتعافري ابن الدب ، ويُعرف بابن أبي عامر ، والخطيب أبي عبد الله محمد بن علي بن الحفار ، ومحمد بن عبد الملك بن علي القيسي المتنوري صاحب الفهرسة الكبيرة الشهيرة ، ومما أخذ عنه الجرومية بأخذه لها عن الخطيب أبي جعفر أحمد بن محمد بن سالم الجذامي عن القاضي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي عن مؤلفها أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي عُرِفَ بابن آجروم ، وجميع « خلاصة الباحثين في حصر حال الوارثين » للقاضي أبي بكر عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري بأخذه لها عن مؤلفها ، وأجاز له أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي ، والقاضي

١ ترجمة الراعي في الضوء اللامع ٩ : ٢٠٣ وشرذات الذهب ٧ : ٢٧٨ وبغية الوعاة : ١٠٠ واسمه كاملاً محمد بن محمد بن إسماعيل .

أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباتي ، والعلامة أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن الإمام ، وعالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ، وغيرهم من المغاربة ، ومن أشياخه من أهل المشرق الكمال بن خير السكندري ، والزين أبو بكر المراغي ، والزين محمد الطبري ، وأبو إسحاق إبراهيم بن العفيف النابلسي ، في آخرين ، ودخل القاهرة سنة ٨٢٥ فجمع واستوطنها ، وسمع بها من الشهاب المتبولي وابن الجزري والحافظ ابن حجر وطائفة ، وأمّ بالمؤيدية وقتاً ، وتصدى للاشتغال ، فانتفع به الناس طبقة بعد أخرى ، لا سيما في العربية ، بل هي كانت فنه الذي اشتهر به وبجودة الإرشاد لها ، وشرح كلاً من الجرومية والألفية والقواعد وغيرها ممّا جملة عنه الفضلاء ، وله نظم وسط ، قال السخاوي : كتبت عنه منه الكثير ، ومما لم أسمع منه ما أودعه في مقدمة كتاب صنفه في نصرة مذهبه وأثبتة دفعاً لشيء نسب إليه ، فقال :

عليك بتقوى الله ما شئت واتبع	أئمة دين الحق تهتد وتسنع
فما لي بهم والشافعي وأحمد	ونعمانهم كل إلى الخير يرشد
فتابع لمن أحببت منهم ولا تميل	لذي الجهل والتعصب إن شئت محمد
فكل سوا في وجية الاقتدا	متابعهم جنات عدن يخلد
وحبهم دين يزين وبغضهم	خروج عن الإسلام والحق يبعد
فلعنة رب العرش والخلق كلهم	على من قلاهم والتعصب يقصد

وكان حادّ اللسان والخلق ، شديد النفرة من الشيخ يحسى العجيسي ، أضر بآخره ، ومات بسكنه بالصالحية يوم الثلاثاء ٢٧ ذي الحجة سنة ٨٥٣ ، بعد أن أنشد قبيل موته بشهر في حال صحته الشيخ جمال الدين ابن الأمانة من نظمه قوله :

أفكر في موتي وبعد فضيحتي فيحزن قلبي من عظيم خطيئتي
وتبكي دماً عيني وحق لها البكا على سوء أفعالي وقلة حيلتي

وقد ذابت أكبادي عناء وحسرة
على بُعد أوطاني وفقد أحبي
فما لي إلا الله أرجوه دائماً
ولا سيما عند اقتراب منيتي
فنسألُ ربي في وفائي مؤمناً
بجاه رسول الله خير البرية
قال السخاوي : ومما كتبه عنه :

ألفيته حول المعلم باكياً
ودموعه قد صاغها من كثر
نثر الدموع على الخلود فخلتها
دراً تناثر في عقيق أحمر
وقوله :

عليك بنعمة رب العلاء
وراع الملوك لرعي الدمام
وذو العلم فارغ له حقه
ولاً تفارق وتلق الندم
فهذا مقالي فلتسمعوا
نصيحة خير من أهل الحكم
إذا كنت في نعمة فارغها
فإن المعاصي تزيل النعم

وقال ١ :

للغرب فضل شائع لا يُجهل
ولأهله شرف ودين يكمل
ظهرت به أعلام حق حقت
ما قاله خير الأنام المرسل
من أنهم حتى القيامة لن يزا
لوا ظاهرين على الهدى لن يُخذلوا

وممن حدث عن الراعي الحافظ ابن فهد والبرهان البقاعي ، ومن تأليفه
« شرح القواعد » وكتاب « انتصار الفقير السالك للمذهب الإمام الكبير مالك »
في كرايس أربعة حسن في موضوعه ، وله « التوازل النحوية » في عشرة
كراريس أو أكثر وفيها فوائد حسنة وأبحاث رائقة ، تكلم معه في بعضها أبو

١ ق : وقوله .

عبد الله ابن العباس التلمساني .

وذكر بعضهم أنه اختصر شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل من باب القضاء إلى آخر الكتاب ، انتهى .

وجرت له في صغره حكاية دلت على ثبته ، وهي أنه دخل على الطلبة رجل وهم بجامع غرناطة ، فسألهم عنّ كان وراء إمام ، فحدث للإمام عذر ذهب لأجله ، مثل الرعاف مثلاً ، فصلوا بعض الصلاة لأنفسهم ، ثم اقتدوا بإمام منهم قدموه فيما بقي ، فهل تصح صلاتهم أم لا ؟ فلم يكن عند أحد من الحاضرين فيها علم ، فقال هو : إن الصلاة باطلة ، لأن النحاة يقولون : الإتياع بعد القطع لا يجوز .

وقد حكى ذلك في شرحه للجرومية الذي سمّاه بعنوان الإفادة في باب النعت إذ قال ما نصّه : كنت جالساً بمسجد قيسارية غرناطة أنظر سيدنا وشيخنا أبا الحسن علي بن سمعة رحمه الله تعالى مع جماعة من كبار طلبته ، وكنت إذ ذاك أصغرهم سنّاً وأقلهم علماً ، فدخل سائل سأل عن مسألة فقهية نصّها : إن إماماً صلى بجماعة جزءاً من صلاة ، ثم غلب عليه الحدث ، فخرج ولم يستخلف عليهم ، فقام كل واحد من الجماعة وصلى وحده جزءاً من الصلاة ، ثم بعد ذلك استخلفوا من أتمّ بهم الصلاة ، فهل تصحّ تلك الصلاة أم لا ؟ فلم يكن فيها عند الحاضرين جواب ، فقلت : أنا أجاب فيها بجواب نحوي ، فقال : هات الجواب ، فقلت : هذا إتياع بعد القطع ، وهو ممتنع عند النحويين ، فصلاة هؤلاء باطلة ، فاستظرفها مني من حضر لصغر سني ، ثم طلبنا النصّ فيها فلم نلقه في ذلك التاريخ ، ولو لقيناه لكان الجواب حسناً ، انتهى .

ومن أغازه قوله .

حاجيتُكم نحاتنا المصريّة* أولي الذكا والعلم والطعمية*
ما كلماتٌ أربعٌ نحوية* جُمِعْنَ في حرفين للأحجية*

يعني فعل الأمر للواحد من « وأى يثي » إذا أضمر ، فإنك تقول فيه :
« إ » يا زيد على حرف واحد ، وهو الهمزة المقطوعة ، فإذا قلت « قُلْ إ » ونقلت حركته
على لغة النقل إلى الساكن صار هكذا « قُلْ » فذهب فعل الأمر وفاعله ، فهي
كلمات أربع فعلا أمر وفاعلاهما جُسمان في حرفين القاف واللام ، فافهم .
وأحسن من هذا قوله ملفزاً في ذلك أيضاً :

في أي لفظٍ يا نحاة الملة حَرَكة قامت مقام الجملة

وبالجملة فمحاسنه كثيرة ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

ومن فوائده قوله : حكى لي بعض علماء المالكية قال : كنّا نقرأ المدونة على
الشيخ سراج الدين البلقيني الشافعي ، ف وقعت مسألة خلافية بين مالك والشافعي ،
فقال الشيخ في مسألة « مذهبنا كذا » في مسألة لم يقل فيها الشافعي بما قال ، وإنما
نسبها البلقيني لنفسه ، ثم فطن وخاف أن ينتقد عليه المالكية ويقولوا له : أنت
شافعي وهذا ليس مذهب الشافعي ، فقال : فإن قلتم يا مالكية لسنا بمالكية ،
وإنما أنتم شافعية ، قلنا : كذلك أنتم قاسمية ، وقد اجتمعنا الكل في مالك ،
قال : وهذا الكلام حلو حسن في غاية الإنصاف من الشيخ .

قال : ولما قرئ عليه كتاب « الشفاء » مدحه وأثنى عليه إلى الغاية ، وكان
يحضره جماعة من المالكية فقال القاضي جمال الدين ابنه : ما لكم يا مالكية
لا تكونون مثل القاضي عياض ؟ فقال له أبوه الشيخ سراج الدين المذكور :
وما لك لا تقول للشافعية ما لكم يا شافعية لا تكونون مثل القاضي عياض ؟

ومن فوائد الراعي في باب العَلَم من شرحه على الألفية : في الكلب عشر
خصال محمودة ينبغي أن تكون في كل فقير ، لا يزال جائعاً ، وهو من دأب
الصالحين ، ولا يكون له موضع يُعرف به ، وذلك من علامة المتوكلين ، ولا
ينام من الليل إلا القليل ، وذلك من صفات المحبين ، وإذا مات لا يكون له
ميراث ، وذلك من أخلاق الزاهدين ، ولا يهجر صاحبه وإن جفاه وطرده ،

وذلك من شيم المريدين ، ويرضى من الدنيا بأدنى يسير ، وذلك من إشارة القانعين ، وإذا غلب عن مكانه تركه وانصرف إلى غيره ، وذلك من علامة المتواضعين ، وإذا ضُرب وطُرد ثم دعي أجاب ، وذلك من أخلاق الخاشعين ، وإذا حضر شيء من الأكل وقف ينظر من بعيد ، وذلك من أخلاق المساكين ، وإذا رحل لا يرحل معه بشيء ، وذلك من علامة المتجردين ، انتهى بمعناه .
وقد نسبة للحسن البصري رحمه الله تعالى ورضي عنه بمثله .

ومن تصانيفه رحمه الله تعالى كتاب « الفتح المنير في بعض ما يحتاج إليه الفقير » في غاية الإفادة ، مَلَكَتْهُ بالمغرب ولم أَرَهُ بهذه البلاد المشرقية ، وحفظت منه فوائده ممتعة .

٣٥٧ - ومن الراحلين من الأندلس إلى المشرق بعد أخذ جميع بلاد الأندلس - أعادها الله تعالى - قاضي الجماعة بغيرناطة أبو عبد الله محمد بن علي ابن محمد بن الأزرق^١ ، قال السخاوي : إنه لازم الأستاذ إبراهيم بن أحمد ابن فتوح مفتي غرناطة في النحو والأصول والمنطق ، بحيث كان جل انتفاعه به ، وحضر مجالس أبي عبد الله محمد بن محمد السَّرْكُسْطِي العالم الزاهد مفتيها أيضاً في الفقه ، ومجالس الخطيب أبي الفرج عبد الله بن أحمد البقني ، والشهاب قاضي الجماعة بغيرناطة أبي العباس أحمد بن أبي يحيى بن شرف التلمساني ، انتهى .

وله رحمه الله تعالى تأليف : منها « بسدائع السلك في طبائع الملك »^٢ كتاب حسن مفيد في موضوعه ، تلخص فيه كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه وغيره مع زوائد كثيرة ، ومنها « روضة الأعلام بمرتبة العربية من علوم الإسلام »

١ ترجمة ابن الأزرق في أزهار الرياض ٣ : ٣١٧ والآنس الجليل ٢ : ٥٩١ ، وكانت وفاته في ذي الحجة من سنة ٨٩٦ .

٢ منه نسختان بخزافة الرباط رقم : D 1340, D 582 .

مجلد ضخيم فيه فوائد وحكايات لم يؤلف في فنّه مثله ، وقفتُ عليه بتلمسان وحفظت منه ما أنشده لبعض أهل عصره ممّا يكتب في سيف :

إن عمّت الأفق من تقع الوغى سحُبٌ قشيمٌ بها بارقاً من لمعٍ لِمَاضِي
وإن نَوَتْ حركاتُ النصرِ أرضَ عِدَى فليس للفتح إلا فعليّ المَاضِي

ومن إنشائه في التأليف المذكور ما صورته : قلت : ولقد كان شيخنا العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فتوح قدّس الله تعالى روحه يفسح لصاحب البحث مجالاً رحباً ، ويوسع المراجع له قبولاً ورحباً ، بل يطالب بذلك ويقتضيه ، ويختار طريق التعليم به ويرتضيه ، توفيقاً على ما خلص له تحقيقه ، ووضح له في معيار الاختيار تدقيقه ، وإلاّ فقد كان ما يليق به غاية ما يتحصل ، ويتمهد به مختار ما يحفظ ويتأصل ، انتهى .

وهو يدل على ملكته في الإنشاء ، ويحقّق ما يحصله ، إلا أن ذلك إذا طال حتى وقع الملل والضجر أو كاد فينبغي الإمساك عن البحث ، لئلاّ يفضي الحال إلى ما ينهى عنه .

قال : ومخالفة التلميذ الشيخ في بعض المسائل إذا كان لها وجه وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ ، ولكن مع ملازمة التوقير الدائم ، والإجلال الملائم ، فقد خالف ابن عباس عمر وعليّاً وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهم ، وكان قد أخذ عنهم ، وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة ، وإنّما أخذوا العلم عنهم ، وخالف مالك كثيراً من أشيائهم ، وخالف الشافعي وابن القاسم وأشهب مالكا في كثير من المسائل ، وكان مالك أكبر أساتيد الشافعي ، وقال : لا أحد أمنّ عليّ من مالك ، وكاد كل من أخذ العلم أن يخالفه بعض تلامذته في عدة مسائل ، ولم يزل ذلك دأب التلاميذ مع الأساتيد إلى زماننا هذا ، وقال : وشاهدنا ذلك في أشيائنا مع أشياخهم رحمهم الله تعالى ، قال : ولا ينبغي للشيخ أن يتبرّم من هذه المخالفة

إذا كانت على الوجه الذي وصفناه ، والله تعالى أعلم ، انتهى .
ولما أنشد ابنُ الأزرق المذكور في كتابه « روضة الأعلام » قولَ القائل
في مدح ابن عصفور :

نَقَلَ النَحْوَ إِلَيْنَا الدُّوْلِي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَاطِلِ
بَدَأَ النَحْوَ عَلِيٌّ وَكَذَا خَتَمَ النَحْوَ ابْنُ عَصْفُورٍ عَلِيٌّ

قال بعده ما نصّه : على أن صاحبنا الكاتب الأديب الأبرع أبا عبد الله محمد
ابن الأزرق الوادي آثي رحمه الله تعالى قد قال فيما يدافع ابن عصفور عمّا
اقتضاه هذا المدح له بتفضيل الأستاذ المحقّق أبي الحسن ابن الضائع عليه ، ولقد
أبدع في ذلك ما شاء لما تضمن من التورية :

بضائعك ابن الضائع النَّدْبَ قد أنتَ بِحِظٍّ من التحقيقِ والعلمِ موفورٍ
فَطِيرَتْ عِقَابًا كَاسِرًا أَوْ مَا تَرَى مَطَارَكَ قَدْ أَعْيَا جَنَاحَ ابْنِ عَصْفُورٍ
انتهى .

وقد نقل عن ابن الأزرق صاحب المعيار في جامعه ، وأثنى عليه غير واحد ،
ومن أعظم تأليفه شرحه الحافل على مختصر خليل المسمى بـ « شفاء الغليل » في
شرح مختصر خليل » وقد توارد معه الشيخ ابن غازي على هذه التسمية ، وكان
مولانا العم الإمام شيخ الإسلام سيدي سعيد بن أحمد المقرري رضي الله تعالى
عنه قال لي حين سألتَه عن هذا التوارد : لعل تسمية ابن الأزرق « شفاء الغليل »
بالعين ، قلت : يُبعد ذلك أن جماعة من تلامذته الأكابر كالوادي آثي وغيره
كتبوه بخطوطهم بالغين المعجمة ، فبان أنه من توارد الخواطر ، وأن كلاهما
لم يقف على تسمية الآخر ، والله تعالى أعلم ، وقد رأيت جملة من هذا الشرح
بتلمسان وذلك نحو ثلاثة مجلدات ، ولا أدري هل أكمله أم لا ، لأن تقديره
بحسب ما رأيت يكون عشرين مجلداً ، إذ المجلد الأول ما أتم . مسائل الصلاة ،

ورأيت الخطبة وحدها في أكثر من كراسة أبان فيها عن علوم ، ولم أر في شروح خليل مع كثرتها مثله . ودخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الأندلس ، ثم ارتحل إلى المشرق ، فدخل مصر ، واستنهض عزائم السلطان قايتباي لاسترجاع الأندلس ، فكان كمن يطلب بيض الأنثى ، أو الأبيض العقوق . ثم حج ورجع إلى مصر فجدد الكلام في غرضه ، فدافعه عن مصر بقضاء القضية في بيت المقدس ، فتولاه بتزاهة وصيانة وطهارة ، ولم تطل مدته هنالك حتى توفي به بعد سنة خمس وتسعين وثمانمائة ، حسبما ذكره صاحب « الأنس والخليل في تاريخ القدس والخليل » فليراجع فإنه طال عهدي به .

ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله في المجبّات :

وربّ محبوبية تبدّت كأنّها الشمسُ في حُلّاهما
فأعجب لخال الأنام مَنْ قد أحبّها منهم قَلاهما

ومنه قوله رحمه الله تعالى :

عذريّ في هذا الدخان الذي جاور داري واضح في البيان
قدّ قلتم إنّ بها زخرفاً ولا يلي الزخرف إلا الدخان

: وقوله :

تأمّلت من حُسن الربيع نصارة وقد غرّدت فوق الغصون البلابل
حكّت في غصون الدّوح قسّاً فصاحة لتعلم أن التبت في الروض باقل

: وقوله :

وقائلة صف للربيع محاسناً فقلت وعينني للكلام بيدار
هني ببطاح الأرض صوب من الحيا فللنبت في وجه الزمان عذار

وقوله :

تَعَجَّبْتُ مِنْ يَانَعِ الْوَرْدِ فِي سَنَا وَجَنَةِ نَبْتِهَا بَارِضُ
وَلَيْمٌ لَا يُرَى وَرَدَهَا يَانَعًا وَقَدْ سَالَ مِنْ فَوْقِهَا الْعَارِضُ

وقوله رحمه الله تعالى عند وفاة والدته :

تَقُولُ لِي وَدَمْعُ الْعَيْنِ وَاكْفَةُ مَا أَفْطَعَ الْبَيْنَ وَالتَّرْحَالَ يَا وَلَدِي
فَقُلْتُ أَيْنَ السُّرَى قَالَتْ لِرَحْمَةِ مَنْ قَدْ عَزَّ فِي الْمَلِكِ لَمْ يُؤَلَّدْ وَلَمْ يَلِيدِ

قال تلميذه الحافظ ابن داود : ممّا ألفيته بخط قاضي الجماعة أبي عبد الله
ابن الأزرق عن علي رضي الله تعالى عنه : من أراد أن يطول الله عمره ، ويظفر
بعُدّه ، ويصان من فتن الدنيا ، ويوسّع عليه بابُ رزقه ، فليقل هذا التسبيح
إذا أصبح ثلاثاً ، وإذا أمسى ثلاثاً : سبحان الله ملء الميزان ، ومنتهى العلم ،
ومبلغ الرضى ، وعدد النعم ، وزينة العرش ، والحمد لله ملء الميزان ، ومنتهى
العلم ، ومبلغ الرضى ، وعدد النعم ، وزنة العرش ، ولا إله إلا الله ملء الميزان ،
ومنتهى العلم ، ومبلغ الرضى ، وعدد النعم ، وزنة العرش ، والله أكبر ملء الميزان ،
ومنتهى العلم ، ومبلغ الرضى ، وعدد النعم ، وزنة العرش ، ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم . مثل ذلك ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله مثل ذلك .

قال : وبخطّه أيضاً لنيل الرزق وما يراد : يا باسط ، يا جواد ، يا علي في
عرشك ، بحق خَلَقَكَ على جميع خَلْقِكَ ، ابسط [لي] رزقك ، وسخر لي
خَلْقَكَ .

وبخطّه أيضاً : بسم الله الرحمن الرحيم الدافع المانع الحافظ الحي القيوم
القوي القادر الولي الناصر الغالب الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في
السماء وهو السميع العليم .

وبخطّه أيضاً : يا فتاح ، يا علیم ، يا نور ، يا هادي ، يا حق ، يا مبین ،

افتح لي فتحاً تنور به قلبي ، وتشرح به صدري ، واهدني إلى طريق ترضاه ،
وبيّن لي أمري ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .
انتهى .

وقال رحمه الله تعالى مؤرياً :

من تكن صنعته الإنشاء لا ينكر الرزق لأقصى العمر
ولو استعمل على السبع الدرا زى بما في فيه من درر
فأنا الكاتب لكن لو يبا ع لي العتق لكنت المشتري

هكذا رأيت نسبتها إليه .

ولنختم ترجمته ، بل والباب جميعاً ، بقوله ، رحمه الله تعالى ، عند نزول
ظاغية النصارى بمزج غرناطة أعادها الله تعالى للإسلام بحاه النبي عليه أفضل
الصلاة وأزكى السلام :

مَشُوقٌ بِحَيِّمَاتِ الْأَحِبَّةِ مُوَلِّعٌ تَذَكَّرَهُ نَجْدٌ وَتُغْرِيهِ لَعَلْعُ
مَوَاضِعِكُمْ يَا لَأَمِينٍ عَلَى الْهَوَى فَلَمْ يَبْقَ لِلْسُّلُوفِ فِي الْقَلْبِ مَوْضِعُ
وَمَنْ لِي بِقَلْبٍ تَلْتَلِظِي فِيهِ زَفَرَةٌ وَمَنْ لِي بِجَفْنٍ تَنْهَمِي مِنْهُ أَدْمَعُ
رُؤْيُكَ فَارْقُبْ لِلطَّائِفِ مَوْضِعاً وَخَلَّ الَّذِي مِنْ شَرِّهِ يُتَوَقَّعُ
وَصَبِراً فَإِنَّ الصَّبْرَ خَيْرٌ غَنِيمَةٍ وَيَا فَوْزَ مَنْ قَدْ كَانَ لِلصَّبْرِ يَرْجِعُ
وَبَيْتٌ وَاقِئاً بِاللَّطْفِ مِنْ خَيْرِ رَاحِمٍ فَالطَّافَةُ مِنْ لَمَحَةِ الْعَيْنِ أَسْرَعُ
وَأِنْ جَاءَ خَطْبٌ فَاَنْتَظِرْ فَرَجاً لَهُ فَسَوْفَ تَرَاهُ فِي غَدٍ عَنْكَ يُرْفَعُ
وَكِنْ رَاجِعاً لِلَّهِ فِي كُلِّ سَحَالَةٍ فَلَيْسَ لَنَا ، إِلَّا إِلَى اللَّهِ ، مَرْجِعُ

محتويات المجلد الثاني من نفح الطيب

الباب الخامس

في التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق . . .

ومخاطبة أعيان دمشق للمؤلف

٧٠٤ - ٥

- | | | | | | | |
|----|---|---|---|---|---|--|
| ٥ | . | . | . | . | . | ١ - عبد الملك بن حبيب السلمي |
| ٩ | . | . | . | . | . | ٢ - يحيى بن يحيى الليثي |
| ١٢ | . | . | . | . | . | ٣ - محمد بن أبي عيسى ، أبو عبد الله |
| ١٥ | . | . | . | . | . | ٤ - عتيق بن أحمد الأندلسي |
| ١٥ | . | . | . | . | . | ٥ - إسماعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري ، أبو إبراهيم |
| ١٦ | . | . | . | . | . | ٦ - منذر بن سعيد البلوطي |
| ٢٢ | . | . | . | . | . | ٧ - أبو القاسم ابن فيره بن خلف الرحيني الشاطبي |
| ٢٥ | . | . | . | . | . | ٨ - محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري ، أبو بكر |
| ٤٣ | . | . | . | . | . | ٩ - محمد بن أبي حامر ابن حجاج الغافقي ، أبو بكر |
| ٤٤ | . | . | . | . | . | ١٠ - محمد بن محمد بن محمد بن عيسى بن ذي النون ، أبو عبد الله |
| ٤٥ | . | . | . | . | . | ١١ - زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون |
| ٤٦ | . | . | . | . | . | ١٢ - سوار بن طارق |
| ٤٧ | . | . | . | . | . | ١٣ - بقي بن مخلد (النظر رقم : ٢٠٩) |
| ٤٧ | . | . | . | . | . | ١٤ - قاسم بن أصبغ البياني |
| ٤٩ | . | . | . | . | . | ١٥ - قاسم بن ثابت السرقسطي |
| ٥٠ | . | . | . | . | . | ١٦ - قاسم بن أحمد اللورقي المرسبي ، أبو محمد |

هذه العلامة * تدل على أن الترجمة مكررة .

- ١٧ - قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار ٥٠
- ١٨ - محمد بن إبراهيم بن أسود الفسائي ، أبو بكر ٥١
- ١٩ - محمد بن إبراهيم بن حيون الحجاري ، أبو عبد الله ٥٢
- ٢٠ - محمد بن إبراهيم بن غالب المالقي ، أبو عبد الله ٥٢
- ٢١ - محمد بن إبراهيم القيوري ٥٣
- ٢٢ - محمد بن إبراهيم بن شق الليل الطليطي ، أبو عبد الله ٥٣
- ٢٣ - محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي الماشمي ، أبو عبد الله ٥٤
- ٢٤ - محمد بن علي بن الحسن بن أبي الحسين القرطبي ، أبو عبد الله ٥٧
- ٢٥ - محمد بن علي بن خلف التجيبي ، أبو بكر ٥٧
- ٢٦ - محمد بن علي بن ياسر الجياني ، أبو بكر ٥٨
- ٢٧ - محمد بن علي التجيبي الدهان الغرناطي ، أبو عبد الله ٥٨
- ٢٨ - محمد بن علي بن أبي الربيع الثماني ، أبو عمر ٥٨
- ٢٩ - محمد بن علي بن محمد بن هذيل البلنسي ، أبو بكر وأبو عبد الله ٥٩
- ٣٠ - محمد بن علي البياسي الغرناطي ، أبو عبد الله (أو أبو سلمة) ٥٩
- ٣١ - محمد بن علي بن يحيى الشامي الغرناطي ، أبو عبد الله ٥٩
- ٣٢ - محمد بن عمار الكلاعي الميورقي ، أبو عبد الله ٦٠
- ٣٣ - محمد بن عمر بن الفخار القرطبي الحافظ ، أبو عبد الله ٦٠
- ٣٤ - محمد بن عمرو بن القرطبي ، أبو عبد الله ٦١
- ٣٥ - محمد بن عيسى بن نجيم المعافري ، أبو عبد الله ٦٢
- ٣٦ - محمد بن فطيس الغافقي ، أبو عبد الله ٦٢
- ٣٧ - محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار القرطبي ، أبو عبد الله ٦٢
- ٣٨ - محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم القرشي الفهري ، أبو عبد الله ٦٣
- ٣٩ - محمد بن لب الشاطبي ، أبو عبد الله ٦٣
- ٤٠ - محمد بن سراق الشاطبي ، أبو عبد الله ٦٣
- ٤١ - محمد بن محمد بن أحمد الفريشي ، أبو عبد الله ٦٥
- ٤٢ - محمد بن محمد بن خيرون ، أبو عبد الله ٦٥
- ٤٣ - محمد بن محمد بن بندار ، ضياء الدين أبو جعفر ٦٦
- ٤٤ - محمد بن محرز البلنسي الزهري ، أبو بكر ٦٦
- ٤٥ - سليمان بن خلف الباجي ، أبو الوليد ٦٧
- [ترجمة أبي ذر المروزي] ٧٠

- رجع إلى القاضي أبي الوليد الباجي . ٧١
- رجع إلى الباجي . ٧٢
- [ترجمة ابن حزم الفقيه] ٧٧
- رجع إلى القاضي أبي الوليد الباجي . ٨٤
- ٤٦ - محمد بن الوليد الطرطوشي ، أبو بكر . ٨٥
- ٤٧ - محمد بن عبد الجبار الطرطوشي . ٩٠
- ٤٨ - حسين بن محمد بن فيره الصديقي ، أبو علي المعروف بابن سكرة . ٩٠
- ٤٩ - ابن أبي روح الجزيري . ٩٣
- ٥٠ - عمر بن حسن الهوزني ، أبو حفص . ٩٣
- ٥١ - عثمان بن الحسين ، أبو عمرو أخو ابن دحية . ٩٤
- ٥٢ - محمد بن القاسم المعروف باشكتهادة ، أبو بكر . ٩٥
- ٥٣ - محمد بن عبد ربه المالقي ، أبو عبد الله (انظر رقم : ٦٦) . ٩٧
- ٥٤ - عبد المتعم بن عمر بن حسان الجلياني ، أبو محمد (انظر رقم : ٢٣٨ ، ٢٦٢) ٩٩
- ٥٥ - أبو الخطاب ابن دحية . ٩٩
- ٥٦ - خلف بن القاسم الدباغ . ١٠٥
- ٥٧ - خلف بن سعيد بن المرباط الكلبي . ١٠٥
- ٥٨ - أمية بن عبد العزيز الإشبيلي ، أبو الصلت . ١٠٥
- ٥٩ - عبد الله بن يحيى بن بهلول السرقسطي ، أبو محمد . ١١٠
- ٦٠ - أبو عامر التياري . ١١٠
- ٦١ - يوسف بن عتبة الإشبيلي ، أبو الحجاج (انظر رقم : ٣٠٠) . ١١١
- ٦٢ - ابن مسدي ، محمد بن يوسف بن موسى . ١١٢
- ٦٣ - الحميدي ، محمد بن فتوح بن عبد الله . ١١٢
- ٦٤ - الشريشي ، أحمد بن عبد المؤمن ، أبو العباس شارح المقامات . ١١٥
- ٦٥ - يحيى بن سعدون الأزدي ، أبو بكر . ١١٦
- ٦٦ - محمد بن عبد ربه (انظر رقم : ٥٣) . ١١٨
- ٦٧ - محمد بن الصفار القرطبي ، أبو عبد الله . ١١٩
- ٦٨ - أبو الوليد ابن الجنان ، محمد بن أبي بكر الشاطبي . ١٢٠
- ٦٩ - أبو محمد القرطبي . ١٢٣
- ٧٠ - علي بن أحمد القادسي الكناي . ١٢٤
- ٧١ - أبو عبد الله ابن العطار القرطبي . ١٢٤

١٢٥	.	.	[رسالة لسان الدين في الشفاعة لابن مرزوق الخطيب]
١٢٩	.	.	رجع إلى ذكر الزاحلين من أعلام الأندلسيين .
١٢٩	.	.	٧٢ - ابن الفرضي ، عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ، أبو الوليد
١٣١	.	.	٧٣ - محمد بن أحمد بن محمد البكري البشري ، أبو بكر .
١٣٢	.	.	٧٤ - ابن المغلس ، عبد العزيز بن أحمد بن السيد ، أبو محمد .
١٣٣	.	.	٧٥ - الحكيم المغربي ، أبو الحكم عبيد الله بن المظفر .
١٣٥	.	.	٧٦ - أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي .
١٣٦	.	.	٧٧ - عبد الله بن عيسى بن أبي حبيب ، أبو محمد .
١٣٧	.	.	٧٨ - أحمد بن علي بن شكر ، أبو العباس .
١٣٧	.	.	٧٩ - القاسم بن أحمد المريني ، علم الدين .
١٣٧	.	.	٨٠ - أبو عبد الله ابن أبي الربيع القيسي الفرناطي .
١٣٨	.	.	٨١ - محمد بن سعلون بن مرجى العبدي ، أبو هاجر .
١٣٩	.	.	٨٢ - محمد بن سعلون الباجي ، أبو عبد الله .
١٣٩	.	.	٨٣ - محمد بن سعلون الجزي ، أبو بكر .
١٤٠	.	.	٨٤ - محمد بن سعد الأهرج الطليطي ، أبو عبد الله .
١٤٠	.	.	٨٥ - محمد بن سعيد بن إسحاق الأموي ، أبو عبد الله .
١٤٠	.	.	٨٦ - محمد بن سعيد بن حسان القرطبي ، أبو عبد الله .
١٤٠	.	.	٨٧ - محمد بن سليمان المعافري الشاطبي ، أبو عبد الله .
١٤١	.	.	٨٨ - محمد بن شريح الرعيشي الإشبيلي ، أبو عبد الله .
١٤٢	.	.	٨٩ - محمد بن صالح الأنصاري المالقي ، أبو عبد الله .
١٤٢	.	.	٩٠ - محمد بن صالح القحطاني المعافري ، أبو عبد الله (انظر رقم : ١٠١) .
١٤٢	.	.	٩١ - محمد بن طاهر بن علي الخزرجي الداني ، أبو عبد الله .
١٤٣	.	.	٩٢ - محمد بن بشير بن شراحيل المعافري .
١٤٩	.	.	٩٣ - محمد بن عيسى بن دينار الغافقي .
١٤٩	.	.	٩٤ - محمد بن يحيى بن يحيى اللثمي .
١٤٩	.	.	٩٥ - محمد بن مروان بن خطاب ، ابن أبي جمرة .
١٥٠	.	.	٩٦ - محمد بن أبي علاقة البواب .
١٥٠	.	.	٩٧ - محمد بن حزم بن بكر التنوخي .
١٥١	.	.	٩٨ - محمد بن يحيى بن مالك بن خالد .
١٥١	.	.	٩٩ - محمد بن هبلون الجبلي المهددي .

- ١٠٠ - محمد بن عبد الرحمن الأزدي ، أبو عبد الله ١٥٢
- ١٠١ - محمد بن صالح الماعري (انظر رقم : ٩٠) ١٥٢
- ١٠٢ - محمد بن أحمد الأنصاري السرقسطي ، أبو عبد الله ١٥٣
- ١٠٣ - محمد بن عيسى بن بقاء الأنصاري ، أبو عبد الله ١٥٣
- ١٠٤ - محمد بن طاهر بن علي الأنصاري ، أبو عبد الله ١٥٤
- ١٠٥ - محمد بن أبي سعيد الفرج بن عبد الله البراز ١٥٤
- ١٠٦ - محمد بن الحسين الميورقي ، أبو بكر ١٥٥
- ١٠٧ - محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل العبدي ، أبو الحسن ابن عظيمية ١٥٥
- ١٠٨ - محمد بن أحمد بن إبراهيم الخزرجي ، أبو عبد الله ١٥٦
- ١٠٩ - محمد بن علي بن ياسر الأنصاري ، أبو عبد الله ١٥٧
- ١١٠ - ابن سعادة ، محمد بن يوسف ، أبو عبد الله ١٥٨
- ١١١ - محمد بن إبراهيم بن وضاح اللخمي ١٦٠
- ١١٢ - محمد بن عبد الرحمن التجيبي ، أبو عبد الله ١٦٠
- ١١٣ - محيي الدين ابن عربي الحاتمي ١٦١
- [سعد الدين ابن الشيخ محيي الدين] ١٧٠
- [حكاية عن ابن جزري] ١٧٠
- رجع إلى سعد الدين ١٧١
- رجع إلى الشيخ محيي الدين ١٧٣
- ١١٤ - أبو الحسن الششتري ، علي بن عبد الله الثميري ١٨٥
- ١١٥ - الحرالي ، علي بن أحمد ، أبو الحسن ١٨٧
- ١١٦ - أبو العباس المرسي ١٩٠
- ١١٧ - أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويين (انظر رقم : ٢٩٣) ١٩٤
- ١١٨ - ابن عفيف الخزرجي ، علي بن محمد بن يوسف ، أبو الحسن ١٩٥
- ١١٩ - ابن سبعين ، أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم ١٩٦
- [رجع إلى الششتري] ٢٠٥
- ١٢٠ - ابن غصن الإشبيلي ، محمد بن إبراهيم ، أبو عبد الله ٢٠٧
- ١٢١ - أحمد بن يوسف القهري اللبلي ، أبو جعفر ٢٠٨
- ١٢٢ - محمد بن أحمد ، أبو عبد الله ابن فرح القرطبي ٢١٠
- ١٢٣ - محمد بن أحمد بن حاضر الجزيري ٢١٢
- ١٢٤ - محمد بن أحمد التجيبي ، أبو القاسم ٢١٢

٢١٢	١٢٥	— محمد بن أحمد وقيل محمد بن عيسى الخزرجي ، أبو بكر .
٢١٣	١٢٦	— محمد بن أحمد بن فرج الهاشمي ، أبو بكر .
٢١٤	١٢٧	— محمد بن أحمد الزهري ، أبو عبد الله .
٢١٤	١٢٨	— محمد بن أحمد بن عبد الأعلى القرطبي ، أبو عبد الله .
٢١٥	١٢٩	— محمد بن أحمد الباجي ، أبو عبد الله .
٢١٥	١٣٠	— محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتيبي ، أبو عبد الله .
٢١٦	١٣١	— محمد بن أحمد بن محمد المعافري ، أبو عبد الله .
٢١٧	١٣٢	— محمد بن أحمد بن محمد الطليطلي النقاش .
٢١٧	١٣٣	— محمد بن أحمد القيسي القبري ، أبو عبد الله .
٢١٧	١٣٤	— محمد بن أحمد بن محمد بن سحمان ، أبو بكر الوائلي .
٢١٨	١٣٥	— محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القرطبي ، أبو عبد الله .
٢١٩	١٣٦	— محمد بن أحمد بن موسى الوضاحي ، أبو عبد الله .
٢١٩	١٣٧	— محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدي ، أبو عبد الله .
٢٢٠	١٣٨	— محمد بن أحمد بن نوح الإشبيلي ، أبو عبد الله .
٢٢٠	١٣٩	— محمد بن أسباط المخزومي .
٢٢٠	١٤٠	— محمد بن إسحاق ، ابن السليم .
٢٢٠	١٤١	— موسى بن بهيج المغربي .
٢٢١	١٤٢	— موسى بن سعادة ، أبو عمران المرسى .
٢٢٢	١٤٣	— عبد الله بن طاهر ، أبو محمد .
٢٢٢	١٤٤	— محمد بن عبد الله بن مالك ، أبو عبد الله ، النحوي .
٢٢٣		[تعريف بابنه بدر الدين]
٢٣٤	١٤٥	— محمد بن طاهر القيسي التميمي ، أبو عبد الله .
٢٣٥	١٤٦	— محمد بن عبد الجليل القيحاوي ، أبو عبد الله .
٢٣٥	١٤٧	— أبو حامد الغرناطي الرحالة .
٢٣٦	١٤٨	— محمد بن عبد السلام القرطبي الحشني ، أبو عبد الله .
٢٣٧	١٤٩	— محمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبي ، أبو عبد الله .
٢٣٧	١٥٠	— محمد بن عبد الملك بن ضيفون القرطبي ، أبو عبد الله .
٢٣٨	١٥١	— محمد بن عبد الملك الخزرجي القرطبي ، أبو عبد الله .
٢٣٨	١٥٢	— محمد بن عبد الملك ابن السراج ، أبو بكر .
٢٣٨	١٥٣	— محمد بن عبد الله بن أحمد العنسي ، أبو عبد الله .

٢٣٩	١٥٤	— محمد بن عبد الله بن الدفاع ، أبو عبد الله .
٢٣٩	١٥٥	— محمد بن عبد الله بن عابد المعافري ، أبو عبد الله .
٢٣٩	١٥٦	— محمد بن عبد الله بن هاجد الأنصاري ، أبو عبد الله .
٢٤٠	١٥٧	— محمد بن عبد الله بن خيرة القرطبي ، أبو الوليد .
٢٤١	١٥٨	— محمد بن عبد الله بن أبي الفضل المرسي ، أبو عبد الله .
٢٤٣	١٥٩	— محمد بن عبد الله التنبجي ، أبو بكر .
٢٤٣	١٦٠	— محمد بن عبد الله الخولاني ، أبو عبد الله .
٢٤٣	١٦١	— محمد بن عبد الله اللوشي ، أبو عبد الله .
٢٤٤	١٦٢	— محمد بن عبدون العدري ، أبو عبد الله .
٢٤٤	١٦٣	— عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر ، أبو مروان .
٢٤٦		[رسالة للفتح في غريق]
٢٤٧		رجع إلى بيت بني زهر .
٢٥٣	١٦٤	— يوسف بن إبراهيم الساحلي ، أبو الحجاج .
٢٥٤	١٦٥	— يحيى بن حكيم الجياني الملقب بالغزال .
٢٦٢	١٦٦	— علي بن موسى بن سعيد العنسي ، أبو الحسن .
٢٩٠		[نقول عن ابن سعيد : ١ — بناء المودج بروضة مصر]
٢٩٢		٢ — مكين الدولة ابن حديد
٢٩٤		٣ — الشهاب التلمفري
٢٩٦		٤ — المادل بن أيوب
٢٩٩		٥ — المرذغانى
٣٠٠		٦ — دفرغوان اللمشقي
٣٠١		٧ — الزنطاني وابن الريب
٣٠٢		رجع إلى نظم ابن سعيد .
٣١٨		[أبو عبد الله ابن سعيد]
٣٢٠		رجع إلى أخبار أبي عبد الله ابن سعيد
٣٢٢		[ذكر المستنصر الجفصي]
٣٢٨		[مقتبسات من خطبة المغرب]
٣٣٠		[قلعة بني سعيد]
٣٣٠		[أولية بني سعيد]
٣٣١		[شعر لأبي بكر ابن سعيد]
٣٣١		[ترجمة النساني من المغرب]
٣٣٢		[إجازته لتيفاشي رواية المغرب]

٣٣٢	[شعر لابن سعيد]
٣٣٣	[ترجمة والد ابن سعيد من المغرب]
٣٣٥	[محمد بن عبد الملك بن سعيد]
٣٣٦	[عبد الملك بن سعيد]
٣٣٧	[وصف ابن سعيد للفسطاط]
٣٤٤	[وصف القاهرة]
٣٥٠	بعض أخبار والد ابن سعيد
٣٥٢	[وصية ابن سعيد الأب لابنه علي]
٣٦٢	[رسالة ابن سعيد الأب لعبد الواحد الموحد]
٣٦٤	[من شعر والد ابن سعيد]
٣٦٦	رجع إلى أبي الحسن ابن سعيد
٣٧٠	١٦٧ — عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد
٣٧٤	١٦٨ — علي بن عبد الله بن حمزة القرطبي ، أبو الحسن
٣٧٤	١٦٩ — محمد بن علي بن يوسف الأنصاري ، أبو عبد الله
٣٧٨	١٧٠ — حميد بن عبد الله بن الحسن القرطبي ، أبو بكر
٣٧٩	١٧١ — البسع بن عيسى بن حزم الغافقي
٣٧٩	١٧٢ — محمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي ، أبو عبد الله
٣٧٩	١٧٣ — محمد بن أحمد بن عبد الملك الباجي ، أبو مروان
٣٨٠	١٧٤ — وليد بن بكر بن مخلد العمري
٣٨٠	١٧٥ — عيسى بن سليمان بن عبد الملك الرعيبي ، أبو محمد
٣٨١	١٧٦ — سليمان بن أحمد اليتبي ، أبو الربيع
٣٨١	١٧٧ — أحمد بن يحيى الضبي ، أبو جعفر
٣٨١	١٧٨ — ابن جبير الرحالة ، محمد بن أحمد ، أبو الحسين
٣٨٣	١٧٩ — رفيق ابن جبير ، أحمد بن الحسن القضاعي ، أبو جعفر
٣٨٣	رجع إلى ابن جبير
٣٨٧	[كلام الوادي آثي في التعليق على وصف ابن جبير لدمشق]
٣٨٧	رجع إلى كلام ابن جبير
٣٨٩	[أشعار في وصف دمشق]
٤٠١	[تعريف بابن هنين]
٤٠٤	رجع إلى دمشق
٤٠٦	[شعر في ذم دمشق]
٤٠٧	رجع إلى مدح دمشق

٤١٢	.	.	لبذة مما خطب به المؤلف من علماء الشام وأدبائه .
٤٧٠	.	.	[رسائل من المغرب رد المؤلف] .
٤٨٥	.	.	رجع إلى ابن جبير .
٤٩٤	.	.	١٨٠ - أبو عامر ابن عيشون .
٤٩٦	.	.	١٨١ - عبد الملك بن زيادة الله الطنبي ، أبو مروان .
٤٩٧	.	.	[ابن بسام والمهجع] .
٥٠٠	.	.	[من خطبة الذخيرة] .
٥٠٢	.	.	[الحراري يمجور قومه] .
٥٠٢	.	.	رجع إلى ذكر من ارتحل من علماء الأندلس إلى المشرق .
٥٠٣	.	.	١٨٢ - حبيب بن الوليد بن حبيب المعروف بلحون .
٥٠٤	.	.	١٨٣ - بهلول بن فتح .
٥٠٤	.	.	١٨٤ - ثابت بن أحمد بن عبد الولي الشاطبي ، أبو الحسن .
٥٠٥	.	.	١٨٥ - جعفر بن لب بن ميمون اليحصبي ، أبو أحمد .
٥٠٦	.	.	١٨٦ - جعفر بن عبد الله بن مبدؤنه الخرازي ، أبو أحمد .
٥٠٦	.	.	١٨٧ - أبو جعفر النحوي .
٥٠٦	.	.	١٨٨ - جابر بن أحمد الخزرجي ، أبو الحسن .
٥٠٦	.	.	١٨٩ - جهوز بن خلف الماعري ، أبو الحسن .
٥٠٧	.	.	١٩٠ - الحسن بن حفص بن الحسن البهراني ، أبو علي .
٥٠٧	.	.	١٩١ - الحسن بن خلف بن يحيى ، ابن برنجال ، أبو علي .
٥٠٨	.	.	١٩٢ - الحسن بن إبراهيم بن تقي الجذامي ، أبو علي .
٥٠٩	.	.	١٩٣ - الحسن بن علي بن الحسن الأنصاري ، أبو علي .
٥٠٩	.	.	١٩٤ - الحسن بن محمد بن الحسن ، ابن الرهيل ، أبو علي .
٥١٠	.	.	١٩٥ - الحسين بن أحمد بن يحيى التميمي .
٥١١	.	.	١٩٦ - حماد بن الوليد ، أبو يوسف .
٥١١	.	.	١٩٧ - خلف بن فتح الجبيري ، أبو القاسم .
٥١٢	.	.	١٩٨ - خلف بن محمد بن خلف الفرناطي ، أبو القاسم .
٥١٢	.	.	١٩٩ - خلف بن فرج بن خلف بن فحلون القنطري ، أبو القاسم .
٥١٢	.	.	٢٠٠ - زارة بن محمد بن زارة .
٥١٢	.	.	٢٠١ - طاهر الأندلسي ، أبو الحسين المالقي .
٥١٣	.	.	٢٠٢ - أبو الطاهر الأندلسي ، الليلي .
٥١٣	.	.	٢٠٣ - طارق بن موسى بن يعش المنصفي ، أبو محمد .

- ٢٠٤ - محمد بن إبراهيم بن مزيد الأودي ٥١٤
- ٢٠٥ - محمد بن أحمد حياز الشاطبي ، أبو عبد الله ٥١٤
- ٢٠٦ - محمد بن أحمد بن عبد الملك بن سماعة اللخمي ، أبو مروان ٥١٤
- ٢٠٧ - أحمد بن محمد الواعظ المصري (الشهير بالزير كناكت)^١ ٥١٦
- ٢٠٨ - إبراهيم بن عبد العزيز الإشبيلي ، زكي الدين أبو إسحاق ٥١٧
- ٢٠٩ - بقي بن مخلد بن يزيد ، أبو عبد الرحمن (انظر رقم : ١٣) ٥١٨
- ٢١٠ - يوسف بن يحيى الأزدي المغامي ٥٢٠
- [بين ابن خلدون وقيمورلنك] ٥٢١
- ٢١١ - أبو بكر ابن عطية ٥٢٣
- [ترجمة عبد الحق بن عطية] ٥٢٦
- ٢١٢ - أحمد بن فرح ، شهاب الدين أبو العباس ٥٢٨
- ٢١٣ - عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر ، أبو الأصمغ ٥٣١
- ٢١٤ - الشيخ خالد البلوي ، أبو البقاء ، الرحالة ٥٣٢
- ٢١٥ - ابن الحاج النميري ، برهان الدين أبو إسحاق ٥٣٤
- ٢١٦ - أبو حيان أثير الدين الجبائي النحوي ٥٣٥
- ٢١٧ - حازم بن محمد القرطاجني ، أبو الحسن ٥٨٤
- ٢١٨ - ابن الأبار ، محمد عبد الله بن أبي بكر ، أبو عبد الله ٥٨٩
- ٢١٩ - ابن مسدي ، جمال الدين محمد بن يوسف ، أبو المكارم ٥٩٤
- ٢٢٠ - خلف بن عبد العزيز القبتوري ، أبو القاسم ٥٩٥
- ٢٢١ - ابن الرومية ، أحمد بن محمد بن مفرج ، أبو خليل ٥٩٦
- ٢٢٢ - أحمد بن عبد السلام الغافقي ، أبو العباس ٥٩٨
- ٢٢٣ - ابن وكييل الإقليشي ، أحمد بن معد ، أبو العباس ٥٩٨
- ٢٢٤ - ابن الفرند ، أحمد بن عمر الماعفري ، أبو العباس ٦٠٠
- ٢٢٥ - أحمد بن عبد الملك الضبي ، أبو جعفر ٦٠١
- ٢٢٦ - أبو عمر ابن عات ٦٠١
- ٢٢٧ - أحمد بن تميم بن حنون ، أبو العباس ٦٠٣
- ٢٢٨ - ابن كوزان ، أحمد بن إبراهيم المخزومي ، أبو جعفر ٦٠٣

١ لا يعد من الراحلين وإنما أهله رحلوا من الأندلس وولد هو بتونس .

- ٢٢٩ - أحمد بن محمد بن عياش ، أبو جعفر .
٢٣٠ - إبراهيم بن عبد الله بن حزم الغافقي ، أبو إسحاق .
٢٣١ - إبراهيم بن منبه بن عمر الغافقي ، أبو أمية .
٢٣٢ - أبو القاسم بن فورثش ، إسماعيل بن يحيى السرقسطي .
٢٣٣ - محمد بن يحيى السرقسطي (أخوه) .
٢٣٤ - إسماعيل بن أحمد القرشي ، أبو الطاهر .
٢٣٥ - عيسى بن عبد الله التاكوفي ، أبو الروح .
٢٣٦ - علي بن أحمد بن حمدون ، أبو الحسن .
٢٣٧ - عبد البر بن قرسان الوادي آشي .
٢٣٨ - عبد المنعم بن عمر الغساني الجلياني (انظر رقم : ٥٤ ، ٢٦٢) .
٢٣٩ - أحمد بن مسعود القرطبي ، أبو العباس .
٢٤٠ - أبو العباس القرطبي (صاحب المفهم) .
٢٤١ - ابن سيد بونه ، جعفر بن عبد الله ، أبو أحمد .
٢٤٢ - محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجي الشاطبي .
٢٤٣ - محمد بن يحيى الأندلسي اللبسي .
٢٤٤ - أبو عبد الله ابن الحكيم الرندي .
٢٤٥ - عبد العزيز بن هلال اللخمي ، أبو محمد .
٢٤٦ - أبو بكر ابن العربي الحفيد .
٢٤٧ - ابن الخراز ، يحيى بن عبد العزيز القرطبي .
٢٤٨ - جمال الدين الشريشي ، أبو بكر .
٢٤٩ - أبو بكر ابن محمد بن علي بن ياسر الجياني .
٢٥٠ - العلاء بن عبد الوهاب بن حزم ، أبو الخطاب .
٢٥١ - يحيى بن قاسم بن أبي هلال ، أبو زكريا .
٢٥٢ - يحيى بن مجاهد بن عوانة ، أبو بكر .
٢٥٣ - محمد بن أحمد بن إبراهيم الصديقي ، أبو بكر .
٢٥٤ - زكريا بن خطاب ، أبو يحيى .
٢٥٥ - سعد الخير بن محمد البلنسي ، أبو الحسن .
٢٥٦ - سعيد بن نصر بن خلفون ، أبو عثمان .
٢٥٧ - سعيد الأعناق ، أبو عثمان .
٢٥٨ - عبد الرحمن بن خلف الإقلشي ، أبو المطرف .

- ٢٥٩ - ابن الطحان ، عبد العزيز بن علي ، أبو الأصيبغ . ٦٣٤ .
 ٢٦٠ - عبد العزيز بن خلف المعافري ، أبو الأصيبغ . ٦٣٥ .
 ٢٦١ - عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة ، أبو محمد . ٦٣٥ .
 ٢٦٢ - عبد المنعم بن عمر الفسائي الجلياني (النظر رقم : ٥٤ ، ٢٣٨) . ٦٣٥ .
 ٢٦٣ - عبد الوهاب بن محمد القرطبي ، أبو القاسم . ٦٣٧ .
 ٢٦٤ - عبيد الله (أو عبد الله) بن المظفر الباهلي ، أبو الحكم . ٦٣٧ .
 ٢٦٥ - سليمان بن إبراهيم بن صافي ، أبو الربيع . ٦٣٩ .
 ٢٦٦ - طالوت بن عبد الجبار المعافري . ٦٣٩ .
 ٢٦٧ - ابن خروف الأديب القيسي ، علي بن محمد . ٦٤٠ .
 ٢٦٨ - مالك بن مالك الجلياني . ٦٤٢ .
 ٢٦٩ - منصور بن شعيب اللخمي ، أبو علي . ٦٤٢ .
 ٢٧٠ - منصور بن لب بن عيسى الأنصاري . ٦٤٣ .
 ٢٧١ - مفرج بن حماد المعافري . ٦٤٣ .
 ٢٧٢ - محب بن الحسين . ٦٤٣ .
 ٢٧٣ - مساعد بن أحمد بن مساعد الأصبغي . ٦٤٤ .
 ٢٧٤ - نصر بن القاسم ، أبو حبيب . ٦٤٥ .
 ٢٧٥ - النعمان بن النعمان المعافري . ٦٤٥ .
 ٢٧٦ - نعم الخلف بن عبد الله الحضرمي . ٦٤٥ .
 ٢٧٧ - ثابت بن المفرج الخثعمي . ٦٤٥ .
 ٢٧٨ - ضمام بن عبد الله . ٦٤٥ .
 ٢٧٩ - ضرغام بن عروة بن أبي فريضة . ٦٤٦ .
 ٢٨٠ - عبد الله بن أبي عامر (والد المنصور) . ٦٤٦ .
 ٢٨١ - عبد الله بن حمود الزبيدي أبو محمد . ٦٤٧ .
 ٢٨٢ - عبد الله بن رشيق القرطبي . ٦٤٧ .
 ٢٨٣ - عبد الله بن طلحة ، أبو بكر الليابري . ٦٤٨ .
 ٢٨٤ - عبد الله بن محمد بن مرزوق اليحصبي ، أبو محمد . ٦٤٩ .
 ٢٨٥ - عبد الله بن محمد الصريمي ، أبو محمد . ٦٤٩ .
 ٢٨٦ - عبد الله بن عيسى الشليبي ، أبو محمد . ٦٥٠ .
 ٢٨٧ - عبد الله بن موسى الأزدي ، أبو محمد . ٦٥٠ .
 ٢٨٨ - عبد الله بن محمد بن سعادة ، أبو محمد . ٦٥٢ .

- ٢٨٩ - عبد الله بن يوسف القضاعي ، أبو محمد . ٦٥٢
- ٢٩٠ - أحمد بن عبد الله بن مهاجر الوادي آشي ، شهاب الدين . ٦٥٣
- ٢٩١ - أحمد بن صابر القيسي ، أبو جعفر . ٦٥٥
- ٢٩٢ - أبو القاسم الباجي (ابن القاضي أبي الوليد) . ٦٥٦
- ٢٩٣ - إبراهيم بن محمد الساحلي ، أبو إسحاق (انظر رقم : ١١٧) . ٦٥٧
- ٢٩٤ - أبو ركة ، الوليد بن هشام الأموي . ٦٥٨
- ٢٩٥ - يحيى بن سليمان الطليطي ، أبو زكريا . ٦٦٠
- ٢٩٦ - يحيى بن عبد الله بن محمد القرطبي ، أبو بكر . ٦٦٠
- ٢٩٧ - محمد بن علي بن سلمة الأنصاري ، أبو عبد الله . ٦٦١
- ٢٩٨ - محمد بن علي بن يحيى الغرناطي ، أبو عبد الله . ٦٦١
- ٢٩٩ - نور الدين أبو الحسن المائري . ٦٦٢
- ٣٠٠ - ابن عتبة الإشبيلي (انظر رقم : ٦١) . ٦٦٣
- ٣٠١ - أبو عبد الله ابن جابر الضرير . ٦٦٤
- ٦٧١ تقاربط حل كتاب « نسيم الصبا » .
- ٣٠٢ - أبو جعفر الإلبيري (رفيق ابن جابر) . ٦٧٥
- ٦٧٩ أثمار لابن جابر
- ٦٨٠ رجع إل أبي جعفر
- ٦٨١ رجع إل مقطعات ابن جابر
- ٦٨٤ رجع إل نظم أبي جعفر
- ٦٨٤ مقطعات لابن جابر
- ٦٨٧ رجع إل أبي جعفر
- ٣٠٣ - عبد الملك بن إبراهيم بن بشر القيسي ، أبو مروان . ٦٩٠
- ٣٠٤ - ابن البيطار المالقي . ٦٩١
- ٣٠٥ - القلصادي ، علي بن محمد ، أبو الحسن . ٦٩٢
- ٣٠٦ - أبو عبد الله الراعي ، شمس الدين الغرناطي . ٦٩٤
- ٣٠٧ - ابن الأزرق صاحب بدائع السلك . ٦٩٩

Abu'l-'Abbās A. al-Maqqarī

NAFH AT-TĪB

II

Edited and Annotated

by

Ihsan 'Abbās, Ph. D.

Dar SADER

P.O.B. 10

BEIRUT, Lebanon

نَفْحُ الطَّيِّبِ مِنْ

غَيْصِنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ

تأليف
الشيخ أحمد بن محمد القرني التلياني

حقته
الدكتور إحسان عباس

المجلد الثالث

دار صادر
بيروت

نفع الطيب

٣

جميع الحقوق محفوظة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م



الباب السادس

في ذكر بعض الوافدين على الأندلس من أهل المشرق ، المهتدين في قصدهم إليها بنور الهداية المضيء المشرق ، والأكابر الذين حلوا بجلولهم فيها الجيد منها والمفروق ، والمفتخرين برؤية قُطرها المونق ، على المُشِيم والمُعَرِّق

اعلم أن الداخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تُحصِر الأعيان منهم ، فضلاً عن غيرهم ، ومنهم من اتخذها وطناً ، وصيرها سَكناً ، إلى أن وافته مَنِيَّتُهُ ، ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أن قُضيت بالأندلس أُمْنِيَّتُهُ .

١ — فمن الداخلين إلى الأندلس المنبئون الذي يقال إنه صحابي رأى رسول الله ^١ صلى الله عليه وسلم .

قال ابن الأبار في التكملة ^٢ : المنبئ الإفرقي ، له صحبة ، وسكن ^٣ إفريقية ، ودخل الأندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب ، قاله أبو محمد الرشاطي ، ولم يذكره أحد غيره ، روى عنه أبو عبد الرحمن الحبلي ^٤ ، انتهى .

١ ق : رأى النبي .

٢ التكملة : ٧٣١ ؛ وانظر أيضاً الإصابة ٦ : ١٤٤ .

٣ التكملة : وكان يسكن .

٤ اسمه عبد الله بن يزيد المعافري وكان رجلاً صالحاً فاضلاً بعثه عمر بن عبد العزيز إلى أهل إفريقية =

وأُنكر غير واحد دخولَ أحد من الصحابة الأندلس .
وذكر بعضُ الحفاظ المنبذ المذکور ، وقال : إنّه المنبذ اليماني ، وذكر
الحجاري أنّه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وأنّه دخل الأندلس مع
موسى بن نصير غازياً ، وقال ابن بشكّو^١ال : يقال فيه المنبذ لكونه من أحداث
الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وقد حكى ذلك الرازي ، وذكره ابن عبد البر
في كتاب « الاستيعاب في الصحابة »^١ وسمّاه بالمنبذ الإفريقي ، وقال ابن
بشكّو^١ال : إن ابن عبد البر روى عنه حديثاً سمعه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وذكره أبو علي ابن السكن في كتاب الصحابة وقال : روي عنه حديث
واحد ، وأرجو أن يكون صحيحاً ، وذكره ابن قانع في معجم الصحابة له .
وذكره البخاري في تاريخه الكبير إذ قال : أبو المنبذ صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وكان قد حدث بإفريقية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قال : « مَنْ قال رضيت بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم
نبيّاً ، فأنا الزعيم لأخذنّ بيده فأدخله الجنة » كذا ذكره البخاري بالكنية ،
وهذا الحديث هو الذي روّه عنه لا يُعرف له غيره ، وذكره أبو جعفر أحمد
ابن رشد في كتاب « مسند الصحابة » له ، فقال : المنبذ اليماني إما من مدحج
أو غيرها ، وذكر الحديث سواء ، وقد أشرنا فيما سبق إلى المنبذ هذا^٢ .

٢ — ومن التابعين الداخلين الأندلس أميرها موسى بن نصير ، وقد سبق
من الكلام عليه ما فيه كفاية^٣ .

= ليقفهم ، وتوفي بالقيروان سنة ١٠٠ هـ (رياض النفوس ١ : ٦٤ - ٦٦) وتسمي ترجمته
في النسخ (رقم : ٥) .
١ انظر الاستيعاب : ١٤٨٥ ، والحديث الذي رواه ابن عبد البر هو الحديث الذي سيورده المؤلف
نقلاً عن البخاري ؛ وقد أورده أيضاً فيما سبق ج : ١ ، ص : ٢٧٩ .
٢ انظر ص : ٢٧٩ من المجلد الأول .
٣ راجع ما سبق ج : ١ : ٢٦٩ - ٢٨٧ .

٣ - ومن التابعين الداخلين الأندلس حنش الصنعاني^١ . وفي كتاب ابن بَشْكُوَال قال ابن وضاح : حنش لقب له ، واسمه حسين بن عبد الله ، وكنيته أبو علي ، ويقال : أبو رشد بن ، قال ابن بَشْكُوَال : وهو من صنعاء الشام . وذكره أبو سعيد ابن يونس في تاريخ أهل مصر وإفريقية والأندلس ، فقال : إنه كان مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، وغزاه المغرب مع رفيقه رُوَيْفَع بن ثابت ، وغزا الأندلس مع موسى بن نُصَيْر ، وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان ، فأُتِيَ به عبد الملك في وثاق فعفا عنه ، وكان أول من ولي عُشُور إفريقية في الإسلام ، وتوفي بإفريقية سنة مائة . وذكر ابن يونس عن حنش أنه كان إذا فرغ من عشاءه وحوائجه وأراد الصلاة من الليل أوقدَ المصباح ، وقرب المصحف وإناء فيه ماء فإذا وجد النعاس استنشق الماء ، وإذا تعافى في آية نظر في المصحف ، وإذا جاء سائل يستطعم لم يزل يصيح بأهله : أطعموا السائل ، حتى يطعم .

قال ابن حبيب : دخل الأندلس من التابعين حنش بن عبد الله الصنعاني . وهو الذي أشرف على قُرْطُبة من الفج المسمى بفتح المائدة ، وأذن ، وذلك في غير وقت الأذان ، فقال له أصحابه في ذلك ، فقال : إن هذه الدعوة لا تنقطع من هذه البقعة إلى أن تقوم الساعة ، هكذا ذكره غير واحد ، وقد كشف الغيب خلاف ذلك ، فلعلّ الرواية موضوعة أو مؤولة ، والله تعالى أعلم . وذكره ابن عساكر في تاريخه ، وطول ترجمته ، وقال : إن صنعاء المنسوب إليها قرية من قرى الشام ، وليست صنعاء اليمن ، وقد قيل : إنه لم يرو عن حنش الشاميون ، وإنما روى عنه المصريون ، وحدث حنش عن عبد الله بن عباس أنه قال له : إن استطعت أن تلقى الله تعالى وسيفك حليته حديد فافعل .

١ انظر ترجمته في رياض النفوس ١ : ٧٨ ومعالم الإيمان ١ : ١٤٤ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٧ وابن الغرضي ١ : ١٤٨ والجلوة : ١٨٩ .

وكان عبد الملك بن مروان حين غزا المغرب مع معاوية بن حُديج نزل عليه بإفريقية سنة خمسين ، فحفظ له ذلك ، فعفا عنه حين أتى به في وثاق حين ثار مع ابن الزبير . وسئل أبو زُرْعَة عن حنش فقال : ثقة ، ولم يذكر ابن عساكر أن حنشاً لقب له ، وأن اسمه حسين ، بل اقتصر على اسمه حنش ، ولعله الصواب ، لا ما قاله ابن وضاح ، والله تعالى أعلم^١ .

وفي تاريخ ابن الفرضي أبي الوليد أن حنشاً كان بسرّ قُسْطَة ، وأنه الذي أسس جامعها ، وبها مات ، وقبره بها معروف عند باب اليهود بغربي المدينة . وفي تاريخ ابن بَشْكُوَال أنه أخذ أيضاً قبلة جامع لإبيرة ، وعدل وزن قبلة جامع قرطبة الذي هو فخر الأندلس .

٤ - ومن الداخلين من التابعين للأندلس أبو عبد الله عليّ بن رباح اللخمي^٢ . ذكر ابن يونس في تاريخ مصر أنه ولد سنة خمس عشرة عام اليرموك ، وكان أعور ذهب عينه يوم ذات السّواري في البحر مع عبد الله بن سعد سنة أربع وثلاثين ، وكان يفد لليمانية من أهل مصر على عبد الملك بن مروان ، وكانت له من عبد العزيز بن مروان منزلة ، وهو الذي زفّ أم البنين بنت عبد العزيز إلى الوليد بن عبد الملك ، ثم عنت عليه عبد العزيز فأغراه لإفريقية ، فلم يزل بإفريقية إلى أن توفي بها ، ويقال : كانت وفاته سنة أربع عشرة ومائة . قال ابن بَشْكُوَال : أهل مصر يقولون : عليّ بن رباح ، بفتح العين ، وأمّا أهل العراق فعليّ ، بضم العين ، وقد سبق هذا الكلام عن ابن معين في الباب الثاني . وقال ابنه موسى بن عليّ : من قال لي موسى بن عليّ بالتصغير لم أجعله في حلّ .

١ ميز ابن عساكر بين اثنين لقب كل منهما حنش ؛ والثاني منهما اسمه حسين وهو رحبي صنعاني همداني - من صنعاء الشام أيضاً ، ولكنه سكن واسطاً (٥ : ٩) .

٢ ترجمة علي بن رباح في ابن الفرضي ١ : ٣٥٤ ورياض النفوس ١ : ٧٧ .

٥ - ومن التابعين الداخلين أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المَعافري الحُبلي^١ . قال ابن بَشْكُوَال : لآته يروي عن أبي أَيَتوب الأنصاري وعبد الله ابن عمرو رضي الله تعالى عنهم وغيرهم ، وروى عنه جماعة . وذكر البخاري في تاريخه الكبير أَنه يُعدّ في المصريين ، وذكر ابن يونس في تاريخ المغرب أَنه توفي بإفريقية سنة مائة ، وكان رجلاً صالحاً فاضلاً ، رحمه الله تعالى ؛ ويذكر أهل قرطبة أَنه توفي بقرطبة ، وَأَنه دفن بقبليها ، وقبره مشهور يُتبرك به ، والله تعالى أعلم بحقيقة الأمر في ذلك .

٦ - ومن الداخلين من التابعين حَبَّان بن أبي جبلة^٢ . ذكر ابن بَشْكُوَال أَنه مولى قریش ، ويكنى أبا النصر ، وذكره أبو العرب محمد بن تميم في تاريخ إفريقية ، وقال : حدثني فرات بن محمد أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يُفَقِّهُون أهل إفريقية منهم حَبَّان بن أبي جبلة ، روى عن عمرو ابن العاص وعبد الله بن عباس وابن عمر ، رضي الله تعالى عنهم . ويقال : توفي بإفريقية سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وقيل : سنة خمس وعشرين ومائة ، وذكر ابن الفَرَضِي أَنه غزا مع موسى بن نُصَيْر حين افتتح الأندلس حتى انتهى إلى حصن من حصونها يقال له قَرْقَشُونَة فتوفي به ، قال^٣ : وقال لنا أبو محمد الثغري : بين قَرْقَشُونَة وبِرَشْلُونَة مسافة خمسة وعشرين ميلاً ، وفيها الكنيسة المعظمة عندهم المسماة شنت مرية ، ذكر أن فيها سبع سوارٍ فضة خالصة لم ير الراؤون مثلها لا يحزم الإنسان بذراعيه واحدة منها مع طول مفرط ، هكذا نقله ابن سعيد عمّن ذكر ، والله تعالى أعلم .

١ انظر ترجمة أبي عبد الرحمن الحبلي في ابن الفرضي ١ : ٢٥٠ ، وابن سعد ٧ : ٥١١ .
٢ ترجمة حبان في ابن الفرضي ١ : ١٤٦ ورياض النفوس ١ : ٧٣ ومعالم الإيمان ١ : ١٥٨ وتهذيب التهذيب ١ : ١٦٢ .
٣ لم يرد هذا النص في كتاب ابن الفرضي .

٧ - ومن الداخلين من التابعين فيما ذكر : المغيرة بن أبي بردة نشيط ابن كنانة العنزي^١ . روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، ويروي عنه مالك في موطنه ، وذكره البخاري في تاريخه الكبير ، وفي كتاب الحافظ ابن بشكّوَال أنه دخل الأندلس مع موسى بن نصير فكان موسى بن نصير يخرجهم على العساكر .

٨ - ومن التابعين حيوة بن رجاء التميمي^٢ ، ذكر ابن حبيب أنه دخل الأندلس مع موسى بن نصير وأصحابه ، وأنه من جملة التابعين ، رضي الله تعالى عنهم ، قاله ابن بشكّوَال في مجموعه المترجم بـ « التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين » . قال ابن الأبار : وقد سمعته^٣ من أبي الخطاب ابن واجب ، وسمعه هو منه ، انتهى .

وقال ابن الأبار في موضع آخر ما صورته : رجاء بن حيوة مذكور في الذين دخلوا الأندلس من التابعين ، وفي ذلك عندي نظر ، وما أراه يصح ، والله تعالى أعلم ، انتهى .

فانظر هذا فإنه سماه رجاء بن حيوة ، وذلك السابق حيوة بن رجاء ، فالله سبحانه أعلم بحقيقة الأمر في ذلك .

٩ - ومنهم عياض بن عقبة الفهري ، من خيار التابعين ، ذكره ابن حبيب في الأربعة الذين حضروا غنائم الأندلس ، ولم يغلوا .

١٠ - ومنهم عبد الله بن شماسه الفهري ، ذكر ابن بشكّوَال أنه مصري ، وأن البخاري ذكره في تاريخه .

١ ترجمة المغيرة في رياض النفوس ١ : ٨٠ .

٢ حيوة بن رجاء في التكملة : ٢٨٢ ورجاء بن حيوة في التكملة : ٣٢٢ .

٣ يعني كتاب ابن بشكّوَال المذكور .

١١ - ومنهم عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ،
جدّه عبد الرحمن أحد العشرة رضي الله تعالى عنهم ، وهو ممّن ذكره ابن
بشكوال في الأربعة من التابعين الذين لم يغلوا .

١٢ - ومنهم منصور بن حزامة ، فيما يذكر ؛ قال ابن بشكوال : قرأت
في كتاب روايات الشيخ أبي عبد الله ابن عابد الراوية رحمه الله تعالى قال : وممّن
دخل الأندلس من المعمرين ما وجدت بخطّ المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن
الناصر رضي الله تعالى عنه في بعض كتبه المختزنة أنّه قال : طرأ علينا رجل أسود
من ناحية السودان في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، فذكر أنّه منصور بن حزامة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وكان يزعم أنّه أدرك أيام عثمان بن
عفان رضي الله تعالى عنه ، وأنّه كان مرافقاً ، وكان مع عائشة رضي الله تعالى
عنها يوم الحمل ، وأنّه شهد صيفيّين ، وأن حزامة أعتقه رسول الله صلى الله
عليه وسلّم ، وخرج عن الأندلس في سنة ثلاثين وثلاثمائة إلى المغرب ، انتهى .
قلت : هذا كلّّه لا أصل له ، ويرحم الله تعالى حافظ الإسلام ابن حجر حيث
كتب على هذا الكلام ما صورته : هذا هذيان لا أصل له ، ولا يفتّر به ،
وكذلك ترجمة أشج الغرب اتفق الحفاظ على كذبه ، انتهى .

قلت : وما هو إلا من نمط عكراش ، والله تعالى يحفظنا من سماع الأباطيل
بمنه . ومن هذه الأكاذيب ما يذكرون عن أبي الحسن علي بن عثمان بن خطاب ،
وأنّه يُعرف بأبي الدنيا ، وأنّه كان مُعَمِّراً مشهوراً بصحبة علي بن أبي طالب ،
كرم الله وجهه ، وأنّه رأى جماعة من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم ،
ووصفهم بصفاتهم ، وأنّه رأى عائشة رضي الله تعالى عنها فيما زعم ، وقدم
قُرْطُبَة على المستنصر الحكم بن الناصر وهو ولي عهد ، وسأله أنه بكر ابن
القُوطيّة عن مغازي علي وكتبها عنه ، وقد ذكره ابنُ بَشْكَوَال وغيره في
كتبهم وتواريخهم ، فقد ذكر الثقات العارفون بالفن أنّه كذاب دجال مائن

جاهل ، فأينك والاعتار بمثلك مما يوجد في كتب كثير من المؤرخين بالشرق والأندلس ، ولا يلتفت إلى قول تميم بن محمد التميمي : إنه كان إذ لقيه ابن ثلاثمائة سنة وخمس سنين ، قال تميم : واتصلت بنا وفاته ببلده في نحو سنة عشرين وثلاثمائة ، وبالجمله فلا أصل له ، وإنما ذكرناه للتنبيه عليه .

وقد عرفت بما ذكرناه التابعين الداخلين الأندلس ، على أن التحقيق أنهم لم يبلغوا ذلك العدد ، وإنما هم نحو خمسة أو أربعة كما ألعنا به في غير هذا الموضع^١ ، والله تعالى أعلم .

١٣ - ومن الداخلين إلى الأندلس مُغِيث فاتح قرطبة ، وقد تقدم بعض الكلام عليه ، وذكر ابن حيّان والحجاري أنه رومي ، زاد الحجاري : وليس برومي على الحقيقة ؛ وتصحيح نسبه أنه مغيث بن الحارث بن الحويرث ابن جبلة بن الأيهم الغساني ، سبي من الروم بالشرق وهو صغير ، فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد ، وأنجب في الولادة ، وصار منه بنو مغيث الذين نجبوا في قرطبة ، وسادوا وعظم بيتهم ، وتفرعت ذوّحتهم ، وكان منهم عبد الرحمن بن مُغِيث حاجب عبد الرحمن بن معاوية صاحب الأندلس وغيره .

ونشأ مغيث بدمشق ، ودخل الأندلس مع طارق فاتحها ، وجاز على ما في طريقها من البلاد إلى الشام ، وقدمه طارق لفتح قُرطبة ففتحها ووقع بينه وبين طارق ثم وقع بينه وبين موسى بن نُصَيْر سيد طارق ، فرحل معهما إلى دمشق ثم عاد ظافراً عليهما إلى الأندلس ، وأنسلَ بقرطبة البيت المذكور ؛ وفي « المسهب » أنه فتح قرطبة في شوال سنة ٩٢ ، ثم فتح الكنيسة التي تحصّن بها ملك قرطبة بعد حصار ثلاثة أشهر في محرم سنة ٩٣ ، ولم يذكر له مولداً ولا وفاة .

وذكر الحجاري أنه تأدب بدمشق مع بني عبد الملك فأفصح بالعربية ، وصار يقول من الشعر والنثر ما يجوز كتبه ، وتلرب على الركوب ، وأخذ نفسه بالإقدام

١ انظر ما تقدم ج : ١ ، ص : ٢٨٧ .

في مضايق الحروب ، حتى تخرج في ذلك تخرجاً أهله للتقدم على الجيش الذي فتح قرطبة ، وكان مشهوراً بحسن الرأي والكَيْد ، وقد قدمنا كيفية فتحه قرطبة وأسر ملكها الذي لم يؤسر من ملوك الأندلس غيره ، لأن منهم من عقد على نفسه أماناً ، ومنهم من فرّ إلى جليقية .

وذكر الحِجاري أنه لما حصل بيده ملك قرطبة وحريمه رأى فيهن جارية كأنها بينهن بدر بين نجوم ، وهي تكثر التعرض له بجمالها ، فوكل بها من عرض عليها العذاب إن لم تُقِرَّ بما عزم عليه في شأن مغيث ، وأنه قد فطن من كثرة تعرضها له بحسنها لما أضمرته من المكر في شأنه ، فأقرت أنها أكثر التعرض لتقع بقلبه ، إذ حُسِنَتْها فتان ، وقد أعدت له خرقه مسمومة لتمسح بها ذكره عند وقاعها ، فحمد الله تعالى على ما ألهمه إليه من مكرها ، وقال : لو كانت نفس هذه الجارية في صدر أبيها ما أخذت قرطبة من ليلة . وذكر أن سليمان بن عبد الملك لما أصغى إلى طارق في شأن سيده موسى بن نصير فعذبه واستصفى أمواله أراد أن يصرف سلطان الأندلس إلى طارق ، وكان مغيث قد تغير عليه ، فاستشار سليمان مغيثاً في تولية طارق ، وقال له : كيف أمره بالأندلس ؟ فقال : لو أمر أهلها بالصلاة إلى أي قبلة شاءوا لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا ، فعملت هذه المكيده في نفس سليمان ، وبدا له في ولايته ، فلقبه بعد ذلك طارق ، فقال له : ليتك وصفت أهل الأندلس بعصيان ، ولم تضمّر في الطاعة ما أضمرت ، فقال مغيث : ليتك تركت لي العليج فتركت لك الأندلس ، وكان طارق قد أراد أن يأخذ منه ملك قرطبة الذي حصل في يده ، فلم يمكنه منه ، فأغرى به سيده موسى بن نصير ، وقال له : يرجع إلى دمشق وفي يده عظيم من عظماء الأندلس ، وليس في أيدينا مثله ، فأبي فضل يكون لنا عليه ؟ فطلبه منه ، فامتنع من تسليمه ؛ قال ابن حيّان : فهجم موسى على العليج وانتزعه من مغيث ، فقبل له : إن سرت به معك حياً ادعاه مغيث والعلج لا ينكر ، ولكن اضرب عنقه ، ففعل ، فاضطغنّها عليه مغيث ، وبالغ

في أذيتته عند سليمان .

وذكر الحجاري في « المسهب » أن لمغيث من الشعر ما يجوز كتبه ، فمن ذلك شعر خاطب به موسى بن نصير ومولاه طارقاً ويكفي منه هنا قوله :

أَعَنَّتُكُمْ وَلَكِنْ مَا وَفَيْتُمْ فُسُوفَ أَعِيْتُ فِي غَرْبٍ وَشَرْقٍ

وعنوان طبقة في النثر أن موسى بن نصير قال له وقد عارضه بكلام في محفل من الناس : كفّ لسانك ، فقال : لساني كالمفصل ، ما أكفّه إلا حيث يقتل^١ . وأضافه ابن حيّان والحجاري إلى ولاء الوليد بن عبد الملك ، وهو الذي وجهه إلى الأندلس غازياً ففتح قرطبة ، ثم عاد إلى المشرق ، فأعاده الوليد رسولاً عنه إلى موسى بن نصير يستحثه على القدوم عليه ، فوفد معه ، فوجدوا الوليد قد مات ، فخدم بعده سليمان بن عبد الملك .

١٤ - ١٥ - ومن الداخلين أيّوب^٢ بن حبيب اللخمي . ذكر ابن حيّان أنّه ابن أخت موسى بن نصير ، وأن أهل إشبيلية قدّموه على سلطان الأندلس بعد قتل عبد العزيز بن موسى ، واتفقوا في أيامه على تحويل السلطان من إشبيلية إلى قرطبة ، فدخل إليها بهم ، وكان قيامه بأمرهم ستة أشهر ، وقيل : إن الذي نقل السلطنة من إشبيلية إلى قرطبة الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي .

قال الرازي : قدم الحرّ والياً على الأندلس في ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومعه أربع مائة رجل من وجوه إفريقية ، فمنهم أول طوابع الأندلس المعدودين ، وقال ابن بشكّو : كانت مدة الحرّ ستين وثمانية أشهر ، وكانت ولايته بعد قيام أيّوب بن حبيب اللخمي .

١٦ - ٢٦ - ومن الداخلين السّمح بن مالك الخولاني ، ولي الأندلس

١ ق ودوزي : ما كفّه إلا حيث يقبل .

٢ ق : أبو أيّوب ؛ وانظر أخبار مجموعة : ٢١ .

بعد الحر بن عبد الرحمن السابق ، قال ابن حيان : ولأه عمر بن عبد العزيز ، وأوصاه أن يُخَمَّسَ من أرض الأندلس ما كان عَنَوَةً ، ويكتب إليه بصفتهما وأنهارها وبحارها ، قال : وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانتقطاعهم وبعُدِهِم عن أهل كلمتهم ، قال : وليت الله تعالى أبقاه حتى يفعل ، فإن مصيرهم مع الكفار إلى بَوار إلا أن يستقذهم الله تعالى برحمته^١ .

وذكر ابن حيان أن قدوم السَّمْح كان في رمضان سنة مائة ، وأته الذي بنى قنطرة قُرْطُبَةَ بعدما استأذن عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله تعالى ، وكانت دار سلطانه قُرْطُبَةَ . قال ابن بَشْكُوَال : استشهد بأرض الفرنجة يوم التروية سنة اثنتين ومائة .

قال ابن حيان : كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر ، وذكر أنه قُتِلَ في الواقعة المشهورة عند أهل الأندلس بوقعة البَلاط^٢ ، وكانت جنود الإفرنجية قد تكاثرت عليه فأحاطت بالمسلمين ، فلم يَنْجُ من المسلمين أحد ، قال ابن حيان : فيقال : إن الأذان يُسمع بذلك الموضع إلى الآن .

وقدَّمَ أهل الأندلس على أنفسهم بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي . وذكر ابن بَشْكُوَال أنه من التابعين الذين دخلوا الأندلس ، وأته يروي عن عبد الله بن عمر . رضي الله تعالى عنهما ؛ قال : وكانت ولايته للأندلس في حدود العشر ومائة من قِبل عبدة بن عبد الرحمن القَيْسِي صاحب إفريقية ، واستشهد في قتال العدو بالأندلس سنة خمس عشرة ، انتهى .

وفيه مخالفة لما سبق أنه ولي بعد السَّمْح ، وأن السَّمْح قُتِلَ سنة ١٠٢ ، وهذا يقول تولى سنة ١١٠ ، فأين ذا من ذاك ؟ والله تعالى أعلم .

١ أورد هذا صاحب أخبار مجموعة : ٢٣ وابن القوطية : ٣٩ وابن عذاري ٢ : ٢٦ .

٢ المرجح أن السَّمْح بن مالك واصل تقدمه وراء جبال البرتات حتى شارف طولوشة (Tolosa) وهناك دارت معركة بينه وبين دوقها أسفرت عن مقتله ؛ وهذا يتعارض مع قول صاحب أخبار مجموعة « فزل بشر السَّمْح بن مالك وولى عبسة بن سحيم . . . » (ص ٢٤) .

ووصفه الحميَدي بحسن السيرة والعدل في قسمة الغنائم^١ ، وذكر الحنجاري أنه ولي الأندلس مرتين ، وربما يجاب بهذا عن الإشكال الذي قدمناه قريباً^٢ ، ويضعفه أن ابن حيان قال : دخل الأندلس حين وليها الولاية الثانية من قبل ابن الحبّاب في صفر سنة ثلاث عشرة ومائة ، وغزا الإفرنج فكانت له فيهم وقائع جمّة إلى أن استشهد ، وأصيب عسكره في شهر رمضان سنة ١١٤ ، في موضع يُعرف ببلاط الشهداء .

قال ابن بشكّوَال : وتُعرف غزوته هذه بغزوة البلاط ، وقد تقدم مثل هذا في غزوة السّمح ، فكانت ولايته سنة وثمانية أشهر ، وفي رواية سنتين وثمانية أشهر ، وقيل غير ذلك ، وكان سرير سلطانه حضرة قُرطبة .

ولي الأندلس بعده عنبِسة بن سَحيم الكلبي^٣ ، وذكر ابن حيان أنه قدم على الأندلس والياً من قبل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج حين كان صاحب إفريقية ، وكان قدومه الأندلس في صفر سنة ١٠٣ ، فتأخّر بقدمه عبد الرحمن المتقدم الذكر ، قال ابن بشكّوَال : فاستقامت به الأندلس ، وضبط أمرها ، وغزا بنفسه إلى أرض الإفرنجة وتوفي في شعبان سنة ١٠٧^٤ ، فكانت ولايته أربعة أعوام وأربعة أشهر ، وقيل : ثمانية أشهر .

١ انظر الجذوة : ٢٥٥ - ٢٥٦ .

٢ هذا حقاً يزيل الإشكال الذي أشار إليه ؛ ذلك أن عبد الرحمن النافقي أنقذ بقية الجند بعد مقتل السمع فولاه الجند أمر الأندلس سنة ١٠٢ حتى يقدم وال جديد ، فلما وصل عنبِسة بن سحيم الكلبي أخذ الولاية من يده ، ثم عاد عبد الرحمن إلى ولاية الأندلس في حدود ١١٢ هـ . وهذا لا يتعارض مع قول ابن حيان وإنما يتعارض مع قول ابن بشكّوَال إنه تولى في حدود سنة ١١٠ هـ . وقد سها ابن بشكّوَال عن أن بين عنبِسة وعبد الرحمن والياً هو عذرة بن عبد الله الفهري .

٣ يريد بعد ولاية عبد الرحمن الأول .

٤ انظر فجر الأندلس حيث وصف المؤلف استمرار عنبِسة في الغزو حتى سنة ١١٢ (ص ٢٤٧) ثم ذكر (ص ٢٥٤) أن عنبِسة أصيب بجراح بالغة توفي على أثرها سنة ١٠٧ هـ ؛ ولعل هذا بسبب اضطراب المصادر القديمة نفسها في ترتيب ولاية الأندلس .

وذكر ابن حيّان أنّه في أيامه قام بجليقية عِلْجٌ خبيث يدعى بلّاي^١ ، فعاب على العلوج طول الفرار ، وأذكى قرائحهم حتى سما بهم إلى طلب الثار ، ودافع عن أرضه ، ومن وقته أخذ نصارى الأندلس في مدافعة المسلمين عمّا بقي بأيديهم من أرضهم والحماية عن حريمهم ، وقد كانوا لا يطمعون في ذلك ، وقيل : إنّهُ لم يبق بأرض جليقية قرية فما فوقها لم تُفتح إلا الصخرة التي لا ذهاب هذا العِلْجُ ومات أصحابه جوعاً إلى أن بقي في مقدار ثلاثين رجلاً ونحو عشر نسوة ، وما لهم عيش إلا من عسل النحل في جباح^٢ معهم في خروق الصخرة ، وما زالوا ممتنعين بوعرها إلى أن أعيّا المسلمين أمرهم ، واحتقروهم ، وقالوا : ثلاثون عِلْجاً ما عسى أن يجيء منهم ؟ فبلغ أمرهم بعد ذلك في القوة والكثرة والاستيلاء ما لا يخفاء به . وملك بعده أذفونش جد عظماء الملوك المشهورين بهذه السّمة .

قال ابن سعيد : قال احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه إلى أن ملك عقبُ مَنْ كان فيها المدنّ العظيمة ، حتى إن حضرة قُرْطُبَة في يدهم الآن ، جبرها الله تعالى ، وهي كانت سرير السلطنة لعنيسة . اهـ .

قال ابن حيّان والحجاري : إنّهُ لما استشهد عنبسة قدّم أهل الأندلس عليهم عُذرة^٣ بن عبد الله الفهري ، ولم يعدّه ابن بشكوال في سلاطين الأندلس ، بل قال : ثمّ تتابعت ولاية الأندلس مرسلين من قبل صاحب إفريقية : أولهم يحيى بن سلمة ، وذكر الحجاري أن عُذرة كان من صلحائهم وفرسانهم ، وصار لعقبه نباهة ،

١ سيمود المقرئ إلى ذكر « بلّاي » في أول الباب الثامن من القسم الأول ؛ وانظر كذلك أخبار مجموعة : ٦١ وابن عذاري ٢ : ٢٩ ؛ وقد أسهب الدكتور مؤنس (فجر الأندلس ٣١٣-٣٤٣) في توضيح أمر بلّاي هذا (Pelayo وباللاتينية : Pelagius) بدراسة الروايات العربية والإسبانية .
٢ كذلك وردت هذه اللفظة في أخبار مجموعة : ٢٨ والمقصود بها « الخلايا » ؛ انظر ملحق المعاجم لدوزي : « جيج » .
٣ ق ودوزي : عزرة .

وولده هشام بن عذرة هو الذي استولى على طليطلة قسبة الأندلس ، وفي عقبه
بوادي آش من مملكة غرناطة نباهة وأدب ، قال ابن سعيد : وهم إلى الآن
ذوو بيت مؤصل ، ومجد مؤثل ، وكان سرير سلطنة عذرة قرطبة .

وولي بعده يحيى بن سلمة الكلبي ، قال ابن بشكوال : أنفذه إلى الأندلس
بشر بن صفوان الكلبي والي إفريقية إذ استدعى منه أهلها والياً بعد مقتل أميرهم
عنبسة ، فقدمها في شوال سنة سبع ومائة ، وأقام عليها سنة وستة أشهر لم يغز
فيها بنفسه غزوة - ونحوه لابن حيان - وكان سريره قرطبة .

وتولى بعده عثمان بن أبي نيسة الخشعمي ، وذكر ابن بشكوال : أنه
قدم عليها والياً من قبيل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب إفريقية في شعبان
سنة عشر ومائة ، ثم عزل سريعاً بعد خمسة أشهر ، وكان سرير سلطانه بقرطبة .
وولي بعده حذيفة بن الأحوص القيسي ، قال ابن بشكوال : وأتى إليها
والياً من قبيل عبيدة المذكور ، على اختلاف فيه وفي ابن أبي نيسة أيهما تولى
قبل صاحبه ، وكان قدوم حذيفة في ربيع الأول سنة عشر ومائة ، وعزل عنها
سريعاً أيضاً ، وقيل : إن ولايته استتمت سنة ، وكان بقرطبة .

وولي بعده الأندلس الهيثم بن عدي الكلابي ، قال ابن بشكوال : ولأه
عبيدة المذكور فوافي الأندلس في المحرم سنة إحدى عشرة ومائة ، وقيل :
إنه ولي سنتين وأياماً ، وقد قيل : أربعة أشهر ، وكان بقرطبة .

وولي بعده محمد بن عبد الله الأشجعي ، قال ابن بشكوال : قدمه الناس
عليهم . وكان فاضلاً فصلي بهم شهرين . قال : ثم قدم عليهم والياً عبد الرحمن
ابن عبد الله الغافقي الذي تقدمت ترجمته ، وذكرت ولايته الأولى للأندلس ،
وليها من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب إفريقية إلى أن استشهد كما تقدم .
وولي الأندلس بعده عبد الملك بن قطن الفهري ، وذكر الحجاري أن من
نسله بني القاسم أصحاب البونت وبني الجدة أعيان إشبيلية ، قال ابن بشكوال :
قدم الأندلس في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة فكانت مدة ولايته عامين ،

وقيل : أربع سنين ، ثم عُرِل عنها ذميماً في شهر رمضان سنة ست عشرة ومائة ، قال : وكان ظَلُمَوماً في سيرته ، جائراً في حكومته ، وغزاً أرض البشكنس فأوقع بهم . وذكر ابن بَشْكُوَال أنه لما عزل وولي عقبة بن الحجاج وثبَّ ابن قَطَن عليه فخلعه ، لا أدري أقتله أم أخرجه ، وملك الأندلس بقية إحدى وعشرين ومائة إلى أن رحل بلج بن بشر بأهل الشام إلى الأندلس ، فغلبه عليها ، وقتل عبد الملك بن قَطَن ، وصُلِب في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد ولاية بلج بعشرة أشهر ، وصُلِب بصحراء رَبَض قُرْطُبة بعددوة النهر حيال رأس القنطرة ، وصلبوا عن يمينه ختريراً وعن يساره كلباً ، وأقام شِلُوهُ على جذعه إلى أن سرقه مواله بالليل وغيبوه ، فكان المكان بعد ذلك يُعرف بِمَصْلَب ابن قَطَن . فلما ولي ابن عمه يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِي استأذنه ابنه أمية بن عبد الملك ، وبني فيه مسجداً نُسب إليه ، فقليل : مسجد أمية ، وانقطع عنه اسم المصلب ، وكان سن عبد الملك عند مقتله نحو التسعين . وذكر ابن بشكوال أن عقبة بن الحجاج السلوي ولّاه عبيد الله بن الحبحاب صاحب إفريقية الأندلس ودخلها سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل : في السنة التي قبلها ، فأقام بها سنين محمود السيرة ، مثابراً على الجهاد ، مفتتحاً للبلاد ، حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر رودنة^١ ، فأقام عقبة بالأندلس سنة إحدى وعشرين ومائة ، وكان قد اتخذ بأقصى ثغر الأندلس الأعلى مدينة يقال لها أربونة كان يترها للجهاد ، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام ويُبَيِّن له عيوب دينه ، فأسلم على يده ألفا رجل ، وكانت ولايته خمس سنين وشهرين ، قال الرازي : فثار أهل الأندلس بعقبة ، فخلعوه في صفر سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام ابن عبد الملك ، وولوا على أنفسهم عبد الملك بن قَطَن ، وهي ولايته الثانية ،

١ قد : ردونة - حيشا وقع - وقد صوبناه فيما سبق ؛ والإدريسي يكتبه رودنو (يعني نهر الرون) ؛ وفي بعض المصادر «ردائه» .

فكانت ولاية عقبة الأندلس ستة أعوام وأربعة أشهر ، وتوفي في صفر سنة ١٢٣ ، وسريره قرطبة .

٢٧ - ٣١ - ومن الداخلين إلى الأندلس بلج بن بشر بن عياض القشيري . قال ابن حيان : لما انتهى إلى الخليفة هشام بن عبد الملك ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب الأقصى والأندلس وخلصهم لطاعته وعيّنهم في الأرض شقّ عليه فعزل عبيد الله بن الحبحاب عن إفريقية ، وولى عليها كلثوم ابن عياض القشيري ، ووجه معه جيشاً كثيفاً لقتالهم ، كان فيه مع ما انضاف إليه من جيوش البلاد التي صار عليها سبعون ألفاً ، ومع ذلك فإنه لما تلاقى مع ميسرة البربري المدعي للخلافة هزمه ميسرة وجرح كلثوم ولاذ بسبته ، وكان بلج ابن أخيه معه ، فقامت قيامة هشام لما سمع بما جرى عليه ، فوجه لهم حنظلة بن صفوان فأوقع بالبربر ففتح الله تعالى على يديه . ولما اشتدّ حصار بلج وعمّه كلثوم ومن معهما من قتل أهل الشام بسببته وانقطعت عنهم الأقوات وبلغوا من الجهد إلى الغاية استغاثوا بإخوانهم من عرب الأندلس ، فتناقل عنهم صاحب الأندلس عبد الملك بن قطن خوفاً على سلطانه منهم ، فلما شاع خبر ضرهم عند رجال العرب أشفقوا عليهم ، فأغارهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرةً أمسكا من أرماقهم ، فلما بلغ ذلك عبد الملك ابن قطن ضربته سبعمائة سوط ، ثم اتهمه بعد ذلك بتضريب الجند عليه ، فسمل عينيه ، ثم ضرب عنقه ، وصلبه وصلب عن يساره كلباً ، واتفق في هذا الوقت أن برابر الأندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برابر العدو على العرب انتقضوا على عرب الأندلس ، واقتدوا بما فعله إخوانهم ، ونصبوا عليهم إماماً ، فكثّر إيقاعهم بجيوش ابن قطن ، واستفحل أمرهم ، فخاف ابن قطن أن يلقي منهم ما لقي العرب ببر العدو من إخوانهم ، وبلغه أنهم قد عزموا على قصده ، فلم ير أجدى من الاستعداد بصعاليك عرب الشام أصحاب بلج الموتورين ، فكتب

لبليج وقد مات عمّه كلثوم في ذلك الوقت ، فأسرعوا إلى إجابته ، وكانت أمّنيّتهم ، فأحسن إليهم ، وأسبغ النعم عليهم ، وشرط عليهم أن يأخذ منهم رهائن ، فإذا فرغوا له من البربر جهّزهم^١ إلى إفريقية ، وخرجوا له عن أندلسه ، فرَضُوا بذلك ، وعاهدوه عليه ، فقدم عليهم وعلى جنده ابنه قَطَنًا وأمّية ، والبربر في جموع لا يحصيها غير رازقها ، فاقتتلوا قتالاً صَعَبَ فيه المقام ، إلى أن كانت الدائرة على البربر ، فقتلهم العرب بأقطار الأندلس حتى ألحقوا فلّهم بالثغور ، وخفوا عن العيون ، فكَّرَ الشاميون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم ، فاشتدت شوكتهم ، وثابت همّهم ، وبطروا ، ونَسُوا العهود ، وطالبهم ابن قَطَنَ بالخروج عن الأندلس إلى إفريقية ، فتعلّوا عليه ، وذكروا صنيعه بهم أيام انحصارهم في سَبْطَة ، وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة ، فخلعوه ، وقدّموا على أنفسهم أميرهم باج بن بشر ، وتبعه جند ابن قَطَنَ ، وحملوا عليه في قتل ابن قطن ، فأبى فثارت اليمانية وقالوا : قد حميت لمضرك ، والله لا نطيعك ، فلمّا خاف تفرّق الكلمة أمر بابن قَطَنَ فأخرج إليهم وهو شيخ كبير كفسرّخ نعمة قد حضر وقعة الحرّة مع أهل اليمامة ، فجعلوا يسبونّه ، ويقولون له : أفلت من سيوفنا يوم الحرّة ، ثم طالبتنا بتلك الثرة فعرضتنا لأكل الكلاب والجلود وجبستنا بِسَبْطَة مَحْبِسِ الضنك حتى أمتنا جوعاً ، فقتلوه وصلبوه كما تقدم ، وكان أمّية وقَطَنَ ابناه عندما خُلع قد هربا ، وحشدا لطلب الثار ، واجتمع عليهما العربُ الأقدمون والبربر ، وصار معهم عبد الرحمن ابن حبيب بن أبي عبيدة ابن عقبة بن نافع الفهري كبير الجند ، وكان في أصحاب بليج ، فلمّا صنع بابن عمّه عبد الملك ما صنع فارقه ، فانحاز فيمن يطلب ثاره ، وانضم إليهم عبدُ الرحمن بن علقمة اللخمي صاحب أربونة ، وكان فارس الأندلس في وقته ، فأقبلوا نحو بليج في مائة ألف أو يزيدون ، وبليج قد استعدّ

١ ق. : هزمهم ؛ وانظر أخبار مجموعة : ٣٩ .

لهم في مقدار اثني عشر ألفاً سوى عبيد له كثيرة وأتباع من البلديين ، فاقتلوا ، وصبر أهل الشام صبراً لم يصبر مثله أحد قط ، وقال عبد الرحمن بن علقمة اللخمي : أروني بلجاً ، فوالله لأقتلنه أو لأموتن دونه ، فأشاروا إليه نحوه ، فحمل بأهل الثغر حملة انفرج لها الشاميون ، والراية في يده ، فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك بأيام قلائل . ثم إن البلديين انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة . واتبعهم الشاميون يقتلون ويأسرون ، فكان عسكرياً منصوراً مقتولاً أميره . وكان هلاك بلج في شوال سنة أربع وعشرين ومائة ، وكانت مدته أحد عشر شهراً . وسريه قرطبة ، والعرب الشاميون الداخلون معه إلى الأندلس يُعرفون عند أهل الأندلس بالشاميين ، والذين كانوا في الأندلس قبل دخوله يُشبهون بالبلديين .

ولما هلك بلج قدّم الشاميون عليهم بالأندلس ثعلبة بن سلامة العاملي ، وقد كان عندهم عهد الخليفة هشام بذلك ، فسار فيهم بأحسن سيرة ، ثم إن أهل الأندلس الأقدمين من العرب والبربر سمّوا بعد الوقعة لطلب الثأر ، قال أمره معهم إلى أن حصروه بمدينة ماردة ، وهم لا يشكّون في الظّفَر ، إلى أن حضر عيد تشاغلوا به ، فأبصر ثعلبة منهم غيرة وانتشاراً وأشرأ بكثرة العدد والاستيلاء ، فخرج عليهم في صبيحة عيدهم وهم ذاهلون ، فهزمهم هزيمة قبيحة ، وأفشى فيهم القتل ، وأسر منهم ألف رجل ، وسبى ذريتهم وعيالهم ، وأقبل إلى قرطبة من سبّئهم بعشرة آلاف أو يزيدون ، حتى نزل بظاهر قرطبة يوم خميس وهو يريد أن يحمل الأسارى على السيف بعد صلاة الجمعة . وأصبح الناس منتظرين لقتل الأسارى ، فإذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب ، فنظروا فإذا أبو الخطار قد أقبل والياً على الأندلس ، وهو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي . وذكر ابن حيان أنه قدم والياً من قبل حنظلة بن صفوان صاحب إفريقية ، والخليفة حينئذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وذلك في رجب سنة خمس وعشرين ومائة ، بعد عشرة أشهر وليها ثعلبة بن سلامة ، قال : وكان

مع فروسيته شاعراً محسناً ، وكان في أول ولايته قد أظهر العدل فدانت له الأندلس ، إلى أن مالت به العصبية اليمانية على المضربية ، فهاج الفتنة العمياء ، وكان سبب هذه الفتنة أن أبا الخطار بلغ به التعصب لليمانية أن اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من كنانة كان أبلج حجة من ابن عم أبي الخطار ، فمال أبو الخطار مع ابن عمه ، فأقبل الكناني إلى الصميل بن حاتم الكلابي أحد سادات مضر ، فشكا له حيف أبي الخطار ، وكان أياً للضيم حامياً للعشيرة ، فدخل على أبي الخطار وأمض عتابه ، فنجّه أبو الخطار وأغلظ له ، فرد الصميل عليه ، فأمر به أبو الخطار ، فأقيم ودع قفاه حتى مالت عمامته ، فلما خرج قال له بعض من على الباب : أبا جوشن ، ما بال عمامتك مائلة ؟ فقال : إن كان لي قوم فسقيموها . وأقبل إلى داره ، فاجتمع إليه قومه حين بلغهم ذلك ممتعضين ، فباتوا عنده ، فلما أظلم الليل قال : ما رأيكم فيما حدث علي فإنه منوط بكم ؟ فقالوا : أخبرنا بما تريد ، فإن رأينا تبع رأيك ، فقال : أريد والله إخراج هذا الأعرجي من هذا السلطان على ما خيلت ، وأنا خارج لذلك عن قرطبة ، فإنه ما يمكنني ما أريد إلا بالخروج ، فإلى أين ترون أقصد ؟ فقالوا : اذهب حيث شئت ، ولا تأت أبا عطاء القيسي ، فإنه لا يواليك على أمر ينفعك ، وكان أبو عطاء هذا سيداً مطاعاً يسكن بإستجة ، وكان مشاحناً للصميل مسامياً له في القدر ، فسكت عند ذكره أبو بكر ابن الطفيل العبدي ، وكان من أشرافهم ، إلا أنه كان حديث السن ، فقال له الصميل : ألا تتكلم ؟ فقال : أتكلّم بواحدة ما عندي غيرها ، قال : وما هي ؟ قال : إن عدوت إتيان أبي عطاء وشئت أمرك به لم يتم أمرنا وهلكنا ، وإن أنت قصدته لم ينظر في شيء مما سلف بينكما ، وحركته الحمية لك ، فأجابك إلى ما تريد ، فقال له الصميل : أصبت الرأي ، وخرج من ليلته ، وقام أبو عطاء في نصرتة على ما قدره العبدي ، وعمد إلى ثوابة بن يزيد الجندامي أحد أشراف اليمن وساداتهم ، وكان ساكناً بمورور وقد استفسد إليه أبو الخطار ، فأجابهما في

القيام والتقدم على المضّرية ، فاجتمعوا في شذونة ، وآل الأمر إلى أن هزموا
أبا الخطار على وادي لُكّة ، وحصل أسيراً في أيديهم ، فأرادوا قتله ، ثم
أرجأوه ، وأوثقوه وأقبلوا به إلى قرطبة ، وذلك في رجب سنة ١٢٧ بعد ولاية
أبي الخطار بستتين .

ولما سُجن أبو الخطار في قرطبة امتعض له عبدُ الرحمن بن حسان الكلبي ،
فأقبل إلى قرطبة ليلاً في ثلاثين فارساً معهم طائفة من الرّجالة ، فهجموا على
الحبس وأخرجوه منه ، ومضّوا به إلى غرب الأندلس ، فعاد في طلب سلطانه ،
ودبّ في يَمَانيته حتى اجتمع له عسكر أقبل بهم إلى قرطبة ، فخرج إليه ثوابه
ومعه الصُّمَيْل ، فقام رجل من المضّرية ليلاً فصاح بأعلى صوته : يا معشر اليمن ،
ما لكم تتعرضون إلى الحرب وتتردّون المنايا عن أبي الخطار ؟ أليس قد قدرنا
عليه لو أردنا قتله لفعلنا ، لكننا متّناً وعفونا وجعلنا الأمير منكم ، أفلا تفكرون
في أمركم ، فلو أن الأمير من غيركم عذّرتم ، ولا والله لا نقول هذا رهبةً
منكم ولا خوفاً لحربكم ، ولكن نخرجاً من الدماء ورغبة في عافية العامة ،
فتسامع الناس به ، وقالوا : صدق ، فتداعوا للرحيل ليلاً ، فما أصبحوا
إلاّ على أميال .

قال الرازي : ركب أبو الخطار البحر من ناحية تُونُس في المحرم سنة
١٢٥ ، وفي كتاب أبي الوليد ابن الفرضي : كان أبو الخطار أعرايياً عصيباً ،
أفرط في التعصّب لليمانيين ، وتحامل على مضّر ، وأسخط قيساً ، فثار به
زعيمهم الصُّمَيْل ، فخلعه ، ونصب مكانه ثوابه ، وهاج بين الفريقين الحروب
المشهورة ، وخلع أبو الخطار بعد أربع سنين وتسعة أشهر ، وذلك سنة ١٢٨ ،
وآل أمره إلى أن قتله الصُّمَيْل .

ولي الأندلس ثوابه بن سلامة الجندامي ، قال ابن بَشْكُوَال : لما
اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب القيروان ، فكتب
إليه بعهد الأندلس ، وذلك سلخ رجب سنة ١٢٧ ، فضبط البلد . وقام بأمره كلّ

الصُّمَيْلَ واجتمع عليه أهل الأندلس ، وأقام والياً سنة أو نحوها ، ثم هلك .
وفي كتاب ابن القَرَظِي أَنَّهُ ولي ستين .

ثم ولي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة ابن عقبة
ابن نافع الفِهْرِي ، وجدُّه عقبة بن نافع صاحب إفريقية وباني القيروان المجلبب
الدعوة صاحب الغزوات والآثار الحميدة ، ولهذا البيت في السلطنة بإفريقية
والأندلس نباهة . وذكر الرازي أن مولده بالقيروان ، ودخل أبوه الأندلس
من إفريقية مع حبيب بن أبي عبيدة الفهري عند افتتاحهم ، ثم عاد إلى إفريقية ،
وهرب عنه ابنه يوسف هذا من إفريقية إلى الأندلس مُغاضباً له ، فهوي الأندلس .
واستوطنها فساد بها ، قال الرازي : كان يوسف يوم ولي الأندلس ابن سبع
وخمسين سنة ، ولقاه أهل الأندلس بعد أميرهم ثوابه . وقد مكثوا بغير والٍ
أربعة أشهر ، فاجتمعوا عليه بإشارة الصميلي من أجل أَنَّهُ قرشي رضي به
الحيان ، فرفعوا الحرب ، ومالوا إلى الطاعة . فدخلت له الأندلس تسع سنين
وتسعة أشهر ، وقال ابن حيان : قدمه أهل الأندلس في ربيع الآخر سنة ١٢٩ ،
واستبد بالأندلس دون ولاية أحد له غير من بالأندلس ، وحكى ابن حيان أَنَّهُ
أنشد قول حُرَّة بنت النعمان بن المنذر يوم خلع بالأمان من سلطانه ودخوله
عسكر عبد الرحمن الداخل المرواني :

فبينما نَسُوسُ الناسُ والأمرُ أمرُنا إذا نحنُ فيهم سُوقَةٌ نُتَنَصَّفُ

قال ابن حيان : لما سمع أبو الخطار بتقدمه حرك يمانيته ، فأجابوا دعوته ، فأدى
ذلك إلى وقعة شقندة بين اليمانية والمُصْرِيَّة فيقال : إِنَّهُ لم يك بالمشرق ولا
بالمغرب حرب أصدق منها جِلاداً ولا أصبر رجلاً ، طال صبر بعضهم على
بعض ، إلى أن فني السلاح ، وتجاوزوا بالشعور ، وتلاطموا بالأيدي ، وكل
بعضهم عن بعض ، وثابت للصميلي غيرة في اليمانية في بعض الأيام ، فأمر
بتحريك أهل الصناعات بأسواق قرطبة ، فخرجوا في نحو أربعمئة رجل من

أنجادهم بما حضروهم من السكاكين والعصي^٢ ليس فيهم حامل رمح ولا سيف إلا قليلاً ، فرماهم على اليمانية وهم على غفلة ، وما فيهم من يبسط يداً لقتال ، ولا ينهض للدفاع ، فانهزمت اليمانية ووضعت المضربة السيف فيهم ، فأبادوا منهم خلقاً ، واختفى أبو الخطار تحت سرير رحي ، فقُبض عليه وجيء به إلى الصميل ، ف ضرب عنقه ، وقد ذكرنا خبر انخلاع يوسف عن سلطانه في ترجمة عبد الرحمن الداخل ، وهو آخر سلاطين الأندلس الذين ولّوها من غير موارثة ، حتى جاءت الدولة المروانية .

وذكر ابن حبان أن القائم بدولة يوسف والمستولي عليها الصّميل بن حاتم ابن شمر بن ذي الجوشن الكلّابي ، وجدّه شمر هو قاتل الحسين ، رضي الله تعالى عنه ، وكان شمر قد قرّر من المختار بولده من الكوفة إلى الشام ، فلمّا خرج كلثوم بن عياض للمغرب كان الصّميل فيمن خرج معه ، ودخل الأندلس في طالعة بلج ، وكان شجاعاً جواداً جسوراً على قلب الدول ، فبلغ ما بلغ ، وآل أمره إلى أن قتله عبدُ الرحمن الداخل المرواني في سجن قرطبة مخنوقاً .

وذكر ابن حبان أنّه كان ممّن ثار على يوسف الفهري عبد الرحمن بن علقمة اللخمي فارس الأندلس ، ووالي ثغر أربونة ، وكان ذا بأس شديد ووجاهة عظيمة ، فبينما هو في تدبير غزو يوسف إذ اغتاله أصحابه وأقبلوا برأسه إليه . ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد في أهل الذمة وغيرهم ، فملك إشبيلية ، وكثر جمعه ، إلى أن خرج له يوسف فقتله ، وثار عليه بالجزيرة الخضراء عامر العبدري ، فخرج له ، وأنزله على أمان في سكنى قرطبة ، ثم ضرب عنقه بعد ذلك .

وقيل : إن أول من خرج على يوسف عمرو بن يزيد الأزرق في إشبيلية فظفر به فقتله ، وثار عليه في كورة مرقّسطة الحباب الزهري إلى أن ظفر به يوسف فقتله ، ثم جاءت الداهية العظمى بدخول عبد الرحمن بن معاوية المرواني إلى الأندلس وسعّيه في إفساد سلطانه ، فتم له ما أراد ، والله تعالى أعلم .

٣٢ - ومن الداخلين من المشرق إلى الأندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية ابن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان ، المعروف بالداخل^١ . وذلك أنه لما أصاب دولتهم ما أصاب ، واستولى بنو العباس على ما كان بأيديهم ، واستقر قَدَمُهُم في الخلافة ، فرّ عبد الرحمن إلى الأندلس ، فنال بها ملكاً أورثه عَقِبُهُ حَقْبَةً من الدهر .

قال ابن حيّان في «المقتبس» : إنّه لما وقع الاختلال في دولة بني أمية والطلب عليهم ، فر عبد الرحمن ، ولم يزل في فِرَارِهِ منتقلاً بأهله وولده إلى أن حلّ بقرية على الفرات ذات شجر وغيّاض ، يريد المغرب ، لما حصل في خاطره من بشرى مَسْلُمة^٢ ، فمما حكى عنه أنّه قال : لئنّي لجالس يوماً في تلك القرية في ظلمة بيت تواريت فيه لرمّد كان بي ، وابني سليمان بكر ولدي يلعب قدامي ، وهو يومئذ ابن أربع سنين أو نحوها ، إذ دخل الصبي من باب البيت فازعاً باكياً فأهوى إلى حِجْرِي ، فجعلت أدفعه لما كان بي ويأبى إلا التعلّق ، وهو دَهِش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع ، فخرجت لأنظر ، فإذا بالرّوع قد نزل بالقرية ، ونظرت فإذا بالرايات السود عليها مُنْحَطّة ، وأخ لي حديث السن كان معي يشتدُّ هارباً ويقول لي : النجاء يا أخي ، فهذه رايات المسوّدة^٣ ، فضربت بيدي على دنائير تناولتها ، ونجوت بنفسني والصبي أخي معي ، وأعلمت أخواني بمتوجّهي ومكان مقصدي ، وأمرتهن أن يلحقنني ومولاي بدّر معهنّ ، وخرجت فكمنت في موضع ناء عن القرية ، فما كان إلا ساعة حتى أقبلت

١ انظر أخبار عبد الرحمن الداخل في ابن القوطية : ٤٥ وأخبار مجموعة : ٥٠ وابن عذاري ٢ : ٤٠ والنويري ٢٢ : ١ (الباب الخامس) وذكر بلاد الأندلس ، الورقة : ٨٩ والمقتطفات ، الورقة : ١٠٩ ونص هذا الأخير مطابق لنص النسخ .

٢ نسب إلى مسلمة بن عبد الملك أنه كان يخبر بأمور من الحداث والملاحم ، وكان يرى أن نهاية بني أمية في المشرق قد اقتربت ويتنبأ بظهور عبد الرحمن (راجع أخبار مجموعة : ٥١ - ٥٢) وسيأتي شيء من ذلك في هذا الكتاب .

٣ المقتطفات : فهذه الرايات السود .

الخليل فأحاطت بالدار ، فلم تجد أثراً ، ومضيت ولحقني بدر ، فأتيته رجلاً من معارفي بشطّ الفُرات ، فأمرته أن يبتاع لي دوابّ وما يصلح لسفري ، فدلّ عليّ عبدٌ سوء له العامل^١ ، فما راعنا إلا جَلَبَة الخيل تحفزنا . فاشتدنا^٢ في الحرب ، فسبقناها إلى الفُرات^٣ ، فرمينا فيه بأنفسنا ، والخليل تنادينا من الشط : ارجعا لا بأس عليكما ، فسبحتُ حائثاً لنفسي وكنت أحسن السبح ، وسبح الغلام أخي ، فلمّا قطعنا نصف الفرات قصّر أخي ودُهش ، فالتفتُ إليه لأقويّ من قلبه ، وإذا هو قد أصغى إليهم وهم يخدعون عن نفسه ، فناديته : تُقْتَلُ يا أخي ، إليّ إليّ ، فلم يسمعني ، وإذا هو قد اغتر بأمانهم ، وخشي الغرق ، فاستعجل الانقلاب نحوهم ، وقطعت أنا الفرات ، وبعضهم قد همّ بالتجرد للسباحة في أثري ، فاستكفّه أصحابه عن ذلك ، فتركوني ، ثم قدّموا الصبي أخي الذي صار إليهم بالأمان فضربوا عنقه ، ومضوا برأسه وأنا أنظر إليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فاحتملت فيه ثُكلاً ملائي مخافة ، ومضيت إلى وجهي أحسب أنّي طائر وأنا ساع على قدمي^٣ ، فلجأت إلى غِيضَة أشيبة ، فتواريت فيها حتّى انقطع الطلب ، ثم خرجت^٣ أوّم المغرب حتّى وصلت إلى إفريقية .

قال ابن حيان : وسار حتّى أتى إفريقية وقد ألحقت به أختُه شقيقته أمّ الأصبغ مولاه بدرأ ، ومولاه سالماً ، ومعهما دنانير للنفقة ، وقطعة من جوهر ، فنزل بإفريقية وقد سبقه إليها جماعة من قتل بني أمية ، وكان عند واليها عبد الرحمن ابن حبيب الفهري يهودي حدثاني صحب مسّلمة بن عبد الملك ، وكان يتكهن له ويخبره بتغلب القرشي المرواني الذي هو من أبناء ملوك القوم ، واسمه عبد

١ المقتطفات : فخرجنا واشتدنا .

٢ المقتطفات : وسبقنا الخيل إلى أن وصلنا الفرات .

٣ المقتطفات ودوزي : ثم خرجت هارباً .

الرحمن ، وهو ذو صغيرتين يملك الأندلس ويورثها عقبه ، فاتخذ الفهري عند ذلك صغيرتين أرسلهما رجاء أن تناله الرواية ، فلمّا جيء بعبد الرحمن ونظر إلى صغيرتيه قال لليهودي : ويحك ، هذا هو ، وأنا قاتله ، فقال له اليهودي : إنك إن قتلته فما هو به ، وإن غلبت على تركه إنّه لو . وثقل قل بني أمية على ابن حبيب صاحب إفريقية ، فطرد كثيراً منهم مخافة ، وتجنّى على ابنين للوليد بن يزيد كانا قد استجارا به فقتلهما ، وأخذ مالا كان مع إسماعيل بن أبان بن عبد العزيز بن مروان ، وغلبه على أخته فتزوجها بكرهه ، وطلب عبد الرحمن فاستخفى ، انتهى .

وذكر ابن عبد الحكم أن عبد الرحمن الداخل أقام ببرقة مستخفياً خمس سنين ، وآل أمره في سفره إلى أن استجار ببني رستم ملوك تيهرت من المغرب الأوسط ، وتقلب في قبائل البربر إلى أن استقر على البحر عند قوم من زنّانة ، وأخذ في تجهيز بدر مولاه إلى العبور للأندلس لموالي بني أمية وشيعتهم بها ، وكانت الموالي المروانية المدبّنة بالأندلس في ذلك الأوان ما بين الأربعمات والخمسائة ، ولهم جمرة ، وكانت رياستهم إلى شخصين : أبي عثمان عبيد الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ، وهما من موالي عثمان ، رضي الله تعالى عنه ، وكانا يتوليان لواء بني أمية يعتقبان حمّله ورياسة جند الشام النازلين بكورة البيرة ، فعبر بدر مولى عبد الرحمن إلى أبي عثمان بكتاب عبد الرحمن يذكره فيه أيادي سلفه من بني أمية وسببه بهم ويعرفه مكانه من السلطان وسعيه لئله ، إذ كان الأمر بلدّه هشام فهو حقيق بوراثته ، ويسأله القيام بشأنه وملاقة من يثق به من الموالي الأموية وغيرهم ، ويتلطف في إدخاله إلى الأندلس ليُبلي عنراً في الظهور عليها ، ويَعِدّه بإعلاء الدرجة ، ولطف المتزلة ، ويأمره أن يستعين في ذلك بمن يأمنه ، ويرجو قيامه معه ، ويأخذ فيه مع اليمانية ذوي الحنق على المضرية لما بين الحيين من التّرات ، فمشى أبو عثمان لما دعاه إليه ، وبانت له فيه طماعية ، وكان عند ورود بدر قد تجهز إلى ثغر سرقسطة لنصرة

صاحبها الصَّمِيل بن حاتم وَجَّهَ دولة يوسف بن عبد الرحمن صاحب الأندلس ، فقال لصهره عبد الله بن خالد المذكور : لو كنّا ذاكرنا الصَّمِيل خبرَ بَدْرٍ وما جاء به لنختبر ما عنده في موافقتنا ، وكانا على ثقة في أنّه لا يُظهر على سرّهما أحداً لمروءته وأنفسته ، فقال له : إن نحن فعلنا لم نأمن من أن تدركه الغيرة على سلطان يوسف لما هو عليه من شرف القدر وجلالة المنزلة فيتوقع سقوط رياسته فلا يساعدنا ، قال أبو عثمان : فتمسح^١ إذاً على أمره ، ونذكر له أنّه قصد لإرادة الإيواء والأمان وطلب أخماس جده هشام لدينا ليتعيش بها ، لا يريد غير ذلك ، فاتفقا على هذا . فلما ودّعا الصَّمِيل خَلَّوَا به في ذلك ، وقد ظهر لهما منه حقد على صاحبه يوسف في إبطائه عن إمداده لما حاربه الحباب الزهري بكورة سَرَقُسطة ، فقال لهما : أنا معكما فيما تحبان ، فاكتبنا إليه أن يعبر ، فإذا حضر سألنا يوسف أن يُنزله في جواره وأن يحسن له ، ويزوجه بابنته ، فإن فعل وإلا ضربنا صلّغته بأسيافنا ، وصرّنا الأمر عنه إليه ، فشكراه وقبلّا يده ثم ودّعا ، وأقام بطليّطة وقد ولاه يوسف عليها وعزله عن الثغر ، وانصرفا إلى وطنهما بإلييرة ، وقد كانا لقيّا من كان معهما في العسكر من وجوه الناس وثقاتهم ، فطارحاهم أمر ابن معاوية ، ثم دسّا في الكُور إلى ثقاهما بمثل ذلك ، فدب أمره فيهم ديب النار في الجمر ، وكانت سنة خلف بالأندلس بعد خروج من المجاعة التي دامت بالناس .

وفي رواية أن الصَّمِيل لأنّ لهما في أن يطلب الأمر عبد الرحمن الداخل لنفسه ثم دبّر ذلك لما انصرفا ، فتراجع فيه ، فردهما ، وقال : إنّي روّيت في الأمر الذي أدرته معكما فوجدت الفتى الذي دعوتاني إليه من قوم لو بال أحدُهم بهذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بؤله ، وهذا رجل نتحكم عليه ، ونمِل على جوانبه ، ولا يسعنا بدل منه ، ووالله لو بلغتما بيوتكما ثم بدا لي فيما

١ في المقتطفات : ننسخ ، وفي ق : فتمسح .

فأرقتكما عليه لرأيت أن لا أقصّر حتى ألقاكما لثلاثاً أغركما من نفسي ، فإنّي أعلمكما أن أول سيف يُسلّ عليه سيفي ، فبارك الله لكما في رأيكما ، فقالا له : ما لنا رأي إلا رأيك ، ولا مذهب لنا عنك . ثم انصرفا عنه على أن يعينهما في أمره إن طلب غير السلطان ، وانفصلا عنه إلى البيرة عازمين على التصميم في أمره ، ويشا من مضر وربيعة ، ورجعا إلى اليمانية ، وأخذوا في تهيج أحقاد أهل اليمن على مُضَرّ ، فوجداهم قوماً قد وَغِرَت صدورهم عليهم ، يتمنون شيئاً يجدون به السبيل إلى إدراك ثأرهم ، واغتنما بُعد يوسف صاحب الأندلس في الثغر ، وغية الصُميل ، فابتاعا مركباً ووجهها فيه أحد عشر رجلاً منهم مع بدّر الرسول ، وفيهم تمام بن علقمة وغيره ، وكان عبد الرحمن قد وجّه خاتمه إلى مواليه ، فكتبوا تحت ختمه إلى من يرجونه في طلب الأمر ، فبثوا من ذلك في الجهات ما دبّ به أمرهم ، ولما وجّه أبو عثمان المركب المذكور مع شيعته ألقوه بشطّ مغيلة من بلاد البربر ، وهو بصلي ، وكان قد اشتدّ قلّقه وانتظاره لبدر رسوله ، فبشره بدر يتمكن الأمر ، وخرج إليه تمام مكثراً لتبشيره ، فقال له عبد الرحمن : ما اسمك ؟ قال : تمام ، قال : وما كنيّتك ؟ قال : أبو غالب ، فقال : الله أكبر ! الآن تم أمرنا وغلبنا بحوّل الله تعالى وقوته ، وأدنى منزلة أبي غالب لما ملك ، ولم يزل حاجبه حتى مات عبدُ الرحمن . وبادر عبدُ الرحمن بالدخول إلى المركب ، فلما همّ بذلك أقبل البربر فتعرضوا دونه ، ففرقت فيهم من مال كان مع تمام صلاتاً على أقدارهم ، حتى لم يبق أحد حتى أرضاه ، فلما صار عبد الرحمن بداخل المركب أقبل عاتٍ منهم لم يكن أخذ شيئاً فتعلّق بحبل الهودج يعقل المركب ، فحوّل رجل اسمه شاكر يده بالسيف ، فقطع يدَ البربري ، وأعانتهم الريح على التوجّه بمركبهم ، حتى حلّوا بساحل البيرة في جهة المنكب ، وذلك في ربيع الآخر سنة ١٣٨ ، فأقبل إليه نقيباه أبو عثمان وصهره أبو خالد ، فنقلاه إلى

قرية طرش^١ منزل أبي عثمان ، فجاءه يوسف بن بخت ، واثالث عليه الأموية ، وجاءه جدار^٢ بن عمرو المذحجي من أهل مالقة ، فكان بعد ذلك قاضيه في العساكر ، وجاءه أبو عبدة حسان بن مالك الكلبي من إشبيلية فاستوزره ، واثالث عليه الناس انشياً ، فقوي أمره مع الساعات فضلاً عن الأيام ، وأمدّه الله تعالى بقوة عالية ، فكان دخوله قرطبة بعد ذلك بسبعة أشهر .

وكان خبر دخوله للأندلس قد صادف صاحبها يوسف الفهري بالثغر ، وقد قبض على الحباب الزهري الناصر بسرقسطة ، وعلى عامر العبدري الناصر معه ، فبينما هو بوادي الرمل بمقربة من طليطلة وقد ضرب عنق عامر العبدري وابن عامر برأي الصمّيل إذ جاءه قبل أن يدخل رواقه رسول يركض من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يعلمه بأمر عبد الرحمن ونزوله بساحل جند دمشق ، واجتماع الموالي المروانية إليه ، وتشوف الناس لأمره ، فانتشر الخبر في العسكر لوقته ، وسميت الناس بيوسف لقتله القرشيين عامراً وابنه ، وختّره بعهدهما ، فسارع عدد كثير إلى البدار لعبد الرحمن الداخل ، وتنادوا بشعارهم ، وقوّظوا عن عسكره ، واتفق أن جادت السماء بوابل لا عهد بمثله لما شاء الله تعالى من التضييق على يوسف ، فأصبح وليس في عسكره سوى غلمانته وخاصته وقوم الصمّيل قيس وأتباعه ، فأقبل إلى طليطلة وقال للصمّيل : ما الرأي ؟ فقال : بادره الساعة قبل أن يغلظ أمره ، فإنّي لست آمنُ عليك هؤلاء اليمانية لحنقهم علينا ، فقال له يوسف : أتقول ذلك ؟ ومع من نسير إليه وأنت ترى الناس قد ذهبوا عنا ؟ وقد أنفضنا من المال ، وأنضينا الظّهر ، ونهككتنا المجاعة في سفرتنا هذه ، ولكن نسير إلى قرطبة ، فنستأنف الاستعداد له ، بعد أن ننظر في أمره ويتبين لنا خبره ، فلعلّه دون ما كتب

^١ طرش (Torrox) على الساحل الشرقي ، وهي تعد اليوم في مديرية مالقة .

^٢ ق : حدران ؛ المقتطفات : جديران ؛ ابن عذاري : جدار ؛ أخبار مجموعة (٧٦) : جداد .

إلينا . فقال الصَّمِيل : الرأيُ ما أشرتُ به عليك ، وليس غيره ، وسوف تتبين غلطك فيما تنكبه ، ومضوا إلى قرطبة .

وسار عبد الرحمن الداخل إلى إشبيلية ، وتلقاه رئيسُ عربها أبو الصباح ابن يحيى اليَحْصِي ، واجتمع الرأي على أن يقصدوا به دار الإمارة قرطبة ، فلمّا نزلوا بطشانة^١ قالوا : كيف نسير بأمر لا لواء له ولا عَلمَ نهتدي إليه ؟ فجاءوا بقنّاة وعمامة ليعقدوها عليه ، فكرهوا أن يُحمِلوا القنّاة لتعقد تطييراً فأقاموها بين زيتونتين متجاورتين ، فصعد رجل فرجاً إحداها فعقد اللواء والقنّاة قائمة ، كما سيأتي ؛ وحكي أن فرقداً العالم صاحب الحدّثان مرّ بذلك الموضع ، فنظر إلى الزيتونتين ، فقال : سيُعقّد بين هاتين الزيتونتين لواء لأمر لا يثور عليه لواء إلاّ كسره ، فكان ذلك اللواء يسعد به هو وولده من بعده ، ولما أقبل إلى قرطبة خرج له يوسف ، وكانت المجاعة توالّت قبل ذلك ست سنين فأورثت أهل الأندلس ضعفاً ، ولم يكن عيش عامة الناس بالعسكر ما عدا أهل الطاقة مذ خرجوا من إشبيلية إلاّ القول الأخضر الذي يجدونه في طريقهم ، وكان الزمان زمان ربيع ، فسمّي ذلك العام عام الخلف ، وكان نهر قرطبة حائلاً ، فسار يوسف من قرطبة وأقبل ابن معاوية على بر إشبيلية والنهر بينهما ، فلمّا رأى يوسف تصميمَ عبد الرحمن إلى قرطبة رجع مع النهر مُحاذياً له ، فتسايرا والنهر حاجز بينهما ، إلى أن حل يوسف بصحراء المُصَّارة غربي قرطبة ، وعبد الرحمن في مقابلته ، وتراسلا في الصلح ، وقد أمر يوسف بذبح الجُرُز ، وتقديم بعمل الأطمعة ، وابن معاوية آخذ في خلاف ذلك قد أعدّ للحرب عُدتها ، واستكمل أهبتها ، وسهر الليل كلّه على نظام أمره ، كما سنذكره ، ثم انهزم أهل قرطبة ، وظفر عبد الرحمن الداخل ، ونصّر نصراً لا كفاء له ، وانهزم

١ المقتطفات : بطشانة ؛ وهذا خطأ ؛ وطشانة (Tocina) قد عدها العذري (١٠٩) من أقاليم إشبيلية .

الصُّمَيْل . وفر إلى شوذُر من كورة جَيَّان ، وفرَّ يوسف إلى جهة ماردة .
وذكر أن أبا الصَّبَّاح رئيس اليمانية قال لهم عند هزيمة يوسف : يا معشر
يمن ، هل لكم إلى فتحين في يوم ؟ قد فرغنا من يوسف وصميل ، فلنقتل هذا
الفتى المِقْدَامَة ابنَ معاوية فيصير الأمر لنا ، تقدم عليه رَجُلًا منا ، ونحل عنه هذه
المضرية ، فلم يجبه أحد لذلك ، وبلغ الخبر عبد الرحمن فأَسَرَّها في نفسه إلى
أن اغتاله بعد عام ، فقتله .

ولما انقضت الهزيمة أقام ابن معاوية بظاهر قرطبة ثلاثة أيام ، حتى أخرج
عيال يوسف من القصر ، وعَفَّ وأحسن السيرة ، ولما حصل بدار الإمارة ،
وحل محل يوسف ، لم يستقرَّ به قرار من إفلات يوسف والصُّمَيْل ، فخرج
في إثر عدوه واستخلف على قرطبة القائم بأمره أبا عثمان ، واستكتب كاتب
يوسف أمية بن زياد ، واستناب إليه إذ كان من موالي بني أمية ، ونهض في
طلب يوسف ، فوقع يوسف على خبره فخالفه إلى قرطبة ودخل القصر ،
وتحصَّن أبو عثمان خليفة عبد الرحمن بصومعة الجامع فاستتره بالأمان ، ولم يزل
عنده إلى أن عقد الصلح بينه وبين ابن معاوية ، وكان عقد الصلح المشتمل عليه
وعلى وزيره الصُّمَيْل في صفر سنة ١٣٩ ، وشارطه على أن يخلِّي بينه وبين أمواله
حيثما كانت ، وأن يسكن بلاط الحر — منزله بشرقي قرطبة — على أن يختلف
كل يوم إلى ابن معاوية ويُرِيه وجهه ، وأعطاه رهينة على ذلك ابنه أبا الأسود
محمد بن يوسف ، زيادةً على ابنه عبد الرحمن الذي أسره ابنُ معاوية يوم
الوقعة ، ورجع العسكران وقد اختلطا إلى قرطبة .

وذكر ابن حيَّان أن يوسف بن عبد الرحمن نكث سنة ١٤١ ، فهرب من قرطبة ،
وسعى بالفساد في الأرض ، وقد كانت الحال اضطربت به في قرطبة ودس له
قوم قاموا عليه في أملاكه ، زعموا أنه غصبهم إياها ، فدفع معهم إلى الحكام^١

١ المقتطفات : إلى أحكام الحكام .

فأعنتوه . وحُمِلَ عنه في التَّأْلَمِ بذلك كلامُ رفعٍ إلى ابنِ معاوية أصاب أعداءَ يوسفَ به السَّيْلُ إلى السَّعَايَةِ به والتَّخْوِيفُ منه ، فاشتدَّ تَوَحُّشُهُ ، فخرجَ إلى جَهِتٍ ماردة ، واجتمعَ إليه عشرون ألفاً من أهلِ الشَّتاتِ ، فغلظَ أمره ، وحدثته نفسه بقاءَ ابنِ معاوية ، فخرجَ نحوه من ماردة ، وخرجَ ابنُ معاوية من قرطبة ، فبينما ابنُ معاوية في حصنِ المدوَرِّ مستعدٌّ^١ ، إذ التقى بيوسفَ عبدَ الملكِ بنَ عمرِ بنِ مروانِ صاحبِ إشبيلية ، فكانتَ بينهما حربٌ شديدةٌ انكشفَ عنها يوسفُ بعدَ بلاءٍ عظيمٍ منهزمًا ، واستَحَرَّ القَتْلُ في أصحابه ، فهلكَ منهم خلقٌ كثيرٌ ، وسارَ يوسفُ لِنَاحِيَةِ طُلَيْطَلَةَ ، فلقِيَهِ في قريةٍ من قُرَاهَا عبدُ اللَّهِ بنَ عمرو الأنصاري ، فلمَّا عرفه قالَ لمنَ معه : هذا الفهري يفر ، قد ضاقتَ عليه الأرضُ ، وقتلُهُ الرَّاحَةُ^٢ له ، والرَّاحَةُ^٢ منه ، فقتله واحترَّ رأسه وقدم به إلى عبدِ الرحمن ، فلمَّا قربَ وأوذنَ عبدَ الرحمنَ به أمره أن يتوقَّفَ به دونَ جسرِ قرطبة ، وأمرَ بقتلِ ولده عبدِ الرحمنِ المحبوسِ عنده ، وضمَّ إلى رأسِهِ رَأْسَهُ^٢ ، ووضعًا على قناتين مُشْهَرَّينَ إلى بابِ القصرِ .

وكانَ عبدُ الرحمنِ لما فرَّ يوسفُ قد سجنَ وزيره الصُّمَيْلَ لأنَّه قالَ له : أينَ توجه ؟ فقال : لا أعلم ، فقال : ما كانَ ليخرجَ حتَّى يعلمَكَ ، ومع ذلك فلانَ ولدكَ معه ، وأكدَّ عليه في أن يحضره ، فقال : لو أنَّه تحتَ قدمي هذه ما رفعتها لك عنه ، فاصنع ما شئتَ ، فحينئذٍ أمرَ به للحبسِ وسَجَنَ معه ولدي يوسفَ أبا الأسودَ محمدًا المعروفَ بعدَ بالأعمى وعبدَ الرحمنَ ، فنهياً لهما الهربَ من نَقَبٍ ، فأما أبو الأسودَ فنجا سالماً ، واضطربَ في الأرضِ يبغِي الفسادَ إلى أن هلكَ حَتَفَ أنفه ، وأما عبدُ الرحمنَ فأثقله اللحمُ فانبهرَ ، فرُدَّ إلى الحبسِ ، حتَّى قُتِلَ كما تقدَّم ؛ وأُنفِ الصُّمَيْلُ من الهربِ فأقامَ بمكانه ، فلمَّا

١ المقتطفات : مشغل .

٢ المقتطفات : راحة له وراحة . . .

قُتِلَ يوسفُ أدخلَ ابنُ معاويةَ على الصميل من خَنْقَه ، فأصبح ميتاً ، فدخل عليه مشيخة المضربة في السجن ، فوجدوه ميتاً وبين يديه كأس ونَقْل ، كأنه بغت على شرابه ، فقالوا : والله إننا لنعلم يا أبا جوشن أنك ما شربتها ولكن سَقَيْتَهَا .

وممّا ظهر من بطش الأمير عبد الرحمن بن معاوية وصَرَامته فتكه بإحدى دعائم دولته رئيس اليمانية أبي الصباح يحيى^١ ، وكان قد ولّاه إشبيلية وفي نفسه منه ما أوجب فتكه به . ومن ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبي إذ ثار بياجة ، وكان قد وصل من إفريقية على أن يُظْهر الرايات السود بالأندلس ، فدخل في ناس قليلين ، فأرسي بناحية باجة ، ودعا أهلها ومن حولهم فاستجاب له خلق كثير ، إلى أن لقيه عبد الرحمن بجهة إشبيلية فهزمه ، وجيء به وبأعلام أصحابه ، فقطع يديه ورجليه ، ثم ضرب عنقه وأعناقهم ، وأمر ففرطت الصكاك في آذانهم بأسمائهم ، وأودعت جوالقاً محصناً ، ومعها اللواء الأسود ، وأنفذ بالجوالق تاجراً من ثقاته ، وأمره أن يضعه بمكة أيام الموسم ، ففعل ، ووافق أبا جعفر المنصور قد حج ، فوضعه على باب سُرّادقه ، فلمّا كشفه ونظر إليه سَقِطَ في يده ، واستدعى عبد الرحمن وقال : عرضنا هذا البائس — يعني العلاء — للحتف ، ما في هذا الشيطان مطمع ، فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيتنا وبيته .

ولما أوقع عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا في طلب ثار رئيسهم أبي الصباح اليحصبي وأكثر القتل فيهم ، استوحش من العرب قاطبة ، وعلم أنهم على دَغَلٍ وحقد ، فانحرف عنهم إلى اتخاذ الممالك ، فوضع يده في الابتاع ، فابتاع موالي الناس بكل ناحية ، واعتضد أيضاً بالبرابر ، ووجه عنهم إلى برّ العدوّة فأحسن لمن وفد عليه إحساناً رغّب مَنْ خلفه في المتابعة ، قال ابن

١ ق والمقتطفات : ابن يحيى .

حيان : واستكثر منهم ومن العبيد ، فاتخذ أربعين ألف رجل ، صار بهم غالباً على أهل الأندلس من العرب ، فاستقامت مملكته وتوطدت .

وقال ابن حيان^١ : كان عبد الرحمن راجح الحلم ، فاسح العلم^٢ ، ثاقب الفهم ، كثير الخزم ، نافذ العزم ، بريئاً من العجز ، سريع النهضة ، متصل الحركة ، لا يُخلد إلى راحة ، ولا يسكن إلى دعة ، ولا يتكبلُ الأمور إلى غيره ، ثم لا ينفرد في إبرامها برأيه ، شجاعاً مقداماً ، بعيد الغور شديد الحدة قليل الطمأنينة بليغاً مفوهاً شاعراً محسناً سمحاً سخيّاً طلق اللسان ، وكان يلبس البياض ويعتمُّ به ويؤثره ، وكان قد أعطى هبة^٣ من وليه وعدوه ، وكان يحضر الجنائز ، ويصلي عليها ، ويصلي بالناس إذا كان حاضراً الجمع والأعياد ، ويخطب على المنبر ، ويعود المرضى ، ويكثر مباشرة الناس والمشي بينهم ، إلى أن حضر في يوم جنازة فتصدى له في منصرفه عنها رجل متظلم عامي وقاح ذو عارضة فقال له : أصلح الله الأمير ، إن قاضيك ظلمني وأنا أستجيرك من الظلم ، فقال له : تنصف إن صدقت ، فمد الرجل يده إلى عنانه وقال : أيها الأمير أسألك بالله لما برحت من مكانك حتى تأمر قاضيك بإنصافي فإنه معك ، فوجم الأمير والتفت إلى من حوله من حشمه ، فرآهم قليلاً ، ودعا بالقاضي وأمر بإنصافه ، فلما عاد إلى قصره كلمه بعض رجاله ممن كان يكره خروجه وابتدأه فيما جرى ، فقال له : إن هذا الخروج الكثير — أبقي الله تعالى الأمير — لا يجمل بالسلطان العزيز ، وإن عيون العامة تخلق تجلته ، ولا تؤمن بوادهم عليه ، فليس الناس كما عهدوا ، فترك من يومئذ شهود الجنائز وحضور المحافل ، ووكل بذلك ولده هشاماً .

١ انظر هذا النص في « ذكر بلاد الأندلس » : ٩١ .
٢ المصدر السابق : راجع العقل راسخ العلم واسع الحلم .
٣ المقتطفات : وكان مهاباً جداً .

ومن نظم عبد الرحمن الداخل ما كتب به إلى أخته بالشام^١ :

أيتها الراكبُ الميممُ أرضي اقترَ مِنِّي بعضَ السلامِ لبعضي
إنَّ جسَـمِي كما تراهُ بأرضٍ وفؤادي ومالكِيه بأرضٍ
قدَّرَ البينُ بَيْنَنا فافترقنا وطوى البينُ عن جفوني غمضي
قد قضى الدهرُ بالفراقِ علينا فعسى باجتماعنا سوف يَقْضي

وكتب إلى بعض مَنْ وفد عليه من قومه لما سأله الزيادة في رزقه ، واستقل ما قابله به وذكره بحقه بهذه الأبيات^٢ :

شَتَّانَ مَنْ قامَ ذا امتعاضٍ مُنْتَضِيَّ الشَّفَرَتَيْنِ نَصْلاً^٣
فجَابَ قفراً وشقَّ بحراً مُسَامِيّاً لِحَـةً ومَحْلاً
دَبَّرَ ملكاً وشادَ عزّاً^٤ ومنبراً للخطابِ فصلاً
وجنَّدَ الجندَ حينَ أودى ومَصَّرَ المَصْرَ حينَ أجلى
ثمَّ دَعَا أهْلَهُ إِلَيْهِ^٥ حيثُ انتأوا أنْ هَلُمَّ أهْلاً
فجاءَ هذا طريدَ جوعٍ شديدَ رَوْعٍ يخافُ قتلاً^٦
فنالَ أمناً ونالَ شَيْعاً^٧ ونالَ مالاً ونالَ أهْلاً^٧
ألم يكنْ حقُّ ذا على ذا أعظمَ من منعمٍ ومَوْلى

وحكى ابن حيان أن عبد الرحمن لما أذعن له يوسف صاحب الأندلس

١ وردت هذه الأبيات في أكثر المصادر التي ترجمت للأمير عبد الرحمن ؛ انظر ذكر بلاد الأندلس :

٩١ والخلة السراء ١ : ٣٦ وجذوة المقتبس : ١٠ .

٢ انظر الخلة السراء ١ : ٣٩ وذكر بلاد الأندلس : ٩٧ وابن عذاري ٢ : ٥٩ .

٣ في رواية ابن حيان : فشال ما قل واضمحلا ، وستأتي هذه الرواية فيما يلي ص : ٤٣ .

٤ الخلة : فشاد مجداً وبز ملكاً .

٥ الخلة : جميعاً .

٦ الخلة : شريد سيف أباد قتلاً .

٧ الخلة : وحاز . . . وضم .

واستقرّ ملكه استحضر الوفود إلى قرطبة ، فاثالوا عليه ، ووالى القعود لهم في قصره عدة أيام في مجالس يكلّم فيها رؤساءهم ووجوههم بكلام سرّهم وطيب نفوسهم . مع أنّه كساهم وأطعمهم ووصلّهم ، فانصرفوا عنه محبورين مغتبطين ، يتدارسون كلامه ، ويتهافتون بشكره ، ويتهاونون بنعمة الله تعالى عليهم فيه . وفي بعض مجالسهم هذه مثّل بين يديه رجل من جند قنسرين يستجديه فقال له : يا ابن الخلائف الراشدين ، والسادة الأكرمين ، إليك فررت وبك عدت من زمن ظلوم ودهر غشوم ، قلّل المال وكثر العيال وشعث الحال فصير إلى نَدائك المال ، وأنت ولي الحمد والمجد والمرجو للرّفد ، فقال له عبد الرحمن مسرعاً : قد سمعنا مقاتلك وقضينا حاجتك ، وأمرنا بعونك على دهرك ، على كرهنا لسوء مقامك ، فلا تعودنّ ولا سواك لمثله من إراقة ماء وجهك بتصريح المسألة والإلحاف في الطليبة ، وإذا ألمّ بك خطب أو حرّبك أمر فارفعه إلينا في رقعة لا تعدوك ، كيما نسّر عليك خلّتك ، ونكفّ شمات العدو عنك ، بعد رفعك لها إلى مالكك ومالكنا عزّ وجهه بإخلاص الدعاء وصدق النية ، وأمر له بجائزة حسنة ، وخرج الناس يتعجبون منه من حسن منطقته وبراعة أدبه ، وكفّ فيما بعد ذوو الحاجات عن مقابله بها شفاهاً في مجلسه .

قال ابن حيّان : ووقع إلى سليمان بن يقظان الأعرجي على كتاب منه سلك به سبيل الخداع : أمّا بعد فدعني من معاريف المعاذير ، والتعسف عن جادة الطريق ، لتمدّنّ يداً إلى الطاعة ، والاعتصام بحبل الجماعة ، أو لأزوينّ بنائها عن رصف المعصية ، نكالا بما قدمت يداك ، وما الله بظلام للعبيد . وفي « المسهب » أن عبد الرحمن كان من البلاغة بالمكان العالي ، الذي يرتدّ عنه أكثر بني مروان حسيراً . وقد جرى بينه وبين مولاه بدّر ما لا يجب إهماله^١ ،

١ زاد في المقتطفات : أو تعتبر بلاغته .

وذلك أنه لما سعى بدر في تكميل دولته من ابتدائها إلى استقرارها صحبه عجب وامتنان كادا يرد أن به حياض المنية ، فأول ما بدأ به أن قال : بعنا أنفسنا وخاطرنا بها في شأن من هانت عليه لما بلغ أقصى أمله . وقال وقد أمره بالخروج إلى غزاة : إنما تعبنا أولاً لنستريح آخرأ ، وما أرانا إلا في أشد ممّا كنا ، وأطال أمثال هذه الأقوال ، وأكثر الاستراحة في جانبه ، فهجره وأعرض عنه ، فزاد كلامه ، وكتب له رقعة منها : أما كان جزائي في قطع البحر وجوب القفر ، والإقدام على تشتيت نظام مملكة وإقامة أخرى غير الحجر ، الذي أهاني في عيون أكفائي وأشمت بي أعدائي ، وأضعف أمري ونهي عند من يلوذ بي ، وبتر مطامع من كان يكرمني ويحفدني على الطمع والرجاء ، وأظن أعداءنا بني العباس لو حصّلت بأيديهم ما بلغوا بي أكثر من هذا ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون . فلما وقف عبد الرحمن على رقعته اشتد غيظه عليه ، فوقّع عليها : « وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبك ولثيم معتدك ، والعجب أنك متى أردت أن تبني لنفسك عندنا متناً أتيت بما يهدم كل منات مشيد ممّا تمن به ، ممّا قد أضجر الأسماع تكراره ، وقدحت في النفوس إعادته ، ممّا استخرنا الله تعالى من أجله على أمرنا باستئصال مالك ، وزدنا في هجرك وإبعادك ، وهيضنا جناح إدلالك ، فلعلّ ذلك يقمع منك ويردعك حتى نبلغ منك ما نريد إن شاء الله تعالى ، فنحن أولى بتأديبك من كل أحد ، إذ شرك مكتوب في مثالبنا ، وخيرك معدود في مناقبنا » . فلما ورد هذا الجواب على بدر سقط في يده وسلم للقضاء ، وعلم أنه لا ينفع فيه قول ، ووجه عبد الرحمن من استأصل ماله وألزمه داره ، وهتك حرمة وقص جناح جاهه ، وصبره أهون من قعيس على عمته ، ومع هذا فلم ينته بدر عن الإكثار من مخاطبة مولاه ، تارة يستلينه وتارة يذكره ، وتارة ينثث مصدوراً بخط قلمه ما يلقيه عليه بلسانه ، غير مفكر فيما يؤول إليه ، إلى أن كتب له : قد طال هجري ، وتضاعف همّي وفكري ، وأشدّ ما عليّ كوني سلياً من مالي ، فعسى أن تأمر

لي بإطلاق مالي وأتَّحِدُ به في معزل لا أشتغل بسلطان ولا أدخل في شيء من أموره ما عشت ، فوقَّع له : إن لك من الذنوب المترادفة ما لو سُلِبَ معها روحك لكان بعض ما استوجبته ، ولا سبيل إلى رد مالك ، فإن تَرَكَكَ بِمَعَزَلٍ في بُلْهَنِيَّةِ الرِّفَاهِيَّةِ وسعة ذات اليد والتخلِّي من شغل السلطان أشبه بالنعمة منه بالنعمة ، فأيأس من ذلك فإن اليأس مُرِيحٌ . فسكت لما وقف على هذه الإجابة مدة إلى أن أتى عيد فاشتد به حزنه لما رأى من حاجة مَنْ يلوذ به وهمهم بما يفرح به الناس ، فكتب إليه في ذلك رقعة منها : « وقد أتى هذا العيد الذي خالفت فيه أكثر من أساء إليك وسعى في خراب دولتك ، ممَّن عفوت عنه ، فتبتَّكَ النعمة في ذَرَاكَ ، واقتعد ذِرْوَةَ العز ، وأنا على ضِدِّ من هذا سلباً من النعمة ، مُطَرِّحاً في حضيض الهوان ، أيأس ممَّا يكون ، وأفرغ السن على ما كان » . فلما وقف على هذه الرقعة أمر بنفيه عن قرطبة إلى أقصى الثغر ، وكتب له على ظهر رقعته : « لتعلم أنَّك لم تزل بمقتك ، حتى ثقلت على العين طلعته ، ثم زدت إلى أن ثقل على السمع كلامك ، ثم زدت إلى أن ثقل على النفس جوارك ، وقد أمرنا بإقصائك إلى أقصى الثغر فبالله إلا ما أقصرت ، ولا يبلغ بك زائد المقت إلى أن تضيق بك معي الدنيا ، ورأيتك تشكو لفلان وتألَّم من فلان ، وما تَقَوَّلوه عليك ، وما لك عدوٌّ أكبر من لسانك ، فما طاح بك غيره ، فاقطعه قبل أن يقطعك » .

ولما فتح الداخل سَرَقُسطة ، وحصل في يدهِ نائرها^١ الحسين الأنصاري ، وشُدخت رؤوس وجوهها بالعمد ، وانتهى نصره فيها إلى غاية أمله ، أقبل خواصه يهثونه ، فجرى بينهم أحد من لا يؤبه به من الجند ، فهنَّأه بصوت عال ، فقال : والله لولا أن هذا اليوم يوم أسبغ عليَّ فيه النعمة من هو فوقي فأوجب عليَّ ذلك أن أنعم فيه على من هو دوني لأصلينك ما تعرضت له من

١ المقتطفات : النائر بها .

سوء النكال ، من تكون حتى تُقبل مهنتاً رافعاً صوتك غير متلجلج ولا متهيب
لمكان الإمارة ولا عارف بقيمتها حتى كأنك تخاطب أباك أو أخاك ؟ وإن
جهلك ليحملك على العود لمثلها ، فلا تجد مثل هذا الشافع في مثلها من عقوبة ،
فقال : ولعل فتوحات الأمير يقترن اتصالها باتصال جهلي وذنوبي ، فتشفع
لي متى أتيت بمثل هذه الزلة ، لا أعذمني الله تعالى ؛ فتهلل وجه الأمير ، وقال :
ليس هذا باعتذار جاهل ، ثم قال : نبّهونا على أنفسكم ، إذا لم تجدوا من ينبهنا
عليها ، ورفع مرتبته ، وزاد في عطائه .

ولما أنحى أصحابه على أصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال :
لا تستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم ، واستبقوهم لأشدّ عداوة منهم ،
يشير إلى استبقائهم ليستعان بهم على أعداء الدين .

ولما اشتد الكرب بين يديه يوم حربه مع الفهري ، ورأى شدة مقاساة
أصحابه ، قال : هذا اليوم هو أس ما بيني عليه ، إمّا ذل الدهر وإمّا عزّ الدهر ،
فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تريحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون .

ولما خرج من البحر أول قدومه على الأندلس أتوه بخمر ، فقال : إنني محتاج
لما يزيد في عقلي ، لا لما ينقصه ، فعرفوا بذلك قدره ؛ ثم أهديت إليه جارية
جميلة فنظر إليها وقال : إن هذه من القلب والعين بمكان ، وإن أنا اشتغلت عنها
بهمني فيما أطلبه ظلمتها ، وإن اشتغلت بها عما أطلبه ظلمت همّي ، ولا حاجة
لي بها الآن ، وردّها على صاحبها .

ولما استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه أنّه قال : لولا أنا ما توصل
لهذا الملك ، وكان منه أبعد من العيوق ، وأن آخر قال : سعه أعانه ،
لا عقله وتدبيره ، فحركه ذلك إلى أن قال :

لا يُلَفَّ ممتنٌ علينا قائلٌ لولايَ ما ملك الأنامَ الداخلُ
سَعْدِي وحزمي والمهند والقنا ومقادرٌ بلغت وحالٌ حائلُ

إن الملوك مع الزمان كواكبٌ نجمٌ يطالعنا ونجمٌ آفلٌ
والخزم كلُّ الخزم أن لا يغفلوا أيروم تدبير البرية غافلٌ
ويقول قومٌ سعه لا عقله خير السعادة ما حماها العاقلُ
أبني أمية قد جبرنا صدعكم بالغرب رغماً والسعود قبائلُ
ما دام من نسلي إمامٌ قائمٌ فالملك فيكم ثابتٌ متواصلٌ

وحكى ابن حيان أن جماعة من القادمين عليه من قبل الشام حدثوه يوماً في بعض مجالسهم عنده ما كان من الغمر بن يزيد بن عبد الملك أيام محتتهم ، وكلامه لعبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس الساطي بهم ، وقد حضروا رواقه وفيه وجوه المسودة من دعاة القوم وشيعتهم راداً على عبد الله فيما أراقه من دماء بني أمية ، وثلبهم والبراءة منهم ، فلم تردعه هيئته وعصف ربحه واحتفال جمعه عن معارضته والرد عليه بتفضيله لأهل بيته والذب عنهم ، وأته جاء في ذلك بكلام غاظ عبد الله وأغصه بريقه ، وعاجل الغمر بالحتف ، فمضى وخلف في الناس ما خلف من تلك المعارضة في ذلك المقام ، وكثر القوم في تعظيم ذلك ، فكان الأمير عبد الرحمن احتقر ذلك الذي كان من الغمر في جنب ما كان منه في الذهاب بنفسه عن الإذعان لعدوهم ، والأنف من طاعتهم ، والسعي في اقتطاع قطعة من مملكة الإسلام عنه ، وقام عن مجلسه ، فصاغ هذه الأبيات بديهة :

شتان من قام ذا امتعاض فشال ما قل^١ واضمحلا
ومن غدا مُصلياً لغرم مجرداً للعُدّة نصلاً
فجاء قفراً وشقّ بحراً ولم يكن في الأنام كلاً
فشاد ملكاً وشاد عزّاً ومنبراً للخطاب فصلاً

١ ق : فمر ما قال ؛ وآثرنا رواية الحلة السراء .

وَجَنَّدَ الْجُنْدَ حِينَ أُوْدَى وَمَصَّرَ الْمَصَرَ حِينَ أَجْلَى
ثُمَّ دَعَا أَهْلَهُ جَمِيعاً حَيْثُ انْتَأَوْا أَنْ هَلُمَّ أَهْلَا

وله غير ذلك من الشعر ، وسيأتي بعضه ممّا يقارب هذه الطبقة .

وأول ناصر لعبد الرحمن سائر معه في الحمول والاستخفاء مولاه المتقدم الذكر ، سعى في سلطانه شرقاً وغرباً وبرّاً وبحراً ، فلمّا كمل له الأمر سلبه من كل نعمة ، وسجنه ، ثم أقصاه إلى أقصى الثغر ، حتى مات وحاله أسوأ حال ، والله تعالى أعلم بالسرائر ، فلعلّ له عذراً ويلومه من يسمع مبداه ومآله .
ورأس الجماعة الذين توجه إليهم بدر في القيام بسلطانه أبو عثمان ، ولما توطدت دولة الداخل استغنى عنه وعن أمثاله ، فأراد أبو عثمان أن يشغل خاطره وينظر في شيء يحتاج به إليه ، فجعل ابن أخته يثور عليه في حصن من حصون البيرة ، فوجه عبد الرحمن من قبض عليه وضرب عنقه ، ثم أخذ أبو عثمان مع ابن أخيه الداخل ، وزين له القيام عليه ، فسعى لعبد الرحمن بآبن أخيه قبل أن يتم أمره ، فضرب عنقه وأعناق الذين دبروا معه ، وقيل له : إن أبا عثمان كان معه ، وهو الذي ضمن له تمام الأمر ، فقال : هو أبو سلمة هذه الدولة^١ ، فلا يتحدث الناس عنه بما تحدثوا عن بني العباس في شأن أبي سلمة ، لكن سأعتبه عتياً أشد من القتل ، وجعل يوعده ، ثم رجع له إلى ما كان عليه في الظاهر .

وكان صاحبه الثاني في المؤازرة والقيام بالدولة صهره عبد الله بن خالد ، وكان قد ضمن لأبي الصباح رئيس اليمانية عن الداخل أشياء لم يَفِ بها الداخل ، وقتل أبا الصباح ، فأنزل عبد الله وأقسم لا يشتغل بشغل سلطان حياته ، فمات منفرداً عن السلطان .

١ يشير إلى أبي سلمة الحلال الذي كان يلقب وزير آل محمد ، وقد تخلص منه العباسيون حين تمهدت الدولة .

وكان ثالثهما في النصر والاختصاص تمام بن علقمة ، وهو الذي عبر البحر إليه وبشره باستحكام أمره ، فقتل هشام بن عبد الرحمن ولد تمام المذكور ، وكذلك فعل بولد أبي عثمان المتقدم الذكر ، قال ابن حبان : فذاقا من ثكل ولديهما على يدي أعز الناس عليهما ما أراهما أن أحدا لا يقدر أن ينظر في تحسين عاقبته .

وإذا تتبع الأمر في الذين يقومون في قيام دولة كان ملهم مع من يظهرون هذا المال وأصعب .

وذكر أن أول حُجَّاب الداخل تمام بن علقمة مولاه ذو العمر الطويل ، ثم يوسف بن بخت الفارسي مولى عبد الملك بن مروان ، وله بقرطبة عقب نابه ، ثم عبد الكريم بن مهران من ولد الحارث بن أبي شمر الغساني ، ثم عبد الرحمن بن مغيث بن الحارث بن حويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني ، وأبوه مغيث فاتح قرطبة الذي تقدمت ترجمته ، ثم منصور الحصي ، وكان أول خصي استحجبه بنو مروان بالأندلس ، ولم يزل حاجبه إلى أن توفي الداخل .

ولم يكن للداخل من ينطلق عليه سِمة^١ وزير ، لكنّه عين أسيّخاً للمشاورة والمؤازرة^٢ ، أولهم أبو عثمان المتقدم الذكر ، وعبد الله بن خالد السابق الذكر ، وأبو عبدة صاحب إشبيلية ، وشهيد بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان ابن الحكم ، وكان من سبتي البرابر ، وقيل : إنّه رومي ، وبنو شهيد الفضلاء من نسله ، وعبد السلام بن بسيل الرومي مولى عبد الله بن معاوية ، ولولده نباهة عظيمة في الوزارة وغيرها ، وثعلبة بن عبيد بن النظام الجذامي صاحب سرقسطة لعبد الرحمن ، وعاصم بن مسلم الثقفي من كبار شيعة وأول من خاض النهر وهو عريان يوم الوقعة بقرطبة ، ولعقبه في الدولة نباهة .

١ المقتطفات : تسمية .

٢ المقتطفات : والمؤازرة .

وأول من كتب له عند خلوص الأمر له واحتلاله بقرطبة كبير نُقَبَاتِه أبو عثمان وصاحبه عبد الله بن خالد المتقدم الذكر ، ثم لزم كتابته أمية بن يزيد مولى معاوية بن مروان ، وكان في عديد من يشاوره أيضاً ويفضل أمره وآراءه ، وكان يكتب قبله ليوسف الفهري ، وقيل : لأنه ممن أنهم في ممالأة اليزيدي في إفساد دولة عبد الرحمن ، فاتفق أن مات قبل قتل اليزيدي واطلاع عبد الرحمن على الأمر .

وذكر ابن زيدون أن الداخِل ألقى على قضاء الجماعة بقرطبة يحيى بن يزيد اليحصبي ، فأقره حيناً ، ثم ولّى بعده أبا عمرو معاوية بن صالح الحمصي ، ثم عمر ابن شراحيل ، ثم عبد الرحمن بن طريف ، وكان جدار بن عمرو يقضي في العساكر . وكان الداخِل يرتاح ، لما استقر سلطانه بالأندلس ، إلى أن يَقْدَ عليه قتلُ بيته بني مروان ، حتى يشاهدوا ما أنعم الله تعالى عليه ، وتظهر يده عليهم ، فوفد عليه من بني هشام بن عبد الملك أخوه الوليد بن معاوية وابن عمّه عبد السلام ابن يزيد بن هشام ، قال ابن حيّان : وفي سنة ١٦٣ قَتَلَ الداخِلُ عبدَ السلام ابن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي ، وقتل معه من الوافدين عليه عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام ، وهو ابن أخي الداخِل ، وكانا تحت تدبير يُبْرِمانه في طلب الأمر ، فَوَشَى بهما مولى لعبيد الله بن أبان ، وكان قد ساعدهما على ما همّا به من الخلاف أبو عثمان كبير الدولة ، فلم ينله ما نالهما .

وذكر الحِجَارِي أن الداخِل كان يقول : أعظم ما أنعم الله تعالى به علي بَعْدَ تمكّني من هذا الأمر القدرة على إيواء من يَصِلُ إلي من أقاربي ، والتوسع في الإحسان إليهم ، وكبري في أعينهم وأسماعهم ونفوسهم بما منحني الله تعالى من هذا السلطان الذي لا مِنةَ علي فيه لأحد غيره .

وذكر ابن حزم أنه كان فيمن وفد عليه ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية ، فسعى في طلب الأمر لنفسه ، فقتله سنة ١٦٧ ، وقتل معه من أصبحابه هُدَيل بن الصُّمَيْل بن حاتم ، ونفى أخاه الوليد بن معاوية والد المغيرة المذكور إلى العُتُوّة

بماله وولده وأهله .

وفي « المسهب » حدث بعض موالى عبد الرحمن الحاصين به أنه دخل على الداخِل إثر قتله ابن أخيه المغيرة المذكور ، وهو مُطْرَق شديد الغم ، فرفع رأسه إلي وقال : ما عجيبي إلا من هؤلاء القوم ، سَعَيْنَا فيما يَضْجَعُهُمْ في مهَاد الأمن والنعمة ، وخاطرنا فيه بحياتنا ، حتَّى إذا بلغنا منه إلى مطلوبنا ، ويسر الله تعالى أسبابه ، أقبلوا علينا بالسيوف ، ولَمَّا آوَيْنَاهُمْ وشاركتناهم فيما أفرَدنا الله تعالى به حتَّى آمنوا ودرَّت عليهم أَخْلَافُ النعم هَزُّوا أعطافهم ، وشمخوا بأنافهم ، وسموا إلى العظمى ، فنازعونا فيما منحنا الله تعالى ، فخذلهم الله بكفرهم النعم إذ أطلعنا على عَوْرَاتِهِمْ ، فعاجلناهم قبل أن يعاجلونا ، وأدَّى ذلك إلى أن ساء ظننا في البريء منهم ، وساء أيضاً ظنُّه فينا ، وصار يتوقَّع من تغيُّرنا عليه ما نتوقَّع نحن منه ، وإن أشدَّ ما علي في ذلك أخي والد هذا المخذول ، كيف تطيب لي نفس بمجاورته بعد قتل ولده وقطع رحمه ؟ أم كيف يجتمع بصري مع بصره ؟ اخرج له الساعة فاعتذر إليه ، وهذه خمسة آلاف دينار ادفعها إليه ، واعزم عليه في الخروج عني من هذه الجزيرة إلى حيث شاء من بر العُدوة . قال : فلمَّا وصلت إلى أخيه وجدته أشبه بالأموات منه بالأحياء ، فأنتسته وعرفته ، ودفعت له المال ، وأبلغته الكلام ، فتأوّه وقال : إن المشثوم لا يكون بليغاً في الشَّوْم حتَّى يكون على نفسه وعلى سواه ، وهذا الولد العاق الذي سعى في حَتْفِهِ قد سرى ما سعى فيه إلى رَجُل طَلَبَ العافية ، وقنع بكيسر بيت في كَنَفٍ من يحمل عنه معرة الزَّمان وكلَّه ، ولا حول ولا قوَّةَ إِلَّا بالله ، لا مرد لما حكم به وقضاه^١ ، ثم ذكر أنَّه أخذ في الحركة إلى بر العُدوة . قال : ورجعت إلى الأمير فأعلمته بقوله ، فقال : إنَّه نطق بالحق ، ولكن لا يخدعني بهذا القول عمّا في نفسه ، والله لو قدر أن يشرب من دمي ما عَفَّ عنه لحظة ، فالحمد لله الذي أظهرنا

١ المقتطفات : لا مرد لحكم به قضى .

عليهم بما نوبناه فيهم ، وأذلهم بما نووه فينا .
واعلم أنه دخل الأندلس أيام الداخل من بني مروان وغيرهم من بني أمية
جماعة كثيرون سرد أسماءهم غير واحد من المؤرخين ، وذكر أعقابهم
بالأندلس ، ومنهم جزي بن عبد العزيز أخو عمر بن عبد العزيز ، وسيأتي قريباً .
وقد ثار على عبد الرحمن الداخل من أعيان الغرب وغيرهم جماعة كثيرون
ظفره الله تعالى بهم ، وقد سبق ذكر بعضهم ، ومنهم الدعي الفاطمي البربري
بشنت مربة فأعيا الداخل أمره ، وطال شره سنين متوالية ، إلى أن فتك به بعض
أصحابه فقتله .

ومنهم حيو بن ملابس الحضرمي رئيس لإشبيلية ، وعبد الغفار بن حميد
الحصبي رئيس لبلة ، وعمر بن طالوت رئيس باجة ، اجتمعوا وتوجهوا
نحو قرطبة يطلبون دم رئيس اليمانية أبي الصباح ، فقتلوا في هزيمة عظيمة ،
وقيل : نجوا بالفرار ، فأمنتهم الداخل .

وفي سنة ١٥٧ ثار بسرقة الحسنة بن يحيى بن سعيد بن سعد
ابن عبادة الخزرجي ، وشايه سليمان بن يقظان الأعرابي الكلبي رأس الفتن ،
وآل أمرهما إلى أن فتك الحسين بسليمان ، وقتل الداخل الحسين كما مر .
وفي سنة ١٦٣ ثار الرماحس بن عبد العزيز الكناني بالجزيرة الخضراء ،
فتوجه له عبد الرحمن الداخل ، ففر في البحر إلى المشرق .

قال ابن حبان : كان مولد عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣ ، وقيل : في
التي قبلها ، بالعلباء من تدمر ، وقيل : بدير حنا من دمشق ، وبها توفي أبوه
معاوية في حياة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ، وكان قد رشحه للخلافة —
ويقبر معاوية المذكور استجار الكُـمَيْتُ الشاعر حين أهدر هشام دمه — . وتوفي
الداخل لست بقين من ربيع الآخر سنة ١٧١ ، وهو ابن سبع وخمسين سنة وأربعة

١ دوزي : الداعي .

أشهر ، وقيل : اثنتان وستون سنة ، ودفن بالقصر من قرطبة ، وصلى عليه ابنه عبد الله .

وكان منصوراً مؤيداً مُظَفَّراً على أعدائه ، وقد سردنا من ذلك جملة ، حتى قال بعضهم : إن الراية التي عَقِدَتْ له بالأندلس^١ حين دخلها لم تُهَزَمْ قط ، وإن الوَهْن ما ظهر في ملك بني أمية إلا بعد ذهاب تلك الراية ، قال أكثر هذا مؤرخ الأندلس الثَبْتُ الثقة أبو مروان ابن حَيَّان ، رحمه الله تعالى .

ولا بأس أن نورد زيادة على ما سلف وإن تكرر بعض ذلك ، فنقول : قال بعض المؤرخين من أهل المغرب بعد كلام ابن حيان الذي قدمنا ذكره ، ما نصّه^٢ : كان الإمام عبد الرحمن الداخل راجح العقل ، راسخ الحلم ، واسع العلم ، كثير الحزم ، نافذ العزم ، لم تُرْفَع له قط راية على عدوٍّ إلا هزمه ، ولا بلد إلا فتحه ، شجاعاً ، مقدماً ، شديد الحذر ، قليل الطمأنينة ، لا يُخْلِد إلى راحة ، ولا يسكن إلى دعة ، ولا يكل الأمر إلى غيره ، كثير الكرم ، عظيم السياسة ، يلبس البياض ويعتمُّ به ، ويعود المرضى ويشهد الجنائز ، ويصلي بالناس في الجُمُع والأعياد ، ويخطب بنفسه ، جَنَدُ الأجناد وعقد الرايات واتخذ الحجاب والكتّاب ، وبلغت جنوده مائة ألف فارس .

وملخص دخوله الأندلس أنه لما اشتدَّ الطلب على قُلّ بني أمية بالشرق من وارئ ملكهم بني العباس خرج مستتراً إلى مصر ، فاشتدَّ الطلب على مثله ، فاحتال حتى وصل برقة ، ثم لم يزل متوغلاً في سيره إلى أن بلغ المغرب الأقصى ، ونزل بنفزة ، وهم أخواله ، فأقام عندهم أياماً ثم ارتحل إلى مُغيلة بالساحل ، فأرسل مولاه بدرأ بكتابه إلى موالِيهم بالأندلس عبيد الله بن عثمان وعبد الله ابن خالد وتمام بن علقمة وغيرهم ، فأجابوه واشتروا مركباً وجهّزوه بما يحتاج

١ المقتطفات : في الأندلس بين الزيتونتين .

٢ قد تقدم أن هذا النص لابن حيان . (انظر ص ٢ : ٣٧) .

إليه ، وكان الذي اشتراه عبيد الله بن عثمان ، وأركب فيه بدرأ ، وأعطاه خمسمائة دينار برسم النفقة ، وركب معه تمام بن علقمة ، وبينما هو يتوضأ للصلاة المغرب على الساحل إذ نظر إلى المركب في لجة البحر مقبلاً حتى أرسى أمامه ، فخرج إليه بدر ساجحاً ، فبشّره بما تم له بالأندلس ، وبما اجتمع عليه الأمويون والموالي ، ثم خرج إليه تمام ومن معه في المركب فقال له : ما اسمك وما كنيّتك ؟ فقال : اسمي تمام ، وكنيتي أبو غالب ، فقال : تم أمرنا وغلبنا عدونا إن شاء الله تعالى ، ثم ركبوا المركب معه فترّل بالمنكب ، وذلك غرة ربيع الأول سنة ١٣٨ .

فلما اتصل خبر جّوّازه بالأموية أناه عبيد الله بن عثمان وجماعة فتلقوه بالإعظام والإكرام ، وكان وقت العصر ، فصلّى بهم العصر ، وركبوا معه إلى قرية طرّش من كور البيرة فترّل بها ، وأناه بها جماعة من وجوه الموالي وبعض العرب ، فبايعوه وكان من أمره ما يُذكر ، وقيل : لئنّه أقام بالبيرة حتى كمل من معه ستمائة فارس من موالي بني أمية ووجوه العرب ، فخرج من البيرة إلى كورة رية فدخلت في جماعته ثم بايعته أهلها وأجنادها ، ثم ارتحل إلى شدّونة ثم إلى مورور ، ثم سار إلى إشبيلية .

وقال بعضهم : لما أراد عبد الرحمن قصد قرطبة عند دخوله الأندلس من المشرق نزل بطشانة ، فأشاروا عليه أن يعقد له لواء ، فجاءوا بعمامة وقنّاة ، فكروا أن يمسّلوا القناة تطيراً ، فأقاموها بين شجرتين من الزيتون متجاورتين ، وصعد رجل على فرع إحداها فعقد اللواء والقنّاة قائمة ، وتبرك هو وولده بهذا اللواء ، فكان بعد أن بكّي لا تُحلّ منه العقدة التي عقدت أولاً ، بل تُعقد فوقها الألوية الجدد ، وهي مستكنة تحتها ، ولم يزل الأمر على ذلك حتى انتهت الدولة إلى عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وقيل : إلى ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، فاجتمع الوزراء على تجديد اللواء ، فلما رأوا تحت اللواء أسماً خلقة ملفوفة

معقدة جهلوا فاسترذلوها ، وأمروا بحلها ونبذها ، وجدّوا غيرها ، وكان
 جمهور بن يوسف بن بخت شيخهم غائباً ، فحضر في اليوم الثاني وطولع بالقصة ،
 فأنكرها أشد إنكار وساء ما فعلوه ، وقال : إن جهلتم شأن تلك الأخلاق فكان
 ينبغي أن تتوقفوا عن نبذها حتى تسألوا المشايخ وتتفكروا في أمرها ، وخبرهم
 خبرها ، فتطلبوا تلك الأخلاق فلم توجد ، ويقال كما قال ابن حبان : إنه
 لم يزل يعرف الوهم في ملك بني أمية بالأندلس من ذلك اليوم ، وقد كان الذي
 عقده أولاً عبد الله بن خالد من موالي بني أمية ، وكان والده خالد عقد لواء
 مروان بن الحكم جدّ عبد الرحمن الأعلى لما اجتمع عليه بنو أمية وبنو كلب
 بعد انقراض دولة بني حَرْب على قتال الضحاك بن قيس الفهري يوم مَرْجِ
 رَاهِطٍ ، فانتصر على الضحاك وقتله ، ولما عرف الأمير بقصة اللّواء حزن أشدّ
 حزن ، وانفتقت عليه إثر ذلك الفتوقُ العظام ، وكانوا يرون أنّها جرت
 بسبب اللّواء لأنّه لم ينهزم قط جيش كان تحته ، على ما اقتضته حكمة الله التي
 لا تتوصّل إليها الأفكار ، وتولى حمل هذا اللّواء لعبد الرحمن الداخل أبو
 سليمان داود الأنصاري ، ولم يزل يحمله ولده من بعده إلى أيام محمد بن عبد
 الرحمن .

ولما تلاقى عبد الرحمن الداخل مع أمير الأندلس يوسف الفهري بالقرب
 من قُرْطُبة وتراسلا ، فخادعه يومين آخرهما يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين
 ومائة ، أظهر عبدُ الرحمن قبولَ الصلح ، فبات الناسُ على ذلك ليلة العيد ،
 وكان قد أسرَ خلافاً ما أظهر ، واستعد للحرب ، ولما أصبح يوم الأضحى لم
 يَنْشَبْ أن غشيت الخيلُ ، ووكلَ عبد الرحمن بخالد بن زيد الكاتب رسولَ
 يوسف جماعةً ، وأمرهم إن كانت الدائرة عليهم أن يضربوا عنقه ، وإلاّ فلا ،
 فكان خالد يقول : ما كان شيء في ذلك الوقت أحبّ إليّ من غلبة عبد الرحمن
 الداخل عدوّ صاحبي ، وركب عبد الرحمن جواداً ، فقالت اليمانية الذين أعانوه :
 هذا فتى حديثُ السنّ تحته جواد وما نأمن أول ردّةٍ يردّها أن يطير منهزماً

على جواده ويدعنا ، فأتى عبد الرحمن أحدُ مواليه فأخبره بمقاتلتهم ، فدعا أبا الصباح ، وكان له بغل أشهب يسميه الكوكب ، فقال له : إن فرسي هذا قلق تحتي ، لا يمكنني من الرمي ، فقدّم إليّ بغلك المحمود أركبه ، فقدّمه ، فلمّا ركب اطمأن أصحابه ، وقال عبد الرحمن لأصحابه : أي يوم هذا ؟ قالوا : الخميس يوم عرفة ، فقال : فالأضحى غداً يوم الجمعة ، والمتراحقان أموي وفهري ، والخذنان قيس ويمن ، قد تقابل الأشكال جدّاً ، وأرجو أنّه أخو يوم مَرَجٍ راهط ، فأبشروا وجِدُّوا ، فذكرهم يوم مرج راهط الذي كانت فيه الوقعة بين جده مروان بن الحكم وبين الضحّاك بن قيس الفهري ، وكانت يوم الجمعة ويوم أضحى ، فدارت الدائرة لمروان على الضحّاك ، فقتل الضحّاك ، وقتل معه سبعون ألفاً من قبائل قيس وأحلافهم ، وقيل : إنّهُ لم يحضر مَرَجٍ راهط من قيس مع مروان غير ثلاثة نفر : عبد الرحمن^١ بن مسعدة الفزاري ، وابن هبيرة المحاربي ، وصالح الغنوي ، وكذا لم يحضر مع عبد الرحمن الداخل يوم المصارة غربي قُرطبة من قيس غير ثلاثة : جابر بن العلاء بن شهاب ، والحصين بن الدجن ، والعقيليان ، وهلال بن الطفيل العبدي ، وكان الظفر لعبد الرحمن ، وانهزم يوسف ، وصبر الصّميّل بن حاتم بعده معندراً وعشيرته يحفونه ، فلمّا خاف انهزامهم عنه تحول على بغله الأشهب معارضةً لعبد الرحمن الداخل ، فمرّ به أبو عطاء فقال له : يا أبا جوشن ، احتسب نفسك ، فإنّ للأشباه أشباهاً : أموي بأموي ، وفهري بفهري ، وكلبي بكلبي ، ويوم أضحى بيوم أضحى ، ويمني بقيسي ، والله إنّني لأحسبُ هذا اليوم بمثل مَرَجٍ راهط سواء ، فقال له الصّميّل : كبرت وكبر علمك ، الآن تنجلي الغمّاء ، وسَحَرُك^٢ منتفخ ، فأنثني أبو عطاء لوجّهه منقلباً ، وانهزم الصّميّل ، وملك عبد الرحمن قُرطبة .

١ دوزي : عبد الله .

٢ السحر : الرثة .

ويوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة ابن عقبة بن نافع الفهري ، باني القيروان ، وأمير معاوية على إفريقية والمغرب ، وهو مشهور . وأما الصَّمِيل فهو ابن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن ، وقيل : الصَّمِيل بن حاتم بن عمرو بن جُنْدَع بن شمر بن ذي الجوشن ، كان جدّه شمر من أشراف الكوفة وهو أحد قتلة الحسين ، رضي الله تعالى عنه ، ودخل الصَّمِيل الأندلس حين دخل كُثُوم بن عياض المغرب غازياً ، وساد بها ، وكان شاعراً كثير السكر أُمِيّاً لا يكتب ، ومع ذلك فانتَهت إليه في زمانه رئاسة العرب بالأندلس ، وكان أميرها يوسف الفهري كالمغلوب معه ، وكانت ولاية الفهري الأندلس سنة تسع وعشرين ومائة ، فدانت له تسع سنين وتسعة أشهر ، وعنه كما مرّ انتقل سلطانها إلى بني أُمِيّة ، واستفحل مُلُكُهم بها إلى بعد الأربعمائة ، ثم انتثر سلُكُهم ، وبَاد ملكُهم ، كما وقع لغيرهم من الدول في القرون السالفة ، سُنّة الله الّتي قد خلت في عبادِه .

وكانت مدّة الأمراء قبل عبد الرحمن الداخل من يوم فُتحت الأندلس إلى هزيمة يوسف الفهري والصَّمِيل ستّاً وأربعين سنة وشهرين وخمسة أيام ، لأن الفتح كان حسبما تقدم لخمسة خَلَونَ من شَوّال سنة اثنتين وتسعين ، وهزيمة يوسف يوم الأضحى لعشر خلون من ذي الحِجّة سنة ثمان وثلاثين ومائة ، والله غالب على أمرِه .

وحكي أن عبد الرحمن بن معاوية دخل يوماً على جده هشام ، وعندهُ أخوه مَسْلُمة بن عبد الملك ، وكان عبد الرحمن إذ ذاك صبيّاً ، فأمر هشام أن يُنَحّي عنه ، فقال له مَسْلُمة : دعه يا أمير المؤمنين ، وَضَمّه إليه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذا صاحب بني أُمِيّة ، وَوَزَرُهُم عند زوال ملكهم ، فاستَوْصِ به خيراً ، قال : فلم أزل أعرف مزيةً من جلدي من ذلك الوقت .

وكان الداخل يقاس بأبي جعفر المنصور في عزمه وشدّته وضبط المملكة ، ووافقه في أن أمّ كلّ منهما بربرية ، وأن كلاّ منهما قتل ابنَ أخيه ، إذ قتل

المنصور ابن السفاح ، وقتل عبد الرحمن ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية .
ومن شعر عبد الرحمن وقد رأى نخلة برُصافته^١ :

تبدّت لنا وَسَطُ الرصافةِ نخلةٌ تناءتْ بأَرْضِ الغربِ عن بلدِ النخلِ
فقلتُ شبيهي في التغرّبِ والنّوى وطولِ اكتأبي عن بنيّ وعن أهلي
نشأتْ بأَرْضِ أَنْتِ فيها غريبةٌ فمثلك في الإقصاءِ والمنتأى مثلي
سَقَتِكَ غَوادي المزنِ في المنتأى الذي يسحُّ ويستمرّي السماكين^٢ بالوَبَلِ

وكان نقش خاتمه « بالله يثق عبد الرحمن ، وبه يعتصم » . وأشاع سنة ١٦٣
الرحيل إلى الشام لانتزاعها من بني العباس ، وكاتب جماعة من أهل بيته ومواليه
وشيعة ، وعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالأندلس في طائفة ، ويذهب بعمامة
مَنْ أطاعه ، ثم أعرض عن ذلك بسبب أمر الحسين^٣ الأنصاري الذي انتزى
عليه بسرّ قُسْطَة ، فبطل ذلك العزم .

ومن شعر عبد الرحمن أيضاً قوله يتشوّق إلى معاهد الشام^٤ :

أيّها الراكبُ الميمّمُ أرضي اقترَ مِنّي بعضَ السلامِ لبعضي
إنّ جسمي كما علمتْ بأَرْضِ وفؤادي ومالكيه بأَرْضِ
قُدّرَ البينُ بيننا فافترقنا وطوى البينُ عن جفوني غمضي
قدّ قضى الله بالفراقِ علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وترجمة الداخل طويلة ، وقد ذُكر منها ما فيه مقنع ، انتهى ؛ والله تعالى
الموفق للصواب .

١ انظر ابن عذاري ٢ : ٦٢ والخلة السراء : ٣٧ .

٢ المقتطفات و ق : يصح ويستمرّي السماكين .

٣ المقتطفات و ق : الحسن ؛ وقد تقدم ذكره باسم « الحسين » .

٤ تقدست هذه الأبيات ص : ٢٨ .

وفي بنائه جامع قرطبة يقول بعضهم :

وأبرزَ في ذات الإله ووجهه ثمانين ألفاً من لُجَيْنٍ وعَسْجِدٍ
وأنفقها في مسجد زانهُ الثُّقَيَّ وقرَّ به دينُ النبي محمدٍ
تري الذهب الوهاج بين سموكه يلوحُ كلمح البارق المتوقدِ

٣٣ — ومن الواقدين على الأندلس أبو الأشعث الكلبي^١ ، دخل الأندلس ، وكان شيخاً مُسْتَنّاً يروي عن أمه عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، إلا أنه كان مُتَنَدِراً صاحب دُعابة ، وكان مختصاً بعبد الرحمن بن معاوية ، وله منه مكانة لطيفة يُدَلُّ بها عليه ، ولما توفي حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد ابن عبد الملك بن مروان ، وكانت له من عبد الرحمن خاصة لم تكن لأحد من أهل بيته ، جعل عبد الرحمن يبكي ويمتهد في الدعاء والاستغفار لحبيب ، وكان إلى جنبه أبو الأشعث هذا قائماً ، وكانت له دالة عليه ودُعابة يحتملها منه ، فأقبل عند استعباره كالمخاطب للمتوفى علانية يقول : يا أبا سليمان ، لقد نزلت بحُفْرة قلما يغني عنك فيها بكاء الخليفة عبد الرحمن بَعْرَةً ، فأعرض عنه عبد الرحمن ، وقد كاد التبسَمَ يغلبه ؛ هكذا ذكره ابن حَيَّان رحمه الله تعالى في «المقتبس» ، ونقله عنه الحافظ ابن الأبار .

٣٤ — ومن الداخلين إلى الأندلس جُزَيُّ بن عبد العزيز^٢ ، أخو عمر بن عبد العزيز ، رضي الله تعالى عنه ؛ دخل الأندلس ، ومات في مدة الداخل ، وكان من أولياء الله تعالى مقتفياً سبيل أخيه عمر بن عبد العزيز ، رحمهما الله تعالى .

١ انظر التكملة : ٢١٣ والنقل عنه حرفي دون إخلال أو إيجاز . والترجمة في «المقتطفات» :

١٢٣ ، وفي ق : أبو الأشعث الكلبي .

٢ الجوهرة : ١٠٥ وقال ابن حزم : ولجزي عقب بقرطبة ؛ وترجمته في الجوهرة : ١٧٨ (وبنية الملتبس رقم : ٦٢٧) .

٣٥ - ومنهم بكر بن سَوَادَةَ بن ثُمَامَةَ ، الجُذَامِي ^١ ويكنى أبا ثُمَامَةَ ،
 وجدّه صحابي ، وكان بكر هذا فقيهاً كبيراً من التابعين ، روى عن جماعة من
 الصحابة كعبد الله بن عمرو بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة وسَهْل بن سعد
 السَّاعِدِي وسفيان بن وَهْب الخَوْلَانِي وَحِبَّان بن سَمَح الصُّدَائِي ، - وقيد اسمه
 الدارقطني رحمه الله تعالى حِبَّان ، بكسر الحاء المهملة ، وبياء معجمة بواحدة ،
 ونقله الأمير كذلك ، وهو ممتن وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وشهد فتح مصر ، قال ابن يونس : ويقال فيه حِبَّان بالكسر ، وَحِبَّان بالفتح
 أصح ، انتهى ، وضبطه بعضهم بالياء المثناة تحت .

رجع - وممن روى عنه بكر من الصحابة أبو ثور الفَهْمِي ، وأبو عميرة
 المزني ، وروى عن جماعة من التابعين أيضاً كسعيد بن المسيّب وأبي سَلَمَةَ
 ابن عبد الرحمن وعُرْوَةُ بن الزبير وجماعة سواهم يكثر عددهم ويطول سردُهم ،
 منهم ربيعة بن قيس الجملي وأبو عبد الرحمن الحُبْلِي وزياد بن نعيم الحضرمي
 وسفيان بن هانئ الجيثاني وسعيد بن شمر السبائي وعبد الله بن المستورد بن
 شداد الفِهْرِي وعبد الرحمن بن أوس المزني وزيادة بن ثعلبة البَلَّوِي وشيبان بن
 أمية القَتْبَانِي وعامر بن ذريح الحميري وعمير بن الفيض اللخمي وأبو حمزة
 الخَوْلَانِي وعياض بن فروخ المعافري ومسلم بن غُثَيي المدبجي ^٢ وهانئ بن معاوية
 الصديقي وغيرهم ممن اشتمل على ذكرهم التاريخان لابن عبد الحكم وابن يونس .
 وممن روى عن بكر المذكور عبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحارث وجعفر
 ابن ربيعة وأبو زُرْعَةَ ابن عبد الحكم الإفريقي وغيرهم .

قال ابن يونس : توفي بإفريقية في خلافة هشام بن عبد الملك ، وقيل : بل

١ انظر ترجمته في الجلبوة : ١٦٩ (وبنية الملتص رقم : ٥٨٦) ورياض النفوس ١ : ٧٤ ومعال
 الإيمان ١ : ١٦٠ .

٢ ق : المربجي ؛ ولم ينسبه الذهبي في ميزان الاعتدال (١ : ١٠٧) وقال : تفرد بحديث الفراسي
 في ماء البحر ؛ ما حدث عنه غير بكر بن سودة .

غرق في مَجَاز الأندلس ، سنة ثمان وعشرين ومائة ، قال : وجدته ثُمَامَة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله بمصر حديث رواه عمرو بن الحارث .

وقال أبو بكر عبد الله بن محمد القيرواني المالكي في تاريخه المسمى بـ «رياض النفوس» وقد ذكر بكرة هذا : لأنه كان أحد العشرة التابعين ، يعني الموجهين إلى إفريقية من قبل عمر بن عبد العزيز في خلافته ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمر دينهم ، قال : وأغرب بحديث عن عقبة بن عامر ، لم يروه غيره فيما علمت ، حدث عبد الله بن هبة عنه عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف ، ولا تنه عن منكر ، وعليك بحصاة نفسك » ، وحكى المالكي أيضاً عن أبي سعيد بن يونس قال : كان فقيهاً مفتياً ، سكن القيروان ، وكانت وفاته كما تقدم ، وذكره الحميدي في الداخلين إلى الأندلس ، ولم يذكره ابن الفرضي .

٣٦ - ومنهم رُزَيْقُ بْنُ حُكَيْمٍ^١ ، أحد المعدودين في الداخلين إلى الأندلس ، ذكره أبو الحسن ابن النعمة عن أبي المطرف عبد الرحمن بن يوسف الرفاء القرطبي ، وحكى أنه كتب ذلك من خطه ، وسمّاه مع جماعة منهم حَبَّانُ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ وعلي بن أبي رباح وأبو عبد الرحمن الحُبَلِي وحنش بن عبد الله الصنعائي ومعاوية ابن صالح وزيد بن الحباب العكلي ، وانتهى عددهم برزق هذا سبعة ، ولم يذكره ابن الفرضي ولا غيره ، قاله الحافظ أبو عبد الله القضاعي .

٣٧ - ومنهم زيد بن قاصد السكسكي^٢ . قال ابن الأبار : وهو تابعي ، دخل الأندلس وحضر فتوحها ، وأصله من مصر ، يروي عن عبد الله بن عمرو

١ ق : رزيق ؛ وأثبت ابن الأبار في حرف الراء « رزيق » (التكملة : ٣٢٤) وكذلك سماه الذهبي في المشتبّه : ٣١٢ واسم والده مصفر أيضاً ؛ وما أورده المقرئ في ترجمته متقول عن ابن الأبار .
٢ التكملة : ٣٣٠ والجدوة : ٢٠٤ (وبغية الملتبس رقم : ٧٥٧) .

ابن العاص رضي الله تعالى عنه ، وروى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي ، ذكره يعقوب بن سفيان ، وأورد له حديثاً ؛ من كتاب الحميدي ^١ ، انتهى .

٣٨ - ومنهم زرعة بن روح الشامي ^٢ ؛ دخل الأندلس ، وحَدَّث عنه ابنه مسلمة بن زرعة بحكاية عن القاضي مهاجر بن نوفل .

٣٩ - ومنهم محمد بن أوس بن ثابت ، الأنصاري ^٣ ، قال ابن الأبار : تابعي ، دخل الأندلس ، يروي عن أبي هريرة ، قرأته بخط ابن حبيش ، وقال أبو سعيد ابن يونس مؤرخ مصر : إنَّه يروي عنه الحارث بن يزيد ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ، وكان غزا المغرب والأندلس مع موسى بن نُصَيْر ، ويروي عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ وقال الحميدي : إنَّه كان من أهل الدين والفضل معروفاً بالفقه ، وليَ بحرَ إفريقية سنة ثلاث وتسعين ، وغزا المغرب والأندلس مع موسى بن نُصَيْر ، فيما حكاه ابن يونس صاحب تاريخ مصر ، وكان على بحر تونس سنة ثنتين ومائة على ما حكاه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم . ولما قُتل يزيد بن أبي مسلم والي إفريقية اجتمع رأيُ أهلها عليه ، فلولوه أمرهم ، وذلك في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان ، إلى أن ولي بشر بن صفوان الكلبي إفريقية ، وكان على مصر فخرج إليها واستخلف أخاه حنظلة ، انتهى .

٤٠ - ومنهم عبد الملك بن عمرو بن مروان بن الحكم ، الأموي ^٤ ، فرَّ من الشام خوفاً من المسوِّدة ، فمر بمصر ومضى إلى الأندلس ، وقد غلب عليها الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، فأكرمه ونوّه به ، وولاه إشبيلية لأنَّه

١ يريد ابن الأبار أنه نقل هذه الترجمة من كتاب الحميدي (جذوة المقتبس) .

٢ انظر التكملة : ٣٣٦ .

٣ ترجمته في التكملة : ٣٥٤ وجذوة المقتبس : ٤٢ (وبغية الملتبس رقم : ٦٧) .

٤ ترجمته في الحلة السراء ١ : ٥٦ والمقتطفات : ١٢٣ .

كان قُعدد بني أمية ، ثمَّ لآئه لما وجد الداخل يدعو لأبي جعفر المنصور أشار عليه بقطع اسمه من الخطبة ، وذكره بسوء صنيع بني العباس ببني أمية ، فتوقف عبد الرحمن في ذلك ، فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له ، وذلك أنه قال له حين امتنع من ذلك : إن لم تقطع الخطبة لهم قتلت نفسي ، فقطع حينئذ عبد الرحمن الخطبة بالمنصور بعد أن خطب باسمه عشرة أشهر ، ولما زحف أهل غرب الأندلس نحو قرطبة لحرب الأمير عبد الرحمن أنهض إليهم عبد الملك هذا ، فنهض في معظم الجيش ، وقدم ابنه أمية أمامه في أكثر العساكر ، فخالطهم أمية ، فوجد فيهم قوة ، فخاف الفضيحة معهم ، فأنحاز منهزماً إلى أبيه ، فلما جاءه سقيط في يده ، وقال له : ما حملك على أن استخففت بي وجرأت الناس عليَّ والعدو؟ إن كنت قد فررت من الموت فقد جئت إليه ، فأمر بضرب عنقه ، وجمع أهل بيته وخاصته وقال لهم : طُردنا من الشرق إلى أقصى هذا الصقع ، ونحسد على لقمة تبقي الرمتي ، اكسروا جفون السيوف ، فالموت أولى أو الظفر ، ففعلوا وحملوا ، وتقدمهم ، فهزم اليمانية وأهل إشبيلية ، ولم تقم بعدها اليمانية قائمة ، وقتل بين الفريقين ثلاثون ألفاً ، وجرح عبد الملك ، فأناه عبد الرحمن وجرحه يجري دماً وسيفه يقطر دماً ، وقد لصقت يده بقائم سيفه ، فقَبَّل بين عينيه ، وجزَّاه خيراً ، وقال له : يا ابن عمِّ ، قد أنكحتُ ابني وولي عهدي هشاماً ابنتك فلانة ، وأعطيتها كذا وكذا ، وأعطيتك كذا ، ولأولادك كذا ، وأقطعتك وإياهم كذا ، ووليتكم الوزارة .

ومن شعره لما نظر نخلة منفردة بإشبيلية فتذكر وطنه بالشام ، وقال ^١ :

١ نسب ابن الأبار هذه الأبيات لعبد الرحمن الداخل (الحلة : ٣٧) ثم قال : وقد قيل إن الأبيات الأربعة الأولى (تبدت لنا وسط الرصافة نخلة . . .) لعبد الملك بن بشر بن عبد الملك ، وقيل في الأبيات الأخيرة (يا نخل أنت غريبة . . .) إنها لعبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ؛ ثم عاد فذكر أن هناك ما يقوي نسبتها إلى عبد الرحمن .

يا نَحْلَ أَنْتَ فريدة مثلي في الأرض نائية عن الأهل
تبكي وهل تبكي مكمة عجماء لم تُجَبَّلْ على جبلي
ولو أنها عَقَلَتْ إِذَا لبكت ماء الفُرات ومنبت النخل
لكنها حُرِمَتْ وأخرجني بُغْضِي بَنِي العباسِ عن أهلي

٤١ - ومن الداخلين من المشرق إلى الأندلس هاشم بن الحسين بن إبراهيم ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين . ونزل حين دخوله بلبلّة ، وتُعرف منازلهم فيها بمنازل الهاشمي ، وذكره أمير المؤمنين الحكم المستنصر في كتابه « أنساب الطالبين والعلوين القادمين إلى المغرب » .

٤٢ - ومن الداخلين إلى الأندلس عبد الله بن المغيرة ، الكنايني ^١ ، حليف بني عبد الدار ، سماه أبو محمد الأصبلي الفقيه في الداخلين الأندلس من التابعين ، حكى ذلك عنه أبو القاسم ابن بَشْكُوَال في مجموعته المسمى بـ « التنبيه والتعيين » ، قال ابن الأبار : وما أراه يُتَابَع عليه ؛ وذكره أبو سعيد ابن يونس من أهل إفريقية ، انتهى ، وذكر أنه يزوي عن سفيان بن وهب الخولاني .

٤٣ - ومنهم عبد الله المعمر ^٢ الذي طرأ على الأندلس في آخر الزمان ، وكان يزعم أنه لقي بعض التابعين . قال ابن الأبار : روى عنه أبو محمد أسد الجهنّي ، ذكر ذلك القَبْشِيّ ، وفيه عندي نظر ، انتهى .

٤٤ - ومنهم أبو عمرو عبد الرحمن بن شماسه بن ذئب ، المهري ^٣ ، روى عن أبي ذر ، وقيل : عن أبي نضرة عن أبي ذر ، وعائشة وعمرو بن العاص

١ ترجمته في التكملة : ٧٧٢ .

٢ التكملة : ٩١٢ .

٣ ترجمته في التكملة رقم : ١٥٢٥ ، وفيه « ابن ذؤيب » .

وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وأبي نضرة الغفاري^١ وعقبة بن عامر الجهني وعوف ابن مالك الأشجعي ، ومعاوية بن حُديج ومسلمة بن مخلد وأبي رهم ، ذكره ابن يونس في تاريخ مصر ، وسمّاه ابن بَشْكُوَال في الداخلين الأندلس من التابعين ، وروى ذلك عن الحُمَيْدي ، قاله ابن الأبار ؛ وقال ابن يونس : وآخر من حدث عنه بمصر حرملة بن عمران .

٤٥ - ومن الداخلين إلى الأندلس من المشرق عبد الله بن سعد بن عمّار ابن ياسر^٢ ، رضي الله تعالى عنه ، وقد ذكره ابن حيّان في مقتبسه ، وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِي كتب له أن يدافع عبد الرحمن المرواني الداخل للأندلس ، وكان المذكور إذ ذاك أميراً على اليمانية من جند دمشق ، وإنّما رَكَنَ إليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمّار وبني أميّة من الثأر بسبب قتل عمّار بصِفَتَيْن ، وكان عمّار رضي الله تعالى عنه من شيعة علي ، كرّم الله وجهه .

وهذا عبد الله بن سعد هو جدُّ بني سعيد أصحابِ القلعة الذين منهم عدّة رؤساء وأمراء وكتّاب وشعراء ، ومنهم صاحب « المغرب » وغير واحد ممّن عرفنا به في هذا الكتاب ، ومن مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف ابن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة الملتَمِينَ ، قال : وهو القائل يفتخر^٣ :

إن لم أكنْ للعلاء أهلاً بما تراهُ فمن يكونُ
فكلُّ ما أبتغيه دوني ولي على هِمّتي ديونُ
ومن يرّم ما يقلُّ عنه فذاك من فعله جنونُ

١ التكملة : أبي بصرة ؛ وذكر صاحب الأغاني أن أبا بصرة الغفاري المحدث هو والد عزة صاحبة كثير ؛ قال : واسمه صميل بن وقاص (٩ : ٢٤) .

٢ انظر ما تقدم : ج ٢ : ٣٣٠ .

٣ مرت هذه الأبيات والتي تليها ، ج ٢ ص : ٣٣١ من هذا الكتاب .

فرعٌ بأفقِ السماء سامٍ وأصلُهُ راسخٌ مَكِينُ

وقوله :

اللهُ يعلمُ أنِّي أحبُّ كَسْبَ المعالي
وانتماساً أتوانى عنها لسوء المآل
تحتاجُ للكِدِّ والبذْلِ واصْطِناعِ الرجال
دع كلَّ مَنْ شاءَ يسمو لها بكلِّ احتيال
فحالمهم في انعكاسٍ بها وحاليَ حالي

وتراجمهم واسعة ، وقد بُسِطت في « المسهب » و « المغرب » وغيرهما ،
وقد قدمنا في الباب قبل هذا من أخبار بني سعيد هؤلاء ما يُثْلَجُ الصَّدْرُ فليراجع .

٤٦ - ومن الواقدين على الأندلس من المشرق أبو زكريا عبد الرحيم بن
أحمد بن نصر بن إسحاق بن عمرو بن مزاحم بن غياث ، التميمي ، البخاري ^١ ،
الحافظ ، نزيل مصر .

سمع ببُخارى بلده من إبراهيم بن محمد بن يزداد وأخيه أحمد ، وكانا
يرويان معاً عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وعن أبي الفضل السليماني
ببيكند ، وأبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بغُنْجَار ، وأبي يعلى حمزة بن
عبد العزيز المهلبى وأقرانه باليمن ، وأبي القاسم تمام بن محمد الرازي بدمشق ، وابن
أبي كامل بأطرابلس الشام ، وأبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ بمصر ، وله
رواية عن أبي نصر الكلاباذي وأبي عبد الله الحاكم وأبي بكر بن فُورَك المتكلم
وأبي العباس ابن الحاج الإشبيلي وأبي القاسم علي بن أحمد الخُزاعي صاحب الهيثم
ابن كليب وأبي الفضل العباس بن محمد الحدّاد التنيسي وأبي الفتح محمد بن إبراهيم
الجحدري وأبي بكر محمد بن داود العسقلاني وهلال الحفار وصدقة بن محمد

١ ترجمته في التكملة رقم : ١٦٧١ .

ابن مروان الدمشقي ، ولقي بإفريقية العابد ولي^١ الله سيدي محرز بن خلف التميمي مولاهم وصحبته ، وقال : لقد هبته يوم لقيته هبته لم أجدها لأحد في نفسي من الناس ، ودخل الأندلس وبلاد المغرب ، وكتب بها عن شيوخها ، ولم يزل يكتب إلى أن مات حتى كتب عمن دونه ، وله « رسالة الرحلة^١ وأسبابها وقول لا إله إلا الله وثوابها » ، فسمع منه أبو عبد الله الرازي وذكره في مشيخته ، قال الحافظ ابن الأبار : ومنها نقلت اسمه وتعرفت دخوله الأندلس ، وحدث عنه هو وجماعة منهم أبو مروان الطبري - وقال : هو من الرحالين في الآفاق ، أخبرني أنه يحدث عن مئين من أهل الحديث - وأبو عبد الله الحميدي وأبو بكر [جماهر بن عبد الرحمن]^٢ الطلبي وأبو عبد الله ابن منصور الحضرمي وأبو سعيد الرهاوي وأبو محمد جعفر بن محمد السراج وأبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي وأبو الحسن ابن مشرف الأنماطي وأبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي وأبو محمد شعيب بن سبعون الطرطوشي وأبو بكر ابن نعمة العابد^٣ وأبو الحسن علي بن الحسين الموصلي الغرافي^٤ وأبو عثمان سعد بن عبد الله الحيدري من شيوخ السلفي ، وأبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمي ، وأبو إسحاق الكلعي من شيوخ أبي بحر الأسدي ، وأبو محمد ابن عتاب كتب إليه بجميع ما رواه ولم يعرف ذلك في حياته . وسماه أبو الوليد ابن الدباغ في الطبقة العاشرة من طبقات أئمة المحدثين من تأليفه ، مع أبي عمر ابن عبد البر وأبي محمد ابن حزم وأبي بكر ابن ثابت الخطيب ، وذكره أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه ، وقال : سمع بما وراء النهر والعراق ومصر واليمن والقيروان ، ثم سكن مصر وقدم دمشق قديماً وحدث بها ، وسمى جماعة كثيرة من الرواة عنه ، وحكى أنه قال : لي ببخارى أربعة عشر ألف جزء حديث أريد أن أمضي وأجيء بها ،

١ التكملة : رسالة الرحمة .

٢ زيادة من التكملة .

٣ دوزي : العابر .

٤ التكملة : الفراء .

قال : وسئل عن مولده ، فقال : في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، قال : وتوفي بالحرراء سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، انتهى .

قلت : والذي أعتقد أنه لم يدخل الأندلس من أهل المشرق أحفظ منه للحديث ، وهو ثقة عدل ليس له مجازفة ، والحق أبلغ .

٤٧ - ومن دخل الأندلس من المشرق عبد الجبار بن أبي سلمة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف ، القرشي ، الزهري^١ ، دخل الأندلس مع موسى بن نصير ، وكان على ميسرة معسكره ، ونزل باجة ثم بطلنيوس ، ومن نسله الزهريون الأشراف الذين كانوا بإشبيلية انتقلوا إلى سكنائها قديماً ، هكذا في خبر القاضي أبي الحسين الزهري منهم عن أبي بكر ابن خير وغيره ، قال ابن بشكوال في مجموعه المسمى بـ « التنبية والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين » : عبد الجبار بن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف من التابعين ، وقع ذكره في كتاب شيخنا أبي الحسن ابن مغيث ، انتهى . قال ابن الأبار : ولم يزد على هذا ، انتهى .

٤٨ - ومن الداخلين إلى الأندلس من المشرق أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب^٢ ، من أهل مصر ، وسكن بغداد ، ويعرف بالطندثاني ، قرية بمصر نسب إليها ، روى عن أبي محمد الشارمسي ، وتفقه به ، وقدم الأندلس رسولاً يزعمه من عند الخليفة العباسي ، فسكن مرسية ودرس بها ، وخرج منها سنة اثنتين وأربعين وستمائة بعد أن تملكها النصاري صلحاً ، وأسر بناحية صقلية ، قال ابن الأبار : ثم بلغني أنه تخلص ولحق ببلده ، رحمه الله تعالى .

٤٩ - ومنهم عبد الخالق بن إبراهيم الخطيب ، يكنى أبا القاسم . قال

١ ترجمته في التكملة رقم : ١٧٧٢ .

٢ ترجمته في التكملة رقم : ١٧٩٦ .

ابن الأبار^١ : لا أعرف موضعه من بلاد المشرق ، وكان أديباً قوياً العارضة ، مطبوع الشعر ، مديد النفس . ومن شعره من قصيدة صنعها في وقت رحلته إلى الأندلس قوله :

على الذلّ أو فاحلّل عقالَ الركائبِ وللضيمِ أو فاحلّل صدورِ الكتائبِ
فلَمّا حَيَاةٌ بعدَ إدراكِ مُنْيَةٍ وإمّا مَمَاتٌ تحتَ عزِّ القَوَاضِيبِ
فما العيشُ في ظلِّ الهَوَانِ بطيبٍ وما الموتُ في سُبُلِ العَلَاءِ بعائبِ

٥٠ — ومنهم أبو محمد عبد اللطيف بن أبي الطاهر أحمد بن محمد بن هبة الله ، الهاشمي ، الصديقي ، من أهل بغداد ، يُعرف بالترسي ، دخل الأندلس ، وكان يزعم أنه روى عن أبي الوقت السّجزي وأبي الفرج الجوزي وغيرهما ، وله تأليف سماه « الدليل في الطريق من أقاويل أهل التحقيق » ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز وضعّفه بعدما سمع منه ، أخذ عنه وسمع منه هو وأبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المغيلي وغيرهما ، وقال : ورد علينا غرناطة قريباً من سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وتوفي ، عفا الله تعالى عنه ، بإشبيلية قريباً من هذا التاريخ ، وقال فيه أبو القاسم ابن فرقد : عبد اللطيف بن عبد الله الهاشمي البغدادي الرسي ، منسوب إلى قرية من قرى بغداد ، سمع صحيح البخاري من أبي الوقت السّجزي ، وروى عن غيره ، وله تأليف ، قال ابن الأبار^٢ : في التصوّف ، منها تأليف في إباحة السماع ، قرأت عليه أكثره ، وقرأت عليه عوالي النقيب بمدينة إشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة عشر وستمائة .

٥١ — ومنهم أبو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن أحمد ، الخراساني ،

١ لم ترد ترجمته في كتاب التكملة المطبوع .

٢ لم يرد أيضاً في كتاب التكملة المطبوع .

الباخوزي ، الماليني ، يكنى أبا بكر^١ ، سمع من أبي الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني وأبي يعقوب يوسف بن عمر بن أحمد الخالدي الزنجاني ، وقدم الأندلس ، وحدث بصحيفتي الأشج وجعفر بن نسطور الرومي ، وسمع منه بغرناطة ومُرُسية وغيرهما من بلاد الأندلس ، وحدث عنه أبو القاسم الملاحي ، وسمع منه بمالقة أبو جعفر ابن عبد الجبار وأبو علي ابن هاشم في صفر سنة ٦٠٠ ، ومولده في ربيع الأول سنة ٥٦٠ ، انتهى من تكملة ابن الأبار^٢ . قلت : ولا يخفى على مَنْ له بصر بعلم الحديث أن الأشج وابن نسطور لا يلتفت إليهما ، ويرحم الله تعالى السلفي الحافظ إذ قال :

حديثُ ابنِ نسطورٍ وقيسٍ ويعنمٍ وبعد أشجٍ الغربِ ثم خراشٍ
ونسخةُ دينارٍ ونسخةُ تريبهِ أبي هُدبةَ القيسيِّ شبهُ فراشٍ

قال ابن عات : كان الحافظ السلفي إذا فرغ من إنشاد هذين البيتين ينفخ في يديه إشارة إلى أن هذه الأشياء كالريح ، انتهى .

٥٢ — ومن الوافدين على الأندلس من أهل المشرق علي بن بُندار بن إسماعيل بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ، البرمكي ، من أهل بغداد ، قدم الأندلس تاجراً سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان قد أخذ عن أبي الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه الداودي ، وتلمذ له ، وسمع منه «الموضح» و«المنجح» من تأليفه في الفقه ، وما تم له من أحكام القرآن ، هكذا نقله الحافظ ابن حزم عن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله المعني بهذا الشأن ، رحمه الله تعالى .

٥٣ — ومنهم أبو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد ، أبو العلاء ، النيسابوري ،

١ انظر التكملة رقم : ١٨٣٠ .

٢ جاءت ترجمته في التكملة المطبوع ناقصة كثيراً عما أثبتته المقرئ .

لقيه الحافظ أبو علي الصدفي ببغداد وأخذ عنه إذ قدمها حاجاً ، وهو يحدث عن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد البصري ، قال أبو علي : وأراه دخل الأندلس ، ويغلب على ظني أنني لقيته بسرّ قسطة ، ذكر ذلك القاضي عياض في « المعجم » من تأليفه ، والله تعالى أعلم .

٥٤ - ومنهم سهل بن علي بن عثمان ، التاجر ، النيسابوري ، يكنى أبا نصر^١ ، سمع جماعة من الخراسانيين وغيرهم ، منهم أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي وأبو الفتح السمرقندي ، وأدرك الإمام أبا المعالي الجويني ، وحضر مجلسه ودرسه ، ولقي بعده أصحابه القشيري والطوسي وغيرهما ، وكان شافعي المذهب ، ذكره عياض وقال : حدثني بحكايات وفوائد ، وأنشدني لأبي طاهر السلفي ، وأجازني جميع رواياته وحدثني أن وفاة أبي المعالي كانت بنيسابور سنة خمس أو أربع وسبعين وأربعمائة ، وقال أبو محمد العثماني : أنشدني أبو نصر سهل بن علي النيسابوري الحقواني قال : أنشدنا أبو الفتح نصر ابن الحسن ، أنشدنا أبو العباس العذري ، قال : أنشدنا أبو محمد ابن حزم الحافظ لنفسه :

ولما رأيتُ الشَّيْبَ حلَّ مَـقَارِقِي نذيراً بِتَرْحَالِ الشَّبَابِ المُفَارِقِ
رجعتُ إلى نفسي فقلتُ لها انظري إلى ما أتى ، هذا ابتداء الحقائقِ
دعي دَعَوَاتِ اللّهُ قد فاتَ وقتها كما قد أفاتَ الليلَ نورُ المِشَارِقِ
دعي منزَلَ اللذاتِ ينزلُ أهله وجِدِّي لما نُدْعَى إليه وسابقي

قال عياض : توفي سهل هذا غريقاً في البحر منصرفاً إلى بلده من المرية ، رحمه الله تعالى^٢ .

١ ترجمة أبي نصر النيسابوري في التكملة رقم : ٢٠٠٨ .

٢ زاد في التكملة : سنة ٥٣١ .

٥٥ - ومنهم أبو المكارم هبة الله بن الحسين ، المصري ^١ ، كان من أهل العلم ، عارفاً بالأصول ، حافظاً للحديث ، متيقظاً ، حسن الصورة والشارة ، دخل الأندلس ، وولي قضاء إشبيلية منها آخر شعبان سنة تسع وسبعين وخمسمائة . قال ابن الأبار : وبه صُرف أبو القاسم الخولاني ، وأقام بها سنة ، وحضر غزوة شترين ، وكان قدوم أبي المكارم هذا الأندلس خوفاً من صلاح الدين يوسف بن أيوب في قوم من شيعة العبَّسيدي ملك مصر ، ووفد أيضاً معه أبو الوفاء المصري ، ثم استصحبه أمير المؤمنين يعقوب المنصور معه في غزوة قفصة الثانية ، وولاه حينئذ قضاء تونس ، وكان قد ولي قضاء فاس ، وولي أيضاً أبو الوفاء صاحبه القضاء ، وتوفي وهو يتولى قضاء تونس سنة ست وثمانين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

٥٦ - ومنهم يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله ، القيسي ، الدمشقي ^٢ ، أصله من دمشق ، وبها ولد ، ويُعرف بالأصبهاني في مجلس أبي طاهر السلفي لدخوله إياها وإقامته بها أزيد من خمسة أعوام لقراءة الخلافات ، ويكنى أبا زكريا، وسمع بالمشرق أبا بكر ابن ماشاذه السكري وأبا الرشيد ابن خالد البيع وأبا الطاهر السلفي وغيرهم ، وقصد المغرب بعد أداء الفريضة فلقى ببجاية أبا محمد عبد الحق الإشبيلي ، وأجازه وحضَّه على الوعظ والتذكير ، فامثل ذلك ، ودخل الأندلس ، وتجوَّل ببلادها ، واستوطن غرناطة منها ، وكان فقيهاً على مذهب الشافعي ، عارفاً بالأصول والتصوف ، زاهداً ، ورعاً ، كثير المعروف والصدقة ، يعظ الناس ، ويسمع الحديث ، ولم يكن بالضابط فيما قاله الحافظ ابن الأبار ، قال : وله كتاب « الروضة الأنيقة » من تأليفه ، حدث عنه جماعة من الجلَّة ، منهم أبو جعفر ابن عميرة ^٣ الضبي ، وابنا حَوْط الله أبو محمد وأبو

١ ترجمته في التكملة رقم : ٢٠٢٤ .

٢ التكملة رقم : ٢٠٧١ .

٣ ق : حيرة .

سليمان ، وأبو القاسم الملاحي ، وأبو العباس ابن الجيار ، وأبو الربيع ابن سالم ،
وقال : أنشدني عند توديعي إياه بَغْرُناطة قال : سمعت بعض المذكورين ينشد :

يا زائراً زارَ وما زارا كأنه مُقْتَبِسٌ نارا
مرَّ ببابِ الدارِ مستعجلاً ما ضرَّه لو دخل الدارا
نفسِي فداء لك من زائري ما زار حتى قيل قد سارا

وسمع منه أبو جعفر ابن الدلال كتاب « المعالم » للخطابي في شرح « سنن
أبي داود » بقراءة جميعه عليه .

ومولده في شوال سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وتوفي بَغْرُناطة بعد أن
سكنها يوم الاثنين سادس شوال سنة ثمان وستمائة ، قال ابن الأبار : وفي هذا
اليوم بعينه كانت وفاة شيخنا أبي عبد الله ابن نوح بِلَنْتْسِيَّة ، رحمهما الله تعالى .

٥٧ — ومن الوافدين من المشرق إلى الأندلس إسماعيل بن عبد الرحمن بن
علي ، القرشي^١ ، من ذرية عبد بن زَمْعَةَ أخي سَوْدَةَ أم المؤمنين ، رضي الله
تعالى عنها ، رحل من مصر إلى الأندلس في زمن السلطان الحاكم المستنصر
بالله أعوام الستين وثلاثمائة حين ملك بنو عُبَيْد مصر وأظهروا فيها
معتقدهم الحبث ، فحلَّ يومئذ من الحكم المستنصر محل الرحب والسعة ،
ولما ثارت الدولة العامرية أوى إلى إشبيلية ، وأوطنها داراً ، واتخذها قراراً ،
وبها لقيه أبو عمر ابن عبد البر علامة الأندلس فدرس عليه ، واقتبس ممّا لديه ،
وقد ذكره في تاريخ شيوخه ، ولم يزل عقبه بها إلى أن نجم منهم أبو الحسين سالم
ابن محمد بن سالم ، وهو من رجال « الذخيرة »^٢ وله نثر ، كما تفتح الزَّهْرُ ،
وتدقق البحر ، ونظم كما اتسق الدرُّ ، وسَهَّرت عن محاسنها الأوجه الغرُّ ،

١ ترجمته في جذوة المقتبس : ١٥٣ (وبغية الملتبس رقم : ٥٤٥) .

٢ لم يرد اسمه في فهرست الذخيرة ١/١ : ١١ - ٢٠ .

فمن نظمه قوله :

خليليّ ، هل ليلى ونجدٌ كعهدنا فيا حبّذا ليلى ويا حبّذا نجدُ
عسى الدهرُ أن يقضي لنا بالثقاتِ فيا ربّ قربٍ قد يجدّده بُعدُ
وله أثناء رسالة :

قوسُ العلا وضِعتْ في كفّ بارِها وأسهم الخطبِ عادت نَحْوَ رامِها
ومنها :

ولئنما الشمسُ لاحت في مطالعها بلى وأجرى جِيادَ الخيل مُجرِها

ونشأ هذا النجم الثاقب ، والصيّب الساكب ، وقد أخذ من العلوم في غير
ما فن . وحقق فيه كل ما ظن ، وذكره في « المسهب » و « سمط الجمان »
وفضله شهير . رحمه الله تعالى .

٥٨ - ومنهم أبو علي القالي ، صاحب الأماشي والنوادر^١ ، وفد على الأندلس
أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن ، فأمر ابنه الحكم - وكان يتصرف
عن أمر أبيه كالوزير - عاملهم ابن رماحس أن يحيى مع أبي علي إلى قرطبة ،
ويتلقاه في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض أهل الكورة تكريماً لأبي
علي ، ففعل ، وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل ، فكانوا يتذاكرون الأدب
في طريقهم ، ويتناشدون الأشعار ، إلى أن تحاوروا يوماً وهم سائرون أدباً
عبد الملك بن مروان ومساءلته جلساءه عن أفضل المناديل وإنشاده بيت عبدة
ابن الطيب^٢ :

١ انظر ترجمة القالي في طبقات الزبيدي : ٢٠٢ وابن الفرضي ١ : ٨٣ والجدوة : ١٥٤ (وبنية
الملتمس رقم : ٥٤٧) وفهرسة ابن خيبر ٣٩٥ وابن خلكان ١ : ٢٠٤ وإنباه الرواة ١ :
٢٠٤ ومعجم الأدباء ٧ : ٢٥ والشذرات ٣ : ١٨ ومعجم البلدان : (قالقلا) وبروكلمان
٢ : ٢٧٧ (الترجمة العربية) .
٢ البيت : ٥١ من المفضلية رقم ٢٦ .

ثُمَّتَ قُمْنَا إِلَى جُرْدٍ مَسُومَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ

وكان الذاكر للحكاية الشيخ أبا علي ، فأنشد الكلمة في البيت «أعرافها لأيدينا مناديل» فأنكرها ابن رفاعه الإلبيري . وكان من أهل الأدب والمعرفة . وفي خلقه حرج وزعارة ، فاستعاد أبا علي البيت مثبتاً مرتين . في كليهما أنشده «أعرافها» ، فلوى ابن رفاعه عينانه منصرفاً وقال : مع هذا يُؤفد على أمير المؤمنين وتُتجشم الرحلة لتعظيمه ، وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لا تغلط الصبيان فيه ؟ والله لا تبعته خُطوة ، وانصرف عن الجماعة ، ونَدَبَه أميره ابن رماحس أن لا يفعل ، فلم يجد فيه حيلة ، وكتب إلى الحكم يعرفه ويصف له ما جرى لابن رفاعه ويشكوه ، فأجابه على ظهر كتابه : الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطيء وافد أهل العراق إلينا ، وابن رفاعه أولى بالرضى عنه من السخط . فدَعَه لشأنه ، واقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته ، فسوف يُعليه الاختبار إن شاء الله تعالى أو يحطّه .

وبعض المؤرخين يزعم أن وفادة أبي علي القالي إنما كانت في خلافة الحكم المستنصر بالأندلس . لا في خلافة أبيه الناصر ، والصواب أن وفادته في أيام الناصر : لما ذكره غير واحد من حصّره وعيّه عن الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الإفرنج كما أُلعنّا به في غير هذا الموضع^١ .

وفي القالي يقول شاعر الأندلس الرمادي^٢ :

مَنْ حَاكَمَ بَيْتِي وَبَيْنَ عَدُولِي الشَّجُو شَجْوِي وَالْعَوِيلُ عَوِيلِي
فِي أَيِّ جَارِحَةٍ أَصُونُ مُعَدَّيْ سَلِمْتُ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ

١ انظر خبر الخطبة يوم وفادة رسل الفرنجة ج ١ ص : ٣٦٨ من هذا الكتاب ؛ وقد كان وصول أبي علي إلى الأندلس عام ٣٣٠ فلا خلاف بعد ذلك في أنه وصل أيام الناصر ، وسيذكر ذلك صاحب النفع .

٢ وردت أبيات الرمادي في اليتيمة ٢ : ١٠٠ والمطمح : ٧٠ ومظلمها في الجذوة : ٣٤٧ .

إن قلت في بَصَرِي فثمّ مدامعي أو قلت في قلبي فثمّ غَلِيلِي
لكن جعلت له السامع موضعاً وحجبتها عن عدلِ كلِّ عدولِ

ولما سمع المتنبي البيت الثاني قال : يصونه في استه .

وكان الرمادي لما سمع قول المتنبي :

كفى بجسمي نحولاً أنّي رجلٌ لولا مخاطبتي إياك لم ترّني

قال : أظنه ضَرْطَةٌ ، والجزء من جنس العمل .

وباسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ أبو علي القالي كتاب
« الأمالي » . وكان الحكم كريماً ، معنياً بالعلم ، وهو الذي وجّه إلى الحافظ
أبي الفرج الأصبهاني ألفَ دينار على أن يوجه له نسخة من كتاب الأغاني ،
وألّف أبو محمد الفهري كتاباً في نسب أبي علي البغدادي ورواياته ودخوله
الأندلس . وحكى ابن الطليسان عن ابن جابر أنّه قرأ هذين البيتين في لوح رخام
كان سقط من القبة المبنية على قبر أبي علي البغدادي عند تدهمها ، وهما :

صِلُوا لحدّ قبري بالطريقِ وودّعوا فليس لمن وارى الترابُ حبيبُ
ولا تدفّنوني بالعرّاءِ قريباً بكى أن رأى قَبْرَ الغريبِ غريبُ

واسم أبي علي إسماعيل بن القاسم بن عيلون بن هارون بن عيسى بن محمد
ابن سليمان ، وجدّه سليمان مولى عبد الملك بن مروان ، وكان أبو علي أحفظَ
أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين ، وأخذ الأدب عن أبي بكر ابن دريد
الأزدي وأبي بكر ابن الأنباري وابن دُرُسْتُوَيْه وغيرهم ، وأخذ عنه أبو بكر الزبيدي
الأندلسي صاحب « مختصر العين » ، ولأبي علي التصانيف الحسان كـ « الأمالي »
و « البارع » ، وطاف البلاد ، وسافر إلى بغداد سنة ٣٠٣ ، وأقام بالموصل
لسماع الحديث من أبي يعلى الموصلي ، ودخل بغداد سنة ٣٠٣ ، وأقام بها إلى
سنة ٣٢٨ ، وكتب بها الحديث ، ثم خرج من بغداد قاصداً الأندلس ، وسمع

من البغوي وغيره .

قال ابن خلكان : ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة ،

انتهى .

وهو مما يعين أنه قدم في زمن الناصر ، لا في زمن ابنه الحكم كما تقدم ، وقد صرح بذلك الصفدي في الوافي فقال : ولما دخل المغرب قصد صاحب الأندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن ، فأكرمه ، وصنف له ولولده الحكم تصانيف وبث علومه هناك ، انتهى .

وقال ابن خلكان إنه استوطن قرطبة إلى أن توفي بها في شهر ربيع الآخر ، وقيل : جمادى الأولى سنة ٣٥٦ ، ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ، ودفن ظاهر قرطبة ، ومولده بمنازجيرد من ديار بكر سنة ٢٨٨ ، وقيل : سنة ٢٨٠ ، وإنما قيل له « القالي » لأنه سافر إلى بغداد مع أهل قاليقلا ، وهي من أعمال ديار بكر . وهو من محاسن الدنيا ، رحمه الله تعالى .

وعيدون : بفتح العين ، وسكون الياء المنشأة التحتية ، وضم الذال المعجمة . وقال ابن خلكان في ترجمة ابن القوطية^١ : إن أبا علي القالي لما دخل الأندلس اجتمع به ، وكان يبالغ في تعظيمه ، قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر : من أنبل من رأيت ببلدنا هذا في اللغة ؟ فقال : محمد بن القوطية ، وكان ابن القوطية مع هذه الفضائل من العباد النساك ، وكان جيد الشعر صحيح الألفاظ حسن المطالع والمقاطع إلا أنه تركه ورفضه ، وقال الأديب أبو بكر ابن هذيل^٢ : إنه توجه يوماً إلى ضيعة له بسفح جبل قرطبة ، وهي من بقاع الأرض الطيبة

١ ابن خلكان ٤ : ٤ - ٦ وهناك ترجمات أخرى لابن القوطية في ابن الفرضي ٢ : ٧٨ والجنوة : ٧١ والديباج ٢٦٢ وإنباء الرواة ٣ : ١٧٨ وبنية الوعاة : ٨٤ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٧٢ .
٢ هو يحيى بن هذيل التميمي الشاعر الكفيف أستاذ الرمادي (انظر الجنوة : ٣٥٨ وبنية الملثس رقم : ١٤٩٥) وله عدد صالح من الأشعار في كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني .

المؤنيقة ، فصادف أبا بكر ابن القوطية المذكور صادراً عنها ، وكانت له أيضاً هناك ضيعة ، قال : فلماً رأي عرج عليّ ، واستبشر بلقائي ، فقلت مداعباً له :

من أين أقبلت يا مَنْ لا شبيه لهُ ومن هو الشمس والدنيا له فلنكُ

قال : فتبسم وأجاب بسرعة :

من منزل تُعجبُ النساك خلوتهُ وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا

فما تمالك أن قبلت يده ، إذ كان شيخاً ودعوت له ، انتهى .

وهو صاحب كتاب «الأفعال» الذي فتح به هذا الباب ، فتلاه ابن الققطاع ، وله كتاب «المقصود والممدود» جمع فيه ما لا يحصى ولا يعد ، وأعجز مَنْ بعده به ، وفاق من تقدمه ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

وممن أخذ عن أبي علي القالي بالأندلس أبو بكر محمد الزبيدي صاحب كتاب «مختصر العين» وغيره ، وكان الزبيدي كثيراً ما ينشد :

الفقرُ في أوطاننا غربةُ والمالُ في الغربة أوطانُ
والأرضُ شيءُ كلُّها واحدُ والناسُ إخوانٌ وجيرانُ

وترجمة الزبيدي واسعة^١ ، وكان مؤدب المؤيد هشام ، ووصفه بأنه كان في صباه في غاية الخلق والذكاء ، رحمه الله تعالى .

وكان القالي قد بحث على ابن دُرُسْتُويَه كتاب سيبويه ، ودقق النظر ، وانتصر للبصريين ، وأمل شيئاً من حفظه ككتاب «النوادر والأمال» ، و«المقصود والممدود» ، و«الإبل والخيول» ، و«البارع في اللغة» نحو خمسة آلاف

١ انظر ترجمة الزبيدي في الجزء : ٤٣ وابن الفرضي ٢ : ٩٢ والمغرب ١ : ٢٥٠ واليتيمة ٢ : ٧١ وابن خلكان ٤ : ٧ وإنباه الرواة ٣ : ١٠٩ ومعجم الأدباء ١٨ : ١٨٠ والوافي ٢ : ٢٥١ وبغية الوعاة : ٣٤ وانظر كتاب الحركة اللغوية في الأندلس ففيه دراسة لأهم مؤلفاته .

ورقة ، لم يصنف مثله في الإحاطة والجمع ، ولم يتم ، ورتب كتاب « المقصور والممدود » على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق مستقصى في بابيه لا يشذ منه شيء ، وكتاب « فعلت وأفعلت » وكتاب « مقاتل الفرسان » و « تفسير السبع الطوال » .

وكان الزبيدي إماماً في الأدب ، ولكنّه عرف فضل القالي ، فمال إليه ، واختص به ، واستفاد منه ، وأقرّ له .

وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الأمر وبعدها ينشط أبا علي ، ويعينه على التأليف بوسع العطاء ، ويشرح صدره بالإفراط في الإكرام ، وكانوا يسمّونه « البغدادي » لوصوله إليها من بغداد ، ويقال : إن الناصر هو الذي استدعاه من بغداد لولائه فيهم ، وفيه يقول الرمادي متخلّصاً في لاميّته السابق بعضها :

روضٌ تعاهدُهُ السحابُ كأنّه	متعهّدٌ من عهدِ إسماعيلِ
قسهُ إلى الأعرابِ تعلمُ أنّه	أولى من الأعرابِ بالتفضيلِ
حازتْ قبائلُهم لغاتٍ فرقت	فيهم وحاز لغاتٍ كلّ قبيلِ
فالشرقُ خالٍ بعده وكأنّما	نزل الخرابُ بربعه المأهولِ
فكأنّهُ شمسٌ بدت في غربنا	وتغيّبت عن شرقهم بأفولِ
يا سيدي هذا ثنائي لم أقلّ	زوراً ولا عرضتُ بالتّويلِ
من كان يأملُ نائلاً فأنا امرؤٌ	لم أرجُ غيرَ القربِ في تأميلي

وقد تقدمت أبيات القالي التي أجاب بها منذر بن سعيد في الباب قبل هذا ، فلتراجع ثمة ، والله تعالى أعلم .

٥٩ - ومن الوافدين إلى الأندلس من المشرق أبو العلاء صاعد بن الحسين ابن عيسى البغدادي ، اللغوي ^١ .

١ ترجمة صاعد في النخبة ١/٤ : ٢ - ٣٩ وابن خلكان ٢ : ١٨١ وإنباء الرواة ٢ : ٨٥ وبنية الوعاة : ٢٦٧ والجدوة : ٢٢٣ .

وأصله من الموصل ، قال ابن بسام^١ : ولما دخل صاعد قرطبة أيام المنصور بن أبي عامر عزم المنصور على أن يعقبي به آثار أبي علي البغدادي الوافد على بني أمية ، فما وجد عنده ما يرتضيه ، وأعرض عنه أهل العلم ، وقدحوا في علمه وعقله ودينه ، ولم يأخذوا عنه شيئاً لقلة الثقة به ، وكان ألف كتاباً سمّاه كتاب « القصوص » فدَحَضُوهُ ورفضوه ونبذوه في النهر ، ومن شعره قوله :

ومهفهف أبهى من القمرِ قهر الفؤادِ بفاتِنِ النَّظَرِ
خالسته تُفَاحَ وجنته فأخذتُها مِنْهُ على غَرَرِ
فأخافني قومٌ فَقُلْتُ لهم : لا قطع في ثَمَرٍ ولا كَثَرِ

والكَثَرُ : الجُمَارُ ، وهذا اقتباس من الحديث .

وقال الحميدي^٢ : سمعت أبا محمد ابن حزم الحافظ يقول : سمعت أبا العلاء صاعداً ينشد بين يدي المظفر عبد الملك بن أبي عامر من قصيدة يهنيه فيها بعيد الفطر سنة ٣٩٦ :

حسبتُ المنعمينَ على البرايا فألفتُ اسمه صَدْرَ الحسابِ
وما قدَّمته إلّا كأنني أقدمُ تالياً أمَّ الكتابِ

وذكر الحميدي أن عبد الله بن ماكان^٣ الشاعر تناول نرجسة فركبها في وردة ثم قال لصاعد ولأبي عامر ابن شهيد : صفاها ، فأفحما ، ولم يتجعه لهما القول ، فبينما هم على ذلك إذ دخل الزهيري^٤ صاحب أبي العلاء وتلميذه ، وكان شاعراً

١ نقل النص عن النخبة بتصريف .

٢ الجذوة : ٢٢٤ .

٣ ذكر الحميدي (الجزء : ٣٧٣) من اسمه أبو عبد الله ابن فاكان وقال فيه : أديب شاعر يتكلم على معاني الآداب ومحاسن الأشعار ، ذكره أبو عامر ابن شهيد وذكر له مع صاعد ابن الحسن منازعات في ذلك . ثم عاد فذكره بهذا الاسم (ص : ٣٨٤) .

٤ القصة في الجزء ٣٨٤ - ٣٨٥ ، ولكن الشاعر مذكور هناك باسم الزبيري ، ووردت أيضاً في البدائع والبداية ٢ : ١٠٩ وفيه « الزهري » .

أديباً أُمِّيّاً لا يقرأ ، فلمّا استقر به المجلس أخبر بما هم فيه ، فجعل يضحك ويقول :

ما للأديبين قدّ أعيتهما مليحة من ملّح الجنّة
نرجسة في وردة رُكّبت كققلة تطرف في وجنّة

انتهى .

ومن غريب ما جرى^١ لصاعد أن المنصور جلس يوماً وعنده أعيان مملكته ودولته من أهل العلم كالزبيدي والعاصمي وابن العريف وغيرهم ، فقال لهم المنصور : هذا الرجل الوافد علينا يزعم أنّه متقدّم في هذه العلوم ، وأحب أن يمتحن ، فوجّه إليه ، فلمّا مثل بين يديه والمجلس قد احتفل خجل فرغ المنصور محلّه وأقبل عليه ، وسأله عن أبي سعيد السيرافي ، فزعم أنّه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه ، فبادره العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب ، فلم يحضره جوابها ، واعتذر بأن النحو ليس جُلّ بضاعته ، فقال له الزبيدي : فما تحسن أيّها الشيخ ؟ فقال : حفظ الغريب ، قال : فما وزن أولق ، فضحك صاعد ، وقال : أمثلي يُسأل عن هذا ؟ إنّما يسأل عنه صبيانُ المكتب ، قال الزبيدي^٢ : قد سألناك ، ولا نشك أنّك تجهله ، فتغير لونه ، وقال : أفعل وزنه ، فقال الزبيدي : صاحبكم مُمخّرق ، فقال له صاعد : إخال الشيخ صناعته الأبنية ، فقال له : أجل ، فقال صاعد : وبضاعتي أنا حفظ الأشعار ، ورواية الأخبار ، وفك المعمّي ، وعلم الموسيقى ، فقال : فناظره ابن العريف ، فظهر عليه صاعد ، وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعراً شاهداً ، وأتى بحكاية يجانسها ، فأعجب المنصور ، ثم أراه كتاب «النوادر» لأبي علي القالي ، فقال :

١ القصة في النخبة ٤ / ١ : ٦ - ٨ .

٢ ق ودوزي : الزهري ؛ وفي النخبة ما أثبتناه .

إن أراد المنصور أمليت على كتاب دولته^١ كتاباً أرفع منه وأجلّ لا أورد فيه خبراً ممّا أورده أبو علي ، فأذن له المنصور في ذلك ، وجلس بجامع مدينة الزاهرة يملئ كتابه المترجم بـ «الفصوص» ، فلما أكمله تتبعه أدباء الوقت ، فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ، ولا خبر ثبت لديهم ، وسألوا المنصور في تجليد كراريس بياض تزال جلدتها ، حتى توهم القدم ، وترجم عليه كتاب «النكت» تأليف أبي الغوث الصنعاني ، فترامى إليه صاعد حين رآه ، وجعل يقبله ، وقال : إي والله ، قرأته بالبلد الفلاني على الشيخ أبي فلان ، فأخذه المنصور من يده خوفاً أن يفتحه ، وقال له : إن كنت قد قرأته كما تزعم ، فعلامَ يحتوي ؟ فقال : وأبيك لقد بعُدَ عهدي به ، ولا أحفظ الآن منه شيئاً ، ولكنّه يحتوي على لغة مثورة لا يشوبها شعر ولا خبر ، فقال له المنصور : أبعدَ الله مثلك ! فما رأيت أكذب منك ، وأمر بإخراجه ، وأن يُقذف كتاب «الفصوص» في النهر ، فقال فيه بعض الشعراء :

قد غاص في النهر كتاب الفصوص* وهكّذا كلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصُ*
فأجابه صاعد :

عادَ إلى مَعْدِنِهِ ، إنّما توجد في قعر البحار الفصوص*
قال ابن بسام^٢ : وما أظن أحداً يجترى على مثل هذا ، وإنّما صاعد اشترط أن لا يأتي إلا بالغريب غير المشهور ، وأعانهم على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب .

وحكى ابن خلكان^٣ أن المنصور أثابه على كتاب «الفصوص» بخمسة

١ الذخيرة : أمليت على مقيدي خدمته وكتاب دولته .

٢ النقل عن الذخيرة ٤ / ١ : ٨ بإيجاز شديد .

٣ وفيات الأعيان ٢ : ١٨١ .

آلاف دينار^١ .

ومن أعجب^٢ ما جرى له أنه كان بين يدي المنصور ، فأحضرت إليه
وردة في غير وقتها لم يستم فتح ورقها ، فقال فيها صاعد مرتجلاً :

أنتك أبا عامر ورّدة^٣ يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر^٤ فغطت بأكامها رأسها

فسرّ بذلك المنصور ، وكان ابن العريف حاضراً ، فحسده ، وجرى إلى
مناقضته ، وقال لابن أبي عامر : هذان البيتان لغيره ، وقد أشدنيهما بعض
البغداديين بمصر لنفسه ، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه ، فقال له المنصور :
أرنيه ، فخرج ابن العريف ، وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر^٥ ،
وكان أحسن أهل زمانه بديهة ، فوصف له ما جرى ، فقال هذه الأبيات ودس
فيها بيتي صاعد :

عشوت إلى قصر عباسية وقد جدّل النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها وقد صرع السكر أناسها
فقلت : أسار على هجعة فقلت : بلى ، فرمت كاسها
ومدت يديها إلى وردة يحاكي لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر^٦ فغطت بأكامها رأسها
وقالت : خف الله لا فضح ن في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة وما خنت ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد أشقر ،

١ زاد في ق : دراهم .

٢ عاد إلى النقل عن الذخيرة .

٣ جعلها دوزي « ابن برد » ونقل القصة صاحب بدائع البداه ٢ : ٢٨ .

ودخل بها على المنصور ، فلما رآها اشتد غيظه على صاعد ، وقال للحاضرين :
غداً أمتحنه ، فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ، ولم يبق في موضع لي
عليه سلطان ، فلما أصبح وجّه إليه فأحضر ، وأحضر جميع الندماء ، فدخل
بهم إلى مجلس محفل قد أعدّ فيه طبقاً عظيماً فيه سقائف مصنوعة من جميع
التوابير ، ووُضِعَ على السقائف لُحُبٌ من ياسمين في شكل الجوّاري ، وتحت
السقائف بركة ماء ، قد أُلقي فيها اللآلئ مثل الحصباء ، وفي البركة حيّة تسبح ،
فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور : إن هذا يوم إمّا أن تسعد فيه
معنا ، وإمّا أن تشقى بالضد عندنا ، لأنّه قد زعم قومٌ أن كل ما تأتي به دعوى ،
وقد وقفت من ذلك على حقيقة ، وهذا طبق ما توهمت أنّه حضر بين يدي ملك
قبلي شكله ، فصنفه بجميع ما فيه ، وعبّر بعضٌ عن هذه القصة بقوله : أمر
فعبىء له طبق فيه أزهار ورياحين وياسمين وبركة ماء حصباؤها اللؤلؤ ، وكان
في البركة حيّة تسبح ، وأحضرها صاعد ، فلما شاهد ذلك قال له المنصور :
إن هؤلاء يذكرون أن كل ما تأتي به دعوى لا صحة لها ، وهذا طبق ما ظننت
أنّه عمل للملك مثله ، فإن وصفته بجميع ما فيه علمت صحّة ما تذكره ، فقال
صاعد بديهة :

أبا عامر هل غير جدّواك واكفُ وهل غير من عاداك في الأرض خائفُ
يسوقُ إليك الدهرُ كلَّ غريبةٍ وأعجبُ ما يلقاه عندك واصفُ
وشائع نورٍ صاغها هامرُ الحيا على حافتيها عبقرُ ورفارفُ
ولما تنهى الحسن فيها تقابلتْ عليّها بأنواع الملاحى الوصائفُ
كثّلَ الأطباء المستكنة كُنُسا تظللُها بالياسمين السقائفُ
وأعجبُ منها أنهن نواظِرُ إلى بركة ضُمّتْ إليها الطرائفُ
حصاها اللآلي سابحٌ في عبابها من الرُقشِ مسمومُ الثعابين^١ زاحفُ

١ الذخيرة : مسموم العابين .

تري ما تراه^١ العين في جنباتها من الوحش حتى بينهن السلاحف
 فاستغربت له يومئذ تلك البديهة في مثل ذلك الموضع ، وكتبها المنصور بخطه ،
 وكان إلى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف
 من ذهب لم يرها صاعد ، فقال له المنصور : أحسنت ، إلا أنك أغفلت ذكر
 المركب والجارية ، فقال للوقت :

وأعجب منها غادة في سفينة مكللة تصبو إليها المهائف^٢
 إذا راعها موج من الماء تنقي بسكانها ما أنذرت^٣ العواصف^٤
 متى كانت الحسناء ربان مركب تصرف في يمي يديه المجاذف^٥
 ولم تر عيني في البلاد حديقة تنقلها في الراحتين الوصائف^٥
 ولا غرو أن شاق معاليك روضة وشتها أزهير الربى والزخارف^٥
 فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع ورصوى ذرتها من سطاك نواسف^٥
 إذا قلت قولاً أو بدت بديهة فكلتي له إنني لمجدك واصف^٥

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب ، ورتب له في كل شهر ثلاثين
 ديناراً ، وألحقه بالندماء .

قال^٥ : وكان شديد البديهة في ادعاء الباطل ، قال له المنصور يوماً : ما
 الخبشار ؟ فقال : حشيشة يُعقَد بها اللبن ببادية الأعراب ، وفي ذلك يقول
 شاعرهم :

لقد عُقِدَت محبتها بقلبي كما عُقِد الحليبُ بخبشار

١ الذخيرة : ما تشاء .

٢ الذخيرة : المهائف ؛ وجعلها دوزي : المهائف .

٣ جعلها دوزي : ما إن ذرته ؛ وفي البدائع : الرواجف .

٤ الذخيرة : المناصف ؛ وتعني الخدم .

٥ الذخيرة ٤ / ١ : ٢١ .

وقال له يوماً ، وقد قُدّم إليه طبق فيه تمر : ما التمر كل في كلام العرب ؟ فقال : « يقال تَمَرَ كُلَّ الرجلُ تَمَرَ كُلًّا » إذا التف في كسائه . وكان مع ذلك عالماً .

قال ١ : وكان لأبن أبي عامر فتى يسمّى فاتناً أوحداً لا نظير له في علم كلام العرب ، فناظر صاعداً هذا فقطعه وظهر عليه وبكته ، فأعجب المنصور منه ، فتوفّي فاتن هذا سنة ٤٠٢ ، وبيعت في تركته كتب مضبوطة جلييلة مصحّحة ، وكان منقاداً لما نزل به من المثلة فلم يتخذ النساء كغيره ، وكان في ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المخانيث ممّن أخذ بأوفر نصيب من الأدب . قال : ورأيت تأليفاً لرجل منهم يُعرف بحبيب ترجمه بكتاب « الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة » وذكر فيه جملة من أشعارهم وأخبارهم ونواديرهم .

وقال ابن بسّام وغيره ٢ : ومن عجائب ما جرى لصاعد أنّه أهدى إيتلاً إلى المنصور ، وكتب على يد موصله :

يا حِرْزَ كُلِّ مُخَوِّفٍ وأمانَ كُلِّ لٍ مُشَرَّدٍ ومعزَّ كُلِّ مدلِّلٍ
يا سلكَ كُلِّ فضيلةٍ ونظامَ كُلِّ لٍ جزيلةٍ وثناء كُلِّ معيِّلٍ
ومنها :

ما إن رأيتُ عيني وعلمك شاهداً شروى ٣ علائك في مُعِمٍّ غولٍ

ومنها :

١ الذخيرة ١/٤ : ٢٢ .

٢ المصدر نفسه : ٢٢ ؛ والجذوة : ٢٢٦ .

٣ في الأصل : جدوى ، والتصحيح عن الجذوة .

وأبي مؤانسٌ غربيّ وتحفّظي من صفر أيامي ومن ومستعملي^١
عبدٌ جذبت بضبعه ورفعت من مقداره أهدى إليك بإيلٍ
سميته غرسيةً وبعثه في حبله ليصح فيه تفاؤلي
فلئن قبلت فتلك أنفَسُ مِنِّه أسدى بها ذو منحة وتطول
صباحتك غادية السرور وجلّت أرجاء ربك بالسحاب المخضيل^٢

فقضي في سابق علم الله سبحانه وتعالى أن ملك الروم غرسية أسر في ذلك
اليوم بعينه الذي بعث فيه بالإيل ، وسمّاه باسمه على التفاؤل ، انتهى .
وكان غرسية أمتع من النجم ، وسبب أخذه أنه خرج يتصيد ، فلقينه
خيل للمنصور من غير قصد ، فأسرته وجاءته به ، فكان هذا الاتفاق ممّا
عظم به العجب^٣ .

ولتزد من أخبار صاعد فنقول : حكى أن المنصور قال بسبب هذه القضية :
إنّه لم يتفق لصاعد هذا الفأل الغريب إلاّ لحسن نيّته وسريّته ، وصفاء باطنه ،
فرفع قدره من ذلك اليوم فوق ما كان ، ورجحه على أعدائه ، وحق له ذلك .
وفي الزهرة الثامنة والعشرين من كتاب « الأزهار المنثورة في الأخبار
المأثورة » حكى أن صاعداً قال^٤ : جمعت خرق الأكياس والصرر التي
قبضت فيها صلات المنصور محمد بن أبي عامر ، فقطعت لكافور الأسود غلامي
منها قميصاً كالمرقعة ، وبكرت به معي إلى قصر المنصور ، فاحتلت في تنشيطه
حتى طابت نفسه فقلت : يا مولانا لعبدك حاجة ، فقال : اذكرها ، قلت :

١ رواء في الجذوة :

مولاي مؤانس غربيّ متحفّظي من ظفر أيامي ، منع معلي

٢ البيت مضطرب في الأصل : منحتك . . . بعزة ، وحلت أوجاً ، وقد اعتمدت رواية الجذوة .

٣ الخبر عن كيفية أسر غرسية في الذخيرة ١ / ٤ : ٣٠ وهو مختلف عما قاله المقرئ .

٤ في الذخيرة : ١٦ شبيه بهذه القصة ، غير أن ما ورد هناك يحكي أن صاعداً هو الذي لبس القميص
تحت ثيابه فلما خلا المجلس ورأى فرصة لما أراد تجرد وبقي في القميص المخيط من الخرائط .

وصول غلامي كافور إلى هنا ، فقال : وعلى هذه الحال ؟ فقلت : لا أقنع بسواه إلا بحضوره بين يديك ، فقال : أدخلوه ، فمَثَلَ قائماً بين يديه في مرقعته وهو كالنخلة إشرافاً ، فقال : قد حضر ، وإنه لباذ الهيئة ، فمالك أضعته ؟ فقلت : يا مولانا هنالك القائدة ، اعلم يا مولاي أنك وهبت لي اليوم ملء جلد كافور مالاً ، فتهلل وقال : لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معاني الشكر ! وأمر لي بمال واسع وكسوة ، وكسا كافوراً أحسن كسوة ، انتهى .

ولما دخل صاعد دانية ، وحضر مجلس الموفق مجاهد العامري أمير البلد ، كان في المجلس أديب يقال له بشار ، فقال للموفق : دعني أعبت بصاعد ، فقال له : لا تتعرض إليه ، فإنه سريع الجواب ، فأبى إلا مُسَاءَلته ، وكان بشار المذكور أعمى ، فقال لصاعد : يا أبا العلاء ما الجرئفل في كلام العرب ؟ فعرف صاعد أنه وضع هذه الكلمة ، وليس لها أصل في اللغة ، فقال بعد أن أطرق ساعة : الجرئفل في اللغة الذي يفعل بنساء العُمَيَّان ولا يتجاوزهن إلى غيرهن ، وهو في ذلك كله يصرح ولا يكتفي ، فخرجل بشار وانكسر ، وضحك مَنْ كان حاضراً ، فقال له الموفق : قلت لك لا تفعل فلم تقبل ، انتهى .

والجرئفل — بضم الجيم والراء ، وسكون النون ، وضم الفاء ، وبعدها لام .
ولصاعد أخبار ونوادر كثيرة غير ما تقدم ، وله مع المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى من ذلك كثير ، وبعضه ذكرناه في هذا الكتاب .
ومن حكاياته^١ أنه خرج معه يوماً إلى رياض الزاهرة ، فمدَّ المنصور يده إلى شيء من الريحان المعروف بالترنجان ، فعبث به ورماه إلى صاعد ، وأشار إليه أن يقول فيه ، فارتجل :

لم أدر قبل ترنجان عبث به

الآيات الآتية .

١ الذخيرة ١/٤ : ١٢ .

[طرف من أخبار المنصور]

وهذا المنصور بن أبي عامر قد تقدّمت جملة من أخباره ، ومن أعجب ما وقع له ما رأيته بخزانة فاس في كتاب ألفه صاحبه في الأزهار والأنوار ، حكى فيه في ترجمة النيلوفر أن المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو أعظم ملوكهم في ذلك الزمان ليطلع على أحوال المسلمين وقوتهم ، فأمر المنصور أن يُغرّس في بركة عظيمة ذات أميال نيلوفر على ما تسع ، ثم أمر بأربعة قناطير من الذهب وأربعة قناطير من الفضة فسُبكت قطعاً صغاراً على قدر ما تسع النيلوفرة ، ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي في البركة ، وأرسل إلى الرومي فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامي بالزاهرة بحيث يُشرف على موضع البركة ، فلما قرب طلوع الشمس جاء ألف من الصقالبة عليهم أقيّة الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة ، ويبد خمسمائة أطباق ذهب ، ويبد خمسمائة أطباق فضة ، فتعجب الرسول من حسن صورهم وجمال شارّتهم ، ولم يدر ما المراد ، فحين أشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة ، فبادروا لأخذ الذهب والفضة من النيلوفر ، وكانوا يجعلون الذهب في أطباق الفضة والفضة في أطباق الذهب ، حتى التقطوا جميع ما فيها ، وجاؤوا به فوضعوه بين يدي المنصور ، حتى صار كوماً بين يديه ، فتعجب النصراني من ذلك ، وأعظمه ، وطلب المهادنة من المسلمين ، وذهب مسرعاً إلى مُرسِله ، وقال له : لا تُعاد هؤلاء القوم ، فلأني رأيت الأرض تخلمهم بكنوزها ، انتهى .

وهذه القضية من الغرائب ، وإنّها حليلة عجيبة في إظهار عزّ الإسلام وأهله . وكان المنصور بن أبي عامر آية الله سبحانه في السعد ونصرة الإسلام ، قال ابن بسام نقلاً عن ابن حيّان^١ : إنّه لما انتهت خلافة بني مروان بالأندلس إلى الحكم تاسع الأئمة ، وكان مع فضله قد استهواه حبُّ الولد ، حتى خالف الحزم

١ الذخيرة : ٤ : ٤٠ وما بعدها .

في توريثه الملك بعده في سن الصبا دون مشيخة الإخوة وفتيان العشيرة ، ومن كان ينهض بالأمر ويستقل بالملك ، قال ابن بسام : وكان يقال « لا يزال ملك بني أمية بالأندلس في إقبال ودوام ما توارثه الأبناء عن الآباء ، فإذا انتقل إلى الإخوة وتوارثوه فيما بينهم أدبر وانصرم » ، ولعل الحكم لحظ ذلك ، فلما مات الحكم أخفى جذور وفائق فتياءه ذلك ، وعزما على صرف البيعة إلى أخيه المغيرة ، وكان فائق قد قال له : إن هذا لا يتم لنا إلا بقتل جعفر المصحفي ، فقال له جذور : ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ مولانا^١ ، فقال له : هو والله ما أقول لك ، ثم بعثا إلى المصحفي ونعيا إليه الحكم ، وعرفاه رأيهما في المغيرة ، فقال لهما المصحفي : وهل أنا إلا تبع لكما ، وأنتما صاحبا القصر ، ومدبرا الأمر ، فشرعا في تدبير ما عزما عليه ، وخرج المصحفي وجمع أجناده وقواده ونعى إليهم الحكم ، وعرفهم مقصود جذور وفائق في المغيرة ، وقال : إن بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا ، وإن بدلنا استبدل بنا ، فقالوا : الرأي رأيك ، فبادر المصحفي بإنفاذ محمد بن أبي عامر مع طائفة من الجند إلى دار المغيرة لقتله ، فوافاه ولا خبر عنده ، فنعى إليه الحكم أخاه ، فعجز ، وعرفه جلوس ابنه هشام في الخلافة ، فقال : أنا سامع مطيع ، فكتب إلى المصحفي بحاله ، وما هو عليه من الاستجابة ، فأجابه المصحفي بالقبض عليه ، وإلا وجهه غيره ليقته ، فقتله خنقا . فلما قتل المغيرة واستوثق الأمر لهشام بن الحكم افتتح المصحفي أمره بالتواضع والسياسة واطراح الكبر ومساواة الوزراء في القرش ، وكان ذلك من أول ما استحسّن منه ، وتوفّر على الاستئثار بالأعمال والاحتجان للأموال ، وعارضه محمد بن أبي عامر - فتى ماجداً أخذ معه بطرفي نقيض بالبخل جوداً وبلاستبداد أثرة^٢ ، وتملك قلوب الرجال إلى أن تحركت همته للمشاركة في التدبير بحق الوزارة ، وقوي على أمره بنظره في الوكالة ، وخدمته

١ الذخيرة : دم شيخ دولة مولانا .

للسيدة صُبْح أم هشام ، وكانت حاله عند جميع الحرم أفضل الأحوال بتصدُّيه لمواقع الإرادة ، ومبالغته في تأدية لطيف الخدمة ، فأخرجن له امر هشام الخليفة إلى الحاجب جعفر المصحفي بأن لا يتفرد عنه برأي ، وكان غير متخيّل منه سكوناً إلى ثقته ، فامثل الأمر وأطلعه على سرّه ، وبالع في بره ، وبالع محمد ابن أبي عامر في مخادعته والنصح له ، فوصل المصحفي يده بيده ، واستراح إلى كفايته ، وابن أبي عامر يكرر به ، ويضرب عليه ، ويغري به الحسدة^١ ، ويناقضه في أكثر ما يعامل به الناس ، ويقضي حوائجهم ، ولم يزل على ما هذه سبيله إلى أن انحل أمر المصحفي ، وهوى نجمه ، وتفرد محمد بن أبي عامر بالأمر ، ومنع أصحاب الحكم وأجلاهم وأهلكهم وشردهم وشتتهم وصادروهم ، وأقام من صنائعهم من استغنى به عنهم ، وصادر الصقالبة وأهلكهم وأبادهم في أسرع مدّة .

قال ابن حيان^٢ : وجاشت النصرانية بموت الحكم ، وخرجوا على أهل الثغور فوصلوا إلى باب قرطبة^٣ ، ولم يجدوا عند جعفر المصحفي غنّاء ولا نصرة ، وكان ممّا أتى عليه^٤ أن أمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم ، لما تخيله من أن في ذلك النجاة من العدو ، ولم تتسع^٥ حيلته لأكثر منه ، مع وفور الجيوش وجموم الأموال ، وكان ذلك من سقّطات جعفر ، فأنف محمد بن أبي عامر من هذه الدنيّة ، وأشار على جعفر بتجريد^٦ الجيش بالجهاد ، وخوفه سوء العاقبة في تركه ، وأجمع الوزراء على ذلك ، إلا من شدّت منهم ، واختار ابن أبي عامر

-
- ١ في أصول النفع ودوزي : الحرة ، وقد تنصرف إلى صبح - وهو مستبدم - وفي الذخيرة : « وابن أبي عامر يكرر به ويضرب بين حسدته » .
 - ٢ النقل مستمر عن الذخيرة ١ / ٤ : ٤٤ .
 - ٣ الذخيرة : فجاء صراخهم إلى باب قرطبة .
 - ٤ الذخيرة : وكان ما غرب به بلجنه وعظيم أفنه . . .
 - ٥ في ق ودوزي : ولم تقع ، والتصويب عن الذخيرة .
 - ٦ في ق : بتديده ، والتصويب عن الذخيرة : وفي ابن عذاري : بتجهيز .

الرجال ، وتجهّز للفرّاة ، واستصحب مائة ألف دينار ، ونفذ بالجيش ، ودخل على الثغر الجوفي [إلى جليقية] ونازل حصن الحامة ، ودخل الربّض ، وغنم وقفل فوصل الحضرة بالسبي بعد اثنين وخمسين يوماً ، فعظم السرور به ، وخلصت قلوب الأجناد له ، واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كرمه .

ومن أخبار كرمه ^١ ما حكاه محمد بن أفلح غلام الحكم قال : دُفِعْتُ إلى ما لا أظنّه من نفقة في عُرُس ابنة لي ، ولم يبق معي سوى لحام مُحَلَّى ، ولما ضاقت بي الأسباب قصدته بدار الضرب حين كان صاحبها ، والدراهم بين يديه موضوعة مطبوعة ، فأعلمته ما جئت له ، فابتهج بما سمعه مني ، وأعطاني من تلك الدراهم وزن اللجام بحديده وسيوره ، فملاً حجري ، وكنت غير مصدق بما جرى لعظمه ، وعملت العرس ، وفُضِّلَت لي فضلة كثيرة ، وأحبّه قلبي حتى لو حملني علي خلع طاعة مولاي الحكم لفعلت ، وكان ذلك في أيام الحكم قبل أن يقتعد ^٢ ابن أبي عامر الذرّوة .

وقال غير واحد : إنّه صنع يومئذ قصرأ من فضة لصُبْح أم هشام ، وحمله على رؤوس الرجال فجلب حبها بذلك ، وقامت بأمره عند سيدها الحكم ، وحدث الحكم خواصه بذلك ، وقال : إن هذا الفتى قد خلب عقول حرمانا بما يتحفهنّ به ، قالوا : وكان الحكم لشدة نظره في علم الخلدان يتخيّل في ابن أبي عامر أنّه المذكور في الخلدان ، ويقول لأصحابه : أما تنظرون إلى صُفْرة كفيه ؟ ويقول في بعض الأحيان : لو كانت به شجّة لقلت إنّّه هو بلا شكّ ، فقضى الله أن تلك الشجّة حصلت للمنصور يوم ضربه غالب بعد موت الحكم بمدة .

قال ابن حيّان ^٣ : وكان بين المصحفي وغالب صاحب مدينة سالم وشيخ الموالي وفارس الأندلس عداوة عظيمة ، ومباينة شديدة ، ومقاطعة مستحكمة ،

١ عن الذخيرة : ٤٥ : بإيجاز .

٢ ق : يعتقد .

٣ عن الذخيرة : ٤٦ مع اختلاف في الرواية .

وأعجز المصحفي أمره ، وضعف عن مبادراته ، وشكا ذلك إلى الوزراء ، فأشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه ، وشعر بذلك ابن أبي عامر ، فأقبل على خدمته ، وتجرد لإتمام إرادته ، ولم يزل على ذلك حتى خرج الأمر بأن ينهض غالب إلى مقدمة جيش الثغر ، وخرج ابن أبي عامر إلى غزوته الثانية ، واجتمع به ، وتعاقدا على الإيقاع بالمصحفي ، وقفل ابن أبي عامر ظافراً غانماً ، وبعده صيته ، فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن المدينة ، وكانت في يده يومئذ ، وخلع على ابن أبي عامر ولا خبر عند المصحفي ، وملك ابن أبي عامر الباب بولايته للشرطة ، وأخذ على المصحفي وجوه الحيلة ، وخلّاه وليس بيده من الأمر إلا أقله ، وكان ذلك بإعانة غالب له ، وضبط المدينة ضبطاً أنسى به أهل الحضرة من سلف من الكفاة أولى السياسة ، وانهمك ابن أبي عامر في صحبة غالب ، فنطن المصحفي لتدبير ابن أبي عامر عليه ، فكاتب غالباً يستصلحه ، وخطب أسباء بنته لابنه عثمان ، فأجابه غالب لذلك ، وكادت المصاهرة تتم له ، وبلغ ابن أبي عامر الأمر ، فقامت قيامته ، وكاتب غالباً يخوّفه الحيلة ، ويهيج حقوده ، وألقى عليه أهل الدار وكاتبوه فصرفوه عن ذلك ، ورجع غالب إلى ابن أبي عامر ، فأنكحه البنت المذكورة ، وتم له العقد في محرم سنة سبع وستين وثلاثمائة ، فأدخل السلطان تلك الابنة إلى قصره ، وجهرها إلى محمد بن أبي عامر من قبله ، فظهر أمره وعز جانبه ، وكثر رجاله ، وصار جعفر المصحفي بالنسبة إليه كلاً شياً ، واستقدم السلطان غالباً ، وقلّده الحجابة شركة مع جعفر المصحفي ، ودخل ابن أبي عامر على ابنته ليلة النوروز ، وكانت أعظم ليلة عرس في الأندلس ، وأيقن المصحفي بالنكبة وكفّ عن اعتراض ابن أبي عامر في شيء من التدبير ، وابن أبي عامر يساتره ولا يظاهاه ، وانفض عنه الناس ، وأقبلوا على ابن أبي عامر إلى أن صار المصحفي يغدو إلى قصر قرطبة

١ ق ودوزي : وتولى السياسة ، وهو سهو ، والتصويب عن النخيرة .

ويروح وهو وحده ، وليس بيده من الحجابة سوى اسمها ، وعوقب المصحفي بإعانتهم على ولاية هشام ، وقتل المغيرة . ثمَّ سخط السلطان على المصحفي وأولاده وأهله وأسبابه وأصحابه ، وطولبوا بالأموال ، وأُخِذُوا برفع الحساب لما تصرفوا فيه ، وتوصل ابن أبي عامر بذلك إلى اجتثاث أصولهم وفروعهم ، وكان هشام ابن أخي المصحفي قد توصّل إلى أن سرق من رؤوس النصاري التي كانت تحمل بين يدي ابن أبي عامر في الغزاة الثالثة ليَقْدُمَ بها على الحضرة ، وغازله ذلك منه ، فبادره بالقتل في المطبق قبل عمّه جعفر المصحفي ، فلمّا استقصى ابن أبي عامر مال جعفر حتّى باع داره بالرصافة^١ ، وكانت من أعظم قصور قرطبة ، واستمرت النكبة عليه سنين^٢ مرّة يحْتَسِبُ ومرّة يترك ومرّة يُقَرُّ بالحضرة ومرّة ينفر عنها ، ولا يراح له^٣ من المطالبة بالمال ، ولم يزل على هذا الحكم حتّى استصفى ، ولم يبق فيه محتمل ، واعتُقل في المُطَبِّقِ بالزهراء إلى أن هلك ، وأُخرج إلى أهله ميتاً ، وذكر أنّه سَمَّه في ماء شربه ، قال محمد بن إسماعيل : سرت مع محمد بن مسلمة إلى الزهراء لتسلّم جسد جعفر ابن عثمان إلى أهله بأمر المنصور ، وسرنا إلى منزله فكان مغطىً بمخلّق كساء لبعض البوابين ألقاه على سريريه ، وغُسِّلَ على فردة باب اختلج من ناحية الدار ، وأُخرج وما حضر أحد جنازته سوى إمام مسجده المستدعى للصلاة عليه ومن حضر من ولده ، فعجبت من الزمان ، انتهى .

وما أحسن عبارة صاحب المَطْمَح عن هذه القضية إذ قال^٤ : قال محمد بن إسماعيل كاتب المنصور : سرتُ بأمره لتسليم جسد جعفر إلى أهله وولده ،

١ كذا في ق والخيرة ؛ وجعله دوزي : « فلما قتل استصفى ابن أبي عامر مال جعفر حتّى باع . . . الخ » .

٢ كذا في ق والخيرة ، وجعله دوزي : « سنتين » . وهو مستدرّك في التعليقات لأن المصحفي أقام في الإذلال والتعذيب خمس سنين .

٣ الخيرة : ولا يراح .

٤ المَطْمَح : ٦ . ه ق : لتسلم .

والحضور على إنزاله في مَلْحَدَه ، فنظرته ولا أثر فيه ، وليس عليه شيء يُؤارِه ، غير كساء خلقٍ لبعض البَوَّابِين ، فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل فغسله والله على قَرْدَةٍ باب اقتطع من جانب الدار ، وأنا أُعتبر من تصرف الأقدار ، وخرجنا بنعشه إلى قبره وما معنا سوى إمام مسجده المستدعى للصلاة عليه ، وما تجاسر أحدٌ منا للنظر إليه ، وإن لي في شأنه لخبراً ما سَمِع بمثله طالبُ وعظ ، ولا وقع في سمع ولا تصوّر في لُحْظ ، وقفت^١ له في طريقه من قَصْرِه ، أيام نفيه وأمره ، أروم أن أناوله قِصَّةً ، كانت به مَخْصَّةً ، فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة لكثافة موكبه ، وكثرة مَنْ حَفَّ به ، وأخذَ الناسُ السَّكَّك عليه وأفواهَ الطرق داعين ، ومارين بين يديه وساعين ، حتى ناولت قصتي بعض كتّابه الذين نَصَبَهم جناحي موكبه لأخذ القِصَص ، فانصرفتُ وفي نفسي ما فيها من الشَّرَقِ بِحالهِ والغَصَصِ^٢ ، فلم تطل المدَّة حتى غضب عليه المنصور واعتقله ، ونقله معه في الغزوات واحتمله^٣ ، واتفق أن نزلتُ بجليقية إلى جانب خبائه في ليلة نَهَى فيها المنصورُ عن وقود النيران ليخفي على العدو أثره ، ولا ينكشف إليه خبره ، فرأيت والله عثمان ولده يُسِفُّه^٤ دقيقاً قد خلطه بماء يقيم به أودَه ، ويمسك بسببه رَمَقَه ، بضعف حال وعدم زاد ، وهو يقول^٥ :

تعاطيت^٦ صرف الحادثات فلم أزل أراها تُوقِّي عند مواعدها الحرا
فلله أيام مضت بسبيلها فلاني لا أنسى لها أبداً ذكرا

١ انظر أيضاً النخيرة ١/٤ : ٤٩ .

٢ فانصرفت . . . والنصص : سقطت من ق .

٣ ق : وأخمله ؛ المطمح : وحمله .

٤ النخيرة : يسقيه .

٥ انظر أيضاً الحلة ١ : ٢٦٥ .

٦ المطمح والحلة : تأملت .

تجافتُ بها عتَا الحوادثُ برهةً وأبدتُ لنا منها الطَّلَاقَةَ والبِشْرَا
لياليَ ما يدري الزمانُ مكاننا ولا نظرتُ منها حوادثهُ شَزْرَا
وما هذه الأيامُ إلَّا سحائبٌ على كلِّ أرضٍ تمطرُ الخيرَ والشرَّ
انتهى .

وأما غالب الناصري فإنه حضر مع ابن أبي عامر في بعض الغزوات ، وصعد
إلى بعض القلاع ، لينظرا في أمرها ، فجرت محاورة^١ بين ابن أبي عامر وغالب ،
فسبّه غالب وقال له : يا كلب ، أنت الذي أفسدت الدولة ، وخربت القلاع ،
وتحكمت في الدولة ، وسلّ سيفه فضربه ، وكان بعض الناس حبس يده ، فلم
تَمْ الضربة وشجّه ، فألقى ابن أبي عامر نفسه من رأس القلعة خوفاً من أن
يُجهز عليه ، ففضى الله تعالى أنّه وجد شيئاً في الهويّ منعه من الهلاك ،
فاحتمله أصحابه وعالجوه حتى برىء ، ولحق غالب بالناصرى ، فجيّش بهم ،
وقابله ابن أبي عامر بمن معه من جيوش الإسلام ، فحكمت الأقدار بهلاك غالب
وتم لابن أبي عامر ما جد له ، وتخلصت دولته من الشوائب .

قالوا^٢ : ولما وقعت وحشة بين ابن أبي عامر والمؤيد ، وكان سببها تضريب
الحساد فيما بينهما ، وعلم أنّه ما دُهي إلّا من جانب حاشية القصر ، فرقهم
ومزقهم ، ولم يدع فيه منهم إلّا من وثق به أو عجز عنه ، ثم ذكر له أن
الحرم^٣ قد انبسطت أيديهنّ في الأموال المختزنة بالقصر ، وما كانت السيدة
صُبْحُ أخت رائق تفعله من إخراج الأموال عندما حدث من تغيرها على ابن أبي
عامر ، وأنها أخرجت في بعض الأيام مائة كوز مختومة على أعناق الخدم
الصقالية فيها الذهب والفضة ، وموت ذلك كلّ بالمرى^٤ والشهد وغيره

١ محاورة : سقطت من ق .

٢ عاد إلى تلخيص كلام ابن حيان الذي أورده صاحب الذخيرة ٤ / ١ : ٥٢ - ٥٦ .

٣ ق ودوزي : الخدم .

٤ في الذخيرة : بالمرى ؛ والمرى - بتشديد الراء - والعامة تخففها وباللاتينية : (Muria) =

والأصباغ المتخذة بقصر الخلافة ، وكتبت على رؤوس الكيزان أسماء ذلك ،
ومرت على صاحب المدينة ، فما شك في أنه ليس فيها إلا ما هو عليها ، وكان
مبلغ ما حملت فيها من الذهب ثمانين ألف دينار ، فأحضر ابن أبي عامر جماعة
وأعلمهم أن الخليفة مشغول عن حفظ الأموال بأنهماكه في العبادة ، وأن في
إضاعتها آفة على المسلمين ، وأشار بنقلها إلى حيث يؤمن عليها فيه ، فحمل منها
خمسـة آلاف ألف دينار عن قيمة ورق وسبعمئة ألف دينار ، وكانت صُبْح
قد دافعت عما بالقصر من الأموال ، ولم تمكن من إخراجها ، فاجتمع ابن أبي
عامر بالخليفة هشام ، واعترف له بالفضل والغناء في حفظ قواعد الدولة ،
فخرست ألسنة الأعداء والخسدة ، وعلم المنصور ما في نفوس الناس لظهور
هشام ورؤيتهم له ، إذ كان منهم من لم يره قط ، فأبرزه للناس وركب الركبة
المشهورة ، واجتمع لذلك من الخلق ما لا يحصى ، وكانت عليه الطويلة^١ والقضيب
في يده زيّ الخلافة ، والمنصور يسايره .

ثم خرج المنصور لآخر غزواته ، وقد مرض المرض الذي مات فيه ،
وواصل شتّى الغارات ، وقويت عليه العلة ، فاتخذ له سرير خشب ووُطّيء
عليه ما يقعد عليه ، وجعلت عليه ستارة ، وكان يُحمّل على أعناق الرجال
والعساكر تحفّ به ، وكان هَجَرَ الأطباء في تلك العلة لاختلافهم فيها ، وأيقن
بالموت ، وكان يقول : إن زمامي يشتمل على عشرين ألف مرتزق ما أصبح

= أنواع من مستحضرات تتخذ في صنع الأطعمة منها المري بالنقيع والطيب ومري الخبز ومري الحوت
وبعض أنواعه يصنع من عصير العنب بالأفاويه دون خبز محرق ، والعامّة تصنعه من العسل المحرق
والخبز المحرق وغيرهما . ويقول دوزي إنه مركب يصنع من الدقيق والملح والعسل والتمر وأشياء
أخرى . ويقول ابن البيطار إن نوعاً منه يعمل من السمك المالح واللحوم المالحّة وينقل عن الجاحظ
قوله « المري هو جوهر الطعام وروح البارد المستظرف والحر المستنظف . . . » (انظر قاموس
دوزي «مادة مري» ومفردات ابن البيطار ٤ : ١٤٩ - ١٥٠ وكتاب الطيبخ : ٨٢ ومواضع
أخرى منه) .

١ الطويلة : هي القلنسوة .

فيهم أسوأ حالة مني - ولعله يعني مَنْ حضر تلك الغزاة ، وإلا فعساكر الأندلس ذلك الزمان أكثر من ذلك العدد - واشتغل ذهنه بأمر قرطبة وهو في مدينة سالم ، فلما أيقن بالوفاة أوصى ابنه عبد الملك وجماعته وخلا بولده - وكان يكرر وصاته ، وكلّما أراد أن ينصرف يرده ، وعبدُ الملك يبكي ، وهو ينكر عليه بكاءه ويقول : وهذا من أول العجز ، وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر .

وخرج عبد الملك إلى قرطبة ومعه القاضي ابن ذكوان ، فدخلها أول شوال ، وسكن الإرجاف بموت والده ، وعرفَ الخليفة كيف تركه .

ووجد المنصور خيفة فأحضر جماعة بين يديه ، وهو كالحَيال لا يُبين الكلام ، وأكثر كلامه بالإشارة كالمسلم المودع ، وخرجوا من عنده ، فكان آخر العهد به ومات لثلاث بقين من شهر رمضان ، وأوصى أن يُدفن حيث يُقبض ، فدفن في قصره بمدينة سالم . واضطرب العسكر ، وتلوّم ولده أياماً ، وفارقه بعض العسكر إلى هشام ، وقفل هو إلى قرطبة فيمن بقي معه ، ولبس فتیان^١ المنصور المسوّح والأكسية بعد الوشي والحبر والخز .

وقام ولده عبد الملك المظفر بالأمر ، وأجراه هشام الخليفة على عادة أبيه ، وخلع عليه ، وكتب له السجل بولاية الحجابة ، وكان الفتیان قد اضطربوا فقوم المائل ، وأصلح الفاسد ، وجرت الأمور على السداد ، وانشرحت الصدور بما شرع فيه من عمارة البلاد ، فكان أسعد مولود ولد في الأندلس .

ولتمسك عنان القلم في أمر ابن أبي عامر ، فقد قدمنا في محله جملة من أحواله ، وما ذكرناه هنا وإن كان محله ما سبق وبعضه قد تكرر معه فهو لا يخلو من فوائد زوائد ، والله تعالى ولي التوفيق .

١ ق ودوزي : قيان .

رجع إلى أخبار صاعد اللغوي البغدادي :

حكى^١ أنه دخل على المنصور يوم عيد ، وعليه ثياب جُدُد وخفٌ جديد ، فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين في الصحن ، فزلق فسقط في الماء ، فضحك المنصور ، وأمر بإخراجه ، وقد كاد البرد أن يأتي عليه ، فخلع عليه ، وأدنى مجلسه ، وقال له : هل حضرك شيء ؟ فقال :

شَيْئَانِ كَانَا فِي الزَّمَانِ عَجِيَّةٍ ضَرَطَ ابْنُ وَهْبٍ ثُمَّ وَقَعَهُ^٢ صَاعِدُ

فاسْتَبْرَدَ مَا أَتَى بِهِ فَقَالَ أَبُو مَرْوَانَ الْكَاتِبُ الْجَزِيرِيُّ : هَلَا قَلْتَ :

سُرُورِي بَغْرَتِكَ الْمَشْرِقَةُ وَدِيْمَتِي رَاحَتِكَ الْمُغْدِقَةُ
ثَنَانِي نَشْوَانٍ حَتَّى غَرَّةٍ تُمْ فِي بِلْعَةِ الْبَرَكَةِ الْمَطْبِقَةِ
لَنْ ظَلَّ عَبْدُكَ فِيهَا الْغَرِيقَ فَجُودُكَ مِنْ قَبْلِهَا أَغْرَقَهُ

فقال له المنصور : لله درك يا أبا مروان ، قسناك بأهل بغداد. فضلتهم ،

فبمن نقيسك بعد ؟ انتهى .

وقال في الذخيرة في ترجمة صاعد^٣ : وفد على المنصور نجماً من المشرق غرب ، ولساناً عن العرب أعرب ، وأراد المنصور أن يعفّي به آثار أبي علي القالي فألقى سيفه كهاماً ، وسحابه جهاماً ، من رجل يتكلم بملء فيه ، ولا يوثق بكل ما يذره ولا ما يأتيه ، انتهى باختصار .

وأصل صاعد من ديار الموصل ، وقال ارتجالاً وقد عبث المنصور بترنجان :

لَمْ أَدْرِ قَبْلَ تَرُنْجَانٍ عَبِثْتَ بِهِ أَنْ الزَّمْرَدَ أَغْصَانٌ وَأُورَاقٌ

١ انظر الذخيرة ١ / ٤ : ٢٣ .

٢. الذخيرة : زلقة .

٣ الذخيرة ١ / ٤ : ٢ ؛ وبدائع البداهة ٢ : ٣١ .

من طيبه سَرَقَ الأترجُ نكهته يا قومُ حتى من الأشجار سُرِّاقُ
كأنَّما الحاجبُ المنصورُ علَّمه فعلَ الجميلِ فطابتْ منه أخلاقُ
وقدَّمه الحِجاري بقوله :

كأن إبريقنا والراحُ في فمه طيرٌ تناول يا قوتاً بمنقار
وقبله :

وقهوة من فم الإبريق صافية كدَمَعٍ مفجوعة بالإلف معباراً^١
وقال في بدائع البدائه^٢ : دخل صاعد اللغوي على بعض أصحابه في مجلس
شراب ، فملاً الساقى قدحاً من إبريق ، فبقيت على فم الإبريق نقطة من الراح
قد تكونت ولم تقطر ، فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال :

وقهوة من فم الإبريق ساكية

البيتين .

ثمَّ قال بعدهما : وإنَّما اهتمم صاعد قول الشريف أبي البركات علي بن
الحسين العلوي^٣ :

كانَّ ريح الروضِ لما أتت فتَّتْ عَلَيْنَا مسكَ عطَّارِ
كأنَّما إبريقنا طائرٌ يحملُ يا قوتاً بمنقارِ

انتهى .

١ ق : مغيار .

٢ بدائع البدائه ٢ : ٣٢ .

٣ ق ودوزي : اللغوي ؛ والتصويب عن اليتيمة ٤ : ٢٠ ؛ وفيه ترجمة أبي البركات والبيتان اللذان
أوردهما المقرئ ؛ وانظر النخبة أيضاً : ١٥ - ١٦ .

ومن نظم صاعد :

قلتُ لهُ والرقيبُ يُعجله مودعاً للفراق : أين أنا
فَمَدَّ كَفّاً إلى تراثه وقال : سِرُّ وادعاً فأنتَ هنا

وقال صاعد ، لما أمر المنصور بن أبي عامر بمعارضة قصيدة لأبي نواس :

إنّني لأستحيي علّاك من ارتجال القول فيه
من ليس يُدرك^١ بالروية كيف يدرك بالبدية

وقال حاشد البغدادي في صاعد اللغوي ، وكان صاعد يتشدهما ويبكي ويقول : ما هُجيت بشيء أشد علي منهما :

اقبلْ هُدَيْتَ أبا العلاء نصيحتي بقبولها وبواجب الشكر
لا تهجُونَّ أَسَنَّ منكُ فربما تهجو أباك وأنت لا تدري

نعوذ بالله من لسان الشعراء ، وأنواع البلاء ، بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن نظم صاعد قوله^٢ :

بعثتُ إليك من خيرِي روضٍ محرّمة^٣ كأوراق العقيق
توكل بالغروب^٤ عن التصابي وتصطادُ الخليع من الطريق

وروى صاعد عن القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، وأبي علي

١ ق : يحسن .

٢ الذخيرة ١ / ٤ : ١٢ .

٣ كذا في ق وأصل الذخيرة وجعلها دوزي : « محزنة » .

٤ كذا ولعل الصواب : بالمزوف ، أي المازف عن التصابي ، كما ثبت في الذخيرة .

الحسن بن أحمد الفارسي ، وأبي بكر ابن مالك القطيعي ، وأبي سليمان الخطابي ، وغيرهم .

قال الحميدي^١ : خرج من الأندلس في الفتنة وقصد صقلية ، فمات بها قريباً من سنة عشر وأربعمائة .

وقال ابن حزم^٢ : توفي بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة .

وقال ابن بشكوال في حقّه : إنّه يُتهم بالكذب وقلّة الصدق فيما يورده ، عفا الله تعالى عنه ؛ وقدم الأندلس من مصر أيام المؤيد وتحكم المنصور بن أبي عامر في حدود سنة ٣٨٠ ، فأكرمه المنصور ، وزاد في الإحسان إليه ، والإفضال عليه ، وكان عالماً باللّغة والآداب والأخبار ، سريع الجواب ، حسن الشعر ، طيب المعاشرة ، فكّه المجالسة .

وقال بعضهم^٣ : دخل صاعد على المنصور وعنده كتاب ورد عليه من عامل له في بعض الجهات اسمه مبرمان^٤ بن يزيد يذكر فيه القلب والتزييل ، وهما عندهم اسم الأرض قبل زراعتها^٥ ، فقال له : يا أبا العلاء ، قال : لييك يا مولانا ، فقال : هل رأيت أو وصل إليك من الكتب القوالب والزوالب لمبرمان ابن يزيد ؟ قال : إي والله ببغداد في نسخة لأبي بكر ابن دريد بخط ككراع النمل ، في جوانبها [علامات الوضاع]^٦ فقال له : أما تستحيي أبا العلاء من هذا الكذب ؟ هذا كتاب عاملي ببلد كذا واسمه كذا يذكر فيه كذا ، فجعل يحلف له أنّه ما كذب ، ولكنّه أمرٌ وافق . ومات عن سنّ عالية ، رحمه الله تعالى .

١ الجذوة : ٢٢٧ .

٢ نقله أيضاً ابن بشكوال في ترجمة صاعد ص : ٢٣٢ .

٣ راجع الجذوة : ٢٢٤ والنخيرة ١ / ٤ : ٢٠ .

٤ في النخيرة : ميدان .

٥ الحميدي : وهما عندهم من معانة الأرض قبل زراعتها .

٦ زيادة من الجذوة والنخيرة .

٦٠ - ومن الوافدين على الأندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي^١ ، ولد سنة ٥٧٢ هـ ، وقد ذكر في رحلته عجائب شاهدها بالمغرب ومشايخ لقيهم ، فمنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري ، قال : سمعت عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة الحديث وشيئاً من تصانيف المغاربة ، وروى لنا عن الحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف ابن إبراهيم بن قرقول ، وولي ابن حوط الله المذكور قضاء غرناطة ، وأدرك ابن بشكوال وابن حبيش وابن حميد المرسي النحوي وأبا يزيد السهيلي صاحب الروض وغيرهم . ومن الشيوخ الذين لقيهم السرخسي المذكور بالمغرب^٢ الفقيه ابن أبي تميم ، قال : وأنشدني :

اسمع أخِي نصيحتِي والنصحُ من مُحضِ الديانة
لا تَقْرِنَنَّ إِلَى الشَّهَادَةِ والوساطةِ والأمانه
تَسْلَمُ مَنْ أَنْ تُعْزَى لَزْوٍ رٍ أَوْ قُضُولٍ أَوْ خِيَانِه

وذكر أنه أدرك الشيخ الولي العارف بالله سيدي أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي صاحب الحالات والكرامات الظاهرة والطريقة الغربية والأحوال العجيبة ، قال : أدركته بمراكش سنة أربع وتسعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين ، ومهما حصل عنده مال قرَّقه في الحال ، وتركته في سنة ثمان وتسعين حيّاً يُرزق ، انتهى . وولي الله السبتي قد ذكرت في غير هذا الموضع بعض أحواله ، فلترجع في الباب الثامن من ترجمة لسان الدين ابن الخطيب ، وعمله مقصود

١ هو أبو أحمد عبد الله بن عمر بن محمد بن حمويه تاج الدين شيخ الشيوخ (٦٤٢-). كان مفتناً في العلوم عارفاً بالأصلين والفروع والترسل والتواريخ والهندسة والطب ، وله كتاب المؤنس في أصول الأشياء ، وأمال وتواريخ كثيرة ، بقي في المغرب بعد وفاة يعقوب المنصور ، وعاد إلى الشام سنة ٦٠٠ وحبس سنة ٦٠٤ ، وكان نزهاً عفيفاً شريفاً النفس . (راجع ترجمته في مرآة الزمان : ٧٤٨ - ٧٤٩ وذيل أبي شامة : ١٧٤ والشذرات : ٥ : ٢١٤) .

٢ الروض . . . بالمغرب : سقطت هذه العبارة من ق .

لقضاء الحاجات ، وقد زرته مراراً عديدة سنة ١٠١٠ .

وقال لسان الدين في « نفاضة الجراب » : كتبت عن السلطان الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر ونحن بفاس يخاطب الضريح المقصود ، والمنهل المورود ، والمرعى المنتجع ، والخوان الذي يكفي الغرثي ، ويمرض المرضى ، ويقوت الزمئي ، ويتعداهم إلى أهل الجدة زعموا والغني ، قبر ولي الله سيدي أبي العباس السبي نفعنا الله به ، وجبر حالنا ، وأعاد علينا النعم ، ودفع عنا النقم :

يا وليّ الإله أنتَ جَوَادٌ وقصّدتنا إلى حماك المنيعِ
راعيتنا الدهرُ بالخطوبِ فجئنا نرئجي من علاكَ حُسْنُ الصنيعِ
فمدّدتنا لك الأكفَّ نرجي عوْدَةَ العزّ تحتَ شَمْلٍ جميعِ
قد جعلتنا وسيلةً تُربكَ الزا كي وزلّني إلى العليم السميعِ
كم غريبٍ أسرى إليك فوافي برضى عاجلٍ وخيرٍ سريعِ

يا وليّ الله الذي جعل جاهه سبباً لقضاء الحاجات ، ورفع الأزمات ، وتصريفه باقياً بعد الممات ، وصدّقَ نقولَ الحكايات ظهورُ الآيات ، نفعني الله بنيّ في بركة تربك ، وأظهر عليّ أثر توسّلي بك إلى الله ربك ، مُزّقَ شملي ، وفرّق بيني وبين أهلي ، وتُعدي عليّ ، وصُرفت وجوه المكاييد إليّ ، حتّى أُخرجت من وطني وبلدي ، ومالي وولدي ، ومحل جهادي ، وحَقّي الذي صار لي طوعاً عن آبائي وأجدادي ، عن بيعة لم يحلّ عقدتها الدين ، ولا ثبوتُ جرحه تشين ، وأنا قد قرعت بابَ الله سبحانه بتأميلك ، فالتمس لي قبوله بقبولك ، ورُدّني إلى وطني على أفضل حال ، وأظهر عليّ كرامتك التي تُشدُّ إليها ظهور الرّحال ، فقد جعلتُ وسيلتي إليك رسول الحق ، إلى جميع الخلق ، والسلام عليك أيها الولي الكريم ، الذي يأمن به الخائف ويتصف الغريم ، ورحمة الله ، انتهى .

رجع - والسرخسي المذكور قال في حقّه بعض الأئمة : إنّه الشيخ الإمام ،

شيخ الشيوخ ، تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه ،
له رحلة مغربية ، انتهى .

وهو من بيت كبير ، وقال البدرى في تاريخه في حقه ما صورته : تاج
الدين ، شيخ الشيوخ بدمشق ، أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين ، له كتاب في
ثمانى مجلدات ذكر فيه أصول الأشياء ، وله « السياسة الملوكية » صنفها للملك
الكامل محمد ، وغير ذلك ، وسمع الحديث ، وحفظ القرآن ، وكان قد بلغ
الثمانين ، وقيل : لم يبلغها ، وقد سافر إلى بلاد المغرب سنة ثلاث وتسعين ،
واتصل بمراكش ، عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، فأقام
هنالك إلى سنة ستمائة ، وقدم مصر ، وولي مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين
ابن حمويه ، انتهى .

وقال غيره : إنه كان فاضلاً متواضعاً نزهاً حسن الاعتقاد ، قال أبو المظفر :
كان يحضر مجالسي ، وأنشدني يوماً :

لَمْ أَلْقَ مُسْتَكْبِراً إِلَّا تَحَوَّلَ لِي عِنْدَ اللَّقَاءِ لَهُ الْكِبَرُ الَّذِي فِيهِ
وَلَا حَلَالِي مِنَ الدُّنْيَا وَلَدَّتْهَا إِلَّا مُقَابِلَتِي لِلتَّيِّبِ بِالتَّيِّبِ

وقال السرخسي المذكور في رحلته : إنني وإن كنت خراساني الطينة ، لكنني
شامي المدينة ، وإن كانت العمومة من المشرق ، فإن الخوالة من المغرب ،
فحدّث باعثٌ يدعو إلى الحركات والأسفار ، ومشاهدة الغرائب في النواحي
والأقطار ، وذلك في حال ريعان الشباب الذي تعضده عزائم النفوس بنشاطها ،
والجوارح بخفة حركاتها وانبساطها ، فخرجت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة
إلى زيارة البيت المقدس وتجديد العهد ببركاته ، واغتنام الأجر في حلول بقاعه
ومزاراته ، ثم سرت منه إلى الديار المصرية ، وهي آهلة بكل ما تتجمل به
البلاد وتزدهي ، وينتهي وصف الواصف لشؤونها ولا تنتهي ، ثم دخلت الغرب
من الإسكندرية في البحر ودخلت مدينة مراكش أيام السيد الإمام أمير المؤمنين

أبي يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، فاتصلت بخدمته ، والذي علمت من حاله أنه كان يجيد حفظ القرآن ، ويحفظ متون الأحاديث ويتقنها ، ويتكلم في الفقه كلاماً بليغاً ، وكان فقهاء الوقت يرجعون إليه في الفتاوى ، وله فتاوى مجموعة حسبما أدّى إليه اجتهاده ، وكان الفقهاء ينسبونه إلى مذهب الظاهر ، وقد شرحت أحوال سيرته ، وما جرى في أيام دولته ، في كتاب التاريخ المسمى « عطف الذيل » . وقد صنف كتاباً جمع فيه متون أحاديث صحاح تتعلق بها العبادات سماه « الترغيب » . وتهدده ملك الإفرنج الفُشنس في كتابه فمزقه ، وقال لرسوله : ﴿ اَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَسْنَا بِنَتَّهِمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ، وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (النمل : ٣٧) إن شاء الله تعالى ، ثم قال للكاتب : اكتب على هذه القطعة ، يعني من كتابه الذي مزقه : الجواب ما ترى لا ما تسمع :

فلا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ وَالْقَنَا وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَمَرَمُ^١

ومن شعره أبيات كتب بها إلى العرب ، وهي :

يا أيها الراكبُ المُرْجِي مطيَّته	على عُدافرة تشقَّى بها الأكمُ
بلغ سُلَيْماً على بُعد الديارِ بها	بَيْتِي وَبَيْنَكُمْ الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ
يا قومنا لا تشبُّوا الحربَ إن خمدتْ	واستمسكوا بعري الإيمان واعتصموا
كم جرَّبَ الحربَ مَنْ قد كان قبلكمُ	من القرونِ فبادتْ دونها الأممُ
حاشا الأعرابَ أن ترضى بمنقصة	يا ليت شعري هل ترآهمُ علموا
يقودهمُ أرمنيُّ لا خلاقَ له	كأنه بينهمُ من جهلهم علمُ

يعني بالأرمني قراقوش مملوك بني أيوب الذي كان ذهب إلى بلاد الغرب

١ ورد هذا الجواب في الحلل الموشية : ٣٠ ولكنه منسوب هناك ليوسف بن تاشفين وكذلك قال ابن عبد الغفور في أحكام صنعة الكلام ص : ١٦٤ ؛ والبيت للمتنبى .

الأدنى ، وأوقد النار الحربية من طرابلس إلى تونس مع ابن غانية اللّمتوني ،
وحديثه مشهور^١ ، وتام الأبيات :

اللهُ يعلمُ أنّي ما دعوتكمُ دُعاء ذي قوّةٍ يَوْمًا فيستقمُ
ولا بلأتُ لأمرٍ يُستعانُ بهِ من الأمورِ وهذا الخلقُ قد علموا
لكن لأجزّي رسولَ الله عن نسبٍ يُنمى إليه وترعى تلكم اللّدمُ
فإن أتيتُم فحبلُ الرّوصل متصلٌ وإن أبيتم فعندَ السيفِ نحتكمُ

ثمّ قال السرخسي : وبلغني أن قوماً من الغرباء قصدوه ، ومعهم حيوانات
معلّمة منها أسد وغراب ، أمّا الأسد فيقصده من دون أهل المجلس ، ويربض
بين يديه ، وربّما أوما بالسجود ومدّ ذراعيه ، وأمّا الغراب فكان يقول :
النصر والتمكين لسيدنا أمير المؤمنين ، وفي ذلك يقول بعضُ الشعراء :

أنيسَ الشبلُ ابتهاجاً بالأسدِ ورأى شبهةً أيّه فقصدهُ
أنطق الخالقُ مخلوقاته شهدوا والكلُّ بالحقِّ شهدُ
أنك الحيرةُ من صفوته بعدما طال على النّاس الأمدُ

فأعطاهم وكساهم ، وأحسن حياهم . وبلغني أن قوماً أتوه بفيل من بلاد
السودان هدية ، فأمر لهم بصلّة ، ولم يقبله منهم ، وقال : نحن لا نريد أن نكون
أصحاب الفيل .

وقال لي يوماً : كيف ترى هذه البلاد ؟ وأين هي من بلادك الشامية ؟
فقلت : يا سيدنا ، بلادكم^٢ حسنة أنيقة بمجملّة مكملّة ، وفيها عيب واحد ،
فقال : ما هو ؟ فقلت : أنّها تُنسّي الأوطان ، فتبسم وظهر لي إعجابه

١ تجد تفصيلاً لأعمال قراقوش وابن غانية في رحلة التجاني وتاريخ ابن الأثير وابن خلدون (الجزء

السادس) والبيان المغرب (الجزء الثالث) وراجع كتابي « تاريخ ليبيا » : ١٥٧ - ١٩٤ .

٢ ق : بلاد .

بالجواب ، وأمر لي من غد بزيادة رتبة وإحسان .
 وحدثني بعض عمالهم أنه فرق على الجند والأمراء والفقراء في عيد سنة
 أربع وتسعين ثلاثة وسبعين ألف شاة من ضيآن ومعر .
 ودَرَج إلى رحمة الله تعالى سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وكان قد
 استخلف ولده محمداً وقرّر الأمر له ، انتهى .
 قلت : بهذا وأمثاله تعلم فساد ما زعمه غير واحد أن يعقوب المنصور هذا
 تخلى عن الملك ، وفر زهداً فيه إلى المشرق ، وأنه دفن بالبقاع ، لأن هذه مقالة
 عامية لا يشتها علماء المغرب ، وسبب هذه المقالة تولّع العامة به ، فكذبوا في
 موته ، وقالوا : لأنه ترك الملك ، وحكوا ما شاع إلى الآن وذاع ممّا ليس له
 أصل . ويرحم الله تعالى الإمام العلامة القاضي الشريف الغرناطي شارح الخرزجية ،
 إذ قال في شرح مقصورة حازم عند ذكره وقعة الأرك ما معناه^١ : إن بعض
 الناس يزعمون أن المنصور ترك الملك وذهب إلى المشرق ، وهذا كلام لا يصح ،
 ولا أصل له . انتهى . وقال في « المغرب » : كان أبوه يوسف قد استوزره في
 حياته ، وتخرّج بين يديه ، وتمرس^٢ ، وهزم الفرنج الهزيمة العظيمة ، وتولع
 بالعلم حتى نفى التقليد وحرّق كتب المذاهب ، وقتل على السكر ، انتهى .
 وحكى لسان الدين الوزير ابن الخطيب في شرح كتابه « رقم الحبل في
 نظم الدول » أن المنصور طلب من بعض أعيان دولته رجلين لتأديب ولده
 يكون أحدهما برّاً في عمله ، والآخر بجرّاً في علمه ، فجاءه بشخصين زعم
 أنهما على وفقٍ مقترح المنصور ، فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف ، فكتب
 إلى الآتي بهما ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الروم : ٤١) انتهى . وناهيك

١ نص ما أورده الشريف الغرناطي (رفع الحجب ٢ : ١٥٥) « وكذب الكافة من العامة بوفاته
 فأؤفة يجعلونه يرايط ببلاد الأندلس مستكتماً بها ، وتارة يقولون إنه خرج زاهداً في الملك فتوجه
 نحو بيت الله وجاور في المدينة عند قبر رسول الله (ص) حيث يخفي أمره ، ولم في ذلك حكايات
 يقولونها إلى الآن ، كلها تخرص وأباطيل » ، وانظر البيان المغرب ٣ : ٢١١ (ط . تطوان) .

بهذا دلالةً على قوة فطنته ومعرفته ، رحمه الله تعالى .

رجع إلى أخبار السرخسي :

وقال في رحلته لما ذكر السيد أبا الربيع سليمان بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي^١ ، وكان في تلك المدة يلي مدينة سجلماسة وأعمالها : اجتمعت به حين قدم إلى مراكش بعد وفاة المنصور يعقوب لمبايعته ولده محمد ، فرأيتُه شيخاً بهي المنظر ، حسن المخبر ، فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية ، ومن كلامه في جواب رسالة إلى ملك السودان بغانة ينكر عليه تعويق التجار قوله : نحن نتجاوز بالإحسان ، وإن تخالفنا في الأديان ، ونتفق على السيرة المرضية ، ونؤلف على الرفق بالرعية ، ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة ، والجور لا تعانیه إلاّ النفوس الشريرة الجاهلة ، وقد بلغنا احتباسُ مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده ، وتردد الجلالة إلى البلد مفيد لسكانها ، ومعين على التمكن من استيطانها ، ولو شئنا لاحتبسنا مَنْ في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكنّا لا نستصوب فعله ، ولا ينبغي لنا أن ننهي عن خلق ونأتي مثله ، والسلام .

ووقع إلى عامل له كثرت الشكاوى منه : قد كثرت فيك الأقوال ، وإغضائي عنك رجاء أن تتيقّظ فتتصلح الحال ، وفي مُبادرتي إلى ظهور الإنكار عليك نسبة إلى شر الاختيار وعدم الاختبار ، فأحذر فإنّك على شفا جُرْفٍ هارٍ .
ومن شعره المشهور قصيدة يمدح فيها ابن عمّه المنصور يعقوب^٢ :

١ أبو الربيع الموحدي سليمان بن عبد الله (- ٦٠٤) ، ولي بجاية ، وشارك في بعض الأعمال الحربية ضد ابن غانية بتونس ؛ وقال الشقندي فيه إنه من مفاخر بني عبد المؤمن ، كان قديراً على النظم حافظاً للآداب ، وله ديوان شعر (انظر النصوص البائنة : ١٣١ - ١٣٤) ويبدو أن قسماً من هذا الشعر قد نحله إياه أحد كتّابه (المعجب : ٣٧٨) .

٢ هي في ديوانه ص ٢٠ (ومخطوطة الرباط من ديوانه : الورقة ١٥٧) قالها يحيى الخليفة أبا يوسف بفتح قفصة سنة ٥٨٣ .

هَبَّتْ بِنَصْرِكُمْ الرِّيحُ الْأَرْبَعُ
وَاسْتَبَشَّرَ الْفَلَكَ الْأَثِيرُ تَيْقَنًا
وَأَمَدَكَ الرَّحْمَنُ بِالْفَتْحِ الَّذِي
لَمْ لَا وَأَنْتَ بَدَلْتَ فِي مَرْضَاتِهِ
وَمَضَيْتَ فِي نَصْرِ الْإِلَهِ مُصَمِّمًا
لِلَّهِ جَيْشَكَ وَالصُّوَارِمُ تُنْتَضَى
مِنْ كُلِّ مَنْ تَقْوَى إِلَهُ سِلَاحُهُ
لَا يُسْلَمُونَ إِلَى النَّوَازِلِ جَارَهُمْ
وَمِنْهَا يَصِفُ انْهْزَامَ الْعَدُوِّ :

إِنْ ظَنَّ أَنْ فَرَارَهُ مُنْجٍ لَهُ
أَيْنَ الْمَقَرُّ وَلَا فَرَارَ لِهَارِبٍ
أَخْلِيفَةَ اللَّهِ الرِّضَى هُنَيْتَهُ
فَلَقَدْ كَسَوْتَ الدِّينَ عَزًّا شَاخًا
هِيَاهُ سِرُّ اللَّهِ أَوْدَعَ فِيكُمْ
لَكُمْ الْهَدَى لَا يَدَّعِيهِ سِوَاكُمْ
إِنْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا
إِنْ كُنْتَ تَتْلُو السَّابِقِينَ فَإِنَّمَا
خَذَهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَدِيحَةً
وَاسْلَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَمَةٍ
فَالْمَدْحُ مِنِّي فِي عِلَّاكَ طَبِيعَةً
وَعَلَيْكَ يَا عَلَمَ الْهَدَاةِ نَحِيَّةً

فَبَجْهَلِهِ قَدْ ظَنَّ مَا لَا يَنْفَعُ
وَالْأَرْضُ تُنْشَرُ فِي يَدَيْكَ وَتَجْمَعُ
فَتَحُ يُمَدُّ بِمَا سِوَاهُ وَيُشْفَعُ
وَلَبِستَ مِنْهُ أَنْتَ مَا لَا يُخْلَعُ
وَاللَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
وَمَنْ ادَّعَاهُ يَقُولُ مَا لَا يُسْمَعُ
فَالْيَلِكُ يَا يَعْقُوبُ تَوَمِّي الْإِصْبَعُ
أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَالْخَلَائِقُ تَبْعُ
مِنْ قَلْبِ صَدَقٍ لَمْ يَشْنَهُ تَصْنَعُ
أَنْتَ الْمَلَاذُ لَهَا وَأَنْتَ الْمَفْرَعُ
وَالْمَدْحُ مِنْ غَيْرِي إِلَيْكَ تَطْبَعُ
يَفْنَى الزَّمَانُ وَعَرَفُهَا يَتَضَوَّعُ

قال لي الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلاني : دخلت إلى السيد أبي الربيع بقصر سجلماسة ، وبين يديه أنطاع عليها رؤوس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وغانة ، وهو ينكت الأرض بقضيب من الآبنوس ، ويقول :

ولا غرو أن كانت رؤوسُ عدائِهِ جواباً إذا كان السيوفَ رسائلهُ
ومات بعد الستمائة ، رحمه الله تعالى ، انتهى .

وقال لما هجره أمير المؤمنين يعقوب المنصور ، ووافق ذلك أن وَقَدَ على حضرة الخلافة مراکش جمعٌ من العرب والغُزَّاء من بلاد المشرق ، ونزلوا بتمرتانسقت ظاهر مراکش ، واستأذنوا في وقت الدخول ، فكتب إلى المنصور^٢ :

يا كعبةَ الجودِ التي حَجَّتْ لها عَرَبُ الشَّامِ وَغُزُّها والدَّيْلَمُ
طوبى لمن أَمسى يطوفُ بها غداً ويحلُّ بالبيتِ الحرامِ ويُحْرِمُ
ومن العجائبِ أن يفوزَ بنظرةٍ مَنْ بالشَّامِ ومن بمكَّةَ يُحْرَمُ
فعفا عنه ، وأحسن إليه ، وأمره بالدخول بهم ، والتقدم عليهم .

وقال في « المغرب » في حق السيد أبي الربيع المذكور ، ما ملخصه^٣ : لم يكن في بني عبد المؤمن مثله في هذا الشأن الذي نحن بصدده ، وكان تقدم على مملكتي سجلماسة وبجاية ، وكان كاتباً شاعراً أديباً ماهراً ، وشعره مدون ، وله ألغاز ،

١ الغز : فريق من الجيش الذي كان يلتف حول شرف الدين قراقوش وفيه عناصر تركية في الأغلب وردوا المغرب حوالي ٨٢ هـ أو التي بعدها ، فأكرمهم الخليفة الموحي وجعل لهم جامكية شهرية لا تحتل (انظر المعجب : ٣٦٥ - ٣٦٧) حين رتبهم في جيشه ، وقد نوه المنصور بالغز في وصيته حين قال : « وهؤلاء الأغزاز أمرنا لهم بهذه البركة يأخذونها فأركوها على ما رتبنا وربطنا لأن الموحدين لهم سهام يرجعون إليها وليس للأغزاز سهام » (البيان ٣ : ٢٠٨ ط . تطوان) .

٢ الأبيات في ديوانه : ١٤٤ .

٣ لم ترد هذه الترجمة في المغرب المطبوع .

وهو القائل في جارية اسمها أوف^١ :

خليليّ قولاً أين قلبي ومنّ به وكيف بقاء المرء من بعد قلبه
ولو شئتُما لاسم الذي قد هويتُهُ لصحفتُما أمري لكم بعد قلبه^٢

وله الأبيات المشهورة التي منها^٣ :

أقول لركب أدلجوا بسُحيرة قِفُوا ساعةً حتى أزورَ ركبها
وأملأ عَيْتي من محاسن وجهها وأشكو إليها أن أطالت عتابها
فإن هي جادت بالوصالِ وأنعمتُ وإلاّ فحسبي أن رأيتُ قبابها

وقال يخاطب ابن عمّه يعقوب المنصور^٤ :

فلأملأن الخافقين بذكركم ما دمت حياً ناظماً ومُرسلاً
ولأبدلن نصحي لكم جهدي وذا جهْدُ المُقِلِّ وما عسى أن أفعلا
ولأخلصنّ لك الدعاء ، وما أنا أهلٌ له ، ولعلّه أن يُقبلا

وله مختصر كتاب « الأغاني » ، انتهى .

رجع - وذكر السرخسي أيضاً في رحلته السيد أبا الحسن علي بن عمر ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن ، وقال في حقّه : إنّه كان من أهل الأدب والطرب ، ولي بجاية مدة ، ثمّ عزّل عنها لإهماله وإغفاله وانهماكه في ملاذه ، أنشدني محمد ابن سعيد المهدي كاتبه قال : كتب الأمير أبو الحسن إلى أمير المؤمنين يعقوب يمدحه ويستريده ، ويطلب منه ما يقضي به ديونه :

١ الديوان : ١١٧ .

٢ أمره هو الفعل « قولاً » في البيت الأول ، وتصحيفه بعد قلبه هو « أوف » .

٣ الديوان : ٤٩ .

٤ الديوان : ٣٩ .

وجُؤهُ الأَمَانِي بِكُمْ مُسْفِرَةً وضاحكةً لِي مُسْتَبْشِرَةً
وَلِي أَمَلٌ فَيَكُمُ صَادِقٌ قَرِيبٌ عَسَى اللَّهُ قَدْ يَسَّرَهُ
عَلَيَّ دُيُونٌ وَتَصْحِيفُهَا وَعِنْدَكُمْ الْجُودُ وَالْمَغْفِرَةُ

يعني ذنوب .

وحدثني الشيخ أبو الحسن ابن فشتال^١ الكاتب وقد أنشدته :

أوحشتني ولو اطلّعت على الذي لك في ضميري لم تكن لي موحشا
فقال : أنشدته هذا البيت في مجلس السيد أبي الحسن ، فقال لي ولئن حضر :
هل تعرفون لهذا البيت ثانياً ؟ فما فينا من عرفه ، فأنشدنا :
أترى رُشيتَ على أطراح مودتي ولقد عهدتك ليس تشنّيك الرُّشا
أوحشتني - البيت ، انتهى .

وقال في « المغرب » في حق السيد المذكور ، ما ملخصه : كان هذا السيد
أبو الحسن قد ولي مملكة تلمسان وبجاية ، وله حكايات في الجود برمكية ،
ونفس عالية زكية ، كتب إليه السيد أبو الربيع يوم جمعة^٢ :

اليومُ يومُ الجمعة يومُ سرورٍ ودّعة
وشمّلنا مفترقٌ فهل ترى أن نجمة

فأجابه بقوله :

اليومُ يومُ الجمعة وربنا قد رفّعة
والشربُ فيه بدعةٌ فهل ترى أن ندّعة

١ ق : قشتال .

٢ ديوان أبي الربيع : ١٣٧ .

قال : ولقطة « السيد » في المغرب بذلك العصر لا تطلق إلا على بني عبد المؤمن بن علي ، انتهى .

رجع — قال السرخسي ، وقد ذكر في الرحلة المذكورة السيد أبا محمد عبد الله صاحب فاس : وله من أبيات في الفخر وقد انتحلها غيره :

أَلَسْتُ ابْنَ مَنْ تَحْتَى الْيَالِي انْتِقَامَهُمْ وَتَرْجُو نَدَاهُمْ غَايَاتُ السَّحَابِ
يَخْطُونَ بِالْخَطِّ فِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ سَطُورَ الْمَنَايَا فِي نَحْوِ الْقَانِبِ
كِتَابًا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي وَنِقْسُهُ دَمُ الْقَلْبِ مَشْكُولًا بِنَضْحِ التَّرَائِبِ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَهُمْ أَنَّ مَعْشَرًا أَقَامُوا كِتَابًا مِنْ نَفُوسِ الْكُتَائِبِ
وَأُنْشِدُنِي الْمَقْدَمُ الْأَمِيرُ أَبُو زَيْدِ بْنِ يَكِيْتٍ قَالَ : أَنُشِدُنِي بَعْضَ السَّادَةِ مِنْ بَنِي
عَبْدِ الْمُؤْمَنِ :

فَدَيْتُ مَنْ أَصْبَحْتُ فِي أَسْرِهِ وَلَيْسَ لِي مِنْ حَكْمِهِ فَادِي
إِنْ حَلَّ يَوْمًا وَادِيًا كَانَ لِي جَنَّةٌ عَدْنٍ ذَلِكَ الْوَادِي
ثم ذكر رحمه الله تعالى جملة من علماء الأندلس والمغرب لقيهم في هذه
الرحلة .

ومن نظم السرخسي المذكور قوله رحمه الله تعالى :

يَا سَاهِرَ الْمَقْلَةِ لَا عَنُ كَرَرِي غَفَلْتُ عَنْ هَجْعِي وَأَوْصَابِي
لَوْ لَمْ يَكُنْ وَجْهُكَ لِي قِبَاةً مَا أَصْبَحَ الْحَاجِبُ مُحْرَابِي

وكان متفتنًا في العلوم ، وهو عمُّ الأمراء الوزراء الرؤساء فخر الدين وإخوته ، ومن مصنفاته « المسالك والممالك » و « عطف الذيل » في التاريخ ، وله أُمَالٌ وتَخَارِيجٌ وقدمه المنصور صاحب المغرب على جماعة ، وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق ، ودفن في مقابر الصوفية عند المنيب ، وكان عالي الهمة ،

شريف النفس . قليل الطمع ، ٧ يلتفت إلى أحد رغبة في دُنْيَاه ، لا من أهله ولا من غيرهم ، وذكره صاحب « المرأة » وغيره ، وترجمته واسعة ، رحمه الله تعالى .

٦١ — ومن الوافدين على الأندلس ظفر البغدادي^١ ، سكن قرطبة ، وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط كعباس بن عمرو الصقلي ويوسف البلوطي وطبقتهما ، واستخدمه الحكم المستنصر بالله في الوراقاة ، لما عُلِمَ من شدة اعتناء الحكم بجمع الكتب واقتنائها ، وقد أشار ابن حيّان في كتاب « المقتبس » إلى ظفر هذا ، رحمه الله تعالى .

٦٢ — ومنهم الرازي ، وهو محمد بن موسى بن بشير بن جنادة بن لقيط ، الكناfi ، الرازي^٢ . والد أبي بكر أحمد بن محمد صاحب التاريخ ، غلب عليه اسم بلده ، وكان يفد من المشرق على ملوك بني مروان تاجراً ، وكان مع ذلك متقناً^٣ في العلوم ، وهلك مُنْصَرَفَهُ من الوفادة على الأمير المنذر بن محمد بالبصرة ، في شهر ربيع الآخر سنة ٢٧٣ ، ذكره ابن حيّان في « المقتبس » .

٦٣ — ومنهم الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز ابن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان التميمي ، الدارمي ، البغدادي^٤ . سمع من أبي طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص^٥

١ ترجمة ظفر الوراق في التكملة : ٣٤٦ .

٢ انظر ترجمته في التكملة : ٦٧٠ .

٣ التكملة : مفتناً .

٤ ترجمة أبي الفضل البغدادي في الجذوة : ٦٨ (وبقيّة الملتص رقم : ٢٠٩) والذخيرة ١ / ٤ : ٦٧ - ٩٢ وفيه تفصيل رحلته وتقليبه في البلاد .

٥ في الجذوة : سمع من أبي طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص جزئين ، وقد يومهم أن « المخلص » اسم كتاب ، وعند حاجي خليفة « المخلصيات » من حديث أبي طاهر لابن العباس ابن مخلص الذهبي . (ص ١٦٣٩) .

وغيره ، وخرج من بغداد رسولا عن أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسي رضي الله تعالى عنه إلى صاحب إفريقية المعز بن باديس ، واجتمع مع أبي العلاء المعري بالمعرة ، وأنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب ، فقبل عينيه ، وقال له :
 لله أنت من ناظم ؛ وخرج من إفريقية من أجل فتنة العرب ، وحيثما عند المأمون ابن ذي النون بطليلة^١ ، وله فيه أمداح كثيرة ، ومن فرائد شعره قوله^٢ :

يا ليلُ ألاّ انجلَيْتَ عن فلقٍ طُلْتُ ولا صبرَ لي على الأرقِ
 جفا لحاظي^٣ التغميضُ فيك فما تُطْبِقُ أجفانها على الحدقِ
 كأنني صورةٌ ممثلةٌ ناظرها الدهرُ غيرُ منطبقِ

وقال :

يزرعُ ورداً ناضراً ناظري في وَجَنَةِ كَالْقَمَرِ الطالعِ
 أُمْنَعُ أنْ أَقْطَفَ أَزْهَارَهُ في سُنَّةِ المتبوعِ والتابعِ
 فلمْ منعمٌ شَقَّتِي قَطْفَهَا والحكمُ أنْ الزرعَ للزارعِ

هكذا نسبها له غير واحد كابن سعيد وابن كتيلة^٤ ، وبعضهم ينسبها للقاضي عبد الوهاب .

قلت : وقد أجاب عنها بعض المغاربة بقوله :

سَلَّمْتُ أنَّ الحكمَ ما قَلَمُ وهو الذي نُصَّ عن الشارعِ

١ كان دخوله طليطة يوم الجمعة لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ٤٥٤ .

٢ الذخيرة : ٧٥ .

٣ الذخيرة : جفوني .

٤ الذخيرة : تسيل أشفارها .

٥ في ق : وأبو كيلة ، وقد اضطربت في النسخ بين : كتيلة ، كتيلة ، كتيلة ، كما جاء موضعها بياض في نسخ أخرى .

فكيف تبغي شَفَّةً قَطْفَةً وغيرُها المدعوُّ بالزارعِ

ورده شيخُ شيوخِ شيوختنا الإمام الحافظ أبو عبد الله التَّنَسِّي ثم التلمساني بقوله :

في ذا الذي قد قَلَمُ مَبْحَثٌ إِذْ فِيهِ إِيهَامٌ عَلَى السَّامِعِ
سَلَّمَ الْحُكْمَ لَهُ مُطْلَقاً وَغَيْرُ ذَا نُصٍّ عَنِ الشَّارِعِ

يعني أَنَّهُ يلزم على قول المجيب أن يباح له النظر مطلقاً ، والشرع خلافه .
وأجاب بعض الحنفية بقوله :

لأنَّ أَهْلَ الْحَبِّ في حِكْمِنَا عَيَّدْنَا في شَرْعِنَا الْوَاسِعِ
وَالْعَبْدُ لَا مِلْكَ لَهُ عِنْدَنَا فَحَقُّهُ لِلسَّيِّدِ الْمَانِعِ
وهو جواب حسن لا بأس به .

ورأيت جواباً لبعض المغاربة على غير رَوِيَّته ، وهو :

قُلْ لِأَبِي الْفَضْلِ الْوَزِيرِ الَّذِي بَاهَى بِهِ مَغْرِبَنَا الشَّرْقُ
غَرَسَتْ ظِلْمًا وَأَرَدَتْ الْجَنَى وَمَا لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقُّ

قلت : وهذا ممَّا يُعَيَّنُ أن الأبيات لأبي الفضل الدارمي المذكور في
الذخيرة ، لا للقاضي عبد الوهاب ، والله تعالى أعلم .

ومن شعر الوزير المذكور قوله :

بَيْنَ كَرِيمِينَ مَتَرٌ وَاسِعٌ وَالْوُدُّ حَالٌ تُقَرَّبُ الشَّاسِعُ
وَالْبَيْتُ إِنْ ضَاقَ عَنْ ثَمَانِيَةٍ مَتَّعٌ بِالْوَدَادِ لِلتَّاسِعِ

وولد رحمه الله تعالى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ، وهو من بيت علم وأدب ،
قال الحميدي : أخبرني بذلك أبو عمر^١ رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز

١ الجذوة : أبو محمد .

ابن الحارث ، وتوفي بطليطة سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وقال ابن حيّان :
توفي ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وخمسين
وأربعمائة ، في كَنَف المأمون يحيى بن ذي النون ، وذكر أنه كان يُتَّهم
بالكذب ، فالله تعالى أعلم بحقيقة الأمر .

وقال ابن ظافر في كتابه « بدائع البدائ »^١ ما نصّه : حضر أبو الفضل الدارمي
البغدادي مجلس المعزّ بن باديس ، وبالمجلس ساقٍ وسيم قد مَسَّكَ عذاره
وردّ خديه ، وعجزت الراح أن تفعل في الندامى فعلَ عينيه ، فأمره المعز
بوصفه ، فقال بديهاً :

ومُعَدَّرَ نقش الجمالُ بِمِسْكِهِ خَدَّآ لَهُ بدم القلوبِ مضرَّجا
لَمَّا تيقَّنَ أن سيفَ جفونهِ من نَرَجِسٍ جعل العذارِ بِنفسِجا

وقوله في جارية تبخرت بالند^٢ :

ومَحْطُوطَةُ المتنينِ مَهْضُومَةُ الحشا مُنْعَمَةُ الأرذافِ تَدْمِي من اللمسِ
إذا ما دُخَانُ الند من جَيْبِهَا عَلَا على وجهها أبصرت غيماً على شمسِ

وقوله^٣ :

لَاغَرَّرَنَّ بِمَهْجَتِي فِي حَبِّهِ غَرَّرَا يَطِيلُ مع الخطوبِ خطابي
ولئن تَعَزَّزَ إِنَّا عِنْدِي ذَلَّةٌ تستعطفُ الأعداءُ للأحبابِ

وقوله^٤ :

١ بدائع البدائ ٢ : ٤٠ وانظر الذخيرة ٤ / ١ : ٧٣ .

٢ الذخيرة : نفس الصفحة .

٣ الذخيرة : ٧٤ .

٤ الذخيرة : ٧٥ .

دَعَتْنِي عَيْنَاكَ نَحْوَ الصَّبَا دُعَاءُ يَكْرُرُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَلَوْلَا وَحَقِّكَ عُدْرُ الْمَشِيبِ لَقَلْتُ لَعَيْنِكَ سَمْعًا وَطَاعَةً

وقد تمثل بهذين البيتين لسان الدين ابن الخطيب في خطبة تأليفه المسمى
بـ « روضة التعريف بالحب الشريف » .

وقال أبو الفضل الدارمي المذكور أيضاً^١ :

سَطَا الْفِرَاقُ عَلَيْهِمْ غَفْلَةً فَعَدَّوْا مِنْ جَوْرِهِ فِرْقًا مِنْ شِدَّةِ الْفَرَقِ
فَسَرْتُ شَرْقًا وَأَشْوَاقِي مُغْرَبَةً يَا بَعْدَ مَا نَزَحْتُ عَنْ طُرُقِهِمْ طُرُقِي
لَوْلَا تَدَارُكُ دَمْعِي يَوْمَ كَاطِمَةٍ لِأَحْرَقَ الرِّكْبَ مَا أَبْدَيْتُ مِنْ حُرْقِي
يَا سَارِقَ الْقَلْبِ جَهْرًا غَيْرَ مَكْتَرٍ أُمِنْتُ فِي الْحَبِّ أَنْ تُعْدِيَ عَلَى السَّرْقِ
أَرْمَقُ بُعَيْنِ الرِّضَى تُنْعِشُ بِعَاطِفَةٍ قَبْلَ الْمَنِيَّةِ مَا أَبْقَيْتُ^٢ مِنْ رَمَقِي
لَمْ يَبْقَ مِنِّي سِوَى لَفْظٍ يَبُوحُ بِمَا أَلْقَى فَيَا عَجَبًا لِلْفَظِ كَيْفَ بَقِيَ
صَلَّتِي إِذَا شِئْتَ أَوْ فَاهَجْتُ عَلَانِيَةً فَكَلُُّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْحَدَقِ

وقال^٣ :

تَذَكَّرَ نَجْدًا وَالْحَمَى فَبَكَى وَجَدًا وَقَالَ : سَقَى اللَّهُ الْحَمَى وَسَقَى نَجْدًا
وَحَيَّتُهُ^٤ أَنْفَاسَ الْخُزَامِيِّ عَشِيَةً فَهَاجَتْ إِلَى الْوَجْدِ الْقَدِيمِ بِهِ وَجَدًا
فَظَهَرَ سُلُوكًا وَأَضْمَرَ لَوْعَةً إِذَا طُفِئَتْ نِيرَانُهَا وَقَدَّتْ وَقَدًا
وَلَوْ أَنَّهُ أَعْطَى الصَّبَابَةَ حُكْمَهَا لِأَبْدَى الَّذِي أَخْفَى وَأَخْفَى الَّذِي أَبْدَى

١ الذخيرة : ٨٤ .

٢ الذخيرة : ما أوهيت .

٣ الذخيرة : ٧٨ .

٤ في ق : وخفة ؛ والتصويب عن الذخيرة .

وقال أيضاً^١ :

قلتُ للملقي على الخ	لدين من وَرْدٍ خمّارا
أسبَل الصُّدُغُ على خ	لذلك من مِسْكٍ عذارا
أم أعان الليلَ حتّى	قهرَ الليلُ النهارا
قال: ميدانُ جري الحس	نُ عليه فاستدارا
ركضتُ فيه عيونُ	فأثارتُه غبارا

وقال^٢ :

وكاتبُ أهديتُ نفسي لهُ	فَهَيَّ من السوءِ فدا نفسه
فلستُ أدري بعد ما حلَّ بي	بمسكه أثلفُ أمْ نِقسه
سلّطَ خدّيه على مُهجتي	فاستأصلتها وهَيَّ من غرسه

وقال :

وشادِنُ أسرفَ في صدّه	وزادَ في التيهِ على عبده
الحسنُ قد بثَّ على خدّه	بنفسجاً يزهو على ورده
رأيتُه يكتبُ في طرسه	خطاً يباري الدرَّ من عقده
فخِلْتُ ما قد خطّه كَفّه	للحسنِ قد خُطَّ على خدّه

وقال :

إنّي عشقتُ صغيراً	قد دبَّ فيه الجمالُ
وكاد يُفشي حديثاً	مفضول منه الدّلالُ
لو مرَّ في طرقِ الهج	رِ لاعتراه ضلالُ

١ الذخيرة : ٧٧ .

٢ وردت سائر القطع في الذخيرة ، فلا حاجة إلى إثبات ذلك عند كل قطعة .

يريك بدرأ منيراً في الحسن وهو هلال

وقال :

ظبي إذا حرّك أصداعه لم يلتفت خلق إلى العطر
غنى بشعري منشداً ليتي الا فظ الذي أودعته شعري
فكلّما كرّر إنشاده قبلته فيه ولم يدّر

وقال :

أينفع قولي إنّي لا أحبه ودمعي بما يُمليه وجدي يكتب
إذا قلت للواشين لست بعاشق يقول لهم فيض المدامع يكذب

وقال :

وهني قد أنكرت حُبك جملة وآليت أنّي لا أروم مَحَطّها
فمن أين لي في الحب جرح شهادة سقامي أملاها ودمعي خطها

وقال :

أنا أخشى إن دام ذا الهجر أن يُنذ شطّ من حُبّه عقال وثاق
فأريح الفؤاد ممّا اعتراه وأردّ الهوى على العشاق

وقال :

كلانا لعمري ذائبان من الهوى فنارك من جمر وناري من هجر
فأنت على ما قد تقاسين من أذى فصدرك في نار وناري في صدري

١ الذخيرة : ذو بيان .

وقال :

ومن عَجَبِ العَشْقِ أَنْ القَتِيلَ يَحْنُ وَيَصْبُو إِلَى القَاتِلِ

وقال :

ألم أَجْعَلْ مُثَارَ النِّقْعِ بِحَرًّا عَلَى أَنَّ الجِيَادَ لَهُ سَفِين

وقال :

أصبحتُ أَحْلَبُ تَيْسًا لَا مَدَرَّ لَهُ وَالتَّيْسُ مَنْ ظَنَّ أَنَّ التَّيْسَ مَحْلُوبٌ

وأما الحكيم أبو محمد المصري وهو القائل ^١ :

رعى اللهُ دهرًا قد نعمنا بطييه ليليه من شمس الكؤوسِ أصائل
ونرجسنا درًّا على التبر جامدٌ وخمرُنا تِبْرٌ على الدرِّ سائل

فقد ترجمه في « الذخيرة » فليراجع ، فإن الذخيرة غريبة في البلاد الشرقية .
وقد كان عندي بالمغرب من هذا النوع ما أستعين به ، فخلفته هنالك ، والله تعالى
يلم الشمل . وقد ذكر فيها أنه مغربي سافر إلى مصر ، فقليل له « المصري »
لذلك ، فليُعلم ، والله تعالى أعلم .

٦٤ — ومن الوافدين على الأندلس أشهب بن العصف الخراساني . قال ابن

سعيد : أنشدنا لما وفد على ابن هود في إشبيلية قصيدة ابن النبيه :

طابَ الصَّبُّوحُ لَنَا فهاكِ وهاتِ ^٢

وادعاها ، وفيها :

١ هو أبو محمد عبد الله بن خليفة المصري ، ترجم له ابن بسام في الذخيرة في قسم الغريباء الطائرين
على الأندلس بعد ترجمة ابن حمديس (في القسم الذي لم يطبع بعد) وانظر ١/٤ : ٦٩ - ١٠٥ ،
وقد ذمه ابن خيaban دون أن يذكر اسمه ص : ١٠٩ .
٢ عجزه : واشرب هنيئًا يا أنا اللذت (القوات ٢ : ١٤٧) .

في روضة غنّا تخال طيورَها وغصونَها همزاً. على أَلِفَاتٍ

ولم أجد هذا البيت في قصيدة ابن النيه ، انتهى .

٦٥ — ومن الوافدين على الأندلس من المشرق أبو الحسن البغدادي
الفُكَيْكُ^١ ، وهو مذكور في الذخيرة ، وكان حلّو الجواب ، مليح التندر ،
يُضحك من حضر . ولا يضحك هو إذا ندّر ، وكان قصيراً دميماً . قال :
ورأيت يوماً وقد لبس طاقاً أحمر على بياض ، وفي رأسه طرطور أخضر ،
عمم عليه عمّة لازوردية ، وهو بين يدي المعتمد بن عباد ينشد شعراً قال فيه :

وأنت سليمانُ في مُلكِهِ وبين يديكَ أنا الهدُّهُدُ

وأنشد له في المعتمد :

أبا القاسمِ الملكَ المعظّمَ قَدَرُهُ	سواك من الأملاكِ ليس يُعظّمُ
لقد أصبحتُ حمصٌ بعدلكِ جَنَّةٌ	وقد أبعدتُ عن ساكنيها جَهَنَّمُ
ولي بحياكِ الربيعُ عاماً وأشهرأ	أزخرفُ أعلامَ الثناء وأزقُمُ
وأنفقتُ ما أعطيتني ثقةً بما	أؤملُ فالدينارُ عندي درهمُ
وقلبي إلى بغدادَ يصبُّو وإنّني	لنشرِ صباها دائماً أُنسَمُ

وقال :

وذرى على ربيعِ العقيقِ دموعه	عقيقاً ففيتها تَوَّامٌ وفريدُ
شهدتُ وما تغني شهادةُ عاشقٍ	بأن قتلَ الغانياتِ شهيدُ

ومنها :

١ راجع فهرست الذخيرة ١ / ١ : ١٩ وهو في القسم الذي لم يطبع بعد ، في تراجم الغرباء الطارئين
على الأندلس .

إذا قابلوه قَبَلُوا تُرْبَ أَرْضِهِ وهمُ لَعْلَاهُ رُكَّعٌ وَسُجُودُ
وقد هَزَّ مِنْهُ اللهُ لِلْمَلِكِ صَارِمًا تُقَامُ بِحَدَّيْ شَفَرَتَيْهِ حُدُودُ

وقال :

لأَيَّةِ حَالٍ حَالٌ عَنْ سِنَةِ الْكَرَى ولم أَصْنَعْ يَوْمًا فِي هَوَاهِ إِلَى الْعَدْلِ

ومنها :

كَأَنَّ بَقَاءَ الطَّلِّ فَوْقَ جَفُونِهَا دُمُوعُ التَّصَابِي حِيرُنَ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ

ومنها :

تَمَلَّكَتْ رَقِّي بِالْعَوَارِفِ مَنَعِمًا وَأَغْنَيْتَنِي بِالْجُودِ عَنْ كُلِّ ذِي فَضْلِ
وَأَنْسَيْتَنِي أَرْضَ الْعِرَاقِ وَدَجَلَةً وَرَبَّعِي حَتَّى مَا أَحْنُ إِلَى أَهْلِي

وقال في المقتدر بن هود :

لِعَزِّكَ ذَلَّتْ مَلُوكُ الْبَشَرِ وَعَفَّرَتْ تَيْجَانَتُهُمْ فِي الْعَفْرِ
وَأَصْبَحْتَ أَخْطَرَهُم بِالْقَنَا وَأَرْكَبَهُم لِحِوَادِ الْخَطَرِ
سَهَرْتَ وَنَامُوا عَنِ الْمَأْثَرَاتِ فَمَا لَهُمْ فِي الْمَعَالِي أَثَرُ
وَجَلَيْتَ فِي حَيْثُ صَلَّى الْمُلُوكُ فَكُلُُّ بِذَيْلِ الْمُنَى قَدْ عَشَرُ

ومنها :

وَأَنْتُمْ مَلُوكٌ إِذَا شَاجَرُوا أَظَلَّتْهُمْ مِنْ قَنَاهُمْ شَجَرُ

وقال الفكيك من قصيدة :

غَتَّى حُسَامُكَ فِي أَرْجَاءِ قَرْطَبَةٍ صَوْتًا أَبَادَ الْعَدَى وَاللَّيْلُ مَعْتَكُرُ
حَيْثُ الدَّمَاءُ مُدَامٌ وَالْقَنَا زَهَرٌ وَالْقَوْمُ صُرْعَى بِكَاسِ الْحَتَفِ قَدْ سَكُرُوا

وكان مشهوراً بالهجاء ، وله في نقيب بغداد وكانت في عنقه غُدَّة :
بَلَعَ الأمانةَ فهي في حُلُقومه لا تَرْتَقِي صُعُداً ولا تَخْتَزِلُ
وقال في ناصر الدولة بن حمدان :

ولئن غلطتُ بأن مَدَحْتُكَ طالباً جَدَّوَاكَ مَعَ علمي بأنك باخلُ
فالدولةُ الغراءُ قد غلطتُ بأن سَمَتِكَ ناصرها وأنتَ الخاذلُ
إنَّ تمَّ أمرك مع يدٍ لك أصبحتُ شلاءً فالأمثالُ شيءٌ باطلُ
ومما ينسب إليه ، وقيل لغيره :

ووعدتني وَعَدًا حسبتك صادقاً فجعلتُ من طمعي أجىء وأذهبُ
فلماذا اجتمعتُ أنا وأنتَ بمجلسٍ قالوا مسيلمةٌ وهذا أشعبُ

٦٦ - ومنهم إبراهيم بن سليمان الشامي ، دخل الأندلس من المشرق في
آخرِ أيامِ الحكمِ شادياً للشعر ، وهو من موالي بني أمية ، ولم ينفق على الحكم ،
وتحرك في أيام ولده الأمير عبد الرحمن فنفق عليه ، ووصله ، ثم في أيام الأمير
محمد بن عبد الرحمن ، وكان أدرك بالمشرق كبار المحدثين كابن نواس وأبي
العتاهية . ومن شعره ما كتب به إلى الأمير عبد الرحمن :

يا مَنْ تَعَالَى مِنْ أُمِّيَّةٍ فِي الذُّرَى قَدِمًا فَأَصْبَحَ عَالِيَ الأَرْكَانِ
إِنَّ الغمامَ غِيَاثُهُ فِي وَقْتِهِ والغَيْثُ مِنْ كَفَيْكَ كُلَّ أَوَانِ
فالغَيْثُ قَدْ عَمَّ البِلَادَ وَأَهْلَهَا وَظُمْتُ بَيْنَهُمْ فَبُلَّ لِسَانِي

وله في الأمير عبد الرحمن بن الحكم :

ومن عَبَدَ شمسٍ بالمَغَارِبِ عَصْبَةً فَأَسْعَدَهَا الرَّحْمَنُ حَيْثُ أَحَلَّهَا
دَحَاً تَحْتَهَا مَهْدًا مِنَ العِزِّ آمناً وَمَدَّ جَنَاحاً فَوْقَهَا فَأَظْلَمَهَا

٦٧ - ومنهم أبو بكر ابن الأزرق ، وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن العباس بن محمد بن يزيد ، وهو الحصني ، ابن محمد ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، من أهل مصر ، خرج من مصر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، وصار إلى القيروان ، وامتنحن بها مع الشيعة ، وأقام محبوساً بالمهدية ، ثم أطلق ووصل الأندلس سنة تسع وأربعين ، فأحسن إليه المستنصر بالله الحكيم ، وكان أديباً حكيماً ، سمع من خاله أبي بكر أحمد بن مسعود الزهري ، وولد سنة تسع عشرة وثلاثمائة بمصر ، وتوفي بقرطبة في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

٦٨ - ومن الواردين على الأندلس من المشرق رئيس المغنين أبو الحسن علي بن نافع ، الملقب بزرياب^١ ، مولى أمير المؤمنين المهدي العباسي . قال في «المقتبس» : زرياب لقب غلب عليه ببلاده من أجل سواد لونه ، مع فصاحة لسانه ، وحلاوة شمائله ، شبه بطائر أسود غرد عندهم ، وكان شاعراً مطبوعاً ، وكان ابنه أحمد قد غلب عليه الشعر أيضاً ، وكان من خبره في الوصول إلى الأندلس أنه كان تلميذاً لإسحاق الموصلي ببغداد ، فتلقف من أغانيه استراقاً ، وهدي من فهم الصناعة وصدق العقل مع طيب الصوت وصورة الطبع إلى ما فاق به إسحاق ، وإسحاق لا يشعر بما فُتح عليه ، إلى أن جرى للرشد مع إسحاق خبره المشهور في الاقتراح عليه بمغنٍ غريب مجيد للصنعة ، لم يشتهر مكانه إليه ، فذكر له تلميذه هذا ، وقال : إنه مولى لكم ، وسمعت له نزعات حسنة ، ونغمات رائعة ملتأمة بالنفس ، إذا أنا وقفتُ على ما استغرب منها وهو من اختراعي واستنباط فكري ، أحس أن يكون له شأن ، فقال الرشيد : هذا طلبتي ، فأحضرني لعل حاجتي عنده ، فأحضره ، فلما كلمه الرشيد أعرب عن نفسه

١ انظر الجزء الأول من النفع : ٣٤٤ ، وقد توفي زرياب سنة ٢٣٨ قبل وفاة الأمير عبد الرحمن بأربعين يوماً (المقتبس : ٨٧ وترجمته فيه قد سقطت) ؛ وانظر المغرب ١ : ٥١ .

بأحسن منطق وأوجز خطاب ، وسأله عن معرفته بالغناء ، فقال : نعم أحسن منه ما يحسنه الناس ، وأكثر ما أحسنه لا يحسنونه ، ممّا لا يحسن إلا عندك ولا يدّخر إلا لك ، فإن أذنت غنيتك ما لم تسمعه أذن قبلك ، فأمر بإحضار عود أستاذه إسحاق ، فلما أدنى إليه وقف عن تناوله ، وقال : لي عود نَحْتَه بيدي وأرهفته بإحكامي ، ولا أرتضي غيره ، وهو بالباب ، فليأذن لي أمير المؤمنين في استدعائه ، فأمر بإدخاله إليه ، فلما تأمله الرشيد وكان شبيهاً بالعود الذي دفعه قال له : ما منعك أن تستعمل عود أستاذك ؟ فقال : إن كان مولاي يرغب في غناء أستاذي غنيته بعوده ، وإن كان يرغب في غنائي فلا بد لي من عودي ، فقال له : ما أراهما إلاّ واحداً ، فقال : صدقت يا مولاي ، ولا يؤدي النظر غير ذلك ، ولكن عودي وإن كان في قدر جسم عوده ومن جنس خشبه فهو يقع من وزنه في الثلث أو نحوه ، وأوتاري من حرير لم يغزل بماء سخن يكسبها أناثة ورخاوة ، وبمسّها ومثلثتها اتخذتهما من مُصْران شبلٍ أسدي ، فلها في الترنم والصفاء والجهارة والحدة أضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوان ، ولها من قوّة الصبر على تأثير وقع المضارب المتعاورة بها ما ليس لغيرها ، فاستبرع الرشيد وصفه وأمره بالغناء ، فجس ، ثم اندفع فغنّاه :

يا أيّها الملكُ الميمونُ طائره - هارونُ راحَ إليك الناسُ وابتكروا

فأتمّ النوبة ، وطار الرشيد طرباً ، وقال لإسحاق : والله لولا أنني أعلم من صدقتك لي على كتمانك إياك لما عنده وتصديقه لك من أنك لم تسمعه قبل لأنزلت بك العقوبة لتركك إعلامي بشأنه ، فخذته إليك واعتن بشأنه ، حتى أفرغ له ، فإن لي فيه نظراً ، فسقط في يد إسحاق ، وهاج به من داء الحسد ما غلبَ صبره ، فعلا بزرياب وقال : يا علي ، إن الحسد أقدم الأدواء وأدواها ، والدنيا فتانة ، والشركة في الصناعة عداوة ، لا حيلة في حسيهما ، وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من إجادتك وعلوّ طبقتك ، وقصدت منفعتك

فإذا أنا قد أتيت نفسي من مأمنها بإدنائك ، وعن قليل تسقط منزلتي ، وترتقي أنت فوقى ، وهذا ما لا أصحابك عليه ولو أنك ولدي ، ولولا رعيي لذمة تربيتك لما قدمت شيئاً على أن أذهب نفسك ، يكون في ذلك ما كان ، فتخير في اثنين لا بد لك منهما : إما أن تذهب عني في الأرض العريضة لا أسمع لك خبراً بعد أن تعطيني على ذلك الأيمان الموثقة ، وأنهضك لذلك بما أردت من مال وغيره ، وإما أن تقيم على كرهى ورغوى مستهدفاً إليّ ، فخذ الآن حذرک منى فلست والله أبقي عليك ، ولا أدع اغتيالک باذلاً في ذلك بدنى ومالى ، فاقض قضاءک . فخرج زرياب لوقته ، وعلم قدرته على ما قال ، واختار الفرار قدامه ، فأعانه إسحاق على ذلك سريعاً ، وراش جناحه ، فرحل عنه ، ومضى يبغى مغرب الشمس ، واستراح قلب إسحاق منه .

وتذكره الرشيد بعد فراغه من شغل كان منغمساً فيه ، فأمر إسحاق بحضوره ، فقال : ومن لي به يا أمير المؤمنين ؟ ذاك غلام مجنون يزعم أن الجن تكلمه وتطارحه ما يزهى به من غناؤه ، فما يرى في الدنيا من يعدله ، وما هو إلا أن أبطأت عليه جائزة أمير المؤمنين وترك استعادته ، فقدّر التقصير به والتهوين بصناعته ، فرحل مغاضباً ذاهباً على وجهه مستخفياً عني ، وقد صنع الله تعالى في ذلك لأمير المؤمنين ، فإنه كان به لثم يغشاه ويفرط خطبه ، فيفزع من رآه ، فسكن الرشيد إلى قول إسحاق ، وقال : على ما كان به فقد فاتنا منه سرور كثير . ومضى زرياب إلى المغرب فنسي بالمشرق خبره ، إذ لم يكن اسمه شهر هنالك شهرته بالصقع الذي قطنه ونزعت إليه نفسه وسمت به همته ، فأمر أمير الأندلس الحكم المباين لمواليه ، وخاطبه وذكر له نزاعه إليه واختياره إياه ويعلمه بمكانه من الصناعة التي يتحلها ويسأله الإذن في الوصول إليه ، فسّر الحكم بكتابه وأظهر له من الرغبة فيه والتطلع إليه وإجمال الموعد ما تمنّاه ، فسار زرياب نحوه بعياله وولده ، وركب بحر الزقاق إلى الجزيرة الخضراء ، فلم يزل بها حتى توالى عليه الأخبار ب وفاة الحكم ، فهم بالرجوع إلى العُدوة ، فكان معه منصور

اليهودي المغني رسول الحكم إليه ، فثناه عن ذلك ورغبه في قصد القائم مقام الحكم ، وهو عبد الرحمن ولده ، وكتب إليه بخبر زرياب ، فجاءه كتاب عبد الرحمن يذكر تطلعه إليه والسرور بقدمه عليه ، وكتب إلى عماله على البلاد أن يحسنوا إليه ويوصلوه إلى قرطبة ، وأمر خصياً من أكابر خصيائه أن يتلقاه ببغال ذكور وإناث وآلات حسنة ، فدخل هو وأهله البلد ليلاً صيانة للحرم ، وأنزله في دار من أحسن الدور ، وحمل إليها جميع ما يحتاج إليه ، وخلع عليه ، وبعد ثلاثة أيام استدعاه ، وكتب له في كل شهر بمائتي دينار راتباً ، وأن يجري على بنيه الذين قدموا معه — وكانوا أربعة : عبد الرحمن ، وجعفر ، وعبيد الله ، ويحيى — عشرون ديناراً لكل واحد منهم كل شهر ، وأن يجري على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار ، منها لكل عيد ألف دينار ، ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار ، وأن يقطع له من الطعام العام ثلاثمائة مدي ثلاثها شعير وثلاثها قمح ، وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يقوم بأربعين ألف دينار . فلما قضى له سؤله وأنجز مواعده^١ وعلم أن قد أرضاه وملك نفسه استدعاه ، فبدأ بمجالسته على النيبذ وسماع غنائه ، فما هو إلا أن سمعه فاستهوله واطرح كل غناء سواه ، وأحبه حباً شديداً وقدمه على جميع المغنين ، وكان لما خلا به أكرمه غاية الإكرام وأدنى منزلته وبسط أمله ، وذاكره في أحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء ، فحركته بحراً زخراً عليه مدّة ، فأعجب الأمير به وراقه ما أورده ، وحضر وقت الطعام فشرّفه بالأكل معه هو وأكابر ولده ، ثم أمر كاتبه بأن يعقد له صكاً بما ذكرناه آنفاً ، ولما ملك قلبه واستولى عليه حبه فتح له باباً خاصاً يستدعيه منه متى أراد .

وذكر أن زرياباً ادعى أن الجن كانت تعلمه كلّ ليلة ما بين نوبة إلى

١ ق : مواعده .

صوت واحد ، كان يَهْبُ من نومه سريعاً فيدعو بجاريتيه غزلان وهنيدة ، فتأخذان عودهما ، ويأخذ هو عوده ، فيطارحهما ليلته ويكتب الشعر ثم يعود عجلًا إلى مضجعه ، وكذلك يحكى عن إبراهيم الموصلي في لحنه البديع المعروف بالماخوري أن الجن طارحته ليلته ، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك .

وزاد زرياب بالآندلس في أوتار عوده وترًا خامسًا اختراعاً منه ، إذ لم يزل العودُ ذا أربعة أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الأربع ، فزاد عليها وترًا خامسًا أحمر متوسطًا ، فاكتسب به عوده الطَّفَ معنى وأكمل فائدة ، وذلك أن الزير صُيغ أصفر اللون ، وجُعِل في العود بمنزلة الصفراء من الجسد ، وصُيغ الوتر الثاني بعده أحمر ، وهو من العود مكان الدم من الجسد ، وهو في الغلظ ضعف الزير ، ولذلك سمي مثنى ، وصُيغ الوتر الرابع أسود ، وجُعِل من العود مكان السوداء من الجسد ، وسمي البمّ ، وهو أعلى أوتار العود ، وهو ضعف المثلث الذي عُطِل من الصبغ وتُرك أبيض اللون ، وهو من العود بمنزلة البلغم من الجسد ، وجُعِل ضعف المثنى في الغلظ ، ولذلك سمي المثلث ، فهذه الأربعة من الأوتار مقابلة للطبائع الأربع تقضي طبائعها بالاعتدال ، فالبم حار يابس يقابل المثنى وهو حار رطب وعليه تسويته ، والزير حار يابس يقابل المثلث وهو حار رطب ، قوبل كل طبع بضده حتى اعتدل واستوى كاستواء الجسم بأخلاطه ، إلا أنه عطل من النفس ، والنفس مقرونة بالدم ، فأضاف زرياب من أجل ذلك إلى الوتر الأوسط الدموي هذا الوتر الخامس الأحمر الذي اخترعه بالآندلس ، ووضعه تحت المثلث^١ وفوق المثنى ، فأكمل في عوده قوى الطبائع الأربع ، وقام الخامس المزيد مقام النفس في الجسد .

وهو الذي اخترع بالآندلس مضرباب العود من قوادم التّسرّ ، معتناضاً به من مرهف الخشب ، فأبرع في ذلك للطف قشر الريشة ونفاثه وخفته على

١ ق : المثلثة .

الأصابع وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته لرباه .

وكان زرياب عالماً بالنجوم وقسمة الأقاليم السبعة واختلاف طبائعها وأهويتها وتشعب بحارها وتصنيف بلادها وسكانها ، مع ما سنح له من فك كتاب الموسيقى ، مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها ، وهذا العدد من الألحان غاية ما ذكره بطليموس واضع هذه العلوم ومؤلفها .

وكان زرياب قد جمع إلى خصاله هذه الاشتراك في كثير من ضروب الظرف وفنون الأدب ، ولطف المعاشرة ، وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يُجِدْهُ أحد من أهل صناعته ، حتى اتخذ ملوك أهل الأندلس وخواصهم قدوة فيما سنّه لهم من آدابه ، واستحسنه من أطعمته ، فصار إلى آخر أيام أهل الأندلس منسوباً إليه معلوماً به : فمن ذلك أنه دخل إلى الأندلس وجميع من فيها من رجل أو امرأة يرسل جُمته مفروقا وسط البحرين عامّاً للصدغين والحاجبين ، فلما عاين ذوو التحصيل تحذيفه هو وولده ونساؤه لشعورهم ، وتقصيرها دون جباههم ، وتسويتها مع حواجبهم ، وتدويرها إلى آذانهم ، وإسداها إلى أصداعهم — حسبما عليه اليوم الخدم الخصية والجواري — هوت إليه أفئدتهم ، واستحسنوه . ومما سنّه لهم استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج لطررد ريح الصنان من مغابنهم ، ولا شيء يقوم مقامه ، وكانت ملوك الأندلس تستعمل قبله ذرور الورد وزهر الريحان وما شاكل ذلك من ذوات القبض والبرد ، فكانوا لا تسلم ثيابهم من وَضَر ، فلهم على تصعيدها بالملح ، وتبييض لونها ، فلما جربوه أحمدوه جيداً . وهو أول من اجتنى بقلة الهليون المسماة بلسانهم الإسفراج^١ ، ولم يكن أهل الأندلس يعرفونها قبله . ومما اخترعوه من الطبخ اللون المسمى عندهم بالتفايا^٢ ، وهو مصطنع بماء الكزبرة

١ في مفردات ابن البيطار : الاسفراج ، والصواب بالراء المهملة ، وهو يقابل (Asparagus) .

٢ التفايا : عدها صاحب كتاب الطبخ من بساط الأطلعة وهي أنواع منها التفايا البيضاء وتحضر من لحم الضأن اللقي السمين في قطع صفار ويضاف إليها ملح وفلفل وكزبرة يابسة ويسير من ماء

الرطوبة محلى بالسنبوسق والكباب ، ويليهم عندهم لون الثقيلة المنسوبة إلى زرياب .
ومما أخذته عنه الناس بالأندلس تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب
والفضة ، وإيثاره فرش أنطاع الأديم اللينة الناعمة على ملاحف الكتان ،
واختياره سفر الأديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية إذ الوضر يزول عن
الأديم بأقل مسحة ، ولبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به ، فإنه
رأى أن يكون ابتداء الناس للباس البياض وخلعهم للملون من يوم مهرجان أهل
البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن في ست بقين من شهر يونية الشمسي من
شهورهم الرومية ، فيلبسونه إلى أول شهر أكتوبر الشمسي منها ثلاثة أشهر متوالية
ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة ، ورأى أن يلبسوا في الفصل الذي بين الحر والبرد
المسمى عندهم الربيع من مصبغهم جباب الخبز والملحم والمحزر والدرايع التي
لا بطائن لها لقربها من لطف ثياب البياض الظواهر التي ينتقلون إليها لخفتها وشبهها
بالمحاشي ، ثياب العامة ، وكذا رأى أن يلبسوا في آخر الصيف وعند أول الخريف
المحاشي المروية والثياب المصمتة وما شاكلها من خفائف الثياب الملونة ذوات
الحشو والبطائن الكثيفة ، وذلك عند قرس البرد في الغدوات ، إلى أن يقوى
البرد فينتقلوا إلى ألخن منها من الملونات ، ويستظهرون من تحتها إذا احتاجوا إلى
صنوف الفراء .

واستمر بالأندلس أن كل من افتتح الغناء فيبدأ بالنشيد أول شدوه بأي
نقر كان ، ويأتي إثره بالبسيط ، ويختم بالمحركات والأهازج تبعاً لمراسم زرياب .
وكان إذا تناول الإلقاء على تلميذ يعلمه أمره بالقعود على الوساد المدور المعروف
بالمسورة ، وأن يشدّ صوته جداً إذا كان قوي الصوت ، فإن كان لينه أمره أن
يشد على بطنه عمامة ، فإن ذلك ممّا يقوي الصوت ، ولا يجد متسعاً في الجوف

== بصلة مدقوقة ومغرفة من الزيت الملب وماء وتعمل حل نار ليثة وتحرك ، ويجعل فيها بندق ولوز
مقشر مقسوم ، فإذا أردتها غصراء أضغت إليها ماء الكزبرة الرطبة ، ومنها تفايا مبيضة وأخرى
مقلية وأنواع منها مشرقية (كتاب الطبخ ٨٥ - ٨٨ ، ١١٨ - ١١٩) .

عند الخروج على القَمَر ، فإن كان ألصَّ الأضراس لا يقدر على أن يفتح فاه ، أو كانت عادته زم أسنانه عند النطق ، راضيه بأن يُدخل في فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع يبيتها في فمه ليالي حتى ينفرج فكَّاه ، وكان إذا أراد أن يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أمره أن يصيح بأقوى صوته : يا حَجَّام ، أو يصيح : آه ، ويمدِّ بها صوته ، فإن سمع صوته بهما صافياً ندياً قوياً مؤدياً لا يعتريه غُنة ولا حسة ولا ضيق نفَس عرف أن سوف ينبج وأشار بتعليمه ، وإن وجدته خلاف ذلك أبعدته .

وكان له من ذكور الولد ثمانية : عبد الرحمن وعبيد الله ويحيى وجعفر ومحمد وقاسم وأحمد وحسن . ومن الإناث ثنتان : عليّة وحملونة . وكلّهم غنّى ومارس الصناعة ، واختلفت بهم الطبقة ، فكان أعلامهم عبيد الله ويتلوه عبد الرحمن ، لكنّه ابتلي من فرط التيه وشدة الزهو وكثرة العُجب بغناؤه والدهاب بنفسه بما لم يكن له شبه فيه ، وقلّما يسلم مجلس حضوره من كدر يحدثه ، ولا يزال يجترىء على الملوك ، ويستخفُّ بالعظماء ، ولقد حمّله سخره على أن حضر يوماً مجلس بعض الأكابر الأعظم في أنس قد طاب به سروره ، وكان صاحب قنص تغلب عليه لذته ، فاستدعى بازيّاً كان كليلّاً به كثير التذكر له ، فجعل يمسح أعطافه ويُعدّل قوادمه ويرتاح لنشاطه ، فسأله عبد الرحمن أن يَهَبه له ، فاستحيا من رده وأعطاه إيّاه مع ضنّه به ، فدفعه عبد الرحمن إلى غلامه ليعجل به إلى منزله ، وأسرّ إليه فيه بيسرٍ لم يطلع عليه ، فمضى لشأنه ، ولم يلبث أن جاءه بطيفورية مُغطاة مكرومة بطابع مخنوم عليها من فضّة ، فإذا به لونٌ مصوصٌ قد اتخذ من البازي بعد ذبحه على ما حده لأهله ، وذهب إلى الانتقال عليه في شرايه ، وقال لصاحب المجلس : شاركني في نقلي هذا فإنّه شريف المركب^١ بديع الصنعة ، فلمّا رآه الرجل أنكر صفته ، وعاب

١ ق ودوزي : الموكب ؛ والمركب يعني التركيب .

لحمه ، وسأله عنه ، فقال : هو البازي الذي كنت تعظم قدره ، ولا تصبر عنه ، قد صيرته إلى ما ترى ، فغضب صاحب المنزل حتى ربا في أثوابه وفارقه حلمه وقال له : قد كان والله أيها الكلب السفیه على ما قدرته وما اقتديت فيه إلا بكبار الناس المؤثرين لمثله ، وما أسعفتك به إلا معظماً من قدرك ما صغرت من قدري ، وأظهرت من هوان السنة عليك باستحلالك لسباع الطير المنهي عنها ، ولا أدع والله الآن تأديبك إذ أهملك أبوك معلّم الناس المروءة ، ودعا له بالسوط وأمر بترع قلنسوته وساط هامته مائة سوط ، فاستحسن جميع الناس فعله به وأبدوا الشّماتة به .

وكان محمد منهم مؤثراً ، وكان قاسمهم أحذقهم غناء مع تجويده ، وتزوج الوزير هشام بن عبد العزيز حملونة .

وذكر عبادة الشاعر أن أول من دخل الأندلس من المغنين علون وزرقون ، دخلا في أيام الحكم بن هشام ، فنفقا عليه ، وكانا محسنين ، لكن غناؤهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه .

وقال عبد الرحمن بن الشعر منجم الأمير عبد الرحمن ونديمه في زرياب :

يا عليّ بن نافع يا عليّ أنت أنت المهدّب اللّوذعي
أنت في الأصل حين يُسأل عنه هاشمي وفي الهوى عبّشمي

وقال ابن سعيد : وأنشد لزرياب والذي في معجمه :

علّقْتُها رِيحانةً هيفاء عاطرةً فضيرةً
بين السمينَةِ والهزِي لمة والطويلة والقصيرة
للهِ أَيّامٌ لنا سلفت على دَيْر المطيرة
لا عيبَ فيها للمتيِّم غير أن كانت يسيرة

انتهى .

وكان لزرياب جارية اسمها مُتَعَّة ، أدَّبها وعلَّمها أحسن أغانيه حتى شبت ، وكانت رائعة الجمال ، وتصرفت بين يدي الأمير عبد الرحمن بن الحكم تغنيه مرّة وتسقيه أخرى ، فلما فطنت لإعجابه بها أبدت له دلائل الرغبة ، فأبى إلا التستر ، فغنته بهذه الأبيات ، وهي لها في ظن بعض الحفاظ :

يا من يُغَطِّي هواهُ من ذا يُغَطِّي النهارا؟
قد كنتُ أملكُ قلبي حتى علقْتُ فطارا
يا ويلتا أتراهُ لي كان ، أو مستعارا
يا بابي قُرشي خلعتُ فيه العذارا

فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها إليه فحظيت عنده .

وكانت حمدونة بنت زرياب متقدمة في أهل بيتها ، محسنة لصناعتها ، متقدمة على أختها عليّة ، وهي زوجة الوزير هاشم بن عبد العزيز كما مرّ ، وطال عمر عليّة بعد أختها حمدونة ، ولم يبق من أهل بيتها غيرها ، فافتقر الناس إليها ، وحملوا عنها .

وكانت مصابيح جارية الكاتب أبي حفص عمر بن فلهيل أخذت عن زرياب الغناء ، وكانت غاية في الإحسان والنبيل وطيب الصوت ، وفيها يقول ابن عبد ربّه صاحب العقد الفريد ، وكتب به إلى مولاها^١ :

يا من يَصْنَعُ بصوت الطائرِ الغرْدِ ما كنتُ أحسبُ هذا الضنَّ من أحدٍ
لو أن أسمع أهل الأرض قاطبة أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد

من أبيات ، فخرج حافياً لما وقف على ذلك ، وأدخله إلى مجلسه ، وتمتع من سماعها ، رحم الله تعالى الجميع .

وقال علويه : كنت مع المأمون لما قدم الشام ، فدخلنا دمشق ، وجعلنا نطوف فيها على قصور بني أمية ، فدخلنا قصرأ مفروشاً بالرخام الأخضر ، وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها فيسقي بستاناً ، وفي القصر من الأطياف ما يغني صوته عن العود والمزمار ، فاستحسن المأمون ما رأى ، وعزم على الصَّبوح ، فدعا بالطعام فأكلنا وشربنا ، ثم قال لي : غَنِّ بِأطيب صوت وأطربه ، فلم يمر على خاطري غير هذا الصوت :

لو كان حولي بنو أمية لم ينطق رجال أراهمُ نطقوا
فتنظر إلي مغضباً ، وقال : عليك لعنة الله وعلى بني أمية ، فعلمت أنني قد أخطأت ، فجعلت أعتذر من حقوقي ، وقلت : يا أمير المؤمنين ، أتلومني أن أذكر موالي بني أمية ، وهذا زرياب مولاك عندهم بالأندلس ، يركب في أكثر من مائة مملوك وفي ملكه ثلاثمائة ألف دينار دون الضياع ، وإنني عنديكم أموت جوعاً ، وفي الحكاية طول واختلاف ، وعمل الحاجة منها ما يتعلق بزرياب ، رحم الله تعالى الجميع .

وذكرها الرقيق في كتاب « معاقرة الشراب » على غير هذا الوجه ، ونصّه : وركب المأمون يوماً من دمشق يريد جبل الثلج ، فمر ببركة عظيمة من برك بني أمية ، وعلى جانبيها أربع سروات ، وكان الماء يدخل سيحاً ، فاستحسن المأمون الموضع ، ودعا بالطعام والشراب ، وذكر بني أمية ، فوضع منهم وتَنَقَّصَهُمْ ، فأخذ علويه العود واندفع يغني :

أرى أسرتي في كلِّ يومٍ وليلةٍ يَرُوحُ بهم داعي المنون ويغتدي
أولئك قومٌ يَعدُّ عَزَّ وثَرَوَةٌ تَفَانُوا فَلَا أَذْرِفِ العَيْنَ أَكْمَدِ

فضرب المأمون بكأسه الأرض ، وقال لعلويه : يا ابن الفاعلة ، لم يكن لك وقت تذكر مواليك فيه إلاّ هذا الوقت ؟ فقال : مولاكم زرياب عند موالي بالأندلس يركب في مائة غلام ، وأنا عنديكم بهذه الحالة ! فغضب عليه نحو شهر ، ثم

رضي عنه ، انتهى .

ونحوه لابن الرقيق في كتابه « قطب السرور » وقال في آخر الحكاية :
وأنا عندكم أموت من الجوع ، ثم قال : وزرياب مولى المهدي ، ووصل إلى
بني أمية بالأندلس فعلت حاله ، حتى كان كما قال علويه ، انتهى .

ولما غنى زرياب بقوله ^١ :

ولو لم يَشْقُني الطاعنون لَشاقني حَمَام تَدَاعت في الديار وقُوعُ
تداعين فاستبكين مَنْ كان ذا هوى نوائح ما تجري لهنّ دموعُ

ذيلها عباس بن فرناس يمدح بعض الرؤساء بديهة فقال :

شددتُ بمحمود يَدَا حين خانها زمانٌ لأسبابِ الرجاء قَطُوعُ
بني لِمَساعي الجودِ والمجدِ قِبلةٌ إليها جميع الأجودين ركُوعُ

وكان محمود جواداً ، فقال له : يا أبا القاسم ، أعزُّ ما يحضرنني من مالي
القُبَّة ، يعني قبة قامت عليه بخمسمائة دينار ، وهي لك بما فيها مع كسوتي هذه ،
ونكون في ضيافتك بقية يومنا ، ودعا بكسوة فلبسها ، ودفع إليه الكسوة .

٦٩ - ومن الوافدين من المشرق الأمير شعبان بن كوجبا ^٢ ، من غزّ
الموصل ، وفد على أمير المؤمنين يعقوب المنصور ملك الموحدّين ، ورفع له
أمداحاً جليلة ، وقدمه على إمارة مدينة بسطة من الأندلس .

قال أبو عمران بن سعيد : أنشدني لنفسه :

يقولون إن العدل في الناس ظاهر ولم أر شيئاً منه سرّاً ولا جهراً

١ الشعر للذي الرمة في ديوانه : ٣٥٢ .

٢ ق : كوحيا ؛ وقد ذكر عبد الواحد المراكشي « شعبان الفزي » دون أن يذكر اسم أبيه في المعجب
٣٦٧ ، وقال إنه سأله أن يكتب من شعره فأبى ، وكان ربما يدرت له الأبيات الجيدة .

ولكن رأيتُ الناسُ غالبُ أمرهم إذا ما جنى زيد أقادوا به عمراً
ولاً فما بالُ النطاسي كلّما شكوت له يمتني يدي فصد اليسرى

٧٠ — ومن الوافدين من المشرق على الأندلس أبو اليسر إبراهيم بن أحمد
الشيبي^١ ، من أهل بغداد ، وسكن القيروان ، ويُعرف بالرياضي ، وكان له
سماع ببغداد من جِلّة المحدثين والفقهاء والنحويين ، لقي الجاحظ والمبرد
وثعلباً وابن قتيبة ، ولقي من الشعراء أبا تمام والبحتري ودعبللاً وابن الجهم ،
ومن الكتاب سعيد بن حميد وسليمان بن وهب وأحمد بن أبي طاهر وغيرهم ،
وهو الذي أدخل إفريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم ،
وكان عالماً أديباً ، ومرسلاً بليغاً ، ضارباً في كل علم وأدب ، سمع وكتب
بيده أكثر كتبه ، مع براعة خطه وحسن وراقته .

وحكي أنه كتب على كبره كتاب سيبويه كله بقلم واحد ، ما زال
يتبريه حتى قصُر ، فأدخله في قلم آخر ، وكتب به حتى فني بتمام الكتاب .
وله تأليف : منها « لقيط المرجان » وهو أكبر من « عيون الأخبار » ،
وكتاب « سراج الهدى » في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه ، و « المرصعة »
و « المدبجة » .

وجال في البلاد شرقاً وغرباً من خراسان إلى الأندلس ، وقد ذكر ذلك
في أشعار له . وكان أديب الأخلاق ، فزیه النفس ، كتب لأمير إفريقية إبراهيم
ابن أحمد بن الأغلب ، ثم لابنه أبي العباس عبد الله ، وكان أيام زيادة الله بن
عبد الله آخر ملوك الأغالبة على بيت الحكمة ، وتوفي بالقيروان سنة ثمان وتسعين
ومائتين في أول ولاية عبيد الله الشيعي ، وهو ابن خمس وسبعين سنة . وممن
ألمّ بذكره المؤرخ الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق .
وقال عريب بن سعد في حقه : إنه كان أديباً شاعراً مرسلاً حسن التأليف ،

١ ترجمة أبي اليسر الرياضي في التكملة : ١٧٣ .

وقدم الأندلس على الإمام محمد بن عبد الرحمن ، وذكر له معه قصّة ذكرها ابن الأبار في كتابه «إفادة الوفاة» وحكى أن له مستنداً في الحديث ، وكتاباً في القرآن سمّاه «سراج الهدى» والرسالة الوحيدة ، والمؤنسة ، وقطب الأدب ، وغير ذلك من الأوضاع : قال : وكتب لبني الأغلب حتى انصرفت أيامهم ، ثم كتب لعبيد الله حتى مات ، ومن الرواة عنه أبو سعيد عثمان بن سعيد الصيقل مولى زيادة الله بن الأغلب ، وأسد إليه الحافظ ابن الأبار رواية شعر أبي تمام بأن قال : قرأت شعر حبيب علي أبي الربيع ابن سالم ، وقرأت جملة منه على غيره ، وناولني جميعه وحدثني به عن أبي عبد الله ابن زرقون عن الخولاني عن أبي القاسم حاتم بن محمد عن أبي غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي عن أبيه أبي تمام عن أبي سعيد المذكور ، يعني ابن الصيقل ، عن أبي اليسر عن حبيب ، وهو إسناد غريب ، انتهى .

٧١ - ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن خلف بن منصور ، النساني ، الدمشقي ، المعروف بالسهنوري^١ - وسنهو : من بلاد مصر - روى عن أبي القاسم ابن عساكر وأبي اليمن الكندي وأبي المعالي القراوي وأبي الطاهر الخشوعي وغيرهم .

قال أبو العباس النبائي : قدم علينا - يعني إشبيلية - سنة ثلاث وستمائة ، وسمى جماعة من شيوخه ، وحكى أنه كان يروي موطأ أبي مصعب وصحيح مسلم بعلو .

وقال أبو سليمان ابن حوط الله : أجازني وأبني محمد جميع ما رواه عن شيوخه الذين منهم أبو الفخر فناخسرو بن فيروز الشيرازي ، وذكر أن روايته بتزول ، لأنه لم يرحل إلا بعد وفاة الشيوخ المشاهير بهذا الشأن . وقال أبو الحسن ابن القطان ، وسمّاه في شيوخه : قدم علينا تونس سنة

١ ترجمة السهنوري في التكملة : ١٧٦ .

اثنتين وستمائة ، واستجزته لابني حسن فأجازه وإياي ، قال : وانصرف من تونس إلى المغرب ، ثم الأندلس ، وقدم علينا بعد ذلك مراکش مُفْلِتاً من الأسر ، فظهر في حديثه عن نفسه تجازف واضطراب وكذب زهّد فيه ، وإثر ذلك انصرف إلى المشرق راجعاً ، وقد كان إذا أجاز ابني كتب بخطّه جملة من أسانيده وسمى كتباً منها الموطأ والصحيحان وغير ذلك ، قال : وقد تبرأت من عهدة جميعه لما أثبت من حاله ، وحدّثني أبو القاسم ابن أبي كرامة صاحبنا بتونس أن السنهوري هذا لما انصرف إلى مصر امتحن بملكها الكامل محمد بن العادل أبي بكر ابن أيوب لأجل مُعاداته أبا الخطاب ابن الحُمَيْل ، فضُرب بالسياط ، وطيف به على جمل مبالغة في إهائه ، انتهى .

وقال بعض المؤرخين في حقّه ما نصّه : الشيخ المحدث الرحالة إبراهيم السنهوري صاحب الرحلة إلى البلاد ، دخل الأندلس كما ذكره ابن النجار وغيره ، وهو الذي ذكر لمشايخ الأندلس وعلمائها أن الشيخ أبا الخطاب ابن دحية يدّعي أنّه قرأ على جماعة من شيوخ الأندلس القدماء ، فأنكروا ذلك وأبطلوه وقالوا : لم يَلْقَ هؤلاء ولا أدركهم ، وإنّما اشتغل بالطلب أخيراً ، وليس نسبه بصحيح فيما يقوله ، ودحية لم يُعقب ، فكتب السنهوري محضراً وأخذ خطوطهم فيه بذلك ، وقدم به ديار مصر ، فعلم أبو الخطاب ابن دحية بذلك ، فاشتكى إلى السلطان منه ، وقال : هذا يأخذ عرضي ويؤذي ، فأمر السلطان بالقبض عليه ، فقُبِض وضرب بالسياط^١ وأشهر على حمار ، وأُخرج من ديار مصر ، وأخذ ابن دحية المحضّر وحرّقه ، ولم يزل ابن دحية على قرب من السلطان إلى حين وفاته ، وبني له داراً للحديث ، وهي الكاملية بين القصرين ، فلم يزل يحدث بها إلى أن مات .

وقد ذكرنا في ترجمة ابن دحية من هذا الكتاب شيئاً من أحواله ، وأن الناس

١ بالسياط : مقطعت من ق .

فيه معتقد ومنتقد ، وهكذا جرت العادة خصوصاً في حق الغريب المنتسب للعلم :

وعند الله تجتمع الحصوم

وممن كان عليه لا له أبو المحاسن محمد بن نصر المعروف بابن عنين فإنه قال فيه ^١ :

دحية لم يُعقَبْ فَلِمَ تعْزِي إِلَيْهِ بِالْبُهْتَانِ والإِفْكَ
ما صحَّ عند الناس شيء سوى أنك من كَلَبٍ بلا شك

هكذا ذكره ابن النجار ، وأطال في الواقعة في أبي الخطاب ابن دحية .
وقال الذهبي : قرأت بخط الضياء عندما ذكر ابن دحية أنه قال : لقيته بأصبهان ، ولم أسمع منه شيئاً ، وأخبرني إبراهيم السنهوري بأصبهان أنه دخل المغرب ، وأن مشايخه كتبوا له جرحه وتضعيفه ، وقد رأيت أنا منه غير شيء مما يدل على ذلك ، وبسببه بنى السلطان الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة وجعله شيخها ، وقد سمع منه الإمام أبو عمرو ابن الصلاح الموطأ سنة نيّف وستمائة ، وأخبره به عن جماعة منهم أبو عبد الله ابن زرقون .

وقال ابن واصل : كان أبو الخطاب ، مع فرط معرفته بالحديث ، وحفظه الكثير منه ، متهماً بالمجازفة في النقل ، وبلغ ذلك الملك الكامل ، فأمره أن يعلّق شيئاً على كتاب « الشَّهاب » ، فعلّق كتاباً تكلّم فيه على أحاديثه وأسانيده ، فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد أيام : قد ضاع مني ذلك الكتاب ، فعلّق لي مثله ، ففعل ، فجاء في الثاني مناقضة للأول ، فعلم الملك الكامل صحة ما قيل عنه ، ونزلت مرتبته عنده ، وعزله عن دار الحديث أخيراً ، وولى أخاه أبا عمرو عثمان .

١ ديوان ابن عنين : ٢٢٠ .

وقال ابن نقطة : كان أبو الخطاب موصوفاً بالمعرفة والفضل ، ولم أره ، إلا أنه كان يدعي أشياء لا حقيقة لها ، ذكر لي أبو القاسم ابن عبد السلام — وكان ثقة — قال : نزل عندنا ابن دحية فقال : إنني أحفظ صحيح مسلم والترمذي ، فأخذت خمسة أحاديث من الترمذي ومثلها من المسند ومثلها من الموضوعات ، فجعلتها في جزء ، ثم عرضت عليه حديثاً من الترمذي فقال : ليس بصحيح ، وآخر فقال : لا أعرفه ، ولم يعرف منها شيئاً ، فأفسد نفسه بذلك .

وقال سبط ابن الجوزي^١ : إنه كان يتزيد في كلامه ، ويثلب المسلمين ، ويقع فيهم ، فترك الناس الرواية عنه وكذبوه ، وقد كان الملك الكامل مقبلاً عليه ، فلما انكشف له شأنه أخذ منه دار الحديث وأهانته .

وقال العيماد ابن كثير : قد تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام ، ونسبه بعضهم إلى وضع حديث في قصر صلاة المغرب ، وكنت أود أن أقف على إسناده ليعلم كيف رجاله ، وقد أجمع العلماء — كما ذكره ابن المنذر وغيره — على أن صلاة المغرب لا تقصر ، واتفق أنه وصل في جمادى الأولى سنة ٦١٦ إلى غزة ، فخرج كل من في غزة بالأسلحة والعصي والحجارة إلى الموضع الذي هو فيه ، وضربوه ضرباً شديداً بعد أن انهزم من كان معه ، انتهى .

وقد منا في ترجمته توثيق جماعة له ، فربك أعلم بحاله .

٧٢ — ومنهم عبد الله بن محمد بن آدم ، القارئ ، الخراساني^٢ ، رحل من خراسان إلى الأندلس ، يكنى أبا محمد ، ذكره أبو عمرو المقرئ ، وقال : سمعته يقرأ مرات كثيرة ، فكان من أحسن الناس صوتاً ، ولم تكن له معرفة بالقراءة ولا دراية بالأداء ، انتهى .

١ مرآة الزمان : ٦٩٨ .

٢ التكملة : ٩١٣ .

٧٣ - ومنهم عبد الرحمن بن داود بن علي ، الواعظ^١ ، من أهل مصر ، يُعرف بالزبازري ، يكنى أبا البركات وأبا القاسم ، ويلقب زكي الدين ، قدم على الأندلس ، وتجوّل في بلادها واعظاً ومذكراً ، وسمع منه الناس بقرطبة وإشبيلية ومُرُسية وبلنسية سنة ٦٠٨ .

قال ابن الأبار : وسمعت وعظه إذ ذاك بالمسجد الجامع من بلنسية ، وادعى الرواية عن أبي الوقت السّجزي والسّلفي وأبي الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي وأبي محمد ابن المبارك بن الطباخ وأبي الفضل محمد بن يوسف الغزنوي وشهادة الكاتبة بنت الإبري ، زعم أنّه قرأ عليها صحيح البخاري ، وجماعة بالمشرق والأندلس لم يلقّهم ولم يسمع منهم ، وربما حدثت بواسطة عن بعضهم ، وأكثرهم مجهولون ، وقفت على ذلك في فهرست روايته ، فزهد أكثر السامعين منه ، واطّرحوا الرواية عنه ، ومنهم أبو العباس النبائي وأبو عبد الله ابن أبي البقاء وجمع أربعين حديثاً سلسلة سمّاها بالآلء المفصلة ، حدث فيها عن ابن بشكّوال وابن غالب الشراط وغيرهما من الأندلسيين الذين لم يلقّهم ولا أجازوا له ، أخذها عنه ابن الطّيلسان وغيره ، وكان - مع هذا - فقيهاً على مذهب الشافعي ، رضي الله تعالى عنه ، فصيحاً مشاركاً في فنون من العلم ، سمح الله تعالى له ، انتهى .

ولا بأس أن نذكر جملة من النساء القادمات من المشرق على الأندلس ، ثمّ نعود أيضاً إلى ذكر أعلام الرجال ، فنقول :

٧٤ - من النساء الداخلات الأندلس من المشرق عابدة المدنية ، أم ولد حبيب بن الوليد المرواني ، المعروف بلحون . وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة ، حالكة اللون ، غير أنّها تروي عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة

١ التكملة رقم : ١٦٥٥ .

وغيره من علماء المدينة ، حتى قال بعض الحفاظ : إنها تروي عشرة آلاف حديث .

وقال ابن الأبار : إنها تسند حديثاً كثيراً ، وهي أم ولده بشر بن حبيب ، والذي وهبها لدحون في رحلته إلى الحج هو محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ابن مروان ، فقدم بها الأندلس ، وقد أعجب بعلمها وفهمها ، واتخذها لفراشه ، رحم الله تعالى الجميع .

٧٥ — ومنهن فضل المدنية ، وكانت حاذقة بالغناء ، كاملة الخصال ، وأصلها لإحدى بنات هرون الرشيد ، ونشأت وتعلّمت ببغداد ، ودرجت من هناك إلى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ؛ فازدادت ثمّ طبقتها في الغناء ، واشترت هنالك للأمير عبد الرحمن صاحب الأندلس مع صاحبها علم المدنية ، وصواحب غيرها إليهنّ تُنسب دار المدينيات بالقصر ، وكان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة أدبهن ، وتضاف إليهن جارية [يقال لها] قلم ، وهي ثالثة فضل وعلم في الحظوة عند الأمير المذكور ، وكانت أندلسيّة الأصل رومية من سبي البشكنس ، وحملت صبيّة إلى المشرق ، فوقعت بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعلّمت هنالك الغناء فحذقته ، وكانت أدبية ذاكرة حسنة الخط ، راوية للشعر حافظة للأخبار ، عالمة بضروب الآداب .

٧٦ — ومن النساء الداخلات إلى الأندلس من المشرق قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي ، صاحب إشبيلية^١ ، وكانت من أهل الفصاحة والبيان ، والمعرفة بصوغ الألحان ، وجلبت إليه من بغداد ، وجمعت أدباً وظرفاً ، ورواية وحفظاً ، مع فهم بارع ، وجمال رائع ، وكانت تقول الشعر بفضل

١ التكملة رقم : ٢١١٤ .

أدبها ، ولها في مولانا تملحه :

ما في المغارب من كريم يُرْتَجى إلا حَلِيف الجودِ إبراهيم
لأنّي حللتُ لديه منزلَ نعمةٍ كلُّ المنازل ما عداه ذميم
وأنشد لها السالمي لما ذكرها عدة أشعار ، منها قولها تتشوق إلى بغداد :

آهاً على بغدادها وعراقها وطلبائها والسحر في أحداقها
وبجالتها عندَ القرات بأوجه تبلو أهلتها على أطواقها
متبخرات في النعيم كأنما خلّق الهوى العذري من أخلاقها
نفسى الفداء لها فأى محاسن في الدهر تُشرق من سنا إشراقها

٧٧ — ومنهن البحارية العجفاء^١ ، قال الأرقمي^٢ : قال لي أبو السائب
— وكان من أهل الفضل والنسك — هل لك في أحسن الناس غناء ؟ فجننا إلى
دار مسلم بن يحيى مولى بني زهرة ، فأذن لنا فدخلنا بيتاً عرضه اثنا عشر ذراعاً
في مثلها ، وطوله في السماء ستة عشر ذراعاً ، وفي البيت نمرقتان قد ذهب
عنهما اللحم وبقي السدى ، وقد حُشيتا بالليف ، وكرسیان قد تفككا من
قدمهما ، ثم اطلعت علينا عجفاء كلفاء ، عليها [قرقل] هرّوي أصفر غسيل ،
وكأن وركيها في خيط من رَسَحها^٣ ، فقلت لأبي السائب : بأبي أنت ! ما هذه ؟
فقال : اسكت ، فتناولت عوداً فغنّت^٤ :

بيد الذي شغفَ القواد بكمُ تفريج ما ألقى من الهم
فاستيقني أن قد كلفتُ بكم ثم افعل ما شئت عن علم
قد كان صرّم في الممات لنا فعجلت قبل الموت بالصرم

١ هذا الخبر عن العجفاء في الأغاني ٢٣ : ٢٨٥ .

٢ سماء في الأغاني : غرير بن طلحة .

٣ ق ودوزي : من نسخها ، والتصويب عن الأغاني .

٤ الشعر لأبي صخر الهذلي (الأغاني ٢٣ : ٢٨٢) .

قال : فتحسنت في عيني ، وبدا ما أذهب الكلف عنها ، وزحف أبو السائب وزحفت معه ، ثم تغنت :

برح الخفاء فأبما بك تكتم^١ ولسوف يظهر ما تسر^٢ فيعلم^٣
مما تضمن من غريرة^٤ قلبه يا قلب إنك بالحسان لمخرم^٥
يا ليت أنك يا حسام بأرضنا تلقي المراسي طائعا وتخيّم^٦
فتدوق لذّة عيشنا ونعيمه ونكون لإخوانا فماذا تنقم^٧

فقال أبو السائب : إن نقم هذا فأعضبه الله تعالى بكذا وكذا من أبيه ، ولا يكني ، فزحفت مع أبي السائب حتى فارقنا النمرقتين ، وربت العجفاء في عيني كما يربو السويق بماء مزرّة ، ثم غنت :

يا طول ليلي أعالج السقما إذ حل^٨ كل^٩ الأحبة الحرما
ما كنت أخشى فراقكم أبداً فاليوم أمسى فراقكم عزما

فألقيت طيلساني ، وأخذت شاذكونة^{١٠} فوضعتها على رأسي ، وصحت كما يصاح على اللوبيا بالمدينة ، وقام أبو السائب فتناول ربة^{١١} في البيت فيها قوارير ودهن ، فوضعها على رأسه ، وصاح صاحب البخارية وكان ألثغ : قوانيني ، يعني قواريري ، فاصطكت القوارير وتكسرت ، وسال الدهن على رأس أبي السائب وصدره ، وقال للعجفاء : لقد هيّجت لي داء قديماً ، ثم وضع الربة . وكنا نختلف إليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية صاحب الأندلس فابتنعت له العجفاء ، وحملت إليه .

١ الأغاني : عزيرة .

٢ ق ردوزي : أدخل .

٣ الشاذكونة : مغرية كبيرة .

٤ الربة : جونة المطار .

٧٨ — ومن القادمين على الأندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر بن محمد ابن عبد الرحمن ، الموصلي . قال أبو حيان : قدم علينا رسولا من ملك مصر إلى ملك الأندلس ، فسمعت منه بالمرية ، انتهى .

٧٩ — ومنهم أحمد بن الحسن بن الحارث بن عمرو بن جرير بن إبراهيم ابن مالك ، المعروف بالأشتر ، بن الحارث ، النخعي^١ ، يكنى أبا جعفر ، دخل الأندلس في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وأصله من الكوفة ، وكان يروي أحاديث عظيمة العدد ، ذكر ذلك الرازي ، وحكى أن الأمير محمداً روى عنه منها ، وأنزله بـرية .

٨٠ — ومنهم أحمد بن أبي عبد الرحمن ، واسمه يزيد بن أحمد بن أبي عبد الرحمن القرشي ، الزهري ، من ولد عبد الرحمن بن عوف^٢ ، من أهل مصر ، وفد على الناصر بقرطبة ، وكان دخوله إليها في عرم سنة ٣٤٣ ، فأكرم الناصر مثواه ، وكان فقيه أهل مصر ، ذكره ابن حيان .

٨١ — ومنهم أبو الطاهر إسماعيل ابن الإسكندراني^٣ ، لقي ببلده أبا طاهر السلفي ، وسمع منه ، ودرس عليه كتاب « الاصطلاح » للسمعاني ، وقدم الأندلس ، ودخل مرسية تاجراً ، وكان فقيهاً على مذهب الشافعي ، وأنشد عن السلفي قوله :

أنا من أهل الحديث وهم خير فته
عشت تسعين وأرجو أن أعيش لمائة

فعاش كما تمنى ، رحمه الله تعالى .

١ ترجمته في التكملة : ١٢٦ .

٢ ترجمته في التكملة : ١٢٧ .

٣ ترجمته في التكملة : ١٩٠ .

٨٢- ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر ، الأنطاكي ، الإمام ، أبو الحسن ، التميمي^١ ، نزيل الأندلس ومُقرئها ومُسندها ، أخذ القراءة عرضاً وساعاً عن إبراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الأنخري وأحمد ابن يعقوب التائب وأحمد بن محمد بن خشيش ومحمد بن جعفر بن بيان ، وصنف قراءة ورش ، قرأ عليه جماعة : منهم أبو الفرج الهيثم الصباغ وإبراهيم بن مبشر المقرئ وطائفة آخرون من قراء الأندلس ، وسمع منه عبد الله بن أحمد ابن مُعاذ الداراني .

قال أبو الوليد ابن الفريسي : أدخل الأنطاكي الأندلسَ علماً جماً ، وكان بصيراً بالعربية والحساب ، وله حظ من الفقه ، قرأ الناسُ عليه ، وسمعت أنا منه ، وكان رأساً في القراءات ، لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته ، وكان مولده بأنطاكية سنة ٢٩٩ ، ومات بقرطبة في ربيع الأول سنة ٣٧٧ ، رحمه الله تعالى .

٨٣- ومنهم عمر بن مودود بن عمر ، الفارسي ، البخاري ، يكنى أبا البركات^٢ ، ولد بسلماس ، ونشأ بها ، وكتب الحديث هنالك ، وتعلم العربية والفقه ، وهو من أبناء الملوك ، وانتقل إلى المغرب ، فدخل الأندلس ، ونزل مالقة في حدود ثلاثين وستمائة ، ودخل إشبيلية ، وكانت له رواية بالمشرق . قال ابن الأبار : أجاز لي ما رواه^٣ ، ولم يسم أحداً من شيوخه ، وبلغني أنه سمع صحيح البخاري بالدامغان على أبي عبد الله محمد بن محمود ، وكانت إجازته لي سنة ٦٣١ ، وعاش بعد ذلك ، وتوفي بمراكش بعد الأربعين وستمائة^٤ ، وحدث بالأندلس ، وأخذ عنه الناس ، وكان من أهل التصوف والتحقق بعلم

١ ترجمة الأنطاكي في ابن الفريسي ١ : ٣٦١ وغاية النهاية ١ : ٥٦٤ .

٢ ترجمته في التكملة رقم : ٢٢٥٢ وصلة الصلة : ٧٤ .

٣ صلة الصلة : سنة ٦٣٩ .

الكلام ، رحمه الله تعالى .

٨٤ - ومنهم الشريف الأجل^١ الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين ،
وكنيت لا أتمتق من أي البلاد هو من المشرق ، ثم^٢ لآتي علمت أنه من بغداد
إذ وقفت على كتابين كتبهما في شأن العناية به الأديب العلامة أبو المطرف
أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي : أحدهما لأبي العلاء حسان ، والثاني للكاتب
أبي الحسن العنسي ، وهو الذي يفهم منه أنه من بغداد .

ونص^٣ الأول :

يا ابن الوصي إذا حملت وصيتي	أوجبت حقاً للحقوق يُضاف
وتحيتي كل التحايا دونها	وكذلك دون رسولها الأشراف
أحسين ^٤ بأن تلقى ابن حسان بها	مهتزة ^٥ لورودها الأعطاف
كالروض باكره ^٦ الندى فلعرّفها	يا ابن النبي على الندى مطاف
وعلاك ^٧ إن أبا العلا ومكانه	يلقى به الإسعاد والإسفاف
وأحق ^٨ من عرف الكرام بوصفهم	من جمعت منهم له أوصاف

هذه يا سيدي نحية تجب لها إجابة وحيّة ، وتصلح بها هشاشة وأريحية ،
أودعتها بطن هذه العُجالة ، وبعثتها مع صَدْر من أبناء الرسالة ، ولله دره من
راضيع دَرّ الثبوة ، متواضع مع شرف الأبوّة ، نازعته طرق الأشعار ،
وأطراف الأخبار ، فوجدت بحراً حصّاه الدرّ النفيس^٩ ، وروضاً يتجني منه
أطايب السمر الجليس^{١٠} ، ويُنعت بنجم الدين وهو كنعته نجم يضيء سناه ،
ويحل بيتاً من الشرف ربّه بَناءه ، وقد جاب الفضاء العريض ، ورأى القصور
الحمر والبيض ، وورد الخجّون ، بعدما شرب من ماء جيحون ، وزار مشاهد
الحرمين ، ثم سار في أرض الحرمين ، وفارق إفريقية لهذا الأفق مختاراً ، وعبر
إلى الأندلس فأطال بها اعتباراً ، وتشوّق إلى حضرة الأنوار المُفاضة ، والنعم
السابعة المُفاضة ، وجعل قصدها بحجّة سفره طَوّاف الإفاضة ، وهمّه أن

يشاهد سنّاها العلوي ، ويبصر ما يحقر عنده المرئي والمروي ، وهي غاية يقول للأمل : عليها أطلت حَوْمي ، وجنّة يتلو الداخل لها ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي﴾ وسيدي هو منها باب على الفتح بُني ، وجنابُ عنانُ الأمل إليه تُني ، وقصّده من هذا الشريف أجلُّ قاصد ، وأظنّته سماء المجد بجمال المشتري وظرف عطارد ، ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان ، ومتى شبّهناه فالتمويه بالشبه عقوق العيان ، ومن يقبض قريحته بأن يقول لها صِفِيه ، لكن يعرف عن نفسه بما ليس في وسع واصفيه ، ويقتضي من عزيمته برّه ما لا سعة للمترخص فيه ، إن شاء الله تعالى ، وهو يديم علاكم ، ويحرس مجدكم وسناكم ، بمنّه ، والسلام الكريم ، الطيب العميم ، يخصّكم به معظمُ مجدكم ، المعتدّ بلخيرة ودكم ، المحافظ على كريم عهدكم ، ابن عميرة ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، في الرابع والعشرين لربيع الآخر من سنة ٦٣٩ ، انتهى .

ونصُّ الثاني :

هل لك يا سيدي أبا الحسن فيمن له كلُّ شاهدٍ حَسَنٍ
في الشرفِ المنتقى له قدمٌ أثبتها بالوصيِّ والحَسَنِ

أيّها الأخ الذي ملّكته قيادي ، وأسكنته فؤادي ، عهدي بك تتعّامُ الآداب النقية ، وتشتاق اللطائف المشرقية ، وتنصف فترى أن في سيلنا جُفاء ، وفي مغربنا جُفاء ، وأن المحاسن نبتت أرض ما بها وُلدنا ، وزرعُ وادٍ ليس ممّا عهدنا ، وأنا في هذا أشابعك وأتابعك ، وأناضل من ينازلك وينازعك ، وقد أتانا الله تعالى بحجة تقطع الحجج ، وتُسكت المهج ، وهو الشريف الأجلُّ ، السيد المبارك نجم الدين بن مهذب الدين نجل الدرية المختارة ، ونجم الدرية السيارة ، جرى مع زَعَزَعَ ونسيم ، ورَتَعَ في جسيم وهشيم ، وشاهدَ عجائب كل إقليم ، وشرّق إلى مطلع ابن جتلا ، وغرّب حتى نزل شاطئ سلا ، وقد توجه الآن إلى حضرة الإمامة الرشيدية أيدها الله تعالى لينتهي من أصابع العدّ

إلى العُقْدة ، ويحصل من مَخْض الحقيقة على الرُّبْدة ، وقد علم أنه ما كلُّ
الخطب كخطبة المنبر ، ولا جميعُ الأيام مثل يوم الحج الأكبر ، وأدبه يا سيدي
من نسبة أفقه ، بل على شكل حسبه وخلقه ، فإذا رأيته شهدت بأن الشرق قد
أتحف إفريقيا ببغدادهِ ، بل رمانا بجملة أفلادهِ ، والحظ فيما يجب من بره
وتأنيسه ، إنما هو في الحقيقة لجليسه ، فيا غبطة من يسبق لحواره ، ويقبس من
أنواره ، وأنت لا محالة تفهمه فهمي ، وتشيم من شيمه عارضاً برِّي القلوب
الهميم يَهْمي ، وتضرب في الأخذ من فوائده وقلائده بسهم وددت أنه سهمي ،
والسلام ، انتهى .

٨٥ — ومنهم تقي الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن الغرس ،
الحنفي ، المصري . قال الوادي آشي فيه : إنه من أعيان مصر ، قال : وسألته
هل يقع بين أهل مصر تنازع في تفضيل بعض المذاهب على بعض ؟ فأجابني بأن
هذا لا يقع عندهم بين أهل الرسوخ في العلم ، وذوي المعرفة والفهم^١ ، وإنما
يصدر هذا بين الناشئين ، قال : وللحنفية الظهور عليهم حين يقولون لهم : لنا
عليكم اليد الطولى في الخبز ، لكونه بمصر يُطبخ في القرن بأرواث الدواب ،
وكذلك تسخين الحمام ، فإن المالكية وغيرهم بمصر يقلدون الحنفية في ذلك ،
قال : وسألته حفظه الله تعالى : هل للوباء بمصر وقتٌ معلوم ؟ فقال
لي : جرت العادة عندهم بقدر الله تعالى وسره في خليقته أن كل سنة أولها
ثاء مثلثة يكون فيها الوباء ، والله تعالى أعلم ، وأن هذا مُتَعَارَفٌ عندهم ، هكذا
قال لي . وعيَّبَ ما يقع من بعض النقاد بتونس وما يصدر عنهم بكثرة من
إلقائهم الأسئلة العويصة في أصول الدين وغيرها على مَنْ يرد عليهم قصداً في
تعجيزهِ وتعنيته ، ثم قال : إن من المنقول عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى
أن من حُفِظت عنه تسع وتسعون خصلة تقتضي الكفر وواحدة تقتضي الإيمان

١ ق : والوهم .

أن الواحدة المقتضية للإيمان تغلب وتبقى حرمتها عليه ، انتهى .
وقد ذكرنا في الباب الأول من هذا القسم حكاية البصري المغني القادم من
المشرق من البصرة على عبد الوهاب الحاجب بإفريقية في دولة بني المعز بن
باديس ، وسردنا دخوله عليه في مجلس أنسه ، وما اتفق في ذلك له معه ، وأنه
وصف له بلاد الأندلس وحسنها وطيبها ، فارتحل المغني إليها ، ومات بها ،
حسبما لحصناه من كلام الكاتب ابن الرقيق الأديب المؤرخ في كتابه « قطب
السرور » ولولا أنه لم يسم المغني المذكور لجعلنا له ترجمة في هذا الباب ، إذ
هو به أليق ، والأمر في ذلك سهل ، والله تعالى الموفق للصواب .

٨٦ — ومنهم الولي الصالح العارف بالله سيدي يوسف الدمشقي ، رضي
الله تعالى عنه ، وهو كما قال ابن داود من كبار الأولياء ، شاذلي الطريقة ،
قدم من المشرق إلى الأندلس ، وكان يأتي مدينة وادي آش الكرّة بعد الكرّة
لزيارة معارف له بها ، وكان من الذين أخفاهم الله ، لا يعرف به إلا من تعرف
له ، أعاد الله تعالى علينا من بركاته .

قال العلامة ابن داود : وحدثني مولاي والذي رضي الله تعالى عنه من لفظه
بتلمسان أمّنها الله تعالى يوم الاثنين لثني عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأوّل
سنة ٨٩٥ ، قال : دخل عليّ سنة شهر رمضان المعظم في زمان ولايتي
الخطابة والإمامة بالعراص من خارج وادي آش ، أعادها الله تعالى ، فقعدت
أوّل ليلة منه منفرداً بالمسجد الأعظم من الرباط المذكور بين العشامين ، وفكرت
في ذكر اتّخذه في هذا الشهر المبارك يكون جامعاً بين الدنيا والآخرة ، فأجمعت على
مطالعة « حليّة » النواوي لعلّي أقف على ما اختاره لذلك ، فلمّا أصبحت
دخلت إلى المدينة ، ولم أكن أطلعت على فكرتي أحداً ، فلقيني الحاج الأستاذ
أبو عبد الله ابن خلف رحمه الله تعالى في الطريق ، فقال لي : سيدي يوسف
الدمشقي يسلم عليك ويقول لك : الذكر الذي تعمر به هذا الشهر الفاضل :

« اللهم ارزقني الزهد في الدنيا ، ونور قلبي بنور معرفتك » ، قال لي والذي رضي الله تعالى عنه : وكان هذا سبب تعرقي له ، ولقائي إياه ، وكنت قبل ذلك منكراً عليه لكثرة الدعاوى في هذا الطريق ، نفع الله تعالى به ، انتهى . ولنجعل هذه الترجمة آخر هذا الباب ، تبرّكاً بهذا الولي الصالح ، نفعا الله تعالى ببركاته ، مع علمي بأن الوافدين من المشرق على الأندلس كثيرون جداً ، إلا أن عدم المادة التي أستعين بها في هذه البلاد تبين عذري ، ولو اجتمعت على كتبي المخلّفة بالمغرب لأتيت في ذلك وغيره بما يشفي ويكفي :

وفي الإشارة ما يُغني عن الكلام.



الباب السابع

في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الأندلس من توفيق الأذهان ، وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالى ما عَزَّ أَوْ هَانَ ، وَحَوَّزَهُمْ فِي مِيدَانِ الْبِرَاعَةِ ، من قصب البراعة ، خَصَّلَ الرِّهَانَ ، وَجَمَلَهُ مِنْ أَجْوِبَتِهِمْ ، الدَّالَّةَ عَلَى لَوْذَعِيَّتِهِمْ ، وَأَوْصَافِهِمُ الْمُؤَدَّةَ بِالْمَعِيَّتِهِمْ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِمُ الَّتِي لَهَا عَلَى فَضْلِهِمْ أَوْضَحُ بَرَهَانٍ

[نقول في فضائل الأندلس]

[١ - عن فرحة الأنفس]

اعلم أن فضل أهل الأندلس ظاهر ، كما أن حُسن بلادهم باهر ، ولذلك ذكر ابنُ غالب في « فرحة الأنفس » لما أثنى على الأندلس وأهلها أن بَطَلَتِمْمُوسَ جعل لهم - من أجل ولاية الزُّهْرَةَ لبلادهم - حُسْنَ الهِمَّةِ في الملبس والمطعم ، والنظافة والطهارة ، والحب للهو والغناء ، وتوليد اللحون ، ومن أجل ولاية عُطَارْدَ حُسْنَ التدبير ، والحرص على طلب العلم ، وحب الحكمة والفلسفة والعدل والإنصاف . وذكر ابنُ غالب أيضاً ما خُصُّوا به من تدبير المشتري والمريخ . وانتقد عليه بعضهم بأن أقاليم الأندلس الرابع والخامس والسادس في ساحلها الشمالي ، والسابع في جزائر المجوس ، وللإقليم الرابع الشمس ؛ وللخامس الزُّهْرَةَ ، والسادس عُطَارْدَ ، والسابع القمر ، والمشتري للإقليم الثاني ، والمريخ الثالث ، ولا مدخل لهما في الأندلس ، انتهى .

ثم قال صاحب الفرحة^١ : وأهلُ الأندلس عرب في الأنساب والعزة

١ م : ثم قال صاحب فرحة الأنفس .

والأنفة وعُلُوّ الهمم وفصاحة الألسن وطيب النفوس وإباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما في أيديهم والتراثة عن الخضوع وإتيان الدنية ، هِنْدِيّون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم ، بغداديون في ظرفهم ونظافتهم ورقّة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحيدة أفكارهم ونفوذ خواطيرهم ، يونانيون في استنباطهم للمياه ومُعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لأجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف^١ الزهر ، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة ، ومنهم ابن بصال صاحب « كتاب الفلاحة » الذي شهدت له التجربة بفضلله ، وهم أصبر الناس على مُطاولة التعب في تجويد الأعمال ومُقاساة النَّصَب في تحسين الصنائع ، أصدق الناس بالفُرُوسية ، وأبصرهم بالطعن والضرب .

وعند^٢ رحمه الله تعالى من فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصوصة بهم ، قال : وكان خطهم أولاً مشرقياً ، انتهى . قال ابن سعيد : أمّا أصول الخط المشرقي وما تجدد له في القلب واللحظ من القبول فمسلكهم له ، لكن خط الأندلس الذي رأيتُه في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الأندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق ، ورونق آخذ بالعقل ، وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد ، انتهى .

ونحو صدر كلام ابن غالب السابق مذكور في رسالة لابن حزم ، وقال فيها : إن أهل الأندلس صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المِهَن الصورية ، تُركبون في مُعانة الحروب ومعالجة آلاتها والنظر في مهماتها ، انتهى . وعند ابن غالب من فضائلهم اختراعهم للموشحات التي قد^٢ استحسناها

١ م : وأصناف .

٢ قد : سقطت من ب .

أهل المشرق وصاروا يتزعون مترعها ، وأما نظمهم ونثرهم فلا يخفى على من وقف عليهما علو طبقاتهم .

ثم قال ابن غالب : ولما نَفَدَ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة المبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الأقصى من بر العدوة مع بلاد إفريقية ، فأما أهل البادية فمالوا في البوادي إلى ما اعتادوه ، وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه ، وغرسوا الأشجار ، وأحدثوا الأرحي الطاحنة بالماء وغير ذلك ، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها ، فشرفت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مُستَغلاتهم وعمتهم الخيرات ، فهم أشبه الناس باليونانيين فيما ذكرت ولأن اليونانيين سكنوا الأندلس فورثوا عنهم ذلك ، وأما أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر واستوطنوها ، فأما أهل الأدب فكان منهم الوزراء والكتّاب والعمّال وجُباة الأموال والمستعملون في أمور المملكة ، ولا يُستعمل بلدي ما وجد أندلسي ، وأما أهل الصنائع فإنهم فاقوا أهل البلاد ، وقطعوا معاشهم ، وأحملوا أعمالهم ، وصيروهم أتباعاً لهم ، ومتصرفين بين أيديهم ، ومتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدّة ، وأفرغوا فيه من أنواع الحذاق والتجويد ما يُميلون به النفوس إليهم ، ويصير الذكر لهم ، قال : ولا يدفع هذا عنهم إلا جاهل أو مبطل ، انتهى .

[٢ - عن ابن سعيد]

وقال ابن سعيد ، لما ذكر جملة من محاسن الأندلسيين : يعلم الله تعالى أنني ما أقصد إلا إنصاف المنصفين الذين لا يميل بهم التعصب ، ولا يجمع بهم الهوى ، ولكن الحق أحق أن يتبع ، فلعلّ مُطّلعاً يقف على ما ذكره ابن غالب فيقول : تعصب هذا الرجل لأهل بلده ، ثم يغمس التابع له والراضي بنقل قوله في هذه الصبغة ويحمّله على ذلك بعده عن الأرضين :

ولو أَبْصَرُوا لَيْلِي أَقَرُّوا بِحَسَنِهَا وَقَالُوا بَأْتِي فِي الثَّناء مُقَصِّرٌ .

ويكفي في الإنصاف أن أقول : إن حضرة مراکش هي بغداد المغرب ، وهي أعظم ما في بر العدوّة ، وأكثر مصانعها ومبانيها الجليّة وبساتينها إنّما ظهرت في مدة بني عبد المؤمن ، وكانوا يجلبون لها صنائع الأندلس من جزيرتهم^١ ، وذلك مشهور معلوم إلى الآن . ومدينة تونس بإفريقية قد انتقلت إليها السعادة التي كانت في مراکش^٢ بسلطان إفريقية الآن أبي زكريا يحيى بن أبي محمد ابن أبي حَقَص ، فصار فيها من المباني والبساتين والكروم ما شابته به بلاد الأندلس وعرفاء صناعه من الأندلس وتماثله التي بينى عليها ، وإن كان أعرف خلق الله باختراع محاسن هذا الشأن ، فإنّما أكثرها من أوضاع الأندلسيين ، وله من خاطره تنبيهات وزيادة ظهَرَ حسن موقعها ، ووجوه صنائع دولته لا تكاد تجدهم إلّا من الأندلس ، فصح قول ابن غالب ، انتهى .

[٣ - عن الحميدي]

قال الحميدي : أنشد بحضرة بعض ملوك الأندلس قطعة لبعض أهل المشرق ،

وهي :

وماذا عليهم لو أجابوا^٣ فسلّموا وقد علموا أنّي المشوّقُ المتيمُّ
سرّوا ونجومُ الليل زُهرٌ طوالعُ على أنّهم بالليل للناس أنجمُ
وأخفّوا على تلك المطايا مسيرهم فنّمّ عليها في الظلام التبسمُ

فأفرط بعض الحاضرين في استحسانها ، وقال : هذا ما لا يقدر أندلسي

١ م : جزيرتها .

٢ م : بمراكش .

٣ ق ب : أثابوا (اقرأ : أثابوا) .

٤ ب : عليهم .

على مثله ، وبالحضرة أبو بكر يحيى^١ بن هذيل ، فقال بديهاً :

عرفت بعرفِ الرّيح أين تيمّموا وأين استقلّ الظّاعنون وخيّموا
خليليّ ردّاني إلى جانبِ الحمى فليستُ إلى غيرِ الحمى أتيّمُ
أبيتُ سميرَ الفرقدين كأنّما وسادي قتادُ أو ضجيعي أرقمُ
وأحورَ وسنانِ الجفونِ كأنّه قضيبُ من الرّيحانِ لدنّ منعمُ
نظرتُ إلى أجفانهِ وإلى الهوى فأيقنتُ أنّي لستُ منهنّ أسلمُ
كما أنّ إبراهيمَ أوّلَ نظرةٍ رأى في الدراري أنّه سوف يسقمُ
انتهى .

[٤ - عن ابن بسّام]

ومن كلام ابن بسام صاحب « الذخيرة » في جزيرة الأندلس^٢ : أشراف
عرب المشرق افتتحوها ، وسادات أجناد الشام والعراق نزلوها ، فبقي النسل
فيها بكل إقليم ، على عرق كريم ، فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر ،
وشاعر قاهر . وذكر أن أبا علي البغدادي صاحب الأملالي الوافد على الأندلس
في زمان بني مروان قال : لما وصلت القيروان وأنا أعتبر من أمرّ به من أهل
الأمصار فأجدهم درجاتٍ في العبارات^٣ وقلّة الفهم ، بحسب تفاوتهم في
مواضعهم منها بالقرب والبعد ، كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم
مُحاصّة ومُقايسة . قال أبو علي : فقلت إن نقصَ أهل الأندلس عن مقادير
مَنْ رأيتُ في أفهامهم بقدر نقصان^٤ هؤلاء عمّن قبلهم فسأحتاج إلى ترّجُمان ،
في هذه الأوطان ؛ قال ابن بسام : فبلغني أنّه كان يصلُّ كلامه هذا بالتعجب

١ ق ب م ودوزي : أبو بكر ابن يحيى .

٢ بعض هذا النص في مقدمة الذخيرة ١ / ١ : ٤ .

٣ الذخيرة : في النباوة .

٤ م : نقص .

من أهل هذا الأفق الأندلسي في ذكائهم ، ويتغنى عنهم عند المباحثة والمفاتشة ، ويقول لهم : إن علمي علم رواية ، وليس بعلم دراية ، فخذوا عني ما نقلت ، فلم آل لكم أن صححت ، هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات ، والأخذ عن الثقات ، انتهى .

[٥ - عن الحجاري]

ومن كلام الحجاري في « المسهب » : الأندلس عِراقُ المغرب عزّة أنساب ، ورقّة آداب ، واشتغالا بفنون العلوم ، وافتنانا في المنثور والمنظوم ، لم تضق لهم في ذلك ساحة ، ولا قصرت عنه راحة ، فما مرّ فيها بمصرٍ إلا وفيه نجوم وبدور وشموس ، وهم أشعر الناس فيما كثره الله تعالى في بلادهم ، وجعله نُصَبَ أعينهم من الأشجار والأنهار والأطيّار والكؤوس ، لا ينازعهم أحد في هذا الشأن ، وابنُ خفاجة سابقهم في هذا المِضمار الحائر فيه قصب الرهان . وأما إذا هبَّ نسيم ، ودار كأس في كف ظبي رقيم ، ورجع بَمَ وزير ، وصفق للماء خريّر ، أو رقت العشيّة ، وخلعت السحب أبرادها الفضيّة والذهبية ، أو تبسم عن شعاعٍ نغرُ نهر ، أو ترقرق بطلّ جفنُ زهر ، أو خفق بارق ، أو وصل طيف طارق ، أو وعد حبيب فزار من الظلماء تحت جناح ، وبات مع مَنْ يَهْوَاهُ كالماء والراح ، إلى أن ودّع حين أقبل رائدُ الصباح ، أو أزهرت دوحة السماء بزُهرٍ كواكبها ، أو قوّضت عند فيض نهر الصباح بيض مضاربها ، فأولئك هم السابقون السابقون ، الذين لا يُجارون ولا يلحقون ، وليسوا بالمقصّرين في الوصف إذا تقعّعت السلاح ، وسالت خلجانُ الصّوارم بين قُضبان الرماح ، وبنت الحرب من العجاج سماء ، وأطلعت شبه النجوم أسنّة وأجرت شبه الشفق دماء ، وبالجملة فإنّهم في جميع الأوصاف والتخيّلات أئمّة ، ومن وقف على أشعارهم في هذا الشأن فضّلهم فيه على أصناف الأئمّة ،

وقد أعانتهم على الشعر أنسابهم العربية ، وبقاعهم النضرة وهمهم الأبيّة .
ولشطار الأندلس من النوادر والتكنيات ، والتركيبات وأنواع المضحكات ،
ما تملأ الدواوين كثرتّه ، وتضحك الثكلى وتُسَلّي المسلوب قصته ، ممّا لو
سمعه الجاحظ لم يعظم عنده ما حكى وما ركّب ، ولا استغرب أحدٌ ما أورده
ولا تعجّب ، إلّا أن مؤلفي هذا الأفق طمحت همهم عن التصنيف في هذا
الشأن فكاد يمرّ ضياعاً ، ففقت محتسباً للظرف فتداركته جامعاً فيه ما أمسى
شعاعاً ، انتهى .

[٦ - رسالة ابن حزم في فضل الأندلس]^١

قلتُ : وقد رأيت أن أذكر رسالة أبي محمد ابن حزم الحافظ التي ذكر فيها بعض
فضائل علماء الأندلس ، لاشتغالها على ما نحن بصددّه . وذلك أنّه كتب أبو علي
الحسن بن محمد بن أحمد بن الرّيب التميمي القيرواني^٢ ، إلى أبي المغيرة عبد
الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير أهل الأندلس في تخليد^٣
أخبار علمائهم ومآثر فضائلهم وسير ملوكهم ، ما صورته :
كتبْتُ يا سيدي ، وأجلّ عُددي ، كتب الله تعالى لك السعادة ، وأدام لك
العز والسيادة ، سائلاً مسترشداً ، وباحثاً مستخبراً ، وذلك أنّي فكرت في بلادكم
إذ كانت قرارة كل فضل ، ومنهل كل خير ، ومقصد كل طرفة ، ومورد
كل تحفة ، وغاية آمال الراغبين ، ونهاية أمانى الطالبين ، إن بارت تجارة فإليها

١ سماها ابن خير (الفهرسة : ٢٢٦) رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها .
٢ ترجم العمري في المسالك ١١ : ٣١٩ نقلاً عن أنموذج ابن رشيق لمن اسمه ابن الرّيب القاضي
الحسين بن محمد التميمي ، وقال إن أصله من تاهرت ، وكان عارفاً بالأدب وعلم النسب قوي
الكلام يتكلفه بعض تكلف ، وكان عبد الكريم النهشلي أستاذ ابن رشيق يمدّه شاعراً مقدماً .
٣ ب : تخليص .

تُجَلِّبُ ، وإن كَسَدَتْ بضاعة ففيها تنفق ، مع كثرة علمائها ، ووفور أدبائها ^١ ،
وجلالة ملوكها ، ومحبتهم في العلم وأهله ، يُعَظِّمُونَ مِنْ عَظَمَةِ عِلْمِهِ ،
ويرفعون من رُفْعِهِ أدبه ، وكذلك سيرتهم في رجال الحرب : يقدمون من
قدمته شجاعته ، وعظمت في الحروب نكايته ، فشجع الجبان ، وأقدم الهَيَّابان ،
ونبه الخامل ، وعلم الجاهل ، ونطق العبيي ، وشعر البكي ، واستنسر
البُغَاث ، وتثَعَّبَنَ الحُفَّاث ^٢ ، فتنافس الناس في العلوم ، وكثر الحدائق في
جميع ^٣ الفنون ، ثم هم مع ذلك على غاية التقصير ونهاية التفريط ، من أجل أن
عُلَمَاءَ الْأَمْصَارِ دُونُوا فُضَائِلَ أَمْصَارِهِمْ ، وَخَلَدُوا فِي الْكُتُبِ مَائِرَ بُلْدَانِهِمْ ،
وَأَخْبَارَ الْمُلُوكِ وَالْأَمْراءِ ، وَالْكِتَابِ وَالْوُزراءِ ، وَالْقَضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ ، فَأَبْقَوْا لَهُمْ
ذِكْرًا فِي الْغَابِرِينَ يَتَجَدَّدُ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَلِسَانٌ صَدَقَ فِي الْآخِرِينَ
يَتَأَكَّدُ مَعَ تَصَرُّفِ الْأَعْوَامِ ، وَعِلْمَاؤُكُمْ مَعَ اسْتَظْهَارِهِمْ عَلَى الْعُلُومِ كُلِّ أَمْرٍ
مِنْهُمْ قَائِمٌ فِي ظِلِّهِ لَا يَبْرَحُ ، وَرَاتِبٌ عَلَى كَعْبِهِ لَا يَتَزَحَّزَحُ ، يَخَافُ إِنْ صَنَّفَ ،
أَنْ يُعْتَفَ ، وَإِنْ أَلْفَ أَنْ يُخَالَفَ ، وَلَا يُؤَالَفَ ، أَوْ تَخْطِفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي
بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ، لَمْ يُتَعَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَفْسًا فِي جَمْعِ فُضَائِلِ أَهْلِ بِلَدِهِ ،
وَلَمْ يَسْتَعْمَلْ خَاطِرُهُ فِي مَقَاخِرِ مُلُوكِهِ ، وَلَا بَلَّ قَلَمًا بِمَنَاقِبِ كِتَابِهِ وَوُزَرَائِهِ ،
وَلَا سَوَّدَ قَرطَاسًا بِمَحَاسِنِ قُضَائِهِ وَعِلْمَائِهِ ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ أَطْلُقَ مَا عَقَلَ الْإِغْفَالُ
مِنْ لِسَانِهِ ، وَبَسِطَ مَا قَبِضَ الْإِهْمَالُ مِنْ بَيَانِهِ ، لَوَجَدَ لِلْقَوْلِ مَسَاقًا ، وَلَمْ تَضُقْ
عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ ، وَلَمْ تَخْرُجْ بِهِ الْمَذَاهِبُ ، وَلَا اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ الْمَصَادِرُ وَالْمَوَارِدُ ،
وَلَكِنْ هَمَّ أَحَدُهُمْ أَنْ يَطْلُبَ شَأْوًا مِنْ تَقْدِمِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِيَحْزُوزَ قُصَبَاتِ السَّبْقِ ،
وَيَفُوزَ بِقِدْحِ ابْنِ مُقْبِلٍ ، وَيَأْخُذَ بِكَظْمِ دَغْفَلٍ ، وَيَصِيرَ شَجَاً فِي حَلْقِ أَبِي

١ ق ب : آدابها .

٢ تثعبن الحفاث : أخذ هيئة الثعبان ؛ والحفاث : حيوان كالثعبان يفتح فميه ويثب مثل وثبه
ولكنه غير مؤذ (انظر الحاشية ص ٦٤٦ من الجزء الأول) .

٣ ب : لجميع ؛ ق : بجميع .

الْعَمِيْثُ ، فإِذَا أَدْرَكَ بَغِيَّتَهُ ، وَاخْتَرَمَتْهُ مَنِيَّتُهُ ، دَفَنَ مَعَهُ أَدْبَهُ وَعِلْمَهُ ، فَمَاتَ ذَكَرَهُ ، وَانْقَطَعَ خَبْرُهُ ، وَمَنْ قَدِمْنَا ذَكَرَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ احْتَالُوا لِبَقَاءِ ذِكْرِهِمْ احْتِيَالَ الْأَكْيَاسِ ، فَالْتَفَوْا دَوَاوِينَ بَقِيَ لَهَا ذِكْرٌ مُجَدِّدٌ طَوَّلَ الْأَبَدَ .

فَإِنْ قُلْتُ : إِنَّهُ كَانَ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ عُلَمَائِنَا ، وَالْتَفَوْا كِتَابًا لَكِنَّا لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا ، فَهَذِهِ دَعْوَى لَمْ يَتَّصِحْ بِهَا تَحْقِيقُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ غَيْرُ رَوْحَةٍ رَاكِبٍ ، أَوْ رَحْلَةٍ قَارِبٍ ، لَوْ نَفَسْتُ مِنْ بِلَدِكُمْ مَصْدُورٌ ، لِأَسْمَعَ مَنْ يَبْلُدُنَا فِي الْقُبُورِ ، فَضْلًا عَمَّنْ فِي الدُّورِ وَالْقُصُورِ ، وَتَلَقَّوْا قَوْلَهُ بِالْقَبُولِ كَمَا تَلَقَّوْا دِيْوَانَ أَحْمَدَ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِالْعَقْدِ ، عَلَى أَنَّهُ يَلْحَقُهُ فِيهِ بَعْضُ الْوَمِ ، لَا سِيَّمَا إِذْ لَمْ يَجْعَلْ فَضَائِلَ بِلَدِهِ وَاسْطَةَ عَقْدِهِ ، وَمَنَاقِبَ مَلُوكِهِ يَتِيْمَةً سَلَكَهُ ، أَكْثَرَ الْحَزِّ وَأَخْطَأَ الْمَقْصَلِ ، وَأَطَالَ الْهَزَّ لِسَيْفٍ غَيْرِ مِقْنَصٍ ، وَقَعْدَ بِهِ مَا قَعْدَ بِأَصْحَابِهِ مِنْ تَرْكِ مَا يَعْنِيهِمْ ، وَإِغْفَالِ مَا يَهْمُهُمْ . فَأَرْشِدُ أَخَاكَ أَرْشِدُكَ اللَّهُ وَاهْدِهِ هَذَاكَ اللَّهُ إِنْ كَانَتْ عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ الْجَلِيَّةُ ، وَبِيَدِكَ فَصْلُ الْقَضِيَّةِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَكُتِبَ الْوَزِيرَ الْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيٌّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ حَزْمٍ ، عِنْدَ وَقُوفِهِ عَلَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ ، مَا نَصَّه :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْأَكْرَمِينَ ، وَأَزْوَاجِهِ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذُرِّيَّتِهِ الْفَاضِلِينَ الطَّيِّبِينَ .
أَمَّا بَعْدُ يَا أَخِي يَا أَبَا بَكْرٍ^١ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ سَلَامُ أَخٍ مَشُوقٍ طَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ الْأُمِّيَالُ وَالْفَرَاثِخُ ، وَكَثُرَتْ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي ، ثُمَّ لَقِيكَ^٢ فِي حَالِ سَفَرٍ وَنُقْلَةٍ ، وَوَادَّكَ فِي خِلَالِ جَوَاةٍ وَرَحْلَةٍ ، فَلَمْ يَقْضِ مِنْ مَجَاوِرَتِكَ أَرْبَابًا ، وَلَا بَلْغَ فِي

١ هو أبو بكر محمد بن إسحاق المهلب بن إسحاق الوزير ، من أهل الأدب والفضل (الجلد ٤٢)

وقد كان صديقاً لابن سزم يتنقلان معاً في أرجاء الأندلس ، واعتقلهما خيران معاً كذلك .

٢ ق م : لقيتك .

محاورتك مطلباً ، وإنّي لما احتللت بك ، وجالت يدي في مكنون كتبك ، ومضمون دواوينك ، لمحت عيني في تضاعيفها درجاً ، فتأملته ، فإذا فيه خطاب لبعض الكتّاب من مصاقبينا في الدار أهل إفريقية ، ثم ممّن ضمته حاضرة قُيُروَانهم ، إلى رجل أندلسي لم يعينه باسمه^١ ، ولا ذكره بنسبه ، يذكر له فيها أن علماء بلدنا بالأندلس — وإن كانوا على الذرّوة العليا من التمكن بأفانين العلوم ، وفي الغاية القصوى من التحكّم على وجوه المعارف — فإن همهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ، ومكارم ملوكهم ، ومحاسن فقهاءهم ، ومناقب قضاةهم ، ومفاخر كتّابهم ، وفضائل علمائهم ، ثم تعدّى ذلك إلى أن أخلّى أرباب العلوم منّا من أن يكون لهم تأليف يحيي ذكرهم ، ويُبقي علمهم ، بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه ، وحقّق ظنّه في ذلك ، واستدل على صحّته عند نفسه بأن شيئاً من هذه التّأليف لو كان منّا موجوداً لكان إليهم منقولاً ، وعندهم ظاهراً ، لقرب المزار ، وكثرة السّفار^٢ ، وتردّدِهِم إليهم ، وتكرّرهم علينا . ثمّ لما ضمّنا المجلس الحافل بأصناف الآداب ، والمشهد الأهل بأنواع العلوم ، والقصر المعمور بأنواع الفضائل ، والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيدة من دقيق المعاني وجليل المعالي ، قرّارة المجد وعجل السّودد ، ومحطّ رحال الحائفين ، وملّقى^٣ عصا التّسيار عند الرئيس الأجل الشّريف قديمه وحسيبه ، الرفيع حديثه ومكتسبه ، الذي أجله عن كل خطّة يشركه فيها من لا توازي قومته نومه ، ولا ينال حضّره هويّناه ، وأربأ به عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو إلى المكارم سموه ، ولا يدنو من المعالي دنوّه ، ولا يعلو في حميد

١ لعل ابن حزم يعني أنه لم يجد في الرسالة التي بعثها ابن الرّبيب اسم المرسل إليه ونسبته ، وقد صرح ابن بسام — كما ذكر المقرئ في التّفح — أن ابن الرّبيب خاطب أبا المغيرة ابن حزم ، وأن أبا المغيرة رد عليه برسالة أطال فيها القول وختم بذكر جملة من تواليف أهل الأندلس (الذخيرة

١ / ١ : ١١١ - ١١٦) .

٢ م : السّفرة .

٣ م : ومحط ؛ ب : ومحطى .

الخلال علوه ، بل أكتفي من مدحه باسمه المشهور ، وأجتري من الإطالة في
تقريظه بمتناه المذکور ، فحسبي بذینک العکمین دليلاً على سعيه المشكور ،
وفضله المشهور ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت^١ أطال
الله بقاءه ، وأدام اعتلاءه ، ولا عطل الحامدين من تحليهم بحلّاه ، ولا أخلى
الأيام من تزينها بعلاه ، فرأيت أعزه الله تعالى حريصاً على أن يجاب هذا
المخاطب ، وراعياً في أن يبين له ما لعله قد رآه فنسي أو بعد عنه فخفي ، فتناولت
الجواب المذكور بعد أن بلغني أن ذلك المخاطب قد مات ، رحمتنا الله تعالى وإياه ،
فلَمْ يكن لقصده بالجواب معنى ، وقد صارت المقابر له مَغْنًى ، فلسنا بمُسْمِعِينَ
مَنْ في القبور ، فصرفت عِنانَ الخطاب إليك ، إذ مِنْ قَبْلِكَ صرت إلى الكتاب
المجاوب عنه ، ومن لذلك وصلت إلى الرسالة المعارضة ، وفي وصول كتابي على
هذه الهيئة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من أخبار تأليف أهل بلدنا مثل ما غاب
عن هذا الباحث الأول ، والله الأمر من قبل ومن بعد ، وإن كنت في إخباري
إياك بما أرسمه في كتابي هذا كهده إلى البركان نار الحُبَاب ، وباني صُوِي في
مَهَيِّع القَصْد اللاحب ، فإنك وإن كنت المقصود والمواجه ، فإنما المراد من
أهل تلك الناحية مَنْ نأى عنه علم ما استجلبه السائل الماضي ، وما توفيقي إلا
بالله سبحانه .

فأما ماثر بلدنا فقد أَلَف في ذلك أحمد بن محمد الرازي التاريخي^٢ كتباً
جمّة : منها كتاب ضخّم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها ، وأمّهات مدنها
وأجنادها الستة ، وخواص كل بلد منها ، وما فيه ممّا ليس في غيره ، وهو

١ ذكر ابن الأبار في التكملة : ٣٨٨ أن ابن حزم كتب هذه الرسالة يطلب من أبي عبد الله محمد بن
عبد الله الفهري صاحب البونت ويلقب : « بمن الدولة » ٤ واليونت (Alpuente) من أعمال
بلنسية استقل فيها بنو قاسم الفهريون بعد الفتنة ، وأولهم عبد الله بن قاسم (- ٤٢١) وخلفه
يمن الدولة وبقي حاكماً حتى سنة ٤٣٤ (أعمال الأعلام : ٢٠٨) .

٢ ترجمة الرازي في الجذوة : ٩٦ وطبقات الزبيدي : ٣٢٧ .

كتاب مريح مليح ، وأنا أقول : لو لم يكن لأندلسنا إلا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بَشَّرَ به^١ ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الأسرة في الحديث الذي رَوَيْنَاهُ من طريق أبي حمزة أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَن خَالَته أم حرام بنت ملحان زوج أبي الوليد عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين حدثته به عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ أَخْبَرَهَا بِذَلِكَ^٢ ، لَكُنْفَى شَرْفًا بِذَلِكَ يَسْرُ عَاجِلُهُ ، وَيَغْبِطُ آجِلُهُ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَلَعَلَّ صَلَوَاتِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ الْحَدِيثِ أَهْلَ صَقْلِيَّةٍ وَإِقْرِيطَشَ ، وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى مَا ادَّعَيْتَهُ مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ حَتْمًا ؟ وَمِثْلُ هَذَا مِنَ التَّأْوِيلِ لَا يَتَسَاهَلُ فِيهِ ذُو وَرَعٍ دُونَ بَرَهَانَ وَاضِحٍ ، وَبَيَانٍ لَاحِظٍ ، لَا يَحْتَمِلُ التَّوْجِيهَ ، وَلَا يَقْبَلُ التَّجْرِيعَ ، فَالْجَوَابُ — وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ — أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَفَصَلَ الْخُطَابِ ، وَأُمِرَ بِالْبَيَانِ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ الْمُتَّصِلِ سَنَدَهُ بِالْعَدُولِ عَنِ الْعَدُولِ بِطَائِفَتَيْنِ مِنْ أُمَّتِهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ غَزَاةً وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ ، فَسَأَلْتُهُ أَمَ حَرَامٌ أَنْ يَدْعُو رَبَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا مِنْهُمْ ، فَأَخْبَرَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَبَرُهُ الْحَقُّ بِأَنَّهَا مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَهَذَا مِنْ أَعْلَامِ نُبُوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ إِخْبَارُهُ بِالشَّيْءِ قَبْلَ كَوْنِهِ ، وَصَحَّ الْبَرَهَانُ عَلَى رِسَالَتِهِ بِذَلِكَ ، وَكَانَتْ مِنَ الْغَزَاةِ إِلَى قَبْرِسَ ، وَخَرَّتْ عَنْ بَغْلَتِهَا هُنَاكَ ، فَتَوَفَّيْتُ ، رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، وَهِيَ أَوَّلُ غَزَاةٍ رَكَبَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ الْبَحْرَ ، فَثَبِتَ يَقِينًا أَنَّ الْغَزَاةَ إِلَى قَبْرِسَ هُمُ الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ بَشَّرَ بِهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ أَمَ حَرَامٌ مِنْهُمْ كَمَا أَخْبَرَ صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، وَلَا سَبِيلَ أَنْ يُظَنَّ بِهِ

١ م : إلا ما بشر به رسول الله . . . إلخ .

٢ صحيح مسلم ٢ : ١٠٤ ، وفيه أن رسول الله (ص) قام ثم استيقظ وهو يضحك ، فقالت له أم ملحان : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة . . . إلخ ، وأنه نام مرة أخرى ، وفعل كفعله الأول ، فلما قالت له أم ملحان : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : أنت من الأولين .

وقد أوتي ما أوتي من البلاغة والبيان أنه يذكر طائفتين قد سمي إحداهما أولى إلا والثالية لها ثانية ، فهذا من باب الإضافة وتركيب العدد ، وهذا يقتضي طبيعة صناعة المنطق ، إذ لا تكون الأولى أولى إلا لثانية ، ولا الثانية ثانية إلا لأولى ، فلا سبيل إلى ذكر ثالث إلا بعد ثان ضرورة ، وهو صلى الله عليه وسلم إنما ذكر طائفتين ، وبشّر بفتنتين ، وسمّى إحداهما الأولين ، فافتضى ذلك بالقضاء الصدق آخريين ، والآخر من الأول هو الثاني الذي أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خير القرون بعد قرنه : وأولى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه خير من كل قرن بعده ، ثم ركب البحر بعد ذلك أيام سليمان بن عبد الملك إلى القسطنطينية ، وكان الأمير بها في تلك السفن هُبيرة الفزاري ، وأما صقلية فإنّها فُتحت صدر أيام الأغلبة سنة ٢١٢ ، أيام قاد إليها السفن غازياً أسدُ بن الفرات القاضي صاحب أبي يوسف رحمه الله تعالى ، وبها مات ، وأما إقريطش فإنّها فُتحت بعد الثلاث والمائتين^١ ، افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ^٢ ، من أهل قرية بطروج من عمل فتحص البلوط المجاور لقرطبة من بلاد الأندلس ، وكان من فلّ الرّبّضيين ، وتداولها بنوه بعده إلى أن كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذي غنمها في أيامه أرماتوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠ ، وكان أكثر المفتحين لها أهل الأندلس .

١ في الجلوة : بعد الثلاثين والمائتين ؛ وفي ياقوت (إقريطش) : بعد سنة ٢٥٠ ، وذكر أبو سعيد ابن يونس أن شعيب بن عمر بن عيسى أبا عمر ، تولى فتح جزيرة إقريطش بعد سنة عشرين ومائتين ، وقال البلاذري (فتوح : ٢٧٩) إن أبا حفص عمر بن عيسى الأندلسي المعروف بالإقريطشي غزاه في خلافة المأمون وافتتح حصناً واحداً ونزله ثم لم يزل يفتح منها شيئاً بعد شيء ؛ ولعل هذا هو سبب الاختلاف في تاريخ فتحها .

٢ ترجمة عمر بن شعيب في الجلوة : ٢٨٢ نقلاً عن ابن حزم .

٣ افتتحها أرماتوس في منتصف المحرم ٣٥٠ فقتل ونهب وأخذ صاحبها عبد العزيز بن شعيب وبني عمه وأموالهم إلى القسطنطينية (ياقوت : إقريطش) .

وأما في قسم الأقاليم فإن قُرْطُبَةَ مَسْقَطَ رُؤُوسِنَا ، وَمَعَقَّ^١ تَمَائِمِنَا ، مع سُرٍّ من رأى في إقليم واحد ، فلنا من القهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا ، وإن كانت الأنوار لا تأتينا إلاّ مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور ، وذلك عند المحسنين للأحكام التي تدل عليها الكواكب ناقص من قُوَى دلائلها ، فلها من ذلك على كل حال حظ يفوق حظ أكثر البلاد ، بارتفاع أحد النّيرين بها تسعين درجة ، وذلك من أدلّة التمكن في العلوم والنفاذ فيها عند من ذكرنا ، وقد صدق ذلك الخبر ، وأبانت التجربة ، فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات وحفظ كثير من الفقه والبصّر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رَحْبِ الفِئَاءِ واسع العَطَنِ متناهي الأقطار فسيح المجال ، والذي نعاه علينا الكاتب المذكور لو كان كما ذكر لكنّا فيه شركاء لأكثر أمهات الحواضر وجلال البلاد ومُتَّسَعَاتِ الأعمال ، فهذه القيروان بلد المخاطب لنا ، ما أذكر أنّي رأيت في أخبارها تأليفاً غير « المغرب »^٢ عن أخبار المغرب « وحاشا تواليف محمد بن يوسف الوراق »^٣ ، فإنه ألف للمستنصر رحمه الله تعالى في مسالك إفريقية وممالكها ديواناً ضخماً ، وفي أخبار ملوكها وحرورهم والقائمين عليهم كتباً جمّة ، وكذلك ألف أيضاً في أخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة^٤ وغيرها تواليف حسناً ، ومحمد هذا أندلسي الأصل والفرع ، آباؤه من وادي الحِجَارَةِ ، ومَدَفَنَهُ بِقُرْطُبَةِ ، وهجرته إليها ، وإن كانت نشأته بالقيروان .

ولا بد من إقامة الدليل على ما أشرت إليه هاهنا إذ مرادنا أن نأتي منه

١ ب : ومعقد ؛ ومعق التمايم ، أي «وضع قطعها دلالة على تجاوز سن الطفولة .

٢ ق : المغرب .

٣ محمد بن يوسف أبو عبد الله التاريخي الوراق (الخطوة : ٩٠ وبنية الملتمس رقم : ٣٠٤ وفيها ما قاله ابن حزم) .

٤ يعني بصرة المغرب ، وكانت قريباً من مدينة أصيلا .

بالمطلب ، فيما يستأنف إن شاء الله تعالى ، وذلك أن جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقيين ، دون محاشاة أحد ، بل قد تيقنّا لإجماعهم على ذلك ، متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيلَ تركٍ لسكنائها إلى أن مات ، فإن ذكروا الكوفيّين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم صدّروا بعلي وابن مسعود وحذيفة رضي الله تعالى عنهم ، وإنّما سكن عليّ الكوفةَ خمسة أعوام وأشهرًا ، وقد بقي ٥٨ عامًا وأشهرًا بمكة والمدينة شرفهما الله تعالى . وكذلك أيضًا أكثر أعمار من ذكرنا ، وإن ذكروا البصريين بدأوا بعمّران بن حصّين وأنس بن مالك وهشام بن عامر وأبي بكرة ، وهؤلاء مواليدهم وعامة زمن أكثرهم وأكثر مقامهم بالحجاز وتامة والطائف ، وجمهرة أعمارهم خلّت هنالك ، وإن ذكروا الشاميين نوّها بعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية ، والأمر في هؤلاء كالأمر فيمن قبلهم ، وكذلك في المصريين عمّرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوي ، وفي المكيّين عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير ، والحكم في هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا ، فمنّ هاجر إلينا من سائر البلاد ، فنحن أحقّ به ، وهو منّا بحكم جميع أولي الأمر منّا الذين لإجماعهم فرض اتباعه ، وخلافه محرم اقترافه^١ ، ومن هاجر منّا إلى غيرنا فلا حظّ لنا فيه ، والمكان الذي اختاره أسعدُ به ، فكما لا نندع إسماعيلَ بن القاسم^٢ فكذلك لا ننازع في محمد بن هانيء سوانا^٣ ، والعدلُ أولى ما حُرِّص عليه ، والنصف أفضل ما دُعي إليه ، بعد التفصيل الذي ليس هذا موضعه ، وعلى ما ذكرنا من الأنصاف تراضى الكل .

١ م : اقترابه ؛ ق : اقترانه .

٢ يريد أبا علي القالي ، أي أنه يمدّه أندلسياً - حسب مقياسه - لأنه هاجر إلى الأندلس وأقام فيها حتى توفي .

٣ سوانا : سقطت من م .

وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة ، والمحلة التي سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف ، والتدقيق في تصريف العلوم ، ورقة الأخلاق والنباهة والذكاء وحدة الأفكار ونقد الخواطر ، وهذه البصرة وهي عين المعمور في كل ما ذكرنا ، وما أعلم في أخبار بغداد تأليفاً غير كتاب أحمد بن أبي طاهر^١ ، وأما سائر التواريخ التي ألفها أهلها فلم يخصصوا بلدتهم بها دون سائر البلاد ، ولا أعلم في أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة^٢ ، وكتاب لرجل من ولد الربيع ابن زياد المنسوب إلى أبي سفيان في خطط البصرة وقطائعها ، وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر كريزي النسب [في] صفاتها^٣ وذكر أسواقها ومحالها وشوارعها ، ولا أعلم في أخبار الكوفة غير كتاب عمر^٤ بن شبة ، وأما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والري^٥ والسند وأرمينية وأذربيجان وتلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا أعلم في شيء منها تأليفاً قصد به أخبار ملوك تلك النواحي ، وعلماؤها وشعرائها وأطبائها^٦ ، ولقد تأقت النفوس إلى أن يتصل بها تأليف في أخبار فقهاء بغداد ، وما علمناه علم ، على أنهم العلية الرؤساء ، والأكابر العظماء ، ولو كان في شيء من ذلك تأليف لكان الحكم في الأغلب أن يبلغنا كما بلغ سائر تأليفهم ، وكما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الأصبهاني في أخبار أصبهان^٧ ،

١ أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (- ٢٨٠) وكتابه المشار إليه « بغداد » بقيت منه قطعة نشرها هنسي كلر بالزنكوغراف (١٩٠٨) وأعيد طبعها بمصر (١٣٦٨ هـ) ؛ انظر ترجمته في معجم الأدباء ١ : ١٥٢ .

٢ هو كتاب « أخبار أهل البصرة » والمؤلفه ترجمة في معجم الأدباء ٦ : ٨١ ؛ والتهذيب ٧ : ٦٠ ؛ وبغية الوعاة : ٣٦١ ونور القيس : ٢٣١ .

٣ ب ق : وصفاتها .

٤ عمر : سقطت من ق .

٥ والري : زيادة من ق ب .

٦ كثرت المؤلفات في البلدان بعد ابن حزم ؛ انظر الإحاطة ١ : ٩٠ والإعلان : ١٢١ - ١٣٥ .

٧ انظر ترجمة حمزة الأصبهاني في تاريخ أصبهان ١ : ٣٠٠ وقد وصلنا من كتبه كتابه تواريخ =

وكتاب الموصلي^١ وغيره في أخبار مصر ، وكما بلغنا سائر تواليهم في أنحاء العلوم ، وقد بلغنا تأليف القاضي أبي العباس محمد بن عبدون القيرواني في الشروط^٢ ، واعتراضه على الشافعي رحمه الله تعالى ، وكذلك بلغنا رد القاضي أحمد بن طالب التميمي على أبي حنيفة^٣ وتشيعه على الشافعي ، وكتب ابن عبدوس^٤ ومحمد بن سحنون^٥ وغير ذلك من خواصل^٦ تأليفهم دون مشهورها .
وأما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر « أزهد الناس في عالم أهلهم » ، وقرأت في الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال : « لا يفقد النبي حرمة إلا في بلده » وقد تيقنا ذلك بما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من قریش - وهم أوفر الناس أحلاماً وأصحهم عقولاً وأشدهم ثبثاً ، مع ما خصوا به من سكناتهم أفضل البقاع ، وتغذيتهم بأكرم المياه - حتى خص الله تعالى الأوس والخزرج بالفضيلة التي أبانهم بها عن جميع الناس ، والله يؤتي فضله من يشاء ، ولا سيما أندلسنا فإنها خصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم ، واستقلالهم

= سي ملوك الأرض والأنبياء ، والدرة الفاخرة (مخطوط) وشرح ديوان أبي نواس ، أما كتابه في تاريخ بلده فلم يصلنا .

١ في م : الوصلي ، ولعلها أن تقرأ « المصري » إذ لا أعلم - بعد البحث - أن موصلياً ألف في تاريخ مصر وأخبارها ، ومن الكتب التي يرجح أن ابن حزم عرفها في تاريخ مصر كتاب (أو كتب) أبي عمر الكتني صاحب تاريخ الولاة والقضاة ، وتاريخ مصر لمحمد بن عبد الحكم (توفي ٢٦٨) .

٢ أبو العباس محمد بن عبدون بن أبي ثور ، كان قاضياً على القيروان نحو ثلاثين شهراً ، وعزله عنها إبراهيم بن الأغلب ؛ وكان حافظاً للمذهب أبي حنيفة موثقاً كاتباً للشروط والوثائق (علماء إفريقية : ٢٤١ ، ٣٠٧) .

٣ صوابه : عبد الله بن أحمد بن طالب ، قال فيه الخشني : وكان له نظر ومناظرة وكتب يرد فيها على الشافعي لا بأس بها (علماء إفريقية : ٢٥٧ ، ٢٩٧) .

٤ هنالك اثنان هما محمد وإسحاق ابنا إبراهيم بن عبدوس والأول منهما كان حافظاً للمذهب مالك ، وله على مذهبه كتاب اسمه « المجموعة » (توفي سنة ٢٥٨) . انظر علماء إفريقية : ١٨٢ .

٥ انظر علماء إفريقية : ٢٥٦ ، ٢٩٦ .

٦ في الأصول : خواصل .

كثيراً ما يأتي به ، واستهجانهم حسنة ، وتتبعهم سقطاته وعثراته ، وأكثر ذلك مدة حياته ، بأضعاف ما في سائر البلاد ، إن أجاد قالوا : سارق مغير ومنتحل مدع ، وإن توسط قالوا : غث بارد وضعيف ساقط ، وإن باكر الحيازة لقصب السبق قالوا : متى كان هذا ؟ ومتى تعلّم ؟ وفي أي زمان قرأ ؟ ولأمّه الهبّل ! وبعد ذلك إن ولجت به الأقدار أحد طريقين إما شفوفاً بئناً عليه على نظرائه أو سلوكاً في غير السبيل التي عهدوها فهناك حمي الوطيس على البائس ، وصار غرضاً للأقوال وهدفاً للمطالب ونصباً للتسبب إليه ونهباً للألسنة وعرضة للتطرق إلى عرضه ، وربما نُحل ما لم يُقَل وطُوق ما لم يتقلد وألحق به ما لم يقه به ولا اعتقده قلبه ، وبالحرى وهو السابق المبرز إن لم يتعلّق من السلطان بحظ أن يسلم من المتآلف وينجو من المخالف ، فإن تعرض لتأليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه ، وعظم سير خطبه واستشنع حين سقطه وذهبت محاسنه وسُرت فضائله وهُتف ونودي بما أغفل ، فتنكس لذلك همته وتكلّ نفسه وتبرد حميته ، وهكذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعراً ، أو يعمل رسالة ، فإنه لا يُقَلت من هذه الحبال ، ولا يتخلص من هذه النُصَب إلا الناهض الفاتح والمطفّف المستولي على الأمد .

وعلى ذلك فقد جُمع ما ظنّه الظان غير مجموع ، وألفت عندنا تأليف في غاية الحسن ، لنا خطر السبق في بعضها : فمنها كتاب « الهداية » لعيسى بن دينار^١ ، وهي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم ، وأجمعها للمعاني الفقهية على المذهب ، فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الجدار^٢ في الأفضية وكتاب النكاح والطلاق ، ومن الكتب المالكية التي

١ عيسى بن دينار بن واقد النافقي (الجلدوة : ٢٧٩ وبغية الملتنس رقم : ١١٤٤ وابن الفرضي

١ : ٣٧٣) . صاحب عبد الرحمن المتقي صاحب مالك وتفقه عليه وأصبح إماماً في الفقه على

مذهب مالك (توفي سنة ٢٠١٢) .

٢ موضع كلمة « الجدار » بياض في ب .

ألفت بالأندلس كتاب القطبي مالک بن علي^١ ، وهو رجل قرشي من بني فهر لقي أصحاب مالک وأصحاب أصحابه ، وهو كتاب حسن فيه غرائب ومستحسنات من الرسائل المولدات ، ومنها كتاب أبي إسحاق [يحيى بن]^٢ إبراهيم بن مزين في تفسير الموطأ والكتب^٣ المستقصية لمعاني الموطأ وتوصليل مقطوعاته من تأليف ابن مزين أيضاً ، وكتابه في رجال الموطأ وما للمالك عن كل واحد منهم من الآثار في موطأه .

وفي تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثنى فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله ، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره^٤ .

ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبته^٥ على أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيّف ، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام ، فهو مصنف ومُسند ، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله ، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه ، فإنه روى عن مائتي رجل وأربعة وثمانين رجلاً ليس فيهم عشرة ضعفاء ، وسائرهم أعلام مشاهير . ومنها مصنفه في فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم

١ هو مالک بن علي بن مالک بن عبد الملك بن قطن الفهري (ولذلك يقال له القطبي) وفي دوزي والأصول القصي (أبو خالد الزاهد ، له مختصر في الفقه على مذهب مالک ، وتوفي سنة ٢٦٨ ، انظر الجذوة : ٣٢٤ وبنية الملتبس رقم : ١٣٥٠ وابن الغرضي ٢ : ٣ .

٢ زيادة لازمة أدخلت بها الأصول ، وقد قال الحميدي (الجذوة : ١٤٨) إن إبراهيم بن مزين لم تكن له رواية ، أما ابنه يحيى فهو الذي يقصده ابن حزم هنا ، توفي سنة ٢٥٩ (انظر الجذوة : ٣٥٠ وبنية الملتبس رقم : ١٤٥٧ وابن الغرضي ٢ : ١٧٨) .

٣ كذا بصيغة الجمع ولعله يعني الأجزاء ، وذكر ابن الغرضي أن له كتاباً استقصى فيه علل الموطأ سماه « المستقصية » .

٤ انظر الجذوة : ١٦٧ (وهو ينقل كلام ابن حزم) والصلة : ١١٨ .

٥ م : ألفه ورتبه .

٦ الجذوة : فتاوى .

الذي أربى فيه على مصنف أبي بكر ابن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها وانتظم علماً عظيماً لم يقع في شيء من هذه ، فصارت تأليف هذا الإمام الفاضل قواعد للإسلام ، لا نظير لها ، وكان متخيراً لا يقلد أحداً ، وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه .

ومنها في أحكام القرآن كتاب ابن أمية^١ الحجاري ، وكان شافعي المذهب بصيراً بالكلام على اختياره ، وكتاب القاضي أبي الحكم منذر بن سعيد ، وكان داودي المذهب قوياً على الانتصار له ، وكلاهما في أحكام القرآن غاية ، ولمندر مصنفات منها كتاب « الإبانة عن حقائق أصول الديانة » .

ومنها في الحديث مصنف أبي محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف بن ناصح ، ومصنف محمد بن عبد الملك بن أيمن^٢ ، وهما مصنفان رفيضان احتويا من صحيح الحديث وغيره على ما ليس في كثير من المصنفات ، ولقاسم بن أصبغ هذا تأليف حسان جداً ، منها أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل^٣ وكلامه ، ومنها كتاب « المجتبى على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى » وهو خير منه وأتم حديثاً وأعلى سنداً وأكثر فائدة ، ومنها كتاب في فضائل قريش وكنانة^٤ ، وكتابه في النسخ والنسوخ ، وكتاب غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ . ومنها كتاب « التمهيد » لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبد البر ، وهو الآن بعد في الحياة^٥ لم يبلغ سن الشيخوخة ، وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً فكيف أحسن منه ، ومنها كتاب « الاستذكار » وهو اختصار التمهيد^٦ المذكور ، ولصاحبنا أبي عمر ابن عبد البر

١ الجذوة : ابن أمية (ص : ٢٨٠) .

٢ انظر الجذوة : ٦٣ .

٣ يعني إسماعيل بن إسحاق القاضي (الجذوة : ٣١١) وبقية النص عن قاسم بن أصبغ مثبت في الجذوة .

٤ وكنانة : لم تذكر في الجذوة .

٥ م : بقاء الحياة ، وقد توفي ابن عبد البر سنة ٤٦٣ (راجع الصلة : ٦٤٠ والجذوة : ٣٤٤) .

٦ م : التهذيب .

المذكور كتب^١ لا مثيل لها : منها كتابه المسمى بالكافي في الفقه على مذهب مالك وأصحابه خمسة عشر كتاباً^٢ اقتصر فيه على ما بالمفتي الحاجة إليه وبوبه وقرّبه فصار مغنياً عن التصنيفات الطوال في معناه ، ومنها كتابه في الصحابة ليس لأحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا في ذلك^٣ ، ومنها كتاب «الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو ابن العلاء ، والحجة لكل واحد منهما » ، ومنها كتاب « بهجة المجالس وأنس المجالس » ممّا يجري في المذاكرات من غرر الأبيات ونوادر الحكايات ، ومنها كتاب « جامع بيان العلم وفضله » ، وما ينبغي في روايته^٤ .

ومنها كتاب شيخنا القاضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي في المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال ، ولم يبلغ عبد الغني الحافظ البصري في ذلك إلا كتابين ، وبلغ أبو الوليد رحمه الله تعالى نحو الثلاثين لا أعلم مثله في فتنه البتة ، ومنها تاريخ أحمد بن سعيد^٥ ، ما وضع في الرجال أحد مثله. إلا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلي البغدادي ، ولم أره ، وأحمد بن سعيد هو المتقدم إلى التأليف القائم في ذلك ، ومنها كتب محمد بن [أحمد بن] يحيى بن مفرج القاضي ، وهي كثيرة منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصري ، وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهري .

وممّا يتعلق بذلك شرح الحديث لقاسم بن ثابت^٦ السرقسطي ، فما شأه

١ . الجلوة : ستة عشر جزءاً .

٢ . يعني كتاب « الاستيعاب » .

٣ . من كتب ابن عبد البر أيضاً الدور في اختصار المنازعي والسير ، والشواهد في إثبات خبر الواحد ، والبيان من تلاوة القرآن ، والمقل والمقلد ، وأخبار أئمة الأنصار ، والقصد والأمم ، وغيرها .

٤ . أحمد بن سعيد الصدي ألف في تاريخ الرجال كتاباً كبيراً جمع فيه جميع ما حصل عليه من أقوال في التعديل والتجريح ، توفي سنة ٣٥٠ (الجلوة : ١١٧ وابن الفرضي ١ : ٥٥) .

٥ . زيادة من الجلوة : ٣٨ .

٦ . في الأصول ودوزي : لعامر بن خلف ، وهو خطأ واضح ؛ ولقاسم كتاب « غريب الحديث » -

أبو عبيد إلاّ بتقدم العصر فقط .

ومنها في الفقه « الواضحة » والمالكيون لا تمنع بينهم في فضلها واستحسانهم إياها ، ومنها « المستخرجة من الأسعة » وهي المعروفة بـ « العتبية » ، ولها عند أهل إفريقية القدر العالي والطيران الحثيث ^١ ، والكتاب الذي جمعه أبو عمر أحمد ابن عبد الملك بن هشام الإشبيلي المعروف بابن المكوي ^٢ ، والقرشي أبو مروان المعيطي ^٣ في جمع أقاويل مالك كلّها على نحو الكتاب « الباهر » الذي جمع فيه القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن الجداد البصري أقاويل الشافعي كلّها ، ومنها كتاب « المنتخب » ^٤ الذي ألّفه القاضي محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة ، وما رأيت للمالكي قط كتاباً أنبل منه في جمع روايات المذهب وشرح مستغلقها وتفريع وجوهها ، وتآليف قاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق ، وكلّهما حسن في معناه ، وكان شافعي المذهب نظاراً جارياً في ميدان البغداديين ^٥ .

ومنها في اللغة الكتاب « البارع » ^٦ الذي ألّفه إسماعيل بن القاسم يحتوي على لغة العرب ، وكتابه في « المقصور والمدود والمهموز » لم يؤلف مثله في بابيه ، وكتاب « الأفعال » لمحمد بن عمر بن عبد العزيز ^٧ المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبيدين ^٨ فلم يوضع في فنّه مثله ، وكتاب جمعه أبو

١ - وقول ابن حزم فيه مذكور في الجذوة : ٣١٢ .

٢ - الواضحة لعبد الملك بن حبيب والعتبية لتلميذه العتبي (الجذوة : ٢٦٤ ، ٣٧) .

٣ - في الأصول : الكوي ، والتصويب عن الجذوة : ١٢٣ والصلة : ٢٨ ؛ (توفي سنة ٤٠١) .

٤ - المعيطي هو محمد بن عبيد الله القرشي ، وقد قال ابن يشكوال إنهما جمعا الكتاب للمستنصر أما الحميدي فذكر أنهما جمعا بأمر المنصور بن أبي عامر ، واسم الكتاب « الاستيعاب » .

٥ - انظر الجذوة : ٩١ وأورد قول ابن حزم .

٦ - قاسم بن محمد (توفي سنة ٢٧٨) وله كتاب « الإيضاح في الرد على المقلدين » - الجذوة : ٣١٠ .

٧ - بقيت من هذا الكتاب قطعة أخرجها فلتون (Fulton) بالزئكوغراف (لندن : ١٩٣٣) .

٨ - في الأصول : لمحمد بن عامر الغزي ؛ وكتابه « الأفعال » مطبوع مرتين ، إحداها بمصر .

٩ - ترجمة ابن طريف في الجذوة : ٣٨١ .

غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياتي^١ في اللغة لم يؤلف مثله اختصاراً وإكثاراً وثقة نقل ، وهو أظن^٢ في الحياة بعد . وههنا قصة لا ينبغي أن تخلو رسالتنا منها ، وهي أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرصي ، حدثني أن أبا الجيش مجاهد^٣ صاحب الجزائر ودانية وجّه إلى أبي غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور « ممّا ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد » فردّ الدنانير وأبى من ذلك ، ولم يفتح في هذا باباً البتة ، وقال : والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استعجرت الكذب ، لأنّي لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب ، فاعجب لمة هذا الرئيس وعلوّها ، واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها .

ومنها كتاب أحمد بن أبان بن سيد^٤ في اللغة المعروف بكتاب « العالم » نحو مائة سفر على الأجناس في غاية الإيعاب ، بدأ بالفلك وختم بالذرة ، وكتاب « النوادر »^٥ لأبي علي إسماعيل بن القاسم ، وهو مبارٍ لكتاب « الكامل » لأبي العباس المبرد ، ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً ، وكتاب « الفصوص »^٦ لصاعد بن الحسن الربيعي ، وهو جارٍ في مضمار الكتّابين المذكورين .

ومن الأنحاء تفسير الجُرّي^٦ لكتاب الكسائي ، حسن في معناه ، وكتاب

١ ترجم له الحميدي مرتين : ١٧٢ ، ٣٨٠ وأورد في الأول قصته مع أبي الجيش مجاهد بصدد كتابه في اللغة واسمه « تلقيح العين » .

٢ م : أظنه .

٣ ق : سعيد ؛ م : سيدة ؛ وترجمة ابن سيد في الجذوة : ١١٠ والصلة : ١٤ وكان صاحب الشرطة بقرطبة وتلمذ للقالبي ، توفي سنة ٣٨٢ ، وترجم له الحميدي مرة أخرى تحت « ابن سيد » (ص : ٣٨١) .

٤ هو المعروف بكتاب أمالي القالي .

٥ من هذا الكتاب مخطوطة جيدة بخرّانة القرويين بفاس .

٦ في الأصول : الحوفي والتصويب عن الجذوة : ٣٨٤ إذ ضبطه بالهيم المضمومة .

ابن سيده في ذلك المنبوز بـ «العالم والمتعلم» وشرح له لكتاب الأخفش^١ .
ومما ألف في الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء في «أخبار شعراء الأندلس»
كتاب حسن^٢ ، وكتاب «الحدائق» لأبي عمر أحمد بن فرج عارض به كتاب
الزهرة لأبي محمد ابن داود رحمه الله تعالى ، إلا أن أبا بكر إنما أدخل مائة باب
في كل باب مائة بيت ، وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت ليس منها
باب تكرر اسمه لأبي بكر ، ولم يورد فيه لغير أندلسي شيئاً ، وأحسن الاختيار
ما شاء وأجاد ، فبلغ الغاية ، وأتى الكتاب فرداً في معناه^٣ ، ومنها كتاب
«التشبيهات من أشعار أهل الأندلس» جمعه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي
الحسن الكاتب ، وهو حي بعد^٤ ، ومما يتعلق بذلك شرح أبي القاسم إبراهيم
ابن محمد بن الإفليلي لشعر المتنبي ، وهو حسن جداً^٥ .

ومن الأخبار تواريخ^٦ أحمد بن محمد بن موسى الرازي في أخبار ملوك
الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم ، وذلك كثير جداً ، وكتاب له في صفة
قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها ، على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار
بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها ، وتواريخ متفرقة رأيت
منها : أخبار عمر بن حفصون القائم برية ووقائع وسيره وحروبه ، وتاريخ
آخر في أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالخوف ، وفي أخبار بني

١ ذكر الحميدي كتابي «العالم والمتعلم» و «شرح كتاب الأخفش» لأبان بن سيد المتقدم الذكر ،
لا لابن سيده صاحب المختصر والمحكم .

٢ لم يصلنا هذا الكتاب ، ولكن ابن سعيد ينقل عنه في المغرب .

٣ أورد الحميدي (ص : ٩٧) نص كلام ابن حزم هذا في الحدائق ، وأكثر الحميدي وابن الأبار
في الحلية وابن سعيد في المغرب ، النقل من هذا الكتاب .

٤ ترجمة ابن أبي الحسن في الجلاوة : ٢٩٠ ، قال الحميدي : وعاش إلى أيام الفتنة .

٥ هذا الشرح موجود ولكنه لم ينشر بعد .

٦ م : تاريخ ؛ وهذا النص في الجلاوة : ٩٧ .

قسيّ والتّجيينين وبنّي الطويل بالثغر^١ ، فقد رأيت من ذلك كتباً مصنّفة في غاية الحسن ، وكتاب مجزأ في أجزاء كثيرة في أخبار ريّة وحصونها وحروبها وفقهاؤها وشعرائها تأليف إسحاق بن سلمة بن إسحاق القيني^٢ ، وكتاب محمد ابن الحارث الخشني في « أخبار القضاة بقرطبة^٣ وسائر الأندلس » ، وكتاب « في أخبار الفقهاء » بها ، وكتاب لأحمد بن محمد بن موسى في « أنساب مشاهير أهل الأندلس » في خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتاب في الأنساب وأوسعها ، وكتاب قاسم بن أصبغ في « الأنساب » في غاية الحسن والإيعاب والإيجاز ، وكتابه في « فضائل بني أمية » ، وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره وانتشر ذكره ، ومنها كتب مؤلفة في أصحاب المعامل والأجناد الستة بالأندلس ، ومنها كتب كثيرة جُمعت فيها أخبار شعراء الأندلس للمستنصر رحمه الله تعالى ، رأيت منها « أخبار شعراء البيرة » في نحو عشرة أجزاء ، ومنها كتاب « الطوالع » في أنساب أهل الأندلس ، ومنها كتاب « التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس » تأليف أبي مروان ابن حيّان نحو عشرة أسفار من أجل كتاب ألف في هذا المعنى^٤ ، وهو في الحياة بعد لم يتجاوز الاكتحال ، وكتاب « المآثر العامرية » لحسين بن عاصم في سير ابن أبي عامر وأخباره^٥ ، وكتاب الأقتشين^٦ محمد بن عاصم النحوي في

١ ورد طرف من أخبار هؤلاء النافرين في المقتبس وابن عذاري ، وانظر في أنسابهم كتاب الجوهرة :

٤٦٤ .

٢ في الأصول : الليثي ، والتصويب عن الجذوة : ١٥٩ ، ومعجم البلدان (رية) .

٣ كتاب « قضاة قرطبة » الخشني مطبوع مع « علماء إفريقية » له بمصر سنة ١٣٧٢ هـ عن نشرة ريبيرا (١٩١٤) .

٤ أبو مروان ابن حيّان كبير مؤرخي الأندلس وصاحب المقتبس والمتين وغيرهما (الصلة : ١٥٠ والخيرة ١ / ٢ : ٨٤ - ١١٤) وقد نشر من مقتبسه ثلاث قطع ، ويعتمد ابن بسام عليه في الأجزاء التاريخية من كتاب الخيرة .

٥ انظر الجذوة : ١٨١ .

٦ الأقتشين (Augustine) له ترجمة في الجذوة مرتين ٧٤ ، ٨٢ مرة باسم محمد بن عاصم ومرة باسم محمد بن موسى بن هاشم (وبغية الملتبس رقم : ٢٤٣ ، ٢٦٨) وطبقات الزبيدي : ٣٠٥ =

« طبقات الكتاب بالأندلس » ، وكتاب سكن بن سعيد في ذلك^١ ، وكتاب أحمد ابن فرج في « المترين والقائمين بالأندلس وأخبارهم » ، وكتاب « أخبار أطباء الأندلس » لسليمان بن جليجل^٢ .

وأما الطب فكتب الوزير يحيى بن إسحاق^٣ وهي كتب رفيعة حسان ، وكتب محمد بن الحسن المذحجي أستاذنا رحمه الله تعالى ، وهو المعروف بابن الكتاني^٤ ، وهي كتب رفيعة حسان ، وكتب التصريف لأبي القاسم خلف بن عياش^٥ الزهراوي ، وقد أدركناه وشاهدناه ، ولئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لنصُدّقن^٦ ، وكتب ابن الهيثم^٧ في الخواص والسموم والعقاقير من أجل الكتب وأنفعها .

وأما الفلسفة فلنّيت رأيت فيها رسائل مجموعة وعيوناً مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار دالة على تمكّنه من هذه الصناعة^٨ ، وأما رسائل أستاذنا أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة وتامة الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة .

.....
= (وكتب خطأ: الأفلقي) وابن الفرسي ٢ : ٣١ والقفطي ٣ : ٢١٦ ، وأكبر الظن أن هناك خطأ وقع بين «عاصم» و«هاشم» . ولم يذكر الزبيدي «محمد بن عاصم» في النحويين ، وهو أعرف بهم .
١ انظر ترجمة سكن بن سعيد في الجذوة : ٣١٩ والبنية رقم : ٨٣٤ .
٢ نشره الأستاذ فؤاد السيد (القاهرة : ١٩٥٥) مع مقدمة ضافية في التعريف بالكتاب ومؤلفه .
٣ ترجمته في ابن جليجل : ١٠٠ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٤٣ والجذوة : ٣٥١ والبنية رقم : ١٤٦٠ .
٤ ترجمته في ابن أبي أصيبعة ٢ : ٤٥ والجذوة : ٤٥ والبنية رقم : ٨١ وهو أيضاً صاحب كتاب التشبيهات ، وانظر هناك تحقيقنا لاسمه ومواضع ترجمته .
٥ في النسخ عياش ؛ وفي المصادر التي ترجمت له (ابن أبي أصيبعة ٢ : ٥٢ والجذوة : ١٩٥ والبنية رقم : ٧١٥) «عباس» ومن كتبه التصريف نسخ في برلين وباريس وولي الدين وغيرها (راجع بروكلمان) .

٦ هو عبد الرحمن بن إسحاق (ابن أبي أصيبعة ٢ : ٤٦) .
٧ سعيد بن فتحون السرقسطي : ترجمته في طبقات صاعد : ٦٨ والجذوة : ٢١٦ وبنية الملتبس رقم : ٨١٣ وبنية الوعاة : ٢٥٦ والذيل والتكملة ٤ : ٤٠ وانظر فهرست كتاب التشبيهات لابن الكتاني .

وأما العدد والهندسة فلم يُقسَمَ لنا في هذا العلم نفاذ ، ولا تحققنا به ، فلسنا نثق بأنفسنا في تمييز المحسن من المقصر في المؤلفين فيه من أهل بلدنا إلا أني سمعت من أثق بعقله ودينه من أهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول : إنه لم يؤلف في الأزياج مثل زيغ مسلمة^١ وزيج ابن السمع^٢ ، وهما من أهل بلدنا ، وكذلك كتاب المساحة المجهولة لأحمد بن نصر فما تقدم إلى مثله في معناه . وإنما ذكرنا التأليف المستحقة للذكر ، والتي تدخل تحت الأقسام السبعة^٣ التي لا يؤلف عاقل عالم إلا في أحدها ، وهي إما شيء لم يسبق إليه يخترعه ، أو شيء ناقص يتمه ، أو شيء مستغلق يشرحه ، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه ، أو شيء متفرق يجمعه ، أو شيء مختلط يرتبه ، أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يصلحه . وأما التواليف المقصورة عن مراتب غيرها فلم نلتفت إلى ذكرها ، وهي عندنا من تأليف أهل بلدنا أكثر من أن نحيط بعلمها .

وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ، ولا اختلفت فيها النحل ، فقلّ لذلك تصرفهم في هذا الباب ، فهي على كل حال غير عريّة عنه ، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال ، فنظر على أصوله ، ولهم فيه تواليف : منهم خليل بن إسحاق^٤ ، ويحيى بن السمينة^٥ ، والحاجب موسى بن حدير وأخوه الوزير صاحب المظالم أحمد^٦ ، وكان داعية إلى الاعتزال

-
- ١ يعني أبا القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (توفي ٣٩٨) ، وله تعديل زيغ البتاني . انظر ابن أبي أصيبعة ٢ : ٣٩ وطبقات صاعد : ٧٨ وتاريخ الحكماء : ٣٢٦ وملحق بروكلمان .
 - ٢ هو أصيبغ بن محمد بن السمع المهندس القرطبي ، ألف زيجاً حل أحد مذاهب الهند (وتوفي سنة ٤٢٦) ، انظر ابن أبي أصيبعة ٢ : ٣٩ وطبقات صاعد : ٧٩ وملحق بروكلمان .
 - ٣ قارن هذا بما ذكره ابن حزم في كتاب «التقريب لحد المنطق» ص : ١٠ .
 - ٤ لعل صوابه «خليل بن عبد الملك» وهو من أصحاب ابن مرة ، وعليه درس ابن السمينة (ابن الفرضي ١ : ١٦٥ والتكملة : ٣٠٩) .
 - ٥ يحيى بن السمينة توفي سنة ٣١٥ (انظر الجذوة : ٣١٦ والبيعية رقم : ١٣٢٠) .
 - ٦ راجع ترجمة موسى بن حدير في الجذوة : ٣١٦ والبيعية رقم : ١٣٢٠ ، وكان أخوه أحمد بن محمد صاحب الوزارة أيام عبد الرحمن الناصر .

لا يستتر بذلك . ولنا على مذهبتنا الذي تخيرناه من مذاهب أصحاب الحديث كتاب في هذا المعنى^١ ، وهو وإن كان صغير الحجم قليل عدد الورق يزيد على المائتين زيادة يسيرة فعظيم الفائدة لأننا أسقطنا فيه المشاغب كلها ، وأضربنا عن التطويل جملة ، واقتصرنا على البراهين المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة إلى شهادة الحسّ وبديهة العقل لها بالصحة . ولنا فيما تحققنا به تأليف جمّة ، منها ما قد تم ، ومنها ما شارف التمام ، ومنها ما قد مضى منه صدر ويعين الله تعالى على باقيه ، لم نقصد به قصد مباحاة فنذكرها ، ولا أردنا السمعة فتسميها ، والمراد بها ربنا جلّ وجهه ، وهو ولي العون فيها ، والمليّ بالمجازاة عليها ، وما كان لله تعالى فسيبدو ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وبلدنا هذا — على بعده من ينبوع العلم ، ونأيه من محلة العلماء — فقد ذكرنا من تأليف أهله ما إن طُلب مثلها بفارس والأهواز وديار مضر وديار ربيعة واليمن والشام أعوز وجود ذلك ، على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق التي هي دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف وأربابها .

ونحن إذا ذكرنا أبا الأجر جعونة بن الصمّة الكلابي^٢ في الشعر لم نباه به إلا جريراً والفرزدق ، لكونه في عصرهما ، ولو أنصف لاستشهد بشعره ، فهو جارٍ على مذهب الأوائل ، لا على طريقة المحدثين ، وإذا سمينا بقيّ بن مخلد لم نسابق به إلاّ محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وسليمان ابن الأشعث السجستاني وأحمد بن شعيب النسائي ، وإذا ذكرنا قاسم بن محمد^٣ لم نباه به إلا القفال ومحمد بن عقيل الفريابي ، وهو شريكهما في صحبة المزني أبي إبراهيم والتلمذة له ، وإذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار

١ أغلب الظن أنه يعني كتاب « المجل » وهو متن شرحه بالمحل .

٢ ترجمة أبي الأجر في الجذوة : ١٧٧ وبغية الملتبس رقم : ٦٢٦ والمغرب ١ : ١٣١ .

٣ قد مر ذكره ، وهذا النص عنه ثابت في الجذوة .

٤ في الأصول : بن .

بهما إلا أبا الحسن ابن الفليس والحلال والديباجي ورؤيم بن أحمد . وقد شاركهم عبد الله في أبي سليمان وصحبته ، وإذا أشرنا إلى محمد بن عمر بن لبابة وعمته محمد بن عيسى وفضل بن سلمة لم نناطح بهم إلا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس^١ ، وإذا صرحنا بذكر محمد بن يحيى الرباحي^٢ وأبي عبد الله محمد بن عاصم لم يقصرا عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد . ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن محمد بن دراج القسطلتي لما تأخر عن شأو بشار بن برد^٣ وحبيب والمتنبي ، فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب ، وأحمد بن عبد الملك بن مروان ، وأغلب بن شعيب ، ومحمد بن شخيص ، وأحمد بن فرج ، وعبد الملك بن سعيد المرادي^٤ ؛ وكل هؤلاء فعل يثاب جانيه ، وحصان ممسوح الغرة .

ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا ، وهو حي بعد لم يبلغ سن الاكتهال ، وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل^٥ ومحمد بن عبد الله بن مسرة^٦ في طريقه التي سلك فيها ، وإن كنا لا نرضى مذهبه ؛ في جماعة يكثر تعدادهم .

١ وإذا أشرنا : . . . عبدوس : ورد هذا النص في الجذوة : ٧١ وبنية الملتبس رقم : ٢٢٢ .
٢ الرباحي (نسبة إلى قلعة رباح) من كبار نحويي الأندلس قبل دخول القالي إليها ؛ انظر طبقات الزبيدي : ٣٣٥ وابن الفرضي : ٢ : ٧١ والجذوة : ٩١ وبنية الملتبس رقم : ٣١٢ والقفطي : ٣ : ٢٢٩ والوائي : ٢ : ٣٧٢ وبنية الوعاة : ١١٣ .
٣ بن برد : زيادة من ق .
٤ أحمد بن عبد الملك بن مروان (الجذوة : ١٢٣) وأغلب بن شعيب الجياني من شعراء عبد الرحمن الناصر (ص : ١٦٥) ومحمد بن شخيص (الجذوة : ٨٤ واليتيمة : ٢ : ٢٣ والمغرب : ١ : ٢٠٣ وصفحات متفرقة من المقتبس تحقيق حبي) ، وعبد الملك بن سعيد المرادي الخازن (الجذوة : ٢٦٦) .

٥ يريد : عمرو بن بحر الجاحظ وسهل بن هارون .
٦ في ابن مسرة ومذهبه كتاب مستوفي المستشرق آئين بلاسيوس وخلاصة عنه في تاريخ الفكر الأندلسي لبالشيا ، وانظر كتاب تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة : ٥٢ وما بعدها .

وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان ، ولم نتريد فيما رغب فيه إلا ما دعت الضرورة إلى ذكره لتعلقه بجوابه ، والحمد لله الموفق لعلمه ، والهادي إلى الشريعة المزلقة منه والموصلة ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلّم ، وشرف وكرم . انتهت الرسالة .
وكتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها « وإنما سكن على الكوفة خمسة أعوام وأشهرًا » ما نصّه : صوابه أربعة أعوام ، انتهى .

[٧ - تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم]

وقال ابن سعيد ، بعد ذكره هذه الرسالة ما صورته : رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد ابن حزم من مفاخر أهل الأندلس بما حضرني والله تعالى ولي الإعانة .

أما القرآن فمن أجل ما صنف في تفسيره كتاب « الهداية إلى بلوغ النهاية » في نحو عشرة أسفار ، صنفه الإمام العالم الزاهد أبو محمد مكّي بن أبي طالب القرطبي^١ ، وله كتاب « تفسير إعراب القرآن » ، وعدّ ابن غالب في كتاب « فرحة الأنفس » تأليف مكّي المذكور ، فبلغ بها ٧٧ تأليفاً ، وكانت وفاته سنة ٤٣٧ هـ ، ولأبي محمد ابن عطية الغرناطي في تفسير القرآن الكتاب الكبير الذي اشتهر وطار في الغرب والشرق ، وصاحبه من فضلاء المائة السادسة^٢ .
وأما القراءات فلمكّي المذكور فيها كتاب « التبصرة » ؛ وكتاب « التيسير »

١ ترجمته في الصلة : ٥٩٧ وغاية النهاية ٢ : ٣٠٧ ؛ اقرأ في جامع الزاهرة حتى انقضت دولة
العامريين فنقله المهدي إلى المسجد الجامع بقرطبة وأقرأ فيه مدة الفتنة إلى أن قلده أبو الحزم ابن
جهور الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع ؛ ومن الغريب أن ابن حزم أغفل ذكره مع أنه عاصره .
٢ توفي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي سنة ٥٤٢ هـ (انظر الصلة : ٣٦٧ والقتال : ٢٠٨
والمرقبة العليا : ١٠٩ والديباج : ١٧٤ والمغرب ٢ : ١١٧ ؛ والنفع ٢ : ٥٢٦) .

لأبي عمرو الداني^١ مشهور^٢ في أيدي الناس .
وأما الحديث فكان بعصرنا في المائة السابعة الإمام أبو الحسن عليّ بن القطان القرطبي الساكن بحضرة مراکش^٣ ، وله في تفسير غرائبه وفي رجاله مصنّفات ، وإليه كانت النهاية والإشارة في عصرنا ، وسمعت أنّه كان اشتغل بجمع أمهات كتب الحديث المشهورة ، وحذف المكرر ، وكتاب رزين بن عمّار الأندلسي^٤ في جمع ما يتضمّنه كتاب مسلم والبخاري والموطأ والسنن والنسائي والترمذي كتاب جليل مشهور في أيدي الناس بالمشرق والمغرب ، وكتاب « الأحكام » لأبي محمد عبد الحق الإشبيلي مشهور متداول القراءة ، وهي أحكام كبرى ، وأحكام صغرى ، قيل : ووسطى ، وكتاب « الجمع بين الصحيحين » للحميدي مشهور .
وأما الفقه فالكتاب المعتمد عليه الآن الذي ينطلق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالإسكندرية فكتاب « التهذيب » للبراذعي السرقسطي^٥ ، وكتاب « النهاية »^٥ لأبي الوليد ابن رشد كتاب جليل معتمد عليه عند المالكية ، وكذلك كتاب « المنتقى » للباجي .
وأما أصول الدين وأصول الفقه فللإمام أبي بكر ابن العربي الإشبيلي من

-
- ١ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني من شيوخ القراء وأبدهم شهرة ؛ انظر في أخباره وكتبه مقدمة المحكم بتحقيق الدكتور عزة حسن (دمشق ١٩٦٠) . والنسخ ٢ : ١٣٥ (رقم : ٧٦) .
 - ٢ ترجمة ابن القطان في التكملة رقم : ١٩٢٠ وصلة الصلة : ١٣١ (توفي سنة ٦٢٨) وقد استدرك على كتاب الأحكام الآتي ذكره لابن عبد الحق بكتاب سماه « الوهم والإيهام الواقعين على كتاب الأحكام » .
 - ٣ هو رزين بن معاوية بن عمار العبدي سرقسطي يكنى أبا الحسن ، توفي سنة ٥٢٤ وكان من علماء الحديث (الصلة : ١٨٤) .
 - ٤ البراذعي واسمه خلف بن أبي القاسم الأزدي ، قيرواني ارتحل إلى صقلية وألف فيها كتابه تهذيب المدونة (الديباج : ١١٢) وفرغ منه سنة ٣٧٢ هـ وليس البراذعي سرقسطياً ، ويبدو أنه نسب إلى سرقوسة بصقلية واضطرب الأمر في ذلك على ابن سعيد ؛ ومن التهذيب نسخة خطية بدار الكتب رقم : ٤٠٥ فقه مالكي ؛ وانظر كتابنا العرب في صقلية : ٩٧ - ٩٨ .
 - ٥ هو كتاب « نهاية المجتهد » (ابن أبي أصيبعة ٢ : ٧٧) .

ذلك ما منه كتاب «العواصم والقواصم» المشهور بأيدي الناس ، وله تأليف في غير هذا ، ولأبي الوليد ابن رشد في أصول الفقه ما منه «مختصر المستصفي» . وأما التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف «بالمئين» في نحو ستين مجلدة وإنما ذكر ابن حزم كتاب «المقتبس» وهو في عشر مجلدات ، والمئين يذكر فيه أخبار عصره ويعن فيها ممّا شاهده ، ومنه ينقل صاحب الذخيرة ، وقد ذيل عليه أبو الحجّاج البتّاسي أحد معاصرينا ، وهو الآن بإفريقية في حضرتها تونس عند سلطانها تحت إحسانه الغمر ، وكتاب المظفر بن الأفتس ملك بطليّوس المعروف «بالمظفري» نحو كتاب «المئين» في الكبر ، وفيه تاريخ على السنين ، وفنون آداب كثيرة ، وتاريخ ابن صاحب الصلاة في الدولة الامتونية^١ ، وذكر ابن غالب أن ابن الصيرفي الغرناطي له كتاب في «أخبار دولة لمتونة»^٢ ، وأن أبا الحسن السالمي له كتاب «في أخبار الفتنة الثانية بالأندلس»^٣ بدأ من سنة ٥٣٩ ، ورتبه على السنين وبلغ به سنة ٥٤٧ ، وأبو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب في «تاريخ أصحاب الأندلس» من فتحها إلى زمانه ، وأضاف إلى ذلك من أخبار قرطبة وغيرها ما جاء في خاطره ، وله كتاب «الصلاة» في تاريخ العلماء ، وللحميدي قبله «جذوة المقتبس» وقد ذيل كتاب الصلاة في عصرنا هذا أبو عبد الله ابن الأبار البلسنسي كاتب سلطان إفريقية . وذكر ابن غالب أن الفقيه أبا جعفر ابن عبد الحق الخزرجي القرطبي له كتاب كبير بدأ فيه من بدء

١ لابن صاحب الصلاة عبد الملك بن محمد الباجي كتاب في ثورة المريدين ، ولا أعرف له كتاباً في تاريخ الامتونيين ؛ وهو أيضاً صاحب كتاب «المن بالإمامة على المستضعفين» .

٢ يعد ابن الصيرفي حجة في تاريخ المرابطين ؛ وينقل عنه لسان الدين في أعمال الأعلام أخباراً عن دول الطوائف ليس فيها تحامل امرئ كان وثيق الصلة بالمرابطين ؛ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ١١٨ والتكملة : ٧٢٣ .

٣ سماء ابن عبد الملك (الذيل ٦ : الورقة ٣ من نسخة المتحف البريطاني) «في الفتنة الكائنة على الامتونيين بالأندلس سنة أربعين وما يليها» ؛ وله مختصر سماء «عبرة العبر وعجائب القدر في ذكر الفتن الأندلسية والعدوية بعد فساد الدولة المرابطية» .

الخليقة إلى أن انتهى في أخبار الأندلس إلى دولة عبد المؤمن ، قال : وفارقت سنة ٥٦٥ . وأبو محمد ابن حزم صاحب الرسالة المقدمة الذكر له كتب جمعة في التواريخ ، مثل كتاب «نقط العروس في تواريخ الخلفاء» وقد صنف أبو الوليد ابن زيدون كتاب «التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس» على مترع كتاب «التعين في خلفاء المشرق» للمسعودي . وللقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي كتاب «التعريف بأخبار علماء الأمم من العرب والعجم» وكتاب «جامع أخبار الأمم» . وأبو عُمَرَ ابن عبد البر له كتاب «القصص والأمم في معرفة أخبار العرب والعجم» . وعريب بن سعد القرطبي له كتاب «اختصار تاريخ الطبري» قد سعد باغتباط الناس به ، وأضاف إليه تاريخ إفريقية والأندلس ، ولأحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن [أبي] الفياض كتاب «العبر»^١ ، وكتاب أبي بكر الحسن بن محمد الزبيدي في «أخبار النحويين واللغويين بالمشرق والأندلس»^٢ ، وكتاب القاضي أبي الوليد ابن القزويني في «أخبار العلماء والشعراء» وما يتعلق بذلك ، وليحيى بن حكم الغزال تاريخ ألفه كله منظوماً^٣ ، كما صنع أيضاً بعده أبو طالب المتنبي من جزيرة شقُر في التاريخ الذي أورد منه صاحب الذخيرة ما أورد^٤ ، وكتاب «الذخيرة» لابن بسام في جزيرة الأندلس ليس هذا مكان الإطناب في تفصيلها وهي كاللذيل على حدائق ابن فرج ، وفي عصرها^٥ صنف الفتح كتاب «القلائد» وهو مملوء بلاغة ،

١ ب : تاريخ .

٢ ابن أبي الفياض أصله من إسجة وسكن المرية ، قال ابن بشكوال (الملة : ٦٣) له تأليف في الخبر والتاريخ ، ولكنه لم يسمه ، توفي سنة ٤٥٩ .

٣ هو الذي نشر إليه في هذه التعليقات باسم «طبقات الزبيدي» .

٤ انظر ترجمة الغزال في النسخ ٢ : ٢٥٤ (رقم : ١٦٥) .

٥ راجع الذخيرة ٢/١ : ٤٠٥ حيث تجد أرجوزة ابن عبد الجبار المتنبي .

٦ م : عصرنا .

والمحاكمة بين الكتابين ذكرت بمكان^١ آخر ، ولصاحب القلائد كتاب « المطمع » وهو ثلاث نسخ : كبرى ، ووسطى ، وصغرى ، يذكر فيها من الذين ذكرهم في القلائد ومن غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم ، وكتاب « سبط الجمان وسقط^٢ المرجان » لأبي عمرو ابن الإمام بعد الكتابين المذكورين ، ذكر من أختلا بتوقيته حقه من الفضلاء ، واستترك من أدركه بعصره في بقية المائة السادسة ، وذيل عليه - وإن كان ذيلًا قصيرًا - أبو بحر^٣ صفوان بن إدريس الرُّسِّي بكتاب « زاد المسافر » ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة ، وكتاب أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الحجاري المسمى بـ « المسهب في فضائل المغرب » صنفه بعد « اللخيرة » و « القلائد » من أول ما عمرت الأندلس إلى عصره ، وخرج فيه عن مقصد الكتابين إلى ذكر البلاد وخواصها مما يختص بعلم الجغرافيا ، وخلطه بالتاريخ وفنن الأدب على ما هو مذكور في غير هذا المكان ، ولم يصنف في الأندلس مثل كتابه ، ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعيد ، وذيل عليه ، ثم ذيل على ذلك ابنه أحمد وأحمد بن محمد ثم موسى بن محمد ثم علي بن موسى كاتب هذه النسخة ومكمل كتاب « فلك الأدب المحيط بحل لسان العرب » المحتوي على كتابي « المشرق في حل المشرق » و « المغرب في حل المغرب » ، فيكفي الأندلس في هذا الشأن تصنيف هذا الكتاب بين سنة أشخاص في ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ ، وقد احتوى على جميع ما يذكر به ويحاضر بحلاه من فنون الأدب المختارة على جهد الطاقة في شرق وغرب على النوع الذي هو مذكور في غير هذا الموضع ، ومن أغفل التنبيه على عصره ، وغير ذلك من المصنفين المتقدمي الذكر ، فيطلب الملتبس منهم في مكانه المنسوب إليه كابن

١ ق : في مكان .

٢ ب م : وسقط ؛ وعن هذا الكتاب ينقل ابن سعيد في المغرب .

٣ ق : أبو يحيى ؛ وهو خطأ .

بسام في شَنْتَرين ، والفتح في إشييلية ، وابن الإمام في إستيحة ، والحجاري في وادي الحجارة .

وأما ما جاء منشوراً من فنون الأدب فكتاب « سراج الأدب » لأبي عبد الله ابن أبي الخصال الشقوري رئيس كتاب الأندلس^١ ، صنّفه على منزع كتاب « النوادر » لأبي علي ، و « زهر الآداب » للحصري ؛ وكتاب « واجب الأدب » لوالدي موسى بن محمد بن سعيد ، واسمه يغني عن المراد به ؛ وكتاب « اللآلئ » لأبي عبيد البكري على كتاب « الأمل » لأبي علي البغدادي مفيد في الأدب ، وكذلك كتاب « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » لأبي محمد ابن السيد البطليوسي ، وأما شرح « سقط الزند » له فهو الغاية ، ويكفي ذكره عند أرباب هذا الشأن وثناؤهم عليه ، وشروح أبي الحجّاج الأعلم لشعر المتنبي والحماسة وغير ذلك مشهورة .

وأما النحو فلاهل الأندلس من الشروح على « الجمل »^٢ ما يطول ذكره ، فمنها شرح ابن خروف ، ومنها شرح الرندي ، ومنها شرح شيخنا أبي الحسن ابن عصفور الإشبيلي ، وإليه انتهت علوم النحو ، وعليه الإحالة الآن من المشرق والمغرب ، وقد أتيت له من إفريقية بكتاب « المقرب » في النحو فتلقني باليمن من كل جهة ، وطار بجناح الاغتباط ، ولشيخنا أبي علي الشلوين كتاب « التوطئة » على الجزولية وهو مشهور ، ولابن السيد وابن الطراوة والسّهيلي من التقييدات في النحو ما هو مشهور عند أصحاب هذا الشأن معتمد عليه ، ولأبي الحسن ابن خروف شرح مشهور على كتاب سيبويه .

وأما علم الجغرافيا فيكفي في ذلك كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري

١ راجع ترجمة أبي عبد الله ابن أبي الخصال في المطرب : ١٨٧ وبغية الملتبس رقم : ٢٨٢ وقلائد العقيان : ١٧٥ والصلة : ٥٥٧ وبغية الوعاة : ١٠٤ ورايات المبرزين : ٧٤ ، وله ذكر في المعجب والمغرب ومعجم شيوخ الصلّي وجذوة الاقتباس .

٢ انظر كشف الظنون : ٦٠٣ - ٦٠٤ ففيه ذكر لبعض شروح الجمل من تأليف الأندلسيين وغيرهم .

الأونبي وكتاب «معجم ما استعجم من البقاع والأماكن»، وفي كتاب «المسهب» للحجاري في هذا الشأن وتذييلنا عليه في هذا الكتاب الجامع ما جمع زبد^١ الأولين والآخرين في ذلك .

وأما الموسيقى فكتاب أبي بكر ابن باجة الغرناطي في ذلك فيه كفاية وهو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالمشرق، وإليه تُنسب الألحان المطربة بالأندلس التي عليها الاعتماد، وليحيى الخلدوج^٢ المرسي كتاب «الأغاني الأندلسية» على منزع الأغاني لأبي الفرج، وهو ممن أدرك المائة السابعة .

وأما الطب فالمشهور بأيدي الناس الآن في المغرب، وقد سار أيضاً في المشرق لنبله، كتاب «التيسير»^٣ لعبد الملك بن أبي العلاء ابن زُهر، وله كتاب «الأغذية»^٤ أيضاً مشهور مغتبط به في المغرب والشرق، ولأبي العباس ابن الرومية الإشبيلي^٥ من علماء عصرنا بهذا الشأن كتاب في الأدوية المفردة، وقد جمع أبو محمد المالقي^٦ الساكن الآن بقاهرة مصر كتاباً في هذا الشأن حشر عليه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الأدوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الإدريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم، وهو النهاية في مقصده .

وأما الفلسفة فإمامها في عصرنا أبو الوليد ابن رشد القرطبي، وله فيها تصانيف جَحَدَها لما رأى انحرافاً منصور بني عبد المؤمن عن هذا العلم،

١ م : زبدة .

٢ في الأصول : الخلدج : وقد ضبطه الرعي في برناجه : ١٦٤ وهو أبو زكرياء يحيى بن إبراهيم الأصبحي الحكيم ؛ قال : عرض علي كتابه الكبير الذي سماه الأغاني الأندلسية وقرأت عليه خطبته ومواضع منه وناولني جميع أسفاره .

٣ هو كتاب التيسير في مداواة والتدبير (ابن أبي أصيبعة ٢ : ٦٧) .

٤ ألف ابن زهر كتاب الأغذية للخليفة عبد المؤمن بن علي (المصدر السابق) .

٥ انظر ترجمة ابن الرومية في ابن أبي أصيبعة ٢ : ٨٧ والإحاطة ١ : ٨٨ (ط . السلفية) والنفع ٢ : ٥٩٦ (رقم : ٢٢١) ومزيداً من المصادر في الحاشية .

٦ يريد ابن البيطار صاحب كتاب المفردات وقد مرت ترجمته في المجلد ٢ : ٦٩١ (رقم : ٣٠٤) .

وسجنه بسببها ، وكذلك ابن حبيب^١ الذي قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم بإشييلية ، وهو علم ممقوت بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره ، فلذلك تخفى تصانيفه .

وأما التشجيم فلا بن زيد الأسقف القرطبي فيه تصانيف ، وكان مختصاً بالمستنصر بن الناصر المرواني ، وله ألف كتاب «تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان» وفيه من ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه ، وكان مطرف الإشبيلي في عصرنا قد اشتغل بالتصنيف في هذا الشأن ، إلا أن أهل بلده كانوا ينسبونه للزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشأن فكان لا يظهر شيئاً مما يصنّف .

[٨ - رسالة الشقندي في الدفاع عن الأندلس]

ثم قال ابن سعيد : أخبرني والذي قال : كنت يوماً في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى ابن أبي زكريا صهر ناصر بني عبد المؤمن ، فجرى بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحيى ابن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرين ، فقال الشقندي : لولا الأندلس لم يذكر بر العدو ، ولا سارت عنه فضيلة ، ولولا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم ، فقال الأمير أبو يحيى : أتريد أن تقول كون أهل برنا عرباً وأهل بركم^٢ بربر ؟ فقال : حاش لله ! فقال الأمير : والله ما أردت غير هذا ، فظهر في وجهه أنه أراد ذلك ، فقال ابن المعلم : أتقول هذا وما الملك والفضل إلا من بر العدو ؟ فقال الأمير : الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل بره ، فالكلام هنا يطول ويمر ضياعاً ، وأرجو إذا أخليتما له فكركما يصدر عنكما ما يحسن تخليده ، ففعلا ذلك :

١ هو ابن حبيب القصري (المغرب ١ : ٢٩٦) .

٢ م : بلدنا ... بلدكم .

فكانت رسالة الشّفتندي : الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بجزيرة الأندلس^١
أن يتكلّم ملء فيه ، ويطنب ما شاء فلا يجد من يعترض عليه ولا من يثنيه ،
إذ لا يقال للنهار : يا مظلم ، ولا لوجه النعيم : يا قبيح .

وقد وجدّت مكان القول ذا سعةٍ فإن وجدتَ لساناً قاتلاً فقلّ

أحمده على أن جعلني ممّن أنشأته ، وحباني بأن كنت ممّن أظهرته ،
فامتدّ في الفخر باعي ، وأعانني على الفضائل كرم طباعي ، وأصلّني على سيّدنا
محمد نبيّه الكريم ، وعلى آله وصحبه الأكرمين ، وأسلم تسليمًا .

أمّا بعد ؛ فلأنّه حرك مني ساكنًا ، وملأ مني فارغًا ، فخرجت عن سجيّتي في
الإغضاء ، مكرهاً إلى الحميّة والإباء ، منازعٌ في فضل الأندلس أراد أن يخرق
الإجماع ، ويأتي^٢ بما لا تقبله النواظر والأسماع ، إذ ممّن رأى ومن سمع
لا يجوز عنده^٣ ذلك ، ولا يُضله من تاه في تلك المسالك ، رام أن يفضل بر
العدوّة على بر الأندلس قرّام^٤ أن يفضل على اليمين اليسار ، ويقول : الليل
أضوأ من النهار ، فيا عجباً كيف قابِلَ العوالي بالزُّجاج ، وصادم الصّفاة^٥
بالزُّجاج ، فيا من نفخ في غير ضَرَم ، ورام صَيّدَ البُرّة بالرخم ، كيف
تتكرّر بما جعله الله قليلاً ، وتتنزّر بما حكم الله أن يكون ذليلاً؟ ما هذه المباهة
التي لا تجوز؟ وكيف تبدي أمام الفتاة العجوز؟ سلّ العيون إلى وجه ممّن تميل؟
واستخير الأسماع إلى حديث من تصغي^٦؟

١ ب : بر الأندلس .

٢ ب : ويتأق .

٣ م : له .

٤ م : رام .

٥ م : قابِل اللّالي . . . الصفاح ؛ ب : الصفة بالزجاج .

٦ البيت لربيعة الرقي . انظر الأغاني ١٦ : ١٨٩ وفيه هجاء ليزيد بن أسيد السلمي وكان جليلاً عند المنصور والمهدي ، وتفضيل ليزيد بن حاتم الأزدي .

لشَتَان ما بين اليزيديين في التندی يزیدِ سُلَيم والأغر* بن حاتم
 اقن حَياءك أيتها المغرد^١ بالنحيب ، المترين بالخلتق المنحبب^٢ إلى الغواني
 بالمشيب الخضيب ، أين عزب عقلك ؟ وكيف نكص على عقبه^٣ فهمك ولُبُّك ؟
 أبَلغت العصبية من قلبك ، أن تطمس على نورَي^٤ بصرك ولُبُّك ؟
 أما قولك « الملوك منّا » فقد كان الملوك منّا أيضاً ، وما نحن إلا كما قال
 الشاعر :

فيوم^٥ علينا ويوم^٥ لنا ويوم نساء ويوم نُسرّ

إن كان الآن كرسي^٥ جميع بلاد المغرب عندكم بخلافة بني عبد المؤمن ،
 أدامها الله تعالى ، فقد كان عندنا بخلافة القرشيين الذين يقول مشرقيهم :

وإتي من قوم كرام أعزة لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر
 خلائف في الإسلام في الشرك قادة بهم وإليهم فخر كل مفاخر

ويقول مغربيهم^٥ :

ألсна بني مروان كيف تبدلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر^٥
 إذا ولد المولود منّا تهللت له الأرض واهتزت إليه المنابر^٥

وقد نشأ في مدتهم من الفضلاء والشعراء ما اشتهر في الآفاق ، وصار أثبت
 في صحائف^٥ الأيام ، من الأطواق في أعناق الحمام :

١ ق : المفرد .

٢ م : على عقبه ، ب : على عقب .

٣ م : نور ، وسقطت اللفظة من ق هي والمباراة من قوله : أبَلغت . . . لبك .

٤ البيتان من شعر محمد بن عبد الملك حفيد عبد الرحمن الناصر (الحلقة ١ : ٢٠٩) قال ابن الأبار :
 وقد أنشد أبو منصور الثعالبي في اليتيمة من تأليفه هذا الشعر ونسبه إلى الحكم المستنصر بالله . . .

وهذا من أغلاط أبي منصور وأوهامه الفاحشة .

٥ ب ودوزي : على صحائف .

وسار مسير الشمس في كل بلدةٍ وهبَّ هبوبَ الريح في البر والبحر
ولم تزل ملوكهم في الاتساق كما قيل :

إن الخلافة فيكم لم تزل نسقاً كالعقد منظومة فيه فرائده
إلى أن حكم الله بنثر سلكهم ، وذهاب ملكهم ، فذهبوا وذهبت أخبارهم ،
ودرسوا ودرست آثارهم ^١ :

جمال ذى الأرض كانوا في الحياة وهم بعد المات جمال الكتب والسير
فكم مكرمة أنالوها ، وكم ^٢ عثرة أقالوها :

ولما المرء حديثٌ بعده ^٣ فكُنْ حديثاً حسناً لمن وعى

وكان من حسنات ملكهم المنصور بن أبي عامر ، وما أدراك ، الذي بلغ في
بلاد النصارى غازياً إلى البحر الأخضر ، ولم يترك أسيراً في بلادهم من المسلمين ،
ولم يبرح ^٤ في جيش الهرقل وعزمة الإسكندر ، ولما قضى نحبهُ كُتِبَ
على قبره ^٥ :

آثاره تُنبيك عن أوصافه حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمانُ بمثله أبداً ولا يحمي الثغور سواه

وقد قيل فيه من الأمداح ، وأُلف له من الكتب ، ما سمعت وعلمت ،
حتى قُصد من بغداد ، وعمَّ خبره وشره أقاصي ^٥ البلاد ، ولما ثار بعد انتشار

١ زاد في م : كما قيل .

٢ م : وكم من .

٣ م : ولم يزل .

٤ مر البيتان ، انظر النفح ج : ١ ص : ٣٩٨

٥ أقاصي : سقطت من م .

هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا في البلاد ، كان في تفرقهم اجتماع على
النعم لفضلاء العباد ، إذ تفتقروا سوق العلوم ، وتباروا في المثوبة على المنثور
والمنظوم ، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول : العالم الفلاني عند الملك الفلاني ،
والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني ، وليس منهم إلا من بذل وسعته في
المكارم ، ونبهت الأمداح من مآثره ما ليس طول الدهر بنائم ، وقد سمعت ما
كان من الفتيان العامرية مجاهد ومُنذر وخيران ، وسمعت عن الملوك العربية :
بنو عبّاد وبنو صُمادح وبنو الأفطس وبنو ذي النون وبنو هود ، كل منهم قد
خلّد فيه من الأمداح ، ما لو مدح به الليلُ لصار أضوا من الصباح ^١ ، ولم
تزل الشعراء تنهّدي بينهم تهادي التواسم بين الرياض ، وتفتك في أموالهم
فتكة البرّاض ، حتى إن أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم في أمداحه
أن حلف أن لا يمدح أحداً منهم بقصيدة إلا بمائة دينار ، وأن المعتضد بن عبّاد
على ما اشتهر من سطوته وإفراط هيبتة كلّفه أن يمدحه بقصيدة فأبى حتى
يعطيه ما شرّطه ^٢ في قسمه ، ومن أعظم ما يُحكى من المكارم التي لم نسمع لها
أختاً أن أبا غالب اللغوي ألف كتاباً ، فبذل له مجاهد العامري ملك دانية ألف
دينار ومركوباً وكسّى على أن يجعل الكتاب باسمه ، فلم يقبل ذلك أبو غالب ،
وقال : كتاب ألفته لينتفع به الناس ، وأخلّد فيه همّي ، أجعل في صدره
اسم غيري ، وأصرف الفخر له ، لا أفعل ذلك ، فلمّا بلغ هذا مجاهداً استحسن
أنفقته وهمته ، وأضعف له العطاء ، وقال : هو في حيل من أن يذكرني
فيه ، لا نصده عن غرضه ^٣ . وإن كان كل ملوك الأندلس المعروفين بملوك
الطوائف قد تنازعوا في ملاءة الحضّر ، فإنني أخص منهم بني عبّاد ، كما قال الله

١ م : النهار .

٢ م : شرط .

٣ مرث الحكاية في رسالة ابن حزم ؛ انظر ما تقدم ص : ١٧٢ .

٤ الصواب إسقاط « في » ، من قول الخنساء : يتنازعان ملاءة الحضّر .

تعالى ﴿ فِيهِمَا فَكِيهَةٌ وَنُخْلٌ وَرُْمَانٌ ﴾ (الرحمن : ٦٨) فإنَّ الأيام لم تزل بهم كأعياد ، وكان لهم من الخنو على الأدب ، ما لم يَقُمْ به بنو حمدان في حلب ، وكانوا هم وبنوهم ووزراؤهم صدوراً في بلاغتي النظم والنثر ، مشاركين في فنون العلم ، وآثارهم مذكورة ، وأخبارهم مشهورة ، وقد خلدوا من المكارم الثامّة ، ما هو متردّد في ألسن الخاصة والعامة ، وبالله إلاّ سميّت لي بمنّ تفخّرون قبل هذه الدعوة المهدية ، أبسّموت^١ الحاجب ؟ أم بصالح البرغواطي^٢ ؟ أم بيوسف بن تاشفين الذي لولا توسّط ابن عبّاد لشعراء الأندلس في مدحه ما أجزوا له ذكراً ، ولا رفعوا الملكة قدراً ؟ وبعدما ذكروه بوساطة المعتمد ابن عبّاد فإن المعتمد قال له ، وقد أنشدوه : أيعلم أمير المسلمين ما قالوه ؟ قال : لا أعلم ولكنهم يطلبون الخبز ، ولما انصرف عن المعتمد إلى حضرة ملكه كتب له المعتمد^٣ رسالة فيها :

بنم وبينّا فما ابتلّت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفّت مآقينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

فلما قرىء عليه هذان البيتان قال للقارئ :

يطلب منا^٤ جوارى سوداً وبيضاً ، قال : لا يا مولانا ، ما أراد إلاّ أن ليّله^٥ كان بقرب أمير المسلمين نهراً لأن ليالي السرور بيض ، فعاد نهاره ببعده ليلاً لأن أيام الحزن ليال سود ، فقال : والله جيّد ، اكتب له في جوابه : إن دموعنا

١ ب : أبسّمود ؛ ق ودوزي : أبسّموت ؛ وهو سقوط البرغواطي المتغلب على مدينة سبّنة ومنه أخذها يوسف بن تاشفين (انظر مفاخر البربر : ٥٤ وما بعدها) .

٢ هو صالح بن طريف الذي استحدث لبرغواطة مذهباً مستقلاً ، حوالي سنة ١٢٣ هـ . (انظر الاستبصار ١٩٨ - ٢٠٠ في بعض الأخبار عنه وعن مذهبه) . وفي م : البرغواطي .

٣ زاد في م : يتشوق .

٤ م : هو يطلب ؛ وسقطت « هو يطلب منا » في ب .

٥ م : يبعد أمير المسلمين .

تجري عليه ، ورؤوسنا توجعنا من بعده ، فليت العباس بن الأحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفاضل رقة الشوق :

ولا تُنْكِرَنَّ مهما رأيت مقدماً على حُمُرٍ بتغلاً فمَّ تناسبُ

فاسكتوا^١ فلولا هذه الدولة ، لما كان لكم على الناس صولة :

وإن الورد يُقطفُ من فتاد وإن النار تُقْبَسُ من رماد

وإِنَّكَ إن تعرضت للمفاضلة بالعلماء^٢ فأخبرني : هل لكم في الفقه مثل عبد الملك بن حبيب الذي يُعمل بأقواله إلى الآن ، ومثل أبي الوليد الباجي ، ومثل أبي بكر ابن العربي ، ومثل أبي الوليد ابن رشد الأكبر ، ومثل أبي الوليد ابن رشد الأصغر ؟ وهو ابن ابن الأكبر ، نجم الإسلام ، ومصاييح شريعة محمد عليه السلام ، وهل لكم في الحفظ مثل أبي محمد ابن حزم الذي زهد في الوزارة والمال ومال إلى رتبة العلم ، ورآها فوق كل رتبة ، وقال وقد أحرقت كتبه^٣ :

دعوني من إحراق رَقِّ وكاغيدٍ وقولوا بعلمٍ كي يرى الناس من يدري فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمَّنه القرطاس ، إذ هو في صديري

ومثل أبي عمر ابن عبد البر صاحب « الاستدكار » و « التمهيد » ومثل أبي بكر ابن الجدد حافظ الأندلس في هذه الدولة ، وهل لكم في حِفْظ اللِّغَةِ كابن سيده صاحب كتاب « المحكم » وكتاب « السماء والعالم » الذي إن أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته ، وهل لكم في النحو مثل أبي محمد ابن السَّيِّد وتصانيفه ؟ ومثل ابن الطراوة ، ومثل أبي علي الشلوبين الذي بين أظهرنا الآن ، وقد سار في المغارب والمشارق ذكره ، وهل لكم في علوم اللحن والفلسفة كابن باجة ،

١ م : فاسكتوا يا أهل العدة .

٢ ب : للعلماء .

٣ انظر ج ٢ : ٨٢ .

وهل لكم في علم النجوم والفلسفة والهندسة ملك كالمقتدر بن هُود صاحب سَرَقُسطَة ، فإنه كان في ذلك آية ؟ وهل لكم في الطب مثل ابن طُقَيْل صاحب رسالة « حي بن يقظان » المقدم في علم ^١ الفلسفة ، ومثل بني زُهر أبي العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه أبي بكر ثلاثة على نَسَق ؟ وهل لكم في علم التاريخ كابن حَيَّان صاحب « المتين » و « المقتبس » ؟ وهل عندكم في رؤساء علم الأدب مثل أبي عُمَرَ بن عبد ربّه صاحب « العقد » ؟ وهل لكم في الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء إقليمه والاجتهاد في حشد محاسنهم مثل ابن بَسَّام صاحب « الذخيرة » ؟ وهَبَّ أَنَّهُ كان يكون لكم مثله فما تصنع الكَيِّسَة في البيت الفارغ ؟ وهل لكم في بلاغة النثر كالفتح بن عُبَيْد الله الذي إن مدح رفع ، وإن ذمّ وضع ، وقد ظهر له من ذلك في كتاب « القلائد » ما هو أعدل شاهد ، ومثل ابن أبي الخصال في ترسيله ، ومثل أبي الحسن سَهْل بن مالك الذي بين أظهرنا الآن في خطبه ، وهل لكم في الشعر ملك مثل المعتمد بن عباد في قوله ^٢ :

وليل بسُدّ النهر أنساً قطعته بذات سيوارٍ مثل منعطف النهر
نصّت بُردها عن غصنٍ بانٍ منعم فيا حسن ما انشق الكمام عن الزهر
وقوله في أبيه ^٣ :

سَمَيْدَعٌ يهب الآلاف مبتدئاً وبعد ذلك يُلْفَى وهو يعتذرُ
له يدٌ كلُّ جبارٍ يقبلها لولا نداها لقلنا إنها الحجرُ

ومثل ابنه الراضي ^٥ في قوله :

-
- ١ ب : المتقدم ؛ م : في علوم .
٢ ديوانه : ١٢ والمقتطف ، الورقة : ٣١ وعنوان المرقصات : ٢٢ والقلائد : ٦ .
٣ ديوانه : ٣٧ - ٣٨ وعنوان المرقصات : ٢٢ والثاني في المقتطف : ٢٩ .
٤ ب : معتذر .
٥ م : الراضي بالله ؛ وانظر البيتين في الحلة ٢ : ٧١ .

مَرُّوا بنا أَصْلًا من غير ميعادِ فأوقدوا نار قلبي أيُّ إيقادِ
لا غرو أن زاد في وجدي مرورهم فرؤية الماء تذكّي غلّة الصادي

وهل لكم ملك ألف في فنون الآداب كتاباً في نحو مائة مجلّدة مثل المظفر
ابن الأنطس ملك بَطَلَيْوَس ولم تشغله الحروب ولا المملكة عن همّة الأدب ؟
وهل لكم من الوزراء مثل ابن عمار في قصيدته التي سارت أشرد من مثل ،
وأحب إلى الأسماع من لقاء حبيب وصل ؟ التي منها ١ :

أَثْمَرْتُ رُمَحَكَ من رؤوس ملوكهم لما رأيت الغُصن يُعَشِّقُ مُثْمِرَا
وصبغت دِرْعَكَ من دماء كُماهم لما رأيت الحسنَ يلبس أحمرَا
ومثل ابن زيدون في قصيدته التي لم يُقَلَّ مع طولها في النسيب أرقّ منها ،
وهي التي يقول فيها :

كأنّنا لم نَبَيْتُ والوصلُ ثالثنا والسعد قد غُض من أجفان واشينا
سرّان في خاطر الظلّماء يكتمننا حتّى يكاد لسان الصبح يُفْشينا

وهل لكم من الشعراء مثل ابن وهبُون في بديته بين يدي المعتمد بن عباد
وإصابته الغرض حين استحسّن المعتمد قول المتنبي :

إذا ظفرتُ منك المطيُّ بنظرة أتاب بها مُعَيِّي المطيِّ ورازمةُ
فارتجل :

لئن جاد شعرُ ابنِ الحسينِ فإنّما تُجيدُ العطايا واللّها تفتح اللّها
تنبأ عَجَبًا بالقريض ولو درى بأنك تروي شعره لتألّها

١ أورد المقرئ قصيدة ابن عمار ، في النفع ج : ١ ص : ٦٥٥ .

وهل لكم مثل شاعر الأندلس ابن درّاج الذي قال فيه الثعالبي^١ « هو بالصقع
الأندلسي كالمتنبي بصقع الشام » الذي إن مدح الملوك قال مثل قوله^٢ :

ألم تعلمي أنّ الثّواء هو التّوّى	وأنّ بيوتَ العاجِزينَ قبورُ
وأنّ خطيراتِ المهالكِ ضُمنَ	لراكبها أنّ الجزاءَ خطيرُ
تخوّفني طولَ السّفارِ وإنّه	بتقّيلِ كفّ العامريّ جدّيرُ ^٣
مجيرُ الهدى والدينِ من كلّ مُلحدٍ	وليس عليّه للضّلالِ مجيرُ
تلاقت عليّه من تميمٍ ويعربٍ	شموسٌ تلاقت في العلّا وبدورِ
همُ يَسْتَقِلّونَ الحَيَاةَ لراغبٍ	ويستصغرون الخطبَ وهو كبيرُ
ولمّا توافّوا للسلامِ ورُفِعَتْ	عن الشمسِ في أفقِ الشّروقِ لَستورُ
وقد قام من زُرّقِ الأسنةِ دونها	صفوفٌ ومن بيضِ السيوفِ سطورُ
رأوا ساعةَ الرحمنِ كيف اعترازاها	وآياتِ صُنْعِ الله كيف تُنيرُ
وكيف استوى بالبر والبحرِ مجلسُ	وقام بعبءِ الراسياتِ سريرُ
فجاءوا عجالاً والقلوبُ خوافقُ	وولّوا ببطاءِ والنواظرُ صُورُ
يقولون والإجلالُ يخرسُ ألسناً	وحازت عيونُ ملأها وصدورُ
لقد حاط أعلامَ الهدى بك حائطُ	وقدّرَ فيك المكرماتِ قديرُ

وأنا أقسم بما حازته هذه الأبيات ، من غرائب الآيات ، لو سمع هذا
المدح سيد بني حمّدان لسلا به عن مدح شاعره الذي ساد كل شاعر ، ورأى
أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفنن فيه كل ناظم ونائر .
وإنّ ذكر الغربة عن الأوطان ، ومكابدة نوائب الزمان ، قال^٤ :

١ م : الثعالبي في اليتيمة .

٢ ديوان ابن درّاج : ٢٩٨ .

٣ الديوان : لتقّيل كفّ العامريّ سفير .

٤ ديوان ابن درّاج : ١١٠ ، ١١٢ وانظر المغرب ٢ : ٦١ .

قالت وقد مزج الفراقُ مدامعاً بمدامع وتراثباً بترائب
أَتَفَرَّقُ حَتَّى يَمْتَزِلَ غَرِبةً كم نحنُ للأَيَّامِ نَهبةً ناهب
ولئن جُنِيتُ عَلَيْكَ تَرَحُّمَةً راحِلَ فأنا الزعيم لها بفرحة آيب
هل أَبْصَرْتَ عَيْنَكَ بَدْرًا طالِعاً في الأفقِ إلّا من هلال غارب

وإن شَبَّهَ قال ١ :

كعاقِلٍ من سوسنٍ قد شَيَّدَتْ أيدي الربيعِ بناءها فوق القُضْبِ
شُرُفَاتُهَا من فَضَّةٍ وَحُمَاتُهَا حول الأمير لهم سيوف من ذهب
وهل من شعرائكم مَنْ تَعَرَّضَ لذكر العَفَّةِ فاستَنْبَطَ ما يسحر به السحر ،
ويطيب به الزهر ، وهو أبو عمر ابن فرج في قوله ٢ :

وطائفة الوصالِ عَفَفَتْ عَنْهَا وما الشَّيْطَانُ فِيهَا بالمطاعِ
بَدَتْ فِي اللَّيْلِ سَافِرَةٌ فَبَاتَتْ دِياجِي اللَّيْلِ سَافِرَةٌ الْقَنَاقِ
وما من لحظةٍ إلّا وفيها إلى فتن القلوب لها دواعي
فمَلَأَتْ النُّهْيَ جَمَّسَاتٍ شَوْقِي لأَجْرِي فِي الْعَفَافِ عَلَى طَبَاعِي
وَبَتْ بِهَا مَبِيتِ السَّقْبِ ٣ يَظْمَا فيمنعه الكِيعَامُ من الرضاعِ
كذلكَ الرُّوضُ ما فِيهِ لِمَثْلِي سوى نَظَرٍ وَشَمٍّ من مَتَاعِ
ولستُ منَ السَّوَائِمِ مُهْمَلَاتِ فَاتَّخَذَ الرِّيَاضُ مِنَ الْمَرَاعِي

وهل بلغ أحد من مُشَبِّهِي شعرائكم أن يقول مثل قول أبي جعفر اللمائي ٤ :

١ ديوانه : ٣٦ .

٢ الأبيات لأبي عمر أحمد بن محمد بن فرج الجياني (الجلوة : ٩٧ - ٩٨ والمطبع : ٨٠ والمغرب :

٢ : ٥٦) .

٣ م : السقط .

٤ ترجمته في المطبع : ٢٥ ولم يورد البيتين ؛ والذخيرة ٢/١ : ١٣٢ ، وهما منسوبان لابن برد في الذخيرة ٢/١ : ٤٧ ، وأوردهما ابن سميد للمائي في عنوان المرقصات : ٢٢ .

عارض "أقبلَ في جُح الدُّجى" يتَّهادى كتهادي ذي الوجى
بدَّدتْ^١ ريحُ الصَّبَا لؤلؤهُ فأنبرى يوقدُ عنها سُرجاً
ومثل قول أبي حَفْص ابن بُرْد^٢ :

وكانَ الليلَ حينَ لوى ذاهباً^٣ والصبحُ قد لاحا
كِلَّةُ سوداءٍ أحرقتها عامدٌ أسرج مصباحا
. وهل منكم مَنْ وصف ما تحدّثه الحمرة من الحمرة على الوجنة بمثل قول
الشريف الطليق^٤ :

أصبحتُ شمساً وفوه مغرباً ويَدُ الساقى المحيّي مشرقاً
ولإذا ما غربتُ في فمه تركتُ في الخدِّ منه شفقاً
بمثل هذا الشعر^٥ فليطلق اللسان ، ويفخر^٦ كلُّ إنسان .
وهل منكم من عمد إلى قول امرئ القيس^٧ :

سَمَوْتُ إليها بعد ما نامَ أهلُها سُمُو حَبَابِ الماءِ حالاً على حالٍ
فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الأزهار ، واستلبه^٨ بلطف استلاب ثغر
الشمس لرُضاب طَلِّ الأسحار ، فلطفه تلطيفاً يمتزج بالأرواح ، ويفني في

١ اللخيرة : أتلفت .

٢ البيتان في اللخيرة ٢/١ : ٨ وعنوان المرقصات : ٢٢ .

٣ اللخيرة : هارباً .

٤ من قصيدة أورد أكثرها ابن بسام في اللخيرة ٢/١ : ٨١ - ٨٢ .

٥ ب : الشاعر .

٦ ب م : ويفخر على .

٧ هذا هو ما ذكره ابن شهيد نفسه (اللخيرة ١/١ : ٢٤٤ - ٢٤٥) .

٨ ق : وسلبه .

الارتياح عن شرب الراح ، وهو ابن شهيد في قوله ^١ :

ولما تَمَلَّأ من سكره ونام ونامت عيونُ الحرسِ
دنوت إليه على رِقْبَةٍ ^٢ دنوٌ رفيق درى ما التمسِ
أدبٌ إليه دبيب الكرى وأسمو إليه سموً النفسِ
أقبلُ منه بَيَاضُ الطُّلى وأرشفُ منه سواد اللعسِ
فبتُ به لَيْلَتِي ناعماً إلى أن تبسم ثغر الغلسِ

وقد تناول هذا المعنى ابن أبي ربيعة على عظم قدره وتقدمه فعارض الصَّهيل
بالتَّهاق ، وقابل العَذْبَ بالزُّعاق ، فقال وليته سكت :

ونفضت عني العين أقبلت مشية الـ حُبابٍ ورُكني خيفة القوم أوزرُ
وأنا أقسم ^٣ لو زار جملٌ محبوبه له لكان ألطف في الزيارة من هذا الأزور
الركن المنفض للعيون ، لكنَّه إن أساء هنا فقد أحسن في قوله ^٤ :

قالت لقد أعيينا حجةً فأت إذا ما هَجَعَ الساهر
واسقُطْ علينا كسقوط الندى ليلة لا ناهٍ ولا زاجر

ولله در محمد بن سَفَرٍ ^٥ أحد شعرائنا المتأخرين عصرًا ، المتقدمين قدرًا ،
حيث نقل السعي إلى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل هذا ، فبمثلته ينبغي أن
يتكلَّم ، ومثله يليق أن يدوَّن :

١ في قوله : سقطت من م .

٢ في الأصول : على قربه .

٣ م : أقسم أن .

٤ ينسب هذا الشعر لوضاح اليمن .

٥ أبو الحسين محمد بن سفر (أو صفر) شاعر المرية في عصره ؛ انظر المغرب ٢ : ٢١٢
والتحفة : ١٠١ والوافي ٣ : ١١٤ والنفع ج : ١ ص : ٤٧٦ ، وقد نسب المريني في النفع
وعنوان المرقصات وأغلب الظن أن صوابه « المريسي » نسبة إلى بلده المرية .

وواعدتها والشمس تجنح للنوى بزورها شمساً وبدر الدجى يسري
فجاءت كما يمشي سنا الصبح في الدجى وطوراً كما مرّ النسيم على النهر
فعطرت الآفاق حولي فأشعرت بمقدمها والعرف يشعير بالزهر
فتابعت بالتقيل آثار سعيها كما يتقصى قارئ أحرف السطر
فبت بها والليل قد نام والهوى تنبه بين الغصن والحيف والبدر
أعانقها طوراً وألثم تارة إلى أن دعّتنا للنوى راية الفجر
ففضت عقوداً للتعانق بيننا فيا ليلة القدر اتركي ساعة النفر

وهل منكم من قنيد بالإحسان فأطلق لسانه الشكر ، فقال وهو ابن اللبّانة ^١ :

بنفسي وأهلي جيرة ما استعنتهم على الدهر إلا وانثيتُ مُعانا
أراشوا جناحي ثم بكتوه بالتدى فلم أستطع من أرضهم طيراً أنا

ومن يقول وقد قطع عنه ممدوحه ما كان يعتاده منه من الإحسان ،
فقابل ذلك بقطع مدحه له ، فبلغه أنه عتبه على ذلك ، وهو ابن وصّاح ^٢ :

هل كنتُ إلا طائراً بشنائكم في دوح مجدكم أقوم وأقعد
إن تسلبوني ريشكم وتقلصوا عني ظلالكم فكيف أغرد

وهل منكم شاعر رأى الناس قد ضجّوا من سماع تشبيه الثغر بالآفاق ،
وتشبيه الزهر بالنجوم ، وتشبيه الخلود بالشقائق ، فتلطّف لذلك في أن يأتي
به في متزع يصير خلقه في الأسماع جديداً ، وكليله في الأفكار حديداً ،
فأغرب أحسن إغراب ، وأعرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل إعراب ، وهو
ابن الزقاق ^٣ :

١ البيتان في عنوان المرقصات : ٣٦ .

٢ عنوان المرقصات : ٣٨ .

٣ مقطوعات ابن الزقاق هذه في ديوانه : ١٢٤ ، ١٩٧ ، ١٢٥ وفيه التخرجات .

وأغْبَدَ طاف بالكؤوسِ ضُحَى وَحَثَّهَا والصباحُ قد وضحا
والروضُ أَهْدَى لَنَا شَقَائِقَهُ وَأَسَهُ العنبريُّ قد نفحا
قلنا : وأين الأَقاحُ ؟ قال لنا : أودعته ثغراً مَنْ سقى القدحا
فظلُّ ساقِي المِدامِ يمحِداً ما قال فلماً تبسّم افتضحاً

وقال :

أديرآها على الروضِ المندى وحكمُ الصبحِ في الظلّماءِ ماضي
وكأسُ الرّاحِ تَنْظُرُ عَنْ حَبَابِ يَنْوِبُ لَنَا عن الحدقِ المراضِ
وما غرِبَتْ نجومُ الأفقِ لكنْ نُقْلَنَ من السماءِ إلى الرّياضِ

وقال :

ورِياضٍ من الشقائقِ أَضْحَتْ يَتَهَادَى بها نسيمُ الرّياحِ
زُرْتِهَا والغمامُ يجلدُ منها زَهْرَاتِ تروقُ لونَ الرّاحِ
قلتُ : ما ذنبها ؟ فقال مجيباً : سَرَقَتْ حُمْرَةَ الخدودِ الملاحِ

فانظر كيف زاحم بهذا الاختيال المخترعين ؟ وكيف سابق بهذا اللفظ
المبتدعين ؟

وهل منكم من برع في أوصاف الرياض والمياه وما يتعلّق بذلك فأنتهى
إلى راية السباق ، وفضح كل من طمع بعده في اللحاق ، وهو أبو إسحاق ابن
خفاجة القائل ^١ :

وعشيَّ أنسٍ أَضْجَعَتْنَا نشوةً فيها يُمَهِّدُ مضجعي ويُدَمِّتُ
خَلَعَتْ عليَّ بها الأراكةُ ظلّها والغصنُ يُصْنِي والحمامُ يُحَدِّثُ

١ م : في قوله ؛ وأشار ابن خفاجة هذه في ديوانه : ٢٨٥ ، ٣٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٩١ ، ١٤٠ ،
١١٩ ، ٢٣٥ ، ١٢٣ .

والشمسُ تَجْنَحُ للغروبِ مريضةٌ والرعدُ يَرَقِي والغمامةُ تَنْفُثُ

والقائل :

للهِ نَهْرٌ سَالٌ فِي بطحاء	أشهى وروداً من لَمَى الحسناء
متعطِّفٌ مِثْلَ السَّوَارِ كأنه	والزهرُ يَكْنُفُهُ مَجَرُّ سماء
قد رَقَّ حَتَّى ظُنَّ قَرَصاً مفرغاً	من فضةٍ فِي بُرْدَةٍ خضراء
وغدتُ تحفٌ به الغصونُ كأنها	هَدَبٌ تحفٌ بِمِثْلَةِ زرقاء
ولطالما عايطتُ فِيهِ مُدامةٌ	صفراء تخضبُ أَيْدِي النَّدَامِ
والريحُ تُعَبِّثُ بالغصونِ وقد جرى	ذَهَبُ الأصيلِ على لَحينِ الماء

والقائل :

حَثَّ المدامةَ والتسيمُ عليلُ	والظلُّ خَفَّاقُ الرواقِ ظليلُ
والروضُ مهتَزُّ المعاطفِ نعمةٌ	نشوانٌ تعطفه الصَّبَا فيميلُ
رَيَّانٌ فَتَضُّضُهُ الندى ثُمَّ انجلى	عنه فَذَهَبَ صفحتيه أصيلُ

والقائل :

أَذِنَ الغمامُ بِديمَةٍ وعُقَارِ	فامزجَ لَحْيَتَنَا مِنْهُمَا بَنُضَارِ
وَارْبَعٌ عَلَى حُكْمِ الرِّبْعِ بِأَجْرَعِ	هَزَجِ النَّدَامَى مُقْصِحِ الأَطْيَارِ
مُنْقَسِمِ الأَلْحَاطِ بَيْنَ محاسنِ	من ردْفِ رَابِيَةٍ وَخَصَرِ قَرَارِ
نَثَرَتْ بِمَجَرِّ الرُّوضِ فِيهِ يَدُ الصَّبَا	دُرَرُ النَّدَى ودَراهمَ الأنوارِ
وهفتُ بِتَغْرِيدِ هنالك أَيْكَةٍ	خَفَّاقَةٍ بِمِهَبِّ رِيحِ عَرَّارِ
هَزَّتْ لَهُ أَعْطَافَهَا وَلَرَبَّمَا	خَلَعَتْ عَلَيْهِ مَلَأَةَ النُّوَارِ

١ م : الأنوار .

والقائل :

سَقِيًّا لَهَا مِنْ بَطَاحِ خَزِيٍّ وَدَوْحِ نَهْرٍ بِهَا مَطْلُ
إِذْ لَا تَرَى غَيْرَ وَجْهِ شَمْسٍ أَطْلُ فِيهِ عِذَارُ ظِلِّ

القائل :

نَهْرٌ كَمَا سَالَ اللَّحْيُ سِلْسَالُ وَصَبَاً بِلِيلٍ ذَيْلُهَا مَكْسَالُ
وَمَهَبٌ نَفْحَةُ رَوْضَةٍ مَطْلُولَةٍ فِي جَانِبَيْهَا لِلنَّسِيمِ مَجَالُ
غَازِلَتِهَا وَالْأَقْحَوَانَةُ مَبْسِمٌ وَالْأَسُّ صُدُغٌ وَالْبَنْفَسُ خَالُ

والقائل :

وَسَاقٍ كَحَيْلِ التَّحْظِ فِي شَأْوِ حُسْنِهِ جَمَاحٌ وَبِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ حِيرَانُ
تَرَى لِلصَّبَا نَاراً بِخَدَيْهِ لَمْ يَثُرْ لَهَا مِنْ سَوَادِي عَارِضِيهِ دَخَانُ
سَقَاهَا وَقَدْ لَاحَ الْهَلَالُ عَشِيَّةً كَمَا اعْوَجَّ فِي دَرَجِ الْكَمِي سَنَانُ
عُقَاراً نَمَاهَا الْكَرْمُ فَهِيَ كَرِيمَةٌ وَلَمْ تَزْنِ بَابِنِ الْمَزْنِ فَهِيَ حَصَانُ
وَقَدْ جَالَ مِنْ أَجَوْنِ الْغَمَامَةِ أَدْهَمُ لَهُ الْبَرْقُ سَوَاطِ وَالشَّمَالُ عَنَانُ
وَضَمَخَ رَدْعُ^٢ الشَّمْسِ نَحْرَ حَدِيقَةٍ عَلَيْهِ مِنَ الطَّلِّ السَّقِيطِ جُفَانُ
وَنَمَتْ بِأَسْرَارِ الرِّيَاضِ خَمِيلَةٌ لَهَا النُّورُ ثَغْرٌ وَالنَّسِيمُ لِسَانُ

والقائل في وصف فرس ولم يخرج عن طريقته :

وَأَشْقَرٍ تُضَرِّمُ مِنْهُ الْوَغَى بِشَعْلَةٍ مِنْ شُعَلِ الْبَاسِ
مِنْ جَلْتَنَارٍ نَاضِرٍ لَوْنُهُ وَأُذُنُهُ مِنْ وَرْقِ الْأَسِ
يَطْلُعُ لِلْغَرَّةِ فِي شَقْرَةٍ حَابَةِ تَضْحَكُ فِي كَاسِ

١ م : جال في .

٢ في الأصول : درع ؛ والردع : الخلاق .

وهل منكم من يقول مُنادماً لنديمه وقد باكر رَوْضاً بمحبوب وكأس ،
فألفاه قد غطى محاسنه ضباب ، فخاف أن يكسل نديمه عن الوصول إذا رأى
ذلك ، وهو أبو الحسن ابنُ بَسَّام^١ :

ألا بادرُ فما ثانٍ سوى ما عهدتَ الكأس والبدر التمام
ولا تكسلُ برؤيته ضباباً تغصُّ^٢ به الحديقة والمدام
فإنَّ الروضَ ملتئمٌ إلى أن نوافيهُ فينحطَّ اللثام .

وهل منكم منْ تَغزَّلَ في غلام حائك بمثل قول الرصافي^٣ :

قالوا وقد أكثروا في حبه عذلي لو لم تهمُ بمُدَّالِ القَدْرِ مبتدلٍ
فقلتُ : لو كانَ أمري في الصبابة لي لاخترتُ ذاكَ ، ولكن ليس ذلك لي
علَّقته حَبَبِي الثَّغْرِ عاطرهُ حُلُوَ اللمى ساحرَ الأجفانِ والمقلِّ
غَزِيلٌ لم تزلْ في الغَزَلِ جائلةً بنائهُ جَوْلانَ الفكرِ في الغَزَلِ
جدلانَ تلعبُ بالمخواكِ أنملهُ على السدى لعبَ الأيامِ بالأملِ
ضماً بكفيه أو فحصاً بأخمصه تحبُّطَ الظبيِ في أشراكِ محبِّلِ

ومثل قوله في تغلب مسكة الظلام على خلوق الأصيل^٤ :

وعشيَّ رائقٍ منظرهُ قد قطعناه على صرف الشمولِ
وكانَ الشمسَ في أثنائه ألصقت بالأرض خدّاً للزولِ
والصبا ترفعُ أذيالَ الربى ومُحياً الجو كالنَّهْرِ الصَّقيلِ
حبذا منزلُنا مغتبقاً حيثُ لا يطرُقنا غيرُ الهديلِ

١ الأبيات في عنوان المرقصات : ٣٦ .

٢ ب م : تغص .

٣ ديوان الرصافي : ١٢١ .

٤ ديوان الرصافي : ١٢٣ .

طائرٌ شادٍ وغصنٌ مننٌ والسجى تشربُ صهباءُ الأصيلِ
 وهل منكم من يقول في مَوْشَحٍ فيما يحره هذا المعنى :
 ورداءُ الأصيلِ تطويه كَفُّ الظلامِ
 وهو أبو قاسم ابن الفرس^١ .

وهل منكم من وصف غلاماً جميلاً الصورة راقصاً بمثل قول ابن خروف^٢ :

ومُنَزَعٌ^٣ الحركاتِ يلعبُ بالنُهي لبس المحاسنَ عند خلعِ لباسِه
 متأوداً كالغُصْنِ وسطَ رياضِه مُتَلَاعِباً كالظبي عِنْدَ كُناسِه
 بالعقل يلعب مَقْبِلاً أو مَدْبِراً كالدهر يلعبُ كيف شاء بِناسِه
 ويضمُّ للقدمين منه رأسَه كالسيفِ ضمَّ ذُبَابَه لِرئاسِه

وهل منكم من وصف خالاً بأحسن من قول النشار^٤ :

ألوّامي على كلّفي بيّحي متى مِينَ حُبّه أرجو سَرَاحا
 وبين الخلدِ والشفقين خالٌ كزُنْجِي أتى روضاً صَبّاحا
 تحيّرَ في جَنّاه فليس يلدي أيجي الوردَ أم يجني الأَقاحا

وهل منكم الذي اهتدى إلى معنى في لثم وردة الخلدِ ورَشَفَ رُضَابَ الثغر
 لم يهتد إليه أحد غيره ، وهو أبو الحسن سلام بن سلام المالقي^٥ في قوله :

١ ق ب : أبو القاسم ؛ والأرجح أن هذا البيت من موشحة له في المغرب ٢ : ١٢٢ .
 ٢ ابن خروف هذا هو علي بن محمد بن يوسف بن خروف القيسي الراحل إلى المشرق ؛ توفي بحلب
 حوالي سنة ٦٢٠ و ترجمته في الذيل والتكملة ٥ : ٣٩٦ ، ومصادر ترجمته في الحاشية ؛ وأبياته
 في الذيل وصلة الصلة : ١١٥ وانظر النفع ٢ : ٦٤٠ (رقم ٢٦٧) .
 ٣ كذا في أصول النفع ؛ وفي الذيل : ومنوع .
 ٤ أبو علي النشار بلنسي من شعراء زاد المسافر (ص : ٥٧) وأبياته هنالك .
 ٥ صاحب المقامات السبع وكتاب اللخائر والأعلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق (توفي ٥٤٤) . =

لَمَّا ظَفَرْتُ بِلَيْلَةٍ مِنْ وَصَلِهِ وَالصَّبُّ غَيْرُ الْوَصْلِ لَا يَشْفِيهِ
أَنْضَجْتُ وَرْدَةَ خَدِّهِ بِنَفْسِي وَطَفَقْتُ أَرْشَفُ مَاءَهَا مِنْ فِيهِ

وهل منكم مَنْ هجا من غير النطق بإقذاع فبلغ ما لم يبلغه المقذع ، وهو
المخزومي في قوله ^١ :

يودُّ عيسى نزولَ عيسى عساهُ من دائه يريحُ
وموضعُ الداء منه عُضْوٌ لا يرتضي مسَّهُ المسيحُ

ولمَّا أقذع أتى أيضاً بأبدع ، فقال :

يا فارسَ الخيل ولا فارسَ " إلا على متنِ جوادِ الحصى
زدتَ على موسى وآياته تُفَجِّرُ الماء وتُخْفِي العصا

وهل منكم من مدَّح بمعنى فبلغ به النهاية من المدح ، ثم نقله إلى الهجاء
فبلغ به النهاية من الذم ، وهو اليكبي ^٢ في قوله مادحاً :

قومٌ لهم شرفُ العلا في حِميرٍ وإذا ائتموا لمتونةً فهمُ هُمُ
لَمَّا حَوَّوْا أحرَّازَ كلِّ فضيلةٍ غلبَ الحياءُ عليهم فتلثموا

وفي قوله هاجباً :

إن المرباطَ باخلٌ بنواله لكنَّه بعياله يتكرمُ

= راجع ترجمته في المغرب ١ : ٣٤ ؛ والذيل والتكملة ٤ : ٤٨ وجعله ابن عبد الملك إشبيلياً ؛ وبيتاه
في المغرب .

١ هو المخزومي الأعمى الذي مرت قصته مع نزهون (النفح ١ : ١٩٠-١٩٣) ، انظر بيتيه الأولين
في زاد المسافر : ٧٥ .

٢ سناء ابن سعيد (المغرب ٢ : ٢٦٦) « ابن رومي عصرنا وحليته دهرنا » وبيتاه الأولان في
المغرب : ٢٦٨ .

الوجهُ منه مُخَلَّقٌ بِقِيحٍ ما يَأْتِيهِ فهو مِنَّ أَجَلِهِ يَتَلَمُّ

وهل منكم مَنْ هجا أَشْرَ العينِ بِمَثَلِ قولِ أَبِي العباسِ ابنِ حَنُونٍ^١ الإشبيلي :

يا طُلْعَةً أَبَدْتَ قَبَائِحَ جَمَّةٍ فالكلُّ منها إنْ نظرتَ قَبِيحُ
أَبْعَيْنَكَ الشَّرَاءَ عَيْنُ ثَرَّةٍ منها تَرَقَّرَقَ دَمْعُهَا المَسْفُوحُ
شُبِّرَتْ فَقَلْنَا : زورقُ في بِلْحَةٍ مالتْ بِإِحْدَى دَفْتِيهِ الرِّيحُ
وكانتْما لِإنسانِها مَلأَحَها قد خافَ من غرقٍ فَظَلَّ يَمِيحُ

وهل منكم مَنْ حَضَرَ مع عَدُوٍّ لَهُ جاحِدٍ لما فَعَلَهُ مَعَهُ مِنَ الخَيْرِ ، وأَمامِها
زِجاجةٌ سَوَداءُ فيها خَمْرٌ ، فَقَالَ لَهُ الحُسودُ المَذْكُورُ : إنْ كُنْتَ شاعِراً فَقُلْ في
هَذِهِ ، فَقَالَ ارْتِجَالاً^٢ ، وَهُوَ ابنُ مُجَبَّرٍ^٣ :

سَأشْكُو إلى النَّدَمَانِ أَمَرَ زِجاجةٍ تَرَدَّتْ بِثُوبٍ حَالِكِ اللونِ أَسْحَمِ
نَصَبُ بِها شَمْسُ المُدَّامَةِ بَيْنَنا فَتَغَرَّبُ في جَنحٍ مِنَ اللَّيْلِ مَظْلَمِ
وَتَجْجَحِدُ أَنْوارَ الحُمَيَّا بِلونها كَقَلْبِ حُسودٍ جاحِدٍ يَدَّ مَنعَمِ

وهل منكم من قال لفاضل جمع بينه وبين فاضل ، وهو أبو جعفر الذهبي^٣ :

١ أبو العباس أحمد بن حنون (عنوان المرقعات : حيون) الإشبيلي ، أمله من لُغْنِياء إشبيلية اتهم
بالقيام على الموحدين ، ثم عفي عنه في مدة منصور بن عبد المؤمن (راجع ترجمته في المغرب ١ :
٢٤٤ وزاد المسافر : ٥٠ وشعره فيهما وفي عنوان المرقعات : ٤٤) .

٢ يحيى بن مجبر أبو بكر من بلش (Velez Malaga) ، توفي سنة ٥٨٨ هـ بمراكش ؛ ترجمته في زاد
المسافر : ٩ وبغية الملتبس رقم : ١٤٩٣ وله شعر كثير سيرد في النسخ ؛ وفي شرح المقصورة
والجزء الثالث من البيان المغرب .

٣ هو أبو جعفر أحمد بن عتيق بن جرج المعروف بابن الذهبي من أعيان بلنسية غلبت عليه الفلسفة ،
وهو من أصحاب ابن رشد ، إلا أنه اختفى حين طلب استأذنه إلى أن صدر الموقعة (انظر المغرب
٢ : ٣٢١ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٨١ والديباج : ٦٩ وبغية الوعاة : ١٤٤ والفصول الياضة : ٣٦
والتكملة : ٩٥ وأبياته في المغرب) .

أيتها الفاضلُ الذي قد هُداني نحوَ من قد حمدتهُ باختيارٍ
شكر الله ما أتيتَ وِجازاً لك ولا زلتَ نجمَ هدى لساري
أيُّ بَرَقِ أفادَ أيُّ غمامٍ وصباح أدى لضوء نهارٍ
وإذا ما غدا النسيمُ دليلاً لم يحلني إلا على الأزارِ
وهل منكم أعمى قال في ذهاب بَصَره وسواد شَعْره ، وهو التَّطِيلُ^١ :

أما اشتَقَّتْ مِنِّي الأيامُ في وطني حتى تضايق فيما عن من وطري
ولا قَصَصْتُ من سواد العين حاجتها حتى تكرَّ على ما طلَّ في الشَّعْرِ
وهل منكم الذي طار في مشارق الأرض ومغاربها قوله^٢ ، وهو أبو القاسم
محمد بن هانيء الإلبيري :

فتقت لكم ريح الجلالِ بغيرِ وأمدكم فلق الصَّباحِ المسفرِ
وجنيتُم ثَمَرَ الوقائعِ يانعاً بالنصرِ من ورق الحديد الأخضرِ
وقد سمعت فائتته في النجوم ، ولولا طولها لأنشدتها هنا ، فإنَّها أحسن ما قيل
في معناها .

وهل منكم من قال في الزهد مثل قول أبي وهب العبَّاسي القرطبي^٣ :

أنا في حالي التي قد تَراني إن تأملتَ أحسنُ الناسِ حالاً
متري حيثُ شئتُ من مستقرِّ الـ أرضٍ أسقى من المياه زلالاً
ليس لي كسوةٌ أخافُ عليها من مغيرٍ ولا ترى لي مالا
أجعلُ الساعدَ اليمينَ وسادي ثمَّ أني إذا انقلبْتُ الشمالاً

١ ديوان التطيل : ٤٩ .
٢ له ترجمة مسبوقة في المغرب ١ : ٥٨ وأبياته مثبتة هناك .

لَيْسَ لِي وَالِدٌ وَلَا لِي مَوْلُو دٌ وَلَا حَزْتُ مَذَّ عَقَلْتُ عِيَالَا
قَدْ تَلَذَّذْتُ حَقْبَةً^١ بِأُمُورٍ فَتَأَمَّلْتُهَا^٢ فَكَانَتْ خِيَالَا
ومثل قول أبي محمد عبد الله بن العسال الطليطلي^٣ :

انظر الدنيا فإن أبداً صررتها شيئاً يدومُ
فاغدُ منها في أمانٍ إن يساعذك النعيمُ
وإذا أبصرتها منذُ لك على كره تهيمُ
فاسلُ عنها واطرحها وارحلُ حيثُ تقيمُ

وهل نشأ عندكم من النساء مثل ولادة المروانية^٤ التي تقول مُداعبة للوزير
ابن زيدون ، وكان له غلام اسمه « علي » :

ما لابن زَيْدُون على فَضْلِهِ يَغْتَابُنِي ظُلْمًا وَلَا ذَنْبَ لِي
يَنْظُرُنِي شَرًّا إِذَا جِئْتَهُ كَأَنَّمَا جِئْتُ لِأَخْصِي عَلِي

ومثل زينب بنت زياد المؤدب الوادي آشية التي تقول :

ولمَّا أبى الواشونَ إلَّا فراقَنَا وما لهمُ عندي وعندك من ثَارِ
وَشَنُّوا عَلَى أَسْمَاعِنَا كُلِّ غَارَةٍ وَقَلَّ حُمَاتِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْصَارِي
غَزَوْتُهُمْ مِنْ مَقْلَتِكَ وَأَدْمَعِي وَمِنْ نَفْسِي بِالسَّيْفِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ

وأنا أختم هذه القطع المتخيرة بقول أبي بكر ابن بقي ليكون الختام مسكاً^٥ :

١ م : خيفة .

٢ المغرب : فتدبرتها .

٣ م : أبي عبد الله محمد ؛ وراجع ترجمة ابن العسال في المغرب ٢ : ٢١ والهاشية .

٤ سنائي تراجم لأدبيات الأندلس في النفع وسيجري التعريف بهن وبمصادر ترجمتهن هناك .

٥ اشتهرت هذه الأبيات عند المشاركة ، فعارضوها ووردت في عدة مصادر ؛ انظر المغرب ٢ : ٢١ .

ومعجم الأدباء ١٩ : ٢١ .

عاطيته والليل يسحبُ ذيله صهباء كالملك الفتيق لناشِقِ
 وضممته ضمَّ الكميَّ لسيفه وذؤابتاه حمائلٌ في عاتقي
 حتى إذا مالت به سِنَّةُ الكرى زحزحته شيئاً وكان مُعانيقي
 باعدته^١ عن أضلعِ تشنقه كيلاً ينامَ على وِسادِ خافِقِ

ويقول القاضي أبي حفص ابن عمر القرطبي^٢ :

هَمُّ نَظَرُوا لَوَاحِظَهَا فَهَامُوا وَتَشَرَّبُ لُبًّا شَارِبَهَا الْمَدَامُ
 يَخَافُ النَّاسُ مُقْلَتَهَا سِوَاهَا أَيْذَعِرُ قَلْبَ حَامِلِهِ الْحَسَامُ
 سَمَا طَرَفِي إِلَيْهَا وَهَوَّ بَاكَ وَتَحْتَ الشَّمْسِ يَنْسَكِبُ الْغَمَامُ
 وَأَذْكَرُ قَدَّهَا فَأَنْوَحُ وَجَدًّا عَلَى الْأَغْصَانِ تَتَنَدَّبُ الْحَمَامُ
 وَأَعْقَبَ بَيْنُهَا فِي الصَّدْرِ غَمًّا إِذَا غَرِبَتْ ذُكَاةُ أَتَى الظَّلَامُ

ويقوله أيضاً :

لَهَا رِدْفٌ تَعَلَّقَ فِي لَطِيفٍ وَذَاكَ الرَّدْفُ لِي وَلَهَا ظَلُومُ
 يُعَدِّتُنِي إِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ وَيُتَعَبِّهَا إِذَا رَامَتْ تَقُومُ

وقد أطلت عِنانَ النظم^٣ ، على أُنثى اكتفيتُ عن الاستدلال على النهار
 بالصباح ، فبالله إلا ما أخبرني^٤ : مَنْ شاعركم الذي تقابلون به شاعراً ممّن
 ذكرت ؟ لا أعرف لكم أشهر ذكراً ، وأضخم شعراً ، من أبي العباس الجراوي ،

١ ب : أبعدته .

٢ هو القاضي الأديب أبو حفص عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر السلمي ، كان
 من أهل الفتيّا بمدينة فاس ثم ترقى إلى الخطابة والقضاء ، ولاء المنصور الموحدي قضاء إشبيلية ومات
 بها وهو قاض سنة ٦٠٣ (انظر الفصول الياضة : ٩١ وصلة الصلة : ٧٢ وزاد المسافر : ١٠١ ؛
 والقطعتان في الفصول والثانية في زاد المسافر ؛ وفي الشريشي ١ : ١٥٨) .

٣ م : عنان القلم في النظم .

٤ ق : أخبرني .

وأولى لكم أن تجحدوا فخره ، وتنسوا ذكره ، فقد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم في قوله من قصيدة يمدح بها خليفة :

إذا كان أملاكُ الزمان أراقماً فإنك فيهم دائم الدهر ثعبانٌ .

فما أقبح ما وقع « ثعبان » وما أضعف ما جاء « دائم الدهر » ، ولقد أنشدت أحدَ ظرفاء الأندلس هذا البيت ، فقال : لا يُنكَر هذا على مثل الجراوي ، فسبحان من جعل نسبة وروحه وشعره تتناسب في الثقاله^١ .

وإن أردت الافتخار بالفرسان ، والتفاضل بالشجعان ، فمن كان قبلنا منهم في مدة المنصور بن أبي عامر ومدة ملوك الطوائف أخبارُهُم مشهورة^٢ ، وآثارهم مذكورة ، وكفاك من أبطال عصرنا ما سمعت عن الأمير أبي عبد الله ابن مرَدَيش وأنه كان يدفع في المواكب ويشقها يمينا ويسارا منشداً :

أكرُّ على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها

حتى إنّه دفع يوماً في موكب من النصارى فصّرع وقتل ، وظهر منه ما أعجبت به نفسه ، فقال لشيخ من خواصّه ، عالم بأمور الحرب مشهور بها : كيف رأيت ؟ فقال له : لو رآك السلطان زاد فيما لك في بيت المال ، وأعلى مرتبتك ، أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الإقدام ، ويتعرض بهلاك نفسه إلى هلاك جيشه ؟^٣ فقال له : دعني فلأني لا أموت مرتين ، وإذا مت أنا فلا عاش من بعدي .

والقائد أبو عبد الله ابن قادس الذي اشتهر من شجاعته ومواقفه في النصارى وحسن بلائه ما صير النصارى من رُعبه والإقرار بفضلته في هذا الشأن أن يقول

١ في الثقاله : سقطت من ب .

٢ ب : هلاكهم ؛ ق : هلاككم .

أحدهم لفرسه إذا سقاه فلم يُقبل على الماء : مالك ؟ أ رأيت ابن قادس في الماء ؟
وهذه مرتبة عظيمة :

والفضلُ ما شهدت به الأعداء

ولقد أخبرني مَنْ أثق به أنه خرج من عسكر في كتيبة مجردة برسم الغارة
على بلاد النصارى ، فوقع في جمع كبير منهم ، فجهد جهده في الخلاص
منهم والرجوع إلى العسكر ، فجعل يقاتل مع أصحابه في حالة الفرار إلى أن كبا
بأحد جنده فرسه ، وفرَّ عنه ، فناداه مستغيثاً ، فقال : اصبر ، ثم نظر إلى
فارس من النصارى قد طرق فقال : اجرِ إلى هذا النصرائي فخذ فرسه ، وركض
نحوه فأسقطه ، وقال لصاحبه : اركب ، فركب ونجا معه سالماً ، وأمثال هذا
كثير ، وإنما جئت بمحصاة من ثبير .

وأما كرم النفس وشمائل الرياسة ، فأنا أحكي لك حكاية تتعجب منها ،
وهي ممّا جرى في عصرنا ، وذلك أن أبا بكر ابن زُهر نشأت بينه وبين الحافظ
أبي بكر ابن الجحد عداوة مفرطة للاشتراك في العلم والرياسة وكثرة المال والبلدية^١ ،
فأجرى ابن زُهر يوماً ذكره في جماعة من أصحابه ، وقال : لقد آذانا هذا
الرجل أشد أذيةً ، ولم يقصر في القول عند أمير المؤمنين وعند خواص الناس
وعوامهم ، فقال له أحد عوامهم : إنّي^٢ أذكر لك عليه عقداً فيه مخاصمة في
موضع ممّا يعزّ عليه من مواضعه ، ومتى خاصمته في ذلك بلغت منه في النكاية
أشد مبالغ ، فخرج ابن زُهر ، وأظهر الغضب الشديد ، والإنكار لذلك ، وقال
لوكيله : أمثلي يجازي على العداوة بما يجازي به السفلى والأوباش ؟ وإنّي أجعل
ابن الجحد في حل من موضع الخصام ، وأمر بأن يحمل له العقد ، ثم قال : وإنّي

١ وكثرة . . . والبلدية : سقطت من م .

٢ م : أنا .

والله ما أروم بذلك أن أصلحه ، فإن عداوته من حسد ، وأنا أسأل الله تعالى أن
يُدِيمَها لأنها مقترنة بدوام نعم الله علي .

وإن تعرضت إلى ذكر البلاد ، وتفسير محاسنها ، وما خَصَّها الله تعالى به
مما حرمها غيرها ، فاسمع ما يميت الحسود كدأ :

أما إشبيلية فمن محاسنها اعتدالُ الهواء ، وحسن المباني ، وتزيين الخارج
والداخل ، وتمكن التمصر ، حتى إن العامة تقول : لو طُلِبَ لبنُ الطير في
إشبيلية وُجِدَ ، ونهرها الأعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلاً ثم يحسر ،
وفيه يقول ابن سفر :

شقّ النسيمُ عليه جَيْبَ قميصه فانساب من شَطِّيه يطلب ثارَهُ
فتضاحكت ورقُ الحمام بدَوَحها هُرّاً فضم من الحياء إزارَهُ

وزيادته على الأنهار كون ضفتيه مطرزين^١ بالمنازه والبساتين والكروم
والأنشام^٢ متصل ذلك اتصالاً لا يوجد على غيره .

وأخبرني شخص من الأكياس دخل مصر وقد سأله عن نيلها أنه^٣ لا تنصل
بشطيه البساتين والمنازه اتصالها بنهر إشبيلية ، وكذلك أخبرني شخص آخر دخل
بغداد ، وقد سعد هذا الوادي بكونه لا يخلو من مَسَرَّة ، وأن جميع أدوات
الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر لانه عن ذلك ولا منتقد ، ما لم يؤدّ السكرُ
إلى شر وعَرَبْدَة ، وقد رام مَنْ* وليها من الولاة المظهرين للدين قَطْعَ ذلك ، فلم
يستطيعوا إزالته ، وأهله أخف الناس أرواحاً ، وأطبعهم نواذر ، وأحملهم لمزاح
بأقبح ما يكون من السب ، قد مَرَنُوا على ذلك ، فصار لهم دَيْنْدَنًا حتى صار
عندهم مَنْ* لا يبتدل فيه ولا يتلاعن ممقوتاً ثقيلًا . وقد سمعت عن شَرَفِ
إشبيلية الذي ذكره أحد الوشّاحين في مَوْشَحَة مدح بها المعتضد بن عبّاد :

١ في الأصول : مطرزة .

٢ الأنشام : نوع من الشجر .

٣ م : نذكر أنه .

إشيبيليا ! عروساً وبَعْلُها عباد
وتاجُها الشرف وسِلْكُها الواد

أي شرف قد حاز ما شاء من الشرف إذ عم أقطار الأرض خيره ، وسفر ما يعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الإسكندرية ، وتزيد قُراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانها ، وتهتم سكّانها فيها داخلاً وخارجاً ، إذ هي من تبيضهم لها نجوم في سماء الزيتون .

وقيل لأحد مَنْ رأى مصر والشام : أيّها رأيت أحسن هذان أم إشيبيلية ؟ فقال بعد تفضيل إشيبيلية : وشرفها غابة بلا أسد ، ونهرها نيل بلا تمساح . وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها ، وكثرة ما فيها من التين القوطي والشعري ، وهذان الصنفان أجمع المتجولون في أقطار الأرض أن ليس في غير إشيبيلية مثل^١ لهما ، وقد سمعت ما في هذا البلد من أصناف أدوات الطرب كالخيال والكريب والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس^٢ والكثيرة^٣ والفنار^٤ والزلامي والشقرة^٥ والنورة — وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه — والبوق^٦ ، وإن كان جميع هذا موجوداً في غيرها من بلاد الأندلس فإنّه فيها أكثر وأوجد ، وليس في بر العُدوة من هذا شيء إلاّ ما جُلِب إليه^٦ من الأندلس وحسبهم الدف وأقوال والبرا وأبو قرون ودبدبة السودان وحماتي البرابر ، وأمّا جواربها ومراكبها برّاً وبحراً ومطابخها وفواكهها الخضراء واليابسة فأصناف

١ م : والدنس .

٢ دوزي : الكثيرة .

٣ دوزي : الفنار .

٤ ب : والسفرة .

٥ قد أثبت دوزي أسماء هذه الآلات الموسيقية في ملحق المعاجم ولكنه لم يحدد مدلولاتها في الأكثر ، ومن الصعب ضبط بعض أسمائها .

٦ م : إليها .

أخذت من التفضيل بأوفر نصيب ، وأما مَبَانِيهَا فقد سمعت عن إتقانها واهتمام أصحابها بها وكون أكثر ديارها لا تخلو من الماء الجاري والأشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون والزنبوع وغير ذلك ، وأما علماؤها في كل صنف رفيع أو ضيع جدّ أو هزلاً فأكثر من أن يُعَدُّوا ، وأشهر من أن يُذكَروا ، وأما ما فيها من الشعراء والوشّاحين والزجالين فما لو قُسموا على بر العُدوة ضاق بهم ، والكل ينالون خير رؤسائها ورفدّهم ، وما من جميع ما ذكرت في هذه البلدة الشريفة إلا وقصّدي به العبارة عن فضائل جميع الأندلس ، فما تخلو بلادها من ذلك ، ولكن جعلت لإشبيلية ، بل الله جَعَلَهَا أُمَّ قُرَاهَا ، ومركز فخرها وعُلاها ، إذ هي أكبر مدنها ، وأعظم أمصارها .

وأما قرطبة فكرسي المملكة في القديم ، ومركز العلم ومَنَارُ التقي ومحل التعظيم والتقديم ، بها استقرت ملوك الفتح وعظماؤه ، ثم الملوك المُرَوّانية ، وبها كان يحيى بن يحيى راوية مالك ، وعبد الملك بن حبيب ، وقد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة ، ومنافستهم في السُودَدِ بعلمها ، وأن ملوكها كانوا يتواضعون لعلماؤها ، ويرفعون أقدارهم ، ويصدرون عن آرائهم ، وأنهم كانوا لا يقدّمون وزيراً ولا مشاوراً ما لم يكن عالماً ، حتى إن الحكم المستنصر لما كره له العلماء شرب الخمر^١ همّ بقطع شجرة العنب من الأندلس ، فقيل له : فإنّها تُعصر من سواها ، فأمسك عن ذلك ، وأنهم كانوا لا يقدمون أحداً للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختياره ، وتُعقد له مجالس المذاكرة ، ويكون ذا مال في غالب الحال خوفاً من أن يميل به الفقر إلى الطمع^٢ فيما في أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين ، ولقد أخبرت أن الحكم الربضي أراد تقديم شخص من الفقهاء يختص به للشهادة ، فأخذ في ذلك مع يحيى بن يحيى وعبد الملك وغيرهما من أعلام العلماء ، فقالوا له : هو أهل ، ولكنّه شديد الفقر ، ومن

١ م ق : بفس الخمر .

٢ ب : للطمع .

يكون في هذه الحالة لا تأمنه^١ على حقوق المسلمين ، لا سيما وأنت تريد انتفاعه وظهره في الدخول في الموارث والوصايا وأشياء ذلك ، فسكت ولم يترَ منازلهم ، وبقي مهموماً من كونهم لم يقبلوا قوله ، فنظر إليه ولده عبد الرحمن الذي ولي الملك بعده ، وعلى وجهه أثر ذلك ، فقال : ما بالك يا مولاي ؟ فقال : ألا ترى هؤلاء الذين تقدمهم ونُؤّه عند الناس بمكانهم حتى إذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه شَطَط ، بل ما لا يعيهم^٢ ، ولا هو مما يرزؤهم شيئاً صدقونا عنه ، وغلقوا أبواب الشفاعة ، وذكر له ما كان منهم ، فقال : يا مولاي ، أنت أولى الناس بالإنصاف ، إن هؤلاء ما قدمتهم أنت ولا نؤّهت بهم ، وإنما قدمهم ونؤّه بهم علمهم ، أو كُنْتُ تأخذ قوماً جهالاً فتضعهم في مواضعهم ؟ قال : لا ، قال : فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذة الدنيا وراحة الآخرة ، قال : صدقت ، ثم قال : وأما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره فالعلة في ذلك تنحسم بما بقي لك في الصالحات ذكراً ، قال : وما هو ؟ قال : تعطيه من مالك قَدَر ما يلحق به من الغنى ما يؤهله لتلك المترلة ، ويزيل عنك هذا خجل ردهم لك ، وتكون هذه مكرمة ما سبقك إليها أحد ، فتَهْتَل وجهُ الحكم وقال : إني إني ، إنها والله شَيْشِينَة عَبْشَمِيَة وإن الذي قال فينا لصادق :

وأبناء أملاك خضارم سادة صغيرهم عند الأنام كبير

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وسأله عن قدر ما يؤهله لتلك المرتبة من الغنى ، فذكر له عدداً ، فأمر له به في الحين ، وثبته قدره بأن أعطاه من إصطبله مركوباً ، وكانت هذه أكرومة^٣ لا خفاء بعظمها :

١ ب : ومن يكن . . . تؤمته .

٢ ب : بل ما لا يعيهم .

٣ م : مكرمة .

يفنى الزمان وما بَنَتْهُ^١ مُخَلَّد

ثمَّ إِنَّهُ إِذَا كَانَ لَهُ مِنَ الْغِنَى مَا يَكْفِيهِ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ ، وَمَنِ الدِّينَ مَا يَصْدَهُ
عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَنِ الْعِلْمَ مَا لَا يَجْهَلُ بِهِ التَّصَرُّفَ فِي الشَّرِيعَةِ ، أَبَاحُوا لَهُ
الْفَتْوَى وَالشَّهَادَةَ ، وَجَعَلُوا عَلَامَةً لِلذَّكَاءِ بَيْنَ النَّاسِ الْقَالَسَ وَالرَّدَاءَ .
وَأَهْلُ قَرْطَبَةَ أَشَدَّ النَّاسِ مَحَافِظَةً عَلَى الْعَمَلِ بِأَصْحَ الْأَقْوَالِ الْمَالِكِيَّةِ ، حَتَّى
إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُؤَلِّقُونَ حَاكِمًا إِلَّا بِشَرَطِ أَنْ لَا يَعْدِلَ فِي الْحُكْمِ عَنْ مَذْهَبِ ابْنِ
القَاسِمِ .

وقال ابن سارة لما دخل قرطبة :

الحمد لله قد وافيت قرطبة دار العلوم وكرسي السلاطين

وهي كانت مجمع جيوش الإسلام ، ومنها نصر الله على عبيدة^٢ الصليب .
يقال : إن المنصور بن أبي عامر — حين تم له ملك البرين ، وتوفرت
الجيوش والأموال — عَرَضَ بظاهر قرطبة خيلَه ورجله ، وقد جمع من أقطار
البلاد ما ينهض به إلى قتال العدو وتدوين بلاده ، فنيّف الفرسان على مائتي
ألف ، والرجالة على ستمائة ألف . وبها حتى الآن من صناديد المسلمين وقوادهم
مَنْ لَا يَفْتُرُ عَنْ مَحَارِبَةٍ ، وَلَا يَمَلُّ مِنْ مَضَارِبَةٍ ، أَسْمَاؤُهُمْ بِأَقْصَى بِلَادِ النَّصَارَى
مَشْهُورَةٌ ، وَأَثَارُهُمْ فِيهَا مَأْثُورَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى الْبَعْدِ بِخَوْفِهِمْ مَعْمُورَةٌ .
ويحكى أن العمارة في مباني قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت إلى أن كان
يمشي فيها لضوء السُرُج المتصلة عشرة أميال ، وأما جامعها الأعظم فقد سمعت
أن ثُرَيَّاتِهِ مِنْ نَوَاقِيسِ النَّصَارَى ، وَأَنَّ الزِّيَادَةَ الَّتِي زَادَ فِي بَنَائِهِ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ
مِنْ تَرَابٍ نَقَلَهُ النَّصَارَى عَلَى رُؤُوسِهِمْ مِمَّا هُدِمَ مِنْ كَنَائِسِ بِلَادِهِمْ ، وَقَدْ

١ ب : بنيت ، والصواب « بنيت » .

٢ م : عباد .

سمعت أيضاً عن قنطرتها العظمى وكثرة أرْحِيّ وادبها ، يقال : إنَّها تَنِيْفُ على خمسة آلاف حجر ، وقد سمعت عن كنبانيتها وما فضَّلَ الله تعالى به تربها من بَرَكة وما ينبت فيها من القمح وطيبه ، وفيها جبال الورد الذي بلغ الربع منه مرات إلى ربع درهم ، وصار أصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يمنحونه منه ، ونهرها إن صغر عندها عن عظمه عند إشييلية فإن لتقارب بَرِّيه هناك وتقطع غُدْرُه ومُرُوجه معنى آخر وحلاوة أخرى ، وزيادة أنس ، وكثرة أمان من الغرق ، وفي جوانبه من البساتين والمروج ما زاده نضارة وبهجة .

وأما جَيَّان فلإنَّها لبلاد الأندلس قلعة ، إذ هي أكثرها زرعاً ، وأصرمها أبطالاً ، وأعظمها منعة ، وكم رامتها من عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعدَ من العَيَّوق ، وأعزَّ منالاً من بيض الأنوق ، ولا خلت من علماء ولا من شعراء ، ويقال لها « جيان الحرير » لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها بدود الحرير .

ومما يُعَدُّ في مفاخرها ما ببياسة إحدى بلادِ أعمالها من الزعفران الذي يسفَّرُ^١ برّاً وبحراً ، وما في أبدة من الكروم التي كاد العنب فيها لا يباع ولا يشتري كثرة ، وما كان بأبدة من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة ، فإنَّهن أحلق خلق الله تعالى باللَّعب بالسيوف والدك ، وإخراج القروى والمرابط والمتوجه^٢ .

وأما غَرْنَاطَة فلإنَّها دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأبصار ، ومطمح الأنفس ، لها القَصَبَة المنبوعة ذات الأسوار الشاحنة ، والمباني الرفيعة ، وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وحماماتها وأسواقها وأرحاها الداخلة والخارجة وبساتينها ، وزانها الله تعالى بأن جعلها مربة على بساطها الممتد الذي تفرغت^٣

١ ب : يسافر .

٢ ب : والمتوجه .

٣ م : تفرغت .

فيه سبائك الأنهار بين زبرجند الأشجار ، ولنسيم تجدها وبهجة منظر حورها
 في القلوب والأبصار ، استلطف يروق الطباع ، ويحدث فيها ما شاءه الإحسان
 من الاختراع والابتداع ، ولم تخل من أشراف أمثال ، وعلماء أكابر ، وشعراء
 أفاضل ، ولولم يكن لها إلا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها من
 الشواعر مثل نزمهون القلاعية وذيب بنت زياد ، وقد تقدم شعرهما ، وحفصة
 بنت الحجاج ، وناهيك في الظرف والأدب ، وهل ترى أظرف منها في جوابها
 للوزير الحسيب الناظم النائر أبي جعفر ابن القائده الأجل أبي مروان ابن سعيد ،
 وذلك أنهما باتا بحور مؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم ، من طيب النفحة
 ونضارة النعيم ، فلما حان الانفصال قال أبو جعفر :

رعى الله ليلاً لم يرع بلمم
 عشيّة واراننا بحور مؤمل
 وقد خفقت من نحو نجد أريجة
 إذا نفحت هبت برياً القرنفل
 وغرد قمري على الدوح وانثى
 قضيب من الريحان من فوق جدول
 ترى الروض مسروبا بما قد بدا له
 عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتبه إليها بعد الافتراق ، لتجاوبه على عاداتها في ذلك ، فكتبت له ما لا
 يخفى فيه قيمتها :

لعمرك ما سرّ الرياض بوصلنا
 ولكنّه أبدى لنا الغل والحسد
 ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا
 ولا صدح القمر إلا بما وجد^١
 فلا تحسن الظن الذي أنت أهله
 فما هو في كل المواطن بالرشد
 فما خلّت هذا الأفق أبدى نجومه
 لأمر سوى كيما تكون لنا رصد^٢

وأما مالمّة فإنّها قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التي

١ ستاتي أخبار أبي جعفر ابن سعيد وحفصة مفصلة في النفع .

٢ ق : وجداً بما وجد .

لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر ، والبروج التي شابهت نجوم السماء ، كثرة عدد وبهجة ضياء ، وتخلل الوادي الزائر لها في فصلي الشتاء والربيع في سرر بطحائها ، وتوشحه لخصور أرجائها ، ومما اختصت به من بين سائر البلاد التين الريبي المنسوب إليها ، لأن اسمها في القديم رية ، ولقد أُخبرت أنه يُباع في بغداد على جهة الاستطراف^١ ، وأما ما يسفر منه المسلمون والنصارى في المراكب البحرية فأكثر من أن يعبر عنه بما يحصره ، ولقد اجترت بها مرة ، وأخذت على طريق الساحل من سهيل إلى أن بلغت إلى بليش قدر ثلاثة أيام متعباً فيما حوت هذه المسافة من شجر التين ، وإن بعضها ليحتجني جميعها الطفل الصغير من لزوقها بالأرض ، وقد حوت ما يُتعب الجماعة كثرة ، وتين بليش^٢ هو الذي قيل فيه للبربري : كيف رأيته ؟ قال : لا تسألني عنه ، وصَبَّ في حلقي بالقفة ؛ وهو لعمر الله معلور ، لأنه نعمة حرمت بلاده منها ، وقد خُصَّت بطيب الشراب الحلال والحرام ، حتى سار المثل بالشراب المالح ، وقيل لأحد الخلفاء ، وقد أشرف على الموت : اسأل ربك المغفرة ، فرفع يديه وقال : يا رب ، أسألك من جميع ما في الجنة خمر مالمّة وزبيبي^٣ إشبيلية ، وفيها تُنسج الحُلل الموشية التي تجاوز أثمانها الآلاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دُونهم ، وساحلها محط تجارة لمراكب^٤ المسلمين والنصارى .

وأما المريّة فإنّها البلد المشهور الذكر ، العظيم القدر ، الذي خُصَّ أهله باعتدال المزاج ، ورونق الديباج ، ورقة البشرة ، وحسن الوجوه والأخلاق ، وكرم المعاشرة والصحبة ، وساحلها أنظف السواحل وأشرحها^٤ وأملحها منظراً ،

١ م : لأجل الاستطراف .

٢ م : بلش .

٣ م : مراكب .

٤ م : وأشرقها .

وفيها الحصى الملوّن العجيب الذي يجعله رؤساء مراکش في البراريد^١ والرخام
الصقيل الملوّكي ، وواديها المعروف بوادي بجانة من أفرج الأودية ، ضفتاه
بالرياض كالعدّارين حول الثغر ، فحق أن ينشد فيها :

أرض وطئت الدر رضاضاً بها والترّب مسكاً والرياض جنانا^٢

وفيها كان ابن ميمون القائد الذي قهرّ النصارى في البحر ، وقطع سفرهم
فيه ، وضرب على بلاد الرمانية ، فقتل وسبي ، وملاً صدور أهلها رعباً ، حتى
كان منه كما قال أشجع^٣ :

فلإذا تنبّه رُعبه وإذا غفا ستّت عليه سيوفك الأحلام^٤

وبها كان محطّ مراكب النصارى ، ومجتمع ديوانهم ، ومنها كانت تسفر^٥
لسائر البلاد بضائعهم ، ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التي تصلح لهم ،
وقصد بضبط ذلك بها حضر ما يجتمع في أعشارهم ، ولم يوجد لهذا الشأن مثلاً ،
لكونها متوسطة ومتسعة قائمة بالوارد والصادر ، وهي أيضاً مصنع للحلل
الموشية النفيسة .

وأما مرسية^٦ فإنّها حاضرة شرق الأندلس ، ولأهلها من الصرامة والإباء
ما هو معروف مشهور ، وواديها قسيم وادي إشبيلية ، كلاهما يتّبع من
شقورة وعليه من البساتين المتهدبة الأغصان ، والنواعير المطربة الألحان ، والأطيار
المغرّدة ، والأزهار المتنضدة ، ما قد سمعت ، وهي من أكثر البلاد فواكه
وريحاناً ، وأهلها أكثر الناس راحت وفرجاً لكون^٧ خارجها معيناً على ذلك

١ ب : البواريد .

٢ ب م : جنابا .

٣ هو أشجع السلمي ، وبيته من قصيدة في مدح الرشيد .

٤ م : تسافر ؛ وكانت سقطت من ق .

٥ ب : يكون .

بحسن منظره ، وهي بلدة تجهز منها العروس التي تنتخب شورتها لا تفتقر في شيء من ذلك إلى سواها ، وهي للمرية ومالقة في صنعة الوشي ثالثة ، وقد اختصت بالبسط التتلية التي تسفر^١ لبلاد المشرق ، وبالحُصُر التي تغلف بها الحيطان المبهجة للبصر ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره ، ولم تخل^٢ من علماء وشعراء وأبطال .

‘ وأما بِلَنْسِيَّةُ فَإِنَّهَا لَكثرة بساتينها تُعرف بمطيب الأندلس ، ورُصافتها من أحسن متفرجات الأرض ، وفيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرواق ، ويقال إنّه لمواجهه الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بِلَنْسِيَّةِ إذ هي موصوفة بذلك ، ومما خُصِّت به النسيج البلنسي الذي يسفر^٣ لأقطار المغرب ، ولم تخل^٤ من علماء ولا شعراء ، ولا فرسان يكابدون مصابقة^٥ الأعداء ، ويتجرعون فيها النعماء ممزوجة بالضرّاء ، وأهلها أصلح الناس مذهباً ، وأمتهم ديناً ، وأحسنهم صحبة ، وأرفقهم بالغريب .

وأما جزيرة مَيُورقة فمن أنخصب بلاد الله تعالى أرجاء ، وأكثرها زرعاً ورزقاً وماشية ، وهي على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها ، يصل فاضل خيرها إلى غيرها ، إذ فيها من الحضارة والتمكن والتمصر وعظم البادية ما يغنيها ، وفيها من الفوائد ما فيها ، ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الأعداء المحذقة بها :

من كلِّ مَنْ جعل الحسامَ خليله لا يبتغي أبداً سواه مُعينا

هذا — زان الله تعالى فَضْلَكَ بالإنصاف ، وشرف كرمك بالاعتراف — ما حضرنى الآن في فضل جزيرة الأندلس ، ولم أذكر من بلادها إلا ما كُلُّ

١ ب : تسافر .

٢ ب : مصادمة ؛ م : مصافقة ، وأثبتنا ما في ق .

بلد منها مملكة مستقلة يليها ملوك بني عبد المؤمن على انفراد ، وغيرها في حكم
التبع .

وأما علماؤها وشعراؤها فلما لم أعرض منهم إلا لمن هو في الشهرة
كالصباح ، وفي مسير الذكر كسير الرياح ، وأنا أحكي لك حكاية جرت
لي في مجلس الفقيه الرئيس أبي بكر ابن زهر ، وذلك أنني كنت يوماً بين يديه ،
فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان ، وكان ابن زهر يكرمه ، فقلت
له : ما تقول في علماء الأندلس وكتّابهم وشعرائهم ؟ فقال : كبرتُ ، فلم
أفهم مقصده ، واستبردتُ^١ ما أتى به ، وفهم مني أبو بكر ابن زهر أنني نظرت
نظر المستبرد المنكر ، فقال لي : أقرأت شعر المتنبي ؟ قلت : نعم ، وحفظت
جميعه ، قال : فعلى نفسك إذن فلتنكر ، وخاطبك بقلة الفهم فلتتهم ، فذكرني
بقول المتنبي :

كبرتُ حول ديارهم لما بدتُ منها الشمسُ وليس فيها المشرقُ

فاعتذرت للخراساني ، وقلت له : قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرَتْ
نفسي عندي ، حين لم أفهم نُبْلَ مقصديك^٢ ، فالحمد لله الذي أطلع من المغرب
هذه الشمس ، وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤوس ، وصلى الله على سيدنا
محمد نبيه المختار من صفوة العرب ، وعلى آله وصحبه ، صلاة متصلة إلى^٣
غابر الحقب .

كملت رسالة الشقندي .

[ترجمة الشقندي]

وهو أبو الوليد إسماعيل بن محمد ، وشقندة المنسوب إليها قرية مطلة

١ ب : واستريت ؛ وهو خطأ .

٢ ب : مقصودك .

٣ ب : عل .

على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب . قال ابن سعيد^١ : وهو ممن كان بينه وبين والذي صحبة أكيدة ، ومجالسات أنس عديدة ، ومزاورات^٢ تتصل ، ومحاضرات لا تكاد تنفصل ، وانتفعت بمجالسته ، وله رسالة في تفضيل الأندلس ، يعارض بها أبا يحيى في تفضيل بر العدو^٣ أورد فيها من المحاسن ما يشهد له بلطافة المنزع وعلوية المشرع ، وكان جامعاً لفنون من العلوم الحديثة والقديمة ، وعني^٤ بمجلس المنصور ، فكانت له فيه مشاهد غير ذميمة ، وولي قضاء بياسة وقضاء لورقة^٥ ، ولم يزل محفوظ^٤ الجانب ، مجمود المذهب ، سمعته ينشد والذي قصيدة^٥ في المنصور وقد نهض للقاء العدو ، منها :

إذا نهضت فلان السيف منتهض^٥ ترمي السعود سهاماً والعدا غرض^٥
لك البسيطة تطويها وتنشرها فليس في كل ما تنويه معترض^٥

قال : وسمعته يقول له : أنشدت الوزير أبا سعيد ابن جامع قصيدة أولها :

استوقيف الركب قد لاح لك الدار^٥ واسأل برقع تناءت عنه أعمار^٥
لا خفف الله عني بعد بينهم^٥ فإتني سرت^٥ والأجباب ما ساروا

ومنها :

ألا رعى الله ظيماً في قبابهم^٥ منه لهم في ظلام الليل أنوار^٥

وله :

عللاني بذكر من همت فيه^٥ وعيداني عنه^٥ بما أرتجيه

١ انظر اختصار القندج : ١٣٨ .

٢ القندج : ومداورات .

٣ القندج : وعين .

٤ القندج : ملحوظ .

٥ القندج : السعد منتصر .

وإذا ما طربتما لارتياحي فاجعلا خمرتي مُدامةً فيه
 ليت شعري وكم أطيلُ الأمانِي أيّ يومٍ في خلوةٍ التقيه
 وإذا ما ظفرتُ^١ يوماً بشكوى قال لي : أين كلُّ ما تدّعيه
 لا دموع ولا سقام فماذا شاهدٌ عنك بالذي تدّعيه^٢
 قلتُ دعني أمتُ بدائي فلنّتي لو برّاني الغرامُ لا أبديه
 وقال في عودِه لما مرض^٣ :

لنّتي مرضتُ مرضةً أسقطَ منها في يدي
 فكان في الإخوان مَنْ لم أره في العودِ
 فقلتُ في كلّهم قولَ امرئٍ مقتصدٍ
 أير الذي قد عادني في آستٍ الذي لم يعدِ

مات بإشبيلية سنة ٦٢٩ ، انتهى .

[استطراد في الإشادة بالأندلس]

وقال ابن سعيد : أنشدني والذي للحافظ أبي الطاهر السلفي ، قال وكفى
 به شاهداً ، وبقوله مفتخراً :

بلادُ أذَرَبِيجانَ في الشرقِ عندنا كأنّدلسٍ بالغربِ في العلم والأدبِ
 فما إنْ تكادُ الدهرَ تلقى مميّزاً منَ أهليهما إلا وقد جدّ في الطلبِ
 وحكى غيرُ واحدٍ كابن الأبار أن عباس بن ناصح الشاعر لما توجه من قرطبة

١ القدح : ظهرت .

٢ القدح : بالذي تخفيه ؛ وهو أجود لكي لا تتكرر القافية .

٣ م : في عوده لمن مرض .

إلى بغداد ، ولقي أبا نُواس ، قال له : أنشدني لأبي الأجر ، قال : فأنشدته ،
ثم قال : أنشدني لبكر الكناني ، فأنشدته ، وهذان شاعران من الأندلس .

[حكايات وأشعار أندلسية]

واعلم أننا إن تتبعنا كلام الأندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقتهم طال
بنا الكتاب ، ولم نستوفِ المراد ، فرأينا أن نذكر بعضاً من ذلك بحسب ما اقتضاه
الحال وأبداه ، ليكون عنواناً دالاً على ما عداه :

يَكْفِي من الحلْيِ ما قد حَفَّ بالعُنُقِ

١ — ولنبدأ ما نسوقه من أخبار الأندلسيين وأشعارهم وحكاياتهم في الجلد
والهزل ، والتولية والعزل ، بقول الفقيه الزاهد أبي عمران موسى بن عمران
المارتلي^١ ، وكان سكن إشبيلية :

لا تَبْكِ ثوبَكَ إن أَبْلَيْتَ جِدَّتَهُ . وَاْبِكِ الَّذِي أَبْلَيْتَ الْأَيَّامَ مِنْ بَدْنِكَ^٢
وَلَا تَكُونَنَّ غُخْتَالاً بِجِدَّتِهِ فَرَبِّمَا كَانَ هَذَا الثَّوبُ مِنْ كَفْنِكَ
وَلَا تَعَفَّهُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ دَنِساً فَإِنَّمَا اكْتَسَبَ الْأَوْسَاخَ مِنْ دَرْنِكَ^٣

٢ — وقال أبو عمرو^٤ اليَحْصِي اللُّوْثِي :

شَرَّدَ النُّومَ عَنْ جَفُونِكَ وَانْظُرْ حِكْمَةً تَوْقُظُ النُّفُوسَ النَّيَامَا

١ المارتلي ويكتب أيضاً الميرتلي نسبة إلى بلده « حصن مارتلة » من حصون باجة ؛ أحد شعراء الزهد
بالأندلس ؛ توفي سنة ٦٠٤ (انظر المغرب ١ : ٤٠٦ والنصوص الياضة : ١٣٥ والتكملة :
٦٨٧) وله شعر كثير في شرح الشريشي على المقامات .

٢ م : جسديك .

٣ م ق : بدئك .

٤ ق ب : عمر .

فحرام^١ على امرئ لم يشاهد^٢ حكمة الله أن يذوق المناما
وقال أيضاً :

ليس للمرء اختيار^٣ في الذي يتمنى من حراك^٤ وسكون^٥
إتما الأمر^٦ لرب^٧ واحد^٨ إن يشأ قال له : كن^٩ فيكون^{١٠}

٣ - وقال أبو وهب القرطبي^١ :

تنام^٢ وقد أعيد^٣ لك السهاد^٤ وتوقن^٥ بالرحيل^٦ وليس زاد^٧
وتصبح^٨ مثل ما تسمي مضيعة^٩ كأنك لست تدري ما المراد^{١٠}
أنظمت^{١١} أن تفوز غداً هتينا^{١٢} ولم يك^{١٣} منك في الدنيا اجتهاد^{١٤}
إذا قرطت^{١٥} في تقديم زرع^{١٦} فكيف يكون^{١٧} من عدم^{١٨} حصاد^{١٩}

وقيل : إن الأبيات السابقة التي أولها : « أنا في حالي التي . . . الخ » وجدت^١
في تركته بخطه في شقف^٢ ، وبعضهم ينسبها لغيره ، واسم أبي وهب المذكور
عبد الرحمن ، وذكره ابن بشكوال في الصلة^٣ ، وأثنى عليه بالزهد والانقطاع ،
وكان في أول أمره قد حسب عامة الناس أنه غتل^٤ العقل ، فجعلوا يؤذونه
ويرمون به بالحجارة ، ويصيحون عليه : يا مجنون يا أحمق ، فيقول :

يا عاذلي أنت به جاهل^١ دعني به لست بمغبون^٢
أما تراني أبداً والها^٣ فيه كمسحور^٤ ومفتون^٥
أحسن^٦ ما أسمع في حبه^٧ وصفي بمختل^٨ ومجنون^٩

١ مرت الإشارة إليه ، انظر ما تقدم ص : ٢٠٧ .

٢ م : شقة .

٣ لم أجد له ترجمة في الصلة ، وأغلب الظن أن هذا وهم من المقرئ ، لأن ابن بشكوال أفرد للمباني
مؤلفاً خاصاً .

٤ - وقال الخطيب أبو محمد ابن برطله :

بأربعة أرجو نجاتي وإنها لأكرم منخور لدي وأعظم
شهادة إخلاصي وحي محمدًا وحسن ظنوني ثم أنتي مسلم

٥ - وقال ابن حبيش :

قالوا تصبر عن الدنيا الدنية أو كن عبدًا واصطبر للذل واحتمل
لا بد من أحد الصبرين ، قلت : نعم الصبر عنها بعون الله أوفى لي

٦ - وقال ابن الشيخ :

اطلب لنفسك فوزها واصبر لها نظّر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه ويصدّها عما سيهلكها فليس بمشفق

٧ - وقال أبو محمد القرطبي ^١ :

لعمرك ما الدنيا وسرعة سيرها بسكانها إلا طريق مجاز
حقيقتها أن المقام بغيرها ولكنهم قد أولعوا بمجاز

٨ - وقال السمسير ^٢ :

الله في الدنيا وفي أهلها مغميات قد فككتناها
من بشر نحن فمن طبعنا نحب فيها المال والجهاها
دعني من الناس ومن قولهم فإنما الناس خلائها ^٣

١ هو عبد الله بن الحسن بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو محمد (انظر ترجمته في الذيل والتكملة

٤ : ١٩١ والتكملة : ٨٧٩ وتذكرة الحفاظ : ١٣٩٦ وبرناج الرعي : ١٤١) والبيتان في

البرنامج والذيل : ٢١٠ .

٢ في الأصول ودوزي : الشمس ؛ وصوبناه .

٣ في ب : الناس أخلاها .

لم تُقْبِلِ الدنيا على ناسكٍ إلا وبالرحبِ تَلَقَّاهَا
وإنما يُعْرَضُ عن وَصْلِهَا مَنْ صَرَفَتْ عنه مُحَيَّاهَا

٩ - وقال أبو القاسم ابن بقي :

ألا إنَّما الدنيا كراحٍ عتيقةٍ أراد مُديرُوها بها جَلَبَ الأُنسِ
فلما أداروها أثارتْ حقودَهُمْ فعاد الذي راموا من الأُنسِ بالعكسِ

١٠ - وقال أبو محمد عبد الله بن العسال الطُّلَيْطَلِيّ^١ :

انظرِ الدُّنيا فإنَّ أبداً صرَّتْها شَيْئاً يَدُومُ
فاغْدُ منها في أمانٍ إن يساعذك النعيمُ
وإذا أبصرَتْها منذُ لك على كرهٍ تَهيمُ^٢
فاَسْلُ عنها واطرحها وارْتحلْ حيثُ تُقِيمُ^٣

١١ - وقال ابن هشام القرطبي :

وأبى المدامة ما أريدُ بشرِها صَلَفَ الرقيقِ ولا انهماكَ اللاهي
لم يبقَ من عهدِ الشبابِ وطيبه شيءٌ كعهدي لم يَحُلْ إلا هـي
إن كنتُ أَشْرَبْتُها لغيرِ وفائها فتركتُها للناسِ لا لله

١٢ - وقال أبو محمد ابن السيد البطلانيوسي مما نسبته إليه في « المغرب »^٤ :

أخو العلم حيٌّ خالداً بعد موته وأوصاله تحتَ الترابِ رميمُ
وذو الجهل ميتٌ وهو ماشٍ على الثرى يُظَنُّ من الأحياء وهو عديمُ

١ انظر ما تقدم من : ٢٠٨ .

٢ م ق : تقيم .

٣ ليسا في ترجمته في المغرب (١ : ٣٨٥) وهما في أزهار الرياض ٣ : ١٠٣ .

١٣ - وقال أبو الفضل ابن شرف ١ :

لعمرك ما حصّلتُ على خطيرٍ من الدنيا ولا أدركتُ شيئاً
وها أنا خارجٌ منها سلباً أقلبُ نادماً كلنا يدباً
وأبكي ثمّ أعلم أنّ مبكا ي لا يُجدي فأمسحُ مقلتيّاً
ولم أجزعْ لهولِ الموتِ لكنّ بكيتُ لقلّةِ الباكي عليّاً
وأنّ الدهرَ لم يعلمْ مكاني ولا عرفتُ بئوهُ ما لديّاً
زمانٌ سوفْ أنشرُ فيه نشراً إذا أنا بالحمامِ طويتُ طيّاً
أسرُّ بآتني سأعيشُ ميتاً به ويسوعي أنْ متُّ حيّاً

١٤ - وقال الزاهد العارف بالله سيدي أبو العباس ابن العريف نفعا الله

تعالى به ٢ :

سلوا عن الشوقِ مَنْ أهوى فلأنهمُ أدنى إلى النفسِ من وهْمِي ومن نَقسي
فمَنْ رسولِي إلى قلبي ليسألهمُ عن مشكلٍ من سؤالِ الصبِّ ملتبسِ
حلّوا فؤادي فما يَنلدي، ولو وطئوا صخراً بلجادِ بماءِ منه منيجسِ
وفي الحشا نزلوا والوهمُ يَجرحُهمُ فكيف قرّوا على أذكى من القَبَسِ
لأنهضنَّ إلى حشري بحبهمُ لا بارك الله فيمن خانهمُ ونسي

قلت : وقد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر وألف ، وهو ممّن

١ راجع أبياته في التكملة : ٨٧٠ .

٢ أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المشهور بابن العريف ؛ صاحب كتاب « محاسن المجالس » اختار طريقة الزهد والتصوّف ، وصادف ذلك ظهور جماعة من المتصوفة بمدينة شلب وانتشر مذهبهم فيها وفي لبلبة ومارتلة ، ثم تفرقوا ووصل رئيسهم إلى المرية وفيها شيخ المتصوفة ابن العريف ، فوجه علي بن يوسف المثنوي في طلبه وطلب أبي الحكم ابن برجان ، فتوفيا بمراكش سنة ٥٣٧ (أو ٥٣٦) . انظر وفيات الأعيان ١ : ١٥١ وأعمال الأعلام : ٢٤٨ - ٢٤٩ والمغرب ٢ : ٢١١ وبغية الملتبس ص : ١٥٤ والصلة : ٨٤ والمطرب : ٩٠ ومجمع الصدي : ١٨ والتحفة : ١٧ والوافي : ٨ الورقة : ٥٠ وأبياته في المغرب والمطرب .

يُتَبَرَكُ بِهِ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ ، وَيُسْتَسْقَى بِهِ الْغَيْثُ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْمَرْيَةِ ، وَأَحْضَرَهُ
السُّلْطَانُ إِلَى مَرَاكَشَ فَمَاتَ بِهَا ، وَلَهُ كِرَامَاتٌ شَهِيرَةٌ وَمَقَامَاتٌ كَبِيرَةٌ ، نَفَعْنَا
اللَّهُ تَعَالَى بِهِ .

١٥ - وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ كَانُوا فِي الْقَدِيمِ^١ عَلَى مَذْهَبِ الْأَوْزَاعِيِّ ،
وَأَهْلُ الشَّامِ مِنْذُ أَوَّلِ الْفَتْحِ ، فَفِي دَوْلَةِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ -
وَهُوَ ثَلَاثُ الْوَلَاةِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأُمَوِيِّينَ - انْتَقَلَتِ الْفَتْوَى إِلَى رَأْيِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ
وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَانْتَشَرَ عِلْمُ مَالِكٍ وَرَأْيُهُ بِقَرْطُبَةٍ وَالْأَنْدَلُسِ جَمِيعًا ، بِلِ الْمَغْرِبِ ،
وَذَلِكَ بِرَأْيِ الْحَكَمِ وَاخْتِيَارِهِ ، وَاخْتَلَفُوا فِي السَّبَبِ الْمُقْتَضِي لِذَلِكَ ، فَذَهَبَ
الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّ سَبَبَهُ رَحْلَةُ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْأَنْدَلُسِ
وَصَفُّوا فَضْلَ مَالِكٍ وَسَعَةَ عِلْمِهِ ، وَجَلَالَةَ قَدْرِهِ ، فَأَعْظَمُوهُ كَمَا قَدَمْنَا ذَلِكَ ،
وَقِيلَ : إِنَّ الْإِمَامَ مَالِكًا سَأَلَ بَعْضَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ عَنْ سِيرَةِ مَلِكِ الْأَنْدَلُسِ ،
فَوَصَفَ لَهُ سِيرَتَهُ ، فَأَعْجَبَتْ مَالِكًا لَكُونِ سِيرَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ تَكُنْ
بِعَرَضِيَّةٍ . وَكَابَدَ لَمَّا صَنَعَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ بِالْعُلُوبَةِ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْحَبْسِ وَالْإِهَانَةِ
وغيرهما عَلَى مَا هُوَ مَشْهُورٌ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ ، فَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ لِذَلِكَ الْمَخْبِرِ : نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَزِينَ حَرَمَنَا بِمُلْكِكُمْ ، أَوْ كَلَامًا هَذَا
مَعْنَاهُ ، فَتُنْمِيتَ الْمَسْأَلَةَ إِلَى مَلِكِ الْأَنْدَلُسِ ، مَعَ مَا عِلْمٌ مِنْ جَلَالَةِ مَالِكٍ وَدِينِهِ ،
فَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى مَذْهَبِهِ ، وَتَرَكَ مَذْهَبَ الْأَوْزَاعِيِّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

١٦ - وَحَكَى أَنَّ الْقَاضِي الزَّاهِدَ أَبَا إِسْحَاقَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
يَغْمُورٍ لَمَّا نَدَبَهُ أَهْلُ الْأَمْرِ لَوَلَايَةِ الْقَضَاءِ بِمَدِينَةِ فَاسَ اسْتَعْفَى ، فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ،
وَخَرَجَ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَخَرَجَ النَّاسُ لَوَدَاعِهِ ، فَأَنْشَدَ :

عَلَيْكُمْ سَلَامٌ اللَّهُ لِمَتِّي رَاحِلٌ وَعَيْنَايَ مِنْ خَوْفِ التَّفَرُّقِ تَلْمَعُ

١ فِي الْقَدِيمِ : سَقَطَتْ مِنْ م .

فلان نحنُ عشنا فهُوَ يجمعُ بيننا وإن نحنُ مُتُّنا فالقيامةُ تجمعُ

وأنشد أصحابه رحمه الله تعالى ، ولا أدري هل هي له أو لغيره :

كنا نعظمُ بالآمالِ قدركمُ حتى انقضتْ فتساوى عندنا الناسُ
لم تفضلونا بشيءٍ غيرِ واحدةٍ هي الرجاء فسوى بيننا اليأسُ
وأنشد أيضاً :

بَلَوْتُهُمُْ مَدَ كُنْتُ طِفْلاً فلم أجِدْ كما أَشْتَهِي منهم صديقاً وصاحباً
فصَوَّبْتُ رَأْيِي فِي فِرَارِي مِنْهُمْ وَشَمَّرْتُ أَذْيَالِي وَأَمَعَنْتُ هَارِباً
وأنشد لغيره في الكتمان :

أَخْفَى الْغَرَامَ فَلَا جَوَارِحُهُ شَعَرْتُ بِذَاكَ وَلَا مَفَاصِلُهُ
كَالسَيْفِ يَصْحَبُهُ الْحِمَامُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِمَا حَمَلَتْ حِمَائِلُهُ
وأنشد :

قَدْ كُنْتُ أَمْرَضُ فِي الشَّيْبَةِ دَائِماً وَالْمَوْتُ لَيْسَ يَمُرُّ لِي فِي الْبَالِ
وَالْآنَ شَبْتُ وَصَحَّتِي مَوْجُودَةٌ وَأَرَى كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي أَذْيَالِي
ولمَّا أَنشده تاج الدين بن حمويه السرخسي الوافدُ على المغرب من المشرق
قول بعضهم :

فَلَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدِيهِ قِصَرُ
فَإِنَّ السَّيْفَ تَحْزُ الرِّقَابَ وَتَعْجِزُ عَمَّا تَنَالُ الْإِبْرُ
قال : حسنٌ جيدٌ ، ولكن اسمع ما قال شاعرنا القَسْطَلِيُّ^١ ، وأنشد :

١ يريد ابن دراج ، والأبيات من قصيدته في مدح المنصور بن أبي عامر (ديوانه : ٢٠٢) .

أثّرني لكشف الخطب والخطبُ مشكلٌ وكِلْتي لليث الغابِ وهو هَصُورٌ
فقد تخفضُ الأسماء وهي سواكنٌ ويعملُ في الفعلِ الصريحِ ضميرٌ
وتنبؤُ الردينيّاتُ ، والطولُ وافرٌ ويعدُّ وقعُ السهمِ وهو قصيرٌ

١٧ - وكان الوزير الكريم أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافري^١ أحد
وزراء الأندلس كثير الصنائع جزل المواهب عظيم المكارم ، على سنن عظماء
الملوك وأخلاق السادة ، لم يُر بعده مثله في رجال الأندلس ، ذا كراً للفقهِ والحديثِ ،
بارعاً في الآداب ، شاعراً مجيداً ، وكاتباً بليغاً ، كثير الخدم والأهل ، ومن آثاره
الحمام بجوفي الجامع الأعظم من غرناطة ، وزاد في سقف الجامع من صحنه
وعوّض أرجل قيسيّة أعمدة الرخام ، وجلب الرؤوس والموائد من قرطبة ،
وفرش صحنه بكذبان الصخر . ووجهه أميرُه علي بن يوسف بن تاشفين إلى
طرطوشة برسم بنائها ، فلما حلّها سأل قاضيها فكتب له جملة من أهلها ممّن
ضمنت حاله وقلّ تصرفه من ذوي البيوتات ، فاستعملهم أمناء ، ووسّع
أرزاقهم ، حتى كمل له ما أراد من عمله ، ومن عجز أن يستعمله وصله من
ماله ، فصدر عنها وقد أنعش خلقاً ، رضي الله تعالى عنه ورحمه .
ومن شعره في مجلس أطربه سماعه ، وبسط احتشاد الأنس فيه واجتماعه ،
فقال ٢ :

لا تلمني إذا طربتُ لشجورٍ يبعثُ الأنسَ فالكريم طرُوبُ
ليس شقُّ الجُيُوب حقّاً علينا إنّما الحقُّ أنْ تُشَقَّ القلوبُ

وقطف غلام من غلمانه نؤارة ومدّها بها يده إلى أبي نصر الفتح بن عبيد الله ،
فقال أبو نصر :

١ ترجمته في القلائد : ١٧٠ .

٢ القلائد : ١٧٠ ؛ والنقل عنه حقّ قوله « من النوى » .

وبَدْرٍ بدا والطرفُ مَطْلَعُ حُسْنِهِ وفي كَفِّهِ من رائِقِ النَّوْرِ كوكبُ
فقال أبو محمد ابن مالك^١ :

يروحُ لتعذيبِ النفوسِ ويغتدي ويطلعُ في أفقِ الجمالِ ويغربُ
ويحسدُ منهُ الغصنَ أيَّ مهفهِفٍ يجيءُ على مثلِ الكتيبِ ويذهبُ
وقد سبق هذا .

وكتب إلى الفتح من غير تروٍّ : يا سيدي ، جرت الأيام بفراقك ، وكان الله
جارك في انطلاقك^٢ ، فغيرك روع بالظعن ، وأوقد للوداع جاحم الشجن ،
فإنك من أبناء هذا الزمن ، خليفة الخضر لا يستقر على وطن ، كأنك — والله —
يختار لك ما تأتيه وما تدعه — موكل بفضاء الأرض تدعه^٣ ، فحسب من نوى
بعشرتك الاستمتاع ، أن يعدك من العواري السريعة الارتجاع ، فلا يأسف على
قلّة الثوا ، وينشد :

وفارقتُ حتى ما أبالي من النوى^٤

ومات رحمه الله تعالى بغرناطة سنة ٥١٨ هـ ، وحضر جنازته الخاصة والعامة ،
وهو من محاسن الأندلس ، رحمه الله تعالى .

١٨ — ومن نواذر الاتفاق^٥ أن جارية مَسَّتْ بين يدي المعتمد ، وعليها
قميص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها ، وذوائبها تخفي آثار مشيها ، فسكب

١ البيت الأول من هذين ورد منسوباً للفتح نفسه في أصول النفع .

٢ من قول البحري :

الله جارك في انطلاقك تلقاء شامك أو عراقك

٣ صجر بيت لابن زريق البغدادي ، صدره : كأنما هو في حل ومرتحل .

٤ ق م : من الهوى .

٥ انظر هذه القصة في بدائع البدائنه ١ : ١٠٦ .

عليها ماء ورد كان بين يديه ، وقال :

عُلِّقَتْ جَائِلَةُ الْوِشَاحِ غَرِيرَةً تَخْتَالُ بَيْنَ أَسْنَةِ وَبَوَاتِرِ

وقال لبعض الخدم : سر إلى أبي الوليد البَطْلَيْتُوسِي المشهور بالنحلي
وخذه بإجازة هذا البيت ، ولا تفارقه حتى يفرغ منه ، فأجاب النحلي لأول
وقوع الرقعة بين يديه :

رَاقَتْ حَاسِنُهَا وَرَقَّ أَدِيمُهَا فَتَكَادُ تَبْصُرُ بَاطِنًا مِنْ ظَاهِرِ
وَتَمَاطِلُ كَالْغَصَنِ فِي دِعْصِ النَّقَا تَلْتَفُّ فِي وَرَقِ الشَّبَابِ النَّاصِرِ
يَتَنَدَّى بِمَاءِ الْوَرْدِ مُسْبِلُ شَعْرِهَا كَالطَّلِّ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ الطَّائِرِ
تَزْهِي بِرَوْنَقِهَا وَعِزَّ جَمَالِهَا زَهْوُ الْمُؤَيَّدِ بِالثَّنَاءِ الْعَاطِرِ
مَلِكٌ تَضَاءَلَتِ الْمُلُوكُ لِقُدْرِهِ وَعَنَّا لَهُ صَرْفُ الزَّمَانِ الْبَاحِرِ
وَلِذَا لَمَحْتَ جَبِينَهُ وَيَمِينَهُ أَبْصَرْتَ بَدْرًا فَوْقَ بَحْرِ زَاخِرِ

فلما قرأها المعتمد استحضره ، وقال له : أحسنت ، أو معنا كنت ؟ فقال
له : يا قاتِلَ المَحَلِّ ، أما تُلَوِّتُ ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ (النحل : ٦٨) .
وأصبح المعتمد يوماً ثَمِيلًا فدخل الحمام ، وأمر أن يدخل النحلي معه ،
فجاء وقعد في مسيح^١ الحمام حتى يستأذن عليه ، فجعل المعتمد يبحق في الحمام
وهو خالٍ وقد بقيت في رأسه بقية من السكر ، وجعل كلما سمع دوي ذلك
الصوت يقول : الجوز ، اللوز ، القسطل ، ومر على هذا ساعة ، إلى أن تذكر
النحلي ، فصادفه^٢ ، فلما دخل قال له : من أي وقت أنت هنا ؟ قال : من أول
ما رتب مولانا الفواكه في النصبية ، فغشي عليه من الضحك ، وأمر له بإحسان .
والنصبية : مائدة يصبون فيها هذه الأصناف .

١ ق : مسلخ .

٢ ق م : فصادمه .

ولما استحسّن المعتمد قول المتنبي^١ :

إذا ظفرتُ منك المطيُّ بنظرة أثاب بها معني المطيِّ ورآزمه

قال ابن وهبون بديهة : « وقالوا أجاد ابن الحسين . . . إلخ البيتين » ، وقد تقدم ذكرهما ، فأمر له بمائتي دينار .

ولما قال ابن وهبون المذكور :

غاض الوفاء فما تلقاه في رجُلٍ ولا يمرُّ لمخلوقٍ على بالٍ
قد صار عندهمُ عنقاءٌ مغربةٌ أو مثل ما حدثوا عن ألفٍ مثقالٍ

قال له المعتمد : عنقاء مغربة وألف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء ؟ فقال : نعم ، قال : قد أمرنا لك بألف دينار وبألف دينار أخرى تنفقها .

١٩ - وذكر القرطبي صاحب « التذكرة » في كتابه « قمع الحرص بالزهد والقناعة » ، ما صورته : روي أن الإمام أبا عمر ابن عبد البر رضي الله تعالى عنه بلغه وهو بشاطبة أن أقواماً عابوه بأكل طعام السلطان وقبول جوائزه ، فقال :

قل لمن ينكرُ أكلي لطعام الأمراء
أنت من جهلك هذا في محل السُّفهاء

لأن الاقتداء بالصالحين ، من الصحابة والتابعين ، وأئمة الفتوى من المسلمين ، من السلف الماضين ، هو مِلاكُ الدين ، فقد كان زيد بن ثابت — وكان من الراسخين في العلم — يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد ، وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما — مع ورعه وفضله — يقبل هدايا صهره المختار بن أبي عبيد ، ويأكل

١ انظر ما تقدم من : ١٩٤ .

طعامه ، ويقبل جوائزه ، وقال عبد الله بن مسعود - وكان قد ملئ علماً - لرجل سألته ، فقال : إن لي جاراً يعمل بالربا ، ولا يجتنب في مكسبه الحرام ، يدعوني إلى طعامه ، أفأجيبه ؟ قال : نعم ، لك المهنأ وعليه المأثم ، ما لم تعلم الشيء بعينه حراماً ، وقال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه - حين سئل عن جوائز السلاطين - : لحم ظبي ذكي ، وكان الشعبي - وهو من كبار التابعين وعلمائهم - يؤدب بني عبد الملك بن مروان ، ويقبل جوائزه ويأكل طعامه ، وكان إبراهيم النخعي وسائر علماء الكوفة والحسن البصري - مع زهده وورعه - وسائر علماء البصرة وأبو سلمة ابن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة - حاشا سعيد بن المسيب - يقبلون جوائز السلطان ، وكان ابن شهاب يقبلها ، ويتقلب في جوائزهم ، وكانت أكثر كسبه ، وكذلك أبو الزناد ، وكان مالك وأبو يوسف والشافعي وغيرهم من فقهاء الحجاز والعراق يقبلون جوائز السلاطين والأمراء ، وكان سفيان الثوري - مع ورعه وفضله - يقول : جوائز السلطان أحب إلي من صلة الإخوان ، لأن الإخوان يَمُنُّون والسلطان لا يَمُنُّ ، ومثل هذا عن العلماء والفضلاء كثير ، وقد جمع الناس فيه أبواباً ، ولأحمد بن خالد فقيه الأندلس وعالمها في ذلك كتاب حمله على وضعه وجمعه طعن أهل بلده عليه في قبوله جوائز عبد الرحمن الناصر ، إذ نقله إلى المدينة بقرطبة ، وأسكنه داراً من دور الجامع قربها ، وأجرى عليه الرزق من الطعام والإدام والناض ، وله ومثله في بيت المال حظ ، والمستول عن التخليط فيه هو السلطان ، كما قال عبد الله بن مسعود « لك المهنأ وعليه المأثم ، ما لم تعلم الشيء بعينه حراماً » ، ومعنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه ، فمن علم الشيء بعينه حراماً مأخوذاً من غير حلّه كالحرمة وغيرها وشبهها من الطعام أو الدابة وما كان مثل ذلك كله من الأشياء المتعيّنة غصباً أو سرقة أو مأخوذة بظلم بين لا شبهة فيه فهذا الذي لم يختلف أحد في تحريمه ، وسقوط عدالة آكله ، وأخذه وتملكه ، وما أعلم من علماء التابعين أحداً تورّع عن جوائز السلطان ، إلا سعيد بن المسيب بالمدينة ، ومحمد بن

سيرين بالبصرة ، وهما قد ذهبا مثلاً في التورع ، وسلك سبيلهما في ذلك أحمد ابن حنبل وأهل الزهد والورع والتقشف ، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين .
والزهد في الدنيا من أفضل الفضائل ، ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهد فيها أن يحرم ما أباح الله تعالى منها ، والعجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات ، وهم يستحلون المحرمات ، ومثالمهم عندي كالذين سألوا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن المحرم يقتل القُرَاد والحلمة ، فقال للسائلين له : من أنتم ؟ فقالوا : من أهل الكوفة ، فقال : تسألوني عن هذا وأنتم قتلتم الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ؟ وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أتاك من غير مسألة فكله وتموله » ، وروى هذا الحديث أيضاً عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما « ما أتاك من غير مسألة فكله وتموله » ، وروى أبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه ، وفي حديث أحدهما « إنما هو رزق رزقكته الله تعالى » ، وفي لفظ بعض الرواة « ولا ترد على الله رزقه » ، وهذا كله مركب مبني على ما أجمعوا عليه ، وهو الحق ، فمن عرف الشيء المحرم بعينه فإنه لا يحل له ، فهذه المسألة من كلام ابن عبد البر ، انتهى .

٢٠ - وحضر ابن مجبر مع عدو له جاحداً لمعرفه ، وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر ، فقال له الحسود : إن كنت شاعراً فقل في هذه ، فقال ارتجالاً : « سأشكو إلى الندمان » ، إلى آخر الحكاية ، وقد تقدمت في رسالة الشقندي رحمه الله تعالى .

[ترجمة ابن مجبر وشعره]

وابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الحليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهري ،

١ انظر ما تقدم ص : ٢٠٦ .

كان في وقته شاعر المغرب ، ويشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التي صارت مثالا ، وبعدت على قريها مثالا ، وشعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت ، واتصل بالأمير أبي عبد الله ابن سعد بن مردنيش ، وله فيه أمداح ، وأنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح :

إن خير الفتوح ما جاء عفواً مثل ما يخطب الخطيب ارتجالاً

وكان أبو العباس الجراوي حاضراً ، فقطع عليه الحسادة وجدها ، وقال :
يا سيدنا اهتمم بيت وضاح :

خير شراب ما كان عفواً كأنه خطبة ارتجال

فبدر^١ المنصور ، وهو حينئذ وزير أبيه وسنه قريب العشرين ، وقال :
إن كان اهتممه فقد استحقه لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف ، فسر أبوه بجوابه ، وعجب الحاضرون .

ومر المنصور أيام إمرته بأوثة^٢ من أرض شلب ، فوقف على قبر الحافظ أبي محمد ابن حزم ، وقال : عجباً لهذا الموضع ، يخرج منه مثل هذا العالم ، ثم قال : كل العلماء عيال على ابن حزم ، ثم رفع رأسه وقال : كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر ، يخاطب ابن مجبر .

ومن شعر ابن مجبر يصف خيل المنصور من قصيدة في مدحه :

له حلبة الخيل العتاق كأنها نشاوى تهاوت تطلب العزف والقصفا
عرائس أغنتها الحجول عن الحلى فلم تبغ خلخالاً ولا التمسث وقفا
فمين يقق كالطرس تحسب أنه وإن جرّدوه في ملاءته التففا

١ م : فطلق .

٢ ق : بأوقية ؛ ب : بأوقية .

وأبلىّ أعطى الليل نصف إهابه
وَوَزِدَ تَغَشَّى جِلْدَهُ شَقَقُ الدَّجَى
وَأَشْقَرَّ مَجَّ الرِّاحِ صَرْفًا أَدِيمَهُ
وَأَشْهَبَ فِضِّيَّ الْأَدِيمِ مُدْتَرِيَّ
كَمَا خَطَّطَ الزَّاهِي بِمَهْرَقِ كَاتِبٍ
تَهَبُّ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْهَا عَوَاصِفُ
تَرَى كُلَّ طَرَفٍ كَالْغَزَالِ فَتَمْتَرِي
وَقَدْ كَانَ فِي الْبَيْدَاءِ يَأْلَفُ سِرْبَتَهُ
تَنَاوَلَهُ لَفْظُ الْجَوَادِ لِأَنَّهُ

وغار عليه الصُّبحُ فاحتبس النّصفَا
فإذ حازه دَلَّى له الذليلَ والعرفَا
وأصفرَ لم يمسحُ بها جلده صرفَا
عليه خطوطٌ غيرُ مفهمةٍ حرفَا
فجرَّ عليه ذيله وهو ما جَقَا
ستنسفُ أرضَ المُشركينَ بها نسفا
أظنُّبًا ترى تحتَ العجاجةِ أم طِرْفَا
فربَّته مهراً وهي تحسُّه خِشْفَا
إذا ما أردتَ الجريَ أعطاكه ضِعْفَا

ولمّا اتخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش بدار ملكها ، وكانت مدبرة
على انتصابها إذا استقر المنصور ووزرائه بمصلاّة ، واختفائها إذا انفصلوا
عنها ، أنشد في ذلك الشعراء فقال ابنُ مجبر من قصيدة أولها :

أعلمتني ألقي عصا التسيارِ في بلدةٍ ليست بدار قرارِ

إلى أن قال ٢ :

طَوَّرَ أَتَكُونُ مِنْ حَوْتِهِ مَحِيطَةٌ
وَتَكُونُ حِينَئِذٍ عَنْهُمْ غُبُوءَةٌ
وَكَأَنَّهَا عَلِمَتْ مَقَادِيرَ الْوَرَى
فَإِذَا أَحَسَّتْ بِالْإِمَامِ يَزُورُهَا
يَبْدُو فَتَبْلُو ثُمَّ تَخْفَى بَعْدَهُ
كَتَكُونِ الْهَالَاتِ لِلْأَقْمَارِ

١ ق ب : حل .

٢ وردت هذه الأبيات في الحلل الموشية : ١٢٠ .

وممن روى عنه أبو علي الشلوبين وطبقته ، وتوفي بمراكش سنة ٥٨٨ ، وعمره ٥٣ سنة ، رحمه الله تعالى .

وقد حكى الشريفُ الغرناطي شارحُ المقصورة هذه الحكاية بأنهم ممّا ذكرناه ، فقال عن الكاتب ابن عياش كاتب يعقوب المنصور الموحدي ، قال^١ : كانت لأبي بكر ابن مجبر وفادةٌ على المنصور في كل سنة ، فصادف في إحدى وفاداته فراغهُ من إحداث المقصورة التي كان أحدثها بجامعة المتصل بقصره في حضرة^٢ مراكش ، وكانت قد وضعت على حركات هندسيّة تُرفع بها لخروجه وتخفض لدخوله ، وكان جميعُ من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والأدباء قد نظموا أشعاراً أنشدوه إيتاها في ذلك ، فلم يزدوا على شكره ، وتجزّيته الخيرَ فيما جدّد من معالم الدين وآثاره ، ولم يكن فيهم من تصدّى لوصف الحال ، حتى قام أبو بكر ابن مجبر فأنشد قصيدته التي أولها « أعلمتني ألقي عصا التسيار » واستمر فيها حتى ألمّ بذكر المقصورة فقال يصفها « طوراً تكون — إلخ » فطرب المنصور لسماعها ، وارتاح لاختراعها ، انتهى .

وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن ، وبقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر وألف ، والله تعالى وارثُ الأرض ومنّ عليها .

ومن نظم ابن مجبر أيضاً ما كتب به إلى السلطان ملك المغرب ، رحمه الله تعالى ، وقد ولد له ابن ، أعني لابن مجبر :

وُلِدَ الْعَبْدُ الَّذِي إِنْعَامُكُمْ طِينَةٌ أَنْشَأَ مِنْهَا جَسَدُهُ
وَهُوَ دُونَ اسْمٍ لِعَلَمِي أَنَّهُ لَا يُسَمِّي الْعَبْدَ إِلَّا سَيِّدُهُ

وقوله :

مَلِكُ تَرْوِيكَ مِنْهُ شَيْمَةٌ أَنْسَتِ الظَّمَانَ زُرْقَ النُّطْفِ

١ انظر شرح المقصورة ١ : ٧١ .

٢ م : مدينة .

جمعتُ من كلِّ مجدٍ فحكتُ لفظةٌ قد جُمِعتُ من أحرفِ
يعجبُ السامعُ من وصفي لها ووراء العجزِ ما لم أصِفِ
لو أعار السهمَ ما في رأيه من سدّادٍ وهُدًى لم يَصِفِ
حلمهُ الراجحُ ميزانُ الهدى يزنُ الأشياءَ ووزنَ المنصفِ

٢١ - وقال ابن خفاجة ^١ :

صحَّ الهوى منكَ ولكنني أعجبُ من بينٍ لنا يُقدَرُ
كأننا في فلكٍ دائرٍ فأنتَ تحفى وأنا أظهرُ

وهما الغاية في معناهما ، كما قاله ابن ظافر ، رحمه الله تعالى .

٢٢ - وقال الأعمى التُّطيلي ^٢ :

أما اشتفتُ منِّي الأيامُ في وطني حتى تُضايقَ فيما عزَّ من وطري
فلا قضتُ من سَوَادِ العينِ حاجتها حتى تكرَّ على ما طلَّ في الشعْرِ

٢٣ - وقال القاضي أبو حفص ابن عمر القرطبي ^٣ :

هُمُ نظروا لواظَظَها فهاموا وتشربُ لبَّ شاربها المدامُ
يخافُ الناسُ مقتلَها سواها أيْدُ عَرُ قلبَ حامله الحُسامُ
سما طرقي إليها وهو باك وتحت الشمسِ ينسكبُ الغمامُ
وأذكرُ قدَّها فأنوحُ وجَدًا على الأغصانِ تنتدبُ الحمامُ
فأعقبَ بَينَها في الصدرِ غمًّا إذا غَرَبَتِ ذَمَّاءُ أتى الظلامُ

٢٤ - وقال الحاجب عبد الكريم بن مغيث ^٤ :

١ ليسا في ديوان ابن خفاجة .
٢ انظر ما سبق ص : ٢٠٧ ؛ وديوان الأعمى : ٤٩ .
٣ انظر ما سبق ص : ٢٠٩ .
٤ عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث كان حاجباً للحكم الربيعي ، وكان بليغاً شاعراً مفوهاً (انظر -

طارَتْ بنا الخيلُ ومن فوقها شُهْبُ بُزَاةٍ لِحِمَامِ الحِمَامِ
كَأَنَّمَا الأَيْدِي قَسِيٌّ لَهَا والطيرُ أَهْدَافٌ وَهُنَّ السَّهَامُ

٢٥ - وقال أخوه أحمد :

اشْرَبْ عَلَى البِسْتَانِ مَنْ كَفَّ مَنْ يسْقِيكَ مِنْ فِيهِ وَأَحْدَاقِهِ
وَانْظُرْ إِلَى الأَيْكَةِ فِي بُرْدِهِ وَاِحْظِ البَدْرَ بِأَطْوَاقِهِ
وَقَدْ بَدَا السَّرُّوْ عَلَى نَهْرِهِ كَخَافِضٍ شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ

٢٦ - وقال أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله ابن أمية البَلَنْسِي :

إِذَا كَانَ وَدِّيَ وَهُوَ أَنْفَسُ قُرْبَةٍ يُجَازِي بِبَغْضٍ فَالْقَطِيعَةُ أَحْزَمُ
وَمَنْ أَضْيَعُ الْأَشْيَاءِ وَدٌّ صَرَفْتَهُ إِلَى غَيْرٍ مِنْ تَحْظِيٍّ لَدَيْهِ وَتَكْرَمُ

[حكايات في البديهة والارتجال]

٢٧ - ومن حكايات أهل الأندلس^١ في خلع العذار والطرب والظرف وغير ذلك كسرعة الارتجال ما حكاها صاحب « بدائع البدائنه » قال^٢ : أخبرني مَنْ أثنى به بما هذا معناه ، قال : خرج الوزير أبو بكر ابن عمّار والوزير أبو الوليد ابن زَيْدُون ومعهما الوزير ابن خلدون من إشبيلية إلى منظره لبني عباد بموضع يقال له القَنْت^٣ تحفُّ بها مَرْوَجٌ مشرقة الأنوار ، متنسمة الأنجاد والأغوار ، متنسمة عن ثغور النُّوَّار ، في زمان ربيع سقت الأرض السُّحْبُ فيه

= الخلة ١ : ١٣٥ - ١٣٦) وكان له أخ اسمه عبد الملك تولى سرقسطة ، ولم يذكر ابن الأثير أخاه أحمد .

١ هنا يأخذ المقرئ بالنقل عن بدائع البدائنه لابن ظافر الأزدي أكثر حكايات هذا الباب .

٢ بدائع البدائنه ١ : ٢١٤ .

٣ في الأصول : القنت ؛ والبدائنه : القيث .

بوسميتها ووليها ، وجلتها في زاهر ملبسها وباهر حليها ، وأرداف الرئي
قد تأزرت بالأزر الحضر من نباتها ، وأجباد الجداول قد نظم الثوار فلاتده
حول لباتها ، ومجامر الزهر تعطر أردية النسائم عند هباتها ، وهناك من البهار
ما يزرري على مداهن^١ النضار ، ومن النرجس الريان ما يهزأ بتواعس الأجفان ،
وقد نوا الانفراد للهو والطرب ، والتتزه في روضي النبات والأدب ، وبعثوا
صاحباً لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم ، ونظام مسرتهم ، ليأتيهم بنبيد
يذهبونهم بذهبه في لجين زجاجه ، ويرمونه منه بما يقضي بتحريكه للهرب
عن القلوب وإزعاجه ، وجلسوا لانتظاره . وترقب عوده على آثاره . فلما
بصروا به مقبلاً من أول الفج بادروا إلى لقائه . وسارعوا إلى نحوه وتلقائه .
واففق أن فازساً من الجند ركض فرسه فصدمه ووطىء عليه فهشم أعظمه وأجرى
دمه ، وكسر قمعل^٢ النبيذ الذي كان معه ، وفرق من شملهم ما كان الدهر
قد جمعه ، ومضى على غلوائه راكضاً حتى خفي عن العين . خائفاً من
متعلق به يحين بتعلقه الحين ، وحين وصل الوزراء إليه ، تأسفوا عليه ،
وأفاضوا في ذكر الزمان وعدوانه ، والخطب وألوانه ، ودخوله بطوام
المضرات ، على تمام المسرات ، وتكديره الأوقات المنعمات ، بالآفات المaulات .
فقال ابن زيدون :

ألهو والحتوف بنا مطيفه ونأمن والمنون لنا مخيفه

فقال ابن خلدون :

وفي يومٍ وما أدراك يومٍ مضى قِمعالنا ومضى خليفه

١ البدائع : بمداهن .

٢ القمل : القدح الضخم .

فقال ابن عمار :

هما فَعَارَتَا راحٍ وروحٍ . تكسرتا فأشَقَّافاً^١ وجيفه^٢
انتهى .

٢٨ - وذكر ابن بسام ما معناه^٣ أن أبا عامر ابن شهيد حضر ليلة عند
الحاجب أبي عامر المظفر بن المنصور بن أبي عامر بقرطبة ، فقامت تسقيهم
وصيفة عجيبة صغيرة الخلق^٤ ، ولم تزل تسهر في خدمتهم إلى أن همَّ جند الليل
بالانهزام ، وأخذ في تفويض خيام الظلام ، وكانت تسمى أسيماء ، فعجب
الحاضرون من مكابذتها السهر طول ليلتها^٥ على صغر سنها ، فسأله المظفر
وصفها ، فصنع ارتجالاً :

أفدي أسيماء من نديمٍ ملازمٍ للكؤوسِ راتبٍ
قد عجبوا في السُّهاد منها وهي لعمري من العجائب
قالوا : تجافى الرقادُ عنها فقلت : لا ترقُدُ الكواكب

٢٩ - وحكى ابن بسام^٥ ما معناه أن ابن شهيد المذكور كان يوماً مع
جماعة من الأدباء عند القاضي ابن ذكوان ، فجيء بباكورة باقلاً ، فقال
ابن ذكوان : لا ينفرد بها إلا من وصفها ، فقال ابن شهيد : أنا لها ، وارتجل :

إنَّ لآلِيكَ أَحَدَتَتْ صَلَفًا فَأَتَخَذْتُ مِنْ زُمْرٍ صِدْفًا
تَسْكُنُ ضَرَّاتُهَا الْبُحُورَ وَذِي تَسْكُنُ لِلْحَسَنِ رَوْضَةً أَنْفًا
هَامَتْ بِلِحْفِ الْجِبَالِ فَأَتَخَذْتُ مِنْ سِنْدَسٍ فِي جِنَانِهَا لُحْفًا

١ البدائع : نشقافات .

٢ بدائع البداهة ٢ : ٣٢ .

٣ البدائع : وصيفة صغيرة طريفة الخلق .

٤ البدائع : ليلها .

٥ بدائع البداهة ٢ : ٣٣ ؛ وانظر اللخيرة ١/٤ : ٢٨ .

شَبَّهْتُهَا بِالثَّغُورِ مِنْ لُطْفٍ حسبك هذا من برٍّ من لطفها
 جاز ابنُ ذكوانَ في مكارمه حدودَ كَعَبٍ وما به وُصِفَا
 قَدَّمَ دُرَّ الرِّياضِ مُنتخباً منه لأفراسٍ مدحه علفا
 أكلَ ظريفٌ وطعمَ ذي أدبٍ والفول يهواهُ كلُّ من ظرفا
 رخصَ فيه شيخٌ له قدرٌ فكان حسي من المنى وكفى

٣٠ - وقال ابن بسام^٢ : إن جماعة من أصحاب ابن شهيد المذكور قالوا له : يا أبا عامر ، إنك لآتٍ بالعجائب ، وجاذب بذوائب الغرائب ، ولكنك شديد الإعجاب بما يأتي منك ، هازٌ لعطفك عند النادر يُتاح لك ، ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا ، وكان الذي طلبوه منه زبدة التعنيت ، لأن المعنى إذا كان جلفاً ثقيلاً على النفس ، قبيح الصورة عند الحس ، ككثت الفكرة عنه وإن كانت ماضية ، وأساءت القريحة في وصفه وإن كانت محسنة ، وكان في المجلس بابٌ مخلوع معترض على الأرض ولبد أحمر مبسوط قد صفت خفافهم^٣ عند حاشيته ، فقال مسرعاً :

وفتية كالنجوم حسناً كلهم شاعرٌ نبيلٌ
 متقدُّ البنانين ماضٍ كأنه الصارمُ الصَّقيْلُ
 راموا انصرافي عن المعالي والغربُ من دونها كليلٌ
 فاشتدَّ في إثرها فسِيحٌ كلُّ كثيرٍ له قليلٌ
 في مجلسٍ زانه التصابي وطاردت وصفه العقولُ

١ دوزي : رقد .

٢ بدائع البدائ ٢ : ٣٣ ؛ وانظر اللخيرة ١/٤ : ٢٧ .

٣ ب : قد رصت ؛ البدائع : نعالهم .

٤ في الأصول : قليل ، والتصويب عن البدائع واللخيرة ؛ وفي الأصول أيضاً : عن دونها .

٥ في الأصول : فالشد في أمرها .

كَأَنَّمَا بِأَبْهٍ أُسِيرٌ قَدْ عَرَضْتُ^١ دُونَهُ نُصُولُ
يَرَادُ مِنْهُ الْمَقَالُ قَسْرًا وَهُوَ عَلَى ذَاكَ لَا يَقُولُ
نَنْظَرُ مِنْ لِبْدِهِ لِدِينَا بَحْرًا دَمٍ تَحْتَنَا يَسِيلُ
كَأَنَّ أَحْقَافَنَا عَلَيْهِ مَرَاقِبُ مَا لَهَا دَلِيلُ
ضَلَلْتُ فَلَمْ تَدْرِ أَيْنَ تَجْرِي فَهَلْ عَلَى شَطَطِهِ تَقِيلُ

فَعَجِبَ الْقَوْمُ مِنْ أَمْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ فَمَرَّ عَلَى بَعْضِ مَعَارِفِهِ مِنْ
الطَّرَافِيِّينَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ زَنْبِيلٌ مَلَّانَ حَرَشْفًا^٢ ، فَجَعَلَ يَدُهُ فِي بِلْجَامِ بَغْلَتِهِ ، وَقَالَ :
لَا أَتْرُكَكَ أَوْ تَصِفَ الْحَرَشْفَ ، فَقَدْ وَصَفَهُ صَاعِدٌ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ
شَهِيدٍ : وَيْحَكَ ! أَعْلَى مِثْلَ هَذِهِ الْحَالِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَارْتَجَلَ^٣ :

هَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ يَا خَلِيلِي قَنَافِذَا تُبْنَعُ فِي زَنْبِيلٍ
مِنْ حَرَشَفٍ مُعْتَمِدٍ جَلِيلٍ ذِي لَبَرٍ تَنْفُذُ جِلْدَ الْفِيلِ
كَأَنَّهَا أَنْيَابُ بَنَاتِ الْعَوَالِمِ لَوْ نَحَسَّتْ فِي أَسْتِ أَمْرِيءٍ ثَقِيلِ
لَقَفَزَتْهُ نَحْوَ أَرْضِ النَّيْلِ لَيْسَ يَرَى طَيِّ حَشَا مَسْدِيلِ
نَقْلُ السَّخِيفِ الْمَائِنِ الْجَهُولِ وَأَكْلُ قَوْمٍ نَازِحِي الْعُقُولِ
أَقْسَمْتُ لَا أَطْعِمُهَا أَكِيلِي وَلَا طَعَمْتُهَا عَلَى شَمُولِ

انتهى .

٣١ - وَقَالَ فِي «بَدَائِعِ الْبَدَائِعِ»^٤ : دَخَلَ الْوَزِيرُ أَبُو الْعَلَاءِ زُهْرُ بْنُ
الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنُ زُهْرٍ عَلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ رَزِينَ فِي مَجْلَسِ
أَنْسٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ سَاقٌ يَسْقِي بِخَمْرٍ مِنْ كَأْسِهِ وَلَحْظُهُ ، وَيَبْدِي دُرَيْنَ مِنْ حَيَابِهِ

١ ب : عارضت .

٢ ب : زنبيل حرشف .

٣ الأخيرة ١/٤ : ٢٨ .

٤ ب ودوزي : نبت .

٥ بدائع البدائع ٢ : ٤٢ .

ولفظه ، وقد بدا خَطُّ عِذاره في صحيفة خدّه ، وكل حسنه باجتماع الضدّ
منه مع ضده ، فكأنّه بسحر لحظه أبدى ليلاً في شمس ، وجعل يومه في الحسن
أحسن من أمس ، فسأله ابنُ رزين أن يصنع فيه ، فقال بديهاً :

تضاعف وجدي إذ تبدّى عِذارُهُ ونمّ فخانَ القلبِ منّي اضطبارُهُ
وقد كان ظنّي أن سيمحقَ ليلُهُ بدائعَ حسنٍ هامَ فيها نهارُهُ
فأظهر ضدُّ ضدّه فيه إذ وَشَتْ بعنبرِهِ في صفحةِ الخدّ ناره
واستزاده ، فقال بديهاً :

مُحِيَّتْ آيَةُ النّهارِ فأضحى بَدَرَ تِمِّمٍ وكان شَمْسَ نهارِ
كان يُعْشِي العيونَ نوراً إلى أن شَغَلَ اللهُ خَدَّهُ بِالْعِذارِ
وصنع أيضاً :

عِذارُ أَلَمَ فأبْدَى لَنَا بدائعَ كَنّا لها في عَمَى
ولو لم يَمِنْ النّهارَ الظّلا مٌ لم يَسْتَبِنْ كوكبٌ في السّما
وصنع أيضاً :

تَمَّتْ عَاسِنُ وَجْهِهِ وتكاملتْ لما استدار به عِذارُ مَوْنِقُ
وكذلك البدرُ المنيرُ جماله في أن يَكْنَفَهُ سماءُ أَزْرَقُ
انتهى .

٣٢ - وحكى الحميدي^١ وغيره أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة
كان أديباً شاعراً سريع البديهة ، كثير النوادر ، وهو من جلساء الأمير محمد بن
عبد الرحمن الأموي ملك الأندلس ، وحكوا أنّه دخل عليه في يوم ذي غَيْمٍ ،

١ الجذوة : ٢٤٥ ؛ وبدائع البداهة ٢ : ٨٦ .

وبين يديه غلام حسن المحاسن ، جميل الزي ، لينُ الأخلاق ، فقال الأمير :
يا ابن عاصم ما يصلح في يومنا هذا ؟ فقال : عفار تنفر الذبّان^١ ، وتؤنس
الغزّلان ، وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤونة التحفّظ ، وأرخيَ
له عِنانُ التبسّط ، يديرها هذا الأغيد المليح ، فاستضحك الأمير ، ثم أمر
بمراتب الغناء ، وآلات الصهباء ، فلما دارت الكأس ، واستمطر الأمير
نواده^٢ ، أشار إلى الغلام أن يلحّ في سقّيه ، ويؤكد عليه ، فلما أكثر رفع
رأسه إليه وقال على البديهة :

يا حَسَنَ الْوَجْهِ لَا تَكُنْ صَلِيفاً ما لِحسانِ الْوُجُوهِ وَالصَّلَفِ
تُحَسِّنُ أَنْ تُحَسِّنَ الْقَبِيحَ وَلَا ترني لَصَبٍّ مَتِيماً دَنِيفِ

فاستبدع الأمير بديهته ، وأمر له ببكرة ، ويقال : إنّه خيره بينها وبين
الوصيف ، فاختارها نفيّاً للظنّة عنه^٣ ، انتهى .

[استطراد حول ابن ظافر]

قلتُ أذكرتني هذه الحكاية ما حكاها علي بن ظافر عن نفسه إذ قال^٤ :
كنت عند المولى الملك الأشرف بن العادل بن أيّوب سنة ٦٠٣ بالرها ، وقد وردتُ
إليه في رسالة ، فجعلني بين سمعه وبصره ، وأنزلني في بعض دوره بالقلعة بحيث
يقرب عليه حضوري في وقت طلبتي أو إرادة الحديث معي ، فلم أشعر في بعض
الليالي وأنا نائم في فراشي إلاّ به ، وهو قائم على رأسي ، والسكر قد غلب عليه ،
والشمع تزهّر حوآليه^٥ ، وقد حف مماليكه به ، وكأنّهم الأقمار الزواهر ، في

١ في أصول النفع : تنفد الدنان .

٢ ب : نواره .

٣ ويقال . . . عنه : سقطت هذه العبارة من ب .

٤ بدائع البدائ ٢ : ٦١ .

٥ البدائع : والشموع تزهّر بين يديه .

ملابس كالرياض ذات الأزاهر ، فقامت مُروّعاً ، فأمسكني وبادر بالجلوس
إلى جانبي بحيث منعني عن القيام عن الوساد ، وأبدى من الحميل ما أبدلني بالنفاق
بعد الكساد ، ثم قال : غلبني الشوق إليك ، ولم أُرِدْ إزعاجك والثقيل عليك ،
ثم استدعى مَنْ كان في مجلسه من خواص القوالين ، فحضرُوا وأخذوا من الغناء
فيما يملأ المسامع التذاذاً ، ويجعل القلوب من الوجد جُذاذاً ، وكان له في ذلك
الوقت مملوكان هما نَيْرَا سماء ملكه ، وواسطنا درّ سِلْكِه ، وقطبا فلك طربه
ووجْده^١ ، وركنا بيت سروره ولوه ، وكانا يتناوبان في خدمته ، فحضر
أحدهما في تلك الليلة وغاب الآخر ، وكان كثيراً ما يُداعِبني في أمرهما ،
ويستجلب مني القول فيهما والكلام في التفضيل بينهما ، فقلت للوقت :

يا مالِكاً لم يحك سِيرَتَه ماضٍ ولا آتٍ من البشرِ
اجتمعَ لَنَا تفديكَ أنفُسُنَا في الليلِ بينَ الشمسِ والقمرِ

فطرب ، وأمر في الحال باستدعاء الغائب منهما ، فحضر والنوم قد زاد
أجفانه تفتيراً ، ومعافطه تكسيراً ، فقلت بين يديه بديهاً في صفة المجلس :

سقى الرحمنُ عَصراً قد مضى لي بأكنافِ الرُّها صَوْبَ الغمامِ
وليلاً باتتِ الأنوارُ فيه تَعَاوَنُ في مدافعةِ الظلامِ
فنورٌ من شموعٍ^٢ أو ندأى ونورٌ من سُقاةٍ أو مُدامِ
يطوفُ بأنجمِ الكاساتِ فيه سُقاةٌ مثلُ أقمارِ التمامِ
تريك بهِ الكؤوسُ جمودَ ماءٍ فتحسبُ راحها ذَوْبَ الضَّرامِ
يُحْمِلُ بهِ غصوناً من قدودِ غناء مثلِ أصواتِ الحمامِ
فكم من مَوْصِلِيٍّ فيه يَشْدُو فيُنْسِي النفسَ عاديةَ الحمامِ

١ البدائع : وزهره .

٢ ب : شمع .

وكم من زُلْزُلٍ للضربِ فيهِ وكم للزَّمْرِ فيهِ من زُفَامِ
لدى موسى بن أيوبَ المرجى إذا ما ضنَّ غَيْثٌ بانسجامِ
ومن كمْظفَرٍ الدينِ المليكِ إلَ أجَلَّ الأشرفِ النَّدْبِ الهمامِ
فما شمسٌ تُقاسُ إلى نجومِ تحاكي قدرَهُ بينَ الكرامِ
فدامَ مُخَلَّدًا في الملكِ يبقَى إذا ما ضنَّ دهرٌ بالدوامِ

فلما أنشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفي ،
ووضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لي ، انتهى .
ولابن ظافر هذا بدائع : منها ما حكاه عن نفسه إذ قال ^١ : ومن أعجب
ما دُهِيت به ورُميت ، إلا أن الله بفضله نصر ، وأعطى الظَّفر ، وأعانَ
خاطري الكليل ، حتى مضى مضاء السيف الصقيل ، أنقي كنت في خدمة مولانا
السلطان الملك العادل بالإسكندرية سنة إحدى وستمئة مع من ضمته حاشية
العسكر المنصور من الكتَّاب والخواشي والخدام ، ودخلت سنة اثنتين وستمئة
ونحن بالثغر مقيمون في الخدمة ، مرتضعون لأفاويق النعمة ، فحضرتُ في
جملة من حضر الهناء ، من الفقهاء بالثغر والعلماء ، والمشايخ والكبراء ،
وجماعة الديوان والأمراء ، واتفق أن كان اليوم من أيام الجلوس لإمضاء
الأحكام والعرض لطوائف الأجناد ، فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من أهل
العسكر إلا حضر مهنيًا ، ومثل شاكراً وداعياً ، فحين غصَّ المجلس بأهله ،
وشرق بجمع السلطان وحفله ، وخرج مولانا السلطان إلى مجلسه ، واستقر في
دستته ، أخرج من بركة قبائه كتاباً ناوله للصاحب الأجل صفى الدين أبي محمد
عبد الله بن علي وزير دولته ، وكبير جملته ، وهو مفضوض الختام ، مفكوك
الفيدام ، ففتحه فإذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم كتبها إليه يتشوقه
ويستعطفه لزيارته ، ويرققه ويستحثه على عود ركابه إلى بلاد الشام ، للمناغرة

١ بدائع البداهة ٢ : ٥٥ .

بها ، وقمّع عدوّها ، ويعرض بذكر مصر وشدة حرّها ، ووقد جمرها ، وذلك
بعد أن كان وصل إلى خدمته بالثغر ثمّ رجع إليها ، والأبيات :

أروي رماحك من نحر عداكا	وانهب بخيلك من أطاع سواكا
واركب خيولاً كالسّعالِي شُرْباً	واضرب بسيفك من يشق عصاكا
واجلب من الأبطال كل سَمِيدِع	يقري بعزمك كل من يشناكا
واستريح السّمْر الطوال وروّها	واسق المنية سيفك السفّاكا
وسير الغداة إلى العداة مبادراً	بالضرب في هام العدو دراكا
وانكح رماحك للثغور فإنتها	مُشْتاقّة أن تبني بعلاكا
فالعز في نصّب الخيام على العدا	تردي الطغاة وتدفع الملاكا
والنصر مقرون بهمتك التي	قد أصبحت فوق السماك سماكا
فإذا عزمت وجدت من هو طائع	وإذا نهضت وجدت من يخشاكا
والنصر في الأعداء يوم كريمة	أحلى من الكأس الذي رواقا
والعجز أن تُضحي بمصر راهناً	وتحل في تلك العيراص عراكا
فأرح حشاشتك الكريمة من لظى	مصر لكي تحظى الغداة بذاكا
فلقد غدا قلبي عليك بحرقه	شغفاً ولا حرّ البلاد هناكا
وانهض إلى راجي لقاك مسارعاً	فمنّاه من كل الأمور لقاكا
وأبرد فؤاد المستهام بنظرة	وأعد عليه العيش من رؤياكا
واشف الغداة غليل صبّ هائم	أضحى مناه من الحياة منّاكا
فسعادتي بالعدل الملك الذي	ملك الملوك وقارن الأفلاكا
فبقيت لي يا مالكي في غبطة	وجعلت من كل الأمور فداكا

فلما تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها ، وجلا منها العروس التي
حازت من المحاسن أبعدا غاياتها ، أخذ الناس في الاستحسان لغريب نظامها ،

١ م : أبداع .

وتناسق الثامها ، والثناء على الخاطر الذي نظم بديع أبياتها ، وأطلع من مشرق فكره آياتها ، فقال السلطان : نريد مَنْ يحببنا بأبيات على قافيتها ، فالتفت مسرعاً إليّ وأنا عن يمينه ، وقال : يا مولانا مملوكك فلان هو فارس هذا الميدان ، والعتاد للتخلص من مضايق هذا الشأن ، ثم قطع وصلاً من درج كان بين يديه ، وألقاه إليّ ، وعمد إلى دواته فأدارها^١ بين يديّ ، فقال له السلطان : أهكذا على مثل هذا الحال ؟ وفي مثل هذا الوقت ؟ فقال : نعم ، أنا قد جربتته فوجدته مُتقد الخاطر ، حاضر الذهن ، سريع لإجابة الفكر ، فقال السلطان : وعلى كل حال قُمْ إلى هنا لتكفّ عنك أبصار الناظرين ، وتنقطع عنك ضوضاء الحاضرين ، وأشار إلى مكان عن يمين البيت الخشب الذي هو بالجلوس فيه منفرد ، فقمْتُ وقد فقدت رجلي اتخذالاً ، وذهني اختلالاً ، هيبية المجلس في صدري ، وكثرة من حضره من المترقبين لي ، المنتظرين حلول فاقرة الشماتة بي . فما هو إلا أن جلست حتى ثاب إليّ خاطري ، واثال الكلامُ على سرائري^٢ ، فكنت أتوهم أن فكري كالبازي الصيود لا يرى كلمة إلا أنشب فيها منسيرة^٣ ، ولا معنى إلا شك فيه ظفيرة^٤ ، فقلت في أسرع وقت :

وَصَلَّتْ من الملك المعظم تحفة ملأتُ بفاخير دُرِّها الأسلاك
أبياتُ شعري كالنجوم بجلالة فلذا حكّت أوراقها الأفلاك
عجباً وقد جاءت كمثل الروض إذ لم تُدوِّها بالحرّ نارُ ذكاكا
جَلَّتْ الهموم عن الفؤاد كمثل ما تجلو بغرة وجهك الأحلاك
كقميص يوسف إذ شفت يعقوب رية هاهُ شَفَتني مثله ريتاكا
قد أعجزت شعراء هذا العصر كلّهم فلم لا تُعجز الأملكا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله أن يحتويه من الأنام سواكا

١ م : فألقاها .

٢ البدائع : واثال الشعر على ضمائري .

لِمَ لَا أُغِيبُ عَنْ الشَّامِ وَهَلْ لَهُ
أَمْ كَيْفَ أَخْشَى وَالْبِلَادُ جَمِيعُهَا
يَكْفِي الْأَعَادِي حَرُّ بَأْسِكَ فِيهِمْ
مَا زَرْتُ مَصْرَ لَغَيْرِ ضَبْطٍ تُغَوِّرُهَا
أَمْ الْبِلَادُ عَلَا عَلَيْهَا قَدْرُهَا
طَابَتْ وَحَقُّهَا وَلَمْ لَا وَهِيَ قَدْ
أَنَا كَالسَّحَابِ أَزُورُ أَرْضًا سَاقِيًا
مَكْنِي جِهَادًا لِلْعَدُوِّ لِأَنْتِي
لَوْلَا الرِّبَاطُ وَغَيْرُهُ لَقَصِدْتُ بَا
وَلَنْ أَتَيْتُ إِلَى الشَّامِ فَإِنَّمَا
إِنِّي لِأَمْنُحَكَ الْمَحَبَّةَ جَاهِدًا
فَافْخَرْ فَقَدْ أَصْبَحْتَ بِي وَبِأَسْكَ
لَا زِلْتَ تَقْهَرُ مَنْ يَعَادِي مَلَكْنَا
وَأَعِيشُ أَبْصِرُ لِبَنِكَ الْبَاقِي أَبَا
مَنْ حَاجَةٌ عِنْدِي وَأَنْتَ هُنَاكَ
مَحْمِيَّةٌ فِي جَاهٍ طَعَنَ قَنَاكَ
أَضْعَافُ مَا يَكْفِي الْوَلِيَّ نَدَاكَ
فَلَذَا صَبِرْتُ فُدَيْتَ عَنْ رُؤْيَاكَ
لَا سِيَّمَا مَذْ شُرْفَتُ بِخُطَاكَ
حَوَّتِ الْمَعْلَى فِي الْقَدَاحِ أَخَاكَ
حِينَ ، وَأَمْنَحُ غَيْرَهَا سُقْيَاكَ
أَغْزَوْهُ بِالرَّأْيِ السَّيِّدِ دِرَاكَ
سِيرَ الْحَيْثُ إِلَيْكَ نَيْلَ رِضَاكَ
يَحْتَشِي شَوْقٌ إِلَى لُقْيَاكَ
وَهَوَايَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ هَوَاكَ
حَامِي وَكُلُّ مَمْلُوكٍ يَخْشَاكَ
أَبْدًا ، وَمَنْ عَادَاكَ كَانَ فِدَاكَ
وَتَعِيشُ تُخْدَمُ فِي السَّعُودِ أَبَاكَ

ثمَّ عدتُ إلى مكاني وقد بيَّضتها، وحليت بزهرها ساحة القرطاس وروَّضتها،
فلَمَّا رآني السلطانُ قد عدتُ قال لي : هل عملت شيئاً ؟ ظنناً منه أن العمل في
تلك اللوحة القريبة معجز متعذر، وبلوغ الغرض فيها غير متصور ، فقلت :
قد أجبت ، فقال : أنشدنا^١ ، فصمت الناسُ ، وحدقت الأبصار ، وأصاحت
الأسماع ، وظنَّ الناسُ بي الظنون ، وترقبوا منِّي ما يكون ، فما هو إلا أن
توالى الإنشاد لأبياتها حتى صفقت الأيدي إعجاباً ، وتغامزت الأعين استغراباً ،
وحين انتهيت إلى ذكر مولانا الملك الكامل ، بآته المعلَّى في البنين إذا ضربت
قِدَاحَهُمْ ، وسُردت أمداحهم ، اغرورقت عيناه دمعاً لذكره ، وأبان صمته

١ ب : أنشد .

مخفي المحبة حتى أعلن بسرّه ، وحين انتهيت إلى آخرها فاض دمه ، ولم يمكنه دفعه ، فمدّ يده مستدعياً للورقة ، فناولتها إلى يد الصاحب ، فناولها له ، وعند حصولها في يده قام من غير إشعار لأحد بما دار من إرادة القيام في خلكه ، سترأ لما ظهر عليه من الرقة على الموالي الأولاد ، وكتماً لما عليه من الوجد بهم والمحبة لهم ، وانفض المجلس .

ولأنما حمل الصاحب على هذا الفعل الذي غرّر بي فيه وخاطر بي بالتعريض له أشياء كان يقترحها علي فأنفذ فيها من بين يديه ، ويخف الأمر منها علي لدالي عليه ، منها أنني كنت في خدمته سنة ٥٩٩ بدمشق ، فورد عليه كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين صاحب حماة ، وقد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره فتشغل بتسويد جواب كتابه ، فلما كتب بعضه التفت إلي وقال : اصنع أبياتاً أكتبها إليه في صندّر الجواب ، واذكر فيها شعره ، فقلت له : على مثل هذه الحال ؟ فقال : نعم ، فقلت بقدر ما أنجز بقية النسخة :

أيا ملكاً قد أوسّع الناس نائلاً	وأغرقهم بئذلاً وعمّهم عدلاً
فدينك حبّ للناس فضلاً يزينهم	فقد حزت دون الناس كلهم الفضلاً
ودونك فامنحهم من العلم والحجى	كما منحتهم كفك الجود والبذلاً
إذا حزت أوفى الفضل عفواً فما الذي	تركت لمن كان القريض له شغلاً
وماذا عسى من ظلّ بالشعر قاصداً	لبابيك أن يأتي به جلّ أو قلاً
فلا زلت في عزّ يدوم ورفعة	تحوز ثناء يملأ الوعر والسهلاً

ووقع لابن ظافر أيضاً من هذا النمط^١ أنه دخل في أصحاب له يعودون صاحباً لهم ، وبين يديه بركة قد راق ماؤها ، وصحّت سماؤها ، وقد رُصّ تحت دساتيرها نارنج فتن قلوب الحُصَّار ، وملاً بالمحاسن عيون النُّظَّار ، فكأنما

١ بدائع البدائ ٢ : ٥٤ .

رُفِعَتْ صَوَالِجُ فَضَّةٍ عَلَى كِرَاتٍ مِنَ التُّضَارِ ، فَأُشَارَ الْحَاضِرُونَ إِلَى وَصْفِهَا ،
فَقَالَ بَدِيحًا :

أَبْدَعْتَ يَا بَنَ هَلَالََ فِي فَسْقِيَّةٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهَا بِمَا لَمْ يُعْهَدِ
عَجَبًا لِأَمْوَهِ الدِّسَاتِيرِ الَّتِي فَاضَتْ عَلَى نَارِنِجِهَا الْمُتَوَقِّدِ
فَكَأَنَّهُنَّ صَوَالِجٌ مِنْ فَضَّةٍ رُفِعَتْ لِضَرْبِ كِرَاتٍ خَالِصٍ عَسَجِدِ

[قلادة ابن قلاقس في الارتجال]

وَمِنْ بَدِيحِ الْارْتِجَالِ مَا حَكَاهُ الْمَذْكُورُ عَنْ ابْنِ قَلَاقِسِ الْإِسْكَنْدَرِيِّ رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى إِذْ قَالَ ^١ : دَخَلَ الْأَعَزُّ أَبُو الْفَتْوحِ ابْنُ قَلَاقِسٍ عَلَى بِلَالِ بْنِ مَدَافِعٍ
بِلَالِ الْفَزَارِيِّ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ سَيْفًا قَدْ نَظَّمَ الْفَرِيدُ فِي صَفْحَتِهِ جَوْهَرَهُ ، وَأَذَكِي
الدَّهْرِ نَارَهُ وَجَمَدَ نَهْرَهُ ، وَأَلْبَسَهُ مِنْ سِلَاحِ الْأَفَاعِي رِدَاءً وَجَسَّمَهُ رَدَى أَوْ دَاءً ،
لَا يَمْنَعُ مِنْ بَرْقِهِ بَدْرٌ مَجْنٍ وَلَا ثَرِيًّا مَغْفَرٌ ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ حَدِّهِ مَنْ ثَبِتَ وَلَا يَنْجُو
لَطُولُهُ مِنْ فَرٍّ ، فَهُوَ يَبْكِي لِلتَّفَاقُ وَيَضْحَكُ ، وَيُرْعِدُ لِلْغَيْظِ وَيَفْتَكُ ، وَأَمْرُهُ
بِصِفَةِ شَانِهِ ، فَقَالَ عَلَى لِسَانِهِ :

أُرْوَقُ كَمَا أُرْوَعُ فَلَمَّا تَصِفْتَنِي فَلَمَّي رَائِقُ الصَّفْحَاتِ رَائِعُ
تَدَافِعُ بِي خُطُوبَ الدَّهْرِ حَتَّى نَقَلْتُ إِلَى بِلَالٍ عَنْ مَدَافِعِ
وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

رَبِّ يَوْمٍ لَهُ مِنَ النَّقْعِ سُحْبٌ مَا لَهَا غَيْرَ سَائِلٍ ^٢ الدَّمِ وَدَقُ
قَدْ جَلَّتْهُ يَمْنَى بِلَالٍ بِحَدِّي فَكَأَنِّي فِي رَاحَةِ الشَّمْسِ بِرَقُ

١ المصدر نفسه ٢ : ٤٧ .

٢ ب : مائر .

وقال أيضاً فيه :

فكأنما استمليتُ تلك وهذه لنا في الكريهة كالشهاب الساطع
من صفحة تبْدُو وحدَّ قاطعٍ من وصف كَفَّ بلال ابن مدافعٍ

وقال أيضاً فيه :

انظر المُطَرَّدِ المياه بصفحتي ولنا حَدَّيْ كم بها من صالي
قد عاد شَدَّيْ في المضايق شيمتي كبلال ابن مدافع بن بلال
وسأله صاحبٌ له وَصَفَ مشط عاج قد أشبه الثريا شكلاً ولونا ، وشقَّ ليلاً
من الشعر جَوْنًا ، فقال :

ومُتَيْمٍ بالآبنوس وجسمه عاجٌ ومن أدهانه شُرْفاته^١
كتمت دَيَاجي الشعر منه بدرها فوشَّتْ به للعين عَيِّوقاته

وقال فيه :

وأبيض ليل الآبنوس إذا سَرَى تمزَّقَ عن صُبْحٍ من العاج باهرٍ
وإن غاص في بحر الشعور رأيتَه تُبَشِّرنا أطرافه بالجوهر

وقال فيه :

ومشرق يشبه لونَ الضُّحَى حُسناً ويسري في الدجى الفاحم
وكلَّما قَلَّبَ في لَمَّةٍ أضحكها عن ثَغْرِ باسمٍ
وجلس بمصر في دار الأنماط يوماً مع جماعة ، فمرت بهم امرأة تُعرف
بأبنة أمين الملك ، وهي شمس تحت سحاب النَّقَاب ، وغصن في أوراق الشباب ،

١ ب : حرقاته .

فحدّثوا إليها تحديق الرقيب إلى الحبيب ، والمريض إلى الطبيب ، فجعلت تتلفت
تَلَفَّت الظبي المدعور ، أفرقه القانصُ فهرب ، وتثنى تثنى الغصن الممطور
عائقه النسيم فاضطرب ، فسأله العمل في وصفها ، فقال : هذا يصلح أن يعكس
فيه قول العطار الأزدي القيرواني :

أعرضنَ لما أن عرضن ، فإن يكنْ حذراً فأين تَلَفَّت الغزلانِ
ثمَّ صنع :

لها ناظرٌ في ذرا ناضِرٍ كما رُكِبَ السنُّ فوق القناةِ
لوتُ حينَ وَلَّتْ لنا جيدَها فأَيَّ حياةٍ بدَتْ من وفاةِ
كما ذُعِرَ الظبيُّ من قانصٍ فمرَّ وكرَّرَ في الالتفاتِ
ثمَّ صنع أيضاً :

ولطيفة الألفاظِ لكنْ قَلْبُها لم أشكُ منه لَوَعَةٌ إِلَّا عَنَّا
كملتُ محاسنُها فودَّ البدرُ أن يحظى ببعضِ صفاتها أو ينعنا
قد قلتُ لما أعرضتُ وتعرضتُ يا مؤيساً يا مُطعماً قُلْ لي متى
قالتُ أنا الظبيُّ الغريرُ وإنما وَلَّى وأوجسَ نَبَأَةً ٢ فتلفتنا

قال علي بن ظافر : وحضر يوماً عند بني خليف بظاهر الإسكندرية في
قصر رسا بناؤه وسما ، وكاد يمزق بمزاحمته أثواب السما ، قد ارتدى جلابيبَ
السحاب ولات عمام الغمام ، وابتسمت ثنايا شرفاته ، وانسمت بالحسن
حنايا غرفاته ، وأشرف على سائر نواحي الدنيا وأقطارها ، وحَبَّتْه الرياض
بما ائتمنتها عليه السُّحب من ودائع أمطارها ، والرمل بفينائه قد نثر تبره في زبرجد

١ سقط البيت من ب .

٢ في الأصول : نبوة .

كرومه ، والجو قد بعث بدخائر الطيب لطيفة نسيمه ، والنخل قد أظهرت
جواهرها ، ونشرت غدائرها ، والطل ينثر لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه ،
والبحر يرعد غيظاً من عبث الرياح به ، فسأله بعض الحضور أن يصف ذلك
الموضع الذي تمت محاسنه ، وغُيِّط به ساكنه ، فجاشت لذلك لُجَجُ بحره ،
وألقت إليه جواهره لترصيع لَبّة ذلك القصر ونَحْرِهِ ، فقال :

قصرٌ بمَدْرَجَةِ النسيم تحدثت فيه الرياضُ بسرّها المستور
خفَضَ الخورنقُ والسديرُ سُمُوهُ وثنى قصورَ الروم ذاتَ قُصُورِ
لا ث الغمامَ عمامةً ميسكيةً وأقام في أرضٍ من الكافورِ
غنى الربيعُ به محاسنَ وصفه فافترَّ عن نورٍ يروقُ ونُورِ
فالدَّوحُ يسحبُ حُلَّةً من سندسٍ تزهى بلؤلؤ طلّها المنثورِ
والنخلُ كالغيد الحسنِ تقرّطت بسبائك المنظوم والمنثورِ
والرملُ في حبّك النسيم كأنما أبدى غصونَ سوافِ المدحورِ
والبحرُ يرعدُ منه فكأنه درعٌ تُشنُّ بمِعْطَفِي مَقْرورِ
وكأننا والقصرُ يجمعُ شملنا في الأفقِ بينَ كواكبٍ وبُلدورِ
وكذاك دهرُ بني خليفٍ لم يزلْ يثني المعاطفَ في حَبِيرِ حُبُورِ

ثم قال ابن ظافر : وأخبرني الفقيه أبو الحسن علي ابن الطوسي المعروف بابن
السيوري الإسكندري النحوي بما هذا معناه ، قال : كنت مع الأعز بن قلايس
في جماعة ، فمر بنا أبو الفضائل ابن فتوح المعروف بالمصري ، وهو راجع من
المكتب ، ومعه دواته ، وهو في تلك الأيام قُرّة العين ظرفاً وجمالاً ، وراحة
القلب قُرْباً ووصالاً ، كل عين إلى وجهه مُحَدِّقَةٌ ، ولمشهد خديّه بِمَحْلُوقِ
الحجل مُحَلِّقَةٌ ، فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه ، فصنع بديهاً :

عَلَّقْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِالْخَطِّ مَعْتَكِفًا عَلَيْهِ
حَمَلَ الدَّوَاةَ وَلَا دَوَا ٥ لِعَاشِقٍ يُرْجَى لَدَيْهِ
فَدَمَاءَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ بِ تَلُوحُ صَبِيغًا فِي يَدَيْهِ
لَمْ أَدْرِ مَا أَشْكُو إِلَيْهِ ٥ أَهْجَرَةً أَمْ مُقْلَتِيهِ
وَالْحَبُّ يُخْرِسُنِي عَلَى أَنْتِي الْكَعْ سَبُوبِهِ
مَا لِي إِذَا أَبْصَرْتُهُ ١ شُغْلٌ سِوَى نَظَرِي إِلَيْهِ

وقد آن وقت الرجعة إلى كلام الأندلسيين الذي حلا ، وأبعدنا عنه بما مر
النَّجْمَةُ ، فنقول :

٣٣ — ذكر الفتح في قلائد العقيان ، كما قال ابن ظافر ، ما معناه ٢ :
أخبرني الوزير أبو عامر ابن بشتغير أنه حضر مجلس القائد أبي عيسى ابن لبّون
في يوم سقرت فيه أوجهُ المسرات ، ونامت عنه أعين المضرات ، وأظهرت
سقاته غصوناً تحمل بدوراً ، وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نوراً ،
وشموس الكاسات تطلع في أكفها كالورد في السوسان ، وتغرب بين أقاحي
نجوم الثغور فتدبل نرجس الأجناف ، وعنده الوزير أبو الحسن ابن الحاج
اللورقي ، وهو يومئذ قد بذل الجهد ، في التحلي بالزهد ، فأمر القائد بعض
السقاة أن يعرض عليه ذهب كاسه ، ويحييه بزبرجد آسه ، ويغازله بطرفه
ويميل عليه بعطفه ، ففعل ذلك عَجِلاً ، فأنشد أبو الحسن مرثلاً :

ومَهْفُفٍ مَرْجَ الْفُتُورِ بِشَدَّةٍ وَأَقَامَ بَيْنَ تَبَذُّلٍ وَتَمَنُّعٍ
يَتَنَبَّهٍ مِنْ فَعْلِ الْمَدَامَةِ وَالصَّبَا سَكَرَانَ سَكْرُ طَبِيعَةٍ وَتَطْبَعٍ
أَوْ مَا إِلَيَّ بِكَاسِهِ فَكَفَفْتُهَا وَرَنَا فَشَفَعَهَا بِلَحْظٍ مُطْمَعٍ

١ البدائع : قابلته .

٢ بدائع البدائه ٢ : ٨٧ ، والقلائد : ١٣٩ .

والله لولا أن يقال هوى الهوى منه بفضل عزيمة وتورع
لأخذت في تلك السبيل بما أخدي فيما مضى ونزعت فيها منزعي

٣٤ - وحكى الحميدي^١ أن عبد الملك بن إدريس الجزيري كان ليلة بين
يدي الحاجب ابن أبي عامر والقمر يبدو تارة ، ويخفيه السحاب تارة ، فقال بديها :

أرى بدر السماء يلوح حيناً فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لأته لما تبدى وأبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نمتني عني إليه لراجعني بتصديقي جوابا

٣٥ - وكان صاعد اللغوي^٢ صاحب كتاب « الفصوص » - وقد تكرر
ذكره في هذا الكتاب - كثيراً ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبي عامر ،
ويصفها ويقرظها ، فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير
أبي عامر أحمد بن شهيد صاحب الغرائب ، وقد تقدم بعض كلامه قريباً ،
إلى المنصور في يوم برّد - وكان أخصّ وزرائه به - بهذه الأبيات :

أما ترى برّد يومنا هذا صيرنا للكُمُون أفذاذا
قد فطرت صحة الكبود به حتى لكادت تعود أفذاذا
فادع بنا للشَّمول مُصْطلياً نُغذُّ سيراً إليك إغذاذا
وادع المسمّى بها وصاحبه^٣ تدع نبلاً وتدع أستاذاً
ولا تبال أبا العلا زها بخمر قُطْرُبٍ وكلواذا
ما دام من أرملاط مشربنا دغ دبر عَمَى وطيزنا باذا^٤

١ جلوة المقتبس : ٢٦٢ ؛ وبدائع البداه ٢ : ٩٦ .

٢ بدائع البداه ٢ : ١٠٣ ؛ واللخيرة ١/٤ : ١٦ .

٣ يريد غلاماً اسمه « شمول » .

٤ سقط هذا البيت من م .

وكان المنصور قد عزم ذلك اليومَ على الانفراد بالحرم ، فأمر بإحضار مَنْ جرى رَسْمُهُ من الوزراء والنُدَماء ، وأحضر ابن شُهَيْد في مُحَفَّةٍ لنقرس كان يعتاده ، وأخذوا في شَأْنِهِمْ ، فمر لهم يوم لم يشهدوا مثله ، ووقت لم يعهدوا نظيره ، وطَمَا الطربُ وسما بهم ، حتى تهايج القوم ورقصوا ، وجعلوا يرقصون بالنوبة ، حتى انتهى الدور إلى ابن شُهَيْد ، فأقامه الوزيرُ أبو عبد الله ابن عباس ، فجعل يرقص وهو متوكئٌ عليه ، ويرتجل ويومئُ إلى المنصور ، وقد غلب عليه السكر^١ :

هاك شيخاً قاده عُدْرٌ لكا قام في رقصته مستهلكا
لم يُطِيقْ يرقصها مستتباً فأننى يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزّها منفرداً نقرسٌ أخنى عليه فأتكا
من وزيرٍ فيهمُ رقاصةٌ قام للسكرِ يناغي ملكا
أنا لو كنتُ كما تعرفني قمتُ لإجلالاً على رأسي لكا
قهقهة الإبريقُ مني ضاحكاً ورأى رِيشةَ رجلي فبيكي

قال ابن ظافر : وهذه قطعة مطبوعة ، وطرفها الأخير واسطتها ، وكان حاضرهم ذلك اليوم رجلٌ بغدادي يعرف بالفكيك ، حسن النادرة سريعها ، وكان ابن شُهَيْد استحضره إلى المنصور فاستطبعه ، فلما رأى ابن شُهَيْد يرقص قائماً مع ألم المرض الذي كان يمنعه من الحركة قال : لله درك يا وزير ! ترقص بالقائمة ، وتصلّي بالقاعدة ، فضحك المنصور ، وأمر لابن شُهَيْد بمال جزيل ، ولسائر الجماعة ، وللبغداديين .

٣٦ — وقال ابن بسام^٢ : حدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن

١ اللخيرة ١/٤ : ١٧ ؛ وزاد في م : وقال ارتجالاً .

٢ بدائع البداه ٢ : ١٠٦ .

عثمان المصحفي قال : دخلت يوماً على أبي عامر ابن شهيد ، وقد ابتدأت علته التي مات بها ، فأنيس بي ، وجرى الحديث إلى أن شكوت له تجنّي بعض أصحابي علي ، ونفاره عني ، فقال لي : سأسعى في إصلاح ذات البين ، فخرجت عنه ، واتفق لقائي لذلك المتجنّي عليّ مع بعض أصحابي وأعزهم علي ، فلما رأني ذلك الصديق مؤثماً عنه أنكر عليه ، وسأله عن السبب الموجب ، فأخبره ، وزادا في مشيهما حتى لحقا بي ، وعزم علي في مكالمة صاحبي ، وتعاتبنا عتاباً أرق من الهواء ، وأشهى من الماء على الظّماء ، حتى جئنا دار أبي عامر ، فلما رأنا جميعاً ضحك وقال : مَنْ كان الذي تولى إصلاح ما كنا سرّرنّا بفساده ؟ قلنا : قد كان ما كان ، فأطرق قليلاً ثمّ أنشد :

مَنْ لَا أُسَمِّي وَلَا أُبَوِّحُ بِهِ أَصْلَحَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَهْوَى
أرسلتُ مَنْ كَابَدَ الهوى فدرى كيف يداوي مواقع البلوى
ولي حقوق في الحبّ ثابتة لكنّ إلقي يعدّها دَعْوَى

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من غرائب أبي عامر ابن شهيد في مواضع متفرقة الغرائب ، وقدمنا في الباب الرابع حكايته مع المرأة الداخلة في رمضان لجامع قرطبة وحكيّا [ها] هناك بلفظ «المطمح» فلتراجع .
وعبّر ابن ظافر عن معناها بقوله ٢ : إن أبا عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة في ليلة السابع والعشرين من رمضان ٣ ، فمرت امرأة به من بنات أجيلاء قرطبة ، قد كملت حسناً وظرفاً ، ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خيشفاً ، وقد حفّت بها الجوارى ، كالبدّر حُفّ بالدراري ، فحين رأت تلك الجماعة ، المعروفة بالخلاعة ، وقد رمقوا ذلك الظبي بعيون أسودٍ رأت فريسة ،

١ البدائع : إخواني .

٢ بدائع البداهة ٢ : ١٠٧ .

٣ من رمضان : سقطت من ب .

ارتاعت وتخوّفت أن تخطف منها^١ تلك الدرة النفيسة ، فاستدّنت إليها خشفها ،
والزمت عطفها ، فارتجل ابن شهيد قائلا :

وناظرة تحت طي القناع .. الخ

ومرت في الباب الرابع هذه الأبيات .

٣٧ - وقال الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدي^٢ : لما نعت
أبا عامر ابن شهيد إلى أبي عبد الله الحنّاط^٣ الشاعر ، وقد عرف ما كان بينهما
من المنافسة ، بكى وأنشدي لنفسه بديهة :

لما نعى الناعي أبا عامرٍ أيقنتُ أنني لستُ بالصابرِ
أودى فتى الظرفِ وتربّ الندى سيّدُ الأولِ والآخِرِ

٣٨ - وقال ابن بسّام^٤ : اصطبح المعتصم بن صُمداح يوماً مع ندمائه ،
فأبرز لهم وصيفة مهلوية منصرفة في أنواع اللعب المطرب من ذلك ، وحضر
أيضاً هناك لاعب مصري ساحر فكان لعه حسناً ، فارتجل أبو عبد الله ابن الحداد :

كذا فلتلخُ قمرًا زاهرا وتجنّي الهوى ناظراً ناضرا
وسيبُك سيبُ تدي مُغدقٍ أقامَ لنا هامياً هامرا
وإنَّ ليومك ذا روثقاً منيراً كنور الضُّحى باهرا
صباحُ اصطباحٍ بإسفاره لحظنا مُحياً العلّا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكؤوس فما زال كوكبها زاهرا
وأسمعتنا لاجناً فاتناً وأحضرتنا لاعباً ساحرا

١ منها : سقطت من ب .

٢ بدائع البداه ٢ : ١٠٩ .

٣ في الأصول : الخياط .

٤ بدائع البداه ٢ : ١٢١ .

يرفرف فوق رؤوس القيانِ فتنظرُ ما يُذهلُ الناظرا
ويحفظها ذيلُ سرباله فتنظرُ طالعها غائرا
فظاهرها ينثني باطنا وباطنها ينثني ظاهرا
وثناه ثانٍ لألعا به دقائق تنثني الحجى حائرا^١
وفي سورة الراح من سحره خواطرُ دلتِ الخاطرا
إذا وردَ اللَّحْظُ أثناءها فما الوهمُ عن وِردِها صادرا
ومن حُسْنِ دهرِك إبداعه فما انْفكَّ عارضُها ماطرا
وسعدُك يمتلبُ المغرباتِ فيجعلُ غائبها حاضرا

٣٩ - قال^٢ : وحضر الأديب أحمد بن الشقاق عند القائد ابن دري^٣
بجيان ، هو وأبو زيد ابن مَقَانَا الأشبوني ، فأحضر لهما ، عنياً أسود مُغَطًى
بورق أخضر ، فارتجل ابن الشقاق :

عنْبٌ تَطْلَعُ من حشَا ورقٍ لنا • صُبِغَتْ غلائلُ جلدِهِ بالإثمدِ
فكأنَّه من بينهنَّ كواكبٌ كسفتُ فلاحَتْ في سماءِ زَبَرْجَدِ

٤٠ - قال^٤ : وحضر ابنُ مرزقان ليلةً عند ذي النون بن خلدون ،
وبحضرته وصيفةٌ تحملُ شمعةً ، فاستحسنها ابن مرزقان ، فقال بديهاً :

يا شمعةً تَحْمِلُهَا أُخْرَى كأنَّها شمسٌ علَّتْ يدرا
امتحنَتْ إحداكما مُهْجَتِي بمثلٍ ما تمتحنُ الأخرى

- ١ اضطربت النسخة م بعد هذا البيت وسقط منها قسط كبير وسنشير إلى موضع التثامها مع النسختين قب .
٢ بدائع البداه ٢ : ١٢٢ وروى ابن بسام القصة (اللخيرة ٢/١ : ٢٦٢) عن المنفعل عبد العزيز
ابن خيرة القرطبي .
٣ ق ب : ابن دريد .
٤ ب : فأحضرهما .
٥ ب : له ؛ اللخيرة : ندي .
٦ بدائع البداه ٢ : ١٢٣ .

٤١ - قال ١ : ودخل الأديب غانم يوماً على باديس صاحب غرناطة ،
فوسّع له على ضيق كان في المجلس ، فقال بديهاً :

صَيَّرَ فؤادكَ للمحبوبِ منزلةً سَمُّ الخياطِ مجالٌ للمحبِّينِ
ولا تسامحْ بغيضاً في معاشره فقلّما تَسَعُ الدنيا بغيضينِ

وأخذه من قول الخليل « ما تضايق سَمُّ الخياطِ بمحتاجين ، ولا اتسعت الدنيا
لمتباغضين » ٢ . وكان الخليل على نُمرُقّة صغيرة ، والمجلسُ متضايق ، فدخل
عليه بعضُ أصحابه ، فوحّب به وأجلسه معه على النمرقة ، فقال له الرجل :
إنّها لا تسعنا ، فقال ما ذكر .

٤٢ - وقال ابن بسّام أيضاً ٣ : أمر الحاجب المنذر بن يحيى التّجيني
صاحب سَرَقُسطّة بعرض بعض الجنّد في بعض الأيام ، ورئيسُهم مملوك له
رومي يقال له خيار في نهاية الجمال ، فجعل ينفخ في القَرْن ليجتمع أصحابه على
عادة لهم في ذلك ، فقال ابن هندو الداني فيه ارتجالاً ٤ :

أَعَنَ بابلُ أجفانُ عَيْنِكَ تنفثُ ومن قومِ موسى أنتَ للعهد تنكثُ
أني الحقّ أن تحكي سَرافيلَ نافخاً وأمكثُ في رَمْسِ الصُّدودِ وألبثُ
عساك ، نَبِيّ الحسن ، تأتي بآيةٍ فتنفخُ في ميت الصُّدودِ فيُبْعَثُ

٤٣ - قال : وكان بقرطبة غلام وسيم ، فمر عليه ابن فرج الجيّاني ،
ومعه صاحب له ، فقال صاحبه : إنّه لصبيح لولا صفرة فيه ، فقال ابن فرج
ارتجالاً ٥ :

١ المصدر نفسه : ١٢٣ .

٢ ب : مبتاغضين .

٣ اللخيرة (٣ : ٢٨٢) .

٤ اللخيرة (٣ : ٢٨٠) .

قالوا : بهِ صُفْرَةٌ عابت محاسنَه فقلتُ : ما ذاك من عيبٍ بهِ نزلا
عيناهُ تطلبُ في أوتارٍ من قتلتُ فليستَ تلقاهُ إلاّ خائفاً وجيلاً

قال : وكان يوماً مع لمة من أهل الأدب في مجلس أنس ، فاحتاج رب
المنزل إلى دينار ، فوجه إلى السوق ، فدخل به عليهم غلام من الصيارف في
نهاية الجمال ، فرمى بالدينار إليهم من فيه تماجناً ، فقال ابن فرج ^١ :

أبصرتُ ديناراً بكفٍ مهفهِفٍ يزُهي بهِ من كثرةِ الإعجابِ
أوما بهِ من فيه ثم رمى بهِ فكأنه بسدرٌ رمى بشهابِ

٤٤ - قال ^٢ : وخرج الأديب أبو الحسن ابن حصن الإشبيلي إلى وادي
قُرطبة في نزهة ، فتذكر إشبيلية ، فقال بديهاً :

ذكرتُك يا حمصُ ذكرى هوى أماتِ الحسودَ وتعنيتَه
كأنك والشمسُ عند الغروبِ عروسٌ من الحسن منحوتَه
غدا النهرُ عقدك والطودُ تا جك والشمسُ أعلاه ياقوتَه

انتهى .

٤٥ - وعبر بعضهم ، وهو صاحب « بدائع البداهة » عن بعض حكايات
صاحب القلائد بما يقاربها في المعنى ، فقال ^٣ : إن المستعين بن هود ملك
سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطة يوماً لتفقد بعض معاقله ، المنتظمة بجيد
ساحله ، وهو نهر رقي مأؤه وراق ، وأزرى على نيل مصر ودجلة العراق ، قد
اكتنفت البساتين من جانبيه ، وألقت ظلالها عليه ، فما تكاد عين الشمس أن

١ اللخيرة (٣ : ٢٨٠) .

٢ بدائع البداهة ٢ : ١٢٤ .

٣ بدائع البداهة ٢ : ١٢٤ .

تنظر إليه ، هذا على اتساع عرضه ، وبُعد سطح مائه من أرضه ، وقد توسّط زورقه زوارق حاشيته توسّط البدر للهالة ، وأحاطت به إحاطة الطفاوة^١ بالغزالة ، وقد أعدّوا من مكاييد الصيد ما استخرج ذخائر الماء ، وأنخاف حتى حوّت السماء ، وأهيلة الهالات طالعة من الموج في سحب ، وقانصة من بنات الماء كلّ طائفة كالشهاب ، فلا ترى إلّا صيوداً كقصيد الصوارم ، وقدود اللهازم ، ومعاصم الأبكار النواعم ، فقال الوزير أبو الفضل ابن حسداي والطرب قد استهواه ، وبديع ذلك المرأى قد استرقّ هَوَاهُ :

لله يومٌ أنيقٌ واضحُ الغررِ	مفضّضٌ مُذهبُ الآصال والبكرِ
كأنما الدهرُ لما ساءَ أعْتَبْنَا	فيه بعْتِي فأبدى صَفْحَ معتدِرِ
نسيرُ في زورقٍ حَفَّ السرورُ به	من جانبيه بمنظومٍ ومثثِرِ
مدّ الشراعُ به قدّاً على ملكِ	بتدّ الأوائلَ في أيامه الآخرِ
هو الإمامُ الهمامُ المستعينُ حوى	علياء مؤتمنٍ في هدْيٍ مقتدِرِ
تحوي السفينةُ منه آيةً عجبا	بحرٌ تجمّع حتى صار في نهْرِ
تثار من قعره النينانُ مُصْعِدةٌ	صيداً كما ظفر الغواصُ بالدرِ
وللندامى به عَيبٌ ومرتشفٌ	كالريق يعذبُ في وردٍ وفي صدْرِ
والشربُ في ودّ مولى خلّقه زهرٌ	يدكو وبهجته أبهى من القمرِ

ثمّ قال ما معناه^٢ : وقوله « نينان » غير معروف ، فإنّ نونا لم يحمى جمعها على نينان ، وقد كان سيبويه لحنَ بشار بن برد في قوله في صفة السفينة :

تلاعبُ نينانُ البحورِ وربّما رأيتَ نفوسَ القومِ من جَرّها تجري

فغيره بشار بـ « تيار البحور » ، وقد قال أبو الطيب يصف خيلاً :

١ الطفاوة : دائرة الشمس .

٢ يدائع البدايه ٢ : ١٢٧ .

فهنَّ مع السَّيدانِ في البرِّ عُسِّلَ* وهُنَّ مع النِّنانِ في البحرِ عُوِّمُ*
انتهى .

والمستعين بن هود هو أحمد بن المؤمن علي أمر الله يوسف بن المقتدر بالله
أحمد بن المستضيء بالله سليمان بن هود ، الجندامي ، رحم الله تعالى الجميع .

٤٦ — وعبر المذكور عن قضية ابن وهبُون في هلال شوال بما نصّه ١ :
خرج ابن وهبون يوماً لنظر هلال شوال ، وأبو بكر ابن القَبْطُرُنة الوزير يسايره ،
وهو يومئذ غلام يُخْجَلُ البدر ، ويدوي ٢ الغُصْنُ النَّضْرُ ، وصفحته لم يسطرها
العِدَارُ بأنقاسه ، ووردة خدّه لم يسترها الشَّعرُ بآسه ، فارتجَل عبد الجليل :

يا هلالُ اسْتَتِرْ بوجهك عَنِّي إنَّ مولاكَ قابضٌ بشمالي
هَبْكَ تحكي سناء خدّاً بخدِّ قم فجنني لقدّه بمثالِ

وقد ذكرنا هذه الحكاية في غير هذا الموضع بلفظ الفتح في « القلائد » ولكنّا
أعدناها هنا لتعبير صاحب « البدائع » عنها محاكياً لطريقته .

٤٧ — وذكر ابن بَسَّام ٣ أن الوزير أبا عبد الله ابن أبي الخصال وقف بباب
بعض القضاة ، واستأذن عليه ، فحُجِبَ عنه ، فكتب إليه بديهاً ٤ :

جئناك للحاجةِ المطولِ صاحبُها وأنت تَنعَمُ والإخوانُ في بوسِ
وقد وقفنا طويلاً عند بابكم ثم انصرفنا على رأي ابن عَبدوسِ

أشار به إلى قول الوزير أبي عامر ابن عبدوس :

١ المصدر السابق ٢ : ١٢٨ .

٣ البدائع : ويزري .

٢ يدائع البدائع ٢ : ١٤٧ .

٤ ب : بديعة .

لنا قاضٍ له خُلُقٌ أَقْلٌ ذَمِيمُهُ النَّزَقُ
إذا جُثَّاهُ يَحْجِبُنَا فَنَلْعَنُهُ وَنَفْتَرِقُ

وهو تمليح مليح ، سامح الله تعالى الجميع .

٤٨ - وقال أبو جعفر الكاتب القرطبي الربضي ^١ :

وأبى المدامة ما أريد بشرها صَلَفَ الرِّقِيعِ ولا انهماك اللاهي
لم يبقَ من عَصْرِ الشبابِ وطيبه شيءٌ كمهدي لم يحُلْ إلا هي
إن كنتُ أشربها لغير وفائها فتركتها للناس لا لله

وبعضهم ينسبها لأبي القاسم عامر بن هشام ، والصواب - كما قال ابن الأبار ^٢ - الأول .

وقال أبو جعفر المذكور في فوارة رخام كلَّفه وصفها والي قرطبة ^٣ :

ما شَغَلَ الطَّرْفَ مثلُ فائِرةٍ تَمِجُ صِرْفَ الحَيَاةِ مِنْ فِيهَا
أشربُ بها والحبابُ في جَذَلٍ يُظْهِره حُسْنُهَا ويخْفِيها
تَكَادُ مِنْ رَقَّةٍ تَضْمِنُهَا تَخْطِبُها العَيْنُ إِذْ تَوَافِيها
كَأَنَّهَا دُرَّةٌ مُنْعَمَةٌ زَهْرَاءُ قَدْ ذَابَ نَصْفُهَا فِيهَا

ومن شعره أيضاً :

١ انظر ما سبق ص : ٢٢٨ ، وأبو جعفر هذا هو أحمد بن عبد الرحمن اللخمي الكاتب من أهل قرطبة ويعرف بالربضي لسكنائه بالربض الشرقي منها ؛ توفي سنة ٦١٠ (المقتضب من تحفة القادِم : ١٢٦) .

٢ قال ابن الأبار : وهذه الأبيات قد أنشدنيها بعض الأعلام لأبي القاسم عامر بن هشام وإنما هي لأبي جعفر هذا أنشدنيها صاحبنا أبو الحسن حازم بن محمد الأديب . . . إلخ (الوافي ٧ : ٢٤ نقلًا من التحفة ولم يرد في المقتضب) .

٣ الأبيات في الوافي ٧ : الورقة ٢٤ ؛ وكذلك الأبيات التي تليها .

ضحك المشيبُ براسِه فبكى بأعينِ كاسِه
رجُلٌ تخوّنه الزّما نٌ بيؤسه ويباسِه
فجرى على غلّوائِه طلقَ الجموحِ بناسِه
أخذاً بأوفر حَظّه لرجائه من ياسِه

٤٩ - وقال أحد بني القبطرنة الوزراء^١ :

ذكرتُ سليماً ونارُ الوغى بقلبي كساعةٍ فارقتها
وأبصرتُ قدّ القنا شبهها وقد ملنَ نحوي فعانقتها

وهذا معنى بديع ما أراه سبق به .

٥٠ - وقال أبو الحسن ابن الغليظ المالقي^٢ : قلت يوماً للأديب أبي عبد الله
ابن السراج المالقي ، ونحن على جرية ماء : أجزّ :

شربنا على ماء كأنّ خيرره

فقال مبادراً :

بكاء محبّ بان عنه حبيبُ

فمن كان مشغولاً كثيراً بالفه فلاني مشغوفٌ به وكثيرُ

٥١ - وكتب أبو بكر البكّاسي^٣ إلى الأديب أبي بحر صفوان بن إدريس
هذين البيتين يستجيزه القسم الأخير منهما :

١ انظر القلائد : ١٥٥ والمغرب ١ : ٣٦٨ .

٢ بدائع البداه ١ : ٧٣ .

٣ بدائع البداه ١ : ٧٩ .

خليلي أبا بحر وما قرّفتُ اللَّمَى^١ بأعذبَ من قولي خليلي أبا بحر
أجز غير مأمورٍ قسيماً نظمتهُ^٢ تأملْ على نحرِ المياهِ حلَى الزَّهرِ
فأجازه :

تأملْ على نحرِ المياهِ حلَى الزَّهرِ كعهدك بالخضراءِ والأنجمِ الزَّهرِ
وقد ضحكْتَ للياسمينِ مباسمٌ^٣ سروراً بأدابِ الوزيرِ أبي بكرِ
وأصغتُ من الأسْرِ النصيرِ مسامعٌ^٤ لتسمعَ ما يتلوه من سورِ الشعرِ
٥٢ - وقال ابن خفاجة^٥ :

وما الأنسُ إلّا في مجاجِ زجاجةٍ ولا العيشُ إلّا في صريرِ سريرِ
ولاني وإن جئتُ المشيبَ لمولعٌ^٦ بطرّةٍ ظلّ فوقَ وجهِ غديرِ
وقال ابن خفاجة أيضاً^٧ :

وأسود يسبحُ في لُجّةٍ لا تكتمُ الحصباءُ غُدرانها
كانها في شكلها مُقلّنةٌ^٨ وذلك الأسودُ إنسانها

[قصائد لابن زيدون]

٥٣ - وكتب الوزير الشهير أبو الوليد ابن زيدون إلى الوزير أبي عبد الله ابن
عبد العزيز إثر صدوره عن بكنسية^٩ :

راحتْ فصَحَّ بها السقيمُ ريحٌ معطرّةُ النسيمِ
مقبولةٌ هَبَّتْ قَبُو لآ فهي تعبقُ في الشميمِ

١ ب : الطل .

٢ ديوان ابن خفاجة : ١٨١ .

٣ ديوان ابن خفاجة : ٣٦٣ ؛ وفي ق : وله .

٤ ديوان ابن زيدون : ٢٠١ ، وهي في اللخيرة والقلائد .

٥ الديوان : فراح .

أفضيضُ مسكٍ أم بَلَنَدُ
بلدٌ حبيبٌ أَفْقُهُ
إليه أبا عبدَ الإِلا
إنَّ عيلَ صبري من فرا
أو أتبعَتَكَ حَتِينَهَا
ذكرى لعهدي كالعِرا
مهما ذممتُ فما زما
زمنٌ كمالوفِ الرضا
أيامٌ أعقدُ ناظري
وأرى الفتوةَ غَضَّةً
اللهُ يعلمُ أنَّ حُبَّ
ولئنْ تَحَمَّلَ عنك لي
قلُّ لي بأيّ خلالٍ سر
ألمجدك العَمَمُ الذي
أم ظرفيك الغَضُّ الجنى
أم بركَ العذبِ الجمَا
إن أشمستُ تلكَ الطلا
أم بالبدايعِ كاللآ
لبلاغةٍ إن عُدَّ أه
فَقَرَّ تسوُّغُ بها المدا
إنَّ الذي قسمَ الحظو
لا أستزيدُ الله نِع
فلقد أقرَّ العينَ أذ
حسبي الثناء بحسنِ برِّ

سِةٌ لريّاتها نعيمُ
لفتى يحلُّ به كريمُ
ه نداء مغلوبِ العزيمُ
قِكْ فالعذابُ به أليمُ
نَفْسِي فَأَنْتَ لها قسيمُ
رِ سرى فبرَّحَ بالسليمُ
ني في ذمامك بالنديمُ
ع يشوقُ ذكراه الفطيمُ
في ذلك المرأى الوسيمُ
في ثوبٍ أواهٍ حلیمُ
ك من فؤادي في الصميمُ
جسمٌ فعن قلبٍ مقيمُ
ك فيك أفتنُّ أو أهيمُ
نَسَقَ الحديثِ مع القديمُ
أم عريضك الصافي الأديمُ
م وبشرِك الغَضِّ الجسيمُ
قهُ فالندى منها مغيمُ
لي من نثيرٍ أو نظيمُ
لموها فَأَنْتَ بها زعيمُ
م إذا يُكْرَرُها النديمُ
ظَ حَبَاكَ بالخلقِ العظيمُ
حى فيك لا بللُ أستديمُ
ك غُرَّةُ الزمنِ البهيمُ
ك ما بدا برقٌ وشيمُ

ثُمَّ الدُّعَاءُ بِأَنْ تُهَمَّ نَأْ طَوَّلَ عَيْشِكَ فِي نَعِيمٍ
ثُمَّ السَّلَامُ تَبَلَّغَتْ هُ فَغَيْبُ مُهْدِيهِ سَلِيمٍ

ولما ورد إشييلية نزل بدار الوزير الكاتب ذي الوزارتين أبي عامر ابن مسلمة وهو يبيني مجلساً ، فصنع أبياتاً كتبت فيه ^١ :

عُمَرُ مَنْ يَعْمُرُ ذَا الْمَجْلِسَا أَطْوَلَ عُمُرٍ يُبْهِجُ الْأَنْفُسَا
وبعد ذَا عَوْضٍ مِنْ دَارِهِ عَدْنًا وَمِنْ دِيَابِجِهِ السُّنْدَسَا
وَلَقِيَ النُّورَ ^٢ بِهَا وَالرَّضَى وَوَقَى الْأَسْوَءَ وَالْأَبْؤَسَا
وَدَامَ عِبَادٌ لِعُضْدٍ ^٣ الْهَلْدَى يَحْرُسُ حَتَّى يَفْنَى الْأَحْرَسَا
مَعْتَضِدٌ بِاللَّهِ إِحْسَانُهُ جَمٌّ إِذَا مَا الدَّهْرُ يَوْمًا أَسَا
الْمَلِكُ الْغَمْرُ النَّدَى الْمُقْتَنَى مِنْ كُلِّ حَمْدٍ عِلْقَهُ الْأَنْفَسَا
إِنْ رَامَ يَوْمًا وَصَفَ عَلَيْهِ إِنْ رَامَ يَوْمًا وَصَفَ عَلَيْهِ
لَا زَالَ بَدْرًا طَالَمَا نَيَّرَا يَكْشِفُ عَنْ آمَالِنَا الْحِنْدِسَا

وقال فيه أيضاً ^٤ :

أَدْرِهَا فَقَدْ حَسَّنَ الْمَجْلِسُ وَقَدْ آتَى أَنْ تُتْرَعَ الْأَكْوُسُ
وَلَا تَنْسَ أَنْ أَوَانَ الرَّبِيعِ ^٥ إِذَا لَمْ تَجِدْ فَقَدِهِ الْأَنْفُسُ
فَإِنَّ خِلَالَ أَبِي عَامِرٍ بِهَا يُحَقِّرُ الْوَرْدُ وَالزَّرْجِسُ

وكتب إلى الوزير أبي المعالي المهلب بن عامر يستدعيه ^٦ :

١ ديوان ابن زيدون : ٢٢٧ .

٢ الديوان : ووقي الفوز .

٣ الديوان : لعهد .

٤ ديوان ابن زيدون : ٢٢٨ .

٥ الديوان : ولا بأس إن كان ولي الربيع .

٦ الديوان : ٢٢٨ .

طابت لنا ليلتنا الخالية فلتتبعنا هذه الثانية^١
أبا المعالي نحن في راحة فانقل إلينا القدم العاليه
لأنها^٢ عاطلة إن تغيب عنا فزنا كي ترى حاله
أنت الذي لو تشتري ساعة منه بدهر لم تكن غاليه

وكتب إليه ذو الوزارتين أبو عامر المذكور معاتباً^٣ :

تباعدنا على قرب الجوار كأننا صدنا شحط المزار
تطلع لي هلال الهجر بدرأ وصار هلال وصلك في سرار
وشاع شنيع قطعك لي بوصلي فهلاً كان ذلك في استتار
أحمل أن ترى عني صبوراً فأصبح مولعاً دون اضطبار
وكنت أزيد سمعك من عتابي ولكن عاقبي فرط الخمار
فراع مودتي واحفظ جوارِي فلن الله أوصى بالحوار
وززني من غير أمر وأنس موحشاً من عقري داري

فكتب إليه ابن زيدون^٤ :

هواي وإن تناءت عنك داري كمثلي هواي في حال الجوار
مقيم لا غيره عواد تباعد بين أحيان المزار
رأيتك قلت إن الهجر بدرأ متى خلت البدور من السرار
ورابك أنتي جلد صبور وكم صبر يكون عن اضطبار

١ الديوان : فلتسناها . . . التالي .

٢ الديوان : ليلتنا .

٣ الديوان : ٢٠٤ .

٤ ب : وأصبح .

٥ الديوان : ٢٠٥ .

ولم أهجر لعشب ، غير أني
 وإن الخمر ليس لها خمار
 وهل أنسى لديك نعيم عيش
 وساعات يحولُ اللهو فيها
 وإن يكُ فرّ عنك اليوم جسمي
 وكنت على البعاد أجل شيء
 أضرتُ بي معاقرةُ العقار^١
 يبرّحُ بي فكيف مع الخمار
 كوشني الخلد طُرزَ بالعذار
 مجالَ الطلّ في حدقِ البهار^٢
 فُديتُ فما لقلبي من فرار
 لديّ فكيف إذ أصبحت جاري

وكان أبو العطاء إذ ورد إشبيلية رسولاً قد سأله أن يُريّه شيئاً من شعره
 فمطله به ، حتى كتب إليه شعراً يستبطنه ، فأجابه ابن زيدون في العروض والقافية^٣ :

أفدّني من نفائس الدرر ما أبرزته غوائص الفكر
 من لفظة قارنت نظائرها قران سقم الجفون للحوار
 وهي أكثر مما ذكر^٤ .

وكتب رحمه الله تعالى - أعني ذا الوزارتين ابن زيدون - إلى ولادة^٥ :

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا ونابَ عن طيب دُنْيانا تجافينا
 ألا وقد حان صُبحُ الليل صبّحنا حين فقام بنا للحين ناعينا
 من مبلّغ الملبسينا بانتراحهم حزنًا مع الدهر لا يبلى ويُبَلينا
 أن الزمان الذي ما زال يُضحكنا أنسا بقرّبهم قد عادَ يُبْكينا
 غيظَ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغصّ فقال الدهرُ آمينا

١ هذا البيت والذي يليه سقطا من ب .

٢ في الأصول : الظل . . . النهار ، والتصويب عن الديوان .

٣ الديوان ٢٠٦ .

٤ ب : أفادني .

٥ هي في عشرين بيتاً .

٦ ديوان ابن زيدون : ١٢١ .

فأنحلّ ما كان معقوداً بأنفسنا
 بالأمسِ كئناً وما يُخشى تفرُّقنا
 يا ليت شعري ولم نُعتبْ أعاديكمُ
 لم نعتقدْ بعدكم إلاّ الوفاء لكمُ
 كئناً نرى اليأس تُسلِّينا عوارضهُ
 بنم وبنا فما ابتلّت جوانحنا
 نكادُ حين تناجيكمُ ضمائرنا
 حالتْ لفقدكمُ أيّامنا فغدتْ
 إذ جانبُ العيشِ طلقٌ من تألّفنا
 وإذا همّصرنا فنونَ الوصلِ دانيةً
 ليُسقَ عهدُكمُ عهدُ السرورِ فما
 لا تحسبوا نأيكمُ عنا يغيّرنا
 والله ما طلبتْ أهواؤنا بدلاً
 يا ساري البرقِ غادِ القصرَ فاسقِ به
 واسألْ هنالك هل عنّي تذكّرنا
 ويا نسيمَ الصبّا بلكُ نُحيّتنا
 من لا يرى الدهرَ يقضيّنا مساعفةً
 من بيتٍ ملك كأنّ الله أنشأه
 أو صاغه ورقاً محضاً وتوجّه
 إذا تأوّد آدته رفناهيةً

وانبتّ ما كان موصولاً بأيدينا
 واليومَ نحنُ وما يُرجى تلاقينا
 هل نال حظاً من العُتبى أعادينا
 رأياً ولم نتقلّدْ غيره ديننا
 وقسّد يثسنا فما لليأس يغيرنا
 شوقاً إليكمُ ولا جفّتْ مآقينا
 يقضي علينا الأسى لولا تأسّينا
 سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
 وموردُ اللهو صافٍ من تصافينا
 قُطوفُها فجئنا منه ما شينا
 كنتم لأرواحنا إلاّ رياحيننا
 أن طالَ ما غيّرَ النَّأيُ المُحِبِّينا
 منكم ولا انصرفتْ عنكم أمانينا
 من كان صرفَ الهوى والود يسقينا
 إلفاً تذكّره أمسى يُعنِّينا
 من لو على البعدِ حيّاً كان يحيينا
 فيه وإن لم يكن عنا يقاضينا
 مسكاً وقد أنشأ الله الورى طينا
 من ناصع التبرِ إبداعاً وتحسينا
 تومُ العقودِ وأدمته البرى لنا

١ الديوان : وقد نكون .

٢ الديوان : ربيب .

٣ ب : تدمي العقول .

كانت له الشمسُ ظُفراً في تكلُّله
كأنما أثبتت في صحن وجنته
ما ضرَّ أن لم نكن أكفاءهُ شرفاً
يا روضة طالمنا أجنّت لواحظنا
ويا حياة تملّينا بزهرها
ويا نعيماً خطرنا من غضارته
لسنا نسميك إجلالاً وتكرمةً
إذا انفردت وما شورك في صفة
يا جنة الخلد أبدلنا بسلسلها
كأننا لم نبث والوصلُ ثالثنا
سرّان في خاطير الظلماء تكتننا
لا غرو في أن ذكرنا الحزن حين نهت
إنّا قرأنا الأسى يوم النوى سوراً
أمّا هواك فلم نعدل بمشربه
لم نجف أفق جمال أنت كوكبه
ولا اختياراً تجنّبناك عن كُتب
نأسى عليك إذا حُثّت مشعشة
لا أكؤس الراح تُبدي من شمالكنا
دومي على العهد ما دمنا محافظة
فما استعضنا خليلاً عنك يحسنا
ولو صبا نحونا من أفق مطلع
أبلي وفاة وإن لم تبدلي صلة
وفي الجواب متاع لو شققت به
عليك بمتي سلام الله ما بقيت

بل ما تجلّى لها إلاّ أحيانا
زهر الكواكب تعويداً وتزيينا
وفي المودة كاف من تكافينا
ورداً جلاه الصبا غفماً ونسرنا
منى ضروباً ولذات أفانينا
في وشي نغمى سحبا ذيله حين
وقدرك المعتلي عن ذاك يغينا
فحسبنا الوصف إيضاحاً وتبيننا
والكوثر العذب زقوماً وغسلنا
والسعد قد غص من أجفان واشينا
حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا
شرباً وإن كان يروينا فيظميننا
سالين عنه ولم نهجره قالينا
لكن عدتنا على كره عوادينا
فينسا الشمول وغنّانا مغنينا
سيما ارتياح ولا الأوتار تلهينا
فالحر من دان إنصافاً كما دينا
ولا استفدنا حبيباً عنك يغينا
بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبيننا
فالطيف يقنعا والذكر يكفيننا
بيض الأيادي التي ما زلت تولينا
صباة بك نخفيها ونخفيننا

وإنما ذكرت هذه القصيدة - مع طولها - لبراعتها ، ولأن كثيراً من الناس لا يذكر جملتها ، ويظن أن ما في القلائد وغيرها منها هو جميعها ، وليس كذلك ، فهي وإن اشتهرت بالشرق والمغرب لم يذكر جملتها إلا القليل ، وقد كنت وقفت بالمغرب على تسديس لها لبعض علماء المغرب ، ولم يحضرني منه الآن إلا قوله في المطلع :

ما للعيونِ بسهمِ الفتحِ تُصْنِينا وعن قطافِ جنى الأعطافِ تحمينا
تألفُ كان يحينا ويُضْنِينا تفرقُ عاثَ في شملِ المحينا
أضحى التناهي يديسلاً من تدانينا ونابَ عن طيبِ ديانا تجافينا

وما أحسن قوله في هذا التسديس :

ما للأحبة دانوا بالنوى ورأوا تعريضَ عهد اللقا بالبعدِ حين نأوا
رعامهمُ الله كانوا للعهدِ رَعَوْا فغيرتهمُ وشاةً بالفسادِ سَعَوْا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدَعَوْا بأن نَغْصَ ففسال الدهر آمينا

وقد ذكرنا في الباب الرابع موشحة ابن الوكيل التي وطأ فيها لنونية ابن زيدون هذه فلتراجع^١ .

رجع - وقال ذو الوزارتين ابن زيدون يتغزل^٢ :

وضَحَ الصبحُ^٣ المينُ وجلا الشكَّ اليقينُ
ورأى الأعداءَ ما غ رتهمُ منك الظنونُ
أملوا ما ليس يُمتنى ورَجَّوا ما لا يكونُ
وتمنَّوا أن يخونَ ال حَبْدَ مولى لا يخونُ

١ انظر النفع ج ١ ص : ٦٣٢ .

٢ ديوان ابن زيدون : ١٧٦ .

٣ الديوان : الحق .

فإذا الفَيْبُ سليمٌ وإذا العهدُ مَصُونُ
 قل لمن دان بهجري وهواني إذ يسدين¹
 أرخصَ الحبِّ فؤادي لكَ والعَلِقُ ثمينُ
 يا هلالاً تراءى هُ نفوسٌ لا عيونُ
 عجباً للقلبِ يقسو منك والعطفُ يلينُ
 ما الذي ضرَّك لو سُ مرَّ بمراكَ الحزينُ
 وتَلَطَّفْتَ بِصَبٍّ حَيْنُهُ فيكَ يمينُ
 فوجوهُ اللطفِ شَتَّى والمعاذيرُ فنونُ

وقال أيضاً ² :

إليكَ من الأثامِ غدا ارتياحي وأنتَ من الزمانِ مدى اقتراحي
 وما اعترضتُ همومُ النفسِ إلّا ومن ذكراكَ ريماني وراحي
 فديتُكَ إن صبري عنك صبري لدى عطشي عن الماء القراحِ
 ولي أملٌ لَوِ الواشونَ كَفُّوا لأطْلَعَ غَرْسُهُ ثمرَ النجاحِ
 وأعجبُ كيفَ يغلبني عدوُّ رضاكَ عليه من أمضى سلاحِ
 ولما أن جَلَّتْكَ لي اختلاسا أكْفُ الدهرِ للحينِ المتاحِ
 رأيتُ الشمسَ تطلعُ في نقابِ وغصنَ البانِ يرفلُ في وشاحِ
 فلو أسطيعَ طِرتُ إليكَ شوقاً وكيفَ يطيرُ بمقصوصِ الجناحِ
 على حالي وصالٍ واجتنابِ وفي يومي دُئورٍ وانتراحِ
 وحسبي أن تطالعك الأمانى بأفئِكَ في مساءٍ أو صباحِ
 فؤادي من أسَى بك غيرُ خالٍ وقلبي من هوى لك غيرُ صاحِ

١ . الديوان : وهواه لي دين .

٢ . ديوانه : ١٤٨ .

وَأَنْ تَهْدِي السَّلَامَ إِلَيَّ شَوْقًا وَلَوْ فِي بَعْضِ أَنْفَاسِ الرِّيحِ

وقال ١ :

كَمْ ذَا أُرِيدُ وَلَا أُرَادُ	لِلَّهِ مَا لَقِيَ الْفُؤَادُ
أَصْفِي الْوَدَادَ إِلَى الَّذِي ٢	لَمْ يَصِفْ لِي مِنْهُ الْوَدَادُ
كَيْفَ السُّلُوكُ عَنِ الَّذِي	مَثَوَاهُ مِنْ قَلْبِي السَّوَادُ
يَقْضِي عَلَيَّ دَلَالَهُ	فِي كُلِّ حِينٍ أَوْ يَكَادُ
مَلِكَ الْقُلُوبِ بِحَسَنِهِ	فَلَهَا إِذَا أَمَرَ انْقِيَادُ
يَا هَاجِرِي كَمْ أَسْتَفِي	دُ الصَّبْرِ عَنْكَ فَلَا أَفَادُ
أَفَلَا رَثَيْتَ لِمَنْ يَبِي	تُ وَحَشَوْ مُقْلَتَهُ السَّهَادُ
إِنْ أَجْنِ ذَنْبًا فِي الْهَوَى	خَطَأً فَقَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ
كَانَ الرِّضَى وَأَعْيَدُهُ	أَنْ يَعْقُبَ الْكَوْنَ الْفَسَادُ

وقال ٣ :

مَتَى أَنْبَيْكَ مَا بِي	يَا رَاحَتِي وَعَذَابِي
مَتَى يَنْوِبُ لِسَانِي	فِي شَرْحِهِ عَنْ كِتَابِي
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي	أَصْبَحْتُ فَيْكَ لَمَّا بِي
فَمَا يَلِدُ مَنْامِي	وَلَا يَسُوعُ شَرَابِي
يَا فِتْنَةَ الْمُتَعَزِّي	وَحُجَّةَ الْمُتَصَابِي
الشَّمْسُ أَنْتَ تَوَارَتْ	عَنْ نَاطِرِي بِالْحِجَابِ

١ ديوان ابن زيدون : ١٧٨ .

٢ الديوان : مدلا .

٣ ديوانه : ١٤٩ .

٤ إلى هنا ينتهي ما يقطع من النسخة م .

ما النورُ شَفَّ سَنَاهُ على رقيقِ السَّحَابِ
إِلَّا كَوَجْهَكَ لَمَّسَا أضاء نَحْتَ النِّقَابِ

وقال ١ :

هَلْ لِدَاعِيكَ مَجِيبُ أَمْ لَشَاكِيكَ طَيبُ
يَا قَرِيباً حِينَ يَنَاقِي حَاضِراً حِينَ يَغِيبُ
كَيْفَ يَسْلُوكَ مَحَبُّ زَانَهُ مِنْكَ حَيْبُ
إِنَّمَا أَنْتَ نَسِيمٌ تَتَلَقَّاهُ الْقُلُوبُ
قَدْ عَلِمْنَا عِلْمَ ظَنٍّ هُوَ لَا شَكَّ مُصِيبُ
إِنَّ سِرَّ الْحَسَنِ مِمَّا أَضْمَرَتْ تِلْكَ الْقُلُوبُ

وقال ٢ :

أَنْتَى تُضَيِّعُ عَهْدَكَ أَمْ كَيْفَ تَخْلِفُ وَعْدَكَ
وَقَدْ رَأَيْتَكَ الْأَمَانِي رَضِي فَلَمْ تَتَعَدَّكَ
يَا لَيْتَ شَعْرِي وَعِنْدِي مَا لَيْسَ فِي الْحَبِّ عِنْدَكَ
هَلْ طَالَ لَيْلُكَ بَعْدِي كَطَوَّلَ لَيْلِي بَعْدَكَ
سَلَّتْ حَيَاتِي أَهْبَتِهَا فَلَسْتُ أَمْلِكُ رَدَّكَ
الدَّهْرُ عِبْدِي لَمَّا أَصْبَحْتُ فِي الْحَبِّ عَبْدَكَ

وقال رحمه الله تعالى ، وقد أمره السلطان أن يعارض قطعاً كان يغني بها
واستحسن الخانها * :

١ ديوان ابن زيدون : ١٦٤ .

٢ ديوانه : ١٦٥ .

٣ الديوان : يا ليت ما لك عندي من الهوى لي عندك

٤ الديوان : فطال .

٥ ديوانه : ٥١٢ .

يُقَصِّرُ قَرْبُكَ لَيْلِي الطَوِيلَا
وإن عَصَفْتَ مِنْكَ رِيحُ الصَّدُودِ
كَمَا أَتَيْتَنِي إِنْ أَطَلَّتْ الْعِثَارُ
وَجَدْتَنِي أبا الْقَاسِمِ الظَّافِرِ الْمَا
لْأَقْلَامِ فِعْلٌ^١ أَسْيَافِهِ

وقال يهنيه بالقدوم من السفر^٢ :

أَيُّهَا الظَّافِرُ أَبْشُرْ بِالظَّفَرِ
وَتَقِيًّا ظِلًّا سَعْدِي يُجْتَنِي
وَرِدِّ النَّجَجَ فَكَمْ مَسْتَوْحِشٍ
كَانَ مِنْ قَرْبِكَ فِي عَيْشِي نَدِي
فَثَوَى دُونَكَ مَثْوَى قَلْبِي
قُلْ لِسَاقِبِنَا يَجِدُ أَكْوَاسَهُ

ومنها :

لِي فِيهِ الْمَثَلُ السَّائِرُ فِي
ثُمَّ قَدْ وَفَّقَ عَبْدٌ عَظُمْتُ
لَا عَدَا حَظُّكَ لِإِقْبَالِي يَرَى
وَاصْطَبَحَ كَأْسَ الرِّضَى مِنْ مَلِكٍ
حِينَ صَمَمْتَ إِلَى أَعْدَائِهِ

جَالِبِ التَّمْرِ إِلَى أَرْضِ هَجَرَ
نِعْمَةُ الْمَوْلَى عَلَيْهِ فَشَكَرُ
قَاضِيًا أَثْنَاءَهُ كُلَّ وَطَرُ
مَرَّتْ فِي إِرْضَائِهِ أَزْكَى السَّيْرِ
فَانْتَحْتَهُمْ مِنْكَ صَمَاءُ الْغَبَرِ^٣

١ الديوان : وأقلامه وفق .

٢ ديوانه : ٥١٤ .

٣ الديوان : يجز . . . يصل .

٤ صماء الغبر : الداهية .

فاض غَمَرٌ للندى من فَوْقِهِمْ .
 سبقَ الناسَ فصلتى سابقُ
 كان يروي شربهم منه الغَمَرُ
 إذ رأى آثاره مثلَ الزَّهَرِ^١
 وهي طويلة .

وقال رحمه الله تعالى^٢ :

لم يكنْ هَجَرٌ حبيبي عن قِلي
 سرّه دعوى ادعائي ثمّ لم
 أنا راضٍ بالذي يرضى به
 مثّل في كلِّ حُسْنٍ مثل ما
 يا فتيت المسك يا شمس الضحى
 إن يكنْ لي أملٌ غيرُ الرضى
 لا ولا ذاك التّجنّي مثلاً
 يدُر ما غاية صبري فابتلى
 لي من لو قال مُت ما قلتُ لا
 صار حالي في هواه مثلاً
 يا قضيبَ البانِ يا ظيَّ الفلّ
 منك لا بُلّغتُ ذاك الأملا

وقال رحمه الله تعالى^٣ :

أذكرتني سالفَ العيشِ الذي طابا
 إذ نحنُ في روضةٍ للوصلِ أنعمها
 إني لأعجبُ من شوقِ يطالبني
 كم نظرة لكَ عندي قد علمتُ بها
 قلبٌ يطيلُ معاصاتي لطاعتِكُم
 يا ليت غائبَ ذاكَ الوقتِ قد آبا
 من السرورِ غمامٌ فوقها صابا
 فكلّما قيلَ فيه قد قضى ثابا
 يومَ الزيارة أنّ القلبَ قد ذابا
 فإنّ أكلّفهُ يوماً سَكوةً يابى

وقال رحمه الله تعالى^٤ :

- ١ الديوان : منك من إن رأى آثاره الزهر اقتفر
 ٢ ديوانه : ١٦٥ .
 ٣ ديوانه : ١٢٣ .
 ٤ الديوان : المهد .
 ٥ ديوانه : ١٩٢ .

عاودتُ ذكر الهوى من بعد نسياني
من حبٍّ جاريةٍ يبدو بها صنمٌ
غريرةٌ لم تفارقها تماثمها
لأستجِدَنَّ في عشقي لها زمناً
حتى يَكُونَ لِمَنْ أَحْبَبْتُ خاتمةً

واستحدث القلبُ بعد العشقِ سلواني
من الأحبينِ عليها تاجُ عِقيانِ
تسبي القلوبَ بساجي الطرفِ وسنانِ
يُحيي سَوَالِفَ أيامي وأزمانِي
نَسَخْتُ في حُبِّها كُفْراً بإيمانِ

وقال رحمه الله تعالى ^١ :

أنتَ معنى الهوى وسرُّ الدموعِ
أنتَ والشمسُ ضَرَّتَانِ ولكنْ
ليس يا مؤنسي نكلُكَ ^٢ العتة
إنما أنتَ والحسودُ مُعْتَى

وسبيلُ الهوى وقصدُ الولوعِ
لك عند الغروبِ فضلُ الطلوعِ
بَ دلالةً من الرضى الممنوعِ
كوكبٌ يستقيمُ بعد الرجوعِ

وقال رحمه الله تعالى ^٣ :

يا ليلُ طُلْ لا أَشْتَهِي
لو باتَ عندي قَمَرِي
يا ليلُ خَبِرْ أَنتِي
باللهِ قلْ لي هلْ وفَى

إلا كعهدي قِصَرَكَ
ما بَتْ أَرعى قَمَرَكَ
أَلْخَدُ عَنْهُ خَبَرَكَ
فقال لا بلْ غَدَرَكَ

وقال رحمه الله تعالى ^٤ :

لئن فاتني منك حظُّ النظرِ
لأكتفينَ بسماعِ الخَبَرِ

١ ديوانه : ١٦٦ .

٢ الديوان : نكلُكَ .

٣ ديوانه : ١٨٢ .

٤ الديوان : بوصل .

٥ ديوانه : ١٦٨ .

وإن عرضت غفلةً للرقيب
أحاذرُ أن يتَجَنَّى^٢ الوشاةُ
فأصبرُ مستيقناً أنه
فحسبي بتسليمةٍ^١ تُختصرُ
وقد يُستدامُ الهوى بالحذرُ
سيحظى بنيلِ المني من صبرُ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى^٣ :

أيتها البدرُ الذي يـ
حملَ القلبُ تباريـ
ثم لا تيأس^٤ فكم قد
لأ عيني من تأملٍ
حَ التجني فتحمّل
نيلَ أمرٍ لم يؤمل

وقال أيضاً رحمه الله تعالى^٥ :

أجيدُ ومن أهواه في الحب عابثُ
حبيبُ نأى عني مع القرب ، والأسى
جفاني بالطفافِ العدا وأزاله
تغيرت عن عهدي وما زلتُ واثقاً
وما كنتُ إذ ملكتك القلبَ عالماً
ستبلى الليالي والودادُ بحاله
فلو أنني أقسمتُ أنك قاتلي
وأوفي له بالعهد إذ هو ناكثُ
مقيمٌ له في مضمرِ القلبِ ما كـ
عن الوصلِ رأيٌ في القطيعةِ حادثُ
بعهدك لكن غيرتك الحوادثُ
بأنّي عن حتفي بكفي باحثُ
مقيمٌ ، وغضٌ وهو للأرض وارثُ
وأني مقتولٌ لما قيل حانثُ

وقال رحمه الله تعالى^٦ :

- ١ الديوان : تسليمة .
٢ الديوان : يتجنّى .
٣ الديوان : ١٨٢ .
٤ الديوان : لا يأس .
٥ الديوان : ١٨٣ .
٦ الديوان : ١٨٦ .

يا غزالاً أصارني موثقاً في يد المحن
 أنتي منذ هجرتني لم أذق لذة الوسن
 ليت حظي إشارة منك أو لحظة تمن^١
 شافعي يا معذبي في الهوى وجهك الحسن
 كنتُ خلواً من الهوى وأنا اليوم مُرتَهَن
 كان سرّي مكتماً وهو الآن قد علن
 ليس لي عنك مذهب فكما شئت لي فكن

وقال رحمه الله تعالى ٢ :

أبوحشُ لي الزمانُ وأنت أنسي ويُظلمُ لي النهارُ وأنت شمسي؟
 وأغرسُ في محبتك الأمانِي وأجني الموت من ثمرات غرسي
 لقد جازيتُ غدراً عن وفائي وبعث مودتي ظلماً ببخس
 ولو أن الزمانَ أطاعَ حكمي فديتك من مكارهه بنفسي^٣

ومحاسن ابن زيدون كثيرة ، وقد ذكرنا منها في غير هذا المحل جملة .
 وسألت جارية من جواربي الأندلس ذا الوزارتين أبا الوليد ابن زيدون أن
 يزيد على بيت أنشدته إياه ، وهو ٤ :

يا مُعطشي من وصالٍ كنتُ واردَه هل منك لي غلّةٌ إن صحتُ : وا عطشي
 قال : وكانت الجارية المذكورة تتعشق فتى قرشياً ، والوزير يعلم ذلك ،
 وهي لا تعلم أنه يعلم ، فقال :

١ الديوان : عن .

٢ الديوان : ١٨٥ .

٣ استطردت نسخة م بعد هذا البيت بإيراد أشعار أخرى لابن زيدون وذكر ترجمته من القلائد .

٤ ديوان ابن زيدون : ١٧٠ .

كَسَوْتَنِي مِنْ ثِيَابِ السَّقَمِ أَسْبَغَهَا
 أَنْتَى بِصَرْفِ الْهَوَى عَنْ مَقْلَةٍ كُحِلَتْ
 لَمَّا بَدَا الصَّدُغُ مَسُودًا بِأَحْمَرِهِ
 أَوْفَى إِلَى الْخُلْدِ ثُمَّ انْصَاعَ مَنْعُطًا
 لَوْ شِئْتَ زَرْتِ وَسَلِكِ اللَّيْلُ ٢ مُنْتَظِمٌ
 جَفَا إِذَا التَّدَاتِ الْأَجْفَانُ طَيْبَ كَرَى
 هَذَا وَإِنْ تَلَفَتْ نَفْسِي فَلَا عَجَبٌ
 ظَلَمًا وَصَيَّرْتَ مِنْ لَحْفِ الضَّنَى فُرُورًا
 بِالسَّحَرِ مِنْكَ وَخَدَّ بِالْجَمَالِ وَشِي
 أَرَى التَّشَاكُلَ ١ بَيْنَ الرُّومِ وَالْحَبَشِ
 كَالْعَقْرُبَانِ انْتَهَى مِنْ خَوْفِ مَحْتَرَشِ
 وَالْأَفْقُ يُخْتَالُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْغَبَشِ
 جَفَنِي ٣ الْمَنَامُ وَصَاحَ اللَّيْلُ : يَا قُرْشِي
 قَدْ كَانَ قَتْلِي فِي تِلْكَ الْجَفُونِ حُشِي

٥٤ — وكان لابن الحاج صاحب^٤ قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس
 صورة : رحمون ، وعزؤون ، وحسون ، فأولع بهم الحافظ الشهير أبو محمد ابن
 السيد البطلاني صاحب « شرح أدب الكاتب » وغيره وقال فيهم :
 أَخْفَيْتُ سُقْمِي حَتَّى كَادَ يُخْفِينِي وَهَمْتُ فِي حَبِّ عَزْوْنٍ فَعَزَّوْنِي
 ثُمَّ أَرْحَمُونِي بِرَحْمُونٍ وَإِنْ ظَمْتُ نَفْسِي إِلَى رَيْقِ حَسُونٍ فَحَسَّوْنِي

قال : ثم خاف على نفسه ، فخرج عن قرطبة ، وهو القائل :

نَفْسِي الْفِدَاءُ بِالْخُذْرِ حَلَوِ اللَّيْمِ مَسْتَحْسَنٍ بِصُدُودِهِ أَفْنَانِي
 فِي فِيهِ سِمَاطًا جَوْهَرٍ يَرُوي الظِّمَاءَ لَوْ عَلَّانِي بِبَرُودِهِ أَحْيَانِي

وهذان البيتان تخرج منهما عدة مقطعات كما لا يخفى .

٥٥ — وقال أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي المعروف بالأبيض ،

١ الديوان : التسالم .

٢ الديوان : النجم .

٣ الديوان : صبا جفا .

٤ انظر أزهار الرياض ٣ : ١٠٢ ، ١٣٤ ؛ والقلمة الثانية تنفك منها ست قطع .

في تهنة بمولود ، قال ابن دحية^١ : وهذا أبدع ما قيل في هذا المعنى :

أصاحت الخيلُ آذاناً لصرخته واهتزَّ كلُّ هيزبٍ عندما عطسا
تَعَشَّقَ الدرعَ مَذْ شُدَّتْ لفائفه وأبغضَ المهْدَ لما أبصرَ الفرسا
تعلَّم الرقصَ أيتامَ المخاض به فما امتطى الخيلَ إلا وهو قد فرسا

٥٦ - وقال الوزير الكاتب أبو عامر السالمي^٢ في غلام يرش الماء على

خديه فتزداد حمرةًهما :

لقد نعمتُ بحمامٍ تطلَّعَ في أرجائه قمرٌ والحسنُ يكمله
أبصرتهُ كلما راقَتْ محاسنهُ ونعمةُ الجسم والأردافِ تُخجله
يرشُ بالماء خديه فقلتُ له : صف لي لما أحمرُّ الياقوتَ تصقله
فقال : طرفي سَفَاكُ بصارمه دماء قومٍ على خَدَّي فأغسله

وقال أيضاً^٣ :

أوقدَ النارَ بقلبي ثم هبَّتْ ریحُ صدّه
فشرارُ النارِ طارت فانطلقتْ في ماء خدّه

وهو تخيل عجيب .

٥٧ - وقال ابن الخطَّاط المكفوف الأندلسي في المعنى المشهور^٤ :

لم يخلُ منْ نُوبِ الزمانِ أديبُ كلاً فشانِ الثائباتِ عجيبُ
وغضارةُ الأيامِ تأبى أن يَرى فيها لأبناء الذكاء نصيبُ

١ المطرب : ٧٦ .

٢ المطرب : ٧٧ والشعر ليس للسالمي ، وإنما أنشده السالمي وهو لأبي الحسين ابن مظفر .

٣ المطرب : ٧٨ ؛ وهذا الشعر صحيح النسبة للسالمي .

٤ الذخيرة ١/١ : ٣٩٢ .

وكذلك مَنْ صَحِبَ اللَّيَالِي طَالِبًا . جَدًّا وفهماً فأنهُ المطلوبُ

[أشعار لابن الزقاق]

٥٨ - وكان ابن الزقاق الأندلسي الشاعر المشهور - وقد تكرر ذكره في هذا التأليف مرات كثيرة - يسهر في الليل ، ويشغل بالأدب ، وكان أبوه فقيراً جداً ، فلامه ، وقال له : نحن فقراء ، ولا طاقة لنا بالزيت الذي تسهر عليه ، فاتفق أن يرع في الأدب والعلم ونظم الشعر ، فقال في أبي بكر ابن عبد العزيز صاحب بكتنسية قصيدة أولها^١ :

يا شمسَ خلدٍ ما لها مغربُ أرامةُ خلدُكِ أم يثربُ
ذهبتِ فاستعبرَ طرقي دماً مفضضُ الدمعِ به مُذهبُ
ومنها :

ناشدتُكَ اللهَ نسيمَ الصَّبَا أننى استقرتُ بعدنا زينبُ
لم نَسِرْ إلّا بشذا عرقها أو لا فماذا النفسُ الطيبُ
إليه وإن عديتي حبُّها فمن عذابِ النفسِ ما يعذبُ

فأطلق له ثلاثمائة دينار ، فجاء بها إلى أبيه وهو جالس في حانوته مكباً على صناعته ، فوضعها في حجره ، وقال : خذها فاشتر بها زيتاً .

وقال رحمه الله تعالى في غلام رمى حجراً فشدخ وجهه^٢ :

وأحوى رمى عن قسي الحورِ سهاماً يُوقِهنَّ النظرَ
يقولون وجنته قُسمتْ ورسمُ محاسنه قد دكرُ

١ ديوان ابن الزقاق : ٨٠ والمغرب ٢ : ٣٢٥ والنيث ٢ : ٨٤ .

٢ ديوانه : ١٧٩ والمغرب : ١٠١ ولح السحر : ٤٨ والمغرب ٢ : ٣٣٢ والوافي : ١٣٤ .

وما شقّ وجنته عابثاً ولكنّها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى بها كيف كان انشقاق القمر

وقال أيضاً ١ :

بأبي وغير أبي أغنّ مهفّف مهضمّ ما خلف الوشاح خميصه
لبس السواد^٢ ومزقته جفونه فأتى كيوسف حين قد قميصه

وقال أيضاً ٣ :

سقتني بيئناها وفيها فلم أزل ترشفت فاهها إذ ترشفت كأسها
يحاذيني من ذا ومن هذه سكر فلا والهوى لم أدّر أيهما الخمر

وقال ٤ :

رقّ التسيم وراق الروض بالزهر رقبته الكأس والإبريق بالوتر
ما العيش إلا اصطباح الراح أو شنب يغني عن الراح من سلسال ذي أشبر
قلّ للكواعب غصّي للكرى مقللاً فأعين الزهر أولى منك بالسهر
وللصباح ألا فانشروا رداء سنّاً هذا الدجى قد طوته راحة السحر
وقام بالقهوة الصهباء ذو هيف يكاد معطفه ينقد بالنظر
يطفئوا عليها إذا ما شجتها درر تخالها اختلست من ثغره الخصر
والكأس من كفه بالراح عذقة كهالة أهدقت في الأفق بالقمير

١ الديوان : ١٩٦ والمطرب : ١٠٣. والشريشي ٢ : ١٦٤ والمغرب ٢ : ٣٣٤ .

٢ الديوان : الفؤاد .

٣ ديوان ابن الزقاق : ١٧٨ والمطرب : ١٠٤ والفوات ٢ : ١٢٦ والروائي : ١٣٤ .

٤ الديوان : ١٧٣ والمطرب : ١٠٦ والمغرب ٢ : ٣٣٢ .

٥ الديوان : لوته راحة السر .

وقال^١ :

تضوُّعن أنفاساً وأشرفن أوجهاً فهنَّ منيراتُ الصُّباحِ بَواسمُ
لئن كنَّ زُهراً فالجوانحُ أبرجُ وإن كنَّ زُهراً فالقلوبُ كمائمُ
وهو من بديع التقسيم .

٥٩ - وقال السَّميسِرُ^٢ :

تحفَّظْ من ثيابك ثمَّ صنَّها وإلاَّ سوفَ تلبسُها حدادا
وميزْ في زمانك كلَّ حبرٍ وناظر^٣ أهله تَسُدِّ العبادا
وظنَّ بسائرِ الأجناسِ خيراً وأما جنسُ آدمَ فالبعادا
أرادوني بجمعهم فَرُدُّوا على الأعقابِ قد نكصوا فُرادي
وعادوا بعد ذا إخوانَ صدقٍ كبعضِ عقاربٍ رجعتْ جرادا

٦٠ - وقال ابن رزِين ، وهو من رجال الذخيرة^٤ :

لأَسْرَحَنَّ نواظري في ذلك الروضِ النضيرِ
ولأَكُلَنَّكَ بالمتى ولأَشْرَبَنَّكَ بالضميرِ

٦١ - وقال سلطان بَلَنْتَسِيَّة عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز^٥ :

ولا غَمَرَوْا بعدي أن يُسَوِّدَ معشرٌ فيُضْحِي لهم يومٌ وليس لهم أمسُ
كذلك نجومُ الجوّ تبدو زواهرأ إذا ما توارتْ في مغاريها الشمسُ

١ الديوان : ١٤٦ والمغرب : ١٠٨ والشريشي ٢ : ٣٥٣ .

٢ الذخيرة ١ / ٢ : ٣٨٣ .

٣ الذخيرة : كل حين ، ونافر . . .

٤ ترجمته في الذخيرة ٣ : ٣٣ والمغرب ٢ : ٢٨ والقلائد : ٥١ .

٥ المغرب ٢ : ٣٠٠ .

٦٢ - وتحاكم إلى أبي أيوب سليمان بن محمد بن بطلال البَطْلَيْوْسِي المعروف بالملتمس^١ غلامان جميلان لأحدهما وَفَرَة شقراء ، وللآخر سوداء : أيهما أحسن ؟ والملتمس المذكور هو صاحب كتاب « الأحكام فيما لا يستغني عنه الحكام » ، فقال :

وشادتين الما بي على مِقَّة
كأن لمة ذا من تَرْجِسِ خَلِقَتِ
وحكما الصب في التفضيل بينهما
فقام يندلي إليه الرِّيمُ حُجَّتَهُ
فقال : وجهي بَدَرٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
وكحل عيني سحر للنهي وكسدا
فقال صاحبه : أحسنت وصفك !
أنا على أفقي شمس النهار ، ولم
وفضل ما عيب في عيني من زرق
قضيت للمة الشقراء حيث حكى
فقام ذو اللمة السوداء يرشقي
وقال جررت فقلت الجور منك على
فقلت عفوك إذ أصبحت متهما

تنازعا الحسن في غايات مستبق
على بهار وذا مسك على ورق
ولم يخافا عليه رشوة الحدق
مُبَيَّنًا بلسان منه مُنْطَلَق
ولون شعري مصبوغ من الغسق
والسحر أحسن ما يُعزى إلى الحدق
كن فاستمع لقال في مُتَّفَق
تغرب ، وشقرة شعري حمرة الشفق
أن الأسنة قد تُعزى إلى الزرق
نوراً^٢ كذا حبها يقضي على رمقي
سهام أجفانه من شدة الحنق
قلبي ولي شاهد من دمعي الغدق
فقال دونك هذا الحبل فاخنق

٦٣ - وقال أبو محمد عبد الله بن غالب :

ومُهَقِّهَفٍ خَنِثِ الجفون كأنما من أرجل النمل استفاد عذارا
فتخاله ليلاً إذا استَقْبَلْتَهُ وتخال ما يجري عليه نهرا

١ ترجمته في الجذوة : ٢٠٦ وبنية الملتمس رقم : ٧٦٢ وقصيدته هذه في التشبيهات : ١٢٦ .
٢ ب م : لوني .

٦٤ - وقال أبو القاسم خلف بن فرج السميسر المتقدم^١ :

الناسُ مثلُ حَبَابٍ والدهرُ بلحّةُ ماء
فعالمٌ في طُفُوٍّ وعالمٌ في انطفاء

٦٥ - وقال أحمد بن بُرْدِ الأندلسي في النرجس ، وهو البهار عند
الأندلسيين ، ويسمى العبَّهر^٢ :

تنبّه فقد شقّ البهارُ مُغَلَّسًا كعائمه عن تَوْرِهِ^٣ الخضل النّدي
مداهينُ تبرٍ في أناملٍ فضّةٍ على أذرعٍ مخروطةٍ من زبرجدٍ

٦٦ - وقال الوزير عبد المجيد بن عبدون في دار أنزله بها المتوكل بن
الأفطس وسقفها قديم ، فهطل عليه المطر منه :

أبا ساميًا من جانبيّهِ إلى العُلا « سموّ حَبَابِ الماء حَالًا إلى حالٍ »
لعبْدِكَ دارٌ حَلٌّ فيها كأنها « ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذِي الحَالِ »
يقولُ لها لما رأى من دثورها « ألا عِمٌ صباحاً أيها الطلل البالي »
فقالَتْ وما عِيَتْ جواباً بردّها « وهل يعمّن من كان في العُصر الخالي »
فتمرّ صاحبُ الانزالِ فيها بفاصلٍ « فلنّ القى يتهذّي وليس بفَعَالٍ »

قيل : وهو أبو عُدْرَةَ تضمين لامية امرئ القيس ، وقد أولع الناس بعده
بتضمينها .

٦٧ - وقال أبو الفضل ابن حسداي^٤ ، وكان يهوديًا فأسلم ، ويقال : إنه

١ تقدم هذان البيتان في م عل اللذين قبلهما (رقم : ٦٣) .

٢ اللخيرة ٢/١ : ٤٨ .

٣ اللخيرة : زهره .

٤ ترجمته في القلائد : ١٨٣ والأبيات فيه ص : ١٨٤ وانظر المجلد الأول : ٦٤٠ .

من ولد موسى على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام :

توريدُ خدكَ للأحداقِ لذاتُ عليه من عنبرِ الأصداغِ لاماتُ
نيرانُ هجرِكَ للعشاقِ نارُ لظيِّ لكن وصالكَ إن واصلتَ جناتُ
كأتما الراحُ والراحاتُ تحمِلُها بدورُ تيمٍ وأيدي الشربِ هالاتُ
حُشاشةٌ ما تركنا الماءَ يقتلُها إلا لتحيّا بها منّا حُشاشاتُ
قد كان من قبلها في كأسها ثِقَلٌ فخفَ إذ ملئتُ منها الزجاجاتُ

وقد تبارى المشاركة والمغاربة من المتقدمين والمتأخرين في هذا الوزن والقافية ،
ولولا خوف السامة للذكرث من ذلك الجملة الشافية الكافية^١ .

٦٨ - ومن سرعة جواب أهل الأندلس^٢ أن ابن عبد ربه كان صديقاً لأبي
محمد يحيى القلقاط الشاعر ، ففسد ما بينهما بسبب أن ابن عبد ربه صاحب العقد^٣
مرّ به يوماً وكان في مشيه اضطراب ، فقال : أبا عمر ما علمت أنك آدر إلا
اليوم لما رأيت مشيك ، فقال له ابن عبد ربه : كذبتك عرسك أبا محمد ، فعزّ
على القلقاط كلامه ، وقال له : أتعرض للحُرْم ؟ والله لأرينك كيف الهجاء ،
ثم صنع فيه قصيدة أولها :

يا عرسَ أحمد إني مُزْمِعٌ سفراً فودّعني سرّاً من أبي عُمراً

ثم تهاجيا بعد ذلك ، وكان القلقاط يلقيه بطلاس لأنه كان أطلّس اللحية ،
ويسمّي كتاب العقد حبل الثوم ، فاتفق اجتماعهما يوماً عند بعض الوزراء ،
فقال الوزير للقلقاط : كيف حالك اليوم مع أبي عمر؟ فقال مرتجلاً :

١ م : جملة كافية ثانية .

٢ بدائع البداهة ١ : ٥١ .

٣ صاحب العقد : سقطت من ب .

حال طلاس^١ لي عن رأيي وكنت في قعد أدبائه

فبدر ابن عبد ربه وقال :

إن كنت في قعد أدبائه فقد سقى أمك من مائه

فانقطع القلقاط خجلاً ؛ وعاش ابن عبد ربه ٨٢ سنة . رحمه الله تعالى .

٦٩ - ومن الحكايات في مروة أهل الأندلس ما ذكره صاحب «الملتص» في ترجمة الكاتب الأديب الشهير أبي الحسين ابن جبير صاحب الرحلة ، وقد قدمنا ترجمته في الباب الخامس من هذا الكتاب ، وذكرنا هنالك أنه كان من أهل المروءات عاشقاً في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الإخوان ، وأنشدنا هنالك قوله :

يحسبُ الناسُ بآني مُتَعَبٌ ... إلخ .

وقد ذكر ذلك كله صاحب «الملتص» ثم قال - أعني^١ صاحب «الملتص» - ومن أغرب ما يحكى آني كنتُ أحرصُ الناسَ^٢ على أن أصاهر قاضي غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الفرس ، فجعلته - يعني ابن جبير - الواسطة حتى تيسر ذلك . فلم يوفق الله ما بيني وبين الزوجة ، فجئت وشكوت له ذلك ، فقال : أنا ما كان القصد لي في اجتماعكما ، ولكن سميت جهدي في غرضك ، وها أنا أسعى أيضاً في افتراقكما ، إذ هو من غرضك ، وخرج في الحين ففصل القضية ، ولم أر في وجهه أولاً ولا آخرأ عنواناً لامتنان ولا تصعيب ، ثم إنه طرق بابي ، ففتحت له ، ودخل وفي يده محفظة فيها مائة دينار مؤمنية ، ثم قال^٣ : يا ابن

١ أعني : سقطت من م .

٢ الناس : سقطت من م .

٣ م : فقال .

أخي ، اعلم أنني كنت السبب في هذه القضية ، ولم أشك أنك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذي وجدته الآن عند عمك ، فبالله إلا ما سررتني بقبوله ، فقلت له : أنا ما أستحيي منك في هذا الأمر ، والله إن أخذت هذا المال لأتلفنه فيما أتلفته فيه مال والدي^١ من أمور الشباب ، ولا يحل لك أن تتمكنني منه بعد أن شرحت لك أمري ، فتبسم وقال : لقد احتلت في الخروج عن المنّة بحيلة ، وانصرف بماله ، انتهى .

٧٠ - ثم قال صاحب «الملتمس» : وتذاكرنا يوماً معه حالة الزاهد أبي عمران المارتي ، فقال : صحبته مدة فما رأيت مثله ، وأنشدني شعرين ما نسيتهما ولا أنساهما ما استطعت ، فالأول قوله^٢ :

إلى كم أقولُ فلا أفعلُ	وكم ذا أحومُ ولا أنزلُ
وأزجرُ عيني فلا ترعوي	وأنصحُ نفسي فلا تقبلُ
وكم ذا تعللُ لي ويحها	بعلٌ وسوف وكم تمطلُ
وكم ذا أوملُ طولَ البقا	وأغفلُ الموت لا يغفلُ
وفي كل يومٍ ينادي بنا	منادي الرحيل ألا فارحلوا ^٣
أمن بعد سبعين أرجو البقا	وسبع أت بعدها تعجلُ
كأن بي وشيكاً إلى مصرعي	يساقُ بنعشي ولا أمهلُ
فيا ليت شعري بعد السؤالِ	وطولِ المقامِ لما أنقلُ

والثاني قوله :

اسمعُ أخِي نصيحتي والنصحُ من غصِ الديانة

١ م : مالي ومال أبي .

٢ هاتان القطعتان في ترجمته في المغرب والنصون أليانة ، والثانية منهما مرت فيما تقدم ص : ٩٩ .

٣ المغرب : ألا فانزلوا .

٤ م : كاني .

لا تَقْرَبَنَّ إِلَى الشَّهَاءِ دَقِ وَالْوَسَاطَةَ وَالْأَمَانَةَ
تَسْلَمُ مَنْ أَنْ تُعْزَى لَزْوِ رِيٍّ أَوْ فَضُولٍ أَوْ خِيَانَةٍ

قال : فقلت له : أراك لم تعمل بوصيته في الوساطة ، فقال : ما ساعدتني رقة
وجهي على ذلك ، انتهى .

رجع إلى نظم الألدلسين :

٧١ - وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز^١ :

أَفْضَلُ مَا اسْتَصْحَبَ النَّبِيلُ فَلَا تَعْدِلُ بِهِ فِي الْمَقَامِ وَالسَّفَرِ
جِرْمٌ إِذَا مَا التَّمَسَّتْ قِيَمَتُهُ جَلَّ عَنْ التَّبَرِّ^٢ وَهُوَ مِنْ صُفْرِ
مُخْتَصِرٌ وَهُوَ إِذَا تَفَتَّشُهُ عَنْ مُلَحِّ الْعِلْمِ غَيْرِ مُخْتَصِرِ
ذُو مُقَلَّةٍ تَسْتَيْنُ مَا رَمَقَتْ عَنْ صَائِبِ اللَّحْظِ صَادِقِ الْخَبَرِ
تَحْمِلُهُ وَهُوَ حَامِلٌ فَلَكَاكَ لَوْ لَمْ يَدْرَ بِالْبَيِّنَانِ لَمْ يَدْرِ
مَسْكَنُهُ الْأَرْضُ وَهُوَ يُنْيِئُنَا عَنْ كُلِّ مَا فِي السَّمَاءِ مِنْ خَيْرِ
أَبْدَعُهُ رَبُّ فِكْرَةٍ بَعْدَتْ فِي اللَّطْفِ عَنْ أَنْ تَقَاسَ بِالْفَكْرِ
فَاسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ وَالنَّاءِ بِهِ مِنْ كُلِّ ذِي فُطْنَةٍ مِنَ الْبَشَرِ
فَهُوَ لِذِي اللَّبِّ شَاهِدٌ عَجَبٌ عَلَى اخْتِلَافِ الْقَوْلِ وَالصُّوَرِ

قلت : وهي من أحسن ما سمعت في الاضطراب .

وأمر رحمه الله تعالى أن يكتب على قبره^٣ :

سَكَنَتْكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مَصْدَقًا بَأْنِي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَتَيْ صَائِرٌ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ

١ الخريدة ١ / ٤ : ٢٧٢ .

٢ ب : جل على التبر .

٣ مرت في المجلد الثاني : ١٠٨ .

فيا ليت شعري كيف ألقاهُ عندها وزادي قليلٌ والذنوبُ كثيرُ
فإن أكُ مَجْزِيًّا بذنبي فلأنتي بِشَرِّ عقابِ المذنبين جَدِيرُ
وإن يكُ عفوٌ من عَنِّي ومُفْضِلٌ فثَمَّ نعيمٌ دائمٌ وسرورُ

٧٢ - وقال ابن خفاجة ^١ ، وهو ممَّا أورده له صاحب الدخيرة :

لقد زار من أهوى على غير موعدٍ فعائنتُ بَدَرَ التَّمِّ ذاك التلاقيا
وعاتبته والعتبُ يخلو حديثُهُ وقد بَلَغَتْ رُوحِي لديه التراقيا
فلمَّا اجتمعنا قلتُ من فَرَحِي به من الشعرِ بيتاً والدموعِ سواقيا
« وقد يجمعُ الله الشَّيْئَيْنِ بَعْدَمَا يظنَّان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا »

٧٣ - ومن مُجَوِّن الأندلسيين هذه القصيدة المنسوبة لسيدي أبي ^٢ عبد الله
ابن الأزرق ، وهي :

عِمٌ بانصالِ الزمنِ ولا تُبالي بِمَن
وهو يواسي بالرضى من سَمَجٍ أو حَسَنٍ
أو من عجوزٍ تحتظي ^٣ والظهرُ منها منحنٍ
أو من مليحٍ مُسْعِدٍ موافقٍ في الزمنِ
مهما تبدى خدُهُ يبدو لك الوردُ الجني
والنصنُ في أثوابه إذا تَمَثَّى يَنْثَنِي
لا أُمَّ لي لا أُمَّ لي إن لم أبردُ شَجَنِي
وأخلعَنَ في المجو ن والتصابي رَسَنِي
وأجملَ الصبرَ على هَجَرِ الملاحِ ديدني

١ ديوان ابن خفاجة : ٣٦٥ (نقلا عن النفع) .

٢ م : لأبي .

٣ م : تحتظي .

يا عاذلي في مَذْهَبِي أَرْدَاكَ شُرْبُ اللَّبَنِ
أَعْطَيْتَ فِي الْبَطْنِ سِنَا نَأْ إِنْ تَخَالَفَ سَنِّي
أَيُّ فَتَى خَالَفَتِي يَوْمًا وَلَمَّا يَلْقَتِي
فَلَا تَكُنْ لِي لَاحِيًا وَلَاتَسْنِي وَلَاتَسْنِي
فَلَمْ أَزَلْ أُعْرَبُ عَنْ وَفِي الْأُمُورِ اسْتَفْتِنِي
وَأِنْ تُسَفِّهُ نَظَرِي نَصَحِي لِمَنْ لَمْ يَلْحَقِي
فَالصَّفْعُ تَسْتَوِجِبُهُ وَمَذْهَبِي وَتَنْهِي
وَالزَّبْلُ فِي وَجْهِكَ يَه نَعَمْ وَنَتَفُ الذَّقْنِ
وَبَعْدَ هَذَا أَشْتَقِي لَوْ بِاتِّصَالِ الزَّمَنِ
وَأَضْرِبُ الْكَفَّ أَمَّا مِنْكَ وَيَبْرَأُ شَجَّتِي
طَقَطَقَ طَقَّ طَقَطَقَ طَقَّ مَ ذَلِكَ الْوَجْهَ الدُّنْيَ
قَحْقَحَ قَحَّ قَحْقَحَ قَحَّ أَصَحَّ بِسَمْعِ الْأَذَنِ
قَدْ كَانَ أَوَّلُ بَكَ عَنْ الضَّحْكَ يُغْلِبُنِي
النَّفْسِ تَسْتَوِجِبُهُ هَذَا الْمَخَازِي تَنْشِي
عَرَضْتَ بِالنَّفْسِ كَذَا لَوَاسِطٍ أَوْ عَدَنِ
أَفْدِي صَدِيقًا كَانَ لِي إِلَى ارْتِكَابِ الْمُحَنِ
فَنَارَةً أَنْصَحُهُ بِنَفْسِهِ يُسْعِدُنِي
وَتَارَةً أَلْعَنُهُ وَتَارَةً بِنَصَحُنِي
وَرَبَّمَا أَصْفَعُهُ وَتَارَةً يَلْعَنُنِي
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فَه وَرَبَّمَا يَصْفَعُنِي
يَا لَيْتَ هَذَا كُلَّهُ لَمَّا الْقَوْلُ لَا يَعْجِبُنِي
فِيمَا مَضَى لَمْ يَكُنْ

أضحكتُ والله بهذا الـ
 دهرٌ تولّى وانقضى
 يا ليتني لم أره
 دتسكُ فيه جانبي
 وبعثُ فيه عيشتي
 كأنتي ولستُ أدُ
 والله ما التشبيه عنـ
 لكنك أنطقني
 واحسرتي وأسفي
 لو أنصف الدهرُ لما
 وليس لي من جنةٍ
 أسرحُ الطرفَ وما
 وليس لي من فرسٍ
 يا ليت شعري وعسى
 هل أمتطي يوماً إلى الـ
 وأجتلي ما شئتُ
 حيثُ أخلّسُ في
 وتحسنُ الفكرة بالـ
 واللحم مع شحمٍ ومع
 والبَيْض في المقلاة بالـ

حديث من يسمعي
 عني كطيف الوسن
 وليسته لم يرني
 ومكبسي بالدرن
 لكن يبخس الثمن
 ري الآن ما كأنتي
 شاعر بهين
 بالقول ضيق العطن
 زلت وضاعت فطنتي
 أخرجني من وطني
 وليس لي من مسكن
 لي دمنة في الدهن
 وليس لي من سكين^١
 يا ليت أن تنفعي
 شرق ظهور السفن
 في المنزل المؤمن^٢
 هذي القوافي رستي
 مدوس^٣ والسمنسي^٤
 طوابق الكبش التي
 زيت الديد الدهن

١ سقط البيت من م .

٢ ب : المؤمن .

٣ ب : بالفندوس .

٤ ب : والشمشي ؛ م : والسمني .

وجلدة الفروج مش
 من منقذي أفديه من
 وعلة^١ قد استوى
 هل للثريد عودة^٢
 تغوص فيه أنجلي
 ولي إلى الإسفنج شو
 وللأرز^٣ الفضل إذ
 وللشواء والرقا
 واسكت عن الجبن فلان^٤
 ظاهرهما كالورد أو
 أي^٥ امرئ أبصرها
 تهم فيها فيكر^٦ الأسد
 لو كان عندي معدن^٧
 لكنني عزمت أن
 والكم قد أكسبه^٨
 لا تنسبوا لي سقها^٩
 وهات ذكر الكسكسو
 لا سيما إن كان مص
 أرفع منه كوراً^{١٠}
 وإن ذكرت غير ذا
 فابدأ من المتوما
 ويأ كثير السمن
 ذا الجوع^{١١} والتمسكن
 فيها الفقير والغني
 إلي^{١٢} قد شوقي
 غوص الأكل المحسن
 ق^{١٣} دائم يطربني
 تطبخه^{١٤} باللبن
 ق^{١٥} من هيام أنثي
 بنته تلهلني
 باطنها كالسوسن
 يوماً ولم يفتن
 تاذ^{١٦} والمؤذن
 لبعث فيها معدني
 أبيع^{١٧} كسم البدن
 بعد^{١٨} ولا يتكسبي
 فالجوع^{١٩} قد أرشدني
 فهو شريف^{٢٠} وسني
 نوعاً بقتل حسن
 بين^{٢١} تدوي^{٢٢} أذني
 أطعمة^{٢٣} في الوطن
 ت^{٢٤} بالجبن الممكن

١ م : وقلة .

٢ ب : (بها) تداوى .

من فوقها الفروجُ قد أنهيَ في التسمنِ
 وثنٌ بالعصيدةِ ال تي بها تطربني
 لا سيما إن صُنعتْ على يدي ممرَكْنِ
 كذلك البلياطُ بال زيت الذي يقنعني
 تطبخهُ حتى يرى يحمَرُّ في التَّلَوْنِ
 والزبزنُ في الصحا في حسب أهلِ البطنِ^١
 فاسمعُ قضاء ناصحٍ يأتي بنصحِ بَيْنِ
 من اقتنى التفين فه و الآن نعم المقني
 وإن في شاشية ال فقير أنسا للغني
 تبعدني عن وصلها عن وصلها تبعدني
 تؤنسني^٢ عن اللقا عن اللقا تؤنسني^٢
 فأضلعي إن ذُكرتْ تهفو كمثل الغُصْنِ
 كم رُمْتُ تقريباً لها لكنه لم يهنِ
 وصدتي عن ذاك ف لمة الوفا بالثمنِ
 إيه خليلي هذه مطاعمٌ لكنني
 أعجبُ من ريقك إذ يسيلُ فوقَ الدقنِ
 هل نلتَ منها شبعاً فذكرها أشبعني
 وإن تكن جوعانَ يا صاحِ فكلُ بالأذنِ
 فليس عند شاعرٍ غيرُ كلامِ الألسنِ
 يصورُ الأشياءَ وه ي أبدأ لم تكنِ

١ سقط من م ؛ وأول لفظة فيه بياض في ب .

٢ م : تؤيسي .

فقلهُ يريكَ ما ليسَ يرى بالممكنِ
فاسمُحْ واسمُحْ واقتنعْ واطوِ حشاك واسكُنْ
ولنصرف فقصدنا إطرافُ هذا الوطنِ
انتهى .

٧٤ - وقال ابن خفاجة رحمه الله تعالى ^١ :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم . فيها صدورَ مراتبٍ ومجالسِ
وتزهدوا حتى أصابوا فرصةً في أخذ مالٍ مساجدٍ وكنائسِ
وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيراً .

٧٥ - وقال - فيما أظن - الفقيه الكاتب المحدث الأديب الشهير أبو عبد
الله محمد بن الأبار القضاعي ، وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب في مواضع :

لقد غَضِبْتَ حتى على السَّمْطِ نَحْوَةَ فلم تتقلد غير ميسمها سيمطا
وأنكرتِ الشَّيْبَ المَلِيمَ بِلِمَّتِي ومن عَرَفَ الأيامَ لم ينكرِ الوخْطَا

[نقول من القدح الملقى]

٧٦ - وقال ابن سعيد في القدح الملقى في حقه ^٢ : كاتب مشهور ، وشاعر
مذكور ، كتب عن ولاية بكتنسية ، وورد رسولا حين أخذ النصاري بمخنق
تلك الجهات ، وأنشد قصيدته السينية :

أدركُ بخيلك خيلَ الله أندلسا إنَّ السَّيْلَ إلى منجاةها درسا

وعارضه جمع من الشعراء ما بين مخطيء ومعلوم ، وأغري الناس بحفظها

١ ديوان ابن خفاجة : ٣٦٦ (عن النفع) .

٢ اختصار القدح : ١٩١ .

لإغراء بني تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم ، إلا أن أخلاقه لم تُعينه على الوفاء بأسباب الخدمة ، فقلصت عنه تلك^١ النعمة ، وأخر عن تلك العناية ، وارتحل إلى بجاية ، وهو الآن بها عاطل من الرتب ، خالٍ من حلى الأدب ، مشغول بالتصنيف في فنونه ، متفعل منه بواجبه ومسئولته ، ولي معه مجالسات آنق^٢ من الشباب ، وأبهج من الروض غبّ نزول السحاب ، ومما أنشدني من شعره^٣ :

يا حَبْدًا بحديقة دولابُ سكنتُ إلى حركاته^٤ الألبابُ
غَنَى ولم يطربُ وسَقَى وهو لم يشرب ومنه العُود والأكوابُ
لو يدعي لطفَ الهواء أو الهوى ما كنتُ في تصديقه أرتابُ
وكأنه ممّا شدا مُستهزئ^٥ وكأنه ممّا بكى نَدَابُ
وكأنه بشاره ومداره فلكُ كواكبُه لها أذئابُ

٧٧ - وقال أبو المعالي القبيجاني^٦ :

فقلت يا رَبِّعَهُمْ أَيْنَ مَنْ أحببته فيك وأين النديمُ
فقال عهدٌ قد غدا شمله كمثل ما يُنثرُ درٌّ تنظيمُ

٧٨ - وقال أبو عمرو ابن الحكم القبطي^١ ، وقبلة من أعمال وادي

إشبيلية :

كم أقطعُ الدهر بالمِطالِ ؟ ساءت وحقُّ الإله حالي

١ القدح : ظل تلك .

٢ القدح : ١٩٢ .

٣ ب : بحركاتها .

٤ القدح : مستهزئ .

٥ القدح : ٢١١ .

٦ القدح : ٢٠٠ ؛ وفي ب : عبد الحكم .

رحلتُ أبغي بكمُ نجاحاً فلم تفيدوا سوى ارتحالي
وعدهُتمُ ألفَ ألفٍ وعدهُ لكتني عدتُ بالمحالِ

٧٩ — وقال أبو عمران القلعي^١ :

طلعتَ عليّ والأحوالُ سودٌ كما طلع الصبايحُ على الظلامِ
فقل لي كيف لا أوليكَ شعري وإخلاصَ التحيةِ والسلامِ

٨٠ — وقال أبو إسحاق إبراهيم بن أيوب المرسبي^٢ :

أنا سكرانٌ ولكن من هوى ذاك الفلاني
كلما رمتُ سلووا لم يزل بين عياني

وقال :

حبيبي ما لصبك من مرادٍ سوى أن لا تدوم على البعادِ
وإن كان ابتعادك بعد هذا مقيماً فالسلامُ على فؤادي

قال ابن سعيد : وكان المذكور إذا غنى هذه الأشعار اللطيفة على الأوتار
لم يبق لسامعه عند الهموم من ثار ، مع أخلاق كريمة ، وآداب كانسكاب الدّيمة ،
انتهى .

٨١ — وقال ابن سعيد^٣ في أبي بكر محمد بن عمّار البرجي كاتب ابن

هود القائل :

١ القدح : ٢٠١ .

٢ القدح : ٢١٤ وفيه ابن لبون .

٣ القدح : ٢١٧ .

[قل] لمن يشهد حرباً تحت رايات ابن هود

الخ . . . :

يا ابن عمار لقد أح بيت لي ذاك السميّا
في حلّي نظم ونثر علّقاً في مسمعيّا
ولقد حزت مكاناً من ذرى الملك عليّا
مثل ما قد حاز لكن عيش بنعماك هنيّا

٨٢ — وقال أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الإشبيلي المعروف بابن صاحب

الرد^١ :

يا أبدع الخلق بلا مِرية وجهك فيه فتنة الناظرين
لا سيّما إذ نلتقي خطرة فيغلب الورد على الياسمين
طوبى لمن قد زرتّه خالياً فمتّع النفس ولو بعد حين
من ذلك الثغر الذي وردّه ما زال فيه لذة الشارين
وما حوى ذلك الإزار الذي لم يعدّ عنه أمل الزائرين

وهذه الأبيات يقولها في غلام كان أدباء إشبيلية قد فُتّنوا به ، وكان مروره

على داره .

وحكى عنه أنه أعطاه في زيارة خمسين ديناراً ، ومرت أيام ثمّ صادفه عند داره ، فقال له : أتريد أن أزورك ثانية ؟ فقال له : لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين ، وهذا الجواب — على ما فيه من قلة الأدب ، وهتك حجاب الشريعة — من أشد الأجوبة إصابتاً للغرض ، والله تعالى يسمح له ، فقد قال ابن سعيّد في حقه : إن بيته بإشبيلية من أجل البيوت ، ولم يزل له مع تقلّب الزمان ظهور

١ القدح : ١١٢ - ١١٣ .

وخفوت ، وكان أديباً شاعراً ذوّاقاً لأطراف العلوم ، انتهى .

٨٣ - ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالأندلس - مع البلاغة والبراعة - أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير الكاتب^١ ، وهو من بيت مشهور من جزيرة شقر ، من عمل بلكنسية^٢ ، وكتب عن ولادة من بني عبد المؤمن ، ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الأندلس ، وربما استوزره في بعض الأحيان . قال ابن سعيد : وهو ممن كان والذي يكثر مجالسته ، ولم أستفد منه إلا ما كنت أحفظه في مجالسته ، وكان شديد التهور ، كثير الطيش ، ذاهباً بنفسه كل مذهب ، سمعته مرة وهو في محفل يقول : تقيمون القيامة لحبيب والبحري والمنبي وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتدوا إليه ؟ فأهوى له شخص له قِحة^٣ وإقدام ، فقال : يا أبا جعفر ، فأرنا برهان ذلك ، ما أظنك تعني إلا نفسك ، فقال : نعم ، ولم لا ؟ وأنا الذي أقول ما لم يتنبه^٤ إليه متقدم ، ولا يهتدي لمثله متأخر :

يا هل ترى أظرف من يومنا قلّد جيد الأفق طوق العقيق^٥
وأنطق الورق بعبدانها مرقصة كل قضيب وريق^٦
والشمس لا تشرب خمر الندى في الروض^٧ إلا بكؤوس الشقيق^٨

فلم ينصفوه في الاستحسان ، وردوه في الغيظ إلى أضيّق مكان^٩ ، فقلت له : يا سيدي ، هذا هو السحر الحلال ، فبالله إلا ما زدني من هذا النمط ، فقال :

أدرها فالسّماء بدت عروساً مُضمخةً الملابس بالغوالي

١ ترجمته في اختصار القدح : ١١٤ وعنه ينقل المقرئ ، وانظر المغرب ٢ : ١٣٦ والمقتضب من

التحفة : ١٥٧ والإحاطة ١ : ٢٤٤ .

٢ القدح : لم يهتد ؛ دوزي : لم ينته .

٣ ب ودوزي : الأرض .

٤ القدح : إلى أشد ما كان .

وخذ^١ الروض حمرة^١ أصيل^١ وجفن^١ النهر كحُل بالظلال
وجيد الغصن يُشرق^١ في لآل^١ تضيء^١ بهن^١ أكتاف^١ الليالي

فقلت : زد وعد^١ ، فعاد والارتياح قد ملك عطفه ، واليه قد رفع أنفه ،
فقال :

لله نهر^١ عندما زرت^١ عاين طرفي منه سحراً حلال^١
إذ^١ أصبح الطل^١ به^١ ليلة^١ وجال فيه الغصن^١ شبه الخيال^١

فقلت : زد ، فأنشد :

ولما مساج بحر^١ الليل بيني وبينكم^١ وقد جدت^١ ذكرا^١
أراد لقاءكم^١ لإنسان^١ عيتي^١ فمد^١ له المنام^١ عليه جسرا^١

فقلت : إيه ، فقال :

ولما أن رأى إنسان^١ عيتي^١ بصحن^١ الخلد^١ منه غريق^١ ماء^١
أقام^١ له العدار^١ عليه جسراً^١ كما مد^١ الظلام^١ على الضياء^١

فقلت : أعد ، فأعاد ، وقال : حسبك^١ لئلا^١ تكثر عليك المعاني ، فلا
تقوم بحق قيمتها ، وأنشد :

هات المدام^١ إذا رأيت^١ شبيهها^١ في الأفق^١ يا فرداً^١ بغير^١ شبيه^١
فالصبح^١ قد ذبح^١ الظلام^١ بنصله^١ فغدت^١ تخاصمه^١ الحمام^١ فيه^١

ثم قال : وكان قد تهتك في غلام لابن هود ، ولكثرة انهزام ابن هود ربما
انهزم مع العليج ، وفيه يقول :

١ القدح : خفزه .

ألفتُ الحربَ حتى علّمتني مقارعةَ الحوادثِ والخطوبِ
ولم أكُ عالماً وأبيكُ حرباً بغيرِ لواحظِ الرسلِ الرّيبِ
فها أنا بين تلكَ وبين هذي مصابٌ من عدوٍّ أو حبيبِ

ولما هرب بالعلج إلى سبّنة أحسن إليه القائم بها أبو العباس النيشي^١ ، فلم
يقنع بذلك الإحسان ، وكان يأتي^٢ بما يوغر صدره ، فقال يوماً في مجلسه : رميت
مرة بقوس ، فبلغ السهم إلى كذا^٣ ، فقال ابن طلحة لشخص بجانبه : لو كان
قوس قزح ما بلغ إلى كذا ، فشعر بقوله ، فأسرّها في نفسه ، ثمّ بلغه أنه هجاه
بقوله :

سمعنا بالموثّقِ فارتحلنا وشافعنا له حسبٌ وعلمُ
ورُمّتُ يداً أقبلها وأخرى أعيشُ بفضلها أبداً وأسمو
فأنشدنا لسان الحالِ فيه يدٌ شلّا وأمرٌ لا يتمُّ

فزاد في حنقه ، وبقي مترصداً له الغوائل ، فحفظت عنه أبيات قالها وهو
في حالة استهتار في شهر رمضان ، وهي :

يقولُ أخو الفضولِ وقد رآنا على الإيمانِ يَغْلِبنا المجونُ
أَتَنَتَّهكونَ شهرَ الصومِ هتلاً حماهُ منكمُ عَقْلٌ ودينُ
فقلتُ اصحبْ سوانا ، نحن قومُ زنادقةٌ مذهبنا فنونُ
ندينُ بكلِّ دينٍ غيرِ دينِ الرِّعاعِ فما به أبداً ندينُ
بحيٍّ على الصُّبوحِ الدَّهرَ ندعو وإبليسُ يقولُ لنا أمينُ

١ في الأصول : النيشي ؛ وصوابه ما أثبتناه ، ويكتب أيضاً « النياشي » .

٢ القدح : يستريح .

٣ زاد في القدح : ذكر مدى بعيداً .

فيا شهرَ الصيامِ إليك عَنَّا إليك ففبك أكفر ما نكونُ
فأرسل إليه من هجم عليه وهو على هذه الحال ، وأظهر أنه يُرضي العامة
بقتله ، فقتله ، وذلك سنة ٦٣١ ، انتهى . وحاكى الكفر ليس بكافر ، والله
سبحانه وتعالى للزلات غير الكفر غافر .

٨٤ - وقال محمد بن أحمد الإشبيلي ابن البناء^١ :

كَأَنَّكَ مِنْ جَنْسِ الْكَوَاكِبِ كُنْتُ لَمْ يَفْتُكَ طُلُوعًا حَالُهَا وَتَوَارِيَا
تَجَلَّيْتَ مِنْ شَرْقٍ تَرَوْقُ تَلَالُؤًا فَلَمَّا انْتَحَيْتَ الْغَرْبَ أَصْبَحْتَ هَاوِيَا

٨٥ - ولما أمر المستنصر الموحدي^٢ بضرب ابن غالب الداني ألف سوط
وصلبه ، وضرب بإشبيلية خمسمائة فمات ، وضرب بقية الألف حتى تناثر
لحمه ، ثم صُلب ، قال ابنه أبو الربيع^٣ يرثيه :

جَهْلًا لِمِثْلِكَ أَنْ يَبْكِي لِمَا قُدِّرَا وَأَنْ يَقُولَ أَسَى يَا لَيْتَهُ قُبِرَا
فَاضْتُ دُمُوعَكَ أَنْ قَامُوا بِأَعْظَمِهِ وَقَدْ تَطَايَرَ عَنْهُ اللَّحْمُ وَانْتَثَرَا
ومنها :

ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ مِمَّا كَانَ حَمَلَهَا مِنْ الْأَيْدِي فَمَجَّتْ شِلْوَهُ ضَجْرَا
وَعَزَّ جِسْمَكَ^٤ أَنْ يَحْطَى بِهِ كَفَنٌ فَمَا تَسْرِبَلْ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرَا

٨٦ - وقال أبو العلاء عبد الحق المرسي رحمه الله تعالى * :

١ القدح : ١١٨ والمغرب ١ : ٢٤٩ .
٢ القدح : ١٢٧ والتحفة : ٨٣ والمغرب ٢ : ٤٠٦ .
٣ ق : الربيع .
٤ القدح : إذ ذاك .
٥ القدح : ١٢٦ .

يا أبا عمرانَ دعني والذي لم يملُ بي خاطري إلاّ إليه
ما نديمي غيرُ من يخدمني لا الذي يجلسني بين يديه
يرفعُ الكُلْفَةَ عني ويرى أنها واجبةٌ مني عليه

٨٧ - وقال ابن غالب الكاتب بمالقة^١ :

لا تخشَ قولاً قد عَقَدْتَ الألسنا وابعثْ خيالك قد سحرتَ الأعينا
واعطفْ عليّ فإنَّ روحي زاهقٌ وانظرْ إليّ بنظرةٍ إنْ أمكنا
لا يخذعنكَ أنْ تراني لابساً ثوبي فقد أصبحتُ فيه مكفناً
ما زال سحرك يستميلُ خواطري بأرقٍّ من ماء الصفاء وأليّنا
حتى غلوتُ ببحرٍ حبٍّ زاخري فرمتُ بيّ الأمواجُ في شطّ الضيّ
وقال :

ما للنسيمِ لدى الأصيلِ عليلاً أنراهُ يشكو زفرةً وغليلاً
جَرَّ الذبولَ على ديارِ أحبّتي فأتى يجرُّ من السقامِ ذيولاً

٨٨ - وقال أبو عبد الله ابن عسكر الغساني قاضي مالقة^٢ :

أهواكَ يا بدْرُ وأهوى الذي يَعدّ لي فيك وأهوى الرقيبُ
والجارَ والدارَ ومنَ حلّها وكلٌّ من مرّاً بها من قريبُ
ما إنْ تَنصَّرتُ ولكنّي أقولُ بالثلثِ قولاً غريبُ
تُطابقُ الألحانَ والكاسَ إذْ تبسمُ عجباً والغزالَ الربيبُ .

٨٩ - وكان أبو أمية ابن عفير^٣ قاضي إشبيلية - مع براعته ، وتقدمه في

١ القدح : ١٢٨ .

٢ القدح : ١٣٠ .

٣ القدح : ١٣٢ .

العلوم الشرعية — أقوى الناس بالعلوم الأدبية المرعية ، وقد اشتهر بسرعة الخاطر في الارتجال ، وعدم المناظر له في ذلك المجال ، قال ابن سعيد : رأيته كثيراً ما يصنع القصائد والمقطعات ، وهو يتحدث أو يفصل بين الغرماء في أكثر الأوقات ، ومن شعره :

ديارهم صاح^١ نُصِبُ عيني وليس لي وصلة^٢ إليها
إلا سلامي لدى ابتعاد^٣ من بعد سُكَّانها عليها

وقوله رحمه الله تعالى :

وجه تَغْرَقُ الأبصارُ فيه ولكن يتركُ الأرواحَ هياما
أتاني ثمَّ حيَّاني حبيبٌ به وأباحني الخلدَ الرقيما
فمرَّ لنا مجونٌ في فنونٍ سلكتُ به الصراطَ المستقيما

قلت : أما مجرد الارتجال فأمر عن^٤ الكثير صادر ، وأما كونه مع التحدث أو فصل الخصومات فهو نادر ، وقد حكينا منها في هذا الكتاب من القسم الأول موارد ومصادر .

[عود للحديث عن ابن ظافر]

ويعجبي من الواقع لأهل المشرق من ذلك قضية علي بن ظافر ، إذ قال^٥ :
بيتُ ليلة والشهابُ يعقوب ابن أخت نجم الدين في منزل اعترفت له مُشَيِّدات
القصور ، بالانخفاض والقصور ، وشهدت له ساميات البروج ، بالاعتلاء
والعروج ، قد ابيضَّتْ حيطانه ، وطاب استيطانه ، وابتهج به سُكَّانه وقُطَّانه ،
والبدْرُ قد عا خضابَ الظَّلَماء ، وجلا محياه^٦ في زرقه قناع السماء ، وكسا الجدرانَ

١ القلح : تلك ؛ ب ق : ديارهم هي . ٢ م : فما مر من .

٣ البدائع ٢ : ٢٠٦ .

٤ ق : وحكى محياه :

ثياباً من فضة ، ونثر كافوره على مسك الثرى بعد أن سحقه ورضه ، والروض
 قد ابتسم بحياته ، ووثقت بأسرار محاسنه رياته ، والنسيم قد عانق قامات الأغصان
 فميلتها ، وغصبتها مباسم نورها فقبلها ، وعندنا مغن قد وقع على تفضيله
 الإجماع . وتغايرت على محاسنه الأبصار والأسماع ، إن بدا فالشمس طالعة ،
 وإن شدا فالورق ساجعة ، تغالزه مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه ، وقابله
 فقلنا البدر قابل عيوقه ، وهو يغار عليه من النسيم كلما خفت وهب ، ويستجيش
 عليه بتلويح بارقه الموشى بالذهب ، ويديم حرقة وسهده ، ويذل في لطفه
 طاقته وجهده ، فتارة يضمخه بخلوقه ، وتارة يحليه بعقيقه ، وآونة يكسوه
 أثواب شقيقه ، فلم نزل كذلك حتى نعيش طرف الصباح ، واستيقظ نائم
 الصباح ، فصنعت بديها في المجلس ، وكتبت بها إلى الأعز بن المؤيد رحمه الله
 تعالى أصف تلك الليلة التي ارتفعت على أيام الأعياد ، كارتفاع الرؤوس على
 الأعياد ، بل فضلت ليلات الدهر ، كفضل البدر على النجوم الزهر :

غبت عني يا ابن المؤيد في وق	ت شهبي يلهي المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجدد	رآن ثوباً مفضضاً مرموقا
وغدا الطل فيه ينثر كافو	رأ فيعلو مسك التراب السحيقا
وتبدى النسيم يعتق الأغ	صان لما سرى عناقاً رفيقا
بت فيها منادماً لصديق	ظل بين الأنام خيلاً صدوقا
هو مثل الهلال وجهاً صيحاً	ومثال النسيم ذهنأ رفيقا
وغزال كالبدري وجهاً وغصن	بان قد آ والحمرة الصرْف ريقا
مظهر للعيون ردفا مهيلاً	وحشاً ناحلاً وقد آ رشيكا
إن تغنى سمعت داود ، أو لا	ح تأملت يوسف الصديقا
وإذا قابل السراج رأينا	منه بدرأ يقابل العيوقا
وأظن الصباح هام بمرآ	ه فأبدى قلباً حريقاً خفوقا

هو نجمٌ ما لاح في الجُدرِ كافو رُ بياضٍ إلا كساهُ خلوفا
 ما بدا نرجسُ الكواكبِ إلا قام من نومه يرينا الشقيقا
 وإذا ما بدت جواهرها في الج وآبدى في الأرض منهم عقيقا
 فغدونا تحت الدجى نتعاطى من رقيق الآداب خمراً رقيقا
 وجعلنا رِيحاناً طيبَ ذكرا لك فخلناهُ عنبراً مفتوقا
 ذاك وقتٌ لولا مغيبُك عنه كان بالمدحِ والثناء خليفا

قال : فأجاب عنها من الوزن دون الروي :

قد أتتني من الجمالِ قصيدةٌ يا لها من قصيدةٍ غراء
 جمعت رقةَ الهواءِ وطيبَ ال مسك في سبكها وصفوَ الماء
 فأرثنا طباعهُ وشذاهُ والذي حاز ذهنهُ من ذكاء
 سيدي هل جمعتَ فيها اللآلي يا أخا المجد أم نجومَ السماء
 أفحمتني حسناً وحقاً أيادي لك التي لا تُعدُّ بالإحصاء
 فركتُ الجوابَ والله عجزاً فابسطِ العذرَ فيه يا مولائي
 هل يسامي الثرى الثرياً وأنتي يدعي النجمُ قرطاً نورِ ذكاء

رجع إلى أهل الأندلس :

٩٠ - وقال ابن السماك^١ :

إياك أن تكثر الإخوان مقتنماً في كل يومٍ إلى أن يكثر العددُ
 في واحدٍ منهم تُصفي الوداد له من التكاليفِ ما يفنى به الجُلْدُ

وله :

١ القح : ١٣٤ ؛ وفي م : الساذ ؛ ق : الساذ .

نحنُ ركابي نحو أرض وما لها وما لي من ذاك الحنين سوى الهمُّ
وكم راغبٍ في موضعٍ لا ينالُهُ وأمسيتُ منه مثل يونسَ في اليمِّ
بهذا قضى الرحمن في كلِّ سخطٍ يموتُ على كرهٍ ويحيا على رغمٍ

٩١ - ولما قام الباجي^١ بإشبيلية وخلع طاعة ابن هود ، وأبدل شعاره
الأسود العباسي في البنود ، قال أبو محمد عبد الحق الزهري القرطبي في ذلك :

كأتما الرايةُ السوداء قد نَعَبَتْ لهم غراباً بين الأهل والولدِ
مات الهوى تحتها من فرطِ روعته فأظهر الدهرُ منها لبسةَ الكمدِ
وأنشدهما القائم الباجي في جملة قصيدة :

٩٢ - وقال الوزير أبو الوليد إسماعيل بن حجاج الأعمى الإشبيلي^٢ :

٩٣ -
أَمسى الفَرَّاشُ يطوفُ حولَ كؤوسنا إِذْ نالها تحت الدُّجى قنديلا
ما زال يَخْفُقُ حولها يَجْنَحُه حَتَّى رَمَتْهُ عَلَى الفَرَّاشِ قتيلا
وله :

لاموا على حبِّ الصُّبَا والكاسِ لما بدا وَضَحُ المشيبِ براسي
والغصنُ أُحوجُ ما يكونُ لسقْيهِ أَيَّامَ يبدو بالأزاهرِ كاسي

وله ، وقد رأى على نهر قرطبة ثلاثين نفساً مصلوبين من قطاع الطريق :

١ القدح : ١٣٥ .
٢ ترجمة أبي الوليد إسماعيل بن حجاج الأعمى في اختصار القدح : ١٤٠ ولقبه هناك « الأفلح »
ولكن الشعر التالي ليس له .
٣ هذه الأَشْعار التالية لأبي يحيى ابن هشام القرطبي في القدح : ٨٩ - ٩٢ والمتقد أن سهواً حدث
في نسخ النسخ سقط فيه شعر الأعمى واسم القرطبي صاحب هذه المقطعات .

ثلاثون قد صففوا كلهم وقد فتّحوا أذرعاً للوداع
وما ودّعوا غير أرواحهم فكان وداعاً لغير^١ اجتماع

وله في فتى وسيم عَضَّ كلبٌ وجنته :

وأغيدَ وضّاح المحاسينِ باسمٍ إذا قامر الأرواح ناظره قَمَرٌ
تعمدَ كلبٌ عَضَّ وجنته التي هي الوردُ ليناعاً وأبقى بها أثرٌ
فقلت لشهب الأفق كيف صماتكم وقد أثرَ العواء في صفحة القمر

٩٤ — وقال الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي^٢ المؤرخ الأديب ،
المصنف الشهير ، وكان حافظاً لنُكْت الأندلسيين حديثاً وقديماً ، ذاكرأ
لفكاهاتهم التي صيرته للملوك خليلاً ونديماً^٣ ، في صبي من أعيان الجزيرة الخضراء
تهافت في حبه جماعة من الأدباء والشعراء^٤ :

قد سلونا عن الذي تدريهِ وجفوناهُ إذ جفا بالتيهِ
وتركناه صاغراً لأناسٍ خدعوه بالزورِ والتمويهِ
لمضلٍ يسوقه لمضلٍ وسفيه يقوده لسفيه

وكان من القوم الذين هاموا بالمدكور ، وقاموا فيه المقام المشهور ، أديبٌ
يقال له الفار ، فتسلط على البياسي حتى سافر من الجزيرة وكان يلقب بالقط ،
[فقال أحد الشعراء] :

عذرتُ أبا الحجاج من ربّ شيبَةٍ غدا لابساً في الحبّ ثوباً من القار
وأجلّاه الفارُ المشاركُ للنوى ولم أرَ قطّ قبله فرّاً من فارٍ

١ ب : بغير .

٢ القدح : ٩٤ - ٩٥ .

٣ القدح : جليساً ونديماً .

٤ كان هذا النم في النفع شديد الاضطراب ، فصريناه حل حسب رواية القدح الممل .

وله ، وقد كتب إلى بعض أصحابه يذكره بالأيام السوالف :

أبا حَسَنٍ لِعَمْرُكَ إِنَّ ذِكْرِي لَأَيَّامِ النِّعَمِ مِنَ الصَّوَابِ
أَمْثَلِي لَيْسَ يَذْكُرُ عَهْدَ حَمَصٍ وَقَدْ جَمَعْتُ بِنَا خَيْلُ التَّصَابِ
وَنَحْنُ نَجْرُ أَثْوَابَ الْأَمَانِي مُطَرَّرَةً هُنَاكَ بِالشَّبَابِ
وَعَهْدٌ بِالْخَزِيرَةِ لَيْسَ يُنْسَى وَإِنْ أَغْفَلْتَهُ عِنْدَ الْخَطَابِ
هُوَ الْأَحْلَى لَدَيَّ وَإِنْ حَمَانِي عَنِ الْعَسَلِ اجْتِمَاعُ الْإِذْطَابِ

أشار^١ إلى المحبوب وكان كثير الاجتماع به في جنة لوالده على وادي العسل
وقال^٢ :

جَنَّةُ وَادِي الْعَسَلِ كَمْ لِي بِهَا مِنْ أَمَلٍ
لَوْ لَمْ يَكُنْ ذُبَابُهَا يَمْنَعُ ذَوْقَ الْعَسَلِ

قال ابن سعيده : ولما التقينا بتونس بعد إيابي من المشرق ، وقد ولج^٣ ظلام
الشَّعْر على [صبح] وجهه المشرق ، قلت لأبي الحجاج مشيراً إلى محبوبه ، وقد
غطى هواه عنده على عيوبه :

نَحَلٌ^٤ أبا الحجاج هذا الذي قَدْ كُنْتُ فِيهِ دَائِمَ الْوَجْدِ
وَانْظُرْ إِلَى لَحِيَّتِهِ وَاعْتَبِرْ مِمَّا جَنَى الشَّعْرُ عَلَى الْخَدِّ

والله سبحانه يسمع للجميع ، في هذا الهزل الشنيع ، ويصفح عنا في ذكره ،
لأنه مجيبٌ سميع .

١ في أصول النفع : وسار ، والتصويب عن القدح .
٢ في الأصول : فقال - عطفاً على سار - قال ابن سعيده : ولما اجتمعت به مستحسناً لهذا المقصد قال
لي قد كنت ذكرته أيام تلك المزاومات ثم أنشد « جنة وادي . . . إلخ » .
٣ القدح : دلج .
٤ القدح : خلي .

[عود إلى النقل عن بدائع البدائه]

٩٥ - وقال صاحب «البدائع»^١ ركب الأستاذ أبو محمد ابن صارة مع أصحاب له في نهر إشييلية في عشية سال أصيلها على بلعين الماء عقيانا ، وطاروت زواريقها في سماء النهر عقبانا ، وأبدى نسيمها من الأمواج والدارات سُررًا وأعكانا ، في زورق يحول جولانَ الطَّرف ، ويسودُّ اسوداد الطَّرف ، فقال بديها :

تأملُ حالنا والجوُّ طَلَقُ محيَّاهُ وقد طَفَلَ المِساءُ
وقد جالتُ بنا عذراءُ حُبلى تجاذبُ مِرْطَها رِيحُ رُخاءِ
بنهرٍ كالسَّجَنجلِ كوثرِيٍّ تُعَبِّسُ وجهها فيه السماءُ

واتفق أن وقف أبو إسحاق ابن خفاجة على القطعة واستظرفها واستلطفها ، فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقتها :

ألا يا حَبَناءُ ضَحِكُ الحَمِيَّاءِ بِحانَتِها وقد عَبَسَ المِساءُ
وأدهمَ من جِياذِ الماءِ مُهَرِّجُ تَنازَعُ جُلَّةُ رِيحُ رُخاءِ
إذا بدت الكواكبُ فيه غَرَقى رأيت الأرض تحسدها السماءُ

٩٦ - وقال الأديب ابن خفاجة في ديوانه^٢ : صاحبتُ في صَدَرِي من المغرب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد ، وكان أبو جعفر ابن رشيق يومئذ قد تمنَّع ببعض حصون مُرُسيَّة ، وشرع في النفاق فقطع السبيل ، وأخاف الطريق ، ولما حاذينا قلعتَه وقد احتدمت جَمْرَةُ الهجير ،

١ بدائع البدائه : ٢ : ١٤٢ .

٢ ب : نهد ؛ ق : نهر .

٣ وردت هذه القصص المتعلقة بابن خفاجة في بدائع البدائه : ٢ : ١٤٣ ، ١٤٥ .

وملَّ الركبُ رَسِيمه وذَمِيله ، وأخذ كلُّ منّا يرتادُ مَقِيله ، اتفقنا على أن لا نطعم -
طعاماً ، ولا نذوق مناماً ، حتى نقول في صورة تلك الحال ، وذلك الترحال ،
ما حضر ، وشاء الله أنْ أجْبَلَ ابن وهبون واعتذر ، وأخذت عفو خاطري ،
فقلت أترى به ^١ ، وأعرض بعظم لحيته :

ألا قل للمريض القلب مهلاً فإنَّ السيف قد ضمن الشفاء
ولم أرَ كالتفاق شكاة حرَّ ولا كدم الوريد له ذواء
وقد دُحِيَ النجيعُ هناك أرضاً وقد سُمِكَ العجاجُ به سماء
وديسَ به انحطاطاً بطنُ وادٍ مُدَّ أعشَبَ شعرُ لحيته ضراء

وقال ابن خفاجة أيضاً : حضرت يوماً مع أصحاب لي ، ومعهم صبي منهم
في نفسه ، واتفق أنهم تحاوروا في تفضيل الرمان على العنب ، فانبرى ذلك الصبي
فأفرط في تفضيل العنب ، فقلت بديهاً أعبت به :

صِلْني لك الخيرُ برمانةٍ لم تنتقلْ عن كرم العهدِ
لا عنباً أمتصُّ عنقودَهُ ثدياً كأني بعدُ في المهدِ
وهلْ يَرى بَيْنَهُما نِسْبَةً مَنْ عدَلَ الحِصِيَّةَ بالنَّهْدِ

فخجل خجلاً شديداً وانصرف .

قال : وخرجتُ يوماً بشاطبة إلى باب السَّمارين ، ابتغاء الفرجة على خرب
ذلك الماء بتلك الساقية ، وذلك سنة ٤٨٠ ، وإذا بالفقيه أبي عمران ابن أبي تليد
رحمه الله تعالى قد سبقني إلى ذلك ، فألفيته جالساً على دكان كانت هناك مبنية
لهذا الشأن ، فسلمت عليه ، وجلست إليه ، مستأنساً به ، فجرى أثناء ما تناشدها
ذكر قول ابن رشيق :

١ البدائع : أريض نار نزوته .

يا من يمرُّ ولا تمرُّ به القلوبُ من الفَرَقِ
 بعمامةٍ من خَدِّه أو خَدُّه منها استرقِ
 فكأنَّه وكأنَّها قمرٌ تعمَّمَ بالشفقِ
 فإذا بدا وإذا انثنى وإذا شدا وإذا نطقِ
 شغَلَ الخواطرَ والجوا نَحَّ والمسامعَ والحدَقِ

فقلت ، وقد أعجب بها جدًّا ، وأثنى عليها كثيرًا : أحسن ما في القطعة
 سياقة الاعداد ، وإلاَّ فأنت تراه قد استرسل فلم يقابل بين ألفاظ البيت الأخير
 والبيت الذي قبله فينزل يلزاء كل واحدة منها ما يلائمها ، وهل ينزل يلزاء قوله
 « وإذا نطق » قوله « شغل الحدق » ، وكأنه نازعني القول في هذا غاية الجهد ، فقلت
 بديهاً :

ومهفَفٍ طاوي الحشا خَبِثَ المعاطف والنظرُ
 ملأَ العيونَ بصورةٍ تُلَيَّتْ محاسنُها سُورُ
 فإذا رنا وإذا مشى وإذا شدا وإذا سَقَرُ
 فضحَّ الغزالةَ والغما مةَ والحمامةَ والقَمَرُ
 فجُنَّ بها استحساناً ، انتهى .

قال ابن ظافر : والقطعة القافية ليست لابن رشيق ، بل هي لأبي الحسين علي
 ابن بشر الكاتب أحد شعراء البيتية^١ .

٩٧ — وكان بين السمسير الشاعر^٢ وبين بعض رؤساء المريّة واقع للمدح

١ هذا وهم من ابن ظافر تابعه فيه المقرئ فإن أبا الحسن (لا أبا الحسين) علي بن أبي البشر الكاتب
 هو أحد شعراء الدرة الخطيرة لابن القطاع ، وهو من ثم أحد شعراء الخريدة (١/٤ : ٥ وسماه
 ابن أبي البشائر) ؛ وقد ترجم له الصفدي في الجزء الثالث من الوافي ، نسخة مكتبة أحمد الثالث ؛
 وذكره أبو الصلت في رسالته المصرية (نوادر المخطوطات ١ : ٢٢) .

٢ البدائع ٢ : ١٤٨ .

مدحه فلم يجزه عليه ، فصنع ذلك الرجل دعوة للمعتصم بن صمادح صاحب المرية واحتفل فيها بما يحتفل مثله في دعوة سلطان مثل المعتصم ، فصبر السمسر إلى أن ركب السلطان متوجهاً إلى الدعوة ، فوقف له في الطريق ، فلما حاذاه رفع صوته بقوله :

يا أيها الملك الميمون طائرتهُ ومنّ لذي مأثم في وجهه عُرْسُ
لا تفرسن^١ طعاماً عند غيركم إنَّ الأسودَ على المأكولِ تفرسُ

فقال المعتصم : صدق والله ، ورجع من الطريق ، وفسد على الرجل ما كان عمله .

[حكاية مشرقية]

ونظير هذه الحكاية^٢ أن عبّاد بن الحريش كان قد مدح رجلاً من كبار أصبهان أرباب الضيع والأملّك والتبع الكثير ، فمطله بالجائزة ، ثمّ أجازته بما لم يرضه ، فردّه عليه ، وبعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة غرم عليها ألوف دنانير كثيرة لأبي دُلْف القاسم بن عيسى العجلي على أن يجيء إليه من الكرج ، ووصل أبو دُلْف ، فلما وقعت عين عبّاد عليه وهو يساير بعض خواصه أوماً إلى ذلك السائر وأنشد بأعلى صوته :

قلْ له يا فدَيْتُهُ قولَ عبّاد : ذا سَمَجُ
جئتَ في ألفِ فارسٍ لغداءٍ من الكَرَجِ
ما على النفسِ بعدَ ذا في الدنّاءات من حَرَجِ

فقال أبو دلف ، وكان أخوف الناس من شاعر : صدق والله ، أجيء من

١ البدائع : لا تقرين .

٢ البدائع ٢ : ١٤٩ .

الكرج إلى أصبهان حتى أتغدى بها ؟ والله ما بعد هذا في ذنابة النفس من شيء .
ثم رجع من طريقه . وفسد على الرجل كل ما غرمه ، وعرف من أين أتى .
وتخوف أن يعود عبّاد عليه بشر^١ منها ، فسير إليه جائزة سنّية مع جماعة من
أصحابه ، فاجتمعوا به ، وسألوه فيه ، وفي قبول الجائزة ، فلم يقبل الجائزة ،
ثم أنشد بديها :

وهبتُ يا قوم لكم عرضه

فقالوا : جزاك الله تعالى خيراً ، فقال :

كرامةٌ للشعر لا للفق

لأنه أبخلُ من ذرةٍ على الذي تجمعُه في الشنا

انتهى .

٩٨ - وذكر أبو الصلت أُمّية بن عبد العزيز الأندلسي ما معناه^٢ : أنه
عُزِمَ بمصر هو ورفقة له على الاصطباح ، فقصدوا بركة الحبّش ، في وقت ولاية
الغُبّش ، وحلّوا منها روضاً بسم زهره ، ونسم عطّره ، فأداروا كؤوساً ،
تُطلّع من المدام شمساً ، وعابنوها نجوماً ، تكون لشرّطين الموم رُجوماً ،
فطرب حتى أظهر الطرب نشاطه ، وأبرز ابتهاجه وانبساطه ، فقال :

لله يومي ببركة الحبّش والحوّ بين الضياء والغبّش
والنَّيلُ تحت الرياح مضطربٌ كصارمٍ في يمينٍ مرتعشٍ
ونحنُ في روضةٍ مَفوّقةٍ دُبجٍ بالنّورِ عطفُها ووُشي
قد نسجتُها يدُ الغمامِ لنا فنحن من نورها على فُرُشٍ

١ ب : بأشد .

٢ البدائع ٢ : ١٥١ ، ونوادير المخطوطات ١ : ٢٠ - ٢١ .

فعاطني الراح إن تاركها من سورة الهم غير متعش
وأسقيني^١ بالكبار متزعة^٢ فهن أروى لشدة العطش
فأنقل الناس كلهم رجل^٣ دعاه داعي الصبا فلم يطش

وهذا أبو الصلت أمية من كبراء أدباء الأندلس العلماء الحكماء ، وقد ترجمناه في الباب الخامس في المرتحلين من الأندلس إلى المشرق .

٩٩ — وقال رحمه الله تعالى^٢ : كنت مع الحسن بن علي بن تميم بن المعز ابن باديس بالمهدية في الميدان ، وقد وقف يرمي بالنشاب ، فصنعت فيه بديها^١ :

يا ملكاً مذ خلقت كفه لم تدر إلا الجود والباسا
إن النجوم الزهر مع بعدها قد حسدت في قربك الناسا
ووددت الأفلاك لو أنها تحولت تحتك أفراسا
كما تمنى البدر لو أنه عاد لنشابك برجاسا

انتهى .

١٠٠ — وصنع الوزير^٣ أبو جعفر أحمد الوقشي وزير الرئيس أبي إسحاق ابن همشك صهر الأمير أبي عبد الله محمد بن مردنيس في غلام أسود في يده قضيب نور بديها^١ :

وزنجي^٢ أنى بقضيب نور^٣ وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فقي من الفتيان صفها فقلت الليل أقبل بالنجوم

١ ب : وسقي .

٢ البدائع ٢ : ١٥٢ .

٣ البدائع ٢ : ١٥٣ ؛ وهذان البيتان في الحلة ٢ : ٢٦٦ للرصافي (ديوانه : ١٣٥) ؛ قال : وغلط أبو مروان ابن صاحب الصلاة الإشبيل ففسهما في تاريخه إلى بعض الأمراء (يعني الوقشي) ؛ وفي المغرب ٢ : ٢٥٧ أنهما لأبي علي الحسين بن أم الحور .

١٠١ — ولما أفرط أبو [بكر] يحيى اليكي^١ في هجاء أهل فاس تَعَسَّفُوا عليه ، وساعدهم واليهم مظفر الخصي من قِبل أمير المسلمين^٢ علي بن يوسف ، والقائد عبد الله بن خيار الجياني^٣ ، وكان يتولى أموراً سلطانية بها ، فقدّموا رجلاً ادعى عليه بدّين ، وشهد عليه به رجل فقيه يُعرف بالزناقي ، ورجل آخر يكنى بأبي الحسين من مشايخ البلد ، فأثبت الحق عليه ، وأمر به إلى السجن ، فرفع إليه . وسيقَ سوقاً عنيفاً ، فلمّا وصل إلى بابه طلب ورقة من كاتبه ، وكتب فيها ، وأنفذها إلى مظفر مع العون الذي أوصله إلى السجن ، فكان ما كتب :

ارشوا الزناقيَّ الفقيهَ ببيضةٍ يشهد بأنّ مظفرّاً ذو بيضتين
واهذوا إليه دجاجةً يحلّيفُ لكم ما ناك عبدُ الله عرسَ أبي الحسين

١٠٢ — وقال أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي الأنصاري : عمل والذي محملاً للكتب من قضبان تشبه سلماً ، فدخل عليه أبو محمد عبد الله بن مفيد ، فرآه ، فقال ارتجالاً :

أيها السيّدُ الذكيُّ الجنانِ لا تقسني بسلمِ البنيانِ
فضلُ شكلي على السلامِ أنّي محمّلٌ للعلومِ والقرآنِ
حزّتُ من حلية المحبين ضَعْفِي واصفراري ورقةَ الأبدانِ
فادعُ للصانعِ المجيدِ بفوزٍ ثمّ والِ الدعاءَ للإخوانِ
ثمّ عمل أيضاً :

أيها السيّدُ الكريمُ المساعي التفتُ صنعتي وحسنَ ابتداعي

١ البدائع ٢ : ١٥٧ ؛ و انظر بعض أهاليته في أهل فاس في زاد المسافر .

٢ ب : المؤمنين ؛ وهو غير دقيق .

٣ راجع ترجمة ابن خيار الجياني في الحلة ٢ : ٢٣٥ .

أنا للنسخِ حملٌ خفّ حملي أنا في الشكلِ سلّم الإطلاعِ

١٠٣ - وقال أحمد بن رضى المالقي :

ليس المدامة ممّا أُستريحُ له ولا مجاوبةُ الأوتارِ والنغمِ
ولنّما لذّتي كُتِبَ أطلعها وخادمي أبدأ في نصرتي قلبي

١٠٤ - وقال أبو القاسم البلّوي الإشبيلي :

لمن أشكوي مُصابي في البرايا ولا ألقى سوى رجلٍ مصابٍ
أمورٌ لو تدبّرها حكيمٌ لعاش مدى الزمان أنا اكتابِ
أما في الدهرِ مَنْ أفشي إليه بأسراري فيؤنسُ بالجوّابِ ؟
يشت من الأنام فما جليسٌ يعزُّ على نهائٍ سوى كتابي

١٠٥ - وقال أبو زكريا يحيى ، ابن صفوان بن إدريس صاحب كتاب
« العجالة » و « زاد المسافر » وغيرهما :

ليت شعري كيف أنتم وأنا الصبُّ المعنى
كلُّ شيءٍ لم تكونوا فيه لفظٌ دون معنى

وله في نصراني وسيم لقيه يوم عيد :

توحّد في الحسن من لم يزل يثلث والقلبُ في صدّه
يشفُّ لك الماء من كفّه ويقتدحُ النّارَ من خدّه

وهذان البيتان نسّبهما له بعضُ معاصريه ، وأبوه صفوان سابق الميدان .

١٠٦ - وقال ابن بسام^١ : ساير ابن عمّار في بعض أسفاره غلامان من

١ بدائع البدائه ٢ : ١٣٠ .

بني جهنم أحدهما أشقر العذار والآخر أخضره ، فجعل يميل بحديثه لمخضر العذار ، ثم قال ارتجالاً :

تعلقته جهوري النجار حلي^١ اللّمي جهوري الثنايا
من التفّر البيض أسد الزمان رقاق الحواشي كرام السجايا
ولا غرو أن تغرب الشارقات وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل إلاّ جمان الحديث نساظه من ظهور المطايا
شئت المثلث للزعفران وملت إلى خضرة في التفايا

ومعناه أن ابن عمار أبغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الأشقر منهما ، وأحب خضرة التفايا^٢ ، وهو لون طعام يُعمل بالكزبرة ، لشبهها بعذار الأخضر منها .

١٠٧ - وقال أبو العرب ابن معيشة الكناني السبتي^٣ : أخبرني شيخ من أهل إشبيلية كان قد أدرك دولة آل عبّاد ، وكان عليه من أثر كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق ، وينطق بأن قوله الحق ، قال : كنت في صباي حسن الصورة ، بديع الخلقة ، لا تلمخي عين أحد إلاّ ملكت قلبه ، وخلبت قلبه ، وسلبت لبّه ، وأطلت كربه . فبينما أنا واقف على باب دارنا إذا بالوزير أبي بكر ابن عمار قد أقبل في موكب زجل ، على فرس كالصخرة الصماء قدّت من قنّة الجبل ، فحين حاذاني ورآني اشراًباً ليّ ينظرني وبهت يتألمني ثمّ دفع بمخصرة كانت بيده في صدري ، وأنشد :

١ ب : حلو .

٢ راجع شرح التفايا ج ٣ ص : ١٢٧ الحاشية : ٢ .

٣ بدائع البداهة ٢ : ١٣٢ وفيه « ابن معوشة » .

كُفَّ هذا التَّهْدَ عني فبِقَلبي منه جُرْحُ
هو في صدرك نَهْدٌ وهو في صدري رُمحُ

١٠٨ - وعبر في « البدائع » على طريقة القلائد بما صورته^١ : ذكر الفتح ابن خاقان ما هذا معناه : أخبرني ذو الوزارتين أبو المطرف ابن عبد العزيز أنه حضر عند المؤمن بن هود في يوم أجرى الجوف فيه أشقرَ برقه ، ورمى بنبل ودقه ، وحملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها ، وتميلت قامات الأغصان في الحُلُل الخضر من أوراقها ، والأزهار قد تفتحت عيونها ، والكمام قد ظهر مكنونها ، والأشجار قد انصقلت بالقطر ، ونشرت ما يفوق ألوان البز وبشت ما يعلو العطر ، والراح قد أشرقت نجومها في بروج الراح ، وحاكت شمسها شمس الأفق فتلفعت بغيوم الأقداح ، ومديرها قد ذاب ظرفاً فكاد يسيل من إهابه ، وأنجل خدّها حسناً فتكلل بعرق حبابه ، إذا بفتى رومي من أصبح فتيان المؤمن قد أقبل متدرعاً كالبدر اجتأب سحاباً ، والخمر اكتست حباباً ، والطاوس انقلب حباباً ، فهو ملكٌ حسناً إلا أنه جسد ، وغزالٌ ليناً إلا أنه في هيئة الأسد ، وقد جاء يريد استشارة المؤمن في الخروج إلى موضع كان عول فيه عليه ، وأمره أن يتوجه إليه : فحين وصل إلى حضرته لمحهُ ابنُ عمّار والسكر قد استحوذ على لبّه ، وانبثت سراياه في ضواحي قلبه ، فأشار إليه وقربه ، واستبدع ذلك اللباس واستغربه ، وجده في أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدُّلّاص ، وأن يجلي عنه سهكه كما يجلي الحبث عن الخلاص ، وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ، ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه ، فأمره المؤمن بقبول أمره وامثاله ، واحتذاء أمثاله ، فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ، ورمّت شياطين النفوس من كُمتِ المدام بشهبتها ، ارتجل ابن عمّار :

١ بدائع البداهة ٢ : ١٣٣ ؛ وانظر النفع ج ١ ص : ٦٥٤ .

وهويتهُ يسقي المدام كأنه
متناوح الحركات يتندى عطفه
يسقي بكأس في أنامل سوسن
يا حامل السيف الطويل نجاده
ليأك بادرة الوغى من فارس
جهنم وإن حسر القناع فلنما
يطغى ويلعب في دلال عذاره
سلم فقد قصف القنا غصن النقا
عنا بكأسك قد كفتنا مقلّة

وصنع فيه أيضاً :

وأحور من ظباء الروم عاط
قسا قلباً وشنّ عليه درعاً
بكيّت وقد دنا ونأى رضاه
وإنّ فتى تملكه برق
بسالفته من دمعي فريد
فباطنه وظاهره حديد
«وقد يبكي من الطرب الجليلد»
وأحرز حسنه لفتى سعيد

انتهى .

١٠٩ — وذكر في « البدائع » مؤلفه ما نصه^١ : خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوماً إلى بعض منزهاته ، فحلّ بروضة قد سقرت عن وجهها البهيج ، وتنفست عن مسكها الأريج ، وماست معاطف أغصانها ، وتكللت بلؤلؤ الطلّ أجساد قضاها ، فتشوّق إلى الوزير أبي طالب ابن غانم أحد كبراء دولته ، وسيوف صولته ، فكتب إليه بديها بورقة كرنب يعود من شجرة :

١ البدائع ٢ : ١٣٩ ، وانظر أيضاً ٢ : ١٤٠ للحكاية التالية عن المعتصم .

أَقْبِلْ أبا طالبٍ إلينا واسقُطْ سقوطَ الندى علينا .

١١٠ - وجلس المعتصم بن صمادح المذكور يوماً وبين يديه ساقية قد أخدمت ببردها حرَّ الأوار ، والتوى ماؤها فيها التواء فضة السوار ، فقال ارتجالاً :

انظر إلى الماء كيف انحطَّ من صَبَبِهِ كأنه أَرْقَمُ قد جدَّ في هَرَبِهِ

١١١ - وقال السميسر^١ :

بعوضٌ شربَ دمي قَهْوَةً وغَنَيْتني بضروبِ الأغانِ
كأنَّ عِبروقِي أوتارهنَّ وجسمي الربابُ وهنَّ القيان^٢

١١٢ - وأحسن منه قول ابن شرف القيرواني^٣ :

لك مجلس كملت بشارةُ لهونا فيه ، ولكن تحت ذاك حديثُ
غَنَى الذبابُ فظلَّ يَزْمُرُ حوله فيه البعوضُ ويرقصُ البرغوثُ

١١٣ - والسابق إلى هذا المعنى أبو [الحسن] أحمد بن أيوب من شعراء
اليتيمة إذ قال^٤ :

لا أعذل الليلَ في تطاوله لو كان يدري ما نحن فيه نَقَصٌ
لي والبراغيثُ والبعوضُ إذا أَجَنَّا حِنْدِسُ الظلامِ قِصَصٌ
إذا تَغَنَّى بَعْوْضُهُ طَرَباً أطرب^٥ برغوثه الغنا فرقصُ

١ البدائع ٢ : ١٧٦ .

٢ زاد في مطبوعة التجارية بمد هذين البيتين مقطوعتين في البرغوث والبعوض يظهر أنهما من زيادات
الناسخ .

٣ البدائع ٢ : ١٧٦ والمطرب : ٧٠ ومعجم الأدباء : ١٩ : ٣٨ .

٤ بدائع اليدائمه ٢ : ١٧٦ واليتيمة ٤ : ٣٨٣ ، ومنه تصويب الاسم .

٥ اليتيمة : ألحقنا .

٦ اليتيمة : ساعد .

١١٤ - ونحو هذا قول الحُصَري فيما نسبته إليه ابن دحية^١ :

ضاقَتْ بِلنْسيَةٍ بي وذَادَ عني غموضي
رَقَصُ البراغِيثِ فيها على غناء البعوضِ

رجع إلى أهل الأندلس ، فنقول :

١١٥ - كان ابن سعد الخير البَلَنْسِيّ الشاعر كثير الدهول ، مفرط النسيان ، ظاهر التغفل ، على جودة نظمه ، ورطوبة طبعه ، وكان كثيراً ما يسلك سكة الإسكافيين الذين يعملون الخفاف على بغلة له ، فاتخذت البغلة النفور من أطراف الأدم وفضلات الجلود الملقاة في السكة عادة لها ، وانفق أن عبر في السكة راجلاً ، ومعه جماعة من أصحابه ، فلما رأى الجلود الملقاة قفز ووثب راجعاً على عقبيه ، فقال له أصحابه : ما هذا أيها الأستاذ ؟ فقال : البغلة نفرت ، فعجبوا من تخلفه وتغفله كيف ظن مع ما يقاسيه من ألم المشي ونَصَب التعب أنه راكب ؟ وأن حركته الاختيارية منه حركة الدابة الضرورية له ، فكان تغفله ربما أوقعه في همة عند من لم يعرفه ، فاقترح عليه بعض الأمراء أن يصنع بيتين أول أحدهما كتاب وآخره ذئب ، وأول الآخر جوارح وآخره أناييب ، فصنع بديهاً :

كتابٌ نَجِيعٌ^٢ لاح في حَوْمَةِ الوغى وقارَنَهُ نَسْرٌ هنالك أو ذيبُ
جوارحُ أهليه حروفٌ وربما تَوَلَّتْهُ من نَقْطِ الطعانِ أناييبُ

١١٦ - وقال الحميدي^٣ : ذكر لي أبو بكر المرواني أنه شاهد محبوباً الشاعر النحوي قال بديهة في صفة ناعورة :

١ المطرب : ٩٤ وبدائع البداه ٢ : ١٧٦ .

٢ م : نجيح .

٣ الجذوة : ٣٢٨ .

و ذاتِ حنينٍ ما تغيضُ جفونُها من اللججِ الخضرِ الصوافي على شطِّ
وتبكي فتُحيي من دموعِ جفونها رياضاً تبدتْ بالأزهارِ^١ في بسطِ
فمن أحمرِ قانٍ وأصفرِ فاقعٍ وأزهرِ مبيضٍ وأدكنِ مُشمطٍ
كانَ ظروفاً الماءِ من فوقِ متنها لآلي جُمانٍ قد نُظِمنَ على قرطِ

١١٧ - وقال أبو الخطاب ابن دحية^٢ : دخلت على الوزير الفقيه الأجل^٣
أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمي ، فوقع الكلام في علوم لم تكن
من جنس فنونه ، فقال بديهاً :

أيها العالم أدركني سماحاً فلمثلي يحقُّ منك السماحُ
إن تخلي إذا نطقتُ عيباً فبناني إذا كتبتُ وقاحُ
أحرزُ الشاؤ في نظامٍ ونثرٍ ثم أثني وفي العنانِ جِماحُ
فبهزلٍ كما تأودَّ غصنٌ وبجدٍ كما تَهَزُّ الصفاحُ

وقال^٣ : دخلت عليه منزله بشاطبة في اليوم الذي توفي فيه وهو يجود بنفسه ،
فأنشد بديهاً :

أيها الواقفُ اعتباراً بقبري استمع فيه قولَ عظمي الرميمِ
أودعوني بطنَ الضريحِ وخافوا من ذنوبِ كلومها بأديمي
ودعوني بما اكتسبتُ رهيناً غلِقَ الرهنِ عند مولى كريمِ

١١٨ - وقال ابن طوفان^٤ : دعا أبي أبا الوليد النحلي ، فلما قضا
وطرهم من الطعام سقيتهم ، وجعلت أترعُ الكاسات ، فلما مشت في النحلي

١ الجلوة : من أزاهير .

٢ بدائع البداهة ٢ : ١٧١ ، ولم ترد في المطرب .

٣ المصدر نفسه : ١٧٢ .

٤ بدائع البداهة ٢ : ١٩١ ، وفي ب : طفوان .

سورة الحميا ارتجل :

لا بن طوفان أباد قل فيها مشبهوه
ملأ الكاسات حتى قيل في البيت أبوه

ونظيره قول المنفل^١ من شعراء النخيرة في الشاعر ابن الفراء :

فلذا ما قال شعراً نفقت سوق أبيه

١١٩ — وذكر في « بدائع البدائع »^٢ أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل خرجوا منتزهين إلى الأهرام ليروا عجائب مبانيها ، ويتأملوا ما سطره الدهر من العبر فيها ، فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها ، فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي :

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرأ على ما رأيت عيناك من هرمي مصري
أنافسا بأعنان^٣ السماء فأشرفنا على الجوّ لإشراف السماء أو النسر
وقد وافيا نشزأ من الأرض عاليا كأنهما نهدان قاما على صدر

وصنع أبو منصور ظافر الحداد :

تأمل هيئة الهرمين وانظر وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين^٤ على رحيل بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع وصوت الريح بينهما نجيب
وظاهر سجن يوسف مثل صبّ تخلف فهو محزون كتيب

١ المصدر السابق : ١٩٢ .

٢ المصدر نفسه ١ : ٢٤٣ وانظر نوادر المخطوطات ١ : ٢٦ .

٣ م : بأسباب ؛ البدائع : بأكناف .

٤ العارية : المودج .

١٢٠ - وقال ابن بسام^١ : كان للمتوكل ابن الأفطس فرس أدهم أغر
محجل على كفله ست نقط بيض ، فندب المتوكل الشعراء لصفته ، فصنع التحلي
أبو الوليد فيه بديهاً :

ركب البدرُ جَواداً ساجحاً تقفُ الريحُ لأدنى مَهَلِهْ
لبسَ الليلَ قميصاً سابغاً والثريا نُقْطُ في كَفَلِهْ
وغديرُ الصبحِ قد خيضَ به فبدا تحجِيلُه من بللِهْ
كلُّ مطلوبٍ وإن طالَتْ بهِ رجله من أجَلِه في أجَلِهْ

ثم انتدب الشعراء بعد ذلك للعمل فيه ، فصنع ابن الليانة :

لله طِرفٌ جالٍ يا ابنَ محمد فحبتُ^٢ به حوباؤه التأميلا
لما رأى أن الظلامَ أديمُه أهدى لأربعه الهدى تحجيلا
وكأنما في الردفِ منه مَباسمُ تبغي هناك لرجله تقييلا

وقال فيه أبو عبد الله ابن عبد البر الشنبري من قطعة :

وكأنما عُمَرُ على صَهَوَاتِه قمرٌ تسيرُ به الرياحُ الأربعُ

ويعني بعمر المتوكل المذكور لأن اسمه عمر .

١٢١ - وقال أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجي قاضي إشبيلية :

لله إخوانٌ تناءت دارهم حفظوا الوداد على النوى أو خانوا
يهدي لنا طيبَ الثناء وداهم كالندى يهدي الطيب وهو دخانُ

١ البدائع ١ : ٢٦٠ .

٢ البدائع : فحبت ؛ ب : فحبت .

[أخبار عن المروانيين]

١٢٢ — وحكي أن أيوب بن سليمان السهيلي المرواني حضر يوماً عند ابن باجة والشاعر أبو الحسن ابن جودي هناك ، فتكلم المرواني بكلام ظهر فيه نبيل وأدب ، فتشوف أبو الحسن ابن جودي لمعرفته ، وكان إذ ذاك في السن ، فقال له : من أنت أكرمك الله تعالى ؟ فقال : هلا سألت غيري عني فيكون ذلك أحسن لك أدباً ولي توفيراً ، فقال ابن جودي : قد سألت من المعرف عنك فلم يعرفك ، فقال : يا هذا ، لظالما مر علينا زمان يعرفنا من يجهل ، ولا يحتاج من يرانا فيه إلى أن يسأل ، وأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه وأنشد :

أنا ابن الألى قد عوّض الدهر عزهم بذلّ وقلوا واستحبّوا التنكرا
ملوك على مرّ الزمان بمشرق وغرب دهاهم دهرهم وتغيرا
فلا تذكرتهم بالسؤال مضايبتهم فإن حياة الرزء أن يتدكرا

ففظن ابن جودي أنه من بني مروان ، فقام وقبل رأسه . واعتذر إليه . ثم انصرف المرواني ، فقال ابن باجة لابن جودي : أساء أدبك بعد ما عهدت منك ؟ كيف تعمد إلى رجل في مجلسي تراني قد قربته وأكرمته وخصّصته بالإصغاء إلى كلامه فتقدم عليه بالسؤال عن نفسه ؟ فاحذر أن تكون لك عادة ، فإنها من أسوأ الأدب ، فقال ابن جودي : لم أزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام :

نأخذ من ماله ومن أدبه^١

١٢٣ — وحكي أن بكاراً المرواني^٢ لما ترك وطنه وخرج في الجهاد وقتل ، قال صاحب السقط : إنه اجتمع به في أشبونة فقال : قصدت منزله بها ، ونفرت

١ صدر البيت : ننقل أسبابنا إلى ملك .

٢ انظر أخبار بكار وأسماءه في المغرب ١ : ٤١٥ .

الباب . فنأدى : من هذا ؟ فقلت : رجل ممن يتوسل لرؤيتك بقرابة ، فقال : لا قرابة إلا بالتقى ، فإن كنت من أهله فادخل ، وإلا فتنح عني ، فقلت : أرجو في الاجتماع بك والاقتراب منك أن أكون من أهل التقى ، فقال : ادخل ، فدخلت عليه فإذا به في مُصَلَّاه وسبحة أمامه ، وهو يعدّ حبوبها ويسبّح فيها ، فقال لي : ارفق عليّ حتى أتمم وظيفتي من هذا التسبيح ، وأقضي حقك ، فقعدت إلى أن فرغ ، فلما قضى شغله عطف عليّ وقال : ما القرابة التي بيني وبينك ؟ فانتسبت له ، فعرف أبي وترحم عليه ، وقال لي : لقد كان نعم الرجل ، وكان لديه أدب ومعرفة ، فهل لديك أنت ممّا كان لديه شيء ؟ فقلت له : إنه كان يأخذني بالقراءة وتعلّم الأدب ، وقد تعلقت من ذلك بما أتميز به ، فقال لي : هل تنظم شيئاً ؟ قلت : نعم ، وقد أبلجني الدهر إلى أن أرتزق به ، فقال : يا ولدي إنه بشما يرتزق به ، ونعم ما يتحلّى به إذا كان على غير هذا الوجه ، وقد قال رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم : « إِنَّ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٍ » ولكن تحلّ الميعة عند الضرورة ، فأنشدني أصلحك الله تعالى ممّا على ذُكْرِكَ من شعرك ، قال : فطلبت بخاطري شيئاً أقابله به ممّا يوافق حاله فما وقع لي إلا فيما لا يوافقه من مُعْجُون ووصف خمر وما أشبه ذلك ، فأطرقت قليلاً ، فقال : لعلك تنظم ، فقلت : لا ولكن أفكر فيما أقابلك به ، فقولي أكثره فيما حملني عليه الصبأ والسخف ، وهو لائق بغير مجلسك ، فقال : يا بني ، ولا هذا كله ، إنّنا لا نبلي من تقوى الله إلى حدّ نخرج به عن السلف الصالح ، وإذا صح عندنا أن عبد الله ابن عباس ابن عم رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، ومفسر كتاب الله تعالى ينشد مثل قول القائل :

إِنْ يَصْدُقُ الطَّيْرُ نَنْكَرُ لِمِيسَا

فمن نحن حتى نأبى أن نسمع مثل هذا ؟ والله لا نشذ عن السلف الصالح ،
أنشدني ما وقع لك غير متكلف ، فلم يمدني خاطري إلى غير قولي من شعر
أجُنُّ فيه :

أبطأتَ عني ، وإني لفي اشتياقٍ شديدٍ
وفي يدي لك شيء قد قام مثل العمودِ
لو ذقتَه مرة لم تعد لهذا الصدودِ

فتبسم الشيخ وقال : أما كان في نظمك أظهر من هذا ؟ فقلت له : ما وُفِّقَ
لغيره ، فقال : لا بأس عليك ، فأنشدني غيره ، ففكرت إلى أن أنشدته قولي :

ولما وُفِّقَ على رَبِّعِهِمْ تَجَرَّعتُ وجدِّي بالأجرِ
وأرسل دمي شرارَ الدموعِ لنارٍ تَأجَّجُ في الأضلعِ
فقال عدولي ، لما رأى بكائي : رفقا على الأدمعِ
فقلت له : هذه سُنَّةٌ لمن حفظ العهدَ في الأربعِ

قال : فرأيت الشيخ قد اختلط ، وجعل يجيء ويذهب ثم أفاق وقال : أعد بحق
آبائك الكرام ، فأعدتُ فأعاد ما كان فيه وجعل يردده ، فقلت له : لو علمت
أن هذا يحركك ما أنشدتك إياه ، فقال : وهل حرك مني إلا خيراً وعظماً ؟ يا بني
إن هذه القلوب المخلاة لله كالورق التي جفت ، وهي مستعدة لهُبوب الرياح ،
فإن هبَّ عليها أقلُّ ريحٍ لعب بها كيف شاء ، وصادف منها طَوْعاً ، فأعجبني
منزعه ، وتأنست به ، ولم أر عنده ما يعتاد من هؤلاء المتدينين من الانجباع
والانكماش ، بل ما زال يبسطني ويحدثني بأخبار فيها هزل ، ويذكر لي من
تاريخ بني أمية وملوكها ما أرتاح له ، ولا أعلم أكثره ، فلمّا كثر تأنسي به

أهويتُ إلى يده كي أقبلها ، فضمها بسرعة ، وقال : ما شأنك ؟ فقلت : راغباً لك في أن تشدني شيئاً من نظمك ، فقال : أما نظمي في زمان الصبا فكان له وقت ذهب ، ويجب للنظم أن يذهب معه ، وأما نظمي في هذا الوقت فهو فيما أنا بسبيله ، وهو يثقل عليك ، فقلت له : إن أنصف سيدي الشيخ نفعا الله تعالى به أنشدني من نظم صباه ، ومن نظم شيخوخته^١ ، فياخذ كلانا بحظه ، فضحك وقال : ما أعصيك وأنت ضيف وقريب ولك حرمة أدب ووسيلة قصد ، ثم أنشدني وقد بدا عليه الحشوع وخشفتُ العبرة :

ثقْ بالذي سَوَّأكَ من عَدَمٍ فَإِنَّكَ من عَدَمٍ
وانظرْ لنفسكَ قبلَ قَرَرٍ عِ السنِّ من فرطِ الندَمِ
واحذرْ وقُيتَ من الوری واصحَّبتَهُمُ أَعْمى أَصَمَّ
قد كنتُ في تيهٍ إلى أن لاحَ لي أهدى عَلمٍ
فاقتَدْتُ نحو ضيائه حتى خرجتُ من الظُّلَمِ
لكنْ قناديلُ الهوى في نور رشدي كالحممِ

قال : فوالله لقد أدركني فوق ما أدركه ، وغلبَ على خاطري بما سمعت من هذه الأبيات ، وفعلتُ بي من الموعظة غاية لم أجدها منها التخلص إلا بعد حين ، فقال لي الشيخ : إن هذه يقظة يرجى معها خيرك ، والله مرشدك ومنقذك ، ثم قال لي : يا بني هذا ما نحن بسبيله الآن ، فاسمع فيما مضى والله وليُّ المغفرة ، وإنَّا لنرجو منه غفران الفعل ، فكيف القول ، وأنشد :

أطلَّ عِذارُ على خَدَّه فظَنُّوا سُلُويَ عن مذهبي
وقالوا غرابُ لوشك النوى فقلتُ اكتمسى البدرُ بالغيبِ
وناديتُ قلبي أينَ المسيرُ وبدرُ الدجى حلَّ في العُقبِ

١ ق ب : شيخه .

فقال ولو رُمْتُ عن حُبِّهِ رَحِيلاً عَصَيْتُ ولم أَذْهَبِ

قال : فسمعت ما يقصر عنه صدور الشعراء ، وشهدت له بالتقدم ، وقلت له : لم أرَ أحسن من نظمك في جِدِّ ولا هزل ، ثمَّ قلت له : أأرويه عنك ؟ فقال : نعم ، ما أرى به بأساً بعد اطلاع مَنْ يَعْلَمُ السرائر ، على ما في الضمائر ، فما قدر هذه الفكاهة في إغضاء من يغفر الكبائر ، ويغضي عن العظائم ؟ قال : فقلت له : فإنَّ أسبغت علي النعمة بزيادة شيء من هذا الفن فعلتَ ما تملك به قلبي آخِرَ الدهر ، فقال : يا بني لا مَلَكَ قلبك غير حب الله تعالى ، ثمَّ قال : ولا أجمع عليك ردَّ قول ومنعاً ، وأنشد :

أيها الشادنُ الذي حُسْنُهُ في الوري غريبُ
لحظُ ذاك الجمالِ يُطْفئُ ما بي من اللهبِ
وعليه أحومُ دَهْمَ ري ولكنني أنجيبُ
كلما رمتُ زورةً قَبَضَ اللهُ لي رقيبُ

قال : فمازج قلبي من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه ، فقلت له : زدني زادك الله تعالى خيراً ، فأنشدني :

ما كان قلبي يدري قَدَرَ حَبْكُمُ حتى بعدتم فلم يقدر على الجَلَدِ
وكنْتُ أحسبُ أنني لا أضيقُ به ذَرْعاً فما حان حتى فَتَّ في عضدي
ثمَّ استمررتُ على كرهٍ مَرِيرَتُهُ فكاد يفرقُ بينَ الروحِ والجَسَدِ
عساكم أن تلاقوا باللقا رَمَقِي فليس لي مهجةٌ تقوى على الكمدِ

ثمَّ قال : حسبك ، وإن كلفتني زيادة فإله حسْبُكَ ، فقلت له : قد وكلتني إلى كريم غفور رحيم ، فبالله إلا ما زدني . وأكَبْتُ لأقبلَ رجله ، فضمهما وأنشد :

لله من قال لما شكوت فيه نخولي
 أما السبيل لوصل فما له من وصول
 فقلت حسبي التماح بحسن وجه جميل
 وجه تلوح عليه علامة للقبول
 فقال دعني فهذا تعرض للقبول
 فقلت عاتب وخاطب بالأمن أهل العقول

فملاً سمعي عجائب ، وبسط أنسي ، وكتبْتُ كل ما أنشدني ، ثم قلت له :
 لولا خوفي من الثقل عليك لم أزل أستدعي منك الإنشاد حتى لا نجد ما تنشد ،
 فقال : إن عدت إن شاء الله تعالى إلى هنا تذكرت ، وأنشدتك ، فما عندي ممّا
 أضيفك غير ما سمعت ، وما تراه ، ثم قام وجاء من بيت آخر في داره بصحفة
 فيها حساً من دقيق وكسور باردة ، فجعل يفتّ فيها ثم أشار إليّ أن أشرب
 فشربت ثم شرب إلى أن أتينا على آخرها ، ثم قال لي : هذا غذاء عملك نهاره ،
 وإنه لنعمة من الله تعالى أستديم بشكرها اتصالها ، قال : فقلت له : يا عم ، ومن
 أين عيشك ؟ فقال : يا بني ، عيشتي بتلك الشبكة أصطاد بها في سواحل البحر ما
 أقتات به ، ولي زوجة وبنت يعود من غزّلهما مع ذلك ما نجد فيه معونة ، وهذا
 مع العافية والاستغناء عن الناس خير كثير ، جعلنا الله تعالى ممّن يلقاه على حالة
 يرضاه ، وختم لنا بخاتمة لا يخاف معها فضيحة . قال : فتركته وقمت وفي نيتي
 أن أعود إلى زيارته ، ونويت أن يكون ذلك بعد أيام خوف الثقل ، فعدت إليه
 بعد ثلاثة أيام ، فنقرت الباب ، فكلمتني المرأة بلسان عليه أثر الحزن ، وقالت :
 إن الشيخ خرج إلى الغزو ، وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ، ناله كالجنون ، فقلت
 له : ما شأنك ؟ فقال : أريد أن أموت شهيداً في الغزو ، وهؤلاء جيران لي قد

١٠ ب : عل آخره .

عزموا على الغزو ، وأنا إن شاء الله تعالى ماضٍ معهم ، ثمّ احتال في سيفٍ ورمح وتوجّه معهم ، وقال : نفسي هي التي قتلني بهواها ، أفلا أقتصّ منها فأقتلها ؟ قال : فقلت لها : مَنْ خَلَّفَ للنظر في شأنكم ؟ فقالت : ليس ذلك لك ، فالذي خلفنا له لا نحتاج معه إلى غيره ، فأدركني من جوابها روعة ، وعلمت أنها مثله زهداً وصلاً ، فقلت : إني قريبه ، ويجب عليّ أن أنظر في حالكم بعده ، فقالت : يا هذا إنك لست بذئٍ محرّم ، ولنا من العجائز من ينظر منا ويبيع غزْلنا ويتفقد أحوالنا ، فجزاك الله تعالى عنّا خيراً ، انصرف عنا مشكوراً ، فقلت لها : هذه دراهم خذوها تستعينوا بها ، فقالت : ما اعتدنا أن نأخذ شيئاً من غير الله تعالى ، وما كان لنا أن نُخِلَّ بالعادة ، فانصرفت نادماً على ما فاتني من الاستكثار من شعر الشيخ والتبرك بزيادة دعائه ، ثمّ عدت بعد ذلك لداره سائلاً عنه ، فقالت لي المرأة : إنه قد قبله الله تعالى ، فعلمت أنه قد قُتِلَ ، فقلت لها : أقتل ؟ فقرأت : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ — الْآيَةُ ﴾ (آل عمران : ١٦٩) فانصرفت معتبراً من حاله . رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا به . وكانت للمروانيين بالأندلس يد عليّ ، في الدين والدنيا . انتهى .

١٢٤ - وقال محمد بن أيوب المرواني ، لما كلّف قوماً حاجة له سلطانية فما نهضوا بها فكلّفها رأس بني مروان القائد سعيد بن المنذر ، فنهض بها :

نهضت بما سألتك غير وان وقد صعبت لسالكها الطريق
وليس يبين فضل المرء إلا إذا كلّفته ما لا يطيق

وعتبه يوماً سعيد بن المنذر في كونه يتعرض للذخ خدام بني مروان ، فقال له : أعز الله تعالى القائد الوزير ، إنكم جعلتموني ذنباً وجعلوني رأساً ، والنفس تتوق إلى من يكرمها وإن كان دونها أكثر منها إلى من يهينها وإن كان فوقها ،

ولاني من هذا وهذا في أمر لا يعلمه إلاّ الذي أبلاني به ، ويا ويح الشجيّ من الخليّ ، وأنا الذي أقول فيما يتخلل هذا المترع :

نُسبتُ لقومٍ ليتني نجلٌ غيرهم فلي نسَبُ يعلو وحظي يَسْفُلُ
أقطع عمري بالتعلُّلِ والمنى وكم يخدعُ المرءُ الليبَ التعلُّلُ
فما لي مكانٌ أرتضيه لهمةً ولا مال منه أستعفُّ وأفضلُ
ولكنني أقضي الحياةَ تجملاً وهل يهلكُ الإنسانَ إلاّ التجمُّلُ

فقال له سعيد : قصدنا لومك فعطفت اللائمة علينا ، ونحن أحق بها ، وسننظر إن شاء الله تعالى فيما يرفع اللوم عن الجانبين ، ثمّ تكلم مع الناصر في شأنه ، فأجرى له رزقاً أغناه عن التكفف ، فكانت هذه من حسنات سعيد وأياديه.

١٢٥ — وقال المطرف بن عمراً المرواني يمدح المظفر بن المنصور بن أبي عامر :

إنّ المظفّر لا يزال مظفّراً حكماً من الرحمن غير مبدّل
وهو الأحقُّ بكلِّ ما قد حازه من رفعةٍ ورياسةٍ وتفضّل
تلقاهُ صدرأً كلّما قلبتهُ مثل السنانِ بمحفلٍ وبمحفلٍ

وحضر يوماً مع شاعر الأندلس في زمانه ابن دراج القسطلّي ، فقال له القسطلّي : أنشدني أبياتك التي تقول فيها :

على قدَرٍ ما يصفو الخليلُ يَكْدَرُ

فأنشده :

تخيّرْتُ من بين الأنامِ مُهدّباً ولم أدِرْ أني خائبٌ حين أخبرُ
فمازجني كالراح للماء ، واغتدى على كلّ ما جشّمته يتصبرُ

١ ب : غير .

إلى أن دهاني إذ أمنتُ غُروره سفاهاً وأدّاني لما ليس يُذكرُ
وكدّرَ عيشي بعد صفوي ، وإنما على قدر ما يصفو الخليلُ يكدرُ
فاهتزّ القسطلّي وقال : والله إنك في هذه الأبيات لشاعر . وأنا أنشدك
فيما يقابلها لبلال بن جرير :

لو كنتُ أعلمُ أنْ آخَرَ عهدهمُ يومَ الفراقِ فعلتُ ما لم أفعلِ

واكن جعل نفسه فاعلاً وعرضت نفسك لأن يقال : إنك مفعول ، فقال :
ومن أين يلوح ذلك ؟ فقال القسطلّي : من قولك « وأدّاني لما ليس يُذكرُ » فما
يُظنّ في ذلك إلاّ أنه أدّاك إلى موضع فعل بك فيه ، فاغتاظ الأموي وقال :
يا أبا عمر . ومن أين جرت العادة بأن تمزج معي في هذا الشأن ؟ فقال له : حلم
بني مروان يحملنا على أن نخرق العادة في الحمل على مكارمهم ، فسكن غيظه .
وكتب الروائي المذكور إلى صاحب له يستعير منه دابة يخرج عليها للفرجة
والخلاعة : أنهض الله تعالى سيدي بأعباء المكارم ، إن هذا اليوم قد تبسم أفقّه .
بعدما بكى ودّقّه . وصقلت أصداء أوراقه . وفتحت أحداق حدائقه . وقام
نوره خطيباً على ساقه . وفضضت غدرانه . وتوّجت أغصانه . وبرزت شمس
من حجابها ، بعدما تلفعت بسحابها . وتنبّه في أرجاء الروض أرجُ النسيم .
وعُرف في وجهه نضرة النعيم . وقد دعا كلُّ هذا ناظر أخيك إلى أن يجيله في
هذه المحاسن . ويحدد نظره في المنظر الذي هو غير مبتذل والماء الذي هو غير
آسن . والفحص اليوم أحسن ما ملح . وأبدع ما حرن فيه وجمع . فجُدّ لي
بإعارة ما أنهض عليه لمشاهدته ويرفع عني خجل الابتذال . بمناكفة الأندال ،
لا زلت نهاضاً بالآمال . مُسْعِفاً بمراد كل خليل غير مقصر ولا آل .

١٢٦ - وكتب الأمير هشام بن عبد الرحمن إلى أخيه عبد الله المعروف
بالبلّكنسي حين فرّ كتاباً يقول في بعض فصوله : والعجب من فرارك دون أن

ترى شيئاً . فخطبه بجواب يقول فيه : ولا تتعجب من فراري دون أن أرى شيئاً ؛ لأنني خفت أن أرى ما لا أقدر على الفرار بعده ، ولكن تعجب مني أن حصلت في يدك بعدما أفلت منك .

وقال له وزيره أحمد بن شعيب البلنسي : أليس من العار أن يبلغ بك الخوَر من هذا الصبي أن تجعل بينك وبينه البحر ، وتترك بلاد ملكك وملك أبيك ؟ فقال : ما أعرف ما تقول ، وكل ما وُقي به إتلاف النفس ليس بعار ، بل هو محض العقل ، وأوّل ما ينظر الأديب في حفظ رأسه ، فإذا نظر في ذلك نظر فيما بعده .

١٢٧ - وقال عبد الله بن عبد العزيز الأموي ويُعرف بالحجر^١ :

اجعل لنا منك حظاً أيها القمَرُ فلنما حظنا من وجهك النظرُ
رآك ناسٌ فقالوا : إنَّ ذا قَمَرٌ فقلتُ : كُفُّوا فعندي منهما الخبرُ
البدرُ ليسَ بغيرِ النصفِ بهجتهُ حتى الصباحِ وهذا كله قمرُ

١٢٨ - وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثي أبا مروان ابن سراج^٢ :

وكم من حديثٍ للنبيِّ أبانتهُ وألبسته من حُسْنِ منطقهِ وشيا
وكم مصعبٍ للنحوِ قد راضَ صعبهُ فعاد ذلولاً بعدما كان قد أعيا

١٢٩ - وحكي أنه دخل بعض شعراء الأندلس على الفقيه سعيد بن أضحى ، وكان من أعيان غرناطة ، فمدحه بقصيدة ، ثم بموشحة ، ثم بزجل ، فلم

١ الجلوة : ٢٤٤ (وبنية الملتس رقم : ٩٣٣) .
٢ الجلوة : البدر ليلة نصف الشهر وهذا دهره .
٣ الذخيرة ١ / ٢ : ٢١٧ .

يعطه شيئاً ، بل شكاً إليه فقراً ، حتى إنه بكى ، فأخذ الدواة والقرطاس وكتب ووضع بين يديه :

شكا مثلاً الذي أشكوه من عدم وساءه مثل ما قد ساءني فبكى
إنَّ المقلَّ الذي أعطاك دمعته نعمَ الجوادُ فتى أعطاك ما ملكا

١٣٠ — وقال ابن خفاجة^١ :

نهرٌ كما سال^٢ اللّمي سلسالٌ وصباً بليلاً ذيلها مكسالٌ
ومهبٌ نفحة روضة مطلولة فيها لأفراسِ النسيم^٣ مجالٌ
غازلتهُ والأقحوانةُ مبسيمٌ والآسُ صُدغٌ والبنفسجُ خالٌ

وقال^٤ :

وساقٍ كحيلِ الطرفِ في شأوِ حسنه جماحٌ ، وبالصبرِ الجميلِ حيرانٌ
ترى للصبأ ناراَ بخديهِ لم يثرُ لها من سوادَي عارضيه دُخانٌ
سَقانا وقد لاح الهلالُ عشيّةً كما اعوجَّ في درعِ الكمي سنانٌ
عُقاراً تماها الكرمُ فهي كريمةٌ ولم تزنِ بابنِ المزنِ فهي حصانٌ
وقد جالَ من جَوْنِ الغمامةِ أدهمٌ له البرق سَوَطٌ والعنانُ عنانٌ
وضمخ رَدْعُ الشمسِ نحرَ حديقةٍ عليه من الطلّ السقيطِ جُمانٌ
ونمتُ بأمرارِ الرياضِ خَميلةً لها النورُ ثغرٌ والنسيمُ لسانٌ

١ ديوان ابن خفاجة : ١١٩ والنفع ٣ : ٢٠٢ .

٢ الديوان : ساغ .

٣ الديوان : في جلتهيا للنسيم .

٤ ديوان ابن خفاجة : ٢٣٥ وقد تقدمت الأبيات ص : ٢٠٢ من هذا المجلد .

٥ ديوانه : تحليل اللحظ ؛ وهو أصوب .

وقال في وصف فرس أصفر ، ولم يخرج عن طريقته ^١ :

وأشقر تُضرمُ منه الوغى بشعلة من شعلِ الباسِ
من جُلنارٍ ناضِرٍ لونهُ وأذنهُ من ورقِ الآسِ
يطلعُ للفرّةِ في شقرةٍ حبايةً تضحك في الكاسِ

١٣١ - وقال أبو بكر يحيى ^٢ بن سهل اليكبي يهجو :

أعدِ الضوء إذا نطقتَ به مستعجلاً من قبل أن تنسى
واحفظ ثيابك إن مررتَ به فالظلُّ منه ينجسُ الشمساً

١٣٢ - وقال ابن اللبّانة ^٣ :

أبصرتهُ قصّر في المشيّة لما بدت في خدّه لحيه
قد كتب الشعرُ على خدّه ﴿أو كالذي مرَّ على قبره﴾

١٣٣ - وقال الوزير الكاتب أبو محمد [ابن] عبد الغفور الإشبيلي في الأمير أبي بكر سير من أمراء المرابطين ، وكتب بها إليه في غزاة غزّاه ^٤ :

سرّ حيثُ سرتَ يحلُّهُ النوارُ وأراك فيه مرادك المقدارُ
وإذا ارتحلتَ فشيّعك سلامةٌ وغمامةٌ لا ديمةٌ مدرارُ
تنفي الهجيرَ بظللها وتقيمُ بال رشّ القتامِ وكيف شئتَ تدارُ
وقضى الإله بأن تعودَ مظفراً وقضت بسيفك نجبتها الكفارُ

١ ديوانه : ١٢٣ وموت الأبيات ص : ٢٠٢ من هذا المجلد .

٢ في الأصول : محمد ، وهو خطأ اقتضى التصويب .

٣ القلائد : ٢٥٢ .

٤ القلائد : ١٦٣ والمغرب ١ : ١٣٧ .

٥ ب م : نحوها .

هذا غير ما تمناه الجعفي حيث قال ^١ : حيث ارتحلت وديمة ^٢ ، وما تكاد
تنفذ معها عزيمة ، وإذا سَفَحَتْ على ذي سفر ، فما أحرأها بأن تعوق عن الظفر ،
ونعتها بمدرار ، فكان ذلك أبلغ في الإضرار ، وما أحسن قول القائل :

فَسِرْ ذَا رَايَةٍ خَفَقَتْ بِنَصْرِ وَعُدْ فِي جِحْفَلٍ بِهِجِ الْجَمَالِ
إِلَى حِمْنٍ فَأَنْتَ بِهَا حُلِيٌّ تَغَايِرُ فِيهِ رَبَاتُ الْحِجَالِ

١٣٤ - وقال الحجاري في « المسهب » : كتبتُ إلى القاضي أبي عبد الله
محمد اللوشي أستدعي منه شِعْرَهُ لأكتبه في كتابي ، فتوقفَ عن ذلك وانقبضَ
عني ، فكتبتُ إليه :

يَا مَانِعاً شِعْرَهُ عَنْ سَمْعِ ذِي أَدَبٍ نَائِي الْمَحَلِّ بَعِيدِ الشَّخْصِ مَقْرَبِ
يَسِيرُ عَنْكَ بِهِ فِي كُلِّ مُتَجِّهِ كَمَا يَمُرُّ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْعَذْبِ
لَإِنِّي وَحَقِّكَ أَهْلٌ أَنْ أَفُوزَ بِهِ وَاسْأَلْ فِدَيْتَكَ عَنْ ذَاتِي وَعَنْ أَدْبِي
فَكَانَ جَوَابُهُ :

يَا طَالِباً شِعْرَ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ فِي الْأَدَبِ مَاذَا تَرِيدُ بِنَظْمٍ غَيْرِ مُنْتَخَبِ
لَإِنِّي وَحَقِّكَ لَمْ أَبْخُلْ بِهِ صَلَافاً وَمَنْ يَضُنُّ عَلَى جِيدٍ بِمُخْشَلَبِ
لَكِنِّي صُنْتُ قَدْرِي عَنْ رَوَايَتِهِ فَمَثَلُهُ قُلٌّ عَنْ سَامٍ إِلَى الرَّئِبِ
خَذَهُ إِلَيْكَ كَمَا أَكْرَهْتَ مُضْطَرَباً عَحْلَلاً ذَمَّ مَوْلَاهُ مَدَى الْحَقْبِ
قال : ثم كتبتُ لي ممّا أتخفني به من نظمه محاسن أبي من الأقمار ، وأرقّ
من نسيم الأسحار .

١ القلائد : هذا ما تمناه الولي لا ما تمناه الجعفي حيث قال .

٢ يريد قول المتنبي :

وإذا ارتحلت فشيعتك سلامة حيث اتجهت وديمة مدار

١٣٥ - وقال صالح بن شريف في البحر وهو أحسن ما قيل فيه :

البحرُ أعظمُ ممّا أنتَ تحسبُهُ من لم يرَ البحرَ يوماً ما رأى العجبا
طامٍ له حَبَبٌ طافٍ على زَرْقٍ مثل السماء إذا ما مُلئتْ شُهبا

وقال أيضاً :

ما أحسنَ العقلَ وآثاره لو لازم الإنسانُ إثارةُ
يصونُ بالعقلِ الفتي نفسه كما يصون الحرُّ أسرارَهُ
لا سيّما إن كان في غُرْبَةٍ يحتاج أن يعرفَ مقدارهُ

١٣٦ - وقال ابن برطله ٢ :

خطوبُ زماني ناسبتني غرابَةً لذلك يرميني بهنّ مصيبُ
غريبُ أصابتهُ خطوبُ غريبةٍ «وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ»

وهذا من أحسن التضمين ، الذي يُزري بالدرّ الثمين .

١٣٧ - ودخل ابن بقيّ الحمام وفيه الأعمى التُّطيلي فقال له : أجز ٣ :

حمّامُنَا كزمانِ القَيْظِ محْتدمٌ وفيه للبردِ صرٌّ غيرُ ذي ضررٍ

فقال الأعمى :

ضدّ أن يَنْعَمَ جُسمُ المرءِ بينهما كالغصنِ ينعمُ بين الشمسِ والمطرِ
ولا يخفى حُسْنُ ما قال الأعمى .

١ م : حليت .

٢ م : برطالة .

٣ انظر مطالع البدر ٢ : ١٠ .

وقد ذكر في « بدائع البدائنه »^١ البيتين معاً منسويين إلى ابن بقيّ ، ولنذكر كلامه برمته لما اشتمل عليه من الفوائد ، ونصه : ذكر ابن بسام قال : دخل الأديبان أبو جعفر ابن هريرة التّطيلي المعروف بالأعمى وأبو بكر ابن بقيّ الحماّم ، فتعاطيا العمل فيه ، فقال الأعمى :

يا حُسْنَ حَمَامِنَا وَهَجَّتْهُ
مَاءٌ وَنَارٌ حَوَاهِمَا كَنَفٌ
مرأى من السحرِ كلُّهُ حَسَنٌ
كالقلبِ فيه السرورُ والحَزَنُ

ثمّ أعجبه المعنى فقال :

ليسَ على لَهْوِنَا مَزِيدٌ وَلَا لَحْمَانِنَا ضَرِيبٌ
مَاءٌ وَفِيهِ لَهِيْبٌ نَارٌ كَالشَّمْسِ فِي دِيْمَةٍ تَصُوبُ
وَأَبْيَضٌ مِنْ تَحْتِهِ رِخَامٌ كَالثَّلْجِ حِينَ ابْتَدَأَ يَلْدُوبُ

وقال ابن بقيّ :

حَمَامِنَا فِيهِ فَصْلُ الْقَيْظِ — الْبَيْتَيْنِ

فقال الأعمى وقد نظر فيه إلى فنى صبيح :

هَلْ اسْتَمَالَكَ جِسْمُ ابْنِ الْأَمِيرِ وَقَدْ سَأَلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمَامِ أَنْدَاءَ
كَالْغَصَنِ بَاشَرَ حَرَّ النَّارِ مِنْ كَثَبِ فُظْلٍ يَقْطُرُ مِنْ أَعْطَافِهِ الْمَاءُ

[وصف حمام مشرقى] .

قلت : تذكرت هنا عند ذكر الحمام ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الإربلي المتطبب إذ قال^٢ : رأيت ببغداد في دار الملك شرف الدين هرون ابن

١ البدائع ١ : ٢٤٢ والذخيرة ١/١ : ٢٥٨ .

٢ مطالع البدر ٢ : ٨ .

الوزير صاحب شمس الدين محمد الجويني حمّاماً متقن الصنعة ، حسن البناء ، كثير الأضواء ، قد احتفّت به الأزهار والأشجار ، فأدخلني إليه سائسه ، وذلك بشفاعة صاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشئ الإربلي ، وكان سائس هذا الحمّام خادماً حبشياً كبير السن والقدّر ، فطاف بي عليه ، وأبصرت مياهه وشبابيكه وأنايبه المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طائر إذا خرج منها الماء صوت بأصوات طيبة ، ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الأنايب إلى الأحواض ومن الأحواض إلى بركة حسنة الإتيقان ، ثمّ منها إلى البستان ، ثمّ أراني نحو عشر خلوات ، كلُّ خلوة صنعتها أحسن من صنعة أختها ، ثمّ انتهى بي إلى خلوة عليها باب مُقفّل بقفل حديد ، ففتحه ، ودخل بي إلى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الأبيض الساذج ، وفي صدر الدهليز خلوة مربعة تَسَعُّ بالتقريب نحو أربعة أنفس إذا كانوا قعوداً وتَسَعُّ اثنين إذا كانوا نياماً ، ورأيت من العجائب في هذه الخلوة أن حيطانها الأربعة مصقولة صقلاً لا فرق بينه وبين صقال المرأة ، يرى الإنسان سائر بشرته في أي حائط شاء منها ، ورأيت أرضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبة وكلها متخذة من بلّور مصبوغ بعضه أصفر وبعضه أحمر ، فأما الأخضر فيقال إنه حجارة تأتي من الروم ، وأما المذهب فزجاج ملبس بالذهب ، وتلك الصورة في غاية الحسن والجمال ، على هيئات مختلفة في اللون وغيره ، وهي ما بين فاعل ومفعول به ، إذا نظر المرء إليها تحركت شهوته ، وقال لي الخادم السائس : هذا صنّع على هذه الصفة لمخلومي ، حتى إنه إذا نظر إلى ما يفعله هؤلاء بعضهم مع بعض من المُجامعة والتقبيل ووضع أيدي بعضهم على أعجاز بعض تتحرك شهوته سريعاً ، فيبادر إلى مجامعة مَنْ يحبّه .

قال الحاكي : وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التي دخلت إليها هي مخصوصة بهذا الفعل ، إذا أراد الملك شرف الدين هرون الاجتماع في الحمّام بمن يهواه من الجوّاري الحسان والصور الجميلة والنساء القافقات الحسن لم يجتمع به إلاّ في هذه

الخلوة ، من أجل أنه يرى كل محاسن الصور الجميلة مصوّرة في الحائط ومجسمة بين يديه ، ويرى كل منهما صاحبه على هذه الصفة ، ورأيت في صدر الخلوة حوض رخام مضلع وعليه أنبوب مركب في صدره ، وأنبوب آخر^١ يرسم الماء البارد ، والأنبوب الأول يرسم الماء الفاتر ، وعن يمين الحوض ويساره عمدان صغار منحوتة من البلور يوضع عليها مباخر الندّ والعود ، وأبصرت منها خلوة شديدة الضياء مفرحة بديعة قد أنفق عليها أموال كثيرة ، وسألت الخادم عن تلك الحيطان المشرقة المضيئة : من أي شيء صنعت ؟ فقال لي : ما أعلم .

قال الحاكي : فما رأيت في عمري ولا سمعت بمثل تلك الخلوة ، ولا بأحسن من ذلك الحمام ، مع أنني ما أحسن أن أصفهما كما رأيتهما ، فإنه لم تتكرر رؤيتي لهما ، ولا اتفق لي الظفر بصناعتهما ومباشرتهما ، وفي الذي ذكرت كفاية . انتهى .

[دار جمال الملك البغدادي]

ولما اتصل أبو القاسم علي بن أفلح البغدادي الكاتب بأمر المؤمنين المسترشد بالله العباسي ، ولقبه جمال الملك ، وأعطاه أربع ديار في درب الشاكرية اشترى دوراً أخرى إلى جانبها ، وهدم الكل ، وأنشأ داره الكبيرة ، وأعانته الخليفة في بنائها ، وأطلق له أموالاً وآلات البناء ، وكان في جملة ما أطلق له مائتا ألف آجرة وأجريت الدار بالذهب ، وصنع فيها الحمام العجيب الذي فيه بيت مستراح فيه أنبوب إن فركه الإنسان يميناً خرج ماء حار وإن فركه شمالاً خرج ماء بارد ، وكان على إيوان الدار مكتوباً^٢ :

إن عَجِبَ الرّاءونَ من ظاهري فباطني لو علموا أعجبُ

١ ب : وعليه مركب في صورة أنبوب آخر يرسم الماء ؛ م : مركب في صدره أنبوب وآخر . . .
٢ ب م : مكتوب .

شيدني من كفه مُزَنَّةٌ يهملُ منها العارضُ الصَّيْبُ
وديجتُ روضةٍ أخلاقه في رياضاً تنورُها مُذهَّبُ
صدرٌ كسا صدري من نوره شمساً على الأيتامِ لا تغربُ

وكتب على الطرز :

ومن المروعة للفتى ما عاش دارٌ فاجرةٌ
فاقنع من الدنيا بها واعملْ للدارِ الآخرةِ
هايكَ وافيةٌ بما وعدتْ ، وهذي ساخرة¹

وكتب على النادي :

ونادِ كأنَّ جنان الخلودِ أعارتهُ من حُسْنِها رَوْنَقاً
وأعطتهُ من حادثاتِ الزما نِ أن لا تُلِمَّ به موثقاً
فأضحى يتيهُ على كلِّ ما بنى مغرباً كان أو مشرقاً
تظلُّ الوفودُ به عكفاً وتُسمي الضيوفُ به طُرْقاً
بقيتْ له يا جمالَ الملو لك والفضلُ مهما أردتَ البقا
وسالهُ فيك ريبُ الزمانِ ووقيتْ فيه الذي يُتَقَى

[أشعار للمشاركة في الحمام]

وعلى ذكر الحمام فما أحكم قول ابن الوردي فيما أظن² :

وما أشبه الحمامَ بالموتِ لامرئٍ تذكر ؛ لكن أين من يتذكرُ
يجردُ عن أهلٍ ومالٍ وملبسٍ ويصحبهُ من كلِّ ذلك مترُ

١ ب : خامرة .

٢ مطالع البدور ٢ : ١٣ .

وقال الشهاب بن فضل الله^١ :

وحمامكم كعبة للوفود تحجُّ إليه حفاة عراه
يكررُ صوتُ أناسيه كتابَ الطهارة بابَ المياه

وقد تمثل بهذين البيتين البرهان القيراطي في جواب كتاب استدعاه فيه بعض
أهل عصره إلى الحمام ، وافتتح الجواب بقوله^٢ :

قد أجبننا وأنت أيضاً فصبتِ ماءً بصُبحي سوافٍ وسُلافٍ
وبساقٍ يسبي العقولَ بساقٍ وقوامٍ وفقَ العناقِ خلافي
ووصله بشر تمثل فيه بالبيتين كما مر .

ولبعضهم^٣ :

إن حمامنا الذي نحنُ فيه أيُّ ماءٍ به وأيّهُ نارٍ
قد نزلنا به على ابنِ معينٍ وروينا عنه صحيح البخار[ي]
وألغز بعضهم في الحمام بقوله^٤ :

ومنزَلِ أقوامٍ إذا ما تقابلوا تشابه فيه وغدُهُ ورئيسُهُ
ينفَسُ كربي إذ ينفَسُ كربه ويعظمُ أنسي إذ يقلُ أنيسُهُ
إذا ما أعرتِ الجوّ طرَفاً تكاثرتُ على من به أقمارُهُ وشموسُهُ

رجع إلى ما كنا فيه من كلام أهل الأندلس ، فنقول :

١ مطالع البدور ٢ : ١٦ ، ١٧ .

٢ مطالع البدور ٢ : ١٦ .

٣ المصدر نفسه : ١٠ .

٤ المصدر نفسه : ٩ .

١٣٨ - وكان محمد بن خلف بن موسى البيري^١ متكلماً متحققاً برأي الأشعرية ، وذاكراً لكتب الأصول في الاعتقاد ، مشاركاً في الأدب ، مقدماً في الطب ، ومن نظمه بمدح إمام الحرمين رحمه الله تعالى :

حُبُّ حَبْرٍ يَكْنَى أَبَاً للمعالي هو ديني فقيه لا تعذلوني
أنا والله مغرمٌ بهواهُ عللوني بذكره عللوني

١٣٩ - وكتب^٢ أبو الوليد ابن الجنان الشاطبي^٣ يستدعي بعض إخوانه إلى مجلس أنس بما صورته : نحن في مجلس أغصانه الندامي ، وغمامه الصهباء ، فبالله إلا ما كنت لروض مجلسنا نسيماً ، ولزهر حديثنا شميماً ، وللجسم روحاً ، وللطيب ريحاً ، وبيننا عذراء زُجاجتها خدرها ، وحباها ثغرها ، بل شقيقة حوتها كمامة ، أو شمس حجبتها غمامة ، إذا طاف بها معصم الساقى فوردة على غصنها ، أو شربها مقهقهة فحمامة على فنننها ، طافت علينا طوفان القمصر على منازل الحلول ، فأنت وحياتك إكليلنا وقد آن حلوها في الإكليل ، انتهى .

وقال أبو الوليد المذكور :

فوقَ نَخدٍ الوردِ دمعٌ من عيونِ السُّحُبِ يُدرِفُ
برداءِ الشمسِ أضْحَى بعدما سالَ يَجفَّفُ

[حكاية مشرقية عن الورد والياسمين]

وتذكرت هنا بذكر الورد ما حكاه الشيخ أبو البركات هبة الله بن محمد النصيبي المعروف بالوكيل ، وكان شيخاً ظريفاً فيه آداب كثيرة ، إذ قال :

١ م : البشري .

٢ م : وكتب الوزير .

٣ مرت ترجمته رقم : ٦٨ في الراحلين إل المشرق (٢ : ١٢٠) .

كنت في زمن الربيع والورد في داري بنصيبين ، وقد أحضر من بستاني من
الورد والياسمين شيء كثير ، وعملت على سبيل الولع دائرة من الورد
تقابلها دائرة من الياسمين ، فاتفق أن دخل علي شاعران كانا بنصيبين أحدهما
يُعرف بالمهذب والآخر يُعرف بالحسن ابن البرقعيدي ، فقلت لهما : اعملا
في هاتين الدائرتين ، ففكرا ساعة ثم قال المهذب :

يا حُسْنَهَا دائرةً من ياسمينٍ مُشرقٍ
والوردُ قدْ قابَلَهَا في حُلَّةٍ من شَفَقٍ
كعاشقٍ وحبِّه تغامزا بالحدقِ
فاحمرَّ ذا من نخجلِ واصفرَّ ذا من فرَقِ

قال : فقلت للحسن : هات ، فقال : سبقني المهذب إلى ما لمحت في هذا
المعنى . وهو قلبي :

يا حُسْنَهَا دائرةً من ياسمينٍ كالخلي
والوردُ قد قابَلَهَا في حُلَّةٍ من نخجلِ
كعاشقٍ وحبِّه تغامزا بالمُقَلِّ
فاحمرَّ ذا من نخجلِ واصفرَّ ذا من وجَلِّ

قال : فعجبت من اتفاقهما في سرعة الاتحاد ، والمبادرة إلى حكاية الحال ،
انتهى .

وما أطف قول بعضهم :

أرى الوردَ عند الصبح قد مدَّ لي فمًا يشيرُ إلى التقبيل في حالة اللَّمسِ
وبعد زوالِ الشمسِ ألقاهُ وجَنَّةً وقد أثَّرتْ في وسطها قبلةُ الشمسِ

١٤٠ - وقال ابن ظافر في « بدائع البدائ »^١ : اجتمع الوزير أبو بكر ابن القبطرنة والأديب أبو العباس ابن صارة الأندلسيان في يوم جلا ذهب برقه ، وأذاب ورق ودقه ، والأرض قد ضحكت لتعيس السماء ، واهترت وربّت عند نزول الماء ، فقال ابن القبطرنة :

هذي البسيطة كاعب أبرادها حُلّ الربيع وحلّيتها التّوارُ
فقال ابن صارة :

وكأنّ هذا الجوّ فيها عاشقٌ قد شفّه التعذيبُ والإضرارُ
ثم قال ابن صارة أيضاً :

وإذا شكّا فالبرقُ قلبٌ خافقٌ وإذا بكى فدموعه الأمطارُ
فقال ابن القبطرنة :

من أجل ذلّة ذا وعزة هذه يبكي الغمامُ وتضحك الأزهارُ

[بديهة ابن ظافر]

وتذكرت هنا ما حكاه ابن ظافر^٢ في الكتاب المذكور أنّه اجتمع مع القاضي الأعز يوماً فقال له ابن ظافر : أجز :

طار نسيمُ الروضِ من وكر الزّهرِ

فقال الأعز :

وجاء مبلولَ الجناحِ بالمطرِ

انتهى .

١ بدائع البدائ ١ : ١٨٦ ومطالع البدور ١ : ١٢٣ .

٢ البدائع ١ : ٧٠ .

ويعجبني قول ابن قرناص^١ :

أظنُّ نَسِيمَ الرُّوضِ والزَّهْرِ قَد رَوَى حديثاً ففاحت من شدَّاهُ المسالكُ
وقالَ دنا فصلُ الرِّبيعِ فكلَّه تُغورُ لما قالَ النسيمُ ضواحكُ

رجع إلى الأندلسيين :

١٤١ - وما أرق قول ابن الزقاق^٢ :

ورياض من الشقائق أضحت يتهاذى بها نسيمُ الرياحِ
زرتها والغمامُ يجلدُ منها زهراتٍ تفوقُ لونَ الراحِ
قلتُ : ما ذنبها ؟ فقال مجيباً : سرقتُ حمرةَ الخلودِ الملاحِ

١٤٢ - وقال أبو إسحاق ابن خفاجة^٣ :

تعلقته نشوان^٤ من خمر ريقه له رشفُها دوني ولي دونه السكرُ
ترقرق ماءً مقلتاى ووجهه ويذكى على قلبي ووجنته الجمرُ
أرقٌ نسيبي فيه رقّةٌ حسنه فلم أدري أيُّ قبلها منهما السحرُ
وطبنا معاً شعراً وثغراً كأنما له منطقي ثغراً ولي ثغره شعرُ

١٤٣ - وقال أبو الصَّلْت أمية بن عبد العزيز^٥ :

وقائلة : ما بالُ مثلك خاملاً أأنت ضَعيفُ الرأي أم أنت عاجزُ ؟
فقلت لها : ذنبي إلى القومِ أنِّي لما لم يحوزوه من المجدِ حائزُ

١ مطالع البدور ١ : ١٢٥ .

٢ ديوان ابن الزقاق : ١٢٥ والمغرب ٢ : ٣٢٤ والشريثي ١ : ١٢٠ وقد مرّيت ج : ٢٠٠ .

٣ ديوان ابن خفاجة : ٣٥٣ .

٤ الديوان : ريان .

٥ الحريرة ٤ / ١ : ٢٧٧ .

وما فاتني شيء سوى الخطّ وحده وأما المعالي فهي عِندي غرائز
وقال :

جدّ بقلبي وعبثتُ ثمّ مضى وما اكترتُ
وأحرّبا^١ من شادنٍ في عُقدِ الصبرِ نقتُ
يقتُلُ من شاء بعيّ فيه ومن شاء بعثُ

١٤٤ - وقال البليغ الفاضل يحيى بن هذيل^٢ أحد أعيان شعراء الأندلس :

نام طفلُ النبتِ في حِجْرِ النُّعَامِ لاهترازِ الطَّلَّ في مهدِ الخُزَامِ
وسقى الوَسْمِيُّ أغصانَ النَّقَا فهوت تلمُّ أفواه الندامِ
كحلَّ الفجرُ لهم جفنَ الدجى وغدا في وجنة الصبح لثاما
تحسب البدرَ مُحِيًّا ثَمِلٍ قد سقته راحة الصبح مُداما
حوله الزهرُ كؤوسٌ قد غدت مسكة الليل عليهن ختاما

وتذكرت هنا قول الآخر ، وأظنه مشرقياً^٣ :

بكر العارضُ تحدوه النُّعَامِ فسقاك الريّ يا دارَ أُمَامَا
وتمشّت فيك أرواحُ الصَّبَا يتأرجنَ بأنفاس الخُزَامِ
قد قضى حفظُ الهوى أن تصبحي للمحبين مُناخاً ومُقامَا
ويجرعاه الحمى قلبي ، فعجّ بالحمى واقراً على قلبي السلامَا
وتزحّل فتحدّث عجباً أن قلباً سار عن جسمٍ أقامَا
قل بليران الغضا آهاً على طيب عيش بالغضا لو كان دامَا

١ الحرية : وا حزني .

٢ الكتيبة الكامنة : ٧٤ مَسْوُوبَةٌ خطأ لابن شقرال ، ونثير الفرائد : ٣٢٢ .

٣ هي لمهيار الديلمي ، ديوانه : ٣ : ٣٢٧ .

حملُوا رِيحَ الصَّبَا مِنْ نَشْرِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْمَلَ شَيْحاً وَثَمَاماً
وَابْعَثُوا أَشْبَاحَكُمْ لِي فِي الْكُرَى إِنْ أَذْنَمْتُ لِحَفْوَنِي أَنْ تَنَامَا

١٤٥ - وخرج بعض علماء^١ الأندلس من قُرْطُبَة إلى طُلَيْطَلَة ،
فاجتاز بحريز^٢ بن عكاشة الشجاع المشهور الذي ذكرنا في هذا الباب ما يدلُّ
على شجاعته وقوّته وأَيْدِهِ ، بقلعة رباح ، فنزل بخارجها في بعض جنباتها ،
وكتب إليه :

يا فريداً دون ثانٍ وهلالاً في العيانِ
عدم الراح فصارتْ مثلَ دُهْنِ البِلْسَانِ

فبعث إليه بها ، وكتب معها :

جاء من شعرك روضٌ جاده صَوْبُ اللسانِ
فبعثناهما سَلافاً كسجاياك الحسانِ

[أشعار لابن شهيد]

١٤٦ - وقال الوزير أبو عامر ابن شُهَيْد يتغزل^٣ :

أصبحُ شَيْمَ أم برقٍ بَدَا أم سنا المحبوب أوري زَنْدَا
هَبَّ من مرقده منكسراً مُسْبِلاً للكمّ مُرَخٍ للرّدا
يمسح النعسة من عيني رَشَا صائدي في كلِّ يومٍ أسدا

١ ب : شعراء ؛ ق ودوزي : أدباء .

٢ كذا في م ؛ وفي ب : بجزيرة ؛ وفي ق : بحدير .

٣ انظرها في الذخيرة ١ / ١ : ٢٢٣ والمطبع : ١٨ وديوان ابن شهيد : ٤٩ .

٤ الذخيرة : أصفيج .

أوردته لطفاً آياته
فهو من دلّ عراه زبدة
قلت هب لي يا حبيبي قبله
فأننى يهتر من منكبه
كلما كلمني قبلته
كاد أن يرجع من لثمي له
ولذا استنجزت يوماً وعده
شربت أعطافه ماء الصبا
فلذا بت به في روضة
قام في الليل بجيد أتلع
ومكان عازب عن جيرة
ذي نبات طيب أعراقه
تحسب الهضبة منه جبلاً
صفوة العيش وأرعته ددا
من مريج لم تخالط زبدا
تشف من عمك تبريح الصدى
ماثلاً لطفاً وأعطاني اليدا
فهو لما قال قولاً رُدداً
وارتشاف الثغر منه أدرداً
أمطل الوعد وقال: اصبر غداً
وسقاه الحسن حتى عرّبدا
أعيد يقرو^٢ نباتاً أغيدا
ينفض اللّمة من دمع الندى
أصدقاء وهم عين العدا
كعدار الشعر في خدّ بدا
وحذور الماء منه أبردا

وقال يرثي القاضي ابن ذكوان : نجيب ذلك الأوان ، وقد افتنّ في الآداب ،
وسنّ فيها سنة ابن داب ، وما فارق ربع الشباب شرخه ، ولا استمجدت في
الكهولة عقاره ولا مرّخه ، وكان لأبي عامر هذا قسيم نفسه ، ونسيم أنسه^٣ :

ظننا الذي نادى محقاً بموته
وخيلنا الصباح الطلق ليلاً وأنتا
نكَلنا الدُّنْيَ لما استقلّ وإنتما
وما ذهبَتْ إذ حلّ في القبر نفسه
لعظم الذي أنحى من الرّزء كاذبا
هبطنا خدارياً من الحزن كاربا
فقدناك يا خير البرية ناعبا
ولكنّما الإسلامُ أدبر ذاهبا

١ اللخيرة : قال لي يمل ذكرني غدا .

٢ اللخيرة : يعمر ؛ ب م ق : يفزو .

٣ المطمح : ١٩ ٤ وديوانه : ٢٣ .

ولما أبى إلاّ التحملَ رائحاً يسيرُ بهِ النعشُ الأعزُّ وحوله
عليه حفيفٌ للملائكِ أقبلتْ
تخال لفيفَ الناسِ حولَ ضريحه
إذا ما امتموا سَحَبَ الدموعِ تفرعتْ
فمن ذا لفصلِ القولِ يسطعُ نورهُ
ومن ذا ربيعُ المسلمين يقوتهم
فيا لهفَ قلبي آه ذابت حُشاشتي
ومات الذي غاب السرورُ لموته
وكان عظيمًا يطُرقُ الجَمْعُ عندهُ
وذا مِقْبولِ عَضْبِ الغرارينِ صارمِ
أبا حاتمٍ صبرَ الأديبِ^١ فلأتني
وما زلتُ فينا تُرْهِبُ الدهرَ سطوةً
سأستعيبُ الأيامَ فيك لعلها
لئن أفلتتُ شمسُ المكارمِ عنكمُ

منحناه أعناقَ الكرامِ ركائباً
أباعدُ كانوا للمُصابِ أقارباً
تُصافحُ شيخاً ذاكرَ الله تائباً
خليطاً قطعاً وافى الشريعةَ هارباً
فروعُ البكا عن بارقِ الحزنِ لاهباً
إذا نحن ناوينا الألدَّ المناوباً
إذا الناسُ شاموها بروقاً كواذباً
مضى شيخنا الدَفَّاعُ عتاً النواذباً
فليس وإن طال السرى منه آيباً
ويعنو له ربُّ الكتيبة هائباً
يروحُ به عن حومة الدين ضارباً
رأيتُ جميلَ الصبرِ أحلى عواقباً
وصعباً به نُعْيِي الخطوبَ المصاعباً
لصحةِ ذاك الجسمِ تطلبُ طالباً
لقد أسارت بدرأ لها وكواكباً

قال في «المطمح»^٢: ودبت إلى أبي عامر ابن شهيد أيام العلوين عقارب ،
برئت بها منه أباعد وأقارب ، واجهه بها صرْفُ قطوب ، وانبرت إليه منها
خطوب ، نبا لها جَنَبُه عن المضجع ، وبقي بها ليالي يأرق ولا يهجع ، إلى أن
أعلقت في الاعتقال آماله ، وعقلته في عقل أذهب ماله ، فأقام مرتهاً ، ولقي
وهناً ، وقال :

١ ب م ق : الأديم .

٢ المطمح : ٢٠ وانظر الذخيرة ١ / ١ : ٢٢٤ .

قَرِيبٌ بِمُحْتَلِّهِ الْهَوَانِ مَجِيدٌ
نَعَى صَبْرَهُ عِنْدَ الْإِمَامِ فَيَا لَهُ
وَمَا ضَرَّهُ إِلَّا مَزَاحٌ وَرَقَّةٌ
جَنَى مَا جَنَى فِي قُبَّةِ الْمَلِكِ غَيْرُهُ
وَمَا فِيَّ إِلَّا الشَّعْرُ أَثْبَتَهُ الْهَوَى
أَفْوَهُ بِمَا لَمْ آتِهِ مَتَعَرِضًا
فَلِنْ طَالَ ذِكْرِي بِالْمَجُونِ فَلِنْهَا
وَهَلْ كُنْتُ فِي الْعِشَاقِ أَوَّلَ عَاقِلٍ
فِرَاقٌ وَشَجْوٌ وَاشْتِيَاقٌ وَذَلَّةٌ
فَمَنْ يَبْلُغُ الْفَتْيَانَ أَنْتَ بَعْدَهُمْ
مَقِيمٌ بَدَارٍ سَاكِنُهَا مِنَ الْأَذَى
وَيُسْمَعُ لِلْجَنَانِ فِي جَنَابِهَا
وَلَسْتُ بِذِي قَيْدٍ يَرْنُ ، وَلِئِمَّا
وَقَلْتُ لَصَدَّاحِ الْحِمَامِ وَقَدْ بَكَى
أَلَا أَيُّهَا الْبَاكِي عَلَى مَنْ تَحَبُّهُ
وَهَلْ أَنْتَ دَانٍ مِنْ حَبِّ نَائِي بِهِ
فَصَفَّقْ مِنْ رِيَشِ الْجَنَاحِينَ وَاقْعَا
وَمَا زَالِ يَبْكِينِي وَأَبْكِيهِ جَاهِدَا
إِلَى أَنْ يَكِيَ الْجَدْرَانُ مِنْ طَوْلِ شَجُونَا
أَطَاعَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَتَائِبُ
فَلِلشَّمْسِ عَنَّا بِالنَّهَارِ تَأْخُرُ
أَلَا إِنَّهَا الْأَيَّامُ تَلْعَبُ بِالْفَتَى
وَمَا كُنْتُ ذَا أَيْدٍ فَأَذْعَنْ ذَا قُوَى
وَرَاضَتْ صَعَابِي سَطْوَةً عَلَوِيَّةً

يَجُودُ وَيَشْكُو حُزْنَهُ فَيُجِيدُ
عَدُوَّ الْأَبْنَاءِ الْكِرَامِ حَسُودُ
ثَنَّتْهُ سَفِيهَ الذِّكْرِ وَهُوَ رَشِيدُ
وَطُوقَ مِنْهُ بِالْعَظِيمَةِ جَيِّدُ
فَسَارَ بِهِ فِي الْعَالَمِينَ فَرِيدُ
لِحَسَنِ الْمَعَانِي تَارَةً فَأَزِيدُ
عِظَائِمُ لَمْ يَصْبِرْ لَهَا جَلِيدُ
هُوتَ بِحِجَاهِ أَعْيُنُ وَخُدُودُ
وَجَبَّارُ حِفَاطٍ عَلِيٍّ عَتِيدُ
مَقِيمٌ بَدَارِ الظَّالِمِينَ وَحِيدُ
قِيَامٌ عَلَى جَمْرِ الْحِمَامِ قَعُودُ
بَسِيطٌ كَتَرَجِيعِ الصَّدَى وَنَشِيدُ
عَلَى اللَّحْظِ مِنْ سُخْطِ الْإِمَامِ قِيُودُ
عَلَى الْقَصْرِ لِأَفَّا وَالْدُّمُوعُ تَجُودُ
كَلَانَا مُعْنَى بِالْخِلَاءِ فَرِيدُ
عَنِ الْإِلْفِ سُلْطَانُ عَلَيْهِ شَدِيدُ
عَلَى الْقَرَبِ حَتَّى مَا عَلَيْهِ مَزِيدُ
وَالشُّوقِ مِنْ دُونِ الضُّلُوعِ وَقُودُ
وَأَجْهَشُ بَابُ جَانِبَاهُ حَدِيدُ
تَصَرَّفُ فِي الْأَمْوَالِ كَيْفَ تَرِيدُ
وَالْبَدْرِ شَحْنَا بِالظَّلَامِ صُدُودُ
نَحُوسُ تَهَادَى تَارَةً وَسَعُودُ
مَنْ الدَّهْرِ مَبْدِ صَرْفِهِ وَمَعِيدُ
لَهَا بَارِقُ نَحْوِ النَّدَى وَرَعُودُ

تقولُ التي مِن بيتِها كُفَّ مركبي أَقْرُبُكَ دانٍ أم مَـدَاكَ بعيدُ^١
فقلتُ لها أُمري إلى مَنْ سَمْتُ بِهِ إلى المَجْدِ آبَاءُ لَهُ وَجَدودُ

ثمَّ قالَ^٢ : وَلِزِمْتَهُ آخِرَ عمره عِلَّةٌ دامت به سنين ، ولم تفارقه حتى تركته يد جنين ، وأحسب أن الله أراد بها تمحيصه ، وإطلاقه من ذنب كان قَنِيصَهُ . فطهره تطهيراً ، وجعل ذلك على العفو له ظهيراً ، فإنَّها أقعدته حتى حُمِلَ في الحِقَّةِ ، وعادوته حتى غلبت لروقه مُشْتَفَّةٌ ، وعلى ذلك فلم يعطل لسانه ، ولم يبطل إحسانه ، ولم يزل يستريح إلى القول ، ويزيح ما كان يحده من الغَوْل ، وآخر شعر قاله قوله :

ولمَّا رَأَيْتُ العِشَّ لَوَّى بِرَأْسِهِ وَأَيَقَنْتُ أَنَّ المَوْتَ لَا شَكَّ لَاحِقِي
تَمَنَّيْتُ أَنِّي سَاكِنٌ فِي عِبَاءَةٍ^٣ بِأَعْلَى مَهَبِّ الرِّيحِ فِي رَأْسِ شَاهِقٍ
أَرُدُّهُ سَقِيطَ الطَّلِّ فِي فَضْلِ عِشَّتِي وَحِيداً وَأَحْسُو المَاءَ ثَنِي المَعَالِقِ
خَلِيلِي مَنْ ذَاقَ المَنِيَّةَ مَرَّةً فَقَدْ ذُقْتُهَا خَمْسِينَ ، قَوْلَةً صَادِقٍ
كَأَنِّي وَقَدْ حَانَ ارْتَحَالِي لَمْ أَفْزُ قَدِيمًا مِنَ الدُّنْيَا بِلَمَحَّةِ بَارِقٍ
فَمَنْ مَبْلَغُ عَنِي ابنِ حَزْمٍ وَكَانَ لِي يَدَا فِي مُلِمَّاتِي وَعِنْدَ مَضَايِقِي
عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ إِنِّي مُفَارِقٌ وَحَسْبُكَ زَاداً مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ
فَلَا تَنْسَ تَأْيِينِي إِذَا مَا ذَكَرْتَنِي وَتَذَكَارَ أَيَّامِي وَفَضْلَ خِلَافَتِي
وَحَرِّكَ لَهُ بِاللَّهِ مِنْ أَهْلِ فَنَنَّا^٤ إِذَا غَيَّبُونِي كُلَّ شَهْمٍ غُرَانِقِي

١ م : فواك ؛ ق ب : نذاك بعيد .

٢ المطمح : ٢١ ، وانظر الذخيرة ١ / ١ : ٢٨٢ .

٣ الذخيرة : غيابة .

٤ الذخيرة : أدر .

٥ ق ب : من رام . . . فقد رمتها .

٦ الذخيرة : فقدتني .

٧ ق ب : مهما ذكرتني ، وسقط البيت من م .

عسى هامتي في القبر تسمعُ بعضه بترجيعٍ شادٍ أو بتطريب طارقٍ
فلي في ادّكاري بعد موتيّ راحةً فلا تمنعوها لي علالةً زاهقٍ
ولني لأرجو اللهَ فيما تقدّمت ذنوبي به ممّا درى من حقائقٍ

١٤٧ - وكان أبو مروان عبد الملك بن غصن مستولياً على وزارة ابن عبيدة
ولسانه ينشد :

وشيّدتُ مجدي بين أهلي ولم أقلّ ألا ليت قومي يعلمون صنيعي
وهجا ابن ذي النون بقوله :

تلقيت بالمأمون ظلماً ، وإنّني لآمنُ كلباً حيث لست مؤمّنةً
حرامٌ عليه أن يهود ببشره وأما الندي فاندبُ هنالك مدفّنةً
سطور المخازي دون أبواب قصره بحجابيه للقاصدين معنونةً

فلما تمكّن منه المأمون سجنه ، فكتب إلى ابن هودٍ من أبيات :

أيا راكبَ الوجناء بلغ نحيبةً أميرَ جندامٍ من أسيرٍ مُقيّدٍ
ولما دهنتي الحادثات ولم أجدهُ لها وزراً أقبلتُ نحوكَ أعتدي^١
ومثلك من يُعدي على كلِّ حادثٍ رمى بسهامٍ للردى لم ترصدٍ
فعلّك أن تخلو بفكركَ ساعةً لتتقدّني من طولٍ همٍّ مجدّدٍ
وها أنا في بطنِ الثرى وهو حاملٌ فيسرُّ على رُقبتي^٢ الشفاعة مولدي
حنانيك^٣ ألفاً بعد ألفٍ فإنّني جعلتك بعد الله أعظمَ مقصدي
وأنت الذي يدري إذا رام حاجةً تفضلُ بها الآراء من حيثُ بهتدي

١ ب : أختدي .

٢ م : رمل ؛ ق : قيل .

٣ م : حنانك .

فرقَّ له ابن هود ، وتحيل حتى خلَّصه بشفاعته ، فلمَّا قدم عليه أنشده :

حياتي موهوبةٌ من علاكا وكيف أرى عادلاً عن ذرأكا
ولو لم يكن لك من نعمة علي وأصبحتُ أبغي سواكا
لناديتُ في الأرض هل مُسعفٌ مجيبٌ فلم يُصنع إلا نذاكا

فطرب ابن هود ، وخلع عليه ثوبَ وزارته ، وجعله من أعلام سلطنته وإمارته .

١٤٨ - وقال المنصور بن أبي عامر للشاعر المشهور أبي عمر يوسف الرمادي : كيف ترى حالك معي ؟ فقال : فوق قدري ودون قدرك ، فأطرق المنصور كالغضبان ، فأنسلَّ الرمادي وخرج وقد ندم على ما بدر منه ، وجعل يقول : أخطأت ، لا والله ما يفلح مع الملوك مَنْ يعاملهم بالحق ، ما كان ضرِّي لو قلت له : إنني بلغت السماء ، وتمنطقت بالجوزاء ، وأنشدته ١ :

متى يأت هذا الموت لا يُلَفِّ حاجةٌ لنفسي إلا قد قضيتُ قضاءها

لا حول ولا قوة إلا بالله . ولما خرج كان في المجلس من يحسُّده على مكانه من المنصور ، فوجد فرصة فقال : وصل الله لمولانا الظفر والسعد ، إن هذا الصنف صنف زور وهذيان لا يشكرون نعمة ، ولا يرعون إلا ولا ذمة ، كلابٌ من غلب ، وأصحابٌ من أخصب ، وأعداء من أجذب ، وحسبك منهم أن الله جلَّ جلاله يقول فيهم ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ — إل ما لا يفعلون ﴿ (الشعراء: ٢٢٤) والابتعاد منهم أولى من الاقتراب ، وقد قيل فيهم : ما ظنَّكَ بقوم الصدق يُستحسن إلا منهم ؟ فرفع المنصور رأسه ، وكان مُحِبّاً في أهل الأدب والشعر ، وقد اسودَّ وجهه ، وظهر فيه الغضب المفرط ، ثم قال : ما بال أقوام يشيرون في شيء لم يُستشاروا فيه ، ويسئون الأدب بالحكم فيما

١ البيت لقيس بن الخطيم ، ديوانه : ١٠ .

لا يلرون أبرضي أم يُسخط ؟ وأنت أيّها المنبعث للشرّ دون أن يُبعث ، قد علمنا
غرضك في أهل الأدب والشعر عامة ، وحسدك لهم ، لأنّ الناس كما قال القائل :
من رأى الناس له فضةً لاّ عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك في هذا الرجل خاصّة ، ولسنا إن شاء الله تعالى نُبلِّغ أحداً
غرضه في أحد ، ولو بَلَّغناكم بلغنا في جانبكم ، وإنّك ضربت في حديد بارد ،
وأخطأت وجه الصواب ، فزدت بذلك احتقاراً وصغاراً ، وإنّي ما أطرقت من
خطاب الرمادي إنكاراً عليه ، بل رأيتُ كلاماً يجلُّ عن الأقدار الجليّة ، وتعجبت
من تهديّته له بسرعة ، واستنباطه له على قلّته من الإحسان الغامر ما لا يستنبطه
غيره بالكثير ، والله لو حكّمته في بيوت الأموال لرأيت أنّها لا ترجع ما تكلم
به قلبه ذرة^١ ، وإياكم أن يعود أحد منكم إلى الكلام في شخص قبل أن يؤخذ
معه فيه ، ولا تحكموا علينا في أوليائنا ولو أبصرتم منّا التغيّر عليهم ، فإنّنا
لا نغيّر عليهم بغضاً لهم وانحرافاً عنهم ، بل تأديباً وإنكاراً ، فإنّنا من نريد
إبعاده لم نُظهِر له التغيّر ، بل ننبذه مرّة واحدة ، فإنّ التغيّر إنّما يكون لمن يراد
استبقاؤه ، ولو كنتُ ماثلاً للسمع لكل أحد منكم في صاحبه لتفرقتم أيدي سبّا ،
وجوئيتُ أنا مجانبية الأجر ، وإنّي قد أطلعتكم على ما في ضميري فلا تعدلوا
عن مرضاتي ، فتجنبوا سخطي بما جنيتموه على أنفسكم ؛ ثم أمر أن يُردّ
الرمادي وقال له : أعد عليّ كلامك ، فارتاع ، فقال : الأمر على خلاف ما
قدرت ، الثواب أولى بكلامك من العقاب ، فسكن لتأنيسه ، وأعاد ما تكلم به ،
فقال المنصور : بلغنا أن النعمان بن المنذر حشا قسّم النابغة بالدر لكلام استحسّنه
منه ، وقد أمرنا لك بما لا يقصر عن ذلك ما هو أنوه وأحسن عائدة ؛ وكتب
له بمال وخيل وموضع يتعيّش منه ، ثم ردّ رأسه إلى المتكلّم في شأن الرمادي ،

١ قلبه ذرة : سقطت من م .

وقد كاد يغوص في الأرض لو وجد لشدة ما حلَّ به ممّا رأى وسمع ، وقال :
والعجب من قوم يقولون الابتعادُ من الشعراء أولى من الاقتراب ، نعم ذلك
لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها ، ولا أيادٍ يرغب في نشرها ، فأين الذين قيل
فيهم ^١ :

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلّين السباحة والبذل
وأين الذي قيل فيه ^٢ :

لأنما الدنيا أبو دُلف بين مبداه ^٣ ومختصره
فإذا ولّى أبو دُلف ولّت الدنيا على أثره

أما كان في الجاهلية والإسلام أكرم ممّن قيل فيه هذا القول ؟ بلى ، ولكن
صحبة الشعراء والإحسان إليهم أحيّت غابر ذكركم ، وخصتهم بمفاخر عصرهم ،
وغيرهم لم تخلد الأمداح مآثرهم فدثّر ذكركم ، ودرس فخرهم ، انتهى .

[بنو صمادح]

١٤٩ - ومن حكاياتهم في العدل أنّه لما بنى المعتصم بن صمادح ملك
المرية قصوره المعروفة بالصمادحية غصّبوا أحد الصالحين في جنة وألقوها
بالصمادحية ، وزعم ذلك الصالح أنها لأيتام من أقاربه ، فبينما المعتصم يوماً يشرب
على الساقية الداخلة إلى الصمادحية إذ وقعت عينه على أنبوب قصبة مشمع ،
فأمر من يأتيه به ، فلما أزال عنه الشمع وجد فيه ورقة فيها « إذا وقفت أيّها
الغاصبُ على هذه الورقة فاذكر قول الله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ

١ البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ٢٢ (شرح الأعلام) .

٢ الشعر لعلي بن جبلة ، انظر طبقات ابن المعتز : ١٧٢ .

٣ م : باديه .

وَتَسْعُونَ نَعْمَةً وَلِي نَعْمَةً واحدةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ (ص : ٢٣) لا إله إلا الله ، أنت ملك قد وسَّعَ الله تعالى عليك ، ومكَّن لك في الأرض ، ويحملك الحرصُ على ما يفنى أن تضم إلى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرضٍ لأيتام حرَّمتَ بها حلالها ، وخبثتَ طيبها ، ولئن تحجبت عني بسلطانك ، واقتدرت علي بعظم شأنك ، فنجتمع غداً بين يدي من لا يحجب عن حق ، ولا تضيع عنده شكوى . فلما استوعب قراءتها دمعت عيناه ، وأخذته خشية خيف عليه منها ، وكانت عادته رحمه الله تعالى ، وقال : عليّ بالمشتغلين ببناء الصمادحية ، فأحضِرُوا ، فاستفسرهم عما زعم الرجلُ ، فلم يسعهم إلا صدقه ، واعتذروا بأن نقصها من الصمادحية يعبئها في عين الناظر ، فاستشاط غضباً وقال : والله إن عيبها في عين الخالق أقبح من عيبها في عين المخلوق ، ثم أمر بأن تُصرف عليه ، واحتمل تعويرها لصمادحيته . ولقد مرَّ بعض أعيان المرية وأخيارها مع جماعة على هذا المكان الذي أخرجت منه جنة الأيتام فقال أحدهم : والله لقد عورت هذه القطعة هذا المنظر العجيب ، فقال له : اسكت ، فوالله إن هذه القطعة طراز هذا المنظر وفخره ، وكان المعتصم إذا نظر إليها قال : أشعرتم أن هذا المكان المعوج في عيني أحسن من سائر ما استقام من الصمادحية ؟ ثم إن وزيره ابن أرقم لم يزل يلاطف الشيخ والأيتام حتى باعوها عن رضَى بما اشتهاوا من الثمن ، وذلك بعد مدة طويلة ، فاستقام بها بناء الصمادحية ، وحصل للمعتصم حسن السمعة في الناس ، والجزاء عند الله تعالى .

١٥٠ — ولما مات المعتصم بن صمادح ركب البحر ابنه وليُّ عهده الواصل عز الدولة أبو محمد عبد الله ^١ ، وفارق الملك كما أوصاه المعتصم والده وفي ذلك يقول ^٢ :

١ انظر الحلة ٢ : ٩٠ حيث سماه « أبو مروان عبيد الله » .

٢ الشعر في المغرب ٢ : ٦٠١ .

لك الحمدُ بعدُ الملكِ أصبحتُ خاملًا بأرضٍ اغترابٍ لا أميرٌ ولا أحلي
وقد أصدأتُ فيها الجذاذة أنملي^١ كما نسييتُ ركضَ الجياد بها رجلي
فلا مِسْمَعِي يُصْغِي لِنَغْمَةِ شاعِرٍ وكفّي لا تمتدُّ يوماً إلى بذلٍ

قال ابن اللبانة الشاعر : ما علمت حقيقة جَوْرِ الدهر حتى اجتمعت ببجاية مع عز الدولة بن المعتصم بن صمادح فلما رأيت منه خير من يجتمع به ، كأنه لم يخلقه الله تعالى إلا للملك والرياسة وإحياء الفضائل ، ونظرت إلى همته ثم من تحت خموله كما ينم فيرندهُ السيف وكرمه من تحت الصدا ، مع حفظه لفنون الأدب والتواريخ وحسن استماعه وإسماعه ، ورقة طباعه ولطافة ذهنه ، ولقد ذكرته لأحد من صحبته من الأدباء في ذلك المكان ووصفته بهذه الصفات ، فنشوق إلى الاجتماع به ، ورغب إلي في أن أستاذنه في ذلك ، فلما أعلمت عز الدولة قال : يا أبا بكر لتعلم أننا اليوم في خمول وضيق لا يتسع لنا معهما ، ولا يحمل بنا الاجتماع مع أحد ، لا سيما مع ذي أدب وثبابة يلقانا بعين الرحمة ، ويزورنا بمنّة التفضل في زيارتنا ، ونكابده من ألفاظ توجّعه والحفاظ تفجّعه ما يجدد لنا همًّا قد يلي ، ويحيي كسَمَدًا قد فني ، وما لنا قدرة على أن نجود عليه بما يرضى به عن همتنا ، فدعنا كأننا في قبر ، نندرع لسهام الدهر بدرع الصبر ، وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم ، وامترجت امتزاج الماء بالخمير ، فكأننا لم نكشف حالنا لسوانا ، ولا أظهرنا ما بنا لغيرنا ، فلا نحمل غيرك بحملك ، قال ابن اللبانة : فملاً والله سمعي بلاغة لا تصدر إلا عن سداد ونفس أبيّة متمكّنة من أعينة البيان ، وانصرفت متمثلاً :

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ ولم يبقَ إلا صورة اللحم والدمِ
وكائنٌ تَرَى من صانِتٍ لك معجبٍ زيادتهُ أو نقصه في التكلّمِ

١ المغرب : الهوادة ؛ دوزي : منهلي .

وكتب إليه ابنُ اللبانة^١ :

يا ذا الذي هزّ أمداحي بحليته^٢ وعزّه أن يهزّ المجدّ والكرما
واديك لا زرع فيه اليوم تبدّلُهُ فخذْ عليه لأيامِ المني سَلَمًا

فتحيل في قليل بر ووجهه إليه وكتب معه :

المجدُّ ينجلُ مَنْ يفديك من زمنٍ ثناك عن واجبِ البر الذي علما
فدونك التزّر من مُصِفٍ مودته حتّى يوفيك أيامَ المني السلما

ومن شعر عز الدولة المذكور^٣ :

أفدّي أبا عمرو وإن كان عاتبا فلا خيرَ في ودّ يكون بلا عتبِ
وما كانَ ذاكَ الودّ إلاّ كبارقٍ أضاء لعيني ثمّ أظلم في قلبي

وقال الشقندي في الطرف : إن عزّ الدولة أشعر من أبيه .

١٥١ - وأمّا أخوه رفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى بن المعتصم
فلهُ أيضاً نظم رائق ، ومنه ما كتب به إلى يحيى بن مطروح يستدعيه لأنس^٤ :

يا أنخي بل سيدي بل سندي في مهماتِ الزمان الأنكدِ
لُحْ بأفقي غاب عنه بدرُهُ في اختفاء من عيونِ الحُسَدِ
وتعجّل فحبيبي حاضرٌ وفمي يشتاكُ كأسِي في يدي

فأجابه ابنُ مطروح ، وهو من أهل باغه ، بقوله :

١ البيتان في الحلة ٢ : ٩١ ومعهما رد ابن صبايح .

٢ ب م ق : بحليته .

٣ هذا الشعر منسوب في الحلة (٢ : ٩٦) والمغرب (٢ : ٢٠٠) لرفيع الدولة .

٤ انظر ترجمة رفيع الدولة في المطمح : ٣٠ والحلة ٢ : ٩٢ والمغرب ٢ : ١٩٩ .

٥ المغرب ٢ : ٢٠٠ .

أنا عبدٌ من أقلُّ الأعبدِ قِبَلتي وَجْهٌ بأفق الأسعدِ
كلّما أظمأني وردٌ فما منهلي إلا بذاك الموردِ
ها أنا بالبابِ أبغي إذنكم والظما قد مدَّ للكأسِ يدي

وكان قد سلّط عليه إنسان مختل إذا رآه يقول : هذا ألف لا شيء عليه ،
يعني أن ملكه ذهب عنه وبقي فارغاً منه ، فشكا رفيع الدولة ذلك إلى بعض
أصحابه ، فقال : أنا أكفيك مؤونته ، واجتمع مع الأحمق ، واشترى له حلواء ،
وقال له : إذا رأيت رفيع الدولة بن المعتصم فسلّم عليه وقبّل يده ولا تقل هذا
ألف لا شيء عليه ، فقال : نعم ، واشترط الوفاء بذلك ، إلى أن لقيه فجرى
نحوه وقبّل يده وقال : هذا هو باء ، بنقطة من أسفل ، فقامت قيامة رفيع الدولة ،
وكان ذلك أشد عليه ، وكان به علّة الحصى فظن أن الأحمق علم ذلك وقصده ،
وصار كلّما أحسّ به في موضع تجنّبه .

واستأذن يوماً على أحد وجوه دولة المرابطين فقال أحد جلسائه ﴿ تلك
أمةٌ قد خلّت ﴾ (البقرة : ١٢٤ ، ١٤١) استحقاراً له واستثقالاً للإذن له ، فبلغ
ذلك رفيع الدولة فكتب إليه :

خلّت أمتي لكنّ ذاتي لم تخلُ وفي الفرع ما يغني إذا ذهب الأصلُ
وما ضرّكم لو قلتم قولَ ماجدٍ يكونُ له فيما يجيء به الفضلُ
وكلُّ إناءٍ بالذي فيهٍ راسعٌ وهل يمنعُ الزنبورُ ما مَجَّه النحلُ
سأصرفُ وجهي عن جنابِ تحلُّه ولو لم تكنْ إلاّ إلى وجهك السبيلُ
فما موضعُ تحلُّه بمرْفَعٍ ولا يرتَضَى فيهٍ مقالٌ ولا فعلُ
وقد كنتُ ذا عدلٍ لعلّك ترعوي ولكنّ بأربابِ العلّا يحملُ العدلُ

١٥٢ — وأما أخوهما أبو جعفر ابن المعتصم^١ فله ترجمة في المسهب

والمطرب والمغرب ، ومن شعره :

كتبتُ وقلبي ذو اشتياقٍ ووحشةٍ ولو أنه يسطيع مرَّ يسلمُ
جعلتُ سوادَ العين فيه سَوَادَةً وأبيضه طِرْسًا وأقبلتُ ألم
فخيّلَ لي أنني أقبلُ موضعاً يضافه ذاك البنان المسلم

وأما أختهم أم الكرم فذكرناها مع النساء فلترجع .

١٥٣ - وقال أبو العلاء ابن زُهْر^١ :

تمتُ محاسنُ وجهه وتكاملتُ لما بدا وعليه صُدُغٌ مُونقُ
وكذلك البدرُ المنيرُ جماله في أن تكتفهُ سماءُ أزرقُ

١٥٤ - وقال أبو الفضل ابن شرف :

يا من حكى البيدقَ في شكله أصبح يحكيكَ وتحكيه
أسفله أوسعُ أجزاءه ورأسه أصغرُ ما فيه

١٥٥ - وقال ابن خفاجة^٢ :

يا أيها الصبُّ المعنى به ها هو لا خللٌ ولا خمرُ
سُودَ ما وُردَ من خدّه فصار فحماً ذلك الجمرُ

١٥٦ - وقال أبو عبد الله البيهقي :

صَغُرَ الرأسُ وطولُ العُنُقِ شاهداً عدلٍ بفرطِ الحمقِ

ولما سمعه أبو الحسن ابن حريق قال :

١ مر البيتان ص : ٢٤٧ .

٢ ديوان ابن خفاجة : ١٩٠ .

صِغَرُ الرَّأْسِ وَطُولُ الْعُنُقِ خَلْقَةٌ مَنكَرَةٌ فِي الْخَلْقِ
فَإِذَا أَبْصَرَتْهَا مِنْ رَجُلٍ فَاقْضِ فِي الْحَيْنِ لَهُ بِالْحُمُقِ

١٥٧ - وقال أبو الحسن ابن الفضل^١ يذكر مقاماً قامه سهل بن مالك
وابن عيَّاش^٢ :

لعمري لقد سَرَّ الخِلافةَ قائماً بخطبته الغراء سهلُ بن مالكٍ
وأما ابن عيَّاشٍ ومن كان مثله فضلتوا جميعاً بين تلك المسالكِ
ومات وماتوا حَسْرَةً وحسادةً وغيظاً فقلنا هالكٌ في الهوالِكِ

وسهل بن مالك له ترجمة مطوّلة ، رحمه الله تعالى .

١٥٨ - ومن حكاياتهم في الوفاء^٣ وحسن الاعتذار والقيام بحق الإخاء
أن الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم كان صديقاً للوزير هاشم بن عبد العزيز ،
ثابتاً على مودته ، ولما قضى الله تعالى على هاشم بالأسر أجرى السلطان محمد بن
عبد الرحمن الأموي ذكره في جماعة من خُدّامه ، والوليدُ حاضر ، فاستقصره ،
ونسبه للطيش والعجلة والاستبداد برأيه ، فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير
الوليد ، فقال : أصلح الله تعالى الأمير ، إنّه لم يكن على هاشم التخير في الأمور ،
ولا الخروج عن المقلور ، بل قد استعمل جهده ، واستفرغ نصحه ، وقضى
حق الإقدام ، ولم يكن ملاك النصر بيده ، فخذله من وثق به ، ونكل عنه
من كان معه ، فلم يزحزح قدمه عن موطن حِفَاطِهِ ، حتى مُلِكَ مَقْبَلاً غير
مدبر ، مُبْلياً غير فُشِّل ، فجوزي خيراً عن نفسه وسلطانه ، فإنّه لا طريق
للملّام عليه ، وليس عليه ما جَنَّتَهُ الحرب الغَشُوم ، وأيضاً فإنّه ما قصد

١ ترجمته في القلح : ١٠٨ .

٢ ب : وابن يعيش .

٣ انظرهما في المقتبس (تحقيق مكّي) : ٢٣٢ (الورقة ٢٨٢ - ١) .

أن يجود بنفسه إلاّ رضّى للأمير ، واجتناباً لسخطه ، فإذا كان ما اعتمد فيه الرضى جالب التقصير فذلك معدود في سوء الحظ ، فأعجب الأمير كلامه ، وشكر له وفاءه ، وأقصر فيما بعد عن تنفيذ هاشم ، وسعى في تخليصه ، واتصل الخبر بهاشم ، فكتب إليه : الصديق من صدّقك في الشدة لا في الرخاء ، والأخ من ذبّ عنك في الغيب لا في المشهد ، والوفى من وفى لك إذا خانك زمان ، وقد أتاني من كلامك بين يدي سيدنا — جعل الله تعالى نعمته سرمداً — ما زادني بمودتك اغتباطاً ، وبصدافتك ارتباطاً ، ولذلك ما كنت أشدّ يدي على وصلك ، وأخصّك بإخائي ، وأنا الآن بموضع لا أقدر فيه على جزاء غير الثناء ، وأنت أقدر مني على أن تزيد ما بدأت به بأن تم ما شرعت فيه ، حتى تتكمل لك المنّة ، ويستوثق عقد الصداقة ، إن شاء الله تعالى ، وكتب إليه بشعر منه :

أيا ذاكري بالغيب في محفل به تصامت جمع عن جواب به نصري
أنتني والبيداء بيتي وبيتها رقي كلمات خلصتني من الأسر
لئن قرب الله اللقاء فإنتي سأجزيك ما لا ينقضي غابر الدهر

فأجابه الوليد : خلصك الله أيها البدر من سِرّارك ، وعجل بطلوعك في أكمل تمامك وإبدارك ، وصَلّتي شكرك على أن قلت ما علمت ، ولم أخرج عن النصح للسلطان بما زكته من ذلك ، والله تعالى شاهد ، على أن ذلك في مجالس غير المجلس المنقول لسيدي إن خفيت عن المخلوق فما تخفى عن الخالق ، ما أردت بها إلاّ أداء بعض ما أعتقده لك ، وكم سهرت وأنا نائم ، وقمت في حقّي وأنا قاعد ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ثم ذكر أبياتاً لم تحضرني الآن .

١٥٩ — ومن حكاياتهم في علوّ الهمة في العلم والدنيا أنه دخل أبو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة جامع غرناطة ، وبه نحويّ حوله شباب يقرؤون ، فنظروا إليه ، وقالوا له مستهزئين به : ما يحمل الفقيه ؟ وما يُجسّن من العلوم ؟ وما يقول ؟ فقال لهم : أحمل اثني عشر ألف دينار ، وها هي تحت إبطي ،

وأخرج لهم اثنتي عشرة ياقوتة ، كل واحدة منها بألف دينار ، وأمّا الذي أحسنه
فأثنا عشر علماً أدونها علم العربية الذي تبحثون فيه ، وأمّا الذي أقول فأنتم
كذا ، وجعل يسبهم ، هكذا نقلت هذه الحكاية من خط الشيخ أبي حيّان النحوي .
رحمه الله تعالى .

١٦٥ - ومن حكاياتهم في الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها أن أبا
القاسم عباس بن فرناس^١ ، حكيم الأندلس ، أوّل من استنبط بالأندلس صناعة
الزجاج من الحجارة وأوّل من فكّ بها كتاب العَرُوض للخليل ، وأوّل من فكّ
الموسيقى ، وصنع الآلة المعروفة بالمنقانة^٢ ليعرف الأوقات على غير رسم ومثال ،
واحتال في تطيير جثمانه ، وكسا نفسه الريش ، ومدّ له جناحين ، وطار في
الجوّ مسافة بعيدة ، ولكنه لم يحسن الاحتياّل في وقوعه ، فتأذّى في مؤخره ،
ولم يدرِ أن الطائر إنما يقع على زمكّه ولم يعمل له ذنباً ، وفيه قال مؤمن بن سعيد
الشاعر من أبيات :

يطمُّ على العنقاء في طيرانها إذا ما كسا جثمانه ريشَ قشعم

وصنع في بيته هيئة السماء ، وخيّل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق
والرعود ، وفيه يقول مؤمن بن سعيد أيضاً :

سماء عباس الأديب أبي ال قاسم ناهيك حسن رائقها
أمّا ضراطُ استِه فراعدها فليّت شعري ما لمعُ بارقيها
لقد تمنيتُ حين دوّمها فكريّ بالبصق في است خالقها

١ المغرب ١ : ٣٣٣ والمقتبس (تحقيق مكّي) الورقة ٢٥٦ ب .
٢ في الأصول ودوزي : بالمنقالة ، وهذه صورة من صور الكلمة وأقربها إلى اللفظ المغربي ما أثبتناه ،
إذ تسمى في المغرب « المنجانة » وهي البنكام أو البنكان الفارسية أي الساعة أو آلة حساب الوقت ،
وقد تصحفت في المغرب إلى « الميقانة » .

وأشدد ابن فرناس الأميرَ محمدًا من أبيات :

رأيتُ أميرَ المؤمنينَ محمدًا وفي وجهه بذُرُ المحبة يُشمرُ

فقال له مؤمن بن سعيد : قبحاً لما ارتكبته ، جعلت وجه الخليفة مَحْرُثاً يشمر فيه البذر ، فحجل وسبه .

[المشهورون بعلوم الأوائل]^١

١٦١ - وأول من اشتهر في الأندلس بعلم الأوائل والحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم بن أحمد المعروف بصاحب القبلة ، لأنه كان يشرق في صلاته ، وكان عالماً بحركات الكواكب وأحكامها ، وكان صاحب فقه وحديث ، دخل المشرق ، وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز ، وبمصر من المزني وغيره . ومنهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السنيّة ، من أهل قرطبة ، وكان بصيراً بالحساب والنجوم والنحو^٢ واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والأخبار والجَدَل ، ودخل إلى المشرق ، وقيل : إنه كان معتزلياً المذهب . وأبو القاسم أصبغ بن السمع ، وكان بارعاً في علم النجوم^٣ والهندسة والطب ، وله تأليف منها كتاب « المدخل إلى الهندسة في تفسير إقليدس » ، وكتاب كبير في الهندسة ، وكتابان^٤ في الأسطرلاب ، وزيج على مذاهب الهند المعروف بالسند هند . وأبو القاسم ابن الصفار ، وكان عالماً بالهندسة والعدد والنجوم ، وله زيج مختصر على مذاهب السند هند ، وله كتاب في عمل الأسطرلاب . ومنهم أبو الحسن الزهراوي ، وكان عالماً بالعدد والطب والهندسة . وله

١ يعتمد المقرئ في هذا الفصل على طبقات صاعد ٦٤ - ٧٢ ويستمد أيضاً من المطرب : ٢٢٣ - ٢٢٤ ،

وللمقارنة انظر ابن أبي أصيبعة ٢ : ٣٦ - ٤٩ .

٢ والنحو : سقطت من م .

٣ ق ب : علم النحو .

٤ ب : وكتاب .

كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان .
ومنهم أبو الحكم عمر الكرماني ، من أهل قرطبة ، من الراسخين في علم
العدد والهندسة ، ودخل المشرق ، واشتغل بحرّان ، وهو أول من دخل برسائل
إخوان الصفا إلى الأندلس .

ومنهم أبو مسلم ابن خلدون من أشرف إشبيلية ، وكان متصرفاً في علوم
الفلسفة والهندسة والنجوم والطب ؛ وتلميذه ابن برغوث ، وكان عالماً بالعلوم
الرياضية ، وتلميذه أبو الحسن مختار الرعيّني ، وكان بصيراً بالهندسة والنجوم ،
وعبد الله بن أحمد السرقسطي ، كان نافلاً في علم الهندسة والعدد والنجوم ،
ومحمد بن الليث ، كان بارعاً في العدد والهندسة وحركات الكواكب ، وابن
حي ، قرطبي بصير بالهندسة والنجوم ، وخرج عن الأندلس سنة اثنتين وأربعين
وأربعمائة ، ولحق بمصر ، ودخل اليمن ، واتصل بأمرها الصليحي القائم
بدعوة المستنصر^١ العبيدي ، فحظي عنده ، وبعثه رسولا إلى بغداد إلى القائم بأمر
الله ، وتوفّي باليمن بعد انصرافه من بغداد ، وابن الوقشي الطليطلي ، عارف
بالهندسة والمنطق والزيوج ، وغيرهم ممّن يطول تعدادهم .
وكان الحافظ أبو الوليد هشام الوقشي من أعلم الناس بالهندسة وآراء الحكماء
والنحو واللغة ومعاني الأشعار والعروض وصناعة الكتابة والفقه والشروط
والفرائض وغيرها ، وهو كما قال الشاعر :

وكان من العلوم بحيث يُقضى له في كلّ فنّ بالجميع

ومن شعره قوله :

قد بيّنت فيه الطبيعة أنّها بدقيق أعمال المهندس ماهرة
عُنيت بمبسمه فخطّت فوقه بالمسك خطّاً من محيط الدائرة

١ ب : من المستنصر ؛ ق ودوزي : من المستنصر .

وعزّمْ على ركوب البحر إلى الحجاز فهاله ذلك ، فقال :

لا أركبُ البحرَ ولو أتتني ضربتُ فيه بالعَصَا فأنفَلتُ
ما إن رأتُ عينيَ أمواجهُ في فِرَقٍ إلا تناهى الفِرَقُ

وكان الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن مهند^١ مصنف الأدوية المفردة آية الله تعالى في الطب وغيره ، حتى إنّه عانى جميع ما في كتابه من الأدوية المفردة ، وعرف ترتيب قواها ودرجاتها ، وكان لا يرى التداوي بالأدوية ما أمكن بالأغذية أو ما يقرب منها ، وإذا اضطر إلى الأدوية فلا يرى التداوي بالمركبة ما وجد سبيلاً إلى المفردة ، وإذا اضطر إلى المركب لم يكثر التركيب ، بل يقتصر على أقل ما يمكنه ، وله غرائب مشهورة في الإبراء من الأمراض الصعبة والعلل المخوفة بأيسر علاج وأقربه .

ومنهم ابن البيطار^٢ ، وهو عبد الله بن أحمد المالقي الملقّب بفضياء الدين ، وله عدّة مصنّفات في الحشائش لم يُسبق إليها ، وتوفّي بدمشق سنة ست وأربعين وستمائة ، أكل عقاراً قاتلاً فمات من ساعته ، رحمه الله تعالى .

١٦٢ — ومن حكاياتهم في الحفظ أن الأديب الأوحّد حافظ إشبيلية ، بل الأندلس في عصره ، أبا المتوكّل الهيثم بن أحمد بن أبي غالب كان أعجوبة دهره في الرواية للأشعار والأخبار ، قال ابن سعيد^٣ : أخبرني مَنْ أثق به أنّه حضر معه ليلة عند أحد رؤساء إشبيلية فجرى ذكر حفظه ، وكان ذلك في أول الليل ، فقال لهم : إن شئتم تحبّروني أجبتكم ، فقالوا له : بسم الله ، إنّا نريد أن نحدّث عن تحقيق ، فقال : اختاروا أيّ قافية شئتم لا أخرج عنها ، حتى

١ في أصول النفع ودوزي : شهيد ؛ والتصويب عن ابن أبي أصيبعة (٢ : ٤٩) .

٢ ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٣٣ والنفع ٢ : ٦٩١ .

٣ اختصار القدح : ١٥٨ والمغرب ١ : ٢٥٨ والتكملة رقم : ٢٠٢٥ .

تعجبوا^١ ، فاختاروا القاف ، فابتدأ من أوّل الليل إلى أن طلع الفجر ، وهو ينشد وزن :

أرق على أرقٍ ومِثْلِي يَارقُ

وسُمّاه قد نام بعض وضج بعض ، وهو ما فارق قافية القاف .

وقال أبو عمران ابن سعيد : دخلت عليه يوماً بدار الأشراف بإشبيلية ، وحوله أدباء ينظرون في كتب منها ديوان ذي الرُّمّة ، فمد الهيثم يده^٢ إلى الديوان المذكور ، فمنعه منه أحد الأدباء ، فقال : يا أبا عمران ، أوجب أن يمنعني مني وما يحفظ منه بيتاً ، وأنا أحفظه ؟ فأكذّبه الجماعة ، فقال : اسمعوني وأمسكوه ، فابتدأ من أوّله حتى قارب نصفه ، فأقسمنا عليه أن يكف ، وشهدنا له بالحفظ .

وكان آية في سرعة البديهة ، مشهوراً بذلك ، قال أبو الحسن ابن سعيد : عهدي به في إشبيلية يعلّي على أحد الطلبة شعراً ، وعلى ثانٍ موشحة ، وعلى ثالث زجلاً ، كل ذلك ارتجالاً .

ولما أخذ الحصار بمُخَنَّقِ إشبيلية في مدة الباجي خرج القارظين^٣ ، ولا يلدرى حيث ولا أين .

ومن شعره وقد نزل بداره عبيدُ السلطان ، وكتب به إلى صاحب الأتزال :

كم من يدٍ لك لا أقومُ بِشُكْرِها وبها أُشيرُ إليك إن خرست فمي
وقد استشرتكَ في الحديثِ فهل ترى أن يدخلَ الغِربانُ وكُثرَ الهيثمِ

١ ق ب : تعجوا .

٢ ب : فمد يده الهيثم .

٣ يعني خرج ولم يجد ، فعل القارظين المضروب بها المثل في عدم الأوبة .

وله ١ :

يُجَنِّى الْفَقِيرُ وَيَغْشَى النَّاسُ قَاطِبَةً بَابَ الْغِنَى ، كَذَا حُكْمُ الْمَقَادِيرِ
وَلِئَمَّا النَّاسُ أَمْثَالُ الْقَرَاشِ فَهَمُ بَحِثْ تَبَدُّوْ مَصَابِيحُ الدَّنَائِيرِ

وله :

عِنْدِي لِفَقْدِكَ أَوْجَالٌ أَيْتُ بِهَا كَأَنِّي وَاضِعٌ كَفِّي عَلَى قَبَسِ
وَلَا مَلَامَةَ إِن لَّمْ أَهْدِ نِيرَهُ حَتَّى تَمُدَّ إِلَيْهَا كَفَّ مُقْتَبِسِ
قَدْ كُنْتُ أَوْدَعُ سِرِّ الشُّوقِ فِي طُرُسٍ لَكُنِّي خَفْتُ أَنْ يَعْدُو عَلَى الطُّرُسِ

وَأَنشَدَ لَهُ أَبُو سَهْلٍ شَيْخُ دَارِ الْحَدِيثِ بِالْقَاهِرَةِ فِي إِمْلَائِهِ :

قَفْ بِالْكَيْبِ لِفَيْرِكَ التَّائِبُ إِنَّ الْكَيْبَ هَوَى لَنَا مَحْبُوبُ
يَا رَاحِلِينَ لَنَا عَلَيْكُمْ وَفَقَةٌ وَلَكُمْ عَلَيْنَا دَمْعُنَا الْمُسْكُوبُ
تُخْلِي الدِّيَارُ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى أَبَدًا وَتَعْمُرُ أَضْلَعُ وَقُلُوبُ

وَقَالَ ارْتِجَالًا فِي صِفَةِ فَرَسٍ أَصْفَرٍ :

أَطْرَفٌ قَاتِ طَرْفِي أَمْ شِهَابُ هَمًّا كَالْبَرْقِ ضَرَمَهُ النَّهَابُ
أَعَارَ الصَّبْحُ صَفْحَتَهُ نَقَابًا فَفَرَّ بِهِ وَصَحَّ لَهُ النَّقَابُ
فَمَهْمَا حُثَّ خَالَ الصَّبْحِ وَافِي لِيُطْلَبَ مَا اسْتَعَارَ فَمَا يُصَابُ
إِذَا مَا انْقَضَ كَلَّ النُّجْمُ عَنْهُ وَضَلَّتْ عَنْ مَسَالِكِهِ السَّحَابُ
فَيَا عَجَبًا لَهُ فَضْلُ الدَّرَارِي فَكَيْفَ أَذَالَ أَرْبَعَةَ التَّرَابِ
سَلَّ الْأَرْوَاحَ عَنْ أَقْصَى مَدَاهِ فَعِنْدَ الرِّيحِ قَدْ يُلْفَى الْجَوَابُ

١٦٣ — وَقَالَ أَبُو عَمْرِو الطَّلْمَنْكِيُّ : دَخَلْتُ مُرْسِيَةً ، فَتَشَبَّثَ بِي أَهْلُهَا

١ القدح : ١٥٩ والمغرب ؛ ٢٥٨ وقد تأخر موضعهما في ب بعد وصف الفرس .

يسمعوا عليّ الغريب المصنّف ، فقلت : انظروا مَنْ يقرأ لكم ، وأمسكت
أنا كتابي ، فأتوني برجل أعمى يُعرف بابن سيده ، فقرأه^١ عليّ من أوّله إلى
آخره ، فعجبت من حفظه ، وكان أعمى ابن أعمى ، وابن سيده المذكور هو أبو
الحسن علي بن أحمد بن سيده ، وهو صاحب كتاب « المحكم » . ومن نظمه
مما كتب به إلى ابن الموفق :

ألا هلّ إلى تقبيل راحتك اليمنى سبيل^٢ فإنّ الأمنَ في ذاك واليمنى
ومنها :

ضحيتُ فهل في برّك ظلك نومة^٣ للذي كبدي حرّى وذوي مقلةٍ وسنى
وتوفي ابن سيده المذكور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وعمره نحو الستين ،
رحمه الله تعالى .

١٦٤ - ومن حكاياتهم في حب العلم أن المظفر بن الأفطس صاحب
بطليّوس كان كما قال ابن الأثير كثير الأدب ، جمّ المعرفة ، محباً لأهل
العلم ، جماعةً للكتب ، ذا خزانة عظيمة ، لم يكن في ملوك الأندلس من يفوقه
في أدب ومعرفة ، قاله ابن حيّان .

وقال ابن بسام^٢ : كان المظفر أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع ،
وله التصنيف الرائق ، والتأليف الفائق ، المترجم بالتذكرة والمشتهر أيضاً اسمه
بالكتاب المظفرّي ، في خمسين مجلداً ، يشتمل على فنون وعلوم من مغازٍ
وسير ومثّل وخبر وجميع ما يختص به علم الأدب ، أبقاه للناس^٣ خالداً ،
وتوفي المظفر سنة ستين وأربعمائة . وكان يحضر العلماء للمذاكرة ، فيفيد

١ ب : قرأه .

٢ الذخيرة ٢ : ٢٥٥ .

٣ الذخيرة : في الناس .

ويستفيد ، رحمه الله تعالى .

١٦٥ - ومن التآليف الكبار لأهل الأندلس كتاب « السماء والعالم »^١ الذي ألفه أحمد بن أبان صاحب شرطة قرطبة ، وهو مائة مجلد ، رأت بنضه بفاس ، وتوفي ابن أبان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

[روح الفكاهة عند الأندلسيين]

ولأهل الأندلس دُعابة وحلاوة في محاوراتهم ، وأجوبة بديهة مستقيمة والظرفُ فيهم والأدب كالغريزة ، حتى في صبيانهم ويهودهم ، فضلاً عن علمائهم وأكابرهم . ولنذكر جملة من ذكر الجَلَّة فنقول :

١٦٦ - حكى عن عالم المَرِيَّة القاضي أبي الحسن مختار الرعيي ، وكان فيه حلاوة ولَوْدَعِيَّة ووقار وسكون ، أنه استدعاه يوماً زُهَيْر ملك المَرِيَّة من مجلس حكمه ، فجاءه يمشي مشية قاضٍ قليلاً قليلاً ، فاستعجله رسول زهير ، فلم يعجل ، فلمَّا دخل عليه قال له : يا فقيه ، ما هذا البطء ؟ فتأخَّر إلى باب المجلس ، وطلب عصا ، وشمَّر ثيابه ، فقال له زهير : ما هذا ؟ قال : هذا يليق باستعجال الحاجب لي ، فوقع في خاطري أنه عزلني عن القضاء وولاني الشرطة ، فضحك زهير واستحلاه ولم يعد إلى استعجاله .
وهذا القاضي هو القائل - وقد دخل حمَّاماً فجلس بإزائه عاميُّ أساء الأدب عليه - :

ألا لُعِنَ الحمَّامُ داراً فإنَّه سَوَاءُ بِهِ ذُو الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ فِي الْقَدْرِ
تَضْيِيعُ بِهِ الْآدَابُ حَتَّى كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ لَمْ تَنْفَقْ عَلَى طَلْعَةِ الْفَجْرِ

١٦٧ - وروي أن المقرئ أبا عبد الله محمد بن الفراء إمام النحو واللغة في زمانه - وكانت فيه فطنة ولودعية - أبطأ خروجه يوماً إلى تلامذته ، فقال بهم الكلام في المذاكرة فقال أحدهم نصف بيت ، وكان فيهم وسيم من أبناء الأحيان ، وكان ابن الفراء كثير الميل إليه ، فلما خرج قال له : يا أستاذ ، عملتُ نصف بيت ، وأريد أن تتمه ، فقال : ما هو ؟ فقال :

ألا بأبي شادنٍ أوطفُ

فقال الأستاذ ابنُ الفراء بديهاً :

إذا كان وردك لا يُقطفُ ونغرُ ثننايك لا يُرشَفُ
فأيُّ اضطرارٍ بنا أن نقولَ : ألا بأبي شادينٍ أوطفُ ؟

وهذا ابن الفراء هو القائل ١ :

قيل لي : قد تبدلَا فاسلُ عنه كما سلا
لك سمعٌ وناظرٌ وفؤادٌ فقلت : لا
قيل : غالٍ وصالحٌ قلت : لما غلا حلا
أيُّها العاذل الذي بعداني توكلَا
عُدْ صحيحاً مسلماً لا تعيرُ فتُبْتَلَى

وتذكرت بهذا ما أنشده لسانُ الدين في كتابه « روضة التعريف بالحلب الشريف » :

قلتُ للساخر الذي رفَعَ الأنفَ واعتَلَى
أنتَ لم تأمن الهوى لا تعيرُ فتُبْتَلَى

١ زاد المسافر : ١٠٠ .

ومن بديع نظم ابن الفراء المذكور قوله^١ :

شكوتُ لآليه بفرطِ الدَّئِفِ . فأنكر من قصتي ما عَرَفُ
وقال : الشهودُ على المدَّعي وأما أنا فعليَّ الحلفُ
فجئنا إلى الحاكم الأُلَميِّ قاضي المجون وشيخِ الطُّرْفِ
وكان بصيراً بشرَّعِ الهوى ويعلم من أين أكلُ الكُفِ
فقلتُ له : إقضِ ما بيننا فقال : الشهودُ على ما تصفُ
فقلتُ له : شهدتُ أدمعي فقال : إذا شهدتُ تنتصفُ
ففاضت دموعي من حينها كفيضِ السحابِ إذا ما يَكِفُ
فحرَّك رأساً إلينا وقال : دعوا يا مَهَاتِيكُ هذا الصلِفُ
كذا تقتلون مشاهيرنا إذا مات هذا فأين الخَلَفُ
وأوما إلى الوردِ أن يجتني وأوما إلى الريق أن يُرتشفُ
فلما رآه حبيبي معي ولم يختلف بيئنا مختلفُ
أزالَ العنادَ فعانقتهُ كأنِّي لأمٌ وحيي ألفُ
فظَلَّنتُ أَعَاتِه في الجفا فقال : عفا الله عما سلفُ

١٦٨ - وحكي عن الزهري خطيب إشبيلية - وكان أعرج - أنه خرج مع ولده إلى وادي إشبيلية ، فصادف جماعة في مركب^٢ ، وكان ذلك بقرب الأضحى ، فقال بعضهم له : بكم هذا الخروف ؟ وأشار إلى ولده ، فقال له الزهري : ما هو للبيح ، فقال : بكم هذا التيس ؟ وأشار إلى الشيخ الزهري ، فرفع رجله العرجاء وقال : هو معيب لا يُجْزىء في الضحية ، فضحك كل

١ زاد المسافر : ٩٩ .

٢ ب : وكان ذلك في مركب .

مَنْ حضر ، وعجبوا من لطف خُلُقِه .
وركب مرّة هذا النهر مع الباجي يوم خميس ، فلمّا أصبحا وصعد الزهري
يخطب يوم الجمعة ، والباجي حاضر قدامه ، فنظر إليه الباجي وأوماً إلى محل
الحديث ، وأخرج لسانه ، فجعل الزهري يلمس عصا الخطبة ، يشير بالعصا
إلى جوابه على ما قصد ، رحمه الله تعالى .

١٦٩ - ومرّ العالم أبو القاسم ابن وَرْد صاحب التّأليف في علم القرآن
والحديث بجنّة لأحد الأعيان فيها ورد ، فوقف بالباب وكتب إليه :

شاعر قد عمّرك يبغى أباهُ عندما اشتاق حسنه وشدهُ
وهو بالباب مصغيّاً لجوابٍ يرتضيه النّدَى فماذا تراهُ .

فعندما وقف على البيتین علم أنّه ابن وَرْد ، فبادر من جنته إليه ، وأقسم
في النزول عليه ، ونثر من الورد ما استطاع بين يديه .

١٧٠ - وحكي أن أبا الحسين سليمان بن الطراوة نحويّ المريّة حضر مع
ندماء ، وإلى جانبه مَنْ أخذ يجماع قلبه ، فلمّا بلغت النوبة إليه استعفى من
الشرب ، وأبدى القطوب ، فأخذ ابن الطراوة الجلام من يده وشرّبها عنه ،
ويا برّدها على كبده ، ثم قال بديها :

يشرّبها الشيخُ وأمثالهُ وكلُّ من تُحمّدهُ أفعالهُ
والبكر إن لم يستطع صولةً تُلقي على البازل أثقالهُ

ودخل عليه وهو مع ندمائه غلام بكأس في يده فقال :

ألا بأبي وغير أبي غزالُ أتى وبراحيه للشربِ راحُ
فقال مُنادمي في الحسن صيفه فقلتُ الشّمسُ جاء بها الصّباحُ

وقال فيمن جاء بالراح :

ولما رأيتُ الصبحَ لاحَ بخده دعوتهمُ رفقا تلحُ لكمُ الشمسُ
وأطلعها مثلَ الغزالةِ وهو كالـ خزالِ قَمِّ الطيبِ واكتملُ الأنسُ

وقال ، وقد شرب ليلة القمر :

شربنا بمصباح السماء مُدامةً بشاطي غديرٍ والأزاهرُ تَنفَحُ
وظل جهولٌ يرقبُ الصبحَ ضلّةً ومن أكوسي لم يبرحِ الليلُ يُصْبِحُ

١٧١ - وكان أبو عبد الله ابن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يشرب مع ندماء ظراف في جنة بهجة ، فجاءتهم ورقة من ثقليل يرغب في الإذن ، وكان له ابن مليح فكتب إليه مدغليس :

سيدي هذا مكانٌ لا يرى فيه بلحية
غير تيسٍ مصفعاذٍ يلهُ بالصنّغِ كديّة
أو له ابنٌ شافعٌ فيهِ فيلُقى بالتحية
أيها القابلِ بادرُ سائقاً تلك المطية

وكان مدغليس هذا مشهوراً بالانطباع والصنعة في الأزجال ، خليفة ابن قزمان في زمانه ، وكان أهل الأندلس يقولون : ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ، ومدغليس بمنزلة أبي تمام ، بالنظر إلى الانطباع والصناعة ، فابن قزمان ملتفت إلى المعنى ، ومدغليس ملتفت للفظ ، وكان أديباً معرباً لكلامه مثل ابن قزمان ، ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنجب اقتصر عليه .

ومن شعره قوله :

ما ضرَّكم لو كتبتمُ حرفاً ولو باليسارِ
إذ أنتمُ نورُ عيني ومطلبي واختياري

١٧٢ - وقال الخطيب الأديب النحوي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الفراء - المذكور قبل هذا بقريب - الضرير ، في صهي كان يقرأ عليه النحو اسمه حسن ، وهو في غاية الجمال - بعد أن سأله : كيف تقول إذا تعجبت من حُسنك ؟ فقال أقول : ما أحسنني - :

يا حَسَنًا ما لكَ لم تُحَسِّنِ إلى نفوسٍ بالهوى متعبَةٍ
رقمت بالورد وبالسوسن صفحة خلدٍ بالسنا مُذهبةً
وقد أبى صدغك أن أجتني منه وقد ألدغني عقربته
يا حُسَنُهُ إذ قال ما أحسنني ويا لذلك اللفظ ما أعذبه
ف فوق السهم ولم يُخطِني وإذ رأيَ ميتًا أصعبه
وقال كم عاش وكم حبَّني وحبُّهُ إياي قد عذبته
يرحمه الله على أتني قتلي له لم أدري ما أوجبه

وهذا ابن الفراء من فضلاء المائة السادسة ، ذكره ابنُ غالب في « فرحة الأنفس في فضلاء العصر من الأندلس » وكان شاعراً مجيداً ، يُعلِّم بالمترية القرآن والنحو واللغة ، وكانت فيه فطنة ولَوَذَعِيَّة ، وذكاء وألمعية ، خرق بها العوائد . وحكي أن قاضي المترية قبل شهادته في سَطَل ميزه في حمام باللمس ، واختبره في ذلك بحكاية طويلة . وذكره صفوان في « زاد المسافر » ووصفه بالخطيب .

[رسالة أبي عبد الله ابن الفراء إلى ابن تاشفين]

وجده القاضي أبو عبد الله ابن الفراء مشهور بالصلاح والفضل والزهد ، ومن العجائب أنه ليس له ترجمة في « المغرب » ، ولما كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى أهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذي يقول فيه : فما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك ، وأن

الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوّة والأندلس أفتتوا بأن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اقتضاها ، وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعة في قبره ، ولا يُشكّ في عدله ، فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بضجيعة في قبره ، ولا من لا يُشكّ في عدله ، فإن كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته في العدل فالله تعالى سائلهم عن تقلدهم فيك ، وما اقتضاها عمر رضي الله تعالى عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلّف أن ليس عنده درهم واحد في بيت مال المسلمين ينفقه عليهم ، فتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة من أهل العلم وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا في بيت مال المسلمين ، وحينئذ تستوجب ذلك ، والسلام ، انتهى .

١٧٣ - وأما ابن الفراء الأنخفش بن ميمون^١ الذي ذكره الحجاري في « المسهب » فليس هو من هؤلاء ، بل هو من حصن القبداق من أعمال قلعة بني سعيد ، وتأدب في قرطبة ، ثم عاد إلى حضرة غرناطة ، واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي ، وهو القائل :

صابعٌ مُحياه تلقى النّجيج في الأملِ وانظر بناديه حُسْن الشمس في الحملِ
ما إن يلاق خليلٌ فيه من خَلَلٍ وكلّما حالَ صرفُ الدهرِ لم يَحُلِ

وكان يهاجي المنفلت شاعر البيرة ، ومن هجاء المنفلت^٢ له قوله :

لابن ميمون قريضٌ زمهريرُ البردِ فيه
فإذا ما قالَ شعراً نفقتُ سوقُ أبيه

ولما وفد على المّرية مدح رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح بشعر ، فقال له

١ المغرب ٢ : ١٨٢ .

٢ ق ب : ومن هجائه المنفلت له ؛ والبيتان في النخيرة ٢ / ١ : ٢٦٤ .

بعض مَنْ أراد ضرّه : يا سيدي لا تقرب هذا اللعين ، فإنه قال في اليهودي :

ولكنّ عندي للوفاء^١ شريعة^٢ تركتُ بها الإسلامَ ييكّي على الكفرِ

فقال رفيع الدولة : هذا والله هو الحر الذي ينبغي أن يُصْطَنع ، فلو لا وفائهُ ما بكى كافراً بعد موته ، وقد وجدنا في أصحابنا من لا يرعى مسلماً في حياته . وقال فيه المنفلت^٣ :

إن كنتَ أخْفَشَ عَيْنٍ فإنّ قَلْبَكَ أَعْمَى
فكَيْفَ تَنْتَرُ نَثْرًا وكيفَ تَنْظُمُ نَظْمًا

ومن شعر الأخفش المذكور قوله :

إذا زرتكم غيباً فلمْ أَلْتَقِ بِالْبَرِّ وإن غبت لم أطلُبْ ولم أجِرْ في الدكرِ
فلنّني إذن أولى الورى بفراقكمْ ولا سيّما بعدَ التجلّدِ والصبرِ

١٧٤ — ولما وفد على المنصور بن أبي عامر الشاعرُ المشهور أبو عبد الله محمد بن مسعود الغَسَّاني البجائي^٤ اتّهم برهق في دينه ، فسجنه في المطبق مع الطليق القرشي ، والطيّق غلام وسيم ، وكان ابن مسعود كليلاً به يومئذ وفيه يقول :

غدتُ في السجنِ خديناً لابن يعقوب وكنتُ أحسبُ هذا في التكاذيبِ
رامت عُدائيَ تعذيبي وما شعرتُ أنّ الذي فعلوهُ ضدُّ تعذيبِ
راموا بعادي عن الدنيا وزخرفها فكانَ ذلكَ إدنائي وتقريبي
لَمْ يَعْلَمُوا أنّ سجنِي لا أبالهمْ قد كان غايةَ مأمولي ومرغوبي

١ ب : في الوفاء .

٢ المغرب ٢ : ١٨٤ .

٣ في الأصول ودوزي : البجالي ؛ وترجمته في الجذوة : ٨٦ ؛ وانظر اللخيرة ١ / ٢ : ٧٩ .

٤ اللخيرة : الحب .

وانطلق ابن مسعود والطلق قبله ، ووقع بينه وبين الطليق ، وعاد المدح هجاء ، فقال فيه ^١ :

ولي جليسٌ قربه منّي بُعدُ الأمانى كذباً ^٢ عني
قد قدّيتُ من لحظه مقلّي وقَرَحْتُ من لفظه أذني
راهنني في السجن من قُرْبِهِ أشدُّ في السجن من السجنِ
لو أنَّ خلْقاً كانَ ضدّاً له زاد على يوسف في الحسنِ
إذا ارتمى فكري في وجهه سلّط لإبطيه على ذهني
كأنّما يجلسُ من ذا وذا بينَ كنيفين من النّتنِ

وقال يخاطب المنصور من السجن :

دعوتُ لما عيلَ صبري فهل يسمعُ دعوايَ المليكُ الحليمُ
مولايَ مولايَ ألا عطفةٌ تذهبُ عني بالعذابِ الأليمُ
إن كنتُ أضمرتُ الذي زخرقوا عني فدعني للتقديرِ الرحيمِ
فعنده نَزْاعَةٌ للشّوى وعنده الفردوسُ ذات النعيمِ

١٧٥ - وركب بعض أهل المريّة في وادي إشبيلية ، فمرّ على طاقة من طاقات شنتبوس ، وهو يُغني :

خلّين من وادٍ ومن قواربٍ ومن نزاها في شنتبوس
غرّس الحبّ الذي في داري أحب عندي من العروس ^٣

فأخرجت رأسها جارية وقالت له : من أي البلاد أنت يا من غنّى ؟ فقال :

١ اللخيرة : ٨٣ .

٢ اللخيرة : كلها .

٣ في ق باودوزي : الفردوس ؛ وهو خطأ ؛ والعروس من متزهات إشبيلية .

من المرية ، فقالت : وما أعجبك في بلدك حتى تفضّله على وادي إشبيلية ؟ وهو بوجه مالح وقتفاً أحرش ، وهذا من أحسن تعيب ، وذلك أنّها أتنه بالتقيض من إشبيلية ، فإن وجهها النهر العذب ، وقفها بجبال الرحمة أشجار التين والعنب ، لا تقع العين إلا على خضرة في أيام الفرج ، وأين إشبيلية من المرية ، وفي المرية يقول السميسر شاعرها :

بش دار المريّة اليومَ داراً ليس فيها لساكنٍ ما يُحبُّ
بلدُهُ لا تُمار إلا بريحٍ ربّما قد تهبُّ أو لا تهبُّ

يشير إلى أن مرآفها مجلوبة ، وأن الميرة تأتيها في البحر من بر العُدوة ، وفيها يقول أيضاً :

قالوا المريّة فيها نظافةٌ قلتُ : ليه
كأنّها طستُ تبر ويُبصقُ الدمُ فيه

١٧٦ - وحكى مؤرخ الأندلس أبو الحجاج البياسي ، أنّه دخل عليه في مجلس أنس شيخ ضخم الجثة مستثقل ، فقال البياسي :

استقني الكأس صاحيه ودع الشيخ ناحيه

فقال الكاتب أبو جعفر أحمد بن رضي :

إن تكن ساقياً له ليس ترويه ساقيه

١٧٧ - وحكى أن العالي إدريس الحمودي لما عاد إلى ملكه بمالقة وبخ قاضيها الفقيه أبا علي ابن حسّون ، وقال له : كيف بايعت عدوي من بعدي وصحبته ؟ فقال : وكيف تركت أنت ملكك لعدوك ؟ فقال : ضرورة القدرة حملتني على ذلك ، فقال : وأنا أيضاً حصلت في يد من لا يسعني إلا طاعته .

ومن نظم القاضي المذكور :

رفعت من دهري إلى جائر وبيتني العدل بأحكامي
أضحّت به أملاكه مثل أش كال خيال طوع أيام
هذا لما أبرم ذا ناقض كأنهم في حكم أحلام

١٧٨ - وكان الفقيه العالم أبو محمد عبد الله الوحيددي^١ قاضي مالقة جرى
- كما قال الحجاجي - في صباه طلق الجموح ولم يزل يعاقب بين غبوق
وصبوح ، إلى أن دعاه النذير ، فاهتدى منه بسراج منير ، وأحلت له تلك الرجعة ،
فيما شاء من الرفعة . وقال بعض معاصريه : كنت أماشيهِ زمن الشباب ، فكلما
مررنا على امرأة يدعو حسننها وشكلها إلى أن تحير الأبواب ، أمار إليها طرفه ،
ولم ينح عنها صرفه ، ثم سايرته بعد لما رجع عن ذلك واقتصر ، فرأيت يَغْضُ
البَصَر ، ويخلي الطريق معرضاً إلى ناحية ، متى زاحمت امرأة ولو حكّت
الشمس ضاحية ، فقلت له في ذلك ، فقال :

ذاك وقت قضيت فيه غرامي من شبابي في سرة الإظلام
ثم لما بدا الصبح لعيني من مشيبي ودعته بسلام^٢

ومن شعره في صباه :

لا ترتجوا رجعتي باللوم عن غرضي ولتركوني وصيدي فرصة الخلس
طلبتم رد قلبي عن صباه ومن يرد عنان الجامع الشرس
ولما أقصر باطله ، وعريت أفراس الصبا ورواحله ، قال^٣ :

١ ترجمة الوحيددي في المغرب ١ : ٤٣١ وبغية الملتمس (ص : ٣٢٦) والصلة : ٢٩٠ والمرقبة
العليا : ١٠٤ .
٢ م : بالسلام .
٣ البيتان في المغرب ١ : ٤٣١ .

ولما بدا شَيْبِي عطفْتُ على الهدى كما يهتدي حلف السُّرَى بنجومٍ
وفارقتُ أشياع الصبابة والطلا ومِلْتُ إلى أهْلِي عُلَاً وعلومٍ

١٧٩ - ولما تألَّبَ بنو حَسُون على القاضي الوحيددي المذكور صادر عنه
العالم الأصولي أبو عبد الله ابن الفخار ، وطلع في حقِّه إلى حضرة الإمامة مراکش ،
وقام في مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين ، وهو قد غصَّ بأربابه ، وقال : إنَّه
لمقام كريم ، نبدأ فيه بحمد الله على الدنُو منه ، ونصلي على خيرة أنبيائه محمد
الهادي إلى الصراط المستقيم ، وعلى آله وصحابه نجوم الليل البهيم ، أمّا بعد
فلنأنا نحمد الله الذي اصطفاك للمسلمين أميراً ، وجعلك للدين الحنيفي نصيراً
وظهيراً ، ونفزع إليك ممّا دَهَمنا في حِمَاك ، ونبثُ إليك ما لحقنا من الضيم
ونحن تحت ظلِّ علاك ، ويأبى الله أن يُدْهم من احتنى بأمر المسلمين ، ويصاب
بضم من ادَّرَعَ بحصنه الحصين ، شكوى قمت بها بين يديك في حقِّ أمرك الذي
عضده مؤيده ، لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنقده ، وإن قاضيك ابن الوحيددي
الذي قدمته في مالقة للأحكام ، ورضيت بعدله فيمن بها من الخاصة والعوام ،
لم يزل يدلُّ على حسن اختيارك بحسن سيرته ، ويرضى الله تعالى ويرضى الناس
بظاهره وسريته ، ما علمنا عليه من سوء ، ولا دَرَيْنَا له موقفَ خِزْيٍ ، ولم
يزل جارياً على ما يرضى الله تعالى ويرضيك ويرضينا إلى أن تعرضت بنو حَسُون
إلى الطعن في أحكامه ، والهد من أعلامه ، ولم يعلموا أن اهتضام المقدّم ، راجعٌ
على المقدّم ، بل جَمَحُوا في لجاجهم فعموا وصمّوا ، وفعلوا وأمضوا ما به همّوا .

وإلى السُّحْب يرفع الكف من قد جف عنه مسيل عين ونهر

فملاً سمعه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه .

ومن شعر ابن الفخار المذكور ، ويُعرف بابن نصف الربيض ، قوله :

أُستنكرُ شَيْبُ المَفاوِقِ في الصِّبَا وهل يُنكرُ النُّورَ المُفتَح في الغُصْنِ
أظُنُّ طِلابَ المَجدِ شَيْبَ مَفرِقِي وإن كنتُ في إحدى وعشرين من سني

وقوله :

أَقِلَّ عَتَابَكَ إِنَّ الْكَرِيمَ يُجَازِي عَلَى حُبِّهِ بِالْقِلَى
وَحَلَّ اجْتِنَابَكَ إِنَّ الزَّمَانَ يُمِرُّ بِتَكْدِيرِهِ مَا حَلَا
وَوَاصِلُ أَخْلَاكَ بِعَلَاتِهِ فَقَدْ يُلْبَسُ الثَّوبُ بَعْدَ الْبِلَى
وَقُلْ كَالَّذِي قَالَ شَاعِرٌ نَبِيلٌ وَحَقَّكَ أَنْ تَنْبَلَى
إِذَا مَا خَلِيلٌ أَسَا مَرَّةً وَقَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى مَجَلَا
ذَكَرْتُ الْمَقْدَمَ مِنْ فِعْلِهِ فَلَمْ يُفْسِدِ الْآخِرُ الْأَوَّلَا

١٨٠ - ولما وفد أبو الفضل ابن شرف من بَرْجَة في زي تظهر عليه
البدَاوة بالنسبة إلى أهل حضرة المملكة العظمى أنشده قصيدته الفائقة وهي ^١ :

مَطَّلَ اللَّيْلُ بِوَعْدِ الْفَلَقِ وَتَشَكَّى النِّجْمُ طَوْلَ الْأَرْقِ
ضَرَبَتْ رِيحُ الصَّبَا مَسَكَ الدَّجَى فَاسْتَفَادَ الرُّوضُ طِيبَ الْعَبَقِ
وَأَلَا حُ الْفَجْرُ خَدًّا خَجَلًا جَالٍ مِنْ رَشْحِ النَّدى فِي عَرَقِ
جَاوَزَ اللَّيْلَ إِلَى أَنْجُمِهِ فَتَسَاقَطْنَ سَقُوطَ الْوَرَقِ
وَاسْتَفَاضَ الصَّبْحُ فِيهِ فَيْضَةً أَيْقَنَ النِّجْمُ لَهَا بِالْغُرُقِ
فَانْجَلَى ذَاكَ السَّنَا عَنْ حَلَاكَ وَانْمَحَى ذَاكَ الدَّجَى عَنْ شَقَقِ
بِأَبِي بَعْدَ الْكَرَى طَيْفٌ سَرَى طَارِقًا عَنْ سَكْنٍ لَمْ يَطْرُقِ
زَارَنِي وَاللَّيْلُ نَاعٍ سَدَفَهُ وَهُوَ مَطْلُوبٌ بِبَاقِي الرَّمَقِ
وَدَمُوعُ الطَّلِّ تَمْرِيهَا الصَّبَا وَجَفُونَ الرُّوضِ غُرُقَى الْحَدَقِ
فَتَأَنَّى فِي إِزَارٍ ثَابِتٍ وَتَشَى فِي وَشَاحٍ قَلْبِقِ
وَتَجَلَّى وَجْهُهُ عَنْ شَعْرِهِ فَتَجَلَّى فَلَقٌ عَنْ غَسَقِ
نَهَبَ الصَّبْحُ دُجَى لَيْلَتِهِ فَحَبَا الْحَدَّ بِبَعْضِ الشَّفَقِ

١ انظرها في الدخيرة (٣ : ٢٧٧) وبعضها في المغرب ٢ : ٢٣٠ .

سلبت عيناهُ حَدَّيْ سيفه
وامتطى من طرفه ذا حَبَبٍ
أشْوَسَ الطرفِ علته نَحْوَهُ
لو تَمَطَّى بينَ أسرابِ المَها
حسرت دهمته عن غَرَّةٍ
لبستَ أعطافهُ ثوبَ الدجى
وانبرى تحسبه أجفَلَ عن
مدركاً بالمهلِ ما لا ينتهي
ذو رَضَى مستترٍ في غضبٍ
وعلى خَدَّ كعُضْبٍ أبيضٍ
كلما نصَّبها مستمعاً
حاذرتُ منه شَبَا خَطِيئَةٍ
كلما شامتُ عِذارِي خَدَّهُ
في ذَرَا ظمآن فيه هَيْفٌ
يتلقاني بكفٍّ مصقعٍ
إن يَدُرْ دورةَ طَرْفٍ يَلْتَمَحُ
عصفت رِيحٌ على أنبوهِ
كلما قَلَّبَهُ باعدَ عن
جمع السَّرْدُ قُوَى أزرارها
أوجبت في الحربِ من وَخْزِ القنا
كلما دارتُ بها أبصارها
زَلَّ عنه منْ مصقولِ القوى

وتحلَّى خَدَّهُ بالرونقِ
يلثمُ الغبراء إن لم يُعْنِقِ
يَتَهَادَى كالغزالِ الحَرِيقِ
نازعتَه في الحشا والعُنُقِ
كشفت ظلماؤها عن يَتَقِ
وتحلَّى خَدَّهُ باليقنقِ
لَسَعَةٍ أو جِنَّةٍ أو أولَى
لاحقاً بالرفقِ ما لم يلحقِ
ذو وقارٍ مُنْطَوٍ في خرقِ
أُذُنٌ مثلُ سنانٍ أزرقِ
بدت الشَّهْبُ إلى مسرقِ
لا يجيدُ الخطَّ ما لم يمشقِ
خفقتُ خفقتُ فؤادِ الفَرِيقِ
لم يدعه للقضيبِ المورقِ
يَقْتَتِي شَاوَ عِذارٍ مفلقِ
أو يَجُلُّ جَوْلَ لسانٍ ينطقِ
وجرت أكَعْبُهُ في زئبقِ
مَتَنٍ مَلَساءِ كمثلِ البرقِ
فتأخَذَنَ بعَهْدٍ مُوثِقِ
فتوارتُ حلقاً في حلقِ
صَوَّرَتُ منها مثالَ الخلقِ
يرتمي في مائها بالحرَقِ

١ دوزي : بكعب .

لو نضاً وهو عليه ثوبه^١ لتعري عن شواظٍ محرقٍ
أكهب^٢ من هبّوات أخضر^٣ من فيرند أحمر^٤ من علقٍ
وارتوت صفحاه^٥ حتى خيلته بجيا من^٦ لكفّيك سقي
يا بني متعن^٧ لقد ظلت^٨ بكم شجر^٩ لولاكم^{١٠} لم تورق
لو سقي حسان^{١١} إحسانكم^{١٢} ما بكى ندمانه^{١٣} في جلقٍ
أو دنا الطائي^{١٤} من حيكم^{١٥} ما حدا البرق^{١٦} لربع^{١٧} الأبرق
أبدعوا في الفضل حتى كلّفوا كاهل^{١٨} الأيام ما لم يطق

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه ، وحسده بعض من حضر ، وكان
من جملة من حسده ابن أخت غانم ، فقال له : من أيّ البوادي أنت ؟ قال : أنا من
الشرف في الدرجة العالية ، وإن كانت البادية عليّ بادية ، ولا أنكر حالي ، ولا
أعزف^{١٩} بخالي ، فمات ابن أخت غانم خجلاً ، وشمت به كل من حضر .
وابن شرف المذكور^{٢٠} هو الحكيم الفيلسوف أبو الفضل جعفر ابن أديب
إفريقية أبي عبد الله محمد بن شرف الجذامي ، ولد ببرجة ، وقيل : إنّه
دخل الأندلس مع أبيه وهو ابن سبع سنين ، ومن نظمه قوله :

رأى الحسن^{٢١} ما في خدّه من بدائع^{٢٢} فأعجبه^{٢٣} ما ضمّ منه^{٢٤} وحرّفا
وقال^{٢٥} لقد ألفت^{٢٦} فيه نوادرأ^{٢٧} فقلت^{٢٨} له لا بل غريباً مصنفأ^{٢٩}
وقوله :

قد وقف^{٣٠} الشكر بي لديكم فلست^{٣١} أقوى على الوفاده^{٣٢}
ونلت^{٣٣} أقصى المراد^{٣٤} منكم فصرت^{٣٥} أخشى من الزيادة^{٣٦}

١ ترجمة أبي الفضل ابن شرف في المغرب ٢ : ٢٣٠ والنخيرة (٣ : ٢٧٦) والقلاد : ٢٥٢
والصلة : ١٢٩ والمطرب : ٧١ وبغية المتلصص ص : ٢٣٩ .

وقوله :

إذا ما عدوك يوماً سما إلى رتبةٍ لم تُطِقْ نَقْضَها
فقبْلُ ولا تأنقنْ كَفَّهْ إذ أنتَ لم تستطع عَضَّها

وقوله ، وقد تقدم به على كل شاعر :

لم يبق للجورِ في أيامهم أثرٌ إلا الذي في عيونِ الغيدِ من حَوَرٍ
وأول هذه القصيدة قوله :

قامت تجرُّ ذبولِ العَصَبِ والحَبَرِ ضعيفةُ الحَصْرِ والميثاقِ والنظيرِ
وكان قد قَصَرَ أمداحه على المعتصم ، وكان يفد عليه في الأعياد وأوقات
الفرج والفتوحات ، فوفد عليه مرة يشكو عاملاً ناقشه في قرية يحترث فيها ،
وأنشده الرائية التي مرّ مطلعها إلى أن بلغ قوله :

لم يبق للجور . . . البيت

فقال له : كم في القرية التي تحترث فيها ؟ فقال : فيها نحو خمسين بيتاً ،
فقال له : أنا أسوّغك جميعها لهذا البيت الواحد ، ثم وقع له بها ، وعزل عنها
نظر كل والٍ .

وله ابنٌ فيلسوف شاعر مثله ، وهو أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المذکور ،
وهو القائل :

وكريمٍ أجارني من زمانٍ لم يكن من خطوبه لي بدٌ
منشدٍ كلما أقولُ تنامى ما لمن يبتغي المكارم حدٌ

١ ترجمته في المغرب ٢ : ٢٣٢ والمساك ١١ : ٢٣٨ .

١٨١ - وابن أخت غانم هو العالم اللغوي أبو عبد الله محمد بن ميمون ،
من أعيان مالقة ، متفنن في علوم شتى ، إلا أن الغالب عليه علم اللغة ، وكان
قد رحل من مالقة إلى المريّة ، فحلّ عند ملكها المعتصم بن صمادج بالمكانة
العلية ، وهو القائل في ابن شرف المذكور :

قُولُوا لِشَاعِرٍ بِرُجَّةٍ هَلْ جَاءَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ فَحَازَ طَبَعَ الْبَحْرِيِّ
وَافِي بِأَشْعَارٍ تَنْصَبِحُ بِكَفِّهِ وَتَقُولُ هَلْ أَعَزَّى لِمَنْ لَمْ يَشْعِرِ
يَا جَعْفَرًا رُدَّ الْقَرِيضُ لِأَهْلِهِ وَاتْرَكَ مَبَارَاةً لَتَلُكَ الْأَبْحَرِ
لَا تَزْعُمَنَّ مَا لَمْ تَكُنْ أَهْلًا لَهُ هَذَا الرُّضَابُ لَغَيْرِ فَيْكَ الْأَبْحَرِ

وذكره ابن اليّسع في معربه^٢ وقال : إنّه حدثه بداره في مالقة وهو ابن
مائة سنة ، وأخذ عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة ، وله تأليف منها « شرح
كتاب النبات » لأبي حنيفة الديّنوري ، في ستين مجلداً ، وغير ذلك .
وغانم خاله الذي يُعرف به هو الإمام العالم غانم المخزومي ، نُسب إليه
لشهرة ذكره ، وعلوّ قدره .

١٨٢ - ولما قرأ العالم الشهير أبو محمد ابن عبدون في أول شبابه على أبي
الوليد ابن ضابط النحوي المالقي جرى بين يديه ذكر الشعر ، وكان قد ضجر
منه ، فقال :

الشعرُ خُطَّةٌ خَسَفَ

فقال ابن عبدون معرّضاً به حين كان مُستجدياً بالنظم ، وكان إذ ذاك شيخاً :

لكلّ طالبٍ عُرِفَ

١ ترجمته في المغرب ١ : ٤٣٣ وبغية الوعاة : ١٠٦ وأبياته في المغرب ١ : ٤٣٣ .

٢ في الأصول ودوزي : مغربه .

للشيخ عَيْبَةُ عَيْبٍ وَلَقِي ظَرْفُ ظَرْفٍ

وابن ضابط هو القائل في المظفر بن الأفتس :

نظّمنا لك الشعر البديع لأننا علمنا بأنّ الشعر عندك ينفقُ
فإن كنت منّي بامتداح مظفراً فإنّي في قصدي إليك موفّق^١

١٨٣ — ودخل غانم المخزومي السابق ذكره ، وهو من رجال الذخيرة ،
على الملك ابن حبّوس صاحب غرناطة ، فوسّع له على ضيق كان في المجلس ،
فقال^٢ :

صبر فؤادك للمحبوب منزلة سمّ الخياط مجالاً للمحبين
ولا تسامح بغيضاً في معاشره فقلّما تسع الدنيا بغيضين
وهو القائل :

وقد كنت أغدو نحو قطرك فارحاً فيها أنا أغدو نحو قبرك ثاكلاً
وقد كنت في مدحيك سحباناً وائل فيها أنا من فرط التأسّف باقلاً
وله أيضاً :

الصبرُ أولى بوقار الفتي من ملك يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة كان على أيامه بالخيار

١٨٤ — وكتب أبو علي الحسن بن الغليظ إلى صاحبه أبي عبد الله ابن
السراج ، وقد قدم من سفر^٣ :

١ انظر التكملة : ٤٠٧ .

٢ مر البيتان ، انظر ص : ٢٦٥ وانظر بدائع البداهة ٢ : ١٢٣ .

٣ البيتان في المغرب ١ : ٤٣٦ .

يا من أقلبُ طرفي في محاسنه فلا أرى مثله في الناس إنسانا
لو كنت تعلم ما لقيت بعدك ما شربت كأساً ولا استحسنت ريحانا

فورد عليه من حينه وقال : أردت مجاوبتك ، فخفت أن أبطيء ، وصنعت
الجواب في الطريق :

يا من إذا ما سقتني الراح راحته أهدت إلي بها روحاً وريحانا
من لم يكن في صباح السبت يأخذها فليس عندي بحكم الظرف إنسانا
فكن على حسن هذا اليوم مصطبجاً مذكراً حسناً فيه وإحسانا
وفي البساتين إن ضاق المحل بنا متلوحة لا عدمتنا الدهر بستانا

١٨٥ - ووفد أبو علي الحسن بن كسرين^١ المالقي الشاعر المشهور على ملك
إشبيلية السيد أبي إسحاق إبراهيم ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد
المؤمن بن علي ، فأنشده قصيدة طار مطلعها في الأقطار ، كل مطار ، وهو :

قسماً بمحصٍ إنّه لعظيمُ فهي المقامُ وأنت إبراهيمُ

١٨٦ - ووصف الشاعر عطاء المالقي عادة جعلت على رأسها تاجاً فقال :

وذا تاج رصعوا دَوْرَه فزاد في لآلئها بالآل
كأنها شمسٌ وقد توجت بأنجم الجوزاء فوق الهلال
قد اشتكى الخللخال منها إلى سوارها فاشتبهها في المقال
وأجريا ذكر الوشاح الذي لما يزل من خصرها في مجال
فقال : لم أرض بما نلته وليتني مثلكما لا أزال
أغص بالخصر وأعيا به كقص ظمان بماء زلال
وإنما الدهر بغير الرضى يقضي فكل غير راض بمجال

١ في التحفة : ٩١ ابن كسرى ، وكذلك في التكملة : ٢٦٤ .

وهو القائل :

سَلْ بِحِمَامِنَا الَّذِي كَلَّ عَنْ شُكْرِهِ فَمَيَّ
كَمْ أَرَانِي بِقُرْبِهِ جَنَّةً فِي جَهَنَّمِ

١٨٧ - وكان يحضر حلقة الإمام السُّهَيْلِي وَضِيءُ الْوَجْهِ من تلامذته ،
فانقطع لعارض ، فخرج السُّهَيْلِي مَرَّاً فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جَرَتْ عَادَتُهُ بِالْمَشْيِ فِيهِ ،
فوجد قَنَاطَةَ تَصْلُحُ ، فَمَنَعَتْهُ مِنَ الْمُرُورِ ، فَرَجَعَ وَسَلَكَ طَرِيقاً آخَرَ ، فَمَرَّ عَلَى
دَارِ تَلْمِيزِهِ الْوَضِيءِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ مِمَّا زَحاً بِعُبُورِهِ عَلَى مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ :
نَعَمْ ، وَأَنْشَدَ ارْتِجَالاً :

جَعَلْتُ طَرِيقِي عَلَى بَابِهِ وَمَا لِي عَلَى بَابِهِ مِنْ طَرِيقٍ
وعاديتُ من أَجَلِهِ جِيرَتِي وَأَخِيْتُ من لَمْ يَكُنْ لِي صَدِيقٍ
فإن كَانَ قَتْلِي حَلَالاً لَكُمْ فَسِيرُوا بِرُوحِي سِيراً رَفِيقٍ

وأبو القاسم السُّهَيْلِي مشهور ، عَرَّفَ بِهِ ابْنُ خُلِّكَانٍ وَغَيْرُهُ ، وَيَكْنَى
أَيْضاً بِأَبِي زَيْدٍ ، وَهُوَ صَاحِبُ كِتَابِ «الرُّوضِ الْأَنْثَى» وَغَيْرِهِ .
واجتاز على سهيل وقد خربه العدو لما أغار عليه وقتلوا أهله وأقاربه ، وكان
غائباً عنهم ، فاستأجر من أركبه دابة ، وأتى به إليه ، فوقف بإزائه ، وأنشد^١ :

يا دار أين البيض والآرامُ أم أين جيرانُ عليَّ كرامُ
رأب المحبِّ من المنازلِ أنه حيّاً فلم يَرْجِعْ إليه سلامُ
لما أجابني الصَّدَى عنهم ولمْ يُلجِ المسامعَ للحبيبِ كلامُ
طارحت ورُقَّ حمامها مترنماً بمقالِ صبِّ والدموعِ سِجَامُ
« يا دارُ ما فعلتِ بكِ الأيامُ ضامتكِ والأيامُ ليس تضامُ »

١ الأبيات في المغرب ١ : ٣٧٠ .

وجرى بين السهيلي والرصافي الشاعر المشهور ما اقتضى قول الرصافي :

عفا الله عني فلأتني امرؤٌ أتيتُ السلامة من بابيها
على أنَّ عندي لمن هاجني كنائنَ غصَّتْ بنشأها
ولو كنتُ أرمي بها مسلماً لكان السهيليُّ أولى بها

وتوفي السهيلي بمراكش سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وزرت قبره بها مراراً سنة عشر وألف ، وسكن رحمه الله تعالى لإشبيلية مدةً ، ولازم القاضي أبا بكر ابن العربي وابن الطراوة ، وعنه أخذ لسان العرب ، وكان ضريراً .

ومن شعره أيضاً لما قال : « كيف أمسيت » موضع « كيف أصبحت » :

لئن قلتُ صباحاً كيف أمسيتَ مخطئاً فما أنا في ذاك الخطأ بمَلومٍ
طلعتُ وأفقي مُظلمٌ لفراقكم فخلتُك بدرأ والمساء هُمومي

١٨٨ - وحكي أن الوزير الكاتب أبا الفضل ابن حسداي الإسلامي السرقسطي ، وهو من رجال الذخيرة ، عشق جارية ذهبت بلُبه ، وغلبت على قلبه ، فعجن بها جُنونه ، وخلع عليها دينه ، وعلم بذلك صاحبه فزفها إليه ، وجعل زمامها في يديه ، فتجافى عن موضعه من وصلها أنفة من أن يظن الناس أن إسلامه كان من أجلها ، فحسن ذكره ، وخفي على كثير من الناس أمره ، ومن شعره قوله ^١ :

وأطربنا غيمٌ يمازج شمسَهُ فَيُسْتَرُ طوراً بالسحاب ويُكْشَفُ
ترى قُرْحاً في الجو يفتحُ قوسَهُ مكباً على قطنٍ من الثلج يندفُ

وكان في مجلس المقتدر بن هودٍ ينظر في مجلد ، فدخل الوزير الكاتب أبو

١ البيتان في الذخيرة (٣ : ١٦٤) .

الفضل ابن الدباغ وأراد أن يندّر به ، فقال له ، وكان ذلك بعد إسلامه : يا أبا الفضل ، ما الذي تنظر فيه من الكتب ، لعلّهُ التوراة ؟ فقال : نعم ، وتجليدها من جلدٍ دَبَّغَهُ مَنْ تعلم ، فمات خجلاً ، وضحك المقتدر .

١٨٩ — وأراد الشاعر أبو الربيع سليمان السرقسطي حضور نديم له ، فكتب إليه :

بالراح والريحان والياسمين وبكرة الندمان قبل الأذن
وبهجة الروض بأندائه مُقلداً منه بعقد ثمين
ألا أجيب سبّاقاً نِدائي إلى الـ كأسٍ تبدّت لذة الشارين
هامت بها الأعين من قبل أن يتخبّرّها الذوق بحقّ اليقين
لاحتْ لدينا شققاً مُعلناً فكنّ لها بالله صُبْحاً ميين

١٩٠ — وكتب علي بن خير التُّطيلي^١ إلى ابن عبد الصمد السرقسطي يستدعيه إلى مجلس أنس : أنا — أطال الله تعالى بقاء الكاتب سراج العلم وشهاب الفهم — في مجلس قد عبّقتْ تفاحه ، وضحكت راحه^٢ ، وخفقت حولنا للطرب ألوية ، وسالت بيننا للهو أودية ، وحضرتنا مُقلّة تسأل منك إنسانها^٣ ، وصحيفة فكّن^٤ عنوائها ، فإن رأيت أن تجعل إلينا القصد ، لنحصل بك في جنة الخُلند ، صفّكت نفوساً أصداها بُعدك ، وأبرزت شمساً أَدجها فقدك .

١ هذا النص في الذخيرة (٣ : ٢٥٦) وقد صدره ابن بسام بقوله « وأخبرت أن بعض أدباء الثغر استدعى هذا الشيخ (يعني أبا عبد الصمد) وكان في عصر أبي حفص ابن برد الأصغر ، فهو غير أبي بحر ابن عبد الصمد) لمجلس أنس بهذا النثر : أنا أطال الله بقاء الكاتب . . . إلخ .

٢ الذخيرة : وصفت أقداحه .

٣ الذخيرة : فنحن لنأيك عنا مقلّة تسأل إنسانها .

٤ الذخيرة : نشر .

٥ الذخيرة : وأزت سرجاً ؛ وهو أجود .

فأجابه أبو^١ عبد الصمد : فضضتُ — أيّها الكاتب العليم ، والمصنّف الحبر الصميم — طابعَ كتابك ، فمنحني منه جوهر متّخب ، لا يشوبه مَخْشَلَب ، هو السحر إلّا أنّه حلال ، دلّ على ود حنيت ضلوعك عليه ، ووثنق عهد انتدب كريم سجيّتك إليه ، فسألت فالتق الحُب ، وعامر القلب بالحُب ، أن يصون لي حظي منك . ويدّرأ لي النوائب عنك ، ولم يمنعني أن أصرف وجه الإجابة إلى مرغوبك ، وأمتطي جواد الانحدار إلى محبوبك ، إلّا عارضُ ألمٍ ألمّ بي فقيّد بقيده نشاطي ، ورَوّى براحته بساطي ، وتركني أتملّمل على فراشي كالسليم ، وأستمطر الإصباح من الليل البهيم ، وأنا منتظر لإدباره .

١٩١ — ومن لطف أهل الأندلس ورقة طباعهم ما حكاه أبو عمرو ابن سالم المالقي قال : كنت جالساً بمنزلي بمالقة ، فهاجت نفسي أن أخرج إلى الجبّانة ، وكان يوماً شديداً الحر ، فراودتها على القعود ، فلم تمكّني من القعود ، فمشيت حتّى انتهيت إلى مسجد يُعرف برابطة الغبار ، وعنده الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن علي المالقي ، فقال لي : إنّي كنت أدعو الله تعالى أن يأتيني بك ، وقد فعل . فالحمد لله ، فأخبرته بما كان مني ، ثمّ جلست عنده ، فقال : أنشدني ، فأنشدته لبعض الأندلسيين :

غَصَبُوا الصَّبَاحَ فَقَسَمُوهُ خُلُوداً واستوعبوا قُضْبَ الأَرَاكِ قُلُوداً
ورأوا حصي الياقوت دون نهورهم فتقلّدوا شُهْبَ النجومِ عقوداً
لم يكفهمُ حَدُّ الأَسِنَّةِ والطُّيِّ حتّى استعاروا أعيناً وخُلُوداً

فصاح الشيخ ، وأغمي عليه ، وتصبّب عرقاً ، ثمّ أفاق بعد ساعة ، وقال : يا بني اعذرني فشيئان يقهراني ، ولا أملك نفسي عندهما : النظر إلى الوجه الحسن ، وسماع الشعر المطبوع ، انتهى . وستأتي هذه الأبيات في هذا الباب

.....

١ في الأصول : ابن .

بأتم من هذا وعلى كل حال فهي لأهل الأندلس ، لا لابن دريد كما ذكره بعضهم ، وسيأتي تسمية صاحبها الأندلسي ، كما في كتاب « المغرب » لابن سعيد العنسي المشهور ، رحمه الله تعالى .

١٩٢ — وقال بعض الأدباء ليحيى الجزار ، وهو يبيع لحم ضأن^١ :

لحمُ إناثِ الكباشِ مهزولُ

فقال يحيى :

يقولُ للمشتري مَهْ زُولُوا

١٩٣ — وقال التطيلي الأعمى في وصف أسد رخام يرمي بالماء على بحيرة^٢ :

أسدٌ وَلَوْ أَنِّي أَنَا قَشُهُ الْحَسَابِ لَقُلْتُ صَخْرَهُ
وَكَأَنَّهُ أَسَدُ السَّمَاءِ يَمُجُّ مِنْ فِيهِ الْمَجْرَةُ

١٩٤ — وحضر جماعة من أعيان الأدباء مثل الأبيض وابن بقي وغيرهما من الوشاحين ، وانفقوا على أن يصنع كل واحد منهم مَوْشَحَةً ، فلما أنشد الأعمى مَوْشَحَتَهُ التي مطلعها^٣ :

ضاحك عَن جِمانٍ سافر عَن بدرٍ
ضاق عنه الزمانُ وحواه صدرِي

خَرَّقَ كُلُّ مِنْهُمْ مَوْشَحَتَهُ .

١٩٥ — وتحاكت امرأة إلى القاضي أبي محمد عبد الله اللازدي الأصبحي ،

١ انظر زاد المسافر : ٩٨ .

٢ ديوان التطيلي : ٢٤٩ .

٣ أزهار الرياض ٢ : ٢٠٨ .

وكانت ذات جمال ونادرة ، فحكم لزوجها عليها ، فقالت له : من يُضيع قلبه كل طرف فاطر جدير أن يحكم بهذا ، تشير إلى قوله :

أين قلبي ؟ أضاعه كل طرف فاطر يُضرع الحليم لديه
كلما ازداد ضعفه ازداد فتكاً أي صبر تُرى يكون عليه ؟

١٩٦ — وحضر أبو إسحاق ابن خفاجة مجلساً بمُرسية مع أبي محمد جعفر ابن عتق الفضة الفقيه السامي ، وتذاكرا ، فاستطال ابن عتق الفضة ، ولعب بأطراف الكلام ، ولم يكن ابن خفاجة يعرفه ، فقال له : يا هذا لم تترك لأحد حظاً في هذا المجلس ، فليت شعري من تكون ؟ فقال : أنا القائل :

الهوى علّمني سَهْدَ الليالِ ونظامُ الشعر في هذي اللالِ
كلما هبّت شمالٌ منهمُ لعبتُ بي عن يمينٍ وشمالِ
وأرقتُ فكرتي أرواحها فأنت منهمنّ بالسحر الحلالِ
كان كالمُلاح أجاجاً خاطيري وسحابُ الحبّ أبدته زلالِ

فاهتز ابنُ خفاجة ، وقال : من يكون هذا قوله لا ينبغي أن يُجهل ، ولك العذرة في جهلك ، فإنّك لم تُعرّفنا بنفسك ، فبالله من تكون ؟ فقال : أنا فلان ، فعرفه وقضى حقه .

١٩٧ — وحكى ابن غالب في « فرحة الأنفس » أن الوزير أبا عثمان ابن شتير^١ وأبا عامر ابن غندشلب وفدّا رسولين على المعتمد بن عباد ، عن إقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم بن صمادح والمقتدر بن هود ، لإصلاح ما كان بين المعتمد وبين ابن ذي النون ، فسّر المعتمد بهم وأكرمهم ، ودعاهم إلى طعام صنعته لهم ، وكان لا يُظهر شرب الراح منذ ولي الملك ، فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب ، فلما أمر بكتب أجوبتهم كتب إليه أبو عامر :

١ لعله : ابن بشتير كما ورد من قبل ص : ٢٥٩ .

بقيت حاجة لـعبدٍ رَغِيبٍ^١ لم يدع غيرها له من نصيبٍ
 أنا خيرية المساء حديثاً وأنا في الصباح أنحس رقيبٍ
 فلماذا أمسٍ كان عندي نهراً لم تخفني عليه بعد الغروب
 وإذا الليلُ جَنَّ حَدَثْتُ جُلّاً سبي بما كان من حديثٍ عجيبٍ
 قيلَ إنَّ الدُّجىَ لديك نهراً وكذلك الدُّجىَ نهراً الأريبِ
 فتمنيتُ لَيْلَةً ليسَ فيها لذلكَ السَّنا مِن مَغِيبِ
 حيثُ أعطيكَ في الخلاءِ وتعطي في مُداماً كمثل ريقِ الحبيبِ
 ثم أغلـو كَأَنِّي كنتُ في النـو مِ وأخفي المنامَ خوفَ هزيبِ

والمزيب : الرقيب العتيد في كلام أهل الأندلس ، فسُرَّ المعتمد وانبسط
 بانبساطه ، وضحك من مجونه ، وكتب إليه :

يا مجاباً دعا إلى مستجيبٍ فسمعنا دعاءهُ من قُريبِ
 إن فعلتَ الذي دعوتَ إليه كنتَ فيما رغبتَ عينَ رَغِيبِ

واستحضره فناده خالياً ، وكساه ووصله ، وانقلب مسروراً ، وظن
 المعتمد أن ذلك يخفى من فعله عن ابن شنتير ، فأعلم بالأمر القائد ابن مرتين ،
 فكاد يتفطر حسداً وكتب إلى المعتمد :

أنا عبدٌ أوليته كلَّ برٍّ لم تدع^٢ من فنون برِّك فناً
 غير رفع الحجابِ في شربك الرا حَ فماذا جناه أن يتجنّى
 وتمنّى شرابَ سؤركَ في الكأ سِ فبالله أعطِهِ ما تمنّى

فسرته أبياته ، وأجابه :

١ م : غريب .
 ٢ في الأصول : لم يدع .

يا كريمَ المحلِّ في كلِّ معْتَى والكريمُ المحلِّ ليس يُعَنَّى
هذه الحمرُ تبتغيك فخذها أو فدَعَهَا أو كيفما شئت كنتا

١٩٨ — وكان يقرأ في مجلس ملك السهلة أبي مروان ابن رزيق ذي الرياستين
ديوان شعر محمد بن هانيء ، وكان القاريء فيه بَلَّه ، فلمّا وصل إلى قوله :

حرام حرام زمان الفقير

اتفق أن عَرَضَ للملك ما اشتغل به ، فقال للقاريء : أين وقفت ؟ فقال :
في حرِّ أمّ ، فقام الملك ، وقال : هذا موضع لا أقف معك فيه ، ادخل أنت
وحدك ، ثم دخل إلى قصره ، وانقلب المجلس ضحكاً .

١٩٩ — وكان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر ، وهو الكاتب أبو
بكر ابن سدراي^١ ، وذكره الحجاري في « المسهب » وقال : إن له شعراً أرق
من نسيم السَّحَر ، وأندى من الطَّل على الزهر ، ومنه قوله :

ما ضرّكم لو بعثتم ولو بأدنى تحية
تهزّتي من شداها إليكم الأريجية
خذوا سلامي إليكم منّ الرياح النديّة
في كلِّ سحرة^٢ يوم تشترى وكلّ عشيّة
يا ربّ طال اصطباري ما الوجد إلا بليّة
غيلان بالشرق أضحي وحلّت الغرب ميّة

وقوله :

سأبني المجدّة في شرقٍ وغربٍ فما ساد الفتى دون اغترابٍ

١ انظر المغرب ٢ : ٤٢٠ وبعض أبياته هناك .

٢ المغرب : غرة .

فإن بُلِّغْتُ مأمولاً فلأني جَهِدْتُ ولم أَقْصُرْ في الطلابِ
وإن أنا لم أَفْزَ بِمِرَادِ سَعِيي فكم من حَسْرَةٍ تَحْتَ التُّرابِ

٢٠٠ — وقال ملك بلنسية مَرْوَان بن عبد العزيز لما ولي مكانه من لا يساويه :

ولا غَرَوَ بعدي أن يُسَوِّدَ معشرٌ فيضحي لهم يومٌ وليس لهم أَمْسٌ
كذلك نجوم الجوّ تبدو زواهرأ إذا ما توارَتْ في مغاربها الشمسُ

وقال ابن دحية : دخلت عليه وهو يتوضأ ، فنظر إلى لحيته وقد اشتعلت
بالشيب اشتعالاً ، فأشْدني لنفسه ارجحاً^١ :

ولما رأيتُ الشيب أبْقَنْتُ أَنَّهُ نَذِيرٌ لجسمي بأهدامِ بَنَائِهِ
إذا ابيضَّ مخضِرُّ النبات فلأنَّه دليلٌ على استحْصَادِهِ وفَنَائِهِ

٢٠١ — واعتل ابن ذي الوزارتين أبي عامر ابن الفرج^٢ وزير المأمون بن
ذي النون ، وهو من رجال الذخيرة والقلائد^٣ ، فوصف له أن يتداوى بالخمير
العتيق ، وبلغه أن عند بعض الغلمان منها شيئاً ، فكتب إليه يستهديه^٤ :

ابعثْ بها مثلَ وَدَّكَ أرقَّ مِن ماء خدِّكَ
شقيقة النفسِ ، فانضح بها جَوَى ابني وَعَبْدِكَ

وهو القائل معتذراً عن تخلفه عمَّن جاءه مندرأ^٥ :

١ المطرب : ٨٠ .

٢ ترجم له صاحب المطمح : ١٥ وانظر الذخيرة (القسم الثالث) والمغرب ٢ : ٣٠٣ والحلة

٢ : ١٧١ .

٣ كذا قال ابن سيد أيضاً ولكن ليست لابن الفرج ترجمة في القلائد المطبوع ، وإنما ترجمته في المطمح .

٤ البيتان في المطمح والحلة .

٥ انظر المصدرين السابقين .

ما تَخَلَّفْتُ عَنْكَ إِلَّا لَعْدٍ ودليلي في ذاك خوفي عليك
هَبْكَ أَنْ الْفَرَارَ مِنْ غَيْرِ عَدٍ أترأه 'يكون' إِلَّا إِيكَ ؟
وله من رسالة هُتَاء :

أَهْنِءْ بِالْعِيدِ مَنْ وَجْهَهُ هو العيدُ لو لاح لي طالعا
وأدعو إلى الله سبحانه بشملٍ يكونُ لنا جامعا

وكتب إلى الوزير المصري^١ يستدعيه أن يكون من ندمائه ، فكتب إليه الوزيرُ
المصري يستعلمه اليوم ، فلما أرادَه كتب إليه^٢ :

ها قد أَهَبْتُ بِكُمْ وَكُلُّكُمْ هَوَى . وأحَقُّكُمْ بالشكرِ مِنِّي السابقُ
كالشمسِ أَنْتَ وَقَدْ أَظْلَّ طُلُوعُهَا فَاطْلَعْ وَبَيْنَ يَدَيْكَ فَجْرٌ صَادِقُ

وله في رئيسِ مُرْسِيَّةِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ طَاهِرٍ ، وكان ممتعَ المجالسة كثير
النادرة :

قد رأينا منك الذي قد سمعنا فغدا الخُبْرُ عاضدَ الأخبارِ
قد وردنا لديك ببحراً نيراً وارْتَقِينَا حَيْثُ النُجُومُ الدَّرَارِي
وَلَكُمْ مَجْلِسٌ لَدَيْكَ انْصَرَفْنَا عَنْهُ مِثْلَ الصَّبَا عَنْ الْأَزْهَارِ

٢٠٢ - وشرب الأديب الفاضل أبو الحسن علي بن حريق^٣ عشيّةً مع
من يَهْوَاهُ ، ورام الانفصال عنه لداره ، فمنعه سَيْلٌ^٤ حال بينه وبين داره ،
فبات عنده على غير اختياره ، فقال ابن حريق^٤ :

١ هو أبو محمد المصري : (أبو محمد عبد الله بن خليفة القرطبي) .

٢ الشعر في الحلة والمطمح .

٣ ترجمته في المغرب ٢ : ٣١٨ وزاد المسافر : ٢٣ والتكملة : ٦٢٩ والفوات ٢ : ٧٠ .

٤ هذه القطعة والثان تليانها في المغرب : ٣١٩ ، ٣١٨ .

يا ليلةٌ جادت الليالي بها على رغم أنف دهمري
للسيل فيها عليّ نُعمى يقصرُ عنها لسان شكري
أباتَ في منزلي حبيبي وقام في أهله بعذر
فبتُ لا حالةٌ كحالي ضَجِيعٌ بدرٍ صريعٍ سكر
يا ليلةُ القدر في الليالي لأنتِ خيرٌ مِن ألف شهر

ومن حسنات ابن حريق المذكور قوله :

يا ويحَ من بالمغربِ الأقصى ثوى حِلَفَ النوى وحبيبهُ بالشرقِ
لولا الحذارُ على الورى للأتُ ما بيني وبينك من زفيرٍ محرقِ
وسكبتُ دمعي ثمَّ قلت لسكبه من لم يذبُ من زفرةٍ فليغرقِ
لكن خَشِيتُ عقابَ ربي إن أنا أحرقتُ أو أغرقتُ من لم أخلقِ
وله :

لم يبق عندي للصِّبا لذةٌ إلاّ الأحاديث على الخمرِ

وله :

فَقَبَلْتُ إِيْرَكَ فوقَ الثرى وعانقتُ ذَكَرَكَ في مضجعي

وله ١ :

إنَّ ماءَ كانه في وَجَنَتِها وردته السنُّ حتى نشفا
وذوى العُتابُ من أنملها فأعادته الليالي حَشَفَا

وأورد له أبو بحر في « زاد المسافر » قوله :

١ زاد المسافر ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ (ثلاث قطع) .

كَلَمْتُهُ فَاحْمَرَّ مِنْ خَجَلٍ حَتَّى اكْتَسَى بِالْعَسْجَدِ الْوَرَقُ
وَسَأَلْتُهُ تَقْيِيلَ رَاحَتِهِ فَأَبَى وَقَالَ أَخَافُ أَحْتَرِقُ
حَتَّى زَفِيرِي عَاقَ عَنْ أَمَلِي إِنَّ الشَّقِيَّ بِرِيقِهِ شَرِيقُ

وقوله في السواقي :

وَكأَنَّمَا سَكَنَ الْأَرَاقِمُ جَوْفَهَا مِنْ عَهْدِ نُوحٍ مَدَّةَ الطُوفَانِ
فَإِذَا رَأَيْنَا الْمَاءَ يَطْفَحُ نَضْنَضَتْ مِنْ كُلِّ خَرَقٍ حَيَّةٌ بِلِسَانِ

٢٠٣ - وقال الفيلسوف أبو جعفر ابن الذهبي فيمن جمع بينه وبين أحد الفضلاء^١ :

أَيُّهَا الْفَاضِلُ الَّذِي قَدْ هَدَانِي نَحْوَ مَنْ قَدْ حَمَدْتُهُ بِاخْتِبَارِ
شَكَرَ اللَّهُ مَا أَتَيْتَ وَجَازَا لَكَ وَلَا زِلْتَ نَجْمَ هَدْيِي لِسَارِي
أَيُّ بَرْقٍ أَفَادَ أَيَّ غَمَامٍ وَصَبَاحٍ أَدَّى لَضُوءَ نَهَارِ
وَإِذَا مَا النَّسِيمُ كَانَ دَلِيلِي لَمْ يُحِلِّتْنِي إِلَّا عَلَى الْأَزْهَارِ

٢٠٤ - وأنشد أبو عبد الله محمد بن عبادة الوشاح المعتصم بن صمادح شعراً يقول فيه :

وَلَوْ لَمْ أَكُنْ عَبْدًا لَأَلَّ صِمَادِحُ وَفِي أَرْضِهِمْ أَصْلِي وَعَيْشِي وَمَوَلَدِي
لَا كَانَ لِي إِلَّا إِلَيْهِمْ تَرْحُلٌ وَفِي ظِلِّهِمْ أَمْسِي وَأُضْحِي وَأَغْتَدِي

فارتاح ، وقال : يا ابن عبادة ، ما أنصفناك بل أنت الحر لا العبد ، فاشرح لنا في أملك ، فقال : أنا عبدكم كما قال ابن نباتة :

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَوْمَلَهُ تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

١ مرت الأبيات ص : ٢٠٧ .

فالتفت إلى ابنه الواصل يحیی وليّ عهده وقال : إذا اصطنعت الرجال فمثل
هذا فاصطنع ، ضمه إليك وافعل معه ما تقتضيه وصيتي به ، ونبهني إليه كل
وقت ، فأقام نديماً لوليّ العهد المذكور .

وله فيهما الموشحات المشهورة ، كقوله^١ :

كم في قدود البان تحت اللمم من أقمير عواطي
بأنمل وبنان مثل العنم لم تنبري للعاطي

٢٠٥ - ولما بلغ المعتصم أن خلف بن فرج السميسر هجاه احتال في طلبه
حتى حصل في قبضته ، ثم قال له : أنشدني ما قلت فيّ ، فقال له : وحقّ
من حصّلتني في يدك ما قلت شرّاً فيك ، وإنما قلت :

رأيت آدم في نومي فقلت له : أبا البرية إن الناس قد حكموا
أن البرابر نسل منك ، قال : إذن حواء طالقة إن كان ما زعموا

فنذر ابن بلقين صاحب غرناطة دمي ، فخرجت هارباً إلى بلادك فوضع
عليّ من أشاع ما بلغك عني لتقتلني أنت فيدرك ثأره بك ، ويكون الإثم عليك ،
فقال : وما قلت فيه خاصّة مضافاً إلى ما قلته في عامة قومه ؟ فقال : لما رأيته
مشغولاً بتشديد قلعه التي يتحصن فيها بغرناطة قلت :

يبنى على نفسه سقاها كأنه دودة الحرير

فقال له المعتصم : لقد أحسنت في الإساءة إليه ، فاختر : هل أحسن إليك
وأخلي سبيلك أم أجيرك منه ؟ فارتجل :

خيّرني المعتصم وهو بقصدي أعلم

١ انظر هذه الموشحة في دار الطراز : ٦٠ .

وَهُوَ إِذَا يَجْمَعُ لِي أَمْنًا وَمَتًّا أَكْرَمُ

فقال : خاطرك خاطر شيطان ، ولك المتن والأمان ، فأقام في إحسانه بأوطانه ، حتى خلع عن ملكه وسلطانه .

٢٠٦ — ولما أنشده عمر بن الشهيد قصيدته التي يقول فيها ^١ :

سَبَطُ الْبَنَانِ كَانَ كُلَّ غَمَامَةٍ قَدْ رُكِبَتْ فِي رَاحَتِهِ أُنَامِلًا
لَا عَيْشَ إِلَّا حَيْثُ كُنْتُ، وَإِنَّمَا تَمْضِي لِيَالِي الْعَمْرِ بَعْدَكَ بَاطِلًا

التفت إلى من حضر من الشعراء وقال : هل فيكم من يحسن أن يجلب القلوب بمثل هذا ؟ فقال أبو جعفر ابن ^٢ الخراز البطرني ^٣ : نعم ، ولكن للسعادة هبات ، وقد أنشدت مولانا قبل هذا أبياتاً أقول فيها ^٤ :

وَمَا زِلْتُ أَجْنِي مِنْكَ وَالْدَهْرُ مُمَحَلٌّ وَلَا ثَمَرٌ يُجْنَى وَلَا الزَّرْعُ يُحْصَدُ
ثَمَارَ أَيَادٍ دَانِيَاتٍ قُطُوفُهَا لِأَغْصَانِهَا ظِلٌّ عَلَيَّ مُمَدَّدُ
يُرَى جَارِيًا مَاءَ الْمَكَارِمِ تَحْتَهَا وَأَطْيَارُ شُكْرِي فَوْقَهَا تَغْرُدُ

فارتاح المعتصم ، وقال : أأنت أنشدتني هذا ؟ قال : نعم ، قال : والله كأنها ما مرّت بسمعي إلى الآن ، صدقت ، للسعد هبات ، ونحن نجيزك عليها بجائزتين : الأولى لها والثانية لمطل راجيها وغمط إحسانها ، انتهى .

١ النخيرة ٢/١ : ١٩٥ .

٢ ابن : سقطت من م ب .

٣ هو أبو جعفر أحمد بن الخراز (الجزائر في المغرب) البطرني (نسبة إلى بطرقة من قرى بلنسية) وهو الذي أثار ابن غرسية إلى كتابة رسالته في الشموعية وعارضه أبو جعفر برسالة تناظرها (المغرب

٢ : ٣٥٥ والهاشية) .

٤ الأبيات في المغرب ٢ : ٣٥٦ .

٢٠٧ — وقال بعض ذرية^١ ملوك إشبيلية :

نُشِرَ الوردُ بالخليج وقد درّ جَهْ بالهبوب مرّ الرياح
مثل درع الكميّ مزقها الطع نُ فسالت بها دماء الجراح

٢٠٨ — وقال ابن صارة في النارج^٢ :

كُثِرَتُ عقيق في غصون زبرجد بكفّ نسيم الريح منها صوالجُ
نقبَلها طوراً وطوراً نشمها فهنّ خلدودُ بيننا ونوافجُ

[أشعار لابن الزقاق]

٢٠٩ — وقال أبو الحسن ابن الزقاق ابن أخت ابن خفاجة^٣ :

وما شقّ وجنته عابثاً ولكنّها آيةٌ للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى بها كيف كان انشقاق القمر

وقال :

ضربوا ببطن الوادين قبايهم بين الصوارم والقنا المياد
والورق تهتف حولهم طرباً بهم فبكلّ محنية ترنم شادي
يا بانة الوادي كفى حزناً بنا أن لا نظارح غير بانة وادي

وقال :

نحن في مجلسٍ به كمل الآن سنُ ولو زُرُتنا لزاد كمالا

١ ذرية : سقطت من م . والبيتان لابن الزقاق (ديوانه : ١٣١) .

٢ من أبيات في الذخيرة (٢ : ٣٢٥) .

٣ انظر هذه القطع في ديوان ابن الزقاق : ١٧٩ ، ١٤٤ والقطع الثلاث الأخيرة لم ترد في ديوانه ؛ والقطعة الأولى مرت في النسخ ص : ٢٩٠ .

طلعت فيه من كؤوس الحميا ومن الزهر أنجم^١ تتللا
غير أن النجوم ذون هلال^٢ فلتكن منعا^٣ لن^٤ الهللا
وقال :

وهويتها سمراء غنت^٥ وانثنت^٦ فنظرت^٧ من ورقاء في أملودها
تشدو ووسواس^٨ الحلي^٩ يجيها^{١٠} مهما انثنت^{١١} في وشيها وعقودها
أوليس من يدع^{١٢} الزمان حمامة^{١٣} غنت^{١٤} فغنى طوقها^{١٥} في جيدها
وقال :

لئن بكيت^{١٦} دما^{١٧} والعزم من شيمي^{١٨} على الخليط فقد يبكي^{١٩} الحسام دما

[أشعار للحجّام]

٢١٠ - وقال أبو تمام غالب بن رباح الحجّام^١ في دولاب طار منه لوح
فوقف^٢ :

وذا^٣ت شدو^٤ وما لها حلّم^٥ كل^٦ فتى^٧ بالضمير حيّاها
وطار^٨ لوح^٩ بها فأوقفها^{١٠} كلمحة^{١١} العين^{١٢} ثم^{١٣} أجراها^{١٤}

وكان المذكور ربّي^{١٥} في قلعة رباح غربي طليطلة^{١٦} ، ولا يعلم له أب ،
وتعلم الحجامة فأتقنها^{١٧} ، ثم تعلق بالأدب حتى صار آية^{١٨} ، وهو القائل في ثريّا^{١٩}
الجامع^{٢٠} :

تحكي^{٢١} الثريّا الثريّا في تألقها^{٢٢} وقد عراها^{٢٣} نسيم^{٢٤} فهي تتقد^{٢٥}

١ ترجمة أبي تمام غالب الحجّام في الذخيرة (٣ : ٢٥٦) والمغرب ٢ : ٤٠ والمسالك ١١ : ٤٥١ .
٢ الذخيرة : ٢٦١ .
٣ المصدر نفسه : ٢٦٠ .

كأنّھا لذوي الإيمانِ أفئدةٌ من التخشعِ جوفَ الليلِ ترتعدُ

وقال :

زرتُ الحبيبَ ولا شيءٌ أحاذره
في ليلةٍ خِلْتُ من حُسْنِ كواكبِها
دراهماً وحسبتُ البدرَ ديناراً
وقال في الثريا أيضاً :

انظر إلى سُرجٍ في الليلِ مشرقةٍ
كأنّھا ألسُنُ الحياتِ قد برزت
من الزجاجِ تراها وهي تلتهبُ
عند الهجيرِ فما تنفكُ تضطربُ
وقال ١ :

ترى السرَّ والقتلى على عدَدِ الحصى
مُضَرَّجَةً ممّا أكلن كأنّھا
وقد مزقت أحشاءها والرائبا
عجائزُ بالحينا خَضَبْنِ ذَوائبا
وقال ، وقد أبدع غاية الإبداع ، وأتى بما يحير الألباب ، وإن كان أبو
نواس فاتح هذا الباب :

وكأسٍ ترى كسرى بها في قرّارةٍ
وما صورتهُ فارسٌ عبثاً بهِ
غريقاً ولكن في خليجٍ من الخمرِ
أشاروا بما كانوا له في حياتهِ
ولكنّهم جاءوا بأخفى من السحرِ
فنومي إليه بالسجودِ وما ندري
وما أحلى قوله ٢ :

الأفحوانُ رمى عليك ظلامه . لما عنُفْتُ عليهِ بالمسواكِ

١ المصدر نفسه : ٢٦١ .

٢ الذخيرة : ٢٦٢ .

لا يحمل النّورُ الأنيقُ تمسُّه كَفُّ بَعُودِ بَشَامَةِ وَأَرَاكِ
وجلاؤه المخلوقُ فيه قد كفى من أن يُرَاعَ عَرَارُهُ بِسَوَاكِ
وقوله ١ :

صغارُ الناسِ أكثرهم فساداً وليس لهم لصالحه نُهوُضُ
ألم ترَ في سباع الطيرِ سِراً تسالنا ، ويأكلنا البعوضُ
وقد بلغ غاية الإحسان في قوله ٢ :

فما للملِكِ ليس يرى مكاني وقد كحلت لواحظه بنوري
كذا المسواكُ مطّرحاً مهاناً وقد أبقى جِلاءَ في الثغورِ
ومن حسناته قوله ٣ :

لي صاحبٌ لا كان من صاحبٍ فلأنّه في كبدي جرّحةُ
يحكي إذا أبصر لي زلّةً ذبابةٌ تضربُ في قُرّحةُ

ولقيه أبو حاتم الحجاري علي فرس في غاية الضعف والردالة قد أهلكها
الوجي ، وكانا في جماعتين ، فقال له : يا أبا تمام ، أنشدني قولك :

وتحتي ريحٌ تسبقُ الريحَ إنْ جرت وما خلّتُ أنْ الريحَ ذاتُ قوائمِ
لها في المدى سَبَقٌ إلى كلِّ غايةٍ كأنَّ لها سبقاً يفوقُ عزائمي
وهمّةُ نَفْسِي نَزّهَتْها عن الوجي فيا عجباً حتّى العُلا في البهائمِ

فلما أنشده إياها ردّ رأسه أبو حاتم إلى الجماعتين وقال : ناشدتكُم الله

١ المغرب ٢ : ٤٠ ، واللخيرة : ٢٦٣ .

٢ المغرب : ٤١ .

٣ اللخيرة : ٢٦٤ .

أيجوز لحجّام على فرس مثل هذه الرمكة الهزيلة العرجاء ، أن يقول مثل هذا ؟
فضحك جميع من حضّر ، وأقبل أبو تمام في غيظه بسببه .

ومن شعر الحجّام المذكور قوله :

لا يفخر السيفُ والأقلامُ في يده قد صار قطع سيوفِ الهندِ للقصبِ
فإن يكنْ أصلها لم يَتَقَوَّ قُوَّتُها «فإنْ في الخمرِ معنًى ليس في العنبِ»

وقال :

ثقلتُ على الأعداءِ إلّا أنّها خَفَّتْ على السَّبَّابِ والإبهامِ
أخذتُ من الليلِ البهيمِ سوادهُ وبدتُ تنمُقُ أوجهَ الأيتامِ

وقال ١ :

نظر الحسودُ فازدري لي هينةً والفضلُ منّي لا يزال مبينا
قَبَحَتْ صفاتي من تغيرِ ودّه صدأ المِرْآةِ يقبَحُ التحسينا

وقال ٢ :

تَصَبَّرْ وإن أبدى العدوْ مذمةً فمهما رَمَى ترجعْ إليه سهامهُ
كما يفعل النحلُ الملمُّ بلسعه يريد به ضرّاً وفيه حِمامهُ

وقال :

وباردِ الشعرِ لم يؤلم بهٍ ولقد أضرَّ منهُ جميعَ الناسِ واعتزلا
كأنّه الصِّلُ لا تؤذيه رِيْقَتُهُ حتّى إذا مَجَّها في غيرهِ قتلا

١ الذخيرة : ٢٦٣ .

٢ المصدر نفسه : ٢٦٣

٢١١ - وقال ابن الزقاق^١ :

دعاك خليل والأصيل كأنه
إلى شط منساب كأنك ماؤه
ومهى جناح للصبا يمسح الربي
على حين راح البرق في الجوّ مغدأ
وقد حان مني للرياض التفاتة
على سطح خيرى ذكرتك فأنثى
فصيل زهرات منه هذا كأنها
عليل يقضي مدة الرمتى الباقي
صفاء ضمير أو عدوينة أخلاق
خفي الخواني والقوادم خفّاق
ظباه ودمع المزن من جفنه راق
حبست بها كأسى قليلاً عن الساقى
يميل بأعناق ويرثو بأحداق
وقد خضلت قطراً محاجر عشاق

٢١٢ - ولما مدح الحسيب أبو [محمد] القاسم بن مسعدة^٢ الأوسي^٣ أمير المؤمنين عبد المؤمن بقوله :

حنانك مدعوّاً ولبيك داعياً فكل بما ترضاه أصبح راضياً
طلعت على أرجائنا بعد فترة وقد بلغت منا النفوس التراقياً
وقد كثرت منا سيوف لدى العلاء ومن سيفك المنصور نبغى التقاضياً
وغيرك نادينا زماناً فلم يجب وعزمك لم يحتج علاه منادياً

كتب اسمه وزير عبد المؤمن في جملة الشعراء ، فلما وقف على ذلك عبد المؤمن ضرب على اسمه وقال : إنما يكتب اسم هذا في جملة الحسباء ، لا تدنسوه بهذه النسبة ، فلسنا ممن يتغاضى على غمط حسبه ، ثم أجزل صيلته ، وأمر له بضئعة يحرق له بها ، يعني بذلك أنه من ذرية ملوك ، لأن جدّه كان ملك وادي الحجارة .

١ ديوانه : ٢٨٦ (عن النفح) .

٢ ب : مسعدة .

٣ م : الأونسي ؛ وانظر ترجمته في المغرب ٢ : ٢٦ وسماه في المغرب « أبو محمد القاسم » ولذلك صوبناه في النفح ؛ والمطرب : ٢١٦ وبغية الوعاة : ٣٧٧ ؛ وأبياته هذه في المغرب .

٢١٣ - وقال أبو بكر محمد بن أزرق^١ :

هل عَلِمَ الطائرُ في أَيْكِهِ بأنَّ قَلْبِي للحمى طائرُ
ذَكَرَنِي عهدَ الصَّبَا شَجَوَهُ وكلُّ صَبٍّ للصَّبَا ذاكرُ
سقى عهداً لهم بالحمى دمعٌ له ذكرهم نائرُ

٢١٤ - وقال أبو جعفر ابن أزرق^٢ :

أراكَ ملكَ الخافقينِ مهابةً بها ما تلحُّ الشُّهبُ بالخفقانِ
وتُغْضِي العيونُ عن سَنائكَ كأنَّها تقابلُ منك الشمسَ في اللمعانِ
وتصفرُّ ألوانُ العُدَاةِ كأنَّما رُمُوا منك طولَ الدهرِ باليرقانِ

٢١٥ - وقال أبو القاسم ابن أزرق :

ذاك الزمانُ الذي تَقْضَى يا لَيْتَهُ عادَ مِنْهُ حينُ
بكلِّ عُمري الذي تَبْقَى وما أنا في الشُّرا غَيبِينُ

٢١٦ - وقال راشد بن عريف الكاتب^٣ :

جُمِعَ في مجلسٍ نَدَامَى تحسُدني فيهمُ النجومُ
فقال لي منهم نديمٌ^٤ : ما لك إذ قمتُ لا تقومُ
فقلت : إن قمتُ كلَّ حينٍ فإن حظِّي بكم عظيمُ
وليس عندي إذن ندامى بل عندي المقعدُ المقيمُ

١ ترجمته وشعره في المغرب ٢ : ٢٨ ويكتب فيه « أزراق » .

٢ ترجمته وشعره في المغرب ٢ : ٢٩ .

٣ ترجمته وشعره في المغرب ٢ : ٣٢ .

٤ المغرب : خليل .

٢١٧ - وقال الحسيب أبو جعفر ابن عائش^١ :

ولي أخٌ أوردُهُ سلسلاً لكنَّه يُوردني مالها
ألقاه كي أبسطه ضاحكاً ويلتقيني أبداً كالها
وليس ينفك عنائي به ما رُمْتُ من فاسده صالحا

قال الحجاري : وكتب إلى جدي إبراهيم في يوم صحو بعد مطر :

إذا رأيتَ الجوّ يَصْحو فلا تصحُ ، سقاك الله ، من سكر
تعالَ فانظرْ لدموعِ الندى ما فعلتَ في ميسمِ الزهر
ولا تقلْ إنَّك في شاغلٍ فليس هذا آخرَ الدهر
يُخْلَفُ ما فات سوى ساعةٍ تقصُ فيها للذةِ الخمر

فأجابه :

لبّيك لبّيك ولو أتني أسعى على الرأس إلى مصر
فكيفَ والدار جوارِي وما عندي من شغلٍ ولا عذر
ولو غدا لي ألفُ شغلٍ بلا عذرٍ تركتُ الكلَّ للحشر
وكلّما أبصرني ناظرٌ ببابكم عَظَمَ من قدري
أنا الذي يشربها دائماً ما حضرتُ في الصّحو والقطر
وليس نقلي أبداً بعدها إلا الذي تعهد من شكري

قال الحجاري : ولم يقصّر جدي في جوابه ، ولكن ابن عائش أشعر منه في ابتدائه ، ولو لم يكن له إلا قوله « تعال فانظر - إلخ » لكفاه ، قال : وفيه يقول جدي إبراهيم يملحه :

١ هو أحمد بن عائش أحد أعيان وادي الحجرة ، وكان في زمان المأمون بن ذي النون ملك طليطلة (المغرب ٢ : ٢٧) .

ولو كان ثان في الندى لابن عائش
يَهَشُّ إلى الأمداح كالغصن للصبا
لما كان في شرقٍ وغربٍ أخو فقير
وبشرٌ بحياته ينوبُ عن الزهر
فيا ربِّ زدْ في عمره إنَّ عمره
حياةُ أناسٍ قد كفوا كلفة الدهر

وقتلته ابن مسعدة ملك وادي الحجارة الثائر بها . ولما قدَّمه ليقتله قال : ارفق
عليّ حتّى أخاصم عن نفسي . فقال : على لسانك قتلناك : فقال له : لا رَفَقَ الله
عليك يوم تحتاج إلى رِفَقِهِ ! فقال يجبروته : ما رهبنا السيوف الحداد . نرهب
دعاء الحساد !

٢١٨ - وقال أبو [علي] الحسن [بن] علي بن شعيب ^١ :

انزعني الوشيّ فهو يسترُ حُسْنًا لم تحزه برقمهنّ الثيابُ
ودعيني عسى أقبلُ ^٢ ثغراً لَدَّ فيه اللَّمَى وطاب الرُّضابُ
وعجيبٌ أن تهجريني ظلماً وشفيعي إلى صباك الشبابُ

٢١٩ - وقال أخوه أبو حامد الحسين حين كبا به فرسه فحصل في أسر
العدو ^٣ :

وكنْتُ أعدى طيرٍ في للرزايا يخلّصني إذا جعلتُ تحوُمُ
فأصبح للعدا عوناً لأنّي أطلتُ عناءه فأنا الظلومُ
وكم دامت مسرّاتي عليه وهل شيءٌ على الدنيا يدومُ ؟

٢٢٠ - وقال أبو الحسن علي بن رجاء صاحب دار السكة والأحباس
بقرطبة :

١ المغرب ٢ : ٢٧ .
٢ المغرب : أتركيني حتى أقبل .
٣ المغرب ٢ : ٢٨ .

يا سائلي عن حالي إني لا أشتكي حالي لمن يضعف
مع أني أحذر من قدده لا سيما إن كان لا ينصف
وأشده له الحميدي في «الجلوة»^١ :

قل لمن نال عِرْضَ من لم ينله حَسْبُنَا ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
لم يزدني شيئاً سوى حسناتٍ لا ولا نَفْسَهُ سوى آثامِ
كان ذا مَنَعَةٍ فَثَقُلَ مِيزَا في بهذا فصار من خُدَّامِي
٢٢١ - وقال أبو محمد القاسم بن الفتح^٢ :

أيامُ عمرك تذهبُ وجميعُ سعيك يُكْتَبُ
ثم الشهيدُ عليك من ك فأن أين المهربُ ؟
٢٢٢ - وقال أبو مروان عبد الملك بن غصن^٣ :

فديتك لا تخفُ مني سلُوءاً إذا ما غيَّرَ الشَّعْرُ الصَّغَارَا
أهيمُ بدنَ خميرٍ صارَ خَلَاءً وأهوى لحيَّةٌ كانت عِذارَا
وقال^٤ :

قد ألحف الغيمُ بآنسكابه والتحف الجؤ في سحابه
وقام داعي السرور يدعو حيَّ على الدن وانتهابه
وتاه فيه النديم ممَّا يزدحمُ الناسُ عندَ بابه
وكان أحد الأعلام في الآداب والتاريخ والتأليف .

١ الجلوة : ٢٩٥ .

٢ م : أبو القاسم محمد بن الفتح .

٣ اللخيرة (٣ : ١١٣ ، ١١٥) والمغرب ٢ : ٢٣ .

٤ اللخيرة : ١١٤ .

ونقم عليه المأمون بن ذي النون بسبب صحبته لرئيس بلده ابن عبيدة ،
وبلغه أنه يقع فيه ، فنكبه أشرّ نكبة ، وحبسه ، فكتب إليه من السجن :

فديتُكَ هل لي منك رُحْمى لعلّي أفارق قبراً في الحياة فأنشُرُ
وليس عقابُ المذنبين بمنكرٍ ولكن دَوامُ السخطِ والعنب يُنكرُ
ومن عَجَبٍ قولُ العُداةِ مثقلٌ ومثلي في إلحاحه الدهرُ يُعذرُ

وألّف للمأمون رسالة « السجن والمسجون والحزن والمحزون » ورسالة
أخرى سماها بـ « العشر كلمات » ، وقال ^١ :

يا فتيةً خيرةً قد تهمُّ من حادثات الزمانِ نفسي
شربهمُ الخمرَ في بُكورٍ ونطقهم عندها بهمسٍ
أما ترون الشتاء يُلقى في الأرض بسطاً من الدمقسِ
مقطّبٌ عابسٌ يُنادي يومُ سرورٍ ويومُ أنسٍ

وقال عنه الحُمَيْدي في الجذوة ^٢ : إنه شاعرٌ أديب ، دخلَ المشرق ،
وتأدب ، وحجّ ، ورجع ، وشعره كثير . وله أبيات كتبها في طريق الحج إلى
أحد القضاة :

يا قاضياً عدلاً كأنّ إمامه ملكٌ يُريه واضحَ المنهاجِ
طافت بعبدك في بلادك علّةٌ قعدت به عن مقصِدِ الحجاجِ
واعتلّ في البحر الأجاجِ فكنّ لهُ بحراً من المعروفِ غيرَ أجاجِ

٢٢٣ — وقال الزاهد الورع المحدث أبو محمد إسماعيل ابن الديواني :

١ الذخيرة : ١١٥ .

٢ الجذوة : ٣٧٨ وهناك الأبيات أيضاً .

ألا أيها العائب^١ المعتلي ومن لم يزل مؤذياً ازدد
مساعدك يكتبها الكاتبون فبيّض كتابك أو سود

٢٢٤ - وقال ابنه أبو بكر محمد :

خاصم عدوك باللسان وإن قدرت فبالسنان
إنّ العداوة ليس يَصْ لِحْها الخضوع مدى الزمان

٢٢٥ - وقال إبراهيم الحجاري جدّ صاحب « المسهب »^٢ :

لئن كرهوا يومَ الوداع فإنتي أهِيمُ به وَجَدًا مِنْ أَجْلِ عِناقِهِ
أصافح مَنْ أهواه غيرَ مسائرٍ وسرُّ التلاقي مُودَعٌ في فراقِهِ
وقال :

كن كما شئت إنني لا أحولُ غير مصغٍ لما يقولُ العدولُ
لك والله في الفؤادِ محلٌ ما إليه مَدَى الزمانِ وُصُولُ
ومُرّادي بأن تزورَ خفيّاً ليت شعري متى يكونُ السبيلُ
وقال :

قد توالّت في حالتينا الظنونُ فلنصدق ما كذبتهُ العيونُ
ومرادي بأن تلوحَ بأفقي بدرَ تيمّ وذاك ما لا يكونُ
أنا قد قلتُ ما دعاني إليه كثرة اليأس ، والحديث شجونُ
وإذا شئت أن تُسَقِّه رأيي فمحلي من الرقيب مَصُونُ
وبه ما تشاء من كلّ معنى كلُّ من لم يجبْ لهُ مجنونُ

١ م : الظالم .

٢ المغرب ٢ : ٣٣ - ٣٤ وفيه البيتان .

ولمى كم تفضل ليلَ الأمانى ومن اليأس لاح صبحُ ميينُ
وقال :

سألتُهُ عن أبيه فقَالَ خالي فلانُ
فانظر عَجَائِبَ ما قَد أتت بهِ الأَزمانُ
دهرٌ عَجِيبٌ لديه عن المعالي حِرَّانُ^١
فما له غيرُ ذمٍّ كما تدينُ تُدانُ

٢٢٦ - وقال الكاتب العالم أبو محمد ابن خيرة الإشبيلي^٢ صاحب كتاب
«الريحان والريمان» يمدح السيد أبا حفص ملك لإشبيلية ابن أمير المؤمنين عبد
المؤمن بن علي من قصيدة :

كأنما الأفق صرَّحَ والنجومُ بهِ كواعبُ وظلامُ الليل حاجبهُ
وللهلالِ اعتراضُ في مطالعه كآته أسودُّ قله شابَ حاجبهُ
وأقبل الصبحُ فاستحييتُ مشارقه وأدبر الليلُ فاستخفتُ كواكبهُ
كالسيد الماجدِ الأعلى المهام أبي حفصٍ لرحلته ضُمتْ مضاربهُ
وأنشد له ابن الإمام في «سمط الجمان» :

رَعِيًا لِمَنْزَلِهِ الخَصِيبِ وظلّه وسقى الثرى النجديَّ سحُ رَبَّابِهِ
واهاً على ساداته لا أدَّعي كلفاً بزِينه ولا برَبَّابِهِ
ويُعرف^٣ رحمه الله تعالى بابن المواعيني .

١ هذا البيت والذي يليه سقطا من م .

٢ ترجمته في المغرب ١ : ٢٤٢ والتكملة : ٥١٥ ومن كتابه «الريحان والريمان» جزء موجود
بمكتبة الفاتح باستانبول (رقم : ٣٩٠٩) .

٣ قوله : ويعرف . . . وكفا : سقط هذا كله من م .

٢٢٧ - وقال ابنه أبو جعفر أحمد :

يا أخي هاتها وحتجب سناها عن مشير بها جنونا وسخفا
هذه الشمس إن بدت لضعيف الـ عين زادت في ذلك الضعف ضعفا
إنما يشرب المدامة من إن خشنت كفه جفاها وكفّا

٢٢٨ - وكتب الوزير أبو الوليد إسماعيل بن حبيب الملقب بحبيب إلى
أبيه^١ : لما خلق الربيع من أخلاقك الغرّ ، وسرق زهره من شيمك الزهر ،
حسن في كل عين منظره ، وطاب في كل سمع خبره^٢ ، وتاقت النفوس إلى
الراحة فيه ، ومالت إلى الإشراف على بعض ما يحتويه ، من النور الذي
بسط على الأرض^٣ حللا^٤ ، لا ترى في أثنائها حللا ، سلوك^٥ نثرت على
الثرى ، وقد ملئت مسكاً وعنبراً ، إن تسمتها فأرجة ، أو توستها فبهجة :

فالأرض في بزة من يانع الزهر تزري إذا قستها بالوشي والخبر
قد أحكمتها أكف المزن واكفة وطرزتها بما تهمني من الدور
تبرجت فسبت منا العيون هوى وفتنة بعد طول السر والخفر

فأوجد لي سبيلاً إلى إعمال بصري^٥ فيها ، لأجلو بصيرتي بحاسن نواحيها ،
والفصل على أن يكمل أوانه ، ويتصرم وقته وزمانه ، فلا تخلني من بعض
التشفي منه ، لأصدر نفسي متيقظة عنه ، فالنفوس تصدأ كما يصدأ الحديد ،
ومن سعى في جلائها^٦ فهو الرشيد السديد .

١ الذخيرة (٢ : ٤٨) وكتاب البديع : ٢٨ .

٢ ب : مخبره .

٣ البديع : كما الأرض .

٤ ومالت . . . حللا : سقطت العبارة من م .

٥ ب : نظري .

٦ البديع : ومن أجها .

ومن شعره يصف وَرْدًا بعث به إلى أبيه ^١ :

يا من تأزَّر بالمكانم وارثدى بالمجد والفضل الرفيع الفائق
انظر إلى خدَّ الربيع مركباً في وجه هذا المهرجان الرائق
وَرْدٌ تقدَّم إذ تأخَّر واغتدى في الحسن والإحسان أول سابق
وأفالك مشتملاً بثوب حياته نجلاً لأن حيَّاك آخر لاحق

وله ^٢ :

أتى الباقلاء الباقلُ اللونَ لابساً برود سماء من سحائبها غدي
ترى نوره يلتاحُ في وَرَقاته كبُلُقٍ جياذٍ في جلالِ زمردٍ

وقال ^٣ :

إذا ما أدرت كؤوس الهوى ففي شربها لستُ بالمؤتلي
مُدَّامٌ تُعَتَّقُ بالنَّاظرين وتلك تعتقُ بالأرجُل

وكان وهو ابن سبع عشرة سنة يَنظُم النظم الفائق ، ويثر النثر الرائق ، وأبو جعفر ابن الأَبَّار هو الذي صَقَلَ مِرَّاتِهِ ، وأقام قَنَاتِهِ ، وأطلعه شهاباً ثاقباً ، وسلك به إلى فُنُون الآداب طريقاً لاجبياً ، وله كتاب سمَّاه بـ « البديع في فصل الربيع » جمع فيه أشعار أهل الأندلس خاصة ، أعرب فيه عن أدب غزير ، وحظَّ من الحفظِ مَوْفُور ، وتوفِّي وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، واستوزره داهيةُ الفتنة ، ورَحَى المحنة ، قاضي إشبيلية عَبَّادُ جدُّ المعتمد ، ولم يزل يُصَنِّفي إلى مقالهِ ، ويرضى بفعاله ، وهو ما جاوز العشرين إذ ذاك ،

١ الذخيرة : ٥٠ والبديع : ١٢٨ .

٢ م : وله في نور الباقلاء ؛ والشعر في كتاب البديع : ١٥٥ .

٣ الذخيرة : ٥٢ .

وأكثر نظمته ونثره في الأزاهر ، وذلك يدل على رقة نفسه ، رحمه الله تعالى .

٢٢٩ - وقال الوزير الكاتب أبو الحسن علي بن حصن وزير المعتضد بن

عباد^١ :

عليّ أن أتدلّـلْ له وأن يتدلّـلْ
خذْ كأنّ الثريا عليه قرطٌ مسلسلٌ

وقال :

طلّ على خدّه العذارُ فافتُضِحَ الآسُ والبهارُ
وابيضّ هذا واسودّ هذا فاجتمع الليلُ والنهارُ

٢٣٠ - وقال الوزير أبو الوليد ابن طريف في المعتمد بعد خلعه :

يا آل عباد ألا عطّفتْ^٢ فالدهرُ من بعدكم مظلمُ
من الذي يُرجى لنيلِ العلا ومن إليه يقدُّ المعدم
ما أنكر الدهر سوى أنّه بوجودكم في فعله يرغم

وله :

مَنْ حَلِقَتْ لحيه جاري له فليسكبِ الماء على لحيته

٢٣١ - وقد أجريننا في هذا الكتاب ذكر جملة من أخبار المعتمد بن عباد

ونظمه في أماكن متعددة فلتراجع ، ومن نظمته^٣ :

ثلاثة منعتّها عن زيارتنا خوف الرقيب وخوف الحاسد الحق

١ اللخيرة ٢ : ٦٣ ، ٦٦ .

٢ م : ومن نظم المعتمد ، والشعر في ديوانه : ٢٢ وفي الشريشي ١ : ٢٢٥ .

ضَوْءُ الْجَبِينِ، وَوَسْوَاسُ الْحَلِيٍّ، وَمَا
هَبَّ الْجَبِينُ بِفَضْلِ الْكَمِّ تَسْتَرَهُ وَالْحَلِيَّ تَنْزِعُهُ، مَا حِيلَةُ الْعَرَقِ ؟
وقال^١ :

يَوْمَ يَقُولُ الرَّسُولُ قَدْ أَذْنَتْ فَأَتِ عَلَى غَيْرِ رَقَبَةٍ وَلِجِ
أَقْبَلْتُ أَهْوِي إِلَى رَحْلِهِمْ أَهْدَى إِلَيْهَا بِرِيحِهَا الْأَرَجِ
قالوا : وَيُسْتَدَلُّ عَلَى الْمُلُوكِيَّةِ بِالطَّيْبِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَكُونُ النَّاسُ فِيهَا غَيْرَ .
معروفين كالحمام ومعارك الحرب ومواسم الحج .
رجع إلى ما كنّا فيه^٢ :

٢٣٢ — وقال أبو العباس أحمد الخزرجي^٣ القرطبي :

وَفِي الْوَجَنَاتِ مَا فِي الرُّوَضِ لَكِنْ لِرَوْنِ زَهْرَهَا مَعْنَى عَجِيبُ
وَأَعْجَبُ مَا التَّعَجُّبُ مِنْهُ أَنِّي أَرَى الْبُسْتَانَ يَحْمِلُهُ قَضِيبُ

٢٣٣ — وقال الوزير أبو [أيوب] سليمان بن أبي أمية^٤ يخاطب رئيساً
قد بلغه عن بعض أصحابه كلام فيه غَضٌّ منه :

هَوْنٌ عَلَيْكَ كَلَامَهُ وَاسْمَحْ لَهُ فِيمَنْ سَمَحَ
مَاذَا يَسُوءُكَ إِنْ هَجَا مَاذَا يَسْرُكُ إِنْ مَدَحَ
أَوْ مَا عَلِمْتَ بَلَى جَهْلَ تَ بَأَنَّهُ غِيلٌ طَفَحَ
وَنَخْفِي حَقْدِي كَامِنٍ دَأَبُوا لَهُ حَتَّى اتَّضَحَ

١ ديوان المعتقد : ١١٩ .

٢ رجع . . . فيه : سقطت من م .

٣ الخزرجي : سقطت من ب .

٤ ترجمته في المغرب ١ : ٢٤٣ والمطبخ : ٢٨ والمسالك ١١ : ٤٢٤ .

هذا بِمُسْتَنَ الوقا ر فكيفَ لو دار القدح
فاشكُرْ عوارفَ ذي الجلا ل بما وقى وبما منح

٢٣٤ - وقال أبو علي عمر بن أبي خالد يخاطب أبا الحسن علي بن الفضل :

أبا حسن وما قدُمْتُ عهدٌ لنا بينَ المنارة والجزيرة
أتذكر أنسنا والليلُ داجٍ بخمرٍ في زجاجتها منيرة
إذا الملاحُ ضلَّ رنا إليها فأبصرَ في مناحيه مسيره

٢٣٥ - وقال الكاتب عبد الله المهيريس^١ ، وكان حلو النادرة ، لما شرب
عند الوزير أبي العلاء ابن جامع وقد نظر إلى فاختة فأعجبه حسننها ولحنها :

ألا خذها إليك أبا العلاء حلّى الأمداح ترفل في الثناء
وهبها قينةً تُجلى عروساً خضيبَ الكفّ قانية الرداء
لأجعلها محلّ جليس أنسي وأغنى بالهلديل عن الغناء

وحكي أنه ناوله ليمونة وأمره بالقول فيها فقال :

أهدى إليّ بروضة ليمونة وأشار بالتشبيه فعلَ السيد
فصمتُ حيناً ثم قلت : كجلجلٍ من فضةٍ تعلوهُ صفرةُ عسجدٍ

٢٣٦ - وقال الكاتب أبو بكر ابن البناء يرثي أحد بني عبد المؤمن ، وقد
هزل من بكتنسية وولي لإشبيلية فمات بها^٢ :

كأنك من جنس الكواكب كنت لم تفارق طلوعاً حالها وتواريا

١ ساء في المغرب « عبد الله بن عمر الإشبيلي المهيريس وكنيته أبو محمد » (١ : ٢٤٨) وفي القدح :
أبو عبد الله محمد عمر المعروف بالمهيد (١٩٨) وشعره في المصدرين .

٢ القدح : ١١٩ والمغرب ١ : ٢٤٩ .

تَجَلَّيْتَ مِنْ شَرْقٍ تَرَوْقُ تَلْأَلُوْا فَلَمَّا انْتَحَيْتَ الْغَرْبَ أَصْبَحْتَ هَاوِيَا

٢٣٧ - وكان محمد بن مروان بن زُهْر - كما في المغرب والمسهب والمطرب ، وقد قدمنا بعض أخباره - منشأ الدولة العبّادية وأوّل من تُثْنِي عليه الخناصر ، وتستحسنه البواصر ، فضاعت الدولة العبادية عن مكانه ، وأُخرج عن بلده ، فاستُضيفت أمواله ، فلحق بشرق الأندلس ، وأقام فيه بقية عمره ، ونشأ ابنه^١ الوزير أبو مروان عبد الملك بن محمد ، فما بلغ أشدّه ، حتى سَدَّ مَسَدَهُ ، ومال إلى التّفنّ في أنواع التعاليم من الطب وغيره ، ورحل إلى المشرق لأداء الفرض ، فملأ البلاد جلاله ، ونشأ ابنه أبو العلاء زُهْر بن عبد الملك ، فاخترع فضلاً لم يكن في الحساب ، وشرع نُبلاً قصرت عنه نتائج أولي الألباب ، ونشأ بشرق الأندلس والآفاق تتّهادى عجائبه ، والشامُ والعراق تتدارس بدائعهُ وغرائبهُ ، ومال إلى علم الأبدان فلولا جلاله قدره ، لقلنا جاذبَ هاروتَ طرفاً من سِحرِهِ ، ولولا أن الغلوّ آفة المديح ، لتجاوزتُ طلق الجموح ، ولكنّي اكتفيت بالكناية عن التصريح^٢ ، ولم يزل مقيماً بشرق الأندلس إلى أن كان من غزاة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ومن انضم إليه من ملوك الطوائف ما علّم ، وشَخَصَ أبو العلاء معهم ، فلقية المعتمد بن عباد ، واستماله واستهواه ، وكاد يغلب على هواه ، وصرف عليه أملاكه فحنَّ إلى وطنه ، حنين النّيبِ إلى عَطَنه ، والكريم إلى سكنه ، ونزع إلى مقر سَلَفه ، نزوع الكوكب إلى بيت شرفه ، إلّا أنّه لم يستقر بإشبيلية إلّاّ بعد خلع المعتمد ، وحل عند يوسف بن تاشفين محلاً لم يحلّه الماء من العطشان ، ولا الروح من جسد الجبان ، ولما كتب إليه حسام الدولة ابن رزيّن ملك السهلة بقوله :

عَادِ اللّثِيمَ فَأَنْتَ مِنْ أَعْدَائِهِ وَدَعِ الْحَسُودَ بَغْلَهُ وَبَدَائِهِ

١ راجع الذخيرة (٢ : ٩١) وشعره مثبت هناك .

٢ أثبتنا هنا نص الذخيرة .

لا كان إلاّ من غَدَتْ أعداؤهُ مشغولةٌ أفواههم بجفائِه
أبا العلاء لئن حُسِدَتْ لطلما حُسِدَ الكَرِيمُ بجوده ووفائِه
فَحَرَّ العلاءُ فكنْتُ من آباءِه وزها السناءُ فكنْتُ من أبنايِه
كن كيف شئتَ مشاهداً أو غائباً لا كان قلبٌ لستَ في سَوْدائِه

أجابه بقوله :

يا صارماً حَسَمَ العدا بمضائِه وتَعَبَّدَ الأحرارَ حُسْنُ وُفائِه
ما أثر العصبُ الحسامُ بذائِه إلا بأن سُمِّيتَ من أسمائِه
وكَلَّفَه الحسامُ المذكور القولَ في غلام قائم على رأسه ، وقد عذَّر ،
فقال ^١ :

مُحِيَّتْ آيَةُ النّهار فأضحى بَدَرٌ تَمَّ وكان شمسَ نهارٍ
كان يُعْشِي العيونَ ناراً إلى أن أشغل الله خدّه بالعِذارِ
وقال :

عِذارُ أَلَمْ فَأُبْدِي لَنَا بدائعَ كُنَّا لها في عَمَى
ولو لم يَجْنِ النّهارُ الظلا مٌ لم يَسْتَبِينَ كوكبٌ في السما
وقال :

يا راشقي بسهامٍ ما لها غرضُ إلا الفؤاد وما منهُ له عوضُ
ومُمرِّضي يجفون لحظها غَنَجُ صَحَّتْ وفي طبعها التمريضُ والمرضُ
امن ولو بخيالٍ منك يؤنسني فقد يسدُّ مسدَّ الجواهرِ العَرَضُ
وهذا معنى في غاية الحسن .

وكان بينه وبين الإمام أبي بكر ابن باجة - بسبب المشاركة - ما يكون

١ مرت القطعة والتي نلّوها ص : ٢٤٧ .

بين النار والماء ، والأرض والسماء ، ولما قال فيه ابن باجة :

يا مَلَكَ الموتِ وابنَ زهرٍ جاوزتما الحدَّ والنهايةَ
ترفقا بالورى قليلاً في واحد منكما الكفايةَ

قال أبو العلاء :

• لا بد للزنديق أن يُصلباً شاء الذي يعصده أو أبى
قد مهد الجلعُ له نفسه وسدَّ الرمحُ إليه الشبّا

والذي يعصده مالك بن وهيب جليس أمير المسلمين وعالمه .

٢٣٨ - وأما حفيده أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر فهو وزير
إشبيلية وعظيمها وطبيبها وكريمها ، ومن شعره :

رَمَتْ كبدِي أختُ السماء فأقصدتُ ألا بأبي رامٍ يصيبُ ولا يخطي
قريبةُ ما بين الخلاخيل إن مَشَّتْ بعيدةُ ما بين القلادة والقرطِ
نعمتُ بها حتى أتيتُ لنا النوى كذا شيمُ الأيام تأخذُ ما تعطي

وتوفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وأمر أن يُكتب على قبره :

تأملْ بفضلِكَ يا واقفاً ولاحظْ مكاناً دُفَعنا إليه
ترابُ الضريحِ على صفحتي كأنِّي لم أَمْشِ يوماً عليه
أداوي الأنامَ حِذارَ المنونِ فما أنا قد صرتُ رهناً لديه

رحمه الله تعالى ، وعفا عنه .

وفي هذه الأبيات إشارة إلى طبه ومعالجته للناس ، رحمه الله تعالى ، وقد
ذكرنا بعض أخباره في غير هذا الموضع .

٢٣٩ - وقال أبو الوليد ابن حزم^١ :

مَرَّكَ مَرَّكَ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ وَوَرْدٌ خَدَّيْكَ لَا وَرْدٌ وَلَا زَهَرٌ
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ قَلْبٌ أَنْتَ سَاكِنُهُ إِنْ بِنْتُ بَانَ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ

وقال^٢ :

لِللَّهِ أَيَّامٌ عَلَى وَادِي الْقَرْيِ سَلَفَتْ لَنَا وَالْدَهْرُ ذُو الْوَانِ
إِذَا نَجَّيْتَنِي فِي ظِلِّهِ ثَمَرَ الْمَنَى وَالطَّيْرُ سَاجِدَةٌ عَلَى الْأَغْصَانِ
وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِنْ مَحَاجِرِ أَرْمَدٍ وَالطَّلُّ يَرْكُضُ فِي النَّسِيمِ الْوَائِي
فَلَثَمْتُ فَاهُ وَالتَّرْمْتُ عَنَاقَهُ وَيَدُ الْوَصَالِ عَلَى قَفَا الْمَهْجَرَانِ

٢٤٠ - وقال ابن عبد ربه^٣ :

يَا قَابِضَ الْكَفِّ لَا زَالَتِ مَقْبِضَةٌ فَمَا أَنَامِلُهَا لِلنَّاسِ أَرْزَاقُ
وَعِيبٌ إِذَا شِئْتَ حَتَّى لَا تُرَى أَبَدًا فَمَا لِفَقْدِكَ فِي الْأَحْشَاءِ إِقْلَاقُ

وقال في المدح :

وَمَا خُلِقْتَ كَفَّكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ تُخْلَقْ لِهِنَّ يَدَانِ
لِتَقْضِيَ أَفْوَاهٍ ، وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ وَتَقْلِيبِ هِنْدِيٍّ ، وَحَبْسِ عَنَانِ

٢٤١ - وقال الكاتب أبو عبد الله ابن مصادق^٤ الرندي الأصل :

صَارَ مَتْنُهُ إِذْ رَأَتْ عَارِضَهُ عَادَ مِنْ بَعْدِ الشَّبَابِ أَشْيَا

١ ترجمته في المغرب ١ : ٢٣٩ والنخيرة ٢ : ٢٣١ والمسالك ١١ : ٤٣٤ .

٢ النخيرة (٢ : ٢٣٨) .

٣ هاتان المقطوعتان في الشريشي ١ : ١٨٤ .

٤ دوزي : مصادف .

قلتُ ما ضرَّكَ شيبٌ فلقد بقيتُ فيه فكاهات الصِّبا
هو كالعنبرِ غالٍ نفحه وشذاه أخضرًا أو أشهبًا

وقال :

ووردة وردت في غير موقتها والسُّحْبُ قد هملت أجفانها هطلا
ولأنما الروضُ لما لم يُقدِّم ثمرًا يقرِّيكهُ انفتحت في خده خجلا

وله :

لم أحتفل لقلوم العيدِ من زمنٍ قد كان يبهجني إذ كنت في وطني
لم ألقَ أهلي ولا إلفي^١ ولا ولدي فليت شعري سرُّوري واقعٌ بمنٍ

وقال :

يقول لي العاذلُ تُبُّ عن هوى من ليس يُدُنِّيك إلى مطلبٍ
وكيف لي والدينُ دينُ الهوى فلا أرى أرجع من مذهبي
أليس بابُ التَّوْبِ قد سده طلوعه شمساً من المغربِ^٢

وله :

امتنع كرائمك الخروجَ ولا تُظهرْ لذلك وجهَ منبسطٍ
لا تعتبرْ منهم مسخطةً نيلُ الرضى في ذلك السخطِ
أولسنَّ مثل الدرِّ في شَبَةِ^٣ والدرُّ من صدَفٍ إلى سَقَطِ

١ ب : إلفي ولا أهلي .

٢ هو كقول الصقلي :

أيأسني التوبة من حبه طلوعه شمساً من المغرب

٣ م : سقط .

٢٤٢ - وقال المعتمد بن عباد^١ :

تمَّ له الحسنُ بالعِذارِ واختلطَ الليلُ بالنَّهارِ
أخضرُ في أبيضٍ تبدَّى فذاك آسي وذا بهاري
فقد حَوَى مجلسي تماماً إن يكُ من ريقه عُقاري

٢٤٣ - وقال ابن فرج الجيّاني رحمه الله تعالى^٢ :

وطائفةُ الوصالِ صددت عنها وما الشيطانُ فيها بالمطاعِ
بدتْ في الليلِ سافرةً فباتت دياجي الليلِ سافرةً القناعِ
وما من لحظةٍ إلا وفيها إلى فتنِ القلوبِ لها دَواعي
فملكْتُ الهوى جمحاتِ أمري لأجري في العفافِ على طباعي
كذلك الروضُ ما فيه لمثلي سوى نظيرٍ وشمٍّ من متاعِ
ولستُ من السوائمِ مهملاتٍ فأخذتُ الرياضَ من المراعي

وقال^٣ :

بأيهما أنا في الشكرِ بادي بشكر الطيفِ أم شكرُ الرقادِ
سرى فازداد لي أملٍ ولكن عَفَفْتُ فلم أنلْ منه مُرادي
وما في النومِ من حَرَجٍ ولكن جريتُ مع العفافِ على اعتيادي

٢٤٤ - وقال الرصافي^٤ :

وعشِّي أنسٍ للسرور وقد بدا من دون قُرْصِ الشمسِ ما يُتَوَقَّعُ

١ ديوان المعتمد : ١٧ .

٢ مرت هذه الأبيات ص : ١٩٦ وانظر الشريشي ١ : ٢١١ والجلوة : ٩٧ .

٣ انظر الجلوة : ٩٧ والمطبع : ٨٠ والقيمة ٢ : ١٧ والشريشي ١ : ٢١١ .

٤ ب : بطيب .

٥ ديوان الرصافي : ١٠٥ .

سقطت فلم يملك نديك^١ ردّها فوددت يا موسى لو أنّك يوشع^٢
٢٤٥ - وقال ابن عبد ربه :

يراعة غرتي منها وميض سنا حتى مددت إليها الكف مقتبسا
فصادفت حَجَرًا لو كنت تضربه من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنما صيغ من لؤم ومن كذب فكان ذلك له رُوحاً وذا نفسا
٢٤٦ - وقال ابن صارة في فروة^٣ :

أودت بذات يدي فريّة أرنب كفؤاد عروّة في الضى والرقّة
يتجشم الفراء من ترقيعها بُعد المشقة في قريب الشقة
لو أنّ ما أنفقت في ترقيعها يُحصى لزيد على رمال الرقة
إن قلت بسم الله عند لباسها قرأت عليّ ﴿إذا السماء انشقت﴾
٢٤٧ - وقال الغزالي^٤ :

والمرء يعجب من صغيرة غيره أي امرئ إلا وفيه مقال
لسنا نرى من ليس فيه غميّة أي الرجال القائل الفعّال^٥
٢٤٨ - وقال أبو حيّان :

لا ترجوّن دوام الخير من أحد فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظنّ امرءاً أسدى إليك ندى من أجل ذاتك بل أسداه للغرض

١ م : نديمي .

٢ العقد ١ : ١٣١ والشرطي ١ : ١٢٧ .

٣ أبيات ابن صارة في أخبار وتراجم : ١٥ والقلائد : ٢٦١ والشرطي ١ : ١٢٥ .

٤ في الأصول ودوزي : الغزالي .

٥ ب : القائل البطال .

٢٤٩ - وقال ابن شهيد^١ :

ولما فشا بالدمع ما بين وجدنا
أمرنا بلمسك الدموع جفوتنا
أبى دمعنا يجري مخافة شامت
وراق الهوى منا عيوناً كريهة
إلى كاشحينا ما القلوب كواثم^٢
ليشجى بما نطوي عنول^٣ ولائم^٤
فنظمه بين المحاجر ناظم^٥
تبسم حتى ما تروق^٦ المباسم^٧

وقال في الانتحال^٨ :

وبلغت أقواماً تجيش صدورهم^٩
أصاخوا إلى قولي فأسمعت معجزاً
فقال فريق^{١٠} : ليس ذا الشعر شعرة^{١١}
فمن شاء فليخبر فلاني حاضر^{١٢}
علي ولاتي فيهم فارغ الصدر^{١٣}
وغاصوا على سري فأعجزهم أمري^{١٤}
وقال فريق^{١٥} : أيمن^{١٦} الله ما ندري^{١٧}
ولا شيء أجلى للشكوك من الخبر^{١٨}

٢٥٠ - وينظر إلى مثل هذا قصة أبي بكر ابن بقي^{١٩} حين استهدى من
بعض إخوانه أقلاماً فبعث إليه بثلاث من القصب ، وكتب معها :

خذها إليك أبا بكر العلا قصباً
يزهى بها الطرس حسناً ما نثرت بها
كأنما صاغها الصواغ من ورقه^{٢٠}
مسك المداد على الكافور من ورقه^{٢١}
فأجابه أبو بكر :

أرسلت نحوي ثلاثاً من قنأ سلب^{٢٢}
فالخط ينكرها والخط يعرفها
ميادة تطعن القرطاس في درقه^{٢٣}
والرق ينخدمها بالرق في عنقه^{٢٤}

١ الذخيرة ١/١ : ٢٧٦ وديوانه : ١٣٩ والشريشي ١ : ٤٦ .

٢ الذخيرة : ٢٦٢ وديوانه : ٦٨ والشريشي ١ : ٤٦ .

٣ الشريشي ١ : ٤٧ .

٤ ب م : منادة ... في ورقه .

فحسده عليه بعض من سمعه ، ونسبه إلى الانتحال ، فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الأول :

وجاهلٍ نسب الدعوى إلى كلمي لما رماهُ بمثلِ النَّبْلِ في حَدَقِهِ
فقلتُ من حَتَقٍ لما تَعَرَّضَ لي مَنْ ذا الذي أخرج اليربوعَ من نفقه
ما ذمَّ شعري وأيمُّ الله لي قَسَمٌ إلا امرؤُ ليستِ الأشعارُ من طُرُقهِ
والشعرُ يشهد أنني من كواكبه بل الصباحُ الذي يستنُّ من أُفقه

٢٥١ - وقال ابن شهيد أيضاً في ضيف^١ :

وما انفكَّ معشوقُ الثناء يَمُدُّهُ^٢ ببشرٍ وترحيبٍ وبَسْطِ بَنَانٍ
إلى أن تشهى اليبْنَ من ذاتِ نفسه وحنَّ إلى الأهلين حَنَّةَ حاني
فأتبعته ما سدَّ خَلَّةَ حاله وأتبعني ذكراً بكلِّ مَكَانٍ

وقال^٣ :

وبتنا نراعي اللَّيْلَ لم يطوِ بُرْدَهُ^٤ ولم يحلُّ شيبُ الصبحِ في قَوْدِهِ وخطا
تراه كملك الزنج من فرطِ كبره إذا رام مشياً في تبختره أبطا
مُطِلاً على الآفاقِ والبدرُ تاجه وقد جعل الجوزاء في أذنيه قُرْطاً

٢٥٢ - وقال بعضهم في لباس أهل الأندلس البياض في الحزن ، مع أن أهل المشرق يلبسون فيه السواد^٤ :

ألا يا أهلَ أُنْدَلَسٍ فطنتُمُ بلُطْفِكُمْ إلى أمرٍ عجيبٍ

١ الذخيرة : ٢٦٧ وديوانه : ١٦٨ .

٢ الديوان : الثواء نمده .

٣ الذخيرة : ٢٣٧ وديوانه : ٨٨ والقيمة : ٢ : ٤٣ والشريشي : ١ : ٦٣ .

٤ الشريشي : ١ : ٤٩ .

لبستم في ماتمكم يياضاً فجتّم منه في زيّ غريب
صدقتم فالبياض لباسُ حزنٍ ولا حزنٌ أشدُّ من المشيبِ

٢٥٣ - وقال أبو جعفر ابن خاتمة :

هل جُسومٌ يَومَ النوى ودّعوها باقياتٌ لسوء ما أودعوها
يا حداةَ القلوب ما العدلُ هذا أتبعوها أجسامها أو دّعوها

٢٥٤ - وقال القسطلّي يصف هول البحر^١ :

إليك ركبنا الفلّك تهوي كأنها وقد ذعرت عن مغربِ الشمسِ غربانُ
على لججٍ خضرٍ إذا هبت الصبا ترامي بها فينا ثبيرٌ وثهلانُ
موائل ترعى في ذراها موائلاً كما عبّدت في الجاهلية أوثانُ
يقلن موج البحر والهم والدجى يمج بها فيها عيونٌ وأذانُ
ألا هل إلى الدنيا معادٌ وهل لنا سوى البحرِ قبرٌ أو سوى الماء أكفانُ

٢٥٥ - وقال الرمادي يهنيء ابن العطار الفقيه بمولود :

يهنيك ما زادت الأيام في عدّك من فيلذةٍ برزت للسعد من كبّدك
كأنما الدهرُ دهرٌ كان مكتباً من أفرادك حتى زاد في عددك
لا خلّفتك الليالي تحت ظلّ ردّى حتى ترى ولداً قد شبّ من ولدك

٢٥٦ - وقال ابن صارة في النار :

هات التي للأيك أصلٌ ولادها ولها جبينُ الشمسِ في الأشماسِ
يتقشّع الياقوتُ في لبّاتها بوساوسٍ تشفي من الوسواسِ

١ ديوان ابن دراج : ٨٧ والخيرة ١/١ : ٧٤ .

٢ في الأصول : مقاتل موج .

أنسُ الوحيدِ وصبحُ عينِ المعجني ولباسُ مَنْ أُمسى بغيرِ لباس
حمراء ترفلُ في السوادِ كأنما ضَرَبَتْ بِعِرْقٍ في بني العباس
وقال فيها أيضاً^١ :

لابنة الزُّندِ في الكوانين جَمْرُ كالدراري في الليلة^٢ الظلماء
خبروني عنها ولا تكذبوني أليها صناعةُ الكيمياء
سَبَكْتُ فحمها سبائك^٣ تبر رصعته بالفضة البيضاء
كلما وَلَوَل النسيمُ عَلَيْها رَقَصَتْ في غلالة حمراء
سَقَرْتُ عن جبينها فأرتنا حاجبَ الليلِ طالعاً بالعشاء
لو ترانا من حولها قلت قومُ يتعاطونَ أكْؤسَ الصَّهباء

٢٥٧ - وقال فيها الفقيه الأديب^٥ ابن لبّال :

فحمٌ ذُكا في حشاهُ جمرٌ فقلتُ مسكٌ وجُلُئارُ
أو خدٌ مَنْ قد هويتُ لما أطلَّ من فوقه العِذارُ

٢٥٨ - وكان أبو المطرف الزهري جالساً في باب داره مع زائر له ،
فخرجتُ عليهما من زُقاقٍ ثانٍ جاريةٌ سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين
نظرتهما على غفلة منها نفرت خَجِيلةٌ ، فرأى الزائر ما أبْهَتَهُ فكلّفه وصفها ،
فقال مرتجلاً :

١ القلائد : ٢٦٦ .

٢ القلائد : كالدراري في دجى .

٣ القلائد : صفائح .

٤ القلائد : سقرت في حشائها .

٥ م : الأديب الفقيه ؛ ولله أبو الحسن علي بن أحمد بن لبّال الشريفي (- ٥٨٣) وله ترجمة في
التحفة : ٧٤ والدليل والتكملة ٥ : ١٦٩ .

يا ظبيةً نفرت والقلبُ مسكنها خوفاً لختليَ بل عمداً لتعذبي
لا تحتشي فابنُ عبدِ الحقِّ أنحلنا عدلاً يؤلف بين الظبي والذيبِ

٢٥٩ - وقال ابن شهيد^١ :

أصبحَ لاحَ أم بدرُ بدا أم سنا المحبوب أوري زندا
هَبَّ من نعته منكسراً مسبلٌ للكمِّ مُرخٍ للردا
يسح النعسة من عيني رشا صائد في كلِّ يوم أسدا
قلتُ هَبْ لي يا حيبي قبلة تشف من همك^٢ تبريح الصدى
فأنشئ يهتر من منكبهِ قائلًا لا ثمَّ أعطاني اليدا
كلما كلمني قبَلته فهو ما قال كلاماً ردداً
قال لي يلعب صيدُ لي طائراً فتراني الدهر أجري بالكدي
وإذا استنجزت يوماً وعده قال لي يطل ذكرني غدا
شربتُ أغصانه^٣ خمر الصبا وسقاه الحسن حتى عرَبدا
رشأ بل غادة^٤ مَمْكورة عَمَّت صبحاً بليل أسودا
أححت^٥ من عضه في نهدها ثم عَضَّت حُرَّ وجهي عمدا
فأنا المجروح من عضتها لا شفاني الله منها أبدا

٢٦٠ - وقال محمد بن هانيء في الشيب^٥ :

بِئْسَ فُلُولَا أَنْ أُغْبِرَ لِمَيَّ عَبَثًا وَالْفَاكِمَ عَلَيَّ غَضَابَا

١ مرت هذه القصيدة ص : ٣٥٨ .

٢ الرواية المشهورة : من صمك ؛ وتعصف إلى « غبك » .

٣ م : أعطافه ، وهو أجود .

٤ هذه رواية الذخيرة ، وفي م : أحجمت .

٥ ديوان ابن هانيء : ١٩٨ - ١٩٩ والثريشي ١ : ٢١٤ .

لخضبتُ شيباً في مفارق لتي^١ ومحوت محو النّفسِ عنه شباباً
 وخضبتُ مُبيض^٢ الحداد عليكم^٣ لو أتتني أجد البياض خضاباً
 وإذا أردتُ على المشيب وفادةً فاجعل^٤ مطيّك^٥ دونه الأحقاباً
 فلتأخذن^٦ من الزمان حمامةً ولتدفعن^٧ إلى الزمان غراباً

٢٦١ — وكتب ابن عمار إلى ابن رزين وقد عتب عليه أن اجتاز ببلده ولم
 يلقه^٨ :

لم تثنِ عنك عنائي سلوة^٩ خطرت^{١٠} ولا فؤادي ولا سمعي ولا بصري
 لكن عدتني عنكم خجلة^{١١} خطرت^{١٢} كفاني العذر^{١٣} منها بيت^{١٤} معتذر^{١٥}
 « لو اختصرتم من الإحسان زرتكم^{١٦} والعذب يهجر للإفراط في الخصر^{١٧} »
 ٢٦٢ — وقال ابن الجدة^{١٨} :

ولمّا لبس^{١٩} للتلاقي وإنّما يصد^{٢٠} ركابي عن معاهدك العسر^{٢١}
 أذوب^{٢٢} حياء من زيارة^{٢٣} صاحب^{٢٤} إذا لم يساعدني على بیره^{٢٥} الوفّر^{٢٦}
 ٢٦٣ — وقال ابن عبد ربّه^{٢٧} :

يا من عليه حجاب^{٢٨} من جلالته وإن بدا لك يوماً غير محبوب^{٢٩}
 ما أنت وحدك مكسواً ثياب^{٣٠} ضني بل كلنا بك من مضني ومشحوب^{٣١}
 ألقى عليك يداً للضر^{٣٢} كاشفة^{٣٣} كشاف^{٣٤} ضر^{٣٥} نبي^{٣٦} الله^{٣٧} أيوب^{٣٨}

١ الديوان : في عداري كاذباً .

٢ الديوان : مسود .

٣ الذخيرة (٢ : ١٦٠) والشريشي ١ : ٢٤٣ والبيت المضمن للمعري .

٤ الشريشي ١ : ٢٤٣ .

٥ م : سيد .

٦ أبيات ابن عبد ربّه في الشريشي ١ : ٣٠٥ .

٢٦٤ - وقال النحلي في مغنية :

ولعبة الوشاح كغصن^١ بان لها أثرٌ بتقطيعِ القلوبِ
إذا سوتَ طريقَ العودِ نقرأً وغنّت في حبٍّ أو حبيبِ
فيمنّاها تقدُّ بها فؤادي ويسراها تعدُّ بها ذنوبي

٢٦٥ - وقال ابن شهيد^٢ :

كلفت^٣ بالحب حتى لو دنا أجلي لما وجدتُ لطمعِ الموتِ من ألمِ
وعاقبي^٤ كرمي عمن ولت به ويلى من الحبِّ أو ويلى من الكرمِ

٢٦٦ - وكان بشرى^٥ صوفي^٦ حافظ للشعر ، فلا يعرض في مجلسه معنى
إلا وهو ينشد عليه ، فاتفق أن عطس رجل بمجلسه ، فشمتته الحاضرون ،
فدعا لهم ، فرأى الصوفي أنه إن شمته قطع إنشاده بما لا يشاكله من النظم ،
وإن لم يشمته كان تقصيراً في البر ، فرغب حين أصبح من الطلبة نظم هذا المعنى ،
فقال الوزير الحسيب أبو عمرو ابن أبي محمد^٦ :

يا عاطساً يرحمك الله إذ أعلنت بالحمد على عطستك^٦
ادعُ لنا ربك يغفر لنا وأخلص النية في دعوتك^٦
وقلْ له يا سيدي رغبتي حضور هذا الجمع في حضرتك^٦
وأنت يا رب الندى والنوى بارك رب الناس في ليلتك^٦
فلن يكن منكم لنا عودة^٦ فأنت محمود على عودتك^٦

١ ق ب : بنصن .

٢ ديوان ابن شهيد : ١٤٨ .

٣ الديوان : المت .

٤ الديوان : وذادني .

٥ الشريشي ١ : ٣٤١ .

٦ الشريشي : ابن محمد .

وهذا الوزير المذكور كان يُصَرِّف شعره في أوصاف الغزلان ومخاطبات الإخوان ، وكتب إلى الشريشي - شارح المقامات^١ - يستدعي منه كتاب العقد :

أَيَا مَنْ غَدَا سَلَكًا بِحَيْدِ مَعَارِفِهِ وَمَنْ لَقِظَهُ زَهْرٌ أُنِيقٌ لِقَاطِفِيهِ
عَبُّكَ أَضْحَى عَاطِلَ الْجَيْدِ فَلْتَجِدْ بِعِقْدٍ عَلَى لَبَّاتِهِ وَسَوَافِهِ
وَوُعِكَ فِي بَعْضِ الْأَعْيَادِ ، فَعَادَهُ مِنْ أَعْيَانِ الطَّلِبَةِ جَمَلَةٌ ، فَلَمَّا هَمُّوا
بِالْانْصِرَافِ أَنْشَدَهُمْ ارْتِجَالًا :

لِلَّهِ دَرْ أَفَاضِلِ^٢ أَمْجَادِ شَرُفَ النَّدِيِّ بِقَصْدِهِمُ وَالنَّادِي
لَمَّا أَشَارُوا بِالسَّلَامِ وَأَزْمَعُوا أَنْشَدَهُمْ وَصَدَقْتُ فِي الْإِنْشَادِ
فِي الْعِيدِ عُدْتُمْ وَهُوَ يَوْمَ عَرُوبَةٍ يَا فَرَحِي بِثَلَاثَةِ الْأَعْيَادِ
قال الشريشي في شرح المقامات : ولقد زرت في مرضه الذي توفي فيه رحمه
الله تعالى أنا وثلاثة فتيان من الطلبة ، فسألني عنهم وعن آبائهم ، فلما أرادوا
الانصراف ناول أحدهم محبرة ، وقال له : اكتب ، وأملى عليه ارتجالًا :

ثَلَاثَةُ فَتَيَانٍ يُولَفُ بَيْنَهُمْ نَدِيٌّ كَرِيمٌ لَا أَرَى اللَّهَ بَيْنَهُمْ
تَشَابَهَ خَلَقٌ مِنْهُمْ وَخَلِيقَةٌ فَإِنْ قَلَّتْ أَيْنَ الْحُسْنُ فَانْظُرْهُ أَيْنَ هُمْ
وَزَيْنَهُمْ أَسْتَاذُهُمْ إِذْ غَدَا لَهُمْ مَعْلَمَ آيَاتٍ فَتَمِّمْ زَيْنَهُمْ
فَإِنْ خَفَتْ مِنْ عَيْنٍ فَفِي الْكُلِّ فَلْتَقُلْ وَقَى اللَّهَ رَبُّ النَّاسِ لِلْكُلِّ عَيْنَهُمْ

٢٦٧ - وقال الشريشي^٣ : حدثنا شيخنا أبو الحسين ابن زرقون ، عن
أبيه أبي عبد الله ، أنه قعد مع صهره أبي الحسن عبد الملك بن عيَّاش

١ م : صاحب كتاب شرح المقامات .

٢ الشريشي : در عصابت .

٣ الشريشي ١ : ٣٦٥ .

الكاتب على بحر المجاز ، وهو مضطرب الأمواج ، فقال له أبو الحسن : أجز :
وَمُلْتَعِطِمْ الْغَوَارِبِ مَوَجَّتُهُ بَوَارِحُ فِي مَنَاقِبِهَا غَيُومُ
فقال أبو عبد الله :

تَمْنَعُ لَا يَتَعُومُ بِهِ سَقِينٌ وَلَوْ جَدَّبَتْ بِهِ الزُّهُرُ النُّجُومُ
٢٦٨ — وكان لابن عبد ربّه فتي يهواه ، فأعلمه أنّه يسافر غداً ، فلمّا
أصبح عاقه المطر عن السفر ، فأنجلى عن ابن عبد ربّه همّة ، وكتب إليه ١ :

هَلَا ابْتَكُرْتَ لِيَيْنِ أَنْتَ مَبْتَكُرُ هِيَهَاتِ يَا بِي عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْقَدَرُ
مَا زِلْتَ أَبْكِي حَذَارَ الْبَيْنِ مَلْتَهَباً حَتَّى رَأَيْتُ لِيَ فَيْكَ الرِّيحَ وَالْمَطَرَ
يَا بَرْدَهُ مِنْ حَيَا مُزْنٍ عَلَى كَبَدٍ نِيرَانِهَا بِغَلِيلِ الشُّوقِ تَسْتَعْرِ
آلَيْتُ أَنْ لَا أَرَى شَمْساً وَلَا قَمَراً حَتَّى أَرَاكَ فَأَنْتَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وقال ابن عبد ربّه ٢ :

صِلْ مِنْ هَوَيْتِ وَإِنْ أَبْدَى مَعَابِيَةً فَاطِيبُ الْعَيْشِ وَصِلْ بَيْنَ الْفَيْنِ
وَاقْطَعْ حَبَائِلَ خَيْدِنٍ لَا تَلَاثِمُهُ فَقَلَمَا تَسَعُ الدُّنْيَا بَغِيضِينَ
٢٦٩ — وقال أبو محمد غانم بن الوليد المالكى ٣ :

صَيَّرَ فؤَادَكَ لِلْمَحْبُوبِ مَتْرَلاً سَمُّ الْخِيَاطِ بِجَالٍ لِلْمَحْبَبِينَ
وَلَا تَسَامَحْ بِغِيضاً فِي مَعَاشِرَةٍ فَقَلَمَا تَسَعُ الدُّنْيَا بَغِيضِينَ
٢٧٠ — وكان المتوكّل صاحبُ بَطْلَيْوُسَ ينتظر وفود أخيه عليه من

١ أبيات ابن عبد ربّه في المطيح : ٥١ .

٢ المقد ٢ : ٣١٦ .

٣ مر البيتان ص : ٢٦٥ ، ٢٩٨ .

شَنَّتَرِينَ يوم الجمعة ، فَأَتَاه يوم السبت ، فلَمَّا لقيه عانقه وأنشده :

تَخَيَّرَتِ الْيَهُودُ السَّبْتَ عِيداً وقلنا في العروبة يومُ عيدٍ
فلَمَّا أَن طَلَعَتِ السَّبْتَ فِينَا أَطْلَلْتُ لِسَانَ مُحْتَجِّ الْيَهُودِ

٢٧١ - وقال أبو بكر ابن بقي^١ :

أَقَمْتُ فَيْكُمْ عَلَى الْإِقْتَارِ وَالْعَدَمِ لَوْ كُنْتُ حُرّاً أَبَى النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ
فَلَا حَدِيقَتُكُمْ يُجَنِّي لَهَا ثَمَرٌ وَلَا سَمَاؤُكُمْ تُنْهَلُ بِالْدَّيَمِ
أَنَا امْرُؤٌ إِنْ نَبَتَ بِي أَرْضٌ أَنْدَلَسِ جَثَّ الْعِرَاقُ فَقَامَتْ لِي عَلَى قَدَمِ
مَا الْعِيشُ بِالْعِلْمِ إِلَّا حِيلَةٌ ضَعُفَتْ وَحِرْفَةٌ وَكِلْتَا الْقُعْدُدِ الْبَرَمِ

٢٧٢ - وقال الأبيض في الفقهاء المرائين^٢ :

أَهْلَ الرِّيَاءِ لِبَسْتُمْ نَامُوسَكُمْ كَالذُّبِ يُدْلِجُ^٣ فِي الظَّلَامِ الْعَاتِمِ
فَمَلَكْتُمُ الدُّنْيَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ وَقَسَمْتُمْ الْأَمْوَالَ بَابِنِ الْقَاسِمِ
وَرَكِبْتُمْ شُهْبَ الْبَغَالِ بِأَشْهَبِ وَبَأَصْبَغٍ صَبِغَتْ لَكُمْ فِي الْعَالَمِ
وقال^٤ :

قُلْ لِلْإِمَامِ سَنَا الْأَثَمَةِ مَالِكٍ نُورِ الْعَيُونِ وَنُزْهَةِ الْأَسْمَاعِ
لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ هُمَامٍ مَاجِدٍ قَدْ كُنْتَ رَاعِيْنَا فَنَعَمْ الرَّاعِي
فَمَضَيْتَ مُحَمَّدُ النُّقْيِيَّةُ طَاهِراً وَتَرَكْنَا قَنْصاً لَشَرِّ سَبَاعِ

١ أبيات ابن بقي في القلائد : ٢٨١ .

٢ زاد المسافر : ٧١ وهي في المعجب : ٢٣٥ منسوبة لابن البني ؛ وانظر الشريشي ١ : ١٨٥ .

٣ زاد المسافر : يحتل .

٤ زاد المسافر : ٧١ .

٥ م : المناقب .

أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل طاوي الحشا متكفت الأضلاع
تشكوك دنيا لم تزل بك برّة ماذا رفعت بها من الأوضاع

٢٧٣ - وقال ابن صارة :

يا من يعدّني لما تملكني ماذا تريدُ بتعذبي وإضراري
تروّقُ حسناً وفيك الموتُ أجمعه كالصقل في السيف أو كالنور في النار

٢٧٤ - وقال عبدون البلنسي^١ :

يا من مُحَيَّاهُ جنّاتٍ مفتحةً وهجره لي ذنبٌ غير مغفور
لقد تناقضت في خلقي وفي خلقي تناقض النار بالتدخين والنور

٢٧٥ - وقال الوزير ابن الحكيم :

رَسَخَتْ أصولُ علاكمُ تحت الثرى ولكم على خطّ المجرة دارُ
إنّ المكارمَ صورةٌ معلومةٌ أنتم لها الأسماعُ والأبصارُ
تبدو شمسُ الدّجنِ من أطواقكم وتفيضُ من بين البنانِ بحارُ
ذلتُ لكم نَسَمُ الخلاقِ مثل ما ذلتُ لشعري فيكمُ الأشعارُ
فمحقٌ مدحتٌ ولا مدحتٌ سواكم فمدحكم في مدحه إضمارُ

٢٧٦ - وقال القاضي أبو جعفر ابن برطال^٢ :

١ هو أبو محمد عبد الله بن يحيى الحضرمي ابن صاحب الصلاة ويعرف بمبدون من أهل دانية وسكن شاطبة وتوفي ببليسية (٥٧٨ -) وترجمته في التحفة : ٦٨ والتكملة رقم : ١٤٠٢ .
٢ هو أحمد بن محمد بن علي الأموي ويكنى أبا جعفر ويعرف بابن برطال ، كان من أهل الحير والانباض والعفة والوقار يتكسب بصناعة التوثيق ، ثم أصبح قاضياً لفرناطة وإماماً بمسجدها الأعظم حتى عام ٧٤١ وتوفي بمالقة سنة ٧٥٠ (انظر ترجمته وشعره في الإحاطة ١ : ١٧٧ - ١٧٩) .

أستودع الرحمن مَنْ لِيُودَاعِهِمْ قلبي وروحي آذنا بوداع
بانوا وطرفي والفؤاد ومِقْوَلِي بالكِ ومسلوبُ العزاء وداع
فتولَّ يا مولايَ حفظهم ولا تجعلُ تفرُّقنا فراقَ وداع^١
٢٧٧ - وقال ابن خفاجة^٢ :

وما هاجني إلا تَأَلَّقُ بارقٍ لبستُ به بُرْدَ الدُّجْنَةِ مُعَلِّمًا
وهي طويلة .

وقال من أخرى^٣ :

جَمَعَتْ ذَوَائِبُهُ وَنورُ جَبِينِهِ بينَ الدُّجْنَةِ والصباحِ المشرقِ
٢٧٨ - وقال ذو الوزارتين أبو الوليد ابن الحضرمي البطليوسي في
غلام للمتوكل بن الأفطس يرثيه^٤ :

غَالَتْهُ أَيْدِي المَنَايا وَكُنَّ في مَقْلَتِهِ
وكان يسقي الندامى بطرفه ويديهِ
غصنٌ ذَوِي وهلالٌ جار الكسوفُ عليه

٢٧٩ - وقال الفقيه العالم أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطلال البطليوسي
عالمها في المذهب المالكي ، وقد تحاكم إليه وسيمان أشقر وأكحل فيمن يفضل
بينهما^٥ :

وشادِنَيْنِ أَلَمَّا بي على مِقَّةٍ تَنَازَعَا الحَسَنَ في غَاياتِ مُسْتَبَقِ

١ سقط البيت من م .

٢ ديوانه : ١٧٣ .

٣ ديوانه : ١٥٠ .

٤ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٣٦٥ .

٥ مرت الأبيات ص : ٢٩٢ .

كأنَّ لَمَّةَ ذا من نرجس خلقت
 وحكَّما الصَّبَّ في التفضيل بينهما
 فقام يُبدي هلالُ الدَّجنِ حُجَّتَه
 فقال وجهي بدرٌ يستضاء به
 وكحل عيني سحرٌ للنهي وكذا
 وقال صاحبه أحسنت وصفك لـ
 أنا على أفقي شمسُ النهار ولم
 وفضل ما عيبَ في العينين من زرقِ
 قَبَضَيْتُ لَمَّةَ الشَّقاءِ حيث حكت
 فقام ذو اللَّمَّةِ السوداء يرشقي
 وقال جرَّت فقلت الجور منك على
 وقلت عَفْوُكَ إذ أصبحتُ متهماً
 على بهار وذا مسك على ورقِ
 ولم يخافا عليه رشوة الحدقِ
 مبيتاً بلسان منه منطلقِ
 ولون شعري مقطوع من الغسقِ
 لك الحسن أحسن ما يعزى إلى الحدقِ
 كن فاستمع لمقال في مُتَّفَقِ
 تغرب وشقرة شعري شقرة الشفقِ
 أن الأسنَّة قد تُعزى إلى الزُّرقِ
 نوراً كذا حبَّها يقضي على رمقي
 سهام أجفانه من شدة الحنقِ
 قلبي ولي شاهد من دَمعي الغدقِ
 فقال دونك هذا الحبل فاختنقِ
 وكان فيه ظَرْفٌ وأدب ، وعنوان طبقته هذه الأبيات .

وقال :

وغاب من الأكواس فيها ضَرَاغَمُ من الراح ألبابُ الرجال فريسها
 قرعتُ بها سنَّ الحلوم فأقطعتُ وقد كاد يسطو بالفؤادِ ريسها

وله رحمه الله تعالى « شرح البخاري » وأكثر ابن حجر من النقل عنه في
 « فتح الباري » ، وله كتاب « الأحكام » وغير ذلك ، وترجمته شهيرة .

٢٨٠ — وقال الأديب النحوي المؤرخ أبو إسحاق إبراهيم بن [قاسم]
 الأعلم البطليوسي صاحب التواليف التي بلغت نحو خمسين ^١ :

١ النظر ترجمته في المغرب ١ : ٣٦٩ واختصار القدح : ١٥٧ وبغية الرواة : ١٨٥ والبيتان في
 المغرب والقدح .

يا حِمْنُ لا زلتِ داراً لكلِّ بؤسٍ وساحه
ما فيك موضعُ راحه إلاّ وما فيه راحه

وهو شيخ أبي الحسن ابن سعيد صاحب « المغرب » وأنشده هذين البيتين
لما ضجر من الإقامة بإشبيلية أيام فتنة الباجي .

٢٨١ - وقال الأديب الطيب أبو الأصبغ عبد العزيز البطليوسي الملقب
بالقلمندر^١ :

جَرَّتْ مِنِّي الحمرُ مجرى دمي فَجُلُّ حَيَاتِي من سكرها
ومهما دجتْ ظَلَمٌ للهمومِ فتَمزِقُهَا بِسَنا بدرها

وخرج يوماً وهو سكران ، فلقي قاضياً في نهاية من قبح الصورة ، فقال :
سكران خلوه ، فلما أخذه الشرط قال للقاضي : بفضل من ولاك علي المسلمين
بهذا الوجه القبيح عليك إلا ما أفضلت علي وتركني ، فقال القاضي : والله لقد
ذكرتني بفضل عظيم ؛ ودرأ عنه الحد .

٢٨٢ - وقال ابن جاح الصباغ البطليوسي^٢ ، وهو من أعاجيب الدنيا ،
لا يقرأ ولا يكتب :

ولما وقفنا غداة النوى وقد أسقطَ البينُ ما في يدي
رأيتُ الهواجِ فيها البلورُ عليها البراقعُ من عَسَجَدِ
وتحت البراقعِ مقلوبُها تدبُّ على وَرْدٍ خَدَّ نَدِي
تُسلم مَنْ وَطِئتْ خَدَّه وتلدغ قلبَ الشَّجي المَكْمَدِ

١ المغرب ١ : ٣٦٩ وفيه « القلمندر » .

٢ ترجمته في الجذوة : ٣٨١ (وبغية المتمس رقم : ١٥٦٢) ؛ والأبيات التي أوردت هنا ذكر
صاحب المطرب (١٨٤) أنها لـ لي بن إسماعيل الأشبوني وأغلاها ابن جاح وأدعاها لنفسه .

وقال في المتوكل ، وقد سقط عن فرس :

لا عَتَبَ للطَّرْفِ إِن زَلَّتْ قَوَائِمُهُ ولا يُدَنِّسُهُ مِنْ عَائِبِ دَنَسٍ
حَمَلْتُ جُوداً وَبِأَسَافٍ فَوْقَهُ وَنُهِى وكيف يحملُ هذا كُلَّهُ الْفَرَسُ

٢٨٣ — وقال الشاعر المشهور بالكميت البطليوسي^١ :

لا تلو موني فإنتي عالمٌ بالذي تأتبه نفسي وتدعُ
بالحمية والمحية صَبَوْتِي وسوى حُبِّهما عندي يدعُ
فُضِّلَ الجمعةُ يَوْمًا وأنا كلُّ أَيَّامِي بأفراحي جُمِعَ

٢٨٤ — وقال أبو عبد الله محمد بن البَينِ البَطَلَيْسِيُّ ، وهو ممن يميل
إلى طريقة ابن هاني^٢ :

غَضَبُوا الصَّبَاحَ فَقَسَّمُوهُ خُدُودًا واستنهبوا قُضْبَ الْأَرَاكِ قَدُودًا
وَرَأَوْا حَصَى الْيَاقُوتِ دُونَ مَحَلِّهِمْ فاستبدلوا منه النجومَ عَقُودًا
وَأَسْتَدْعَوْا حَدَقَ الْمَاهِ أَجْفَانَهُمْ فسبَّوْا بَنَ ضَرَاغِمًا وَأَسُودًا
لَمْ يَكْفِهِمْ حَمْلُ الْأَسْنَةِ وَالظُّبَى حَتَّى اسْتَارُوا أَعْيُنًا وَقُدُودًا
وَتَضَافَرُوا بِضَفَائِرٍ أَبَدُوا لَنَا ضَوْءَ النَّهَارِ بِلِيلِهَا مَعْقُودًا
صَاغُوا الثُّغُورَ مِنَ الْأَقَاحِي بَيْنَهَا مَاءَ الْحَيَاةِ لَوْ اغْتَدَى مَرُودًا

٢٨٥ — وكان عند المتوكل مضحك يقال له الحَطَّارَةُ ، فشرب ليلة مع
المتوكل ، وكان في السقاة وسيم ، فوضع عينه عليه ، فلمَّا كان وقت السحر
دبَّ إليه ، وكان بالقرب من المتوكل ، فأحسَّ به ، فقال له : ما هذا يا خطارة ؟

١ ترجمة الكميته في الجذوة : ٣١٤ (وبنية الملتبس رقم : ١٢١٥) وهو الكميته بن الحسن أبو
بكر من شعراء عماد الدولة ابن هود بقرقطة ؛ وانظر المغرب ١ : ٣٧٠ .
٢ الشعر في الذخيرة (٢ : ٣٠٧) والمغرب ١ : ٣٧٠ وانظر ما تقدم ص : ٤٠٣ .

فقال له : يا مولاي هذا وقت تفرغ الخطارة الماء في الرياض ، فقال له : لا تَعُدْ
لثلاثاً يكون ماء أحمر ، فرجع إلى نومه . ولم يُعِدْ في ذلك كلمة بقية عمره
معه ، ولا أنكر منه شيئاً ، ولم يحدث بها الخطارة حتى قُتِل المتوكل ، رحمه
الله تعالى .

والخطارة : صنف من الدواليب الخفاف يستقي به أهل الأندلس من الأودية ،
وهو كثير على وادي إشبيلية ، وأكثر ما يباكرون العمل في السحر .^١

٢٨٦ — وقال الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن مولود :

أرني يوماً مِنَ الدهرِ على وَفْقِ الأمانِ
ثمَّ دَعَيْتُ بَعْدَ هذا كيفما شئتَ تراني

٢٨٧ — وقال أديب الأندلس وحافظها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون
الفهري البائري ، وهو من رجال اللخيرة والقلايد ، وشهرته مغنية عن الزيادة ،
يخاطب المتوكل وقد أنزله في دار وكَفَّتْ عليه^١ :

أيا سامياً من جانبيه كليهما « سُمُوَّ حباب الماء حالاً على حال »
لعبدك دارٌ حلَّ فيها كأنها « ديار لسلمي عافياتٌ بلدي خال »
يقول لها لما رأى من دُثُورها « ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي »
فقلت وما عَيْتُ جواباً بردها « وهل يعين من كان في العُصر الخالي »
فمُرَّ صاحب الانزال فيها بعاجلٍ « فإنَّ الفقى يَهْذِي وليس بفعَّال »

وقال في جَمْع حروف الزيادة حسبما ذكره عنه في « المغرب »^٢ :

سألت الحروف الزائدات عن اسمها فقالت ولم تكذب : أمان وتسهيل

١ مرت هذه الأبيات من : ٢٩٣ وانظر المطرب : ١٨٢ .
٢ لم يرد البيت في ترجمة ابن عبدون في المغرب (١ : ٣٧٤) وإنما أورده صاحب المطرب : ١٨٠ .

[ضوابط حروف الزيادة]

قلت : وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس في انتقاء الكلمات الضابطة لها ، وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ، ولنذكر الآن بعضها ، فنقول : منها « أهوى تلمسانا » ونظمناها فقلت :

قالت حروفُ زياداتٍ لسائلها هل هُويْتُ بلدة : أهوى تلمسانا

وجمعها ابن مالك في بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حَشْوٍ ، وهو :

هناء وتسليم ، تلا يوم أنسه ، نهاية مسؤل ، أمان وتسهيل

ومنها « هُويْتُ السمان » . وحكي أن أبا عثمان المازني سئل عنه فأنشد :

هُويْتُ السمانَ فشيَّبني وقد كنتُ قِدمًا هُويْتُ السمانا

ف قيل له : أجبتنا ، فقال : أجبتكم مرتين ، ويروى أنه قال : سألتونيها ، فأعطيتكم ثلاثة أجوبة ، هكذا حكاه بعضُ المحققين ، وهو أرقُّ ممَّا حكاه غير واحد على غير هذا الوجه ، ومنها : « سألتونيها » ، ومنها : اليوم تنساه ، الموت ينساه ، أسلمني وتاه ، هم يتساءلون ، التناهي سموٌ ، تنمي وسائله ، أسلمي تهاون ، تهواني أسلم ، التمس هواني ، ما سألت يهون ، مؤنس التياه ، لم يأتنا سهو ، يا أويس هل نمت ، نويت سؤاظم ، نويت مسائله ، سألم هواني ، تأملها يونس ، أتاني وسهيل ، هوني مسائلها ، سألت ما يهون ، وسليمان أتاه ، تسأل من يهوى ، استملاني هو ، أسلمت وهناني ، هو استمالي ، سائل وأنت هم ، يا هول استم ، أتاه وسليمان .

قلت : وليس هذا تكراراً مع السابق الذي هو « وسليمان أتاه » لأن التقديم والتأخير يصيرهما شيئين .

ومنها : الوسمي هتانُ ، أوليت سنه ، واليتم أنسه ، أمسيت وناله ، أنه

توسيمًا ، أملتني سهوًا ، أتوسل يمنها ، سألتهن يوماً ، سألت يومنها ، سألت
ما يوهن ، نهوي ما سألت ، يهون ما سألت ، وقد سبق «سألت ما يهون»
وعندهما شيئين من أجل التقديم والتأخير كما مرّ نظيره ، ألا تنس يومه ، ليتأس
ماؤه ، سله موتي أنا ، أنسته اليوم ، سألتهم هويناً ، آوي من تسأله ، وهين ما
سألت ، وهني ما سألت ، مسألتي نواه .

ومنها : مسألتي هاون ، سهوان يتألم ، أيلّم سهوان ، أو يلّم ناسه ، مسألتي
أهون ، أو ميت تنساه ، سموتن إلهيا ، أملت سَهَوَان ، وسألتهم هينا ، يهون
ما تسأل ، أتلومن سهيا ، أسلم وانتهى ، يتأمل سهوان ، يتأمل ناسوه ، يتأملن
سواه ، ايتأمل نسوه ، الهوى أتنسّم ، وليت ماه آسن ، تولين أسهما ، اتلوا
سهمين ، أول ساهمتني ، أسماؤه تنيل ، يتأملنه سوا ، أو لم يتسنّاه ، آمن
ويتساهل ، أمسين لهما ، توسمي لناء ، هو ما تسألين ، لأيهما فتوسم ، أيّهما
فتوسل ، أناني لسموه ، سميتهن أولاً ، أولاهن سميت ، سلمتني أهوا ،
أسلمتني هوا ، أو نستميلها ، أيستمهلونا ، هنأت الموسى ، سليم انتهوا ،
وأنت سائلهم ، ساءلته ينمو ، تهنأ لا يسمو ، أسالي مؤنته ، سألتني موهناً ،
التمس هوناً ، استملي أهون ، التناه موسى ، لهواء يتسنّم ، نهوي ما تسأل ،
ماؤه ليتأسن ، تنسمي لهواء ، تلومي إن سها ، ألتني سهوًا ، ستوليناً أمه ،
يتمهلون أسا ، أمهلتني سوا ، التناسي وهم ، أهويت سلمان ، هويت المأنس ،
المأنس تهوي ، هويت أم ناسل ، أوليس تم هنا ، استوهن أمني ، استهون أمني ،
استلمنا وهياً ، أتسلمونيها ، أيتسلمونها ، ألا يتسمونه ، أليس توهمنّا ، ألا
يتسنّموه .

فهذه مائة وأربعة وثلاثون تركيباً ، منها ما هو متين ، ومنها ما هو غير متين ،
وقد جمع ابن خروف فيها اثنين وعشرين تركيباً محكيّاً وغير محكي ، وأحسنها
بيت ابن عبدون السابق ، ويليه بيت ابن مالك ، وقال الطغمي جامعاً لها أربع
مرّات :

أَلْتَنِي سَهْوًا ، تَلُومِي إِنْ سَهَا أَوْ لَيْسَ تَمَ هُنَا ، أَلْهَوَا يَتَسَمَّ
هَكَذَا بِخَطِّهِ يَتَسَمَّ ، وَلَوْ قَالَ يَتَسَمَّ لَكَانَ أَنْسَبَ ، وَقَالَ أَيْضًا :
وَلَيْتَ مَا سَنَاهُ وَالتَّمْسِي هُنَا مَا تَسْأَلِينَ هُوَ أَلْهَوَا يَتَوَسَّم
قلت : وقد جمعت في المغرب زيادة على ما تقدم ، وكنت قدرت رسالة فيها
أسميها « إتحاف أهل السيادة بضوابط حروف الزيادة » .

٢٨٨ - وقال أبو محمد عبد الله بن الليث يستدعي الوزير أبا الحسن الياقوبي
في يوم غَيْمٍ :

رَقَمَ الرَّيْعُ بِرُوضِنَا أَزْهَارَهُ فَجَرَى عَلَى صَفْحَاتِهِ أَنْهَارَهُ
فَعَسَى تَشْرَفْنَا بِبَهْجَةِ سَيِّدٍ أَلْقَى عَلَى لَيْلِ الْخُطُوبِ نَهَارَهُ
تَتَمَتَّعُ الْأَدَابُ مِنْ نَفَّاحَاتِهِ فَيَشْمُ مِنْهَا وَرْدَةٌ وَبَهَارَهُ
يَا سَيِّدًا بِهَرِّ الْبَرِيَّةِ سَوْدَدًا أَبْدَى إِلَيْنَا سِرَّهُ وَجَهَارَهُ
يَوْمٌ أَظْلَّ الْغَيْمُ وَجْهَ ضِيَائِهِ فَعَلَيْكَ يَا شَمْسَ الْعَلَا إِظْهَارَهُ

٢٨٩ - وقال أبو القاسم ابن الأبرش^١ :

أَدِرُّ كَاسَ الْمَدَامِ فَقَدْ تَغَتَّى بِفَرْعِ الْأَيْكِ طَائِرُهُ الصَّدُوحُ
وَهَبَّ عَلَى الرِّيَاضِ نَسِيمُ صَبْحٍ يَمُرُّ كَمَا دَنَا سَارٍ طَلِيحُ
وَمَالَ النَّهْرُ يَشْكُو مِنْ حَصَاةٍ جَرَّاحَاتٍ كَمَا أَنَّ الْجَرِيحَ

وقال :

حَلَفْتُ وَيَشْهَدُ دَمْعِي بِمَا أَقَاسِيهِ مِنْ هَجْرِكَ الزَّائِلِ

١ هو أبو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون الأبرش النحوي (توفي : ٥٣٢) وترجمته في التحفة :
١٣ والصلة : ١٧٤ وبغية الملتبس رقم : ٧٢٢ وبغية الوعاة : ٢٤٣ .

فإن كنت تجحد ما أدعي وحاشاك تُعرفُ بالجاحد
فإن النبي عليه السلام قضى باليمين مع الشاهد

٢٩٠ - وقال أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني صاحبُ الذخيرة ،
وشهرته تغني عن ذكره ، ونظمه دون نثره ، يخاطب أبا بكر ابن عبد العزيز :

أبا بكرٍ المُجتَبَى للأدب رفيعَ العمارِ قريعَ الحسبِ
أيلحنُ فيك الزمانُ الخَوونُ ويُعربُ عنك لسانُ العربِ
وإن لم يكنْ ألقنا واحداً فينظمنّا شملُ هذا الأدبِ

وقد ذكرنا له في غير هذا المحل قوله :

ألا بادرْ فلا ثانٍ سوى ما عهَدْتَ الكأسَ والبدرُ التمامُ
... الأبيات

وتأخرت وفاته إلى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وهو منسوب إلى
« شنترين » من الكُور الغربية البحرية من أعمال بطليّوس .

٢٩١ - وقال أبو عمر يوسف بن كوثر :

مررتُ به يوماً يغازلُ مثله وهذا على ذا بالملاحه يمتنُ
فقلتُ: اجمعا في الوصلِ رأيكما فما لثلكما كان التغزلُ والمجنُ
عسى الصبُّ يقضي الله بينكما له بخيرٍ فقالا لي: انتهى العسل السمنُ

٢٩٢ - وقال أبو محمد ابن سارة^١ :

أعندك أن البدرَ بات ضجيجي فقضيّت أوطاري بغيرِ شفيع

١ الذخيرة (٢ : ٣٢٤) .

جعلتُ ابنةَ العنقودِ بيني وبينهُ فكانتُ لنا أُمًّا وكان رضيعي
وقال^١ :

أيا من حارتِ الأوهامُ فيه فلم تعلم له الأقدارُ كُنْها
بجيدِ النبلِ منّا عِقْدُ أنسٍ أقام بغيرِ واسطةٍ فكُنْها

٢٩٣ - وقال أبو الحسن [ابن] منذر الأشبوني :

فديتكَ إنِّي عن جَنابِكَ راحِلٌ فهل ليَ يوماً من لقائك زادُ
وحسبُك والأيامُ خُونُ غوادِرُ فراقُ كما شاء العدا وبعدُ

٢٩٤ - وقال خلف بن هرون القطيني :

مَنْ أَنْبَتَ الْوَرْدَ فِي خَدَّيْكَ يَأْمُرُ وَمَنْ حَمَى قَطْفَهُ إِذْ لَيْسَ مَصْطَبِرُ
الزَّهْرُ فِي الرُّوضِ مَقْرُونٌ بِأَزْمَنَةٍ وَرَوْضُ خَدِّكَ مَوْصُولٌ بِهِ الزَّهْرُ

٢٩٥ - وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس
حَسَّوْنَ وَعَزُّوْنَ وَرَحْمُونَ ، فأولع بهم الإمام أبو محمد ابن السيّد النحوي ،
وقال فيهم^٢ :

أَخْفَيْتُ سُقْمِي حَتَّى كَادَ يَخْفِينِي وَهَمَيْتُ فِي حُبِّ عَزُّوْنَ فَعَزُّوْنِي
ثُمَّ ارْحَمُونِي بِرَحْمُونٍ فَلِنْ ظَمِئْتُ نَفْسِي إِلَى رَيْقِ حَسَّوْنَ فَحَسَّوْنِي
ثُمَّ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ فَخَرَجَ مِنْ قَرْطَبَةٍ ، هكذا رأيته بخط بعض المؤرخين
والله أعلم .

١ الذخيرة (٢ : ٣٢٦) .

٢ مر البيتان ص : ٢٨٧ وقد حذفهما في م وقال : « وقد تقلدت هذه الحكاية » .

٢٩٦ - وقال ابن خفاجة يُداعِب من بِقَلَّ عِذارُهُ^١ :

أيُّها النَّائِبُ مَهْلاً ساءَ في أن تِهْتَ جهلاً
هل ترى فيما ترى إلا شباباً قد تولى
وغراماً قد تسرى وفؤاداً قد تسلى
أين دمعٌ فيك يجري أين جنبٌ يتقلّى
أين نفسٌ بك تهدي وضلوعٌ فيك تُصلى
أيّ بكٍ كان لولا عارضٌ وافى فَوَلَّى
وتخلّى عنكَ إلاَّ أسفلاً لا يتخلّى
وانطوى الحسنُ فهلاًَّ أجملَ الحسنُ وهلاًَّ

أما بعد أيُّها النبيل النبيه ، فإنه لا يجتمع العِذار والته ، قد كان ذلك وغصن تلك الشبيبة رطب ، ومنهّل ذلك المقبل عذب ، وأما والعِذار قد بقَلَّ ، والزمان قد انتقل ، والصبُّ قد صحا فعقل ، فقد ركدت رياحُ الأشواق ، ورقدت عيون العشاق ، فدَعُ عنكَ من نظرة التجنّي ، ومشية التشنّي ، وغُضُّ من عِنانِكَ ، وخُذ في ترضي إخوانك ، وهشَّ عند اللقاء هشّة أريجيّة ، واقنَع بالإيماء رَجْعَ تحيّة ، فكأنّي بفِئناك مهجوراً ، وبزائرك مأجوراً ، والسلام .

٢٩٧ - وقال الرُّصافي لما بعث إليه من يهواه سكيناً^٢ :

تفاءلتُ بالسكين لما بعثته لقد صدقتُ منّي العِيافةُ والزجرُ
فكان من السكينِ سَكْنُناك في الحشا وكان من القطعِ القطيعةُ والمهجرُ

١ ديوان ابن خفاجة : ١٢٩ .

٢ ديوان الرصافي : ٩٩ (عن النفع) .

٢٩٨ — وحضر الفقيه أبو بكر ابن حيش ليلة مع بعض الجلة وطفىء السراج ،
فقال ارتجالاً :
...

أذك السراج يرينا غرةً سمرت فباتت الشمس تستحي وتستر
أو خلت فكفانا وجه سيدنا لا يطلب النجم من في بيته القمر
٢٩٩ — وقصد أحد الأدباء بمُرْسِيَة أحد السادات من بني عبد المؤمن ،
فأمر له بصلّة خرجت على يد ابن له صغير ، فقال المذكور ارتجالاً :
تبرك بتجل جاء باليمن والسعد يشر بالتأييد طائفة المهدي
تكلم روح الله في المهدي قبله وهذا براه بدل اللام في المهدي

٣٠٠ — وخرج الأستاذ أبو الحسن ابن جابر الدباج^١ يوماً مع طلبته للترهة
بخارج إشبيلية ، وأحضرت مُجَبَّنَاتٌ ما خبأ نارها^٢ ، ولا هدا أوارها ، فما
خام عنها ولا كف ، ولا صرّف حرّها عن اختضاها البنان ولا الكف ،
فقال :

أحلى مواقعها إذا قربتها وبُخارها فوق الموائد سام
إن أحرقت لسا فلن أوارها في داخل الأحشاء برّد سلام

٣٠١ — وقال أبو بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبيلي يتهمك برجل زعم
أنه ينال الخلافة^٤ :

أمير المؤمنين نداء شيخ أفادك من نضائحه اللطيفة

١ م : في وجهه .

٢ القصة والبيتان في القدر : ١٥٦ وانظر المغرب ١ : ٢٥٦ .

٣ كانت عادة أهل إشبيلية أكل هذه المجنات يوم خميس إربيل .

٤ زاد المسافر : ٦٩ .

تَحَقَّظْ أَنْ يَكُونَ الْجَذَعُ يَوْمًا سَرِيرًا مِنْ أَسْرَتِكَ الْمَنِيْفِه
أَفْكَرَ فِيكَ مَطْوِيًّا فَأَبْكَى وَتُضْحِكُنِي أَمَانِكَ السَّخِيْفِه

٣٠٢ - وقال صفوان :

وَنَهَارٍ أَنْسَى لَوْ سَأَلْنَا دَهْرَنَا فِي أَنْ يَعُودَ بِمِثْلِهِ لَمْ يَقْدِرِ
خَرَقَ الزَّمَانُ لَنَا بِهِ عَادَاتِهِ فَلَوْ اقْتَرَحْنَا النِّجْمَ لَمْ يَتَعَذَّرِ
فِي فَتِيَةٍ عَلِمْتُ ذُكَاءَ بِحْسَنِهِمْ فَتَلَفَعْتُ مِنْ غَيْمِهَا فِي مَثَرِ
وَالسَّرْحَةُ الْغَنَاءُ قَدْ قَبِضَتْ بِهَا كَفَّ النَّسِيمَ عَلَى لَوَاءِ أَخْضَرِ
وَكَأَنَّ شَكْلَ الْغَيْمِ مُنْخَلٌ فُضَّةٍ يَلْقَى عَلَى الْآفَاقِ رَطْبَ الْجَوْهَرِ

٣٠٣ - واجتاز بعضُ الغُلمانِ على أبي بكرِ ابنِ يوسفَ ، فسَلَّمَ عليه
بإصبعه ، فقال أبو بكرِ في ذلك وأشار في البيتِ الثالثِ إلى أن والدَ الغلامِ كان
خطيبَ البلدِ :

مَرَّ الْغَزَالُ بِنَا مَرُوعًا نَافِرًا كَشِيْبِهِ فِي الْقَفْرِ رِيحَ بَصَائِدِهِ
لَمْ السَّلَامَى فِي السَّلَامِ تَسْتَرَا ثُمَّ انْثَنَى حَذَرَ الرَّقِيبِ لِرَاصِدِهِ
هَلَا تَكَلَّفَ وَقَفَّةً لِمَحَبَّةٍ وَلَوْ أَنَّهَا قَصَّرَا كَجَلْسَةِ وَالِدِهِ

٣٠٤ - وقال أبو القاسمِ القُبْتُوري :

وَاحْتَسَرْنَا لِأُمُورٍ لَيْسَ يَبْلُغُهَا مَالِي وَهْنٌ مُتَى نَفْسِي وَآمَالِي
أَصْبَحْتُ كَالْآلِ لَا جَدْوَى لَدَيَّ وَمَا آلَيْتُ جِدًّا وَلَكِنْ جَدِّيَ الْآلِي

٣٠٥ - وقال أبو الحسنِ ابنِ المُنَاجِجِ ٢ :

١ ب : الماء .

٢ هو جعفر بن الحاج ، ترجم له في الثلاثد : ١٣٩ والمغرب ٢ : ٢٧٧ وانظر الحاشية ، وورد
البيتان فيه ص : ٢٨١ والمغرب : ١٧٥ وقد وقفا في م قبل بيتي القُبْتُوري .

كفى حَزَنًا أنَّ المِشَارِعَ جَمَّةٌ وعندي إليها غُلَّةٌ وأوامُ
ومن نَكَدِ الأيام أنْ يَعدِمَ الغنى كَرِيمٌ وأنَّ المَكثرينَ لثامُ

٣٠٦ - وقال أحمد بن أمية البلنسي :

قال رئيسي حين فاوضته وما درى أن مقامي عسير
أقم فقلت الحال لا تقتضي فقال سر قلت جناحي كسير

٣٠٧ - وقال ابن برطله :

لله ما ألقاه من همّة لا ترتضي إلا السها متزلا
ومن خمُول كلما رمت أن أسمو به بين الورى قال لا

٣٠٨ - وكتب ابن خروف لبعض الرؤساء :

يا من حوى كل مجدٍ بمجده وبجده
أناك نجلُ خروفٍ فامن عليه بمجده

وكتب أيضاً لبعضهم يستدعي فروة :

بهاء الدين والدنيا ونور المجدي والحسب
طلبتُ مخافةً الأنوا من جدِّك جلد أبي
وقضيتُك عالمٌ أني خروفٌ بارعُ الأدب
حلبتُ الدهرَ أشطُرهُ وفي حلبٍ صفا حلبِي

وبعد كتّبي لما ذكر خشيت أن يكون لابن خروف المشرقي لا الأندلسي^١ ،
والله تعالى أعلم .

١ هو كما قدر المقرئ فإن هاتين القطعتين لابن خروف أبي الحسن علي بن محمد ، ولكنه أيضاً قرطبي
الأصل استقر بحلب (انظر النصوص اليانعة : ١٣٨ وزاد المسافر : ٢٠) .

٣٠٩ - وركب محبوب أبي بكر ابن مالك^١ كاتب ابن سعد بغلة^٢ رديف^٣ رجل يُعرف بالدب ، فقال أبو بكر في ذلك :

وبغلة ما لها مثال^٤ يركبها الدب والغزال^٥
كأن هذا وذا عليها سحابة خلقت^٦ها هلال^٧

٣١٠ - وخرج محبوب لأبي الحسن ابن حريق^٨ يوماً لنزهة وعرض^٩ سئل عاقه عن دخول البلد ، فبات ليلة عند أبي الحسن ، فقال في ذلك :

يا ليلة جادت الأمانى بها على رغم أنف دهري
تسيل فيها على نغمي يقصر عنها لسان شكري
أبات في منزلي حبيبي وقام في أهله بعذري
وبت لا حالة كحالي صريع سكر ضجيع بدر
يا ليلة القدر في الليالي لأنت خير من ألف شهر

٣١١ - وقال أبو الحسن ابن الزقاق^{١٠} :

عذيري من هضم الكشح أحوى رخيماً الدل قد لبس الشبا^{١١}با
أعد الهجر هاجرة لقلبي وصير وعده فيها سرآبا

٣١٢ - وقال أبو بكر ابن الجزار السرقسطي :

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه فلا تكتسب بالمال شيئاً سوى الذكر
فقد أبليت الأيام كعباً وحاماً وذكرهما غص^{١٢} جديد إلى الحشر

١ زاد المسافر : ٣٣ .

٢ هذا الخبر والشعر سقطا من م ؛ وقد مرت الأبيات ص : ٤١٠ .

٣ ديوان ابن الزقاق : ٩٨ .

٤ ب : العتب

٣١٣ — وقال الأديب أبو عبد الله الجذامي^١ : كان لشخص من أصحابنا قَيْنَةٌ ، فبينما هو ذات يوم قد رام تقبيلها على أثر سواك أبصره بمبسمها إذ مرَّ فوَّال ينادي على فول يبيعه ، قال : فكلتُني أن أقول في ذلك شيئاً ، فقلت : ولم أنسَ يومَ الأنسِ حين سمَّحتَ لي وأهديتَ لي من فيك فول سواكِ ومرَّ بنا الفوَّالُ للفولِ مادحاً وما قصَّدهُ في المدحِ فولُ سواكِ وشرب يوماً أبو عبد الله المذكور عند بعض الأجلَّةِ وذَرَعَه القِيءُ ، فارتجَل في العذر :

لا تَوَاخِذْ مَنْ أَخْلََّ بِهِ قَهْوَةٌ فِي الْكَاسِ كَالْقَبَسِ
كَيْفَ يُلْحَى فِي الْمَدَامِ فَتًى أَخْلَتْهُ أَخْذَ مَقْرَسِ
دَخَلْتُ فِي الْحَلْقِ مُكْرَهَةً ضَاقَ عَنْهَا مَوْضِعُ النَّفْسِ
خَرَجْتُ مِنْ مَوْضِعٍ دَخَلْتُ أَنْفَتُ مِنْ مَخْرَجِ النَّجَسِ

٣١٤ — وجلس سلمة بن أحمد إلى جنب وسيم يكتب من محبرة فانصبَّ الحبرُ منها على ثوب سلمة ، فخبَل الغلام ، فقال سلمة :

صَبَّ الْمَدَادَ وَمَا تَعَمَّدَ صَبَّهُ فَتَوَرَدَ الْخُلْدُ الْمَلِيحُ الْأَزْهَرُ
يَا مَنْ يُوَثِّرُ حَبْرَهُ فِي ثَوْبِنَا تَأْثِيرُ لِحْظِكَ فِي فَوَادِي أَكْبَرُ

٣١٥ — وكان لأبي الحسن ابن حزمون^٢ بمُرْسِيَّة محبوب يدعى أبا عامر ، وسافر أبو الحسن ، فبينما هو بخارج المَرِيَّةِ إذ لقي فتى يشبه محبوبه ، وسأله عن اسمه ، فأخبره بأنه يدعى أبا عامر ، فقال أبو الحسن في ذلك :

إِلَى كَمْ أَفِيرُ أَمَامَ الْهَوَى وَلَيْسَ لَذَا الْحَبِّ مِنْ آخِرِ

١ الخبر والبيتان التاليان ساقطة من م .

٢ من شعراء زاد المسافر : ٦٤ وله شعر في المعجب والبيان المغرب .

وكيف أفرُّ أمامَ الهوى وفي كلِّ وادٍ أبو عامرٍ

٣١٦ - وحضر أبو بكر ابن مالك كاتب ابن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوال ، فأغمي على الناس ورآه محبوبه ، فقال أبو بكر في ذلك ^١ :

تواري هلالُ الأفقِ عن أعينِ الوريِّ ولاحَ لمن أهواهُ منه فحيَّاهُ ^٢
فقلتُ لهم : لم تفهموا كُنْهَ سِرِّهِ ولكنَّ خلدوا عني حقيقةَ معناه
بدا الأفقُ كالمرآةِ راقِ صفاؤه فابصرَ دونَ الناسِ فيه مُحَيَّاهُ

٣١٧ - وكتب أبو بكر ابن حبيش لمن يهواه بقوله :

متى ما ترمَّ شرحاً لحالي وتبيناً فصَحَّفَ على قلبي « علومك تحيينا »
أراد « إنِّي بحبك مولع » .

٣١٨ - وكتب القاضي ابن السليم ^٣ إلى الحكم المستنصر بالله :

لو أنَّ أعضاءَ جسمي السَّنُ نطقتْ بشكرِ نِعَمائك عندي قلَّ شكري لك
أو كانَ ملكي الرحمنُ من أجلي شيئاً وصلتُ به يا سيدي أجلك
ومن تكنُ في الوريِّ آماله كثرتْ فلنما أمني في أنْ ترى أملكُ

٣١٩ - وقال الوزير ابن أبي الخصال :

وكيف أودِّي شكرَ من إن شكرتهُ على بَرٍّ يومٍ زادني مثلهُ غدا
فإن رمتْ أقضي اليومَ بعضَ الذي مضى رأيتُ له فضلاً عليَّ مُجدِّداً

١ زاد المسافر : ٣٣ .

٢ م : عياه .

٣ ب : ابن سليم .

٣٢٠ - وقال الرُّصافي^١ :

قلّدتُ جيدَ الفكرِ من تلكِ الحلَى ما شاءه المنثورُ والمنظومُ
وأشّرتُ قدّامي كَأَنّي لَأَثمُّ وكأَن كَفّي ذلكِ المثلثُ

وقال :

ويا لكِ نعمةٍ رُمّنا مَداها فما وصل اللسانُ ولا الضميرُ
عجزنا أنْ نقومَ لها بشكرٍ على أنْ الشكورَ لها كثيرُ

٣٢١ - وقال ابن باجة :

قومٌ إذا انتقبوا رأيتَ أهْلَةً وإذا هُمُ سفروا رأيتَ بدورا
لا يسألون عن النوالِ عَفَاتِهِمْ شكراً ولا يحمون منه فقيرا
لو أَنهم مسحوا على جَدْبِ الرُّبَى بأَكْفِهِمْ نبتَ الأَقاحِ نَضِيرا^٢

٣٢٢ - وقال ابن الأَبَر يمدح أبا زكريا سلطان إفريقية :

تَحَلَّتْ بِعَلَيَّكَ اللَّيَالِي العَوَاطِلُ ودانت لسقياكِ السحابُ الهَوَاطِلُ
وما زينةُ الأيامِ إلا مناقِبُ يُفَرِّعُهَا أَصْلَانِ : بَأْسُ وناثِلُ
إذا الطَّوَلُ وَالصَّوَلُ اسْتَقْلَا بِرَاحَةٍ تَرَقَّتْ لَهَا نَحْوُ النَّجُومِ أَنَامِلُ

وقال أيضاً في سعيد بن حكيم رئيس منركة :

سَيِّدٌ أَيْدٍ رَئِيسٌ بَيْسٌ في أساريه صفاتُ الصِّباحِ
قَمَرٌ في أَفْقِ المَعَالِي تَجَلَّى وتَحَلَّى بالسَّوْدِ الوَضَّاحِ
سَلَمَ البَحْرِ في السَّامِحَةِ مِنْهُ لِحِوَادِ سَمَوِهِ بِحَرَ السَّامِحِ

١ ديوان الرصافي : ١٣١ ، ٨٧ .

٢ ب : صغيراً .

٣٢٣ — وقال أبو العباس أحمد الإشبيلي :

يا أفضلَ الناسِ إجماعاً ومعرفتي تُغني وما الحسنُ في ريب ولا ريبِ
ورثتَ عن سلفٍ ما شئتَ من شرفٍ فقد بهرتَ بموروثٍ ومكتسبِ

٣٢٤ — وقال ابن زهر الحفيد :

يا من يُذكرني بعهدٍ أحبَّتي طاب الحديثُ بذكرهم ويطيبُ
أعِدِ الحديثَ عليَّ من جنابته إنَّ الحديثَ عن الحبيب حبيب
مأ الضلوعَ وفاضٍ عن أحنائها قلبٌ إذا ذُكر الحبيبُ يذوبُ
ما زال يضرب خافقاً بجناحه يا ليت شعري هل تطيرُ قلوبُ

وقال في زهر الكتان :

أهلاً بزهر اللازوردِ ومرحبا في روضةِ الكتانِ تعطفه الصبا
لو كنتُ ذا جهلٍ لخلتُك بلحّةً وكشفتُ عن ساقٍ كما فعلتُ سباً

ولما قال الموشحة المشهورة التي أولها :

صادني ولم يدر ما صاد

قال أبو بكر ابن الجدي : لو سئل عما صاد لقال : تيس بلحية حمراء .
ولما قال الموشحة التي أولها :

هاتِ ابنة العنبِ واشربِ

إلى قوله :

وفدّه بأبي ثمَّ بي

سمعها أبوه فقال : يفديه بالعجوز السوء أمّه ، وأما أنا فلا .

٣٢٥ - وهنالك أبو بكر ابن زهر الأصغر^١ ، وهو ابن عم^٢ هذا الأكبر .
ومن نظم الأصغر :

والله ما أدري بما أتوسَّلُ إذ ليس لي ذاتُ بها أتوصَّلُ
لكن جعلتُ مودتي مع خدمتي لعُلاكَ أحظى شافعٍ يُتَقَبَّلُ
إن كنتُ من أدواتِ زُهرٍ عاطلاً فالزُهرُ منهنَّ السَّمَكُ الأعزلُ

وهذه الأبيات خاطب بها المأمون بن المنصور صاحب المغرب .

٣٢٦ - وقال الأديب أبو جعفر عمر ابن صاحب الصلاة :

وما زالت الدنيا طريقاً هالك تُبَاينُ في أحوالها وتُخالفُ
ففي جانبٍ منها تقوم مآتمٌ وفي جانبٍ منها تقومُ معازفُ
فمن كان فيها قاطناً فهو ظاعنٌ ومن كان فيها آمناً فهو خائفُ

٣٢٧ - وقال أبو بكر محمد ابن صاحب الصلاة يخاطب أخيل^٣ لما انتقل
إلى العُدَّة :
١

لا تُنكرنَ زماناً رماكَ مِنْهُ بسهم
وأنتَ غايةُ مجدٍ في كلِّ علمٍ وفهم
هذي دموعي حتى يراكَ طرفي تهني
يا ليتَ ما كنتُ أخشى عليكَ عُدَّوانَ هم
ولئنا الدهرُ يُبدي ما لا يجوزُ بؤهم
ما زال شِيْهَمَ مَسٍّ لكلِّ يقظانٍ شِيْهَم

ولما وفد أهل الأندلس على عبد المؤمن قام خطيباً نائراً وناظماً ، فأثنى

١ هو أبو بكر محمد بن قسورة بن زهر الإيادي ، وترجمته وأبياته في القلح : ١٥٠ - ١٥١ .
٢ يياض في ب ٤ م : أخال .

بالمعجب ، وبأمر به أهل الأندلس في ذلك الوقت .

وله في عبد المؤمن :

همُ الألى وهبوا للحربِ أنفُسَهُمْ وَأَنْهَبُوا ما حَوَتْ أَيْدِيهِمُ الصَّفَدَا
ما لَنْ يُغْبِثُونَ كَحُلِّ الشَّمْسِ مِنْ رَهْجٍ كَأَنَّمَا عَيْنُهَا تَشْكُو لَهُمْ رَمَدَا

٣٢٨ - وقال ابن السَّيِّدِ البَطْلَيْوْنِي في أبي الحكم عمرو بن مدحج
ابن حزم ، وقد غلب على لُبِّه ، وأخذ بمجامع قلبه^١ :

رأى صاحبي عَمَرًا فَكَلَّفَ وصفه وَحَمَّلَنِي مِنْ ذَاكَ ما لَيْسَ فِي الطَّوْقِ
فَقُلْتُ لَهُ : عمرو كعمرو فقال لي : صدقت^٢، ولكن ذاك شب^٣ عن الطوقِ

وفيه يقول ابن عبدون^٣ :

يا عمرو رُدَّ عَلَى الصَّدُورِ قلوبها مِنْ غَيْرِ تَقْطِيعٍ وَلَا تَحْرِيقٍ
وأدرُ علينا من خِلالِكَ أَكْوَاسًا لَمْ تَأَلُ تَسْكِرُنَا بِغَيْرِ رَحِيقٍ

وفيه يقول أحدهما :

قل لعمرو بن مدحجِ جَاءَ ما كُنْتُ أَرْتَجِي
شاربًا من زبرجدٍ وَلَمَسَ مِنْ بِنَفْسِجِ

وكتب إليه ابن عبدون :

سلامٌ كما هَبَّتْ مِنْ الْمِزْنِ نَفْحَةٌ تَنْفَسُ عِنْدَ الْفَجْرِ فِي وَجْهِهَا الزَّهْرُ

١ مر البيتان في المجلد الأول : ٦٣٦ وهنا خطأ فصاحب البيتين كما مر هو أبو الحسن البطليوسي

(ابن القبطونة) ، ذكر ذلك ابن بسام في الذخيرة وابن سعيد في المغرب ١ : ٢٣٨ .

٢ ب م : ولكن ذا أشب .

٣ الذخيرة (٢ : ٢٣٢) .

ومنها :

أبا حَسَنَ أبلغْ سلامَ فَمِـي يَدَيَّ أبا حَسَنَ أبلغْ سلامَ فَمِـي يَدَيَّ
ولا تَنسَ يَمناكَ الـتي^١ هي والندى ولا تَنسَ يَمناكَ الـتي^١ هي والندى
رضيعا لِبـانٍ لا اللُّجَيْنِ ولا التَّبرُ

فأجابه من أبيات :

تَحَيَّرَ ذهني في مَجاري صفاته فلم أدْرِ شعراً ما به فُهِتَ أم سحرُ
أرى الدهرَ أعطاكَ التقدُّمَ في العُلَى وإن كان قد وافى أخيراً بك الدهرُ
لئن حازتِ الدنيا بك الفضلَ آخراً فني أخرياتِ الليلِ يَنبَلِجُ الفجرُ

ولعمرو في أبي العلاء ابن زهر^٢ :

قدمتَ عَلَيْنَا والزمانُ جديداً وما زلتَ تُبدي في الندى وتعيدُ
وحقُّ^٣ العُلا لولا مراتبك العُلا لما اخضَرَ في أفقِ المكارمِ عودُ
فلوَحُوا بني زهرٍ فإنَّ وجوهكم نجومٌ بأفلاكِ العلاءِ سعودُ

وقوله لأبي الوليد ابن عمه^٤ :

إنِّي لأعجبُ أن يدنو بنا وطنُ ولا يُقْضَى من اللُّقيا لنا وطرُ
لا غروَ إن بعدت دارُ مُصَاقِبةِ بنا وجدَّ بِنَا للحضرةِ السَّقَرُ
فمحجر العينِ لا يلقاهُ ناظرها وقد توسَّعَ في الدُّنيا به النظرُ

وقال ابن عمه أبو بكر محمد بن مدحج يخاطب ابن عمه أبا الوليد^٥ :

١ الذخيرة : لي تلك التي .

٢ الذخيرة (٢ : ٢٣٤) ؛ وفي م : ولعمرو في ابن زهر .

٣ الذخيرة : وعيش .

٤ الذخيرة (٢ : ٢٣٥) .

٥ الذخيرة (٢ : ٢٤٣) .

ولما رأى حِمْنٌ استخفتْ بقدره
تَحَمَّلَ عَنْهَا وَالْبِلَادُ عَرِيضَةً
على أَنَّهَا كَانَتْ بِهِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
كَمَا سُلِّمَ مِنْ غِمْدِ الدَّجَى صَارِمُ الْفَجْرِ
وقال أبو الوليد المذكور^١ :

أَتَجْزَعُ مِنْ دَمْعِي وَأَنْتَ أَسَلْتَهُ
وَتَزْعُمُ أَنَّ النَّفْسَ غَيْرَكَ عُلِّقَتْ
وَمِنْ نَارِ أَحْشَائِي وَأَنْتَ لَهِيْهَا
وَأَنْتَ وَلَا مِنْ عَالِيكَ حَيَّيْهَا
إِذَا طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيَّ بِسْلُوقٍ
أَثَارُ الْهَوَى بَيْنَ الضَّلُوعِ غُرُوبِهَا
وله أيضاً^٢ :

لَمَّا اسْتَمَالَكَ مَعْشَرٌ لَمْ أَرْضَهُمْ
دَارَيْتُ دُونَكَ مَهْجِي فَمَا سَكَنْتُ
وَالْقَوْلُ فَيْكَ ، كَمَا عَلِمْتَ ، كَثِيرُ
مِنْ بَعْدِ مَا كَادَتْ لِيْلِكَ تَطِيرُ
وَأَسْمَعُ فُغِيرُ وَفَائِكَ الْمَشْكُورُ
فَاذْهَبْ فُغِيرُ جَوَانِحِي لَكَ مَثَرُ
وقال :

يَقُولُ وَقَدْ لَمْتُ فِي هَوَايَ
أَتَحْسَدُنِي ؟ قُلْتُ : لَا وَالَّذِي
فَلَانٍ وَعَرَضْتُ شَيْئاً قَلِيلاً
أَحْلَكَ فِي الْحَبِّ مَرَعَى وَبِيلاً
وَكَيْفَ وَقَدْ حُلَّ ذَاكَ الْجَنَابُ
وَقَدْ سَلَكَ النَّاسُ ذَاكَ السَّبِيلَا
وله ممّا يُكْتَبُ عَلَى قَوْسٍ^٣ :

إِنَّا إِذَا رُفِعَتْ سَمَاءُ عَجَاجَةٍ
وَتَمَرَّدَ الْأَبْطَالُ فِي جَنَابَاتِهَا
وَالْحَرْبُ تُقَعَّدُ بِالرَّدَى وَتَقُومُ
وَالْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ النَّفُوسِ يَحُومُ

١ الذخيرة : ٢٣٧ .

٢ المغرب ١ : ٢٤٠ .

٣ الذخيرة (٢ : ٢٤٤) م : وما يكتب على قوس قوله .

مرقت لهم منا الحتوف كأنما نحن الأهلّة والسهام نجوم^١

٣٢٩ — وقال أبو الحسين ابن فندلة في كلب صيد^٢ :

فُجِعْتُ بمن لورمتُ تعبيرَ وصفه لقلّ ولو أنّي غرفت من البحرِ
بأخطَلٍ وثابٍ طموحٍ مؤدّبٍ ثبوتٍ يصيدُ النسرَ لو حلّ في النسرِ
كلونِ الشبابِ الغضّ في وجهه سنّاً كأنه ظلاماً ليس فيه سوى البدرِ
إذا سار والبازي أقولُ تعجّباً ألا ليت شعري يسبقُ الطير من يجري

ولا يلتفت إلى قول أبي العباس ابن سيد فيه^٣ :

الموتُ لا يُبقي على مهجةٍ لا أسداً يُبقي ولا نَعَثَلَه^٤
ولا شريفاً لبني هاشمٍ ولا وضعياً لبني فندله^٥

وكان ابن سيد مسلطاً على هذا البيت ، قال ابن سعيد : وإنّما ينبح الكلب القمر .

٣٣٠ — قال أبو العباس النجّار^٦ : كان أبو الحسين يلقّب بالوزّعة ، فوصلتُ إلى بابه يوماً ، فتحجب عني ، فكتبت على الباب :

تحجّبَ الفندليُّ عني فساء من فعله ضميري
ينفّرُ من رؤيتي كأنّي مضمخُ الجيبِ بالعبيرِ

قال : ومن عادة الوزّعة أن تكره رائحة الزعفران وتهرب منه .

١ اللخيرة : نجوم .

٢ ترجمته في المغرب ١ : ٢٤١ والهاشية ؛ وكنيته فيه أبو الحسن .

٣ هو أحمد بن سيد الملقب بالعر (المغرب ١ : ٢٥٢ والهاشية) .

٤ ب : تنفله ؛ م : شكله .

٥ ب : الأبار ؛ ق : النبار .

٣٣١ - وقال أبو القاسم ابن حسان^١ :

ألا لَيْتَنِي مَا كُنْتُ يَوْمًا مَعْظَمًا ولا عرفوا شخصي ولا علموا قَصْرِي
أَكَلَفُ فِي حَالِ الْمَشِيبِ بِمَثَلِ مَا تحملته والغصنُ فِي وَرْقٍ نَضْرِي
فَمَا عَاشَ فِي الْأَيَّامِ فِي حُرِّ عَيْشَةٍ سوى رجلٍ ناءٍ عن النّهي والأمرِ

٣٣٢ - وقال أبو بكر ابن مرتين^٢ :

صَحِبْتُ مِنْكَ الْعِلَّاءَ وَالْفَضْلَ وَالْكَرَمَا وشيعةً فِي النَّدى لَا تَرْضِي السَّامَا
مُودَّةً فِي ثَرَى الْإِنْصَافِ رَاسِخَةً وَسَمَكُهَا فَوْقَ أَعْنَاقِ السَّمَاءِ سَمَا

وقال :

أَنْصِفْنِي فَمَحْضُوكَ الْوَدِّ الَّذِي يُجْزَى بِصِفْوَتِهِ الْخَلِيلُ الْمُنْصِفُ
لَا تَشْكُرَنَّ سِوَى خِلَالِكَ إِنَّهَا جَلَبَتْ إِلَيْكَ مِنَ الثَّنَا مَا يُعْرَفُ

وقال :

يَا هِلَالًا يَتَجَلَّى وَقُضِيًّا يَتَشَّى
كُلُّ أَنْسٍ لَمْ تَكُنْهُ فَهُوَ لَفْظٌ دُونَ مَعْنَى

٣٣٣ - وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن زرقون :

ذَكَرَ الْعَهْدَ وَالْذِيَارَ غَرِيبُ فَجَرَى دَمْعُهُ وَلَجَّ النَّحِيبُ
ذَكَرَ الْعَهْدَ وَالنَّوَى مِنْ حَبِيبِ حَبَلًا الْعَهْدُ وَالنَّوَى وَالْحَبِيبُ
إِذْ صَهَقَ الْوُدَادِ غَيْرُ مَشُوبِ بَتَجَنٍّ وَوَدُنَا مَشُوبُ

١ ترجمته في القلح : ١٤٨ (توفي سنة ٦٢٥) .

٢ أبو بكر محمد بن مرتين وزير للخافر بن المعتمد أثناء ولايته على قرطبة ؛ (انظر المغرب ١ :

٢٤٣ وفيه البيتان الأولان) .

وإذا الدهرُ دهرنا وإذا الدا رُ قريبٌ وإذا يقولُ الرقيبُ

ومنها :

أَسْأَلُ اللَّهَ عَقْوَهُ فَلَنِّ سَا ۞ مَقَالِي لَقَدْ تَعَفُّ الْقُلُوبُ
قَدْ يَنَالُ الْفَتَى الصِّغَاثِرَ ظَرْفًا لَا سَوَاهَا وَلَكِنَّ تُوبُ ذُنُوبُ
وَأَخُو الشَّعْرِ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ وَسَوَاءٌ صَدُوقَهُ وَالْكَذُوبُ

٣٣٤ - وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمر الإشبيلي^١ :

وَكُلُّهُ إِلَى طَبْعِهِ عَائِدٌ وَإِنْ صَدَّه الْمَنَعُ عَنْ قَصْدِهِ
كَذَا الْمَاءُ مِنْ بَعْدِ إِسْخَانِهِ يَعُودُ سَرِيعًا إِلَى بَرْدِهِ

وقال :

يَا مَعْدِنَ الْفَضْلِ وَطَوْدَ الْحَجَى لَا زِلْتَ مِنْ بَحْرِ الْعَلَا تَغْتَرَفُ
عَبْدُكَ بِالْبَابِ فَقُلْ مُنْعَمًا يَدْخُلُ أَوْ يَصْبِرُ أَوْ يَنْصَرِفُ

٣٣٥ - وقال إمام اللغة أبو بكر محمد بن الحسن^٢ الزبيدي الإشبيلي :

مَا طَلَبْتُ الْعُلُومَ إِلَّا لِأَنِّي لَمْ أَزَلْ مِنْ فَنُونِهَا فِي رِيَاضِ
مَا سَوَاهَا لَهُ بِقَلْبِي حَظٌّ غَيْرَ مَا كَانَ لِلْعَيُونِ الْمِرَاضِ

وقال :

أَشْعِرَنَ قَلْبَكَ يَا سَا لَيْسَ هَذَا النَّاسُ نَاسَا
ذَهَبَ الْإِبْرِيْزُ مِنْهُمْ فَبَقُوا بَعْدُ نُحَاسَا

١ هو المعروف بالمهبرس ، وقد مرت الإشارة إلى ترجمته ، قتل في واقعة تالمست سنة ٦٢٥ .
٢ ق ب : الحسين .

سامريّين يقولون جميعاً لا ميساسا

وكان كتاب « العين » للخليل مختلّ القواعد ، فامتعض له هذا الإمام ، وصقل صدأه كما يُصقل الحسام ، وأبرزه في أجمل مترع ، حتى قيل : هذا ممّا أبدع واخترع ، وله كتاب في النحو يسمى « الواضح » وصيّره الحكم المستنصر مؤدّباً لولده هشام المؤيد ، وبالجملة فهو في المغرب بمنزلة ابن دريد في المشرق^١ .

٣٣٦ - وقال النحوي أبو بكر محمد بن طلحة الإشبيلي^٢ ، وشعره رقيق
خارج عن شعر النحاة ، ومنه :

إلي أيّ يوم بعده يُرْفَعُ الحمرُ وللورقِ تغريدٌ وقد خفق النهرُ
وقد صقلتُ كف الغزالة أفقها وفوق متون الروض أودية خضرُ
وكم قد بكت عين السماء بدمعها عليها ولولا ذاك ما بسم الزهرُ

وقال^٣ :

بدا الهلالُ فلما بدا نقصتُ وتمّا
كان جسمي فعلٌ وسحر عينه لما

وكان لا يملك نفسه في النظر إلى الصُّور الحسن ، وأتاه يوماً أحدُ أصحابه بولد له فتان الصورة ، فعندما دخل مجلسه قصّر عليه طرفه ، ولم يلتفت إلى والده ، وجعل والده يوصيه عليه وهو لا يعلم ما يقوله ، وقد افتضح في طاعة هواه ، فقال له الرجل : يا أبا بكر حقّ النظر فيه لعلّه مملوك ضاع لك ، وقد

١ م ب : بالمشرق .

٢ ترجمته في المغرب ١ : ٢٥٣ والتكملة : ٦٠٥ وبنية الوعاة : ٤٩ وبرنامج الرعيني : ٧٩ .

٣ البيتان في المغرب .

جبره الله تعالى عليك ، ولكن على مَنْ يتركه عندك لعنة الله ، هذا ما عملت
بمحضري ، والله إن غاب معك عن بصري لمحة لتفعلنَّ به ما اشتهر عنك ؛
وأخذ ولدَه وانصرف به ، فانقلب المجلس ضحكاً .

٣٣٧ - وقال أبو جعفر أحمد بن الأبار الإشبيلي^١ ، وهو من رجال
«الذخيرة» :

زارني خيفة الرقيب مُريباً	يَتَشَكَّى منه القضيْبُ الكثيباً
رشاً راشَ لي سهامَ المنايا	من جفونٍ يَسْجِي بهنَّ القلوبا
قال لي ما ترى الرقيبَ مطلاً	قلتُ دعه أتى الجَنابَ الرحيبا
عاطيه أكْؤسَ المدامِ دِراكاً	وأدرها عليه كوباً فكوباً
واسقنيها من خمر عينيك صِرْفاً	واجعلِ الكأسَ منك ثَغْراً شنيبا
ثمَّ لما أنْ نامَ مَنْ نَتَقِيهِ	وتَلَقَّى الكَرى سميعاً مُجيباً ^٢
قال لا بدَّ أنْ تدبَّ عليه	قلتُ أبغي رَشاً وأخذ ذيبا
قالَ فابدأ بنا وثنْ عَليْهِ	قلتُ عَمْرِي لقد أتيتُ قريبا
فوئبنا على الغزالِ ركوباً	وسعينا على الرقيب ديبا
فهل أبصرت أو سمعت بَصَبَ	ناك محبوبه وناك الرقيبا

وانشد له ابن حزم^٣ :

أوما رأيتَ الدهرَ أقبلَ معتباً متنصلاً بالعدْرِ ممّا أذنباً
بالأمرِ أذبلَ في رياضك أيكَةً واليومَ أطلَّعَ في سمالكِ كوكبا

١ انظر الذخيرة (٢ : ٥٢) والمغرب ١ : ٢٥٣ والجدوة : ١٠٧ وبنية الملتبس رقم : ٣٦٤

ورفيات الأعيان ١ : ٦٤ والمسالك ١١ : ٤١٨ .

٢ سقط من م ٤ وفي ب : ثم لما أتى الرقيب سريماً .

٣ يعني في الجدوة : ١٠٧ .

وقيل : إنه خاطب بهما ابنَ عَبَّاد ملك إشبيلية وقد مات له بنتٌ وُلد له ابنٌ ، وبعضهم ينسبهما لغيره .

٣٣٨ — ودخل الأديبُ أبو القاسم [ابن] ١ العطار الإشبيلي حمّاماً بإشبيلية ، فجلس إلى جانبه وسيم خمريّ العينين ، فافتن بالنظر إليه والمحادثة إلى أن قام وقعد في مكانه أسود ، فقال :

مضتُ جنةَ المأوى وجاءت جهنّمُ فها أنا أشقى بعدما كنتُ أنعمُ
وما كان إلا الشمسُ حان غروبُها فأعقبها جنحٌ من الليل مظلمُ

٣٣٩ — وقال الأديب المصنّف أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان ابن الإمام الإشبيلي صاحب « سمط الجمان » :

عذيري من الأيام لا درّ درّها لقد حمّلتني فوق ما كنتُ أرهبُ
وقد كنتُ جلدأ ما ينهني النوى ولا يستيني الحادثُ المتغلبُ
يقاسي صروفَ الدهر مني مع الصبا جدّيلُ حكاك أوعْدَيْتُ مُرجَبُ
وكنتُ إذا ما الخطبُ مدّ جناحهُ عليّ تراني تحتَه أتلّعبُ
فقد صرتُ خفّاقَ الجناح يروعي غرابٌ إذا أبصرتهُ وهو يتعبُ
وأحسبُ مَنْ ألقى حبيباً مودعاً وأنّ بلادَ الله طرّاً مُحَصَّبُ

وقد امتنع للآداب في صدر دولة بني عبد المؤمن ، فجمع شمل الفضلاء الذين اشتملت عليهم المائة السابعة إلى مبلغ سنه منها في ذلك الأوان ، واستولى بذلك على خصل الرهان ، وانفرد بهذه الفضيلة التي لم ينفرد بها إلاّ فلان وفلان .

٣٤٠ — وكان الأديب العالم الصالح أبو الحسن علي بن جابر الدباج الإشبيلي إماماً في فنون العربية ، ولكن شهر بإقراء كتب الآداب كالكمال للمبرد ونواد

١ زيادة من المغرب ١ : ٢٥٤ وانظر القلائد : ٢٨٤ والمسالك ١١ : ٣٩٤ .

القالي وما أشبه ذلك ، وكان — مع زهده — فيه لَوَذَعِيَّةٌ ، ومن ظرفه أن أحد تلامذته قال للغلام جميل الصورة : بالله أعطني قبلة تمسك رمقي ، فشكاه إلى الشيخ وقال له : يا سيدي ، قال لي هذا كذا ، فقال له الشيخ : وأعطيته ما طلب ؟ فقال : لا ، فقال له : ما هذه الثقالة ؟ ما كفاك أن حرمته حتى تشتكي به أيضاً ؟ وحسبك من جلاله قدره أن أهل لإشيلية رضوا به إماماً في جامع العديس .

وله ١ :

لَمَّا تَبَدَّاتُ وَشَمْسُ الْأَفْقِ بَادِيَةً أَبْصَرْتُ شَمْسِينَ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعْدٍ
مِنْ عَادَةِ الشَّمْسِ تُعْشِي عَيْنَ نَاطِرِهَا وَهَذِهِ نَوْرُهَا يَتَشَفَّى مِنَ الرَّبِّ مَدِيدٍ
٣٤١ — وَقَالَ مَالِكُ بْنُ وَهَبٍ :

أَرَامِيَّ بِالسَّحَرِ مِنْ لَحَظَاتِهَا نَعِيذُكَ كَيْفَ الرَّمِي مِنْ دُونَ أَسْهَمِ
أَلَا فَاعْلَمِي أَنَّ قَدْ أَصَبْتَ ، فَوَاصِلِي سَهَامَكَ أَوْ كُفَّتِي فَلَسْتُ بِمُسْلِمِ
فإنَّسَانَ عَيْنَ الدَّهْرِ أَصْمَيْتِ فَاحْذَرِي مَطَالِبَةَ الْقَلْبِ وَالْيَدِ وَالْفَمِ
أَمَّا هُوَ فِي غَيْلٍ غَدَا غَابَهُ الْقَنَا نَحْفُ بِهِ آسَادُ كُلِّ مَلْتَمِ
وَلَوْ أَنَّ لِي رُكْنًا شَدِيدًا بَنَجْوَةَ أَوَيْتُ لَهُ مِنْ بَأْسِ لَحْظِكَ فَارْحَمِي

وهو لإشيلي ، كان من أهل الفلسفة كما في « المسهب » ، قال : وهو فيلسوف المغرب ، ظاهر الزهد والورع ، استدعاه من لإشيلية أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين إلى حضرة مرآكش ، وصيره جليسه وأنيسه ، وفيه يقول بعض أعدائه :

دولة لابن تاشفين علي طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس إليها من خباياه مالك بن وهيب

١ القندج : ١٥٦ .

وأمره علي بمناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي أنشأ دولة بني عبد المؤمن .

[أشعار لأبي الصلت]

٣٤٢ - وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز المذكور في غير هذا الموضع من هذا الكتاب يستدعي بعض إخوانه^١ :

بمعاليك وجدك جُدْ بلقياك لعبدك
حضر الكل ولكن لم يطب شيء لفقدك

وقال :

وراعب في العلوم مجتهد لكنه في القبول جُلُموذ
فهو كذي عنة به شَبَق ومشتهي الأكل وهو مَعُودُ

وقال :

لئن عرضت نوى وعدت عواد
فما بعدت عن اللقيا جُسوم
ولكن قُرب دارك كان أنلدي
أدالت من دُنُوك بالبعاد
تدانت بالمحبة والوداد
على كبدي وأحلى في فوادي

وله في جَمرة :

ومَحرورة الأحشاء لم تَدْرِ ما الهوى
ولم تَدْرِ ما يَلتقي المحب من الوجد
إذا ما بدا برق المدام رأيتها
تثير غماماً في الندي من الند
ولم أر ناراً كلما شب جمرها
رأيت الندامى منه في جنة الخلد

١ منظم هذه القطع لأبي الصلت وردت في الخريدة ٤ / ١ : ٢٥٨ - ٣٢٠ .

وقوله من قصيدة :

وإن همُ نكصوا يوماً فلا عَجَبُ قد يَكْهَمُ السيفُ وهو الصارمُ الذِكرُ
العَوْدُ أحمدُ والأيامُ ضامنةُ عَقَبَى النجاحِ ووعدُ الله مُنتظرُ

وقال :

تقريبُ ذي الأمرِ لأهلِ النّهي أفضلُ ما ساس به أُمرةُ
هذا بهِ أولى وما ضَرَّه تقريبُ أهلِ اللهو في النَّدرةُ
عطارْدُ في جُلِّ أوقاتهِ أدنى إلى الشمسِ من الزُّهرةُ

وقوله :

تُفَكِّرُ في نُقصانِ مالكَ دائماً وتغفلُ عن نقصانِ جسمكَ والعمرِ
ويشُنُّكَ خوفُ الفقيرِ عن كلِّ بغيَةٍ وخوفك حالَ الفقرِ شرُّ من الفقرِ

وقوله :

يا ليلة لم تَبَيِّنْ من القصرِ كأنها قُبْلَةٌ على حَدَرِ
لم تكُ إلاَّ كلاً ولا ومضتُ تدفعُ في صدرها يدُ السَّحَرِ

وقال فيمن نظر إليه فأعرض عنه :

قالوا : ثنى عنك بعد البشرِ صَفْحَتَهُ فهل أصاخ إلى الواشي فغيرَهُ
فقلتُ : لا بل درى وجددي بعارِضِهِ فردَّ صفحته عمداً لأبصرَهُ

وقال :

حكى الزمان تَلَوْنًا لمحبتها العاني الأسيرِ
فوصالها بردُ الأصمِ لِهجرها حرُّ الهجيرِ

وقال يستدعي :

هو يومٌ كما تراه مطيرٌ كَلِبَ القُرُ فيه والزمهيرُ
وأرانا الغمامُ والبردُ ثوبه نَ عَلَيْنَا كلاهما مجرورُ
ولدينا شمسان شمسٌ من الرَّا ح وشمسٌ تسعى بها وتدورُ
فمن الرأي أن تُشَبَّ الكوانية نُ بأجلدالها وتُرُحَى الستورُ
فاتركِ الاعتذارَ فيه فتركِ الـ شربِ في مثلِ يومنا تعذيرُ

وقال :

هو البحرُ غُصٌّ فيه إذا كان ساكناً على الدرِّ واحلره إذا كان مُزْبِدا

وقال :

غبتَ عنا فغاب كلُّ جمالٍ ونأى إذ نأيتَ كلُّ سرورِ
ثمَّ لما قدمتَ عاودنا الأذ سُ وقَرَّتْ قلوبنا في الصدورِ
فلو آنا نَجْزِي البشيرَ بنعمى لوَهَبْنَا حَيَاتِنَا للبشيرِ

وقال :

كم ضَيَّعْتَ منك المني حاصلاً كان من الأحزم أن يُحَفِّظا
فالفظُّ بها عنك فمن حقُّ ما يخفي صواب الرأي أن يُلَفِّظا
فإن تعللتَ بأطماعها فإنما تحلُمُ مستيقظا

وقال :

يقولون لي صبراً وإني لصابرٌ على نائباتِ الدهرِ وهي فواجعُ
سأصبرُ حتى يقضيَ الله ما قضى وإن أنا لم أصبرُ فما أنا صانعُ

وقال :

بأبي خَوْدُ شَمُوعُ^١ أَقْبَلْتُ تَحْمِلُ شَمْعَةً
فَالْتَقَى نَوْرَاهُمَا وَاحِدٌ تَلَفَا قَدْرًا وَرِفْعَةً
وَمَسِيرُ الشَّمْسِ تَسْتَه لَمِ بِضَوْءِ النَّجْمِ بَدْعُهُ

وقال في فرس أشهب :

وَأَشْهَبٌ كَالشَّهَابِ أَضْحَى يَلُوحُ فِي مَذْهَبِ الْجَلالِ
قَالَ حَسُودِي وَقَدْ رَأَاهُ يَخْبُ^٢ تَحْيَ إِلَى الْقِتَالِ :
مَنْ أَبْلَحَ الصَّبَحَ بِالْثَرِيَا وَأَسْرَجَ الْبَرْقَ بِالْهَلالِ

وقال :

رَمْتَنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ بَيْنَ مَعَاشِرٍ أَصْحَهُمْ^١ وَدَّاءَ عَدُوِّ مُقَاتِلِ
وَمَا غَرِيبَةُ الْإِنْسَانِ فِي غَيْرِ دَارِهِ وَلَكِنَّهَا فِي قَرَبٍ مِّنْ لَا يَشَاكِلُ

وقال :

أَصْبَحْتُ صَبَّاءً دَفْعًا مَغْرَمًا أَشْكُو جَوَى الْحَبِّ وَأُبْكِي دَمًا
هَذَا وَقَدْ سَلَّمْتُ إِذْ مَرَّ بِي فَكَيْفَ لَوْ مَرَّ وَمَا سَلَّمَ

وقال :

وَقَفْنَا لِلنَّوَى فَهَقَّتْ قُلُوبُ^١ أَضَرَّ بِهَا الْجَوَى وَهَمَّتْ شُؤُونُ
يُنَاجِي بَعْضُنَا بِاللَّحْظِ بَعْضًا فَتَعَرَّبُ عَنْ ضَمَائِرِنَا الْعِيُونُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا حَفِظْتُ عَهْدُ^٢ كَمَا ضَمِنُوا وَلَا قُضِيَتْ دِيُونُ

١ الشموع : الموب .

٢ الحريرة : يجب خلفي .

ولو حكم الهوى يوماً بعدلٍ لأنصفَ من يَتَقِي ممَّن يَخونُ
أمرٌ بداركم وأغضُّ طرفي مخافةً أن تُظنَّ بي الظنونُ

٣٤٣ - ولما رأى عبدُ الرحمن بن شِبلق^١ الحضرمي الإشبيلي في النوم
أنه مرَّ على قبر وقوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمروه أن يرثي صاحب القبر ،
وهو أبو ثَوَّاس الحسن بن هانيء ، قال :

جارك يا قبرُ انسكابُ^٢ الغمامِ وعادَ بالروح عليك السلامُ
ففيك أضحى الظرفُ مستودعاً واستترتُ عنا عيونُ الظلامِ

٣٤٤ - وقال أبو بكر محمد بن نصر الإشبيلي^٣ :

وكأنَّما تلك الرياضُ عرائسُ ملبوسهن معصفرٌ ومزعفرُ
أو كالقيان لبسن مَوْشِيٍّ الحلي فلهنَّ في وَشْيِ اللباسِ تبخترُ

٣٤٥ - وقال أحمد بن محمد الإشبيلي^٤ :

أما ترى النرجسَ الغضَّ الذكيَّ بدا كأنَّه عاشقٌ شابت ذوائبُه
أو المحبُّ شكاً لما أضربَ به فرطُ السقامِ فَعَادَتُه حبايبُه

وقال^٥ :

رُبَّ نَيْلُوفَرٍ غداً نَحْجِلَ الراي في إليه نفاسَةٌ وغرابةُ
كليكٍ للزنجِ في قبةٍ بي ضياء يدنو الدجى فيغلقُ بابه

١ في الأصول : سِبلق ، والتصويب عن الجذوة : ٢٥٥ .

٢ الجذوة : نشاص ؛ وهو السحاب المرتفع .

٣ البيتان في كتاب البديع : ٢٧ .

٤ هو أبو جعفر ابن الأبار الذي سبق ذكره ؛ وترجم له صاحب المغرب ١ : ٢٥٩ وفيه القطعتان .

٥ البديع : ١٤٦ .

٣٤٦ - وقال أبو [الحسن] الأصمغ بن سيد :

كأنما النرجسُ في منظرٍ الـ حُسْنِ الذي أمثاله تُبتَغى
أناملُ من فضةٍ فوقه كأسٌ من التبرِ به أفرغا

٣٤٧ - وقال أبو إسحاق إبراهيم بن خيرة الصباغ ممّا أنشده له أبو عامر
ابن مسلمة في كتاب « حديقة الارتياح » ٢ :

يومٌ كأنَّ سحابه لبست عِمامي المصامت
حُجِبَتْ به شمس الضحى بمثال أجنحة الفَوَاحِشِ
فالغيثُ يبكي فَقَدَهَا والبرقُ يضحكُ مثلَ شَامِتٍ
والرعدُ يخطبُ مُفَصِّحاً والجوُّ كالمحزونِ ساكتٌ
والروضُ يسقيه الحيا والتَّوَرُّ ينظرُ مثلَ باهتٍ
فاشربْ وَلَدٌ بِجَنَّةٍ واطربْ فإنَّ العمرَ فائتٌ

ولهُ :

ربَّ ليلٍ طالَ لا صُبْحَ لهُ ذي نجومٍ أقسمتُ أن لا تغورُ
قد هتكنا جُنْحَهُ من فَلَاقٍ من خمورٍ ووجوهٍ كالبدورِ
إذ بدتْ تشبهها في كأسها نارُ إبراهيمَ في بردٍ ونورِ
صرعَتْنَا إذ علونا ظَهرها في ميادينِ التصابي والسرورِ
وكأنَّا حينَ قمنا معشرٌ نُشِيرُوا بعدَ مماتٍ من قبورِ

٣٤٨ - وقال أبو بكر ابن حجاج ٣ :

- ١ زيادة من الجذوة : ١٦٤ ؛ قال الحميدي : وهو شاعر إشبيلي رأيته قبل الخمسين وأربعمائة .
٢ الجذوة : ١٤٥ وفيه بعض الأبيات التالية ، ونسبها لأبي عامر ابن مسلمة في المطبع : ٢٣ وهي
في المغرب ١ : ٢٦٠ لابن خيرة .
٣ هو أبو بكر عبد الله بن حجاج من شعراء المعتضد ، هجر إشبيلية إلى الجزيرة الخضراء وأخذ يمدح
محمد بن القاسم بن حمود (المغرب ١ : ٢٦١) .

لَمَّا كَثُمْتُ الْحَبَّ لَا عَنْ قِلَّتِي وَلَمْ أَجِدْ إِلَّا الْبُكَاءَ وَالْعَوِيلَ
نَادَيْتُ وَالْقَلْبُ بِهِ مَغْرَمٌ يَا حَسْبِيَ اللَّهُ وَنَعَمَ الْوَكِيلُ

وقال :

يقولون إنَّ السحرَ في أرضِ بابلٍ وما السحرُ إلاَّ ما أرتك محاجرُهُ
وما الغصنُ إلاَّ ما انثنى تحتَ بُرْدِهِ وما الدُّعْصُ إلاَّ ما طَوَّته مآزرُهُ
وما الدُّرُّ إلاَّ ثغرُهُ وكلامُهُ وما الليلُ إلاَّ صُدْغُهُ وغداثُهُ

وهذه الأبيات من قصيدة في محمد بن القاسم بن حمّود ملك الجزيرة
الخراسانية ، أعادها الله تعالى .

٣٤٩ — وقال الرُّصافي أبو عبد الله الشاعر المشهور ، وهو ابن روميّ
الأندلسي ، في حريري^١ :

وبنفسِي من لا أسميه إلاَّ بعضَ الإمامةِ وبعضَ إشارةِ
هو والظليُّ في المجالِ سواءِ ما استفاد الغزالُ منه استعارهُ
أغْيَدُ يُمْسِكُ الحريرَ بفيه مثل ما يمسك الغزال العرّارهُ

وهو القائل بمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي :

لو جئتَ نارَ الهدى من جانبِ الطُّورِ قبستَ ما شئتَ من علمٍ ومن نورٍ

٣٥٠ — ولأبي جعفر أحمد بن الخزار^٢ :

وما زلتَ أجني منكَ والدهرُ مُحمِلٌ ولا ثمرٌ يُجنى ولا زرعٌ يُحصَدُ
ثَمَرَ أبادٍ دائياتٍ قُطوفُها لأوراقها ظلٌّ عليّ ممدّدُ

١ ديوان الرصافي : ١٠٠ (عن النفع) ؛ ٧٧ .

٢ مرت الأبيات من : ٤١٣ ، وانظر المغرب ٢ : ٢٥٦ .

يُرى جارياً ماء المكارم تحتها وأطيّارُ شكري فوقهنّ تغردُ

٣٥١ - ولما نفي أبو جعفر ابن النبي^١ من مَيُورُقة ، وأُقلع في البحر ثلاثة أميال ، ونشأت ريح رَدَّتْهُ ، لم يتجاسر أحد من إخوانه على إتيانه ، فكتب إليهم :

أحبّتنا الألى عتبوا علّينا وأقصونا وقد أزيّف الوداعُ
لقد كنتم لنا جدلاً وأنساً فما بالعيشِ بعدكمُ انتفاعُ
أقولُ وقد صدّرنا بعد يوم : أشوقُ بالسفينة أم نزاعُ
إذا طارت بنا حامت عليكم كأنّ قلوبنا فيها شراعُ

وله^٢ :

غصبتُ الثريا في البعادِ مكانها وأودعت في عيني صادقَ نوّنها
وفي كلّ حالٍ لم تزالِي بخيلة فكيف أعرتِ الشمسَ حلةً ضوئها

وله في غلام يرمي الطيور :

قالوا : تصيبُ طيورَ الجوّ أسهمهُ إذا رماها فقلنا : عندنا الخبِرُ
تعلمتُ قوسهُ من قوسِ حاجبه وأيّدَ السهمَ من أجفانه الحورُ
يلوحُ في بُردّةِ كالنّفسِ حالكة كما أضاء بجنحِ الليلةِ القمرُ
وربما راق في خضراءِ مُونقة كما تفتّح في أوراقهِ الزّهرُ

٣٥٢ - وقال الأديب الكاتب القاضي أبو المطرف ابن عميرة المخزومي .

١ هو شخص آخر غير أبي جعفر أحمد بن عبد الولي الذي أحرقه السيد الكنييطور في بلنسية ، وقد

خلط بعض الناس بينهما ونبه ابن الأبار على ذلك في التكملة : ٢٤ . انظر ترجمة النبي في القلائد :

٢٩٨ والمطبع : ٩١ والمغرب ٢ : ٣٥٧ والهاشية ؛ وكتب اسمه في م ب « ابن البنا » .

٢ القلائد : ٣٠٠ ، والقلمتان الأخريان فيه وفي المغرب .

لَمَّا قَصَّ شَعْرُ مَلِكِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ زِيَانَ بْنَ مَرْدَنِشِ مَزِينَ ، فِي يَوْمِ رَفَعِ فِيهِ

أَبُو الْمَطْرِفِ شَعْرًا ، فَخَرَجَتْ صِلَةُ الْمَزِينِ ، وَلَمْ تَخْرُجْ صِلَةُ أَبِي الْمَطْرِفِ ^١ :

أَرَى مَنْ جَاءَ بِالْمَوْسَى مُوَأَسًى وَرَاحَةً مِنْ أَذَاعِ الْمَدْحِ صِفْرًا
فَأَنْجَحَ سَعْيُ ذَا إِذْ قَصَّ شَعْرًا وَأَخْفَقَ سَعْيُ ذَا إِذْ قَصَّ شِعْرًا

وَاسْمُ أَبِي الْمَطْرِفِ أَحْمَدُ ، وَهُوَ مِنْ جَزِيرَةِ شَقَرٍ ، مِنْ كُورَةِ بَلَنْتِسِيَّةِ .

٣٥٣ - وَكَانَ الْكَاتِبُ الْحُسَيْبُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ طَلْحَةَ يَعْتَشِقُ عَلِجًا مِنْ

عُلُوجِ ابْنِ هُوْدٍ وَيَمَاشِيهِ فِي غَزَوَاتِهِ ، وَفِيهِ يَقُولُ ^٢ :

مَا أَحْضَرُ الْغَزَا مِنْ صِلَاحٍ كَلَّا وَلَا رَغْبَةَ الْجِهَادِ
لَكِنْ لَكَيْمًا يَكُونُ دَاعٍ لِقَرَبِنَا خَيْرَ الْجِيَادِ

وَقَدْ تَقَدَّمَتْ حِكَايَتُهُ فَلْتَرَجَّعْ .

٣٥٤ - وَكَانَ صَنْتَوْبَرِيُّ الْأَنْدَلُسِ أَبُو إِسْحَاقَ ابْنَ خَفَاجَةَ ، وَهُوَ مِنْ

رِجَالِ الدُّخَيْرَةِ وَالْقَلَائِدِ وَالْمَسْهَبِ وَالْمَطَرِبِ وَالْمَغْرِبِ ، وَشَهْرَتُهُ تَغْنِي عَنْ الْإِطْنَابِ
فِيهِ ، مُغَرَّرَى بِوَصْفِ الْأَنْهَارِ وَالْأَزْهَارِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا ، وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يَسْمَوْنَهُ
الْجَنَّتَانَ ، وَمِنْ أَكْثَرِ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ أَوْ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ
وْخَمْسِمِائَةَ ، وَوُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةَ ، وَمِنْ نَظْمِهِ قَوْلُهُ ^٣ :

رَبِّمَا اسْتَضْحَكَ الْحَبَابَ حَبِيبٌ نَفَضَتْ لَوْنَهَا عَلَيْهِ الْمَدَامُ
كَلَّمَا مَرَّ قَاصِرًا مِنْ خُطَاهُ يَتَهَادَى كَمَا يَمُرُّ الْغَمَامُ

١ القدح : ٤٣ .

٢ القدح ١١٤ - ١١٧ . وانظر ما تقدم ص ٣٠٧ - ٣١٠ .

٣ ديوان ابن خفاجة : ٦٢ ، ١٨٣ ، ٣٦٠ ، ٣٥٦ .

٤ م : كما تهادى .

سَلَّمَ الْغَصْنَ وَالْكَثِيبُ عَلَيْنَا فَعَلَى الْغَصَنِ وَالْكَثِيبِ السَّلَامُ
وبات مع بعض الرؤساء فكاد ينطفئ السراج ثم تراجع نوره ، فقال :
وَأَغْرَ ضاحك وجهه مصباحه فأثار ذا قمرأ وذلك فَرَقْدَا
ما إن خبا تلقاء نُورِ جبينه حتى ذكا بذكائه فتوقدا
وله :

كُتِبَتْ وَقَلْبِي فِي يَدَيْكَ أَسِيرُ يُقِيمُ كَمَا شَاءَ الْهَوَى وَيَسِيرُ
وَفِي كُلِّ حِينٍ مِنْ هَوَاكَ وَأَدْمَعِي بِكُلِّ مَكَانٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُ
وله :

كُتَابُنَا وَلَدِينَا الْبَدْرُ نَدْمَانُ وَعِنْدَنَا أَكْثُوسٌ لِلرَّاحِ شُهْبَانُ
وَالْقُضْبُ مَائِسَةٌ ، وَالطَّيْرُ سَاجِدَةٌ وَالْأَرْضُ كَاسِيَةٌ ، وَالْجَوُّ عُرْيَانُ

٣٥٥ — ولما سئل أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأبيض عن
لغة فعجز عنها بمحضر مَنْ خجل منه أقسم أن يقيد رجله بقيد حديد ، ولا
يتزعه حتى يحفظ « الغريب المصنف » فاتفق أن دخلت عليه أمه في تلك الحال ،
فارتاعت ، فقال :

رَبِعْتُ عَجُوزِي أَنْ رَأَيْتِي لَا بَسًا حَلَقَ الْحَدِيدِ وَمِثْلُ ذَاكَ يَرُوعُ
قَالَتْ: جُنِنْتُ؟ فَقُلْتُ: بَلْ هِيَ هِمَّةٌ هِيَ عَنَصَرُ الْعَلْيَاءِ وَالْيَنُوعُ
سَنَ الْفَرَزْدَقُ سُنَّةً فَتَبِعْتُهَا لَأَنْتِي لَمَّا سَنَّ الْكَرَامُ تَبُوعُ

وكان شاعراً وشاحاً وطاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لما هجاه بمثل قوله :

عَكَّفَ الزَّبِيرُ عَلَى الضَّلَالَةِ جَاهِدًا وَوَزِيرُهُ الْمَشْهُورُ كَلْبُ النَّارِ
مَا زَالَ يَأْخُذُ سَجْدَةً فِي سَجْدَةٍ بَيْنَ الْكُؤُوسِ وَنَغْمَةِ الْأَوْتَارِ

فإذا اعتراه السهو سَبَّحَ خَلْفَهُ صوتُ القيانِ وَرَنَةُ المزمَرِ
ولما بلغ الزبير عنه ذلك وغيره أمر بإحضاره ، فقرعه ، وقال : ما دعاك
إلى هذا ؟ فقال : إني لم أرَ أحقَّ بالهجو منك ، ولو علمتَ ما أنت عليه من
المخازي لهجوت نفسك إنصافاً ، ولم تَكِلْها إلى أحد ، فلمّا سمع الزبير ذلك
قامت قيامته ، وأمر بقتله .

وأنشد له ابن غالب في « فرحة الأنفس » قوله في حلقة خائط :

وحلقة كشعاع الشمس صافية لو قابلتُ كوكباً في الجوّ لالتها
تأتقُ القَيْنُ في إحكام صنعها حتى أفاضَ على أطرافها الذهبا
كانتها بيضة قد قُدَّ قوَّسُها وكلَّ جنبٍ لها بالطنن قد نُقِبا
وقال فيمن يحدث نفسه بالخلافة^١ :

أمير المؤمنين ، نداء شيخ أفادك من أماليه اللطيفة
تحفظ أن يكون الجلع يوماً سريراً من أسرتك المنيفة
وأذكر منك مصلوباً فأبكي وتضحكني أمانيك السخيفة

وهاجى ابن سارة ، فقال فيه ابن سارة^٢ :

ومن العجائب أن يكون الأبيضُ بحماره بين السوابقِ يركضُ

٣٥٦ — وقال إمام النحاة بالأندلس أبو علي عمر الشلوين فيمن اسمه

قاسم^٣ :

١ مرت الأبيات ص : ٤٦١ ؛ وقد سقطت من نسخة « م » .

٢ زاد المسافر : ٦٧ .

٣ القلح : ١٥٣ .

وممّا شَجَا قلبي وَقَضَّ مدامعي هَوَى قَدْ قلبي إِذْ كَلَفْتُ بِقاسم
وكنْتُ أَظُنُّ الميم أَصلاً فَلَمْ تكن وكانت كيمٍ أَلَحَقْتُ بالزراقم

والزراقم : الحيات ، مشتقة من الزرقة ، والميم زائدة ، يريد أن ميم قاسم
كيمها ، فهو قاسم ، وهو منسوب إلى حصن شلوبينة^١ على ساحل غرناطة ،
وله من الشهرة والتأليف ما يغني عن الإطناب في وصفه ، وله « التوطئة »
و « شرح الجزولية » وغيرهما ، وكان مغفلاً ، ومع ذلك فهو آية الله تعالى
في العربية ، وكان في لسانه لكنة ، ولما أراد مأمون بني عبد المؤمن التوجه إلى
مُرُسيّة ، وقد ثار بها ابن هود ، وأنشده الشعراء ، وتكلّم في مجلسه الخطباء ،
قام الشلوبين وقال دعاء منه : ثَلَمَكَ الله ونَشَرَكَ ، يريد سَلَمَكَ الله ونَصَرَكَ ،
لأنّه بلكنته يردّ السين والصاد ثاء ، فكان كما قال : عاد المأمون وقد ثَلُم
عسكره ونَشُر .

٣٥٧ — ولما مرض الفقيه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم الإلبيري^٢ دخل عليه
الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء ، فرأى ضيق مسكنه ، فقال : لو اتخذت غير
هذا المسكن لكان أولى بك ، فقال وهو آخر شعر قاله :

قالوا ألا تَسْتَجِدُّ بيتاً تعجبُ من حسنه البيوت
فقلتُ : ما ذلكم صواباً عَشْ^٣ كثير لمن يموت
لولا شتاء ، وَلَفَحُ قَيْظٍ وخوفُ لص ، وحفظُ قوت
ونسوة يَبْتَغِينَ سراً بنيتُ بُنيانَ عَنكَبوت

١ هكذا قال ابن سميح في القلح ، ولكن يبدو أنه سمي بذلك لأن أحد أجداده كان أبيض أشقر ،
وذلك هو معنى كلمة « شلوبين » ؛ انظر ترجمته في الذيل والتكملة ٥ : ٦٠ والحاشية ٤ وفي
م : شلوبينية .

٢ انظر ديوان الإلبيري : ١٠٩ .

٣ الديوان : حفش .

٣٥٨ — وقال أبو بكر ابن عبادة القزاز الموشح في ابن بسام صاحب
«الذخيرة» :

يا منيفاً على السماكين سامٍ حُزْتُ خَصَلَ السباقِ عن بسامٍ
إن تحك مدحة فانت زهيرٌ أو تشبب فعروة بن حزامٍ
أو تباكر صيد المها فابن حُجْرٍ أو تُبَكِّ الديار فابن حذامٍ
أو تدم الزمان وهو حقيقٌ فأبو الطيب البعيد المرامي

٣٥٩ — ولما انتثر سلك نظام مُلك لثونة تفرق مُلك الأندلس رؤساء
البلاد ، وكان من جملتهم الأمير أبو الحسن ابن نزار لما له من الأصالة في
وادي آش ، فحسده أهل بلده ، وقصدوا تأخيرَه عن تلك المرتبة ، فخطبوا في
بلدهم لملك شرق الأندلس محمد بن مردنيس ، ووجه لهم عماله وأوصاهم أن
يُخرج هذا الأسد من غِيْلِهِ ، ويفرق بينه وبين تأميله ، ورفعوا له أشعاراً
كان يستريح بها على كاسه ، ويبثها بمحضر من يركن إليه من جُلَّاسه ، ومنها
قوله ، وقد استشعر من نفسه أنها أهل للتقديم ، مستحقة لطلب سلفه القديم :

الآن أعرف قدّر النفع والضّرر فكيف أصدر ما للملك من صدرٍ
وكيف أطلع في أفق العلا قمرأ ويستهل بكفّي واكف الدررِ
وكيف أملأ صدر الدهر من رُعبٍ وأستقل بحمل الحادث النكرِ
وأستعد لما ترمي الخطوب به وأستطيل على الأيام بالفكرِ
لكنني ربما بادرت متتهزأ لفرصة مرقت كاللحم بالبصرِ
في أم رأسي ما يعيا الزمان به شرحاً فسّل بعدها الأيام عن خبري

فعندما وقف ابن مردنيس على هذا القول وجه إلى وادي آش من حملة
إليه وقيده ، وقدم به إلى مرسية أسيراً ، بعدما كان مرتقباً أن يقدم أميراً ،
فلما وقعت عين ابن مردنيس عليه قال له : أمكن الله منك يا فاجر ، فقال :

أنت — أعزك الله — أولى بقول الخير من قول الشر ، ومن أمكنه الله من القدرة
على الفعل فما يليق به أن يستقدر بالقول ، فاستحيا منه ، وأمر به للسجن ،
فمكث فيه مدّة ، وصدرت عنه أشعار في تشوّقه إلى بلاده ، منها قوله :

لقد بلغَ الشوقُ فوقَ الذي حسبتَ فهل للتّلاقي سبيلُ
فلو أنّي متّ من شوقكم غراماً لما كان إلا قليلُ
تعلّسني بالتّداني المُنَى وينشدني الدهرُ: صبرٌ جميلُ
فقل لبثينة إنْ أصبحتُ بعيداً فلم يَسَلْ عنها جميلُ
أغضُ جفوني عن غيرها وسمعي عن اللومِ فيها يميلُ

ولم يزل على حاله من السجن إلى أن نُحِيلَ في جارية مُحسّنة للغناء حَسَنَةَ
الصوت وصنع مُوشحته التي أولها :

نازَعَكَ البدرُ اللَّيَاحُ بنتَ الدنانِ
فلم يدعْ لك اقتراحُ على الزمانِ

وفيهما يقول :

يا هل أقولُ للحسودُ والعيسُ تُحدَى
يا لائمي على السّراحُ كانت أمانِي
أخرجها ذاك السّماحُ إلى العِيسانِ

وجعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها ، وأحكمت الغناء بها ، وأهداها إلى
ابن مردنّيش بعدما أوصاها أنّها متى استدعاها إلى الغناء وظفرت به في أطرب
ساعة وأسرها غنته بهذه الموشحة ، وتلطّفت في شأن رغبتها في سراح قائلها ،
فلعلّ الله تعالى يجعل في ذلك سبباً ، واتّفق أن ظفرت بما أوصاها به ، وأحسنّت
غناء الموشحة ، فطرب ابن مردنّيش لسماع ملحه ، وأعجبه مقاصد قائلها ،

فسألها : لمن هي ؟ فقالت : لمولاي عبدك ابن نزار ، فقال : أعيدي عليّ قوله «يا لائمى على السراح» فأعادته ، فداخلته عليه الرأفة والأريحية بما أصابه ، فأمر في الحين بحلّ قيده ، واستدعى به إلى موضعه في ذلك الوقت ، فلما دخل خلع عليه وأدناه وقال له : يا أبا الحسن ، قد أمرنا لك بالسراح على رغم الحسود ، فارجع إلى بلدك مباحاً لك أن تطلب الملك بها وبغيرها إن قدرت ، فأنت أهل لأن تملك جميع الأندلس ، لا وادي آش ، فقال له : والله يا سيدي بل ألترم طاعتك والإقرار بأنك بعثني من قبر رماني فيه الحساد والوشاة ، ثم شربا حتى تمكنت بينهما المطاينة ، فقال له : يا ابن نزار ، الآن أريد أن أسألك عن شيء ، قال : وما هو يا سيدي ؟ قال : عما في أمّ رأسك حين قلت :

في أمّ رأسي ما يعنينا الزمانُ بهِ شرحاً فسبلٌ بعدها الأيام عن خبري

فقال له : يا سيدي لا تسمع إلى غرور نفس ألقتَه على لسان نشوان لعبت بأفكاره الأماي وغطّت على عقله الآمال ، والله لقد بقيتُ في داري أروم الاجتماع بجارية مهينة قدر سنة فما قدرت على ذلك ، ومنعتني منها زوجتي ، فكيف أطلب ما دونه قطع الرؤوس ونهب النفوس ؟ فضحك ابن مردنيش ، وجدّد له الإحسان ، وجهزه إلى بلده ، وأمر عمّاله أن يشاركوه في التدبير ، ويستأذنوه في الصغير والكبير ، فتأثّل به مجدّه ، وعظّم سعده .

ومن شعره قوله :

انظر إلى الروض سَحِيرًا وقد بَثَّ به الطَّلُّ علينا العيونُ
تَرَقُبُ مِنَّا بِقِظَةٍ للمنى فقل لها أهلاً بداعي المجونُ
وحثّها شمساً إلى أن ترى شمس الضحى تطرق تلك الجفون

١ ب : من ذلك .

وقوله :

تنبهُ المعشوقِ وكأسِ وقِيئةٍ وروضٍ ونهرٍ ليس يبرَحَ خَفَاقًا
فقد نَبَّهَتْ هذي الخدائقُ ورَقَهَا وفتَحَ فيها الصبحُ بالطلُّ أحدًا
ومهما تكنُ في ضيقةٍ فأدِرْ لها كؤوسَ الطلا فالسكرُ يوسع ما ضاقا

وقوله :

عطفُ القضيْبِ معَ النسيمِ تَمَيُّلاً والنهرُ مَوْثِيُّ الحماثلِ والحلَى
تَرَكَتْهُ أعطافُ العُصونِ مظللاً ولنا عَن النهجِ القويمِ مضللاً
أَمْسَى يُغَازِلُنَا بِمَقْلَةٍ أَشْهَلِ والطرفُ أَسْحَرُ ما تَراهُ أَشْهَلَا

وقال بعضهم : استدعاني أبو الحسن ابن نزار لمجلس أنس بوادي آش ،
فلما احتفل مجلسنا ، وطابت لذتنا ، قال : والله ما تمامُ هذه المسرةِ إلا حضور
أبي جعفر ابن سعيد وهو الآن بوادي آش ، فوافقناه على ذلك لما نعلم من
طيب حالتنا معهما ، وأنهما لا يأتيان إلا بما يأتي به اجتماع النسيم والروض ،
فخلا في موضع وكتب له :

يا خَيْرَ مَنْ يُدْعَى لكأسِ دائِرٍ ووجوهِ أقمارِ وروضِ ناضِرٍ
إنّا حضرنا في الندي عَصَابَةً معشوقةً من ناظمٍ أو ناثِرٍ
كلُّ غُلَى للذي يَخْتَارُهُ في الأمنِ من ناهٍ لَهُ أَوْزاجِرٍ
ما إن لهم شُغْلٍ بفنٍّ واحدٍ بل كلُّ ما يجري بوفقِ الخاطرِ
شدُّ ورَقصٍ واقتطافُ فكاكَةٍ وتَعَانِقٍ وتغامُزٍ بنواظِرٍ
وهُمُ كما تدري بأفقي أنجمٍ لكنْ لنا شوقٌ لبَدْرِ زاهرٍ

سيدي ، لازلت متقدماً لكل مكرمة ، هل يحمل التخلف عن ناد قام فيه

السُرور على ساق ، وضحك فيه الأنس ملء فيه ، وانسدل^١ به ستر الصون ،
وفاء عليه ظلُ النعيم ، وسفرت فيه وجوه الطرب ، وركضت خيل اللهو ، وثار
قتام الند ، وهطلت سحاب ماء الورد ، وطُيبت الكؤوس ، كالعرائس
على كراسي العروس^٢ ، المثقلة بالعاج والآبنوس ، وكأن قطع النهار ممتزجة
بقطع الظلام ، أو بني حام قد خالطت بني سام ، وعلى رؤوس الأقداح ، تيجان
نظمها امتزاج الماء بالراح ، فطوراً تستحيي فيبدو خجلها ، وطوراً تمتزج^٣
فيظهر وجلها ، والعود ترجمان المسرة قد جعلته أمه في حِجرها ، كولد
ترضعه بدرّها ، وساقى الشرب كالغصن الرطيب ، أوراقه أردية الشرب ،
وأزهاره الكؤوس ، التي لا تزال تطلع وتغرب كالشموس ، ساق يفهم
بالإشارة ، حلو الشمائل عذب العبارة ، ذو طَرَف سقيم ، وخد كانه
من خفّره لطيم ، ولدينا من أصناف الفواكه والأزاهر ، ما يحار فيه الناظر ،
وهل تكمل لذة دون إحضار خلدود الورد ، وعيون النرجس ، وأصداع الآس ،
ونهود السفرجل ، وقودود قصب السكر ، ومباسم قلوب الجوز ، وسرر
التفاح ، ورُضاب ابنة العنب ، فقد اكتمل بهذه الأوصاف المختلصة من أوصاف
الحيائب الطرب :

فَطِيرٌ يَجْنَحُ الشوقِ عند وصولها إليك ولا تجعل سواك جوابها
فلا عين إلا وهي ترنو بطرفها إليك فيسر في المطال حسابها
فقد أصبحت تلو عليها غشاوة لبعدك فاكشف عن سناها ضبابها

قال أبو جعفر : فجعلتُ وصولي جواب ما نظم ونثر ، وألفت الحالة
يقصر عن خبرها الحبر ، فانغمسنا في النعيم ، انغماس عرّف الزهر في

١ ب : فانسدل .

٢ ب : العرائس .

٣ م ودوزي : يخلف .

النسيم ، ومَرَّ لنا يومٌ "غض الدهر عنه جَفَنَه ، حتى حسبناه عنواناً لما وعد الله تعالى به في الجنة .

وشرب يوماً مع أبي جعفر ابن سعيد والكتندي الشاعر في جنة بزاوية غَرْناطة ، وفيها صِهْرِيح ماء قد أحرق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الأشجار ، وعليه أنبُوبُ ماء تتحرك به صورة جارية راقصة بسيوف وطيفور رخام يصنع في أنبوبة الماء صورة خباء ، فقالوا : نقسم هذه الأوصاف الثلاثة ، فقال أبو جعفر يصف الراقصة :

وراقصةٍ ليست تَحَرَّكُ دونَ أن يحركها سيفٌ من الماء مُصَلَّتْ
يلورُ بها كرهاً فتَنضِي صَوَّارِماً عليه فلا تعيا ولا هو يُبْهَتُ
إذا هي دارت سرعة خِلَّتْ أنَّها إلى كلِّ وجه في الرياض تَلَقَّتْ
وقال ابن نزار في خباء الماء :

رأيتُ خباء الماء تُرْسِلُ ماءها فنازعها هَبُّ الرياح رداءها
تطاوعُهُ طوراً وتَعْصِيهِ تارةً كراقصةٍ حَلَّتْ وضمَّتْ قَباءها
وقد قابلتُ خيرَ الأنام فلم تزلْ لديه من العلياء تُبْدي حياءها
إذا أرسلتُ جوداً أمامَ يمينه أباي العدلُ إلا أن يردَّ إباءها

وقد قيل : إن هذه الأبيات صنعها بمحضر الأمير أبي عبد الله ابن مَرْدَاش ملك شرق الأندلس ، وإنه لما أبلغته الضرورة أن يرتجل في مثل ذلك شيئاً ، وكانت هذه عنده مُعَدَّة ، فزعم أنه ارتجلها ، قال أبو عمرو ابن سعيد : وهذا هو الصحيح ، فإنه ما كانت عادته أن يخاطب عمي أبا جعفر بخير الأنام ، فإن كل واحد منهما كفؤ الآخر .

وقال الكتندي :

وصهريجٌ تخالُّ به لُجَيْنَا يُذابُّ وقد يَذْهَبُ الأصيلُ :

كأنَّ الرُّوضَ يَعِشُّهُ فَمَنهُ ُ عَلَى أَرْجَائِهِ ظِلُّ ظَلِيلُ ُ
 وَتَمْنَحُهُ أَكْفُ الشَّمْسِ عَشَقًا ُ دَنَانِيرًا فَمَنهُ ُ لَهَا قَبُولُ ُ
 إِذَا رَفَعَ النَّسِيمُ الْقُضْبَ عَنْهَا ُ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ لَهَا سَبِيلُ ُ
 وَلِلنَّارِ نَجْ تَحْتَ الْمَاءِ لَمَّا ُ تَبَدَّى عَكْسُهَا جَمْرٌ بِكَلِيلُ ُ
 وَلِلْيَمُونِ فِيهِ دُونَ سَبْكٍ ُ جَلَّاجِلُ زُخْرُفٍ بِصَبَا تَجُولُ ُ
 فَيَا رَوْضًا بِهِ صُقِلَتْ جَفُونِي ُ وَأَرْهَفَ مَتْنَهُ الزَّهْرُ الْكَالِيلُ ُ
 تَنَاطَرُ فِيكَ أَسْلَاكُ الْغَوَادِي ُ وَقَبْلَ صَفْحِ جَدُولِكَ الْقَبُولُ ُ
 وَلَا بَرَحَتْ تُجَمِّعُ فِيكَ شَمَلًا ُ مِنَ الْأَكْيَاسِ وَالْكَاسِ الشَّعُولُ ُ
 بُدُورٌ تَسْتَدِيرُ بِهَا نَجُومٌ ُ مَعَ الْإِصْبَاحِ لَيْسَ لَهَا أَفُولُ ُ
 يَهِيمُ بِهِمْ نَسِيمُ الرُّوضِ الْفَأُ ُ فَمَنْ وَجَدَ لَهُ جِسْمَ عَلِيلُ ُ

٣٦٠ - وَرَوَى أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا الْأَصْبَغِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْأَرْقَمِ وَزِيرَ الْمُعْتَصِمِ
 ابْنَ صُمَادِحَ رَأَى رَايَةً خَضِرَاءَ فِيهَا صَنِيفَةٌ بَيْضَاءُ فِي يَدِ عِلْجٍ مِنْ عُلُوجِ الْمُعْتَصِمِ
 نَشَرَهَا عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ :

نَشَرْتُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ جَنَاحًا خَضِرَاءَ صَيَّرَتْ الصَّبَاحَ وَشَاخًا
 تَحْكِي بِخَفَقِ قَلْبٍ مِنْ عَادِيَتِهِ مَهْمَا يَصَافِحُ صَفْحُهَا الْأَرْوَاحَا
 ضَمَنْتُ لَكَ النِّعْمَى بِرَأْيِي ظَافِرٍ فَتَرْقُبِ الْفَأَلِ الْمُشِيرَ نَجَاحَا

وَكَانَ هَذَا الْوَزِيرُ آيَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْوَفَاءِ ، وَأَرْسَلَهُ الْمُعْتَصِمُ إِلَى الْمُعْتَمِدِ بْنِ
 عَبَّادَ ، فَأَعْجَبَتْهُ الْمُعْتَمِدَ بِمَحَافِظَتِهِ ، وَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ ، فَأَرَادَ إِفْسَادَهُ عَلَى صَاحِبِهِ ،
 وَأَخَذَ مَعَهُ فِي أَنْ يَقِيمَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا رَأَيْتُ مِنْ صَاحِبِي مَا أَكْرَهُ فَأَوْثَرَ عِنْدَ غَيْرِهِ
 مَا أَحَبُّ ، وَلَوْ رَأَيْتُ مَا أَكْرَهُ لَمَا كَانَ مِنَ الْوَفَاءِ تَرْكِي لَهُ فِي حِينَ قَوَّضَ إِلَيَّ
 أَمْرَهُ ، وَوُثِّقَ بِي ، وَحَمَلَنِي أَعْيَاءَ دَوْلَتِهِ ، فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّادَ ، وَقَالَ
 لَهُ : فَاتَّكُمُ عَلَيَّ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى صَاحِبِهِ سَأَلَهُ عَنْ جَمِيعِ مَا جَرَى لَهُ ، فَقَالَ لَهُ فِي

أثناء ذلك : وجرى لي معه ما إن أعلمتك به خِفْتُ أن تُحسب فيه كالامتنان والاستظهار ، وتظن أن خاطري فسَدَ به ، وإن كنتك لم أوفِ النصيحة حقها ، وخفت أن تطلّع عليه من غيري ، فيحطّتي ذلك من عينك ، وتحسب فيه كيداً ، فحمل عليه في أن يُعلمه ، فأعلمه بعد أن تلتطف هذا التلطف ، وهو من رجال الذخيرة والمسهب ، وابنه الوزير أبو عامر من رجال القلائد .

ومن نظم أبي عامر :

ففى الخليلِ يقتادها ذُبْلًا خفافاً تُباري القنا الذابلا
ترى كلَّ أجردٍ سامي التليلِ وتحسبه غُصْنًا مائلا

٣٦١ - وللوزير الكاتب أبي محمد ابن فرسان واسمه عبد البر ، وهو حسنة وادي آتش ، يخاطب يحيى الميُورقي^١ :

أنعم بتسريع عليّ فعله سبب الزيارة للخطيم ويثرب
ولئن تقول كاشع أن الهوى درست معاملة وأنكر مذهبي
فمقاتلي ما إن ملكيت وإئتما عمري أبى حمل النجاد بمنكي
وعجزت عن أن أستثير كينها وأشق بالصمصام صدر الموكب

وهذه الأبيات كتب بها إليه وقد أسنّ وملّ من الجهد معه ، يرغب في سراحه إلى الحجاز ، رحمه الله تعالى ، وتقبل نيته بمنه ويمنه .

٣٦٢ - وقال حاتم بن حاتم بن سعيد العنسي^٢ ، وكان صاحب سيف وقلم ، وعلم وعلم :

يا دانياً مني وما أنا زائرُ لا أنت معذورٌ ولا أنا عاذرُ

١ ترجمته والشعر في المغرب ٢ : ١٤٢ وانظر التحفة : ١١٥ .

٢ ترجمته والشعر في المغرب ٢ : ١٦٨ والإحاطة ١ : ٣١٠ .

ماذا يضرك إذ ظللت بظلمة أن لا يطالع منك بدرٌ زاهرٌ

وتوفّي المذكور بغرناطة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

٣٦٣ - وقال التطيلي الأعمى في أسد نحاس يقذف الماء^١ :

أسد ولو أتني أنا قيشه الحساب لقلت صخرة
فكأنته أسد السما ء يمج من فيه المجرة

[من بدائه ابن ظافر]

قال ابن ظافر^٢ : صرنا في بعض العشايا على البساتين المجاورة للنيل ،
فرأينا فيه بئراً عليها دولابان متحاذيان^٣ ، قد دارت أفلاكهما بنجوم القواويس ،
ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الأمانى بالمفائيس ، وهما يثنان أنين الأشواق ،
ويفيضان ماء أغزر من دموع العشاق ، والروض قد جلا للأعين زبرجده ،
والأصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده ، والزهر قد نظم جواهره في
أجياد الغصون ، والسواقي قد أذالت من سلاسل فضتها كل مصون ، والنبت قد
اختصر شاربهِ وعارضه ، وطيرف النسيم قد ركضه في ميادين الزهر راکضه ،
ورضاب الغيث قد استقر من الطين في لمى ، وحيات المجاري حائرة تخاف
من زمرد النبات أن يتركها العمى ، والبحر قد صقل النسيم درعه ،
وزعفران العشي قد ألقى في ذيل الجوّ ردّعه ، فأوسعنا ذلك المكان حسناً

١ مر البيتان ص : ٤٠٤ .

٢ يدائع البدائه ١ : ٢٣٢ .

٣ البدائع : يتحاذيان .

٤ البدائع : الماء .

٥ البدائع : والنهر .

وقلوبنا استحوذاً^١ ، وملاً أبصارنا وأسماعنا مسرةً والتذاذاً ، ومِلْنَا إلى
الدولابين شاكّين أزمَراً حين سَجَّت قيان الطير بألحانها ، وشَدَّت على
عبدانها ، أم ذكرا أيتام نعيمًا وطابا ، وكانا أغصاناً رطابا ، فتَقَيّا عنهما لذيذ
المجوع ، ورجعا النوح وأفاضها الدموع طلباً للرجوع ، وجلسنا نتذاكر ما في
تركيب الدواليب ، من الأعاجيب ، وفتناشد ما وصفت به من الأشعار ، الغالية
الأشعار ، فأفضى بنا الحديثُ الذي هو شجون ، إلى ذكر قول الأعمى التَّطِيلِي
في أسد نحاس يقذف الماء :

أسد ولو أنّي الخ

فقال لي القاضي أبو الحسن علي بن المؤيد رحمه الله تعالى : يتولّد من هذا
في الدولاب معنى يأخذ بمجامع السامع ، ويطرب الرائي والسامع ، فتأمّلت
ما قاله بعين بصيرتي البصيرة ، واستمددت مادة غريزتي الغزيرة ، فظهر لي
معنى ملأني أطراباً ، وأوسعني إعجاباً^٢ ، وأطرق كل منّا ينظم ما جاش به مدُّ
بحره ، وأنبأ به شيطانُ فكره ، فلم يكن إلّا كتقرة العصفور ، الخائف
من الناطور ، حتى كمل ما أردنا من غير أن يقف واحد منّا على ما صنعه الآخر ،
فكان الذي قال :

حبّذا ساعةُ العشيّة والدو لاب يُهْدِي إلى النفوس المسرّة^٣
أدهم لا يزال يعلّو ولكن ليس يعدو مكانه قدّر ذرّة^٤
ذو عيون من القواديس تبكي كل عين من فائض اللمع ثرّة^٣
فلّك دائر يرينا نيوماً كل نجم يبدي لدينا المجرّة^٤

١ البدائع : فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحوذاً .

٢ واستمددت . . . إعجاباً : تغيّرت صياغة هذه العبارة في البدائع .

٣ البدائع : تبدي . . . عبرة .

٤ البدائع : منها يرينا .

وكان الذي قلت :

ودولاب يثْنُ أنينَ تَكلي ولا فقدأ شكاه ولا مَصْرَة
تري الأزهارَ في ضحكٍ إذا ما بكى بدموعِ عينٍ منه ثرة
حكى فلَكَا تدورُ به نجومٌ تؤثر في سرائرنا المسرة
يظلُّ النجمُ يشرقُ بعد نجمٍ ويغربُ بعدما تجري المجرة
فعبينا من اتفاقنا ، وقضى العجب منه سائر رفاقنا ؛ انتهى .

رجع :

٣٦٤ - وكان لأبي محمد عبد الله بن شعبة الوادي آشي^١ ابن^٢ شاعر ،
فعرض عليه شعراً نظمهُ ، فأعجبه ، فقال :

شرك كالبيستان في شكله يجمع بين الآسِ والوردِ
فاصنع به إن كنت لي طامعاً ما يصنعُ الفارس بالبندِ

٣٦٥ - ولشاعر الأندلس أبي عبد الله ابن الحداد الوادي آشي^٢ ، وهو من
رجال الذخيرة :

لزمتُ قناعي وقعدت عنهم فلست أرى الوزير ولا الأميرا
وكنتُ سمير أشعاري سفاهاً فعدت بها لفلسفتي سميراً

وله في العروض تأليفٌ مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية ، والآراء الخليلية ،
وردَّ فيه على السرقسطي المنبوز بالحمار .

١ ترجمته والشعر في المغرب ٢ : ١٤٠ .

٢ ترجمته في الذخيرة ١ / ٢ : ٢٠١ والمطبع : ٨٠ والوادي ٢ : ٨٦ والإحاطة ٢ : ٢٥٠ والمسالك
١١ : ٤٠٠ والقوات ٢ : ١٦٧ والمغرب ٢ : ١٤٣ واسمه محمد بن أحمد بن الحداد ، والقطعة
الأولى في الذخيرة .

وله في المتصم بن صُمادح^١ :

لعلك بالوادي المقدس شاطيء	فكالعنبر الهندي ما أنا واطيء
وليتي في ريتاك واجد ريمهم	فجمر ^٢ الأسى بين الجوانح ناشيء
ولي في السرى من نارهم ومناهم	هداة حداة ^٣ ، والنجوم طوافيء
لذلك ما حنت ركابي وحمحت	عيرابي وأوحى سيرها المتباطيء
فهل حاجها ما حاجني ولعلها	إلى الوخد من نيران قلبي لواحيء
رويداً فذا وادي لبتي وإنه	لورد لباناتي ولتي لظاميء
موارد ^٤ تهيامي ومسرح ناظري	فللشوق غايات بها ومبادئ

واعترض عليه بعضهم بأنه همز في هذه القصيدة ما لا يهز ، فقال^٥ :

عجبت لغمازين علمي بجهلهم	وإن قناني لا تلين على الغمز
تجلت لهم آيات فهمي ومنطقي	ميسنة الإعجاز ملزمة العجز
ولاحت لهم همزية أوحدية	وويل بها ويل للذي الهمز واللمز
رموها بنقص بينت فيه نقصهم	ومن لمس الأفعى شكا ألم النكر
فإن أنكرت أفهامهم بعض همزها	فقد عرفت أكبادهم صحة الهمز

وله وهو مما يتغنى به بالأندلس^{*} :

فدّر العقيق مجانباً لعقوقه	ودع العذيب عذيب ذات الخال
أفق محلى بالقواضب والقنا	للأغبيد المعطار لا المعطال

١ الذخيرة : ٢١٨ .

٢ الخريدة : فروح .

٣ الخريدة : ميادين .

٤ الذخيرة : ٢١٩ .

٥ الذخيرة : ٢٢٣ .

حجبوك إلا من تَوَهَّم خاطري وحمّوك إلا من تصوّر بالي
والقارطان جميل صبري والكرى فمتى أرجي منك طيف خيال
ومن بدائع قوله ^١ :

سامح ^٢ أخاك إذا أتاك بزلّة فخلوص شيء قلما يتمكن
في كل شيء آفة موجودة ^٣ إن السراج على سناه يدخن

وأشده أحد الأدباء هذين البيتين تمثلاً ، فأعجبا المعتصم ، وسأل عن
قائلهما ، فأخبر ، فتبسم وقال : أتعرف إلى من أشار بهذا المعنى ؟ قال : ما
أعرف إلا أنه مليح ، فقال المعتصم : كنت في الصبا وهو معي ألقت بسراج
الدولة ، فقاتله الله ما أشعره ، فسلوه ، فلما باحثوه في ذلك أقر بحسن حدّس
المعتصم . واكتنفته سعايات ، وكان ممن يغلب لسانه على عقله ، ففر من
المرية ، وحبس أخوه بها فقال ^٣ :

الدهر لا ينفك من حدثائه والمرء متقاد لحكم زمانه
وعلمت أن السعد ليس بمنجّج ما لا يكون السعد من أعوانه
والجِدّ دون الجِدّ ليس بنافع والرمح لا يمضي بغير سينانه

وبلغت الأبيات المعتصم فقال : شعره أعقل منه ، صدق فإنه لا يتهيأ له
صلاح عيش إلا بأخيه ، وهو منه بمنزلة السنان من الرمح ، ثم أمر بإطلاقه
ولحاقه به .

ولما قال في المعتصم :

١ الذخيرة : ٢٣٥ .

٢ الذخيرة : واصل .

٣ الذخيرة : ٢٣١ .

يا طالب المعروف دُونكَ فَاتْرَكَنَّ^١ دار المرية وارْقُضِ ابنَ صمادح
رَجُلٌ إِذَا أَعْطَاكَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَلْقَاكَ فِي قَيْدِ الْأَسِيرِ الطَّائِحِ
لو قد مضى لك عُمُرُ نوحٍ عنده لا فرق بينك والبعيد النازح
اغْتَظَ عليه ، وأبعده ، ففر عن بلده .

ومن المنسوب إليه في النساء :

خُنْ عَهْدَهَا مِثْلَ مَا خَانَتْكَ مُتَصِفًا وَاْمِنْحْ هَوَاهَا بِنْسِيَانٍ وَسُلْوَانٍ
فَالْعَيْدُ كَالرُّوْضِ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ إِنْ مَرَّ جَانٍ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ جَانٍ
وله :

حيثما كنتَ ظاعناً أو مقيماً دُمُ رَفِيعاً وَعَشْهُ مَنِيعاً سَلِيمَا

٣٦٦ - وقال ابن دَحِيَّةَ في « المطرب »^١ : إن من المجيدين في الجِدِّ
والهزل ، ورقيق النظم والجزل ، صاحبنا الوزير أبا بلال^٢ ، وقال لي : إنه
كان وِبُرْدُ شِبَابِهِ قَشِيبٌ ، وَغُصْنُ اعْتِدَالِهِ رَطِيبٌ ، بِقَمِيصِ النَّسْكِ مُتَقِمَصٌ ،
وَبِعِلْمِ الْحَدِيثِ مُتَخَصِّصٌ ، فَاجْتَازَ يَوْمًا وَبِيَدِهِ مُجَلَّدٌ مِنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ بِقَصْرِ
بَعْضِ الْمُلُوكِ الْأَكَابِرِ ، وَمِنْ بَعْضِ مَنَازِرِهِ نَازِرٌ ، وَمَجْلِسُهُ بِخَوَاصِ نَدَمَائِهِ حَالٌ ،
وَصَوْتُ الْمَثَانِي وَالْمَثَالِ عَالٌ ، فَقَالَ : أَطْلَعُوا لَنَا هَذَا الْفَقِيهَ ، فَلَعَلْنَا نَضْحَكُ مِنْهُ . فَلَمَّا
مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَحَيًّا ، أَمَرَ السَّاقِي بِمُنَازِلَتِهِ كَأْسِ الْحَمِيَّةِ ، فَتَقَبَّضَ مُتَأَفِّفًا ،
وَأَبْدَى تَمَعْرًا وَتَقَشُّفًا ، وَالسُّلْطَانُ يَسْتَغْرِبُ ضَحْكَاً بِمَا هَجَمَ عَلَيْهِ ، وَبَدَأَ

١ المطرب : ٢٤١ .

٢ في المطرب : كصاحبنا الوزير أبي القاسم ابن البراق ، ومعنى ذلك أن هذا الخبير والأشمار التالية
بعده كان يجب أن تعطى رقماً واحداً ؛ ولابن البراق ترجمة في المغرب ٢ : ١٤٩ وكنيته
هناك أبو عمرو ، وتحفة القادِم : ٨٠ والوافي ٤ : ١٥٦ .

الساقى ممدودة إليه ، واتفق أن انشقت من ذاتها الزجاجة ، فظهر من السلطان
التطير من ذلك ، فأنشد الفقيه مرتجلاً :

ومجلس بالسّرور مُشتمل لم يخل فيه الزجاج من أدب
سرى بأعطافه يُرتحُّه فشق أثوابه من الطرب

فسرّ السلطان وسرّي عنه ، واستحسن من الفقيه ما بدا منه ، وأمر له
بجائزة سنّية ، وخلعة رائقة [بهية] .

٣٦٧ - وما أحسن قول ابن البراق ^١ :

يا مَرَحَةَ الحَيِّ يا مَطُولُ شَرَحُ الذي بَيْنَنَا يَطُولُ
ولي ديون عليكِ حَلَّتْ لو أَنَّهُ يَنْفَعُ الحُلُولُ

وقوله :

انظر إلى الوادي إذا ما غَرَّدَتْ ^٢ أطيّاره شَقَّ النسيم ثيابه
أترأه أطرَبَهُ الهديل وزاده طرباً وحَقَّك أن حلت جنابه
وله في غلام على فمه أثر المداد :

يا عجباً للمداد أضْحَى على فَمٍ ضُمِّنَ الزُّلّالا
كالقار أضْحَى على الحميا والليل قد لامس الهللا

٣٦٨ - وكتب أبو محمد عبد الله بن عذرة ^٣ إلى بعض أصحابه من الأسر
في طُلَيْطَلَة :

١ المغرب : ١٤٩ ، ١٥٠ .

٢ المغرب : الذي مذ غردت .

٣ في الأصول ودوزي : في معذرة ٤ وفي م : بن معذرة والتصويب عن المغرب ٢ : ١٤٨ وفيه
الآبيات .

لو كنتَ حيثُ تجيبي لأذاب قلبك ما أقول
يكفيك مني أنني لا أستقل من الكبول
وإذا أردت رسالة لكم فما ألقى رسول
هذا وكم بيتنا وفي أيماننا كأس الشمول
والعودُ يخفق والدخا ن العنبريُّ به يحول
حال الزمانُ ولم يزلْ مذ كنت أعهده يحول

٣٦٩ - ولأبي الحسن علي بن مهتلهل الجليلاني^١ في أبي بكر ابن سعيد
صاحب أعمال غرناطة في دولة الملثمين :

لولا النهود لما عراك تنهدُ وعلى الحدود القلبُ منك يخذدُ
يا نافذاً قلبي بسهم جفونه مالي على سهم رميت به يدُ

٣٧٠ - وقال أبو زكريا يحيى بن مطروح في غلام كاتب أطل عذاره^٢ :

يا حسنه كاتباً قد خطَّ عارضه في خده حاكياً ما خطَّ بالقلم
لام العذول عليه حين أبصره فقلت دعني فزين البرد بالعلم
وانظر إلى عجب ممّا تلوم به بدّر له هالة قدّت من الظلم
قولوا عن البحر ما شتم ولا عجب من عنبر الشحر أو من در مبتسم

وله ، وقد عزّل عن مالقة وال غير مرضي ، ونزل المطر على إثره ،
وكان الناس في جدب :

وربّ وال سرّنا عزله فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده ولدّ في أجفاننا الغمض

١ ترجمته في المغرب ٢ : ١٥٠ وفيه البيتان ؛ وفي ب : « الجاني » .

٢ ترجمته والشعر في المغرب ٢ : ١٥٥ .

لو لم يكن من نجس شخصه ما طهرت من بعده الأرض

٣٧١ — وكان الكاتب أبو بكر محمد بن نصر الأوسي^١ مختصاً بوزير عبد المؤمن أبي جعفر ابن عطية ، فقال فيه :

أبا جعفر نلت الذي نال جعفر ولا زلت بالعليا تسر وتخبّر
عليك لنا فضل وبر وأنعم ونحن علينا كل مدح يُحبر

وحده من حضر مجلس الوزير ابن عطية وقد أحسن من عبد المؤمن التغير الذي أفضى إلى قتله ، وقد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة ، فتغير وجه أبي جعفر ، لأن جعفر بن يحيى كان آخر أمره الصلب ، فكأن هذا عمم الدعاء ، والعجب أنه قُتل مثل جعفر بعد ذلك .

وهذا الشاعر هو القائل :

وما أنا عن ذاك الهوى مُبدل^٢ وذا الغدر بالإنحوان غير كريم
بغيرك أجري ذكر فضلك في الندي كما قد جرى بالروض هب نسيم
وإن كان عندي للجديد لذادة فلست بناس حرمه^٣ لتقديم

٣٧٢ — ولأبي عبد الله محمد بن علي اللوشي^٢ يخاطب صاحب « المسهب » :

بي إليكم شوق شديد ولكن ليس يبقى مع الحقاء اشتياق
إن يُغيّركم الفراق فودّي لو خبرتم يزيد فيه الفراق

وله :

لو أن لي قلباً كقلبي لك كنت أنجر هجركا

١ ترجمته والبيتان في المغرب ٢ : ١٥٦ .

٢ ذكره ابن سعيد في المغرب باسم « محمد بن عبد المولى » (١ : ١٥٨) وفيه البيتان الأولان .

يكفيك أنك قد نسي
ومن العجائب أنني
كن كيفما تختاره
ت ولست أنسى ذكركا
أفنى وأكرم سركا
فالحب يسط عذركا

وله :

هل عندكم عليم بما فعلت بنا
نصحا لكم أن تأمنوها إنها
تلك الجفون الفاتكات بضعفها
محر النوى ما تبصرون بطرفها

٣٧٣ - ولابنه أبي محمد عبد المولى ، وكان ماجناً ، لما نهي إليه وهو على
الشراب أحد أصحابه مرتجلاً :

إنما دُنياك أكل
ثم من بعد صُراخ
وشراب وقحاب
ووداع وتراب

وله :

يا نديم اشرب على أف
واسقني ثم اسقني
من غزال تطلُع الشم
لا تفوت ساعة من
واجتنب ما سخرت جهن
رغبوا في باطل زو
ليس إلا ما تراه
ق صقيل وحديقه
م اسقني خمرأ وريقه
س بخدييه أنيقه
كأس خمر وعشيقه
لأ له هذي الخليفة
ر بزهد في الحقيقة
أنا أدري بالطريقة

قال أبو عمران موسى بن سعيد : قلنا له : ما هذا الاعتقاد الفاسد الذي
لا ينبغي لأحد أن يصحبك به ؟ فقال : هذا قول لا فعل ، وقد قال الله تعالى

﴿الَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾
(الشعراء : ٢٢٤) .

ثم قال ابن سعيده : ولولا أن حاكي الكفر ليس بكافر ما ذكرتها ، وهذا
متزع من قال من المجوس :

خُذْ مِنَ الدُّنْيَا بِحِظٍّ قَبْلَ أَنْ تَرْحَلَ عَنْهَا
فَهِىَ دَارٌ لَا تَرَى مِنْ بَعْدِهَا أَحْسَنَ مِنْهَا

وهذا كفرٌ صراح ، وقائله قد تقمّص كفرًا ، اللهم غفرًا .
وطلب منه بعض الأردال ، أن يكتب له شفاعة عند أحد العُمّال ،
فكتب له رسالة فيها هذه الأبيات :

كتبتهُ مولاي في طالع	ما طارَ فيه طائرُ اليُمنِ
وفكرةٌ حائلةٌ والحشا	يَنهَبُ بالهمِّ وبالْحُزنِ
كلّفنيهِ ساقطُ أخرقُ	مُشتهرٌ بالطحنِ والقرنِ
أكذبُ خلقِ الله أَرْدَاهُمُ	أخوفهم في الخوفِ والأمنِ
يكفرُ ما يُسندى إليه ولا	يعذرُ خلقاً سيئ الظنِّ
فلنْ صَنَعْتَ الخيرَ ألفيته	شرّاً وأضحى المجد ذا غِبْنِ
وانتقدَ الناسُ عليك الذي	تُسندي له في أيّ ما فنِّ
فافعلْ به ما هو أهلٌ له	واسمه تفسيراً ولا أكْنِ
أهينهُ واصفّعهُ ولا تتركْ	بوابَ يكرمه لدى الإذنِ
واقطع بفيه القولَ واحرمه من	ردّ جوابِ أنسه يدني
وكَلِّما استنبط رأياً فسه	فمه ودعه مُسَخَّنَ الجفنِ
فهو إذا أكرمه فاسد	وصالحٌ بالهُونِ واللّعنِ

١ ب : ولا تكن .

شَفَاعَتِي فِي مِثْلِهِ هَذِهِ فَلَا سِقَاهُ هَاطِلُ الْمَزْنِ

ودفع إليه الكتاب محتوماً ، فسُرَّ به ، وحمله إلى العامل ، وسافر إليه أياماً ، فلما دفعه إليه قرأه وضحك ، ودفعه إلى مَنْ يشاركه في ذلك من أصحابه ، فوعده بخير وأخرجه إلى شغل لم يرضه ، فلما عاد منه قال له : أخرجتني لأرذلٍ شغلٍ وأخسَّه فما فائدة الشفاعة إذن ؟ فقال له : أوتريد أن أفعل معك ما تقتضيه شفاعة صاحبك ؟ قال : لا أقلَّ من ذلك ، فأمر من يأتيه بالأبيات ، فقرئت عليه ، فانصرف في أسوأ حال ، فلما دخل غرناطة — وكان عبد المولى تزوّج فيها امرأة اغتبط بها — تزيّاً هذا الرجل بزيّ أهل البادية ، وزور كتاباً على لسان زوجة لعبد المولى في بلدة أخرى ، وقال في الكتاب : وقد بلغني أنّك تزوّجت غيري ، وأردت أن أكتب إليك في أن تطلّقني ، فوصلني كتابك تعرفني فيه أن الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك ، وأنك ناظر في طلاقها ، فردني ذلك عمّاً عزمت عليه ، فانظر في تعجيل ما وعدت به من طلاقها ، فإنّك إن لم تفعل لم أبقَ معك أبداً ؛ فلما مرّ بدار عبد المولى رأى جارية زوجته فقال لها : أنا رجل بدويّ أتيت من عند فلانة زوجة أبي محمد عبد المولى ، فعندما سمعت ذلك أعلمت ستها ، وأخذت الكتاب ، فوقفت على ما فيه غير شاكّة في صحته . فلما دخل عبد المولى وجدها على خلاف ما فارقتها عليه ، فسألها عن حالها ، فقالت : أريد الطلاق ، فقال : ما سبب هذا وأنا أرغبُ الناسَ فيك ؟ فألقت إليه الكتاب ، فلما وقف عليه حلفَ لها أن هذا ليس بصحيح ، وأن عدوّاً له اختلقه عليه ، فلم يُفِدْ ذلك عندها شيئاً ، ولم يَطِيبْ له بعد ذلك معها عيش ، فطلّقها ، وعلم أن ذلك الرجل هو الذي فعل ذلك ، فقال له : لا جزاك الله خيراً ، ولا أصلح لك حالاً ! فقال : وأنت كذلك ، فهذه بتلك ، والبادي أظلم ، فما كان ذنبي عندك حين كتبت في حقّي ما كتبت ؟ فقال له : مثلكَ لا يقول « ما ذنبي » أنت كلك ذنوب :

أَلَسْتَ بِالْأَمِّ الثَّقَلَيْنِ طُرّاً وَأَنْقَلَهُمْ وَأَفْحَشَهُمْ لِسَانًا
فَمَهْمَا تَبَغَّى بَرّاً عِنْدَ شَخْصٍ تَزِدُّ مِنْهُ بِمَا تَبَغَّى هَوَانًا
فَانصَرَفَ عَنْهُ عَالِي اللِّسَانِ بِلَعْنَتِهِ .

وكان أحد بني عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتاباً بموضع متفرد ، فخطر
له يوماً جُلْدُ عُمَيْرَةَ ، واتفق أن مر السيد يوماً بذلك الموضع ، فنظر إليه في
تلك الحال ، فقال له السيد^١ : ما تصنع ؟ فقال : الدواة جفّت ، ولم أجده ما
أسقيها^٢ به إلا ماء ظهري ، فضحك السيد ، وأمر له بجارية ، فقال :

قُلْ لِلْعُمَيْرَةِ طَلَّقْتُ بَعْدَ طَوِيلِ زَوَاجٍ
قَدْ كَانَ مَائِي ضِياعاً يَمُرُّ فِي غَيْرِ حَاجٍ
حَتَّى حَبَانِي بِحَسَنَةٍ قَابِلٍ لِلنَّتَاجِ
فَكَانَ نَاقِلَ خَمْرٍ مِنْ حَنْتِ لَزْجَاجٍ
كَانَتْ تَمُرُّ ضِياعاً فَأَصْبَحْتُ كَالسَّرَاجِ

٣٧٤ - وقال حاتم بن سعيد :

جَنَّبُونِي عَنِ الْمَدَامَةِ إِلَّا عِنْدَ وَقْتِ الصَّبَاحِ أَوْ فِي الْأَصِيلِ
وَاشْفَعُوهُمَا بِكُلِّ وَجْهِ مَلِيحٍ وَدَعُونِي مِنْ كُلِّ قَالٍ وَقِيلِ
وَإِذَا مَا أُرِدْتُمْ طَيْبَ عَيْشِي فَاحْجِبُونِي عَنْ كُلِّ وَجْهِ ثَقِيلِ

٣٧٥ - وقال مالك بن محمد بن سعيد^٣ :

أَتَانِي زَائِرًا فَبَسَطْتُ خَدِّي لَهُ وَيَقُلُّ بَسَطُ الْخَدِّ عِنْدِي

١ ق ب : الخادم ؛ وسقطت اللفظة من م .

٢ دوزي : ماء أسقيها .

٣ ترجمته في المغرب ٢ : ١٧١ .

فقلتُ لهُ أيا مولاي ألفاً فقال وأنت ألفاً عبد عبيدي
وعانقتني وقبّلتني ونادى بلطف منه كيف رأيت وعدي
وقال في استهداء مقص :

ألا قل نعم في مطلب قد حكاه لا يفصل إذ نبغي الوصال موصلاً
نشق به صدرَ النهار وقد بدا ظلاماً بأمثالِ النجوم مكلّلاً
وقال :

سارت كبدرٍ وليلٌ الخلد يسترها ولو بدا وجهها جاءتك بالفلق
ودونها من صليل اللامعات حيمى فالبرق والرعد دون الشمس في الأفق

٣٧٦ - واجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافي الشاعر المشهور ومحمد
ابن عبد الرحمن الكتندي^١ الشاعر وغيرهما من الفضلاء والرؤساء ، فأخذوا
يوماً في أن يخرجوا لنجد أو لخور مؤمل ، وهما منتزهان من أشرف وأظرف
منتزهات غرناطة ، ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع في ظاهر البلد ، وكان
الرصافي قد أظهر الزهد وترك الخلعة ، فقالوا : ما لنا غنى عن أبي جعفر ابن
سعيد ، اكتبوا له ، فصنعوا هذا الشعر وكتبوا له ، وجعلوا تحته أسماءهم :

بعثنا إلى ربّ السّماحة والمجد ومن ماله في ملّة الظرف من ند
ليسعدنا عند الصبيحة في غد لنسعى إلى الخور المؤمل أو نجد
نسرّح منّا أنفساً من شجونها ثوت في شجون هن شر من اللحد
ونظفر من بخل الزمان بساعة ألد من العلياء وأشهى من الحمد
على جدول ما بين ألفاف دوحة تهز الصبا فيها لواء من الرند
ومن كان ذا شرب يخلّ بشأنه ومن كان ذا زهد تركناه للزهد
وما ظرفه يأبى الحديث على الطلى ولا أن يدلّ الهزل حيناً من الجدل

١ ترجمة الكتندي في المغرب ٢ : ٢٦٤ والتكملة : ٥٣٥ وأدباء مالقة ، الورقة : ٢٧ .

هز معاني الشعر أغصاناً ظرفه
وما نغص العيش المهناً غير أن
نظمتنا من الخلالن عقد فرائد
فماذا تراه لا علمناك ساعة
ورشدك مطلوب وأمرك نحوه ار

فكان جوابه لهم :

هو القول منظوماً أو الدر في العقد
أتاني وفكري في عقال من الأسى
ومن قبل علمي أين مبعث وجهه
وأيقنت أن الدهر ليس براجع
فكل أوان فيه أعلام فضله
فكم طيها من فائت متردّم
فيا من بهم تزهي المعالي ومن لهم
فسمعا وطوعاً للذي قد أشرتم
فقوموا على اسم الله نحو حديقه
بها قبة تدعى الكمامة فاطلعوا
وعندي ما يحتاج كل مؤمل
فكل إلى ما شاءه لست ثانياً
ولست خلياً من تأتس قينة
لها ولد في حجرها لا تزيله
فيا ليتني قد كنت منها مكانه
ضمنت لمن قد قال إني زاهد

ويمرح في ثوب الصباية والوجد
بمازجه تكليف ما ليس بالود
ولما نجد إلا لك واسطة العقد
فنحن بما تبديه في جنة الخلد
تقاب وكل منك يهدي إلى الرشيد

هو الزهر نقاح الصبا أم شدا الود
فحل بنقت السحر ما حل من عقد
علمت جناب الورد من نفّس الورد
لتقديم عصري أو وقوف على حد
ترادف متوج البحر رداً إلى رد
هز بما قد أضمرت معطف الصلبد
قياد المعاني ما سوى قصديكم قصدي
به لا أرى عنه مدى الدهر من بد
مقلدة الأجياد موشية البرد
بها زهراً أذكر نسيماً من الند
من الراح والمعشوق والكتب والورد
عناناً له إن المساعد ذو الود
إذا ما شدت ضلّ الخلي عن الرشيد
أوان غناء ثم ترميه بالبعد
تقلّبي ما بين خصر إلى نهد
إذا حلّ عندي أن يحول عن الزهد

فإن كانَ يرجو جنةَ الخلدِ آجلاً فعِندي لهُ في عاجلِ جنةِ الخلدِ
فركبوا إلى جنته ، فمرّ لهم أحسن يومٍ على ما اشتهوا ، وما زالوا بالرصافي
إلى أن شرب لما غلب عليه الطرب ، فقال الكتندي :-

غلبناك عمّا رُمتهُ يا ابن غالبٍ براحٍ وريحانٍ وشدوٍ وكاعبٍ
فقال أبو جعفر :

بدا زهدهُ مثلَ الخصابِ فلم يزلُ بهِ فاصلاً حتى بدا زور كاذبٍ
فلما غربت الشمس قالوا : ما رأينا أقصر من هذا اليوم ، وما ينبغي أن
يترك بغير وصف ، فقال أبو جعفر : أنا لهُ ، ثمّ قالَ بعد فكرة ، وهو من
عجائبه التي تقدّم بها المتقدمين وأعجز المتأخّرين ^١ :

لله يومٌ مسرّةٌ أضوا وأقصر من ذُباله
لما نصّبنا للمنى فيه بأوتار حباله
طارَ النهار به كمر تاع فأجفّلت الغزاة
فكأنتنا من بعده بعنا الهداية بالفضالة

والنهار : ذكر الحُبّارى ، وإليه أشار بقوله « طار النهار » والغزاة :
الشمس ، ولا يخفى حسن التوريتين ، فسنلّم له الجميع ، تسليم السامع المطيع .
وعلى ذكر الغزاة في هذا الموضع فلا بُدّ لجعفر أيضاً فيها ، وهو من
بدائعهم ، قوله ^٢ :

بدا ذنّبُ السرحان ينيّ أنّه تقدّم سبت ^٣ والغزاة خلّفه

١ المغرب ٢ : ١٦٧ .

٢ المصدر نفسه .

٣ كذا في الأصول ، ولعل الصواب « سيد » بمعنى الذئب .

ولم ترَ عيني مثلهُ من مُتابع لمن لا يزال الدهرَ يطلب حتفه
وقوله :

اسقني مثلَ ما أنار لعيني شققُ ألبس الصباح جماله
قبلَ أن تبصر الغزالة تستد رج منهُ على السماء غلاله
وتأملُ لعسجد سال نهراً كبرت فيه ، أو تقصّي ، غزاله
ومن نظم أبي جعفر قوله :

لو لم يكن شدُّ الحمام فاضلاً شدُّ والقيان لما استخفَّ الأغصنا
طربُ ثنى حتى الحمامة ترنحاً وأفاض من دمع السحابِ أعينا
وقوله ١ :

في الروض منك مَشا بهُ من أجلها يهفو له طرفي وقلبي المغرمُ
الغصنُ قد ، والأزاهر حلية ، والوردُ خد ، والأقاحي مبسمُ
وقوله :

ألا حبذا نهر إذا ما لحظتهُ أبى أن يردَّ اللحظَ عن حسنه الأَنسُ
ترى القمرين الدهر قد عُنيا بهِ يُفَضِّضُه بدرٌ وتُدْهِيه شمسُ
وقوله ، وقد مرَّ بقصر من قصور أمير المؤمنين عبد المؤمن وقد رحل عنه ٢ :

قَصَرَ الخليفة لا أُخْلِيَتْ من كرمِ وإن خلوت من الأعداد والعُدِ
جزُّنا عليك فلم تنقص مهابته والغيل يخلو وتبقى هيبَةُ الأسدِ

١ المغرب ٢ : ١٦٧ .

٢ المصدر نفسه .

وقوله من أبيات :

سَرَّحْ لحاظكَ حيثُ شئتَ فإنهُ في كلِّ مَوْقعٍ لحظةٍ متأملُ

وقوله أيضاً :

ولقد قلتُ للذي قال حَلُّوا ههنا : سِرُّ فإنَّنا ما سئمنا
لا تعيِّنْ لنا مكاناً ولكن حيثُما مالت اللواظظ ملنا

وقال :

ألا هاتيها إنَّ المسرَّةَ قربها وما الحزنُ إلّا في توالي جفائها
مُدّام بكى الإبريق عند فراقها فأضحك ثغر الكاس عند لقائها

وقال :

عَرَّجْ على الخَوَرِ وخيِّم بهِ حيثُ الأمانُ ضافياتُ الجَنَاحِ
واسبق له قبل ارتحال الندى ولا تزره دونَ شادٍ وراح
وكن مُقيماً منه حيثُ الصِّبا تَمْتارُ مسكاً من أريج البطاح
والقُضْب مألَّ البعض منها على بعض كما يثني القلودَ ارتياح
وشقَّ جيبَ الصبح نور كما شقَّتْ جيوبَ الطلّ منها الرياح
لم أحصِ كم غاديتُه ثابتاً واسترقصتني الراح عند الرواح

وقوله :

ألا حبّذا روضٌ بكَرَّنا له ضُحى وفي جَنَباتِ الروضِ للطلّ أدمعُ
وقد جعلت بينَ الغُصونِ نسيمةً تمزقُ ثوبَ الطلّ منها وترقعُ
ونحن إذا ما ظلتِ القُضْب رُكعاً نَظَلُّ لها من هزة السكر ترُكعُ

١ هذه رواية م ؛ وفي ق ب : وشق جيب الصبر قصف إذا .

٣٧٧ — وكان ابن الصابوني^١ في مجلس أحد الفضلاء بإثيلية ، فقدّم فيما قدّم خيار ، فجعل أحد الأدباء يقشرها بسكين ، فخطف ابن الصابوني السكين من يده ، فألحّ عليه في استرجاعها ، فقال له ابن الصابوني : كفّ عني وإلاّ جرحتك بها ، فقال له صاحب المتزل : اكفف عنه لئلاّ يجرحك ويكون جرحك جُبّاراً ، تعريضاً بقول النبيّ صلى الله عليه وسلّم «جُرْحُ العجماء جُبّار» ، فاغتاظ ابن الصابوني ، وخرج من الاعتدال ، وأخطأ بلسانه ، وما كفّ إلا بعد الرغبة والتضرّع .

ومن نظم ابن الصابوني^٢ :

بعثتُ بمرآةٍ إلَيْكَ بَدِيعَةً	فأطْلِعْ بِسامي أفقَها قَمَرَ السعدِ
لتنظرَ فيها حُسْنَ وجهكَ منصفاً	وتعذرني فيما أكينُ من الوجْدِ
فأرسلَ بذاك الخدَّ لحظكَ برهةً	لتجنيَ منه ما جتّاه من الوردِ
مثالكَ فيها منك أقربَ مَلَمَساً	وأكثرَ إحساناً وأبقى على العهدِ

وقوله في لابس أحمر^٣ :

أَقْبَلَ في حُلَّةٍ مُورَدَةٍ كالبلدر في حُلَّةٍ من الشَّقَقِ
تَحْسِبُهُ كَلِّماً أَرَأَقَ دَمِي يَمْسَحُ في ثوبه ظُبى الحَدَقِ

ورحل إلى القاهرة والإسكندرية فلم يلتفت إليه ، ولا عَوَّل عليه ، وكان شديد الانحراف ، فانقلب على عقبه يَعْصُ يديه ، على ما جرى عليه ، فمات عند إيابه إلى الإسكندرية كمدّاً ، ولم يُعرف له بالديار المصرية مقدار .

١ هو أبو بكر محمد بن أحمد الصابوني شاعر إثيلية في عصره ، رحل إلى تونس ثم إلى القاهرة وتوفي سنة ٦٣٦ (القدح : ٦٩ والمغرب ١ : ٢٦٣ والروائي ٩ : ٢ والتحفة : ١٦١ والفوات ٢ : ٢٠٩) .

٢ المغرب والقدح : ٧٢ .

٣ البيتان في القدح ، وأكثر اعتماد المقرئ عليه في سائر أخبار ابن الصابوني .

وحضر يوماً بين يدي المعتضد الباجي ملك إشبيلية وقد نُثرت أمامه جملة من دنائير سَكَّتْ باسمه ، فأنشد :

قد فَخَّرَ الدينارُ والدرهمُ لما علا ذين لكم ميسمُ
كلاهما يُفَصِّحُ عن مجدكم وكلُّ جزء منه فرد فمُ
ومرّ فيها إلى أن قال في وصف الدنائير ^١ :

كأنّهما الأنجمُ والبُعدُ قد حقّق عندي أنّها الأرجمُ
فأشار السلطان إلى وزيره ، فأعطاه منها جملة ، وقال له : بدّل هذا البيت
لثلاث يبقى ذمّاً .
وكان يلقّب بالحمار ، ولذا قال فيه ابن عتبة الطبيب :

يا عيّرَ حِمَصٍ غيرتكَ الحمير بأكلِكَ البرّ مكان الشعر
وهو أبو بكر محمد ابن الفقيه أبي العباس أحمد بن الصابوني شاعر إشبيلية
الشهير الذكر ، والذي أظهره مأمون بني عبد المؤمن ، وله فيه قصائد عدّة ،
منها قوله في مطلع :

استئولَ سبّاقاً على غاياتها نُجِحُ الأمور بينُ في بلداتها

وله الموشحات المشهورة ، رحمه الله تعالى .

٣٧٨ - ومن حكايات الصبيان أن ابن أبي الخصال ^٢ ، وهو من شقورة ،
اجتاز بأبدة وهو صبي صغير يطلب الأدب ، فأضافه بها القاضي ابن مالك ،

١ سقط هذا السطر من م .

٢ الشريفي ١ : ٣٦٤ .

ثم خرج معه إلى حديقة معروشة ، فقطف لهما منها عنقوداً أسود ، فقال
القاضي :

انظر إليه في العصا

فقال ابن أبي الخصال :

كرأس زنجي عَصَى

فعلم أنه سيكون له شأن في البيان .

٣٧٩ - وحدث أبو عبد الله ابن زرقون^١ أن أبا بكر ابن المنخل وأبا بكر
الملاح الشلبيين كانا متواخين متصافيين ، وكان لهما ابنان صغيران قد برعا في
الطلب ، وحازا قصب السبق في حلبة الأدب ، فتهاجى الابنان بأقذع هجاء ،
فركب ابن المنخل في سحر من الأسحار مع ابنه عبد الله ، فجعل يعتبه على
هجاء بني الملاح ويقول له : قد قطعت ما بيني وبين صديقي وصفيي أبي بكر
في إقداحك في ابنه ، فقال له ابنه : إنه بدائي والبادي أظلم ، وإنما يجب
أن يلحى من بالشرّ تقدم ، فعذّره أبوه ، فبينما هما على ذلك إذ أقبل على
واد تنق فيه الضفادع ، فقال أبو جعفر لابنه : أجز :

تنقُ ضفادع الوادي

فقال ابنه :

بصوتٍ غيرٍ مُعتادٍ

فقال الشيخ :

كأنّ نقيق مِقُولها

فقال ابنه :

بنو الملاح في النادي

١ المصدر نفسه وانظر زاد المسافر : ٨٨ .

فلما أحست الضفادع بهما صمتت ، فقال أبو بكر :

وتصمت مثل صمتهم^١

فقال ابنه :

إذا اجتمعوا على زادٍ

فقال الشيخ :

فلا غوثٌ للمهوف

فقال الابن :

ولا غيثٌ لمُرتادٍ

ولا خفاء أن هذه الإجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة ،
فكيف ممّن هو في سن الصبّا .

٣٨٠ — ومن حكايات النصارى واليهود من أهل الأندلس — أعادها الله
تعالى إلى الإسلام عن قريب ، إنّه سميع مجيب — ما حكى أن ابن المرعزي^١
النصراني الإشبيلي أهدى كلبه صيد للمعتمد بن عباد وفيها يقول :

لم أرَ مَلْهُمًى لذي اقتناصٍ — ومكسباً مقنع^٢ الحريصِ
كمثل خطلاء^٣ ذات جيدٍ — أتُلَعّ في صفرة القميصِ^٤
كالقوّس في شكلها ولكن — تنفذُ كالسهم للقنّيصِ
إن تَخَذَتْ أنفها دليلاً — دلّ على الكامنِ العوّيصِ
لو أنّها تستثير برقاً — لم يجدِ البرقُ من مَحِيصِ

١ في المغرب (١ : ٢٦٤) المرعز ؛ وفيه الأبيات ؛ وقد تصحف الاسم في الأصول وأثبتنا ما في ب .
٢ المغرب : ومقنع الكاسب .
٣ في الأصول : خطار ؛ والخطلاء : المسترخية الأذن .
٤ المغرب : أغيد تبرية القميص .

ومنها في المديح :

يَشْفَعُ تَنْوِيلُهُ بُودَ شَفَعَ القياسات بالتصووصِ

وقال :

اللهُ أكبرُ أنتَ بدرُ طالعُ والنَّعْجُ دَجَنُ والكُماةُ نُجومُ
والجودُ أَفلاكُ وأنتَ مُديرها وعدوك الغاوي وهُنَّ رُجومُ

وقال :

نزلت في آل مكحول وضيْفُهُمْ كَنَازِلُ بَيْنَ سَمْعِ الأرض والبصرِ
لا تَسْتَضِيءُ بضوءِ في بيوتهم ما لم يكن لك تَطْفِيلٌ على القمرِ
وسببهما أَنَّهُ نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجاً .

٣٨١ - [شعراء اليهود]

1 - وقال نسيم الإسرائيلي :

يا ليتني كنتُ طيراً أطيّر حتى أراكا

بمن تبدلتَ غيري أو لم تحلّ عن هواكا

وهو شاعر وشّاح من أهل إشبيلية ، وذكره الحجاري في المسهب .

2 - وقال إبراهيم بن سهل الإسرائيلي في أصفر ارتجالاً^١ :

كانَ مُحَيّاكَ لَهُ بهجة حتى إذا جاءك ماحي الجمال

١ انظر دراسة عنه في مقدمة ديوانه (ط . دار صادر ١٩٦٧) وفيها إلام بمصادر ترجمته . وهذه الأبيات الواردة هنا مثبتة في ديوانه .

أصبحت كالشمعة لما خبا منها الضياء اسودَّ فيها الذُّبَال

وهو شاعر إشبيلية ووشّاحها ، وقرأ على أبي علي الشلوين وابن الدباج وغيرهما ، وقال العزُّ في حقّه ، وكان أظهر الإسلام ، ما صورته : كان يتظاهر بالإسلام ، ولا يخلو مع ذلك من قدح واتهام ، انتهى . وسئل بعض المغاربة عن السبب في رقّة نظم ابن سهل ، فقال : لأنّه اجتمع فيه ذلان : ذل العشق ، وذل اليهودية . ولما غرق قال فيه بعض الأكابر : عاد الدر إلى وطنه . ومن نظم ابن سهّل المذكور قوله :

والحمى بقلبي منه جمرٌ مؤجّجٌ تراه على خديّ يندى ويبردُ
يسائلني من أي دين مداعباً وشمل اعتقادي في هواه مُبدّدُ
فؤادي حنيفي ، ولكنّ مقلّي مجوسية من خدّه النارَ تعبدُ

ومنه قوله :

هذا أبو بكر يقود بوجهه جيشَ الفتور مطرّزَ الرايات
أهدى ربيعُ عذاره لقلوبنا خرّ المصيف فشَبَّها لتَفَحّاتِ
خدّ جري ماء النعيم يجمره فاسودَّ مجرى الماء في الجمراتِ

وذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرّي في رحلته الكبيرة القدر والجرم المسماة بـ « ملء العيّبة فيما جُمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيّهة إلى الحرمين مكة وطّيبة » خلافاً في إسلام ابن سهل باطناً ، وكتب على هامش هذا الكلام الخطيبُ العلامة سيدي أبو عبد الله ابن مرزوق ما نصّه : صحّح لنا من أدركناه من أشياخنا أنّه مات على دين الإسلام ، انتهى .

ورأيت في بعض كتب الأدب بالمغرب أنّه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس أنس ، فسألوه لما أخذت منه الراح عن إسلامه : هل هو في الظاهر والباطن أم لا ؟ فأجابهم بقوله : للناس ما ظهر ، ولله ما استتر ، انتهى .

واستدل بعضهم على صحة إسلامه بقوله :

تسلّيت عن موسى بحبّ محمدٍ هُدَيْتُ ولولا الله ما كنت أهتدي
وما عن قِلْيَ قد كان ذاك ، وإنّما شريعة موسى عُطِّلَتْ بمحمدٍ
وله ديوان كبير مشهور بالمغرب ، حاز به قَصَبُ السَّبْقِ في النظم والتوشيح .

وما أحسن قوله من قصيدة :

تأملْ لَظَنِي شوقي وموسى يَشُبُّهَا « تجد خير نار عندها خير مُوقِدِ »

وأنشد بعضهم له قوله :

لقد كنت أرجو أن تكون مُوَاصِلِي فأسقيتني بالبعد فأنحمة الرعدِ
فبالله بَرَدٌ ما بَقَاي من الجوى بفاتحة الأعراف من ريقك الشهدِ

وقال الراعي رحمه الله تعالى : سمعت شيخنا أبا الحسن عليّ بن سمعة
الأندلسي رحمه الله تعالى يقول : شيثان لا يصحّان : إسلام إبراهيم بن سهل ،
وتوبة الزمخشري من الاعتزال ، ثم قال الراعي : قلت : وهما في مروياتي ،
أما إسلام إبراهيم بن سهل فيغلب على ظنّي صحّته لعلمي بروايته ، وأما الثاني
– وهو توبة الزمخشري – فقد ذكر بعضهم أنّه رأى رسماً بالبلاد المشرقية
محكوماً فيه يتضمّن توبة الزمخشري من الاعتزال فقوي جانب الرواية ، انتهى
باختصار .

وقال الراعي أيضاً ما نصّه : وقد نكت الأديب البارع إبراهيم بن سهل
الإسرائيلي الأندلسي على الشيخ أبي القاسم في تغزّله حيث قال :

أموسى أيا بعضي وكلّي حقيقة وليس مجازاً قوليّ الكلّ والبعضا
حفظت مكاني إذ جزمت وسائلي فكيف جمعت الجزم عنديّ والحفضا

وفي هذا دليل على أن يهود الأندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية ، فإن إبراهيم قال هذين البيتين قبل إسلامه ، والله تعالى أعلم . وقد روينا أنه مات مسلماً غريقاً في البحر ، فإن كان حقاً فالله تعالى رزقه الإسلام في آخر عمره والشهادة ، انتهى .

ومن نظم ابن سهل في التوجيه باصطلاح النحاة قوله :

رفعت^١ عوامله وأحسب رتبتي بُنيت على خفض فلن^٢ تنغيرا

ومنه :

تنأى وتدنو والتفاتك^٣ واحد^٤ كالفعل يعمل ظاهراً ومُقَدَّراً

وقوله :

إذا كان نَصْرُ الله وقفاً عليكم^٥ فإنّ العدا التنوين يحذفه الوقف^٦

وقوله :

لَيْتَنِي نلتُ منه^٧ وصلاً وأجلى ذلك الوصل^٨ عن صباح المنون
وقرأنا باب المضاف عناقاً وحذفنا الرقيب كاللتنوين^٩

وقوله :

بنيت بناء الحرف خامر طبعه فصار لتأثير العوامل مانعاً^{١٠}

وقوله :

لك^{١١} الثناء فإن يذكر سواك به يوماً فكالرايع المعهود في البذل

١ في الأصول : رقت .

٢ هذا البيت مضطرب في الأصول وقافيته « جازما » وقد صوبناه عن الديوان .

يعني الغلط ، وقوله :

إذا اليأس ناجى النفس منك بلن ولا أجابت ظنوني ربّما وعساني^١

وقوله :

وقلت عساه^٢ إن أقمتُ يرقُّ لي وقد نسَخْتُ لا عنده ما اقتضت عسى

وقوله :

ينفي ليّ الحال ولكنّه يُدْخِلُ لا في كل مستقبل

وقوله :

خففتُ مقامي إذ جزمتُ وساللي فكيف جمعتُ الجزم عندي والخفضا

وقوله في غلام شاعر :

كيف خلاصُ القلب من شاعرٍ رقتُ معانيه عنِ النّقدِ
يصغرُ نثرُ الدرّ عن نثره ونظمه جلّ عنِ العقدِ
وشعره الطائل في حسنه طال على النابغة الجعدي

وحدث أبو حيّان عن قاضي القضاة أبي بكر محمد بن أبي نصر الفتح بن علي الأنصاري الإشبيلي بغرناطة أن إبراهيم بن سهل الشاعر الإشبيلي كان يهودياً ثمّ أسلم ، ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلّم بقصيدة طويلة بارعة ، قال أبو حيّان : وقفت عليها ، وهي من أبدع ما نظم في معناها ، وكان سنُّ ابن سهل حين غرق نحو الأربعين سنة ، وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة ، وقيل : إنّه جاوز الأربعين ، وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم ، وما أحسن قوله :

١ في الأصول : وعساني ، وهو من قصيدة نووية (ص : ٢١٤) .

مضى الوصلُ إلاّ منية تبعث الأسى أداري بها همّي إذا الليل عَسُوساً
أتاني حديث الوصل زوراً على النوى أعيدُ ذلك الزورَ اللذيدَ المؤنِسا
ويا أيتها الشوق الذي جاء زائراً أصبّتَ الأمانى خذ قلوباً وأنفساً
كسافى موسى من سقام جفونه رداء وسقاني من الحب أكوساً
ومن أشهر موشحاته قوله ^١ :

ليلُ الهوى يَقْظان والحبُّ تَرِبُ السَّهَرِ
والصبرُ لي خَوَّان والنومُ عن عيني بَرِي

وقد عارضه غيرُ واحد فما شَقَّوا له غباراً .

3 - وأمّا إبراهيم بن الفخار اليهودي ^٢ فكان قد تمكّن عند الأذفونش ملك طليطلة النصراني ، وصيره سفيراً بينه وبين ملوك المغرب ، وكان عارفاً بالمنطق والشعر ، قال ابن سعيد : أنشدني لنفسه يخاطب أديباً مسلماً كان يعرفه قبل أن تعلق رتبته ويسفر بين الملوك ، ولم يزد على ما كان يعامله به من الإذلال ، فضاق ذرعُ ابن الفخار وكتب إليه :

أيا جاعلاً أمرين شبيهين ما له من العقل إحساسٌ بهِ يَتَفَقَّدُ
جعلت الغنى والفقر والذلّ والعلا سواءً فما تنفكُ تشقى وتجهدُ
وهل يستوي في الأرض نجد وتلعة فتطلب تسهلاً وسيرك مُصْعِدُ
وما كنتَ ذا مَيزٍ لمن كنتَ طالباً بما كنتَ في حال الفراغ تَعَوِّدُ
وقد حال ما بيني وبينك شاغلٌ فلا تطلبني بالذي كنتَ تعهدُ
فلن كنتَ تأبى غير إقدام جاهلٍ فإنّك لا تنفكُ تلحى وتُطرِدُ

١ ديوانه : ٢٩٦ .

٢ ترجم له في المغرب ٢ : ٢٣ وأورد بيتيه في ملح الأذفونش .

ألا فأتِ في أبوابه كلَّ مسلك ولا تكُ محلاً حيثما قمتَ تقعدُ
قال ابن سعيد : وأنشدني لنفسه :

ولما دَجَا ليلُ العِذارِ بخدّه تيقنتُ أنَّ الليلَ أخفى وأسترُ
وأصبحَ عدّالي يقولون صاحبُ فأخلو به جَهراً ولا أسترُ

وقال يمدح الأذفونش لعنهما الله تعالى :

حضرة الأذفونش لا برحت غصة^١ أيامها عرسُ
فأخلع النعلين تكريمةً في ثراها إنَّها قدُوسُ

قال : وأدخلوني إلى بستان الخليفة المستنصر ، فوجدته في غاية الحسن كأنَّه الجنة ، ورأيت على بابه بواباً في غاية القبح ، فلما سألتني الوزير عن حال فرجتي قلت : رأيت الجنة إلاّ أتت سمعت أن الجنة يكون على بابها رضوان ، وهذه على بابها مالك ، فضحك وأخبر الخليفة بما جرى ، فقال له : قل له إنّنا قصدنا ذلك ، فلو كان رضوان عليها بواباً لخشنا أن يردّه عنها ، ويقول له : ليس هذا موضعك ، ولما كان هناك مالك أدخله فيها ، وهو لا يدري ما وراءه ، ويخيّل أنّها جهنم ، قال : فلما أعلمني الوزير بذلك قلت له : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (الأنعام : ١٢٤) .

4 - وكان في زمان إلياس بن المدور^٢ اليهودي الطبيب الرُندي طبيب آخر كان يجري بينهما من المحاسنة ما يجري بين مشتركين في صنعة ، فأصلح الناسُ بينهما مراراً ، وظهر لإلياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفرُّ الناس منه فكتب إليه :

١ في الأصول : غادة .

٢ ترجمة إلياس في المغرب ١ : ٣٣٦ وهو من شعراء المائة السادسة .

لا تَخْدَعَنَّ فما تكون مودّة ما بينَ مشتركينَ أمراً واحداً
انظر إلى القمرين حين تشاركا بسناهما كان التلاقي واحداً

يعني أنّهما معاً لما اشتركا في الضياء وجب التحاسد بينهما والفرقة : هذا
يطلع ليلاً وهذه تطلع نهاراً ، واعتراضهما يوجب الكسوف .

5 - وكتب أيوب بن سليمان المرواني^١ إلى بسام بن شمعون اليهودي
الروشنقي في يوم مطير : لما كنت - وصَلَّ الله تعالى إخوانك وحفظك - مطمَحَ
نفسي ، ومنزع اختياري من أبناء جنسي ، على جوانبك أميل ، وأرتع في
رياض خلقتك الجميل ، هزنتي خواطرُ الطربِ والارتياح ، في هذا اليوم المطير ،
الداعي بكأوه إلى ابتسام الأقداح ، واستنطاق البسم والوزير ، فلم أرَ مُعِيناً على
ذلك ، ومُبلِغاً إلى ما هنالك ، إلا حسن نظرك ، وتجنّسك من المكارم ما جرت به
عادتك ، وهذا يوم حرم الطرف فيه الحركة ، وجعل في تركها الخير والبركة ،
فهل توصل مكرمك أخاك إلى التخلّي معك في زاوية ، متكنّئاً على دَنٍّ مستنداً
إلى خابية ، ونحن خيال ذلك نتجاذب أهداب الحديث الذي لم يبق من اللذات
إلاّ هو ، ونُجِيلُ الألحاظ فيما تعودت عندك من المحاسن والأسماع في أصناف
الملاهي ، وأنت على ذلك قدير ، وكرمك بتكلفه جدير :

ولا يعينُ المرء يوماً على راحته إلاّ كريم الطباعُ
وها أنا والسمعُ مني إلى باب وذو الشوق حليف استماعُ
فلن أتى داعٍ بنَسِيلِ المنى ودّعَ أشجاني ونعم الوداعُ

وهذا المرواني من ذرية عبد العزيز أخي عبد الملك بن مروان ، وهو من أهل
المائة السادسة .

١ ترجمة أيوب المرواني في المغرب ١ : ٦٠ .

6 - وكانت بالأندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت إسماعيل اليهودي ، وكان أبوها شاعراً ، واعتنى بتأديبها ، وربما صنع من الموشحة قسماً فآتمتها هي بقسم آخر ، وقال لها أبوها يوماً : أجيزي :

لي صاحبٌ ذو مهجةٍ قد قابلتُ نَعْمى بظلمٍ^١ واستحلّت جرْمها
ففكرت غير كثير وقالت :

كالشمس منها البدرُ يقيسُ نوره أبدأ ويكشفُ بعد ذلك جرْمها
فقام كالْمُخْتَبَلِ ، وضمتها إليه ، وجعل يقبلُ رأسها ، ويقول : أنت
والعشر كلمات أشعر مني .

ونظرت في المرأة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزويج ولم تتزوج ، فقالت :
أرى رَوْضَةً قد حان منها قطافُها ولستُ أرى جان يمدّ لها يدا
فوا أسفا يمضي الشبابُ مُضِيْعاً ويبقى الذي ما إنْ أُسميه مفرداً
فسمعها أبوها ، فنظر في تزويجها .

وقالت في ظبية عندها :

يا ظبيّة ترعى بروضٍ دائماً إنّي حكيّتك في التوحّشِ والحوَرِ
أَمْسى كلانا مفرداً عن صاحبٍ فلنصطبر أبدأ على حكم القدرِ

٣٨٢ - واستدعى أبو عبد الله محمد بن رشيق القلعي^٢ ثم الغرناطي بعض
أصحابه إلى أنس ، بقوله :

سيدي عندي أترجّحُ ونارنّجُ وراحُ

١ في الأصول : ذو مهجة ... متناً بظهر .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ١٨٠ .

وَجَنَّتِي آسٍ وَزَهْرٍ وَحِمَانَا لَا يُبَاحُ
لَيْسَ إِلَّا مُطْرَبٌ يُسُّ لِي النَّدَامَى ، وَالْمَلَاخُ
وَمَكَانٌ لَانْتِهَاكَ قَدْ نَأَى عَنْهُ الْفَلَاخُ
لَا يُرَى يَطْلُعُ فِيهِ دُونَ أَكْوَاسٍ صَبَاحُ
فِيهِ فَتَيَانٌ لَهُمْ فِي لَذَّةِ الْعَيْشِ جِمَاحُ
طَرَحُوا الدُّنْيَا بَسَارًا فَاسْتَرَا حَتْ وَاسْتَرَا حُوا
لَا كَقَوْمٍ أَوْجَعَتْهُمْ لَهُمْ فِيهَا ثُبَاحُ

وله :

قَالَ الْعَذُولُ : إِلَى كَمْ تَدْعُو لِمَنْ لَا يَجِيبُ
فَقُلْتُ : لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ لَا يَجِيبَ حَيِّبُ
هُوَ عَلَىكَ فَلِأَنِّي مِنْ حُبِّهِ لَا أَتُوبُ

قال أبو عمران ابن سعيد : دخلت عليه وهو مسجون بدار الأشراف بإشبيلية ، وقد بقي عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد أفسدها في لذات نفسه ، فلما لمحني أقبل يضحك ويشغل بالنادر والحكايات الطريفة ، فقلت له : قالوا : إنك أفسدت للسلطان اثني عشر ألف دينار ، وما أحسبك إلا زدت على هذا العدد لما أراك فيه من المسرة والاستبشار ، فزاد ضحكاً ، وقال : يا أبا عمران ، أتراني إذا لزمت الهمَّ والفكر يرجع عليَّ ذلك العدد الذي أفسدت ؟ ثم فكر ساعة وأنشدني ١ :

لَيْسَ عِنْدِي مِنَ الْهَمُومِ حَدِيثٌ كُلَّمَا سَاءَنِي الزَّمَانُ سُرِرْتُ
أَتَرَانِي أَكُونُ لِلدَّهْرِ عَوْنًا فَلِذَا مَسَّتْ بَصْرَ ضَجِيرَتُ

١ الأبيات في المصدر السابق .

غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي فَكَأَنِّي عِنْدَ إِقْلَاعِ هَمِّهَا مَا ضُرُرْتُ

٣٨٣ - وقال النحوي اللغوي أبو عيسى لب بن عبد الوارث القلتعي^١ :

بَدَا أَلِفُ التَّعْرِيفِ فِي طَرَسِ خَدِّهِ فَيَا هَلْ تَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْكُرُ
وَقَدْ كَانَ كَافُورًا فَهَلْ أَنَا تَارِكٌ لَهُ عِنْدَ مَا حَيَّاهُ مَسْكٌ وَعَنْبَرُ
وَمَا خَيْرُ رَوْضٍ لَا يَرِفُ نَبَاتُهُ وَهَلْ أَفْتَنُ الْأَثْوَابَ إِلَّا الْمَشْهَرُ
وقال :

أَبَى لِي أَنْ أَقُولَ الشَّعَرَ أَنْتَ أَحَاوِلْ أَنْ يَفُوقَ السَّحَرَ شِعْرِي
وَأَنْ يُصْنِيَ إِلَيْهِ كُلُّ سَمْعٍ وَيَعْلَقَ ذِكْرُهُ فِي كُلِّ صَدْرٍ

قال الحِجَارِي : أَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَحَبَّ أَحَدَ أَوْلَادِ الْأَعْيَانِ مِمَّنْ كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا خَلَا بِهِ شَكَا إِلَيْهِ مَا يَجِدُهُ ، فَقَالَ لَهُ : الصَّبِيَّانِ يَفْطَنُونَ بِنَا ، فَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ تَقُولَ شَيْئًا فَارْتَبِطْ بِي فِي وَرْقَةٍ ، [قَالَ] : فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ تَمَكَّنَ الطَّمَعُ مِنِّْي فِيهِ ، وَكُتِبَتْ لَهُ :

يَا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ بِهِ الْوَرَى صِلْ هَائِمًا قَدْ ظَلَّ فَيْكَ مُحَيَّرًا
وَأَمِنْ عَلَيْهِ بِقُبْلَةٍ أَوْ غَيْرِهَا إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي الْهَوَى أَنْ تَوْجَرَ

وَكُتِبَتْ بَعْدَهَا مِنَ الْكَلَامِ مَا رَأَيْتُهُ ، فَلَمَّا حَصَلَتِ الْوَرَقَةُ عِنْدَهُ كَتَبَ إِلَيَّ فِي غَيْرِهَا : أَنَا مِنْ بَيْتٍ عَادَةً أَهْلُهُ أَنْ يَكُونُوا اسْمَ فَاعِلٍ لَا اسْمَ مَفْعُولٍ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ يَحْصَلَ عِنْدِي خَطُّكَ شَاهِدًا عَلَى مَا قَابَلْتَنِي بِهِ لثَلَاثَ أَشْكَوكَ إِلَى أَبِي فَيَقُولَ لِي : حَاشَ لِلَّهِ أَنْ يَقَعَ الْقَفِيهِ فِي هَذَا ، وَإِنَّمَا أَنْتَ خَبِيثٌ ، رَأَيْتَهُ يَطَالِبُكَ بِالتَّزَامِ الْحَفِظِ فَاخْتَلَقْتَ عَلَيْهِ لِأَخْرَجِكَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَبْقَى مَعْدَبًا مَعَكَ وَمَعَهُ ، وَإِنْ

١ ترجمته في المغرب ٢ : ١٨٠ وبغية الوعاة : ٣٨٣ وفي المغرب أبياته الأول .

أنا أوقفته على خطك صدقني واسترحت ، ولكن لا أفعل هذا إلا إذا لم تنته عني ،
وإن انتهيت فلا أخبر به أحداً ؛ قال ابن عبد الوارث : فلما وقفت على خطه
علمت قدر ما وقعت فيه ، وجعلت أرغب إليه في أن يردّ الرقعة إليّ ، فأبى
وقال : هي عندي رهن على وفائك بأن لا ترجع تتكلم في ذلك الشأن ، قال :
فكان والله يبطل القراءة ولا أجسر أكلّمه ، لأنّي رأيت صبانتي وناموسي قد
حصل في يده ، وتبّنت من ذلك الحين عن هذا وأمثاله .

٣٨٤ - وقال جابر بن خلف الفحّصي - وكان في خدمة عبد الملك بن
سعيد ، وقرأ مع أبي جعفر ابن سعيد وتهلّب معه - يخاطبه حين عاثت الذئاب
في غنّمه :

أيا قائدًا قد سما في العلّا وسادَ علَيْنَا بذات وجدّ
غدا الذئبُ في غنّمي عائثًا وقد جثّ مستعدياً بالأسدّ

وكرر عليه الدين ، فكتب إليه أيضاً :

أفي أيامك الغُرّ أموتُ كذا من الضّرّ ؟
وأخبطُ في دُجى همّي ووجهك طلعةُ الفجرِ

فضحك وأدّى دينه .

٣٨٥ - ولما خلع أهلُ المريّة طاعةَ عبد المؤمن ، وقتلوا نائبه ابن مخلوف ،
قدّموا عليهم أبا يحيى ابن الرميحي^١ ، ثم كان عليه من النصارى ما علم ، ففرّ
إلى مدينة فاس ، وبقي بها ضائعاً خاملاً ، يسكن في غرفة ، ويعيش من النسخ ،
فقال :

١ ترجمته في المغرب ٢ : ١٩٨ ، وانظر البيان المغرب (ج ٣) والمعجب لمراكشي .

أَمْسَيْتُ بَعْدَ الْمُلْكِ فِي غُرْفَةٍ ضَيِّقَةٍ السَّاحَةِ^١ وَالْمَدْخَلِ
تَسْتَوْحِشُ الْأَرْزَاقُ مِنْ وَجْهِهَا . فَمَا تَرَالِ الدَّهْرَ فِي مَعَزَلِ
النَّسْخِ بِالْقُوَّةِ لَدَيْهَا وَلَا تَقْرَعُهَا كَفُّ أَخٍ مُفْضِلِ

وَأُنْشِدُهَا لِبَعْضِ الْأَدْبَاءِ . فَبَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَنْسُخُ بِضَوْءِ السَّرَاجِ إِذَا بِالْبَابِ
يُقْرَعُ ، فَفَتَحَهُ ، فَإِذَا شَخْصٌ مُتَنَكِّرٌ لَا يَعْرِفُهُ ، وَقَدْ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ بِصُرَّةٍ فِيهَا
جَمَلَةٌ دَنَانِيرُ ، وَقَالَ : خُذْهَا مِنْ كَفِّ أَخٍ لَا يَعْرِفُكَ وَلَا تَعْرِفُهُ ، وَأَنْتَ الْمَفْضِلُ
بِقَبُولِهَا ، فَأَخَذَهَا ، وَحَسَّنُ بِهَا حَالَهُ .

وَقَالَ لَهُ بَعْضٌ : هَذَا شَعْرُكَ أَيَّامَ خُلْعِكَ ، فَهَلْ قُلْتَ أَيَّامَ أَمْرِكَ ؟ قَالَ :
نَعَمْ ، لَمَّا قَتَلْتُ أَهْلَ الْمَرْيَةِ ابْنَ مَخْلُوفٍ عَامِلَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَأَكْرَهَوْنِي أَنْ أَتَوَلَّى
أَمْرَهُمْ قُلْتَ :

أَرَى فِتْنًا تَكْشِفَ عَنْ لَظَاهَا رِمَادٌ بِالنِّفَاقِ لَهُ انْصِدَاعُ
وَأَلَّ بِهَا النِّظَامُ إِلَى انْتِثَارٍ وَسَادَ بِهَا الْأَسَافِلُ وَالرَّعَاعُ
سَاحِلُ كُلِّ مَا جُسْتُمْتُ مِنْهَا بِصَدْرِ فِيهِ لِلْهَوْلِ اتِّسَاعُ

وَأَصَلَ بَنِي الرِّمِيْمِيِّ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ ، وَنُسِبُوا إِلَى رَمِيْمَةَ قَرْيَةٍ
مِنْ أَعْمَالِ قَرْطَبَةَ .

٣٨٦ — وَقَالَ أَبُو بَحْرٍ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ^٢ :

فَوَصَلْتُ أَقْطَارًا لَغَيْرِ أَحَبَّةٍ وَمَلَحْتُ أَقْوَامًا بِغَيْرِ صِلَاتِ
أَمْوَالٍ أَشْعَارِي نَمَتْ فَتَكَاثَرَتْ فَجَعَلْتُ مَدْحِي لِلْبَخِيلِ زَكَاتِي

وَهَذَا مِنْ غَرِيبِ الْمَعَانِي .

١ ب : السَّاحَاتِ .

٢ ترجمة ابن عبد الصمد في الذخيرة (٣ : ٢٥١) والمغرب ٢ : ٢٠٣ ومسالك الأبيصار ١١ : ٤٥٠ .

٣٨٧ - وفي بني عبد الصمد يقول بعض أهل عصرهم ، لما رأى من كثرة عددهم ، والتباسهم بالسلطان :

ملأت قلبي هموماً مثل ما ملأ الدنيا بنو عبد الصمد
كأثر الشيخ أبوهم آدمًا فغدا أكثر نسلًا وولد
كلهم ذئب إذا آمنته والرعايا بينهم مثل النّقد

٣٨٨ - وكان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس^١ وزير زهير الصقلي ملك المرية بذئ الناس في وقته بأربعة أشياء : المال ، والبخل ، والمُجب ، والكتابة ؛ قال ابن حيّان : وكان قبل ميحنته صيّر هجّيراه أوقات لعب الشطرنج أو ما يسنح له هذا البيت :

عيونُ الحوادث عني نيامٌ وهضمي على الدهر شيء حرامٌ
وذاع هذا البيت في الناس حتى قلب له مصراعه الأخير بعضُ الأدباء فقال :
سَيُوقِظُهَا قَدَرٌ لا ينامُ

وكان حسن الكتابة ، جميل الخط ، مليح الخطاب ، غزير الأدب ، قوي المعرفة ، مشاركاً في الفقه ، حاضر الجواب ، جماعاً للدفاتر ، حتى بلغت أربعمائة ألف مجلد ، وأما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها ، وبلغ ماله خمسمائة ألف مثقال جعفرية سوى غير ذلك ، وكان مقتله بيد باديس ابن حبّوس^٢ ملك غرناطة ، وكفى دليلاً على إعجابه قوله :

لي نفسٌ لا ترنضي الدهرَ عمراً وجميعَ الأنام طراً عبيدا
لو ترقّت فوق السّمَاكِ محلاً لم تزل تبغني هناك صُعودا

١ انظر الذخيرة ١ / ٢ : ١٥١ والمغرب ٢ : ٢٠٥ والإحاطة ١ : ١٢٩ .

٢ تفصيل الخبر عن مقتله في الذخيرة : ١٦٦ .

أنا مَنْ تَعْلَمُونَ شَيْدْتُ مُجْدِي في مَكَانِي ما بين قومي وليدا
وكان يُتَّهَمُ بداء أبي جهل فيما ينقل ، حتى كتب بعضُ الأدباء على برجه
بالمَرِيَّةِ :

خلوتَ بالبرجِ فما الذي تصنعُ فيه يا سخيْفَ الزَّمانِ
فلما نظر إليه أمر أن يُكتب :

أصنعُ فيه كلَّ ما أَشْتَهِي وحاسدي خارجَه في هَوَانِ

٣٨٩ - وكان الأعمى التُّطيلي^١ شاعراً مشهوراً ، وكان الصبيان يقولون
له « تحتاج كحلًا يا أستاذ » فكان ذلك سبب انتقاله من مُرُسيَّة ، وقيل له :
يا أبا بكر ، كم تقع في الناس ؟ فقال : أنا أعمى ، وهم لا يبرحون حُفراً فما
عذري في وقوعي فيهم ؟ فقال له السائل : والله لا كنتُ قطُّ حَفرةً لك ، وجعل
بواليه بيرةً ورفقده .

ومن شعره :

وجوهٌ تعزُّ على مَعَشِرٍ ولكنْ تهونُ على الشاعرِ
قروئُهُمْ مثلُ ليلِ المحبِّ وليلُ المحبِّ بلا آخرِ

وله :

زنجيُكم بالفُسوقِ داري يُبدلي من الحرصِ كالحمارِ
يخلو بنَجَلِ الوزيرِ سرّاً فيولجُ الليلَ في النَّهارِ

١ أغلب الفن أن هذا الشاعر هو التُّطيلي الأصغر ، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التُّطيلي (التحفة :
٢٧ ونكت الحميان : ٩٠) إلا إن قدرنا أن المقرئ وقع في الوهم فإن القطعة التالية أوردتها ابن
سعيد للمخزومي الأعمى (المغرب ١ : ٢٢٧) وهو الذي يكنى بأبي بكر .

٣٩٠ — ومن شعر أبي جعفر أحمد بن الخيال الاستي^١ كاتب ابن الأحمر
فيمن اسمه « فضل الله » :

من الناس من يؤتى بنقدٍ ومنهمُ بكَرهِ ومنهم من يُنَاك إذا انتشى
ومنهم فتي يؤتى على كلِّ حالةٍ وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشا

٣٩١ — ولعبد الملك بن سعيد الخازن^٢ :

ما حَمَدناكَ إذ وقفنا ببابكُ للذي كان من طويل حجابكُ
قد ذمنا الزَّمانَ فيكَ فقلنا أبعدَ الله كلَّ دهرٍ أتى بكُ

٣٩٢ — وقال في « المسهب » : كنت بمجلس القاضي ابن حمدين ، وقد
أنشده شعراء قرطبة وغيرها ، وفي الجملة هلال شاعر غرناطة ، ومحمد بن
الاستجي شاعر استجة الملقب بزحكون ، فقام الاستجي وأنشد قصيدة ، منها :

إليك ابن حمدين انتخلتُ قصائدًا بها رقصتُ في القُصْبِ ورقُ الحمامِ .
أنا العبدُ لكنْ بالموَدَّةِ أُشترى إذا كان غيري يُشترى بالدرهمِ

فشكره ابن حمدين ، ونبّه على مكان الإحسان ، فحسده هلال البياني على
ذلك ، فلمّا فرغ من القصيدة قال له هلال : أعيدْ عليّ البيتَ الذي فيه « رقص
الحمام » فأعاده ، فقال له : لو أزلتَ النقطة عن الحاء كنت تصدق ، فقال
له في الحين : ولو أزلتَ النقطة عن العين كنت تحسن .
وكانت على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب
الغريب ، وعمل فيه .

١ في القحج : ٦٦ أبو عبد الله ابن الخيال الاستجي وكان يكتب لابن الأحمر وأورد له البيتين المثبتين
هنا ؛ وفي ب : السبي وسقطت اللفظة من م .
٢ ترجمته في الجلو : ٢٦٧ (وبنية الملتبس رقم : ١٠٦٧) والمغرب ١ : ٢٢٨ وهناك البيتان
وانظر البيمة (ج ٢) وكتاب التشبيهات .

٣٩٣ - ولما قال المقدم بن المعافى^١ في رثاء سعيد بن جودي :

مَنْ ذَا الَّذِي يُطْعِمُ أَوْ يَكْسُو وقد حَوَّيَ حِلْفَ النَّدَى رَمْسُ
لَا اخْضَرَّتْ الْأَرْضُ وَلَا أُورِقُ إِلَّا مُودُ وَلَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ
بعد ابن جُودِيّ الَّذِي لَنْ تَرَى أَكْرَمَ مِنْهُ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ

فقل له : أترثيه وقد ضربك ؟ فقال : والله إنّه نفعتني حتى بذنوبه ، ولقد نهاني ذلك الأدب عن مضار جمّة كنت أفعُ فيها على رأسي ، أفلا أرى له ذلك ؟ والله ما ضَرَبَنِي إِلَّا وأنا ظالم له ، أفأبقى على ظلمي له بعد موته ؟ وقيل له : لم لا تهجو مؤمن بن سعيد ؟ فقال : لا أهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى أحد بها .

٣٩٤ - وقال أبو مروان عبد الملك بن نظيف^٢ :

لَا أَشْرَبُ الرَّاحَ إِلَّا مَعَ كُلِّ خَيْرٍ كَرِيمٍ
وَلَسْتُ أَعْشَقُ إِلَّا سَاجِي الْجُفُونِ رَخِيمٍ

٣٩٥ - ومدح هلال البياضي ابن حمدين بقصيدة أولها :

عَرَجَ عَلَى ذَاكَ الْجَنَابِ الْعَالِي واحْكَمْ عَلَى الْأَمْوَالِ بِالْأَمَالِ
فِيهِ ابْنُ حَمْدِينَ الَّذِي لَتَوَّالِهِ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ شَدُّ كُلِّ رَحَالِ

فقال له القاضي : ما هذا الوثوب على المدح من أوّل وهلة ، ألا تدري أنهم عابوا ذلك ، كما عابوا الطول أيضاً ، وأن الأولى التوسط ؟ فقال : يا سيدي ، اعذرني بما لك في قلبي من الإجلال والمحبة ، فلأني كلما ابتدأت في مدحك لم

١ ترجمة مقدم في الجذوة : ٣٣٣ وبغية الملتبس رقم : ١٣٨٦ وشعره في سعيد بن جودي في الحلة السيرة ١ : ١٥٦ - ١٥٧ .

٢ ترجمته في الجذوة : ٢٦٨ وبغية الملتبس (رقم : ١٠٨١) .

يتركني غرامي في اسمك إلى أن أتركه عند أول بيت ، فاستحسن ذلك منه ،
وأحسن إليه .

ومن هذه القصيدة :

قاضٍ مَوَالٍ بِرَّةً ونَوَالَهُ فلهُ جميعُ العالمين مَوَالِي

وكان يهوى وسيماً من متأدبي قرطبة ، فصنع فيه شعراً أنشده منه :

وَكَلَّتْ عَيْنِي بِرَعْيِ النَّجْمِ فِي الظُّلُمِ وَعَبَّرَتْنِي قَدَتْ مُزَوَّجَةً بِدَمٍ

فقال له الغلام : أنت لا تبرح بكوكب من عينك ليلاً ولا نهاراً ، وعاشقاً
وغير عاشق ، فحجل هلال ، وكان على عينه نقطة .

٣٩٦ - وحكى ابن حيّان^١ أن الأمير عبد الرحمن عثرت به دابته وهو
سائر في بعض أسفاره ، وتطأطأت ، فكاد يكبو لفيّه ، ولحقه جزع ، وتمثل
لأثره بقول الشاعر :

وَمَا لَا تَرَى مِمَّا يَبْقَى اللَّهُ أَكْثَرُ

وطلب صدر البيت فعزب عنه ، وأمر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه إلا
الكاتب محمد بن سعيد الزجالي ، وكان يلقّب بالأصمعي لذكائه وحفظه ، فأنشد
الأمير :

تَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يُتَّقَى فَتَهَابُهُ

فأعجب الأمير ، واستحسن شكله ، فقال له : الزم السراشق .
وأعقب ابناً يسمى حامداً .

١ انظر المغرب ١ : ٣٣٠ والمقتبس (تحقيق مكّي) : ٣٤ .

وحضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني في مجلس فيه رؤساء ،
فعرّض عليهم فرس مطهّم ، فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس :

بَرِيدُ السُّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرِّبَرٍ

ففهم الزجالي أنّه عرّض بأنّه من البربر ، فلم يحتمل ذلك وأراد الجواب ،
فقال مدبّجاً لما أراده ومعرّضاً : أحسن عندي من ليل يسرى بي فيه على مثل هذا
يوم على الحال التي قال فيها القائل :

وَيَوْمٍ كَظَلِّ الرَّمْحِ قَصَرَ طَوْلُهُ دُمُ الزُّقِّ عَنَا وَاصْطَفَاكَ الْمَزَاهِرِ

ولأنّما عرّض للإسكندراني بأنّه كان يشهد مجالس الراحة في أول أمره
ومعرفة الغناء ، فقلق الوزير ، وشكاه إلى الحاجب عيسى بن شُهَيْد ، فاجتمع
مع الزجالي وأخذ معه في ذلك ، فحكى له الزجالي ما جرى من الأول إلى الآخر ،
وأنشد :

وَمَا الْحُرُّ إِلَّا مَنْ يَدِينُ بِمَثَلِ مَا يُدَانُ وَمَنْ يَخْفِي الْقَبِيحَ وَيُنْصِفُ
هُمْ شَرَعُوا التَّعْرِيفَ قَدْ فَعَلْنَا فَعِنْدَمَا تَبْعَنَاهُمْ لَامُوا عَلَيْهِ وَعَنَّفُوا

ومن نوادر ابنه حامد أنّه غلط أمامه في قوله تعالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾
(النور : ٢) بأن قال « فأنكحوهما » فأنشده حامد^١ :

أَبْدَعَ الْقَارِئُ مَعْنَى لَمْ يَكُنْ فِي الثَّقَلَيْنِ
أَمَرَ النَّاسَ جَمِيعاً بِنِكَاحِ الزَّانِيَيْنِ

وقال لبعض أصحابه حينئذ : أما سمعت ما أتى به إمامنا من تبديل الحدود ؟
وتفصاحكا .

١ المغرب : ٣٣١ .

٣٩٧ - [تراجم من الملمح]

1 - وكتب الوزير أبو عبد الله ابن عبد العزيز^١ إلى المنصور صاحب بكنسية ، ويعرف بالمنصور الصغير ، قطعة أولها :

يا أحسن الناس آداباً وأخلاقاً وأكرم الناس أغصاناً وأوراقاً
ويا حياً الأرض لم نكتب عن سني وسقت نحوي إرعاداً وإبراقاً
ويا سنا الشمس لم أظلمت في بصري وقد وسعت بلاد الله إشراقاً
من أي باب سعت غير الزمان إلى رحيب صدرك حتى قيل قد ضاقا
قد كنت أحسني في حسن رأيك لي أنني أخذت على الأيام ميثاقاً
فالآن لم يبق لي بعد انحرافك ما آسى عليه وأبدي منه إشفاقاً

فأجابه بهذه القطعة :

ما زلت أوليك إخلاصاً وإشفاقاً وأنثني عنك مهماً غيبت مشتاقاً
وكان من أمني أن أفتنيك أخاً فأخفق الأمل المأمول إخفاقاً
فقلت غرس من الإخوان أكلوه حتى أرى منه إثماراً وإبراقاً
فكان لما زهت أزهاره ودنت ثمارها حنظللاً مرّاً لمن ذاقا
فلست أول الإخوان سقيتهم صفوي وأعلقتهم بالقلب إعلاقاً
فما جزوني بإحساني ولا عرفوا قدرني ولا حفظوا عهداً وميثاقاً

والوزير المذكور قال في حقّه في الملمح : إنّه وزير المنصور بن عبد العزيز ، وربّ السبق في ودّه والتبريز ، ومنقّض الأمور ومبّرّمها ، ومخمد الفتن ومضرمها ، اعتقل بالدهمي ، واستقلّ بالأمر والنهي ، على انتهاض بين الأكفاء ، واعتراض المحو لرسومه والإعفاء ، فاستمر غير مراقب ، وأمر

١ الملمح : ١١ - ١٣ .

ما شاء غير ممثل للعواقب ، ينتضي عزائم تنتضي ، فإن ألت من الأيام مظلمة
أضأ ، إلى أن أودى ، وغار منه الكوكب الأهدى ، فانتقل الأمر إلى ابنه أبي
بكر ، فناهيك من أي عرف ونكر ، فقد أربى على الدهاة ، وما صبا إلى
الظبية ولا إلى المهاة ، واستقل بالهول يقتحمه ، والأمر يسديه ويلحمه ، فأى
ندى أفاض ، وأي أجنحة بمدى هاض ، فانقادت إليه الآمال بغير خطام ،
وزردت من نداه ببحر طام ، ولم يزل بالدولة قائماً ، وموقظاً من بهجتها
ما كان نائماً ، إلى أن صار الأمر إلى المأمون بن ذي النون أسد الحروب ،
ومسد الثغور والدروب ، فاعتمد عليه واتكل ، ووكّل الأمر إلى غير وكيل ،
فما تعدى الوزارة إلى الرئاسة ، ولا تردى بغير التدبير والسياسة ، فتركه مستبدأ ،
ولم يجد من ذلك بدءاً . وكان أبو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة ، وآراء لم تكن
أقله ، أدرك بها ما أحب ، وقطع غارب كل منافس وجب ، إلى أن طأطأ
العمر وأنضاه ، وأغمده الذي انتضاه ، فخلّى الأمر إلى ابنه ، فتبلدا في التدبير ،
ولم يفرقا بين القبيل والدبير ، فغلب عليهما القادر بن ذي النون ، وجلب
إليهما كل خطب^١ ما خلا المنون ، فانجلكوا ، بعدما ألقوا ما عندهم وتخلّوا ،
وكان لأبي عبد الله نظم مستبدع ، يوضع بين الجوانح ويودع ، انتهى المقصود
من الترجمة .

2 - وكان للوزير أبي الفرج^٢ ابن مكبود قد أعياه علاجه ، وتهياً
للفساد مزاجه ، فدل على خمر قديمة ، فلم يعلم بها إلا عند حكم ، وكان
وسيماً ، وللحسن قسيماً ، فكتب إليه^٣ :

أرسيل بها مثل ودك أرق من ماء خدك

١ ب : جلب .

٢ المطبع ١٥ - ١٦ .

٣ انظر ما سبق من : ٤٠٨ .

شقيقة النفس فانضح بها جوى أبني وعبدك

وكتب رحمه الله تعالى معتذراً ، عما جناه منذراً :

ما تغيبتُ عنكَ إلا لعذر ودليلي في ذاك حرصي عليك
هَبْكَ أن الفرارَ من عَظْمِ ذنبٍ أنراهُ يكونُ إلا إلكا

وقال في المطمح في حق أبي الفرج : من ثنية رياسة ، وعثرة نفاسة ،
ما منهم إلا مَنْ تحلى بالإمارة ، وتردَّى بالوزارة ، وأضاع في آفاق الدول ،
ونهم بين الخيل والحوال ، وهو أحد أمجادهم ، ومتقلد نجادهم ، فاتهم أدباً
ونُبلاً ، وباراهم كرمًا تخاله وبُلاً ، إلا أنه بقي وذهَبُوا ، ولقي من الأيام
ما رهبوا ، فعين تنكرها ، وشرب عكرها ، وجال في الآفاق ، واستدرَّ أخلاف
الأرزاق ، وأجال للرجاء^١ قداحاً متواليات الإخفاق ، فأخمل قدره ، وتوالى
عليه جور الزمان وغدره ، فاندفعت آثاره ، وعقت أخباره ، وقد أثبت له
بعض ما قاله وحاله قد أدبرت ، والخطوبُ إليه قد انبَرت ؛ أخبرني الوزير
الحكيم أبو محمد المصري وهو الذي آواه ، وعنده استقرت نَوَاه ، وعليه كان
قادماً ، وله كان مُنادماً ، أنه رغب إليه في أحد الأيام أن يكون من جملة
ندمائه ، وأن لا يُحجَّبَ عنه وتكون منَّة من أعظم نعمائه ، فأجابه بالإسعاف ،
واستساغ منه ما كان يعاف ، لعلمه بقلته ، وإفراط خلته ، فلمَّا كان
ظُهر^٢ ذلك اليوم كتب إليه :

أنا قد أهبتُ بكم وكلكم هَوَى وأحقكم بالشكرِ مني السابقُ
فالشَّمْسُ أنتَ وقد أظلَّ طلوعها فاطلعَ وبينَ يديكَ فجرٌ صادقُ

١ م ب : الرجاء .

٢ ظهر : سقطت من ب .

3 - وقال الوزير أبو عامر ابن مسلمة^١ :

حجّ الحجاجُ مِنّي ففازوا بالني وتفرقت عن خيفهِ الأَشهادُ
ولنا بوجهك حجةٌ مبرورةٌ في كلِّ يومٍ تنقضي وتُعادُ

وقال الفتح في حقّه ما صورته : نَبْتَةٌ^٢ شرف باذخ ، ومفخر على
ذوئب الجوزاء شامخ ، وزرّوا للخلفاء ، فانتجعتهم الأدباء واتبعتهم العظماء ،
وانتسبت لهم النعماء ، وتنفست عن نور بهجتهم الظّلماء ، وأبو عامر هذا هو
جوهرهم المنتخل ، وجوادهم الذي لا يبخل ، وزعيمهم المعظم ، وسلك
مفخرهم المنظّم ، وكان في المدام ، ومستقى الندّام ، وأكثر من النعت للراح
والوصف ، وآثر الأفراح والقصف ، وأرى قَيْنات السرور مجلوة ، وآيات
الحسن متلوة ، وله كتاب سمّاه « حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح » ،
واختص بالمعتضد اختصاصاً جرّعه رداه ، وصرّعه في مدّاه ، فقد كان في
المعتضد من عدم تحفّظه للأرواح ، وتهاونه باللّوأم في ذلك واللّواح ، فاطمأن
إليه أبو عامر واغترّ ، وأنس إلى ما بَسَمَ من مؤانسته وافترّ ، حتى أمكنته في
اغتياله فرصة ، لم يلق فيها حصّة ، ولم يطلق عليه إلا أنّه زلت به قدمه فسقط في
البحيرة وانكفا ، ولم يُعلم به إلاّ بعدما طفا ، فأخرج وقد قضى ، وأدرج منه
في الكفن حُسام المجد مُنتَقِى ، فمن محاسنه قوله يصف السوسن ، وهو ممّا
أبدع فيه وأحسن :

وسوسنٍ راقٍ مرآهُ ومُخْبِرُهُ وجِلٌّ في أعينِ النُّظَارِ منظرُهُ
كأنّه أَكْوَسُ البَلُورِ قد صُنِعَتْ مُسْنَنَاتٌ تعالَى اللهُ مظهرُهُ
وبينها ألسنٌ قد طرُوتْ ذهاباً من بينها قائمٌ بالملكِ يؤثرُهُ

١ المطمح : ٢٢ - ٢٤ .

٢ المطمح : بيت .

إلى أن قال : واجتمع بجنة بخارج لإشييلة مع إخوان له علية ، فبينما هم يديرون الراح ، ويشربون من كأسها الأفراح ، والجوُّ صاح ، إذا بالآفق قد غيَّم ، وأرسل الدَّيْم ، بعدما كسا الجوَّ بمطارف اللاذ^١ ، وأشعر الغصون زهر قباذ^٢ ، والشمس منتقبة^٣ بالسحاب ، والرعد يكيها بالانتحاب ، فقال^٤ :

يومٌ كأنَّ سحابَه لبستُ عِمَاماتِ الصَّوامتِ
حجبتُ به شمسَ الضُّحى بمثالِ أجنحةِ الفواختِ
والغيثُ يَبْسُكي فقدَهَا والبرقُ يضحكُ مثلَ شامتِ
والرعدُ يخطبُ مُفَصِّحاً والجوُّ كالمحزونِ ساكتِ

وخرج إلى تلك الحميلة والربيعُ قد نشر رِدَاهُ ، ونثر على معاطف الغصون ندَاهُ ، فأقام بها وقال :

وخميلة رَقَمَ الزَّمانُ أديمَهَا بمفضضٍ ومقسَّمٍ ومَشُوبِ
رشفتُ قبيلَ الصَّبحِ ريقَ غمامَةٍ رَشَفَ المحبَ مرَاشِفَ المحبوبِ
وطردتُ في أكنافها ملكَ الصَّبَا وقعدتُ واستوزرتُ كلَّ أديبِ
وأدرتُ فيها اللّهُوَ حقَّ مَدَارِهِ مع كلِّ وضَّاحِ الجبينِ حَسِيبِ

4 - وقال الوزيرُ الكاتبُ أبو حفص أحمد بن بُرْد^٥ :

قلبي وقلبك لا محالةً واحدٌ شهدتُ بذلك بيننا الأُلُحَاطُ

١ م : الرذاذ .

٢ م : دهر قباذ .

٣ ب : منتقبة .

٤ مرت الأبيات ص : ٤٨٥ .

٥ ب والمطمح : مهوب .

٦ المطمح ٢٤ - ٢٥ .

فتعالَ فلنُغِظِ الحُودَ بوصلنا إنَّ الحُودَ بمثلِ ذاكِ يُغَاظُ

وقال :

يا من حُرِمْتُ للذاذني بمسيره هذي النوى قد صَعَّرَتْ لي خدَّها
زودَ جفوني من جمالك نظرة والله يعلمُ إن رأيتُكَ بعدَها

وقال في المطمح في ابن برد المذكور : إنَّه غُذِيَ بالأدب^١ ، وعلا إلى
أسمى^٢ الرتب ، وما من أهل بيته إلَّا شاعر كاتب ، لازم لباب السلطان
راتب^٣ ، ولم يزل في الدولة العامرية بسبْقٍ يُذكر ، وحقَّ لا يُنكر ، وهو بديع
الإحسان ، بليغ القلم واللسان ، مليح الكتابة ، فصيح الخطابة ، وله « رسالة
السيف والقلم »^٤ ، وهو أوَّل من قال بالفرق بينهما ، وشعره مثقف المباني ،
مُرَهَّف كالحسام اليماني ، وقد أثبتَّ منه ما يلهيك سماعاً ، ويريك الإحسان
لما عا ، فمن ذلك قوله يصف البهَّار :

تأملُ فقد شقَّ البهَّارُ كائماً وأبرز عن نَوَّاره الخَصِيلَ الندي
مداهنَ تبرٍ في أناملِ فضَّةٍ على أذرعٍ مخروطةٍ من زَبَرَجَدٍ

وله يصف معشوقاً ، أهيفَ القلَّةَ معشوقاً ، أبدى صفحة ورد ، وبدا في
ثوبٍ لازورْد :

لما بدا في لازور دِيَّ الحريرِ وقد بهرَ
كَبَّرْتُ من فرطِ الجمالِ لِي وقلتُ: ما هذا بشرَ
فأجاني لا تنكرنْ ثوبَ السماء على القمرِ

١ المطمح : هذه تفتة غذيت بالأدب .

٢ المطمح : وربت في سماء .

٣ ق ب ودوزي : مراتب .

٤ راجع هذه الرسالة في الذخيرة ٢ / ١ : ٤٣٥ .

5 - وقال الوزير الكاتب أبو جعفر ابن اللماحي^١ :

أَلَا فَدَيْتُكُمْ نَسْتَلِمُ منازلَ سَلَمَى على ذي سَلَمٍ
منازلُ كُنْتُ بها نازلاً زمانَ الصَّبَا بينَ جَيْدٍ وفَمٍ
أما تَجِدُنَّ الثرى عاطرًا إذا ما الرياح تنفسن ثم

وقال في المطمح فيه : إمامٌ من أئمة الكتابة ومُفَجَّرٌ ينبوعها ، والظاهر على مصنوعها بمطبوعها ، إذا كتب نثر الدرّ في المَهَارِق ، ونَمَتَ فيه أنفاسه كالمسك في المَفَارِق ، وانطوى ذكره على انتشار إحسانه ، [وقصر أمره] مع امتداد لسانه ، فلم تَطُلْ لدَوَحَتِهِ فروع ، ولا اتصل لها من نهر الإحسان كروع ، فاندفنت بحاسنه من الإهمال في قَبْرِ ، وانكسرت الآمالُ بعدم بلدائه كسرًا بعد جَبْرِ ، وكان كاتبَ عليّ بن حمود العلوي وذكر أنه كان يرتجل بين يديه ولا يُرَوِّي ، فيأتي على البَدِيه ، بما يتقبّله المُرَوِّي ويُبْدِيه^٢ ، فمن ذلك ما كتب به معتنيًا من بعض رسالة : رَوْضُ القلم في فِينَايِكَ مُوَنِق ، وغُصْنُ الأدب بمائك مورق ، وقد قذف بحر الهند دُرَرَهُ ، وبعث روض نجد زَهْرَهُ ، فأهدى ذلك على يدي فلان البخاري في حَمْدِهِ ، على مباني قصده .

6 - وقال الوزير حسان بن مالك بن أبي عبدة في المهرجان^٣ :

أرى المهرجانَ قد استبشرا غداةَ بكى المزنُ واستعبرا
وسربلت الأرض أمواهها وجللت السندسَ الأخضرها
وهزَّ الرياحُ صنابيرها فضوَّعت المسك والعنبرا
تهادى به الناسُ أطفافه وسامى المقيلاً به المكثرا

١ المطمح : ٢٥ - ٢٦ .

٢ المطمح : ويفديه ؛ وفي م : بما يفصله ؛ ب : يفعله ؛ دوزي : يتقبّله .

٣ المطمح : ٢٦ - ٢٧ .

وقال في حقّه في المطمح : من بيت جلاله ، وعِثْرَة^١ أصالة ، كانوا مع عبد الرحمن الداخل ، وتوغلوا معه في متشعبات تلك المداخل ، وسعّوا في الخلافة حتى حضر مُبايعُها ، وكثر مُشايعُها ، وجدّوا في الهدنة وانعقادها ، وأحمدوا نار الفتنة عند اتّقادها ، فأنبرمت^٢ عُرّاها ، وارتبطت أولاهها وأخراها ، فظهرت البيعة وانفضحت ، وأعلنت الطاعة وأفصححت ، وصاروا تاج مفرّقها ، ومنهاج طُرُقها ، وهو ممّن بلغ الوزارة بعد ذلك وأدركها ، وحلّ مطلقها وفلّكتها ، مع اشتهاار في اللغة والآداب ، وانخرط في سلك الشعراء والكتّاب ، وإبداع لما ألّف ، وانتهاض بما تكلف ، ودخل على المنصور وبين يديه كتاب ابن السري وهو به كَلِيف ، وعليه معتكِف ، فخرج وعمل على مثاله كتاباً سمّاه « ربيعة وعقيل » ، جرد له من ذهنه أيّ سيف صَقِيل ، وأتى به منتسَخاً مصبوراً في ذلك اليوم من الجمعة الأخرى ، وأبرزه والحسن يُتبسّم عنه ويتفرّى ، فسُرّ به المنصور وأعجب ، ولم يَغيب عن بصره ساعة ولا حُجب ، وكان له بعد هذه المدة حين أدجّت الفتنة ليلها وأزجت لإبلها وخيلها ، اغتراب كإغتراب الحارث بن مُضااض ، واضطراب بين القوافي والمواضي ، كالحية النضناض ، ثم اشتهر بعد ، وافترّ له السعد ، وفي تلك المدة يقول يتشوّق إلى أهله :

سقى بلداً أهلي به وأقاري	غواد بأنقال الحيا وروائح
وهبّت عليهم بالعشي وبالضحى	نواسم برد والظلال فوائح
تذكرتهم والنأي قد حال دونهم	ولم أنس لكن أوقد القلب لافح
ومما شجاني هاتف فوق أيكّة	ينوح ولم يعلم بما هو نائح
فقلت اتّشدّ يكفيك أني نازح	وأن الذي أهواه عني نازح
ولي صبية مثل الفراخ بقفّرة	مضى حاضيناها فاطحتنا الطوائح ^٣

١ المطمح : وغرة ؛ ب : ومحمد ؛ م : وبجرة .

٢ المطمح : فأبرمت .

٣ المطمح : متى حضناها طوحتنا الطوائح .

إذا عصفت ريح أقامت رؤوسها فلم يلقها إلا طيور بوارح
فمن لصغار بعد فقد أبيهم سوى سانح في الدهر لو عن سانح

واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة فلم يرض بالحال ،
ولم يمض في ذلك الانتحال ، وتناقل عن الحضور في كل وقت ، وتغافل في ترك
الغور بذلك المقت ، وكان المستظهر يستبد بأكثر تلك الأمور دونه ، وينفرد
مغيباً عنه شؤونه ، فكتب إليه :

إذا غبت لم أحضر وإن جئت لم أسل فسيان مني مشهد ومغيب
فأصبحت تيمياً وما كنت قبلها لتيماً وأكن الشبيه نسب
وله :

رأت طالماً للشيب بين ذواي فباحث بأسرار الدموع السواكب
وقالت: أشيب؟ قلت: صبح تجاري أنار على أعقاب ليل نواي
ولما مات رثاه الوزير أبو عامر ابن شهيد بقوله :

أفي كل عام مصرع لعظيم أصاب المتأيا حادثي وقديمي
وكيف ابتدائي في الخطوب إذا دجت وقد فقدت عيناى ضوء نجوم
مضى السلف الوضاح إلا بقية كفرة مسود القميص بهم
فلان ركبت مني الليالي هزيمة فقبلي ما كان انتصام تيم
أبا عبدة إنا غدرناك عندما رجعنا وغادرناك غير ذميم
أنخذل من كنا نرود بأرضه ونكرع منه في إناء علوم
ويجلو العمى عنا بأنوار رأيه إذا أظلمت ظلماء ذات غيوم
كأنك لم تلق بريح من الحجى عقائم أفكار بغير عقيم
ولم نعتد مغناك غلوا ولم نزر رواحاً لفصل الحكم دار حكيم

المطبع : ولم نزل نؤم .

7 - وقال الوزير الفقيه أبو أيوب ابن أبي أمية^١ :

أَمِسْكَ دَارِينَ حَيَّاكَ التَّسِيمُ بِهِ أَمْ عَنِيرُ الشَّحْرِ أَمْ هَذِي الْبَسَاتِينُ
بِشَاطِئِ النَّهْرِ حَيْثُ النَّوْرُ مُؤْتَلَقٌ وَالرَّاحُ تَعْبِقُ أَمْ تَلِكُ الرِّيَاحِينُ

وحلاه في المطمح بقوله : واحد الأندلس الذي طَوَّقَهَا فَخَارًا ، وطَبَّقَهَا
بَأَوَانِهِ افْتِخَارًا ، مَا شَتَّ مِنْ وَقَارٍ لَا تُحِيلُ الْحَرَكَةُ سَكُونَهُ ، وَمَقْدَارٌ يَتَمَنَّى مَخْبِرٌ
أَنْ يَكُونَهُ ، إِذَا لَاحَ رَأَيْتَ الْمَجْدَ مُجْتَمِعًا ، وَإِذَا فَاهُ أَضْحَى كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَمِعًا ،
تَكْتَحِلُ مِنْهُ مُقَلُّ الْمَجْدِ ، وَتَتَحِلُّ الْمَعَالِي أَفْعَالُهُ انْتِحَالُ ذِي كَلَفٍ بِهَا وَوَجْدُ ،
لَوْ تَفَرَّقَتْ فِي الْخَلْقِ سَجَايَاهُ لَحُمِدَتْ الشَّيْمُ ، وَلَوْ اسْتَسْقَيْتَ بِمَحْيَاهُ لَمَا
اسْتَمْسَكَتِ الدَّيْمُ ، وَدَعِيَ لِلْقَضَاءِ فَمَا رَضِيَ ، وَأَعْفَى عَنْهُ فَكَأَنَّهُ مَا اسْتَقْضَى ،
لَدَيْهِ تَثَبَّتِ الْحَقَائِقُ ، وَتَنَبَّتِ الْعَلَائِقُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ يُسَلِّكُ عَيْنَ الْجَدِّدِ^٢ ، وَيَدْعُ
اللَّدِّدَ^٣ اللَّدِّدَ^٤ ، وَلَهُ أَدَبٌ إِذَا حَاضَرَ بِهِ فَلَا الْبَحْرُ إِذَا عَصَفَ ، وَلَا أَبُو عَثْمَانَ
إِذَا وَصَفَ ، مَعَ حَلَاوَةِ مَوَاسِيَةِ تَسْتَهْوِي الْجَلِيسَ ، وَتَهْوِي حَيْثُ شَاءَتْ
بِالنَّفُوسِ ، وَأَمَّا تَحْيِيرُهُ وَإِنْشَاؤُهُ ، فَفِيهِمَا لِلْسَامِعِ تَحْيِيرُهُ وَإِنْشَاؤُهُ ، وَقَدْ اثْبَتُ^٥
لَهُ بَدْعًا ، يَنْبِي إِلَيْهَا الْإِحْسَانُ جَيِّدًا وَأَخْدَعًا ، فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي مَثَرِ
حَلِهِ مَثَرَهَا :

يَا مَثَرُ الْحَسَنِ أَهْوَاهُ وَالْفُكْهُ حَقًّا لَقَدْ جُمِعَتْ فِي صَحْنِكَ الْبِدْعُ
لِلَّهِ مَا اصْطَنَعَتْ نِعْمَاكَ عِنْدِي فِي يَوْمٍ نَعِمْتُ بِهِ وَالشَّمْلُ^٦ مُجْتَمِعُ

وَحَلَّ مُنِيَّةَ صَهْرِهِ الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ ابْنَ الدَّبِّ بِعُدُوَّةٍ لِشِبْلِيَّةِ الْمُطَلَّةِ عَلَى
النَّهْرِ ، الْمُشْتَمَلَةِ عَلَى بَدَائِعِ الزَّهْرِ ، وَهُوَ مُعْرَسٌ بِنْتِهِ^٧ ، فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا مَتَانَسًا ،

١ المطمح : ٢٨ - ٢٩ ؛ وقد سقط « أبو أيوب » من م .

٢ ب : سلك ؛ دوزي : يسلك من الحق الجدد .

٣ ق : الألد اللدد .

٤ ب : معرس مبيته ؛ م : معرس بابنته .

ولحنوة السرور مقتبساً ، فوالى عليه من التُّحَف ، وأهدى إليه من الطُّرَف ،
ما غمر كثرة ، وبهر نفاسة وأثرة ، فلماً ارتحل وقد اكتحل من حسن ذلك
الموضع بما اكتحل ، كتب إليه :

قلْ للوزيرِ وأين الشكرُ من منيْ جاءَتْ على سَنَنِ تَرى وتَنصَلُ
غَشِيَتْ مغناكَ والروضُ الأنيقُ بهِ يَنلُدَى وصَوْبُ الحيا يَهْمِي وينهملُ
وجالَ طرفيْ في أرجائهِ مرحاً وَفَقَّ اجتيازيْ يَسْتَعْلِي ويستفلُ
نَدْعُو بِلَفْتَتِهِ حيثُ ارتَمَى زَهْرٌ عَلَيَّهِ من مثنيْ أفئانه كيلُ
محلَّ أنسٍ نَعِمْنَا فيهِ آوَتْهُ منَ الزَّمانِ وواتانا بهِ الأملُ
وحلَّ بعدَ ذلكَ متزهاً بها على عادته ، فاحتفل في موالاة ذلك البر وإعادته ،
فلماً رحل كتب إليه :

يا دارُ أمتِكَ الزَّمانُ نُ صروفُهُ ونوائِبُهُ
وجرَتْ أسعودُكَ بالذي يهوى نزيلُكَ آيُهُ
فلنعم مأوى الضيف أذ ت إذا تحاموا جانبه
خطرٌ شأوت بهِ الدنيا رَ وأذعنتُ^٢ لك قاطبُهُ

وصنع له ولد ابن عبد الغفور^٣ رسالة سماها بـ «الساجعة» حذا بها حذو أبي
العلاء المعري في «الصاهل والشاحج» وبعث بها إليه ، فعرضها عليه ، فأقامت
عنده أياماً ثم استدعاها منه فصرفها إليه ، وكتب معها : بكَرُّ زَفَقَتِهَا أعزَّكَ اللهُ
تعالى نحوكَ ، وهَزَزَتْ بمقدمها سنالك وسرَّوك ، فلم أَلْفَظْها عن شِبَع ، ولا

١ ب والمطبع : ودنت .

٢ ب : فأذعنت .

٣ هو صاحب إحكام صنعة الكلام ؛ وقد تحدث عن رسالة «الساجعة» هناك ، وسقطت لفظة «ولد»
من م .

جهلت ارتفاعها عما يجتلي من نوعها ويُسْتَمَع ، ولكن لما أنسته^١ من أنسك بانتماعها ، وحرصك على ارتجاعها ، دفعت في صدر الولوع ، وتركت بينها وبين مجامعها تلك الربوع ، حيث الأدب غَضٌّ ، وماء البلاغة مُرْفَضٌ ، فأُسْعِدَ أعزَّك الله بكرتها ، وسلها عن أفانين مَعَرَّتْها ، بما تقطفه من ثمارك ، وتغرفه من بحارك ، وترتاح له ولإخوانه من نتائج أفكارك ، وإنَّها لَشَيْشِينَة أعرفها فيكم من أخزَم ، وموهبة حزتموها وأحرزتم السبق فيها منذ كم . انتهى .

8 - وابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذي قال فيه الفتح^٢ : فتى زكا فَرَعاً وأصلاً ، وأحكم البلاغة مَعْنَى وفصلاً ، وجرد من ذهنه على الأعراض نَصْلاً ، قدَّها به وفَرَّأها ، وقدح زَنَدَ المعالي حتى أوراها ، مع صَوْن يرتديه ، ولا يكاد يُبْنِديه ، وشيبة ألحقته بالكهول ، فأقفرت منه ربعمها المأهول ، وشرف ارتداه ، وسَلَفَ اقتضى أثره الكريم واقتداه ، وله شعر بديع السرد ، مُفَوِّفُ البُرد ، وقد أثبت له منه ما ألفيت ، وبالدلالة عليه اكتفيت ، فمن ذلك قوله :

تركتُ التَّصَابِي للصَّوَابِ وأهْلِهِ وبِیضِ الطُّلَى للبیضِ والسُّمَرِ للسُّمْرِ
مُدَامِي مِدَادِي والكُؤُوسُ مُحَابِرِي وَنَدْمَايَ أَقْلَامِي وَمِنْقَلِي سِفْرِي

وله :

لَا تُنْكِرُوا أَتْنَا فِي رَحْلَةٍ أَبَدًا نَحْتُ فِي نَفْنَفٍ^٣ طَوْرًا وَفِي هَدَفٍ
فَدَهْرُنَا سُدْفَةً وَنَحْنُ أَنْجُمُهَا وَلَيْسَ يُنْكَرُ مَجْرَى النَّجْمِ فِي السُّدْفِ
لَوْ أَسْفَرَ الدَّهْرُ لِي أَقْصَرْتُ عَنْ سَفَرِي وَمَلْتُ عَنْ كَلْفِي بِهِدِهِ الْكُلْفِ

١ ب م : أنست .

٢ المطمح : ٢٩ - ٣٠ .

٣ ب م : ثقف .

وله من قصيدة :

رويدك يا بدور التمام فلانتي أرى العيس حسرى والكواكب ظلما
كان أديم الصبح قد قد أنجما وغودر درع الليل فيها مرقعا
فلانتي وإن كان الشباب محببا إني وفي قلبي أجل وأوقعا
لأنف من حسن بشعري مفترى وأنف من حسن بشعري فنعما

9 - وقال الوزير أبو الوليد ابن حزم :

إليك أبا حفص وما عن ملالة نيت عياني والحيب حيب
مقالا يطير الجمر عن جنباته ومن تحته قلب عليك يذوب
مضت لك في أفياء ظلي قولة لها بين أحناء الضلوع ديب
ولكن أبى إلا إليك التفاته فزاد عليه من هوالك رقيب
وكم بيننا لو كنت تحمد ما مضى إذ العيش غص والزمان قشيب
وتحت جناح الغيم أحشاء روضة بها لحفوق العاصفات وجيب
وللزهري في ظل الرياض تبسم وللطير منها في الغصون نجيب

وقال في الزهد :

ثلاث وستون قد جزتها فماذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب فما ترعوي أو فما تردجر
تمر لياليك مرآ حثيثا وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي من العمر لا اعتضت خيرا بشر
فما لك لا تستعد إذن لدار المقام ودار المقر
أترغب عن فجأة للمنون وتعلم أن ليس منها مفر

فإِذَا إِلَى جَنَّةٍ أُزْلِفَتْ وَإِنَّمَا إِلَى سَقَرٍ تَسْتَعْرِ

10 - وقال ابن أبي زمنين^١ :

الموتُ في كلِّ حينٍ ينشُرُ الكَفَنَ ونحنُ في غفلةٍ عما يُرادُ بنا
لا تطمئنُّ إلى الدنيا وبهجتها وإن توشَّحتَ من أثوابها الحسنِ
أين الأحيَّةُ والجيرانُ؟ ما فعلوا؟ أين الذين همُ كانوا لنا سَكَنًا؟
سقاہمُ الموتُ كأساً غيرَ صافيةٍ فصيرتهم لأطباقٍ الثرى رُهنا
تبكي المنازلُ منهم كلَّ منسجمٍ بالمكرمات وتُرثي البر والمِنا
حَسْبُ الحِمَامِ لَوَاقِبَاهُمْ وَأَمَهِلَهُمْ أن لا يظنَّ على مَعْلُوءَةٍ حسنا

وقال في المطمح : الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين فقيه متبتل ، وزاهد
لا منحرف إلى الدنيا ولا منفعل^٢ ، هَجَرَها هَجَرَ المنحرف ، وحلَّ أوطانه
فيها حلَّ الْمُعْتَرِف ، لعلمه بارتحاله^٣ عنها وتقويضه^٤ ، وإبداله منها وتعويضه ،
فنظر بقلبه لا بعينه ، وانتظر يوم فراقه وبَيَّنَّه ، ولم يكن له بعد ذلك بها اشتغال ،
ولا في شِعب تلك المسالك إيغال ، وله تواليف في الوعظ والزهد وأخبار
الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتِّراكه ، والضلَّات من حبال الاغترار
وأشراكه ، والتنقل من حال إلى حال ، والتأهب للارتحال ، ويستدل به على
ذلك الانتحال ، فمنها قوله :

الموتُ في كلِّ حينٍ ينشُرُ الكَفَنَ

فذكر الأبيات ، انتهى .

١ المطمح : ٤٩ - ٥٠ وزاد في م : في الزهد .

٢ المطمح : متنقل .

٣ ق ب : بارتحالاً عنه .

٤ في الأصول : وتقويضه .

11 - وقال خَلَفُ بْنُ هَرُونَ يمدح الحافظ أبا محمد ابن حزم^١ :

يخوضُ إلى المجدِ والمكرُماتِ بحارَ الخطوبِ وأموالها
وإن ذُكرتُ للعُلا غايَةً ترقى إليها وأهوى لها

وقال في المطمح فيه : فقيه مستنبط ، ونبهه بقياسه مُرتبط ، ما تكلم تقليداً ، ولا عداً^٢ اختراعاً وتوليداً ، ما تمتت به الأندلس أن تكون كالعراق ، ولا حنّت الأنفس معه إلى تلك الآفاق ، أقام بوطنه ، وما برح عن عطنه ، فلم يشرب ماء الفرات ، ولم يتقف عيشة الثمرات^٣ ، ولكنه أربى على مَنْ مِنْ ذلك غُدِي ، وأزرى على مَنْ هنالك نُعِلَ وحُدِي ، تفرد بالقياس ، واقتبس نارَ المعارف أي اقتباس ، فناظر بها أهل فاس ، وصنّف وجبر حتى أفنى الأنفاس ، ونابذ الدنيا ، وقد تصدّت له بأفتن مُحَيّا ، وأهدت إليه أعبَقَ عَرَفَ ورِيّا ، وخلع الوزارة وقد كسّته ملاها ، وألبسته حُلّاه ، وتجرّد للعلم وطلبه ، وجدّ في اقتناء نُخبه ، وله تأليف كثيرة ، وتصانيف أثيرة ، منها « الإيصال إلى فهم كتاب الحصال » وكتاب « الإحكام لأصول الأحكام » وكتاب « الفِصَل في الأهواء والملل والنحل » وكتاب « مراتب العلوم »^٤ وغير ذلك ، ممّا لم يظهر مثله من هنالك ، مع سرعة الحفظ ، وعفاف اللسان والاحتظ ، وفيه يقول خلف بن هرون :

يخوضُ إلى المجدِ والمكرُماتِ

ولا بن حزم في الأدب سَبَقٌ لا يُنكر ، وبديهة لا يُعلم أنّه روى فيها ولا

١ المطمح : ٥٥ - ٥٦ .

٢ المطمح : تعدى .

٣ كذا ، ولعله : عيشة السموات .

٤ م ب ق : القصد .

٥ هذه رسالة نشرتها ضمن « رسائل ابن حزم » (القاهرة ١٩٥٤) .

فَكَرَّ ، وقد أثبت من شعره ما يُعلم أنه أوحده ، وما مثله فيه أحد ، ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها في غير هذا الموضع .

12 - وكتب أبو عبد الله ابن مسرة^١ إلى أبي بكر اللؤلؤي يستدعيه في يوم طين ومطر ، لقضاء أرب من الأانس ووطر :

أقبلُ فإنَّ اليومَ يومٌ دَجَنٌ إلى مكانٍ كالضميرِ مكني
لعلنا نُحكِّمُ أشهى فنَّ فأنتَ في ذا اليومِ أمشى مني

وقال في المطمح : إن ابن مسرة كان على طريق من الزهد والعبادة سبقَ فيها ، وانتسق في سلك مُقتضيها ، وكانت له إشارة غامضة ، وعبارة عن منازل الملحدِين غير داحضة ، ووجدت له مقالات ردية ، واستنباطات مُردية ، نُسب بها إليه رَهَقٌ ، وظهر له فيها مَزْحَلٌ عن الرشد ومزهِقٌ ، فتُنبِعتُ مصنفاته بالخرق ، واتسع في استباحتها الخرق ، وغدت مهجورة ، على التالين معجورة ، وكان له تنميق في البلاغة وتدقيق لمعانيها ، وتزويق لأغراضها وتشبيد لمبانيها ، انتهى . وهو من نمط الصوفية الذين تُكَلِّمُ فيهم ، والتسليم أسلم ، والله تعالى بأمرهم أعلم .

13 - ومن حكايات أهل الأندلس في الانقباض عن السلطان ، والفرار من المناصب ، مع العذر اللطيف : ما حكاه في المطمح في ترجمة الفقيه أبي عبد الله الخشني^٢ إذ قال : كان فصيح اللسان ، جزيل البيان^٣ ، وكان أنوفاً منقبضاً عن السلطان ، لم يتشبث بدُنْيَا ، ولم يُنكث له مُبرَم عَكْيَا ، دعاه الأمير محمد إلى

١ المطمح : ٥٨ .

٢ المطمح : ٥٦ - ٥٧ وفي ب م : الحسني .

٣ ب : التبيان .

القضاء فلم يجب ، ولم يُظهر رجاءه المحتجب ، وقال : أبَيْتُ عن أمانة هذه الديانة ، كما أبت السموات والأرض عن حمل الأمانة ، إِبَايَة إِشْفَاق ، لا إِبَايَة عصيان ونفاق ، وكان الأمير قد أمر الوزراء بإجباره ، أو حمل السيف إن تمادى على تأبّيه وإصراره ، فلمّا بلغه قوله هذا أعفاه ، قال : وكان الغالب عليه علم النسب ، واللغة والأدب ، ورواية الحديث ، وكان مأموناً ثقة ، وكانت القلوب على حبه متفقة ، وله رحلة دخل فيها العراق ، ثم عاد إلى هذه الآفاق ، وعندما اطمأنت داره ، وبلغ أقصى مناه مدّاره ، قال :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ "وَلَمْ تَكُ فُرْقَةً"

الأبيات ، انتهى .

وهذه الأبيات قدمناها في الباب الخامس في ترجمة القاضي ابن أبي عيسى . فأنت ترى كلام الفتح قد اضطرب في نسبتها ، فمرة نسبها إلى هذا ، ومرة نسبها إلى ذاك ، وهي قطعة عرّفها ذاك .

٣٩٨ - ومن دُعابات أهل الأندلس ومُلتَحِمهم : ما يحكى عن ابن أبي حَلَّى ، وهو علي بن أبي حَلَّى المكناسي^١ أبو الحسن ، قال لسان الدين : كان شيخاً مليح الحديث ، حافظاً للمسائل الفقهية ، قائماً على المدونة^٢ ، مضطرباً بمشكلاتها ، كثير الحكايات ، يحكى أنه شاهد غرائب وتملحاً فينمقها عليه بعض الطلبة ، ويتعلون ذلك إلى الافتعال والمداعبة ، حتى جمعوا من ذلك جزءاً سموه « السالك والمحلى في أخبار ابن أبي حَلَّى » ، فمن ذلك أنه كانت له هرة فدخل البيت يوماً فوجدها قد بلت إحدى يديها وجعلتها في الدقيق حتى علق بها ونصبته

١ م : الكِنَاني .

٢ م ب : الدولة .

بإزائه كُؤَّة فأر ورفعت اليد الأخرى لصيده ، فناداها باسمها ، فردَّت رأسها ،
وجعلت إصبعها على فمها ، على هيئة المشير بالصمت ، وأشباه ذلك ، وتوفي
المديكور سنة ٤٠٦ ، قاله في الإحاطة .

٣٩٩ - ومن أجوبة ملوك الأندلس : أن نزاراً العبيدي صاحب مصر
كتب إلى المرواني صاحب الأندلس كتاباً يسبه فيه ويهجوّه ، فكتب إليه المرواني :
أمّا بعد فإنّك عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك ، والسلام ، فاشتد ذلك
على نزار وأفحمه عن الجواب ، وحكي أنّه كتب إلى العبيدي ملك مصر
مفتخراً^١ :

السنا بني مروان كيف تبدلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
إذا ولله المولود منا تهللت له الأرض واهترت إليه المناير

[حريز بن عكاشة]

٤٠٠ - ومن غريب ما يحكى من قوة أهل الأندلس وشجاعتهم : أن
الأمير حريز بن عكاشة^٢ من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلّم لما نزل بساحة أذفونش ملك ملوك الروم ، فبدأهم بخراب ضياعها
وقطع الشجر ، فكتب إليه حريز : ليس من أخلاق القدير ، الفساد والتدمير ،
فإن قلرت على البلاد أفسدت ملكك ، ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم
ينزل لي بساحة ، ولا تمكن منها براحة ، فلمّا وصلته الرسالة عَفَّ ، وأمر
بالكفّ ، وبعث الملك يرغبه في الاجتماع به ، فاسترهنه في نفسه عدّة من ملوك

١ مر البيتان ص : ١٨٨ .

٢ قد مر شيء عنه ص : ٣٥٨ وانظر الحلة ٢ : ١٧٦ - ١٧٩ .

٣ الحلة : ١٧٩ والمطبع : ٣٠ .

الروم ، فأجاب إلى ما ارتهن ، ولما صاروا بالمدينة البيضاء - وهي قلعة رباح غربي طليطلة - خرج حريز لابساً لأمّة حربه ، يرمق الروم منه شخصاً أوّني بسطة في الجسم والبسالة يتعجبون من آلات حربه ، ويتحدّثون بشجاعة قلبه . ولما وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب والسعة ، ولما أراد النزول عن فرسه ركز رجمه ، فأبصر الملك منه هيئة تشهد له بما عنه حدّث ، وهيبة يجزع للقائها الشجاع ويكثرث ، فدعاه إلى البراز عظيم أبطالهم ، فقال له الملك : يا حريز أريد أن أنظر إلى مبارزتك هذا البطل ، فقال له حريز : المبارز لا يبارز إلا أكفاه ، وإن لي بيّنة على صدق قلبي أن ليس لي فيهم كُفء ، هذا رجمي قد ركزته ، فمن ركب واقتلعه بارزته ، كان واحداً أو عشرة ، فركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حين رامه ، ثم فعل ذلك مراراً ، فقال له الملك : أرني يا حريز كيف تقلعه ، فركب وأشار بيده واقتلعه ، فعجب القوم ، ووصله الملك وأكرمه ، انتهى .

وكان حريز هذا شاعراً ، ولما اجتاز به كاتب ابن ذي النون الوزير أبو المطرف ابن المثنى كتب إليه ^١ :

يا فريداً دونَ ثانٍ وهلالاً في العيانِ
عُدِمَ الراحُ قصارتِ مثلَ دُهْنِ البلسانِ

فجاوبه حريز ، وهو يومئذٍ أمير قلعته :

يا فريداً لا يُجارَى بينَ أبناء الزّمانِ
جاء من شعركَ روضٌ جاده صَوْبُ البَيانِ
فبعثناها سُلَفاً كسجاياك الحسانِ

١ مرت هذه الحكاية من : ٣٥٨ وانظر الحلة ٢ : ١٧٩ والمطبع : ٣٠ .

وكان لحريز كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد ، فأمره أن يكتب إلى المأمون بن ذي النون في شأن حصن دخله النصارى ، فكتب : وقد بلغني أن الحصن الفلاني دخله النصارى إن شاء الله تعالى ، فهذه الواقعة التي ذكرها الله تعالى في القرآن ، بل هي الحادثة الشاهدة بأشراط الزمان ، فلنأخذ الله على هذه المصيبة التي هدّت قواهد المسلمين ، وأبقت في قلوبهم حسرة إلى يوم الدين . فلما وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للأرض ، وكتب لابن عكاشة جوابه ، وفيه : وقد عهدناك متيقياً لأمرنا ، نقاداً لصغيرك وكبيرك ، فكيف جاز عليك أمر هذا الكاتب الأبله الجلف ، وأسندت إليه الكتب عنك دون أن تطلع عليه ، وقد علمت أن عنوان الرجل كتابه ، ورائد عقله خطابه ، وما أدري من أي شيء يتعجب منه ، هل من تعليقه إن شاء الله تعالى بالماضي ؟ أم من حسن تفسيره للقرآن ووضعه مواضعه ؟ أم من تورّعه عن تأويله إلا بتوقيف من سماع عن إمام ؟ أم من تهويله لما طرأ على من يخاطبه ؟ أم من علمه بشأن هذا الحصن الذي لو أنه القسطنطينية العظمى ما زاد عن عظمه وهوله شيئاً ؟ ولو أن حقيراً يخفى عن علم الله تعالى لخفي عنه هذا الحصن ، ناهيك من صخرة حيث لا ماء ولا مرعى ، منقطع عن بلاد الإسلام ، خارج عن سلك النظام ، لا يعبره إلا لص فاجر ، أو قاطع طريق غير متظاهر ، حرّاسه لا يتجاوزون الخمسين ، ولا يرون خبز البر عندهم إلا في بعض السنين ، باعه أحداهم بعشرين ديناراً ، ولعمري إنه لم يغبن في بيعه ولا ربح أرباب ابتياعه ، وأراح من الشين بنسبته والنظر في خداعه ، فليت شعري ما الذي عظمه في عين هذا الجاهل ، حتى خطب في أمره بما لم يخطب به في حرب وائل .

فلما وقف حريز على الكتاب كتب لابن ذي النون جواباً منه : وإن المذكور ممن له حرمة قديمة ، تغنيه عن أن يمتّ بسواها ، وخدمة محمود أولاهـا وأخراها ، ولسنا ممن اتسعت مملكته ، وعظمت حضرته ، فنحتاج إلى انتقاء الكتاب ، والتحفظ في الخطاب ، وإنما نحن أحلاس نفور ، وكتاب كتاب

لا سطور ، وإن كان الكاتب المذكور لا يحسن فيما يليقه على القلم ، فإنه يحسن كيف يصنع في مواطن الكرم ، وله الوفاء الذي تحدث به فلان وفلان ، بل سارت بشأنه في أقصى البلاد الركبان ، وليس ذلك يقدح عندنا فيه ، بل زاده لكونه دالاً على صحة الباطن والسداجة في الإكرام والتنويه ، انتهى .
ولهذا الكاتب شعر يسقط فيه سقوط الأغبياء ، وقد تنبّه فيه تنبّه الأذكياء ، فمنه قوله من قصيدة يمدح حريزاً المذكور مطلعها :

يلذكّرني بهم العنبر وظلم ثناياهم سكر
إلى أن قال :

ولولا معاليك يا ذا الندى لما كان في الأرض من يشعر
فلا تنكرن زحاماً على ذراك وفي كفك الكوثر

ومشى في موكبه وهم في سقر ، وكان في فصل المطر والطين ، فجعل فرسه في ذنب فرس ابن عكاشة ، فلما أثارت يدا فرسه طيناً جاء في عنق أميره ، ففطن لذلك الأمير ، فقال له : يا أبا محمد ، تقدّم ، فقال : معاذ الله أن أسيء الأدب بالتقدم على أمير ، فقال : فإن كان كذلك فتأخر مع الخيل ، فقال : مثلي لا يزال عن ركابك في مثل هذه المواضع ، فقال له : فقد والله أهلكني بما ترمي يدا فرسك عليّ من الطين ، فقال : أعزّ الله الأمير ، يعذرني ، فوالله ما علمت أن يد فرسي تصل إلى عنقك ، فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه .

٤٠١ - وكان بسرّ قسطة غلام اسمه يحيى بن يطفث من بني يفرن ، قد نشأ عند ملكها المقتدر بن هود ، وتخلّق بالركوب والأدب ، وكان في غاية الجمال والحلاوة والظرف فعلق بقلب ابن هود ، وكم حبه زماناً فلم ينكح ، فكتب له :

يا ظبّي بالله قل لي متى تُرى في حياي

يمرُّ عمري وحالي في خيبي منك خالي

فكتب له الغلام في ظهر الرقعة :

إن كنتُ ظلياً فأنتَ الـ هـزْبُرُ تبغي اغتيالِي
وليس يخطرُ يوماً حلولُ غيلٍ ببالي

ثم كتب بعدهما : هذا ما اقتضاه حكم الجواب في النظم ، وأنا بعدُ قد جعلت رَسَتي بيدِ سيدي ، فعسى أن يقودني إلى ما أحب ، لا ما أكره ، والذي أحبه أن يكون بيننا من المحبة ما يقضي بدوام الإخلاص ، ونأمن في متعبته من العار والقصاص ، فتركه مدّة ، ثم كتب له يوماً على الصورة التي ذكرها :

ماذا ترى في يوم أمنٍ طَرَزَتْ حلل السحاب به البروق المذهبه
وأنا وكاسي لا جليسٌ غيره ملآن لا يخلو إلى أن تشرّبه
والأنسُ إن يَسَرَّتْهُ ميسرٌ ومي تُصعّبه فَيَا ما أصعبه

فأجابه :

يا مالكا بدّ الملوك بعلمه وخلاله وعلوه في المرتبة
وافي ندّاك فحيرت عند جوابه إذ ما تضمّن ريةً مستغربه
إنّا إذا نخلو ، نقول حاسدٌ وغدا بهذا الأمر ينصرُ مذهبه
هبتني إلى يوم تطيش به النّهي والبيض تُنصّي والقنا متّأشبه
وهناك فانظرنِي بعين بصيرة فالشّبل يعرف أصله من جرّبه

ثم أعلاه إلى درجة الوزارة والقيادة ، إلى أن قُتل في جيش كان قدّمه عليه ، فقال فيه من قصيدة :

يا صارماً أغمَدتهُ عن ناظري الصّوارمُ

وزهرة غيبتْهُمَا من الطيورِ كئاسمُ
 يا كوكباً خَرَّ من أُنْذ جمعي وأنفي راغمُ
 بَكَتْ عليَّ وشَقَّتْ جيوبَهُنَّ الغمامُ
 قل للحمامِ لَأتِي أصبحت أحكي الحمامُ
 وأنثُرُ الدمعَ مَهِمَا رأيتُ للزهرِ باسمُ
 تاللهِ لا لَدَّ عيشُ لمتَرَفٍ لكَ عادمُ

٤٠٢ - ولما رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادي آش إلى علي
 الميورقي صاحب فتنة إفريقية أقبل عليه ، ثم ولي أخوه يحيى الإمارة بعده ، فأُسند
 جميع أموره إليه . فقال مخاطبه :

أَجُبْنَا ورعِي ناصِرِي وحُسامي وعجزاً وعزمي قائِدِي وإمامي
 ولي منك بَطَاشُ اليدين غَضَنَفَر يُحاربُ عن أشبالِهِ ويُحامي
 ألا غُيَّبانِي بالصَّهِيلِ فَإِنَّهُ سماعي ورقراقُ الدماءِ مُدامي
 وحُطًا على الرَّمضاءِ رَحَلِي فَإِنَّهَا مِهَادِي وخَفَاقُ البُنودِ خيامي

٤٠٣ - وكان الأمير أبو عبد الله ابن مَرْدَئِش^١ ملك شرق الأندلس من
 أبطال عصره ، وكان يدفع في المواقب ، ويشقها يميناً وشمالاً منشداً :

أَكُرُّ على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها

حتى إنَّه دفع مرّة في موكب النصارى ، فصَرَخَ منهم وقتل ، وظهر منه ما
 أعجبت به نفسه ، فقال لشخص من خواصه عالم بأمور الحرب : كيف رأيت ؟
 فقال : لو رآكَ السلطان لَزادَ فيما لكَ في بيت المال ، وأعلى مرتبتك ، أمن
 يكون رأسَ جيشٍ يُقَدِّمُ هذا الإقدام ، ويتعرَّضُ بهلاك نفسه إلى هلاك مَنْ

١ مرث هذه الحكاية ص : ٢١٠ .

معه ؟ فقال له : دعني فلأنتي لا أموت مرتين ، وإذا متُّ أنا فلا عاش مني بعدي .

٤٠٤ — ومن حكاياتهم في الظرف^١ : أن القاضي أبا عبد الله محمد بن عيسى من بني يحيى بن يحيى خرج إلى حضور جنازة ، وكان لرجل من إخوانه منزل بقرب مقبرة قريش ، فعزم عليه في المسيل إليه ، فترل وأحضر له طعاماً ، وغنت جارية :

طابت بطيب لثائك الأقداحُ وزهت بحمرة وجهك التفاحُ
وإذا الربيعُ تنسّمَ أرواحهُ نمت بعرف نسيمك الأرواحُ
وإذا الخنادسُ أليست ظلكماءها فضياء وجهك في الدجى مصباحُ

فكتبها القاضي طرباً على ظهر يده^٢ ، قال الراوي : فلقد رأيته يكبر على الجنازة والأبيات على ظهر يده .

٤٠٥ — ومن حكاياتهم في البلاغة ما ذكره في « المطمح » أن أبا الوليد ابن عيال^٣ لما انصرف من الحج اجتمع مع أبي الطيب في مسجد عمرو بن العاص بمصر ، ففاوضه قليلاً ، ثم قال له : أنشدني للمليح الأندلس ، يعني ابن عبد ربّه ، فأنشده :

يا لؤلؤاً بسني العقول أنيقا ورشاً بتعذيب القلوب رفيقا
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله دُرّاً يعودُ من الحياء عقيقا
وإذا نظرتُ إلى محاسن وجهه أبصرتُ وجهك في سناه غريقا
يا من تقطّع خصره من رقّة ما بال قلبك لا يكون رقيقا

١ انظر الجذوة : ٧٠ .

٢ الجذوة : عل باطن كفه .

٣ المطمح : ٥٢ وفيه أبا الوليد ابن عباد ، وفي م : ابن هتال .

فلما كمل إنشادها استعادها ، ثم صفقَ بيديه وقال : يا ابن عبد ربه ،
لقد تأتيتك العراق حببوا ، انتهى .

٤٠٦ - وقال مؤلف كتاب « واجب الأدب »^١ : مما يجب حفظه من
مخترعات الأندلسيين قول ابن عبد ربه^٢ :

يا ذا الذي خطَّ العذارُ بخدّه خطَّين هاجا لوعةً وبلا بلا
ما كنتُ أقطعُ أن لحظتك صارمٌ حتى حملت من العذار حمالا

٤٠٧ - وحكي أن الوزير أبا الوليد ابن زيدون^٣ توفيت ابنته ، وبعد
الفراغ من دفنها وقف للناس عند مُنصرفهم من الجنازة ليتشكروا لهم ، فقليل :
إنه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد ، قال الصَّفدي : وهذا من التوسّع
في العبارة ، والقدرة على التفنن في أساليب الكلام ، وهو أمر صعب إلى الغاية ،
وأرى أنه أشقُّ مما يحكي عن واصل بن عطاء أنه ما سُمعت منه كلمة فيها
راء ، لأنه كان يلغ بحرف الراء لثغة قبيحة ، والسبب في تهوين هذا الأمر وعدم
تهويله أن واصل بن عطاء كان يعدل إلى ما يُرادف تلك الكلمة مما ليس فيه
راء ، وهذا كثير في كلام العرب ، فإذا أراد العدول عن لفظ فرس قال جواد
أو ساعر أو صافين ، أو العدول عن رمح قال قناة أو صعدة أو يَزَنِي أو غير ذلك ،
أو العدول عن لفظ صارم قال حسام أو لهدم أو غير ذلك ، وأما ابن زيدون
فأقول في حقه إنه أقلُّ ما كان في تلك الجنازة ، وهو وزير ، ألف رئيس
ممن يتعين عليه أن يتشكر له ، ويضطر إلى ذلك ، فيحتاج في هذا المقام إلى ألفٍ
عبارة مضمونها الشكر ، وهذا كثير إلى الغاية ، لا سيما من محزون ، فقد

١ هو والد الأديب الجفرائي علي بن موسى بن سعيد .

٢ البيهقي في المصنف : ٥٢ .

٣ انظر الذخيرة ١ / ١ : ٢٠٠ وشرح العيون : ٤ .

قطعة من كبده :

ولكنه صَوَّبُ العقول إذا انبرت سحائبُ منه أُعْقِبَتْ بسحاب

وقد استعمل الحريري هذا في مقاماته عندما يذكر طلوع الفجر ، وهو من القدرة على الكلام ، وأرى الخطيب ابن ثبّانة ممّن لا يُلْحَق في هذا الباب ، فإنّه أُملي مجلدة معناها من أولها إلى آخرها : يا أيّها الناس اتقوا الله واحذروه فإنّكم إليه راجعون ، وهذا أمر بارع معجز ، والناس يذهلون عن هذه النكتة فيه ، انتهى كلام الصّفّدي ملخصاً .

وقال في الوافي ، بعد ذكره جملةً من أحوال ابن زيلون ، ما نصّه : وقال بعض الأدباء : مَنْ لبس البياض ، وتختّم بالعقيق ، وقرأ لأبي عمرو ، وتفقه للشافعي ، وروى شعر ابن زيلون ، فقد استكمل الظرف . وكان يسمى بَحْثَرِيّ المغرب لحسن دياجة نظمه ، وسهولة معانيه ، انتهى .

رجع إلى كلام أهل الأندلس :

٤٠٨ - وكان الأديب المحدث أبو الربيع سليمان بن علي الشلبي الشهير بكثير^١ يهوى مَنْ يتجنّى عليه ويقول : إنّه أبرد من الثلج . فخاطبه كثير بقوله :

يا حبيباً له كُلامٌ خَلُوبٌ قُلِبَتْ في لَظي هواه القلوبُ
كيف تعزو إلى عجبك بَرْداً ومن الحبّ في حشاه لُيبُ
أنت شمسٌ وقلتْ إني ثَلِجٌ فلهذا إذا طلعتْ أَدُوبُ

١ هناك من يترجم له ابن سميّد (في المغرب ١ : ٣٩٨ والقلمح : ١٨٩) باسم كثير العلياوي نسبة إلى العليا وهي من قرى شلب ، وهو يقول فيه : أديب مشهور في عصرنا ، كان بإشبيلية ورحل إلى بجاية فأكثر كلامه فيما لا يعنيه ففُسر وجرس ونفي في البحر ؛ ويقول إنه كان يتجنب مجالسته بإشبيلية لأنها تجلب مشارته لحدّة فيه ، ولا أقطع بأنه علي بن سليمان الشلبي هذا .

٤٠٩ - وقال ابن مهران ممّا يشتمل على أربعة أمثال^١ :

المال زينٌ ، والحياةُ شهيةٌ ، والجودُ يُفقرُ ، والشجاعةُ تقتلُ
والبخلُ عيبٌ ، والجبانُ مذممٌ ، والقصدُ أحكمٌ ، والتوسطُ أجملُ

٤١٠ - وقال ابن السّيد البَطْلَنِيُّ متغزلاً^٢ :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِحُؤْذِرٍ حُلُوَ اللَّيْلِ مُسْتَحْسَنَ بَصْلُودِهِ أَضْنَانِي
فِي فِيهِ سِمَاطُ جَوْهَرٍ يَرْوِي الظُّلُمَا لَوْ عَلَّيْ بَسْرُودِهِ أَحْبَابِي
ويخرج من هذه القطعة عدة قطع .

٤١١ - وقال ابن صارة مضمناً^٣ :

إِلَى كَمْ يَنْفَرُ الدِّينَارُ مِنِّي وَيَطْلُبُ كَفَّ مَنْ عَنْهُ يَحِيدُ
أَلَمْ أَنْشُدْهُ فِي وَادِي هِيَامِي بِهِ لَوْ كَانَ يَعْطِفُهُ النُّشِيدُ
حَبِيبِي أَنْتَ تَعْلَمُ مَا أُرِيدُ وَلَكِنْ لَا تَرُقُ وَلَا تَجُودُ
وَكَمْ غَنَيْتُ حِينَ تَنْكَبْتَنِي مِنْ شَيْطَانُهَا أَبْدَأُ مَرِيدُ
'يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُوْتَى مَنَاهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا يَرِيدُ'

٤١٢ - وقال ذو الرّياستين أبو مروان عبد الملك بن رَزِين^٤ :

بِاللّهِ إِنْ لَمْ تَزِدْجِرْ يَا مِشْبَهَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ

١ لعله سليمان بن مهران الرقسطي (الجدوة : ٢٠٩ وبقية الملتصق رقم : ٧٧٣ والخيرة ٣ : ١٥٧ والمغرب ٢ : ٤٤٢ والمساك ١١ : ٤٤٧) .
٢ مر البيتان ، انظر ص : ٢٨٧ .
٣ الأبيات في الخيرة (٢ : ٣٢٧) .
٤ في الأصول : ينفذ ، والتصويب عن الخيرة .
٥ مر بيتان من هذه الثلاثة ص : ٢٩١ .

لَأَسْرَحَنَّ نَوَاطِرِي فِي ذَلِكَ الْوَرْدِ النَّضِيرِ
وَلَا كَلَنْتُكَ بِالْمَنَى وَلَا شَرِبْتُكَ بِالْضَمِيرِ

٤١٣ - وقال ابن جبر ربه^١ :

اشْرَبْتُ عَلَى الْمَنْظَرِ الْأَنِيقِ وَامزَجْتُ بِرَيْقِ الْحَبِيبِ رَيْقِي
وَاحْلُلْتُ وَشَاحَ الْكَعَابِ رَفْقًا خَوْفًا عَلَى خَصْرِهَا الرَّقِيقِ
وَقُلْ لِمَنْ لَمْ فِي التَّصَابِي خُلْ قَلِيلًا عَنِ الطَّرِيقِ

وسياتي إن شاء الله تعالى قريباً من بلاغة أهل الأندلس في الجحد والهزل ما فيه مَقْنَعٌ لمن اقتصر عليه .

٤١٤ - ومن حكاياتهم في عدم احتمال الضيم والدل والوصف بالإنفة :
أنه لما ثار أيوب بن مطروح في المائة الخامسة في الفتنة على ملك غرناطة عبد الله بن بلقين بن حبّوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه موجهاً فيمن رمى على الساحل ، وحصل فيما بث عليهم يوسف بن تاشفين من الحبائل ، وكانت له همّة وأنفة عظيمة ، وخُلِعَ عن إمارته ، وحصل في حبالته ، أدخل رأسه تحتها ، فانتظر مَنْ حضر معه أن يتكلّم أو يخرج رأسه ، فلم يكن إلا قليل حتى وقع ميتاً ، رحمه الله تعالى .

٤١٥ - ولما ثار الميورقي بإفريقية على بني عبد المؤمن الثورة المشهورة ، وخدمه جملة من أعيان أهل الأندلس ، وكان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسي^٢ ، كتب عنه من رسالة : وبعد ، فلما لا نحتاج لك إلى برهان على أمير لسانه الحسام ، وأيده التأييد الرباني الذي لا يُرام ، قد نصب خيامه

١ المقد ٦ : ٢٨٥ ، ٤٢٧ .

٢ انظر ترجمة مالك في المغرب ٢ : ١٧١ .

بالبراح ، ولم يتخذ سوراً غير سُمُر القنا وبيض الصقاح ، له من العزم رده^١
ومن الرأي كمين^٢ :

إذا صدقَ الحسامُ ومُنْتَضِيهِ فكلُّ قَرَارَةٍ حصنٌ حصينٌ

وهو من القوم الذين لا يجورون على جار ، ولا يرحلون بحزنية ولا يتركون
من عار ، دينهم دين التقوى ، وإن كنت من ذلك في شك فاقدم علينا حتى
يصح لك اختبار الذهب بالسبك ، وأنت بالخيار في الظن والإقامة ، فإن حلت
نزلت خير منزل ، وإن رحلت ودّعت أفضل وداع ، وسرت في كنف
السلامة ، إذ قد شُهرنا بأننا لا نقيّد إلا بالإحسان ، وأن ندع لاختياره كل إنسان .

٤١٦ - ومن حكايات أهل الأندلس في الجود والفضل ومكارم الأخلاق^٣ :
أن أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد بن عباد ، فأدخلت عليه جملة من
دنانير السكة ، فأمر له بخريطين منها ، وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها
صورة جمل مرصّع بنفيس الدر ، فقال أبو العرب : ما يحمل هذه الدنانير إلا
جمل ، فتبسم المعتمد وأمر له به ، فقال :

أعطيتني^٤ جملاً جَوْنًا شَفَعَتْ بِهِ حِمْلًا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاجُ جُودِكَ في أعطانِ مكرمة لا قِدَّ تَعْرِف من منَعٍ ولا عَقْلًا
فاعجَبْ لَشَأْنِي فَشَأْنِي كُلَّهُ عَجَبٌ رَقَهْنِي فحملتُ الحملَ والحملا
ومن نظم أبي العرب المذكور :

إلامَ اتّباعي للأمانِي الكواذبِ وهذا طريق المجدِ باذي المذاهبِ ؟

١ في الأصول : رداء .

٢ البيت للأعشى التليي ، ديوانه : ٢٠٢ (البيت رقم : ٢١) .

٣ بدائع البدائه ٢ : ١٣٦ .

٤ البدائع : أجديني .

أَهْمُ وَلِي عَزْمَان : عَزْمٌ مُشْرِقٌ وَآخِرُ يَثْنِي هِمَّتِي لِلْمَغَارِبِ
وَلَا بَدَلِي أَنْ أَسْأَلَ الْعَيْسَ حَاجَةً تَشْقِي عَلَى أَخْفَافِهَا وَالْغَوَارِبِ
إِذَا كَانَ أَصْلِي مِنْ تُرَابٍ فَكَلَّهَا بِلَادِي وَكُلُّ الْعَالَمِينَ أَقَارِبِي

٤١٧ - وذكر الحافظ الحجاري في « المسهب » أنه سأل عمه أبا محمد عبد الله بن إبراهيم^١ عن أفضل من لقي من أجواد تلك الحلبة ، فقال : يا ابن أخي ، لم يُقَدَّرْ أن يقضى لي الاستمطار بهم ، في شباب أمرهم ، وعنفوان رغبتهم في المكارم ، ولكن اجتمعت بهم وأمرهم قد هرم ، وساءت بتغير الأحوال ظنونهم ، ومثلوا الشكر ، وضجروا من المروءة ، وشغلتهم المحن والفتن ، فلم يبقَ فيهم فضل للإفضال وكانوا كما قال أبو الطيب :

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبَابِهِ فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ

فلأن يكن أناه على الهرم فلأننا أتيناوه وهو في سياق الموت ، ثم قال : ومع هذا فإن الوزير أبا بكر ابن عبد العزيز ، رحمه الله تعالى ، كان يحمل نفسه ما لا يحمله الزمان ، وييسم في موضع القطوب ، ويظهر الرضى في حال الغضب ، ويجهد ألا ينصرف عنه أحدٌ غير راضٍ ، فإن لم يستطع الفعل عوض عنه القول . قلت له : فالمعتمد بن عباد كيف رأيته ؟ فقال : قصده وهو مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في غزواته للنصارى المشهورة ، فرفعت له قصيدة منها :

لَا رَوَّعَ اللَّهُ سِرْبًا فِي رَحَابِهِمْ وَإِنْ رَمَوْنِي بِتَرْوِيعٍ وَإِبْعَادٍ
وَلَا سَقَاهُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَطَشٍ إِلَّا بِيَعْضِ نَدَى كَفِّ ابْنِ عَبَادٍ
ذِي الْمَكْرَمَاتِ الَّتِي مَا زِلْتُ تَسْمَعُهَا أَنْسَ الْقِيمِ وَفِي الْأَسْفَارِ كَالزَّادِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا يَرْتَضِيهِ لَنْ نَادَاهُ يَا مَوْثِلِي فِي جَحْفَلِ النَّادِي

١ ترجمة أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الحجاري في المغرب ٢ : ٣٤ .

فلما انتهيت إلى هذا البيت قال : أما ما أرتضيه لك فليست أقدر في هذا الوقت عليه ، ولكن خذ ما ارتضى لك الزمان ، وأمر خادماً له فأعطاني ما أعيش في فائدته إلى الآن ، فلأتى انصرفت به إلى المرية ، وكان يعجبني سكنها والتجارة بها ، لكونها ميناء لمراكب التجار من مسلم وكافر ، فتجرتُ فيها فكان إبقاء ماء وجهي على يديه ، رحمة الله تعالى عليه . ثم أخذ البطاقة وجعل يحيل النظر والفكر في القصيدة ، وأنا مترقب لنقده ، لكونه في هذا الشأن من أئمنه ، وكثيراً ما كان الشعراء يتحامونه لذلك إلاّ مَنْ عرف من نفسه التبريز ، ووثق بها ، إلى أن انتهى إلى قولي :

ولا سقاهمُ على ما كان من عطش إلا ببعضِ ندى كف ابن عباد

فقال : لأي شيء بخلت عليهم أن يسقوا بكفه ؟ فقلت : إذن كان يلحقني من النقد ما لحق ذا الرمة في قوله :

ولا زال مُنْهَلًا بجرعائك القطر^١

وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك ، فتألفتُ غرته ، وبدت مسرته ، وقال : إنا لله على أن لم يُعينا الزمان على مكافأة مثلك . قال : وكنت ممن زاره بسجنه بأغصامات ، وحملتني شدة الحمية له والامتناع لما حل به أن كتبت على حائط سجنه متمثلاً :

فلن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام ، فوجدت تحت البيت : لذلك سجناه^٢ :

١ صدر البيت : ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى

٢ البيت التالي للمتنبي .

وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْغَامَ فِي الصَّيْدِ بَازَهَ تَصَيِّدَهُ الضَّرْغَامُ فِيمَا تَصَيِّدًا
فَمَا أَذْرَى مَنْ جَاوَبَ بِذَلِكَ ، ثُمَّ عَدَّتْ لَهُ وَوَجَدَتْهُ قَدْ مُحِي ، وَأَعْلَمْتُ
بِذَلِكَ ابْنَ عَبَّادٍ ، فَقَالَ : صَدَقَ الْمَجَاوِبُ ، وَأَنَا الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ ، وَالْحَافِرُ
بِيَدِهِ لِرُمْسِهِ ، وَلَمَّا أَرَدْتُ وَدَاعَهُ أَمَرَ لِي بِإِحْسَانٍ عَلَى قَدْرِ مَا اسْتَطَاعَ ، فَارْتَجَلْتُ :

أَلَيْتُ لَا أَقْبِلُ إِحْسَانَكُمْ وَالْدَّهْرُ فِيمَا قَدْ عَرَاكُمْ مُسِي
فَفِي الَّذِي أَسْلَفْتُمْ غُنْيَةً وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَكُمْ قَدْ نُسِي

قال : وفيه أقول من قصيدة :

يَا طَالِبَ الْإِنْصَافِ مِنْ دَهْرِهِ طَلَبْتُ أَمْرًا غَيْرَ مَعْتَادٍ
فَلَوْ يَكُونُ الْعَدْلُ فِي طَبْعِهِ لَمَا عَدَا مَلِكُ ابْنِ عَبَّادٍ

وللحجاري المذكور كتاب في البديع سماه « الحديقة » وأنشد لنفسه فيه ^١ :

وَشَادَنِي يُنْصِفُ مِنْ نَفْسِهِ أَمْنِي مِنْ سَطْوَةِ الدَّهْرِ
يَنَامُ لِلشَّرْبِ عَلَى جَنْبِهِ وَيَصْرِفُ الذَّنْبَ إِلَى الْخَمْرِ

وله في فرس :

وَمُسْتَبِقٍ يَحَارُ الطَّرْفُ فِيهِ وَيَسْلَمُ فِي الْكَفَاحِ مِنَ الْجَمَاحِ
كَأَنَّ أَدِيمَهُ لَيْلٌ بِهَيْمٍ تَحْجَلُّ بِالْيَسِيرِ مِنَ الصَّبَاحِ
إِذَا احْتَدَمَ التَّسَابِقُ صَارَ جِرْمًا تَقَلَّبَ بَيْنَ أَجْنَحَةِ الرِّيحِ

٤١٨ — وكتب أبو العلاء إدريس بن أزرق إلى ابن رشيق ملك مرسية ،
وقد طالعت إقامته عند ابن عبد العزيز ^٢ :

١ البيتان في المغرب ٢ : ٣٤ .

٢ انظر ترجمته وشعره في الجلود : ٨٨ ويغية الملتبس رقم : ٢٩٨ .

ألا ليت شعري هل أعودُ إلى الذي عهدتُ من التعمى لديكم بلا جهدٍ
فوالله مُدٌّ فارقتكم ما تخلصتُ من الدهر عندي ساعةً دون ما كدٌ
فمُنُّوا بإذنٍ كي أطيرَ إليكمُ فلا عارَ في شوقٍ إلى المالِ والمجدِ .

ووقف بعضُ أعدائه على هذه الأبيات ، فوشى بها إلى ابن عبد العزيز قاصداً
ضَرَرَه ، وكان ذلك في متحفيل ليكون أبلغ ، فقال : والله لقد ذكرتني أمره ،
ولقد أحسن الدلالة على حاله ، فإن الرجل كريم ، وعلينا موضع اللوم ، لا عليه ،
ووالله لأوسعنه مالاً ووُجداً بقدر وسعي ، ثم أخذ في الإحسان إليه حتى برّ
بمينه ، رحمه الله تعالى :

هكذا هكذا تكونُ المعالي طُرُقُ الجدة غيرُ طُرُقِ المزاح

٤٩٩ - ولنذكر جملة من بني مَرَّوان بالأندلس ، فنقول :

١ - قال محمد بن هشام المرواني صاحب كتاب « أخبار الشعراء »^١ :

ورَوْضَةٌ من رياضِ الحَزْنِ حالفها طُلٌّ أَطَلَّتْ به في أَفْقها الحَلَلُ
كَأَنَّمَا الورد فيما بينها ملكٌ مُوفٍ ونوَارها من حَوَلةِ حَوَالٍ

وكان في مدة الناصر ، وأدخل عليه يوماً ليذاكره ، فاستحسنه ، وأمره
بالتزام بنيه ليؤدبهم بحسن أدبه ، ويتخلقوا بخلقه ، فاستعفى من ذلك ، وقال :
إن الفتيان لا يتعلمون إلاّ بشدة الضبط والقيّد والإغلاظ ، وأنا أكره أن أعامل
بذلك أولاد الخليفة فيكرهوني ، وقد يحقد لي بعضهم ذلك إلى أن يقلد على النفع
والضَرَر .

قالوا : وكان يتعشّق المستنصر بالله ولي عهد الناصر وهو غلام ، وله فيه :

١ ترجمته في الجلاوة : ١٣٩ وبغية الملتبس رقم : ٤٥٧ .

مَتَّعْ بوجهك جفني يا كوكباً فوق غُصْنِ
يا من تحجبَ حتى عن كلِّ فكرٍ وأذنِ
ونخامرَ الخوفُ فيه فما يحولُ بذهنِ
فلئیس للطرف والقلد بغير دمعٍ وحزنِ
فلئنني ذو ذنوبٍ وأنتَ جنَّةُ عدنِ

2 — وقال أخوه أحمد بن هشام :

قطعتُ الليالي بارتجاعٍ وصالكم وما نلتُ منكم غيرَ مُتَّصِلِ الهَجْرِ
وما كنتُ أدري ما التصبر قبلكم فعلمتموني كيف أقوى على الصبرِ
وما كنتُ ممن يعلّقُ الصبرُ فكره ولكن خشيتُ الصبرَ يذهبُ بالعمرِ

ومن حكاياتهم في علو الهمة : أنه كان سبب قراءته واجتهاده أنه حضر مجلساً فيه القائد أحمد بن أبي عبدة ، وهو غلام ، فاستخبره القائد ، فرآه بعيداً من الأدب والظرف ، ورأى له ذهنًا قابلاً للصالح ، فقال : أيُّ سيف لو كانت عليه حلية ! فقامت من هذه الكلمة قيامته ، وثابت له همة ملوكية عطفَ بها على الأدب والتعلم ، إلى أن صار ابن أبي عبدة عنده كما كان هو عند ابن أبي عبدة أولاً ، فحضر بعد ذلك معه ، وجالا في مضمار الأدب ، فرأى ابن أبي عبدة جواداً لا يُشَقُّ غُبَّاره ، فقال : ما هذا ؟ أين هذا ممّا كان ؟ فقال : إن كلمتك عملت في فكري ما أوجب هذا ، فقال : والله إن هذه حلية تليق بهذا السيف ، فجزاك الله عن همّتك خيراً .

ثم قال له : سر ، إن لي عليك حقّاً إذ بعثتك على التأدب والتميز ، فإذا حضرنا في جماعة فلا تتناول على تقصيري ، وحافظْ على أن لا أسقط من العيون بإرباء غيري عليّ ، فقال : لك ذلك وزيادة .

3 — وكان المنذر ابن الأمير عبد الرحمن الأوسط سيء الخلق في أوّل

أمره ، كثير الإصغاء إلى أقوال الوشاة ، مفرط القلق ممّا يقال في جانبه ، معاقباً على ذلك لمن يقدّر على معاقبته ، مكثّر التشكي ممن لا يقدّر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن ، فطال ذلك على الأمير ، فقال لوكيل خاص به عارف بالقيام بما يكلفه به : الموضع الفلاني الذي بالجبل الفلاني المنقطع عن العمران تبني فيه الآن بناء أسكن فيه ابني المنذر ، وأوصاه بالاجتهاد فيه ، ففرغ منه ، وعاد إليه ، فقال له : تعلّم المنذر أنّي أمرته بالانفراد فيه ، ولا تترك أحداً من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره ، ولا يتكلّم معه البتة ، فإذا ضجر من ذلك وسألك عنه فقل له : هكذا أمر أبوك ، فتولّى الثقة ذلك على ما أمر به ، ولمّا حصل المنذر في ذلك المكان وبقي وحده ، وفقد خوّاله ومن كان يستريح إليه^١ ، ونظر إلى ما سلبه من الملك ضجّر ، فقال للثقة : عسى أن يصلني غلماي وأصحابي أتأنس بهم ، فقال له الثقة : إن الأمير أمر أن لا يصلك أحد ، وأن تبقى وحدك لتستريح ممّا يرفع لك أصحابك من الوشاية ، فعلم أن الأمير قصد مِحْنَتَهُ بذلك وتأديبه ، فاستدعى دواة وكتب إلى أبيه : إنّني قد توحّشت في هذا الموضع توحّشاً ما عليه من مزيد ، وعدمت فيه من كنت آنس إليه ، وأصبحت مسلوب العز فقيد الأمر والنهي ، فإن كان ذلك عقاباً لذنوب كبير ارتكبتها وعلمه مولاي ولم أعلمه فلانّي صابر على تأديبه ، ضارع إليه في عفوّه وصفحّه :

وإنّ أمير المؤمنين وفعلتسه لكالدهر ، لا عار بما فعل الدهر

فلمّا وقف الأمير على رفقته ، وعلم أن الأدب بلغ به حقه ، استدعاه فقال له : وصلت رفقته تشكو ما أصابك من توحش الانفراد في ذلك الموضع ، وترغب أن تأنس بحتوك وعبيدك وأصحابك ، وإن كان لك ذنب يترتب عليه

١ ب : يفزع إليه .

أن تطول سكناك في ذلك المكان ، وما فعلت ذلك عقاباً لك ، وإنما رأيناك
تكثر الضجر والتشكي من القال والقليل ، فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع
كلام مَنْ يرفع لك وينمُّ ، حتى تستريح منهم ، فقال له : سماعُ ما كنت
أضجر منه أخفُّ عليَّ من التوحّد والتوحش والتخلي ممّا أنا فيه من الرفاهية
والأمر والنهي ، فقال له : فإذا قد عرفت وتأدبتَ فارجع إلى ما اعتدته ،
وعوّل على أن تسمع كأنّك لم تسمع ، وترى كأنّك لم تر ، وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم « لو تكاشفتُم ما تدافتم » ، واعلم أنّك أقرب الناس إليّ
وأحبهم فيّ ، وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكار عليّ ،
وسخط لما أفعله في جانبك أو جانب غيرك ، ما لو أطلعني الله تعالى عليه لسأني ،
لكن الحمد لله الذي حفظ ما بين القلوب بسّتر بعضها عن بعض فيما يحول
فيها ، وإنّك لدو همّة ومطمّح ، ومن يكن هكذا يصبر ويغض ويحمل ،
ويبدل العقاب بالثواب ، ويصير الأعداء من قبيل الأصحاب ، ويصبر من
الشخص على ما يسوء ، فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر ، ولقد يخفّ عليّ اليوم
مَنْ قاسيت من فعله وقوله ، ولو قطعتم عضواً عضواً لما ارتكبه مني ما شفيت
فيهم غيظي ، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال ، لا سيما عند الاقتدار ، أولى ،
ونظرت إلى جميع مَنْ حولي ممّن يحسن ويسيء فوجدت القلوب متقاربة
بعضها من بعض ، ونظرت إلى المسيء يعود محسناً ، والمحسن يعود مسيئاً ،
وصرتُ أندم على مَنْ سبق له مني عقاب ، ولا أندم على مَنْ سبق له مني
ثواب ، فالزم يا بنيّ معالي الأمور ، وإن جماعها في التغاضي ، ومَنْ لا يتغاضى
لا يسلم له صاحب ، ولا يقرب منه جانب ، ولا ينال ما ترقى إليه همّته ،
ولا يظفر بأمله ، ولا يجد معيناً حين يحتاج إليه ، فقبّل المنذر يده وانصرف ،
ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلّق بالخلق الحميل ، وبلغ ما أوصاه

به أبوه ، ورفع قدره .

ومن شعره في ابن عم له :

ومولّى أبى إلاّ أذايَ ولانتي لأحلمُ عنه وهو بالجهلِ يقصدُ
توددته فازداد بُعداً وبغضةً وهل نافعٌ عند الحسود التوددُ

وقوله :

خالف عدوك فيما أتاك فيه لينصح
فلنمّا ينبغي أن تنامَ عنه فتريح

ومن كرم نفسه أن أحداً التجار أهدي له جارية بارعة الحسن ، واسمها طَرَب ، ولها صنعة في الغناء حسنة ، فعندما وقع بصره على حسننها ثم أذنته على غنائها أخذت بمجامع قلبه ، فقال لأحد خُدّامه : ما ترى أن ندفع لهذا التاجر عوضاً عن هذه الجارية التي وقعت منّا أحسن موقع ؟ فقال : تقدر ما تساوي من الثمن وتدفع له بقدرها ، فقُومَت بخمسمائة دينار ، فقال المنذر للخدم : ما عندك فيما ندفع له ؟ فقال : الخمسمائة ، فقال : إن هذا للؤم ، رجل أهدي لنا جارية ، فوقعت منّا موقع استحسان ، تقابله بثمانها ، ولو أنّه باعها من يهودي لوجد عنده هذا ، فقال له : إن هؤلاء التجار لؤماء بخلاء ، وأقلّ القليل يقنعهم ، فقال : وإنّا كرماء سُمحاء ، فلا يقنعنا القليل لمن نجود عليه ، فادفع له ألف دينار ، واشكره على كونه خَصّاً بها ، وأعلمه بأنّها وقعت منّا موقع رضى .

وفيها يقول :

ليسَ يُفِيدُ السرورُ والطربُ إن لم تقابل لواحظي طَرَبُ
أَبْهَتُ في الكأسِ لستُ أَشْرِبُهَا والفكرُ بين الضلوعِ يَلْتَهَبُ
يعجبُ مني معاشِرٌ جهلوا ولو رأوا حسنَهَا لما عجبوا

وقال له أبوه يوماً : إن فيك لتيهاً مُعْرِطاً ، فقال له : حَقٌّ لفرعٍ أنت
أصله أن يعلو ، فقال له : يا بني إن العيون تمجُّ التائه ، والقلوب تنحرف عنه ،
فقال : يا أبي لي من العز والنسب وعلو المكان والسلطان ما يجمَلُ من ذلك ، وإنني
لم أرَ العيون إلاَّ مقبلة علي ، ولا الأسماع إلاَّ مُصْغِية إلي ، وإن لهذا السلطان
رَوْنَقاً يرتفعه^١ التبذل ، وعلواً يخفضه الانبساط ، ولا يصونه ويشرفه إلا التيه
والانقباض ، وإن هؤلاء الأندال لهم ميزان يَسْبُرُون به الرجل منّا ، فإن
رأوه راجحاً عرفوا له قدر رَجَاحته ، وإن رأوه ناقصاً عاملوه بنقصه ، وصيروا
تواضعه صغراً ، وتخفضه^٢ خِسةً ، فقال له أبوه : لله أنت فابقَ وما رأيت .

4 - وكان له أخ أديب أيضاً اسمه المطرف بن عبد الرحمن الأوسط ،

ومن شعره :

أفْنَيْتُ عمري في الشَّرِّ بِ والوجوهِ الملاحِ
ولم أَصَيِّعْ أَصِيلاً ولا أَطْلَعَ صَبَاحِ
أُحْيِي الليالي سُهْنَدًا في نَشْوَةٍ ومراحِ
ولستُ أَسْمَعُ ماذا يقولُ داعي الفلاحِ

والعياذ بالله من هذا الكلام ، وحاكي الكفر ليس بكافر .

وغتبه أحد إخوانه على هذا القول فقال : إنني قلته وأنا لا أعقل ، ولم أعلم
أنه يُحْفَظُ عَنِّي ، وأنا أَسْتَغْفِرُ الله تعالى منه ، والذي يغفر الفعل أكرمُ من

١ م ب : يريته .

٢ ب : وتخفضه .

أن يعاقب على القول .

ومن جيد شعره قوله :

يا أخي فَرَقْتَ صُروفُ اللَّيالي بيننا غيرَ زَوْرَةِ الأَحلامِ
فغَلَونا بعدَ اثْتِلافٍ وقُربٍ نتاجي بالسُّنِّ الأَقلامِ

5 - وقال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن فيمن اسمه ريحان :

أحبُّك يا ريحانُ ما عشتُ دائماً ولو لامَّتني في حبك الإنسُ والجانُ
ولولاك لَمْ أَهْوِ الظَّلَامَ وسُهْدَهُ ولا حُبَّيتُ لي في ذَرَا الدارِ غريبانُ
وما أعشَقْتُ الرِّيحانَ إلاَّ لأنَّهُ شريكُكَ في اسمٍ فيه قلبي هَيْمانُ
على أَنَّهُ لم يكْمِلِ الظرفَ مجلسُ إذا لم يكنْ فيه مع الراحِ ريحانُ
وله فيه :

إذا أنا مازَحْتُ الحَيِّبَ فإنَّما قصدتُ شفاءَ الهَمِّ في ذلك المزحِ
فما العَيْشُ إلاَّ أن أراه مُضاحِكاً كما ضحكَ اللَّيْلُ البَهِيمُ عن الصبحِ

6 - وقال أخوهما الرابع يعقوب بن عبد الرحمن^١ :

إذا أنا لم أَجِدْ يوماً وقومي لهم في الجودِ آثارَ عظامُ
فمَنْ يُرْجى لتشييدِ المتعالي إذا قعدت عن الخيرِ الكرامُ ؟

وملحه بعضُ الشعراء ، فأمر له بـمالٍ جزيل ، فلمّا كان مثلُ ذلك الوقت
جاءه بمدح آخر ، فقال أحدُ خدام يعقوب : هذا اللّيثم له دين عندنا جاء يقتضيه ؟
فقال الأمير : يا هذا ، إن كان الله تعالى خلّقتك مجبولاً على كره ربّ الصنائع

١ ترجمة يعقوب في الحلة السيرة ١ : ١٢٤ وقال فيه : « كان أدبياً شامراً مطبوعاً كلفاً بالعلوم
جواداً لا يليق شيئاً » .

فاجري على ما جُبِلت عليه في نفسك ، ولا تكن كالأجرب يُعندي غيره ، وإن هذا الرجل قصدنا قبلُ ، فكان مثلاً له ما أنيسَ به وحَمَلَه على العودة ، وقد ظنَّ فينا خيراً ، فلا نخيب ظنَّه ، والحديثُ أبداً يحفظ القديم ، وقد جاءنا على جهة التهئية بالعمر ، ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثُر ترداده ، ويديم نعمنا حتى نجد ما نُنعم به عليه ، ويحفظ علينا مروءتنا حتى يعيننا على التجميل معه ، ولا يبلينا بجليس مثلك يقبض أيدينا عن إسداء الأيادي ، وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبلُ ، وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الأوان ما دام العمر .

7 — وقال أخوهم الخامس الأمير محمد ابن الأمير عبد الرحمن^١ لأخيهم السادس أبان وقد خلا معه على راحة : هل لك أمل نبغك إيَّاه ؟ فقال : لم يبقَ لي أملٌ إلا أن يديمَ الله تعالى عمرك ويخلد ملكك ، فأعجب ذلك الأمير ، وقال : ما مالت إليك نفسي من باطل ، وكان كل واحد منهما يهيم بالآخر ، وفي ذلك يقول أبان :

يا مَنْ يَلُومُ ولا يَدْرِي بِمَنْ أَنَا مَهْ تونٌ لو أبصرتَه ما كنتَ تَلَحَّاني
من مازَجَتْ رُوحُه رُوحِي وشاطَرَنِي يا حُسْنَه حينَ أهْواهُ ويَهْواني

وكان للأمير محمد ابن الأمير عبد الرحمن ثلاثة أولاد نجباء : القاسم ، والمطرف ، ومسلمة ، ولهم أخ رابع اسمه عثمان .

8 — فمن نظم القاسم^٢ في عثمان أخيه ، وقد زاره فاستسقاء ماء ، فأبطأ عليه غلامه لعلَّه لم يقبلها القاسم :

الماء في دار عثمان له ثمن والحيز شيء له شأن من الشَّانِ^٣

١ ترجمته في الحلة ١ : ١١٩ .

٢ ترجمة القاسم في الحلة ١ : ١٢٧ والمقتبس (تحقيق مكِّي) : ٢٠٠ .

٣ قال ابن الأثير بعد أن أورد البيتين : كذا قال ابن حيان (المقتبس : ٢٠١) وهو غلط لا يخفاه .

فاسلَحْ على كلِّ عثمانٍ مررتَ بهِ غيرِ الخليفةِ عثمانَ بنِ عفَّانٍ
وله :

شَغِلْتُ بالكِيمياءِ دَهْرِي فلم أَفِدْ غيرَ كلِّ خُسْرٍ
إِتْعَابُ فِكْرٍ ، خُدَاعُ عَقْلٍ ، فَسَادُ مَالٍ ، ضَيَاعُ عَمْرٍ

9 — وقال شقيقه المطرف^١ ، ويُعرف بابن غزلان ، وهي أمه ، وكانت
مغنية بديعة محسنة عوادة أدبية :

هَلْ أَتَكِي مُشْرِفاً على نَهَرٍ أرمي بطرفي إليه من قَصْرِي
عندَ أخٍ لو دهتهُ حادثةٌ أعطيتُهُ ما أحبُّ من عمري

10 — وقال أخوهما مسلمة^٢ :

إِنَّ شَيْباً وَصَبَوَةً لمحالٍ أَوَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَكُونَ زوالُ
فَدَعَ النفسَ عن مزاحٍ وَلَهْوٍ تلكَ حالٌ مضت وجاءتك حالٌ

وكان يقول : إنني لا أفارق إلا من اختار مفارقتي ، ومن خادعني انخدعت
له ، وأريته أنني غير فطين بخداعه ، ليعجبه أمره ، وأدخل عليه مسرة بنفسه
ورأيه .

11 — وقال محمد ابن الأمير منذر ابن الأمير محمد في جاريته الأراكة :

قلْ للأراكةِ قد زَا د بالذنوِ اشتياقي

= به وإنما البيتان من قطعة لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي أنشدها ابن عبد البر في كتاب بهجة المجالس.

١ انظر ترجمة المطرف في الحلة ١ : ١٢٨ والمقتبس (تحقيق مكِّي) : ٢٠٥ والجمهرة : ٩٨

وبيته في الحلة : ١٢٩ والمقتبس : ٢٠٨ .

٢ راجع المقتبس ص : ٢١١ .

وهاجَ ما بي إلَيَّها تمثُّلي للعِناقِ
 وإتني وبقلبي جمرٌ جرى في المآقي
 طويتُ ما بي ليومٍ يكونُ فيه التلاقي
 فإن أعدتُ لاجتماعٍ حرَّمتُ يومَ افتراقِ
 لا يعرفُ الشوقَ إلا من ذاق طعمَ الفراقِ

12 - وقال عبد الله بن الناصر^١ ، وقد أهدى له سعيد بن فرج ياسميناً
 أبيض وأصفر ، وكتب معه^٢ :

مولاي قد أرسلتُ نحوكَ تحفةً بمرادٍ ما أبغيه منكَ تُذَكِّرُ
 من ياسمينٍ كاللُّجَيْنِ تهرجتُ بيضاً وصفراً والسماحُ يعبرُ
 فأجابه بما نصّه :

أتاكَ تفسيري ولما يحلُّ عني على أضغاث أحلامِ
 فاجعلنه رَسْماً دائماً زائراً^٣ منكَ ومنِّي غُرَّةَ العامِ

وبعث إليه بهذين البيتين مع ملء الطبق دنائير ودراهم ، فقال ابن فرج :

قد سمعنا بجُودِ كَعْبٍ وحاتمٍ ما سمعنا جوداً مَدَى العمر لازمُ
 فدعائي بأنْ تَدُومَ دعاءُ لي لا زالَ طولَ ما عشتَ دائمُ
 ما سمعنا كمثلَ هذا اختراعاً هكّذا هكّذا تكونُ المكارمُ

وتُشبه هذه الخنكاية حكاية اتفقت لبعض ملوك إفريقيا ، وذلك أن رجلاً

١ عبد الله بن الناصر : له ترجمة في الجذوة : ٢٤٤ وبغية الملتبس رقم : ٩٤٩ والمغرب ١ : ١٨٢

والخلة السراء ١ : ٢٠٦ .

٢ البيتان وجوابهما في المغرب .

٣ المغرب : باتياً .

أهدى له في قادوس ورداً أحمر وأبيض ، فأمر أن يملأ له دراهم ، فقالت له جارية من جواريه : إن رأى الأمير أن يلوّن ما أعطاه ، حتى يوافق ما أهداه . فاستحسن ذلك الأمير ، وأمر أن يملأ دنائير ودراهم .

وكان المرواني المذكور يساير أحد الفقهاء الظرفاء ، فمرّاً بجميل ، فمال عبد الله بطرفه على وجهه ، وظهر ذلك لمسايره ، فتبسّم ، ففهم عبد الله عنه ، فقال : إن هذه الوجوه الحسان خلابة ، ولكننا لا نتغلغل في نظرها ، ولا ندعي العفة عنها بالجملة ، وفيها اعتبار وتذكّار بالحوار العين التي وعد الله تعالى ، فقال له الفقيه : احتجّ لزوحك بما شئت ، فقال : أوّما هي حجةٌ تُقبل ؟ فقال الفقيه : يقبلها من رَقّ طبعه ، وكاد يضيق عن الصبر وسُعه ، فقال : وأراك شريكاً لي ، فقال : ولولا ذلك لملتك ، فأطرق عبد الله ساعة ثم أنشد :

أفندي الذي مرّ بي فمال له لحظي ولكنّ ثنيته غصبا
ما ذاك إلا مخاف متقدّر قاله يغفر ويغفر الذنبا

فقال له الفقيه : إن كنت ثنيت لحظك خوف انتقادي فلنّني أدعوه إليك حتى تملأ منه ، ولا تنسب إليّ ما نسبت ، فتبسّم عبد الله وقال : ولا هذا كلّهُ . وقال له : إن مثلك في الفقهاء لمعلوم ، فقال له : ما كنتُ إلاّ أديباً ، ولكني لما رأيت سوقَ الفقه بقرطبة نافقة اشتغلتُ به ، فقال له : ومن عقل المرء أن لا يفني عمره فيما لا ينفعه عصره .

وكان^١ عبد الله المذكور يسمّى الزاهد ، فبايع قوماً على قتل والده الناصر وأخيه الحكم المستنصر ولي العهد ، فأخذ يوم عيد الأضحى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، فذبح بين يديه ، رحمه الله تعالى .

13 — وقال أخوه أبو الأصينغ عبد العزيز بن الناصر^٢ ، وقد دخل ابن له

١ ورد في المغرب نقلاً عن الرقيق .

٢ ترجمة عبد العزيز بن الناصر في الجلوّة : ٢٧٠ وبنية الملتبس رقم : ١٠٩٣ والمغرب ١ : ١٨٤ —

الكتاب ، فكتب أول لوح ، فبعثه إلى أخيه الحكم المستنصر ملك الأندلس ،
ومعه :

هاك يا مولاي خَطًّا مَطَّه في اللوحِ مَطًّا
ابنُ سبعٍ في سِنِيهِ لم يُطِقْ للوحِ ضَبْطًا
دُمْتَ يا مولاي حَتَّى يلدَ ابنُ ابنك سِبْطًا

وله :

زارني من همتُ فيه سَحَرًا يتهادى كنسيم السَّحَرِ
أفْبَسَ الصَّبَحَ ضياءَ ساطِعًا فأضأ والفجرُ لَمَ ينفجرِ
واستعار الروضُ منه نَفْحَةً بثَّها بين الصَّبَا والزهرِ
أبها الطَّالِعُ بَدْرًا نيرًا لا حللت الدهرَ إلاَّ بصري

وكان مُغرَّرى مغرمًا بالخمير والغناء ، فقطع الخمر ، فبلغه أن المستنصر لما
بلغه تركه للخمر قال : الحمد لله الذي أغنانا عن مفاتحه ، ودلَّه على ما نريد
منه ، ثم قال : لو ترك الغناء لكمل خيره ، فقال : والله لا تركته حتى ترك
الطيور تغريدًا ، ثم قال ^١ :

أنا في صحَّة وجاه ونُعْمى هي تدعو لهذه الألحان
وكذا الطير في الحدايق تشدُّو للذي سرَّ نفسه بالقيان

14 — وقال أخوه محمد بن الناصر ^٢ لما قدم أخوهما المستنصر من غزوة :

قدمتَ بحمد الله أسعدَ مقدمٍ وضدك أضحى لليدين وللقيم

= والحلة ١ : ٢٠٨ وأبياته الأول في المصادر السابقة ما عدا المغرب والقطعة الثانية في المغرب وحده .

١ المغرب : ١٨٤ .

٢ ترجمة محمد بن الناصر في المغرب ١ : ١٨٤ وفيه البيتان .

لقد حُزَّتَ فيها السُّبُقُ إِذْ كُنْتَ أَهْلَهُ كما حازَ « بِسْمِ اللَّهِ » فَضْلَ التَّقْدُمِ

15 — وأما أخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر^١ فقال الحجاري فيه :
إنَّه لم يكن في ولد الناصر ممَّنْ لم يَلِ الملكَ أشعر منه ومن ابن أخيه ، وكتب إلى
العزیز صاحب مصر^٢ :

أَلَسْنَا بَنِي مِرْوَانَ كَيْفَ تَبَدَّلْتُ بِنَا الْحَالُ أَوْ دَارَتْ عَلَيْنَا الدَّوَابُّ
إِذَا وَلَدَ الْمَوْلُودُ مِنَّا تَهَلَّلْتُ لَهُ الْأَرْضُ وَاهْتَرَّتْ إِلَيْهِ الْمَنَابِرُ

وكان جواب العزیز له : أمَّا بعدُ فَإِنَّكَ عَلِمْتَنَا فَهَجَوْتَنَا ، ولو علمناك
لهجوناك .

وله في الصَّنُوبَرِ :

إِنَّ الصَّنُوبَرَ حِصْنٌ لَدَيْهِ حِرْزٌ وَبَاسٌ
خَفَّتْ مِنْ أَجْلِ إِرْهَا بِ مِنْ عِدَاهُ تِرَاسٌ
كَأَنَّمَا هُوَ ضِدٌّ لِمَا حَوَاهُ الرَّئِاسُ

وبعض سيوف الأندلس محفور صدر الرئاس على صورة قشور الصنوبر
إلاَّ أن تلك ناتئة وهذه محفورة ، وقال^٣ :

أَتَانِي وَقَدْ خُطَّ الْعِدَارُ بِخَدِّهِ كَمَا خُطَّ فِي ظَهْرِ الصَّحِيفَةِ عَنَوَانُ
تَرَاحِمَتِ الْأَلْحَاطُ فِي وَجَنَاتِهِ فَشُقَّتْ عَلَيْهِ لِلشَّقَائِقِ أَرْدَانُ
وَزِدْتُ غَرَامًا حِينَ لَاحَ كَأَنَّمَا تَفْتَحَ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْآسِ سَوْسَانُ^٤

١ ترجمته في الحلة ١ : ٢٠٨ والمغرب ١ : ١٨٥ واليتيمة ١ : ٣٥٥ .
٢ مر البيتان ص : ١٨٨ ؛ وانظر المصادر السابقة ، وفي اليتيمة نسبا للحكم المستنصر وتعقبه
ابن الأبار في ذلك .
٣ هذه القطعة والتي تليها في المغرب : ١٨٥ .
٤ المغرب : آس وسوسان .

وقال :

لئن كنتُ خلّاعَ العِذارِ بشادنٍ - وكأسٍ فلانتي غيرُ نَزْرِ المَواهبِ
ولانتي لَطَعَانٌ إذا اشْتَجَرَ القَنَا - ومُفْحَم طرقي في صدور الكتائبِ
ولانتي إذا لم ترضَ نفسي بمنزلٍ - وجاش بصندري الفكرُ جمَ المَداهبِ
جليدٌ يودُّ^١ الصخرُ لو أنَّ صبره - كصبري على ما نابني للنوائبِ
وأُسْري إلى أن يحسبَ الليلُ أنْتِي - لطولٍ مسيري فيه بعضُ الكواكبِ

16 - وأما ابن أخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر^٢
فكان في بني أمية شبه عبد الله بن المعتز في بني العباس ، بملاحة شعره وحسن
تشبيهه .

ومن شعره القصيدة المشهورة^٣ :

غُصْنٌ يَهْتَرُ في دِعْصِ نَقَا - يَجْتَنِي مِنْهُ فُؤَادِي حُرْقَا
سَال لَامُ الصَّدَغِ في صَفْحَتِهِ - سَيَلَانُ التَّيْبِ وافي الورقا
فَتَنَاهَى الحَسَنُ فِيهِ إِنَّمَا - يَحْسُنُ الغَصْنُ إذا ما أورقا

ومنها :

أَصْبَحَتْ شَمْساً وفوهٌ مَغْرِباً - ويدُ السَّاقِي المَحْيِي مشرقا
فلَإِذَا ما غَرَبَتْ في فَمِهِ - تَرَكْتُ في الخلدِ مِنْهُ شَفَقَا

- ١ في الأصول : يؤود ، والتصويب عن المغرب .
٢ هو المشهور باسم الشريف الطليق وله ترجمة في الحلة ١ : ٢٢٠ والجلوة : ٣٢١ وبغية الملتبس
رقم : ١٣٤٣ واليتيمة ٢ : ٦١ واللخيرة ٢/١ : ٨١ والمغرب ١ : ١٨٦ والمعجب :
٢٨٥ والمسالك ١١ : ١٧٦ وانظر كتاب التشبيهات وفهرسته .
٣ أوردها ابن يسام في اللخيرة ، ومنها قطع في المصادر المذكورة ، وفي الحلة منها قسط والفر .

ومنها :

وَكَاَنَّ الْوَرْدَ يَعلوهُ النَّدىُ وَجَنَّةُ المحبوبِ تَندى عَرَقا

قالوا : وهذا النمط قد فاق به أهل عصره ، ويظن أنه لا يوجد لأحد منهم أحلى وأكثر أخذاً بمجامع القلوب من قوله :

وَدَعَيْتُ مَنْ أَهْوَى أَصِيلاً ، لِيَتَنِي	ذَقْتُ الحِمامَ ولا أَذوقُ نَوَاهُ
فوجدتُ حتى الشمسُ تشكو وجده	والورقُ تَندى شجوها بهَوَاهُ
وعلى الأصائلِ رَقَّةٌ من بَعْدِهِ	فكَاتَهَا تَلقى الذي ألقاهُ
وغدا النسيمُ مبلِّغاً ما بيننا	فلذاك رَقَّ هَوَى وطاب شَدَاهُ
ما الروضُ قد مُزِجَتْ به أنداءُه	سَحَرَا بأطيب من شَدَا ذَكَرَاهُ
والزهرُ مبسمُه ونكتهُ الصَّبَا	والوردُ أخفضلُه النَّدى خَدَاهُ
فلذاك أولعُ بالرياضِ لَأَنَّهُ	أبدأُ تذكّرني بمن أهواهُ

ولله قوله :

وعشيَّ كَأَنَّهُ صَبِغُ عِيدٍ	جامعٍ بينَ بهجةٍ وشحوبٍ
هبَّ فيه النسيمُ مثلَ عَجَبٍ	مُسْتَعِيراً شمائلَ المحبوبِ
ظَلَلْتُ فيه ما بينَ شمسينِ هَلِي	في طلوعٍ وهذه في غُرُوبِ
وتدلَّتْ شمسُ الأصيلِ ولكنْ	شمسنا لم تزلْ بأعلى الجيوبِ
ربُّ هذا خلَقته من بديعِ	مَنْ رَأَى الشمسَ أَطْلَعَتْ في قُضيبِ
أي وقتٍ قد أسعف الدهرُ فيه	وأجابَتْ بهِ المني عن قريبِ
قد قطعناه نَشْوَةً ووصالاً	وملأناه من كبار الذنوبِ
حينَ وجَّهْ السَّعودِ بالبشرِ طَلِقْ	لَيْسَ فيه أَمارةٌ للقطوبِ
ضَيَّعَ اللهُ من يَضِيعُ وقتاً	قَدْ خَلَا من مُكَدِّرٍ ورقبِ

وبات عند أحد رؤساء بني مروان ، فقدم إليه ذلك الرئيس قدحاً من فضة فيه راح أصفر ، وقال : اشرب وصيف فذاك ابنُ عمك ، فقام لإجلاله وشرب صائحاً بسروره ، ثم قال : الدواة والقرطاس ، فأحضيراً ، وكتب :

اشرب هنيئاً لا عذاك الطرب شرب كريم في العلا منتخب
وافاك بالراح وقد ألبست برزأ أصيل معلماً بالحبب
في قدح لم يك يسقي به غير أولي المجد وأهل الحسب
ما جار إذ سقاك من كفه في جامد الفضة ذوب الذهب
فقم على رأسك برأ به واشرب على ذكره طول الحقب^٢

ويحكى أنه لما قتل أباه وقد وجده مع جارية له كان يهواها سجنه المنصور ابن أبي عامر مدة ، إلى أن رأى في منامه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يأمره بإطلاقه فأطلقه ، فمن أجل ذلك عُرف بالطلاق .

17 - وقال أحمد بن سليمان بن أحمد بن [عبد الرحمن بن] عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر في ابن حزم لما عاداه علماء عصره^٣ :

لما تحلى بخلق كالملك أو نشر عود
نجل الكرام ابن حزم وقام في العلم عودي
فتواه جدّد ديني جدواه أورك عودي

وله في أبي عامر ابن المظفر بن أبي عامر من قصيدة يمدحه بها :

بأبي عامر وصلتُ حبابي فزمني به زمان سعيدي

١ م : بردأ أصيلاً .

٢ متقدم على سابقه في م .

٣ الجلفة : ١١٦ وبنية الملتمس رقم : ١٠٧ والقطعة الأولى فيها .

فمَتَى زِدْتُ فِيهِ وَدَّآ وَشَكَرَا فَنَدَاهُ وَقَدْ تَنَاهَى يَزِيدُ
كَيْفَ لِي وَصْفُهُ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ فِي الْمَكْرَمَاتِ مَعْنَى جَدِيدُ

18 - وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ النَّاصِرِ يَرْثِي أَبَا مَرْوَانَ بْنَ
سَرَّاجٍ^١ :

وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ لِلنَّبِيِّ أَبَانَهُ وَأَلْبَسَهُ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقِهِ وَشَيْئاً
وَكَمْ مُصْغَبٌ لِلنَّحْوِ قَدْ رَاضَ صَعْبَهُ فَعَادَ ذَلُولاً بَعْدَ مَا كَانَ قَدْ أَعْيَا

19 - وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ ، وَهُوَ مِنْ حَسَنَاتِ بَنِي مَرْوَانَ ،
وَيُعرفُ بِالْأَقْرَعِ :

أَقُولُ لِأَمَالِي سَتَبْلُغُ إِنْ بَدَأَ مُحْيِيَّ ابْنَ عَطَّافٍ وَنَعِمَ الْمُؤْمَلُ
فَقَالَتْ دَعَانِي كُلَّ يَوْمٍ تَعْلُلُ فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ لَاحَ يَفْتَنِي التَّعْلُلُ
لَنْ كَانَ مِنْي كُلَّ حِينٍ تَرْحَلُ فَلَمَنِي إِنْ أَحْلَلُ بِهِ لَسْتُ أَرْحَلُ
فَتَنَى تَرْدُ الْأَمَالُ فِي بَحْرِ جُودِهِ وَلَيْسَ عَلَى نُعْمَى سِوَاهُ الْمَعُولُ

وَقَالَ هَذِهِ فِي الْوَزِيرِ ابْنِ عَطَّافٍ ، فَضِنَ عَلَيْهِ حَتَّى بَرَّجَعَ الْجَوَابَ ، فَكُتِبَ
إِلَيْهِ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا :

أَيُّهَا الْمُمْكِنُ مِنْ قُدْرَتِهِ لَا يَرَاكَ اللَّهُ إِلَّا مُحْسِنَا
إِنَّمَا الْمَرْءُ بِمَا قَدَّمَهِ فَتَخَيَّرَ بَيْنَ ذِمٍّ وَثَنَا
لَا تَكُنْ بِالْذَهْرِ غَيْرًا وَإِذَا كُنْتَ فَانْظُرْ فَعَلَهُ فِي مَلَكْنَا
كُلُّ مَا خُوِّلْتَ مِنْهُ ذَاهِبٌ وَالَّذِي تَصَحَّبُ مِنْهُ الْكُفْنَا
مُدَّ كَفًّا نَحْوَ كَفِّ طَالِمَا أَمْطَرَتْ فِيهِ السَّحَابُ الْهُتْنَا
أَوْ أَرِحْنِي بِجَوَابِ مُؤَيَّسٍ فَمَطَالُ الْبَرِّ مِنْ شَرِّ الْعَنَّا

١ مر البيتان ، انظر ص : ٣٤٣ .

فلم يُعطه شيئاً ، وكان له كاتب فتحيّل في خمسين درهماً فأعطاهما له ،
 فلما سمع الوزير بذلك طرده ، وقال له : من أنت حتى تحمل نفسك هذا
 وتعطيه ؟ قال : فوالله ما لبث إلا قليلاً حتى مات الوزير ، وتزوج الكاتب
 بزوجه ، وسكن في داره ، وتحوّل في نعمته ، فحملني ذلك على أن كتبت
 بالفحم في حائط داره :

أيا دارُ قولي أين ساكنك الذي أبني لؤمهُ أن يترك الشكر خالدا
 تسمّى وزيراً والوزارة سبّةً لمن قد أبى أن يستفيد المحامدا
 وولتي ولكن ليس يبرح ذمّه فيها هو قد أرضى علواً وناقدا
 وأضحى وكيلٌ كان يأنفُ فعله نزيلك في الحوض المنعّ واردا
 جزاءً بإحسانٍ لذا وإساعةٍ لذلك ، وساعٍ ورث الحمد قاعدا
 والمثل السائر في هذا «رُبّ ساعٍ لقاعد» .

20 — وقال سليمان بن المرتضى بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ، وكان
 في غاية الجمال ، ويلقب بالغزال :

قدم الربيعُ عليك بعد متغيّبٍ فطلقتهُ بسُلفيّةٍ وحبيبٍ
 فصلٌ جديدٌ فلتجددُ حالةً يأتي الزمانُ بها على المرغوبِ
 الجوّ طلقٌ فالقهُ بطلاقةٍ وإذا تقطّبَ فالقهُ بقطوبِ
 لله أيامٌ ظفرتُ بها ومنّ أهواه منقادٌ بغير رقيبِ
 وله :

لي في كَفالاتِ الرماحِ لو أنّها وقّتْ ضَمَانٌ يُبلغُ الآمالا
 وكَلّتْ دَهري في اقتضاء ضَمانها ضنّاً به أن لا يحولَ فحالا

وكان مولعاً بالفكاهة والنادر ، محبّاً في الظرفاء ، وكان يلتزم خدمته المضحك

المشهور بالزرافة ، ويحضر معه ، ولعبوا في مجلس سليمان لعبة أفضوا فيها إلى أن تقسموا اثنين اثنين ، كل شخص ورفيقه ، فقال سليمان : ومن يكون رفيقي ؟ فقال له المضحك : يا مولاي ، وهل يكون رفيق الغزال إلا الزرافة ؟ فضحك منه على عادته . ودخل عليه وهو قاعد في رحبة قصره ، وقد أطل عذاره^١ ، فقال له : ما تطلب الزرافة ؟ فقال : ترعى الحشيش ، وأشار إلى عذاره ، فقال له : اعزُبْ لعنك الله !

ومرَّ سليمان به يوماً وهو سكران ، وقد أوقف ذكره وجعل يقول له : ماذا رأيت في القيام في هذا الزمان ؟ أما رأيت كل ملك قام كيف خُلِعَ وقُتِلَ ؟ والله إنك سيء الرأي ، فقال له سليمان : وبم لقت هذا الثائر ؟ فقال : يا مولاي بصفته القائم ، فقال : ويحتاج إلى خاتم ؟ فقال : نعم ويكون خاتم سليمان ، فقال له : أخزأك الله ، إن الكلام معك لفضيحة .

21 — وقال سعيد بن محمد المرواني^١ ، وقد هجره المنصور بن أبي عامر مدةً لكلام بلغه عنه ، فدخل والمجلس غاض^٢ ، وأنشد :

مولاي مولاي أما آن أنْ تُريحني بالله من هجركا
وكيف بالهجير وأنتى به ولم أزل أسبح في بحرِكا

فضحك ابن أبي عامر^٣ على ما كان يظهره من الوَقَار ، وقام وعانقه وعفا عنه ، وخلع عليه .

وله :

والبدْرُ في جوِّ السماء قد انطوى طَرَفاه حتى عاد مثلَ الزورقِ

١. قال الحميدي (٢١٤) اختلف علي في نسبه : فهو سعيد بن عثمان بن مروان القرشي المعروف بالبليته وقيل : سعيد بن محمد ، وقيل : سعيد بن مروان ؟ ويقال له ابن عمرو ؛ وانظر المغرب ١٩٢ : ١٠١ واليتيمة ٢ : ٥٤ وكتاب التشبيهات .

٢. ضحك ابن أبي عامر لأن سعيداً كان يلقب « البليته » أي الحوت وقد ماثل بقوله « ولم أزل أسبح... »

فراه من تحتِ المحاقِ كأنما غرقَ الكثيرُ وبعضُهُ لم يفرقِ
وهو مأخوذ من قول ابن المعتز :

وانظر إليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلتُهُ حُمولةٌ من عنبرٍ

22 — وقال قاسم بن محمد المرواني^١ يستعطف المنصور بن أبي عامر ، وقد
سَجَنَه لقول صدر عنه :

ناشدتُكَ اللهَ العظيمَ وحقَّه في عبدِكَ المتوسِّلِ المتحرِّمِ
بوسائلِ المدحِ المُعادِ نشيدُها في كلِّ مجمعٍ موكبٍ أو موسمِ
لا تستبِغْ مني حِمِّي أَرعَاكَه يا مَنْ يرى في الله أحمى محتمي

23 — وقال الأصم المرواني^٢ يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل
الفتح معارضاً بأبي تمام :

السيفُ أصدَقُ أنباء من الكتبِ

بقصيدة طويلة منها :

ما للعدا جُنَّةٌ أوقى من الهربِ أين المفرُّ وخيلُ الله في الطلبِ
وأين يذهبُ مَنْ في رأسٍ شاهقةٍ إذا رَمَتْهُ سماءُ الله بالشَّهْبِ
ومنها :

وطودِ طارقٍ قد حلَّ الإمامُ بهِ كالطُّورِ كان لموسى أيمنَ الرُّتبِ
لو يعرفُ الطُّودُ ما غشاهُ من كرمِ لم ييسطِ النورُ فيه الكفَّ للسُّحبِ

١ ترجمة قاسم بن محمد هذا في الجذوة : ٣١٠ وبغية الملتبس رقم : ١٢٩٦ وفيهما أبياته .
٢ من شعراء زاد المسافر : ٨٤ وقال المراكشي في المعجب : ٢٨٤ إن جده هو الشريف الطليق ؛
وبعض البائية في المصدرين والقلمة الثانية والخامسة في زاد المسافر .

ولو تيقنَ بأساً حلَّ ذِروته لصار كالعينِ من خوفٍ ومن رهَبِ
منه يعاودُ هذا الفتحَ ثانيةً أضعافَ ما حدثوا في سالفِ الحقبِ
ويلبسُ الدينُ غضباً ثوبَ عزته كأنَّ أيامَ بدْرِ عنه لم تغِبِ

وقال في نارنجة :

وبنتِ أليكِ دنا من لثمها قُزَحُ فصار منه على أرجائها أثرُ
يبدو لعينيك منها منظرٌ عَجَبُ زبرجدٌ ونُضارٌ صاغه المطرُ
كأنَّ موسى نبيَّ الله أقبسه ناراً وجَرَ عليها كفه الخَصِرُ

وقال ١ :

وشادن قلتُ له نصفُ لَنَا بُستاننا هذا ونارنجنا
فقال لي بستانكم جنَّةٌ ومن جنى النارنجَ ناراً جنى

وقال في زَلْبَانِي ٢ :

لله سَفَاحٌ بدا لي مسحراً فأفاد علم الكيمياء بيمينه ٣
ذَهَبْتُ فضة خدّه بلواحظي وكذلك تفعلُ ناره بعجينه

وقال ، وقد نزل في فندق لا يليق بمثله :

يا هذه لا تُفَنِّديني أن صرتُ في منزلٍ هَجِينِ
فليس قبحُ المحلِّ ممَّا يقدحُ في منْصِيبي وديني
فالشمسُ علُوِيَّةٌ ولكنَّ تغربُ في حمأةٍ وطنِ

١ زاد في م : في النارنج .

٢ يريد قالي الزلاية ؛ وفي م : زلفاني .

٣ م ب : بحسنه ، ولا يستقيم مع القافية .

24 - وقال أحمد المرواني :

حلفتُ بمن رمى فأصابَ قلبي وقلَّبهُ على جمرِ الصلودِ
لقدْ أودى تذكُّرهُ بجسمي ولستُ أشكُ أنْ النفسَ تُودي
فقيدهُ وهو موجودٌ بقلبي فواعجبا بوجودِ فقيدهِ

25 - وقال الأصمغ القرشي يرثي ابن شهيد وهو من أصحابه :

نأى مَنْ به كان السرورُ مواسلاً وأسلمَ قلبي للصَّابةِ والفكرِ
ومنها :

لعمرك ما يُجندِي النعيمُ إذا نأتُ وجوههمُ عني ولا فُسحةُ العمرِ

26 - وقال سليمان بن عبد الملك الأموي :

وذي جدلٍ أطال القولَ منهُ بلا معنى وقد خفي الصوابُ
فقلتُ أجيبهُ فازداد ردّاً فقلتُ له قد ازدحمَ الجوابُ
ولم أرَ غيرَ صمني من مريحٍ إذا ما لم يفدُ فيه الخطابُ

27 - وقال أبو يزيد ابن العاصي :

عابه الحاسدُ الذي لامَ فيهِ أنْ رأى فوقَ خدهُ جدريّاً
إنما وجههُ هلالٌ تمامٍ جعلُوا برقعاً عليهِ الثريا

وله :

إذا شئتَ أن يصفو صديقك فاطرحِ نزاعَ الذي يُبديه في الهزلِ والجدِ
وإن كنتَ من أخلاقهِ في جهنمِ فأنزلهُ من مثواكَ في جنةِ الخلدِ
إلى أن يُتيحَ اللهُ من لطفِ صنعهِ فراقاً جميلاً فاجعلِ العذرَ في البعدِ

وليكن هذا آخر ما نورده من كلام بني مروان رحمهم الله تعالى .

ولنرجع إلى أهل الأندلس جملة ، فنقول :

٤٢٠ — أمر أبو الحجاج النصفي أن يكتب على قبره^١ :

قالت لي النفسُ : أتاك الردى وأنت في بحر الخطايا مقيمٌ
هلا أدخرت الزاد قلتُ : أقصري لا يُحملُ الزادُ للدارِ الكريمِ

وقد ذكرنا هذين البيتين في غير هذا الموضع^٢ .

وقال ابن مرج الكحل^٣ : اجتمعنا في حانوت بعض الأطباء بإشبيلية ،
فأضجرناه بكثرة جلوسنا عنده ، وتعذرت المنفعة عليه من أجلنا ، فأنشدنا :

خففوا عنا قليلاً ربَّ ضيقٍ في برّاحٍ
هل شكوتُم من سقامٍ أو جَلَسنا للصباحِ
فأضفت إليهما ثالثاً ، وأنشدته إياهُ على سبيل المداعبة :
إن أتيتم ففرّادى ذاك حُكْمُ المستراحِ

٤٢١ — ودخل أبو محمد غانم بن وليد مجلس باديس بن جبوس ، فوسّع
له على ضيق كان فيه ، فقال^٤ :

١ أبو الحجاج يوسف النصفي زاهد مشهور سكن سبتة (والمنصف التي ينسب إليها من قرى بلنسية)

راجع المغرب ٢ : ٣٥٤ .

٢ انظر المغرب .

٣ هو أبو عبد الله محمد بن إدريس يعرف بمرج كحل (توفي بجزيرة شقر سنة ٦٣٤) انظر : زاد

المسافر : ٢٧ والإحاطة ٢ : ٦٣٤ والتكملة : ٦٣٦ وشرح المقصورة ١ : ٢٥ ، ١٢٠ ،

١٩٥ والوأي ٢ : ١٨١ والمغرب ٢ : ٣٧٣ .

٤ انظر ما سبق ص : ٢٦٥ ، ٣٩٨ ، ٤٤٧ .

صَيَّرُ فؤادك للمحِبُّوبِ منزلةً سَمَّ الخياطُ مَجْمالُ للمحِبِّينِ
ولا تَسامَحْ بغيضاً في معاشرَةٍ فقلَّما تَسَعُ الدنيا بغيضينِ

٤٢٢ - ودخل على أبي جعفر اللمائي بعضُ أصحابه عائداً في علته التي مات فيها ، وجعل يروح عليه بمروحة ، فقال أبو جعفر على البديهة :

رَوَّحَني عائدي فقلتُ له : لا لا تردني على الذي أجِدُ
أما ترى النارَ وهي خامدةٌ عند هبوبِ الرياحِ تنقدُ

٤٢٣ - وقال الأعلام : ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القِبْطُرنة^١ :

دعاكَ خَليلُكَ واليومُ طُلُوعٌ وعارضُ وجهِ الثرى قد بَقِلَ
لِقِدْرَيْنِ فاحا وشمامةً ولابريقِ راحٍ ونعمَ المحلِ
ولو شاء زادَ ولكنَّهُ يُلَامُ الصديقُ إذا ما احتفلُ

٤٢٤ - وقال أبو عامر ابن يَنْتَقِ الشاطبي^٢ :

ما أحسنَ العيشَ لو أنَّ الفتيَّ أبداً كالبدْرِ يرجو تماماً بعدَ نُقصانِ
إذ لا سبيلَ إلى تخليدِ مائِرةٍ إذ لا سبيلَ إلى تخليدِ جِثمانِ

٤٢٥ - وقال أبو الحسن اللورقي^٣ :

عجباَ لَمَنَ طلبَ المَحَا مِدَّةً وهو يَمْنَعُ ما لديه
ولباسطَ آمالِهِ للغيرِ لم يبسطَ يديه
لَمَ لا أَحَبُّ الضيفِ أو أرتاحُ من طربِ إليه

١ المغرب ١ : ٣٦٨ والقلائد : ١٥٢ .

٢ ترجمة أبي عامر محمد بن ينتق في القلائد : ١٨٦ والمغرب ٢ : ٣٨٨ والتكملة : ٤٧٩ ومجمع الصديقي : ١٦٢ .

٣ هو أبو الحسن جعفر بن الحاج اللورقي وأبياته في المغرب ٢ : ٢٨٠ والقلائد : ١٤٢ .

والضَّيْفُ يَأْكُلُ رِزْقَهُ عِنْدِي وَيَحْمِلُنِي عَلَيْهِ

٤٢٦ - وقال أبو عيسى ابن ليثون ، وهو من قواد المأمون بن ذي

النون^١ :

نَفَضْتُ كَفِّي مِنَ الدُّنْيَا وَقُلْتُ لَهَا إِلَيْكَ عَنِّي فَمَا فِي الْحَقِّ أَغْتَبُ
مِنْ كَسْرِ بَيْتِي لِي رَوْضٌ وَمِنْ كَتْبِي جَلِيسٌ صَدَقَ عَلَى الْأَسْرَارِ مُؤْتَمِنُ
أَدْرِي بِهِ مَا جَرَى فِي الدَّهْرِ مِنْ خَبِيرٍ فَعِنْدَهُ الْحَقُّ مَسْطُورٌ . وَمُخْتَرَنُ
وَمَا مُصَابِي سِوَى مَوْتِي وَيَدْفَنِي قَوْمٌ وَمَا لَهُمْ عِلْمٌ بِمَنْ دَفَنُوا

٤٢٧ - وقال أبو عامر ابن الحمارة^٢ :

وَلِي صَاحِبٌ أَحْنُو عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لِيُوجِعُنِي حِينَئِذَا فَلَ أَتُوجَعُ
أَقِيمُ مَكَانِي مَا جَفَانِي وَرَبَّمَا يَسْأَلُنِي الرَّجُعَى فَلَا أَتَمْنَعُ
كَأَنِّي فِي كَفِّيهِ غُضْنُ أَرَاكَةِ تَمِيلُ عَلَى حَكْمِ النِّسِيمِ وَتَرْجَعُ

٤٢٨ - وقال أبو العباس ابن السعود^٣ :

تَبَّأَ لِقَلْبٍ عَنِ الْأَحْبَابِ مَنْصَرَفٍ يَهْوَى أَحَبَّهُ مَا خَالَسَ النَّظْرَا
مِثْلَ السَّجَنَجْلِ فِيهِ الشَّخْصُ تُبْصَرُهُ حَتَّى إِذَا غَابَ لَمْ يَتْرَكْ بِهِ أَثْرَا

٤٢٩ - ومرض أبو الحكم ابن غلندة^٤ ، فعاده جماعة من أصحابه فيهم

١ أبياته في المغرب ٢ : ٣٧٧ والقلائد : ١٠٢ .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ١٢٠ والهاشية ٤ وفي م : وقال أبو عامر الملقب بابن الجبارة .

٣ هو أبو العباس أحمد بن السعود كاتب ابن هشك (المغرب ٢ : ٥٢) ؛ وفي م : وقال الفقيه الأديب . . . إلخ .

٤ هو أبو الحكم عبيد الله بن علي بن غلندة الكاتب من أهل سرقسطة وسكن إشبيلية وتوفي بمراكش (- ٥٨١) وقد أسن (التحفة : ٧١ وفيها البيتان) .

ففي صغير السن ، فوقاه من يره ما أوجب تغيرهم ، ففطن لذلك وأنشد
ارتجالاً :

تكثر من الإخوان للدهر عُدَّةٌ فكثرة دُرِّ العقْد من شَرَفِ العقْدِ
وعظُم صغير القوم وابدأ بحقه فمن خِنْصَرِي كَفَيْكَ تَبْدَأُ بالعَقْدِ
[ثم نظر إليهم وأنشدهم ارتجالاً قوله :

مُعِيْتُ أَيُوبَ والكافي للذي التَّوْنِ يَحِلِّي فَرَجاً بالكافِ والتَّوْنِ
كم كربة من كروب الدهرِ فَرَجَها عني ولم يَنْكَشِفْ وَجْهي لِمَنْ دُونِي^١
٤٣٠ - وقال القاضي أبو موسى ابن عمران :

ما للتجارب من مَدَى والمرء منها في ازديادٍ
قد كنتُ أحسبُ ذا العلا مَنْ حاز علماً واستفادَ
فإذا الفقيهُ بغيرِ ما ل كالحباء بلا عمادٍ
شَرَفُ الفتي بنُضارِه إنَّ الفقيرَ أخو الجُمادِ
ما العلمُ إلا جوهرٌ قد يبيع في سوقِ الكسادِ

٤٣١ - وقال أبو بكر ابن الجزار السرقسطي :

لِيَاكَ مِنْ زَلَلِ اللِّسَانِ فَإِنَّمَا عَقْلُ الفتي في لفظهِ المسموعِ
والمرءُ يَخْتَبِرُ الإِنَاءَ بِنَقَرِهِ ليرى الصحيحَ به من المصلوعِ

٤٣٢ - وقال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد^٢ : تناول بعض
أصحابنا نرجسة ، فركبها في وردة ، ثم دفعها إلي وإلى صاعد ، وقال : قولاً ،

١ ما بين معنيين زيادة من م .
٢ راجع هذه القصة فيما تقدم : ٧٦ ، والزميري قد اضطربت في الأصول ، وقد تقرأ « الزميري »
في م .

فأبهمت دوننا أبواب القول ، فدخل الزهيري ، وكان أمياً لا يذكر من الكلام إلا ما علق بنفسه في المجالس ، وينفذ مع هذا في المطولات من الأشعار ، فأشعر بأمرنا ، فجعل يقول دون روية :

ما للأديبين قد أعيتهما مليحة من ملح الجنه
نرجسة في وردة ركبت كقلة تطرف في وجهه

٤٣٣ - وقال أبو محمد ابن حزم في « طوق الحمامة »^١ :

خلوتُ بها والراحُ ثالثُ لنا وجنحُ ظلامِ الليلِ قد مدَّ واعتلجُ^٢
فتاةٌ علمتُ العيشَ إلا بقربها فهل في ابتغاءِ العيشِ ويحك من حرجُ
كانتِ وهي الكأسُ والحرُّ واللجى حياً وثرى والدرُّ والتبرُّ والسبعُ

قال : وهذه خمس تشبيهات لا يقدر أحد على أكثر منها إذ تضيق الأعاريف عنه .

قال أبو عامر ابن مسلمة : ولا أذكر مثلها إلا قول بعض :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس فسقت ورذاً وعصت على العناب بالبردِ^٣

إلا أنه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم ، بل اكتفى بالعلم في التشبيهات .

قال : ومن أغرب ما وقع لي من التشبيهات في بيت قول ابن برون الأكشوني^٤ الأندلسي يصف فرساً ورذاً أغرَّ مُحَجَّلاً :

١ طوق الحمامة : ١٦ .

٢ الطوق : قد مد ما انبلج .

٣ هامش م : المراد به الوأواء المشقي من قصيدته الفريدة . . . إلخ . قلت انظر ديوانه : ٨٤ .

٤ لعلها « الأكشوبي » ؛ وسقطت لفظة « برون » من ب .

فَكَأَنَّ غُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَاتِهِ خَمْسٌ مِنَ السُّوسَانِ وَسَطُ شَقَائِقِ
قال : وهذا على التحقيق ستة على ستة ، ولم أسمع بمثله لأحد [من الأندلسيين
ولا من المشارقة]^١ .

قال ابن الجلاب : وكلام أبي عامر هذا لا يخلو من النقد .

٤٣٤ - وقال ابن صارة :

انظر إلى البدر وإشراقه على غدير مَوْجُهُ يَزْهَرُ
كَيْشْحَذٍ مِنْ حَجَرٍ أَخْضَرٍ خُطٌّ عَلَيْهِ ذَهَبٌ أَحْمَرُ

٤٣٥ - وقال أبو القاسم ابن العطار الإشبيلي^٢ :

ركبنا^٣ سماء النهر والجو مشرقاً وليس لنا إلا الحجاب نجوم
وقد ألبسته الأيك بُرْدَ ظلالها وللشمس في تلك البرودِ رقوم

٤٣٦ - وقال ابن صارة^٤ :

والنهر قد رَقَّتْ غِلَالُهُ صَبْغُهُ وَعَلَيْهِ مِنْ ذَهَبِ الْأَصِيلِ طِرَازُ
تترقرق الأمواج فيه كأنها عُكْنُ الْخُصُوفِ تَضُمُّهَا الْأَعْجَازُ

٤٣٧ - وقال سهل بن مالك^٥ :

وربَّ يومٍ وَرَدْنَا فِيهِ كُلَّ مَنَى وَقَلَّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنْ نَرِدَا
فِي رَوْضَتَيْنِ بِشَطْطِي سَلْسَلٍ شَبَمٍ كَمَا اجْتَلَيْتَ مِنَ الْمَحْبُوبِ مَفْتَقِدَا

١ زيادة من م .

٢ القلائد : ٢٨٥ .

٣ القلائد : حبرنا .

٤ انظر القلائد : ٢٧٠ ؛ وفي م : وقال الأديب البارح . . . إلخ .

٥ زاد في م : في صفة النهر .

يبدّدُ القَطْرُ في أثْنائه حلقاً فتَنْظُمُ الرِّيحُ منها فوقه زَرْدًا^١

٤٣٨ - وقال ابن صارة :

انظرِ النهرَ في رداء عروسٍ صبغته بزعفرانٍ العثيِّ
ثمَّ لما هبَّ النسيمُ عليه هزَّ عطفيه في دلاصِ الكميِّ

٤٣٩ - ولبعضهم في شكل يرمي الماء مجوفاً مثل الخباء وتمزقه الريح أحياناً:

ومُطَنَّبٌ للماء ما أوتاده إلا نتائج فكر طَبِّ حاذقٍ
لعبت به أيدي الصبّا فكأنّها أيدي الصبابة بالفؤاد العاشقِ

٤٤٠ - وقال صفوانُ بن إدريس يصفُ تَفاحة في الماء :

ولم أرَ فيما تشتهي العينُ منظراً كتفاحةٍ في بركةٍ بقرّارٍ
يفيضُ عليها ماؤها فكأنّها بقيّةُ خدٍّ في اخضرارٍ عِلدارٍ

٤٤١ - وقال أبو جعفر ابن وضاح في دولاب :

وباكية والروضُ يضحكُ كلما ألحَّتْ عليه بالدموع السّواجمِ
يروقك منها إن تأملتَ نحوّها زئيرُ أسودٍ والتفاتُ أرقامِ
تُخلّصُ من ماء الغديرِ سبائكاً فتُنبِئها في الروضِ مثلَ الدّراهمِ

١ زاد في م قطعتين بمد هذه لابن مالك ؛ وقال أيضاً من التشبيهات العجيبة :

وتحدث الماء الزلال مع الحصى فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكان فوق الماء وشياً ظاهراً وكان تحت الماء درأ مضمراً

وقوله أيضاً في تشبيه الخمرة وهو عجيب :

إذا كان عندي قوت يوم وليلة من الخمر تنفي الهم عني إذا امتنع
فلست تراني سائلاً عن خليفة ولا عن وزير للخليفة ما صنع

٢ زاد بعدهما هنا في م بيتين لسهل بن مالك :

شربنا وجفن الليل يفسل كحله البيتين .

٤٤٢ - وقال الوزير ابن عمار :

يومٌ تكاثفَ غيمُهُ فكأَنَّهُ دونَ السماءِ دخانٌ عودٌ أخضرٍ
والطلُّ مثلُ بُرّادةٍ من فضةٍ منشورةٍ في تربةٍ من عنبرٍ
والشمسُ أحياناً تلوحُ كأنَّها أمةٌ تُعرَّضُ نفسها للمشتري

٤٤٣ - وقال أبو الحسن ابن سعد الخير^١ :

للهِ دولا بٌ يفيضُ بسلسلٍ في روضةٍ قد أينعتُ أفنانا
قد طارحتهُ بها الحمامُ شجوها فيُجيبُها ويرجعُ الألحانا
فكأَنَّهُ دَيفٌ يسدورُ بمعهدٍ ييكى ويسأل فيه عمنَ بآنا
ضاقَت مجاري طرفه عن دَمْعِهِ فتفتحت أضلاعُهُ أجفانا

٤٤٤ - وقال ابن أبي الخصال :

ووردَ جَنِّيٌّ طالعتنا خلودُهُ ببشرٍ ونشرٍ يبعثانِ على السكرِ
وحفَّ ترنيجانٌ بهِ فكأَنَّهُ خلودُ العذارى في مقانعها الخضري

٤٤٥ - وقال ابن صارة^٢ :

يا ربَّ نارنجيةٍ يلهو النديمُ بها كأنَّها كُرّةٌ من أحمرِ الذهبِ
أو جدوةٌ حملتها كفُّ قابيسها لكنَّها جلوةٌ معلومةٌ للهبِ

٤٤٦ - وقال الخفاجي^٣ :

١ أبو الحسن علي بن سعد الخير من شعراء زاد المسافر : ١٠٣ وانظر المغرب ٢ : ٣١٧ والتكملة رقم : ١٨٦٧ والتحفة : ٥١ والدليل والتكملة ٥ : ١٨٧ ووصفه للدولاب ورد في أكثرها ؛ م : وقال أبو الحسن . . . في دولاب .

٢ القلائد : ٢٦٧ ؛ م : وقال ابن صارة في نارنجية يشبهها .

٣ ديوانه : ٦٩ ؛ م : وقال الخفاجي الأندلسي في أليكة .

ومَيَّاسَةٌ تَزْهَوُ وَقَدْ خَلَعَ الْحَيَا عَلَيْهَا حُلًى حُمْرًا وَأُرْدِيَةً خَضْرَا
يَذُوبُ بِهَا رَيْقُ الْقَمَامَةِ فَضَّةً وَيَجْمَدُ فِي أَعْطَافِهَا ذَهَبًا نَضْرَا
٤٤٧ - وقال ابن صارة أيضاً^١ :

وفارنجة لم يدعْ حُسْنُهَا لعيني في غيرها مذهباً
فطوراً أرى لها مَضْرَمًا وطوراً أرى شَقَقًا مذهباً

٤٤٨ - وقال ابن وضاح في السرو^٢ :

أَيَا سَرَوْ لَا يُعْطِشُ مَنَابِتُكَ الْحَيَا وَلَا يَدَعُنْ أَعْطَافَكَ الْخَضِيلُ النَّضْرُ
فَقَدْ كَسَيْتُ مِنْكَ الْجُلُوعَ بِمَثَلِ مَا تَلَفْتُ عَلَى الْخَطِيئَةِ رَايَاتِهِ الْخَضْرُ

٤٤٩ - وقال أبو إسحاق الخولاني^٣ :

نِيلُوفَرٌ شَكْلُهُ كَشَكْلِي يَوْمٌ فِي أَبْحَرِ الدَّمْعِ
قَدْ أَلْبَسَتْ عِطْفَهُ دُرُوعًا خَوْدٌ لَرِيحِ الصَّبَا شَمْعِ
يَلُوحُ إِذْ لَوْنُهُ كَلُونِي مِنْ فَوْقِ فَضْفَاضَةِ هَمْعِ
مِثْلَ مَسَامِيرَ مَذْهَبَاتٍ فِي حَلَقَاتٍ مِنَ السَّرْعِ

٤٥٠ - وقال ابن الأثير^٤ :

وسوسنات أرت من حُسْنِهَا بَدَعًا ولم يزل عصرُ مولانا بُرِي يَدَعَةً
شبيهةٌ بالثريا في تَأْلُفِهَا وفي تَأْلُفِهَا تَلْتَا حُ مَلْتَمَعَةً

١ زاد في م : في تشبيه نارنجة .

٢ م : شجر السرو .

٣ زاد في م : في النيلوفر .

٤ زاد في م : الأديب المشهور في السوسن .

هَامَتْ بِبُيْمَانِهِ تَبْغِي أَنْ تَقْبَلَهَا واستشرفت تجتلي مرآه مُطْلَعَةً
ثُمَّ انْثَنَى بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا غَلَبًا على البدارِ فَوَافَتْ وَهِيَ بِمَجْتَمَعَةٍ
وَرَفَعَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي يَحْيَى زَكْرِيَا^١ .

٤٥١ - وقال حازم :

لَا نَوْرَ يَعْدِلُ نَوْرَ اللُّوزِ فِي أَنْتَى وبهجة عند ذي عَدَلٍ وَإِنْصَافٍ
نَظَامِ زَهْرٍ يَظَلُّ الدَّرُّ مُنْتَبِثًا عليه من كلِّ هَامِي الْقَطْرِ وَكَافٍ
بَيْنَا تُرَى وَهِيَ أَصْدَافٌ لَدَرْ حَيًّا بيضٍ غَدَتِ دَرًّا فِي خُضْرِ أَصْدَافٍ
٤٥٢ - وقال ابن سَعْدٍ الْخَلِيرِ فِي رُمَّانَةٍ^٢ :

وَسَاكِنَةٌ فِي ظِلَالِ الْغُصُونِ بِرَوْضٍ^٣ يَرُوقُكَ أَفْنَانُهُ
تُضَاحِكُ أَتْرَابَهَا فِيهِ إِذْ غَدَا الْجَوْ تَدْمَعُ أَجْفَانُهُ
كَمَا فَتَحَ اللَّيْثُ فَاهُ وَقَدْ تَضَرَّجَ بِالدَّمِ أَسْنَانُهُ
٤٥٣ - وقال ابن نَزَارٍ الْوَادِي آثِي^٤ :

وَرُمَّانَةٌ قَدْ فَصَّ عَنْهَا خَتَامَهَا حَبِيبٌ أَعَارَ الْبَدْرَ بَعْضَ صِفَاتِهِ
فَكَسَّرَ مِنْهَا نَهْدَ عَذْرَاءٍ كَاعِبٍ وَنَاوَلَنِي مِنْهَا شَبِيهَ لَدَاتِهِ
٤٥٤ - وقال بعضهم فِي الْقَرَّاسِيَا^٥ ، وَيُقَالُ لَهُ بِالْمَغْرِبِ « حَبِ الْمُلُوكِ » :
وَدَوْحٍ تَهْدِلُ أَشْطَانُهُ^٦ رَعَى الدَّهْرُ مِنْ حَسَنِهِ مَا اشْتَهَى

١ ب م : أبي زكريا .

٢ التحفة : ٥٣ .

٣ التحفة : بخدر .

٤ زاد في م : في رمانة .

٥ م : القراسيا .

فما احمر منه فصوص العقيق وما اسود منه عيون المها

٤٥٥ - وقال بعضهم^١ :

وأين معاهد الحُسن فيها وللأنسِ التِّقاءُ البهجتين
وللأوتارِ والأطيَّارِ فيها لدى الأسحارِ أطربُ ساجعين^٢
فكم بدرٍ تجلَّى من رُبَّها ومن بطحائها في مطلعين
وأغيدَ يرتعي من تَلَعَتَيْنِها ومن ثمرِ القلوبِ بمرتعين
إذا أموى لسوسنة يميناً عجت من التِّقاءِ السوسنين
وكم يومٍ توشَّحَ من سناه ومن زهراتها في حلتين
وراح أصيله ما بينَ نهرٍ ودولابٍ يدورُ بمسمعين
بنهرٍ كالسماءِ يحولُ فيه سحائبُ من ظلالِ الدوحتين
تدرِّعُ للنَّوَّاسِمِ حينَ هزت عليه كلَّ غصنٍ كالرُّدِّيِّ
ملاعبٍ في غرامٍ عند ذكري صباه وغصنه المتلاعبين

٤٥٦ - وقال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانيء :

يا حُرْقَةَ البينِ كَوَيْتِ الحِشَا حتى أذبتِ القلبَ في أضلَعِهِ
أذكِتِ فيه النَّارَ حتى غدا ينسابُ ذاك الدَّوْبُ من مدمعِهِ
يا سؤْلَ هذا القلبِ حتى متى يؤمى برشفِ الرِّيقِ مِنْ منبَعِهِ
فإنَّ في الشَّهيدِ شفاءَ الوري لا سيَّما إنْ مُصَّ من مَكْرَعِهِ
والله يُدْني منكمُ عاجلاً ويُبْلِغُ القلبَ إلى مَطْمَعِهِ

٤٥٧ - ولو لم يكن للأندلسيين غير كتاب «شذور الذهب» لكانهم
دليلاً على البلاغة ، ومؤلفه هو علي بن موسى بن علي بن محمد بن خلف أبو

١ زاد في م : في خضرة وروض واجتماع أحباب .

٢ ب م : سامعين .

الحسن الأنصاري ، الجياني ، نزيل فاس ، وولي خطابتها ، ولم ينظم أحدٌ في الكيمياء مثل نظمه بلاغةً معانٍ ، وفصاحةً ألفاظٍ ، وعلوبةً تراكيبٍ ، حتى قيل فيه : إن لم يعلمك صناعة الذهب علمك الأدب . وفي عبارة بعضهم : إن فاتك ذهبه ، لم يفتك أدبه . وقيل فيه : إنه شاعر الحكماء ، وحكيم الشعراء . وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

[عود إلى النقل عن بدائع البدائه]

ولنذكر هنا نبذة من سرعة بديهة أهل الأندلس ، وإن مرّت من ذلك جملة ، وستأتي أيضاً زيادة على الجميع ، فنقول :

٤٥٨ - قال في « بدائع البدائه » ما صورته^١ : روى عبد الجبار بن حمّديس الصقلي قال : صنع عبد الجليل بن وهبُون المرسّي الشاعر لنا نزهة بوادي إشبيلية ، فأقمنا فيه يوماً ، فلما دنت الشمس للغروب هبّ نسيم ضعيف غَضَبٍ وجَهَ الماء ، فقلت للجماعة : أجزوا :

حاكيتِ الريحُ من الماء زَرَدُ

فأجازه كل منهم بما تيسر له ، فقال لي أبو تمام غالب بن رباح ، الحجاج : كيف قلت يا أبا محمد ؟ فأعدتُ القسيم له ، فقال :

أيُّ درِيعٍ لقتالٍ لو جَمَدُ

وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يخالف هذا ، فليراجع في محله^٢ . ثم قال صاحب « بدائع البدائه »^٣ بعد ما سبق ما صورته : وقد نقله ابن

١ البدائع ١ : ٦٢ .

٢ سيجي ما يخالفه في ترجمة الرميكية في الجزء الرابع من النفع .

٣ ص : ٦٤ - ٦٥ .

حمّديس إلى غير هذا الوصف ، فقال :

نثر الجوّ على التّربِ برّدٌ أيُّ درٍّ لنحورٍ لو جمّدٌ

فتناقض المعنى بذكر البرد ، وقوله « لو جمّد » إذ ليس البرّد إلا ما جمده البرّد ، اللّهم إلا أن يريد. بقوله « لو جمّد » دام جموده ، فيصح وينعقد على التحقيق .

ومثل هذا قولُ المعتمد بن عباد يصف فوّارة :

ولربّما سلّكتُ لَنَا من مائها سيفاً وكان عن التواظر مُغمّدا
طبعته بلحياً فزانتُ صفحةً منه ولو جمدتُ لكان مُهنّدا

وقد أخذت أنا هذا المعنى^١ فقلت أصف روضاً :

فلو دام ذلك النبتُ كان زبرجداً ولو جمدتُ أنهاره كنّ بلّورا

وهذا المعنى مأخوذ من قول علي التونسي الإيادي من قصيدته الطائية المشهورة :

ألولؤ قطرُ هذا الجوّ أم نُقطُ ما كان أحسنهُ لو كان يُلْتَقَطُ

وهذا المعنى كثير للقديماء ، قال ابن الرومي من قطعة في العنب الرازي :

لو أنّه يبقّى على الدهورِ قرّطَ آذانِ الحسانِ الحورِ

٤٥٩ — قال علي بن ظافر^٢ : وأخبرني مَنْ أثنى به قال : ركب المعتمد

على الله أبو القاسم ابن عبيد لتزيّة نّظاهر إشبيلية في جماعة من ندمائه ، وخواص شعرائه ، فلمّا أبعد أخذ في المسابقة بالخيل ، فجاء فرسه بين البساتين سابقاً ،

١ يعني ابن ظافر .

٢ البدائع ١ : ٦٦ - ٦٧ .

فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت ، فسدد إليها عصاً كانت في يده فأصابها ، وثبتت على أعلاها ، فأطربته ما رأى من حسننها وثباتها ، والتفت ليخبر به مَنْ لحقه من أصحابه ، فرأى ابنَ جاح الصباغ أول من لحق به فقال : أجز :

كأنّهما فوق العصا

فقال :

هامةٌ زنجيٌّ عَصَى

فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله ، وأمر له بجائزة سنّية .

قال علي بن ظافر^١ : وأخبرني أيضاً أن سبب اشتهار ابن جاح^٢ هذا أن الوزير أبا بكر ابن عمّار كان كثير الوفادة على ملوك الأندلس ، لا يستقرّ ببلد ولا يستقرّه عن وطّره ووطن ، وكان كثير التطلّب لما يصدر عن أرباب المهن ، من الأدب الحسن ، فبلغه خبرُ ابن جاح هذا قبل اشتهاره ، فمر على حانوته وهو آخذ في صباغته ، والنيل قد جرّ على يديه ذَيْلاً ، وأعاد نهارهما ليلاً ، فأراد أن يعلم سرعة خاطره ، فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء ، وأشار إلى يده ، وقال :

كم بينَ زندي وزندي ؟

فقال :

ما بينَ وَصَلٍ وَصَدٍّ

فعجب من حسن ارتجاله ، ومبادرة العمل واستعجاله ، وجدّ بفضّعه ، وبلغ من الإحسان إليه غايةً وسّعِهِ .

١ المصدر نفسه : ٦٧ .

٢ ب م : ابن جامع ، حيثما وقعت ، وهو خطأ .

٤٦٠ - وبلغني أيضاً أنه دخل سَرْقُسْطَةَ فبلغه خبر يحيى القصبَّاب
السرْقْسطي ، فمر عليه ، ولحم خرفانه بين يديه ، فأشار ابن عمار إلى اللحم ،
وقال^١ :

لحم سِبَاطِ الخرفانِ مهزولُ

فقال :

يقول يا مشترين^٢ مه زولوا

٤٦١ - ولما صنع المتوكِّل^٣ على الله بن الأَفْطس صاحبُ بَطْلَيْسَوسَ
هذا القسم :

الشَّعْرُ خُطَّةٌ خَسَفِ

أرتج عليه ، فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التي
أولها :

الدهرُ يفجعُ بعد العينِ بالآثرِ

وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب ، وهو أحد وزراء دولته ، وخواص
حضرته ، فاستجازه إياه ، فقال :

لكلِّ طالبٍ عُرْفِ

للشيخِ عَيْبَةَ عَيْبِ وَللْفَقِي ظَرْفُ ظَرْفِ

وذكر ابن بَسَّام في الذخيرة أن قائل القسم الأول الأستاذ أبو الوليد ابن
ضابط ، وأن عبد المجيد أجازه ارتجالاً ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وقد
ذكرنا ما يقرب من ذلك في هذا الكتاب .

١ انظر ما تقدم ص : ٤٠٤ .

٢ البدائع : المغلسين .

٣ البدائع ١ : ٧٢ ، وقد مرَّت الحكاية ص : ٣٩٧ .

٤٦٢ — وقال ابن الغليظ المالقي^١ : قلت يوماً للأديب أبي عبد الله ابن السراج المالقي ، ونحن على جرية ماء : أجز :
شربنا على ماء كأنَّ خريرةً
فقال بديهاً :

بكاءٌ مُحِبٌّ بانَّ عنه حبيبُ
فمن كان مشغوفاً كثيراً بلالفة
فلئنِّي مشغوفٌ به وكثيرُ

٤٦٣ — وذكر ابن بَسَّام في النخبة^٢ أنَّه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتي بالمرية ، فنظر إلى وسيم يسبح في البحر ، وقد تعلق بسُكَّان بعض المراكب ، فقال ابن عبادة : أجز :

انظر إلى البَدْرِ الذي لاحَ لكُ

فقال ابن القابلة :

في وسطِ اللُّجَّةِ نَحَتَ الحَلَكُ
قد جعلَ الماءَ سماءَ لهُ واتَّخَذَ القُلُوكَ مكانَ القُلُوكِ

٤٦٤ — وقال أبو عامر ابن شهيد^٣ : لما قدم زهير الصقلبيُّ إلى حضرة قرطبة من المرية وجّه وزيره أبو جعفر ابن عباس إلى لُمةٍ من أصحابنا منهم ابن بُرْدٍ وأبو بكر المرواني وابن الحنَّاط والطبني ، فحضرُوا إليه ، فسألهم عني ،

١ البدائع ١ : ٧٢ ومرت الحكاية ص : ٢٧٠ .

٢ البدائع ١ : ٧٢ .

٣ البدائع ١ : ٧٥ .

٤ ب م : الصقلي ، وهو خطأ ، وكان زهير من فتيان الصقالبة بالأندلس .

وقال : وجّهوا إليه ، فوافاني رسوله مع دابة بسرّج مُحكّلى ثقيل ، فسرت إليه ، ودخلت المجلس ، وأبو جعفر غائب ، فتحفز المجلسُ للدخولي ، وقاموا جميعاً لي ، حتى طلع أبو جعفر علينا ساجباً ذيلاً لم أرَ أحداً سَحَبَه قبله ، وهو يترنّم ، فسلمت عليه سلام مَنْ يعرف قدر الرجال ، فردّداً لطيفاً ، فعلمت أن في أنفه نُعْرَة لا تخرج إلاّ بسعوط الكلام ، ولا ترام إلاّ بمستحصد النظام ، ورأيت أصحابي يُصَيِّخون إلى ترنمه . فقال لي ابن الحنّاط ، وكان كثير الإنحاء عليّ ، جالباً في المحافل ما يسوء إليّ : إن الوزير حضره قسيم ، وهو يسألنا لإجازته ، فعلمت أنّي المراد ، فاستنشدته ، فأنشد :

مرّضُ الجفون ولثغةٌ في المنطقِ

فقلت لمن حضر : لا تجهدوا أنفسكم ، فما المراد غيري ، ثم أخذت الدواة فكتبت :

سَبَّانَ جَرّاً عشقَ من لم يعشقِ

مَنْ لي بالثغ لا يزالُ حديثُهُ يُذَكِّي على الأحشاء جمره محرقِ
يُسَبِّحُ فينبو في الكلام لسانهُ فكأنّه من خمرِ عينيه سُقي
لا ينعشُ الألفاظَ من عثراتها ولو أنّها كُتبت له في مُهرَقِ

ثم قمت عنهم ، فلم ألبث أن ورّدوا عليّ ، وأخبروني أن أبا جعفر لم يرضَ بما جئت به من البديهة ، وسألوني أن أحمل مكاوي الهجاء على حتاره ، فقلت :

أبو جعفر كاتبٌ محسنٌ مليحُ سنا الخطّ حلو الخطابه
تملأ شحماً ولحماً وما يليقُ تملّؤه بالكتابهِ
له عَرَقٌ ليس ماء الحياء ولكنّه رشحُ ماء الجنابه
جرى الماء في سفله جريّ لينٍ فأحدث في العلو منه صلابه

٤٦٥ - وذكر الوزير أبو بكر ابن اللبّانة الداني^١ في كتابه « سقيط الدرر ولقيط الزهر » أن المعتمد بن عباد صنع قسيماً في القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي ، وهو :

سعدُ السعودِ يتيهُ فوقَ الزاهي

ثم استجاز الحاضرين فعجزوا ، فصنع ولده عبد الله الرشيد :

وكلاهُما في حُسْنِهِ مُتْناهي

ومَنْ اغْتَدَى سَكناً لَمثلِ محمدٍ قد جَلَّ في العُليا عن الأشباه
لا زال يبلُغُ فيهما ما شاءه ودهت عِداه من الخطوبِ دواهي

٤٦٦ - وخرج القاضي الفقيه^٢ أبو الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة أحد رؤساء المغرب الأوسط في جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى ابن سوار الأشبوني ورجل يسمى بأبي موسى خفيف الروح ، ثقيل الجسم ، فجعل يعث بالخاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم ، فصنع القاضي أبو الحسن معابثاً له :

وشاعِرٍ أثْقَلَ مِنْ جَسْمِهِ

ثم استجاز ابن سوار ، فقال :

تَأْتِي مَعَانِيهِ عَلَى حُكْمِهِ

يَهْجُو فَلَا يُهْنِجِي فَهَلْ عِنْدَكُمْ ظُلَامَةٌ تُعْدِي عَلَى ظُلْمِهِ

لَسَانُهُ فِي هَجْوِهِ حَيَّةٌ مَنِيَّةٌ الْحَيَّةُ فِي سُمِّهِ

١ البدائع ١ : ٧٨ .

٢ البدائع ١ : ٧٨ .

يصيبُ سرَّ المرءِ في رميهِ كأنَّما العالمُ في علمهِ
أما أبو موسى ففي كفه عصا ابنهِ والسحرُ في نظمهِ

٤٦٧ - وفي «المقتبس في تاريخ الأندلس»^١ أن الأمير عبد الرحمن خرج في بعض أسفاره فطرقة خيال جاريته طروب أم ولده عبد الله ، وكانت أعظم حظاياه عنده ، وأرفعهن لديه ، لا يزال كلفاً بها ، هائماً بجبها ، فانتبه وهو يقول :

شاكك من قرطبة الساري في الليل لم يدْرِ به الداري

ثم أنبه عبد الله بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت ، فقال :

زار فحياً في ظلام الدجى أحبيب به من زائر ساري

وصنع الأمير عبد الرحمن المذكور في بعض غزواته قسيماً^٢ ، وهو :

نرى الشيء ممّا يُتَقَى فنهاه

ثم أرتج عليه ، وكان عبد الله بن الشمر نديمه وشاعره غائباً عن حضرته . فأراد مَنْ يميزه ، فأحضر بعض قواده محمد بن سعيد الزجالي . وكان يكتب له ، فأنشده القسيم ، فقال :

وما لا نرى ممّا بقي الله أكثر

فاستحسنه وأجازه ، وحمله استحسانه على أن استوزره .

١ البدائع ١ : ٨٧ .

٢ انظر المقتبس (تحقيق مكّي) : ٣٤ ومنه يفهم أن الأمير لم يصنع القسيم وإنما تمثل به ونسي تمامه فأتمه الزجالي من حفظه . وانظر ما سبق ص : ٥٣٩ .

٤٦٨ — وذكر ابن بسّام^١ أن المعتمد بن عباد أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب ، فصيعا ، فجاء وزنهما سبعمائة مثقال ، فأهدى الغزال إلى السيدة ابنة مجاهد . والهلال إلى ابنه الرشيد ، فوقع له إلى أن قال :

بعثنا بالغزال إلى الغزال وللشمس المنيرة بالهلال

ثم أصبح مصطبحا ، وجاء الرشيد فدخل عليه ، وجاء الندماء والجلساء ، وفيهم أبو القاسم ابن مرزقان^٢ ، فحكى لهم المعتمد البيت ، وأمرهم بإجازته ، فبدر ابن مرزقان فقال :

فَإِذَا سَكَنِي أُبُوتهُ فَوَادِي وَذَا نَجَلِي أَقْلَدُهُُ الْمُعَالِي
شَفَلْتُ بِذَا الطَّلَاخِلْدِي وَنَفْسِي وَلَكِنِّي بِذَاكَ رَخِيٌّ بِالِ
دَقَعْتُ إِلَى يَدِيهِ زِمَامَ مُلْكِي عَلَيَّ بِالصُّوَارِمِ وَالْعَوَالِي
فَقَامَ يَقْرُ عَيْنِي فِي مَضَاهِ وَيَسْلُكُ مَسَلَّتِي فِي كُلِّ حَالِ
فَدُمْنَا لِلْعَلَاءِ وَدَامَ فِينَا فَلَمَّا لِلْسَمَاحِ وَلِلنَّزَالِ

٤٦٩ — ولما أنشد أبو القاسم ابن الصيرفي قول عبد الله بن السمط :

حَارَ طَرَفٌ تَأَمَّلَكَ مَلِكٌ أَنْتَ أَمَ مَلَكٌ

قال بديها :

بَلْ تَعَالَيْتَ رَتْبَةً فَلَكَ الْأَرْضُ وَالْفَلَكَ

٤٧٠ — وذكر ابن بسام في اللخيرة^٣ أنه غني يوماً بين يدي العالي بالله الإدريسي بمالقة بيت لعبد الله بن المعتز :

١ البدائع ١ : ١٠٧ .

٢ م : ابن مرزبان .

٣ اللخيرة ١ / ٢ : ٣٥٥ والبدائع ١ : ١٤٨ .

هَلْ تَرِينَ الْبَيْنَ يَحْتَالُ أَنْ غَدَتَ لِلْحَيِّ أَجْمَالُ

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقي بإجازته . فقال بديهاً :

إِنَّمَا الْعَالِي إِمَامٌ هَدَى حَلِيَّتَ فِي عَصْرِهِ الْحَالُ
مَلِكٌ أَقْبَالَ دَوْلَتَهُ لِنُوي الْأَفْهَامِ إِقْبَالَ
قُلْ لِمَنْ أَكْدَتَ مَطَالِبُهُ رَاحَتَهُ الْجَاهُ وَالْمَالُ

٤٧١ — وَغَنَّى أَبُو الْحَسَنِ زُرْيَابُ^٢ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الدَّخْلِيَّ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ . وَهُمَا لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

قَالَتْ ظَلَمْتُ سَمِيَّةَ الظُّلْمِ مَا لِي رَأَيْتُكَ نَاحِلَ الْجَسَمِ
يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ أَنْتَ الْخَيْرُ بِمَوْقِعِ السَّهْمِ

فقال عبد الرحمن : هذان البيتان منقطعان . فلو كان بينهما ما يصلهما

لكان أبعد . فصنع عبيد الله^٣ بن فرناس بديهاً :

فَأَجَبْتُهَا وَالْذَمُّ مَنْحَدَرٌ مِثْلُ الْجُمَانِ وَهِيَ مِنَ النَّظْمِ

فاستحسنه . وأمر له بجائزة .

٤٧٢ — وَذَكَرَ ابْنُ بَسَامٍ أَيْضًا أَنَّ الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَادٍ غَنَّى بَيْنَ يَدَيْهِ بِقَوْلِ ابْنِ

الْمُعْتَزِ^٤ :

وَحَمَامَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْمَجُوسِ تَرَى الزُّقَّ فِي بَيْتِهَا سَائِلًا
وَزَّالَهَا ذَهَبًا جَامِدًا فَكَالَتْ لَنَا ذَهَبًا سَائِلًا

١ . الأخيرة : البين .

٢ . البدائع ١ : ١٥٥ .

٣ . ب : عبد الرحمن .

٤ . البدائع ١ : ١٥٤ .

فقال بديها يُجيزه :

وقلت خُذِي جوهرًا ثابتًا فقالت خلوا عَرَضًا زائلا

٤٧٣ - وركب المعتمد^١ في بعض الأيام قاصداً الجامع ، والوزير أبو بكر ابن عمار يسايره ، فسمع أذان مؤذن ، فقال المعتمد :

هذا المؤذنُ قد بدأ بأذانه

فقال ابن عمار :

يرجو بذلك العفو من رحمانه

فقال المعتمد :

طوبى له من شاهدٍ بحقيقةٍ

فقال ابن عمار :

إن كان عقْدُ ضميره كلسانه

٤٧٤ - وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي^٢ : أقمتُ بإشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت إلي ولا يعبا بي ، حتى قنطت لحبيبي مع فرط تعبي ، وهممت بالنكوص على عقبي ، فلأتني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي إذا بغلام^٣ معه شمعة ومركوب ، فقال لي : أجب السلطان ، فركبت من فتوري ، ودخلت عليه ، فأجلسني على مرتبة فننك^٤ ، وقال لي : افتح الطاق التي تليك ، ففتحتها فإذا بكور زجاج على بعد ، والنار تلوح من بابيته ، وواقدة تفتحهما تارة وتسدُّهما أخرى ، ثم دام سدَّ أحدهما وفتح الآخر ، فحين تأملتُهما قال لي : أجز :

١ البدائع ١ : ١٧١ .

٢ البدائع ١ : ١٧١ .

٣ البدائع : إذ أتاني غلام .

٤ البدائع : على مرتبته .

انظرهما في الظلام قد نجما

فقلت :

كما رنا في الدُّجْنَةِ الأسدُ

فقال :

يفتحُ عَيْنِيهِ ثُمَّ يُطْبِقُهَا

فقلت :

فعلَ امرىءٌ في جُفُونِهِ رَمَدُ

فقال :

فابْتَرَهُ الدَّهْرُ نَوْرَ واحِدَةٍ

فقلت :

وهل نَجَا من صُرُوفِهِ أَحَدُ

فاستحسن ذلك ، وأمر لي بجائزة سنوية ، وألزمني خدمته .
وقد ذكرنا هذه الحكاية في هذا الكتاب ، ولكن ما هنا أتم مساقاً فلذلك
نبهت عليه .

٤٧٥ - وذكر صاحب « فرحة الأنفس في أخبار أهل الأندلس »^١ أن
أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر جلس في جماعة من خَوَاصِهِ ، ومعهم أبو
القاسم لب ، وكان يعدّه للمجون والتطايب ، فقال له : اهْجُ عبد الملك بن
جهوز ، يعني أحد وزرائه ، فقال : أخافه ، فقال لعبد الملك : فاهْجُ أنت ،
فقال : أخاف على عِرْضِي منه ، فقال : أهْجوه أنا وأنت ، ثم صنع :
لبُّ أبو القاسم ذو الحية طويلاً أَرَى بها الطول^٢

١ البدائع ١ : ١٨٥ .

٢ ب م : كبيرة في طولها ميل .

فقال عبد الملك :

وعرضها ميلان إن كُـبِّرَتْ . والعقلُ مأفونٌ ومخبولٌ

فقال الناصر للـب : اهـجـه فقد هـجـاك ، فقال بديهاً :

قال أمينُ الله في عَصْرنا لي لـحـيـةٌ أـزرى بها الطولُ
وابن جـهـيرٍ قال قولَ الذي مأكولُهُ القرضيلُ والفولُ
لولا حيائي من إمام الهدى نخست بالمنخس شو . . .

ثم سكت ، فقال له الناصر : هاتِ تمام البيت ، فامتنع ، فقال له « قولو »
يعني تمام البيت ، كلمة قالها الناصر مسترسلاً غير متحفظ من زيادة الواو وإبدال
الهاء واوآ ، إذ صوابها « قله » على حكم المشي مع الطبع والراحة من التكلف ،
فقال لب : يا مولانا أنت هجوته ، ففطن الناصر والحاضرون ، وضحكوا ،
وأمر له بجائزة .

والقرضيل : شوك له ورق عريض تأكله البقر ، وقوله « شو » اسم للذكر
الرجل^١ بالرومية ، و « قولو » اسم للاست بها ، فكأنه قال : لولا حيائي
من إمام الهدى نخست بالمنخس — الذي هو الذكر — استه .

انتهى المجلد الثالث

١ م : اسم الرجل .

محتويات المجلد الثالث من نفح الطيب

الباب السادس

في ذكر بعض الوافدين على الأندلس من أهل المشرق . . . ١٤٩-٥

٥	١ - المنيلد الإفريقي .
٦	٢ - موسى بن نصير
٧	٣ - حنش الصنعاني
٨	٤ - علي بن رباح اللخمي
٩	٥ - أبو عبد الرحمن الحبلي
٩	٦ - حبان بن أبي جبلة
١٠	٧ - المغيرة بن أبي بردة
١٠	٨ - حيوة بن رضاء التميمي
١٠	٩ - عياض بن عقبة القهري
١٠	١٠ - عبد الله بن شماسه القهري
١١	١١ - عبد الجبار بن أبي سلمة الزهري (انظر رقم : ٤٧)
١١	١٢ - منصور بن حزيمة
١٢	١٣ - مغيث الرومي
٢٦-١٤	١٤ - ٣١ - عدد من ولاية الأمويين
٢٧	٣٢ - عبد الرحمن الداخل
٥٥	٣٣ - أبو الأشعث الكلبي

هذه العلامة * تدل على أن الترجمة مكررة .

٣٤	-	جزى بن عبد العزيز .	٥٥
٣٥	-	بكر بن سودة الجذامي .	٥٦
٣٦	-	رزيق بن حكيم .	٥٧
٣٧	-	زيد بن قاصد السكسكي .	٥٧
٣٨	-	زرعة بن روح الشامي .	٥٨
٣٩	-	محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري	٥٨
٤٠	-	عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم	٥٨
٤١	-	هاشم بن الحسين بن إبراهيم الطالبي	٦٠
٤٢	-	عبد الله بن المغيرة الكناني .	٦٠
٤٣	-	عبد الله المعمر .	٦٠
٤٤	-	عبد الرحمن بن شماسه بن ذئب المهري	٦٠
٤٥	-	عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر .	٦١
٤٦	-	عبد الرحيم بن أحمد بن نصر التميمي البخاري	٦٢
٤٧	-	عبد الجبار بن أبي سلمة الزهري (انظر رقم : ١١)	٦٤
٤٨	-	عبد الوهاب بن عبد الله الطندائي .	٦٤
٤٩	-	عبد الخالق بن إبراهيم الخطيب .	٦٤
٥٠	-	عبد اللطيف بن أبي الطاهر الصدي .	٦٥
٥١	-	عمر بن عثمان بن محمد الخراساني	٦٥
٥٢	-	علي بن بندار البرمكي .	٦٦
٥٣	-	عبيد بن محمد بن عبيد النيسابوري .	٦٦
٥٤	-	سهل بن علي بن عثمان النيسابوري .	٦٧
٥٥	-	هبة الله بن الحسين المصري .	٦٨
٥٦	-	يحيى بن عبد الرحمن القيسي الدمشقي .	٦٨
٥٧	-	إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي .	٦٩
٥٨	-	أبو علي القالي .	٧٠
٥٩	-	صاعد البغدادي	٧٥
٨٥	-	[طرف من أخبار المنصور الكبير]	٨٥
٩٥	-	رجع إلى أخبار صاعد البغدادي	٩٥
٩٩	-	ابن حمويه السرخسي .	٩٩
١٠٠	-	[رسالة من لسان الدين إلى ضريح الولي السني]	١٠٠

١٠٠	رجع إلى السرخسي .
١٠٤	[بعض أخبار عن المنصور الموحد]
١٠٥	رجع إلى أخبار السرخسي .
١١١	٦١ - ظفر البغدادي .
١١١	٦٢ - محمد بن موسى الرازي .
١١١	٦٣ - أبو الفضل الدارمي البغدادي .
١١٨	٦٤ - أشهب بن العضد الخراساني .
١١٩	٦٥ - الفكيك البغدادي .
١٢١	٦٦ - إبراهيم بن سليمان الشامي .
١٢٢	٦٧ - أبو بكر ابن الأزرق المرواني .
١٢٢	٦٨ - زرياب المغربي ، علي بن نافع .
١٣٣	٦٩ - شعبان بن كوجبا .
١٣٤	٧٠ - أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني .
١٣٥	٧١ - إبراهيم بن خلف بن منصور ، الستهوري .
١٣٦	[ذكر أبي الخطاب ابن دحية]
١٣٨	٧٢ - عبد الله بن محمد بن آدم الخراساني .
١٣٩	٧٣ - عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ .
١٣٩	٧٤ - عابدة المدنية أم ولد حبيب بن الوليد المرواني (دحون)
١٤٠	٧٥ - فضل المدنية .
١٤٠	٧٦ - قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي .
١٤١	٧٧ - البخارية العجفاء .
١٤٣	٧٨ - عبد القاهر بن محمد الموصل .
١٤٣	٧٩ - أحمد بن الحسن النخعي .
١٤٣	٨٠ - أحمد بن يزيد بن أحمد الزهري .
١٤٣	٨١ - إسماعيل بن الإسكندراني ، أبو الطاهر .
١٤٤	٨٢ - علي بن محمد بن إسماعيل الأنطاكي ، أبو الحسن .
١٤٤	٨٣ - عمر بن مودود بن عمر ، أبو البركات البخاري .
١٤٥	٨٤ - نجم الدين بن مهذب الدين ، الرحالة .
١٤٧	٨٥ - تقي الدين ابن الفرس الحنفي المصري .
١٤٨	٨٦ - الولي يوسف الدمشقي .

الباب السابع

في ذكر توقد الأذهان الأندلسية وحب الأندلسيين للمعرفة وبراعتهم
في الأجوبة وغير ذلك مما يدل على فضلهم

١٥٠ -

- [نقول في فضائل الأندلس : ١ - عن فرحة الأندلس ١٥٠
٢ - عن ابن سبيد ١٥٢
٣ - عن الحميدي ١٥٣
٤ - عن ابن بسام ١٥٤
٥ - عن الحجازي ١٥٥
٦ - رسالة ابن حزم في فضل الأندلس ١٥٦
٧ - تذييل ابن سبيد على رسالة ابن حزم ١٧٩
٨ - رسالة الشقندي في الدفاع عن الأندلس] ١٨٦
[ترجمة الشقندي] ٢٢٢
[استطرد في الإشادة بالأندلس] ٢٢٤
[حكايات وأشعار أندلسية] ٢٢٥
١ - شعر للزاهد أبي عمران المارثلي ٢٢٥
٢ - لأبي عمرو اليحصبي اللوشي ٢٢٥
٣ - لأبي وهب القرطبي ٢٢٦
٤ - لأبي محمد ابن برطله ٢٢٧
٥ - لابن حبيش ٢٢٧
٦ - لابن الشيخ ٢٢٧
٧ - لأبي محمد القرطبي ٢٢٧
٨ - للسميسر ٢٢٧
٩ - لأبي القاسم ابن بقي ٢٢٨
١٠ - لابن العسال الطليطلي ٢٢٨
١١ - لابن هشام القرطبي ٢٢٨
١٢ - لابن السيد البطليوسي ٢٢٨
١٣ - لأبي الفضل ابن شرف ٢٢٩
١٤ - لأبي العباس بن عريف ٢٢٩

٢٣٠	١٥ - انتقال الأندلس من مذهب الأوزاعي إلى مذهب مالك
٢٣٠	١٦ - ترجمة للزاهد ابن أبي يغمور
٢٣٢	١٧ - الوزير أبو محمد عبد الرحمن بن مالك الماعفري
٢٣٤	١٨ - بعض أخبار المعتمد
٢٣٥	١٩ - رسالة ابن عبد البر في الرد على من عابه بأكل طعام السلطان
٢٣٧	٢٠ - ابن مجير ، ترجمته وشيء من شعره
٢٤١	٢١ - شعر لابن خفاجة
٢٤١	٢٢ - للأعمى التطيلي
٢٤١	٢٣ - لأبي حفص ابن عمر القرطبي
٢٤١	٢٤ - للحاجب ابن مغيث
٢٤٢	٢٥ - لأخيه أحمد
٢٤٢	٢٦ - لابن أمية البلنسي
٢٤٢ - ٢٦٩	[حكايات في البديهة والارتجال منقولة عن بدائع البداهة]
٢٤٢	٢٧ - بين ابن عمار وابن زيدون وابن خلدون
٢٤٤	٢٨ - ٣٠ - من بدائه ابن شهيد
٢٤٦	٣١ - بين ابن زهر وابن رزين
٢٤٧	٣٢ - بين ابن عاصم والأمير محمد بن عبد الرحمن
٢٤٨	[استطراد حول ابن ظافر الأزدي]
٢٥٥	[قدرة ابن قلاص في الارتجال]
٢٥٩	رجعة إلى كلام الأندلسيين
٢٥٩	٣٣ - بديهة أبي الحسن ابن الحاج اللورقي
٢٦٠	٣٤ - عبد الملك بن إدريس الجيزري
٢٦٠	٣٥ - قصة ابن شهيد الوزير مع المنصور
٢٦٢	٣٦ - بديهة ابن شهيد أبي عامر
٢٦٣	٣٧ - ابن الحناط
٢٦٣	٣٨ - ابن الحداد
٢٦٤	٣٩ - ابن الشقاق
٢٦٤	٤٠ - ابن مرزقان
٢٦٥	٤١ - غانم الأديب
٢٦٥	٤٢ - ابن هتدو الداني

٢٦٥	٤٣ - بديهة ابن فرج الجلياني .
٢٦٦	٤٤ - « ابن حصن الإشيلي .
٢٦٦	٤٥ - « أبي الفتح ابن حسداي
٢٦٨	٤٦ - « عبد الحليل بن وهبون
٢٦٨	٤٧ - « ابن أبي الحصال .
٢٦٩	٤٨ - شعر لأبي جعفر الرضي .
٢٧٠	٤٩ - « لأحد بني القبطورة
٢٧٠	٥٠ - بين ابن الغليظ وابن السراج الملقب
٢٧٠	٥١ - بين أبي بكر البلنسي وصفوان
٢٧١	٥٢ - شعر لابن خفاجة
٢٧١	٥٣ - قصائد لابن زيدون
٢٨٧	٥٤ - شعر لابن السيد البطليوسي
٢٨٨	٥٥ - « للأبيض .
٢٨٨	٥٦ - « لأبي عامر السامي (منسوب له خطأ)
٢٨٨	٥٧ - « لابن الحناط
٢٨٩	٥٨ - أشعار لابن الزقاق
٢٩١	٥٩ - شعر للسميسر .
٢٩١	٦٠ - « لابن رزين
٢٩١	٦١ - « لعبد الملك سلطان بلنسية
٢٩٢	٦٢ - « لسليمان بن بطال البطليوسي
٢٩٢	٦٣ - « لأبي محمد عبد الله بن غالب
٢٩٣	٦٤ - « للسميسر .
٢٩٣	٦٥ - « لأحمد بن برد
٢٩٣	٦٦ - « لعبد المجيد بن عبدون
٢٩٣	٦٧ - « لأبي الفضل ابن حسداي
٢٩٤	٦٨ - بين ابن عبد ربه والقلفاط
٢٩٥	٦٩ - مروءة أبي الحسين ابن جبير
٢٩٦	٧٠ - أشعار للزاهد أبي عمران المارثلي
٢٩٧	٧١ - « لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز
٢٩٨	٧٢ - شعر لابن خفاجة

٢٩٨	٧٣ - قصيدة مجونية لابن الأزرق
٣٠٣	٧٤ - شعر لابن خفاجة
٣٠٣	٧٥ - لابن الأبار القضاعي
٣١٧-٣٠٣	[نقول من القتح- المل]
٣٠٣	٧٦ - ابن الأبار القضاعي
٣٠٤	٧٧ - أبو المعالي القيحاوي
٣٠٤	٧٨ - عمرو بن الحكم القبطي
٣٠٥	٧٩ - أبو عمران القلمي
٣٠٥	٨٠ - أبو إسحاق إبراهيم بن أيوب المرسى
٣٠٥	٨١ - أبو بكر ابن عمار البرجي
٣٠٦	٨٢ - أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الإشبيلي
٣٠٧	٨٣ - أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير
٣١٠	٨٤ - ابن البناء الإشبيلي
٣١٠	٨٥ - ابن غالب الداني
٣١٠	٨٦ - أبو العلاء عبد الحق المرسى
٣١١	٨٧ - ابن غالب الكاتب بمالقة
٣١١	٨٨ - أبو عبد الله ابن عسكر الغساني
٣١١	٨٩ - أبو أمية ابن عفير
٣١٢	[عود للحديث عن ابن ظافر]
٣١٤	رجع إلى أهل الأندلس
٣١٤	٩٠ - ابن السمالك
٣١٥	٩١ - أبو محمد عبد الحق الزهري
٣١٥	٩٢ - إسماعيل بن حجاج الأعمى (سقط شعره)
٣١٥	٩٣ - أبو يحيى ابن هشام القرطبي
٣١٦	٩٤ - أبو الحجاج يوسف اليباسي
٣٢٢-٣١٨	[عود إلى النقل عن بدائع البدائع]
٣١٨	٩٥ - ابن صارة وابن خفاجة
٣١٨	٩٦ - ابن خفاجة وابن وهبون وأخبار أخرى
٣٢٠	٩٧ - بين السمسرة وأحد رؤساء المرية
٣٢١	[حكاية مشرقية عن عباد بن الحرث]

٣٢٢	٩٨ ، ٩٩ — أبو الصلت أمية بن عبد العزيز
٣٢٣	١٠٠ — أبو جعفر أحمد الوقشي
٣٢٤	١٠١ — اليكي وأهل فاس
٣٢٤	١٠٢ — أبو الحسن علي بن عتيق
٣٢٥	١٠٣ — أحمد بن رضى المالقي
٣٢٥	١٠٤ — أبو القاسم البلوي الإشبيلي
٣٢٥	١٠٥ — أبو زكريا ابن صفوان الأديب
٣٢٥	١٠٦ — ١٠٨ — ابن عمار
٣٢٨	١٠٩ ، ١١٠ — ابن صمدح
٣٢٩	١١١ — السميسر
٣٢٩	١١٢ — ابن شرف القيرواني
٣٢٩	١١٣ — أبو الحسن ابن أيوب (شاعر مشرق)
٣٣٠	١١٤ — الحصري
٣٣٠	١١٥ — ابن سعد الخير البلنسي
٣٣٠	١١٦ — محبوب النحوي يصف ناعورة
٣٣١	١١٧ — أبو الخطاب ابن دحية وابن مغاور السلمي
٣٣١	١١٨ — أبو الوليد النحلي الشاعر
٣٣٢	١١٩ — أبو الصلت وظافر الحداد
٣٣٣	١٢٠ — أبو الوليد النحلي وابن اللبانة وابن عبد البر الشنتريني
٣٣٣	١٢١ — أحمد بن الصقر الخزرجي
٣٣٤ — ٣٤٣	[أخبار عن المروانيين]
٣٣٤	١٢٢ — خبر أيوب بن سليمان المرواني
٣٣٤	١٢٣ — « بكار المرواني »
٣٤٠	١٢٤ — « محمد بن أيوب المرواني »
٣٤١	١٢٥ — « المطرف بن عمر المرواني »
٣٤٢	١٢٦ — « هشام بن عبد الرحمن المرواني »
٣٤٣	١٢٧ — شعر لعبد الله بن عبد العزيز الأموي
٣٤٣	١٢٨ — « لأبي عبد الله محمد بن محمد بن الناصر الأموي »
٣٤٣	١٢٩ — بين سعيد بن أضحى ومادحه
٣٤٤	١٣٠ — شعر لابن خفاجة

٣٤٥	١٣١ - شعر لأبي بكر اليكبي
٣٤٥	١٣٢ - « لابن اللبانة
٣٤٥	١٣٣ - « لابن عبد الغفور الإشبيلي
٣٤٦	١٣٤ - بين الحجاري وأبي عبد الله اللوشي
٣٤٧	١٣٥ - شعر لصالح بن شريف
٣٤٧	١٣٦ - « لأبي محمد ابن برطله
٣٤٧	١٣٧ - « لابن بقي والأعمى التطيلي في حمام
٣٤٨	[وصف حمام مشرق]
٣٥٠	[دار جمال الملك البغدادي]
٣٥١	[أشعار للمشاركة في حمام]
٣٥٢	رجع إلى كلام أمل الأندلس
٣٥٣	١٣٨ - شعر لابن خلف الإلبيري
٣٥٣	١٣٩ - « لأبي الوليد ابن الجنان الشاطبي
٣٥٣	[حكاية مشرقية عن الورد والياسمين]
٣٥٥	١٤٠ - بين ابن القبطونة وابن صارة
٣٥٥	[بديهة ابن ظافر]
٣٥٦	رجع إلى الأندلسيين
٣٥٦	١٤١ - شعر لابن الزقاق
٣٥٦	١٤٢ - « لابن خفاجة
٣٥٦	١٤٣ - « لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز
٣٥٧	١٤٤ - « ليحيى بن هذيل
٣٥٨	١٤٥ - بين شاعر وحرير بن عكاشة
٣٥٨	١٤٦ - أشعار لابن شهيد
٣٦٣	١٤٧ - أخبار عبد الملك بن غصن الحجاري
٣٦٤	١٤٨ - بين المنصور والرمادي
٣٦٦	١٤٩ - ١٥٢ - أخبار عن بني صمادح
٣٧١	١٥٣ - شعر لابن زهر أبي العلاء
٣٧١	١٥٤ - « لأبي الفضل ابن شرف
٣٧١	١٥٥ - « لابن خفاجة
٣٧١	١٥٦ - « لأبي عبد الله البياسي

٣٧٢	.	.	.	١٥٧ - شعر لأبي الحسن ابن الفضل .
٣٧٢	.	.	.	١٥٨ - حكاية عبد الرحمن بن غانم في الوفاء لهاشم بن عبد العزيز .
٣٧٣	.	.	.	١٥٩ - « في علو الهمة عن ابن باجة »
٣٧٤	.	.	.	١٦٠ - « في الدكاء عن ابن فرناس »
٣٧٥	.	.	.	١٦١ - ذكر المشهورين من الأندلسيين بعلوم الأوائل .
٣٧٧	.	.	.	١٦٢ - حكاية الهيثم بن أحمد في قوة الحفظ وشيء من شعره
٣٧٩	.	.	.	١٦٣ - « ابن سيده في قوة الحفظ .
٣٨٠	.	.	.	١٦٤ - أمثلة من حب الأندلسيين للعلم .
٣٨١	.	.	.	١٦٥ - من تأليفهم الكبيرة كتاب « السماء والعالم »
٣٨١	.	.	.	[حكايات في الفكاهة الأندلسية] .
٣٨١	.	.	.	١٦٦ - بين مختار الرعيبي وزهير صاحب المرية .
٣٨٢	.	.	.	١٦٧ - خير ابن القراء النحوي
٣٨٣	.	.	.	١٦٨ - فكاهيات الزهري .
٣٨٤	.	.	.	١٦٩ - حكاية عن ابن ورد أبي القاسم .
٣٨٤	.	.	.	١٧٠ - حكاية عن أبي الحسين ابن الطراوة
٣٨٥	.	.	.	١٧١ - فكاهة مدغليس الرجال .
٣٨٦	.	.	.	١٧٢ - عود إلى ذكر ابن القراء النحوي
٣٨٦	.	.	.	[رسالة ابن القراء الأب إلى ابن تاشفين]
٣٨٧	.	.	.	١٧٣ - ابن قراء آخر اسمه الأخفش القبداني
٣٨٨	.	.	.	١٧٤ - بين الطليق المرواني ومحمد بن مسعود البجاني
٣٨٩	.	.	.	١٧٥ - بين أحد أهل المرية وجارية إشبيلية
٣٩٠	.	.	.	١٧٦ - بين البياسي المؤرخ وأحمد بن رضي
٣٩٠	.	.	.	١٧٧ - بين العالي الحمودي وابن حسون المالقي
٣٩١	.	.	.	١٧٨ - أخبار عن الوحيد قاضي مالقة
٣٩٢	.	.	.	١٧٩ - دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيد
٣٩٣	.	.	.	١٨٠ - قصيدة أبي الفضل ابن شرف الفائية وقطع أخرى
٣٩٧	.	.	.	١٨١ - شعر لابن أنخت غانم .
٣٩٧	.	.	.	١٨٢ - بين ابن عبدون وأستاذه ابن ضابط
٣٩٨	.	.	.	١٨٣ - شعر لغانم المخزومي .
٣٩٨	.	.	.	١٨٤ - بين ابن الغليظ وابن السراج المالقي

٣٩٩	١٨٥	— وفادة ابن كسر بن علي أبي إسحاق إبراهيم الموحدي
٣٩٩	١٨٦	— شعر لعطاء الملقى
٤٠٠	١٨٧	— أشعار وأخبار للسهيلي صاحب الروض
٤٠١	١٨٨	— أخبار عن أبي الفضل ابن حسداي
٤٠٢	١٨٩	— شعر لأبي الريح سليمان السرقسطي
٤٠٢	١٩٠	— مكاتبة بين ابن خير التطيلي وأبي عبد الصمد السرقسطي
٤٠٣	١٩١	— حكاية أبي عمرو ابن سالم الملقى والخطيب أبي محمد الملقى
٤٠٤	١٩٢	— بديهة يحيى الجزار
٤٠٤	١٩٣	— شعر للأعمى التطيلي
٤٠٤	١٩٤	— تفوق الأعمى في إحدى موشحاته
٤٠٤	١٩٥	— القاضي عبد الله اللاردي وامرأة تحاكت إليه
٤٠٥	١٩٦	— ابن خفاجة وابن عتق الفضة
٤٠٥	١٩٧	— ابن شتير وابن غندشلب في وفادة على المعتمد
٤٠٧	١٩٨	— قارئ أبله في مجلس ابن رزين
٤٠٧	١٩٩	— أبو بكر ابن سدراي وزير ابن رزين
٤٠٨	٢٠٠	— شعر لمروان بن عبد العزيز صاحب بلنسية
٤٠٨	٢٠١	— أشعار لأبي عامر ابن القرج
٤٠٩	٢٠٢	— « لابن حريق »
٤١١	٢٠٣	— شعر للفيلسوف أبي جعفر الذهبي
٤١١	٢٠٤	— أشعار لابن عبادة الوشاح
٤١٢	٢٠٥	— بين السميسر والمعتصم بن صمادح
٤١٣	٢٠٦	— عمر بن الشهيد والبطرقي في مجلس ابن صمادح
٤١٤	٢٠٧	— شعر لابن الزقاق
٤١٤	٢٠٨	— « لابن صارة »
٤١٩	٢٠٩	— أشعار لابن الزقاق
٤١٥	٢١٠	— « للحجام ، غالب بن رباح »
٤١٩	٢١١	— شعر لابن الزقاق
٤١٩	٢١٢	— ابن مسعدة وعبد المؤمن بن علي
٤٢٠	٢١٣	— شعر لبني الأزرق
٤٢٠	٢١٦	— شعر لراشد بن عريف

٤٢١	٢١٧ - بين ابن عائش والحجاري إبراهيم
٤٢٢	٢١٨ ، ٢١٩ - شعر لابن شعيب الحسن وأخيه الحسين
٤٢٢	٢٢٠ - شعر لعلي بن رجاء
٤٢٣	٢٢١ - « للقاسم بن الفتح
٤٢٣	٢٢٢ - « لعبد الملك بن غصن الحجاري
٤٢٤	٢٢٣ ، ٢٢٤ - شعر لابن الديواني الراشد وابنه محمد
٤٢٥	٢٢٥ - شعر لإبراهيم الحجاري
٤٢٦	٢٢٦ ، ٢٢٧ - شعر للمواعيني وابنه أحمد
٤٢٧	٢٢٨ - رسالة من أبي الوليد حبيب إلى أبيه ، وبعض شعره وأخباره
٤٢٩	٢٢٩ - شعر لأبي الحسن علي بن حصن
٤٢٩	٢٣٠ - « لأبي الوليد ابن طريف
٤٢٩	٢٣١ - من نظم المعتمد بن عباد
٤٣٠	٢٣٢ - شعر لأبي العباس الخزرجي
٤٣٠	٢٣٣ - « لأبي أيوب سليمان بن أمية
٤٣١	٢٣٤ - « لعمر بن أبي خالد
٤٣١	٢٣٥ - « للمهريس
٤٣١	٢٣٦ - « لابن البناء
٤٣٢	٢٣٧ - أخبار محمد بن مروان بن زهر
٤٣٤	٢٣٨ - « أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر
٤٣٥	٢٣٩ - شعر لأبي الوليد ابن حزم
٤٣٥	٢٤٠ - « لابن عبد ربه
٤٣٥	٢٤١ - أشعار لابن مصادق الرندي
٤٣٧	٢٤٢ - شعر للمعتمد بن عباد
٤٣٧	٢٤٣ - « لابن فرج الجياني
٤٣٧	٢٤٤ - « للرصافي البلنسي
٤٣٨	٢٤٥ - « لابن عبد ربه
٤٣٨	٢٤٦ - « لابن صارة
٤٣٨	٢٤٧ - « للغزال
٤٣٨	٢٤٨ - « لأبي حيان
٤٣٩	٢٤٩ - « لابن شهيد

٤٣٩	٢٥٠	— شعر لأبي القاسم ابن بقي
٤٤٠	٢٥١	« لابن شهيد
٤٤٠	٢٥٢	« لبعضهم في لبس الأندلسيين للبياض حداداً
٤٤١	٢٥٣	« لابن خاتمة
٤٤١	٢٥٤	« لابن دراج القسطلي
٤٤١	٢٥٥	« للرمادي
٤٤١	٢٥٦	« لابن صارة
٤٤٢	٢٥٧	« لابن لبال
٤٤٢	٢٥٨	« لأبي المطرف الزهرري
٤٤٣	٢٥٩	« لابن شهيد
٤٤٣	٢٦٠	« لابن هانيء
٤٤٤	٢٦١	« لابن رزين يعاتب ابن عمار
٤٤٤	٢٦٢	« لابن الجدة
٤٤٤	٢٦٣	« لابن عبد ربه
٤٤٥	٢٦٤	« للنحلي في مغنية
٤٤٥	٢٦٥	« لابن شهيد
٤٤٥	٢٦٦	— أخبار عن الوزير أبي عمرو ابن أبي محمد
٤٤٦	٢٦٧	— بين ابن زرقون وأبي الحسن ابن عياش
٤٤٧	٢٦٨	— شعر لابن عبد ربه
٤٤٧	٢٦٩	« لغانم المالقي
٤٤٧	٢٧٠	— المتوكل ابن الأفطس وأخوه
٤٤٨	٢٧١	— شعر لأبي القاسم ابن بقي
٤٤٨	٢٧٢	« للأبيض في هجاء الفقهاء
٤٤٩	٢٧٣	« لابن صارة
٤٤٩	٢٧٤	« لعبدون البلنسي
٤٤٩	٢٧٥	« للوزير ابن الحكيم
٤٤٩	٢٧٦	« لابن برطال
٤٥٠	٢٧٧	« لابن خضاجة
٤٥٠	٢٧٨ — ٢٨٧	— أشعار لمختلف شعراء بطليوس
٤٥٥		[ضوابط حروف الزيادة]

٤٥٧	٢٨٨ - شعر لعبد الله بن الليث
٤٥٧	٢٨٩ - لابن الأبرش .
٤٥٨	٢٩٠ - لابن بسام الشنريفي
٤٥٨	٢٩١ - ليوسف بن كوثر .
٤٥٨	٢٩٢ - لابن صارة .
٤٥٩	٢٩٣ - لابن منذر الأشبوني
٤٥٩	٢٩٤ - لخلف بن هارون القطيني
٤٥٩	٢٩٥ - خبر عن ابن السيد البطلبوسي
٤٦٠	٢٩٦ - رسالة لابن خفاجة .
٤٦٠	٢٩٧ - شعر للرصافي
٤٦١	٢٩٨ - لابن حبيش .
٤٦١	٢٩٩ - لأحمد أدياء مرسية
٤٦١	٣٠٠ - لابن جابر الدباج .
٤٦١	٣٠١ - للأبيض الإشبيلي .
٤٦٢	٣٠٢ - لصفوان بن إدريس
٤٦٢	٣٠٣ - لأبي بكر ابن يوسف
٤٦٢	٣٠٤ - لأبي القاسم القبتوري
٤٦٢	٣٠٥ - لأبي الحسن ابن الحاج
٤٦٣	٣٠٦ - لأحمد بن أمية البلنسي
٤٦٣	٣٠٧ - لأبي محمد ابن برطله
٤٦٣	٣٠٨ - لابن خروف القيسي
٤٦٤	٣٠٩ - لأبي بكر ابن مالك
٤٦٤	٣١٠ - لأبي الحسن ابن حريق
٤٦٤	٣١١ - لابن الرقاق .
٤٦٤	٣١٢ - لابن الجزار السرقسطي
٤٦٥	٣١٣ - لأبي عبد الله الجذامي
٤٦٥	٣١٤ - لسلمة بن أحمد .
٤٦٥	٣١٥ - لأبي الحسن ابن حزمون
٤٦٦	٣١٦ - لأبي بكر ابن مالك
٤٦٦	٣١٧ - لأبي بكر ابن حبيش

٤٦٦	٣١٨ - شعر للقاضي ابن السليم
٤٦٦	٣١٩ - « لابن أبي الخصال .
٤٦٧	٣٢٠ - « للرصافي
٤٦٧	٣٢١ - « لابن باجة
٤٦٧	٣٢٢ - « لابن الأبار القضاعي
٤٦٨	٣٢٣ - « لأبي العباس أحمد الإشبيلي .
٤٦٨	٣٢٤ - أشعار لابن زهر الحفيد .
٤٦٩	٣٢٥ - شعر لابن زهر الأصغر
٤٦٩	٣٢٦ - « لعمر ابن صاحب الصلاة
٤٦٩	٣٢٧ - « لمحمد ابن صاحب الصلاة .
٤٧٠	٣٢٨ - أشعار في أبي الحكم عمرو بن ملحج وأشعار له
٤٧٣	٣٢٩ - شعر لابن فندلة ، وهجاء اللص له
٤٧٣	٣٣٠ - « لأبي العباس النجار في ابن فندلة
٤٧٤	٣٣١ - « لأبي القاسم ابن حسان .
٤٧٤	٣٣٢ - « لأبي بكر ابن مرتين
٤٧٤	٣٣٣ - « لابن زرقون .
٤٧٥	٣٣٤ - « لمحمد بن عمر الإشبيلي الخطيب
٤٧٥	٣٣٥ - « لمحمد بن حسن الزبيدي اللغوي
٤٧٦	٣٣٦ - « لمحمد بن طلحة النحوي
٤٧٧	٣٣٧ - « لابن الأبار الإشبيلي
٤٧٨	٣٣٨ - « لابن العطار الإشبيلي
٤٧٨	٣٣٩ - « لابن الإمام صاحب السمط .
٤٧٨	٣٤٠ - ترجمة أبي الحسن الدباج النحوي
٤٧٩	٣٤١ - شعر لمالك بن وهيب وترجمته .
٤٨٠	٣٤٢ - أشعار لأبي الصلت .
٤٨٤	٣٤٣ - شعر لعبد الرحمن بن شبلق .
٤٨٤	٣٤٤ - « لابن نصر الإشبيلي .
٤٨٤	٣٤٥ - « لأحمد بن محمد الإشبيلي .
٤٨٥	٣٤٦ - « للأصبغ بن سيد .
٤٨٥	٣٤٧ - « لابن خيرة الصباغ .

٤٨٥	شعر لأبي بكر ابن حجاج	٣٤٨ -
٤٨٦	» للرصافي	٣٤٩ -
٤٨٦	» لأبي جعفر ابن الجزائر	٣٥٠ -
٤٨٧	أشعار لابن النبي أبي جعفر	٣٥١ -
٤٨٧	شعر لأبي المطرف ابن عميرة	٣٥٢ -
٤٨٨	» لأحمد بن طلحة	٣٥٣ -
٤٨٨	أشعار لابن خفاجة	٣٥٤ -
٤٨٩	ترجمة أبي بكر الأبيض	٣٥٥ -
٤٩٠	» الشلوين النحوي	٣٥٦ -
٤٩١	شعر لأبي إسحاق الإلييري	٣٥٧ -
٤٩٢	» لابن عبادة القزاز	٣٥٨ -
٤٩٢	ترجمة أبي الحسن ابن نزار	٣٥٩ -
٤٩٨	» أبي الأصمغ عبد العزيز بن الأرقم	٣٦٠ -
٤٩٩	شعر لعبد البر ابن فرسان	٣٦١ -
٤٩٩	» لحاتم بن سعيد	٣٦٢ -
٥٠٠	» للأعشى التطيلي	٣٦٣ -
٥٠٠	[من بدائه ابن ظافر]	
٥٠٢	شعر لابن شعبة الوادي آشي	٣٦٤ -
٥٠٢	أشعار لابن الحداد الوادي آشي	٣٦٥ -
٥٠٥	٣٦٦ ، ٣٦٧ - خبر عن الوزير أبي بلال (أو ابن البراق) وشعره	
٥٠٦	شعر لابن عذرة	٣٦٨ -
٥٠٧	» لابن مهلهل الجلياني	٣٦٩ -
٥٠٧	» لابن مطروح	٣٧٠ -
٥٠٨	» لمحمد بن نصر الأوسي	٣٧١ -
٥٠٨	٣٧٢ ، ٣٧٣ - أشعار لمحمد بن علي اللوشي وابنه عبد المولى	
٥١٢	شعر لحاتم بن سعيد	٣٧٤ -
٥١٢	شعر لمالك بن سعيد	٣٧٥ -
٥١٣	٣٧٦ - بين الرصافي والكتندي وأبي جعفر ابن سعيد	
٥١٨	ترجمة ابن الصابوني	٣٧٧ -
٥١٩	بديهة ابن أبي الفصالح	٣٧٨ -

٥٢٠	٣٧٩	— بين أبي بكر المتخل وابنه
٥٢١	٣٨٠	— ابن المرعزي الإشبيلي والمعتمد
	٣٨١	— شعراء اليهود (نسيم ، وابن سهل ، وابن الفخار ، وابن المدور ، وابن شمعون ، وقسمونة)
٥٢٢	٣٨٢	— ترجمة ابن رشيق القلعي
٥٣٠	٣٨٣	— خبر عن لب بن عبد الوارث القلعي
٥٣٢	٣٨٤	— أشعار الجاهلي بن خلف القلعي
٥٣٣	٣٨٥	— أخبار أبي يحيى ابن الرميحي
٥٣٣	٣٨٦	— شعر لأبي بحر ابن عبد الصمد
٥٣٤	٣٨٧	— « في بني عبد الصمد
٥٣٥	٣٨٨	— ترجمة أحمد بن عباس وزير زهير الصقلي
٥٣٦	٣٨٩	— شعر للأعشى التطيلي (لعله للأعشى المخزومي)
٥٣٧	٣٩٠	— « لابن الخيال الاستبي
٥٣٧	٣٩١	— « لعبد الملك بن سعيد الخازن
٥٣٧	٣٩٢	— هلال الفرناطي ومحمد بن الاستحي عند ابن حمدين
٥٣٨	٣٩٣	— شعر لمقدم بن معافى
٥٣٨	٣٩٤	— « لعبد الملك بن نظيف
٥٣٨	٣٩٥	— هلال الفرناطي يمدح ابن حمدين
٥٣٩	٣٩٦	— الأمير عبد الرحمن والزجالى
٥٤١	٣٩٧	— ترجمة منقولة من المطمح
٥٥٧	٣٩٨	— شخصية ابن أبي حلى
٥٥٨	٣٩٩	— جواب المرواني لتزار العبيدي
٥٥٨	٤٠٠	— ترجمة حريز بن عكاشة
٥٦١	٤٠١	— من أخبار المقتدر بن هود وشعره
٥٦٣	٤٠٢	— شعر لعبد البر ابن فرسان
٥٦٣	٤٠٣	— شجاعة ابن مردنيس
٥٦٤	٤٠٤	— ظرف القاضي محمد بن عيسى
٥٦٤	٤٠٥	— أندلسي يقابل المتنبي
٥٦٥	٤٠٦	— شعر لابن عبد ربه
٥٦٥	٤٠٧	— حكاية عن بلاغة ابن زيدون

٥٦٦	٤٠٨ - شعر لسليمان بن علي الشلبي .
٥٦٧	٤٠٩ - « لابن مهران .
٥٦٧	٤١٠ - « لابن السيد البطليوسي .
٥٦٧	٤١١ - « لابن صارة .
٥٦٧	٤١٢ - « لعبد الملك بن رزين .
٥٦٨	٤١٣ - « لابن عبد ربه .
٥٦٨	٤١٤ - انتحار أيوب بن مطروح .
٥٦٨	٤١٥ - رسالة من مالك بن سعيد عن الميوري الثائر .
٥٦٩	٤١٦ - أبو العرب الصقلي عند المعتمد .
٥٧٠	٤١٧ - عبد الله بن إبراهيم الحجاري يتحدث عن أجواد عصره .
٥٧٣	٤١٨ - بين ابن أزرق وابن عبد العزيز .
٥٧٣	٤١٩ - ذكر جملة من بني مروان وأشعارهم .
٥٩٥	٤٢٠ - أبو الحجاج المنصفي وابن مرج كحل .
٥٩٥	٤٢١ - غانم في مجلس باديس .
٥٩٦	٤٢٢ - شعر لأبي جعفر اللمائي .
٥٩٦	٤٢٣ - « لابن القبطرنة .
٥٩٦	٤٢٤ - « لأبي عامر ابن يتي .
٥٩٦	٤٢٥ - « لأبي الحسن اللورقي .
٥٩٧	٤٢٦ - « لأبي عيسى ابن لبون .
٥٩٧	٤٢٧ - « لأبي عامر ابن الحمامة .
٥٩٧	٤٢٨ - « لأبي العباس ابن السعود .
٥٩٧	٤٢٩ - « لأبي الحكم ابن غلنده .
٥٩٨	٤٣٠ - « للقاضي أبي موسى ابن عمران .
٥٩٨	٤٣١ - « لابن الجزار السرقسطي .
٥٩٨	٤٣٢ - الزهيري وصاعد وابن شهيد .
٥٩٩	٤٣٣ - شعر لابن حزم الفقيه .
٦٠٠	٤٣٤ - « لابن صارة .
٦٠٠	٤٣٥ - « لابن المطار الإشبيلي .
٦٠٠	٤٣٦ - « لابن صارة .
٦٠٠	٤٣٧ - « لسهل بن مالك .

٦٠١	٤٣٨ -	شعر لابن صارة .
٦٠١	٤٣٩ -	» لبعضهم في شكل يرمي الماء .
٦٠١	٤٤٠ -	» لصفوان بن إدريس .
٦٠١	٤٤١ -	» لابن وضاح .
٦٠٢	٤٤٢ -	» لابن عمار .
٦٠٢	٤٤٣ -	» لابن سعد الخير البلنسي :
٦٠٢	٤٤٤ -	» لابن أبي الخصال .
٦٠٢	٤٤٥ -	» لابن صارة .
٦٠٢	٤٤٦ -	» لابن خفاجة .
٦٠٣	٤٤٧ -	» لابن صارة .
٦٠٣	٤٤٨ -	» لابن وضاح .
٦٠٣	٤٤٩ -	» لأبي إسحاق الخولاني .
٦٠٣	٤٥٠ -	» لابن الأبار القضاعي .
٦٠٤	٤٥١ -	» لحازم القرطاجي .
٦٠٤	٤٥٢ -	» لابن سعد الخير البلنسي .
٦٠٤	٤٥٣ -	» لابن نزار الوادي آشي .
٦٠٤	٤٥٤ -	» لبعضهم في القراسية .
٦٠٥	٤٥٥ -	» لبعضهم .
٦٠٥	٤٥٦ -	» لمحمد بن عبد الرحمن بن هاني .
٦٠٥	٤٥٧ -	كتاب شذور الذهب .
٦٠٦		[عود إلى النقل عن بدائع البدائه]
٦٠٦	٤٥٨ -	بين ابن حمديس والحجام والمعتمد .
٦٠٧	٤٥٩ -	ابن جاج والمعتمد .
٦٠٩	٤٦٠ -	ابن جاج ويحيى القصاب السرقسطي .
٦٠٩	٤٦١ -	المتوكل وابن عبدون .
٦١٠	٤٦٢ -	بين ابن الغليظ وابن السراج المالقي .
٦١٠	٤٦٣ -	بين ابن عبادة وابن القابلة السبي .
٦١٠	٤٦٤ -	ابن شهيد والوزير أحمد بن عباس .
٦١٢	٤٦٥ -	بين المعتمد وابنه الرشيد .
٦١٢	٤٦٦ -	بين أبي الحسن ابن عشرة وابن سوار الأشبوني .

٦١٣	.	.	.	٤٦٧ — الأمير عبد الرحمن وابن الشعر والزجالي .
٦١٤	.	.	.	٤٦٨ — بين المعتمد وابن مرزقان .
٦١٤	.	.	.	٤٦٩ — ابن الصيرفي وابن السمط .
٦١٤	.	.	.	٤٧٠ — ابن غانم المالقي يميز بيتاً لابن المعتز .
٦١٥	.	.	.	٤٧١ — زرياب يغني بين يدي عبد الرحمن .
٦١٥	.	.	.	٤٧٢ — غناء بشعر ابن المعتز في مجلس المعتمد .
٦١٦	.	.	.	٤٧٣ — بين المعتمد وابن عمار .
٦١٦	.	.	.	٤٧٤ — بين ابن حمديس والمعتمد .
٦١٧	.	.	.	٤٧٥ — بين الناصر وابن لب وابن جهور .



Abu 'l- 'Abbās A. al- Maqqarī

NAFH AT-TĪB

III

Edited and Annotated

by

Ihsān 'Abbās, Ph. D.

Dar SADER

P.O.B. 10

BEIRUT, Lebanon

نَفْحُ الطَّيِّبِ

مِنْ

غَيْصِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِّيبِ

تأليف

الشيخ أحمد بن محمد القرني التلياني

حقيقته

الدكتور احسان عباس

المجلد الرابع

دار صادر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار صادر : صندوق بريد ١٠ - بيروت



الباب السابع

(تمة)

٤٧٦ — وقال ابن ظافر^١ : أخبرني مَنْ أثنى به قال : اجتمع الوزير أبو بكر ابن القبطرنة والأستاذ أبو العباس ابن صارة في يوم جلا ذهب برقه ، وأذاب ورق ودقه ، والأرض قد ضحكت لتعيس السماء ، واهترت وربت عند نزول الماء ، فترافدا في صفتها ، فقال ابن صارة :

هذي البسيطة كاعب أبرادها حلل الربيع وحلّيتها النوار
فقال ابن القبطرنة :

وكان هذا الجوّ فيها عاشق قد شقّه التعذيب والإضرار
فقال ابن صارة :

فإذا شكّا فالبرق قلب خافق وإذا بكى قدموعه الأمطار
فقال ابن القبطرنة :

فمن أجل عزة ذا وذلة هذه تبكي الغمام وتضحك الأزهار

١ البدائع ١ : ١٨٦ وهذا مكرر ، انظر ج ٣ : ٣٥٥ .

٤٧٧ — وقال أبو بكر محمد بن [الحسن] الزبيدي النحوي^١ صاحب الشرطة
يخاطب الوزير أبا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي لما كتب كتاباً له فيه « فاضت
نفسه » بالضاد — ميبناً له الخطأ دون تصريح :

قل للوزير السني محته	لي ذمة منك أنت حافظها
عناية بالعلوم معجزة	قد بهظ الأولين باهظها
يقير لي عمرها ومعمرها	فيها ونظامها وجاحظها
قد كان حقاً قبول حرمتها	لكن صرف الزمان لافظها
وفي خطوب الزمان لي عظة	لو كان يثني النفوس واعظها
إن لم تحافظ عصابة نسبت	إليك قدماً فمن يحافظها
لا تدعن حاجتي بمطرحة	فإن نفسي قد فاظ فائظها

فأجابه المصحفي :

خفّض فواقاً فانت أوحدها	علماً وثقايها وحافظها
كيف تضيع العلوم في بلد	أبناؤها كلهم يحافظها
ألفاظهم كلها معطلة	ما لم يعول عليك لافظها
من ذا يساويك إن نطقت وقد	أقر بالعجز عنك جاحظها
علم نبي العالمين عنك كما	ثني عن الشمس من يلاحظها
وقد أتنّتي فديت شاعلة	لنفس أن قلت فاظ فائظها
فأوضحنها تنز بنادرة	قد بهظ الأولين باهظها

فأجابه الزبيدي ، وضمن شعره الشاهد على ذلك :

أتاني كتاب من كريم مكرم
فنفس عن نفس تكاد تفيض

فسرَّ جميعَ الأولياءِ ورودهُ وسيءُ رجالٍ آخرونَ وغيظوا
لقد حفظَ العهدَ الذي قد أضاعهُ لديَّ سواهُ والكريمُ حفيظُ
وباحثتَ عنِ فاضلتَ وقبليَ قالها رجالٌ لديهم في العلومِ حظوظُ
روى ذلك عن كيسانَ سهلٍ وأنشدوا مقالَ أبي الغياضِ وهو مغيظُ
«وسميتَ غياظاً ولستَ بغائظٍ عدواً ولكن للصديقِ تغيظُ»
«فلا رَحِمَ الرحمنُ روحَكَ حَبَّةً ولا هي في الأرواحِ حين تغيظُ»

قلت : وفي خطاب الوزير بهذا البيت وإن حكى عن قائله ما لا ينبغي أن
اجتنابه المطلوب ، على أنه قد يقال «فاضت نفسه» بالضاد ، كما ذكره ابن
السكيت في خطل «الألفاظ» له ، والله أعلم .

وكتب الزبيدي المذكور إلى أبي مسلم ابن فهد^١ :

أبا مسلمٍ إنَّ الفتى يجنَّاهِ ومقبولِهِ ، لا بالمراكبِ واللبسِ
ولست ثيابُ المرءِ تغني قَلَامَةً إذا كان مقصوراً على قِصرِ النفسِ
وليس يفيدُ العلمَ والحلمَ والحجى أبا مسلمٍ طولُ القعودِ على الكرسي

وقال ، وقد استأذن الحكم المستنصر في الرجوع إلى أهله بإشبيلية ولم يأذن
له ، فكتب إلى جاريته سلمى^٢ :

ويحكِ يا سَلَمَ لا تُراعي لا بدَّ للبينِ من زماعِ
لا تحسبيني صَبْرْتُ إلاَّ كصبرِ مَيِّتٍ على التراعِ
ما خلَقَ اللهُ من عَذَابٍ أشدَّ من وقْفَةِ الوداعِ
ما بَيَّنَّهَا والحِمامُ فَرَّقَ لولا المناحاتُ والنواعي

١ الجذوة : ٤٣ .

٢ المصدر نفسه .

إنْ يَفْتَرِقُ شَمَلُنَا وَشِيكَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ ذَا اجْتِمَاعِ
فَكُلُّ شَمَلٍ إِلَى افْتِرَاقٍ وَكُلُّ شَعْبٍ إِلَى انْصِدَاعِ
وَكُلُّ قَرَبٍ إِلَى بَعَادٍ وَكُلُّ وَصَلٍ إِلَى انْقِطَاعِ

٤٧٨ - واجتمع جماعة من الأدباء فيهم أبو الحسن سهل بن مالك والمهر
ابن الفرس وغيرهما بمدينة سبتة سنة ٥٨١ ، فتذاكروا محبوباً لهم يسكن الجزيرة
الخضراء أمامهم ، فقالوا : ليقُلْ كلُّ واحد منكم شيئاً فيه ، فقال سهل بن
مالك^١ :

لَمَّا حَطَطْتُ^٢ بِسَبْتَةِ قَتَبِ النَّوَى وَالْقَلْبُ يَرْجُو أَنْ يَحْوَلَ حَالُهُ
وَالْجَوْ مُصْقُولُ الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا يُبْدِي الْخَفِيَّ مِنَ الْأُمُورِ صِقَالُهُ
عَايَنْتُ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ مَكْنَسَا وَالْبَحْرُ يَمْنَعُ أَنْ يُصَادَ غَزَالُهُ
كَالشَّكْلِ فِي الْمَرَاةِ تَبَصَّرَهُ وَقَدْ قَرُبْتُ مَسَافَتَهُ وَعَزَّ مَنَالُهُ

فقال الجماعة : والله لا يقول أحد منا بعد هذا شيئاً .

٤٧٩ - ولَمَّا قرأ أبو محمد عبد الله بن مطروح البكشسي صداق إملاك ،
وغيره فيه حال القراءة لفظة « غير » برفع ما كان منصوباً أو بالعكس ، أنشد بديهاً
بعد الفراغ معتذراً عن لحنه :

غِيْرَتْ غِيْرًا فَصِرْتُ غِيْرَا وَهَكَذَا مِنْ يَحْدُ سَيْرَا
فَأَجَابَهُ الْحَافِظُ أَبُو الرِّبْعِ ابْنَ سَالِمِ الْكُلَاعِي ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِهِ ، بَلَدِيَّةً :
مَا أَنْتَ مَعْنَى يُظَنُّ فِيهِ بِذَاكَ جَهْلٌ فَنُظِنُ خِيْرَا

١ اختصار القلح : ٦٢ .

٢ القلح : أنخت .

٤٨٠ — ووقف أبو أمية ابن حمّدون بباب الأستاذ الشلوين ، فكتب في ورقة « أبو أمية بالباب » ودفع الورقة لخادم الأستاذ ، فلمّا نظر إليها الأستاذ نوّن تاء أمية ، ولم يزد على ذلك ، وأمر الخادم بدفع الورقة إليه ، فلمّا نظر فيها أبو أمية انصرف ، علماً منه أن الأستاذ صرفه ، فانظر إلى فطنة الشيخ والتلميذ ، مع أن الشيخ منسوب إلى التغفل في غير العلم .

٤٨١ — ومن حكايات أهل الأندلس في العفو أن المعتصم بن صمّاح كان قد أحسن للنحلي البطلانيّوسي ، ثمّ إن النحلي سار إلى إشبيلية ، فمدح المعتصم ابن عباد بشعر قال فيه :

أباد ابنُ عبّادٍ البربرِ وأفنى ابنُ معنٍ دجاجَ القرى

ونسى ما قاله ، حتى حلّ بالمرية ، فأحضره ابن صمّاح لمناذمته ، وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير دجاج ، فقال النحلي : يا مولاي ، ما عندكم في المرية لحم غير الدجاج ؟ فقال : إنما أردتُ أن أكذبك في قولك :

وأفنى ابنُ معنٍ دجاجَ القرى

فطار سكر النحلي ، وجعل يعتذر ، فقال له : خفّضْ عليك ، إنما يتفق مثلك بمثل هذا ، وإنما العتب على من سمعه فاحتمله منك في حقّ مَنْ هو في نصابه ، ثمّ أحسن إليه وخاف النحلي ، ففر من المرية ، ثمّ ندم فكتب إلى المعتصم :

رضى ابن صمّاحَ فارقتُهُ فلم يُرضني بعده العالمُ
وكانت مَريَّتُهُ جَنَّةً فجئتُ بما جاءه آدمُ

فما زال يتفقده بالإحسان على بُعد دياره ، وخروجه عن اختياره ، انتهى .

٤٨٢ — وقال في بلنسية أبو عبد الله الرصافي ، وقد خرج منها صغيراً :

١ ديوان الرصافي : ٦٩ .

بلادي التي ريشَت قُويدمتي بها فَرِحْنَا وآوتني قرارها وكرا
مِهادي ولينُ العيش في ريتِ الصَّبَا أبى الله أن أنسى اعتيادي بها خيرا

٤٨٣ - وقال أبو بكر محمد بن يحيى الشلطي^١ :

وفاةُ المرءِ سِرٌّ لم يكشف ولم تثبتْ حقيقته درايةُ
سيفنى كلُّ ذي شبحٍ ونفسٍ وتلتحقُ النهايةُ بالبدايةُ
وينصدعُ الجميعُ إلى صدوعٍ تعودُ به البريةُ كالبرايةُ
كان مصائبَ الدنيا سهامٌ لها الأيامُ أغراضُ الرمايهُ
فنلَّ ما شئتَ إنَّ الفقرَ حدٌ وعش ما شئتَ إنَّ الموتَ غايهُ

٤٨٤ - وقال أبو بكر محمد بن العطار الياسي ، وهو من رجال الذخيرة :

أمطيتَ عَزمَكَ منه مَنَ ساجدةً خِلتَ الحبابَ على لَباتها لبا
تبدو على الموجِ أحيانا ويُضمِرُها كالعيسِ تعسفُ الأهْضامِ والكُثبا

٤٨٥ - وقال محمد بن الحسن الجيلي النحوي^٢ :

وما الأُنسُ بالناسِ الذين عهدتُهمُ بأنسٍ ولكن فقد رؤيتهم أنسُ
إذا سَلِمَتْ نفسي وديني منهمُ فحسبي أنَّ العِرْضَ مني لهم ترسُ

٤٨٦ - وقال محمد بن حرب^٣ :

طوبى لروضةِ جَنَّةٍ لك قد نويتَ ورودَها
نَظَمْتَ على لَباتها أيدي الغمامِ عَقودَها

١ يعرف يابن القابلة ، انظر المغرب ١ : ٣٥٢ والمسالك ١١ : ٢٢٧ .

٢ الجلوة : ٤٧ .

٣ هو محمد بن مروان بن حرب (الجلوة : ٨٥ ومقطوعته وردت فيها) .

وسقتُ بماء الوردِ والـ حسلِكِ الفتيتِ صعيدَها
والطيرُ تشدو في الغصو نِ المائداتِ قصيدَها
وتعيرُ سمعَ المستعيرِ رِ نظيمها وتَشيدَها

٤٨٧ — وكان في دار محمد بن اليسع شاعر الدولة العامرية وردة^١ ، وكان يهدي وردها كلَّ عام إلى عارض الجيش أحمد بن سعيد^٢ ، فغاب العارض سنة فقال :

قال لي الوردُ وقد لا حَظُّهُ في روضَتَيْهِ
وهو قد أينعَ طيباً جَمَعَ الحسَنَ لديه
أين مولاي الذي قد كنتَ تهديني إليه
قلتُ غابَ العامَ فأيأسُ أنْ تُرى بينَ يَدَيْهِ
فبدا يذبلُ حتّى ظَهَرَ الحُزْنُ عليه

٤٨٨ — وقال أحمد بن أفلح^٣ :

ما أَسْرِيحُ إلى حِصالٍ فأحمدَها بالينِ قلبي وقبلَ الينِ قد ذهبها
إن كان لي أربُّ في العيشِ بعدكم فلا قَضِيْتُ إذن من حبِّكم أربا

٤٨٩ — وقال أحمد بن تليد الكاتب^٤ :

لم أرضَ بالذلِّ وإنْ قَلَا والحرُّ لا يَحْتَمِلُ الدَلَا
يا رَبِّ خَيْلٍ كان لي خاملٍ صار إلى العزَّةِ فاحولاً
حَرَّمْتُ المامي على بابي ووَصَلُهُ لم أَرَهُ حِلًّا

١ ترجمته ومقدوعته في الجفوة : ٩٠ - ٩١ .

٢ الجفوة : سم .

٣ ترجمته وشعره في الجفوة : ١١٠ : زاد في م : وهو من الشعراء المجيدين .

٤ الجفوة : ١١١

تأبى عليّ النفسُ من أن أرى يوماً عليّ مستثقلٍ كلاً

٤٩٠ — وقال إسحاق بن المنادي ، وقد أهدى له مَنْ يهواه تفاحة ^١ :

مجالُ العينِ في وردِ الخلودِ يُذكرُ طيبَ جنّاتِ الخلودِ
وآرجةٌ من التفاحِ تزهو بطيبِ النشْرِ والحسنِ الفريدِ
أقولُ لها فضّحتِ المسكَ طيباً فقالتُ لي بطيبِ أبي الوليدِ

٤٩١ — وقال غالب بن عبد الله الشَّغْري ^٢ :

يا راحلاً عن سوادِ المقلتينِ إلى سوادِ قلبٍ عن الأضلاعِ قد رحلا
غدا كجسمٍ وأنتَ الروحُ فيه فما ينفكُ مرتحلاً ما دمت ^٣ مرتحلاً
وللفراقِ جَوَى لو مرَّ أبردُهُ من بعدِ فرقتكمُ بالماءِ ^٤ لاشتعلأ

٤٩٢ — وقال الوزير أبو الحسن ابن الإمام الغرناطي يهجو مراکش

المحرّوسة ^٥ :

يا حضرةَ الملكِ ما أشهاكُ لي وطناً لولا ضروبُ بلاءٍ فيكِ مَصِيبِ
ماءِ زُعاقٍ وجوٌّ كلَّهْ كَدَرٌ وأكلةٌ من بلدنجانِ ابنِ معيوبِ
وابنِ معيوبِ هذا كان من خدامِ أبي العلاء ابنِ زُهْر ، يزعم الناسُ أنه سمَّ

١ الجلوة : ١٥٨ - ١٥٩ .

٢ الجلوة : ٣٠٦ .

٣ الجلوة : إذ ظلت ؛ م ب : ما دام .

٤ الجلوة : بجاء الماء من البرق .

٥ زاد في م بعد هذه الأبيات : وقال المذكور من قصيدة وهو يدعي :

وما شجاني أنني كنت نائماً أطل من فرط الكرى بالنفسم
(في أريمة أبيات . . .)

٦ هو أبو الحسن علي بن الإمام الغرناطي كاتب تميم بن يوسف بن قاشفين (المغرب ٢ : ١١٦) .

ابن باجة لعداوته لابن زهر في باذنجان .

٤٩٣ - ولما بنى الفقيه أبو العباس ابن القاسم^١ قصره بسلا وشيّد به وصفّته الشعراء ، وهنّته به ، ودعت له ، وكان بالحضرة حيثنذ الوزير أبو عامر ابن الحمارة ، ولم يكن أعدى شيئا ، فأفكر قليلا ثم قال :

يا واحد الناس قد شيّدت واحدة فحلّ فيها محلّ الشمس في الحمل
فما كدارك في الدنيا لذي أمل ولا كدارك في الأخرى لذي عمل
وفيهم^٢ يقول ابن بقي في موشحة الشهيرة التي آخرها^٣ :

إن جئت أرض سلا تلقاك بالكارم^٤ فتيان^٥
هم سطور العُلا ويوسف بن القاسم عنوان

٤٩٤ - وكان محمد بن عبادة بالمرية ، ومعه ابن القابلة السبي ، فنظر إلى غلام وسيم يسبح ، وقد تعلق بمركب ، فقال ابن عبادة^٦ :

انظر إلى البدر الذي لاح لك

فقال ابن القابلة :

في وسط اللجة تحت الحلك

قد جعل الماء مكان السما واتخذ الفلك مكان الفلك

١ أبو العباس ابن القاسم من بني عشرة أعيان سلا وقد منحهم كثيرون من شعراء الأندلس والمغرب ومن مداحهم الأعمى التطيلي وابن بقي .

٢ يريد بني عشرة .

٣ انظر هذه الموشحة في ديوان التطيلي : ٢٧٢ .

٤ م : فيدان .

٥ انظر ما تقدم ج ٣ : ٦١٠ .

٤٩٥ - وقال ابن خروف ، ويروى لغيره^١ :

أَيْتَهَا النَّفْسُ إِلَيْهِ إِذْهَبِي فَجَبُّهُ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِي
مَفْضُضُ الثَّغْرِ لَهُ شَامَةٌ مَسْكِيَّةٌ فِي خَدِّهِ الْمَذْهَبِ
أَيَّاسُنِي التَّوْبَةَ مِنْ حُبِّهِ طُلُوعُهُ شَمْسًا مِنَ الْمَغْرَبِ

٤٩٦ - واجتمع في بستان واحد ثلاثة من شعراء الأندلس ، وهم : ابن خفاجة ، وابن عائشة ، وابن الزقاق ، فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك^٢ :

لِلَّهِ نَوْرِيَّةٌ الْحَيَا تَحْمِلُ فَارِيسَةَ الْحُمَيَا
دُرْنَا بِهَا تَحْتَ ظِلِّ دَوْحٍ قَدْ رَاقَ مَرَأَى وَطَابَ رِيَا
تَجَسَّمَ النُّورُ فِيهِ نُورًا فَكَلَّ غَصْنٍ بِهِ ثَرِيَا

وقال ابن عائشة^٣ :

وَدُوحَةٌ قَدْ عَلَتْ سَمَاءَ تَطْلُعُ أَزْهَارُهَا نَجُومَا
هَفَا نَسِيمُ الصَّبَا عَلَيْنَا فَعَلَّتْهَا أَرْسَلَتْ رَجُومَا
كَأَنَّمَا الْأَفْقُ غَارَ لَنَا بَدَّتْ فَأَغْرَى بِهَا النَّسِيمَا

وقال ابن الزقاق^٤ :

وَرِيَاضٍ مِنَ الشَّقَاتِ أَضْحَتْ يَشْهَادِي بِهَا نَسِيمُ الرِّيحِ
زُرْنَهَا وَالْغَمَامُ يَجْلِدُ مِنْهَا زَهْرَاتٍ تَفُوقُ لَوْنَ الرَّاحِ

١ نسبها ابن سعيّد (في القسم الخامس بصقلية) لأبي القاسم ابن طلحة الصقلي وكان في دولة منصور بن عبد المؤمن .

٢ ديوان ابن خفاجة : ٧٦ .

٣ المغرب ٢ : ٣١٤ .

٤ ديوانه : ١٢٥ وقد مرّت الأبيات ج ٣ : ٢٠٠ ، ٣٧٦ .

قلتُ ما ذنبها فقال مجيباً سرقت حمرة الخلود الملاح

٤٩٧ - وقال الأديب أبو الحسن ابن زنون : وقع بيدي وأنا أسير بقيجاجة^١
- أعادها الله تعالى دار إسلام - كتاب ترجمته «كتاب التحف والطرف» لابن
عفيون فوجدت فيه : قال الحسين بن الضحاك^٢ :

ما كان أحوجني يوماً إلى رجلٍ في وسطه ألف دينارٍ على فرسٍ
في كفه حربةٌ يقري الدروع بها وصارمٌ مرهفٌ الحدين كالقَبَسِ
فلو رجعتُ ولم أظفرُ بمهجته وقد خضبتُ ذباب الصارم الشكسِ
فلا اغتبطُ بعيشٍ وابتليتُ بما يحولُ بيني وبين الشادن الأَنِسِ
ووقف على هذه القطعة أبو نواس فقال :

ما كان أحوجني يوماً إلى شَنِيتٍ حلّو الشمائل في باقٍ من الغَلَسِ
في كفه قهوةٌ يسبي^٣ النفوس بها محكّم الطرف للألبابِ مختلسِ
فلو رجعتُ ولم أظفرُ بتكته وقد رويتُ من الصهباء كالقَبَسِ
فلا هنيئُ بعيشٍ وابتليتُ بما يكونُ منه صدودُ الشادنِ الأَنِسِ
هذا الذئبُ وأشهى من منى رجلٍ في وسطه ألف دينارٍ على فرسِ
ووقف على ذلك الوزير أبو عامر ابن يتق فقال :

ما كان أحوجني يوماً إلى رجلٍ يردُّ الذكر في باقٍ من الغلسِ
في حلقه غُنةٌ يشفي النفوس بها وفي الحشا زفرةٌ مشبوبة القَبَسِ
فلو رجعتُ ولم أؤثر تلاوته على سماعِ غناء الشادنِ الأَنِسِ

١ تعد قيحاجة من أصال جيان ، وكانت مدينة نزهة في نهاية من الحصب .

٢ لم ترد في ديوانه ، جمع الأستاذ عبد الستار فراج .

٣ ق : يشي .

فلا حمدت إذن نفسي ولا اعتمدت^١ بي النجائب قصد البيت والقدس^١
ولا أسلت^٢ بقبر المصطفى. مقللاً تبكي عليه بهامي الدمع منبجس.

فوقفت على ذلك - يقول ابن زنون - فقلت : وكل^٣ ينفق ممّا عنده ، ومن
عجائب الله أنه عند فراغي من كتّيب هذه القطعة وصل الفكّالك إليّ ، وحل قيودي
وأخرجني إلى بلاد المسلمين ، وهي :

ما كان أحوجني يوماً إلى رجل^٤ يأتي فينبهني في فحمة الغلس^٤
يفكّ قيدي وغلّي غير مرتقب^٤ ولا مبال^٤ من الحجاب والخرس^٤
وقوله لي تأنيساً وتسليّةً هذا سلاحي فالبسهُ وذا فرسي^٤
فلو جبّنتُ ولم أقبل^٤ مقالته^٤ وأمتطي الطرف وثباً فعل مفترس^٤
إذن خلعتُ لباسَ المجد من عنقي وصار حظي منه حظّ غنّلس^٤
وأخلفني أمانيّ التي طمّحت^٤ نفسي إليها وإحساني لكلّ^٤ مُسي

٤٩٨ - وقال أبو بكر ابن حبيش ، وقد زاره بعض أودّائه في يوم عيد فطر :

أكل^٥ ذا الإجمالي في ذا الجمال^٥ الله أستحفظ^٥ ذاك^٥ الكمال^٥
يا مالكا بالبرّ رقيّ أما يكفيك^٥ أن تملكني بالوصال^٥
سرت^٥ إلى ربّعي زوراً كما سرى إلى المهجور طيف الخيال^٥
العيد^٥ لي وحدي بين الوريّ حقاً لأنّي قد رأيتُ الملّال^٥
صوميّ مقبول^٥ وبرهائه^٥ أني أدخلتُ جنان الوصال^٥

٤٩٩ - وقال أبو بكر ابن يوسف اللخمي ، وقد عاده في شكايه في وسيم
من الأعيان كان والده خطيب البلده :

١ ق ب : في القدس ؛ وأثبتنا رواية م .
٢ ب : ولا يبال ؛ والبيت متأخر عن تاليه في م .

يا عائدي وهنّ أصلُ ما بي أفنديك من ممرضٍ طيبٍ
أصميتُ لما رميتَ قلبي بسهمِ الحاذقِ المصيبِ
وجئتني منكرًا لسقي وتلك من عادةِ الحبيبِ
يا ساعةً قد غفرتُ فيها ما كان للدهرِ من ذنوبِ
ما كان في فضلها مقالٌ لو لم تكنُ جلسةَ الخطيبِ

٥٠٠ - وخاطب أبو زيد ابن أبي العافية أبا عبد الله ابن العطار القرطبي

بقصيدة منها هذا البيت :

وكيف يُفَيِّقُ ذو صبرٍ قصيرٍ حليفٌ وساوسٍ حولٍ طوالٍ

يعرّض له بطوله وحوله ، ولصاحبه أبي محمد ابن بلال بقصره ، فراجعه أبو عبد الله المذكور بهذه الأبيات يعرّض له فيها بجرّبه ، وكان أبو زيد أصابه جرّبٌ كثير :

أجلُ يا نافثَ السحرِ الحلالِ أتاني منكَ فظمٌ كاللآلي
يروقكَ أولاً لفظاً ومعنى ويلدغُ آخرأً لدغَ الصّلالِ
تُعَرِّضُ فيه أنكَ ذو مطالٍ حليفٌ وساوسٍ حولٍ طوالٍ
كأنكَ لم تجرّبَ قطُّ خلقاً ولم تعرف بتجربةِ الليالي
أنسيتَ التجاربَ إذ تجاري بينَ الجُرياءِ مع الشمالِ
فلا تَغْفَلْ عن التجريبِ يوماً ولو أعطيتَ فيه جِرَابَ مالٍ
وجرّبَ جارَ بيتك واختبره وجُرَّ برجله إن كان قالي
وجارُ بنيك لا تستحي منه ومن نجارِ بابك لا تبالِ
وأجرِ بيالك الجُرياءِ تبصرُ نجومَ الأفقِ تجري بانتقالِ
وجرّبَ أهلَ جربةٍ تُلَفِّ قوماً أبوا لبسَ الجواربِ والنعالِ
تجاراً باعةً تجرّوا بزيتٍ تسمّوا بالتجارِ بغيرِ مالٍ

إذا سمعوا بتمرٍ في جريبٍ جَرَوْا ببطاء ذي التمر^١ البوالي
إذا جَرَبْتَ هذا الخلقَ أبدى لك التجريبُ أجربةً خوالي
جرى بالنُّججِ دهرًا جرًّا بؤسًا عليك وجار بالنُّوبِ الثقالِ

٥٠١ - وخرج ثلاثة أدباء لتزفة خارج مرسية ، وصلّوا خلف إمام بمسجد قرية ، فأخطأ في قراءته ، وسها في صلاته . فلما خرج أحدهم كتب على حائط المسجد :

با حَجَلْتِي لصلاةٍ صَلَّيْتُهَا خَلْفَ خَلْفٍ^٢
فلما خرج الثاني كتب تحته :
أَغْضُ عَنْهَا حَيَاءٌ مِنْ الْمُهَيَّمِ طَرْفِي
فلما خرج الثالث كتب تحته :

فليسَ تُقْبَلُ مِنَّا لو أنها ألفُ ألفٍ

٥٠٢ - وقال أبو إسحاق ابن خفيف الأندلسي^٣ في أحدب أخذ مع صبي في خلوة ففُضِرَا . وطيفَ بهما ، والأحدب على عنق الصبي :

رَأَيْتُ الْيَوْمَ مَحْمُولًا وَأَعْجَبُ مِنْهُ مَنْ حَمَلَهُ
جِمالُ النَّاسِ تَحْمِلُهُمْ وَهَذَا حَامِلٌ جَمَلَهُ

٥٠٣ - وقال أبو الصلت الأندلسي^٤ :

١ ب : ابطاء للتمر ؛ م : ببطانة التمر .

٢ الخلف : المتخلف الذي لا خير فيه .

٣ الأندلسي : زيادة من م .

٤ مر البيتان ج ٣ : ٣٥٦ وزاد بعدهما في م : وقوله أيضاً فيما قرب من هذه :

وقائلة ما لي أراك مجانباً أموراً وفيها التجارة مريع
فقلت لها ما لي بربحك حابة ونحن أناس بالسلامة نفرح

وقائلة ما بالُ مثلكَ خاملاً أأنتَ ضعيفُ الرأي أم أنتَ عاجزُ
فقلتُ لها ذنبي إلى القوم أنتي لا لم يحوزوه من المجدِ حائزُ

٥٠٤ - وكتب بعض المغاربة لأبي العباس ابن مضاء يذكره بحاله :

يا غارساً لي ثمار مجد سقيتها العذب من زلالك
أخافُ من زهرها سقوطاً إن لم يكن سقيها ببالك

٥٠٥ - وكتب الكاتب أبو عبد الله القرطبي مستنجزاً وعداً :

أبا عبد الإله وعدت وعداً فأعجزُ تربعِ الشكر الجزيلا
ولا تمطلُ فإن المَطلَ يحو من الإحسان روثقه الصقلا
إذا كان الحميلُ يحب طبعاً فإني أكره الصبر الحميلا

٥٠٦ - وكتب ابن هذيل الفزاري للغني بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب :

ليسَ يا مولاي لي من جابرٍ إذ غدا قلبي من البلى جُدا
غيرَ صكِّ أحمرٍ تكتبُ لي فيه يَمناكَ اعتناء : صَحَّ هذا

٥٠٧ - وقال أبو الحسن ابن الرقاق في غلام يهودي كان يجلس معه ويناديه

يوم السبت^١ :

وحبَّ يومَ السبتِ عندي أنتي بنادمي فيه الذي أنا أحبُّ
ومن أعجب الأشياءِ أنتي مسلمٌ حنيفٌ، ولكن خيرُ أيامي السبتُ

٥٠٨ - وقال أبو حيان^٢ :

ويعجبي رشفُ تلك الشفاهِ وعضُ الخلودِ وهصرُ القوامِ

١ ديوان ابن الرقاق : ١١٣ .

٢ زاد في م : النحوي في الأوصاف .

محاسنُ فانتُ قضيبَ الأراكِ ووردَ الرياضِ وكأسَ المدامِ

٥٠٩ - وكتب أحد الأدباء بمُرْسِيَّة إلى فتي وسيم من أعيانها كان يلزم حانوت بعض القضاة بها للتفقه عليه ، بأبيات في غرض ، فراجع عنه أبو العباس ابن سعيد بقوله :

ما للمحبِّ لديَّ غير صبايةٍ تقضي عليه ولَوَعَةٍ وغرامِ
فدع الطماعةَ واسترحْ باليأسِ من وصلِّ عليك إلى المماتِ حرامِ
٥١٠ - وقال السميسر^١ :

قرايةُ السوءِ شرٌّ داءٍ فاحملْ أذاهمْ تعشْ حميدا
ومن تكنْ قُرُوحَةً بفيهٍ يصبرْ على مصّةِ الصليدا
٥١١ - وقال ابن خفاجة^٢ :

إنَّ للجنّةِ بالأنْدلسِ مجتلى عين وريّا نفّسِ
فَسَنّا صُبْنَحْتها من شَنَبٍ ودُجى ليلتها من لَعَسِ
فلإذا ما هبَّت الريح صباً صيحتْ واشوقي إلى الأندلسِ

٥١٢ - وقال بعض الأندلسيين ممّن لم يحضرني اسمه الآن :

إذا صال ذو ودٍ بودّ صديقه فيا أيها الخللُ المصاحبُ لي صلِّ بي
فلئنّي مثلُ الماءِ ليناً لصاحبي وناهيك للأعداءِ من رجُلٍ صلبِ

٥١٣ - وقال أبو يحيى ابن هشام القرطبي :

وخائطٍ رائعٍ جمالاً وصاله غايّةُ اقتراحي

١ زاد في م : الشاعر ، في قرياء السوء .

٢ ديوان ابن خفاجة : ١٣٦ وزاد في م : السابق ذكره أولا .

تَنَعُّمٌ مِنْهُ الْخَيَوطُ فَتَلَا بَيْنَ أَقَاحٍ وَبَيْنَ رَاحٍ
تَرَاهُ فِي السَّلْمِ ذَا طَعَانٍ بِنَافِذَاتٍ بِسَلا جَرَّاحٍ
حَلَقَتُهُ أَشْبَهَتْ فَوَادِي لَكثْرَةِ الْوُخْزِ فِي النُّوَاحِي
تُقَطِّعُ الثَّوبَ رَاحَتَاهُ كَصِنْعِ الْحَاطِيهِ الْمَلَّاحِ
فَقَبْلَهُ مَا رَأَيْتُ بَدْرًا مَمَزَّقًا بُرْدَةَ الصَّبَاحِ

٥١٤ - وقال أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البَلَنْسِي ٢ :

غَصِبَتِ الثَّرِيًّا فِي الْبَعَادِ مَكَانَهَا وَأَوْدَعَتْ فِي عَيْنِي صَادِقَ نَوْثِهَا
وَفِي كُلِّ حَالٍ لَمْ تَزَلِي بِخَيْلَةٍ فَكَيْفَ أَعْرَتِ الشَّمْسُ حُلَّةَ ضَوْثِهَا

قال ابن الأثير : أنشد مؤلف « قلائد العقيان » هذين البيتين لأبي جعفر
البي العمري ، وأحدهما غلط من قبل اشتباه نسبهما ، والفرقة بينهما مستوفاة في
تأليف المسمى بـ « هداية المعترف في المؤلف والمختلف » انتهى .

وأبو جعفر ابن عبد الولي المذكور أحرقه القنيطور - لعنه الله تعالى - حين
تغلبه بالروم على بَلَنْسِيَّة . قال ابن الأثير : وذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ،
وقيل : إن إحراقه كان سنة تسعين وأربعمائة ، انتهى .

٥١٥ - وقال أبو العباس القيجاطي فيما أنشده له ابن الطليسان ٣ :

لَيْسَ الْخَمُولُ بِعَارٍ عَلَى أَمْرِي ذِي جَلَالٍ
فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ تَخْفَى وَتَلْكَ خَيْرُ اللَّيَالِي

١ ب : الوجد .

٢ التكملة : ٢٤ ؛ وفي م : وكتب أبو جعفر ابن عبد المولى إلى أحمد البلنسي ؛ وانظر ج ٣ : ٨٧ .

٣ التكملة : ٤٦ .

٥١٦ - وقال أبو محمد ابن جحاف المَعافري البَلَكَنسي^١ :

أقولُ وقد خوّفوني القِرانَ وما هو من شرّه كائنُ
ذَنوبِي أخافُ وأما القِرانُ فإِنِّي مِمنْ شرّه آمِنُ

وأبوه أبو أحمد هو المحرّق بيلنسية كما ذكرناه في غير هذا الموضع .

٥١٧ - وقال أبو العباس المالقي^٢ :

وبينَ ضلوعي للصبايةِ لوعةٌ بحكمِ الهوى تقضي عليّ ولا أقضي
جنى ناظري منها على القلبِ ما جنى فيا مَنْ رأى بعضاً يُعِينُ على بعضٍ

٥١٨ - ودخل أبو القاسم ابن عبد المنعم ، وكان أزرق وسيماً ، ومعه أبو
عبد الله الشاطبي وأبو عثمان سعيد بن قوشرة ، على صاحب كتاب « مشاهد
الأفكار في مآخذ التَّنظُّار » فقال ابن قوشرة :

عابوهُ بالزَّرَقِ الذي يَجفونهِ والماءُ أزرقُ والسَّنانُ كذلكا

فقال الشاطبي :

والماءُ يُهْدِي للنفوسِ حياتَها والرمحُ يشرعُ للمنونِ مسالكا

فقال أبو بكر ابن طاهر صاحب كتاب « المشاهد » :

وكذاك في أجفانه سببُ الردى لكنْ أرى طيبَ الحياة هنالكا

وهذا من بارع الإجازة ، وكَمَّ لأهل الأندلس من مثلِ هذا الديباج
الحُسْرُواني ، رحمهم الله تعالى وسامعهم .

١ التكملة : ٥٦ .

٢ التكملة : ٦٩ .

٥١٩ - وكتب الشيخ الإمام العالم العلامة أبو عبد الله محمد بن الصائغ الأندلسي النحوي عند قول الحريري^١ «أما أن يُعززا بثالث» ما نصّه : قد جيء لهما بثالث ورابع في قافيتهما . وهو قول بعض الفضلاء :

ما الأمةُ الكُعاءُ بينَ الوري كسليمٍ حرٍّ أتى ملاءمةً
فَمَهْ إِذَا اسْتَجْدَيْتَ مِنْ قَوْلٍ لَا فَالحرُّ لَا يَمْلَأُ مِنْهَا فَمَهْ
ثم قال : وبخامس وسادس :

انقَدْ مَهْوَى أَزْرِهِ فَانْثَى مَهْ يَا عَلُولِي فِي الَّذِي انقَدْ مَهْ
مَنْدَمَهْ قَتْلُ الْمَعْنَى فَلَا تُرْسِلْ سَهَامَ اللَّحْظِ تَأْمَنُ دَمَهْ

قلت : رأيت في المغرب^٢ في هذا المعنى ما ينيف على سبعين بيتاً كلها مُسَاجِلَةٌ لبيبي الحريري ، رحمه الله تعالى^٣ .

٥٢٠ - وقال أبو بكر عبادة الشاعر في أبي بكر والد الوزير أبي الوليد ابن زيدون :

أَيُّ رَكْنٍ مِنَ الرِّيَاسَةِ هِيضًا وَجَمُومٍ مِنَ الْمَكَارِمِ غِيضًا
حَمَلُوهُ مِنْ بِلَدَةٍ نَحْوِ أُخْرَى كَيْ يَوَافُوا بِهِ ثَرَاهُ الْأَرِيضَا
مِثْلَ حَمَلِ السَّحَابِ مَاءً طَيِّبًا لَتَدَاوِي بِهِ مَكَانًا مَرِيضَا

وكان المذكور توفي في ضيعة له . ونُقلَ تابوته إلى قُرْطُبَةٍ فدفن في الرَبَضِ سنة ٤٠٥ ، وولد سنة ٣٠٤ .

٥٢١ - وقال أبو بكر ابن قزمان صاحب الموشحات^٤ :

١ ق : قول لبيبي الحريري .

٢ أكبر الظن أنه يعني هنا بلاد المغرب لا كتاب المغرب .

٣ انظر الذيل والتكملة ٤ : ٤٩ - ٥٣ حيث أورد نماذج من هذه المساجلة لبيبي الحريري .

٤ الأصح أن يقول : صاحب الأزجال .

وعهدي بالشبابِ وحُسنِ قَدَيِ حكى أليفَ ابنِ مُقلّةٍ في الكتابِ
فصرتُ اليومَ منحنياً كأنّي أفتّشُ في الترابِ على شبابي
وقال^١ :

يا ربّ يومٍ زارني فيه مَنْ أطلع من غُرَّتِه كوكبا
ذو شَفّةٍ لَمِيَاءٍ معسولةٍ ينشعُ من خَدَّيْهِ ماءُ الصبا
قلتُ له هَبْ لي بها قِبلَةً فقال لي مبتسماً مَرَحِباً
فلدقتُ شيئاً لم أذقُ مثلهُ لله ما أحلى وما أعذبا
أسعدني الله بإسعادِهِ يا شقوتي يا شقوتي لو أبى

قال لسان الدين : كان ابن قزمان نسيجَ وَحْدِهِ أدباً وظرفاً ولَوْدَعِيّةٍ وشهرةً ، قال ابن عبد الملك : كان أديباً بارعاً ، حلّو الكلام ، مليح التندير ، مبرزاً في نظم الزجل^٢ ، قال لسان الدين : وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع ، وتنفسح لكثير ممّا يضيّق على الشاعر سلوكه ، وبلغ فيها أبو بكر ، رحمه الله تعالى ، مبلغاً حَجَرَهُ الله عن سواه ، فهو آيتها المعجزة ، وحجتها البالغة ، وفارسها المُعَلِّم ، والمبتدئ فيها والمتعمّ .
وقال الفتح في حقه^٣ : مبرز في البيان ، ومُحَرِّزٌ للسَّبْقِ عند تسابق الأعيان ، اشتمل عليه المتوكّل على الله فرقاؤه^٤ إلى مجالس ، وكساه ملابس ، فامتطى أسنى الرتب وتبوّأها ، ونال أسنى الخطط^٥ وما تمّ لأها ، وقد أثبت^٦

١ م : وقال المذكور أيضاً في زيارة الحبيب .

٢ قال لسان . . . الزجل : سقطت هذه العبارة من ق .

٣ القلائد : ١٨٧ .

٤ القلائد : الحصل .

٥ القلائد : اشتمالاً أرقاه إل . . .

٦ القلائد : الخطوط .

له ما يُعلم به رفيع قدره^١ ، ويُعرف كيف أساء له الزمان بغدّره ، كقوله :
 ركبوا السيولَ من الخيولِ وركبوا فوقَ العوالي السُّمُرِ زُرُقَ نطافٍ
 وتجلّلتوا الغدرانَ من ماذيهمُ مرتجّةً إلا على الأكتافِ^٢
 والمآذي : العسل ، والنطاف : جمع النطفة ، وهي الماء الصافي قل أو كثر.

٥٢٢ - [تقول من المطمح]

1 - وقال الفقيه أبو بكر ابن القوطية صاحب «الأفعال» في اللغة
 والغريب ، في زمن الربيع^٣ :

ضحك الثرى وبدا لك استشاره^٤ فاخضرّ شاربهُ وطرّ حذارهُ
 وركتَ حداقهُ وزررَ نبتهُ وتعطرتْ أنوارهُ وثمرارهُ
 واهترّ ذابلُ كلِّ ماءٍ قرارة^٥ لئلا أنى متطلعاً آذارهُ
 وتعمّمتْ صلحُ الرُّبى نباته وترنمت من عُجمة أطيارهُ

وقال في المطمح في حق ابن القوطية المذكور^٦ : إنه ممّن له سَلَفٌ ، وثنية^٧
 كلّها شَرَفٌ ، وهو أحد المجتهدين في الطلب ، والمشتهرين بالعلم والأدب ،
 والمتدبين للعلم والتصنيف ، والمرتبّين له بحسن الترتيب والتأليف ، وكان له
 شعر نبيه ، وأكثره أوصاف وتشبيه ، انتهى .

2 - وقال القاضي الأجل^٨ يونس بن عبد الله بن مغيث^٩ :

١ القلائد : ما تعلم به حقيقة قدره .

٢ ب : الأعطاف .

٣ المطمح : ٥٩ والبديع : ٢٠ .

٤ المطمح : ودنت . . . وآزر . . . ؛ البديع : ورهت . . . وآزر . . . وتعطرت .

٥ البديع : كل نبت .

٦ المطمح : ٥٨ .

٧ المطمح : ٥٩ .

أتوا حسبةً إذ قيل جدُّ نُحوله فلم يبقَ من لحمٍ عليه ولا عظمٍ
فعادوا قميصاً في فراشٍ فلم يروا^١ ولا لمسوا شيئاً يدلُّ على جسمٍ
طواه الهوى في ثوبٍ سقمٍ من الضنى وليس بمحسوسٍ بعينٍ ولا وهمٍ

وقال في المطمح فيه : إنه قاضي الجماعة بقرطبة ، فاضل ورع مبرز في
النسك والزهاد ، دائم الأرق في التخشع والسهاد ، مع التحقق بالعلم والتميز
بجمله^٢ ، والتحيز إلى فئة الورع وأهله ، وله تأليف في التصوف والزهد^٣ ، منها
كتاب « المنقطعين إلى الله » وكتاب « المجتهدين » وأشعار في هذا المعنى ، منها
قوله :

فررتُ إليك من ظلمي لنفسي وأوحشني العبادُ وأنت أنسي
قصدتُ إليك منقطعاً غريباً لتؤنسَ وحلتي في قعرٍ رمسي
وللعظمى من الحاجاتِ عندي قصدتُ وأنت تعلمُ سرَّ نفسي

ولما أراد المستنصر بالله غزو الروم تقدم إلى أبي محمد والده بالكويت في
صحبه ، ومسايرته في غزواته ، فاعتذر بعذر يجده ، وألم لا ينجده ، فقال له
الحكم : إن ضمن لي أن يؤلف في أشعار خلفائنا بالشرق والأندلس مثل كتاب
الصولي في أشعار خلفاء بني العباس أعفيتها من الغزاة ، وجازيته أفضل المجازاة ،
فأجابته إليه على أن يؤلفه بالقصر ، فزعم أنه رجل مزور ، وأن ذلك الموضع
ممنوع على من يُلْمُ به ويزور ، فألقه بدار الملك المطللة على النهر ، وأكمله فيما
دون شهر ، وتوفي والمستنصر بعد في غزاته^٤ .

١ م ق ب : فلم يجد .

٢ المطمح : والتميز بفضله .

٣ المطمح : وله تصانيف في الزهد والتصوف .

٤ في الأصول : وتوفي المستنصر إذ ذاك ؛ وهو خطأ واضح لأن المستنصر توفي سنة ٣٦٦ هـ وفي
المطمح : وتوفي بعد المستنصر في غزاته .

3 - وقال ابن سيده صاحب « المحكم » يخاطب إقبال الدولة :

ألا هل إلى تقييل راحتك اليمنى سبيل^١ فإن الأمن في ذاك واليمنى

قال في المطمح^١ : الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن سيده إمام في اللغة والعربية ، وهُمام في الفئة الأدبية ، وله في ذلك أوضاع ، لأفهام أخلافها استلزار واسترضاع ، حررها تحريراً ، وأعاد طرف الذكاء بها قريراً ، وكان منقطعاً إلى الموفق صاحب دانية ، وبها أدرك أمانيه ، ووجد تجرده للعلم وفراغه ، وتفرد بتلك الإراغة ، ولا سيما كتابه المسمى بالمحكم ، فإنه أبدع كتاب^٢ وأحكم ، ولما مات الموفق راثى جناحه ، ومثب غرره وأوصاحه ، خاف من ابنه إقبال الدولة ، وأطاف به مكروهاً^٣ بعض من كان حوله ، إذ أهل الطلب كحيات مسورة ، ففر إلى بعض الأعمال المجاورة ، وكتب إليه منها مستعطفاً :

ألا هل إلى تقييل راحتك اليمنى	سبيل ^١ فإن الأمن في ذاك واليمنى
فتنضى هموم ^٢ طلحت خطوبها	ولا غارباً يبقين منه ولا متنا
غريب ^٣ نأى أهله عنه وشقه	هواهم ^٤ فأمسى لا يقر ولا يهنا
فيا ملك الأملاك إنني مُحلا	عن الورد لا عنه أذاد ولا أدنى
تحققت مكروهاً فأقبلت شاكياً	لعمري أأذن ^٥ لعلك أن يعنى
وإن تتأكد في دمي لك نية ^٦	فإنني سيف لا أحب له جفنا
إذا ما غدا من حر سيفك بارداً	فقدما غدا من برد نعماكم سخنا
وهل هي إلا ساعة ^٧ ثم بعدها	ستقرع ما عمرت من ندم سينا

١ المطمح : ٦٠ .

٢ المطمح : كتاب في اللغة ؛ م : في فته .

٣ المطمح : مكروه .

وما لي من دهري حياةً ألدّها فتجعلها نُعمى عليّ وتمتّت
إذا ميتةً أَرْضتكَ عنّا فهاتِها حبيبٌ إلينا ما رَضيتَ به عنّا

4 — وقال الفقيه أبو محمد غانم بن الوليد الأندلسي المخزومي المالقي^١ :

صَبِرَ فؤادك للمحبوبِ منزلةً سَمَّ الخياطِ مجالاً للمحبِّينِ
ولا تسامحْ بغيضاً في معاشرَةٍ فقلّما تَسعُ الدنيا بَغِضَينِ

وله :

الصبرُ أولى بوقارِ الفتي من قَلَتِ يَهتِكُ سَرَ الوقارِ
مَنْ لَزِمَ الصبرَ على حالةٍ كانَ على أَيْامِهِ بالخيارِ

وقال في المطمح فيه : إنّه عالم مُتَقَرِّس ، وفقيه مُدَرِّس ، وأستاذ متجَرِّد^٢ ،
وإمام لأهل الأندلس مجود ، وأما الأدب فكان جُلَّ شِرْعَتِهِ ، ورأس بغيته ،
مع فضل وحسن طريقة ، وجدِّ في جميع الأمور وحقيقة ، انتهى .

د — وقال المحدث الحافظ أبو عمر ابن عبد البر يوصي ابنه بمقصورة^٣ :

تَجافَ عن الدنيا وهَوْنٌ لقدرها ووفَّ سبيلَ الدين بالعروة الوثقى

١ المطمح : ٦٠ - ٦١ ؛ وفي م لم يرو هذين البيتين له وأورد بهلما قوله :

أهل الحراية والفساد من الورى يعزون في التشبيه للذكار
مرآهم ذكراً إذا ما أبصروا فوق الجلوع وفي ذرى الأسوار
لو عم فضل الله جملة خلقه ما كان أكثرهم من أهل النار

وقوله : الصبر أولى بوقار الفتي

والأولان وردا في ج ٣ : ٢٦٥ ، ٣٩٨ ، ٤٤٧ ، والثاليان وردا في ج ٣ : ٣٩٨ .

٢ المطمح : مجود .

٣ المطمح : ٦٢ ، وترجمة ابن عبد البر : ٦١ .

وسارعُ بتقوى الله سرّاً وجهرةً
ولا تنسَ شكرَ الله في كلِّ نعمةٍ
فدعْ عنك ما لا حظَّ فيه لعاقِلٍ
وشعْ بأيّامٍ بَقِيْنَ قلائِلٍ
ألم ترَ أنَّ العمرَ يمضي مولياً
نخوضُ ونلهو غفلةً وجهالةً
تواصلنا فيهِ الحوادثُ بالردى
عجبتُ لنفسٍ تبصرُ الحقَّ بيّناً
وتسعى لما فيهِ عليها مَضَرَّةٌ
ذنوبي أخشاهما ولستُ بآيسَ
وإن كان ربي غافراً ذنبَ مَنْ يشاءُ
فلا ذمة أقوى هُدَيْتَ من التقوى
يَمُنُّ بها فالشكرُ مستجلبُ النعمى
فإنَّ طريقَ الحقِّ أبلجُ لا يخفى
وعمرٍ قصيرٍ لا يدومُ ولا يبقى
فجِدته تبلى ومدته تَفنى
وننشرُ أعمالاً وأعمارنا تُطوى
وتتأبنا فيهِ النوائبُ بالبلوى
لديها وتأبى أن تفارقَ ما تهوى
وقد علمتُ أن سوف تَجْزى بما تسعى
وربِّي أهلٌ أن يُخافَ وأن يُرجى
فإنِّي لا أدري أأكرمُ أم أخزى

وقال في المطمح^١ : الفقيه الإمام العالم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، إمام الأندلس وعالمها ، الذي التاحت به معالمها ، صحَّح المتن والسند ، وميز المرسل من المسند ، وفرق بين الموصول والقاطع ، وكسا الملة منه نوراً ساطعاً ، حصر الرواة ، وأحصى الضعفاء منهم والثقات ، وجدَّ في تصحيح السقيم ، وجلد منه ما كان كالكهف والرقيم ، مع معللات العلل ، وإرهاف ذلك العلل ، والتنبيه والتوقيف ، والإنتقان والتثقيف ، وشرح المقفل ، واستلراك المغفل ، وله فنون هي للشرعية رِجاج ، وفي مَقْرِقِ الملة تاج ، أشهرت للحديث ظُبي ، وفرعت لمعرفته رُبى ، وهبَّتْ لفهْمه شمال^٢ وصبا ، وشفّت منه وصبا ، وكان ثقة ، والأنفس على تفضيله متفقة ، وأما أدبه فلا تُعْبَرُ

١ م : وقال في حقه .

٢ المطمح : شمالا .

بلحته ، ولا تُدحض حُجته ، وله شعر لم نجد منه إلا ما نفث به أنفة ، وأقصى^١
فيه عن معرفة ، فمن ذلك قوله - وقد دخل إشبيلية فلم يلقَ فيها مبرة ، ولم يلقَ
من أهلها تهللَ أسيرة ، فأقام بها حتى أخلقه مقامه ، وأطبقه اغتمامه ، فارتحل
وقال :

تَنكَرَ مَنْ كُنَّا نُسِرُّ بِقُرْبِهِ وعاد زعافاً بَعَلْمَا كَانَ سَلْسَلَا
وَحُقُّ بِلْخَارِ لَمْ يَوَافِقْهُ جَارُهُ ولا لاءمتُهُ الدارُ أَنْ يَنْحَوِلَا
بُلَيْتُ بِمَحْصٍ وَالْمَقَامُ بِبِلْدَةٍ طويلاً لِعَمْرِي مَخْلُقُ يورثُ البِلَى
إِذَا هَانَ حُرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمْ ولم يَنَأْ عَنْهُمْ كَانَ أَعْمَى وَأَجْهَلَا
وَلَمْ تُضْرَبِ الْأَمْثَالُ إِلَّا لِعَالَمٍ وما عوتِبَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْقَلَا

6 - وقال الفقيه أبو بكر ابن أبي الدوس^٢ :

إِلَيْكَ أبا يَحْيَى مَدَدْتُ يَدَ الْمُنَى وقَدِمَا غَدْتُ عَنْ جُودِ غَيْرِكَ تُقْبِضُ
وَكَانَتْ كَنُورِ الْعَيْنِ يَلْمَعُ بِالنَّجَى فَلَمَّا دَعَاهُ الصَّبْحُ لَبَّاهُ يَنْهَضُ

وقال في المَطْمَح : إنه من أبدع الناس خطأ ، وأصحهم نقلاً وضبطاً ،
اشتهر بالإقراء ، واقتصر بذلك على الأمراء ، ولم ينحط لسواهم ، ومَطل
الناسَ بذلك ولَوَاهُم ، وكان كثير التحوّل - عظيم التحوّل - لا يستقر في بلد ،
ولا يستظهر على حرمانه يَحْكَد ، فقدفته النوى ، وطرده عن كل ثَوَا ، ثم
استقر آخر عمره بأغبات ، وبها مات ، وكان له شعر بديع يصونه أبداً ، ولا
يحدّ به يداً . أخبرني مَنْ^٣ دخل عليه بالمرية فرآه في غاية الإملاق ، وهو في
ثياب أخلاق . وقد توارى في منزله توارى المذنب ، وقعد عن الناس قعود

١ المَطْمَح : وأوسى .

٢ المَطْمَح : ٦٤ ؛ وفي ق : ابن الدوس ، وانظر ترجمته في المَطْمَح : ٦٣ .

٣ م : أخبرني مَنْ أتق به أنه .

مجتنب ، فلماً علم ما هو فيه ، وترفعه عن يَجْتَنِّدِه ، عاتبه في ذلك الاعتزال ،
 وآخذَه حتى استترله بفيَضِ الاستتال ، وقال له : هلا كتبت إلى المعتصم ،
 فما في ذلك ما يصم ، فكتب إليه : إليك أبا يحيى مددت يدَ المُنَى - البيتين ،
 انتهى .

7 - وقال الفقيه القاضي الفاضل أبو الفضل ابن الأَعلَمُ ، حين أُلْقِعَ وأُتاب ،
 وودع ذلك الجناب ، وترهد وتنسك ، وتمسك من طاعة الله بما تمسك : وتذكر
 يوماً يتجرد من أمله ، وينفرد فيه بعمله :

الموتُ يشغلُ ذكره	عن كلِّ معلومٍ سواه
فاعمرُ له ربَّعَ ادِّكا	ركَ في العشيَّةِ والغداة
واكملُ به طَرْفَ اعتبا	ركَ طولَ أيامِ الحياة
قبلَ ارتكاضِ النفسِ ما	بين الترائبِ واللَّهاه
فيقالُ هذا جعفرُ	رهنُ بما كسبتُ يداه
عصفتُ به ريحُ المنو	ن فصيرتهُ كما تراه
فضعَّوه في أكفانِه	ودعَّوه يجني ما جناه
وتمتعُّوا بمتاع	ه المخزونِ واحوُّوا ما حواه
يا منظرأ مستبشعاً	بلغ الكتابُ به مداه
لُقيتُ فيه بشاره	تشفي فؤادي من جَوَاه
ولقيتُ بعدك خيرَ مَنْ	نبَّاه ربِّي واجتباه
في دارٍ خَفَضَ ما اشتته	نفسُ المقيمِ بها أناه

وقال في المطمح : إنه كَهْلُ الطريقة ، وفقى الحقيقة ، تدرِّع الصبابة ،

.....

١ المطمح : ٦٦ ، وتبدأ ترجمته ص : ٦٤ .

وبرع في الورع والديانة ، وتماسك عن الدنيا عَقَافاً ، وما تماسك^١ التماساً بأهلها
 والتفافاً ، فاعتقل النُهي ، وتنقل في مراتبها حتى استقر فيها في السُّها ، وعطل
 أيام الشباب ، ومطل فيها سعاد وزينب والرباب ، إلا ساعات وقَّعها على المدام ،
 وعطفها إلى الندام ، حتى تخلَّى عن ذلك واتَّرك ، وأدرك من المعلومات ما
 أدرك ، وتعرَّى من الشبهات ، وسرى إلى الرشد مستيقظاً من تلك السِّنات ،
 وله تصرف في شتى الفنون ، وتقدَّم في معرفة المفروض والمسنون ، وأما
 الأدب فلم يُجاره في ميَّلدانه أحد ، ولا استولى على إحسانه فيه حصْر ولا حدّ ،
 وجَدّه أبو الحجاج الأعلم هو خلّد منه ما خلّد ، ومنه تقلّد ما تقلّد ، وقد
 أثبت لأبي الفضل هذا ما يسقيك ماء الإحسان زُلّالاً ، ويريك سحر البيان حلّالاً ،
 فمن ذلك ما كتب به إليّ ، وقد مررتُ على شنت مريّة بعدما رحل عنها وانتقل ،
 واعتقل من نوانا^٢ وبَيْنينا ما اعتقل ، وشنت مريّة هذه داره ، وبها كل هلاله
 وإبداره ، وفيها استقصي ، وشيم مضاوّه وانتضي ، فالتقينا بها على ظهْر ،
 وتعاطينا ذكر ذلك الدهر ، فجددتُ من شوقيه ، ما كان قد شبَّ عن طوقه ،
 فرامني على الإقامة ، وسامني على ذلك بكل كرامة ، فأبيت إلا النوى ، وانثيت
 عن الثوا ، فودّعني ، ودفع إلي تلك القطعة حين شيعني :

بشراي أطلعت السعودُ على	آفاق أنسي بدورها كَمَلَا
وكسا أديم الأرض منه سنًا	فكستُ بسائطها به حلّلا
ليه أبا نصير ، وكمّ زمنٍ	قصر اذكارك عندي الأُملا
هل تذكرن والعهدُ ينجلي	هل تذكرن أيامنا الأَولا
أيام نعسرُ في أعنتنا	ونجرُّ من أبرادنا خيلا
ونحلُّ روض الأنس مؤتفًا	ونحلُّ شمسُ مرادنا الحملا

١ المطمح : وما تماك .

٢ ب : ثوانا .

ونرى ليالينا مساعفةً تدعو إلينا رفقنا الجفلى
زمنٌ نقول على تذكره ما تم حتى قيلَ قد رحلا
عرضت لزورتكم وما عرضت إلا لتمحق كل ما فعلا

ووافيته عشيّة من العشايا أيام اثلاثنا ، وعودنا إلى مجلس الطلب واختلافنا ،
فرأيته مستشفراً متطلعاً ، يرتاد موضعاً يقيم به لشغور الأنس مرتشفاً ولثديه
مرتضعاً ، فحين مقلني^١ ، تقلدني إليه واعتقلي ، وملنا إلى روضة قد سندس
الربيع في بساطها ، ودبج الزهر درآئك أوساطها ، وأشعرت النفوس فيها
بسرورها وانبساطها ، فأقمنا بها نتعاطى كؤوس أخبار ، ونتهادى أحاديث
جهايلة وأخبار ، إلى أن نثر زعفران العشي ، وأذهب الأنس خوف العالم
الوحشي ، فقامت وقام ، وعوج الرعب من ألسنتنا ما كان استقام ، وقال :

وعشيّة كالسيف إلا حده بسط الربيع بها لنعلي حده
عاطيت كأس الأنس فيها واحداً ما ضره أن كان جمعاً وحده

وتنزه يوماً بحديقة من حدائق الحضرة قد اطررد نهرها ، وتوقد زهرها ،
والريح يسقطه فينظم بلبّة الماء ، ويتبسم به فتخاله كصفحة خضرة السماء ،
فقال :

انظر إلى الأزهار كيف تطلعت بساوة الروض المجود نجوما
وتساقطت فكان مسترقاً دنا للسمع فانقضت عليه رجوماً
وإلى مسيل الماء قد رقمت به صبح الرياح من الحجاب رقوما
ترمي الرياح لها نثيراً زهره فتمده في شاطئه رقما

وله يصف قلم براعة ، وبرع في صفته أعظم براعة :

١ ب : رمقي .

ومهفهف ذلق صليب المكسر سبب لنيل المطلب المتعذر
متألق تنبيك صفرة لونه بقديم صحبته لآل الأصفر
ما ضره أن كان كعب يراعة وبحكمه اطردت كعوب السميري

وله عندما شارف الكهولة ، واستأنف قطع صرة كانت موصولة :

أما أنا فقد ارعوت عن الصبا وعضضت من ندم عليه بناني
فأطعت نصاحي ورُب نصيحة جاءوا بها فلججت في العصيان
أيام أسحب من ذيول شبيبي مرحاً وأعثر في فصول عناني
وأجل كاسي أن ترى موضوعة فعلى يدي أو في يدَي ندماني
أيام أحيا بالغواني والغنا وأموت بين الراح والريحان
في فتية فرضوا اتصال هواهم فمناهم دن من الأدنان
هزت علامهم أريحيات الصبا فهي النسيم وهم غصون البان
من كل مخلوع الأعتة لم يبسل في غية بمصارف الأزمان

إلى أن قال : ومن نثره يصف فرساً : انظر إليه سليم الأديم ، كريم
القديم ، كأنما نشأ بين الغبراء واليحموم^١ ، نجم إذا بدا ، ووهم إذا عدا ،
يستقبل بغزال ، ويستدبر برال ، ويتحلى بشيات^٢ تقسيمات الجمال .

وله يصف سرجاً : بزة جياذ ، ومركب أجواد ، جميل الظاهر ، رحيب
ما بين القادمة والآخر ، كأنما قُد من الحدود أديمه ، واختص بإتقان الحُبك
تقويمه .

وله في وصف لحام : متناسب الأشلاء ، صريح الانتماء ، إلى ثرياً السماء ،
فكله نكال ، وسائرهم جمال .

١ م ب : والنجوم .

٢ ب : شبيهات ؛ المطمح : يشات .

وله في وصف رمح : مُطَرَّد الكعوب ، صحيح اتصال الغالب والمغلوب ،
أخ ينوب كلما استتيب ويصيب .
وله في وصف قميص : كافوري الأديم ، بايلي الرسوم ، تباشر منه الجسوم ،
ما يباشر الروض من النسيم .
وله في وصف بغل : مُقْرِف^١ النسب ، مستخبر الشرف ، آمن الكيب ،
إن ركب امتنع اعتماله ، أو ركب استقل به أخواله .
وله في وصف حمار : وثيق المفاصل ، عتيق^٢ النهضة إذا وثت^٣ المراسل ،
انتهى ببعض اختصار .

8 - وقال الأديب الشاعر أبو عمر^٢ يوسف بن هرون الكندي ، المعروف
بالرمادي^٣ :

أومى لتقيل البساط خنوعاً فوضعتُ خدي في التراب خضوعاً
ما كان مذهبه الخنوع لعبده إلا زيادة قلبه تقطيعاً
قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلماً يمن عليّ برده مصلوعاً
العبد قد يعصي ، وأحلف أني ما كنتُ إلا سامعاً ومطيعاً
مولاي يحيى في حياة كاسمه وأنا أموتُ صباةً وولوعاً
لا تنكروا غيثَ الدموع فكلُّ ما ينحلُّ من جسمي يكون دموعاً

والرمادي المذكور عرّف به غير واحد ، منهم الحافظ أبو عبد الله الحميلي
في كتابه « جذوة المقتبس » وقال^٤ : أظن أن أحد آبائه كان من أهل الرمادة ،
وهي موضع بالمغرب ، وهو قرطبي ، كثير الشعر ، سريع القول ، مشهور عند

١ م ق ب : مترف .

٢ ق : أبو عمرو .

٣ المطمح : ٧١ .

٤ جذوة المقتبس : ٣٤٦ .

الخاصة والعامة هنالك ، لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مسالك ، حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون : فُتِحَ الشعر بِكِندة ، وخُتِمَ بِكِندة ، يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوسف بن هرون ، على أن في كون المتنبي من كِنْدَة القبيلة كلاماً مشهوراً .

وأخذ أبو عمر ابن عبد البر عن الرمادي هذا قطعة من شعره ، وضمَّنها بعض تأليفه .

قال ابن حيَّان : توفي الرمادي سنة ٤٠٣ ، وذكر ابن سعيد في « المغرب » أن الرمادي اكتسب صناعة الأدب من شيخه أبي بكر يحيى بن هذيل الكفيف عالم أدباء الأندلس ، وهو القائل رحمه الله تعالى :

لا تلمني على الوقوفِ بدارٍ أهلها صيَّروا السَّقامَ ضجيجي
جعلوا لي إلى هواهم سبيلاً ثمَّ سدُّوا عليَّ بابَ الرجوعِ

وروى الرمادي عن أبي عليّ كتاب « النوادر » ومدح أبا علي بقصيدة كما أشرنا إليه في غير هذا الموضع .

وقال في المطح^١ : إنَّه شاعر مُفْلِق ، انفرج له من الصناعة المُخْلَق ، ووَمَضَّ له برقها المؤتلق ، وسال بها طبعه كالماء المندفق ، فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق ، فتارة يُحْزِنُ وأخرى يُسْهَلُ ، وفي كليهما بالبديع يعلُّ وينهل ، فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه في الفريقين ، وإبداعه في الطريقتين ، وكان هو وأبو الطيب متعاصرين ، وعلى الصناعة متغايرين ، وكلاهما من كِنْدَة ، وما منهما إلا من اقتدح في الإحسان زَنْدَه ، وتمادى بأبي عمر^٢ ، طَلَّقُ العمر ، حتى أفردَه صاحبه ونديمه ، وهُرِّيقَ شبابه واستشن أديمه ،

١ المطح : ٦٩ .

٢ ق ب والمطح : عمرو .

ففارق تلك الأيام وبهجتها ، وأدرك الفتنة فخاض بلحتها ، وأقام فرقاً من هيجانها ،
 شرقاً بأشجانها ، ولحقته فيها فاقة نهكته ، وبعدت عنه الإفاقة حتى أهلكته ،
 وقد أثبت من محاسنه ما يعجبك سرده ، ولا يمكنك نقده ، فمن ذلك قوله :

شطّ نَوَاهِمُ بِشَمْسٍ فِي هَوَادِجِهِمْ لَوْلَا تَلَأُلُوها فِي لَيْلِهِنَّ عَشُّوا
 اشكت محاسنها عيني وقد غدرت لأنّها بضمير القلب تنجمش
 شعراً ووجه تبارى في اختلافهما بحسن هذا وذاك الروم والحباش
 شككت في سقمي منها أي فرشي منها نكست وإلا الطيف والفرش

إلى أن قال : وكان كلفاً بفتى نصراني استسهل^١ لباس زنتاره ، والخلود معه
 في ناره ، وخلع بروده لمسوحه ، وتسوغ الأخذ عن مسيحه^٢ ، وراح في
 بيعته ، وغدا من شيعته ، ولم يشرب نصيبه ، حتى حط عليه صليبه ، فقال :

أدريها مثل ريقك ثم صلب كمادتهم^٣ على وهمي وكاسي
 فيقضى ما أمرت به اجتلاباً لمسروري وزاد خضوع^٤ راسي

وله في مثله :

ورأيت فوق النحر در عاً فاقعاً من زعفران
 فزجرته لونا سقا مي بالنوى ، والزجر شاني
 يا من نأى عني كما تنأى العيون الفرقدان
 فأرى بعيني الفرقدي نـ ولا أراه ولا يراني

١ المطمح : استحسن .

٢ خطأ في الأصلين ؛ وأثبتنا عبارة المطمح .

٣ المطمح : كمادتكم .

٤ المطمح : فقضى . . . خنوع ؛ م : خنوع .

٥ المطمح : ينأى ليني .

لا قُدِّرَتْ لكْ أوبةٌ حتى يَؤوبَ القارِظانِ
هل ثمَّ إلا الموتُ فر دأ لا تكونُ مَنِيَّتَانِ

وله أيضاً :

اشربِ الكاسِ يا نصيرُ وهاتِ إنَّ هذا النهارَ منُ حسناتي
بأبي غُرَّةٌ ترى الشخصَ فيها في صفاءِ أصفى من المرأةِ
تنزعُ^١ الناسَ نحوها بازدحامٍ كازدحامِ الحجيجِ في عَرَقاتِ
هاتها يا نصيرُ إنَّا اجتمعنا بقلوبٍ في الدينِ مختلفاتِ
إنما نحنُ في مجالسٍ لهوٍ نشربُ الراحَ ثمَّ أنتُ مُواقي
فإذا ما انقضتْ دنائَةُ ذا اللّهِ و^٢ اعتمدنا مواضعَ الصلواتِ
لومضى الدهرُ دونَ راحٍ وقصِفِ لعددنا هذا من السيئاتِ

وشاعت عنه أشعار في دولة الخلافة^٣ وأهلها ، سدّد إليهم صابغات نبلها ،
وسقاهم كؤوس نهلها ، أوغرت عليه الصُّدور ، وفرت^٤ عليه المنايا ولكن
لم يساعدها المقدور ، فسجّته الخليفةُ دهرأ ، وأسكنه^٥ من النكبةِ وعراً ، فاستعطفه
أثناء ذلك واستلطفه ، وأجناه كل زهر من الإحسان وأقطفه ، فما أصغى إليه ،
ولا ألغى مَوجِدَتَه عليه ، وله في السجنِ أشعار صرّح فيها بيئته ، وأفصح
فيها عن جُلِّ الخطب لفقد صبره ونكته ، فمن ذلك قوله :

لك الأمنُ من شجوي يزيدُ تشوّقي

-
- ١ ق : تنزع ؛ المطبع : تسرع ؛ م : تنزع .
٢ المطبع : دنان على اللّهِ ؛ م : ذنانات ذا اللّهِ .
٣ المطبع : الخليفة .
٤ المطبع : وفرت .
٥ المطبع : وأسلكه .

ومنها :

فوافوا بنا الزهراء في حالِ خالِعِ الـ
وحوليَ من أهلِ التأدبِ مأمٌ^١
فلو أنْ في عيني الحمام كروضها
ونادى حمامي مهجتي لتقلقت^٢
أعيني^٣ إن كانت لدمعيَ فضلةً
فلو ساعدتْ قالت أمنَ عُدَّةَ الأسي

أئمة^١ لا ستيفائهم في التوثقِ
ولا جؤذرٌ إلا بثوبٍ مُشَقَّقِ
وإن كان في ألوانه غير مشفقِ
فهلا أجابتْ وهَوَ عندي لمحتقِ
تثبتْ صبري ساعةً فتدفعني
تنقت دمومي أم من البحر تستقي

ومنها :

وقالت تظنُّ الدهرَ يجمع بيننا
ولكنني فيما زجرتُ بمقلتي
فقد كانت الأشفارُ في مثلِ بُعدنا
أباكيةً يوماً ولم يأتِ وقتهُ
إلى أن قال : وله أيضاً :

فقلتُ لها مَنْ لي بظنِّ محققِ
زجرتُ اجتماعَ الشملِ بعد التفرقِ
فلما التقتْ بالطيفِ قالت سنلتقي
سينفدُ قبلَ اليومِ دمك فارقني

على كبري تهمي السحابُ وتندرفُ
كأنَّ السحابَ الواكفاتِ غواسلي
ألا ظعنتُ ليلي وبانِ قطينها
وأنستُ في وجه الصباحِ ليينها
وأقربُ عهدٍ رشفةً بَلَّتِ الحشا
وكانت على خوفٍ فولَّتْ كأنَّها

ومن جزعي تبكي الحمامُ وتهتفُ
وتلك على فقدي نوائحُ هُتِفُ
ولكنني باقي فلوُمُوا وعَتَّفُوا
نحولاً كأنَّ الصبحَ مثلي مُدْتَفُ
فعادَ شتاءُ بارداً وهو صيفُ
من الردفِ في قيدِ الخلاخلِ ترسفُ

١ المطح : سلة ثلاثم .

٢ المطح : تنفقلت .

وله :

قَبْلَتُهُ قُدَّامَ قَسِيْسِهِ شَرِيتُ كَاسَاتٍ بِتَقْدِيْسِهِ
يَقْرَعُ قَلْبِي عِنْدَ ذِكْرِي لَهُ مِنْ فَرَطِ شَوْقِي قَرَعُ نَاقُوسِهِ

وَسُجُنَ مَعَهُ غَلَامٌ مِنْ أَوْلَادِ الْعَبِيدِ فِيهِ مَجَالٌ ، وَفِي نَفْسٍ مُتَأَمِّلَةٍ مِنْ لَوْعَتِهِ
أَوْجَالٌ ، فَكُتِبَ يُخَاطَبُ الْمُوَكَّلَ بِالسَّجْنِ بِقِطْعَةٍ مِنْهَا :

جَلِيْسُكَ مِمَّنْ أَتْلَفَ الْحُبُّ قَلْبَهُ وَيَلْدَعُ قَلْبِي حَرَقَةٌ دُونَهَا الْجَمْرُ
هَلَالٌ وَفِي غَيْرِ السَّمَاءِ طُلُوعُهُ وَرَيْمٌ وَلَكِنْ لَيْسَ مَسْكَنَتُهُ الْقَفْرُ
تَأَمَّلْتُ عَيْنِيهِ فَخَامَرَنِي السَّكْرُ وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْعُيُونَ هِيَ الْخَمْرُ
أَنَاطَقُهُ كَيْمَا يَقُولَ ، وَإِنَّمَا أَنَاطَقُهُ عَمْدًا لِيَتَثَرُ الدَّرُّ
أَنَا عَبْدُهُ وَهُوَ الْمَلِيكُ كَمَا اسْمُهُ فَلِي مِنْهُ شَطْرٌ كَامِلٌ وَلَهُ شَطْرُ

انتهى باختصار .

9 - وقال محمد بن هاني^١ :

قَدْ مَرَرْنَا عَلَى مَغَانِيكَ تِلْكَ فَرَأَيْنَا بِهَا مَشَابِهَ مِنْكَ
عَارِضَتُنَا الْمَهَا الْخَوَازِلُ سِرْبًا عِنْدَ أَجْرَاعِهَا فَلَمْ نَسْلُ عَنْكَ
لَا يُرْعَ لِلْمَهَا بِذِكْرِكَ مِيرَبٌ أَشْبَهَتْكَ فِي الْوَصْفِ إِنْ لَمْ تَكُنْكَ
كُنْ عَذِيرِي لَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاجِي يَوْمَ تَبْكِي بِالْجَزَعِ وَلَهْيٌ^٢ وَأَبْكِي
بِخَسَنِ مَرْجَّعٍ وَتَشَكٍّ وَأَنْسِينَ مَوْجِعٍ كَتَشَكِّي

وقال صاحب المطمح في حقّه : الأديب أبو القاسم محمد بن هاني ، ذكر^٣ .

١ المطمح : ٧٧ ، وترجمته ص : ٧٤ .

٢ المطمح : وجدأ .

٣ المطمح : علق .

خطير ، وروضُ أدبِ مطير ، غاص في طلب الغريب حتى أخرج درة
المكنون ، وبهرج بافتتانه فيه كلَّ فنون ، وله نظم تتمنى الثريا أن تتوج به
وتقلد ، ويودُّ البدر أن يكتب ما اخترع فيه وولد ، زهت به الأندلس وتاهت ،
وحاسنت ببدائعه الأشمس وباهت ، فجسد المغرب في المشرق ، وغص به
من العراق وشرق ، غير أنه نبت به أكافها ، وشمخت عليه آناقها ،
وبرث منه ، وزويت الخيرات فيها عنه ، لأنه سلك مسلك المعري ، وتجرّد
من التدين وعري ، وأبدى الغلو ، وتعدى الحق المجلو ، فمجته الأنفس ،
وأزعجته الأندلس ، فخرج على غير اختيار ، وما عرج على هذه الديار ،
إلى أن وصل الزاب واتصل بجعفر ابن الأندلسية ، مأوى تلك الجنسية ، فناهيك
من سعد ورد عليه فكبر ، ومن باب ولج فيه وما قرع ، فاسترجع عنده
شبابه ، وانتجع وبّله وربابه ، وتلقاه بتأهيل ورُحْب ، وسقاه صوب تلك
السحب ، فأفرط في مدحه فيه في الغلو وزاد ، وفرغ عنده تلك المزداد ، ولم
يتورع ، ولا ثناه ذو ورع ، وله بدائع يتحير فيها ويبحار ، ويخال لرقتها أنها
أسحار ، فإنه اعتمد التهذيب والتحريير ، واتبع في أغراضه الفرزدق مع جرير ،
وأما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد ، وما شاء منها اقتاد ، وقد أثبت له ما تحين
له الأسماع ، ولا تتمكن منه الأطماع ، فمن ذلك قوله :

أليتنا إذ أرسلت واردة وحفا	وبتنا نرى الجوزاء في أذننا شنف
وبات لنا ساق يقوم على الدجى	بشمعة صبح لا تقط ولا تطفنا
أغن غصيص خفف اللين قدّه	وثقلت الصهباء أجفانه الوطنفا
ولم يبق إرعاش المدام له يدا	ولم يبق إعنات الثني له عطفا
نزيف نضاه السكر إلا ارتجاجة	إذا كل عنها الحصر حملها الردفا
يقولون حقف فوقه خيزرانة	أما يعرفون الخيزرانة والحقفا
جعلنا حشاينا ثياب مدامنا	وقدّت لنا الأزهار من جلدها لحفا

فمن كبد توحى إلى كبد هوى ومن شفة تؤمى إلى شفة رَشفا

ومنها :

كَأَنَّ السَّامَكِينَ اللَّذِينَ تَرَاهُمَا
فَذَا رَامِحٌ يُهَوِّي إِلَيْهِ سَنَانَهُ
كَأَنَّ سُهَيْلًا فِي مَطَالِعِ أَفْقِهِ
كَأَنَّ بَنِي نَعَشٍ وَنَعَشًا مَطَافِلُ
كَأَنَّ سُهَامًا عَاشِقٌ بَيْنَ عَوْدٍ
كَأَنَّ قُدَامَى النَّسْرِ وَالنَّسْرِ وَقَعَ
كَأَنَّ أَخَاهُ حِينَ حَوْمَ طَائِرُ
كَأَنَّ ظِلَامَ اللَّيْلِ إِذْ مَالَ مَسِيلُهُ
كَأَنَّ عُمُودَ الصَّبْحِ خَاقَانُ مَعْشَرِ
كَأَنَّ لَوَاءَ الشَّمْسِ غُرَّةُ جَعْفَرِ

وله أيضاً :

فُتِّقَتْ لَكُمْ رِيحُ الْجِلَادِ بِعَنْبَرِ
وَجَنِيمٌ ثَمَرُ الْوَقَائِعِ يَانِعًا
أَبْتَى الْعَوَالِي السَّمْهَرِيَّةِ وَالسِّيَوِ
مَنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْمَطَاعُ كَأَنَّهُ
جَيْشٌ تَعَدَّ لَهُ اللَّيْثُ وَفَوْقَهَا
وَكَأَنَّمَا سَلَبَ الْقَشَاعِمَ رِيَشَهَا
لَحَقَ الْقَبُولَ مَعَ الدَّبُورِ وَسَارَ فِي

وأمدَّكم فلقُ الصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ
بِالنَّصْرِ مِنْ عِلْقِ الْحَدِيدِ الْأَحْمَرِ
فِي الْمَشْرِقِيَّةِ وَالْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ
تَحْتَ السَّوَابِغِ تَبَعٌ فِي حِمِيرِ
كَالْغَيْلِ مِنْ قَصَبِ الْوَشِيحِ الْأَخْضَرِ
مِمَّا يَشُقُّ مِنَ الْعَجَاجِ الْأَكْدَرِ
جَمَعَ الْمَرْقَلَ وَعِزْمَةَ الْإِسْكَندَرِ

١ المطيح : لطفًا .

٢ المطيح : ورق .

في فتية صدأ الحديد لباسهم في عبقرى البيض جنة عبقر
وكفاه من حب الساحة أنه منها بموضع مقلة من محجر

ومنها :

نعمائهم من رحمة ، ولباسه من جنة ، وعطاؤه من كوثر
وله أيضاً من قصيدة في جعفر بن علي :

ألا أيها الوادي المقدس بالندى ^١	وأهل الندى قلبي إليك مشوق
ويا أيتها القصر المنيف قبابه	على الزاب لا يسدّد إليك طريق
ويا ملك الزاب الرفيع عماده	بقيت لجمع المجد وهو فريق
فما أنس لا أنس الأمير إذا غدا	تروع بحوراً فلكه وتروق ^٢
ولا الجود يجري من صفحة وجهه	إذا كان من ذاك الجين شروق
وهزته للمجد حتى كأنما	جرت في سجاياه العذاب رحيق
أما وأبي تلك السمائل إنها	دليل على أن النجار عتيق
فكيف بصبر النفس عنه ودونه	من الأرض مغبر الفيجاج عميق
فكن كيف شاء الناس أو شئت دائماً	فليس لهذا الملك غيرك فوق
ولا تشكر الدنيا على نيل رتبة	فما نلتها إلا وأنت حقيق

وله من أخرى :

خليلي أين الزاب مني وجعفر	وجنات عدن بنت عنها وكوثر
فقلبي نأى عن جنة الخلد آدم	فما راقه من جانب الأرض منظر
لقد سرّني أني أمر بباله	فيخبرني عنه ^٣ بذلك مخبر

١ المطمح : بالطوى .

٢ هذا الشطر مضطرب في الأصل ، ولا يزال - على التصويب - قلقاً .

٣ ب : فيخبره عني .

وقد ساعني أني أراهُ ببلدة
وقد كان لي منه شفيح مشفع
أنى الناس أفواجاً إليك كأنما
فأنت لمن قد مزق الله شمله

بها منسك منه عظيم ومشعر
به يمحص الله الذنوب ويفر
من الزاب بيت أو من الزاب محشر
ومعشره والأهل أهل ومعشر

وله أيضاً :

ألا طرقتنا والتجوم ركود
وقد أعجل الفجر الملمع خطوها
سرت عاطلاً غضبي على الدر وحده
فما برحت إلا ومن سلك أدمي
ويا حسنها في يوم نصت سوالفا
ألم يأتها أنا كبرنا عن الصبا
ولا كالليالي ما هن موائق
ولا كالمعز ابن النبي خليفة

وفي الحي أبقاظ وهن هجود
وفي أخريات الليل منه عمود
ولم يلر نحر ما دهاه وجيد
قلائد في لباتها وعقود
تريع إلى أترابها وتحييد
وأنا بكينا والزمان جديده
ولا كالغواني ما هن عهود
له الله بالفخر المين شهيد

وله من قصيدة يمدح بها يحيى بن علي بن رمان :

قفا بي فلا مسرى سرينا ولا نسري
قفا نئين أين ذا البرق منهم
لعل ثرى الوادي الذي كنت مرة
ولاً فما واد يسيل بعنبر
أكل كناس بالصرم نظنه
وهل عجبوا أني أسائل عنهم
وهل علموا أني أيمم أرضهم
ولي سكن تأتي الحوادث دونه

ولا نرى مشي القطا الوارد الكدر
ومن أين تأتي الريح طيبة النشر
أزورهم فيه تضيوع للسفر
ولا فما تدري الركاب ولا ندري
كناس الظباء الدعج والشدن العفر
وهم بين أحناء الجوانح والصدر
وما لي بها غير التعسف من خبر
فيعد عن عيني ويقرب من فكري

إذا ذكرته النفسُ جاشتُ بذكره
فلا تسألاني عن زماني الذي خَلا
وآليتُ لا أُعطي الزمانَ مَقادتي
حنيني إليه ظاعناً ومُخيماً
كما عثرَ الساقى بِجامٍ من الخمرِ
فوالعصرِ إني قبلَ يحیی لفي خُسْرِ
على مثلِ يحیی ثم أغضي على الوترِ
وليس حنينُ الطيرِ إلّا إلى الوكرِ

وله من قصيدة :

فتكاتُ طرفكِ أم سيوفُ أيبكِ
أجلادُ مُرهفةٍ وفتكُ حاجرِ
يا بنتَ ذي السيفِ الطويلِ نجادُهُ
عينكِ أم مغناكِ موعدنا ، على
وكؤوسُ خمركِ أم مَراشفُ فيكِ
لا أنتِ راحمةٌ ولا أهلوكِ
أكلنا يجوزُ الحكمُ في ناديكِ
وادي الكرى ألقاكِ أم واديكِ

وله أيضاً :

أحبُّ بهاتيكِ القبابِ قبابا
فيها قلوبُ العاشقينَ تخالها
والله لولا أن يعنّفني الهوى
لكسرتُ دُمْلجها بضيقِ عناقها
بنتمُ فلولا أن أُغَيِّرَ لَمَتي
لخَضِبْتُ شيئاً في مفارقِ لَمَتي
وخَضِبْتُ مبيضَ الحدادِ عليكمُ
وإذا أردتَ على المشيبِ وفادةً
فلتأخذنَّ من الزمانِ حمامةً
لا بالحدادةِ ولا الركابِ ركابا
عَنَمًا بأيدي البيضِ أو عُنابا
ويقولَ بعضُ العاذلينَ تصابى
ورشفتُ من فيها البرودِ رُضابا
عشاً وألقاكمُ عليَّ غِضابا
ومحوتُ محوَ النّفسِ عنه شِبابا
لو أنني أجدُ البياضَ خضابا
فاحشُ مطيِّكِ دونهُ الأحقابا
ولتبعنَّ إلى الزمانِ غُرابا

ومنها :

قد طيّبَ الأقطارَ طيبُ ثنائِهِ
لم تُدْنِني أرضُ إلَيْكَ وإِتما
من أجلِ ذا نجدُ الثغورِ عذابا
جئتُ السماءَ ففتحتُ أبوابا

ورأيتُ حولي وقدَ كلَّ قبيلةٍ حتَّى توهمتُ العراقَ الزابا
أرضٌ وطئتُ الدرَّ من رضراضها والمسكَ ترباً والرياضَ جَنابا
ورأيتُ أجبلَ أرضِها منقاداً فحسبتها مدَّتْ إليك رقابا
سدَّ الإمامُ بها الثغورَ وقبلها هَرَمَ النبيُّ بقومك الأحزابا

وقال ابن هانيء يصف الأسطول :

مُعْطَفَةُ الأعناقِ نحوَ مُتُونِها كما نَبَّهَتْ أَيْدِي الحُواةِ الأفاعيا
إذا ما وردنَ الماءَ شوقاً لِبَرْدِهِ صدرنَ ولم يشربنَ غرقاً صواديا
إذا أعملوا فيها المجاذيفَ سرعةً ترى عقرباً منها على الماء ماشيا

10 - وقال الأديب أبو عمر أحمد بن فرج الجياني رحمه الله تعالى ١ :

وطائفةُ الوصالِ علوتُ عنها وما الشيطانُ فيها بالمطاعِ
بدتُ في الليلِ ساترةً ظلامَ الـ دَيَّاجِي منه ٢ سافرةً القناعِ
وما من لحظةٍ إلّا وفيها إلى فِتَنِ القلوبِ لها دَوَاعِي
فملكتُ النُهيَ جمّحاتٍ شوقي لأجرى نالِ عفافٍ على طباعي
وبتُ بها مبيتَ الطفلِ يظما فيمعه العظامُ عن الرضاعِ
كذاك الروضُ ليس بهِ لمثلي سوى نظيرِ وشمٍ مسنٍ متاعِ
ولستُ من السوائِمِ مهمّلاتٍ فأخذَ الرياضَ من المراعي

وقال :

للروضِ حسنٌ فقِفٌ عليه واصبرِفْ عنانَ الهوى إليه

١ المطمح : ٨٠ ، وقد سقطت القطعة من ب م ، وألحقت التالية بأشعار ابن هانيء ؛ وانظرها في

ج ٣ : ١٩٦ .

٢ ق : غلام الليالي وهي ؛ المطمح : ساترة دياجي غلام الليل .

٣ ق : حجاج .

أما ترى نرجساً نضيراً يرنو إليه بمقلتيه
نثرُ حبيبي على رباه وصفرتي فوق وجتيه

وقال :

بمهلكة يستهلكُ الحمدُ عَفْوَهَا ويتركُ شملَ العزم وهو مُبَدَّدُ
ترى عاصفَ الأرواحِ فيها كأنَّها من الأينِ تمشي ظالعٌ أو مقيَّدُ

وقال فيه في المطمح : مُحَرِّزُ الخصل ، مُبَرِّزُ في كل معنى وفصل^١ ،
متميز بالإحسان ، مُنْتَمِ إلى فئة البيان ، ذكي الخلد مع قوة العارضة ، والمنة
الناهضة ، حضر مجلس بعض القضاة وكان مشتهر الضبط متبراً^٢ لمن انبسط فيه
بعض البسط ، حتى إن أهله لا يتكلمون فيه إلا رمزاً ، ولا يخاطبون إلا
لإيماء فلا تسمع لهم ركزاً ، فكلَّم فيه خصماً له كلاماً استطال به عليه لفضل
بيانه ، وطلاقة لسانه ، ففارق عادة المجلس في رفض الأنفة ، وخفض الحجة
المؤتفة ، وهز عطفه وحسّر عن ساعده ، وأشار بيده ، مادّأ بها لوجه خصمه ،
خارجاً عن حد المجلس ورسمه ، فهم الأعوان بتقويمه وتشقيقه ، ووزعهم
رهبة منه وخشية ، حتى تناوله القاضي بنفسه ، وقال له : مهلاً عافاك الله
اخفِضْ صَوْتَك : واقبض يدك ، ولا تفارق مركزك ، ولا تعدّ حقك ،
وأقصر عن إدلالك^٣ ، فقال له : مهلاً يا قاضي ، أمن المخدرات أنا فأخفِض
صوتي وأستر يدي ، وأغطي معاصمي لديك ؟ أم من الأنبياء أنت فلا يُجهر
بالقول عندك ؟ وذلك لم يجعله الله تعالى إلا لرسوله عليه الصلاة والسلام ، لقول
الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ -

١ المطمح : وفصل .

٢ في الأصول والمطح : مشهراً .

٣ المطمح : انتمالك وإدلالك .

إلى قوله : لا تَشْعُرُونَ ﴿ (الحجرات : ٢) ولستَ به ولا كرامة ، وقد ذكر الله تعالى أن النفوس تُجَادِلُ في القيامة في موقف المَوَل الذي لا يَعدِلُه مَقَام ، ولا يشبه انتقامه انتقام ، فقال تعالى ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا - إلى قوله تعالى : وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (النحل : ١١١) . لقد تعديت طَوْرَكَ ، وَعَلَوْتَ في منزلتك ^١ ، وإنما البيان ، بعبارة اللسان ، وبالتنطق يستبين الحق من الباطل ، ولا بد في الخصام ، من إفصاح الكلام . وقام وانصرف . فبُهِتَ القاضي ، ولم يُحِرْ جواباً . وكان في الدولة صدرأ من أعيانها ، وناسق درر تبيانها ، ونَفَقَ في سوقها وصنّف ، وقرّطَ محاسنها وشنّف ، وله الكتاب الرائق ، المسمى بالحدائق ، وأدركه في الدولة سَعْي ، ورُقُص له فيها الرَّعْي ، واعتقله الخليفة وأوثقه في مكان أخيه فلم يَوْمِض له عَقْو ، ولم يشب كدر حاله صَقْو ، حتى قضى معتقلاً ، ونُعيَ للنائبات نَعْياً مشكلاً ، وله في السجن أشعار كثيرة ، وأقوال مُبدّعات منيرة ، فمن ذلك ما أنشده ابن حزم يصف خيالاً طرّقه ، بعدما أسهره الوجد وأرقّه :

بأيهما أنا في الشُّكْرِ بادي بشُكْرِ الطَّيِّفِ أم شكر الرقادِ
سَرَى وازداد في أُملي ولكن عَقِيفْتُ فلم أجِدْ منه مُرَادِي
وما في النومِ من حرج ولكن جريت من العفافِ على اعتيادي

11 - وقال الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن الحدّاد ^٢ :

يا غائباً خَطَرَاتُ القلبِ مَحْضَرُهُ الصبرُ بعلك شيءٌ لستُ أقدرُهُ
تركتَ قلبي وأشواقِي تُفْطِرُهُ ودَمَعُ عَيْتِي وأحدَاقِي تُحَدِّرُهُ
لو كنتَ تبصرُ في تدميرِ حالتنا إذْ نَ لَأَشْفَقْتَ ممّا كنتَ تبصرُهُ

١ المطمح : منزلتك .

٢ المطمح : ٨١ ؛ وترجمته ص : ٨٠ - ٨٣ .

فالعَيْنُ دونك لا تَحُلِّيْ بِلذَّتِهَا والدَّهْرُ بعْدَكَ لا يَصْفُو تَكْدَرُهُ
أَخْفِيْ اِشْتِيَاقِيْ وَمَا أَطْوِيهِ مِنْ أَسْفٍ عَنِ الْبَرِيَّةِ وَالْأَنْفَاسِ تُظْهَرُهُ

قال في المَطْمَح : هو شاعر مَادِح ، وعلى أَيْلِكَ النَّدَى صَادِح ، لم يُنْطِقْهُ
إِلَّا مَعْنً ١ أَوْ صُمَادِح ، فلم يَرِمْ مَثْوَاهُمَا ، ولم يَتَجَبَّعْ سَوَاهُمَا ، واقتصر
على المَرِيَّة ، واختصر قِطْعَ المَهَامَةِ وخَوْضَ الْبَرِيَّةِ ، فعكف فيها يَنْثُرُ دَرَرَهُ
فِي ذَلِكَ الْمُتَنَتِدَى ، وِيرْشَفَ أَبْدَأْ ثَغْوَرَ ذَلِكَ النَّدَى ، مع تَمَيِّزِهِ بِالْعِلْمِ ،
وَتَحْيِيزِهِ إِلَى فَنَةِ الْوَقَارِ وَالْحِلْمِ ، وانتمائه إِلَى آيَةِ سَلَفٍ ، ومَذْهَبِهِ مَذَاهِبَ أَهْلِ
الشَّرَفِ ، وَكَانَ لَهُ لَسَنٌ ٢ وَرُؤَاةٌ يَشْهَدَانِ لَهُ بِالنَّبَاهَةِ ، وَيَقْلُدَانِ كَاهِلَتَهُ مَا شَاءَ
مِنَ الْوَجَاهَةِ ، وَقَدْ أُثْبِتَ لَهُ بَعْضُ مَا قَلَدَهُ مِنْ دَرَرِهِ ، وَفَنَاهَ بِهِ مِنْ مَحَاسِنِ غَرَرِهِ ؛
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

إِلَى الْمَوْتِ رُجْعِيْ بَعْدَ حِينَ إِنْ أَمُتْ فَقَدْ خُلِّدَتْ خُلْدَ الزَّمَانِ مَنَاقِي
وَذَكَرِيْ فِي الْآفَاقِ طَارَ كَأَنَّهُ بِكُلِّ لِسَانٍ طَيِّبُ عِلْرَاءِ كَاعِبِ
فَنِيْ أَيْ عِلْمٍ لَمْ تَبْرَزْ سَوَابِقِي وَفِيْ أَيْ فَنٍ لَمْ تَبْرَزْ كَتَائِبِي

وحضر مجلسَ المَعْتَصِمِ بِحَضُورِ ابْنِ الْبَنَانَةِ فَأَنشَدَ فِيهِ قَصِيداً أَبْرَزَ بِهِ مِنْ عَرَى
الْإِحْسَانِ مَا لَمْ يَنْقُصْ واستمر فيها يَسْتَكْمِلُ بَدَائِعَهَا وَقَوَافِيَهَا ، فَلِذَا هُوَ قَدْ أَغَارَ
عَلَى قَصِيدِ ابْنِ الْخُدَّادِ الَّذِي أَوَّلَهُ :

عُجْ بِالْحَمَى حَيْثُ الظُّبَاءُ ٢ الْعَيْنُ

فَقَالَ ابْنُ الْخُدَّادِ مَرْتَجِلاً :

حَاشَا لِعَدْلِكَ يَا ابْنَ مَعْنٍ أَنْ يُرَى فِي سَلَكٍ غَيْرِيْ دَرِيٌّ الْمَكْنُونُ

١ المَطْمَح : جُودٌ مَعْنٍ .

٢ المَطْمَح : الْخِمَاصُ .

واليكها تشكو استلابَ مطيِّها
فاحكم لها واقطع لساناً لا يدا
عُجْ بالحمى حيثُ الظباءُ العينُ
فلسانُ من سَرَقَ القريضَ يمينُ
وله :

إنَّ المدامعَ والزفيرُ
فعلامَ أخفي ظاهراً
قد أعلننا ما في الضميرُ
سَقَمي عليَّ به ظهيرُ
هب لي الرضى من ساخطٍ
قلبي بساحتيهِ الأسيرُ
وله أيضاً :

أيتها الواصلُ هجري
ليت شعري أيُّ نفعٍ
أنا في هجرانِ صبري
لك في إدمانِ ضُرِّي
وله أيضاً :

يا مُشَبَّهَ الملكِ الجَعَلَنِي تسميةً
ومُخَنِّجِلَ القمرِ البدرِي أنواراً
وله ١ :

تُطالبني نفسي بما فيه صَوْنُها
ووالله ما يَخْفَى عليَّ ضالها
فأعصي ويسطر شوقها فأطيعها
ولكنها تهوي فلا أستطيعها
وقال :

بخافقةِ القرطينِ قلبك خافقُ
وفي مشرقِ الصُّدُغينِ للبدرِ مغربُ
وعن خَرَسِ القُلُوبِ دمعك ناطقُ
وللفكرِ حالاتٌ وللعينِ شارِقُ
ويُنَ حصيَ الياقوتِ ماءً وسامةٍ
مُحلَّاةٌ عنهُ الظباءُ السوابقُ

١ سقط البيتان من ق .

وحشوقباب الرقم أحوى مقرطق^١ كما آس روض عيطفه^٢ والقراطق^٣
انتهى باختصار .

12 - وقال الأسعد بن بليطة^٤ :

برامة ريم^٥ زارني بعدما شطًا رعى من أفانين الهوى ثمر الحشا
خيال لمرقوم غريب برامة فأكسبني من خدّها روضة الجنى
وباتت ذراعاها نجاداً لعاتقي وسلّ امتصاري غصنّها من مخصر
وقد غاب كحلّ الليل^٦ في دمع فجره

تقنّصته بالحلم في الشطّ فاشتطّا جنياً ولم يرع العهود ولا الشرطا
تأوبني بالرقمتين لدى الأرطى وألدغي من صُدغها حية رَقَطَا
إذا ما التقاها الحلي غنى لها لَغَطَا طواه الضنى طي الطوامير فامتطّا
إلى أن تبدّى الصبح في اللّمة الشمطا

ومنها في وصف الديك :

وقام لها ينعى الدجى ذو شقيقة إذا صاح أصغى سمعه لأذانه
كأنّ أنوشروان أعلاه تاجه سبي حلة الطاووس حسن لباسها

يدير لنا من عين أجفانه سِقَطَا وبادر ضرباً من قواده الإبطا
وناطت عليه كف مارية القرطّا ولم يكفه حتى سبي المشية البطّا

ومن غزلها :

غلامية^٧ جاءت وقد جعل الدجى فقلت أحاجيها بما في جفونها
محيرة العينين من غير سكرة لحاتم فيها قصّ غالية خطّا
وما في الشفاه اللّعن من حسنّها المعطى متى شربت الحاظ عينيك إسفنطا

١ المطمح : ٨٣ - ٨٤ .

٢ ب : العين .

أرى نكهة المساك في حمرة اللَّمي وشاربك المخضّر بالمسك قد خطّا
عسى قُزَحٌ قبلتِه فلخاله على الشفة اللّمياء قد جاء مخنطّا

وقال في المطمح في تحلية الأسعد : إنّه سرّدَ البدائع أحسن السّرّد ،
واقترس المعاني كالأسد الورّد ، وأبرز درر المحاسن من صدفها ، وحاز من
بحر الإجابة وشرفها ، ومدح ملوكاً طوّقهم من مدائح قلائد ، وزفّ إليهم
منها خرائد ، وجلاها عليهم كواعب ، بالألباب لواعب ، فأسالت العوّارف ،
وما تقلص له من الخطوة ظلّ وارف ، وقد أثبت له ما يعترف بحقه ، ويعرف
به مقدار سبقه ، فمن ذلك قوله :

لو كنتَ شاهدنا عشيّة أمسنا والمُزْنُ ييكينا بعيني مذبذب
والشمسُ قد مدّت أديم شعاعها في الأرض تجنحُ غير أن لم تغرب
وقوله :

وتلذّ تعذبي كأنك خلّتي عوداً فليس يطيبُ ما لم يُحرق
وهو مأخوذ من قول ابن زيلون :

تظنونني كالعودٍ حقّاً وإنّما تطيبُ لكم أنفاسه حين يُحرق
انتهى ببعض اختصار^١ .

13 - وقال الأديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء ، وهو كما في المطمح^٢ :
من فحول الشعراء ، وأثمتهم الكبراء ، وكان متجعّاً بشعره ، مسترجعاً من
صروف دهره ، وكانت له همّة أطالت همّة ، وأكثرت كده وغمّة :

١ هو كما في المطمح المطبوع دون اختصار .

٢ المطمح : ٨٤ .

يُورِقني الليلُ الذي أنا نائمُهُ فتجهلُ ما ألقى وطرفك عالمُهُ
وفي المودج المرقوم وجهُ طوى الحشا على الحزن فيه الحسن قد حار راقمه
إذا شاء وفقاً أرسل الحسنُ فرعهُ يُضِلُّهم عن منهجِ القصدِ فاحمه
أظلماً رأوا تقليده الدرُّ أم زَرَوْا بتلك اللَّآلي أنهنَّ تماثمه

14 - وقال الأديب أبو عبد الله ابن عائشة في فتي طرزت غلالة خده ،
ورُكب من عارضه سنان على صَعْدَةِ قده ١ :

إذا كنتَ تهوى خَدَّهُ وهو روضةٌ بهِ الوردُ غَضُّ والأفاحُ مفلجُ
فزدُ كَلَفاً فيهِ وفَرَطَ صبايةِ فقد زيدَ فيه من عِذارٍ بنفسجُ

وحلَّاه في المطمح بأن قال : اشتهر صَوْنًا وعفافاً ، ولم يخطب بعقيلة
حَضْرَةَ زفافاً ، فأثر انقباضاً وسكوناً ، واعتمد إليها ركوناً ، إلى أن أنهضه
أميرُ المسلمين إلى بساطه فهبَّ من مرقد خموله ، وشبَّ لبلوغ مأموله ، فبدا
منه في الحال انزواء ، في تسم تلك الرسوم والتواء ، وقعود عن مراتب الأعلام ،
وجمود لا يُحمد فيه ولا يُلام ، إلا أن أمير المسلمين ألقى عليه منه مَحَبَّة ،
جلبت إليه مَسْرَى الظهور ومَهَبَّة ، وكان له أدب واسع المدى ، يانع
كالزهر بلَّله الندى ، ونظم مشرق الصفحة ، عَيَّق التَّفَحُّحَةَ ، إلا أنه قليلاً
ما كان يحلُّ رُبْعَهُ ، ويذيل له طبعه ، وقد أثبت له منه ما يدع الألباب حائرة ،
والقلوب إليه طائرة ، فمن ذلك قوله في ليلة سمحت له بفتى كان يهواه ،
ونفحت له هَبَّةً وصلَّ برَّدتْ جَوَاه :

للهِ لَيْلٌ باتَ عنلي بهِ طوعَ يدي منْ مُهْجتي في يديه
وبتُ أسقيه كؤوس الطلّا ولم أزل أسهرُ شوقاً إلىه
عاطيته حمراء ممزوجة كأنها تُعَصِّرُ من وجتيه

١ المطمح : ٨٤ - ٨٦ .

وخرج من بكتنسية يوماً إلى منية الوزير الأجلّ أبي بكر ابن عبد العزيز ، وهي من أبداع منازل الدنيا ، وقد مدت عليها أدواحها الأفيا ، وأهدت إليها أزهارها العرفَ والرَّيّا ، والنهر قد غص بمائه ، والروض قد خص بمثل أنجم سمائه . وكانت لبني عبد العزيز فيها أطراب ، تهبّ لهم فيها من الأيام آراب ، فلبسوا فيها الأشرَ حتى أبلوه ، ونشروا فيها الأنسَ وطَوَّوه ، أيام كانوا بذلك الأفق طلوعاً ، لم تضمّ عليهم الثوبُ ضلوعاً ، فبعد أبو عبد الله مع لُمة من الأدباء تحت دَوْحة من أدواحها ، فهبت ريح أنس من أرواحها : سطت بإعصارها . وأسقطت لؤلؤها على باسم أزهارها ، فقال :

ودوحة قد علّت سماءً تطلعُ أزهارها نجوما
هنا نسيمُ الصَّبَا عليها فأرسلت فوقنا رجوما
كأنما الجوّ غار لنا بدت فأغرى بها النسيما

وكان في زمان عطلته . ووقت اصفراره وعلته . ومُقاساته من العيش أنكده . ومن التخوف أجهدته . كثيراً ما ينشرح بجذيرة شقرو يستريح . ويستطيب تلك الريح ، ويتجول في أجارع واديا . وينتقل من نواديا إلى بَوَاديا ، فإنها صحيحة الهواء ، قليلة الأدواء ، خضيلة العُشب والأزاهر^١ . قد أحاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الأساور ، والأليكُ قد نشرت ذوائبها على صفيحه ، والروض قد عطر جوانبه^٢ بريحه . وأبو إسحاق ابن خفاجة هو كان متزع نفسه . ومصرع أنسه . نفح له بالمنى عبق وشذا : ومسح عن عيون مسرّاته القَدَى ، وغدا على ما كان وراح ، وجرى متهافتاً في ميدان ذلك المراح . قريب عهدٍ بالفطام ، ودهره ينقاد في خطام . فلمّا اشتعل رأسه شيئاً ، وزرّت عليه الكهولة جيئاً ، أقصر عن تلك الهنات . واستيقظ من تلك السّنات . وشبّ

١ المطمح : زاهية الأزاهر .

٢ المطمح : جوانبها .

عن ذلك الطوق ، وأقصر عن الهوى والشوق ، وقنع بأدنى تحية ، وما يستشعره
في وصف تلك العهاد من أَرْسِحِيَّة ، فقال :

ألا خَلَّيَانِي والأُمَى والقوافيا أَرَدَدُهَا شَجَوِي^١ وأَجْهَشُ^٢ بَاكِيا
أَأْمَنُ شَخْصاً للمَسْرَةِ بِأَدِيَا وَأَنْدَبُ رَسْماً للشَّيْبَةِ بِأَلِيَا
تَوَلَّى الصَّبَا إِلَّا تَوَالِيَ فِكْرَةٍ قَدَحْتُ بِهَا زَنْدَا وما زَلْتُ وَارِيَا
وَقَدْ بَانَ حَلْوُ الْعَيْشِ إِلَّا تَعَلَّةً^٣ تَحْدِثُنِي عَنْهَا الْأَمَانِيُّ خَالِيَا^٢
وَيَا بَرْدَ هَذَا الْمَاءِ هَلْ مِنْكَ قَطْرَةٌ تَهْلُ فَبُسْتَسْقَى غَمَامُكَ صَادِيَا
وَهِيَهَاتِ حَالَتْ دُونَ حُزْوَى وَأَهْلَهَا لِيَالٍ وَأَيَّامٌ تُخَالُ اللَّيَالِيَا
فَقُلْ فِي كَبِيرٍ عَادَهُ صَائِدُ الظُّبَا إِلَيْهِنَّ مُهْتَاجاً وَقَدْ كَانَ سَالِيَا
فِيَا رَاكِباً يَسْتَعْمَلُ الْخَطْوُ قَاصِداً أَلَا عَجٌّ بِشَقْرِ رَائِحاً أَوْ مَغَادِيَا
وَقَفْتُ حَيْثُ سَالَ النُّهْرُ يَنْسَابُ أَرْقَمَا وَهَبَّ نَسِيمُ الْأَيْلِكِ يَنْفُثُ رَاقِيَا
وَقُلْ لِأَثِيلَاتٍ هُنَاكَ وَأَجْرَعِ سَقَيْتِ أَثِيلَاتٍ وَحَيْتِ وَادِيَا
انتهى ببعض اختصار^٣ .

وابن عائشة أشهر من أن يطال في أمره ، وليس الخبر كالبيان .

٥٢٣ - وقال أبو عمرو يزيد بن عبد الله بن أبي خالد اللخمي الإشبيلي

الكاتب في فتح المهديّة سنة ٦٠٢ :

كَمْ غَادَرَ الشَّعْرَاءَ مِنْ مُتَرَدِّمٍ ذُخِرَتْ عِظَائِمُهُ لَخِيرٍ مُعَظَّمٍ
تَبِعَا لِلْمُنْخَوِرِ الْفَتْوحِ فَإِنَّهُ جَاءَتْ لَهُ بِخَوَارِقٍ لَمْ تُعْلَمِ
مِنْ كُلِّ سَامِيَةِ الْمَنَالِ إِذَا انْتَمَتْ رَفَعَتْ إِلَى الْيَرْمُوكِ صَوْتَ الْمُتَمِي

١ ب : شكوى ؛ م : شجوا .

٢ المطمح : غوالي .

٣ لم يختصر شيئاً من المطمح المطبوع .

وتوسّطت في النهروان بنسبة كَرُمَت ففازت بالمحلّ الأكرم.

قال ابن الأثير في «تحفة القادِم»^١ : هو صدر في نبهائها وأدبائها ، يعني إشبيلية ، وممن له قدر في منجبيها ونجباتها ، وإلى سلفه ينسب العقل المعروف بحجر أبي خالد^٢ ، وتوفي بها سنة ٦١٢ ، وأورد له قوله :

ويا للجوّاري المنشآت وحُسْنُها طوائِرَ بينَ الماءِ والجوّ عوْماً
إذا نشرتْ في الجوّ أجنحةً لها رأيتَ بهِ روضاً ونوراً مكمّماً
وإن لم تهجه الريحُ جاء مصافحاً فمدتْ له كفّاً خضيباً وممصماً
مجاذِفُ كالحَيّاتِ مَدَّتْ رؤوسَها على وَجَلٍ في الماءِ كي ترويَ الظما
كما أَسْرَعَتْ عَدّاً أَناملُ حاسبٍ بقبضٍ وبسطٍ يسبقُ العينَ والقما
هي المُدْبُ في أجفانٍ أَكحلُ أوطفٍ فهل صُنعتْ من عَندَمٍ أو بكتْ دما

قال ابن الأثير : أجاد ما أراد في هذا الوصف ، وإن نظر إلى قول أبي عبد الله ابن الخداد يصف أسطول المعتصم بن صُمداح :

هام صَرَفُ الردى بهامِ الأعادي أن سَمَتِ نخوهم لها أجنِادُ
وتراءتْ بشرعها كعيونٍ دأبُها مثلُ خاطئِها سُهَادُ
ذاتِ هُدْبٍ من المجاذيفِ حاكٍ هُدْبَ بالكِ للدمعِ إِسعَادُ
حُمَمٌ فوقها من البيضِ نارٌ كلُّ من أُرسلتْ عليه رِمَادُ
ومن الخطِّ في يدي كلِّ درٍ أَلِفٌ خَطُّها على البحرِ صَادُ

قال : وما أحسن قول شيخنا أبي الحسن ابن حريق في هذا المعنى من قصيدة أنشدنيها :

١ تحفة القادِم : ١٢٠ وفيه الأشعار حتى قوله : انتهى ؛ والنص هنا أوفى بما هو في المقتضب .
٢ كذا في الأصول ؛ وفي التحفة : ابن أبي خالد .

وكأنتما سكن الأراقمُ جوفَها من عهدِ نوحٍ خشيةَ الطوفانِ
 فإذا رَأَى الماءَ يطفحُ نضنضتُ من كلِّ خرقٍ حيةً بلسانِ
 قال : ولم يسبقهم إلى الإحسان ، وإتما^١ سبقهم بالزمان ، عليُّ بن محمد
 الإيادي التونسي في قوله :

شرعوا جوانبها مجاذفَ أتعبتُ شادي الرياح لها ولما تتعب
 تنصاعُ من كَثَبٍ كما نقر القطا طوراَ وتجتمع اجتماعَ الرِّثَبِ
 والبحرُ يجمعُ بينها فكأنَّه ليلٌ يقربُ عقرباً من عقربِ
 وعلى جوانبها أسودُ خلاقةٍ تختالُ في عددِ السلاحِ المذهبِ
 وكأنتما البحرُ استعارَ بزيهم ثوبَ الجمالِ من الربيعِ المعجبِ

ومن هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع :

ولها جناحٌ يُستعارُ يطيرها طوعَ الرياحِ وراحة المتطربِ
 يعلو بها حدَبَ العُبابِ مطاره في كلِّ لَحْ زَاخِرٍ معلوبِ
 يسمو بأخر في الهواء منصَّبِ عريانَ منسرحِ الذَّوَابَةِ شوذبِ
 يتزلُّ الملاحُ منه ذَوَابَةً لو رام يركبها القطا لم يركبِ
 وكأنتما رامَ استراقَةَ مقعدِ للسمعِ إلا أنه لم يُشهبِ
 وكأنتما جينُ ابنِ داودِ هم ركبوا جوانبها بأعنفِ مركبِ
 سجدوا جواهرهم بينهم فتقاذفوا منها بالسُنِ مارجِ متلهبِ
 من كلِّ مسجونِ الحريقِ إذا انبرى من سجنه انصَلَّتْ انصلاتِ الكوكبِ
 عريانَ يقدِّمه الدَّجَانُ كأنه صُبَّحَ يَكُرُّ على ظلامِ غيبِ

ومن أولها :

١ م : وإن ؛ التحفة : وإن كان .

أعجِبْ بِأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَبِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَفْرَبِ
لَبَسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ يَبْدُو لِعَيْنِ النَّاظِرِ الْمُتَعَجِّبِ
مِنْ كُلِّ مَشْرِقَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُتَنْصِبِ
ومنها :

جوفاء تحملُ موكباً في جوفها يومَ الرهانِ وتستقلُ بموكبِ
وهي طويلة من غرر القصائد ، وقد سرَدَ جملة منها صاحب « المناهج »
وغیره .

وقال أبو عمر القسطلي^١ :

وحال الموجُ بينَ بني سبيلٍ يطيرُ بهمُ إلى الغولِ ابنُ ماء
أغرُّ له جناحٌ من صباحٍ يرفرفُ فوقِ جناحٍ من سماء
وأخذه أبو إسحاق ابن خفاجة فقال^٢ :

وجاريةٌ ركبَتْ بها ظلاماً يطيرُ من الصباحِ بها جناحُ
إذا الماءُ اطمأنَّ ورقٌ خصرأ علا من موجهٍ رِدْفُ رداحُ
وقد فغر الحِمَامُ هناك فاه وأتلع جِدهَ الأجلُ المتاحُ
ولا يخفأك حُسْنُ هذه العبارة الصقيلة المرأة ، فالله تعالى يرحم قائلها .
وقال ابن الأبار : وقد قلت أنا في ذلك :

يا حَيْدَا مِنْ بَنَاتِ الْمَاءِ سَابِجَةً تَطْفُقُو لِمَا شَبَّ أَهْلُ النَّارِ تَطْفُقُهُ
تطيرها الريحُ غَيْرَ بَانَاً بِأَجْنَحَةٍ حَمَائِمِ الْيَبْرِ لِلْأَشْرَاقِ تَرْزُوهُ

١ ديوانه : ٢٢٣ ورفيع الحجب ١ : ١٤٢ .

٢ ديوان ابن خفاجة : ١٣٨ .

من كل أدهم لا يُلْفَى به جَرَبٌ فما لراكبه بالقار يهتؤه
يدعى غُرَاباً وللفَتْخاء سرعته وهو ابن ماء وللشاهين جُوجُوهُ

واجتمع ابن أبي خالد وأبو الحسن ابن الفضل الأديب عند أبي الحجاج ابن
مرطير الطيب بحضرة مراکش ، وجرى ذكر قاضيهما حيثئذ أبي عمران موسى
ابن عمران بينهم : وما كان عليه من القصور والبعد عما أتيح له ، وأوثر به ،
فقال أبو الحجاج :

ليس فيه من أبي موسى شبة

فقال أبو الحسن :

فأبوه فِضَّة وهو شبة

فقال ابن أبي خالد :

كم دعاه إذ رآه عُرَّةً وأباه إذ دعاهُ يا أبة

٥٢٤ - وقال أبو العباس الأعمى^١ :

بهيمة لو جرى في الخيل أكبرها لفاتت الريح في الأحجال والفرير^٢
تَجْرِي فللماء ساقا عاثم^٣ درب وللرياح جناحا طائر^٤ حذير^٥
قد قَسَمْتُها يدُ التقدير^٦ بينهما على السواء فلم تسبح ولم تطير

٥٢٥ - وقال عبد الجليل بن وهب^٧ يصف الأسطول :

١ هو الأعمى التتيلي ، انظر ديوانه : ٥١ .

٢ رواية الديوان :

بهيمة لو توفي كنه شربها لفاتت الخيل في الأحجال والفرير

٣ الديوان : ذكر .

٤ الديوان : التدبير .

٥ النخبة (٢ : ٢٠٧) .

يا حسنها يوماً شهدت زفافها
ورقاء كانت أبكة فتصورت
حيث الغراب يمر شملة عجبه
من كل لايسة الشباب ملاءة
شهدت لها الأعيان أن شواهدنا
من كل ناشرة قوادم أجنح
زارت زئير الأسد وهي صوامت
ومجاذف تحكي أراقم ربوة

بنت الفضاء إلى الخليج الأزرق
لك كيف شئت من الحمام الأورق
وكأنته من عيزة لم ينق
حسب اقتدار الصانع المتأني
أساؤها فتصحفت في المنطق
وعلى معاطفها وهادة سودق
وزحفن زحف مواكب في مازق
نزلت لتكرع من غدير مثنق

٥٢٦ - وقال ابن خفاجة ٢ :

سقياً لها من بطاح خز
فما ترى غير وجه شمس
ودوخ نهر بها مطيل
أطل فيه عذار ظل

وهو من بديع الشعر ، وكم لابن خفاجة من مثله .

٥٢٧ - [قطعة منقولة عن المغرب]

١ - وقال عبيد الله بن جعفر الإشبيلي ، وقد زار صاحباً له مرات ولم
يزره هو ، فكتب على بابه ٣ :

يا من يزأر على بُعد المحل ولا يزورنا مرة من بين مرات
زُر من يزورك واحذر قول عاذلة تقول عنك : فتى يؤتى ولا ياتي

١ ب : حسرة ؛ ق : عرة ؛ وأثبتنا رواية م .
٢ ديوانه : ١٤٠ وقد مر البيتان ج ١ : ١٩ .
٣ ترجمته والبيتان الأولان في المغرب ١ : ٢٦٢ .

ومن مجونياته ، ساعه الله تعالى :

وأغيدَ لَيْسَ تعلوهُ الأمانِي ولو حكمتَ عَليَّهُ باشتطاطِ
سَقَيْتُ الرَّاحَ حتَّى مالَ سَكرًا ونامَ عَلى النمارقِ والبساطِ
وأسلمَ لي على طولِ التجني وأمكُني على فرطِ التعاطي
فأولجتِ المقادِرُ جِداً بَكرًا ولا كُفرانَ في سَمِّ الخياطِ
وغَنّاني بصوتٍ من حَشاها فأطربني وبالغَ في نشاطي
فما نَقَرُ المِثالِ والثاني بأطربَ من تلاحينِ الضراطِ
ولولا الرِيقُ لم أَظفِرُ بشيءٍ على عدمِ اهتِبالِي واحتِياطِي
فلا تسخرُ برِيقٍ بَعْدَ هذا فإنَّ الرِيقَ مَفْتاحُ اللواطِ

2 - وقال أبو الحسن علي بن جعفر الزجال^١ :

كَيْفَ أَصْبَحْتَ أَيُّهَا الحبيبُ نحنَ مَرَضَى الهوى وأنتَ الطبيبُ
كلُّ قَلْبٍ إِلَيْكَ يَهْوُ غَرامًا ويحيا يا علي^٢ مِنْكَ القلوبُ
إن تَلَحُّ حَوَّمتُ عَلَيْكَ هُيامًا أو نَغِبَ حَنّا عَلَيْكَ الوجيبُ
غَيْرَ أَنِّي مِنْ بَيْنِهِم مَسْتَرِيبُ حينَ تَبْدُو وليس لي ما يَريبُ
كلُّ ما قَد ألقاه مِنْكَ وَمَنِّي دونَ هذا لهُ تُشَقُّ البُيوبُ

3 - وقال أحمد المعروف بالكساد ، في موسى الذي كان يتغزل فيه شعراء

إشيلية^٣ :

ما لموسى قد خَرَّ لَهِ لَمّا فاض نوراً غشاها ضوء سناهُ
وأنا قد صُعِقْتُ من نور موسى لا أَطيقُ الوقوفَ حينَ أراهُ

١ المغرب ١ : ٢٦٢ والقدح : ١٧٢ .

٢ هذه رواية القدح ؛ وفي الأصول : ونجاني علي .

٣ ترجمة الكساد ومقطعاته في المغرب ١ : ٢٨٨ .

ولله درّه في رثاء موسى المذكور إذ قال :

فرّا إلى الجنّة حوريّتها وارتفع الحسنُ من الأرضِ
وأصبح العشاقُ في مأتمٍ بعضهمُ يبكي إلى بعضِ

وقوله فيه :

هتَفَ الناعي بشجورِ الأبدِ إذ نعى موسى بن عبد الصمدِ
ما عليهمُ ويحهمُ لو دفنوا في فؤادي قطعةً من كبدي
ولقّب بالكساد لقوله :

وبيع الشعرُ في سوق الكسادِ

4 - وقال أبو القاسم ابن أبي طالب الحضرمي المنيشي^٢ :

صاغتُ يمينُ الرياحِ حكمةً في نهرٍ واضح الأساريرِ
فكلّما ضاعفتُ به حلقاً قام لها القطرُ بالمساميرِ

5 - وقال أبو زيد عبد الرحمن العثماني ، وهو من بيت إمارة^٣ :

لا تسلّني عن حالي فهي هذي مثلُ حالي لا كنتَ يا من يراني
مكّتي الأملُ والإخلاءُ لما أنْ جفاني بعدَ الوصالِ زماني
فاعتبر بي ولا يغركَ دهرٌ ليس منه ذو غبطةٍ في أمانِ

6 - وقال أبو زكريا يحيى بن محمد الأركشي^٤ :

١ المغرب : رد .

٢ هو الملقب بعضا الأعمى لأنه كان في صحبة الأعمى التليل ، انظر المغرب ١ : ٢٨٩ .

٣ ترجم ابن سعيد في القندج : ١٩٦ لعبد الرحمن العثماني وقال فيه : « كان من الخواص في جميع ما به تليس » إلا أنه كناه أبا القاسم . ويبدو أن ترجمته سقطت من المغرب .

٤ ترجمة الأركشي في المغرب ١ : ٣١٦ والتكملة رقم : ٢٠٥٣ . وصلة الصلة : ١٨٤ .

لا حبُّنا المالُ والإفضالُ يُتلفه والبخلُ يحميه والأقدارُ تعطيه

وقال :

لا تبكينَ لإخوانٍ تفارقهم فإنتي قبلك استخبرتُ إخواني
فما حملتهم في حالٍ قريبهم فكيف في حالٍ إبعادٍ وهجرانٍ

7 - وقال أبو عمران موسى الطرياني لما دخلَ يومَ نيروز إلى بعض
الأكابر ، وعادتهم أن يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور
مستحسنة ، فنظر إلى صورة مدينة ، فأعجبته ، فقال له صاحب المجلس :
صفها وخُذها^١ :

مدينةٌ مسورةٌ تحارُ فيها السحرةُ
لم تبها إلاَّ يدا عذراء أو مخدرةُ
بدتُ عروساً تجتلي من درمكٍ مزعفره
وما لها مفاتحٌ إلاَّ البنان العشرة

8 - وقال أبو عمرو ابن حكيم^٢ :

حاشا لمن أملككم أن يخيبَ وينثني نحو العدا مستريبُ
هذا وكم أقرأني بيشركم ﴿ نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ ﴾

9 - وقال أبو الحسن علي بن الجعد القرموني^٣ :

إياك من زللِ اللسان فإنه قدَرُ الفنى في لفظهِ المسموعِ

١ ترجمته وشعره في المغرب ١ : ٢٩٤ والقلح : ٢٠٢ ..

٢ ترجمة ابن حكيم وشعره في المغرب ١ : ٢٩٢ والقلح : ٢٠٠ وفي م : ابن حاكم .

٣ ترجمته في المغرب ١ : ٣٠٠ ، وقد جاءت هذه الفقرة في م بعد مقطعات ابن لبّال .

فالمرء يختبرُ الإثاءَ بنقريهِ ليرى الصحيحَ به من المصلوعِ

10 - وقال الفقيه أبو الحسن علي بن لبال في عبارة عناب محلاة بفضة^١

مُنْعَلَةٌ بِالْهَلَالِ ، مُلْجَمَةٌ بِالنَّسْرِ ، مَجْدُولَةٌ مِنَ الشَّقَقِ
كَأَنْتَمَا حَبْرَهَا تَمِيعٌ فِي فُرْضَتِهَا شَائِلًا مِنَ الْعَسَقِ
فَأَنْتَ مَهْمَا تَرَدُّ تَشَبَّهًا فِي كُلِّ حَالٍ فَانْظُرْ إِلَى الْأَفَقِ

وقال في عبارة آبنوس :

وخدميةٌ للعلم في أحشائها كَلَفٌ يَجْمَعُ حَرَامَهُ وَحَلَالَهُ
لِبَسَتْ رِداءَ اللَّيْلِ ثُمَّ تَوَشَّحَتْ بِنُجُومِهِ وَتَوَجَّتْ بِهَلَالِهِ

11 - وقال أبو جعفر أحمد الشريشي^٢ :

عَلَى حُسْنِ نَوْرِ الْبَاقِلَاءِ أَدْرَهُمَا عَلَى صَبِّ كَأْسِيْ خَمْرَةٍ وَجَفُونِ
يَذْكُرُنِي بِلُتَى الْحَمَامِ وَتَارَةٍ يُوَكِّدُ لِلْأَشْجَانِ شُهْلَ عَيُونِ

12 - وقال أبو العباس أحمد بن شكيل الشريشي^٣ :

تُفَاحَةٌ بَتْ بِهَا لَيْلِي أَبْشَهَا سَرِي وَالشَّكْوَى
أَضْمُهَا مَعْتَقًا لِأَنْمَاءٍ إِذَا ذَكَرْتُ خَدَّ مِنْ أَهْوَى

وقال :

تُفَاحَةٌ حَامِضَةٌ عَضَّهَا فِي ثَمَلٍ مِّنْ قَطَبِ الْوَجْهِ

١ المغرب ١ : ٣٠٣ ؛ والهاشية في مصادر ترجمته ؛ والذيل والتكملة ٥ : ١٦٩ .

٢ ترجمة أحمد الشريشي في المغرب ١ : ٣٠٤ .

٣ انظر المغرب ١ : ٣٠٤ .

ولم أخلّ من قبلها محسناً يُجزى عليه العُصّ والنجها

13 - وقال أبو عمرو ابن غياث^١ :

وقالوا مشيبٌ قلتُ واعتجبا لكم أينكرُ صبحٌ قد تخلّلَ غيها
وليسَ مشيباً ما ترونَ وإنما كَبِتُ الصُّبَا لما جرى عادُ أشها

14 - وقال الوزير أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين أبي مروان عبد الملك

ابن عبد العزيز يخاطب ابن عبلون^٢ :

في ذمّة الفضلِ والعلياء مُرتحلٌ فارقتُ صبري إذ فارقتُ موضِعَهُ
ضاءت به بُرْهَةٌ أرجاءُ قرطبةٍ ثمّ استقلّ فسدّ الينُ مطلَعَهُ
عذراً إلى المجد عني حين فارقتي ذلك الجلالُ فأعيا أن أشيَعَهُ
قد كنتُ أصحبته قلبي وأقعدني ما كان أودعني عن أن أودّعَهُ

وفيهما يقول ابن عبلون :

بحورٌ بلاغةٍ ونجومٌ عزّ وأطوادٌ رَؤاسٍ من جلالِ

15 - وقال الوزير الكاتب أبو القاسم ابن أبي بكر ابن عبد العزيز :

نديمي لا علمتُك من نديمٍ أدْرِها في دجى اللّيلِ البهيمِ
فخيرُ الأنسِ أنسٌ تحتَ سترٍ يُصانُ عن السفيهِ أو الحليمِ

16 - وقال الشاعر أبو عبد الله الخزيري^٣ :

في أمّ رأسي سرٌّ يَبْلُو لكم بَعْدَ حينٍ

١ انظر المغرب ١ : ٣٠٥ وترجمت في التكملة : ٦١٠ والتحفة : ١٢٩ والوافي ٤ : ١٠ .

٢ المغرب ١ : ٣٠٧ .

٣ المغرب ١ : ٣٢٣ .

لأُبْلُغَنَّ مَرَادِي إِنْ كَانَ سَعْدِي مُعِينِي
أَوْ لَا فَأَكْتُبُ مِمَّنْ سَعَى لِإِظْهَارِ دِينِ

وسبب قوله هذا أن بني عبد المؤمن لما غيروا رَسْمَ مَهْدِيَّتِهِمْ ، وصيروا الخلافة مُلْكًا ، وتوسَّعوا في الرفاهية ، وأهملوا حقَّ الرعية ، جعل يتسَّر ، وقال هذه الأبيات ، وشاع سرُّه في مدة ناصر بني عبد المؤمن ، فطلبه ، فقرَّ ، ولم يزل يتنقل مستخفياً مع أصحابه إلى أن حصل في حصن قولية من عمل مدينة بسطة ، فيبينما هو ذات يومٍ في جامعها مع أصحابه وهم يأكلون بطيخاً ويرمون قشره في صحن الجامع ، إذ أنكر ذلك رجل من العامة ، وقال لهم : ما تتقون الله تعالى ؟ ! تنهانون بيت من بيوته ؟ فضحكوا منه ، واستهزأوا به ، وأهلُ تلك الجهة لا تحتل شيئاً من ذلك ، فصاح بفتية من العامة ، فاجتمع جمع وحملوا إلى الوالي فكان عند الوالي مَنْ عَرَفه ، فقتلوا جميعاً ، وأمر الناصر أن يُرفع عن جميع أرض قولية جميع تكاليف السلطان .

17 - ولَمَّا عَتَبَ المنصور بن أبي عامر على الكاتب عبد الملك الجزيري ، وسجنه في الزاهرة ، ثُمَّ صَفَحَ عنه ، قال وكتب به إليه ١ :

عَجِبْتُ مِنْ عَقْوِ أَبِي عَامِرٍ لَا بَدَّ أَنْ تَتَّبَعَهُ مِنْهُ
كَذَلِكَ اللَّهُ إِذَا مَا عَفَا عَنْ عَبْدِهِ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ
فاستحسن ذلك ، وأعادته إلى حاله .

وقال على لسان بهار العامرية ، وهو النرجس ٢ :

حَدَقُ الْحَسَانِ تَقِيرُ لِي وَتَغَارُ وَتُضِلُّ فِي وَصْفِي النُّهَى وَتَحَارُ

١ المغرب ١ : ٣٢١ وقد مر البيتان (ج ١ : ٤١٩) منسويين لغيره .

٢ تقلعت هذه الأبيات والقطعتان بعدها ، ج ١ : ٥٣١ ، ٥٨٨ .

طلعتْ على قُضبي عيونُ تَمائي مثلَ العُيونِ تحفُّها الأشْفارُ
وأخَصُّ شيءٍ بي إذا شَبهتهُ دُرٌّ تَنطقُ سلكهُ دِينارُ
أنا نرجسٌ، حقّاً بهرتْ عقولهم ببديعِ تركيبي فقليلَ بهارُ

وقال في بنفسجها :

شهدتْ لنَوَّارِ البنفسجِ ألسنٌ من لونه الأُحوى ومن لِناعِهِ
بمِشابهِ الشَّعرِ الأَحمِ أعاره قمرُ المنيرِ الطلقُ نورُ شعاعِهِ
ولربما جمَدَ النَجيعُ من الطُّلى في صارمِ المنصورِ يومَ قِرَاعِهِ
فحكاهُ غيرَ مخالفٍ في لونه لا في روائحه وطيبِ طباعِهِ

وقال في القمر حين جعل يخفي بالسحاب ويبدو أمام المنصور :

أرى بذر السماء يلوحُ حيناً فيظهرُ ثمَّ يلتحفُ السحابا
وذلك أَنَّهُ لما تَبَدَّى وأبصر وجهك استحيا وغابا

18 - وقال الحِجاري في « المسهب »^١ : سألت أبا الحسن علي بن حَقِّص
الجزيري أن ينشدني شيئاً من شعره ، فقال : يا أبا محمد ، إذا لم ينظم الإنسان
مثل قول ابن شرف :

لم يبقَ للجَوَرِ في أيامكم أثرٌ إلا الذي في عيونِ الغِيَدِ من جَوَرِ
فالأولى له أن يترك نظم الشعر . إلى أن خرجتُ معه يوماً إلى سِيفِ الجزيرة
الخضراء ، فلقي غلاماً قد كدر رونقَ حسِنِهِ السُفْرُ ، وأثّر في وجهه كآثار
الكلف في القمر ، فصافحه ، ثم قال :

بأبي الذي صافحتهُ فتوردتُ وجنّاته وأناة نحوي قدُهُ

١ المغرب ١ : ٣٢٥ .

قمرٌ بدا كَلَفُ السُّرى في خدّه لَمَّا توالى في الترحل جَهْدُهُ
لكنّ معالُ حُسْنِه تمت كما قد تمّ عن صلب الحسام فِرْنْدُهُ
فحفظتها من سمعه ، ثم قلت له : قد أخذت عنك من نظمك ، بغير شكرك ،
فضحك وقال : فاحفظ هذا ، وأنشد :

لا تقولنّ فلانٌ صاحبٌ قبلَ اختبارِ
وانتظرُ ويحك تقدّال ليلٍ فيه والنهارِ
أنا جرّبتُ فلم أذُ في صديقاً باختيارِ

وأنشد :

كم قد بكرتُ إلى الرياضِ وقُضِبها قد ذكرتني موقفَ العشاقِ
يا حسنّها والريحُ يلحفُ بعضها بعضاً كأعناقٍ إلى أعناقِ
والوردُ خدّ . والأقاحي ميسمٌ وغدا البهار ينوبُ عن أحداقِ
لم أنفصلُ عنها بكأسٍ مُدامةٍ حتّى حملتُ محاسنَ الأخلاقِ

19 - ولما كتب أبو الحسن ابن سعيد إلى الأديب القائد أبي العباس أحمد
ابن بلال يستدعيه ليوم أنس بقوله ' :

أبا العباس لو أبصرت حولي ندامي بادروا العيش الهنيئاً
يُبَيِّحون المدامَ ولا انتقادُ وقارهمُ ويزدادون غيئاً
وهم مع ما بدالك من عفافٍ يخبّون الصبيسة والصبيبا
ويتهوّن المثالث والمثاني وشربَ الراح صبحاً أو عشيا
على الروض الذي يُهندي لطرفٍ وأنفٍ منظراً بهجاً وريئاً
فلا تكلم السريّ على ارتياحٍ حكى طرباً بجانبه سريئاً

١ المغرب ١ : ٣٢٦ والفتح : ٨٦ .

وبادرُ نحوَ نادٍ ما خلا من نذاك فقد عهدتك لَوذَعِيًّا
أجابه بقوله :

أَبَيْتَ سَوَى المَعَالِي يَا عَلِيًّا فَمَا تَنفَكُّ دَهْرَكَ أَرْجِيًّا
تَمِيلُ إِذَا النِّسِيمُ سَرَى كَغَصْنٍ وَتَسْرِي لِلْمَكَارِمِ مَشْرِفِيًّا
وَمُتَرَاتِحُ ارْتِيَا حَا لِلْمَثَانِي^١ وَتَقْتَنَصُ الصَّبِيَّةَ وَالصَّبِيَّا
وَتَهْوِي الرُّوضَى قَلْدَهُ نَدَاهُ وَأَلْبَسَهُ مَعَ الحُلَلِ الحَلِيَّا
وَلِنْ غَنَى الحَمَامُ فَلَا اصْطِبَارُ وَإِنْ خَفِقَ الحَلِيحُ فَتَنِيَتْ حَيَّا
تَذَكَّرُنِي الشَّبَابَ فَلَسْتُ أُدْرِي أَصْبَحًا حِينَ تَذَكَّرُ أَمْ عَشِيَّا
فَلَوْ أَدْرَكْتَنِي وَالْغَصْنُ غَضُّ^٢ لِأَدْرَكَتَ الَّذِي تَهْوِي لَدِيَّا
وَلَمْ أَتْرُكْ وَحَقَّكَ قَدَرَ لَحْظٍ وَقَدْ نَادَيْتَنِي ذَاكَ النَّدِيَّا

٥٢٨ ٢ - وقال بعض أهل الأندلس :

وَفَرَعٍ كَانَ يُوعِدُنِي بِأَسْرِ وَكَانَ القَلْبُ لَيْسَ لَهُ قَرَارُ
فَنَادَى وَجْهَهُ لَا خَوْفَ فَاسْكُنْ^٣ « كَلَامُ اللَّيْلِ يَمُحُوهُ النَّهَارُ »

ولستُ على يقين أن قائلهما أندلسي ، غير أنني رأيت في كلام بعض
الأفاضل نسبتها لأهل الأندلس ، والله تعالى أعلم .

20 - وقال أبو الوليد القسطلي^٤ :

وَفَوْقَ الدَّوْحَةِ الغَنَّا غَدِيرُ^٥ تَلَأْلَأَ صَفْحَةً وَسَجَا قَرَارُ
إِذَا مَا انْصَبَّ أَزْرَقَ مُسْتَقِيمًا تَدَوَّرَ فِي البَحِيرَةِ فَاسْتَدَارَا
يُسْجَرُّدُهُ فَمُ^٦ الْأَنْبُوبِ صَلَتَا حَسَامًا ثُمَّ يُفْلَتُهُ سَوَارَا

١ م : بالمشائي .

٢ ميزنا هذه القطعة برقم لأنها ليست من المغرب ثم يعود الترقيم إلى ما نقله المقرئ عن المغرب نفسه .

٣ المغرب ١ : ٣٢٨ والتكملة رقم : ٢١٠١ وزاد المسافر : ١٥-١٩ وانظر الخريدة ١/٤ : ٤٤٣ .

21 - ولأبي كثير الطريفي يمدح الناصر بن المنصور^١ :

فَتَوَّجَ لها يَهْتَزُّ شَرْقٌ وَمَغْرِبٌ كما اطَّردتْ في السَّهْريَّةِ أَكْعُبُ
تَجَلَّتْ على الدُّنيا شَمْسٌ مَنيرةٌ فلم يَبْقَ في لَيْلِ الكَآبَةِ غَيْهَبُ
أقام بها الإسلامُ شَدَوَ مَغْرَدٍ وظلتْ بأَرْضِ الشُّركِ بِالخَطْبِ نَخْبُ
فلا سَمْعَ إِلَّا وهو قد مالَ نحوَها ولا قَلْبَ إِلَّا في مُناها يَقْلَبُ

22 - وقال أبو عامر ابن الجلد^٢ :

للهِ لَيْلَةٌ مُشتاقٍ ظفرتُ بها قَطَعْتُها بِوَصالِ اللِّمِّ والقُبَلِ
نعمتُ فيها بأوتارٍ تَعَلَّلَنِي أحلى من المَنِّ أو أَمْنِيَةِ الغَزَلِ
أَحْبَبَ إِلَيَّ بها إِذْ كُلُّها سَحَرٌ أراحتِ الصَّبَّ من عَذْرِ ومن عَدَلِ

23 - وقال الكاتب أبو عبد الله محمد الشَّذَّي^٣ كاتب ملك إفريقية عبد الواحد بن أبي حَفْص :

مَدَّ إِلَيَّ الكاسَ مَنْ لَحْظُهُ لا يَحْجُجُ الشَّرْبَ إِلَى الكاسِ
ومَنْدُ حَيَاتِي بِأَسٍ فَلَمْ أَيْأسَ وَلَكِنْ كانَ لي آمِي
وقال لولا الناسُ قَبَّلْتُه ما أَشَامَ الناسَ على الناسِ

24 - وقال أبو بكر محمد بن الملح^٤ ، وهو من رجال الذخيرة ، على لسان حال سوار مذهب :

أنا من الفَضَّةِ البَيضاءِ خالِصةٌ لكنْ دَهْنِي خُطوبٌ غَيْرَتْ جَسَدِي

١ المغرب ١ : ٣١٩ واسمه عنده د كثير ه ، والطريفي نسبة إلى جزيرة طريف .

٢ المغرب ١ : ٣٤٢ وبغية الوعاة : ٢٧٥ .

٣ لم يرد ذكره في المغرب في القسم الخاص بشلب .

٤ المغرب ١ : ٣٨٣ والقلائد : ١٨٧ والذخيرة (٢ : ١٨٢) ومسالك الأبصار ٨ : ٢٥٧ .

علقتُ غصناً على أحرّوى فأحسّلتني جرّيّ الوشاح وهذي صفرةُ الحسدِ

وما أحسن قوله من قصيدة في المعتضد والد المعتمد :

غرّتهُ الشمسُ والحيا يدهُ بينهما للنجيع قوسُ قزحُ

25 — وأما ابنه أبو القاسم^١ فهو من رجال « المسهب » وكان اشتغل أوّل أمره بالزهد وكتب التصوّف ، فقال له أبوه : يا بني ، هذا الأمر ينبغي أن يكون آخر العمر ، وأما الآن فينبغي أن تعاشر الأدباء والظرفاء ، وتأخذ نفسك بقول الشعر ، ومطالعة كتب الأدب ، فلما عاشهم زيّنوا له الراح ، فتهتك في الخلعة ، وفر إلى إشبيلية ، وتزوّج بامرأة لا تليق بحاله ، وصار يضرب معها بالدف ، فكتب إليه أبوه :

يا سُخْنَةَ العَيْنِ يا بُنْيَا	ليتك ما كنت لي بُنْيَا
أبكيتَ عيني ، أطلتَ حزني	أمتَ ذكري وكان حيا
حطّطتَ قلدي وكان أعلى	في كلّ حالٍ من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكاباً	وشربُ مشمولة الحميا
حتى ضربتَ الدفوفَ جهرأ	وقلتَ للشرّ جىء إلينا
فاليوم أبكيك ملء عيني	إن كان يُغني البكاء شيئاً

فأجاب أباه بقوله :

يا لائمَ الصبِّ في التصابي	ما عنك يُغني البكاء شيئاً
أوجفتَ خيلَ العتابِ نحوي	وقبلُ أوثبتها إلينا
وقلتَ هذا قصيرُ عمري	فأربحُ من الدهر ما تهياً
قد كنتُ أرجو المتابَ ممّا	فُتنتُ جهلاً بهِ وغياً

١ انظر المغرب ١ : ٣٨٤ .

لولا ثلاثُ شيوخُ سوء أنتَ وإبليسُ والحُمَيّا

26 - وقال أبو بكر محمد بن عبد القادر الشُّلبي^١ يستدعي :

فديتك باكرُ نحو قُبّةِ روضةٍ تسبحُ بها الأمواهُ والطيْرُ تهتِفُ
وقد طلعتُ شمسُ الدنانِ بأفقهَا ونحنُ لديها في انتظارك وقَفُ
فلا تتخلّفُ ساعةً عن محلةٍ صدودك عمّن حلَّ فيها تخلّفُ

27 - وقال أخو إمام نحاة الأندلس أبي محمد عبد الله بن السيد البطلانيّوسي ،
وهو أبو الحسن عليّ بن السيد^٢ :

يا رَبِّ ليلٍ قد هتكتُ حجابهُ بزجاجةٍ وقادةٍ كالكوكبِ
يسعى بها ساقٍ أغنُ كأنّها من خدّه ورُضابٍ فيه الأشنبِ
بلرانٍ بلرٍ قد أمنتُ غروبهُ يسعى ببلرٍ جانحٍ للمغربِ
فاذا نعمتَ برشّفٍ بديرٍ طالعٍ فانعمْ ببلرٍ آخرٍ لم يغربِ
حتى ترى زُهرَ النجومِ كأنّها حولَ المجرةِ رَبْرَبٌ في مشربِ
والليلُ منحفرٌ يطيرُ غرابهُ والصبحُ يطرده بيازٍ أشهبِ

28 - ولما مدح أبو بكر محمد بن الروح الشُّلبي^٣ الأميرَ إبراهيمَ الذي
خطب به الفتح في القلائد ، وهو ابنُ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وكان
يُبدلُ عليه ويناديه ، بقصيدته التي أولّها :

أنا شاعرُ الدنيا وأنتَ أميرُها فما لي لا يسْري إليَّ سرورها

أشار الأمير إلى مضحك له كان حاضراً أن يحيق له لقوله « أنا شاعر الدنيا »

١ لم ترد ترجمته في المغرب المطبوع بين رجال شلب .

٢ يعد ابن السيد من شلب في الأصل (انظر المغرب ١ : ٣٨٥) ، وكل هذا يدل على أن المقرئ ينتقل
نقلًا متتابعًا عن نسخة من المغرب غير التي وصلتنا .

٣ المغرب ١ : ٣٨٦ .

فقال له ابن الروح : على من حُبقت ؟ يعني أنّه يحتمل أن يكون ذلك الفعل لقوله « أنا شاعر الدنيا » أو لقوله « وأنت أميرها » ، ففطن الأمير لما قصده ، وضحك وتغافل .

29 — وقال أبو بكر ابن المنخل الشَّلبي^١ :

كم ليلة دارت عليّ كواكبٌ للخمر تطلع ثم تغربُ في فمي
قبَلْتُها في كفٍّ مَنْ يسعى بها وخلطت قبلتها بقبلة معصم
وكانَ حُسْنُ بنانه مع كأسه غيمٌ يشرُّ لنا ببعضِ الأنجم

30 — وقال ذو الوزارتين أبو بكر ابن عمار^٢ :

قرأتُ كتابك مستشفعاً بوجه أبي الحُسْنُ من ردة
ومن قبلَ فضٍّ ختام الكتاب قرأت الشفاعة في خدة

وقال :

غزا القلوبَ غزالٌ حَجَّتْ إليه العيونُ
قد خطَّ في الخلدِ نوناً وآخرُ الحسنِ نونُ

قال الحجاري : ولاكثار ابن عمار في العذرين وإحسانه فيهم يدلّك على أنّه ، كما قيل عنه ، كان مشغولاً بالكاس ، والاستلقاء من غير نُعاس .

31 — وكان أبو الفضل ابن الأعلم^٣ أجمل الناس وأذكّهم^٤ في علم الأدب والنحو ، وأقرأ علم النحو قبل أن يلتحي ، فقال ابن صارة فيه :

١ المغرب ١ : ٣٨٧ والوافي ٢ : ٧ وزاد المسافر : ٨٧ والتكملة : ٤٩٦ .
٢ المغرب ١ : ٣٨٨ .
٣ المغرب ١ : ٣٩٦ .
٤ م : وأذكاهم .

أَكْرَمُ بِجَعْفَرِ اللَّيْبِ فَإِنَّهُ مَا زَالَ يَوْضَعُ مُشْكَلَ «الإِبْصَاحِ»
 مَاءَ الْجَمَالِ بِخَدِّهِ مَرْتَرَقُ فَالْعَيْنُ مِنْهُ تَجُولُ فِي ضَحَضَاحِ
 مَا خَدُّهُ جَرَحَتْهُ عَيْنِي ، إِنَّمَا صَبَغَتْ غِلَالَتَهُ دِمَاءُ جِرَاحِي
 اللَّهُ زَايَ زَبْرَجْدٍ فِي عَسْجَدِ فِي جَوْهَرٍ فِي كَوْثَرٍ فِي رَاخِ
 ذِي طُرَّةٍ سَبَّجِيَّةٍ ، ذِي غُرَّةٍ عَاجِيَّةٍ ، كَاللَّيْلِ وَالْإِصْبَاحِ
 رَشَأُ لَهُ خَدُّ الْبَرِيِّ وَلِحْظُهُ أَبْدَأُ شَرِيكَ الْمَوْتِ فِي الْأَرْوَاحِ

32 - وقال الرمادي ^١ :

نَوءٌ وَغَيْثٌ مُسْبِلٌ وَقَهْوَةٌ تَسْلَسِلُ
 تَدُورُ بَيْنَ فَتِيَّةٍ بِخَلْقِهِمْ تَمَثِّلُ
 وَالْأَفْقُ مِنْ سَحَابِهِ طَلٌّ ضَعِيفٌ يَنْزِلُ
 كَأَنَّهُ مِنْ فَضَّةٍ بُرَادَةٌ تَغْرِبَلُ

وقال ^٢ :

بَدْرٌ بَدَأَ يَحْمِلُ شَمْسًا بَدَتْ وَخَدُّهَا فِي الْحَسَنِ مِنْ خَدِّهِ
 تَغْرُبُ فِي فِيهِ وَلَكِنَّهَا مِنْ بَعْدِ ذَا تَطْلُعُ فِي خَدِّهِ

33 - ومن نظم أبي الفضل ابن الأَعلَم السَّابِقُ الذَّكَرُ :

وَعَشِيَّةٌ كَالسَّيْفِ إِلَّا حَدَّهُ بَسَطَ الرِّيعُ بِهَا لِنَعْلِي خَدَّهُ
 عَاطَيْتُ كَأْسَ الْأَنْسِ فِيهَا وَاحِدًا مَا ضَرَّهُ أَنْ كَانَ جَمْعًا وَحَدَّهُ

وهو جعفر ابن الوزير أبي بكر محمد ابن الأستاذ الأَعلَم ، من رجال «القلائد»

١ المغرب ١ : ٣٩٢ والآيات في كتاب التشبيهات : ٣٦ .

٢ المغرب : ٣٩٢ . والبيتان للمنوري في القوافي ١ : ١١٢ وتهذيب ابن صاكر ١ : ٤٥٨ والوافي ٧ : ١٨٥ .

و « المسهب » و « سمط الجُمان » ، وكان قاضي شَنْتَمَرِيَّة ، والأستاذ الأعلم هو إمام نحاة زمانه أبو الحجاج يوسف بن عيسى من رجال « الصلة » و « المسهب » و « السمط » ، وهو شارح الأشعار الست ، ومن نظمه يخاطب المعتمد بن عباد :

يا من تملكني بالقول والعملِ ومُبْلِغِي في الذي أملتُهُ أُمْلِي
كيف الثناء وقد أعجزتني نعماً ما لي بشكري عليها الدهر من قِبَلِ
رفعت للجودِ أعلاماً مُشَهَّرَةً فبابك الدهر منها عامرُ السبلِ

34 - وقال أبو علي لإدريس بن اليماني العبدري^١ :

قُبْلَةٌ كانت على دَهَشٍ أذهبت ما بي من العطشِ
ولها في القلبِ منزلةٌ لو عدتها النفسُ لم تعشِ
طرقني والدُّجى لَبَسَتْ خِلَعاً من جلدة الحبشِ
وكانَ النَجْمَ حينَ بدا درهمٌ في كفٍّ مرتعشِ

وسأله المعتضد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التي مدح بها ابن حَمَوْد فقال له : أشعاري مشهورة ، وبنات صلدري كريمة ، فمن أراد أن ينكح بكُرْها ، فقد عرف مَهْرَها ، وكانت جائزته مائة دينار .

ومن مشهور شعره بالمغرب والشرق قوله :

ثقلت زجاجاتُ أتنا فرغاً حتى إذا ملئتُ بصرفِ الراحِ
خفتُ فكادت أن تطير بما حوتُ وكذا الجسومُ تخفُّ بالأرواحِ

35 - وكانت بين الأديب الحسيب أبي عمرو ابن طَيْفُور والحافظ الهيثم

١ المغرب ١ : ٤٠٠ وانظر الجذوة : ١٦٠ والذخيرة ٣ : ١١٥ والمساك ١١ : ٢٠٤ .

مُهاجاة ، فقال فيه الحافظ ١ :

لابن طيفورٍ قريضٌ فيه شوكٌ وغموضٌ
عُدِمَتْ فيه القوافي والمعاني والعروضُ

وقال فيه ابن طيفور :

إنما الهيمُ سِفْرٌ من كلام الناس ضخمٌ
لا تُطالبه بفهمٍ ليسَ للديوانِ فهمٌ

36 - وقال أبو عمران ابن سعيد : أخبرني والذي أنه زار ابن حمدين بقرطبة في مدة يحيى بن غانية ، [قال] : فوجدته في هالة من العلماء والأدباء ، فقام وتلقاني ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، ما هذا الجفاء ؟ فاعتذرت بأنني أخشى الثقل ، وأعلم أن سيدي مشغول بما هو مكبّ عليه ، فأطرق قليلاً ثم قال :

لو كنتَ تهوانا طلبتَ لقاءنا ليس المحبُّ عن الحبيب بصابرٍ
فدعِ المَعَاذِرَ إنما هي جُنَّةٌ لمخادعٍ فيها ، ولستُ بعاذرٍ

فقلت : تصديق سيدي عندي أحبُّ إلي وإن ترتبت علي فيه الملامة من منازعته منتصراً لحقي ، فاستحسن جوابي ، وقال لي : كرره فإنه والله ماحٍ لكل ذنب ، ثم سأله كَتَبَ البيتين عنه ، فقال لي : وما تكتب فيهما ؟ فقلت : أليس في الإِنعام ذلك لأجد ما أخبر به والذي إذا أُبْتُ إليه ؟ فأَملاهـما عليّ ، فقلت : مَنْ قائلهما ؟ قال : قائلهما ، فعلمت أنهما له ، وقنعت بذلك .

٥٧٩ - وقال الحِجاري صاحب « المسهب في أخبار المغرب » :

كم بُتُّ من أسْرِ السُّهَادِ بِلَيْلَةٍ ناديتُ فيها هل لِحُنْحِكِ آخِرُ

إذ قام هذا الصبحُ يُظهرُ ملّةً حكمتُ بأن ذُبِحَ الظلامُ الكافرُ

وعلى ذكر « المسهب » فقد كنت كثيراً ما أستشكل هذه التسمية ، لما قال غير واحد : إن المسهب إنما هو بفتح الهاء ، كقولهم سَيْلٌ مُفْعَمٌ — بفتح العين — والفقرة الثانية وهي « المغرب » تقتضي أن يكون بكسر الهاء ، ولم يزل ذلك يتردد في خاطري إلى أن وقفت على سؤال في ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنتمري المشهور بالأعلم ، ونص السؤال :

سألك — أبقاك الله — الوزيرُ الكاتبُ أبو عمرو ابن غطمش ، سلمه الله ، عن « المسهب » وزعم أنك تقول بالفتح والكسر ، والذي ذكر ابن قتيبة في « أدب الكاتب » والزبيدي في « مختصر العين » أسهبَ الرجلُ فهو مُسْهَبٌ إذا أكثر الكلام ، بالفتح خاصة ، فيبين لي — أبقاك الله تعالى — ما تعتقد فيه ، وإلى أي كتاب تسند القولين ، لأقف على صحة من ذلك .

فأجابه : وصل إليَّ — أدام الله تعالى توفيك — هذا السؤال العزيز ، ووقفت على ما تضمنته ، والذي ذكرته من قول ابن قتيبة والزبيدي في الكتابين موضوع كما ذكرته ، والذي أحفظه وأعتقد أنه المسهب بالفتح المكثّر في غير صواب ، وأن المسهب بالكسر البليغ المكثّر من الصواب ، إلا أنني لا أسند ذلك إلى كتاب بعينه ، ولكنني أذكره عن أبي علي البغدادي من كتاب « البارع » أو غيره ، معلقاً في عدة نسخ من كتاب « البيان والتبيين » على بيت في صدره لمكي بن سودة وهو :

حَصِرَ مُسْهَبٌ جَرِيءٌ جَبَانٌ خَيْرَ عِيٍّ الرِّجَالِ عِيٍّ السُّكُوتِ

والمعلقة : « تقول العرب : أسهب الرجل فهو مُسْهَبٌ وأحصن فهو مُحْصَنٌ وألْفَج فهو مُلْفَجٌ ، إذا افتقر ، قال الخليل : يقال رجل مُسْهَبٌ ومُسْهَبٌ ، قال أبو علي : أسهب الرجل فهو مُسْهَبٌ بالفتح إذا أكثر في

غير صواب ، وأسهب فهو مُسْهَب بالكسر إذا أكثر وأصاب ، قال أبو عبيدة :
 أسهب الرجل فهو مُسْهَب إذا أكثر من خرف وتلف ذهن ، وقال أبو عبيدة
 عن الأصمعي : أسهب الرجل فهو مُسْهَب بالفتح إذا خرف وأهتر ، فإن
 أكثر من الخطأ قيل : أفند فهو مُفند ، انتهت المعلقة . فرأيُ مملوكك
 — أيلك الله تعالى — واعتقاده أن المُسْهَب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ،
 ولا المكثّر المصيب ، ألا ترى إلى قول الشاعر « حصر مسهب » أنه قرن فيه
 المسهب بالحصر وذمه بالصفتين ، وجعل المسهب أحقّ بالعي من الساكت
 والحصر فقال :

خيرُ عِيّ الرجالِ عِيّ السكوتِ

والدليل على أن المُسْهَب بالكسر يقال للبليغ المكثّر من الصواب أنهم
 يقولون للجواد من الخيل مُسْهَب بالكسر خاصة لأنها بمعنى الإجادة والإحسان ،
 وليس قول ابن قتيبة والزيدي في المُسْهَب بالفتح هو المكثّر من الكلام بموجب
 أن المكثّر هو البليغ المصيب ، لأن الإكثار من الكلام داخل في معنى الدم ،
 لأنه من الثثرة والهنر ، ألا تراهم قالوا : رجل مِكْثَر ، كما قالوا : ثرثار ،
 مهذار ، وقال الشاعر :

فلا تُمارُونَ إن ماروا بأكْثَر

فهذا ما عندي ، والله تعالى الموفق للصواب .
 قال الأعلام : ثمّ نظمت السؤال العزيز والجواب المذكور ، فقلت :

سلامُ الإلهِ وريحانهُ على الملك المجتبي المتخلّ
 سلامَ امرئٍ ظلّ من سَيِّبه خصيبَ الجنابِ رحيبَ المحلّ
 أتاني سؤالك أعزّزُ بهِ سؤالَ مبرّ على من سأل
 يسأل عن حالتي مُسْهَبٍ ومُسْهَبٍ المُبتلى بالعلل

لمَ اختلفا في بناءيهما وحكمهما واحد في فعل
أتى ذا على مُفْعَل لم يُعَلَّ وذاك على مُفْعِلٍ قد أعلَّ
فقلتُ مقالاً على صدقه شهيدٌ منَ العقلِ لا يستزلَّ
بناءً البليغِ أتى سالماً سلامتهُ من فضول الخطلِ
وأسهبَ ذاك مسيئاً فزلَّ زليلاً نبي متنه فانخذلَّ
وأحسنَ ذا فجَرى وصفهُ على سَنَنِ المحسنِ المستقلِّ
فهذا مقاليّ مستبصراً ولستُ كمن قال حدة ساء ففضلَّ
تقلدتُ في رأيه مذهباً يخلصك بينَ الظُّبيِّ والأسلِّ
سموك في الروع مستشرقاً إلى مهجة المستميتِ البطلِ
كأنك فيها هلالُ السما يزيدُ بهاءً إذا ما أهلَّ
بلَ أنتَ مطلٌّ كبلرِ السماء يُمضي الظلامَ إذا ما أطلَّ

قلت : رأيت في بعض الحواشي الأندلسية : أن ابن السكيت ذكر في بعض
كتبه في بعض ما جعله بعضُ العرب فاعلاً وبعضهم مفعولاً : رجل مُسْنَب
ومُسْنَب ، لكثير الكلام ، وهذا يدل على أنهما بمعنى واحد ، انتهى .

٥٣٠ — وسأل بعضُ الأدباء الأستاذَ الأعلم المذكور عن المسألة الزنبورية ،
المقرنة بالشهادة الزورية ، الجارية بين سيويه والكسائي أو الفراء ، والقضاء
بينهم فيها ، وهي « ظننت أن العَقْرَبَ أشدُّ لسعةً من الزنبور ، فإذا
هو هي ، أو إياها » ، وعن نسب سيويه : هل هو صريح أو مَوَلَّى ؟ وعن سبب
لزومه التحليل بعد أن كان يطلب الحديث والتفسير ، وعن علّة تعرضه لمناظرة
الكسائي والفراء ، وعن كتابه الجاري بين الناس : هل هو أولُ كتاب أو
أنشأه بعد كتاب أول ضاع كما زعم بعض الناس ؟

فأجاب : أما المسألة الزنبورية الماثورة بين سيويه والكسائي : أو بينه وبين

الفراء على حسب الاختلاف في ذلك ، بحضرة الرشيد ، أو بحضرة يحيى بن خالد
 البرمكي فيما يروى ، فقد اختلفت الرواة فيها : فمنهم من زعم أن الكسائي أو
 الفراء قال لسيبويه : كيف تقول « ظننت أن العقرب أشدُّ لسعةً من الزنبور ،
 فإذا هو هي ، أو إياها » ؟ فأجاب سيبويه — بعد أن أطرقَ شيئاً — « فإذا هو
 إياها » في بعض الأقاويل ، وزعم آخرون أنه قال « فإذا هو هي » ففيها من
 الاختلاف عنهم ما ترى ، فإن كان أجاب بإذا هو هي ، فقد أصاب لفظاً
 ومعنى ، ولم تدخل عليه في جوابه شبهة ، ولا علة لمعارض ، لأن « إذا » في
 المسألة من حروف الابتداء المتضمنة للتعليل بالخبر ، فإذا اعتبرت المضمرين
 بعدها بالاسمين المظهرين لزمك أن تقول « فإذا الزنبورُ العقربُ » أو « اللسعة
 اللسعة » أي مثلها سواء ، فلو قلت « فإذا هو إياها » بنصب الضمير الأخير
 لزمك أن تقول : فإذا الزنبورُ العقربَ ، بالنصب ، وهذا لا وجه له ، فإذا لم
 يجوز نصب الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمر الواقع موقعه ؟ ويرى
 في المسألة أن الكسائي أو الفراء قال لسيبويه بعد أن أجاب برفع الضميرين على
 ما يوجبه القياس : كيف تقول يا بصري « خرجت فإذا زيد قائم ، أو قائماً » ؟
 فقال سيبويه : أقول « قائم » ولا يجوز النصب ، فقال الكسائي : أقول قائم
 وقائماً ، والقائمُ والقائمَ ، بالرفع والنصب في الخبر مع النكرة والمعرفة ،
 فتأول الكسائي والفراء في اختيارهما « فإذا هو إياها » حمل الخبر المضمر في
 النصب على الخبر المظهر المعرفة مع الإعراب بوجه النصب ، فكأنه قال : فإذا
 الزنبور العقربَ ، كما تقول : فإذا زيد القائمَ ، فيجري المعرفة في النصب
 مجرى النكرة ، وقولهما في هذا خطأ من جهتين : إحداهما : أن نصب الخبر
 بعد إذا لا يكون إلا بعد تمام الكلام الأول في الاسم مع حرف المفاجأة ، ومع
 كون الخبر نكرة ، كقولك : خرجت فإذا زيد قائماً ، لأنك لو قلت « خرجت
 فإذا زيد » تمَّ الكلام ، لتعلق المفاجأة بزيد على معنى حضوره ، ثم تبين حاله
 في المفاجأة المتعلقة به فتقول « قائماً » أي : خرجت ففاجأني زيد في هذا الحال ،

وقوله في المسألة « إياها » لا يتم الكلام في الاسم الأول دونها ، ألا ترى أنك لو قلت « ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو » وسكت ، لم يتم الكلام أولاً ، ولا أفدت بذكر المفاجأة وتعليقها بالزنبور فائدة ، وإنما المفاجأة للضمير الآخر ، فلا بد من ذكره والاعتماد عليه ، وهذا يوجب الرفع في الخبر ؛ لأن الظرف له ، لا للمخبر عنه ، فهذا بيّن واضح ، والجهة الأخرى في غلطهما أن « إياها » معرفة ، والحال لا تكون إلا نكرة ، فقد اجتمع في قولهما أن أتيا بحال لم يتم الكلام دونها ، معرفة ، والحال لا تكون إلا بعد تمام الكلام ومع التنكير ، فقد تبين خطؤهما وإصابة سيويه في لزوم الرفع في الخبر فقط .

وأما من زعم عن سيويه أنه قال « خرجت فإذا زيد قائم » بالرفع لا غير فباطل ، وكيف ينسب إليه وهو علمنا أن الظرف إذا كان مستقراً للاسم المخبر عنه نصب الخبر ، وإذا كان مستقراً للخبر رفع الخبر ، ونحن نقول « خرجت فإذا زيد » فيتم الكلام ، و « نظرت فإذا الهلال طالع » فيتبعه الخبر رفعاً ، كما تقول « في الدار زيد قائم ، وقائماً » و « اليوم سيرك سريع ، وسريعاً » ، ولكن الخبر إذا كان الظرف له ولم يتعلق إلا به لم يكن إلا رفعاً ، كقولك « اليوم زيد منطلق ، وغداً عمرو خارج » لأن الظرف لا يكون مستقراً للاسم المخبر عنه إذا كان زماناً ، والمخبر عنه جئته ، وكذلك المفاجأة إذا كانت للخبر لم يكن إلا مرفوعاً ، معرفة كان أو نكرة ، فإذا كانت للمخبر عنه والخبر نكرة انتصب على الحال ، فجرى قولك « ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي » وظننت زيداً عالماً فإذا هو جاهل » في لزوم الرفع في الخبر مجرى « اليوم زيد منطلق ، وغداً عمرو خارج » كما جرى « خرجت فإذا زيد قائم ، وقائماً » في جواز الرفع والنصب مجرى « في الدار زيد جالس ، وجالساً » ، فتأمل الفرق بينهما وحاصله ، فإن النحويين المتقدمين والمتأخرين قد أغفلوا الفرق بين المفاجأتين .

وأما نصب الخبر المعرفة بعد إذا ، تم الكلام أو لم يتم ، فباطل لا تقوله

العرب ، ولا يجيزه إلا الكوفيون .

وإن كان سيويه رحمه الله تعالى أجاب بقوله « فإذا هو إياها » كما روى بعضهم فظاهر جوابه مدخول ، لما قلعت ، والخطأ فيه بيّن من جهة القياس كما ذكرنا ، فإن كان قاله والترمذ دون الرفع فقد أخطأ خطأ لا يخرج له منه ، وإن كان قد قاله وهو يرى أن الرفع أولى وأحق ، إلا أنه أثر النصب للإعراب حملاً على المعنى الخفي ، دون ما يوجب القياس واللفظ الجلي ، فلجوابه عندي وجهان حسنان :

أحدهما : أن يكون الضمير المنصوب وهو « إياها » كناية عن السعة ، لا عن العقرب ، والضمير المرفوع كناية عن الزنبور ، فكأنه قال « ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا الزنبور لسعة العقرب » أي فإذا الزنبور يلسع لسعة العقرب ، فاختزل الفعل لما تقدّم من الدليل عليه ، بعد أن أضمر السعة متصلة بالفعل ، فكأنه قال « فإذا الزنبور يلسعها » فاتصل الضمير بالفعل لوجوده ، فلمّا اختزل الفعل انفصل الضمير ، لعدم الفعل .

ونظير هذا من كلام العرب قولهم « إنّما أنت شرب الإبل » أي : إنّما أنت تشرب شرب الإبل ، فاختزل الفعل ، وبقي عمله في المصدر ، ولم يرفع لأنه غير الاسم الأول ، فلو أضمرت شرب الإبل بعدما جرى ذكره فقلت « ما يشرب زيد شرب الإبل ، إنّما أنت تشربه » لاتصل الضمير بالفعل ، فلو حذفته لانفصل الضمير فقلت « إنّما أنت إياه » فتدبره تجده متقاداً صحيحاً .

والوجه الآخر : أن يكون قوله « فإذا هو إياها » محمولاً على المعنى الذي اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولاً وآخرأ ، لأن الأصل في تأليف المسألة « ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فلمّا لسعني الزنبور ظننته هو إياها » فاختصر الكلام لعلم المخاطب ، وحذف الظن آخرأ لما جرى من ذكره أولاً ، ودلت « إذا » لما فيها من المفاجأة على الفعل الواقع بعد لما الدالة على وقوع الشيء لوقوع غيره ، فإذا جاز حذف الكلام إثارة للاختصار مع وجود الدليل على

المحذوف كان قولنا « فإذا هو إياها » بمترلة قولنا « فلما لسعي الزبور ظنته هو إياها » فحذف الظن مع مفعوله الأول ، وبقي الضمير الذي هو العماد والفصل مؤكداً للضمير المحذوف مع الفعل ودالاً على ما يأتي بعده من الخبر المحتاج إليه ، فيكون في حذف الخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الإتيان بالعماد والفصل المؤكد له المثبت لما بعده من الخبر المحتاج إليه مثل قوله ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا أَنَا لَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ ﴾ (آل عمران : ١٨٠) فحذف البخل الذي هو المفعول الأول لقوله « يحسبن » وبقي الضمير مؤكداً له مثبتاً لما بعده من الخبر ، وجاز حذفه لدلالة « يبخلون » عليه ، والمعنى : لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيراً لهم ؛ فهو في المسألة عماد مؤكد لضمير الزبور المحمول على الظن المضمر ومثبت لما يجيء بعده من الخبر الذي هو « إياها » فتفهمه فإنه متمكن من جهة المعنى ، وجاز من الاختصار لعلم المخاطب على قياس وأصل ، وشاهد القرآن في الحذف واستعمال العرب النظائر ، وهي أكثر من أن تحصى ، فمنها قولهم « ما أغفله عنك شيئاً » أي تثبت شيئاً ودع الشك ، وقولهم لمن أنكر عليه ذكر إنسان ذكره « من أنت زيداً » أي : من أنت تذكر زيداً ، وربما قالوا « من أنت زيد » بالرفع على تقدير : من أنت ذكرك زيد ، فحذفوا الفعل مرة وأبقوا عمله ، وحذفوا المبتدأ أخرى وأبقوا خبره ، وكل ذلك اختصار ، لعلم المخاطب بالمعنى ، وكذلك قولهم « هذا ولا زعماتك » أي هذا القول والزعم الحق ولا أتوهم زعماتك ، فحذف هذا لعلم السامع مع تحصيل المعنى وقيامه عند المخاطب ، والحمل في كلامهم على المعنى أكثر من أن يحصى .

فإن كان الضمير الأول في المسألة للزبور والضمير الآخر للعقرب لم يجز البتة إلا رفع الضميرين بالابتداء والخبر ، على حد قولك « ظننت زيداً عاقلاً » فإذا هو أحق ، وحسبت عبد الله قاعداً فإذا هو قائم ، ولو تقدم ذكر الخبر والمخبر عنه لقلت « فإذا هو هو » ولم يجز فإذا هو إياه البتة . ويجوز في المسألة

إذا قلت : فإذا هو ، لأبى أن يكون الضمير للزبور والعقرب على حد قولك « الزبور العقرب » ويجوز أن تقول « فإذا هي هو » على التقديم والتأخير على حد قولك « فإذا العقربُ الزبورُ » أي سواء في شدة اللسعة كما تقول « خرجت فإذا قائم زيد » على تقدير فإذا زيد قائم ، ويجوز أن يكون « هو » كناية عن اللسع بدلالة اللسعة عليه ، وتكون « هي » كناية عن اللسعة على تقدير : فإذا لسع الزبور لسعة العقرب ، ويجوز « فإذا هي هو » على إضمار اللسعة واللسع ، والتقدير : فإذا لسعة الزبور لسع العقرب ، وهذا كله لا يجوز فيه إلا الرفع عند البصريين ؛ لأن الآخر هو الأول ، والخبر معرفة متعلق بالمفاجأة فلا يجوز فيه الحال ، والكوفيون يميزون النصب كما تقدم ، وهو غلط بئس ، وخطأ فاحش ، لا تقوله العرب ، ولا تعلق له بقياس ، فاعلمه .

ويجوز في المسألة « فإذا هو هو » على تقدير : فإذا اللسع اللسع ، ويجوز « فإذا هي هي » على تقدير : فإذا اللسعة اللسعة ، وفي هذا كفاية إن شاء الله تعالى . وأما نسب سيبويه ففارسي مولى لبني الحارث بن كعب بن علة بن خلدة ابن مالك ، وهو مدحج ، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر ، وكنيته أبو بشر ، ولقبه الذي شهر به سيبويه ، ومعناها بالفارسية رائحة التفاح ، وكان من أطيب الناس رائحة ، وأجملهم وجهاً ، وقيل : معنى « سي » ثلاثون ، ومعنى « بويه » رائحة ، فكان معناها : الذي ضوعف طيب رائحته ثلاثين مرة .

وأما سبب تعويله على الخليل في طلب النحو - مع ما كان عليه من الميل إلى التفسير والحديث - فإنه سأل يوماً حماد بن سلمة فقال له : أحدثك هشام ابن عروة عن أبيه في رجل رَعَفَ في الصلاة ، بضم العين ، فقال له حماد : أخطأت ، إنما هو رَعَفَ بفتح العين ، فانصرف إلى الخليل ، فشكا إليه ما لقيه من حماد ، فقال له الخليل : صدق حماد ، ومثل حماد يقول هذا ، ورَعَفَ بضم العين لغة ضعيفة ، وقيل : إنه قدِمَ البصرة من البَيْداء من قرى شيراز من عمل فارس ، وكان مولده ومنشؤه بها ، ليكتب الحديث ويرويه ، فلزم حلقة حماد

ابن سَلَمَة ، فبينما هو يستملي على حماد قولَ النبي صلى الله عليه وسلم « ليس مِن أصحابي إلّا من لو شئتُ لأقدتُ عليه ، ليس أبا الدرداء » فقال سيويوه « ليس أبو الدرداء » بالرفع ، وخمّته اسم ليس ، فقال له حماد : لخت يا سيويوه ، ليس هذا حيث ذهبت ، إنّما ليس ههنا استثناء ، فقال سيويوه : سأطلب علماً لا تلحنني فيه ، فلزم الخليل ، وبرع في العلم .

وأما سبب وفوده على الرشيد ببغداد وتعرّضه لمناظرة الكسائي والقراء ، فلما كانا عليه من تمكن الحال ، والقرب من السلطان ، وعلوّ همّته ، وطلبه للظهور مع ثقته بعلمه ؛ لأنّه كان أعلم أهل زمانه ، وكان بينه وبين البرامكة أقوى سبب ، فوفد على يحيى بن خالد بن برمّك وابنيه جعفر والفضل ، فعرض عليهم ما ذهب إليه من مناظرة الكسائي وأصحابه ، فسعّوا له في ذلك ، وأوصلوه إلى الرشيد ، فجرى بينه وبين الكسائي والقراء ما ذكر واشتهر ، وكان آخر أمره أن الكسائي وأصحابه لما ظهروا عليه بشهادة الأعراب على حسب ما لُقِّتُوا أن قال يحيى بن خالد أو الكسائي للرشيد : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أن لا يرجع خائباً فعلت ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وانصرف إلى الأهواز ، ولم يُعَرَّج على البصرة ، وأقام هنالك مدّة إلى أن مات كمدّاً ، ويروى أنّه ذرِبَتْ معدته فمات ، فيرون أنّه مات غمّاً ، ويروى أن الكسائي لما بلغه موته قال للرشيد : دِهْ يا أمير المؤمنين فإنّي أخاف أن أكون شاركتُ في دمه ، ولما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه فقطرت دمه من دمّوعه على خده ، فرفع عينيه وقال : أُخَيِّينَ كُنّا فرّقَ الدهرُ بَيْنَنَا إلى الأمد الأقصى ، ومن يأمن الدهرا ؟

ومات على السنّة والجماعة ، رحمه الله تعالى .
وأما كتابه الجاري بين الناس فلم يصح أنّه أنشأه بعد كتاب آخر قبله ، على أن ذلك قد ذُكر .

فهذا ما حضر فيما سألت عنه ؛ فمن قرأه وأشرف فيه على تقصير فليسط

العدر فإنه لساعتين من نهار ، إملاء يوم الثلاثاء عشي النهار لثمان خلون لصفرة
سنة ٤٧٦ ، انتهى .

٥٣١ - وقال الإلييري ، رحمه الله تعالى ^١ :

لا شيء أخسرُ صَفَقَةً مِنْ عَالَمٍ لعبتُ بِهِ الدُّنْيَا مَعَ الْجَهَّالِ
فَغَدَا يَفْرُقُ دِينَهُ أَيْدِي سَبَا ويذيله حرصاً يجمع المال
لا خَيْرَ فِي كَسْبِ الْحَرَامِ ، وَقَلَّمَا يُرْجَى الْخِلَاصُ لِكَاسِبِ الْحِلَالِ
فَخَذَ الْكَفَافَ وَلَا تَكُنْ ذَا فَضْلَةٍ فَالْفَضْلُ تَسَالُ عَنْهُ أَيُّ سَوَالِ

٥٣٢ - وكان أبو الفضل ابن الأعلم من أحسن الناس وجهاً ، وأذكرهم
في علم النحو والأدب ، وأقرأ النحو في صباه ، وفيه يقول ابن صارة الأندلسي ،
رحمه الله تعالى ^٢ :

أَكْرَمُ بِجَعْفَرٍ اللَّيْبِ فَإِنَّهُ مَا زَالَ يَوْضَعُ مُشْكَلَ «الْإِيضَاحِ»
مَاءَ الْجَمَالِ بِوَجْهِهِ مَرْقَرُقُ فَالْعَيْنُ مِنْهُ تَجُولُ فِي ضَحَضُوحِ
مَا خَدُّهُ جَرَحَتْهُ عَيْنِي ، إِنَّمَا صَبَغَتْ غِلَاقَهُ دُمَاءُ جِرَاحِي
لِلَّهِ زَائِي زُبْرَجْدٍ فِي عَسْجِدٍ فِي جَوْهَرٍ فِي كَوْثَرٍ فِي رَاحِ
ذِي طُرَّةٍ سَبَجِيَّةٍ ، ذِي غُرَّةٍ عَاجِيَّةٍ ، كَاللَّيْلِ وَالْإِصْبَاحِ
رَشَأَ لَهُ خَدُّ الْبَرِيِّ ، وَلَحْظُهُ أَبْدَأُ شَرِيكَ الْمَوْتِ فِي الْأُرُوحِ ^٣

٥٣٣ - وقال محمد بن هانيء الأندلسي من قصيدة ^٤ :

السَّافِرَاتُ كَأَنَّهُنَّ كَوَاكِبُ وَالنَّاعِمَاتُ كَأَنَّهُنَّ غَصُونُ

١ ديوان الإلييري : ٨١ .

٢ قد مر هذا ص : ٧٣ - ٧٤ من هذا الجزء .

٣ زاد في م بعده : وقد سبقَت هذه الأبيات قبل هذا .

٤ ديوان ابن هانيء : ١٧١ .

ماذا على حُلِّ الشقيق لَوَّآنها عن لابسها في الخلود تبينُ
لأعطشنَ الروض بعدهمُ ولا يرويه لي دمعٌ عليه هَتُونُ
أعير لحظَ العين بهجةً منظرٍ وأخونهم ؟ إني إذن لخَوُونُ
لا الجوّ مشرقٌ وإن اكتسى زهواً ، ولا الماء المعينُ معينُ
لا يبعدنَ إذ العيرُ لهُ ثرى والبانُ روح ، والشموسُ قطينُ
الظلُّ لا متقلُّ ، والحوضُ لا متكدرٌ ، والأمنُ لا ممنونُ

٥٣٤ — وقال القسطلقي في أسطول أنشأه المنصور بن أبي عامر من قصيدة^١ :

تَحَمَّلَ منه البحرُ بحرًا من القنا يروعُ بها أمواجهُ ويهولُ
بكلِّ ممالاتٍ الشراع كأنها وقد حملت أسدَ الحقائق غيلُ
إذا سابتُ شأوَ الرياح تخيلتُ خيولاً مدى فرسانهن خيولُ
سحائبُ تزجّيهما الرياحُ فإن وفّت أطافتُ بأجسادِ النعام فيولُ
ظباء سمام ما لهنّ مفاحصُ وزرق حمام ما لهنّ هديلُ
سواكنُ في أوطانهنّ كأنّ سَمَا بها الموجُ حيث الراسياتُ نزولُ
كما رفعَ الآلُ الهوادجَ بالضحى غداة استقلت بالخليط حُمُولُ
أراقمُ تحوي نافعَ السمّ ما لها بما حملتُ دونَ العُدّةِ مَقِيلُ

وقد أطنب الناس في وصف السفن وأطابوا ، وقرّطسوا القريضَ وأصابوا ، وقد ذكرنا نبذة من ذلك في هذا الكتاب .

٥٣٥ — وقال أبو بحر صَفْوَان بن إدريس التَّجِيبي : حدثني بعض الطلبة بمراكش أن أبا العباس الجراوي كان في حانوت ورّاق بتونس ، وهناك فنى يميل إليه ، فتناول الفتى سَوْسَنَة صفراء ، وأوماً بها إلى خديه مشيراً ، وقال : أين الشعراء ؟ تحريكاً للجراوي ، فقال ارتجالاً :

١ ديوان ابن دراج : ٥ .

وعُلُوِيّ الجمال إذا تبدّى أراك جبينه بدرأ أنارا
أشار بسوسن يحكيه عرفاً ويحكي لون عاشقه اصفرارا

قال أبو بحر : ثم سألتني أن أقول في هذا المعنى ، فقلت بديهاً :

أومى إلى خده بسوسنة صفراء صيغت من وجنتي عبده
لم تر عيني من قبله غصناً سوسنه نابت إذا وزده
أعملت زجري فقلت ربّتما قرب خد المشوق من خده

فحدثني المذكور أنه اجتمع مع أبي بكر ابن يحيى بن مجبر ، رحمه الله تعالى ،
قبل اجتماعه بي في ذلك الموضع الذي اجتمع فيه بي بعينه ، فحدثه بالحكاية كما
حدثني ، وسأله أن يقول في تلك الحال ، فقال بديهاً :

بي رشاً وسنان مهما انثى حار قضيب البان في قده
مذو ولي الحسن وسلطاناه صارت قلوب الناس من جنده
أودع في وجنته زهرة كأنها تجزع من صدّه
وقد تفاءلت على فعله أني أرى خدي على خده

فتعجبت من توارد خاطرينا على معنى هذا البيت الأخير .

قال أبو بحر : ثم قلت في تلك الحال :

أبرز من وجنته وردة أودعها سوسنة صفرا
ولنما صورته آية ضمّنها من سوسن عسرا

٥٣٦ — وقال بعضهم^١ في الباذنجان :

ومستحسن عند الطعام مدحرج غداه نمر الماء في كل بستان

١ م : بعض شعراء الأندلس .

تَطَلَّعَ فِي أَقْمَاعِهِ فَكَأَنَّهُ قُلُوبُ نَعَاجٍ فِي غَالِبِ عَقْبَانٍ

٥٣٧ - وقال ابن خروف ، ويقال إنها في وصف دمشق :

إذا رحلت عروبة عن حياها تأوّه كلُّ أوّاهٍ حلِيمٍ
إلى سبّت حكي فرعون موسى يجمع كلَّ سحّارٍ عليمٍ
فبصرُ كلِّ أمْلُودٍ قويمٍ يمسُّ بكلِّ ثعبانٍ عظيمٍ
إذا انسابت أراقمها عليها تذكّرنا بها ليلَ السليمِ
وشاهدنا بها في كلِّ حينٍ جبالاً ألقيت نحو الكليمِ

٥٣٨ - وقال أبو القاسم ابن هشام^١ ارتجالاً في وسيم عض وردة ثم رمى بها ، وسئل ذلك منه امتحاناً :

ومعجز الأوصاف والوصاف في بُردَيَّ جمالٍ طُرّاً بالثَّيهِ
سوسانُ أئمله تناولَ وردةً فغداً يمزقها أقاحي فيهِ
فكأنّني شبهتُ وجنته بها فرمى بها غضباً على التشبيهِ
وقال أيضاً^٢ فيمن عض كلبٌ وجنته :

وأغيدَ وضاحِ المحاسنِ باسمٍ إذا قامر الأسيافَ ناظره قَمَرٌ
تعمدَ كلبٌ عضَّ وجنته التي هي الوردُ إيناعاً وأبقى بها أثرُ
فقلتُ لشُهبِ الأفقِ كيف صماتكم وقد أثر العواءُ في صفحةِ القمرِ

٥٣٩ - وقال آخر يصف شجرة في خلد وسيم :

عذيري من ذي صفحةٍ يوسُفيةٍ بها شجرةٌ جلّت عن اللثمِ واللمسِ

١ ترجمة أبي القاسم ابن هشام في زاد المسافر : ٦٢ .

٢ م : وقال آخر .

يقولون من عَجَبٍ : أتحسنُ وصفها فقلت : هلال لاح في شَفَقِ الشمسِ

٥٤٠ - وقال القاضي أبو الوليد الوقشي فيمن طَرَّ شاربُهُ^١ :

قد بيَّنتُ فيه الطبيعةُ أنها لبديعِ أفعالِ المهندسِ باهرةُ
عُنيتْ بمِسمه فخطَّتْ فوقهُ بالمسكِ خطًّا من محيطِ الدائرةُ

٥٤١ - وقال أبو الحسن ابن عيسى :

عابوه أَسْمَرَ ناحلاً ذا زرقه رملأ وظنوا أنَّ ذاك يَشِينُهُ
جهلوا بأنَّ السمهرى شبيههُ وخضابهُ بدمِ القلوبِ يزينه

٥٤٢ - وقال الأستاذ أبو ذر الحشني :

أنكر اصحبي إذ رأوا طرفهُ ذا حمرة يشفى بها المغرمُ
لا تنكروا ما احمرَّ من طرفه فالسيفُ لا يُنكرُ فيه الدمُ

٥٤٣ - وقال أبو عبد الله محمد^٢ بن أبي خالص الرندي :

يا شادناً برز العذارُ بخدّه وازداد حُسناً ، ليته لم يبرز
الآن أعلمُ حين جدِّي الهوى كم بين مختصرٍ وبين مطرِّ

٥٤٤ - وقال أبو الحسين عبد الملك بن مغوِّز المعافري :

ومعدِّي من خدّه ورقبيه شغلان حلاًّ عقد كلِّ عزيمة
خدُّ وخبُّ عيل صبري منهما هذا بتمنئة وذا بنميمة

٥٤٥ - وقال أبو الوليد ابن زيدون فيمن أصابه جدري^٣ :

١ مر البيتان ، انظر ج ٣ : ٣٧٦ .

٢ محمد : سقطت من م .

٣ ديوان ابن زيدون : ١٢٤ .

قال لي اعتلّ من هَوَيْتَ حَسودٌ قلتُ : أنت العليلُ ويحك لا هو
ما الذي قد نكرتَ من بَثَرَاتٍ ضاعفتَ حسنهُ وزانتَ حُلَاهُ
جسمهُ في الصفاء والرقّة الما ء فلا غرو أنْ حبابُ علاهُ

٥٤٦ - وقال الهيثم^١ :

قالوا : به جَرَبٌ فقلت لهم قِفُوا تلكَ الندوبُ مواقعُ الأبصارِ
هو روضةٌ والقدُّ غصنٌ ناعمٌ أرايتمُ غصناً بيلاً نَوَارِ

٥٤٧ - وقال أبو بكر محمد بن عياض القرطبي^٢ في مخضوبة^٣ المل :

وَعَلِقْتُهَا فَتَانَةً أَعْطَافُهَا تُزْري بِغُصْنِ الْبَاثَةِ الْمِيَادِ
من للغزاةِ والغزالِ بحسنيها في الخلدِ أو في العينِ أو في الهادي
خَضِبَتْ أَنَامِلُهَا السَّوَادَ وَقَلَمَا أَبْصَرْتُ أَقْلَاماً بغيرِ مَدَادِ

٥٤٨ - وقال أبو الحسين النفزي^٤ :

بدا يوسفًا وشدا معبدًا فللعينِ ما تشتهي والأذنُ
كَأَنَّ بِأَعْلَاهُ قُمْرِيَّةً تغردُ من قدّه في غُصْنِ

٥٤٩ - وقال ابنُ صارة :

مُقامٌ حُرٌّ بأرضِ هونٍ عجزَ لعمري من المقيمِ
سافرَ فإن لم تجدِ كريماً فمن لثيمٍ إلى لثيمِ

١ زاد في م : في من اعتل بحرب .

٢ ترجمته في التكملة : ٥١٥ .

٣ م : وقال أبو الحسن النفزي في مهفوف أميف .

٥٥٠ - [أشعار المعتمد]

وقال المعتمد بن عباد ، رحمه الله تعالى ^١ :

مولاي أشكو إليك داءً أصبح قلبي به قريباً
سخطك قد زادني سقاماً فابعث إليّ الرضى مسيحاً

قال بعضهم : وقوله « مسيحاً » من القوافي التي يتحدى بها .

وكتب إلى أبيه جواباً عن تحفة ^٢ :

يا مالكا قد أصبحت كفه ساخرةً بالعارض الهائل
قد أفحمتني منةٌ مثلها يضيّق القول على القائل
وإن أكنّ قصرت في وصفها فحسنها عن وصفها شاعلي

وكتب إلى وزيره ابن عمار :

لما نأيت نأى الكرى عن ناظري ووددته لما انصرفت عليه
طلب البشير بشارةً تجزى بها فوهبت قلبي واعتذرت إليه

وقال في جارية له كان يحبها ، وبينما هي تسقيه إذ لمع البرق فارتاعت :

يرُوعها البرقُ وفي كفها برقٌ من القهوة لئاعُ
ياليت شعري وهي شمس الضحى كيف من الأنوار ترتاعُ

ومن توارّد الخواطر أن ابن عبّاد أنشد عبدَ الجليل بن وهبون البيت الأول ، وأمره أن يذيله ، فقال :

ولن ترى أعجبَ من آنسٍ منٍ مثلٍ ما يمك يرتاعُ

١ ديوان المعتمد : ٣٣ .

٢ وردت هذه القطع في ديوان المعتمد ٤٢ ، ٦٣ ، ٣١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٩ ، ٣ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٧ .

وقال المعتمد ، رحمه الله تعالى :

داوى ثلاثته بلطف ثلاثة فنى بذاك رقيقه لم يشعر
أسراره بتستر ، وأواره بتصبر ، ونجالة بتوقر

وكانت له جارية اسمها «جوهرة» وكان يحبها ، فجرى بينهما عتاب ،
ورأى أن يكتب إليها يسترضيها ، فأجابته برقة لم تعنونها باسمها ، فقال :

لم تصف لي بعد ولا فلم لم أر في عنوانها جوهرة
درت بأنتي عاشق لاسمها فلم تُرد للغيظ أن تذكره
قالت : إذا أبصره ثابتاً قبله ، والله لا أبصره

وقال في هذه الجارية :

سرورنا بعدكم ناقص والعيش لا صاف ولا خالص
والسعد إن طالعنا نجمه وغيت فهو الآفل الناقص
سموك بالجوهر مظلومة مثلك لا يلركه غائص

وقال فيها أيضاً :

جوهرة عذبي منك تمادي الغضب
فزفرتي في صعد وعبرتي في صبيب
يا كوكب الحسن الذي أزرى بيزهر الشهب
مسكنك القلب ، فلا ترضي له بالوصب

وقال في جارية اسمها وداد :

اشرب الكأس في وداد ودادك وتأنس بذكرها في انفرادك

١ ق : وغيت .

قمرٌ غابَ عن جفونك مرآ هُ وسكناهُ في سوادِ قوادكُ

وقال ^١ :

لكَ اللهُ كم أودعتَ قلبيَ من أسيِّ وكم لك ما بين الجوانح من كَلَمِ
لحاظكَ طولَ الدهرِ حربٌ لمهجتي ألا رحمةٌ تثنيك يوماً إلى سِلْمِي

وقال :

قلتُ : متى ترُحمني ؟ قال : ولا طولَ الأبدِ
قلتُ : فقد أياسني من الحياة ، قال : قد

٥٥١ — وأهدى أبو الوليد ابن زيدون باكورة تفاحٍ إلى المعتضد والد
المعتمد ، وكتب له معها ^٢ :

يا من تزينت الريا سةٌ حينَ ألبس ثوبها
جاءتك جامدةٌ المدا مٍ فخذ عليها ذَوْبها

٥٥٢ — وقال المعتمد وقد أمره أبوه المعتضد أن يصف مجنأً فيه كواكب
فضة ^٣ :

مجنٌ حكي صانعوه السما لتقصر عنه طوال الرماحُ
وقد صوّروا فيه شبهَ الثريا كواكبَ تقضي لهُ بالنجاحُ

٥٥٣ — وقال ابن اللبّانة : كنتُ بينَ يدي الرشيد ابن المعتمد في مجلس
أنسه ، فورد الخبر بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٨٣ ، فتفجّع وتلهف ،

١ سقط البيتان من م .

٢ ديوان ابن زيدون : ٢٢١ .

٣ ديوان المعتمد : ٢٩ .

واسترجع وتأسف ، وذكر قصر غرناطة ، فدعونا لقصره باللوام ، وللكه
بترأخي الأيتام ، وأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيلي بالغناء ، فغنى :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد
فاستحالت مسرته ، وتجهمت أسرته ، وأمر بالغناء من ستارته ، فغنى :
إن شئت أن لا ترى صبراً لمصطبر فانظر على أي حال أصبح الطلل
فتأكد تطيره ، واشتد أريداد وجهه وتغيره ، وأمر مغنية أخرى من
سراريه بالغناء ، فغنت :

يا لهف نفسي على مال أفرقه على المقلين من أهل المروءات
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ما لست أملك من إحدى المصيبات
قال : فتلافت الحال بأن قلت :

حل مكرمة لا هد مبناه وشمل مأثرة لا شئت الله
البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفاً أن الرشيد مع المعتد ركناه
ثاب على أنجم الجوزاء مقعده وراحل في سبيل السعد مسراه
حتم على الملك أن يقوى وقد واصلت بالشرق والغرب يمناه ويسراه
بأس توقد ، فاحمرت لواحيظه ونائل شب ، فاخضرت عذاراه

فلعمري لقد بسطت من نفسه ، وأعادت عليه بعض أنسه ، على أنني وقعت
فيما وقع فيه الكل لقولي « البيت كالبيت » . وأمر إثر ذلك أبا بكر بالغناء ،
فغنى :

ولما قضينا من منى كل حاجة ولم يبق إلا أن تزعم الركائب

فَأَيُّقَنَّا أَنَّ هَذَا التَّطْيِيرَ ، يَعْقِبُهُ التَّغْيِيرُ .

٥٥٤ — وقد كان المعتضد بن عباد — حين تصرمت أيامه ، وتداني حِمَامَه — استحضِرَ مَغْنِيًّا يَغْنِيهِ لِيَجْعَلَ مَا يَبْدَأُ بِهِ فَأَلَّا ، وكان المَغْنِي السُّوسِي ، فأول شعر قاله :

نَطْوَِي الْمَنَازِلَ عِلْمًا أَنْ سَتَطْوَِينَا فَشَعَشَعِيْهَا بِمَاءِ الْمُنْزَنِ وَاسْقِينَا
فَمَاتَ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ ، وكان الغناء من هذا الشعر في خمسة أبيات .

٥٥٥ — وقال المعتضد بعلمًا خُلِعَ وسجن^١ :

قَبِجَ الدَّهْرُ فَمَاذَا صَنَعَا كَلَّمَا أُعْطِيَ نَفْسًا نَزَعَا
قَدْ هَوَى ظُلْمًا بَيْنَ عَادَاتِهِ أَنْ يَنَادِي كُلٌّ مِنْ يَهْوِي : لَعَا
مِنْ إِذَا قِيلَ الْخِي صَمٌّ ، وَإِنْ نَطَقَ الْعَافُونَ هَمْسًا سَمَعَا
قُلْ لِمَنْ يَطْمَعُ فِي نَائِلِهِ قَدْ أَزَالَ الْيَأْسُ ذَاكَ الطَّمَعَا
رَاحَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا دَعْوَةً جَبَّرَ اللَّهُ الْعُقَاةَ الضُّبُعَا

٥٥٦ — وقال ابن اللبَّانة : كنت مع المعتضد بأغمار ، فلما قاربت الصُّدْرَ ، وأزمنت السفر ، صرف حِيلَتَهُ ، واستنفد ما قَبِلَهُ ، وبعث إليَّ مع شرف الدولة ولده — وهذا من بنيه أحسنُ النَّاسِ سَمْتًا ، وأكثرهم صَمْتًا ، تحجله اللفظة ، وتجرحه اللحظة ، حريص على طلب الأدب ، مسارع في اقتناء الكتب ، مثابر على نسخ اللواوين ، مفتاح فيها من خطه زهر الرياحين — بعشرين مثقالاً مرابطة ، وثوبين غير مخيطين ، وكتب معها أبياتاً منها^٢ :

إِلَيْكَ النَّزَرُ مِنْ كَفِّ الْأَمِيرِ وَإِنْ تَقْنَعْ تَكُنْ عَيْنَ الشُّكُورِ

١ ديوان المعتضد : ١٠٨ .

٢ ديوانه : ١٠٢ .

تَقْبَلُ مَا يَنْوِبُ لَهُ حَيَاءٌ وَإِنْ عَدَّرَتْهُ حَالَاتُ الْفَقِيرِ

فامتنعت من ذلك عليه ، وأجبت به أبيات منها :

تركتُ هواك وهو شقيقُ ديني	لئن شُقتُ برُودي عن غدُورِ
ولا كنتُ الطليقَ من الرزايا	إذا أصبحتُ أجحفُ بالأسيرِ
جَدِيمَةً أَنْتَ ، والزبَاءُ خَانَتْ	وما أنا من يقصرُ عن قصيرِ
تُصَرِّفُ فِي النَّدى حَيْلَ الْمُعَالِي	فتسمحُ من قليلٍ بالكثيرِ
وأعجبُ منك أنك في ظلامِ	وترفعُ للعُقَاةِ مَنَارَ نَورِ
رويدك سوف توسعني سروراً	إذا عادَ ارتقاؤك للسُريرِ
وسوف تحليني رتبَ المُعَالِي	غداً تحلُ في تلك القصورِ
تزيدُ علي ابن مروان عطاءً	بها وأزيدُ ثمَّ علي جبريرِ
تأهبُّ أن تعودَ إلى طلوعِ	فليس الخسْفُ ملترماً بالبورِ

وأتبعها أبياتاً منها :

حاشَ اللهُ أَنْ أُجِيعَ كَرِيماً	يتشكى فقراً وقد سدَّ فقراً
وكفاني كلامُكَ الرطبُ نيلاً	كيف ألغي درأً وأطلب تبرا
لم تَمُتْ إِنَّمَا الْمَكَارِمُ مَاتَتْ	لا سقى الله بعدك الأرضَ قطراً

ورأى ابن اللبَّانة أحد أبناء المعتمد ، وهو غلام وسيم ، وقد اتخذ الصياغة صناعة ، وكان يلقب أيام سلطانهم من الألقاب السلطانية بفخر الدولة ، فنظر إليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ ، وقد جلس في السوق يتعلم الصياغة ، فقال :

شكأتُنا لك يا فخرَ العُلا عَظُمَتْ	والرزءُ يعظمُ ممَّنْ قَدَرُهُ عَظُمَا
طَوَّقَتْ مِنْ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ مُخْنُقَةً	ضاقَتْ عَلَيْكَ وَكَمْ طَوَّقَتْنا نِعَمَا
وعاد طَوَّقُكَ فِي دُكَّانٍ قَارِعَةٍ	من بعد ما كنتَ في قصرٍ حكي إرَمَا

صرّفتَ في آلة الصوّاغ أنملةٌ لم تدّر إلا الندى والسيفَ والقلم
يدٌ عهدتُكَ للتّجّيلِ تبسطها فتستقلُّ الثّريا أن تكون فما
يا صائغاً كانت العليا تُصاغ لهُ حكيّاً وكان عليه الحليُّ منتظماً
للتفخ في الصُّور هَوُلٌ ما حكاها سوى هولٍ رأيتك فيه تنفخ الفَحَما
وددتُ إذ نظرتُ عيني إليك بهِ لو أن عيني تشكو قبلَ ذاك عَمى
ما حطّكَ الدهرُ لما حطَّ عن شرفٍ ولا تحيَّفَ من أخلاقك الكرما
لُح في العلا كوكباً، إن لم تلح قمرأ وقم بها ربوة ، إن لم تقم علما
واصبر فربما أحمدت عاقبةً مَنْ يلزم الصبرَ يحمدُ غباً ما لزما
والله لو أنصفتك الشهبُ لانكسفتُ ولو وُفّي لك دمعُ الغيثِ لانسجما
أبكي حديثك حتى النرّ حينَ غدا يحكيك رهطاً وألفاظاً ومبتسما

٥٥٧ - وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى^١ : وقفتُ على قبر
المعتمد بن عبّاد بمدينة أغمات في حركة راحة أعملتها إلى الجهات المراكشية ،
باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة ٧٦١ ، وهو بمقبرة أغمات في نَشْرَ
من الأرض ، وقد حفّت به سِدْرَة ، وإلى جانبه قبر اعتماد حَظِيَّتِه مولاة
رُمَيْك ، وعليهما هيئة التغرب ومعاناة الحمول من بعد الملك ، فلا تملك العين
دمعها عند رؤيتها ، فأنشدت في الحال :

قد زرتُ قبرك عن طَوَّعٍ بأغماتِ رأيتُ ذلك من أولى المهماتِ
لم لا أزورك يا أندى الملوك يداً ويا سراجَ الليالي الملهماتِ
وأنت من لو تخطى الدهرُ مَصْرَعَهُ إلى حياتي بلحادثٍ فيه أيباتي
أنافَ قبرك في هَضْبٍ يميّزهُ فتتحيه حَفِيَّاتُ التحيّاتِ
كرمتَ حياً وميتاً واشتهرتَ علأ فأنّت سلطانُ أحياءِ وأمواتِ

١ انظر مشاهدات لسان الدين : ١٣٣ نقلا عن قفاضة الجراب ، وأزهار الرياض ١ : ٢٩٧ وستأتي
القصيدة في الباب الخاص بشعر لسان الدين .

ماري مثلك في ماضٍ ، ومعتقدي أن لا يرى الدهر في حال وفي آت
وقد زرت أنا قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات سنة ١٠١٠ ، ورأيت فيه
مثل ما ذكره لسان الدين رحمه الله تعالى ، فسبحان من لا يبس يد ملكه ،
لا إله إلا هو .
وأخبار المعتمد كثيرة .

٥٥٨ — وقال وزيره أبو الوليد ابن زيدون^١ :

متى أخف الغرام يصفه جسمي بالسنة الضنى الخرس الفصاح
فلو أن الثياب نزعن عني خفيت خفاء خصرك في الوشاح
وقال يخاطب المعتمد :

وطاعة أمرك فرض أراه من كل مفترض أوكد
هي الشرع أصبح دين الضمير فلو قد عصاك لقد ألدنا
وقال فيه :

يا ندَى بنى أبي القاسم عم يا سنا بشر المحيا أشمس
وارتشف معسول ثغر أشنب لحبيب من عجاج العس
وقال :

مهما امتدحت سواك قبل فإنما مدحني إلى مدحني لك استطراد
تغشى الميادين الفوارس حبة كيما يعلمها التزال طراد
وقال :

١ وردت هذه المقطعات في ديوان ابن زيدون : ٤٢٩ ، ٢١٦ ، ٢١٢ ، ٤٦٥ ، ٤٣٦ ، ٢٢٩ .

يحييني بريحان التجني ويصحيني معتقة السماح
فها أنا قد ثملت من الأيادي إذا اتصل اغتباقي باصطباحي
وكتب إلى أبي عامر يستدعيه :

أبا المعالي نحن في روضة فانتقل إلينا القَدَمَ العاليه
أنت الذي لو نشري ساعة منه بدهرٍ لَمْ تكن غاليه
وتذكرت هنا قول بعض المشاركة فيما أظن :

لله أيامٌ مضتْ مأنوسة ما كان أحسنها وأنصرها معا
لو ساعةٌ منها تُباع شريئها ولو أنها بيعت بعمرى أجمعا
رجع :

٥٥٩ - وقال أبو القاسم أسعد من قصيدة في المعتصم بن صُدادح^١ :
وقد ذاب كحلُ الليل في دمع فجره إلى أن تبدى الليلُ كاللَمَةِ الشمطا
كأنَّ الدُّجى جيشٌ من الزنجِ نافذٌ وقد أرسل الإصباحُ في إثره القبطا
ومنها :

إذا سارَ سارَ الجُودُ تحتَ لوائه فليس يحطُّ المجدُ إلا إذا حطَّ
٥٦٠ - وقال ابن خَلصة المكفوف^٢ النحوي من قصيدة :

ملكٌ تملك حرَّ المجد، لا يدُه نالت بظلم ولا مالت إلى البخل
مهدَّبُ الجلد ماضي الحد مضطلعٌ لما تُحمّله العلياء من ثقل

١ المطبع : ٨٣ وقد مرت بعض أبيات هذه القصيدة ص : ٥١ .
٢ ترجمة ابن خَلصة في التحفة (ص : ١) والوافي ٣ : ٤٢ ، ٢٣٢ .

أغرُّ ، لا وعده يخشى له أبداً
قد جاوزتُ نطق الجوزاء همته
يأبى له أن يحلّ الدم ساحتَه
خُلِفْتُ ، ولا رأيه يؤتى من الزلزل
به ، وما زحلتُ عن مرتقى زُحل
ما صدَّ من جلالٍ أو سدَّ من خلل

ومنها :

إن لم تكن بكم حالي مُبدلةً
فما انتقاعي بعلم الحال والبدل

٥٦١ - وقال ابن الخلداد يمدح المعتصم بن صمادح :

عُجْ بالحمى حيثُ الغياضُ العَيْنُ
واستقبلنَّ أَرْجَ النسيم فدارهم
أفقٌ إذا ما رمتَ لحظة شموسه
أتى أراعُ لهم وبين جوائحي
أتى يهابُ ضيرابهم وطعانهم
فكأنما بيضُ الصفايحِ جداولُ
ذرني أسرُ بين الأسِنَّةِ والظُّبِي
يا ربّةَ القرطِ المعيرِ خفوقه
توريدُ خدك للصبايةِ موردُ
فلذا رمقتِ فوحي جُبَّك مُنْزَلُ
فعسى تعنُّ لنا مهامُ العَيْنُ
ندِيَّةُ الأرجاء لا دارينُ
صدَّتْكَ للنقعِ المثارِ دُجُونُ
شوقٌ يهونُ خطبهم فيهونُ
صَبٌّ بِالْحَاظِ العيونِ طعينُ
وكأنما سمرُ الرماحِ غصونُ
فالقلبُ في تلكَ القبابِ رهينُ
قلبي ، أما لحراكه تسكينُ ؟
وفتورُ طرفك للنفوسِ فتُونُ
وإذا نطقتِ فإنه تلقينُ

ومنها في وصف قصر :

رأسٌ بظهر النون إلا أنه
هو جنّة الدنيا تبوّأ نزلها
فكأنما الرحمن عَجَلَهَا له
وكانَ بانيه سِنَمَارُ فما
سام ، فقُبَّتْه بحيثُ النونُ
ملكٌ تملكه التُّمَيّ والدينُ
ليرى بما قد كان ما سيكونُ
يعلوه تحسينٌ ولا تحصينُ

وجزاؤه فيه نقيضُ جزائه شتانَ ما الإحياءُ والتحيينُ

ومنها في المديح :

لا تُلقَحُ الأحكامُ حَيْفًا عندهُ فكأنَّها الأفعالُ والتنوينُ

ومنها :

وبدا هلالُ الأفقِ أحنى ناسخًا عهدَ الصيامِ كأنَّه العُرْجُونُ
فكأنَّ بَيْنَ الصومِ خَطَطَ نحوه خطأ خفيًا بأنَّ منه النونُ

٥٦٢ - وقال عبد الجليل بن وهبون :

زعموا الغزالَ حكاه قلتُ لهم : نعم في صدِّهِ عن عاشقيه وهجرهِ
وكذا يقولون المدامُ كريقهِ يا ربُّ ما عليموا مذاقة ثغيرهِ

٥٦٣ - وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي وهب الأندلسي :

قالوا : تدانيتَ من وداعهم ولم نَرَ الصبرَ عنك مغلوبا
فقلتُ : للعلمِ أتني بغدٍ أسمعُ لفظَ الوداعِ مغلوبا

وهذا كقول بعض شعراء اليتيمة^١ :

إذا دهاك الوداعُ قاصبرٌ ولا يروعنَّكَ البعادُ
وانتظر العودَ عن قريبٍ فإنَّ قلبَ الوداعِ عادوا

٥٦٤ - وقال ابن اللبَّانة^٢ :

إن تكن تبغني القتالَ فدعني عنك في حومةِ القتالِ أحمي

١ مر البيتان في ج ١ : ٩٢ .

٢ زاد في م : في التورية .

خذ جَنَانِي عن جُنَّةٍ ، ولساني عن سنانٍ ، وخاطري عن حُسامٍ .
٥٦٥ - وقال القزاز يمدح ابن صُمَادِح ، وخطب النسيب بالمديح :

نفى الحبُّ عن مقلتي الكرى كما قد نفى عن يديَّ العدمُ
فقد قرَّ حبُّك في خاطري كما قرَّ في راحتك الكرمُ
وفرَّ سلوكك عن فكري كما فرَّ عن عريضه كلُّ ذمِّ
فحبُّبي ومفخره باقيان لا يذهبان بطول القلمِ
فأبقى لي الحبَّ خالٌ وجدٌ وأبقى له الفخرَ خالٌ وعم

٥٦٦ - وقال أبو الحسن ابن الحاج :

أذوبُ اشتياقاً يومَ يحجبُ شخصهُ ولأتي على ريبِ الزمانِ لقامي
وأذعرُ منه هيةٌ وهو المني كما يذعرُ المخمورُ أولُ كاسِ

وقال :

من لي بطرفٍ كأنني أبداً منه بغيرِ المدامِ مخمورُ
ما أصدقَ القائلين حينَ بدا : عاشقُ هذا الجمالِ معنورُ

وقال ١ :

أبا جعفرٍ ، مات فيك الجمالُ فأظهرَ خدكُ لبسَ الحدادِ
وقد كان يُنبِتُ نَوْرَ الربيعِ فقد صار يُنبِتُ شوكَ القَتَادِ
فهل كنتَ من عبدِ شمسٍ فأخشى عليكَ ظهورَ شعاعِ السوادِ

وقال ، وما أحكمه :

ما عجي من بائعٍ دينتهُ بللثةٌ يبلغُ فيها هواهُ

١ انظر المغرب ٢ : ٢٨١ والقلائد : ١٤٤ .

ولأنما أعجبُ من خاسرٍ يبيعُ أخراهُ بدنياً سواهُ
وقال من مُخَمَّسةٍ يرثي فيها ابن صمادح ، ويندب الأندلس زمن الفتنة :

من لي بمجبولٍ على ظلم البشرِ صَحَّفَ في أحكامه حاءَ الحَوَرِ
مرّ بنا يسحبُ أذيالَ الحَقَرِ ما أَحْسَدَ الظبيَ لهُ إذا نَقَرَ
وأشبه الغُصنَ بهِ إذا خَطَرَ

كافورةٌ قد طُرِّزَتْ بِمَسكِ جوهرةٌ لم تمتهنُ بسلكِ
نبذتُ فيها ورعي ونُسكي بَعْدَ لُحاجي في التقى ومعكي
فاليومَ قد صَحَّ رجوعي واشتهرُ

نيتٌ قديماً ناظري عن نظري علماً بما يجني ركوبُ الغرِ
وقلتُ: عَرَّجَ عن سبيلِ الخطرِ فاليومَ قد عاينَ صدقَ الخبرِ
إذ بات وقفاً بينَ دمعٍ وسهرِ

سقى الحيا عهداً لنا بالطاقِ معتركِ الأبوابِ والأحداقِ
وملئتني الأنفسِ والأشواقِ أياها فيه الدهرُ عن تلاقي
وربما ساءك دهرٌ ثمَّ سَرَّ

أحسِنُ بهِ مُطَّلِعاً ما أغرباً قابل من دجلةَ مرأى معجبا
إن طلعت شمسٌ وقد هَبَّتْ صَبَاً حسبته ينشرُ بُرداً مُدْهِباً
بمنظري فيه جِلاءٌ للبصرِ

يارُبَّ أرضٍ قد خلتُ قصورها وأصبحتْ أهلةَ قبورها
يُشغَلُ عن زائرها مَزُورُها لا يأملُ العودةَ من يزورها
هيهات : ذاك الورد ممنوع الصَّدَرِ

تتحبُّ الدنيا على ابنِ مَعْنٍ كَأَنِّهَا تُكَلِّى أَصِيبَتْ بِابْنِ
أَكْرَمٍ مَأْمُولٍ وَلَا أَسْتُنِي أَثْنِي بِنُعْمَاهُ وَلَا أَثْنِي
وَالرُّوضُ لَا يُنْكِرُ مَعْرُوفَ الْمَطَرِ

عهدي به والملكُ في ذِمَارِهِ والنصرُ فيما شاء من أنصارِهِ
يطلعُ بتدَرُّ التَّمِّ من أزرارِهِ وتكمنُ العَفَّةُ في إزارِهِ
ويحضرُ السُّوددُ أَيْآنَ حَضَرِ

قلْ للتَّوَى جَدَّ بِنَا انْطِلَاقُ ما بعدتْ مصرُ ولا العِراقُ
إذا حدا نَحْوَهُمَا اشتياقُ ومن دواءِ المللِ القِرَاقُ
ومن نأى عن وطنٍ نالَ وَطَرُ

سارَ بلني بردٍ من الإصباحِ راكبُ تَشَوَّى ذاتِ قصدي صاحِ
مسودَّةٍ مبيضَّةٍ الجِناحِ تسبحُ بَينَ المَاءِ والرياحِ
بِزَوْرَها عن طافحِ الموجِ زَوَرُ

يقتحمُ الهولَ بها اغترارا في فتيةٍ تحسبها سُكَّارَى
قد افترشنَ المسدَّ المُغَارَا حتَّى إذا شارفتِ المنارا
هَبَّ كما بَلَّ العليلُ المحتَضِرُ

يَوْمُ عدلِ الملكِ الرضِيِّ المَاشِمِي الطَّاهِرِ النقيِّ
والمجتبى من ضنضى النَّبِيِّ من ولدِ السِّفَّاحِ والمهديِّ
فخرِ معدٍ ونزارٍ ومُضَرِّ

حيثُ تَرَى العِباسَ يُسْتَسْقَى بِهِ والشرفُ الأعظمُ في نِصابِهِ
والأمرَ موقوفاً على أربابه والدينَ لا تختلطُ الدُّنْيَا بِهِ
وسيرةَ الصِّدِّيقِ تمضي وغُمرَ

٥٦٧ - [أشعار لابن خفاجة]

وقال ابن خفاجة في صفة فوس^١ :

عوجاء تُعْطَفُ ثُمَّ تُرْسَلُ تَارَةً فكأنما هي حيةٌ تنسابُ
وإذا انحنت، والسهمُ منها خارجٌ فهي الهلالُ انقضى منه شهابُ

وقال :

وعسى الليالي أن تمنَّ بنظمنا عقداً كما كنّا عليه وأكلا
فلربّما نُثِرَ الجُمانُ تعمّداً ليعادَ أحسنَ في النظامِ وأجملا
وهو من قول مهيار :

عسى اللهُ يَجْعَلُها فُرْقَةً تَعُودُ بِأَكْمَلِ مُسْتَجْمِعِ

وقول المتنبي :

سألتُ اللهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلاً يعينُ على الإقامة في ذَرَاكَا

وقال :

اقضِ على خَلْقِكَ أو ساعِدِ عشتَ بِجَدِّ في العُلا صاعِدِ
فقدَ بكى جفني دماً سائلاً حتّى لقدَ ساعِدَهُ ساعِدِي

وقال :

وأسودُ يسبحُ في بِرْكَةٍ لا تكتمُ الحصباءُ غُدُرَانُها
كأنّهما في صفوها مقلّةٌ زرقاءُ ، والأسودُ إنسانُها

١ راجع ديوان ابن خفاجة : ٣٦١ ، ٣٦٩ ، ٣٦٣ ، ٣٧٠ والثانية مرت في ج : ٣١

وقال :

حيّا بها ونسيمها كنسيمه
منساعة فكأنتها من ريقه
فشربتُها من كفته في وده
محمة فكأنتها من خده

وقال :

لعمري لو أوضعتُ في منتهج التقى
فما يستقيم الأمر ، والملك جائر
لكان لنا في كلّ صالحة نهج
وهل يستقيم الظلّ ، والعودُ معوج

وقال يرثي صديقاً من أبيات :

تيقن أن الله أكرم جيرة
فإن أفقرت منه العيون فإنه
فأزمع عن دار الحياة رحيلاً
وتعوض منها بالقلوب بديلاً
ولم أر أنساً قبله عاد وحشة
ومن تلك أيام السرور قصيرة
به كان ليل الحزن فيه طويلاً

وقال :

تفاوت نجلا أبي جعفر
فهذا يمين بها أكله
فمن متعال ومن منسقل
وهذا شمال بها يغتسل

٥٦٨ - وقال ابن الرقاء :

ولمّا رأيتُ الغربَ قد غصّ بالدُّجى
توهمتُ أنّ الغربَ بحرٌ أخوضه
وفي الشرقِ من ضوء الصّباح دلائلُ
وأنّ الذي يَبْدُو من الشرقِ ساحلُ

٥٦٩ - وقال أبو محمد ابن عبد البر الكاتب :

لا تُكثِرَنَّ تَأَمُّلاً
وامسكْ عليك عِنانَ طَرْفِكَ

فلرِبعًا أرسلتَه فرماك في ميدانٍ حتفِكَ

٥٧٠ - وقال أبو القاسم السميسر^١ :

يا آكلًا كلَّ ما اشتهاهُ وشاتمَ الطَّبِّ والطَّيِّبِ
ثمَّار ما قد غرستَ تجتني فانتظري السقمَ عن قريبِ
يجتمعُ الداءُ كلَّ يومٍ أغذيةُ السوءِ كالذنوبِ

وكان كثير الهجاء ، وله كتاب سماه بـ «شفاء الأمراض في أخذ الأعراض»
والعياذ بالله تعالى .

ومن قوله :

ختمَ فهتمٌ وكم أهتمٌ زمانَ كنتمُ بلا عيونِ
فأنتمُ تحتَ كلِّ تحتٍ وأنتمُ دونَ كلِّ دونِ
سكنتمُ يا رياحَ عادٍ وكلُّ ربحٍ إلى سكونِ

وقال^٢ :

يا مُشفقًا مِن خُمُولِ قومٍ ليسَ لهم عندنا خلاقُ
ذُلُّوا ويا طالما أذلُّوا دعهم يذوقوا الذي أذاقوا

وقال :

وليمَ فما أحسنمُ مذ وليتمَ ولا صنمُ عمَّن يصونكمُ عِرْضا
وكنتمُ سماء لا يُنالُ منالها فصرتمُ لدى مَنْ لا يسألُكمُ أرضا
ستسرجعُ الأيتامُ ما أقرضتكمُ ألا إنها تسرجعُ الدينَ والقرضا

١ الذخيرة ٢/١ : ٣٨٠ .

٢ الذخيرة ٢/١ : ٣٧٥ .

٥٧١ - وقال ابن شاطر السرقسطي :

قد كنتُ لا أدري لأيةِ علّةٍ صار البياضُ لباسٍ كلِّ مصابٍ
حتى كساني الدهرُ سَحَقَ ملاءةٍ بيضاءٍ مِن شيبِي لفقدِ شَبَابِي
فبذا تَبَيَّنَ لي إصَابَةُ مَنْ رَأَى لبسَ البياضِ على نَوَى الأَحْجَابِ

٥٧٢ - وهذه عادة أهل الأندلس ، ولهذا قال الحُصْرِي :

إذا كان البياضُ لباسٍ حُزْنٍ بَأَنْدَلَسٍ فذاك من الصوابِ
ألم تَرَنِّي لبستُ بياضَ شيبِي لأنِّي قد حَزَنْتُ على الشَّبَابِ
وما أحسن قوله رحمه الله تعالى :

لو كنتَ زائرتي لراعك منظري ورأيتَ بي ما يَصْنَعُ التفريقُ
ولحال من دمعي وحرَّ تنفسي بيَّتي وبينك لحظةٌ وحرِّقُ

٥٧٣ - وقال ابن عبد الصمد يصف فرساً :

على سابحٍ فَرَدَّ يَفُوتُ بأربعٍ له أربعا منها الصِّبَا والشَّمائلُ
من الفُتُخِ خَوَارِ العنانِ كأنَّهُ مع البرقِ سارٍ أو مع السيلِ سائلُ

٥٧٤ - وقال ابن عبد الحميد البرجي :

أَرِحْ مَنْ المِهْنَدِ والجِوَادِ فَقَدْ تَعَبَا بِجِدِّكَ في الجِهَادِ
قَضَيْتَ بِعِزَّةٍ حَقَّ العِوَالِي فَقَضَّ بِرَاحَةٍ حَقَّ الهِوَادِي

٥٧٥ - وقال عبادة :

إنَّما الفُتُخُ هِلَالٌ طَالَعٌ لَاحَ من أزراره في فَلَكَ
خَدَّهُ شَمْسٌ ، وَلَيْلٌ شَعْرُهُ مَنْ رَأَى الشَّمْسَ بَدَتْ في حَلَكِ

٥٧٦ - وقال ابن المطرف النجم :

يرى العواقبَ في أثناء فكرته كأنّ أفكاره بالغيبِ كهتَانُ
لا طرفةُ منه إلا تحتها عملٌ كالدهرِ لا دورةٌ إلا لها شانُ

٥٧٧ - وقال أبو الحسن ابن اليسع :

راموا ملامي ، وكانَ إغرا وذمَّ حيي ، وكانَ إطرا
لو علم العاذلون ما بي لا تقلبتُ فيه لأمهم را

وقال :

لما قدّمتَ وعندي شطرٌ من الشوقِ وافي
قدّمتُ قلبي قبلي فصنّه حتى أوافي

٥٧٨ - ولما خاطب المستنصر ملك إفريقية ابن سيد الناس بقوله :

ما حالُ عينيكَ يا عينَ الزّمانِ فقد أو رثتني حزنًا من أجلِ عينيكَا
وليس لي حيلةٌ غيرُ الدّعاءِ فيا ربّ براوي الصّحيحينِ حنائيكَا

أجابه الحافظ أبو المطرف ابن عميرة المخزومي خدمة عن الحافظ أبي بكر ابن
سيد الناس :

مولايَ حالهما والله صالحةٌ لما سألتَ فأعلى الله حاليكَا
ما كان من سفرٍ أو كان من حضرٍ حتى تكونَ الثريّا دون تعلّيكَا

٥٧٩ - وقال الأديب أبو العباس الرّصافي ، وهو من أصحاب أبي

حيّان :

هذا هلالُ الحسنِ أطلعَ بيتنا وجميعنا بجلى محاسنه شغيفُ

لَمَّا رَأَى صِلُ الْعِنَارِ بِخَدِّهِ مَاءَ النِّعِيمِ أَتَى إِلَيْهِ لِيَرْتَشِفُ
فَكَانَ ذَاكَ الْخَلْدُ أَنْكَرَ أَمْرَهُ فَاحْمَرَّ مِنْ حَسَنِّ عَلَيْهِ وَقَالَ قَيْفُ
وقال :

وعشيتُ نَعَمْتُ بِهَا أَرْوَاحُنَا وَالْحَمْرُ قَدْ أَخَذَتْ هُنَالِكَ حَقَّهَا
وَكَأَنَّمَا لِابْرِيقِنَا. لَمَّا جِئْنَا أَلْقَى حَدِيثًا لِلْكُؤُوسِ وَهَقَّهَا
٥٨٠ - وقال الإمام الخافظ أبو الربيع ابن سالم :

كَأَنَّمَا لِابْرِيقِنَا عَاشِقٌ كَلَّ عَنْ الْخَطْوِ فَمَا أَعْمَلَهُ
غَازِلٌ مِنْ كَأْسِي حَبِيباً لَهُ فَكَلَّمَا قَبْلَهُ أَنْجَلَهُ

٥٨١ - وقال أبو القاسم ابن الأبرش :
رَأَيْتُ ثَلَاثَةً تَحْكِي ثَلَاثًا إِذَا مَا كُنْتَ فِي التَّشْبِيهِ تُنْصِفُ
فَتَنْجُوا النِّيلَ مُنْفَعَةً وَحَسَنًا وَشَتَرَيْنَ مُصْرُ ، وَأَنْتَ يَوْمُفُ
وقال في غريق ، وقيل : إِنَّهُ مِمَّا تَمَثَّلَ بِهِ ٢ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَدْ أَطْفَأَ الْمَاءُ سِرَاجَ الْجَمَالِ
أَطْفَأَهُ مَا كَانَ مَحْيَاً لَهُ قَدْ يَطْفِئُ الزَّيْتُ ضِيَاءَ الذِّبَالِ
وهو القائل أيضاً :

لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي آبَاءُ أَسْوَدُ بِهِمْ وَلَمْ يَوْسَسْ رِجَالُ الْغَرْبِ لِي شُرَفَا
وَلَمْ أَنْتَلْ عِنْدَ مَلِكِ الْعَصْرِ مَتْرَلَةً لَكَانَ فِي سَيُوبِهِ الْفَخْرُ لِي وَكُفَى
فَكَيْفَ عِلْمٌ وَعَجْدٌ قَدْ جَمَعْتَهُمَا وَكَلَّ مَخْتَلِقِي فِي مَثَلِ ذَا وَقَفَا

١ كذا ولعله فتجو أي « تاجه » اسم النهر (Tagus) .

٢ وقيل . . . به : سقطت من م .

٥٨٢ - وقال أبو الحسن ابن حريق :

أصبحت تدمير مصر كاسمها وأبو يوسف فيها يوسف

٥٨٣ - وقال أبو القاسم ابن العطار الإشبيلي في بعض الموزنين وقد غرق في نهر طليخة عند فتحها^١ :

ولما رأوا أن لا مقرّ لسيفه سوى هامهم لا ذوا بأجرأ منهم
فكان من النهر المعين معيّنهم ومن ثلّم السدّ الحسام المثلّم
فيا عجباً للبحر غالته نطفة وللأسد الضرغام أرداه أرقم

٥٨٤ - [نقول من التكملة]

1 - وقال أبو العباس اللص^٢ :

وقائلة والضّنى شاملي علّام سهرت ولم ترقد
وقد ذاب جسمك فوق القرا شرحى خفيت على العود
فقلت : وكيف أرى نائماً ورائي المنيّة بالمرصد

ولما قرىء عليه ديوان أبي تمام ، ومرّ فيه وصف سيف ، قال : أنا أشعر منه حيث أقول :

تراه في غداة الغيم شمساً وفي الظلماء نجماً أو ذبالاً
يروعهم معاينةً ووهماً ولو ناموا لروّعهم خيالاً

2 - وقال أبو إسحاق الإلبيري^٣ :

١ الشعر في القلائد : ٢٨٨ والبيت الثالث في المغرب ١ : ٢٥٤ .

٢ القطعتان في التكملة : ٨٠ .

٣ التكملة : ١٣٧ وديوانه : ١٥٩ .

تَمَرٌ لِدَايَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَأَعْلَمُ أَنِّي بَعْدَهُمْ غَيْرُ خَالِدٍ
وَأَحْمَلُ مُوتَاهُمْ وَأَشْهَدُ دَفَنَهُمْ كَأَنِّي بَعِيدٌ عَنْهُمْ غَيْرُ شَاهِدٍ
فَهَا أَنَا فِي عِلْمِي لَهُمْ وَجْهَاتِي كَسْتَقِظُ يَرْنُو بِمَقْلَةٍ رَاقِدٍ

قيل : ولو قال في البيت الثاني :

كَأَنِّي عَنْهُمْ غَائِبٌ غَيْرُ شَاهِدٍ

لكان أحسن وأبدع وأبرع في الصناعة الشعرية ، قاله ابن الأبار رحمه الله تعالى .

3 — وقال الوزير أبو الوليد ابن مسلمة^١ :

إِذَا خَانَكَ الرِّزْقُ فِي بَلَدَةٍ وَوَأْفَاكَ مِنْ هِمَّتِهَا مَا كَثُرُ
فَمِفْتَاحُ رِزْقِكَ فِي بَلَدَةٍ سِوَاهَا فَرْدٌهَا تَنْتَلُ مَا يَسُرُ
كَذَا الْمِبْهَمَاتُ بَوْسَطِ الْكِتَابِ بِ مِفْتَاحِهَا أَبَدًا فِي الطُّرُرِ

4 — وقال أبو الطاهر إسماعيل الحشني الجبائي المعروف بابن أبي ركب ،
وقيل : إن أخاه الأستاذ أبا بكر هو المعروف بذلك^٢ :

يَقُولُ النَّاسُ فِي مَثَلٍ تَذَكَّرُ غَائِبًا تَرَهُ
فَمَا لِي لَا أَرَى سَكَّتِي وَلَا أَنْسَى تَذَكَّرَهُ

5 — وأنشد أبو المعالي الإشبيلي الواعظ بمسجد رحبة القاضي من بكنسية
أبياتا منها^٣ :

١ التكملة : ١٨٤ .

٢ التكملة : ١٨٥ .

٣ التكملة : ١٩٦ .

أنا في الغربة أبكي ما بكت عينُ غريبٍ
لم أكنْ يومَ خروجي من بلادي بمصيبٍ
عجباً لي ولتَرَكي وطناً فيه حبيبي

6 - وقال أبو القاسم ابن الأنقر السرقسطي^١ :

احفظ لسانك والجوارح كلها فلكل جارحة عليك لسانُ
واخزن لسانك ما استطعت فإنه ليثٌ هَصُورٌ والكلامُ سينانُ

7 - وقال أبو القاسم خلف بن يحيى بن خطاب الزاهد ، ممّا نسب له لأبي وهب الزاهد^٢ :

قد تخيرتُ أن أكونَ مخفّاً ليس لي من مطيهمُ غيرُ رجلي
فلماذا كنتُ بين ركبٍ فقالوا قدّموا للرجلِ قدّمتُ نعلي
حيثما كنتُ لا أخلفُ رجلاً من رأني فقد رأني ورجلي

8 - وقال أبو عبد الله ابن محمد بن فتح الأنصاري الشّغري^٣ :

كسّمُ من قويّ قويّ في تقلّبه مهذبُ الرأي عنه الرزقُ ينحرفُ
ومن ضعيفٍ ضعيفُ الرأي يختلِ كأنّه من خليجِ البحرِ يغترفُ

9 - وقال أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب^٤ :

مضتْ أعمارنا ومضتْ سنُونا فلم تظفرْ بذئِ ثقة يدانِ
وجربنا الزمانَ فلمْ يفدنا سوى التخويف من أهل الزمانِ

١ التكملة : ٣٠١ .

٢ التكملة : ٣٠٤ .

٣ التكملة : ٣٧٥ .

٤ التكملة : ٣٧٨ .

10 - وحكي عن الفقيه الأديب النحوي أبي عبد الله محمد بن ميمون الحسيني ، قال ^١ : كانت لي في صَبَوْتِي جارية ، وكنت مُغْرَى بها ، وكان أبي رحمه الله يَعْدِلُنِي ويعرض لي ببيعها ، لأنها كانت تشغلني عن الطلب والبحث عليه ، فكان عَدْلُهُ يُزِيلُنِي إغراء بها ، فرأيت ليلة في المنام كأن رجلاً يأتيني في زي أهل المشرق كلُّ ثيابه بيض ، وكان يُلقَى في نفسي أنه الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ، وكان ينشدني :

تَصْبُو إِلَى مَيِّ ، وَمَيِّ لَا نِي تَزْهُو بِبِلَوَاكَ الَّتِي لَا تَنْقُضِي
وفخارك القومُ الألى ما منهمُ إِلَّا إمام أو وصي أو نبي
فأَنْ عَنَّاكَ لِلْهُدَى عن ذي الهوى وخَفِ الإله عَلَيْكَ ويحك وارْعوي

قال : فانتبهت فرعاً مفكراً فيما رأيته ، فسألت الجارية : هل كان لها اسم قبل أن تسمى بالاسم الذي أعرفه ؟ فقالت : لا . ثم عاودتها حتى ذكرت أنها كانت تسمى مَيَّة ، فبعتها حينئذ . وعلمت أنه وعظ وعظي الله به ، عز وجل ، وبشرى .

11 - وقال ابن الحداد أول قصيدته « حديقة الحقيقة » ^٢ :

ذهبَ الناسُ فأنفرادي أنيسي وكتابي محدثي وجليسي
صاحبٌ قد أمنت منه مَلالاً واختلالاً وكلَّ خَلْقٍ بئيسٍ
ليس في نوعه بحَيٍّ ولكنْ يلتقي الحيُّ منه بالمرموسِ

12 - وقال بعض أهل الجزيرة الخضراء ^٣ :

١ التكملة : ٣٩٦ .

٢ التكملة : ٣٩٩ .

٣ التكملة : ٤١٥ .

الحاظكم تجرحنا في الحشا ولحظنا يجرحكم في الخلود
جرحٌ يجرح فاجعلوا ذا بدا فما الذي أوجب جرح الصلود

وقال ابن النعمة : إنهما لابن شرف ، وقد ذكرناهما مع جوابهما في غير
هذا الموضع .

13 — وقال المعتمد بن عباد^١ :

اقنعُ بمحظك في دنياك ما كانا وعزَّ نفسك إن فارقت أوطانا
في الله من كل مفقود مضى عيوض^٢ فأشعير القلب سلواناً وإيماناً
أكلما سنحت ذكرى طربت لها مَجَّتْ دموعك في خديك طوفانا
أما سمعتَ بسلطان شبيهك قد بزَّتهُ سودُ خطوب الدهر سلطانا
وطنٌ على الكره وارقبْ أثره فرجاً واستغفر الله تغمُّ منه غفرانا

14 — وقال أبو عامر البرياني في الصنم الذي بشاطبة^٣ :

بقيةٌ من بقايا الروم معجبةٌ أبدى البُناةُ بها من علمهم حكما
لم أدر ما أضمرُوا فيه سوى أمم تتابعت بعدُ سمَّوه لنا صنما
كالبرد الفرد ما أخطأ مشبهه حقاً لقد برد الأيَّام والأما
كأنه واعظٌ طال الوقوف به ممّا يحدث عن عاد وعن إرمّا
فانظر إلى حَجَرٍ صلَّد يكلِّمنا أسمى وأوعظ من قُسّ لمن فهمّا

قيل : لو قال مكان حكما علما لأحسن .

15 — وقال السميسر^٣ :

١ التكملة : ٤٢٧ وديوانه : ١١٤ .

٢ التكملة : ٤٣٦ .

٣ التكملة : ٤٧٠ وفيه القطعة التالية أيضاً .

إذا شئت إبقاء أحوالك فلا تُجِرْ جاهاً على بالك
وكن كالطريق لمجتازها يمرُّ وأنت على حالك

وقال :

هَنُ إذا ما نلت حظاً فأخو العقل يهونُ
فمتى حطك دهرٌ فكما كنت تكونُ

16 — وقال أبو الربيع ابن سالم الكلاعي : أنشدني أبو محمد الشلي ، أنشدني
أبو بكر ابن منخل ، لنفسه ^١ :

مضت لي ست بعد سبعين حجةً ولي حركاتٌ بعدها وسكونُ
فيا ليت شعري أين أو كيف أو متى يكونُ الذي لا بدَّ أن سيكونُ

17 — وقال أبو محمد عبد الحق الإشبيلي ^٢ :

لا يخذعتك عن دين الهدى نقرٌ لم يُرزقوا في التماسِ الحق تأييداً
عُمي القلوب عروا عن كل فائدةٍ لأنهم كفروا بالله تقليداً

18 — وقال أبو محمد ابن صارة ^٣ :

بنو الدنيا يجهل عظموها فعزّت عندهم وهي الحقيرةُ
يهارش بعضهم بعضاً عليها مهارشة الكلاب على العقيرةُ

وقال :

اسعد بمالك في الحياة ولا تكن تبقي عليه حذارَ فقرٍ حادٍ

١ التكملة : ٤٩٦ .

٢ التكملة : ٦٩٩ .

٣ التكملة : ٨١٧ وفيه القطعة التالية أيضاً .

فالبخلُ بينَ الحادِثينِ ، وإنّما مالُ البخلِ لحادِثٍ أو وارثٍ

19 - ودخل أبو محمد الطائي القرطبي على القاضي أبي الوليد ابن رشد ،
فأنشده ارتجالاً^١ :

قام لي السيّدُ الممامُ قاضي قضاةِ الوري الإمامُ
فقلتُ قمّ بي ولا تقمّ لي فقلّما يؤكلُ القيامُ

20 - وقال الحافظ أبو محمد ابن حزم^٢ :

لا تلمني لأنّ سُبِقْتُ لحظاً فات إدراكهُ ذَوِي الألبابِ
يسبقُ الكلبُ وثبةَ الليثِ في العَدِّ ويعلو النُخالُ فوقَ اللّبابِ

21 - وقال أبو عبد الله الجلي الطيب القرطبي^٣ :

اشددْ يدِيكَ على كلبٍ ظفرتَ بهِ ولا تدعهُ فإنّ الناسَ قد ماتوا
قلت : تذكرت بهذا قول الآخر :

اشددْ يدِيكَ بكلبٍ إن ظفرتَ بهِ فأكثرُ الناسِ قد صاروا خنازيراً

22 - وقال محمد بن عبد الله الحضرمي مولى بني أمية :

عاشِرِ الناسَ بالجمي لٍ وسدّد وقاربِ
واحترس من أذى الكرا م وجُدْ بالمواهبِ
لا يسودُ الجميعَ من نَمَ يَقمُ بالنّوائِبِ
ويحوطُ الأذى وير عى ذِمّامَ الأقاربِ

١ التكملة : ٨٢٤ .

٢ التكملة : ٨٧٥ ومر البيتان ج ٢ - ٨٤ .

٣ التكملة : ٩٠٩ .

لا تواصل إلا الشريه في الكريم المناصب
من له خير شاهد وله خير غائب
واجتنب وصل كل وغد في دنيء المكاسب

[ابن الأبار]

٥٨٥ - وقال الكاتب الحافظ أبو عبد الله ابن الأبار :

لله نهر كالحياب ترقيشه سامي الحباب
يصف السماء صفاؤه فحواه ليس بلدي احتجاب
وكأنما هو رقعة من خالص الذهب المذاب
غارت على شطيه أبكار المني عصر الشباب
والظل يبدو فوقه كالخال في خد الكعاب
لا بل أدار عليه خو ف الشمس منه كالنقاب
مثل المجرة جر فيها ذيله جئون السحاب

وقال :

شتى محاسنه ، فمن زهر على نهر تسلسل كالحياب تسلسلا
غربت به شمس الظهيرة لا تني إحراق صفحته لحييا مشعلا
حتى كساه النوح من أفقانه بردا يمزج في الأصيل مسلسلا
وكأنما لمع الظلال بمتنه قطع الدماء جمدن حين تحللا

وقال بمدح المستنصر صاحب إفريقية :

إن البشائر كلها جمعت للدين والدنيا وللأمم

١ أزهار الرياض ٢ : ٣٢٣ وفي القطة التالية أيضا .

في نعمتين جسيمتين هما براء الإمام وبيعة الحرم

قال ابن الأثير : وأخبرني بعض أصحابنا - يعني أبا عمرو ابن عبد الغني - أنه أنشدهما الخليفة فسبقه إلى عجز البيت الثاني ، فقلت له على البديهة :

فخر لشعري على الأشعار يحفظه خليفة الله كان الله حافظه

وأشار بقوله «وبيعة الحرم» إلى ما ذكره ابن خلدون وغير واحد من المؤرخين أن أهل مكة خطبوا للمستنصر صاحب تونس بعرفة ، وكتبوا له بيعة من إنشاء ابن سبعين المتصوف ، وقد ذكر ابن خلدون نص البيعة في ترجمة المستنصر ، فليراجعها من أرادها .

وقال ابن الأثير :

ألا اسمع في الأمير مقال صدق
متى يكتب ترد وشلا أجاباً
وخذه عن امرئ خدم الأمير
وإن يركب ترد عذباً نмира

وقال مجيباً للتجاني :

أيها صاحب الصفي ، مباح
إن عتاني إسعاف قصدك فيها
لها شرطها فحافظ عليه
ونحام الإخلال جهدك ، لاقه
لك غني فيما نصصت الرواية
فلکم لم تزل بها ذا عناية
ثم كافي وصيتي بالكفاية
ت من الله عصمة وحماية

ونص استدعاء التجاني :

إن رأي سيلدي الذي حاز في العا
وحوى المجد عن جدود كرام
أن أرى عنه بالإجازة أروي
م مع الحلم والعلا كل غاية
كلهم في السماح والفضل آية
كل ما فيه لي تصح الرواية

من حديث وكلّ نظمٍ ونثرٍ وفنونٍ لهُ بهنٌ درايه
 فلهُ في ذاكَ الثوابُ من الله ومنّا الثناء دونَ نهايه
 دام في رفعةٍ وعزٍّ وسعدٍ وأمانٍ ومُكننةٍ وحمايه
 ما تولّى جيشُ الظلامِ هزيماً وعلتُ للصباحِ في الأفقِ رايه

ولابن الأَبَر ترجمه واسعة ذكرتها في «أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض» فلتراجع فيه .

٥٨٦ — وأما التجاني أبو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه أبو الفضل محمد حفيد عمّه في كتابه «الحلى التيجانية والحلل التجانية» ، قال ابن رشيد : وجمعه باسمنا حفظه الله تعالى وشكره ، وقال في موضع آخر : إنّه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم ، رحمهما الله تعالى ، انتهى .

٥٨٧ — وقال ابن مفلّح أبو الحسين :

إذا عَرَّتْكَ عَيْلَةٌ يَعْجُزُ عنها ما تَجِدُ
 فلتَقْتَصِدْ فَإِنَّهُ ما عالَ قَطُّ مَقْتَصِدُ

وقال :

حازَ دُنْيَاهُ كُلَّهَا مُحَرِّزاً أَكْبَرَ المِنِّ
 مَنْ حَوَى قُوتَ يَوْمِهِ آمِناً سَالمَ البَدَنِ

وقال :

أَعِني أَخاكَ في الَّذي يَأْمُلُهُ ويرتجيه
 فاللهُ في عَوْنِ الفَقِي ما كان في عَوْنِ أخيه

وقال :

أَنْفَسُ ما أودعتهُ قَلْبَكَ ذَكَرِي مَوْظُهُ

وخيرُ ما أتلفتَه مالُ أفادَ موعظَه

٥٨٨ — وقال أبو البركات القميحي : أنشدنا أبو العباس ابن مكنون .
وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها ، مرتجلاً :

حارَتْ عقولُ الناسِ في إبداعها السُّكْرِها أمْ شُكْرِها تتأوَدُ
فيَقُولُ أربابُ البطالة : تنثني ويقولُ أربابُ الحقيقة : تسجدُ

قال الشيخ أبو البركات القميحي : قلت لابن مكنون : ما الذي يدل على
أنهما في وصف الثمار ؟ فقال : وَطِئْتُ أَنْتَ لَهَا ، فقلت :

يا من أتى منتزهاً في روضة أزهارها من حسنها تتوقدُ
انظرُ إلى الأشجارِ في دَوَّحاتها والريحُ تنسفُ والطيورُ تغردُ
فترى الغصونَ تمايلتْ أطرافُها وترى الطيورَ على الغصونِ تعربدُ

قال ابن رشيد : غلط المذكور في نسبه البيتين لابن مكنون ، وإنما هما
لأبي زيد الفازاري من قصيدة أولها :

نَعَمْ إِلَهَ بِشُكْرِهِ تَتَقَيَّدُ فَاللهُ يُشَكِّرُ فِي النَّوَالِ وَيُحَمِّدُ
مُدَّتْ إِلَيْهِ أَكْفُنًا مَحْتَاجَةً فَأَنَالَهَا مِنْ جُودِهِ مَا تَعْبُدُ

والبيتان في أثنائها ، غير أن أولهما في ديوانه هكذا :

تَاهَتْ عَقُولُ النَّاسِ فِي حَرَكَاتِهَا

انتهى .

ورأيت في « روضة التعريف » لسان الدين بعدهما بيتاً ثالثاً ، وهو :

وإذا أردتَ الجمعَ بينهما فقلْ في شكر خالقها تقومُ وتقعُدُ

٥٨٩ - وحكي أن حافظ الأندلس إمام الأدباء^١ ، رئيس المؤلفين ، حسنة الزمان ، نادرة الإحسان ، أبا محمد عبد الله بن إبراهيم الصنهاجي الحيجاري صاحب كتاب « المسهب » كان سبب اتصاله بعبد الملك بن سعيد جد علي بن موسى صاحب « المغرب » أنه وفد عليه في قلعته ، فلما وقف على بابه وهو يزري بدواة ازدراه البوابون ، فقال لهم : استأذنوا لي على القائد ، فضحكوا به ، وقالوا له : ما كان وجَدَ القائد مَنْ يدخل عليه في هذه الساعة إلا أنت ؟ فمدَّ يده إلى دواة في حزامه وسحاة ، وكتب بها : بباب القائد الأعلى - لا زال أهلاً بأهل الفضيلة - رجلٌ وفد عليه من شِلْبٍ بقصيدة مطلعها :

عليك أحوالي الذُّكْرُ الجميلُ

فإن رأى سيدي أن يحجب مَنْ بلدُه شِلْبٍ ومَنْ قصيدُه هذا فهو أعلم بما يأتي ويَدَّر ، ولا عتب على القدر ، ورغب إلى أحد غلمانه ، فأوصل الورقة ، فلما وقف عليها القائدُ قال : من شِلْبٍ ، وهذا مطلع قصيدته ، ما لهذا إلا شأن ، ولعله الوزير ابن عمَّار ، وقد نُشِرَ إلى الدنيا ، عجلوا بالإذن له ، فأذنوا له ودخل وبقي واقفاً لم يسلم ولا كلم أحداً ، فاستثقله الحاضرون ، واستبدوا مقصده ، ونسبوه للجهل وسوء الأدب ، فقال له أحدهم : ما لك لا تسلم على القائد ، وتدخل مداخل الأدباء والشعراء ؟ فقال : حتى أخجل جميعكم قدَّر ما أخجلتموني على الباب مع أقوام أنذال ، وأعلم أيضاً مَنْ هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزّه الله تعالى فأكون أتقيه إن قُدر لي خدمته ، فقال له عبد الملك : أتأخذنا بما فعل السفهاء مثلاً ؟ قال : لا . والله : بل أغفر لك ذنوب الدهر أجمع ، وإنما هي أسباب نقصدها لنحاور بها مثلك أعزك الله تعالى . ويتمكن التأنيس . وينحل قيد الهيبة ، ثم أنشد من رأسه ولا ورقة في يده :

١ ب : الأدب .

عَلَيْكَ أَحَالِي الذِّكْرُ الْجَمِيلُ فَصَحَّ الْعِزُّ وَاقْتَضَى الرَّحِيلُ
وَوَدَعْتُ الْحَيِّبَ بِغَيْرِ صَبْرٍ وَلَمْ أَسْمَعْ لَمَّا قَالَ الْعَذُولُ
وَأَسْبَلْتُ الظَّلَامَ عَلَيَّ سَرًّا وَنَجْمُ الْأَفْقِ نَاطِرُهُ كَلِيلُ
وَلَمْ أَشْكُ الْمُهْجِرَ وَقَدْ دَعَانِي إِلَى أَرْجَائِكَ الظِّلُ الظَّلِيلُ .

وهي طويلة ، فأكرمه وقربه ، رحم الله تعالى الجميع .

٥٩٠ — وأهديت للمعتمد بن عباد شجرة ، فقال في وصفها أبو القاسم ابن
مرزقان الإشبيلي وهو ممن قُتِلَ في فتنة المعتمد :

مَدِينَةٌ فِي شَجَرَةٍ صَوَّرَتْ قَامَتْ حُمَاةٌ فَوْقَ أَسْوَارِهَا
وَمَا رَأَيْنَا قَبْلَهَا رَوْضَةً تَنْتَقِدُ النَّارُ بِنَوَارِهَا
تُصَيِّرُ اللَّيْلَ نَهَارًا إِذَا مَا أَقْبَلَتْ تَرْفُلُ فِي نَارِهَا
كَأَنَّهَا بَعْضُ الْأَيْدِي الَّتِي نَحْتَ الدَّجَى تَسْرِي بِأَنْوَارِهَا
مِنْ مَلِكٍ مَعْتَمِدٍ مَاجِدٍ بِلَادُهُ أَوْطَانُ زَوَارِهَا

٥٩١ — وقال أبو الأصبح ابن رشيد الإشبيلي لما هطلت بإشبيلية سحابة
بقطر أحمر يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة :

لَقَدْ آتَى النَّاسَ أَنْ يُقْلَعُوا وَيَعْمَشُوا عَلَى السَّنَنِ الْأَقْوَمِ
مَتَى عَهْدَ الْغَيْثِ يَا غَافِلًا كُلُّونَ الْعَقِيقِ أَوْ الْعَنْدَمِ
أَظُنُّ الْغَمَائِمَ فِي جَوْهَا بَكَتْ رَحْمَةً لِلْوَرَى بِالْهَمِ

وفيها أيضاً :

لَا تَكُنْ دَائِمَ الْكَآبَةِ مِمَّا قَدْ غَدَا فِي الثَّرَى نَمِيرًا نَجِيمَا

لَطَمَ الْبَرْقُ صَفْحَةَ الْمِزْنِ حَتَّى سَالَ مِنْهُ عَلَى الرِّيَاضِ نَجِيمًا

وله في دولاب :

وَمَنْجَنُونَ إِذَا دَارَتْ سَمِعَتْ لَهَا صَوْتًا أَجَشَّ وَظَلَّ الْمَاءُ يَنْهَمُ
كَأَنَّ أَقْدَاسَهَا رَكِبٌ إِذَا سَمِعُوا مِنْهَا حُدَاءَ بَكَوْا لِلْبَيْنِ وَارْتَحَلُوا

وله فيمن اسمه مالك :

غَزَالِيُ الْجَفُونَ شَقِيقُ بَلَدٍ تَبَسَّمَ عَنْ عَقِيقٍ فَوْقَ دُرٍّ
لَهُ نَفْحَاتُ مِسْكِ أَيَّ مِسْكِ لَهُ نَفَثَاتُ سَحَرٍ أَيَّ سَحَرٍ
شَكُوتُ لَهُ الْهَوَى وَالْهَجَرُ مِنْهُ فَقَالَ : عَلَيْكَ بِاسْمِي سَوْفَ تَدْرِي
تَعَلَّمْتُ الْقِسَاوَةَ مِنْ سَمِيئِي وَأَحْرَقْتُ الْقُلُوبَ بِنَارِ هَجْرِي

٥٩٢ - وقال أبو بكر ابن حجاج الغافقي في موسى وسيم إشبيلية الذي

كان شعراؤها يتغزلون فيه^١ :

مَنْ مَبْلُغٌ مُوسَى الْمَلِيحَ رِسَالَةً بُعِثَتْ لَهُ مِنْ كَافِرِي عَشَاقِهِ
مَا كَانَ خَلْقٌ رَاغِبًا عَنْ دِينِهِ لَوْ لَمْ تَكُنْ تَوْرَاتُهُ مِنْ سَاقِهِ

وقال :

إِنَّ الزَّوِيلِيَّ فَتَى شَاعِرٌ قَدْ أَعْجَبَ الْعَالَمَ مِنْ نَظْمِهِ
وَأَنْتَ يَا مُوسَى قَدْ اخْتَرْتَهُ وَاخْتَارَ مُوسَى قَبْلُ مِنْ قَوْمِهِ

وقال :

عَلَى مُعَاذٍ قُرُونٌ لَوْ يُعَايِنُهَا فِرْعَوْنُ مَا قَالَ أَوْقَدْتُ لِي عَلَى الطَّيْنِ

١ المغرب ١ : ٢٦١ .

قالتُ نه عِرْسُهُ إِذْ جاءَ يَنكحُها ماذا دُهِيتُ به من كلِّ عُنِين
هَلَّا استعنتَ بِمِيمونٍ ، فقال لها إِنِّي استعنتُ على نفسي بِمِيمون

٥٩٣ — وقال أبو وهب ابن عبد الرؤوف النحوي ، وكان له حظ في قرض الشعر ، وكان سناطاً^١ :

لَيْسَ لَمَنْ لَيْسَتْ لَهُ لَحْيَةٌ بأَسَّ إِذا حَصَلَتْه ، لَيْسا
وصاحبُ اللحيةِ مُستَقْبَحٌ يشبهُ في طَلْعَتِه التيسا
إِنَّ هَبَّتِ الرِّيحُ تَلاهُتْ به وماسَتِ الرِّيحُ به مَيْسا

٥٩٤ — وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى القلقاط :

يا غزالاً عَنَّ لي قابِ تَرَّ قلبي ثُمَّ وَلَّيْ
أنتَ مِنِّي بِقَوادي يا مُنَى نفسي أُولَى

٥٩٥ — وقال أحمد بن المبارك الحبيبي في الناصر قبل أن يلي عهد جده^٢ :

يا عابِدَ الرحمنِ فُتِّتَ الوري بهذه العليا وهذا الكرمُ
ما جعلَ الله الندي في امرئ إلّا وقد جَنَّبَه كلَّ ذمِّ

٥٩٦ — واستدعى الوزير عبيد الله بن إدريس أبا بكر أحمد بن عثمان المرواني : وناداه ليلة : فلمّا قرب الصباح قال له : أين ما يحدثُ عنك من حسن الشعر ؟ فهذا موضعه . فقال : الدواة والقرطاس . فأمر له بإحضارهما ، فجعل يفكر ويكتب إلى أن أنشده هذه الأبيات :

بتنا نَدَامى صفاءِ يستحثُّ لَنَا في جامِدِ الفضةِ التبرُّ الذي سُبِكَا

١ السناط : الذي ليس في عارضيه شعر .

٢ إلى هنا انتهت نسخة ب . وسقطت سائر الأوراق منها .

كُلُّ مُصَيِّغٍ إِلَى مَا قَالَ صَاحِبُهُ وَلَا يِيَالِي أَصِدْقًا قَالَ أُمُّ أَفْكَا
مَوْقَرُونَ خِفَافٌ عِنْدَ شَرِبِهِمْ وَلَا يَخَافُونَ فِيمَا أَحْدَثُوا دَرَكَا
لَا تَعْلَمَنَّ إِذَا أَبْصَرْتَهُمْ فَرَحًا أَمَا تَرَى الصَّبِيحَ مِنْ بَشَرٍ بِهِمْ ضَحْكَا

٥٩٧ - وقال أبو محمد عبد الله المرواني في الخيري :

عَجِبْتُ مِنَ الْخَيْرِيِّ يَكْتُمُ عَرَفَهُ نَهَارًا وَيَسْرِي بِالظَّلَامِ فَيُعْرَبُ
فَتَجْنِي عُرُوسَ الطَّيِّبِ مِنْهُ يَدُ الدَّجَى وَيَبْدُو لَهُ وَجْهُ الصَّبَاحِ فَيُحْجَبُ

٥٩٨ - وقال إبراهيم بن إدريس العلوي :

لِلْبَيْنِ فِي تَعْلِيْبِ نَفْسِي مَذْهَبٌ وَلِنَائِبَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِي مَطْلَبُ
أَمَّا دِيُونُ الْحَادِثَاتِ فَلِإِنَّهَا تَأْتِي لَوْقَتٍ صَادِقٍ لَا يَكْذِبُ

٥٩٩ - وخرج الأديب النحوي هذيل الإشبيلي يوماً من مجلسه ، فنظر إلى سائل
عاري الجسم ، وهو يُرْعَدُ وَيَصِيحُ : الجوع والبرد ، فأخذ بيده ، ونقله إلى
موضع بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ ، وقال له : صَبِحَ الْجُوعُ ، فقد كفأك الله مؤونة البرد .

٦٠٠ - ومر المَعْتَمِدُ بْنُ عَبَادٍ لَيْلَةً مَعَ وَزِيرِهِ ابْنِ عَمَّارٍ بَابَ شَيْخٍ كَثِيرِ
التَّهَكُّمِ وَالتَّنْذِيرِ ، يَمْزِجُ ذَلِكَ بِانْحِرَافِ يُضْحِكِ الْكَلَى ، فقال لابن عَمَّارٍ :
تَعَالَ نَضْرِبْ عَلَى هَذَا الشَّيْخِ السَّاقِطِ بَابَهُ حَتَّى نَضْحَكَ مَعَهُ ، فَضَرَبَا عَلَيْهِ الْبَابَ ،
فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَادٍ : إِنْسَانٌ يَرْغَبُ أَنْ تَقْدَرَ لَهُ هَذِهِ الْفَتِيلَةُ ،
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ ضَرَبْتُ ابْنَ عَبَادٍ بِأَبِي فِي هَذَا الْوَقْتِ مَا فَتَحْتَهُ لَهُ ، فَقَالَ : فَإِنِّي
ابْنُ عَبَادٍ ، فَقَالَ : مَصْفُوعُ أَلْفِ صَفْعَةٍ ، فَضَحِكَ ابْنُ عَبَادٍ حَتَّى سَقَطَ إِلَى
الْأَرْضِ ، وَقَالَ لَوْزِيرِهِ : امْضِ بِنَا قَبْلَ أَنْ يَتَعَدَّى الصَّفْعُ مِنَ الْقَوْلِ إِلَى الْفِعْلِ ،
فَهَذَا شَيْخٌ رَكِيكٌ ؛ وَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَجَّهَ لَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ

١ راجع هذه الحكاية في المغرب ١ : ٢٨٦ - ٢٨٧ .

لموصلها : قل له هذه حقُّ الألف صفقة التي كانت البارحة .

٦٠١ - وكان في زمان المعتمد السارق المشهور بالبازي الأشهب ، وكان له في السرقة كل غريبة ، وكان مسلطاً على أهل البادية ، وبلغ من سرقة أنه سرق وهو مصلوب ؛ لأن ابن عباد أمر بصلبه على ممر أهل البادية لينظروا إليه ، فبينما هو على خشبته علي تلك الحال إذ جاءت إليه زوجته وبناته ، وجعلن يبكين حوله ويقلن : لمن تركنا نضيع بعنك ؟ وإذا ببدوي على بغل ونحته حمل ثياب وأسباب ، فصاح عليه : يا سيدي ، انظر في أي حالة أنا ، ولي عندك حاجة فيها فائدة لي ولك ؛ قال : وما هي ؟ قال : انظر إلى تلك البثر ، لما أرهقني الشرط رميت فيها مائة دينار ؛ فعسى تحتال في إخراجها ، وهذه زوجتي وبناتي يُمنسكن بَعْلِكَ خلال ما تخرجها ، فعمد البدوي إلى حبيل ودلى نفسه في البثر بعدما اتفق معه على أن يأخذ النصف منها ، فلما حصل أسفل البثر قطعت زوجة السارق الحبل ، وبقي حائراً يصيح ، وأخذت ما كان على البغل مع بناتها ، وفترت به ، وكان ذلك في شدة حر ، وما سبب الله شخصاً يغيثه إلا وقد غيبن عن العين وخلصن ، فتحيل ذلك الشخص مع غيره على إخراجها ، وسألوه عن حاله ، فقال : هذا الفاعل الصانع احتال علي حتى مضت زوجته وبناته بئياي وأسبابي ، ورُفعت هذه القصة إلى ابن عباد ، فتعجب منها ، وأمر بإحضار البازي الأشهب ، وقال له : كيف فعلت هذا مع أنك في قبضة الملكة ؟ فقال له : يا سيدي لو علمت قدر لذتي في السرقة خلعت ملكك واشتغلت بها ، فلعله وضحك منه ، ثم قال له : إن سرحتك وأحسن إليك وأجريت عليك رزقاً يقلك أنتوب من هذه الصنعة الذميمة ؟ فقال : يا مولاي كيف لا أقبل التوبة وهي تخلصني من القتل ؟ فعاذه وقدمه على رجال أنجاد ،

وصار من جملة حراس أحواز^١ المدينة .

٦٠٢ - ويحكى أن منصور بن عبد المؤمن لما أراد بناء صومعة إشبيلية العظيمة القدر أحضر لها العُرَّقاء والصُّنَّاع من مظائهم ، فعُرِّف بشيخ مُغَفَّل صحيح المذهب عارف بالبناء الذي يجهله كثير من الصنائع ، فأحضر ، فقال له المنصور : كم تقدّر أن يُنفق على هذه الصومعة ؟ فضحك وقال : يا سيدي ، البنيان إنما هو مثل ذكرٍ ليس يُقدَّر حتى يقوم ، فكاد المنصور يفتضح من الضحك ، وصرف وجهه عنه ، وبقيت حكايته يضحك عليها زماناً .

٦٠٣ - وكان أحمد المقرئ المعروف بالكساد شاعراً وشاحاً زجلاً^٢ إشبيلياً ، وقال في موسى الذي تغزل^٣ فيه ابنُ سهّل^٤ :

ما لمُوسى قَدْرٌ خَرَّ لَهِ لَمَّا فَاضَ نَوْرٌ غَشَاهُ ضَوْؤُ سَنَاهُ
وَأَنَا قَدْ صُعِقْتُ مِنْ نَوْرِ مُوسَى لَا أَطِيقُ الْوُقُوفَ حِينَ أَرَاهُ
وقال في رثائه^٥ :

فَهَرَّ إِلَى الْجَنَّةِ حُورِيَّهَا وَارْتَفَعَ الْحَسَنُ مِنَ الْأَرْضِ
وَأَصْبَحَ الْعَاشِقُ فِي مَأْتَمٍ بَعْضُهُمْ يَبْكِي عَلَى بَعْضٍ
وقال فيه :

هتف الناعي بشَجْوِ الْأَبْدِ إِذْ نَعَى مُوسَى بْنَ عَبْدِ الصَّمَدِ
مَا عَلَيْهِمْ وَيَحْجَمُ لَوْ دَفَنُوا فِي قَوَادِي قِطْعَةٍ مِنْ كِبَلِي

١ أحواز : سقطت من م .

٢ م : يتغزل . ٣ مر البيتان ص : ٦١ .

٤ هذه القطعة والتي تليها لم تردا في م ، وتعليل ذلك أنهما وردتا قبلا ص : ٦١-٦٢ ونسخة «م» قد جرى فيها بعض الحذف للمكرر ، كما أن فيها زيادات انفردت بها سئبتها في مواضعها .

ولابن سَهْل الإسرائيلي في موسى هذا ما هو مثبت في ديوانه .

٦٠٤ - وكان محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي المرسي من أعرف أهل الأندلس بالعلوم القديمة : المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب ، فيلسوفاً طبيباً ماهراً ، آية الله في المعرفة بالأندلس ، يقرئ الأُمم بألستهم فنونهم التي يرغبون فيها وفي تعلّمها ، ولما تغلب طاغية الروم على مُرسية عرف له حقه ، فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود ، وقال له يوماً وقد أدنى منزلته : لو تنصرت وحصلت الكمال كان لك عندي كذا ، وكنت كذا ، فأجابه بما أقنعه : ولما خرج من عنده قال لأصحابه : أنا عمري كله أعبد إلهاً واحداً ، وقد عجزت عما يجب له ، فكيف حالي لو كنت أعبد ثلاثة كما طلب الملك مني ؟ انتهى .

٦٠٥ - وقال أبو عبد الله محمد بن سالم القيسي الغرناطي يخاطب السلطان على ألسنة أصحابه الأطباء الذين ببابه مؤرياً بأسمائهم :

قد جَمَعْنَا ببابكم^١ سطرَ علمٍ لبلوغ المني ونيلَ الإرادة^٢
ومن أسمائنا لكم^٣ أحسنُ قالٍ سالمٌ ثمَّ غالبٌ وسعادة^٤

٦٠٦ - وقال أبو عبد الله ابن عمر^٣ الإشيلي الخطيب :

وكلُّ^٤ إلى طبعه عائدٌ وإن صدّه المنعُ عن قصدهِ
كذا الماء من بعدِ إسخانهِ يعودُ سريعاً إلى بردهِ

٦٠٧ - وقال الكاتب أبو زيد عبد الرحمن العثماني لما تغير حاله بإشيلية^٤ :

١ م : ببابهم .

٢ م : لهم .

٣ م : عمرو .

٤ قد مرت الأبيات في ما تقدم ص : ٦٢ من هذا المجلد ؛ وقد سقطت من م .

لا تَسْلَني عن حَالي فِهي هَذي مثل حَالي لا كَنتَ يا من يَراي
مَلَّتِ الأهلُ والأَخلاءُ ما أن جَفاني بَعد الوصالِ زَماني
فاعتَبِرُ بي ولا يَغَرِّكَ دَهرٌ لَيسَ مِنهُ ذو غِبطَةٍ في أمانِ

٦٠٨ - ودخل الأديب النحوي أبو عمران موسى الطرياني^١ إلى بعض
الأكابر يوم نَيْرُوز ، وعادتهم أن يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من العجين
لها صور مستحسنة ، فنظر إلى مدينة أعجبت ، فقال له صاحب المجلس : صفها
وخذها ، فقال :

مَدِينَةٌ مَسَوْرَةٌ تَحارُ فيها السَّحَرَةُ
لَم تَبْنِها إِلَّا يَدًا عِذراءُ أو مُخَدَّرَةٌ
بَدَتْ عَروسًا تَجَلِي من دَرَمِكَ مَزَعَفَرَةٌ
وما لَها مَفاتِحٌ إِلَّا البِنانُ العَشَرَةُ

ورفع إلى القائد أبي السرور صاحب ديوان سَبْتَةَ قصيدة يعرِّض لَه فيها
بِزاد ، وقد عزم على سفر ، فأنعم عليه بذلك ، ثم أتبعه بِتُحَفٍ ممَّا يكون
في الديوان ممَّا يَجلبه الإفرنج إلى سَبْتَةِ ، ولم يكن التمس منه ذلك ولا خطر
بِخاطره ، فكتب إليه :

أيا سابِقاً بالَّذي لَم يَجُلْ بِفَكري ولم يَبْدُ لي في خِطابِ
ويا غائِصاً في بَجارِ الندى ويا فائِخاً للعُلا كُلِّ بابِ
كَذا فلتَكن نِعمُ الأَكرَمين تَفاجي بَنيلِ المَني والطُّلابِ
ولم أَرَ أعظَمَ مِن نِعمَةٍ أَتَني ولم تَكن لي في حِسابِ
سأشكُرها شَكرَ عَهدِ الرَضَى وأذكُرها ذَكرَ غَضِّ الشَّبابِ

١ قد مر هذا الخبر والأبيات ص : ٦٣ وقد سقط من م .

٦٠٩ - وكتب مجاهد صاحب دانيّة إلى المنصور بن أبي عامر الأصغر
ملك بكنّسية رقعة ، ولم يضمّها غير بيت الخطيئة^١ :

دَعِ المَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغِيَّتِهَا واقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي
فأخرجت^٢ المنصور ، وأقامته وأقعدته ، فأحضر وزيره أبا عامر ابن التاكرفي
فكتب عنه :

شَتَمَتْ مَوَالِيَهَا عَيْدُ نَزَارِ شَيْمُ الْعَيْدِ شَتِيمَةُ الْأَحْرَارِ
فسلا المنصور عما كان فيه .
ومن شعر المذكور في المنصور :

انهضْ عَلَى اسْمِكَ إِنَّهُ - مَنْصُورُ وارمِ الْعَدُوَّ فَإِنَّهُ مَقْهُورُ
ولو اغتنيتَ عن النهوضِ كَفَيْتَهُمْ فبذكرِ بَأْسِكَ كُلُّهُمْ مَذْغُورُ
ولتبغْنَ مَدَى مُرَادِكَ فِيهِمْ ويكونُ يَوْمٌ فِي الْعَدَا مشهورُ

وقال له المنصور يوماً : والله لقد شمت من هؤلاء الجنّد ، ووددت الراحة
منهم ، فقال له : يصبر مولاي فلا بدّ من السّامة ، فهي على حالتين : إمّا
ممن يكون أمرك إليه ، أو يكون أمره إليك ، والحمد لله الذي رفعه عن الحالة
الأولى .

٦١٠ - وقال بعض المجائين في رندة^٣ :

قَبْحاً لِرَنْدَةٍ مِثْلَمَا قَبِحَتْ مُطَالَعَةُ الذَّنُوبِ

١ المغرب ١ : ٣٣٢ .

٢ كذا في ق م والتقدير « فأخرجته عن طوره » .

٣ هو أبو الفتح ابن فاعر التونسي (المغرب ١ : ٣٤٤) .

بلدٌ عَلَيْهِ وحشةٌ ما إن يفارقه القُطُوبُ
ما حلَّها أحدٌ فينـ وي بعد بيتن أن يؤوب
لم آتـا عند الضحى إلا وخيل لي غروب
أفقٌ أغمٌ وساحةٌ تملأ القلوب من الكروب

٦١١ - وقال جبالص الشاعر الرندي ^١ :

لا تفرحن بولاية سوغتها فالثور يعلف أشهراً كي يذبجا

وله في بعض رؤساء الملتمين من قصيدة :

ولو لم تكن كالبلر نوراً ورفعةً لما كنت غراً بالسحاب ملثماً
وما ذاك إلا للنوال علامة كذا القطر مهما لم الأفق أنهمى

فاهتر الملم وأعجبه ، وأمر له بكسوة وذهب .

٦١٢ - ولما ذكر أبو بكر ابن عمر الأندي في مجلس بعض الرؤساء بحضرة
أبي الحسن علي بن سعيد ، وأطنب في الثناء عليه ، وعمر المجلس بشكره ،
وأخبر بذلك ، أطرق ساعة ثم قال ^٢ :

لا تذكرن ما غاب عني من ثنا أطنبت فيه فليس ذلك يُجهل
فمتى حضرت بمجلس وجري به خبري فإن الذكر فيه يعمل

٦١٣ - ولما نفى بنو ذي النون أرقم من نسبهم لأنه كان ابن أمة مهيينة ،
واقعتها أبو الظافر في حال سكره ، ولم يكن فيهم من ينظم ويتولع بالأدب غيره ،

١ المغرب ١ : ٣٣٦ .

٢ م : شعراء .

٣ المغرب ١ : ٣٣٨ وترجمته في القلح : ١٦٨ .

وولي ابنه يحيى ، وكان أحسد من طلعت عليه الشمس ، فقال على أرقم
بالأذية فقرّ عن مملكته ، وقال مرتجلاً^١ :

لئن طبتمُ نفساً بتركي دياركم فنفسيَ عنكمُ بالتفرق أطيبُ
إذا لم يكنْ لي جانبٌ في دياركم فما العذرُ لي أن لا يكون نجيبُ
زعمتم بأنّي لستُ فرعاً لأصلكم فهلاًّ علمتم أنّي عنه أرغبُ
وحسبي إذا ما البيضُ لم تورعَ نسبةً بأنّي إلى سبني ورحمي أنسبُ
وإن مدّت الأيامُ عمري للعلا يشترقُ ذكرى في الوري ويغربُ

٦١٤ - وكتب الوزير الكاتب أبو محمد ابن سفيان إلى أبي أمية ابن عصام^٢
قاضي قضاة شرق الأندلس « عين زمانه » ، فوقعت نقطة على العين ، فتوهمها ،
وظن أنّه أبهمها واعتقدها ، وعددها وانتقدها ، فقال :

لا تُلزمني ما جنتهُ يراعةً طمست بريفتها عيونَ ثناء
حققتُ عليّ لزامها فتحولت أفعى تمجّ سماها بسحاء
غدر الزمان وأهله عرف ولم أسمعُ بغدر يراعةٍ وإباء

٦١٥ - وشرب المأمون بن ذي النون مع أبي بكر محمد بن أرفع رأسه
الطيبلي وحفّل من رؤساء ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن الفرج وابن
مثنى ، فجرت مذاكرة في ملوك الطوائف في ذلك العصر ، فقال كل واحد
ما عنده بحسب غرضه ، فقال ابن أرفع رأسه ارتجلاً^٣ :

دعوا الملوكَ وأبناء الملوكِ فمَنَ أضحي على البحرِ لم يشقْ إلى نهرِ
ما في البسيطة كالمأمونِ ذو كرمٍ فانظر لتصديق ما أسمعت من خبرِ

١ المغرب ٢ : ١٤ .

٢ القلائد : ١٣٩ .

٣ المغرب ٢ : ١٨ والصلة رقم : ٨٧٤ .

يا واحداً ما على عُلَيَّاه مُخْتَلَفٌ مذ جاد كفكُكْ لم نَحْتَجْ إلى المطرِ
وقد طَلَعَتْ لَنَا شَمْساً فما نظرتُ عينٌ إلى كوكبٍ يَهْدِي ولا قمرِ
وقد بدوتُ لَنَا وَسْطَى ملوكهم فلم نُعَرِّجْ على شذرٍ ولا دررِ
فداخل ابن ذي النون من الارتياح ما ليس عليه مزيد ، وأمر له بإحسان
جزيل عتيد .

٦١٦ - وقال أبو أحمد عبد المؤمن الطليطي :

رأيتُ حياتي قَادِحاً في معيشتي ويصعبُ تركي للحياء ويَفِجُ
وقد فَسَدَ الناسُ الذين عهدتهم وقد طال تأنيبي لمن ليس يصلحُ
وله :

ولمَّا غَدَوَا بِالْغَيْدِ فَوَقَّ جِمالهم طَفَقْتُ أَنَادِي لا أُطِيقُ بهم همسا
عَسَى عَيْسٌ من أهوى تجودُ بوقفةٍ ولو كوقوفِ العينِ لاحتَظَّتِ الشمسَا

٦١٧ - وقال الزاهد أبو محمد عبد الله بن العسال^١ :

أعندكمُ علمٌ بَأْتِي متيِّمٌ وإلاّ فما بالُ المدامع تسجُمُ
وما بالُ عيني لا تغمَضُ ساعةً كأنّي في رعي الدراي منجمُ

٦١٨ - وكان الوزير أبو جعفر الوقشي تيّاهاً مُعْجَباً بنفسه ، ومن شعره
في غرضه الفاسد :

إذا لَمْ أُعْظَمْ قَدَرُ نَفْسِي وإِنِّي عليمٌ بما حازته من عِظَمِ القدرِ
فغيري معنورٌ إذا لم يَبْرَئني ولا يُكَبِّرُ الإنسانُ شيءَ سوى الكبرِ

١ في م ق : العسال ؛ وانظر ترجمته في المغرب ٢ : ٢١ .

وله :

يرومون بي غيرَ المكان الذي لهُ خُلقتُ، وبعضي منكراً ذاك من بعضي
فَقُولُوا لبدري الأفقِ يتركُ سماءهُ ويحتلُّ من أجلِ التواضعِ في الأرضِ

وقال :

تكبرُ وإن كنتَ الصغيرَ تظاهراً وباعدُ أخا صدقٍ متى ما اشتهى القربا
وكنُ تابعاً للهِرِّ في حفظِ أمره أَلستَ تراه عندما يبصرُ الكلبا

وقال له بعض ندماء ملكه يوماً صاحب جيان ، ابن همشك : يا أبا جعفر ،
أنت جملة محاسن ، وفيك الأدوات العلية التي هي أهل لكل فضيلة ، غير أنك
قد قلحت في ذلك كله بكثرة عُجْبِكَ ، وإذا مشيت على الأرض تشمئز منها ،
فقال له : كيف لا أشمئز من شيء أشترك معك في الوطء عليه ؟ فضحك جميع
مَنْ حضر من جوابه . وله جواب لمن اعتلر عن غيبته عنه :

لك الفضلُ في أن لا تلوحَ لناظري وتبعدَ عني ما بقيتَ مدى الدهرِ
فوجهك في لحظي كما صورَ الردي ولفظك في سمعي حديثٌ عن الفقرِ
ومَنْ حاز ما قد حُزنته من ركَاكةٍ وغاب فلا يحتاجُ إلى كلفةِ العذرِ

وله أيضاً ٢ :

لكَ يومان لم تَلُحْ لعياني ولك الفضلُ في زيادةِ شهرِ
ولك الفضلُ في زيادةِ عامِ ولك الفضلُ في زيادةِ دهرِ
ولك الفضلُ أن تُغَيِّبَ عني ذلك الوجهَ ما تطاول عمري

١ ق : لمر .

٢ أيضاً : سقطت من م .

وله ، وقد شرب على صهريج فاختنق الأسد الذي يرمي بالماء ، فنفخ فيه
رجل أبخر ، فجرى :

لَيْتَ بَدِيعُ الشَّكْلِ لَا مِثْلَ لَهُ صَيْغَ مِنْ الْمَاءِ لَهُ سِلْسَلَةٌ
يَقْدِفُ بِالْمَاءِ عَلَى حِينِهِ كَأَنَّهُ عَافَ الَّذِي قَبْلَهُ
٦١٩ - وقال أبو الوليد هشام الوقيشي :

بَرَّحَ بِي أَنَّ عُلُومَ الْوَرَى اثْنَانِ مَا إِنْ فِيهِمَا مِنْ مَزِيدٍ
حَقِيقَةٍ يُعْجِزُ تَحْصِيلُهَا وَبَاطِلٌ تَحْصِيلُهُ لَا يُفِيدُ
وله ١ :

وَفَارِهِ يَرْكَبُهُ فَارُهُ مَرَّ بَنَا فِي يَدِهِ صَعْدَةٌ
سَنَاهَا مُشْتَمِلٌ لِحَظَّتِهِ وَقَدْ هَا مُنْتَحِلٌ قَدَهُ
يَزْحَفُ لِلنَّسَاكِ فِي جِحْفَلٍ مِنْ حَسَنِهِ وَهُوَ يُرَى وَحْدَهُ
قَلْتُ لِنَفْسِي حِينَ مَدَّتْ لَهَا آلَ آمَالٍ وَالْآمَالُ مُمْتَدَّةٌ
لَا تَطْمَعِي فِيهِ كَمَا الشَّعْرُ لَا يَطْمَعُ فِي تَسْوِيدِهِ خَدَّةٌ ٢

وقال :

عَجَبًا لِلْمُدَامِ مَاذَا اسْتَعَارَتْ مِنْ سَجَايَا مَعْدَنِي وَصَفَاتِهِ
طِيبَ أَنْفَاسِهِ وَطَعْمَ ثَنَائِهِ هَ وَسُكْرَ الْعُقُولِ مِنْ لِحَظَاتِهِ
وَسَنَا وَجْهِهِ وَتَوْرِيدَ خَدَّيْ هَ وَلُطْفَ الدِّيَابِاجِ مِنْ بَشَرَاتِهِ
وَالْتِدَاوِي مِنْهَا بِهَا كَالْتِدَاوِي بَرَضِي مِنْ هَوَيْتِ مِنْ سَطَوَاتِهِ ٣

١ ق : وله أيضاً .

٢ ق م : الشمس لا يطمع في تدينيسه حده .

٣ البيت والذي يليه سقطا من م .

وهي من بعد ذا عليّ حرامٌ مثل تحريمه جتّى رَشَفَاتِهِ
ومن تأليفه « نكت الكامل للمبرد » ، وقد مر ذكر هذا الرجل الفرد
قبل هذا .

وحضر يوماً مجلس ابن ذي النون ، فقُدّم نوع من الحلوى يُعرف بِآذَانِ
القاضي ، فتهافت جماعة من خواصّه عليها يقصّصون التّليير فيه ، وجعلوا يَكْثُرُون
من أكلها ، وكان فيما قدّم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمّى عيون البقر ، فقال له
المأمون : يا قاضي أرى هؤلاء يأكلون أذنّيك ، فقال : وأنا أيضاً أكل عيونهم ،
وكشف عن الطبق ، وبجعل يأكل منه ، وكان هذا من الاتفاق الغريب .

٦٢٠ - وكان التّفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبي جعفر الوقشي آية الله
في الظرف ، وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر ، وصهره أبو الحسين ابن جبير ،
وشيخه في علم الموسيقى والتّهديب والظرف والتّدريب أبو الحسن ابن الحسن
ابن الحاسب شيخ هذه الطريقة ، وقد رزق أبو الحسين المذكور فيها ذوقاً مع
صوت بديع ، أشهى من الكأس للخليع ، قال أبو عمران ابن سعيد : ما سمعته
إلا تذكرت قول الرصافي ^١ :

ومُطَارِحٍ ممّا تجسُّ بنائهُ لحناً أفاضَ عليه ماء وقارهِ
بِثْنِي الحَمَامِ فلا يروحُ لوكره طرباً ، ورزقُ بنيه في منقارهِ

وكنّت أرتاح إلى لقائه ، ارتياح العليل إلى شفائه ، ولم أزل أفرع باباً فباباً ،
وأخرق للاتّصال حجّاباً فحجّاباً ، حتّى هجمت مع شفيع لا يُرد عليه ، وجلست
بين يديه ، فحينئذ حرّضه حسبه على الإكرام ، وتلقّى بما أوسع من البشر
والسلام . وقال : ليعلم سيدي أنّي كنت أودّ الناس في لقائه ، وأحبّهم في

١ ديوان الرصافي : ١٠١ (نقلا عن النّفع) .

إخائه ، والحمد لله الذي جعلني أنشد :

وليس الذي يَتَّبَعُ الْوَيْلَ رائداً كمن جاءه في داره رائدُ الْوَيْلِ
ثمَّ قام إلى خزانة ، فأخرج منها عود غناء يطرب دون أن تُجس أوتاره ،
وتلحن أشعاره ، واندفع يغني دون أن أسأله ذلك ، ولا أتجشم تكليفه الدخول
في تلك المسالك :

وما زلتُ أرجو في الزمان لقاءكم فقد يَسَّرَ الرحمنُ ما كنتُ أرني
فذكركمُ ما زلتُ أتلوهُ دائماً إذا ذكروا ما بينَ سَلَمَى وَمُنْعَجِ
فلما فرغ من استهلاله وعمله قبَّلتُ رأسه ، وقلتُ له : لا أدري علامَ
أشكرك قبلُ ، هل على تعجيلك بما لم تَدَعني أسألك في شأنه أم على ما تفردت
بإحسانه ؟ فما هذا الصوت ؟ قال : هذا نشيد خسرواني مِنْ تَلْحِييٍ ، قال :
وأنشدني لنفسه :

حنتُ إلى صوتِ النواخيرِ سُحْرَةَ فأضحى فؤادي لا يقرُّ ولا يهدأ
وفاضتْ دموعي مثلَ فيضِ دموعها أطارحُها تلكَ الصبايَةِ والوجداءِ
وزادَ غرامي حينَ أكثرَ عاذلي فقلتُ له أقصرُ ولا تقدحِ الزَّنداءِ
أهيمُ بهم في كلِّ وادٍ صبايَةِ وأزدادُ مع طولِ البعادِ لهم ودّاً
وأنشدني لنفسه :

ولقد مررتُ على المنازلِ بعدهم أبكي. وأسألُ عنهمُ وأنوحُ
وأقولُ إن سألوا بحالي في النوى ما حالُ جِسْمٍ فارقتُهُ الروحُ
قال : وكتب إليَّ :

يا حسرةً ما قَصَّتْ مِنْ لَذَّةٍ وطرا أين الزمانُ الذي يُرجى به الخلفُ ؟

أَبْكِيكَ مِلْءَ جَفُونِي ثُمَّ يَرْجِعُنِي إِلَى التَّصَبُّرِ أَنْتِي سَوْفَ أَنْصَرِفُ
قال أبو عمران : وكنت في أيام الفتنة إذا ركنت إلى الآمال ، هونت على
نفسي ما ألقى من أهوالها بقولي مع خاطري قوله :
أَيْنَ الزَّمَانُ الَّذِي يُرْجَى بِهِ الْخَلْفُ
انتهى .

٦٢١ — وكان أبو الحسين علي بن الحمارة^١ ممتن برع في الألحان وعلمها ،
وهو من أهل غرناطة ، واشتهر عنه أنه كان يعمد إلى الشعراء^٢ ، فيقطع العود
بيده ، ثم يصنع منه عوداً للغناء ، وينظم الشعر ويلحنه ، ويغني به ، فيطرب
سامعيه ، ومن شعره قوله :

إِذَا ظَنُّوا كُرّاً مُقْلَتِي طَائِرُ الْكُرَى رَأَى هُدْبَهَا فَارْتَاعَ خَوْفَ الْحَبَائِلِ
وقال بعض العلماء في حقه : إنه آخر فلاسفة الأندلس ، قال : وأعجب ما
وقع له في الشعر أنه دخل سلا وقد فرغ ابن عشرة من بناء قصره ، والشعراء تنشده
في ذلك ، فارتجل ابن الحمارة هذين البيتين ، وأنشدهما بعدهم :
يَا وَاحِدَ النَّاسِ قَدْ شَيْدَتْ وَاحِدَةً فَحُلَّ فِيهَا مَحَلُّ الشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ
فَمَا كَدَّ أَرِكَ فِي الدُّنْيَا لِلَّذِي أَمِلَ وَلَا كَدَّ أَرِكَ فِي الْآخِرَى لِلَّذِي عَمِلَ
وسياتي ذكر هذين البيتين .

٦٢٢ — وكان أهل الأندلس في غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة ،

١ ترجمته في المغرب ٢ : ١٢٠ وفيه أبو عامر محمد بن الحمارة ، وانظر الواقي ٢ : ٢٤٢ وبغية
الملتقى ص : ٥١٧ .
٢ م : الشجر .

قال ابن مسلي : أملى علينا ابن المناصف التحوي بدانيّة على قول سيويه « هذا باب ما الكلم من العربية » عشرين كراساً ، بسط القول فيها في مائة وثلاثين وجهاً ، انتهى .

وهذا وأشباهه يكفيك في تبهر أهل الأندلس في العلم ، وربما سئل العالم منهم عن المسألة التي يحتاج في جوابها إلى مطالعة ونظر ، فلم يحتاج إلى ذلك ، ويذكر من فكره ما لا يحتاج معه إلى زيادة .

٦٢٣ — ومن الحكايات في مثل ذلك أن الأديب البليغ الحافظ أبا بكر ابن جبيش لما قال في تخميسه المشهور :

بماذا على كلّ من الحقّ أوجبت

اعترض عليه أبو زكريا اليفرنى بما نصّه : استعمل الخمسُ « ماذا » في البيت تكثيراً وخبراً ، والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاماً ، فجأبه بقوله : أما استعمالها استفهاماً كما قال فكثير ، لا يحتاج إلى شاهد ، وأما استعمالها في السن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج إلى شاهد لو وصل بحث ، واستعمل مكث ، فلم يعترض علي ولي ، ولا تشكك في جلي :

وليس يصحّ في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

قال الله تعالى في سورة يونس ﴿ قُلْ انظُرُوا ماذا في السموات والأرض ، وما تُغْتِي الآياتُ والنذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس : ١٠١) ووقع في صحيح البخاري في رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر^١ :

وماذا بالقليبِ قليبٍ بدرٍ من الفتيان والشرب الكرام^٢

١ الشعر لشداد بن الأسود ؛ انظر أنساب الأشراف ١ : ٣٠٧ وابن هشام : ٥٣٠ وفي مناقب الأنصار من البخاري ٦٣ / ٤٣ (حديث : ٢١) .

٢ روايته في البلاذري :

ونقب عن أخيك أبي يزيد أخي القينات والشرب الكرام

وماذا بالقليبِ قليبِ بدرٍ من الشيزى تُكَلَّلُ بالسنامِ^١

وفي السيرِ في رثاء المذكورين أيضاً^٢ :

ماذا ببدرٍ فالعقنقلِ من مرآزية ججاجِ

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت الثقي ، ووقع في الأغاني للوليد بن يزيد يرثي نديماً له يُعرف بابن الطويل^٣ :

لله قبرٌ ضمنت فيه عظامُ ابنِ الطويلِ

ماذا تَضْمَنَ إذ ثوى فيه من الرأي الأصيلِ

والخبر طويل ، وأجلى من هذا وأعلى ، وأحق بكل تقديم وأولى ، ولكن الواو لا تفيد رتبة ، ولا تتضمن نسبة ، قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماذا أنزل الليلة من الفتن » وهو في الصحاح^٤ ، ووقع في الحماسة ، وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها :

ماذا أجالَ وثيرة^٥ بن سيماكٍ من دمعِ باكيةٍ عليه وبالكِ^٦

وفي الحماسة أيضاً وأظنها لأبي دهل^٧ :

ماذا رُزْنَا غداةَ الحلِّ من زَمَعٍ عندَ التفرق من خيمٍ ومن كرمٍ

ووقع في نوادر القالي لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار^٨ :

١ القليب : البشر ؛ والشيزى : جفان تصنع من خشب بهذا الاسم .

٢ الأبيات في أنساب الأشراف ١ : ٣٠٦ وابن هشام : ٥٣١ - ٥٣٢ .

٣ انظر ديوانه : ٥٨ (نقلا عن الأغاني ٦ : ١٣٣) .

٤ م : الصحيح .

٥ م ق : أحال ؛ ق : وثيرة ؛ وهو رواية ثانية .

٦ الحماسة رقم : ٢٢٠ من شرح المرزوقي .

٧ هي الحماسة رقم : ٧٠٦ لأبي دهل .

٨ أمالي القالي ٢ : ١٤٦ .

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبِيعُ الصَّبِيحُ غَادِيًا وماذا يَرُدُّ اللَّيْلُ حِينَ يُؤُوبُ
ووقع في شعر الخنساء ترثي أخاها صخرًا :

أَلَا ثَكَلْتُ أُمَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ
وماذا يُوَارِي الْقَبْرُ تَحْتَ تَرَابِهِ مِنَ الْجُودِ فِي بُؤْسِ الْحَوَادِثِ وَالْدهْرِ
ولحرير وهو في الحماسة ^١ :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلَبِّكَ غَادِرُوا وَشَلًّا بَعِيْنَكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا
غَيِّضْنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا
وفي الحماسة أيضًا ^٢ :

ماذا من البعد بين البخل والجود

ووقع في الحماسة أيضًا ، وهو لامرأة ^٣ :

هَوَتْ أُمُّهُمْ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ صُرِعُوا بِجِيشَانٍ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ تَصَرَّمَا
أَرَادَتْ مَاذَا تَصَرَّمْ لَهُمْ يَوْمَ صُرِعُوا بِجِيشَانٍ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ تَصَرَّمَا .
وممّا يُسْتَظْهَرُ بِهِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِي :
مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبْتُهَا أَنِّي بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مُحْسُودُ
وقوله أيضًا :

وماذا بمصر من المضحكات ولكنّه ضحك كالبكاء

١ ديوان جرير : ٤٧٦ .

٢ الحماسة رقم : ٦٨٥ وصدرة : ألا ترين وقد قطعتني عدلا

٣ هو لأم الصريح ، الحماسة : ٣١٨ .

ومن مُلَحِّحِ المتأخرين : كان بِمُرْسِيَةِ أَبُو جَعْفَرِ المذكور في المطمح ، وكان يلقَّبُ بالبقيرة ، فقال فيه بعض أهل عصره :

قالوا : البقيرةُ يهجوننا فقلتُ لهم : ماذا دُهِيتُ به حتى من البَقَرِ
هذا وَلَيْسَ بِثَوْرٍ بَلْ هو ابنتُهُ وأين منزلةُ الأنثى من الذكرِ
وأنشد صاحب الزهر ، ولا أذكرِ قائله ١ :

ماذا لقيتُ من المستعربين ومن قياسِ قولهم هذا الذي ابتدَعوا
إن قلتُ قافيةً بكَراً يَكُونُ لها معنًى يخالفُ ما قالوا وما وضعوا
قالوا لَنتَ وهذا الحرفُ مُتَنَصِّبٌ وذلك خفضٌ ، وهذا ليس يرتفعُ
وضَرَبُوا بينَ عبدِ الله واجتهدوا وبينَ زَيْدٍ فِطَالٍ الضربُ والوجعُ

وقال صاحب الزهر ٢ : أنشد أبو حاتم ولم يُسمِّ قائله :

ألا في سبيلِ الله ماذا تَضَمَّنْتَ بطونُ الثريِّ واسبتُودِيعَ البلدِ القَفَرُ

هذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على أن «ماذا» تُستعمل بمعنى الخبر والتكثير ، والله الذي لا إله غيره ما طالعَتْ عليه كتاباً ، ولا فتحت فيه باباً ، وإنما هو ثُمالة من حوض التذكار ، وصُبَّاية ممَّا علق به شَرَكُ الأفكار ، وأثر ممَّا سَدَّكَ به السمع ، أيام خلَوَ الدَّرْعُ ، وعُقِدَتْ عليه الحُجُبُ ، في عصر الصُّبَا ، ورحم الله من تصفَّح ، وتلمَّح فتسمَّح ، وصحَّح ما وقع إليه ٣ من الاعتلال ، وأصلح ما وضع لديه من اختلال ، فخير الناس ، من أخذ بالبر والإيناس ، فبصر من جهلة ، وادَّكر عن وهلة ، وإنما المؤمنون إخوة ،

١ لم أجده في زهر الآداب .

٢ م : الروض ؛ وانظر زهر الآداب : ٧٩٦ .

٣ م : له .

وتحاجهم في الله رفعة وحُظوة ، ولهم في السلف الكريم ، ومحافظتهم على الود القديم ، أسوة كريمة وقُدْوَة .

قال ابن الطراح : انظر تحصيل هذا الإمام الرئيس ، والأسمى النفيس ، واستحضاره كلام الأدباء ، وسيرَ النقّاد البلغاء ، ومُساجلته مع فرسان المعاني ، ووصفه تلك المغاني ، وقد كان حامل لواء الأدب ، وفائق أبناء جنسه في مرقب الطلب ، وهذه الكلمة — أعني « ماذا » — جرت بسببها مناظرة بين الأستاذ أبي الحسين^١ ابن أبي الربيع النحوي المشهور وبين مالك بن المرحّل بسببته ، حتّى ألف مالك كتاب « الرمي بالحصى والضرب بالعصا » وفيه هتّات لا ينبغي لعاقل أن يذكرها ، ولا لذي طي في البيان أن ينشرها ، وفي ذلك قال الأستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى :

كان ماذا ليّتها عَدَمٌ جَنَّبَها قُرْبُها نَدَمٌ
ليّني يا مالٍ لَمْ أَرها إِنّها كالنارِ تضطرمُ

وقوله « يا مال » ترخيم مالك .

وحكى الأستاذ ابن غازي أنهم اختلفوا : هل يقال : كان ماذا أم لا ؟ وقال : إن الأستاذ ابن أبي الربيع تطفّل على مالك بن المرحّل في الشعر ، كما أن ابن المرحّل تطفّل عليه في النحو ، قال : ومن نظم مالك بن المرحّل في هذه القضية :

عابَ قومٌ كانَ ماذا ليّتَ شعري كانَ ماذا
إن يكنْ ذلك جهلاً منهم فكَانَ ماذا

ومن نظم ابن حبيش المذكور قوله :

١ م : الحسن ، في الموضمين .

إذا ما شئت أن تحيا هنيئاً رفيع القدر ذا نفسٍ كريمة
فلا تشفعَ إلى رجلٍ كبيرٍ ولا تشهدَ ولا تحضرَ وليمة
وله أيضاً :

لأُعملنَّ إلى لقاءكم قَدَمي ولو تجشمتُ بينَ الطينِ والماءِ
لأنَّ بيلَ ثيابي الفيثُ أهونُ بي من أن تحرقَ نارُ الشوقِ أحشائي

[ترجمة البهرني النحوي]

وأبو زكريا المفترض علي ابن حبيش هو الفقيه النحوي الأديب أبو زكريا يحيى بن علي بن سلطان البهرني^١ ، وُلد سنة ٦٤١ . وبرع في العربية ، وكان يلقب في المشرق « جبل النحو » وكان عند نفسه مجتهداً ، وكان لا يجيز نكاح الكتابيات ، خلافاً للإمام مالك ، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، ويتمسك بقوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم : ٢١) . وكان يرى أن الطلاق لا يكون إلا مرتين : مرة للاستبراء ، ومرة للانفصال ، ولا يقول بالثلاث ، وهو خلاف الإجماع ، وكان يقول في نهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل ذي ناب من السباع : أي ما كُول كل ذي ناب ؛ وتبقى هي على الإباحة ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ ﴾ (المائدة : ٣) وكان يقول في قوله تعالى ﴿ إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ ﴾ (طه : ٦٣) الهاء اسم إن ، وذان لساحران جملة خبر لأن ، ولا تحتاج لرباط لأنها تفسيرية ، والمعنى عنده وأسروا النجوى قالوا إنها أي نجوانا هذان لساحران ، أي قولنا هذان لساحران ، تشبيهاً للناس عن اتباعهما ، وخطأ المصحف يرده ، لكن في المصحف أشياء كتبت على غير المصطلح ، مثل (مال هذا) و (لا أوضعوا)

^١ أنظر ترجمته في بغية الوعاة : ٤١٢ وفيه نقل عن رحلة ابن رشيد .

و (لا أذبحه) . قال ابن الطراح : ورأيت هذا المعنى لغيره ، وأظنّه ابن النحاس ،
وتوقّي اليفرني المذكور سنة ٧٠٠ ، ومن شعره :

ماذا على الغصن الميأس لو عطفنا على صباية صبّ حالف الدتفا
يا رحمة لفؤادي من معدّ به كم ذا يحمله أن يحمل الكلفا
ويارعى الله داراً ظلّ يجمعنا في ظلّ عيش صفا من طيبه وضفا^١
مودّة بيننا في الحبّ كاملة ونحن لا نعرف الإعراض والصلفا
رجع إلى كلام الأندلسيين :

٦٢٤ — قال صالح بن شريف الرندي رحمه الله تعالى في سكين الكتابة :

أنا صمصامة الكتابة ، ما لي من شبيه في المُرَهّفات الرقاقِ
فكأنّي في الحسن يومٌ وصالٍ وكأنّي في القطع يومٌ فراقٍ
وقال في المقصّ :

ومصطحبين ما اتّهما بعشقٍ وإن وُصفا بضمّ واعتناقٍ
لعمرك أبيك ما اجتمعا لشيءٍ سوى معنى القطيعة والفراقِ

٦٢٥ — ولبعض الأندلسيين :

هلاً اقتدى ذو خلة بفعالنا فيكون واصل خلة كوصالنا
مهما يجرّ أحدٌ ليقطع بيننا نقطعه ثم نعدّ لأحسن حالنا

٦٢٦ — وجرح بعض الكتاب يده بالمقص ، فأنشده أحد جلسائه ، وغالب

ظني أنّه أندلسي :

١ م : صفا من طيبه وصفا .

عداوةُ « لا » لكفك من قديمٍ فلا تعجبْ لمقراضٍ لثيمٍ
لئن أدماكَ فهوَ للآشيهِ وقد يعلو اللثيمُ على الكريمِ

٦٢٧ - ولما ألّف ابنُ عصفور كتابه « المقرب » في النحو انتقده جماعة
من أهل قطره الأندلسيين وغيرهم ، منهم ابن الصائغ وابن هشام والجزيري ،
وله عليه « المنهج المعرب في الرد على المقرب » وفيه تخليط كثير وتعسف :
وفي تعبٍ من يحسدُ الشمسَ نورها ويأملُ أن يأتي لها بضربٍ

ومنهم ابن الحاج وأبو الحسن حازم القرطاجني الخزرجي ، وسمّاه « شد
الزيار على جحفة الحمار » ، وابن مؤمن القابسي ، وبهاء الدين ابن النحاس .
٦٢٨ - ومن شعر حازم الأندلسي المذكور قوله :

لم تدري إذ سألتك ما أسلاكها أبكتَ أسيّ أم قطعتَ أسلاكها
وعارضه التجاني بقوله :

يا ساحرَ الألفاظِ يا فتاكها فتيا جوازِ الصدّ من افتاكها

٦٢٩ - ومن حكاياتهم في المنجون^١ وما يجري مجراه أن الوزير أبا بكر
ابن الملح كان له ابنٌ شاب ، فاسترسل مع الأدب إلى أن خرج من القول إلى
الفعل ، وأتى بأشياء لا تليق بمثله ، فكتب إليه أبوه :

يا سُخْنَةَ العينِ يا بُنيّا ليتك ما كنتَ لي بُنيّا
أبكيتَ عيني ، أطلتَ حزني أمتَ صيتي وكان حيّا
حططتَ قدرِي وكان أعلى في كلّ حالٍ من الثريا

١ قد وردت هذه القصة والشعر فيما مر ص : ٧١ ومقطعت من م .

أما كفالكَ الزنا ارتكاباً وشربُ مشمولة الحميما
حتى ضربتَ الدفوفَ جهراً وقلتَ للشرِّ : جئني إليما
فاليومَ أبكيكَ ملء عيني لو كانَ يُغني البكاءُ شيئما
فأجابه ابنه بقوله :

يا لائم الصبِّ في التصابي ما عنكَ يُغني البكاءُ شيئما
أوجفتَ خيلَ العتابِ نحوي وقبلُ وتبتهما إليما
وقلتَ عُمُرُ الهنا قصيرٌ فاريحُ من العيش ما تهيتما
قد كنتُ أرجو المتابَ ممّا فُتنتُ جهلاً بهِ وغيتما
لولا ثلاثُ شيوخُ سوء أنتَ وإبليسُ والحميما

٦٣٠ - وقال أبو جعفر ابن صفّوان المالقي رحمه الله تعالى :

سألتُه الإتيانَ نحوي مُقبِلاً فقال سلْ نحوي كي تُحصّلاً
قرأتُ بابَ الجمعِ من شوقي لهُ وهو بالاشتغالِ عني قد سلا
للاستغاثَةِ ابتدأتُ تاليماً وهو لأفعالِ التبعدي قد تلا
وكلّما طلبتُ منه في الهوى عطفاً غدا يطلبُ مني بدلا
وإن أُرْمَ محضَ إضافةٍ لهُ أعملَ في قطعي عنه الحيلا
في أليفِ الوصلِ ظلّلتُ باحثاً وهو ببابِ الفصلِ قد تكفّلاً
فلستُ موصولاً وليس عائداً وليس حالي عن أسمى متقلاً
فيا مني نَفسي ومن لفهمه دأبتُ فهومُ الأذكياءِ النّبلاً
وجديّ موقوفٌ عليك لا أرى عنك مدى الدهر لهُ تنقلاً
فما الذي يمنعُ من تسكينه والوقفُ بالتسكينِ حُكْمُ أعملاً
والحبُّ مرفوعٌ إليك مفردٌ فلم تَرى لضمي مستقلاً
فالضمُّ للرفعِ غدا علامةُ في مفردٍ مثلي فأوضحُ مشكلاً

لا زلتَ للهيام عني رافعاً للوصل ناصباً ، لقولي مُعملاً
للشوق مُسكناً ، لهجري صارفاً بالقرب من حالِ البعاد مبدلاً
تجزمُ أمراً في الأمانى ماضياً وتبتدي بما تشا مستقبلاً

٦٣٩ - وقال محمد بن إدريس القُضاعي الأصبطوني :

عُلاهُ رياضُ أورقتَ بمحامد تُنورُ بالحدوى وتُثمرُ بالأملِ
تسحُّ عليها من نداه غمامةٌ تروّي ثرى المعروف بالعل والنهلِ
وهلْ هوَ إلا الشمس نفساً ورفعةً فيقرب بالحدوى ويبعدُ بالأملِ
نعمُ أياديه البريةَ كلَّها فدانٍ وقاصٍ جودُ كَفَّيْهِ قد شملِ

٦٣٢ - وقال محمد التطيلي الهذلي ، من أعيان غرناطة^١ :

جارتُ عليَّ لواحظُ الآرامِ لما رمتُ أجفانها بسهامِ
حكمتُ عليَّ بحكمها فتبسمتُ فغدا الضنى منها لدى أحكامِ
يا قاتلي عَمْدًا بسيفِ لحاظهِ اغمدُ ظُباهُ قبلَ وَقْعِ حِمامي
كم رمتُ ووصلك والصدودُ يُصلدني ويقلُّ عَزَمي أمرهُ ومرامي
إنَّي علمتُ النفسَ يومَ فراقكم واليّنُ أسلمها إلى الإعدامِ
كيفَ المقامُ وأصلُ جسمي ناحلُ إنَّ النفوسَ مقيمةُ الأجسامِ
صَعُبَ العلاجُ فليس يمكنَ برؤها حتى يعودَ الشهرُ مثلَ العامِ
قد كنتُ أفرحُ بالسُّلوِّ فيها أنا قد زُمَ قلبي في الهوى بزمَامِ
مالت به نحو الفتون بدائعُ من شادنٍ يحكيه بدرُ تمامِ
فقومُ أنفسنا بلنةٍ وصلهِ وجميعُ أعيننا عليه سَوَامِ
قد أبرزتُ خداه روضَ محاسنِ عظمتُ على الأفكارِ والأوهامِ

١ ترجمة الهذلي التطيلي في المغرب ٢ : ٤٥٠ وبرنامج الرعيي : ٢٠٢ ؛ والمقري ينقل عن الإحاطة.

تندى بماء شيبية وتنعم
فكأنما وجنتها في لونها
وكأنما درع الدجى من شعره
وكأنما ريق حواه ثغره
وكأنما سيف نضت الحافظه
ذاك الأمير محمد بن محمد
ملك علا فوق السماء علاؤه
لو كان يعقل السها لأناه في
أو كان يرضى بالمجرة أجرداً
فالسعد يفعل للأمانى قولها
واليوم يعشقه ويحسد ليله
نامت عيون الشرك خوف سنانه
بهر الأنام بسيفه وبأسه
فالمعتقى يجنى جزيل هباته
مهما استعنت به فضيغم معرك
أجرى مياه العدل بعد جفوفها
كم من كتيبة جحفل قد هدتها
المقتني الجرد المذاكي عدة
من كل مبيض كان أديمه

ومنها :

يا خير من ركب الجياد وقادها
لا زلم والسعد يخدم أمركم
حتى يصير الأمن في أرجائنا
تحت اللواء ، وعمدة الأقوام
في غبطة موصولة بدوام
عبداً يقوم لنا على الأقدام

والله ينصركم ويُعَلِّي مجدكم ما سَحَّ لَأَثَرِ الصَّحو ماء غمامٍ

٦٣٣ - وكان يحيى السرقُسطي أديباً ، فرجع إلى الجزائر ، فأمر
الحاجبُ ابنُ هود أبا الفضل ابن حسداي أن يوبخه على ذلك ، فكتب إليه ^١ :

تركتَ الشعرَ من عَدَمِ الإِصابة^٢ وملتَ إلى التجارةِ والقِصَابَةِ^٣
فأجابه يحيى :

تَعِيبُ عَلِيٍّ مَأْلُوفَ الْقِصَابَةِ ^٤	وَمَنْ لَمْ يَدْرَ قَدْرَ الشَّيْءِ عَابَهُ ^٥
ولو أَحْكَمْتَ مِنْهَا بَعْضَ فَنٍّ	لَمَا اسْتَبَدَلْتَ مِنْهَا بِالْحِجَابَةِ ^٦
ولو تَدْرِي بِهَا كَلْفِي وَوَجْدِي	عَلِمْتَ عَلَامَ أَحْتَمَلُ الصَّبَابَةِ ^٧
وإِنَّكَ لو طَلَعْتَ عَلَيَّ يَوْمًا	وَحُولِي مِنْ بَنِي كَلْبٍ عَصَابَهُ ^٨
لَهَالِكَ مَا رَأَيْتَ وَقَلْتَ هَذَا	هَزَبْتُ صَيَّرَ الْأَوْضَامَ غَابَهُ ^٩
وَكَمْ شَهِدْتُ لَنَا كَلْبٌ وَهَرٌ	بِأَنَّ الْمَجْدَ قَدْ حَزُنَا لُبَابَهُ ^{١٠}
فَتَكُنَّا فِي بَنِي الْعَنْزِيِّ فَتَكَاً	أَقْرَّ الذَّعْرَ فِيهِمْ وَالْمَهَابَهُ ^{١١}
وَلَمْ نُقْلَعْ عَنِ الثَّوَرِيِّ حَتَّى	مَزَجْنَا بِالدَّمِ الْقَانِي لُعَابَهُ ^{١٢}
وَمَنْ يَغْتَرَّ مِنْهُمْ بِامْتِنَاعٍ	فَإِنَّ إِلَى صَوَارِمِنَا إِيَابَهُ ^{١٣}
وَيَبْرُزُ وَاحِدٌ مِّنَا لَأَلْفٍ	فِيغْلِبُهُمْ وَذَلِكَ مِنَ الْغَرَابَةِ ^{١٤}

ومنها :

أَبَا الْفَضْلِ الْوَزِيرِ أَجِبْ نِدَائِي	وَفَضْلُكَ ضَامِنٌ عَنْكَ الْإِجَابَةُ ^{١٥}
وإِصْغَاءٌ إِلَى شَكْوَى شُكُورٍ	أَطَلْتُ عَلَى صِنَاعَتِهِ عِتَابَهُ ^{١٦}
وَحَقِّكَ مَا تَرَكْتُ الشَّعْرَ حَتَّى	رَأَيْتُ الْبَخْلَ ^{١٧} قَدْ أَوْصَى صَحَابَهُ ^{١٨}

١ المغرب ٢ : ٤٤٤ والخيرة (٣ : ٢٨٦) وزاد المسافر : ٩٨ .

٢ م : المحل .

٣ المغرب : أذكى شهابه .

وحتى زرتُ مشتاقاً خليلي^١ فأبدى لي التحيل^٢ والكآبه
وظنَّ زيارتي لطلابِ شيء فنافرني وغلظَ لي حجابسه

٦٣٤ - وقال الأديب أبو الحسن ابن الحداد :

قالتُ وأبندتُ صفحةً كالشمس من تحت القناع
بعثَ الدفاترَ وهي آ خرُ ما يُباعُ من المتاع
فأجبتها ويسدي على كبدي وهمتُ بانصداع
لا تعجبي ممّا رأيتُ فنحن في زمن الضياع

٦٣٥ - وقال الأديب أبو زكريا ابن مطروح من أهل مدينة باغه ، وقد
عُزل وال فترل المطر على إثره ، وهو من أحسن شعر قاله ، وكان الوالي غير
مرضى :

ورُبَّ وال سرّنا عزّله فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده ولدت في أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه ما طهرت من بعده الأرض

٦٣٦ - وقال القاضي أبو البركات ابن الحاج البليقي ، رحمه الله تعالى :

وعشية حكمت على من تاب من أهل الخلاعة أن يعود لما مضى
جمعت لنا شمل السرور بفتية جمعوا من اللذات شملاً مرتضى
ما عاقتني عن أن أسير بسيرهم إلا الرياء مع الخطابة والقضا

٦٣٧ - وقال أبو الحجاج يوسف الفهري من أهل دانية :

١ المغرب : حبيباً .

٢ ق : التخيل ؛ المغرب : التجهيم .

أبى الله إلا أن أفارقَ متزلاً يطالغني وجهُ المني فيه سافراً
كانَ على الأيتام أن لا أحلَّهُ رويداً فما أغشاهُ إلا مسافراً

٦٣٨ - وقال بعضهم في الرثاء :

عَبَرَاتُ تَفِيضٍ حَزناً وَثِكلاً وشجونٌ تعمُ بعضاً وكلاً
ليس إلا صُبابَةٌ أَضْرَمَتْهَا حَسْرَةٌ تَبْعُثُ الأسى ليس إلا

٦٣٩ - ولأبي جعفر البغيل أحد شعراء المَريّةِ وكتّابها :

عزاء على هذا المصاب الذي دهي وشتت شمل الأنس من بعد ما انتهى
بفرع علاء في منابت سُودد تسامى رُقيّاً في المعالي إلى السُّها
أصِبتَ به من بعد ما تمَّ مجدهُ وقد شمخت منه الشماريخُ وازدهى
فأية شمسٍ فيه للمجد كَوَّرَتْ وأيُّ بناءٍ للمكارم قدَّ وهى
فصبراً عليه لا رُزئتَ بمثله فمثلك من يُعزى إلى الحلم والنهى

٦٤٠ - وقال الكاتب الماهر أبو جعفر أحمد بن أيوب اللماحي المالقي^١ :

طلعتُ طلائعُ للربيع فأطلعتُ في الروض ورّداً قبل حين أوانه
حيّا أميرَ المؤمنين مبشراً ومؤملاً للنيل من إحسانه
ضنّتُ سحائبهُ عليه بمائه فأنساه يستسقيه ماء بَنّانه
دامتُ لنا أيامهُ موصولةً بالعزّ والتمكين في سلطانه

٦٤١ - وقال أبو جعفر أحمد بن طلكحة من جزيرة شُقْر^٢ :

يا هل ترى أظرف من يومنا قلّدَ جيدَ الأفق طوقَ العقيقِ
وأنطَقَ الورقَ بعيدانها مطربةً كلَّ قضيبٍ وريقِ

١ الإحاطة ١ : ١١٠ .

٢ اختصار القلح : ١١٤ والإحاطة ١ : ١١٢ .

والشمسُ لا تشربُ خمرَ الندى في الروضِ إلاَّ بكؤوسِ الشقيقِ

٦٤٢ — وقال أبو جعفر الغساني من أهل وادي آش ، واستوطن غرناطة ، ثم مات بالمريّة ، فكتب على حمالة قرابٍ لموطم الإمام مالك ، بعدما استنجد قرائع أدياء عصره ، واستصرخ اختراعاتهم لنصره ، فكلّهم قصّر عن غرضه ، وأداء مقترضه ، فقال هو :

يا طالباً لكمالٍ حفطي أتمّ كمالك
فما تقلّدتِ مثلي إذ لم تقلّدي كمالك

٦٤٣ — وقال أبو بكر يحيى بن بقي :

خذها على وجهِ الربيعِ المُخْصِبِ لم يقضِ حقّ الروض من لم يشرب
هممي سماءَ علّاً وهمّي ماردٌ فارجمه من تلك الكؤوسِ بكوكبِ

وهو رحمه الله تعالى صاحب الأبيات المشهورة :

زَحَزَحَتْهُ عَنْ أَضْلَعِ تَشْنَقُهُ كَيْلَا يَنَامَ عَلَى فَرَّاشٍ خَافِقِ

وانتقد عليه بعض اللطفاء فقال : إنّه كان جافي الطبع حيث قال « زحزحته » ولو قال « باعدت عنه أضلعا تشنقه » لكان أحسن .

٦٤٤ — وقال السلطان المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس يستدعي :

انهضُ أبا طالبِ إلينا واسقُطْ سقوطَ الندى علينا
فنحنُ عِقْدٌ بغيرِ وسطي ما لم تكنْ حاضراً لدينا

وتذكرت هنا قول بعض المشاركة فيما أظن والله تعالى أعلم :

نحنُ في مجلسِ أنسٍ ما بهِ غيرُ . محبِّكَ
فَتَصَدَّقْ بِمَحْضُورٍ واجمع الوقتَ بقربكَ
وخَفِ الآنَ عتايي مثلَ خوفي عندَ عتبِكَ

٦٤٥ — وقال أبو عبد الله ابن خُلصة الضرير^١ :

ولو جادَ بالدُّنيا وثَنَى بِمِثْلِهَا لظنَّ من استصغارها أَنَّهُ ضَنَا
ولا عيبَ في إنعامه غيرَ أَنَّهُ إذا مَنَّ لم يُتَّبِعْ مواهبَه مَنَّا
وله أيضاً^٢ :

يا مالكا حَسَدَتْ عليه زمانُهُ أُمُّ خَلَّتْ من قبله وقُرُونُ
ما لي أرى الآمالَ يَبْضاً وَضَحاً ووُجُوهُ أَمالي حوالِكَ جُونُ
أنا آمِنٌ فَرَّقَ ، وراجِ آيسُ ورَوِّ صَدِّ ، ومُسَرَّحُ مَسْجُونُ
لا تَعُدُّني أنواءَ سَيِّبِكَ لا عدا لك النَصْرُ والتأييدُ والتمكينُ

٦٤٦ — وقال ابن اللَّبَّانَةِ :

كَرَمْتَ فلا بَحْرٌ حكاكَ ولا حَيًّا وَفَتَّ فلا عُجْمَ شَأْنُكَ ولا عُزْبُ
وأولَّيتني منك الجميلَ فوالِه عَمَى السَّحْ من نَعْمَاكَ يَتَّبِعُه السَّكْبُ

٦٤٧ — وقال أبو علي ابن اليمان^٣ :

أَبْناتُ الهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أو عَد نَ قَلِيلَ العَزاءِ بالإسعادِ
يَدَ أَنِّي لا أَرْتَضِي ما فَعَلتَ نَ فَأَطِوا قُكُنَّ في الأَجِيادِ

١ هو أبو عبد الله محمد بن خُلصة الشافعي ويقال له الضرير تمييزاً عن من ينسب سواه إلى خُلصة ، انظر الجُلوة : ٥١ ونكت الحميان : ٢٤٨ والمسالك : ١١ : ٤٥ والنخيرة (٣ : ١٠٩) .
٢ النخيرة : ١١١ .

٣ هو إدريس بن اليمان ؛ ووهم المقرئ أو من ينقل عنه في نسبة البيتين له فهما لأبي العلاء المعري من داليتيه « غير مجد في ملتي واعتقادي » ، ولعل سبب الوهم أبيات ابن اليمان في الحماسة (النخيرة : ٣ : ١١٩) .

٦٤٨ - وقال أبو جعفر أحمد بن الدودين من كلمة^١ :

فقدت غواني الحبيّ عنك غوانياً وأسلن الحافظ الرباب رباباً

٦٤٩ - وقال ابن أبي الخصال في مليحة لها أربع جوارٍ قبيحات :

وليلة طولها على سنة بات بها الجفن نادباً وسنة
بأربع بينهما واحدة كسيئات وبينها حسنة

٦٥٠ - وقال غالب بن تمام الملقب بالحجّام :

صغارُ الناس أكثرهم قبيحاً وليس لهم بصالحه نهوض
ألم ترّ في سباع الطير نسرأ يُسلمنا ويؤذينا البعوض

٦٥١ - وقال ابن عائشة^٢ :

وروضة قد علت سماء تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها فخلتها أرسلت رجوما^٣
كأنما الجو غار لما بدت فأغرى بها التسيما

وله يصف فرساً ، وهو من بلدائه :

قصرت له تسع وطالت أربع وزكت ثلاث منه للتأمل
وكأنما سال الظلام بمتنه وبدا الصباح بوجهه المتهلل
وكان راكبه على ظهر الصبا من سرعة أو فوق ظهر الشمال

١ هو من رجال النخيرة (٣ : ٢١٩) والمغرب ٢ : ٣٢٢ ؛ والبيت فيه .

٢ مرت هذه الأبيات من : ٥٤ وانظر النخيرة (٣ : ٢٧٩) .

٣ سقط هذا البيت من م .

وقال :

تربةٌ مسك ، وجوٌ عنبرةٍ وغيمٌ ندّ ، وطشٌ ما وُردِ
كأنّما جائلُ الحباب بهِ يلعبُ في جانيه بالردِ
وتروى هذه الأبيات لغيره ^١ .

وقال ^٢ :

هم سلبوني حُسن صبري إذ بانوا بأقمارٍ أطواقٍ مطالعها بانُ
لئن غادروني باللوى إنَّ مهجتي مسائرةٌ أظعانهم حيثما كانوا

٦٥٢ — وقال أبو محمد ابن سفيان ، وهو من أبدع التخلص :

فقلتُ وجفني قد تداعَتْ شؤونه وحرُّ ضلوعي مُقنَّعةٌ ومُقيمُ
لئن دهمتْ دُهمُ الخطوب وآلت فإنَّ أبا عيسى أغرُّ كريمُ

٦٥٣ — وقال ابن الزقاق ^٣ :

بأبي وغير أبي أغنَّ مهففٌ مهضومٌ ما تحت الوشاح خميصه
لبس الفؤادَ ومزقته جفونه فأتى كيوسُفَ حينَ قدَّ قميصه

وقال :

سلامٌ على أيامكم ما بكى الحيا وسقياً لذاك العهد ما ابتسم الزهرُ
كأنَّ لم نَبِتْ في ظلِّ أمنٍ تضمُّنا من الليلةِ الظلماءِ أرديةٌ خُضرُ
ولم نغْتَبِقْ تلكَ الأحاديثَ قهوةً وكم مجلسٍ طيبُ الحديثِ بهِ خمرُ
ألا في ضمان الله في كلِّ ساعةٍ يجدُّ لي فيها بشوقي له ذكرُ

١ وتروى . . . لغيره : سقطت من م .

٢ وردت القصيدة بتمامها في أزهار الرياض ٣ : ١٢١ منسوبة لابن السيد البطليوسي .

٣ وردت قطعتا ابن الزقاق في ديوانه : ١٩٦ ، ١٧١ .

يُذَكِّرُنِيهِ الْبَرْقُ جَذْلَانِ بِاسْمَاً وَيُذَكِّرُنِي إِسْفَارَ غُرَّتِهِ الْفَجْرُ
وَمَارِقَ زَهْرِ الرُّوضِ إِلَّا تَمَثَّلْتُ لِنَظَرِ عَيْنِي مِنْهُ آدَابُهُ الزُّهْرُ

٦٥٤ - وقال يحيى السَّرْقُسْطِي :

هَاتِمَا عَسْجَدِيَّةٌ كَوْنِيَّةٌ بِنْتَ كَرَمٍ رَحِيقَةٌ عَطْرِيَّةٌ
كَلَّمَا شَقَّهَا النُّحُولُ تُقَوَّتْ فَاعْجَبُوا مِنْ ضَعِيفَةٍ وَقَوِيَّةِ
رَبِّ خَمَّارَةٍ سَرِيَتْ إِلَيْهَا وَاللَّجَى فِي ثِيَابِهِ الزَّنجِيَّةِ

ومنها :

كَمْ عُقَارٍ بَدَّلْتُهُ بِعُقَارٍ وَثِيَابٍ صَبَغْتُهَا خَمْرِيَّةِ
إِنَّ خَيْرَ الْبُيُوعِ مَا كَانَ نَقْدًا لَيْسَ مَا كَانَ آجَلًا بِنَسِيَّةِ

وله^١ :

نَسَبْتُ الظُّلْمَ لِعَمَالِكُمْ وَنَعَمْتُ عَنْ قَبِيحِ أَعْمَالِكُمْ
وَاللَّهِ لَوْ حَكَمْتُمْ سَاعَةً مَا خَطَرَ الْعَدْلُ عَلَى بَالِكُمْ

٦٥٥ - وقال الرصافي في الدُّولَابِ^٢ :

وَذِي حَنِينٍ يَكَادُ شَجْوًا يَخْتَلِسُ الْأَنْفُسَ اخْتِلَاسًا
إِذَا غَدَا لِلرِّيَاضِ جَارًا قَالَ لَهَا الْمَحَلُّ لَا مَسَاسَا
يَيْتَسِمُ الرُّوضُ حِينَ يَبْكِي بِأَدْمَعٍ مَا رَأَيْنَ بِأَمَاسَا
مَنْ كُلَّ جَفْنٍ يَسْلُ سَيْفًا صَارَ لَهُ عَقْدُهُ رِثَاسَا

٦٥٦ - وخرج أبو بكر الصابوني لتزهة بوادي إشبيلية ، وكان يهوى

١ زاد المسافر : ٩٩ .

٢ ديوان الرصافي : ١٠٢ والمغرب : ٣٥١ والمعجب : ١٤٣ ورفع الحجب : ١٣٥ .

فتى اسمه علي ، فقال :

أبا حسن أبا حسنٍ بعداك قد نفى وسني
وما أنسى تذكره فهل أنسى فيذكرني

ويشبه هذا قول الطاهر بن أبي ركب^١ :

يقولُ الناسُ في مثلي تذكرُ غائباً ترهُ
فما لي لا أرى سكاني وما أنسى تذكرهُ

٦٥٧ - وكتب بعض الأدباء إلى ابن حزم الأندلسي بقوله :

سألتُ الوزيرَ الفقيهَ الأجلَّ سؤالَ مُدِلٍّ على من سألُ
قللتُ أيا خيرَ مسترشدٍ ويا خيرَ مَنْ عن إمامٍ نقلُ
أبحرمُ أن نالني قبلةُ غزالٍ ترشفُ فيه الغزلُ
وعانقتني والدجي خاضبُ فبتنا ضجيعين حتى نصلُ
وجئتكَ أسألُ مسترشداً فبينَ فُديتَ لمن قد سألُ

فأجابه ابنُ حزم بقوله :

إذا كان ما قلته صادقاً وكنتَ تحرَّيتَ جهدَ المقلِّ
وكان ضجيعك طاوي الحشا أعارَ المهابةَ احمرارَ المقلِّ
قريبَ الرضى وله غنَّةٌ تميَّتُ المهمومَ ونحيي الجذلُ
ففي أخذٍ أشهبَ عن مالكٍ عن ابن شهابٍ عن الغيرِ قلُّ
بتركِ الخلافِ على جمعهم على أن ذلك حلٌّ وبِلِّ

٦٥٨ - ونظر الرصافي يوماً إلى صبي يبكي ، يأخذ من ريقه ويبلُّ

١ انظر ما تقدم من : ١١٢ .

عينيه ، كي يخفي أثر البكاء ، فارتجل الرصافي ١ :

عذيري من جذلان يَبْدِي كآبَةً وَأَضْلَعُهُ مِمَّا يَحَاوِلُهُ صَفَرُ
أَمِيلِدُ مَيَّاسٌ إِذَا قَادَهُ الصَّبَا إِلَى مَلَحِ الْإِدْلَالِ أَيْدِي السَّحَرِ
يَيْلُ مَا قِي مُقْلَتِيهِ بِرَيْقِهِ لِيَحْكِي الْبَكَاءَ عَمْدًا كَمَا ابْتَسَمَ الزَّهْرُ
أَيُّهُمْ أَنْ الدَّمْعَ بَلَّ جَفُونَهُ وَهَلْ عُصِرَتْ يَوْمًا مِنَ الرَّجْسِ الْخَمَرُ

وكان المذكور - أعني الرصافي - يميل في شببته لبعض فتيان الطلبة ، وأجمع الطلبة على أن يصنعوا نزهة بالوادي الكبير بمالقة ، فركبوا زورقاً للمسير إلى الوادي ، فوافق أن اجتمع في الزورق شمل الرصافي بمحبوبه ، ثم إن الريح الغربية عَصَفَتْ وهاج البحر ، ونزل المطر ، فترلوا من الزورق ، وافترق شمل الرصافي من محبوبه ، فارتجل في ذلك ، ويقال إنها من أول شعره :

غَارَ بِي الْغَرْبُ إِذْ رَأَيْتُ مَجْتَمِعَ الشَّمْلِ بِالْحَبِيبِ
فَأَرْسَلَ الْمَاءُ عَنْ فِرَاقٍ وَأَرْسَلَ الرِّيحُ عَنْ رَقِيبِ

فلما سمع ذلك أستاذاه استنبله ، وقال له : إنك ستكون شاعر زمانك .

٦٥٩ - وحكي أن أبا بكر ابن مجبر قال في ابن لأبي الحسن ابن القطان
بمحضر والده :

جَاءَ فِي يَسَارِهِ قَوْسٌ وَفِي الْيَمَنِ قَدَحٌ
كَأَنَّهُ شَمْسٌ بَدَتْ وَحَوْلَهَا قَوْسٌ قُزَحٌ
يَا لَأَتَمِّي فِي حَبِّهِ مَا كُلُّ مَنْ لَامَ نَصَحَ

فقال ابن عياش الكاتب : هذه أبيات لأندلسي استوطن المشرق في تركي ،

١ ديوان الرصافي : ٦٧ .

فأقسم أبو بكر أنه لم يسمع شيئاً من ذلك ، وإنما ارتجلها ، وقيل : إنها لأبي
الفتح محمد بن عبيد الله من أهل بغداد ، وأولها :

جَدَّ بقلبي ومَزَحْ

فالله أعلم بحقيقة الأمر .

٦٦٠ - وخرج أبو بكر ابن طاهر وأبو ذر الحُشْتِي والقاضي أبو حفص
ابن عمر ، وهو إذ ذاك وَسِيمٌ ، فأثرت الشمس في وجهه ، فقال أبو ذر :

وسمّتك الشمس يا عمرُ سِمةً في القلبِ تنتثرُ

فقال الآخر :

علّمتُ قدَرَ الذي صنعتُ فأتتُ صفراء تعذُرُ

٦٦١ - وقال أبو الحسين البلنسي الصوفي : كان لي صديق أمي لا يقرأ
ولا يكتب ، فعلق فتى ، وكان خرج لتزّهة فأثرت الشمس في وجهه ، فأعجبه
ذلك ، وأنشد :

رأيتُ أحمدَ لما جاء من سفرٍ والشمسُ قد أثرت في وجهه أثرا
فانظرُ لما أثرت الشمسُ في قمرٍ والشمسُ لا ينبغي أن تُدرك القمر

٦٦٢ - واجتمع أبو الوليد الوقشي وأبو مروان عبد الملك بن سراج
القرطبي ، وكانا فريدي عصرهما حفظاً وتقديماً ، فتعارفا ، وتساءلا ، ثم بادر
أبو الوليد بالسؤال ، وقال : كيف يكون قول القائل :

ولو أنَّ ما بي بالحصى فعل الحصى وبالريح لَمْ يُسمعْ لهن هبوبُ

ما ينبغي أن يكون مكان « فعل الحصى » ؟ فقال أبو مروان « فلق الحصى » ، فقال :
وهمت ، إنما يكون « فلق الحصى » ليكون مطابقاً لقوله « لم يُسمع لمن هبوب »
يريد أن ما به يحرك ما شأنه السكون ويسكن ما شأنه الحركة ، فقال أبو مروان :
ما يريد الشاعر بقوله :

وراكعة في ظلّ غصنٍ منوطةٍ بلؤلؤة نيطت بمنقارٍ طائرٍ

وكان اجتماعهما في مسجد ، فأقيمت الصلاة إثر فراغ ابن سراج من إنشاد
البيت ، فلما انقضت الصلاة قال له الوقشي : ألغز الشاعر باسم أحمد ، فالراكعة
الحاء ، والغصن كناية عن الألف ، واللؤلؤة الميم ، ومنقار الطائر الدال ، فقال
له ابن سراج : ينبغي أن تعيد الصلاة لشغل خاطرك بهذا اللغز ، فقال له الوقشي :
بين الإقامة وتكبيرة الإحرام فككته .

والبيت الأول لعبد الله بن الدميني ، وبعده :

ولو أنتني أستغفرُ الله كلّما ذكرتُك لم تُكتبْ عليّ ذنوبُ

٦٦٣ - وقال الوزير أبو الحسن ابن أضحى :

ومستشفعٍ عندي بخير الورى عندي وأولاهُم بالشكر منّي وبالحمدِ
وصَلْتُ فلماً لم أقم بجزائه « لفتت له رأسي حياة من المجد »^١

وكان سبب قوله هذين البيتين أنه كتب إليه بعض الوزراء شافعاً لأحد
الأعيان ، فلما وصل إليه برّه وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستجزله ، وخلع
عليه خلعاً ، وأطلعه من الأحمال بدرّاً لم يكن مطلعاً ، ثم اعتقد أنه قد جاء
مُقَصَّراً ، فكتب إليه معتذراً بالبيتين ، هكذا حكاه الفتح^٢ ، وقال بعد ذلك
ما صورته : ومن باهر جلاله ، وطاهرٍ خلّاله ، أنه أعفّ الناس بواطن ،

١ عجز بيت لأبي تمام وصدره : « أتاني مع الركبان غنّ ظنته » .

٢ القلائد : ٢١٧ ومر بعضه .

وأشرفهم في التقى مَواطن ، ما علّمت له صَبَوَة ، ولا حُلّت له إلى مستنكر
حُبَوَة ، مع عدل لا شيء يعدله ، وتحجب عما يتقى مما يرسل عليه حجابيه
ويسدّله ، وكان لصاحب البلد الذي كان يتولى القضاء به ابن من أحسن الناس
صورة ، وكانت محاسن الأقوال والأفعال عليه مقصورة ، مع ما شئت من لَسَن ،
وصوت جَسَن ، وعفاف ، واختلاط بالبهاء والتفاف ، قال الفتح : وحَمَلْنَا
لإحدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهر ، أحسن من
شاذمهر ، تشقّها جداول كالصلال ، ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ،
ومتعنا جملة من أعيانها ، فأحضرنا من أنواع الطعام ، وأرانا من فرط الإكرام
والإنعام ، ما لا يُطاق ولا يحُدّ ، ويقصر عن بعضه العَدّ ، وفي أثناء مقامنا بدا
لي من ذلك الفتي المذكور ما أنكرته ، فقابلته بكلام اعتقده ، وملام أحقده ،
فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ، ولم أرَ منه ما عهدته من الإنابة ، فكتبت
إليه مُداعباً له ، فراجعني بهذه القطعة :

أَتَنَّتِي أبا نصرٍ نتيجةً خاطِرٍ	سريعٍ كَرَجَعِ الطرفِ في الخطراتِ
فأعربتَ عن وجدٍ كينٍ طويته	بأهْيَفَ طاوٍ فاترٍ اللحظاتِ
غزالٍ أَحَمُّ المَقْلَتَيْنِ عرفتُهُ	بجيفٍ مَنَى للحسنِ أو عرفاتِ
رماكٍ فأصمى والقلوبُ رميةً	لكلِّ كحيلٍ الطرفِ ذي فتكاتِ
وظنَّ بأن القلبَ منك مُحَصَّبٌ	فلبّاكٍ من عينيهِ بالجمراتِ
تقرَّبَ بالنُّسّاكِ في كل منسكٍ	وضَحَى غداةَ النحرِ بالمُهَجَاتِ
وكانت له جَيّانٌ مثوى فأصبحتُ	ضلوعكٍ مشواهٍ بكلِّ فلاةٍ
يعزُّ عَلَيْنَا أنْ تَهَيِّمَ فتَنطوي	كثيلاً على الأشجانِ والزفراتِ
فلو قُبِلَتْ للناسِ في الحبِّ فديةٌ	فدينّاكِ بالأموالِ والبشراتِ

ومن إثباتِ ديانته ، وعلامة حفظه للشرع وصيانته ، وقصده مقصد المتورعين ،
وجزئه جرّيّ المشرعين ، أن أحد أعيان بلده كان متصلاً به اتصال الناظر

بسّواده ، محتلاً في عينه وفؤاده^١ ، لا يُسلّمه إلى مكروه ، ولا يفرده في
حادث يعرّوه ، وكان من الأدب في منزلة تقتضي إسعافه ، ولا تورده من
تشفيعه في مورد قد عافه ، فكتب إليه ضارعاً في رجلٍ من خواصه اختلط بامرأة
طلقها ، ثم تعلقها ، وخاطبه في ذلك بشعر ، فلم يسعفه ، وكتب إليه مُراجعاً :

ألا أيّها السيدُ المجتبي	ويا أيّها الألميُّ العلمُ
أُتنيّ أبحاثك المحكماتُ	بما قد حوت من بديع الحكم
ولم أرَ من قبلها مثلاً	وقد نفّست سحرها في الكلم
ولكنّه الدينُ لا يُشترى	بشرٍ ولا بتظامٍ نُظم
وكيف أُبيعُ حيميّ مانعاً	وكيف أحلّل ما قد حرم
ألستُ أخافُ عقابَ الإله	وفاراً مؤجّجةً تضطرم
أأصرفُها طالقاً بثّة	على أنوك قد طغى واجترم
ولو أن ذاك الغويّ ^٢ الزريّ	تثبّت في أمره ما ندم
ولكنّه طاش مستعجلاً	فكان أحقّ الوريّ بالندم

انتهى كلام الفتح الذي أردت جكّبه هنا .

ولا خفاء أن هذه الحكاية ممّا يدخل في حكايات عدل قضاة الأندلس .
ومن نظم ابن أضحى المذكور ما كتب به إلى بعض من يعز عليه^٣ :

يا ساكن القلبِ رفقاً كم تُقَطّعه	الله في منزلٍ قد ظلّ مثواكا
يُشيدُ الناسَ للتحصينِ مترهم	وأنت تهلمه بالعنفِ عيناكا
والله والله ما حُبّي لفاحشةٍ	أعاذني الله من هذا وعافاكا

١ م : محتلاً في عينه وفؤاده .

٢ م : الغبي .

٣ القلائد : ٢١٨ .

وله في مثل ذلك^١ :

روحي إليك فردّيه إلى جسدي من لي على فقده بالصبر والجلد
بالله زوري كثيراً لا عزاء له وشرفيه ومثواه غداة غد
لو تعلمين بما ألقاه يا أملي بابتغني الودّ تُصفيه يداً بيد
عليك مني سلامُ الله ما بقيت آثارُ عينيك في قلبي وفي كبدي

٦٦٤ - وإذا وصلت إلى هذا الموضع من كلام أهل الأندلس ، فقد رأيت أن أذكر جملة من نساء أهل الأندلس اللاتي هنّ اليدُ الطولى في البلاغة ، كي يُعلم أن البراعة في أهل الأندلس كالغريزة لهم ، حتى في نسايتهم وصبيانهن .

١ - فمن النساء المشهورات بالأندلس : أم السعد بنت عصام الحميري^٢ ، من أهل قرطبة ، وتُعرف بسعدونة ، ولها رواية عن أبيها وجدّها وغيرهما ، كما حكاه ابن الأبار في ترجمتها من « التكملة » . وأنشدت لنفسها في تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها ما صورته^٣ :

سألتم التمثالَ إذ لَمْ أَجدْ للثم نعلَ المصطفى من سبيل
لعلّني أحظى بتقبيله في جنة الفردوسِ أسنى مقيل
في ظلّ طوبى ساكناً آمناً أسمى بأكواسٍ من السلسيل
وأمسحُ القلبَ به علةً يسكنُ ما جاش به من غليل
فطالما استشفى بأطلالٍ من يهواه أهلُ الحبِّ في كل جيل

وأنشدني ابن جابر الوادي أشي عن شيخه المحدث أبي محمد ابن هرون

١ في مثل ذلك : سقطت من م .

٢ ترجمة أم السعد في التكملة (رقم : ٢١٢٨) والذيل والتكملة (آخر قسم الغريباء) والسيوطي :

٢٦ ؛ وساق ابن عبد الملك نسبها وقال : توفيت بمالقة سنة أربعين وستائة أو نحوها .

٣ يريد أن البيت الأول ليس من نظمها .

القرطبي لجدته سعدونة ، وأظنها هذه :

آخِ الرجالَ من الأبا عِدِ والأقاربَ لا تُقارب
إنَّ الأقاربَ كالعقبا ربِّ أو أشدَّ من العقارب

هكذا نقله الخطيب ابن مرزوق ، ورأيت نسبة اليتيم لابن العميد^١ ،
فالله أعلم .

2 - ومنهن حسانة التميمية بنت أبي المخشّي الشاعر^٢ .

تأديت وتعلمت الشعر ، فلمّا مات أبوها كتبت إلى الحكم ، وهي
إذ ذاك بكر لم تتزوج :

إنّي إليك أبا العاصي موجّعة أبا المخشّي سقته الواكف الدّيمُ
قد كنتُ أرتعُ في نعماهُ عاكفةً فاليومَ آوي إلى نعماك يا حَكَمُ
أنت الإمام الذي انقاد الأنامُ لهُ وملّكتهُ مقاليدَ النّهي الأممُ
لا شيءٌ أخشى إذا ما كنتَ لي كنفاً آوي إليه ولا يعرفني العدمُ
لا زلتُ بالعزّةِ القعساءَ مرتدياً حتّى تذللّ إليك العُربُ والعجمُ

فلمّا وقفَ الحكم على شعرها استحسّنه ، وأمر لها بإجراء مرتب ، وكتب
إلى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن .

ويحكى أنّها وفدت على ابنه عبد الرحمن بشكية من عامله جابر بن ليبد

١ انظر يتيمة الدهر ٣ : ١٨٢ - ١٨٤ حيث نسبهما لابن العميد .

٢ ترجمة حسانة التميمية في الذيل والتكملة (آخر قسم الغرياء) وكتاب ذكر بلاد الأندلس (١٠٩) ،
(١١٧) وذكر أنها كانت بالبيرة وأورد الأبيات التي كتبتها للحكم بن هشام ثم وفادتها على عبد
الرحمن وما أنشدته من شعر ؛ وأبو المخشّي والدها هو عاصم بن زيد أحد قدامى الشعراء بالأندلس
وهو تميمي عبادي وقد قطع لسانه هشام بن عبد الرحمن الداخل (انظر المغرب ٢ : ١٢٣ والجلوة :
٣٧٧ والبقية رقم : ١٥٤٣ وقد كتب في أصول النفع خطأ - أبو الحسين) .

وَأَلِي الْبَيْرَةَ ، وَكَانَ الْحَكَمُ قَدْ وَقَعَ لَهَا بِحُطِّ يَدِهِ تَحْرِيرَ أَمْلَاكِهَا ، وَحَمَلَهَا فِي ذَلِكَ عَلَى الْبَرِّ وَالْإِكْرَامِ ، فَتَوَسَّلَتْ إِلَى جَابِرٍ بِحُطِّ الْحَكَمِ ، فَلَمْ يَفْهَمْهَا ، فَدَخَلَتْ إِلَى الْإِمَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَأَقَامَتْ بِفِنَائِهِ ، وَتَلَطَّفَتْ مَعَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، حَتَّى أَوْصَلَتْهَا إِلَيْهِ ، وَهُوَ فِي حَالِ طَرَبٍ وَسُرُورٍ ، فَانْتَسَبَتْ إِلَيْهِ ، فَعَرَفَهَا وَعَرَفَ أَبَاهَا ، ثُمَّ أَنْشَدَتْهُ :

إِلَى ذِي التَّدْيِ وَالْمَجْدِ سَارَتْ رِكَائِي عَلَى شَحَطٍ تَصَلَّى بِنَارِ الْهَوَاجِرِ
لِيَجْبِرَ صَدْعِي لِأَنَّهُ خَيْرُ جَابِرٍ وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذِي الظَّلَامَةِ جَابِرِ
فَلِأَنِّي وَأَيْتَامِي بِقَبْضَةٍ كَفَّهَ كَذِي رِيَشٍ أَضْحَى فِي مَخَالِبِ كَاسِرِ
جَدِيرٍ لَمَّا لِي أَنْ يَقَالَ مَرُوعَةٌ لَمُوتِ أَبِي الْعَاصِي الَّذِي كَانَ نَاصِرِي
سَقَاهُ الْحَيَا لَوْ كَانَ حَيًّا لَمَا اعْتَدَى عَلَيَّ زَمَانٌ بَاطِشٌ بِطُشٍّ قَادِرِ
أَيْمَحُو الَّذِي خَطَّتْهُ يَمْنَاهُ جَابِرُ لَقَدْ سَامَ بِالْأَمْلَاكِ إِحْدَى الْكِبَائِرِ

وَلَمَّا فَرَّغَتْ رَفَعَتْ إِلَيْهِ خُطَّ وَالِدِهِ ، وَحَكَتْ جَمِيعَ أَمْرِهَا ، فَفَرَّقَ لَهَا ، وَأَخَذَ خُطَّ أَبِيهِ فَقَبَّلَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : تَعْدَى ابْنُ لَيْبِدِ طَوْرِهِ ، حِينَ رَامَ نَقْضَ رَأْيِ الْحَكَمِ ، وَحَسَبْنَا أَنْ نَسْلُكَ سَبِيلَهُ بَعْدَهُ ، وَنَحْفَظَ بَعْدَ مَوْتِهِ عَهْدَهُ ، أَنْصَرَفْنَا يَا حَسَّانَةَ فَقَدْ عَزَلْتُهُ لَكَ ، وَوَقَعَ لَهَا بِمِثْلِ تَوْقِيعِ أَبِيهِ الْحَكَمِ ، فَقَبَّلَتْ يَدَهُ ، وَأَمَرَ لَهَا بِجَائِزَةٍ ، فَانْصَرَفَتْ وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا :

ابْنُ الْهَشَامِينَ خَيْرُ النَّاسِ مَأْتِرَةٌ وَخَيْرُ مُنْتَجِعٍ يَوْمًا لِرَوَادِ
إِنْ هَزَّ يَوْمَ الْوَغَى أَثْنَاءَ صَعْدَتِهِ رَوَى أَنَابِيهَا مِنْ صَرْفِ فِرْصَادِ
قُلُوبِ الْإِمَامِ أَيْ خَيْرِ الْوَرَى نَسَبًا مُقَابِلًا بَيْنَ آبَاءِ وَأَجْدَادِ
جَوَدَتْ طَبْعِي وَلَمْ تَرْضَ الظَّلَامَةَ لِي فَهَآكَ فَضْلَ ثَنَاءٍ رَائِحٍ غَادِ
فَلِنْ أَقْمَتْ فُقِي نُعْمَاكَ عَاطِفَةٌ وَإِنْ رَحَلْتُ فَقَدْ زَوَّدْتَنِي زَادِي

3 - ومنهن أم العلاء بنت يوسف الحجازية^١ .

ذكرها صاحب « المغرب » وقال : إنها من أهل المائة الخامسة ، ومن شعرها :

كلُّ ما يصدرُ منكم حسنٌ وبعلياًكم تحلّى الزمنُ
تعطفُ العينُ على منظركم وبذكراكم تلدُّ الأذنُ
من يعيشُ دونكمُ في عمره فهو في نيلِ الأمانِ يُغبنُ
وعشيقها رجلٌ أشيبٌ ، فكتبت إليه :

الشبُّ لا يُخدعُ فيه الصِّبا بحياةٍ فاسمُ إلى نُصحي
فلا تكن أجهلَ من في الوري بيتٌ في الجهلِ كما يُضحي
ولها أيضاً :

افهمْ مطارحَ أحوالي وما حكمتُ به الشواهدُ واعذري ولا تَلُمِ
ولا تكِلتي إلى عُدُرٍ أبينته شرُّ المعاذيرِ ما يحتاجُ للكلمِ
وكلَّ ما جثته من زلَّةٍ فما أصبحتُ في ثقةٍ من ذلك الكرمِ
والحجازية - بالراء المهملة - نسبة إلى وادي الحجازة .

4 - ومنهن أمةُ العزيز^٢ .

قال الخافظ أبو الخطاب ابنُ دحية في كتاب « المطرب من أشعار المغرب » :
أنشدتني أخت جدي الشريفة الفاضلة أمة العزيز الشريفة الحسينية لنفسها :

١ ترجمة أم العلاء الحجازية في المغرب ٢ : ٣٨ والسيوطي : ٢٢ وأشعارها في المصدر الثاني .
٢ انظر المطرب : ٦ ، والبيتان ينسبان لغيرها ، ولم يقل ابن دحية إن البيتين لها وإنما قال « وأنشدتني » .
وراجع السيوطي : ٢٤ .

لحاظكم تبحرنا في الحشا ولحظنا يجرحكم في الخلود
جرحٌ يجرح فاجعلوا ذا بدا فما الذي أوجب جرح الصلود

قلت : هذا السؤال يحتاج إلى جواب ، وقد رأيت لبلدنا القاضي الإمام
الفاضل أبي الفضل قاسم العقباتي التلمساني رحمه الله تعالى جوابه ؛ والغالب أنه
من نظمه ، وهو قوله :

أوجبه مني يا سيدي جرحٌ بخدليس فيه الجحود
وأنت فيما قلته مدع فأين ما قلت وأين الشهود
انتهى .

5 - ومنهن أم الكرام بنت المعتصم بن صُمّادح ملك المريّة^١ .

قال ابن سعيد في « المغرب » : كانت تنظم الشعر ، وعشقت الفتي المشهور
بالجمال من دانية المعروف بالسمار ، وعملت فيه الموشحات ، ومن
شعرها فيه :

يا معشر الناس ألا فاعجبوا مما جنته لوعة الحب
لولاه لم يتزل بيلدٍ اللجي من أفضقه العلوي للرب
حسبي بمن أهواه ، لو أنه فارقت تابعه قلبي

6 - ومنهن الشاعرة الغسانية البجانية^٢ - بالنون - نسبة إلى بجانة ، وهي
كورة عظيمة ، وتشتهر بإقليم المرية ، وهي من أهل المائة الرابعة ، فمن نظمها
من أبيات :

١ أم الكرام ، وتكتب أحياناً « أم الكرم » الصمادحية : ترجم لها في المغرب ٢ : ٢٠٢ والسيوطي :
٢٠ .

٢ ترجمة الغسانية في الجذوة : ٣٧٩ (وبغية الملتبس رقم : ١٥٨٥) والعلقة : ٦٥٧ والسيوطي :
١٠٧ وقد مدحت خيران العامري ، أي أدركت آخر الدولة الأموية وعهد الفتنة وأوائل حكم
الطوائف .

عهدتُهُمُ والعيشُ في ظلِّ وَصلِهِم أنيق وروضُ الوصلِ أخضرُ قَيْنَانُ
لياليَ سعدٍ لا يُخافُ على الهوى عتابٌ ولا يُخشَى على الوصلِ هجرانُ

7 - ومنهن العروضية مولاة أبي المطرّف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب .

سكنت بِلَنَسِيَّةَ ، وكانت قد أخذت عن مولاهما النحو واللغة ،
لكنها فاقته في ذلك ، وبرعت في العروض ، وكانت تحفظ « الكامل » للمبرد
و « النوادر » للقيلي وتشرحهما ، قال أبو داود سليمان بن نجاح : قرأت عليها
الكتابين ، وأخذت عنها العروض ، وتوفيت بدانيّة بعد سيدها في حدود
الخمسين والأربعمائة ، رحمها الله تعالى .

8 - ومنهن حفصة بنت الحاج الركونية^١ الشاعرة الأدبية المشهورة بالجمال ،
والحسب والمال . ذكرها الملاحى في تاريخه ، وأنشد لها ممّا قالت في أمير المؤمنين
عبد المؤمن بن علي ارتجالاً بين يديه :

يا سيّدَ الناسِ يا مَنْ يؤمّلُ الناسُ رِفْدَهُ
امنْ عليّ بطيرسٍ يكونُ للدهرِ عُدَّةً
تخطّ بمنسأك فيه : الحمدُ لله وحده

وأشارت بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحّدين ، فإنّها كانت أن يكتب
السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور « الحمد لله وحده » .

٦٦٥ - [استطراد بقصتين]

وتذكرتُ بذلك ، والشيء بالشيء يُذكر ، أنّه لما قفلَ السلطانُ الناصرُ أميرُ

١ ترجمة حفصة الركونية في الإحاطة ١ : ٤٩٩ والمغرب ٢ : ١٣٨ والمغرب : ١٠ والسيوطي :
٤٠ والتحفة : ١٦٧ ومعجم الأدباء ١٠ : ٢١٩ .

المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب والأندلس من إفريقية سنة ثلاث وستمائة بعد فتح المهديّة هنأته الشعراء بذلك ، ثم اجتمع أبو عبد الله ابن مَرَج الكحل بالشعراء والكتاب ، فتذكروا الفتح وعظمه ، فأنشدهم ابن مرج الكحل في الوقت لنفسه :

ولما تَوَالَى الفتحُ من كلِّ جهةٍ ولم تبلغ الأوهامُ في الوصفِ حدةً
تركنا أمير المؤمنين لشُكره بما أودع السرُّ الإلهيُّ عندهُ
فلا نعمةٌ إلّا تؤدي حقوقها علامتهُ بالحمدِ لله وحدهُ
فاستحسن الكتابُ له ذلك ، ووقع أحسن موقع .

وحكى صاحب كتاب « رُوح الشعر وروح الشجر » وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب الفهري أن أمير المؤمنين يعقوب المنصور لما قفلَ من غزوة الأراكة المشهورة ، وكانت يوم الأربعاء تاسع شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه ، فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كلُّ إنسان قصيدته ، بل كان يختصُّ منها بالإنشاد البيتين أو الثلاثة المختارة ، فدخل أحد الشعراء فأنشده :

ما أنتَ في أمراء الناسِ كلِّهمُ إلّا كصاحبِ هذا الدِّينِ في الرُّسلِ
أحييتَ بالسيفِ دينَ الهاشميِّ كما أحياهُ جدُّك عبدُ المؤمنِ بنُ علي

فأمر لهُ بألفي دينار ، ولم يصل أحداً غيره لكثرة الشعراء ، وأخذ بالمثل « منَعُ الجميع ، أرضى للجميع » ، قال : وانتهت رِقَاعُ القصائد وغيرها إلى أن حالت بينه وبين مَنْ كان أمامه لكثرتها ، انتهى .

رجع إلى أخبار حفصة :

وأنشد لها أبو الخطاب في « المطرب » قولها :

ثنائي على تلك الثنايا لأنتي أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا أكذب الله إني رشفت بها ريقاً أرق من الخمر

وتولع بها السيد أبو سعيد ابن عبد المؤمن ملك غرناطة ، وتغير بسببها على
أبي جعفر ابن سعيد ، حتى أدى تغيره عليه أن قتله ، وطلب أبو جعفر منها
الاجتماع ، فمطلته قدر شهرين ، فكتب لها :

يا من أجنب ذكر الله وحسي علامه
ما إن أرى الوعد يفضي والعمر أخشى انصرامه
اليوم أرجوك لا أن تكون لي في القيامة
لو قد بصرت بحالي والليل أرخي ظلامه
أنوح وجداً وشوقاً إذ تسريح الحمامه
صب أطال هواه على الحبيب غرامه
لمن يتيسر عليه ولا يرد سلامه
إن لم تنيلي أريحي فالأس يني زمامه

فأجابته :

يا مدعي في هوى الحس ن والغرام الإمامه
أنى قريضك ، لكن لم أرض منه نظامه
أمدعي الحب يثني يأس الحبيب زمامه ؟
ضللت كل ضلال ولم تفيدك الزعامه
ما زلت تصحب مذكت في السباق السلامه
حتى عثرت وأخجلت بافتضاح السامه
بالله في كل وقت يبدى السحاب انسجامه
والزهر في كل حين يشق عنه كمامه

لو كنتَ تعرفُ عذري كفتَ غَرَبَ الملامه

ووجهت هذه الأبيات مع موصل أبياته ، بعدما لعنته وَسَبَّتهُ ، وقالت له : لعن الله المرسل والمرسل ، فما في جميعكما خير ، ولا لي برؤيتكما حاجة ، وانصرف بغاية من الحِزْبي ، ولما أطلَّ على أبي جعفر وهو في قلقٍ لانتظاره قال له : ما وراعيك يا عصام ؟ قال : ما يكون وراء مَنْ وجهه خلف إلى فاعلة تاركة ، اقرأ الأبيات تعلم ، فلما قرأ الأبيات قال للرسول : ما أسخفَ عقلك وأجهلك ! إنَّها وعدتني للقبَّة التي في جَنَّتِي المعروفة بالكمامة ، سر بنا ، فبادروا للكمامة ، فما كان إلا قليلاً ، وإذا بها قد وصلت ، وأراد عَثْبُها ، فأَنشدت :

دعي عَدَّةَ الذنوبِ إذا التقينا تعالي لا نَعُدُّ ولا تَعُدِّي

وجلسا على أحسن حالة ، وإذا برقعة الكتندي الشاعر لأبي جعفر ، وفيها :

أبا جعفر يا ابنَ الكرامِ الأماجدِ خَلَوْتُ بِمَنْ تهواه رَغْماً لحاسدِ
فهل لك في خيلٍ قَنُوعٍ مهذَّبِ كتومٍ عليمٍ باختفاء المراسدِ
بييتُ إذا يخلو المحبُّ بحبِّه ممتَّعٌ لذاتٍ بخمسٍ ولائدِ

فقرأها على حفصة ، فقالت : لعنه الله ، قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ، ولم نسمع اسماً لمن يعلم باجتماع محبَّين فيروم الدخول عليهما ، فقال لها : بالله سميه لنكتب له بذلك ، فقالت : أسميه الحائل ، لأنَّه يَحُولُ بيني وبينك إن وقعت عيني عليه ، فكتب له في ظهر رقعة :

يا مَنْ إذا ما أتاني جَعَلْتُهُ نصبَ عيني
تراك تَرْضَى جلوساً بينَ الحبيبِ وبينِي ؟
إنَّ كانَ ذاكَ فماذا تبغي سوى قُرْبِ حَيَّتِي

والآن قد حصّلتُ لي بعد المطالِ بديتي
 فإن أتيتَ فدفعاً منها بكِلْتا اليدينِ
 أو ليسَ تبغي وحاشا لك أن تُرى طيرَ بينِ
 وفي مبيتك بالحمسِ كلُّ قبيحٍ وشينِ
 فليسَ حقك إلا الـ خلوا بالقمرينِ

وكتب له تحت ذلك ما كان منها من الكلام ، وذيلَ ذلك بقوله :

سمّاك من أهواه حائلٌ إن كنتَ بعد العتب واصلٌ
 مع أنّ لونسك مزعجٌ لو كنت تُحبسُ بالسلاسلِ

فلما رجع إليه الرسول وجده قد وقع بمطمورة نجاسة ، وصار هتكة ،
 فلما قرأ الأبيات قال للرسول : أعلمهما بحالي ، فرجع الرسول ، وأنخبرهما
 بذلك ، فكاد أن يُغشّي عليهما من الضحك ، وكتب إليه كل واحد بيتاً ،
 وابتدأ أبو جعفر فقال :

قلْ للذي خلّصنا منه الوقوعُ في الخرا
 ارجعْ كما شاء الخرا يا ابن الخرا إلى ورّا
 وإن تعدّ يوماً إلى وصالنا سوف ترى
 يا أسقط الناس ويا أنظلم بلا مِرا
 هذا مدى الدهر تُلّا في لو أتيتَ في الكرى
 يا لحيّة تشغفُ في الـ خراء وتشنّا العنبرا
 لا قربَ الله اجتماعاً عاً بك حتى تُقبِرا^١

ومن شعرها :

سلامٌ يفتّحُ في زهره الـ كمام ويُنطِقُ ورقَ الغصونِ

١ سقط البيت من م .

على نازح قد ثَوَى في الحشا وإن كان تحرم منه الجفون^١
فلا تحسبوا البعدَ يُنسيكم^١ فذلكَ والله ما لا يكون^١

وقولها من أبيات :

ولو لم يكن نجماً لما كان ناظري وقد غبتُ عنه مُظلماً بعد نوري^٢
سلامٌ على تلك المحاسن من شَجٍ تنامت بنعماء وطيب سروري^٢

وقولها :

سلوا البارقَ الخفّاقَ والليلُ ساكنٌ أظلُّ بأحبابي يذكّرني وهنا^٣
لعمري لقد أهدى لقلبي خفقةً وأمطرني منهلٌ عارضه الجفنا^٣

ونسب بعض إليها البيتين الشهيرين^٤ :

أغارُ عليك من عيَّتي رقيبي ومنك ومن زمانك والمكان^٥
ولو أنني خبأتُك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني^٥
والله تعالى أعلم .

وكتبت إلى أبي جعفر :

رأست فما زال العُدّة بظلمهم^٦ وعلمهم النامي يقولون ما^٦ رأس^٦
وهل منكرٌ أن سادَ أهلَ زمانه جموحٌ إلى العليا حرّونٌ عن الدنس^٦

وقال ابن دحية : حفصة من أشرف غرناطة ، رخيمة الشعر ،
رقيقة النظم والنثر ، انتهى .

١ ق : العبد ينساكم .

٢ م : وما ينسب إليها .

٣ م : لم ؛ ق : لي .

ومن قولها في العيد أبي سعيد ملك غرناطة تهته بيوم عيد ، وكتبت
بذلك إليه :

يا ذا العلاء وابن الخلية فقة والإمام المرتضى
يهنيك عيدٌ قد جرى فيه بما تهوى القضا
وأناك من تهواه في قيد الإنابة والرضى
ليعيد من لذاته ما قد تصرّم وانقضى

وذكر الملاحى في تاريخه أنها سألتها امرأة من أعيان أهل غرناطة أن تكتب
لها شيئاً بخطها ، فكتبت إليها :

يا ربة الحسن ، بل يا ربة الكرم غضي جفونك عما خطه قلبي
تصفّحه بلحظ الودّ منعمة لا تحلى برديء الخط والكلم

وافترق أن بات أبو جعفر ابن سعيد معها في بستان بجوّر مؤمل ، على ما
بييت به الروض والنسيم ، من طيب النفحة ونضارة النعيم ، فلما حان
الانفصال ، قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق :

رعى الله ليلاً لم يرحّ بدمم عشية وارانسا بجوّر مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة إذا نفحت هبت برياً القرنفل
وغرد قمرى على الدوح وانثى قضيب من الرياح من فوق جدول
يرى الروض مسروراً بما قد بدا له : عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتب بها إليها بعد الافتراق ، لتجيبه على عاداتها في مثل ذلك ، فكتبت
إليه بقولها :

لعمرك ما سرّ الرياض بوصلنا ولكنّه أبدى لنا الغلّ والحسد
ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا ولا غرد القمرى إلّا لما وجد

فلا تحسن الظنّ الذي أنتَ أهلهُ فما هو في كلّ المواطن بالرشدُ
فما خلتُ هذا الأفقَ أبدى نجومه لأمرٍ سوى كيما تكونَ لنا رصدُ

وقال ابن سعيد في « الطالع السعيد » : كتبت حفصة الركونية إلى بعض أصحابها :

أزوركَ أم تزورُ فإنّ قلبي إلى ما تشتهي أبداً يميلُ
فثغري موردٌ عذبٌ زلالٌ وفرعُ ذؤابي ظلٌ ظليلُ
وقد أمّلتُ أن تظما وتضحى إذا وافى إليك بيّ المقيّلُ
فعجّلْ بالجوابِ فما جميلٌ إباؤك عن بُثينةَ يا جميلُ

٦٦٦ - [سلمى بنت القراطيسي]

قال التجاني : تشبه أبيات حفصة هذه أبيات أنشدتها ابن أبي الحصين في تاريخه لسلمى بنت القراطيسي من أهل بغداد ، وكانت مشهورة بالجمال ، وهي :

عيونُ مَها الصريم فداء عيني وأجبادُ الطباء فداء جيدي
أزِينُ بالعقودِ وإنّ نخري لأزِينُ للعقودِ من العقودِ
ولا أشكو من الأوصاب ثقلاً وتشكو قامتي ثقلَ النهودِ

وبلغت هذه الأبيات المقتفي أمير المؤمنين فقال : اسألوا هل تصدق صفتها قولها ؟ فقالوا : ما يكون أجمل منها ، فقال : اسألوا عن عفافها ، فقالوا له : هي أعفُ الناس ، فأرسل إليها مالا جزيلاً ، وقال : تستعين به على صيانة جمالها ، وروثق بهجتها ، انتهى .

رجع إلى حفصة :

وقال أبو جعفر ابن سعيد : أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ، ومن

بعض ما أجعله دليلاً على تصديق عزمي ، وبر قسبي ، أتني كنت يوماً في مترلي مع من يحب أن يخلى معه من الأجواد الكرام على راحة سمحت بها غفلات الأيتام ، فلم نشعر إلا بالباب يُضرب . فخرجت جارية تنظر من الضارب ، فوجدت امرأة ، فقالت لها : ما تريدن ؟ فقالت : ادفعي لسيدك هذه الرقعة ، فجاءت برقعة فيها :

زائرٌ قد أتني بجيد الغزالِ مُطْلِعٌ تحتَ جناحه للهِلالِ
بلحاظٍ من سحرِ بابلٍ صيغتُ ورُضابٍ يفوقُ بنتَ الدَّوالي
يفضحُ الوردَ ما حوى منه خدٌ وكسنا الثغرُ فاضحٌ للآلي
ما تَرى في دخوله بعدَ إذنٍ أو تراه لعارضٍ في انفصالِ

قال : فعلتُ أُنْتها حفصة ، وقمت مبادراً للباب ، وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حُسْنُهُ وآدابه والغرام به ، وتفضله بالزيارة دون طلب في وقت الرغبة في الأنس به ، انتهى .

٦٦٧ - [أبو جعفر ابن سعيد]

قلت : وإذ قد جرى ذكر أبي جعفر ابن سعيد سابق الحُلْبة فلنلم ببعض أحواله فنقول ^١ : هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي ، قال قريبه أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد في « المغرب » : سمعت أبي يقول : لا أعلم في بني سعيد أشعر منه ، بل لا أعلم في بلده . وعشق حفصة شاعرة الأندلس ، وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام ، ولما استبد والده بأمر القلعة حين ثار أهل الأندلس بسبب صَوْلَة بني عبد المؤمن على الملتزمين اتخذه وزيراً ، واستنابه في

١ ترجمة أبي جعفر ابن سعيد في الإحاطة ١ : ٩٤ والمغرب ٢ : ١٦٤ والمساك ١١ : ٢٧٩ وما أورده المقرئ بعد أكثر شيء إسهاباً في أخباره .

أموره ، فلم يصبر على ذلك ، واستغنى فلم يُعْفِه ، وقال : أفي مثل هذا الوقت الشديد تركز إلى الراحة ؟ فكتب إليه :

مولاي في أيّ وقتٍ	أنالُ في العيشِ راحةً
إن لم أنلها وعمري	ما إن أنارَ صباحه
وللمسلاح عيونٌ	تميلُ نحوَ الملاحه
وكأسُ راحي ما إن	تملُ مني راحه
والخطبُ عني أعمى	لم يقربَ لي ساحة
وأنتَ دوني سُورٌ	من العُلا والرجاحه
فأعفيني وأقلّني	مما رأيتَ صلاحه
ما في الوزارة حظٌ	لمن يريدُ ارتياحه
كلُّ وقالُ وقيلُ	ممن يطيلُ نباحه
أنسي أني مستغيثاً	فاتركُ فُديتَ سَراحه

فلما قرأ الأبيات قال : لا ينفع الله بما لا يكون مركباً في الطبع مائلة له النفس ، ثم وقّع على ظهر ورقته : قد تركنا سَراح أنسك ، وألحقنا يومك بأمسك . ولما رجع ثوار الأندلس إلى عبد المؤمن وبايعه عبدُ الملك بن سعيد فغمره إحساناً وبراً ، وولي السيد أبو سعيد ابن عبد المؤمن غَرَناطة طلب كاتباً من أهلها ، فوصف له فضل أبي جعفر وحسبه وأدبه ، فاستكتبه ، فطلب أن يعفيه ، فأبى إلى أن شرب أبو جعفر يوماً مع خواصه ، وخرج ثاني يوم إلى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ، ولما اشتد البرد مالوا إلى خيمة ناطور ، وجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا ، فحمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ، ويستطرد بما في نفسه :

ويومٍ تجلّى الأفقُ فيهِ بعنبرٍ	من الغيم لُذنا فيه باللّهُو والقنّص
وقد بقيتَ فينا من الأمسِ فضلةٌ	من السكر تُغرّينا بمتّهبِ الفُرّص

ركبنا لهُ صباحاً وليلاً وبعضنا
 وشهبِ بُزاةٍ قد رجمنا بشهبها
 وعن شفقٍ تغري الصباح أو الدجى
 وملنا وقد نلنا من الصيدِ سُؤلنا
 بخيمةٍ ناطورٍ توسطَ عذبها
 جحيمٌ به من كان عذَّبَ قد خلس
 أدرنا علىهٍ مثلهُ ذهبيّةٌ
 فقل لحريصٍ أن يراني مقيّداً
 وما كنتُ إلا طوعَ نفسي فهل أرى
 أصيلاً وكلٌّ إن شدا جُلجلُ رقص
 طيوراً يساغُ اللهوُ إن شكتِ الغصص
 إذا أوثقت ما قد تحرك أو قمص
 على قنصِ اللذاتِ والبردُ قد قرص
 دعتهُ إلى الكبرى فلم يجب الرخص
 بخدمته لا يُجعل البازُ في القفص
 مطيعاً لمن عن شأوٍ فخريّ قد نقص

فكان في أصحابه من حفظ هذين البيتين ، ووشى بهما للسيد ، فعزله أسوأ
 عزل ، ثم بلغه بعد ذلك أنّه قال لحفصة الشاعرة : ما تحبين في ذلك الأسود وأنا
 أقدر أن أشتري لك من سوق العبيد عشرة خيراً منه^١ ؟ وكان لونه مائلاً إلى
 السواد ، فأسرّها في نفسه إلى أن فرَّ عبدُ الرحمن بن عبد الملك بن سعيد إلى ملك
 شرق الأندلس محمد بن مردنيش ، فوجد له بذلك سبباً ، فقتله صبراً بمالقة .
 وكان عبد الملك بن سعيد يذكر ابنه أبا جعفر لعبد المؤمن ، وينشده من
 شعره رغبة في تشريفه بالحضور بين يديه وإنشاده في مجلسه ، فأمره بحضوره ،
 فعندما دخل عليه قبلَ يده وأنشد قصيدة منها قوله :

عليك أحوالي داعي النجاحِ ونحوك حثّي حادي الفلاحِ
 وكنتُ كساهِرٍ ليلاً طويلاً ترنّجَ حينَ بُشّرَ بالصباحِ
 وذو جهلٍ تغلّغلَ في قفاري شكاً ظمأً فدلّ على القراحِ
 دعانا نحو وجهك طيبُ ذكرٍ ويُدكر للرياضِ شتاً الرياحِ

١ دوزي : أحسن منه .

٢ ق م والمغرب : هادي .

وله في غلام أسود ساق ، ارتجالاً :

أدارَ علينا الكأسَ ظيُّ مهفُفٌ غدا نَشْرهُ واللونُ للعنبرِ الشحري
وزادَ لنا حُسناً بزهرِ كؤوسهِ وحسنُ ظلامِ الليلِ بالأُنجمِ الزُهرِ

وقوله فيه وقد لبس أبيض :

وغصنٍ من الآبنوس ارتدى بعاجٍ كليلٍ علاه فلقُ
يُحاكي لنا الكأسَ في كفهٍ صباحٌ ينجحُ علاه شفقُ

وقوله ممّا كتب به إلى أخيه محمد وقد ورد منه كتاب بإنعام :

وافي كتابك يُنبئني عن سابغِ الإنعامِ
فقلتُ دُرٌّ ودُرٌّ من زاخري وغمامِ

وقوله يذم حمّاماً :

يا رَبَّ حمّامٍ لعنّا بما أبلى إلينا كلّ حمّامِ
أفّقٌ له قَطَرٌ حميمٌ كما أصمتُ سهامٌ من يديّ رامي
يُحرقُ سُجْباً للدخانِ الذي لاحَ لغيَمِ العارضِ الهامي
وقيَمٌ يَجْدُبُني جَذْبَةً وتارةً يَكسُرُ لبهامي
ويجمعُ الأوساخَ من لؤمهِ في عضدي قصداً لإعلامي
وازدحمَ الأندالُ فيه وقد ضجّوا ضجيجاً دون إفهامِ
وجملَةُ الأمرِ دخلنا بني سامٍ وعدنا كبني حامِ

وله في ضد ذلك ، والنصف الأخير لابن بقي :

لا أنسَ ما عشتُ حمّاماً ظفرتُ به وكان عنديّ أحلى من جتى الظفّرِ
نعمتُ جسديّ في ضدينِ مغتنماً «تَنَعَّمُ الغُصْنُ بينَ الشمسِ والمطرِ»

وقال له السيد أبو سعيد ابن عبد المؤمن صاحب غرناطة : ما أنت إلا حسنُ
الفراسة وافر العقل ، فقال :

نسبتم لمن هذَّبتموه فراسةً وعقلاً ولولاكم لتلازمه الجهلُ
وما هوَ أهلٌ للثناء وإنما علاكم لتقليد الأيادي له أهلُ
وما أنا إلا منكمُ وإليكمُ وما في من خيرٍ فأنتم له أصلُ

وقال :

ولما رأيتُ السعدَ في صفحِ وجهه منيراً دعاني ما رأيتُ إلى الشكرِ
وأقبلَ يُبْدي لي غرائبَ نطقه وما كنتُ أدري قبله مترعَ السحرِ
فأصبغتُ لاصفاء الجديبِ إلى الحيا وكان ثنائي كالرياضِ على القطرِ

وله :

لا تُكثِرَنَّ عِسابي إن طالَ عَنكَ فراقِي
فمسا يضرُّ بَعادُ يطولُ والودُّ باقي

وله :

ما خدمناكمُ لأن تشفعُوا فينا بدارِ الجزاء يومَ الحسابِ
ذاكَ يومٌ أنا وأنتَ سَوَاء فيه ، كلُّ يُخافُ سوءَ العقابِ
إنما الشأنُ الذبُّ في هذه الددِ يا بسلطانكم عن الأصحابِ
وإذا ما خذلتهموهمُ بشكوى وبخلتمُ عنهمُ بَردَ الجوابِ
فاعذروهم أن يطلبوا مِن سواكمُ نصرةً وارفعوا حجالَ العتابِ
وإذا أرضُ مجدِبٍ لَقَطَّتْه فلهُ العذرُ في اتِّباعِ السحابِ

وله وقد تقدّم أمامه في ليلة مظلمة أحدُ أصحابه ، فطفئ السراج في يده ،
فقال لوقته :

لي من جينك هادي في الليل نحو مُرادي
فما أريدُ سراجاً يدلّني لرشادِ
أنّي وكفّك سَحْبُ يَبْدُو بها ذا اتقادِ

ولهُ في قوادة :

قوادةٌ تَفْخَرُ بالعارِ أقودُ من ليلٍ على سارِ
ولأَجّةٍ في كلِّ دارٍ وما يدري بها من حذقها داري
ظريفةٌ مقبولةٌ الملتقى خفيفةُ الوطاء على الجارِ
لحافُها لا ينطوي دائماً أَقْلَقُ من رايةٍ ييطارِ
قد ربيتُ مذ عرفتُ نفعها ما بينَ فُتّاك وشُطّارِ
جاهلةٌ حيثُ ثوى مسجدُ عارفةٌ حانةَ خَمّارِ
بسّامةٌ مكثرةٌ بِرّها ذاتُ فكاهاتٍ وأخبارِ
علمُ الرياضاتِ حوتهُ وسا ستُهُ بتقويمِ وأسحارِ
مناعةٌ للنعلِ من كيسها موسرةٌ في حالِ إعسارِ
تكادُ من لطفِ أحاديثها تجمعُ بينَ الماءِ والنّارِ

وما سمعنا في هذا الباب أحسن من هذا ، والبيت السائر :

تقودُ ، من السياسةِ ، أَلَفَ بغلٍ إذا حرنت ، بنحيطِ العنكبوتِ
وشربَ ليلةً مع أصحابٍ له وفيهم وسيم ، فأعرض بجانبه وقطّب ،
فتكدر المجلس ، فقال أبو جعفر :

يا من نأى عنا إلى جانبِ صدأ كَيْلِ الشمسِ عند الغروبِ
لا تَزَوِ عنا وجهك المجتلى فالشمسُ لا يُعْهَدُ منها قُطوبُ
إن دام هذا الحالُ ما بيننا فإتّنا عما قريبٍ نتوبُ

ما نشكّي الدهرَ ولا خطْبَهُ
لولاكَ ما دارتْ علينا خطوبُ
وله أيضاً :

أيا لائمٍ في حملِ صعبةٍ جاهلٍ
لمنفعةٍ تُرجى لديهِ صَحْبَتُهُ
كما احتملَ الإنسانُ شربَ مرارةٍ
وله ، وقد أحسن ما شاء :

تركتكم لا كارهاً في جَنابكم
وطاحت بي الأطماعُ في كلِّ وجهةٍ
وما باختيارٍ فارقَ الخلدَ آدمُ
ولكنّها الأيامُ ليستَ مقيمةً
ولأنك إن فكّرتَ فيما أتيتُهُ
ولكن لجأج في النفوس إذا انقضى
ولاني لمنسوبٍ إليكم وإن نأتُ
ولاني لمُثنٍ بالذي نلتُ منكمُ
وإن خُنتكم يوماً فخاني المتى
على أنتي أقررتُ أني مذنبُ
وله يصف ناراً :

نظرتُ إلى نارٍ تصولُ على الدجى
تُرفَعُها أيدي الرياحِ ، وتارةً
وإلا فمن لا يملكُ الصبرَ قلبُهُ
لها ألسُنٌ تشكو بها ما أصابها
إذا ما حسيناها تدانَتْ تبَعْدُ
تخفَضُها مثلَ الكبيرِ يسجدُ
يقومُ به غيظٌ هناكَ ويقعدُ
وقد جعلتُ من شدةِ القرّ ترْعَدُ

وله على لسان إنسان أخلقت بُردتُهُ :

مولاي هذي بُردتي أخلقتُ وليسَ شيءٌ دونها أملكُ
وصرتُ من بأسٍ ومن فاقةٍ أبكي إذا أبصرتها تضحكُ

وله يستدعي أحد أبناء الرؤساء إلى يوم اجتماع :

تداركنا فإننا في سرورٍ وما بسواك يكتملُ السرورُ
أهيلةٌ أنسينا بك في تمامٍ أليسَ تمُّ بالشمسِ البدورُ

وله ، وقد خطر على منزله من إليه له مَبِلٌ ، وقال : لولا أخاف الثَّيْلُ
لدخلت ، وانصرف ، فلما أعلم أبو جعفر كتب إليه :

مولاي لِمَ تقصدُ تعذيبَ مَنْ : يهوى وما قصدك مجهولُ
طلبتَ تخفيفاً يبعدُ وفي تخفيفٍ مَنْ تهوَاهُ تثْقيلُ
غيرك إن زارَ جَنَى ضَجْرَةٍ ولجَّ منه القالُ والقيْلُ
وأنتَ إن زرتَ حياةً وما إلّا مِيشُ إذا ما طالَ مملولُ^١

وله ، وقد جلس إلى جانبه رجل تكلم فأنبأ عن علو قدر ، فسأله عن بلده ،
فقال : إشبيلية ، ففكر ثم قال :

يا سيداً لم أكن من قبلُ أعرفهُ حتى تكلمَ مثلَ الروضِ بالعَبقِ
وزادني أن غدا في حمصٍ منشؤه لقد تشاكَلَ بينَ البدرِ والأفُقِ

وله وقد حضر مجلساً مع إخوان له في انبساط ومزاح ، فدخل عليهم أحدُ
ظرفاء الغرباء^٢ بوجه طَلَّتْ وبشاشة ، فاهتز لما سمع بينهم ، وجعل يصل ما

^١ دوزي مطول

^٢ م - أحد الغرباء

يحتاج من مزاحهم إلى صلة بأحسن مترع وأنبل مقصد ، فأنشده أبو جعفر ارتجالاً :

يا سيداً قد ضمت مجلسٌ حلّ به للمزح إخوانُ
لم نلقَ من فجأته خجلةٌ ولا ثنائاً عنه كتمانُ
كأنه من جمعنا واحدٌ لم ينبُ منا عنه إنسانُ
ولم نكن ندره لكن بدا في وجهه للظرف عنوانُ

وله وقد لقي أحد إخوانه وكان قد أطل الغيبة عنه ، فدار بينهما ما أوجب أن قال :

إن لحّت لم تلمح سواك الأعين أو غبت لم تذكر سواك الأول من
أنت الذي ما إن يمل حضوره ومغيبه السلوان عنه يؤمن

وله وهو من آياته :

إني لأحمد طيفها وألومها والفرق بينهما لدي كبير
هي إن بدت لي شية في جفوة والطيف في حين المشيب يزور
وإذا توالى صدّها أو بينّها وافى على أن المزار عسير

وله وقد سافر بعض الأراذل بماله ، فنكب في سفره ، وعاد فقيراً بأسوأ أحواله :

اغد ولا يغن عنك القيل والقال فالجود مبسم والفضل يختال
قالوا فلان رماه الله في سفر قآب منه سيباً مثل مولده
فقلت لا خفف الرحمن عنه ، فلم يقل له - دام في ذل ومسغسة
رآه رأياً بما حالت به الحال عليه ذل وتفجيع وإقلال
يكن لديه على القصاد إقبال ولا أعيدت له في المال آمال

١ ق م : احد .

قد كان حُمُقُكَ حَسَنَ الْمَالِ يَسْتَرُهُ ۚ فالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ لَا عَقْلَ وَلَا مَالُ

وله وقد سافر أحد الرؤساء من أصحابه :

أَيَا غَائِبًا لَمْ يَغِيبْ ذِكْرُهُ وَلَا حَالًا عَنْ وَدَّهٍ حَائِلُ
لَئِنْ مَالٌ دَهْرِيٌّ بِي عَنْكُمْ فَقَلْبِي نَحْوَكُمْ مُثَلُّ
فَلِئَنِّي شَاهِدْتُ مِنْكُمْ عُلَاً مِنَ الْعِجْزِ قُسٌّ بِهَا بَاقِلُ
لَئِنْ طَالَ بِي الْبَعْدُ عَنْ لِحْظِكُمْ فَمَا فِي حَيَاتِي إِذَنْ طَائِلُ

وله وهو من حسناته :

شُقَّتْ جُيُوبٌ فَرَحًا عِنْدَمَا آبَتْ ، وَفِي الْبَعْدِ تُشَقُّ الْقُلُوبُ
فَقُلْتُ هَذَا مَوْقِفٌ مَا يَشُقُّ ۖ جَيْبٌ فِيهِ عَجْرٌ صَبَّ طُرُوبُ
فَابْتَسَمَتْ زَهْرًا وَقَالَتْ كَذَا ۖ أَفْقُ لِعَبُودِ الشَّمْسِ شَقُّ الْجُيُوبِ

وله وقد أجمع^١ رأيه على أن يَفِدَ على أمير المؤمنين عبد المؤمن ، فأخذ في ذلك مع أصحاب له ، فجعلوا يثْنُونَهُ عن ذلك ، وظهر عليهم الحسد له ، فقال :

سِرْ نَحْوَمَا نَخْتَارُ لَا تَسْمَعَنَّ مَا قَالَهُ زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو
كُلُّهُمْ يُحْمَدُ مَا رُمَتْهُ مَهْمَا يَسَاعِدُ رَأْيَكَ الدَّهْرُ
عَجِبْتُ مِمَّنْ رَامَ صِلَةَ الْعُلَا يَرُومُ أَنْ يَصْفُو لَهُ دَهْرُ

فقالوا له : أهتمنا في الود ، فقال : لو لم أهتمكم كنت أهتم عقلي ، والعياذ بالله تعالى من ذلك ، وكيف لا أهتمكم وقد غدوتم تننوني عن زيارة خليفة لوالدي عنده مكان^٢ ، وله علينا إحسان ، ولي شافع^٣ عنده مقرب لمجلسه عقلي ولساني ، ولكنني أنا المخطيء الذي عدلت عن العمل بقول القائل^٤ :

١ دوزي : اجتمع .

٢ هو سعد بن ناثب (الحماسية : ١٠ من المروزي) .

ولم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً

وله في شعاع القمر والشمس على النهر :

ألا حبذا نهر إذا ما لحظته أبى أن يرد اللحظ عن حسنه الأتس
تري القمرين الدهر قد عنيا به يفضضه بدر وتذهبه شمس

وله في والده وقد سنّ عليه درعاً :

أيا قائد الأبطال في كل وجهة تطير قلوب الأسد فيها من الذعر
لقد قلت لما أن رأيتك دارعاً أيا حسن ما لاح الحجاب على البحر
وأنشدت والأبطال حولك هالة أيا حسن ما دار النجوم على البدر

وقوله وقد بلغه أن حاسداً شكره :

متى سمعت ثناء عمّن غدا لك حاسد
فكان منك انخداع به قرأيتك فاسد
بصدره منك نار لهيها غير خامد
وعله لك ما زد ت في السعادة زائد
وإنما ذاك منه كالحب في فتح صائد

وله :

أبصره من يلوم فيه فقال ذا في الجمال فائق
أما ترى ما دُهِيتُ منه كان عدولاً فصار عاشق

وله في أبيه وقد سجنه عبد المؤمن :

مولاي إن يحبسك خير خليفة فيذاك فخرُك واعتلاء الشان
فالجنح يحبس نوره من غبطة والمرهقات تصان في الأجفان

فابشرُ فترعُ الدُرَّ من أصدافه يُعليه للأسلاكِ والتيجانِ
ولئن غدا مَنْ ظَلَّ دونك مطلقاً إنَّ القذى مُلقَى عن الأجفانِ
والعينَ تحبسُ دائماً أجفانُها وهدايةُ الإنسانِ بالإنسانِ
والطرسُ يختمُ ما حواه نقاسةً ويهانُ ما يبدو من العنوانِ
فاهناً به لكنْ مَلِيّاً مكثُهُ سجناً لغيرِ مذلَّةٍ وهوانِ
فلتعلونَ رغمَ الأعادي بعده بنرى الخليفةَ في ذرى كيوانِ

مولاي غيرك يُعزِّي بما لم يزل يجري على الكرام ، ويُذكرُ تأنيساً له في
الوحشة بما يطراً من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبلر التمام :

وأنتَ تُعلِّمُ الناسَ التعزِّي وخوضَ الموتِ في الحربِ السجالِ

وقد كان مولاي أنشدني لعلِّي بن الجهم قائلاً : إن أحداً لم يُسلِّ نفسه
صماً ناله من السجن بمثله ² :

قالوا سُجنتَ فقلتُ ليس بضائرٍ سجلي وأيُّ مهندٍ لا يُغمد ؟

الأبيات ، ماذا تفيدك من العلم وصَدْرُك ينبوعه ، وبخاطرك لا يزال غروبه
وطلوعه ، وإنما هي عادة تبعناها أدباً ، وقضينا بها ما في النفس من الإعلام
بالتوجع والتضجع أرباباً ، ولعل الله تعالى يُتبع هذه التسلية بتهنئة ، ويعقب بالنعمة
هذه المرزئة . قال : فأمر الملك بتسريحه إثر ذلك ، فلما اجتمع وجهه بوجهه
جعل يحمد الله تعالى جهرأ ويغرد بهذه الأبيات ، وكان سراحه بكرة :

طلعتَ علينا كالغزالةِ بالضحي وعزكَ طمّاحٌ ووجهك مُشرقُ

١ البيت المتنبي من قصيدته في رثاء أم سيف الدولة .

٢ انظر ديوان ابن الجهم : ٤١ .

فَغَفَرَا لَظَنبِ الدَّهْرِ أَجْمَعَ إِنَّهُ أَتَى الْيَوْمَ مِنْ حَسَنَاهُ مَا هُوَ أَلْيَقُ
فَلَحَّخَ فِي سَمَاءِ الْعِزِّ بِالسَّعْدِ طَالِعاً وَقَدَّرَكَ سَامُ أَفْقُهُ لَيْسَ يُلْحَقُ
فَقَدْ سَرَحَتْ لَمَّا غَلَوْتَ مُسَرَّحاً قُلُوبٌ وَأَفْكَارٌ وَسَمْعٌ وَمَنْطِقٌ

فاهتر أبوه من شدة الطرب ، وقال له : والله إنك لتملأ الدلو إلى عقد
الكرب .

وله يعتذر ، وقد دعي إلى مجلس أنس : سيدي ساعدك سولك ، لما وصل
إلى أخيك المعتد بك رسولك ، قابله بما يجب من القبول ، وأبدى له من الشغل
ما منع من الوصول :

ومن ذا الذي يدعى لعَدْنٍ فلا يرى على الرأس إجلالاً لَيْسَها يُبادرُ

ولكن الاضطراب ، لا يكون معه اختيار ، وإنني لأشوق الناس إلى مشاهدة
تلك المكارم ، وأحبهم في محاضرة تلك الآداب المترادفة ترادف الغنائم ، ولكن
شغلي عارض قاطع ، وبرغمي أنني لدعوتك عاصٍ وله طائع ، وإنني بعد ذلك
لحامل على تلك السجية الكريمة في الغفران ، مستجير بالخلاص الذي أعهد من
خُرْقِ فلان ومكر فلان ، فلنني متى غبت لا أعلم مترصداً قرحة يقع عليها
ذُبابُهُ ، ومستجمعاً إذا أبصر فرصة سلَّ عليها ذُبابُهُ :

ولكنني أدري بأيّ نازحٍ ودانٍ سواء عند مَنْ يحفظُ العهدا

وإنني لأقول وقد غبت عن تلك الحضرة العلية ، وجانيت ذلك الجنب السامي
والثابة السنية :

لئن غبتُ عمن نورهُ نورُ ناظري فحسبي لديه أن أغيبَ عِقَابا
وسوف أوافيه مُقِرّاً بزلتي وفي حلمه أن لا يُطيلَ حسابا

وله في قصر النهار ، ولو لم يكن له غيره لكفاه :

للهِ يَوْمُ مَسْرَةٍ أَضْوَأَ وَأَقْصَرُ مِنْ ذُبَالِهِ
لَمَّا نَصَبْنَا لِلْمَعْنَى فِيهِ بِأَوْتَارِ حَبَالِهِ
طَارَ النَّهَارُ بِهِ كَرَّ تَاعٍ وَأَجْفَلَتِ الْغَزَالَةُ

وهذا المعنى لم يُسَبِّقْ إليه ، ولم يقدر أحد أن يترعه من يديه .

ولمّا وصل صحبة والده إلى إشبيلية افتتن بواديها ، واعتكف على الخلعة فيها ، مُصْعِداً ومنحدرّاً بين بساطينه ومنازله ، فمر ليلة بطريانة فمال نحو منزله فيه طربٌ سَمِيعٌ ، فاستوقفه هنالك ، وهو في الزورق متكئ وأصحابه وأصحاب أبيه مظهرون انحطاطهم عنه في المرتبة ، فأخرج رأسه أحدُ الأندال المعتادين بالنادر من شرجب ، - والشرجب : هو الدرايزين من خشب فيه طاقات ، وطريانة مقابلة لإشبيلية ، وبها المنازه والأبنية الحسنة - فصرط له ذلك النذل بغاية ما قدر ، فرفع رأسه وقد أخذ منه السكر ، ولم يعتد مثل ذلك في بلده ، وقال : يا سقلة^١ ، أتقدم علي بهذا قبل معرفتي ! فثنى عليه واحدة أخرى ، ثم رفع ثوبه عن ذكره وهو منعظ ، وقال : يا وزير اجعل هذا عندك ودیعة حتى أعرف من تكون ، ثم رفع ما على استه من ثيابه وقال : واعمل من هذا غلافاً للحيتك فإذا عرفناك ذهبناه لك ؛ فغلبه الضحك على الحرج ، وجعل أصحابه يقولون له : ما سمعت أن من دخل هذا الوادي يعول على هذا وأمثاله ؟ فمال عن ذلك المنزه قليلاً ، وأطرق ساعة وقال :

نهرَ حمص لا عدنا لكَ فما مثلكَ نهرُ
فيك يُلْتَدُّ ارتياحُ أبدَ الدهرِ وسكرُ
كلُّ عمرٍ قد خلا منكَ فما ذلكَ عمرُ
خصَّه اللهُ بمعنى فيه للألبابِ سرُّ

١ م : يا سفيه .

يُلْعَنُ الْإِنْسَانُ فِيهِ وَهُوَ يَصْنَعِي وَيُسَرُّ

ثمَّ سأل بعد ذلك عن ربِّ المتره ، فسُمِّي له ؛ وأعلم أن ابن سيد الشاعر المشهور باللص كان حاضراً وأنه أملَى على السفلة^١ ما قال وصنع ، فكتب له أبو جعفر :

يا سميَّ وإن أفادَ اشتراكٌ غيرَ ما يرتضيه فضلٌ وودٌ
أكذا يُزدرى الخليلُ بأفقي أنت فيه ولم يكن منك ردٌ
لا أرى من سلَّطت وغداً ولكن ليس يخفى عليك مَنْ هو وغدٌ

فلمَّا وقف على هذه الأبيات كتب له : يا مولاي وسيلدي ، وأجلّ ذخري للزمان وعَضُدِي ، الذي أفخر بمشاركة اسمه ، وتتيه هذه الصناعة بذكره ورَسَمه^٢ :

وخيرُ الشعرِ أشرفه رجالاً وشرُّ الشعرِ ما قال العبيدُ

سلام كتسنيم ، على ذلك المقام الكريم ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، وإن كان مولاي لم يقاتني بالسلام ، ولا رآني أهلاً لمقاومة الكرام ، لكن حطّ قدري عنده ما تُسب لي من الذنب المختلق ، ولا والله ما نطقت بلسان ولا كنت ممّن رمى ، بل الذي زور لسيلدي في هذه الوشاية كان المعين^٣ عليها ، والملم إليها ، فبادر إليكم قبل أن أسبقه فاتسمَ بأسقط خطتين : الندالة الأولى والوشاية الأخرى ، ولولا أن المجالس بالأمانات ، وأن الخلاعة بساط يطوى على ما كان فيه ، لكننت أسبق منه ، لكنني يأبى ذلك خلقي ، وما تأدبت به ، ومع ذلك فلأني أقول :

١ م : السفية .

٢ م : ووسمه .

٣ ق : العين .

فإن كنتُ ذا ذنبٍ فقد جئتُ تائباً ومثلُكَ غفَّارٌ ومثلُكَ قابلٌ

ولولا ما أخشى من التثقيب ، وما أتوقع من الحجل إذا التقى الوجهان ،
لأثبت حتى أبلغت في الاعتذار بالمشافهة ما لا يسع القرطاس ، لكنني متكل على
حلم سيدي وإغضائه ، متوسل إليه في الغفران بعَلَّاته ، وكتب تحت ذلك شعراً
طويلاً منه :

ولا غرو أن تعفو وأنت ابن مَن غدا تَعَوَّدَ عفواً عن كبارِ الجرائمِ
لكم آلَ عَمَّارٍ بيوتٌ رفيعةٌ تُشَيِّدُ من كسبِ الثنا بدعائمِ
إذا نحنُ أذنبنا رجونا ثوابكم ولم نقتنعْ بالعفوِ دونَ المكارمِ
وإنك فرعٌ من أصولِ كريمةٍ ولا تلدُ الأزهارَ غيرُ الكمامِ
وإنني مظلومٌ لزورٍ سمعتهُ وقد جئتُ أرجو العفو في زيِّ ظالمِ

فأجابه أبو جعفر بما نصّه : سيدي الذي أكبر قدره ، وأجلُّ ذكره ،
وأجزل شكره ، وصَلَّ جوابك الذي لو كان لك من الذنب ما تحمَّله ابن ملجم ،
لأضربت لك عنه صفحاً ونسيت بما تأخَّر ما تقدم ، ومعاذ الله أن أنسب
لفضلك عيباً ، فأذم لك حضوراً أو غيباً ، وإنما قصدت بالمعاتبة ، ما تحتها
من المطارحة والمداعبة ، على أن سيدي لو تيقنت أنه ظالم لأنشدت :

منذُ غدا طرفُكَ لي ظالماً آليتُ لا أدعو على ظالمِ

لكنني أتيقنُ خلافَ ذلك ، وأعلم حتى كأنني حاضر ما كان هنالك ،
وقد أطلتُ عليك ، وبعد هذا فلتعتمد على أن تصل إلي أو أصل إليك ، فهذا
يوم كما قال البُسْتِي^٢ :

يومٌ له فضلٌ على الأيامِ مزَجَ السحابُ ضياءهُ بظلامِ

٢ اليتمة ٤ : ٣٠٤ .

١ م : وأجل .

فالبرقُ يُخَفِّقُ مثلَ قلبِ هائمٍ والغيمُ يبكي مثلَ جَفْنِ هامٍ
فاختر لنفسك أربعاً هنَّ المُنَى وبينَ تصفو لذّةُ الأَيَّامِ
وجهَ الحبيبِ ومنظراً مستشرفاً ومغنياً غرداً وكأسَ مُدامٍ

وقد حضرت عند محبك الثلاثة فكن رابعها ، ونادت بك همم الأمانى فكن
بفضلك سامعها ، ومركز أفلاك هذه المسرة حين كَتَبَ هذه الرقعة إلى مجدك
متره مطلٌ على جزيرة شنتبوس لا أزال أترنم فيه بقول ابن وكيع :

قم فاسقني والخليجُ مضطربٌ والريحُ تثني ذوائبَ القُضْبِ
كأنّهما والرياحُ تعطفها صفٌّ قنّاً سندسيةُ العذبِ
والجوُّ في حلّةٍ ممسّكةٍ قد طرزتها البروقُ بالذهبِ

فإن كان سيدي في مثل هذا المكان ، جربنا إليه جري الحنّلة لخصل الرهان ،
وإن كان في كِسْرِ بيته فليبادر إلى محل تقصر عنه همّة قيصر وكسرى ، وإن
أبطأ فإن الرقاع بالاستدعاء لا تزال عليه تنثرى ، وإن كان لا يجدي هذا الكلام ،
فما تقنع من العقوبة المؤلمة بالملام ، وعلى المودة المرعية الداعية أكل ما يكون
من السلام .

فعندما قرأ الرقعة ركب إليه زورقاً وصنع هذه الأبيات في طريقه ، فعند
وصوله أنشده إياها :

ركبتُ إليكَ النهرَ يا بحرُ فالقنّا بما يتلقّى جودهُ كلِّ قادمٍ
بفيضٍ ولكن من مُدامٍ وهزّةٍ ولكن إلى بذل الندى واللكامِ
وكنّا نسمي قبلَ كونك حانماً ومذْ لُحْتْ فينالُم نُعيدُ ذكْرَ حاتمِ
بآل سعيدٍ يفخرُ السعدُ والعلا فأيلديهمُ تلغي أيادي الغمامِ

فامتلاً أبو جعفر سروراً ، وخلع عليه ما كان عنده هنالك ، ووعد به غير
ذلك ، فأطرق لينظم شيئاً في شكره ، فأقسم عليه أن لا يشغل خاطره في ذلك

الوقت عن الارتياح ، وحثَّ أكؤس الراح ، فأقبلوا على شأنهم ، وكان ابن
سيد في ذلك الحين مستراً بشرب الراح ، وكان عند أبي جعفر خديم كثير النادر
والالتفات ، يخاف أهل التستر من مثله ، فقال ابن سيد : هاتِ دواة وقرطاساً ،
فأعطاه ذلك ، فكتب :

يا سيدي قد علمت أنني	بهذه الحال لا أظاهر
أخشى أناساً لهم عيون ^١	نواظر مني المعابر
أحذرهم طاقتي وإني	وثقت بالله فهو غافر
ولا تقس حالي بحال	منك ^١ اعتذار فالفرق ظاهر
فأنت إن كنت ذا جهار	غير مبال فإلجأه ساتر
لا تخش من قول ذي اعتراض	ولا حسود عليك قادر
وإني قد رأيت ممن	يكثر القول وهو ساخر
ما قد أراب العفيف منه	ضحك وظن به يجاهر
أخشى إذا قيل كيف كنتم	قال بحال تسر ناظر
واللص ما بيننا صريعاً	بكل كأس عليه دائر
مطرحاً للصلاة يصغي	لصولة الدف والمزامر
فأغثدي سيدي مشاراً	إليّ مهما مررت خاطر
وإن أتيت الملوك أبغي	نواهم قيل أي شاعر
يذكر في شعره خلافاً ^٢	وهو لزور المحال ذاكر
بالأمس قد كان ذا انتهاك	فما له بعد ذلك عاذر
إن كان هذا فإن حظي	واقى لربح قاب خاسر

فقال له أبو جعفر : يا أبا العباس ، اشرب هنئلاً غير مقلد ما قلدت ، فلو

١ م : هذا .

٢ م : خلافاً .

كان هذا المضحك على الصفة التي ذكرت كان الذنب منسوباً إلي في كوني
أحضر في مجلسي من يهتك ستر المستورين ، ومهما تراه هنا بهذه الخفة والطيش
والتسرع للكلام فإنه إذا فارقنا أثقل من جبل ، وأصمت من سمكة ، متريّ بيزي
خطيب في نهاية من السكون والوقار :

وتحت الثياب العار لو كان بادياً

فكن في أمن ما شربت معي ، فإنني والله لا أسمع أحداً من أصحابنا تكلم في شأنك
بأمر إلا عاقبته أشد العقاب ، والذنب في ذلك راجع إليّ . فسكن ابن سيد وجعل
يحث الأقداح ، ويمرح أشد المراح ، على ما كان يظهره من الانقباض ، تقيّة
لما يخشاه من الاعتراض ، إلى أن قاربت الشمس الغروب ، ومدّ لها في النهر
معصم مخضوب ، فقال أبو جعفر :

انظر إلى الشمس قد ألصقت على الأرض خدّاً

فقال ابن سيد :

هي المِرْآة ولكن من بعدها الأفق يصدأ

فقال أبو جعفر :

مدّت طرازاً على النهر عند ما لاح بُردا

فقال ابن سيد :

أهدت لطرفك منه ما للأكارم يُهدى

فقال أبو جعفر :

درع اللّجين عليه سيف من التبر مدّاً

فقال ابن سيد :

فاشربْ عليه هنيئاً وزدْ سروراً وسعداً
ثم لما أظلم الليلُ نظروا إلى منارة شنبوس قد عكست مصابيحها في النهر ،
وإلى النجوم قد طلعت فيه ، فقال ابن سيد :

اخْلَعْ على النهرِ ثوبَ الـ كرى فذلك واجبٌ

فقال أبو جعفر :

وانظرْ إلى السُّرْجِ فيه كالزُّهرِ ذاتِ الذوائبِ
وحينَ صَفَّقَ للأفـ قِ نَقَطَتِ الكواكبُ

فقبل ابن سيد رأسه ، وقال : ما تركت بعد هذا مقالا لقائل ، ثم جعلوا
يشربون .

فقال أبو جعفر :

سَقَى والأفقُ بُرْدُ بنجومِ الليلِ مُعَلِّمُ

فقال ابن سيد :

وبساطُ النَّهْرِ منها وهو فِضِّيٌّ مُدْرَهَمُ

فقال أبو جعفر :

ورواقُ الليلِ مُرْخَى والشذا بالروضِ قد نمَّ

فقال ابن سيد :

والتدى في الزهرِ مثو رٌ على عقدٍ مُنَظَّمُ

فقال أبو جعفر :

والصبا جرَّتْ على مَيِّ تِ الطُّلى كفَّ ابنِ مريمِ

فقال ابن سيد :

كان مبهوتاً فلماً نفخت فيه تكلم

فقال أبو جعفر :

وكان الكأس والقهوة دينار ودرهم

فقال ابن سيد :

وبدا الدف يناغي الـ هود والزمار هيم

فقال أبو جعفر :

فأذاع الأئس منا كل ما قد كان مكم

فقال ابن سيد :

أي عيش يهتك المس تور لو كان ابن أدهم

فقال أبو جعفر :

هكذا العيش ودعتي من زمان قد تقدم

فقال ابن سيد :

حين لا خمر سوى ما بكووس البيض من دم

فقال أبو جعفر : والله ما تعديت ما جال الساعة في خاطري ، فإنني ذكرت
أيام الفتنة وما كابدنا فيها من المحن ، وأنا لم نزل في مصادمة ومقارعة ، ثم
رأيت ما نحن الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التي أمنت وسكنت ، فشكرت الله
تعالى ، ودعوت بلدوامها .

ثم لما طلع الفجر قال أبو جعفر :

نثر الطل عقودة ونضا الليل برودة

فقال ابن سيد :

وبدا الصبحُ بوجهٍ مُطلعٍ فينا سودةً

فقال أبو جعفر :

وغدا ينشرُ لنا فتر الليلُ بنودةً

فقال ابن سيد :

فهلُمَّ اشربْ وقبَلْ مَنْ غدا يُنطقُ عودَه

فقال أبو جعفر :

ثمَّ صافحه على رءِىمِ النوى وافركَ نهودَه

فقال ابن سيد :

واجعلِ الشكرَ على ما نلتَه منه جُحودَه

فقال أبو جعفر : يا أبا العباس ، إنك أغرت على التهامي في هذا البيت في

قوله :

وشكرُ أيادي الغانيات جُحودُها

قال : فلمَ لُقِّيت باللصِّ ؟ لولا هذا وأمثاله ما كان ذلك .

واللص المذكور اسمه أحمد بن سيد ، يكنى أبا العباس ، وهو من مشهوري شعراء الأندلس . ولما أنشد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح قوله :

غمَضَ عن الشمسِ واستقصِرَ مدى زحلِ وانظرْ إلى الجبلِ الراسي على جبلِ

قال له : أنت شاعر هذه الجزيرة ، لولا أنك بدأتنا بغمَضٍ وزحلٍ والجبلِ .

ومن بديع نظم اللص قوله :

سَلَبْتُ قلبي بلحظِ أبا الحسينِ خَلُوبِ

فَلَيْمَ أَسْمَى بِلَصِّ وَأَنْتَ لَصُّ الْقُلُوبِ

ولما اجتمع أبو جعفر ابن سعيد المترجم به باللص أبي العباس المذكور في جبل الفتح عندما وفد فضلاء الأندلس على عبد المؤمن ، واستنشدته ، فجعل ينشده ما استجفاه به لخروجه عن حلاوة مَنْزَع أبي جعفر ، إلى أن أنشده قوله :

وما أفنى السؤالُ لكم نوالاً ولكنْ جودكم أفنى السؤال

فقال له أبو جعفر : لا جعلك الله في حل من نفسك ، يكون في شعرك مثل هذا وتنشدني ما كان يحملني على أن أسأتُ معك الأدب ؟ والله لو لم يكن لك غير هذا البيت لكنت به أشعر أهل الأندلس .

وكتب إلى أبي جعفر أبو الحكم بن هرودس^١ في يوم بارد بغرناطة :

يا سَمِيَّ ، في علم مجلدك ما يح تاجُ فيه هذا النهارُ المطيرُ
ندفَ الثلجُ فيه قُطُنًا علينا فقررنا بعدلكم نستجيرُ
والذي أبغنيه في اللحظِ منه ورضاب الذي هويت نظيرُ^٢
يومُ قرَّ يودُ من حلِّ فيه لو تبدى لقلتيه سَعِيرُ

فوجه بما طلب ، وجاوبه بما كتب :

أيها السيد الأجلُّ الوزيرُ الَّذي قدره مُعلَى خطيرُ
قد بعثنا بما أشرتَ إليه دمتَ للأنسِ والسُرورِ تشيرُ
كان لغزاً فككته دون فكرٍ إنَّ فهمي بما تريدُ خيرُ

١ هو أبو الحكم أحمد بن هرودس كاتب عثمان بن عبد المؤمن ملك غرناطة (توفي سنة ٥٧٣ هـ أو في

التي قبلها) انظر المغرب ٢: ٢١٠ والهاشية ، وسيأتي ذكره عند الحديث عن الموشحات والأزجال.

٢ المغرب : ورضاه في كل أمر يسير .

ومن نظم أبي الحكم :

إذا ضاقتْ عَلَيْكَ فَوْلٌ عَنْهَا وَسِرٌّ فِي الْأَرْضِ وَاخْتِيارِ الْعِبَادِ
وَلَا تَمْسُكْ رَحَالَكَ فِي بِلَادٍ غَدَوْتَ بِأَهْلِهَا خَبِيرًا مُعَادَا

٦٦٨ — [أخيل الرندي]

ولما مدح أبو القاسم أخيل بن إدريس الرندي عبد المؤمن في جبل الفتح
بقصيدة أولها :

مَا الْفَخْرُ إِلَّا فَخْرُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَثْنَى عَلَيْهِ كُلُّ عَبْدِ مُؤْمِنٍ

قال أبو جعفر ابن سعيد : دعاه التجنيس إلى الضعف والخروج عن المقصود ،
والأولى أن لو قال « شاد الخلافة وهو أول مُبْتَنِي » .

ومن هذه القصيدة :

أَمَّا ابْنُ سَعْدٍ فَهُوَ أَوَّلُ مَارِقٍ يَا لَيْتَهُ بِأَبِيهِ سَعْدٍ يَكْتَنِي
مَا قَلَدُ مُرْسِيَةٍ وَحَكْمِكَ نَافِذٌ إِنْ شَتَّ مِنْ عَدَنِ الْأَرْضِ الْمَعْدِنِ

فلما أكملها قال له عبد المؤمن : أجدت ، فقال ارتجالاً :

مَنْ لِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَوْقِفِي هَذَا وَقَوْلِكَ لِي أَجَدْتَ وَلَمْ تَنْ
فَلَقَدْ مَلَحْتَكَ خَائِفاً أَنْ لَا يَفِي لَسْتُ بِمَا يُعْجِي جَمِيعَ الْأَلْسَنِ

ولابن إدريس المذكور :

أَيُّهَا الْبَدْرُ هَلْ عَلِمْتَ بِأَنْتِي لَمْ أَبْتَ رَاعِيًا مُحَيَّاكَ وَدًّا
أَنَا لَوْ بَاتَ مَنْ حَكَيْتَ بِجَنِّي لَمْ يَكُنْ عَنْهُ نَاطِرِي يَتَعَدَّى

وله :

شَتَّانَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي الْهَوَى أَنَا أَبْتَغِيكَ وَأَنْتَ عَنِّي تَصْدَفُ
وَإِذَا عَتَبْتُكَ وَارْعَوَيْتُ يَبِينُ لِي فِي الْحَيْنِ مِنْكَ بِأَنَّ ذَاكَ تَكَلَّفُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يُقْضَى وَصَلُنَا وَالْعَمْرُ يَتَقَنَّى وَالْمَوَاعِدُ تُخْلَفُ

وقيل له لما هجره عبد المؤمن : اكتب له واعتذر وبرهن عن نفسك ، فقال :
ما يكون أمير المؤمنين هجرني إلا وقد صحَّ عنده ، ولا أنسبه في أمري لقلّة
التبث والجور ، وإنما أرغب في عفوه ورحمته ، فكأن هذا الكلام ألان عليه
قلب عبد المؤمن لما بلغه ، وكان قد ثقل عنه حسّاده أنه قال : كيف تصحّ
له الخلافة ، وليس بقرشي ؟

٦٦٩ - [ترجمة اللص]

ولا بأس أن نزيد من أخبار اللص الذي جرى ذكرنا له مع أبي جعفر ابن
سعيد فنقول^١ :

هو النحوي المبرز في الشعر أبو العباس أحمد بن سيد ، الإشبيلي ، ذكره
ابن دحية في « المطرب » وأخبر أنه شيخه ، وختم كتاب سيبويه مرتين على
النحوي أبي القاسم ابن الرماك ، واجتمع به أبو جعفر ابن سعيد بجبل الفتح كما
سبق ، ولُقّب اللص لإغارته على أشعار الناس .

وله :

شاموا الردى فأشموا التراب آنفهمْ ولمْ يُبَالُوا بما فيها من الشّمِ
ثم جعل يقول : قطع الله لساني إن كان اليوم على وجه الأرض مَنْ يعرف

١ ترجمة اللص في المغرب ١ : ٢٥٢ والمطرب : ٢٠٠ وبغية الوعاة : ١٤٩ والتكملة : ٨٠ .

أن يسمعه ، فضلاً عن أن يقوله .

وله القصيدة الشهيرة :

نَدَاكَ الْغَيْثُ إِنْ مَحَلُّ تَوَالِي وَأَنْتَ اللَّيْثُ إِنْ شَاءُوا الْقِتَالَا
سَلَبْتَ اللَّيْثَ شِدَّةَ سَاعِدِيهِ نَعَمْ ، وَسَلَبْتَ عَيْنِيهِ الْغَزَالَا
وَمَا أَفْنَى السُّؤَالُ لَكُمْ نَوَالَا وَلَكِنْ جُودَكُمْ أَفْنَى السُّؤَالَا

وقد تقدّم هذا البيت في حكايته مع ابن سعيد

وقال في حلقة خياط ، وهو من محاسنه :

كَأَنَّهَا بِيضَةٌ وَخَزُّ الرَّمَاكِ بِهَا بَادٍ وَقُونَسُهَا بِالسَّيْفِ قَدْ قُطِعَا

وقال :

فَاللَّيْلُ إِنْ وَاصَلْتُ كَاللَّيْلِ إِنْ هَجَرْتُ أَشْكُو مِنَ الطَّوْلِ مَا أَشْكُو مِنَ الْقِصْرِ

رجع إلى أخبار أبي جعفر ابن سعيد :

قال في « الأزهار المنثورة في الأخبار الماثورة » ما نصّه : لما قبض على الوزير أبي جعفر ابن عبد الملك بن سعيد العنسي ، وثقف بمالقة ، دخل إليه ابن عمه ، ووصل إلى الاجتماع به ريثما استؤذن السيد أبو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن في أمره ، قال : فدمعت عيناï حين رأيتَه مكبُولاً ، فقال لي : أعليّ تبكي بعدما بلغتُ من الدنيا أطايب لذاتها ، فأكلتُ صدور الدجاج ، وشربت في الزجاج ، ولبست الديباج ، وتمتعت بالسراري والأزواج ، واستعملت من الشمع السراج الوهاج ، وركبت كل هِمْلَاج ، وها أنا في يد الحجاج ، منتظر محنة الحلاج ، قادم على غافرٍ لا يحتاج إلى اعتذار ولا احتجاج ، قال فقلت : أفلا يوسف

١٠ م : عليه .

على من ينطق بهذا الكلام ، ثم يُفقد ؟ وقمت عنه فكان آخر العهد به ، انتهى .

رجع إلى أخبار النساء :

9 — ومن أشهرهن بالأندلس ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بن الناصر لدين الله^١ ، وكانت واحدة زمانها ، المشار إليها في أوانها ، حسنة المحاضرة ، مشكورة المذاكرة ، كتبت بالذهب على طرازها الأيمن :

أنا والله أصلحُ للمعالي وأمشي مشيتي وأتبعُ تبيها

وكتبت على الطراز الأيسر :

وأمكنُ عاشقي من صحن خلدي وأعطي قلبتي مَنْ يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف ، وفيها خلع ابن زيدون عذاره ، وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات ، وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى ، فظهر لولادة أن ابن زيدون مال إليها ، فكتبت إليه :

لو كنت تُنصِفُ في الهوى ما بيننا لم تهو جاريستي ولم تتخير
وتركت غصناً مثمراً بحماله وجنحت للغصن الذي لم يُثمر
ولقد علمت بأنني بدرُ السما لكن ولعت ، لشقوتي ، بالمشترى

ولقبت ابن زيدون بالسلس ، وفيه تقول :

ولُقبَت السدس وهو نعتُ تفارقت الحياة ولا يفارقُ
فلوطي ومأبون وزانٍ وديوثٌ وقرنانٌ وسارقُ

وقالت فيه :

١ ترجمة ولادة في النخبة ١/١ : ٣٧٦ والمطرب : ٧ والصلة : ٦٥٧ والسيوطي : ١٠١ .

إنَّ ابنَ زيدونَ على فضلهِ يغتابني ظلماً ولا ذنب لي
يلحظني شزراً إذا جثتهُ كأنَّني جثتُ لأخصي علي
وقالت فيه أيضاً :

إنَّ ابنَ زيدونَ على فضلهِ يعشقُ قُضبانَ السراويلِ
لو أبصرَ الأبرَ على نخلةٍ صارَ من الطيرِ الأبايلِ
وقالت ولادة تهجو الأصبحي :

يا أصبحيُّ اهنأ فكم نعمةٍ جاءتك من ذي العرش ربَّ المُنْ
قد نلتَ بأسْتِ ابنك ما لم ينلْ بفرج بُورَانَ أبوها الحسنِ
وكتبت إليه لما أولع بها بعد طول تمنع :

ترقَّبْ إذا جَنَّ الظَّلامُ زيارتي فإنَّني رأيتُ الليلَ أكمَّ للسُرِّ
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلحْ وبالبدْرِ لم يطلعْ وبالنجم لم يسرِّ
ووفت بما وعدت ، ولما أرادت الانصراف ودعته بهذه الأبيات :

ودَّعَ الصبرَ محبَّ ودَّعَكَ ذائعٌ من سره ما استودعكَ
يقرعُ السنَّ على أن لم يكنْ زاد في تلك الخطي إذ شيعكَ
يا أخا البدرِ سناءً وسناً حفظ الله زماناً أطلعكَ
إن يطُلْ بَعْدَكَ ليلي فلکم بتُّ أشكو قِصرَ الليل معكَ

وكتبت إليه :

ألا هلْ لَنَا من بعد هذا التفرقِ سبيلٌ فيشكو كلُّ صبٍّ بما لقي
وقد كنتُ أوقاتَ التزاور في الشِّتا أبيتُ على جمرٍ من الشوق محرقِ
فكيف وقد أمسيتُ في حالٍ قطعةٍ لقد عَجَّلَ المقدورُ ما كنتُ أتقي

تمرُّ الليالي لا أرى البينَ ينقضي ولا الصبرَ من رِقِّ التشوق معتقي
سقى الله أرضاً قد غدت لك منزلاً بكل سَكُوبٍ هاطلٍ الويل مُغْدِقِ
فأجابها بقوله :

لحى الله يوماً لستُ فيه بملتقى محيَاكِ من أجلِ النوى والتفرقِ
وكيف يطيبُ العيشُ دون مسرةٍ وأيُّ سرورٍ للكئيبِ المؤرقِ
وكتب في أثناء الكلام بعد الشعر : وكنت ربما حششني على أن أنبهك
على ما أجد فيه عليك نقداً ، وإنني انتقدت عليك قولك :
سقى الله أرضاً قد غدت لك منزلاً

فلن ذا الرمة قد انتقيدَ عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة :

ألا يا اسلمي يا دارَ ميٍّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ
إذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له ، وأما المستحسن فقول
الآخر :

فسقى ديارك غيرَ مفسدها صَوَّبُ الربيعِ وديمةً نهمي

وبسببها خاطب ابنَ عَبْدُوس بالرسالة المشهورة التي شرحها غيرُ واحد من
أدباء المشاركة كالجهمي ابنِ نُباتة والصفدي وغيرهما ، وفيها من التلميحات
والتنديدات ما لا مزيد عليه .

وقد ذكر ولادة ابنِ بَشْكُوَال في « الصلَّة » فقال : كانت أدبية ، شاعرة ،
جزلة القول ، حسنة الشعر ، وكانت تناضل الشعراء ، وتساجل الأدباء ، وتفوق
البرعاء ، وعمرت عمراً طويلاً ، ولم تتزوج قط ، وماتت لليلتين خلتا من صفر
سنة ثمانين ، وقيل : أربع وثمانين وأربعمئة ، رحمها الله تعالى .

وكان أبوها المستكفي بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر ، كما ألعنا به في غير هذا الموضع ، وكان جاهلاً ساقطاً ، وخرجت هي في نهاية من الأدب والظرف : حضور شاهد ، وحرارة أوابد ، وحسن منظر ونخب ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة متدي لأحرار مصر ، وفناؤها ملعباً بلحياد النظم والنثر ، يعيش أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهالك أفراد الشعراء والكتّاب على حلاوة عشرتها ، وعلى سهولة حجابها ، وكثرة مُنتابها ، تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أثواب ، على أنها أوجدت للقول فيها السيلَ بقلّة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها . ولما مرت بالوزير أبي عامر ابن عبدوس وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الأمطار ، وربما استمدت بشيء ممّا هنالك من الأقدار ، وقد نشر أبو عامر كُميّه ، ونظر في عِطْفِيّه ، وحشر أعوانه إليه ، فقالت له :

أنتَ الخصيبُ وهذه مصرُ فتدقّقاً فكلّاكما بحرُ

فركته لا يحير حرقاً ، ولا يرد طرفاً .

وقال في « المغرب » بعد ذكره أنّها بالغرب كعلّية بالشرق : إلا أن هذه تزيد بمزية الحسن الفائق ، وأمّا الأدب والشعر والنادر وخفّة الروح فلم تكن تقصر عنها ، وكان لها صنعة في الغناء ، وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وإنشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك ، وفيها يقول ابن زيلون :

بنم وبنّا فما ابتلّت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفّت مآقينا

وقال أيضاً يخاطب ابن عبدوس لاشترائه معه في هواها :

أثرتَ هزْبَ الشرى إذ ربّضَ ونبّهته إذ هذا فاغتمضَ

وما زلتَ تبسطُ مسترسلاً إليه يدَ البغي لما انقبضَ

حذارِ حذارِ فإنَّ الكريمَ إذا سيمَ خَسَفًا أبى فامتعضُ
 وإنَّ سكونَ الشجاعِ النَّهْوِ سرِّ ليس بمانعه أن يععضُ
 عمدتَ لشعري ولم تتثدِّ تعارضُ جوهره بالعَرْضِ
 أضاقَتِ أساليبُ هذا القرى ضِ أم قد عفا رسمه فانقرضُ
 لعمري فوقَ سهمِ النضالِ وأرسلتهُ لو أصبتَ الغرضُ

ومنها :

وغرَّكَ من عهدٍ ولادةٍ سرَّابُ تراءى وبرقٍ ومَضُ
 هي الما يعزُّ على قابضٍ ويُمْنَعُ زُبْدَتُهُ من مَخْضُ

ومن أخبار ولادة مع ابن زيدون ما قاله الفتح في القلائد^١ : إن ابن زيدون كان يكتلف بولادة ويهيم ، ويستضيء بنور محياها في الليل البهيم ، وكانت من الأدب والظرف ، وتتميم السمع والظرف ، بحيث تخلص القلوب والألباب ، وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب ، فلما حل بذلك الغرب ، وانحل عقد صبره بيد الكرب ، فرَّ إلى الزهراء ليتوارى في نواحيها ، ويتسلى برؤية موافيقها ، فوافاها والربيع قد خلج عليها بُرده ، ونشر سوسنَه وورده ، وأترع جداولها ، وأنطق بلابلها ، فارتاح ارتياح جميل بوادي القرى ، وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى ، فتشوق إلى لقاء ولادة وحن ، وخاف تلك النوائب والمحن ، فكتب إليها يصف فرط قلقه ، وضيق أمله إليها وطلقه ، ويعلمها أنه ما سلا عنها بخمر ، ولا خبا ما في ضلوعه من مُلتهبِ جمر^٢ ، ويعاتبها على إغفال تعهده ، ويصف حسن محضره بها ومشهده :

إنِّي ذكركِ بالزهراء مشتاقا والأفق طلقَ ووجه الأرضِ قد راقا

١ القلائد : ٧٣ .

٢ ويعلمها . . . جمر : سقط هذا من القلائد المطبوع .

وللتسيم اعتلالٌ في أصائله
والروضُ عن مائه الفضيّ مبتسمٌ
يومٌ كأيّام لذّاتٍ لنا انصرمتُ
نلهو بما يستميلُ العينَ من زهرٍ
كأنَّ أعينه إذ عاينتُ أرقى
وردٌ تألّقَ في ضاحي منابته
سرى ينافحه نيلوفرٌ عبقٌ
كلُّ يهيجُ لنا ذكرى تشوقنا
لو كان وقى المني في جمعنا بكمُ
لا سكّن الله قلباً عن ذكركمُ
لو شاء حملي نسيمُ الريح حين هفا
يا عيلقي الأخطر الأسنى الحبيب إلى
كان التجاري بحض الودّ مذ زمن
فالآن أحمد ما كنّا لعهدكمُ

كأنّما رقّ لي فاعتلّ إشفاقا
كما حلتَ عن اللّبات أطواقا
بتنا لها حين نامَ الدهرُ سرّاً
جال الندى فيه حتى مالَ أعناقا
بكّتْ لما بي فجال الدمعُ رَقراقا
فازداد منه الضحى في العينِ إشراقا
وسنان نَبّه منه الصبحُ أحداقاً
إليك ، لم يعد عنها الصدرُ أن ضاقا
لكان من أكرم الأيّام أخلاقا
فلم يطيرَ بجنّاح الشوق خفّاقا
وفاكمُ بفتى أضناه ما لاقى
نفسى إذا ما اقتنى الأحبابُ أعلاما
ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
سلوتُم وبقيتنا نحن عشاقا

وقال أيضاً^١ : إن ابن زيدون لم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر ، ويباح دمه
دونها ويُهْدَر ، لسوء أثره في ملك قرطبة وواليتها ، وقبائح كان ينسبها إليه
ويواليها ، أحقدت بني جهور عليه ، وسددت أسهمهم إليه ، فلمّا يش من لقيها ،
وحُجِب عنه مُحَيّاها ، كتب إليها يستديم عهدا ، ويؤكد ودّها ، ويعتذر
من فراقها بالخطب الذي غشيه ، والامتحان الذي خشيه ، ويُعلمها أنّه ما سلا
عنها بخمر ، ولا خبا ما في ضلوعه من ملتهب الجمر ، وهي قصيدة ضربت في
الإبداع بسهم ، وطلعت في كل خاطر ووهم ، ونزعت مترعاً قصر عنه حبيب
وابن الجهم ، وأولها :

بنم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
تكادُ حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
وأخبار ولادة كثيرة ، وفيما ذكرناه كفاية .

10 — ومن المشهورات بالأندلس « اعتماد »^١ جارية المعتمد بن عباد ، وأم أولاده ، وتشتهر بالرُميكية ، وفي المسهب والمغرب أنه ركب المعتمد في النهر ومعه ابن عمّار وزيره ، وقد زردت الريح النهر ، فقال ابن عباد لابن عمار : أجز :

صنع الريحُ من الماء زَرْدُ

فأطال ابن عمّار الفكرة ، فقالت امرأة من الغسالات :

أيّ درعٍ لقتالٍ لو جَمَدُ

فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به ، مع عجز ابن عمّار ، ونظر إليها فإذا هي صورة حسنة ، فأعجبته فسألها : أذات زوج هي ؟ فقالت : لا ، فتزوجها .
وولدت له أولاده الملوك النجباء ، رحمهم الله تعالى .
وحكى البعض منهم صاحب « البدائع » بسنده إلى بعض أدباء الأندلس .
وسمّاه ولم يحضرنني الآن ، أنه هو الذي قال للمعتمد :

أيّ درعٍ لقتالٍ لو جمد

قال : فاستحسنه المعتمد ، وكنّتُ رابعاً في الإنشاد فجعلني ثانياً ، وأجازني بجائزة سنية .

قال ابن ظافر : وقد أخذت هذا المعنى ، فقلت أصف روضاً :

١ القلائد : ٢٢ ؛ وانظر المجلد ٣ : ٦٠٦ .

فلو دام ذلك النبتُ كان زبرجداً ولو جمّدت أنهاره كان بلّورا
ولمّا قال ابن ظافر :

قد أذكتِ الشمسُ على الما لهباً
قال القاضي الأعز :

فكستِ الفضةَ منه ذهباً

رجع :

ولمّا خُلع المعتمد وسُجن بأغمار قالت له : يا سيدي لقد هُنتا هُنا ، فقال :

قالتُ لقد هُنتا هُنا مولاي أينَ جاهُنا
قُلْتُ لها إلهُنا صيرنا إلى هُنا

وحكي أنّها قالت له وقد مرض : يا سيدي ، ما لنا قدرة على مرَضاتك في
مرضاتك .

ولمّا قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة في المعتمد والرّمكية أغرت
المعتمد به حتى قتله ، وضربه بالطبرزين ففلق رأسه ، وترك الطبرزين في رأسه ،
فقال الرميكية : قد بقي ابن عمار هدهداً ، والقصيدة أوّلها :

ألا حيّ بالغرب حيّاً حِلّالا أناخُوا جِمالاً وحازُوا جِمالاً
وعرّجَ بيومينَ أمّ القرى ونَمَ فَعسى أن تراها خيالاً

ويومين : قرية بإشبيلية كانت منها أولية بني عباد ، وفي هذه القصيدة يقول
معرّضاً بالرّمكية :

تخيرتها من بنات الهجانِ رُميكيةً ما تساوي عقلا

فجاءت بكلّ قصير العِذارِ لثيمِ السَّجارينِ عمّاً وخالا
 قصارِ القدودِ ولكنَّهم أقاموا عليها قروناً طوالا
 أتذكر أيامنا بالصِّبا وأنت إذا لحتَ كنتَ الهلالا
 أعانقُ منك القضيبةَ الرطيبَ وأرشفُ من فيك ماءً زلالا
 وأقنعُ منك بدونِ الحرامِ فتقسِمُ جهدك أن لا حلالا
 سأهتك عرضك شيئاً فشيئاً وأكشفُ سترك حالا فحالا

ومنها :

فيا عامرَ الخليلِ يا زَيْدَها منعتَ القرى وأبحتَ العيالا

وسبب قول ابن عمّار هذه القصيدة أن المعتمد ندّر به وذيل على قصيدته
 الرائية المذكورة في القلائد بعد قوله :

كيف انفلتُ بالخديعةِ من يدَيَّ رجلِ الحقيقةِ من بني عمّارِ
 وسخر به في أبيات مشهورة .

٢٧٠ — [أخبار المعتمد]

قال الفتح في حق المعتمد بعد كلام : وما زالت عقارب تلك الداخلة تدبّ ،
 ويريحها العاصفة تهب ، ونارها تقيّد ، وضلوعها تحنق وتحقد ، وتضمر الغدر
 وتعتمد ، حتى دُخِلَ البلد من واديه ، وبدت من المكروه بّواديه ، وكرّ عليه
 الدهر بعوائلده وعوآديه ، وهو مستمسك بعُرَى لذّاته ، منغمس فيها بذاته ،
 ملقّى بين جواريه ، مغترّ بودائع ملكه وعواريه ، الّتي استرجعت منه في يومه ،
 ونبّهه فواتها من نومه ، ولما انتشر الداخلون في البلد ، وأوهنوا القوَى والجلد ،

خرج والموت يتسعر في الحاظه ، ويتصور من ألفاظه ، وحسامه يعد بمضائه ،
ويتوقد عند انتضائه ، فلقبهم برحبة القصر ، وقد ضاق بهم فضاؤها ، وتضعضت
من رجعتهم أعضاؤها ، فحمل فيهم حملة صيرتهم فِرَقاً ، وملأهم فِرَقاً ، وما زال
يوالي عليهم الكر المعاد ، حتى أوردتهم النهر وما بهم جواد ، وأودعهم
حشاه كأنهم له فؤاد . ثم انصرف وقد أيقن بانتهاء حاله ، وذهاب ملكه
وارتحاله ، وعاد إلى قصره واستمسك فيه يومه وليلته مانعاً لحوزته ، دافعاً للذل
عن عزته ، وقد عزم على أفطع أمر ، وقال : بيدي لا بيد عمرو ، ثم صرفه تُفاه ،
عمّا كان نَوَاه ، فترل من القصر بالقصر ، إلى قبضة الأسر ، فقيدَ للحين ،
وحان له يوم شر ما ظنَّ أنه يحين ، ولما قيدت قدماءه ، وذهبت عنه رقة الكبل
ورُحماءه ، قال يخاطبه :

إليكَ فلو كانت قُيُودُكَ أسعرتُ تَصَرَّمَ منها كلُّ كفٍّ ومعصمٍ
مخافةً من كانَ الرجالُ بسَيْبِهِ ومن سَيْفِهِ في جَنَّةٍ أو جهنمٍ

ولما آله عَصَهُ ، ولازمه كسره ورَضَهُ ، وأوهاه ثقله ، وأعياه نقله ، قال :

تبدلتُ من عزِّ ظلِّ البنودِ بذُلِّ الحديدِ وثقلِ القيودِ
وكان حديدِي سناناً ذليلاً وعضباً رقيقاً صقيلاً الحديدِ
فقد صارَ ذاكَ وذا أدْهُماً يَعْصُ بِسَاقِيَّ عَصَ الأسودِ

ثم جُمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت ، وضمتهم جوانحها كأنهم
أموات ، بعدما ضاق عنهم القصر ، وراق منهم العصر ، والناسُ قد حشروا
بضفي الوادي ، وبكوا بدموع كالغواصي ، فساروا والنوحُ يَحْدُوهم ،
والنوحُ باللوعة لا يعدوهم ، وفي ذلك يقول ابن اللبّانة :

تبكي السماءُ بِمُزْنٍ راتِحٍ غادٍ على البهاليلِ من أبناءِ عبادِ
على الجبالِ التي هُدَّتْ قواعدها وكانت الأرضُ منها ذاتَ أوتادِ

عَرِيْسَةٌ دَخَلَتْهَا النَّائِبَاتُ عَلَى
وَكَمْبَةٍ كَانَتْ الْآمَالُ تَخْدُمُهَا
يَا ضَيْفُ أَقْفَرِ بَيْتِ الْمَكْرَمَاتِ فَخَذُ
وَيَا مُؤَمِّلَ وَادِيهِمْ لَيْسَ كَنْتَهُ
وَأَنْتَ يَا فَارِسَ الْخَيْلِ الَّتِي جَعَلْتُ
أَلْتَقِيَ السِّلَاحَ وَخَلَّ الْمَشْرِفُ فَقَدْ
لَمَّا دَنَا الْوَقْتُ لَمْ تَخْلَفْ لَهُ عِدَّةً
إِنْ يُخْلَعُوا قَبْنُو الْعَبَاسِ قَدْ خَلَعُوا
حَمَوًا حَرِيمَهُمْ حَتَّى إِذَا غَلَبُوا
وَأَنْزَلُوا عَنْ مَتُونِ الشَّهْبِ وَاحْتَمَلُوا
وَعِثَ فِي كُلِّ طَوْقٍ مِنْ دُرُوعِهِمْ
نَسِيتُ إِلَّا غَدَاةَ النَّهْرِ كَوْنَهُمْ
وَالنَّاسُ قَدْ مَلَأُوا الْعَبْرَيْنِ وَاعْتَبَرُوا
حُطَّ الْقِنَاعُ فَلَمْ تُسْتَرْ مَخْدَرَةٌ
حَانَ الْوِدَاعُ فَضَجَّتْ كُلُّ صَارِخَةٍ
سَارَتْ سَفَائِنُهُمْ وَالنَّوْحُ يَصْحَبُهَا
تَكْمُ سَالٍ فِي الْمَاءِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ

أَسَاوِدٍ لَهُمْ فِيهَا وَآسَادُ
فَالْيَوْمَ لَا عَاكِفٌ فِيهَا وَلَا بَادُ
فِي ضَمٍّ رَحْلِكَ وَاجْمَعْ فَضْلَةَ الزَّادِ
خَفَّ الْقَطِينُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالْوَادِي
تَخْتَالُ فِي عُدَدٍ مِنْهُمْ وَأَعْدَادُ
أَصْبَحَتْ فِي لَهَوَاتِ الضَّيْعِ الْعَادِي
وَكُلُّ شَيْءٍ لَمِيقَاتٍ وَمِيعَادُ
وَقَدْ خَلَتْ قَبْلَ حِمَصٍ أَرْضُ بَغْدَادِ
سَيَقُوا عَلَى نَسَقٍ فِي حَبْلِ مَقْتَادِ
فَوْقَ دُهُمٍ لَتَلِكِ الْخَيْلِ أُنْدَادُ
فَصَيَغَ مِنْهُمْ أَغْلَالٌ لِأَجْيَادِ
فِي الْمُنَشَّاتِ كَأَمْوَاتٍ بِالْحَادِ
مِنْ لَوْلَا طَافِيَاتٍ فَوْقَ أَزْيَادِ
وَمُرَّقَتْ أَوْجُهُ تَمْزِيقَ أَبْرَادِ
وَصَارَخَ مِنْ مُفْدَاةٍ وَمِنْ فَادِ
كَأَنَّهَا إِبِلٌ يَحْدُو بِهَا الْحَادِي
تِلْكَ الْقَطَائِعُ مِنْ قَطْعَاتِ أَكْبَادِ

انتهى ما قصد جلبيه من كلام الفتح رحمه الله تعالى وسامحه .
وقال ابن اللبَّانة في كتاب « نظم السلوك في مواعظ الملوك في أخبار
الدولة العبادية » : إن طائفة من أصحاب المعتمد خامرت عليه ، فأعلم باعتقادها ،
وكشف له عن مرادها ، وحض على هتك حرَمها ، وأغري بسفك دَمها ، فأبى
ذلك مجدُّه الأثيل ، ومذهبه الحميل ، وما خصَّه الله تعالى به من حسن اليقين ،
وصحة الدين ، إلى أن أمكنتهم الغرة فانتصروا ببغاث مُسْتَنَسِر ، وقاموا يجمع

غير مستبصر ، فبرز من قصره ، متلافياً لأمره ، عليه غلالة ترفُّ على جسده ،
وسيفه يتلظى في يده :

وذاك السيفُ راقٍ وراعٍ حتى كأنَّ عليه شِمةً منتضيه
كأنَّ الموتَ أودعَ فيه سرّاً ليرفعه إلى يومٍ كريهٍ

فلقي على باب من أبواب المدينة فارساً مشهوراً بنجدة ، فرماه الفارس برمح
النوى على غلالته ، وعصمه الله تعالى منه ، وصبَّ هو سيفه على عاتق الفارس ،
فشقه إلى أضلاعه ، فخرَّ صريعاً سريعاً ، فرأيت القائمين عندما تسنموا الأسوار
تساقطوا منها ، وبعدها أمسكوا الأبواب تخلَّوا عنها ، وأخذوا على غير
طريق ، وهوت بهم ريح الهيبية في مكان سحيق ، فظننا أن البلد من أقذائه قد
صفا ، وثوب العصمة علينا قد ضفَّ ، إلى أن كان يوم الأحد الحادي والعشرون
من رجب فعظم الأمر في الخطب الواقع ، واتسع الحرق فيه على الراقع ، ودخل
البلد من جهة واديه ، وأصيب حاضره بعادية بادية ، بعد أن ظهر من دفاع المعتمد
وبأسه ، وتراميه على الموت بنفسه ، ما لا مزيد عليه ، ولا انتهى خلق إليه ،
فشئت الغارة في البلد ، ولم يُبق فيه على سبَد لأحد ولا لبد ، وخرج الناس من
منازلهم ، يسترّون عوراتهم بأناملهم ، وكُشفت وجوه المخدرات العذاري ،
ورأيت الناس سُكاري ، وما هم بسكاري ، ورُحل بالمعتمد وآله ، بعد استئصال
جميع ماله ، لم يصحب معه بُلغة زاد ، ولا بغية مراد ، فأمضيت عزيمتي في
اتباعه ، فوصلت إليه بأغصات عقب ثقاف استنقذه الله منه ، فذكرت به شعراً
كان لي في صديق اتفق له مثل ذلك في الشهر بعينه من العام الماضي ، وهو الأمير
أبو عبد الله ابن الصفار ، وهو :

لم نقلُ في الثقافِ كانَ ثقافاً كنتَ قلباً به وكانَ شغافاً
يمكثُ الزهرُ في الكمامِ ولكنَّ بعدَ مكثِ الكمامِ يدنو قِطافاً
وإذا ما الهلالُ غابَ بغيمٍ لم يكنْ ذلكَ المغيبُ انكسافاً

إنّما أنْتَ درّةٌ للمعالي ركبَ الدهرُ فوقها أصدافا
حجب البيتُ منك شخصاً كريماً مثلما تحجبُ الدنانُ السُّلَفا
أنتَ للفضلِ كعبةٌ ولو آتني كنتُ أسطيعُ لاستطعتُ الطوافا

قال أبو بكر : وجرت بيني وبينه مخاطبات ألد من غفلات الرقيب ،
وأشهى من رَشَفَات الحبيب ، وأدل على السماح ، من فجر على صباح ، انتهى^١ .
ثم قال : ولما خلع المعتمد وذهب إلى أغمات طلب من حواء بنت تاشفين
خباء عارية ، فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء ، فقال :

هم أوقدوا بينَ جنبيكَ نارا أطلالوا بها في حشاك استعارا
أما ينجلُ المجدُ أنْ يُرحلوك ولم يصحبوك خباء معارا
فقد قنعُوا المجدَ إن كان ذاك وحاشاهمُ منك خزيّاً وعارا
يقلُّ لعينيك أن يجعلُوا سوادَ العيونِ عليكم شعارا

ثم إنّه بقي مأسوراً بأغمات إلى سنة ٤٨٦ ، فأخذ بمالقَة رجل كبير يُعرف
بابن خلف ، فسُجن مع أصحاب له ، فتقبوا السجن وذهبوا إلى حصن منت ميور
ليلاً فأخرجوا قائدها ، ولم يضروه ، وبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رجل ،
فسألوه فإذا هو عبد الجبّار بن المعتمد ، فولوه على أنفسهم ، وظن الناس أنّه
الراضي ، فبقي في الحصن ، ثم أقبل مركب من الغرب يُعرف بمركب ابن الزرقاء ،
فانكسر بمرسى الشجرة قريباً من الحصن ، فأخذوا بنوده وطبوله وما فيه من
طعام وعدة فاتسعت بذلك حالتهم ، ثم وصلت أم عبد الجبار إليه ، ثم خاطبه أهل
الجزيرة وأهل أركش فدخلها سنة ٤٨٨ ، ولما بلغ خبر عبد الجبّار إلى ابن تاشفين
أمر بثقاف المعتمد في الحليده ، وفي ذلك يقول :

قيدي أما تعلمني مُسلِماً أبَيّت أن تشفقَ أو ترحما

١ زاد في م ورقة ونصف ورقة ، ولكنّا أثّرنا عدم إثباتها هنا لأنها سترد في سياق الأخبار من بعد .

يُبْصِرُنِي فِيكَ أَبُو هَاشِمٍ فَيَنْثِي الْقَلْبُ وَقَدْ هُشِمَا

وَبَقِيَ إِلَى أَنْ تَوْفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٤٨٨ .

وقد ساق الفتح قضية ثورة عبد الجبار بن المعتمد بعبارة البارة فقال^١ :
وأقام بالعلوة برهة لا يروّع له سرب وإن لم يكن آمناً ، ولا يثور له كرب
وإن كان في ضلوعه كامناً ، إلى أن ثار أحدُ بنيهِ بأركش - معقل كان مجاوراً
لإشبيلية مجاورة الأنامل للراح ، ظاهر على بسائط وبطاح ، لا يمكن معه عيش ،
ولا يتمكن من منازلته جيش ، فغدا على أهلها بالمكاره وراح ، وضيقَ عليهم
المتسع من جهاتها والبراح ، فسار نحوه الأمير سير بن أبي بكر^٢ رحمة الله عليه ،
قبل أن يرتدّ طرف استقامته إليه ، فوجده وشره قد تشمّر ، وضره قد
تمرّ ، وجمره متسعر ، وأمره متوعر ، فتزل عدوته ، وحلّ للحزم
حُبوتّه ، وتدارك داءه قبل إعضاله ، ونازله وما أعدّ آلات نضاله ، وانحشدت
إليه الجيوش من كل قطر ، وأفرغ من مسالكة كل قطر ، فبقي محصوراً
لا يشدّ إليه إلاّ سهم ، ولا ينفذ عنه إلاّ نفس أو وهم ، وامتسك شهوراً
حتى عرضه أحدُ الرماة بسهم فرماه ، فأصماه ، فهوى في مطلعهِ ، وخرّ
قتيلاً في موضعه ، فدُفن إلى جانب سريرهِ . وأمنَ عاقبة تغديرهِ ، وبقي أهله
مبتنعين مع طائفة من وزرائهِ حتى اشتد عليهم الحصر . وارتدّ عنهم
النصر ، وعمهم الجوع ، وأغبّ أجفانهمُ المهجوع ، فتزلت منهم طائفة متهافته ،
وولت بأنفاس خافتة ، فتبعهم من بقي ، ورغب في التّنع من شقي ، فوصلوا
إلى قبضة الملمات ، وحصلوا في غصة الممات ، فوسمهم الحيف ، وتقسمهم
السيف ، ولما زار الشّبل خيفت سؤرة الأسد ، ولم يُرجّ صلاح الكل والبعض
قد فسّد ، فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال وأثناءها ، وأحلّ ساحة الخطوب

١ القلائد : ٢٥ .

٢ زاد في م : أمير ابن تاشفين .

وفناءها ، وحين أركبوه أسودا ، وأورثوه حُزناً بات له معاودا ، قال :

غنتك أغماتية الألحان	ثقلت على الأرواح والأبدان
قد كان كالثعبان رُمحك في الورى	فعدا عليك القيد كالثعبان
متمرداً يحملك كل تمرد	متعطفاً لا رحمة للعاني
قلبي إلى الرحمن يشكو بثه	ما خاب من يشكو إلى الرحمن
يا سائلاً عن شأنه ومكانه	ما كان أغنى شأنه عن شان
هاتيك قيته وذلك قصره	من بعد أي مقاصير وقيان

ولما فقد من يجالسه ، وبعد عنه من كان يؤانسه ، وتمادى كربه ، ولم تسالنه
حربه ، قال :

تؤمل للنفس الشجيرة فرجة	وتأبى الخطوب السود إلا تماديا
لياليك في زاهيك أصفى صحبتها	كذا صحبت قبلي الملوك اللياليا
نسيم وبؤس ذاك لذلك ناسخ	وبعدهما نسخ المتأيا الأمانيا

ولما امتدت في الثقاف مدته ، واشتدت عليه قسوة الكبل وشدته ، وأقلقتهم
همومه ، وأطبقتهم غمومه ، وتوالت عليه الشجون ، وطالت لياليه الجئون ، قال :

أنباء أسرك قد طبقت آفاقا	بل قد عممن جهات الأرض إقلاقا
سرت من الغرب لا تطوى لها قدم	حتى أتت شرقها تنعاك إشرافا
فأحرق الفجع أكباداً وأفئدة	وأغرق الدمع آفاقاً وأحداقا
قد ضاق صدر المعالي إذ نُعيت لها	وقيل : إن عليك القيد قد ضاقا
أتى غلبت وكنت الدهر ذا غلب	للغاليين ولأسباق سباقا
قلت الخطوب أذلتني طوارقها	وكان غربي إلى الأعداء طراقا

مَتَى رَأَيْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَارِكَةً إِذَا انْبَرَتْ لِنُوِي الْأَخْطَارِ أَرْمَاقَا

وقال لي من أثنه : لما ثار ابنه حيث ثار ، وأثار من حقد أمير المسلمين عليه ما أثار ، جزع جزعاً مفرطاً ، وعلم أنه قد صار في أنشودة الشر متورطاً ، وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ، ويتوجع منه ويتألم ، ويقول : عرض بي للمحن . ورضي لي أن أمتحن ، ووالله ما أبكي إلاّ انكشاف من أتخلفه بعدي ، ويتحيفه بعدي ، ثم أطرق ورفع رأسه وقد تهلت أسرته ، وظللت مسرته ، ورأيت قد استجمع ، وتشوف إلى السماء وتطلع ، فعلمت أنه قد رجا عودةً إلى سلطانه وأوبةً إلى أوطانه ، فما كان إلاّ بمقدار ما تنداح دائرة ، أو تلتفت مقلة حائرة ، حتى قال :

كذا يهلكُ السيفُ في جفنه	إلى هزّ كفتي طويلَ الحنينِ
كذا يعطشُ الرمحُ لم أعثله	ولم تروه من نجيعٍ يميني
كذا يُمنعُ الطرفُ عنك الشكي	م مرتقباً غيرةً في كمينِ
كأنّ القوارسَ فيه ليوثُ	تراعي فرائسها في عرينِ
ألا شرفُ يرحمُ المشرفي	مما به من شمات الوتينِ
ألا كرمُ ينعشُ السّمهري	ويشفيه من كلّ داء دفينِ
ألا حنةُ لابنِ حنينة	شدّيدِ الحنينِ ضعيفِ الأنينِ
يؤملُ من صدرها ضمة	تبوّته صدرَ كفتي معينِ

وكانت طائفة من أهل فاس قد عاثوا فيها وفسقوا ، وانتظموا في سلك الطغيان واتسقوا ، ومنعوا جفون أهلها السنات ، وأخذوا البنين من حجور آبائهم والبنات ، وتلقبوا بالإمارة ، وأركبوا سوء نفوسهم الأمارة ، حتى كادت أن تقفر على أيديهم ، وتدثر رسومها بإفراط تعدّيهم ، إلى أن تدارك أمير المسلمين رحمه الله تعالى أمرهم ، وأطفأ جمرهم ، وأوجعهم ضرباً ، وأقطعهم ما شاء حزناً وكرباً ، وسجنهم بأغصات ، وضمّتهم جوانح الملمات ،

والمعتمد إذ ذاك معتقل هناك ، وكانت فيهم طائفة شعرية ، مُذنبَة أو بريّة ، فرغبوا إلى سجانهم ، أن يستريحوا مع المعتمد من أشجانهم ، فَخَلَّتْ ما بينهم وبينه ، وغمض لهم في ذلك عَيْنَه ، فكان المعتمد رحمه الله تعالى يَتَسَلَّى بمجالستهم ، ويجد أثر مؤانستهم ، ويستريح إليهم بِجَوَاهِ . ويُبوح لهم بسرّه ونجواه ، إلى أن شُفِعَ فيهم وانطلقوا من وثاقهم ، وانفرج لهم مُبْتَهَمَ أَغْلَاقِهِمْ ، وبقي المعتمد في محبسه^١ يشتكي من ضيق الكبل ، ويكي بدمع كالوَبَل ، فدخلوا عليه مُودَعِينَ ، ومن بثه متوجعين ، فقال :

أما لانسكابِ الدَّمْعِ في الحَدِّ راحَةً^٢ لقد آن أن يَفْتَنِي ، وَيَفْنِي به الخلدُ
هبوا دعوةً يا آل فاسٍ لِمَبْتَلَى بما منه قد عافاكمُ الصِّدِّ الفردُ
تَخَلَّصْتُمْ من سجنِ أَغْمَاتٍ وَالتَّوْتِ عليّ قيودُ^٣ لم يَحْنُ فكُها بعدُ
مِنْ الدُّهُمِ أما خَلَقُها فَأَسَاوِدُ^٤ تَلَوَى وأما الأيدُ والبَطْشُ فالأَسَدُ
فهنيمُ النِّعْمَا ، ودامتْ لِكُلِّكُمْ سَعَادَتُهُ^٥ إنْ كانَ قَدَّ خَانِي سَعَدُ
خَرَجْتُمْ جَمَاعَاتٍ وَخُلِقْتُمْ وَاحِدًا وَلِلَّهِ فِي أَمْرِي وَأَمْرِكُمْ الْحَمْدُ

ومر عليه في موضع اعتقاله سِرْبٌ قَطَأَ لم يعلق لها جناح ، ولا تعلّق بها من الأيام جُنَاح ، ولا عاقها عن أفراخها الأشرار ، ولا أعوزها البِشَام ولا الأراك ، وهي تمرح في الجو ، وتسرح في مواقع النّو ، فتتكّد بما هو فيه من الوثاق ، وما دون أحبته من الرقباء والأغلاق ، وما يقاسيه من كبَله ، ويعانيه من وجده وخَبَله ، وفكر في بناته وافئزارهنّ إلى نعيم عَهْدِنَهُ ، وجبور حَضَرِنَهُ وشَهِدِنَهُ ، فقال :

بَكَيْتُ إلى سِرْبِ القِطَا إذْ مَرَرَنِي سَوَارِحَ لَا سَجَنُ يَعُوقُ وَلَا كَبَلُ^٦
وَلَمْ تَكُ ، وَاللَّهُ المَعِيدُ ، حَسَادَةً^٧ وَلَكِنْ حِينِيأَ أَنْ شَكَلِي لها شَكْلُ

١ القلاذ : في مجلده .

فأسرَحْ لا شَمْلِي صَدِيقُ ، ولا الحشا وجِيعُ . ولا عَيْنَايَ يُبْكِيهِمَا ثُكْلُ
هَنِيئًا لَهَا أَنْ لَمْ يُفَرِّقْ جَمِيعَهَا ولا ذَاقَ مِنْهَا الْبُعْدَ عَنْ أَهْلِهَا أَهْلُ
وإِذْ لَمْ تَبْتَ مِثْلِي تَطِيرُ قُلُوبَهَا إِذَا اهْتَرَّ بَابُ السَّجْنِ أَوْ صَلَّصَ الْقِفْلُ
وَمَا ذَاكَ مِمَّا يَعْتَرِيهِ ، وَإِنَّمَا وَصَفْتُ الَّتِي فِي جِبِلَّةِ الْخَلْقِ مِنْ قَبْلُ
لِنَفْسِي إِلَى لُقْيَا الْحِمَامِ تَشَوُّفُ سِوَايَ يَحِبُّ الْعِيشَ فِي سَاقِهِ كَبْلُ
أَلَا عَصَمَ اللَّهُ الْقَطَا فِي فِرَاحِهَا فَإِنَّ فِرَاحِي نَحَانُهَا الْمَاءُ وَالظَّلُّ

وفي هذه الحالة زاره الأديب أبو بكر ابن اللبانة ، وهو أحد شعراء دولته
المرتضعين دِرَرَهَا ، المتجعجين دُرَرَهَا . وكان المعتمد رحمه الله تعالى يميزه
بالشفوف والإحسان ، ويمجّزه في فرسان هذا الشأن ، فلما رآه وحلقات الكبّل
قد عضت بساقيه عض الأسد ، والتوت عليه التواء الأسود السود ، وهو لا
يُطِيقُ لِعَمَالِ قَدَمٍ . ولا يُرِيقُ دُمْعًا إِلَّا مَمْرُوجًا بِدَمٍ ، بعدما عهده فوق منبر
وسرير ، ووسط جنة وحريز ، تخفق عليه الألوية ، وتشرق منه الأنديّة ،
وتكيف الأمطار من راحته ، وتشرف الأقدار بحلول ساحتها ، ويرتاع الدهر
من أوامره ونواهيها ، ويقصر النسر أن يقارنه أو يضاهيه ، ندبته بكل مقال
يلهب الأكباد ، ويثير فيها لوعة الحارث بن عباد . أبدع من أناشيد معبد ،
وأصدع للكبد من مرثي أربد . أو بكاء ذي الرثمة بالمربد ، سلك فيها للاحتفاء
طريقاً لاجباً ، وغدا فيها للذيول الوفاء ساجباً ، فمن ذلك قوله :

انْقُضْ يَدِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا فَالْأَرْضُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَالنَّاسُ قَدْ مَاتُوا
وَقُلْ لِعَالَمِهَا السَّفْلِيِّ قَدْ كَتَمَتْ سَرِيرَةَ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ أَغْمَاتُ
طَوَتْ مَظَلَّتُهَا لَا بَلْ مَذَلَّتُهَا مَنْ لَمْ تَزَلْ فَوْقَهُ لِلْعِزِّ رَايَاتُ
مَنْ كَانَ بَيْنَ النَّدَى وَالْبَاسِ أَنْصَلُهُ هِنْدِيَّةٌ وَعَطَايَاهُ هِنْدِيَاتُ

١ م : أن ألقى .

٢ ق ودوزي : وتشرق .

رماه من حيث لم تستره سابعة
أنكرت إلا التواءات القيود به
غلطت بين همايين عقدن له
وقلت هن ذوابات فلم عكست
حسبتها من قناه أو أعنته
دروه ليثاً فخافوا منه عادية
لو كان يفرج عنه بعض آونة
بحر محيط عهدناه نجيء له
لهفي على آل عباد فإنهم
راح الحيا وغدا منهم بمنزلة
أرض كأن على أقطارها سرجاً
وفوق شاطئ واديه رياض ربى
كان واديهما سلك بلبتها
نهر شربت بعبرته على صور
وربما كنت أسمو للخليج به
وبالعروسات لا جفت منابتها
دهر مصيائه تبلى مصيات
وكيف تنكر في الروضات حيات
وبينها فإذا الأنواع أشتات
من رأسه نحو رجله الذوابات
إذا بها لثقاف المجد آلات
عذرتهم ، فلعدو الليث عادات
قامت بدعوته حتى الجمادات
كنقطة الدارة السبع المحيطات
أهله ما لها في الأفق هالات
كانت لنا بكسر فيها وروحات
قد أوقدنهن بالأدهان أنبات
قد ظللتها من الأنشام دوحات
وغاية الحسن أسلاك ولبات
كانت لها في قبل الراح سورات
وفي الخليج لأهل الراح راحت
من النعيم غروسات جنيات

ولم تزل كبده تتوقد بالزفرات ، وخلده يتردد بين النكبات والعثرات ،
ونفسه تنقسم بين الأشجان والحسرات ، إلى أن شفته منيته ، وجاءته بها أمنيته ،
فدفن بأغمات ، وأريج من تلك الأزمات :

وعطلت المآثر من حلها وأفردت المفاخير من علاها

ورفعت مكارم الأخلاق ، وكسدت نفائس الأعلاق ، وصار أمره عبرة
في عصره ، وصاب أندى عبرة في مصره . وبعد أيام وافى أبو بحر ابن عبد
الصمد شاعره المتصل به ، المتوصل إلى المنى بسببه ، فلمّا كان يوم العيد وانتشر

الناس ضُحِّي ، وظهر كلُّ متواري وضحا ، قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم ، واختياهم بزيبتهم وحلاهم ، وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه ، وخرَّ على تُربه ولثمه :

ملكَ الملوك ، أسامعُ فأنادي أم قد عدتُكَ عن السماعِ عوادي
لما خَلَّتْ منك القصورُ فلم تكنُ فيها كما قد كنتَ في الأعيادِ
قَبَلْتُ في هذا الثرى لك خاضعاً وتَخَذْتُ قبرك موضعَ الإنشادِ

وهي قصيدة أطلال لإنشادها ، وبنى بها اللواعج وشادها ، فأنحشر الناس إليه وانحفلوا ، وبكوا يبكائه وأعولوا ، وأقاموا أكثرَ نهارهم مُطيقين به طوافَ الحجيج ، مديمين للبكاء والعجيج ، ثمَّ انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم ، وأقروحا مآقيهم بفيضِ شؤونهم ، وهذه نهاية كل عيش ، وغاية كل ملك وجيش ، والأيام لا تدع حياً ، ولا تألو كلَّ نشر طياً ، تطرق رزاياها كل سمع ، وتُفَرِّق مناياها كل جمع ، وتُضْني كل ذي أمر ونهْي ، وترمي كل مشيد بوَهْي ، ومن قبله طوت^١ النعمان ابن الشقيقة ، ولوت مجازه في تلك الحقيقة . انتهى ما قصدنا جلبه من كلام الفتح ممَّا يدخل في أخبار المعتمد بن عباد المناسبة لما مرَّ .

وكلام الفتح كله الغاية ، وليس الخبر كالعيان ، ولذا قال بعض من عرَّفَ به : إنه أراد أن يفضح الشعراء الذين ذكرهم في كتبه بنثره ، سامحه الله تعالى . وأخبار المعتمد رحمه الله تعالى تحتل مجلدات ، وآثاره إلى الآن بالغرب غلذات ، وكان من النادر الغريب قولهم في الدعاء للصلاة على جنازته « الصلاة على الغريب » بعد اتساع ملكه ، وانتظام سلكه ، وحكمه على إشيلية وأنحائها ، وقرطبة وزهراتها ، وهكذا شأن الدنيا في تدريسها نحو نُدْبَتها وإغرائها . وقد توجه لسان الدين الوزير ابن الخطيب إلى أغمات لزيارة قبر المعتمد رحمه

١ ق : ما طوت .

الله تعالى ، ورأى ذلك من المهمات ، وأنشد على قبره أبياته الشهيرة التي ذكرتها في جملة نظمه الذي هو أرقّ من النسيم ، وأبهج من المحيا الوسيم .

قلت : وقد زرت أنا قبر المعتمد والرّميكية أم أولاده ، حين كنت بمراكش المحروسة عام عشرة وألف ، وعُمّي عليّ أمرُ القبر المذكور ، وسألت عنه من تُظن معرفته له ، حتّى هداني إليه شيخ طعن في السن ، وقال لي : هذا قبر ملك^١ ملوك الأندلس ، وقبر حظيته التي كان قلبه بحبها خفّاقاً غير مطمئن ، فرأيت في ربوة حسبما وصفه ابن الخطيب رحمه الله تعالى في الأبيات ، وحصلت لي في ذلك المحل خشية وادكار ، وذهبت بي الأفكار ، في ضروب الآيات ، فسبحان من يؤتي ملكه من يشاء لا إله غيره وارث الأرض ومنّ عليها وهو خير الوارثين .

وما أحسن قول الوزير ابن عبدون في مطلع رائيته الشهيرة :

الدهرُ يَفْجَعُ بعدَ العَيْنِ بالآثِرِ فما البكاء على الأشباحِ والصُّورِ

وهو القائل :

يا نائمَ الليلِ في فكرِ الشبابِ أفقُ فصُبْحُ شَيْكَ في أفقِ النُّهى بادي
غَضَبْتُ عِنايَكَ أيدي الدهرِ ناسخةً علماً يجهلُ وإصلاحاً يفسادِ
وَأَسْلَمْتُ للمنايا آلَ مَسْلَمَةٍ وعبّدتُ للرزايا آلَ عِبَادِ
لقد هوت منك ، خانتها قوادمها ، بكوكبٍ في سماءِ المجلِّ وقَادِ

ومنها :

ومالك كان يحمي^٢ شَوْلَ قُرْطَبَةٍ أسْتَغْفِرُ اللهَ ، لا بل شَوْلَ بَغْدَادِ

١ ق : ملك من .

٢ في الأصول : يحمي وهو خطأ ؛ والقول ناظر إلى المثل « الفحل يحمي شوله مغلولا » .

شَقَّ العلومَ نطافاً والعُلا زَهَرًا ثُبِينَ ، ما بين رَواد وورادِ
وأين هذه القصيدة في مدحهم من قصيدة الغَضِّ منهم ، وهي قول أبي
الحسن جعفر بن إبراهيم ابن الحاج اللورقي :

تَعَزَّزَ عن الدنيا ومعروفِ أهلها إذا عُدِمَ المعروفُ في آلِ عِبَادِ
حَكَلْتُ بهمُ ضيفاً ثلاثةَ أشهرٍ بغيرِ قِرَى ثم ارتحلتُ بلا زادِ
وهذا يدلُّك على أن الشعراء ، لم يَسَلِّمَ من لسانهم مَنْ أَحسنَ فضلاً عَمَّنْ
أساء ، من العظماء والرؤساء ، وما أمدح قول أبي محمد غانم فيهم :
ومن الغريبِ غروبُ شمسٍ في الثرى وضياؤها باقٍ على الآفاقِ

وقال في المطمح في حق بني عباد وأوليتهم ما صورته^١ : الوزير أبو القاسم
محمد بن عباد ، هذه بقية متماها في لحم ، ومرتماها إلى مفخر ضخم ، وجدَّهم
المنذر بن ماء السماء ، ومَطَّلَعهم من جو تلك السماء ، وبنو عباد ملوك أنيسَ
بهم الدهر ، وتنفس منهم عن أعيق الزهر ، وعَمَرُوا ربع الملك ، وأمروا بالحياة
والهلك ، ومُعْتَضِدهم أحد من أقام وأقعد ، وتبوأ كاهلَ الإرهاب واقعد ،
واقترش من عريسته ، واقترس من مكاييد فريسته ، وزاحم بعود ، وهَدَّ كلَّ
طَوْد ، وأخملَ كلَّ ذي زي وشارة ، وخَتَل بوحى وإشارة ، ومعتمدهم
كان أجود الأملاك ، وأحد نِيَّرات تلك الأفلاك ، وهو القائل ، وقد شغل عن
منادمة خواص دولته بمنادمة العقائل :

لقد حَنَنْتُ إلى ما اعتدتُ من كرمٍ حنينَ أرضٍ إلى مستأخِرِ المطرِ
فهاها خِلَعاً أرضي السَماحَ بها محفوفةً في أكفِ الشَّرْبِ بالبِدرِ

١ المطمح : ١٠ .

وهو القائل وقد حَنَّ في طريقه ، إلى فريقه :

أدارَ النوى كم طالَ فيكِ تلذذي وكم عَقَّتِنِي عن دارِ أهيفَ أغيدِ
حلقتُ به لو قد تعرَّضَ دونه كُماةُ الأعادي في النسيجِ المَرْدِ
لجَرَدْتُ للضربِ المهتدِّ ، فانقضى مُرادي ، وعزماً مثلَ حدِّ المهتدِّ

والقاضي أبو القاسم هذا جدهم ، وبه سَقَر مجدهم ، وهو الذي اقتنص لهم الملك النافر ، واختصَّهم منه بالخط الوافر ، فإنه أخذ الرياسة من أيدي جبابر ، وأضحى من ظلالها أعيان أكابر ، عندما أناخت بها أطماعُهُم ، وأصاغت إليها أسماعُهُم ، وامتدت إليها من مستحقِّها اليد ، وأتلعوا أجياداً زانها الجيّد ، وفغَرَ عليها فمه حتَّى هجا بيت العبدى ، وتصدى إليها من تحضَّر وتَبَدَّى ، فاقتعد سَنامها وغاربها ، وأبعد عنها عَجَمها وأعاربها ، وفاز من الملك بأوفر حصّة ، وغدت سِمَتُهُ به صفة مختصة ، فلم يمح رسم القضاء ، ولم يتسم بسمه الملك مع ذلك النفوذ والمضاء ، وما زال يحمي حوزته ، ويجلو غرته ، حتى حوته الرجام ، وخلت منه تلك الآجام ، وانتقل الملك إلى ابنه المعتضد ، وحل منه في روض نُمِقَ له ونُضد ، ولم يعمر فيه ولم يدم ولاه ، وتسمى بالمعتضد بالله ، وارتقى إلى أبعد غايات الجود بما أناله وأولاه ، لولا بطش في اقتضاء النفوس كَدَّر ذلك المنهل ، وعكر أثناء ذلك صفو العَلِّ والنَهْل^١ ، وما زال للأرواح قابضاً ، وللوثوب عليها رابضاً ، يخطف أعداءه اختطاف الطائر من الوكر ، ويتتصف منهم بالدهاء والمكر ، إلى أن أفضى الملك إلى ابنه المعتمد ، فاكتحل منه طرفه الرَّمَد ، وأحمد مجده ، وتقلد منه أيَّ بأسٍ وتَجَلَد ، ونال به الحق مناه ، وجرَّ رسنه ، وأقام في الملك ثلاثاً وعشرين سنة ، لم تعد له فيها حسنة ولا سيرة مستحسنة ، إلى أن غُلِبَ على سلطانه ، وذُهب به من أوطانه ، فنُقل ،

١ م : وتصدر أثناء ذلك الل والنهل ؛ المطمح : وتصور ... إلخ .

إلى حيث اعتُقل ، وأقام كذلك إلى أن مات ، ووارثه بركة أغمات ، وكان للقاضي
جلده أدب غصّ ، ومذهب مبيضّ ، ونظم يرتجله كل حين ، ويبعثه أعطر من
الرياحين ، فمن ذلك قوله يصف النيلوفر :

يا ناظرين لذا النيلوفر البهج وطيب مخبره في الفتوح والأرج
كأنه جامٌ درّ في تآلقه قد أحكموا وسطه قصاً من السبح
انتهى المقصود منه .

٢٧١ - [تراجم منقولة عن الفتح]

[١ - ترجمة ابن النبي من المطمح]

وهو - أعني الفتح - يشيد قصور الشرف إذا مدح ، ويهدم معاقلها إذا
هجا وقدح .

ومن أغراضه قوله في « المطمح » في حق الأديب أبي جعفر ابن النبي^١ :
رافع رايات القريض ، وصاحب آيات التصريح والتعريض ، أقام شرائعه ،
وأظهر بدائعه ، إذا نظم أزرى بالعقود ، وأتى بأحسن من رقم البرود ، وكان
أليف غلمان ، وحليف كفر لا إيمان ، ما نطق مشرعاً ، ولا رمق متورعاً ،
ولا اعتقد حشراً ، ولا صدق بعثاً ولا نشرأ ، وربما تنسك مجوناً وفتكاً ، وتمسك
باسم التقى وقد هتكه هتكاً ، لا يبالي كيف ذهب ، ولا بما تمذهب ، وكانت
له أهاجي جرع بها صاباً ، ودرّج منها أوصاباً ، وقد أثبت له ما يرتشف ريقاً ،
ويشرب تحقيقاً ، فمن ذلك قوله يتغزل :

من لي بغرّة فأن يخال في حلل الجمال إذا بدا وحليّه
لو شمت في وضح النهار شعاعها ما عاد جنح الليل بعد مضيه

١ المطمح : ٩١ وله ترجمة في القلائد : ٢٩٨ ؛ وانظر الفتح ٣ : ٤٨٧ .

شرقت لآلي الحسن حتى خلصت
في صفحته من الجمال أزهراً
سكت محاسنه ، لقتل محبه
من سحر عينيه ، حسام سميته
ذهبية في الخلد من فضيته
غلبت بوسمي الحيا ووليته

وله فيه :

كيف لا يزداد قلبي
وإذا قلت علي
هو كالغصن والبدن
أشرق البدن كمالات
إن من رام سلوي
لست أسلو عن هواه
قل لمن قصر فيه
دون أن تدرك هذا
من جوى الشوق خيالاً
بهر الناس جمالات
ر قواماً واعتدالات
وانثنى الغصن اختيالات
عنه قد رام محالات
كان رشداً أو ضلالاً
عدل نفسي أو أطلا
تسلب الأفق الهلالات

وكنيت بمبورقة وقد حلتها متسماً بالعبادة ، وهو أسرى إلى الفجور من خيال
أبي عبادة^١ ، وقد لبس أسماً ، ولتيس منه أقوالاً وأفعالات ، سجوده هجود ،
 وإقراره بالله جحود ، وكانت له رابطة لم يكن للوازنها مرتبطاً ، ولا بسكنائها^٢
مغتبلاً ، سمّاها بالعقيق وسمى فتي كان يتعشقه بالحيمي ، وكان لا يتصرف إلا
في صفاته ، ولا يقف إلا بعرفاته ، ولا يؤرقه إلا جواه ، ولا يشوقه^٣ إلا
هواه ، فإذا بأحد دعاة حبيبه ، ورواة تشيبيه ، قال له : كنت البارحة بحماه ،
 وذكر له خبراً ورى به عني وعمّاه ، فقال :

١ أبو عبادة البحتري ذكره لإكثاره من وصف طيف الخيال وطروقه .

٢ م : يسكنائها .

٣ دوزي : يشوقه .

تَنفَسَ بِالْحَمَى مَطْلُولُ أَرْضٍ^١ فَأَوْدَعَ نَشْرَهُ نَشْرًا شَمَالًا
فَصَبَحَتِ الْعَيُونُ إِلَيَّ كَسَلِي تَجَرَّرُ فِيهِ أَرْدَانًا خَضَالًا
أَقُولُ وَقَدْ شَمِمْتُ التُّرْبَ مَسْكَأً بِنَفْحَتِهَا يَمِينًا أَوْ شَمَالًا
نَسِيمٌ جَاءَ يَبْعَثُ مِنْكَ طَيِّبًا وَيَشْكُو مِنْ مَحَبَّتِكَ اعْتِلَالًا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من أمره ما تقرر ، وتردد على سمعه انتهاكه وتكرره ، أخرجته من بلده ونفاه ، وطمس رسم فسقه وعفاه ، فأقلع إلى المشرق وهو جار ، فلما صار من ميورقة على ثلاثة مجار^٢ ، نشأت له ريح صرفته عن وجهته ، إلى فقد مهجته ، فلما لحق بميورقة أراد ناصر الدولة إمامته ، وأخذ ثار الدين منه وإراحته ، ثم أثر صفحه ، وأحمد ذلك الجمر ولقحه ، وأقام أياماً ينتظر ريحاً عليها ترجيه ، ويستهديها لتخلصه وتنجيه ، وفي أثناء بلوته ، لم يتجاسر أحد على إتيانه من إخوته ، فقال يخاطبهم :

أَحْبَبْتَنَا أَلَى عَتَبَا عَلَيْنَا فَأَقْصَرْنَا وَقَدْ أَزَفَ الْوَدَاعُ
لَقَدْ كُنْتُمْ لَنَا جَدَلًا وَأَنْسَا فَهَلْ فِي الْعَيْشِ بَعْدَكُمْ انْتِفَاعُ؟
أَقُولُ وَقَدْ صَدَرْنَا بَعْدَ يَوْمٍ أَشَوْقُ بِالسَّفِينَةِ أَمْ نَزَاعُ؟
إِذَا طَارَتْ بَنَا حَامَتُ عَلَيْكُمْ كَأَنَّ قُلُوبَنَا فِيهَا شَرَاعُ

وله يتنزل :

بِئِى الْعَرَبِ الصَّمِيمِ أَلَا رَعِيْتُمْ مَا تَرْكُمُ بِأَثَارِ السَّمَاحِ
رَفَعْتُمْ نَارَكُمْ فَعَشَا إِلَيْهَا بَوَهْنٍ فَارَسُ الْحَيِّ الْوَقَاحِ
فَهَلْ فِي الْقَعْبِ فَضْلٌ تَنْضَحُوهُ بِهِ مِنْ مَحْضِ أَلْبَانِ الْآفَاحِ
لَعَلَّ الرُّسُلَ شَابَتَهُ الثَّنَا بِشَهْدٍ مِنْ نَدَى ثَوْرِ الْآفَاحِ

١ م : روض .

٢ المطمح : جوار .

وله أيضاً :

وكأنما رشأ الحمى لسا بدا لك في مضلعة الحديد المعلم
غصّب الغمام قسيته فأراكها من حُسن معطفه قويم الأسهم

وله أيضاً :

نظرتُ إليه فاتقاني بمقلة تردُّ إلى نحري صلورَ رماح
حميتَ الجفون النوم يا رشأ الحمى وأظلمتَ أيامي وأنتَ صباحي

وقال :

قالوا تصيبُ طيورَ الجوّ أسهمهُ إذا رماها فقلنا عندنا الخيرُ
تعلمتُ قوسها من قوسِ حاجبه وأيد السهم من ألحاظه الحورُ
يروحُ في بردة كالنفسِ حالكة كما أضاء يمجّح اليلة القمرُ
وربما راق في خضراء مورقة كما تفتح في أوراقه الزهرُ

[٢ - ترجمة ابن لبّال من الملمح]

وقال في ترجمة أبي الحسن ابن لبّال^١ : شاعر سمح ، متقلد بالإحسان متشع ،
أمّ الملوك والرؤساء ، ويمّم تلك العزة القعساء ، فانتجع مواقع خيرهم ، واقتطع
ما شاء من ميسرهم ، وتمادت أيامه إلى هذا الأوان ، فجالت به في ميدان الهوان ،
فكسد نفاقه ، وارتدت آفاقه ، وتوالى عليه حرمانه وإخفاقه ، وأدركته وقد خبنته
سنونه ، وانتظرت مَنونه ، ومحاسنه كعهدها في الانتقاد ، وبُعدها من الانتقاد ،
وقد أثبت منها ما يعذب جنّي وقِطافاً ، ويستعذب استترالاً واستلطافاً ، فمن
ذلك قوله يستنجد الأمير الأجلّ أبا إسحاق ابن أمير المسلمين :

١ الملمح : ٩٣ وكتب فيه خطأ « ابن لسان » . وفي ق م أحياناً : ابن لبّان .

قلْ لِلأَمِيرِ ابْنِ الأَمِيرِ بِلِ الَّذِي أبدا به في المكرمات وفي الندى
والمجتني بالزُرْقِ وهي بنفسجٌ وَرَدَ الجراحِ مضجعاً ومنضداً
جاءتكَ آمالُ العُفَاةِ ظوامئاً فاجعلْ لها من ماء جودك مورداً
وانثر على المدهّاحِ سيبك ، لأنهم نثروا المدائحِ لؤلؤاً وزبرجداً
فالناس إن ظلموا فأنت هو الحمى والناس إن ضلوا فأنت هو الهدى

أخبرني وزير السلطان أن هذه القطعة لما ارتفعت ، اعتنت بحملة الشعراء
وشَفَعَتْ ، فأُنجز لهم الموعود ، وأورق لهم ذلك العود ، وكثر اللفظ في تعظيمها ،
واستجادة نظيمها ، وحصل له بها ذكر ، وانصقل له بسببها فكر .

وله من قطعة يصف بها سيفاً :

كلُّ نهرٍ توقّدتْ شَفَرَتاه كاتِّقادِ الشهابِ في الظلماء
فهو ماء قد رُكِّبتْ فوق نارٍ أو كنارٍ قد ركبتْ فوق ماء

وكتب إليّ معزياً عن والدني :

على مثله من مصابٍ وَجَبَ على من أُصيبَ^١ به المتجبُ
وقلبِ فَرُوقٍ ولبِ خَفُوقٍ ونفسٍ تشبّ ، وهمّ نصبُ
فقد خشعتْ للتُّقى هُضْبَةٌ ذوّبتْها في صميمِ العَرَبِ
مِنَ الجاعِلاتِ محاريبها هوادجها أبدأً والقشَبُ
من القائماتِ بظلِّ الدُّجى ولا مَنْ تسامرُ إلا الشُّهْبُ
فكم رُكمتْ لآثرها في الدُّجى تناجي بها ربّها مِنْ كَشَبِ
وكم سكبتْ في أوانِ السجودِ مدامعَ كالغيثِ لما انسكَبِ
وقد خَلَفَتْ ولداً بأسلاً فصيحاً إذا ما قرأ أو خطبُ

يقُلُّ السِّوْفَ بِأَقْلَامِهِ وَيَكْسُرُ صُمَّ الْقَنَا بِالْقَصَبِ

وكان القائد أبو عمرو عثمان بن يحيى بن إبراهيم أجلّ من جال في خلكد ، واستطال على جلكد ، رشاً يحيى باحتشامه ، ويسترد البدر بلثامه ، ويزري بالغصن تشنّيه ، ويشمر الحسن لو دنت قُطوفه لمجتنيه ، مع لودعية تحالها جريالاً ، وسجية يختال فيها الفضل اختيالاً ، وكان قد بعد عن أنسنا بمحص ، وانتضى من تلك القُصص ، وكان بنغر الأشبونة فسدّه ، ولم ينفرج لنا من الأنس بعده ما يسدّ مسدّه ، إلى أن صدر ، فأسرع إلينا وابتدر ، فالتقينا وبثنا ليلة نام عنها الدهر وغفّل ، وقام لنا بما شتتا فيها وتكفل ، فبينما نحن نقض ختامها ، وننفض عنّا غبار الوحشة وقتامها ، إذا أنا بآبن لبال هذا وقد دخل لإذنه علينا فأمرناه بالتزول والتقينا بترحيب ، وأنزلناه بمكانٍ من المسرة رحيب ، وسقيناها صغاراً وكباراً ، وأريناها إعظاماً وإكباراً ، فلما شرب ، طرب ، وكلما كرعها ، التحف السلوة وتدرعها ، وما زال يشرب أقداحاً ، ويُنشد فينا أمداحاً ، ويفدي بنفسه ، ويستهدي الاستزادة من أنسه ، فهتكنا الظلام بما أهدها من البديع ، واجتلينا محاسنه كالصديق^١ ، وانفصلت ليلته عن أتم مسرة ، وأعم مبرة ، وارتحل عثمان أعزه الله إلى ثغره ، وأقام به برهة من دهره ، فمشيت بها إليه مجدداً عهداً ، ومتضلعاً من مؤانسته شهداً ، فكتب ابن لبال هذه القطعة من القصيدة يذهب إلى شكره ، ويجتهد في تجديد ذكره :

ما شامَ إنسانُ إنسانٍ كعثمانٍ ولا كبعيته من حُسنِ إحسانٍ
بدرُ السَّيادةِ يبدو في مطالعه من المحاسنِ محفوقاً بشهبانٍ
له التمامُ وما بالأفقِ من قَمَرٍ متممٍ دونَ أن يُرمى بنقصانٍ
به الشبيبةُ تُزهى من نضارتها كما تساقطَ طُلُفٌ فوق بستانٍ

١ الصديق : الصبح .

معصفراً الحسن للأبصار ناصعه
 نبئت عنه بأنباء إذا تفتحت
 قامت عليه براهين تصدقها
 قد زادها ابن عبيد الله من وضح
 بالله بلغه تسليمي إذا بلغت
 وليت أني لو شاهدت أنسكما
 فألفظ الكلم المشور بينكما
 لله درك يا ذا الخطتين لقد
 كلا كما البحر في جود وفي كرم
 إن كان فارس هيجاء ومعتك
 فاذكر أبا نصر المعمور منزله
 قصائد لأخي ود وإن نزلت
 كأنه فضة شيت بعقيان
 تعطلت نفحات المسك والبان
 كالشكل قام عليه كل برهان
 ما زادت الشمس نور الفجر لاراني
 تلك الركاب وعجل غير ليان
 على كؤوس وطاسات وكيزان
 كأنما هو من دري ومرجان
 خططت بالمدح فيه كل ديوان
 أو الغمامة تسقي كل ظمان
 فأنت فارس إفصح وتبيان
 بالرغد ما شئت من مثني ووحدان
 بك الركاب إلى أقصى خراسان

[٣ - ترجمة عبد المعطي من المطمح]

وقال في ترجمة الأديب أبي بكر عبد المعطي^١ : بيت شعر ونباهة ، وأبو بكر ممن انتبه خاطره للبدائع أي انتباهة ، وله أدب باهر ، ونظم كما سقرت أزاهر ، وقد أثبت له جمالاً ، يبلغ آمالاً ، فمن ذلك قوله ، وقد اجتمعنا في ليلة لم يضرب لها وعد ، ولم يعزب عنها سعد ، وهو قعدي ، قد شب عن طوق الأنس في الندي ، وما قال خالي عمرو ولا عدي^٢ ، والكهولة قد قبضته ، وأقعدته عن ذلك وما أنهضته :

١ المطمح : ٩٦ .

٢ في الأصول والمطمح : وما قال خلا عمرو ولا عدا ؛ والإشارة هنا إلى المثل « شب عمرو عن الطوق » وهو عمرو بن علي ، الذي ثار بلذيمة .

إمامُ النثرِ والمنظومِ فَتَنَحُّ جميعُ الناسِ ليلٌ وهو صبحٌ
له قلمٌ جليلٌ لا يجارى يقرُّ بفضلِه سيفٌ ورمحٌ
يباري المزنَ ما سحتَ سماحاً وإن شحتَ فليسَ لديه شحٌ

وكان مرتسماً في عسكر قُرطبة ، وكان ابن سراج يقوم له بكل ما ينبغي
تطلبه ، خيفة من لسانه ، ومحافظة على إحسانه ، ولما خرج إلى إقليش خرج معه ،
وجعل يساير من شيعه ، فلما حصلوا بفحص سراق ، وهو موضع توديع
المفارق للمفارق ، قرب منه أبو الحسين ابن سراج لوداعه ، وأنشده في تفرق
الشمل وانصداعه :

هَمُّ رَحَلُوا عَنَّا لِأَمْرِ لَهِمْ عَنَّا فَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ حَتَّى
وَمَا رَحَلُوا حَتَّى اسْتَقَادُوا نَفُوسَنَا كَأَنَّهُمْ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا مِنَّا
فِي سَاكِنِي نَجْدٍ لَتَبَعَدَ دَارَكُمْ ظَنَّنَا بِكُمْ ظَنًّا فَأَخْلَقْتُمُ الظَّنَّ
غَدَرْتُمْ وَلَمْ أَغْدَرْ ، وَخَنْتُمْ وَلَمْ أَخْنُ وَقَلَمْتُ وَلَمْ أَعْتَبْ ، وَجَرْتُمْ وَمَا جَرْنَا
وَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا تَخُونُونِ فِي الْهَوَى فَقَدْ ، وَذَمَامِ الْحَبِّ ، خَنْتُمْ وَمَا خُنْنَا
تُرَى تَجْمَعُ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَيَجْمَعُنَا دَهْرٌ نَعُودُ كَمَا كُنَّا

فلما استتم إنشاده لحق بالسلطان واعتذر إليه بمريض خلفه ، وهو يخاف
تلفه ، فأذن له بالانصراف ، وكتب إلى أبي الحسين ابن سراج :

أَمَّا وَالْهَدَايَا مَا رَحَلْنَا وَلَا حُلْنَا وَإِنْ عَنْ مَنْ دُونَ التَّرَحُّلِ مَا عَنَّا
تَرَكْنَا ثَوَابَ الْفَضْلِ وَالْمَزَّ لِلْعَزَى ١ عَلَى مَضْضٍ مِنَّا وَعُدْنَا كَمَا كُنَّا
وَلَيْسَ لَنَا عَنْكُمْ عَلَى الْبَيْنِ سَلُوةٌ ٢ وَإِنْ كَانَ أَنْتُمْ عِنْدَكُمْ سَلُوةٌ عَنَّا
وَجَمَعْتُنَا عَشِيَّةَ بَرَبَضِ الزَّجَالِي ٢ بِقُرطبة ، ومعنا لُمةٌ من الإخوان وهو في

١ كذا في م ق وفي المطبع : للمرى ؛ وفي التجارية : تركنا ثواب الفوز والقصد للمدا .

٢ م : الرحال .

جملتهم ، مناهض لأعيانهم وجليتهم ، بفضل أدبه ، وكثرة سحبه ، فجعل يرتجل ويروي ، وينشر محاسن الآداب ويطوي ، ويمتدنا بتلك الأخبار ، ويقطعنا منها جانب اعتبار ، ويطلعنا على إقبال الأيام وعلى الإدبار ، ثم قال :

أيا ابنَ عبيد الله يا ابنَ الأكارِمِ لقد بَحَلْتَ يَمناكَ صوبَ الغمائمِ
لك القلمُ الأعلى الذي عطَّلَ القنا وفلَّ ظُباتِ المرهفاتِ الصوارِمِ
وأخلاقك الزُّهرُ الأزاهرُ بالرُّبى ترفُّ بثُبوبِ الغيوثِ السَّوامِ
بقيتَ لتشييدِ المكارِمِ والعلى تظاهرها بالسالفِ المتقادمِ

واجتمع عند أبيه لُمةٌ من أهل الأدب ، وذوي المنازل والرتب ، في عشية غيم أعقب مطراً ، وخط فيها البرق أسطراً ، والبرْدُ يتساقط كدرٍ من نظام ، ويرأى كئنايا غادة ذات ابتسام ، وهو غلام ما نضا بُرد شبابه ، ولا انتضى مُرهَفَ آدابه ، فقال معرضاً بهم ، ومتعرضاً لتحقيق أدبهم :

كَأَنَّ الهِواءَ غَدِيرٌ جَمَدٌ بِحَيْثُ البروقُ تُذِيبُ البرَدُ
خيوطٌ وقد عَقَدت في الهِواءِ وراحةٌ رِيحٍ تحُلُّ العُقَدُ

وشرب في دار ابن الأعلم في يوم لم يَرَ الدهر فيه إساءة ، وليل نَسَخ نورُ أنسه مَساءه ، ومعهم جملة من الشعراء ، وجماعة من الوزراء ، منهم أبناء القَبْطُورَةِ فوقَ بينهم عتاب وتَعَدُّال ، وامتهان في ميدان المشاجرة وابتدال ، آل به إلى تجريد السيف ، وتكدير ما صفا بذلك الحَيْف ، فسكنوه بالاستتزال ، وثَنَّوه عن ذلك التزال .

[٤ — ترجمة ابن بقي من المطمح والقلائد]

وقال في المطمح في حق أبي بكر يحيى بن بقي القرطبي صاحب الموشحات البديعة : كان نبيل السيرة والنظام ، كثير الارتباط في سلوكه والانتظام ، أحرز خصالاً ، وطرز بمحاسنه بُكَراً وآصالاً ، وجرى في ميدان الإحسان إلى أبعد

١ م : الزواهر .

أَمَد ، وبني من المعارف أثبت عَمَد ، إلّا أن الأيام حرمت ، وقطعت جبل
رعايته وصرمته ، فلم تَم له وطراً ، ولم تُسْجِم عليه الحُظوة مطراً ، ولا
سوَّغت من الحرمة نصيباً ، ولا أنزلته مَرَعَى خصبياً ، فصار راكب صهوات ،
وقاطع فلوات ، لا يستقر يوماً ، ولا يستحسن نوماً ، مع توهم لا يُظفره
بأمان ، وتقلُّب ذهن كالزمان ، إلّا أن يحیی بن علي بن القاسم نزعه من
ذلك الطيش ، وأقطعه جانباً من العيش ، وأرقاه إلى سمائه ، وسقاه صَيِّبَ
نعمائه ، وفيّاه ظلاله ، وبوّاه أثر النعمة بجوسُ خلاله ، فصرَّف به أقواله ،
وشرَّف بعواقبه فعاله ، وأفرده منها بأنفس دُرّ ، وقصده منها بقصائد غُرّ ؛
انتهى المقصود جَلْبُهُ من ترجمته في المطمح .

وقال في حقه في القلائد : رافع راية القريض ، وصاحب آية التصريح فيه
والتعريض ، أقام شرائعه ، وأظهر روائعه ، وصار عصيته طائعه ، إذا نظم
زرى بنظم العقود ، وأتى بأحسن من رقم البرود ، وطفأ عليه حِرمانه ،
فما صفا له زمانه ، انتهى .

وابن بقيّ المذكور هو القائل :

بأبي غزالٍ غازلتَهُ مُقَلِّي بين العُدَيِّ وبين شطبيّ بارقٍ

الآيات المذكورة في غير هذا الموضع .

ومن موشحاته قوله :

غلب الشوقُ بقلبي فاشتكى ألمَ الوجدِ فلبَّتْ أدْمعي

أَيْهَا النَّاسُ فَوَادِي شَغِفُ

وهو من بَغْيِ الهوى لا يُنصَفُ

كَمْ أَدَارِيهِ وَدَمْعِي يَكْفُ

أَيْهَا الشَادِنُ مَنْ عَلَمَكَ بِسَهَامِ اللَّحْظِ قَتَلَ السَّبْعِ

بدرُ نِمْ نَحْت لَيْلٍ أَغْطِشِ
طَالَعٌ فِي غَصْنٍ بَانَ مَتَشِي
أَهْيَفُ الْقَدِّ بِخَدِّ أَرْقَشِ

ساحِرُ الطَّرْفِ وَكَمْ ذَا فَتْكَ بِقُلُوبِ الْأُسْدِ بَيْنَ الْأَضْلَعِ

أَيُّ رِيْمٍ رَمْتُهُ فَاجْتَنِبَا
وَانْثِي يَهْتَرُ مِنْ سُكْرِ الصَّبَا
كَفْضِيبِ هَزَّهْ رِيحُ الصَّبَا

قَلْتُ هَبْ لِي يَا حَبِيبِي وَصَلِّكََا وَاطْرَحْ أَسَابِ هَجْرِي وَدَعْ

قَالَ خَدِّي زَهْرُهُ مُذْ فَوْقَا
جَرَدَتْ عَيْنَايَ سَيْفًا مُرْهَقَا
حَذَرًا مِنْهُ بَأْنَ لَا يُقْطَعَا

إِنَّ مَنْ رَامَ جَنَاهُ هَلَكَا فَأَزَلْ عَنْكَ عُلَالَ الطَّمَعِ

ذَابَ قَلْبِي فِي هَوَى ظِيٍّ غَرِيرٍ
وَجْهَهُ فِي الدَّجَنِ صَبِيحٌ مُسْتِيرٍ
وَفُؤَادِي بَيْنَ كَفْيِهِ أَسِيرٍ

لَمْ أَجِدْ لِلصَّبْرِ عَنْهُ مَسْلَكَا فَانْتَصَارِي بِانْسِكَابِ الْأَدْمَعِ

وقال رحمه الله تعالى :

خُذْ حَدِيثَ الشَّوْقِ عَنْ نَفْسِي وَعَنِ الدَّمْعِ الَّذِي هَمَعَا

مَا تَرَى شَوْقِي وَقَدْ وَقَدَا

وَهَمَى دُمْعِي وَاطْرَدَا
وَاعْتَدَى قَلْبِي عَلَيْكَ سُدَى

أَهْ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ قَبَسٍ بَيْنَ طَرْفِي وَالْحَشَا جَمْعَا

بِأَبِي رَيْمٍ إِذَا سَقَرَا
أَطْلَعْتُ أَزْرَارُهُ قَمَرَا
فاحذروه كُلَّمَا نَظَرَا

فَبِالْحَاطِظِ الْخَفُونَ قِيسِي أَنَا مِنْهَا بَعْضٌ مَنْ صُرِعَا

أُرْتَضِيهِ جَارٍ أَوْ عَدَلَا
قَدْ خَلَعْتُ الْعُدْرَ وَالْعُدْلَا
إِنَّمَا شَوْقِي إِلَيْهِ جَلَا

كَمْ وَكَمْ أَشْكُو إِلَى اللَّعَسِ ظِمْنِي لَوْ أَنَّهُ نَفَعَا

صَالَ عَبْدُ اللَّهِ بِالْحَوَرِ
وَبَطَّرَفِ فَاتِرِ النَّظَرِ
حُكْمُهُ فِي أَنْفُسِ الْبَشَرِ

مِثْلُ حُكْمِ الصَّبْحِ فِي الْفَلَسِ إِنْ تَجَلَّى نُورُهُ صَدَعَا

شَبَّهَتْهُ بِالرَّشَا الْأَمَمُ
فَلَعَمْرِي لِيَنَّهُمْ ظَلَمُوا
فَتَغَنَّى مَنْ بِهِ السَّقَمُ

أَيْنَ ظِيُّ الْفَقْرِ وَالْكُنُسِ مِنْ غَزَالٍ فِي الْحَشَا رَتَعَا
انتهى .

وله أيضاً :

ما ردّني لابسٌ	ثوبَ الضنى الدارسُ	إلاّ قَمَرٌ
في غُصْنٍ مائِسٍ	شعاعهُ عاكسُ	ضوء البصرِ
أسيرُ كالسَيْلِ	إلَيْهِ لا باعُ	إلا ودادي
والطيفُ في خيلِ	لهنَّ إسراعُ	مع الرُقَادِ
يا كوكبَ الليلِ	إن كنتَ تَرْتاعُ	فلنم فؤادي
كالأسدِ العابسِ	لكنه خائِسُ	من الحورِ

ومن نظمه قصيدة مدح يحيى بن علي بن القاسم المذكور بها ، منها في المديح قوله :

نوران لَيْسَا يُحْجَبَانِ عَنِ الْوَرَى	كَرَمُ الطَّبَاعِ وَلَا جَمَالُ الْمَنْظَرِ
وكلاهُمَا جُمْعَا لِيَحْيَى فَلْيَدْعُ	كتمانَ نورِ عِلائِهِ الْمُتَشَهِّرِ
في كلِّ أَفْتَى مِنْ جَمَالِ ثَنَائِهِ	عَرَفْتُ يَزِيدُ عَلَى دُخَانِ الْمَجْمِرِ
رَدُّ فِي شَمَائِلِهِ وَرَدُّ فِي جُودِهِ	بَيْنَ الْحَدِيقَةِ وَالْغَمَامِ الْمَطَرِ
بَدْرٌ عَلَيْهِ مِنَ الْوَقَارِ سَكِينَةٌ	فِيهَا لَقِيطَةُ كُلِّ لَيْثٍ غَدَرِ
مِثْلُ الْحَسَامِ إِذَا انْطَوَى فِي غَمْدِهِ	أَلْقَى الْمَهَابَةَ فِي نَفُوسِ الْخُضَرِ
أَرَبَى عَلَى الْمِزْنِ الْمَلِثُ لِأَنَّهُ	أَعْطَى كَمَا أَعْطَى وَلَمْ يَسْتَعْبِرِ

ومنها :

أَقْبَلْتُ مُرْتَاداً بِجُودِكَ إِنَّهُ	صَوَّبُ الْغَمَامَةِ بِلْ زُلَالُ الْكُوثرِ
وَرَأَيْتُ وَجْهَ النَّجْجِ عِنْدَكَ أَيْضاً	فَرَكِبْتُ نَحْوَكْ كُلِّ لُجْجٍ أَخْضَرِ

وهي طويلة .

[استطراد]

وقوله « أَرَبَى عَلَى الْمِزْنِ الْمَلِثُ - البيت » هو معنى تلاعب الشعراء بكرته ،

وأورده كلٌ منهم على حسب مقلدته ، فقال بعض :

من قاسَ جَدُّوَكَ بالغمامِ فما أنصفَ في الحكمِ بينَ شيئينِ
أنتَ إذا جُدْتَ ضاحكٌ أبداً وهو إذا جاد دامعُ العينِ

وقال آخر :

ما نوالُ الغمامِ يومَ ربيعٍ كنوالُ الأميرِ يومَ سَخاءِ
فنوالُ الأميرِ بدرةُ عينٍ ونوالُ الغمامِ قطرةُ ماءِ
وهما من شواهد البلديع .

وقال أبو عبد الله الحوضي التلمساني في قصيدة مدح بها سلطان تلمسان أبا عبد الله الزياني :

أصبحَ المزنُ من عطائكَ يحكي يومَ الاثنينِ للأنامِ عطاءِ
كيفَ يدعى لك الغمامُ شبيهاً ولقدَ فُتِّهَ سناً وسناءِ
أنتَ تعطي إذا تُقَصِّرُ مالاً وهو يعطي إذا تطوَّلَ ماءِ

رجع - وذكر العماد في الخريدة ابن بقيّ المذكور ، وأورد له جملة من المقطعات ، ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى ، وبقيّ على وزن عليّ .

رجع إلى بني عبّاد رحمهم الله تعالى :

وقال ابن اللبّانة في بني عبّاد ما نصه : بماذا أصفهم وأحليهم ، وأي منقبة من الجلالة أوليهم ، فهم القوم الذين تجل مناقبهم عن العد والإحصاء ، ولا يتعرض لها بالاستيفاء والاستقصاء ، ملوك زُينت بهم الدنيا ونحلت ، وترقت حيث شاءت وحلت ، إن ذُكرت الحروب فعليهم يوقف منها الخبر اليقين ، أو عُدَّت المآثر فهم في ذلك في درجة السابقين ، أصبح الملك بهم مُشرق القسام ، والأيام

ذات بهجة وابتسام ، حتى أناخ بهم الحِمام ، وعطّل من محاسنهم الوراء والأمام ،
فنقل إلى العدم وجودهم ، ولم يرعَ بأسهم وجودهم ، وكل ملك آدمي فمفقود ،
﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ ﴾ (هود : ١٠٤) ، فأول ناشئة ملكهم ،
ومحصل الأمر تحت ملكهم ، عظيمهم الأكبر ، وسابقة شرفهم الأجلّ الأشهر ،
وزينهم الذي يُعد في الفضائل بالوسطى والخنصر ، محمد بن عبّاد ، ويكنى أبا
القاسم ، واسم والده إسماعيل ، ومن شعره قوله :

يا حبّذا الياسمينُ إذْ يزهرُ فوقَ غصونٍ رطبيةٍ نُضِرُ
قد امتطى للجبالِ ذروتها فوقَ بساطٍ من سندسٍ أخضرُ
كأنّه والعيونُ تَرْمُقُهُ زمردٌ في حلالهِ جَوْهَرُ

ولندكر كلام ابن اللبّانة وغيره في حقهم فنقول : وصف المعتضد رحمه
الله تعالى بما صورته^١ : المعتضد أبو عمرو عبّاد رحمه الله تعالى ، لم تخلُ أيامه في
أعدائه من تقييد قدّم ، ولا عطل سيفه من قبض روح وسفك دم ، حتى لقد
كانت في باب داره حليقة لا تثمر إلّا رؤوساً ، ولا تنبت إلّا رئيساً ومرؤوساً ،
فكان نظره إليها أشهى مقترحاته ، وفي التلفت إليها استعمل جُلَّ بُكره وروحاته ،
فبكى وأرق ، وشئت وفرّق ، ولقد حكى عنه من أوصاف التجبر ما ينبغي أن
تصان عنه الأسماع ، ولا يُتعرض له بتصريح ولا إلماع ، ومن نظمه عفا الله عنه :

أتتكَ أمُّ الحَسَنِ تشلو بصوتٍ حَسَنِ
تعدُّ في ألحانها من الغناء المدني
تقودُ مني ساكناً كأنّني في رَسَنِ
أوراقها أستارها إذا شدت في قَتَنِ

وقوله :

شربنا وجفنُ الليل يغسلُ كحلّه بماء صباحٍ ، والنسيمُ رقيقُ

١ الأخيرة (٢ : ٩ - ١٠) .

معتقة كالتيبر أما نجارهما فضخم ، وأما جسمها فرفيق
وقوله :

قد وجدنا الحبيب يصفى وداده وحمدنا ضميره واعتقاده
قرب الحب من فؤاد محب لا يرى هجره ولا إبعاده
وقال عند حصول رندة في ملكه :

لقد حُصِّلَتْ يارُنْدَة فصرّت للمكنا عُدَّة
أفادتناك أرماح وأساف لها حِدَّة

وقال رحمه الله تعالى :

اشربْ على وجه الصباح وانظر إلى نورِ الأفاح
واعلمْ بأنك جاهلٌ ما لم تقلْ بالاصطباح
فالدَّهرُ شيءٌ باردٌ ما لم تُسَخِّنْهُ بِراح

٢٧٢ - [ابن جاج والمعضد]

ومن حكايات المعضد عبّاد ما ذكره غير واحد أن ابن جاج الشاعر ورد
على حضرته ، فدخل الدار المخصوصة بالشعراء ، فسألوه ، فقال : إني شاعر ،
فقالوا : أنشدنا من شعرك ، فقال :

إني قصدتُ إليك يا عبّادي قصدَ القليقِ بالجرى للوادي

فضحكوا منه وازدروّهُ ، فقال بعض عقلائهم : دعوه فإن هذا شاعر ،
وما يبعد أن يدخل مع الشعراء ويندرج في سلوكهم ، فلم يبالوا بكلام الرجل ،
وتنادروا على المذكور ، فبقي معهم ، وكان لهم في تلك الليلة يوم مخصوص

لا يدخل فيه على الملك غيرهم ، وربما كان يوم الاثنين ، فقال بعض لبعض : هذه شنة بنا أن يكون مثل هذا البادي يقدم علينا ، ويجترىء على الدخول معنا ، فاتفقوا على أن يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان ، وقد رأوا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ، ويكون ذلك حسماً لعله إقدام مثله عليهم . فلما كان اليوم المذكور ، وقعد السلطان في مجلسه ، ونصب الكرسي لهم ، رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم في ذلك اليوم ، فأمر بذلك ، فصعد الكرسي ، وانتظروا أن ينشد مثل الشعر المضحك المتقدم ، فقال :

قَطَعْتَ يا يومَ النوى أكبادي	وَحَرَمْتَ عن عيني للذيلة رُقادي
وتركتني أرعى النجومَ مسهداً	والنارُ تُضرمُ في صميمِ فؤادي
فكأنما آلى الظلامُ أليّةً	لا يَنجُلي إلاّ إلى ميعادِ
يا بَيْنَ بَيْنَ أينَ تَقْتادُ النوى	إبلُ الذينَ تَحَمَّلوا بسُعادِ
ولربّ خرقٍ قد قَطَعْتَ نياطه	والليلُ يرقلُ في ثيابِ حِدادِ
بشملة حَرَفٍ كأنّ ذَميلها	سُرُحُ الرياحِ وكلُّ برقٍ غادي
والنجمُ يحدوها وقد ناديتها	يا ناقي عوجي على عبادِ
ملكٌ إذا ما أضرمت نارُ الوغى	وتلاقتِ الأجنادُ بالأجنادِ
فقرى الجسمَ بلا رؤوسٍ تنثي	وترى الرؤوسَ لَقَى بلا أجسادِ
يا أيها الملكُ المؤمِّلُ والذي	قدماً سما شرفاً على الأندادِ
إنّ القريضَ لكاسدٌ في أرضنا	وله هنا سوقٌ بغيرِ كسادِ
فجلبتُ من شعري إليك قوافياً	يفنى الزمانُ وذكرها متمادي
من شاعرٍ لم يضطلعْ أدباً ولا	خطَّتْ يداهُ صحيفةً بمدادِ

فقال له الملك : أنت ابن جاح ؟ فقال : نعم ، فقال : اجلس فقد وليتك رئاسة الشعراء ، وأحسن إليه ، ولم يأذن في الكلام في ذلك اليوم لأحد بعده . انتهى .

رجع إلى أخبار بقية بني عبّاد :

المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد أبي عمرو عبّاد ابن القاضي أبي القاسم ابن عبّاد رحمه الله تعالى ، ملك مجيد ، وأديب على الحقيقة مُجيد ، وهُمام تحلّى به للملك لبّة وللنظم جيد ، أفنى الطغاة بسيفه وأباد ، وأنسى بسيفه ذكر الحارث بن عبّاد ، فأطلع أيامه في الزمان حُجولاً وغُرراً ، ونظم معاليه في أجيادها جواهر ودرراً ، وشيد في كل معلوة فيناه ، وعمر بكل نادرة مستغربة وبادرة مستظرفة أوقاته وآنائه ، فنَقَقَتْ به للمحامد سوق ، وبَسَقَتْ ثمرات إحسانه أيّ بسوق ، مَنَعَ وقَرى ، وراش وبرى ، ووصل وفقرى ، وكان له من أبنائه عدة أقمار نظمهم نظم السلك ، وزين بهم سماء ذلك الملك ، فكانوا معاقل بلاده ، وحُماة طارفه وتلاده ، إلى أن استدار الزمان كهيئته ، وأخذ البؤسُ في فيئته ، واعتز الخلاف وظهر ، وسَلَّ الشّتات سيفه وشهر ، والمعتمد رحمه الله تعالى يطلب نفسه أثناء ذلك بالثبات ، بين تلك الثّبات ، والمقام ، في ذلك المقام ، إلى أن بدل القطب بالواقع ، واتسع الحرق على الرّاقع ، فاستعصد بآبن تاشفين فورده عليه خطابه يشعر بالوفاء ، فثاب إليه فكر خاطره وفاء ، وثبت خلال تلك المدة للنّزالِ ، ودعا من رام حربَه نَزَالَ ، إلى أن أصبح والحروب قد نهبت ، والأيام تسترجع منه ما وهبته ، قتل ذلك العرش ، واعتدت الليالي حين أمنت من الأرش ، فنقل من صهوات الخيول إلى بطون الأجفان ، وهذه الدنيا جميعٌ ما لديها زائل وكل من عليها فان ، فما أغنت تلك المملكة وما دفعت ، وليتها ما ضرت إذ لم تكن نفعت ، وكلُّ يلتقى معجّله ومؤجّله ، ويبلغ الكتابُ أجله .

وقال الفقيه القاضي أبو بكر ابن خميس رحمه الله تعالى حين ذكر تاريخ بني عبّاد : وقد ذكر الناسُ للمعتمد من أوصافه ، ما لا يبلغ مع كثرته إلى إنصافه ، وأنا الآن أذكر نبذاً من أخباره . وأردفها بما وقفت عليه من منظومات

أشعاره ، فإنه رحمه الله تعالى جَمَّ الأدب رائقه ، عالي النظم فائقه ، كان يسمى بمحمد ، ويكنى بأبي القاسم . على كنية جده القاضي . استبد بالأمر عند موت أبيه المعتضد . وفي ذلك يقول الحصري رحمه الله تعالى :

ماتَ عَبَادٌ وَلَكِنْ بَقِيَ الْفَرْعُ الْكَرِيمُ
فَكَأَنَّ الْمَيْتَ حَيٌّ غَيْرَ أَنَّ الضَّادَ مَيِّمٌ

قال ابن اللبّانة رحمه الله تعالى : ولم يزل المعتمد بخير إلى أن كانت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، ووصل اليهودي ابن شاليب لقبض الجزية المعلومة مع قوم من رؤساء النصاري ، وحكّوا بواب من أبواب إشبيلية ، فوجّه لهم المعتمد المال ، مع جماعة من وجوه دولته ، فقال اليهودي : والله لا أخذت هذا العيار ، ولا آخذ منه إلاّ مشجراً ، وبعد هذا العام لا آخذ منه إلاّ أجفان البلاد ، ردوه إليه ، فردّ المال إلى المعتمد ، وأعلم بالقصة ، فدعا بالهند ، وقال : اثنوني باليهودي وأصحابه ، واقطعوا جبال الحياء ، ففعلوا وجاؤوا بهم ، فقال : اسجنوا النصاري ، واصلبوا اليهودي الملعون ، فقال اليهودي : لا تفعل ، وأنا أفندي منك بزيتي مالا ، فقال : والله لو أعطيتني العنوة والأندلس ما قبلتهما منك . فصُلب ، فبلغ الخبر النصرائي ، فكتب فيهم ، فوجّه إليه بهم ، فأقسم النصرائي أن يأتي من الجنود بعدد شعر رأسه حتى يصل إلى بحر الزقاق ، وأمير المسلمين يوسف ابن تاشفين إذ ذاك محاصر سبتة ، فجاز المعتمد إليه ، ووعدته بنصرته ، فرجع وحث ملوك الأندلس على الجهاد ، ثم وصل ابن تاشفين ، فكانت غزوة الزلاقة المشهورة . ورجع ابن تاشفين إلى المغرب . ثم جاز بعد ذلك إلى الأندلس ، وتوهم ابن عبّاد أنه إذا أخذ البلاد يأخذ أموالها ويترك الأجفان . فعزم ابن تاشفين على أن يخلع ملوك الأندلس ، ودارت إذ ذاك مكاييد جمّة ، ثم وجّه ابن تاشفين من سبتة إلى المعتمد يطلب منه الجزيرة الخضراء وفيها ابنه يزيد ، فكتب إليه معتذراً عنها ، فلم يكن إلاّ كلمح البصر وإذا بمائة شراع قد أطلت على الجزيرة ،

فطير ابنه الحمام إليه ، فأمره بإخلاصها ، فظهر عند ذلك ابن تاشفين ، وقيل : إنه لم يجز المرة الأولى حتى طلب من المعتمد الجزيرة لتكون عدة له ، وكان ذلك بدميسة بعض أهل الأندلس نصحاً لابن تاشفين . ثم شرع ابن تاشفين في خلع ملوك الأندلس وقتلهم ، وأرسل إلى كل مملكة جماعة من أهل دولته وأجناده يحاصرونها ، وأرسل إلى حضرة المعتمد إشبيلية ، وشرع في قتالها ، والناس قد ملوا الدولة العبدية وشتموها ، على ما جرت به العادة من حب الحديد ، لا سيما وقد ظهر من ابن عباد من التهلك في الشرب والملاهي ما لا يخفى أمره ، فتمنى أكثر الناس الراحة من دولتهم ، ولما اشتدّ مُحَنَقُ المعتمد وجهه عن النصارى ، فأعدّ لهم ابن تاشفين من لقيهم في الطريق ، فهزمهم ، وجهاز ابن تاشفين القطائع لإشبيلية ، وجدّ في حصارها ، والمعتمد مع ذلك منغمس في لذاته ، وقد ألقى الأمور بيد ابنه الرشيد ، فلم يشعر ابن عباد إلاّ والعسكر معه في البلد ، فأفاق من نومه ، وصحى من سكره ، وركب فرسه وحسامه في يده ، وليس عليه إلاّ ثوب واحد ، فوافق العسكر قد دخل من باب الفرج ، ووافى هنالك طبلاً فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين ، ففر الناس أمامه ، وتراموا من السور ، ووقف حتى بان الباب ، وفي ذلك يقول الأبيات المذكورة فيما يأتي :

إن يسلب القوم العدا . . . إلخ .

فلما وصل إلى باب الصباغين وجد ابنه مالكا مقتولاً ، فاسترحم له ، ودخل القصر ، وزاد الأمر بعد ذلك ، ودُخِلَ البلد من كل جهاته فطلب الأمان له ولمن معه ، فأمن جميع من له ، وأعدت له مراكب ، واجتاز إلى طنجة ، فلقية الحصري الشاعر ، وكان قد ألّف له كتاب « المستحسن من الأشعار » فلم يُقَصَّ بوصوله إليه إلاّ وهو على تلك الحالة ، فلما أخذ المعتمد الكتاب قال للحصري : ارفع ذلك البساط فخذ ما تحته ، فوالله ما أملك غيره ، فوجد تحته جملة مال ، فأخذه ، ثم انتقل حتى وصل أغمات ، ولم يزل بها إلى أن مات ، رحمه الله تعالى .

وقال الفتح في ترجمته ما نصه ^١ : ملك قَمَعَ العدا ، وجمع البأس والندى ، وطلع على الدنيا بدرَ هُدى ، لم يتعطل يوماً كفته ولا بنانه ، آوَنَ يراعه وآوَنَ سَنَانُهُ ، وكانت أيامه مواسم ، وثغوره بواسم ^٢ ، ولياليه كلها درراً ، ولأزمان حَجُولاً وغُرراً ، لم يغفلها من سِمَات عوارف ، ولم يُضَحِّحها من ظل إيناس وارف ، ولا عطلها من مآثرة بقي أثرها بادياً ، ولقي معنفيه منها إلى الفضل هادياً ، وكانت حضرته مطمحاً للهمم ، ومسرّحاً لآمال الأمم ، ومقذفاً لكل كميٍّ ، وموقفاً لكل ذي أنفٍ حَمِيٍّ ، لم تخلُ من وَقْدٍ ، ولم يصحُّ جوّها من انسجام رِفْدٍ ، فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكُماة ، ومشاهير الحُماة ، أعداد يغصُّ بهم الفضاء ، وأنجاد يُزْهِى بهم النفوذ والمضاء ، وطلع في سمائه كل نجم مُتَّقَدٍ ، وكل ذي فهم مُتَّقَدٍ ، فأصبحت حضرته ميداناً لرهان الأذهان ، ومضماراً لإحراز الحاصل ، في كل معنى وفصل ، فلم يلتحق بزمامه إلاّ كل بطل نجد ، ولم يشق في نظامه إلاّ ذكاء ومجد ، فأصبح عصره أجمل عصر ، وغدا مصره أكمل مصر ، تُسْفَح فيه دِيَمُ الكرم ، ويُفْصَح فيه لسانا سيفٍ وقلم ، ويفضح الرضى في وصفه أيام ذي سَلَمٍ ، وكان قومه وبنوه لتلك الحَلْبة زِيناً . ولتلك الحملة عيناً ، إن ركبوا خِلَتِ الأرض فلِكاً يحمل نجوماً ، وإن وهبوا رأيت الغمام سَجُوماً ، وإن أقدموا أحجم عَتْرَةُ العبسي ، وإن فخروا أفحم عَرَابة الأوسي . ثم انخرقت الأيام فألوت بإشراقه ، وأذوت يانع لإراقه ، فلم يدفع الرمح ولا الحسام ، ولم تنفع تلك المذن الجسام ، فتملك بعد الملك ، وحُطَّ من فلكه إلى الفُلُك ، فأصبح خائضاً تحدوه الرياح ، وناهضاً يزجيه البكاء والصياح ، قد ضجت عليه أياديه ، وارتجت جوانبُ ناديه ، وأضحت منازلُه قد بان عنها الأنس والحبور ، وألوت بيهجَتِها الصَّبَا والدَّبُور . فبكت العيون عليه دماً ، وعاد

١ القلائد : ٤ وما بعدها .

٢ م والمطبخ : وثغوره بره بواسم .

موجود الحياة عدماً ، وصار أحرار الدهر فيه خَدَمًا ، فسحقاً لدنيا ما رعت
 حقوقه ، ولا أبقت شروقه ، فكُم أحياءاً لبنيتها ، وأبداءها رائقةً لمجنتيها ، وهي
 الأيام لا يتقى من تجنيها ^١ ، ولا تبقي على مواليتها ومُلدانيها ، أدثرت آثار جلق ،
 وأخمدت نار المحلق ، وذلت عزة ابن شداد ، وهدت القصر ذا الشرفات من
 سِنْدَاد ، ونعمت ببؤس النعمان ، وأكملت غدرها له في طلب الأمان ، انتهى .
 ثم ذكر الفتح من أخباره وأشعاره ومجالس أنسه وغير ذلك من أمره نبذاً
 ذكرنا بعضها في هذا الكتاب .

٦٧٣ — [الراضي ابن المعتمد]

وقال في ترجمة ابنه الراضي بالله أبي خالد يزيد بن المعتمد ما نصه ^٢ : ملك
 تفرع من دَوْحَةِ سَنَاء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وتحدّر من سُلالة
 أكابر ، ورُقاة أسيرة ومنابر ، وتصرف أثناء شببته بين دراسة معارف وإفاضة
 عوارف ، وكلف بالعلم حتى صار مَلْهَجَ لسانه ، وروضة أجفانه ، لا يستريح
 منه إلّا إلى متن سائل الغُرّة ، ميمون الأسرة ، يسابق به الرياح ، ويحاسن بغُرته
 البدرَ اللياح ، عريق في السناء ، عتيق الاقتناء ، سريع الوخد والإرقال ، من
 آل أعوج أو لذي العقال ^٣ ، إلى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء ، وضم إليها
 رُنْدَةَ الغراء ، فانتقل من متن الجواد ، إلى ذروة الأعواد ، وأقلع عن الدراسة ،
 إلى تدبير الرياسة ، وما زال يدبّر بها بجوده ونُهاه ، ويورد الآمل فيها مُناه ، حتى
 غدت عِراقاً ، وامتألت إشرافاً ، إلى أن اتفق في أمر الجزيرة ما اتفق ، وخاب

١ وهي . . . تجنيها : سقطت من م .

٢ القلائد : ٣١ .

٣ القلائد : أو ولد العقال ؛ والإشارة إلى قول الشاعر :

وترى الجياد يبتن حول خبائنا من آل أعوج أو لذي العقال

وأعوج والعقال : محلان من فحول الجياد .

فيها الرجاء وأخفى ، واستحالت بهجتها ، وأحالت عليها من الحال بلجتها^١ ، فانتقل إلى رُنْدَة معقل أشيب ، ومترل للسّمَاك منتسب ، وأقام فيها رهينَ حصار ، ومهين حماة وأنصار ، ولقيت ريحه كل إعصار ، حتى رمته سهام الخطوب عن قسيّتها ، وأمكنت منه يدي مُسيّتها ، فحواه رَمْسُهُ ، وطواه عن غده أمسه ، حسبما بسطنا القول فيه ، فيما مر من أخبار أبيه ، انتهى .

والذي أشار إليه هنا وأحال عليه فيما تقدم له من أخبار المعتمد هو قوله بعد حكايته قتل المأمون بن المعتمد بقرطبة وسياقة أخبار ذلك ما نصه^٢ : ثم انتقلوا إلى رُنْدَة أحد معاقل الأندلس الممتنعة ، وقواعدها السامية المرتفعة ، تطرد منها على بُعد مُرتقاها ، ودنوّ النجوم من ذراها ، عيون لانصبابها دويّ كالرعد القاصف ، والرياح العواصف ، ثم تتكوّن وادياً يلتوي بجوانبها التواء الشجاع ، ويزيدها في التوعر والامتناع ، وقد تجوّنت نواحيها وأقطارها ، وتكوّنت فيها لُباناتها وأوطارها ، لا يتعذر لها مطلب ، ولا يتصور فيها عدو إلاّ عَدِيْقَهُ ناب أو مغلب ، فلما أناخوا منها على بُعد ، وأقاموا من الرجاء فيها على غير وعد ، وفيها ابنه الراضي لم يحفل بإناعتهم بإزائه ، ولا عَدَّها من أرزائه ، لامتناعه من منازلهم ، وارتفاعه عن مطاولتهم ، إلى أن انقضى في أمر إشبيلية ما انقضى ، وأفضى أمر أبيه إلى ما أفضى ، فحمل على مخاطبته ليتزل عن صياصيه ، ويمكنهم من نواصيه ، فترل برّاً بأبيه ، وإبقاء على أرماق ذويه ، بعد أن عاقدتهم مستوثقاً ، وأخذ عليهم عهداً من الله ومَوْثِقاً ، فلما وصل إليهم ، وحصل في أيديهم ، مالوا به عن الحصن وجرعوه الردى ، وأقطعوه الثرى حين أودى ، وفي ذلك يقول المعتمد يرثيها ، وقد رأى قمرية بائحة بشجّتها ، نائحة بفشّنها على سكّنها ، وأمامها وكّر فيه طائران يرددان نغماً ، ويغردان ترحةً وترنماً :

١ القلائد : وبسات عليها من الحوادث بلجتها .

٢ القلائد : ٢٠ .

بَكَتْ أَنْ رَأَتْ إِلَيْنِ ضَمَّتَهُمَا وَكَثُرُ
وَنَاحَتْ فَبَاحَتْ وَاسْتَرَاخَتْ بِسَرِّهَا
فَمَا لِي لَا أَبْكِي أُمَّ الْقَلْبُ صَخْرَةٌ
بَكَتْ وَاحِدًا لَمْ يَشْجِهَا غَيْرُ فَقْدِهِ
بُنَى صَغِيرٌ أَوْ خَلِيلٌ مُوَافِقٌ
وَنَجْمَانِ زَيْنٌ لِلزَّمَانِ احْتَوَاهُمَا
غَدَرْتُ إِذْنِ إِنْ ضَنَّ جَفَنِي بِقَطْرَةٍ
فَقُلْ لِلنَّجُومِ الزُّهْرِ تَبْكِيهِمَا مَعِي
مَسَاءً وَقَدْ أَخْنَى عَلَى إِلَيْهَا الدَّهْرُ
وَمَا نَطَقْتُ حَرْفًا يَبُوحُ بِهِ سِرُّ
وَكَمْ صَخْرَةٌ فِي الْأَرْضِ يَجْرِي بِهَا نَهْرُ
وَأَبْكِي لِأَلْفِ عَدِيدِهِمْ كَثُرُ
يَمْزُقُ ذَا قَفَرٍ وَيُغْرِقُ ذَا بَحْرٍ
بِقَرْطِيَةِ التَّكْدَاءِ أَوْ رُنْدَةِ الْقَبْرِ
وَلِنْ لُؤْمَتِ نَفْسِي فَصَاحِبِهَا الصَّبْرِ
لِثَلْهُمَا فَلْتَحْزَنْ الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ

وقال في ترجمة الراضي ما صورته ^٢ : وكان المعتمد رحمه الله تعالى كثيراً ما يرميه بملامه ، ويُصميه بسهامه ، فربما استلطفه بمقال أفصح من دمع المحزون ، وأملح من رَوْضِ الحُزُونِ ، فإنه كان ينظم من بديع القول لآلئ وعقوداً ، تسُلُّ من النفوس سخائم وحقوقاً ، وقد أثبت من كلامه في بث آلامه ، واستجارة عَدُوِّهِ وملامه ، ما تستبدعه ، وتخلُّهُ النفوس ^٣ وتودعه ، فمن ذلك ما قاله وقد أنهض جماعة من إخوته وأقعدة ، وأذناهم وأبعده :

أَعْيْذُكَ أَنْ يَكُونَ بِنَا خَمُولٌ وَيَطْلَعَ غَيْرُنَا وَلِنَا أَفُولُ
حَنَانُكَ إِنْ يَكُنْ جَرْمِي قَيْحاً فَإِنَّ الصَّفْحَ عَنْ جَرْمِي جَمِيلُ
أَلَسْتُ بِفِرْعَوْنَ الزَّاكِي وَمَاذَا يَرْجِي الْفِرْعُ خَانَتُهُ الْأُصُولُ

ثم قال الفتح بعد كلام ^٤ : ومرت عليه - يعني الراضي - هودجٌ وقباب ، فيها حباب كنَّ له وأحباب ، أليفهن أيامَ خلاته من دولة ، وجال معهن في

١ م : التكرار .

٢ القلائد : ٣٢ .

٣ م : النفس .

٤ القلائد : ٣٣ .

ميدان المنى أعظم جولة ، ثم انتزعوا منه بيْعده ، وأودعوا الهودج من بَعده ،
ووجّهوا هدايا إلى العُدوة ، وألّوا بها إلام قريش بدار الندوة ، فقال :

مرّوا بنا أضلاً من غير ميعادٍ فأوقدوا نارَ شوقي أيّ إيقادٍ
وأذكروني أياماً لهوتُ بهم فيها ففازوا بإيثاري وإحمادي
لا غرو أن زاد في وجدي مرورهمُ فرؤيةُ الماء تُدكي غلّة الصادي

ولما وصل المعتمد^١ لورقة أعلم أن العدو قد جيش لها واحتشد ، ونهّد نحوها
وقصد ، ليتركها خاوية على عروشها ، طاوية الجوانح على وحوشها ، فتعرض
له المعتمد دون بغيته ، وطلع عليه من ثنيته ، وأمر الراضي بالخروج إليه في عسكر
جبرّده لمحاربتة ، وأعدّه لمصادمته ومضاربتة ، فأظهر التمارض والتشكي ،
وأضمر التقاعس والتلكي ، فراراً من المصادمة ، وإحجاماً عن المساومة ،
وجزّعا من منازلة الأقران ، ومقابلة ذوابل المرّان ، ومقاساة الطعان ، وملاقة
أبطال كالرّعان ، ورأى أن المطالعة ، أرجح من المقارعة ، ومعاناة العلوم ، أربح
من مداواة الكلوم ، فقد كان عاكفاً على تلاوة ديوان ، عارفاً بإجادة صدر
وعنوان ، فعلم المعتمد ما نواه ، وتحقق ما لواه ، فأعرض عنه ، ونقض يده منه ،
ووجّه المعتد^٢ مع ذلك الجيش الذي لم تنشر بنوده ، ولا نصرت جنوده ، فعندما
لاقوا العدو لاذوا بالفرار ، وعادوا بإعطاء الغرة بدلاً من الغرار ، وتفرقوا في
تلك الأماريت^٣ ، وفرقوا من تخطف أولئك العفاريت ، فتحيّف العدو من بقي
مع المعتد واهتضمه ، وخضم ما في العسكر وقصّمه ، وغدت مضاربه بجرّ عواليه ،
ومجرى مذاكيه ، وآب أخسر من بائع السّدانة^٤ ، ومضيع الأمانة ، فانطبقت
سما المعتمد على أرضه ، وشغلته عن إقامة نوافله وفرّضه ، فكتب إليه الراضي :

١ ق م : العدو .

٢ ق م : وتوجه المعتد .

٣ الاماريت : الأراضي المنبسطة ؛ وفي ق م : الأقاريت .

٤ يعني أبا عيشان الذي باع سدانة الكعبة لقصي ، قيل : بزق عمر .

لا يكرثتك خطبُ الحادثِ الجاري فما عليكَ بذاك الخطبِ من عاري
 ماذا على ضيغَمٍ أمضى عزيمتهُ إنْ خانهُ حدُّ أنيابٍ وأظفارِ
 لئنْ أتوكَ فمن جبنٍ ومن خورٍ قد ينهضُ العيرُ نحو الضيغَمِ الضاري
 عليكَ للناسِ أنْ تَبْقَى لنصرتهم وما عليكَ لهمْ إسماعُ أقدارِ
 لو يَعْلَمُ الناسُ فيما أنْ تدومَ لهمْ بكواً لأنكَ من ثوبِ الصبا عاري
 ولو أطاقوا انتقاصاً من حياتهم لم يُتَحِفوكَ بشيءٍ غيرِ أعمارِ

فحجب عنه وجهه رضاه ، ولم يستتر له ^٢ بذلك ولا استرضاه ، وتمادى على
 إعراضه ، وقعد عن إظهاره وإنهاضه ، حتى بسطته سوانح السلو ، وعطفته عليه
 جوانح ^٣ الحنو ، فكتب إليه بهزل ، غلب فيه كل منزع جزل ، وهو :

الملكُ في طيِّ الدفاترُ فتخلَّ عن قودِ العساكرِ
 طُفُّ بالسريِّ مسلماً وارجعْ لتوديعِ المنايرِ
 وازحفْ إلى جيشِ المعادِ رفِ تقهرِ الحبرِ المقامرِ
 واطعنْ بأطرافِ اليراءِ عِ نُصرتَ في ثغرِ المعابرِ
 واضربْ بسكينِ اللوا ة مكانَ ماضي الحدِّ باترِ
 أولستَ رسطاليسَ إنْ ذكِرَ الفلاسفةُ الأكابرِ
 وأبو حنيفةَ ساقطُ في الرأي حينَ تكونُ حاضرُ
 وكذلكَ إنْ ذُكرَ الخلية لُ فأنتَ نحويٌّ وشاعرُ
 مَنْ هُرْمَسُ مَنْ سيودِ مِنْ ابنِ فوركِ إذ تناظرُ
 هذي المكارمُ قد حوِّدِ تَ فكنَ لمن حبابك شاكِرُ
 واقعدُ فإنكَ طاعمُ كاسٍ وقل: هل من مُفانِرُ

١ هذا البيت سقط من ق م .

٢ القلائد : ولم يستمله .

٣ ق م : جوانب ، وأثبتنا رواية القلائد .

لحجبتُ وجهَ رضائيَ عنكَ وكنتَ قد تلقاهُ سافرُ
أولستَ تذكرُ وقتَ لُو رَقَّةَ وقلبكَ ثمَّ طائرُ
لا يَسْتَقِرُّ مكانَهُ وأبوكَ كالضرغامِ خادرُ
هَلَا اقتديتَ بفعلهِ وأطعتهُ إذ ذاكَ أمرُ
قدْ كانَ أبصرَ بالعوا قَبِ والمواردِ والمصادرُ

فكتب إليه الراضي مراجعاً بقطعة منها :

مولاي قد أصبحتُ كافرُ بجميعِ ما تحوي الدفاترُ
وفلكتُ سكتينَ الدَّوَاةَ وظلّتُ للأقلامِ كاسرُ
وعلمتُ أنَّ المُلُكَ ما بينَ الأسِنَّةِ والبَواتِرِ
والمَجْدُ والعَلِيَاءِ في ضَرْبِ العساكِِرِ بالعساكِِرِ
لا ضَرْبِ أَقْوالِ بأقْدِ وال ضَعِيفاتِ مَنَاكِرِ
قد كنتُ أحسبُ مِن سَفَا هِ أَنَّهَا أَصْلُ المَفَاخِرِ
فإذا بها فَرَعٌ لَهَا وَالْجَهْلُ لِلإِنْسَانِ عاذِرُ
لا يدرُكُ الشرفَ الفَيِّ إِلَّا بَعْسَالِ وبِاتِرِ
وهجرتُ من سَمِيَّتِهِمْ وَجَحَدْتُ أَنَّهُمْ أَكْبَرِ
لو كنتَ تَهوى مِيتِي لوجدتني للعَيْشِ هاجِرِ
ضَحِكُ المَوالِي بالعَيِّ لَدِ إِذَا تَوَمَّلَ غَيْرُ ضائِرِ
إِنْ كانَ لي فَضْلٌ فَمَنْ لَكَ وَهَلْ لَذاكَ النورِ سائرُ
أَوْ كانَ بي نَقصٌ فَمَنْ نَحْيَ غَيْرَ أَنَّ الفَضْلَ غامرُ
ذَكَرْتَ عَبْدَكَ ساعَةً يَبْقَى لَهَا ما عاشَ ذاكِرُ
يا لَيْتَنِي قَدْ غَيَّبْتَ هُ عِنْدَها إِحدى المَقابِرِ
أَتريدُ مِنِّي أَنَّ أَكو نَ كَمَنَ غدا في الدَهرِ نادرُ
هيهاتَ ذاكَ مَطْمَعٌ يُعْيِي الأوائِلَ والأواخرُ

لا تنسَ يا مَوْلَايَ قَوْ لَةَ ضَارِعٍ لا قَوْلَ فَاخِرٍ
ضَبَطَ الْجَزِيرَةَ عِنْدَمَا نَزَلَتْ بِعَقْوَتِهَا الْعَسَاكِرُ
أَيَّامَ ظَلَّتْ بِهَا قَرْدٌ لِمَا لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ نَاصِرُ
إِذْ كَانَ يُعْشِي نَاطِرِي لَمَعُ الْأَسِنَّةِ وَالْبَوَاتِرُ
وَيُصِمُ أَسْمَاعِي بِهَا قَرَعُ الْحَجَارَةِ بِالْخَوَافِرُ
وَهِيَ الْحَضِيضُ سُهولةً لَكِنْ ثَبْتُ بِهَا مَخَاطِرُ
هَبْنِي أَسَاتُ كَمَا أَسَأْتُ أَمَا لِهَذَا الْعَتَبِ آخِرُ
هَبْ زَلَّتِي لِبُنُوتِي وَاعْفُرْ فَإِنَّ اللَّهَ غَافِرُ

فقربه وأدناه ، وصفح عما كان جناه ، ولم تزل الحال آخذة في البوار ،
والأمور معتلة اعتلال حب الفرزدق للنوار ، حتى مضوا لغير طيبة ، وقضوا
بين الصوارم والرماح الخطيئة ، حسبما سردناه ، وعلى ما أوردناه ، وإذا أراد
الله سبحانه إنفاذ أمر سبق في علمه ، فلا مرد له ولا معقب لحكمه ، ولا إله إلا
هو رب العالمين ؛ انتهى كلام الفتح .

وعلى الجملة فكانت دولة بني عبّاد بالأندلس من أبهج الدول في الكرم
والفضل والأدب ، حتى قال ابن اللبّانة رحمه الله تعالى : إن الدولة العبّادية
بالأندلس أشبه شيء بالدولة العباسية ببغداد ، سعة مكارم ، وجمع فضائل ،
ولذلك ألّف فيها كتاباً مستقلاً سماه «الاعتماد في أخبار بني عبّاد» ، ولا يلتفت
لكلب عقور نبج بقوله :

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كاهراً يحكي انتفاخاً صورة الأسد

لأن هذه مقالة متعسف كافر للنعم ، ومثل ذلك في حقهم لا يقدح ، وما زالت
الأشراف تُهْجَى وتُمدح .

وللمعتمد أولاد ملوك منهم المأمون والرشيد والراضي والمعتد وغيرهم ، وقد
سردنا خبر بعضهم .

٦٧٤ — [مدائح ابن البانة في بني عباد]

وكان الداني المذكور ماثلاً إلى بني عباد بطبعه ، إذ كان المعتمد هو الذي
جذب بضبعه ، وله فيه المدائح الأنيقة ، التي هي أذكى من زهر الحديقة ،
فمن ذلك قوله من قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الأربعة ، الذين عمروا من
المجد أربعة ، وهم الرشيد عبيد الله والراضي يزيد والمأمون والمؤمن ، وكانوا
نجوم ذلك الأفق وغيوث ذلك الزمن ، ولقد أجاد في ذلك كل الإجادة ، وأطال
لمجدهم نجاهه :

يغيثك في محل ، يعينك في ردى يروعك في درع ، يروك في برد
جمال وإجمال وسبق وصوله كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد
بمهجته شاد العلاء ثم زادهما بناء بأبناء جحاحجة لُدَّ
بأربعة مثل الطبايع تركبوا لتعديل ذكر المجد والشرف العبد

والمأمون بن المعتمد قتله لمتونة بقرطبة ، والراضي يزيد قتلوه برؤدة كما
سقنا خبره آنفاً ، وفي حالتهم هذه يقول الشاعر المشهور عبد الجبار بن حمديس
الصقلي :

ولما رحلتم بالندى في أكفكم وقُلِّلَ رضى منكم وثبيرُ
رفعت لسانى بالقيامة قد دنت فهذي الجبالُ الراسياتُ تسيرُ

وفي قصة المعتمد يقول الداني المذكور :

لكل شيء من الأشياء ميقاتٌ وللمنى في منايهن غاياتُ

والدهرُ في صِفَةِ الحِرْبَاءِ منغمسٌ
ونحن من لُعبِ الشطرنجِ في يده
انفض يدُك من الدُّنيا وزيتها
وقلْ لعالمها الأرضي قد كتمتْ
ألوانُ حالاته فيها استحالاتُ
وطالما قُمِرَتْ بالبيدِ الشاةُ
فالأرض قد أفقرت والناس قد ماتوا
سريرةَ العالمِ العلويِّ أغامتْ
وهي طويلة ذكرها الفتح وغيره .

وللداني أيضاً قصيدة عملها في المعتمد وهو بأغامت سنة ٤٨٦^١ :

تنشقُ بريحانِ السَّلامِ فإنما
وقلْ لي مجازاً إن عدمت حقيقةً
أفكرُ في عصرٍ مضى بك مشرقاً
وأعجبُ من أفقِ المجرةِ إذ رأى
لئن عظمتُ فيك الرزيةُ إننا
قناة سعتْ للطعن حتى تقسّمتْ
أفصّ به مسكاً عليك محتماً
لعلّك في نعمي فقد كنتَ منعماً
فيرجعُ ضوءُ الصبحِ عندي مظلماً
كسوفك شمساً كيف أطلع أنجماً
وجدناك منها في الرزية أعظماً
وسيفُ أطلالِ الضربِ حتى تثلماً
ومنها :

بكي آلَ عبادٍ^٢ ولا كمحمدٍ
حيبٌ إلى قلبي حبيبٌ لقوله
صباحهمُ كُنا به نحمدُ السُّرى
وكنّا رعيناً العزَّ حولَ حِماهمُ
وقد ألبستُ أيدي الليلي قلوبهم
قصورُ خلّت من ساكنيها فما بها
وأولاده صوبُ الغمامةِ إذ همي
عسى طللٌ يدنو بهم ولعلّما
فلما عدمناهم سرينا على عَمي
فقد أجذبَ المرعى وقد أفقر الحمي
مناسجَ سدّئ الغيثِ فيها وألحما
سوى الأدم تمشي حول واقفة الدُّمى

١ سنة ٤٨٦ : سقطت من م .

٢ ق م : محمود .

تجيبُ بها الهامَ الصّدى ولطالما
 كأن لم يكن فيها أنيس ، ولا التقى
 أجابَ القيّانُ الطائرَ المترنما
 بها الوفدُ جمعاً والحميسُ عرمرما
 ومنها :

حكيتَ وقد فارقتَ ملكك مالكا
 مصابٌ هوى بالنيراتِ من العلا
 ولم يُبقِ في أرضِ المكارم معلما
 تضيقُ عليّ الأرضُ حتى كأنما
 خلقتُ وإياها سواراً ومعصما
 ندبتك حتى لم يحلّ لي الأسى
 دموعاً بها أبكي عليك ولا دما
 وإني على رسمي مقيمٌ فإن أمتُ
 سأجعلُ للباكين رسمي موسما
 بكاك الحيا والريحُ شقتُ جيوبها
 عليك وناحَ الرعدُ باسمك معلما
 ومزق ثوب البرق واكتست الضحى
 حداداً وقامت أنجمُ الجوّ أفحما
 وحارابك الإصباح وجداً فما هتدى
 وغار أخوك البحرُ غيضاً فما طمى
 وما حلّ بدرُ التّمّ بعدك دارةٌ
 ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما
 قضى الله أن حطّوك عن ظهرٍ أشقرٍ
 بشم وأن أمطّوك أشامَ أدما

وكان قد انفكت عنه القيود : فأشار إلى ذلك بقوله فيها :

قيودك ذابتُ فانطلقتَ لقد غدتَ
 عجبْتُ لأنّ لآلَ الحديدِ وأنّ قسّوا
 قيودك منهم بالمكسارمِ أرحما
 لقد كان منهم بالسريرةِ أعلما
 سينجيك منّ نجى من السجن يوسفاً
 ويؤويك منّ آوى المسيح بن مريما

ولأبي بكر الداني المذكور في البكاء على أيامهم وانتشار نظامهم عدة
 مقطوعات وقصائد ، هي قرّة عين الطالب ونجعة الرائد ، وقد اشتمل عليها جزء
 لطيف ، صدر عنه في هيئة تصنيف ، سماه « السلوك في وعظ الملوك » . وروى
 على المعتمد وهو بأغمت ، عدة وفادات ، لم يحل في جميعها من إفادات ، وقال
 في إحداهما : هذه وفادة وفاء لا وفادة اجتداء .

قال غير واحد : من النادر الغريب أنه نودي في جنازته « الصلاة على الغريب »
بعد عظم سلطانه ، وسعة أوطانه ، وكثرة صقالبته وحُبشانه ، وعظم أمره وشانه ،
فتبارك من له العزة والبقاء والدوام ، واجتمع عند قبره جماعة من الأقوام ، الذين
لهم في الأدب حصّة ، ولقضية المعتمد في صدورهم غُصّة ، منهم البالغ في البلاغة
الأمّد ، شاعره أبو بحر عبد الصمد ، وكان به خصيصاً ، وكم ألبسه من بره حلّة
وقميصاً ، فقال من قصيدة طويلة أجاد فيها ما شا ، وجلب بها إلى أنفـسِ الحاضرين
بعد الأتس إـحاشا ، مطلعها :

مَلِكُ الملوِكِ أَسامِعُ فَأُنادي أم قد عدتـك عن السماع عَوادي

ومنها :

لَمّا خَلتُ مِنْكَ القصورُ ولم تكنُ فيها كما قد كنتَ في الأعيادِ
قَبِلْتُ من هذا الثرى لك خاضعاً وجعلت قبرك موضع الإنشادِ
فلما بلغ من إنشاده . إلى مُرادِه ، قَبِلَ الثرى ومرغ جسمه وعفّر خدّه .
فبكى كل من حضر وصرفه ذلك عن سرور العيد وصدّه ، إذ كانت هذه القصة
يوم عيد ، فسبحان المبدىء المعيد .
ويحكى أن رجلاً رأى في منامه إثر الكائنة على المعتمد بن عباد كأن رجلاً
صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس وأنشد هذه الأبيات متمثلاً :

رَبِّ ركبٍ قد أناخوا عيسَهُمُ في ذرى مجدهمُ حينَ بَسَقُ
سَكَتَ الدهرُ زماناً عنهمُ ثم أبكاهمُ دماً حينَ نَطَقُ

وعاش أبو بكر ابن اللبّانة المعروف بالداني المذكور آنفاً بعد المعتمد ، وقدم
: ميورقة آخر شعبان سنة ٤٨٩ ، ومدح ملكها مبشر بن سليمان بقصيدة مطلعها :

ملكٌ يروعكَ في حلّ ريعانه راقبَ بروتقه صفاتُ زمانه

وأين هذا من أمداحه في المعتمد ؟

وتذكرت هنا من أحوال الداني أنه دخل على ابن عمار في مجلس ، فأراد أن يندربه وقال له : اجلس يا داني ، بغير ألف ، فقال له : نعم يا ابن عمار ، بغير ميم ، وهذا هو الغاية في سرعة الجواب والأخذ بالتأثر في المزاح . ونظيره - وإن كان من باب آخر - أن المعتمد مر مع وزيره ابن عمار ببعض أرجاء إشبيلية ، فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط ، فكشفت وجهها ، وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء ، وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون به الجبس والجيارين الصانعين للجير ، ياشبيلية ، فالتفت المعتمد إلى موضع الجيارين ، وقال : يا ابن عمار الجيارين ، ففهم مراده ، وقال في الحال : يا مولاي والجباسين ، فلم يفهم الحاضرون المراد ، وتحيروا ، فسألوا ابن عمار ، فقال له المعتمد : لا تبعها منهم إلا غالية ، وتفسيرها أن ابن عباد صحف «الحيا زين» بقوله الجيارين إشارة إلى أن تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت ، فقال له والجباسين وتصحيفه «والخناشين» أي : هي وإن كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخنا شائها ، وهذا شأو لا يلحق .

ومن أخبار المعتمد أنه جلس يوماً والبزاة تُعرض عليه ، فاستحثّ الشعراء في وصفها ، فصنع ابن وهيون بديهاً :

للصيدِ قبلكَ سنّةٌ مأثورةٌ لكنّها بكّ أبدعُ الأشياءِ

تمضي البزاة وكلّما أمضيتّها عاطيتها بنجواطيرِ الشعراءِ

فاستحسنهما ، وأسنى جائزته .

وذكر ابن بسّام أن أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد يوماً وقد حُمل إليه حمول وافرة من قراريط الفضة ، فأمر له بكيسين منها ، وكان بين يديه تماثيل

عنبر من جعلتها جمل مرصع بالذهب واللاؤلء ، فقال له أبو العرب معرضاً :
ما يحمل هذين الكيسين إلاّ جمل ، فتبسم المعتمد وأمر له به ، فقال أبو العرب
بديهاً :

أهديتني^١ جملاً جونا شَفَعَتْ بهِ حملاً من الفضة البيضاء لو حملاً
نتاجُ جودِكْ في أعطانِ مكرمة لا قد تصرف من منْعٍ ولا عقلاً
فاعجبْ لشأني فشأني كله عجبٌ رفهتني فحملتُ الحملَ والجملاً

وذكر الحجاري هذه القصة فقال : قعد المعتمد في مجلس احتفل في تنصيبه
وإحضار الطرائف الملوكية ، وكان في الحملة تمثال جمل من بلور ، وله عينان
من ياقوتتين ، وقد حُلِّيَ بنفائس الدر ، فأشده أبو العرب قصيدة ، فأمر له بذهب
كثير ممّا كان بيده من السكة الجديدة ، فقال معرضاً بذلك الجمل : ما يحمل
هذه الصلة إلاّ جمل ! فقال : خذ هذا الجمل ، فإنّه حمال أثقال ، فارتجبل
شعراً منه :

رفهتني فحملت الحمل والجملاً

وذكر أن ذلك الجمل بيع بخمسمائة مثقال ، فسارت بهذا الخبر الركائب ،
وتهادته المشارق والمغارب .

وتباحث المعتمد مرة مع الجلساء في بيت المتنبي الذي زعم أنه أمير شعره :

أزورهم وسوادُ الليل يشفعُ لي وأنثي وياضُ الصبحِ يغري بي

فقال : ما قصر في مقابلة كل لفظة بضدها إلاّ أن فيه نقداً خفياً ، فكفروا
فيه ، فلما فكروا قالوا له : ما وقفنا على شيء ، فقال : الليل لا يطابق إلاّ بالنهار
لأن الليل كلّي والصبح جزئي . فتعجب الحاضرون ، وأثنوا على تدقيق انتقاده .

١ م . أهديت لي ؛ وقد مرت الأبيات في ج ٣ : ٥٦٩ .

قال الصفدي : قلت : ليس هذا بتقد صحيح ، والصواب مع أبي الطيب .
لأنه قال « أزورهم وسواد الليل يشفع لي » فهذا محب يزور أحبابه في سواد الليل
خوفاً ممن يشي به . فإذا لاح الصبح أغرى به الوشاة . ودل عليه أهل النيمة ،
والصبح أول ما يغري به قبل النهار . وعادة الزائر المريب أن يزور ليلاً . وينصرف
عند انفجار الصبح خوفاً من الرقباء . ولم تجر العادة أن الخائف يتلبث إلى أن
يتوضح النهار . ويمتلئ الأفق نوراً . فذكر الصبح هنا أولى من ذكر النهار ،
والله أعلم ، انتهى .

قلت : كان يختلج في صدري ضعف ما قال الصفدي ، حتى وقفت على
ما كتبه البدر البشتكي . ومن خطه نقلت ما صورته : هو ما انتقد عليه المعنى .
إنما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح ، فإن ذلك فاسد ، انتهى ، فحمدت الله على
الموافقة ، انتهى .

وقال في بدائع البدائه^١ : جلس المعتمد للشرب وذلك في وقت مطر أجرى
كل وهدنة نهراً . وحلّى جيد كل غصن من الزهر جوهرأ ، وبين يديه جارية
تسقيه وهي تقابل وجهها بنجم الكأس في راحة كالثرى ، وتنجل الزهر بطيب
العرّف والريّا ، فاتفق أن لعب البرق بحسامه . وأجال سوطه المذهب يسوق
به ركامه ، فارتاعت لحظفته ، وذعرت من خيفته . فقال المعتمد بديها :

روّعها البرقُ وفي كفّهما برقٌ من القهوةِ لتاعُ
عجبتُ منها وهي شمس الضحى كيف من الأنوارِ ترتاعُ

فاستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسى ، وأنشده البيت الأول مستجيزاً .
فقال عبد الجليل :

ولن ترى أعجبَ من آنسٍ من مثلٍ ما يُمسيكُ يرتاعُ

١ بدائع البدائه ١ : ١٠٠ - ١٠١ وانظر ص : ٩٢ من هذا الجزء .

فاستحسنه ، وأمر له بجائزة .

قال ابن ظافر : وبيته عندي أحسن من بيت المعتمد . انتهى .

وقال ابن بسام^١ : كان في قصر المعتمد فيل من الفضة على شاطئ بركة يقذف الماء . وهو الذي يقول فيه عبد الجليل بن وهبون من بعض قصيدة :

ويفرغ فيه مثل النصل بدع^٢ من الأفيال لا يشكو مَلالاً
رعى رطب اللجين فجاء صليلاً تراه قلتما يخشى هزالاً

فجلس المعتمد يوماً على تلك البركة والماء يجري من ذلك الفيل . وقد أوقدت شبعتان من جانبيه ، والوزير أبو بكر ابن الملح عنده ، فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديها منها :

ومشعلين من الأضواء قد قرنا بالماء والماء بالدولاب متروفاً
لاحا لعيني كالنجمين ، بينهما خط المجرى ممدوداً ومعطوفاً

وقال أيضاً :

كأنما النار فوق الشمعتين ستاً والماء من نفذ الأنبوب منسكب
غمامة تحت جناح الليل هامة في جانبيها حفاف البرق يضطرب

وقال أيضاً :

وأنبوب ماء بين نارين ضمنا هوئى لكؤوس الراح تحت الغياهب
كأن اندفاع الماء بالماء حية يحركها في الماء لمع الجياحب

وقال أيضاً :

كأن سراجي شربهم في التظائها وأنبوب ماء الفيل في سيلانه
كريم تولى كبره من كليهما لثيمان في إنفاقه يعدلانه

١ بدائع البداه ٢ : ١٣٧ .

ولما مات والد المعتمد واستقل بالملك قال ذو الوزارتين ابن زيدون يرثي
المعتضد ويمدح المعتمد بقصيدة طويلة أولها^١ :

هو الدهر فاصبر للذي أحدث الدهرُ فمن شيمَ الأحرار^٢ في مثلها الصبرُ
ستصبرُ صبرَ اليأسِ أو صبرَ حسبة^٣ فلا تؤثر الوجهَ الذي معه الوزرُ
حذارك من أن يعقب الرزءُ فتنةً يضيقُ بها عن مثل إيمانك العذرُ
إذا آسف الثكلُ الليبَ فشقه رأى أفدح الثكلين أن يذهب الأجرُ
مصابُ الذي يأسى بموت ثوابه هو البرحُ لا الميتُ الذي أحرز القبرُ
حياةُ الوري نهجٌ إلى الموت مهيجٌ لهم فيه إرضاعٌ كما يوضع السفرُ
ومنها :

إذا الموتُ أضحى قصدَ كلِّ معمرٍ فإنَّ سواء طال أو قصُرَ العمرُ
ألم ترَ أنَّ الدينَ ضيمَ ذماره فلم يغن أنصارٌ عديدهم دثرُ
بحيث استقلَّ الملكُ ثانيَ عطفه وجرَّ من أذياله العسكرُ المجرُ
هو الضيمُ لو غيرُ القضاء يرومُه ثناه المرامِ الصعبُ والمسلكُ الوعرُ
إذا عثرتْ جردُ العناجيجِ في القنا بليلٍ عجاجٍ ليس يصدعه فجرُ
ومنها :

أعبادُ يا أوفى الملوكِ لقد عدا عليكَ زمانٌ من سجيته الغدرُ
إلى أن قال بعد أبيات كثيرة :

١ ديوان ابن زيدون : ٥٦٢ .
٢ الديوان : الأبرار .
٣ في الأصول : وحشة .
٤ الديوان : أن هلك .

ألا أيها المولى الوصولُ عَيْدُهُ
 يغادريك داعينا السلامُ كَعَهْدِهِ
 أَعْتَبْ عَلَيْنَا ذاد عن ذلك الرضى
 لقد رابنا أن يتلو الصَّلَاةَ الهجرُ
 فما يُسْمَعُ الداعي ولا يُرْفَعُ السُرُ
 فتسمع^١ أم بالمسمعِ المعتلي وقرُ

ومنها :

وكيفَ بنسيانٍ وقد ملأت يدي
 وإن كنتُ لم أشكرُ لك المننَ التي
 فهل علم الشلو المقدسُ أنتي
 وأن متاني لم يضعه محمدُ
 هو الظافرُ الأعلى المؤيدُ بالذي
 له^٢ في اختصاصي ما رأيتُ وزادني
 وأرغم في بري أنوفَ عصابة
 إذا ما استوى في الدست عاقد حُبوة
 وفي نفسه العليا لي مُتَبَوِّأ
 جسمُ أباد منك أسرها الوفُرُ
 تعلّيتها ترى فأوبقي^٣ الكفرُ
 مسوَّخُ حال حار في كنهها الفكرُ
 خليفتك العدلُ الرضى وابنك البرُ
 له في الذي وافاه من صنعه سرُ
 مزية زلفى من نتائجها الفخرُ
 لقاءهم جهنمُ ولحظهم شرُ
 وقام سماطا حَقْلِهِ فلي الصدرُ
 يساجلي^٤ فيه السما كان والنسرُ

ومنها :

لكَ الخيرُ إن الرزءَ كان غيابةً^٥
 فقررتُ عيونُ كان أسخنها البكا
 طلعتَ لنا فيها كما طلع البدرُ
 وقررتُ قلوبُ كان زلزلها الذعرُ

ومنها :

ولما قدمت الجيش بالأمرِ أشرقتْ
 إليك من الآمالِ آفاقها الغُبرُ

١ الديوان : فتعجب .

٢ الأصول : فلا بقي ؛ وهو خطأ .

٣ الديوان : رأى .

٤ الديوان : ينافسي .

٥ في الأصول والديوان : غيابة - بالياء الموحدة - ؛ والغياية : السحابة ، وهو أنسب لذكر البدر .

فقضيت من فرض الصلاة لبانة
ومن قبل ما قدمت متى نوافل
ورحت إلى القصر الذي غص طرفه
وأجمل عن الثاوي العزاء فإن ثوى
وما أعطت السبعون قبل أولي الحجى
ألست الذي إن ضاق ذرعٌ بحادث
فلا تهض الدنيا جناحك بعده
ولا زلت موفور العديد بقرة
فإنك شمس في سماء رياسة
شككتنا فلم نثبت : أيام دهرنا
وما إن تغشتها مغازلة الكرى
سوى نشوات من سجايا مملك
أرى الدهر إن يبطش فأنت يمينه
وكم سائل بالغيب عنك أجبت
هناك التقى والعلم والحلم والنهى
همام إذا لاقى المناجز رده
محاسن ما للروض سامره الندى
متى انتشقت لم تدر دارين مسكها
عطاء ولا من ، وحكم ولا هوى
قد استوفت النعماء فيك تمامها

فشيعها نسك وقارنها طهر
يلاقي بها من صام من عوز^٢ فطر
بعيد التسامي أن غدا غيره القصر
فإنك لا الوافي ولا الصرع الغمر
من اللب ما أعطاك عشروك والعمر
تبلغ منه الوجه واتسع الصدر
فمنك لمن هاضت نوائبها جبر
لعينك مشدوداً بها ذلك الأزور
تطلع منهم حولنا أنجم زهر
بها وسن أم هز أعطافها سكر
وما إن تمشت في معاطفها الخمر^٣
يصدق في عليائها الخير الخير
وإن تضحك الدنيا فأنت لها ثغر
هناك الأبادي الشفع والسودد الوتر
وبذل اللها والبأس والنظم والنثر
واقباله خطر وإدباره حصر
رواء إذا نصت حلاها ولا نشر
حياء ولم تفخر بعنبرها الشحر
وحلم ولا عجز ، وعز ولا كبر
علينا فمتا الحمد لله والشكر

١ الديوان : مشيعها . . . وقارطها .

٢ في الأصول : غيره .

٣ الديوان : في مفاصلها عمر .

٤ الديوان : لم تطر .

وكتب ابن زيدون المذكور إلى المعتمد رحمهما الله تعالى يشوقه إلى تعاظمي الحمياً ، في قصوره البديعة التي منها المبارك والثريا ^١ :

فُزْ بالنجاحِ وأحرِزِ الإقبالا	وخذِ المنى وتَنَجِّزِ الآمالا
وليَهْنِكَ التأييدُ والظفرُ اللدا	صدقاكَ في السمةِ العليّةِ فالأ
يا أيتها الملكُ الذي لولاه لَمْ	تجدِ العقولُ الناشداتُ كمالا
أمّا الثريا فالثريا نسبةٌ	وإفادةٌ وإنافَةٌ وجَمّالا
قد شاقها الإغبابُ حتى إنّها	لو تستطيعُ سَرَتْ إليك خيالها
رفّةٌ ورودُكها لتغنمَ راحةً	وأطلُ مزاركها لتتعمَ بالها
وتأملِ القصرَ المباركَ وجَنّةً	قد وَسَطَتْ فيها الثريا خالها
وأدرُ هناكَ من المدامِ كؤوسها	وأتمّها ^٣ وأشفّها جريالها
قصرٌ يَقِرُّ العينَ منهُ مصنعٌ	بَهيجُ الجوانبِ لو مشى لاختلالها
لا زلتَ تفتَرشُ السرورَ حداثاً	فيه وتلتحفُ النعيمَ ظلّالها

وأهدى إليه تفاحاً ، واعتقد أن يكتب معه قطعة ، فبدأ بها ، ثم عرض له غيرها فتركها ثم ابتداءً ^٤ :

دونكَ الراحَ جامِدَة	وفدّتَ خيرَ وافده
وجدتُ سَوْقَ ذَوِيها	عندكَ اليومَ كاسده
فاستحالّتْ إلى الجمو	دِ وجاءت مُكايِدَة

وكتب إلى المعتمد ^٥ :

-
- ١ ديوان ابن زيدون : ٥٢٠ .
 - ٢ الديوان : وتمثل .
 - ٣ الديوان : أنمها أربجاً زكا .
 - ٤ الديوان : ٢٢٤ .
 - ٥ الديوان : ٦١٦ .

يا أيها الظافر نلت المني ولا أأنا فيك مَحذُورُ
 إن الخلال الزهر قد ضمها ثوبٌ عليك الدهر مَزْرُورُ
 لا زال للمجد الذي شيدته ربيعٌ بتعميرك معمورُ
 وافاك نظمٌ لي في طيه معنى معمى اللفظ مستورُ
 مرآته يصعب ما لم يسبح بالسر قُمري وشحرورُ

وذكر أبياتاً فيها أسماء طيور عمى بها عن بيت طيره فيها ، والبيت
 المطير فيه :

أنت إن تغزُ ظافرُ فليطع من يُنافرُ

ففكته المعتمد وجاوبه^١ :

يا خيرَ مَنْ يلحظه ناظري شهادةً ما شأنها^٢ زورُ
 ومن إذا خطبٌ دجا ليله لاحَ بهِ من رأيه نورُ
 جاءني الطيرُ التي سيرها نظمٌ بهِ قلبي مسرورُ
 شعرٌ هو السحرُ فلا تُنكروا أني بهِ ما عشتُ مسحورُ
 اللفظُ والقرطاسُ إن شُبها قيل هما مسكٌ وكافورُ
 هوى لحسن الطير من فكري صقرٌ قولتي وهو مقهورُ
 ولاح لي بيتٌ فؤادي له دأباً على ودك مقصورُ
 حظك من شكري يا سيدي حظٌ تمالا منك^٣ موفورُ
 فصرتُ في نظمي قاعنرُ فمَنْ ضاهاك في التقصير معنورُ
 فأنت إن تنظم وتثرُ فقد أعوزَ منظومٌ ومثورُ

١ انظر ديوان ابن زيدون : ٦١٨ .

٢ الديوان : شأها .

٣ الديوان : بما بدا لي منك .

لا يَعدُّكمُ روضٌ من الحظ في الـ لـ كرامـ والترفيع مطورُ
فكتب إليه ابن زيدون^١ :

حظيَ منْ نَعْماكَ موفورُ وذهبُ دهري بكَ مغفورُ
وجاني إنْ رامَهُ أزمه^٢ حَجَرٌ لَدَى ظِلِّكَ محجورُ
يا ابنَ الذي سَرَبُ الهدى آمِنٌ منذُ انبرى يحميه مخفورُ
وأمِرِ الدهرِ الذي لم يزلْ يُصْنِئِ إِلَيْهِ مِنْهُ مأمورُ
ألبسَ منك الدهرُ^٣ أسنى الحلَى بظافرٍ مَنحاهُ مَنصورُ
يا مروِيءُ المأثورِ يا مَن لَهْ مجدٌ مَعَ الأَيَّامِ مأثورُ
عَبْدُكَ إنْ أَكْثَرَ مِنْ شُكْرِهِ فهو بِمَا تُولِيهِ مَكْثورُ
إنْ تَعَفَّ عَنْ تَقْصِيرِهِ مَنعاً فاليسرُ أنْ يُقْبَلَ مَعْسورُ
إنْ حَلَّالَ السَّحْرِ إنْ صُنْعَتُهُ فِي صُحُفِ الأَنْفُسِ مَسْطورُ
نَظَمٌ زَهَانِي مِنْهُ إِذْ جَاءَنِي عِلْتُ عَظِيمُ القَدْرِ مَذخورُ
لا غُرُو أنْ أَفَنَ إِذْ لَاحَظْتُ فِكْرِي مِنْهُ أَعْيُنُ حُورُ
تَمُّ عَنْ مَعْنَاهُ أَلْفَاظُهُ كَمَا وَشَى بِالرَّاحِ بَلورُ
جَهَلْتُ إِذْ عَارَضْتُهُ غَيْرَ أنْ لا بَدْءَ أنْ يَنْفِثَ مَصْدورُ
يا آلَ عِبَادِ مُوالاتِكُمْ زَاكَ مِنَ الأَعْمَالِ مَبْرورُ
إنَّ الذي يَرْجُو مَوازاتِكُمْ مِنَ المَنَاصِينِ لَمَغْرورُ
مَكَانُهُ مِنْكُمْ كَمَا انْحَطَّ عَنْ مَتَلَّةِ المَرْفُوعِ مَجْرورُ
لا زَلَمٌ فِي غِبْطَةٍ مَا انْجَلَى عَنْ فَلَكَ الإِصْبَاحِ دِيحورُ

١ ديوانه : ٦٢٠ .

٢ الديوان : إن زمني رامة .

٣ الديوان : الملك .

٤ في الأصول : قام وفي ؛ والمأثور : السيف .

ولا يَزَلُ يجري بما شَتَمُ أعمارَكُمُ اللهُ مَقْسُورُ
وكتب المعتمد إلى ابن زيدون بعد أن فكَّ معمّي كتب به إليه ابن زيدون ما
صورته^١ :

العينُ بعدك تَقْدَى بكلِّ شيءٍ تَراهُ
فليجلُ شخصُك عنها ما بالمغيبِ جنسها

وقد قدمنا من كلام أبي الوليد ابن زيدون رحمه الله تعالى ما فيه كفاية .

رجع إلى بني عبّاد :

قال ابن حمديس^٢ : لما قدمت وافداً على المعتمد بن عبّاد استدعاني وقال :
افتح الطاق ، فإذا بكير زجاج والنار تلوح من بابه ، وواقدهُ يفتحهما تارة
ويسدّهما أخرى ، ثم أدام سد أحدهما ، وفتح آخر ، فحين تأملتهما قال لي :
أجز :

انظُرهما في الظَّلامِ قد نجما

فقلت :

كما رَنا في الدُّجْنَةِ الأسدُ

فقال :

يفتحُ عَيْنَيْهِ ثُمَّ يُطْبِقُهَا

فقلت :

فِعْلَ امرئٍ في جُفُونِهِ رَمَدُ

١ ديوان ابن زيدون : ٢١٤ .

٢ انظر هذا الخبر ومقطعات ابن حمديس في ديوانه : ٨ ، ٥٣٣ ، ٥٤٣ ، والخبر في النسخ ٣ :
٦١٦ - ٦١٧ .

فقال :

فسابترةُ الدهرُ نورَ واحدةٍ

فقلت :

وهل نجا من صُروفه أحدُ

فاستحسن ذلك وأطربه ، وأمر لي بجائزة : وألزمي الخدمة .

٦٧٧ - [مقطعات لابن حمديس]

وعلى ذكر ابن حمديس فما أحسن فريه .

أراك ركبتَ في الأهوال بحرًا عظيمًا ليس يؤمن من خطوبه
تُسَيِّرُ فُلُكُهُ شرقًا وغربًا وتُدْفَعُ من صباهُ إلى جَنُوبه
وأصعبُ من ركوبِ البحرِ عندي أمورُ أَلْجَأَتْكَ إلى ركوبه

ولغيره :

إنَّ ابنَ آدمَ طينٌ والبحرُ ماءٌ يُذَيِّيهُ
لولا الذي فيهِ يُتَلَى ما جازَ عندي ركوبهُ

وقال ابن حمديس في هذا المعنى :

لا أركبُ البحرَ ، أخشى عليَّ منهُ المعاطبُ
طينٌ أنا وهوَ ماءٌ والطينُ في الماءِ ذائبُ

رجع إلى بني عباد رحمهم الله تعالى :

قال ابن بسام^١ : أخيرني الحكيم النديم المطرب أبو بكر ابن الإشبيلي ، قال :
حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر ابن عمار ،

١ بدائع البداة ٢ : ١٢٩ .

فلما دارت الكأس ، وتمكن الأنس ، وغنيت أصواتاً ذهب الطرب بابن عمّار
كل مذهب ، فارتجل يخاطب الرشيد :

ما ضرَّ أن قيل لإسحاقُ ومَوْصِلُهُ ها أنتَ أنتَ وذِي حمصٍ وإسحاقُ
أنتَ الرشيدُ فدع مَنْ قد سمعتَ بهِ وإن تشابهَ أخلاقُ وأعراقُ
للهِ دركٌ دارِكُها مُشْعَشَعَةٌ واحضرُ بساقِيكَ ما قامتْ بنا ساقُ

وكان الرشيد هذا أحد أولاد المعتمد النجبا ، وله أخبار في الكرم يقضي
الناظر فيها من أمرها عجا ، وكذلك لإخوته ، وقد ألعنا في هذا الكتاب بجملة
من محاسنهم ، وأهمهم اعتماد الملقبة بالرميكية هي التي ترجمناها في هذا الموضع ،
واقترضت المناسبة ذكر أمر بني عبّاد ، فلنعد إلى ما كنا بصددِه من أخبارها
رحمها الله تعالى ، فنقول :

[رجع إلى ذكر الرميكية]

قال ابن سعيد في بعض مصنفاته : كان المعتمد كثيراً ما يأنس بها ،
ويستظرف نوادرها ، ولم تكن لها معرفة بالغناء ، وإنما كانت مليحة
الوجه ، حسنة الحديث ، حلوة النادر ، كثيرة الفكاهة ، لها في كل ذلك
نوادر محكية ، وكانت في عصرها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن ، وهي
أبدع منها ملحاً ، وأحسن افتناناً ، وأجلّ منصباً ، وكان أبوها أمير قرطبة ،
ويلقب بالمستكفي بالله ، وأخبار أبي الوليد ابن زيدون معها وأشعاره فيها مشهورة ،
انتهى ملخصاً .

ومن أخبار الرميكية القصة المشهورة في قولها « ولا يوم الطين » وذلك أنها
رأت الناس يمشون في الطين ، فاشتتهت المشي في الطين ، فأمر المعتمد ، فسُحقت
أشياء من الطيب ، وذُرَّتْ في ساحة القصر حتى عمته ، ثم نُصبت الغرايل ،
وصُبَّ فيها ماء الورد على أخلاط الطيب ، وعُجنت بالأيدي حتى عادت كالطين ،

وخاضتها مع جواربها . وغاضبها في بعض الأيام ، فأقسمت أنها لم تر منه خيراً قط ، فقال : ولا يوم الطين ؟ فاستحيت واعتذرت ، وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم في حق النساء « لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط » .

قلت : ولعل المعتمد أشار في أبياته الرائية إلى هذه القضية حيث قال في بناته :

يَطَّانَ فِي الطِّينِ وَالْأَقْدَامُ حَافِيَةٌ كَأَنَّهَا لَمْ تَطَأْ مَسْكَاً وَكَافُوراً

ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى ما جرت به عادة الملوك من ذرّ الطيب في قصورهم حتى يظووه بأقدامهم ، زيادة في التّنعّم .

وسبب قول المعتمد ذلك ما حكاه الفتح فقال ^١ : وأول عيد أخذه — يعني المعتمد — بأغमत وهو سارح ، وما غير الشجون له مبارح ^٢ ، ولا زي إلا حالة الحمول ، واستحالة المأمول ، فدخل عليه من بنيه ، من يسلم عليه ويهنيه ^٣ ، وفيهم بناته وعليهن أطمار ، كأنها كسوف وهن أقمار ، يكيّن عند التساؤل ، ويبدن الخشوع بعد التخايل ، والضياح قد غير صورهن ، وحير نظرهن ، وأقدامهن حافية ، وآثار نعيمهن عافية ، فقال ^٤ :

فِي مَا مَضَى كُنْتُ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُوراً فَسَاءَكَ الْعِيدُ فِي أَغْمَاتِ مَأْسُورِ
تَرَى بَنَاتِكَ فِي الْأَطْمَارِ جَائِعَةً يَغْزِلُنَ لِلنَّاسِ مَا يَمْلِكْنَ قِطْمِيراً
بِرْزَنٍ نَحْوِكَ لِلتَّسْلِيمِ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُنَّ حَسِيرَاتٍ مَكَاسِيرِ

١ القلائد : ٢٥ .

٢ كذا في ق م ؛ وفي القلائد : سارح .

٣ في الأصول اضطراب ، وأثبتنا ما في القلائد .

٤ لم تورد نسخة م هذه القصيدة ، لأنها وردت من قبل (الورقة : ٢٣٢) وأثبتت في موضعها : « وقد سبقت هذه الأبيات » .

يطأنَ في الطين والأقدامُ حافيةٌ كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا
لا خدَّ إلا تشكى الجذبَ ظاهره وليس إلا مع الأنفاس ممطورا
أفطرت في العيد لا عادت مساءته فكانَ فطركَ للأكبادِ تفطيرا
قد كانَ دهركَ إن تأمره ممثلاً فردَّكَ الدهرُ منهياً ومأمورا
من بات بعدك في ملك يُسرُّ به فإنما بات بالأحلام مغرورا

٦٧٨ - [عود إلى أخبار المعتمد]

وقال الفتح أيضاً^١ : ولما نُقل المعتمد من بلاده ، وأعريَ من طارفه
وتَلاده ، وحُمِل في السفين ، وأحِلَّ في العُدوة محلَّ الدفين ، تندبه منابرُه
وأعواده ، ولا يذنو منه زُواره ولا عَوَّاده . بقي أسفاً تنصعد زفراته ، وتطرَّد أطراد
المذانب عَبراته ، لا يخلو بمؤانس ، ولا يرى إلا عَرِيناً بدلاً من تلك المكانس .
ولما لم يجد سلواً ، ولم يؤمِّل دنواً ، ولم يَر وجه مسرةً مجلُواً ، تذكر منازلَه
فشاقته . وتصور بهجتها فراقته ، وتخيل استيحاش أوطانه . وإجهاش قصره
إلى قُطَّانه ، وإظلام جوّه من أقماره ، وخلوّه من حُرّاسه وسُماره . فقال :

بكى المبارك في إثر ابن عبادٍ بكى على إثر غزلانٍ وآسادٍ
بكتُ ثريّاه لا غُمتُ كواكبها بمثلِ نوءِ الثريا الرائحِ الغادي
بكى الوحيدُ ، بكى الزاهي وقبته والنهرُ والتاجُ ، كلُّ ذلّه بادي
ماءُ السماء على أفيائه دِرَرٌ يا بلجةَ البحرِ دومي ذاتِ إزبادٍ

وفي ذلك يقول ابن اللبّانة^٢ :

أستودعُ الله أرضاً عندما وضحت بشائرُ الصبحِ فيها بدلتُ حلكا

١ القلائد : ٣ .

٢ أوجزت « م » هنا . لورود الأبيات قبلا .

كَانَ الْمُؤَيَّدُ بَسْتَانًا بِسَاحَتِهَا يُجْتَنِي النِّعَمَ وَفِي عَلَيَّاتِهَا فَلَكَ
فِي أَمْرِهِ لِمُلُوكِ الدَّهْرِ مُعْتَبَرٌ فَلَيْسَ يَغْتَرُّ ذُو مُلْكٍ بِمَا مَلَكَتَا
نَبِيْكَ مِنْ جَبَلٍ خَرَّتْ قَوَاعِدُهُ فَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي بَطْنِهَا هَلَكَا

وكان القصر الزاهي^١ من أجمل المواضع لديه وأبهاها ، وأحبها إليه وأشهاها ،
لإطلاله على النهر ، وإشرافه على القصر ، وجماله في العيون ، واشتماله بالزهر^٢
والزيتون ، وكان له به من الطرب ، والعيش المزري بحلاوة الضرب ، ما لم
يكن يحلب لبني حَمْدَان ، ولا لسيف بن ذي يَزَن في رأس غُمْدَان ، وكان
كثيراً ما يُدِير به راحه ، ويجعل فيه انشراحه ، فلمّا امتد الزمان إليه بعدوانه .
وسد عليه أبواب سلوانه ، لم يحنّ إلّا إليه ، ولم يتمنّ غير الحلول لديه . فقال^٣ :

غَرِيبٌ بِأَرْضِ الْمَغْرِبِينَ أُسِيرُ سَبِيْكِي عَلَيْهِ مِنْبَرٌ وَسَرِيرُ
وَتَنْدِبُهُ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَيَنْهَلُ دَمْعٌ بَيْنَهُنْ غَزِيرُ
مَضَى زَمَنٌ وَالْمَلِكُ مُسْتَأْنِسٌ بِهِ وَأَصْبَحَ مِنْهُ الْيَوْمَ وَهُوَ تَقْوَرُ
بِرَأْيٍ مِنَ الدَّهْرِ الْمُضَلَّلِ فَاسِدُ مَتَى صَلَحْتُ لِلصَّالِحِينَ دَهْوَرُ
أَذَلُّ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ زَمَانُهُمْ وَذُلُّ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ كَبِيرُ
فِيَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً أُمَامِي وَخَلْفِي رَوْضَةً وَغَدِيرُ
بِمُنْبَتَةِ الزَّيْتُونِ مَوْرَثَةِ الْعُلَا تَغْنِي حَمَامٌ أَوْ تَرْنُ طَيُورُ
بَزَاهِرِهَا السَّامِي الَّذِي جَادَهُ الْحَيَا تَشِيرُ الثَّرِيَا نَحْوَتَا وَنَشِيرُ
وَيَلْحَظُنَا الزَّاهِي وَسَعْدُ سَعُودِهِ غَيُورِينَ وَالصَّبُّ الْمُحِبُّ غَيُورُ
تَرَاهُ عَسِيرًا لَا يَسِيرَ مَنَالُهُ أَلَا كُلُّ مَا شَاءَ الْإِلَهُ يَسِيرُ

وقال الحِجَارِي فِي « الْمَسْهَبِ » : إِنَّ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ يُوْصَفُ بِنِ تَاشَفِينِ أَهْدَى

١ القلائد : الحصن الزاهر .

٢ القلائد : بالشجر .

٣ اختصرت « م » إيراد هذه القصيدة لأن هذه الأبيات تقتضت .

إلى المعتمد جارية مغنية قد نشأت بالعدوة ، وأهل العدو بالطبع يكرهون أهل
الأندلس ، وجاء بها إلى إشبيلية وقد كثر الإرجاف بأن سلطان المثلثين يتزعج
ببلاد ملوك الطوائف منهم ، واشتغل خاطر ابن عباد بالفكر في ذلك ، فخرج
بها إلى قصر الزاهر على نهر إشبيلية ، وقعد على الراح ، فخطر بفكرها أن غنت
عندما انتشى هذه الأبيات :

حملوا قلوب الأسد بين ضلوعهم ولووا عماثمهم على الأقمار
وتقللوا يوم الوغى هندية أمضى إذا انضيت من الأقدار
إن خوفوك لقيت كل كربة أو أمّنوك حللت دار قرار

فوقع في قلبه أنها عرضت بساتنها ، فلم يملك غضبه ، ورمى بها في النهر ،
فهلكت ، انتهى ، فقدر الله تعالى أن كان تمزيق ملكه على يدهم تصديقاً للجارية
في قولها :

إن خوفوك لقيت كل كربة

وحصره جيوش لتونة المثلثين حتى أخذوه قهراً ، وسبق إلى أمير المسلمين .
والقصة مشهورة .

وقال الفتح في شأن حصار المعتمد ما صورته^١ : ولما تم في الملك أمده ،
وأراد الله تعالى أن تخر عُمده ، وتنقض أيامه ، وتنقض عن عيراص
الملك خيامه ، نازلته جيوش أمير المسلمين ومحلاته ، وظاهرته فساطيطه ومظلاته ،
بعدما نشرّت حصونه وقلاعته ، وسعرت بالنكاية جوانحه وأضلاعه ، وأخذت
عليه الفروج والمضايق ، وثنت إليه الموانع والعوايق ، وطرقته طوارقها بالإضرار ،
وأمرت من النكاية كل ديمة مدّار ، وهو ساه بروض ونسيم ، لاه براح

١ القلائد : ٢١ .

ومُحِبًّا وسِيم ، زاهٍ بفتاة تناديه ، ناهٍ عن هدم أنس هو هادمه ، لا يصيخ إلى نبأ سمعه ، ولا ينبخ إلا على لوى يفرق جموعه جمعه ، وقد ولى المدامة ملامه ، وثنى إلى ركنها طوافه واستلامه ، وتلك الجيوش تجوس خيالاته ، وتقلص ظلاله ، وحين اشتد حصاره ، وعجز عن المدافعة أنصاره ، ودكس عليه ولاته ، وكثرت أدواؤه وعيالاته ، فتح باب الفرج ، وقد لفح شواظ الهرج ، فدخلت عليه من المرابطين زُمرة ، واشتعلت من التغلب جَمرة ، تأجج اضطرامها ، وسهل بها إيقاد الفتنة^١ وإضرارها ، وعندما سقط الخبر عليه خرج حاسراً من مفاضته ، جامعاً كالمهر قبل رياضته ، فلحق أوائلهم عند الباب المذكور وقد انتشروا في جنباته ، وظهروا على البلد من أكثر جهاته ، وسيفه في يده يتلَمَّظ للطللى والهام ، ويعد بانفراج ذلك الاستبهام ، فرماه أحد الداخلين برمح تخطاه ، وجاوز مطاه ، فبادره بضربة أذهبت نفسه ، وأغربت شمسه ، ولقي ثانياً فضربه وقسمه ، وخاض حشا ذلك الداء وحسمه ، فأجلوا عنه ، وولوا فراراً منه ، فأمر بالباب فسد ، وبني منه ما هد ، ثم انصرف وقد أراح نفسه وشفاه ، وأبعد الله تعالى عنه الملامة ونقاها ، وفي ذلك يقول عندما خلع ، وأودع من المكروه ما أودع :

إن يسلب القوم العدى	ملكى وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه	لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم	أن لا تحصني الدروع
وبرزت ليس سوى القمي	صر على الحشا شيء دفع
أجلي تأخر لم يكن	بهواي ذلّي والخضوع
ما سرت قط إلى القتا	ل وكان من أمني الرجوع
شيم الألى أنا منهم	والأصل تتبعه الفروع

١ القلائد : البقية .

وما زالت عقارب تلك الداخلة تدب . ثم ذكر الفتح تمام هذا الكلام فراجعه فيما مرّ بنحو ثلاث ورقات .

ومن حكايات مجالس أنسه أيام ملكه ، قبل أن ينظمه صرف الدهر في سلوكه ، ما حكاها الفتح^١ عن ذخر الدولة أنه دخل عليه في دار المزينية^٢ والزهر يحسد إشراق مجلسه . والدر يحكي اتساق أنسه ، وقد رددت الطير شدّوها . وجودت^٣ طربها ولها ، وجدّدت كلفها وشجّوها ، والغصون قد التحفت بسندسها ، والأزهار تحيي بطيب تنفسها ، والنسيم يلمّ بها فتضعه بين أجفانها ، وتودّعه أحاديث آذارها ونيسانها ، وبين يديه فتى من فتياه يثنى ثني القضيبي ، ويحمل الكأس في راحة أبيه من الكف الخضيب ، وقد توشح وكأن الثريا وشاحه ، وأثار فكان الصبح من مضيّاه كان اتضاحه ، فكلّما ناوله الكأس خامرته سوره ، وتخيل أن الشمس تهديه نوره ، فقال المعتمد :

لله ساقٍ مهفهفٌ غنّجٌ قد قامَ يسقي فجاء بالعجبِ
أهدى لنا من لطيفِ حكمته في جامدِ الماء ذائبِ الذهبِ

ولما وصل لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن ابن اليسع ليلته تلك في وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ، ولم يبد فيه غير نجم ثاقب ، فوصل وما للأمن إلى فؤاده وصول ، وهو يتخيّل أن الجو صوّارم ونُصُول . بعد أن وصّى بما خلّف ، وودع من تخلف ، فلما مثل بين يديه آنسه ، وأزال توجّسه ، وقال له : خرجت من إشبيلية وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي ، وكففت فيه غرب دُموعي ، بفتاة هي الشمس أو كالشمس إخالها ، لا يحول قلبها ولا خلخالها ، وقد قلت في يوم وداعها ، عند تفطّر كبدي وانصداعها :

١ القلائد : ٩ .

٢ ق م : المزينية ؛ القلائد : المزينية .

٣ ق : وجردت ؛ وفي القلائد : وقد رددت الطير شجوها ، وجددت طربها وشجوها .

ولما التَقَيْنَا للوداعِ غُدِيَّةً وقد خَفَقَتْ في ساحةِ القصرِ رَايَاتُ
بِكِينَا دَمًا حَتَّى كَأَنَّ عِيُونَنَا بلجري الدموعِ الحمرِ منها جراحاتُ

وقد زارني هذه الليلة في مضجعي ، وأبرأني من توجعي ، ومكنتني من
رُضاها ، وفتنتني بدلاها وخِضاها ، فقلت :

أَبَاحَ لطيفي طيفُها الخلدَ والنَّهْدَا فغضَّ بها تفاحَةً واجتَنَى وردَا
ولو قَدَرْتُ زارتُ على حالِ يَقْظَةٍ ولكنَّ حجابُ البينِ ما بيننا مُدَا
أما وجدتُ عَنَّا الشجونُ مُعْرَجًا ولا وجدتُ مِنَّا خطوبُ النوى بُدَا
سقى الله صوبَ القطرِ أمَّ عَيْسِدَةٍ كما قد سَقَتْ قلبي على حرِّهِ بَرْدَا
هي الظبيُّ جِيدًا ، والغزاةُ مَقْلَةً ، وروضُ الرُّبَى عَرَفًا ، وغصنُ النِّقَا قَدَا

فكرّر استجادته ، وأكثر استعادته ، فأمر له بخمسمائة دينار وولاه لورقة
من حينه .

قال الفتح ^١ : وأخبرني ابن اللَّبَّانَةِ أَنَّهُ استدعاه ليلة إلى مجلس قد كساه
الروض وشيئه ، وامثل الدهر فيه أمره ونهيه ، فسقاه الساقى وحياه ، وسفر
له الأتس عن مونيقي مُحِيَّاه ، فقام للمعتمد مادحاً ، وعلى دَوْحَةٍ تلك النعماء
صادحاً ، فاستجاد قوله ، وأفاض عليه طَوَّله ، فصدر وقد امثلأت يده ،
وغمره جوده ونَداه ، فلمّا حلَّ بمَزلِه وافاه رسوله بقطيع وكأس من بُلَّار ،
قد أترعا بصيرف العُقَّار ، ومعهما :

جاءتك ليلًا في ثيابِ نَهارٍ من نورها وغِلالَةِ البُلَّارِ
كالْمَشْتَرِي قد لَفَّ من مِرْيَخِه إذ لَفَّه في الماءِ جَدْوَةَ نارِ
لَطُفَ الجُمُودِ لَذَا وَذَا قَتَالَفَا لم يَلْتَقَ ضِدُّهُ ضِدَّهُ بِنِفَارِ

يتحير الراءون في نعتيهما أصقاء ماء أم صقاء دراري

وقال الفتح أيضاً^١ : وأخبرني ذخر الدولة أنه استدعاه في ليلة قد ألبسها
البدر رؤاه ، وأوقد فيها أضواءه ، وهو على البحيرة الكبرى ، والنجوم قد
انعكست فيها تخالفا زهرا ، وقابلتها المجرة فسالت فيها نهرا ، وقد أريجت
نوافج الند ، وماست معاطف الرند ، وحسد النسيم الروض فوشى بأسراره ،
وأفشى حديث آسِه وعَرَّاره ، ومشى مختالا بين لَبَّات النور وأزواره ،
وهو وجيم ، ودمعه منسجم ، وزفراته تُترجمُ عن غرامه ، وتجمجم عن
تعذر مَرَّامه ، فلمّا نظر إليه استدناه وقربّه ، وشكا إليه من الهجران ما استغربه ،
 وأنشده :

أيا نفسُ لا تجزي واصبري وإلاّ فإنّ الهوى مُتَلِفٌ
حيبٌ جفاك ، وقلبٌ عصاك ولاح لحاك ، ولا منصفٌ
شجونٌ منعن الجفون الكرى وعوضنها أدمعاً تتزفُ

فانصرف ولم يعلمه بقصته ، ولا كشف له عن غُصَّته ، انتهى .
وقال الفتح أيضاً^٢ : أخبرني ذخر الدولة بن المعتضد أنه دخل عليه في ليلة
قد ثنى السرور منامها ، وامطى الحبور غاربها وسنامها ، وراع الأُنس
فؤادها ، وستر بياضُ الأمانى سوادها ، وغازل نسيم الروض زوَّارها
وعوَّادها ، ونورُ السُّرُج قد قلَّصَ أذيالها ، ومحا من بلجين الأرض نياها ،
والمجلسُ مُكْتَسٍ بالمعالي ، وصوت المثاني والمثالث عالي ، والبدر قد كمل ،
والتحف بضوئه القصر واشتمل ، وتزين بسناه وتجمّل ، فقال المعتضد :

ولقد شربتُ الراحَ يسطعُ نورها والليلُ قد مدَّ الظلامَ رداء

١ القلائد : ٨ .

٢ القلائد : ٦ .

حتى تبدى البدرُ في جوزائه ملكاً تناهى بهجةً وبهاء
وتناهضت زُهرُ النجوم بحفه لالأوها فاستكمل الألاء
لما أراد تنزهاً في غربه جعل المظلة فوقه الجوزاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله رفعت ثرياتها عليه لواء
وحكيته في الأرض بين كواكب وكواعب جمعت سنا وسناء
إن نشرت تلك الدروع حنادساً ملأت لنا هذي الكؤوس ضياء
ولإذا تغتت هذه في ميزهري لم تأل تلك على التريك غناء

وأخبرني ابن إقبال الدولة [بن مجاهد]^١ أنه كان عنده في يوم قد نشر من
غيمه رداء ندّ ، وأسكب من قطره ماء ورّد ، وأبدى من برقه لسان نار ،
وأظهر من قوس قزحه حنايا آس^٢ حفت بنرجس وجلّ نار ، والروض قد بعث
ريّاه ، وبث الشكر لسفياه ، فكتب إلى الطبيب الأديب أبي محمد المصري :

أيّها الصاحبُ الذي فارقت عيَّ في ونفسي منه السنا والسناء
نحنُ في المجلس الذي يهبُ الراحةَ والمسمعَ الغنى والغناء
نتعاطى التي تنسّي من الرقة واللذة الهوى والهواء
فأنته تُلّف راحةً ومحيّا قد أعدّا لك الحيا والحياء

فوافاه وألقى مجلسه وقد أثلعت فيه أباريقه أجيادها ، وأقامت فيه خيل
السرور طرادها ، وأعطته الأمانى انطباعها وانقيادها ، وأهدت الدنيا ليومه
مواسمها وأعيادها ، وخلعت عليه الشمس شعاعها ، ونشرت فيه الحدايق
إيناعها ، فأديرث الراح ، وتعوطيت الأقداح ، وخامر النفوس الابتهاج
والارتياح ، وأظهر المعتمد من إيناسه ، ما استرق به نفوس جلاّسه ، ثم دعا

١ زيادة من القلائد .

٢ الأصول : خبايا آس .

بكبير ، فشربه كالشمس غربت في ثبير ، وعندما تناولها ، قام المصري ينشد أبياتاً تمثلها ^١ :

اشربْ هنيئاً عليكِ التاجُ مرتفعاً بشاذمِهَرٍ ودَعْ غُمْدانَ اليمينِ
فأنتِ أولى بتاجِ الملكِ تلبسه من هودّةِ بنِ عليّ وابنِ ذي يَزَنِ
فطرب حتى زحف عن مجلسه ، وأسرف في تأنّسه ، وأمر فخلعت عليه
خِلَعٌ لا تصلح إلاّ للخلفاء ، وأدناه حتى أجلسه مجلس الأكفاء ، وأمر له بدنانير
عدداً ، وملاً له بالمواهب يداً .
وله في غلام ^٢ رآه يوم العروبة من ثنِيّاتِ الوغى طالماً ، ولطلى الأبطال
قارعاً ، وفي الدماء والنّاء . ولستبشع كؤوس المنايا سائغاً ، وهو ظبي قد فارق
كناسه ، وعاد أسداً صارت القنا أخياسه ، ومتكاثف العجاج قد مزقه إشراقه ،
وقلوب الدارعين قد شكتهأ أحداقه ، فقال :

أبصرتُ طِرْفَكَ بَيْنَ مُشْتَجِرِ القنا فبدا لَطَرْفِي أَنَّهُ فَلَكَ
أولَيْسَ وَجْهَكَ فَوْقَهُ قَمراً يُجَلِّي بَنِيْرَ نَوْرِهِ الخَلْكَ
وقال فيه :

ولما اقتحمتِ الوغى دارعاً وَقَنَعْتَ وَجْهَكَ بالمَغْفِرِ
حسبنا مُحْيَاك شمس الضحى عليها سحابٌ من العنبرِ
وقد جمع بنا القلم في ترجمة المعتمد بن عباد بعضَ جُمُوح ، وما ذلك إلا
لما علمنا أن نفوس الأدباء إلى أخباره رحمه الله تعالى شديدة الطموح ، وقد جعل
الله تعالى له كما قال ابن الأبار في « الحلة السراء » رقةً في القلوب وخصوصاً

١ نسب المبرد البيتين لشاعر من أهل الري يكنى أبا يزيد أنشدهما عبد الله بن طاهر (الكامل ٢ : ٢٤) .
٢ القلائد : ٨ .

بالمغرب فإن أخباره وأخبار الرميكية إلى الآن متداولة بينهم ، وإن فيها لأعظم
عبرة ، رحم الله تعالى الجميع .

رجع إلى أخبار النساء :

11 - ومنهن العبادية جارية المعتضد عبّاد^١ ، والد المعتمد ، أهداها إليه
مجاهد العامري من دانية ، وكانت أدبية ، ظريفة ، كاتبة ، شاعرة ، ذاكرة
لكثير من اللغة ، قال ابن عليم في شرحه لأدب الكتاب لابن قتيبة ، وذكر
الموسعة وهي خشبة بين حمالين يجعل كل واحد منهما طرفها على عنقه ، ما
صورته : وبذكر الموسعة أغربت جارية لمجاهد أهداها إلى عبّاد كاتبة شاعرة
على علماء إشبيلية وباهزمة^٢ التي تظهر في أذقان بعض الأحداث ، وتعتري بعضهم
في الخدين عند الضحك ، فأما التي في الذقن فهي النوتة ، ومنه قول عثمان رضي
الله تعالى عنه : دسّموا^٣ نوته لتدفع العين ، وأما التي في الخدين عند الضحك
فهي الفحصّة ، فما كان في ذلك الوقت في إشبيلية من عرف منها واحدة .
وسهر عباد ليلة لأمر حرّبه وهي نائمة ، فقال :

تَنَامُ وَمُدُنُفُهَا يَسْهَرُ وَتَصْبِرُ عَنْهُ وَلَا يَصْبِرُ

فأجابته بديهة بقولها :

لئن دَامَ هذا وهذا لَهُ سيهلك وجَدًا وَلَا يَشْعُرُ

ويكفيك هذا شاهداً على فضلها رحمها الله تعالى وساعها^٥ .

١ ترجمتها في الذيل والتكملة (آخر جزء النرياء) ، وما أثبتته المقرئ منقول بنصه عنه .

٢ هكذا في الذيل ، وفي ق : وبالفرجة .

٣ م : وسموا ؛ وهي بالدال في الذيل وفوقها علامة « صح » .

٤ الذيل : ولا يصبر .

٥ وساعها : زيادة من ق .

12 — ومنهن : بثينة بنت المعتمد بن عباد ، وأمها الرميكية السابقة الذكر ، وكانت بثينة هذه نحواً من أمها في الجمال والنادرة ونظم الشعر ، ولما أحيط بأبيها ووقع النهب في قصره كانت من جملة من سُبِي ، ولم يزل المعتمد والرميكية عليها في ولته دائم لا يعلمان ما آل إليه أمرها إلى أن كتبت إليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب ، وكان أحد تجار إشبيلية اشتراها على أنها جارية سُرِّية ووهبها لابنه ، فنظر من شأنها وهَيَّت له ، فلما أراد الدخول عليها امتنعت ، وأظهرت نسبها ، وقالت : لا أحل لك إلاّ بعقد النكاح إن رضي أبي بذلك ، وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلكها لأبيها ، وانتظار جوابه ، فكان الذي كتبه بخطها من نظمها ما صورته :

اسمعُ كلامي واستمعْ لمقالي	فهي السلوكُ بدتْ من الأجيادِ
لا تنكروا أنني سُبَيْتُ وأتني	بنتُ الملكِ من بني عبادِ
ملكٌ عظيمٌ قد تولّى عصره	وكذا الزمانُ يؤول للإفسادِ
لما أراد الله فرقةَ شملنا	وأذاقنا طعمَ الأسى عن زادِ
قامَ النفاقُ على أبي في ملكه	فدنا القراقُ ولم يكن بمرادِ
فخرجتُ هاربةً فحازني امرؤ	لم يأتِ في إعجاله بسدادِ
إذ باعني بيعَ العبيدِ فضمني	من صانتي إلاّ من الانكادِ
وأرادني لنكاحِ نجلٍ طاهرٍ	حسنَ الخلائقِ من بني الأنجادِ
ومضى إليك يسومُ رأيك في الرضى	ولأنت تنظرُ في طريقِ رشادي
فعساكَ يا أبتَي تعرفني بهِ	إن كانَ ممّن يُرتجى لودادِ
وعسى رميكيةُ الملوكِ بفضلها	تدعوُ لنا باليمن والإسعادِ

فلما وصل شعرها لأبيها وهو بأغमत ، واقعٌ في شِراكِ الكُروبِ

والأزمات ، سرّ هو وأمّها بحياتها ، ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنيّاتها ،
إذ علما مآل أمرها ، وجبر كسرّها ، إذ ذلك أخف الضررين ، وإن كان الكرب
قد ستر القلب منه حجاب رَيْن ، وأشهد على نفسه بعقْد نكاحها من الصبي
المذكور ، وكتب إليها أثناء كتابه ممّا يدل على حسن صبره المشكور :

بنيتي كوني به برةً فقدّ قضي الوقت بإسعافه

وأخبار المعتمد بن عباد ، تذيب الأكباد ، فلنرجع إلى ذكر نساء الأندلس
ف نقول :

13 — ومنهن حفصة بنت حمدون^١ ، من وادي الحجارة ، ذكرها في
« المغرب » وقال : إنّها من أهل المائة الرابعة ، ومن شعرها :

رأى ابن جميل أن يرى الدهر جملاً فكلّ الوري قد عمهم سيّب نعمته
له خلقت كالخمر بعد امتراجيها وحسن فما أحلاه من حين خلقتها
بوجه كئل الشمس يدعو ببشره عيوناً ويعشيها بإفراط^٢ هيته

ولها :

لي حبيب لا يتنّني لعتاب وإذا ما تركتّه زاد تيبها
قال لي هل رأيت لي من شبيه قلت أيضاً وهل ترى لي شبيهها

ولها تدم عبيدها :

يا ربّ إنّي من عبيدي على جمر الغضا ، ما فيهم من نجيب
إمّا جهول أبله متعب أو فطن من كيده لا يجيب

١ ترجمة حفصة بنت حمدون في الذيل والتكملة والسيوطي : ٤٦ والمغرب ٢ : ٣٧ .

٢ م : بإطراق .

وقال ابن الأَبَّار : إنَّها كانت أديبة عالمة شاعرة ، وذكرها ابن فرج صاحب « الحدايق » وأنشد لها أشعاراً منها قولها :

يا وحشِّي لأحبِّي يا وحشةً متماذيه
يا ليلةً ودعتهم يا ليلةً هي ما هيه

14 - ومنهن زينب المرية ^١ ، كانت أديبة شاعرة ، وهي القائلة :

يا أيُّها الراكبُ الغادي لطيفته عرَّجْ أنبئك عن بعضِ الذي أجدُ
ما عالَج الناسُ من وجد تضمَّنهم إلا ووجدني بهم فوق الذي وجلوا
حسبي رضاهُ وأنِّي في مسرَّتهِ وودّه آخرَ الأيام أجتهدُ

15 - ومنهن غاية المني ^٢ ، وهي جارية أندلسية متأدِّبة ، قدمت إلى المعتصم بن صُمداح ، فأراد اختبارها فقال لها : ما اسمك ؟ فقالت : غاية المني ، فقال لها : أجيزي :

اسألوا غايةَ المني

فقلت :

مَنْ كسا جسمي الضنى
وأراني مولهاً سيقُول الهوى أنا

هكذا أورد السالمي هذه الحكاية في تاريخه .

قال ابن الأَبَّار : وقرأت بخطَّ الثقة حاكياً عن القاضي أبي القاسم ابن حبيش قال : سقت لابن صُمداح جارية نيلة تقول الشعر وتحسن المحاضرة ، فقال :

١ سقطت هذه الترجمة من نسخة « م » ؛ وترجمة زينب المرية في الذيل والتكملة .

٢ ترجمة غاية المني في الذيل والتكملة وفيه ما أورده المقرئ .

تُحْمَلُ إِلَى الْأَسْتَاذِ ابْنِ الْفَرَاءِ الْخَطِيبِ لِيُخْتَبِرَهَا ، وَكَانَ كَفِيفًا ، فَلَمَّا وَصَلَتْهُ
قَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَتْ : غَايَةُ الْمُنَى ، فَقَالَ : أَجِيزِي :

سَلْ هَوَى غَايَةِ الْمُنَى مَنْ كَسَا جِسْمِي الْفُنَى

فَقَالَتْ تَجِيزُهُ :

وَأَرَانِي مَتِيْمًا سَيَقُولُ الْهَوَى أَنَا

حَكَى ذَلِكَ لِابْنِ صِمَادِح ، فَاشْتَرَاهَا ، انْتَهَى .

16 - وَمِنْهُمْ حَمْدَةُ ، وَيُقَالُ حَمْدُوْنَةُ بِنْتُ زِيَادِ الْمُؤَدَّبِ^١ مِنْ وَادِي آش ،
وَهِيَ خَنْسَاءُ الْمَغْرِبِ ، وَشَاعِرَةُ الْأَنْدَلُسِ ، ذَكَرَهَا الْمَلَا حِي وَغَيْرُهُ ، وَمِمَّنْ رَوَى
عَنْهَا أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ الْبَرَاءِ .

وَمِنْ عَجِيبِ شَعْرِهَا قَوْلُهَا :

وَلَمَّا أَبَى الْوَاشُونَ إِلَّا فَرَاقَنَا وَمَا لَهْمُ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارِ
وَشَنُّوْا عَلَى أَسْمَاعِنَا كُلِّ غَارَةٍ وَقَلَّ حُمَاتِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْصَارِي
غَزَوْتَهُمْ مِنْ مَقْلَتِكَ وَأَدْمُعِي وَمَنْ نَقَسَنِي بِالسِّيفِ وَالسَّيْلِ وَالنَّارِ

وَبَعْضُ يَزْعُمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِمَهْجَةِ بِنْتِ عَبْدِ الرَّزَاقِ الْغَرْنَاطِيَّةِ ، وَكَوْنُهَا
لِحَمْدَةِ أَشْهَرِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

وَخَرَجَتْ حَمْدَةُ مَرَّةً لِلْوَادِي مَعَ صَبِيَّةٍ ، فَلَمَّا نَفَضَتْ عَنْهَا ثِيَابَهَا وَعَامَتْ

قَالَتْ :

١ ترجمة حمدة (أو حمدونة) بنت زياد في التكملة (رقم : ٢١٢٠) والإحاطة ١ : ٤٩٨ وتحفة
القادم : ١٦٢ . المطرب : ١١ والسيوسي : ٤٨ والذيل والتكملة ، وأبوها هو زياد بن بقي
العوفي ، وهي أخت زينب .

أَبَاحَ الدَّمْعُ أُسْرَارِي بِوَادِي لَهُ لِلْحَسَنِ آثَارُ بِوَادِي
فَمَنْ نَهْرٍ يَطُوفُ بِكُلِّ رَوْضٍ وَمَنْ رَوْضٍ يَرْفُ بِكُلِّ وَادِي
وَمَنْ بَيْنَ الطَّبَاءِ مَهَاةُ إِنْسٍ لَهَا لِي وَقَدْ مَلَكَتْ قَوَادِي
لَهَا لَحْظٌ تَرْقِدُهُ لِأَمْرِ وَذَلِكَ الْأَمْرُ يَمْنَعُنِي رِقَادِي
إِذَا سَدَلْتُ ذَوَائِبَهَا عَلَيْهَا رَأَيْتَ الْبَدْرَ فِي جَنَحِ الدَّادِي^١
كَأَنَّ الصَّبْحَ مَاتَ لَهُ شَقِيقٌ فَمَنْ حَزَنٍ تَسْرُبِلَ بِالْخِلْدَادِ

وقال ابن البراق في سَوِّقِ هذه الحكاية : أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها ،
وقد خرجت متنزّهة بالرملة من نواحي وادي آش فرأت ذات وجه وسيم
أعجبها ، فقالت - وبين الروايتين خلاف - : أَبَاحَ الدَّمْعُ ، إلى آخره ،
ونسب بعضهم إلى حمدة هذه الأبيات الشهيرة بهذه البلاد المشرقية ، وهي :

وَقَانَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ سَقَاهُ مُضَاعَفُ الْغَيْثِ الْعَمِيمِ
حَلَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَّا عَلَيْنَا حُنُوءَ الْمَرْضَعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ
وَأَرْشَقْنَا عَلَى ظِلِّ زُلَالٍ أَلَدَّ مِنَ الْمُدَامَةِ لِلنَّدِيمِ
يَصِدُّ الشَّمْسَ أَنْتَى وَاجْهَتْنَا فَيَحْجِبُهَا وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ
يَرْوَعُ حِصَاهُ حَالِيَةَ الْعِدَارَى فَتَلْمَسُ جَانِبَ الْعَقْدِ النِّظِيمِ

وممن جزم بذلك الرعيني ، وقال : إن مؤرخي بلادنا نسبوها لحمدة من
قبل أن يوجد المنازي الذي ينسبها له أهل المشرق ، وقد رأيت أن أذكر كلامه
برمته ونصّه : كانت من ذوي الألباب ، وفحول أهل الآداب ، حتى إن بعض
المنتحلين تعلق بهذه الأهداب ، وادعى نظم هذين البيتين - يعني : ولما أبى
الواشون ، إلى آخره - لما فيهما من المعاني والألفاظ العذّاب ، وما غره في ذلك

١ في الأصول : أفق السواد ؛ واختارنا رواية ابن عبد الملك ؛ والدادي : ثلاث ليال من آخر الشهر ؛
وفي المطرب : رأيت الصبح أشرق في الدادي .

إلاّ بُعدُ دارها ، وخلوّ هذه البلاد المشرقية من أخبارها ، وقد تلبّس بعضهم أيضاً بشعارها ، وادعى غير هذا من أشعارها ، وهو قولها : وقانا لفحة الرمضاء واد ، إلى آخره ، وإن هذه الأبيات نسبها أهلُ البلاد للمنازي من شعرائهم ، وركبوا التعصّب في جادة ادعائهم ، وهي أبيات لم يخلبها غير لسانها ، ولا رقم برديها غير إحسانها ، ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا وهي الأندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازي من العدم إلى الوجود ، ويتصف بلفظة الموجود ، انتهى . وهو أبو جعفر الأندلسي الغرناطي ، نزيل حلب .

وحكى ابن العديم في تاريخ حلب ما نصّه : وبلغني أن المنازي عمل هذه الأبيات ليعرضها على أبي العلاء المعري ، فلمّا وصل إليه أنشده الأبيات ، فجعل المنازي كلّما أنشد المصراع الأوّل من كل بيت سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه ، ولمّا أنشده قوله :

نزلنا دَوْحَهُ فحنا علينا

قال أبو العلاء :

حنوّ الوالداتِ على الفطيم

فقال المنازي : إنّما قلتُ « على اليتيم » فقال أبو العلاء : الفطيم أحسن . انتهى .

وهذا يدل على أن الرواية عنده « حنوّ الوالداتِ » وقد تقدّم المرضعات ، والله تعالى أعلم .

وقال ابن سعيد : يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة « العربيات » لمحافظتهنّ على المعاني العربية ، ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادي آشي ، وأختها حمدة ، وحمدة هذه هي القائلة وقد خرجت إلى نهر متقسم الجداول بين الرياض مع نساها فسبحنّ في الماء وتلاعبنّ :

أَبَاحُ الدَّمْعِ أَسْرَارِي بُوَادِي

الأبيات ، انتهى .

17 - ومنهنّ عائشة بنت أحمد القرطبية^١ .

قال ابن حيّان في «المقتبس» : لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يَعْدِلُهَا علماً وفهماً وأدباً وشِعْراً وفصاحةً ، تمدح ملوك الأندلس وتخطبهم بما يعرض لها من حاجة ، وكانت حسنة الخط ، تكتب المصاحف ، وماتت عذراء لم تُنكح سنة أربعمائة .

وقال في «المغرب» : إنّها من عجائب زمانها ، وغرائب أوانها ، وأبو عبد الله الطيب عمّها ، ولو قيل «إنّها أشعر منه» لجاز . ودخلت على المظفر ابن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ولد ، فارتجلت :

أراك الله فيه ما تريدُ	ولا بَرَحَتْ معاليه تريدُ
فقد دلتُ غايِلُهُ على ما	تؤمّله وطالعُهُ السعيدُ
تشوّقتُ الجيادُ له وهزّ الـ	حسامُ هوى وأشرقتُ البنودُ
فسوف تراهُ بدرأ في سماء	من العلّيا كواكبه الجنودُ
وكيفَ يخبُّ شبلٌ قد نمتهُ	إلى العلّيا ضراغةٌ أسودُ
فأنتم آلَ عامرٍ خيرُ آلٍ	زكا الأبناءُ منكم والجلودُ
وليدكمُ لدى رأيٍ كشيخٍ	وشيخكمُ لدى حربٍ وليدُ

وخطبها بعض الشعراء ممّن لم ترضه فكتبت إليه :

أنا لبوةٌ لكنّني لا أرْتَضِي نفسي مُناخاً طولَ دهري من أحدٍ
ولو أنّني أختارُ ذلك لم أجب كلباً وكم غلّقتُ سمعي عن أسدٍ

١ ترجمة عائشة القرطبية في الصلة : ٦٥٤ والسيوطي : ٧١ واسم أبيها أحمد بن محمد بن قادم .

18 - ومنهنّ مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري^١ .

سكنت إشبيلية ، وأصلها والله أعلم من شِلْبَ .
 وذكرها ابن دحية في « المطرب »^٢ وقال : إنها أديبة شاعرة [جزلة] مشهورة ، وكانت تُعلم النساء الأدب ، وتحتشم لدينها وفضلها ، وعمرت عمراً طويلاً ، سكنت إشبيلية ، واشتهرت بها بعد الأربعمئة . وذكرها الحميدي ، وأنشد لها جوابها لما بعث المهدي إليها بدنانير ، وكتب إليها :

ما لي بشكرٍ الذي أوليت من قبَلٍ لو أنني حزتُ نطقَ اللّسنِ في الحلَلِ
 يا فذةَ الظّرفِ في هذا الزّمانِ ويا وحيدةَ العُصرِ في الإخلاصِ في العملِ
 أشبهت مريماً العنراء في ورَعٍ وفقت خنساء في الأشعار والمثلِ
 ونصّ الجواب منها :

من ذا يجاريك في قولٍ وفي عملٍ وقد بدّرت إلى فضلٍ ولم تُسلِ
 ما لي بشكرٍ الذي نظمت في عنقي من اللّالي وما أوليت من قبَلِ
 حلّيتني بحلّي أصبحت زاهيةً بها على كلّ أنثى من حلّ عطلِ
 لله أخلاقك الفرّ التي سقيت ماء الفرات فرقت رقة الغزلِ
 أشبهت مروان من غارت بدائمه وأنجدت وغدت من أحسن المثلِ
 من كان والده العصب المهند لم يلد من النسل غير البيض والأسلِ

ومن شعرها وقد كبرت :

وما يُرتجى من بنت سبعين حجةً وسبع كنسج العنكبوت المهلهلِ
 تدب ديببَ الطفل تسعى إلى العصا وتمشي بها مشي الأسير المكبلِ

١ ترجمة مريم في الصلة : ٦٥٦ والخذوة : ٣٨٩ (وبنية الملتبس رقم : ١٥٨٤) والسيوطي : ٩٠ .
 ٢ يبدو أن المقرئ وهم هنا ، فأثبت نص الصلة ونسبه للمطرب ، وليس في المطرب ترجمة لمريم هذه .

19 - ومنهنّ أسماء العامرية^١ ، من أهل إشبيلية ، كتبت إلى عبد المؤمن ابن علي رسالة نمت فيها إليه بنسبها العامري ، وتسأله في رفع الانزال عن دارها ، والاعتقال عن مالها ، وفي آخرها قصيدة أولها :

عرفنا النصرَ والفتحَ المُبينا لسيدنا أمير المؤمنين
إذا كان الحديثُ عن المعالي رأيتُ حديثكم فينا شُجُونَا

ومنها :

رويتُ علمهُ فعلمتموه وصنتم عهدهُ فغدا مَصُونَا

20 - ومنهن أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية ، سمعتُ أباها ، وكانت حاضرة النادرة ، سريعة التمثل ، من أهل العلم والفهم والعقل ، ولها تأليف في القبور ، ولما ولي أبوها قضاء المربة دخل داره وعيناه تدرفان وجدداً لمفارقة وطنه ، فأنشدته متمثلة :

يا عينُ صار الدمعُ عندك عادةً تبكين في فرحٍ وفي أحزانٍ

وهذا البيت من جملة أبيات هي :

جاء الكتابُ من الحبيبِ بأنه سيزورني فاستعبرتُ أجفاني
غلبَ السرورُ عليَّ حتى إنه من عظم فرط^٢ مسرتي أبكاني

وبعده البيت ، وبعده :

فاستقبلي بالبشر يومَ لقائه ودعي الدموعَ لليلة الهجرانِ

١ ترجمتها في الذيل والتكملة ؛ وما ورد هنا منقول عنه .

٢ م : من فرط عظم .

21 - ومنهنّ مهجة القرطبية^١ صاحبة ولادة رحمهما الله تعالى ، وكانت من أجلّ نساء زمانها ، وعلقت بها ولادة ، ولازمت تأديبها ، وكانت من أخفّ الناس روحاً ، ووقع بينها وبين ولادة ما اقتضى أن قالت :

ولادةٌ قد صرتِ ولادةً من غيرِ بعلٍ ، فُضِّحَ الكاتمُ
حكّتْ لنا مريمَ لكنّه نخلَةٌ هذي ذكراً قائمٌ

قال بعض الأكابر : لو سمع ابن الرومي هذا لأقرّها بالتقديم .
ومن شعرها :

لئن قد حمى عن ثغرها كلّ حائمٍ فما زال يُحمى عن مُطالبه الثغرُ
فذلك تحميه القواضبُ والقنا وهذا حماه من لواظها السحرُ

وأهدى إليها من كان يهيم بها خوفاً ، فكتبت إليه :

يا متحفاً بالخوخِ أحبابه أهلك به من مُثْنجٍ للصدورِ
حكى تُديّ الغيدِ تفليكه لكنه أخزى رؤوس الأيورِ

22 - ومنهنّ هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي ، وكانت أديبة شاعرة ، كتب إليها أبو عامر ابن يَتَق يدعوها للحضور عنده بعُودها :

يا هندُ هل لكِ في زيارةِ فتيةٍ نبذوا المحارمَ غيرَ شربِ السلسلِ
سمعوا البلابلَ قد شدّوا فتذكروا نغماتِ عُودِكِ في الثقلِ الأولِ

فكتبت إليه في ظهر رقعة :
يا سيداً حازَ العلا عن سادةٍ شُمّ الأنوفِ من الطرازِ الأولِ

١ ترجمة مهجة في المغرب ١ : ١٤٣ والميوطي : ٩٣ ونسبتها القرطبية تميزها عن مهجة الفرناطية وقد ترجم الثانية ابن عبد الملك .

حَسْبِي مِنَ الْإِسْرَاعِ نَحْوِكَ أَنْتِي كُنْتُ الْجَوَابَ مَعَ الرَّسُولِ الْمَقْبَلِ
23 - ومنهنَّ الشَّليبية ، قال ابن الأثير : ولم أقف على اسمها ، وكتبت إلى
السلطان يعقوب المنصور تتطلَّمت من ولاة بلدها وصاحب خراجها :

قد آنَ أنْ تبكي العيونُ الآبيةَ ولقد أرى أنَّ الحجارةَ باكيةُ
يا قاصدَ المصرِ الذي يُرجى بهِ إنْ قدَّرَ الرحمنُ رَفَعَ كراهيه
نادِ الأميرَ إذا وقفتَ ببابهِ يا راعياً إنَّ الرعيَّةَ فانيه
أرسلتُها هَمَلاً ولا مرَعى لها وتركتها نهبَ السباعِ العاديه
شَلِبُ كلاً شَلِبَ ، وكانت جنةُ فأعادها الطاغونُ ناراً حاميه
حافوا وما خافوا عقوبةَ ربهم واللهُ لا تخفى عليه خافيه

فيقال : إنَّها أُلقيت يوم الجمعة على مصلى المنصور ، فلما قضى الصلاة
وتصفحها بحث عن القصَّة فوقف على حقيقتها ، وأمر للمرأة بصلَّة .
وحكي أن بعض قضاة لُوشة كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الأحكام
والنوازل ، وكان قبل أن يتزوَّجها ذُكر له وصفها فتزوَّجها ، وكان في مجلس
قضائه تنزل به النوازل ، فيقوم إليها فتشير عليه بما يحكم به ، فكتب إليه بعضُ
أصحابه مداعباً بقوله :

بلُوشة قاضٍ لهُ زوجةُ وأجكامُها في الورى ماضيهُ
فيا لَيْتَه لم يكن قاضياً وبها ليتهَا كانتِ القاضيهُ

فأطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت : ناولني القلم ، فناولها ، فكتبت
بديهة :

هو شيخُ سوء مُزْدَرى لهُ شُوبُ عاصيهُ
كلاً لئن لم يته لنسفعا بالناصيهُ

وسمعتُ بعضَ أشياخنا يحكي القضية عن لسان الدين بن الخطيب ، وأنه
هو الذي كتب يُداعِب زوج المرأة فكتبت إليه :

إنَّ الإمامَ ابنَ الخطيبِ لَهُ شِيبٌ عاصيةٌ

إلى آخره ، فالله أعلم .

24 - ومنهنَّ نزهون الفرناطية^١ .

قال في « المغرب » : من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجاري في « المسهب »
ووصفها بخفة الروح ، والانطباع الزائد ، والحلاوة ، وحفظ الشعر ، والمعرفة
بضرب الأمثال ، مع جمال فائق ، وحسن رائق ، وكان الوزير أبو بكر ابن سعيد
أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها ، فكتب لها مرة :

يا مَنْ لَهُ أَلْفُ خَيْلٍ من عاشقٍ وصديقٍ
أراكَ خَلَّيْتَ للنِّسَاءِ سِـمَّ مِثْلَ فِي الطَّرِيقِ

فأجابته :

حللتَ أبا بكرٍ محلاً مَنَعْتُهُ سواكَ : وهل غيرُ الحبيبِ له صدري
وإن كانَ لي كم من حبيبٍ فإِنَّمَا يُقَدِّمُ أَهْلُ الْحَقِّ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ

قيل : لو قالت « وإن كان خلاني كثيراً ... إلخ » لكان أجود .

ولما قال فيها المخزومي :

١ ترجمة نزهون في التحفة : ١٦٤ والمغرب ٢ : ١٢١ والذيل والتكملة والسيوطي : ٩٧ والإحاطة
١ : ٤٣٤ وقال ابن الأبار : إنها عاصرت حمدة أو قاربت عصرها ، ونقل ابن عبد الملك عنه
قوله : وهو (أي القليعي) فيما أحسب أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب
النسائي .

على وجه نزهونٍ من الحسن مسحةٌ وتحت الثيابِ العارُ لو كان باديا
قواصدُ نزهونٍ تواركُ غيرها ومن قصد البحرَ استقلَّ السواقيا
قالت :

إن كانَ ما قُلْتُ حَقًّا من بعض عهدِ كريمٍ
فصار ذكري ذميماً يُعزّي إلى كلِّ لومٍ
وصرتُ أقبحَ شيءٍ في صورة المخزومي

وقد تقدمت حكايتها في « الباب الأول » من هذا ، فلتراجع .
وقال لها بعض الثقلاء : ما على من أكل معك خمسمائة سوط ؟ فقالت :

وذي شقوةٍ لما رأيَ رأيَ لهُ تمنّيه أن يصلي معي جاحمَ الضربِ
فقلتُ لهُ كلها هنيئاً فإنما خلقتُ إلى لبس المطارف والشربِ

٦٧٩ - [ابن قزمان]

وقال ابن سعيد في طالعهِ لما وصف وصول ابن قزمان إلى غرناطة واجتماعه
بجنته بقرية الزاوية من خارجها بنزهون القلاعية الأدبية ، وما جرى بينهما .
وأنها قالت له بعقب ارتجال بديع - وكان يلبس غفارة صفراء على زي الفقهاء
حينئذ - أحسنت يا بقرة بني إسرائيل ، إلا أنك لا تسرُّ الناظرين ، فقال لها :
إن لم أسرُّ الناظرين فأنا أسرُّ السامعين ، وإنما يُطلب سرور الناظرين منك يا فاعلة
يا صانعة ، وتمكن السكر من ابن قزمان ، وآل الأمر إلى أن تدافعوا معه حتى
رموه في البركة ، فما خرج إلا وهو قد شرب كثيراً من الماء ، وثيابه تهطل .
فقال : اسمع يا وزير ، ثم أنشد :

١ إن ... الناظرين : زيادة من م .

إليه أبا بكر ولا حولَ لي بدفع أعيانٍ وأنذالٍ
وذاث فرجٍ واسعٍ دافقٍ بالماء يحكي حالَ أذيالي
غرقتني في الماء يا سيدي كقرّةٍ بالتغريق في المالِ

فأمر بتجريد ثيابه ، وخلع عليه ما يليق به ، ومراً لهم يوم بعدَ عهدهم
بمثله . ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة إلّا من بعد ما أجزل له الإحسان ، ومدحه
بما هو ثابت له في ديوان أزجاله . وحكي عنه فيما أظن - أعني ابن قزمان -
ويحتمل أنّه غيره أنّه تبع إحدى الماجنات ، وكان أحول ، فأطمعته في نفسها ،
وأشارت إليه أن يتبعها ، فاتّبعها حتى أتت به سوق الصاغة بإشبيلية ، فوقفت على
صائغ من صيّاغها ، وقالت له : يا معلم مثل هذا يكون فص الخاتم الذي قلت
لك عنه ، تشير إلى عين ذلك الأحول الذي تبعها ، وكانت قد كلفت ذلك الصائغ
أن يعمل لها خاتماً يكون فصّه عين إبليس ، فقال لها الصائغ : جيئني بالثال ، فإنّي
لم أرَ هذا ولا سمعته قط ، فجاءته به عن مثال ، وحكاها بعضهم على وجه آخر
وأنتها ذهبت إلى الصائغ وقالت له : صوّر لي صورة الشيطان ، فقال لها : اثني
بمثال ، فلمّا تبعها ابن قزمان جاءته به ، وقالت له : مثل هذا ، فسأل ابن قزمان
الصائغ فأعلمه فخجل ولعنها ، وكتب أبو بكر ابن قزمان على باب جتته :

وقائلٍ يا حُسْنها جنّةٌ لا يدخلُ الحزنُ على بابها
فقلتُ والحقُّ له صولةٌ أحسنُ منها مجدُ أربابها

وله :

كثيرُ المالِ تمسكُهُ فيفني وقد يبقى معَ الجودِ القليلُ
ومن غرستَ يداها ثمارَ جودٍ ففي ظلِّ الثناء له مقيّلُ

رجع إلى أخبار نزهون بنت القليعي :

حكي أنّها كانت تقرأ على أبي بكر المخزومي الأعمى ، فدخل عليهما أبو

بكر الكندي ، فقال يخاطب المخزومي :

لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُ مِنْ نَجَالِهِ

فَأَفْهَمَ : وأطال الفكر فما وجد شيئاً ، فقالت نزهون :

لَعَدَوْتُ أَخْرَسَ مِنْ خِلَاخِلِهِ

البدرُ يطلعُ من أُرْزَرَّتِهِ والغصنُ يمرحُ في غِلَاثِلِهِ

وكانت ماجنة ، ومن شعرها قولها :

للهِ درُّ اللَّيَالِي مَا أَحْيَسْنَهَا وما أَحْيَسَنَ مِنْهَا لَيْلَةَ الْأَحَدِ
لَوْ كُنْتَ حَاضِرًا فِيهَا وَقَدْ غَفَلْتُ عَيْنُ الرَّقِيبِ فَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى أَحَدِ
أَبْصُرْتَ شَمْسَ الصُّحَى فِي سَاعِدِي قَمَرٍ بَلْ رَيْمَ خَازِمَةٍ فِي سَاعِدَتِي أُسَدِ

٦٨٠ — [مقطعات لابن الزقاق]

وهذا المعنى متفق مع قول ابن الزقاق^١ :

وَمُرْتَجَّةِ الْأُرْدَافِ أَمَا قَوَامُهَا فَلَعَدَنُ وَأَمَّا رِدْفُهَا فَرَدَاخُ
أَلَمْتُ فَبَاتَ اللَّيْلُ مِنْ قِصْرِ بِهَا يَطِيرُ ، وَلَا غَيْرُ السَّرُورِ جَنَاحُ
فَبِتُّ وَقَدْ زَارَتْ بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ يِعَانِقُنِي حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحُ
عَلَى عَاتِقِي مِنْ سَاعِدَيْهَا حِمَائِلُ وَفِي خَصْرِهَا مِنْ سَاعِدِيَّ وَشَاحُ

وابن الزقاق هذا له في النظم والغوص على المعاني الباعُ المديد ، ومن نظمه قوله :

١ انظر مقطعات ابن الزقاق هذه في ديوانه : ١٢٩ ، ٢٩٥ ، ١٧٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٤ ، ١١٣ (ويمضها عن النفع نفسه) .

رئيسُ الشرقِ محمودُ السجايا يُقَصِّرُ عَنْ مَدَائِحِهِ الْبَلِيغُ
نَسَمِيهِ بِبَحِيٍّ وَهُوَ مَيِّتٌ كَمَا أَنَّ السَّلِيمَ هُوَ اللَّذِيغُ
يَعَاظُ الْوَرْدَ إِنْ ظَمِثَ حَشَاهُ وَفِي مَالِ الْيَتِيمِ لَهُ وَلُوغُ
وقوله :

كَبِيتُ وَلَوْ أَتَيْتُ أُسْتَطِيعُ لِإِجْلَالِ قَدْرِكَ بَيْنَ الْبَشَرِ
قَدَدْتُ الْبِرَاعَةَ مِنْ أَعْلَى وَكَانَ الْمَدَادُ سَوَادَ الْبَصْرِ
وقوله :

غَرِيرٌ يُبَارِي الصَّبِيحَ إِشْرَاقُ خَدِّهِ وَفِي مَقَرِّقِ الظَّلَمَاءِ مِنْهُ نَصِيبُ
تَرْفٌ بِفِيهِ ضَاحِكًا أَقْحَوَانَةٌ وَيَهْتَرُ فِي بُرْدِيهِ مِنْهُ قَضِيبُ
وقوله :

وَمَهْفَهفٌ نَبَتَ الشَّقِيقُ بِخَدِّهِ وَاهْتَرَّ أَمْلُودُ النَّقَا فِي بُرْدِهِ
مَاءُ الشَّبِيبَةِ وَالْغَرَامِ أَرْقٌ مِنْ صَقَلِ الْحَسَامِ الْمُنْتَقَى وَفَرْنَدِهِ
يُحْيِي الْوَرَى بِتَحِيَّةٍ مِنْ وَصْلِهِ مِنْ بَعْدِ مَا وَرَدُوا الْحِمَامَ بِصَدِّهِ
إِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ الْقَوَادَ لَهُ فَعَلُّ أَيُّ الْجَوَى بِجَوَانِحٍ لَمْ يَهْدِهِ
وقوله :

أَرْقٌ نَسِيمَ الصَّبَا عَرَفُهُ وَرَاقٌ قَضِيبَ النَّقَا عِطْفُهُ
وَمَرٌّ بَنَّا يَتَهَادَى وَقَدْ نَضَا سَيْفَ أَجْفَانِهِ طَرْفُهُ
وَمَدٌّ لِبَسْمِهِ رَاحَةٌ فَخَلَّتْ الْأَقَاخَ دَنَا قَطْفُهُ
أَشَارَتْ بِتَقْيِيلِهَا لِلسَّلَامِ فَقَالَ فَمَيِّ لَيْتَنِي كَفُّهُ
وقوله :

بِأَبِي مَنْ لَمْ يَلِدْ لِي لِحْظُهُ فِي الْهَوَى مِنْ رَمَقٍ حِينَ رَمَقُ

جمعتُ نكهتهُ في ثغرهِ عبقاً في نسقِ يسبي الخلقِ
وبدتُ خجلتهُ في خدهِ شفقاً في فلقِ تحتَ غسقِ

وقال :

وعشيّةٍ لبستُ ملاءَ شقيقِ تُزهي باونٍ للخلودِ أنيقِ
أبقتُ بها الشمسُ المنيرةُ مثلَ ما أبقي الحياءَ بوجنتي معشوقِ
لو أستطيعُ شربتها كلكاً بها وعدلتُ فيها عن كؤوسِ رحيقِ

وقال في مسامرةِ كتابِ زعماء :

للهِ ليلتنا التي استخذى بها فلقُ الصّباحِ لسُدفةِ الإظلامِ
طرأتُ عليّ مع النجومِ بأنجمِ من فتيةِ بيضِ الوجوهِ كرامِ
إن حوربوا فزعوا إلى بيضِ الطّي أو خوطبوا فزعوا إلى الأقالِمِ
فدري البلاغةُ إن نظرتُ إليهمُ والبأسَ بينَ يراعةٍ وحسامِ

وقال :

ومجدّين في السّرى قد تعاطوا غفواتِ الهوى بغيرِ كؤوسِ
جنحوا وانحنوا على العيسِ حتى خلّتهمُ يُعْتَبُونَ أيدي العيسِ
نبذوا الغمضَ وهو حلّو إلى أن وجدّوه سُلالةً في الرؤوسِ

وقال :

وحبّبتُ يومَ السبتِ عندي أتّي يُنادِمُني فيه الذي أنا أحبّبتُ
ومِنَ أعجبِ الأشياءِ أني مسلمٌ حنيفٌ ولكنّ خيرُ أيامي السبتُ

ولنتنصر من نساء الأندلس على هذا المقدار ، ونعدّ إلى ما كنّا فيه من
جلب كلام بلغاء الأندلس ذوي الأقدار ، فنقول :

٦٨١ - قال الخفاجي رحمه الله تعالى^١ :

وهاشفة في البانِ تُملي غرامها علينا وتتلو من صبايتها صُحفا
عجبتُ لها تشكو الفراقَ جهالةً وقد جاوبتُ من كلِّ ناحيةٍ إلقا
ويُشجّي قلوبَ العاشقينَ أنينُها وما فهموا ممّا تَغَنّتْ به حرّفا
ولو صدقتُ فيما تقولُ من الأسى لما لبست طوقاً ولا خضبتُ كفّاً

٦٨٢ - وقال الأستاذ أبو محمد ابن صارة :

متى تلتقي عيناى بدرَ مكارمٍ تودُّ الثريا أنها من مَواطِئِهِ
ولمّا أهلَّ المدبلحونَ بذكرِهِ وفاحَ ترابُ اليدِ مسكاً لواطِئِهِ
عرفنا بحسن الذكرِ حُسنَ صَنِيعِهِ كما عُرِفَ الوادي بخضرة شاطئِهِ

وقال يتغزل :

يا من تعرّضَ دونه شَحَطُ النوى فاستشرفتُ لحديثه أسماعِي
إنّي لمن يحظى بقربك حاسدٌ ونواظري يحسدنَ فيكَ رِقاَعِي
لم تطوِّكَ الأيامُ عني إنّما نقلتْكَ من عيني إلى أضلاعي

٦٨٣ - [مقطعات لابن العطار]

وقال الأديب أبو القاسم ابن العطار^٢ :

عبرنا سماءَ الجوّ والنهرُ مشرقٌ وليسَ لنا إلّا الحجابَ نجومُ
وقد ألبسته الأيكُ بُردَ ظلالها وللشمسِ في تلك البرودِ رقومُ

١ ديوان ابن خفاجة : ٣٧٠ (عن النفع) .

٢ القلائد : ٢٨٥ .

وله أيضاً^١ :

لله بهجة نزهة ضربت به فوق الغدير رواقها الأنشام^٢
فمع الأصيل النهر درع سابغ ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وقال أيضاً^٣ :

هبت الريح بالعشي فحاكت زرداً للغدير ناهيك جنة
وانجلي البدر بعد هدء فحاكت كفه للقتال منه أسنة

وقال أيضاً^٤ :

لله حسن حديقة بسطت لنا منها النفوس سواف ومعاطف
تختال في حلال الربيع وحليه ومن الربيع قلائد ومطارف

وله^٥ :

وستأن ما إن يزال عارضه يعطف قلبي بعطفه اللام
أسلمني للهوى فواحرني أن بزني عفتي وإسلامي
لحافظه أسهم ، وحاجبه قوس ، وإنسان عينه رامي

٦٨٤ - وارتجل أبو جعفر ابن خاتمة رحمه الله تعالى لما بات في قرية

بيش :

١ القلائد ، والمغرب ١ : ٢٥٤ .

٢ الأنشام - بالشين - نوع من الشجر .

٣ القلائد : ٢٨٥ .

٤ م : هذا .

٥ القلائد : ٢٨٦ .

٦ القلائد : ٢٨٨ والثالث في المغرب .

للهِ مَترلنا بقريه ييشِ كاد الهوى فيها ادكاراً بي يثي
رُحنا إليها والبطاحُ كأنها صُحفٌ مذهبةٌ بإبريزِ العشي

فأجازه الوزير ابن جزي بقوله :

في فتية هزّت حُمَيّا الأنسِ من أعطافهم فالكلُّ منها متشي
يأتي علامهم بالصحيح ، ولفظهم بالمنتقى ، وجمالهم بالمدّهر

٦٨٥ - وقال السلطان أبو الحجاج النصري مرتجلاً أيتام مقامه بظاهر

جبل الفتح سنة ٨١٥ :

ولم يتركوا أوطانهم بمرادهم ولكن لأحوالٍ أشابت مفارقي
أقام بها ليلُ التهاني تقلباً وقد سكنت جهلاً نفوسُ الخلائقِ
فَعَوَّضَتْهَا ليلَ الصبايةِ بالسُرى وأنسَ التلاقي بالحبيبِ المفارقِ
ولم يثني طرفٌ من النورِ فاعسُ ولا معطفٌ للبانِ وسطَ الحداثقِ
ولا منهضُ الأشبالِ في عُقرِ غيرهم ولا ملعبُ الغزلانِ فوقَ التمارقِ
وعاطبَتْها صُبْحُ الدباجي مُدامةً تَميلُ بها الركبانُ فوقَ الأيانقِ
إذا ما قطعنا بالمطيِّ تَنُوفَةً دجلنا لأخرى بالجياذِ السوابقِ
بحيثُ التقي موسى مع الخضرِ آيةً عسى ترجعُ العقبى كموسى وطارقِ

وله :

مَنْ عاذري من غزالٍ زانه حَوَرٌ قد هامَ لما بدا في حُسْنِهِ البشُرُ
الحاظُهُ كسيوفِ الهندِ ماضيةٌ لها بقلبي وإن سالتُها أثرُ

٦٨٦ - وقال القاضي أبو القاسم ابن حاتم :

شكوتَ بما دهاكَ وكان سِرّاً لمنَ ليستَ مودَّتُهُ صحيحةٌ
فتلكَ مصيبةٌ عادت ثلاثاً لصحبتهَا الشماتةُ والفضيحةُ

٦٨٧ - وقال الفقيه محمد بن سعيد الأندلسي مخاطباً للفقيه الفخار :

خَفَّفْ عَلَيْنَا قَلِيلاً أَيْهَا الْعَلَمُ فَرَبِّمَا كَانَ فِينَا مَنْ بِهِ أَلَمُ
لَا يَسْتَطِيعُ نَهوضاً مِنْ تَأَلَّمِهِ وَإِنْ تَمَادَى قَلِيلاً خَانَتْ الْقَدَمُ
كَفَى وَصِيَّةُ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فَاسْمَعُوا مَا قَالَ وَالتَّزَمُوا

٦٨٨ - وقال ابن جُبَيْر اليحصبي فيمن أهدى إليه تفاحاً :

خَلِيلٌ لَمْ يَزَلْ قَلْبِي قَدِيمًا يَمِيلُ بِفِرْطِ صَاحِبَةٍ إِلَيْهِ
أَتَانِي مُقْبِلًا وَالْبَشْرُ يَبْدِي وَسَائِلَ بَرَّةٍ كَرَمَتْ لَدَيْهِ
وَجَاءَ بِعَرَفٍ تَفَاحٍ ذَكِيٍّ فَقُلْتُ أَتَى الْخَلِيلُ بِسَيُوبِهِ
فَأَهْدِي مِنْ جَنَاهِ بِكُلِّ شَكْلٍ يَكْلُوحُ جَمَالُ مُهْدِيهَا عَلَيْهِ

٦٨٩ - وقال قاضي مالقة سيدي إبراهيم البدوي :

قَطَعْتُ يَأْسِي فَصَنْتُ نَفْسِي عَنْ الْوُقُوفِ لَذِي وَجَاهَةٍ
قَصَدْتُ رَبِّي فَكَانَ حَسْبِي أَلْبَسَنِي فَضْلَهُ وَجَاهَةٍ
فَلَا يُرَى يَتَشَنَّى عَيْنَانِي مَدَى حَيَاتِي إِلَّا تَجَاهَةٍ

٦٩٠ - وقال ابن خليل السكوني في فهرسته : شاهدت بجامع العديس
بإشبيلية ربعة مصحف في أسفار يُنْحَى به لنحو خطوط الكوفة إلا أنه أحسن
خطاً وأبينه وأبرعه وأتقنه ، فقال لي الشيخ الأستاذ أبو الحسن ابن الطفيل بن
عظيمة : هذا خط ابن مقلة ، وأنشد :

خَطَّ ابْنُ مَقْلَةٍ مَنْ أَرَعَاهُ مَقْلَتَهُ وَدَّتْ جَوَارِحُهُ لَوْ أَنَّهَا مَقْلُ

ثم قسنا حروفه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل في القدر والوضع ، فالألفات
على قدر واحد ، واللامات كذلك ، والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة ،
انتهى .

قلت : رأيت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مصحفاً
بخط ياقوت المستعصي بهذه المثابة ، وهو من الأوقاف الرسمية . ورأيت بالحجرة
الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام مصحفاً مكتوباً في آخره ما صورته :
كتبته بقلم واحد فقط ما قُطَّ قَطُّ إلا مرة فقط ، انتهى .

رجع :

٦٩١ — وقال ابن عَبدُون رحمه الله تعالى :

أذهبن من فَرَقِ الفراقِ نفوسا	ونثرن من درّ الدموعِ نَفِيسا
فتبعتهُ نظرَ الشجيِّ فحدَّقتْ	رُقباًؤها نحوي عيوناً شوسا
وحلن عقْدَ الصبرِ إذ ودعني	فحلن أفلاكَ الخلدورِ شموسا
حلته إذ حلتهُ حتى خلتهُ	عرشاً لها وحسبُها بلقيسا
فازورَ جانبُها وكان جوابُها :	لو كنتَ هوانا صحبتَ العيسا

وهي طويلة .

قلت : ما أظن لسان الدين نَسَجَ قصيدته من هذا البحر والروي إلا على
منوال هذه ، وإن كان الحافظ التنسي قال : إنه نسجها على قصيدة أبي تمام
حسبما ذكرنا ذلك في محله ، فليراجع .

٦٩٢ — وقال أبو عبد الله ابن المناصف قاضي بكنسية ومُرسية رحمه

الله تعالى :

ألزمتُ نفسي خُمُولاً	عن رُتْبَةِ الأعلامِ
لا يَخْسِفُ البدرَ إلا	ظهورُهُ في تمامِ

وتذكرت به قول غيره :

لَيْسَ الخمولُ بعارٍ	على امرئ ذي جلالِ
فليلةُ القدرِ تَخْفَى	وتلكَ خيرُ الليالي

٦٩٣ - وقال الوزير ابن عمار . وقد كتب له أبو المطرف ابن الدباغ
شافعاً لغلّام طرّ له عذار :

أتاني كتابك مستشفعاً بوجه أبي الحسن من رده
ومن قبل فضي ختم الكتاب قرأت الشفاعة في خده

٦٩٤ - وقال القاضي الأديب ، والفيلسوف الأريب ، أبو الوليد القشبي
قاضي طليطلة^١ :

برّح بي أن علوم الوري قسمان ما إن فيهما من مزيد
حقيقة يُعجزُ تحصيلها وباطل تحصيله لا يفيد

٦٩٥ - وقال أبو عبد الله ابن الصفار وهو من بيت القضاء والعلم بقرطبة :

لا تحسب الناس سواء متى ما اشتبهوا فالناس أطوار
وانظر إلى الأحجار ، في بعضها ماء ، وبعض ضمنه نار
وهذا مثل قول غيره^٢ :

الناس كالأرض ومنها هم من خشن الطبع ومن لين
مرو تشكى الرجل منه الوجى وإثمه يجعل في العين
ومن نظم ابن الصفار المذكور :

إذا نويت انقطاعاً فاعمل حساب الرجوع

٦٩٦ - وقال أبو مروان الجزيري :

ومن العجائب والعجائب جمّة أن يلهج الأعمى بعب الأعور

١ انظر ما تقدم من : ١٣٧ .

٢ الحصري (الكلمة : ٤٣٤) .

٦٩٧ - وقال حسّان بن المصيصي كاتب الظافر بن عباد ملك قرطبة :

لا تأمنن من العدو لبعده - إن امرأ القيس اشتكى الطمّاحا

٦٩٨ - وقال الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي في كتابه « الإسفار عن نتائج الأسفار » : أنشدني الكاتب الأديب أبو عمرو ابن مهيب بلشيلية أبياتاً عملها في حمود بن إبراهيم بن أبي بكر الهرغي ، وكان أجمل أهل زمانه ، رآه عندنا زائراً وقد خط عذاره ، فقلت : يا أبا عمرو ، ما تنظر إلى حسن هذا الوجه ؟ فعمل الأبيات في ذلك ، وهي :

وقالوا العذارُ جَنّاحُ الهوى إذا ما استوى طار عن وكّره
وليسَ كذاكَ فخبّرهمُ قياماً بعذري أو عذره
إذا كملَ الحسنُ في وجنةٍ فخاتمهُ ويكّ من شعره

قال بعضهم : رأيت آخر الكتاب المذكور بعد فراغه شعراً نسبته إليه ، وهو :

يا حاضراً بجماله في خاطري ومُحجّجاً بجلاله عن ناظري
إن غبتَ عن عيني فإني لك نورها وضميرُ سرّك سائرُ في سائري
ومن العجائب أني أبدأ إلى رؤياك ذو شوقٍ مديدٍ وافرٍ
مع أني ما كنتُ قطُّ بمجلسٍ إلا وكنتُ مُنادِمي ومسامري

٦٩٩ - وأنشد في « الإحاطة » لعبد الله الجندامي :

أيا سيدي أشكو لمجدك أني صددتُ مراراً عن مثولي بساحتك
شكاةً اشتياقٍ أنتَ حقاً طيبها وما راحي إلا بتقيلِ راحتك

قال : وهو عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد الجندامي ، فاضل ملازم

للقراءة ، عاكف على الخير ، مشارك في العربية ، خاطب للرياسة الأدبية ،
اختص بالأمير أبي علي المنصور ابن السلطان أيتام مقامه بالأندلس ، ومما
خاطبه به معتذراً :

أيا سيلدي . . . البيتين

انتهى .

٧٠٠ - وقال في ترجمة عبد الله بن أحمد المالقي قاضي غرناطة ، وكان
فقيهاً بارعاً الأدب : إنه كتب إلى أبي نصر صاحب « القلائد » و « المطمح »
أثناء رسالة بقوله :

تفتحت الكتابة عن نسيم	نسيم المسك في خلقي كريم
أبا نصر رسمت لها رسوماً	تخال رسومها وضح النجوم
وقد كانت عفت فأنرت منها	سراجاً لاح في الليل البهيم
فتحت من الصناعة كل باب	فصارت في طريق مستقيم
فكتاب الزمان ولست منهم	إذا راموا مرامك في هموم
فما قس بأبدع منك لفظاً	ولا سحبان مثلك في العلوم

٧٠١ - وقال الذهبي ، وقد جرى ذكر محمد بن الحسن الملاحجي الأندلسي
ابن الكتاني : إنه أديب شاعر متفنن ذو تصانيف ، حمل عنه ابن حزم ، ومن
شعره :

ألا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل وبانت ليالي الين واجتمع الشمل
فسعدى نديمي ، والمدامة ريقها ، ووجتتها روضي ، وتقبلها النقل

٧٠٢ - وقال العلامة محمد بن عبد الرحمن الغرناطي :

الشعب ثم قبيلة وعماره بطن وفخذ والفصيلة تابعه

فالشعبُ مجتمَعُ القبيلةِ كلَّها ثمَّ القبيلةُ للعمارةِ جامعةُ
والبطنُ تجمعهُ العماثرُ فاعلمنْ والفخذُ تجمعه البطونُ الواسعةُ
والفخذُ يجمعُ للفصائلِ هاكها جاءت على نسقٍ لها متابعةُ
فخزيمَةُ شعبٌ ، وإنَّ كنانةً لقبيلةٍ منها الفصائلُ شائعةُ
وقرَّيشُها تُسمَّى العمارةُ يافتي وقُصيُّ بطنٍ للأعادي قامه
ذا هاشم فخذٌ وذا عباسها أثرَ الفصيلةِ لا تُناطُ بسابعه

وكتبتُ هذه الأبيات وإن لم تشتمل على البلاغة لما فيها من الفائدة ، ولأن
بعض الناس سألني فيها لغرابتها ، والأعمال بالنيات .

٧٠٣ — ولما دخل أبو محمد الكلاعي الجلياني على القاضي ابن رشد قام
لَهُ فَأَنشَدَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بَدِيهَةً :

قامَ ليَ السَّيِّدُ الهَمَامُ قاضي قضاةِ الوري الإمامُ
فقلتُ قُمْ بي ، ولا تقم لي فقلَّما يُؤكَلُ القِيَامُ

٧٠٤ — وقال أبو عبد الرحمن ابن جحاف البكتنسي :

لئن كانَ الزمانُ أرادَ حطِّي وحاربني بأنسابٍ وظُفُرِ
كفاني أن تصافيتني المعالي وإن عاديَّني يا أمَّ دَفْرِ
فما اعتَرَّ اللثيمُ وإن تسامى ولا هانَ الكريمُ بغيرِ وَفْرِ

٧٠٥ — وقال أبو محمد ابن برطله^١ :

ألا إنَّما سيفُ الفتي صِنُوْهُ نفسه فنافِسْ بأوفى ذمَّةٍ وإخاءِ
يزينُكَ مَرَأى أو يعينُكَ حاجةٌ فيحسنُ حالي شدةٍ ورخاءِ

١ زاد في م : وقد سبق ذكره .

وقال أيضاً^١ :

أنفسي صبراً لا يروّثك حادثٌ بارتاجه واستشعري عاجلَ الفتحِ
قرباً اشتدادٍ في الخطوبِ لفرجةٍ كما انشقى ليلٌ طال عن فلتقى الصبحِ^٢

وقال أيضاً :

متى يدنو لوعدكم انتجازُ ويبعدُ من حقيقته المجازُ
أيحملُ أن يؤمّكم رجائي فيوقفَ لا يردُّ ولا يُجازُ
وجدكم كفيلاً بالأمانِ ومطلوبي قريبٌ مستجازُ
إذا ما أمكنتُ فُرصُ المساعي فعجزُ أن يُطاولها انتهاءُ
وها أنا قد هززتكم حساماً ويحسنُ للمهنة اهتزازُ
فما الإنصافُ أن يُنضَى كهامُ ويودعَ غمده العصبُ الجُرّازُ
كما نعم العراقُ بعذبِ بحرٍ ويشقى بالظما البرحِ الحجازُ
فأعيبى الناسَ في المقدارِ^٣ حكمُ تجاذبه خمولُ واعتزازُ

٧٠٦ - وأنشد الشيخ أبو بكر ابن حبيش لابن وضاح البيت المشهور ،

وهو :

أُسْرَى وَأُسَيْرٌ فِي الْآفَاقِ مِنْ قَمَرٍ وَمِنْ نَسِيمٍ وَمِنْ طَيْفٍ وَمِنْ مَثَلٍ

١ م : وقوله وقد أجاد وأبلغ في الموعظة .

٢ زاد في م بعد هذه المقطوعة مقطوعتين لابن برطله وهما قوله :

وأمر كأن المصطلين بحره وإن لم تكن نار ووقوف على الجمر
صبرت له حتى تنامي وإنما تفرج أيام الكربة بالصبر

وقوله :

نفسى تنازعني فقلت لها اصبري موت يريحك أو صمود المنبر
ما قد قضى سيكون فاصطبري له ولك الأمان من الذي لم يقدر

٣ م : المقدور .

وابن حبيش المذكور هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف^١ بن حبيش — بفتح الحاء — وقد عرّف به تلميذه ابن رشيد الفهري في رحلته ، فقال بعد كلام : أما النظم فيده عِنَانَه ، وأما النثر فإن مال إليه توكّف له بنانه^٢ ، مع تواضع زائد ، على صلة مخبره عائد ، لقيته بمتزله ليوم أو يومين من مقلمي على تونس ، فتلقي بكل فنّ يونس ، وصادفته بحالة مرض . من وث^٣ في رجله عرض ، وعنده جملة من العوّاد ، من الصدور الأمجاد ، فأدنى وقرب . وسهّل ورَحّب ، وتفاوض أولئك الصدور ، في فنون من الأدب كأنّها الشنور ، إلى أن خاضوا في الأحاجي ، واستضاءوا بأنوار أفكارهم في تلك الدّياجِي ، فخفضت معهم في الحديث ، وأنشدتهم بيتين كنت صنعتهما وأنا حديث ، لقصة بلغني عن أبي الحسن سهّل بن مالك ، وهي أنّه كان يسأل أصحابه وهو في المكتب ويقول لهم : أخرجوا اسمي ، فكلّ ينطق على تقديره ، فيقول لهم : إنكم لم تصيبوه مع أنّه سهل ، فنظمت هذا المعنى فقلت :

وما اسمٌ فَكَّهُ سهّلٌ يسيرٌ يكونُ مصغراً نجماً يسيرٌ
مُصَحِّفُهُ لَهُ في العينِ حُسْنٌ وقلبي عندَ صاحبه أسيرٌ

وكان الشيخ أبو بكر على فراشه ، فزحف مع ما به من ألم ، إلى محبرة وطرّس وقلم ، وكتب البيتين بخطّه ، وقال للحاضرين : ارووا هذين البيتين عن قائلهما .

ومن شيوخ ابن حبيش المذكور أبو عبد الله ابن عسكر المالقي ، كتب له ولأخيه أبي الحسين بخطّه إجازة جميع ما يجوز له ، وعنه ، وضمن آخرها هذه الأبيات :

١ م : يونس ؛ قلت وصوابه محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن يونس كما أورده ابن رشيد في مله العيبة (١٧٣٦ من نسخة الاسكوريال) .
٢ ابن رشيد : عِنَانَه .
٣ ابن رشيد : من ألم ، وفي هامش الرحلة : وث .

أَجَبْتَكُمَا لَكِن مُقَرِّراً بِأَنْتِي أَقْصَرُ فِيمَا رَمْتُمَا عَنْ مَدَاكِمَا
فَإِنَّكُمَا بَدْرَانِ فِي الْعِلْمِ أَشْرَقَا فَسَلِّمَ إِذْعَانَا وَقَسَّرَا عِذَاكِمَا
فَسِيرُوا عَلَى حُكْمِ الْوَدَادِ فَإِنْتِي أَجْوَدُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فَذَاكِمَا

قال ابن رشيد : وقد جمع صاحبنا أبو العباس الأشعري لابن حبيش فهرسة جامعة ، ولما وقف عليها ابن حبيش كتب في أولها ما نصّه : الحمد لله حق حمده ، أحسن هذا الفاضل فيما صنع أحسن الله إليه ، وبإلغ فيما جمع بَلَّغَ الله تعالى به أشرف المراتب لديه ، غير أنني أقول واحدة ، ما سريرتي لها بجملة^١ ، وأصرح بمقال ، لا يسعني كَتَمُهُ بحال : والله ما أنا للإجازة بأهل ، ولا مَرَامُهَا لديّ بسهل ، إذ من شرط المجيز أن يعد فيمن كمل ، ويُعِدّ العلم والعمل ، اللهم غَفِّراً ، كيف يُنِيل من عدم وقرأ ، أو يجيز من أصبح صدره من المعارف قَفِّراً ، وصحيفته من الصالحات صِفِّراً ، وكيف يرسم في ديوان الجِلَّة ، من يتَّسم بالأفعال المخلة ، ومتى يقترن الشَّبه بالإبريز ، أو يوصف السكيت بالتبريز ، ومن ضعف النُّهى ، مجانسة الأعمار بالسُّها ، ومن أعظم التوبيخ ، تشيخ من لا يصلح للتشيخ ، وإن هذا المجموع لَيَرُوق ويُعجب ، ولكنه جمع لمن لا يستوجب ، وإن القراءة قد تحصلت ، ولكن القواعد ما تأصلت ، وإن القارئ عِلَّم ، ولكن المقروء عليه عَدَم ، ولقد شكرت لهذا السَّريِّ ما جَلَب ، وكتبت مسعفاً له بما طلب ، وقرنت إلى دُرِّه هذا المَخْشَلَب ، قلت وحليي عطل ، ونطقي خطل ، مكره أخاك^٢ لا بَطَل ، والله سبحانه وتعالى ينفع بما أخلص له عند الاعتقاد ، ويسمح للبَّهْرَج عند الانتقاد ، كتبه العبد المذنب [المستغفر]^٣ محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللّخمي حامداً لله تعالى

١ ابن رشيد : جملة .

٢ ابن رشيد : أخوك .

٣ زيادة من رحلة ابن رشيد .

ومصلياً على نبيه الكريم المصطفى وعلى آله أعلام الطهارة والهدى ومسلياً تسليمياً .
 وكتب أيضاً رحمه الله تعالى في جواب استجازة : المسؤول مبذول ،
 إن شاء الله تعالى على التنجيز ، ولكن شروط الإجازة موجودة في المُجاز
 معلومة في المُجيز ، والله تعالى يصفح بكرمه ومنته ، ويشكر كل فاضل على
 تحصيل ظنته ، وهو المسؤول سبحانه أن يحفظ بعنايته مُهجاتهم ، ويرفع بالعلم
 والعمل درجاتهم ، ويمتعمهم بالكمال الراقق المعجب ، ويقر بالنجيين عين
 المنجب ، وكتبه ابن حَبِيش . انتهى .

٧٠٧ - وقال الوزير الكاتب أبو بكر ابن القبطرنة يستجدي بازياً من
 المنصور بن الأفطس صاحب بَطْلَيْتَوْسَ :

يا أيها الملكُ الذي آباؤهُ	شُمُ الأنوفِ من الطرازِ الأولِ
حلَّيتَ بالنَّعمِ الجسامِ جسيمةً	عنقي فحلَّ يَدَيَّ كذاك بأجدلِ
وامننْ بهِ ضاقي الجناحِ كأتما	حُدَيْتْ قوائمه بريحِ شمالِ
متلفتاً والطلُّ ينثرُ بُرْدَه	منهُ على مثل اليماني المحملِ
أغدو به عجباً أُصرِّفُ في يدي	ريحاً وآخذُ مطلقاً بمكبَّلِ

٧٠٨ - وأدخلتْ على المعتمد يوماً باكورة نرجس ، فكتب إلى ابن عمار

يستدعيه :

قد زارنا النرجس الذكيُّ	وآن من يومنا العشيُّ
ونحسنُ في مجلس أنيق	وقد ظمنا وفيه ريُّ
ولي خليل غدا سَمِيَّيْ	يا ليتهُ ساعدَ السَمِيَّيْ

فأجابه ابن عمار :

لبيك لبيك من مُنادٍ له الندى الرحبُ والندى

ها أنا بالبابِ عبدِ قنَّ قِبَلَتُهُ وَجْهَكَ السَّيِّئُ
شَرَّفَهُ والداهِ بِاسْمِهِ شَرَّفَتَهُ أَنْتَ وَالنَّبِيُّ

واصطبغ المعتمد يوم غَيْمٍ مع أم الربيع ، واحتجب عن الندماء ، فكتب
إليه ابن عمار :

تَجْهَمُ وجهُ الأفقِ واعتَلَّتِ النفسُ لأنَّ لم تَلَحْ للعينِ أَنْتَ ولا شَمْسُ
فإن كانَ هذا منكما من تَوَافُقٍ وضمكما أنسُ فیهنیکما الأَنسُ
فأجابه المعتمد بقوله :

خَلِيلِي قَوْلًا هل عَلَيَّ مَلَامَةٌ إذا لم أَعْبُ إلا لتحضرني الشمسُ
وأهْدِي بِأَكْوَاسِ المُدَامِ كَوَاكِبًا إذا أَبْصَرَتْهَا العَيْنُ هَشَّتْ لها النفسُ
سَلَامٌ سَلَامٌ أَنْتُمَا الأَنسُ كُلُّهُ وإن غبتما أمُّ الربيع هي الأَنسُ

واستدعى جماعة من إخوان ابن عمار منه شراباً في موضع هو فيه مفقود ،
فبعث لهم به وبرمانتين وتفاحتين ، وكتب لهم مع ذلك :

خُذَاهَا مثلما استدعيتهاها عروساً لا تُزَفُّ إلى اللثامِ
ودونكما بها ثديي فتاة أضفتُ إليهما خَدَيَّ غلامِ

٧٠٩ - وشرب ذو الوزارتين القائد أبو عيسى ابن لبّون مع الوزراء
والكتاب بيّطجاء لورقة عند أخيه ، وابن اليسع غائب ، فكتب إليه :

لو كنتَ تشهد يا هذا عَشِيَّتَنَا والمُزْنُ يسكن أحياناً وينحدرُ
والأرضُ مُصْفَرَّةٌ بالمُزْنِ طافية أَبْصَرْتَ دُرّاً عليه التبر ينثرُ

٧١٠ - وقال الحجاري من القصيدة المشهورة :

عليك أحالني الذِّكْرُ الجميلُ

في وصف زيه البدوي المستقل وما في طيه :

ومثلتي بدنّ فيه خمرٌ يخفُّ به ومنظره ثقيلٌ

ولمّا انصرف^١ عن ابن سعيد إلى ابن هود عدله ابن سعيد على تحوله عنه ،
فقال : النفس تواقه ، وما لي بغير التغرب طاقة ، ثم قال :

يقولون لي ماذا الملل تقيمُ في محلّ فعند الأنس تذهب راحلا
فقلتُ لهم مثل الحمام إذا شدا على غصنٍ أسمى بآخر نازلا

٧١١ - وقد رأيت أن أكفر ما تقدّم ذكره من الهزل الذي أتينا به على سبيل
الإحماض بما لا بد منه من الحكيم والمواعظ وما يناسبها ، فنقول :

1 - قال أبو العباس ابن خليل :

فهموا إشارات الحبيب فهموا	وأقام أمرهم الرّشادُ فقاموا
وتوسّموا بمدامع منهلّة	تحت الدياجي والأنامُ نيامُ
وتلوا من الذكر الحكيم جوامعاً	جمعت لها الألباب والأفهامُ
يا صاح لو أبصرت ليلهمُ وقد	صفت القلوب وصفت الأقدامُ
لرأيت نور هداية قد حقهم	فسرى السرور وأشرق الإظلامُ
فهمُ العبيدُ الخادمون مليكهم	نعم العبيدُ وأفلح الخدّامُ
سلموا من الآفات لمّا استسلموا	فعلهمُ حتى المماتِ سلامُ

2 - وقال العالم الكبير الشهير صاحب التآليف أبو محمد عبد الحق الإشيلي
رحمه الله تعالى :

قالوا صف الموت يا هذا وشدّتهُ فقلتُ وامتدّ مني عندها الصوتُ

١ م : انصرف المذكور .

يَكْفِيكُمْ^١ مِنْهُ أَنَّ النَّاسَ لِنَاصِفٍ وَأَمْرًا يُرَوِّعُهُمْ قَالُوا هُوَ الْمَوْتُ

3 — وقال الخطيب الأستاذ أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الشاطبي
نزِيل بَجَايَةٍ :

جَعَلْتُ كِتَابَ رَبِّي لِي بِضَاعَهُ فَكَيْفَ أَخَافُ فَقْرًا أَوْ إِضَاعَهُ
وَأَعْدَدْتُ الْقَنَاعَةَ رَأْسَ مَالٍ وَهَلْ شَيْءٌ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ ؟

4 — وقال القاضي الكبير الأستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن الغمّاز
البَلَنْسِي نَزِيلَ إِفْرِيقِيَّةٍ :

هُوَ الْمَوْتُ فَاحْذَرِ أَنْ يَجِثَّكَ بَغْتَةً وَأَنْتَ عَلَى سُوءٍ مِنَ الْفِعْلِ عَاكِفٌ
وَلِيَّاكَ أَنْ تَمْضِيَ مِنَ الدَّهْرِ سَاعَةً وَلَا لَحْظَةً إِلَّا وَقَلْبُكَ وَاجِفٌ
وَبَادِرِ بِأَعْمَالٍ تَسْرُكُ أَنْ تُرَى إِذَا تُشِيرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ
وَلَا تَيَاسَّنْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّهُ لِرَبِّ الْعِبَادِ بِالْعِبَادِ لَطَائِفٌ
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

أَمَّا أَنْ لِلنَّفْسِ أَنْ تَخْشَعَا أَمَّا أَنْ لِلْقَلْبِ أَنْ يُقْلَعَا
أَلَيْسَ الثَّمَانُونَ قَدْ أَقْبَلَتْ فَلَمْ تُبْقِ فِي لَذَّةٍ مَطْمَعَا
تَقْضَى الزَّمَانُ وَلَا مَطْمَعٌ لَمَّا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَنْ يَرْجَعَا
تَقْضَى الزَّمَانُ فَوَاحِشِرَتِي لَمَّا فَاتَ مِنْهُ وَمَا ضُيِّعَا
وَيَا وَيْلَتَاهُ لِلَّذِي شَبَّهَ يَطْبِيعُ هَوَى النَّفْسِ فِيمَا دَعَا
وَبُعْدًا وَسَحْقًا لَهُ إِذْ غَدَا يَسْمَعُ وَعَظًا وَلَنْ يَسْمَعَا^٢

١ م ق : يَكْفِيهِمْ .

٢ زاد في م بعد هذا المقطوعتين التاليتين لآيِن الغمّاز ، وله أيضاً وهو غريب في معناه :

يَا صَاحِبَ الْهَمِّ إِنَّ الْهَمَّ مَنفَرَجٌ كَمَنْ مِنْ أُمُورٍ شَدَادَ فَرَجُ اللَّهِ
الْيَاسَ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ لَا تَيَاسَّنْ فَإِنَّ الْفَاتِحَ اللَّهُ

5 - وقال الأستاذ الزاهد أبو إسحاق الإلييري الغرناطي رحمه الله تعالى^١ :

كلُّ امرئٍ فيما يدين يُدانُ سبحان من لم يَخُلْ منه مكانُ
يا عامر الدنيا ليسكنها وما هي بالتّي يبقى بها سكان
تبقى وتبقى الأرض بعدك مثلما يبقى المناخُ وترحل الركبان
أأسرُّ في الدنيا بكلّ زيادة وزيادتي فيها هي النقصان^٢

وقال أيضاً رحمه الله تعالى^٣ :

وذِي غنى أوهمتهُ همتهُ أنّ الغنى عنه غير منفصل

الله حسبك فيما عذت منه به وأين يأمنهم من حسبه الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدوته ما لامرئٍ حيلة فيما قضى الله
سلم إلى الله فيما شاء وأرض به فالخير أجمع فيما يصنع الله
وقال عفا الله عنه وأجاد في قوله ونصحه :

صن النفس واحملها على ما يزينها تعش سالماً والقول منك جميل
وإن قل رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نائبات الدهر عنك تزول
يمز غي النفس إن قل ماله ويفنى فقير النفس وهو ذليل
وما أكثر الأحياب حين تعلمهم ولكنهم في النائبات قليل

١ ديوان الإلييري (القطعة : ٣٥ في الملحق - نقلاً عن النفع) .

٢ زاد هنا في م للإلييري قوله : وقال عفا الله عنه ميتة إلى مولاه :

أتيتك راجياً يا ذا الجلال ففرج ما ترى من سوء حالي
عصيتك سيدي ويلي بجهلي وعيب الذنب لم يخطر ببالي
إلى من يشتكي المملوك إلا إلى مولاه يا مولى الموالى
لمعري ليت أُمي لم تلدني ولم أغضبك في ظلم الليالي
فها أنا عبدك العاصي فقير إلى رحماك فاقبل لي سؤالي
فإن عاقبت يا ربي تعاقب محقاً بالمذاب وبالنكال
وإن تعف فمفوك قد أراني لأفعالي وأوزاري التقال

٣ زاد في م : في تبه النبي بغناه وهو كلا شيء في عقباء ؛ والقطعة رقم ٣٤ في ديوانه نقلاً عن النفع .

يَجْرُ أَذْيَالُ عُجْبِيهِ بِطَرًّا واختال للكبرياء في الحللِ
بَزَّتْهُ أَيْدِي الخطوبِ بَزَّتَهُ فاعتاض بعد الحديد بالسملِ
فَلَا تَتَّقُ بِالْغِنَى فَاقْتَهُ الـ فقرو و صرف الزمان ذودُ و لـ
كفى بنيل الكفاف عنه غنى فكن به فيه غير محتفلِ

وقال رحمه الله تعالى ١ :

لَا شَيْءٌ أَخْسَرَ صَفْقَةً مِنْ عَالِمٍ لعبت به الدنيا مع الجهالِ
فَعَدَا يَفْرُقُ دِينَهُ أَيْدِي سَبَا ويديله حرصاً بجمع المالِ
لَا خَيْرَ فِي كَسْبِ الْحَرَامِ وَقَلَّمَا يُرْجَى الْخِلَاصُ لِكَاسِبِ الْحَلَالِ
فَخَذَ الْكَفَافَ وَلَا تَكُنْ ذَا فَضْلَةٍ فالفضل تُسألُ عنه أي سؤالِ

وقال رحمه الله تعالى ٢ :

الشَّيْبُ نَبَهٌ ذَا التَّهَيُّ فَتَنَّبَهَا ونهى الجهولَ فما استفاق ولا انتهى
فَلَيْ مَتَى أَلْهُوْ وَأُخْدَعُ بِالْمَنَى والشيخُ أَقْبَحُ مَا يَكُونُ إِذَا لَهَا
مَا حَسَنُهُ إِلَّا التَّقَى لَا أَنْ يُرَى صَبِيًّا بِالْحَظِّ الْخَآذِرِ وَالْمَتَا
أَنْتَى يِقَاتِلُ وَهُوَ مَفْلُولُ الشَّبَا كَابِي الْجَوَادِ إِذَا اسْتَقَلَّ تَأَوَّهَا
مَحَقَّ الزَّمَانُ هَلَالَهُ فَكَأَنَّمَا أَبْقَى لَهُ مِنْهُ عَلَى قَلْرِ السَّهَا
فَعَدَا حَسِيرًا يَشْتَهِي أَنْ يُشْتَهَى ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى
إِنْ أَنْ أَوَّاهُ وَأَجْهَشُ بِالْبُكََا لذنوبه ضحكُ الجهولِ وقهقهها
لَيْسَتْ تَنْبَهُهُ الْعِظَاتُ وَمِثْلُهُ فِي سَنَةٍ قَدْ آنَ أَنْ يَتَنَهَّهَا
فَقَدَّ اللَّذَاتِ وَزَادَ غَيًّا بَعْدَهُمْ هَلَاً تَيْقِظَ بَعْدَهُمْ وَتَنْبَهَا
يَا وَيْحَهُ مَا بِالْهَلُ لَا يَتَنَهَى عَنْ غِيَةِ وَالْعَمْرِ مِنْهُ قَدْ انْتَهَى

١ في م : عفا الله عنه في علماء السوء ؛ والقطة رقم : هـ في ديوانه .
٢ زاد في م : في المشيب إن حل أوانه ؛ والقطة رقم : ٨ في ديوانه .

6 — وقال الأستاذ وليُّ الله سيدي أبو العباس ابن العريف :

من لم يشافه عالماً بأصوله فيقينه في المشكلات ظنونُ
من أنكر الأشياء دون تيقنٍ وتثبت فمعاندُ مفتون
الكتبُ تذكرة لمن هو عالم وصوابها بمحالها معجون
والفكرُ غواص عليها مخرجُ والحقُّ فيها لؤلؤ مكنون

7 — وقال أبو القاسم ابن الأبرش :

أيأسوني لما تعظم ذنبي أتراهم هم الغفور الرحيمُ
فلدروني وما تعظم منه إنما يغفر العظیم العظیم^١

8 — وقال أبو العباس ابن صقر الغرناطي أو المري ، وأصله من
سرقسطة^٢ :

أرضِ العلوّ بظاهر متصّع إن كنت مضطراً إلى استرضائه
كم من فتي ألقى بوجهٍ باسم وجوانحي تنقدُّ من بغضائه

9 — وقال الكاتب الشهير الشهيد أبو عبد الله محمد بن الأبار القُضاعي
البكّسي رحمه الله تعالى من أبيات :

١ زاد في م : وقال وقد أحسن ظنه بالمولى تعالى سبحانه :

إذا ما بت من ترب فراثي وبت مجاور الرب العظيم
فهتوني صحابي ثم قولوا لك البشري قدمت على كريم
وقال غيره وأظنه من المشاركة :

قدمت على الكريم بغير زاد من الحسنات بالقلب السليم
وحمل الزاد أقبح كل شيء إذا كان القلوم على كريم

٢ هو أحمد بن عبد الرحمن بن صقر الأنصاري أصله من سرقسطة ، وخرج منها أبوه فسكن بلنسية
ثم انتقل إلى المرية وبها ولد ابنه سنة ٤٩٢ وتوفي بمراكش سنة ٥٦٩ ؛ انظر التحفة : ٤٩ والوافي
٧ الورقة : ٢٢ .

يا شقيق النفس أوصيك وإن شقّ في الإخلاص ما تنتهجه
لا تبتّ في كمد من كبد ربّ ضيق عادٍ رجلاً مخرجه
وبلطف الله أصبح وانقأ كلُّ كرب فعليه فرجه

ولابن الأثير المذكور ترجمة طويلة استوفيت منها ما أمكنني في «أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها ممّا يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض» .

قال الغبريني في «عنوان الدراية»^١ : لو لم يكن له من الشعر إلا قصيدته السنية التي رفعها للأمير أبي زكريا رحمه الله تعالى يستنجد به ويستصرخه لنصرة الأندلس لكان فيها كفاية ، وإن كان قد نقدها ناقد ، وطعن عليه فيها طاعن ، ولكن كما قال أبو العلاء المعري :

تكلّم بالقول المضلل حاسدٌ وكلُّ كلام الحاسدين هراءٌ

ولو لم يكن له من التأليف إلا كتابه المسمى بـ «معادن اللجين في مرآة الحسين» لكفاه في ارتفاع درجته ، وعلو منصبه وسمو رتبته .
ثم قال : توفي بتونس ضحوة يوم الثلاثاء الموفي عشرين لمحرّم سنة ٦٥٨ ، ومولده آخر شهر ربيع سنة ٥٩٥ ببلّغسية ، رحمه الله تعالى وسامحه ، انتهى .
وقال ابن علوان : إنّه يتصل سنده به من طرق ، منها من طريق الراوية أبي عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي آشي عن الشيخ المقرئ المحدث المتبحر أبي عبد الله محمد بن حيّان الأوسي الأندلسي نزيل تونس عنه ، ومن طريق والذي صاحب «عنوان الدراية» عن الخطيب أبي عبد الله ابن صالح عنه ، انتهى .
قلت : وسندي إليه عن العم عن التمني عن أبيه عن ابن مرزوق عن جدّه

١ عنوان الدراية : ١٨٥ .

٢ الغبريني : بكتاب .

الخطيب عن ابن جابر الوادي آشي به كما مرّ .

10 - وقال ابن عبد ربه :

بادرْ إلى التوبةِ الخالصاءِ مجتهداً والموتُ ويحكَ لم يمددْ إليك يدا
وارقب من الله وعداً ليس يخلقه لا بدّ لله من إنجاز ما وعدا

11 - وقال الصدر أبو العلاء ابن قاسم القيسي :

يا واقفَ البابِ في رزقِ يؤمّلهُ لا تقنطنَ فإنّ اللهَ فاتحهُ
إن قدرَ اللهُ رزقاً أنتَ طالبهُ لا تيأسنَ فإنّ اللهَ مانحهُ

12 - وقال الأعمى التطيلي^١ :

تنافسَ الناسَ في الدنيا وقد علموا أنْ سوفَ تقتلهم لذاتها بددا
قلْ للمحدث عن لقمان أو لبد لم يترك الدهرُ لقماناً ولا لبدا
وللذي همّةُ البنيان يرفعهُ إن الردى لم يغادر في الثرى أحدا^٢
ما لابنِ آدمَ لا تفنى مطامعه^٣ يرجو غداً وعسى أن لا يعيش غدا

وقال أبو العباس التطيلي^٤ :

والناس كالناس إلا أن تجربهم والبصيرة حكمٌ ليس للبصرِ
كالأيكِ مشبهات في منابتها وإنما يقعُ التفضيلُ في الثمرِ

13 - وقال القاضي أبو العباس ابن الغماز البكنسي :

١ زاد في م : وقد سبق ذكره مراراً ؛ والقلمة في ديوان الأعمى : ٢٧ .

٢ الديوان : في الشرى أسدا .

٣ الديوان : مطالبه .

٤ م : وقال الفقيه العالم أبو العباس التطيلي ؛ قلت : وهذا يؤهم أنه شخص آخر غير الأعمى التطيلي ، وهو نفسه والبيتان في ديوانه : ٤٨ .

من كان يَعْلَمُ لا محالة أَنَّهُ لا بد أن يُودي وإن طالَ المَدَى
هَلَاً استعدَّ لِشَهِدٍ يَجْزِي بِهِ مَنْ قد أعدَّ من اهتدى ومن اعتدى
وقال أيضاً^١ :

هو الموتُ فاحذر أن يجيئك بغتةً وأنتَ على سوء من الفعل عاكف
وليتأكَّ أن تمضي من الدهر ساعة ولا لحظة إلاّ وقلبك واجف
فبادر بأعمالٍ يسرك أن ترى إذا طُويت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسنْ من رحمة الله إنّه لربّ العباد بالعباد لطائف

14 - ولما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودي الشهير بابن نَعْدَلَة^٢ ،
وأعضل داؤه المسلمين ، قال زاهد البيرة وغرناطة أبو إسحاق الإلبيري قصيدته
النونية المشهورة التي منها في إغراء صنهاجة باليهود^٣ :

ألا قلّ لصنهاجة أجمعين بلور الزمان وأسد العرين
مقالة ذي مِقَّةٍ مُشْفَقٍ صحيح النصيحة دنيا ودين
لقد زلّ سيّدكم زلّةً أقرّ بها أعين الشامتين
تخيّر كاتبه كافرأ ولو شاء كان من المؤمنين
فعرّ اليهودُ به وانتَمَوْا وسادوا وتاهوا على المسلمين

وهي قصيدة طويلة ، فنارت إذ ذاك صنهاجة على اليهود ، وقتلوا منهم
مقتلة عظيمة ، وفيهم الوزير المذكور - وعادة أهل الأندلس أن الوزير هو
الكاتب - فأراح الله البلاد والعباد ، ببركة هذا الشيخ الذي نور الحق على كلامه
باد .

١ م : وقال رحمه الله أيضاً في الموت وأهواله ؛ وقد مرت الأبيات ص : ٣١٦ .

٢ هذا وجه من وجوه كتابة هذا الاسم ، وكثيراً ما يرد : النفراله والنفريله .

٣ انظر ديوان الإلبيري : ١٥١ وما بعدها .

15 - وقال أبو الطاهر الجياني المشهور بابن أبي ركب - بفتح الراء وسكون الكاف^١ - :

يقول الناس في مثلي تذكر غائباً تراه
فما لي لا أرى وطني^٢ ولا أنسى تذكره

وكان أبو الطاهر هذا في جملة من الطلبة ، فمر بهم رجل معه محبرة آبنوس تأتق في حليتها واحتفل في عملها ، فأراهم إياها ، وقال : أريد أن أقصد بها بعض الأكابر ، وأريد أن تسموا احتفالي بأن تصنعوا لي بينكم أبيات شعر أقلمها معها ، فأطرق الجماعة ، وقال أبو الطاهر :

وافتك من عدد العلا زنجية في حلة من حلية تبخر
صفراء سوداء الحلي كأنها ليل تطرزه نجوم تزه

فلم يغب الرجل عنهم إلا يسيراً ، وإذا به قد عاد إليهم ، وفي يده قلم نحاس مذهب ، فقال لهم : وهذا مما أعددت للدفع مع هذه المحبرة ، فتفضلوا بأكمال الصنيعة عندي بذكره ، فبدر أبو الطاهر وقال :

حملت بأصفر من نجار حليها تخفيه أحياناً وحيناً يظهر
خرسان إلا حين يرضع ثديها فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

قال ابن الأثير في « تحفة القادِم » : وحضر يوماً في جماعة من أصحابه وفيهم أبو عبد الله ابن زرقون في [عقب] شعبان في مكان ، فلما تملأوا من الطعام قال أبو الطاهر لابن زرقون : أجز يا أبا عبد الله ، وأنشد :

حمدت لشعبان المبارك شعبة تسهل عندي الجوع في رمضان

١ مر البيتان ص : ١١٣ ، ١٦٠ والأبيات والترجمة عن تحفة القادِم : ٢٢ بإيجاز .
٢ التحفة : سكي .

كما حمدَ الصَّبُّ المِثْمُ زورةً تحملَ فيها الهجرَ طولَ زمانٍ

فقال :

دعوها بشعبانية ولو أنهم دعوها بشعبانية لكفاني

16 - وقال أبو عبد الله ابن خميس الجزائري :

تحفظ من لسانك ، ليس شيء أحقَّ بطول سجن من لسانٍ
وكن للصمتِ ملتزماً إذا ما أردت سلامة في ذا الزمانِ

وقال أيضاً^١ :

كن حليسَ بيتك مهما فتنة ظهرت تخلص بدينك وافعل دائماً حسناً
وإن ظلمت فلا تحقد على أحدٍ إن الضغائن فاعلم تنشيء الفتنة

وقال :

بدا لي أنَّ خيرَ الناسِ عيشاً مَنْ آمنه الإلهُ من الأنامِ
فليس لخائفٍ عيشٌ لذيذ ولو ملك العراق مع الشامِ

وله^٢ :

جانب^٣ جميعَ الناسِ تسلم منهمُ إنَّ السلامة في مجانبه الوري
ولإذا رأيت من امرئ يوماً أذى لا تجزه أبداً بما منه ترى

وله^٤ :

١ م : وقال وقد أجاد ونصح بموعظته .

٢ م : وقال في مجانبه الناس والمغر عن ظلمك .

٣ دوزي : سالم .

٤ م : وله في تأديب الصغار والحمد .

من أدب ابنائه صغيراً قرئت به عينه كبيراً
وأرغم الأنف من عدوٍّ يحسدُ نعماءه كثيراً

17 - وقال أبو محمد^١ ابن هرون القرطبي :

بيدِ الإلهِ مفاتيحُ الرزقِ الذي أبوابه مفتوحة لم تُغلقِ
عجباً لذي فقرٍ يكلفُ مثله في الوقتِ شيئاً عنده لم يخلقِ
وقال أيضاً^٢ :

لعمرك ما الإنسان يرزق نفسه ولكنما الربّ الكريم يُسخره
وما بيد المخلوق في الرزق حيلة تقدّمه عن وقته أو تؤخره

18 - وقال الأديب الأستاذ أبو محمد ابن صارة رحمه الله تعالى :

يا مَنْ يُصَيِّحُ إلى داعي السفاهِ وقد نادى بهِ النّاعيانِ الشيبُ والكبرُ
إن كنتَ لا تسمعُ الذكرى فقيم ثَوَى في رأسك الواعيانِ السمعُ والبصرُ
ليس الأصمُّ ولا الأعمى سوى رجل لم يهدهِ الهاديانِ العين والأثرُ
لا الدهرُ يبقى ولا الدُّنيا ولا الفلكُ إلّا أعلى ولا النّيرانُ الشمسُ والقمرُ
ليرحلنَّ عن الدُّنيا وإن كرها فراقها الثاويانِ البدو والحضرُ

وقال رحمه الله تعالى في ابنة ماتت له :

ألا يا موتُ كنتَ بنا رؤوفاً فجددتَ الحياةَ لنا بزوره
حمادٍ لفعلك المشكور لما كيف مؤونةٍ وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق وجهزنا الفتاةَ بغيرِ شوره

١ م : وقال محمد .

٢ م : وقال رحمه الله في الرزق وتسخيره .

19 - وأنشد أبو عبد الله ابن الحاج البكري الغرناطي :

يا غادياً في غفلة ورائحا إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم لا تخافُ موقفاً يستنطقُ اللهُ بهِ الجوارحا
يا عجباً منكَ وكنتَ مبصراً كيفَ تجنبتَ الطريقَ الواضحا
كيف تكون حين تقرا في غد صحيفةً قد ملئت فضائحا
أم كيف ترضى أن تكون خاسراً يومَ يفوزُ من يكونُ رابحا

وممن روى عنه هذه الأبيات الكاتب الرئيس أبو الحسن ابن الجياب .
وتوفي ابن الحاج المذكور سنة ٧١٥ رحمه الله تعالى .

20 - وقال حافظ الأندلس ومحدثها أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم
الكلاعي رحمه الله تعالى :

إلهي مضتُ للعمُرِ سَبْعُونَ حجةً ولي حركات بَعْدَها وسكونُ
فيا ليت شعري أين أو كيفَ أومتى يكون الذي لا بدَّ أن سيكونُ
والصواب أنهما لغيره كما ذكرته في غير هذا الموضع ، وبالجمله فهما
من كلام الأندلسيين ، وإن لم يحقق ناظمهما بالتعيين^١ .

21 - وقال أبو بكر يحيى التطيلي رحمه الله تعالى :

إليك بسطتُ الكف في فحمة الدجى نداء غريق في الذنوب عريق
رجاك ضميري كي تخلص جملتي وكم من فريق شافعٍ لفريق

22 - وحكي أن بعض المغاربة كتب إلى الملك الكامل بن العادل بن أيوب
رقعة في ورقة بيضاء ، إن قرئت في ضوء السراج كانت فضية ، وإن قرئت في

١ انظر ص : ١١٧ وكذلك نسبهما لأبي بكر ابن منخل الشلبي في التكملة : ٤٩٦ وإنما أنشدهما أبو
الربيع وقال لتلميذه إنه رآهما في ديوان ابن منخل .

الشمس كانت ذهبية ، وإن قرئت في الظل كانت حبراً أسود ، وفيها هذه الأبيات :

لئن صدّقي البحر عن موطني وعيني بأشواقها زاهره
فقد زخرفَ الله لي مكّة بأنوار كعبته الزاهره
وزخرف لي بالنبي يثربا وبالمملك الكامل القاهره

فقال الملك الكامل قل :

وطيّب لي بالنبي طيبة وبالمملك الكامل القاهره

وأظن أن المغربي أندلسي لقوله : لئن صدّقي البحر عن موطني . فلذلك
أدخلته في أخبار الأندلسيين ولست على تحقيق ويقين ، والله أعلم .

23 - وأنشد ابن الوليد المعروف بابن الخليل قال : أنشدنا أبو عمر ابن
عبد البر النمري الحافظ :

تذكرتُ من يبكي عليّ مداوماً فلم أُلّف إلا العلم بالدين والخبر
علوم كتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله مع صحة الأثر
وعلم الأئمة من ناقديه وفهم ما له اختلفوا في العلم بالرأي والنظر
وأنشد له أيضاً :

مقالة ذي نصيح وذات فوائد إذا من ذوي الألباب كان استماعها
عليكم بآثار النبي فإنته من أفضل أعمال الرشاد اتّباعها

24 - وقال أبو الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب الأزدي البصري ،
وسكن أبوه قرطبة^١ :

عصيت هوى نفسي صغيراً وعندما رمتني الليالي بالمشيب وبالكبر

١ الذيل والتكملة ٥ : ٢٨ .

أطعت الهوى ، عكس القضية ليتني خلقتُ كبيراً وانتقلتُ إلى الصغر
وقيل : إن ابنه أبا الحسن علي بن عبد الملك قال بيتاً مفرداً في معنى ذلك ،
وهو :

هنيئاً له^١ إذ لم يكن كابنه الذي أطاعَ الهوى في حالتيه وما اعتبر^١
وقيل : إن هذا البيت رابع أربعة أبيات^٢ .

25 — وقال أبو إسحاق ابن خفاجة لما اجتمع به أبو العرب^٣ وسأله عن
حاله وقد بلغ في عمره إحدى وثمانين سنة ، فأشده لنفسه :

أيُّ عيشٍ أو غذاءٍ أو سِنَّةٍ لابنٍ إحدى وثمانين سِنَّةً
قلَّصَ الشيبُ به ظلَّ امرئٍ طالما جرَّ صباهُ رَسَنَةً
تارةً تسطو به سيئةٌ تُسخِنُ العينَ وأخرى حسنةً

26 — وقال أبو محمد عبد الوهاب بن محمد القيسني المالقي :

الموتُ حصّادٌ بلا منجلٍ يسطو على القاطن والمنجلي
لا يقبلُ العذر على حالة ما كان من مشكلٍ أو من جلي

27 — وقال الشيخ عبد الحق الإشيلي الأزدي صاحب كتاب « العاقبة »

١ الذيل : وما ائتمر ؛ وعن ابن الأبار : وما اعتذر .

٢ قلت : أورد في الذيل والتكملة ثلاثة أبيات قبله وهي :

أبي قال قولاً سار في الهدو والخضر وخلف في الباقيين ذكراً وقد غبر
وأسلف إحساناً أو ان اقتباله وخاف من التقصير في حيز الكبر
لذلك ما والي أنيناً وزفرة وأصبح يهوى أن يمد إلى الصغر
هنيئاً له (البيت)

٣ هو أبو العرب عبد الوهاب التجيبي والأبيات في بغية الملتبس ص : ٢٠٣ والمعجم : ٦١ والديوان :

. ٣٥٥

و « الإحكام » وغيرهما :

إنَّ في الموت والمعاد لشُغلاً وادكاراً لِيَذِي النُّهى وبلاغا
فاغتم خطتين قبلَ المُنَايا صحّةَ الجسم يا أخِي والفراغا

28 - وقال أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني
من أهل جليانة من عمل وادي آش^١ :

ألا إنَّما الدنيا بحار تلامطت فما أكثر الغرقى على الجنّباتِ
وأكثرُ مَنْ صاحبت يُغرق إلفهٌ وقلّ فتى يُنجى من الغمراتِ

وكان المذكور من أهل العلم والأدب ، رحل وحج وتجوّل في البلاد ،
ونزل القاهرة المعزية ، وكان أحد السياحين في الأرض ، وله تأليف منها « جامع
أنماط الوسائل في القريض والخطب والرسائل » وأكثره من نظمه ونثره ،
رحمه الله تعالى .

29 - وقال عبد العليم بن عبد الملك بن حبيب القضاعي الطرطوشي :

وما الناسُ إلاّ كالصحناتِ غيّرت وألسنهم إلاّ كشل التراجيمِ
إذا اشتجر الخصمان في فطنة الفتي فمقوله في ذاك أعْدَلُ حاكمِ

30 - وقال أبو الحكم عبد المحسن البكنسي :

من كان للدهر خيداً في تصرفه أبدت له صفحة الدهر الأعاجيبا
من كان خلواً من الآداب سرّبه مرّ الليالي على الأيام تأديبا

31 - وقال أبو حاتم عمر بن محمد بن فرج من أهل ميرتلة^٢ ، مدينة
بغرب الأندلس ، يمدح « شهاب » القضاعي^٣ :

١ مرا في ج ٢ : ٦١٤ .

٢ م : يمدح بها شهاب القضاعي المشهور وهي .

شهبُ السماء ضياؤها مستور عنا إذا أفلكتُ توارى النُّورُ
فانزع هُديتَ إلى شهاب نوره مُتَأَلِّقٌ آماله تبصير
تشفي جواهره القلوبَ من العمى ولطالما انشرفت بهنَّ صلور
فإذا أتى فيه حديثُ محمدٍ خذ في الصلاة عليه يا مغرور
وترحمَنَ على القُضاعي الذي وضع الشهاب فسعيه مشكور

32 - وقال الأستاذ أبو محمد غانم بن وليد المخزومي المالقي :

ثَلَاثَةٌ يُجْهَلُ مِقْدَارُهَا الْأَمْنُ وَالصَّحَّةُ وَالْقُوَّةُ
فَلَا تَشِقُ بِالْمَالِ مِنْ غَيْرِهَا لَوْ أَنَّهُ دُرٌّ وَيَاقُوتُ^١

وتذكرت بهذا قول الآخر :

إذا القوتُ تَأْتَى لَكَ وَالصَّحَّةُ وَالْأَمْنُ
وَأَصْبَحْتَ أَخَا حَزْنٍ فَلَا فَارَقَكَ الْحَزْنُ

وكلُّ ذلك أصله الحديث النبوي [على صاحبه أفضل الصَّلَاة وأزكى التسليم
فإنه قال]^٢ : « من أصبح آمناً في سربه ، مُعَافًى في بدنه ، معه قوتٌ يومه ،
فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها » .

وأخبرنا شيخنا القصار أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي مقي مدينة فاس
وخطيبها سنة عشر وألف ، قال : حدثنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل
التونسي نزيل فاس الشهير بخروف [قال]^٢ حدثنا الإمام سيدي فرج الشريف

١ زاد في م هنا المقطوعة الآتية : وقال آخر :

قميص من القطن من حله وشرية ماء قراح وقوت
ينال بها المرء ما يبتغي وهذا كثير على من يموت
وتذكرت بالأخرى . . . إلخ .

٢ زيادة من م .

الطحطاوي ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول « من أصبح آمناً في سربه ... الحديث » .

رجع :

33 - وقال الأستاذ العارف بالله سيدي أبو العباس أحمد بن العريف الأندلسي دفين مراکش ، وقد زرت قبره بها سنة ١٠١٠ :
إذا نَزَلْتُ بِساحتك الرزايا فلا تجزع لها جزع الصبي
فإنَّ لكل نازلة عزاء بما قد كان من فقد النبي

وقال رحمه الله تعالى :

شدوا الرحال وقد نالوا المني بمنى وكسُّهم بأليم الشوق قد باحا
راحت ركائبهم تندي روائحها طيباً بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسبهم قبر النبي المصطفى لهم راح إذا سكروا من أجله فاحا
يا راحلين إلى المختار من مضر زرتهم جسوماً وزرنا نحن أرواحا
إننا أقمنا على شوق وعن قدر ومن أقام على عذر كن راحا

34 - وقال أبو محمد المحاربي :

داء الزمان وأهله داء يعزُّ له العلاج
أطلعت في ظلماته رأياً كما سطع السراج
لمعاشير أعيا ثقا في من قناتهم اعوجاج
كالدر ما لم تختبر فإذا اختبرت فهم زجاج

١ القطعة في التحفة : ١٧ والوافي ٨ الورقة : ٥٠ .

٢ م : وقال الأديب .

35 - وقال أبو عبد الله غريب الثقفى القرطبي^١ :

يهددني بمخلوق ضعيف يهابُ من المنيّة ما أهابُ
له أجلٌ ولي أجلٌ وكلُّ سيبلغُ حيثُ يبلغه الكتابُ
وما يلدري لعلّ الموتُ منه قريبُ أينّا قبلُ^٢ المصابُ

وله^٣ :

أيّها الآملُ ما ليس لهُ طالما غرّ جهولاً أملهُ
ربّ مَنْ باتَ يُمنيّ نفسه خافهُ دونَ مناهِ أجلهُ
وفتّى بكَرٍّ في حاجاته عاجلاً أعقبَ ريثاً عجلهُ
قلْ لِمَنْ مَثَلٌ في أشعاره يذْهَبُ المرءُ ويبقى مثلهُ
نافسِ المحسنِ في إحسانه فسيكفيك ميسراً عملهُ

قال ابن الأثير : وهذا البيت الأخير في برنامج الطبي .

36 - وقال أبو الحسين سليمان بن الطراوة النحوي المالقي^٤ :

وقائلة أتصبو للغواني وقد أضحي بمفرقك النهارُ
فقلتُ لها حثثت على التصابي «أحقُّ الخيل بالركض المعارُ»

37 - وقال الحافظ أبو الربيع ابن سالم :

إذا برّمت نفسي بحالٍ أحلتها على أملٍ ناءٍ فقرت به النفسُ

١ غريب بن عبد الله الطليطلي من قدامى الشعراء ، وكان أهل بلده يشاورونه في أمورهم ؛ انظر الجذوة : ٣٠٧ (وبغية الملتبس رقم : ١٢٨١) والمغرب ٢ : ٢٣ والقطعة الأولى في المصادر المذكورة .

٢ قبل : رواية الجذوة ، وفي الأصول : أينما منه .

٣ م : وله أيضاً في طول الأمل وما الأمل إلا غرور .

٤ انظر أخبار وتراجم أندلسية (السلفي) : ١٧ .

وَأُنْزِلُ أَرْجَاءَ الرِّجَاءِ رِكَائِي إِذَا رَامَ لِإِمَامٍ بِسَاحَتِي الْيَأْسَ
وإن أوحشتني من أمانِي نَبْوَةٌ فلي في الرّضى بالله والقَدَرِ الأَنسَ

38 — وقال أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الإشبيلي^١ ممّا أنشده لنفسه في كتابه الذي سمّاه «النخائر والأعلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق» :

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ تَمَّتْ فَضَائِلُهُ وَقَامَتْ عَلَى الْإِحْسَانِ مِنْهُ دَلَائِلُهُ
فَلَا تَنْكَرُ الْأَبْصَارُ مَا هُوَ فَاعِلُهُ وَلَا تَنْكَرُ الْأَسْمَاعُ مَا هُوَ قَائِلُهُ
وكان أبو المذكور من وزراء المعتمد بن عباد ، رحم الله تعالى الجميع .

39 — وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي :

اتركْ الهَمَّ إِذَا مَا طَرَقَكَ وَكَلِّ الْأَمْرَ إِلَى مَنْ خَلَقَكَ
وَإِذَا أَمَلَّ قَوْمٌ أَحَدًا فإلى ربك فامدد عنقك

40 — وقال القاضي أبو الوليد هشام بن محمد القيسي الشَّلبِي المعروف بابن الطلاء : فاوضت القاضي أبا عبد الله ابن شبرين^٢ ما يحذر من فتنة النظر إلى الوجوه الحسان ، فقلت :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى ذِي رَوْنَقٍ أَبَدًا وَاحْذَرِ عُقُوبَةَ مَا يَأْتِي بِهِ النَّظَرُ
فَكَمْ صَرِيعَ رَأْيَانَهُ صَرِيعُ هَوَى مِنْ نَظَرَةٍ قَادَهَا يَوْمًا لَهُ الْقَدَرُ

فأجابني في المعنى الذي انتحيته :

١ سلام — يتخفيف اللام — كان شيخاً جليلاً أديباً شاعراً وله خطب بارعة ومقامات سبع ، وقد أودع كتابه المذكور جملة وأفرة من شعره ؛ توفي يشلب سنة ٤٤٤ هـ (الذيل والتكملة ٤ : ٤٨) .
٢ زاد في م : العالم الفقيه المحدث ، فسألت ما يحدث وما . . . إلخ .

إذا نظرت فلا تُولع بتقليبٍ فربما نظرة عادت بتعذيبٍ

و « رب » هنا للتكثير .

41 — وقال الأستاذ ابن حَوْط الله :

أتدري أنتك الخطاء حقاً وأنتك بالذي تأتي رهينُ
وتغتاب الألى فعلوا وقالوا وذاك الظنُّ والإفكُ الميينُ

قال في « الإحاطة »^١ : أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حَوْط الله الأنصاري الحارثي ، كان فقيهاً جليلاً أصولياً كاتباً أديباً شاعراً متفناً في العلوم ورعاً ديناً حافظاً ثباتاً فاضلاً ، درس كتاب سيويه ومستصفى أبي حامد الغزالي ، وكان ، رحمه الله تعالى ، مشهوراً بالعقل والفضل ، معظماً عند الملوك . معلوم القدر لديهم ، يخطب في مجالس الأمراء والمحافل الجمهورية ، مقدماً في ذلك بلاغة وفصاحة إلى أبعد مضمار ، ولي قضاء إشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة . فتظاهر بالعدل ، وعُرف بما أبطن من الدين والفضل ، وكان من العلماء العاملين ، مجانباً لأهل البدع والأهواء ، بارع الخط ، حسن التقيد ، وسمع الحديث ، فحصل له سماع لم يشاركه فيه أحد من أهل الغرب ، وسمع على الجهابذة كابن بشكَّوَال وغيره ، وقرأ أكثر من ستين تأليفاً بين كبار وصغار ، وكمل له على أبي محمد ابن عبد الله بن قراءة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفاً ، منها الصحيحان ، وأكثر عن ابن حَيْش وابن الفخار والسهيلي وغيرهم ، ومولده في محرم سنة ٥٤١ ، ومات بغرناطة سحر يوم الخميس ثاني ربيع الأول سنة ٦١٢ ، ونُقل منها في تابوته الذي ألحد فيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة إلى مالقة فدفن بها ، رحمه الله تعالى ، انتهى ، وبعضه بالمعنى مختصراً .

١ الإحاطة ، الورقة : ٢١٩ .

والمذكور ترجمة واسعة جداً ، وألمتُ بما ذكر على وجه التبرك بذكره .
رحمه الله تعالى ورضي عنه .

42 - وقال أبو المتوكل الهيثم بن أحمد السكوني الإشبيلي^١ :

يُجَنِّى الْفَقِيرَ وَيَغْشَى النَّاسُ قَاطِبَةً بَابَ الْغَيِّ ، كَذَا حَكَمَ الْمَقَادِيرُ
وَلَانَمَا النَّاسُ أَمْثَالُ الْفَرَاشِ فَهَمَّ يَرُونَ حَيْثُ مَصَابِيحُ الدَّنَائِيرِ

وقال تلميذه ابن الأثير : أنشدني بعض أصحابنا عنه هذين البيتين ، ولم
أسمعهما منه ، انتهى .

قلت : وبهذا تعرف وَهْمَ من نسب البيتين إلى عبد المهيمن الحضرمي ، فإن
هذا كان قبل أن يُخْلَقَ والد عبد المهيمن الحضرمي ، وقد أنشدهما أيضاً ابن
الجلاب الفهري في «روح الشعر وروح الشجر» .

43 - وقال أبو محمد القاسم بن الفتح الحجاري المعروف بابن افریولة :

رَكَابِي بِأَرْجَاءِ الرِّجَاءِ مُنَاحَةٌ وَرَائِدَهَا عَلَمِي بِأَنَّكَ لِي رَبُّ
وَأَنَّكَ عَلَامٌ بَمَا أَنَا قَاتِلٌ كَمَا أَنْتَ عَلَامٌ بَمَا أَضْمَرُ الْقَلْبُ
لَنْ آدَهَا ذَنْبٌ تَوَلَّتْ بَعِيْثُهُ لَقَدْ قَرَعْتَ بَاباً بِهِ يُغْفَرُ الذَّنْبُ
وقال أيضاً^٢ :

عَجِباً لِحَبْرٍ قَدْ تَيَقَّنَ أَنَّهُ سِيرَى اقْتِرَافَ يَدَيْهِ فِي مِيزَانِهِ
ثُمَّ ائْتَى عَصَى وَلِكُلِّ جِزْءٍ نِعْمَةٌ لَمْ يَشْنِهِ التَّأْنِيبُ عَنْ عَصِيَانِهِ
أَتَى عَصَى وَلِكُلِّ جِزْءٍ نِعْمَةٌ مِنْ نَفْسِهِ وَزَمَانِهِ وَمَكَانِهِ

44 - وقال الشاعر الكبير الشهير أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهري :

١ انظر ما تقدم ج ٣ : ٣٧٩ .

٢ م : وما ينسب إليه أيضاً قوله .

إن الشدائد قد تغشى الكريم لأن تين فضل سجايه وتوضحه
كبرد القَيْنِ إذ يعلو الحديد بهِ وليس يأكلُهُ إلا ليصلحه
وقال ^١ :

لا تغبط المجذب في علمه وإن رأيت الخصب في حاله
إن الذي ضيَّعَ من نفسه فوقَ الذي ثَمَرَ من ماله

45 - وقال أبو الحجاج يوسف بن أحمد الأنصاري المنصفي البكّسي ^٢ :

قالتُ لي النفس أذاك الردى وأنتَ في بحر الخطايا مقيم
هلاً اتخذت الزاد قلتُ أقصري هل يحمل الزاد لدار الكريم

وكان المنصفي المذكور صالحاً ، وله رحلة حجّ فيها ، ومال إلى علم التصوّف ،
رحمه الله تعالى ، وله فيه أشعار حُمِلت عنه .

46 - وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ القرشي الأموي
الأندلسي ^٣ مخمساً أبيات عز الدين بن جماعة قاضي القضاة رحمه الله تعالى :

همُّ الأبّي على مقدار منصبه وبسطُ راحته في طيّ منصبه
ما أنت والدهر تشكو من تقلّبه يا مبتلّى بقضاء قد بليت بهِ
عليك بالصبر واحذر يا أخي جزعك

صبراً فللصبر في حرب العدا عددُ ذرِّ العدوِّ يُمِثُّ الغيظ والحسدُ
ولا يكن لك إلا الله معتمدُ واعلم بأن جميع الخلق لو قصدوا
أذاك لم يقدروا والله قد رفعك

١ م : ومن نكته العجيبة قوله .

٢ انظر ما تقدم ج ٣ : ٥٩٥ .

٣ ترجم له الصفدي (الوافي ٣ : ٣٧٥) ، وكان من لقيه بالقاهرة ، ولقبه بحب الدين وله كنية
أخرى هي « أبو البقاء » .

أَعْلَاكَ فِي رَتْبٍ غَرَّ مَعْظَمَةٌ بِالْعَرَفِ مَعْرُوفَةٌ بِالْعِلْمِ مَعْلَمَةٌ
وَمَنْ يَنَاقِيكَ فِي بَهْمَاءٍ مَظْلَمَةٌ فَاصْرِفْ هَوَاكَ وَجَانِبَ كُلِّ مَظْلَمَةٍ
وَاصْحَبْ فِدَيْتَكَ مِنَ النَّصِيحِ قَدْ نَفَعَكَ

قَدْ اجْتَلَبْتَ مِنَ الْآيَاتِ تَبَصْرَةً وَقَدْ كَفَاكَ الْهُدَى وَالذِّكْرُ تَذَكُّرَةً
فَاشْكُرْ وَقَدِّمْ مَعَ الْإِخْلَاصِ مَعْدِرَةً وَاسْأَلْ إِلَهَكَ فِي الْإِسْحَارِ مَغْفِرَةً
مِنْهُ وَكُنْ مَعَهُ حَتَّى يَكُونَ مَعَكَ

وتوفي المذكور بالقاهرة في الطاعون العام سنة ٧٤٩ .

47 - وقال أبو عبد الله الحُمَيْدِيُّ^١ :

النَّاسُ نَبْتُ وَأَرْبَابُ الْقُلُوبِ لَهُمْ رَوْضٌ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ الْمَاءُ وَالزَّهْرُ
مَنْ كَانَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ حَاكِمَهُ فَلَا شُهُودَ لَهُ إِلَّا الْأَلَى ذَكَرُوا
وَقَالَ أَيْضًا :

مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْعِلْمِ عِنْدَ فَتَاهِ أَرْجٌ فَلَنْ يَبْقَاهُ كَفَنَاهِ
بِالْعِلْمِ يَحْيَا الْمَرْءُ طُولَ حَيَاتِهِ فَإِذَا انْقَضَى أَحْيَاهُ حَسَنُ ثَنَائِهِ
وَقَالَ أَيْضًا :

دِينُ الْفَقِيهِ حَدِيثٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ عِنْدَ الْحِجَاجِ وَإِلَّا كَانَ فِي الظُّلَمِ
إِنْ تَاهَ ذُو مَذْهَبٍ فِي قَفَرٍ مُشْكَلَةٍ لَاحَ الْحَدِيثُ لَهُ فِي الْوَقْتِ كَالْعِلْمِ
وَلَمَّا تَعَرَّضَ بَعْضُ مَنْ لَا يُبَالِي بِمَا ارْتَكَبَ إِلَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ :
أَرَى الْخَيْرَ فِي الدُّنْيَا يَقِلُّ كَثِيرُهُ وَيَنْقُصُ نَقْصًا وَالْحَدِيثُ يَزِيدُ

١ م : محمد الحميدي الأندلسي .

فلو كان خيراً كان كالخير كله ولكن شيطان الحديث مرید
ولابن معین في الرجال مقالة سبّسأل عنها والمليك شهيد
فإن يك حقاً قوله فهي غيبة وإن يك زوراً فالقصاص شديد

أجابه الإمام أبو عبد الله الحميدي بقصيدة طويلة ، منها :

ولاني إلى إبطال قولك قاصد ولي من شهادات النصوص جنود
إذا لم يكن خيراً كلام نبيتنا لديك فإن الخير منك بعيد
وأصبح شيء أن جعلت لما أتى عن الله شيطاناً وذاك شديد
وما زلت في ذكر الزيادة معجبا بها تبدى التليس ثم تعيد
كلام رسول الله وحي ومن يرُم زيادة شيء فهو فيه عتيد

ومنها في ابن معين :

وما هو إلا واحد من جماعة وكلهم فيما حكوه شهود
فإن صد عن حكم الشهادة جاهل فإن كتاب الله فيه عتيد
ولولارواة الدين ضاع وأصبحت معالمة في الآخرين تبيد
هم حفظوا الآثار من كل شبهة وغيرهم عما اقتنوه رقود
وهم هاجروا في جمعها وتبادروا إلى كل أفق والمرام كؤود
وقاموا بتعديل الرواة وجرحهم فدام صحيح النقل وهو جديد
بتبليغهم صحت شرائع ديننا حدود تحروا حفظها وعهود
وصح لأهل النقل منها احتجاجهم فلم يبق إلا عاند وحقوق
وحسبهم أن الصحابة بلغوا وعندهم رَوَوْا لا يستطيع جُحود
فمن حاد عن هذا اليقين فمارق مرید لإظهار الشكوك مرید

١ م : ومن هذه القصيدة .

ولكن إذا جاء الهدى ودليله فليس لموجود الضلال وجود
وإن رام أعداء الديانة كيدها فكيدهم بالمخزيات مكيد

48 — وقال أبو بكر محمد بن محرز الزهري البكّسي^١ ، والتزم الراء في
كل كلمة :

اشكر لربك وانتظر في إثر عسر الأمر يسرا
واصبر لربك وادّخر في سر ضر الفقر أجرا
فالدهر يعثر بالورى والصبر بالأحرار أحرى
والوفر أظهر معشرا والفقر بالأخيار يغرى

وقال أيضاً :

اقنع بما أوتيته تمل الغنى وإذا دهنتك ملمة فتصبر
واعلم بأنّ الرزق مقسوم فلو رُمتا زيادة ذرة لم تقدر
والله أرحم بالعباد فلا تسأل بشراً تعش عيش الكرام وتؤجر
وإذا سخطت لضرّ حالك مرة ورأيت نفسك قد عدت فاستبصر
وانظر إلى من كان دونك تدّكر لعظيم نعمته عليك فتشكر

49 — وقال الخافظ أبو محمد ابن حزم : أنشدني والذي أحمد بن سعيد
ابن حزم^٢ :

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن على حالة إلاّ رضيت بدونها

50 — وقال القاضي أبو العباس أحمد بن الغماز البكّسي نزيل تونس :

وقالوا أما تخشى ذنباً أتيتها ولم تك ذا جهل فتعذّر بالجهل

١ ترجمته في التحفة : ١٤٣ .

٢ الجفوة : ١١٨ .

فقلتُ لهم هبني كما قد ذكرتمُ تجاوزتُ في قولي وأسرفتُ في فعلي
أما في رضى مولى الموالي وصفحه رجاءً ومسلاةً لمقترف مثلي
وأنشد رحمه الله تعالى لنفسه في اليوم الذي مات فيه ، وهو آخر ما سُمع
منه ليلة عاشوراء سنة ٦٩٣ :

أدعوكَ يا ربَّ مضطراً على ثقة بما وَعَدْتَ كما المضطربُّ يدعو
داركُ بعفوكَ عبداً لم يزل أبداً في كل حال من الأحوال يرجو
طالت حياتي ولما أتخذتُ عملاً إلا محبة أقوام أحبوكا
51 - وقال ابن الزقاق ، ويقال إنها مكتوبة على قبره ١ :

أخواننا والموتُ قد حالَ دوننا وللموت حُكمٌ نافذٌ في الخلائقِ
سبقتكمُ للموتِ والعمر طيبة وأعلمُ أن الكلَّ لا بُدَّ لاحقي
بعيشكمُ أو باضطجاعي في الثرى ألم نكُ في صفو من العيش رائقِ
فمن مرَّ بي فليمضِ لي مَرَحاً ولا يكُ منسيّاً وفاء الأصادقِ

52 - وقال الخطيب ٢ أبو عبد الله محمد بن صالح الكتاني الشاطبي ،
ومولده سنة ٦١٤ ٣ :

أرى العمرَ يفتي والرجاء طويلاً وليسَ إلى قرب الحبيبِ سبيلُ
حياه إله الخلق أحسن سيرة فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
مَنْ يَشْفِي قلبي بلثم ترابه ويسمح دهر بالمزار بخيل
دلتُ عليه في أوائل أسطري فذاك نبيُّ مُصْطَفَى ورسول

١ ديوانه : ٢٠٥ .

٢ زاد في م : الجليل الصالح الفقيه .

٣ م : الشاطبي الأندلسي ومولده بشاطبة . . . إلخ .

53 - وقال أيمن بن محمد الغرناطي نزيل طيبة على ساكنها الصلاة

والسلام :

أرى حُجَرَاتٍ قد أحاطت عِرَاصُهَا ببحرٍ يحيط حصره غيرُ ممكنٍ
بجار المعالي والمعاني وإن طَمَتْ لدى بلحة تفنى وعن هوله تني
محمدٌ المحمود في كلِّ موطنٍ أبو القاسم المختار من خيرِ معدنٍ
نبيٌّ إذا أبصرت غرة وجهه تيقنت أنَّ العزَّ عزُّ المهيمنِ
لكَ الله من بدرٍ إذا الشمس قابلت مُحِيَّاهُ قالت إنَّ ذا طالعٍ سني

وله ١ :

كلَّ القلوب مطيعة لك في الهوى جانبُ فديتكَ من تشاء ووالٍ
الحسنُ والٍ ، والقلوب رعيَّة وعلى الرعيَّة أن تطيع الوالي

وقال أيضاً ٢ :

ألا أيُّها الباكي على ما يفوته من الحظِّ في الدنيا جهلت وما تدري
على فوتِ حظِّ من جوار محمد حقيقٌ بأن تبكي إلى آخر العمرِ
ستدري إذا قمنا وقد رفع اللوا وأحمدُها ديناً إلى موقف الحشرِ
منَ الفائز المغبوط في يوم عرضه أجارُ النبيِّ المصطفى أم أخو الوفرِ

وله :

فررتُ من الدنيا إلى ساكن الحمى فرارَ محبٍّ لائذٍ بحبيبٍ
بلحأت إلى هذا الجنب ، وإنما بلحأت إلى سامي العِمَادِ رَجِيبٍ
وناديتُ مولاي الذي عنده الغنى نداء عليلٍ في الزمان غريبٍ

١ م : ومن عجيب قوله ورقيق تنزله قوله .

٢ م : وقال أيضاً يفخر بسيدنا محمد (ص) .

أمولايَ إنّي قد أتيتك لائثاً وأنتَ طيّبي يا أجلّ طيّب
فقال لك البشري ظفرت من الرضى بأوفر حظّ مُجَزَلٍ ونصيب
تناومتُ في أطلال ليل شيبتي فأدركني بالفجر صبحُ مشيبي

54 - وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي :

لو لم تكن نارٌ ولا جنة للمرء إلاّ أنه يُقْبَرُ
- لكان فيه واعظٌ زاجر ناهٍ لمن يسمع أو يبصرُ

ولقد صدق رحمه الله تعالى ورضي عنه .

55 - ولبعض فقهاء طليعة :

رأيتُ الانقباضَ أجلّ شيء وأدعى في الأمور إلى السلامة
فهذا الخلق سألهم ودعهم فرؤيتهم تؤول إلى الندامة
ولا تُعنى بشيء غير شيء يقود إلى خلاصك في القيامة

56 - وأمر الكاتب أبو بكر ابن مغاور بكتّيب هذه الأبيات على قبره ،

وهي له^١ :

أيّها الواقِفُ اعتباراً بقبري استمع فيه قول عظمي الرّميمِ
أودعوني بطنَ الصريح وخافوا من ذنوب كلومها بأديمي
قلتُ لا تجزعوا عليّ فإنّي حسنُ الظنِّ بالرووف الرحيمِ
ودعوني بما اكتسبتُ رهيناً غلِقَ الرهنُ عند مولّى كريمِ

57 - وقال^٢ الخطيب ابن صفوان :

١ مرت ثلاثة من هذه الأبيات في ج ٣ : ٣٣١ .

٢ م : وقال العالم العلامة .

رَأَيْتُكَ يُدْنِيَنِي إِلَيْكَ تَبَاعُدِي فَأَبْعَدْتُ نَفْسِي لَابْتِغَائِي فِي الْقَرَبِ
هَرَبْتُ لَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ بِيَا الْبَعْدَ فِي قَرْبِي فَصَحَّ بِهِ قَرْبِي
فِيَا رَبِّ هَلْ نَعْمَى عَلَى الْعَبْدِ بِالرَّضَى يَنَالُ بِهَا فَوْزاً مِنَ الْقَرَبِ بِالْقَرَبِ

وقال الوادي آشي :

وهذا النظم معناه جليل ، وتكرار القرب وإن قبح عند العروضي فهو عند
المحب جميل ، وهُمُ الْقَوْمُ يُسَلِّمُ لَهُمْ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ ، وترتجى بركتهم
في كل الأحوال ، انتهى .

58 - وقال بعض قدماء الأندلس :

سَمِئْتُ الْحَيَاةَ عَلَى حُبِّهَا وَحَقُّ لَذِي السَّقَمِ أَنْ يَسْأَمَا
فَلَا عِيشَ إِلَّا لَذِي صَحَّةٍ تَكُونُ لَهُ لِلتَّقَى سَلَامَا

وذيله آخر منهم فقال :

وَلَا دَاءَ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَزَلْ يُقَارِبُ فِي دِينِهِ مَاثِمَا
فَلَسْتُ تُعَالِجُ جَرَحَ الْهَوَى هُدَيْتَ بِمَثَلِ التَّقَى مَرَهَمَا

59 - وقال أبو جعفر أحمد^١ السياسي القيسي المري :

إِذَا مَا جَنَى يَوْمًا عَلَيْكَ جَنَائِيَّةً ظُلُومٌ يَدُقُ السَّمَرُ بِأَسَا وَيَقْصِفُ
فَلَا تَنْتَقِمُ يَوْمًا عَلَيْهِ بِمَا جَنَى وَكِلَ أَمْرُهُ لِلدَّهْرِ فَالدَّهْرُ مَنْصِفُ
وقال أيضاً^٢ :

لَيْسَ حِلْمٌ الضَّعِيفِ حِلْمًا، وَلَكِنْ حِلْمٌ مِنْ لَوْ يَشَاءُ صَالِ اقْتِدَارَا

١ أحمد : سقطت من ق ؛ ولعل السياسي أن تكون « البياسي » .

٢ م : وله أيضاً في الحلم والتجاوز عن سيئات من زل إن هفا .

مَنْ تَغَاضَى عَنِ السَّفِيهِ بِحِلْمٍ أَصْبَحَ النَّاسُ دُونَهُ أَنْصَارًا
مَنْ يَزُوجُ كَرِيمَةَ الْهَمَّةِ الْعِلْمِ يَا عَلَوًّا فَقَدْ أَجَادَ الْخِيَارَ
سَتْرِيهِ عِنْدَ الْوَلَادِ بِنِيهَا الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالْأَنَاةَ كِبَارًا

60 — وقال الخطيب الصالح أبو إسحاق ابن أبي العاصي :

اعمل بعلمك تُؤْتِ عَلَمًا إِنَّمَا جَدَّوَى عُلُومِ الْمَرْءِ نَهْجُ الْأَقْوَمِ
وَإِذَا الْفَتَى قَدْ نَالَ عَلَمًا ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ
وقال موطنًا على البيت الأخير :

أَمْوَلَايَ أَنْتَ الْعَفْوُ الْكَرِيمُ لِبَذْلِ النَّوَالِ وَلِلْمَعْدَرَةِ
عَلَيَّ ذُنُوبٌ وَتَصْحِيفُهَا وَمِنْ عِنْدِكَ الْجُودُ وَالْمَغْفِرَةُ

61 — وقال الخطيب المتصوف الشهير أبو جعفر أحمد بن الزيات من

بلش مألقة :

يُقَالُ خَصَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَلْفٌ وَمَنْ جَمَعَ الْخَصَالَ الْأَلْفَ سَادَا
وَيَجْمَعُهَا الصَّلَاحُ فَمَنْ تَعَدَّى مَذَاهِبَهُ فَقَدْ جَمَعَ الْفُسَادَا

وقال أيضاً :

إِنْ شِئْتَ فَوْزًا بِمَطْلُوبِ الْكِرَامِ غَدًا فَاسْئَلْكَ مِنَ الْعَمَلِ الْمَرْضِيَّ مِنْهَا جَا
وَغَلَبَ هَوَى النَّفْسِ لَا يَغْرُرَكَ خَادِعُهُ فَكُلُّ شَيْءٍ يَحِطُّ الْقَدَرُ مِنْهَا جَا

62 — وقال الأديب الكبير الشهير أبو محمد عبد الله بن محمد بن صارة

البكري الشنبريني رحمه الله تعالى^١ :

١ انظر أيضاً ما تقدم من : ١١٧ .

بَنَوُ الدُّنْيَا بِجَهْلٍ عَظَمُوهَا فَجَلَّتْ عَنْهُمْ وَهِيَ الْحَقِيرَةُ
يُهَارِشُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهَا مُهَارَشَةُ الْكِلَابِ عَلَى الْعَقِيرَةِ
وقال :

أَيُّ عَذْرِ يَكُونُ لَا أَيَّ عَذْر لِابْنِ سَبْعِينَ مُوَلَّعٍ بِالصَّبَابَةِ
وَهُوَ مَاءٌ لَمْ تُبْقِ مِنْهُ اللَّيَالِي فِي إِنْاءِ الْحَيَاةِ إِلَّا صُبَابُهُ
وقال أيضاً :

وَلَقَدْ طَلَبْتُ رِضَى الْبَرِيَةِ جَاهِدًا فَلِذَا رِضَاهُمْ غَايَةٌ لَا تُدْرَكُ
وَأَرَى الْقَنَاعَةَ لِلْفَقِي كَثْرًا لَهُ وَالْبِرَّ أَفْضَلُ مَا بِهِ يَتَمَسَّكُ
63 — وقال أبو محمد ابن صاحب الصلاة الداني ، ويُعرف بعبودن :

وَعَجَّلَ شَيْبِي أَنْ ذَا الْفَضْلِ مُبْتَلَى بِدَهْرِ غَدَا ذُو النَقْصِ فِيهِ مُؤَمَّلَا
وَمَنْ نَكَدَ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَرَى بِهَا الْحُرَّ يَشْقَى وَاللَّيْمَ مَمُولَا
مَتَى يَنْعَمُ الْمُعْتَرُّ عَيْنًا إِذَا اعْتَضَى جَوَادًا مُقْلًا أَوْ غَنِيًّا مَبْخَلَا
64 — وقال أبو الحكم عبيد الله الأموي مولاهم الأندلسي :

إِذَا كَانَ إِصْلَاحِي لِجَسَمِي وَاجِبًا فَلِإِصْلَاحِ نَفْسِي لَا مُحَالَةٌ أَوْجِبُ
وَإِنْ كَانَ مَا يَفْنَى إِلَى النَّفْسِ مُعْجِبًا فَإِنَّ الَّذِي يَبْقَى إِلَى الْعَقْلِ أَعْجِبُ
65 — وقال الفقيه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلييري رحمه
الله تعالى :

لِلَّهِ أَكْيَاسٌ جَفَقُوا أَوْطَانَهُمْ فَالْأَرْضُ أَجْمَعُهَا لَهُمْ أَوْطَانُ

جالت عقولهمُ مجالَ تفكيرٍ وجلالةٌ فبدا لها الكتمان
ركبت بحار الفهم في فلك النهى وجرى بها الإخلاص والإيمان
فرست بهم لما انتهوا بجفونهم مرسى لهم فيه غنى وأمان

66 - وقال أبو جعفر ابن خاتمة رحمه الله تعالى :

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا ارحم عباداً أكف الفقر قد بسطوا
عودتهم بسط أرزاق بلا سبب سوى جميل رجاء نحوه انبسطوا
وعدت بالفضل في ورد وفي صدر بالحدود إن أقسطوا والحلم إن قسطوا
عوارف ارتبطت شم الآتوف لها وكل صعب بقيد الجود يرتبط
يا من تعرف بالمعروف فاعترفت بجم إنعام الأطراف والوسط
وعالماً بحقيقات الأمور فلا وهم يجوز عليه لا ولا غلط
عبد فقير بباب الجود منكسر من شأنه أن يوافي حين ينضبط
مهما أتى ليمد الكف أخجله قبائح وخطايا أمرها فرط
يا واسعاً ضاق خطو الخلق عن نعم منه إذا خطبوا في شكرها خبطوا
وناشرأ بيد الإجمال رحمته فليس يلحق منه مُسرفاً قنط
ارحم عباداً بضئك العيش قد قنعوا فأينما سقطوا بين الورى لقطوا
إذا توزعت الدنيا فما لهم غير الدجنة لحف والبرى بسط
لكنهم من ذرا عليك في نمط سام رفيع الذرى ما فوقه نمط
ومن يكن بالذي يهواه مجتمعاً فما يبالي أقام الحي أم شحطوا

١ زاد في م أبياتاً قال : وقال الشيخ أبو بكر ابن مغاور (م : مغاور) وقيل إنها لابن لبال :

ودعتها ومدامي تنهل بالدمع الطليق
فبكت وأذرت أدمعاً في صفحة الخلد الأنيق
ومضت تمض بناتها بين التلهف والشهيق
فرايت درأ ساقطاً من ترجسين على شقيق
ورأيت مبيض اللجين يعض محمر المقيق

نحن العبيد وأنتَ الملك ليس سوى وكلُّ شيءٍ يُرجَى بعدَ ذا شَطَطُ
وقال رحمه الله تعالى :

ملاك الأمر تقوى الله فاجعل تُقاهُ عُدَّةٌ لصلاح أمرك
وبادر نحو طاعته بعزم فما تدري متى يمضي بعمرك
وقال أيضاً^١ :

إذا كنتَ تعلم أن الأمور بحكم الإله كما قد قضى
فقيم التفكير والحكم ماضٍ ولا ردَّ للحكم مهما مضى
فخلِّ الوجود كما شاءه مُدبِّره وابعِ منه الرضى
وقال^٢ :

إذا ما الدهر نابك منه خطب وشدَّ عليك من حلق عقاله
فكِلْ لله أمرٌ لا تفكر ففكرك فيه خبط في حباله
وقال^٣ :

عدوك دأره ما استطعت حتى يعودَ لديك كالخلِّ الشفيقِ
فما في الأرض أَردى من عدوِّ وما في الأرض أجْدَى من صديقِ
وقال^٤ :

إن أعرضت دُنياك عنك بوجهها وغدت ومنها في رضاك نزاعُ
فاحذر بنيتها واحتفظ من شرِّهم إنَّ البنين لأُمِّهم أتباعُ

١ م : في تفويض الأمر إلى الله والافتكال عليه .

٢ م : وقال في معناه في توكل الأمر إلى الله تعالى .

٣ م : في مداراة العدو ومكايده .

٤ م : وقد أبلغ في النصيحة وأجاد إلى الغاية .

وقال ١ :

يا مجيب المضطرَّ عندَ الدعاءِ منك دائي وفي يديكَ دوائي
جَدَّبتني الدنيا إليها بضبَّعي ودعنتي لمحنتي وشقائي
يا إلهي وأنتَ تعلم حالي لا تَدَرُني شماتة الأعداءِ

67 - وقال الحافظ الكبير الشهير أبو عبد الله الحميدي صاحب « الجمع

بين الصحيحين » رحمه الله تعالى ٢ :

كتابُ الله عزَّ وجلَّ قَوْلِي وما صَحَّتْ بِهِ الآثارُ ديني
وما اتفق الجميع عليه بدءاً وعوداً فهوَ عن حقٍّ مبین
فدع ما صدَّ عن هدي وخذها تكن منها على عين اليقين

وقال :

طريق الزهد أفضلُ ما طريق وتقوى الله باديةُ الحقوقِ
فَشِقْ باللهِ يَكْفِيكَ ، واستعِنه يُعِينُكَ ، وذَرِّ بُنْيَاتِ الطريقِ

68 - وقال أبو بكر مالك بن جبير رحمه الله تعالى :

رحلتُ وإنَّني من غيرِ زاد وما قدَّمتُ شيئاً للمعادِ
ولكنَّني وثقتُ بِجودِ ربي وهل يشقى المقلُّ مع الجوادِ

وتوفي المذكور بأريولة - أعادها الله تعالى إلى الإسلام - سنة ٥٦١ .

69 - وقال ابن جبير اليحصبي وهو الكاتب أبو عبد الله محمد :

كلَّما رمتُ أن أقدمَ خيراً لمعادي ورمتُ أنِّي أتوبُ

١ م : في التضرع إليه تعالى والابتهال إليه .

٢ هاتان القطعتان الحميدي وردتا في ج ٢ : ١١٤ .

صرفتني بواعث النفس قسراً فتقاعستُ والذنوبُ ذنوبُ
رَبِّ قَلْبٍ قَلْبِي لِعِزَّةٍ خَيْرٍ لِمَتَابٍ فَمِي يَدِيكَ الْقُلُوبُ

ولتعلم أن كلام أهل الأندلس بحر لا ساحل له ، ويرحم الله تعالى لسان
الدين بن الخطيب حيث قال في صدر الإحاطة : وهذا الغرَضُ الذي وضعنا
له هذا التأليف يطلبنا فيه ما قصدنا به من المباهاة والافتخار بالإكثار ، واستيعاب
النظام والنتثار ، ويحملنا فيه خوف السَّامة على الاختصار والاقتصار ، وكفى بهذا
جلاء في الأعذار ، والله تعالى مُقِيل العِثَارِ ، وسائر العيَبِ المُثَارِ ، بفضلِه ، انتهى .

70 — ولنختم هذا الباب بقول أبي زكريا يحيى بن سعد بن مسعود القلبي :

عَفْوُكَ اللَّهُمَّ عَنَّا خَيْرُ شَيْءٍ نَتَمَنَّى
رَبِّ إِنَّا قَدْ جَهِلْنَا فِي الَّذِي قَدْ كَانَ مِنَّا
وخطبنا وخلطنا ولهونا ومَجَنَّا
إن نكن ربَّ أسأنا ما أسأنا بكَ ظَنَّا

وذيلته بقولي :

فَأَنلَنَّا الْخِثْمَ بِالْحَسَنِ وَإِنْعَامًا وَمَنَّا

آمين^١ .

١ إلى هنا انتهت النسخة : م .

الباب الثامن

في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة بعد صرفه وجوه الكيد إليها ،
وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بمكره ، واستعماله في أمرها حيل فكره ،
حتى استولى - دمره الله تعالى - عليها ، ومحا منها التوحيد واسمه ، وكتب
على مشاهدتها ومعاهدها وسُمة . وقرر مذهب الثلاث ، والرأي الخبيث ،
لديها ، واستغاث أهلها استغاثة أضرابها بالنظم والنثر ، أهل ذلك العصر ،
من سائر الأقطار ، حين تعذرت بحصارها ، مع قلة حمايتها وأنصارها ،
المآرب والأوطار . وجاءها الأعداء من خلفها ومن بين يديها ، أعاد الله تعالى
إليها كلمة الإسلام . وأقام فيها شريعة سيد الأنام . عليه أفضل الصلاة
والسلام . ورفع يد الكفر عنها وعما حوالها . آمين .

[ظهور بلاي وخلفائه]

قال غير واحد من المؤرخين : أول من جمع قُلَّ النصارى بالأندلس - بعد
غلبة العرب لهم - عِلَجٌ يقال له بلاي^١ ، من أهل أشتوريش من جليقية . كان
رهينةً عن طاعة أهل بلده . فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفي .
الثاني من أمراء العرب بالأندلس ، وذلك في السنة السادسة من افتتاحها ، وهي
سنة ثمان وتسعين من الهجرة . وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن ،
فطردوه وملكوا البلاد ، وبقي الملك فيهم إلى الآن ، وكان عِدَّةً مِّنْ ملك
منهم إلى آخر أيام الناصر لدين الله اثنين وعشرين ملكاً ؛ انتهى .
وقال عيسى بن أحمد الرازي : في أيام عَنبَسَةَ بن سَحِيم الكلي قام بأرض

١ انظر ما تقدم عن بلاي ج ٣ : ١٧ .

جليقية عِلْج حيث يقال له بلّاي من وقعة أخذ النصارى بالأندلس . وجدّ الفرنج في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم ، وقد كانوا لا يطمعون في ذلك ، ولقد استولى المسلمون بالأندلس على النصرانية وأجلّوهم ، وافتتحوا بلادهم ، حتى بلغوا أريولة من أرض الفرنجة ، وافتتحوا بلبونة من جليقية ، ولم يبق إلا الصخرة فإنه لا ذ بها ملك يقال له بلّاي ، فدخلها في ثلاثمائة رجل ، ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعاً ، وبقي في ثلاثين رجلاً وعشر نسوة ، ولا طعام لهم إلاّ العسل يشْتَارُونَهُ من خروق بالصخرة فيتقوتون به ، حتى أعياء المسلمين أمرهم ، واختفروا بهم . وقالوا : ثلاثون عِلْجاً ما عسى أن يجيء منهم ؟ فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة والكثرة ما لا يخفى به . وفي سنة ١٣٣ هـ ملك بلّاي المذكور . وملك ابنه فافله^١ بعده . وكان ملك بلّاي تسع عشرة سنة ، وابنه ستين . فملك بعدهما أذفونش بن بيطر^٢ جد بني أذفونش هؤلاء الذين اتصل ملكهم إلى اليوم ، فأخذوا ما كان المسلمون أخذوه من بلادهم ؛ انتهى باختصار . وقال المسعودي بعد ذكره غزوة سمورة أيام الناصر . ما صورته^٣ : وأخذ ما كان بأيدي المسلمين من ثغور الأندلس ممّا يلي الفرنجة ومدينة أريولة^٤ خرجت عن أيدي المسلمين سنة ٣٣٠ مع غيرها ممّا كان بأيديهم من المدن والحصون ، وبقي ثغر المسلمين في هذا الوقت وهو سنة ٣٣٦^٥ من شرق الأندلس طرطوشة ، وعلى سائر بحر الروم ممّا يلي طرطوشة آخذاً في الشمال إفراغه على نهر عظيم ثم لاردة ؛ انتهى .

.....

١ (Fafila)

٢ (Alphonso) ابن (Pedro) ؛ وكان أذفونش هذا قد تزوج ابنة بلّاي واسمها أرمنسندا

(Erraensinda) (فجر الأندلس : ٣٤٤) .

٣ مروج الذهب ١ : ١٦٢ .

٤ المزوج : وآخر ما كان . . . مدينة أريولة .

٥ المزوج : وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

[الاستيلاء على طليطلة]

ومن أول ما استرد الإفرنج من مدن الأندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذي النون سنة ٤٧٥ ، وفي ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال :

يا أهل أندلس حُتُّوا مَطِيَّكُمْ فما المَقَامُ بها إلّا من الغلَطِ
الثوبُ يُنْسَلُ من أطرافه وأرى ثوبَ الجزيرة منسولاً من الوسطِ
ونحنُ بينَ عدُوٍّ لا يفارقنا كيفَ الحياة مع الحياتِ في سَفَطِ

ويروى صدر البيت الثالث هكذا :

من جاور الشرَّ لا يأمنُ بَوَاقِعُهُ كيفَ الحياة مع الحياتِ في سَفَطِ

وتروى الأبيات هكذا :

حُتُّوا رَواحِلُكُمْ يا أهلَ أندلسٍ فما المَقَامُ بها إلّا من الغلَطِ
السِّلْكُ يُثْرُ من أطرافه ، وأرى سلكَ الجزيرة مثوراً من الوسطِ
مَنْ جاورَ الشرَّ لا يأمنُ عَوَاقِبُهُ كيفَ الحياة مع الحياتِ في سَفَطِ

وقال آخر :

يا أهلَ أندلسٍ رُدُّوا المَعَارِ فما في العُرفِ عاريةٌ إلّا مَرَدَاتُ
ألم تروا بَيْدَقَ الكفارِ فرزَنهُ وشاهُنَا آخرَ الأبياتِ شَهَمَاتُ

وقال بعض المؤرخين : أخذ الأذفونش طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذي النون بعد أن حاصرها سبع سنين ، وكان أخذها لها في منتصف محرم سنة ٤٧٨ : انتهى . وفيه بعض مخالفة لما قبله في وقت أخذها ، وسيأتي قريباً بعض ما يؤيده .

قال : وهي مدينة حصينة قديمة أزلية من بناء العمالقة ، على ضفة النهر الكبير ، ولها قصبة حصينة في غاية المنعة ، ولها قنطرة واحدة عجبية البنيان على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جري ، ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون ذراعاً ، وهي تصعد الماء إلى أعلى القنطرة ، ويمجري الماء على ظهرها فيدخل المدينة ، وطلّيطلة هذه دار مملكة الروم ، وبها كان البيت المغلق الذي كانوا يتحامسون فتحه حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب ؛ انتهى .

وقد تقدم شيء من هذا فيما مر من هذا الكتاب ^١ .

وقد حكى ابن بدرون في شرح العبدونية ^٢ أن المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة بنى بها قصراً تأنق في بنائه ، وأنفق فيه مالاً كثيراً ، وصنع فيه بحيرة ، وبنى في وسطها قبة ، وسقى الماء إلى رأس القبة على تدير أحكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من أعلى القبة حوالها محيطاً بها متصلاً ببعضه ببعض ، فكانت القبة في غلالة من ماء سكب لا يفتر ، والمأمون بن ذي النون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ، ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل ، فبينما هو فيها إذ سمع منشداً ينشد :

أتبني بناء الخالدين ، وإنما بقاؤك فيها ، لو علمت ، قليل
لقد كان في ظل الأراك كفاية لمن كل يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعد هذا إلا يسيراً حتى قضى نحبه ؛ انتهى .

وقال ابن خلكان ^٣ : إن طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد ؛ انتهى .

١ انظر ما تقدم ج ١ : ١٦١ ، ٢٠٦ .

٢ البسامة : ٢٧١ .

٣ وفيات الأعيان ٤ : ١١٨ .

وقال ابن علقمة : إن طليطلة أخذت يوم الأربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٤٧٨ ، وكانت وقعة الزلافة في السنة بعدها ، انتهى .

[وقعة الزلافة نقلاً عن الروض المعمار وغيره]

ورأيت أن أذكر هنا وقعة الزلافة التي نشأت عن أخذ طليطلة وما يتبع ذلك من كلام صاحب « الروض المعمار » وغيره فنقول^١ : إنه لما ملك يوسف ابن تاشفين اللمتوني المغرب ، وبنى مدينتي مراكش وتلمسان الجديدة ، وأطاعته البربر مع شكيמתها الشديدة ، وتمهدت له الأقطار الطويلة المديدة ، تآقت نفسه إلى العبور لجزيرة الأندلس ، فهمم بذلك ، وأخذ في إنشاء المراكب والسفن ليعبر فيها ، فلما علم بذلك ملوك الأندلس كرهوا إلامه بجزيرتهم ، وأعدوا له العدة والعتد ، وصعبت عليهم مدافعتة ، وكرهوا أن يكونوا بين عدوين الفرنج من شمالهم والمسلمين من جنوبهم . وكانت الفرنج تشتد وطأتها^٢ عليهم ، وتغير تنهب ، وربما يقع بينهم صلح على شيء معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين ، والفرنج ترهب ملك المغرب يوسف بن تاشفين . إذ كان له اسم كبير وصيت عظيم ، لنفاذ أمره وسرعة تملكه بلاد المغرب ، وانتقال الأمر إليه في أسرع وقت ، مع ما ظهر لأبطال الملتزمين ومشايخ صنهاجة في المعارك من ضربات السيوف التي تقد الفارس ، والطعنات التي تنظم الكلى ، فكان له بسبب ذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتاله ، وكان ملوك الأندلس يفيثون إلى ظله ، ويحذرونه خوفاً على ملكهم ، مهما عبر إليهم وعابن بلادهم ، فلما رأوا ما دهم على عبوره إليهم وعلموا ذلك ، راسل بعضهم بعضاً يستنجلون آراءهم في أمره ، وكان مقترعهم في ذلك إلى المعتمد بن عباد ، لأنه أشجع القوم ، وأكبرهم مملكة ، فوقع اتفاقهم

١ أكثر هذا النص منقول عن ابن خلكان ٦ : ١١٢ وما بعدها .

٢ ق ص : تشتد وطأتها .

على مكاتبته لما تحققوا أنه يقصدهم يسألونه الإعراض عنهم ، وأنهم تحت طاعته ، فكتب عنهم كاتب من أهل الأندلس كتاباً ، وهو : أما بعد فإنك إن أعرضت عنا نُسبت إلى كرم ، ولم تُنسب إلى عجز ، وإن أجبتنا داعيتك نُسبتا إلى عقل ، ولم تُنسب إلى وهن ، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتي ، فاختر لنفسك أكرم نسبتيك ، فإنك بالمحل الذي لا يجب أن تُسبق فيه إلى مكرمة ، وإن في استبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوت ، والسلام . فلما وصله الكتاب مع تُحَفِّ وهدايا ، وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف باللسان العربي ، لكنه ذكي الطبع ، يجيد فهم المقاصد ، وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية ، فقال له : أيها الملك ، هذا الكتاب من ملوك الأندلس يعظمونك فيه ، ويعرفونك أنهم أهل دعوتك ، وتحت طاعتك ، ويلتمسون منك أن لا تجعلهم في منزلة الأعادي ، فإنهم مسلمون وذوو بيوتات ، فلا تغير بهم ، وكفى بهم من وراءهم من الأعداء الكفار ، وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر ، فأعرض عنهم إعراضك عن أطاعك من أهل الغرب ، فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه : فما ترى أنت ؟ فقال : أيها الملك اعلم أن تاج الملك وبهجته شاهده الذي لا يُرد ، فإنه خليف بما حصل في يده من الملك والمال أن يعفو إذا استعفي ، وأن يهب إذا استُوهب ، وكلما وهب جليلاً جزيلاً كان لقدره أعظم ، فإذا عظم قدره تأصل ملكه ، وإذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته ، وإذا كانت طاعته شرفاً جاءه الناس ، ولم يتجشم المشقة إليهم ، وكان وارث الملك من غير إهلاك لآخرته ، واعلم أن بعض الملوك الحكماء الأكابر البُصراء بطريق تحصيل الملك قال : من جاد ساد ، ومن ساد قاد ، ومن قاد ملك البلاد ؛ فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه وعلم صحته ، فقال للكاتب : أجيب القوم ، واكتب بما يجب في ذلك ، واقرأ عليّ كتابك ، فكتب الكاتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من يوسف بن تاشفين ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . تحية من سالمكم وسلم عليكم ، وإنكم مما في أيديكم من الملك في أوسع إباحة ، مخصوصين منا بأكرم إيثار

وسماحة ، فاستدعوا وفاءنا بوفائكم ، واستصلحوا إخواننا بإصلاح إخوانكم ،
والله ولي التوفيق لنا ولكم ، والسلام . فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن
تاشفين بلسانه ، فاستحسنه ، وقرن به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللّصط
التي لا توجد إلاّ ببلاده ، وأنفذ ذلك إليهم ، فلما وصلهم ذلك وقرأوا كتابه
فرحوا به ، وعظموه ، وسُرُّوا بولايته ، وتقوّت نفوسهم على دفع الفرنج
عنهم ، وأزمعوا إن رأوا من الفرنج ما يريهم أنهم يرسلون إلى يوسف بن تاشفين
ليعبر إليهم ، أو يمدّهم بإعانة منه .

وكان ملك الإفرنج الأذفونش لما وقعت الفتنة بالأندلس وثار الخلاف ،
وكان كل من حاز بلداً وتقوى فيه ملكه. وادعى الملك وصار مثل ملوك الطوائف ،
فطمع فيهم الأذفونش بسبب ذلك ، وأخذ كثيراً من ثغورهم ، فقوي شأنه ،
وعظم سلطانه ، وكثرت عساكره ، وأخذ طليطلة من صاحبها القادر بالله بن
المأمون يحيى بن ذي النون بعد أن حاصرها سبع سنين ، وكان أخذه لها في منتصف
محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، فزاد لعنه الله تعالى بملكه طليطلة قوّة إلى قوّته ،
وأخذ يجوسُ خلال الديار ، ويستفتح المعاقل والحصون .

قال ابن الأثير في « الكامل »^١ : وكان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الأندلس
ومتملك أكثر بلادها^٢ ، مثل قرطبة وإشبيلية ، وكان — مع ذلك — يؤدي الضريبة
إلى الأذفونش كل سنة ، فلما تملك الأذفونش طليطلة أرسل إليه المعتمد الضريبة
المعتادة^٣ ، فلم يقبلها منه ، وأرسل إليه يهدده ويتوعده بالمسير إلى قرطبة ليفتحها ،
إلاّ أن يسلم إليه جميع الحصون المنيعة^٤ ، ويبقى السهل للمسلمين ، وكان الرسول
في جمع كثير نحو خمسمائة فارس ، فأنزله المعتمد ، وفرق أصحابه على قواد

١ الكامل ١٠ : ١٤٢ (ط . صادر) .

٢ ابن الأثير : وكان يملك أكثر البلاد .

٣ ابن الأثير : على عادته .

٤ ابن الأثير : الحصون التي بالجبل .

عسكره ، ثم أمر قواده أن يقتل كل منهم مَنْ عنده من الكفرة ، وأحضر الرسول وصفة^١ حتى خرجت عيناه ، وسلم من الجماعة ثلاثة نفر ، فعادوا إلى الأذفونش وأخبروه الخبر ، وكان متوجهاً إلى قرطبة ليحاصرها ، فرجع إلى طليطلة ليجمع آلات الحصار ، ويكثر العدد والعدة ، انتهى .

وقال الفقيه أبو عبد الله [محمد] بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري في كتابه «الروض المعطار في ذكر المدن والأقطار» ما ملخصه^٢ : إنه لما اشتغل المعتمد بغزو ابن صمادح صاحب المرية حتى تأخر الوقت الذي كان يدفع فيه الضريبة للأذفونش وأرسلها إليه بعد ذلك ، استشاط الطاغية غضباً وتشطط ، وطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة ، وأمعن في التجنّي ، وسأل في دخول امرأته القمبيطة^٣ إلى جامع قرطبة لتلد فيه ، إذ كانت حاملاً ، لما أشار عليه بذلك القسيسون والأساقفة لمكان كنيسة كانت في الجانب الغربي منه معظمة عندهم عمل عليها المسلمون الجامع الأعظم ، وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بالمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة — وهي^٤ التي أنشأ بناءها الناصر لدين الله ، وأمعن في بنائها ، وأغرب في حسننها ، وجكّب إليها الرخام الملون والمرمر الصافي والخوض المشهور من البلاد والأقطار ، وكان يثيب على السارية بكذا وكذا غير الثمن وأجرة الحمل ، وأنفق فيها الأموال العظيمة ، واشتغل بها ، وكان يباشر الصناعات بنفسه ، حتى تخلف عن حضور الجمعة ثلاث مرات متواليات ، وحضر في الرابعة . وكان الخطيب يومئذ الفقيه الزاهد مُنذر بن سعيد البكوتي ، فعرض به في الخطبة . ووبخه على رؤوس الملأ ، وقصته في ذلك مشهورة ، وبناء الزهراء أيضاً من أغرب مباني الإسلام ، فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بتاريخ ابن حيان .

١ في بعض أصول ابن الأثير : وضبطه .

٢ الروض : ٨٤ - ٩٥ .

٣ الروض : القمبيطة .

٤ وهي . . . ابن حيان : استلّاد من المقرئ ليس في الروض المعطار .

ولنرجع إلى الأذفونش فإن الأطباء والقسوس لما أشاروا أن تكون المرأة المذكورة ساكنة بالزهراء ، وتتردد إلى الجامع المذكور حتى تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة من الجامع المذكور . وكان السفير في ذلك يهودياً كان وزير الأذفونش ، فامتنع ابن عباد من ذلك . فراجعته ، فأباه وأياسه من ذلك . فراجعته اليهودي في ذلك ، وأغلظ له في القول . وواجهه^١ بما لم يحتمله ابنُ عباد ، فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي ، فأنزل دماغه في حلقه ، وأمر به فصُلِب منكوساً بقرطبة ، واستنقى لما سكن غضبه الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودي ، فبادره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة في ذلك لتعدي الرسول حدود الرسالة إلى ما استوجب به القتل ، إذ ليس له ذلك ، وقال للفقهاء : إنما بادرت بالفتوى خوفاً أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العلوّ ، وعسى الله أن يجعل في عزمته للمسلمين فرجاً .

وبلغ الأذفونش ما صنعه ابن عباد ، فأقسم باللهته ليفزونه بإشيلية ، ويحاصره في قصره ، فجرد جيشين جعل على أحدهما كلباً من مساعير كلابه وأمره أن يسير على كورة باجة من غرب الأندلس ويغير على تلك التخوم والجهات ، ثم يمر على لبلة إلى إشيلية ، وجعل مواعده إياه طريانة للاجتماع معه ، ثم زحف الأذفونش بنفسه في جيش آخر عرمرم . فسلك طريقاً غير الطريق التي سلكها الآخر ، وكلاهما عاث في البلاد وخرّب ودمّر ، حتى اجتمعا لموعدهما بصفة النهر الأعظم قبالة قصر ابن عباد ، وفي أيام مقامه هنالك كتب إلى ابن عباد زارياً عليه : كثر بطول مقامي في مجلسي الذبان ، واشتد عليّ الحر ، فأتحفني من قصرك بمروحة أروّح بها على نفسي ، وأطرد بها الذباب عن وجهي ؛ فوقّع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة : قرأت كتابك ، وفهمت خيلاءك وإعجابك ، وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللطيفة تروّح منك لا تروح عليك ، إن شاء الله

١ الروض : وشافه .

تعالى . فلما وصلت الأذفونش رسالة ابن عباد . وقرئت عليه . وعلم مقتضاها ،
أطرق لإطراق من لم يخطر له ذلك ببال .

وفشا في الأندلس توقيع ابن عباد . وما أظهر من العزيمة على جواز يوسف
ابن تاشفين ، والاستظهار به على العدو ، فاستبشر الناس ، وفرحوا بذلك .
وفُتحت لهم أبواب الآمال . وأما ملوك طوائف الأندلس فلما تحققوا عزم ابن عباد
وانفراده برأيه في ذلك ، اهتموا منه ، ومنهم من كاتبه ، ومنهم من كلمه مواجهة ،
وحذّروه عاقبة ذلك ، وقالوا له : الملك عقيم ، والسيقان لا يجتمعان في غمد
واحد ، فأجابهم ابن عباد بكلمته السائرة مثلاً : رَعِيُ الجمال خير من رَعِيِ
الخنازير ، ومعناه أن كونه مأكولاً ليوسف بن تاشفين أسيراً يرعى جماله في
الصحراء خير من كونه ممزقاً للأذفونش أسيراً له يرعى خنازيره في قَشْتَالَة .
وقال لعذاله ولوّامه : يا قوم إني من أمري على حالتين : حالة يقين ، وحالة شك ،
ولا بد لي من إحداهما ، أما حالة الشك فإني إن استندت إلى ابن تاشفين أو إلى
الأذفونش ففي الممكن أن يفي لي ويبقى على وفائه ، ويمكن أن لا يفعل ، فهذه
حالة شك ، وأما حالة اليقين فإني إن استندت إلى ابن تاشفين فأنا أَرْضِي الله .
وإن استندت إلى الأذفونش أسخطت الله تعالى ، فإذا كانت حالة الشك فيها
عارضة ، فلا شيء أدع ما يرضي الله وآتي ما يسخطه ؟ فحينئذ قَصَّر أصحابه
عن لومه .

ولما عزم أمر صاحب بَطْلَيْوَسَ المتوكل عمر بن محمد وعبد الله بن حبّوس
الصنهاجي صاحب غرناطة أن يبعث إليه كلٌّ منهما قاضي حضرته ، ففعلا ،
واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة أبا بكر عبيد الله بن أدهم . وكان أعقل أهل
زمانه ، فلما اجتمع عنده القضاة ياشنيلية أضاف إليهم وزيره أبا بكر ابن زيدون ،
وعرفهم أربعتهم أنهم رسله إلى يوسف بن تاشفين ، وأسند إلى القضاة ما يليق
بهم من وعظ يوسف بن تاشفين وترغيبه في الجهاد ، وأسند إلى وزيره ما لا بد
منه في تلك السفارة من إبرام العقود السلطانية ، وكان يوسف بن تاشفين لا تزال

تفد عليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين . مجهشين بالبكاء ، ناشدين الله والإسلام ،
مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته ، فيسمع إليهم . ويُصغي لقولهم .
وترقُّ نفسه لهم .

فما عبرت رسل ابن عباد البحر إلّا ورسل يوسف بالمرصاد . ولما انتهت
الرسل إلى ابن تاشفين أقبل عليهم ، وأكرم مثواهم ، واتصل ذلك بابن عباد .
فوجه من إشبيلية أسطولاً نحو صاحب سبتة : فانتظمت في سلك يوسف . ثم
جرت بينه وبين الرسل مراوضات ، ثم انصرفت إلى مرسلها . ثم عبر يوسف
البحر عبوراً سهلاً ، حتى أتى الجزيرة الخضراء ، ففتحوا له ، وخرج إليه أهلها بما
عندهم من الأقوات والضيافات ، وأقاموا له سوقاً جلبوا إليه ما عندهم من سائر
المرافق ، وأذنوا للغزاة في دخول البلد والتصرف فيه ، فامتألت المساجد والرحبات
بالمطوّعين ، وتواصوا بهم خيراً ، هذا مساق صاحب «الروض المعطار» .
وأما ابن الأثير^١ فإنه لما ذكر وقعة الزلاقة ذكر ما تقدم من فعل المعتمد
بالأرسال وقتلهم ، وتخوف أكابر الأندلس من الأذقونش ، وأنه اجتمع منهم
رؤساء ، وساروا إلى القاضي عبيد الله^٢ بن محمد [بن أدهم] وقالوا له : ألا تنظر
إلى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة وإعطائهم الجزية ، بعد أن كانوا يأخذونها .
وقالوا : قد غلب على البلاد الفرنج . ولم يبق إلّا القليل ، وإن طال هذا الأمر
عادت نصرانية كما كانت أولاً ، وقد رأينا رأياً نعرضه عليك . قال : وما هو؟
قالوا : نكتب إلى عرب إفريقية ، ونبذل لهم إذا وصلوا إلينا شطر أموالنا . ونخرج
معهم مجاهدين في سبيل الله ، فقال لهم : إنا نخشى إن وصلوا إلينا أن يخربوا بلادنا
كما فعلوا بإفريقية ، ويتركوا الإفرنج ويدأوا بنا . والمرابطون أصلح منهم .
وأقرب إلينا ، فقالوا له : فكاتب أمير المسلمين ، واسأله العبور إلينا أو إعانتنا
بما تيسر من الجند . فبينما هم في ذلك يتراوضون إذ قدم عليهم المعتمد بن عباد

١ الكامل ١٠ : ١٥١ وقد أورد ابن خلكان أيضاً : ١١٩ .

٢ في ابن الأثير : عبد الله ؛ راجع الصلة : ٢٩٣ .

قرطبة ، فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه ، فقال له ابن عباد : أنت رسولي إليه في ذلك ، فامتنع . وإنما أراد أن يرى نفسه من ذلك ، فألح عليه المعتمد . فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين . فوجده بسبته ، وأبلغه الرسالة وأعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش ، ففي الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس ، وأرسل إلى مراکش في طلب مَنْ بقي من العساكر ، فأقبلت إليه يتلو بعضها بعضاً ، فلما تكاملت عنده عبر البحر . واجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية ، وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضاً ، وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير ، وقصد المطوعة من سائر بلاد الأندلس . ووصلت الأخبار إلى الأذفونش فجمع عساكره . وحشد جنوده ، وسار من طليطلة . وكتب إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتاباً كتبه له بعض غواة أدباء المسلمين يُغلظ له في القول ، ويصف ما معه من القوة والعُدَّة والعُدَّة . وبالح في ذلك . فلما وصله قرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر ابن التصيرة أن يجيبه . وكان كاتباً مقلقاً . فكتب وأجاد ، فلما قرأه على أمير المسلمين قال : هذا كتاب طويل . أحضر كتاب الأذفونش واكتب في ظهره : « الذي يكون ستره » وأرسله إليه . فلما وقف عليه الأذفونش ارتاع له ، وعلم أنه بلي برجل لا طاقة له به .

وذكر ابن خلكان^١ أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبور منها ما أغص الجزيرة ، وارتفع رُغَاؤها إلى عنان السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملاً قط ولا خيلهم ، فصارت الخيل تجمح من رؤية الجمال ومن رُغَاها ، وكان ليوسف في عبور الجمال رأي مصيب . فكان يمدق بها عسكره ، ويحضرها للحرب . فكانت خيل الفرنج تجمح منها . وقدّم يوسف بين يديه كتاباً للأذفونش يعرض عليه الدخول في الإسلام أو الجزيرة أو الحرب . كما هي السنته ، ومن جملة ما في الكتاب : بلغنا يا أذفونش أنك دعوت إلى الاجتماع بنا ، وتمنيت أن

١. وفيات الأعيان ٦ : ١١٥ .

تكون لك سفن تعبر بها البحر إلينا ، فقد عبرنا إليك ، وقد جمع الله تعالى في هذه الساحة بيننا وبينك ، وسرى عاقبة دعائك ﴿ وما دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (غافر : ٥٠) انتهى بمعناه ، وأكثره بلفظه .

ولنرجع إلى كلام صاحب « الروض المعطار »^١ فإنه أقعد بتاريخ الأندلس ، إذ هو منهم ، وصاحب البيت أدري بالذي فيه^٢ ، قال رحمه الله تعالى : فلما عبر يوسف وجميع جيوشه إلى الجزيرة الخضراء انزعج إلى إشبيلية على أحسن الهيئات ، جيشاً بعد جيش ، وأميراً بعد أمير ، وقبيلاً بعد قبيل ، وبعث المعتمد ابنه إلى لقاء يوسف ، وأمر عمال البلاد يجلب الأقوات والضيافات ، ورأى يوسف من ذلك ما سره ونشطه ، وتواردت الجيوش مع أمرائها على إشبيلية ، وخرج المعتمد إلى لقاء يوسف من إشبيلية في مائة فارس ووجوه أصحابه ، فلما أتى محلة يوسف ركض نحو القوم ، وركضوا نحوه ، فبرز إليه يوسف وحده ، والتقى منفردين ، وتصافحا وتعانقا ، وأظهر كل منهما لصاحبه المودة والخلوص ، وشكرا نِعَمَ الله تعالى ، وتواصيا بالصبر والرحمة ، ویشرا أنفسهما بما استقبلاه من غزو أهل الكفر ، وتضرعا إلى الله تعالى في أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه ، مقرباً إليه ، وافتراقاً ، فعاد يوسف لمحلته ، وابن عباد إلى جهته ، وألحق ابن عباد ما كان أعده من هدايا وتحف وضيافات أوسع بها على محلة يوسف بن تاشفين ، وباتوا تلك الليلة ، فلما أصبحوا وصلوا الصبح ركب الجميع ، وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو إشبيلية ، ففعل ، ورأى الناس من عزة سلطانه ما سرهم ، ولم يبق من ملوك الطوائف بالأندلس إلا مَنْ بادر أو أعان وخرج أو أخرج ، وكذلك فعل الصحراويون مع يوسف ، كل صقع من أصقاعه رابطوا وصابروا^٣ . وكان الأذفونش لما تحقق الحركة والحرب استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وما

١ الروض : ٨٧ .

٢ بالذي فيه : سقطت من ق .

٣ في الأصول : وكابروا .

وراءها ورفع القسيسون والرهبان والأساقفة صلبانهم ، ونشروا أناجيلهم ، فاجتمع له من الجلالقة والإفرنجة ما لا يحصى عدده ، وجواسيس كل فريق تردد بين الجميع ، وبعث الأذفونش إلى ابن عباد : إن صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده ، وخاض البحور ، وأنا أكفيه العناء فيما بقي ، ولا أكلفكم تعباً ، أمضي إليكم وألقاكم في بلادكم رفقا بكم وتوفيراً عليكم ، وقال لخاصته وأهل مشورته : إني رأيت أنني إن مكنتهم من الدخول إلى بلادي ، فناجزوني فيها وبين جذرها ، وربما كانت الدائرة عليّ ، يستحكمون البلاد ، ويحصلون من فيها غداة واحدة . ولكني أجعل يومهم معي في حوز بلادهم ، فإن كانت علي اكتفوا بما نالوه ، ولم يجعلوا الدروب وراءهم إلا بعد أهبة أخرى فيكون في ذلك صون لبلادي ، وجبر لمكاسري ، وإن كانت الدائرة عليهم كان مني فيهم وفي بلادهم ما خفت أنا أن يكون فيّ وفي بلادي إذا ناجزوني في وسطها ، ثم برز بالمختار من جنوده ، وأنجاد جموعه على باب دربه . وترك بقية جموعه خلفه ، وقال حين نظر إلى ما اختاره منهم : بهؤلاء أقاتل الجن والإنس وملائكة السماء ، فالمقلل يقول : المختارون أربعون ألف دارع ، ولكل واحد أتباع . وأما النصارى فيعجبون ممن يزعم ذلك ، ويرون أنهم أكثر من ذلك كله . واتفق الكل أن عدد المسلمين أقل من الكفرة ، ورأى الأذفونش في نومه كأنه راكب فيل يضرب نقيرة طبل ، فهالته الرؤيا ، وسأل عنها القسوس والرهبان فلم يجبه أحد ، فدرس يهودياً عمّن يعلم تأويلها من المسلمين ، فدُل على معبر . فقصّها عليه ، ونسبها لنفسه ، فقال له المعبر : كذبت ، ما هذه الرؤيا لك . ولا أعبرها لك إلا إن صدقتني بصاحب الرؤيا ، فقال له : اكتم عليّ ، الرؤيا للأذفونش ، فقال المعبر : صدقت ولا يراها غيره ، والرؤيا تدل على بلاء عظيم : ومصيبة فادحة فيه وفي عسكره ، وتفسيرها قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ (الفيل : ١) وأما ضربه النقيرة فتأويلها ﴿ فَلَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ (المدثر : ٨ ، ٩) . فانصرف اليهودي وذكر للأذفونش

ما وافق خاطره .

ثم خرج الأذفونش ووقف على الدروب ، ومال بجيوشه إلى الجهة الغربية من بلاد الأندلس ، وتقدم السلطان يوسف فقصدته ، وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ، ثم انزعج يقفو أثره بمحيش فيه حماة الثغور ، ورؤساء الأندلس ، وجعل ابنه عبد الله على مقدمته ، وسار وهو ينشد لنفسه متفانلاً مكملًا البيت المشهور :

لا بدَّ من فرجٍ قريبٍ يأتيكَ بالعجبِ العجيبِ
غزوٌ عليكَ مباركٌ سيعود بالفتحِ القريبِ
للهِ سعدك إنَّه نكسٌ على دينِ الصليبِ
لا بدَّ من يومٍ يكو ن له أخاً يومُ القليبِ^١

ووافت الجيوش كلها بَطَلَيْتَوْس ، فأنأخوا بظاهرها ، وخرج إليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الألفطس ، فلقبهم بما يجب من الضيافات والأقوات وبذل المجهود ، وجاءهم الخبر بشخص الأذفونش ، ولما ازدلف بعضهم إلى بعض أذكى المعتمدُ عيونهم في محلات الصحراويين خوفاً عليهم من مكاييد الأذفونش . إذ هم غرباء لا علم لهم بالبلاد ، وجعل يتولى ذلك بنفسه ، حتى قيل : إن الرجل من الصحراويين لا يخرج على طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة إلا ويحدُّ ابن عباد بنفسه مطيقاً بالمحلة ، بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات . وقد تقدم كتابُ السلطان يوسف إلى الأذفونش يدعوه إلى إحدى الثلاث المأمور بها شرعاً ، فامتأ الكافر غيظاً ، وعتا وطمخى ، وراجع بما يدل على شقائه ، وقامت الأساقفة والرهبان فرفعوا^٢ صلبانهم ، ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على الموت ، ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما ، وقام الفقهاء والصالحون مقام الوعظ ، وحضُّوهم على الصبر والثبات ، وحذروهم من الفشل والفرار .

١ يوم القليب يعني معركة بدر .

٢ ق : ونصبوا .

وجاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم ، وهو يوم الأربعاء ، فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافقتهم ، فكعّ الأذفونش ، ورجع إلى أعمال المكر والخديعة ، فعاد الناس إلى محلاتهم ، وباتوا ليلتهم ، ثم أصبح يوم الخميس فبعث الأذفونش إلى ابن عباد يقول : غداً يوم الجمعة ، وهو عيدكم . والأحد عيدنا ، فليكن لقاءنا بينهما ، وهو يوم السبت ، فعرف المعتمد بذلك السلطان يوسف ، وأعلمه أنها حيلة منه وخديعة ، وإنما قصده الفتك بنا يوم الجمعة ، فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كلّ النهار ، وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس . وبعد مضي جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد ابن رميلة القرطبي - وكان في محلة ابن عباد - فرحاً مسروراً يقول : إنه رأى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، تلك الليلة في النوم فبشره بالفتح والموت على الشهادة في صبيحة تلك الليلة ، فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه وتطيب ، وانتهى ذلك إلى ابن عباد ، فبعث إلى يوسف يخبره بها تحقيقاً لما توقعه من غدر الكافر بالله تعالى .

ثم جاء بالليل فارسان من طلائع المعتمد يخبران أنهما أشرفا على محلة الأذفونش وسمعا ضوضاء الجيوش واضطراب الأسلحة ، ثم تلاحق بقية الطلائع متحققين بتحريك الأذفونش ، ثم جاءت الجواسيس من داخل محلتهم تقول : استرقنا السمع فسمعنا الأذفونش يقول لأصحابه : ابن عباد مسعر هذه الحروب ، وهؤلاء الصحراويون وإن كانوا أهل حفاظ وذوي بصائر في الحروب فهم غير عارفين بهذه البلاد ، وإنما قادهم ابن عباد ، فاقصدوه واهجموا عليه ، واصبروا فإن انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده ، ولا أرى ابن عباد يصبر لكم إن صدقتموه الحملة ، فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب أبا بكر ابن القصيرة إلى السلطان يوسف يعرفه بإقبال الأذفونش ، ويستحث نصرته ، فمضى ابن القصيرة يطوي المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين ، فعرفه بجليّة الأمر ، فقال له : قل له إنني سأقرب منه إن شاء الله تعالى ، وأمر يوسف بعض قواده أن يمضي

بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيُضرمها ناراً ما دام الأذفونش مشتغلاً
مع ابن عباد .

وانصرف ابن القصيرة إلى المعتمد ، فلم يصله إلاّ وقد غشيته جنود الطاغية ،
فصدم ابن عباد صدمة قطعت آماله . ومال الأذفونش عليه بجموعه ، وأحاطوا
به من كل جهة ، فهاجت الحرب ، وحمي الوطيس ، واستحرّ القتل في أصحاب
ابن عباد ، وصبر ابن عباد صبراً لم يُعهد مثله لأحد ، واستبطأ السلطان يوسف
وهو يلاحظ طريقه ، وعضته الحرب ، واشتد عليه وعلى مَنْ معه البلاء ، وأبطأ
عليه الصحراويون وساءت الظنون ، وانكشف بعض أصحاب ابن عباد وفيهم ابنه
عبد الله ، وأثخن ابن عباد جراحات ، وضربَ على رأسه ضربة فلقت هامته حتى
وصلت إلى صدغه وجرحت يمين يديه ، وطعن في أحد جانبيه ، وعُقرت تحته
ثلاثة أفراس كلما هلك واحد قُدّم له آخر ، وهو يقاضي حياض الموت ،
ويضرب يميناً وشمالاً . وتذكر في تلك الحالة ابناً له صغيراً كان مُغرماً به تركه
في إشبيلية عليلاً . وكنيته أبو هاشم ، فقال :

أبا هاشم هَشَمْتَنِي الشِّفَارُ فَللهِ صَبْرِي لِذَاكَ الْأَوَارِ
ذَكَرْتَ شَخِيصَكَ تَحْتَ الْعِجَاجِ فَلَمْ يَثْنِي ذَكَرَهُ الْفِرَارُ

ثمّ كان أول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة ، وكان
بطلاً شجاعاً شهماً ، فنُقِسَ بمجيئه عن ابن عباد ، ثمّ أقبل يوسف بعد ذلك ،
وطبّولُه تصعد أصواتها إلى الجو ، فلما أبصره الأذفونش وجّه حملته إليه ،
وقصده بمعظم جنوده ، فبادر إليهم السلطان يوسف ، وصدّمهم بجمعه ، فردّهم
إلى مركزهم ، وانتظم به شملُ ابن عباد ، واستنشق ريح الظفر ، وتباشر بالنصر ،
ثمّ صدّقوا جميعاً الحملة ، فترلزت الأرض بحوافر خيولهم ، وأظلم النهار
بالعجاج والغبار ، وخاضت الخيل في الدماء ، وصبر الفريقان صبراً عظيماً ،
ثمّ تراجع ابن عباد إلى يوسف ، وحمل معه حملة جاء معها النصر ، وتراجع

المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفتيين . وصدقوا الحملة .
فانكشف الطاغية ، ومرت هارباً منهزماً وقد طعن في إحدى ركبتيه طعنة بقي ينجم
بها بقية عمره .

وعلى سياق ابن خلكان^١ أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر
العدو في يوم الأربعاء ، وكان الموعد في المناجزة في يوم السبت ، فغدر الأذفونش
ومكر ، فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد ،
والروم في أثرها ، والناس على طمأنينة ، فبادر ابن عباد للركوب ، وبث الخيل
في العساكر فماجت بأهلها ، ووقع البهت ، ورجفت الأرض ، وصار الناس
فوضى على غير تعبئة ولا أهبة ، ودهمتهم خيل العدو ، فأحاطت بابن عباد ،
وحطمت ما تعرض لها ، وتركت الأرض خصيداً خلفها ، وجرح ابن عباد
جرحاً أشواه^٢ ، وفر رؤساء الأندلس وتركوا محلاتهم وأسلموها ، وظنوا أنه
وهي لا يرقع ، ونازلة لا تدفع ، وظن الأذفونش أن السلطان يوسف في المنهزمين
ولم يعلم أن العاقبة للمتقين ، فركب أمير المسلمين ، وأحلق به أنجاد^٣ خيله ورجله
من صنهاجة رؤساء القبائل ، وقصدوا محلة الأذفونش فاقتحموها ودخلوها ،
وفتكروا فيها ، وقتلوا ، وضربت الطبول ، وزعقت البوقات ، فاهتزت الأرض ،
وتجاوبت الجبال والآفاق ، وتراجع الروم إلى محلاتهم بعد أن علموا أن أمير
المسلمين فيها ، فصدموا أمير المسلمين ، فأفرج^٤ لهم عنها ، ثم كر عليهم
فأخرجهم منها ، ثم كروا عليه فخرج لهم عنها ، ولم تزل الكرات بينهم تتوالى
إلى أن أمر أمير المسلمين حشمة السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ،

١ انظر ابن خلكان ٦ : ١١٦ وهو ينقل عن كتاب « تذكير الماقل وتنبية الغافل » للياسي .

٢ في الأصول : أساءه .

٣ في الأصول : جياذ .

٤ في الأصول : فخرج .

ودخلوا المعترك بدرق اللط وسيف الهند ومزاريق الران^١ ، فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها ، وأجحمت^٢ عن أقرانها ، وتلاحق الأذفونش بأسود نفدت مزاريقه ، فأهوى ليضربه بالسيف ، فلصق به الأسود ، وقبض على عنائه ، وانتضى خنجرأ كان متمنطقاً به ، فأثبتته في فخذة ، فهتك حلق درعه ، ونفذ من فخذة مع بداد سرجه ، وكان وقت الزوال ، وهبت ريح النصر ، فأنزل الله سكينته على المسلمين ، وتَصَرَّ دينه القويم ، وصدقوا الحملة على الأذفونش وأصحابه ، فأخرجوهم عن محلتهم ، فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم ، والسيف تصفعهم والرماح تطعنهم ، إلى أن لحقوا ربوة لجأوا إليها واعتصموا بها ، وأحذقت بهم الخيل ، فلما أظلم الليل انساب الأذفونش وأصحابه من الربوة ، وأفلتوا بعدما تشبث^٣ بهم أظفار المنية ، واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الآلات والسلاح والمضارب والأواني وغير ذلك ، وأمر ابن عباد بضم رؤوس قتل المشركين ، فاجتمع من ذلك تل عظيم ؛ انتهى ، وبعضه بالمعنى .

رَجَعُ إلى كلام صاحب «الروض المعطار» قال^٤ :

ولجأ الأذفونش إلى تل كان يلي محله في نحو خمسمائة فارس كل واحد منهم مكلوم ، وأباد القتل والأسر مَنَ عداهم من أصحابهم ، وعمل المسلمون من رؤوسهم مآذن^٥ يؤذنون عليها ، والمخدول ينظر إلى موضع الوقعة ومكان الهزيمة فلا يرى إلا نكالاً محيطاً به وبأصحابه ، وأقبل ابن عباد على السلطان يوسف وصافحه وهناه وشكره وأثنى عليه ، وشكر يوسف صبر ابن عباد ومقامه وحسن

١ في الأصول : الزان .

٢ ق ص : وأجحمت ، ابن خلكان : وأجحمت .

٣ ابن خلكان : نشبت .

٤ الروض : ٩٣ .

٥ الروض : صواع .

بلائه وجميل صبره ، وسأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهمهم عنه ، فقال له : هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك .

وكتب ابن عباد إلى ابنه إيشيلية كتاباً مضمونه : كتابي هذا من المحطة المنصورة يوم الجمعة الموفي عشرين من رجب ، وقد أعز الله الدين ، ونصر المسلمين ، وفتح لهم الفتح المبين ، وهزم الكفرة والمشركين ، وأذاقهم العذاب الأليم ، والخطب الجسيم ، فالحمد لله على ما يسره وسنّاه من هذه المسرة العظيمة ، والنعمة الجسيمة ، في تشتيت شمل الأذفونش والاحتواء على جميع عساكره ، أصلاه الله نكال الجحيم ، ولا أعدهم الوبال العظيم المليم ، بعد إتيان النهب على محلاته ، واستئصال القتل في جميع أبطاله وحُماته ، حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها ، فله الحمد على جميل صنعه ، ولم يصيبي والحمد لله إلاّ جراحات يسيرة آلت لكنها فرجت بعد ذلك ، فله الحمد والمنّة ، والسلام . واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء وأعيان الناس ، مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة ، وقاضي مراکش أبي مروان عبد الملك المصمودي ، وغيرهما ، رحمهم الله تعالى .

وحكي أن موضع المعترك كان على اتساعه ما كان فيه موضع قدم ، إلاّ على ميت أو دم ، وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام ، حتى جُمعت الغنائم ، واستؤذن في ذلك السلطان يوسف ، فعف عنها ، وآثر بها ملوك الأندلس ، وعرفهم أن مقصده الجهاد والأجر العظيم ، وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم ، فلما رأت ملوك الأندلس إيثاريوسف لهم بالغنائم استكرموه ، وأحبوه وشكروا له ذلك . ولما بلغ الأذفونش إلى بلاده وسأل عن أبطاله وشجعانه وأصحابه ففقدهم ولم يسمع إلاّ نواح الشكلى عليهم ، اهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك غمّاً وهمّاً ، وراح إلى أمه الهاوية ، ولم يخلف إلاّ بنتاً واحدة جعل الأمر إليها ، فتحصنت بطليطة .

ورحل المعتمد إلى إيشيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين ، فأقام السلطان

يوسف بن تاشفين بظاهر إشبيلية ثلاثة أيام : ووردت عليه من المغرب أخبار تقتضي العزم فسافر وذهب معه ابن عباد يوماً وليلة ، فحلف ابن تاشفين وعزم عليه في الرجوع ، وكانت جراحاته تورمت عليه ، فسير معه ولده عبد الله إلى أن وصل البحر ، وعبر إلى المغرب .

ولما رجع ابن عباد إلى إشبيلية جلس للناس ، وهنّئ بالفتح ، وقرأت القراء ، وقام على رأسه الشعراء ، فأنشدوه ، قال عبد الجليل بن وهبون : حضرت ذلك اليوم ، وأعددت قصيدة أنشدتها بين يديه ، فقرأ القارئ ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (التوبة : ٤٠) فقلت : بُعداً لي ولشعري ، والله ما أبقت لي هذه الآية معنى أحضره وأقوم به .

ولما عزم السلطان^١ يوسف بن تاشفين إلى بلاده ترك الأمير سير بن أبي بكر أحد قواده المشاهير . وترك معه جيشاً يرسم غزو الفرنج ، فاستراح الأمير المذكور أياماً قلائل ، ودخل بلاد الأذفونش ، وأطلق الغارة ونهب وسبي ، وفتح الحصون المنيع والمعاقل الصعبة العويصة ، وتوغل في البلاد ، وحصل أموالاً وذخائر عظيمة . ورتب رجالاً وفرساناً في جميع ما أخذه ، وأرسل للسلطان يوسف جميع ما حصله ، وكتب له يُعرفه أن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال في أضيق العيش وأنكده ، وملوك الأندلس في بلادهم وأهلهم في أرغد العيش وأطيبه ، وسأله مرسومه ، فكتب إليه أن يأمرهم بالنقلة والرحيل إلى أرض العدو ، فمن فعل فذاك ، ومن أبى فحاصره وقتله ، ولا تنفس عليه ، ولتبدأ بمن وإلى الثغور ، ولا تتعرض للمعتمد بن عباد ، إلا بعد استيلائك على البلاد ، وكل بلد أخذته فول فيه أميراً من عساكرك ؛ فأول من ابتدأ به من ملوك الأندلس بنو هود ، وكانوا برؤطة — بضم الراء المهملة ، وبعدها واو ساكنة ، وطاء مهملة مفتوحة ، وبعدها هاء ساكنة ، وهي قلعة منيعة من

١ عاد إلى النقل عن ابن خلكان بإيجاز .

عاصمات الذرا ، وماؤها ينبع من أعلاها . وفيها من الأقوات والذخائر المختلفات ما لا تغنيه الأزمان — فحاصرها فلم يقدر عليها ، ورحل عنها ، وجند أجناداً على هيئة الفرنج وزيمهم . وأمرهم أن يقصدها ويغيروا عليها . وكمن هو وأصحابه بقرب منها ، فلما رآهم أهلُ القلعة استضعفوه ، فترلوا إليهم ، ومعهم صاحب القلعة ، فخرج عليه سير المذكور ، وقبضه باليد ، وتسلم الحصن . ثم نازل بني طاهر بشرق الأندلس ، فأسلموا له البلاد ، ولحقوا ببر العدو . ثم نازل بني صُمادح بالمرية ، ولها قلعة حصينة ، فحاصروهم وضيق بهم ، ولما علم ابن صُمادح العُكْبَ أسف ومات غيباً . فأخذ القلعة واستولى على المرية وجميع أعمالها . ثم قصد بطليوس . وكان بها المتوكل عمر بن محمد بن الأفطس المتقدم ذكره ، فحاصره وأخذه واستولى على جميع أعماله وماله . ولم يبق له إلاّ المعتمد بن عباد ، فكتب للسلطان يوسف يعرفه بما فعل ، ويسأله مرسومه في ابن عباد . فكتب إليه يأمره أنه يعرض عليه النقلة لبر العدو بجميع الأهل والعشيرة ، فإن رضي ، وإلاّ فحاصره وخذه وأرسل به كسائر أصحابه . فواجهه وعرفه بما رسم به السلطان يوسف ، وسأله الجواب . فلم يجب بنفي ولا إثبات ، ثم إنه نازل إشبيلية وحاصره بها وألح عليه فأقام الحصار شهراً . ودخل البلد قهراً . واستخرجه من قصره ، فحُمل وجميع أهله وولده إلى العدو فأنزل بأغمات . وأقام بها إلى أن مات . رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وأما ابن الأثير ففي كلامه تقديم وتأخير وبعض خلاف لما مر .

وأخبار المعتمد بن عباد . وما رآه من الملك والعز على كل حاضر وباد ، وما قاساه في الأسر من الضيق والعسر وسوء العيش أمر عجيب . يتعظ به العاقل الأريب . وأما ما مدحته به الشعراء وأجوبته لهم في حالي يسره وعُسره ، وملكه وأسره . وطيه ونشره . وتجهّمه وبشره ، فهو كثير ، وفي كتب التواريخ منه نظم ونثر . وقد قدمنا منه في هذا الكتاب ما يبعث الاعتبار ويثير : وخصوصاً في الباب السابع من هذا التأليف الذي هو عند المنصف أثير : وفي المعتمد وأبيه

المعتضد يقول بعض الشعراء^١ :

مِنْ بَنِي مُنْذِرٍ وَذَاكَ انْتِسَابٌ زَادَ فِي فخرهم بَنُو عِبَادِ
فَتِيَّةٍ لَمْ تَلِدْ سِوَاهَا الْمَعَالِي وَالْمَعَالِي قَلِيلَةُ الْأَوْلَادِ

وقال ابن القطاع في كتابه « ملح الملح »^٢ في حق المعتضد : إنه أندى ملوك
الأندلس راحة ، وأرحبهم ساحة ، وأعظمهم ثِمَاداً ، وأرفعهم عماداً ، ولذلك
كانت حضرته ملقى الرجال^٣ ، وموسم الشعراء ، وقبلة الآمال ، ومألف الفضلاء ،
حتى إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك من أعيان الشعراء ، وأفاضل الأدباء ، ما
كان يجتمع ببابه ، وتشتمل عليه حاشيتا جَنَابِهِ .

وقال ابن بسام في « الذخيرة »^٤ : للمعتضد شعر ، كما انشق الكِمامُ عن
الزَّهَر ، لو صار مثله ممَّن جعل الشعر صناعة ، واتخذهُ بضاعة ، لكان راقعاً
معجباً ، ونادراً مستغرباً ، [فمن ذلك قوله]^٥ :

أَكثَرْتُ هَجْرَكَ غَيْرَ أَنَّكَ رَبِّمَا عَطَفْتُكَ أحياناً عَلَيَّ أُمُورُ
فَكَأَنَّمَا زَمَنُ التَّهَاجُرِ بَيْنَنَا لَيْلٌ ، وساعات الوصال بُدُورُ

قال : وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم من أبيات :

أُسْفَرَ ضَوْءُ الصَّبْحِ عَنْ وَجْهِهِ قَقَامَ ذَاكَ الْحَالِ فِيهِ بِلَالٌ
كَأَنَّمَا الْحَالُ عَلَى خَدِّهِ سَاعَاتُ هَجْرٍ فِي زَمَانِ الْوَصَالِ

١ ابن خلكان ٤ : ١١٢ .

٢ نقل العمري في المسالك قطعة موجزة من هذا الكتاب ؛ وهذا النص قد نقله المقرئ عن ابن خلكان

٤ : ١١٥ .

٣ ق ص : الرجال .

٤ لا يزال المقرئ يتابع نص ابن خلكان ص : ١١٥ .

٥ زيادة من ابن خلكان .

وعزم على إرسال حَظَاياه من قرطبة إلى إشبيلية فخرج معهم يشيعهم
فسايرهم من أول الليل إلى الصبح ، فودعهم ورجع ، وأنشد أبياتاً منها :

سايرتهم والليل عَقْدَ ثوبه حتى تَبَدَّى للنواظر معلما
فوقفت ثمَّ مودَّعاً وتسلَّمتُ مني يد الإصباح تلك الأنجما

وهذا المعنى في نهاية الحسن ، ثم ذكر من كلامه جملة .

عَوْد وانعطاف :

ولما جاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى ناحية غرناطة^١ - بعدما
حصر بعض حصون الفرنج ، فلم يقدر عليه - خرج إلى لقائه صاحبُ غرناطة عبد
الله بن بلكين ، فسلم عليه ، ثم عاد إلى بلده ليخرج له التقدّم ، فغدر به ودخل
البلد ، وأخرج عبد الله ، ودخل قصره فوجد فيه من الذخائر والأموال ما لا يُحَدُّ
ولا يحصى ، ثم رجع إلى مراکش وقد أعجبه حسنُ بلاد الأندلس وبهجتها ،
وما بها من المباني والبساتين والمطاعم وسائر الأصناف التي لا توجد في بلاد
العدوة ، إذ هي بلاد بربر وأجلاف عُربان ، فجعل خواصُ يوسف يعظمون
عنده بلاد الأندلس ويمسّنون له أخذها ، ويُوغِرُون قلبه على المعتمد بأشياء
نقلوها عنه ، فتغير على المعتمد وقصد مُشاركة الأندلس .

وحكى ابن خلدون أن علماء الأندلس أفتوا ابن تاشفين بجواز خلع المعتمد
وغيره من ملوك الطوائف ، وبقتلهم إن امتنعوا ، فجهز يوسفُ العساكر إلى
الأندلس ، وحاصر سيرُ بن أبي بكر أحدُ عظماء دولة يوسف إشبيلية وبها
المعتمد ، فكان من دفاعه وشدة ثباته ما هو معلوم ، ثم أخذ أسيراً ، وصار طَرْفُ
الملك بعده حسيراً .

١ لم يكن هذا في الجواز الأول ليوسف .

وفي وصف ذلك يقول صاحب القلائد بعد كلام^١ : ثم جُمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت ، وضمتهم جوانحها كأنهم أموات ، بعدما ضاق عنهم القصر ، وراق منهم المِصر^٢ ، والناسُ قد حشروا^٣ بضفتي الوادي ، ييكون بدموع كالفؤادي ، فساروا والنوح يحلوهم ، والبُوحُ بالوعدة لا يعدوهم : انتهى .

ولما فرغ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين^٤ من أمر غزوة الزلاّقة المتقدم ذكرها ورجع تكرم له ابن عباد ، وسأله أن يتزل عنده ، فعرج إلى بلاده إذ أجابه إلى ما طلب ، فلما انتهى ابن تاشفين إلى إشبيلية مدينة المعتمد — وهي من أحسن المدن وأجلّها منظراً — أمعن يوسف النظر فيها وفي محلها ، وهي على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة إليه ، وفي غريبها رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخاً يشتمل على آلاف من الضياع كلّها تين وعنب وزيتون ، وهذا هو المسمى بشرف إشبيلية ، وتمتارُ بلاد المغرب كلّها بهذه الأصناف منه . وفي جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء ، وفيها أنواع ما يحتاج إليه من الطعام والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك ، فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين في أحدها ، وتولى من إكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له ، وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينهونه على حسن تلك الحال وتأمّلها . وما هي عليه من النعمة والإتراف ، ويغرّونه باتخاذ مثلها ، ويقولون له : إن فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة ، كما هو المعتمد وأصحابه ، وكان ابن تاشفين داهية^٥ عاقلاً مقتصدًا

١ القلائد : ٢٣ .

٢ القلائد : مصر .

٣ ق : حشدوا .

٤ عاد لمتابعة ابن خلكان ٦ : ١١٨ وما بعدها .

٥ داهية : سقطت من ق .

في أموره . غير متناول ولا مبذر . غير سالك نهج الترف والتأنق في اللذة
والنعيم . إذ ذهب صدْرُ عمره في بلاده بالصحراء في شَطَلَف العيش . فأنكر
على مَنْ أغراه بذلك الإسراف . وقال له : الذي يلوح لي من أمر هذا الرجل
— يعني المعتمد — أنه مُضَيِّع لما في يده من الملك . لأن هذه الأموال الكثيرة
التي تُصرف في هذه الأحوال لا بد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر
منهم على وجه العدل أبداً ، فأخذهُ بالظلم وإخراجه في هذه الترهات من
أفحش استهتار . ومَنْ كانت همته في هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو
الأجوفين متى تستنجد^١ همته في ضبط بلاده وحفظها ، وصون رعيته والتوقير
لمصالحها ؟ ولعمري لقد صدق في كل ذلك .

ثم إن يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد في لذاته : هل تختلف
فتنقص عما عليه في بعض الأوقات ؟ فقبل له : بل كل زمانه على هذا ، فقال :
أفكل أصحابه وأنصاره على علوه ومُسْجِديه على الملك ينال حظاً من ذلك ؟
فقالوا : لا ، قال : فكيف ترون رضاهم عنه ؟ فقالوا : لا رضى لهم عنه .
فأطرق وسكت ، وأقام عند المعتمد على تلك الحال أياماً .

وفي أثنائها^٢ استأذن رجلٌ على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رتة : وكان من
أهل البصائر . فلما مثلَ بين يديه قال : أصلحك الله أيها السلطان : وإن من
أوجب الواجبات شكر النعمة ، وإن مِنْ شُكر النعمة إهداء النصائح ، وإنِّي رجل
من رعيته حالي في دولتك إلى الاختلال ، أقربُ منها إلى الاعتدال ، ولكنني مع
ذلك مستوجب لك من النصيحة ما للملك على رعيته ، فمن ذلك خبرٌ وقع في
أذني من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدلُّ على أنهم يرون
أنفسهم ومليكهم أحقَّ بهذه النعمة منك ، وقد رأيتُ رأياً ، فإن آثرت الإصغاء

١ في الأصول : تستجد ؛ وفي دوزي : يستجد همة .

٢ ابن خلكان : وفي بعض تلك الأيام .

إليه قتلته ، فقال المعتمد له : قله ، فقال له : رأيت أن هذا الرجل الذي أطلعتك
على ملكك مستأسد على الملوك ، قد حطم على زنادة ببر العُدوة ، وأخذ الملك
من أيديهم ، ولم يُبْقِ على واحد منهم ، ولا يؤمن أن يطمح إلى الطمع في ملكك ،
بل في ملك جزيرة الأندلس كلها ، لما قد عاينه من هَناءة^١ عيشك ، وإنه
لمتخيل في مثل حالك سائر ملوك الأندلس^٢ ، وإن له من الولد والأقارب وغيرهم
من يودُّ له الحلول بما أنت فيه من خصب الجنب ، وقد أَرَدَى الأذفونش وجيشه
واستأصل شأفتهم ، وأعدمك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت إليه ، فقد كان لك
منه أقوى عضد وأوقى مِجَنٍّ ، وبعد فإنه إن فات الأمر في الأذفونش فلا يفتك
الحزم فيما هو ممكن اليوم ، فقال له المعتمد : وما هو الحزم اليوم ؟ فقال : أن
تجمع أمرك على قَبْض ضيفك هذا ، واعتقاله في قصرك ، وتجزم أنك لا تُطْلِقُه
حتى يأمر كل مَنْ يجزيرة الأندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء ، حتى
لا يبقى منهم أحد بالجزيرة طفل فمن فوقه ، ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على
حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه له ، ثم بعد ذلك تَسْتَحْلِفُه بأغلظ الإيمان
ألاَّ يضمّر في نفسه عَوْداً إلى هذه الجزيرة إلا باتفاق منكم ومنه ، وتأخذ منه
على ذلك رهائن فإنه يعطيك من ذلك ما تشاء ، فتَقْسُهُ أعز عليه من جميع ما
يُلْتَمَس منه ، فعند ذلك يقتنع هذا الرجل ببلاده التي لا تصلح إلاَّ له ، وتكون
قد استرحت منه بعدما استرحت من الأذفونش ، وتقيم في موضعك على خير
حال ، ويرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة ويتسع ملكك ، ويُنسب هذا الاتفاق
لك إلى سعادة وحَزْم وتهابك الملوك ، ثم اعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك في
مجاورة مَنْ عاملته هذه المعاملة ، واعلم أنه قد تهيأ لك من هذا أمر سَماوي
تتفانى الأمم وتجري بحار الدم دون حصول مثله . فلمّا سمع المعتمد كلام

١ ابن خلكان : بلهنية .

٢ في الأصول : وإني لمتخيل في مثل ذلك لسائر . . . إلخ .

الرجل استصوبه ، وجعل يفكر في انتهاز الفرصة .

وكان للمعتمد نُدماء قد انهمكوا معه في اللذات ، فقال أحدهم لهذا الرجل الناصح : ما كان المعتمد على الله — وهو إمام أهل المكرمات — ممن يعامل بالحيثف ، ويغدر بالضييف ، فقال الرجل : إنما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه ، لا دفع الرجل عن نفسه المحذور إذا ضاق به ، فقال ذلك النديم : ضيئهم مع وفاء ، خير من حزم مع جفاء . ثم إن ذلك الناصح استدرك الأمر وتلافاه ، فشكر له المعتمد ووصله بصلة . واتصل هذا الخبر بيوسف فأصبح غادياً ، فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتُّحف الفاخرة ، فقبلها ثم رحل .

انتهى خبر وقعة الزلافة وما يتبعه ملخصاً من كتب التاريخ .

ولما انقرض بالأندلس مُلك ملوك الطوائف بني عباد وبني ذي النون وبني الأفطس وبني صُمادح وغيرهم انتظمت في سلك اللّمتونيين ، وكانت لهم فيها وقعات بالأعداء مشهورة في كتب التواريخ .

[دخول الأندلس في طاعة الموحدين]

ولما مات يوسف بن تاشفين سنة خمس مائة قام بالملك بعده ابنه أمير المسلمين علي بن يوسف ، وسلك سنن أبيه ، وإن قصّر عنه في بعض الأمور ، ودفع العدو عن الأندلس مدة ، إلى أن قبض الله تعالى للثورة عليه محمد بن تومرت الملقب بالهندي الذي أسّس دولة الموحدين ، فلم يزل يسعى في هدْم بنيان لمتونة إلى أن مات ولم يملك حضرة سلطنتهم مراکش ، ولكنه ملك كثيراً من البلاد ، فاستخلف عبد المؤمن بن علي ، فكان من استيلائه على مملكة اللمتونيين ما هو معروف ، ثم جاز إلى الأندلس وملك كثيراً منها ، ثم أخرج الإفرنج من مهدية إفريقية ، وملك بلاد إفريقية وضخم ملكه ، وتسمّى بأمير المسلمين .

[عبد المؤمن بن علي]

ولما كانت سنة ٥٤٥ هـ سار الأذفونش صاحب طليطلة وبلاد الجلالة إلى قرطبة ومعه أربعون ألف فارس فحاصرها ، وكان أهلها في غلاء شديد ، فبلغ الخبر عبد المؤمن ، فجهز إليهم جيشاً يحتوي على اثني عشر ألف فارس . فلما أشرفوا على الأذفونش رحل عنها ، وكان فيها القائد أبو الغمر السائب . فسلمها إلى صاحب جيش عبد المؤمن يحيى بن ميمون فبات فيها ، فلما أصبح رأى الفرنج عادوا إلى مكانهم ، ونزلوا في المكان الذي كانوا فيه ، فلما عاين ذلك رتب هنالك ناساً ، وعاد إلى عبد المؤمن ، ثم رحل الفرنج إلى ديارهم . وفي السنة بعدها دخل جيش عبد المؤمن إلى الأندلس في عشرين ألفاً عليهم المتتائي ، فصار إليه صاحب غرناطة ميمون وابن هُمُشْك وغيرهما ، فدخلوا تحت طاعة الموحدين ، وحرصوا على قصد ابن مرَدْنِش ملك شرق الأندلس ، وبلغ ذلك ابن مردنِش ، فخاف وأرسل إلى صاحب برشلونة من الإفرنج يستنجد ، فجهز إليه في عشرة آلاف من الإفرنج عليهم فارس ، وسار صاحب جيش عبد المؤمن إلى أن قارب ابن مردنِش ، فبلغه أمر البرشلوني الإفرنجي فرجع ، ونازل مدينة المريّة وهي بأيدي الروم فحاصرها ، فاشتد الغلاء في عسكره فرجع إلى إشبيلية فأقام فيها ، وسار عبد المؤمن إلى سبتة فجهز الأساطيل وجمع العساكر .

ثم سار عبد المؤمن سنة ٥٤٧ هـ إلى المهديّة فملكها ، وملك إفريقية ، وضخم ملكه كما قدمناه .

[يوسف بن عبد المؤمن]

ولما مات بويج بعده ولده يوسف بن عبد المؤمن ، ولما تمهدت له الأمور ،

١ انظر المعجب : ٢٩٨ حيث جعل سير عبد المؤمن للمهديّة سنة ٥٤٣ هـ .

واستقرت قواعد ملكه ، دخل إلى جزيرة الأندلس لكشف مصالح دولته^١ وتفقد أحوالها ، وكان ذلك سنة ست وستين وخمسمائة ، وفي صحبته مائة ألف فارس من الموحدين والعرب ، فترل بحضرة إشبيلية ، وخافه ملك شرق الأندلس - مرسية وما انضاف إليها - الأمير الشهير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش ، وحمل على قلب ابن مردنيش ، فمرض مرضاً شديداً ومات . وقيل : إنه سُمِّ ، ولما مات جاء أولاده وأهله إلى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو بإشبيلية ، فدخلوا تحت حكمه وسلموا لأحكامه البلاد ، فصاهرهم وأحسن إليهم وأصبحوا عنده في أعز مكان . ثم شرع في استرجاع البلاد التي استولى عليها الإفرنج ، فاتسعت مملكته بالأندلس ، وصارت سراياه تغير إلى باب طليطلة ، وقيل : إنه حاصرها ، فاجتمع الفرنج كافة عليه ، واشتد الغلاء في عسكره ، فرجع عنها إلى مراکش حضرة ملكه ، ثم ذهب إلى إفريقية فمهدّها ، ثم رجع إلى حضرته مراکش ، ثم جاز البحر إلى الأندلس سنة ثمانين وخمسمائة ومعه جمع كثيف ، وقصد غربي بلادها ، فحاصر مدينة شنشترين ، وهي من أعظم بلاد العدو . وبقي محاصراً لها شهراً ، فأصابه المرض فمات في السنة المذكورة ، وحُمل في تابوت إلى إشبيلية ، وقيل : أصابه سهم من قبيل الإفرنج ، والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال .

وفي ابنه السيد أبي إسحاق يقول مطرف التجيبي رحمه الله تعالى :

سعد كما شاء العُلا والفسّارُ تصرّف الليل به والنهارُ
ما دانت الأرض لكم عَنوّة وإتما دانت لأمر كُبارُ
مهدّموها فصفا عيشها واتصل الأمن^٢ . فنعم القرارُ

١ تفصيل هذه الأحداث في ابن عذاري ٣ : ٨٨ (ط . المغرب) .

٢ ق ص : الابن .

ومنها :

فالشاة لا يَخْتَلِها ذئبها وإن أقامت معه في وِجارٍ

[يعقوب المنصور]

ولما مات يوسفُ قام بالأمر بعده ابنه الشهير أميرُ المؤمنين يعقوبُ المنصورُ
ابن يوسف بن عبد المؤمن ، فقام بالأمر أحسن قيام ، ولما مات يوسف المذكور
رثاه أديب الأندلس أبو بكر يحيى بن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها ، وأولها :

جلَّ الأسى فأسيلُ دَمِ الأَجْبانِ ماء الشؤن لغير هذا الشانِ

ويعقوب المنصور هو الذي أظهر أبه ملك الموحدين ، ورفع راية الجهاد ،
ونصّب ميزان العدل ، وبسط الأحكام الشرعية ، وأظهر الدين وأمر بالمعروف
ونهى عن المنكر ، وأقام الحدود على القريب والبعيد ، وله في ذلك أخبار ،
وفيه يقول الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكاظمي الأسود الشاعر المشهور :

أزال حجابَه عني وعيني تراه من المهابة في حجابِ
وقربني تفضُّله ولكن بَعُدْتُ مهابة عند اقترابي

وكرّرت الفتوحات في أيامه ، وأولُ ما نظر فيه عند صيرورة الأمر إليه بلاد
الأندلس ، فنظر في شأنها ورتب مصالحها ، وقرر المقاتلين في مراكزهم ، ورجع
إلى كرسي مملكته مراکش المحروسة . وفي سنة ٥٨٦ بلغه أن الإفرنج ملكوا
مدينة شَلَبَ وهي من غرب الأندلس ، فتوجه إليها بنفسه وحاصرها وأخذها ،
وأنفذ في الوقت جيشاً من الموحدين والعرب . ففتح أربع مدُن مما بأيدي
الإفرنج من البلاد التي كانوا أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة ، وخافه
صاحب طَلَبْطلة ، وسأله الهدنة والصلح : فهادنه خمسَ سنين ، وعاد إلى
مراكش .

وأنشد القائد أبو [بكر بن] عبد الله بن وزير الشُّلبي^١ وهو من أمراء
كثائب إشبيلية قصيدةً يخاطب بها يعقوب المنصور فيما جرى في وقعة مع الفرنج
كان الشُّلبي المذكور مقدماً فيها :

ولما تلاقينا جرى الطعنُ بيننا فمنا ومنهم طائحون عديدُ
وجال غرار الهند فينا وفيهمُ فمنا ومنهم قائمٌ وحصيدُ
فلا صدرٌ إلّا فيه صدرٌ مثقفٌ وحول الوريد للحسام ورودُ
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا كلانا على حرٍّ الجِلادِ جليدُ
ولكن شددنا شدةً فتبدلوا ومن يتبدل لا يزال يَحيدُ
فولّوا وللسمر الطوال بهامهم ركوع ولبيض الرقاق سجودُ

رَجَعَ إلى أخبار المنصور بعد هُدنة الإفرنج :

ولما انقضت مدة الهدنة ، ولم يبق منها إلّا القليل ، خرج طائفة من الإفرنج في
جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسعّوا وعاثوا عيثاً فظيعاً ، فانتهى الخبر
إليه ، فتجهز لقصدتهم في جيوش موفّرة وعساكر مكّتبة ، واحتفل في ذلك ،
وجاز إلى الأندلس سنة ٥٩١ هـ ، فعلم به الإفرنج ، فجمعوا جمعاً كثيراً من أقاصي
بلادهم وأدانيها ، وأقبلوا نحوه ، وقيل : إنّه لما أراد الجواز من مدينة سلا مرض
مرضاً شديداً ، ويثس منه أطباؤه ، فعاث الأذفونش في بلاد المسلمين بالأندلس ،
وانتهز الفرصة ، وتفرقت جيوش المسلمين بسبب مرض السلطان ، فأرسل

١ زدنا ما بين معقّين اعتماداً على ما سيورده المقرئ فيما بعد عند حديثه عن سقوط المرية ؛ وقد أورد
ابن الأبار نسبه على نحو آخر (الحلة ٢ : ٢٧١) فقال أبو بكر محمد بن سيدراي بن عبد الوهاب
ابن وزير القيسي ، وأورد له الأبيات الدالية التي أوردتها المقرئ ، وقال فيه : ولي قصر الفتح
المنسوب إلى أبي دانس عند استرجاعه من أيدي الروم في جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وخمسائة ؛
وتوفي في صدر المائة السابعة بعد حضوره بموقعة العقاب .

٢ الحلة : الطمان .

الأذقونش يتهدد ويتوعد ويُرْعِد ويُبْرِق ، ويطلب بعضَ الحصون المتاخمة له من بلاد الأندلس ، وخلاصة الأمر أن المنصور توجه بعد ذلك إلى لقاء النصارى ، وتراحف الفريقان ، فكان المصافى شمالي قرطبة على قرب قلعة رباح في يوم الخميس تاسع شعبان سنة ٥٩١ ، فكانت بينهم وقعة عظيمة استشهد فيها جمع كبير من المسلمين .

وحكي أن يعقوب المنصور جعل مكانه تحت الأعلام السلطانية الشيخ أبا يحيى ابن أبي حفص عم السلطان أبي زكريا الحَقْصِي الذي ملك بعد ذلك إفريقية ، وخطب له بعض الأندلس ، فقصد الإفرنج الأعلام ظناً أن السلطان تحتها ، فأثروا في المسلمين أثراً قبيحاً ، فلم يرْعُهُم إلا والسلطان يعقوب قد أشرف عليهم بعد كَسْر شوكتهم ، فهزمهم شرّ هزيمة ، وهرب الأذقونش في طائفة يسيرة ، وهذه وقعة الأرك الشهيرة الذكر .

وحكي أن الذي حصل لبيت المال من دروع الإفرنج ستون ألفاً ، وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد ، ولم يُسمع بعد وقعة الزلاقة بمثل وقعة الأرك هذه ، وربما صرح بعض المؤرخين بأنها أعظم من وقعة الزلاقة . وقيل : إن فل الإفرنج هربوا إلى قلعة رباح فتحصنوا بها ، فحاصرها السلطان يعقوب حتى أخذها ، وكانت قبلُ للمسلمين ، فأخذها العدو ، فردت في هذه المرة ، ثم حاصر طليطلة وقتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشنَّ الغارات على أرجائها ، وأخذ من أعمالها حصوناً وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب منازلها وهدم أسوارها وترك الإفرنج في أسوأ حال ، ولم يبرز إليه أحد من المقاتلة ، ثم رجع إلى إشبيلية ، وأقام إلى سنة ٥٩٣ ، فعاد إلى بلاد الفرنج ، وفعل فيها الأفاعيل ، فلم يقدر العدو على لقائه ، وضافت على الإفرنج الأرض بما رَحُبَتْ ، فطلبوا الصلح فأجابهم إليه ، لما بلغه من ثورة الميرقي عليه بإفريقية مع قرأقوش مملوك بني أيوب سلاطين مصر والشام .

ثم توفي السلطان يعقوب سنة ٥٩٥ . وما يقال «إنه ساح في الأرض

وتخلى عن الملك ووصل إلى الشام ، ودفن بالبيقاع ، لا أصل له ، وإن حكى ابن خلكان بعضه . وممن صرح ببطلان هذا القول الشريف القرناطي في شرح مقصورة حازم ، وقال : إن ذلك من هذيان العامة ، لوئوعهم بالسلطان المذكور .

[محمد الناصر وقعة العقاب]

وولي بعده ولده محمد الناصر المشؤوم على المسلمين ، وعلى جزيرة الأندلس بالخصوص ، فإنه جمع جموعاً اشتملت على ستمائة ألف مقاتل فيما حكاها صاحب « الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية »^١ ودخله الإعجاب بكثرة من معه من الجيوش ، فصاف الإفرنج ، فكانت عليه وعلى المسلمين وقعة العقاب المشهورة التي خلا بسببها أكثر المغرب ، واستولى الإفرنج على أكثر الأندلس بعدها ، ولم ينج من الستمائة ألف مقاتل غير عدد يسير جداً لم يبلغ الألف فيما قيل ، وهذه الواقعة هي الطامة على الأندلس بل والمغرب جميعاً ، وما ذلك إلا لسوء التدبير ، فإن رجال الأندلس العارفين بقتال الإفرنج استخف بهم الناصر ووزيره ، فشقق بعضهم ، ففسدت النيات ، فكان ذلك من تحت الإفرنج ، والله غالب على أمره ، وكانت وقعة العقاب هذه المشؤومة سنة ٦٠٩ ، ولم تقم بعدها للمسلمين قائمة محمد .

[نهاية الموحدين]

ولما مات الناصر سنة عشرين وستمائة ولي بعده ابنه يوسف المستنصر ، وكان مولعاً بالراحة ، فضعفت الدولة في أيامه ، وتوفي سنة ٦٢٠ .

١ الذخيرة السنية : ٤١ .

فتولى عم أبيه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ، فلم يحسن التدبير ، وكان إذ ذاك بالأندلس العادل بن المنصور ، فرأى أنه أحق بالأمر ، فاستولى على ما بقي في أيدي المسلمين من الأندلس بغير كلفة . ولما خلع عبد الواحد ونُحِتَ بمراكش ثارت الإفرنج على العادل بالأندلس ، وتصافَّ معهم ، فانهزم ومنَّ معه من المسلمين هزيمة شنعاء ، فكانت الأندلس قرحاً على قرح ، فهرب العادل ، وركب البحر يروم مراكش ، وترك بإشبيلية أخاه أبا العلاء لإدريس ، ودخل العادل مراكش بعد خطوب ، ثم قبض عليه الموحدون ، وقدموا يحيى بن الناصر صغير السن غير مجرب للأمور ، فادعى حينئذ الخلافة أبو العلاء لإدريس بإشبيلية ، وبايعه أهل الأندلس ، ثم بايعه أهل مراكش وهو مقيم بالأندلس ، فثار على أبي العلاء بالأندلس الأمير المتوكل محمد بن يوسف الجُلّامي ، ودعا إلى بني العباس ، فمال الناس إليه ، ورجعوا عن أبي العلاء ، فخرج عن الأندلس — أعني أبا العلاء — وترك ما وراء البحر لابن هود . ولم يزل أبو العلاء يتحارب مع يحيى ابن الناصر إلى أن قتل يحيى ، وصفا الأمر لأبي العلاء بالمغرب ، دون الأندلس ، ثم مات سنة ٦٣٠ .

وبويع ابنه الرشيد ، وبايعه بعض أهل الأندلس ، ثم توفي سنة ٦٤٠ .
 وولي بعده أخوه السعيد ، وقُتِلَ على حصن بينه وبين تِلِمِسان سنة ٦٤٦ .
 وولي بعده المرتضى عمر بن إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ، وفي سنة ٦٦٥ دخل عليه الواثق المعروف بأبي دبوس فقراً ، ثم قبض وسيق إلى الواثق فقتله ، ثم قتل الواثق بنو مَرِّين سنة ٦٦٨ ، وبه انقرضت دولة بني عبد المؤمن ، وكانت من أعظم الدول الإسلامية ، فاستولى بنو مَرِّين على المغرب .

[ظهور ابن هود وابن الأحمر]

وأما المتوكل بن هود فملك معظم الأندلس ، ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته ، وقتلته غدرًا وزيره ابن الرميحي بالمرية ، واغتتم الإفرنج الفرصة بافتراق.

الكلمة ، فاستولوا على كثير مما بقي بأيدي المسلمين من البلاد والحصون .
ثم آل الأمر إلى أن ملك بنو الأحمر ، وخطب بعض أهل الأندلس لأبي
زكريا الحفصي صاحب إفريقية ، وقد سبق الكلام على أكثر المذكور هنا ،
وأعدناه لتناسق الحديث ، ولما في بعضه من زيادة الفائدة على البعض الآخر ،
وذلك لا يخفى على المتأمل ، وقد بسطنا في الباب الثالث أحوال ابن هود وابن
الأحمر وغيرهما ، رحم الله تعالى الجميع .

[الدولة المرينية]

ثم استفحل ملك يعقوب بن عبد الحق صاحب المغرب وحضرة ملك فاس ،
فانتصر به أهل الأندلس على الإفرنج الذين تكالبوا عليهم ، فاجتاز إلى الأندلس
وهزم الإفرنج أشد هزيمة ، حتى قال بعضهم : ما نصر المسلمون من العقاب
حتى دخل يعقوب المريني وفتك في بعض غزواته بملك من النصاري يقال له
ذوننه ، ويقال : إنه قتل من جيشه أربعين ألفاً وهزمهم أشد هزيمة ، ثم تابعت
غزواته بالأندلس وجوّازه للجهاد ، وكان له من بلاد الأندلس رندة والجزيرة
الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك ، وأعز الله تعالى به الدين بعد تمرد
الفرنج المعتدين . ولما مات ولي بعده ابنه يوسف بن يعقوب ، ففرّ إليه الأذفونش
ملك النصاري لائتداً به وقبّل يده ، ورهّن عنده تاجه ، فأعانه على استرجاع
ملكه .

ولم يزل ملوك بني مَرّين يعينون أهل الأندلس بالمال والرجال ، وتركوا منهم
حصّة معتبرة من أقارب السلطان بالأندلس غزاة ، فكانت لهم وقائع في العدو
مذكورة ، ومواقف مشكورة ، وكان عند ابن الأحمر منهم جماعة بقرناطة ،
وعليهم رئيس من بيت ملك بني مَرّين يسمونه شيخ الغزاة .
ولما أفضى الملك إلى السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني ، وخلص له
المغرب وبعض بلاد الأندلس أمر بإنشاء الأساطيل الكثيرة برسم الجهاد بالأندلس ،

واهم بذلك غاية الاهتمام ، فقضى الله تعالى أن استولى الإفرنج على كثير من تلك المراكب بعد أخذهم الجزيرة الخضراء ، وكان الإفرنج جمعوا جموعاً كثيرة برسم الاستيلاء على ما بقي للمسلمين بالأندلس ، فاستنفر أهل الأندلس السلطان أبا الحسن المذكور ، فجاء بنفسه إلى سبتة فَرَضَته المجاز ومحل أساطيل المسلمين ، فإذا بالإفرنج جاءوا بالسفن التي لا تُحصى ومنعوه العبور وإغاثة أهل الأندلس حتى استولوا على الجزيرة الخضراء ، وأنكوه في مراكبه أعظم نكاية ، والله الأمر . وقد أفصح عن ذلك كتابٌ صدر من السلطان أبي الحسن المذكور إلى سلطان مصر والشام والحجاز الملك الصالح ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى الألفي ، رحم الله تعالى الجميع .

[رسالة من أبي الحسن المريني إلى الملك الصالح ٧٤٥هـ]

وهذه نسخة الكتاب المذكور الذي خاطب به أمير المسلمين السلطان أبو الحسن المريني المذكور ملك المغرب رحمه الله تعالى السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الشهير الناصر محمد بن قلاوون ، ووصل إلى مصر في النصف - وقيل في العشر الأواخر - من شعبان المكرم سنة ٧٤٥ بعد البسملة والصلاة : من عند عبد الله أمير المسلمين ، المُجاهد في سبيل الله رب العالمين ، المنصور بفضل الله المتوكل عليه ، المعتمد في جميع أموره لديه ، سلطان البرين ، حامي العدوتين ، مؤثر المراقبة والمُناغرة ، مؤازر حزب الإسلام حقّ المؤازرة ، ناصر الإسلام ، مظاهر دين الملك العلّام ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل ربّ العالمين ، فخر السلاطين ، حامي حوزة الدين ، ملك البرين ، إمام العدوتين ، مهتد البلاد ، مبدّد شمل الأعاد ، مجتد الجنود ، المنصور الرايات والبنود ، محط الرحال ، مبلغ الآمال ، أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل ربّ العالمين ، حسنة الأيام ، حُسام الإسلام ، أبي الأملاك ، شجأ أهل العناد والإشراك ، مانع البلاد ، رافع علم الجهاد ،

مُدَوِّخ أَقْطَارِ الْكُفَّارِ ، مُصْرِّخٍ مِنْ نَادَاهُ لِلانْتِصَارِ ، الْقَائِمُ لِلْإِعْلَاءِ دِينَ الْحَقِّ ،
أَبِي يَوْسُفَ يَعْقُوبَ بْنَ عَبْدِ الْحَقِّ ، أَخْلَصَ اللَّهَ لَوَجْهِهِ جِهَادَهُ ، وَيَسَّرَ فِي قَهْرِ
عُدَاةِ الدِّينِ مُرَادَهُ .

إِلَى مَحَلِّ وَلَدْنَا الَّذِي طَلَعَ فِي أَفْقِ الْعِلَاءِ بَدْرًا تَمَّتْ ، وَصَدَعَ بِأَنْوَاعِ الْفَخَارِ
فَجَلَا ظِلَامًا وَظُلُمًا ، وَجَمَعَ شَمْلَ الْمَمْلَكَةِ النَّاصِرِيَّةِ فَأَعْلَى مِنْهَا عِلْمًا ، وَأَحْيَا
لَهَا رَسْمًا ، حَائِطَ الْحَرَمَيْنِ ، الْقَائِمَ بِحِفْظِ الْقِبْلَتَيْنِ ، بَاسِطَ الْأَمَانِ ، قَابِضَ كَفِّ
الْعُدُوِّ ، الْجَزِيلَ النَّوَالِ ، الْكَفِيلَ تَأْمِينَهُ بِحِيَاطَةِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ ، قُطْبَ الْمَجْدِ
وَسِمَاكِه ، حَبِيبَ الْحَمْدِ وَمِلَاكِه ، السُّلْطَانَ الْجَلِيلِ ، الرَّفِيعَ الْأَصِيلِ ، الْحَافِلَ
الْعَادِلَ ، الْفَاضِلَ الْكَامِلَ ، الشَّهِيرَ الْخَطِيرَ ، الْأَضْحَمَ الْأَفْخَمَ ، الْمُعَانَ الْمُؤَزَّرَ ،
الْمُؤَيَّدَ الْمُظْفَرَ ، الْمَلِكَ الصَّالِحَ أَبُو الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ ، ابْنَ مَحَلِّ أُنْحَيْنَا الشَّهِيرَ عِلَاؤُهُ ،
الْمُسْتَطِيرَ فِي الْآفَاقِ ثَنَاؤُهُ ، زَيْنَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ ، كَمَالَ عَيْنِ إِنْسَانِ الْمَجْدِ وَإِنْسَانِ
عَيْنِ الْكَمَالِ ، وَارِثَ الدُّوَلِ ، النَّافِثَ بِصَحِيحِ رَأْيِهِ فِي عَقُودِ أَهْلِ الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ ،
حَامِي الْقِبْلَتَيْنِ بَعْدَهُ وَحُسَامَهُ ، النَّامِيَّ فِي حِفْظِ الْحَرَمَيْنِ أَجْرًا اضْطِلَاعَهُ بِذَلِكَ
وَقِيَامَهُ ، هَازِمَ أَحْزَابِ الْمَعَانِدِينَ وَجِيُوشِهَا ، هَادِمَ الْكُنَائِسِ وَالْبَيْعِ فَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَى عُرُوشِهَا ، السُّلْطَانَ الْأَجَلَ ، الْهَمَامَ الْأَحْفَلَ ، الْأَفْخَمَ الْأَضْحَمَ ، الْفَاضِلَ
الْعَادِلَ ، الشَّهِيرَ الْكَبِيرَ ، الرَّفِيعَ الْخَطِيرَ ، الْمَجَاهِدَ الْمُرَابِطَ ، الْمُقْسِطَ عَدْلَهُ فِي
الْجَائِثِ وَالْقَاسِطِ ، الْمُؤَيَّدَ الْمُظْفَرَ ، الْمُنْعَمَ الْمُقَدَّسَ الْمُطَهَّرَ ، زَيْنَ السُّلَاطِينِ ، نَاصِرَ
الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، أَبِي الْمَعَالِي مُحَمَّدَ ، ابْنَ الْمَلِكِ الْأَرْضِيِّ ، الْهَمَامَ الْأَمْضَى ، وَالِدَ
السُّلَاطِينِ الْأَخْيَارِ ، عَاقِدَ لُؤْلُؤِ النُّصَرِ فِي قَهْرِ الْأُرْمَنِ وَالْفَرَنْجِ وَالتَّتَارِ ، وَمُحْيِي
رِسْمِ الْجِهَادِ ، مُعْنِي كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ فِي الْبِلَادِ ، جَمَالَ الْأَيَّامِ ، ثَمَالَ الْأَعْلَامِ ،
فَاتِحَ الْأَقَالِمِ ، صَالِحَ مَلُوكِ عَصْرِهِ الْمُتَقَادِمِ ، الْإِمَامَ الْمُؤَيَّدَ ، الْمَنْصُورَ الْمُسَدَّدَ ،
قَسِيمَ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا تَقَلَّدَ ، الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ سَيْفَ الدُّنْيَا وَالِدِينَ قَلَاوُونَ ، مَكْنَى
اللَّهِ لَهُ تَمَكِّنَ أَوْلِيَائِهِ ، وَنَمَى دَوْلَتَهُ الَّتِي أَطْلَعَهَا السَّعْدُ شَمْسًا فِي سَمَائِهِ ، وَأَحْسَنَ
إِيزَاعَهُ لِلشُّكْرِ أَنْ جَعَلَهُ وَارِثَ آبَائِهِ .

سلام كريم يقاوحُ زهر الربى مسرّاه ، وينافح نسيم الصبا مجراه ، يصحبه رضوان يلوم ما دامت ثقلُ الفلك حركاته ، ويتولاه روح وريحان تحييه به رحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله مالك الملك ، جاعل العاقبة للتقوى صدعاً باليقين ودفعاً للشك ، وخاذل من أسرّ في النفاق النجوى فأصر على الدخن والإفك ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي عا بأنوار الهدى ظلّم الشرك ، ونبيه الذي ختم به الأنبياء وهو واسطة ذلك السلك ، ودحا به حجة الحق فمادت بالكفرة محمولة الأفلاك وماجت بهم حاملة الفلك ، والرضى عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيل هداة فسلك في قلوبهم أجمل السلك ، وملكوا أعنة هواهم فلزموا من مَحَجَّة الصواب أنجح السلك ، وصابروا في جهاد الأعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهبُ يزيد خلوصاً على السبك ، والدعاء لأولياء الإسلام ، وحُماته الأعلام ، بنصر لمضائه في العدا أعظم الفَتك ، ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك الدرك ، فكتبناه إليكم — كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم — من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة ، وصنّع الله سبحانه يعرف مذاهب الألفاظ ، وكيف مواهب تلهج الألسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف ، ويصرف من أمره العظيم ، وقضائه المتلقّى بالتسليم ، ما يتكوّن بين النون والكاف ، ومكانكم العتيد سلطانه ، وسلطانكم المجيد مكانه ، وولاؤكم الصحيح برهانه ، وعلاؤكم الفسيح في مجال الجلال مبدّانه . وإلى هذا زاد الله سلطانكم تمكيناً ، وأفاد مقامكم تحصيلاً وتحسيناً ، وسلك بكم من سنن من خلّقتهم سبيلاً مبيّناً ، فلا خفاء بما كانت عقده أيدي التقوى ، ومهدته الرسائل التي على الصفاء تُطوى ، بيننا وبين والدكم نعم الله روحه وقدّسه ، وبقربه مع الأبرار في عليّين آنسه ، من مواخاة أحكمت منها العهود تالية الكتب والفائحة ، وحفظ عليها محكم الإخلاص معوذتها المحبة والنية الصالحة ، فانعقدت على التقوى والرضوان ، واعتضدت بتعارف الأرواح عند تنازع الأبدان ، حتى استحكمت وُصلة الولاء ، والتأمت كلحمة النسب لحمة

الإخاء ، فما كان إلا وشيكاً من الزمان ، ولا عجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه الخلان ، ورد وارد رنق المشارب ، وحقق قول « وَمَنْ يسأل الركبان عن كلِّ غائب »^١ ، أنبأ باستئثار الله تعالى بنفسه الزكية ، وإكثان درته السنية ، وانقلابه إلى ما أعدّ له من المنازل الرضوانية ، بجليل ما وقر لفقده في الصدور ، وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقلدور ، حناناً للإسلام بتلك الأقطار ، وإشفاقاً من أن يعتور قاصدي بيت الله الحرام من جراء الفتن عارضُ الإضرار ، ومساهمة في مصابب الملك الكريم ، والولي الحميم ، ثم عميت الأخبار ، وطُويت طي السجلِّ الآثار ، فلم نر نخبراً صدقاً ، ولا معلماً بمن استقر له ذلكم الملك حقاً . وفي أثناء ذلك أحفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخُ أهل الأندلس وسلطانها ، وتواتر الأخبار بأن النصارى أجمعوا على خراب أوطانها ، ونحن أثناء ذلكم الشأن ، نستخير الورد^٢ من تلکم البلدان ، عمّا أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الأوطان ، فبعد لأي وقعنا منها على الخير ، وجاءنا بوقاية حرّم الله بكم البشير ، وتعرفنا أن الملك استقر منكم في نصابه ، وتداركه الله تعالى منكم بفتح الخير من أبوابه ، فأطفأ بكم نار الفتنة وأخمدها ، وأبرأ من أدواء النفاق ما أعلّ البلاد وأفسدها ، فقام سبيلُ الحج سابلًا ، وتعبّد طريقه لمن جاء قاصداً وقافلاً ، ولما احتضت بهذا الخير القرائن ، وتواتر بنقل الحاضر له والمعاین ، أثار حفظ الاعتقاد البواعث ، والود الصحيح تجرّه حقاً الموارث ، فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفتنة الأطوار ، الجامعة بين الخير والاستخبار ، الملبسة من العزاء والهناء ثوبي الشعار والدثار ؛ ومثل ذلكم الملك رضوان الله عليه من تجلُّ المصائب لفقدانه ، وتحل عرى الاضطبار بموته ولات حين أوانه ، لكن الصبر أجمل ما ارتداه ذو عقل حصين ، والأجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ، ومثلکم من لا يخفُّ وقاره ، ولا يشفُّ عن ظهور الجزع الحادث اضطباره ، وَمَنْ خلفکم فما مات ذِكرُهُ ، ومن

١ تمامه : فلا بد أن يلقي بشيراً وناعياً .

٢ ق : نستجير الورد .

قمم بأمره فما زال بل زاد فخره ، وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب، وطاب بين مبداه ومُحتَضره هنيئاً بما من الأجر اكتسب ، وصار حميداً إلى خير المُنتَقَلَب ، ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقناً ووهب ، فقد ارتضاكم الله بعدة لحياطة أرضه المقدسة ، وحماية زُوار بيته مُقبلة أو معرّسة . ونحن بعد بسط هذه التعزية ، نهنيكم بما خولكم الله أجمل التهنية ، وفي ذات الله الإيراد والإصدار ، وفي مَرْضاته سبحانه الإضمار والإظهار ، فاستقبلوا دولة أُنقى العزُّ عليها رِواقه ، وعقد الظهورُ عليها نِطاقه ، وأعطاهما أمانُ الزمان عَقْدَه وميثاقه ، ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقة ، وموالات مُحَقَّقة ، وثناء كائمه عن أذكى من الزهر غب القطر مُفَتَّقة .

ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الأكرمين اللذين خطتهما منّا اليمين ، وأوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين إلى قرار مكين ، وإنه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه ، وأورده موارد إحسانه ، في ذلكم من الفعل الجميل ، والصنع الجليل ، ما ناسب مكانه الرفيع ، وشاكله فضله من البر الذي لا يضيع ، حتى طبق فعله الآفاق ذكراً ، وطوق أعناق الوراد والقُصَاد برّاً ، وكان من أجمل ما به تحقّى وأنحف ، وأعظم ما بعرفه إلى رضى الملك العلام في ذلك تعرف ، إذنه للمتوجهين إذ ذاك في شراء رِباع تُوقَفُ على المصحفين ، ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجليدين ، فجرت أحوالُ القراء فيهما بذلك الخراج المستفاد ، ريثما يصلحهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه البلاد ، على ما رَسَمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصلة ، واحترام في تلك الأوقاف فوائدها به متوفرة متحصلة ، وقد أمرنا مؤدّي هذا لكمالكم ، وموفده على جلالكم ، كاتبنا الأسنى الفقيه الأجل ، الأحظى الأكل ، أبا المجد ، ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الأجل الحاج الأتقى ، الأرضى الأفضل ، الأحظى الأكل ، المرحوم أبي عبد الله ابن أبي مدين حفظ الله عليه رتبته ، ويسر في قصد

البيت الحرام بغيته ، بأن يتفقد أحوال تلك الأوقاف ، ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد وإسراف ، وأن يتخير لها مَنْ يرتضى لذلك ، ويحمد تصرفه فيما هنالك ، وخاطبنا سلطانكم في هذا الشأن ، جرياً على الود الثابت الأركان ، وإعلاماً بما لوالدكم رحمه الله تعالى في ذلك من الأفعال الحسان ، وكما لكم يقتضي تخليد ذلكم البر الجليل ، وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل ، وتشيد ما اشتمل عليه من الشكر الأصيل ، والأجر الجزيل ، والتقدم بالإذن السلطاني في إعانة هذا الوافد بهذا الكتاب ، على ما يتوخاه في ذلك الشأن من طرُق الصواب ، وثناؤنا عليكم الثناء الذي يفوحُ زهر الرُّبى ، وبطارح نغم حمام الأيك مطرباً .

وبحسب المصافاة ، ومقتضى الموالة ، نشرح لكم المترايدات ، بهذه الجهات ، وننبئكم بموجب إبطاء إنفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجنب : وذلك أنه لما وصلنا من الأندلس الصريخ ، ونادى منادٍ للجهاد عزماً لئلا ندائه يُصيح ، أنبأنا أن الكفار قد جمعوا أحزابهم من كل صَوْب ، وحتم عليهم باباهم اللعينُ التناصر من كل أَوْب ، وأن تقصد طوائفهم البلاد الأندلسية ليحافها ، وتَنقُصَ بالمنازلة أرضها من أطرافها ، ليمحو كلمة الإسلام منها ، ويُقلِّصوا ظِلَّ الإيمان عنها ، فقدَّمتنا من يشتغل بالأساطيل من القوَّاد ، وصرنا على إثرهم إلى سبته مُنتَهَى المغرب الأقصى وباب الجهاد ، فما وصلناها إلا وقد أخذ أخذه العدو الكفور ، وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مَجَازَ العبور ، وأتوا من أجفانهم بما لا يُحصَى عدداً ، وأرصلوها بجميع البحر حيث المجاز إلى دفع العدا ، وتقلصوا عن الانبساط في البلاد ، واجتمعوا إلى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل مَنْ جمعوه من الأعاد ، لكننا مع انسداد تلك السبيل ، وعدم أمورٍ نستعين بها في ذلكم العمل الجليل ، حاولنا إمداد تلكم البلاد بحسب الجهد ، وأصرخناهم بمن أمكن من الجند ، وجهزنا أجفاناً مختلسين فرصة الإجازة ، تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه ، وأمرنا لصاحب الأندلس من المال ، بما يجهز به حركته

لمدانة محلة حزب الضلال ، وأجرينا له ولجيشه العطاء الجزل مشاهرة ، وأرضعنا لهم في النوال ما نرجو به ثواب الآخرة ، وجعلت أجفاننا تتردد في ميناء السواحل ، وتلج أبواب الخوف العاجل ، لإحراز الأمن الآجل ، مشحونة بالعدد الموفرة ، والأبطال المشهورة ، والخييل المسومة ، والأقوات المقومة ، فمن ناج حارب دونه الأجل ، وشهيد مضى لما عند الله عز وجل ، وما زالت الأجفان تتردد على ذلك الخطر ، حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجراها عند الله يندخر ، ثم لم تقنع بهذا العمل في الأمداد ، فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله تعالى مساهمة به لأهل تلك البلاد ، فلقني من هؤل البحر وارتجاجه ، وإلحاح العدو ولحاجه ، ما به الأمثال تضرب ، وبمثله يتحدث ويستغرب ، ولما خلص لتلك العدو بمن أبقته الشدائد ، نزل بإزاء الكافر الجاحد ، حتى كان منه بفرسخين أو أدنى ، وقد ضرب بعطن يصابح العدو ويماسيه بحرب بها يمتنى . وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته ، وقويت في الحرب إدارته ، يملئون البلاء الأصدق ، ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء في البعير الأورق ، إلا أن المطلولة بحصرها في البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ، ومنازلتها في البر نحو عامين معقوداً عليها الصف بالصف ، أدت إلى فناء الأقوات بالبلد ، حتى لم يبق لأهله قوت نصف شهر مع انقطاع المدد ، وبه من الخلق ما يربي على عشرة آلاف دون الحرم والولد ، فكتب إلينا سلطان الأندلس يرغب في الإذن له في عقد الصلح ، ووقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجس ، فأذننا له فيه الإذن العام ، إذ في إصراخه وإصراخ من بقطره من المسلمين توخيتنا ذلك المرام ، هنالك دعي النصارى إلى السلم فاستجابوا ، وقد كانوا علموا فناء القوت وما استرابوا ، فم الصلح إلى عشر سنين ، وخرج من بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ، ولم يرزأوا مالا ولا عُدّة ، ولا لقوا في خروجهم غير التروع عن أول أرض مس الجلد تراها شدة ، ووصلوا إلينا فأجزلنا لهم العطاء ، وأسليناهم عما جرى بالحباء ، فمن خيّل ترديد على الألف

عِتَاقُهَا ، وَخِلَعٌ تَرْبِي عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ أَطَوَاقُهَا ، وَأَمْوَالٌ عَمَتِ الْغَنَى وَالْفَقِيرَ ، وَرِعَايَةٌ شَمِلَتْ الْجَمِيعَ بِالْعَيْشِ النَّصِيرِ ، وَكَفَّ اللَّهُ ضَرَّ الطَّوَاعِيتِ عَمَّا عَدَاهَا ، وَمَا انْقَلَبُوا بِغَيْرِ مَدْرَةٍ عَفَا رَسْمُهَا وَصَمَّ صِدَاها .

وَقَدْ كَانَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ حِينَ قَضَى بِأَخْذِ هَذَا الثَّغْرِ ، أَنْ قَدَّرَ لَنَا^١ فَتْحَ جَبَلٍ طَارِقٍ مِنْ أَيْدِي الْكُفْرِ ، وَهُوَ الْمُطْلُ عَلَى هَذِهِ الْمَدْرَةِ ، وَالْفُرْصَةُ مِنْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَتَيْسَّرَةً ، حَتَّى^٢ يَفْرُقَ عَقْدَ الْكُفَّارِ ، وَيَفْرَجَ بِهِذِهِ الْجِهَةَ مِنْهُمْ بِجَاوِرِ هَذِهِ الْأَقْطَارِ ، فَلَوْلَا إِجْلَابُهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَكُونُهُمْ سَدُوا مَسْلَكَ الْعُبُورِ بِمَا لَجَمِيعُهُمْ مِنَ الْأَجْفَانِ وَالْمَرَائِبِ ، لَمَا بَالَيْتُنَا بِإِصْعَاقِهِمْ ، وَلَحَلَلْنَا بِعَوْنِ اللَّهِ عَقْدَ اتِّفَاقِهِمْ ، وَلَكِنْ لِلْمَوَانِعِ أَحْكَامٌ ، وَلَا رَادَّ لَهَا جَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ ، وَقَدْ أَمَرْنَا لِدَلَالَةِ الثَّغْرِ بِمَزِيدِ الْمَدَدِ ، وَتَخِيرْنَا لَهُ وَلَسَاثِرَ تِلْكَ الْبِلَادِ الْعُدَدَ وَالْعَدَدَ ، وَعَدْنَا لِحَضْرَتِنَا فَاسٍ لِنَسْتَرِيحَ الْجِيُوشَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ ، وَتَرْتِبُطَ الْجِيَادَ وَتَتَخَبَّ الْعِدَدَ لَوْ قَتَ الظُّهُورَ الْمُنْتَظَرِ ، وَتَكُونُ عَلَى أَهْبَةِ الْجِهَادِ ، وَعَلَى مَرْقَبَةِ الْفُرْصَةِ عِنْدَ تَمَكُّنِهَا فِي الْأَعَادِ .

وَعِنْدَ عَوْدِنَا مِنْ تِلْكَ الْمَحَاوِلَةِ ، تَيْسَرُ الرِّكْبَ الْحِجَازِي مُوجَّهًا إِلَى هُنَالِكُمْ رَوَّاحِلِهِ ، فَأَصْدَرْنَا إِلَيْكُمْ هَذَا الْخُطَابَ ، لِإِصْدَارِ الْوَدِّ الْخَالِصِ وَالْحُبِّ اللَّبَّابِ ، وَعِنْدَنَا لَكُمْ مَا عِنْدَ أَحْتَى الْأَبَاءِ ، وَاعْتِقَادُنَا فِيكُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ لَا يَخْشَى جَدِيدُهُ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ غَرَضٍ بِهَذِهِ الْأَنْحَاءِ ، فَمَوْفَى قَصْدُهُ عَلَى أَكْلِ الْأَهْوَاءِ ، مَوَالِي تَتِمُّمُهُ عَلَى أَجْمَلِ الْأَرَاءِ ، وَالْبِلَادِ بِاتِّحَادِ الْوَدِّ مُتَّحِدَةٍ ، وَالْقُلُوبُ وَالْأَيْدِي عَلَى مَا فِيهِ مَرْضَاةُ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، مُنْعَقِدَةً^٣ ، جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ خَالِصًا لِرَبِّ الْعِبَادِ ، مَلْخُورًا لِيَوْمِ التَّنَادِ ، مَسْطُورًا فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يَوْمَ الْمَعَادِ ، بِمَنْنِهِ وَفَضْلِهِ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَصِلُ إِلَيْكُمْ سَعْدًا تَتَفَاخَرُ بِهِ سَعُودُ الْكَوَاكِبِ ،

١ ص : قَدَمَ ؛ ق : قَدْ وَلِينَا .

٢ ص : حِينَ .

٣ ق : ص : مَعْتَقِدَةً .

وتتضافر على الانقياد له صلورُ المواكب ، وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب ، والسلام الأتم يخصكم كثيراً أثيراً ورحمة الله وبركاته ، وكتب في يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمائة ، وصورة العلامة ^١ ، وكتب في التاريخ المؤرخ .

[جواب الملك الصالح من إنشاء الصفدي]

ونسخة الجواب عن ذلك من إنشاء خليل الصفدي شارح « لامية العجم » في سادس شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، بعد البسملة ، في قطع النصف بقلم الثلث : عبدُ الله ووليه ، صورة العلامة ، ولده إسماعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرباط المُنَاغِر المظفر المنصور عماد الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، مُنْصِفَ المظلومين من الظالمين ، وارث الملك ، ملك العرب والعجم والترك ، فاتح الأقطار ، واهب الممالك والأمصار ، إسكندر الزمان ، مملك أصحاب المنابر والأسيرة والتخوت والتيجان ، ظلُّ الله في أرضه ، القائم بسنته وفرضه ، مالك البحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، سيد الملوك والسلاطين ، جامع كلمة الموحدين ، وليُّ أمير المؤمنين ، أبو القداء إسماعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبي الفتح محمد ابن السلطان الشهيد السعيد المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون ، خلد الله تعالى سلطانه ، وجعل الملائكة أنصاره وأعوانه ؛ ينحسُّ المقامَ العالي الملك الأجلَّ الكبير المجاهد المؤيد المرباط المُنَاغِر المعظَّم المكرَّم المظفَّر المعمر الأسعد الأصعد الأوحد الأمجد الأنجد ، السني السري المنصور أبا الحسن علي ابن أمير المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يوسف

١ في هامش بعض أصول دوزي أن العلامة هكذا

يعقوب بن عبد الحق ، أمدّه الله بالظفر ، وقرّن عزمه بالتأييد في الآصال
والبُكر .

سلام وشتّ البروق وشائعه ، وادّخرت الكواكب ودائعه ، واستوعب
الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه ، وثناء اتخذ الفحات المسكية طلائعه ، ونبه
للتغريد في الروض سَوَاجعه ، وجلّى في كأسه من الشفق المحمر مُدامه ومن
النجوم فَوَاقعه . بعد حمد الله على نعم أدت لنا الأمانة في عود سلطنة والدنا
الموروثه ، وأجلستنا على سرير مملكة زَرَابِيَّتْهَا بين النجوم مبثوثة ، وأحسن
بنا الخلف عن سلف عهوده في الأعناق غير منكورة ولا منكوتة ، وصلاته
على سيدنا محمد عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم في الكفرة
غاية أمله وسُوله ، صلاة تحط بالرضوان سيوها ، وتجرب بالغفران ذيوها ، ما
تراسل أصحاب ، وتواصل أحباب ، ويوضح للعلم الكريم ، ورود كتابكم
العظيم ، وخطابكم الفائق على الدر التنظيم ، تفاخر الحمائل سطورهُ ، ويصنّف
خذّ الورد بالحجل منثورهُ ، ويحكي الرياض اليانعة فالألقات غصونه والهمزات
عليها طيورهُ ، ويتخلع على الآفاق حُلل الأيام والليالي فالطرس صباحه
والنقّس ديجوره ، لفظه يطرب ، ومعناه يعرب فيغرب ، وبلاغته تدلّ
على أنّه آية لأن شمس بيّنها طلعت من المغرب ، فانخذلنا سطورهِ رِيحَانًا ،
ورجّعنا ألفاظه ألحانًا ، ورجّعنا إلى الجلد فشبّهنا ألفاته بظلال الرماح ،
وورقه بصيقل الصقّاح ، وحروفه المفرقة بأفواه الجراح ، وسطورهِ المنتظمة
بالفرسان المزدحمة في يوم الكفاح ، وانتهينا إلى ما أودعتموه من اللفظ
المسجوع ، والمعنى الذي يطرب طائرهُ المسموع ، والبلاغة التي فضح المتطبع
بيانها المطبوع .

فأمّا العزاء بأخيكم الوالد قدّس الله رُوحَه وسقى عهده ، وأحسن لسلفه
خلقنا بعده ، فلنّا برسول الله أسوة حسنة ، ولولا الوثوق بأنّه في عدّة الشهداء
ما رأى القلب قراره ولا الطرف وسنّه ، عاش سعيداً يملك الأرض ، ومات

شهيداً يَفُوزُ بالجنة يوم العَرَض ، قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس^١ في الآفاق ، ويوقف على نضارة حدائقه نظرات الأحداق ، وورثنا منه حسن الإخاء لكم ، والوفاء بعهود مودة تشبه في اللطف شمائلكم ، وأمّا الهناء بوراثه ملكه ، والانخراط مع الملوك في سلكه ، فقد شكرنا لكم مَنَحِي هذه المنحة ، وقابلناها بثناء يُعَطِّر النسيمَ في كل نَفْحَةٍ ، ووقفنا عليها حمداً جعل الود علينا لإبراده^٢ وعلى أنفاس سَرَحَةِ الروض شَرَحَةً ، وتحققنا به حسن ودكم الجميل ، وكريم إخوانكم الذي لا يَمِيدُ طودُ رسوخه ولا يميل .

وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمَين المتيفين ، وأنكم جهزتم كاتبكم الفقيه الأجلَّ الأسنى الأسمى أبا المجدد ابن كاتبكم أبي عبد الله ابن أبي مَدِين أعزّه الله تعالى لتفقد أحوالهما ، والنظر في أمر أوقافهما ، فقد وَصَلَ المذكور بمن معه في حِرْزِ السلامةِ وأكْرَمْنَا نَزْلُهُمْ ، وسهلنا بالترحيب سُبُلَهُمْ ، وجمعنا على بذل الإحسان إليهم شَمْلَهُمْ ، وحضر المذكور بين أيدينا وقربناه ، وسمعنا كلامه وخاطبناه ، وأمرنا في أمر المصحفين الشريفين بما أشرتم ، ورسمنا لتوايبننا في نواحي أوقافهما بما ذكرتم ، وهذا الوقف المبرورُ جارٍ على أحسن عادة ألفها ، وأثبت قاعدة عرفها ، مَرْعِيَّ الجوانب ، محميَّ المنازل والمضارب ، آمن من إزالة رَسْمِهِ ، أو إزالة حكمه ، بَدْرُهُ أبداً في مطالع نعه ، وزهره دائماً يرقص في كفه ، لا يزداد إلا تخليداً ، ولا إطلاق ثبوته إلا تقييداً ، ولا عُنُقُ اجتهداه إلا تقليداً ، جَرِيّاً على عادة أوقاف ممالكنا ، وقاعدة تصرفاتنا في مسالكنا ، وله مزيد الرعاية ، وإفادة الحماية ، ووفادة العناية .

وأما ما وصفتموه من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ، ومُنِي به من

١ ص : السر .

٢ ص : أبراده .

الكفار حَزَنُهَا وَسَهْلُهَا ، فَإِنَّهُ شَقٌّ عَلَيْنَا سَمَاعُهُ الَّذِي أَنْكَى أَهْلَ الْإِيمَانِ ،
وَعَدَّدَ بِهِ ذُنُوبَ الزَّمَانِ ، كُلَّ قَلْبٍ بِأَنَامِلِ الْحَقِّقَانِ ، وَطَالَمَا فَرَّغَ بِالظَّفَرِ ، وَرَزَقَ
النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ فَجَرٌّ ذِيْلُ الْهَزِيمَةِ وَفَرٌّ ، وَلَكِنَّ الْحُرُوبَ سِجَالُ ، وَكُلَّ زَمَانٍ
لِدَوَائِهِ دَوْلَةٌ وَلِرَجَائِهِ رِجَالُ ، وَلَوْ أَمَكُنْتَ الْمُسَاعَدَةَ لَطَارَتْ بِنَا إِلَيْكُمْ عَقَبَانُ
الْجِيَادِ الْمُسَوِّمَةِ ، وَسَالَتْ عَلَى عَدُوِّكُمْ أَبْطَاحُهُمْ بِقَسِيَّتِنَا الْمَعْوِجَةِ وَسَهَامِنَا الْمَقْوَمَةِ ،
وَكَحَلْنَا عَيُونََ النُّجُومِ بِمَرَاوِدِ الرِّمَاحِ ، وَجَعَلْنَا لَيْلَ الْعِجَاجِ^١ مَمْرَقًا بِرُوقِ
الْصَّفَاحِ ، وَاتَّخَذْنَا رُؤُوسَهُمْ لَصَوَالِجِ الْقَوَائِمِ كُرَّاتٍ ، وَفَرَجْنَا مَضَائِقَ الْحَرْبِ
بِتَوَالِي الْكُرَّاتِ ، وَعَظَفْنَا إِلَيْهِمُ الْأَعْنَةَ ، وَخُضْنَا جُدَاوِلَ السُّيُوفِ وَدُسْنَا
شُوكَ الْأَسِنَّةِ ، وَفَلَقْنَا الصَّخْرَاتِ بِالصَّرِخَاتِ ، وَأَسَلْنَا الْعِبْرَاتِ بِالْمَرْعِبَاتِ ،
وَلَكِنْ أَيْنَ الْغَايَةِ مِنْ هَذَا الْمَدَى الْمُتَطَاوِلِ ؟ وَأَيْنَ الثَّرْيَا مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِ ؟ وَمَا لَنَا
غَيْرَ إِمْدَادِكُمْ بِجُنُودِ الدُّعَاءِ الَّذِي نَرْفَعُهُ نَحْنُ وَرَعَايَانَا ، وَالتَّوَجُّهُ الصَّادِقُ الَّذِي
تَعْرِفُهُ مَلَائِكَةُ الْقَبُولِ مِنْ سَجَايَانَا .

وَأَمَّا مَا فَقَدْتُمُوهُ مِنَ الْأَجْفَانِ الَّتِي طَرَقَهَا طَيْفُ التَّلَافِ ، وَأَمَّ حَرَمَ فِنَائِهَا
الْفِتَاءِ وَطَافَ بِهِ بَعْدَ الْإِلْطَافِ ، فَقَدْ رَوَّعَ هَذَا الْخَبَرَ قَلْبَ الْإِسْلَامِ ، وَنَوَّعَ لَهُ
الْحُزْنَ عَلَى اخْتِلَافِ الْإِصْبَاحِ وَالْإِظْلَامِ ، وَهَذِهِ الدَّارُ مَا يَخْلُو صَفْقُوهَا مِنْ كَدَرِ
الْقَدَرِ ، وَطَالَمَا أَنَامَتْ بِالْأَمْنِ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَخَاطَبَتْ بِالْخَطْبِ فِي السَّحَرِ ، وَلَكِنْ فِي
بِقَائِكُمْ مَا يُسْلِي مِنْ خَطْبِ الْعَطَبِ ، وَمَعَ سَلَامَةِ نَفْسِكُمُ الْكَرِيمَةِ فَالْأَمْرُ هِينٌ
لَأَنَّ الدَّرَّ يَفْدَى بِالذَّهَبِ .

وَأَمَّا مَا رَأَيْتُمُوهُ مِنَ الصَّلَاحِ فَرَأَيْ عَقْدَهُ مِبَارَكٍ ، وَأَمْرٌ مَا فِيهِ فَارِطُ عِزِّمْ وَإِنْ
كَانَ فَيَتَذَكَّرُ ، وَالْأَمْرُ يَجِيءُ كَمَا يَجِبُ لَا كَمَا نَحْبُ ، وَالْحُرُوبُ يُزَوِّرُهَا نَصْرُهَا
تَارَةً وَيَغِبُ ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدًا ، وَقَدْ يَرُدُّ اللَّهُ الرَّدَى ، وَيَعِيدُ الظَّفَرَ بِالْعَدَا .
وَأَمَّا عَوْدُكُمْ إِلَى فَاسٍ الْمَحْرُوسَةِ طَلِبًا لِإِرَاحَةِ مَنْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْجُنُودِ ،

١ ق ص : اللَّيْلُ الْمَجَاجُ .

وتجهيزاً لمن يَصِل من عندكم إلى الحجاز الشريف من الوفود ، فهذا أمر ضروري التدبير سروري التثمير ، لأن النفوس تمل وتثير المهاد ، فكيف ملازمة صَهَوَات الجياد ، وتسأم من مجالسة الشَّرْب ، فكيف بممارسة الحرب ، وتعرض عن دوام اللَذَّة ، فكيف بمباشرة المنايا الفدَّة ، وهذا جبَل طارق الذي فتح الله به عليكم ، وساق هدي هديته إليكم ، لعله يكون سبباً إلى ارتجاع ما شَرَد ، وحسماً لهذا الطاغية الذي مَرَد ، ورداً لهذا النازل الذي قدم ورد الصبر لما ورد ، فعادة الألفاف الإلهية بكم معروفة ، وعزَماتكم إلى جهات الجهاد مَصْرُوفَة ، وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن يَطْرُق ، وجبل يَعْصِم من سهم يمر من قِسي الكفار ويمرق .

وأما ما منحتموه من الخيل العتاق ، والملابس التي تطلع بدور الوجوه من مشارق الأطواق ، والأموال التي زكَّت عند الله تعالى ونمت على الإنفاق ، فعلى الله عز وجل خلَقُها ، ولكم في منازل الدنيا والآخرة شرفها ، وإليكم تُساق هدايا أُنْيَتها وتخفكم تحفها ، وإذا وصل وفدكم الحاج ، وأُناَر له بوجه إقبالنا عليهم ليلُهم الداج ، كانوا مقيمين تحت ظل إكرامنا ، وشمول إسعافنا لهم وإنعامنا ، يَتَخَوَّلُون تحفاً أنتم سببها ، ويتناولون طرفاً في كؤوس الاعتناء بهم تنضد حببها ، وإذا كان أوانُ الرحيل إلى الحج فسَحَنَّا لهم الطريق ، وسهَّلْنَا لهم الرفيق ، وبلغناهم بحول الله تعالى مُناهم من مِنى ، وسولهم ممَّن إذا زاروا حجرتَه الشريفة حازوا الراحة من العنا ، وفازوا بالغنى ، وإذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسيهم مشقة ذلك الدَرَب ، ويخيّل إليهم أن لا مسافة لمسافر بين الشرق والغرب ، وغمرناهم بالإحسان في العود إليكم ، وأمرناهم بما يُنْهَوْنَ شفاهاً لديكم ، وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم ، وتوفّر لأخذ الثأر حُماتكم ، وتخصكم بتأييد تنزلون رَوْضَه الأنضر ، وتَجْنُون به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الأخضر ، وتتخفكم بسعد لا يَبْلَى قَشِيَّه ، وعز لا يمحو شِبابَه مَشِيَّه ، ونحيته المباركة تغاديكم وتُراوحكم ، وتفاوحكم أنفاسها المعنبرة وتنافحكم ، بمنّه وكرمه ؛ انتهى .

[إجازة من الصفدي رواية الرسالتين]

ورأيت بخط منشيء هذا الجواب الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى إثر ذكره ما نصّه : أما بعد حمد الله تعالى على نعمائه ، وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله خاتم أنبيائه ، فقد قرأ الشيخ الإمام العالم العامل العلامة المفيد القلوة عز الدين أبو يعلى حمزة ابن الرئيس الكبير الفاضل القاضي قطب الدين موسى بن أحمد ابن شيخ السلامة الأحمدي^١ - أمتع الله بفوائده - الكتاب الوارد من سلطان المغرب الملك المجاهد المرباط أبي الحسن المريني صاحب مراکش تغمّده الله تعالى برحمته . والجواب عنه عن السلطان الشهيد الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد قدس الله تعالى رُوحَهما من إنشائي ، وأنا أسمع ذلك جميعاً من أولهما إلى آخرهما ، قراءة أطربت السمع لفصاحتها ، وأملت العطف لرجاحتها :

وأخْجَلْتُ وَرَقَ الحِمَى باللوى إن صدحت في ذروة الغصنِ
تكادُ من لطف ومن رقة تدخل في الأذن بلا إذنِ

وذلك في مجلس واحد في ذي القعدة سنة ٧٥٦ ، بالجامع الأموي بدمشق المحروسة ، فإن رأى رواية ذلك عني فله علو الرأي في تشريفي بذلك ، وكتبه خليل ابن أبيك الصفدي الشافعي عفا الله عنه ؛ انتهى .

[أبو الحسن يكتب ثلاثة مصاحف]

وكان السلطان أبو الحسن المريني المذكور كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه ، وأرسلها إلى المساجد الثلاثة التي تُشَدُّ إليها الرحال ، وأوقف عليها أوقافاً جليلة ، كتب توقيعه سلطان مصر والشام بمساحتها من إنشاء الأديب الشهير جمال الدين ابن ثبابة المصري ، ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله : وهو

١ دوزي : الحنبلي .

الذي مدَّ يمينه بالسيف والقلم فكتبَ في أصحابها ، و سطر الختمات الشريفة فأيدَ الله حزبه بما سطر من أحزابها ، واتصلت أخبار ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح ، وكثرت فتوحه لأملياء الغرب فقالت أوقاف الشرق لا بد للفقراء من فتوح ، ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدي ، وخطَّ سطورها بالعربي وطالما خط في صفوف الأعداء بالهندي ، ورتب عليها أوقافاً تجري أقلام الحسنة في إطلاقها وطلّقها ، وحبس أملاكاً شامية تحدث بنعم الأملاك التي سرت من مغرب الأرض إلى مشرقها ، والله تعالى يتمتع مَنْ وقف هذه الختمات بما سطر له في أكرم الصحائف ، وينفع الجالس من ولاية الأمور في تقريرها ويتقبل من الواقع ؛ انتهى .

قلت : وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة ، وهو الذي ببيت المقدس ، وربعته في غاية الصنعة .

[نبذة من أخبار أبي الحسن]

وقال بعض المشارقة في حق السلطان أبي الحسن ، ما صورته : ملك أضواء المغرب بأنوار هلاله ، وجرت إلى المشرق أنواء نواله ، وطابت نسَماته ، واشتهرت عزَماته ، كان حسن الكتابة ، كثير الإنابة ، ذا بلاغة وبراعة ، وشهامة وشجاعة ، كتب بخطه ثلاثة مصاحف ووقفها على المساجد الثلاثة ، أقام في الملك عشر سنين وسبعة أيام ، ثم صُرف بولده أبي عنان بعد حروب يطول شرحها ، انتهى من كتاب « نزهة الأنام » .

ولما ذكر الإمام الخطيب أبو عبد الله ابن مرزوق في كتابه « المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن » أمرَ الربعة التي أرسلها السلطانُ أبو الحسن بخطه قال ما ملخصه : وأرسل معها للسلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ، ومن الزمرد مائة وثمانية وعشرين ، ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ،

ومن الجواهر النفيس الملوكي ثلاثمائة وأربعة وستين . وأرسل حُللاً كثيرة منها مذهب ثلاثه عشر . ومن الإناق عشرين مذهباً ، ومن الخلاقي ستة وأربعين ، ومن القنوع ستة وعشرين مذهباً ، ومن المحررات المختمة ثمانمائة ، ومن الرصان عشرين شقة . والأكسية المحررة أربعة وعشرين ، والبرانس المحررة ثمانية عشر ، والمشغقات^١ مائة وخمسين ، وأحارم الصوف المحررة عشرين . ومن شقى الملف الرفيع ستة عشر ، ومن الفضالي المنوعة والفرش والمخاد المنبوق والحلل ثمانمائة ، وأوجه اللحف المذهبة عشرين ، وحائطان حلة وحنابل مائة واثنى عشر كلّها حرير^٢ ، وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ، ومن السيوف المحلاة بالذهب المنظم بالجواهر عشرة ، والسروج عشرة يركب ذهب ومهاميز ذهب كذلك ، وثلاث ركب فضة ، وست مزججة ومذهبة ، ومضمتان من ذهب ممّا يليق بالملوك ، وشاشية حرير مطوقة بذهب مكلل بالجواهر ، ومن لزمات الفضة عشرة ، وسرج غرورة بالفضة عشرة ، وعشر علامات معشقة مذهباً ، وعشر رايات مذهباً ، وعشر براقع مذهباً ، وعشر أمثلة^٣ مرقومة، وثلاثين جلد أشرك^٤ ، وأربعة آلاف درقة لظ منها مائتان بنهود الذهب وثمانية عشر بنهود الفضة ، وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة^٥ لها أربعة أبواب ، وقبة أخرى مضرية من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بجلّة مذهباً ، وهي حرير أبيض ومرابطها حرير ملون وعمودها عاج وآبنوس وأكبارها من فضة مذهباً ، ومن البزاة الأحرار المنتقاة أربعة وثلاثين^٦ ، ومن عتاق الخيل العراب ثلاثمائة وخمسة وثلاثين ، ومن البغال الذكور والإناث مائة وعشرين ، ومن الجمال سبعمائة ، وتوجهت مع هذه الهدية أمم برسم الحج مع الرّبعة المكرمة ، وأعطى الحرة أم أخته أم

١ ص : والمشتقات .

٢ قد شرح دوزي أكثر هذه الألفاظ في ملحق المعاجم ولكنه استمد معانيها من النص نفسه .

٣ ص : أشلة .

٤ ص : وثلاث زجلوا شرقي .

٥ دوزي : نبيقة .

٦ هذا العدد والأعداد التالية وردت بصورة الرفع في ص .

ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهباً ، ولقاضي الركب ثلاثمائة وكسوة ، ولقائد الركب أربعمائة وكساوى متعددة وبغلات ، وللرسول المعين للهدية ألفاً ، ولشيخ الركب أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح خمسمائة ، ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة ، وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ، ولشراء ربع ستة عشر ألفاً وخمسمائة ذهباً ؛ انتهى .

وذكر في الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن الموصوف أهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك ، ومنها لصاحب الأندلس صلة وصدقة في مرات ، ومنها للملوك النصارى بعد هداياهم ، ومنها لسلطين السودان كصاحب مالي ، ومنها لصاحب إفريقية ، ومنها لصاحب تلمسان ؛ انتهى .

وقال مؤرخ مصر المقرئ في كتاب « السلوك » في سنة ٧٣٨ ما نصّه : وفي ثاني عشرين من رمضان قدمت الحرة من عند السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني صاحب فاس تريد الحج ، ومعها هدية جلييلة إلى الغاية ، نزل لحملها من الإصطبل السلطاني ثلاثون قطاراً من بغال النقل سوى الجمال ، كان من جملة أربعمائة فرس منها مائة حِجْرَة ومائة فحل ومائتا بغل ، وجميعها بسُرُج ولحم مسقطة بالذهب والفضة ، وبعضها سُرُجُها وركبها كلها ذهب ، وكذلك لحمها ، وعدتها اثنان وأربعون رأساً ، منها سرجان من ذهب مرصع ببحر ، وفيها اثنان وثلاثون بازاً ، وفيها سيفٌ قرابه ذهب مرصع ، وحياصته ذهب مرصع ، وفيها مائة كساء ، وغير ذلك من القماش العال ، وكان قد خرج المهندار إلى لقائهم ، وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح ، وهم جمع كبير جداً ، وكان يوم طلوع الهدية من الأيام المذكورة ، ففرق السلطان الهدية على الأمراء بأسرهم على قدر مراتبهم ، حتى نفدت كلها سوى الجواهر واللؤلؤ فإنه اختص به ، فقدرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار ، ثم نُقِلَت الحرة إلى الميدان بمن معها ، ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة في كل يوم بكرة وعشية ما عمهم وفضل عنهم ، فكان

مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأساً من الغنم ، ونصف إردب أرز ، وقنطار حب رمان ، وربع قنطار سكر ، وثمانى فانوسيات شمع ، وتوابل الطعام ، وحمل إليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم ، وأجرة حمل أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ، ثم خلع على جميع مَنْ قدم مع الحرة ، فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم ، حتى خلع على الرجال الذين قادوا الخيول ، وحمل إلى الحرة من الكسوة ما يحل قدره ، وقيل لها أن تُملّي ما تحتاج إليه ولا يعوزها شيء ، وإتما تريد عناية السلطان بإكرامها وإكرام مَنْ معها حيث كانوا ، فتقدم السلطان إلى النشو وإلى الأمير أحمد أقبغا بتجهيزها اللائق بها ، فقاما بذلك ، واستخدما لها السقائين والضوية ، وهيتا كل ما تحتاج إليه في سفرها من أصناف الحلوات والسكر والدقيق والبسماط ، وطلبا الحماله لحمل جهازها وأزودتها ، وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولي الجيزة ، وأمره أن يرحل بها في مركب لها بمفردها قدام المحمل ، ويمثل كل ما تأمر به ، وكتب لأُميرَي مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة .

وقال في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ما نصّه : وفي نصف شعبان قدمت الحرة أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة ، وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام ، وأن يدعو له الخطباء يوم الجمعة وخطبها ومشايخ الصلّاء وأهل الخير بالنصر على عدوهم ، ويكتب إلى أهل الحرمين بذلك ، وذلك أن في السنة الحالية كانت بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة قُتل فيها ولده ، ونصره الله تعالى بمثته على العدو ، وقتل كثيراً منهم ، وملكوا منهم الجزيرة الخضراء ، فعمر الفرنج مائتي شينى ، وجمعوا طوائفهم ، وقصدوا المسلمين ، وأوقعوا بهم على حين غفلة ، فاستشهد عالم كثير ، ونجا أبو الحسن في طائفة من أئزاه بعد شدائد ، وملك الفرنج الجزيرة ، وأسروا وسبّوا وغنموا شيئاً يحل وصفه ، ثم مضوا إلى جهة غرناطة ، ونصبوا عليها مائة منجنيق حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها ، وتهادنوا مدة عشر سنين ؛ انتهى كلامه .

وقد تقدّم نص هذا الكتاب الموجه من السلطان أبي الحسن فليراجع قريباً .
وقال ابن مرزوق في « المسند الصحيح الحسن » بعد كلام ما ملخصه :
وكان - يعني السلطان أبا الحسن - مجتهداً في الجهاد بنفسه وحرمة ، وجاز للأندلس
برسم ذلك بنفسه ، وأظهر آثاره الجميلة ، ومنها ارتجاع جبل الفتح ليد المسلمين بعد
أن أنفق عليه الأموال ، وصرف إليه الجنود والخشود . إذ كان من عماله هو
والجزيرة ورندة ، ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيّقوا به إلى أن استرجعوه
ليد المسلمين ، وأنفق على بنائه^١ أحمال مال ، واعتنى بتحصينه ، وبني حصنه
وأبراجه وسوره وجامعه ودوره ومخازنه . ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برّاً وبحراً ،
فصبر المسلمون صبر الكرام ، فغيب الله تعالى أمل العدو ، وعاد خاسراً^٢ ،
والمنّة لله ، فرأى أن يحصن سفح الجبل بسور يحيط به من جميع جهاته حتى
لا يطمع عدوّ في منازلته ، ولا يجد سبيلاً للتضييق عند محاصرته ، ورأى الناس
ذلك من المحال ، فأنفق الأموال ، وأنصف العمال ، فأحاط بمجموعه إحاطة
الهالة بالهلال ، وأما بناؤه للمحاسن^٣ والطوالع فأمر غير مجهول ؛ انتهى .

[رسائل لسان الدين ابن الخطيب]

[١ - رسالة إلى أحد سلاطين بني مرين]

وقد رأيت أن أذكر هنا بعض إنشاء لسان الدين ابن الخطيب في شأن ما يتعلق
بجبل الفتح وغيره من بلاد الأندلس ، وحال العدو الكافر ، وما يتخبط في هذا
السلك : فمن ذلك على لسان سلطانه يخاطب به أحد السلاطين من أولاد السلطان
أبي الحسن المريني ، ونصه :

المقام الذي يُصْرخ ويُنجِد ، ويُنْهَم في الفضل ويُنجِد ، ويُسْعَف

١ ص : وأنفقوا فيه .

٢ ص : ورجعوا خاسرين .

٣ ص : المحارس .

ويُسعد ، ويرق في سبيل الله ويرعد ، فيأخذ الكفر من عزماته المقيم المُقعد ، حتى
ينجز من نصر الله تعالى الموعِد ، مقامُ محلّ أخينا الذي حُسِنُ الظنُّ بمجده جميل .
وحدُّ الكفر بسَعْدِه كليل ، وللإسلام فيه رجاء وتأميل ، ليس للقلوب عنه
مَمِيل ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله تعالى وعزمه الماضي لصَوْلَه
الكفر قامعاً ، وتدييره الناجح لشمْل الإسلام جامعاً ، ومُلْكُه الموفق لنداء
الله مطيعاً سامعاً ، معظم مقداره ، وملتزم لإجلاله وإكباره ، المعتدُّ في الله بكرم
شيمته وطيب نِجاره ، المستظهر على عدوِّ الله بإسراعه إلى تدمير الكافر وبداره .
سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته ، أمّا بعدَ حمد الله مجيب دعوة
السائل ، ومُتَقَبِّل الوسائل ، ومُتَبِّح النعم الجلائل ، مُرَبِّحٌ ^١ مَنْ عامله في
هذا الوجود الزائف الزائل ، والأيام القلائل ، بالمتاع الدائم الطائل . والنعيم غير
الحائل ، ومقيم أودِ الإسلام المائل ، بأولي المكارم من أوليائه والفضائل ، والصلاة
والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله المنقذ من الغوائل ، المُسْجِي من الرُّوع
الهائل ، الصادع بدَعْوَةِ الحق الصائل ، بين العشائر والفضائل ، الذي خَمَّ به
وبرسالته ديوان الرسل والرسائل ، وجَعَلَه في الأواخر شرف الأوائل . فحبه
كثر العائل ، والصلاة عليه زكاة القائل ، والرضى عن آله وصحبه وعِترته وحزبه
تيجان الأحياء والقبائل ، المتميزين بكرم السجايا وطيب السمائل ، والدعاء لمقام
أخوتكم في البُكر والأصائل ، بالسعد الصادق المخايل ، والصنع الذي تبرز
مواهبه تبرز العقائل ، والنصر الذي تَهْزُله الصُّعَاد المُلْد عِطْف المترانح المتخايل .
فإنّا كتبناه إليكم كتب الله لكم عزّاً يانع الحمائل ، ونَصراً يكفل للكتائب
المدونة في الجهاد ومرضاة ربّ العباد بسَرْد المسائل وإقناع السائل ، من حَمراء
غَرْناطَة ، حرسها الله تعالى ، ولا زائد بفضل الله سبحانه إلا استبصار في التوكل
على من بيده الأمور ، وتسبب مشروع تتعلّق به بإذن الله تعالى أحكام القدر

المقدور ، ورجاء فيما وعد به من الظهور ، يتضاعف على توالي الأيام وترادف الشهور ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، فلا فضل إلا فضله ، ومقامكم المعروف محله ، الكفيلُ بالإرواء نهله وعله ، وإلى هذا وصل الله تعالى سعدكم ، وحرس مجدكم ، ووالى النعم عندنا وعندكم ^١ ، فإننا في هذه الأيام ، أهمنا من أمر الإسلام ، مارتنق الشراب ونغص الطعام ، وذاد المنام ، لما تحققنا من عمل الكفر على مكايده ، وسعي الضلال — والله الوافي — في استئصال بقيته ، وعقد النوادي للاستشارة في شأنه ، وشروع الخيل في هدأ أركانه ، ومن يؤمل من المسلمين لدفع الردى وكشف البلوى وبث الشكوى ، وأهله — حاطهم الله تعالى وتولاهم ، وتتم عوائله لطفه الذي أولاهم ، فهو مولاهم — في غفلة ساهون ، وعن المغبة فيه لاهون ، قد شغلتهم دنياهم عن دينهم ، وعاجلهم عن آجلهم ، وطول الأمل ، عن نافع العمل ، إلا من تورّ الله تعالى قلبه بنور الإيمان وتملأ بمناصرة الله تعالى والإسلام تملأ السليم ، واستدل بالشاهد على الغائب ، وصرف الكفر إلى مطالب ^٢ الأمم النوائب ، فلمّا رأينا أن الدولة المرينية التي هي على مرّ الأيام شجّ العدا ، ومتوعّد من يكيد الهدى ، وفئة الإسلام التي إليها يتحيز . وكهفّه الذي إليه يلجأ ، قد أذن الله تعالى في صلاح أمورها ، ولمّ شعنها ، وإقامة صغاها . بأن صرّف الله تعالى عنها هتات الغدر ^٣ . وأراحها من مس الضرّ ، ورد قوسها إلى يد باريها ، وصيرّ حقّها إلى وارثها ، وأقام لرعي مصالحها من حسن الظنّ بحسبه ودينه ، ورُجي الخير من ثمرات نصحه ، ومن لم يعلم إلا الخير من سعيه ^٤ والسداد من سيرته ، ومن لا يستريب المسلمون بصحة عقده ، واستقامة قصده . أردنا أن نخرج لكم عن العهدة في هذا

١ وعندكم : سقطت من ص .

٢ ص : معاطب .

٣ ص : العدا .

٤ من سعيه : سقطت من ق .

الدين الحنيف الذي وَسَمَتْ دعوته وجوه أحبابكم شملهم الله تعالى بالعافية ،
وتشبت به أنفُسُ مَنْ صار إلى الله تعالى من السلف تغمدهم الله بالرحمة والمغفرة .
وفي هذا القطر الذي يلاذه ما بين مكفول يجب رَعِيْهُ طبعاً وشرعاً ، وجار
يلزم حقه ديناً ودنيا وحمية وفضلاً ، وعلى الحالين فعليكم بعد الله المُعَوَّل ،
وفيكم المؤمِّل ، فأرْعُونَا أَسْمَاعَكُمْ المباركة نَقْصُ عليكم ما فيه رضى الله ،
والمُنْجاة من نكيره ، والفخر والأجر وحفظ النعم ، والخلف في الذرية ، بهذا
وعدت الكتب المترلة ، والرسل المرسلة : وهو أن هذا القطر الذي تعددت فيه
المحارب والمنابر ، والراكم والساجد ، والذاكر والعابد ، والعالم واللتيف ،
والأرملة والضعيف ، قد انقطع عنه إرفاد الإسلام ، وشحت الأيدي به منذ
أعوام ، وسلم إلى عبدة الأصنام ، وقوبلت ضرائره بالأعذار ، والمواعيد
المستغرقة للأعمار ، وإن عَرَضَتْ شواغل وفن ، وشَوَاغِب وإحن ، فقد كانت
بحيث لا يقطع السبب بحملته ، ولا يذهب المعروف بكليته :

ولا بد من شَكْوَى إلى ذي مروءة يُواسيك أو يُسَلِّيك أو يَتَوَجَّعُ^١

ولو كانت الأشغاب تقطع المعروف وتصرف عن الواجب لم يفتح المقدَّسُ
والدُّكُم جبلَ الفتح وهو مُنازل أخاه بسجلماسة ، ولا أمدَّة ولده السلطان أبو
عنان وهو بمراكش ، وبالأمس بعثنا إلى الجبل وشماتة في جملة ما أهمنا مبلغ
جهد وسداد من عَوَز ، وقد فضلت عن ضرائرنا أموال فُرِضت من أجل الله
على عباده ، وطعام سَمَحْنَا به على الاحتياج إليه في سبيل جهاده ، فلم يسهم
المتغلب منها بلحائب الله بحجة ، ولا أقطعه منها ذرة مستخفّاً به جلّ وعلا ، متهاوناً
بنكيره الذي هو أحق أن يخشى ، فضاعت الأمور ، واختلَّت الثغور ، وتشذبت
الحامية ، وتبدَّدت العُدَد ، وختَلَّت المخازن ، وهلكت بها الجرذان ، وعظمت

١ ص ق : يتفجع .

بها حسرة الإسلام ، أضعاف ما عظمت حبرته أيام ما كانت تكفلها همم الملوك الكرام والخلفاء العظام ، والوزراء والنصحاء ، والأشياخ الأجداد : قدّس الله تعالى أرواحهم ، وضاعف أنوارهم ، ولا كالحسرة في الجبل باب الأندلس وركاب الجهاد وحسنة بني مَرّين ومآثر آل يعقوب وكرامة الله للسلطان المقدّس أبي الحسن والد الملوك وكبير الخلفاء والمجاهدين والدكم الذي تَرِدُ على قبره^١ مع الساعات والأنفاس وفُودُ الرحمة ، وهدايا الزلفّة ، وريحان الجنة ، فلولا أنكم على علم من أحواله لَشَرَحْنَا المجل ، وشكلنا المهمل . إنّما هو اليوم شبح مائل ، وطلل بائد ، لولا أن الله تعالى شغل العدا عنه بفتنة لم يصرف وجهه إلا إليه ، ولا حوّم طيره إلا عليه ، ولكان بصدّد أن يتخذهُ الصليب داراً ، وأن يقرّ به عيناً ، والعدوة فضلاً عن الأندلس ، قد أوسعها شراً ، وأرهق ما يُجاوره عُسراً ، نسأل الله تعالى بنور وجهه أن لا يسودّ الوجوه بالفجع فيه ، ولا يسمع المسلمين الثكلة ، وما دونه فهو — وإن أنعش بالتعليل عليه ووقع بالجهد خلقه — لحم على وَصَم . إلا أن يصل الله تعالى وقايته . ويوالي دفاعه وعصمته ، لا إله إلا هو الولي النصير ، وما زلنا نشكو إلى غير المصمّت ، ونمدّ اليد إلى المدبّر عن الله المعرض . ونخطب له زكاة الأموال من المباني الضخمة ، والخزائن الثرّة ، والأهراء الطامية . والحظ التافه من المقرّض برسمه . فتمضي الأيام لا تزيد الضرائر فيها إلا ضيقاً ، ولا الأحوال إلا شدةً ، ولا الثغر إلا ضعة ، ولا نعلم أن نظراً وقع له ولا فكراً أعمل فيه إلا ما كان من تسخير رعيته الضعيفة ، وبُلاله مجباه السخيفة ، في بناء قصر بمنّت ميور من جباله :

شاده مَرْمَراً وجلّله كلا ساءً فللطير في ذراهُ وكور^٢

جلب إليه الزليج^٣ ، واختلفت فيه الأوضاع في رأس نيقٍ . لأمل نزوة ،

١ زاد في ص : منه بعد لفظة قبره .

٢ البيت لعدي بن زيد العبادي .

٣ ص : الازليج .

وسوء فكرة ، فلما تم أقطع المجران . فهو اليوم ممتنع اليوم وحظ الخراب ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، حتى جاء أمر الله خالي الحقيقة من البر ، صفر اليد من العمل الصالح ، نعوذ بالله من نكيره : ونسأله الإلهام والسداد ، والتوفيق والرشاد ، وقد بذلنا جهْدنا قولاً وفعلاً . ومَوْعظة ونصحاً ، واستدعينا لتلك الجهة صدقة المسلمين محمولة على أكتاد العباد الضعفاء الذين كانت صدقات فاتحيه رضي الله تعالى عنهم ترفدهم . ونوافله تتعهدهم . فما حرك ذلك الجوار حلوباً ، ولا استدعى مطلوباً ، ولا رَفْداً مجلوباً ، فإلى متى تُنْضَى ركاب الصبر وقد بلغ الغاية ، واستنفد البلالة ، بعد أن أعاد الله تعالى العهد ، وجبر المال . وأصلح السعي ، وأجرى ينابيع الخير ، وأنشق رياح الإقالة . وجملته ما نريد أن نقرره فهو الباب الجامع ، والقصد الشامل ، والداعي والباعث : أن صاحب قَشْتَالَةٍ لما عاد إلى ملكه ، ورجع إلى قطره ، جرت بيننا وبينه المراسلة التي أسفرت بعدم رضاه عن كَدْحنا لنصره ، ومظاهرتنا إياه على أمره : وإن كنا قد بلغنا جهداً ، وأبعدنا وُسْعاً ، وأجلت عن شروط ثقيلة لم نقبلها ، وأغراض صعبة لم نكملها ، ونحن نتحقق أنه إما أن تهيج حفيظته ، وتثور إحنته ، فيكشف وجه المطالبة مستكثراً بالأمة التي داس بها أهل قشتالة . فراجع أمره غلاباً ، وحقه ابتزازاً واستلاباً . أو يصرفها ويهادن المسلمين بخلال ما لا يدع جهة من جهات دينه الغريب إلا عقد معها صلحاً ، وأخذ عليها بإعانتها إياه عهداً ، ثم تفرغ إلى شفاء غليله . وبلوغ جهده . ولا شك أنها تحييه صَرْفاً لبأسه عن نخورها ، ومُقَارضة كما وقع باطرية من مضيق صدورها . ومؤسف جمهورها . وكل من له دين ما فهو يحرص على التقرب إلى مَسْ دانه به وكلفه وظائف تكليف ، رجاء لوعده وخوفاً من وعيده : وبالله تدفع ما لا نطيق من جموع تداعت من الجزر ووراء البحور والبر المتصل الذي لا تقطعه الرغاق ، ولا نحصي ذرعه الخذاق ، وقد أصبحنا بدار غُرْبَةٍ ، ومحل روعة ، ومفترس نبوة . ومظنة فتنة ، والإسلام عدده قليل ، ومنتجعه في هذه البقعة جنيب . وعهده بالإرفاد والإمداد

من المسلمين بعيد ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ﴾
(البقرة : ٢٨٦) .

وإذا تداعت أمم الكفر نصرة لدينها المكذوب ، وحميةً لصليبها المنصوب ،
فمن يستدعي لنصر دين الله وحفظ أمانة نبيه إلا أهل ذلك الوطن ؟ حيث المآذن
بذكر الله تعالى تملأ الآفاق ، وكلمة الإسلام قد عمت الرُّبى والوهاد ، إنما الإسلام
غريق قد تشبَّث بأهدابكم ، يناشدكم الله في بقية الرمتى ، وقبل الرمي تُراش
السهم ، وهذا أوان الاعتناء ، واختيار الحماة ، وإعداد الأقوات ، قبل أن يضيق
المجال ، وتمنع الموانع ، وقد وجهنا هذا الوفد المبارك للحضور بين يديكم
مقرراً الضرورة ، منهيّاً الرغبة ، مذكراً بما يقرب عند الله ، مذكراً للذمام
الإسلام ، جالِباً على مَنْ وراءهم بحول الله تعالى من المسلمين البشرى التي تشرح
الصدور ، وتسني الآمال ، وتستدعي الدعاء والثناء ، فالؤمن كثير بأخيه ، ويد الله
مع الجماعة ، والمسلمون يدٌ على مَنْ سواهم ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان
المرصوص يشد بعضه بعضاً ، والتعاون على البر والتقوى مشروع ، وفي الذكر
الحكيم مذكور ، وحق الجار مشهور ، وما كان جبريل يوصي به في الصحيح
مكتوب ، وكما راع المسلمين اجتماع كلمة الكفر ، فرجو أن يروِّع الكفر من
العز بالله ، وشدة الحيازيم في سبيل الله ، ونفير النفرة لدين الله ، والشعور في
حماية الثغور وعمرانها ، وإزاحة عللها ، وجلب الأقوات إليها ، وإنشاء الأساطيل ،
وجبر ما تلف من عدة البحر ، أمور تدل على ما وراءها ، وتخبر بمشيئة الله تعالى
عما بعدها ، ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ
الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (البقرة : ١٩٧) . ومن خطب علي رضي الله تعالى عنه : أما بعد ،
فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه رهبة ألبسه الله تعالى سيما الخسف ،
ووسمه بالصغار ، وما بعد الدنيا إلا الآخرة ، وما بعد الآخرة إلا إحلى دارى
البقاء ، أفي الله شك ؟ ﴿ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
(الحشر : ٩) .

والاعتناء بالجليل عنوان هذا الكتاب ، ومقدمة هذا الباب ، والغفلة عنه منذ أعوام قد صيرتنا لا تقنع باليسير ، وقد أبرمته المواعيد ، وغيّر رسومه الانتظار ، ومن المنقول « ارحموا السائل ولو جاء على فرس » ، والإسراف في الخير أرجح في هذا المحل من عكسه ، وكان بعض الأجواد يقول وقد أقر : اللهم هب لي الكثير ، فإن حالي لا تقوم على القليل ، وعسى أن يكون النظر له بنسبة الغفلة عنه ، والامتناع له مكافئاً للإضرار به ، وخلق البحر بغنم لإمداده وإرفاده ، قبل أن يثوب نظر الكفر إلى قطع المدد وسد البحر ، ومن ضيع الخزم ندم ، ولا عذر لمن علم ، والله عز وجل يطلع من قبلكم على ما فيه شفاء الصدور ، وجبّير القلوب ، وشعب الصدوع ، وما نقص مال من صدقة ، وطعام الواحد كافٍ لاثنتين ، والدين دينكم ، والبلاد بلادكم ، وعمل رباطكم وجهادكم ، وسوق حسناتكم ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة : ٧ ، ٨) ، وقد قلدنا العهد الحفيظ علينا ، المصروف العناية بفضل الله تعالى إلينا ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته : انتهى .

وفي اعتقادي أن هذا المکتوب للسلطان أبي فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن المريني ؛ وأن المراد بالمتغلب الوزير عمر بن عبد الله الذي ظفر به أبو فارس المذكور واستقل بالملك بعد محو أثره ، حسبما ذكرناه في غير هذا المحل ؛ والله سبحانه أعلم .

[٢ - رسالة أخرى في استنهاض السلطان المريني]

ومن إنشاء لسان الدين علي لسان سلطانه في استنهاض عزم صاحب فاس السلطان المريني لنصرة الأندلس ، ما نصّه : المقام الذي يؤثر حظ الله إذا اختلفت الحظوظ وتعددت المقاصد ، ويشرع الأدنى منه إذا تفاضلت المشارع وتمایزت

الموارد . وتشمل عادةُ حلميه وفضله الشارد ، ويسع وارفُ ظله الصادر والوارد ،
والغائب والشاهد ، ويعيد من نصر الله للإسلام العوائد ، ويسدُّ الذرائع ويدرُّ
القوائد . مقامُ محل أخينا الذي حسنت في الملك سيره ، وتعاصد في الفضل خبره
وخبِرُ . ودلت شواهد مداركه للحقوق ، وتغمد له للعقوق ، على أن الله تعالى
لا يهمله ولا يذره ، فسلكُ فخره متسقة درره ، ووجه ملكه شادخة غرره ،
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله رفيعاً علاؤه ، هامية
لديه میننُ الله تعالى وآلاؤه ، مزدانة بكواكب السعد سماؤه ، محروسةً بعز
النصر أرجاؤه ، مكملًا من فضل الله تعالى في نصر الإسلام ، وكبّت عبدة
الأصنام ، أمله ورجاؤه ، معظم قدره الذي يحق له التعظيم ، وموقر سلطانه الذي
له الحسب الأصيل والمجد الصميم ، الداعي إلى الله تعالى باتصال سعادته حتى
ينتصف من عدو الإسلام الغريم ، ويُنّاح على يد سلطانه الفتح الجسيم ، فلان ؛
سلام كريم ، طيب عميم ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي لا يُضيع أجر من أحسن عملا ، ولا يخيب لمن أخلص
الرغبة إليه أملا ، وموفي من ترك له حقه أجره المكتوب متمماً مكملًا .
وجاعل الجنة لمن اتقاه حق تقاته نُزلاً ، ملك الملوك الذي جلّ وعلا ، وجبار
الجبابرة الذي لا يجِدُون عن قدره مَحيصاً ولا من دونه مَوْتلاً ، والصلاة
والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي أنزل الله تعالى عليه الكتاب مُفَصَّلاً ،
وأوضح طريق الرشد وكان مُغْفَلاً ، وفتح باب السعادة ولولاه كان مُقْفَلاً ،
والرضي عن آله وأصحابه ، وعِترته وأحزابه ، الذين ساهموا فيما مرّ وما حَلَا .
وخلّفوه من بعد بالسير التي راقت مجتلى ، ورفعوا عماد دِينه فاستقام لا
يعرف مَيْلاً . وكانوا في الحلم والعفو مثلاً ، والدعاء لمقامكم الأسمى بالنصر
الذي يلفي نصّه صريحاً لا متأولاً ، والصنع الذي يبهر حالاً ومستقبلاً ، والعز
الذي يرسمو جبلاً ، والسعد الذي لا يبلغ أمدأ ولا أجلاً ، فإنّا كتبناه إليكم
أصحب الله تعالى ركايبكم حليف التوفيق حِلاً ومُرتَحِلاً ، وعرفكم عَوَارِف

اليمن الذي يثير جدلاً ، ويدعو وافد الفتح الميين فيرد^١ مستعجلاً . من حمراء
غَرْنَاة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من التشيع
لمقامكم حرس الله تعالى سلطانه ، ومَهْد أوطانه ، إلا الخير الذي نسأل بعده
تحسين العُقْبى ، وتوالي عادة الرحمى ، والحمد لله على التي هي أذكى ، وسدل
جناح السر الأضفى ، وصلة اللطائف التي هي أكفل وأكفى ، وأبر وأوفى .
ومقامكم عندنا العُدَّة التي بها نصول ونُرْهَب ، والعمدة التي نُطِيل في ذكرها
ونُسْهِب ، وقد أوفدنا عليكم كل ما زاد لدينا ، أو فتح الله تعالى به علينا .
ونحن مهما شد المَخْتَق بكم نستنصر ، أو تراخى ففي ودكم نستبصر ، أو فتح
الله تعالى فأبوابكم نهني ونبشر ، وقررنا عندكم أن العدو في هذه الأيام توقف
عن بلاد المسلمين فلم تصل منه إليها سَرِيَّة ، ولا بطشت له يد جَرِيَّة . ولا
افترعت من تلقائه ثَنِيَّة ، ولا ندري المكيذة تُدَبَّر ، أم آراء تُنْقَض بحول الله
وتُتَبَّر ، أو لشاغل في الباطن لا يظهر ، وبعد ذلك وردت على بابنا مِن بعض
كبارهم ، وزعماء أقطارهم ، مخاطبات يندبون فيها إلى جنوحها للسلم في سبيل
النصح ، لأباد سلفت مِنّا لهم قررهما ، ووسائل ذكرها ، فلم يَخْفَ عنا
أنه أمر دُبَّر بَلِيْل ، وخبية تحت ذيل ، فظهر لنا أن نَسْبُر الغَوْر ، ونستفسر
الأمر ، فوجهنا إليه — على عادتنا مع سلفه — لنعتبر ما لديه ، وننظر إلى بواطن
أمره ، ونبحث عن زَيْد قومه وعمّره ، فتأتى ذلك وجرّ مفاوضة في الصلح
أعدنا^٢ لأجلها الرسالة ، واستشعرنا البَسالة ، ووازنّا الأحوال واختبرنا ،
واعترزنا في الشروط ما قَدَرْنَا ، ونحن نرتقب ما يخلق الله تعالى من مهادنة تحصل
بها الأقوات المهيأة للانتساف ، وتسكن^٣ ما ساء البلاد المسلمة من هذا الإرجاف ،

١ ق ص : ويرد .

٢ ق : أعدنا .

٣ ص : وتسكن .

ونفرغ^١ الوقت لمطاردة هذه الآمال العجاف ، أو حرب يبلغ الاستبصار فيه غايته ، حتى يُظهر الله تعالى في نصر الفئة القليلة آيته ، ولم نجعل سبب الاعتزاز فيما أدرنا ، وشموخ الأنف فيما أصدرنا ، إلا ما أشعنا من عزمكم على نصرة الإسلام ، وارتقاب حقوق الأعلام ، والخفوف إلى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأن الأرض حمية^٢ لله تعالى قد اهترت ، والنفرة^٢ قد غلبت النفوس واستفزت ، واستظهرنا بكتبكم التي تضمنت ضرب المواعد ، وشمرت عن السواعد ، وأن الخيل قد أطلقت إلى الجهاد في سبيل الله الأعنة ، والثنايا سدتها بروق الأسنة ، وفرض الجهاد قد قام به المؤمنون ، والأموال قد سمح بها المسلمون ، وهذه الأمور التي تمشت بقرييها أو بعيدها أحوال الإسلام ، والأمانى المعدة لترجية الأيام ، ثم اتصل بنا الخبر الكارث بما كان من حور العزائم المؤمنة بعد كورها ، وتسويف مواعد النصر بعد استشعار قورها ، وأن الحركة مئمنة إلى مراکش الجهة التي في يديكم زمامها ، وإليكم وإن تراخي الطول ترجع أحكامها ، والقطر الذي لا يفوتكم مع الغفلة ، ولا يعجزكم عن الصولة ، ولا يطلبكم إن تركتموه . ولا يمنعكم إن طرقتموه وعركتموه ، فسقط في الأيدي الممدودة ، واختلفت المواعد المحدودة ، وخسئت الأبصار المرتقبة ، ورجفت المعامل^١ الأشيبة ، وساءت الظنون ، وذرفت العيون ، وأكذب الفضلاء الخبر ، ونفوا أن يعتبر ، وقالوا : هذا لا يمكن^١ حيث الدين الحنيف ، والملك المنيف ، والعلماء الذين أخذ الله تعالى ميثاقهم ، وحمل النصيحة أعناقهم ، هذا المفترض الذي يبعد ، والقائم الذي يقعد ، يأباه الله تعالى والإسلام ، وتأباه العلماء والأعلام ، وتأباه المآذن والمنابر ، وتأباه الهمم والأكابر ، فإدرا نستطلع طلع هذا النيا الذي إن كان باطلاً فهو الظن ، والله المن ، وإن كان خلافه لرأي ترجح ، وتنفق بقرب الملك وتبجح ، فنحن نوفد كل من

١ ق : ونفرع .

٢ ص : والنفرة .

يقدم إلى الله تعالى بهذا القطر في شفاعته ، ويمد إليه كف ضراعة ، ومن يؤسمُ
بصَلاحٍ وعبادة ، ويَقْصِدُ في الدين بَثَّ^١ إفادة ، يتطارحون عليكم في نقض
ما أبرم ، ونسخ ما أحكم ، فإنكم تجنون به على من استنصركم عكسَ ما
قَصَدَ ، وتحلّون عليه ما عَقَدَ ، وهب العذر يُقبل في عدم الإعانة ، وضرورة
الاستعانة والاستكانة ، أيُّ عذر يُقبل في الاطّراح ، والإعراض الصّراح ؟
كأن الدين غير واحد^٢ ، كأن هذا القطر لكلمة الإسلام جاحد ، كأن ذمام
الإسلام غير جامع ، كأن الله غير راءٍ ولا سامع ، فنحن نسألكم بالله الذي
تساءلونَ به والأرحام ، ونأنف لكم^٣ من هذا الإحجام ، ونتطرح عليكم
أن تتركوا حظكم في أهل تلك الجهة حتى يحكم الله بيننا وبين العدو الذي يتكالبُ
علينا بإدباركم ، بعدما تضاعل لاستنفاركم ، ولا نكلفكم غير اقتراب داركم ،
وما سامكم المسلمون بها شَطَطاً ، وما حملوكم إلاّ قَصِداً وسطاً ، وما ذهبتم
إليه لا يفوت ، ولا يبعد وقد تجاوزت البيوت ، إنما الفاتت ما وراءكم ، من
حديث تأنف من سماعه أوداًؤكم ، ودين يشمت به أعداؤكم ، فأسعفوا
بالشفاعة فيمن بتلك الجهة المراكشية قَصَدنا ، وحاشا لإحسانكم أن يرضى فيه
رَدّاً ، وأنتم بعدُ بالخيار فيما يجريه الله على يديكم من قَدَرِهِ ، أو يلهمكم إليه
من نَصَرِهِ ، وجوابكم مرتقب بما يليق بكم ، ويجمل بحسبكم ، والله سبحانه
يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى
وبركاته .

[٣ - رسالة على لسان يوسف بن نصر إلى سلطان فاس]

ومن إنشاء لسان الدين أيضاً في مخاطبة سلطان فاس والمغرب على لسان

١ ص : بئث .

٢ كأن . . . واحد : سقطت من ص .

٣ لكم : سقطت من ق .

سلطان عرباطة فيما يقرب من الأبحاء السابقة . ما نصّه :

المقام الذي أقمارُ سعدِهِ في انتظام واتساق . وجيادُ عزّه إلى الغاية القصوى ذاتُ استباق . والقلوب على حبّه ذات اتفاق ، وعناية الله تعالى عليه مديدة الرّواق . وأياديه الجمّة في الأعناق ، ألزم من الأطواق ، وأحاديث مجده سَمَر النوادي وحديث الرفاق . مقامُ محلّ أئينا الذي شأنُ قلوبنا الاهتمامُ بشانه ، وأعظم مطلبنا من الله تعالى سعادة سلطانه ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله تعالى والصنائع الإلهية تحط ببابه ، والألطف الخفية تُعرّسُ في جنبه ، والنصر العزيز يحفُّ بركابه ، وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه ، والقلوب الشجية لفرقه مسرورة بإيابه ، معظم سلطانه الذي له الحقوق المحتومة ، والفواضل المشهورة المعلومة ، والمكارم المسطورة المرسومة ، والمفاخر المنسوقة المنظومة . الداعي إلى الله تعالى في وقاية ذاته المعصومة ، وحفظها على هذه الأمة المرحومة . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ابن فرج بن نصر . سلام كريم . طيب برّ عميم . كما سَطَعَتْ في غَيْهَب الشدة أنوار الفرج . وهبَّت نواصم الطاف الله عاطرة الأرج ، ينخص مقامكم الأعلى . ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله جالي الظلّم بعد اعتكارها ، ومُقِيل الأيام من عثارها ، ومُزَيّن سماء الملك بشموسها المحتجة وأقمارها ، ومريح القلوب من وحشة أفكارها : ومنشئ سحاب الرحمة على هذه الأمة بعد افتقارها ، وشدة اضطرابها واضطرابها ، ومُتَدَارِكها بالطف الكفيل بتمهيد أوطانها وتيسير أوطارها ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله صفوة النبوة ومُخْتَارها ، ولُبّاب مجدها السامي ونِجَارها^١ ، نبيّ الملاحم وخائض تيّارها ، ومُذْهِب رسوم الفتن ومطفئ ناراها ، الذي لم ترعهُ الشدائد باضطراب بحارها ، حتّى بلغت

كلمة الله ما شئت من سطوع أنوارها ، ووضوح آثارها ، والرضى عن آله وأصحابه الذين تمسكوا بعهدده على إحلاء الحوادث وإمرارها ، وباعوا نفوسهم في إعلاء دَعْوَتِهِ الخفيفة وإظهارها ، والدعاء لمقامكم الأعلى باتصال السعادة واستمرارها ، وانسحاب العناية الإلهية وإسداد أَسْتَارِهَا ، حتى تقف الأيام ببابكم موقف اعتذارها ، وتعرض على متابعتكم ذنوبها رغبة في اغتفارها ، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتبَ لصالحِي الملوك من مواهب إسعاده ، وعَرَّفَكم عوارف الآلاء في إصدار أمركم الرفيع وإيراده ، وأجرى الفلَك الدَّوَّارَ بحكم مراده ، وجعل العاقبة الحسنى كما وعد به في محكم كتابه المبين للصالحين من عباده - من حمراء غَرْنَاظَةٍ حرسها الله تعالى ، وليس بفضل الله الذي عليه في الشدائد الاعتماد ، وإلى كَنَفِ فضله الاستناد ، ثم ببركة جاه نبينا الذي وضح بهدأته الرشاد ، إلا الصنائعُ التي تُشَامُ بِوَارِقِ اللطف من خلالها ، وتجبرُ سيماءها بطلوع السعود واستقبالها ، وتَدُلُّ مخايلَ يمنها على حسن مآلها ، لله الحمد على نعمه التي نرغب في كمالها ، ونستلذُّ عذب زُلالها ، وعندنا من الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه ، والسرور بسعادة أيامه ، والدعاء إلى الله تعالى في إظهاره وإتمامه ، ما لا تفي العبارةُ بأحكامه ، ولا تتعاطى^١ محَصِرَ أحكامه ، وإلى هذا أيد الله تعالى أمركم وعلاهُ^٢ ، وصان سلطانكم وتولاه ، فقد علم الحاضر والغائب ، وخلص الخلوص الذي لا تغيره الشوائب ، ما عندنا من الحب الذي وضحت منه المذاهب ، وأنا لما اتصل بنا ما جرت به الأحكام من الأمور التي صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعِصْمَةُ ، وجعل على العباد والبلاد الوقاية والنعمة ، لا يستقر بقلوبنا القَرَار ، ولا تتأني بأوطاننا الأوطار ، تشوقاً لما تُتِيحُه^٣ لكم الأقدار ، ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ،

١ ص ق : يتعاطى .

٢ ق : وعلاكم .

٣ ص ق : تشوقاً لما تنتجبه .

ورجاؤنا في استئناف سعادتكُم يشند على الأوقات وَيَقْوَى ، علماً بأن العاقبة للتقوى ، وفي هذه الأيام عميت الأنباء ، وتكالت في البر والبحر الأعداء ، واختلفت الفصولُ والأهواء ، وعاشت الورادُ الأنواء ، وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ، ولو كنا نجد للاتصال بكم سبباً ، أو نلقي لإعانتكم مذهباً ، لما شغلنا البعد الذي بيننا اعترض ، والعدو بساحتنا في هذه الأيام رَبَّضَ ، وكان خديمكم الذي رفع من الوفاء رايةً خافقة ، واقتنى منه في سوق الكساد بضاعة ناققة ، الشيخ الأجلُّ الأوفى ، الأودُّ الأخلص الأصفى ، أبو محمد ابن أجانا^١ سَنَى الله مأموله ، وبلَّغَه من سعادة أمركم سُؤله ، وقد ورد على بابنا ، وتحيز إلى اللحاق بجنابنا ، ليتيسر له من جهتنا القُدوم ، ويتأتى له بإعانتنا الغرضُ المَرُوم ، فبينما نحن فنظر في تميم غرضه ، وإعانتته على الوفاء الذي قام بمقرضه ، إذ اتصل بنا خبرُ قرقرتين من الأجفان التي استعنم بها على الحركة ، والعزيمة^٢ المقترنة بالبركة ، حطت لإحداهما بمرمى المُكَبِّبِ والأخرى بمرمى المَرِيَّةِ ، في كنف العناية الإلهية ، فتلقينا^٣ من الواصلين فيها الأنباء المحققة بعد التباسها ، والأخبار التي يُغني نصُّها عن قياسها ، وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر ، وحركتكم المعروفة باليُمن والظفر ، وأنكم استخرتم الله تعالى في اللحاق بالأوطان التي يؤمنُّ قلوبكم خائفها ، ويؤلف طوائفها ، ويسكن راجفها ، ويصلح أحوالها ، ويسكن أهوالها ، وأنكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور ، والسعد الموفور ، واليُمن الرائق السفور ، والأسطول المنصور ، فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ، ونهوض طيور الرجاء من وُكُونها ، واستبشار الأمة المحمدية منكم بقرّة عيونها ، وتحقق ظنونها ، وارتياح البلاد إلى دعوتكم التي ألبستها ملابس العدل والإحسان ، وقللتها قلائد السيّر الحسان ، وما منها إلا من ياح بما يخفيه من وجده ، وجهر

١ ص : أجانا .

٢ ق ص : والعزيمة .

٣ ص : تلقينا .

بشكر الله تعالى وحملده ، وابتهل إليه في تيسير غرض مقامكم الشهير وتشميم
 قَصْدِهِ ، واستثناس نور سعده ، وكم مطل الانتظار بديون آمالها ، والمطاولة من
 اعتلالها . وأما نحن فلا تسألوا عمن استشعر دنو حبيبه ، بعد طول مغيبه ، إنما
 هو صدر راجعه فؤاده ، وطرف ألفه رقاده ، وفكر ساعده مراده ، فلمّا
 بلغنا هذا الخبر بادرنا إلى إنجاز ما بذلنا لخديمكم المذكور من الوعد ، واغتنمنا
 ميقات هذا السعد ، ليصل سببه بأسبابكم ، ويسرع لحاقه بجنابكم ، فعنده
 خِدمٌ نرجو أن ييسر الله تعالى أسبابها ، ويفتح بنيتكم الصالحة أبوابها ، وقد
 شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذي ندين له بالتشيع الكريم الوداد ، ونصل له
 على بعد المزار ونزوح الأقطار سبب الاعتداد ، ما يغني عن القلم والمداد ، وقد
 ألقينا إليه من ذلك كله ما يلقيه إلى مقامكم الرفيع العمد ، وكتبنا إلى من بالسواحل
 من ولاتنا نخدمهم ما يكون عليه عملهم في برّ من يرد عليهم من جهة أبوتكم
 الكريمة ، ذات الحقوق العظيمة والأيادي الحديثة والقديمة ، وهم يعملون في
 ذلك بحسب المراد ، وعلى شاكلة جميل الاعتقاد ، ويعلم الله تعالى أنّنا لو لم تعق
 العوائق الكبيرة ، والموانع الكثيرة ، والأعداء الذين دُهِيت^١ بهم في الوقت
 هذه الجزيرة ، ما قدّمنا عملاً على اللحاق بكم ، والاتصال بسببكم ، حتى
 نوفّي لأبوتكم الكريمة حقّها ، ونوضح من المسرة طرقها ، لكن الأعداء واضحة
 وضوح المثل السائر ، والله العالم بالسرائر ، وإلى الله تعالى نبتهل في أن يوضح
 لكم من التيسير طريقاً ، ويجعل السعد لكم مصاحباً ورفيقاً ، ولا يعدمكم عناية
 منه وتوفيقاً ، ويتم سرورنا عن قريب بتعرف أنبائكم السارة ، وسعودكم
 الدارّة ، فذلك منه سبحانه غاية آمالنا ، وفيه إعمال ضراعتنا وسؤالنا ، هذا
 ما عندنا بادرنا لإعلامكم به أسرع البدار ، والله تعالى يوفد علينا أكرم الأخبار ،
 بسعادة ملككم السامي المقدار ، وييسر ما له من الأوطار ، ويصل سعدكم ،

ويحرس مجدكم ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ انتهى .
وكان طاغية النصارى الملعون لكثرة ما مارس من أمور ملوك الأندلس
وسلاطين فاس كثيراً ما يدسُّ لأقارب الملوك القيامَ على صاحب الأمر ، ويزين
له الثورة ، ويعِدُّه بالإمداد بالمال والعدة ، وقصْدُه بذلك كله توهين المسلمين ،
وإفساد تدبيرهم ، ونسخ الدول بعضها ببعض ، لما له في ذلك من المصلحة ، حتى
بلغ أبعده الله تعالى من أمله الغاية .

[٤ - رسالة إلى السلطان المريني في الاعتذار عن فرار أبي الفضل المريني من غرناطة]

ومن إنشاء لسان الدين ابن الخطيب ، رحمه الله تعالى ، عن سلطان الأندلس
إلى سلطان فاس المريني ، يعتذر عن فرار الأمير أبي الفضل المريني الذي كان
مُعْتَقِلاً بغرناطة ، فتحيل الطاغية في أمره حتى خرج طالباً للملك ، ما نصّه :
المقام الذي شهد الليل والنهار بأصالة سعادته ، وجرى الفلك الدوّار بحكم
إرادته ، وتعود الظفر بمن يناوئه فاطرده والحمد لله جريان عادته ، فوليّه متحقق
لإفادته ، وعدوه مرتقب لإبادته ، وحُلِّل الصنائع الإلهية تَضُنُّقُو على أعطاف
مَجَادته ، مقامُ محل أخينا الذي سَهَّمُ سَعده صائب ، وأملُ مَنْ كاده خاسر
خائب ، وسير الفلك المدار في مرضاته دائب ، وصنائعُ الله تعالى له تصحبها
الأنطاف العجائب ، فسيان شاهد منه في عصمة وغائب ، السلطان الكذا ابن
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله تعالى مُسَدِّد السهم ، ماضي العزم ،
تجلُّ سعوده عن تصور الوهم ، ولا زال مرهوبَ الحد ممثّل الرسم ، موفور
الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسَم ، فائزاً بفلج الخصام عند لَدَد الخصم ،
معظم قدره ، وملتزم بره ، المبتهج بما يسيبه الله تعالى له من إعزاز نصره ،
وإظهار أمره ، فلان : سلام كريم ، طيب برّ عميم ، يخص مقامكم الأعلى ،
ومتأبّتكم الفضلى ، التي حازت في الفخر الأمدّ البعيد ، وفازت من التأيد
والنصر بالخط السعيد ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي فَسَّحَ لملككم الرفيع في العز مَدَى ، وعرفه عوارف
آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوماً وغداً ، وحرس سماء علائمه بِشُهْب من
قَدَره وقضائه ﴿ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَيْهَاباً رَصَداً ﴾ (الجن : ٩)
وجعل نجح أعماله وحُسن مآله قياساً مطَّرداً ، فربَّ مريدٍ ضره ضره نفسه
وهادٍ إليه أهدي وما هدى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه
ورسوله الذي مسلأ الكون نوراً وهُدى ، وأحيا مراسم الحق وقد صارت
طرائق قِداً ، أعلى الأنام يداً ، وأشرفهم مَحْتِداً ، الذي يجاهسه نلبس
أثواب السعادة جُداً ، ونظفر بالنعيم الذي لا ينقطع أبداً ، والرضى عن آله
وأصحابه الذين رفعوا لسماء سنَّته عمداً ، وأوضحوا من سبيل اتِّباعه مقصداً ،
وتقبلوا شيمته الطاهرة رُكَّعاً وسُجَّداً ، سيوفاً على من اعتدى ، ونجوماً لمن
اهتدى ، حتى علت فروعُ ملته صُعداً ، وأصبح بناؤها مديداً غلداً ، والدعاء
لمقامكم الأسمى بالنصر الذي يتوالى مثني ومَوْحداً ، كما جمع لملككم ما تفرق
من الألقاب ، على توالي الأحقاب ، فجعل سيفكم سَفَّاحاً وعلمكم منصوراً
ورأيكم رشيداً وعزمكم مؤيداً ، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله تعالى لكم صنماً
يشرح للإسلام خلكداً ، ونصراً يقيم للدين الخنيف أوداً ، وعزماً يملأ أفئدة
الكفر كندا ، وجعلكم ممتن هياً له من أمره رَشَداً ، ويسر لكم العاقبة الحسنى
كما وعد في كتابه العزيز والله أصدق مَوْعِداً - من حَمراء غرناطة حرسها
الله ولا زائد بفضل الله سبحانه إلا استطلاع سعودكم في آفاق العناية ، واعتقاد
جميل صنع الله في البداية والنهاية ، والعلم بأن ملككم تحدى من الظهور على
أعدائه بآية ، وأجرى جياذ السعد في ميدان لا يحذ بغاية ، وخرق حجاب
المعتاد بما لم يظهر إلا لأصحاب الكرامة والولاية ، ونحن على ما علمتم من
السرور بما يهز لملككم المنصور عِطفاً ، ويُسَدِّل عليه من العصمة سجفاً ،
نقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفاً ونصفاً ، ونعقد بين أنباء مسرته
وبين الشكر لله حِلْفاً ، ونَعُدُّ التشيع له ممّا يُقَرِّبنا إلى الله زُلْفَى ، ونؤمل

من إمداده ونرتقب من جهاده وقتاً يُكفل به الدين ويُكفي ، وتروى غلل
النفوس وتشفى .

وللى هذا وصل الله سعدكم ، ووالى نصركم وعضدكم ، فلاننا من لدُنْ
صدَرَ عن أخيكُم أبي الفضل ما صدر من الانقياد لخدَع الآمال ، والاغترار
بموارد الآل ، وقال رأيَه في اقتحام الأهوال ، وتورط في هفوة حار فيها حيرة
أهل الكلام في الأحوال ، وناصب من أمركم السعيد جبلاً قضى الله له بالاستقرار
والاستقبال ، ومن ذا يزاحم الأطواد ويزحزح الجبال ؟ وأخلف الظن مِنّا
في وفاته ، وأضمر عملاً استأثر عنا بإخفائه ، واستعان من علو الدين بمُعِين
قلماً يَري لمن استنصر به زَنَد ، ولا خَفَقَ لمن تولاه بالنصر بَنَد ، وإن الطاغية
أعانه وأنجده ورأى أنه سهم على المسلمين سدّده ، وعَضَبَ للفتنة جَرّده ،
فسخر له الفُلك ، وأمل أن يستخلمه بسبب ذلك الملك ، فأورده الهلك والظُلُم
الحلك ، علمنا أن طيرَفَ سعاده كاب ، وسحاب آماله غير ذات انسكاب ،
وقدم غِرتَه لم يستقر من السداد في غَرَزَ ركاب ، فلان نجاح أعمال النفوس مرتبط
بنيّاتها ، وغايات الأمور تظهر في بداياتها ، وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته
لا تُجهل ، ومنْ غالب أمر الله خاب منه المُعوّل .

فبينما نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة ، وخمود تلك الشعلة الموقودة ،
وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الأخبار ، ويُهَيِّد طرف المسرات على
أكف الاستبشار ، ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار ، عن الود الواضح
وُضُوح النهار ، والتحقيق بخلوصنا الذي يعلمه عالم الأسرار ، فأعاد في الإفادة
وأبدى ، وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى ، فعلم منه مالٌ مَنْ رام
أن يقدح زند الشتات من بعد الالتتام ، ويثير عجاجة المنازعة من بعد ركود
القَتام ، هيهات تلك قلادة الله تعالى التي ما كان يتركها بغير نظام ، ولم يدر

أنكم نصبتُم له من الخزم حباله لا يُقْلِتُها قَتِيصٌ . وسَدَّ دَمَ له من السعد سهماً ما له عنه من مَحِيصٍ ، بما كان من لإرسال جوارح الأسطول السعيد في مَطَارِهِ .
 حائلاً بينه وبين أوطاره ^١ ، فما كان إلا التسمية والإرسال ، ثم الإمساك والقتال .
 ثم الاقتيات والاستعمال ، فإيا له من زجر استنطق لسان الوجود فجذله ^٢ ، واستنصر البحر فخذله ، وصارع القدر فجذله ^٣ لما جذَّ له . وإن خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل ^٤ غاية بعيدة ، ومنتسب إلى نصبة غير سعيدة ، وشأنى غمرته من الكفار . خدام الماء وأولياء النار ، تحكمت فيهم أطراف العوالي وصدور الشفار ، وتحصل منهم من تخطاه الحِمام في قبضة الإسار ، فعجبنا من تيسير هذا المرام ، وإخماد الله لهذا الضرام ، وقلنا : تكييف لا يحصل في الأوهام ، وتسديد لا تستطيع إصابته السهام ، كلما قدح الخلاف زنداً أطفأ سعدكم شعلته ، أو أظهر الشتات ألماً أبرأ بمن طائركم علته ، ما ذاك إلا لنية صدقت معاملتها في جنب الله تعالى وصحت ، واسترملت بركتها ومسحت ، وجهاد نذرتموه إذا فرغت شواغلكم وتمت ، واهتمام بالإسلام يكفيه الخطوب التي أهدمت ، فتحن نهنيكم بمنع الله ومنته ، ونسأله أن يلبسكم من عنايته أوقى جُنَّتِهِ ، فأملنا أن تطرد آمالكم ، وتنجح في مرضاة الله أعمالكم ، فمقامكم هو العملة التي يدفع العدو سلاحها ، وتبليج ظلمات صفاحها ، وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود ، وبآفاقنا تطلع منه السعود ، فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذي رسومه قد استقلت واكتفت ، ودِيمُهُ بساحة الود قد وكفت ، والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ، ولا يعلمكم عناية وسعادة ، وهو سبحانه يعلي مقامكم ، وينصر أعلامكم ، ويهيئ الإسلام أيامكم ، والسلام الكريم

١ ص : أوكاره .

٢ ق : فجدله .

٣ ق : فخذله .

٤ ص : مضموماً .

يخصكم ، ورحمة الله وبركاته ؛ انتهى .

وكان سلطان الأندلس في الأزمان المتأخرة كثيراً ما يشم أريج الفرج في سلم الكفار ومهادنتهم ، حيث لم يقدر في الغالب على مقاومتهم ، ولذلك لما قتل السلطان أبو الحجاج الذي كان لسان الدين كاتبه ووزيره ، وقام بالأمر بعده ابنه محمد الغني بالله الذي ألقى مقاليد لسان الدين — أكد أمر السلم ، وانتظر ما يبرمه القضاء الجزم ، والقدر الحتم .

[٥ - رسالة على لسان الغني إلى أبي عنان]

ومن إنشاء لسان الدين في ذلك على لسان الغني مخاطباً لسلطان فاس والمغرب أبي عنان ما صورته :

المقام الذي يغني عن كل مفقود بوجوده ، ويهز إلى جميل العوائد أعطاف بأسه وجوده ، ونستضيء عند إظلام الخطوب بنور سعوده ، ونرث من الاعتماد عليه أسنى ذخائر يرثه الولد عن آباءه وجدوده ، مقام محل أئبنا الذي رعي الأذمة شانه ، وصلة الرعي سجية انفرد بها سلطانه ، ومواعيد النصر ينجزها زمانه ، والقول والفعل في ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه ، وتطابق فيهما إسراره وإعلانه ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله تعالى محروساً من غير الأيام جنابه ، موصولة بالوقاية الإلهية أسبابه ، مسلولاً على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه ، مصروفاً عنه من صرف القدر ما يعجز عن رده بوابه ، ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التي تدخرها لأولادها أولياؤه وأحبابه ، ويسطر في صحف الفخر ثوابه ، وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه ، وتتكفل بنصر الإسلام وجبر القلوب عند طوارق الأيام كتابه وكتابه ، معظم ما عظم من حقه السائر من إجلاله وشكر خلاله على لاحب طرقة ، المستضيء في ظلمة الخطب بنور أفقه ، الأمير عبد الله محمد ابن أمير

المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد ابن فرج بن نصر : سلام كريم ، طيب برّ عميم ، ينخص مقامكم 'الأعلى' ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي لا رادّ لأمره ولا معارض لفعله ، مصرف الأمر بحكمته وقدرته وعدله ، الملك الحق الذي بيده ممالك الأمر كله ، مقدر الآجال والأعمار فلا يتأخّر شيء عن ميقاته ولا يبرّح عن محله ، جاعل الدنيا مناخ قلعة لا يغتبط العاقل بمائه ولا بظله ، وسبيل رحلة فما أكتب طعنه من حله ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبيائه وسيد رؤسائه ، الذي نعتصم بسببه الأقوى ونتمسك بحبله ، ونمد يد الافتقار إلى فضله ، ونجاهد في سبيله من كذب به أو حاد عن سبيله ، ونصل إليه ابتغاء مرضاته ومن أجله ، والرضى عن آله وأحزابه وأنصاره وأهله ، المستولين من ميدان الكمال على خصله ، والدعاء لمقامكم الأعلى بعز نصره ومضاء فضله ، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله تعالى لكم وقاية لا تطرق الخطوب حماها ، وعصمة ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورمائها ، وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها ، وعزاً يزاحم أجرام الكواكب منتماها - من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم الله سبحانه تتواتر لدينا دفعاً وتفعلاً ، وألطفه نتعرفها وترأً وشقفاً ، ومقامكم الأبوي هو المستند الأقوى ، والمورد الذي ترويه آمال الإسلام فتروى ، وتهوي إليه أفئدتهم فتجد ما تهوى ، ومتابعتكم العدة التي تأسست مبانيها على البر والتقوى .

وإلى هذا وصل الله تعالى سعدكم ، وأبقى مجدكم ، فإننا لما نعلم من مساهمة مجدكم التي تقتضيها كرام الطباع وطباع الكرم ، وتدعو إليها ذمم الرعي ورعي الذمم ، نعرفكم بعد الدعاء لملككم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه ، وإمتاع المسلمين ببقائه ، بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه الله تعالى بالشهادة التي ألبسه حلته ، والشهادة التي في أعماله الزكية كتبها ، والدرجة العالية التي حتمها له وأوجبها ، وبما تصير إلينا من أمره ، وضم بنا من نشره ، وسدك على من

خلفه من ستره ، وإنها لعبرة لمن ألقى السمع ، وموعظة تهز الجمع وترسل
الدمع ، وحادثة أجمل الله سبحانه فيها الدفع ، وشرح مجملها وإن أخرج اللسان
هولها ، وأسلم العبارة قوتها وحولها ، أنه رضي الله تعالى عنه لما برز لإقامة
سنة هذا العيد ، مستشعراً شعار كلمة التوحيد ، مظهراً سمة الخضوع للمولى
الذي تضرع بين يديه رقاب العبيد ، آمناً بين قومه وأهله ، متسربلاً في حُلل
نعم الله تعالى وفضله ، قرير العين باكتمال عزه واجتماع شمله ، قد احتس
بأقصى استطاعته ، واستظهر بخلصان طاعته ، والأجل المكتوب قد حضر ،
والإرادة الإلهية قد أنفذت القضاء والقدر ، وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته ،
أتاه أمر الله لملاقاته ، على حين الشباب غض جلابه ، والسلاح زاخر عبابه ،
والدين بهذا القطر قد أينع بالأمن جناحه ، وأمر من يقول للشيء كن فيكون
قد بلغ كتابه ، ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب ، وخلصت
الرغبات إلى فضله المطلوب ، إلا شقي قيضه الله لسعادته غير معروف ولا
منسوب ، وخبيث لم يكن بمعتبر ولا محسوب ، تخلل الصفوف المعقودة ،
وتجاوز الأبواب المسدودة ، وخاض الجموع المشهودة ، والأمم المحشورة
إلى طاعة الله المحشودة ، لا تدل العين عليه شارة ولا بيزة ، ولا تحمل على
الحذر من مثله أنفة ولا عزة ، وإنما هو خبيث مرور ، وكلب عقور ،
وحية سمها وحي مخنور ، وآلة مصرفة لينفد بها قدر مقلود ، فلما طعنه
وأثبتته ، وأعلق به شرك الحين فما أفلته ، قبض عليه من الخلصان الأولياء
من خبر ضميره ، وأحكم تقريره ، فلم يجب عند الاستفهام جواباً يعقل ،
ولا عثر منه على شيء عنه ينقل ، لطفاً من الله أفاد براءة اللثم ، وتعاورته
للحين أبدي التمزيق ، وأتبع شلوه بالتحريق ، واحتمل مولانا الوالد العزيز رحمه
الله تعالى إلى القصر وبه ذماء لم يلبث بعد الفتكة العُمرية إلا أيسر من اليسير ،
وتخلف الملك ينظر من الطرف الحسير ، وينهض بالجنح الكسير ، وقد عاد جمع
السلامة إلى التكسير ، إلا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب بأن أقامنا مقامه

لوقته وحينه ، ورفع بناء عماد ملكه ولمَّ شَعَثَ دينه ، وكان جميع من حضر
المشهد من شريف الناس ومشروفهم ، وأعلامهم ولقيفهم ، قد جمعه ذلك
الميقات ، وحضر الأولياء الثقات ، فلم تختلف علينا كلمة ، ولا شذت منهم
عن بيعتنا نفس مسلمة ، ولا أخيف بري ، ولا حُنر جري ، ولا فُرِّي قَرِي ،
ولا وقع لبس ، ولا استوحشت نفس ، ولا نَبَضَ للفتنة عرق ، ولا أغفل
للدين حق ، فاستند النقل إلى نصه ، ولم يعلم من فقيدنا غير شخصه ، وبادرنا
إلى مخاطبة البلاد نهمدها ونسكنها ، وتقرر الطاعة في النفوس ونمكَّنْها ، وأمرنا
الناسَ بها بكف الأيدي ، ورفع التعدي ، والعمل من حفظ شروط المسألة
المعقودة بما يُجَلِّي ، ومن شره منهم للقرار^١ ، عاجلناه بالإنكار ، وصرفنا على
النصارى ما أوصاه مصحباً بالاعتذار ، وخاطبنا صاحب قسْثالة نرى ما عنده في
صلة السلم إلى أمدها من الأخبار ، واتصلت بنا البيعات من جميع الأقطار ، وعقَّتْ
على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار ، واستبَقُوا تطير
بهم أجنحةُ الابتدار ، جعلنا الله تعالى ممَّنْ قابل الحوادث بالاعتبار ، وكان
على حَذَر من تصاريف الأقدار ، واختلاف الليل والنهار ، وأعاننا على إقامة
دينه في هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغوي والبحر الزخّار ، وألممنا
من شكره لما يتكفل بالمزيد من نعمه ، ولا قطع عنا عوائد كرمه .

وإن فقدنا والدنا فأنتم لنا من بعده الوالد ، والذخر الذي تكرم منه العوائد ،
والحُبُّ يتوارث كما ورد في الأخبار التي صحت^٢ منها الشواهد ، ومن أعدَّ
مثلكم لبنيه ، فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه ، وتأسست قواعد ملكه وتشيدت
مبانيه ، فالاعتقاد الجميل مَوْصُول ، والفروع لها في التشيع إليكم أصول ، وفي
تقرير فخركم محصول ، وأنتم رِدَّء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذي يعينهم

١ ص : لغوار .

٢ ق ص : وضحت .

بإرفاده ، وينصرهم بإنجاده ، ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده .
وعندما استقر هذا الأمر الذي تبعت المحنة فيه المنحة ، وراقت من فضل الله تعالى ولطفه فيه الصفحة ، وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم وأعيانهم ، وتزاحمت على رَقِّها المنشور خطوطُ أيمانهم ، وتأصلت قواعدُ ألفاظها ومعانيها في قلوبهم وآذانهم ، وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد خَبَرَ سَلَفُنَا والحمد لله وفاء ضمانهم ، بادرنا تعريفَ مقامكم الذي نعلم مساهمته فيما ساء وسرّ وأحلى وأمرّ ، عملاً بمقتضى الخلوص الذي ثبت واستقر ، والحب الذي ما مال يوماً ولا ازوّر ، وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الأمر المحذور ، وإنجلاء ليله عن صبح الصنع البادي السُّفُور ، وإن كنا قد خاطبنا من خدامكم من يبادر إعلامكم بالأمر ، إلاّ أنه أمرٌ له ما بعده ، وحادث يأخذ حده ، ونبعث إلى بابكم مَنْ شاهد الحال ما بين وقوعها إلى استقرارها رأي العيان ، وتولى تسديد الأمور بأعماله الكريمة ومقاصده الحسان ، ليكون أبلغ في البر وأشرح للصدر وأوعب للبيان ، فوجهنا إليكم وزير أمرنا ، وكاتب سرنّا ، الكذا أبا فلان ، وألقينا إليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الأسنى ، واستنادنا من التشيع إليه إلى الركن الوثيق المبني ، ما نرجو أن يكون له فيه المقام الأعنى ، والثمرة العذبة المتجنى ، فلاهتمامه بهذا الغرض الأكيد الذي هو أساس بنائنا ، وقامع أعدائنا ، آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج إليه ، ومدار الحال عليه ، والمرغوب من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالي ، والخلافة السامية المعالي ، والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالي ، ويحفظ مجدكم من غير الأيام والليالي ، وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، ويوالي نصركم وعضدكم ، والسلام الكريم يخلصكم ، ورحمة الله وبركاته ؛ انتهى .

وقوله في هذه الرسالة « فوجهنا إليكم وزير أمرنا - إلى آخره » هو لسان الدين رحمه الله تعالى ، إذ هو كان الوزير إذ ذاك والسفير في هذه القضية ، ومن صفحات هذا الكلام يتضح لك ما نال لسانُ الدين رحمه الله تعالى من الرياسة والجاه ونفوذ الكلمة بالأندلس وبالمغرب رحمه الله تعالى ، وقد أكرمه السلطان أبو عنان في هذه الوفادة وغيرها غاية الإكرام ، وكان المقصود الأعظم من هذه الوفادة استعانة سلطان الأندلس الغني بالله بالسلطان أبي عنان على طاغية النصارى ، كما ألمعنا بذلك في الباب الثاني من القسم الثاني الذي يتعلق بلسان الدين . وكان السلطان أبو عنان ابن السلطان أبي الحسن معتنياً بالأندلس غاية الاعتناء ، وخصوصاً بجبل الفتح ، حتى إنّه بلغ من اهتمامه به أن أمّر عليه ولده أبا بكر السعيد ، وهو الذي تولى الملك بعده .

[٦ - رسالة عن الغني إلى الأمير السعيد]

ومن إنشاء لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى على لسان سلطانه ما خاطب به الأمير السعيد المذكور إذ قلّده والده جبل الفتح ، وهو :

الإمارةُ التي أشرق في سماء الملك شهابُها ، واتصلت بأسباب العز أسبابها ، واشتملت على الفضل والطهارة أثوابها ، وأجّلت قِدَاحُ المفاخر فكان إلى جهة الله تعالى انتدابها ، إمارةٌ محلّ أخينا الذي تأسّس على مرضاة الله تعالى أصيلُ فخره ، واتّسم بالمُرابط المجاهد على اقتبال سنه وجِدّة عمره ، وبَدَأَ بفضل الجهاد صحيفةَ أجره ، وافتتح بالرباط والصلاح ديوانَ نهيه وأمره ، لما يَسْرُه من سعادة نصيبته وحياء من عز نصره ، الأمير الأجل الأعز الأرفع الأسنى الأطهر الأظهر الأمنع الأصعد الأسمى الموفق الأرضى ، محلّ أخينا العزيز علينا ، المُهْدَاةُ أنباء مأمول جواره إلينا ، أبي بكر السعيد ابن محلّ والدنا الذي مقاصده للإسلام وأهله على مرضاة الله تعالى جارية ، وعزائمه على نصْر الملة الحنيفية

متبارية ، السلطان الكذا أبو عنان ابن السلطان الكذا أبي الحسن ابن السلطان الكذا
أبي سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق ، أبقاه الله تعالى سديدة آراؤه ناجحة
أعماله ، ميسرة أغراضه من فضل الله تعالى متممة آماله ، رحيباً في السعد مجالته ،
يكنفه من الله تعالى ومحل أينما غمام وارقة ظلاله ، هامر نواله ، حتى يرضي
الله تعالى مصاعه بين يديه ومصاله ، وتمضي في الأعداء أمام رايته المنصورة
نصاله ، أخوه السرور بقربه ، المنطوي على مضمر حبه ، أمير المسلمين محمد
ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد ابن فرج بن نصير :
سلام كريم ، طيب برّ عميم ، ينخص أخوتكم الفضلى ، وإمارتكم التي آثار فضلها
بحول الله تتلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله على ما كيف من أطفاه المشرقة الأنوار ، ويسره لهذه
الأوطان بنصرته من الأوطار ، فكلما دجت بها شدة طلع الفرج عليها طلوع
النهار ، وكلما اضطرب منها جانب أعاده بفضل الله تعالى من أقامه لذلك واختاره
إلى حال السكون والقرار ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله
المصطفى المختار ، الذي أكد عليه جبريل صلوات الله عليه حق الجوار ، حتى
كاد يُلحقه بالوسائل والقرب الكبار ، الذي وصانا بالالتزام ، واتصال اليد
في نصرة الإسلام ، فنحن نقابل وصاته بالبيدار ، ونجري على نهجه الواضح
الآثار ، ونرتجي باتباعه الجمع بين سعادة هذه الدار وتلك الدار ، والرضى
عن آله وأصحابه ، وأنصاره وأحزابه ، أكرم الآل والأصحاب والأحزاب
والأنصار ، الذين كانوا كما أخبر الله تعالى عنهم على لسان الصادق الأخيار ،
رُحماء بينهم أشداء على الكفار ، والدعاء لإمارتكم السعيدة السعيدية
بالتوفيق الذي تجري به الأمور على حسب الاختيار ، والعز المنيع الذمار ،
والسعد القويم المدار ، والوقاية التي يأمن بها أهلها من السرار ، فلنا كتبناه إليكم
— كتب الله تعالى لكم أسنى ما كتب للأمرء الأرضياء الأخيار ، ومتعكم من
بقاء والدكم بالعدة العظمى والسيرة الرحى والجلال الرفيع المقدار — من حمراء

غَرْناطة حرسها الله تعالى ، ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله صلى الله عليه وسلم الذي أوضح برهانه إلا أَلطاف باهرة ، وعناية من الله تعالى باطنة وظاهرة ، وبشارة بالقبول واردة وبالشكر صادرة ، والله تعالى يصل لدينا نعمه ، ويوالي فضله وكرمه .

وإلى هذا فإننا اتصل بنا في هذه الأيام ما كان من عناية والدكم محلّ أبينا أبقاه الله تعالى بهذه البلاد المستندة إلى تأميل مجده ، وإقطاعها الغاية التي لا فوقها من حسن نظره وجميل قصده ، وتعيينكم إلى المقام بجبل الفتح إبلاغاً في اجتهاده الديني وجدّة ، فقلنا : هذا خبر إن صدق مُخبره ، وتحصّل منتظره ، فهو فخر تجددت أثوابه ، واعتناء تفتحت أبوابه ، وعمل عند الله تعالى ثوابه ، فإن الأندلس - عصمها الله تعالى - وإن أنجده عُدّته وأمواله ، ونجحت في نصرها مقاصده الكريمة وأعماله ، لا تدري موقع النظر لها من نفسه ، وزيادة يومه في العناية على أمسه ، حتى يسمح لها بولده ، ويخصها بقرّة عينه وفليضة كبدته ، فلمّا ورد منه^١ الخبر الذي راقّت منه الحُبَر ، ووضحت من سعادتِه الغُرر ، بإجازتكم البحر ، واختياركم في حال الشبيبة الفخر ، وصدق مَخيلة الدين فيكم ، واستقراركم في الثغر الشهير الذي افتتحه سيفُ جدّكم واستنقذه سعدُ أبيكم ، سررنا بقرب المزار ، ودنوّ الدار ، وقابلنا صنع الله تعالى بالاستبشار ، ووثقنا وإن لم نَزَلْ على ثقة من عناية الله تعالى وعناية محل والدنا بهذه الأقطار ، وحمدنا الله تعالى على هذه الآلاء المشرقة ، والنعم المُخدّقة ، والصنائع المتألّقة ، بادرنا نهني أخوتكم أولاً بما يسره الله تعالى لكم من سلامة المجاز ، ثم بما منحكم الله تعالى من فضل الاختصاص بهذا الغرض والامتياز ، فإمارتكم الإمارة التي أخذت بأسباب السماء ، وركبت إلى الجهاد في سبيل الله تعالى جياد الخيل والماء ، وأصبحت على حال الشبيبة شجاً في حلوق الأعداء ، ونحن أحقُّ بهذا

١ منه : زيادة من ق .

الهناء ، ولكنها عادة الود وسنة الإخاء ، فالله عز وجل يجعله مقدماً ميمون الطائر ، متهلل البشائر ، تنهللُ بصنع الله بعده وجوه القبائل والعشائر ، ويجري خبر سعادتكُم مجرى المثل السائر ، ويشكر محل والدنا فيما كان من اختياره ، ومزيد إثارة ، ويجازيه جزاء من سمح في ذاته بمظنة ادّخاره ، ومذ رأينا أن هذا الغرض لا يجترى فيه بالكتابة ، دون الاستنابة ، وجهنا لكم من يقوم بحقه ، ويجري من تقرير ما لدينا على أوضح طُرُقِهِ ، وهو القائد الكذا ، ومجدُّكم يُصنعي لما يلقيه ، ويقابل بالقبول ما من ذلك يؤديه ، والله تعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام ؛ انتهى .

وكان الطاغية الملعون أيام السلطان أبي عنان رحمه الله تعالى نازلاً جبل الفتح ثم كفى الله تعالى شره في ذلك التاريخ .

[٧ - من أبي الحجاج إلى أبي عنان]

ومن إنشاء لسان الدين على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب أبا عنان سلطان فاس والمغرب وذلك بما نصّه :

المقامُ الذي رمى له الملكُ الأصيل بأفلاذه ، وأدّى منه الإسلام إلى ملجئه الأحمى وملاذه ، وكفلت السعودُ بإمضاء أمره المطاع وإنفاذه ، وشأى حَلْبَةِ الكرم فكان وحيد آحاده وفدّ أفذاذه ، وابتدع غرائب الجود فقال لسان الوجود : نعمت البدعة هذه ، مقامُ محل أخينا الذي أركانُ مجده راسية راسخة ، وغرر عزّه بادية باذخة ، وأعلام فخره سامية شاحخة ، وآيات سعده محكمة ناسخة ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاهُ الله تعالى يجري بسعده الفلك ، ويحلي بنور هديه الحلك ، ويسطر حسنات ملكه الملك ، ويشهد بفضل بأسه

١ ص : حلية .

ونداه النادي والمعترك . مُعَظَّمُ حقوقه التي تأكد فرضها ، المُثَقِّي على مكارمه التي أعيا الأوصافَ البليغةَ بعضُها ، أميرُ المسلمين عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر : سلام كريم ، طيب برّ عميم ، ينخص أخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي هيا للمة الإسلام ، بمظاهرة ملككم المنصور الأعلام ، إظهاراً وإعزازاً ، وجعل لها العاقبة الحسنى يضمن مقامكم الأسنى تصديقاً لدعوة الحق وإنجازاً ، وسهّل لها بسعدكم كل صعب للرام وقد سامتها صروف الأيام ليئاً وإعوازاً ، وأتاح لها منكم ولياً يسوم أعداءها استلاباً وإبترازاً ، ويسكن آمالها وقد استشعرت انحفازاً ، حمداً يكون على حُللِ النعم العقيمة والآلاء الكريمة طرازاً ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي بهرت آياته وضوحاً وإعجازاً ، واستحقت الكمالَ صفاته حقيقة لا مجازاً ، ونبهه الذي بين للخلق أحكام دينه الحق امتناعاً وجوّازاً ، ويسّر لهم وقد ضلّوا في مفاوز الشك. مفازاً ، والرضى عن آله وأصحابه المستولين على ميادين فضائل الدنيا والدين اختصاصاً بها وامتيازاً ، فكانوا غيوثاً إن وجلّوا محللاً وليوثاً إن شهدوا برازاً ، والدعاء لمقام أخوتكم الأسمى بنصرٍ على أعدائه تُبْدي له الجياد الجُرد ارتياحاً والرياح المُلْد اهتزازاً ، وعزّ يطأ من أكتاف البسيطة وأرجائها المحيطة سهلاً وعزازاً ، ويؤمن يشمل من بلاد الإيمان أقطاراً نازحة ويعمُّ أخوازاً ، وسعد تجول في مبدان ذكره المذاع أطراف ألسنة اليراع إسهاباً وإيجازاً ، وفخر يحوب جيوب الأقطار جُوب المثل السيّار عراقاً وحجازاً ، ولا زالت كتائبُ سعدِه تنتهز فرص الدهر انتهازاً ، وتوسع مملكات^١ الكفر انتهاباً واحتيازاً ، فإنّا كتبناه إلى مقامكم - كتب الله تعالى لكم سعداً ثابت المراكز ، وعزّاً لا تلين قناته في يد الغامر ، وثناء لا يثني عِنان سُراه عرض المفاوز ، وصنعاً رحيب الجوانب

١ ق ص : ملكات .

رغيب الحوائث - من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وقضله ، عز وجل .
 قد أدال العسر يسراً وأحال القبض بسطاً ، وقرب نوازح الآمال بعد أن تناءت
 ديارها شحطاً ، ورأى مركب الدهر الذي كان لا يلين لمن استمطى ، وقرب
 غريم الرجاء في هذه الأرجاء وكان مشتطاً ، والتوكل عليه سبحانه وتعالى قد أحكم
 منه اليقين والاستبصار المبين ربطاً ، ومشروط المزيد من نعمه قد لزم من الشكر
 شرطاً ، ومقامكم هو عُدَّة الإسلام إذا جدَّ حفاظه ، وظلَّ الظليل إذا لفح
 للكفر شؤاظه ، وملجؤه الذي تنام في كنف أمانه أيقاظه ، ووَزَرُه الذي إلى
 نصره تمدَّ أيديه وتشير أخطاه ، ففي أرجاء ثنائه تسرحُ معانيه وألفاظه ،
 ولخطب تمجيدته وتحميده يقول قُست وتحتفل عكاظه ، وتشيعنا إلى ذلك الجناب
 الكريم طويل عريض ، ومقدمات ودنا إياه لا يعترضها نقيض ، وأفلاك
 تعظيمنا له ليس لأوجها الرفيع حضيض ، وأنوار اعتقادنا الجميل فيه يشف سواد
 الخبر عن أوجهها البيض .

وإلى هذا - ألبسكم الله تعالى ثوب السعادة المعادة فضفاضاً ، كما صرف
 ببركة إياتكم الكريمة على ربوع الإسلام وجوه الليالي والأيام وقد ازورت إعراضاً
 وبسطت آمالها وقد استشعرت انقباضاً - فإتنا ورد علينا كتابكم الذي كرم
 أنحاء وأغراضاً ، وجالت البلاغة من طيرسيه الفصيح المقال رياضاً ، ووردت
 الأفكار من معانيه الغرائب وألفاظه المُرزية بدُرر النحور والثرائب بحوراً
 صافيةً وحياضاً ، فاجتلينا منه حلة من حلال الود سابقة ، وحجة من حُجج
 المجد بالغة ، وشمساً في فلك السعد بازغة ، الذي بيّن المقاصد الكريمة وشرَحها ،
 وجلا الفضائل العظيمة وأوضَحها ، فما أكرم شيم ذلك الجلال وأسمَحها ،
 وأفضل خلال ذلك الكمال وأرجَحها ، حثَّم فيه على إحكام السلم التي تحوط
 الأنفس والحريم بسياج ، ويدأوى القطر العليل منها بأنجع علاج ، والحال ذات
 احتياج ، وساحة الجبل عصمه الله تعالى ميدان هياج ، ومُتَبَوِّأ أعلاج ،
 ومظنة اختلاف الظنون الموحشة واختلاج ، فحضر لدينا محتمله وزيركم الشيخ

الأجل الأعظم الموقر الأسمى الخاصة الأحظى أبو علي ابن الشيخ الوزير الأجل الحافل الفاضل المجاهد^١ الكامل أبي عبد الله ابن محلي والشيخ الفقيه الأستاذ الأعرف الفاضل الكامل أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الأجل العارف الفاضل الصالح المبارك المبرور المرحوم أبي عبد الله القشّستاني ، وصل الله سبحانه سعادتكما ، وحرس مجادتهما ، حالين من مراتب ترفيعنا أعلى محل الإعزاز ، وواردين على أحنى القبول الذي لا تُشَاب حقيقته بالمجاز ، عملاً بما يجب علينا لمن يصل إلينا من تلك الأنحاء الكريمة والأحوال ، فتلقينا ما اشتملت عليه الإحالة السلطانية من الود الذي كَرَّم مفهومًا ونصًا ، والبر الذي ذهب من مذاهب الفضل والكمال الأمدّ الأقصى ، وقد كان سبقهما صنع الله جلّ جلاله بما أخلف الظنون ، وشرح الصدور وأقر العيون ، فلم يصل إلينا إلا وقد أهلك الله تعالى الطاغية ، ومزق أحزابه الباغية ، نعمة منه سبحانه وتعالى ومنّة ملأت الصدور انشراحاً ، وعمت الأرجاء أفراحاً ، وعنواناً على سعة مقامكم الذي راق غُرراً في المكرمات وأوضاحاً ، ومد يده إلى سهام المواهب الإلهية فحاز أعلاها قِداحاً ، فتشوّفت^٢ نفوس المسلمين إلى ما كانت تؤمله من فضل الله تعالى وترجوه ، وبدت في القضية التي أشرتم بأعمالها الوجوه ، وانبعثت الآمال بما آلت إليه هذه الحال انبعاثاً ، والثالث أمور العلو قصصه الله تعالى الثيات ، وانتفض غزله من بعد قوّته بفضل الله تعالى أنكاثاً ، واحتملت المسألة التي تفضلتم بعرضها وأشرتم إلى فرضها مأخذاً وأبجاثاً ، فآلقينا في هذه الحال إلى رسولكم أعزهما الله تعالى ما يُلقيانه إلى مقامكم الأعلى ، ومثاببتكم الفضلى ، وما يتزید عندنا من الأمور فركائب التعريف بها إليكم محثوثة ، وجزئياتها بين يدي مقامكم الرفيع مبثوثة ، وقد اضطربت أحوال الكفر وفالت آراؤه ، واستحكم بالشتات داؤه ، وارتجّت بزلزال الفتن

١ ق : الماجد .

٢ ق : فتشوّقت .

أرجاؤه ، وتيسرت آمالُ الإسلام بفضل الله تعالى ورجاؤه ، وما هو إلا السعد
يذل لكم صعب العدو ويرَوْضُهُ ، والله سبحانه يهيئ لكم فضل الجهاد حتى
تُقْضَى بكم فروضُهُ .

وأما الذي لكم عندنا من الخلوص الصافية شرائعُهُ ، والثناء الذي هو الروض
تأرجّ ذائعُهُ ، فأوضح من فلق الصبح إذا أشرقت طلائعه ، جعله الله تعالى في
ذاته ، ووسيلةً إلى مرضاته ؛ ورسولاكم يشرعان لكم الحال بجزئياته ، ويقرران
ما عندنا من الود الذي سطع نور آياته ، وهو سبحانه وتعالى يصل لكم سعداً سامي
المراتب والمراقي ، ويجمع لكم بُعدَ بُعدِ المدى وتمهيد دين الهدى بين نعيم
الدنيا والنعيم الباقي ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ انتهى .

[٨ - رسالة عن يوسف النصري]

وأبين من هذا في القضية كتابٌ آخر من إنشاء لسان الدين رحمه الله تعالى
صورته :

من أمير المسلمين عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن
فرج بن نصر ، إلى محل أخينا الذي نُثقي على مَجادته أكرمَ الثناء ، ونجدد
له ما سلف بين الأسلاف الكرام من الولاء ، ونُثجِفُهُ من سعادة الإسلام وأهله
بالأنخبار السارة والأنباء ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ،
أبقاه الله تعالى رفيعَ المقدار ، كريمَ المآثر والآثار ، وعرفَته من عَوَارِفِ فضله
كلّ مُشرقِ الأنوار ، كفيل بالحسنى وعقبي الدار : سلام كريم ، برّ عظيم ،
يخص جلالكم الأرفع ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله على عَميم آلائه ، وجزيل نِعَمائه ، مُيسّر الصعب بعد
إيائه ، والكفيل بتقريب الفرج وإدّنائته ، له الحمد والشكر ملء أرضه وسماؤه ،
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم رسله الكرام وأنبيائه ، الهادي إلى
سبيل الرشd وسوائه ، مُطلع نور الحق يجلو ظلم الشك بضياؤه ، والرضى

عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه وخلقاته ، السائرين في الدنيا والآخرة
تحت لوائه ، الباذلين نفوسهم في إظهار دينه القويم وإعلائه ، والدعاء لمقامكم
بتيسير أمله من فضل الله سبحانه ورجائه ، واختصاصه بأوفر الحظوظ من اعتنائه ،
فإننا كتبناه إليكم - كتبكم الله تعالى فيمن ارتضى قوله وعمله من أوليائه ،
وعرفكم عوارف السعادة المعادة في نهاية كل أمر وإبتدائه - من حمراء غرناطة ،
حرسها الله تعالى ، ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسول
الكريم الذي أوضح برهانه ، وعظم أمره ورفع شأنه ، ثم بما عندنا من الود الكريم
وتجديد العهد القديم لمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه ، إلّا الخير الهامي السحاب ،
واليسر المتين الأسباب ، واليمن المفتّح الأبواب ، والسعد الجديد الأنواب ،
ومقامكم معتمد بترفع الجنب ، متعهد بالود الخالص والاعتقاد اللّباب ، معلوم
له من فضل الدين وأصالة الأحساب .

ولإلى هذا وصلّ الله تعالى سعدكم مديد الأطناب ، ثاقب الشّهاب ، وأطلع
عليكم وجوه البشائر سافرة النقاب ، فإنه قد كان بلغكم ما آلت الحالُ إليه
بطاغية قشتالة الذي كليب على هذه الأقطار الغربية من وراء البحار ، وما سامها
من الإرهاق والأضرار ، وأنه جرى في ميدان الإملاء والاغترار ، ومُحصّ
المسلمون على يده بالوقائع العظيمة الكبار ، وأنه نكث العهد الذي عقّده ،
وحل الميثاق الذي أكتّده ، وحمله الطمعُ الفاضح على أن أجلبّ على بلاد
المسلمين بجيله ورجله ، ودَهَمَهَا بتيار سيّله وقطّع ليله ، وأمل أن يستولي
على جبل الفتح الذي يدعى منه فتحها ، وطلع للملة المحمدية صُبْحُها ، فضيقه
حصاراً ، وانخذ داراً ، وعندما عظم الإشفاق ، وأظلمت الآفاق ، ظهر فينا
لقدره الله تعالى الصنعُ العجيب ، ونزل الفرَجُ القريب ، وقبيل الدعاء السميعُ
المجيب ، وطرق الطاغية ، جندٌ من جنود الله تعالى أخذه أخذةً رابية ، ولم يبق
له من باقية ، فهلك على الجبل حتّف أنفه ، وغالته غوائلُ حتّفه ، ففرقت
جموعه وأحزابه ، وانقطعت أسبابه . وتعجل لنار الله تعالى مآبه . وأصبحت البلاد

مستبشرة ، ورحمة الله منتشرة ، ورأينا أن هذه البشارة التي يأخذ منها كل مسلم بالنصيب الوفور ، ويشارك فيما جلبته من السرور ، أنتم أولى من نُشَحِّفُهُ بطيب رِيَّاءها ، ونطلع عليه جميلَ مُحَيَّاءها ، لما تقررَ عندنا من دينكم المتين ، وفضلكم المبين . وعملكم من المساهمة على شاكلة صالحى السلاطين ، فما ذلك إلاّ فضل نيتكم للمسلمين في هذه البلاد ، وأثر ما عندكم من جميل الاعتقاد . وقد ورد رسولنا إليكم القائد أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح ، أعزّه الله تعالى ، مقررّاً ما لديكم من الود الراسخ القواعد ، والخلوص الصافي الموارد ، الواضح الشواهد ، وأثنى على مكارمكم الأصيله ، وألقى ما عندكم من المذاهب الجميلة ، فقابلنا ذلك بالشكر الذي يتصل سببه ، ويتضح مذهبه ، وسألنا الله أن يجعله ودّاً في ذاته ، ووسيلة إلى مرضاته ، وتعرفنا ما كان من تفضلكم بالطريدة المفتوحة المؤخر ، وما صدّر عن الرئيس المعروف بالناظر من خدام دار الصنعة بالمرية من قبج محاولته ، وسوء معاملته ، فأمرنا بقطع جرائته ، وثقافه بمطمورة القصبة جزاء لحنائته ، ولولا أننا توقعنا أن يكون عظيم عقابه ممّا لا يقع من مقامكم بوقفه ، لمشهور عقافه ورققه ، لجلعناه نكالا لأمثاله ، وعبرة لأشكاله ، وقد وجّهنا جفنّاً سفيرياً لإيساق الخيل التي ذكرتم ، وإيصال ما إليه من ذلك أشرتم ، ويكمل القصد إن شاء الله تعالى تحت لحظ اعتنائكم ، وفضل ولائكم . هذا ما تزيد عندنا عرفناكم به ، عملاً على شاكلة الود الجميل ، والولاء الكريم الجملة والتفصيل ، فعرّفونا بما يتريد عندكم يكن من جملة أعمالكم الفاضلة ، ومكارمكم الحافلة ، والله تعالى يَصِلُ سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ انتهى .

[٩ - رسالة في حاجة الأندلس إلى برّ العُدوة]

ومن إنشاء لسان الدين فيما يتعلّق بالأندلس وانقطاعها ، وأنها لا غنى لها عن العُدوة وغير ذلك ، ما صورته :

المقامُ الذي بنور سعادته تنجلي الغمائم وتتصل النعماء ، مَنْ نيتُهُ قد حصل منها بجانب الله تعالى الانتماء ، واتفقت منها المسمياتُ والأسماء ، مقامُ محل أئينا الذي تنفياً هذه الجزيرة الغريبة أفياء نيته الصالحة وعمله ، وثق بحسن العاقبة اعتماداً على وعد الله تعالى المنزل على خيرة رُسُلِهِ ، وتجنني ثمار النجح من أفنان آرائه المتألفة تألَّق الصبح حالِّي رَيْثِهِ وَعَجَلَهُ ، وتتعرف حالي المودود والمكروه عارفة الخير والخيرة من قبله ، أبقاء الله تعالى يحسم الأدواء كلما استشترتْ ، ويحلي موارد العافية كلما أمرتْ ، ويعفني على آثار الأطماع الكاذبة مهما خدعت بحُلْبِهَا وغرَّت ، ويضمن سعده عودةَ الأمور إلى أفضل ما عليه استقرت . معظم مقامه الذي هو بالتعظيم حقيق ، وموقر ملكه الذي لا يلتبس منه في الفخر والعز طريق ، ولا يختلف في فضله العيم ومجده الكريم فريق .

أما بعد حمد الله المنيب المعاقب ، الكفيل لأهل التقوى بحسن العواقب ، المشيد بالعمل الصالح إلى أرفع المراقي والمراقب ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء فيقضائه وقدره اختلاف المسالك والمذاهب ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسولنا الحاشر العاقب ، ونبية الكريم الرؤوف الرحيم ذي المقاهر السامية والمناقب ، والرضى عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه الذين ظاهروه في حياته بإعمال السَّمْرِ العوالي والبيض القواضب ، وخلفوه في أمته بخلوص الضمائر عند شوب الشوائب ، فكانوا في سماء ملتته كالنجوم الثواقب ، والدعاء لمقامكم الأسمى بالسعادة المعادة في الشاهد من الزمن والغائب ، والنصر الذي يقضي بعز الكتاب ، والصنع الذي تطلع من ثناياه غرر الصنائع العجائب ، من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه ، وشمل بالتمهيد أوطانه ، إلا تشيع ثابت ويزيد ، وإخلاص ما عليه في ميدان الاستطاعة مزيد ، وتعظيم أشرف منه جيد ، وثناء راق فوق رياضه تحميد وتمجيد .

وإلى هذا وصل الله تعالى سعدكم ، وحرس الطاهر الكريم مجدكم ، فقد

وصلنا كتابكم الذي هو على الخلوص والاعتقاد عُنْوان ، وفي الاحتجاج على الرضى والقبول برهان ، تنطق بالفضل فصوله ، وتشير إلى كرم العقد فروعه الزكية وأصوله ، ويحق أن ينسب إلى ذلك الفخر الأصيل فَحْصُوله ، عرفتمونا بما ذهب إليه عيسى بن الحسين من الخلاف الذي ارتكبه ، وسبيل الصواب الذي انتكبه ، وتنبهون^١ على ما حله الحق في مثل ذلك وأوجهه ، حتى لا يصل أحد من جهتنا سببه ، ولا يظاھره مهما ندبه ، ولا يسعف في الإيواء طلبه ، فاستوفينا ما استدعاه ذلك البيان الصريح وجلبه ، وخطه القلم الفصيح وكتبه ، وليعلم مقامكم وهو من أصالة النظر غنيّ عن الإعلام ، ولكن لا بد من الاستراحة بالكلام ، والتنفس بشَقَشَات الأقلام ، أتنا إنما نجري أمورنا مع هذا العدو الكافر الذي رُمينا بجواره ، وبُلينا والحمد لله بمصادمة تيّاره ، على تعداد أقطاره ، واتساع براريه وبحاره ، بأن تكون الأمة المحمدية بالعدوتين تحت وفاق ، وأسواقُ النفاق غير ذات نفاق ، والجماهير تحت عهد الله تعالى وميثاق ، فمهما تعرفنا أن اثنين اختلفت منهما بالعدوتين عقْد ، ووقع بينهما في قبول الطاعة رد ، ساءنا واقعه ، وعظمت لدينا مواقعه ، وسألنا أن يتدارك الخرقَ راقعُه ، لما نتوقعه من التشاغل عن نصرنا ، وتفرُّغ العدو إلى ضرنا ، فكيف إذا وقعت الفتنة في صقعنا وقطرننا ، إنَّما هي شعلة في بعض بيوتنا وقعت ، وحادثة إلى جهتنا أشرعت^٢ ، وإن كان لسوانا لفظها فلنا معناها ، وعلى وطننا يعود جناها ، فنحن أحرص الناس على إطفائها وإخمادها ، وأسعى في إصلاح فسادها ، والمثابرة على كفها واستئسادها ، وما الظن بدار فسد بابها ، وآمال رثت أسبابها ، وجزيرة لا تستقيم أحوالُ من بها إلا بالسكون ، وسِلْم العدو المغرور المفتون ، حتى تُقْضَى منه بإعانتكم الديون ، وإن اضطرابها إنَّما هو داء

١ ق : وتنبهونا .

٢ ق : أشرعت ؛ ص : شرعت .

نستنصر من رأيكم فيه بطيب ، وهدف خطب نرّميه من عزمكم بسهم مصيب ، وأمر نضرع في تداركه إلى سميع للدعاء مجيب ، ونحن فيه يد أمام يدكم ، ومقصدا فيه تبّع لقصدكم ، وتصرفنا على حد إشارتكم جار ، وعزمنا إلى منتهى مرضاتكم متّبار ، وعقدنا في مشايعة أمركم غير متوار .

وقد كنّا لأول اتصال هذا الخبر ، القبيح العين والأثر ، بادرنّا تعريفكم بجميع ما اتصل بنا في شأنه ، ولم نطو عنكم شيئا من إسراره ولا إعلانه ، وبعثنا رسولنا إلى بابكم العلي نعتدّ بسلطانه ، ونرتجي تمهيد هذا الوطن بتمهيد أوطانه ، وبادرنا بالمخاطبة من وجبت مخاطبته من أهل مربلة وأسطبوة نثبت بصائرهم في الطاعة وتقويها ، ونعدهم بتوجيه من يحفظ جهاتهم ويحميها ، وعجلنا إلى بعضها مدداً من الرماة والسلاح ليكون ذلك عُدّة فيها ، وعلمنا ما أوجب الله تعالى من الأعمال التي يُزَلِّفُ بها ويرتضيها ، وكيف لا نظاهر أمركم الذي هو العدة المذخورة ، والفئة الناصرة المنصورة ، والباطل سرّاب يخذع ، والحق إليه يُرجع ، والبغي يُردي ويضرع ، وكم تقدم في الدهر منتز شدة عن الطاعة ، وخرج عن الجماعة ، ومخالف على الدول ، في العصور الأول ، بهرج الحق زائفه ، ورجمت شهبُ الأسنّة طائفه ، وأخذت عليه الضيقة وهاده وتنافته ، فتقلص ظله ، ونبا به محله ، وكما قال يذهب الباطل وأهله ، لا سيما وسعادة ملككم قد وطأت المسالك ومهدتها ، وقهرت الأعداء وتعبدها . وأطفأت جداول سيوفكم النار التي أوقدتها ، وكأنّ بالأمور إذا أعملتم فيها رأيكم السليد وقد عادت إلى خير أحوالها ، والبلاد يمين تدبيركم قد شفي ما ظهر من اعتلالها ، وعلى كل حال فإنما نحن على تكميل مرضاتكم مبادرون ، وفي أغراضكم الدينية واردون وصادرون . ولإشارتكم التي تتضمن الخير والخيرة منتظرون ، عندنا من ذلك عقائد لا يحتمل نصّها التأويل ، ولا يقبل صحيحها التعليل ، فلتكن أبوتكم من ذلك على أوضح سبيل ، فشمس النهار لا تحتاج إلى دليل ، والله تعالى يُسنّي لكم عوائد الصنع الجميل ، حتى لا يدع عزمكم

مغضوباً إلا رده ، ولا ثلماً في ثغر الدين إلا سده ، ولا هدفاً متعاصياً إلا هده ، ولا عرقاً من الخلاف إلا جده ، وهو سبحانه يبقي ملككم ويصل سعه ويعلي أمره ويحرس مجده ، والسلام الكريم يخلصكم ورحمة الله وبركاته ؛ انتهى .

[١٠ - رسالة عن أبي الحجاج إلى الرعايا]

ومن إنشائه رحمه الله تعالى من جملة رسالة على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب الرعايا ، ما نصّه محل الحاجة منه :

وإلى هذا فقد علمتم ما كانت الحال آلت إليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا الطاغية الذي جرى في ميدان الأمل جرّي الحمّوح ، ودارت عليه خمرة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبّوح ، حتى طمح بسكر اغتراره ، ومُحصّ المسلمون على يده بالوقائع التي تجاوز منتهى مقداره ، وتوجهت إلى استئصال الكلمة مطامع أفكاره ، ووثق بأنّه يطفئ نور الله بناره ، ونازل جبل الفتح فشد مُحَنَّق حصاره ، وأدار أشياعه في البر والبحر دَوَّر السوار على أسواره ، وانتهاز الفرصة بانقطاع الأسباب وانبهاهم الأبواب ، والأمور التي لم تجر للمسلمين بالعدوتين على مألوف الحساب ، وتكالب التلث على التوحيد ، وساءت الظنون في هذا القطر الوحيد ، المتقطع بين الأمة الكافرة والبحور الزاخرة والمرام البعيد ، وإننا صابرينا بالله تعالى تيار سيّله ، واستضأنا بنور التوكل عليه في جنح هذا الخطب ودُجّة ليلته ، ولجأنا إلى من بيده نواصي الخلائق ، واعتقلنا من حبله المتين بأوثق العلائق ، وفسحنا مجال الأمل في ذلك الميدان المتضائق ، وأخلصنا لله مُقِيل العثار ومؤوي أولي الاضطرار قلوبنا ، ورفعنا إليه أمرنا ووقفنا عليه مطلوبنا ، ولم نقصر مع ذلك في إبرام العزم ، واستشعار الحزم ، وإمداد الثغور بأقصى الإمكان ، وبعث الجيوش إلى ما يلينا من بلاد على الأحيان ، فرحم الله تعالى انقطاعنا إلى كرمه ، والتجاءنا إلى حرّمه ، فجلى بفضل

سبحانه ظلّم الشدة ، ومد على الحريم والأطفال ظلال رحمته الممتدة ، وعرفنا عوارف الصنع الذي قدم به العهد على طول المدة ، ورماه بجيش من جيوش قدرته أغنى عن إيجاف الركاب ، واحتشاد الأحزاب ، وأظهر فينا قدرة ملكه عند انقطاع الأسباب ، واستخلاص العباد والبلاد من بين الظُّفُر والناب ، فقد كان جَعَجَعَ على الحق بأباطيله ، وسد المجازَ بأساطيله ، ورمى الجزيرة الأندلسية بشؤبُوب شرّه ، وصيرها فريسة بين غربان بحره وعقبان برّه ، فلم يخلص إلى المسلمين من إخوانهم مرقبة إلاّ على الخطر الشديد ، والإفلات من يد العلوّ العنيد ، مع توقّر العزائم والحمد لله على العمل الحميد ، والسعي فيما يعود على الدّين بالتأييد .

وبينما شفقتنا على جبل الفتح تقيم وتقعّد ، وكَلَبُ الأعداء عليه يُبرق ويرعد ، واليأس والرجاء خصمان هذا يقرب وهذا يبعد ، إذ طَلَعَ علينا البشيرُ بانفراج الأزمة ، وحلّ تلك العزّمة ، وموت شاه تلك الرقعة ، وإبقاء الله تعالى على تلك البقعة ، وأنته سبحانه أخذ الطاغية أكملَ ما كان اغتراراً ، وأعظم أنصاراً ، وزلزل أرض عزه وقد أصابت قرّاراً ، وأن شهاب سعده قد أصبح آفلاً ، وعَلَمَ كبره انقلب سافلاً ، وأن مَنْ بيده ملكوت السموات والأرض طرّقه بحتّفيه ، وأهلكه برغم أنفيه ، وأن محلته عاجلها التّبابُ والتّبار ، وعاثت في منازلها النار ، وتمخض عن سوء عاقبتها الليلُ والنهار ، وأن حُماتها يخربون بيوتهم بأيديهم ، وينادي بشتات الشمل لسانُ مناديهم ، وتلاحق الفرسان من جبل الفتح المعقل الذي عليه من عناية الله تعالى رِوَاق مضروب ، والرباط الذي مَنْ حاربه فهو المحروب ، فأخبرت بانفراج الضيق ، وارتفاع العائق لها عن الطريق ، وبرء الداء الذي أشرق بالريق ، وأن النصارى دمرها الله تعالى جدت في ارتحالها ، وأسرعت بيجيفة طاغيتها إلى سوء مآلها وحالها ، وسمحت للنار والنهب بأسلابها وأموالها ، فبهرنا هذا الصنعُ الإلهي الذي مهد الأقطار بعد رجفانها ، وأنام العيون بعد سُهاد أجفانها ، وسألنا الله تعالى أن يُعيّتنا على

شكر هذه النعمة التي إن سُلطت عليها قُوى البشر فضحتها ، ورجحتها ، ورأينا سرّ اللطائف الخفية كيف سريانه في الوجود ، وشاهدنا بالعيان أنوار اللطائف الإلهية والوجود ، وقلنا : إنّما هو الفتح الأوّل شُفّع بثنان ، وقواعد الدين الحنيف أيدت من صنع الله تعالى ببُنيان ، اللهم لك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة ، ومنك الوافرة ، إنك وليّنا في الدنيا والآخرة ؛ انتهى .

[١١ - رسالة توضح ضيق حال الأندلس]

ومن إنشاء لسان الدين رحمه الله تعالى من أخرى ممّا يتعلّق بضيق حال المسلمين بالأندلس ما صورته :

وإن تشوقتم إلى أحوال هذا القطر ومنّ به من المسلمين ، بمقتضى الدين المتين والفضل المين ، فاعلموا أنّنا في هذه الأيام ندافع من العدو تياراً ، ونكابر بحراً زخاراً ، ونتوقع - إلا إن وقى الله تعالى - خطوباً كباراً ، ونمد اليد إلى الله تعالى انتصاراً ، ونلجأ إليه اضطراراً ، ونستمد دعاء المسلمين بكل قطر استعداداً به واستظهاراً ، ونستشير من خواطر الفضلاء ما يحفظ أخطاراً ، وينشئ ريح رَوْحِ الله طيبة معطاراً . فإنّ القومس الأعظم قيوم دين النصرانية الذي يأمرها فتطيع . ومخالفته لا تستطيع ، رمى هذه الأمة الغريبة المنقطعة منهم بجراد لا يسد طريقها ، ولا يحصى فريقها ، التفتت على أخي صاحب قشتالة وعزمها أن تملكه بدله ، وتبلغه أمله ، ويكون الكل يداً واحدة على المسلمين ، ومناصبه هذا الدين ، واستئصال شأفة المؤمنين ، وهي شدة ليس لأهل هذا الوطن بها عهد . ولا عرفها نجد ولا وهْد ، وقد اقتحموا الحلود القرية ، والله تعالى وليّ هذه الأمة الغريبة ، وقد جعلنا مقاليد أمورنا بيد من يُقوّي الضعيف . ويدراً الخطب المخيف ، ورجونا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران : ١٧٣)

وهو سبحانه المرجو في حسن العقبي والمآل ، ونَصْرُ فِئَةِ الْهَدْيِ عَلَى فِئَةِ الضَّلَالِ ،
وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ كَنْزَهُ ، وَلَا ذَلَّ مَنْ اسْتَمَدَ مِنَ اللَّهِ عِزَّهُ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا لِأَحَدٍ الْحُسْنَيْنِ- الْآيَةُ﴾ (التوبة : ٥٢) ودعاء مَنْ قَبِلَكُمْ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَدَدَ مَوْفُورٍ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَحْمُودٌ مَشْكُورٌ : انتهى .

[١٢ - من رسالة طويلة]

ومن أخرى طويلة من جملتها ما صورته :

وقد اتصل بنا الخبر الذي يوجب نصيح الإسلام ، ورَعْيِي الجوار والذِّمَامَ ،
وَمَا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَأْمُومِ عَلَى الْإِمَامِ ، لِيَقَاطِبَكُمْ مِنْ مَرَّاقِدِكُمُ الْمُسْتَفْرِقَةِ ،
وَجَمْعِ أَهْوَاكُمُ الْمُنْفَرِقَةِ ، وَتَهْيِئَتِكُمْ إِلَى مُصَادِمَةِ الشَّدَائِدِ الْمُرْعِدَةِ الْمُبْرَقَةِ . وَهُوَ
أَنْ كَبِيرَ دِينَ النُّصْرَانِيَةِ الَّذِي إِلَيْهِ يَنْقَادُونَ ، وَفِي مَرْضَاتِهِ يُصَادِقُونَ وَيُعَادُونَ :
وَعِنْدَ رُؤْيَا صَلَيبِهِ يَكْبَرُونَ وَيَسْجُدُونَ ، لِمَا رَأَى الْفَنِّ قَدْ أَكَلَتْهُمْ خَضَمًا وَقَضَمًا ،
وَأَوْسَعَتْهُمْ هَضَمًا ، فَلَمْ تُبْقِ عَصَبًا وَلَا عَظْمًا ، وَنَثَرَتْ مَا كَانَ نَظْمًا . أَعْمَلَ
نَظْرَهُ فِيمَا يَجْمَعُ مِنْهُمْ مَا افْتَرَقَ ، وَيَرْفَعُ مَا طَرَقَ ، وَيَرْفُو مَا مَزَّقَ الشَّتَاتِ
وَوَخَّرَقَ ، فَرَمَى الْإِسْلَامَ بِأَمَةِ عِدْدِهَا الْقَطْرَ الْمُنْثَالِ ، وَأَمْرَهُمْ وَشَأْنَهُمُ الْإِمْتِثَالِ ،
أَنْ يَدْمِثُوا لِمَنْ ارْتَضَاهُ مِنْ أُمَّةِ الطَّاعَةِ ، وَيَجْمَعُوا فِي مِلَّةِ الْجَمَاعَةِ ، وَيَطْلُغَ الْكُلُّ
عَلَى هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْقَلِيلَةِ الْغَرِيبَةِ بَغْتَةً كَقِيَامِ السَّاعَةِ ، وَأَقْطَعَهُمُ - قَطَعَ اللَّهُ تَعَالَى
بِهِمْ - الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ ، وَالطَّارِفَ وَالتَّلَادَ ، وَسَوَّغَهُمُ الْحَرِيمَ وَالْأَوْلَادَ ، وَبِاللَّهِ
تَعَالَى نَسْتَدْفِعُ مَا لَا نُطِيقُهُ ، وَمِنْهُ نَسْأَلُ عَادَةَ الْفَرَجِ فَمَا سُدَّتْ طَرِيقَهُ ، إِلَّا أَنَا
رَأَيْنَا غَفْلَةَ النَّاسِ مُؤَذِّنَةَ الْبَوَارِ ، وَأَشْفَقْنَا لِلدِّينِ الْمُنْقَطِعِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ ، وَقَدْ
أَصْبَحَ مُضْغَعَةً فِي لَهَوَاتِ الْكُفَّارِ ، وَأَرَدْنَا أَنْ نَهْزِكَمُ بِالْمَوْعِظَةِ الَّتِي تَكْحُلُ الْبَصَائِرَ
بِمِيلِ الْإِسْتِبْصَارِ ، فَإِنْ جَبَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَوَاطِرَ بِالضَّرَاعَةِ إِلَيْهِ وَالْإِنْكَسَارَ ، وَنَسَخَ
الْإِعْسَارَ بِالْإِيسَارِ ، وَأَنْجَدَ الْيَمِينَ بِأَخْتِهَا الْيَسَارَ ، وَإِلَّا فَقَدْ تَعَيَّنَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
حُظُّ الْخَسَارِ ، فَإِنْ مَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ عِلْوُ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ مِنَ اللَّهِ مَصْرُوفٌ ،

وبالباطل مشغوف ، وبغير العرف معروف ، وعلى الخطام المسلوب عنه ملهوف ،
فقد تَلَّه الشيطان للجَّين ، وقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ،
وَمَنْ نَفَذَ فِيهِ أَوْ لَهُ قَدْرُ اللَّهِ عَنْ أَداءِ الواجب وبَدَّلَ المجهود ، وأفرد بالعبودية
وَجْهَ الواحد الأحد المعبود ، ووطَّنَ النفسَ على الشهادة المبوَّثة دار الخلود ،
العائدة بالحياة الدائمة والوجود ، أو الظهور على علوِّه المحشور إليه المحشود ،
صبراً على المقام المحمود ، وبَيْعاً من الله تعالى تكون الملائكة فيه الشهود ، حتى
تعين يد الله في ذلك البناء المهدود ، والسواد الأعظم الممدود ، كان على أمره
بالخيار المردود ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ - الآية ﴾
انتهى .

[ضياع المدن الأندلسية]

وقال صاحب « مناهج الفكر » بعد وصفه لجزيرة الأندلس وأقطارها ،
ما صورته :

ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لمالكها في سلك الانقياد والوفاق ، إلى أن
طما بمُتَرَفِّقِهَا سِلُّ العناد والنفاق ، فامتاز كل رئيس منهم بصقع كان مَسْقَطَ
راسه ، وجعله مَعْقَلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه ، فصار كل منهم يشن الغارة
على جاره ، ويحاربه في عَقْرِ داره ، إلى أن ضعفوا عن لقاء عدوِّ في الدين يعادي ،
ويراوح معاقلهم بالعَيْثِ وَيُغَادِي ، حتى لم يبق في أيديهم منها إلا ما هو في
ضمان هدنة مقدرة ، وإتاوة في كل عام على الكبير والصغير مُقَرَّرة ، كان
ذلك في الكتاب مسطوراً ، وقَدَرَأَ في سابق علم الله مقلوراً ؛ انتهى .
وهذا قاله قبل أن يستولي العدو على جميعها ، والله وارث الأرض ومن
عليها وهو خير الوارثين .

ولنرجع إلى ما كنا بصدده من أخذ النصرارى قواعد الأندلس فنقول :
 قد قدمنا أوائل هذا الباب أن طليطلة أعادها الله تعالى من أول ما أخذ الكفار
 من المدن العظام بالأندلس ؛ قال ابن بسام^١ : لما توالى على أهل طليطلة الفتن
 المظلمة ، والحوادث المصطكمة ، وترادف عليهم البلاء والجلاء ، واستباح
 الفرنج لعنهم الله تعالى أموالهم وأرواحهم ، كان من أعجب ما جرى من النوادر
 الدالة على الخذلان أن الخنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ،
 ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلها ، فلما كانت السنة التي استولى عليها
 العدو فيها لم ترفع الغلة من الأندلس حتى أسرع فيها الفساد ، فعلم الناس أن
 ذلك بمشيئة الله تعالى لأمر أراده ، من شمول البلوى ، وعموم الضراء ، فاستولى
 العدو على طليطلة ؛ وأنزل من بها على حكمه ، وخرج ابن ذي النون منها
 على أقبح صورة ، وأفظع سيرة ، وراه الناس وبيده إصطربلاب يأخذ به وقتاً
 يترحل فيه ، فتعجب منه المسلمون ، وضحك عليه الكافرون ، وبسط الكافر
 العدل على أهل المدينة ، وحجب التنصر إلى عامة طغامها ، فوجد المسلمون من
 ذلك ما لا يطاق حملُهُ ، وشرع في تغيير الجامع كنيسة في ربيع الأول سنة ست
 وتسعين وأربعمائة .

ومما جرى في ذلك^٢ اليوم أن الشيخ الأستاذ المغامي رحمه الله تعالى صار إلى
 الجامع ، وصلى فيه ، وأمر مُريداً له بالقراءة ، ووافاه الفرنج لعنهم الله تعالى
 وتكاثروا لتغيير القبلة ، فما جسر أحد منهم على إزعاج الشيخ ولا معارضته ،
 وعصمه الله تعالى منهم ، إلى أن أكمل القراءة وسجد سجدة ، ورفع رأسه ،
 وبكى على الجامع بكاء شديداً ، وخرج ولم يعرض أحد له بمكروه . وقيل للملك

١ انظر الذخيرة ١ / ٤ : ١٢٧ ويبدو أن المقرئ ينقل بالمعنى .

٢ المصدر السابق : ١٩٠ .

النصارى : ينبغي أن تلبس التاج كمن كان قبلك في هذا الملك ، فقال : حتى
نأخذ قرطبتهم ، وأعد لذلك ناقوساً تأتق فيه وفيما رَصَعَ به من الجواهر ،
فأكذبه الله وأزعجه . وورد أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين ،
فما قصر فيما أثر من إذلال المشركين ، وإرغام الكافرين ، واستدراك أمور
المسلمين ؛ انتهى ملخصاً : وقد مرّ مطولاً .

[وقعة بطرنة - ٤٥٦]

وكانت قبلها وقعة بطرنة^١ سنة ست وخمسين وأربعمائة ، وذلك أن الفرنج
— خذلهم الله تعالى — انتدبت منهم قطعة كثيفة ، ونزلت على بَلَنْسِيَّة في السنة
المذكورة ، وأهلها جاهلون بالحرب ، مغترون بأمر الطعن والضرب ، مقبلون
على اللذات من الأكل والشرب ، وأظهر الفرنج الندم على منازلها ، والضعف
عن مقاومة مَنْ فيها ، وخدَعوهم بذلك فانخدعوا ، وأطمعوه فطمعوا ،
وكنَّوا في عدة أماكن جماعة من الفرسان ، وخرج أهل البلد بثياب زينتهم ،
وخرج معهم أميرهم عبد العزيز بن أبي عامر ، فاستلذجهم العدو — لعنهم الله تعالى —
ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والأسر ، وما نجا منهم إلا من حصَّنه أجله ،
وخلص الأمير نفسه ، ومما حُفِظ عنه أنه أنشد لما أعياه الأمر :

خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ أَشِيرَا عَلَيَّ الْيَوْمَ مَا تَرَيَانِ

وفي أهل بَلَنْسِيَّة يقول بعض الشعراء حين خرجوا في ثياب الزينة والترفة :

لَبِسُوا الْحَدِيدَ إِلَى الْوَغَى وَلَيْسَتْ حُلُلَ الْحَرِيرِ عَلَيْكُمْ أَلْوَانَا
مَا كَانَ أَقْبَحَهُمْ وَأَحْسَنَكُمْ بِهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ ببطرنة مَا كَانَا

١ (Paterna) : راجع خبر هذه الوقعة في ابن عذاري ٣ : ٢٥٢ وهو ينقل عن ابن بسام .

قال ابن بسام : وهكذا جرى لأهل طليطلة ، فإن العدو — خذله الله تعالى — استظهر عليهم ، وقتل جماهيرهم ، وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها لما خرجوا إليهم في ثياب الترفه ألف غقارة خارجاً عما سواها .

[بريشتر]

وقال ابن حيان^١ : وكان تغلب العدو — خذله الله تعالى — على بريشتر قصبة بلد برطانية ، وهي تقرب من سرقسطة ، سنة ست وخمسين وأربعمائة ، وذلك أن جيش الأردمليس^٢ نازلها وحاصرها ، وقصّر يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها ، ووكل أهلها إلى نفوسهم ، فأقام العدو عليها أربعين يوماً ، ووقع فيما بين أهلها تنازع في القوت لقلته ، واتصل ذلك بالعدو ، فشدّد القتال عليها والحصر لها حتى دخل المدينة الأولى في خمسة آلاف مدّرع ، فدهش الناس ، وتحصنوا بالمدينة الداخلة ، وجرت بينهم حروب شديدة قُتل فيها خمسمائة إفرنجي ، ثم اتفق أن القنّاة التي كان الماء يجري فيها من النهر إلى المدينة تحت الأرض في سَرَب موزون^٣ انهارت وفسدت ، ووقعت فيها صخرة عظيمة سدّت السَرَب بأسره ، فانقطع الماء عن المدينة ، ويثس من بها من الحياة ، فلادوا بطلب الأمان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال ، فأعطاهم العدو الأمان ، فلمّا خرجوا نكث بهم وغدر ، وقتل الجميع إلا القائد ابن الطويل والقاضي ابن عيسى في نفر من الوجوه ، وحصل للعدو من الأموال والأمتعة ما لا يحصى ، حتى إن الذي خصّ بعض مُقَدَّمي العدو لحصنه — وهو قائد خيل رومة — نحو ألف وخمسمائة جارية أبقاراً ، ومن أوقار الأمتعة والحلى

١ انظر الذخيرة (٣ : ٥٨) في الخبر عن بريشتر نقلاً عن ابن حيان .

٢ في الذخيرة : جيش الاردمانيين (Nordmanni) .

٣ الذخيرة : بتقدير موزون .

والكسوة خمسمائة جمل . وقُدر من قُتل وأُسر بمائة ألف نفس ، وقيل : خمسون ألف نفس ، ومن نواذر ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادي من يقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أو ولدها فيقول لها : أعطيني ما معك ، فتعطيها ما معها من كسوة وحلي وغيره .

قال : وكان السبب في قتلهم أنه خافَ مَنْ يصل لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله ، فشرع في القتل لعنه الله تعالى ، حتى قتل منهم نيفاً وستة آلاف قتيل ، ثم نادى الملك بتأمين مَنْ بقي وأمر أن يخرجوا فازدحموا في الباب إلى أن مات منهم خلق عظيم ، ونزلوا من الأسوار في الجبال للخشية من الازدحام في الأبواب ومبادرة إلى شرب الماء ، وكان قد تحيّر في وسط المدينة قدر سبعمائة نفس من الوجوه وحاروا في نفوسهم ، وانتظروا ما ينزل بهم ، فلمّا خلت ممّن أُسر وقُتل وأخرج من الأبواب والأسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية بأن يبادر كل منهم إلى داره بأهله ، وله الأمان ، وأرهبوا وأزعجوا ، فلمّا حصل كل واحد بمن معه من أهله في منزله اقتسمهم الإفرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك ، وأخذ كل واحد داراً بمن فيها من أهلها ، نعوذ بالله تعالى .

وكان من أهل المدينة جماعة قد عاذوا برؤوس الجبال ، وتحصنوا بمواضع منيعة ، وكادوا يهلكون من العطش ، فأمنهم الملك على نفوسهم ، وبرزوا في صور المهلكى من العطش ، فأطلق سيبلهم ، فبينما هم في الطريق إذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة ، فقتلوهما إلا القليل ممن نجا بأجله .

قال : وكان الفرنج لعنهم الله تعالى ، لما استولوا على أهل المدينة يفتضون البكر بحضرة أبيها ، والثيب بعين زوجها وأهلها ، وجرى من هذه الأحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ، ومَنْ لم يرض منهم أن يفعل ذلك في خادم أو ذات مهنة أو وخش أعطاهن خَوَلَه وغلمانَه يعيشون فيهن عيثة ، وبلغ الكفّرة منهم يومئذ ما لا تلحقه الصفة على الحقيقة ، ولمّا عزم ملك الروم

على القفول إلى بلده تُخبر من بنات المسلمين الجوّاري الأَبكار والثّيّات ذوات الجمال ، ومن صبيانهم الحسان ألوفاً عدة حملهم معه ليهديهم إلى مَنْ فوقه ، وترك من رابطة خيله ببربشتر ألفاً وخمسمائة ، ومن الرَجّالة ألفين ؛ انتهى .

قال ابن حيان : وأختم هذه الأخبار الموقظة لقلوب أولي الألباب بنادرة منها يكفى باعتبارها عمّا سواها ، وهي أن بعض تجار اليهود جاء ببربشتر بعد الحادثة ملتصقاً قدية بنات بعض الوجوه ممّن نجا من أهلها حصلن في سَهْم قومس من الرابطة فيها كان يعرفه ، قال : فهديت إلى منزله فيها ، واستأذنت عليه ، فوجدته جالساً مكان رب الدار ، مستويّاً على فراشه ، رافلاً في نفيس ثيابه ، والمجلسُ والسُريرُ كما تخلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيئاً من ريشهما وزيتهما ، ووصائفه مضمومات الشعور ، قائمات على رأسه ، ساعيات في خدمته ، فرحّبَ بي . وسألني عن قصّدي ، فعرفته وجهه ، وأشرت إلى وفور ما أبذله في بعض اللواتي على رأسه وفيهن كانت حاجتي ، فتبسم وقال بلسانه : ما أسرع ما طمعت فيمن عرضناه لك ! أعرضْ عمنّ هنا وتعرّضْ لمن شئت ممّن صيرته لخصني من سبّبي وأسراي أقاربك فيمن شئت منهن . فقلت له : أمّا الدخول إلى الحصن فلا رأي لي فيه . وبقربك أنست ، وفي كنفك اطمأنت : فسُمتني ببعض من هنا فلأنّي أصير إلى رغبتك ، فقال : وما عندك ؟ قلت : العين الكثير الطيب والبر الرفيع الغريب ، فقال : كأنّك تشهيني ما ليس عندي . يا حجة^١ . ينادي بعض أولئك الوصائف . يريد « يا بهجة » فغيره بعجمته . قومي فاعرضي عليه ما في ذلك الصندوق : فقامت إليه وأقبلت بيدَ الدنانير وأكياس الدراهم وأسفاط الحلى ، فكشف وجعل بين يدي العليج حتى كادت توارى شخصه ، ثم قال لها : أدني إلينا من تلك التخوت . فأدنت منه عدة من قطع الوشي والخز والديباج الفاخر ممّا حار له ناظري وبُهِيت .

١ الذخيرة : يا بهجة .

واستردتُ ما عندي ، ثم قال لي : لقد كثر هذا عندي حتى ما أُلذ به . ثم حلف بإلهه أنه لو لم يكن عنده شيء من هذا ثم بُذل له بأجمعه في ثمن تلك ما سَخَتَ بها يدي ، فهي ابنة صاحب المنزل ، وله حسب في قومه ، اصطفتيها لمزيد جمالها لولادتي حسبما كان قومها يصنعون بنسائنا نحن أيام دولتهم ، وقد رد لنا الكرة عليهم ، فصرنا فيما تراه ، وأزيدك بأن تلك الخوذة الناعمة ، وأشار إلى جارية أخرى قائمة إلى ناحية أخرى ، مغنية والدها التي كانت تشدو له على نشواته ، إلى أن أيقظناه من نوماته ، يا فلانة — يناديها بلكنته — خذي عودك تغني زائرنا بشجوك ، قال : فأخذت العود ، وقعدت تسويه ، ولأني لأتأمل دمعها يقطر على خدها ، فتسارق العليج مسحه ، واندفعت تغني بشعر ما فهمته أنا فضلاً عن العليج ، فصار من الغريب أن حثَّ شربه هو عليه ، وأظهر الطرب منه ، فلما يثست ممّا عنده قمت منطلقاً عنه ، وارتدتُ لتجارتي سواء ، واطّلت لكثرة ما لدى القوم من السبي والمغنم على ما طال عجبي به ، فهذا فيه مَنع لمن تدبره ، وتذكر لمن تذكّره .

قال ابن حيان : قد أشفينا بشرح هذه الحادثة الفادحة مصائب جليلة مؤذنة بوشك القلعة طالما حذر أسلافنا لحاقها بما احتملوه عمّن قبلهم من أثاره ، ولا شك عند ذوي الأبواب أن ذلك ممّا دهانا من داء التقاطع وقد أمرنا بالتواصل والألفة ، فأصبحنا من استشعار ذلك والتمادي عليه على شفا جُرْفٍ يؤدي إلى الهلكة لا محالة ؛ انتهى ببعض اختصار .

وذكر بعده كلاماً في ذم أهل ذلك الزمان من أهل الأندلس ، وأنهم يعللون أنفسهم بالباطل ، وأن من أدل الدلائل على جهلهم اغترارهم بزمانهم ، وبعدهم عن طاعة خالقهم ، ورفضهم وصية نبيهم ، وغفلتهم عن سدّ ثغورهم ، حتى أطلّ علوّهم الساعي لإطفاء نورهم ، يجوس خلال ديارهم ، ويستقري بسائط بقاعهم ، ويقطع كل يوم طرفاً ، ويبيد أمة ، ومَنّ لدينا وحوالينا من أهل كلمتنا صُمُوت عن ذكرهم ، لهاة عن بشمهم ، ما إن سمع عندنا بمسجد من

مساجدنا أو محفل من محافلنا ، مُذَكَّر لهم أو داع ، فضلاً عن نافر إليهم أو ماشٍ لهم ، حتى كأنهم ليسوا منا أو كأنَّ بِثَقَّتْهم ليس بمُقَضِّ إلينا ، وقد بخلنا عليهم بالدعاء بخلنا عليهم بالغناء ، عجائبُ فانت التقدير ، وعرضت للتغيير ، والله عاقبة الأمور ، وإليه المصير .

ولقد صدق رحمه الله تعالى ، فإن البَشَقَ سرى إليهم جميعاً كما ستراه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال قبله : إن برَبَشْتَر هذه تناسختها قرون المسلمين منذ ثلاثمائة وثلاث وستين سنة ، من عهد الفتوح الإسلامية بجزيرة الأندلس ، فرسخ فيها الإيمان ، وتُدَوَّرس القرآن ، إلى أن طرق الناعي بها قرطبتنا صلب رمضان من العام ، فصكك الأسماع ، وأطار الأفئدة ، وزلزل أرض الأندلس قاطبة ، وصير لكلِّ شغلاً يشغل الناس في التحدث به ، والتساؤل عنه ، والتصور لحلول مثله ، أياماً لم يفارقوا فيها عاداتهم من استبعاد الوجَلِ ، والاعتذار بالأمل ، والاستناد إلى أمراء الفرقة الممَّسَل ، الذين هم منهم ما بين فَشَل ووَكَسَل ، يصلونهم عن سواء السبيل ، ويلبسون عليهم وضوح الدليل ، ولم تزل آفة الناس منذ خلُّقوا في صنفين هم كالمُلمح فيهم الأمراء والفقهاء بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يفسدون ، فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صِنْفِيَّهم لدينا بما لا كفاية له ولا مخلص منه ، فالأمراء القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق ذيادة عن الجماعة ، وجَرَيّاً إلى الفرقة ، والفقهاء أئمتهم صُمُوت عنهم صُلُوف عمّا أكده الله تعالى عليهم من التبيين لهم ، قد أصبحوا ما بين أكل من حَلَوَاتهم ، وخابط في أهوائهم ، وبين مستشعرٍ مخافتهم ، آخذ في التَّقِيّة في صدقهم ، وأولئك هم الأقلون فيهم ، فما القولُ في أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها ، وما هي إلا مُشَقِيّة من بَوَارها ، ولقد طما العجب من أفعال هؤلاء الأمراء ، لم يكن عندهم لهذه الحادثة إلاّ الفزع لحفر الخنادق ، وتعلية الأسوار ، وشَدَّ الأركان ، وتوثيق البنيان ، كاشفين لعدُوهم عن السَّوأة

السَّوْأَى من لِقَائِهِمْ يَوْمَئِذٍ بِأَيْدِيهِمْ إِلَيْهِ - أُمُورٌ قَبِيحَاتُ الصُّورِ . مؤذَنَاتُ الصُّلُورِ
بِأَعْجَازِ الْغِيَرِ :

أُمُورٌ لَوْ تَدَبَّرَهَا حَكِيمٌ إِذَا لَنْتَهَى وَهَيْبَ مَا اسْتَطَاعَا

[استرجاع بر بشتَر]

ثُمَّ قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : فَلَمَّا كَانَ عَقِبُ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ٤٥٧ شَاعَ الْخَبَرُ
بِقَرْطَبَةِ بَرْجُوعِ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ أَحْمَدَ الْمُقْتَدِرَ بْنَ هُوْدِ الْمَقْرُطِ فِيهَا ،
وَالْمُتَّهَمَ عَلَى أَهْلِهَا . لَانْخِرَافِهِمْ إِلَى أَخِيهِ ، صَمَّعَهَا مَعَ إِمْدَادِ خَلِيفَةِ عَبَّادَ .
وَسَمِيَ لِإِصْمَاتِ سُوءِ الْمَقَالَةِ عَنْهُ ، وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْهَا مَا لَا يَمْحُوهُ إِلَّا
عَفْوُهُ . فَتَأَهَّبَ لِقَصْدِ بَرْبَشْتَرٍ فِي جُمُوعِ الْمُسْلِمِينَ . فَجَالَدُوا الْكُفَّارَ بِهَا
جَلَادًا ارْتَابَ مِنْهُ كُلُّ جَبَّانٍ ، وَأَعَزَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَهْلَ الْحَفِيزَةِ وَالشُّجْعَانَ ،
وَحَمَّيَ الْوُطَيْسَ بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ نَصَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْلِيَاءَهُ ، وَخَذَلَ أَعْدَاءَهُ ، وَوَلَّوْا
الْأَدْبَارَ مُقْتَحِمِينَ أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ . فَاقْتَحَمَهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ ، وَمَلَكَوهُمْ أَجْمَعِينَ ،
إِلَّا مَنْ فَرَّ مِنْ مَكَانِ الْوَقْعَةِ . وَلَمْ يَدْخُلِ الْمَدِينَةَ . فَأَجِيلَ السِّيفِ فِي الْكَافِرِينَ .
وَاسْتَوْصَلُوا أَجْمَعِينَ . إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ ، وَفُتْدِيَ مِنْ أَعْظَمِهِمْ ،
وَسَبَّوْا جَمِيعَ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ عِيَالِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ . وَمَلَكَوا الْمَدِينَةَ بِقُدْرَةِ الْخَالِقِ
الْبَارِئِ ، وَأَصِيبَ عَلَى مَنَّةِ النَّصْرِ الْمُتَّاحِ طَائِفَةٌ مِنْ حُمَاةِ الْمُسْلِمِينَ الْجَادِينَ فِي
نَصْرِ الدِّينِ ، نَحْوَ الْخَمْسِينَ ، كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى شَهَادَتَهُمْ ، وَقَتَلَ فِيهِ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ
الْكَافِرِينَ نَحْوَ أَلْفِ فَارَسٍ وَخَمْسَةِ أَلْفِ رَاجِلٍ ، فَفَسَلَهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ رِجْسِ
الشُّرْكِ ، وَجَلَوْهَا مِنْ صَدْلِ الْإِفْكَ ؛ انْتَهَى .

وَلَيْتَ طَلِيظَةَ الْبَائِسَةِ اسْتَرْجَعَتْ كَهَذِهِ ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ غَلَبَ الْعَدُوُّ بَعْدُ عَلَى
الْكُلِّ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ الْمَرْجُو فِي الْإِدَالَةِ .

[تطيلة وطرسونة]

وقال ابن اليسع : أخذ العدو مدينة تطيلة وأختها طرسونة سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

[بلنسية والقنيطور]

ولما صار أمر بلنسية إلى الفقيه القاضي أبي أحمد ابن جحاف قاضيا صيرها لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين . فحصره بها القادر بن ذي النون الذي مكّن الأذفونش من طليطلة . فهاجم عليه القاضي في لمة من المرابطين ، وقتله . ودفع ابن جحاف لما لم يعهد من تدبير السلطان ، ورجعت عنه طائفة الملتزمين الذين كان يعتد بهم . وجعل يستصرخ إلى أمير المسلمين فيبطل عليه ، وفي أثناء ذلك أنهض يوسف بن أحمد بن هود صاحب سرقسطة ردريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية ، فدخلها . وعاهده القاضي ابن جحاف ، واشترط عليه إحضار ذخيرة كانت للقادر بن ذي النون ، فأقسم أنها ليست عنده . فاشترط عليه أنه إن وجدها عنده قتله . فاتفق أنه وجدها عنده ، فأحرقه بالنار ، وعاث في بلنسية^١ ، وفيها يقول ابن خفاجة حينئذ :

عائت بساحتك الظبا يا دارُ ومحا محاسنك البلي والنارُ
فلذا تردّد في جنبك ناظرٌ طال اعتبارُ فيك واستعبارُ
أرضٌ تقاذفت الخطوبُ بأهلها وتمخضت بخرابها الأقدارُ
كبت يدُ الحداث في عرصاتها لا أنت أنت ولا الديار ديارُ

وكان استيلاء القنيطور — لعنه الله تعالى — عليها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وقيل : في التي قبلها ، وبه جزم ابن الأبار قائلا : فتم حصار القنيطور إياها

١ راجع الخبر عن حادثة بلنسية في ابن عذاري ٤ : ٣١ - ٤٢ والخيرة (٣ : ٣٠ - ٣٢) .

عشرين شهراً ، وذكر أنه دخلها صلحاً ، وقال غيره : إنه دخلها عنوة ، وأحرقها ، وعاث فيها ، وممن أحرق فيها الأديب أبو جعفر ابن النبي^١ الشاعر المشهور رحمه الله تعالى وعفا عنه ، فوجه أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين الأمير أبا محمد مزدي ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وتوالى عليها أمراء الملتزمين ، ثم صارت ليحيى بن غانية الملقب حين ولي جميع شرق الأندلس ، فقدّم عليها أخاه عبد الله بن غانية . ولما ثارت الفتنة في المائة السادسة أخرجه منها مروان بن عبد العزيز ، إلى أن قام عليه جيش بكنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وبايعوا لابن عياض ملك شرق الأندلس ، ففرّ مروان إلى المريّة ، ثم رجعت بكنسية إلى أبي عبد الله ابن مرّدّيش ملك شرق الأندلس بعد ابن عياض ، وقدّم عليه^٢ أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردنّيش ، إلى أن رجع أبو الحجاج إلى جهة بني عبد المؤمن ، إلى أن ولي عليها السيد أبو زيد عبد الرحمن ابن السيد أبي عبد الله ابن أبي حفص ابن أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي ، فلما ثار العادل بمُرسيّة تمنع واعتز ، وأظهر طاعة في باطنها معصية ، ودام على ذلك مع أبي العلاء المأمون ، وكان قائد الأعنة المشار إليه في الدفاع عن بكنسية الأمير زيان بن أبي الحملات ابن أبي الحجاج ابن مرّدّيش ، فأخرجه من بكنسية ، وملكها ، وفرّ السيد إلى النصاري .

[نهاية بكنسية]

ولم يزل أمر بكنسية يضعف باستيلاء العدو على أعمالها إلى أن حصرها ملك برشلونة النصراني ، فاستغاث زيان بصاحب إفريقية أبي زكريا ابن أبي حفص ،

١ دوزي : أبو جعفر البني وكذلك كتب في التكملة المطبوعة ؛ ولكن سجع ابن سعيد يدل على أن بنة بالنون « كتاب الله في حل قرية بنة » وهي من قرى بكنسية ؛ وقد سبق أن أشرت إلى أن البني الذي حرقه القنيطور هو غير البني الذي ترجم له صاحب القلائد .

٢ عليه : سقطت من ص .

وأوفد عليه في هذه الرسالة كاتبه الشهير أبا عبد الله ابن الأبار القضاعي صاحب كتاب « التكملة » و « إعتاب الكتّاب » وغيرهما ، فقام بين يدي السلطان منشداً قصيدته السينية الفريدة التي فضحت مَنْ بارأها ، وكبّا دونها مَنْ جاراها ، وهي^١ :

أدرك بخيلك خيل الله أندكسا	إنَّ السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمس	فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تُعانيه حُشاشتها	فطالما ذقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة أضحى أهلها جزرا	للحادثات وأمسى جدّها تعسا
في كل شارقة لئام باثقة	يعود مأمها عند العدا عرسا
وكل غاربة لإجحاف ناثبة	تثني الأمان حذاراً والسرور أسي
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم	إلاّ عقائلها المحجوبة الأنسا
وفي بكتنسية منها وقُرطبة	ما ينسف النفس أو ما يتزف النفسا
مدائن حلها الإشراف مبتسما	جدلان ، وارتحل الإيمان مبتسما
وصيرتها العوادي العائثات بها	يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا
فمن دساكر كانت دونها حرسا	ومن كنائس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدا بيّعا	وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفي عليها إلى استرجاع فائتها	مدارساً للمثاني أصبحت درسا
وأربعا نمت أيدي الربيع لها	ما شئت من خلع موشية وكسا
كانت حدائق للأحداق مونيقة	فصوّح النصر من أدواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب	يستجلس الراكب أو يستركب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا	عيث الدبا في مغانيهما التي كبسا

١ أورد ابن خلدون (٩ : ٢٨٣) هذه القصيدة ، وانظر أزهار الرياض ٢ : ٢٠٧ .

وابتر بزتها ممّا تحيّفها
فأين عيشُ جنّيناهُ بها خضرأ
عما عاسنها طاغٍ أتيح لها
ورجّ أرجاءها لما أحاط بها
خلا له الجوّ فامتدت يدها إلى
وأكثر الزعم بالثلاث منفردأ
صِلْ حبْلها أيها المولى الرحيم فما
وأحيي ما طمست منها العُدّة كما
أيام صرت لنصر الحق مستبقأ
وقمت فيها بأمر الله منتصرأ
تمحو الذي كتب التجسيم من ظلم
وتقتضي الملك الجبار مهجته
هذي رسائلها تدعوك من كُتب
وافتكّ جارية بالشّجج راجية
خاضت خضارة^١ يُعليها ويخفضها
وربما سبحت والريح عاتية
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبي
ملك تقلدت الأملأك طاعته
من كل غاد على يُمنّاه مستلماً
مؤبّد لو رمى نجماً لأثبتته
تالله إنّ الذي تُرجى السعود له
إمارة يحمل المقدارُ رايتها

١ خضارة : البحر .

يبيدي النهار بها من ضوئه شتَباً
ماضي العزيمة والأيام قد نكلت
كَأَنَّهُ البدرُ والعلياء هالته
تدبيره وسع الدنيا وما وسعت
قامت على العدل والإحسان دولته
مبارك هديُّه باد سكيَّتْهُ
قد نور الله بالتقوى بصيرته
بَرَى العصاة وراش الطائعين فقل
ولم يغادر على سهل ولا جيل
فَرُبَّ أَصِيدَ لا تُلْفِي بِهِ صَيْدًا
إلى الملائك ينمى والملوك معاً
من ساطع النورِ صاغ الله جواهره
له الثرى والثريّا خطّتان قلا
حَسَبُ الذي باع في الأخطار يركبها
إن السعيد امرؤ ألقى بحضرته
فظلَّ يوطن من أرجائها حرماً
بشرى لعبد إلى الباب الكريم حداً
كَأَنَّمَا يَمْتَنِي واليُمن يصعبه
فاستقبل السعد وضاحاً أسرته
وقبَّل الجود طَفَّاحاً غواربه
يا آيتها الملك المنصور أنْتَ لها
وقد تواترت الأنبياء أنْكَ مَنْ

١ الحي القحاح : الذين لا يدينون للملوك .

٢ ق : المد ؛ والمد : البشر القديمة الفزيرة الماء .

طَهَّرَ بلادك منهم إنهم نجس ولا طهارة ما لم تغسل^١ النجسا
وأوطىء الفيلقَ الجرّارَ أرضهم^٢ حتى يطأطأ رأساً كلُّ من رأساً
وانصر عبيداً بأقصى شرقها شرقت عيونهم أدمعاً همي زكا وخسا^٣
هم شيعةُ الأمر وهي النار قد نهكت داء متى لم تباشر حسمة انتكسا
فاملاً هنيئاً لك التأيدُ ساحتها جرّداً سلاهباً أو خطيئةً دعسا
واضرب لها موعداً بالفتح ترقبه لعل يوم الأعادي قد أتى وعمى

فبادر السلطان بإعانتهم^٤ ، وشحن الأساطيل بالمدد إليهم ، من المال والأقوات والكُسى ، فوجدوهم في هوة الحصار ، إلى أن تغلب الطاغية على بِلَنَسِيَّة ، ورجع ابن الأتار بأهله إلى تونس ، وكان تغلب العدو على بِلَنَسِيَّة صلحاً يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر من سنة ست وثلاثين وستمائة . فهزّت هذه القصيدة من الملك عِطْفَ ارتياح ، وحركت من جنانه أخفض جناح ، ولشغفه بها وحسن موقعها منه أمر شعراء حضرته بمجاوبتها ، فجابوها غير واحد . وحال العدو بين بِلَنَسِيَّة وبينه ، وتعاهد أهلها مع النصراني على أن يسلمهم في أنفسهم ، وذلك سنة سبع وثلاثين وستمائة ، أعادها الله تعالى للإسلام .

[كتندة - ٥١٤]

وقد كانت وقعة كتندة^٥ على المسلمين قبل هذا التاريخ بمدة ، وكتندة - ويقال « قتنده » بالقاف - من حيز دورقة من عمل سَرَقُسْطَة من الثغر الأعلى ، وكانت

١ قال المقرئ في الأزهار : « نفل النجسا » هكذا ثبت بالنون كما رأيته في بعض النسخ المتينة وهو أصوب مما وقع بخط بعضهم بالناء ، لأن مثله لا يصلح للمخاطبات السلطانية ، ولم يشتهر عند أكثر الناس إلا بالناء ، والصواب ما قدمته أنه بالنون ، والله أعلم .

٢ الزكا : الزوج ، والخسا : الفرد .

٣ انظر ابن عذاري ٣ : ٣٤٤ - ٣٤٥ (ط . المغرب) .

٤ في الخبر عن وقعة كتندة راجع معجم أصحاب الصدي (٧ - ٨) ومعجم ياقوت (قتنده) .

الجزيمة على المسلمين جبرهم الله تعالى ، قُتل فيها من المطوّعة نحو من عشرين ألفاً ، ولم يُقتل فيها من العسكر أحد ، وكان على المسلمين الأمير إبراهيم بن يوسف ابن تاشفين الذي أَلَفَ الفتحُ باسمه « قلائد العقيان » وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة ، وممن حضرها الشيخُ أبو علي الصديقي السابق الذكر ، وقرينه في الفضل أبو عبد الله ابن القراء خرجا غازيين ، فكانا ممّن فُقد فيها .
وقال غير واحد : إن العسكر انصرف مفلولاً إلى بَلْكَنْسِيَّة ، وإن القاضي أبا بكر ابن العربي كان ممن حضرها ، وسئل مَخْلَصَه منها عن حاله ، فقال : حال من ترك الحياء والعباء ، وهذا مثل عند المغاربة معروف ، يقال لمن ذهب ثيابه وخيامه ، بمعنى أنّه ذهب جميعُ ما لديه .

[لَوْشَة - ٦٢٢]

ودخل العلوّ لَوْشَة سنة اثنتين وعشرين وستمائة^١ ، مع السيد أبي محمد البياسي في الفتنه التي كانت بينه وبين العادل ، فعاثوا فيها أشدّ العَيْث ، ثم ردها المسلمون إلى أن أخذت بعد ذلك كما يأتي .

[المريّة - ٥٤٢]

ودخل العلوّ مدينة المريّة يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، عَنَوَة . وجكى أبو زكريا الحميلي^٢ عن أبي عبد الله ابن سعادة الشاطبي المعمر أن أبا مروان ابن ورد أتاه في النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى يديه في عضديه من خلفه ، وهزّه هزّاً عنيفاً حتى أَرعبه ، وقال له قل :

١ سنة ٦٢٣ عند ابن عذاري (٣ : ٢٤٩) .
٢ الحميلي هو يحيى بن زكريا بن علي بن يوسف الأنصاري البلنسي ، توفي سنة ٦١٩ (التكملة رقم : ٢٠٦٣) . وفي ص : الحميلي ، وهو خطأ .

أَلَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ وَيَحْكُ لَا تَنْتَمُ فَلَلهُ فِي ذَا الْخَلْقِ أَمْرٌ قَدْ أَنْبَهُمْ
فَلَا بَدَّ أَنْ يُرْزَوْا بِأَمْرِ يَسُوءُهُمْ فَقَدْ أَحْدَثُوا جَرماً عَلَى حَاكِمِ الْأُمَمِ

قال : وكان هذا في سنة أربعين وخمسمائة . فلم يمض إلا يسير حتى تغلب
الروم على المرية في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة . بعد تلك الرؤيا بعامين أو
نحوهما ، وهو ممّا حكاه ابن الأبار الحافظ في كتاب « التكملة » له .

[ترجمة الرشاطي]

وفي وقعة المزية هذه استشهد الرشاطي الإمام المشهور^١ ، وهو أبو محمد
عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف بن أحمد بن عمر ، اللخمي
الرشاطي . المريي . وكانت له عناية كبيرة بالحديث والرجال والرواة والتواريخ ،
وهو صاحب كتاب « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة
ورواة الآثار » أخذه الناس عنه . وأحسن فيه . وجمع وما قصر ، وهو على
أسلوب كتاب أبي سعد ابن السمعي الحافظ المسمى بـ « الأنساب » . وولد
الرشاطي سنة ٤٦٦ بقرية من أعمال مرسية يقال لها أوريواله — بفتح^٢ الحمزة ،
وسكون الواو . وكسر الراء . وضم المثناة التحتية . وبعد الألف لام مفتوحة ،
وبعدها هاء — وتوفي شهيداً بالمرية عند تغلب العدو عليها صبيحة الجمعة العشرين
من جمادى الأولى سنة ٥٤٢ . والرشاطي — بضم الراء . وفتح الشين المخففة —
وذكر هو أن أحد أجداده كان في جسمه شامة كبيرة . وكانت حاضنته عجمية ،
فلذا لاعبته قالت : رشاطة^٣ . وكثر ذلك منها . فقليل له : الرشاطي ؛ انتهى
ملخصاً من « وفيات الأعيان » . وبعضه بالمعنى .

١ سقطت ترجمة الرشاطي من التكملة وهي واردة في معجم أصحاب الصدفى (رقم : ٢٠٠) وابن

خلكان ٢ : ٢٩١ - ٢٩٢ وعنه ينقل المقرئ ؛ وتذكرة الحفاظ : ١٣٠٧ .

٢ ابن خلكان : بضم . ٣ يعني Roseta .

[استرداد المرية وضياعها نهائياً]

وبعد أخذ النصارى المرية هذه المرة رجعت إلى ملك المسلمين ، واستنقذها الله تعالى على يد الموحدين ، وبقيت بأيدي أهل الإسلام سنين ، وكان أول الولاية عليها حين استولى عليها أميرُ المسلمين عبد المؤمن بن علي رجلاً يقال له يوسف ابن مخلوف ، فثار عليه أهل المَريّة وقتلوه وقدّموا على أنفسهم الرميحي ، فأخذها النصارى منه عنوة كما ذكرنا ، وأحصي عدد من سبي من أبكارها فكان أربعة عشر ألفاً .

وقال ابن حبيش^١ آخر الحفاظ بالأندلس : كنت في قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها أعادها الله تعالى للإسلام ، فتقدّمت إلى زعيم الروم السليطين ، وهو ابن بنت الأذفونش ، وقلت له : إني أحفظ نسبك منك إلى هرقل ، فقال لي : قل ، فذكرته له ، فقال لي : اخرج أنت وأهلك ومن معك طلقاء بلا شيء . وابن حبيش شيخ ابن دحية وابن حنوط الله وأبي الربيع الكلاعي ، رحمهم الله تعالى .

ولما أخذت المرية أقبل إليها السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا أمير المؤمنين فحصرا النصارى بها . وزحف إليهما أبو عبد الله ابن مرْدَنيش ملكُ شرق الأندلس محارباً لهما . فكانا يقاتلان النصارى والمسلمين داخلاً وخارجاً ، ثم رأى ابنُ مردنيش العارَ على نفسه في قتالهم مع كونهم يقاتلون النصارى ، فارتحل ، فقال النصارى : ما رحل ابنُ مردنيش إلّا وقد جاءهم مدد ، فاصطلحوا ، ودخل الموحدون المدينة ، وقد خربت وضعفت ، إلى أن أحيا رَمَقَها الرئيس أبو العباس أحمد بن كمال ، وذلك أن أخته أخذت سبيّة في دخلة عبد المؤمن

١ يعني أبا القاسم الإمام الحافظ عبد الرحمن بن الأنصاري نزيل مرسية ، وحبيش هو خاله نسب إليه ، ولد بالمرية سنة ٥٠٤ وتوفي سنة ٥٨٤ وقد ترجم له كل من ابن الأثير (رقم : ١٦١٧) وابن الزبير (انظر تذكرة الحفاظ : ١٣٥٣) .

لجاجة ، فاحتلت بقصره واعتنت بأخيها ، فولاه بلده ، فصلح به حالها ، وكان جواداً حسن المحاولة كثير الرفق ، واشتهر من ولاتها في مدة بني عبد المؤمن في المائة السابعة الأمير أبو عمران ابن أبي حفص عم ملك إفريقية أبي زكريا .

ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة وثارت الأندلس على مأمون بني عبد المؤمن بسبب قيام ابن هود بِمُرُسيّة قام في المرية بدعوة ابن هود أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي يحيى ابن الرميبي ، وجدّه أبو يحيى هو الذي أخذها النصراني من يده ، ولما قام بدعوة ابن هود وفد عليه بِمُرُسيّة وولاه وزارته ، وصرف إليه سياسته ، وآل أمره معه إلى أن أغراه بأن يحصن قلعة المرية ، ويجعلها له عدة ، وهو يبغي ذلك عدة لنفسه ، وترك ابن هود فيها جارية تتعلّق ابن الرميبي بها ، واجتمع معها ، فبلغ ذلك ابن هود ، فبادر إلى المرية ، وهو مضمّر الإيقاع بابن الرميبي ، فتغدّى به قبل أن يتعشّى به ، وأخرج من قصره ميتاً ، ووجهه في تابوت إلى مُرُسيّة في البحر ، واستبدّ ابن الرميبي بملك المرية ، ثم ثار عليه ولده ، وآل الأمر بعد أحوال إلى أن تملكها ابنُ الأحمر صاحبُ غرناطة ، وبقيت في يد أولاده بعده إلى أن أخذها العدو الكافر عندما طوي بساط بلاد الأندلس كما ستنبه عليه ، والله غالبٌ على أمره .

[شعر في العقاب]

وما أحسن قول أبي إسحاق إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي في هزيمة العقاب بإشبيلية :

وقائلة أراك تُطِيلُ فكرياً كأنك قد وقفت لدى الحسابِ
فقلتُ لها أفكر في عقابٍ غداً سيياً لمعركة العقابِ
فما في أرض أندلس مُقامٌ وقد دخلَ البلاء من كلِّ بابِ

[ابن وزير]

وقول القائد أبي بكر ابن الأمير ملك شلب أبي محمد عبد الله^١ بن وزير
يخاطب منصور بني عبد المؤمن وقد التقى هو وأصحابه مع جماعة من الفرنج
فتناصفوا ، ثم كان الظفر للمسلمين :

ولما تلاقينا جرى الطعنُ بيننا
وجالَ غرارُ الهندِ فينا وفيهمُ
فلا صدرَ إلّا فيه صدرُ مُثَقَّفٍ
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا
ولكن شددنا شدّةً فتبلّدوا
فولّوا وللسمر الطّوال بهامهم
فمنّا ومنهم طائحون عديدُ
فمنّا ومنهم قائم وحصيد
وحولَ الوريدِ للحسام ورود
كلانا على حرّ الجلال جليد
ومن يتبلّد لا يزال يحيد
ركوعٌ وللبيض الرقاق سُجود

وكان المذكور من فرسان الأندلس ، وكان ابنه الفاضل أبو محمد غير مقصر
عنه فروسيةً وقدرًا وأدبًا وشعرًا ، وولاه ناصر بني عبد المؤمن مدينة قصر أبي
دانس في الجهة الغربية ، وقتله ابن هود بإشبيلية ، وزعم أنّه يروم القيام عليه ،
ومن شعره قوله في ابن عمرو صاحب أعمال إشبيلية :

لا تياأس من الخلافة بعدما
تبّا لدهر هذه أفعاله
ولي ابن عمرو خطة الأشراف
يضع النوافج في يدَي كَنَافٍ

[ضياح ماردة]

رجع - ودخل العدو كورة ماردة من محمد بن هود سنة ست وعشرين

١ قد قدمت التعليق على هذا الاسم ، وهو أبو بكر ابن أبي محمد سديري بن عبد الوهاب بن وزير
القيسي ؛ ومن بني وزير عبد الله بن وزير الذي كان يدافع عن حصن أبي دانس لما كان البرتقاليون
يحاولون الاستيلاء عليه سنة ٦١٤ .

وستماتة ، وكانت مفتتح المصائب على يده ، أعادها الله تعالى للإسلام ، وهي قاعدة بلاد الجوف في مدة العرب والعجم ، والحضرة المستجدة بعدها هي مدينة بَطْلَيْوَس ، وبين ماردة وقرطبة خمسة أيام .

[المظفر ابن الأفطس وابنه المتوكل]

وملك بَطْلَيْوَس وماردة وما إليها المظفر محمد بن المنصور بن الأفطس مشهور ، وهو من رجال « القلائد » و « الذخيرة » وهو أديب ملوك عصره بلا مدافع ولا منازع . وله التصنيف الرائق ، والتأليف الفائق ، المترجم به « التذكر المظفري » خمسون مجلداً اشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع علوم الأدب ، وقال يوماً : والله ما يمنعني من إظهار الشعر إلاّ كوني لا أقول مثل قول أبي العشائر ابن حمدان^١ :

أقرأت منه ما تخطُّ يد الوغى والبيض تشكّل والأسنة تنقُطُ

. وقول أبي فراس ابن عمة^٢ :

وجرّنا العوالي في مقام^٣ تحدث عنه ربّات الحجال
كأنّ الخيل تعلم من عليها فقي بعض على بعض تعالي

فأين هذا من قولي :

أنفت من المدام لأنّ عقلي أعزّ عليّ من أنس المدام
ولم أرتج إلى روض وزهر ولكن للحماثل والجسام

١ يتيمة الدهر ١ : ٢١٠ .

٢ ديوان أبي فراس : ٢٨٤ .

٣ الديوان : وعدت أجز رحبي عن مقام .

إذا لم أملك الشهوات قهراً فليم أبغي الشفوف على الأنام^١
وله رحمه الله تعالى :

يا لحظةُ زدْ فتوراً تزدد عليّ اقتساراً
فاللحظُ كالسيف أمضا هـ ما يرقُّ غيراراً

وابنه المتوكل من رجال « القلائد » و « المسهب » وكان في حضرة بطليوس
كالمعتمد بن عباد بإشبيلية ، قد أناخت الآمال بحضرتها ، وشدّت رحال الآداب
إلى ساحتهما ، يتردد أهل الفضائل بينهما كتردد النواصم بين جنتين ، وينظر
الأدب منهما عن مقتلين ، والمعتمد أشعر . والمتوكل أكتب .

[شعر لأبي عبد الله الفازازي]

رجع - وقال الفاضل الكاتب أبو عبد الله محمد الفازازي ، وقيل : إنّهما
وجدت برقة في جيبه يوم موته :

الرومُ تضرب في البلاد وتغنمُ والجور يأخذ ما بقي والمغرّمُ
والمال يورد كُله قشتالة والجند تسقط والرعيّة تسلم
وذوو التعين ليس فيهم مُسلم إلاّ معين في الفساد مُسلم
أسفي على تلك البلاد وأهلها الله يلطف بالجميع ويرحم

وقيل : إن هذه الأبيات رُفعت إلى سلطان بلده ، فلمّا وقف عليها قال
بعدها بكى : صدق رحمه الله تعالى ، ولو كان حيّاً ضربت عنقه .

١ سقط البيت من ص .

[ترجمة أبي زيد الفازازي]

وهذا الفازازي أخو الشاعر الشهير الكاتب الكبير أبي زيد عبد الرحمن الفازازي^١ صاحب « الأمداح » في سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وهو كما قال فيه بعضهم : صاحب القلم الأعلى ، والقيد المعلن ، أبرع من ألف وصنف ، وأبدع من قرط وشتف ، فقد طاع القلم لبنانه ، والنظم والنثر لبيانه ، كان نسيجَ وَحْدِهِ روايةً وأخباراً ، ووحيد نَسْجِهِ رويةً وابتكاراً ، وفريد وقته خبراً وإخباراً ، وصدر عصره لإيراداً وإصداراً ، صاحب فهم ، ورافع ألوية علوم ، أما الأدب فلا يُسبق فيه مضمّاره ، ولا يُشَقُّ غباره ، إن شاء إنشاءً أنشئ ووثئ ، سائل الطبع ، عذب التبع ، له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، بدائع قد خضع لها البيان وسلم ، أعجز بتلك المعجزات نظماً ونثراً ، وأوجز في تحبير تلك الآيات البينات فجلاً سِحْراً ، ورفع للقوافي رايةً استظهارٍ تخير فيها الأظهر ، فعجم وعشر وشفع وأوتر ، وأما الأصول فهي من فروعه ، في متفرق منظومه ومتثور مجموعته ، وأما النسب ، فإلى حفظه انتسب ، وأما الأيام والدول ، ففي تاريخه الأواخر والأول ، وقد سبك من هذه العلوم في مثوره وموزونه ، ما يشهد بإضافتها إلى فنونه ، وله سماع في الحديث ورواية ، وفهم بقوانينه ودراية ، سمع من أبي الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقيّ القاضي ، ومن أبي الحسن جابر بن أحمد القرشي التاريخي ، وهو آخر من حدث عنه ، ومن أبي عبد الله التُّجِيبِي كثيرٌ وهو أول من سمع عنه في حياة الحافظ أبي الطاهر السُّلَفي إذ قدم عليهم تِلْخِسان ، وأجازه الحافظ السهيلي وابن خلف

١ هو عبد الرحمن بن مخلّفت بن أحمد الجفشي الفازازي . ولد بقرطبة ونشأ بها ثم سكن تلمسان ، وكان عالماً بالحديث متصرفاً في فنونه ، كاتباً شاعراً مجوداً ، مشاركاً في أصول الفقه ، ذا معرفة بعلم الكلام . تجول ببلاد العدو والأندلس كثيراً ، وغلب عليه شعر الزهد والتصوف (التكملة رقم : ١٦٤١) .

الحافظ وغيرهما ، وولد بعد الحسين والحسمائة ، وتوفي بمراكش سنة ٦٣٧ ،
رحمه الله تعالى ؛ انتهى ملخصاً .

[سقوط ميورقة عن ابن عميرة]

رجع - ولما ثارت الأندلس على طائفة عبد المؤمن كان الوالي بجزيرة
مَيُورْقَة أبو يحيى ابن أبي عمران التينملي^١ فأخذها الفرنج منه ، كذا قال ابن سعيد ،
وقال ابن الأبار : إنها أخذت يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنة سبع
وعشرين وستمائة .

وقال المخزومي في تاريخ ميورقة^٢ : إن سبب أخذها من المسلمين أن أميرها
في ذلك الوقت محمد بن علي بن موسى كان في الدولة الماضية أحدَ أعيانها ،
ووليها سنة ست وستمائة ، واحتاج إلى الخشب المجلوب من يابسة ، فأنفذ طريدة
بحرية وقطعة حربية ، فعلم بها والي طرطوشة ، فجهز إليها مَنْ^٣ أخذها ، فعظم
ذلك على الوالي ، وحدث نفسه بالغزو لبلاد الروم ، وكان ذلك رأياً مشؤوماً .
ووقع بينه وبين الروم ، وفي آخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة بلغه
أن مسطحاً من برشلونة^٤ ظهر على يابسة ، ومركباً آخر من طرطوشة انضم إليه .
فبعث ولده في عدة قطع إليه حتى نزل مرمى يابسة ، ووجد فيه لأهل جنوة
مركباً كبيراً ، فأخذه وسار حتى أشرف على المسطح ، فقاتله وأخذه . وظن أنه
غالب الملوك ، وغاب عنه أنه أشأم من عاقر الناقة^٥ ، وأن الروم لما بلغهم الخبر

١ ق : التيفلي .

٢ هو أبو المطرف ابن عميرة المخزومي ، وقد ألف كتاباً في كائنة ميورقة قال فيه ابن عبد الملك :
إنه نحا فيه منحنى العماد في الفتح القسي ، فالمقري هنا يلخص وينقل بتصرف . (انظر كتاب
« أبو المطرف ابن عميرة » للأستاذ بن شريفة ٢٨٧ - ٢٩١) .

٣ ص : برجلونة .

٤ هو قدار الذي يضرب به المثل في الشؤم .

قالوا للملكهم وهو من ذرية أذفونش : كيف يرضى الملك بهذا الأمر ونحن نقاتل
بنفوسنا وأموالنا ؟ فأخذ عليهم العهد بذلك . وجمع عشرين ألفاً من أهل البلاد ،
وجهز في البحر ستة عشر ألفاً ، وشرط عليهم حمل السلاح ، وفي سنة ست
وعشرين وستمائة اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها الوالي . وميز نيفاً على ألف
فارس من فرسان الحضرة والرعية مثلهم ، ومن الرجال ثمانية عشر ألفاً . وذلك
في شهر ربيع الأول من السنة . ومن سوء الاتفاق أن الوالي أمر صاحب شرطته أن
يأتيه بأربعة من كباراء المصر . فساقهم وضرب أعناقهم ، وكان فيهم ابنا خاله .
وخالهما أبو حفص ابن سيري ذو المكانة الوجيعة . فاجتمعت الرعية إلى ابن سيري ،
فأخبروه بما نزل . وعزوه فيمن قُتل وقالوا : هذا أمر لا يطاق . ونحن كل يوم
إلى الموت نساقي . وعاهدوه على طلب الثأر ، وأصبح الوالي يوم الجمعة منتصف
شوال . والناس من خوفه في أهوال . ومن أمر العدو في إهمال ، فأمر صاحب
شرطته بإحضار خمسين من أهل الوجاهة والنعمة فأحضرهم . وإذا بفارس على
هيئة النذير دخل إلى الوالي ، وأخبره بأن الروم قد أقبلت . وأنه عد فوق الأربعين
من القلوع . وما فرغ من إعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر وقال : إن أسطول
العدو قد تظاهر . وقال : إنه عد سبعين شراعاً . فصيح الأمر عنده . فسمح
لهم بالصفح والعفو . وعرفهم بخبر العدو . وأمرهم بالتجهز ، فخرجوا إلى
دورهم . كأنما نُشِرُوا من قبورهم . ثم ورد الخبر بأن العدو قرب من البلد .
فإنهم عدوا مائة وخمسين قلعة . ولما عبر وقصد المرسى أخرج الوالي جماعة
تمنعهم النزول ، فباتوا على المرسى في الرجل والخيول . وفي الثامن عشر من شوال
هو يوم الاثنين . وقع المصاف . وانهزم المسلمون . وارتحل النصاري إلى المدينة .
ونزلوا منها على الحربية الخزينة من جهة باب الكحل . ولم يزل الأمر في شدة وقد
أشرفوا على أخذ البلد . ولما رأى ابن سيري^١ أن العدو قد استولى على البلد خرج

١ ق : ابن سيري .

إلى البادية ، ولما كان يوم الجمعة الحادي عشر من صفر قاتلوا البلد قتلاً شديداً .
ولما كان يوم الأحد أخذ البلد ، وأخذ منه أربعة وعشرون ألفاً قتلوا على دم واحد ،
وأخذ الوالي وعُذّب . وعاش بعد ذلك خمسة وأربعين يوماً . ومات تحت
العذاب . وأما ابن سيري فإنه صعد إلى الجبل . وهو منيع لا يُنال من تحصن
فيه ، وجمع عنده ستة عشر ألف مقاتل ، وما زال يقاتل إلى أن قُتل يوم الجمعة
عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وجده من آل جبلة بن الأيهم
الفساني ، وأما الحصون فأخذت في آخر رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وفي
شهر شعبان لحق من نجا من المسلمين إلى بلاد الإسلام ؛ انتهى ما ذكره ابن
عميرة المخزومي ملخصاً .

وكان بميُورقة جماعة أعلام وشعراء ، ومن شعر ابن عبد الولي الميورقي ^١ :

هل أمانٌ من لحظك الفتانِ وقوامٍ يميلُ كالخيزرانِ
مهجتي منك في جحيمٍ . ولكنَّ جفوني قد مُتعت في جنانِ
فتتني لواحظ ساحرات لستُ أخشى من فتنة الشيطانِ

[سعيد بن حكيم في منورقة]

ولما استولى النصارى على ميُورقة في التاريخ المتقدم ثار بجزيرة منورقة ،
وهي قرية منها ، الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي . وكان وليها
من قبل الوالي أبي يحيى المقتول . وتصالح مع النصارى على ضريبة معلومة .
واشترط أن لا يدخل جزيرته أحد من النصارى . وضبطها أحسن ضبط . قال
أبو الحسن علي بن سعيد : أخبرني أحد من اجتمع به أنه لقي منه برّاً حبيب إليه
الإقامة في تلك الجزيرة المنقطعة . وذكر أنه ركب معه فنظر إلى حمالة سيف

١ ترجمته وشمه في المغرب ٢ : ٤٦٨ .

ضيقة وقد أثرت في عنقه ، فأمر له بإحسان وغباز . وكتب معه :

حمالة السيف تُوْهي جيدَ حاملها لا سيّما يومَ إسراع وإنجازِ
وخيرُ ما استعمل الإنسانُ يومئذٍ لحمُ علّتها إلباسُ غبازِ

والغباز عند أهل المغرب : صنف من الملابس غليظ يستر العنق .
وأصل أبي عثمان من مدينة طيبة من غرب الأندلس ، وقد ألفت باسمه
التأليف المشهورة بالمغرب ككتاب « رَوْحُ الشجر وروح الشعر » وغيره ؛
وأخذ العدو منورقة بعد مدة .

[سقوط عدة مدن]

وأخذ العدو جزيرة شقر صلحاً سنة تسع وثلاثين وستمائة في آخرها .
وأخذ العدو - دمره الله تعالى - مدينة سَرْقُسْطَة يوم الأربعاء لأربع خلون من
رمضان سنة اثني عشرة وخمسمائة .
وكان استيلاء الإفرنج على شرق الأندلس شاطبة وغيرها وإجلاؤهم مَنْ
يشاركهم من المسلمين فيما تغلبوا عليه منها في شهر رمضان سنة خمس وأربعين
وستمائة .

وكان استيلاء العدو - دمره الله تعالى - على مدينة قُرْطُبَة يوم الأحد الثالث
والعشرين لشوال من سنة ست وثلاثين وستمائة .
وكان تملك العدو مُرْسِيَة صلحاً ظهر يوم الخميس العاشر من شوال . قدم
أحمد بن محمد بن هود ولد والي مرسية بجماعة من وجوه النصاري . فملكهم
إياها صلحاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وحصر العدو إشبيلية سنة خمس وأربعين وستمائة . وفي يوم الاثنين الخامس
من شعبان للسنة بعدها ملكها الطاغية صاحب قشتالة صلحاً بعد منازلتها حولاً كاملاً
وخمسة أشهر أو نحوها . وقال ابن الأبار في ترجمة أبي علي الشلوين من « التكملة »

ما صورته : وتوفي بين يدي منازل الروم إشبيلية ليلة الخميس منتصف صفر سنة خمس وأربعين وستمائة ، وفي العام القابل ملكها الروم .

[موقعة أنيشة - ٦٣٤ و ترجمة أبي الربيع ابن سالم]

وكانت وقعة أنيشة^١ التي قُتل بها الحافظ أبو الربيع الكلاعي رحمه الله تعالى يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة ، ولم يزل رحمه الله تعالى متقدماً أمام الصفوف زحفاً إلى الكفار مقبلاً على العدو ينادي بالمتهمين : أعن الجنة تفرون ؟ حتى قُتل صابراً محتسباً برّده الله تعالى مضجعه . وكان دائماً يقول : إن منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره ، فكان كذلك ، ورثاه تلميذه الحافظ أبو عبد الله ابن الأبار بقصيدته الميمية الشهيرة التي أولها^٢ :

ألمّا بأشلاء العُلا والمكارم تقدّ بأطراف القنا والصّوارم
وعوجاً علّيتها مأرباً وحفاوة^٣ مصارع خُصّت بالطلي والجماجم
نُحيي وجوهاً في الجنان وجبهة [بما لقيت حمراً وجوه الملاحم]
[وأجساد إيمان كساها نجيعها]^٤ مجاسد من نسج الطّي واللاهزم
وهي طويلة .

ومن شعر الحافظ أبي الربيع المذكور^٥ :

١ انظر الروض المطار : (أنيشة) .

٢ أوردها ابن عبد الملك في الذيل ؛ : ٩٠ ~ ٩٥ .

٣ الأصول : ومقازة .

٤ صوبناه عن الذيل بزيادة ما بين معقنين .

٥ الذيل والتكملة ؛ : ٨٨ .

تولّت ليالٍ للغواية جُؤنُ
ركابٍ شبابٍ أزمعت عنك رحلةً
ولا أكذب الرحمنَ فيما أُجِنهُ
ومن لم يحلْ أنَّ الرياء يشينه
لقد ريعَ قلبي للشباب وفقده
وألّني وخطُ المشيب بلمّسي
وليل شبّابي كان أنصَرَ منظراً
فأهاً على عيش تكدر صفوه
ويا وينحَ قوادي أو قوادي كلما
حرامٌ على قلبي سكونٌ بغرة^١
وقالوا شباب المرء شعبة جنة
وقالوا شجاك الشيب حدثان ما أتى

وقوله^٢ :

أمّولى الموالى ليسَ غيرك لي مولى
تباركَ وجهٌ وجهت نحوه المنى
وما هو إلا وجهك الدائم الذي
تبرأتُ من حولي إليك وقوّتي
وهب لي الرضى ما لي سوى ذاك مبتغى
وما أحد ياربّ منك بهذا^٣ أولى
فأوزعها شكراً وأوسعها طوّلاً
أقلُّ حليّ عليائه يُخرسُ القولا
فكن قوّتي في مطلبي وكُنِ الحلولا
ولو لقيت نفسي على نيله الهولاً

وكان — رحمه الله تعالى — حافظاً للحديث ، مبرّزاً في نقده ، تام المعرفة

١ الذيل : يقره .

٢ الذيل : ٨٧ .

٣ ق : بنا .

بطرقه ، ضابطاً لأحكام أسانيده ، ذاكرراً لرجاله . ريتان من الأدب ، خطب ببلنسية . واستقصى ، وكان مع ذلك من أولي الحزم والبسالة والإقدام والجزالة ، حضر الغزوات وباشق القتال بنفسه وأبلى بلاء حسناً . وروى عن أبي القاسم ابن حبيش وطبقته ، وصنف كتباً منها « مصباح الظلم » في الحديث . و « الأربعون » عن أربعين شيخاً لأربعين من الصحابة ، و « الأربعون السباعية » و « السبعيات » من حديث الصديقي ، و « حلية الأمالي في المواقفات والعوالي » و « تحفة الرواد » ونجعة الرواد^١ ، و « المسلسلات » و « الإنشادات » و « كتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء » و « ميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين » في غرض كتاب الاستيعاب ، ولم يكمله ، و « المعجم » فيمن وافقت كنيته [كنية] زوجه من الصحابة ، و « الإعلام بأخبار البخاري الإمام » و « المعجم في مشيخة أبي القاسم ابن حبيش » و « برنامج رواياته »^٢ و « جني الرطب في سني الخطب » و « نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال » و « جهد النصيح »^٣ في معارضة المعري في خطبة النصيح » و « الامثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الأمثال » و « مفاوضة القلب العليل ومناودة الأمل الطويل بطريقة المعري في ملقى السيل » و « مجاز فتيا اللحن للاحن الممتحن » مائة مسألة ملغزة . و « نتيجة الحب الصميم وزكاة المنشور والمنظوم في مثال النعل النبوية على لابسها أفضل الصلاة والسلام » . قال ابن رشيد : لو قال وزكاة النثر والنظيم لكان أحسن . وله كتاب « الصحف المنشرة في القطع المعشرة » و « ديوان رسائله » سفر ، و « ديوان شعره » سفر^٤ . ركتب إلى الأديب الشهير أبي بحر صفوان بن إدريس المرسى عقب انفصاله من

١ سماه ابن عبد الملك : « تحفة الرواد في العوالي البدلية والامتداد » .

٢ الذيل : مرويقاته .

٣ الذيل : وجه النصيح وحظ المنيع .

٤ الذيل : سفر .

بلنسية سنة ٥٨٧ :

أحزنُ إلى نجدٍ ومن حلَّ في نجدٍ
وقدْ أوطنوها وادَّعينَ وخلَّفوا
تبيينَ بالبينِ اشتياقي إليهمُ
وضاقت عليَّ الأرضُ حتى كأنَّها
إلى الله أشكو ما أَلَاقي من الجوى
فراقُ أخلاءٍ وصدِّ أحبَّنة
فيا سَرَحَتِي نجدُ ، نداءً متيمَّ
ظمئتُ فهل طلُّ يبرِّدُ لوعتي
ويا زمناً قد بانَ غيرَ مُدَمِّمٍ
لياليَ نجني الأُنسَ من شجرِ المني
وسقياً لإخوانٍ بأكتافٍ حاجرٍ
وكم لي بنجدٍ من سريٍّ ممجدٍ
أخو همةٍ كالزهرِ في بُعدِ نيلها
تجمَّعت الأضدادُ فيهٍ حميدة
أيا راحلاً أودى بصبري رحيله
أتعلم ما يلقي القواد لبُعدكم
فيا ليت شعري هل تعود لنا المني
عسى الله أن يلني السرور بقربكم

وماذا الذي يغني حنينيَ أو يُجدي
محبَّهمُ رهنَ الصبابةِ والوجد
ووجدني فساوى ما أُجِنُ الذي أبدي
وشاحٌ بخصري أو سوار على زندي
وبعض الذي لاقيته من جوى يُردي
كأنَّ صروف الدهر كانت على وعد
لَهُ أبداً شوق إلى سرحتي نجد
ضحيت فهل ظلُّ يسكن من وجدني
لعلَّ لأنسٍ قد تصرَّم مِن رَدِّ
ونقطف زهر الوصل من شجر الصدِّ
كرام السجايا لا يحولون عن عهد
ولا كابنٍ لإدريس أخِي البشر والمجد
وذو خلُقٍ كالزهر غيبَ الحيا العبد
فمن خلق سبط ومن حسب جعد
وفلل من عزمي وثلَّم من حدِّي
ألا مذ نأيتُم ما يُعيد ولا يُبدي
وعيشٌ كما نَمَنَمَت حاشيتي بُرد
فيبدو ، ومنَّ الشمل منتظم العقد

[ابن العربي ومعركة ٥٢٧]

وقال الحافظ القاضي أبو بكر ابن العربي في « أحكام القرآن »^٢ عند تفسير

١ ق : وما أبدي .

٢ انظر أحكام القرآن ج ٢ : ٩٤٣ .

قوله تعالى ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ (التوبة : ٤١) ما صورته : ولقد نزل بنا العدو - قصمه الله تعالى - سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، فجاس ديارنا ، وأسر جيرتنا ، وتوسّط بلادنا في عدّد حلد الناس عدده فكان كثيراً ، وإن لم يبلغ ما حدوده ، فقلت للوالي والمولى عليه : هذا عدو الله قد حصل في الشّرك والشّبكة ، فلتكن عندكم بركة ، ولتكن منكم إلى نصره الدين المتعينة عليكم حركة . فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع الأقطار ، فيحاط به ، فإنّه هالك لا محالة إن يسّركم الله له ؛ فغلبت الذنوب ، ورجفت بالمعاصي القلوب ، وصار كل أحد من الناس ثعلباً يأوي إلى وجاره ، وإن رأى المكيّدة يجاره ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل : انتهى .

ولا خفاء أن هذا كان قبل أخذ العدو شرق الأندلس وسرّ قسطة وميورة وغيرها ممّا قدمنا ذكره ، والبدايات ، عُنْوانٌ على النهايات .

[قصيدة الوقشي في مدح أبي يعقوب]

وقال أبو جعفر الوقشي البلنسي^١ نزيل مالقة يمدح أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي :

أبت غير ماء بالنخيل ورودا	وهامت به عذب الجمام بزودا
وقالت لحاديها أئتم زيادة	على العشر في وردي له فأزيدا
غلبتك ما هذا القنوع وما أنا	عهدتك لا تشين عنه وريدا
أنونا إذا ما كنت منه قرية	وضباً إذا ما كان عنك بعيدا
ردي حضرة الملك الظليل رواقه	لعمري ففيها محمد بن ورودا
بحيث إمام الدين يوسع فضله	جميع البرايا مبدئاً ومُعِيدا

١ البلنسي : سقطت من ق : وقد كان أبو جعفر الوقشي وزيراً لابن هشك . وهو مدوح الرصافي البلنسي .

أعاد إليها الأتسَ بعد شروده وأحيا لنا ما كان منه أليدا
ولتَنَ أيام الزمان بعدله وكانت حديداً في الخطوب حليدا
فلا ليلة إلا يروكك حسنها ولا يوم إلا عاد يفضل عيدا

ومنها يصف حال الأندلس ويبعث على الجهاد :

ألا لَيتَ شعري هل يمد لي المدي فأبصرَ شملَ المشركين طريدا
وهل بعدُ يقضى في النصارى بنصرة تغادرهم للمرهقات حصيدا
ويغزو أبو يعقوبَ في شنتَ ياقب يُعيدُ عميدَ الكافرينَ عميدا
ويلقي على إفرنجهم عبءَ كلكل فيتركهم فوق الصَّعيد هُجودا
يغادرهم جَرَحَى وقلى مبرحاً ركوعاً على وجه الفلا وسُجودا
ويفتكُّ من أيدي الطغاة نواعماً تبدلن من نظمِ الحجول قيودا
وأقبلن في خشن المسوح وطلما سجن من الوشي الرقيق بُرودا
وغبَرَ منهن الترابُ ترائباً وخدد منهن الهجيرُ خدودا
فحق لداعي أن يفيض لأزرق تملكها دُعج المدامع سودا
ويالف نفسي من معاصم طفلة تجاورُ بالقيد الأليم نهودا
ويا أسفاً ما إن يزال مُردداً على شملِ أعياد أُعيد بديدا
وآهاً تمدُّ الصوت منتحباً على خلوت ديار لو يكون مفيدا

وقال في آخرها ، وهو مما استحسنته الناس :

حملتُ إليه من نظامي قلادة يلقبها أهلُ الكلام قصيدا
غدت يومَ إنشاد القريض وحيدة كما قصدت في المعلوات وحيدا

ولما تمهدت الأندلس لعبد المؤمن وبنيه كان لهم فيها وقائع مع عدو الدين ،
واجتاز إليها عبدُ المؤمن . ثم لما ولي بعده ملكه ابنه يوسف دخل الأندلس سنة
٥٦٦ هـ ، وفي صحبته مائة ألف فارس من العرب والموحدين ، فتزل بإشبيلية ،

فخافه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردّيش صاحبُ شرق الأندلس :
 مُرْسِيّة وأعمالها وما انضاف إليها ، فحمل على قلبه فمرض فمات ، وشرع
 السلطان يوسف في استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج ، فاتسعت مملكته
 بالأندلس ، وأغارَت سراياه على طُلَيْطَلَة إذ هي قاعدة ملكهم ، ثم إنّه حاصرها
 فاجتمعت طائفة الفرنج عليه ، واشتد الغلاء في عسكره ، فرحل عنها وعاد إلى
 حضرة ملكه مراکش المحروسة .

[قصيدة في استنهاض الحفهي بعد سقوط بلنسية]

ولم يزل أهل الأندلس بعد ظهور النصارى — دمرهم الله تعالى — على كثير
 منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لأخذ الثار ، بالنظم والثار ، فلم ينفعهم
 ذلك حتى اتسع الخرق ، وأعضل الداء أهل الغرب والشرق ، فمن القصائد
 الموجهة في ذلك قولُ بعضهم لما أخذت بلنسية يخاطب صاحب إفريقية أبا زكريا
 ابن عبد الواحد بن أبي حفص :

نادتك أندلسٌ فلبَّ نداءها	واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العليّة فاحبها	من عاطفاتك ما بقي حوّباءها
واشدد بجلبك جرّد خيلك أزرها	تردّد على أعقابها أرزاءها
هي دارك القصوى أوت لإيالة	ضمنت لها مع نصرها لبواءها
وبها عيبك لا بقاء لهم سوى	سُبُل الضّراعة يسلكون سواءها
خلعت قلوبهم هناك عزاءها	لما رأت أبصارهم ما ساءها
دُفِعُوا لأبكار الخطوب وعُونِها	فهمُ الغداة يصابرون عناءها
وتنكرت لهم الليالي فاقتضت	سَرّاءها وقضتهمُ ضراءها
تلك الجزيرة لا بقاء لها إذا	لم يضمن الفتحُ القريبُ بقاءها
رِشٌ أيها المولى الرحيم جناحها	واعقد بأرشية النجاة رِشاءها

أشقى على طرف الحياة ذمّاؤها
حاشاك أن تفنى حشاشتها وقد
طافَتْ بطائفة الهدى آمالها
واستشرقتْ أمصارها لإمارة
يا حشري لعقائل معقولة
إيه بالنسية وفي ذكراك ما
كيف السبيل إلى احتلال معاهد
ولّى ربّي وأباطح لم تعرّ من
طاب العرسُ والمقيّلُ خلالها
بأبي مدارسُ كالطلول دوارسُ
ومصانع كسف الضلال صباحها
راحتْ بها الورقاء تسمعُ شدّوها
عجبا لأهل النار حلّوا جنةً
أملتْ لهم فتعجلوا ما أمّلوا
بعداً لنفس أبصرت إسلامها
أمّا العلوج فقد أحوالوا حالها
أهدى إليها بالملكاه جارج
وكفى أنّى أنّ الفواجع جمّة
هيهات في نظر الإمارة كفّ ما
مولاي هاك مُعادة أنباءها
جرّدْ ظباك لمحو آثار العدا
واستدعِ طائفة الإمام لغزوها
لا غرو أن يعزى الظهور للمّة
إنّ الأعاجم للأعارب نبهة

فاستبقِ للدين الحنيف ذمّاها
قَصَرَتْ عليك نداءها ورجاءها
ترجّو بيحيى المرتضى إحياءها
عقدت لنصر المستضام لواءها
سمّ الهدى نحو الضلال هداءها
يمري الشؤن دماءها لا ماءها
شبّ الأعاجم دونها هيّجاءها
حلّل الربيع مصيفها وشتاءها
وتطلعت غررُ المنى أثناءها
نسخت نواقيسُ الصليب نداءها
فيخاله الرائي إليه مساءها
وغدت ترجّع نوحها وبكاءها
منها تمدّ عليهم أفياءها
أيامهم لا سوّغوا إملاءها
فتوكفت عن حزبها إسلاءها
فمّن المطيقُ علاجها وشفاءها
للكفر كرة ماءها وهواءها
فمّن يقاوم أسوأها أسواءها
تخشاه . ليت الشكر كان كفاءها
لتتيل منك سعادة أبنائها
تقتل ضراغيمها وتسبّ طباءها
تسبقُ إلى أمثالها استدعاءها
لم يبرحوا دون الورى ظهراءها
مهما أمرت بغزوها أحياءها

تالله لو دبَّتْ لها دبابُها
ولو استقلتْ عوفها لقتالها
أرسلْ جوارحها تيمثك بصيدها
هَبُّوا لها يا معشر التَّوْحِيدِ قد
إنَّ الحفائظ من خللكمُ التي
هي نكتة المحيا فحيَّهَلا بها
أوّلوا الجزيرة نصرةً إنَّ العدا
نقصت بأهل الشُّرك من أطرافها
حاشاكمُ أن تضمروا إلغاءها
خوضوا إليها بحرها يصبحْ لكمُ
وافى الصرِيخُ مثوباً يدعو لها
دار الجهاد فلا تفتكم ساحةً
هذي رسائلها تُناجي بالتي
ولربما أنهت سوابل للنُّهى
وفدت على الدار العزيزة تجتني
مستقيات من غيوث غياثها
قدْ أمتت في سبلها أهواءها
وبحسبها أنَّ الأمير المرتضى
في الله ما ينويه من إدراكها
بشرى لأندلس تحبُّ لقاءه
صدق الرواة المخبرون بأنَّه
إن دَوَّخ العربُ الصعابَ مقادة
فكانَ بفيئلقه العرمرمَ فالقاً
أنذرهمُ بالبطشة الكبرى فقد

لَطَوَتْ عليها أرضَها وسماءها
لاستقبلت بالمقربات عفاءها
صيداً ونادٍ لطحنها أرحاءها
آنَ الهبوبُ وأحرزُوا علباءها
لا يرهبُ الداعي بين خلاها
تجلدوا سنّاها في غدٍ وسناءها
تبغي على أقطارها استيلاءها
فاستحفظوا بالمؤمنين نساءها
في أزمة أو تضمروا إقصاءها
رَهْوا وجوبوا نحوها بيئاءها
فلتجملوا قصده الثواب ثواءها
ساوت بها أحيائها شهداءها
وقفت عليها ريشها ونجاءها
من كائنات حملت أنباءها
آلاءها أو تجلي آراءها
ما وقَّعه يتقدّمُ استسقاءها
إذ سوَّغت في ظلّها أهواءها
مترقّبٌ بفتوحها آناءها
بكلاءة يَفْلدي أبي أكلاءها
ويحبُّ في ذاتِ الإله لقاءها
يَشْفِي ضنّاتها أو يُعيد رُواءها
وأبى عليها أن تطيع إباءها
هامَ الأعاجم ناسفاً أرجاءها
نذرت صوارمهُ الرقاق دماءها

لا يعلم الزمن انتصار مؤيد
ملك أمد النيرين بنوره
خضعت جبابرة الملوك لعزه
أبقى أبو حفص إمارته له
سل دَعْوَة المهدي عن آثاره
فزا عداها واسترق رقاياها
قبضت يدها على البسيطة قبضة
فعلى المشارق والمغارب ميسم
تطمو بتونسها بحار جيوشه
وسع الزمان فضاك عنه جلالة
ما أزمع الإيغال في أكتافها
دانت له الدنيا وشُم ملوكها
ردت سعادته على أدراجها
إن يعم الدول العزيزة بأسه
تقع الجلائل وهو راس راسخ
كالطود في عصف الرياح وقصفها
سامي اللوائب في أعز ذؤابة
بركت بكل محلة بركاته
كالغيث صب على البسيطة صوبه
ينميه عبد الواحد الأرضى إلى
في تبعة كرم وطابت مغرساً
ظهرت لمحتدها السماء وجاوزت
فئة كرام لا تكف عن الوغى
وتكبت في نار القرى فوق النرا

تسوغ الدنيا به سراءها
وأفاده لألاؤه لألاءها
ونضت بكف صغارها خيلاءها
فسما إليها حاملاً أعباءها
تنبيك أن ظباه قمن إزاءها
وحمي حماها واسترد بهاءها
قادت له في قده أمراءها
لهده شرف وسمه أسماءها
فيزور زاهر موجها زوراءها
والأرض طراً ضنكها وفضاءها
إلا تصيد عزمه زعماءها
فاحتل من رتب العلا شماءها
ليل الزمان ونهنت غلواءها
فالآن يولي جوده إعطاءها
فيها يوقع للسعود جلاءها
لا رهوها يخشى ولا هوجاءها
أعلت على قيم النجوم بناءها
شفعاً يبادر بنها شفعاءها
فسقى عمائرها وجاد قواءها
عليها فتمنح بأسها وسخاءها
وسمت وطالت نضرة نظراءها
لسراقات فخارها جوزاءها
حتى تُصرع حولها أكفاءها
من عزة ألويتها وكتباءها

قد خلّقوا الأيام طيباً خلّاق
 يَنْضُونُ في طلب النفائس أنفُساً
 وإذا انتصوا يوم الكربة يبيضهم
 لا عذر عند المكرمات لهم متى
 قومُ الأمير فمن يقوم بما لهم
 صفحاً جميلاً أيها الملك الرضى
 تقف القوافي دونهن حيرة
 فاعلّ علياكم تسامح راجياً
 فثنت إليهم حمداً وثناءها
 حبسوا على إحرازها إمضاءها
 أبصرت فيهم قطعها ومضاءها
 لم تستين لعفاتهم عذراءها
 من صالحات أفحمت شعراءها
 عن محكمات لم تُطّق إحصاءها
 لا عيبها تُخفي ولا إعياءها
 إصغاءها ومؤملاً إغضاءها

[في رثاء طليطلة]

ومن ذلك قول بعضهم يندب طليطلة أعادها الله تعالى للإسلام :

لكلك كيف تبسم الثغور
 أما وأبي مصاب هدّ منه
 لقد قصّمت ظهور حين قالوا
 ترى في الدهر مسروراً بعيش
 أليس بها أباي النفس شهم
 لقد خضعت رقاب كُنْ غلباً
 وهان على عزيز القوم ذل
 طليطلة أباح الكفر منها
 فليس مثالها إيوان كسرى
 محصنة محصنة بعيد
 ألم تك معقلاً للدين صعباً
 وأخرج أهلها منها جميعاً
 سروراً بعلمها سببت ثغور
 ثبير الدين فاتصل الثبور
 أمير الكافرين له ظهور
 مضى عنا لطيفته السرور
 يدير على الدوائر إذ تدور
 وزال عتوها ومضى الثغور
 وسامح في الحرم فتي غيور
 حماها . إن ذا نبأ كبير
 ولا منها الحورنق والسدير
 تناولها ومطلّبها عنير
 فذلل كما شاء القدير
 فصاروا حيث شاء بهم مصير

وكانت دارَ إيمان وعلم
فعدت دارَ كفر مصطفاة
مساجدُها كنائسُ ، أيُّ قلب
فيا أسفاه يا أسفاه حزناً
وينشر كل حسن ليس يطوى
أدبِلت قاصرات الطَّرف كانت
وأدركها فتورٌ في انتظار
وكان بنا وبالقيئات^١ أولى
لقد سخَّنت بحالتهم عينٌ
لئن غبنا عن الإخوانِ إنّا
نُدور كان للأيام فيهم
فإن قلنا العقوبة أدركتهم
فإنّا مثلهم وأشدُّ منهم
أنأمنُ أن يحلَّ بنا انتقام
وأكلٌ للحرام ولا اضطرار
ولكن جرأةً في عُقر دار
يزول السرُّ عن قومٍ إذا ما
يطولُ عليّ ليلي ، ربّ خطب
خلوا ثأر الديانة وانصروها
ولا تنهوا وسلّوا كلَّ عَضْبٍ
وموتوا كلِّكم فاللوتُ أولى
أصبراً بعد سيي وامتحن

معالمها التي طمست تُنيرُ
قد اضطربت بأهلها الأمورُ
على هذا يقرُّ ولا يطيرُ ؟
يُكرّرُ ما تكرّرت الدهورُ
إلى يومٍ يكون بهِ النشورُ
مَصُوناتٍ مساكنها القصورُ
لِسِرْبٍ في لوحه فتورُ
لو انضمت على الكلِّ القبورُ
وكيف يصحُّ مغلوبٌ قريرُ
بأحزانٍ وأشجانٍ حُضورُ
بمهلكهم فقد وفّت النورُ
وجاءهم من الله النكيرُ
نجورُ وكيف يسلم من يجورُ
وفينا الفسق أجمع والفجورُ
إليه فيسهلُ الأمرُ العسيرُ
كذلك يفعلُ الكلبُ العقورُ
على العصيان أرخيت الستورُ
يطولُ هوله الليلُ القصيرُ
فقد حامت على القتلى النورُ
تهابُ مضارباً منه النحورُ
بكم من أن تجاروا أو تجوروا
يلامُ عليهما القلبُ الصبورُ

فَأَمُّ الثَّكَلِ مِذْكَارٌ وَلَوْ
نَحُورٌ إِذَا دُهِينَا بِالرِّزَايَا
وَنَجِينٌ لَيْسَ نَزَارٌ ، لَوْ شَجَعْنَا
لَقَدْ سَاءَتْ بِنَا الْأَخْبَارُ حَتَّى
أَتَتْنَا الْكُتُبُ فِيهَا كُلُّ شَرٍّ
وَقِيلَ تَجَمَّعُوا لِفِرَاقٍ شَمَلٍ
فَقُتِلَ فِي خُطَّةٍ فِيهَا صَغَارٌ
لَقَدْ صَمَّ السَّمِيعُ فَلَمْ يَعُولَ
تَجَاذِبْنَا الْأَعَادِي بِاصْطِنَاعٍ
فَبَاقٍ فِي الدِّيَانَةِ تَحْتَ خَزِيٍّ
وَأَخْرَجَ مَارِقٌ هَانَتْ عَلَيْهِ
كَفَى حَزَنًا بِأَنَّ النَّاسَ قَالُوا
أَتَرَكَ دُورَنَا وَتَفَرَّ عَنْهَا
وَلَا تَمَّ الضِّيَاعُ تَرَوْقُ حَسَنًا
وِظَلٌّ وَارْفٌ وَخَرِيرُ مَاءٍ
وَيُؤْكَلُ مِنْ فَوَاكِههَا طَرِيٌّ
يُودَى مَغْرَمٌ فِي كُلِّ شَهْرٍ
فَهَمٌ أَحْمَى لِحُوزَتِنَا وَأُولَى
لَقَدْ ذَهَبَ الْيَقِينُ فَلَا يَقِينُ
فَلَا دِينَ وَلَا دُنْيَا وَلَكِنْ
رَضُوا بِالرَّقِّ يَا اللَّهَ مَاذَا
مَضَى الْإِسْلَامَ فَابُكْ دَمًا عَلَيْهِ
وَنُحْ وَأَنْدَبَ رِفَاقًا فِي فَلَاحٍ
وَلَا تَجَنَّحْ إِلَى سَلَمٍ وَحَارِبٍ

وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ
وَلَيْسَ بِمَعْجَبٍ بِقَرٍّ يَخُورُ
وَلَمْ نَجِبْنِ لَكَانَ لَنَا زَيْرُ
أَمَاتِ الْمَخْبِرِينَ بِهَا الْخَبِيرُ
وَبَشَرْنَا بِأَنْحَسْنَا الْبَشِيرُ
طَلِبُطَّةٌ تَمْلِكُهَا الْكَفُورُ
يَشِيبُ لَكَرْبَهَا الطُّفْلُ الصَّغِيرُ
عَلَى نَبْلٍ كَمَا عَمِيَ الْبَصِيرُ
فَيَنْجَذِبُ الْمَخُولُ وَالْفَقِيرُ
تَثْبِطُهُ الشُّؤْبَةُ وَالْبَعِيرُ
مَصَابُ دِينِهِ فَلَهُ السَّعِيرُ
إِلَى أَيْنِ التَّحَوُّلِ وَالْمَسِيرُ
وَلَيْسَ لَنَا وَرَاءَ الْبَحْرِ دُورُ
نَبَاكِرُهَا فَيَعْجِبُنَا الْبُكُورُ
فَلَا قَرٌّ هُنَاكَ وَلَا حَرُورُ
وَيُشْرَبُ مِنْ جَدَاوِلِهَا نَمِيرُ
وَيُؤْخَذُ كُلُّ صَائِفَةٍ عَشُورُ
بِنَا وَهُمْ الْمَوَالِي وَالْعَشِيرُ
وَعَرَّ الْقَوْمَ بِاللَّهِ الْغَرُورُ
غُرُورٌ بِالْمَعِيشَةِ مَا غُرُورُ
رَأَاهُ وَمَا أَشَارَ بِهِ مُشِيرُ
فَمَا يَنْفِي الْجَوَى الدَّمْعُ الْغَزِيرُ
حَيَارَى لَا تَحْطُ وَلَا تَسِيرُ
عَسَى أَنْ يُجَبَّرَ الْعَظْمُ الْكَسِيرُ

أنعمى عن مرشدنا جميعاً ولو أننا ثبتنا كان خيراً
ونلقى واحداً ويفرُّ جمعٌ كما عن قانصٍ فرّت حميرُ
ولو أننا ثبتنا كان خيراً ولكن ما لنا كرمٌ وخيرُ
إذا ما لم يكن صبرٌ جميلٌ فليس بتافع عددٌ كثيرُ
ألا رجلٌ له رأيٌ أصيلٌ به ممّا نحاذرُ نستجيرُ
يكرُّ إذا السيوف تناولتهُ وأين بنا إذا ولّت كرورُ
ويطعن بالقنا الخطار حتى يقول الرمح ما هذا الخطيرُ
عظيم أن يكون الناس طُرّاً بأندلسٍ قتيلٌ أو أسيرُ
أذكرُ بالقراع الليث حرصاً على أن يقرع البيض الذكورُ
يبادرُ خرقها قبل اتساع لخطبٍ منه تنخسفُ البلورُ
يوسعُ للذي يلقاه صدرأ فقد ضاقت بما تلقى صدورُ
تنغصت الحياة فلا حياةً وودع جيرة إذ لا مجيرُ
فليلٌ فيه همٌ مستكنٌ ويومٌ فيه شرٌ مستطيرُ
ونرجو أن يُتيحَ الله نصراً عليهم ، لأنه نعم النصيرُ

[فونية الرندي وشيء من شعره]

ومن مشهور ما قيل في ذلك قول الأديب الشهير أبي البقاء صالح بن شريف
الرندي رحمه الله تعالى^١ :

١ هو صالح بن أبي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف يكنى بأبي
الطيب وأبي البقاء ؛ كان فقيهاً حافظاً متقناً في النثر والنظم ؛ وله مقامات ومختصر في الفرائض
وكتاب اسمه الوافي (أو الكافي) في نظم القوافي (منه عدة مخطوطات ، إحداها بالرباط رقم ك :
١٧٣٠) انظر ترجمته في الذيل والتكملة ٤ : ١٣٧ ومساك الأبيصار ١١ : ٤٨٠ والإحاطة
(المخطوطة المغربية : ١٧٩ ونسخة الاسكوريال رقم : ١٦٨٣ ومجلة معهد الدراسات الإسلامية
٦ : ٢١١) .

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُؤْلُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ
يَمْزُقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِقَةٍ
وَيَنْتَضِي كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ
أَيُّ الْمُلُوكِ ذُووُ التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ
وَأَيُّ مَا شَادَهُ شَدَّادُ فِي إِرَمٍ
وَأَيُّ مَا حَازَهُ قَارُونَ مِنْ ذَهَبٍ
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مُلْكٍ
دَارَ الزَّمَانُ عَلَى دَارًا وَقَاتِلِهِ
كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبُ
فَجَاءَتْ الدَّهْرُ أَنْوَاعٌ مَنُوعَةٌ
وَالْحَوَادِثُ سُلُوكٌ يَسْهَلُهَا
دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عِزَاءَ لَهُ
أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَاثْتَحَنَتْ
فَاسْأَلْ بِلَكْنَسِيَّةٍ مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ
وَأَيُّ قُرْطُبَةٍ دَارُ الْعُلُومِ ، فَكَمْ
وَأَيُّ حِمَصٍ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزْهِ
قَوَاعِدِ كُنَّ أَرْكَانُ الْبِلَادِ فَمَا
تَبْكِي الْخَنِيفِيَّةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ أَسَفٍ
عَلَى دِيَارِ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كُنَاسٌ مَا
حَتَّى الْمَحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِلَةٌ

فَلَا يُغَرَّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
إِذَا تَبَتَّ مَشْرِفَاتٌ وَخُرُصَانُ
كَانَ ابْنُ ذِي يَزْنَ وَالْغَمْدُ غَمْدَانُ
وَأَيُّ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتَيْجَانُ
وَأَيُّ مَا سَاسَهُ فِي الْقُرْسِ سَاسَانُ
وَأَيُّ عَادٍ وَشَدَّادٍ وَقَحْطَانُ
حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
كَمَا حَكَمَى عَنْ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانُ
وَأَمَّ كَسْرَى فَمَا آوَاهُ لِإِيوَانُ
يَوْمًا وَلَا مَلِكُ الدُّنْيَا سَلِيمَانُ
وَالزَّمَانُ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ
وَمَا لَمْ يَحُلْ بِالْإِسْلَامِ سُلُوكَانُ
هُوَ لَهُ أَحَدٌ وَانْهَدَّ شِلَانُ
حَتَّى خَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبِلْدَانُ
وَأَيُّ شَاطِئَةٍ أَمْ أَيْنَ جَيَّانُ
مَنْ عَالَمٌ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ
وَنَهَرَهَا الْعَذْبُ فَيَاصُ وَمَلَّانُ
عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ
كَمَا يَكِي لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هَيَّامَانُ
قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمَرَانُ
فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ
حَتَّى الْمَنَابِرُ تَرْتِي وَهِيَ عِيدَانُ

يا غافلاً وله في الدهر موعظة
وماشياً مرحاً يلبيه موطنه
تلك المصيبة أنست ما تقدمها
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة
وحاملين سيوف الهند مرهقة
وراعين وراء البحر في دعة
أعندكم نبأ من أهل أندلس
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم
ألا نفوس أبيات لها همم
يا من لذلة قوم بعد عزهم
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم
يا رب أم وطفل حيل بينهما
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
يقودها العليج للمكروه مكرهة
لمثل هذا يلوب القلب من كمد
إن كنت في سنة فالدهر يقظان
أبعد حمنص تغر المرء أوطان
وما لها مع طول الدهر نسيان
كأنها في مجال سبق عقبان
كأنها في ظلام النقع نيران
لهم بأوطانهم عز وسلطان
فقد سرى بحديث القوم ركبان
قتلى وأسرى فما يهتز لإنسان
وأنتم يا عباد الله إخوان
أما على الخير أنصار وأعوان
أحال حالهم كفر وطغيان
واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
عليهم من ثياب الذل ألوان
لهالك الأمر واستهوتك أحزان
كما تفرق أرواح وأبدان
كأنما هي ياقوت ومرجان
والعين باكية والقلب حيران
إن كان في القلب إسلام وإيمان

انتهت القصيدة الفريدة ، ويوجد بأيدي الناس زيادات فيها ذكر غرناطة
وبسطة وغيرهما مما أخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف ، وما اعتمدته
منها نقلته من خط من يوثق به على ما كتبت ، ومن له أدنى ذوق علم أن ما
يزيدون فيها من الأبيات ليست تقاربها في البلاغة ، وغالب ظني أن تلك الزيادة
لما أخذت غرناطة وجميع بلاد الأندلس إذ كان أهلها يستنهضون هيم الملوك

بالمشرق والمغرب ، فكأن بعضهم لما أعجبه قصيدة صالح بن شريف زاد فيها تلك
الزيادات ، وقد بينت ذلك في « أزهار الرياض »^١ فليراجع .

وصالح بن شريف الرندي صاحب القصيدة من أشهر أدباء الأندلس ، ومن
بديع نظمه قوله^٢ :

سَلَّمْ عَلَى الْحَيِّ بِذَاتِ الْعَرَارِ	وَحَيٍّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الدَّيَارِ
وَنَحْلٌ مَنْ لَامَ عَلَى حَبِّهِمْ	فَمَا عَلَى الْعُشَّاقِ فِي الذَّلِّ عَارِ
وَلَا تَقْصُرْ فِي اغْتِنَامِ الْمُنَى	فَمَا لِيَالِي الْأَنْسِ إِلَّا قِصَارِ
وَلِنَّمَا الْعَيْشُ لِمَنْ رَامَهُ	نَفْسٌ تَدَارَى وَكُؤُوسٌ تَدَارِ
وَرَوْحُهُ الرَّاحُ وَرِيحَانُهُ	فِي طَيْبِهِ بِالْوَصْلِ أَوْ بِالْعُقَارِ
لَا صَبْرَ لِلشَّيْءِ عَلَى ضِدِّهِ	وَالْحَمْرُ وَالْهَمُّ كَاءٌ وَنَارِ
مُدَامَةً مُدْنِيَةً لِلْمُنَى	فِي رَقَّةِ الدَّمْعِ وَلَوْنِ النُّضَارِ
مِمَّا أَبُو رَيْقٍ أَبَارِقُهَا	تَنَافَسَتْ فِيهَا النُّفُوسُ الْكِبَارِ
مُعَلِّتِي وَالْبَرَّاءَ مِنْ عَلِيٍّ	مَا أَطْيَبَ الْخَمْرَةَ لَوْلَا الْخُمَارِ
مَا أَحْسَنَ النَّارَ الَّتِي شَكَّلَهَا	كَالْمَاءِ لَوْ كَفَّ شَرَارُ الشَّرَارِ
وَبِي وَإِنْ عُدْتُ فِي حَبِّهِ	يَبْعُدُهُ عَلَى اقْتِرَابِ الْمَزَارِ
ظِيٌّ غَرِيرٌ نَامَ عَنْ لَوْعَتِي	وَلَا أَذُوقُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارِ
ذُو وَجَنَةٍ كَأَنَّهَا رَوْضَةٌ	قَدْ بُهِرَ الْوَرْدُ بِهَا وَالْبَهَارِ
رَجَعْتُ لِلصَّبُورَةِ فِي حَبِّهِ	وَطَاعَةِ اللَّهِ وَخَلْعِ الْعِدَارِ
يَا قَوْمُ قُولُوا بِدَمَامِ الْهَوَى	أَهْكَذَا يَفْعَلُ حُبُّ الصِّغَارِ
وَلَيْلَةٌ نَبَّهْتُ أَجْفَانَهَا	وَالْفَجْرُ قَدْ فَجَّرَ نَهْرَ النَّهَارِ
وَاللَّيْلُ كَالْمَهْزُومِ يَوْمَ الْوَعَى	وَالشَّهْبُ مِثْلُ الشَّهْبِ عِنْدَ الْفَرَارِ

١ أزهار الرياض ١ : ٤٧ .

٢ بعضها في الإحاطة : ١٨٦ .

كأنما استخفى السُّها خيفةً وطولبَ النجمُ بثارٍ فثار
لذلك ما شابت نواصي الدُّجى وطارَحَ النسرُ أخاهُ فطار
وفي السُّريا قمرٌ سافرٌ عن غرةٍ غيّرَ منها السفار
كأنَّ عتقوداً تشنى بهُ إذ صار كالعُرجون عند السَّرار
كأنَّها تسبِكُ دينارَه وكفُّها يقتلُ منهُ السوار
كأنَّما الظلماء مظلومة تحكِّمَ الفجرُ عليها فجار
كأنَّما الصبحُ لمشاقيه عزُّ غنّى من بعد ذلِّ افتقار
كأنَّما الشمسُ وقدْ أشرقتْ وجهُ أبي عبد الإله استتار
محمدٌ محمدٌ كاسمه شخصٌ له في كلِّ معنى يشار
أما المعالي فهو قُطبٌ لها والقُطبُ لا شكَّ عليه المدار
مؤثِّلُ المجدِ صريحُ العلا مهذبُ الطبعِ كريمُ النِّجار
تزهى بهِ نلحْم وساداتها وتنمي قيسٌ له في الفخار
يفيضُ من جود يديه على عافيه ما منهُ تحارُ البحار
اليمنُ من يُمناه حُكم جرى واليسرُ من شيمه تلكَ اليسار
أخٌ صفا منهُ لنا واحدٌ فالدهرُ مما قد جنى في اعتذار
فإن شكرنا فضلهُ مرّةً فقد سكرنا من نَداهُ مرار
ونحنُ منهُ في جوار العلا تدوُّرُ للسعدِ بنا منهُ دار
الحافظُ الله وأسماءُه لذلك الجارِ وذاك الجوار

[رسالة ابن عميرة إلى ابن الأبار في سقوط بلنسية]

رجع - وقد رأيت أن أثبت هنا رسالةً خاطب بها الكاتب البارع القاضي
أبو المطرّف ابن عميرة المخزومي الشيخ الحافظ أبا عبد الله ابن الأبار ، يذكر له

١ الإحاطة : بها مائل .

أخذ العدو مدينة بَلْتَسِيَة وهي^١ :

ألا فَيْئَة للدمر تَدُنُو بَعْنَ نَأَى وَبُقْيَا يرى منها خلاف الذي رأى
ويا مَنْ عذيري منه، يَغْنَر مَنْ أوى إليه ولا يدري سوى خُلْفٍ من وأى^٢
ذخائر ما في البر والبحر صيدهُ^٣ فلا لؤلؤاً أبقي عَليْهِ ولا وأى

أَيُّهَا الأخ انني دُشِش ناظري لكتابه ، بعد أن أدهش خاطري من إغبابه ،
وسرني من بشره إياض ، بعد أن ساءني من جهته إعراض . جرت على ذكره
الصلة فقوم قِدَحَ نَبَعَتِهَا ، وروى أكناف تلعتها ، وأحدث ذكراً من عهدنا
الماضي فنبقظ وجه عروسه ، وشعشع خمر كؤوسه ، وسقى بماء الشيبه ثراه ،
وأبرز مثل مرآة الغريبة مرآه ، فبورك فيه أحوذياً وصلّ رحمته ، وكسا منظره
من البهجة ما كان حَرَمَه ، وحيّاً الله تعالى منه وليّاً على سالف عهدي تمادى ،
وبشعار ودي نادى ، وبيّن الإحسان شيمته ، وأبان والبيان لا تنجاب عنه
ديمته ، ولا تغلو بغير قلمه قيمته ، واعتذر عن كلمة تمنى تبديلها ، ودعوة
ذكر وجوم النادي لها ، ثم أرسلها ترجف بواذرها من خيفة ، وتوغر بوغم^٣
صدر قلم وصحيفة ، وتندر من ريحانة قريش أن تمنعه عرفها . وتحديق إليه
طرّفها ، واتقى غارة على غيرّة ، من الناجي برأس طيميرة ، ولم يأمن هجران
المهاجر بعد وصله ، وعكر عكرمة المغطي بجلمه على أبي جهله ، وعند ذكر
كتيبة خالد أجم ، وذكر يوم أحاطت به فارس فاستلحم ، فاعتلر عما قال ،
وأضمر الحذر إلا أن يقال ، فمهلاً أَيُّهَا الموفي على عَلمِهِ ، النافث بسحر
قلمه ، أظن مترلتك في البلاغة ومهيئتها لاحب ، ومتزعا بالعقول لاعب ،
تسفل وقد ترفعت ، أو تخفى وإن تلفعت ، غرفناك يا سودة ، وشهرت حلة

١ ورد بعض هذه الرسالة في الروض المطار : ٤٨ .

٢ وأى : وعد . ٣ في الأصول : غم ؛ والغم : الحقد والثرة .

عطارِدِ الملاحَةِ والجودة ، فلم حين تهب الأخ الأوحِد من قُصَيّ غطاريِفَها ، ولو استثار من حفاظِها تالدها وطريقَها ، لم يذكر يد قومه عند أبيها ، وقد رام خطّة أشرف على تأبّيها ، حين أهاب بكم المُهمّة ، ودعا منكم أخاه لأمّه ، ولولا ذلك لما خلا له وَجْهُ الكعبة ، ولا خلص من تلك المضايِق الصعبة ، وبأن أعزّموه نجدتكم الموصوفة ، غلب على ما كان بأيدي صُوفّة ، فكيف نجدد اليد عند عمّنَا ، أو نشحذ أسنّة الألسنة لذننّا ، أو كيف نلقاكم بجَدنا ، وأبوكم أبو بكر مَعَدُنّا ، وما تَيَامُنُكُمْ إلى سبأ بن يشجب^١ ، وإن أطلنا فيه التعجب ، بالذي يقطع أرْحامنّا ، ويمنع اشتباكنا والتحامنّا ، بعد أن شددنا فعالنا بفعالكم ، ورأينا أقدامنا في نِعالكم ، ولو شتمّ توعدتكم بأسود سؤددكم عند الإقدام ، وإلحاح إلحافكم في ضَرْب الهام ، لكن نقول إن قومنا لكِرَام ، ولو شاءوا كان لنا منهم شِيرةٌ وعُرَام .

وأعود من حيثُ بدأ الأخ الذي أبته شوقي ، وأتطعم حلاوة عشرته باقية في حاسة ذوقي ، طارَحَتِي^٢ حديث مَوْرِد جَفّ ، وقطين خَفّ ، فيا لله لأترباب دَرَجُوا ، وأصحاب عن الأوطان خرجوا ، قصت الأجنحة وقيل طيروا ، وإنّما هو القتل أو الأسر أو تسيروا ، ففترقوا أيدي سبّا ، وانتشروا ملء الوهاد والرُّبى ، ففي كل جانبٍ عَوِيل وزَقْرة ، وبكل صدر غليل وحَسْرة ، ولكل عين عبْرة ، لا ترقأ من أجلها عبْرة ، داء خامر بلادنا حين أتاها ، وما زال بها حتى سَجّى على موتاهها ، وشجّا ليومها الأطول كهلها وفتاها ، وأنلر بها في القوم بجران أنيعة^٣ ، يوم أثاروا أسدها المهيجّة ، فكانت تلك الحطمة طَلّ الشؤبوب ، وباكورة البلاء المصبوب ، أنكلتنا إخواناً أبكانا نعيّهم ، ولله أحوذِيّهم

١ بعد أن ألمح إلى مآثر مخزوم وذكر بعض رجالها ، عاد يتحدث عن قضاة ومواقفها ، ثم تحولها بنسبها إلى يمن .

٢ من هنا في الروض المطار .

٣ يريد أن البهران (أي المرض) الذي أصاب أنيعة كان إنذاراً بما بعده من سقوط بالنسية .

وَالْمَعِيَّتُهُمْ^١ ، ذاك أبو ربيعنا^١ ، وشيخ جميعنا ، سعد بشهادة يومه ، ولم يرَ ما يسوءه في أهله وقومه ، وبعد ذلك أخذ من الأم بالمخنق ، وهي بِلَسَنِيَّة ذات الحسن والبهجة والرونق ، وما لبث أن أخرس من مسجدها لسان الأذان ، وأخرج من جسدها روح الإيمان ، فَبَرِحَ الخفاء ، وقيل : « على آثار مَنْ ذهب العقاء » ، وانعطفت النواذب مفردة ومركبة كما تعطف الفاء ، فأودت الخفة والحصافة ، وذهب الجسْرُ والرُّصافة ، ومزقت الحلة والشملة ، وأوحشت الجرف والرملة ، ونزلت بالحارة وقعة الحرّة ، وحصلت الكنيسة^٢ من جآذرها وظبائها على طول الحسرة ، فأين تلك الحمائل ونَضَرَتِها ، والجداول وخضرتِها ، والأندية وأرجُها ، والأودية ومُنْعَرَجُها ، والنواسم وهبوب مُبْتَلَّها ، والأصائل وشحوب معتلَّها ، دار ضاحكت الشمسُ بَحَرها وبُحِيرَتِها ، وأزهار ترى من أدمع الطلّ في أعينها تردُّدَها وحَيَّرَتِها ، ثم زحفت ككتيبة الكفر بزُرْقها وشُقْرِها ، حتى أحاطت بجزيرة شقرها ، فأها لمسقط الرأس هوى نجمه ، ولفادح الخطب سرى كَلَمه ، ويا لحنّة أجرى الله تعالى النهر تحتها ، وروضة أجاد أبو إسحاق^٣ نَعْمَتها ، وإنما كانت داره التي فيها دبّ ، وعلى أوصاف محاسنها أكب ، وفيها أته منيته كما شاء وأحب ، ولم تعدم بعده محبين قشيبهم إليها ساقوه ، ودمعهم عليها أراقوه ، وقد أثبت من النظم ما يليق بهذا الموضع ، وإن لم يكن له ذلك الموقع :

أَقْلُوا ملامِي أو فقولوا وأكثرُوا مَكُومُكُمْ عَمَّا به ليس يُقْصِرُ
وَهَلْ غَيَّرُ صَبِّ مَا تَتِي عِبْرَاتِهِ إِذَا صَعِدَتْ أَنْفَاسُهُ تَتَحَدَّرُ
يَحْنُ وما يجدي عليه حِينُهُ إِلَى أَرْبُعٍ مَعْرُوفُهَا مَتَنَكُرُ

١ هو أبو الربيع ابن سالم شيخ ابن الأبار الذي استشهد في أنيجة مقبلا غير مدبر وهو يحض الناس على القتال ، وقد طعن في السن .

٢ يمدد أبو المطرف هنا المعالم البارزة في بِلَسَنِيَّة .

٣ يعني ابن خفاجة وهو بلدي أبي المطرف فهما من جزيرة شقر .

ويندبُ عهداً بالمشقَرِ فاللوى
تغيرَ ذاكَ العهدُ بعدي وأهله
وأقفرَ رَسْمُ الدَّارِ إلَّا بَقِيَّةً
فلَمْ تبقَ إلَّا زفرةٌ إثرَ زفرةٍ
وإلا اشتياقٌ لا يزالُ يَهْزُنِي
أقولُ لساري البرقِ في جنحِ ليلةٍ
تعرَّضَ مجتازاً فكانَ مذكِّراً
أتأوي لقلبٍ مثلَ قلبك خافقٍ
وتحملُ أنفاساً كَوَمَضِيكَ نارها
يقرّ بعيني أن أعارين من نأى
وأن يترأءك الخليطُ الذين هُم
كفى حزنًا أنا كأهل مُحَصَّبٍ
وأنّ كلينا من مَشُوقٍ وشائقٍ
ألا ليتَ شعري والأمانِي ضلّةُ
هل النهرُ عقدٌ للجزيرةِ مثلما
وهل للصِّبَا ذيلٌ عليهِ تَجْرَهُ
وتلك المغاني هل عليها طلاوةُ
ملاعبُ أفراسِ الصِّبَابَةِ والصِّبَا
وقبلي ذاكَ النهرِ كانت معاهدُ
بحيثُ بياضُ الصبحِ أزرارُ جبيه
ليالٍ بماءِ الوردِ ينضجُ ثوبها
وبالجبلِ الأدنى هناكَ خُطِي لَنَا
جَنَابُ بأعلاهُ بهارٌ ونرجسُ
وموردنا في قلبٍ قلتِ كمقلّةٍ

وأين اللوى منهُ وأين المشقَرُ
ومن ذا على الأيامِ لا يتغيرُ
لسائلها عن مثلِ حالي تُخبرُ
ضلوعي لها تنقذَ أو تنفطرُ
فلا غايةٌ تدنُّو ولا هو يَمُتُّ
كلانا بها قد بات يبكي ويسهرُ
بعهد اللوى والثي بالشيءِ يُذكرُ
ودمع سفوحٍ مثل قطرك يقطرُ
إذا رُفعت تبدو لمن يتنورُ
لما أبصرته منكَ عيناى تبصرُ
بقلي وإن غابوا عن العينِ حُضِرُ
بكلِّ طريقٍ قد نفرنا ونفترُ
بنارِ اغترابٍ في حشاه تسعرُ
وقولي ألا يا ليتَ شعري تحيرُ
عهدنا وهل حصباؤه وهي جوهرُ
فيزورُ عنهُ موجهُ المتكسرُ
بما راقَ منها أو بما رقَّ تسحرُ
تروحُ إليها تارةً وثبكرُ
بها العيشُ مطلولُ الخميّةِ أخضرُ
تطيبُ وأردانُ النسيمِ تُعطرُ
وطيب هواءٍ فيه مسكٌ وعنبرُ
إلى اللهو لا تكبو ولا تتعثرُ
فأبيضُ مفرُّ الثنايا وأصفرُ
حِذارِ أعينا من قلدى العينِ تسرُ

وكم قد هبطنا القاع ندعرو حششه ويا حسنه مستقبلاً حين يدعرو
نقودُ إليه طائماً كلَّ جارح له منخرُ رجبٍ ونحصرُ مضمرُ
إذا ما رميناهُ بهِ عبثت بهِ مؤللةُ الأطراف عنهن تكشرُ
تضمُّ لأروى النيقِ حزَّانَ سهلها وقد فُقدت فيها مهاةٌ وجؤذُرُ
كذلك إلى أن صاح بالقوم صائحُ وأنذر بالبين المشتت منذرُ
وفرَّقهم أيدي سباً وأصابهم على غيرَةٍ منهم قضاء مقدَّرُ

ونعود إلى حيثُ كنّا من تبدّد شمل الجزيرة ، وطَيّ بساط الجزيرة : أما شاطبة فكانت من قصبتها شوساء الطرف ، وببطحائها عروساً في نهاية الطرف ، فتخلّتي عن الذروة منْ أخلاها ، وقيل للكافر : شأنتك وأعلاها ، فقبل أن تضع الحرب أوزارها ، كَشَطَ عنها إزارها ، فاستحلَّ الحرمة أو تأولها ، وما انتظر أقصر المدة ولا أطولها ، وأما تُدْمِرُ فجاء عودها على الهِصْرِ ، وأمكنت عُدوها من القَصْرِ ، فداجى الكفر الإيمان ، وناجى الناقوس الأذان ، وما وراءها من الأصقاع التي باض الكفرُ فيها وفرَّخ ، وأنزل بها ما أنسى التاريخ ومنْ أرَّخ ، فوصفكم على الحادثة فيها أتى ، وفي ضمان القدرة الانتصاف من علوّ عشا وعتا ، وإنّا لرجوها كرة تفك البلاد من أسْرِها ، وتجيرها بعد كَسْرِها ، وإن كانت الدولة العامرية منعت بالقراع ذِمارها ، ورفعت على اليقاع نارها ، فهذه العمرية بتلك المنقبة أخلق ، والعلوّ لها أهيب ومنها أفرق ، وما يستوي نسب مع البقل نَبَت ، وبالمستفيض من النقل ما ثَبَت ، وآخر علت سماؤه على اللمس ، ورسا ركنه في الإسلام رُسُو قواعده الخمس ، وكان كما قال أبو حنيفة في خبر المسح : جاءنا مثل الشمس ، والأَيّام العمرية هي أم الوقائع المحكية ، ومن شاء عدها من البرموكية إلى الأركية ، وهذه الأيام الزاهرة هي زبلّة حلاوتها ، وسجلّة تلاوتها ، وإمامتها العظمى أيدها الله تعالى ، تُمَهِّلُ الكافر مدّة إملائه ، ثم تشفي الإسلام من دائه ، وتطهّر الأرض بنجس دمائه ، بفضل الله تعالى ، المرجو

زيادة نعمه قبلها وآلائه .

راجعت سيدي مؤدياً ما يجب أداؤه ، ومقتدياً وما كلُّ أحدٍ يحسُنُ اقتداؤه ، وإنّما ناضلتُ تُعليّاً^١ ، وعهدي بالنضال قديم ، وناظرت جدليّاً ، وما عندي للمقال تقديم ، وأطعتهُ في الجواب ولقرّحتي يعلم الله تعالى نكول ، ورؤيتي لولا حق المسألة بطير الحوادث المرسلّة عَصَفٌ مأكول ، أتم الله تعالى عليه آلاءه ، وحفظ مودّته وولاءه ، ومتع بخُلّته الكريمة أخلاءه ، بمنّته ، والسلام ؛ انتهت الرسالة .

ورأيت في رحلة ابن رشيد لما ذكر أبا المطرّف ما صورته : وأما الكتابة فقد كان حامل لوائها ، كما قال بعض أصحابنا : ألان الله تعالى له الكلام ، كما ألان الحديد لداود عليه السلام ، وأخبرني شيخنا أبو بكر أن شيخه أبا المطرّف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلّم في النوم ، فأعطاه حزمة أقلام ، وقال : استعن بهذه على كتابتك ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ؛ انتهى .

[رسالة ابن الأبار التي أجاب أبو المطرّف عنها]

وبعد كتبي لهذه الرسالة رأيت أن أذكر رسالة الحافظ ابن الأبار التي هذه جوابٌ عنها ، وهي من غرض ما نحن فيه فلنقتبس نور البلاغة منها ، وهي :

سيدي وإن وَجَمَ لها النادي ، وجمجم بها النادي ، ذلك لصغرها عن كبره في المعارف الأعلام ، وصلبرها يوغر صدور الصحائف والأقلام ، وأُعِيد رِيحانة قريش ، أن تروح من حفيظتها في جيش ، قد هابتها مغاور كل حيّ ، وأجابتها الغطاريف من قُصَيّ ، تدلف بين يديها كتيبة خالد ، وتحلف لا قلحت نار الهيجاء بزّند صالد ، أو تنصف من غامطها ، وتقذف به وسط غُطامطها^٢ ،

١ أي من بني ثعل وهم مغرب المثل في رمي السهام .

٢ الغطاط : الموج المرتفع .

لا جرم أني من جريمتي حذر ، وعمّا وضحت به قيمتي للمجد معتذر . إلا
أن يصوح من الروض نبتة وجنّاته ، ويصرح بالقبول حلمه وأناته ، الحديث عن
القديم شجّون ، والشأن بتقاضي الغريم شؤون ، فلا غرو أن أطارحه إياه ،
وأفاتحه الأمل في لقياه ، ومن لي بمقالة مستقلة ، أو إخالة غير مُحاة ، أبت
البلاغة إلا عمادها ، وعلى ذلك فاستنبيء عمادها : درجت اللدات والأتراب ،
وخرجت الرومُ بنا إلى حيث الأعراب ، أيام دفعنا لأعظم الأخطار ، وفجعنا
بالأوطان والأوطار ، فلإلم نداري بَرَحَ الألم ، وحتّام نساري النجم في الظلم ،
جمع أوصاب ما له من انقضااض ، ومضض اغتراب شد عن ابن مضاض^١ ،
فلو سمع الأول بهذا الحادث ، ما ضرب المثل بالحارث ، يا لله من جلاء ليس به
يبدان ، وثناء قلّما يُسفر عن تدان ، وعد الجدة العائر لقاءه فأنجز ، ورام الجتلد
الصابر انقضائه فأعجز ، هؤلاء الاخوان ، مكنهم لا يتمتع به أوان ، وبينهم
كنّبت الأرض ألوان ، بين هائم بالسرى ، ونائم في الثرى ، من كل صنديد
بطل ، أو منطق غير ذي خطل ولا خطل . قامت عليه النوادب . لما قعدت
النواب ، وهجمت بيوتها لمنعاه الجماجم والذوائب ، وأما الأوطان المحبّ
عهدا بحكم الشباب ، المشبّب فيها بمحاسن الأحباب ، فقد ودّعنا معاهدها
ودّاع الأبد ، وأخنى عليها الذي أخنى على لبّد ، أسلمها الإسلام ، وانتظمها
الانتثار والاصطلام ، حين وقعت أنسرُها الطائرة ، وطلعت أنحسُها الغائرة ،
فغلب على الجدل الحزن ، وذهب مع المسكن السكّن :

كزعزع الريح صكّ الدوح عاصفها فلم يدّع من جنّي فيها ولا غصن
واهاً وآهاً يموتُ الصبر بينهما موت المحامد بين البخل والجبن
أين بكنسية ومغانيتها ، وأغاريد ورقيها وأغانيتها ، أين حلّى رصافتها

١ يريد الحارث بن مضاض الجرهمي وله في تفرق جرهم قصيدة باكية ؛ ولكن أين تفرق قومه مما
حل ببلنسية ؟

وجيئها . ومتزلا عطائها ونصرها ؟ أين أفاؤها تندى غصَّارة ، وذكاؤها تيلو من خضارة ؟ أين جداولها الطفاحة وخمائلها ؟ أين جنائبها التفاحة وشمائلها ؟ شدَّ ما عطل من قلائد أزهارها نحرها ، وخلعت شعشعانية ضحاحا بحيرتها وبحرها ، فأية حلية لا حيلة في صرفها مع صرف الزمان ، وهل كانت حتى بانث إلا رَوْنَق الحق وبشاشة الإيمان ، ثم لم يلبث داء عقرها ، أن دبَّ إلى جزيرة شقرها ، فأمرَ عذبها التَّمِير ، وذَوَى غُصْنها التَّضْيِير ، وخَرَسَتْ جمائم أدواحها ، وركلت نواسم أرواحها ، ومع ذلك اقتحمت من الأيام دانية ، فنَزَحَتْ قُطُوفُها وهي دانية ، ويا لشاطبة وبطحائها ، من حَيْفِ الأيام وإنحائها ، والتهفاه ثم لَهْفاه على تَدْمِير وتلاعها ، وجَيَّان وقلاعها ، وقرطبة ونواديهها ، وحمص وواديها ، كلَّها رُعي كَلَّوها ، ودهي بالتفريق والتمزيق مَلَّوها ، عض الحصار أكثرها ، وطمس الكفر عينها وأثرها ، وتلك إليرة بصدد البوار ، وريّة في مثل حَلَقَةِ السَّوار ، ولا مريّة في المريّة وخفضها على الجوار ، إلى بنيات ، لواحق بالأمهات ، ونواطق بهاك لأول هاتف بهات .

ما هذا النفخ بالمعمور ؟ أهو النفخ في الصُّور ؟ أم النَّفْر عارياً من الحج المبرور ؟ وما لأندلس أُصِيبَتْ بأشرافها ، ونُقِصَتْ من أطرافها ؟ قَوْض عن صوامعها الأذان ، وصَمَّتْ بالتواقيس فيها الآذان ، أجنَّتْ ما لم تَجُنْ الأصقاع ؟ أعَقَّتْ الحقَّ فحاق بها الإيقاع ؟ كلا بل دانت للسُّنة ، وكانت من البدع في أحصن جُنَّة : هذه المروانية مع اشتداد أركانها ، وامتداد سُلْطانها ، أَلْقَتْ حُبَّ آل النبوة في حَبَات القلوب ، وألوت ما ظفرت من خلعه ولا قلعه بمطلوب ، إلى المرابطة بأقاصي الثغور ، والمحافظة على معالي الأمور ، والركون إلى الهضبة المنيعه ، والروضة المريعة ، من مُعاداة الشيعة ، وموالاة الشريعة ، فليت شعري بم استوثق تمحيصها ؟ ولم تعلق بعموم البلوى تخصيصها ؟ اللهم غَفِّراً طالما ضرَّ ضجر ، ومن الأبناء ما فيه مُزْدَجَر ، جرى بما لم نُقَدِّره المقلود ، فما عسى أن ينفت به المصدور ؟ وربنا الحكيم العليم ، فحسبنا

التفويض له والتسليم ، ويا عجباً لبني الأصفر أنسيت مَرَجَ الصَّفَر ، ورميها يوم
اليرموك بكل أغلب غَصَصْتَفَر ؟ دع ذا قالعهد به بعيد ، ومن اتعظ بغيره
فهو سعيد ، هلاً تذكرت العامرية وغزواتها ، وهابت العمرية وهبواتها ، أما
الجزيرة بخيلها عذقة ، وبأحاديث فتحها مصدقة ، هذا الوقت المرتقب ، والزمان
الذي زجيت له الشهور والحقب ، وهذه الإمامة أيدها الله تعالى هي المنقلة من
أسرها ، والمنفذة لسلطانها مراسم نصرها ، فيتاح الأخذ بالثار ، ويُزاح عن
الجنة أهل النار ، ويعلم الكافر لمن عُقبي الدار .

حاورت سيدي بشار الفاجي الفاجع ، وحاولت براء الجوى من جوابه
بالعلاج الناجع ، وبودّي لو تقع في الأرجاء مُصاقبة ، فرفع من الأرزاء
معاقة ، أليس لديه أسوأ المكالم ، وتدارك المظلوم ؟ وييديه أزيمة المنشور والمنظوم :
خيال يختر (؟) في إقناع إباد ، وصوغ ما لم يخطر على قلب زيد ولا بخاطر زياد ،
بُسّت الجبال الطوامح فما بست وأبو فتحها ^١ ، وغيّضت البحار الطوافح فمن
يعبأ بالركايا ومَتَحها ، أين أبو الفضل ابن العميد من العماد الفاضل ، وصَمَّصامة
عمرو من قلمه الفاضل ؟ هذا مِدَرَهْها الذي فعل الأفاعيل ، وأحمدُها ^٢ الذي سما
على إبراهيم وإسماعيل ^٣ ، وهما إماما الصناعة ، وهما ما البراعة والبراعة ، بهما
فَخَرُ من نطق بالضاد ، وبسببهما حسدت الحروف الصاد ، لكن دفعهم بالراح ،
وأعزى مُدَرَّعَهم من المراح ، وشرف دونهم ضعيف القصب على صُمّ الرماح ،
أبقاه الله تعالى وبيانه صادق الأنواء ، وزمانه كاذب الأسواء ، ولا زال مكانه
مجاوراً ذُؤابة الجوزاء ، وإحسانه مكافئاً بأحسن الجزاء ؛ والسلام .

١ يشير إلى أبي الفتح البستي ؛ وفي الأصول : « لا » .

٢ أحمدُها : هو أحمد بن عميرة المخزومي ، يريد أنه تفوق في النثر على أولئك الأعلام .

٣ إبراهيم هو الصابي أبو إسحاق ، وإسماعيل هو الصاحب بن عباد .

[فصول من درر السمط لابن الأبار]

وقد عرّفت بابن الأبار في « أزهار الرياض » بما لا مزيد عليه ، غير أنني رأيت هنا أن أذكر فصولاً مجموعة من كلامه في كتابه المسمى بـ « درر السمط في خبر السبط » .

قال رحمه الله تعالى ^١ : رَحْمَةُ اللهِ وبركاته عليكم أهل البيت ، فروع النبوة والرسالة ، وبتناييع السماحة والبسالة ، صفوة آل أبي طالب ، وسرارة ^٢ بني لؤي بن غالب الذين حياهم ^٣ الروح الأمين ، وحلاّهم الكتاب المبين ، فقلّ في قوم شرّعوا الدين القيسم ، ومنعوا اليتيم أن يتقهر والأيتّم ، ما قدّ من أديم آدم أطيب من أبيهم طينة ، ولا أخذت الأرض أجمل من مساعيمهم زينة ، لولاهم ما عبّد الرحمن ، ولا عهد الإيمان ، وعقيد الأمان ، ذؤابة غير أشابة ، فضلهم ما شأنه نقص ولا شابه ، سرارة محلّتهم سر المطلوب ، وقرارة محبتهم حبّات القلوب ، أذهب الله عنهم الرجس ، وشرّف بخلقهم الجنس ، فإن تميزوا فبشريعتهم البيضاء ، أو تميزوا فلعشيرتهم الحمراء ، من كل يعنسوب الكتبية ، منسوب لنجيب ونجبية ، نجارهُ الكرم ، وداره الحرم ، نمتّه العرّانين من هاشم إلى النسب الأصرح الأوضح ^٤ ، إلى نبعة فرّعها في السماء ومغرسها سرّة الأبطح ، أولئك السادة أحيي وأفدّي ، والشهادة بحبهم أوفي وأؤدي ، ومن يكتمها فإنّه آثم قلبه .

فصل ^٥ — ما كانت خديجة لتأتي بخديج ^٦ ، ولا الزهراء لتلد إلاّ أزهار

١ درر السمط : الورقة الأولى .

٢ الدرر : سرارة .

٣ الدرر : حياهم .

٤ الأوضح : سقطت من الدرر .

٥ الدرر : ١٥ .

٦ الخديج : الناقص .

كالسراج ، مثل النحلة لا تأكل إلا طيباً ، ولا تضع إلا طيباً ، خلدت بنتُ
خُوَيْلِدٍ ليزكو عقبها من الحاشر العاقب^١ ، ويسمُو مَرَقِبَهَا على النجم الثاقب .
لم تحِدْ بمثلها المَهَارَى ، ولم يلد له غيرها من المَهَارَى ، آمَت من بعولتها قبله .
لتصل السعادة بجبلها حبَّله ، مِلاك العمل خواتمه ، رُبَّ رَبَّاتِ حِجَالٍ . أنفذ
من فحول رجال :

وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهِلالِ^٢

هذه خديجة من أخيها حزام أحزم ، ولشعار الصدق من شعارات القص
ألزم ، ركنت إلى الركن الشديد ، وسُدَّتْ للهدى كما هديت للتسديد . يوم
نبيء خاتم الأنبياء ، وأنبيء بالنور المنزل عليه والضياء .

فصل^٣ - وكان قبيل المبعث ، وبين يدي لمَّ الشعث ، يثابر على كل حسنى
وحسنة ، ويجاوز شهراً من كل سنة ، يتحرى حِراء بالتعهد . ويزجي تلك
المدة في التعب ، وذلك الشهر المقصور على التبر ، المقدور فيه رفع الضرر ،
شهر رمضان ، المنزل^٤ فيه القرآن ، فينأه ، لا ينام قلبه وإن نامت عيناه ، جاءه
الملك مبشراً بالنَّجَج ، وقد كان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفَلَقَ الصبح . فغمره
بالكلاءة ، وأمره بالقراءة ، وكلَّما نجَّس له غَطَّه ثم أرسله ، وإذا أراد الله
بعبد خيراً عسله :

تريدن إدراك المعالي رخيصة ولا بُدَّ دون الشَّهْد من إبر النحل
كذلك حتى عاذ بالأرق من الفرق ، وقد عَلِقَ فائحة العلق . فلا يجري

١ الحاشر العاقب من أسماء الرسول (ص) .

٢ من قصيدة المتنبي في رثاء أم سيف الدولة .

٣ الدور : ١٨ .

٤ الدور : الذي أنزل .

غيرها على لسانه ، وكأنما كتبت كتاباً في جَنَانِهِ .

فصل ١ - ولما أصبح يومُ الأهل ، وتوسط الجبل يريد السهل ، وقد قضى الأجل ، وما نضا الوجل ، نوجيَ بما في الكتاب المسطور ، ونودي كما نودي موسى من جانب الطُّور ، فعرض له في طريقه ، ما شغله عن فَرِيْقِهِ ، فرفع رأسه متأملاً ، فأبصر الملك في صورة رجل متمثلاً ، يُشترِّفه بالنداء ، ويعرفه بالاجتباء ، وإنما عضد خبر الليلة بعيان اليوم ، وأريَ في اليقظة مصداق ما أسمع في النوم ، ليحق الله الحق بكلماته ، وعلى ما ورد في الأثر ، وسردَ رُؤَاةَ السَّير ، فذلك اليوم كان عيد فطرنا الآن وغير بيدع ولا بعيد ، أن يبدأ الوحي بعيد كما ختم بعيد ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ﴾ (المائدة : ٣) فبهت عليه السلام لما سمعه وراءه ، وثبت لا يتقدم أمامه ولا يرجع وراءه :

وَقَفَ الهوى بي حيث أنتَ فليس لي مُتَقَدِّمٌ عنسي ولا متأخراً^٢

ثم جعل في الخوف والرجاء^٣ ، لا يقلب وجهه في السماء ، إلا تعرض له في تلك الصورة ، وعرض عليه ما أعطاه الله سبحانه من السورة ، فيقف موقف التوكل ، ويمسك حتى عن التأمل^٤ :

تتوق إليك النفس ثم أردُّها حياء ، ومثلي بالحياء حقيق
أذود سوام^٥ الطرف عنك ، وما له إلى أحد إلا إليك طريق

فصل ٦ - وَفَطِنْتَ خديجة لاحتباسه ، فأمعنت في التماسه ، تروجوا الودود

١ الدرر : ٢٠ .

٢ البيت مغير التافية وصوابه « متأخر عنه ولا متقدم » وهو لأبي الشيمس الخزاعي . (الأغاني : ١٥ :

٣٣٦ الشعر والشعراء : ٧٢٢) .

٣ الدرر : بين الرجاء والخوف .

٤ الشعر للمجنون (ديوانه : ٢٠٧) .

٥ الديوان : أرد سواه .

٦ الدرر : ٢٤ .

الولود ، ولقورها بل لفوزها بعثت في طلبه رُسُلَهَا ، وانبعثت تأخذ عليه شعاب
مكة وسُبُلَهَا :

إنَّ المحبَّ إذا لم يُسْتَنْزَرْ زارا

طال عليها الأمد ، فطار إليها الكمد ، والمحـب حقيقة ، من لا يقيق فيقة ،
بالنفس النفيسة سماحه وجوده ، وفي وجود المحبوب الأشرف وجوده^١ :

كأنَّ بلاد الله ما لم تكن بها وإن كان فيها الخلق طرّاً بلاقع
أَقْصَى نهارِي بالحديث وبالمُنى ويحميني والهمَّ بالليل جامع
نهارِي نهار الناس حتى إذا دجا ليَّ الليلُ هزني إليك المضاجع
لقد ثبتت في القلب منك محبة كما ثبتت في راحتين الأصابع

فصل ٢ - وبعد لأي ما ورد عليها ، وقعد مضيئاً إليها ، فطفقت بحكم الإجلال
تمسح أركانها ، وتفصح مجال السؤال عما خلف له مكانه ، فباح لها بالسر المغيب ،
وقد لاح وسم الكرامة على الطيب المطيب ، فعلمت أنه الصادق المصدوق ،
وحكمت بأنه السابق لا المسبوق ، اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، وما
زالت حتى أزلت ما به من الغمّة ، وقالت : إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة :

إنني تفرستُ فيكَ الخيرَ أعرفه والله يعلمُ أن ما خائني البَصْرُ
أنتَ النبيُّ ومَنْ يحرم شفاعتهُ يوم الحساب فقد أزرى به القدرُ

لا ترهب فسوف تبهر ، وسيبْدو أمرُ الله تعالى ويظهر ، أنتَ النبي سجعت
به الكهان ، ونزلت له من صوامعها الرهيان ، وسارت بخبر كرامته الركبان ،
أنتَ الذي ما حَمَلَتْ أخفَّ منه حامل ، ودَرَّتْ بركة الشاةُ فإذا هي حافل :

١ ينسب الشعر المجنون (ديوانه : ١٨٥) كما ينسب لابن الدمينه (ديوانه : ٨٨) .

٢ - الدرر : ٢٦ .

وَأَنْتَ لَمَّا وَلَدْتَ أَشْرَقْتَ ۝ أَرْضُ وُضَاعَتْ بِنُورِكَ الْأَفَقِ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِيَاءِ فِي النُّورِ وَسُبُلَ الرَّشَادِ نَخْتَرُقُ

فصل ١ - وما لبثت أن غلقت أبوابها ، وجمعت عليها أثوابها ، وانطلقت إلى
وَرَقَّةَ بن نوفل ، تطلبه بتفسير ذلك المجل ، وكان يرجع إلى عقل حَصِيف ،
ويبحث عن يَبُوعَثُ بالدين الحنيف ، فاستبشر به ناموسا ، وأخير أنه الذي
كان يأتي موسى ، فازدادت إيماناً ، وأقامت على ذلك زَماناً ، ثم رأت أن خبر
الواحد قد يلحقه التفتيد ، ودَرَّتْ أن المجتهد لا يجوز له التقايد ، طلب العلم
فريضة على كل مسلم ، فرجعت أدراجها في ارتياد الإقناع ، وألقيَ في روعها
إلقاء الحمار والقناع ، فهناك وَضَحَ لها البرهان ، وَصَحَّ لها ٢ أن الآتي مَلَكٌ لا
شيطان :

تدلى عليه الروحُ من عند ربِّه يتزلُّ من جوِّ السَّماءِ ويرفعُ
نشاوره فيما تُريدُ وقصدنا إذا ما انتهى أنا نطيعُ ونسمعُ

فصل ٣ - سبقت لها من الله تعالى الحسنى ، فصنعت حسناً وقالت حسناً ،
ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه ، ما فتر الوحي بعدها ، ولا مطلق الحقُّ الحيُّ وعدها ،
وعد الله لا يخلف الله وعده ، دانت لحب ذي الإسلام ٤ . فحيّاها الملكُ بالسلام
من الملك السلام ، مَنْ كان لله كان الله له ، أغنت غناء الأبطال ، فغناها
لسان الحال :

هل تذكرينَ فِدَتَكَ النفسُ مجلسنا يوم التقينا فلمْ أنطق من الحَصْرِ

١ الدرر : ٣٠ .

٢ الدرر : لديها .

٣ الدرر : ٣٢ .

٤ الدرر : دانت بالحق دين الإسلام .

٥ الدرر : ففتتها .

لا أرفعُ الطرفَ حولي من مراقبةٍ بَقِيًّا عليَّ ، وبعضُ الخزمِ في الخنجرِ
يُسِّرُت لاحتِمال الأذى والنصب ، فبشرت بيت في الجنة من قَصَب ،
هل أمنت^١ إذ آمنت من الرعب ، حتى غنيت عن الشبع بما في الشعب^٢ :
لا تحسب المجد تَمَرًا أَنْتَ آكله لن تبلُغ المجد حتى تلعق الصَّبِيرَا^٣
وهاً لها احتملت عض الحصار ، وما أطاقت فَقَدَ المختار :
يطولُ اليوم لا أَلْقَاكَ فيهٍ وشهر^٤ نلتقي فيهٍ قصير^٥
والحبيبُ سَمِعَ المحبَّ وبصره ، وله طول عياه وقصره :
أَنْتَ كُلُّ الناسِ عندي فإذا غِيَبْتَ عن عيني لم أَلَقَ أحد
مكثت للرياسة^٦ مواسية وآسية ، فثلثت في بجوحة الجنة مريم وآسية ، ثم
ربعت البَتُول فبرعت ، نطقت بذلك الآثار وصدعت ، خير نساء العالمين أربع .
فصل^٦ - إلى البَتُول سِير بالشرف التالد . وسبق الفخر بالأم الكريمة والوالد ،
حلت في الجليل الجليل ، وتحلت بالمجد الأئيل . ثم تولت إلى الظل الظليل :
وليسَ يصحُّ في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
وأبيها إن أم أبيها ، لا تجد لها شبيها ، نثرة النبي : وطلة الوصي ، وذات

١ الدرر : ما أمنت .

٢ الشعر في أمالي القالي (١ : ١١٢) لبعض العرب .

٣ الدرر : وحول .

٤ البيت لجميل بثينة في ديوانه : ٩٩ وأمالي القالي ١ : ٢٠٢ والزهرة : ٦٠ وروايته : يطول اليوم
إن شطت نواها ، وحول . . . إلخ .

٥ الدرر : للرسالة .

٦ الدرر : ٣٧ .

الشرف المستولي على الأمد القصي ، كلُّ ولدِ الرسولِ دَرَجَ في حياته ، وحملت هي ما حملت من آياته ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، لا فرع للشجرة المباركة مِن سواها ، فهل جَدَّوَي أوفر من جَدَّواها ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، حُفَّتْ بالتطهير والتكريم ، وزُفَّتْ إلى الكفؤ الكريم ، فوردا صفو العارفة والمنَّة ، وولدا سيدي شباب أهل الجنة ، عوضت من الأمتعة الفاخرة ، بسيدي الدنيا والآخرة ، ما أثقل نحوها ظهراً ، ولا بذل غير درعه مَهْراً ، كان صِفَرُ اليدين من البيضاء والصفراء ، وبحالة لا حيلة معها في إهداء الحيلة السَّراء ، فصاهره الشارع وخالكتهُ ، وقال في بعضٍ صعلوك لا مال له ، نرفع درجات من نشاء .

فصل :

أَتَنْتَهَبُ الْآيَاتُ أَفْلَاحَ أَحْمَدَ وَأَفْلَاحُ مَنْ عَادَاهُمْ تُتَعَدُّ^١
وَيَضْحَى وَيَنْظُمَا أَحْمَدَ وَبَنَاتِهِ وَبَنَتْ زِيَادٍ وَرَدَّهَا لَا يُصَرَّدُ^٢
أَنِّي دِينَهُ فِي أَمْنِهِ فِي بِلَادِهِ تَضِيقُ عَلَيْهِمْ فُسْحَةٌ تَتَوَرَّدُ^٣
وَمَا الدِّينَ إِلَّا دِينَ جَدِّهِمُ الَّذِي بِهِ أَصْدَرُوا فِي الْعَالَمِينَ وَأُورِدُوا

انتهى ما سنح لي ذكره من « درر السمط » وهو كتاب غاية في بابه ، ولم أورد منه غير ما ذكرته ، لأن في الباقي ما تُشَمُّ منه رائحة التشيع ، والله سبحانه يسامحه بمَنِّه وكرمه .

رجع إلى ما كنا بسبيله ، فنقول : قد ذكرنا في الباب الثاني رسالة أبي المطرف ابن عميرة إلى أبي جعفر ابن أمية^٤ ، وهي مشتملة على التلief على الجزيرة الأندلسية ، حين أخذ العلو بكنسية ، وظهرت له مخايل الاستيلاء على ما بقي

١ الدرر : سيد في الدنيا .

٢ صرح باسمه في الدرر - وهو معاوية - ولعل المقري كنى عنه تقوى وورعاً .

٣ في الأصول : تتوود ، وصوناه عن الدرر .

٤ انظر الجزء الأول من النسخ ص : ٣٠٥ .

من الأندلس ، فراجعها فيما سبق ، وإن كان التناسب التام في ذكرها هنا
فالمناسبة هناك حاصلة أيضاً ، والله سبحانه الموفق . وذكرنا هنالك أيضاً جملة
غيرها من كلامه — رحمه الله تعالى — تتعلق بهذا المعنى وغيره ، فلترجع
ثمة .

[نهاية الأندلس كما يصورها كتاب «جنة الرضى» لابن عاصم]

ورأيت أن أثبت هنا ما رأيته بخط الأديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبي عبد
الله محمد بن الحداد الوادي آشي نزيل تلمسان رحمه الله تعالى ما صورته^١ :
حدثني الفقيه العدل سيدي حسن ابن القائد الزعيم الأفضل سيدي إبراهيم العراف
أنه حضر مرة لإنزال الطلسم المعروف بفروج الرواح من العلية بالقصبة القديمة
من غرناطة بسبب البناء والإصلاح ، وأنه عاينه من سبعة معادن مكتوباً فيه :

إبوانُ غرناطةَ الغرّاء معتبرٌ طِلْسَمُهُ بولاءِ الحالِ دَوَّارُ
وفارسٌ رُوحُهُ رِيحٌ تدبِّرهُ من الجِمارِ ، ولكنْ فيه أسرارُ
فسوف يبقى قليلاً ثم تطرقهُ دَهْيَاءُ يخربُ منها الملكُ والدارُ

وقد صدق قائل هذه الأبيات ، فإنه طرقت الدهياء ذلك القطر الذي ليس
له في الحسن مثال ، ونَسَلَ الخطب إليه من كل حَدَبٍ وانثال ، وكل ذلك من
اختلاف رؤسائه وكبرائه ، ومُقَدِّميه وقضائه وأمرائه ووزرائه ، فكلُّ يومٍ
الرياسة لنفسه ، ويجر نارها لقرصه ، والنصارى — لعنهم الله تعالى — يضربون
بينهم بالخداع والمكر والكيد ، ويضربون عَمَراً منهم بزَيْد ، حتى يتمكنوا من
أخذ البلاد ، والاستيلاء على الطارف والتلاد . قال الرانس القاضي العلامة الكاتب
الوزير أبو يحيى ابن عاصم رحمه الله تعالى في كتابه «جنة الرضى في التسليم

١ انظر هذا الخبر والشعر عن الطلسم في أزهار الرياض ٣ : ٣١٤ .

لما قدر الله تعالى وقضى « ما صورة محل الحاجة منه ^١ : ومن استقرأ التواريخ المنصوصة ، وأخبار الملوك المقصوصة ، علم أن النصارى - دمرهم الله تعالى - لم يدركوا في المسلمين ثاراً ، ولم يرحضوا عن أنفسهم عاراً ، ولم يخربوا من الجزيرة منازل ودياراً ، ولم يستولوا عليها بلاداً جامعة وأمصاراً ، إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف ، واجتهادهم في وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف ، وتضريبهم بالمكر والخديعة بين ملوك الجزيرة ، وتحريشهم بالكيد والحيلة بين حُمائها في الفتن المييرة ، ومهما كانت الكلمة مؤتلفة ، والآراء لا مفرقة ولا مختلفة ، والعلماء بمعاناة اتفاق القلوب إلى الله مزدلفة ، فالحرب إذ ذاك سجال ، والله تعالى في إقامة الجهاد في سبيله رجال ، وللممانعة في غرض المدافعة ميدان رَحْب ومَجَال ، وروية وارتجال .

إلى أن قال : وتناولت الأيام ما بين مُهادنة ومقاطعة ، ومضاربة ومقارعة ، ومنازلة ومنازعة ، وموافقة وممانعة ، ومحاربة وموادة ، ولا أمل للطاغية إلا في التمرس بالإسلام والمسلمين ، وإعمال الحيلة على المؤمنين ، وإضممار المكيدة للموحدين ، واستبطان الخديعة للمجاهدين ، وهو يُظهر أنه ساعٍ للوطن في العاقبة الحسنى ، وأنه مُنْطَوٍ لأهله على المقصد الأسنى ، ومهمته بمراعاة أمورهم ، وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم وجُمهُورهم ، وهو يُسِرُّ حَسْوَاً في ارتغائه ، ويُعْمَل الحيلة في التماس هُلكِ انوطن وابتغائه ، فتباً لعقول تقبل مثل هذا المحال ، وتصدق هذا الكذب بوجهٍ أو بحال ، وليت المغرور الذي يقبل هذا لو فكّر في نفسه ، وعرض هذا المسموع على مدركات حسّه ، وراجع أوليَّات عقله وتجربيات حدّسه ، وقاس عدوّه الذي لا ترجى مودته على أبناء جنسه ، فأنا أناشده الله هل بات قطُّ بمصالح النصارى وسلطانهم مهتمّاً ، وأصبح من خطب طَرَقَهم مغتمّاً ، ونظر لهم نظر المفكّر في العاقبة الحسنة ، أو قصد لهم قصد المدير

١ من هنا يشترك النفع مع أزهار الرياض ١ : ٥٥ - ٥٥ في النقل عن كتاب ابن عاصم .

في المعيشة المستحسنة ، أو خطر على قلبه أن يخطئ في سبيل القرية أربابهم وصنباهم ، أو عمر ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أبحارهم ورهبانهم . فإن لم يكن ممن يدين بلدينهم الخبيث ، ولم يُشرب قلبه حُبّ التلث . ويكون صادق اللهجة ، منصفاً عند قيام الحجّة ، فسيُعرف أن ذلك لم يخطر له قطّ على خاطر ولا مرّة له ببال ، وأن عكس ذلك هو الذي كان به ذا اغتباط وبفعله ذا اهتبال . وإن نسب لذلك المعنى فهو عليه أثقل من الجبال ، وأشدّ على قلبه من وقع النبال . هذا وعقده التوحيد ، وصلاته التحميد ، وملته الغراء ، وشريعته البيضاء ، ودينه الخنيف القويم ، ونبيّه الرؤوف الرحيم ، وكتابه القرآن الحكيم . ومطلوبه بالهداية الصراط المستقيم ، فكيف نعتقد هذه المربية الكبرى ، والمنقبة الشهري . لمن عقده التلث ، ودينه الملبث ، ومعبوده الصليب ، وتسميته التصليب . وملته المنسوخة ، وقضيته المنسوخة ، وختانه التغطيس ، وغافر ذنبه القسيس . وربه عيسى المسيح ، ونظره ليس البين ولا الصحيح ، وأن ذلك الرب قد ضُرجَ بالدماء ، وسُقي الخلّ عوض الماء ، وأن اليهود قتلته مصلوباً ، وأدركته مظلوماً ، وقهرته مغلوباً ، وأنه جزع من الموت وخاف ، إلى سوى ذلك ممّا يناسب هذه الأقاويل السخاف ، فكيف يرجى من هؤلاء الكفرة ، من الخير مقدار الذرة ، أو يُطمع منهم في جلب المنفعة أو دفع المضرة ؟ اللهم احفظنا العقل والدين . واسلك بنا سبيل المهتدين .

ثم قال بعد كلام ما صورته : كانت خزانة هذه الدار النصيرية مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ، وبيتمة من الجواهر ، وفريدة من الزمرد . وثمينة من الفيروزج ، وعلى كل واق من الدروع ، وحامٍ من العُدّة ، وماضٍ من الأسلحة . وفاخر من الآلة ، ونادر من الأمتعة ، فمن عقود فذة ، وسلوك جمعة : وأقراط تفضل على قُرطبيّ ماريّة نفاسة فائقة وحسناً رائعاً ، ومن سيوف شواذ في الإبداع غرائب في الإعجاب ، منسوبات الصفائح في الطبع ، خالصات الحلّي من التبر ، ومن دروع مقدرة السرد متلاحمة النسيج ، واقية للناس في يوم

الحرب ، مشهورة النسبة إلى داود نبي الله ، ومن جَوَاشِينٍ سابغة اللبسة ، ذهبية الحلية ، هندية الضرب ، ديباجية الثوب ، ومن بيضات عسجدية الطَّرق ، جوهريّة التنفيد ، زبرجدية التقسيم ، ياقوتية المركز ، ومن مناطق لُجَيْنِيَّة الصَّوْغ ، عريضة الشكل ، مزججة الصفح ، ومن دَرَقٍ لمطية ، مصمتة المسام ، لينة المجسة ، معروفة المنعة ، صافية الأديم ، ومن قِيسِيّ ناصعة الصبغة ، هلالية الخِلْقَة ، منعطفة الجوانب ، زارية بالحواجب ، إلى آلات فاخرة من أتوار^١ نحاسية ، ومنابر بلورية ، وطيافير^٢ دمشقية ، وسبحات زجاجية ، وصحاف صينية ، وأكواب عراقية ، وأقداح طباشيرية ، وسوى ذلك ممّا لا يحيط به الوصف ، ولا يستوفيه العد ، وكل ذلك التهيّهُ شُواطِ الفتنه ، والتقمه تيّار الخلاف والفرقة ، فرزئت الدار منه بما يتعلّر إتيان الدهور بمثله ، وتقصر ديار الملوك المؤثّلة النعمة عن بعضه فضلاً عن كلّهِ ؛ انتهى كلامه رحمه الله تعالى^٣ .

رجع — ولما أخذت قواعد الأندلس مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة ومُرُسية وغيرها انحاز أهل الإسلام إلى غرناطة والمرية ومالقة ونحوها ، وضاق الملك بعد اتساعه ، وصار تنين العلوّ يلتقم كل وقت بلداً أو حصناً ، ويهصر من دَوْح تلك البلاد غُصْنًا ، وملك هذا التزرّ اليسير الباقي من الجزيرة ملوكُ بني الأحمر ، فلم يزالوا مع العلوّ في تعب وممارسة كما ذكره ابن عاصم قريباً ، وربما اُتُخِنُوا في الكفار كما علّم في أخبارهم ، وانتصروا بملوك فاس بني مَرِين ، في بعض الأحيان .

ولما قصد ملوك الإفرنج السبعة في المائة الثامنة غرناطة ليأخذوها اتفق أهلها على أن يبعثوا لصاحب المغرب من بني مَرِين يستنجدلونه ، وعينوا للرسالة الشيخ

١ ص ق : أتاور ؛ والأتوار : الآنية ، والمفرد تور .

٢ الطيافير : أطباق مستديرة عميقة قاعها مستو وحافاتها مرتفعة .

٣ إلى هنا وقف النقل في أزهار الرياض .

أبا إسحاق ابن أبي العاصي والشيخ أبا عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلشي
نفع الله تعالى بهم ؛ ثم بعد سنقرهم نازل الإفرنج غرناطة بخمسة وثلاثين ألف
فارس ونحو مائة ألف راجل مقاتل ، ولم يوافقهم سلطان المغرب ، فقضى الله
تعالى ببركة المشايخ الثلاثة أن كُسِرَ النصراني في الساعة التي كسر خواطيرهم
فيها صاحب المغرب ، وظهرت في ذلك كرامة لسيدي أبي عبد الله الطنجالي
رحمه الله تعالى .

ثم إن بني الأحمر ملوك الأندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجبل كانوا
في جهاد وجيلاد في غالب أوقاتهم ، ولم يزل ذلك شأنهم حتى أدرك دولتهم الهرم
الذي يلحق الدول ، فلما كان زمانُ السلطان أبي الحسن علي بن سعد النصراني
الغالب الأحمري ، واجتمعت الكلمة عليه بعد أن كان أخوه أبو عبد الله محمد
ابن سعد المدعو بالزغل قد بويع بمالقة ، بعد أن جاء به القواد من عند النصراني
وبقي بمالقة برهة من الزمان ، ثم ذهب إلى أخيه ، وبقي من مالقة من القواد
والرؤساء قوّضى ، وآل الحال إلى أن قامت مالقة بدعوة السلطان أبي الحسن ،
وانقضت الفتنة . واستقل السلطان أبو الحسن بملك ما بقي بيد المسلمين من بلاد
الأندلس ، وجاهد المشركين ، وافتتح عدّة أماكن ، ولاحت له بارقة الكرة
على العدو الكافر ، وخافوه ، وطلبوا هدنته ، وكثرت جيوشه ، فأجمع على
عرضها كلها بين يديه ، وأعدّ لذلك مجلساً أقيم له بناؤه خارج الحمراء قلعة
غرناطة ، وكان ابتداء هذا العرض يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي الحجة عام اثنين
وثمانين وثمانمائة ، ولم تزل الجنود تُعرض عليه كل يوم إلى الثاني والعشرين من
محرم السنة التي تليها ، وهو يوم ختام العرض ، وكان معظم المنتزهين والمتفرجين
بالسيكة وما قارب ذلك ، فبعث الله تعالى سيلاً عريماً على وادي حدّره بحجارة
وماء غزير كأفواه القرب ، عقاباً من الله سبحانه وتأديباً لهم لمجاهرتهم بالفسق
والمنكر ، واحتمل الوادي ما على حافتيه من المدينة من حوانيت ودور ومعاصر
وفنادق وأسواق وقناطر وحدائق ، وبلغ تيار السيل إلى رجة الجامع الأعظم ،

ولم يُسمع بمثل هذا السيل في تلك البلاد . وكان بين رؤساء الإفرنج في ذلك الوقت اختلاف ، فبعضهم استقل بملك قرطبة ، وبعض بإشبيلية ، وبعض بشريش ، وعلى ذلك كان صاحب غرناطة السلطان أبو الحسن قد استرسل في اللذات ، وركن إلى الراحة ، وأضاع الأجناد ، وأسند الأمر إلى بعض وزرائه ، واحتجب عن الناس ، ورَفَضَ الجهاد والنظر في الملك ، ليقضي الله تعالى ما شاء ، وكثرت المغارم والمظالم ، فأُنكر الخاصة والعامة ذلك منه ، وكان أيضاً قد قتل كبار القواد وهو يظن أن النصارى لا يغزون بعدُ البلاد ، ولا تنقضي بينهم الفتنة ولا ينقطع الفساد . واتفق أن صاحب قشتالة تغلب على بلادها بعد حروب ، وانقاد له رؤساء الشرك المخالفون ، ووجدت النصارى السبيل إلى الإفساد ، والطريق إلى الاستيلاء على البلاد ، وذلك أنه كان للسلطان أبي الحسن ولدان محمد ويوسف وهما من بنت عمه السلطان أبي عبد الله الأيسر ، وكان قد اصطفى على أمهما رومية كان لها منه بعض ذرية ، وكانت حظية عنده مقدمة في كل قضية ، فخيف أن يقدم أولاد الرومية ، على أولاد بنت عمه السنية ، وحدث بين خدام الدولة التنافر والتعصب ، لميل بعضهم إلى أولاد الحرة ، وبعض إلى أولاد الرومية ، وكان النصارى أيام الفتنة بينهم هادنوا السلطان لأمدٍ حدّ دوه وضربوه ، ولمّا تم أمدُ الصلح وافق وقته هذا الشأن بين أولياء الدولة بسبب الأولاد ، وتشكى الناسُ مع ذلك بالوزير والعمال لسوء ما عاملوا به الناس من الحيف والجور ، فلم يُصْغ إليهم ، وكثر الخلاف واشتدّ الخطب ، وطلب الناسُ تأخير الوزير ، وتفاقم الأمر ، وصح عند النصارى - لعنهم الله تعالى - ضَعْفُ الدولة واختلاف القلوب فبادروا إلى الحامية^١ فأخذوها غدرًا آخر أيام الصلح على يد صاحب قادس سنة سبع وثمانين وثمانمائة ، وغدوا للقلعة ، وتحصّنها بها ، ثم شرعوا في أخذ البلد ، فملأوا الطرق خيلاً ورجالاً ، وبذلوا السيف فيمن ظهر من المسلمين ، ونهبوا

١. ص ق : الحية .

الحریم ، والناسُ في غفلة نيام من غير استعداد كالسكارى ، فقتل من قضي الله تعالى بتمام أجله ، وهرب البعض وترك أولاده وحريمه ، واحتوى العدو على البلد بما فيه ، وخرج العامة والخاصة من أهل غرناطة عندما بلغهم العلم ، وكان النصارى عشرة آلاف بين ماشٍ وفارس ، وكانوا عازمين على الخروج بما غنموه ، وإذا بالسرعان من أهل غرناطة وصلوا ، فرجع العدو إلى البلد ، فحاصروهم المسلمون ، وشددوا في ذلك ، ثم تكاثرو المسلمون خيلاً ورجلاً من جميع بلاد الأندلس ، ونازلوا الحامة ، وطعموا في منع الماء عن العدو ، وتبين للعامة أن الجند لم ينصحوا ، فأطلقوا ألسنتهم بأقبح الكلام فيهم وفي الوزير ، وبينما هم كذلك إذا بالندير جاء أن النصارى أقبلوا في جمع عظيم لإغاثة من بالحامة من النصارى ، فأقلع جندُ المسلمين من الحامة ، وقصدوا ملاقة الواردين من بلاد العدو ، ولما علم بهم العدو ولّوا الأدبار من غير ملاقة محتجين بقتلهم ، وكان رئيسهم صاحب قرطبة .

ثم إن صاحب إشبيلية جمع جنداً عظيماً من جيش النصارى الفرسان والرجالة ، وأتى لنصرة من في الحامة من النصارى ، وعندما صبح هذا عند العسكر اجتمعوا ، وأشاعوا عند الناس أنهم خرجوا بغير زاد ولا استعداد ، والصلاحُ الرجوعُ إلى غرناطة ليستعد الناس ويأخذوا ما يحتاج إليه الحصار من العدة والعدد ، فعندما أقبل المسلمون عنها دخلتها النصارى الواردون ، وتشاوروا في إخراجها أو سكناها ، واتفقوا على الإقامة بها ، وحصنوها ، وجعلوا فيها جميع ما يحتاج إليه ، وانصرف صاحب إشبيلية ، وترك أجناده ، وفرق فيهم الأموال ، ثم عاد المسلمون لحصارها ، وضيقوا عليها ، وطعموا فيها من جهة موضع كان النصارى في غفلة عنه ، ودخل على النصارى جملة وافرة من المسلمين ، وخاب السعد بذلك بأن شعَرَ بهم النصارى ، فعادوا عليهم ، وتردَّى بعضهم من أعلى الجبل ، وقتل أكثرهم ، وكانوا من أهل بسطة ووادي آش ، فانقطع أملُ الناس من الحامة ، ووقع الإياس من ردها .

وفي جمادى الأولى من السنة تواترت الأخبار أن صاحب قشتالة أتى في جنود لا تُحصَى ولا تحصر . فاجتمع الناسُ بغرناطة ، وتكلموا في ذلك ، وإذا به قد قصد لوشة ونازلها قصداً أن يضيفها إلى الحامة . وجاء بالعدة والعدد . وأغار على النصارى جملة من المسلمين ، فقتلوا مَنْ لحقوه ، وأخذوا جملة من المدافع الكبار . ثم جاءت جماعة أخرى من أهل غرناطة ، وناوشوا النصارى ، فألحّوهم إلى الخروج عن الخيام ، وأخذوها وغيرها . فهرب النصارى ، وتركوا طعماً كثيراً وآلة ثقيلة ، وذلك في السابع والعشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة .

وفي هذا اليوم بعينه هرب الأميران أبو عبد الله محمد وأبو الحجاج يوسف خوفاً من أبيهما أن يفتك بهما بإشارة حظيته الرومية ثريّاً ، واستقرا بوادي آش . وقامت بدعوتهما . ثمّ بايعتهما تلك البلاد المرية وبسطة وغرناطة ، وهرب أبوهما السلطان أبو الحسن إلى مالقة .

وفي صفر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة اجتمع جميع رؤساء النصارى . وقصدوا قرى مالقة وبلش ، في نحو الثمانية آلاف . وفيهم صاحب إشبيلية وصاحب شريش وصاحب إستجة وصاحب أنتقيرة وغيرهم . فلم يتمكنوا من أخذ حصن ، ونشبو في أوعار ومضايق وخنادق وجبال ، واجتمع عليهم أهل بلش ومالقة ، وصار المسلمون ينالون منهم في كل محل ، حتى بلغوا مالقة ، ففر كبيرهم ، ومن بقي أسر أو قُتل ، وكان السلطان أبو الحسن في ذلك الوقت قد تحرك لنواحي المنكب ، وبقي أخوه أبو عبد الله بمالقة ومعه بعض الجند ، وقُتل من النصارى في هذه الواقعة نحو ثلاثة آلاف ، وأسر نحو ألفين ، من جملتها خال السلطان وصاحب إشبيلية وصاحب شريش وصاحب أنتقيرة وغيرهم ، وهم نحو الثلاثين من الأكابر ، وغنم المسلمون غنيمة وافرة من الأنفس والأموال والعدة والذهب والفضة ، وبعقب ذلك سافر أهل مالقة لبلاد النصارى ، فكسروا هنالك كسرة شنيعة قُتل فيها أكثر قوادر غرب الأندلس .

ولما استقرّ السلطان أبو عبد الله ابن السلطان أبي الحسن بغرناطة وطاعت له البلاد غير مالقة والغربية تحرك السلطان أبو الحسن على المنكبّ ونواحيها ، وأتى ابنه السلطان أبو عبد الله في جند غرناطة والجهة الشرقية ، والتقوا في موضع يُعرف بالذب ، فكُسِرَ السلطان أبو عبد الله .

ولما سمع السلطان أبو عبد الله صاحب غرناطة بأن عمّه بمالقة غنم من النصارى أعمال السفر للغزو بأهل بلاده من غرناطة والشرقية ، وذلك في ربيع الأول من السنة ، إلى أن بلغ نواحي لشانة ، وقتل وأسرَ وغنم ، فتجمعت عليه النصارى من جميع تلك النواحي ومعه كبير قبيرة ، وحالوا بين المسلمين وبلادهم في جبال وأوعار ، فانكسر الجند ، وأسر من الناس كثير وقتل آخرون ، وكان في جملة من أسر السلطان أبو عبد الله ، ولم يُعرف ، ثم علم به صاحب لشانة ، وأراد صاحب قبيرة أن يأخذه منه ، فهرب به ليلاً ، وبلغه إلى صاحب قشتالة ، ونال بذلك عنده رفعة على جميع القواد ، وتفاعل به ، فقلّما توجه لجهة أو بعث سرّيةً إلّا وبعثه فيها .

ولما أسر السلطان أبو عبد الله اجتمع كبراء غرناطة وأعيان الأندلس ، وذهبوا لمالقة للسلطان أبي الحسن ، وذهبوا به لغرناطة ، وبايعوه ، مع أنه كان أصابه مثل الصرع إلى أن ذهب بصره ، وأصابه ضرر ، ولما تعذّر أمره قدّم أخاه أبا عبد الله ، وخلع له نفسه ، ونزل بالمنكبّ ، فأقام بها إلى أن مات ، واستقل أخوه أبو عبد الله المعروف بالزغل بالملك بعده .

وأما أبو عبد الله ابن السلطان أبي الحسن فهو في أسر العدو .

وفي شهر ربيع الآخر من سنة تسعين وثمانمائة خرج العدو في قوّة إلى نواحي مالقة ، بعد أن كان في السنة قبلها استولى على حصون ، فاستولى هذه السنة على بعض الحصون ، وقصد ذكوان ، فهذه أسوارها ، وكان بها جملة من أهل الغربية ورندة ، ودخل ألف مدرع ذكوان عنوة ، فأظفر الله تعالى بهم أهل ذكوان ، فقتلهم جميعاً . ثم طلبوا الأمان وخرجوا .

ثم انتقل في جمادى الأولى إلى رُنْدَة وحاصرها ، وكان أهلها خرجوا إلى نصرة ذكوان وسواها ، فحاصر رُنْدَة وهدّ أسوارها ، وخرج أهلها على الأمان ، وطاعت له جميع تلك البلاد ، ولم يبق بغربي مالقة إلا مَنْ دخل في طاعة الكافر وتحت ذمته ، وضيق بمالقة ، وفرّق حصصه على بعض الحصون ليحاصروا مالقة ، وعاد إلى بلاده .

وفي تاسع عشر شعبان من العام سافر صاحبُ غرناطة لتحصين بعض البلاد ، وبينما هو كذلك إذا بالخبر جاءه أن محلة العدو خارجة لذلك الحصن . وفي صبيحة الثاني والعشرين من شعبان أصبحت جنودُ النصارى على الحصن ، كانوا قد سرّوا إليه ليلاً ، وأصبحوا عند الفجر مع جند المسلمين ، فقاتلهم المسلمون من غير تعب ، فاقتل نظامُ المسلمين ، ووصل النصارى إلى خباء السلطان ، ثم التحم القتال واشتد ، وقوّى الله تعالى المسلمين فهزموا النصارى شرّ هزيمة ، وقتل منهم خلائق ، وقصر المسلمون خوفاً من محلة سلطان النصارى إذ كانت قادمة في أثر هذه ، ولما رجعت إليهم القُلُول رجعوا القهقري ، واستولى المسلمون على غنائم كثيرة وآلات ، وجعلوا ذلك كله بالحصن ، ولم يحدث شيء بعد إلى رمضان . فتوجه الكافر لحصن قنيل ونازله وهدّ أسواره ، ولما رأى المسلمون أن الحصن قد دُخِلَ طلبوا الأمان ، وخرجوا بأموالهم وأولادهم مؤمنين ، وفرّ الناس من تلك المواضع من البراجلة هاربين ، واستولى العدو على عدّة حصون مثل مشاقر وحصن اللوز ، وضيق العدو بجميع بلاد المسلمين ، ولم يتوجه لناحية إلا استأصلها ، ولا قصّد جهة إلا أطاعته وحصلها ، ثم إن العدو دبّر الحيلة مع ما هو عليه من القوة ، فبعث إلى السلطان أبي عبد الله الذي تحت أسرهِ وكساه ووعدته بكل ما يتمناه ، وصرفه لشرقي بسطة ، وأعطاه المال والرجال ، ووعدته أن مَنْ دخل تحت حكمه من المسلمين وبايعه من أهل البلاد فإنه في الهدنة والصلح والعهد والميثاق الواقع بين السلطانين ، وخرج لبلش فأطاعه أهلها ، ودخلت بلش في طاعته ، ونودي بالصلح في الأسواق ، وصرخت

به في تلك البلاد الشياطين ، وسرى هذا الأمر حتى بلغ أرض البيازين من غرناطة ، وكانوا من التعصب وحمية الجاهلية والجهل بالمقام الذي لا يخفى ، وتبعهم بعضُ المفسدين المحيين في تفريق كلمة المسلمين ، وممن مال إلى الصلح عامة غرناطة لضعف الدولة ، ووسوس للناس شياطين الفتنة وسماستها بتقييح وتحسين ، إلى أن قام ربّضُ البيازين بدعوة السلطان الذي كان مأسوراً عند المشركين ، ووقعت فتنة عظيمة في غرناطة نفسها بين المسلمين لما أراده الله تعالى من استيلاء العدو على تلك الأقطار ، ورجعوا البيازين بالحجارة من القلعة ، وعظم الخطب ، وكانت الثورة ثالث شهر ربيع الأول عام أحد وتسعين وثمانمائة ، ودامت الفتنة إلى منتصف جمادى الأولى من العام ، وبلغ الخبر أن السلطان الذي قاموا بدعوته قدم على لوشة ودخلها على وجه رجاء الصلح بينه وبين عمّه الزّغل صاحب قلعة غرناطة ، بأن العم يكون له الملك ، وابن أخيه تحت إيمانه بلوشة أو بأي المواضع أحب ، ويكونون يداً واحدة على عدوّ الدين ، وبينما هم في هذا إذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدّد وعدّد ، ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبد الله الذي كان أسيراً ، وضيق بها الحصار ، وقد كان دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد ولمعاوضة وليهم ، وخاف أهلُ غرناطة وسواها من أن يكون ذلك حيلة ، فلم يأت لنصرتهم غير البيازين ، واشتد عليهم الحصار ، وكثرت الأقاويل ، وصرّحت الألسن بأن ذلك باتفاق بين السلطان المأسور وصاحب قشتالة ، ودخل على أهل لوشة في ربّضهم ، وخافوا من الاستئصال ، فطلبوا الأمان في أموالهم وأنفسهم وأهليهم ، فوفى لهم صاحبُ قشتالة بذلك ، وأخذ البلد في السادس والعشرين لجمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثمانمائة . وهي - أعني لوشة - كانت بلد سلف الوزير لسان الدين ابن الخطيب ، كما ذكرناه مستوفى في غير هذا الموضع . وهاجر أهلُ لوشة إلى غرناطة ، وبقي السلطان أبو عبد الله الذي كان مأسوراً مع النصراني بلوشة ، فصرح عند ذلك أهلُ غرناطة بأنه ما جاء للوشة إلا ليُدْخِلَ إليها العدو الكافر ،

ويجعلها فداء له ، وقيل : إنه سَرَّحَ له حيثنذ ابنه إذ كان مرهوناً في الفداء . وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين في ذلك . وظهر بذلك ما كان كامناً في القلوب ، ثم رجع صاحب قشتالة إلى بلاده ومعه السلطان المذكور .

وفي نصف جمادى الثانية خرج إلى البيرة فهدّ بعض الأسوار . وتوعد الناس ، فأعطاه أهله الحصن على الأمان . فخرجوا وقدموا على غرناطة . ثم فعل بحصن الملتين^١ مثل ذلك . وقاتلوا قتالاً شديداً . ولما ضاقوا ذرعاً أعطوه بالمقادة على الأمان . فخرجوا إلى غرناطة وأطاع أهل قلنيرة من غير قتال ، فخرجوا إلى غرناطة ثم وصل العدو إلى مَنْت فريد . فرمى عليهم بالمحرقات وغيرها وأحرق دار العدة . فطلبوا الأمان ، وخرجوا إلى غرناطة : وانتقل للصخرة فأخذها . وحصّن هذه الحصون كلها . وشحنها بالرجال والعدة : ورتب فيها الخيل لمحاصرة غرناطة . ثم عاد الكافر لبلاده ، وتعاهد مع السلطان الذي في أسره بأن من دخل في حكمه وتحت أمره فهو في الأمان التام . وأشاعوا أن ذلك بسبب فتنة وقعت بينه وبين صاحب إفرنسية ، فخرج لبلش وأطاعته ، ثم بعث لمن والاه من البلاد أنه أتى بصلح صحيح وعقد وثيق . وأن من دخل تحت أمره أمن من حركة النصارى عليه . وأن معه وثائق بخطوط السلاطين . فلم يقبل الناس ذلك . إلا القليل منهم مثل أهل البيازين . فلهجوا بهذا الصلح ، وأقاموا على صحته الدلائل . وتكلموا في أهل غرناطة بالكلام القبيح . مع تمكن الفتنة والعداوة في القلوب ، فبعث له أهل البيازين أنه إذا قدم بهذه الحجج لتلك الجهات اتّبعه الناس . وقاموا بدعوته من غير التباس . فأتى على حين غفلة ، ولم يكن يظن إتيانه بنفسه . فأتى البيازين ودخلها ونادى في أسواقها بالصلح التام الصحيح . فلم يقبل ذلك منه أهل غرناطة . وقالوا : ما بعهد لوشة من قديم . ودخل ربّض البيازين سادس شوال سنة إحدى وتسعين وثمانمائة . وعمّه بالحمراء .

١ هذا ما ثبت في ص : وفي ق : الملتين ، وفي دوزي : الملتين .

انتقل للقلعة ، واشتد أمر الفتنة ، ثم إن صاحب قشتالة أمدَّ صاحب البيازين بالرجال والعدة والمال والقمح والبارود وغيرها ، واشتد أمره بذلك ، وعظمت أسباب الفتنة ، وفشا في الناس القتل والنهب ، ولم يزل الأمر كذلك إلى السابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ، فعزم أهل غرناطة مع سلطانهم على الدخول على البيازين عشوة ، وتكلم أهل العلم فيمن انتصر بالنصارى ووجوب مدافعته ، ومن أطاعه عصى الله ورسوله ، ودخلوا على أهل البيازين دخول فُشَل ، ثم إن صاحب غرناطة بعث إلى الأجناد والقواد من أهل بسطة ووادي آش والمرية والمنكبّ وبلش ومالقة وجميع الأقطار ، وتجمعوا بغرناطة ، وتعاهدوا ، وتحالفوا على أن يدهم واحدة على أعداء الدين ، ونصرة من قصده العدو من المسلمين ، وخاف صاحب البيازين فيبعث لصاحب قشتالة في ذلك فخرج بمحلته قاصداً نواحي بلش . وكان صاحب البيازين بعث وزيره إلى ناحية مالقة وإلى حصن المنشأة يذكر ويخوف ، ومعه النسخة من عقود الصلح ، فقامت مالقة وحصن المنشأة بدعوته ، ودخلوا في إيمانه خوفاً من صاحب قشتالة وصوّلته ، وطمعاً في الصلح وصحته ، ثم اجتمع كبار مالقة مع أهل بلش وذكروا لهم سبب دخولهم في هذه الدعوة ، والسبب الحامل لهم على ذلك ، فلم يرجع أهل بلش عمّا عاهدوا عليه أهل غرناطة وسائر الأندلس من العهود والمواثيق .

وخرج صاحب قشتالة قاصداً بلش مالقة ، ونزل عليها في ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وحاصرها ، ولما صبح عند صاحب غرناطة ذلك اجتمع بالناس ، فأشاروا بالمسير لإغاثة بلش للعهد الذي عقدوه ، وأتى أهل وادي آش وغيرها وحشود البشرات ، وخرج صاحب غرناطة منها في الرابع والعشرين لربيع الثاني من السنة ، ووصل بلش ، فوجد العدو نازلاً عليها برّاً وبحراً ، فترل بجبل هنالك ، وكثر لفظ الناس ، وحملوا على النصارى من غير تعبية ، وحين حركتهم للحملة بلغ السلطان الزَّغَل أن غرناطة بايعت صاحب البيازين ، فالتقوا مع النصارى فشلين وقبل الالتحام انهزموا ، وتبددت جموعهم مع كون

النصارى خائفين وجِلين منهم . ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فرجعوا منهزمين ، وقد شاع عند الخواص ثورة غرناطة على السلطان ، فقصدوا وادي آش . وعاد النصارى إلى بلش بعد أن كانوا رتبوا جيوشهم للقاء السلطان وأهل غرناطة ، فلمّا عادوا إلى بلش دخلوا عنوة ربضها ، وضيقوا بها ، وكانت ثورة غرناطة خامس جمادى الأولى .

ولمّا رأى أهل بلش تكالب العدو عليهم وإدبار جيوش المسلمين عنهم طلبوا الأمان ، فخرجوا يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى من السنة . وأطاعت النصارى جميع البلاد التي بشرقي مالقة وحصن قمارش .

ثمّ انتقل العدو إلى حصار مالقة ، وكان أهل مالقة قد دخلوا في الصلح وأطاعوا صاحب البيازين ، وأتى إليها النصارى بالميرة ، ولمّا نزل بلش بعثوا هدية لصاحب قشتالة مع قائدهم وزير صاحب البيازين وقائد شريش الذي كان مأسوراً عندهم ، فلم يلتفت إليهم صاحب قشتالة لقيام جبل فاره وهو حصن مالقة بدعوة صاحب وادي آش ، وارتحل صاحب قشتالة إلى مالقة ونازلها برّاً وبحراً ، وقاتله أهلها قتالاً عظيماً بمدافعهم وعدتهم وخيلهم ورجلهم . وطال الحصار حتى أداروا على مالقة من البر الخنادق والصور والأجفان من البحر ، ومنع الدخول إليها ، ولم يدخلها غير جماعة من المرابطين حال الحصار . وحاربوا حرباً شديداً ، وقربوا المدافع ودخلوا الأرباض ، وضيقوا عليهم بالحصار إلى أن فني ما عندهم من الطعام^١ فأكلوا المواشي والخليل والحمير ، وبعثوا الكتب للعدوتين وهم طامعون في الإغاثة فلم يأت إليهم أحد . وأثر فيهم الجوع . وفشا في أهل نجدتهم القتل ، ولم يُظهروا مع ذلك هلعاً ولا ضعفاً ، إلى أن ضعف حالهم . ويشوا من ناصر أو مغيث من البر والبحر ، فتكلموا مع النصارى في الأمان كما وقع ممن سواهم ، فعوتبوا على ما صدر منهم وما وقع من الخفاء ، وقيل لهم

١ من الطعام : سقطت من ص .

لما تحقق العدو التجاءهم : تَوَمَّنُونَ من الموت ، وتعطون مفتاح القلعة والحصن ، والسلطان ما يعاملكم إلا بالخير إذا فعلتم ، وهذا خداع من الكفار ، فلما تمكن العدو منهم أخذهم أسرى ، وذلك أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ، ولم يبق في تلك النواحي موضع إلا وملكه النصارى .

وفي عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة خرج العدو الكافر إلى الشرقية وبلش التي كانت في الصلح ، فاستولى عليها ، واحتجوا بالصلح ، فلم يلتفت إليهم ، وأخذ تلك البلاد كلها صلحاً ، ثم رجع لبلاده .

وفي عام أربعة وتسعين وثمانمائة خرج لبعض حصون بسطة فأخذها بعد حرب . واستولى على ما هنالك من الحصون ، ثم نازل بسطة ، وكان صاحب وادي آش لما عين العدو بمحلته بعث جميع جنده وقواده ، وحشد أهل نجدة تلك البلاد من وادي آش والمرية والمنكب والبشرات ، فلما نزل العدو بسطة أتت الحشود المذكورة ودخلوها ووقعت بين المسلمين والنصارى حروب عظيمة حتى تفهقر العدو عن قرب بسطة ، ولم يقدر على منع الداخل والخارج ، وبقي الأمر كذلك رجياً وشعبان ورمضان ومغلات المسلمين نازلة خارج البلد ، ثم إن العدو شد الحصار وجده في القتال ، وقرب المدافع والآلات من الأسوار حتى منع الداخل والخارج بعض منع ، واشتد الحال في ذي القعدة وذو الحجة وقل الطعام ، وفي آخر ذي الحجة اختبروا الطعام في خفية فلم يجدوا إلا القليل ، وكانوا طامعين في إقلاع العدو عند دخول فصل الشتاء ، وإذا بالعدو بنى وعزم على الإقامة ، وقوي اليأس على المسلمين ، فتكلموا في الصلح على ما فعل غيرهم من الأماكن ، وظن العدو أن الطعام لم يبق منه شيء ، وأن ذلك هو الملجأ لهم للكلام ، وفهموا عنه ذلك ، فاحتالوا في إظهار جميع أنواع الطعام بالأسواق ، وأبدوا للعدو القوة مع كونهم في غاية الضعف ، والحرب خدعة ، فدخل بعض كبار النصارى للتكلم معهم وهو عيّن ليرى ما عليه البلد وما صفة الناس ، وعند تحققهم بقاء الطعام والقوة أعطوهم الأمان على أنفسهم دون من أعانهم من أهل

وادي آش والمنكبّ والمرية والبشرات ، فإن دفعوا هؤلاء عنهم صح لهم الأمان ، وإلاّ فلا ، فلم يوافق أهلُ البلد على هذا ، وطال الكلام ، وخاف أهل البلد من كشف السر ، فاتفقوا على أن تكون العقدة على بسطة ووادي آش والمرية والمنكبّ والبشرات ، ففعلوا ذلك ، ودخل جميع هؤلاء في طاعة العدو على شروط شرطوها وأمور أظهروا بعضها للناس وبعضها مكتوم ، وقبض الخواص مالا ، وحصلت لهم فوائد .

وفي يوم الجمعة عاشر محرم سنة خمس وتسعين وثمانمائة دخل النصارى قلعة بسطة وملكوها ، ولم يعلم العوام كيفية ما وقع عليه الشرط والالتزام ، وقالوا لهم : مَنْ بقي بموضعه فهو آمن ، ومن انصرف خرج بماله وسلاحه سالماً ، ثم أخرج العدو المسلمين من البلد ، وأسكنهم بالرَبَض خوف الثورة ، ثم ارتحل العدو للمرية ، وأطاعته جميعُ تلك البلاد ، ونزل صاحبُ وادي آش للمرية ليلقاه بها ، فلقيه وأخذ الحصون والقلاع والبروج ، وباع له السلطان أبو عبد الله على أن يبقى تحت طاعته في البلاد التي تحت حكمه كما أحب ، فوعده بذلك ، وانصرف معه إلى وادي آش ، ومكّنه من قلعتها أوائل صفر من العام المذكور ، وأطاعته جميعُ البلاد ، ولم يبق غير غرناطة وقراها ، وجميعُ ما كان في حكم صاحب وادي آش صار للنصارى في طَرْفَة عين ، وجعل في كل قلعة قائداً نصرانياً ، وكان قائد من المسلمين أصحاب هذه البلاد دفع لهم الكفار مالا من عند صاحب قشتالة إكراماً منه لهم بزعيمهم ، فتبّاً لعقولهم ، وما ذلك منه إلاّ توفير لرجالهم وعدّته ودفع بالتي هي أحسن ، ثم أخذ برج الملاحة وغيره ، وبناء حصنه ، وشحن الجميع بالرجال والنخيرة ، وأظهر الصعوبة والصلح مع صاحب وادي آش ، وأباح الكلام بالسوء في حق صاحب غرناطة مكرراً منه وخلداعاً ودهاء ، ثم بعث في السنة نفسها رسلاً لصاحب غرناطة أن يمكنه من الحمراء كما مكّنه عمته من القلاع والحصون ، ويكون تحت إيمالته ، ويعطيه مالا جزيلاً على ذلك ، وأي بلاد شاء من الأندلس يكون فيها تحت حكمه ، قالوا :

وأطعمه صاحبُ غرناطة في ذلك . فخرج العدو في محلاته لقبض الحمراء والاستيلاء على غرناطة ، وهذا في سر بين السلطانين ، فجمع صاحب غرناطة الأعيان والكبراء والأجناد والفقهاء والخاصة والعامة وأخبرهم بما طلب منه العدو وأن عمّه أفسد عليه الصلح الذي كان بينه وبين صاحب قشتالة بدخوله تحت حكمه ، وليس لنا إلا إحدى خصلتين : الدخول تحته . أو القتال ، فاتفق الرأي على الجهاد والوفاء بما عقده من صلح ، وخرج بمحلته . ثم إن صاحب قشتالة نزل على مرج غرناطة ، وطلب من أهل غرناطة الدخول في طاعته . وإلا أفسد عليهم زروعهم ، فأعلنوا بالمخالفة ، فأفسد الزرع ، وذلك في رجب سنة خمس وتسعين وثمانمائة ، ووقعت بين المسلمين والعدو حروب كثيرة . ثم ارتحل العدو عند الإياس منهم ذلك الوقت . وهدم بعض حصون . وأصلح برج همدان والملاحسة ، وشحنهما بما ينبغي ، ثم رجع إلى بلاده ، وعند انصرافه نزل صاحب غرناطة بمن معه إلى بعض الحصون التي في يد النصارى ففتحها عنوة ، وقتل من فيها من النصارى ، وأسكنها المسلمين ، ورجع لغرناطة ، ثم أعمل الرحلة إلى البشرات في رجب المذكور ، فأخذ بعض القرى . وهرب من بها من النصارى والمرتدين أصحابهم . ثم أتى حصن أندرش فتمكن منه ، وأطاعته البشرات ، وقامت دعوة الإسلام بها . وخرجوا عن ذمة النصارى . وهناك عمّه أبو عبد الله محمد بن سعد بجملته وافرة ، فقصدتهم في شعبان من غرناطة ، واستقرّ عمّه بالمرية . وأطاعت صاحب غرناطة جميع البشرات إلى برجة ، ثم تحرك عمّه مع النصارى إلى أندرش فأخذها لرمضان ، وخرج صاحب غرناطة لقرية همدان ، وكان برجها العظيم مشحوناً بالرجال والعدة والطعام ، فحاصره أهل غرناطة ، ونصبوا عليه أنواعاً من الحرب . ومات فيه خلق كثير منهم ، ونقبوا البرج الأول والثاني والثالث ، وألجؤوهم للبرج الكبير ، وهو القلعة ، فنقبوها ثم أسروا من كان بها ، وهم ثمانون ومائة ، واحتوا على ما هنالك من عدة وآلات حرب .

وفي آخر رمضان خرج صاحب غرناطة بقصد المنكب ، فلمّا وصل حصن شلوبانية نزله ، وأخذته عنوة بعد حصاره ، وامتنعت القلعة ، وجاءتهم الأمداد من مالقة بجرأ فلم تقدر على شيء ، وضيقوا بالقلعة ، فوصلهم الخبر أن صاحب قشتالة خرج بمحلتة لمرج غرناطة ، فارتحل صاحب غرناطة عن قلعة شلوبانية ، وجاء غرناطة ثالث شوال ، وبعد وصولهم غرناطة وصل العدو إلى المرج ومعه المرتدون والمذنبون ، وبعد ثمانية أيام ارتحل العدو لبلاده بعد هدم برج الملاحه وإخلائه وبرج آخر ، وتوجه إلى وادي آش ، فأخرج المسلمين منها ، ولم يبق بها مسلم في المدينة ولا الرّبض ، وهدم قلعة أندرش ، وحاف على البلاد ، ولمّا رأى ذلك السلطان الزّغل وهو أبو عبد الله محمد بن سعد عمّ سلطان غرناطة بادر بالحوار لبر العدو فجاز لوهران ، ثمّ لتلمسان ، واستقر بها ، وبها نسله إلى الآن يُعرفون ببني سلطان الأندلس ، ودخل صاحب قشتالة لأقاصي مملكته بسبب فتنة بينه وبين الإفرنج ثمّ تحرك صاحب غرناطة على برشانة وحاصرها وأخذها ، وأسر من كان بها من النصاري وأرادت فتياه^١ القيام على النصاري ، فجاء صاحب وادي آش ففتك فيهم .

وفي ذي القعدة من السنة رفع صاحب غرناطة من السند وخلت تلك الأوطان من الانس .

وفي ثاني عشري جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلاته إلى مرج غرناطة ، وأفسد الزرع ، ودوخ الأرض ، وهدم القرى ، وأمر ببناء موضع بالسور والحفير ، وأحكم بناءه ، وكانوا يذكرون أنّه عزم على الانصراف فإذا به صرّف الهمة إلى الحصار والإقامة ، وصار يُضَيّق على غرناطة كل يوم ، ودام القتال سبعة أشهر ، واشتد الحصار بالمسلمين ، غير أن النصاري على بعد ، والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق والطعام من ناحية

١ ق ص : رفتياه .

جبل شلير ، إلى أن تمكن فصل الشتاء ، وقلب البرد ، ونزل الثلج ، فانسد باب المرافق ، وقطع الجالب ، وقل الطعام ، واشتد الغلاء ، وعظم البلاء ، واستولى العدو على أكثر الأماكن خارج البلد ، ومنع المسلمين من الحرث والسبب ، وضاق الحال ، وبان الاختلال ، وعظم الخطب ، وذلك أول عام سبعة وتسعين وثمانمائة ، وطمع العدو في الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب ، ففرّ ناس كثيرون من الجوع إلى البشرات ، ثم اشتد الأمر في شهر صفر من السنة ، وقل الطعام ، ثم تفاقم الخطب ، فاجتمع ناس مع من يشار إليه من أهل العلم ، وقالوا : انظروا في أنفسكم وتكلموا مع سلطانكم ، فأحضر السلطان أهل الدولة وأرباب المشورة ، وتكلموا في هذا المعنى ، وأن العدو يزداد مدّده كل يوم ، ونحن لا مدد لنا ، وكان ظننا أنه يُقْلَع عنا في فصل الشتاء ، فخاب الظن ، وبني وأسس ، وأقام ، وقرب منا ، فانظروا لأنفسكم وأولادكم ، فاتفق الرأي على ارتكاب أخف الضررين ، وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الأجناد قبل ذلك في إسلام البلد خوفاً على نفوسهم وعلى الناس ، ثم عددوا مطالب وشروطاً أرادوها ، وزادوا أشياء على ما كان في صلح وادي آش : منها أن صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط إذا أمكنه من حمراء غرناطة والمعاقل والحصون ، ويحلف على عادة النصارى في العهود ، وتكلم الناس في ذلك ، وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام في ذلك امتنّ عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ، ثم عُقِدَتْ بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة ، فانقادوا إليها ، ووافقوا عليها ، وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة ، فقبلها منهم ، ونزل سلطان غرناطة من الحمراء .

وفي ثاني ربيع الأول من السنة - أعني سنة سبع وتسعين وثمانمائة - استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الأعيان رهناً خوفاً الغدر ، وكانت الشروط سبعة وستين منها : تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم

وعقارهم ، ومنها إقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم أحد عليهم إلا بشريعتهم ، وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك ، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يقصبوا أحداً ، وأن لا يولى على المسلمين إلا مسلم أو يهودي ممن يتولى عليهم من قبيل سلطانهم قبل ، وأن يفتك جميع من أسر في غرناطة من حيث كانوا ، وخصوصاً أعياناً نص عليهم ، ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه للملك ولا سواه . والسلطان يدفع ثمنه للملك ، ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع ، ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يُعطون عشر ما لهم والكراء^١ . وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره ، وأن لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم ، وأن من تنصر من المسلمين يوقف أياماً حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى ، فإن أبى الرجوع إلى الإسلام تهادى على ما أراد ، ولا يعاتب على من قتل نصرانياً أيام الحرب ، ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة ، ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى^٢ ولا يسفر بلجة من الجهات . ولا يزيدون على المغارم المعتادة . وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثه ، ولا يطلع نصراني للسور ، ولا يتطلع على دور المسلمين . ولا يدخل مسجداً من مساجدهم ، ويسير المسلم في بلاد النصارى آمناً في نفسه وماله . ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الدجن ، ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ، ومن ضحك منه يعاقب ، ويتركون من المغارم سنين معلومة ، وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده ، وأمثال هذا مما تركنا ذكره .

وبعد انبرام ذلك ودخول النصارى للحمراء والمدينة جعلوا قائداً بالحمراء وحكاماً ومقدمين بالبلد . ولما علم ذلك أهل البشرات دخلوا في هذا الصلح ، وشملهم حكمه على هذه الشروط ، ثم أمر العدو الكافر ببناء ما يحتاج إليه في

١ ثم . . . والكراء : سقطت من ص .

٢ أيام . . . النصارى : سقطت من ص .

الحمراء وتحصينها ، وتجديد بناء قصورها وإصلاح سورها ، وصار الطاغية يختلف إلى الحمراء نهاراً ويبيت بمحلتة ليلاً إلى أن اطمأن من خوف الغدر ، فدخل المدينة ، وتطوَّف بها ، وأحاط خبراً بما يرومه ، ثم أمر سلطان المسلمين أن ينتقل لسكنى البشرات وأنها تكون له وسكناته بأندرش ، فانصرف إليها وأخرج الأجناد منها ، ثم احتال في ارتحاله لبر العدو ، وأظهر أن ذلك طلبه منه المذكور ، فكتب لصاحب المرية أنه ساعة وصول كتابي هذا لا سبيل لأحد أن يمنع مولاي أبا عبد الله من السفر حيث أراد من بر العدو ، ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه ويقف معه وفاء بما عهد له ، فصرف في الحين بنص هذا الكتاب ، وركب البحر ، ونزل بمليلة ، واستوطن فاساً ، وكان قبلُ طَلَبَ الجواز لناحية مراکش ، فلم يسعف بذلك وحين جوازه لبر العدو لقي شدة وغلاء ووباء .

ثم إن النصارى نكثوا العهد . وتقضوا الشروط عروة عروة ، إلى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر ستة أربع وتسعمائة ، بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها عليهم أنهم قالوا : إن القسيسين كَتَبُوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهراً للكفر ، ففعلوا ذلك . وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة ، ثم تعدوا إلى أمر آخر ، وهو أن يقولوا للرجل المسلم : إن جدك كان نصرانياً فأسلم فترجع نصرانياً ، ولما فحش هذا الأمر قام أهل البيازين على الحكام وقتلوه ، وهذا كان السبب للتنصر ، قالوا : لأن الحكيم خرج من السلطان أن مَنْ قام على الحاكم فليس إلا الموت إلا أن يتنصر فينجو من الموت ، وبالحملة فإنهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة ، وامتنع قوم من التنصر : واعتزلوا الناس ، فلم ينفعهم ذلك ، وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق وأندرش وغيرهما ، فجمع لهم العدو الجموع ، واستأصلهم عن آخرهم قتلاً وسيياً ، إلا ما كان من جبل بللنقة فإن الله تعالى أعانهم على عدوهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة ، وأخرجوا على الأمان إلى فاس بعيالهم وما خف من ما لهم دون الذخائر ، ثم بعد هذا كله كان مَنْ أظهر التنصر من المسلمين

يعبد الله في خفية ويصلّي ، فشدد عليهم النصارى في البحث ، حتى إنهم أحرقوا منهم كثيراً بسبب ذلك ، ومنعواهم من حمل السكين الصغيرة فضلاً عن غيرها من الحديد ، وقاموا في بعض الجبال على النصارى مراراً ولم يقيض الله لهم ناصراً ، إلى أن كان إخراج النصارى إياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف ، فخرجت ألوف بفاس ، وألوف أخرى بتلمسان من وهران ، وجمهورهم خرج بتونس ، فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ، ونهبوا أموالهم ، وهذا ببلاد تلمسان وفاس ، ونجا القليل من هذه المعرة ، وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم ، وهم لهذا العهد عمروا قراها الحالية وبلادها ، وكذلك بتطاوين وسلا ومنتجة^١ الجزائر . ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى منهم عسكرياً جراراً وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن ، وحصنوا قلعة سلا ، وبَنَوْا بها القصور والدور والحمامات وهم الآن بهذا الحال ، ووصل جماعة إلى القسطنطينية العظمى وإلى مصر والشام وغيرها من بلاد الإسلام ، وهم لهذا العهد على ما وصف ، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

والسلطان المذكور الذي أخذت على يده غرناطة هو أبو عبد الله محمد الذي انقضت بدولته مملكة الإسلام بالأندلس ، ومحيّت رسومها ، ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان سعد ابن الأمير علي ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغني بالله ، واسطة عقدهم ، ومشيد مبانيهم الأنيقة ، وسلطان دولتهم على الحقيقة ، وهو المخلوع الوافد على الأصقاع المرينية بفاس ، العائد منها للملكة في أرفع الصنائع الرحمانية العاطرة الأنفاس ، وهو سلطان لسان الدين ابن الخطيب ، وقد ذكرنا جملة من أخباره في غير هذا الموضع ، ابن السلطان أبي الحجاج يوسف ابن السلطان إسماعيل قاتل سلطان النصارى دون بطره بمرج غرناطة ابن فرج

١ ق ص : وقبة .

[ابن إسماعيل] بن يوسف بن نصر بن قيس ، الأنصاري ، الخزرجي ، رحمهم الله تعالى جميعاً .

وانتهى السلطان المذكور بعد نزوله بمليلة إلى مدينة فاس بأهله وأولاده معتذراً عما أسلفه ، متلهفاً على ما خلفه ، وبني بفاس بعض قصور على طريق بنيان الأندلس ، رأيتها ودخلتها ، وتوفي رحمه الله تعالى بفاس عام أربعين وتسعمائة ، ودفن بإزاء المصلّى خارج باب الشريعة وخلف ولدين اسم أحدهما يوسف والآخر أحمد وعقب هذا السلطان بفاس إلى الآن ، وعهدي بذريته بفاس سنة ١٠٢٧ ، يأخذون من أوقاف الفقراء والمساكين ، ويُعَدّون من جملة الشحاذين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

[رسالة المخلوع أبي عبد الله إلى الشيخ الوطاسي]

وقد رأيت أن أذكر هنا الرسالة التي كتب بها المخلوع المذكور إلى سلطان فاس الشيخ الوطاسي^١ ، وهي من إنشاء الكاتب المجيد البارع البليغ أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي رحمه الله تعالى وسماها : « الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس » ونصها بعد الافتتاح :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم	رعيًا لما مثله يُرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن	جار الزمان عليّه جور متقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلباً	وأفطع الخطب ما يأتي على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له	وهل مرد لحكم منه منحتم
وهي الليالي وقاك الله صولتها	تصول حتى على الآساد في الأجتم
كنا ملوكاً لنا في أرضنا دول	نمنا بها تحت أفنان من النعم

١ وردت هذه الرسالة في أزهار الرياض ١ : ٧٢ - ١٠٢ .

فَأَيْقَظَتْنَا سَهَامٌ لِلرَّدَى صَيْبٌ
فَلَا تَمَ تَحْتَ ظِلِّ الْمَلِكِ نَوْمَتَا
يَبْكِي عَلَيْهِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ
كَذَلِكَ الدَّهْرُ لَمْ يَبْرَحْ كَمَا زَعَمُوا
وَصِلْ أَوَاصِرٌ قَدْ كَانَتْ لَنَا اشْتَبَكَتْ
وَابَسَطَ لَنَا الْخُلُقَ الْمَرْجُوَ بِاسْطُهُ
لَا تَأْخُذْنَا بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ
فَمَا أَطَقْنَا دِفَاعاً لِلْقَضَاءِ ، وَلَا
وَلَا رُكُوباً بِإِزْعَاجِ لِسَابِجَةِ
وَالْمَرْءُ مَا لَمْ يُعْنِهِ اللَّهُ أَضْيَعُ مِنْ
وَكُلِّ مَا كَانَ غَيْرَ اللَّهِ يَحْرُسُهُ
كُنْ كَالسَّمَوَالِ إِذْ سَارَ الْهَمَامُ لَهُ
فَلَمْ يَبِعْ أَذْرُعَ الْكَنْدِيِّ وَهُوَ يَرَى
أَوْ كَالْمَعْلَى مَعَ الضِّلَلِ الْارْوَعِ إِذْ
وَصَارَ يَشْكُرُهُ شُكْرًا يَكْفِيءُ مَسَا
وَلَا تَعَاتِبْ عَلَى أَشْيَاءٍ قَدْ قُدِّرَتْ
« وَعَدْتُ عَمَّا مَضَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ »^٢
إِيهِ حَتَّانِيكَ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ عَلَى

يُرْمَى بِأَفْجَعِ حَتَفٍ مَنِ بَنَى رُمِي
وَأَيُّ مَلِكٍ بَظَلَّ الْمَلِكُ لَمْ يَنْمِ
بِأَدْمَعٍ مُزْجَتِ أُمُوهَا بِدَمٍ
يُشَمُّ بَوَّ الصَّغَارِ الْأَنْفَ ذَا الشَّمَمِ
فَالْمَلِكُ بَيْنَ مَلُوكِ الْأَرْضِ كَالرَّحِمِ
وَاعْطِفْ وَلَا تَنْحَرْفْ وَاعْذِرْ وَلَا تَلْمِ
تُذْنِبُ وَلَوْ كَثُرَتْ أَقْوَالُ ذِي الْوَحْمِ
أَرَادَتْ أَنْفُسُنَا مَا حَلَّ مِنْ نِقَمِ
فِي زَاخِرٍ بِأَكْفِ الْمَوْجِ مُلْتَطِمِ
طِفْلٍ تَشْكِي بِفَقْدِ الْأُمِّ فِي الْيَمِّ
فَإِنَّ مَحْرُوسَهُ لَحِمٌّ عَلَى وَضَمِّ
فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ مَرْتَكَمِ^٣
أَنَّ ابْنَهُ الْبَرَّ قَدْ أَشْفَى عَلَى الرَّجَمِ
أَجَارَهُ مِنْ أَعَارِبٍ وَمِنْ عَجَمِ
أَسَدِي إِلَيْهِ مِنَ الْآلَاءِ وَالنَّعَمِ
وَحُطَّ مَسْطُورُهَا فِي الْوَحِّ بِالْقَلَمِ
وَعُدَّتْ أَحْرَارُنَا فِي جَمَلَةِ الْخَدَمِ
« ضَيْفٌ أَلْمٌ بِفَاسٍ غَيْرَ مُحْتَشَمِ »^٤

١ من قول كعب بن زهير :

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ فَلَمْ أَذْنِبُ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ

٢ من قول الأعشى :

كُنْ كَالسَّمَوَالِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَارِ

٣ مضمّن من الشعر القديم .

٤ اقتبس صدر بيت المتنبي ، وعجزه « السيف أحسن فعلامته بالهم » .

قَأْتِ أَنْتَ ، ولولا أَنْتَ ما نهضت
رحمك يا راحماً ينمى إلى رُحماً
فكم مواقف صدق في الجهاد لنا
والسيف يُخضب بالمحمر من علق
ولا ترى صدر عَضْب غير منقصف
حتى دُهينا بدهيا لا اقتدار بها
فقال من لم يشاهدها فربّما
هيات لو زبنته الحرب كان بها
تالله ما أضمرت غشاً ضمائرنا
لكن طلبنا من الأمر الذي طلبت
فخائنا عنده الجدد الخوون ، ومن
فاسود ما اخضر من عيش دهنه عيداً
وشتت الين شملأ كان منتظماً
فربّ مبنى شديد قد أناخ به
قمنا لديه أصيلاً نائله
وما ظنننا بأن نبقى إلى زمن
لكن رضى بالقضا الجاري وإن طويت
لبيك يا من دعانا نحو حضرته
واعط الأمان الذي رُصت قواعده
خليفة الله وافاك العبيد فكن
وبين أسلافنا ما قد علمت به

بنا إليها خطا الوخادة الرُّسْم
في النفس والأهل والأتباع والحشم
والخيل علكة الأشداق للجُسم
ما ابيض من سبل واسود من لم
ولا ترى متن لدن غير منحطم
سوى على الصون للأطفال والحرم
يخال جسامها يقتاد بالخطم
أعيبى يداً من يد جالت على رحم
ولا طوت صحة منها على سقم
ولأثنا قبلنا في الأعصر الدُّهم
تعد به نكبات الدهر لم يقم
بالأسمر اللدن أو بالأبيض الخدم
والين أقطع للموصول من جلم
ركب البلا فقرته أدمع الديم
أعيا جواباً وما بالربع من إرم
نرى به غرر الأجاب كالحم
متا الضلوع على برح من الألم
دعاء إبراهيم الحجاج للحرم
على أساس وفاء غير منهلم
في كل فضل وطول عند ظنهم
من اعتقاد بحكم الإرث مقتسم

١ يشير إلى قولهم « أذل من يد في رحم » .

٢ من قول النابغة :

وقفت فيها أصيلاً أسائلها عيت جواباً وما بالربع من أحد

وَأَنْتَ مِنْهُمْ كَأَصْلٍ مُطْلَعٍ غُصْنًا
وَقَدْ خَطَوْتَ خُطَاهُمْ فِي مَأْتَرِهِمْ
وَصِيتُ مَوْلَى الْوَرَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ غَدَا
سَلَالَةُ الْأُمَرَاءِ الْجَلَّةِ الْكِبَرَا
بَنُو مَرَيْنَ لِيُوْثٌ فِي عَرِينِ ابْوَا
الْنازِلِينَ مِنَ الْبَيْضَاءِ وَسَطِ حِمَى
وَالْجَانِسِينَ بِدُهُمِ الْخَلِيلِ كُلِّ ذَرَا
يَرِيكَ فَارْسُهُمْ إِنْ هَزَّ عَامِلُهُ
لَيْثًا عَلَى أَجْدَلِ عَارٍ مِنْ أَجْنَحَةٍ
فِي اللَّامِ يَدْغُمُ مِنْ عَسَالِهِ أَلْفًا
أَهْلُ الْحَفِيزَةِ يَوْمَ الرُّوعِ يَحْفَظُهُمْ
يَا مِنْ تَطِيرُ شَرَارٍ مِنْهُ مَحْرَقَةٌ
هُمْ بِطَائِفَةِ الثَّلَاثِ قَدْ فَتَكُوا
وَلَنْ يَلْثَمَهُمْ يَوْمَ الْوَغَى رَهْجٌ
تَضِيءُ آرَاؤُهُمْ فِي كُلِّ مَعْصَلَةٍ
هَذَا وَلَوْ مِنْ حَيَاءٍ ذَابَ مُحْتَشِمٌ
طَابَتْ مَدَائِحُهُمْ إِذْ طَابَتْ أَنْفُسُهُمْ
لِلَّهِ دَرُهُمُ وَالسُّحْبُ بِاخْلَةِ
بِحَيْثُ الْآفَقِ يُرَى مِنْ لَوْنِ حَمْرِيهِ
هَنَّاكَ تَنْهَلُ أَيْدِيَهُمْ بِصُوبِ حَيَا
وَأَنْ بَيْتِي زِيَادًا طَلًّا ذُكْرًا
أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَامُ مَطَهَّرَةٍ

١ زياد : النابغة الذبياني .

يرونَ حقّاً عليهم حفظ جوارهمِ
 فروعه بالدواهي لا يراع ، ولا
 همُّ البحار سماحاً غير أن بها
 وليس يسلم من حتف محاربهم
 كم فيهم من أميرٍ أوحد ندس
 ولا كسبط أبي حسون^١ من حسنت
 هذاكم ابن أبي ذكرى الهمام فقل
 خليفة الله حقّاً في خليقته
 مهما تر قسّمت منه نيرة
 فوجهه بدجى أو كفه بجدى
 وفضله وله الفضل المين جرى
 وجوده المتوالي للبرية ما
 إذا ابتغت نِعماً منه العفا له
 وإن يعبس زمان في وجوههم
 وجه تبين سمات المكرمات به
 وراحة لم تزل في كل آونة
 لله ما التزمته من نوافله
 أنسى الخلائف في حلم وفي شرف
 فجاز معتمداً منهم ومعتضداً
 وناصر الدين في الإقبال فاق ، وفي
 أفعال أعدائه معتلة أبداً

فلم يُضَرَّ نازل فيهم ولم يُضَمَّ
 يغم منها بما يعرف من الغم
 ما قد أناف على الأطواد من هم
 حتى يكون إليهم ملقي السّلم
 يُقرطس الغرض المقصود بالفهم
 أمداحه حسن ما فيه من الشيم
 في أصله المستقى من مجده العمم
 كنائب ناب في حكم عن الحكم
 تنل بنازله ما جل من نعم
 أبهى من الزهر أو أندى من الديم
 كجري الأمثال في الأقطار والأمم
 وجوده بينها طراً بمنهدم
 لم يسمعوا كلمة منه سوى نعم
 لم يبصروا غير وجهه منه مبسم
 كما تبين سمات الصدق في الكلم
 في نيلها راحة الشاكي من العدم
 أيام لا قرّض مفروض يلتزم
 وفي سخاء وفي علم وفي فهم
 وامتاز عن واثق منهم ومعتصم
 محبة العلم أزرى بابنه الحكم
 متى يرمّ جزمها بالحلف تنجزم

١ أبو حسون : هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ بن أبي زكريا يحيى بن زيان الوطاسي ويعرف
 بابن حسون الباذني ، بويغ بفاس أول مرة سنة ٩٣٢ .

فويل أهل القلى من حية ذكر
راموا عداوة مَنْ إن شاء غادرهم
فسوف يأكلهم من جيشه لتجيب
وإنّ آلأعراب إذ ساروا لغايته
وهم كما قاله ماضٍ «أرى قدمي
فقلّ لذن للمناوي النّاء لأنّ أذّى
له صوارم لو ناجتكَ ألسنها
وأنّ روحك عن قرب سيقبضه
فهو الذي ما له ندّ يشابهه
يدبر الأمر تديراً يخلصه
ويبصر الغيب لحظّ الذهن منه إذا
وينعم النظر المفضي بناظيره
ذو منطقي لم تزل تجلو نتائجهُ
ومستمع ليس يُصغي للوشاة فلم
فعقله لا توازيه العقول ، وهل
إليه جميع الورى من بدو أو حضر
شدوا وجدوا ولا تعنوا ولا تهنوا
هذا الإمام المريني السعيد له
قد أقسمت أنّه المنصور ألسنة
فشيعوه ووالوه تروا عجباً
والحمد لله إذ أبقي خلافته
حريز حريز وعز قائم وندى
دامت ودام لها سعد يساعدها
فالله عز اسمه قد زانها بحلى

للمتلبّ اللهم المجر ملتقم
مثل الأحاديث عن عاد وعن لارم
بكلّ قرم إلى لمانهم قرم
لسائرون إلى لقم على لقم
بسعيه نحوحتفي قد أراق دمي
يا غرّ غرك ما أبصرت في الحلم
ليشترك بعمر منك منصرم
قبض المسلم ما قدّ حاز من سلم
من كلّ متصف بالدهي متّسم
مما عسى أن يرى فيه من الوهم
تعمى عن أدراكه ألاحظ كلّ عمي
لصوب وجه صواب واضح اللقم
عن مبطل بخصام المبطل الخصم
ينفق لديه الذي عنهم إليه نمي
يوازن الطود ما قد طال من أكم
نبداء مرتبط بالنصر مرتسم
قدّ لفها الليل بالسواعة الحطّم
سعد يؤيده في كلّ مصطدم
من نخبة الأوليا مبرورة القسم
وتظفروا معه بالأجر والغنم
كهفنا لنا من نجيم فيه لم يرم
غمرّ دراك بلا من ولا سأم
في كلّ مبتدأ منه ومختتم
من غرّ أمداحه كالدّر في النظم

الواهبُ الألف بعد الألف من ذهب
 والفاعلُ الفعل لم يهمل به أحدٌ
 ذاكم هو الشيخ فاعجب إنه هَرِمٌ
 وحسبنا أن أيدينا به اعتصمت
 فما مخالفه يوماً بمضطهدٍ
 ولا موافيه في جهْدٍ بمطرحٍ
 ولا محيّا محييه بمنكسفٍ
 وما تكثره سرّاً بمنكشفٍ
 وليس لامحْ مرآهٍ بمكتشِبٍ
 ولا مقبِلٌ يمانه الكريمة في
 وما وسيلتنا العظمى إليه سوى
 وإنما هي وما أدراك ما هي من
 نبينا المصطفى الهادي بخير هدى
 داعي الورى من أولي خيم وأهل قبرى
 عليه منا صلاة الله ما ذكرتُ
 وما تشفع فيها بالشفيع له
 كالجمر يلمع في مستوقد الضرم
 والقائلُ القول فيه حكمة الحكم
 جوداً وحاشاه أن يعزى إلى هرم
 من حبله بوثيق غير منقضم
 ولا مؤالفه يوماً بمهتضم
 ولا مصافيه في ودٍ بمتهتم
 ولا رجاء مرجيه بمنخرم
 ولا تنكُّره جهراً بمكتم
 وليس راضع جدواه بمنظم
 محلّ ممتن بل دسّت محترم
 ما ليس ينكر ما فيها من العظم
 وسيلة ردّها أدهى من الوخم
 محمدٌ خيرُ خلقِ الله كلهم
 إلى طريق رشادٍ لاجِبِ أُمم
 « آمين » تذكرُ جيرانِ بذي سلم
 دُخِلَ حرمة العلياء في الحرم
 ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . أنت ولينا
 فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ، ربنا عليك توكلنا . وإليك أنبنا ، وإليك
 المصير ، ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ، نعم المولى
 ونعم النصير .

أما بعد حمد الله الذي لا يُحمد على السراء والضراء سواه : والصلاة والسلام
 على سيدنا ومولانا محمد الذي طلع الفجر بل البدر فلاح . يدعو إلى سبيل

١ صدر قصيدة البوصيري المشهورة في مدح الرسول (ص) .

كل فلاح ، أولي قلوب غافلة ونفوس سواه ، والرضى عن آله وأصحابه وعترته
الأكرمين وأحزابه الذين تلقوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر ونواه ، وعزروه
ونصروه في حال قربه ونواه ، فيا مولانا الذي أولانا من النعم ما أولانا لا حطاً
الله تعالى لكم من العزة رواقاً ، ولا أذوى لدوحة دولتكم أغصاناً ولا أوراقاً ،
ولا زالت مخضرة العود ، مبتسمة عن زهرات البشائر متحفة بثمرات السعود ،
م مطورة بسحاب البركات المتداركات دون برقوق ولا رعود ، هذا مقام العائذ
بمقامكم ، المتعلق بأسباب زمامكم ، المترجى لعواطف قلوبكم وعوارف إنعامكم ،
المقبل الأرض تحت أقدامكم ، المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم ، وما
الذي يقول مَنْ وجهه خجّل ، وفؤاده وجّل ، وقضيته المقضية عن التنصل
والاعتذار تجل ، بيد أني أقول لكم ما أقوله لربي واجترائي عليه أكثر ، واحترامي
إليه أكبر : اللهم لا بريء^١ فأعتذر ، ولا قوي فأنتصر ، لكني مستقيل ،
مستنيل مستعجب مستغفر ﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ
بِالسُّوءِ ﴾ (يوسف : ٥٣) ، هذا على طريق التنزل والإنصاف ، بما تقتضيه
الحال ممن يتحيز إلى حيز الإنصاف ، وأما على جهة التحقيق ، فأقول ما قالته
الأم ابنة الصديق^٢ : « والله إني لأعلم أني إن أقررت بما يقوله الناس والله يعلم
أنني منه بريئة لأقول ما لم يكن ، ولئن أنكرت ما تقولون لا تصدقوني ،
فأقول ما قاله أبو يوسف : صبر جميل والله المستعان على ما تصفون » .
على أني لا أنكر عيوبي فأنا معدن العيوب ، ولا أجحد ذنوبي فأنا جبل
الذنوب ، إلى الله أشكو عَجْرِي وبُجْرِي ، وسقطاتي وغلطاتي ، نعم كل
شيء ولا ما يقوله المتقول ، المشنع المهور ، الناطق بغم الشيطان المسؤل ، ومن
أمثالهم « سبّتي واصلدق ، ولا تقتر ولا تخلق » ، أفمئلي كان يفعل أمثالها ،
ويحتمل من الأوزار المضاعفة أحمالها ؟ ويهلك نفسه ويحبط أعمالها ، عياداً بالله

١ ص ق : لا بريكة .

٢ انظر إمتاع الأسعاع : ٢٠٩ مع اختلاف في النص .

من خسران الدين ، وإيثار الجاحدين والمعتدين ، قد ضللت إذأ وما أنا من المهتدين ،
وايئسُ الله لو علمت شعرة في قودَيَّ تميل إلى تلك الجهة لقطعتها ، بل لقطفت
ما تحت عمامتي من هامتي وقطعتها ، غير أن الرعاع في كل وقت وأوان ،
للملك أعداء وعليه أحزاب وأعوان ، كان أحق أو أجهل من أبي ثروان^١ ،
أو أعقل أو أعلم من أشجّ بني مروان^٢ ، رُبَّ متهم بري ومسر بلٍ بسر بال
وهو منه عري ، وفي الأحاديث صحيح وسقيم ، ومن التراكيب المنطقية منتج
وعقيم ، ولكن ثمّ ميزان عقل ، تُعتبر به أوزان النقل ، وعلى الراجح الاعتماد ،
ثمّ إشاعة الأحقاد ، المتصل المتداد ، والمرجوح الاطرّاح ، ثمّ التزام الصراح ،
بعد النقص من الراح ، وأكثر ما تسمعه الكذب ، وطبع جمهور الخلق إلّا من
عصمه الله تعالى إليه منجذب ، ولقد قدّنا من الأباطيل بأحجار ، ورُمينا بما لا
يُرمى به الكفّار ، فضلاً عن الفجار ، وجرى من الأمر المنقول على لسان زيد
وعمر ما لديكم منه حفظ الجار ، وإذا عظم الإنكاء ، فعلى تكاءة التجلد الاتكاء ،
أكثر المكثرون ، وجهد في تعثّرنا المتعثرون ، ورمّونا عن قوس واحدة ، ونظّمونا
في سلك الملاحدة ، أكفراً أيضاً كفراً ، غفراً^٣ اللهم غفراً ، أعد نظراً يا عبده
قيس ، فليس الأمر على ما خيّل لك ليس ، وهل زدنا على أن طلبنا حقنا ، ممن
رام مَحَقّه ومَحَقّنا ، فطاردنا في سبيله عُداء كانوا لنا غائطين ، فانفتق علينا فتق
لم يَمَكّنّا له رتق ، وما كنا للغيب حافظين . وبعده فاسأل أهل الحل والعقد ، والتمييز
والنقد ، فعند جُهِيسَتِهِمْ تلقى الخبر يقينا ، وقد رضينا بحكمهم يؤثّمنا فيوبقنا
أو يبرئنا فيقينا ، إيه يا من اشرأب إلى ملامتنا ، وقدح حتى في إسلامنا . رويداً
رويداً ، فقد وجدت قوة وأيداً ، ويحك إنما طال لسانك علينا ، وامتلء بالسوء

١ هو هبنقة القيسي مضرب المثل في الحق .

٢ هو عمر بن عبد العزيز .

٣ ق ص : الزم .

٤ ص ق : غداً .

إلينا . لأن الزمان لنا مصغر ولك مكبر ، والأمر عليك مُقبل وعنا مُدبر ، كما قال كاتب الحجاج الموبر . وعلى الجملة فهبنا صرنا إلى تسليم مقالك جدلاً ، وذهبنا فأقررنا بالخطأ في كل وِرْد وصدّر . فله درُ القائل ^١ :

إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القدر

وكأنا بمتعسف إذا وصل إلى هنا ، وعدمُ إنصافه يَعْلَمُه إلها ، قد ازورَّ متجانفاً . ثم افتَرَّ متهانفاً . وجعل يتمثل بقولهم : إذا عَيَّرُوا قالوا مقادير قدرت ، وبقولهم : المرء يعجزه المحال ، فيعارض الحق بالباطل ، والحالي بالعاطل ، ومتزع بقول القائل : ربَّ مسمع هائل ، وليس تحته [من] طائل ، وقد فرغنا أول أمس من جوابه . وتركنا الضغن يلصق حرارة ^٢ الجوى به . وسلم الآن بما يوسعه تسكيناً . ويقطعه تبيكيناً ، فنقول له : ناشدناك الله تعالى . هل اتفق لك قطُّ وغرض . خروج أمر ما عن القصد منك فيه والغرض ؟ مع اجتهادك أثناءه في إصدارك وإيرادك . في وقوعه على وفق اقتراحك ومُرادك ، أو جميع ما تزاوله بإدارتك ، لا يقع إلّا مطابقاً لإرادتك . أو كل ما تقصده وتنويه ، تحرزه كما تشاء وتحويه ؟ فلا بد أن يقر اضطراراً ، بأن مطلوبه يشذ عنه مراراً ، بل كثيراً ما يفلت صيدُه من أشراكه . ويطلبه فيعجز عن إدراكه . فنقول : ومساءلتنا من هذا القبيل : أيها النبيه النبيل : ثم نسرده له من الأحاديث النبوية ما شينا ، ممّا يسايرنا في غرضنا منه ويماشينا . كقوله صلى الله عليه وسلم « كلَّ شيء بقضاء وقدر . حتى العجز والكيس » وقوله أيضاً « لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه » أو كما قال ، صلى الله عليه وسلم ،

١ هو أبو التاهية (ديوانه : ٤٤٩) وقيله :

هي المقادير فلمني أو قدر تجري المقادير على غرز الإبر
٢ ص : حزاوة .

فأخْلِقْ به أن يلوذ بأكتاف الإحجام . ويزمَّ على نفثة فيه كأنما أُلْجِم بلجام ،
حينئذ نقول له والحق قد أبان وجهه وجلاله ، وقهره بحجته وعلاه : ليس لك
من الأمر شيء قل إن الأمر كله لله . وفي مُحاجة آدم وموسى ما يقطع لسان
الخصم ، ويرحضُ عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من دَرَن الوصم ،
وكيفما كانت الحال ، وإن ساء الرأي والانتحال . ووقعنا في أوجال وأوْحال ،
فثُلَّ عرشنا ، وطويت فُرُشنا ، ونكس لِيوانا . ومُلْك مثوانا ، فنحن أمثل
من سوانا ، وفي الشر خيار ، ويد اللطائف تكسر من صولة الأغيار ، فحتى
الآن لم نَقمَد من اللطيف تعالى لطفاً . ولا عدمننا أدوات أدعية تعطف بلا مهلة على
جملتنا المقطوعة جمل النعم الموصولة عطفاً ، وإلا فتلك بغداد دار السلام ،
ومُتَبَوِّأ الإسلام ، المحفوف بفرسان السيوف والأقلام ، مثابة الخلافة العباسية ،
ومقر العلماء والفضلاء أُولي السَّيْرِ الأَوْيَسِيَّة^١ . والعقول الإياسية^٢ ، قد
نوزلت بالجيوش ونزلت . وزوولت بالزحوف وزلزلت . وتحيف جوانبها الحيف ،
ودخلها كفار التَّارِ عَنوة بالسيف ، ولا تَسَلْ إذ ذاك عن كيف ، أيام تجلت
عروس المنية كاشفة عن ساقها مبدية . وجرت الدماء في الشوارع والطرق
كالأنهار والأودية ، وقيد الأئمة والقضاة تحت ظلال السيوف المُتَضَاعَة بالعمايم
في رقابهم والأردية ، وللتجيع سيول . تخوضها الخيول : فتخضبها إلى أرساغها ،
وهم ظماؤها بوردها فتتكلم عن تجرعها ومساغها . فطاح عاصمها ومستعصمها ،
وراح ولم يَعُدْ ظالمها ومتظلمها . وخربت مساجدها وديارها ، واصطَلَمَ بالحسام
أشرارها وخيارها ، فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف ، حسبما عرفت أو حسبما
تعرف ، فلا تك متشككاً متوقفاً ، فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين
من قِفا ، فأين تلك الجحافل . والآراء المدارة في المحافل ؟ حين أراد الله تعالى

١ نسبة إلى أويس القرني الزاهد .

٢ نسبة إلى إيَّاس بن معاوية القاضي الذي يضرب به المثل في الزكاة .

بإدالة الكفر، لم تُجند ولا قلامة ظفر، إذن فمن سلمت له نفسه التي هي رأسُ ماله، وعياله وأطفاله اللذان هما من أعظم آماله، وكلّ أو جلّ أو أقلّ^١ ريشه، وأسباب معاشه الكفيلة بانتهاضه وانتعاشه، ثم وجد مع ذلك سبيلاً إلى الخلاص، في حال مياسرة ومساهلة دون تصعب واعتياص، بعدما ظن كل الظن أن لا محيد ولا مناص، فما أحقّه حيثنّه وأولاه، أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه، على ما أسداه إليه من رِفْدِه وخيرِه، ومعافاته ممّا ابتلي به كثير من غيره، ويرضى بكل إيراد وإصدار، تتصرف فيهما الأحكام الإلهية والأقدار، فالدهر غدّار، والدنيا دار مشحونة بالأكدار، والقضاء لا يُردّ، ولا يُصدّ، ولا يغالب، ولا يطالب، والدائرات تدور، ولا بدّ من نقص وكمال للبدور، والعبد مطيع لا مطاع، وليس يطاع إلاّ المستطاع، وللخالق القدير جلّت قدرته في خليقته علم غيب للأذهان عن مداه انقطاع.

وما لي والتكلف لما لا أحتاج إليه من هذا القول، بين يدي ذي الجلال والمجادة والفضل والطّول؟ فله من العقل الأرجح، ومن الخلق الأسجح، ما لا تلتاط معه همّي بصفره^٢، ولا تنفق عنده وشاية الواشي لا عدّ من نقره، ولا فاز قيد حه بظفره، والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب، وتجرب براحتها إلى المتاعب، وقديماً للأكياس من الناس خدعت، وانحرفت عن وصالهم أعقل ما كانوا وقطعت، وفعلت بهم ما فعلت بيسار الكواعب تلك التي جبتّ وجدعت، ولئن رهصت وهصرت، فقد نبهت وبصّرت، ولئن قرعت وأمعضت، لقد أرشدت ووعظت، ويا ويلنا من تنكرها لنا بكرة، ورميها لنا في غمرة أيّ غمرة، أيام قلبت لنا ظهر المجنّ، وغيم أفقها المصحّي وأدجن، فسرعان ما عابنّا حبالها مُنبِتّة، ورأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بغتة، فمن استعاذ من شيء

١ ق ص : أحقل . ٢ يريد : لا تعلق بقلبه .

فليستعذ ممّا صرنا إليه من الحُور بعد الكُور ، والانحطاط من النجد إلى الغور :

فبينما نسوس الناس والأمرُ أمرُنا إذا نحن فيهم سوقة^١ نَتَنَصَّفُ
فأفٍ لدنيا لا يدوم نعيمها تَقَلَّبُ تارات بنسا وتصرّفُ

وأبيها لقد أرهقتنا إرهاقاً ، وجرعتنا من صاب الأوصاب كأساً دهاقاً ، ولم
نفزع إلى غير بابكم المنيع الجنب ، المنفتح حين سُدَّتْ الأبواب ، ولم نلبس غير
لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملك من الأثواب ، وإلى أمه يلجأ الطفل
لجأ اللهفان ، وعند الشدائد تمتاز السيوف في الأجفان من الأجفان ، ووجهُ الله
تعالى يبقى وكلُّ مَنْ عليها فانٍ ، وإلى هنا ينتهي القائل ثم يقول : حسبي هذا
وكفان .

ولا ريب في اشتغال العلم الكريم ، على ما تعارفته الملوك بينها في الحديث
والقديم ، من الأخذ باليد عند زلّة القَدَم ، وقرع الأسنان وعض البنان من الندم ،
دينياً تدبنت حتى مع اختلاف الأديان ، وعادة اطّردت فيهم على تعاقب الأزمان
والأحيان .

ولقد عرض علينا صاحب قَسْئالة مواضع معتبرة خير فيها ، وأعطى من
أمانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يقنع النفوس ويكفيها ، فلم نر ونحن من سلالة الأحمر
مجاورة الصُفر ، ولا سوغ لنا الإيمان الإقامة بين ظهرائي الكفر ، ما وجدنا عن
ذلك مندوحة ولو شاسعة ، وأمنا من المطالب المشاغب حُمةً شرّاً لنا لاسعة ،
وادّكرنا أيّ ادكار ، قول الله تعالى المنكير لذلك غاية الإنكار ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ
اللهِ واسِعَةً ﴾ وقول الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، المبالغ في ذلك بأبلغ الكلام
« أنا بريء من مؤمن مع كافر لا تراعى ناراهما »^٢ وقول الشاعر الخاث على

١ ورد البيتان في قصة حرة بنت النعمان تخاطب فروة بن إياس بن قبيصة (المحاسن والأضداد :

١١٥) .

٢ نص الحديث : أنا بريء من كل مسلم مع مشرك ، قيل : لم يا رسول الله؟ قال : لا تراعى ناراهما .

حث المطية ، المتشاقلة عن السير في طريق منجياتها البطيئة :

وما أنا والتلدّد نحو نجد وقد غصّت تهامة بالرجال

ووصلت أيضاً من الشرق إلينا ، كتب كريمة المقاصد لدينا ، تستدعي الانحياز إلى تلك الجنبات . وتتضمن ما لا مزيد عليه من الرغبات ، فلم نختر إلا دارنا التي كانت دار آبائنا من قبلنا . ولم نرتض الانضواء إلا لمن بجبله وصل حبنا ، وبريش نبله ريش نبيلنا ، إدلالاً على محل إخاء متوارث لا عن كلاله ، وامثالاً لوصاة أجداد لأنظارهم وأقدارهم أصالة وجلالة ، إذ قد روينا عن سلف من أسلافنا ، في الإيضاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا ، أن لا يبتغوا إذا دهمهم داهم بالحضرة المرينية بدلاً ، ولا يحدوا عن طريقها في التوجه إلى فريقها^١ معديلاً ، فاخترنا إلى الرياض الأريضة الفجاج ، وركبنا إلى البحر الفرات ظهر البحر الأجاج ، فلا غرو أن نردّ منه على ما يقر العين . ويشفي النفس الشاكية من ألم البين ، ومن توصل هذا التوصل ، وتوصل بمثل ذلك التوصل ، تطارحاً على سدة أمير المؤمنين ، المحارب للمحاربين ، والمؤمن للمستأمنين ، فهو الخليفة الحقيقي بأن يسوغ أصفى مشاربه ، ويبلغ أوفى مآربه ، على توالي الأيام والشهور والسنين ، ويخلص من الثبور إلى الحيور ، ويخرج من الظلمات إلى النور ، خروج الجنين ، ولعل شعاع سعادته يفيض علينا ، ونفحة قبول إقباله تسري إلينا ، فتحامرنا أريحية تحملنا على أن نبادر ، لإنشاد قول الشريف الرضي في الخليفة القادر^٢ :

عظّمًا أمير المؤمنين فإتّنا في دوحة العلياء لا نتفرّق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبدأ ، كلانا في المعالي مُعرق
إلا الخلافة ميزتك . فإنتي أنا عاطل منها وأنت مطوق

١ ص : افريقيا .

٢ ديوان الرضي ٢ : ٤٢ .

لا بل الأحرى بنا والأحجى ، والأُنْجَح لسعينا والأرجى ، أن نعدل عن هذا المنهاج ، ويقوم وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج ، وينشد ما قال في الشيرازي ابنُ حَجَّاج^١ :

الناسُ يَفْقِدُونَكَ اضطراراً منهم ، وأفديكَ باختياري
وبعضُهم في جوارِ بعضٍ وأنتَ حتى أموتَ جاري
فَعَشُ الخبزي وعشُ المائي وعشُ لداري وأهلِ داري

ونستوهِب من الوهاب تعالى جَلَّتْ أَسْمَاؤُهُ ، وتعاظمت نعمائِهِ ، رحمةٌ تجعل في يد الهداية أَعْيُنُنَا ، وعصمةٌ تكون في مواقف المخاوف جُنَّتُنَا ، وقبولاً يعطف علينا نوافر القلوب ، وصنعاً يُسَنِّي لنا كلَّ مرغوب ومطلوب ، ونسأله وطالما يَلْتَمِسُ السائل سؤالاً ومأمولاً . متاباً صادقاً على موضوع الندم محمولاً :
ثم عَمَاءَ حسناً وصبراً جميلاً ، عن أرض أورثها مَنْ شاء من عباده معقياً لهم ومُديلاً ، وسادلاً عليهم من ستور الإملاء الطويلة سُدُولاً ﴿سُئِلَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح : ٢٣) فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيراً ، كان ذلك في الكتاب مسطوراً ، لم نستطع عن مورده صدوراً ، وكان أمر الله قَدَرًا مقدوراً . ألا وإن لله سبحانه ، في مقامكم العليّ الذي أيده وأعانه ، سرّاً من النصر يترجم عنه لسان من النصل ، وترجع فروع البشائر الصادقة ، بالفتوحات المتلاحقة ، من قاعدته المتأصلة ، إلى أصل ، فبمثله يجب اليباز ، والعياذ ، ولشبهه يحق الالتجاء ، والارتجاء ، ولأمر ما آثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه ، ومنه جلّ جلاله نرغب أن يَخِيرَ لنا ولجميع المسلمين ، ويؤوينا من حمايته ووقايته إلى معقل منيع وجناب رفيع أمين ، آمين آمين ، ونرجو أن يكون ربنا ، الذي هو في جميع الأمور حسيبنا ، قد خار لنا حيث أرشدنا وهدانا ،

١ من أبيات لابن حجاج في أبي الفضل الشيرازي (اليتيمة ٣ : ٤٧) .

وساقنا توفيقه وحدانا ، إلى الاستجارة بملك حقي ، كريم وفي ، أعزّ جاراً من أبي دواد ، وأحمى أنفاً من الحارث بن عباد ، يشهد بذلك الداني والقاصي والحاضر والباد ، إن أغاث ملهوقاً فما الأسود بن قنان يُذكر ، وإن أنعش حُشاشة هالكٍ فما كعب بن مامة^١ على فعله وحده يُشكر ، جلسه كجلس القعقاع بن شور^٢ ، ومُذاكره كمذاكر سفيان المنتسب من الرباب إلى ثور^٣ ، إلى التحلي بأمهات الفضائل ، التي أضدادها أمهات الرذائل ، وهي الثلاث : الحكمة والعدل والعفة التي تشملها الثلاثة الأقوال والأفعال والشمائل ، وينشأ منها ما شئت من عزم وحزم ، وعلم وحلم ، وتيقظ وتحفظ ، واتقاء وارتقاء ، وصول وطول ، وسماح ونائل ، فبنور حلاه المشرق ، يفتخر المغربُ على المشرق ، وبمحتده السامي خطره في الأخطار ، وبيته الذي ذكره في اللبابة والتجابة قد طار ، يباهي جميع ملوك الجهات والأقطار ، وكيف لا وهو الرفيع المنتمى والتجار ، الراضع من الطهارة صَقَوَ ألبان ، الناشئ من السراوة وسط أحجار ، في ضِئْضِئِء المجلد وبجوح الكرم ، وسراوة أسرة المملكة التي أكتافها حرم ، وذؤابة الشرف التي مجاذبتها لم تُرَم ، من معشر أيّ معشر بخلوا إن وهبوا ما دون أعمارهم ، وجبّئوا إن لم يحموا سوى ذِمارهم ، بنو مرين ، وما أدراك ما بنو مرين :

سَمُّ العُدَاةِ وآفَةُ الجُرُزِ

النازلون بكلّ معتركٍ والطيبون معاقد الأزر

لهم من الهفوات انتقاء ، وعندهم من السَّيَرِ النبوية اكتفاء ، انتسبوا إلى بر

١ مضرب المثل في الإيثار لأنه آثر صاحبه الثمري على نفسه بالماء ومات ظمأ .

٢ يضرب به المثل في حسن المجالسة ، قال الشاعر :

وكننت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس

٣ يريد سفيان الثوري ، والرباب مجموعة قبائل فيها ثور وعوف وضبة .

٤ صدر هذا البيت من شعر الحرثي « لا يبعدن قومي الذين هم » .

ابن قيس ، فخرجوا في البرُّ عن القيس^١ ، ملهم القديم المعروف ، قد نفذ في
سبيل المعروف ، وحديثهم الذي نقلته رجال الزخوف ، من طرق القنا والسيوف ،
علي الحسن من المقاصد موقوف ، تحمدُ من صغيرهم وكبيرهم ذابلهم ولدتهم ،
فله آباء أنجبوهم وأمها ولدتهم :

شُمُّ الأنوفِ من الطراز الأول^٢

إليهم في الشدائد الاستناد وعليهم في الأزمات المعول ، ولهم في الوفاء والصفاء
والاحتفاء والعناية والحماية والرعاية الخطو الواسع والباع الأطول ، كأنما عناهم
بقوله جرول^٣ :

أولئك قومٌ إن بنَوْا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقدوا شدُّوا
وإن كانت التعماء فيهم جزَّوا بها وإن أنعموا لا كدَّروها ولا كدُّوا
وتعدِّلني أبناء سَعْدٍ عليَّهِمُ وما قلتُ إلاّ بالتي علمتُ سعد

وبقوله الوثيق مبناه ، البليغ معناه^٤ :

قومٌ إذا عقدوا عقداً لجارهمُ شدوا العناجَ وشدوا فوقه الكرباً^٥
يزيحون عن التزيل كل نازح قاصم ، وليس له منهم عائب ولا واصم ،
فهم أحق بما قاله في منقر قيس^٦ بن عاصم :

١ القيس : المقايضة .

٢ عجز بيت لسان ، صدره « بيض الوجوه كريمة أحسابهم » .

٣ ديوان الخطيئة : ٤١

٤ ديوان الخطيئة : ١٦ .

٥ العناج : حبل يجعل في أسفل الدلو تشد به العراقي ، والكرب عقد مشى يشد على العراقي ، والمعنى :
إذا عقدوا أوفوا لمن عقدوا وكان عقدهم وثيقاً .

٦ من الحماسة ٦٨٦ (شرح المرزوقي : ١٥٨٤) وروى القتيبي في عيون الأخبار (١ : ٢٨٦)
أنه قال هذا الشعر حين بلغه أن ابن أخيه قتل ابنه .

لَا يَقْطُنُونَ لَعَيْبٍ جَارِهِمْ^١ وَهُمْ^٢ لِحِفْظِ جَوَارِهِمْ فُطُنٌ^٣

حُلاَّهُمْ هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جَعْلٌ ، وأمير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل ، ثمّ هو عليهم وعلى من سواهم بالأوصاف الملوكية مستعل ، ارفضّ مُزْتَمٍ منه عن غيث مُلِثٍ يحو آثار اللزبة ، وانشق غيلهم منه عن ليث ضارٍ متقبض على برائته للوثبة ، قفل لسكان القلا : لا تغرنكم أعدادكم وأمدادكم ، فلا يبالي السرحان المواشي سواء مشى إليها التَقَرَّى أو الجفلى^٤ ، بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عِرْنَيْنٍ ، ثم يبتلع بعد أشلاءهم المغفّرة ابتلاع التنين . فهو هو كما عرفوه ، وعهدوه وألفوه ، أخو المنايا ، وابن جتلا وطلاّع الثنايا ، مجتمع أشدّه ، قد احتنكت سنه وبان رشدّه ، جاد مجدّه ، محترم بحزام الحزم مشمر عن مساعد الجلد :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ دَمٍ^٥ وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ^٦

أَسَدِيّ الْقَلْبِ آدَمِيّ الرِّوَاءِ ، لا بس جلد النمر يزوي العناد والنواء :

وَلَيْسَ بِشَاوِيٍّ عَلَيْهِ دِمَامَةٌ^٧ إِذَا مَا سَعَى يَسْعَى بِقُوسٍ وَأَسْهَمٍ^٨
وَلَكِنَّهُ يَسْعَى عَلَيْهِ مُفَاضَةٌ^٩ دَلَاصٌ^{١٠} كَأَعْيَانِ الْجِرَادِ الْمُنْظَمِ

فالنّجاء النّجاء سامعين له طائعين ، والوحى الوحى* لاحقين به خاضعين ، قبل أن تساقوا إليه مقرّنين في الأصفاد ، ويعيا القداء بنفائس النفوس والأموال على القاد ، حيثئذ بعض ذو الجهل والقدامة ، على يديه حسرة وندامة ، إذا رأى

١ النقرى : الدعوة الخاصة ، والجفلى : العامة ، يعني وحده أو مع جماعة .

٢ البيت لأبي سعيد المخزومي (أما لي القالي ١ : ٢٥٩) .

٣ انظر اللسان (شوه - عين) .

٤ الشاوي : صاحب الشاء .

٥ في ق ص : والوجل الوجيل .

أبطال الجنود، تحت خوافق الرايات والبُنود، قد لفحتهم نار ليست بذات خمود، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عادٍ وثمود، زعقات تؤزّ الكتاب أزّاً، وهمزاً^١ محققاً للخيال بعد المدّ المشيع للأعنة همزاً، وسللاً للهندية سللاً وهمزاً للخطيّة همزاً، حتى يقول النسر للذئب: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ (مريم: ٩٢)، ثق خليفة الله بذلك، في كل من رام أذى رعيتك أو أذاك، فتلك عادة الله سبحانه وتعالى في ذوي الشقاق والنفاق، الذين يشقّون عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق، وينصبون حباثل البغي والفساد في جميع النواحي والآفاق، فلن يجعلهم الله عز وجل من الآمنين، أنّى وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه لا يُصلح عمل المفسدين، ولا يهدي كيد الخائنين، وها نحن قد وجّهنا إلى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس والتعظيم، بعدما زينّا معاطفها باستعطافكم بدُرّ ثناء أبهى من در العقد النظيم، منتظمين في سلك أوليائكم، متشرفين بخدمة عليائكم، ولا فقَدَ عزة ولا عدما، من قصد مثابكم العزيزة وخدمها، وإن الترامي على سنائككم، بلحدير بحرمتكم واعتنائكم، وكل ملهوف تبوّاً من كننكم حصناً حصيناً، عاش بقية عمره محروساً من الضيم مصوناً، وقد قيل في بعض الكلام: من قعدت به نكاية الأيام، أقامته إغاثة الكرام، ومولانا أيده الله تعالى وليّ ما يزفه إلينا من مكرمة بيكر، ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلد في صحائف حسن الذكر، ويروي معنن حديث حمده وشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر، وغيره من ينم عن ذلك فيوقظ، ويسترسل مع الغفلة حتى يُذكر ويوعظ، وما عهد منذ وُجد إلاّ سريعاً إلى داعي الندى والتكرم، بريئاً من الضجر بالمطال والتبرم، حافظاً للجار الذي أوصى النبي، صلى الله عليه وسلم، بحفظه، مستفرغاً وسعه في رعيه المستمر ولحظه، آخذاً من حسن الثناء في جميع الأوقات والآناء بحظه:

١ ص: وعزاً.

فهو من دَوْحَةِ السَّيِّدِ فرعٌ عزٌّ ليس يحتاجُ مجتنيهٍ لهزٌّ
كفَّهُ في الأَحْمالِ أغْزُرُ وِبلٌ وذَرَاهِ في الخوفِ أَمْنٌ حرزٌ
حلمه يُسْفِرُ اسمَهُ لكَ عنه فتنهَمُّ يا مُدَّعي الفهمِ لغزِي
لا تَسْلَهُ شَيْئاً ولا تستلّه نظرة منه فيك تغني وتجزِي
فَنَدَاهُ هو الفُراتُ الذي قد عام فيه الأَنَامُ عَوَمَ الإوزِ
وحِمَاهُ هو المنيعُ الذي ترَّ جع عنه الخطوب مرجع عجزِ
قدعوا ذهنهُ يزاول قولي فهو أدري بما تضمَّن رمزي
دام يحيا بكل صنع ومن ويعافي من كل بؤسٍ وزجرِ

وكأنَّا به قد عمل على شاكلة جلاله ، من مد ظلاله ، وتمهيد حلاله ، وتلقى ورودنا بحسن تهلله واستهلاله ، وتأنيسنا بحمائل قبوله وإقباله ، وإبرادنا على حوض كوثره المترع بزلاله ، والله سبحانه يسعد مقامه العلي ويسعدنا به في حله وارتحاله ، ومآله وحاله ، ويؤيد جنده المظفر ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه واستنزاله ، وهزَّ الذوابل لإطفاء ذُبَاله ، وهو سبحانه وتعالى المسؤول أن يريه قرّة العين في نفسه وأهله وخدامه وأمواله ، وأنظاره وأعماله ، وكافة شؤونه وأحواله ، وأحق ما نصل بالسلام وأولى ، على المقام الجليل مقام الخليفة المولى ، أزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه وأرساله ، سيدنا ومولانا محمد ، صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله ، صلاة وسلاماً دائمين أبداً موصولين بدوام الأبد واتصاله ، ضامين لمجددهما ومرددهما صلاح فاسد أعماله ، وبلوغ غاية آماله ، وذلك بمشيئة الله تعالى وإذنه وفضله وإفضاله ؛ انتهى .

[ترجمة محمد العربي كاتب الرسالة قلاً عن الوادي آشي]

وكاتب هذه الرسالة على لسان السلطان المخلوع ، قال الوادي آشي في حقه^١ :

١ انظر تعريفاً بالفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله العقيلي العربي صاحب هذه الرسالة في أزهار الرياض ١ : ١٠٣ .

إنه إمام الصناعة ، وفارس حلبة القرطاس والبراعة ، وواسطة عقد البلاغة والبراعة الذي قطف الكمال لما نور ، ورتب محاسن البديع في درر فقره وطور ، وغرف من بحر عجاج ، واقتطف من خاطر وهّاج ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي ، وما أحسن قوله فيمن قد ظفر به المسلمون :

ألا ربّ مغرورٍ تنصّر ضلّةً فحاقَ بهِ شؤمُ الضلالِ وشرُّه
فإن يرتفع عند النصارى بالابتدا فكم عندنا من حرف جبلٍ يجرُّه

وقال الوادي آشي أيضاً في موضع آخر ما نصه : ولشاعر العصر ، ومالك زمامي النظم والنثر ، والفقيه العالم المتقن المتفنن العارف الأوحّد النبيه النبيل ، سيدي محمد العربي وصل الله تعالى رفعة قدره ، وحرس من غير الأيام أشعة بدّره^١ :

الحبُّ في جُمهورِ أنواره	فأينَ الاخوانُ والاحبابُ
وأينَ أينَ الاجتماعات ، قدّ	تهيّأتْ لهنَّ الأسبابُ
وأينَ بنتِ الجبن ؟ مهما بدّتْ	طارَتْ إليها شوقاً ألبابُ
وأينَ الالبانُ لأكوابها	في بُرمِ الأرزِ تسكابُ
واللحمُ بالبسباسِ قدّ ألفتْ	لطبخه في القديرِ الاحطابُ
والعودُ ذو دندنةٍ يطّبي	آثارها للطّارِ دبدابُ
ومُلحِ الأصواتِ قدّ طورحتْ	وجاءَ معبّدُ وزريابُ ^٢
وفُضَّ للهوى ختامُ ولم	يُسدَّ في وجهِ الهوى بابُ
وقيلَ للوقارِ قمّ قبلَ أنْ	تُسلبَ عنكَ الآنَ الاثوابُ
وكلُّ إنسانٍ وما يشتهي	ليسَ على مُناه حُجّابُ

١ قد تقرأ القصيدة معربة بشيء من التعسف ، ولكني أعتقد أنها قد تعد من الشعر المملحون .

٢ سقط هذا البيت من ص .

مسترسلاً ليس له عدلٌ كلاً ولا عليه رُقَابُ
في راحةٍ خلعتُ أرسامها لمثلها تُعَصِّرُ الاعنَابُ
فكلُّ بستانٍ قد استأسدت فيه التّواويرُ والاعشابُ
وأطلعَ الترابُ أدواحَه كأنها العُربُ الاترابُ
لما تحلّتْ بجلى زهرها داخلها بالحسنِ الاعجابُ
عرائسٌ ليس لها في سوى مائةٍ أو يئنةٍ خطابُ
أيامٍ تسدي ثمراتٍ بدا في جنباتهنّ الارطابُ
كأنه في العينِ ياقوتٌ أو كأنه في القمِّ جلابُ
ميهات ميهات أمان لها خلّبُ برقٍ لك خلّابُ
ما حوتِ الرؤوسُ أمثالها فكيف تحوينّ الاذنبُ
قد عاقَ عن ذلك دهرٌ به تُعَدِّمُ الافراحُ والاطرابُ
يرومُ الانسانُ غلاباً له والدَّهرُ للانسانِ غلابُ

وقال رحمه الله تعالى لما نزل النصارى لمحاصرة غرناطة :

بالطبلِ في كلِّ يومٍ وبالتفجيرِ نُرَاعُ
وليسَ من بعد هذا وذاك إلا القيرَاعُ
يا ربَّ جبركَ يرجو من هِيضٍ منه الذراعُ
لا تسلبتني صبراً منه لقلبي ادراعُ

وله رحمه الله تعالى في الموشحات اليدُ الطولى ، فمن ذلك قوله :

بَدَرَ أَهْلُ الزَّمانِ الرَفِيعِ القَدَرِ
لا تزلْ في أمانٍ من كسوفِ البدرِ

وله من أخرى :

هَلْ يَصْحَ الْأَمَانُ مِنْ شَيْبِهِ الْبَدْرُ
وهو مثل الزمانُ مُنْتَمِسٌ لِلْعَدْرِ
لم يَغْرَ الْأَغْرَ غَيْرَ غَمْرِ جَاهِلٍ
عَيْشُهُ الْخَلْوُ مَرٌّ وهو فيه نَاهِلٍ
وَالصَّبَا الْغَضَّ مَرٌّ وهو عنه ذَاهِلٍ
مرشَفُ الْبَهْرَمَانِ فوق ثَغْرِ الدُّرِّ
مَطْمَعٌ لِلْأَمَانِ بِاقْتِرَابِ الدَّرِّ

وعارض رحمه الله تعالى بهاتين الموشحتين الموشحة المشهورة :

ضاحِكٌ عَنْ جُمَانِ سَافِرٍ عَنْ بَدْرِ
ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانُ وَحَوَاهِ صَدْرِي

وممن عارض هذه الموشحة ابن أرقم إذ قال :

مَبْسَمُ الْبَهْرَمَانِ فِي الْمَحْيَا الدُّرِّي
صَادَ قَلْبِي وَبَانَ وَأَنَا لَمْ أُدْرِ

والإنصاف أن معارضة العربي أحسن من هذه .

وله أيضاً معارضتان غير ما تقدم : الأولى قوله :

بَانَ لِي ثَمَّ بَانَ ذَا خُلُودٍ حُمْرِ
يَتَشَى مِثْلَ بَانَ فِي ثِيَابٍ خَضِرِ

والثانية قوله :

هَلْ لِمَرَآكَ ثَانَ فِي سَنَاهُ الدُّرِّي
أَوْ لِحَوْبَايَ ثَانَ عَنْ هَوَاهَا الْعُنْدَرِي

يا مليحاً جلا عن عجباً جميل
همتُ فيه ولا هيمان جميل
ملٌ قليلاً إلى منْ إليك يميل

عاشقٌ فيكَ فانْ كاتمٌ للسرّ
لكَ منه مكان في صميم الصدر

ومن نظم العربي المذكور لما عرض عليه السلطان رياسة كتابه من قصيدة :

أوجهُ سَعْدِي انحطَّ عنه اللثام	أم بدرُ أفقٍ فُضَّ عنه الغمام
أم أنا في حالي لا عقلَ لي	أم حلمٌ قد لاح لي في المنام
يا لكَ مرأى منْ رأى حسنه	هيج للقلب غراماً فهام
كأتما أقبس نور البَها	من وجه مولانا الإمام
ابن أبي الحسن الأسرى الذي	قد كان للأملِك مسك الختام
ضرغام قد أنجبَ شَبهاً له	في صدقِ بأسٍ ومضاءِ اعتزام
نامي وسامي فأفَاعيلُهُ	تَنقُلُها أبناءُ سامٍ وحام
ألهُ النَّصْر الذي جاءه	والسيف من طُلَى أعاديهِ دام
فيا أمير المؤمنين الذي	له بعروة اليَقينِ اعتصام
أبشر بجدِّ مُقْبِلٍ لم يؤل	إلى انصرافٍ لا ولا لانصرام
وعزة لم يُفَضِّ بنيانها	إلى انهدادٍ لا ولا لانهدام
لله منك مَلِكٌ جُنْدُهُ	زُهرُ النجوم ^٢ وهو بدرُ التمام

ومنها :

يطرب من مادحه مثلاً يطربُ قلب الصَّبِّ سجعُ الحمام

١ قد : سقطت من ق ص .

٢ ق : الدراري .

فيفعل الشعر بأعطافه ما ليس تفعل بهنّ المدام
وإنّ حكى في حسنه يوسفاً فمدحه يُشبه زهر الكمام
ومنها :

قداره لَيْسَتْ يَغْسِدُاهُمْ مَعَ أَنَّهَا تُدْعَى بدار السلام
ومنها :

أَسْأَلُهُ الْإِعْقَاءَ مِنْ كُلِّ مَا أَعْجِزُ عَنْ حَمْلِهِ لَهُ وَالتَّوَامِ
ومنها :

مُسْتَشْفِعاً لَهُ بِخَيْرِ الْوَرَى مُحَمَّدَ عَلَيْهِ أَزْكَى السَّلَامِ
ومنها :

وَكُلُّ إِنْسَانٍ وَمَا اخْتَارَهُ وَرُبَّ ذِي عَدْرِ قَدْ أَضْحَى يَلَامَ
وآخرها :

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ غَدَا لِلشَّمْلِ بَعْدَ الْانْصِدَاعِ التَّامِ
ولنختتم هذه الترجمة بقوله ١ :

جز بالبساتين والرياض فما أبهج مرثيتها ٢ وأحلاه
واعجب بها للنبات ولتلك في أسفله ناظراً وأعلاه
وقدس الله عند ذاك وقل سبحانه لا إله إلا هو

سبحان وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين والحمد لله رب العالمين.

انتهى المجلد الرابع

١ الأبيات في أزهار الرياض ١ : ١٠٣ .

٢ ق : مرآها .

محتويات المجلد الرابع

٣٤٩ - ٥

الباب السابع (تمة)

- ٤٧٦ - بين أبي بكر ابن القبطرنة وابن صارة ٥
- ٤٧٧ - مراسلات شعرية بين أبي بكر الزبيدي والحاجب المصحفي ، وشيء من شعر الزبيدي ٧
- ٤٧٨ - تفوق سهل بن مالك في مجلس شعري بسبته ٨
- ٤٧٩ - بين ابن مطروح البلنسي وأبي الريح ابن سالم ٨
- ٤٨٠ - أبو أمية ابن حمدون على باب الشلوين ٩
- ٤٨١ - هجاء التحلي لابن صمادح وعفو هذا عنه ٩
- ٤٨٢ - الرصافي يتشوق إلى بلده بلنسية ٩
- ٤٨٣ - شعر لأبي بكر الشلطي ١٠
- ٤٨٤ - لأبي بكر ابن العطار الباسي ١٠
- ٤٨٥ - لمحمد بن حسن الجلي النحوي ١٠
- ٤٨٦ - لمحمد بن حرب ١٠
- ٤٨٧ - محمد بن اليسع وإهداؤه الورد لعارض الجيش ١١
- ٤٨٨ - شعر لأحمد بن أفلح ١١
- ٤٨٩ - لأحمد بن تليد الكاتب ١١
- ٤٩٠ - لإسحاق بن المنادي ١٢
- ٤٩١ - لغالب بن عبد الله الثغري ١٢
- ٤٩٢ - لابن الإمام الغرناطي في هجاء مراکش ١٢
- ٤٩٣ - لابن الحمامة في أبي القاسم ابن عشرة ، وموشحة للتطيلي ١٣
- ٤٩٤ - بين محمد بن عباد وابن القابلة السيبي ١٣
- ٤٩٥ - شعر لابن خروف (والصحيح لابن طلحة الصقلي) ١٤
- ٤٩٦ - ابن خفاجة وابن عائشة وابن الزقاق في بستان ١٤

- ٤٩٧ - ابن زنون وكتاب « التحف والطرف » ومعارضات مسينية . ١٥
- ٤٩٨ - شعر لأبي بكر ابن حيش ١٦
- ٤٩٩ - « لأبي بكر ابن يوسف اللخمي ١٦
- ٥٠٠ - بين أبي زيد ابن أبي العافية وابن العطار القرطبي . . . ١٧
- ٥٠١ - ثلاثة أدباء من مرسية يصلون خلف إمام يخطب في القراءة . . ١٨
- ٥٠٢ - شعر لابن خفيف في أحذب وصبي ١٨
- ٥٠٣ - « لأبي الصلت في الخمول ١٨
- ٥٠٤ - « لبعض المعارضة كتب به لأبي العباس ابن مضاء . . . ١٩
- ٥٠٥ - « لأبي عبد الله القرطبي يستنجز وعداً ١٩
- ٥٠٦ - « لابن هذيل كتب به إلى الغني بالله ١٩
- ٥٠٧ - « لابن الرقاق في غلام يهودي ١٩
- ٥٠٨ - « لأبي حيان الجياني ١٩
- ٥٠٩ - بين أحد أدباء مرسية وأبي العباس ابن سعيد ٢٠
- ٥١٠ - شعر للسميسر في قرابة سوء ٢٠
- ٥١١ - « لابن خفاجة في الأندلس ٢٠
- ٥١٢ - « لبعض الأندلسيين ٢٠
- ٥١٣ - « لأبي يحيى ابن هشام القرطبي في خائط ٢٠
- ٥١٤ - « لأبي جعفر ابن عبد الولي البلنسي ٢١
- ٥١٥ - « لأبي العباس القيحاوي ٢١
- ٥١٦ - « لابن جحاف البلنسي ٢٢
- ٥١٧ - « لأبي العباس المالقي ٢٢
- ٥١٨ - بين ابن عبد المنعم وأبي عبد الله الشاطبي وابن قوشرة . . . ٢٢
- ٥١٩ - ابن الصائغ النحوي يذيل على بيتي الحريري ٢٣
- ٥٢٠ - عبادة يمدح أبا بكر والد الوزير أبي الوليد ابن زيدون . . . ٢٣
- ٥٢١ - شعر لابن قزمان الرجال ، وترجمة له ٢٣
- ٥٢٢ - نقول عن المظمح : ٢٥ - ٥٥

٢٥	1 - ابن القوطية
٢٥	2 - ابن مغيث
٢٥	3 - ابن سيده
٢٨	4 - أبو محمد غانم المخزومي
٢٨	5 - أبو عمر ابن عيد البر
٣٠	6 - أبو بكر ابن أبي الدوس
٣١	7 - أبو الفضل ابن الأعلم
٣٥	8 - يوسف بن هارون الرمادي
٤٠	9 - محمد بن هانيء
٤٦	10 - ابن فرج صاحب « الحقائق »
٤٨	11 - أبو عبد الله ابن الحداد
٥١	12 - الأسعد بن بليظة
٥٢	13 - عبادة بن ماء السماء
٥٣	14 - ابن عائشة
٥٥	٥٢٣ - ترجمة ابن أبي خالد اللخمي الإشبيلي عن « تحفة القادام »
٥٩	٥٢٤ - شعر للأعشى التطيلي في وصف السفينة
٥٩	٥٢٥ - لابن وهبون في وصف الأسطول
٦٠	٥٢٦ - لابن خنفاجة
٧٦ - ٦٠	٥٢٧ - قطعة منقولة عن المغرب
٦٠	1 - عبيد الله بن جعفر الإشبيلي
٦١	2 - علي بن جحدر الزجاج
٦١	3 - أحمد المقرئ الكساد
٦٢	4 - أبو القاسم المنشي
٦٢	5 - أبو زيد العشمانى
٦٢	6 - أبو زكريا الأركشي
٦٣	7 - أبو عمران الطرياني
٦٣	8 - أبو عمرو ابن حكيم
٦٣	9 - علي بن الجعد القرموفي
٦٤	10 - أبو الحسن ابن ليال

- ١١ - أبو جعفر الشريشي ٦٤
- ١٢ - أبو العباس ابن شكيل الشريشي ٦٤
- ١٣ - أبو عمرو ابن غياث ٦٥
- ١٤ - ابن عبد العزيز يخاطب ابن عبدون ٦٥
- ١٥ - أبو القاسم ابن عبد العزيز ٦٥
- ١٦ - أبو عبد الله الجزيري الشاعر ٦٥
- ١٧ - بين المنصور وعبد الملك الجزيري ٦٦
- ١٨ - بين الحجاري وابن حصن الجزيري ٦٧
- ١٩ - بين ابن سعيد وأبي العباس ابن بلال ٦٨
- ٢٠ - أبو الوليد القسطلي ٦٩
- ٢١ - أبو كثير الطريفي ٧٠
- ٢٢ - أبو عامر ابن الجلد ٧٠
- ٢٣ - أبو عبد الله محمد الشلبي ٧٠
- ٢٤ - أبو بكر ابن الملح ٧٠
- ٢٥ - أبو القاسم ابن الملح ٧١
- ٢٦ - أبو بكر ابن عبد القادر الشلبي ٧٢
- ٢٧ - أخو ابن السيد البطليوسي ٧٢
- ٢٨ - أبو بكر ابن الروح الشلبي ٧٢
- ٢٩ - أبو بكر ابن المنخل الشلبي ٧٣
- ٣٠ - أبو بكر ابن عمار ٧٣
- ٣١ - أبو الفضل ابن الأعلم ٧٣
- ٣٢ - الرمادي ٧٤
- ٣٣ - أبو الفضل ابن الأعلم ٧٤
- ٣٤ - إدريس بن اليمان العبدي ٧٥
- ٣٥ - بين الهيثم وطيفور (مهاجاة) ٧٥
- ٣٦ - أبو عمران ابن سعيد عند ابن حمدين ٧٦
- ٥٢٨ - شعر لبعض أهل الأندلس ٦٩
- ٥٢٩ - رسالة الأعلم الشتمري في معنى « المسهب » ٧٧
- ٥٣٠ - رسالة الأعلم الشتمري في المسألة الزنبرية وسيويه ٧٩

٨٦	٥٣١ - شعر لأبي إسحاق الإلييري .
٨٦	٥٣٢ - لابن صارة في أبي الفضل ابن الأعلم .
٨٦	٥٣٣ - لابن هانيء الأندلسي .
٨٧	٥٣٤ - للقسطلي في أسطول المنصور .
٨٧	٥٣٥ - للجراوي ، وفي معناه لصفوان وابن مجبر .
٨٨	٥٣٦ - لبعضهم في الباذنجان .
٨٩	٥٣٧ - لابن خروف .
٨٩	٥٣٨ - لأبي القاسم ابن هشام .
٨٩	٥٣٩ - لبعضهم .
٩٠	٥٤٠ - لأبي الوليد الوقشي .
٩٠	٥٤١ - لأبي الحسن ابن عيسى .
٩٠	٥٤٢ - لأبي ذر الحشني .
٩٠	٥٤٣ - لابن أبي خالص الرندي .
٩٠	٥٤٤ - لابن مقفوز المعافري .
٩٠	٥٤٥ - لأبي الوليد ابن زيدون .
٩١	٥٤٦ - للهيثم .
٩١	٥٤٧ - لابن عياض القرطبي .
٩١	٥٤٨ - لأبي الحسين النفزي .
٩١	٥٤٩ - لابن صارة .
٩٢	٥٥٠ - أشعار للمعتمد بن عباد .
٩٤	٥٥١ - شعر لابن زيدون في المعتضد .
٩٤	٥٥٢ - للمعتمد في وصف مجن .
٩٤	٥٥٣ - مجلس غناء ينذر بنهاية الرشيد ابن المعتمد .
٩٦	٥٥٤ - المغني السومسي عند المعتضد في مجلس مماثل .
٩٦	٥٥٥ - شعر للمعتمد بعدما خلع وسُجن .
٩٦	٥٥٦ - ابن الليانة يزور المعتمد بأغمات .

٩٨	٥٥٧ - لسان الدين يزور قبر المعتمد .
٩٩	٥٥٨ - مقطعات لابن زيدون .
١٠٠	٥٥٩ - شعر للأسعد بن بليطة .
١٠٠	٥٦٠ - لابن خبطة المكفوف .
١٠١	٥٦١ - لابن الحداد في مدح المعتصم .
١٠٢	٥٦٢ - لعبد الجليل بن وهب .
١٠٢	٥٦٣ - لابن أبي وهب الأندلسي .
١٠٢	٥٦٤ - لابن اللبابة .
١٠٣	٥٦٥ - للقزاز في مدح ابن صمادح .
١٠٣	٥٦٦ - أشعار وخمسة لأبي الحسن ابن الحاج .
١٠٦	٥٦٧ - أشعار لابن خفاجة .
١٠٧	٥٦٨ - شعر لابن الرفاء .
١٠٧	٥٦٩ - لأبي محمد ابن عبد البر .
١٠٨	٥٧٠ - أشعار للسميسر .
١٠٩	٥٧١ - شعر لابن شاطر السرقسطي .
١٠٩	٥٧٢ - للحصري .
١٠٩	٥٧٣ - لابن عبد الصمد .
١٠٩	٥٧٤ - لابن عبد الحميد البرجي .
١٠٩	٥٧٥ - لعبادة .
١١٠	٥٧٦ - لابن المطرف المنجم .
١١٠	٥٧٧ - لأبي الحسن ابن اليسع .
١١٠	٥٧٨ - للمستنصر وجوابه من ابن عميرة .
١١٠	٥٧٩ - لأبي العباس الرصافي .
١١١	٥٨٠ - لأبي الربيع ابن سالم .
١١١	٥٨١ - أشعار لأبي القاسم ابن الأبرش .
١١٢	٥٨٢ - بيت لابن حريق .

- ٥٨٣ - شعر لابن العطار الإشبيلي ١١٢
- ٥٨٤ - نقول شعرية من التكملة : ١١٢
- 1 - 22 - القص ، الإلييري ، ابن مسلمة ، ابن أبي ركب ، أبو المعالي الإشبيلي ،
ابن الأنقر ، ابن فتح الثغري ، ابن نصير ، ابن ميمون ، ابن الحداد ،
بعض الجزريين ، المعتد ، البرياني ، السيسر ، أبو الريح الكلامي ،
عبد الحق الإشبيلي ، ابن صارة ، أبو محمد الطائي ، ابن حزم ، أبو
عبد الله الجبلي ، محمد بن عبد الله الحصري ١١٢-١١٩
- ٥٨٥ - أشعار لابن الأبار القضاعي ١١٩
- ٥٨٦ - كتاب الحلى التيجانية ١٢١
- ٥٨٧ - مقطعات لابن مفوز ١٢١
- ٥٨٨ - أشعار لابن مكنون وتصحيح ما نسب إليه خطأ ١٢٢
- ٥٨٩ - اتصال صاحب المسهب بعبد الملك بن سعيد ١٢٣
- ٥٩٠ - ابن مرزقان يصف شمعة ١٢٤
- ٥٩١ - أشعار لأبي الأصمغ ابن رشيد الإشبيلي ١٢٤
- ٥٩٢ - أشعار لأبي بكر ابن حجاج الناقصي ١٢٥
- ٥٩٣ - شعر لأبي وهب ابن عبد الرؤوف النحوي ١٢٦
- ٥٩٤ - (للقلقاط ١٢٦
- ٥٩٥ - (لابن المبارك الحبيبي ١٢٦
- ٥٩٦ - (لأحمد بن عثمان المرواني ١٢٦
- ٥٩٧ - (لعبد الله المرواني ١٢٧
- ٥٩٨ - (لإبراهيم بن إدريس العلوي ١٢٧
- ٥٩٩ - قصة هذيل الإشبيلي مع سائل عريان ١٢٧
- ٦٠٠ - حكاية ابن عمار مع شيخ ذي نادرة ١٢٧
- ٦٠١ - قصة السارق المشهور بالبازي الأشهب ١٢٨
- ٦٠٢ - قصة منصور بن عبد المؤمن مع أحد البتائين ١٢٩
- ٦٠٣ - أشعار لأحمد المقرئ الكساد ١٢٩
- ٦٠٤ - رأي القرموطي المرمي وقد عرض عليه الأذفونش تغيير دينه ١٣٠

- ٦٠٥ - شعر لابن سالم الغرناطي على ألسنة الأطباء . . . ١٣٠
- ٦٠٦ - « لابن عمر الإشبيلي الخطيب . . . ١٣٠
- ٦٠٧ - « لعبد الرحمن العثماني . . . ١٣٠
- ٦٠٨ - « لأبي عمران موسى الطرياني . . . ١٣١
- ٦٠٩ - بين مجاهد والمنصور الأصغر ، وموقف الوزير التاكرفي . . . ١٣٢
- ٦١٠ - شاعر يهجو رندة . . . ١٣٢
- ٦١١ - شعر لحيلاص الرندي . . . ١٣٣
- ٦١٢ - « لابن سعيد في مجلس ذكر فيه صديقه الأندلي . . . ١٣٣
- ٦١٣ - « لأرقم لما نقاه بنو ذي النون من نسبهم . . . ١٣٤
- ٦١٤ - بين ابن سفيان وأبي أمية ابن عصام . . . ١٣٤
- ٦١٥ - شعر لابن أرفع رأسه في مجلس للمأمون بن ذي النون . . . ١٣٤
- ٦١٦ - « لأبي أحمد عبد المؤمن الطليطلي . . . ١٣٥
- ٦١٧ - « لابن المسال الزاهد . . . ١٣٥
- ٦١٨ - أشعار لأبي جعفر الوقشي وشيء من أخباره . . . ١٣٥
- ٦١٩ - « لأبي الوليد الوقشي . . . ١٣٧
- ٦٢٠ - مروءة أبي الحسين ابن أبي جعفر الوقشي وظرفه . . . ١٣٨
- ٦٢١ - أبو الحسين علي بن الحمارة ومهارته في الموسيقى . . . ١٣٩
- ٦٢٢ - أمثلة من تبحر أهل الأندلس في العلم . . . ١٣٩
- ٦٢٣ - رسالة ابن حبيش في جواز « ماذا » التكريرية دلالة على الحفظ . . . ١٤١
- [ترجمة النيفري النحوي المعروض على ابن حبيش] . . . ١٤٦
- رجع إلى كلام الأندلسيين . . . ١٤٧
- ٦٢٤ - مقطوعتان لصالح بن شريف الرندي . . . ١٤٧
- ٦٢٥ - شعر لبعض الأندلسيين . . . ١٤٧
- ٦٢٦ - شعر يرجح أنه لأندلسي ، في المقص . . . ١٤٧
- ٦٢٧ - مؤلفون يردون على كتاب « المقرب » لابن عصفور . . . ١٤٨
- ٦٢٨ - من شعر حازم ومعارضة التجاني له . . . ١٤٨
- ٦٢٩ - بين أبي بكر ابن الملح وابنه . . . ١٤٨

١٤٩	٦٣٠ - قصيدة لابن صفوان الملقب .
١٥٠	٦٣١ - شعر لابن إدريس القضاغي الاصطبطوني .
١٥٠	٦٣٢ - قصيدة لمحمد التطيلي المدلي الفرناطي .
١٥٢	٦٣٣ - بين ابن حسداي ويحيى الجزار في عودته إلى الجزائر .
١٥٣	٦٣٤ - شعر لأبي الحسن ابن الحداد .
١٥٣	٦٣٥ - د لابن مطروح في عزل وال .
١٥٣	٦٣٦ - د لابن الحاج البليقي .
١٥٣	٦٣٧ - د لأبي الحجاج يوسف القهري الداني .
١٥٤	٦٣٨ - د لبعضهم في الرثاء .
١٥٤	٦٣٩ - د لأبي جعفر البغيل .
١٥٤	٦٤٠ - د لأبي جعفر اللماحي الملقب .
١٥٤	٦٤١ - د لأبي جعفر ابن طلحة .
١٥٥	٦٤٢ - د لأبي جعفر الفسافي الرازي آشي .
١٥٥	٦٤٣ - د لأبي بكر ابن بقي .
١٥٥	٦٤٤ - د للمتوكل بن الأفطس وبعض المشاركة .
١٥٦	٦٤٥ - د لابن خبطة الضير .
١٥٦	٦٤٦ - د لابن اللبابة .
١٥٦	٦٤٧ - د لابن اليمان العبدري .
١٥٧	٦٤٨ - د لابن اللودين البنسي .
١٥٧	٦٤٩ - د لابن أبي الحصال .
١٥٧	٦٥٠ - د لغالب الحجام .
١٥٧	٦٥١ - أشعار لابن عائشة .
١٥٨	٦٥٢ - شعر لأبي محمد ابن سفيان .
١٥٨	٦٥٣ - د لابن الزقاق .
١٥٩	٦٥٤ - مقطعات ليحيى السرقسطي .
١٥٩	٦٥٥ - شعر للرصافي في دولاب .
١٥٩	٦٥٦ - د للصايوني . وابن أبي ركب .

- ٦٥٧ - شعر لبعضهم مخاطب به ابن حزم ، وجوابه عليه . ١٦٠
- ٦٥٨ - الرصافي وخبر عنه . ١٦٠
- ٦٥٩ - لابن مجير أنهم ابن القطان بانتحاله . ١٦١
- ٦٦٠ - مجلس فيه أبو بكر ابن طاهر والحشني وأبو حفص ابن عمر . ١٦٢
- ٦٦١ - صديق أُمِّي لأبي الحسين الصوفي يقول شعراً . ١٦٢
- ٦٦٢ - معاجاة بين الوقشي وابن سراج . ١٦٢
- ٦٦٣ - ترجمة أبي الحسن ابن أضحى . ١٦٣
- ٦٦٤ - ذكر جملة من نساء الأندلس : ١٦٦
- 1 - أم السعد بنت عصام الحبيري . ١٦٦
- 2 - حسانة التميمية . ١٦٧
- 3 - أم العلاء بنت يوسف الحجازية . ١٦٩
- 4 - أمة العزيز . ١٦٩
- 5 - أم الكرام السدادية . ١٧٠
- 6 - النسائية البجانية . ١٧٠
- 7 - المروضية مولاة أبي المطرف ابن غلبون . ١٧١
- 8 - حفصة بنت الحاج الركونية . ١٧١
- ٦٦٥ - [استطرد يقتضين] . ١٧١
- رجع إلى أخبار حفصة . ١٧٢
- ٦٦٦ - [سلمى بنت القراطيسي] . ١٧٨
- رجع إلى حفصة . ١٧٨
- ٦٦٧ - [أبو جعفر ابن سعيد] . ١٧٩
- ٦٦٨ - [أخيل الرندي] . ٢٠٢
- ٦٦٩ - [ترجمة القص] . ٢٠٣
- رجع إلى أخبار أبي جعفر ابن سعيد . ٢٠٤
- رجع إلى أخبار النساء . ٢٠٥
- 9 - ولادة بنت المستكفي . ٢٠٥
- 10 - اعتماد الرميكية ، زوجة المعتد . ٢١١
- ٦٧٠ - [أخبار المعتد] . ٢١٣

٢٢٨	.	.	.	[تراجم منقولة عن الفتح]
٢٢٨	.	.	.	١ - ترجمة ابن النبي .
٢٣١	.	.	.	٢ - « ابن لبال »
٢٣٤	.	.	.	٣ - « عبد المعطي أبي بكر »
٢٣٦	.	.	.	٤ - « ابن بقي »
٢٤١	.	.	.	رجع إلى بني عبّاد .
٢٤٣	.	.	.	٦٧٢ - [ابن جاج والمتضد]
٢٤٥	.	.	.	رجع إلى أخبار بقية بني عبّاد .
٢٤٩	.	.	.	٦٧٣ - [الراضي ابن المتضد]
٢٥٦	.	.	.	٦٧٤ - [مدائح ابن اللبابة في بني عبّاد]
٢٥٩	.	.	.	٦٧٥ - [مقتطفات من أخبار المتضد]
٢٦٤	.	.	.	٦٧٦ - [ابن زيلون عند بني عبّاد]
٢٧٠	.	.	.	رجع إلى بني عبّاد .
٢٧١	.	.	.	٦٧٧ - [مقطعات لابن حمديس]
٢٧١	.	.	.	رجع إلى بني عبّاد .
٢٧٢	.	.	.	[رجع إلى ذكر الرميكية]
٢٧٤	.	.	.	٦٧٨ - [عود إلى أخبار المتضد]
٢٨٣	.	.	.	رجع إلى أخبار النساء
٢٨٣	.	.	.	11 - العبادية جارية المتضد .
٢٨٤	.	.	.	12 - بثينة بنت المتضد .
٢٨٥	.	.	.	13 - حفصة بنت حمدون .
٢٨٦	.	.	.	14 - زينب المريّة .
٢٨٦	.	.	.	15 - غاية المني .
٢٨٧	.	.	.	16 - حمدة بنت زياد المؤدب .
٢٩٠	.	.	.	17 - عائشة بنت أحمد القرطبية .
٢٩١	.	.	.	18 - مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري .
٢٩٢	.	.	.	19 - أسماء العامرية .
٢٩٢	.	.	.	20 - أم الهناء بنت القاضي ابن عطية .
٢٩٣	.	.	.	21 - مهجة القرطبية .

٢٩٣	.	.	.	٢٢ - هند جارية أبي محمد الشاطبي .
٢٩٤	.	.	.	٢٣ - الشلية .
٢٩٥	.	.	.	٢٤ - نزهون القرناطية .
٢٩٦	.	.	.	٦٧٩ - [ابن قزمان]
٢٩٧	.	.	.	رجع إلى أخبار نزهون .
٢٩٨	.	.	.	٦٨٠ - مقطعات لابن الزقاق .
٣٠١	.	.	.	٦٨١ - شعر للخفاجي .
٣٠١	.	.	.	٦٨٢ - مقطوعتان لابن صارة .
٣٠١	.	.	.	٦٨٣ - مقطعات لابن العطار .
٣٠٢	.	.	.	٦٨٤ - بين ابن خاتمة وابن جزري
٣٠٣	.	.	.	٦٨٥ - شعر للسلطان أبي الحجاج التصري .
٣٠٣	.	.	.	٦٨٦ - د لأبي القاسم ابن حاتم .
٣٠٤	.	.	.	٦٨٧ - د للفقير محمد بن سعيد الأندلسي
٣٠٤	.	.	.	٦٨٨ - د لابن جبير البحصي .
٣٠٤	.	.	.	٦٨٩ - د لقاضي مالقة إبراهيم البلوي .
٣٠٤	.	.	.	٦٩٠ - مصحف في جامع العديس بخط ابن مقلة .
٣٠٥	.	.	.	٦٩١ - شعر لابن عيلون .
٣٠٥	.	.	.	٦٩٢ - د لابن المناصف وآخر
٣٠٦	.	.	.	٦٩٣ - د لابن عمّار
٣٠٦	.	.	.	٦٩٤ - د لأبي الوليد الوقشي .
٣٠٦	.	.	.	٦٩٥ - د لأبي عبد الله ابن الصفار وغيره .
٣٠٦	.	.	.	٦٩٦ - د لأبي مروان الجزيري
٣٠٧	.	.	.	٦٩٧ - د لحسان المصيصي .
٣٠٧	.	.	.	٦٩٨ - د لأبي عمرو بن مهيب
٣٠٧	.	.	.	٦٩٩ - د لعبد الله الجندامي .
٣٠٨	.	.	.	٧٠٠ - د لعبد الله بن أحمد المالقي قاضي غرناطة .
٣٠٨	.	.	.	٧٠١ - د لابن الحسن الملحجي

- ٧٠٢ - شعر لمحمد بن عبد الرحمن الفرناطي في الشعب والقبيلة والعمارة . . . إلخ ٣٠٩
- ٧٠٣ - « لأبي محمد الكلاعي الجلياني وقد دخل على ابن رشد . ٣٠٩
- ٧٠٤ - « لأبي عبد الرحمن ابن جحاف البلنسي . ٣٠٩
- ٧٠٥ - « لأبي محمد ابن برطله . ٣٠٩
- ٧٠٦ - « وترجمة لأبي بكر ابن حبيش . ٣١٠
- ٧٠٧ - « لأبي بكر ابن القبطرنة في طلب باز . ٣١٣
- ٧٠٨ - بين المعتمد وابن عمار . ٣١٣
- ٧٠٩ - شعر لذي الوزارتين أبي عيسى ابن ليون . ٣١٤
- ٧١٠ - خبر الحجاري صاحب المسهب وانصرافه إلى ابن هود . ٣١٤
- ٧١١ - أشعار في الزهد . ٣١٥ - ٣٤٩

1 - 70 - ابن خليل ، عبد الحق الإشبيلي ، ابن صالح الكنتاني ، ابن النماز ، الإلبيري ، ابن المريف ، ابن الأبرش ، ابن صقر ، ابن الأبار ، ابن عيدر به ، ابن قاسم ، الأعشى التتيلي ، ابن النماز ، الإلبيري ، ابن أبي ركب ، ابن خميس ، ابن هارون القرطبي ، ابن صارة ، ابن الحاج البكري ، أبو الربيع ابن سالم ، يحيى التتيلي ، مغربي لعله أندلسي ، ابن عبد البر ، ابن حياش ، عبد الوهاب المالقي ، عبد الحق الإشبيلي ، الجلياني ، عبد المليم الطرطوشي ، عبد المحسن البلنسي ، ابن فرج الميرتلي ، غاث المالقي ، ابن المريف ، المحاربي ، غريب الطليلي ، ابن الطراوة ، أبو الربيع سلام الباهسلي ، الزبيدي ، ابن الطلاء ، ابن حوط الله ، الهيثم الاشبيلي ، ابن افريرة ، ابن جبر ، أبو الحاج المنصفي ، ابن الصائغ الأموي ، الحسني ، ابن حمز ، ابن حزم ، ابن النماز ، ابن الزقاق ، ابن صالح الشاطبي ، أيمن الفرناطي ، الزبيدي ، فقيه طلييري ، ابن مغاور ، ابن صفوان ، بعض الأندلسيين ، أبو جعفر القيسي ، ابن أبي العاصي ، ابن الزيات ، ابن صارة ، ابن صاحب الصلاة الداني ، أبو الحكم الأموي ، الإلبيري ، ابن غاتمة ، الحسني ، أبو بكر ابن جبير ، ابن جبير اليحصبي ، القلني .

الباب الثامن

في تغلب العدو على الأندلس واستغاثة أهلها معاصريهم لإنقاذها ٣٥٠ - ٥٥٣

٣٥٠	.	٤	.	.	.	ظهور بلاي وخلفائه .
٣٥٢	الاستيلاء على طليطلة .
٣٥٤	وقعة الزلاقة قتلاً عن الروض وغيره .
٣٧٧	دخول الأندلس في طاعة الموحدين
٣٧٨	عبد المؤمن بن علي .
٣٧٨	يوسف بن عبد المؤمن .
٣٨٠	يعقوب المنصور .
٣٨٣	محمد الناصر ووقعة العقاب .
٣٨٣	نهاية الموحدين .
٣٨٤	ظهور ابن هود وابن الأحمر .
٣٨٥	الدولة المرينية .
٣٨٦	رسالة من أبي الحسن المريني إلى الملك الصالح
٣٩٤	جواب الملك الصالح من إنشاء الصفدي .
٣٩٩	إجازة من الصفدي رواية الرسالتين
٣٩٩	أبو الحسن يكتب ثلاثة مصاحف .
٤٠٠	نبذة من أخبار أبي الحسن المريني .
٤٠٤	رسائل لسان الدين ابن الخطيب .
٤٠٤	١ - رسالة إلى أحد سلاطين بني مرين .
٤١١	٢ - رسالة أخرى في استنهاض السلطان المريني .
٤١٥	٣ - رسالة على لسان يوسف بن نصر إلى سلطان فاس .
٤٢٠	٤ - رسالة إلى السلطان المريني في الاعتذار عن فرار أبي الفضل المريني من غرناطة
٤٢٤	٥ - رسالة على لسان الغني بالله إلى أبي عتات .
٤٢٩	٦ - رسالة عن الغني بالله إلى الأمير السعيد .

٤٣٢	.	.	.	٧ - رسالة على لسان أبي الحجاج إلى أبي حنّان .
٤٣٦	.	.	.	٨ - رسالة على لسان يوسف النصري .
٤٣٨	.	.	.	٩ - رسالة في حاجة الأندلس إلى بر العدو .
٤٤٢	.	.	.	١٠ - رسالة من أبي الحجاج إلى الرايا .
٤٤٤	.	.	.	١١ - رسالة توضح ضيق حال الأندلس .
٤٤٥	.	.	.	١٢ - من رسالة طويلة .
٤٤٦	.	.	.	ضبياع المدن الأندلسية :
٤٤٧	.	.	.	طليطلة - ٤٧٨
٤٤٨	.	.	.	وقعة بطرنة - ٤٥٦
٤٤٩	.	.	.	يربشتر - ٤٥٦
٤٥٤	.	.	.	استرجاع يربشتر
٤٥٥	.	.	.	تطيلة وطرسونة
٤٥٥	.	.	.	بلنسية والقنيطور
٤٥٦	.	.	.	نهاية بلنسية .
٤٥٧	.	.	.	قصيدة ابن الأبار السنية
٤٦٠	.	.	.	كتندة - ٥١٤
٤٦١	.	.	.	لوثة - ٦٢٢
٤٦١	.	.	.	المرية - ٥٤٢
٤٦٢	.	.	.	[ترجمة الرشاطي]
٤٦٣	.	.	.	استرداد المرية وضياعها نهائياً
٤٦٤	.	.	.	[شعر في معركة المقاب]
٤٦٥	.	.	.	[ابن وزير]
٤٦٥	.	.	.	ضبياع ماردة .
٤٦٦	.	.	.	[المظفر وابنه المتوكل]
٤٦٧	.	.	.	[شعر للفازازي]
٤٦٨	.	.	.	[ترجمة الفازازي]
٤٦٩	.	.	.	سقوط ميورقة نقلاً عن ابن عميرة .
٤٧١	.	.	.	[سعيد بن حكم في منورقة]
٤٧٢	.	.	.	سقوط عدة مدن (شقر ، مرقسطة ، شاطبة ، قرطبة ، إشبيلية)

٤٧٣	.	.	.	موقعة أنيشة وترجمة أبي الريح ابن سالم
٤٧٦	.	.	.	[ابن العربي وموقعة ٥٢٧]
٤٧٧	.	.	.	[قصيدة الوقشي في مدح أبي يعقوب]
٤٧٩	.	.	.	[قصيدة في استنهاض الحفصي بعد سقوط بلنسية]
٤٨٣	.	.	.	[قصيدة في رثاء طليطلة]
٤٨٦	.	.	.	[نونية الرندي وشيء من شعرة]
٤٩٠	.	.	.	[رسالة ابن عميرة إلى ابن الأبار في سقوط بلنسية]
٤٩٦	.	.	.	[رسالة ابن الأبار التي أجاب أبو المطرف عنها]
٥٠٠	.	.	.	[فصول من درر السمط لابن الأبار]
٥٠٧	.	.	.	نهاية الأندلس عن كتاب «جنة الرضى» لابن عاصم
٥٢٩	.	.	.	[رسالة المخلوع أبي عبد الله إلى الشيخ الوطاسي]
٥٤٨	.	.	.	[ترجمة كاتب الرسالة محمد العربي]

Abu 'l- 'Abbās A. al- Maqqarī

NAFH AT-TĪB

IV

Edited and Annotated

by

Ihsān 'Abbās, Ph. D.

Dar SADER

P.O.B. 10

BEIRUT, Lebanon

1968

نَفْحُ الطَّيِّبِ مِنْ

غَيْصِنِ الْأَنْدَلِيسِ الرَّطِّيبِ

تأليف
الشيخ أحمد بن محمد القرني التلياني

حققه
الدكتور اجسان عباس

المجلد الخامس

دار صادر
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار صادر : صندوق يرید ١٠ - بيروت

القسم الثاني

في التعريف بلسان الدين ابن الخطيب ، وذكر أنبائه التي
بروق سماعها ويتأرجح نفعها ويطيب ، وما يناسبها من
أحوال العلماء الأفراد ، والأعلام الذين اقتضى
ذكرهم شجون الكلام والاستطراد ، وفيه
أيضاً من الأبواب ثمانية ، موصلة
إلى جنات أدب قُطوفها دانية ،
وكلُّ غصن منها رطيب



الباب الأول

في أولية لسان الدين وذكر أسلافه ، الذين ورث عنهم
المجدَ وارتضع دَرَّ أخلافِهِ ، وما يناسب ذلك ممَّا لا
يَعْدِلُ المنصف إلى خلافه

أقول:- هو الوزير ، الشهير الكبير ، لسان الدين الطائر الصَّيِّت في المغرب
والمشرق المُزري عَرَفُ الثناء عليه بالعنبر والعبير ، المثلُّ المضروب في الكتابة
والشعر. والطبِّ ومعرفة العلوم على اختلاف أنواعها ومصنَّفاته تُخْبِرُ عن ذلك
ولا يَنبُتُك مثلُ خبير ، علَّمُ الرؤساء الأعلام ، الوزير الشهير الذي خدَمَتْهُ
السيوفُ والأقلام ، وغَتَّى بِمَشْهُور ذكره عن مسطور التعريف والإعلام .
واعترف له بالفضل أصحابُ العقول الراجحة والأحلام .

قال سليل السلاطين الأمير العلامة إسماعيل بن يوسف ابن السلطان القائم
بأمر الله محمد بن الأحمر نزيل فاس رحمه الله في كتابه المسمى بـ « فرائد الجمان
فيمن نَظَّمَنِي وإياه الزمان » في حق المذكور ما نصه^١ : ذو الوزارتين . الفقيه
الكاتب أبو عبد الله ابن محمد الرئيس الفقيه الكاتب المنتزي ببلده لَوْشَةَ عبد الله
ابن الفقيه الكاتب القائد سعيد بن عبد الله ، ابن الفقيه الصالح ولي الله الخطيب
سعيد ، السلماني اللّوشي المعروف بابن الخطيب .

١ هذا نص ما أورده أيضاً في كتابه نثير فرائد الجمان : ٢٤٢ ؛ وانظر أزهار الرياض ١ : ١٨٦ .

وقال القاضي ابن خلدون المغربي المالكي رحمه الله في تاريخه الكبير^١ ،
عندما أجرى ذكر لسان الدين ، ما نصه : أصل هذا الرجل من لَوْشَة ، على
مرحلة من غرناطة في الشمال من البسيط الذي في ساحتها المسمى بالمرج ، وعلى
وادي شنجيل — ويقال شنيل — المخترق^٢ في ذلك البسيط من الجنوب إلى الشمال ،
كان له بها سلك معدود في وزرائها^٣ ، وانتقل أبوه عبد الله إلى غرناطة ،
واستخدم للملك بني الأحمر ، واستعمل على مخازن الطعام ؛ انتهى .

وقال غيره^٤ : إن بيتهم يُعرف قديماً ببني الوزير ، وحديثاً ببني الخطيب ،
وسعيدٌ جدُّه الأعلى أول من تلقب بالخطيب ، وكان من أهل العلم والدين والخير ،
وكذلك سعيد جده الأقرب كان على خلال حميدة من خط وتلاوة وفقه وحساب
وأدب ، خبيراً صَدراً ، توفي عام ثلاثة وثمانين وستمائة ، وأبوه عبد الله كان
من أهل العلم بالأدب والطب ، وقرأ على أبي الحسن البلوطي وأبي جعفر ابن الزبير
وغيرهما وأجازهما طائفة من أهل المشرق ، وتوفي بطريف عام أحد وأربعين
وسبعمائة شهيداً يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى من العام المذكور مفقوداً
ثابت الجأش^٥ ، شكر الله فعله .

قلت : وما ذكره هؤلاء أكثره مأخوذ من كلامه عند تعريفه رحمه الله
بنفسه آخر « الإحاطة » . ولتذكر ملخصه إذ صاحب البيت أدري بالذي فيه ،
مع ما فيه من الزيادة على ما سبق ، وهي تُتم للطالب أمّكته وتوفيّه .
قال رحمه الله^٦ : يقول مؤلف هذا الديوان تغمّد الله خطّله في ساعات^٧

١ تاريخ ابن خلدون ٧ : ٣٣٢ .

٢ ابن خلدون : المنحرف .

٣ ابن خلدون : كان له بها سلف معدودون في وزارتها .

٤ انظر أزهار الرياض ١ : ١٨٦ .

٥ ق : معقود الجأش .

٦ الإحاطة : الورقة ٣٩٨ .

٧ الإحاطة : ساعة .

أضاعها ، وشهوة من شهوات اللسان أطاعها ، وأوقات للاشتغال بما لا يعنيه استبدل بها اللهو لما باعها : أما بعد حمد الله الذي يغفر الخطيئة ، ويحسب من النفس اللّجوج المطية ، فتحرك ركائبها البطية ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ميسر سبل الخير الوطية^١ ، والرضى عن آله وصحبه منتهى الفضل ومُنَاحِ الطّية^٢ ، فإنني لما فرغت من تأليف هذا الكتاب الذي حمل عليه فضلُ النشاط ، مع الالتزام لمراعاة السياسة^٣ السلطانية والارتباط ، والتفتُ إليه فراقني منه صوان درر ، ومطلع غُرَر ، قد تخلدت مآثرهم مع ذهاب أعيانهم ، وانتشرت مفاخرهم بعد انطواء زمانهم ، نافستهم في اقتحام تلك الأبواب ، ولباس تلك الأثواب^٤ ، وقنعت باجتماع الشمل بهم ولو في الكتاب ، وحرصت على أن أنال منهم قُرْباً ، وأخذت أعقابهم أدباً وحباً^٥ ، وكما قيل : ساقى القوم آخرهم شرباً ، فأجريت نفسي مجراهم في التعريف ، وحذوت بها حذوهم في بابي النسب والتصريف بقصد التشريف^٦ ، والله سبحانه لا يعدمني وإياهم واقفاً يترحم ، وركاب الاستغفار بمنكبه يترحم ، عندما ارتفعت^٧ وظائف الأعمال ، وانقطعت من التكسبات حبال الآمال ، ولم يبق إلاّ رحمة الله التي تتناش النفوس وتخلصها وتعينها بميسر السعادة وتخصصها ، جعلنا الله ممّن حسنَ ذكره ، ووقف على التماس ما لديه فكره ، بمنه .

محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السِّلْماني ، قرطبي الأصل ، ثم طليطليه ، ثم لبوشيه ، ثم غرناطيه^٨ ، يكنى أبا عبد الله ،

١ الإحاطة : الباهرة الوطية . ٢ الإحاطة : المطية .

٣ الإحاطة : الآداب .

٤ ولباس . . . الأثواب : سقطت من ق .

٥ الإحاطة : وأخذت من أعقابهم أدباً .

٦ الإحاطة : بقصد التعريف .

٧ الإحاطة : عند كتب .

٨ ثم لبوشيه ، ثم غرناطيه : سقطت من الإحاطة .

ويلقب من الألقاب المشرقية بلسان الدين .

أوليتي : يُعرف بيتنا في القديم بوزير^١ ، ثم حديثاً بلوشة ببني الخطيب ، انتقلوا مع أعلام الجالية القرطبية كيحيى بن يحيى الليثي وأمثاله عند وقعة الرَبَض الشهيرة . إلى طليطلة ، ثم تسربوا^٢ محومين على وطنهم قبل استيلاء الطاغية عليه ، فاستقر منهم بالموسطة الأندلسية جملة من النبهاء تضمن منهم ذكر خلق . كعبد الرحمن قاضي كورة باغه ، وسعيد المستوطن بلوشة الخطيب بها . المقرون اسمه بالتسويد عند أهلها ، جارياً مجرى التسمية بالمركب في تاريخ الغافقي وغيره ، وسكن عقبهم بها ، وسكن بعضهم منتقري مملكين إياها محتطين جبل التحصن والمنعة فنُسبوا إليها .

وكان سعيد هذا من أهل العلم والخير والصلاح والدين والفضل وزكاء الطعمة^٣ ، أوقفني الوزير^٤ أبو الحكم ابن محمد المنتقري — وهو بقية هذا البيت وإخباريه — على جدار برج ببعض ربي أملاكنا بلوشة تطؤه الطريق المارة^٥ من غرناطة إلى إشبيلية ، وقال : كان جدك يذيع بهذا المكان فصولاً من العلم ، ويجهز بتلاوة القرآن ، فيستوقف الرفاق المبدلة الحنين إلى نعمته ، والخشوع إلى صدقه^٦ ، فتعزّس رحالها لصق جداره ، وترجع ظهرها موهناً إلى أن يأتي على ورده . وتوفي وقد أصيب بأهله وحرمه عندما تغلب العدو على بلده عتوة في خبر طويل . وقفت على مکتوبات من المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود أمير المسلمين بالأندلس في غرض إعانته والشفاعة إلى الملكة زوج سلطان قشتالة بما يدل على تباهته قديماً

-
- ١ الإحاطة : ببني وزير .
 - ٢ الإحاطة : تحرفوا .
 - ٣ الإحاطة : النعمة .
 - ٤ الإحاطة : الشيخ الممن الوزير .
 - ٥ الإحاطة : في وسط الطريق المارة .
 - ٦ الإحاطة : لحنين نعمته والخشوع صدقه .

ويفيد إثارة عبرة ، واستقالة عثرة .

وتخلف ولده عبد الله جاريًا مجراه في التجلد والتمعش من حرّ النَّشَب ،
والتزيي بالانقباض ، والتحلي بالتراهة ، إلى أن توفي وتخلف ولده سعيداً جدّنا
الأقرب ، وكان صدرًا خيرًا مستوليًا على خلال حميدة ، من خط وتلاوة وفقه
وحساب وأدب ، نافس جирته بني الطنجالي الهاشمين ، وتحول إلى غرناطة
عندما شعر بعملهم على الثورة ، واستطلاعهم إلى النزوة التي خَصَّدَت الشوكة ،
واستأصلت منهم الشأفة ، وصاهر بها الأعيان من بني أضحي بن عبد اللطيف
الهمداني أشرف جند حمص الداخلين إلى الجزيرة في طليعة^١ بلج بن بشر القشيري ،
ولحقه من جراء منافسيه لما جاهروا السلطان بالخلعان اعتقال أعتبه السلطان بعده ،
وأحفظاه على تفتته ، وولاه الأعمال النبيهة والخطط الرفيعة .

حدثني من أثق به قال : عزم السلطان على أن يُقْعِدَ جَدَّكَ أستاذًا لولده ،
فأنفت من ذلك أم الولد إشفاقًا عليه من فظاظة كانت فيه . ثم صاهر القواد من
بني البعدالة على أم أبي ، ومنت إلى زوج السلطان ببنوة الخوالة^٢ ، فنبه القدر ،
وانفسحت الخطوة ، واثثال على البيت الرؤساء والقراة ، وكان — على قوة
شكيمته وصلابة مكسره — مؤثرًا للخموم ، محبًا في الخير ، حدثني أبي عن أمه
قالت : قلما تهنأنا نحن وأبوك^٣ طعامًا حافلًا لإيثاره به مَن كان يكمن بمسجد
جواره من أهل الحاجة وأحلاف الضرورة ، يهجم علينا منهم بكل وارد ، ويجعل
يده مع يده^٤ ، ويشركه في أكيلته^٥ ، ملتذًا بموقعها من فؤاده . وتوفي في ربيع
الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، صهرته الشمس مستسقيًا في بعض المحول ،

١ في ص ق : طلعة ، وأثبتنا رواية الإحاطة ، والمشهور : طلعة .

٢ الإحاطة : ومنت على أم السلطان ببني الأخوة .

٣ الإحاطة : مع أبيك .

٤ مع يده : سقطت من ق والإحاطة .

٥ الإحاطة : ويشركه في أكلته .

وقد استغرق في ضراسته ، فدلّت الحنف على نفسه .
وتخلف والذي ناباً في الترف نبت العُلَيْق يَكْنُفه رَعْيُ أمّ تجرّ ذيل نعمة وتخنو
منه على واحد تحذر عليه التسيّم إذا سرى ، ففاته لترفه حظ كبير من الاجتهاد ؛
وعلى ذلك فقرأ على الخطيب أبي الحسن البلوطي^١ والمقرئ أبي عبد الله ابن مسمغور^٢
وأبي جعفر ابن الزبير^٣ خاتمة الجلة ، وكان يفضلّه . وانتقل إلى لوشة بلد سلفه
مخصوصاً بلقب الوزارة إلى أن قصدها السلطان أبو الوليد متخطياً إلى الحضرة هاوياً
إلى ملك البيضة ، فعضد أمره ، وأدخله بلده ، لدواع يطول استقصاؤها ، ولما
تم له الأمر صحب ركابه إلى دار ملكه مستأثراً بشقص^٤ عريض من دنياه ، وكان
من رجال الكمال ، طلق الوجه ، مع الظرف ، وتضمن كتاب «التاج المحلى»
و«الإحاطة» رائقاً من شعره ، وفُقِدَ في الكائنة العظمى بطريف يوم الاثنين سابع
جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمئة ، ثابت الجأش ، غير جزوعٍ ولا
هيابة . حدثني الخطيب بالمسجد الجامع من غرناطة الفقيه أبو عبد الله ابن اللوشي
قال : كبا بأخيك الطّرفُ ، وقد غشي العدو ، وجنّحتُ إلى إردافه ، فالتحدر
إليه والدك ، وصرفني ، وقال : أنا أولى به ، فكان آخر العهد بهما ؛ انتهى .
وممّا رثي به والدُ لسان الدين وأخوه ما ذكره في الإحاطة في ترجمة أبي
محمد عبد الله الأزدي إذ قال ما نصه^٥ : وممّا كتب إليّ فيما أصابني بطريف :

خَطَبُ أَلَمَ فَأَذْهَبَ الْأَخَ وَالْأَبَا رَغماً لَأَنْفِ شَاءَ ذَلِكَ أَوْ أَيْ
قَدَرٌ جَرَى فِي الْخَلْقِ لَا يَجِدُ أَمْرُؤُ عَمّاً بِهِ جَرَتْ الْمَقَادِرُ مَهْرَبَا
إِمَّا جَزَعْتُ لَهُ فَعُدُّرٌ بَيِّنٌ قَضَتِ الدَّوَاهِي أَنْ تُحَلَّ لَهُ الْحَبَا

١ الإحاطة : الملوكي .

٢ ق ص : سمون .

٣ وقع بدله في الإحاطة : وأبي إسحاق ابن زروال .

٤ الشقص : الحصة والنصيب .

٥ ترجم لعبد الله الأزدي في الإحاطة الورقة : ٢١٨ ، ولكن الشعر لم يرد في هذه النسخة .

لا كان يومهما الكريه فكم وكم
يوم لوى لِيَانَهُ لم يبقَ لا
وتجمعت فيه الضلال فقابلت
أهًا لعز المحتدين صرامة
دهم المصاب فعم إلا أنه
يا ابن الخطيب خطاب مكثرت لما
قاسمتك الشجوة المقاسمة التي
لم لا وأنت لدي سابق حلبة
لا عاد يوم نال منك ولا أنت
يحيى الشهيد الشهادة إنها
وردا على دار النعيم وحورها
فاستغن بالرحمن عمن قد ثوى

فأجبه بقولي :

فيه المجلي والمصلي قد كبا
إسلام حد مهتد إلا نبا
فيه الهدى ففرقت أيدي سبا
لأذل عز المهتدين وأذهبا
فيما يخلصك ما أمر وأصعبا
قد ألزم البث الألد وأوجبا
صارت بخالص ما محضتك مذهبا
تزهي بمن في السابقين تأدبا
سنة به ما الليل أبدى كوكبا
سبب يزيد من الإله تقربا
كلفأ يبرهما يزودن ترحبا
من حزب خير من ارتضى ومن اجتبي

أهلاً بمقدمك السني ومرحبا
وافيت والدنيا علي كأتها
والدهر قد كشف القناع ولم يدع
صرف العنان إلي غير مدافع
خطب تأويني يضيق لهوله
لو كان بالورق الصوادح في الدجى^٢
فأنرت من ظلماء همي ما دجا

فلقد حباني الله منك بما حبا
سم الخياط وطيرف صبري قد كبا
لي عدة الروح إلا أذهبا
عني ، وأثبت دون نصرتي الشبا^١
رحب الفضل وهي لموقعه الربى
ما بي لعاق الورق عن أن تندبا
وقدحت من زند اضطباري ما خبا

١ اضطرب ترتيب هذه الأبيات الأربعة في ق .

٢ الدجى : سقطت من ق ص .

فكأنني لَعِبَ الهجيرُ بمهجتي. وبعثت لي من نفحها نفس الصبا^١
لا كان يومك يا طريف فطالما أطلعتِ للآمالِ برقاً خلَّباً
ورميت دينَ الله منك يفادحٍ عمَّ البسيطَ مشرقاً - ومغرباً
وخصصتني بالرزق والثكل الذي أوهى القوى مني وهدى المنكبا
لا حُسْنَ للدنيا لدي ولا أرى للعيش بعد أبي وصنوي مأرباً
لولا التعلُّلُ بالرحيلِ وأنا ننضي من الأعمارِ فيها مركبا
فإذا ركضنا للشبية أدهماً حالَ المشيبُ به فأصبح أشهباً
والملقى كُتبٌ وفي وردِ الردى نهلَ الورى من شاء ذلك أو أبى
بحريت طوعَ الحزنِ دون نهاية وذهبتُ من خلجِ التصيرِ مذهبا
والصبرُ أولى ما استكان له الفتى رغباً ، وحقَّ العبدُ أن يتأدباً^٢
وإذا اعتمدت الله يوماً مفزعاً لم تُلَفِ منه سوى إليه المهرباً

[واقعة طريف]

وواقعة طريف هذه لعمّشهد فيها جماعة من الأكابر وغيرهم ، وكان سببها أن سلطان فاس أمير المسلمين أبا الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني أجاز البحر إلى جزيرة الأندلس برسم الجهاد ونصرة أهلها على عدوهم ، حسبما جرت بذلك عادة سلفه وغيرهم من ملوك العلوة ، وشمر عن ساعد الاجتهاد ، وجر من الجيوش الإسلامية نحو ستين ألفاً ، وجاء إليه أهل الأندلس بقصد الإمداد ، وسلطانهم ابن الأحمر ومن معه من الأجناد ، فقضى الله الذي لا مرداً لما قدّره ، أن صارت تلك الجموع مكسرة ، ورجع السلطان أبو الحسن مفلولاً ، وأضحى حُسام الهزيمة عليه وعلى من معه مسلولاً ، ونجا برأس طيميرة

١ ق : وبعثت لي نفس الصباية والصبا .

٢ ق : يتأدباً .

ولجام^١، ولا تسل كيف، وقتل جمع^٢ من أهل الإسلام، ولُئمة وافرة من الأعلام، وأمضى فيهم حكمه السيف، وأسر ابن السلطان وحريمه وخدمه، ونهبت^٣ ذخائره، واستولت على الجميع أيدي الكفر والحيث، وشرأب العدو الكافر لأخذ ما بقي من الجزيرة ذات الظل الوريث، وثبتت قدمه إذ ذاك في بلد طريف، وبالجملة فهذه الواقعة من السواهي المعضلة الداء، والأرزاء التي تضعف لها ركن الدين بالمغرب، وقرت بذلك عيون الأعداء، ولولا خشية الخروج عن المقصود لأوردت قصتها الطويلة، وسردت منها ما يحق لسامعه أن يكثر بكاءه وعويله، وقد ألم بها الولي قاضي القضاة ابن خلدون المغربي في كتاب «العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»^٣ فليراجعه من أراد في المجلد الثامن من هذا التاريخ الجامع، فإنه ذكر حين ساق هذه الكائنة ما ينخرس الألسن ويصم المسامع، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

[واقعة الربض]

وقول لسان الدين رحمه الله في أولية سلفه «لأنهم انتقلوا مع أعلام الجالية القرطبية — إلى آخره» أشار بذلك إلى واقعة الربض الشهيرة التي ذكرها ابن حبان في تاريخه الكبير المسمى بـ «المقتبس في تاريخ الأندلس» وقص أمرها غير واحد كابن الفَرَضِي وابن خلدون، وملخصها أن أهل ربض قرطبة ثاروا على الأمير الحكم الأموي، وفيهم علماء أكابر مثل يحيى بن يحيى الليثي صاحب إمامنا مالك رضي الله عنه وغيره، فكانت النصر للحمك، فلما ظفر وقتل من

١ من قول حسان بن ثابت :

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام

٢ ق : وأخذت ، وفي ص يياض .

٣ انظر تاريخ ابن خلدون ٧ : ٢٦١ .

شاء أجبلى من بقي إلى البلاد ، وبعضهم إلى جزيرة إقريطش ببحر الإسكندرية ،
وفي قصتهم طول ، وليس هذا محلها .

[والد لسان الدين]

وقال لسان الدين رحمه الله أيضاً في حق والده ما حاصله ^١ : عبد الله بن سعيد
ابن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السِّلْماني أبو محمد ، غرناطي الولادة
والاستيطان ، لَوْشِي الأصل ، طليطليه قرطبيه .

وقال في الإكليل : إن طال الكلام ، وجمحت الأقلام ، كنت كما قيل :
مادح نفسه يُقرئك السلام ، وإن أجحمت ، فما سَدَّيْتُ في الثناء ولا ألحمت ،
وأضعت الحقوق ، وخفت ومعاذ الله العقوق ، هذا ولو أني زجرت طير البيان
من أوكاره ، وجئت بعون الإحسان وأبكاره ، لما قضيت حقه بعد ، ولا قلت
إلاّ بالتي علمت سعد ^٢ ، فقد كان رحمه الله ذِمْرَ عزمٍ ، ورجلَ رخاء
وأزم ، تروق أنوار خلاله الباهرة ، وتضيء مجالس الملوك من صورتيه الباطنة
والظاهرة ، ذكاء يتوقد ، وطلاقة يحسد نورها الفرقد ، وكانت له في الأدب
فريضة ، وفي النادرة العذبة منادح ^٣ عريضة ، تكلمت يوماً بين يديه في مسائل
من الطب وأنشدته أبياتاً من شعري ورقاعاً من إنشائي فتهلل ، وما برح أن ارتجل ^٤ :

الطبُّ والشعرُ والكتابةُ سماتنا في بني النجابهُ
هنّ ثلاثٌ مبلّغاتٌ مراتباً بعضها الحجابهُ

١ ترجمة والده في الإحاطة : الورقة ٢٠٠ .

٢ عجز بيت للحطيثة ، صدره :

وتعدلني أفناء سعد عليهم

٣ في ص ق : منادم ، والتصويب عن الإحاطة .

٤ وردت هذه المقطعات في الإحاطة : الورقة ٢٠٣ وما بعدها .

ووقع لي يوماً بخطه على ظهر أبيات بعثها إليه أعرض عليه نخطها :

وردتُ كما صدرَ النسيمُ بسحرةٍ عن روضةٍ جاد الغمامُ رباها
وكأنما هاروتُ أودعَ سحرَه فيها وآثرها به وحبَّها
مصقولةُ الألفاظِ يبهْرِ حَسنها فبمثلها افتخر البليغُ وباهي
فقررتُ عيناً عند رؤيةِ حَسنها إني أبوك ، وكنتَ أنتَ أباهَا
ومن نظمهُ قوله :

وقالوا : قد دنا فاصبرْ ستشفى فترياقُ الهوى بعد الديارِ
فقلت : هبوا بأن الحقَّ هذا بقلبي يَمَمُوا فبِمَ اصطبَّاري ؟
وقال :

عليكَ بالصمتِ فكم ناطقٍ كلامُهُ أدَّى إلى كَلَمِهِ
إنَّ لسانَ المرءِ أهْدَى إلى غِرَّتِهِ والله من خَصَمِهِ
يرى صغيرَ الجرمِ مستضعفاً وجرمُهُ أكبرُ من جرمِهِ
وقال :

أنا بالدَّهرِ يا بنيَّ خيرٌ فإذا شئتَ علِمَهُ فتعالَا
كم مَلِكٌ قد ارتعى منه روضاً لم يدافع عنه الردى ما ارتعى لا
كلُّ شيءٍ تراهُ يُفنى ، ويبقى ربنا الله ذو الجلالِ تعالَى

مولده بغرناطة في جمادى الأولى عام اثنين وسبعين وستمائة ، وفُتد يوم
الوقعة الكبرى بظاهر طريف ، يوم الاثنين سابع جمادى الأولى عام واحد وأربعين
وسبعمائة ، ورثته بقصيدة أولها ٢ :

١ الإحاطة : كما ورد .

٢ راجع الإحاطة : الورقة ٢٠٣ .

سِيَّاهُ الْمَنَآيَا لَا تَطِيشُ وَلَا تُخْطِي
وَأَنَا وَإِنْ كُنَّا عَلَى ثَبَاجِ الدُّنَا
تَسَاوَى عَلَى وَرْدِ الرَّدَى كُلُّ وَارِدٍ
وَسَيَّانٍ ذُلُّ الْفَقْرِ أَوْ عِزَّةُ الْغِنَى
وَلِلدَّهْرِ كَفٌّ تَسْتَرِدُّ الَّذِي تُعْطِي
فَلَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ نَحُلَّ عَلَى الشُّطِّ
فَلَمْ يَغْنِ رَبُّ السَّيْفِ عَنْ رَبَّةِ الْقُرْطِ
وَمَنْ أَسْرَعَ السَّيْرَ الْحَثِيثَ وَمَنْ يَبْطِي
وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

قال : ورثاه شيخنا أبو زكريا ابن هذيل بقصيدة يقول فيها :

إِذَا أَنَا لَمْ أَرِثِ الصَّدِيقَ فَمَا عَذْرِي
وَلَوْ كَانَ شَعْرِي لَمْ يَكُنْ غَيْرَ نُدْبَةٍ
لَمَا كُنْتُ أَقْضِي حَقَّ صَحْبَتِهِ الَّتِي
رَمَانِي عَبْدُ اللَّهِ يَوْمَ ودَاعِهِ
قَطَعْتُ رَجَائِي حِينَ صَحَّ حَدِيثُهُ
وَهَلْ مَوْنَسٌ كَابِنُ الْخَطِيبِ لَوْحَشْتِي
وَمِنْهَا :

تَوَلَّى وَأَخْبَارُ الْجَلَالَةِ بَعْدَهُ
رَضِينَا بِتَرْكِ الصَّبْرِ مِنْ بَعْدِ بَعْدِهِ
أَتَى بِفَتِيَّتِ الْمَسْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ
لَقَدْ لَقِيَ الْكَفَّارَ مِنْهَا بِعِزْمَةٍ
تَجَلَّتْ عَرُوسًا جَنَّةُ الْخُلْدِ فِي الْوَعَى
فَكَانَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَبَادَرُوا
تَعَالَوْا بِنَا نَسْقِي الْأَبَاطِحَ وَالرُّبَى
مُؤَرَّجَةً الْأَنْبَاءَ طَيِّبَةً النَّشْرِ
عَلَى قَدْرِ مَا فِي الصَّبْرِ مِنْ عِظَمِ الْأَجْرِ
نَجِيعًا يَفُوقُ الْمَسْكَ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ
لَهَا لَقِيَّتُهُ الْخَوْرُ بِالْبَرِّ وَالْبَشْرِ
تَقُولُ لِأَهْلِ الْفَوْزِ : لَا يُغْلِيكُمْ مَهْرِي
إِلَى الْعَالَمِ الْأَعْلَى مَعَ الرِّفْقَةِ الْغُرِّ
بِقَطْرِ دَمَوَعٍ غَالِبَاتٍ عَلَى الْقَطْرِ

١ الإحاطة : فإن لم يوف الدمع قد .

ألا لا تلم عيني لسكب دموعها فما سكبْتُ إلا على الماجد الحر
ومنها :

إخواننا جيداً فكم^١ جدّ غيركم وسيروا على خفّ من الحوب والوزير
على سقّر أنتم لدار تأخرت وما الفوز في الأخرى سوى خفة الظهر
وما العيش إلا بقطة مثل نومة وما العمر إلا كالحبال الذي يسري
على الحق أنتم قادمون فشمروا فليس لمخدول هنالك من عذر
وهي طويلة ، تجاوز الله عنا وعنهم أجمعين ، انتهى ما تلخصته من كلام
لسان الدين رحمه الله .

[ترجمة أبي بكر ابن عاصم]

قلت : على منوال كلامه في تحلية أبيه النبيه نسج الوزير الكاتب الشهير القاضي
أبو يحيى ابن عاصم القيسي الأندلسي رحمه الله في وصف أبيه القاضي أبي بكر
ابن عاصم^٢ صاحب « التحفة في علم القضاء » ، وهو محمد بن محمد بن محمد بن
عاصم الأندلسي الغرناطي ، قاضي الجماعة ، الرئيس أبو بكر ، ونص المحتاج
إليه في هذا المحل من كلام ولده قوله رحمه الله : إن بسطت القول ، أو عددت
الطوّل ، وأحكمت الأوصاف . وتوخّيت الإنصاف ، أنفدت الطروس ،
وكننت كما يقول الناس في المثل من مدح العروس . وإن أضربت عن ذلك صفحاً
فليشما صنعت ، ولشر ما أمسكت المعروف ومنعت . ولكم من حقوق الأبوة

١ ص ق : جدواكم .

٢ كان من أكابر فقهاء غرناطة ؛ تولى قضاءها سنة ٨٨٨ ؛ وله مؤلفات عديدة ، منها شرحه على
تحفة والده في الأحكام ، وكتابه جنة الرضى ، وكتاب الروض الأريض (انظر ترجمته في أزهار
الرياض ١ : ١٤٥) وسيورد المقرئ بقولا كثيرة عنه .

أضعت ، ومن ثدئي للمعقّة رضعّت^١ ، ومن شيطان لغمّصة الحق أطعت ، ولم أُرِدْ إلّاّ الإصلاح ما استطعت ، وإن توسّطت واقتصرت ، وأوجزت واختصرت ، فلا الحقّ نصرت ، ولا أفنان البلاغة همصرت ، ولا سبيل الرشد أبصرت ، ولا عن هوى الحسّنة أقصرت ، هذا ولو أني أجهدت ألسنة البلاغة فجهدت ، وأيقظت عيون الإجادة فسهدت ، واستعرت مواقف عكاظ على ما عهدت ، لما قررت من الفضل إلّاّ ما به الأعداء قد شهدت ، ولا استقصيت من المجد إلّاّ ما أوصت به الفئة الشائنة لخلفها الأبر وعهدت ، فقد كان — رحمه الله — علم الكمال ، ورجل الحقيقة ، وقاراً لا يخف راسيه ، ولا يعرى كاسيه ، وسكوناً لا يطرق جانبه ، ولا يرهب غالبه ، وحلماً لا تزل حصاته ، ولا تهمل وصاته ، وانقباضاً لا يتعدّى رسمه ، ولا يتجاوز حكمه ، ونزاهة لا ترخص قيمتها ، ولا تلين عزيمتها ، وديانة لا تحسر أذيالها ، ولا يشفّ سربالها ، وإدراكاً لا يُقلّ نصله ، ولا يدرك خصله ، وذمناً لا يخبو نوره ، ولا ينبو مطروره ، وفهماً لا يخفى فلقه ، ولا يهزم فيلقه ، ولا يلحق بحره ، ولا يعطل نحره ، ونحصيلاً لا يفلت قنيصه ، ولا يسام حريصه ، بل لا يحل عقاله ، ولا يصدأ صيقاله ، وطلباً لا تتحد فنونه ، ولا تتعين عيونه ، بل لا تحصر معارفه ، ولا تقصر مصارفه ، يقوم أتم قيام على النحو على طريقة متأخري النحاة ، جمعاً بين القياس والسماع ، وتوجيه الأقوال البصرية ، واستحضار الشواهد الشعرية ، واستظهار^٢ اللغات والأعرية ، واستبصار في مذاهب المعربة ، محلياً أجياد تلك الأعاريب ، من علمي البديع والبيان بجواهر أسلاك ، ومجلياً في آفاق تلك الأساليب ، من فوائد هذين الفنين زواهر أفلاك ، إلى ما يتعلق بذلك من قافية للعروض وميزان ، وما للشعر من بحور وأوزان ، تضلع بالقراءات أكمل اضطلاع ، مع التحقيق والاطلاع ،

١ ولكم . . . رضعت : سقطت من ص .

٢ ق : واستظهاراً .

فيمنع ابن ابيادس من إصاحه ، ويسرح لابن سريح ما اسحل من اوصاحه ، ويعصر
عن رتبته الداني ، ويحوز صدر المنصة من حرز الأمان ، ويشارك في المنطق وأصول
الفقه والعدد والفرائض والأحكام مشاركةً حسنة ، ويتقدم في الأدب نظماً ونثراً
وكتباً وشعراً ، إلى براعة الخط ، وإحكام الرسم ، وإتقان بعض الصنائع العملية ،
كتفسير الكتب ، وتنزيل الذهب ، وغيرهما . نشأ بالحضرة العلية لا يغيب عن
حلقات المشيخة ، ولا يَرِيمُ عن مظان الاستفادة ، ولا يفتر عن المطالعة والتقييد ،
ولا يسأم من المناظرة والتحصيل ، مع المحافظة التي لا تنخرم ولا تنكسر ،
والمفاوضة في الأدب ونظم القريض والفكاهة التي لا تقدح في وقار ؛ انتهى
ملخصاً .

وقد أطلال في تعريفه بأوراق عدة ، ثم قال : مولده في الربيع الثالث من يوم
الخميس ثاني عشر جمادى الأولى من عام ستين وسبعمائة كما نقلته من خط ابنه ،
ثم قال : وله مسائل متعددة في فنون شتى ضمنها كل سديد من البحث وصحيح
النظر ، وأما كتبه فالدُرُّ النفيس ، والياقوت الثمين ، والروض الأنف ، والزهرة
النضير ، نصاعة لفظ ، وأصالة غرض ، وسهولة تركيب ، ومثانة أسلوب ؛
انتهى .

ثم ذكر مشيخته وأطلال ، ثم سرد تأليفه : الأرجوزة المسماة بـ «تحفة الحكام» ،
والأرجوزة المسماة بـ «مهيع الوصول في علم الأصول» أصول الفقه ، والأرجوزة
الصغرى المسماة بـ «مرتقى الوصول للأصول» كذلك ، والأرجوزة المسماة
بـ «نيل المنى في اختصار الموافقات» ، والقصيدة المسماة بـ «إيضاح المعاني في
القراءات الثماني» ، والقصيدة المسماة بـ «الأمل المرقوب في قراءة يعقوب» ،
والقصيدة المسماة بـ «كنز المقاض في علم الفرائض» ، والأرجوزة المسماة
بـ «الموجز في النحو» ، حاذى بها رَجَزَ ابن مالك في غرض البسط له والمحاذاة
لقصده ، والكتاب المسمى بـ «الحدائق» في أغراض شتى من الآداب والحكايات .
توفي بين العصر والمغرب يوم الخميس حادي عشر شوال عام تسعة وعشرين

وثمانمائة : انتهى كلام الوزير ابن عاصم . وإنما ذكرته لأن أهل الأندلس يقولون في حقه : إنه ابن الخطيب الثاني . ولولا خوف الإطالة لذكرت بعض إنشائه ونظمه ، فإنه في الذروة العليا ، وقد ذكرت جملة من ذلك في « أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض » .

ولنرجع إلى الترجمة المقصودة ، فنقول : والسلماني نسبة إلى سلمان - بإسكان اللام على الصحيح - قال ابن الأثير : والمحدثون يفتحون اللام ، وسلمان : حي من مراد من عرب اليمن القحطانيين ، دخل الأندلس منهم جماعة من الشام وسلف لسان الدين رحمه الله تعالى ينتسبون إليهم كما سبق في كلامه ، وهو مشهور إلى الآن بالمغرب بابن الخطيب السلماني ، ولذلك خاطبه شيخه شيخ الكتاب الرئيس أبو الحسن ابن الجياب حين حل مالقة بقوله ^١ :

أيا كتابي إذا ما جئت مالقة دار المكارم من مثنى ووحدان
فلا تسلم على ربعٍ لذي سلم بها وسلم على ربعٍ لسلمان

فأجابه لسان الدين رحمه الله تعالى الجميع بقوله :

يا ليت شعري هل يقضى تألفنا ويثني الشوق عن غاياته الثاني
أو هل يحن على نفسي معذبها أو هل يرق لقلبي قلبي الثاني

[عبد العزيز الفشتالي ونوئته]

وعلى ذكر نسبة ابن الخطيب لسلمان فقد تذكرت هنا بيتاً أنشدنيه لنفسه صاحبنا الوزير الشهير الكبير البليغ صاحب القلم الأعلى سيدي أبو فارس عبد العزيز الفشتالي ^٢ - صَبَّ الله تعالى عليه شآبيب رحماء - من قصيدة نوئية مدح

١ انظر أزهار الرياض ١ : ٣١٣ .

٢ عبد العزيز بن محمد الفشتالي كان كاتب أسرار الدولة المصورية . ترجم له المؤلف في كتابه روضة الآس : ١١٢ - ١٦٣ .

بها سيد الوجود ، صلى الله عليه وسلم . وتخلص إلى مدح مولانا السلطان المنصور
بالله أبي العباس أحمد الحسيني أمير المؤمنين صاحب المغرب رحمه الله تعالى ، وهو :
أولئك فخري إن فخرتُ على الورى ونافسَ بيتي في الولا بيتَ سلمانِ

وأراد — كما أخبرني — بيت سلمان القبيلة التي منها لسان الملة والدين ابن
الخطيب رحمه الله تعالى ، أشار إلى ولاء الكتابة للخلافة ، كما كان لسان الدين
السلماي رحمه الله تعالى كذلك ، وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسي رضي الله
عنه وأرضاه .

وقد رأيت أن أسرد هنا هذه القصيدة الفريدة ، لبلاغتها التي بدت شعراء
« اليتيمة » و « الخريدة » ، ولأن شجون الحديث الذي جرَّ إليها ، شوقي إلى
معاهدي المغربية التي أكثرُ البكاء عليها ، بحضرة المنصور بالله الإمام ، سقى الله
تعالى عيها صوب الغمام ، حيث الشباب غض يانع ، والمؤملُ لم يحجبه مانع ،
والسلطان عارف بالحقوق ، والزمان وهو أبو الورى لم يشب برُّه بالعقوق ، والليالي
مسألة غير رامية من البين بنال ، والغربة الجالبة للكربة لم تخطر ببال ، ورؤساء
الدولة الحسينية السنية ساعون فيما يوافق الغرض ويلائم ، والأيام ثغورها بواسم ،
وأوقاتها أعياد ومواسم ، وأفراح وولائم ، فله فيها عيش ما نسيناه ، وعز
طالما اقتبسنا نور الهدى من طور سيناه :

مضى ما مضى من حُلُو عَيْشٍ ومره كأن لم يكنْ إلا كأضغاث أحلام
وهذا نص القصيدة^١ :

همُ سَلَبُونِي الصبرَ والصبرُ من شافي وهمُ حَرَمُوا من لذة الغمضِ أجفاني
وهمُ أخفروا في مهجتي ذِمَمَ الهوى فلمْ يثْنهمْ عن سفكها حييَ الجاني

.....

١ انظر هذه القصيدة في روضة الآس : ١٢٠ .

لئن أترعوا من قهوةِ الينِ أكوسي
وإن غادرَني بالعراءِ حُمولهم
قفِ العيسَ واسألْ ربّهم أيةً مضوا
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوى
وأين استقلّوا : هل بهضبٍ تهامة
وهل سال في بطنِ المسيلِ تشوّفاً
ولاذْ زجروها بالعشيّ فهلّ ثنى
وهل عرّسوا في ديرِ عبدونَ أم سرّوا
سرّوا والدُّجى صبغِ المطارفِ فأنثى
وأدلج في الأسحارِ بيضُ قبايهم
لك الله من ركبٍ يرى الأرضَ خطوةً
أريحها مطايا قد تمثى بها الهوى
ويتمّ بها الوادي المقدّسَ بالحمى
وأهدِ حلولَ الحجرِ منه تحيةً
لقد نفحتُ من شبحٍ يثربَ نفحةً
وفتّت منها الشرقُ في الغربِ مسكةً
وأذكرني نجداً وطيبَ عراره
أحنُّ إلى تلكَ المعاهدِ ، إنَّها
وأهفو مع الأشواقِ للوطنِ الذي
وأصبو إلى أعلامِ مكةَ شائقاً
أهْيَل الحمى ديني على الدهرِ زورةً
متى يشفني جفّتي القريحُ بلحظةٍ

فشوقُهمُ أضحى سميري وندماني
لَقَى إنَّ قلبي جاهدٌ لآثرَ أظعاني
أللجزعِ ساروا مدبلجين أم البسانِ
ملاعبِ آرامٍ هناك وغزلانِ
أناخوا المطايا أم على كُثبِ نَعمانِ
نفوسُ ترامتْ للحمى قبلَ جثمانِ
أزمتها الحادي إلى شِعْبِ بَوّانِ
يَوْمُ بهم رهبانُهمُ ديرَ نجرانِ
بأحداجهم شتى صفاتٍ وألوانِ
فلُحْنُ نجوماً في معارجِ كُثبانِ
إذا زمّها بُدناً نواعمَ أبدانِ
تمشّى الحمياً في مفاصلِ نَشوانِ
به الماء صدّاً والكلا نبتُ سعدانِ
تفاوح عرّفاً ذاكي الرّندِ والبانِ
فهاجتُ مع الأسحارِ شوقي وأشجاني
سحبتُ بها في أرضِ دارينَ أرداني
نسيمُ الصّبا من نحو طيّبةَ حيّاني
معاهدُ راحاتي وروحي وربحاني
به صحّ لي أنسي الهنيّ وسلواني
إذا لاح برقٌ من شمام وشهلانِ
أحثُّ بها شوقاً لكم عزمي الواني
تُزجُّ بها في نوركم عَيْنُ إنساني

١ روضة الآس : شيقاً .

ومن لي بأن يدنو لفاكم تعطفاً
سقى عهدهم^١ بالخيف عهد^٢ تمده
وأنعم في شطّ العقيق أراكة^٣
وحياً ربوعاً بين مروّة والصفا
ربوعاً بها تتلو الملائكة العلا
وأول أرضٍ باكرت عرصاتها
وعرّسَ فيها للنبوّة موكب^٤
وأدى بها الروح الأمين رسالة^٥
هنالك فضّ ختمها^٦ أشرف الورى
محمد خير العالمين بأبرهها
ومن بشرت في بعثه قبل كونه
وحكمة هذا الكون لولاه ما سمّت
ولا زخرفت من جنة الخلد أربع^٧
ولا طلعت شمس الهدى غبّ دجية^٨
ولا أهدقت بالمذنبين شفاعسة^٩
له معجزات أخرست كل جاحد
له انشق قرص البدر شقين وارتوى
وأنطقت الأصنام نطقاً تبرأت
دعا سرحة عجمنا فلبت وأقبلت

ودهري عني دائماً عطفه ثاني
سوافح دمع من شؤوني هتان
بأفائها ظلّ المنى والهوى داني
نحية مشتاق بها الدهر حيران
أفانين وحي بين ذكر وقرآن
وطرّزت البطحا سحائب إيمان
هو البحر طام^{١٠} فوق هضب وغيطان
أفادت بها البشرية مدائح عنوان
وفخر نزار من معد بن عدنان
وسيد أهل الأرض م الإنس والجان
نوامس كهان وأخبار رهبان
سما ولا غاضت طوافح طوفان
تسبح فيها آدم حور ولدان^{١١}
تجهّم من ديجورها ليل كفران
يدود بها عنهم زباني نيران
وسكت على المرتاب صارم برهان
بماء همى من كفه كل ظمان
إلى الله فيه من زخارف ميان
تجر ذبول الزهر ما بين أفنان

١ روضة الآس : عهدكم .

٢ روضة الآس : سال .

٣ ق ص : ختمه .

٤ روضة الآس : وعلة .

٥ روضة الآس : تسبح فيها الحور مع جمع ولدان .

وضاءتُ قصورُ الشامِ من نوره الذي
وقد بهج الأنوا بدعوته التي
وإنَّ كتابَ اللهِ أعظمُ آيةٍ
وعدتى على شأوِ البليغِ بيانهُ
نبيُّ الهدى مَنْ أطلعَ الحقَّ أنجماً
لعزتها ذلَّ الأكاسرةُ الألى
وأحرزَ للدينِ الحنيفيِّ بالظبي
ونقَّعَ من سُمِّ القنا السمَّ قيصراً^٣
وأضحتُ ربوعُ الكفرِ والشكِّ بلقماً
وأصبحتُ السَّمْحا ترفُ نضارة
أيا خيرَ أهلِ الأرضِ بيتاً ومعتداً
فمن للقوافي أن تحيط بوصفكم
إليكَ بعثناها أمانيَّ أجْدَبَتِ
أجرني إذا أبدى الحسابُ جرائمي
فأنتَ الذي لولا وسائلُ عزِّهِ
عليكَ سلامُ اللهِ ما هبَّتِ الصِّبَا
وحملَ في جيبِ الجنوبِ نحيّةً
إلى العمرينِ صاحبيكَ كليهما
وحيّاً عليّاً عَرَفُها وأرِيحُها

على كلِّ أفقٍ نازحِ القطرِ أو داني
كَسَّتْ أوجهُ الغبراءِ بهجةً نَيَّسانِ
بها افتضح المرتابُ^١ وابتأسَ الشاني
فهيَّاتِ منه سَجْعُ قُسٍّ وسَحْبَانِ
محا نورُها أسدافَ إفكٍ وبهتانِ
همُ سَلَبُوا تيجانها آلَ ساسانِ
تراثَ الملوكِ الصَّيْدِ من عهدِ^٢ يونانِ
فجرَّعه منه مُجاجةً ثعبانِ
يناغِي الصدى فيهنَّ هاتِفُ شيطانِ
ووجه الهدى بادي الصبابةِ للراني^٥
وأكرمَ كلَّ الخلقِ : عَجْمٍ وعربانِ
ولو ساجَلَتِ سبقاً مدائحَ حسانِ
لِتُسْقَى بِمِزْنٍ من أياديكِ هَتَّانِ
وأثقلتِ الأوزارُ كِفَّةَ ميزاني
لما فُتِحَتْ أبوابُ عَفْوٍ وغفرانِ
وماستُ على كُتبانها مُلْدُ قَضبانِ
يَفُوحُ بمسراها شذا كلِّ تَوْفانِ
وتلوهُما في الفضلِ صهرُك عثمانِ
ووالى على سبطيك أوفرَ رضوانِ

١ روضة الآس : الميان .

٢ روضة الآس : ولد .

٣ روضة الآس : سم قيصر .

٤ روضة الآس : والشرك .

٥ الراني : الناظر .

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ صَمَّتْ عَزْمَةٌ
وَخَاطَبْتُ مِنْي الْقَلْبَ وَهُوَ مُقَلَّبٌ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَزِمُ قَلَائِصِي
وَأَطْوِي أَدِيمَ الْأَرْضِ نَحْوَكْ رَاحِلًا
يَرْتَحِبُهَا فَرَطُ الْحَيْنِ إِلَى الْحَمَى
وَهَلْ تَمَحُونُ عَنِّي خَطَايَا اقْتَرَفْتُهَا
وَمَاذَا عَسَى يَتْنِي عَيْنَانِي وَإِنَّ لِي
إِذَا نَدَّ عَنْ زَوَارِكِ الْبَاسِ^٢ وَالْعَنَا
عِمَادِي الَّذِي أَوْطَا السَّمَائِينَ أَحْمَصًا
مَتَوَجُّعُ أَمْلَاكِ الزَّمَانِ وَإِنْ سَطَا
وَقَارِي أُسُودِ الْغَابِ بِالصَّيْدِ مِثْلَهَا
هَيْزَبَرُ^٣ إِذَا زَارَ الْبِلَادَ زَيْبَرُهُ
وَإِنْ أَطْلَعَتْ غَيْمَ الْقَتَامِ جِيوشُهُ
صَبَبْنِ عَلَى أَرْضِ الْعُدَاةِ صَوَاعِقًا
كَتَائِبُ لَوْ يَلْعُونُ رَضْوَى لَصَدَّعَتْ
عَدِيدَ الْحَصَى مِنْ كُلِّ أَرُوعَ مُعْلَمٍ
إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْحَرْبِ عَنْهُمْ طُلِيَ الْعَدَا
مِنْ الْإِلَاءِ جَرَّعْنَ الْعَدَا غُصَصَ الرَّدَى
وَفَتَحْنَ أَقْطَارَ الْبِلَادِ فَأَصْبَحَتْ

إِذَا أَزْمَعَتْ فَالْشَّحْطُ وَالْقَرَبُ سَيَّانٍ
عَلَى جَمْرَةِ الْأَشْوَاقِ فِيكَ فَلَبَّانِي
إِلَيْكَ بِدَارًا أَوْ أَقْلَقُلْ كِيرَانِي^١
نَوَاجِي الْمَهَارَى فِي صَحَاصِحِ قِيَعَانٍ
إِذَا غَرَّدَ الْحَادِي بَيْنَ وَغْتَانِي
خُطًّا لِي فِي تِلْكَ الْبِقَاعِ وَأَوْطَانٍ
بِأَلْكَ جَاهًا صَهْوَةً الْعَزَّ أَمْطَانِي
فَجُودُ ابْنِكَ الْمَنْصُورِ أَحْمَدَ أَغْنَانِي
وَأَوْفَى عَلَى السَّبْعِ الطَّبَاقِ فَأُدْنَانِي
أَحْلَ^٤ سِيُوفًا^٥ فِي مَعَاقِدِ تَيْجَانٍ
إِذَا اضْطَرَبَ الْخَطِيءُ مِنْ فَوْقِ جَدْرَانٍ^٦
تَضَاعَلْ فِي أَخْيَاسِهَا أُسْدُ خَفَّانٍ
وَأَرْزَمُ^٥ فِي مَرْكُومِهِ رَعْدُ نِيرَانٍ
أَسْلَنَ عَلَيْهِمْ بَحْرَ خَسْفٍ وَرَجْفَانٍ
صَفَاهُ الْجِيَادُ الْجُرْدُ تَعْدُو بِعَقْبَانٍ
وَكُلَّ كَمِيٍّ بِالرُّدْيَانِي طَعْنَانٍ
هَدَّتْهُمْ إِلَى أَوْدَاجِهَا شُهْبُ خَرْصَانٍ
وَعَفَّرْنَ فِي وَجْهِ الثَّرَى وَجْهَ بَسْتَانٍ
تُؤَدِي الْخَرَاجَ الْجَزَلَ أَمْلَاكُ سُودَانٍ

١ ق ص : كيزاني ؛ والكيران : جمع كور يعني رحاله .

٢ ق ص : اليأس .

٣ روضة الآس : السيوف .

٤ ق ص : خدران .

٥ ق ص : وأرزم .

٦ روضة الآس : عفر .

إمامُ البرايا من عليّ نجسارهُ
 دعائمُ إيمانٍ وأركانُ سُوددِ
 همُ العلويون الذين وجوههم
 وهم آل بيت شيد الله سمكه
 وفيهم فشا الذكر الحكيمُ وصرحت
 فروعُ ابنِ عمِّ المصطفى ووصيته
 ودوحةُ مجدٍ مُعشِبِ الروضِ بالعلا
 بمجدهمُ الأعلى الصريحِ تشرفت
 أولئك فخري إن فخرتُ على الوري
 إذا اقتسمَ المدّاحُ فضلَ فخارهم
 إمامٌ له في جبهةِ الدهرِ ميسمُ
 سما فوقَ هاماتِ النجومِ بهمة
 وأطلعَ في أفقِ المعالي خلافةً
 إذا ما احتبى فوقَ الأسرةِ وارتنى
 توسمتَ لقمانَ الحجي وهو ناطقُ
 وإن هزّه حرُّ الثناء تدفقت
 أيا ناظرَ الإسلامِ شيمُ بارقِ المنى
 قضى الله في عليك أن تملك الدنيا
 وأنت تطوي الأرضَ غيرَ مُدافعٍ
 وتملؤها عدلاً يرفُّ لواؤه
 فكم هنأت أرضَ العراقِ بك العلا
 فلو شارفتُ شرقَ البلادِ سيوفُكم

ومن عترةٍ سادوا الوري، آل زيدانِ
 ذوو هممٍ قد عرّست فوق كيوانِ
 بدورٍ إذا ما أحلكتُ شهبُ أزمانِ
 على هضبةِ العلياء ثابتَ أركانِ
 بفضلهم آياتُ ذكرٍ وفرقانِ
 فناهيك من فخرين: قربى وقربانِ
 يحودُ بأمواءِ الرسالةِ ريتانِ
 معدّ على العرباء عادٍ وقحطانِ
 ونافسَ بَيْتي في الولا بَيْتَ سَلَمَانَ
 فقسمي بالمنصور ظاهرُ رجحانِ
 ومن عزّه في مفرقِ الملكِ تاجانِ
 يحومُ بها فوقَ السّمواتِ نسرانِ
 عليها وشاحٌ من علاهُ وسيمطانِ
 على كبرياءِ الملكِ نخوةَ سلطانِ
 وشاهدتَ كسرى العدلِ في صدرِ إيوانِ
 أناملُهُ عرفاً تدفّقَ خلجانِ
 وياكر لروضٍ في ذرا المجدِ فينانِ
 وتفتحها ما بين سوسٍ وسودانِ
 فمن أرضِ سودانِ إلى أرضِ بغدادِ
 على الهرمين أو على رأسِ غمدانِ
 ووافتُ بك البشرى لأطرافِ عمّانِ
 أذاك استلاباً تاجُ كسرى وخاقانِ

ولو نَشَرَ الأملاكَ دهرُكَ أصبحتُ عيالاً على عليكَ أبناءُ مروانِ
وشايكَ السَّمَّاحُ يفتادُ طائعاً برايته السوداء أهلَ خراسانِ
فما المجدُ إلا ما رفعتَ سماكهُ على عَمْدَتِي سُمُرَ الطوالِ ومُرَّانِ
وهاتيكَ أبكارُ القوافي جلبتُها تغارُ لهنَّ الحورُ في دارِ رضوانِ
أَتَتِكَ أميرَ المؤمنينَ كأنَّها لطائمُ مسكٍ أو خمائلُ بستانِ^١
تعاظمنَ حُسناً أن يقالَ شبيها فرائدُ درٍّ أو قلائدُ عقيانِ
فلا زلتَ للدُّنيا تحوطُ جهاتها وللدينِ تحميه بملكِ سُلَيْمانِ
ولا زلتَ بالنصرِ العزيزِ مؤزراً تُقادُ لك الأملاكُ في زيِّ عبْدانِ

[لونية أبي الفتح التونسي]

انتهت القصيدة التي في تغزلها شرحُ الحال ، وإعراب عمّا في ضمير الغربية
والارتحال ، ولنعرّزها بأختها في البحر والروي ، قصيدة القاضي الشهير الذكر ،
الأديب الذي سلبت النّهي كواعبُ شِعْره إذ أبرزها من خلدور الفكر ، الشيخ
الإمام سيدي أبو الفتح محمد بن عبد السلام ، المغربي التونسي نزيل دمشق الشام ،
صَبَّ الله على ضريحه سجالَ الرحمة والإنعام ، فإنها نفث مصدر غريب ،
وبث معذور أريب ، فارق مثلي أوطانه وما سلاها ، وقرأ آيات الشجو وتلاها ،
وتمنى أن يوجد له الدهر برؤية مجتلاها ، وهي قوله رحمه الله وأنشأها بدمشق
عام واحد وخمسين وتسعمائة :

سلوا البارق النجديّ عن سُحب أجفاني وعمّا بقلبي من لَواعِجِ نيرانِ
ولا تسألوا غيرَ الصَّبّا عن صبايتي وشدةِ أشواقي إليكمُ وأشجاني
فما لي سواها من رسولٍ إليكمُ سريعِ السُّرى في سِيره ليس بالواني

١ روضة الآس : جلوتها .

٢ بعد هذا البيت في روضة الآس : ومنها ختاماً .

فيا طالَ بالأسحارِ ما قد تكلفتُ
وتنفسِ كربٍ عن كتيبٍ متيمٍ
فلله ما أذكى شذا نسمة الصبا
وسارت مسير الشمس وهناً فأصبحتُ
وقد وقفت بالشامِ وقفةً حاملٍ
لترتاض في تلك الرياض هنيئة
وما غربت حتى تضاعف نشرها
فكم نحوكم حملتها من رسالة
وناشدتها بالله إلا تفضلت
تحية مشتاق إلى ذلك الحمى
سقى الله هاتيك الديار وأهلها
وحياً ربوع الحي من خير بلدة
هي الحضرة العليا مدينة تونس
لها الفخر والفضل المين بما حوت
لقد حل منها آل حفص ملوكها
وسادوا بها كل الملوك وشيدوا
وكان لهم فيها بهاء وبهجة
وكان لهم فيها عساكر جمّة
جيوش وفرسان يضيق بها القضا
وكان لأهلها المفاخر والعلا
وكان على الدنيا جمال بحسنها
وكانت لطلاب المعارف قبلة
وكان لأهل العلم فيها وجهة
وكان بواديها المقدس فتية

يانعاش محزونٍ وليقاطِ وسانٍ
يحن إلى أهلٍ ويصبو لأوطانٍ
صباحاً إذا مرت على الرند والبان
من الشرق نحو الغرب تجري بحسانٍ
نوافج مسكٍ من ظباء خراسانٍ
وتزداد من أزهارها طيب أردانٍ
بواسطتي روح هناك وربحانٍ
مدوّنة في شرح حالي ووجداني
بتبليغ أحبابي السلام وجيراني
وسكّانه والتّازحين بأطعانٍ
سحائب تحكي صوب مدمعي القاني
تخيرها قديماً أفاضل يونانٍ
أنيسة لإنسان رآها بإنسانٍ
من الأنس والحسن المنوط بإحسانٍ
مراتب تسمو فوق هامة كيوانٍ
بها من مباني العز أفخر بنيانٍ
وحسن نظام لا يُعاب بنقصانٍ
تصول بأسياف وتسطو بمِرّانٍ
ويحجم عنها الفرس من آل ساسانٍ
وكان بها حصن أمان وإيمانٍ
وحسن بنيها من ملوك وأعيانٍ
لما في حماها من أئمة عرفانٍ
وجاه وعزّ مجده ليس بالفاني
تقدس باريها بذكرٍ وقرآنٍ

ومن أدباء النظم والنثر معشر
وكانت على الأعداء في حومة الوعى
وما برحت فيها محاسن جمّة
إلى أن رمتها الحادثات بأسنهم
فما لبثت تلك المحاسن أن عفت
وشئت ذاك الشمل من بعد جمعه
فأعظم برزء خص خير مدينة
لعمري لقد كادت عليها قلوبنا
وقد عمنا غمّ بعظم مصابها
وما بقيت فيما علمناه بلدة
فصبراً أخي صبراً على المحنة التي
فما الدهر إلا هكّذا فاصطبر له :
أحبابنا إن فرق الدهر بيننا
فإني على حفظ الوداد وحققكم
ووالله والله العظيم أليّة
لقد زاد وجدي واشتياقي إليكم
فلا تحسبوا أنني تسليت بعدكم
ولا أنني يوماً تناسيت عهدكم
ولا رافني روض ، ولا هش مسمعي
ولا حلّ في فكري سواكم بخلوة
ولا اختلجت يوماً ضمائر مهجتي
ولو لم أسلّ النفس بالقرب واللقا

تفوق بناديبها بلاغة سحبان
تطول بأبطال ، وتسطو بشجعان
وفي كل نوع أهل حذق وإتقان
وسلت عليها سيف بغّي وعدوان
وأقفر ربع الأنس من بعد سكان
كما انتثرت يوماً قلائد عقيان
وخير أناس بين عجم وعربان
تضرم من خطب عراها بنيران
وإن خصتي منه المضرّ بجثماني
من الشرق إلا ألبست ثوب أحزان
رمتك بها الأقدار ما بين إخوان
رزية مال أو تفرق خلاّن
وطال مغيب عنكم منذ أزمان
مقيم ، وما هجر الأحيّة من شاني
على صدقها قامت شواهد برهان
وبرح بي طول البعاد وأضناني
بشيء من الدنيا وزخرفها الفاني
بحال ، ولا أن التكاثر الهاني
لنغمة أطيار ورتة عيدان
ولا جلوة ما بين حور وولدان
لغيركم في سرّ سري وإعلاني
لأدرج جسّمي في مقاطع أبفاني

فما أنا في عَوْدِي إِلَيْكُمْ بِأَيْسٍ فما اليأسُ إِلَّا من علامةِ كفرانِ
عليكمُ سلامُ اللهِ في كلِّ ساعةٍ تحيةٌ صَبَّ لا يدينُ بسُلْوانِ
مدى الدهرِ ما ناحتْ مطوْقَةٌ وما تعاقب بين الخافقينِ الحديدانِ

[نونية ابن الخطيب]

ولصاحب الترجمة لسان الدين ابن الخطيب قصيدة طنانة بهذا الوزن والقافية ،
مدح بها السلطان أبا سالم المريني حين فتح تلمسان ، وقد رأيت إيرادها في هذا
الباب ، لما اشتمل عليه آخرها من شرح أمر الاغتراب ، الذي حير الألباب ،
وللمناسبة أسباب ، لا تخفى على من له فكر مصيب ، وكلُّ غريب للغريب
نسيب ؛ وهي ^١ :

أطاعَ لساني في مديحك إحساني	وقد لهجت نفسي بفتح تِلْمَسَانِ
فأطلعتها تفرُّ عن شَنبِ المني	وتُسْفِرُ عن وجهٍ من السعدِ حَيَّانِي ^٢
كما ابتسم النوارُ عن أدمعِ الحيا	وجفَّ بخدِّ الوردِ عارضُ نيسانِ
كما صفقت ريحُ الشمالِ شمولها	فبان ارتياحُ السكرِ في غصنِ البانِ
تَهَنِّيكَ بالفتحِ الذي معجزاته	خوارقُ لم تُذخِرْ سواك لإنسانِ
خفقتَ إليها والجفونُ ثقيلة	كما خفَّ شَنُّ الكفِّ من أسدٍ خفَّانِ
وقدتَ إلى الأعداء فيها مبادراً	ليوثَ رجالٍ في مناكبِ عقبانِ
تمدُّ بنودُ النصرِ منهم ظلالها	على كلِّ مطعامِ العشيَّاتِ مطعانِ
جَحَاجِحَةً ^٣ غرُّ الوجوه كأنما	عمائمهم فيها معاقِدُ تيجانِ
أمدك فيها اللهُ بالملأ العلاء	فجيشك ، مهما حقَّق الأمرُ ، جيشانِ

١ مظهرها ويمض أسطر من الرسالة التالية في أزهار الرياض ١ : ٢٨٦ .

٢ ق ص : حنان .

٣ الجحاجة : السادة .

لقد جليت منك البلادُ لحاطبٍ
لقد كست الإسلامَ ببعثك الرضى
ولله من ملكٍ سعيدٍ ونصبته
وسجل حكم العدل بين بيوتها
فلم تخش سهم القوسِ صفحةً بدرها
ولم يعترض مبتزها قطعُ قاطعٍ
تولى اختيارُ الله حُسْنَ اختيارها
ولا صرفت فيها دقائقُ نسبةٍ
وجوهُ القضايا في كمالك شأنها
ومن قاس منك الجودَ بالبحرِ والحيا
وطاعتك العظمى بشارةُ رحمةٍ
وحُبُّك عنوانُ السعادةِ والرضى
ودينُ الهدى جسمٌ وذاتك روحه
تضنُّ بك الدنيا ويحرسُك العلا
بنيت على أساسِ أسلافك العلا
وصاحت بك العليا فلم تك غافلاً
ولم تك في خوضِ البحارِ بهائبٍ
لقد هزَّ منك العزمُ لما انتصيته
ولله عيننا من رآها محلةً
وتنورُ عزمٍ فار في إثرِ دعوةٍ
عجائبُ أقطارٍ ، ومألفُ شاردٍ
إذا ما سرحَت اللحظَ في عرصاتها
جنى حان والنصرُ العزيزُ اهتصاره

١ المبتز : الكوكب الذي له حظوظ كثيرة ؛ والنوهر : تاسع البروج .

فمن سَحِبَ لاحتُ بها شُهْبُ القنا
مضاربُ في البَطْحاءِ بيضُ قباها
وما إن رأى الراءونَ في الدهرِ قبلها
نفوتُ النفاتِ الطَّرفِ حالَ اقتبالها
فقد أطرقتُ من خوفها كلَّ بيعةٍ
وقد ذُعِرَتْ خَوْلانُ بَيْنَ بيوتها
فلو رُمِيَتْ مصرُ بها وصعيدُها
ولو يَمُتُّ سيفَ بنِ ذي يَزَنٍ لما
تُرَاعُ بها الأوثانُ في أرضِ رومةٍ
وتجفيلُ إجفَالِ التَّعامى ببرقةٍ
وعرضاً كيومِ العرضِ أَذهَلَ هولُهُ
وجيشاً كقطعِ الليلِ للخيْلِ تحتهُ
فيوميضُ من بيضِ الظُّبى بيوارقِ
ويمطرُ من ودقِ السَّهامِ بمخاصبِ
وجرداً إذا ما ضُمَّرَتْ يومَ غايَةٍ
تُسابقُ ظُلْمانَ الفلاةِ بمثلها
ودونِ مهةِ العزمِ منك قواضبُ
نظرتُ إليها والنَّجيجُ لباسُها
تفتَحُ ورداً خدَّها حينَ جردتُ
كأنَّ الوغى نادَتْ بها لوليمةٍ
فإن طعمتُ بالنَّصرِ كانَ وضوءُها
لقد خلصتُ لله منك سَجِيَّةُ
فسيفكُ للفتحِ المبينِ مصاحبُ
فرحُ واغدُ للرحمنِ تحتَ كلاءةٍ

ومن كُشِبَ بيضُ بدت فوق كُتبانِ
كما قلبتُ للعَيْنِ أزهارُ سوسانِ
قَرارةَ عِزٍّ في مدينَةِ كَتَّانِ
كأَنَّكَ قد سَخَرْتَ جنَّ سليمانِ
وطأطأ منْ إجلالها كلُّ إيوانِ
غداةَ بدَّتْ منها البيوتُ بخولانِ
لأضحتُ خلاءَ بلقعاَ بعدَ عمرانِ
تقرّر ذاكَ السيفُ في غمدِ غمدانِ
إذا خَيَّمَتْ شرقاً على طُرُقِ أوْثانِ
ليوثُ الشرى ما بين تُركِ وعُربانِ
عياني ، وأعياني تعدُّدُ أعيانِ
إذا صَهَلَتْ مفتنةٌ رَجْعُ الحانِ
ويقذفُ منْ سُمُرِ الرماحِ بشهبانِ
سحائبه من كلِّ عوجاءِ ميرنانِ
تعجبتُ من ربيعِ تُقَادُ بأرسانِ
وتدعُرُ غزلانَ الرمالِ بغزلانِ
أبى النصرُ يوماً أنْ تُلَمَّ بأجفانِ
فقلتُ : سيوفُ أم شقائقُ نعمانِ
ولا ينكرُ الأَقوامُ خجلةَ عُربانِ
قد احتفلتُ أوضاعُها منذ أزمانِ
نجيعاً ووافها الغبارُ بأشنانِ
جزاك على الإحسانِ منك بإحسانِ
وعزْمك والنَّصرُ المؤرَّرُ إلْغانِ
وسرَّ حانَ في غابِ العدا كلُّ سرحانِ

ودُمُ والمُنَى تَدْنِي إِلَيْكَ قَطَافُهَا
 وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ مُسْتَنْصِرًا بِهِ
 كِفَاكَ الْعِدَا كَافٍ لِلْمَلِكِ كَافِلٌ
 رَضِيَ الْوَالِدُ الْمَوْلَى أَيْبُكَ عَرَفْتَهُ
 فَكَمْ دَعْوَةٌ أَوْلَاكَ عِنْدَ انْتِقَالِهِ
 فَعَرَفْتَنِي فِي السَّرَّاءِ نِعْمَةً مُنْعِمٍ
 عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِي الْفَخَارَ بِدَعْوَةٍ
 وَسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْفَخْرِ قَدْ أَتَتْ
 وَمَنْ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ فِي ثَبَّتِ مَوْقِفٍ
 إِذَا هُمْ لَمْ يَلْقَ بِلَحْظَةٍ هَائِبٍ
 فَصَاحَةُ قُسٍّ فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ
 شَمَائِلُ مِيمُونِ التَّقِيَّةِ أَرْوَعُ
 حُبَّتُهُ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
 هَنِيئًا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ بِنِعْمَةٍ
 لَزِيْنَتْ أَجْيَادَ الْمُنَابِرِ بِالنَّيِّ
 قَلَائِدُ فَنَحْ هُنَّ لَكِنْ قَدَرُهَا
 أَمْوَالِي ، حَبِي فِي عِلَاقِ وَسِيلِي
 أَيَادِيكَ لَا أَنْسَى عَلَى بُعْدِ الْمَدَى
 فَلَا جَحْدُ مَا خَوَّلْتَنِي مِنْ سَجِيئِي
 وَمَهْمَا تَعَجَّلْتَ الْحَقُوقَ لِأَهْلِهَا
 وَرَكْنِي الَّذِي لَمَّا نَبَا بِي مَتَرَلِي
 وَعَالَجَ أَيَّامِي وَكَانَتْ مَرِيضَةً
 فَأَمْسَنِي الدَّهْرَ الَّذِي قَدْ أَخَافَتِي

مَيَّسَرَ أَوْطَارٍ مَمَهَّدَ أَوْطَانِ
 فَسُلْطَانُهُ يَعْلُو عَلَى كُلِّ سُلْطَانِ
 فَضْدَكَ نِضْوٌ مَيَّتٌ بَيْنَ أَكْفَانِ
 وَقَدْ أَنْكَرَ الْمَعْرُوفُ مِنْ بَعْدِ عِرْفَانِ
 إِلَى الْعَالَمِ الْبَاقِي مِنَ الْعَالَمِ الْفَانِي
 وَالْحَفَّتْ فِي الضَّرَاءِ رَحْمَةٌ رَحْمَانِ
 مَجْرَدَةٌ مِنْ غَيْرِ تَحْقِيقِ بَرْهَانِ
 بِكُلِّ صَحِيحٍ عَنْ عَلِيٍّ وَعِثْمَانِ
 إِذَا مَا التَّقَى فِي مَوْقِفِ الْحَرْبِ صَفَّانِ
 وَإِنْ مَنْ لَمْ يَنْفُثْ بِلَفْظَةٍ مَنَانِ
 وَإِقْدَامُ عَمْرٍو تَحْتَ حِكْمَةِ لَقْمَانِ
 لَهُ قَصَبَاتُ السَّبْقِ فِي كُلِّ مِيدَانِ
 وَطَاعَتُهُ فِي اللَّهِ عَقْدَةٌ إِيْمَانِ
 حُبِّيَتْ بِهَا مِنْ مَطْلَقِ الْجُودِ مَنَانِ
 أَتَاحَ لَهَا الرَّحْمَنُ فِي آلِ زِيَّانِ
 تَرَفَّعَ أَنْ يُدْعَى قَلَائِدَ عَقِيَّانِ
 وَلَطْفَكَ بِي دَأْبًا بِمَدْحِكَ أَغْرَانِي
 نَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ شَرِّ نَسِيَانِ
 وَلَا كَفْرٍ نَعْمَاكَ الْعَمِيمَةِ مِنْ شَانِي
 فَإِنَّكَ مَوْلَايَ الْحَقِيقُ وَسُلْطَانِي
 أَجَابَ نِدَائِي بِالْقَبُولِ وَأَوَانِي
 بِحِكْمَةٍ مَنْ لَمْ يَنْتَظِرْ يَوْمَ بُحْرَانِ
 وَجَدَّ دَلِي السَّعْدِ الَّذِي كَانَ أَبْلَانِي

وَنَحَوَّلْتَنِي الْفَضْلَ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
تَحَوَّلْتَنِي صَرْفُ الْخَوَادِثِ فَاثْنَتِي
وَأَزَعَجْتَنِي مِنْ مَنْشِي وَمُبَوَّي
بِلَادِي الَّتِي فِيهَا عَقَدْتَ تَمَائِي
تَحَدَّثْتَنِي عَنْهَا الشَّمَالُ فَتَتَنِي
وَأَمَلُ أَنْ لَا أَسْتَفِيقَ مِنَ الْكَرَى
تَكُونُ لِخَوَانِي عَلِيٍّ وَقَدْ جَنَنْتُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ أَنْ يَتَنَكَّرُوا
وَكَانَتْ ، وَقَدْ حُصِمَ الْقَضَاءُ ، صِنَائِي
فَلَوْلَاكَ بَعْدَ اللَّهِ يَا مَلِكَ الْعِلَا
تَدَارَكْتَ مِنِّي بِالشَّفَاعَةِ مَنَعًا
فَإِنْ عَرَفَ الْأَقْوَامُ حَقَّكَ وَفَقُّوا
وَلِنْ خَلَّطُوا عُرْفًا بَنَكِرٍ وَقَصَّروا
وَحَرَمَةُ هَذَا اللَّحْدِ يَا بِي كَمَا لَهَا
وَقَدْ نَمْتُ عَنْ أَمْرِي وَنَبَّهْتُ هَمَةً
إِذَا دَانَتْ اللَّهُ النَّفُوسُ وَأَمَلْتُ
فَمَوْلَاكَ يَا مَوْلَايَ قِبْلَةَ وَجْهِي
وَقَفْتُ عَلَى مَسْوَاهُ نَفْسِي قَائِمًا
وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي فَوْقَهَا مِنْ وَسِيلَةٍ
وَأَبْلَغْتُ نَفْسِي بِجَهْدِهَا غَيْرَ أَنِّي
قَرَأْتُ كِتَابَ الْحَمْدِ فِيكَ لِعَاصِمٍ

وَشَيْكَأً وَأَعْطَانِي فَأَنْعَمَ أَعْطَانِي^١
يَقْبَلُ أَرْدَانِي ، وَمَنْ بَعْدُ أَرْدَانِي
وَمَعَهْدِ أَحِبَابِي وَمَأْلَفِ جِيرَانِي
وَجَمَّ^٢ بِهَا وَفَرِي وَجَلَّ بِهَا شَانِي
وَقَدْ عَرَفْتُ مِنِّي شَمَائِلَ نَشْوَانِ
إِذَا الْحَلَمُ^٣ أَوْطَانِي بِهَا تَرْبَ أَوْطَانِي
عَلِيٍّ خُطُوبُ جَمَّةٍ ذَاتِ أَلْوَانِ
بَأَنَّ خَوَانِي كَانَ مَجْمَعِ خَوَانِي
عَلِيٍّ بَمَا لَا أَرْضِي شَرَّ أَعْوَانِي
وَقَدْ فَتَّ مَا أَلْفَيْتُ مِنْ يَتْلِفَانِي
بَرِيئًا رَمَاهُ الدَّهْرُ فِي مَوْقِفِ الْجَانِي
وَلِنْ جَهْلُوا بَاعُوا بِصَفْقَةِ خَسِرَانِ
وَزَنْتَ بِقِسْطَاسٍ قَوِيمٍ وَمِيزَانِ
هَضِيمَةٍ رَدٍّ أَوْ حَطِيطَةٍ نَقْصَانِ
تَحَدَّقُ مِنْ عَلَوِيٍّ إِلَى صَرْحِ هَامَانِ
إِقَالَةَ ذَنْبٍ أَوْ إِنَالَةَ غَفْرَانِ
وَعَهْدَةَ إِسْرَارِي وَحِجَّةَ إِعْلَانِي
بِتَرْدِيدِ ذِكْرِ أَوْ تَلَاوَةِ قُرْآنِ
إِلَى مَلِكِكَ الْأَرْضَى لَشَمَّرْتُ أَرْدَانِي
طَلَابِي مَا بَعْدَ النِّهَايَةِ أَعْيَانِي
فَصَحَّ أَدَائِي وَاقْتِدَائِي وَإِتْقَانِي

١ الأعتان : جمع عطن ، يعني الساحة ، وأنعم : ملأ .

٢ جم : كثر وطال .

٣ ص : الحكم .

فدونكها من بحرِ فكري لؤلؤاً يفصلُ من حسنِ النظامِ بمرجان
وكانَ رسولُ اللهَ بالشَّعرِ يعتني وكم حُجَّةٌ في شِعْرِ كَعْبٍ وحَسَّان
ووالله ما وقَّيتُ قدركَ حقَّه ولكنَّه وسُني ومبلغُ إمكاني

[رسالة لسان الدين إلى أبي سالم]

وكتب لسان الدين رحمه الله قبل هذه القصيدة نثراً من إنشائه يخاطب به
السلطان أبا سالم المذكور ، وذلك أنه ورد على لسان الدين وهو بشالة سلا كتاب
السلطان المذكور بفتح تلمسان ، وكان وروده يوم الخميس سابع عشر شعبان عام
واحد وستين وسبعمائة ، ونص ما كتب به لسان الدين :

مولاي فتاح الأقطار والأمصار ، فائدة الأزمان والأعصار ، أثير هبات الله
الآمنة من الاعتصار ، قدوة أولي الأيدي والأبصار ، ناصر الحق عند قعود الأنصار ،
مُسْتَصْرِخُ الملك الغريب من وراء البحار ، مصداق دعاء الأب^١ المولى في
الأصائل والأسحار ، أبقاكم الله سبحانه لا تقف إيالكم عند حدٍّ ، ولا تحصى
فتوحات الله تعالى عليكم بعددٍ ، ولا تفيق أعداؤكم من كدٍّ ، ميسراً على مقامكم
ما عسر على كل أب كريم وجدٍّ ، عبدكم الذي خلص لإبريز عبوديته لملك
ملككم المنصور ، المعترف لأدنى رحمة من رحمتكم بالعجز عن شكرها
والقصور ، الداعي إلى الله سبحانه أن يتقصر عليكم سعادة العصور ، ويذلِّلَ
بعز طاعتكم أنف الأسدِ المَهْصُور ، ويبقي الملك في عقبكم وعقب عقبكم إلى
يوم ينفخ فيه الصور ، فلان من الضريح المقدس بشالة ، وهو الذي تعددت على
المسلمين حقوقه ، وسطع نوره وتلألأ شروقه ، وبلغ مجده السماء لما بسقت فروعه
ووشجت عروقه ، وعظم بيوتكم فخره فما فوق البسيطة فخر يفوقه ، حيث
الجلال قد رست هضابه ، والملك قد كسيت بأستار الكعبة الشريفة قبابه ، والبيت
العتيق قد ألحقت الملاحف الإمامية أثوابه ، والقرآن العزيز ترتل أحزابه .

١ في الأصول : الأدب ؛ والمعنى أنه صدق فيه دعاء أبيه أبي الحسن .

والعمل الصالح يرتفع إلى الله ثوابه . والمستجير يخفي بالهيبة سؤاله فيجهر بنعرة
 العز جوابه ، وقد تفيأ من أوراق الذكر الحكيم حديقة ، وخميلة أنيقة ، وحط
 بجودي الجود نفساً في طوفان العز غريقة . والتحف رفرف الهيبة التي لا تهدي
 النفس فيها إلاً بهداية الله تعالى طريقة ، واعتز بعزة الله وقد توسط جيش الحرمه
 المرينية حقيقه . إذ جعل المولى المقدس المرحوم أبا الحسن مقدمة وأباه وجده سيقه .
 يرى بركم بهذا اللحد الكريم قد طنب عليه من الرضى فُسْطَاطاً ، وأعلق به يد
 العناية المرينية اهتماماً واغْتِبَاطاً ، وحرر له أحكام الحرمه نصاً جلياً واستنباطاً .
 وضمن له حسن العقبي التزاماً واشتراطاً ، وقد عقد البصر بطريقة رجعتكم المنتظرة
 المرتقة . ومد اليد إلى لطائف شفاعتكم التي تتكفل بعنق المال كما تكفلت بعنق
 الرقبة . وشرع في المراح بميدان نعمتكم بعد اقتحام هذه العقبة ، لما شنت الأذن
 البشرى التي لم يبقَ طائر إلاً سجع بها وصدح ، ولا شهاب دُجْنَة إلاً اقتبس
 من نورها واقتدح ، ولا صدر إلاً انشرح ، ولا غصن عطف إلاً مرج ، بشرى
 الفتح القريب ، وخبر النصر الصحيح الحسن الغريب ، فتح تلمسان الذي قلده
 المناير عقود الابتهاج ، ووهب الإسلام منيحة النصر غنيمة عن الانتهاج .
 وألحف الخلق ظلاً ممدوداً ، وفتح باب الحج وكان مسدوداً ، وأقر عيون
 أولياء الله الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً ، وأضرع الحق جهاً أبيضاً
 وخدوداً . وملكمكم حق أبيكم الذي أهان عليه الأموال ، وخاض من دونه
 الأهوال . وأخلص فيه الضراعة والسؤال ، من غير كد يغمر عطف المسرة ،
 ولا جهد يكدر صفو النعم المثرة . ولا حصر ينفذ به المنجنيق ذوابته . ويظهر
 بتكرار الركوع إنابته .

فالحمد لله الذي أقال العيثار . ونظم بدعوتكم الانتثار . وجعل ملككم يحدد
 الآثار . ويأخذ الثار . والعبد يهنيء مولاه . بما أنعم الله تعالى به عليه وأولاه .
 فإذا أجال العبيد قِداح السرور فللعبد المُعَلَّى والرقيب . وإذا استهموا حظوظ
 الجذل في القسم الوافر والنصيب . وإذا اقتسموا فريضة شكر الله في الحظ

والتعصيب . لتضاعف أسباب العبودية قِبَلِي . وترادف النعم التي عجز عنها
قولي وعملي . وتقاصر في ابتغاء مكافأتها وجدي وإن تطاول أُملي : فمقامكم
المقام الذي نفَس الكُرْبَة ، وآنس الغربة ، ورعى الوسيلة والقربة ، وأنعش
الأرماق . وفكّ الوثاق ، وأدرّ الأرزاق . وأخذ على الدهر بالاستقالة العهد
والميثاق .

وإن لم يباشر العبد اليد العالية بهذا الهناء . ويمثل بين يدي الخلافة العظيمة السنا
والسَّناء ، ويمد بسبب اليد إلى تلك السماء ، فقد باشر به اليد التي يمن مولاي
لتذكر تقبيلها . ويكمل فروض المجد بتوفية حقوقها الأبوية وتكميلها ، ووقفت
بين يدي ملك الملوك الذي أجال عليها القداح . ووصل في طلب وصالها بالمساء
الصباح ، وكان فتحه إياها أبا عُدرة الافتتاح ، وقلت : يهنيك يا مولاي ردّ
ضالتك المنشودة . وجبر لقطعتك المعرفة المشهودة ، ورد أمتك المودودة ، فقد
استحقها وارثك الأرضي ، وسيفك الأمضي ، وقاضي دينك . وقرّة عينك ،
مستنقذ دارك من يد غاصبها ، وراذ ربتك إلى مناصبها . وعامر المثوى الكريم .
وسائر الأهل والحريم . مولاي : هذه تلمسان قد طاعت ، وأخبار الفتح على
ولئك الحبيب إليك قد شاعت ، والأُمم إلى هنائه قد تداعت ، وعدوك وعدوه
قد شردته المخافة ، وانضاف إلى عرب الصحراء فخفضته الإضافة ، وعن
قريب تتحكم فيه يد احتكامه . وتسلمه السلامة إلى حِمَامه ، فلتطب يا مولاي
نفسك ، وليستبشر رمسك . فقد نمتْ بركتك وزكا غرسك ، نسأل الله أن يورد
على ضريحك من أنباء نصره ما تفتح له أبواب السماء قبولا ، وترادف إليك
مدداً موصولا ، وعدداً آخرته خير لك من الأولى ، ويعرفه بركة رضاك ظعنًا
وحلولا ، ويُضفي عليك منه سرّاً مسدولا .

ولم يقنع العبد بخدمة النثر ، حتى أجهد القريحة التي ركضها الدهر فأنضاهها .
واستشفّها الحادث الجلل فتقضاها : فلفق من خدمة المنظوم ما يتغمد حلمكم
تقصيره ، ويكون إغضاؤكم إذا لقي معرة العتب وليّه ونصيره . وإحالة مولاي

على الله في نفسي جبرها ، ووسيلة عرفها مجده فما أنكرها ، وحرمة بضريح
مولاي والدِه شكرها ، ويطلع العبد منه على كمال أمله ، ونجح عمله ،
وتسويغ مقترحه وتتميم جذله :

أطاع لساني في مديحك إحساني

إلى آخر القصيدة التي تقدمت .

[نونية الفقيه عمر الزجال]

وحيث اقتضت المناسبة جَلَبَ هذه النونات فلنضيف إليها قصيدة أديب
الأندلس الفقيه عمر صاحب الأزجال ، إذ هو من فرسان هذا المجال . وقد وطَّأ
لها ينثر ، وجعل الجميع مقامة ساسانية ، سماها « تسريح النصال إلى مقاتل
الفصال » ونصها^١ : يا عماد السالكين ، ومحط^٢ المستفيدين والمتبركين . وثمال
الضعفاء والمساكين المتروكين ، في طريقك يتنافس المتنافس ، وعلى أعطافك
تُزهى العباءات وتروق الدِّلافس^٣ ، وبكتابك تحيا جوامد الأفهام . وبمذبتك
تشرذ ذباب الأوهام ، وفي زنييلك يدس التالد والطارف ، وبعصاك يُهش على
بدائع المعارف ، الله الله في سالك ، ضاقت عليه المسالك ، وشاد . رُمي بإبعاد ،
أدركته متاعب الحرفة ، وأقيم من صف أهل الصِّفة^٤ ، فلا يجد نشاطا ، على ما
يتعاطى ، ولا يلقي اغتباطا ، إن حلَّ زاوية أو نزل رباطا ، أقصي عن أهل القرب
والتخصيص ، وابتلي بمثل حالة برصيص^٥ ، فأحيل عليك ، وتوقفت إقالته على

١ قارن بأزهار الرياض ١ : ١١٧ .

٢ الأزهار : ومحط رحال .

٣ الدلافس : جمع دلفاس ، وقد مر من قبل « دلفاس » - وكلاهما صحيح - وهو نوع من الثياب .

٤ أهل الصفة : قوم من فقراء المهاجرين كانوا يأوون إلى صفة المسجد في عهد الرسول لأنه لا مأوى
لهم غيرها .

٥ برصيص أو برصيصا : من عباد بني إسرائيل ثم فتنه الشيطان .

توبة بين يديك ، فكاتبك استدعاء ، واستوهب منك هداية ودعاء ، ليسير
على ما سويت ، ويتحمل عنك أثثات ما رويت ، فيلقى الأكفاء الظرفاء عزيزاً ،
ويباهي بك كل من خاطبك مستجيزاً ، فاصرف إليّ حيا الرضى ، وعُدْ من
إناسك للعهد الذي مضى ، ولا تلقني معرضاً ولا معرضاً ، وأصخ لي سمعك
كما قدر الله تعالى وقضى :

تعال نَجِّدْهَا طَرِيقَةَ سَاسَانِ ١	نَعَصُّ عَلَيْهَا مَا تَوَالِي الْجَدِيدَانِ
وَنَصْرِفْ إِلَيْهَا مِنْ مِثَارِ عِزَائِمِ	وَنُحْلِفْ عَلَيْهَا مِنْ مُؤَكَّدِ أَيْمَانِ
وَنَعْقِدْ عَلَى حَكْمِ الْوَفَاءِ هَوَاءَنَا	لِنَأْمَنَ مِنْ أَقْوَالِ زُورٍ وَبَهْتَانِ
وَنَقْسِمُ عَلَى أَنْ لَا نَصْدَقَ وَاشْيَاءَ	يُرُوحُ وَيَغْدُو بَيْنَ لَأْمٍ وَعُدْوَانِ
يَطُوفُ حَوَالَيْنَا لِفَسَادٍ بَيِّنِنَا	بِمَنْطِقِ إِنْسَانٍ وَخُدْعَةِ شَيْطَانِ
عَلَى أَنَّنا مِنْ عَالَمٍ كُلَّمَا بَدَا	تَعَوَّذُ مِنْهُ عَالَمُ الْإِنْسِ وَالْجَانِ
وَحَاشَاكَ أَنْ تُلْفَى عَنِ الصِّلَحِ مُعْرِضاً	إِلَى الصِّلَحِ آلتَ حَرْبٍ عُبْسٍ وَذِيَانِ
وَأَنِّي أَهْمَّتَنِي شُؤُونٌ كَثِيرَةٌ	وَصَلَحَكَ أَوَّلَى مَا أُقَدِّمُ مِنْ شَانِي
فَأَنْتَ إِمَامِي إِنْ كَلَفْتُ بِمَذْهَبِ	وَأَنْتَ دَلِيلِي إِنْ صَدَعْتُ بِبِرْهَانِ
سَأُرْعَاكَ فِي أَهْلِ الْعِبَادَاتِ كُلَّمَا	رَأَيْتَكَ فِي أَهْلِ الطِّبَالِسِ تَرْعَانِي
وَيَا لَابِسِي تِلْكَ الْعِبَادَاتِ إِنَّهَا	لِبَاسُ إِمَامٍ فِي الطَّرِيقَةِ دِهْقَانِ
تَفَرَّقَتِ الْأَلْوَانُ مِنْهَا لِإِشَارَةٍ	بَأَنَّكَ تَأْتِي مِنْ حِلَاكَ بِالْوَانِ
وَيَا أَبَايَ الْفَصَّالِ شَيْخِ طَرِيقَةٍ	خُلُوبٍ لِأَلْبَابِ لَعُوبٍ بِأَذْهَانِ
إِذَا جَاءَ فِي الثُّوبِ الْمَجْبَرِ خُلَّتْهُ	زَنْبِيرَةٌ قَدْ مَدَّتْ مِنْهَا جَنَاحَانِ
فَمَا تَأْمَنُ الْأَبْدَانُ آفَةً لِسَعْمِهَا	وَأَنْ أَقْبِلْتَ فِي سَابِغَاتِ وَأَبْدَانِ
سَأُدْعُوكَ فِي حَالَاتِ كَيْدِي وَكَيْدِي	بَشَيْخِي سَاسَانٍ وَعَمِّي هَامَانِ

١ طريقة ساسان : أي طريقة أهل الكدية .

فإن كان في الأنساب منّا تباينٌ
ألا فادعُ لي في جنح ليلك دعوةً
لك الطائر الميمون في كلّ وجهةٍ
فكم من فقيرٍ بائسٍ قد عرفتهُ
وكم من رفيع الجاه واليتّ أنسهُ
فلو كنتَ للفتح بن خاقان صاحباً
ولو كنتَ للصابي صديقاً ملاطفاً
ولو كنتَ من عبد الحميدٍ مقرباً
ولو كنتَ قد أرسلتها دعوةً على
ولو كنتَ في يوم الغيظ مراسلاً
ولو كنتَ في حرب الأمين لطاهراً
ولو كنتَ في مغزى أبي يوسفٍ لما
ولو أن كسرى يزددجردَ عرفتهُ
ولو أنّ للذريقاً وطئتَ بساطتهُ
وفيما مضى في فاسٍ أوضحُ شاهدٍ
ولمّا اعتنى منك السعيدُ بكاتبٍ
فلا تنسني من أهل ودّك إنّني
فما تنكرُ الآدابُ أنّا نسيانٍ
لتنجحَ آمالي ويرجعَ ميزاني
سريتَ إليها غير نكسٍ ولا واني
فرقتَ عليه نعمةً ذات أفنانٍ
فعاشَ قرير العينِ مرتفع الشانِ
لما خاتمه المقدور في ليلة الخانِ^١
لما قبّلتَ فيه مقالةً بهتانٍ^٢
لما هزم السفّاحُ أشياعَ مروانٍ
أبي مسلمٍ ما حاز أرض خراسانٍ
لبسطامٍ لم تهزم به آلُ شيانٍ^٣
لما هام في يوم اللقاء ابن ماهانٍ^٤
رماهُ بغدّز عبده في تلمسانٍ^٥
لما لاح مقتولاً على يد طحّانٍ^٦
لما أثّرت فيهِ مكيدةُ اليانٍ^٧
غنيّ لدينا عن بيانٍ وتبيانٍ
رأى ما ابتغى من عز ملك وسلطانٍ
أخافُ الليالي أن تطولَ فتنساني

١ . الفتح بن خاقان صاحب القلائد والمطمح وجد مقتولاً بخان في مدينة مراکش .

٢ . أبو إسحاق الصابي سجنه عضد الدولة .

٣ . يوم الغيظ بين تميم وشيبان أسر فيه بسطام بن قيس .

٤ . علي بن عيسى بن ماهان قائد جيش الأمين .

٥ . يوسف بن يعقوب المريضي غزا تلمسان وحاصرها وقتله في أثناء ذلك عبده سعادة .

٦ . آخر ملوك الفرس ، هرب من وجه العرب إلى بلخ فقتله هناك طحّان .

٧ . اليان هو يليان الذي كاد للذريق وحرّض العرب وساعدهم على دخول الأندلس .

ولا خيرَ إن تجعلَ كفاء قصيدتي كفاء ابن درّاج على مدح خيران^١
فجُدْ بدنابيرٍ ولا تكنِ التي ألمّ بها الكنديُّ في شعبِ بوانٍ^٢
فجودك فينا الغيثُ في رملِ عالَجٍ وفضلك فينا الخبزُ في دارِ عثمانٍ^٣
وما زلتَ من قبلِ السؤالِ مقابلاً مرادي بإحسابٍ وقصدي بإحسانٍ
ولا تنسَ أيتاماً تقضّتْ كريمةً بزاويةِ المحروقِ أو دارِ همدانٍ^٤
وتأليفنا فيها لقبضٍ إتاوةً وإغرامِ مسنونٍ وقسمةِ حلوانٍ
وقد جلسَ الطرقونُ^٥ بالبعدِ مطرقاً يقولُ نصيبِي أو أبوحِ بكتمانٍ
عريفِي يلحاني إذا ما أتيتُهُ ولم أنصرفِ عنكم بواجبِ ألحانٍ
وقد جمعتُ تلكَ الطريقةَ عندنا أئمةَ حُسّابٍ وأعلامِ كهّانٍ
إذا استزلوا الأرواحَ باسمِ تبادرتُ طوائفُ ميمونٍ وأشياخِ برقانٍ^٦
وإنْ بَخروا عندَ الحلولِ تأرجتُ مباخرهم عن زعفرانٍ ولوبانٍ^٧
وإنْ فتحوا الداراتِ^٨ في ردّ آتِي ثنّتْ عزمه أو هامُ خوفٍ وخللانٍ
فيحسبُ أن الأرضَ حيثَ ارتمتْ به ركائبه سرعانُ رجُلٍ وركبانٍ
وقد عاشرتنا أسرةٌ كيمويّةٌ أقامتْ لدينا في مكانٍ وإمكانٍ
فلله من أعيانِ قومٍ تألفوا على عقدٍ سحرٍ أو على قلبِ أعيانٍ

- ١ مدح ابن دراج خيران الصقلي صاحب المرية يقصيده « لك الخير قد أوفى بعهديك خيران »
(ديوانه : ٨٦) والظاهر أنه لم يجزل جائزته عليها .
٢ أي يريد دنابير حقيقية لا التي تحدث عنها المتنبي حين وصف أشعة الشمس بين الشجر في شعب
بوان وشبهها بالدنانير .
٣ يشير إلى قول الشاعر (النفع ٣ : ٥٨٠) :
الماء في دارِ عثمان له ثمن والخبز شيء له شأن من الشأن
٤ زاوية المحروق ودار همدان موضعان بفارس .
٥ الطرقون : كلمة مغربية معناها من بيده قبض ضرائب اللهو والأعراس وما أشبهه .
٦ ميمون وبقان من الجن .
٧ اللوبان عند المغاربة ما يعرف عند المشاركة باسم « اللبان » .
٨ الدارات : حلقات يعقدها شيوخ المشعوذين لكشف السر عند حدوث سرقة أو إهراق أو نحو ذلك .

ونحنُ على ما يغفرُ الله إنما
مع الصبحِ نضفيها عبادةً صُفَّةِ
أتذكرُ في سفحِ العقابِ مبيتكم
لديكم من الألوانِ ما لم يحىء به
وكم شائقٍ منكم إلى عقدِ تكة
فأطفأتَ قنديلَ المكانِ تعمداً
وناديت في القومِ الركوبَ فأسرعوا
فأقسم بالأيمن لولا تعفُّني
فعُدُّ للذي كنَّا عليه فإن لي
فمن يومٍ إذ صيرت وديَّ جانباً
ولا روت الكتابُ بعد نفارنا
وما هو قصدي منك إلا إجازةُ
وإنك إن سخرت لي وأجزني
ولم لا ترويني وأنت أجلُّ من
ألا فأجزني يا إمامُ بكلِّ ما
ولا تنس للدبَّاغِ نظماً عرفتهُ
ومزدوجاتٍ ينسبون نظامها
والمُ بشيء من خرافاتٍ عنبرٍ

نروح ونغدو من رباطٍ إلى خان^١
وبالليلِ نلويها زنايرَ رهبانِ
ثمانينَ شخصاً من إناثٍ وذكرانِ
طهور ابن ذنون ولا عرس بوران^٢
وكم هائمٍ فيكم على حلِّ هميان^٣
وأومات فأنقضوا كأمثالِ عقبانِ
فريقٌ لنسوان ، وقومٌ لذكرانِ
عن السوء لانتحلت عقيدةُ إيماني
على الغيرِ إن صاحبت حِقْدَ غيرانِ
وأعرضت عني ما تناطح عترانِ
محاوره من ثعلبانٍ لسرحانِ
تخولني التفضيلَ ما بين خلاني
لنعم وليّ صان وديّ وجزاني
سقاني من قبلُ الرحيقَ فرواني
رويت لمدغليس أو لابن قزمانِ
فإنكما في ذلك النظمِ سيّانِ
إلى ابن شجاع^٤ في مديح ابن بطّانِ
والمعُ ببعض من حكايات سوسانِ

١ الأزهاري : حان - بالخاء المهملة - .

٢ الإعذار الذنوبي الذي قام به المأمون بن ذي النون ، في الأندلس ، وعرس بوران بنت الحسن بن سهل التي تزوجها المأمون العباسي - في المشرق ، كلاهما مضرب المثل في البذخ والإسراف .

٣ حذف المقرئ في أزهار الرياض هذا البيت واثنين معه لأن الشاعر أقذع فيها .

٤ ق ص : سجع .

وإن كنت طالعت اليتيمة واسيني
 أجزني بكشف الدك^٢ أرضي وسيلة
 وناولني المصباح فهو لغربي
 وألحق به شمس المعارف^٣ إني
 وقد كنت قبل اليوم عرفتني به
 ولا بد يا أستاذ من أن تميزني
 وكتب ابن أحلى كيف كانت فلانها
 ولا تنس ديوان الصبابة^٤ والصفاء
 وزهر رياض في صفوف أضاحك
 كذلك فناولني كتاب حباب
 ولي أمل في أن أروى رسالة
 وحبس علي الكوز والكاس والعصا
 وصير لي الدلفاس أرفع لبسة
 وقد رق طبعي واعتزني خشية
 وخل مفاتيح الطريقة في يدي
 فلاني لم أخدمك إلا بنية

بلامية في الفحش من نظم واساني^١
 وخير جليس في بساط ودكان
 ميسر أغراضي ورائد سلواني
 أسائل عن إسناد كل إنسان
 ولكنني أنسيته بعد عرفان
 بيد ابن سبعين وفصل ابن رضوان
 لوزن دقيق القوم أكرم ميزان
 لإخوان صدق في الصبا خير إخوان
 وجبذ كساء في مكائد نسوان
 وزدني تعريفا بها وبرجان^٥
 مضمنة أخبار حي بن يقظان
 فإنك مثر من عصي وكيزان
 فقد جل قدري عن حرير وكتان
 تكاد بها روعي تفارق جثماني
 وسوي لهم حكمي مزيدي ونقصاني
 وإني لم أتبعك إلا بإحسان

-
- ١ الواساني أبو القاسم الحسين بن الحسين وله قصيدة لامية مقذعة في اليتيمة ١ : ٣٥١ يهجو بها المنشأ ابن إبراهيم القرزاز .
 ٢ اسم كتاب لابن شهيد الشاعر ؛ وفي الفهرست (٣١٢) كتاب الخفة والدك وهو من كتب الشعبة والطلسمات .
 ٣ شمس المعارف لليوني (- ٦٢٢) .
 ٤ يريد بدء المعارف لابن سبعين ، ا .
 ٥ اسم كتاب لابن أبي حجلة التلمساني .
 ٦ هكذا في الأصل ، وفي الفهرست لابن النديم (٣١٤) كتاب « بردان وحباب » لأبي حسان ، وهما كتابان صغير وكبير ، من الكتب المؤلفة في الباء .

فكنْ ليَ بالأسرارِ أفصحَ معلنٍ فلنِّي قد أخلصْتُ سرِّي وإعلاني

وليس قصدي — علم الله — يجلب هذه القصيدة ما فيها من المجون ، بل ما فيها من التلميحات التي يرغب في مثلها أهل الأدب والحديث شجون ، على أن أمثال هؤلاء الأعلام ، لا يقصدون بمثل هذا الكلام ، إلا مجرد الإحماض ، فينبغي أن ينظر كلامهم الواقفُ عليه بعين الإغضاء عن النقد والإغماض ، ولا يبادر بالاعتراض ، من لم يعلم في الأصول برهان القطع والافتراض ، والله سبحانه المسؤول في التجاوز عن الزلات ، والنجاة من الأمور المضلات ، فعفوه سبحانه وراء جميع ذلك ، والله تعالى المطلع على أسرار الضمائر ، والخبير بما هنالك ، لا رب غيره ، ولا خير إلا خيره .

[نونية ابن زمرك]

وحيث ذكرنا هذه القصائد النونية التي اتفق فيها البحر والروي ، وجرت من البلاغة على النهج السوي ، فلا بأس أن نعزها بقصيدة الرئيس الوزير أبي عبد الله ابن زمرك — سامحه الله تعالى — وهي قصيدة ميلادية أنشدها سلطان الأندلس عام خمسة وستين وسبعماية ، ونجعلها مكفرة لما مر في قصيدة الفقيه عمر من المجون ، ومبلغة للناظرين في هذا التأليف ما يرجون ، والحديث شجون ، وهي قوله ^١ :

لعلَّ الصَّبَا إن صافحتْ روضَ نَعْمَانِ تودِّي أمانَ القلبِ عن ظبيةِ البانِ
وماذا على الأرواحِ وهي طليقةٌ لو احتملتْ أنفاسُها حاجةَ العاني
وما حالٌ من يستودعُ الريحَ سرَّهُ ويطلبها ، وهي النَّمومُ ، بكتمانِ
وكالطيفِ أستقره في سِنَّةِ الكرى وهل تنقَعُ الأحلامُ غلَّةَ ظمآنِ

١ انظر القصيدة في أزهار الرياض ٢ : ٤٢ .

أَسْأَلُ عَنْ نَجْدٍ وَمَرْمَى صَبَابِي
وَأُبْدِي إِذَا رِيحُ الشَّمَالِ تَنَفَّسَتْ
عَرَفْتُ بِهَذَا الْحَبِّ لَمْ أَدْرِ سَلْوَةً
فِيَا صَاحِبِي نَجْوَايَ وَالْحَبِّ غَايَةً
وَرَاءَ كَمَا مَا اللَّوْمُ يَنْبِي مَقَادِي
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَبْيَّ قِيَادُهُ
وَمَا زِلْتُ أَرعى الْعَهْدَ فِيمَنْ يَضِيعُهُ
فَلَا تَنْكُرَا مَا سَامَنِي مَضْبُضُ الْهَوَى
لِيَ اللَّهِ إِمَّا أَوْمُضُ الْبَرْقِ فِي الدَّجَى
وَإِنْ سُلِّ مِنْ غَمْدِ الْغَمَامِ حُسَامُهُ
تَرَاهِي بِأَعْلَامِ الثَّنِيَّةِ بِاسْمِ
أَسَامِرُ نَجْمِ الْأَفْقِ حَتَّى كَأَنَّا
وَمِمَّا أُنَاجِي الْأَفْقَ أَعْنْدِيهِ بِالْجَوَى
وَيُرْسَلُ صَوْبَ الْقَطْرِ مِنْ فَيْضِ أَدْمَعِي
وَضَاعَفَ وَجْدِي رَسْمُ دَارِ عَهْدَتِهَا
عَلَى حِينَ شُرْبِ الْوَصْلِ غَيْرِ مُصَرَّدٍ
لَنْ أَنْكَرْتُ عَيْنِي الطَّلُولَ فَلِهَا
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الدَّمْعِ فِي عَرَصَاتِهَا
وَمِمَّا شَجَانِي أَنْ سَرَى الرِّكْبُ مَوْهِنًا
غَوَارِبُ فِي بَحْرِ السَّرَابِ تَخَالُهَا
عَلَى كُلِّ نِضْوٍ مِثْلِهِ فَكَأَنَّمَا
وَمِنْ زَاجِرِ كَوْمَاءٍ مُخَطِّفَةِ الْحَشَا
نَشَاوَى غَرَامٍ يَسْتَمِيلُ رُؤُوسَهُمْ
أَجَابُوا نَدَاءَ الْيَنِّ طَوَّعَ غَرَامَهُمْ

مَلَاعِبُ غَزْلَانِ الصَّرِيمِ بَنَعْمَانِ
شَمَائِلَ مَرْتَاحِ الْمَعَاطِفِ نَشْوَانِ
وَلَأَنِّي لِمَسْلُوبِ الْقَوَادِ بِسُلْوَانِ
فَمَنْ سَابِقِ جَلَّتِي مَدَاهِ وَمَنْ وَاثِي
فَلِإِنِّي عَنْ شَأْنِ الْمَلَامَةِ فِي شَأْنِ
لِيَأْمُرَنِي حَبُّ الْحَسَنِ وَيَنْهَانِي
وَأَذْكُرُ الْفَقِي مَا حَيِّتُ وَيُنْسَانِي
فَمَنْ قَبْلَ مَا أَوْدَى بِقَيْسٍ وَغِيلَانِ
أَقْلَبُ تَحْتَ اللَّيْلِ مَقْلَةً وَسَنَانِ
بَرَى كَبْدِي الشَّقْوَ الْمَلَمُّ وَأَضْنَانِي
فَأَذْكُرُنِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ وَأَبْكَانِي
وَقَدْ سَدَلَ اللَّيْلُ الرِّوَاقَ حَلِيفَانِ
فَارْعَى لَهُ سَرَّحَ النَّجُومِ وَيُرْعَانِي
وَيَقْدَحُ زَنْدَ الْبَرْقِ مِنْ نَارِ أَشْجَانِي
مَطَالَعُ شُهْبِ أَوْ مَرَاتِعِ غَزْلَانِ
وَصَفْوُ اللَّيَالِي لَمْ يَكْدَرِ بِهِجْرَانِ
تَمَتْ إِلَى قَلْبِي بِذِكْرِ وَعُرْفَانِ
سَقَى تَرْبَهَا حِينَ اسْتَهْلَ وَأَظْمَانِي
تَقَادُ بِهِ هَوَجُ الرِّيَّاحِ بِأَرْسَانِ
وَقَدْ سَبَّحَتْ فِيهِ مَوَاحِرَ غَرْبَانِ
رَمَى مِنْهُمَا صِدْرَ الْمَفَازَةِ سَهْمَانِ
تَوَسَّدَ مِنْهَا فَوْقَ عَوْجَاءِ مَرْنَانِ
مِنْ النُّومِ وَالشَّوْقِ الْمَبْرَحِ سُكْرَانِ
وَقَدْ تَبْلُغُ الْأَوْتَاطَارُ فِرْقَةَ أَوْطَانِ

يُؤْمُونَ مِنْ قَبْرِ الشَّفِيعِ مَثَابَةٌ
 إِذَا نَزَلُوا مِنْ طَيِّبَةٍ بِجَوَارِهِ
 بِحَيْثُ عَلَا الْإِيمَانُ وَامْتَدَّ ظِلُّهُ
 مَطَالُ آيَاتٍ ، مَثَابَةٌ رَحْمَةٌ
 هُنَاكَ تَصْفُو لِلْقَبُولِ مَوَارِدُ
 هُنَاكَ تَوْدَى لِلسَّلَامِ أَمَانَةٌ
 يَنَاجُونَ عَنْ قَرَبِ شَفِيعَتِهِمُ الَّذِي
 لَنْ بَلَّغُوا دُونِي وَخُلِقْتُ إِنَّهُ
 وَكَمْ عَزْمَةٌ مَلَيْتُ نَفْسِي صِدْقَهَا
 إِلَى اللَّهِ نَشْكُوهَا نَفُوساً أَبْيَئَةً
 أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَسَاعَدَنِي الْمَنَى
 وَأَقْضِي لُبَانَاتِ الْفَوَادِ بِأَنْ أَرَى
 إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ دَعْوَةَ نَازِحِ
 غَرِيبٍ بِأَقْصَى الْغَرْبِ قَيْدَ خَطْوِهِ
 يَجِدُ اشْتِيَاقًا لِلْعَقِيقِ وَبَانِيهِ
 وَإِنْ أَوْمَضَ الْبَرْقُ الْحِجَازِي مَوْهِنًا
 فَيَا مُوَلِّيَ الرَّحْمَى ، وَيَا مُدْهَبَ الْعَمَى
 بَسَطْتُ يَدَ الْمُحْتَاجِ يَا خَيْرَ رَاحِمِ
 وَسَيْلَتِي الْعَظْمَى شَفَاعَتُكَ الَّتِي
 فَأَنْتَ حَبِيبُ اللَّهِ خَاتَمَ رِسَالِهِ
 وَحَسْبُكَ أَنْ سَمَّاكَ أَسْمَاءُ الْعَلَا
 وَأَنْتَ لِهَذَا الْكَوْنِ عِلَّةُ كَوْنِهِ
 وَلَوْلَاكَ لِلْأَفْلَاكِ لَمْ تَجَلُ نَيِّرًا
 خِلَاصَةٌ صَفْوِ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

تَطْلَعُ مِنْهَا جَنَّةٌ ذَاتُ أَفْنَانِ
 فَأَكْرَمُ مُوَلَّى ضَمٍّ أَكْرَمُ ضَيْفَانِ
 وَزَانَ حَلَى التَّوْحِيدِ تَعْطِيلِ أَوْثَانِ
 مَعَاهِدُ أَمَلَاكَ ، مَظَاهِرُ إِيْمَانِ
 يُسْقَوْنَ مِنْهَا فَضْلَ عَفْوٍ وَغُفْرَانِ
 يَحْيِيهِمْ عَنْهَا بَرْوَجٌ وَرِيحَانِ
 يُؤْمَلُهُ الْقَاصِي مِنَ الْخَلْقِ وَالْدَانِ
 قَضَاءُ جَرَى مِنْ مَالِكِ الْأَرْضِ دِيَانِ
 وَقَدْ عَرَفْتُ مِنِّي مَوَاعِدَ لَيَّانِ
 تَحِيدُ عَنْ الْبَاقِي وَتَغْتَرُّ بِالْقَانِي
 فَأَتْرَكَ أَهْلِي فِي رِضَاهُ وَجِيرَانِي
 أَعَفَّرْتُ خَدَّيْ فِي ثَرَاهُ وَأَجْفَانِي
 خَفَقْتُ الْحِشَاءَ رَهْنًا لِلْمَطَامِعِ هَيْمَانِ
 شَبَابُ تَقْضَى فِي مَرَاكِ وَخُسْرَانِ
 وَيَصْبُو إِلَيْهَا مَا اسْتَجَدَّ الْجَدِيدَانِ
 يَرْدُدُ فِي الظُّلُمَاءِ أَنَّ هُفَانِ
 وَيَا مُنْجِيَّ الْغَرْقَى ، وَيَا مُنْقَذَ الْعَانِي
 وَذَنبِي أَلْجَانِي إِلَى مَوْقِفِ الْجَانِي
 يَلُودُ بِهَا عَيْسَى وَمُوسَى بْنُ عِمْرَانَ
 وَأَكْرَمُ مُنْخَصِصٍ بِزُلْفَى وَرِضْوَانِ
 وَذَاكَ كَمَالٌ لَا يَشَابُ بِنَقْصَانِ
 وَلَوْلَاكَ مَا امْتَاَزَ الْوُجُودُ بِأَكْوَانِ
 وَلَا قُلْدَتْ لِبَآئِهِنَّ بِشُهْبَانِ
 وَنَكْتَةُ سِرِّ الْفَخْرِ مِنْ آلِ عَدْنَانَ

وسيدُ هذا الخلقِ من نسلِ آدمٍ
 وكمْ آيَةٌ أطلعتْ في أفقِ الهدى
 وما الشمسُ يجلوها النهارُ لمبصرٍ
 وأكرمُ بآياتِ تحَدِّيتنا بها
 وماذا عسى يُثني البليغُ وقد أتى
 فصلّى عليك الله ما انكبّ الحيا
 وأيدَ مولانا ابنَ نصرٍ فإنته
 أقام كما يرضيك مولدك الذي
 سمي رسول الله ناصر دينه
 ووارث سرّ المجد من آل خزرج
 ومرسلها ملء الفضاء كتاباً
 جدائق خضر والدروع غدائر
 تجاوب فيها الصاهلات وترتمي
 فمن كلّ خوار العنان قد ارتمى
 وموردُها ظمأى الكعوب ذوابلاً
 والله منها والربوع مواحل
 إذا أخلف الناس الغمام وأحلوا
 إمام أعساد الملك بعد ذهابه
 فغادر أطلال الضلال دوارساً
 وشيّد لها ، والمجد يشهد ، دولة
 وراق من الثغر الغريب ابتسامه
 لك الخير ما أسنى شمائلك التي

وأكرم مبعوث إلى الإنس والجان
 بين صباح الرشد منها ليقظان
 بأجلى ظهوراً أو بأوضح برهان
 ولا مثل آيات لمحكم فرقان
 ثناؤك في وحي كريم وقرآن
 وما سجت ورقاء في غصن البان
 لأشرف من ينمى للملك وسلطان
 به سقر الإسلام عن وجهه جذلان
 معظّمه في حال سرّ وإعلان
 وأكرم من تنمي قبائل قحطان
 تدين لها غلب الملوك بإذعان
 وما أنبتت إلا ذوابل مرّان
 جوانبها بالأسد من فوق عقبان
 به كل مطعام العشيات مطّعان
 ومصدرها من كل أملتد ريان
 غمام ندّى كفت بها المحل كفتان
 فإن نداءه والغمام لسيّان
 إعادة لا نابي الحسام ولا واني
 وجدّد للإسلام أرفع بنيان
 محافلها تزهى يمين وإيمان
 وهزّ له الإسلام أعطاف مزدان
 يقصر عن إدراكها كل إنسان

١ الأزار : قديم .

ذكاء لياس في سماحة حاتم وإقدام عمرو في بلاغة سحبان
أمولاي ما أسنى مناقبك التي هي الشهب لا تحصى بعد وحسبان
فلا زلت يا غوث البلاد وأهلها مبلّغ أوطار مهّد أوطان

ولابن زمرك المذكور ترجمة تأتي بها في هذا التأليف إن شاء الله تعالى في
محلها ، وهو من تلامذة لسان الدين ، ومن عداد خدامه ، فحين نبا به الزمان ،
وتعوض الخوف بعد الأمان ، كان أحد الساعين في قتله كما سنذكره ، وصرح
بذمه وهجوه بعد أن كان ممن يشكره ، وهكذا عادة بني الدنيا يدورون معها
حيث دارت ، ويسيرون حيث سارت ، ويشربون من الكأس التي أدارت ،
وقد تولى المذكور الوزارة عوضاً عن ابن الخطيب ، وصدح طير عزه بعده على فنن
من الإقبال رطيب ، ثم آل الأمر به إلى القتل ، كما سعى في قتل لسان الدين ،
وكان الجزاء له من جنس عمله ، والمرء يُدان بما كان به يدين ، وعفو الله سبحانه
مرجو للجميع في الآخرة ، وهو سبحانه وتعالى المسؤول أن ينيلنا وإياهم
المراتب الفاخرة ، فإنه لا يتعاضمه ذنب ، وليس للكل غيره من رب .

رجع إلى ما كنا بسبيله — وأما لَوْشَة التي يُنسب إليها لسان الدين فقد تقدم
من كلام ابن خلدون أنها على مرحلة من حضرة غرناطة في الشمال من البسيط
الذي في ساحتها المسمى بالمرج ، وقد أجرى ذكرها لسان الدين في الإحاطة وقال :
إنها بنت الحضرة ، يعني غرناطة ، وقال ذلك في ترجمة ابن مرج الكحل ،
ولندكر الترجمة بكماها تميمًا للغرض فنقول :

[ترجمة ابن مرج الكحل]

قال رحمه الله ما نصه ^١ : محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم ، من

١ ترجمة ابن مرج الكحل منقولة نصاً من الإحاطة ٢ : ٢٥٢ .

أهل جزيرة شقر ، يكنى أبا عبد الله ، ويُعرف بابن مرج الكحل .
 حاله — كان شاعراً مقلداً غزلاً بارع التوليد رقيق الغزل ، وقال الأستاذ
 أبو جعفر : شاعر مطبوع حسن الكتابة ذاكر للأدب متصرف فيه ، قال ابن
 عبد الملك : وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها إجادته ،
 وكان مبتذل اللباس ، على هيئة أهل البادية . ويقال : إنه كان أمياً .

من أخذ عنه — روى عنه أبو جعفر ابن عثمان الورد ، وأبو الربيع ابن سالم ،
 وأبو عبد الله ابن الأبار ، وابن عسكر ، وابن أبي البقاء ، وأبو محمد ابن عبد الرحمن
 ابن برطله ، وأبو الحسن الرعيني .

شعره ودخوله غرناطة — قال في عشية بنهر الغنداق من خارج بلدنا لتوشة
 بنت الحضرة ، والمحسوب من دخلها أنه دخل للبيرة — وقد قيل : إن نهر الغنداق
 من أحواز برجة ، وهذا الخلاف داع لذكره^١ — :

عَرَجُ بِمُنْعَرَجِ الْكُثَيْبِ الْأَعْفَرِ	بين الفراتِ وبين شَطَطِ الْكُوْثِرِ
وَلْتَعْتَبِيقُهَا قَهْوَةٌ ذَهَبِيَّةٌ	من راحتيْ أَحْوَى المَرَاشِفِ أَحْوَرِ
وعشيّةٍ كم كنتُ أرقبُ وقتها	سمحتُ بها الأيامُ بَعْدَ تَعْدُرِ
فلنأبها ما لنا في روضة	تهدي لناشقتها شميمَ العنبرِ
والدهرُ من ندمٍ يُسَقِّهُ رأيه	فيما مضى فيه بغيرِ تَكْدُرِ
والورقُ تشدو والأراكةُ تنثي	والشمسُ ترفلُ في قميصِ أَصْفَرِ
والروضُ بين مفضضٍ ومذهبٍ	والزهرُ بين مُدْرَهَمٍ ومدنَرِ
والنهرُ مرقومُ الأباطحِ والرُّبَى	بمصنَدَلٍ من زهرهٍ ومعصِفِرِ
وكأنه وكأنَّ خضرةَ شَطَطِه	سيفٌ يُسَلُّ على بساطِ أَخْضَرِ
وكأنما ذاكَ الحجابُ فِرْنْدُهُ	مهما طفا في صفحةٍ كالجوهرِ

١ انظر هذه القصيدة أيضاً في أزهار الرياض ٢ : ٣١٥ .

وكأنه ، وجهاته محفوفة بالأس والنعمان ، خدّ مُعَدَّر
نهر يهيم بحسنه من لم يهيم ويحيد فيه الشعر من لم يشعر
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها إلا لفرقة حُسن ذاك المنظر

ولا خفاء ببراعة هذا الشعر ^١ ، وقال منها :

أرأت جفونك مثله من منظر ظل وشمس مثل خدّ معدّر
وجد أول كأراقم حصباؤها كبطونها وحبابها كالأظهر

وهذا تتميم عجيب لم يسبق إليه ، ثم قال منها :

وقرارة كالعشر بين خميلة سالت مدانبتها بها كالأسطر
فكأنتها مشكولة بمصنّدل من يانع الأزهار أو بمعصفر
أمل بلبغناه بهضب حديقة قد طرّزته يد الغمام الممطر
فكأنه والزهر تاج فوقه ملك تجلّى في بساط أخضر
راق النواظر منه رائق منظر يصف النضارة عن جنان الكوثر
كم قاد خاطير خاطير مستوفز وكم استفز جماله من مبصر
لو لاح لي فيما تقادم لم أقل « عرج بمنعرج الكتيب الأعصر »

قال أبو الحسن الرعيني : وأنشطني لنفسه ^٢ :

وعشيّة كانت قنيصة فتية ألفوا من الأدب الصريح شيوخا
فكأتما العنقاء قد نصبوا لها من الانحاء إلى الوقوع فُخوخا
شمكتهم آدابهم فتجاذبوا سرّ السرور محدثاً ومصيحاً
والورق تقرأ سورة الطرب التي يُنسيك منها ناسخ منسوخا

١ الإحاطة : النظم .

٢ لا يزال النقل عن الإحاطة مستمراً ، وانظر أيضاً برنامج الرعيني .

والنَّهْرُ قد صفحتْ بهِ نارنجةٌ فتيمنتُ من كان فيهِ منيخا
فتخالهمْ خلَّلَ السماءَ كواكباً قد قارنتُ بسعودها المريخا
خرق العوائدَ في السُرورِ نهارهمْ فجعلتُ أيباني لهُ تاريخا

ومن أبياته في البديهة قوله :

وعندي من مراشفها حديثٌ يخبرُ أنْ ريفتَها مُدامُ
وفي أجفانها السكرى دليلٌ وما ذقنا ولا زعمَ الهمامُ
تعالى الله ما أجرى دموعي إذا غنتَ لمقلتي الخيامُ
وأشجاني إذا لاحَ بُروقٌ وأطربتني إذا غنتَ حمامُ

ومن قصيدة :

عذيري من الآمال خابتْ قصودها ونالتْ جزيلَ الحظِّ منها الأخابُ
وقالوا : ذُكرنا بالغنى ، فأجبتهمْ خمولاً وما ذكرٌ مع البخلِ ما كُثُ
يهونُ علينا أن يبيدَ أثاثُنا وتبقى علينا المكرماتُ الأثاثُ
وما ضرَّ أصلاً طيباً عدمُ الغنى إذا لم يغيره من الدهرِ حادثُ

وله يتشوق إلى عمرو بن أبي غياث :

أيا عمرو متى تقضي الليالي بلقياكمْ وهنَ قصصنَ ريشي
أبتُ نفسي هوًى إلا شريشاً ويا بُعدَ الجزيرة من شريشِ

وله من قصيدة :

طَقَلَ الساءَ وللنسيمِ تَصَوُّعُ والأنسُ يجمعُ شملنا ويجمعُ
والزهرُ يضحكُ من بكاء غمامةٍ ريعتُ لشيَمِ سيوفِ برقٍ تلمعُ

١ أبي : سقطت من ق .

والنهرُ من طَرَبٍ يَصْفَقُ مَوْجُهُ
فانعمْ أبا عمرانَ واللهُ بروضةٍ
يا شادنَ البانِ الذي دونَ النقا
الشمسُ يغربُ نورُها ولربما
إنْ غابَ نورُ الشمسِ لسنّا نتقي
أفلتَ فتابَ سنالكَ عنْ إشراقها
فأمنتُ يا موسى الغروبَ ولم أقلْ

وقال :

ألا بشروا بالصبحِ من كان باكيًا
ففي الصبحِ للصبِّ المتيمِّ راحةٌ
ولا عجبٌ أنْ يمسكَ الصبحُ عبرتي

ومن بديع مقطوعاته قوله :

مَثَلُ الرزقِ الذي تَطْلُبُهُ
أنتَ لا تُدركهُ متبِعًا
مَثَلُ الظلِّ الذي يَمْشِي مَعَكَ
فلماذا وَلَّيتَ عنه تَبِيعَكَ

وقال :

دخلتم فأفسدتم قلوباً بملكها
وبالحدودِ والإحسانِ لم تتخلقوا
فأنتم على ما جاء في سورة النمل^٢
فأنتم على ما جاء في سورة النحل^٣

١ من قول الرصافي البلنسي ؛ وسيورده المقرئ :

سقطت ولم تملك يمينك ردها فوددت يا موسى لو أنك يوشع

٢ إشارة إلى الآية الكريمة « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها » .

٣ إشارة إلى الآية الكريمة « أينما يوجهه لا يأت بخير » .

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن جهور : رأيت لابن مرج الكحل مَرَجاً
أحمر قد أجهد نفسه في خدمته ، فلم يُنجب ، فقلتُ :

يا مَرَجَ كحلٍ ومَنُ هذي المروجُ لهُ ما كان أحوجَ هذا المَرَجَ للكحلِ
ما حمرةُ الأرضِ من طيبٍ ومن كرمٍ فلا تكنُ طمعاً في رزقها العجلِ
فإنَّ من شأنها إخلافَ آملها فما تُفارقها كيفيةُ الخجلِ
فقال مجيباً :

يا قاتلاً إذ رأى مرجي وحمرةُ ما كان أحوجَ هذا المَرَجَ للكحلِ
هو احمرارُ دماءِ الرومِ سبَلها بالبيضِ مَنُ مرٍّ من آبائي الأولِ
أحبتهُ أنْ حكى من قد قُتِنْتُ بهِ في حمرةِ الخلدِ أو لإخلافِهِ أُملي

وفاته - توفي ببلده يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول عام أربعة
وثلاثين وستمائة . ودفن في اليوم بعده .
انتهى ما في الإحاطة في شأن ابن مرج الكحل .

وكتب أبو الحسن علي بن لسان الدين علي أول ترجمته ما نصه : شاعر جليل
القدر . من مشايخ شعراء الأندلس ، من أهل بكنسية . وسكن جزيرة شقر .
وكتب على قوله « والنهر مرقوم الأباطح » ما صورته : لم يصف أحدُ النهرِ
بأرقٍ ديباجةً ولا أظرف من هذا الإمام ، رحمة الله عليه ؛ انتهى كلام ابن لسان
الدين .

[رائية شمس الدين الكوفي]

قلت : وما رأيت رائيةً تقرب من التي لابن مرج الكحل السابقة التي أولها

« عرج بمنعرج الكتيب الأعفر » إلا رائية شمس الدين الكوفي الواعظ ، وهي قوله :

روح الزمان هو الربيعُ فبكّر
هذا الربيعُ يبيعُ من لذّاته
فافرّح به فلفرحةً بقدميه
والكونُ مبهجٌ وخفّاقُ الصبا
والغيمُ يبيكي ، والأقاحي باسم
والسروُ إن عبثَ النسيمُ فhez أء
وكأنما القداحُ فستقُ فضة
وكأنما المنثورُ في أثوابه
وترى البهارَ كعاشقٍ متخوفٍ
وكأنما النارجُ في أوراقه
وكأنما الخشخاشُ قومٌ جاءهم
فثنوا ملابسهم لفرطِ سرورهم
فتعلقت أذيالها بأكفهم
والطلُّ من فوقِ الرياضِ كأنه
وترى الربى بالنورِ بين متوجٍ
ورياضها بالزهرِ بين مقرّطٍ
والورد بين مضعّفٍ ، ومشنّفٍ
والزهر بين مفضّضٍ ، ومذهبٍ
والنثر بين مطيّبٍ ، وممسكٍ
والورق بين مرجعٍ وموجعٍ
ومغردٍ ، ومردّدٍ ، ومعدّدٍ

وانهضُ إلى اللذاتِ غيرَ مُنكّرٍ
أصنافَ ما تهوى ، فأينَ المشتري ؟
رفلَ الشقائقُ في القباءِ الأحمرِ
يحبي القلوبَ بنشره المتعطرِ
لبكائيه كتبَسَمَ المستبشرِ
طاف الغصون يَميسُ مَيَسَ موقرِ
يُهدي إليك أريجَ مسكٍ أذفرِ
ألوانُ ياقوتٍ أنيقِ المنظرِ
متشوقٍ بادٍ بوجهٍ أصفرِ
قنديلٌ ، والأوراقُ شبهُ مسحَرِ
خبِرَ يسرُّهم بطيبِ المخبرِ
كي يخلعوا فرحاً بقولِ المخبرِ
وتعلقت أزيالها بالمنحرِ
دررٌ نثرنَ على بساطِ أخضرِ
ومدملجٍ ، ومخلخلٍ ، ومسورِ
ومطوّقٍ ، ومنطوقٍ ، ومزترِ
ومكتّفٍ ، وملطّفٍ لم يُهْضِرِ
ومرّصعٍ ، ومدرهمٍ ، ومدنرِ
ومعطرٍ ، ومصنّدلٍ ، ومعنبرِ
ومفجعٍ ، ومسجعٍ في منبرِ
ومبدّدٍ في الخلدِ ماءَ الحجرِ

ولكن قصيدة ابن مرج الكحل أعذب مذاقاً ، وكل منهما لم يقصّر ، رحمهما الله تعالى ، فلقد أجادا فيما قالاه إلى الغاية ، وليس الخبر كالعيان .

[عود إلى ابن مرج الكحل]

ومن نظم ابن مرج الكحل قوله ^١ :

الشمسُ يغربُ نورها ، ولربما كسفت ونورك كل حين يسطعُ
أفلتُ فتاب سنك عن إشراقها وجلا من الظلّماء ما يتوقّعُ
فأمنت يا موسى الغروب ولم أقلُ فوددتُ يا موسى لو أنك يوشعُ

ولمّح بهذه الأبيات إلى قول الرّصافي الأندلسي البلتّسي يخاطب من اسمه موسى بقصيدة أولها ^٢ :

ما مثلُ موضعك ابنَ رزقٍ موضعُ زهرٍ يرفُ وجدّولُ يتدفعُ
ومنها :

وعشيّة لبستُ ثيابَ شحوبها والجوُّ بالغيمِ الرقيقِ مقنّعُ
بلغتُ بنا أمدَ السرورِ تألّفأ واللّيلُ نحو فراقنا يتطلّعُ
فابللُ بها ريقَ الغبوقِ فقد أتى من دون قرص الشمسِ ما يتوقّعُ
سقطتُ ولم يملك نديمك ردّها فوددتُ يا موسى لو أنك يوشعُ

قلت : ومن نثر ابن مرج الكحل المذكور ما كتبه إلى أديب الأندلس أبي بحر صفوان بن إدريس مراجعاً له بعد نظم ، ونص الجميع :

١ مرت الأبيات ص : ٥٤ .

٢ ديوان الرصافي : ١٠٤ .

يا مَنْ تَبَوَّأَ فِي الْعِلْيَاءِ مِثْلَهُ جَدَّاهُ قَدْ أَسَّسَاهَا أَيَّ تَأْسِيسٍ
لَمْ يَتْرَكَا فِي الْعِلَّا حِظًّا لِلتَّمَسِّ سَيِّانٍ هَذَا وَهَذَا ابْنِ إِدْرِيسٍ
وَافِي كِتَابِكُمْ فَارْتَدَّ لِي جَدِّي وَاعْتَضْتُ مِنْ فَرْطِ أَشْوَاقِي بِتَأْسِيسٍ
وَلِلنَّوَى لَوْعَةً تَطْفُو فِيْطَفْنَهَا مَسْكُ الْمَدَادِ وَكَافُورُ الْقَرَاطِيسِ

حرس الله سناءك وسناك ، وأظفر يمينك بيمينك ، ودَّي الأسلم كما تعلم ،
وعهدي الأقدم ، لم تزل له قدم ، وأنا دام عزكم إن أتفّق معكم انساباً فلم
أتفق في شأو الأدب باعاً ، ولا قاربتكم طبعاً وانطباعاً ، بل بذلك الاتفاق تشرفت ،
وسموت إلى ذروة العلا واستشرفت ، وأقررت بذلك الفضل واعترفت ، وكرعت
في مناهله واغترفت ، ولقد وافى كتابكم فقلت لقد نثر الدر من فيه ، وبلغ
نفسي ممّا كانت تنويه من التنويه :

حديث لَوَّانَ الميث نودي ببعضه لِأصبح حيّاً بعدما ضمّه القبرُ

ولولا ما طالعي وجه من رضاكم وسيم ، وسقاني مژن اهتبالكم ما أروى
به وأسيم ، وحيّاني منكم روض ونسيم ، لما ساعدني الفكر بقسيم ، لا زلتم في
ظل من العيش وارف ، مرتدين رداء المعارف ، والسلام ؛ انتهى .

[رسالة صفوان إلى ابن مرج الكحل]

وكانت مخاطبة صفوان له التي أجاب عنها بما نصه :

يا قاطع اليد يطويها وينشرها إلى الجزيرة يُنْضِي بُدْنَ العيسِ
الثم بها عن أخي حبّ وذو كلف يدّ العلا والقوافي وابنِ إِدْرِيسِ
وأبلغها إليه تحية كالمسك صدرأ ووردأ ، وكالماء الزلال عذوبة وبردأ ،
يسري بها إلى دار ابن نسيم - ويسفر منها بجزيرة شقر وجه وسيم ، وهي وإن

كانت تذيب المسك خجلاً ، وتستفز بصوتها وجلاً ، فما هي إلا خائفة ترقب ،
وسافرة تكاد تتنقب ، تمشي على استحياء ، وتعثر من التقصير في ذيل إعياء ، هذا
لأنها جلبت إلى هَجَرَ تمرأ ، وإلى شِباب وبيت رأس خمرأ ، ولكن على المجد أن يبدي
في قبول عذرها ويعيد ، لعلمه أنه يتيمم مَنْ لم يجد إلا الصعيد ، فله الفضل أن لا
يلفحها بنار النقد ، ولا يعرضها على ما هنالك من الحل والعقد ، والله يبقي ذكره
في مقلة الأدب حورأ ، وفي قلب الحسود خورأ ، ويدبعه والقوافي طوع قريحته ،
والأغراض الحميلة ملء تعريضته وتصريحته ، وزُهر البيان تطلع في سماء جنانه ،
وزُهر التبيان يونع في أنداء جنانه ، وعذراً إليه فإني كتبت والحامل بمسك زمامه ،
ويلتفت في اليلداء أمامه ؛ والسلام .

[خطبة نكاح من إنشاء صفوان]

ومن إنشاء صفوان خطبة نكاح نصها : الحمد لله الذي تطول بالإحسان من
غير جزاء ولا ثواب ، وألبس المخلوقات من فواضله سوايغ المطارف وكواسي
الأثواب ، وجاءوا على أقدام الرجاء إلى محال نوافله فوجدوها مفتحة لهم الأبواب ،
وسألوه كفاية المؤنة فكان الفعل بدل القول والإسعاف بدل الجواب ، خلق البرية
من غير افتقار ولا اضطرار ، ونقلهم من الطفولية إلى غيرها نقل البلر من التمام
إلى السرار ، وشرف هذه الطبقة الإنسانية ، فرزقها الإدراكات العقلية ، والإبانات
اللسانية ، فضرب سرادق اعتناؤه عليها ، وأنشأها من نفس واحدة وجعل منها
زوجها ليسكن إليها ؛ ومع صنعه الرفيق بهم اللطيف ، وتنويهه الخاف بأرجائهم
المطيف ، رزقهم أحسن الصور الحيوانية وأجملها ، وأتاح لهم أتم أقسام الاعتناء
وأكملها ، وبعث إليهم الرسل صلوات الله عليهم صنعاً منه جميلاً ، ورباً
للصنعة لديهم وتكميلاً ، فبشروا وأنذروا ، وأمنّوا وحذروا ، وباينوا بين الحرام
والحلال ، مباينة إدراك البصير بين الكدر والزلال ، ودلوا على السميت الأهدى ،

ونصبوا أعلام التوفيق والهدى ، ولم يدعوا شيئاً سدى ، بل توازنت بهم مقادير الأقوال والأعمال ، وكانت إشاراتهم ثمال الهدايا وأي ثمال ، قآب كل متسحب إلى الارتباط ، وشد كل موفق على الاعتلاق بحالهم يد الغتباط ، فصلوات الله الزاكية عليهم ، ونوافح رحمته النامية تغلو وتروح إليهم ، وأتم الصلاة والسلام ، على علكم أولئك الأعلام ، الداعي على بصيرة إلى دار السلام ، السراج المنير ، المبشر النذير ، محمد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تؤول بهم إلى فسيح رضوانه ورحبه ، بعثه الله رحمة للعالمين عامة ، وأرسله نعمة للناس موفورة تامة ، فأخذ بحجراً مصدقيه عن التهافت في مداحض الأقدام ، والتتابع في مزلات الجرأة على العصيان والإقدام ، فأقام الحجة ، وأوضح المحتجة ، ودل على المقامات التي تمحض الأولياء ، وأفصح عن الكرامات التي تنقذ الأنقياء ، وقال وأهلاً به من قائل : « تناكحوا فإني مكائر بكم الأنبياء » حرصاً منه صلوات الله عليه على الزيادة في أهل الإسلام والنماء ، ودفعا في صدر الباطل بواضح الحق الصادع غيئهب الظلماء ، وحض على ذات الدين الحصان ، وأغرى بالاعتصام والإحصان ، ونصب أعلام النكاح مشيدة المباني ، وجاء بها سنة عذبة المجاني ، وقال : « من تزوج فقد كمل نصف دينه فليتنق الله في النصف الثاني » ، وأمر بالنكاح الذي توافقت فيه الطبيعة والشرعية ، ولبته النفوس وهي سريعة ، وأخصبت به ربوة التناسل فهي مروضة مريعة ، وسدت به عن اتباع الهوى وارتكاب المحارم الذريعة ، وحفظت به الأنسال والأنساب ، وفاض به نهر الالتئام السلسال المنساب ، إذ لا سبيل لأن يستغني بذاته ، من كان أسير هواه وأمور لذاته ، وإنما الانفراد والاستغنا ، لمن له الكمال والغنى ، ولا يجوز أن يتعاقب عليه الإنى ، لا إله إلا هو له السناء والسناء . وإن فلاناً لما ارتقت همته إلى اتباع الصالحات وسمت ، ووسمته النجابة من أعلامها اللائحة بما وسمت ، رأى أن الاعتصام بالنكاح أولى ما حمى به

دينه ووقاه ، وأهم ما رفع إليه اعتناؤه ورقاه ، فخطب إلى فلان ابنته فلانة خطبة تضافر فيها اليُمن والقبول ، ونفحت بها شمال من الجدل المصمم وقبول ، وارتقى بها إلى اللوح المحفوظ والديوان المكنون عمل مقبول ، فتلقى فلان خطبته بالإجابة ، لما توسم فيه من مخايل النجابة ، حرصاً منه على المساعدة والعون ، واغتباطاً بمياسرة أهل الرشد والصون ، وانعقد النكاح بينهما على بركة الله التي يتضاعف بها العدد القليل ويتزايد ، ويمنه الذي ينتهض به من اعتمده ويتأيد ، وحسن توفيقه الذي يرتبط به من أخلص ضميره ويتقيد ، على أن أصدقها كذا ، تزوجها بكلمة الله التي علت الكلمات وبهرتها ، وعلى سنة نبيه التي أحيت الحنيفية وأظهرتها ، وأنقت الملة من أرجاس الجاهلية وطهرتها ، وهداية مهديه التي غلبت الأباطل وقهرتها ، ولتكون عنده بأمانة الله التي هي جنة واعتصام ، وعهدته للزوجات على أزواجهن التي ليس لعروتها انفصام ، وعلى إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وتسلسل في ميدان التناصف وأرسان ، وله عليها من حسن العشرة التي هي بتحقيق الاتفاق عائدة ، مثل ذلك ودرجة زائدة ، والله تعالى يمهّد لهما مهاد نعمته الوثير ، ويخلف منهما الطيب الكثير ، ويرزقهما التوفيق الباعث لطول المرافقة المثير ، بتمته ونعمته .

[من رسالة عتاب لصفوان]

وله رحمه الله من رسالة عتاب : أدام الله سبحانه مدة الأخ الذي أستخدم إخاءه ، وإن واجهني زعازعه أرتقب رُخاءه ، وتجاوزت عن يومه لأمسه ، وأغضيت عن ظلامه لشمسه ، إناء واعتناء ، وإنذاراً وإعذاراً ، ورحم الله من اعتمد على الأفهام ، وعصى أوامر الأوهام ، ورأى الخليفة في المعقول ، لا في المختلق المنقول . وبعد فإنه وصل كلامك بل ملامك ، وكتابتك بل عتابك ، ورسالتك بل بسالتك ، أسمعني بألفاظك العذاب سوء العذاب ، وأريتني لمعان

الحُسام من فِقْرِكَ الوسام .

وقال صفوان رحمه الله : اجتمعت مع ابن مرج الكحل يوماً ، فاشتكى إليّ ما يجحد لفراقي ، وأطال عتب الزمان في إشامه وإعراقي ، فقلت : إذا تفرقنا والنفوس مجتمعة ، فما يضر أن الجسوم للرحيل مزمعة ؟ ثم قلت له :

أنت مع العينِ والفؤادِ دنوتَ أو كنتَ ذا بعادِ

فقال وهو من بارع الإجازة :

وأنت في القلبِ في السويداءِ وأنت في العينِ في السوادِ

وإذ جرى ذكر صفوان فلا حرج أن نترجمه ، فنقول :

[ترجمة صفوان]

قال في « الإحاطة » ما ملخصه^١ : صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن إدريس ، التجيبي المرمي أبو بحر ، كان أديباً حسيباً ممتعاً من الظرف ريان من الأدب ، حافظاً سريع البديهة ترف النشأة ، على تصاون وعفاف ، جميلاً سرياً ، ممن تساوى حظه في النظم والنثر على تباين الناس في ذلك . روى عن أبيه وخاله وابن عم أبيه القاضي أبي القاسم ابن إدريس ، وأبي بكر ابن مغاور ، وأبي رجال ابن غلبون ، وأبي العباس ابن مضى ، سمع عليه صحيح مسلم ، وأبي القاسم ابن حبيش ، وابن حوط الله ، وأبي الوليد ابن رشد ، وأجاز له ابن بشكوال . وروى عنه أبو إسحاق اليابري ، وأبو الربيع [ابن النبي وأبو عبد الله ابن أبي البقاء وأبو عمر]^٢ ابن سالم ، وابن عيشون ، وله تواليف أدبية ،

١ ترجمته في الإحاطة ، الورقة : ١٦٨ .

٢ ما بين معقنين زيادة من الإحاطة .

منها « زاد المسافر » ، وكتاب « الرحلة » ، وكتاب « العجالة » ، سفران يتضمنان من نظمه ونثره أدباً لا كفاء له ، واتفرد من تأيين الحسين وبكاء أهل البيت بما ظهرت عليه بركته في حكايات كثيرة .

ثم سرد لسان الدين جملة من نظمه إلى أن قال : وقال في غرض الرصافي من وصف بلده وذكر إخوانه يساجله في الغرض والرويّ عقب رسالة سمّاها « طراد الجياد في الميدان وتنازع اللدات والأخدان في تقديم مرسية على غيرها من البلدان »^١ :

لعلّ رسولَ البرقِ يفتنمُ الأجرا	فيشرّ عنيّ ماءَ عبْرتهِ نثرا
معاملةً أُرْبِي بها غيرَ مذنبٍ	فأقْضيه دمعَ العينِ عن نقطةٍ بحرا
ليسقيّ من تَدْمِيرِ قطراً محبباً	يقر بعين القطر أن تشرب القطرا
ويرضعه ذوبَ اللجين ، وإنما	توقّيه عينيّ من مدامعها تبرا
وما ذاكَ تقصيراً بها غير أنّه	سجّيةُ ماء البحر أن يُلْدوي الزهرا
خليليّ قوما فاحبسا طُرُقَ الصبّا	مخافة أن يحمي بزفرتي الحُرّي
فإنّ الصبّا ريحٌ عليّ كريمةٌ	بآيةٍ ما تسري من الجنةِ الصغرى
خليليّ أعني أرضَ مرسيةِ المنى	ولولا توخّي الصلوق سميتها الكبرى
محلّي بل جويّ الذي عبقت به	نواسمُ آدابي مُعْطَرَةً نشرا
ووكري الذي منه درجتُ فليتني	فجعت بريش الغزم كي ألزم الوكرا
وما روضةُ الخضراء قد مثلت بها	مجرّتها نهراً وأنجمها زهرا
بأبهج منها والخليجُ مجرّةٌ	وقد فضحت أزهار ساحتها الزهرا
وقد أسكرت أعطاف أغصانها الصبّا ^٢	وما كنت أعتدُّ الصبّا قبلها خمرا

١ الإحاطة ، الورقة : ١٧٢ .

٢ في ص ق : ويقرضه ، والتصويب من الإحاطة .

٣ الإحاطة : وقد أسكرت ريح الصباية عاشقاً .

٤ ق ص : أعددت .

هنالك بين الغصن والقطر والصبا
 إذا نظم الغصن الحيا قال خاطري
 وإن نثرت ريح الصبا زهر الرئي
 فوائد أسحار هناك اقتبسها
 كأن هزير الريح يمدح روضها
 أيا زنقات^١ الحسن هل فيك نظرة^٢
 فأنظر من هذي لتلك كأنما
 هي الكاعب الحسناء تم حسنها
 إذا خطبت أعطت دراهم زهرها
 وقامت بعرس الأنس قينة أيكها
 فقل في خليج يلبس الخوت درعه
 إذا ما بدا فيها الهلال رأيت^٣
 وإن لاح فيها البدر شبهت^٤ متنه
 وفي جرفي روض هناك تجافيا
 كأنهما خلا صفا تعابيا
 وكم لي بأبيات الحديد عشية^٥
 عشايا كأن الدهر غص^٦ بحسنها
 عليهن أجري خيل دمعي بوجنتي

وزهر الرئي ولدت آدائي الغرا
 تعلم نظام النثر من ههنا شعرا
 تعلمت حل الشعر أسبكه نثرا
 ولم أر روضاً غيره يقرى السحرا
 فتملاً فاه من أزاهرها دراً
 من الجرف الأعلى إلى السكة الغرا^٧
 أغير إذ غازلتها أختها الأخرى
 وقدت لها أوراقها حلاًلاً خضرا
 وما عادة الحسناء أن تنقد المهر
 أغاريدها^٨ تسترقص الغصن النضرا
 ولكنه لا يستطيع بها نصرا
 كصفحة سيف وسمها قبة صفرا
 بشط لجين ضم من ذهب عسرا
 بنهر ، يود الأفق لو زاره فجرا
 وقد بكيا من رقة ذلك النهار
 من الأنس ما فيه سوى أنه مرأ
 فأجلت بساط البرق أفراسها الشقرا
 إذا ركب حمراً ميادينها الصفرا^٩

١ الزنقات : من متزهات مرسية ، وفي ص ق : زنقات ، وفي الإحاطة : رائعات .

٢ الإحاطة : الخضرا .

٣ الإحاطة : أيكة ، أغادرها .

٤ الإحاطة : بهذا الباب الجديد .

٥ ق ص : عشيات كان الدهر غصاً .

٦ الإحاطة : الأنس .

٧ لم يرد هذا البيت في الإحاطة .

أَعْهَدِي بِالْغَرَسِ الْمَنْعَمِ دَوْحُهُ
فَكَمْ فِيكَ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَى مَحْجَلٍ
عَلَى مَذْنَبٍ كَالْبَحْرِ مِنْ فَرْطِ حَسَنِهِ
سَقَتْ أَدْمَعِي وَالْقَطَرُ أَهْمَا انْبَرَى
وَلِإِخْوَانِ صَدَقَ لَوْ قَضَيْتَ حَقُّوْقَهُمْ
وَلَوْ كُنْتُ أَقْضِي حَقَّ نَفْسِي - وَلَمْ أَكُنْ -
وَمَا اخْتَرْتُ هَذَا الْبَعْدَ إِلَّا ضَرُورَةً
قَضَى اللَّهُ أَنْ تَنَأَى بِي الدَّارُ عَنْهُمْ
وَوَاللَّهِ لَوْ نَلْتُ الْمُنَى مَا حَمَلْتَهَا
أَيَّانَسُ بِاللَّذَاتِ قَلْبِي وَدُونَهُمْ
وَيَصْحَبُ هَادِي^٢ اللَّيْلِ رَأَى حُرُوفَهُ
فَدَيْتَهُمْ^٣ بَانُوا وَضُنُّوا بِكُتُبِهِمْ
وَلَوْلَا عُلَا هِمَّتَهُمْ لَعَتَبْتَهُمْ
ضَرَبْتُ غِبَارَ الْبَيْدِ فِي مَهْرَقِ السَّرَى
وَحَقَّقْتُ ذَاكَ الضَّرْبَ جَمْعاً وَعَدَّةً
كَأَنَّ زِمَانِي خَاسِبٌ مَتَعَسِّفٌ
فَكَمْ عَارِفٍ بِي وَهُوَ يَحْسُنُ رَتْبِي
لِذَلِكَ مَا أُعْطِيتُ نَفْسِي حَقَّهَا
فَمَا بَرَحْتُ فِكْرِي عِذَا رَى قِصَائِلِي
وَلَسْتُ وَإِنْ طَاشَتْ سَهَامِي بِأَيْسٍ

سَقَتْكَ دُمُوعِي ، لَهَا مَزْنَةٌ ، شَكَرَا
تَقَضَّيْتُ أَمَانِيهِ فَخَلَدْتَهَا ذَكَرَا
تَوَدُّ الثَّرِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا نَحْرَا
نَقَا الرَّمْلَةَ الْبَيْضَاءَ فَالْتَهَرَ فَاِلْجَسْرَا
لَمَّا فَارَقْتَ عَيْنِي وَجُوهَهُمْ^١ الزَّهْرَا
لَمَّا بَتُّ اسْتَحْلِي فِرَاقَهُمْ^١ الْمَرَا
وَهَلْ تَسْتَجِيزُ الْعَيْنُ أَنْ تَفْقِدَ الشُّفْرَا
أَرَادَ بِذَلِكَ اللَّهُ أَنْ أُعْتَبَ الدَّهْرَا
وَمَا عَادَةُ الْمَشْغُوفِ أَنْ يَحْمَدَ الْمَجْرَا
مَرَامٍ يَجِدُ الْكَرْبُ فِي طَيْهَا^٢ شَهْرَا
وَصَادَاً وَنُونَاً قَدْ تَقَوَّسَ وَاصْفَرَا
فَلَا خَبَرَآ مِنْهُمْ لَقِيتُ وَلَا خَبَرَآ
وَلَكِنْ عَرَابُ الْخَلِيلِ لَا تَحْمِلُ الزَّجْرَا
بِحَيْثُ جَعَلْتُ اللَّيْلَ فِي ضَرْبِهِ حَبْرَا
وَطَرَحَاً وَتَجْمِيلَاً فَأَخْرَجَ لِي صَفْرَا
يَطَارُخُنِي كَسْرَاً وَمَا يَحْسُنُ الْجَبْرَا
فِيْمَلْحُنِي سَرَاً وَيَشْتَمُنِي^٤ جَهْرَا
وَقُلْتُ لِسَرِّبِ الشَّعْرِ لَا تَرِمِ الْفِكْرَا
وَمَنْ خُلِقَ الْعُنْدَاءُ أَنْ تَأْلَفَ الْخُلْدَرَا
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ الَّذِي يُتَّقَى يُسْرَا

١ الإحاطة : كَالْخَزَرِ .

٢ الإحاطة : مِنْ دُونِهَا .

٣ الإحاطة : هَذَا .

٤ الإحاطة : فَيَشْتَمُنِي سَرَاً وَيَحْمَدُنِي .

وقال يراجع أبا الربيع ابن سالم عن أبيات مثلها ١ :

سقى مضرب الخيمات من عكسي نجد
وقد كان في دمعي كفاء ، وإنما
فلن فترت نار الضلوع هنيهة
وإن ضن صوب المزن يوماً فأدمعي
وإن هطلا يوماً بساحتها معاً
أرى زفرتي تذكي ودمعي ينهمي
فهل بالذي أبصرتم أو سمعتم
لي الله كم أهذي بنجد وأهلها
وما بي إلى نجد نزوع ولا هوى
وجاءوا بدعوى حسن الشعر زورها
شغلنا بأبناء الزمان عن الهوى
إلى الله أشكو ريب دهر يغص بي
لقد صرفت حكم الفؤاد إلى الهوى
أما تتوقى ويحها أن أصيبها
أما راعها أن زحزحت عن أكارم
أعاتبها فيهم فترداد قسوة
أما علمت أن القساوة نافرت
إذا وعدت يوماً بتأليف شملنا
وإن عاهدت أن لا تؤلف بيننا
خليلي أعني النظم والنثر أرسلا
قفا ساعداني إنه حق صاحب

أسح غمامي أدمعي والحيا الرغد
يجففها ما بالضلوع من الوقد
فسوف ترى تفجيرها للحيا العد
تنوب كما ناب الجميع عن الفرد
فأرواهما ما صاب من منتهى الود
نقيضين قاما بالصلاء وبالورد
غمام بلا أفق وبرق بلا رعد ؟
وما لي بها إلا التوهم من عهد
خلا أنهم شتوا القوافي على نجد
فصارت لهم في مصحف الحب كالحمد
وللدرع وقت ليس يحسن للبرد
نوابه قد أجمت السن العبد
كما فوضت أمر الجفون إلى السهد
بدعوة مظلوم على جورها بعدي
فراقهم دل القلوب على حدي
أجيد لك هل عايشت للحجر الصلد
طباع بني الآداب إلا من الرد
فألم بعرقوب وما سن من وعد
تذكرت آثار السموأل في العهد
جياذ كما في حلبة الشكر والحمد
بريء جمام الكتم من كدر الحقد

١ لم ترد هذه القصيدة في النسخة التي اعتمدناها من الإحاطة .

بَابِيَّةٌ مَا قَيَّدَتْما ألسُنَ الوري
فَأَيْنَ بِيَانِي أَوْ فَأَيْنَ فصاحتي
فِيَا خَاطِرِي وَفَ الثَّناءِ حَقُّوقُهُ
وَلَا تَلْزَمَنِي بِالتَّكاسُلِ حُجَّةٌ
ثَكَلْتُ القَوافي وَهِيَ أبناءِ خَاطِرِي
لَن لَمْ أَصْغُ زُهْرَ النُّجُومِ قِلَادَةً
إِلَى أَنْ يَقُولَ السَّامِعُونَ لِرَفَقَتِي
أُحْيِي بِرِيَّاهَا جَنابَ ابنِ سَالمِ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

ومن مقطوعاته قوله ^١ :

يَا قَمْرًا مَطلَعُهُ أَضلَعِي
وَرَبِّما اسْتَوَقَدَ نارَ الهوى
مَلَكْتَنِي فِي دَوْلَةٍ مِنْ صَبَا
عِنْدِي مِنْ حَبِّكَ ما لَوْ سَرْتُ
لَهُ سِوَادُ القَلْبِ فِيها غَسَقُ
فَنابَ فِيها لَوْنُها عَنِ شَفَقِ
وَصِدْتَنِي فِي شَرِكٍ مِنْ حَلَقِ
فِي البَحْرِ مِنْهُ شَعْلَةٌ لا حَرَقُ

وقال :

قَدْ كانَ لي قَلْبٌ فَلَمّا فارَقُوا
وَجَرْتُ سَحابٌ لِلدَّموعِ فَأوقَدْتُ
وَمِنَ العِجائِبِ أَنَّ فيضَ مَدامِعِي
وَشِعْرِهِ الرَّمْلُ والقَطَرُ كَثْرَةٌ ، فَلنَخْتَمُهُ بِقَوْلِهِ :

قالوا وَقَدْ طالَ بِي مَدَى خَطَّتِي وَلَمْ أَزَلْ فِي تَجَرُّمِي ساهِي :

١ الإحاطة ، الورقة : ١٧٥ وفيها أيضاً القطعتان التاليتان والرسالة التي تلوها .

أعددت شيئاً ترجو النجاة به ؟ فقلتُ : أعددتُ رحمةَ الله

وكتب يهنى قاضي الجماعة أبا القاسم ابن بقيّ برسالة منها : لأن محله^١ دام عمره ، وامثل^٢ نهيه الشرعي وأمره ، أعلى رتبة وأكرم محلاً ، من أن يتحلى بخطة هي به تتحلى ، كيف يهناً بالقعود لسماع دعاوى الباطل ، والمعاناة لإنصاف الممتطول من الماثل ، والتعب في المعادلة ، بين ذوي المجادلة ، أما لو علم المشوفون إلى خطة الأحكام ، المستشفون^٣ إلى ما لها من التبسط والاحتكام ، ما يجب لها من اللوازم ، والشروط الجوازم ، كبسط الكنف ، ورفع الجنف ، والمساواة بين العدو ذي الذنب ، والصاحب بالجنّب ، وتقديم ابن السبيل ، على ذي الرحم والقبيل ، وإيثار الغريب ، على القريب ، والتوسع في الأخلاق ، حتى لمن ليس له من خلاق ، إلى غير ذلك ممّا علّم قاضي الجماعة أحصاه ، واستعمل خلقه الفاضل أدناه وأقصاه ، لجعلوا خمولهم مأمولهم ، وأضربوا عن ظهورهم ، فبنوه وراء ظهورهم ، اللهم إلاّ من أوتي بسطة في العلم ، ورسا طوداً في ساحة الحلم ، وتساوى ميزانه في الحرب والسلم ، وكان كمولانا في المعاملة بين أجناس الناس ، فقصاراه أن يتقلّد الأحكام للأجر ، لا للتعنيف والزجر ، ويتولاها للثواب ، لا للغلظة في رد الجواب ، ويأخذها لحسن الجزاء ، لا لقبیح الاستهزاء ، ويلتزمها لجزيل الذخر ، لا للإزراء والسخر ، فإذا كان كذلك ، وسلك المتولي هذه المسالك ، وكان مثل قاضي الجماعة ولا مثل له ، ونفع الحق به علله ونقع غلله ، فيومئذ تهنّى به خطة القضاء ، وتعرف ما لله تعالى عليها من اليد البيضاء ؛

ورحل إلى مراکش في جهاز بنت بلغت الترويع ، وقصد دار الإمارة مادحاً ،

١ الإحاطة : قدره .

٢ الإحاطة : امتد .

٣ الإحاطة : المشتاقون .

٤ الإحاطة : كقاضي الجماعة .

فما تيسر له شيء من أمله ، ففكر في خيبة قصده ، وقال : لو كنت أمّلت الله سبحانه ومدحت نبيّه ، صلّى الله عليه وسلم ، وآل بيته الطاهرين لبلغت أمني ، بمحمود عملي ، ثمّ استغفر الله تعالى من اعتماده في توجيهه الأوّل ، وعلم أن ليس على غير الثاني معوّل ، فلم يكُ إلاّ أن صرف نحو هذا المقصد همته ، وأمضى فيه عزّمته ، وإذا به قد وُجّه إليه فأدخل على الخليفة فسأله عن مقصده ، فأخبره مفصّلاً به ، فأنفذه وزاده عليه وأخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، في النوم يأمر بقضاء حاجته ، فانفصل موفّي الأغراض ، واستمرّ في مدح أهل البيت عليهم السلام ، حتى اشتهر بذلك . وتوفي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وسنه دون الأربعين ، وصلّى عليه أبوه ، فإنه كان بإمكان من الفضل والدين ، رحم الله تعالى الجميع ؛ انتهى كلام ابن الخطيب في حق المذكور ملخصاً .

ولا بأس أن نزيد عليه ما حضر ، فنقول : قال ابن سعيد وغيره : ولد صفوان سنة ستين وخمسمائة ، أو في التي بعدها ، قال : وديوان شعره مشهور بالمغرب ؛ انتهى .

ومن نظمه قوله :

أومضُ بريقِ الأضلعِ واسكب غمامَ الأدمعِ
واحزن طويلاً واجزعِ فهو مكانُ الجزعِ
وانثر دماء المقلتين تألماً على الحسينِ
وابكِ بدمعِ دونَ عينِ إن قلّ فيضُ الأدمعِ

وهذا من قصيدة عارض بها الحريري في قوله :

خلّ ادّكارَ الأربعِ

وله أيضاً مطلع قصيدة فيه :

يا عين سُحِّي وَلَا تَشِيحِي ولو بدعٍ بِحَذْفِ عَيْنِ

وقال ابن الأبار : توفي صفوان بمرسية ليلة الاثنين السادس عشر من شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وثكله أبوه ، وصلى عليه ، وهو دون الأربعين إذ مولده سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وكان من جلة الكتاباء ، ومهارة الأدباء الشعراء ، ناقداً فصيحاً ، مدركاً جليل القدر ، متقدماً في النظم والنثر ، ممن جمع ذلك ، وله رسائل بديعة ، وقصائد جلييلة ، وخصوصاً في مرثي الحسين رضي الله تعالى عنه .

[رثاء ناهض الوادي آشي للحسين]

وقد تذكرت هنا قول ناهض بن محمد الأندلسي الوادي آشي في رثاء الحسين رضي الله تعالى عنه :

أمرتُ سَجَعَتْ بَعْدِ أَرَاكَ	قولي مَوَلَّهَةٌ : عَلامَ بُكَاءِ ؟
أَجَفَاكَ لِفُكِّ أَمْ بُلَيْتَ بِفُرْقَةٍ	أَمْ لَاحَ بَرَقَ بِالْحَمَى فَشَجَاكَ ؟
لَوْ كَانَ حَقًّا مَا ادْعَيْتَ مِنَ الْجَوَى	يَوْمًا لَمَا طَرَّقَ الْخَفُونَ كَرَاكَ
أَوْ كَانَ رَوْعَكَ الْفِرَاقُ إِذَا لَمَا	ضَنْتُ بِمَاءِ جَفُونِهَا عَيْنَاكَ
وَلَا أَلَفْتُ الرُّوضَ يَارْجُ عَرَفُهُ	وَجَعَلْتِ بَيْنَ فُرُوعِهِ مَغْنَاكَ
وَلَا اتَّخَذْتِ مِنَ الْغُصُونِ مَنَصَّةً	وَلَا بَدَدْتَ مَخْضُوبَةً كَفَاكَ
وَلَا ارْتَدَيْتِ الرِّيشَ بُرْدًا مُعْلَمًا	وَنَظَمْتِ مِنْ قُزَحٍ سُلُوكَ طَلَاكَ
لَوْ كُنْتُ مِثْلِي مَا أَفْقَتِ مِنَ الْبُكَاءِ	لَا نَحْسِي شُكْوَايَ مِنْ شُكْوَاكَ
لِيهِ حَمَامَةٌ خَبَّرَنِي ، لَأَنْتِي	أَبْكِي الْحُسَيْنَ ، وَأَنْتِ مَا أَبْكَاكَ ؟
أَبْكِي قَتِيلَ الطِّفْلِ فَرَعَ نَيْتِنَا	أَكْرَمُ بَفَرَعٍ لِلنَّبْوَةِ زَاكِي
وَيْلٌ لِقَوْمٍ غَادَرُوهُ مُضَرَّجًا	بِدِمَائِهِ نِصْوَاً صَرِيحَ شَكَاكَ

متعفراً قد مُزِّتْ أَشْلاؤُهُ فَرَبّاً بكلّ مهتدٍ فتاكِ
أيزيدُ لو راعيتَ حُرمةَ جدِّه لم تقتنص ليثَ العرينِ الشاكي
أو كنتَ تُصغي إذ نقرتَ بثغره قرعتَ صماخكَ أنةُ المسواكِ
أترومُ ويكَ شفاعَةً من جدِّه هيهات ! لا ، ومُدبِّرِ الأفلاكِ
ولسوفَ تُنبذُ في جهنمَ خالداً ما الله شاء ولاتَ حينَ فكالكِ

وتوفي ناهض المذكور بوادي آش سنة ٦١٥ .

رجع إلى أخبار صفوان بن إدريس - رحمه الله تعالى - فنقول : ومن شعر
صفوان قوله :

قلنا وقد شامَ الحسامَ مخوّفاً رشاً بعاديةِ الضراغمِ عابثُ
هل سيفُهُ من طرفه أم طرفُهُ من سيفه أم ذاك طرفٌ ثالثُ
وقوله :

غيري يروعُ بسيفه رشاً تشاجعَ ساخرا
إن كفَّ عني طرفه فالسيفُ أضعفُ ناصرا

وقال صفوان المذكور رحمه الله تعالى : حَيَّيْتُ بعضَ أصحابنا بزهرة
سوسن ، فقال :

حيّاً بسوسنةِ أبو بجرٍ
فقلت مجيزاً :

نَضراء تَقْضَحُ يانَعَ الزهرِ
عجباً لها لم تُذوها يده من طولٍ ما مكثت على الصدرِ

وقال أيضاً : ماشَيْتُ الوزيرَ الكاتبَ أبا محمد ابن حامد يوماً ، فاتفق أن
قال لأمر تذكَّره :

بين الكُتَيْبِ ومنبِتِ السَّدْرِ ريمٌ غداً مثواهُ في صدري
فقلتُ أجيزه :

لوشاحِهِ قَلَمٌ بِلا ألمٍ ولقُرطِهِ خَفَقٌ بِلا دُعرٍ
لو كنتُ قد أنصفتُ مقلتهُ برأتُ هاروناً من السَّحْرِ
أو كنتُ أقضي حقَّ مرثشفه أعرضتُ لا ورعاً عن الخمرِ
وناولته يوماً وردة مغلقة ، فقال :

وعمرّةٌ تختالُ في ثوبِ سندسٍ كوجنةٍ محبوبٍ أطلَّ عذارهُ
فقلتُ أجيزه :

كتطريفٍ كفٍّ قد أحاطتْ بناها بقلبٍ محبٍّ ليسَ يخبو أوارهُ
وقال : رآني الوزير أبو إسحاق وأنا أقيد أشعاراً من ظهر دفتر فقال :
ماذا الذي يكتبُ الوزيرُ
قلت :

بدائعٌ ما لها نظيرُ
فقال :

درٌُّ ولكنّه نظيمٌ من خيرِ أسلاكه السطورُ
فقلت :

من أظهرِ الكتبِ أقتنيها وخلٌ ما تحتوي البحورُ
بتلك تزهو النحورُ، لكن بهذه تردهي الصدورُ

ولكن الإنصاف واجب ، هو قال المعنى الأخير نثراً وأنا سبكته نظماً .
وقال : جلسنا بعض العشايا بالولجة خارج مرسية ، والنسيم يهبُّ على النهر ،
فقال أبو محمد ابن حامد :

هَبَّ النسيمُ وماء النهرِ يَطْرِدُ

فقلت على جهة المداعبة ، لا الإجازة :

ونارُ شوقيَ في الأحشاء تَتَقَدُّ

فقال أبو محمد : ما الذي يجمع بين هذا العجز وذاك الصدر ؟ فقلت : أنا

أجمع بينهما ، ثمَّ قلت :

فصاغ من مائه دِرْعاً مفضَّضةً وزاد قلبيَ وقدأً للذي يجدُ
وإنما شَبَّ أحشائي لحاجتهِ إذ ليس دون لبيبٍ يُصنعُ الزردُ

وخطرنا بلقنت على ثمرة تهزها الريح فقال أبو محمد :

وسرحةٍ كاللواء تهفو بعطفها هَبَّةُ الرياحِ

فقلت :

كأنَّ أعطافها سقتها كف النعامِ كؤوس راحِ

فقال :

إذا انتحاه النسيمُ هَزَّتْ أعطافها هِزَّةَ السماحِ

فقلت :

كأنَّ أغصانها كِرامٌ تقابلُ الضيفَ بارتياحِ

ولصفوان رحمه الله :

تَحِيَّةُ اللَّهِ وَطَيْبُ السَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ خَيْرِ الْأَنَامِ
عَلَى الَّذِي فَتَحَ بَابَ الْهُدَى وَقَالَ لِلنَّاسِ: ادْخُلُوا بِالسَّلَامِ
بِدَرِ الْهُدَى، غَيْمِ الْبُغْيِ وَالسُّدَى وَمَا عَسَى أَنْ يَتَنَاهَى الْكَلَامِ
تَحِيَّةٌ تَهْزَأُ أَنْفُسُهَا بِالْمَسْكِ، لَا أَرْضَى بِمَسْكِ الْخِتَامِ
مُخَصَّصَةٌ مِنِّي وَلَا تَنْتَنِي عَنْ أَهْلِ الصَّيْدِ السَّرَاقِ الْكِرَامِ
وَقَدْ رَمَهُمْ أَرْفَعُ لَكُنْتِي لَمْ أَلْفِ أَعْلَى لَفْظَةٍ مِنْ كِرَامِ

وقال :

يَقُولُونَ لِي لِمَا رَكِبْتُ بِطَالَتِي رَكُوبَ فَيَجْمَعُ الْغَوَايَةَ مَعْتَدِي
أَعْنَدُكَ شَيْءٌ تَرْتَجِي أَنْ تَنَالَهُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ عِنْدِي شِفَاعَةُ أَحْمَدِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ ، وَمَجَّدَ وَعَظَّمَ ، وَبَارَكَ وَأَنْعَمَ ،
وَوَالَى وَكَمَّلَ وَأَتَمَّ .

الباب الثاني

في نشأته وترقيته ووزارته وسعاده ، ومساعدة الدهر له ، ثم قلبه له ظهر
المجنّ على عادته في مصافاته ومنافاته ، وارتبأكه في شبأكه ، وما لقي
من إحسن الحاسد ، ذي المذهب الفاسد ، ومحن الكائد المستأسد وآفاته ،
وذكر قصوره وأمواله ، وغير ذلك من أحواله في تقلباته ، عندما قابله الزمان
بأمواله في بدته وإعادته إلى وفاته .

أقول : كان مولد الوزير لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله كما في الإحاطة
في الخامس والعشرين من شهر رجب عام ثلاثة عشر وسبعمائة ، وقال الرئيس
الأمير أبو الوليد ابن الأحمر رحمه الله : نشأ لسان الدين ابن الخطيب^١ على حالة
حسنة سالكاً سبيل^٢ أسلافه ، فقرأ القرآن على المكتب الصالح أبي عبد الله ابن عبد
المولى العواد تكتباً ثم حفظاً ثم تجويداً ، ثم قرأ القرآن أيضاً على أستاذ الجماعة أبي
الحسن القيجاطي ، وقرأ عليه العربية وهو أول من انتفع به ، وقرأ على الخطيب
أبي القاسم ابن جزري ، ولأزم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الإمام أبي
عبد الله ابن الفخار البيري شيخ النحويين لعهدده ، وقرأ على قاضي الجماعة أبي
عبد الله ابن بكر ، وتأدب بالرئيس أبي الحسن ابن الجياب ، ورَوَى عن كثير من
الأعيان ، وسرد ابنُ الأحمر المذكور هنا جملة أعلام من مشايخ لسان الدين
سيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى ، ثم قال : وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل
عن الإمام أبي زكريا يحيى بن هُذَيْل ولازمه ؛ انتهى .

١ انظر أزهار الرياض ١ : ١٨٧ .

٢ الأزهار : ستن .

وقال بعضهم في حق لسان الدين : هو الوزير العلامة المتحلي بأجمل الشمائل وأفضل المناقب ، المتميز في الأندلس بأرفع المراقي وأعلى المراتب ، علّم الأعلام ، ورئيس أرباب السيوف والأقلام ، جامع أشتات الفضائل ، والمُرَبّي بحسن سياسته وعظيم رياسته على الأواخر والأوائل ، حائز رتبة رئاسة^١ السيف والقلم ، والقائم بتدبير الملك على أرسخ قدم ، صاحب القلم الأعلى ، الوارد من البراعة المنهّل الأحملى ، صاحب الأحاديث التي لا تُتملّ على كثرة ما تُتلى ، والمحاسن التي صورها على منصة التنويه تجلى ؛ انتهى .

وقال لسان الدين في « الإحاطة » بعد ذكر سلفه رحمهم الله تعالى ، ما ملخصه^٢ : وخلفني — يعني أباه عبد الله — عالي الدرجة ، شهير الخطة ، مشمولاً بالقبول ، مكتوفاً بالعناية ، فقلدني السلطان سرّه ، ولما يستكمل الشباب ويجتمع السن^٣ ، معززة بالقيادة ورسوم الوزارة ، واستعملني في السفارة إلى الملوك ، واستنابني بدار ملكه ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه ، واثمنني على صِوَانِ حضرته^٤ ، وبيت ماله ، وسجوف حرمه ، ومعقل امتناعه ، ولما هلك السلطان ضاعف ولده حظوتي ، وأعلى مجلسي ، وقصّر المشورة على نصحي ، إلى أن كانت عليه الكائنة ، فافقدي في أخوه المتغلب على الأمر به ، فسجل الاختصاص ، وعقد القلادة ، ثم حمّله أهل الشحنة من أهل أعوان ثورته على القبض عليّ ، فكان ذلك ، وتقبّض عليّ ، ونكث ما أبرم من أمانتي ، واعتقلت بحال ترفيه ، وبعد أن كسبت المنازل والدور ، واستكثر من الحرس ، وختم على الأعلاق ، وأبرد إلى ما ناء^٥ ، واستؤصلت نعمة لم تكن بالأندلس من ذوات النظائر ولا ربات

١ رئاسة : سقطت من ق .

٢ الإحاطة : الورقة : ٤٠٠ .

٣ الإحاطة : ولما يجمع الشباب ويستكمل السن .

٤ الإحاطة : خزانته وذخيرته .

٥ الإحاطة : وبادر وأبرد إلى ما نأى .

الأمثال ، في تبحر الغلّة ، وفرّاحة الحيوان ، وغبطة العقار ، ونظافة الآلات ،
ورفعة الثياب ، واستجادة العدة ، ووفور الكتب إلى الآنية والفرش والماعون
والزجاج والطيب والذخيرة والمضارب والأبنية ، واكتسحت السائمة وثيران
الحرث وظهّر الحمولة وقوام الفلاحة والخيّل ، فأخذ ذلك البيع ، وتناهبها
الأسواق ، وصاحبها البخس ، ورزأتها الخونة ، وشمل الخاصة والأقارب
الطلب ، واستخلصت القرى ، وأعملت الحيل ، وطوقت الذنوب ، وأمد الله
تعالى بالعون ، وأنزل السكينة ، وانصرف اللسان إلى ذكر الله تعالى ، وتعلقت
الآمال به وطبقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات وسيبها المال حسبما قلت عند
إقالة العثرة والخلاص من الهفوة :

تخلصتُ منها نكبة مصحفية لفقداني المنصور من آلِ عامر

ووصلت الشفاعة في مكتبة بخط ملك المغرب ، وجعل خلاصي شرطاً في
العقدة ومسألة الدولة ، فانتقلت صحبة سلطاني المكفور الحق إلى المغرب ، وبالف
ملكه في بريّ منزلاً رجباً^١ ، وعيشاً خفصاً ، وإقطاعاً جمّاً ، وجراية ما وراءها
مرمى ، وجعلني بمجلسه صدرأ ، ثم أسعف قصدي في تهيؤ الخلوة بمدينة سلا
مُنوّ الصكوك ، مهنّاً القرار ، متفقداً باللّها والخيّل ، مُخوّل العقار ، موفور
الحاشية ، مخلصي بيني وبين إصلاح معادي ، إلى أن ردّ الله تعالى على السلطان
أمير المسلمين أبي عبد الله ابن أمير المسلمين أبي الحجاج مُلكه ، وصيّر إليه
حقّه^٢ ، فطالبني بوعده ضربته ، وعمل في القدوم عليه بولده أحكمته ، ولم
يُوسّعني عذراً ، ولا فسح في الترك مجالاً ، فقدمت عليه بولده ، وقد ساءه
بإمساكه رهينة ضده ، ونغص مسرة الفتح بعده ، على كل حال من التقشف

١ الإحاطة : خصباً .

٢ الإحاطة : وهياً إليه حقه وصرف إليه كرسيه .

والزهد فيما بيده ، وعزف عن الطمع في ملكه وزهد في رفده ، حسبما قلت
من بعض المقطوعات :

قالوا لخدمته دعاك محمدٌ فأنفقتها وزهدت في التنويه
فأجبتهم أنا والمهيمن كارهٌ في خدمة المولى محبٌ فيه

عاهدت الله تعالى على ذلك ، وشرحت صدري للوفاء به ، وجنحت إلى
الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة أمني ، ومرمى نيتي وعملي ، فعلق بي ، وخرج
لي عن الضرورة ، وأراني أن موازرتي أبرُّ القرب ، وراكني إلى عهد بخطه
فسح لعامين أمد الثواء ، واقتدى بشعيب صلوات الله عليه في طلب الزيادة على
تلك النسبة ، وأشهد من حضر من العلية ، ثم رمى إليّ بعد ذلك بمقاليد رأيه ،
وحكم عقلي في اختيارات عقله ، وغطى من جفائي بحلمه ، وحثا في وجوه
شهواته تراب زجري ، ووقف القبول على وعظي ، وصرف هواي في التحول
ثانياً وقصدي ، واعترف بقبول نصحي ، فاستعنت الله تعالى ، وعاملت وجهه
فيه ، من غير تلبس بخرابة ، ولا تشبث بولاية ، مقتصرأ على الكفاية ، حذراً
من النقد ، خامل المركب ، معتمداً على المنسأة ، مستمشياً^١ بخلق النعل ، راضياً
بغير التبيه من الثوب ، مشفقاً من موافقة الغرور ، هاجراً للزخرف ، صادعاً
بالحق في أسواق الباطل ، كافئاً عن السخال برائين السباع . ثم صرفت الفكر
إلى بناء الزاوية والمدرسة والتربة بكر الحسنات بهذه الخطة ، بل بالجزيرة ،
فيما سلف من المدة ، فتأتى بمنة الله تعالى من صلاح السلطان وعفاف الحاشية
والأمن ورم الثغور وتثمين الجباية وإنصاف الحماة والمقاتلة ومقارعة الملوك
المجاورة في إثارة المصلحة الدينية والصدع فوق المتابر ضماناً من السلطان بترياق
مم الثورة وإصلاح بواطن الخاصة والعامة ما الله تعالى المجازي عليه ، والمعوض

.....
١ ق ص : مستمأ .

من سهر خلعتة على أعطافه ، وخطر اقتحمته من أجْلِهِ ، لا للثريد الأعفر ، ولا للجُرد تمرح في الأرسان ، ولا للبدَر تثقل للأكتاد ، فهو الذي لا يضيع عمل من عمل ذكر أو أنثى سبحانه وتعالى . ومع ذلك فلم أعدم الاستهداف^١ للشُرور ، والاستغراض للمحنور ، والنظر الشزر المنبعث من خُزُر العيون ، شيمة من ابتلاه الله تعالى بسياسة الدهماء ، ورعاية سخطة أرزاق السماء ، وقتلة الأنبياء ، وعبدّة الأهواء ، ممّن لا يجعل لله تعالى إرادة نافذة ، ولا مشيئة سابقة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يُجْمِل في الطلب ، ولا يتلبس مع الله بأدب ، ربنا لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا ، والحال إلى هذا العهد - وهو منتصف عام خمسة وستين وسبعمائة^٢ - على ما ذكرته ، أداله الله بحال السلامة ، وبقيّة العافية ، والتمتع بالعبادة ، وربك يخلق ما يشاء ويختار :

وعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيَّ سَ عَلَيَّ لِإِدْرَاكِ النِّجَاحِ

ولله سبحانه فينا علمٌ غيب^٣ نحن صائرون إليه ، ألحفنا الله لباسَ التقوى ، ونختم لنا بالسعادة ، وجعلنا في الآخرة من الفائزين ، نفثت عن بث ، وتأنّمت عن حمى ، ليظهر بعد المنقلب قصدي ، ويدل مكتبي على عقدي ؛ انتهى ، وجُلّه بلفظه .

وكان - رحمه الله تعالى - عارفاً بأحوال الملوك ، سريع الجواب ، حاضر الذهن ، حادّ النادرة . ومن حكاياته في حضور الجواب ما حكاه عن نفسه قال^٤ : حضرت يوماً بين يدي السلطان أبي عَنان في بعض وفاداتي عليه لغرض الرسالة ، وجرى ذكرُ بعض أعدائه ، فقلت ما أعتقد في إطراء ذلك العدو ، وما عرفته

١ الإحاطة : ومع ذلك فقد عادت هيف إلى أديانها من الاستهداف . . . إلخ .

٢ الإحاطة : وهو عام أحد وسبعين وسبعمائة .

٣ الإحاطة : سر عجيب .

٤ أزهار الرياض ١ : ٢٨٧ .

من فضله ، فأنكر عليّ بعضُ الحاضرين ممّن لا يحطّ بإلا في حبل السلطان ،
فصرفت وجهي وقلت : أيدكم الله ، تحقير عدو السلطان بين يديه ليس من
السياسة في شيء ، بل غير ذلك أحق وأولى ، فإن كان السلطان غالباً عدوه
كان قد غلبَ غير حقير ، وهو الأولى بفخره ، وجلالة قدره ، وإن غلبه
العدو لم يغلبه حقير ، فيكون أشدّ للحسرة ، وآكد للفضيحة ، فوافق - رحمه
الله تعالى - على ذلك واستحسنه ، وشكر عليه ، وخجل المعترض ؛ انتهى .

وكان - رحمه الله تعالى - مبتليّ بداء الأرق ، لا ينام من الليل إلا النزر
اليسير جدّاً ، وقد قال في كتابه « الوصول لحفظ الصحة في الفصول » : العَجَبُ
مني - مع تأليفي لهذا الكتاب الذي لم يؤلّف مثله في الطب ، وعملي ذلك - لا
أقدر على مداواة داء الأرق الذي بي ، أو كما قال ، ولذا يقال له « ذو العُمَرَيْنِ »
لأن الناس ينامون في الليل وهو ساهر فيه ، ومؤلفاته ما كان يصنف غالبها إلاّ
بالليل ، وقد سمعت بالمغرب بعضَ الرؤساء يقول : لسان الدين ذو الوزارتين ،
وذو العمرين ، وذو الميتين ، وذو القبرين ؛ انتهى . وسيأتي ما يُعلم منه معنى
الأخيرين .

[التعريف بالسلطان أبي الحجاج]

وقد عرّف - رحمه الله تعالى - بالسلطان أبي الحجاج في « الإحاطة » فقال
ما حاصله^١ : يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ،
الأنصاري الخزرجي ، أمير المسلمين بالأندلس ، أبو الحجاج ، تولى الملك بعد
أخيه بوادي السقائين من ظاهر الخضراء ضحوة يوم الأربعاء ثالث عشر ذي
الحجّة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ، وسنّه خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر ،
أمه أم ولد ، وكان له ثلاثة أولاد كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده ، وتلوه

١ الإحاطة ، الورقة : ٣٦٧ وانظر اللوحة البدرية : ٨٩ .

أخوه إسماعيل محجوره ، وثالثهم قيس شقيق إسماعيل ، وذكر لسان الدين أنه وَزَّرَ له بعد شيخه ابن الجياب ، وتولى كتابة سرّه مضافة إلى الوزارة في أخريات شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة ؛ انتهى . وقد علّم أنه وزر بعده لابنه محمد كما تقدم ويأتي ، وأما إسماعيل بن أبي الحجاج فهو الذي تغلب على الأمر ، وانتهاز الفرصة في ملك أخيه محمد كما تقدم ، وفيه وفي أخيه قيس حين قُتلا يقول لسان الدين :

بإسماعيل ثم أخيه قيس

البيتين .

وقد ذكر أيضاً — رحمه الله تعالى — حكاية وفاة السلطان أبي الحجاج ما حصله أنه هجم عليه رجل من عداد الممرورين ، وهو في الركعة الأخيرة من صلاة عيد الفطر عام خمسة وخمسين وسبعمائة ، فطعنه بخنجر ، وقُبِضَ عليه ، واستفهم فتكلّم بكلام مخلط ، واحتُمِلَ إلى منزله على قوت لم يستقر به إلا وقد قضى ، وأخرج قاتله إلى الناس فقتل لحينه ، وأحرق بالنار ، ودفن عشية اليوم المذكور في مقبرة قصره ، ضجيع والده ، وولي أمره ولده محمد ، ورثته في غرض ناء عن الجزالة مختار ولده :

العمرُ نومٌ ، والمُنَى أحلامٌ	ماذا عسى أن يستمرَّ مقامُ
وإذا تحقّقنا لشيءٍ بدأةٌ	فله بما تَقْضِي العقولُ تمامُ
والنفسُ تجمعُ في مدى آمالها	ركضاً ، وتأبى ذلك الأيامُ
من لم يُصَبِّ في نفسه فمصابه	بجبيه ، نفدتِ بذا الأحكامُ
بعد الشبيبة كبرةٌ ، ووراءها	هرَمٌ ، ومن بعدَ الحياةِ حِمَامُ
ولحكمةٍ ما أشرقتْ شُهْبُ الدجى	وتعاقبَ الإصباحُ والإظلامُ
دنياك يا هذا محلّةٌ نقلةٌ	ومُنَاخُ ركبٍ ما لديه مقامُ
هذا أميرُ المسلمين ومن به	وُجِدَ السماحُ وأعدمَ الإعدامُ

سرُّ الأمانة والخلافة يوسفُ
قصده عاديةُ الزمان فأقصدتُ
فُجعتُ به الدنيا وكُدِّرَ شربُها
أسفاً على الخلقِ الجميلِ كأنما
أسفاً على العمرِ الحديدِ كأنه
أسفاً على الخلقِ الرضيِّ كأنه
أسفاً على الوجه الذي مهما بدا
يا ناصِرَ الثغرِ الغريبِ وأهله
يا صاحبَ الصدقاتِ في جُنتِ الدجى
يا حافظَ الحرمِ الذي بظلاله
مولاي هل لك للقصورِ زيارةٌ
مولاي هل لك للعبيدِ تذكرةٌ
يا واحدَ الآحادِ والعلمِ الذي
وفاك أمرُ الله حين تكاملتُ
ورحلتَ عنا الركبَ خيرَ خليفة
نعم الطريقُ سلكتَ كان رفيقهُ
وكسفتَ يا شمسَ المحاسنِ ضحوهُ
وسقاك عيدُ الفطرِ كأسَ شهادةٍ
وختمتَ عمرَكَ بالصلاةِ فحبذا
مولاي كم هذا الرقادُ ؟ إلى متى
أعيدُ التحيةَ واحتسبها قرينةً
تبكي عليك مصانعُ شيدتها
تبكي عليك مساجدُ عمَّرتها

غيثُ الملوكِ وليُّها الصرغامُ
والعزُّ سامٍ ، والخميسُ هامُ
وشكا العراقُ مصابه والشامُ
بدرُ الدُّجْنَةِ قد جلاه تمامُ
زَهْوُ الحديقةِ زَهْرُهُ بِسَامُ
زهرُ الرياضِ هَمًا عليه غمامُ
طاشت لنورِ جماله الأفهامُ
والأرضُ ترجفُ والسماءُ قتامُ
والناسُ في فُرشِ النعيمِ نيامُ
سُتِرَ الأراملُ واكتسى الأيتامُ
بعد انتراحِ الدارِ أو إلثامُ
حاشاك أن يُنسَى لديك ذِمامُ
خَفَقَتْ بعزَّةِ نصرهِ الأعلامُ
فيك النُهَى والجودُ والإقدامُ
أنتى عليك اللهُ والإسلامُ
والزادُ فيه تهجدٌ وصيامُ
فالיוםُ ليلٌ ، والضياءُ ظلامُ
فيها من الأجلِ الوحيُّ مُدامُ
عَمَلٌ كريمٌ سعيُهُ وختامُ
بين الصفائحِ والترابِ تنامُ
إن كان يَمَكُنُكَ الغداةُ كلامُ
بيضٌ كما تبكي الهديلَ حمامُ
فالناسُ فيها سُجَّدٌ وقيامُ

تَبْكِي عَلَيْكَ خَلَائِقُ أُمْتِهَا
عَامِلَتَ وَجْهَ اللَّهِ فِيمَا رُمْتَهُ
لَوْ كُنْتَ تُفْدِي أَوْ تَجَارِ مِنَ الرَّدَى
لَوْ كُنْتَ تُمْنَعُ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
لَكُنْتَهُ أَمْرُ الْإِلَهِ ، وَمَا لَنَا
وَاللَّهُ قَدْ كَتَبَ الْفَنَاءَ عَلَى الْوَرَى
نَمْ فِي جَوَارِ اللَّهِ مَسْرُورًا بِمَا
وَاعْلَمْ بِأَنْ سَلِيلَ مَلِكِكَ قَدْ غَدَا
سِرٌّ تَكْتَفِ مِنْهُ مِنْ خَلْقَتِهِ
كُنْتَ الْحَسَامَ وَصِرْتَ فِي غَمْدِ الثَّرَى
خَلِيفَتَ أُمَّةَ أَحْمَدٍ لِحَمْدٍ
فَهُوَ الْخَلِيفَةُ لِلْوَرَى فِي عَهْدِهِ
أَبْقَى رَسُولُكَ كُلَّهَا مَحْفُوظَةً
الْعَدْلُ وَالشِّيمُ الْكَرِيمَةُ وَالْتَقَى
حَسْبِي بِأَنْ أَغْشَى ضَرْبُكَ لَانْمَا
يَا مَدْفَنَ التَّقْوَى وَيَا مَتَوَى الْهَدَى
أَخْفَيْتُ مِنْ حَزَنِي عَلَيْكَ ، وَفِي الْحِشَا
وَلَوْ أَنِّي أُدِيتُ حَقَّكَ لَمْ يَكُنْ
وَإِذَا الْقَى أَدَى الَّذِي فِي وَسْعِهِ

بِالسَّلَامِ وَهِيَ كَأَنَّهَا أَنْعَامُ
مِنْهَا فَلَمْ يَبْنَعْدُ عَلَيْكَ مَرَامُ
بُذِلَتْ نَفُوسٌ مِنْ لَدُنْكَ كَرَامُ
مَا كَانَ رَكْنُكَ بِالْغِلَابِ يُرَامُ
إِلَّا رَضَى بِالْحُكْمِ وَاسْتِسْلَامُ
وَقَضَاؤُهُ جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ
قَدَّمْتَ يَوْمَ تَزَلُّزِ الْأَقْدَامُ
فِي مَسْتَقَرِّ عُلَاكَ وَهُوَ إِمَامُ
ظِلُّ ظَلِيلٍ فَهُوَ لَيْسَ يَضَامُ
وَلِنَصْرِ مَلِكِكَ سُلِّ مِنْهُ حَسَامُ
فَقَضَتْ بِسَعْدِ الْأُمَّةِ الْأَحْكَامُ
تُرْعَى الْعُهُودُ وَتُوصَلُ الْأَرْحَامُ
لَمْ يَتَثَرْ مِنْهَا عَلَيْكَ نِظَامُ
وَالدَّارُ وَالْأَلْقَابُ وَالْخَدَّامُ
وَأَقُولُ وَالْدمْعُ السَّفُوحُ سِجَامُ
مِنْهُ عَلَيْكَ نَحِيَّةٌ وَسَلَامُ
نَارٌ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ ضَرَامُ
لِي بَعْدَ فَقْدِكَ فِي الْوُجُودِ مَقَامُ
وَأَتَى بِجَهْدٍ ، مَا عَلَيْهِ مَلَامُ

قال لسان الدين : وكتبت في بعض معاهده :

غَبَتْ فَلَا عَيْنٌ وَلَا غَيْرٌ وَلَا انْتِظَارٌ مِنْكَ مَرْقُوبُ
يَا يُوسُفُ أَنْتَ لَنَا يُوسُفُ وَكَلْنَا فِي الْحَزَنِ يَعْقُوبُ

انتهى ؛ ورحم الله تعالى الجميع بمنه وقد قدمنا ما كتبه لسان الدين على لسان
سلطانه إلى السلطان أبي عنان في شأن قتل السلطان أبي الحجاج في الباب الثامن من
القسم الأول .

[الغني ولسان الدين يلجآن للمغرب]

وقال لسان الدين في كتابه « اللوحة البدرية في الدولة النصرية » في ذكر
ما يتعلق بخلع سلطانه وقيام أخيه عليه وفي خلال ذلك ، ما نصّه^١ : كان السلطان
أبو عبد الله عند تصير الأمر إليه قد ألزم أخاه إسماعيل قصرًا من قصور أبيه
بجوار داره^٢ مرقفها عليه ، متممة وظائفه له ، وأسكن معه أمه وأخواته منها ،
وقد استأثرت يوم وفاة والده بمال جم من خزائنه الكائنة في بيته فوجدت السبيل
إلى السعي لولدها فجعلت تواصل زيارة ابنتها التي عقد لها الوالد مع ابن عمه
الرئيس أبي عبد الله ابن الرئيس أبي الوليد ابن الرئيس أبي عبد الله المباع له بأندرش
ابن الرئيس أبي سعيد جدهم الذي تجمعهم جرثومته ، وشمر الصهر المذكور
عن ساعد عزمه وجده وهو ما هو من الإقدام ، ومداخلة ذؤبان الرجال ، واستعان
بمن آسفته الدولة ، وهفت^٣ به الأطماع ، فتألف منهم زهاء مائة قصدوا جهة
من جهات القلعة متسّمين شقًا صعب المرتقى ، واتخذوا آلة تدرك ذروته لقعود
بنية كانت به عن التمام ، وكبسوا حرسياً بأعلاه بما اقتضى صماته ، فاستووا به ،
ونزلوا إلى القلعة سحور الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعمائة ،
فاستظفروا بالمشاعل والصراخ ، وعالجوا دار الحاجب رضوان ، ففضوا أغلاقها
ودخلوها فقتلوه بين أهله وولده ، وانتهبوا ما اشتملت عليه داره ، وأسرع طائفة
مع الرئيس [الصهر] فاستخرجت الأمير المعتقل إسماعيل ، وأركبته وقرعت

١ اللوحة البدرية : ١٠٨ .

٢ ق : بجواره .

٣ ص : وهفت .

الطبول ، ونودي بدعوته ، وقد كان أخوه السلطان متحولاً بولده إلى سكنى
الجنة المنسوبة للعريف لصق داره ، وهي المثل المضروب في الظل الممدود ،
والماء المسكوب ، والنسيم البليل ، يفصل بينها وبين معقل الملك السور المنيع
والخندق المصنوع ، فما راعه إلاّ النداء والعجيج وأصوات الطبول ، وهباً
إلى الدخول إلى القلعة فألفاها قد أخذت دونه شِعَابُهَا كُلِّهَا ونقَابُهَا ، وقذفته
الحراب ، ورشقته السهام ، فرجع أدراجَه ، وسدده الله تعالى في محل الحيرة ،
ودسَّ له عرق الفحول من قومه ، فامتطى صهوة فرس كان مرتبطاً عنده ،
وصار لوجهه فأعيا المتبّع ، وصبح مدينة وادي آش ، ولم يشعر حافظ قصبتها
إلاّ به وقد تولج عليها ، فالتفّ به أهلها وأعطوه صفقتهم بالذبّ عنه ،
فكان أملك بها ، وتجهزت الحشود إلى منازلته ، وقد جدد أخوه المتغلب على ملكه
عقدَ السلم مع طاغية قشتالة باحتياجه إلى سلم المسلمين لخرّاء فتنة بينه وبين
البرجلونيين من أمته ، واغتنب به أهلُ المدينة ، فذبّوا عنه ، ورَضُوا بهلاك
نعمتهم دونه ، واستمرت الحال إلى يوم عيد النحر من عام التاريخ ، ووصله
رسولُ صاحب المغرب مستتراً عنها ومستدعياً إلى حضرته ، لما عجز عن
إمساكها ، وراسل ملك الروم فلم يجد عنده من مُعَوَّل ، فانصرف ثاني يوم
عيد النحر المذكور ، وتبعه الجمعُ الوافر من أهل المدينة خيلاً ورجلاً إلى مربلة
من ساحل إجازته ، وكان وصوله إلى مدينة فاس مصحوباً من البرّ والكرامة
بما لا مزيد عليه في السادس من شهر محرم فاتح عام أحد وستين وسبعمائة ،
وركب السلطان للقائه ، ونزل إليه عندما سلم عليه ، وبالغ في الحفاية به ، وكنتُ
قد ألحقت به مُفْلِتاً من شَرَكِ النكبة التي استأصلت المال ، وأوهمت سوء الحال ،
بشفاعة السلطان أبي سالم قدس الله روحه ، فقامت بين يديه في الحقل المشهود
يومئذ وأنشدته ^١ :

١ وردت هذه القصيدة أيضاً في أزهار الرياض ١ : ١٩٦ .

سَلَا هَلْ لَدِيهَا مِنْ مُخَبَّرَةٍ ذَكَرُ
وَهَلْ بَاكَرَ الْوَسْمِيِّ دَاراً عَلَى الْوَى
بِلَادِي الَّتِي عَاطَيْتُ مَشْمُولَةَ الْهَوَى
وَجَوِّي الَّذِي رَبَّيْ جَنَاحِي وَكَرِهَ
نَبَتَ بِي لَا عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ
وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا قَلِيلٌ مُتَاعُهَا
فَمَنْ لِي بِقَرَبِ الْعَهْدِ مِنْهَا وَدُونِهَا
وَلِلَّهِ عَيْنَا مِنْ رَأَايَا وَلِلْأَسَى
وَقَدْ بَدَدْتُ دَرَّ الدَّمُوعِ يَدُ النُّوَى
بَكِينًا عَلَى النَّهْرِ الشَّرُوبِ عَشِيَّةً
أَقُولُ لِأَظْلَعَانِي وَقَدْ غَالَمَا السَّرَى
رَوَيْدَكَ بَعْدَ الْعُسْرِ يَسْرُ أَنْ أَبْشُرِي
وَلِلَّهِ فِينَا سِرٌّ غَيْبٍ ، وَرَبَّمَا
وَلِنْ تَخْنُ الْأَيَّامُ لَمْ تَخْنِ النَّهْيُ
وَلِنْ عَرَكْتُ مِنْي الْخَطُوبُ مَجْرَبًا
فَقَدْ عَجِمْتُ عَوْدًا صَلِيبًا عَلَى الرَّدَى
إِذَا أَنْتَ بِالْبَيْضَاءِ قَرَرْتَ مَتْرَلِي
زَجَرْنَا بِإِبْرَاهِيمَ بُرْمَ هُمُومِنَا
بِمُتَجَبِّ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ كُلَّمَا
تَنَاقَلَتِ الرِّكْبَانُ طَيْبَ حَدِيثِهِ
نَدَى لَوْ حَوَاهِ الْبَحْرُ لَذَّ مَذَاقُهُ

وَهَلْ أَعْشَبَ الْوَادِي وَنَمَّ بِهِ الزَّهْرُ
عَفَّتْ آيُهَا إِلَّا التَّوَهُّمُ وَالذِّكْرُ
بَأَكْنَافِهَا وَالْعَيْشُ قَيْثَانُ مُخْضَرُ
فَهَا أَنَا ذَا مَا لِي جَنَاحٌ وَلَا وَكْرُ
وَلَا نَسَخَ الْوَصْلَ الْهَيْءَ بِهَا هَجْرُ
وَلِذَاتِهَا دَائِبًا تَرُورُ وَتَزُورُ
مَدَى طَالِ حَتَّى يَوْمُهُ عِنْدَنَا ١ شَهْرُ
ضَرَامٌ لَهُ فِي كُلِّ جَانِحَةٍ جَمْرُ
وَلِلشُّوقِ أَشْجَانٌ يَضِيقُ لَهَا الصَّدْرُ
فَعَادَ أَجَاجًا بَعْدَنَا ذَلِكَ النَّهْرُ
وَأَنْتَ السَّهَادِي وَأَوْحَشَهَا الزَّجْرُ
بِإِنْجَازِ وَعْدِ اللَّهِ ، قَدْ ذَهَبَ الْعُسْرُ
أَتَى النِّفْعُ مِنْ حَالٍ أُرِيدَ بِهَا الضَّرُّ
وَلِنْ يَخْذَلِ الْأَقْوَامُ لَمْ يَخْذَلِ الصَّبْرُ
نَقَابًا تَسَاوَى عِنْدَهُ الْحَلُوُ وَالْمُرُّ
وَعَزَمًا ٢ كَمَا تَمْضِي الْمَهْنَدَةُ الْبُشْرُ
فَلَا اللَّحْمُ حِيلٌ مَا حَيَّيْتَ وَلَا الظَّهْرُ
فَلَمَّا رَأَيْنَا وَجْهَهُ صَدَّقَ الزَّجْرُ
دَجَا الْخَطْبُ لَمْ يَكْذِبْ لِعَزَمَتِهِ فَجْرُ
فَلَمَّا رَأَتْهُ صَدَّقَ الْخَبِيرَ الْخُبْرُ
وَلَمْ يَتَعَقَّبْ مَدَّةً أَبَدًا جَزْرُ

١ ق : حتى عندنا يومه .

٢ ق : وغرساً .

وبأسٌ غدا يرتاعُ من خوفه الردى
أطاعته حتى العُصم^١ في قُنن الرُبى
قصدناك يا خيرَ الملوك على النوى
كففتنا بك الأيامَ عن غُلّوائها
وعُدنا بذاك المجد فانصرمَ الردى
ولمّا أتينا البحرَ يَرْهَبُ موجُه
خلافك العظمى ومن لم يدن بها
ووصفك يهدي المدحَ قصدَ صوابه
دعتك قلوبُ المؤمنين وأخلصت
ومدّت إلى الله الأكفَ ضراعةً
والبسها النعمى ببيعتك السّي
فأصبح ثغرُ الثغرِ بيسمٍ ضاحكاً
وأمنتَ بالسلم البلادَ وأهلها
وقد كان مولانا أبوك مُصرّحاً
وكنْتَ حقيقاً بالخلافة بعده
وأوحشتَ من دارِ الخلافة هالةً
فردّ عليك اللهُ حقّك إذ قضى
وقاد إليك الملكَ رفقاً بخلقه
وزادك بالتمحيص عزّاً ورفعةً
وأنتَ الذي تُدعى إذا دهم الردى
وأنتَ إذا جار الزمانُ محكمٌ
وهذا ابنُ نصر قد أتى وجناحه

وترَفَلُ في أثوابه الفتكةُ البكرُ
وهشتَ إلى تأميله الأنجمُ الزُّهرُ
لتنصفنا ممّا جنى عبدُك الدهرُ
وقد راينا منها التعسّف والكبرُ
ولذنا بذاك العزمِ فانهزمَ الذعرُ
ذكرنا نذاك الغمرَ فاحتقر البحرُ
فإيمانُه لغوٌ وعرفانُه نُكْرُ
إذا ضلّ في أوصافٍ من دونك الشعرُ
وقد طاب منها السرُّ لله والجهرُ
فقال لمن الله : قد قُضيَ الأمرُ
لها الطائرُ الميمونُ والمحتدُ الحرُ
وقد كان ممّا نابه ليس يفتّرُ
فلا ظُبةٌ تعرّى ولا روعةٌ تعرو
بأنك في أبنائهِ الولدُ البرُّ
على الفورِ ، لكن كلُّ شيءٍ له قدرُ
أقامت زماناً لا يلوح بها البدرُ
بأن تشملَ النعمى وينسدلَ السرُّ
وقد عدّوا ركنَ الإمامة واضطربوا
وأجرأ ، ولولا السبك ما عُرِفَ التبرُ
وأنتَ الذي تُرجى إذا أخلفَ القطرُ
لك النقصُ والإبرامُ والنهيُ والأمرُ
مهيبٌ ، ومن عليك يُلتمسُ الجبرُ

١ ق ص : القسم ، وهو خطأ واضح .

غريبٌ يرجي منك ما أنتَ أهلهُ
فقرُّ يا أميرَ المسلمين ببيعةٍ
ومثلُك من يرعى الدخيلَ ومن دعا
وخذُ يا إمامَ الحقِّ بالحقِّ ثأرهُ
وأنتَ لها يا ناصرَ الحقِّ فلتقمُ
فإن قيلَ مالٌ ، مالك الدُّنْى وافرٌ
يُكفُّ بك العادي ، ويحيا بك الهدى
أعدهُ إلى أوطانه عنك راضياً
وعاجِلُ قلوبِ الناسِ فيه يجبرها
وهم يرقبونَ الفعلَ منك وصِفْقَةً
مرامُك سهلٌ لا يؤودُك كُلفةُ
وما العمرُ إلا زينةٌ مستعارةُ
ومن باعَ ما يفنى بباقي مخلَّد
ومن دون ما تبغيه يا ملكَ الهدى
ورآدُ وشقرٌ واضحاتُ شياها
وشهبٌ إذا ما ضمَّرتَ يومَ غارةٍ
وأسدُّ رجالٍ من مَرَيْنٍ مُخيفةُ
عليها من الماذي كلُّ مُقاضيةٍ
همُ القومُ إن هبُّوا لكشفِ مُلَمَّةٍ
إذا سئلوا أعطوا ، وإن نوزعوا سطوا
وإن مُدحوا اهتزوا ارتياحاً كأنهم
وإن سمعوا العوراء فروا بأنفسِ

فإن كنتَ تبغي الفخرَ قد جاءك الفخرُ
موثقةٌ قد حلَّ عروتها الغدرُ
يبا لمَرينِ جِساءه العزُّ والنصرُ
ففي ضمنٍ ما تأتي به العزُّ والأجرُ
بحقِّ فما زيدٌ يرجي ولا عمرو
وإن قيلَ جيشٌ ، عندك العسكرُ المجرُ
ويبتي بك الإسلامُ ما هدم الكفرُ
وطوقه نعماك التي ما لها حصَرُ
فقد صدَّهم عنه التغلبُ والقهرُ
تحاولها يَمناكَ ما بعدها خُسْرُ
سوى عَرْضٍ ما إن له في العلا خطرُ
تُردُّ ، ولكنَّ الثناء هوَ العمرُ
فقد أنجح المسعى وقد ربح التجرُ
جِبادُ المداكي والمججلةُ الغُرُ
فأجسامها تبرُّ وأرجلها درُ
مطهَّمةٌ غارتُ بها الأنجمُ الزُّهرُ
عمائمها بيضٌ وآسالها سُمُرُ
تدافعُ في أعطافها اللُّججُ الخضرُ
فلا الملتقى صعبٌ ولا المرتقى وعُرُ
وإن واعدوا وفوا ، وإن عاهدوا برُّوا
نشاوى تمشتُ في معاطفهم خمرُ
حرامٌ على هاماتها في الوغى الفرُ

وتبسم ما بين الوشيح ثغورهم
 أمولاي غاضت فكري ، وتبلدت
 ولولا حنان منك داركتني به
 فأوجدت مني فائتاً أي فائت
 بدأت بفضل لم أكن لعظيمه
 وطوّفتني النعمى المضاعفة التي
 وأنت بتتميم الصنائع كافل
 جزاك الذي أسنى مقامك عصمة
 إذا نحن أثينا عليك بمدحة
 ولكننا نأتي بما نستطيعه

وما بين قُضْب الدَّوحِ يتسم الزَّهرُ
 طباعي ، فلا طبعٌ يعين ولا فكرُ
 وأحييتني لم تبقَ عينٌ ولا أثرُ
 وأنشرت مَيْتاً ضمَّ أشلاءهُ قبرُ^١
 بأهلٍ ، فجلاً اللطفُ وانفرج الصدرُ^٢
 يقلُّ عليها مني الحمدُ والشكرُ
 إلى أن يعودَ الجاهُ والعزُّ والوقرُ
 يُفكُّ بها عانٍ ويُنعشُ مضطربُ
 فهيهات يحصى الرملُ أو يحصرُ القطرُ
 ومن بذل المجهود حقَّ له العذرُ

فلا تسأل عن امتعاض وانتفاض ، وسداد أنحاء في التأثر لنا وأغراض ، والله
 غالب على أمره .

وفي صبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوال عام اثنين وستين وسبعمائة
 كان انصرافه إلى الأندلس وقد ألحَّ صاحب قشتالة في طلبه ، وترجع الرأي على
 قصده ، ففقد السلطان بقبة العرض من جنة المصارة ، وبرز الناس وقد أسمعه^٣
 البريح ، واستحضرت البنود والطبول والآلة ، وألبس خلعة الملك ، وقيدت
 له مراكبه فاستقل ، وقد التفَّ عليه كل من جلا عن الأندلس من لدُن الكائنة
 في جملة كثيفة ، ورأى من رقة الناس وإجهاشهم وعلو أصواتهم بالدعاء ما
 قدم به العهد ، إذ كان مظنة ذلك سكوناً وعفافاً وقرباً قد ظلله الله برواق الرحمة ،
 وعطف عليه وشائج المحبة ، إلى كونه مظلوم العقد ، منتزع الحق ، فتبعته

١ اللمحة : القبر .

٢ اللمحة : الحصر .

٣ اللمحة : أخذهم .

٤ اللمحة : وتلا من رنة .

الخواطر . وحميت عليه الأنفس ، وانصرف لوجهته ، وهو الآن برُندة مستقل بها وبجهاتها [ومتعل باللقاب] ومقتنع برسم وقد قام له برسم الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن علي بن يوسف ابن كماشة الحضرمي ، وبكتابه الفقيه أبو عبد الله ابن زَمْرَك^١ . وقد استفاد عنه من الحزم والتدرب والتيقظ للأمور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا ينكر ، كان الله لنا وله بفضلُه ؛ انتهى كلام لسان الدين ابن الخطيب في « اللوحة البدرية » .

[رسالة لسان الدين عن الغني إلى المنصور بن قلاوون]

وقد علمت أنه بعد هذا التاريخ عاد سلطانه إلى حضرة غرناطة ، واستبد بملك الأندلس ، وعاد لسان الدين إليه حسبما أحسن سياق ذلك لسان الدين رحمه الله تعالى في كتاب من إنشائه على لسان سلطانه الغني بالله ، وخاطب به ملك الحرمين ومصر والشام السلطان المنصور بن أحمد بن الناصر بن قلاوون ، وقد ذكرنا منه ما يتعلق بالأندلس في الباب الثاني من القسم الأول^٢ ، وقال بعد ذلك فيما يتعلق بالخلع المذكور ما نصّه : ولما صير الله إلينا تراشهم الهني ، وأمرهم السني ، وبناءهم العادي ، وملكهم الجهادي ، أجزانا - وله الطول - على سننهم ، ورفع أعلامنا في مضاهم المشرقة وقُنتيهم ، وحملنا فيهم خير حمل ، ونظم بنا لهم أي شَمْل ، وألبس أيامنا سلماً فسح الدارة ، وأحكم الإدارة ، وهنا الإمارة ، ومكن العمارة ، وأمن في البحر والبر السيارة والعبارة ، لولا ما طرقتهم فينا من تمحيص أجلى عن تخصيص ، وتمحض تيره بعد تخليص ومرّام عويص ، نبشكم بشّه ، ونوالي لديكم حتّه ، ونجمع مُنبثّه ، فإن في الحوادث ذكراً ، ومعروف الدهر لا يؤمن أن يعود نُكراً ، وشر الوجود

١ اللوحة : وبكتابه الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي المالقي وأبو عبد الله ابن زمرَك.

٢ انظر النفع ١ : ٣٢١ - ٣٢٦ .

معاقبٌ بخيره ، والسعيد من اتعظ بغيره ، والحزم أفضل ما إليه يُنتسب ، وعقل التجربة بالمرانة يُكتسب ، وهو أن بعضاً ممن ينسب إلينا بوشائج الأعراق ، لا بمكارم الأخلاق ، ويمتُّ إلينا بالقرابة البعيدة ، لا بالنسبة السعيدة ، ممن كفلناه يتيماً ، وصنّاه ذميماً شتيماً ، وبوّأناه مُبَوّأ كريماً ، بعد أن نشأ حرفوشاً دميماً ، وملعوناً لثيماً ، ونوّهناه من خموله بالولاية ، ونسخنا حكم تسحبته بآية العناية ، داخل أنحاً لنا كُنّا ألزمناه الاقتصار على قصّره ، ولم نجعل أداة تدل على حصّره ، وساعناه في كثير من أمره ، ولم نرتب بزَيْدِهِ ولا عَمْرِهِ ، واغتررنا برّماد علا على جَمْرِهِ ، فاستدعى له من الصعاليك شيعته كل درّيب بفك الأعلاق ، وتسرب أنفاق النفاق ، وخارق للإجماع والإصفاق ، وخير بمكان الخراب ومذاهب الفُسّاق ، وتسوّ بهم القلعة من ثلم شرع في سدّه ، بعد هدّه ، ولم تكمل الأقدار المميّزة في ليلة آثرنا ميّتنا ببعض البساتين خارج قصورنا ، واستنّبنا من يضطلع بأمورنا ، فاستمّ الحيلة التي شرعها ، واقتحم القلعة واقتَرَعَهَا ، وجدّل حرّس النوبة وصَرَعَهَا ، وكبس محل النائب عنا وجدّد له ، ولم ينشب أن جدّد له ، واستخرج الأخ البائس فنصبه ، وشد به تاج الولاية وعصّبه ، وابتر أمرنا وغصبه .

وتوهم الناسُ أن الحادثة على ذاتنا قد تمت ، والدائرة بنا قد أملت ولقد همت ، فخذل الناصر ، وانقطعت الأواصر ، وأقدم المتقاصر ، واقتحمت الأبهاء والمقاصر ، وتفرقت الأجزاء وتحللت العناصر ، وفقد من عين الأعيان النور الباصر ، فأعطوه طاعة معروفة ، وأصبحت الوجوه إليه مصروفة ، وركبنا وسرّعانُ الخيل تقفو أثر منجاتنا والظلام يخفيها ، وتكفي علينا السماء والله يكفيها ، إلى أن خلصنا إلى مدينة وادي آس خلوص القمر من السّرار ، لا نملك إلا نفساً مُسلّمة لحكم الأقدار ، ملقية لله مقادة الاختيار ، مسلوبة بموجب الاستقرار ، وناصحنا أهل تلك المدينة فعملوا على الحصار ، واستبصروا في الدفاع عنا أتم الاستبصار ، ورَضُوا لبيوتهم المُصْحِرَة ، وبساتينهم المستبحرة ،

بفساد الحديد وغيث النار ، ولم يرضوا لجوارهم بالإخفار^١ ، ولا لنفوسهم بالعار ، إلى أن كان الخروج عن الوطن بعد خطوب تسبح فيها الأقلام سبجاً طويلاً ، وتوسعها الشجون شرحاً وتأويلاً ، وتلقي القصص منها على الآذان قولاً ثقيلاً ، وجزنا البحر وضلوع موجة إشفاقاً علينا تخفق ، وأكف رياحه حسرة تصفق ، ونزلنا من جناب سلطان بني مَرين على المثنوى الذي رَحِب بنا ذَرْعُهُ ، ودل على كرم الأصول فَرَعُهُ ، والكريم الذي وهب فأجزل ، ونزل لنا عن الصَّهْوَة وتنزّل ، وخير وحكم ، وردّ على الدهر الذي تهكم ، واستعبر وتبسم ، وآلى وأقسم ، وبَسَمَلْ وقدّم ، واستركب لنا واستخدم .

ولما بدا لمن وراءنا سيئاتُ ما كسبوا ، وحققوا ما حسبوا ، وطفأ الغُثَاء ورَسَبوا ، ولم ينشب الشقي الخزي أن قتل البائس الذي مَوَّه بزيفه ، وطوّقه بسيفه ، ودل ركب المخافة على خيفه ، إذ أمن المضعوف من كيده ، وجعل ضرغامه بازياً لصيده ، واستقل على أريكته ، استقلال الظليم على تريكته ، حاسر الهامة ، متنقلاً بالشجاعة والشهامة ، مستظهِراً بأول الجهالة والجهامة ، وساءت في محاولة عدوّ الدين سيرته ، ولما حصحص الحقّ انكشفت سريرته ، وارتابت لجنبه المستور جيّرتُهُ ، وفغر عليه طاغية الروم فمه فالتقمه ، ومد عليه الصليبُ ذراعه فراعه ، وشد الكفر عليه يده ، فما عضده الله ولا أيّده ، وتحزمت ثغور الإسلام بعد انتظامها ، وشكت إليه باهتضامها ، وغصت بأشلاء عباد الله وعظامها ، ظهورُ أوضاعها ، ووكلت السنّة والجماعة ، وانقطعت من النُّجج الطّماعة ، واشتدت المجاعة ، وطلعت شمس دعوتنا من المغرب فقامت عليها الساعة ، وأجزنا البحر تكاد جهاته تتقاربان تيسيراً ، ورياحهُ لا تعرف في غير وجهتنا مَسيراً ، وكأنّ ماءه ذوب لقي إكسيراً ، ونهضنا يتقدّمنا الرعب ويتّقيدُ منا الدعاء ، وتجاّجىء بنا الإشارة ويحفزنا الاستدعاء .

١ ق ص : بالإخبار ؛ ولعلها « بالإختار » .

وأقصر الطاغية عن البلاد بعد أن ترك ثغورها مهتومة ، والإخافة عليها محتومة ، وطوابعها مفضوضة وكانت بنا محتومة ، وأخذت الخائن الصبيحة فاختبل ، وظهر تهوّر الذي عليه جُبيل ، فجمع أوباشه السّفلة وأوشابه ، وبهَرّجه الذي غش به المحض وشابه ، وعمد إلى الذخيرة التي صانتها الأغلاق الحريزة ، والمعاقل العزيزة ، فملأ بها المناطق ، واستوعب الصامت والناطق ، والوشح والقراطين ، واحتمل عدّد الحرب والزينة ، وخرج ليلاً عن المدينة ، واقتضت آراؤه الفائلة ، ونعامته الشائلة ، ودَوْلَة بُغية الزائلة ، أن يقصد طاغية الروم بقضه وقضيضه ، وأوجيه وحضيضه ، وطويله وعريضه ، من غير عهد اقتضى وثيقته ، ولا أمر عرف حقيقته ، إلا ما أمل اشتراطه من تبديل الكلمة ، واستئصال الأمة المسلمة ، فلم يكن إلاّ أن تحصّل في قبضته ، ودنا من مضجع ربّضته ، واستشار نصحاءه في أمره ، وحكم الحيلة في جناية غدرة ، وشهره ببلده ، وتولى قتله بيده ، وألحق به جميع من أمدّه في غيه ، وظاهره على سوء سعيه ، وبعث إلينا برؤوسهم فنُصبت بمسور غدرها ، وقلدت لبة تلك البنية بشذرها ، وأصبحت عبرة للمعتبرين ، وآية للمستبصرين ، وأحقّ الله الحقّ بكلماته وقطّع دابر الكافرين .

وعُدنا إلى أريكة ملكنا كما رجع القمر إلى بيته ، بعد كيته وكيته ، أو العقد إلى جيده ، بعد انتثار فريده ، أو الطير إلى وكّره ، مُفْلِتاً من غَوَل الشوك ومكره ، ينظر الناس إلينا بعيون لم تروا مذ غيبنا من مُحَيّا رحمة ، ولا طَشَّتْ عليها بعدنا غمامة رحمة ، ولا باتت للسياسة في ذِمّة ، ولا ركنت لدين ولا همّة ، فطوينا بساط العتاب طيّ الكتاب ، وعاجلنا سطور المؤاخدة بالاضطراب ، وآنسنا نفوس أولي الاقتراف بالاقتراب ، وسهّلنا الوصول إلينا ، واستغفرنا الله لنفسنا ولمن جنى علينا ، فلا تسألوا عمّا أثار ذلك من استدراك نَدَم ، ورسوخ قَدَم ، واستمتاع بوجود بعد عدم ، فسبحان الذي يُمَحِّص ليشيب ، ويأمر بالدعاء ليجيب ، وينبه من الغفلة ويهيب ، ويحتجّي إليه مَنْ يشاء ويَهْدِي

إليه من يُنِيب .

ورأينا أن نطالع علومكم الشريفة بهذا الواقع تسبيهاً للمفاتيح المعتمدة ،
وتمهيداً للموالاتة المجددة ، فأخبار الأقطار مما تنفقه الملوك على أسمارها ،
وترقمُ ببدائعها هالات أقمارها ، وتستفيد منه حُسن السَّير ، والأمان من الغيَر ،
وتستعين على الدهر بالتجارب ، وتستدل بالشاهد على الغائب ، وبلادكم
ينبوعُ الخير وأهله ، ورواقُ الإسلام الذي يأوي قريبه وبعيده إلى ظله ، ومطلع
نور الرسالة ، وأفق الرحمة المثالة ، منه تقدم علينا الكواكب تضرب آباط
أفلاكها ، وتتخلل مداريها المذهبة غدائر أحلاكها ، وتستعلي البدور ، ثم
يدعوها إلى المغرب الحدود ، وتطلع الشمس متجردة من كمائم ليلها ، متهادية
في دركات ميلها ، ثم تسحب إلى الغروب فضلاً ذيلها ، ومن تلقائكم ورد
العلم والعمل ، وأرعي الحمل .

فنحن نستوهب من مظانّ الإجابة لديكم دعاء يقوم لنا مقام المدد ، ويعدل
منه الشيء بالمال والعدد ، ففي دعاء المؤمن بظَهْر الغَيْب ما فيه مما ورد ،
وإياه سبحانه نسأل أن يدفع عنا وعنكم دواعي الفتن ، وغوائل المحن ،
ويحملنا على سنن السنن ، ويلبسنا من تقواه أوقى الجنن ، وهو سبحانه يصل
لأبوتكم ما تستقل لدى قاضي القضاة رسومُه ، فتكتب حقوقه وتكتب خصومُه ،
ولا تكلفه الأيام ولا تسومه ، بفضل الله وعزته ، وكرمه ومنته ، والسلام
الكريم الطيب المبارك بدمه بعد عود ، وجوداً إثر جود ، ورحمة الله تعالى
وبركاته ؛ انتهى .

وللسان الدين ابن الخطيب رحمه الله عن سلطانه المذكور كتاب آخر في هذه
الكائنة إلى كبير الموحدين أبي محمد عبد الله بن تفرجين^١ ، ولعلنا نذكره إن

١ كتبه ابن خلدون « تافراكين » وتحت الكاف نقطة إشارة إلى أنها في النطق كالجيم
المصرية .

شاء الله تعالى في الباب الخامس من هذا القسم ، عند تعرُّضنا لبعض نثر لسان الدين رحمه الله تعالى .

[نقل عن ابن خلدون في خلع الفتي]

وقد ساق هذه القضية قاضي القضاة الشهير الكبير ولي الدين عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي رحمه الله تعالى في تاريخه الكبير في ترجمة السلطان الشهير أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن المريني صاحب المغرب ممّا نصّه^١ : الخبر عن خلع ابن الأحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان : لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة ونُصّب ابنه محمد للأمر واستبدّ عليه رضوان مولى أبيه ، وكان قد رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما ألقى عليه وعلى أمّه من محبته ، فلما عدلوا بالأمر عنه حَجَبُوهُ ببعض قصورهم ، وكان له صهر من ابن عمّه محمد بن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد ، فكان يدعوه سرّاً إلى القيام بأمره ، حتى أمكنته فرصة في الدولة بخروج السلطان إلى بعض منزهاته برياضه ، فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين في أوشاب جمعتهم من الطغّام لثورته ، وعمد إلى دار الحاجب رضوان ، فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرّمه وبناته وقربوا إلى إسماعيل فرسه وركب ، فأدخلوه القصر وأعلنوا بيعته ، وقرعوا طبولهم بسور الحمراء ، وفرّ السلطان من مكانه بمنزله ، فلحق بوادي آش ، وغدا الخاصة والعامة على إسماعيل فبايعوه ، واستبدّ عليه هذا الرئيس ابن عمّه فخلعه لأشهر من بيعته ، واستقل بسلطان الأندلس . ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادي آش بعد مقتل حاجبه رضوان ، واتصل الخبر بالمولى السلطان أبي سالم ، امتعض لمهلك رضوان وخلع السلطان رعيّاً لما سلف له في جوارهم ، وأزعج لحينه أبا القاسم الشريف

١ تاريخ ابن خلدون ٧ : ٣٠٦ وأزهار الرياض ١ : ٢٠٢ .

من أهل مجلسه لاستخدامه ، فوصل إلى الأندلس ، وعقد مع أهل الدولة على إجازة المخلوع من وادي آش إلى المغرب ، وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله ابن الخطيب كانوا اعتقالوه لأوّل أمرهم لما كان رديفاً للحاجب رضوان وركناً لدولة المخلوع ، فأوصى المولى أبو سالم إليهم بإطلاقه ، فأطلقوه ، ولحق مع الرسول أبي القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادي آش للإجازة إلى المغرب ، وأجاز لذي القعدة من سنته ، وقدم على السلطان بفاس ، وأجلّ قدومه ، وركب للقائه ، ودخل به إلى مجلس ملكه ، وقد احتفل ترتيبه ، وغص بالمشيخة والعليّة ، ووقف وزيره ابن الخطيب فأنشد السلطان قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه ، ويستحثه لمظاهرته على أمره ، واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ، ثم سرد ابن خلدون القصيدة ، وقد تقدمت .

ثم قال بعد ما صورته^١ : ثم انفض المجلس وانصرف ابن الأحمر إلى نزلّه ، وقد فرشت له القصور ، وقربت الجياد بالمراكب الذهبية ، وبعث إليه بالكسا الفاخرة ، ورتبت الجرايات له ولمواليه من العلوجي وبطانته من الصنائع ، وحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والراجل ، ولم يفقد من ألقاب ملكه إلا الآلة أدباً مع السلطان ، واستقر في جملته إلى أن كان من لحاقه بالأندلس ، وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين ما نحن نذكره ؛ انتهى المقصود جملته من كلام ابن خلدون في هذه الواقعة ، وفيه بعض مخالفة لكلام لسان الدين السابق في اللوحة البدرية ، إذ قال فيها : إن الثورة عليهم كانت ليلة ثمانٍ وعشرين من رمضان ، وابن خلدون جعلها ليلة سبع وعشرين منه ، والخطبُ سهل ، وقال في « اللوحة » إن انصراف السلطان من وادي آش كان ثاني يوم النحر ، وقال ابن خلدون في ذي القعدة ، ولعله غلطٌ من الكاتب حيث جعل مكان الحجة القعدة .

ورائية ابن الخطيب التي ذكرها هي من حرّ كلامه وغرّر شعره ، على

١ تاريخ ابن خلدون : ٣٠٩ وأزهار الرياض : ٢٠٣ .

أنه كلفه غرر ، إذ جمع فيها المطلوب في ذلك الوقت بأبداع لفظ وأحسن عبارة في ذلك المحفل العظيم ، ولم نزل نسمع في المذاكرات بالمغرب أنه لما انتهى فيها إلى قوله « فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر » قال له بعض من حضر ولعله أراد الغض منه : أحسنت يا وزير فيما قلت ، وفي وصف الحال والسلطان ، غير أنه بقي عليك شيء ، وهو ذكر قرابة السلطان موالينا بني مَرين وهم من هم ، ولا ينبغي السكوت عنهم ، فارتجل ابن الخطيب حينئذ قوله « ومن دون ما تبغيه — إلى آخره » حتى تخلص لمدح بني مَرين أقارب السلطان بما لا مرمى وراءه ، ثم قال بعد ذلك معتذراً « أمولاي غاضت فكري — إلى آخره » وهذا إن صح أبلغ ممّا وقع لأبي تمام في سينيته حيث قال « لا تنكروا ضرّني له — البيتين » لأن أبا تمام ارتجل بيتين فقط ، ولسان الدين ارتجل تسعة عشر بيتاً ، مع ما هو عليه من الخروج عن الوطن وذهاب الجاه والمال ، فأين الحال من الحال ؟

وقد كرر ابن خلدون رحمه الله تعالى في تاريخه قضية اعتقال لسان الدين وخلع سلطانه في موضع آخر ، ولنذكره وإن سبق بعضه لاشتماله على منسل الوزير لسان الدين ، وجملة من أحواله إلى قريب من مهلكه ، فنقول^١ : قال رحمه الله تعالى بعد ذكره عبد الله والد لسان الدين وأنه انتقل من لَوْشَة إلى غرناطة ، واستخدم للملك بني الأحمر ، واستعمل على مخازن الطعام ، ما محصله : ونشأ ابنه محمد هذا ، يعني لسان الدين ابن الخطيب ، بغرناطة ، وقرأ وتأدب على مشيختها ، واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هُذَيْل ، وأخذ عنه العلوم الفلسفية ، وبرز في الطب ، وانتحل الأدب وأخذ عن أشياخه ، وامتلأ من حول اللسان نظمه ونثره^٢ ، مع انتقاء الجيد منه ، ونبغ^٣ في الشعر والترسيل بحيث لا يجارى فيهما ،

١ انظر تاريخ ابن خلدون ٧ : ٣٣٢ - ٣٣٦ وأزهار الرياض ١ : ٢٠٤ .

٢ ابن خلدون : وامتلأ حوض السلطان من نظمه . . . إلخ .

٣ ابن خلدون : وبلغ .

وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر لعصره ، وملأ الدنيا بمدائحهم ، وانتشرت في الآفاق ، فرقاه السلطان إلى خدمته ، وأثبتته في ديوان الكتاب ببابه مرؤوساً بأبي الحسن ابن الحياض شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية ، وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه عندما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه^١ ، فاستبد ابن الخطيب برياسة الكتاب ببابه مشاة بالوزارة ولقبه بها ، فاستقل بذلك ، وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ، ثم داخله السلطان في تولية العمال على يده بالمشارطات فجمع له بها أموالاً ، وبلغ به في المخالصة إلى حيث لم يبلغ بأحد ممن قبله ، وسفر عنه إلى السلطان أبي عنان ملك بني مرين بالعدوة معزياً بأبيه السلطان أبي الحسن فجعل في أغراض سفارته ، ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبع مائة ، عدا عليه بعض الزعانف في سجوده للصلاة ، وطعنه فأشواه . وفاظ لوقته ، وتعاونت سيوف الموالي المملوحي هذا القاتل ، فمزقوه أشلاء ، وبويح ابنه محمد لوقته ، وقام بأمره مولاهم رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الأصغر من ملوكهم ، واستبد بالدولة ، وأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لأبيه ، وجعل ابن الخطيب رديفاً لرضوان في أمره ، ومشاركاً في استبداده معه ، فجرت الدولة على أحسن حال وأقوم طريقة ، ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيراً إلى السلطان أبي عنان مستعدين منه على عدوهم الطاغية على عاداتهم مع سلفه ، فلمّا قدم على السلطان ومثل بين يديه ، تقدم الوفد الذين معه من وزراء الأندلس وفقهائها واستأذنه في إنشاد شعر قدمه بين يدي نجواه ، فأذن له ، وأنشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر علك ما لاح في الدجى قمر

١ سقطت هنا جملة تفيد أن ابن الحياض توفي بالطاعون الحارف سنة ٧٤٩ فولى السلطان أبو الحجاج ابن الخطيب رياسة الكتاب . . . إلخ .

ودافعتُ عنكَ كَفُّ قِدرتهِ ما ليسَ يَستطيعُ دَفْعَهُ البَشَرُ
وَجَهْلُكَ في النَّائِبَاتِ بَدْرُ دَجَى لَنَا وفي المَحَلِّ كَفُّكَ المَطَرُ
والناسُ طَرّاً بِأَرْضِ أَندلسِ لولاكَ ما أوطَنوا ولا عَمروا
وجَمَلَةُ الأَمْرِ أَنَّهُ وَطَنٌ في غَيْرِ عَليَاكَ ما لَهُ وَطَرُ
ومن به مَذْ وَصَلَتِ حَبْلُهُمُ ما جحدوا نعمةً ولا كَفروا
وقد أَهَمَّتْهُمُ بِأَنفُسِهِمُ فوجهوني إِلَيْكَ وانتظروا

فاهتر السلطان لهذه الأبيات ، وأذن له في الجلوس ، وقال له قبل أن يجلس :
ما ترجع إليهم إلاّ بجميع طلباتهم ، ثم أنقل كاهلهم بالإحسان ، وردهم بجميع
ما طلبوه ، وقال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف — وكان معه في ذلك الوفد —
لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا ، ومكثت دولتهم
هذه بالأندلس خمس سنين ، ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن عم السلطان ، شرکه
في جده الرئيس أبي سعيد ، وتحين خروج السلطان إلى منتزهه خارج الحمراء ،
وتسوّر دار الملك المعروفة بالحمراء ، وكبس رضوان في بيته فقتله ، ونصب
للملك إسماعيل ابن السلطان أبي الحجاج بما كان صهره على شقيقته ، وكان
معتقلاً بالحمراء ، فأخرجه وباع له ، وقام بأمره مستبدّاً عليه ، وأحسن
السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان ، فركب ناجياً إلى وادي آش وضبطها ،
وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب ، وقد
كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس ، واعتقل الرئيس القائم بالدولة
هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه ، وكانت بينه وبين الخطيب ابن
مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالأندلس ، وكان غالباً على هوى السلطان
أبي سالم ، فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش يعده زبوناً على
أهل الأندلس ، ويكف به عادية القراية المرشحين هنالك متى طمحووا إلى ملك
المغرب ، فقبل ذلك منه ، وخاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي

آش إليه ، وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمساني ، وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب وحل معتقله فأطلق ، وصحب الشريف أبا القاسم إلى وادي آش ، وسار في ركاب سلطانه ، وقدموا على السلطان أبي سالم^١ ، فاهتز لقدم ابن الأحمر ، وركب في الموكب لتلقيه ، وأجلسه إزاء كرسيه ، وأنشد ابن الخطيب قصيدته يستصرخ السلطان لنصره ، فوعده ، وكان يوماً مشهوداً ، ثم أكرم مثنواه وأرغد نزله ، ووفر أرزاق القادمين مع ركابه ، وأرغد عيش ابن الخطيب في الجراية والإقطاع ، ثم استيأس واستأذن السلطان في التجوال بجبهات مراكش والوقوف على أعمال الملك بها فأذن له ، وكتب إلى العمال بالتحافه فتباروا في ذلك ، وحصل منه على حظ ، وعندما مر بسلا إثر قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ، ووقف على قبر السلطان أبي الحسن ، وأنشد قصيدة على روي الراء يرثيه ويستجير به في استرجاع ضياعه بغرناطة ، مطلعها :

إن بان منزله وشطت داره قامت مقام عيانه أخباره
قسم زمانك عبرة أو عبرة هذي ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة فشفعوه ، واستقر هو بسلا منتبذاً عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ، ثم عاد السلطان محمد المخلوع إلى ملكه بالأندلس سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وبعث عن خلفه بفاس من الأهل والولد ، والقائم بالدولة يومئذ الوزير عمر بن عبد الله بن علي ، فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره ، فسر السلطان لقدمه وردّه إلى منزله كما كان مع رضوان كافله . وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية ملك النصارى في ركاب أبيه عندما أحس بالشر

١ فزين له . . . أبي سالم : سقطت كلها سهواً من ص .

من الرئيس صاحب غرناطة ، وأجاز يحيى من هنالك إلى العُدوة ، وأقام عثمان بدار الحرب ، فصحب السلطان في مَشْوَى اغترابه هنالك ، وتقلب في مذاهب خدمته ، وانحرفوا عن الطاغية عندما يتسوا من الفتح على يده ، فتحولوا عنه إلى ثغور بلادهم ، وخاطبوا الوزير عمر بن عبد الله في أن يمكنهم من بعض الثغور الغربية^١ التي لطاعتهم^٢ بالأندلس يرتقبون منها الفتح . وخاطبني السلطان المخلوع في ذلك ، وكانت بيني وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية ، وخاصة متأكدة ، فوفيت للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله ، وحملته على أن يردَّ عليه مدينة رُنْدَة إذ هي من تراث سلفه ، فقبل إشارتي في ذلك ، وتسوَّغها السلطان المخلوع ونزل بها ، وعثمانُ بن يحيى في جملته وهو المقدم في بطانته ، ثم غزوا منها مالقة ، فكانت ركاباً للفتح ، وملكها السلطان^٣ ، واستولى بعدها على دار ملكه بغرناطة ، وعثمانُ بن يحيى متقدِّم القدم في الدولة عريق في المخالصة ، وله على السلطان دالة واستبداد على هَوَاهُ ، فلما وصل ابنُ الخطيب بأهل السلطان وولده ، وأعادته إلى مكانه في الدولة من علوَّ يده وقبول إشارته ، أدركته الغيرة من عثمان ، ونكَّيرَ على السلطان الاستكفاء به ، وأراه التخوف من هؤلاء الأعياصُ على ملكه ، فحذره السلطان ، وأخذ في التدبير عليه ، حتى نكبه وأباه وإخوته في رمضان سنة أربع وستين وسبعمائة ، وأودعهم المطبق ، ثم غربهم بعد ذلك ؛ وخلا لابن الخطيب الجوّ وغلب على هوى السلطان ودفع إليه تدبير الدولة وخلط بنيه بندمائه وأهل خلوته ، وانفرد ابنُ الخطيب بالحل والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه وعلقت به الآمال ، وغشي بابَه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته ، فتفتنوا في السعايات فيه ، وقد همَّ السلطان

١ ابن خلدون : القرية .

٢ ابن خلدون : أطاعتهم ؛ الأزهار : لطاعتهم .

٣ فكانت . . . السلطان : سقطت من ق .

٤ كذا في ابن خلدون ، وفي ق ص : الأعياص ، حيثما وقعت .

عن قبولها ، ونمي الخبر بذلك إلى ابن الخطيب ، فشمّر عن ساعده في التفويض ، واستخدم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ملك العدوة يومئذ في القبض على ابن عمّه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ابن السلطان أبي علي ابن السلطان أبي سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق ، كانوا قد نصبوه شيخاً على الغزاة بالأندلس لما أجاز من العدوة بعدما جاس خلالها لطلب الملك ، وأضرّم بها نار الفتنة في كل ناحية ، وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حينئذ بدولة بني مرّين ، فاضطر إلى الإجازة إلى الأندلس ، فأجاز هو ووزيره مسعود ابن ماساي ، ونزلوا على السلطان المخلوع أعوام سبعة وستين وسبعمئة ، فأكرم نزلهم ، وتوفّي علي بن بدر الدين شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمن مكانه ، وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله ، فغص بما فعله السلطان المخلوع من ذلك ، وتوقع انتفاض أمره منهم ، ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسرّها في بني مرّين ، فجزع لذلك ، وداخله ابن الخطيب في اعتقال ابن أبي يفلوسن وابن ماساي وإراحة نفسه من شغبهم على أن يكون له المكان من دولته متى نزع إليه ، فأجابه إلى ذلك ، وكتب له العهد بخطه على يد سفيره إلى الأندلس ، وكاتبه أبي يحيى ابن أبي مدين ، وأغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن أبي يفلوسن وابن ماساي ، فتقبّض عليهما واعتقلهما^١ ، وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية ، وربما تخيل أن السلطان مال إلى قبولها ، وأنهم قد أحفظوه عليه ، فأجمع التحوّل عن الأندلس إلى المغرب ، واستأذن السلطان في تفقد الثغور ، وسار إليها في لُمة من فرسانه ، وكان معه ابنه علي الذي كان خالصة للسلطان ، وذهب ليطيّته ، فلما حاذى جبل الفتح قرّضته المجاز إلى العدوة مال إليه ، وسرح إذنه بين يديه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه . وقد كان السلطان عبد العزيز

١ وأغرى . . . واعتقلهما : سقطت من ابن خلدون ، وفيها تكرار لما سبق .

أوعز إليه بذلك ، وجهاز له الأسطول من حينه فأجاز إلى سبتة ، وثلثاه ولاتها بأنواع التكرمة وامتنال المراسم ، ثم سار لقصد السلطان ، فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمقامه من تلمسان ، فاهترت له الدولة ، وأركب السلطان خاصته لتلقيه ، وأحله من مجلسه بمحل الأمن والغبطة ، ومن دولته بمكان التنويه والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى ابن أبي مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس في طلب أهله وولده ، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن والتكرمة ، ثم أكثر المنافسون^١ له في شأنه ، وأغروا سلطانه بتبج عثراته ، وإبداء ما كان كامناً في نفسه من سقطاته ، وإحصاء معاييه ، وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة إلى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها ، ورفعت إلى قاضي الحضرة أبي الحسن ابن الحسن فاسترهاها ، وسجل عليه بالزندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه ، وبعث القاضي ابن الحسن إلى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجلات ، وإمضاء حكم الله فيه ، فصم عن ذلك وأنف لذمته أن تخفر بلخواره أن يرد وقال لهم : هلاً انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ، وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جيّاري . ثم وفر الجراية والإقطاع له ولبنيه ولن جاء من أهل الأندلس في جملته ، فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين وسبعمائة ورجع بنو مَرّين إلى المغرب وتركوا تلمسان سار هو في ركاب الوزير أبي بكر ابن غازي القائم بالدولة ، فنزل بفاس ، واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنان ، وحفظ عليه القوائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى ، واتصلت حاله على ذلك إلى أن كان ما نذكره ؛ انتهى .

١ ابن خلدون : لفظ المنافسون ؛ ق : المتنافسون .

[رواية ابن خلدون عن نهاية لسان الدين]

وقال ابن خلدون في تاريخه ما صورته^١ : كان محمد بن الأحمر المخلوع قد رجع من رُنْدَة إلى ملكه بغرناطة في جمادى من سنة ثلاث وستين ، وقتل له الطاغيةُ عدوّه الرئيس المنتري على ملكهم حين هرب من غرناطة إليه وفاء بعهد المخلوع ، واستوى على كرسيه ، واستقلّ بملكه ، ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب ، فاستخلصه ، وعقد له على وزارته ، وفوض إليه في القيام بملكه ، فاستولى عليه ، وملك هواه ، وكانت عينه ممتدة إلى المغرب وسكانه ، إلى أن نزلت به آفة في رياسته فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه ، وكان لأبناء السلطان أبي الحسن كلهم غيرة من ولد عمهم السلطان أبي علي ، ويخشونهم على أمرهم ، ولما لحق الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب ، واستخلصه لنجواه ، ورفع في الدولة رتبته ، وأعلى منزلته ، وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زَنَانة مكان بني عمّه من الأعياص ، فكانت له آثار في الاضطلاع بها ، ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره واستقل بملكه وكان ابن الخطيب^٢ ساعياً في مرضاته عند سلطانه ، فُدس إليه باعتقال عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ووزيره مسعود بن ماساي ، وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره ، وحمل السلطان عليهما إلى أن سطا بهما ابنُ الأحمر ، واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز ، وتغير الجوّ بين ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم وتنكر له ، فترع عنه إلى عبد العزيز سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين وسبعمائة لما قدم من الوسائل ومهد من السوابق ، فقبله السلطان وأحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب ، وخاطب ابن الأحمر في أهله وولده فبعثهم إليه ، واستقر في جملة السلطان ، ثم تأكدت العداوة بينه

١ تاريخ ابن خلدون ٧ : ٣٣٧ وأزهار الرياض ١ : ٢٢٤ .

٢ واستخلصه . . . الخطيب : سقطت من ص سهواً .

وبين ابن الأحمر ، فرغَّبَ السلطان عبد العزيز في ملك الأندلس وحمله عليه ، وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان إلى المغرب ، ونمي ذلك إلى ابن الأحمر ، فبعث إلى السلطان عبد العزيز بهدية لم يُسمع بمثلها انتقى فيها من متاع الأندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوجي السبي وجواريه ، وأوفد بها رسله يطلب إسلامَ وزيره ابن الخطيب إليه ، فأبى السلطان من ذلك ونكره . ولما هلك السلطان واستبدَّ الوزير ابن غازي بالأمر تَحَيَّزَ إليه ابن الخطيب وداخله ، وخاطبه ابن الأحمر بمثل ما خاطب به السلطان عبد العزيز ، فلجَّ واستنكف عن ذلك ، وأقبح الرد وانصرف رسوله إليه وقد رهب سطوته ، فأطلق ابن الأحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأركبه الأسطول ، وقذف به إلى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماساي ، ونهض - يعني ابن الأحمر - إلى جبل الفتح ، فنازله بعساكره ، ونزل عبد الرحمن ببطوية .

ثم ذكر ابن خلدون كلاماً كثيراً تركته لطوله ، وملخصه^١ أن الوزير أبا بكر ابن غازي الذي كان تحيز إليه ابنُ الخطيب ولَّى ابنَ عمِّه محمد بن عثمان مدينة سبتة خوفاً عليها من ابن الأحمر ، ونهض هو - أعني الوزير - إلى منازل عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ببطوية إذ كانوا قد بايعوه ، فامتنع عليه ، وقاتله أياماً ثم رجع إلى تازا ، ثم إلى فاس ، واستولى عبد الرحمن على تازا ، وبينما الوزير أبو بكر بفاس يدبر الرأي إذ وصله الخبر بأن ابن عمِّه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبي سالم ، وهو المعروف بلدي الدولتين ، وهذه هي دولته الأولى ، وذلك أن ابن عم الوزير وهو محمد بن عثمان لما تولى سبتة كان ابن الأحمر قد طاول حصار جبل الفتح ، وأخذ بِمُخَنَّقِهِ وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب ، فاستعتب له ، وقبح ما جاء به ابن عمِّه الوزير أبو بكر ابن غازي من الاستغلاظ له في شأن ابن الخطيب وغيره ، فوجد ابنُ

١ تاريخ ابن خلدون ٧ : ٣٣٨ - ٣٤١ وأزهار الرياض ١ : ٢٢٦ .

الأحمر في ذلك السيل إلى غرضه ، وداخله في البيعة لابن السلطان أبي سالم من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة ، وأن يقيمه للمسلمين سلطاناً ولا يتركهم فوضى وهملاً تحت ولاية الصبي الذي لم يبلغ ولا تصح ولايته شرعاً ، وهو السعيد بن أبي فارس الذي بايعه الوزير أبو بكر ابن غازي بتلمسان حين مات أبوه واستبد عليه ، واختص ابن الأحمر أحمد بن أبي سالم من بين أولئك الأبناء لما سبق بينه وبين أبيه أبي سالم من الموات ، وكان ابن الأحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطاً : منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح الذي هو محاصر له ، وأن يبعثوا إليه جميع أبناء الملوك من بني مَرِين ليكونوا تحت حِوْطته ، وأن يبعثوا إليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا عليه ، فانهقد أمرهم على ذلك ، وتقبل محمد بن عثمان شروطه ، وركب من سبتة إلى طنجة ، واستدعى أبا العباس أحمد من مكان اعتقاله فبايعه ، وحمل الناس على طاعته ، واستقدم أهل سبتة للبيعة وكتابتها فقدموا وبايعوا ، وخاطب أهل جبل الفتح فبايعوا ، وأفرج ابن الأحمر عنهم ، وبعث إليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالتزول له عن جبل الفتح ، وخاطب أهله بالرجوع إلى طاعته ، فارتحل ابن الأحمر من مَالْقَة إليه ، ودخله ، ومحا دولة بني مَرِين معاً وراء البحر ، وأهدى للسلطان أبي العباس وأمدّه بعسكر من غزاة الأندلس ، وحمل إليه مالاً للإعانة على أمره . ولما وصل الخبر بهذا كله إلى الوزير أبي بكر ابن غازي قامت عليه القيامة ، وكان ابن عمّه محمد بن عثمان كتب إليه يُسَمِّوه بأن هذا عن أمره ، فغبراً من ذلك ، ولطف ابن عمّه أن ينقض ذلك الأمر ، فاعتلّ له بانعقاد البيعة لأبي العباس ، وبينما الوزير أبو بكر ينتظر إجابة ابن عمّه إلى ما رآه منه بلغه الخبر بأنّه أشخص الأبناء المعتقلين كلهم للأندلس ، وحصلوا تحت كفالة ابن الأحمر ، فوجم وأعرض عن ابن عمّه ، ونهض إلى تازا لمحاصرة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ، فاهتبل في غيبته ابن عمّه محمد بن عثمان ملك المغرب ووصله مدد السلطان ابن الأحمر من رجال الأندلس الناشبة نحو ستمائة ، وعسكر آخر من

الغزاة ، وبعث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابن عمه السلطان أحمد ومظاهرتة واجتماعهما على ملك فاس ، وعقد بينهما الاتفاق على أن يختص عبد الرحمن بملك سلفه ، فراضيا . وزحف محمد بن عثمان وسلطانه إلى فاس ، وبلغ الخبر إلى الوزير أبي بكر بمكانه من تازا ، فانقضّ معسكره ، ورجع إلى فاس ، ونزل بكدية العرائس وانتهى السلطان أبو العباس أحمد إلى زرهون ، فصمد إليه الوزير بعساكره ، فاختلف مصافه ، ورجع على عقبه مفلولاً ، وانتهب عسكره ، ودخل البلد الحديد ، وجأجأ بالعرب أولاد حسين فعسكروا بالزيتون ظاهر فاس ، فنهض إليهم الأمير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الأجلاف ، وشردهم إلى الصحراء ، وشارف السلطان أبو العباس أحمد بجموعه من العرب وزناته ، وبعثوا إلى ولي دولتهم ونزمار ابن عريف بمكانه من قصره الذي اختطه بملوية ، فجاءهم ، وأطلعوه على كامن أسرارهم ، فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق ، فاجتمعوا بوادي النجا ، وتحالفوا ثم ارتحلوا إلى كدية العرائس في ذي القعدة من سنة خمس وسبعين وبرز إليهم الوزير بعساكره ، فانهزمت جموعه ، وأحيط به ، وخلص إلى البلد الحديد بعد غصّ الريق ، واضطرب معسكر السلطان أبي العباس بكدية العرائس ونزل الأمير عبد الرحمن بإزائه ، وضربوا على البلد الحديد سياجاً بالبناء للحصار ، وأنزلوا بها أنواع القتال والإرهاب ، ووصلهم مدد السلطان ابن الأحمر ، فأحكموا الحصار ، وتحكموا في ضياع الوزير ابن الخطيب بفاس ، فهدموها وعاثوا فيها . ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل محمد بن عثمان ابن عمه الوزير أبا بكر في النزول عن البلد الحديد والبيعة للسلطان ، لكون الحصار قد اشتد به ويش وأعجزه المال ، فأجاب واشترط عليهم الأمير عبد الرحمن التجاني له عن أعمال مراکش بدل سجل ماسة ، فعقدوا له على كره ، وطوّوا على المكر ، وخرج الوزير أبو بكر إلى السلطان وبايعه ، واقتضى عهده بالأمان وتخلى سبيله من الوزارة ، ودخل السلطان أبو العباس إلى البلد

الجديد سابع المحرم ، وارتحل الأمير عبد الرحمن يومئذ إلى مراكش ، واستولى عليها ، انتهى .

[رواية ابن الأحمر]

وقال حفيد السلطان ابن الأحمر في تاريخه ما صورته : لما لحق الرئيس أبو عبد الله ابن الخطيب بالمغرب عام اثنين وسبعين وسبعمائة ، وكان من وفاة مجيره والمحامي عنه السلطان عبد العزيز ما ألعنا بذكره ، شدّ الوزير أبو بكر ابن غازي يده على ابن الخطيب بانياً على أشد الأشياء ألا يُسلمه لمولانا جدنا مع توقع البغضاء ، واقتدى هذا الوزير بالسلطان عبد العزيز في إعراضه عن العقود الموجهة من الأندلس بالمُقَدِّع من مَؤَبِّقات ابن الخطيب ، ولج في الغُلُوء ، وسجل موجبات الوفاء ، والبواعث من مولانا جدنا تزايد ، والأساطيل تتجهز ، والآراء بالقصد الخطير ينتقى منها الصواب ويتخير ، حتى خيم مولانا جدنا بظاهر جبل الفتح ، وكان إذ ذاك راجعاً إلى إيالة المغرب ، فأناخ عليه كلكل الجيش ، وأهمهم ثقل الوطأة ولم يبالِ مولانا جدنا بما أرسلت آناء الليل وأطراف النهار من شآبيب الأنفاط ، والجوار من باب الشطائين قريب ، والخالصة من الثقات مستريب ، والنجاة من تلك الأهوال من الأمر الغريب ، ولم يبق بغرناطة مَنْ له خلوص ، ولا من تترامى به همّة إلا وأعمل السير الحثيث ولحق بمولانا جدنا لحاق المحب بالحبيب ، حتى أهلّ العلم ، والرجاحة والحلم ، ولا كالسيد الإمام الأستاذ أبي سعيد قطب الحملة ، وعميد الملة ، وهو الذي بلغنا نظمه في هذه الوجهة ، وعندما ألقى عصا التسيار في الجهة القريبة من أولي العداوة ، ومن ذلك قصيدته المشهورة التي أولها :

يا جِبَلِ الفتح استمكت نفوسنا فلا قلبَ إلا نحو مغناك قد سبق
فأرسلت إذ جثناك فينا صواعقاً تحالُ بها جوّ السماء قد انطبق

وقوله في إجابة السفهاء من الهاتفين بالسور موطئاً معجباً رحمة الله تعالى عليه :

وذمّوا وما يعنون إلا مذمّماً وأنت - بحمد الله - تدعى محمداً

وقول حامل اللواء الآتي ذكره في تضاعيف الأسماء :

أما مَرَامُكَ في عِراضِ البِيدِ فمِبْلَغُ ما شَتَّ من مقصودِ
والهُجْرُ إنْ أَلْقَتْهُ ألسنةُ العِداِ يَأباهُ فضلُ مقامِكَ المحمودِ
سحقاً لهم سفهاء كلِّ قَبيلةٍ شَدَّتْ مَقالَتَهُم عن المعهودِ
قد ضَلَّتْ الأحلامُ منهم رَشدها هذا ، ومنك الحِلْمُ غيرُ بعيدِ
مع عزيمةٍ لو شَتَّ هَدَّتْ كلَّ ما قد أَحكموا من مُعلِّمٍ ومُشيدِ

إلى أن قال : انخبر عن اجتماع الأميرين أبي العباس وأبي زيد متصاحبين ومترافقين على استخلاص مدينة فاس من يد الوزير أبي بكر ابن غازي بن الكاس :
وكتب الرئيس أبو عبد الله ابن زَمْرَك في مخلص هذه الكائنة حث الوزير محمد ابن عثمان السير في وسط عام خمسة وسبعين وسبعمائة ، وتلاقى بسلطانه أبي العباس مع الأمير أبي زيد عبد الرحمن ، واستقلا بالطائفة ، وحصلا من التضييق على السعيد الطفل الصغير وعلى وزيره أبي بكر ابن غازي في متسع الخطة ورحيب ذرع الخلافة ، وتصالحا عن رضى وتسليم منهما ومن أشياعهما على تسليم السعيد إلى اللحاق بمن كان في طنجة من الأمراء ، واتصل السلطان عبد الرحمن بمراكش ، فكان ملكها وجابي أموالها ، وتملك السلطان أبو العباس مدينة فاس وما والى البلاد الساحلة وسواها مما يحتوي عليه ملك المدينة البيضاء برآ وبحراً .

وعبر كاتب الدولة عن المدينة وعن الطفل متملكها بقوله : وإلى هذا فقد ارتفع الالتباس ، واطّرد القياس ، وغيرُ خفيٍّ عن ذي عقل سليم ، وذو تفويض للحق وتسليم ، أن دار الملك المريني كمامة بلا زهر ، ورياض بلا نهر ، إن لم يقتعد كرسىها ، من يزين جيدها ويحيد حليها ، وأن أوان البشرى لمن يمتنع

للدين ، والآن قلادة التقوى مَنُوطَة بقلم أعلام الملوك المهتدين ، ثم ذكر ما يطول من فصول ، وربما اشتملت على فضول ، وملخصه مثل ما ذكر ابن خلدون .

[تمة الخبر عن نهاية لسان الدين تقياً عن ابن خلدون]

ثم ساق قاضي القضاة ابن خلدون — بعد ما تقدم جكبه من تاريخه — الكلام على محنة لسان الدين ابن الخطيب ووفاته مقتولاً رحمه الله تعالى فقال ما صورته^١ :
ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الحديد دار ملكه فاتح ست وسبعين استقل بسلطانه ، والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه ، وسليمان بن داود بن اعراب كبير بني عسكر رديفه ، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر — عندما بويج بطنجة — على نكبة الوزير ابن الخطيب وإسلامه إليه ، لما نمي إليه عنه أنه كان يغري السلطان عبد العزيز بملك الأندلس ، فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقيه أبو بكر ابن غازي بساحة البلد الحديد ، فهزمت السلطان ولازمه بالحصار ، أوى معه ابن الخطيب إلى البلد الحديد خوفاً على نفسه ، فلما استولى السلطان على البلد أقام أياماً ، ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض على ابن الخطيب ، فقبضوا عليه ، وأودعوه السجن ، وطيروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر . وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الأحمر على مشيخة الغزاة بالأندلس متى أعاده الله تعالى إلى ملكه ، فلما استقر إليه سلطانه أجاز إليه سليمان سفيراً عن الوزير عمر بن عبد الله ومقتضياً عهده من السلطان ، فصده الوزير ابن الخطيب عن ذلك ، محتجاً بأن تلك الرياسة إنما هي لأعياص الملك من بني عبد الحق ، لأنهم يعسوب زناته ، فرجع سليمان ، وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ، ثم جاوز الأندلس لمحل إمارته من جبل الفتح فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات

١ تاريخ ابن خلدون ٧ : ٣٤١ وأزهار الرياض ١ : ٢٢٩ .

ينفث كل واحد منهما لصاحبه بما يُحفظه ممّا كمن في صدورهما . وحين بلغ خبر القبض على ابن الخطيب إلى السلطان ابن الأحمر بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب ، وهو أبو عبد الله ابن زمّرك ، فقدم على السلطان أبي العباس ، وأحضر ابن الخطيب بالمشور^١ في مجلس الخاصة ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في المحبة ، فعظم النكير فيها ، فويخ ونكل وامتنحن بالعذاب بمشهد ذلك الملاء ، ثم تُلّ إلى محبسه ، واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه ، وأقنى بعض الفقهاء فيه ، ودس سليمان بن داود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلاً ، ومعهم زعانفة جاؤوا في لفيف الخدم مع سُفراء السلطان ابن الأحمر وقتلوه خنقاً في محبسه ، وأخرج شلّوه من الغد ، فدفن بمقبرة باب المحروق ، ثم أصبح من الغد على ساقه^٢ قبره طريحاً ، وقد جُمعت له أعواد ، وأضرمت عليه نار ، فاحترق شعره ، واسودّ بشره ، فأعيد إلى حفرة ، وكان في ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان ، واعتدّوها من هَناته ، وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته ، والله الفعال لما يريد .

وكان — عفا الله تعالى عنه — أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتُجهش هوآتِفُهُ بالشعر يبكي نفسه ، وممّا قال في ذلك رحمه الله تعالى :

بَعْدُنَا وَإِنْ جَاوَرَتْنَا الْبُيُوتُ وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ
وَأَنْفَاسُنَا سَكَنْتُ دَفْعَةً كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهِ الْقُنُوتُ
وَكُنَّا عِظَاماً فَصَرْنَا عِظَاماً وَكُنَّا نَقُوتُ فِيهَا نَحْنُ قُوتُ
وَكُنَّا شَمُوسَ سَمَاءِ الْعُلَا غَرَبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْنَا السُّمُوتُ
فَكَمْ جَدَلْتُ ذَا الْحَسَامِ الطُّبِّي وَذُو الْبَحْتِ كَمْ جَدَلْتَهُ الْبُخُوتُ

١ تصحفت الكلمة في ق ص ؛ والمشور : القصر لأنه موضع الشورى .

٢ ق وابن خلدون والأزهار : شاقة .

وكم سيقَ للقبر في خرقَةٍ فتى ملئت من كُساه التَّخوتُ
فقل للعدا ذهب ابنُ الخطيبِ وفات، ومَن ذا الذي لا يفوتُ
ومن كان يفرحُ منهم له فقل: يفرحُ اليومَ من لا يموتُ
انتهى كلام ابن خلدون في «ديوان العبر» .

[عن ابن حجر]

وقال الحافظ ابن حجر في «أنباء الغمر» بعد أن ذكر ما قدمناه على سبيل
الاختصار ، ما نصّه : واشتهر أنّه — يعني لسان الدين — نظم حين قدّم للقتل
الآيات المشهورة التي يقول فيها :

وقلّ للعُدّة مضي ابنُ الخطيبِ وفات فسُبْحان من لا يفوت
فمن كان يشمت منكم به فقل : يشمت اليومَ من لا يموت

والصحيح في ذلك ما ذكره صديقه شيخنا ولي الدين ابن خلدون أنّه نظم
الآيات المذكورة وهو في السجن ، لما كان يستشعر من التشديد ؛ انتهى .
ثم حكى ابن حجر عن بعض الأعيان أن ابن الأحمر وجّهه إلى ملك
الإفرنج في رسالة ، فلمّا أراد الرجوع أخرج له رسالة لابن الخطيب تشتمل
على نظم ونثر ، فلمّا قرأها قال له : مثل هذا كان ينبغي أن لا يُقتل ، ثم بكى
حتى بل ثيابه ، انتهى كلام الحافظ ، وبعضه بالمعنى . فانظر — سدّدك الله تعالى —
بكاء العدو الكافر على هذا العلامّة ، وقتل إخوانه في الإسلام له على حظ
نفساني ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ، لا ربّ غيره .

[تخميس لآيات لسان الدين]

قلت : ورأيت بحضرة فاس — حاطها الله تعالى — تخميساً لهذه الآيات بديعاً

منسوباً إلى بعض بني الصباغ ، وزاد في الأصل بعض أبيات على ما ذكره ابن
خلدون من هذه القطعة ، والمزیدُ يشبه نفسَ لسان الدين ابن الخطيب ، فلعل
ابن خلدون اختصر منها ، أو لم يقف على الزائد ، ولنثبت جملته تمييزاً
للمقصود ، فنقول : قال رحمه الله تعالى ^١ :

أيا جاهلاً غَرَّهُ ما يفوتُ وألهاهُ حالٌ قليلُ الثبوتِ
تأملُ لمنْ بعد أنسٍ يقوتُ ^٢ بَعُدْنَا وإنْ جاورتنا البيوتُ
وجئنا بوعظٍ ونحنُ صموتُ

لقد نلتُ مِنْ دهرنا رفعةً تَقَصَّتْ كبري مضي سرعةً
فَهَيَّاهُ نرجو لها رجعةً وأصواتنا سكنتُ دفعةً
كجهر الصلاةِ تلاهُ القُتوتُ

بدا لي من العزِّ وجهُ شبابٍ يُؤمِّلُ سَيِّي وبأسي يُهابُ
فسرعان مُزَّقَ ذاك الإهابُ ومدت وقد أنكرتنا الثيابُ
علينا نساءجها العنكبوتُ

فأهلاً لعزِّي تَقَضَّى مناماً منحنا بهِ الجاه قوماً ^٣ كراماً
وكنّا نسوسُ أموراً عظاماً وكنّا عظاماً فصرنا عظاماً
وكنّا نقوتُ فيها نحنُ قوتُ

١ هذا التخميس في أزهار الرياض ١ : ٢٣١ .

٢ الأزهار : يصوت .

٣ الأزهار : دوماً .

وكنّا لدى الملك حَكْنِي الطُّلّ فآهاً عليه زماناً خلا
نُعَوِّضُ من جِدَّةٍ بالبلي وكنّا شمساً سماء العُلا
غربنا فَناحت علينا السموت

تعودتُ بالرغم صرف الليالي وحمَلْتُ نفسي فوقَ احتمالي
وأيقنتُ أن سوفَ يأتي ارتحالي ومَنْ كان منتظراً للزوالِ
فكيفَ يؤمِّل منه الثبوت

هو الموتُ يا ما له مِنْ نَبَا يجوزُ الحجابَ إلى مَنْ أبى
ويألفُ أخذَ سَيِّ الحُبَا فكم أسلمتُ ذا الحسامِ الظُّبى
وذا البختِ كم جدَّته البخوت

هُوَ المَوْتُ أَفْصَحَ عَنْ عُجْمَةٍ وأيقظَ بالوعظِ من خفقةٍ
وسلّى عَنْ الحزنِ ذا حرقةٍ وكم سيقَ للقبرِ في خرقةٍ
ففى مُلئت من كساه التخوت

تَقَضَّى زماني بعيشٍ خصبٍ وعندي للذبي انكسارُ المنيبِ
وها الموتُ قد صبتُ منه نصيبي فقلْ للعدا ذَهَبَ ابنُ الخطيبِ
وفات ومن ذا الذي لا يفوت

مَضَى ابنُ الخطيبِ كمنْ قبله ومن بعده يقتضي سُبُلُهُ
وهذا الردى نائر شَمْلُهُ فمن كانَ يفرحُ منهم له
فقل : يفرح اليوم من لا يموت

.....

١ ن : يبتغي .

هو الموتُ عمٌّ فما للعدا يُسَرُّون بي حين ذقتُ الردى
ومن فاتته اليومَ يأتي غداً سيلى الحديدُ إذا ما المدى
تتابع آحادهُ والسُّبوتُ

أُخَيَّ تَوَخَّ طَرِيقَ النِّجاةِ وَقَدَّمَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَمَاتِ
وَشَمَّرَ بِجِدِّ لَمَّا هُوَ آتٍ وَلَا تَغْتَرَّ بِسِرَابِ الْحَيَاةِ
فَلَمَّا تَكَ عَمَّا قَرِيبٍ تَمُوتُ

وقد ذكرني قوله رحمه الله تعالى « فمن كان يفرح منهم له - إلى آخره »
قول بعض العلماء الشاميين :

يا ضاحكاً بمن استقلَّ غباره سيثور عن قدميك ذاك العِثْرُ
لا فارسٌ يجنودها مَنَعَتْ حمى كسرى ، ولا للروم خُلْدٌ قِصْرُ
جَدَدٌ مَضَتْ عادٌ عليه وجُرْهم وتلاه كهلان وعَقَبَ حميرُ
وسطا بَغْسَانُ الملوك وكنِندة فلها دماء عنده لا تُثَارُ
لعبت بهم فكأنهم لم يخلقوا ونُسُوا بها فكأنهم لم يُذكروا

[فصل في الاعتبار لابن دحية]

وما أحسن قول أبي الخطاب ابن دحية الحافظ بعد كلام ما صورته^١ :
وأخذت من طريق خوزستان إلى طريق حلوان ، وقاسيت من الغربية أصناف
الألوان ، ومررت على مدائن كسرى أنوشروان ، وزرت بها قبر صاحب
النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الزاهد العابد المعمر سلیمان ، وأعملت منها السير
والإغذاذ ، إلى مدينة بغداد ، فنظرت إليها معالم وربوعاً ، وأقمت بها مرة عاماً
ومرة أسبوعاً وأسبوعاً ، وأنا أبدي في ندائهم وأعيد ، والترب قد علا على
منازلهم والصعيد ، وأسأل عن الخلفاء الماضين وأنشد ، ولسان الحال يجاوبني
ويُشَد :

١ انظر كتاب التبراس : ١٦٨ .

يا سائلَ الدارِ عن أناسٍ ليس لهم نحوها معادُ
مرَّت كما مرَّت الليالي أين جدّيسٌ وأين عادُ

بل أين أبو البشر آدم الذي خلقه بيده الكبير المتعال ؟ أين الأنبياء من ولده
والأرسال ، أهلُ النبوة والرسالة ، والوحي من الله ذي الجلاله ؟ أين سيدهم
محمد الذي فضّله عليهم ذو العزة والجلال ، وجعله شفيعهم مع أمته والناسُ في
شدائد الأهوال ؟ أين القرون الماضية والأجيال ؟ أين التبابعة والأقبال ؟ أين
ملوك همدان ؟ أين أولو الأبلق الفرد أو غمّدان ؟ أين أولو التيجان والأكاليل ؟
أين الصيّد والبهايل ؟ بل أين النمارذة وأكبرهم نمرود لإبراهيم الخليل ؟
أين الفراعنة ومن هو بالسحر عليم ، الذين منهم فرعون موسى الكليم ؟ أين
ملك الهدنانية^١ هدد بن بدد الكردي ، الذي لم يكن غدره بمفيد له ولا مُجندي ؟
وقد أخبر الحقُّ جل جلاله عنه أنّه كان يأخذ كل سفينة غصباً ، وزعم المؤرخون
أنّه كان أيضاً يملأ القلوب رعباً ، ويسوم أصحابه قتلاً وصلباً ، مع الطمع في
المال ، وعدم النظر في عقبي المال . أين الفُرس وملوكها ، وعدلها وعدولها ؟
أين دارا بن دارا بن بهمان ؟ أين إسكندر بن فليس اليوناني الذي غلبه وملك بلاده
في ذلك الزمان ، وأطاعه جميع ملوك الأقاليم ، وقدر الله به امتحان الخلق ذلك
تقدير العزيز العليم ؟ أين كسرى وقيصر ؟ غلبهما من الموت الأسد القسّور ،
بعد أن أخرجهما من بلادهما أمير المؤمنين أبو حفص عمّره ، لما ظهرت الملة
الحنيفية كما ظهرت^٢ الشمس وبدا القمر ، أين أولاد جفّنة وملوك غسان ؟
أين مماديع زياد وحسان ؟ أين هريم بن سنان ؟ أين المُلّاعب بالسنان ؟ أين أولاد
مضر بن نزار بن معد بن عدنان ؟ أين بنو عبد المدان ؟ أين أرباب العواصم ؟
أين قيس بن عاصم ؟ أين العرب العرباء الأمة الفاضلة ، والجماعة المناضلة ؟
أين أولو الباس والحِفاظ ، وذوو الحميّة والإحفاظ ؟ حيث الوفاء والعهد ،

١ في ابن الأثير والتنبيه وابن حوقل : الهدبانية .

٢ ق ص : ظهر .

والحياء والرّفد ، إلى علوّ الهمم ، والوفاء بالذّمم ، والعطاء الجزل ، والضيف والنزل ، وهبة الافال والبزل ، وإنها لا تدين عزّاً ولا تُفاد ، ولا ترام أنفة ولا تفاد ، أين قریش المغرورون في الجاهلية بالحي القاح ، والشعب الرقاح ؟ أين الماضون من ملوك بني أمية ذوو الألسن الدلق ، والأوجه الطلق والحمية ؟ أين خلفاء بني العباس بن عبد المطلب ، الذين شرفهم بالأصالة وليس إليهم بالمنجلب ؟ ذوو الشرف الشامخ ، والفخر الباذخ ، والخلافة السنية الرضية ، والمملكة العامة المرضية . بلغتنا والله وفائهم ، ولم يبق إلا ذكرهم وصفاتهم ، قبض ملك الموت أرواحهم قبضاً ، ولم يترك لهم حراكاً ولا نبضاً ، ومزق الدود لحومهم قدداً ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ، إلا ما كان من أجساد الأنبياء عليهم أفضل التسليم ، فإن الله تعالى حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، وقد تكلمت على هذا الحديث وأثبت أنه من الصحيح لا السقيم ، وخرجت طرقة في كتابي «العلم المشهور»^١ بعون من العزيز الرحيم ، فما أبعد المرء عن رشده وما أقصاه ، كم وعظه الدهر وكم وصاه ، يخلط الحقيقة بالمحال ، والعاطل بالحال ، ولا توبة حتى يشيب الغراب ، ويألف الدم التراب ، فيا لهفي لبعد الدار ، وانقضاض الجدار ، وأنت هامة ليل أو نهار ، وقاعد من عمرك على شفا جرف هار ، تقرأ العلم وتدعيه ، ولا تفهمه ولا تعيه ، فهو عليك لا لك ، فأولى لك ثم أولى لك ، أما آن لليل الغي أن تنجلي أحلاكه ، ولنظم البغي أن تنتثر أسلاكه ، وأن يستفزع الجاني جنّاه ، ويأسف على ما اقترفه وجنّاه ، وأن يلبس عهادته بتاً^٢ ، ويطلق الدنيا بتاً ، ويقر منها فرار الأسد ، ويتيقن أنه لا بدّ من مفارقة الروح الجسد ، نبهنا الله تعالى من سينات غفلاتنا ، وحسن ما ساء من صنائعنا الذميمة وسلاتنا ، وجعل التقوى أحصن عدّتنا وأوثق آلاتنا ، اللهم إليك المآب . وببيدك المتاب ، قد واقعنا الخطايا ،

١ هو العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور .

٢ ق ص : رباً .

وركبنا الاجرام رواحل ومطايا ، فتب علينا أجمعين ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين الطائعين ، وصلى الله على سيد ولد آدم محمد شفيعنا يوم القيامة ، وصاحب الخوض المورود والمقام المحمود والكرامة ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه أهل الرضوان المنتخبين ، وسلام الله عليه وعليهم إلى يوم الدين ؛ انتهى وهو آخر كتابه « النبراس في تاريخ بني العباس » وذكرته بطوله لمناسبته . قلت : وقد سلكت هذا المنحى نظماً في خطبة هذا الكتاب كما مرّ ، واللسان الدين رحمه الله تعالى كلام قريب من هذا سيأتي في ثره إن شاء الله تعالى . وأقول : إنني قد تذكرت هنا قول القائل ^١ :

نَطْوِي سُبُوتاً وَآحَاداً وَنَنْشُرُهَا وَنَحْنُ فِي الطَّيِّ بَيْنَ السَّبْتِ وَالْأَحَدِ
فَعُدَّ مَا شَتَّ مِنْ سَبْتٍ وَمِنْ أَحَدٍ لَا بَدَّ أَنْ يَدْخُلَ الْمَطْوِيُّ فِي الْعَدَدِ
وقول الآخر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ يَتَكَرَّرُ مِنْ سَبْتٍ عَلَيْكَ إِلَى سَبْتٍ
فَقُلْ لِحَدِيدِ الْعَيْشِ لَا بَدَّ مِنْ بِلَى وَقُلْ لاجتماع الشمل لا بد من شتّ

[نبذة عن أعداء لسان الدين]

واعلم أن لسان الدين لما كانت الأيام له مسألة ، لم يقدر أحد أن يواجهه بما يدنس معاليه أو يطمس معالمه ، فلمّا قلبت الأيام له ظهر مِجَنَّتُهَا ، وعاملته بمنعها بعد منحها ومنَّها ، أكثر أعداؤه في شأنه الكلام ، ونسبوه إلى الزندقة والانحلال من ربة الإسلام ، بتنقص النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، والقول بالحلول والاتحاد . والانحراط في سلك أهل الإلحاد ، وسلوك مذاهب الفلاسفة في الاعتقاد . وغير ذلك مما أثاره الحقد والعداوة والانتقاد ، مقالات نسبوها

١ أزهار الرياض ١ : ٢٣٤ .

إليه خارجة عن السنن السويي^١ ، وكلمات كدروا بها منتهل علمه الروي^٢ ، ولا يدين بها ويفوه إلا الضال^٣ الغوي^٤ ، والظن أن مقامه رحمه الله تعالى من لبسها بري . وجناحه ساعده الله تعالى عن لبسها عري . وكان الذي تولى كبر محنته وقتله . تلميذه أبو عبد الله ابن زمرك الذي لم يزل مضمرًا لختله ، فلقد وقفت على خط ابن لسان الدين على أنه تسبب في قتل لسان الدين أبيه ، وسيأتي الإلماع والإلمام^٥ بابن زمرك المذكور في تلامذة لسان الدين ، مع أنه - أعني لسان الدين - حلاه في الإحاطة أحسن الحل ، وصدقه فيما انتحله من أوصاف العلا . وقد سبق في كلام ولي الدين ابن خلدون أنه قدم على السلطان أبي العباس أحمد المريني في شأن الوزير ابن الخطيب ، وأخرج إلى مجلس الخاصة ، وامتنحن والمجالس^٦ بالأعيان غاصة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن أعدائه الذين باينوه بعد أن كانوا يسعون في مرضاته سعي العبيد ، القاضي أبو الحسن ابن الحسن^٧ النباهي ، فكم قبل يده ، ثم جاهره بعد انتقال الحال ، وجدته في أمره مع ابن زمرك حتى قتل لسان الدين ، وانقضت دولته ، فسبحان من لا يتحول ملكه ولا يبيد .

وقد سبق فيما جلبناه من كلام ابن خلدون أن القاضي ابن الحسن قدم على السلطان عبد العزيز في شأن لسان الدين والانتقام منه بسبب تلك السجلات وإمضاء حكم الله فيه بمقتضاها ، فأبى السلطان من ذلك ، وقال : هلاًّ فعلتم أنتم ذلك حين كان عندكم ؟ وامتنع لذمته أن يخفّره^٨ ، فلما أراد الله بنفوذ الأمر ، وعدم نفع زيد وعمرو ، توفي السلطان عبد العزيز ، واختلت الأحوال ، واضطربت بالمغرب نيران الأهوال ، فقدم في شأنه الوزير الكاتب ابن زمرك خادمه الذي رباه وصنيعته ، فكان ما كان مما سبق به الإلمام^٩ .

١ ق ص : إلا مع الإلمام ، وهو محرف .

٢ ن ص : الحسين ، وهو خطأ .

٣ ق ص : بالإلمام .

وقد ذكرنا في الباب الأول قول لسان الدين رحمه الله تعالى في قصيدته
النونية :

تَلَوَّنْ إِيخْوَانِي عَلِيَّ وَقَدْ جَنَّتْ عَلِيَّ خُطُوبٌ جَمَّةٌ ذَاتُ أَلْوَانِ
وَمَا كُنْتُ أُدْرِي قَبْلَ أَنْ يَتَنَكَّرُوا بِأَنْ خِيَانِي كَانَ مَجْمَعُ خَوَانِي
وَكَانَتْ وَقَدْ حُمَّ الْقَضَاءُ صِنَائِعِي عَلِيَّ بِمَا لَا أُرْتَضِي شَرَّ أَعْوَانِ

ولقد صدق رحمه الله تعالى ، على أنه قال هذه القصيدة في النكبة الأولى التي
انتقل فيها مع سلطانه إلى المغرب ، كما مرّ مفصلاً ، وكأنّه عبر عن هذه المحنة
الأخيرة التي ذهبت فيها نفسه على يد صنائعه الكاتب ابن زَمْرَك والقاضي ابن
الحسن ، سامح الله الجميع .

ويرحم الله أبا إسحاق التلمساني صاحب الرجز في الفرائض حيث يقول :

الغَدْرُ فِي النَّاسِ شِيمَةٌ سَلَفَتْ قَدْ طَالَ بَيْنَ الْوَرَى تَصَرُّفُهَا
مَا كُلُّ مَنْ قَدْ سَرَتْ لَهُ نَعْمٌ مِنْكَ يَرَى قَدْرَهَا وَيَعْرِفُهَا
بَلْ رَبَّمَا أَعْقَبَ الْجَزَاءُ بِهَا مَضْرَةٌ عَزَّ عَنْكَ مَصْرِفُهَا
أَمَا تَرَى الشَّمْسَ كَيْفَ تَعْطِفُ بِالْوَرَى عَلَى الْبَدْرِ وَهُوَ يَكْشِفُهَا

وقال لسان الدين ، بعد ذكره أن ملك النصارى دون جانجه بن دون الفنش
استنصر على أبيه بالسلطان المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ولاذ به ،
ورهن عنده تاجه ذخيرة النصارى ، ولقيه بصخرة عباد من أحواز رُنْدَة ، فسلم
عليه ، ويقال : إن أمير المسلمين لما فرغ من ذلك طلب بلسان زَنَاتَة الماء ليغسل
يده به من قُبْلَة الفنش أو مصافحته ، ما نصّه ^١ : والشيء بالشيء يُذكر ، فأثبت
حكاية اتفقت لي بسبب ذلك ، أستدعي بها الدعاء ممن يَحْسُنُ عنده موقعها ،
وهي أن اليهودي الحكيم ابن زرزار على عهد ملك النصارى حفيد هذا الفنش

١ ورد هذا النص في أعمال الأعلام : ٣٣٣ .

المذكور وصل إلينا بغرناطة في بعض حوائجه ، ودخل إليّ بدار سكنائي مجاور القصر السلطاني بجمراء غرناطة ، وعندني القاضي اليوم بغرناطة وغيره من أهل الدولة ، ويده كتاب من سلطان المغرب محمد بن أبي عبد الرحمن ابن السلطان الكبير المولى أبي الحسن ، وكان محمد هذا قد فرّ إلى صاحب قشتالة ، واستدعي من قبله إلى الملك ، فسهّل له ذلك ، وشرط عليه ما شاء ، وربما وصله خطابه بما لم يقنعه في إطرائه ، فقال لي : مولاي السلطان دُنْ بطره يسلم عليك ، ويقول لك : انظر مخاطبة هذا الشخص ، وكان بالأمس كَلْباً من كلاب بابيه ، حتّى ترى خسارة الكرامة فيه ، فأخذت الكتاب من يده وقرأته ، وقلت له : « أبلغه غني أن هذا الكلام ما جرك إليه إلا خلوتُ بابك من الشيوخ الذين يعرفونك بالكلاب وبالأسود ، وبمن تُغسل الأيدي منهم إذا قبَلوها ، فتَعلّم من الكلب الذي تغسل اليد منه ومن لا ، وإن جدّ هذا الولد هو الذي قبّل جدّك يده واستدعي الماء لغسل يده منه بمحضر النصارى والمسلمين ، ونسبةُ الجد إلى الجد كنسبة الحفيد للحفيد ، وكونه بلخاً إلى بلادك ليس بعار عليه ، وأنت مُعرّض إلى اللجأ إليه فيكافئك بأضعاف ما عاملته به . فقام أبو الحسن المستقضي يبكي ويقبل يدي ، ويصفني بولي الله ، وكذلك مَنْ حضرني ، وتوجّه إلى المغرب رسولاً . فقصّ على بني مرين خبر ما شاهدته مني وسمعه ، وبالحضرة اليوم ممّن تلقى منه ذلك كثير ، جعل الله تعالى ذلك خالصاً لوجهه ، انتهى .

وقد أثنى لسان الدين في « الإحاطة » على القاضي ابن الحسن المذكور كما سيأتي ، وقال في ترجمة السلطان ابن الأحمر ما نصّه : ثم قدّم للقضاء الفقيه الحسيب أبا الحسن ، وهو عين الأعيان بمالقة ، المخصوص برسم التجلة والقيام بالعقد والحل ، فسدد وقارب ، وحمل الكَلَّ ، وأحسن مصاحبة الخطبة والخطبة ، وأكرم المشيخة مع الزاخرة ، ولم يقف في حسن التأني على غاية ، فاتفق على رجاحته ، ولم يقف في النصيح عند غاية ، انتهى . وحين أظلم الجوى بينه وبين لسان الدين ذكره في « الكتيبة الكامنة » بما يبين ما سبق ، ولقبه بالجعسوس .

ولم يقنعه ذلك حتى ألف فيه « خلع الرسن في وُصف القاضي ابن الحسن » .

[كتاب من النباهي إلى لسان الدين]

وقد وقفت بفاس المحروسة على كتاب مطوّل كتبه ابن الحسن لسان الدين بعد تحوّلّه عن الأندلس ، ونصّ ما تعلق به الغرضُ هنا^١ :

« فشرعتم في الشراء ، وتشديد البناء ، وتركتم الاستعداد لهاذم اللذات ، هيهات هيهات ، تبنون ما لا تسكنون ، وتدّخرون ما لا تأكلون ، وتؤملون ما لا تدركون ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ (النساء : ٧٨) فأين المهرب ممّا هو كائن ، ونحن إنما نتقلب في قدرة الطالب ، شرقم أو غربتم ، الأيام تتقاضى الدّينَ ، وتنادي بالنفس الفرّارة إلى أين إلى أين ، ونترك الكلام مع الناقد فيما ارتكبه من تزكية نفسه ، وعدّ ما جلبه من مناقبه ، ما عدا ما هدّد به من حديد لسانه ، خشية اندراجه في نمط من قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من شر الناس من تَرَكَهُ الناس اتّقاء فُحْشِهِ » ولا غيبة فيمن ألقى جلباب الحياء عن وجهه ، ونرحمه^٢ على ما أبداه أو أهداه من العيوب التي نسبها لأخيه ، واستراح على قوله بها فيه ، ونذكره على طريقة نصيحة الدين بالحديث الثابت في الصحيح عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم ، وهو قوله : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، فيُعْطَى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار » . ويعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت

١ راجع هذا الكتاب في أزهار الرياض ١ : ٢١٢ .

٢ ق ص : وزحمه .

عن النذير الصادق ، هو الذي حملني على نصحكم ، ومراجعتكم في كثير من الأمور : منها الإشارة عليكم بإذهاب عين ما كتبتم به في التاريخ وأمثاله ، فإنكم نفعت بما وقعتم فيه من الغيبة المحرمة أحياء وأواتاً لغير شيء حصل بيدكم وضررتم أنفسكم بما رتبتم لهم من المطالبات بنص الكتاب والسنة قبيلكم ، والرضى بهذه الصفة الخاسرة أمر بعيد من الدين والعقل . وقد قلت لكم غير مرة عن أطراسكم المسودة بما دعوتهم إليه من البدعة والتلاعب بالشريعة إن حقها التخریق والتحريق ، وإن من أطراها لكم فقد خدع نفسه وخدعكم ، والله الشهيد بأنني نصحتكم وما غششتكم ، وليس هذا القول وإن كان ثقیلاً عليكم بمخالف كل المخالفة لما ذنبتم به من تقدم المواجهة بالملاطفة والمعاملة بالمكارمة . فليست المداراة بقادحة في الدين ، بل هي محمودة في بعض الأحوال ، مستحسنة على ما بينه العلماء ، إذ هي مقاربة في الكلام أو مجاملة بأسباب الدنيا لصلاحها أو صلاح الدين ، وإنما المذموم المداينة ، وهي بذل الدين لمجرد الدنيا ، والمصانعة به لتحصيلها ، ومن خالط للضرورة مثلكم ، وزايله بأخلاقه ونصحه مخاطبة ومكاثبة ، واستدل له بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على صحة مقالته ، فقد سلم والحمد لله من مداينته ، وقام لله تعالى بما يجب عليه في حقكم من التحذير والإنكار مع الإشفاق والوجل .

« وأكثرتم في كتابكم من المنّ بما ذكرتم أنكم صنعتم ، وعلى تقدير الموافقة لكم ليتكم ما فعلتم ، فسلمنا من المعرة وسلمتم ، وجل القائل سبحانه ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٣) وقلّما شاركتم أنتم في شيء إلا بأغراض حاصلة في يداكم ، ولأغراض دنيوية خاصة بكم ، فاللام إذن في الحقيقة إنما هو متوجه إليكم ، وأمّا ما أظهرتم بمقتضى حركاتكم وكلامكم من التندم على فراق محلّكم ، والتعلّل بأخبار قطركم وأهلكم ، فتناقض منكم وإن كنتم فيه بغدركم :

أَتَبَسَّكِي عَلَى لَيْلَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا فَكَنْتَ كَأَنَّ غِيَّهَ وَهُوَ طَائِعُ
وَمَا كُلُّ مَا مَنَنْتُكَ نَفْسُكَ مَخْلِيًّا تُلَاقِي ، وَلَا كُلُّ لَهْ أَنْتَ تَابِعُ
فَلَا تَبْكِينَ فِي لِأَثَرِ شَيْءٍ نَدَامَةً إِذَا نَزَعْتَهُ مِنْ يَدَيْكَ النَّوَازِعُ

وعلى أن تأسفكم لما وقعتم فيه من الغدر لسلطانكم ، والخروج لا لضرورة
غالبة عن أوطانكم ، من الواجب بكل اعتبار عليكم ، سيما وقد مددتم إلى
التمتع بغيرها عينكم ، ولو لم يكن بهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة إلا ما
خُصَّت به من بركة الرباط ورحمة الجهاد لكفأها فخراً على ما يجاورها من سائر
البلاد ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم في سبيل الله خير من
ألف يوم فيما سواه » وقال عليه الصلاة والسلام : « الرُّوحَةُ يروحها العبد في سبيل
الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها » وعلى كل تقدير فإذا لم يكن يا أخي فراركم
من الأندلس إلى الله وحده بالتوبة المكملة ، والاستغفار مع الانقطاع في أحد
المواطن المكرمة المعظمة بالإجماع ، وهي طَيْبَةُ أو مكة أو بيت المقدس ، فقد
خسرتم صفقة رحلتكم ، وتبين أن لغير وجه الله العظيم كانت نية هجرتكم ،
اللهم إلا إن كنتم قد لاحظتم مسألة الرجل الذي قتل مائة نفس ، وسأل أعلم
أهل الأرض فأشار عليه بعد إزماع التوبة بمفارقة المواطن التي ارتكب فيها الذنوب ،
واكتسب بها العيوب ، فأمر آخر ، مع أن كلام العلماء في هذا الحديث معروف .
ويقال لكم من الجواب الخاص بكم : فعليكم إذاً بترك القيل والقال ، وكسر
حربة الجدل والقتال ، وقصر ما بقي من مدة العمر على الاشتغال بصالح الأعمال .

« ووقعت في مكتوبكم كلمات أوردتها النقد في قالب الاستهزاء والازدراء ،
والجهالة بمقادير الأشياء ، ومنها « ربح صرصر » وهو لغة القرآن ، و« قاع
قَرَقَر » وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ثبت في
الصحيح في باب التغليظ فيمن لا يؤدي زكاة ماله . « قيل : يا رسول الله .
والبقر والغنم ؟ قال ؛ ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان

يوم القيامة بَطِّحَ لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ، تنطحه بقرونها ، وتطوّه بأظلافها — الحديث الشهير » . قال صاحب المعلم : بَطِّحَ لها بقاع قرقر : أي أُلقي على وجهه ، والقاع : المستوي من الأرض ، والقرقر : كذلك ؛ هذا ما حضر من الجواب ، وبقي في مكتوبكم حشو كثير من كلام إقذاع وفحش بعيد من الحشمة والحياء رأيت من الصواب الإعراضَ عن ذكره ، وصَوْنُ اليد عن الاستعمال فيه ، والظاهر أنه إنما صدر منكم وأنتم بحال مرض ، فلا حرج فيه عليكم ، أنسأ الله تعالى أجلكم ، ومكن أمنكم ، وسكّن وجلكم ، ومنه جل اسمه نسأل لي ولكم حسنَ الخاتمة ، والفوز بالسعادة الدائمة ، والسلام الأتم يعتمدكم ، والرحمات والبركات من كاتبه علي بن عبد الله بن الحسن وفقه الله ، وذلك بتاريخ أخريات جمادى الأولى من عام ثلاثة وسبعين وسبعماية » .

وقيد رحمه الله تعالى في مدرج طي هذا الكتاب ما نصّه : « يا أخي — أصلحني الله وإياكم — بقي من الحديث شيء الصوابُ الخروجُ عنه لكم ، إذ هذا أوانه ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه ، وليكون البناء بعد أن كان على أصل صحيح بحول الله ، وحاصله أنكم عددتم ما شاركتكم فيه بحسب الأوقات ، وقطعتم بنسبة الأمور كلها إلى أنفسكم ، وأنها إنما صدرت عن أمركم وبإذنتكم ، من غير مشارك في شيء منها لكم ، ثم مسّتم بها المنّ القبيح المبطل لعمل بركم على تقدير التسليم في فعله لكم ، ورميتم غيركم بالتقصير في حاله كله ، طريقةً من يبصر القنْدَى في عين أخيه ويدع الجِدْعَ في عينه ، وأقصى ما تسنى للمحب أيام كونكم بالأندلس تقلد كلفة قضاء الجماعة ، وما كان إلاّ أن وليتها بقضاء الله وقدره ، فقد تبين لكل ذي عقل سليم أنه لا مُوجِدَ إلا الله ، وأنه إذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلًا بإيجاده سبحانه وتخليقه وتكوينه من غير عاضد له على تحصيل مُرادِه ولا مُعين ، ولكنه جلّ قدرته وعد فاعل الخير بالثواب فضلاً منه ، وأوعد فاعل الشرّ بالعقاب عدلاً منه ، وكأنّي بكم تضحكون من تقرير هذه المقدمة ، وما أحوجكم إلى

تأملها بعين اليقين ، فكابدت أيام تلك الولاية النكدة من النكاية باستحقاقكم للقضايا الشرعية ، وتهاونكم بالأمور الدينية ، ما يعظم الله به الأجر ، وذلك في جملة مسائل : منها مسألة ابن الزبير المقتول على الزندقة بعد تقضي موجباته على كره منكم ، ومنها مسألة ابن أبي العيش المثقف في السجن على آرائه المفضلة التي كان منها دخوله على زوجه إثر تطليقه إياها بالثلاث ، وزعمه أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أمره مشافهة بالاستمتاع بها ، فحملتم أحد ناسكم تناول إخراجهم من الثقاف من غير مبالاة بأحد ، ومنها أن أحد الفتيان المتعلقين بكم توجهت عليه المطالبة بدم قتيل ، وسبق المدعى عليه للذبح بغير سكين ، فما وسعني بمقتضى الدين إلا حبسه على ما أحكمته السنة ، فأنتقم لذلك ، وسجنتم الطالب وليّ الدم ، وسرحتم الفتى المطلوب على الفور ، إلى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ، ولا يحمل بي ولا بكم ذكره . والمسألة الأخرى أنتم توليتم كبرها حتى جرى فيها القدر بما جرى به من الانفصال ، والحمد لله على كل حال ، وأما الرمي بكذا وكذا مما لا علم لنا بسببه ، ولا عذر لكم من الحق في التكلّم به ، فشيء قلما يقع مثله من البهتان ممن كان يرجو لقاء ربّه ، وكلامكم في المدح والهجو ، هو عندي من قبيل اللغو ، الذي نمرّ به كراماً والحمد لله ، فكشّروا أو قتلّوا من أي نوع شئتم ، أنتم وما ترضونه لنفسكم ، وما فهت لكم بما فهت من الكلام ، إلا على جهة الإعلام ، لا على جهة الانفعال ، لما صدر أو يصدر عنكم من الأقوال والأفعال ، فمذهبي غير مذهبكم ، وعندي ما ليس عندكم .

« وكذلك رأيتمكم تكثرون في مخاطباتكم من لفظ الرقيّة في معرض الإنكار لوجود نفعها ، والرمي بالمنقصة والحقق لمستعملها ، ولو كنتم قد نظرت في شيء من كتب السنة وسير الأمة المسلمة نظر مصدق لما وسعكم إنكار ما أنكرتم ، وكتبه بخط يديكم ، فهو قادح كبير في عقيدة دينكم ، فقد ثبت بالإجماع في سورة الفلق أنها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه المراد بها هو وآحاد

أمته ، وفي أمهات الإسلام الخمس أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكى رَقاه جبريل ، فقال : بسم الله يُبْرِك ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شرّ حاسد إذا حسد ، ومن شرّ كل ذي عين » . وفي الصحيح أيضاً أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سفر ، فمروا بحج من أحياء العرب ، فاستضافوهم ، فلم يضيفوهم ، فقالوا : هل فيكم راقٍ فإن سيد الحي لديغ ، أو مصاب ، فقال رجل من القوم : نعم ، فأناه فَرَقاه بفاتحة الكتاب ، فبرئ الرجل ، فأعطى قطيعاً من غنم — الحديث الشهير ، قال أهل العلم : فيه دليل على جواز أخذ الأجرة على الرقية والطب وتعليم القرآن ، وهو قول مالك وأحمد والشافعي وأبي ثور وجماعة من السلف ، وفيه جواز المقارضة ، وإن كان ضد ذلك أحسن ، وفي هذا القدر كفاية . وما رَقِيتُ قط أحداً على الوجه الذي ذكرتم ، ولا استرقيت والحمد لله ، وما حملني على تبين ما بينته الآن لكم في المسألة إلا إرادة الخير التام لجهتكم ، والطمع في إصلاح باطنكم وظاهركم ، فإنني أخاف عليكم من الإفصاح بالطعن في الشريعة ، ورمي علمائها بالمنقصة على عادتكم وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم منكر علم الجزئيات ، القائل بعدم قدرة الرب جل اسمه على جميع الممكنات . وأنتم قد انتقلتم إلى جوار أناسٍ أعلامٍ قلّما تجوز عليهم — حفظهم الله — المغالطات ، فتأسركم شهادة العدول التي لا مدفع لكم فيها ، وتقع الفضيحة ، والدين النصيحة ، أعاذنا الله من درك الشقاء ، وشماتة الأعداء ، وجهْدِ البلاء .

« وكذلك أحذركم من الوقوع بما لا ينبغي في الجنب الرفيع ، جناب سيد المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه نُقِلَ عنكم في هذا الباب أشياء منكورة ، يكبر في النفوس التكلم بها ، أنتم تعلمونها ، وهي التي زرعت في القلوب ما زرعت من بغضكم وإيثار بُعْدكم ، مع استشعار الشفقة والوجل من وجه آخر عليكم ، ولولا أنكم سافرتُم قبل تقلص ظل السلطنة عنكم لكانت الأمة المسلمة امتعاضاً لدينها ودنياها ، قد برزت بهذه الجهات

لطلب الحق منكم ، فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خدام الدُّول ما صدر
عنكم من العيِّث في الأَبشار والأموال ، وهتك الأعراض ، وإفشاء الأسرار .
وكشف الأسرار ، واستعمال المكر ، والحيل والغدر ، في غالب الأحوال للشريف
والمشروف ، والخدم والمخدوم . ولو لم يكن في الوجود من الدلائل على صحة
ما رضىتم به لنفسكم من الاتِّسام بسوء العهد والتجاوز المحض وكفران النعم
والركون إلى ما تحصَّل من الخطام الزائل إلا عملكم مع سلطانكم مولاكم وابن
مولاكم أيده الله بنصره وما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه وفي الكثير من أهل
قطره لكفاكم وصمة لا يغسلُ دَنَسها البحر ، ولا ينسى عارها الدهر ، فإنَّكم
تركتموه أولاً بالمغرب عند تلَوْن الزمان ، وذهبتُم للكديَّة والأخذ بمقتضى المقامة
الساسانية إلى أن استدعاه الملك ، وتخلصت له بعد الجهد الأندلس ، فسقطم عليه
سقوط الذباب على الحلواء ، وضربتُم وجوه رجاله بعضاً ببعض ، حتَّى خلا لكم
الجو ، وتمكن الأمر والنهي ، فهاجتم ولزتم ، وجمعتم من المال ما جمعتم . ثم
وريتُم بتفقد ثغر الجزيرة الخضراء ، مكرراً منكم ، فلمَّا بلغتُم أرض الجبل
انحرفتم عن الجادة ، وهربتُم بأثقالكم الهروب الذي أنكره عليكم كلَّ مَنْ
بلغه حديثكم أو يبلغه إلى آخر الدهر في العدوتين من مؤمن وكافر وبر وفاجر ،
فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة بتصرفاتكم حازم ، أو يثق بكم في قول أو فعل
صالح أو طالح ؟ ولو كان قد بقي لكم من العقل ما تتفكرون به في الكيفية التي
ختمتم بها عملكم بالأندلس من الزيادة في المغرم وغير ذلك مما لكم وزره ووزر من
عمل به بعدكم إلى يوم القيامة حسبما ثبت في الصريح لحملكُم على مواصلة الحزن ،
وملازمة الأسف والندم على ما أوقعتم فيه نفسكم الأمارة من التورط والنشب في
أشطان الآمال ودسائس الشيطان ، ونعوذ بالله من شرور الأنفس وسيئات الأعمال .
« وأما قولكم عن فلان « إنَّه كان حشرة في قلوب اللوز » و « إن فلاناً
كان برغوثاً في تراب الخمول » فكلام سفساف ، يقال لكم من الجواب عليه :
وأنتم يا هذا أين كنتم منذ خمسين سنة مثلاً ؟ خلق الله الخلق لا استظهاراً بهم

ولا استكثاراً ، وأنشأهم كما قدّر أحوالاً وأطواراً ، واستخلفهم في الأرض بعد أمة أمماً وبعد عصر أعصاراً ، وكلفهم شرائعه وأحكامه ولم يتركهم هملاً ، وأمرهم ونهاهم ليلوهم أيهم أحسن عملاً ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ (الحجرات : ١٣) وبكل اعتبار فلا نعلم في نعط الطلبة تدريجاً كان أسمع من تدريجكم ، ونبدأ من كذا فإنه كان كذا وأكثر أهل زمانه تحملاً وتقللاً في نفسه بالنسبة إلى منصبه كان الشيخ أبو الحسن ابن الجياب ، ولكنّه حين علم رحمه الله تعالى من نشأتكم وحالتكم ما علم نبذ مصاهرتكم وصرف عليكم صداقكم ، وكذلك فعلت بنت جُزَيّ زوج الرهصي معكم ، حينما هو مشهور في بلدكم ، وذكرتم أنكم ما زلتم من أهل الغنى حيث فقرتم بذكر العرض — وهو بفتح العين والراء ، حطام الدنيا على ما حكى أبو عبيد ، وقال أبو زيد : هو ، بسكون الراء ، المال الذي لا ذهب فيه ولا فضة — وأي مسال خالص يعلم لكم أو لأبيكم بعد الخروج من الثقافة على ما كان قد تبقىّ عنده من مَجْبي قرية مزايل^١ ؟ ثم من العدد الذي برز قبلكم أيام كانت أشغال الطعام بيدكم على ما شهد به الجمهور من أصحابكم . وأمّا الفلاحة التي أشرتم إليها فلا حق لكم فيها إذ هي في الحقيقة لبّيت مال المسلمين ، مع ما بيدكم على ما تقرّر في الفقهيات ، والمعدوم شرعاً كالمعدوم حسّاً ، ولو قبل من أهل المعرفة بكم بعض ما لديهم من سقطاتكم في القال والقال ، ولم يصرف إلى دفع معرفتها عنكم وجه التأويل ، لكانت مسألتكم ثانية لمسألة أبي الخير ، بل أبي الشرّ ، الحادثة أيام خلافة الحَكَم ، المسطورة في نوازل أبي الأصمغ ابن سهل ، فاعلموا ذلك ، ولا تهملوا إشارتي عليكم قديماً وحديثاً بلزوم الصلوات ، وحضور الجماعات ، وفعل الخيرات ، والعمل على التخلص من التبعات ﴿إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (لقمان : ٣٣) .

١ قيس : مزايل .

« وقلتم في كتابكم : « أين الخطط المتوارثة عن الآباء والأجداد ؟ » وقد أذهب الله عنا ببركة الملة المحمدية عَيْبَةَ الجاهلية في التفاخر بالآباء ، ولكني أقول لكم على جهة المقابلة لكلامكم : إن كانت الإشارة إلى المجيب بهذا فمن المعلوم المتحقق عند أفاضل الناس أنه من حيث الأصالة أحد أمثال قطره ، قال القاضي أبو عبد الله ابن عسكراً وقد ذكر في كتابه من سلفي فلان بن فلان ، ما نصه : وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة لم يزالوا يرثون ذلك كابراً عن كابر ، استقصى جدّه المنصورُ ابن أبي عامر ، وقاله غيره وغيره ، ويدي من عهود الخلفاء وصكوك الأمراء المكتبة بخطوط أيديهم من لدن فتح جزيرة الأندلس وإلى هذا العهد القريب ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد ، والمنة لله وحده . وإن كانت الإشارة للغير من الأصحاب في الوقت حفظهم الله فكل واحد منهم إذا نُظر إليه بعين الحق وجِدَ أقربَ منكم نسباً للخطط المعتمدة ، وأولى بميراثها بالفرض والتعصيب أو مساوياً على فرض المساخعة لكم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، حرام دمه وماله وعرضه » .

« ونرجع إلى طريقة أخرى فنقول : من كان يا فلان من قومكم في عمود نسبكم نبيهاً مشهوراً ، أو كاتباً قبلكم معروفاً ، أو شاعراً مطبوعاً ، أو رجلاً نبيهاً مذكوراً ؟ ولو كان يا لوشي وكان ، لكان من الواجب الرجوع إلى التناصف والتواصل والتواضع ، وترك التحاسد والتباغض والتقاطع : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبدانكم . ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » . وكذلك العجب كل العجب ، من تسميتكم الحروب التي شرعتم في بنائها بدار السلامة ، وهيئات هيئات ، المعروف من الدنيا أنها دار بلاء وجلاء وعناء وفناء ، ولو لم يكن من الموعظة الواقعة بتلك الدار في الوقت إلا موت سعيدكم عند دخولها ، لأغناكم عن العلم اليقين بمآلها .

« وأظهرتم سروراً كثيراً بما قلتم إنكم نلتُم ، حيث أنتم ، من الشهوات التي

١ هو محمد بن علي بن هارون الساسي (٦٣٦ -) ، والإشارة إلى كتاب له عن تاريخ مالقة .

ذكرتم أن منها الإكثار من الأكل والخرق والقعود بإزاء جارية الماء على نطح الجلد ، والإمساك أولى بالجواب على هذا الفصل ، فلا خفاء بما فيه من الخسة والخبائث والخبث ، وبالجملة فسرور العاقل إنما ينبغي أن يكون بما يحمل تقدمه من زاد التقوى للدار الباقية ، فما العيش — كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — إلا عيش الآخرة ، فقدموا إن قبلتم وصاة الحبيب أو البغيض بعضاً عسى أن يكون لكم ، ولا تخلفوا كلاً يكون عليكم ، هذا الذي قلته لكم ، وإن كان لدى من يقف عليه من نمطه الكثير ، فهو باعتبار المكان وما مر من الزمان في حيز السير ، وهو في نفسه قول حق وصدق ، ومستند أكثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سائر أنبيائه . فاحمدوا الله العلي العظيم على تذكيركم به إذ هو جارٍ مجرى النصيحة الصريحة ، يسرني الله وإياكم ليسرى ، وجعلنا ممن ذكر فانتفع بالذكرى ، والسلام . انتهى كلام القاضي ابن الحسن النباهي في كتابه الذي خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى .

[ظهور من إنشاء لسان الدين بتولية النباهي خطة القضاء]

وأين هذا الكلام الذي صدر من ابن الحسن في حقّه من إنشاء لسان الدين رحمه الله تعالى في تولي ابن الحسن المذكور القضاء ، وهو :

« هذا ظهور كريم أنتج مطلوب الاختيار قياسه ، ودل على ما يرضي الله عز وجل التماسه ، وأطلع نور العناية الذي يجلو الظلام نبراسه ، واعتمد بمثابة العدل من عرف بافتراع هضبتها ناسه ، وألقى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه وأجناسه ، وشيد مبنى العز الرفيع ، في قبة الحسب المنيع ، وكيف لا والله بانيه ، والمجد أساسه ، أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر — أيد الله أوامره ، وخلّد مفاخره — لقاضي حضرته العلية ، وخطيب حمرائه السنية ، المخصوص لديه بترفع المزية .

المصروف إليه خطابُ القضاة بآيائته النصرية ، قاضي الجماعة ، ومصرف الأحكام الشرعية المطاعة ، الشيخ الكذا أبي الحسن ابن الشيخ الكذا أبي محمد ابن الحسن — وصل الله سعادته ، وحرس مجادته ، وسنى من فضله إرادته — عَصَبَ منه جبين المجد بتاج الولاية ، وأجال قداح الاختيار حتى بلغ الغاية وتجاوز النهاية ، ما ألقى منه يمين عَرَابَةِ الراية ، وأحله منه محل اللفظ من المعنى والإعجاز من الآية ، وحشر إلى مدعاة ترفيعه وجوه البر وأعيان العناية ، وأنطق بتبجيله ، ألسن أهل جيله ، بين الإفصاح والكناية ، ولما كان له الحسب الأصيل الذي شهدت به ورقات الدواوين ، والأصالة التي قامت عليها صحاحُ البراهين ، والآباء الذين اعتد بمضاء قضائهم الدين ، وطبّق مفاصل الحكم بسيوفهم الحق المبين ، وازدان بمجالسة وزرائهم السلاطين ، فمن فارس حكم أو حكيم تدبير ، وقاض في الأمور الشرعية ووزير ، أو جامع بينهما جمع سلامة لا جمع تكسير ، تعدد ذلك واطّرد ، ووجد مَشْرَع المجد عذباً فوراً ، وقصرت النظراء عن مداه فانفرد ، وفَرَى الفَرَى في يد الشرع فأشبهه السيف البرد ، وجاء في أعقابهم مُحْيِياً لما درس ، بما حقق ودرس ، جانباً لما بذر السلف المبارك واغترس ، طاهر النشأة وقورها^١ ، محمود السجية مشكورها ، متحلياً بالسكينة ، حالاً من النزاهة بالمكانة المكيّة ، ساحباً أذيال الصّون ، بعيداً عن الاتصاف بالفساد من لدن الكون ، فَخَطَبَته الخطط العلية ، واغتنبت به المتجادة الأوّلية ، واستعملته دولته التي ترتاد أهل الفضائل للرتب ، واستظهرت على المناصب بأبناء التّقى والحسب ، والفضل والمجد والأدب ، ممّن يجمع بين الطارف والتالد والإرث والمكتسب ، فكان معدوداً من عدول قضائها ، وصدور نبهائها ، وأعيان وزرائها ، وأولي آرائها ، فلمّا زان الله تعالى خلافته بالتمحيص المتحلي من التخصيص ، وخلص ملكه الأصيل كالذهب الإبريز بعد التخليص ، كان ممّن

١ ق : موفورها .

صحب ركابه الطالب للحق بسيف الحق ، وسلك في مظاهرتة أوضح الطرق ،
وجادل من حادّه بأمضى من الحديد الذلّقى ، واشتهر خبر وفاته في الغرب
والشرق ، وصلى به صلاة السفر والحضر ، والأمن والحذر ، وخطب به في
الأماكن التي بَعُدَ بذكر الله عهدُها ، وخاطب عنه - أيده الله تعالى - المخاطبات
التي حُمدَ قصدُها ، حتى استقل ملكه فوق سريرته ، وابتهج منه الإسلام بأمره
وابن أميره ، ونزل السر على العباد والبلاد ببركة إيلاته ويُمْنِ تدبيره ، وكان
الجلس المقرب المحلّ ، والخطبيّ المشاور في العقد والحلّ ، والرسول المؤتمن
على الأسرار ، والأمين على الوظائف الكبار ، مزين المجلس السلطاني بالوقار .
ومتحف الملك بغريب الأخبار ، وخطيب منبره العالي في الجمععات ، وقارئ
الحديث لديه في المجتمعات .

« ثم رأى أيده الله تعالى أن يشرك رعيته في نفعه ، ويصرف عوامل الحظوة
على مزيد رفعة ، ويجلسه مجلس الشارع صلوات الله عليه لإيضاح شرّعه ، وأصله
الوثيق وفرعه ، وقدمه أعلى الله تعالى قدمه ، وشكر آلاءه ونعمه ، قاضياً في
الأمر الشرعية ، وفاصلاً في القضايا الدينية ، بحضرة غرناطة العلية ، تقديم
الاختيار والانتقاء ، وأبقى له فخر السلف على الخلف والله سبحانه يمتعه بطول
البقاء ، فليتولّ ذلك عادلاً في الحكم ، مهتدياً بنور العلم ، مسوياً بين الخصوم
حتى في لحظه والتفاتة ، متصفاً من الحلم بأفضل صفاته ، مهيباً في الدين ، رؤوفاً
بالمؤمنين ، جزلاً في الأحكام ، مجتهداً في الفصل بأمضى حُسام ، مراقباً لله ،
عزّ وجل ، في النقض والإبرام .

« وأوصاه بالمشورة التي تقدح زناد التوفيق ، والثبّت حتى ينتج قياس
التحقيق ، باراً بمشيخة أهل التوثيق ، عادلاً إلى سعة الأقوال عند المضيق ، سائراً
من مشورة المذهب على أهدي طريق ، وصية أصدرها له مُصدّر الذكرى
التي تنفع ، ويُعلي الله بها الدرجات ويرفع ، وإلاً فهو عن الوصاة غني ، وقصده
قصد سني ، والله عزّ وجل وليّ إعانته ، والحارس من التبعات أكناف ديانته ،

والكفيل بحفظه من الشبهات وصيانه .

« وأمر أيده الله تعالى أن ينتظر في الأحباس على اختلافها ، والأوقاف على شتى أصنافها ، واليتامى التي انسدلت كفالة القضاة على إضعافها ، فيندود عنها طوارق الخلل ، ويجري أمورها بما يتكفل لها بالأمل ، وليعلم أن الله عز وجل يراه ، وأن فلتات الحكم تعاوده المراجعة في أخره ، فيدّرع جنة تقواه ، وسبحان من يقول ﴿ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ﴾ .

« فعلى من يقف عليه أن يعرف أمر هذا الإجلال ، صائناً منصبه من الإخلال ، مبادراً أمره الواجب بالامتثال ، بحول الله . وكتب في الثالث من شهر الله المحرم ، فاتح عام أربعة وستين وسبعمائة ، عرف الله سبحانه فيه هذا المقام العلي عوارف النصر المبين والفتح القريب بمنّه وكرمه فهو المستعان لا ربّ غيره » ؛ انتهى .

[ظهير من إنشائه بتولية ابن زمرك كتابة السر]

ونظير هذا ما أنشأه لسان الدين على لسان سلطانه للكاتب أبي عبد الله ابن زمرك حين تولى كتابة السر . ونصّه :

« هذا ظهير كريم نصب المعتمد به للأمانة الكبرى ببابه فرفعه ، وأفرد له متلو العزّ وجمعه ، وأوتره وشفعه ، وقرّبه في بساط الملك تقريباً فتح له باب السعادة وشرّعه ، وأعطاه لواء القلم الأعلى فوجب على مَنْ دون رتبته من أولي صنعته أن يتبعه ، ورعى له وسيلة السابقة عند استخلاص الملك لما ابتزّه الله من يد الغاصب وانتزعه ، وحسبُك من زمام لا يحتاج إلى شيء معه ، أمر به أمير المسلمين محمد للكذا الكذا فلان ، وصل الله سعادتة ، وحرس مجادته ، أطلع الله تعالى له وجه العناية أبهى من الصبح الوسيم ، وأقطعته جناب الإنعام الجسيم ، وأنشقه آراج الخطوة عاطرة النسيم ، ونقله من كرسي التدريس والتعليم ، إلى

.....

١ ق ص : تمام .

مرّقى التنويه والتكريم ، والرتبة التي لا يُلَقَّأها إلا ذو حظ عظيم ، وجعل أقلامه جياذاً لإجالة أمره العلي ، وخطابه السني ، في ميدان الأقاليم ، ووضع في يده أمانة القلم الأعلى ، جاريّاً من الطريقة المثلّي ، على المنهج القويم ، واختصّه بمزية الشفوف على كتاب بابه والتقديم ، لما كان ناهض الفكر في طلبة حضرته زمن البداية . ولم تزل تظهر عليه لأولي التمييز غايل هذه العناية ، فإن حضر في حلق العلم جلّى في حَلْبَةِ الحفاظ إلى الغاية ، وإن نظم أو نثر أنى بالقصائد المصقولة ، والمخاطبات المنقولة ، فاشتهر في بلده وغير بلده ، وصارت أزمّة العناية طوعَ يده ، بما أوجب له المزية في يومه وغده .

« وحين رد الله عليه ملكه الذي جبر به جَنَاح الإسلام ، وزين وجوه الليالي والأيام ، وأدال الضياء من الإظلام ، كان ممّن وسمه الوفاء وشهره ، وعجم الملك عود خلوصه وخبره ، فحمد أثره ، وشكر ظاهره ومُضمّره ، واستصحب على ركابه الذي صَحِبَ اليُسْن سفره ، وأخلصت الحقيقة فقره ، وكفل الله وِرْدَه وصَدْرَه ، ميمون النقية ، حسن الضريبة ، صادقاً في الأحوال المريبة ، ناطقاً عن مقامه بالمخاطبات العجيبة ، واصلاً إلى المعاني البعيدة بالعبارة القريبة ، مبرزاً في الخدم الغربية ، حتى استقام العباد ، ونطق بصدق الطاعة الحي والحمداد ، ودخلت في دين الله أفواجاً والبلاد ، لله الحمد على نعمه الثَّرة العِيَاد ، وآلائه المتوالية الترداد ، رعى له أيّده الله هذه الوسائل وهو أحقّ من يرعاها ، وشكر له الخدم المشكور مسعاها ، فنصّ عليه الرتبة الشماء التي خطبها بوفائه ، وألبسه أثواب اعتنائه ، وفسح له مجال آلائه ، وقدمه ، أعلى الله قدمه ، كاتب السر ، وأمين النهي والأمر ، تقديم الاختيار بعد الاختبار ، والاعتباط بخدمته الحسنة الآثار ، وتيمن باستخدامه قبل الحلول بدار الملك والاستقرار ، وغير ذلك من موجبات الإكبار .

« فليتولَّ ذلك عارفاً بمقداره ، مقتنياً لآثاره ، مستعيناً بالكتِّم لأسراره ، والاضطلاع بما يحمد من أمانته وعفافه ووقاره ، مُعْطِياً هذا الرسم حقّه من الرياسة ، عارفاً بأنّه أكبر أركان السياسة ، حتّى يتأكّد الاغتياب بتقريبه وإدناؤه ، وتتوفر أسباب الزيادة في إعلائته ، وهو إن شاء الله غني عن الوصاة فهماً ثاقباً يهنّدى بضياته ، وهو يعمل في ذلك أقصى العمل ، المتكفل ببلوغ الأمل . وعلى من يقف عليه من حملة الأقاليم ، والكتاب الأعلام ، وغيرهم من الكافة والخدام ، أن يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الأحكام . والتقديم الراسخ الأقدام ، ويوجبوا ما أوجب من البر والإكرام ، والإجلال والإعظام . بحول الله . وكتب في كذا » . انتهى .

فانظر صانعي الله وإياك من الأغيار ، وكفانا شرّاً مَنْ كَفَرَ الصنعة التي هي على النقص عنوان ومعيّار ، إلى حال الوزير لسان الدين ابن الخطيب مع هذين الرجلين ، القاضي ابن الحسن والوزير ابن زَمْرَك اللذين تسبّبا في هلاكه حتّى صار أثراً بعد عين ، مع تنويه بهما في هذا الإنشاء وغيره ، وتفنيتهما — كما هو معلوم — ظلال خيره ، فقابله بالغدر ، وأظهرها عند الإمكان حَقْدَ القلب وغِلَّ الصدر ، وسددا لِقَتْلِهِ سهاماً وقِسِيّاً ، وصيِّراً سبيل الوفاء نسيّاً منسياً ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

[ظهير ثالث بإضافة الخطاب إلى القضاء للنباهي]

ومن إنشاء لسان الدين في حق القاضي ابن الحسن أيضاً — حين أضيفت إليه الخطاب إلى القضاء — على لسان سلطانه :

« هذا ظهير كريم أعلى رتبة الاحتفاء اختياراً واختباراً ، وأظهر معاني الكرامة والتخصيص انتقاء واصطفاء وإيثاراً ، ورفع لواء الجلالة على من اشتمل عليه حقيقة واعتباراً ، ورقى في درجات العزّ من طاولها على بهر أنواراً ، وديناً

كرم في الصالحات آثاراً ، وزكا في الأصالة نجاراً ، وخلوصاً إلى هذا المقام العلي السعيد الذي راق إظهاراً وإضماراً ، أمر به وأمضاه ، وأنفذ حكمه ومقتضاه ، أميرُ المسلمين عبد الله محمد ، إلى آخره ، للشيخ الكذا القاضي العدل الأرضي قاضي الجماعة ، وخطيب الحضرة العلية ، المخصوص لدى المقام العلي بالحظوة السنية ، والمكانة الحفية ، الموقر الفاضل ، الحافل الكامل ، المبرور أبي الحسن ، ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل ، الأعز الماجد الأسنى المرفع الأحفل ، الأصلح المبارك الأكل ، الموقر المبرور المرحوم أبي محمد ابن الحسن ، - وصل الله عزته ؛ ووالى رفعتة ومبرته ؛ ووهب له من صلة العناية الربانية أملته وبغيتته ، - لما أصبح في صدور القضاة العلماء مُشاراً إلى جلاله ، مستنداً إلى معرفته المخصوصة بكماله ، مطرزاً على الإفادة العلمية والأدبية بمحاسنه البديعة وخيصاله ، محفواً مقعد الحكم النبوي ببركة عدالته وفضل خلاه ، وحل في هذه الحضرة العلية المحل الذي لا يرقاه إلاَّ عين الأعيان ، ولا يَشْوي مهاده إلا مثله من أبناء المجد الثابت الأركان ، ومؤملي العلم الواضح البرهان ، والمبرزين بالمآثر العلية في الحسن والإحسان ، وتصدر لقضاء الجماعة فصدرت عنه الأحكام الراجعة الميزان ، والأنظار الحسنة الأثر والعيان ، والمقاصد التي وفّت بالغاية التي لا تستطاع في هذا الميدان - فكم من قضية جلا بمعارفه مُشْكَلها ، ونازلة مبهمة فتح بإدراكه مقفلها ، ومسألة عرف نكرتها وقرر مهملها ، حتى قرّت بعدالته وجزالته العيون ، وصدقت فيه الآمال الناجحة والظنون ، وكان في تصديره لهذه الولاية العظمى من الخير والخيرة ما عسى أن يكون ، كان أحق بالتشفيح لولاياته وأولى ، وأجدر بمضاعفة النعم التي لا تزال تترادف على قدره الأعلى ، فلذلك أصدر له أيده الله هذا الظهير الكريم مشيداً بالترفيح والتنويه ، ومؤكداً للاحتفاء الوجيه ، وقدمه ، أعلى الله قدمه ، وشكر نعمه ، خطيباً بالجامع الأعظم من حضرته ، مضافاً ذلك إلى ولايته ورفيع منزلته ، مرافقاً لمن بالجامع الأعظم - عمره الله بذكره - من عليّة الخطباء ، وكبار العلماء ، وخيار النبهاء الصلحاء . فليتداول ذلك في جمعاته ،

مظهرًا في الخطة أثر بركاته وحسناته ، عاملاً على ما يقربه عند الله من مرضاته ،
ويظفره بجزيل مَثُوباته ، بحول الله وقوته » . انتهى .

فهذا ثناء لسان الدين المرحوم على القاضي ابن الحسن ، وإشادته بذكره ،
وبإشارته وتدييره وليّ قضاء القضاة وخطابة الجامع الأعظم بغرناطة ، وهذان
المنصبان لم يكن في الأندلس في ذلك الزمان من المناصب الدينية أجلُّ منهما .
ولمّا حصل للسان الدين رحمه الله تعالى ما حصل من النفرة عن الأندلس ، وإعمال
الحيلة في الانفصال عنها ، لعلمه أن سعايات ابن زَمْرَك وابن الحسن ومن
يعضدهما تمكنت فيه عند سلطانه ، خلص منها على الوجه الذي قدّمناه ، وشر
القاضي ابنُ الحسن عن ساعد أذايته ، والتسجيل عليه بما يوجب الزندقة ، كما
سبق جميعه مُفَصَّلاً ، فحينئذ أطلق لسانُ الدين عنانَ قلمه في سَبِّ المذكور
وثَلَبه ، وأورد في كتابه « الكتيبة الكامنة في أبناء المائة الثامنة » من مثاليه
ما أنسى ما سطره صاحبُ القلائد في ابن باجة المعروف بابن الصائغ — حسبما نقلنا
ذلك ، أعني كلام الفتح ، في غير هذا الموضع — ولم يقتنع بذلك حتى ألف الكتاب
الذي سمّاه بـ « خلع الرّسَن » كما ألعنا به فيما سبق ، والله سبحانه يتجاوز عن
الجميع بمنّه وكرمه .

[نماذج من براعة لسان الدين في القدح]

واعلم أن لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى الغاية في المدح والقدح ،
فتارة على طريق الترسّل ، وطوّراً على غيرها ، وقد أقذع وبالغ رحمه الله تعالى في
هجو أعدائه بما لا تحتمله الجبال ، وهو أشد من وقع النبال ، ومنه ما وصف به
الوزير ، الذي كان استوزره السلطان إسماعيل بن الأحمر الناصر على سلطان
ابن الخطيب ، حسبما سبق الإمام بذلك ، والوزير هو إبراهيم بن أبي الفتح الأصيل
الغوي ، إذ قال في المذكور وفي ابن عمّه محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح العقرب

الردي ، بعد كلام ، ما صورته :

« وما ظنك برجل مجهول الجلد ، موصوم الأبوة ؟ » إلى أن قال : « تنور خبز ، وبركة مرقة ، وثعبان حلتواء وفاكهة ، مغني في شح النفس ، متهالك في مسترذل الطبع [. . .] ^١ عليه العذبوط ^٢ الغبي ابن عمته بسذاجة ، زعموا ، مع كونه قبيح الشكل ، بشيع الطلعة ، إلى أن قال : وفي العشر الأول من رمضان عام واحد وستين وسبع مائة تقبّض على الوزير المشؤوم ، وابن عمته الغوي الغشوم ، وولد الغوي مرسل الظفيرة أبعاد الناس في مهوى الاغترار يختال في السرقة والحلية ^٣ ، سم من سم القوارير ، وابتلاء من الله لذوي الغيرة ، يروح نشوان العشيات ، يرقص بين يديه ومن خلفه عدد من الأخلاف ^٤ ، يعاقرون النبيذ في السكك الغاصة ، وولد العقرب الردي بضده قماءة وتقطباً ، تنبو عنهما العيون ، ويبكي منهما الخبز ، كأنهما صمناً عند المحاورة وإظلاماً عند اللألاء ، من أذلاء بني النضير ، ومهتضمي خير ، فتقفا ملياً ، وبودرَ بهما إلى ساحل المنكب .

« قال المخبر . فما رأيت منكوبين أقبح شكلاً ، ولا أفقد صبراً ، من ذينك التيسين الحقيقين ، صلع الرؤوس ، ضخام الكروش ، مبهوري الأنفاس ، متلجلجي الألسنة ، قد ربت بمحل السيف من عتق كل جبار منهما شحمة أترجية كأنها ستام الحوار ، لا يثيرون دمعاً ، ولا يستترلون رحمة ، ولا يمهدون عذراً ، ولا يترودون من كتاب الله آية ، قد طبع الله على قلوبهم ، وأخذهم ببغيتهم ، وعجل لهم سوء سعيهم . وللحين أركبهم وجراءهم — يعني أولادهم — في جفن غزوي تحف بهم المساعير من الرجال ، واقتضى بهم أثر قرقرورة تحمل حاجاً إلى الإسكندرية توريةً بالقصد ، فلمّا بلحجوا قذف بهم في بلحة بعد استخلاص

١ بياض بمقدار كلمة في ص .

٢ العذبوط : الذي يسلم حين ينزل أثناء المباشرة .

٣ ق : في السرقة والحرير والحلية ؛ والسرقة هو الحرير .

٤ الأخلاف : جمع خلف وهو الردي الذي لا خير عنده .

٥ أي سفينة حرية .

ما ضيئوا به^١ ، وتلكأ الأصلع الغوي فأثبت بجراحة أشعر بها هديه ، واختلط
العقرب الردي فنال من جناب الله سخطاً وضيقاً ، تعالى الله عن نكيره ، فكان
فرعون هذا الزمان جبروتاً وعتوّاً وميتة ، عجل الله لهم العذاب ، وأغرقهم
في اليم .

« فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ، فسبحان مَنْ لا تضعيع الحقوق مع
عدّله ، ولا تنسخ الآماد مع منازعة رداء كبريائه ، مرغم الأنوف ، وقاطع
دابر الكافرين ، وفي ذلك أقول مستريحاً ، وإن لم يكن — علم الله تعالى — شائي ،
ولا تكرر في ديواني :

وما كنتُ ممّن يدخلُ العشقُ قَلْبَهُ وَلَكِنْ مَنْ يُبْصِرُ جَفْوَنَكَ يَعِشُ^٢
ومن أمثالهم « مَنْ اسْتَغْضِبَ فَلَمْ يَغْضَبْ فَهُوَ حِمَارٌ » والله سبحانه يقول
ومن أصدق من الله قيلاً « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » (الشورى : ٤٠) والعفو
أقرب للتقوى ، والقرب والبعد بيده سبحانه . وصدرت هذه الكلمة حين تعرّف
لإجلالهم في الجفن إلى الإسكندرية ، وبعد ذلك صح هلاكهم :

كن من صروف الردي على حذرٍ	لا يقبل الدهرُ عُدْرَ مُعْتَدِرٍ
ولا تعول فيه على دعةٍ	فأنت في قلعةٍ وفي سفرٍ
فكلُّ ريٍّ يُقْضِي إلى ظلمٍ	وكلُّ أمنٍ يدعو إلى غررٍ
كم شامخ الأنف يشني فرحاً	بالَ عليه زمانه وخري
قل للوزير البلبد قد ركضتُ	في ربعك اليوم غارةُ الغيرِ
يا ابن أبي الفتح نسبةً عكستُ	فلا بفتح أتت ولا ظفرِ
وزارةً لم يجد مُقْلِدُهَا	عن شؤمها في الوجود من وزرِ
في طالع النحاس حُزّت ربتّها	وكلُّ شيءٍ في قبضة القدرِ

١ ضيئوا به : قبض عليهم بسببه .

٢ البيت للمتنبي من قصيدته « لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي » .

أَيُّ اخْتِبَارٍ لَمْ تَأَلُ نَصَبْتَهُ
بَاتَ لَهُ الْمُشْتَرَى عَلَى غَيْرِ
يَا طَللاً مَا عَلَيْهِ مِنْ عَمَلٍ
يَا مُفْرِطَ الْجَهْلِ وَالْغَاوَةِ لَا
يَا دَائِمَ الْحَقْدِ وَالْفِظَاظَةِ لَا
يَا كَدَّ اللَّوْنِ يَنْطَفِي كَدّاً
يَا عِدْلَ سَرَجٍ يَا دَنَّ مَقْتَعِدٍ
يَا وَاصِلاً لِلْجِشَاءِ نَاشِئَةً إِلَيْهِ
مِنْ غَيْرِ لُبٍّ وَلَا مِرَاقَبَةٍ
يَا خَامِلاً جَاهُهُ الْفُرُوجُ يَرَى
كَانُوا نَبِيْطاً فِي الْأَصْلِ أَوْ حَبْشاً
يَا نَاقِصَ الدِّينِ وَالْمَرْوَةِ وَالْعَةِ
يَا وَلَدَ السَّحْقِ غَيْرَ مَكْتَمٍ
يَا بَغْلَ طَاحُونَةٍ يَكْدُورُ بِهَا
فِي أَشْهُرٍ عَشْرَةٍ طَحْنَتَهُمْ
وَاللَّهِ مَا كُنْتَ يَا مَشُومٌ وَلَا
وَمَنْ أَبُو الْفَتْحِ فِي الْكِلَابِ وَهَلْ
قَدْ سَتَرَ الدَّهْرُ مِنْكَ عَوْرَتَهُ
حَانُوتُ بَزٍّ يَمْشِي عَلَى فُرْشٍ
لَا مِئَنَةً تُتَّقَى لِمَعْرَكٍ
وَلَا يَدٌ تَنْتَمِي إِلَى كَرَمٍ
عَهْدِي بِذَاكَ الْجَبِينِ قَدْ مَلَأْتُ

فِي جَسَدٍ لِلنَّحُوسِ أَوْ نَظِيرِ
وَأَحْرَقَتْ فِيهِ قَرِصَةُ الْقَمَرِ
يَا شَجْراً مَا لَدَيْهِ مِنْ ثَمَرٍ
يُحْسَبُ إِلَّا مِنْ جَمَلَةِ الْبَقَرِ
يَقْرُقُ مَا بَيْنَ ظَالِمٍ وَبَرٍّ
مِنْ حَسَدٍ يَسْتَطِيرُ بِالشَّرِّ
مَلَّانَ مِنْ رِيَّةٍ وَمِنْ قَدْرِ
لِ وَرَبِّ الضُّرَاطِ فِي السَّحَرِ
لِلَّهِ فِي مُورِدٍ وَلَا صَدَرٍ
صَهْرَ أُولَى الْجَاهِ فُخْرُ مَفْتَخِرٍ
مَا عِنْدَهُ عِبْرَةٌ بِمَعْتَبِرٍ
لِ وَجَرِي اللِّسَانِ بِالْهَدَرِ
حَدِيثُهُ ، يَا ابْنَ فَاسِدِ الدَّبْرِ
مُجْتَهِدُ السَّبْرِ مَغْمُضُ الْبَصْرِ
فِي رَحَى الثُّومِ وَالْبَوَارِ دُرٍّ
أَنْتَ سَوَى عُرَّةٍ مِنْ الْعُرَرِ
لِجَاهِلٍ فِي الْأَنَامِ مِنْ خَطَرٍ
وَكَانَ لِلْيَوْمِ غَيْرَ مُسْتَرٍ
وَتُورُ عَرَسٍ يَخْتَالُ فِي حَبِيرٍ
وَلَا لِسَانٌ يُبَيِّنُ عَنْ خَبِيرٍ
وَلَا صَفَاءٌ يَرِيحُ مِنْ كَدَرٍ
غُضُونُهُ الْغَبْرُ بِالدَّمِ الْهَدَرِ

عهدي بذاك القفا الغليظ وقد
أهدتك البحر كف منتقم
يا يُتَم أولادك الصغار ويا
يا ثكل تلك الصماء أمهم
والله لا نال من تخلفه
والله يا مسخفان لا انتقلت
أحفك^١ الله بالهوان ولا
ما عوقب الليل بالصباح وما

مُدَّ لوقع المهند الذكّر
ألفتك للحوت كف مقتدر
حيرتهم بعد ذاك في الكبير
وظاعن الموت غير منتظر
من أمل بعدها ولا وطير
رجلك منها إلا إلى سقر
رعاك فيمن تركت من عرر
تقدم البرق عارض المطر

انتهى ؛ وقال موريا بدم الأخوين ، في شأن سلطان تلك الدولة الذي أضحي
أثراً بعد عين^٢ :

بإسماعيل ثم أخيه قيس
دم الأخوين داوى جرح قلبي وعالجني ، وحسبك من علاج
تأذن لي ليل همي بانبلج

وهذه تورية بديعة ، لأن الأطباء يقولون : إن من خاصية دم الأخوين النفع
من الجراح .

وقال رحمه الله تعالى : قلت في رأس الغادر بالدولة حين عرض عليّ :

في غير حفظ الله من هامة هام بها الشيطان في كل واد
ما تركت حمداً ولا رحمة في فم إنسان ولا في فؤاد

وقال أيضاً في تلك الدولة بعد كلام ، ما نصه :

« وانتدب قاضيهم الشيخ المترخي الدبر والفك ، المنحل العصب والعقدة ،

١ ق ص : أحفك .

٢ أزهار الرياض ١ : ٢٧٤ .

المعرق في العمومية ، المشهور بقبول الرشوة ، أبو فلان ابن فلان ، الغريب الاسم والولاية ، ومفتيهم معدن الرياء والهواة ، والبعد عن التخصص والحشمة ، والمثل في العماة ، والطرف في التهالك على الحطام ، فلان البناء ، المسخر في بناء الحفيرة ، المستخدم في دار ابنه أجيراً ، مختضباً بالطين ، مضيقاً في رمق العيشة ، وحسبك به دليلاً على الحياء وفضل البنوة ، فلفقوا من خيوط العناكب شبهات تقلدوا بها حل العقد الموثق ، ديدنهم في معارضة صلب الملة بالآراء الخبيثة ، يتحكم الوقاح منهم في الحكم الذي نزل به شديد القوى على الذي لا ينطق عن الهوى ، بحسب شهوته ، تحكمه في غزل أمه إثارةً للعاجل ، واسترابةً بالوعيد ، ففسخوا النكاح ، وحلوا محرم البضع للدائل ، وقد تأذن الله بفسخه ، وأجرى دمه نقداً قبل دفع فقده ، سبحانه حكم الحكام ، وقاهر الظلّام ، وباء مشيخةُ السوء بلعنة الله وسوء الأحداث ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ، انتهى .

ومن كلامه في « نفاضة الجراب » ، وقد ذكر وزير المغرب محمد بن علي ابن مسعود ما ملخصه : « وانه مجنون ، أحول العين ، وحش النظر ، يُظن به الغضب في حال الرضى ، يهيج به المرار فيكمن زماناً خلف كتلة مرقده ، يُدخل إليه وعاء الحاجتين خوفاً من إصهاره إلى فضاء منزله ، وتوحشه من أهله وولده ، إلى أن تضعف سورة الميرة فيخف أمره ، قد باين زوجه مع انسحاب رواق الشبية ، وتوفر داعية الغبطة ، لحلف جره الوسواس السوداوي ، نستدفع بالله شر بلائه ، فاستعان مستوزره منه برأي الفضل بن سهل ويحيى بن خالد وأمثالهما ، تدارك الله رمق الإسلام بلطفه » ، انتهى .

[في عتاب ابن أبي رمانة]

ولما دخل لسان الدين رحمه الله تعالى مدينة مكناسة الزيتون تأخر قاضيهما الشيخُ الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي رمانة عن لقائه يوم وصوله ،

١ ق : تصف ، وهو غير مناسب للمعنى .

فكتب إليه بما نصّه :

جفا ابن أبي رمانة وجهه مقدمي ونكّب عني معرضاً ونحامي
وحجّب عني حبه غير جاهلٍ بأنّي ضيف^١ والمبرة^٢ من شاني
ولكن رأي مغريباً محققاً وأن طعامي لم يكن حباً رمانٍ

زيارة القاضي أصلحه الله لثلي ممّن لا يخافه ولا يرجوه ، تجب من وجوه :
أولها كوني ضيفاً ، ممن لا يُعدّ على الاختبار زيفاً ، ولا تجرّ مؤانسته حيفاً ،
فضلاً عن أن تُشرع رحماً أو تسلّ سيفاً ؛ وثانيها أنّي أمتٌ إليه من الطلب
بنسب ، بين موروث ومكتسب ، وقاعدة الفضل قد قررها الحقّ وأصلها ،
والرحم كما علم تدعو لمن وصلها ؛ وثالثها المبدأ في هذا الغرض ، ولكن الواو
لا ترتب إلاّ بالعرض ، وهو اقتفاء سنن المولى أيده الله في تأنيسي ، ووصفه ليأي
بمقربي وجليسي ؛ ورابعها — وهو عدة كيسي ، وهزبرُ خيسي ، وقافية
تجنيسي.. ، ومقام تلويني وتليسي — مودة رئيس هذا الصنف العلمي ورئيسي ،
فليت شعري ما الذي عارض هذه الأصول الأربعة ، ورجع مذاهبها المتبعة ، إلاّ
أن يكون عمَلُ أهل المدينة ينافيها ، فهذا بحسب^٢ النفس ويكفيها ، وإن تعذر
لقاء أو استدعاء ، وعدم طعام أو وعاء ، ولم يقع نكاح ولا استرعاء ، فلم يتعذر
عذر يقتضيه الكرم ، والمنصب المحترم ، فالحيلة إلى التماس الحمد ذات استباق ،
والعرف بين الله والناس باق ، والغيرة على لسان مثله مفروضة ، والأعمال
معروضة ، والله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة ، وإن كان لدى القاضي
في ذلك عذر فليُفدّه ، وأولى الأعذار به أنّه لم يقصده ، والسلام ؛ انتهى .
ويعني بالمولى السلطان أبا سالم ابن السلطان أبي الحسن المريني ، وبرئيس

١ ص : ضيف .

٢ ص ق : يحسب .

هذا الصنف العلامة الخطيب أبا عبد الله ابن مرزوق ، رحمه الله الجميع .

[رسالته إلى ابن مرزوق ينصحه برفض الدنيا]

ومن كلام لسان الدين — رحمه الله تعالى — رسالة في أحوال خدَمَة الدولة ومصائرهم ، وتنبيههم على النظر في عواقب الرياسة بعيون بصائرهم ، عبر فيها عن ذَوِّق ووجدان ، وليس الخبر كالعيان ، وخاطب بها الإمام الخطيب عين الأعيان ، سيدي أبا عبد الله ابن مرزوق ، وكأنه — أعني لسان الدين — أشار ببعض فصولها إلى نفسه ، ونطق بالغيب في نكته التي قادته إلى رَمْسِهِ ، وكان ذلك منه عندما أراد التخلّي عن خدمة الملوك ، والتخلي بزينة أهل التصوف والسلوك ، فلم يرد الله أن تكون مهجته نائية عن ساحة الظلمة خارجة ، وأراد سامحه الله وغفر له عَمَرًا وأراد الله خارجة ، وصورة ما قال رحمه الله تعالى :

« وأحسست منه — يعني ابن مرزوق — في بعض كتبه الواردة إليّ صاغية إلى الدنيا وحينئذ لما بلّاه من غرورها ، فحملني الطور الذي ارتكبته في هذه الأيام — بتوفيق الله — على أن أخاطبه بهذه الرسالة ، وحققها أن يجعلها خدَمَة الملوك ممن ينسب إلى نبل ، ويلمّ بمعرفة ، مُصَنِّحاً يَدْرُسُهُ ، وشعاراً يلتزمه ، وهي : « سيدي الذي يده البيضاء لم تذهب بشهرتها المكافاة ، ولم تختلف في مدحها الأفعال ولا تغايرت الصفات ، ولا تزال تعترف بها العظام الرُّفَات ، أطلقك الله من أسر كلّ الكون كما أطلقك من أسر بعضه ، وزهّدك في سمائه القانية وفي أرضه ، وحقر الحظ في عين بصيرتك بما يملك على رَفْضِهِ ، اتصل بي الخبر السار من تركك لشانك ، وإجناء الله تعالى إياك ثمرة إحسانك ، وانجباب ظلام الشدة الحالك ، عن أفق حالك ، فكبرت ، وفي الفرج من بعد الشدة اعتبرت ، لا بسوى ذلك من رضى مخلوق يؤمر فيأتمر ، ويدعوه القضاء فيبتدر ، إنّما هو فيء ، وظلّ ليس له من الأمر شيء ، ونسأله جل وعلا أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا

١ ص ق : منة .

وبنيها ، وأول معارج نفسك التي تقربها من الحق وتُدْئِئُها ، وكأنني والله أحسُّ
بثقل هذه الدعوة على سمعك ، ومضادتها ولا حول ولا قوة إلا بالله لطبعك ،
وأنا أنافرك إلى العقل الذي هو قسطاس الله تعالى في عالم الإنسان ، والآلة لبث
العدل والإحسان ، والملك الذي يبين عنه ترجمان اللسان ، فأقول :

« ليت شعري ما الذي غبط سيدي بالدنيا ، وإن بلغ من زبرجها الرتبة العليا ،
ونفرض المثال بحال إقبالها ، ووصل حبالها ، وخشوع جبالها ، وضراعة سبالتها ،
اليتَوَقَّعُ المكروه صباحاً ومساءً ، وارتقاب الحوالة التي تدل من النعيم البأساء ،
ولزوم المنافسة التي تعادي الأشراف والرؤساء ؟ أترتب العتب على التقصير
في الكتّيب ، وضعيفة جارِ الحنّيب ، ولوع الصديق بإحصاء الذنّب ؟ أنسبة وقائع
الدولة إليك وأنت بري ، وتطويقك الموبقات وأنت منها عري ؟ ألاستهدافك
للمضار التي تنتجها غيرة الفروج ، والأحقاد التي تضبطها ركة السروج ،
وسرحة المروج ، ونجوم السماء ذات البروج ؟ ألتقليدك التقصير فيما ضاقت
عنه طاقتك . وصحت إليه فاقتك ، من حاجة لا يقتضي قضاءها الوجود ، ولا
يكفيها الركوع للملك والسجود ؟ ألقطع الزمان بين سلطان يُعَبَّد . وسهام
للغيوب تكبد ، وعجاجة شرّ تلبد ، وأقبوحة تخلد وتؤبّد ؟ ألوزير يُصانَعُ
ويُدَارَى . وذي حجة صحيحة يُجادَل في مرضاة السلطان ويُمَارَى . وعورة
لا توارى ؟ ألباكرة كل قرن حاسد . وعدوّ مستاسد . وسوق للإنصاف
والشفقة كاسد . وحال فاسد ؟ أوفود تتزاحم بسدّتك مكلفة لك غير ما في
طوّفك . فإن لم يقع الإسعاف قلبت عليك السماء من فوقك ؟ أجلساء ببابك ،
لا يقطعون زمان رجوعك وإيابك ، إلا بقبيح اغتيابك ، فالتصرفات تمقت ،
والقواطع توقت . والألاقي تبثّ . والسعايات تحثّ . والمساجد يشتكى في
حلقها البثّ ، يعتقدون أن السلطان في يدك بمنزلة الحمار المدبور ، واليتيم
المحجور . والأسير بالمأمور ، ليس له شهوة ولا غضب ، ولا أمل في الملك

١ لعلها تضطئبها .

ولا أرب ، ولا مَوْجدة لأحد كامنة ، وللشر ضامنة ، وليس في نفسه عن رأي
نفرة ، ولا بلزاء ما لا يقبله نزوة ولا طفرة ، إنَّما هو جارحة لصيدك ، وعانٍ
في قيدك ، وآلة لتصرف كيدك ، وأنتك علّة حيفه ، ومسلط سيفه :

«الشَّرَّار يَسْمُلُونَ عِیُونَ النَّاسِ بِاسْمِكَ ، ثُمَّ يَمْزِقُونَ بِالْغِيَةِ مِزْقَ جِسْمِكَ ،
قَدْ تَنَحَّلَهُمُ الْوُجُودُ أَخْبِثْ مَا فِيهِ ، وَاخْتَارْهُمْ السَّفِيهِ فَالسَّفِيهِ ، إِذْ الْخَيْرُ يَسْتَرُهُ اللَّهُ
تَعَالَى عَنِ الدُّوَلِ وَيَخْفِيهِ ، وَيَقْنَعُهُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ ، فَهُمْ يَمْتَحِنُونَ بِكَ وَيُولُونَكَ
الْمَلَامَةَ ، وَيَفْتَحُونَ عَلَيْكَ الْقَوْلَ وَيَسُدُّونَ طَرِيقَ السَّلَامَةِ ، وَلَيْسَ لَكَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ
إِلَّا مَا لَا يَعُوزُكَ مَعَ ارْتِفَاعِهِ ، وَلَا يَفُوتُكَ مَعَ انْقِشَاعِهِ ، وَذَهَابِ صُدَاعِهِ ، مِنْ
غِذَاءِ يَشْبَعُ ، وَثُوبِ يَقْنَعُ ، وَفِرَاشِ يَنِيْمُ ، وَخَدِيمٍ يَقْعُدُ وَيَقِيْمُ ، وَمَا الْفَائِدَةُ
فِي فُرُشٍ تَحْتَهَا جَمْرُ الْغَضَا ، وَمَالٍ مِنْ وَرَائِهِ سُوءُ الْقَضَا ، وَجَاهٍ يَخْلُقُ عَلَيْهِ
سَيْفٌ مُنْتَضِيٌّ ؟ وَإِذَا بَلَغْتَ النَّفْسَ إِلَى الْإِلْتِذَاذِ بِمَا لَا تَمْلِكُ ، وَاللَّجَاجِ حَوْلَ
الْمُسْقَطِ الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّهَا فِيهِ تَهْلِكُ . فَكَيْفَ تَنْسِبُ إِلَى ثُبُلٍ ، أَوْ تَسِيرُ مِنَ السَّعَادَةِ
فِي سُبُلٍ ؟ وَإِنْ وَجَدْتَ فِي الْقُعُودِ بِمَجْلِسِ التَّحِيَّةِ ، بَعْضَ الْأَرِيحِيَّةِ ، فَلَيْتَ شِعْرِي
أَيُّ شَيْءٍ زَادَهَا ، أَوْ مَعْنَى أَفَادَهَا ؟ إِلَّا مَبَاكِرَةَ وَجْهِ الْحَاسِدِ ، وَذِي الْقَلْبِ الْفَاسِدِ ،
وَمَوَاجِهُةَ الْعَدُوِّ الْمُسْتَأْسَدِ ، أَوْ شَعَرْتَ يَبْعُضُ الْإِيْنَسِ ، فِي الرُّكُوبِ بَيْنَ النَّاسِ ،
مَا أَلْتَذْتَ إِلَّا بِحِلْمٍ كَاذِبٍ ، أَوْ جَذَبَهَا غَيْرُ الْغُرُورِ جَاذِبٍ ، إِنَّمَا رَاكِبُكَ مِنْ
يُحَدِّقُ إِلَى الْحَلِيَّةِ وَالْبِزَّةِ ، وَيَسْتَطِيلُ مَدَّةَ الْعِزَّةِ ، وَيَرْتَابُ إِذَا حَدَّثَتْ بِخَبْرِكَ ،
وَيَتَّبِعُ بِالنَّقْدِ وَالتَّجَسُّسِ مَوَاقِعَ نَظَرِكَ ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ مَسَايِرَةِ أَنْيَسِكَ ، وَيَحْتَالُ
عَلَى فَرَاغِ كَيْسِكَ ، وَيَضْمُرُ الشَّرَّ لَكَ وَلِرَأْسِكَ ، وَأَيُّ رَاحَةٍ لَنْ لَا يَبَاشِرَ قَصْدَهُ ،
وَيَمْشِي إِذَا شَاءَ وَحْدَهُ ؟ »

«ولو صح في هذه الحال لله تعالى حظ وهبه زهيداً ، وعين الرشد عملاً
حميداً ، لساغ الصَّابُ ، وَخَفَّتِ الْأَوْصَابُ ، وَسَهَّلَ الْمُصَابُ ، لَكِنِ الْوَقْتُ
أَشْغَلَ ، وَالْفِكْرُ أَوْغَلَ ، وَالزَّمَنُ قَدْ عَمَرَتْهُ الْحَصَصُ الْوَهْمِيَّةُ ، وَاسْتَنْفَدَتْ مِنْهُ
الْكَمِيَّةُ ، أَمَا لَيْلُهُ فَفَكَّرَ أَوْ نَوَّمَ ، وَعَتَبَ بِجِرَاءِ الضَّرَائِرِ وَلُومٍ ، وَأَمَّا يَوْمُهُ فَتَدَبَّرَ ،

وقبيل ودبير ، وأمور يعنيا بها ثبير ، وبلاء مبير ، ولغظ لا يدخل فيه حكم كبير ، وأنا بمثل ذلك خير ؛ ووالله يا سيدي ومن فلق الحب ، وأخرج الأب ، وذراً من مشى ومن دب ، وسمى نفسه الرب ، لو تعلق المال الذي يحره هذا القيدح ، ويوري سقيطه هذا القدح ، بأذيال الكواكب ، وزاحمت البدر بدرة المناكب ، لما ورثه عقب ، ولا خلص به محتقب ، ولا فاز به سافر ولا منتقب ، والشاهد الدول ، والمثائم الأول :

« فأين الرباع المقتناة ؟ وأين الديار المبتناة ؟ وأين الحوائط المغترسات ؟ وأين الذخائر المختلسات ؟ وأين الودائع المؤملة ؟ وأين الأمانات المحملة ؟ تأذن الله بتبويرها ، وإدناء نار التبار من دنائيرها ، فقلتما تلقى أعقابهم إلا أعراء الظهور ، مرمقين بحرارات الشهور ، متعللين بالهباء المنثور ، يطردون من الأبواب التي حجب عنها آباؤهم ، وعرف منها إباؤهم ، وشم من مقاصيرها عتبرهم وكتباؤهم ، ولم تساعهم الأيام إلا في إرث محرر ، أو حلال مقرر ، وربما محققه الحرام ، وتعدّر منه المرام .

« هذه — أعزك الله — حال قبولها مع الترفيه ، ومالها المرغوب فيه ، وعلى فرض أن يستوفي العمر في العز مستوفيه ، وأما ضده من عدو يتحكم وينتقم ، وحوت بغني يبتلع ويلتقم ، ومطبق يحجب الهواء ، ويظيل في الترب الثواء ، وثعبان قيد بعض الساق ، وشؤبوب عذاب يمزق الأبخار الرقاق ، وغيلة يهديها الواقب الغاسق ، ويجرعه العدو الفاسق ، فصرف السوق ، وسلعته المعتادة الطروق ، مع الأفول والشروق . فهل في شيء من هذا مغتبط لنفس حرة ، أو ما يساوي جرعة حال مرة ؟ واحسرتا للأحلام ضلت ، وللأقدام زلت ، وبها مصيبة جلّت .

« وليسيدي أن يقول : حكمت باستئصال الموعظة واستجفائها ، ومراودة الدنيا بين خلانها وأكفائها ، وتناسي عدم وفائها ، فأقول : الطبيب بالعلل أدرى ، والشفيق بسوء الظن مغرّى ، وكيف لا وأنا أقف على السحاعات بخط يد سيدي

من مطارح الاعتقال ، ومثاقف النُوب الثقال ، وخلوات الاستعداد ، للقاء الخطوب الشداد ، وتَوَشَّى الأسيْنَة الحِداد ، وحيث يجمل بمثله أن لا يصرف في غير الخضوع لله تعالى بنائاً ، ولا يثني لمخلوق عنائاً ، وأتعرّف أنها قد ملأت الجوّ والدوّ ، وقصدت الجهاد والبوّ ، تفتحم أكفّ أولي الشّمات ، وحفّظت المذمّات ، وأعوان النُوب الملمّات ، زيادةً في الشقاء ، وقصداً برياً من الاختيار والانتقاء ، مشتملة من التجاوز على أغرب من العنقاء ، ومن النفاق على أشهر من البلقاء ، فهذا يوصف بالإمامة ، وهذا يُجعل من أهل الكرامة ، وهذا يكلف الدعاء وليس من أهله ، وهذا يُطلب منه لقاء الصالحين وليسوا من شكله ، إلى ما أحفَظَني والله من البحث عن السموم ، وكتب النجوم ، والمذموم من العلوم ، هلاًّ كان مَنْ ينظر في ذلك قد قوطع بتائاً ، وأعتقد أن الله قد جعل لزمان الخير والشر ميقاتاً ، وأنا لا نملك موتاً ولا نشوراً ولا حياتاً ، وأن اللوح قد حصّر الأشياء محسّواً وإثباتاً ، فكيف نرجو لما منع متالاً أو نستطيع ممّا قدر إفلاتاً؟ أفيدونا ما يرجح العقيدة المتقررة فتحوّل إليه ، وبينوا لنا الحق نُعوّل عليه .

« الله الله يا سيدي في النفس المرشحة ، والذات المحلاة بالفضائل الموشحة ، والسلف الشهير الخير ، والعمر المُشْرِف على الرحلة بعد حثّ السير ، ودّع الدنيا لبنيتها فما أوكس حظوظهم ، وأخسّ لحوظهم ، وأقل متاعهم ، وأعجل لإسراعهم ، وأكثر عناءهم ، وأقصر آناءهم :

ما ثمّ إلا ما رأي ت ، وربما تُعَيِّي السلامه
والناسُ إمّا جائرٌ أو حائرٌ يشكو ظُلامه
وإذا أردتَ العزَّ لا ترزأ بني الدُّنيا قُلامه
والله ما احتقَبَ الحرّ صُوى الذنوب أو الملامه
هل ثمّ شكٌّ في المعاد الحقّ أو يوم القيامة
قولوا لنا ما عندكم أهل الخطابة والإمامه

« وإن رَمَيْتَ بأحجارى ، وأوجرت المرّ من أشجارى ، فوالله ما تلبست اليوم منها بشيء قديم ولا حديث ، ولا استأثرت بطيّبٍ فضلاً عن خبيث ، وما أنا إلاّ عابرُ سبيل ، وهاجر مرعى وَّييل ، ومرتقب وعُدّاً قدر فيه الإنجاز ، وعاكف على حقيقة لا تعرف المجاز ، قد فررت من الدنيا كما يُفَرُّ من الأسد ، وحاولت المقاطعة حتى بين روحي والجسد ، وغسل الله قلبي — والله الحمد — من الطمع والحسد ، فلم أبق عادة إلاّ قطعُها ، ولا جُنّة للصبر إلاّ ادّرعُتها ، أما اللباس فالصوف ، وأما الزهد فيما بأيدي الخلق فمعروف ، وأما المال الغبيط فعلى الصدقة مصروف ، ووالله لو علمت أن حالي هذه تتصل ، وعُراها لا تنفصل ، وأن ترتبي هذا يدوم ، ولا يحيرني الوعد المحتوم ، والوقت المعلوم ، لمتُ أسقما ، وحسبي الله وكفى .

« ومع هذا يا سيدي فالموعظة تُتلقى من لسان الوجود ، والحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود ، ويأخذها من غير اعتبار بمحلها المذموم ولا المحمود . ولقد أعملت نظري فيما يكافىء عني بَعْضَ يَدِكَ ، أو ينتهي في الفضل إلى أَمَدِكَ ، فلم أراك الدنيا كفاء هذا لو كنت صاحب دنيا ، وأُلفت بذل النفس قليلاً لك من غير شرط ولا ثُنْيا ، فلما ألهمني الله لمخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة في قالب الجفاء ، لمن لا يثبت عين الصفاء ، ولا يشيمُ بارقة الوفاء ، ولا يعرف قاذورة الدنيا معرفة مثلي من المتدسّين بها المنهمكين ، وينظر عُوارها القادح بعين اليقين ، ويعلم أنها المومسة التي حُسْنُها زور ، وعاشقها مغرور . وسرورها شرور ، تبين لي أنني قد كافيت صنيعتك المتقدمة ، وخرجت عن عهدتك الملتزمة ، وأمَحَضْتُ لك النصيح الذي يُعزُّ بعز الله ذاتك ، ويطيب حياتك ، ويحيي مَوَاتك ، ويريح جوارحك من الوَصَب ، وقلبك من النَّصَب ، ويحقر الدنيا وأهلها في عينك إذا اعتُبرَتْ ، ويلاشي عظامها لديك إذا اختبرت .

« كل من تقع عينك عليه فهو حقير قليل ، وفقير ذليل ، لا يَفْضُلُكَ

بشيء إلا باقتفاء رشد أو ترك غي ، أثوابه النبيهة يجردها الغاسل ، وعُرْوَة عزّة يفصلها الفاصل ، وماله الحاضر الحاصل ، يعيث فيه الحسام القاصل . والله ما تعين للخلف إلا ما تعين للسلف ، ولا مصير المجموع إلا إلى التلف ، ولا صبح من الحياط والمياط ، والصياح والعياط ، وجمع القيراط إلى القيراط ، والاستظهار بالوزعة والأشراف ، والخبط والخباط ، والاستكثار والاعتباط ، والغلو والاشتطاط ، وبناء الصرح وعمل الساباط ، ورفع العمدة وإدارة الفسطاط ، إلا أمل يذهب القوة ، وينسي الآمال المرجوة ، ثم نقس يصعد ، وسكرات تتردد ، وحسرات لفراق الدنيا تتجدد ، ولسان يثقل ، وعين تبصر الفراق وتمقل ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ (مر : ٦٧) ثم القبر وما بعده ، والله منجز وعيده ووعده ، فالإضراب الإضراب ، والتراب التراب .

« وإن اعتذر سيدي بقلّة الجلد ، لكثرة الولد ، فهو ابن مرزوق لا ابن رزاق ، وبيده من التسبب ما يتكفل بإمساك أرقام ، أين التسخُّ الذي يتبلغ الإنسان بأجرته ، في كن حجرته ؟ لا بل السؤال الذي لا عار عند الحاجة بمعرفته . السؤال والله أقوم طريقاً ، وأكرم رقيقاً . من يدي تمتد إلى حرام ، لا يقوم بحرام . ولا يؤمن من ضيرام ، أحرقت فيه الحلال ، وقليبت الأديان والمثل ، وضربت الأبشار ، ونحيرت العِشار . ولم يصل منه على يدي واسطة السوء المعشار ، ثم طلب عند الشدة ففضح ، وبان شؤمه ووضّح ، اللهم طهر منها أيدينا وقلوبنا ، وبلغنا من الانصراف إليك مطلوبنا وعرفنا بمن لا يعرف غيرك . ولا يسترفد إلا خيرك ، يا الله .

« وحقيق على الفضلاء إن جنح سيدي منها إلى إشارة ، أو أعمل في اجتلابها لضبارة ، أو ليس منها شارة ، أو تشوّف لخدمة إمارة ، أن لا يحسنوا ظنونهم بعدها بابن ناس ، ولا يغتروا بسيمية ولا خلق ولا لباس ، فما عدا عما بدا ؟ تقصّي العمر في سجن وقيد ، وعمرو وزيد ، وضر وكيد ، وطراد صيد ، وسعد وسعيد ، وعبد وعبيد . فمتى تظهر الأفكار ، ويقر القرار ، وتلازم

الأذكار ، وتشام الأنوار ، وتستجلى الأسرار ؟ ثم يقع الشهود الذي يذهب معه الإخبار ، ثم يحق الوصول الذي إليه من كل ما سواه الفِرار ، وعليه المدار .
« وحقّ الحق الذي ما سواه فباطل ، والفيض الرحماني الذي ربّاه الأبد هائل ، ما شابت مخاطبتي لك شائبة تريب ، ولقد مَحَضْتُ لك ما يمحضه الحبيب للحبيب ، فتحمل جفائي الذي حَمَلَتْ عليه الغيرة ، ولا تظنّ بي غيره ، وإن لم تعذرني مكاشفة سيادتك بهذا النّث ، في الأسلوب الرث ، فالحق أقدم ، وبناءه لا يهدم ، وشأني معروف في مواجهة الجبايرة على حين يَدِي إلى رِفْدِهِم ممدودة ، ونفسي في النفوس المتهافنة عليهم معدودة ، وشبابي فاحم ، وعلى الشهوات مزاحم ، فكيف بي اليوم مع الشيب ، ونُصْح الجيّب ، واستكشاف العيّب ؟ إنّما أنا اليوم على كل من عرفني كَلٌّ ثَقِيل ، وسيف العدل في كفي صقيل ، أعذل أهل الهوى ، وليست النفوس في القبول سوا ، ولا لكل مَرَض دوا ، وقد شَقِيتُ صدري ، وإن جهلت قدري ، فاحملني — حملك الله تعالى — على الجادة الواضحة ، وسحب عليك ستر الأبوّة الصالحة ، والسلام » .

انتهت الرسالة البديعة في بابها ، الآتية من الموعظة بلُبابها ، ذات النصيحة الصريحة التي يتعين على كل عاقل خصوصاً مَنْ يريد خدمة الملوك التمسك بأسبابها .

[تعليقات ابن مرزوق وابن لسان الدين على الرسالة]

قلت : وقد رأيت بخط الإمام العلامة الخطيب ابن مرزوق على هامش قول لسان الدين أوّل الكلام « وأحسست منه في بعض كتبه إلى آخره » ما صورته : تَوَهُّم ما لا يقع ، بل لما تجلّت عني سحب النكبة والامتحان جزمت بالرحلة ، وعزمت على النقلة ، ونفرت عن خدمة السلطان ، وملازمة الأوطان ، قال ابن

مرزوق : والعجب كل العجب أن جميع ما خاطبني به — أبقاه الله تعالى —
تحلّى به أجمع ، وابتلي بما منه حدّ ، فكأنّه خاطب نفسه وأنذرها بما وقع له ،
فالله تعالى يحسن له الخاتمة والخلاص ؛ انتهى .

وكتب تحت كلام ابن مرزوق هذا بخطه ابن لسان الدين عليّ ، ما نصّه :
صدق والله سيدي أبو عبد الله ابن مرزوق ، كان الله تعالى له ، قاله ولده ابن
المؤلف ؛ انتهى .

قلت : وهذا الذي قاله ابن مرزوق كان في حياة ابن الخطيب ، ولذلك دعا
له بالبقاء ، وبحسن الخاتمة والخلاص ، وقد أسفر الغيب عن محنته ، ثم قتله على
الوجه الذي وصفه أثناء هذه الرسالة ، إذ قال : وأما ضده من عدوّ يتحكم
وينتقم ، وحوث بغّي يتلّع ويلتقم ، ومُطَبّق يحجب الهواء ، ويطنل في التراب
الثواء ، وثعبان قيد يعض الساق ، وشؤبوب عذاب يمزق الأبخار الرقاق ،
وغيلة يهديها الواقب الغاسق ، ويَجَرّعها العدو الفاسق ، فصرف السوق ،
وسلعتة المعتادة الطروق ، مع الأفول والشروق . فإنّه رحمه الله تعالى حصل له
ما ذكر ، ثم اغتاله ليلاً وخنقه في محبسه عدوه الفاسق سليمان بن داود ، كما
تقدمت الإشارة إلى ذلك ، فالله تعالى يشيه بهذه الشهادة .

[مرثية المنجيني]

وقد تذكرت هنا مرثية ابن صابر^١ المنجيني ، وهي :

هل لمن يَرْتَجِي البقاء خلودٌ وسوى الله كلُّ شيءٍ يبيدُ
والذي كان من ترابٍ وإن عا ش طويلاً إلى الترابِ يعود
فمصيرُ الأنام طُرّاً لما صا ر إليه آباؤهم والجُود
أين حوّا أم أين آدمُ إذ فا تهما الملك والثوّا والخلود

١ ص : ابن صاعد .

أين هابيلُ أين قابيلُ إذ ه
أين نوحٌ ومن نجا معه بال
أسلمته الأيامُ كالطفلٍ للمو
أين عادٌ بل أين جنة عاد
أين إبراهيمُ الذي شاد بيت ال
أين إسحاقُ أين يعقوبُ أم أي
حسدوا يوسفًا أخاهم فكادوا
وسليمانُ في النبوة والملا
ذهبا بعدما أطاعَ لذا الخلا
وابن عمرانَ بعد آياته التس
والمسيحُ ابن مريمٍ وهو روحُ ال
وقضى سيدُ النبيين والها
وبنوه وآله الطاهرون ال
ونجومُ السماءِ منتثراتُ
ولنار الدنيا التي توقدُ الصمخ
وكذا للثرى غداةَ يقوم ال
هذه الأمهاتُ نارٌ وتربُ
سوف تفتى كما فئنا فلا ي
لا الشقيُّ الغويُّ من نوبِ الأيا
ومتى سَلَتِ المنايا سيوفاً

إذا لهذا معاندٌ وحسود
فُلكك والعالون طُرّاً فقيد
ت ولم يغن عمره الممدود
لارمٌ ، أين صالح وثمود
له فهو المعظم المقصود
ن بنوه وعدّهم والعديد
ه ومات الحسادُ والمحسود
لكِ قضى مثلما قضى داود
قُ وهذا له ألين الحديد
ع وشقّ الخضمُّ فهو صعيد
له كادت تقضي عليه اليهود
دي إلى الحق أحمدُ المحمود
زهرُ صلتى عليهم المعبود
بعد حين وللواء ركود
ر خمودٌ وللمياه جمود
ناسُ منها تزلزلٌ وهمود
وهواءُ رطبٌ وماءُ برود
قى من الخلق والدُّ ووليد
م ينجو ولا السعيدُ الرشيد
فالوالي حصيدُها والعبيد

[العبرة من مراث أخرى]

وأما قصيدة ابن عبدون الأندلسي التي رثى بها بني الأفطس وذكر فيها

كثيراً من الملوك الذين أبادهم الدهر وطحنهم بِرِحَاه وصبرهم أثراً بعد عين
ففيها ما يوقظ النّوَام ، وأولها :

الدهرُ يَفْجَعُ بعدَ العينِ بالآثِرِ فما البكاء على الأشباحِ والصُّورِ ؟

وبالجملة فالأمر كما قال ابن الهبّارية :

الموتُ لا يُبقي أحَدٌ لا والدًا ولا وَلَدٌ
مات ليَدٌ وَلُبَدٌ وَخُلِدَ الفردُ الصَّمَدُ

﴿ كلُّ من عليها فان ، ويبقى وجهُ ربِّكَ ذو الجلال والإكرام ﴾ : اللهم
اختم لنا بالحسنى ، وردِّنا إليك ردًّا جميلاً .

وتذكرت هنا أيضاً مَرثية على روي مَرثية المنجيني السابقة منها :

أبن أهلُ الديارِ من قومِ نوحٍ ثَمَّ عادٌ من بعدهم وثمودُ
بينما هم على الأسرةِ والآذِ حاطٍ أفضت إلى الترابِ الخدودُ
ثَم لم يَنْقُصِ الحديثُ ولكنْ بعدَ ذا الوعدُ كلُّه والوعيدُ
وأطبَّاءٌ بعدهم لحقوهم ضلَّ عنهم سَعُوطهم واللَّدودُ
وصحيحٌ أضحى يعودُ مريضاً وهو أدنى للموتِ ممن يعودُ

وما أحكم قول السلطان أبي علي ابن السلطان أبي سعيد المريني يخاطب أخاه
السلطان أبا الحسن وقد حصره بسِجِلْمَاسَة حتّى أخذه قَسْرًا :

فلا يغرّنك الدهرُ الخثونُ فكم أباد مَنْ كان قبلي يا أبا الحسنِ
الدهرُ مذ كان لا يُبقي على صفةٍ لا بدَّ من فرح فيه ومن حَزَنِ
أين الملوكُ التي كانت تهايمُ أسدُ العرينِ ثَوَّوا في اللحدِ والكفنِ
بعد الأسرةِ والتيجانِ قد مُحِيتِ رسومها وعفت عن كل ذي حسنِ
فاعملْ لأخرى وكنْ بالله مؤتمراً واستغنِ بالله في سرِّ وفي علَنِ

واختَرْتُ لنفسك أمراً أنت أمره كأتيتي لم أكن يوماً ولم تكنِ
ودخل السلطان أبو الحسن سِجِلْمَاسَةَ عَنَوَةَ على أخيه السلطان أبي علي
عمر سنة ٧٣٤ ، وجاء به في الكبَل لفاس ، ثم قتله بالفصد والخنق في ربيع
الأول من السنة ، وكان القبض عليه في المحرم ، رحمه الله تعالى .

وممّا وجد مكتوباً على قصر بعض السلاطين :

قد كان صاحبُ هذا القصرِ مغتبطاً في ظلّ عيشٍ يخافُ الناسُ منِ باسِهِ
فبيّـنـمـا هو مسرورٌ بلذته في مجلسِ اللهو مغبوطٌ بجلاّسِهِ
إذ جاءهُ بغتةٌ ما لا مردّ له فخرّ ميتاً وزال التاجُ عن راسِهِ

رجع إلى أخبار لسان الدين ابن الخطيب — رحمه الله تعالى — قلت : وقد زرت
قبره مراراً رحمه الله تعالى بفاس المحروسة فوق باب المدينة الذي يقال له باب
الشریعة ، وهو يسمى الآن باب المحروق ، وشاهدت موضع دفنه غير مستوی مع
الأرض ، بل يُنزَل إليه بانحدار كثير ، ويزعم الجُل من عوام فاس أن الباب
المذكور إنما سمي بباب المحروق لأجل ما وقع من حرق لسان الدين به حين
أخرج به بعض أعدائه من حفرة كما مرّ ، وليس كذلك ، وإنّما سمي باب
المحروق في دَوَلة الموحدين ، قبل أن يوجد لسان الدين ولا أبوه ، بسبب ثائر ثار
على الدولة ، فأمسك وأُحرق في ذلك المحل ، والله غالبٌ على أمره . وحصل لي
من الخشوع والحزن عند زيارة قبره — رحمه الله تعالى — ما لا مزيد عليه ،
جعل الله له تلك المحن كفارة وطُهرَةً ، فإنّه كان آية الله علماً وجلالة وحكمة
وشهرة .

[رسالة في العزاء بأبي جعفر ابن جبير]

وقد تذكرت عند كُتبي هذا المحل رسالة كتبها بعض أئمة المغرب في عزاء

الوزير الشهير أبي جعفر ابن جبير الأندلسي رحمه الله تعالى إلى بنيهِ ، وهي ممّا يصلح أن يوصف بمثلها لسان الدين رحمه الله تعالى ، وفيها عزاء بمن مضى ، ونصّها :

« عزاء يا كواكب الهدى ، في بدركم الذي تحيّفه الردى ، وفُجع به الفضل والندى ، فقل للشّهب أن تنكدر على فراقه ، وللصبح أن يخبو نور إشراقه ، وللريح أن تمزق صداراً ، وللأهلة أن لا تعرف إبداراً ، ولليل أن يشتمل خميصه الحزن ، وللسماء أن تبكيه بأدمع المزن ، وللرعد أن ينتحب لوفاته ، وللبرق أن يحكي برجفاته أفئدة عُفاته ، وللثريا أن ينضم سوارها ، وللشمس أن تنكسف أنوارها ، وللثرة أن تنثر كواكبها ، وللجوزاء أن تنفض مناكبها ، وللنيرات أن ترفض مواكبها ، وللرامح أن يبيت أعزلاً ، وللبدر أن لا يآلف منزلاً ، وللمجرة أن يفيض دمعاً نهرها ، وللغميصاء أن يطرد بكاؤها وسهرها ، وللروض أن يفارق إمراعه ، وللأورق أن يهتف بما راعه ، وللغصون أن تنهصر لطفه ، وتتقصف أسفاً على حتفه .

« ولكن هو الحِمَام يختل ويختَر ، ولا يحفل بمن يتّير ، يعدم ما أوجده الكون ، ويذيل مَنْ أَكْتَفَه الصون ، وأين بنا عن مكافح لا نقاتله ، ورام أرواحنا مقاتله ، لا يد به ناصرة ، وعزيمته قاصرة للقياصرة ، ويمينه كاسرة للأكاسرة ، لم يبق من رسم لطسم ، ولا من إحسان لغسان ، ولا من أياد لإياد ، ولا من سلطان لقحطان ، ولا من نجيب لتُجيب ، ولا شرف ضخّم للتحّم ، لم يكن له عن اليمينين إقصار ، ومنهم الأنصار ، وهم أسمع للنبي وأبصار ، وعمد إلى المصاييح من مضر يطفئها ، هذا والوحي يتزل فيها ، ولم يصخ في الصديق ، إلى التصديق ، وأصمى الفاروق يرّدّاه ، وحكّم فيه أبا لؤلؤة ومُدّاه ، وأمكن صرف الأقدار ، من شهيد الدار ، ولم يُرْعَ من عليّ بالبسالة ، والذُّبْل العسالة ، ولا أبقي سبطيه وقد تفقّأت عنهما بيضة الرسالة ، وأذهب الزبير حواري الرسول ، وحنظلة وهو بأيدي الملائكة مغسول ، وأفات ابن معاذ ولم

يحفل بفتوته ، على أنه اهتز العرش لموته ، وأودى بحزمة ومقعدته من النبوة ،
مقعد الأبوة ، وشفى من عمار صدور الأسل . وأردى مالكا بشرية من
عسل ، ولم يعبا بمضاء عمرو ، ولا بحلم معاوية ودهاء عمرو .

« فباله من خطب ، مؤد بكل يابس ورطب ، يشرب ماء الأعمار ، ويجعل
الأحداث منازل الأقمار ، ويلوك السوق والأملك ، ولا يبالي أية لأك ، لا
يقبل شفيعا ، ولا يغادر منحنيا ولا رفيعا ، ما هو اعتمد نور علا فكسفه ،
وطود حلم فنسفه ، وأعلق المجد في حباله ، وأقصد الفضل بنباله ، وفجع كنانة ،
بسهم لم ينث مثله من كنانة ، فيا طارق الأعين لقد بؤت بأنفس الأعلاق ، ويا
ناعيه لقد نعت باسق الأخلاق ، رويدا أسائلك ، عمن لم تضع لديه وسائلك ،
أين سماحه وطلاقة ؟ أين كلفه بالحمد وعلاقته ؟ ما الذي ثنى عطفه عن الارتياح ؟
أم أين عافيه من ذلك الامتياح ؟ أم من يؤلف أمنية كما ألفت السحب أيدي
الرياح ؟ »

« فيا هبة الحمد اطوي عرفك فما تنشق ، ويا ربة المجد أقصري طرفك
فما تعشق ، ويا معشر عفاته ، كيف حييم وقد علمت بوفاته ؟ ويا زمر أماله ،
صفرت أيديكم من إجماله . ويا أخاير صحابه ، أين مواقع صحابه ؟ ويا بني
ولائه ، من يتبوا مقام علائه ؟ ويا منافسي شيمه ، من يجود بمثل ديمه ؟
ويا منازعي كرمه ، من يطيف المعتفين بمثل حرمة ؟ ويا حاسدي هممه ، من
له كحفاظه وذمه ؟ »

« سيدي لقد أضاءت مساعيك وأشرقت ، وأغصت الحاسدين طرأ وأشرقت ،
وحسبهم أن لم يتبهوا إلا إذا نمت ، ولا نطقوا إلا حين مت ، ولئيهن ملاك
وصحبك ، أن أحيتك صنائعك وقد قضيت نحبك ، وإن حم فتاؤك ،
فقد أبقى الحياة الخالدة ثناؤك ^١ :

١ البيتان من قطعة في الحماسة (شرح المروزقي : ٩٥٠) للبيهي في منصور بن زياد ، وعند التبريزي
أن اسمه عبد الله بن أيوب ، من أهل اليمامة .

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورٌ
وَالنَّاسُ مَا تَمَّهِمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ أَنْتَ وَزَفِيرُ

« سيدي ، أما تجيب صرّخة لَهْفَان ، أم عداك عن الجواب أنك فان ؟
سيدي مَنْ لَأَمْلِك ، ببسط أناملك ؟ من للمرّميلات الضّرّائك ، بإرشادك
وآرائك ؟ مَنْ لِقربائك ، بصلتك وجباثك ؟ من لأخيك ، بمواق أوأخيك ؟
من لأبنائك ، بلطف أحباثك ؟ انفضّ شملهم وكان جميعاً ، ونادوك لو نادوا
منك سميعاً ، هذا كبيرهم يدعوك فلا تجيبه ، وقد فتّ الأضلاع وجيبه ،
يبكي عند تلك الرّجام ، بأدمع سيجام ، وقد ألهمت الزفرات حشاه ، وألح
الدمع بجفنه حتى أعشاه ، والأصاغر ما لهم بعدك مفزع ، ورضيعهم تسلب به
الأنفس رحمة وتترع ، لا يدري ما جزع عليك فيجزع ، لشدّ ما أذابتهم
وقدّة الأوار ، حين عدموا منك كرم النجوى والحوار ، أفٍ لدهر رماهم
بالأجوار ، وتركهم أنجماً مسلوّبة الأنوار ، لا جرّم أن يحزنوا عليك ويكثرثوا ،
فلقد تسلّوا عنك ببعض ما ورثوا ، وما ورثتهم غير الحزن والبث ، وأمل في الحياة
كالهباء المنبث ، كما تتلى محاسنك فاسمع ، طفقت عليك شؤون عيني تدمع ،
أيا ضريحه ، كيف وجدت ريحه ؟ لقد أريج بك ذلك المعفر ، حتى ما يتافحه
المسك الأذفر ، وكما ظفرت بوجوده ، فجد كل قبر يجوده ، ففيه سماء ثرة
وغمام ، وتورّ انضم عليه منك كمام ، ولو علمت بمن بين جنبيك راقداً ، لعلوت
حتى تلوح في ذراك القراقد ، ويا دافنيه كيف هلم عليه الرغام ؟ أو لم تنكروا
على الشمس أن تغام ؟ هيهات لقد سمحتم بإقبار ، عف الشمائل طيب الأخبار ،
والحاد ، من لا نزاع في فضله ولا إلحاد ، أي نفس تحذّتم له التراب مستودعاً ،
فأضحى عيرنين المكارم مُجدّعاً ؟

فتى مثل نُصل السيف من حيثُ جِثتهُ لَنائبة نابتك فهو مُضاربُ
فتى همهُ حمدٌ على النأي رابحٌ وإن باتَ عنه مالهُ وهو عازبُ

« أما وإن ازدحمت بمهلكه الأوصاب ، وفدح الرزء وجل المصاب ، حتى لا نألف التأساء ، فلقد سر الموت من حيث ساء ، فلقد خلفنا بدهر ما فيه غير مصائب ، ولا يبالي من أقصد سهمه الصائب ، فيا فقيد الندى ما كان أجدرك بالخلود وأخلقك ، ويا جواد عمره ما كان أقصر طلقك ، ثوى حين استوى وتوارى ، إذ ملأ الأفق أنوارا ، وكسف حين بلغ الكمال ، فكان كالغصن عندما اعتدل مال ، أو كالشهاب عندما استقام حار :

وكذاك عمر كواكب الأسحار^١

« هذه البراعة التحفت بعده الضنى ، والصحف تطوى على جهالة وتحنى ، وعهدي به إن امتطى راحته اليراع ، راع ، أو دبج الأوراق ، راق ، أو استدر طبعه السلسال ، سال ، وأي روض أراد ، راد ، ومتى أراغ الإنشاء ، أحسن إن شاء ، فحق للفؤاد أن يستعير بوقده ، وللمدامع أن تسيل دماً على فقده ، بيد أنه الموت لا بد أن نرد مشرعه ، ونسيف على شرق به جرعه ، فإننا زرع يحصده الذي ازدرعه . وصبراً يا ذوي أرحامه وبنيه ، ومن مر في غلواء الوجد فالسلوان يثنيه ، وشحاً على أجركم لا يذهب به الجزع ويفنيه ، والله يزلف الفقيد من رحمته ويدنيه ، ويقطفه زهر رضوانه ويجنيه ، ويسر لكم العزاء الأجل برحمته ويسنّيه ، والسلام » . انتهت .

[قطع زهدية]

ويرحم الله القائل :

كلُّ جمعٍ إلى الشتاتِ يصيرُ أيّ صفوٍ ما شابَهُ تكديرُ؟

١ من مرثية أبي الحسن التهامي في ابنه ، وصدر البيت :

يا كوكباً ما كان أقصر عمره

أَنْتَ فِي اللَّهِ وَالْأَمَانِي مُقِيمٌ وَالْمَنَابِي فِي كُلِّ وَقْتٍ تَسِيرُ
وَالَّذِي غَرَّهُ بُلُوغُ الْأَمَانِي بِسَرَابٍ وَخُلْبٍ مَغْرُورُ
وَيْكَ يَا نَفْسِ أَخْلَصِي لِأَنَّ رَبِّي بِالَّذِي أَخْفَتِ الصُّلُورُ بِصِيرُ

ولا خفاء على ذوي الأحلام ، من الأعلام ، أن الدنيا أضغاث أحلام^١ :

يَنْدُمُ الْمَرْءُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ لُبَّانَاتٍ إِذَا لَمْ يَقْضِهَا
وَتَرَاهُ فَرِحَاسًا مُسْتَبْشِرًا بِأَلَيِّ أَمْضَى كَأَن لَمْ يَعْضِهَا
لِإِنِّهَا عِنْدِي كَأَحْلَامِ الْكَرَى لِقَرِيبٍ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا

وقال أبو منصور أسعد النحوي :

يَجْمَعُ الْمَرْءُ ثُمَّ يَتْرُكُ مَا يَجِيءُ مِنْ كَسْبِهِ لَغَيْرِ شَكُورٍ
لَيْسَ يَحْظِي إِلَّا بِذِكْرِ جَمِيلٍ أَوْ بَعْلَمٍ مِنْ بَعْدِهِ مَأْثُورٍ

[شيء من مواضع ابن الجوزي]

وقال الإمام الشهير أبو الفرج ابن الجوزي^٢ :

يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا تَاهَةً بَءُ وَانْتَظَرْتُ يَوْمَ الْفِرَاقِ
وَأَعِيدَ زَادًا لِلرَّحِي لِفُسُوفٍ يُحْدِي بِالرِّفَاقِ
وَابِكِ الذُّنُوبَ بِأَدْمُعٍ تَنْهَلُ مِنْ سَحْبِ الْمَاقِ
يَا مَنْ أَضَاعَ زَمَانَهُ أَرْضِيَتْ مَا يَقْنَى بِيَاقِ

وكان ابن الجوزي المذكور آية الله في كثرة التأليف والكتابة والوعظ

١ تنسب إلى عمران بن حطان وإلى غيره (انظر شعر الخوارج : ١٩) .
٢ ترجمة ابن الجوزي في وفيات الأعيان ٢ : ٣٢١ وذيل أبي شامة : ٢١ وهذه التنف التي أوردتها
المقري مأخوذة من الثاني .

والحفظ ، وأقل من كان يحضر مجلسه عشرة آلاف ، وربما حضر عنده مائة ألف ، وقال في آخر عمره على المنبر : كتبت بإصبعيَّ هاتين ألفي مجلدة ، وتاب على يدي مائة ألف ، وأسلم على يدي عشرون ألف يهودي ونصراني ؛ وأسمع رحمه الله تعالى الناس أكثر من أربعين سنة ، وحدث بمصنفاته مراراً .

وقال الحافظ الذهبي في حقه : الحافظ الكبير ، الواعظ المقتن ، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في العلوم المتعددة ، وعظ من صغره ، وفاق فيه الأقران ونظم الشعر المليح ، وكتب بخطه ما لا يوصف ، ورأى من القبول والاحترام ما لا مزيد عليه ، وحُزِر مجلسه غير مرة بمائة ألف ، وحضر مجلسه المستضيء مراراً من وراء الستر ؛ انتهى .

ومن كلامه في بعض مجالسه : والله ما اجتمع لأحد أمله ، إلاّ وسعى في تفريقه أجله ، وعقارب المنايا تلسع الناس ، وخدران جسم الأمل يمنع الإحساس . وقال في قوله صلى الله عليه وسلم « أعمار أمي من الستين إلى السبعين » إنما طالت أعمار القدماء لطول البادية ، فلماً شارف الركبُ بلدَ الإقامة قيل : حثوا المطي .

وقال في الذين عبدوا العجل : لو أن الله خار لهم ، ما خار لهم .

وقال يوماً وقد طرب أهل المجلس : فهمم فهمم .

وقال في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، بعد أن ذكر أحاديث تدل على خلافته كقوله صلى الله عليه وسلم « مروا أبا بكر فليصل بالناس » وغيره ، ما صورته : فهذه أحاديث تجري مجرى النص ، فهمها الخصوص ، غير أن الرافضة في إخفائها كاللصوص ، فقال السائل : لما قال « أقبلوني » ما سمعنا مثل جواب علي رضي الله عنه « والله لا أقفلك » فقال : لما غاب علي عن البيعة في الأول ، أخلف ما فات بالمدح في المستقبل ، ليعلم السامع والرائي أن بيعة أبي بكر وإن كانت من ورائي ، فهي رائتي ، ومثل ذلك الصّدْر لا يرائي .

وقال في قول فرعون ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ ﴾ (الزعرور : ٥١) . يفتخر

بما أجراه ، ما أجراه .
وتواجدَ رجل في مجلسه فقال : عجباً ! كلنا في إنشاد الضالة سَوَا ، فلم
وجدت وَحْدَكَ أَلَمْ الْحَوَى ؟ وأنشد :

قد كُتِمْتُ الحبَّ حتى شَفِنِي وإذا ما كُتِمَ الداءُ قَتَلُ
بينَ عينيكِ عُلالاتُ الكَرَى فدعِ النومَ لرباتِ الحِجَلِ
ونظر يوماً إلى أقوامٍ يبيكون في مجلسه ويتواجدون فأنشد^١ :

ولم يَهْجِني الظاعنون لهاجتي حمامٌ ورُقٌ في الديارِ وقوعُ
تداعينَ فاستبكينَ من كان ذا هوى نوائحُ لم تقطرْ لمن دموعُ
وكيفَ أُطيقُ العاذلينَ وذكرهم يورقُني والعاذِلونَ هجوعُ
وقام رجل وتواجد فأنشد :

وما زالَ يشكو الشوقَ حتى كأنما تنفَسَ من أحشائه وتكلما
ويبكي فأبكي رحمةً لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيتُ له دما
وأعجبه يوماً كلامه فأنشد :

تردحمُ الألفاظُ والمعاني على فؤادي وعلى لساني
تجري بَيَ الأفكارُ في ميدانِ أزاحمُ النجمَ على مكانِ

ووعظ المستضيء يوماً فقال : يا أمير المؤمنين ، « إن تكلمتُ خفتُ منك ،
وإن سكتُ خفتُ عليك ، فأنا أقدمُ خوفي عليك ، على خوفي منك ، لمحبي للوام
أياملك ، إن قول القائل « اتق الله » خير من قول القائل : أنتم أهل بيت مغفور
لكم ، وقال الحسن البصري : لأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تبلغ المأمن

١ الأبيات لذى الرمة ، ديوانه : ٣٥٧ .

خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : إذا بلغني عن عامل ظالم أنه قد ظلم الرعية ولم أغیره فأنا الظالم . يا أمير المؤمنين ، كان يوسف عليه السلام لا يشبع في زمان القحط ، لئلا ينسى الجوع ، وكان عمر رضي الله عنه يصبر بطنه عام الرمادة فيقول : قرقرى إن شئت أو لا تفرقرى ، فوالله لا شبعت والمسلمون جوع . فتصدق الخليفة المستضيء بصدقات كثيرة ، وأطلق من في السجن .

وقال رحمه الله تعالى لبعض الولاة : اذكر عدل الله فيك ، وعند العقوبة قدرة الله عليك ، وإياك أن تشفي غيظك بسقم دينك .

وقال : الطاعة تبسط اللسان ، والمعاصي تذل الإنسان .

وقال له قائل : ما نمت البارحة من شوقي إلى المجلس ، فقال : نعم ، لأنك تريد أن تنفج ، وإنما ينبغي أن لا تنام الليلة لأجل ما سمعت فيه .

وقيل له : إن فلاناً أوصى عند الموت ، فقال : طين سطوحه في كانون .

وقال له قائل : أسبح أم أستغفر ؟ فقال : الثياب الوسخة أحوج إلى الصابون

من البخور .

وسأله سائل : ما الذي وقر في قلب أبي بكر رضي الله عنه ؟ فقال : قوله

ليلة المعراج « إن كان قال فلقد صدق » فله سبق .

ولما قال له بعضهم « سيفٌ عليّ نزل من السماء فسعقة أبي بكر أين ؟ »

أجابه بقوله : إن سعقة هزت يوم الردة فأثمرت سبباً جاء منه مثل ابن الحنفية

لأمضى من سيوف الهند ، ثم قال : يا عجبا للروافض ، إذا مات لهم ميت

تركوا معه سعقة ، من أين ذا المصطلح ؟

وسئل عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي

على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر » فقال : الميت يقسم ماله ويكفن ، وأبو

بكر أخرج ماله كله وتخلل بالعباء .

وقال في قوله تعالى ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخواناً ﴾ (الأمراف : ٤٣)

قال علي : إنني والله لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم ، ثم
قال أبو الفرج : إذا اصطلاح أهلُ الحرب فما بال النظارة ؟
وقال : قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : سلم على عائشة ، ولم
يواجهها بالخطاب احتراماً لزوجهما ، وواجه مريم لأنها لم يكن لها زوج ، فمن
يحترمها جبريل كيف يجوز في حقها الأباطيل ؟
قال أبو شامة : وكان ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - مُبتكلي بالكلام في
مثل هذه الأشياء ، لكثرة الروافض ببغداد وتعنتهم بالسؤالات فيها ، فكان
بصيراً بالخروج منها لحسن إشارته .

وانقطع القراء يوماً عن مجلسه فأنشد :

وما الحلبي إلا زينةٌ لنقيصة يُثَمِّم من حُسن إذا الحسنُ قَصَّرا
وأما إذا كان الجمالُ مَوْفَرّاً كحسنك لم يحتجْ إلى أن يزوّرا

وقيل له : لم تعلل موسى عليه السلام بسوف تراني ؟ فأنشد :

إن لم يكن وَصَلٌ لديك لنا يشفي الصبابة فليكن وَعْدُ
ولما ذكر أن بلالاً - رضي الله عنه - لما منع الطواف بالبيت كان يقف
من بعيد وينظر إليه ويبكي أنشد :

أمرٌ على منازلهمْ ولانني بمن أضحي بها صَبٌّ مَشْؤوقُ
وأومي بالتحية من بعيدٍ كما يومي بإصبعه الغريقُ

ومن شعر أبي الفرج رحمه الله تعالى :

لَعِبْتَ ومثلك لا يلعبُ وقد ذهب الأطيبُ الأطيبُ
وقد كنتَ في ظلمات الشبابِ فلما أضاء انجلي الغيبُ
ألا أينَ أقرانك الراحلون ؟ لقد لاح إذ ذهبوا المذهبُ

ولنقتصر على هذا المقدار ، ونرجع إلى أحوال لسان الدين رحمه الله تعالى
وارتحاله ، والاعتبار بحاله ، فنقول :

ومما يناسب أن نذكره في هذا المحل ونثبته فيه ما حكاه العالم العلامة بلدينا
سيدي أبو الفضل ابن الإمام التلمساني رحمه الله تعالى عن جدي الإمام قاضي
القضاة سيدي أبي عبد الله المقرئ التلمساني رحمه الله تعالى ، وهو أحد أشياخ
لسان الدين كما يأتي إن شاء الله ذلك في محله ، قال : كنت مع ذي الوزارتين
أبي عبد الله ابن الخطيب في جامع البيرة من الأندلس إذ مر بنا الاعتبار ، في تلك
الآثار ، فأنشد ابن الخطيب ارتجالاً^١ :

أقمنا برهةً ثم ارتحلنا كذلك الدهرُ حالٌ بعد حالٍ
وكلُّ بدايةٍ فإلى انتهاء وكلُّ إقامةٍ فإلى ارتحالٍ
ومن سام الزمانَ دَوَّامَ حالٍ فقد وقَّفَ الرجاءَ على المحالِ
انتهى .

وحكى لسان الدين في « الإحاطة » عن نفسه أنه خطط هذه الأبيات في
مرحلة نزلها رحمه الله تعالى حسبما يأتي ذلك في شعره .

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى :

لبسنا فلم نُبلِ الزمانَ وأبلانا يتابع أخرانا على الغي أولانا
ونفترُّ بالآمالِ والعمرُ ينقضي فما كان بالرُّجعى إلى الله أولانا
وماذا عسى أن يُنظِرَ الدهرُ من عسا فما انقاد للزجرِ الحثيثِ ولا لانا
جزينا صنعَ الله شرَّ جزائه فلم نرعَ ما مِن سابقِ الفضلِ أولانا
فيا ربَّ عاملنا بما أنتَ أهلهُ من العفوِ واجبرُ صدَّ عنا أنتَ مولانا

١ انظر أزهار الرياض ١ : ٢٧١ .

وقد حكى غير واحد أنه رحمه الله تعالى ريء بعد موته في المنام ، فقال له
الرائي : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ببيتي قتلتهما ، وهما ١ :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تُفتح له أغلاقُ
أبرومُ مخلوقٍ ثناءك بعدما أثني على أخلاقك الخلاقُ ؟

وقد كرر رحمه الله تعالى هذا المعنى في قصيدة في حقّه صلى الله عليه وسلم ،
وشرف وكرم ، ومجد وعظم ، وبارك وأنعم ، وهو قوله :

مدحتك آياتُ الكتابِ فما عسى يُثني على عليك نظمُ مديحي
وإذا كتابُ الله أثني مُفصّحاً كان القصورُ قُصارَ كلِّ فصيحٍ
وستأتي هذه القصيدة في نظمه إن شاء الله تعالى .

وقد رأيت بالمغرب تخميساً للبيتين الأولين منسوباً للأديب الشهير الذكر
بالمغرب أبي عبد الله محمد بن جابر الغساني المكناسي رحمه الله تعالى ، ولا بأس
أن نورده هنا . وهو قوله رحمه الله تعالى :

يا سائلاً لضريح خيرِ العالمِ يُنهي إليه مقامَ صَبِّ هائمٍ
بالله نادِ وقلْ مقالةَ عالمٍ يا مصطفى من قبل نشأة آدمٍ
والكون لم تُفتح له أغلاقُ

بشّناك قد شهدت ملائكةُ السما والله قد صلّى عليك وسلّمَا
يا مجتبي ومعتزماً ومكرّماً أبرومُ مخلوقٍ ثناءك بعدما
أثني على أخلاقك الخلاقُ

١ أزهار الرياض ١ : ٣١٩ وفيه التخميس التالي أيضاً .

وما أَحْسَنَ قولَ لسان الدين - رحمه الله تعالى - بعدما عرّف بنفسه
وسلفه : وكأني بالحي ممّن ذكر قد التحق بالميت ، وبالقبر قد استبدل من البيت .
وقال رحمه الله تعالى بعد إيراد جملة من نظمته ما صورته : وقلت والبقاء
لله وحده ، وبه يختم الهدر^١ :

عَدُّ عَنْ كَيْتٍ وَكَيْتٍ مَا عَلَيْهَا غَيْرُ مَيْتٍ
كَيْفَ تُرْجَى حَالَةُ الْبُقْأِ يَا لِمَصْبَاحٍ وَزَيْتٍ

وسيّأتي ذلك ؛ ولقد صدق رحمه الله تعالى ، ورقى درجته في الجنة .

[تحقيق في نسبة بيتين]

وأما اليتان الشائعان على ألسنة أهل المشرق والمغرب وأنهما قتيلا في لسان
الدين رحمه الله تعالى ، وبعضهم ينسبهما له نفسه ، فالصحيح خلاف ذلك كما
سيأتي ، وهما :

قف كي ترى مغربَ شمس الضحى بين صلاةِ العصرِ والمغربِ
واسترحِمِ الله قتيلا بها كان إمامَ العصرِ في المغربِ

وشرح بعضهم البيتين فقال : إن قوله « قتيلا بها » من باب الاستخدام :
أي قتيلا بشمس الضحى التي هي المتغزل فيها .

وقد رأيت وأنا بالمغرب بخط الشيخ الأغصاوي أنهما لم يعن بهما قائلهما لسانَ
الدين ابن الخطيب ، وإنما هما مقولان في غيره ، ونسبهما ، ونسيت الآن ذلك
لطول العهد ، والله أعلم .

ويدل على ذلك أنه - رحمه الله تعالى - لم يُقتل بين صلاةِ العصرِ والمغربِ

١ أزهار الرياض ١ : ٣١٣ .

وإنما قُتل في جوف الليل كما عُلِمَ في محله . على أنه يمكن بتكلف تأويل ذلك بأنه قامت لقائلهما قرينة على أنه بصدد الموت في ذلك الوقت ، وهذا لو ثبت أنهما قِيلا فيه ، وقد علمت أن الأغصاوي نَقَى ذلك ، فالله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك .

ثم رأيت في كتاب إسماعيل بن الأحمر في ترجمة بعض العلماء ما نصّه : فمن قوله يرثي الأمراء بالمغرب ، وقد حل رمسه بين صلاة العصر والمغرب :

قف كي ترى مغربَ شمسِ العلا بينَ صلاةِ العصرِ والمغربِ
واسترحم الله دفيناً به كان ملكَ العصرِ في المغربِ

وهذا مما يبعد أنهما في لسان الدين من وجوه لا تخفى على المتأمل : منها قوله « كان ملك العصر » فإن لسان الدين لم يكن كذلك ، وقد تقدم آنفاً « كان إمام العصر في المغرب » وهو أحسن ؛ لما فيه من التورية البديعة ، والله أعلم .

[ثلاث قصائد لابن زمرك]

رجع إلى أخبار لسان الدين ابن الخطيب — رحمه الله تعالى — وقد عرض عدوّه الرئيس ابن زمرك في بعض قصائده التي مدح بها سلطانه الغني بالله أبا عبد الله ابن نصر بما تسنّى له من الظفر بابن الخطيب ، ومن حماه منه ، وهو الوزير ابن الكاس ، على يد من عينه لملك المغرب ، وأعانه بجنده وعضده — كما تقدّم — وهو السلطان أحمد المريني ، فقال من قصيدة عيديه :

يَهْتِي زِمَانُكَ أَعْيَادٌ مُجَدِّدَةٌ مِّنَ الْفُتُوحِ مَعَ الْإَيَّامِ تَغْشَاهُ
غَضَبَتِ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِحَقِّهِمَا يَا حَبْدًا غَضِبَ فِي اللَّهِ أَرْضَاهُ
فَوَقَّتَ لِلْغَرْبِ سَهْمًا رَاشَهُ قَدَرٌ وَسَدَّدَ اللَّهُ لِلْأَعْدَاءِ مَرَاهُ

« سهمٌ أصابَ وراميه بذِي سَلَمٍ »
 من كانَ بَنَدُكَ يا مولاي يَقدُمُهُ
 من كانَ جندك جندُ الله ينصره
 ملكته غربه خلّدتَ من ملكِ
 وسامِ أعدائكِ الأشقيينَ ما كسبوا
 قل للذي رمَدَتِ جهلاً بصيرتُهُ
 غَطَّى الهوى عقله حتى إذا ظهرتُ
 هل عندهُ وذنوبُ الغديرِ تُوْبِقُهُ
 لو كان يشكرُ ما أوليتَ من نعمِ
 سُلِّ السَّعُودِ وَخَلَّ البيضُ مغمدةً
 واشرعَ من البرقِ نَصْلاً راعِ مُصلتهُ
 فالعدوتانِ وما قد ضمَّ ملكهُما
 لا أوحشَ الله قطراً أنتَ مالِكهُ
 لا أظلمَ الله أفقاً أنتَ نيرُهُ
 واهناً بشهرِ صِيامٍ جاءَ زائرهُ
 أهلٌ بالسَّعدِ فأنهَلتَ به مِنهُ
 أما ترى بركاتِ الأرضِ شاملةً
 وعادكَ العيدُ تُستَحلى مواردهُ
 جهزتَ جيشَ دعاؤِ فيه ترفعه
 أفَضَّتْ فيه من النعماءِ أَجزَلُها
 واليتَ للخلقِ ما أوليتَ من نعمِ

لقد رمى الغرضَ الأَقصى فأصمَاهُ^١
 فليس يَخْلِفُهُ فتسحُ ترجاهُ
 أناله الله ما يرجو وسنَاهُ
 للغربِ والشرقِ مِنْهُ ما تَمَنَاهُ
 ومن تردَّى رداءَ الغديرِ أَرَدَاهُ
 فلم تر الشمسَ، شمسَ الهدي، عيناهُ
 لَهُ المرشدُ أعشاهُ وأعماهُ
 أن الذي قد كساه العزَّ أعرَاهُ
 ما زلتَ ملجأهُ الأحمى ومنجَاهُ
 فالسيفُ مهما مضى فالسعدُ أَقصاهُ
 وارفعَ من الصبحِ بَنَدًا راقِ مجلاهُ
 أنصارُ ملككَ، صانَ الله عليَّاهُ
 وأنسَ الله بالألطفِ مغناهُ
 لا أهملَ الله سَرَحاً أنتَ ترعاهُ
 مستترلاً من إله العرشِ رحماهُ
 وأوسعَ الصنعِ إجمالاً ووفاهُ
 وأنعمَ الله قد عمتَ براياهُ
 ويجزلُ الأجرَ والرحمى مصلَاهُ
 لذي المعارجِ والإخلاصِ رِقَّاهُ
 وأشرفَ البرِّ بالإحسانِ زَكَّاهُ
 وإلى لك اللهُ ما أولى ووالاهُ

١ غمسه من قول الشريف الرضي :

سهم أصاب وراميه بذِي سلم من بالعراق لقد أبعدت مرمالك

وأول هذه القصيدة :

هذي العوالمُ لفظٌ أنتَ معناهُ
بحرُ الوجودِ وفلكُ الكونِ جاريةُ
من نورِ وجهك ضاء الكونِ أجمعهُ
عرشٌ وفرشٌ وأملاكٌ مسخرةُ
سبحان من أوجدَ الأشياءَ من عدمٍ
من ينسب النورَ للأفلاكِ قلت له :
مولاي مولاي بحرُ الوجودِ أغرقني
فالفلكُ تجري كما الأفلاكُ جاريةُ
وكلهم نعمٌ للخلقِ شاملة
يا فاتقِ الرتقِ من هذا الوجودِ كما
كن لي كما كنت لي إذ كنتُ لا عملُ
وأنت في حصّراتِ القدسِ تنقلني
ما أقيح العبدُ أن ينسى وتذكره
غفرانك الله من جهلٍ بليت به
ميني عليّ حجابٌ لست أرفعهُ
فعدّ عليّ بما عودت من كرمٍ
ثم الصلاةُ صلاةُ الله دائمةُ
المجتبي وزنادُ النور ما قدّحت
والمصطفى وكمامُ الكونِ ما فتّقت
ولا تفجّر نهرٌ للنهارِ على
يا فاتحِ الرُّسلِ أو يا ختمها شرفاً

كلٌ يقولُ إذا استنطقته اللهُ
وباسمك الله مجرّاه ومرّساهُ
حتى تشيّد بالأفلاكِ مبناهُ
وكلها ساجدٌ لله مولاهُ
وأوسع الكونِ قبل الكونِ نعماهُ
من أين أطلعت الأنوارُ لولاهُ
والخلقُ أجمعُ في ذا البحرِ قد تاهوا
بحرُ السماء وبحرُ الأرض أشباهُ
تبارك الله لا تحصى عطاياهُ
في سابق العلم قد خُطت قضاياهُ
أرجو ، ولا ذنبٌ قد أذنبت أخشاهُ
حتى استقرّ بهذا الكونِ مثواهُ
وأنت باللطف والإحسانِ ترعاهُ
فمن أفاد وجودي كيف أنساهُ
إلا بتوفيق هدي منك ترضاهُ
فأنت أكرمُ من أملتُ رحماهُ
على الذي باسمه في الذكرِ سمّاهُ
ولا ذكاً من نسيم الروض مسرّاهُ
عن زهرِ زهرٍ يروق العين مرّاهُ
دُر الداراي فغطّاه وأخفاهُ
والله قدّس في الحالين معناهُ

لم أدخر غير حبّ فيك أرفعهُ وسيلةً لكرمٍ يومَ ألقاهُ
صلى عليك إلهُ أنت صفوته ما طيت بلذيد الذكر أفواهُ
وعمّ بالروح والريحانِ صحبته وجادهم من نعيمِ العفو أصفاهُ
وخصّ أنصاره الأعلّينَ صفوته وأسكنوا من جوار الله أعلاهُ
أنصارُ ملتته أعلامُ بيعته مناقبُ شرفت أثنى بها اللهُ
وأيدَ اللهُ من أحيا جهادهمُ وواصل الفخرُ أخراهُ بأولاهُ
المنتقى من صميمِ الفخرِ جوهرهُ ما بين نصرٍ وأنصارٍ تهادهُ
العلمُ والحلمُ والإفضالُ شيمتهُ والبأسُ والجودُ بعضُ من سجاياهُ

وهي طويلة ، ولتقتصر منها على ما ذكر .

وقد صرح ابن زمرّك المذكور في قصيدة أخرى مدح بها سلطانه الغني بالله ،
وهنا بفتح المغرب على يد السلطان أحمد ، وذكر فيها ظفّره بالوزير ابن
الكاس ، وهو - أعني ابن الكاس - كان القائم بنصرة لسان الدين ، والمانع
له ، والمجير له منهم حين طلبوه منه ، فلما لم يخفر ذمته تمكنت - كما سبق -
أسبابُ العداوة ، وجر ذلك أن أغرى السلطان أحمد على تملك فاس ، واشترطوا
عليه كما مر القَبْضُ على لسان الدين وإرساله إليهم ، وقد نقلت أنا هذه القصيدة
من تأليف لحفيد السلطان الغني بالله ونصُّ محل الحاجة منه : ومن ذلك أيضاً
قوله - يعني ابن زمرّك - هُنا لمولانا الجدد رحمه الله تعالى بالفتح المغربي للسلطان
أبي العباس ابن السلطان أبي سالم المريني ^١ :

هي نفحةٌ هبّت من الأنصارِ أهدتك فتحَ ممالكِ الأمصارِ
في بشرها وبشارةِ الدنيا بها مستمتعُ الأسماعِ والأبصارِ
هبّت على قطرِ الجهادِ فروضتُ أرجاءهُ بالنفحةِ المعطارِ

١ القصيدة في أزهار الرياض ٢ : ٢٨ - ٣٤ .

وَسَرَتْ وَأَمَرَ اللَّهُ طِيَّ بُرُودَهَا
مَرَّتْ بِأَدْوَاكِ الْمَنَابِرِ فَانْبَرَتْ
حَنَّتْ مَعَارِجَهَا إِلَى أَعْشَارِهَا
لَوْ أَنْصَفْتُكَ لَكَلَّلْتُ أَدْوَاحَهَا
فَتَحُ الْفَتْوحُ أَتَاكَ فِي حُلُلِ الرِّضَى
فَتَحُ الْفَتْوحُ جَنَيْتَ مِنْ أَفْنَانِهِ
كَمْ آيَةٍ لَكَ فِي السَّعُودِ جَلِيَّةٍ
كَمْ حِكْمَةٍ لَكَ فِي النُّفُوسِ خَفِيَّةٍ
كَمْ مِنْ أَمِيرٍ أَمَّ بِأَبْنِكَ فَانْتَهَى
أَعْطَيْتَ أَحْمَدَ رَايَةَ مَنْصُورَةٍ
أَرْكَبْتَهُ فِي الْمُنَشَّاتِ كَأَنَّمَا
مِنْ كُلِّ خَافِقَةِ الشَّرَاحِ مُصَفَّقٍ
أَلْقَتْ بِأَيْدِي الرِّيحِ فَضْلَ عَنَانِهَا
مِثْلَ الْجِيَادِ تَدَافَعَتْ وَتَسَابَقَتْ
لِلَّهِ مِنْهَا فِي الْمَجَازِ سَوَابِحُ
لَمَّا قَصَدَتْ بِهَا مَرَاسِي سَبْتَةٍ
لَمَّا رَأَتْ مِنْ صُبْحٍ عَزَمَكَ غَيْرَةٌ
وَرَأَتْ جَبِينًا دُونَهُ شَمْسُ الضُّحَى
فَأَفْضَتْ فِيهَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِبًا
وَأَرَيْتَ أَهْلَ الْغَرْبِ عَزْمَ مَغْرَبٍ
وَخَطَبْتَ مِنْ فَاكِ الْجَدِيدِ عَقِيلَةً
مَا صَدَّقُوا مَتْنَ الْحَدِيثِ بِفَتْحِهَا
وَتَسَمَّعُوا الْأَخْبَارَ بِاسْتِفْثَاحِهَا
قُولُوا لِقَرْدٍ فِي الْوِزَارَةِ غَرَّةٍ

يَهْدِي الْبَرِيَّةَ صَنَعَ لَطْفُ الْبَارِي
خُطْبَاؤُهَا مُفْتَنَّةَ الْأَطْيَارِ
لَمَّا سَمِعْنَ بِهَا حَيْنَ عِشَارِ
تِلْكَ الْبَشَائِرِ يَانِعَ الْأَزْهَارِ
بِعَجَائِبِ الْأَزْمَانِ وَالْأَعْصَارِ
مَا شِئْتَ مِنْ نَصْرِ وَمِنْ أَنْصَارِ
خَلَدْتَ مِنْهَا عِبْرَةً اسْتَبْصَارِ
خَفَيْتَ مَدَارِكَهَا عَنِ الْأَفْكَارِ
يُدْعَى الْخَلِيفَةَ دَعْوَةُ الْإِكْبَارِ
بِرَكَاتِهَا تَسْرِي مِنَ الْأَنْصَارِ
جَهَّزْتَهُ فِي وَجْهَةِ الْمَزَارِ
مِنْهَا الْجَنَاحُ تَطِيرُ كُلُّ مَطَارِ
فَتَكَادُ تَسْبِقُ لِمَحَّةِ الْأَبْصَارِ
مِنْ طَافِحِ الْأَمْوَاجِ فِي مَضَارِ
وَقَفْتَ عَلَيْكَ الْفَخْرَ وَهِيَ جَوَارِي
عَطَفْتَ عَلَى الْأَسْوَارِ عَطْفَ سِوَارِ
مُخْفُوفَةٍ بِأَشْعَةِ الْأَنْوَارِ
لَبَّيْتُكَ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِكْبَارِ
حَسَنْتَ مَوَاقِعَهَا عَلَى التَّكْرَارِ
قَدْ سَاعَدْتَهُ غَرَائِبُ الْأَقْدَارِ
لَبَّيْتُكَ طَوَّعَ تَسْرُعٍ وَبِدَارِ
حَتَّى رَأَوْهُ فِي مَتُونِ شِفَارِ
وَالْخُبْرُ قَدْ أَغْنَى عَنِ الْأَخْبَارِ
حَلُمٌ مَنِتَّ بِهِ عَلَى مَقْدَارِ

أُسكنته من فاسُ جَنَّةَ ملكها
حتى إذا كفر الصنيعةَ وازدرى
جرعت نجل الكاس كاساً مُرةً
كفر الذي أوليته من نعمة
فطرحته طَرَحَ النواة فلم يفر
لم يتفق خليفة مثل الذي
لم أدرِ والأيام ذاتُ عجائب
ألواء صبح في ثنية مشرق
وشهابُ أفق أم سنان لامع
ومناقبُ المولى الإمام محمد
فاقَ الملوكَ بهمة علوية
لو صافح الكف الخضيب بكفه
والشهبُ تطمع في مطالع أفقها
سل بالشارق صبحها عن وجهه
سل بالغمام صوبها عن كفه
سل بالبروق صفاحها عن عزمه
قد أحرز الشيم الخطيرة عندما
إن يلق ذو الإجرام صفحة صفحه
يا من إذا هبت نواسمُ حمده
يا من إذا افترت مباسمُ بشره
يا من إذا طلعت شمسُ سعوده
قسماً بوجهك في الضياء وإنه
قسماً بعزمك في المضاء فإنه

متنعماً منها بدار قرار
بحقوقها الحقة بالنار
دست إليه الختف في الإسكار
لا تأنسُ النعماء بالكفار
من عز مغربه بغير قرار
أعطى الإله خليفة الأنصار
تردادها يحلو على التذكار
أم راية في جحفل جرار
ينقضُ نجماً في سماء غبار
قد أشرقت أم هن زهر دراري
من دونها نجم السماء الساري
فخرت بنهر للمجرة جاري
لو أحرزت منه منبع جوار
يفتر منه عن جبين نهار
تنيلك عن بحر بها زخار
تخبرك عن أمضى شباً وقرار
أمطى العزائم صهوة الأخطار
فسح القبول له خطا الأعمار
أزرت بعرف الروضة المعطار
وهبَ النفوسَ وعاث في الإقتار
تعثي أشعتها قوى الأبصار
شمس تمد الشمس بالأنوار
سيف تجرده يد الأقدار

لَسَمَاحُ كَفْكَ كَلَمَا اسْتَوْهَبْتُهُ
لِلَّهِ حَضْرَتُكَ الْعَلِيَّةُ لَمْ تَزَلْ
كَمْ مِنْ طَرِيدٍ نَازِحٍ قَدَفَتْ بِهِ
بَلَّغَتْهُ مَا شَاءَ مِنْ آمَالِهِ
صِيرَتْ بِالْإِحْسَانِ دَارَكَ دَارَهُ
وَالْخَلْقُ تَعْلَمُ أَنَّكَ الْغَوْثُ الَّذِي
كَمْ دَعْوَةٌ لَكَ فِي الْمُحُولِ مَجَابَةٌ
جَادَتْ بِجَارِي الدَّمْعِ مِنْ قَطْرِ النَّدَى
فَاعَادَ وَجْهَ الْأَرْضِ طَلْقًا مَشْرِقًا
يَا مَنْ مَآثِرُهُ وَفَضْلُ جِهَادِهِ
حُطَّتْ الْبِلَادُ وَمِنْ حَوْتِهِ ثَغُورُهَا
فَلَرَبُّ بَيْكُرٍ لِلْفَتْوحِ خُطْبَتُهَا
وَعَقِيلَةٌ لِلْكَفْرِ لَمَّا رُعَّتْهَا
أَذْهَبَتْ مِنْ صَفْحِ الْوُجُودِ كِيَانَهَا
عَمَرُوا بِهَا جَنَّاتٍ عَدْنٍ زُخْرِفَتْ
صَبَّحَتْ مِنْهَا رَوْضَةٌ مَطْلُوءَةٌ
وَاسْوَدَّ وَجْهُ الْكَفْرِ مِنْ خَزْيٍ مَتَى
وَلَرَبُّ رَوْضٍ لِقَنَا مَتَاوَدَّ
مَهْمَا حَكَتْ زُهْرُ الْأَسْنَةِ زَهْرَةً
مَتَوَقَّدٌ لَهَبُ الْحَدِيدِ بِجَوْهٍ
فَبِكُلِّ مَلْتَمَعٍ صَقَالٌ مَشْهُرٌ
فِي كَفِّ أَرْوَعٍ فَوْقَ نَهْدٍ سَابِحٍ
مِنْ كُلِّ مَنْخَفِرٍ بِلَمْعَةٍ بَارِقٍ
مِنْ أَشْهَبٍ كَالصَّبْحِ يَطْلُعُ غُرَّةً

يُزْرِي بَغِيثَ الدِّيمَةِ الْمُدْرَارِ
يَلْقِي الْغَرِيبُ بِهَا عَصَا التَّسْيَارِ
أَيْدِي النَّوَى فِي الْقَفْرِ رَهْنٌ سَفَارِ
فَسَلَا عَنْ الْأَوْطَانِ بِالْأَوْطَارِ
مُتَّعَتْ بِالْحُسْنَى وَعَقْبِي الدَّارِ
يُضْفِي عَلَيْهَا وَافِيَّ الْأَسْتَارِ
أَغْرَتْ جَفُونَ الْمُزْنِ بِاسْتِعَارِ
فَرَعَى الرَّبِيعُ لَهَا حَقُوقَ الْجَارِ
مُتَضَّاحِكًا بِمَبْسَاسِمِ النَّوَارِ
تُحْدِي الْقِطَارُ بِهَا إِلَى الْأَقْطَارِ
وَكَفَى بِسَعْدِكَ حَامِيًا لِلدِّمَارِ
بِالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا الْخَطَّارِ
أُخْرَسَتْ مِنْ نَاقُوسِهَا الْمَهْدَارِ
وَمَحُوتَهَا إِلَّا مِنَ التَّذْكَارِ
ثُمَّ انْتَنَوْا عَنْهَا دِيَارَ بَوَارِ
فَأَعْدَتْهَا لِلْحَيْنِ مَوْقِدَ نَارِ
مَا أَحْمَرَّ وَجْهَ الْأَبْيَضِ الْبَثَّارِ
نَابَ الصَّهِيلُ بِهِ عَنِ الْأَطْيَارِ
حَكَتِ السَّيُوفُ مَعَاطِفَ الْأَنْهَارِ
تَصَلَّى بِهِ الْأَعْدَاءُ لَفْحَ أَوَارِ
قَدَّاحَ زَنْدٍ لِلْحَفِظَةِ وَارِي
مَتَمَوِّجِ الْأَعْطَافِ فِي الْإِحْضَارِ
حَمَلَ السَّلَاحَ بِهِ عَلَى طَيَّارِ
فِي مُسْتَهْلٍ الْعَسْكَرِ الْجُرَّارِ

أو أدهم كالليل إلا أنه
أو أحمر كالخمر يذكي شعله
أو أشقر حلى الجمال أديمه
أو أشعل راق العيون كأنه
شهب وشقر في الطراد كأنها
عودتها أن ليس تقرب منها
يا أيها الملك الذي أيامه
يهي لواءك أن جدك زاحف
لا غرو أن ققت الملوك سيادة
السابقون الأولون إلى الهدى
متهللون إذا التزيل عراهم
من كل وضاح الجبين إذا احتجى
قد لاث صبحاً فوق بدر بعدما
فاسأل بيدر عن مواقف بأسهم
لهم العوالي عن معالي فخرها
وإذا كتاب الله يثلو حمدهم
يا ابن الذين إذا تذكروا فخرهم
حقاً لقد أوضحت من آثارهم
أصبحت وارث مجدهم وفخارهم
يا صادراً في الفتح عن ورد المني
واهناً بفتح جاء يشتمل الرضى
واليكها ملء العيون وسامة
تجري حداة العيس طيب حديثها
إن مسهم لفتح الهجير أبلهم

لم يرض بالجوزاء حلى عذار
وقد ارتنى من بأسه بشرار
وكساه من زهو جلال نضار
غلس بخالط سدة بنهار
روض تفتح عن شقيق بهار
حتى يخالط بالدم الموار
غرر تلوح بأوجه الأعصار
بلواء خير الخلق للكفار
إذ كان جدك سيد الأنصار
والمصطفون لنصرة المختار
سفرؤا له عن أوجه الأعمار
تلقاه معصوباً بتاج فخار
ليس المكارم وارتدى بوقار
فهم تلافوا أمره بيسار
نقل الرواة عوالي الأخبار
أودى القصور بمئة الأشعار
فخروا بطيب أرومة ونجار
لما أخذت لدينهم بالثار
ومشرف الأعصار والأمصار
رد ناجح الإيراد والإصدار
جدلان يرقل في حلى استبشار
حيثك بالأبكار من أفكار
يتعللون به على الأكوار
منه نسيم ثنائك المعطار

وَتُمِيلُ مِنْ أَصْغَى لَهَا فَكَأَنَّيْ عَاطِيَتَهُ مِنْهَا كَوْوَسَ عُقَارِ
 قَذَفَتْ بِحَوْرُ الْفَكْرِ مِنْهَا جَوْهَرًا لَمَّا وَصَفْتُ أَنَامِلًا بِبِحَارِ
 لَا زَلَّ لِلْإِسْلَامِ سِتْرًا كَلِمَا أُمَّ الْحَجِيجِ الْبَيْتَ ذَا الْأَسْتَارِ
 وَبَقِيَتْ يَا بَدْرُ الْهَدَى تَجْرِي بِمَا شَاءَتْ عِلَّاكَ سَوَابِقُ الْأَقْدَارِ
 انتهت .

ولابن زَمْرَك السابق قصيدة أخرى قالها بعد موت لسان الدين ابن الخطيب
 وخلع السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم الذي قتل ابن الخطيب في دولته ،
 وكان سلطان الأندلس مؤثلاً للسلطان أحمد المذكور ، ولذلك امتنع لرده
 للملكه ، فقال ابن زَمْرَك وزير صاحب الأندلس بعد ابن الخطيب هذه القصيدة
 يمدح بها سلطانه أثناء وجهته لتجديد الدولة الأحمدية المذكورة صدر عام تسعة
 وثمانين وسبعمائة^١ :

هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى الرِّيَاضِ مَعَ السَّحَرِ	فَاسْتَيْقَظَتْ فِي الدَّوْحِ أَجْفَانُ الزَّهَرِ
وَرَمَى الْقَضِيبُ دِرَاهِمًا مِنْ نَوْرِهِ	فَاعْتَاظَ مِنْ طَلِّ الْغَمَامِ بِهَا دُرَرُ
نَثَرَ الْأَزْهَارَ بَعْدَمَا نَظَّمَ النَّدَى	يَا حُسْنَ مَا نَظَّمَ النَّسِيمُ وَمَا نَثَرَ
قَمِّ هَاتَهَا وَالْجَوَّ أَزْهَرُ بِاسْمٍ	شَمْسًا تَحُلُّ مِنَ الزَّجَاجَةِ فِي قَمَرِ
إِنْ شَجَّهَا بِالْمَاءِ كَفَّ مَدِيرَهَا	تَرْمِيهِ مِنْ شُهْبِ الْحَبَابِ بِهَا شَرَرُ
نَارِيَّةٌ نَوْرِيَّةٌ مِنْ ضَوْئِهَا	يَقْدَرُ السَّرَاجُ لَنَا إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرَ
لَمْ يُبْقِ مِنْهَا الدَّهْرُ إِلَّا صِبْغَةً	قَدْ أَرَعَشَتْ فِي الْكَأْسِ مِنْ ضَعْفِ الْكِبَرِ
مِنْ عَهْدِ كَسْرَى لَمْ يُفْقَضْ خَتَامُهَا	إِذْ كَانَ يَدُخَرُ كَنْزُهَا فِيمَا دَخَرُ
كَانَتْ مَذَابَ التَّبَرِّ فِيمَا قَدْ مَضَى	فَأَحَالَهَا ذَوْبَ اللَّجَيْنِ لِمَنْ نَظَرُ
جَدَّدَ بِهَا عَرَسَ الصَّبُوحِ فَإِنَّهَا	بِكُرِّ تَحْيِيهَا الْكِرَامُ مَعَ الْبُكْرِ

١ انظر أزهار الرياض ٢ : ٣٥ - ٣٨ .

٢ ق ص : يقح ، واقراً : قح .

وابللُ بها رمتى الأصيلِ عشيةً
 محمرةً مصفرةً قد أظهرت
 من كفٍّ شفافٍ تجسّدَ نوره
 تهوى البدورُ كماله وتودُّ أن
 قد خطّ نونَ عذاره في خدّه
 وإلى عليك بها الكؤوسُ ، وربما
 سُكّرُ الندامى من يديه ولحظه
 حيثُ الهديلُ مع الهديرِ تناغياً
 والقضبُ مالتُ للعناقِ كأنّها
 متلاعباتٌ في الحليّ يتوبُّ في
 والرجسُ المطلولُ يرنو نحوها
 والنهرُ مصقولُ الحسام متى يردُّ
 يجري على الحصباءِ وهيّ جواهر
 هل هذه أم روضةُ البشرى التي
 لم أدرِ من شغفٍ بها وبهذه
 جاءت بها الأجفانُ ملء ضلوعها
 ومسافرٍ في البحرِ ملء عنانهِ
 قادته نحوك بالخطامِ كأنه
 وأراه دينُ الله عزّةً أهله
 يا فخرَ أندلسٍ وعصمةَ أهلها
 كم معضلٍ من دائها عاجلته
 ماذا عسى يصف البليغُ خليفةً

والشمسُ من وعد الغروب على خطرُ
 خجلَ المريب يشوبه وجلُّ الحذرُ
 من جوهرٍ لآلاءِ بهجته بهرُ
 لو أوتيتُ منه المحاسنَ والغررُ
 قلمان من آسٍ هناك ومن شعرُ
 يسقيك من كأس الفتور إذا فترُ
 متعاقبٌ مهما سقى وإذا نظرُ
 فالطير تنشداً في الغصون بلا وترُ
 وفدُ الأحبة قادمين من السفرُ
 وجنائهنّ الوردُ حسناً عن خقرُ
 بلواحظِ دمعُ الندى منها انهمرُ
 درعُ الغديرِ مصفقا فيه صدرُ
 متكسراً من فوقها متهما عثرُ
 فيها لأربابِ البصائرِ معتبرُ
 من منهما فتّنَ القلوبَ ومن سحرُ
 ملء الخواطرِ والمسامعِ والبصرُ
 وافى مع الفتحِ المبينِ على قدرُ
 جمّلُ يساقُ إلى القيادِ وقد نفرُ
 بك يا أعفَّ القادرين إذا قدرُ
 للناسِ سرٌّ في اختصاصك قد ظهرُ
 فشفيت منه بالبيدارِ وبالبيدرُ
 واللهِ ! من أيامه إلا غررُ

١ الأزهار : تشدو .

وَرُئِيتَ هَذَا الْفَخْرَ يَا مَلِكَ الْهَدْيِ
 مِنْ شَاءَ يَعْرِفُ فَخْرَهُمْ وَكَمَالَهُمْ
 أَبْنَاؤُهُمْ أَبْنَاءُ نَصْرِ بَعْدَهُمْ
 مَوْلَايَ سَعْدُكَ وَالصَّبَاحُ تَشَابَهَا
 هَذَا وَزِيرُ الْغَرْبِ عَبْدُ آبِقٍ
 كَفَرَ الَّذِي أَوْلَيْتَهُ مِنْ نِعْمَةٍ
 إِنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغِيظِهِ
 رَكِبَ الْفِرَارَ مَطِيَّةً يَنْجُو بِهَا
 وَكَذَا أَبُوهُ وَكَانَ مِنْهُ حِمَامَةٌ
 بَلَّغَتْهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ شَاهِدُ
 حَقِّي إِذَا جَحَدَ الَّذِي أَوْلَيْتَهُ
 فِي حَالِهِ وَاللَّهُ أَعْظَمُ عِبْرَةٍ
 فَاصْبِرْ تَنْلُ أَمْثَالَهَا فِي مِثْلِهِ
 رَدُّ حَيْثُ شِئْتَ مَسْوَغًا وَرَدَّ الْمَنَى
 لَا زِلْتَ مُحْرُوسًا بِعَيْنِ كَلَاءَةٍ
 مِنْ كُلِّ مَنْ آوَى النَّبِيَّ وَمَنْ نَصَرَهُ
 فَلْيَتَلَّ وَحْيَ اللَّهِ فِيهِمْ وَالسَّيْرُ
 بِسُيُوفِهِمْ دِينَ الْإِلَهِ قَدْ انْتَصَرَ
 وَكَلَاهُمَا فِي الْخَافِقِينَ قَدْ اشْتَهَرَ
 لَمْ يَلْفِ غَيْرَكَ فِي الشَّدَائِدِ مَنْ وَزَرَ
 وَاللَّهُ قَدْ حَتَمَ الْعَذَابَ لِمَنْ كَفَرَ
 وَصَلَّى سَعِيرًا لِلتَّأْسِفِ وَالْفِكَرِ
 فَجَرَتْ بِهِ حَتَّى اسْتَقَرَّ عَلَى سَقَرِ
 قَدْ حُمَّ وَهُوَ مِنَ الْحَيَاةِ عَلَى غَرَرِ
 مَا شَاءَ مِنْ وَطَنِ يَعْزُّ وَمِنْ وَطَرِ
 لَمْ تَبْقَ مِنْهُ الْحَادِثَاتُ وَلَمْ تَذَرْ
 لِلَّهِ عَبْدٌ فِي الْقَضَاءِ قَدْ اعْتَبِرْ
 إِنْ الْعَوَاقِبَ فِي الْأُمُورِ لِمَنْ صَبِرْ
 فَاللَّهُ حَسْبُكَ فِي الْوُرُودِ وَفِي الصَّدَرِ
 مَا دَامَ عَيْنُ الشَّمْسِ تُعْشِي مَنْ نَظَرَ

ومنها وقد أضاف إليه من التغزل طوع بداره ، وحجة اقتداره ، فقال :

وَالْعُودُ فِي كَفِّ النَّدِيمِ بِسِيرٍ مَا
 غَنَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَهُوَ بِدَوْحِهِ
 عودٌ ثَوَى حِجْرَ الْقَضِيبِ ، رَعَى لَهُ
 لَا سِيَّما لَمَّا رَأَى مِنْ ثَغْرِهِ
 وَيَظُنُّ أَنْ عِذَارَهُ مِنْ آسِهِ
 يَسْبِي الْقُلُوبَ بَلْفُظِهِ وَبِلَحْظِهِ
 قَدْ قِيدَتْهُ لَأَنْسَنَا أَوْتَارَهُ
 تُلْقِي لَنَا مِنْه الْأَنَامِلُ قَدْ جَهَرَ
 وَالْآنَ غَنَى فَوْقَهُ ظِيَّ أَغَرَ
 أَيَّامَ كَانَا فِي الرِّيَاضِ مَعَ الشَّجَرِ
 زَهْرًا ، وَأَيْنَ الزَّهْرُ مِنْ تِلْكَ الدَّرَرِ
 وَيَظُنُّ تَفَاحَ الْخُدُودِ مِنَ الثَّمَرِ
 وَافْتِنَسَتِي بَيْنَ التَّكَلُّمِ وَالنَّظَرِ
 كَالظَّيِّ قُبَيْدٍ فِي الْكِنَاسِ إِذَا نَفَرَ

لم يُبَلِّ قَلْبِي قَبْلَ سَمْعِ غَنَائِهِ بِمَعْدَرٍ سَلَبَ الْعُقُولَ وَمَا اعْتَدَرُ
جَسَّ الْقُلُوبَ بِجَسِّهِ أَوْتَارَهُ حَتَّى كَانَ قُلُوبُنَا بَيْنَ الْوَتَرِ
نَمَّتْ لَنَا أَلْحَانُهُ بِجَمِيعِ مَا قَدْ أَوْدَعَتْ فِيهِ الْقُلُوبَ مِنَ الْفِكْرِ
يَا صَامِتًا وَالْعُودُ تَحْتَ بَنَانِهِ يَغْنِيكَ نَطْقُ الْخُبْرِ فِيهِ عَنِ الْخَبْرِ
أَغْنَى غَنَاؤُكَ عَنْ مُدَامِكَ ، يَا تَرَى هَلْ مِنْ لِحَازِكَ أَمْ بَنَانِكَ ذَا السَّكْرِ
بَاحَتَ أَنْأَمْلِكَ اللَّدَانُ بِكُلِّ مَا كَانَ الْمُتَيَّمُ فِي هَوَاهُ قَدْ سَرَّ
وَمُقَاتِلٍ مَا سَلَّ غَيْرَ لِحَازِهِ وَالرَّمْحَ هَزَّ مِنَ الْقَوَامِ إِذَا خَطَرَ
دَانَتْ لَهُ مَنَا الْقُلُوبُ بِطَاعَةٍ وَالسَّيْفُ يَمْلِكُ رَبَّهُ مَهْمَا قَهَرَ

وَسَتَلُمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَرْجُمَةِ ابْنِ زَمْرَكِ هَذَا فِي بَابِ التَّلَامُذَةِ ، وَنَشِيرُ
هَنَّاكَ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِهِ ، وَكَيْفِيَةِ قَتْلِهِ مَعَ أَوْلَادِهِ وَخِدْمَتِهِ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ مِنْ
أَهْلِهِ ، فَكَانَ الْجَزَاءُ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ ، وَخَابَ مِنْهُ الْأَمَلُ ، إِذْ لِسَانُ الدِّينِ قُتِلَ
غِيلَةً بَلِيلُ غَاسِقٍ ، عَلَى يَدِ مُخْتَلِسٍ فِي السَّجْنِ فَاسِقٍ ، وَأَمَّا ابْنُ زَمْرَكِ فَقُتِلَ
بِالسَّيْفِ جَهَارًا ، وَتَنَاضَتْ سَيُوفُ خِدْمَتِهِ بَيْنَ بَنَانِهِ لِإِبْدَاءِ لِلتَّشْفِي وَإِظْهَارًا ،
وَقُتِلَ مَعَهُ مِنْ وَجَدٍ مِنْ خِدْمَتِهِ وَأَبْنَاهُ ، وَأَبْعَدَهُ الدَّهْرُ وَطَالَمَا أَدْنَاهُ . وَهَكَذَا الْحَالُ
فِي خُدَامِ الدُّوَلِ وَذَوِي الْمُلُوكِ ، أَنَّهُمْ أَقْرَبُ شَيْءٍ مِنَ الْهُلُكِ ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ
قَالَ : إِيَّاكَ وَخِدْمَةُ الْمُلُوكِ فَلِإِنَّهُمْ يَسْتَقِلُّونَ فِي الْعِقَابِ ضَرْبَ الرِّقَابِ ، وَيَسْتَكْثِرُونَ
فِي الثَّوَابِ رَدَّ الْجَوَابِ ؛ انْتَهَى .

رَجَعَ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ مِنْ أَحْوَالِ لِسَانِ الدِّينِ ابْنِ الْخَطِيبِ : وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
قَبِيلَ مَوْتِهِ — لَمَّا تَوَفَّى السُّلْطَانُ أَبُو فَارِسٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَنِي
بَتْلِمِيسَانَ وَتَغَلَّبَ عَلَى الْأَمْرِ الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ غَازِي بْنِ الْكَاسِ مُبَايَعًا لِابْنِ صَغِيرِ
السن من أولاد السلطان عبد العزيز — أَلَفَ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى بِـ « أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ بِمَنْ
بُويعَ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ الْإِحْتِلَامِ » وَمَرَادُهُ بِذَلِكَ تَثْبِيتَ دَوْلَةِ الْوَزِيرِ الَّذِي
أَبَى أَنْ يَخْفَرَ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ ، وَامْتَنَعَ أَنْ يَمَكِّنَ مِنْهُ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ ، فَأَكْثَرُوا

القالة في الوزير بسبب مبايعته للصبي ، وبنوا ظاهر الأمر على أن ذلك لا يجوز بالشرع ، وأبدأوا وأعادوا في ذلك ، وأسروا ما كان من أمرهم حسناً في ارتقاء . ومن جملة كلام لسان الدين ابن الخطيب في ذلك الكتاب قوله : فمضى نبسّ أهل الأندلس بإنكار بيعة صبي صغير ، أو نيابة صاحب أو وزير ، فقد عمّوا وصمّوا ، وخطروا برّيع الإنصاف فأعرضوا وما ألبوا ، وبما سنوه لغيرهم ذموا ؛ انتهى .

وكان رحمه الله تعالى ألف للسلطان عبد العزيز حين انخيازه إليه « المباخر الطيبة في المفاخر الخطيبية » : يذكر فيه نباهة سلفه ، وما لهم من المجد ، وقصده الردّ على أهل الأندلس المجاهرين له بالعداوة ، القادحين في فخر سلفه . ثم ألف للسلطان المذكور كتاب « خلع الرسن في التعريف بأحوال ابن الحسن » لكونه تولّى كبر الخط منه ، والسعي في هلاكه كما مر ، وقال في حق هذا الكتاب : إنّه لا شيء فوقه في الظرف والاستطراف ، يُسّلي الشكالي ، ونستغفر الله تعالى ؛ انتهى .

ومع هذا كلّما أنشبت المنية أظفارها لم تنفعه ممّا كتب تيمية ، ونال ما أمّل فيه أهل السعاية والنميمة ، وسجلوا عليه المقالات الذميمة ، وقد صار الجميع إلى حكم عدل قادر يحمي من العظم رميمه ، وينصف المظلوم من الظالم ، ويجازي الجاهل والعالم ، ويساوي بين المأمور والآمر ، والشريف والمشروف ، والعزيز والحقير والمنكر والمعروف ، وعفوه سبحانه مؤمل بعد ، وهو لا يخلف الوعد ، ومن سبقت له العناية ، لم تضره الجناية .

وقد كان لسان الدين ابن الخطيب — رحمه الله تعالى — محبّاً في العفو حتى إنّه كان إذا جرى لديه ذكر عقوبة الملوك لأتباعهم تشمّر نفسه من ذلك ويقول ما معناه : ما ضرهم لو عفوا ! ورأيت له — رحمه الله تعالى — في بعض مؤلفاته وقد أجرى ذكر استعطاف ذي الوزارتين أبي بكر ابن عمّار للسلطان المعتمد بن عباد حين قبض عليه بقوله :

سجايك إن عافيت أندي وأسمحُ
 وإن كان بين الخطتين مزية
 وماذا عسى الأعداء أن يتريدوا
 وإن رجائي أن عندك غير ما
 أقلتي بما بيني وبينك من رضى
 ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم
 وقالوا : سيجزيه فلان بذنبه
 ألا إن بطشاً للمؤيد يرتمي
 وبين ضلوعي من هواه تيمة
 سلام عليه كيف دار به الهوى
 ويهنيه إن رمت السلو فإتني
 وعذرك إن عاقبت أولى وأوضحُ
 فأنت من الأدنى إلى الله أجنح
 سوى أن ذنبي ثابت ومصحح
 يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح
 له نحو روح الله باب مفتح
 فكل إناء بالذي فيه يرشح
 فقلت : وقد يعفو فلان ويصفح
 ولكن حلماً للمؤيد يرجع
 ستشفع لو أن الحمام يملح
 إلي فيدنو أو علي فيتزعج
 أموت ولي شوق إليه مبرح

ما نصه : ولابن عمار كلمات شهيرة تُعالج بمراهمها جراح القلوب ،
 وتعفّي على هضبات الذنوب ، لولا ما فرغ عنه من القدر المكتوب والأجل
 المحسوب ، إلى أن قال : وما كان أجمل بالمعتمد أن يُبقي على جان من عبيده ،
 قد مكنته الله من عُنقه ، لا يؤمل الحصول على أمره ، ولا يحذر تعصب قبيله ،
 ولا يزيده العفو عنه إلا ترفعاً وعزّة وجلالة وهمة وذكرًا جميلًا وأجرًا جزيلاً ،
 فلا شيء أحمى للسيئة من الحسنه ، ولا أقتل للشر من الخير ، ورحم الله الشاعر إذ
 يقول :

وطعتهم بالمكرمات وباللها في حيث لو طعن القنا لتكسرا

وقد تذكرت هنا قول الأديب أبي عبد الله محمد بن أحمد التجاني رحمه الله
 تعالى ورضي عنه :

أتعجب أن حطت يد الدهر فاضلاً عن الرتبة العليا فأصبح تحتها

أما هذه الأشجارُ تحملُ أكلها وتُسقطُ منه كلَّ ما طاب وانتهى

[نكبة أبي جعفر ابن عطية]

وحكى غير واحد من مؤرخي الأندلس أن الكاتب الشهير الوزير أبا جعفر ابن عطية القُضاعي^١ لما تغير له عبدُ المؤمن وتذاكر مع بعض من أهل العلم أبيات ابن عمار السابقة، قال: ما كان المعتمد إلا قاسي القلب حيث لم تعطفه هذه الأبيات إلى العفو، ووقع لابن عطية المذكور مثل قضية ابن عمار، واستعطف فما نفع ذلك وقتل رحمه الله تعالى، ولنلمَّ بذلك فنقول:

كان أبو جعفر هذا من أهل مراکش، وأصله القديم من طُرطُوشة، ثم بعد من دانية، وهو ممن كتب عن علي بن يوسف بن تاشفين أمير لِمَتُونَة، وعن ابنه تاشفين وإسحاق، ثم استخلصه لنفسه سالبُ ملكهم عبدُ المؤمن بن علي، وأسند إليه وزارته، فنهض بأعبائها، وتحبب إلى الناس بإجمال السعي والإحسان فعمت صنائعه، وفشا معروفه، وكان محمودَ السيرة، مبعثَ المحاولات، ناجحَ المساعي، سعيدَ المآخذ، مُيسِّرَ المآرب، وكانت وزارته زينةً للوقت، وكمالاً للدولة، وفي أيام توجهه للأندلس وجد حسادهُ السبيلَ إلى التدبير عليه والسعي به، حتى أوغروا صدر الخليفة عبد المؤمن عليه، فاستوزر عبد السلام بن محمد الكومي، وانبرى لمطالبة ابن عطية، وجدَّ في التماس عَوْرَاته، وتشنيع سَقَطَاته، وطُرحت بمجلس السلطان أبيات منها:

قُلْ لِلإِمَامِ أَطَالَ اللهُ مُدَّتَهُ قَوْلًا تَبَيَّنُ لَذِي لُبٍّ حَقَائِقُهُ
إِنْ الزَّرَاجِينُ^٢ قَوْمٌ قَدْ وَتَرْتَهُمْ وَطَالَبَ الثَّأْرَ لَمْ تَوْمنَ بِوَأَثَمِهِ

١ انظر الخبر عن أبي جعفر ابن عطية في المعجب : ٢٦٧ والإحاطة ١ : ١٣٢ (ط . السلفية) وقد

نقل المقرئ ما جاء في المصدر الثاني، حتى آخر رسالة ابن عطية، وإعتاب الكتاب : ٢٢٥ .

٢ الزراجين : لقب أطلقه الموحدون على الملتصين تشبيهاً لهم بطائر أسود البطن أبيض الريش يقال له

الزرجان (نظم الجمان : ٨٥) .

والوزير إلى آرائهم ميلٌ لذاك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الخزم في إطفاء نارهمُ فربما عاقَ عن أمرٍ عوائقه
همُ العدوُّ ومنُ والاهمُ كههمُ فاحذرُ عدوك واحذر منُ يصادقه
الله يعلمُ أني ناصحٌ لكمُ والحقُّ أبلغُ لا تخفى طرائقه

قالوا : ولما وقف عبد المؤمن على هذه الآيات البليغة في معناها وغير صدره
على وزيره أبي جعفر ، وأسرَّ له في نفسه تغيراً ، فكان من أقوى أسباب نكبته .

وقيل : أفضى إليه بسر فأفشاه ، وانتهى ذلك كله إلى أبي جعفر وهو
بالأندلس فقتلني وعجلَ الانصراف إلى مراکش ، فحُجِب عند قدومه ،
ثم قيد إلى المسجد في اليوم بعده حاسرَ العمامة ، واستُحضر الناسُ على طبقاتهم ،
وقرروا على ما يعلمون من أمره ، وما صار إليه منهم ، فأجاب كل بما اقتضاه هواه ،
وأمر بسجنه ، ولف معه أخوه أبو عقيل عطية ، وتوجه في إثر ذلك عبدُ المؤمن إلى
زيارة تربة المهدي محمد بن تومرت ، فاستصحبهما منكوبين بحال ثِقاف .
وصلدت عن أبي جعفر في هذه الحركة من لطائف الأدب نظماً ونثراً في سبيل
التوسل بتربة إمامهم المهدي عجائبُ لم تُجدِ شيئاً مع نفوذ قدر الله تعالى فيه .
ولما انصرف من وجهته أعادهما معه قافلاً إلى مراکش ، فلما حاذى تاقمرت
أنفذ الأمر بقتلهما بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحه هنالك ، فمضيا
لسبيلهما ، رحمهما الله تعالى .

ومما خاطب به الخليفةَ عبدَ المؤمن مستعظماً له من رسالةٍ تعالى فيه فعالته
المنية ، ولم ينل الأمنية ، وهذه سنة الله تعالى فيمن لم يحترم جناب الألوهية ،
ولم يحرس لسانه من الوقوع فيما يخدش في وجه فضل الأنبياء على غيرهم
وعصمتهم ، قوله ساعه الله :

« تالله لو أحاطت بي كل خطيئة ، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة ،
حتى سخرت بمن في الوجود ، وأنفت لآدم من السجود ، وقلت : إن الله تعالى

لم يوح ، في الفلك لنوح ، وبريت لقدارِ ثمودِ نبلاً ، وأبرمت لخطب نار
الخليل حبلاً ، وحططت عن يونس شجرة اليقطين ، وأوقدت مع هامان على
الطين ، وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها ، وافترت على العذراء البتول
فقدفتها ، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة ، وظهرت الأحزاب بالقصوى
من العدو ، وذهمت كل قرشي ، وأكرمت لأجل وحشي كل حبشي ،
وقلت : إن بيعة السقيفة ، لا توجب إمامة خليفة ، وشحذت شفرة غلام
الغيرة بن شعبة ، واعتلقت من حصار الدار وقتل أشمطها بشعبة ، وقلت :
تقاتلوا رغبة في الأبيض والأصفر ، وسفكوا الدماء على الثريد الأعفر ،
وغادرت الوجه من الهامة خضياً ، وناولت من قرع سن الحسين قضياً ،
ثم أتيت حضرة المعلوم لائذاً ، ونقبر الإمام المهدي عائداً ، لقد آن لمقاتلي أن
تسمع ، وتغفر لي هذه الخطيئات أجمع ، مع أنني مقترف ، وبالذنب
معترف .

فعفوا أمير المؤمنين فمَن لنا برد قلوبٍ هدّاها الخفّاقانُ »

وكتب مع ابن له صغير آخرة :

عطفاً علينا أمير المؤمنين ، فقد
قد أغرقنا ذنوبٌ كلّها بلج
وصادفتنا سهامٌ كلّها غرض
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه
من جاء عندكم يسعى على ثقة
فالثوب يطهر عند الغسل من درن
أنتم بذلتم حياة الخلق كلّهم
ونحن من بعض من أحييت مكارمكم
وصيبة كفراخ الورق من صغير

بان العزاء لفرط البت والحزن
وعطفة منكم أنجى من السفن
ورحمة منكم أوقى من الجئن
بمن أجارته رحماكم من المحن
بنصره لم يخف بطشاً من الزمن
والطرف ينهض بعد الركض في سنن
من دون من عليهم لا ولا ثمن
كلنا الحياتين من نفس ومن بدن
لم يالفوا النوح في فرع ولا فنن

قد أوجدتهم أبادٍ منك سابقةً والكلُّ لولاك لم يوجد ولم يكن
فوقع عبد المؤمن على هذه القصيدة ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس : ٩١) .

ومما كتب به من السجن :

أنوحُ على نفسي أمَ أنتَظِرُ الصفحا فقد آن أن تُنسى الذنوب وأن تمحي
فها أنا في ليلٍ من السخطِ حائرٌ ولا أهتدي حتى أرى للرضى صبحا
وامتنح عبد المؤمن الشعراء بهجوا ابن عطية ، فلما أسمعوه ما قالوا ،
أعرض عنهم ، وقال : ذهب ابن عطية وذهب الأدب معه .
وكان لأبي جعفر أخ اسمه عطية قُتل معه ، ولعطية هذا ابن أديب كاتب ،
وهو أبو طالب عقيل بن عطية ، ومن نظمه في رجل تعشّق قَيْنَةً كانت ورثت
من مولاها مالا فكانت تنفق عليه منه ، فلما فرغ المال ملّها :

لا تَلَحْهُ أن ملّ من حبها فلم يكن ذلك من ودّ
لما رآها قد صفا مالها قال : صفا الوجدُ مع الوجدِ

وكان أبو جعفر ابن عطية من أبلغ أهل زمانه ، وقد حكى أنّه مرّ مع الخليفة
عبد المؤمن ببعض طرق مراکش ، فأطلت من شباكٍ جاريةٌ بارعة الجمال
فقال عبد المؤمن :

قدّت فؤادي من الشباك إذ نظرت

فقال الوزير ابن عطية مجيزاً له :

حوراء ترنّو إلى العشاقِ بالقل

فقال عبد المؤمن :

كأنما لحظها في قلب عاشقها

فقال ابن عطية :

سيفُ المؤيدِ عبد المؤمنِ بن علي

ولا خفاء أن هذه طبقة عالية .

ومن فصول رسالته التي كتب بها عن أبي حَقَّص ، وهي التي أورثته الرتبة العلية السنية ، والوزارة الموحَّدية المؤمنية ، قوله ^١ :

« كتابُنا هذا من وادي ماسة بعد ما تجدد من أمر الله الكريم ، ونصر الله تعالى المجهود المعلوم ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران: ١٢٦) فتحُ بهَرِ الأنوار إشراقاً ، وأحدَقَ بنفوس المؤمنين إحداقاً ، ونبه للأمانِي النائمة جُفُوناً وأحداقاً ، واستغرق غاية الشكر استغراقاً ، فلا تطيق الألسن لَكُنْه وَصْفَه إدراكاً ولا لحاقاً ، جمع أشتات الطلب والأرب ، وتقلب في النعم أكرم مُنْقَلَب ، وملاً دِلاء الأمل إلى عَقْد الكَرَب :

فتحُ تَفْتَحُ أبوابُ السماء لهُ وتبرز الأرض في أثوابها القُشْبِ

وتقدمت بشارتنا به جملة ، حين لم تعط الحال بشرحه مُهَلَّة ، كان أولئك الضالون المرتدُّون قد بطروا عدواناً وظلماً ، واقتطعوا الكفر معنًى واسماً ، وأملى لهم الله تعالى ليزدادوا إثمًا ، وكان مُقَدِّمهم الشقي قد استمال النفوس بخزعبلاته ، واستهوَى القلوب بمهولاته ، ونصب له الشيطان من حيلاته ، فأتتهُ المخاطبات من بُعد وكثب ، ونسلت إليه الرسلُ من كل حَدَب ، واعتقدته الخواطر أعجب عجب ، وكان الذي قادهم إلى ذلك ، وأوردهم تلك المهالك ، وُصُولُ من كان بتلك السواحل ممَّن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الأعوام ، واشتغل على زَعْمه بالقيام والصيام ، آناء الليالي والأيام ، لبسوا الناموس أثواباً ، وتَدَرَّعوا الرياء جلابياً ، فلم يفتح الله تعالى لهم للتوفيق باباً » .

١ انظرها أيضاً في إعتاب الكتاب : ٢٢٧ .

ومنها في ذكر صاحبهم الماسي^١ المدعي للهداية : « فصُرِعَ بحمد الله تعالى لحينه ، وبادرت إليه بواذرُ مَنُونِه ، وأتته وآفداتُ الخطيئات عن يساره ويمينه ، وقد كان يدعي أنه بُشِّرَ بأن المنية في هذه الأعوام لا تصيبه ، والنوائب لا تنُوبه ، ويقول في سواه قولاً كثيراً ، ويختلق على الله تعالى إفكاً وزوراً ، فلماً رأوا هيئة اضطجاعه ، وما خطته الأسنة في أعضائه وأضلاعه ، ونفذ فيه من أمر الله تعالى ما لم يقدرُوا على استرجاعه ، هُزِمَ من كان لهم من الأحزاب ، وتساقطوا على وجوههم تساقطَ الذباب ، وأعطوا عن بكرة أبيهم صَفَحَاتِ الرقاب ، ولم تقطر كلومهم إلا على الأعقاب ، فامتلاَّت تلك الجهات بأجسادهم ، وآذنت الآجال بانقراض آمادهم ، وأخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم ، فلم يعاين منهم إلا من خرَّ صريعاً ، وسقى الأرض نجيعاً ، ولقي من أمر الهنديات فظيماً ، ودعت الضرورة باقيهم إلى الترامي في الوادي ، فمن كان يؤمل الفرار ويرتجيه ، ويسبح طامعاً في الخروج إلى ما يُنَجِّيه ، اختطفته الأسنة اختطافاً ، وأذاقته موتاً ذُعاً ، ومن لج في الترامي على لُجَّجه ، ورام البقاء في ثبَّجه ، قضى عليه شَرَقُهُ ، وألوى بذقنه غَرَقُهُ ، ودخل الموحَّدون إلى البقية الكائنة فيه يتناولون قتالهم طعناً وضرباً ، ويلقونهم بأمر الله تعالى هولاً عظيماً وكرباً ، حتى انبسطت مراقات الدماء ، على صفحات الماء ، وحكت حمرتها على زرقته حمرة الشفق على زرقة السماء ، وجرت العبرة للمعتبر ، في جري ذلك الدم جري الأبحر » .

وبالحملة فالرجل كان نسيجَ وَحْدِهِ رحمه الله تعالى وساعه ، وقضية لسان الدين تشبه قضيته ، وكلاهما قد ذاق من الذل بعد العز غُصَّةً ، وبدل الدهر نصيبه من الوزارة وحِصْنَه ، بعد أن اقتعد ذِرْوَةَ الأمر ومِنَصَّتَه ، رحم الله تعالى الجميع ، إنه مجيب سميع .

١ هذا الشاعر هو محمد بن عبد الله بن هود ، تلقب بالهادي ، وظهر في رباط ماسة بمنطقة السوس ، وكثر أتباعه ، حتى قضى عليه أبو حفص عمر لإبتي سنة ٥٤١ هـ .

الباب الثالث

في ذكر مشايخه الجيلة ، هداة الناس ونجوم الملة ، وما يتعلق بذلك من الأخبار الشافية من العلة ، والمواعظ المنجية من الأهواء المضلة ، والمناسبات الواضحة البراهين والأدلة .

أقول : لا خفاء أن الشيخ لسان الدين رحمه الله تعالى أخذ عن جماعة من أهل العلوة والأندلس عدة فنون ، وحدث عنهم بما يصدق الأقوال ويحقق الظنون .

١ - فمن أشيائه رحمه الله تعالى الفقيه الجليل الشريف النبيه الشهير ، رئيس العلوم اللسانية بالأندلس ، قاضي الجماعة أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسني السبتي^١ ، رحمه الله تعالى ؛ كان هذا الشريف آية الله الباهرة في العربية والبيان والأدب ، ويكفيه فضلاً أنه شرح الخزرجية^٢ ، وافترع هضاب مشكلاتها بفهمه ، من غير أن يسبقه أحد إلى استخراج كنوزها ، وإيضاح رموزها ، وشرح مقصورة أديب المغرب الإمام أبي الحسن حازم بن محمد القرطاجني الأندلسي التي مدح بها أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا عبد الله محمداً الحفصي ، وسمى هذا الشرح بـ « رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة » ، وهذا

١ ترجمة الشريف السبتي (الشهير بالغرناطي) في الإحاطة ٢ : ١٢٩ ومقدمة رفع الحجب المستورة ، والديباج : ٢٩٠ والمرقبة العليا : ١٧١ .
٢ الخزرجية قصيدة للخزرجي في العروض ، وشرح الشريف عليها يسمى « رياضة الأبى في شرح قصيدة الخزرجي » .

الشرح في مجلدين كبيرين ، وفيه من الفوائد ما لا مزيد عليه ، رأيته بالمغرب ، واستفدت منه كثيراً .

ومن فوائد الشريف المذكور أنه قال فيما جاء من الحديث في صفة وضوء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، « فأقبل بهما وأدبر » : إن أحسن الوجوه في تأويله أن يكون قدّم الإقبال تفاؤلاً ، ثم فسر بعد ذلك على معنى أدبر وأقبل ، قال : والعرب تقدم في كلامها ألفاظاً على ألفاظ أخرى ، وتلتزمه في بعض المواضع كقولهم : قام وقعد ، ولا تقول : قعد وقام ، وكذلك أكل وشرب ، ودخل وخرج ، وعلى هذا النمط كلام العرب ، فتكون هذه المسألة من هذا ، قال : ويؤيد ما قلناه - وهو موضع النكتة - تفسيره لأقبل وأدبر في باقي الحديث على معنى أدبر ثم أقبل ، ولو كان اللفظ على ظاهره لم يحتاج إلى تفسير ؛ انتهى .

وحدث رحمه الله تعالى عن جده لأمه قال : كنت بالمشرق ، فدخلت على بعض القرائين ، فألفيت الطلبة يعربون عليه قول امرئ القيس ^١ :

كَأَنَّ أَبَانًا فِي أَفَانِينَ وَدَقِيقَةٍ كَبِيرٍ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ ^٢

فأنشد ولا أدري هل هي له أو لغيره :

إِذَا مَا اللَّيَالِي جَاوَرَتْكَ بِسَاقِطٍ وَقَدْرُكَ مَرْفُوعٌ فَعَنَّهُ تَرْحَلُ
أَلَمْ تَرَ مَا لَاقَاهُ فِي جَنْبِ جَارِهِ « كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ »

وكان بعض الناس ينشد في هذا المقصد قول الآخر :

عَلَيْكَ بِأَرْبَابِ الصُّدُورِ ، فَمَنْ غَدَا مَضَافًا لِأَرْبَابِ الصُّدُورِ تَصَدَّرَا

.....

١ ديوان امرئ القيس : ٢٥ .

٢ شبه الجبل « أباناً » بالرجل الكبير المزمّل في بجاد ؛ والبجاد : كساء مخطط ، وقيل في مزمّل إنها مخفوضة على الجوار وحققها الرفع ولذلك قال في البيت التالي « أَلَمْ تَرَ مَا لَاقَاهُ فِي جَنْبِ جَارِهِ » .

ولمّا أن ترضى بصحبة ساقط فتحنط قدراً من علاك وتحقرا
فرفع أبو من ثم خفض مزمل يبين قولي مغرباً ومعدراً
وهذا معنى قول الشاعر :

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فردى مع الردي
وما أحسن قول أبي بحر صفوان بن إدريس المرسي رحمه الله تعالى :

إنّا إلى الله من أناس قد خلّعوا لبسة الوقار
جاورتهم فانخفضت هوناً يا رب خفض على الجوار
ومن نظم الشريف رحمه الله تعالى :

وأحور زان خدييه عذار سبي الألباب منظره العجائب
أقول لهم وقد عابوا غرامي به إذ لاح للدمع انسكاب
أبعد كتاب عارضه يرجي خلاص لي وقد سبق الكتاب

ومن الغريب في توارده الخواطر ما وجد بخط الأديب البارع المحدث
الكاتب أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الكبير أبي القاسم ابن جزي الكلبي رحمهما
الله تعالى - وسأتيان - ما معناه : قلت هذه القطعة :

ومعسول اللمى عادت عذاباً على قلبي ثنياه العذاب
وقد كتب العذار بوجنتيه كتاباً حظاً قارئه اكتئاب
وقالوا لو سلوت فقلت خيراً وأنتى لي وقد سبق الكتاب ؟

ثم عرضتها على شيخنا القاضي أبي القاسم الشريف بعد نظمها بمدة يسيرة
فقال لي : قد نظمت هذا المعنى بالعروض والقافية في هذه الأيام اليسيرة ، وأنشدني :

وأحور زان خدييه عذار

الآيات السابقة .

وهذا يقع كثيراً ، ومنه ما وقع لابن الرقام حيث قال : من شعر عمي قوله :

جُلُّ في البلادِ تُلُّ عزّاً وتكرمةً في أي أرض فكنّ تبلُغُ منك بها
جُلُّ الفوائدِ بالأسفارِ مكتسبٌ والله قد قال ﴿فامشوا في مناكبها﴾

فقال له الفقيه ابن حنبل : مثل هذا وقع لأبي حيان إذ قال :

يا نفسُ ما لك تهوينَ الإقامةَ في أرضٍ تعدّرَ كلُّ من منك بها
أما تلوتِ وعَجِزُ المرءِ منقصةٌ في محكمِ الوحي ﴿فامشوا في مناكبها﴾

فحصل العجب من هذا الاتفاق الغريب .

ونقلتُ ممّن نقل من خط الفقيه محمد بن علي بن الصباغ العقيلي ما صورته :
كان الشريف الغرناطي — رحمه الله تعالى — آية زمانه ، وأزمنة البيان طوع
بنانه ، له شرح المقصورة القرطاجنية أغرب ما تتحلّى به الآذان ، وأبدع ما
ينشرح له الجنان ، إلى العقل الذي لا يدرك ، والفضل الذي حُمد منه المسلك .
حدثني بنادرة جرت بينه وبين مولاي الوالد من أثق به من طلبة الأندلس وأعلامها
قال : دخل والدك يوماً لأداء الشهادة عنده ، فوجد بين يديه جماعة من الغزاة
يؤدون شهادة ، فسمع القاضي منهم ، وقال لهم : هل تُمّ من يعرفكم ؟ فقالوا :
نعم ، يعرفنا علي الصباغ ، فقال القاضي : أتعرفهم يا أبا الحسن ؟ فقال له : نعم
يا سيدي ، معرفة محمد بن يزيد ، فما أنكر عليه شيئاً بل قال لهم : عرف الفقيه
أبو الحسن ما عنده ، فانظروا من يعرف معه رسم حالكم ، فانصرفوا راضين ،
ولم يرتن والدي في شيء من حالهم ، ولا كشف القاضي لهم ستر القضية .
قال محمد بن علي بن الصباغ : أما قول والدي « معرفة محمد بن يزيد » فإشارة
إلى قول الشاعر ^١ :

١ انظر نور القيس : ٣٣١ حيث يقال إن البيتين لعبد الصمد بن المعتل في هجاء المبرد ، وقيل بل
هما للمبرد نفسه ، أراد أن يثبت لنفسه نسباً .

أَسْأَلُ عَنْ ثَمَالَةٍ كُلِّ حَيٍّ فَكَلَّمَهُمْ يَقُولُ وَمَا ثَمَالُهُ
فَقُلْتُ : مُحَمَّدٌ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ فَقَالُوا : الْآنَ زِدْتَ بِهِمْ جِهَالَهُ

فتفتن القاضي رحمه الله تعالى بلحودة ذكائه إلى أنه لم يرتن في شيء من معرفتهم ، ممتنعاً من إظهار ذلك بلفظه الصريح ، فكنى واكتفى بذكاء القاضي الصحيح ، رحمهما الله تعالى ؛ انتهى .

ومن فوائد الشريف ما حكاه عنه تلميذه الإمام النظار أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله تعالى ، ونصه : قال لي الشيخ القاضي الكبير الشهير أبو القاسم الحسني يوماً وقد جرى ذكر « حتى » التي للابتداء ، وأن معناها التي يقع بعدها الكلام سواء كان ذلك متعلقاً بما قبلها لم يتم دونه أو لا ، بل لا يكون الأمر إلا كذلك ، قال : وقد حدثني بعض الأصحاب أنه سمع رجلاً يصلي أشفاع رمضان ، فقرأ من سورة الكهف إلى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَتَّبِعْ سَبِيلاً ﴾ (الكهف : ٨٩) فوقف هناك ، وركع وسجد ، قال : فظننت أنه نسي ما بعده ثم ركع وسجد حتى يتذكر بعد ذلك ويعيد أول الكلام ، فلما قام من السجود ابتداء القراءة بقوله ﴿ حتى إذا بلغ ﴾ (الكهف : ٩٠) فلما أتم الصلاة قلت له في ذلك ، فقال : أليست حتى الابتدائية ؟ قال القاضي الشريف المذكور : فيجب أن يفهم أن الاصطلاح في « حتى » وفي غيرها من حروف الابتداء ما ذكر ؛ انتهى .

وقال الشاطبي : أنشدني أبو محمد ابن حنبل لنفسه :

شأنُ المحيين في أشجانهم عَجَبٌ وحالي بينهم في الحبِّ أعجبها
قد كنتُ أبعثُ من ريح الصَّبَا رسلاً تأتي فتطفئُ أشواقي فتذهبها
والآنَ أرسلُ دمعِي إثرها دِيماً فتلتظي نارُ وجدي حين أسكبها
فاعجبُ لنارِ اشتياقي في الحشا وقفت أَلرَّيحُ ١ تذهبها والماءُ يلهبها

١ ق : النار .

ثمّ قال الشاطبي ما نصه : أخذ هذا المعنى فتممه ، من قطعة أنشدناها شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف رحمة الله تعالى عليه ؛ أذكر الآن آخر بيت منها وهو :

يا من رأى النارَ إن تُطفأ مخالفةً فبالرياحِ ، وإن توقد فبالماءِ

وأخذ عن الشريف المذكور رحمه الله تعالى جماعة غير لسان الدين ، من أشهرهم العلامة النظّار أبو إسحاق الشاطبي ، والوزير الكاتب أبو عبد الله ابن زمرك .

قال حفيد السلطان الغني بالله بن الأحمر رحمه الله تعالى في حق ابن زمرك :
إنه كان يتردد الأعوام العديدة إلى قاضي الجماعة أبي القاسم الشريف ، فأحسن الإصغاء ، وبذل الأئمة البلغاء ، بما أوجب أن رثاه عند الوقوف على قبره بالقصيدة الفريدة التي أولها :

أغرى سراً الحَيَّ بالإطراقِ

وقال في موضع آخر^١ : ومما بذّ به - يعني ابن زمرك - سبقاً وتبريزاً ، وعرضه على نقّدة البيان فرأت منه كل مذهب خلصت إبريزاً ، مرثيته للقاضي المعظم الشريف أبي القاسم الحسيني من شيوخه ، وهي :

أغرى سراً الحَيَّ بالإطراقِ نبأ أسمى مسامع الآفاقِ
أسمى به ليل الحوادثِ داجياً والصبحُ أصبحَ كاسفَ الإشرافِ
فُجِعَ الجميعُ بواحدٍ جُمِعَتْ له شتى العلا ومكارم الأخلاقِ
هبتوا لحكمكم الرصينَ فإنه صرفُ القضاء فما له من واقِ
نقّشَ الزمانُ بصرفه في صفحةٍ كلُّ اجتماعٍ مؤذنٌ بفراقِ
ماذا ترجي من زمانك بعد ما علقَ الفناء بأنفسِ الأعلاقِ

١ يعني في كتابه الذي ألفه في ابن زمرك ، انظر أزهار الرياض ٢ : ١٦٠ حيث تجد هذه المرثية .

من تحسّد السبع الطباق^١ علامه
 إن المنايا للبرايا غايّة
 لما حسبنا أن تحوّل أبوساً
 ما كان إلاّ البدر طال سراره
 أنف المقام مع الفناء نراهمة
 عدم المواقف في مرافقة^٢ الدنيا
 أسفاً على ذلك الجلال تقلّصت
 يا آمري بالصبر ، عيل تصبري
 وذري اليراع تشي بدمع مدادها
 واحسرتنا للعلم أقفر ربّعه
 ركدت رياح المعلوات لفقدها
 كم من غوامض قد صدعت بفهمها
 كم قاعد في اليد بعد^٣ قعوده
 لمن الركائب بعد بعودك تَنْتَضِي
 تقلّي الفلا بمناسم مفلولة
 كانت إذا اشتكت الوجي وتوقفت
 فإذا تنسّمت الثناء أمامها
 يا مزجي البدن القلاص خوفاً
 مات الذي ورث العلا عن معشر
 رفعت لهم رايات كلّ جلالة
 عالوا عليه من الثرى بطباق
 سبق الكرام لحصلها بسباق
 كشفت عوان حروبها عن ساق
 حتى رمت يده الردى بمحاق
 فنوى الرحيل إلى مقام باق
 فنضى^٢ الركاب إلى الرقيق الباقي
 أفيأوه وعهدين خير رواق
 دعني عدتّك لواعج الأشواق
 وشي القريض يروق في الأوراق
 والعدل جرّد أجمل الأطواق
 كسدت به الآداب بعد نفاق
 خفيت مداركها على الخذاق
 قعدت به الآمال دون لحاق
 ما بين شام ترمي وعراق
 تسم الحصى بنجيعها الرقراق
 يهفو نسيم ثنائك الخفاق
 مدّت لها الأعناق في الإعناق
 رفقا بها فالسعي في إخفاق
 ورثوا تراث المجد باستحقاق
 فتميزوا في حلبة السباق

١ ص : عدم المرافق في موافقة ؛ ق : موافقة .

٢ الأزهار : فنى .

٣ الأزهار : فوق .

عَلمُ الهداة وقطبُ أعلامِ النُّهى^١
 رَقَّتْ سَجاياهُ وراقتْ مجتَلَى
 كالزُّهرِ في لَلائِه ، والبَدْرِ في
 مهما مدحتُ سواهُ قَيَّدَ وصفهُ
 يا وارثاً نسبَ النبوةِ جِامِعاً
 يا ابنَ الرسولِ ولِها لوسيلةُ
 وردَ الكتابُ بفضلكم وكما لكم
 مولايَ لَفي في عَلاكِ مَقصَّرُ
 ومن الذي يُحصي مناقبَ مجدكم^٢
 يَبي قُبوراً زرتها فلقد ثَوَّتْ
 خَطَّ الردى منها سطوراً نَصَّها :
 ولحقتَ ترجمةَ الكتابِ وصدرهُ
 كم من سَراةٍ في القُبورِ كأنهم
 قلُّ للسحابِ اسحبْ ذِبولَكَ نحوه
 أودى الذي غيَّثُ العبادِ بكفِّهِ
 إن كان صوبكَ بالمياهِ فدرَّها
 بَشَرٌ كثيرٌ قد نَعوا لَما نَعِي
 أَلَبَسَتْهم ثوبَ الكرامةِ ضافياً
 يَتَقَيَّأونَ ظلالَ جاهكَ كلما
 عدموا المرافقَ في فراقكَ وانطوى
 رفعوا سريركَ خافضينَ رؤوسَهم

حَرَمُ العُفاةِ المجتنى الأرزاقِ
 كالشمسِ في بُعدٍ وفي إِشراقِ
 عَليائِه ، والزُّهرِ في الإِبراقِ
 وصفائِه حَمْدٌ على الإِطلاقِ
 في العلمِ والأخلاقِ والأعراقِ
 يَرقى بها أوجَ المصاعدِ راقِ
 فكفى ثناءَ الواحدِ الخلاقِ
 قد ضاقَ عن حصرِ النجومِ نطاقِ
 عَدُّ الحصى والرملِ غيرُ مَطاقِ
 مِنّا مَصونَ جوانِحِ وحداقِ
 لا بُدَّ أَنتَكَ للفناءِ مُلاقِ
 وفوائدُ المكتوبِ في الإِلحاقِ
 في بطنها درٌّ ثوى بِحَقاقِ
 والعَبْ بَصارمِ بَرَقَكَ الخَفاقِ
 يَزُرِّي بواكفِ غيثِكَ الغَيِّدِاقِ
 درٌّ يَرُوضُ ماحلَ الإِملاقِ
 قاضي القضاةِ وغابَ في الأطباقِ
 وأرحتَ من كَدِّ ومن إِرْهاقِ
 لفحتَ سَومُ الخَطْبِ بالإِحراقِ
 عَنْهُمْ بِساطُ الرَفقِ والإِرْفاقِ
 ما مِنْهُمْ إِلَّا حَلِيفُ سِياقِ^٣

١ الأزهار : أعلام الورى .

٢ الأزهار : فضلكم .

٣ السياق : نزع الروح .

لكن مصيرك للنعيم مخلداً كان الذي أبقي على الأرماق
ومن العجائب أن يرى بحر الندى طود الهدى يسري على الأعناق
إن يحملوك على الكواهل طالما قد كنت محمولا على الأحداق^١
أو يرفعوك على العواتق طالما رفعت ظهر منابر وعناق
ولئن رحلت إلى الجنان فإتنا نصلي بنار الوجد والأشواق
لو كنت تشهد حزن من خلفته^٢ لشي عنانك كثرة الإشفاق
إن جن ليل جن من فرط الأسى وسوى كلامك ما له من راق
فابعث خيالك في الكرى يبعث به ميت السرور لثاقل مشتاق
أغليت يا رزء التصبر مثلاً أرخصت درّ الدمع في الآفاق
إن يخلف الأرض الغمام فإنتي أسقي الضريح بدمعي المهرق

وكانت وفاة الشريف المذكور سنة إحدى وستين وسبعمائة .

قال ابن الخطيب القسطنطيني^٣ في وفياته : وفي هذه السنة - يعني سنة ٧٦١ - توفي شيخنا قاضي الجماعة بغرناطة حرسها الله تعالى أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني ، وكتب لي بالإجازة العامة بعد التمتع بمجلسته ، وله شعر مدون سماه « جهد المقل »^٤ وله الشرح على الخزرجية في العروض ، وأقدم عليها بعد أن عجز الناس عن فكها ، وكان إماماً في الحديث والفقه والنحو ، وهو على

١ سقط هذا العجز ومصدر البيت التالي من ق .

٢ ص ق : أثني .

٣ نسبة إلى قسطنطينة أو قسطنطينة (بالنون) من مدن الجزائر ؛ وابن الخطيب القسطنطيني هو الإمام العلامة المسند المؤرخ أبو العباس أحمد بن حسن الشير بـ ابن الخطيب ويعرف أيضاً بابن قنفذ (توفي سنة ٨١٠) ومن مؤلفاته : كتاب أنس الفقير في ترجمة الشيخ أبي مدين وأصحابه وطبقته (ط . الرباط ١٩٦٥) والوفيات التي جعلها خاتمة على شرحه لقصيدة ابن فرح في مصطلح الحديث . (راجع فهرست الفهارس ٢ : ٣٢٣ ونيل الابتهاج : ٥٧ قال : ذكره الوثائري في وفياته) .

٤ قال لسان الدين في الإحاطة عند الحديث عن شعر الشريف « واقتنيت منه جزءاً خصني به سماه جهد المقل . . . » .

الجملة ممن يحصل الفخر بلقائه ، ولم يكن أحد بعده مثله بالآندلس ؛ انتهى .
وقال في « الإحاطة » إن مولد الشريف كان سنة سبع وتسعين وستمائة ،
وإن وفاته سنة ستين وسبعمائة ، وفي وفاته مخالفة لما تقدم ، والله أعلم .

وما أحسن قول الشريف أبي القاسم المترجم به :

حدائقُ أنبتتُ فيها الغواصي ضروبَ النَّورِ رائقةَ البهاء
فما يبدو بها النُّعمانُ إلَّا نَسَبناهُ إلى ماءِ السَّماءِ

[ابننا الشريف]

وكان للشريف أبي القاسم المذكور ابنان نجييان : أحدهما قاضي الجماعة أبو المعالي ، والآخر أبو العباس أحمد^١ ، قال الراعي في كتابه « الفتح المنير في بعض ما يحتاج إليه الفقير » ما نصه : حكاية تتعلق بالانقطاع ، نسأل الله تعالى العافية : وقع للسيد الشريف قاضي الجماعة بغرناطة أبي المعالي ابن السيد الشريف أبي القاسم الحسيني شارح الخرجية ومقصورة حازم نفع الله تعالى بسلفهم الكريم ، وكانت أم السيد أبي المعالي حسينية^٢ فكان شريفاً من الجهتين ، أنه كان قد ترك كبار الوظائف والرياسات ، وتجرد للعبادة ، ولبس المرقعة ، وسلك طريق القوم . وكان من الدين^٣ والعلم والتعظيم في قلوب^٤ أهل الدنيا وأهل الآخرة على جانب عظيم ، يشار إليه بالأصابع ، وكان أخوه شيخي وأستاذي أبو العباس أحمد قاضياً بشرقي الأندلس فكان أخوه أبو المعالي المذكور لا يأكل في بيت شقيقه شيئاً لأجل

١ ترجمة أبي العباس أحمد ابن الشريف السبتي في نيل الابتهاج : ٥٨ وقد عرج في الترجمة على ذكر أخيه أبي المعالي ؛ وقد أورد لسان الدين لأبي العباس منها ترجمة في الكتيبة الكامنة : ٣٠١ إلا أنه ذكره بكنيته دون اسمه .

٢ ق : حسنية .

٣ ق : من أهل الدين .

٤ ق : في قلوب الناس .

ذلك ، ولعيشه من خدم السلطان ، وكان إذا احتاج إلى الطعام وهو في بيت أخيه أعطاني درهماً من عنده أشترى به ما يأكل ، وأقام على هذه الحالة الحسنة سنين كثيرة . ثمّ إنه دخل يوماً على الفقراء بزاوية المحروق من ظاهر غرناطة . وكان شيخُ الفقراء بها في ذلك الوقت الشيخَ أبا جعفر أحمد المحدود ، فقال لهم : يا سادتي ، إنه كان معي قنديل أستضيء به ، فقدته في هذه الأيام ، وما بقيت أبصر شيئاً ، فقال له شيخهم المذكور : يا شريف أولُ رجل يدخل علينا في هذا المجلس يجيبك عن مسألتك ، فدخل عليهم رجل من خيارهم من أهل البادية ، فسلم وجلس ، فقال له الشيخ : إن الشريف سأل الجماعة ، فقلت له : أول رجل يدخل علينا يجيبك ، فوفقت أنت ، فأجبه عن مسألته ، فقال له : ما سؤالك يا شريف ؟ فقال : إنه كان لي قنديل أستضيء به ففقدته ، وما بقيت أبصر شيئاً ، فقال له الفقير : هذا لا يصلح إلاّ عن سوء أدب ، أخبرنا بما وقع منك ، فقال له الشريف : ما أعلم أنه وقع مني شيء ، غير أن المباشر فلاناً طلبه السلطان للمصادرة ، فاستخفي منه ، فمررت ببابه يوماً ، فناداني من شقة الباب : يا سيدي اجعل خاطرك معي لله تعالى ، فقلت له : اذكر الذكر الفلاني ، قلت : وأنا أظن أنه أمره بذكر اسمه تعالى اللطيف فإنه سريع الإجابة في تفريج الشدائد والكرب ، نص عليه البوني في منتخبه . وهو مجرب في ذلك ، وقد رواه لي عن بعض مشايخه السيد الشريف أحمد أخوه . فقال له الفقير : هل كان أذن لك في تلقينه ؟ قال : لا . قال له الفقير : لا يعود إليك نورك أبداً ؛ لأنك قد أسأت الأدب ، فكان كما قال ، فانقطع وولي بعده قضاء الجماعة ، وعزل عن سخط ، وخدم الملوك ، وأكل طعامهم ، وحالته أولاً وآخراً معروفة بغرناطة ، نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من المطرودين عن باب رحمته بمنته وكرمه : انتهى كلام الراعي رحمه الله تعالى .

رجع إلى مشايخ لسان الدين . رحمه الله تعالى ورضي عنه وسامحه ، فنقول :

٢ - ومن مشايخ لسان الدين الإمام الرجال شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن جابر الوادي آشي^١ ، ولد بتونس ، وهو محمد ابن الإمام المحدث معين الدين جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد القيسي ، شيخ ممتنع نبيل رحال متقن . قال الخطيب ابن مرزوق : وعاشرته كثير أسفراً وحضراً ، وسمعت بقراءته وسمع بقراءتي ، وقرأت عليه الكثير ، وقيدت من فوائده ، وأنشدني الكثير ، فأول ما قرأت عليه بالقاهرة بمسجد [. . .]^٢ ، وقرأت عليه بمدينة فاس ، وبظاهر قسنطينة ، وبمدينة بجاية وبظاهر المهدية ، وبمنزلي من تلمسان ، وقرأت عليه أحاديث عوالي من تخريج الدمياطي ، وفيها الحديث المسلسل بالأولية ، وسلسلته عنه من غير رواية الدمياطي بشرطه ، ثم قرأت عليه أكثر كتاب « الموطأ » رواية يحيى ، وأعجله السفر فأتممته عليه في غير القاهرة ، وحدثني به عن جماعة ، ومعه على الشيخين قاضي القضاة أبي العباس ابن الغماز الخزرجي وهو أحمد بن محمد بن حسن والشيخ أبي محمد ابن هارون وهو عبد الله بن محمد القرطبي الطائي الكاتب المعمّر الأديب ، بحق سماعه لأكثره على الأول وقراءته بأجمعه على الثاني ، قال الأول : أخبرنا أبو الربيع ابن سالم بجميع طرقة فيه منها عن ابن مرزوق وأبي عبد الله ابن أبي عبد الله الخولاني عن أبي عمرو عثمان بن أحمد المعافري عن أبي عيسى بسنده ، وقال الثاني : أخبرنا أبو القاسم ابن بقيّ بقرطبة ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الحق عن محمد بن فرج مولى الطلاع عن يونس بتمام سنده .

قال شيخنا : وفي هذا السند غريبتان : إحداهما أنه ليس فيه إجازة ، والثانية أن شيوخه كلهم قرطبيون .

قال ابن مرزوق : قلت ولا غرابة في اتصال سماع الموطأ وقراءته ، فقد

١ - ترجمة ابن جابر الوادي آشي في الديباج المذهب : ٣١١ والتعريف : ١٨ وانظر النفع ١ : ٣٨ ، ٢ : ٦٦٤ .

٢ - بياض في ق ص .

وقع لي على قلة التحصيل متصلاً من طرق ولله الحمد ، وقد رويته عن قرطبي ، وهو أبو العباس ابن العشاء . ثم قرأت عليه كتاب « الشفاء » لعياض ، وحدثني به عن أبي القاسم^١ عن أبي عبد الله ابن أبي القاسم الأنصاري المالقي نزيل سبتة ويُعرف بها بابن حكيم وبابن أخت أبي صالح ، عن أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي ، عن أبي جعفر أحمد بن حكيم ، عن المؤلف وحدثني به أيضاً عن قاضي الجماعة ابن^٢ أبي الربيع ابن سالم عن أبي جعفر ابن حكيم . ثم قال ابن مرزوق بعد كلام ما صورته^٣ : رويت عنه وأنشدني لأبي محمد ابن هارون :

لا تَطْمَعَنَّ في نفع آلك إنهُ ضررٌ وقلّ النفعُ عند الآلِ
أقصرُ رويدك إنَّ ما أعلقتهُ بالآلِ من أهلٍ كمثلِ الآلِ

ولابن هارون المذكور :

أقلّ زيارةَ الأحبا ب تزددُ عندهم قربا
فإنَّ المصطفى قدّ قا ل « زُرْ غيباً تزدحُباً »

ولابن هارون^٤ أيضاً :

رمانِي بالنوى زمني فشمْلُ الأُنسِ مفترقُ
وليلي كلُّهُ فيكْرٌ فقلبي منهُ محترقُ
وللآدابِ أبْناءُ يبحرِ الفقيرِ قد غرقوا
وكلُّ منهمُ وجيلٌ بما يلقاهُ أو فرّقُ

١ بعد هذه اللفظة بياض في ص بقدر كلمتين .

٢ هنا بياض بقدر ثلاث كلمات في ص .

٣ ما صورته : سقطت من ص .

٤ زاد في ق : المذكور .

يَغْصُ بِرَيْقِهِ مِنْهُ كَمَا فِي الثُّنْقِ أَوْ شَرِقُ
وَقَدْ صَفَرْتُ أَكْفَهُمْ فَلَا وَرَقٌ وَلَا وَرِقُ
وَلَطْفُ اللَّهِ مَرْتَقَبٌ بِهِ الْعَادَاتُ تَنْخَرِقُ

قال ابن مرزوق : وشعره الفائق لا يحصر ، وهو عندي في مجلد كبير ،
وولد ابن جابر سنة ٦٧ ، وسمع بمصر على جماعة ، وكتب بخطه كثيراً ، وله
معرفة بالحديث والنحو واللغة والشعر ، وله نظم حسن ، وتوفي بتونس سنة ٧٧٩ ،
وأخذ القراءات عن ابن الزيات وغيره ، وترجمة الحافظ ابن جابر رحمه الله
تعالى واسعة مشهورة ، وقد ذكرناه في غير هذا الكتاب بما جمعناه .

[أشعار لبعض شيوخ لسان الدين]

ومما أنشده لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض المتصوفة من شيوخه ولم
يُسَمِّه قوله :

هَلْ تَعْلَمُونَ مَصَارِعَ الْعَشَاقِ	عِنْدَ الْوَدَاعِ بِلُوعَةِ الْأَشْوَاقِ
وَالْبَيْنُ يَكْتَبُ مِنْ نَجِيعِ دِمَائِهِمْ	إِنَّ الشَّهِيدَ بِكُمْ تَوَى بِفِرَاقِ
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَ حَالِهِمْ يَوْمَ التَّوَى	لَرَأَيْتَ مَا يَلْقَوْنَ غَيْرَ مَطَاقِ
مِنْهُمْ كَثِيبٌ لَا يَمِلُ بِكَاءِهِ	قَدْ أَحْرَقَتْهُ مَدَامُ الْآمَاقِ
وَمَحْرَقُ الْأَحْشَاءِ أَشْعَلَ نَارَهَا	طُولُ الْوَجِيبِ بِقَلْبِهِ الْخَفَاقِ
وَمَوْلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ	مِمَّا يَقَاسِي فِي الْهَوَى وَيَلَاقِي
خَرَسَ الْلسَانُ فَمَا يَطِيقُ عِبَارَةً	أَلَمْ أَلَمْ وَمَا لَهُ مِنْ رَاقِ
مَا لِلْمَحَبِّ مِنَ الْمُنُونِ وَقَايَةِ	إِنْ لَمْ يَجِدْ مَحْبُوبَهُ بِتَلَاقِ
مَوْلَايَ عَبْدُكَ ذَاهِبٌ بِغَرَامِهِ	أَدْرِكُ بِفَضْلِكَ مِنْ ذَمَائِهِ الْبَاقِ
إِنِّي إِلَيْكَ بِذَلَّتِي مَتَوَسِّلٌ	فَاعْطِفْ بِلُطْفٍ مِنْكَ أَوْ إِشْفَاقِ

وهذه الأبيات أوردتها رحمه الله تعالى في «الروضة» في العشق، بعد أن حدّثه وتكلّم عليه ، ثمّ أورد عدّة مقطوعات ، ثمّ ذكر منها هذه الأبيات كما ذكر. وأنشد لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض أشياخه ، وسماه ، وأنسيته أنا الآن:

بما بيتنا من خلوةٍ معنويةٍ أرقّ من النجوى وأحلى من السلوى
قفي ساعةً في ساحةِ الدارِ وانظري إلى عاشقٍ لا يستفيقُ من البلوى
وكم قد سألتُ الريحَ شوقاً إليكمُ فما حنّ مسراها عليّ ولا ألوى
وقوله أيضاً :

أنستُ بوحديّ حتى لو أنّي أتاني الأنسُ لاستوحشتُ منه
ولم تدعِ التجاربُ لي صديقاً أميلُ إليه إلاّ ملتُ عنه
وقوله رحمه الله تعالى :

عليكَ بالعزلةِ إنّ الفتيّ منّ طابَ بالقلّةِ في العزلةِ
لا يرتجي عزلةَ والٍ ، ولا يخشى من الذلّةِ في العزلةِ

٣ - ومن أكابر شيوخ ابن الخطيب رحمه الله تعالى جدي الإمام العلامة قاضي القضاة بحضرة الخلافة فاس المحروسة أبو عبد الله^١ .
قال في «الإحاطة» محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقرّي ، يكنى أبا عبد الله ، قاضي الجماعة بفاس ، تلمساني .

أوليته - نقلت من خطه قال : وكان الذي اتخذها من سلفنا قراراً ، بعد أن كانت لمن قبله مزاراً ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرّي صاحب الشيخ

١ ترجمة المقرّي الجد في الإحاطة ٢ : ١٣٦ ونيل الابتهاج : ٢٤٩ وسلوة الأنفاس ٣ : ٢٧١ والتعريف : ٥٩ والمرقبة العليا : ١٩٦ (وانظر الحاشية ٣ ص ٥٥٦ من الجزء الأول) .

أبي مدين ، الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين ، وهو أبي الخامس
فأنا محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن ، وكان هذا
الشيخ عروى^١ الصلاة ، حتى إنه ربما امتحن بغير شيء فلم يؤنس منه التفات ،
ولا استشعر منه شعور ، ويقال : إن هذا الحضور ممّا أدركه من مقامات شيخه
أبي مدين ؛ انتهى .

[هل المقرئ الجلد قرشي ؟]

وكتب بعضُ المغاربة على هامش هذا المحل من « الإحاطة » ما صورته :
القرشي وهم^٢ ؛ انتهى . فكتب تحته الشيخ الإمام أبو الفضل ابن الإمام التامساني
رحمه الله تعالى ما نصه : بل صحيح ، نطقت به الألسن والمكاتبات والإجازات
وأعربت عنه الخلال الكريمة ، إلا أن البلدية يا سيدي أبا عبد الله والمنافسة تجعل
القرشية في إمام المغرب أبي عبد الله المقرئ وهماً ، والحمد لله ؛ انتهى .
قلت : وممن صرح بالقرشية في حقّ الجلد المذكور ابن خلدون في تاريخه
وابنُ الأحمر في « نثر الجمان » وفي شرح البردة عند قوله :

لَعَلَّ رحمة ربي حين ينشرها

والشيخ ابن غازي ، والولي الصالح سيدي أحمد زروق ، والشيخ علامة
زمانه سيدي أحمد الونشريسي ، وغير واحد ، وكفى بلسان الدين شاهداً
مُزَكِّين .

وقد ألّف عالم الدنيا ابن مرزوق تأليفاً استوفى فيه التعريف بمولاي الجلد سمّاه
« النُّور البدرى في التعريف بالفقيه المقرئ » وهذا بناء منه على مذهبه أنه

١ نسبة إلى عروة ، لعله عروة بن الزبير ، فقد كان يطيل الصلاة ويكثر من الدعاء حتى كان يقول
إني لأسأل الله في صلاتي كل شيء حتى الملح .

— بفتح الميم وسكون القاف — كما صرح بذلك في شرح الألفية عند قوله :

ووضعوا لبعض الاجناس علم

وضبطه غيرُهم وهم الأكثرون بفتح الميم وتشديد القاف ، وعلى ذلك عوّل أكثر المتأخرين ، وهما لغتان في البلدة التي نُسبَ إليها ، وهي مَقَرّة من قرى زاب إفريقية ، وانتقل منها جده إلى تلمسان صحبة شيخه ولي الله سيدي أبي مَدِين رضي الله عنه .

رَجَعَ إلى تكملة كلام مولاي الجلد في حق أوليته :

قال رحمه الله تعالى بعد الكلام السابق في حق جده عبد الرحمن ، ما صورته :
ثمّ اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة ، فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار ، واتخذوا طبلًا للرحيل ، ورايةً تقدم عند المسير ، وكان ولدُ يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجالٍ ، فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال ، فكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نَسَبِي من جميع جهات أمي وأبي بتلمسان ، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة ، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بإيواالتن فاتخذوا بهذه الأقطار الحوايط^١ والديار ، وتزوجوا النساء ، واستولدوا الإماء ، وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر ، والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ، ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان ، حتى اتسعت أموالهم ، وارتفعت في الضخامة أحوالهم ، ولما افتتح التكرور كورة إيواالتن وأعمالها أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها ، بعد أن جمع من كان بها منهم إلى نفسه الرجال ، ونصب دونها ودون مالهم القتال ، ثمّ اتصل بملكهم فأكرم مثواه ،

١ الحوايط : جمع حائط وهو مزرعة النخيل .

وممكنه من التجارة بجميع بلاده ، وخاطبه بالصادق الأحب ، والخلاصة الأقرب ، ثم صار يكاتب من بتلمسان يستقضي منهم مآربه ، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة ، وعندني من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبيء عن ذلك ، فلما استوثقوا من الملوك ، تذلت لهم الأرض للسلوك ، فخرجت أموالهم عن الحد ، وكادت تفوت الحصر والعد ، لأن بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر^١ كان يجلب إليها من المغرب ما لا بال له من السلع ، فتعاضد عنه بما له بال من الثمن — أي مدبر دنيا ضم جنباً أبي حمّو وشمل ثوباه ، كان يقول : لولا الشناعة لم أزل في بلادني تاجراً من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بنحيث السلع ، ويأتون بالتبر الذي كلُّ أمر الدنيا له تبع ، ومن سواهم يحمل منها الذهب ، ويأتي إليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ، ومنه ما يغير من العوائد ، ويجر السفهاء إلى المفاسد —^٢ ، ولما درج هؤلاء الأشياخ جعل أبناؤهم ينفقون ممّا تركوا لهم ، ولم يقوموا بأمر التشمير قيامهم ، وصادفوا توالي الفتن ، ولم يسلموا من جور السلاطين ، فلم يزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمن ، فما أنا ذا لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فضوله عيشاً ، وأصوله حرمة ، ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب ، وأسباب كثيرة تعين على الطلب ، ففرغت بحول الله عز وجل للقراءة ، فاستوعبت أهل البلد لقاء ، وأخذت عن بعضهم عرضاً وإلقاء ، سواء المقيم القاطن^٣ ، والوارد والظاعن ؛ انتهى كلامه في أوليته ، وقد نقله لسان الدين في « الإحاطة » . وقال مولاي الجحد رحمه الله تعالى : كان مولدي بتلمسان أيام أبي حمّو موسى بن عثمان بن يغمّراسن بن زيان ، وقد وقفت على تاريخ ذلك ، ولكنني

١ ق : أهل مقرة .

٢ هكذا وردت هذه العبارة معترضة في الأصول والإحاطة ؛ وأبو حمو المذكور فيها هو موسى بن عثمان بن يغمّراسن ، والمقري قد ولد في زمانه ؛ ويمدحه بأنه كان عارفاً بالتدبير ، قد ضم جنباه وشمل ثوبه امرأة عارفاً بشؤون التجارة ، حتى كان يتحنى لو أنه بقي في بلاده تاجراً . . الخ .

٣ ق : والقاطن .

رأيت الصفح عنه لأن أبا الحسن ابن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه فقال :
أقبل على شانك ، فإني سألت أبا الفتح ابن زيان عن سنه فقال : أقبل على شانك ،
فإني سألت علي بن محمد اللبان عن سنه فقال : أقبل على شانك ، فإني سألت أبا
القاسم حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال : أقبل على شانك ، فإني سألت
أبا بكر محمد بن عدي المتقري عن سنه فقال : أقبل على شانك ، فإني سألت أبا
إسماعيل الترمذي عن سنه فقال : أقبل على شانك ، فإني سألت بعض أصحاب
الشافعي عن سنه فقال : أقبل على شانك ، فإني سألت الشافعي عن سنه فقال :
أقبل على شانك ، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال : أقبل على شانك ،
ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه ؛ انتهى .

قلت : ولما تذاكرت مع مولاي العم الإمام — صب الله تعالى على مضجعه
من الرحمة الغمام — هذا المعنى الذي ساقه مولاي الجلد رحمه الله تعالى أنشدني
لبعضهم^١ :

احفظ لسانك لا تبخ بثلاثة سين وما استطعت ومذهب
فعلى الثلاثة تبسلى بثلاثة بمكفر وبجاسد^٢ ومكذب

قال الونشريسي في حق الجلد ما نصه : القاضي الشهير الإمام العالم أبو عبد الله
محمد بن محمد المقرئ ، التلمساني المولد والمنشأ ، القاسي المسكن ، كان رحمه
الله تعالى عالماً عاملاً ظريفاً نبهاً^٣ ذكياً نبلاً فهماً متيقظاً جزلاً محصلاً ؛ انتهى .
وقد وقفت له بالمغرب على مؤلف عرف فيه بمولاي الجلد ، وذكر جملة من
أحواله ، وذلك أنه طلبه بعض أهل عصره في تأليف أخبار الجلد ، فألف فيه ما
ذكر .

١ أوردهما ابن الجوزي في صيد الخاطر : ٣٤٦ قال : وقد أنشدنا محمد بن عبد الباقي البزار .

٢ صيد الخاطر : بموه ومخرف .

٣ نبهاً : سقطت من ق .

وقال في «الإحاطة» في ترجمة مولاي الجحد بعد ذكره أوليته ما صورته :
 حاله — هذا الرجل مشار إليه بالعدوة الغربية اجتهداً ودؤوباً^١ وحفظاً وعناية
 واطلاعاً ونقلاً ونزاهة ، سليم الصدر ، قريب الغور ، صادق القول ، مسلوب
 التصنع ، كثير الهشة ، مفرط الخفة ، ظاهر السذاجة ، ذاهب أقصى مذاهب
 التخلّيق ، محافظ على العمل ، مثابر على الانقطاع ، حريص على العبادة ، مضايق في
 العقد والتوجه ، يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقة ، ثم يغافص الوقت
 فيها ويوقعها دفعةً متبعا إياها زعقة التكير برجفة ينبو عنها سمع من لم تؤنسه بها
 العادة بما هو دليل على حسن المعاملة وإرسال السجية ، قديم النعمة متصل الخيرية ،
 مكبّ على النظر والدرس والقراءة ، معلوم الصيانة والعدالة ، منصف في المذاكرة ،
 حاسر للذراع عند المباحثة ، راحب عن الصدر في وطيس المناقشة ، غير مختار
 للقرن ولا ضهان بالفائدة ، كثير الالتفات متقلب الحلقة ، جهير بالحجة بعيد عن
 المراء والمباهة^٢ ، قائل بفضل أولي الفضل من الطلبة ، يقوم أتم القيام على العربية
 والفقه والتفسير ويحفظ الحديث ويتهجّر بحفظ التاريخ والأخبار والآداب ،
 ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجحدل والمنطق ، ويكتب ويشعر^٣ مصيياً
 غرض الإجابة ، ويتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال ويعتني بالتدوين
 فيها . شرّق وحج ولقي جيلة^٤ واضطبن^٤ رحلة مفيدة ، ثم عاد إلى بلده فأقرأ به
 وانقطع إلى خدمة العلم ، فلما ولي ملك المغرب السلطان محالف الصنع ونشيدة
 الملك وأثير الله من بين القرابة والاخوة أمير المؤمنين أبو عنان اجتذبه ، وخلطه
 بنفسه واشتمل عليه وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقل بذلك أعظم
 الاستقلال ، وأنفذ الحق وألان الكلمة وأثر التسديد وحمل الكسل وخفض الجناح ،

١ ق : ودنياً .

٢ ق : والمباهة .

٣ ويشعر : سقطت من ق .

٤ اضطبن : احتقب .

فحسنت عنه القالة ، وأحبته الخاصة والعامة . حضرتُ بعض مجالسه للحكم فرأيت من صبره على اللدِّ وتأنّيه للحجج ورفقه بالخصوم^١ ما قضيت منه العجب . دخوله غرناطة - ثمّ لما أُخِّر عن القضاء استعمل بعد لأي في الرسالة ، فوصل الأندلس أوائل جمادى الثانية من عام سبعة وخمسين وسبعمائة ، فلمّا قضى غرض رسالته وأبرم عقد وجهته واحتل مالقة في منصرفه بدا له في نبذ الكلفة واطّراح وظيفة الخدمة وحلّ التقيّد إلى ملازمة الإمرة^٢ ، فتقاعد وشهر غرضه وبسّ في الانتقال طمّح من كان صحبته^٣ ، وأقبل على شأنه ، فخلى بينه وبين همه ، وترك وما انتحله من الانقطاع إلى ربه ، وطار الخبر إلى مرسله ، فأنف من تخصيص إيالته بالهجرة والعدول عنها بقصد التخلي والعبادة ، وأنكر ما حقه الإنكار من إبطال عمل الرسالة ، والانتقاض قبل الخروج عن العهدة^٤ ، فوغر صدره على صاحب الأمر ، ولم يبعد حمله على الظنة والمواطأة على النفرة ، وتجهزت جملة من الخدام المجلّين في مأزق الشبهة المضطلعين بإقامة الحجة ، مولين خطة الملام ، يخبرين بين سحائب عادٍ من إسلامه ، مظنة لإعلاق النقمة ، وإيقاع العقوبة ، أو الإشادة بسبب إجارته بالقطيعة والمنازعة . وقد كان المترجم به لحق بغرناطة فتدّمس بمسجدها ، وجأر بالانقطاع إلى الله ، وتوعد من يجبره بنكير من يجير ولا يجار عليه سبحانه ، فأهم أمره ، وشغلت القلوب آبدته^٥ ، وأمسك الرسل بخلال ما صدرت شفاعة اقتضى له فيها رفع التبعة وتركه إلى تلك الوجهة ، ولما تحصل ما تيسر من ذلك انصرف مخفوفاً بعالمي^٥ القطر قاضي الجماعة أبي القاسم الحسيني المذكور قبله والشيخ الخطيب أبي البركات ابن الحاج مسلمين لوروده ،

١ ق ص : الخصوم .

٢ ق : الآخرة ، ولعلها أصوب .

٣ ق : صحبه .

٤ من إبطال . . . العهدة : سقطت من ص .

٥ ص ق : بعلمي .

مشافهين بالشفاعة في غرضه ، فانقشعت الغُمة وتنفست الكربة ، واستصحبا من المخاطبة السلطانية في أمره من إملائي ما يُذكر حسبما ثبت في الكتاب المسمّى بـ « كناسة الدكان بعد انتقال السكان » المجموع بسلا ما صورته :

« المقامُ الذي يحبُّ^١ الشفاعة ويرعى الوسيلة ، ويُنجز العِدّة ويتمم الفضيلة ، ويُضفي مجده المتّينَ الجزيلة ، ويعيي حمده الممدوح العريضة الطويلة ، مقامُ محل والدنا الذي كرم مجده ، ووضح سعده ، وصح في الله تعالى عقده ، وخلص في الأعمال الصالحة قَصْدُهُ ، وأعجز الألسنة حَمْدُهُ ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يَكْرُمُ مسعاها ، وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها ، معظم سلطانه الكبير ، وممجد مقامه الشهير ، المتشيع لأبوته الرفيعة قولاً باللسان واعتقاداً بالضمير ، المعتمدُ منه بعد الله على الملجأ الأحمى والولي النصير ، فلان . سلام كريم : طيب برّ عميم ، يخص مقامكم الأعلى ، وأبوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

« أما بعدَ حمدِ الله الذي جعل الخلق الحميد دليلاً^٢ على عنايته بمن حَلَّاه حُلَّاه ، وميّز بها النفوس النفيسة التي اختصها بكرامته وتولاها ، حمداً يكون كفواً للنعم التي أولاها ، وأعادها ووالاها ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترقي من درجات الاختصاص أرفعَها وأعلاها : الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها . مَطْلَع آيات السعادة يَرُوق مجتلاها ، والرضى عن آله وصحبه الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها ، وعَسَل ذكرهم في الأفواه فما أعذب أوصافهم على الألسن وأحلاها . والدعاء لمقام أبوتكم حرس الله تعالى علَّاه ، بالسعادة التي يقول الفتح أنا طلاع الثنايا وابنُ جلاها . والصنائع

١ ص ق : يحب .

٢ ق : دلالة .

التي تَحْتَرِقُ المَقَاوِزَ بِرُكائِبِهَا المَبْشِرَاتِ فَتَنفِلِي فَلَاحَهَا ، فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ — كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ عِزَّةً مَشِيدَةً البِنَاءِ ، وَحَشَدًا عَلَى أَعْلَامِ صِنَائِعِكُمُ الْكَرَامِ جِيُوشَ النَّاءِ ، وَقَلْدَكُمْ مِنْ قَلَائِدِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مَا يَشْهَدُ لِدَاتِكُمْ مِنْهُ بِسَابِقَةِ الْإِعْتِنَاءِ — مِنْ حَمَرَاءِ غُرْنَاطَةِ حَرَسِهَا اللَّهُ وَالْوَدُّ بِأَهْرِ السَّنَا ظَاهِرِ السَّنَاءِ ، مَجْدَّدٌ عَلَى الْآثَاءِ ، وَالتَّشْيِيعِ رَحْبِ الدَّسِيعَةِ وَالْفَيْنَاءِ .

« وَإِلَى هَذَا — وَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى سَعْدَكُمْ ، وَحَرَسَ مَجْدَكُمْ — فَلَمَّا خَاطَبْنَا مَقَامَكُمْ الْكَرِيمَ فِي شَأْنِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْحَافِظِ الصَّالِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُقَرِّي خَارِ اللَّهِ تَعَالَى لَنَا وَلَهُ ، وَبَلَغَ الْجَمِيعَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَمِيمِ أَمَلَهُ ، جَوَابًا عَمَّا صَدَرَ عَنْ مَثَابَتِكُمْ فِيهِ مِنَ الْإِشَارَةِ الْمُمَثِّلَةِ ، وَالْمَأْرَبِ الْمُعْمَلَةِ ، وَالْقَضَايَا غَيْرِ الْمَهْمَلَةِ ، نُصَادِرُكُمْ بِالشَّفَاعَةِ الَّتِي مِثْلُهَا بِأَبْوَابِكُمْ لَا يُرَدُّ ، وَظَمَّاهَا عَنْ مَنْهَلِ قَبُولِكُمْ لَا تَحْتَلَأُ وَلَا تُصَدِّدُ ، حَسْبَمَا سَنَّهُ الْأَبُ الْكَرِيمُ وَالْجَدُّ ، وَالْقَبِيلُ الَّذِي وَضَعَ مِنْهُ فِي الْمَكَارِمِ الرِّسْمَ وَالْحَدَّ ، وَلَمْ نَصْدِرْ الْخَطَابَ حَتَّى ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَحْوَالِهِ صَدَقُ الْمَخِيلَةِ ، وَتَبْلُجُ صَبِيحِ الزَّهَادَةِ وَالْفَضِيلَةِ ، وَجُودِ النَّفْسِ الشَّحِيحَةِ — بِالْعَرَضِ الْأَدْنَى — الْبَخِيلَةِ ، وَظَهَرَ تَخْلِيهِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ ، وَاجْتِلَاطِهِ بِاللَّفَيفِ وَالْغَمَارِ ، وَإِقْبَالِهِ عَلَى مَا يَعْنِي مِثْلَهُ مِنْ صَلَةِ الْأَوْرَادِ وَمَدَاوِمَةِ الْإِسْتِغْفَارِ . وَكُنَّا لَمَّا تَعَرَّفْنَا إِقَامَتَهُ بِمَالَقَةِ لِهَذَا الْغَرَضِ الَّذِي شَهَرَهُ ، وَالْفَضْلِ الَّذِي أَبْرَزَهُ لِلْعِيَانِ وَأَظْهَرَهُ ، أَمَرْنَا أَنْ يَعْنَى بِأَحْوَالِهِ ، وَيُعَانَ عَلَى فَرَاغِ بَالِهِ ، وَيَجْرَى عَلَيْهِ سَيْبٌ مِنْ دِيْوَانِ الْأَحْشَارِ الشَّرْعِيَّةِ وَصَرِيحِ مَالِهِ ، وَقَلْنَا مَا أَتَاكَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ مُسْتَنْدٍ صَحِيحٍ لَاسْتِدْلَالِهِ ، فَفَرَّ مِنْ مَالَقَةِ عَلَى مَا تَعَرَّفْنَا لِهَذَا السَّبَبِ ، وَقَعَدَ بِحَضْرَتِنَا مُسْتَوْرٍ الْمُتَمَتَّى وَالْمُتَنَسِّبِ ، وَسَكَنَ بِالْمَدْرَسَةِ بَعْضَ الْأَمَاكِنِ الْمَعْدَةِ لِسَكْنَى الْمُتَسَمِّينَ بِالْخَيْرِ وَالْمُحْتَرِفِينَ بِبِضَاعَةِ الطَّلَبِ ، بِحَيْثُ لَمْ يَتَعَرَفْ وَرُودُهُ وَوَصُولُهُ إِلَّا مَمَّنْ لَا يُؤْثِرُهُ بِتَعْرِيفِهِ ، وَلَمْ تَتَحَقَّقْ زَوَائِدُهُ وَأَصُولُهُ لِقَلَّةِ تَصْرِيفِهِ .

« ثُمَّ تَلَا حَقَّ إِرْسَالِكُمْ الْجِلَّةِ فَوَجِبَتْ حَيْثُ الشَّفَاعَةُ ، وَعُرِضَتْ عَلَى سَوَاقِ الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ مِنَ الْإِسْتِلْطَافِ وَالْإِسْتِعْطَافِ الْبِضَاعَةِ ، وَقَرَرْنَا مَا تَحَقَّقْنَاهُ مِنْ أَمْرِهِ ،

وانقباضه عن زَيْد الخلق وعَمَره ، واستقباله الوجهة التي من ولَّى وجهه شَطَرها فقد أثر أثراً ، ومن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلاً كبيراً وخيراً كثيراً ، وسألنا منكم أن تبيحوا له ذلك الغَرَض الذي رماه بعزمه ، وقصر عليه أقصى همه ، فما أخلَقَ مقامكم أن يفوز منه طالبُ الدنيا بسهمه ، ويحصل منه طالبُ الآخرة على حظه الباقي وقَسَمه ، ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعلمه ، ويعوّل البريء على فضله ويثق المذنبُ بحلمه ، فوصل الجوابُ الكريمُ بمجرد الأمان وهو أربُّ من آراب ، وفائدة من جراب ، ووجه من وجوه إعراب ، فرأينا أن المطل بعد جفاء ، والإعادة ليس يثقلها خفاء ، ولمجدكم بما ضمنا عنه وفاء ، وبادرنا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله ، وأن يكون الانتقال عن رضَى منه من صفة حاله ، وأن يقتضي له ثمرة المقصد ، ويبلغ طية الإسعاف في الطريق الأقصد ، إذ كان الأمان مثله ممّن تعلق بجناب الله من مثلكم حاصلًا ، والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلًا ، وطالب كيمياء السعادة بإعانتكم واصلًا ، ولما مدت اليدُ في تسويغ حالة هديكُم عليها أبدأً بخرص ، وعلمكم بصريحُ بمزيتها فلا يعرّض ، فكمّلوا أبقاكم الله ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب ، وألحقوا بالأصل حديثَ هذه الإباحة فهو أصبح حديث في الباب ، ووفوا غرضنا من مجدكم ، وخلوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب ، وقصد غافر الذنب وقابل التوب بإخلاص المتاب ، والتشهير ليوم العرض وموقف الحساب ، وأظهروا عليه عناية الجناب ، الذي تعلق به أعلق الله به يدهم من جناب ، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الآراب .

« وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها أحمد المناب ، ويقضي خلاصها بالرغبة لا بالغلاب ، وهما فلان وفلان ، ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض أعمالُ الركاب ، يسبق أعلام الكتاب ، وأنتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل ، ويُربي على التأمل ، ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل ، وهو سبحانه يقيقكم لتأييد المجد الأثيل ، وإنالة الرّفْدِ الجزيل ، والسلام

الكريم ينقص مقامكم الأعلى ، ومثاببتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته ،
في الحادي والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين وسبعمائة ؛
انتهى كلام ابن الخطيب في « الإحاطة » .

وذكر في الريحانة أنه كتب في هذا الغرض ما نصه :

« وإلى هذا فلنا وقفنا على كتابكم الكريم في شأن الشيخ الصالح الفقيه الفاضل
أبي عبد الله المقرئ - وقفنا الله وإياه لما يُزلفُ لديه ، وهدانا لما يقرب إليه -
وما بلغكم بتقاعده بمالقة ، وما أشرتم به في أمره ، فاستوفينا جميع ما قررتم ،
واستوعبنا ما أجملتم في ذلك وفسرتم ، واعلموا يا محلّ والدنا - أمتعنا الله ببقائكم
الذي في ضمنه اتصال السعادة ، وتعرّف النعم المعادة - أننا لما انصرف عن بابنا
هو ومن رافقه عن انشراح صدور ، وتكليف جذل بما تفضلتم به وسرور ،
تعرّفنا أنه تقاعد بمالقة عن صحبه ، وأظهر الاشتغال بما يخلصه عند ربه ، وصرف
الوجه إلى التخلي مشفقاً من ذنبه ، واحتجّ بأن قصده ليس له سبب ، ولا تعين له في
الدنيا أرب ، وأنه عرض عليكم أن تسمحو له فيما ذهب إليه ، وتقرّوه عليه ،
فيعجل البدار ، ويمهد تحت إياالتكم القرار ، فلما بلغنا هذا الخبر ، لم يخلق الله
عندنا به مبالاة تُعتبر ، ولا أعددناه فيما يُذكر ، فكيف فيما يُنكر ، وقطعنا أن
الأمر فيه هيّن ، وأن مثل هذا الغرض لا تلتفت إليه عيّن ، فإن بابكم غنيّ من
طبقات أولي الكمال ، مليّ بتسويغ الآمال ، موفور الرجال ، معمور بالفقهاء
العارفين بأحكام الحرام والحلال ، والصلحاء أولي المقامات والأحوال ، والأدباء
فرسان الرويّة والارتجال ، ولم ينقص بفقدان الحصى أعداد الرمال ، ولا يستكثر
بالقطرة جيشُ العارض المثال ، مع ما علم من إعانتكم على مثل هذه الأعمال ،
واستمساكم بإسعاف غرض من صرف وجهه إلى ذي الجلال ، ولو علمنا أن
شيئاً يهيجس في الخاطر من أمر مقامه ، لقابلناه بعلاج سقامه .

« ثمّ لم ينشب أن تلاحق بحضرتنا بارزاً في طور التقليل والتخفيف ، خالطاً

نفسه باللفيف . قد صار نكرة بعد العلمية^١ والتعريف . وسكن بعض مواضع المدرسة منقبضاً عن الناس لا يظهر إلاّ لصلاة يشهدُ جماعتها . ودعوة للعباد يخاف إضاعتها . ثم تلاحق إرسالكم الجلّة ، الذين تحقّ لثلهم التجلّة ، فحضرُوا لدينا . وأدوا المخاطبة الكريمة كما ذكر إلينا ، وتكلمنا معهم في القضية ، وتنخلنا في الوجوه المرضية ، فلم نجد وجهاً أخلص من هذا الغرض . ولا علاجاً يتكفّل ببراء المرض ، من أن كلفناهم الإقامة التي يتبرك بيُسمن جوارها . ويعمل على إثارها ، بخلاف ما نخطب مقامكم بهذا الكتاب الذي مُضمتّه شفاعَةٌ يضمن حباؤكم احتسابها ، ويرعى انتماءها إلى الخلوّص وانتسابها ، ويعيدها قد أعملت الخطوة أثوابها ، ونقصدكم ومثلكم من يُقصد في المهمّة ، فأنتم المثل اللذائع في عموم الحلم وعلوّ المهمّة ، في أن تصدروا له مكتوباً مكمل الفصول ، مقرر الأصول ، يُذهب الوجل ، ويرفع الحجل ، ويسوّغ من مآربه لديكم الأمل ، ويخلص النية ويرتب العمل . حتى يظهر ما لنا عند أبوتكم من تكميل المقاصد ، جرياً على ما بذلتم من جميل العوائد ، وإذا تحصل ذلك كان بفضل الله إياه . وأناخت بعقوة^٢ وعدكم الوفي ركابه . ويحصل لمقامكم عزه ومجده وثوابه ، وأنتم ممّن يرعى أمور المجد حقّ الرعاية ، ويجري في معاملة الله تعالى على ما أسس من فضل البداية ، وتحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الإسلام والحماية ، هذا ما عندنا أعجلنا به الإعلام ، وأعملنا فيه الأقلام ، بعد أن أجهدنا الاختيار وتنخلنا الكلام ، وجوابكم بالخير كفيل ، ونظركم لنا وللمسلمين جميل ، والله تعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام . انتهى .

قلت : هذه آفة مخالطة الملوك ، فإن مولاي الجلد المذكور كان نزل عن^٣ القضاء وغيره ، فلما أراد التخلي إلى ربه لم يتركه السلطان أبو عنان كما رأيت .

١ العلمية : سقطت من ق .

٢ ص ق : عقرة ؛ والعقوة : الساحة .

٣ ق : هارباً من ؛ وسقطت من ص .

[شيوخ المقرئ الجلد]

وقد ذكر لسان الدين رحمه الله تعالى في « الإحاطة » شيوخ مولانا الجلد .
فلنذكرهم من جزء الجلد الذي سماه « نظم اللآلي في سلوك الأمالي »^١ ومنه اختصر
لسان الدين ما في « الإحاطة » في ترجمة مشيخته فنقول : قال مولاي الجلد رحمه
الله تعالى .

١ ، ٢- فممن أخذت عنه ، واستفدت منه ، علماها - يعني تلمسان - الشاغلان ،
وعالماها الراسخان : أبو زيد عبد الرحمن ، وأبو موسى عيسى ، ابنا محمد بن
عبد الله ابن الإمام^٢ ، وكانا قد رحلا في شبابهما من بلدهما برشك^٣ إلى تونس
فأخذنا بها عن ابن جماعة وابن العطار واليفرني^٤ ، وتلك الحلبة ، وأدركا المرجاني^٥
وطبقته من أعجاز المائة السابعة ، ثم وردا في أول المائة الثامنة تلمسان على أمير
المسلمين أبي يعقوب وهو محاصر لها ، وفقهه حضرته يومئذ أبو الحسن علي بن
يخلف التنسي ، وكان قد خرج إليه برسالة من صاحب تلمسان المحصورة فلم
يَعُدْ . وارتفع شأنه عند أبي يعقوب ، حتى إنه شهد جنازته ، ولم يشهد جنازة
أحد قبله ، وقام على قبره ، وقال : نعم الصاحب فقدنا اليوم ؛ حدثني الحاج
الشيخ يعباد تلمسان أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي أن أبا يعقوب
طلع إلى جنازة التنسي في الخليل حوالي روضة الشيخ أبي مدين فقال : كيف تتركون
الخليل تصل إلى ضريح الشيخ ؟ هلا عرضتم هنالك - وأشار إلى حيث المعراض
الآن - خشبة ؟ ففعلنا ، فلما قُتل أبو يعقوب وخرج المحصورون أنكروا ذلك ،
فأخبرتهما ، فأما أبو زيان - وكان السلطان يومئذ - فتزل وطأ رأسه ودخل ،

١ ق : اللال ... الامال .

٢ ترجمة أبي الإمام في التعريف : ٢٨ والمبر : ٧ : ١٠٠ والديباج : ١٥٢ ونيل الابتهاج : ١٣٩ ،
١٩٠ ؛ وفيه نقل عن المقرئ الجلد (انظر ص : ١٤٠) .

٣ نيل الابتهاج : تلمسان .

٤ نيل الابتهاج : البطرني .

وأما أبو حَمَوَ - وكان أميراً - فوثب وخلفها . ولما رجع الملك إلى هذين الرجلين اختصا ابني الإمام ، وكان أبو حمو أشد اعتناء بهما ، ثم بعده ابنه أبو تاشفين ، ثم زادت حظوتهما عند أمير المسلمين أبي الحسن ، إلى أن توفي أبو زيد في العشر الأوسط من رمضان عام أحد وأربعين وسبعمائة بعد وقعة طريف بأشهر ، فزادت مرتبة أبي موسى عند السلطان ، إلى أن كان من أمر السلطان بإفريقية ما كان في أول عام تسعة وأربعين ، وكان أبو موسى قد صدر عنه قبل الوقعة فتوجه صحبة ابنه أمير المسلمين أبي عنان إلى فاس ، ثم رده إلى تلمسان ، وقد استولى عليها عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان ، فكان عنده إلى أن مات الفقيه عقب الطاعون العام .

قال لي خطيب الحضرة الفاسية^١ أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن عبد الله الرندي : لما أزمع الفقيه ومن أطلق معه على القُفُول إلى تلمسان بتُّ على تشيعهم ، فرأيتني كأنني نظمت هذا البيت في المنام :

وعند وداع القوم ودَّعتُ سَلَوَتِي وقلتُ لها بَيني فأنتِ المودَّعُ

فانتبهتُ وهو في فيَّ ، فحاولت قريحتي بالزيادة عليه فلم يتيسر لي مثله . ولما استحكم ملك أبي تاشفين واستوثق رحل الفقيهان إلى المشرق في حدود العشرين وسبعمائة فلقيا علاء الدين القونوي ، وكان بحيث إني لما رحلت فلقيت أبا علي حسين بن حسين بيجاية قال لي : إن قدرت أن لا يفوتك شيء من كلام القونوي حتى تكتب جميعه فافعل ، فإنه لا نظير له ، ولقيا أيضاً جلال الدين القزويني صاحب البيان ، وسمعا صحيح البخاري على الحجار ، وقد سمعته أنا عليهما ، وناظرا تقي الدين بن تيمية ، وظهرا عليه ، وكان ذلك من أسباب محنته ، وكانت له مقالات فيما يذكر^٢ وكان شديد الإنكار على الإمام فخر الدين ، حدثني

١ ص : الفارسية يعني حضرة أبي عنان فارس .

٢ نيل الابتهاج : وكانت للفتي المذكور مقالات شنيعة من حمل حديث الزول على ظاهره . . . إلخ .

شيخه العلامة أبو عبد الله الآبلي أن عبد الله بن إبراهيم الزموري أخبره أنه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه^١ :

مَحْصَلٌ فِي أَصُولِ الدِّينِ حَاصِلُهُ مِنْ بَعْدِ تَحْصِيلِهِ عِلْمٌ بِلَادِينِ
أَصْلُ الضَّلَالَةِ وَالْإِفْكَ الْمُبِينِ ، فَمَا فِيهِ فَأَكْثَرُهُ وَحْيُ الشَّيَاطِينِ

قال : وكان في يده قضيب ، فقال : والله لو رأيته لضربت به هذا القضيب هكذا ، ثم رفعه ووضعته .

وبحسبك ممّا طار لهذين الرجلين من الصيت بالمشرق أني لما حللت بيت المقدس وعرف به مكاني من الطلب ، وذلك أني قصدت قاضيته شمس الدين بن سالم ليضع لي يده على رسم أستوجب به هنالك حقاً ، فلما أطلت عليه عرفه بي بعض من معه ، فقام إلي حتى جلست ، ثم سألني بعض الطلبة بحضرته فقال لي : إنكم معشر المالكية تبيحون للشامي يمر بالمدينة أن يتعدى ميقاتها إلى الجحفة ، وقد قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعد أن عين المواقيت لأهل الآفاق « هُنَّ لَهْنٌ ، ولمن مرّ عليهن من غير أهلهن » وهذا قد مر على ذي الخليفة وليس من أهله فيكون له ، فقلت له : إن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال « من غير أهلهن » أي من غير أهل المواقيت ، وهذا سلب كلي ، وإنه غير صادق على هذا الفرد ، ضرورة صدق نقيضه وهو الإيجاب الجزئي عليه ، لأنه من بعض أهل المواقيت قطعاً ، فلما لم يتناوله النص رجعنا إلى القياس ، ولا شك أنه لا يلزم أحداً أن يحرم قبل ميقاته وهو يمر به لكن من ليس من أهل الجحفة لا يمر بميقاته إذا مرّ بالمدينة ، فوجب عليه الإحرام من ميقاتها ، بخلاف أهل الجحفة ، فإنها بين أيديهم ، وهم يمرون عليها ، فوقعت من نفوس أهل البلد بسبب ذلك ، فلما عرفت أتاني آت من أهل المغرب فقال لي : تعلم أن مكانك في

١ انظر هذا في نيل الابتهاج : ٢٤٥ (ترجمة الآبلي) .

نفوس أهل هذا البلد مكين ، وقدرك عندهم رفيع ، وأنا أعلم انقباضك^١ عن
ابني الإمام ، فإن سئلت فانتسب لهما ، فقد سمعتَ منهما ، وأخذتَ عنهما ،
ولا تظهر العدول عنهما إلى غيرهما فتضع من قدرك ، فإنما أنت عند هؤلاء الناس
خليفتهما ووارث علمهما وأن لا أحد فوقهما^٢ :

وليسَ لما تَبني يدُ الله هادمُ

وشهدت مجلساً بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو ذكر
فيه أبو زيد ابن الإمام أن ابن القاسم مُقَلَّد مقيّد النظر بأصول مالك ، ونازعه
أبو موسى عمران بن موسى المشدّالي ، وادّعى أنه مطلق الاجتهاد ، واحتج له
بمخالفته لبعض ما يرويه ويبلغه عنه لما ليس من قوله ، وأتى من ذلك بنظائر كثيرة
قال : فلو تقيّد بمذهبه لم يخالفه لغيره ، فاستظهر أبو زيد بنصّ لشرف الدين
التمسائي مثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر إلى مذهب مالك
والمزني إلى الشافعي ، فقال عمران : هذا مثال ، والمثال لا تلزم صحته ، فصاح
به أبو موسى ابن الإمام وقال لأبي عبد الله ابن أبي عمرو : تكلم ، فقال : لا
أعرف ما قال هذا الفقيه ، الذي أذكره من كلام أهل العلم أنه لا يلزم من فساد
المثال فساد الممثل ، فقال أبو موسى للسلطان : هذا كلام أصولي محقق ،
فقلت لهما وأنا يومئذ حديث السن : ما أنصفتما الرجل ، فإن المُثْلَ كما تؤخذ
على جهة التحقيق كذلك تؤخذ على طريق التقريب ، ومن ثمّ جاء ما قاله هذا
الشيخ ، أعني ابن أبي عمرو ، وكيف لا وهذا سييويه يقول : وهذا مثال ولا
يتكلم به ، فإذا صح أن المثال قد يكون تقريباً فلا يلزم صحة المثال ولا فساد
الممثل لفساده ، فهذان القولان من أصل واحد .

١ كذا وفي نيل الابتهاج : أخذك .

٢ نيل الابتهاج : وإن الأمر فوقهما .

وشهدت مجلساً آخر عند هذا السلطان قرىء فيه على أبي زيد ابن الإمام حديث « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » في صحيح مسلم ، فقال له الأستاذ أبو إسحاق ابن حكم السلوي : هذا الملقن مختصر حقيقة ميت مجازاً ، فما وجه ترك مختصركم إلى موتاكم ، والأصل الحقيقة ؟ فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه ، وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض « التنقيح » فقلت : زعم القرافي أن المشتق إنما يكون حقيقة في الحال ، مجازاً في الاستقبال ، مختلفاً فيه في الماضي ، إذا كان محكوماً به ، أما إذا كان متعلقاً بالحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقاً إجماعاً ، وعلى هذا التقرير لا مجاز ، فلا سؤال ، لا يقال : إنه احتج على ذلك بما فيه نظر ، لأننا نقول : إنه نقل الإجماع ، وهو أحد الأربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل ، كما ذكر أيضاً ، بل نقول : إنه أساء حيث احتج في موضع الوفاق ، كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة ونحوها ، بل هذا أشنع ، لكونه ممّا علم من الدين بالضرورة ، ثمّ إنّنا لو سلمنا نقيّ الإجماع فلنا أن نقول : إن ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة ، لأن تلقيه قبل ذلك إن لم يدهش فقد يوحش ، فهو تنبيه على وقت التلقين : أي لقنوا منّ تحكمون بأنه ميت ، أو نقول : إنّما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإبهام ، ألا ترى اختلافهم فيه : هل أخذ من حضور الملائكة ، أو حضور الأجل ، أو حضور الجلائس ، ولا شك أن هذه حالة خفية يحتاج في نصبها دليلاً على الحكم إلى وصف ظاهر يضبطها ، وهو ما ذكرناه ، أو من حضور الموت ، وهو أيضاً ممّا لا يعرف بنفسه ، بل بالعلامات ، فلمّا وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية إشارة إليها ، والله تعالى أعلم .

كان أبو زيد يقول فيما جاء من الأحاديث من معنى قول ابن أبي زيد « وإذا سلم الإمام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف » : إن ذلك بعد أن ينتظر بقليل ما يسلم منّ خلفه ، ثلاثاً يمر بين يدي أحد ، وقد ارتفع عنه حكمه ، فيكون كالدخول مع المسبوق ، جمعاً بين الأدلة ، قلت : وهذا من ملّح الفقيه .

اعترض عند أبي زيد قول ابن الحاجب « ولبن الآدمي والمباح طاهر » بأنه إنما يقال في الآدمي لبان ، فأجاب بالمنع ، واحتج بقول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، « اللبن للفحل » وأجيب بأن قول ذلك لتشريكه المباح معه في الحكم ؛ لأن اللبان خاص به ، وليس موضع تغليب ، لأن اللبان ليس بعاقل ، ولا حجة على تغليب ما يختص بالعاقل .

تكلم أبو زيد يوماً في مجلس تدريسه في الجلوس على الحرير ، فاحتج إبراهيم السلوي بالمنع بقول أنس : « فقمتم إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس » فمنع أبو زيد أن يكون إنما أراد باللباس الافتراش فحسب ، لاحتمال أن يكون إنما أراد التغطية معه أو وحدها ، وذكر حديثاً فيه تغطية الحصير ، فقلت : كلا الأمرين يسمى لباساً ، قال الله عز وجل ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (البقرة : ١٨٧) وفيه بحث .

كان أبو زيد يصحف قول الخونجي في الحمل والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها فيقول : « والمقارنات » ولعله في هذا كما قال أبو عمرو ابن العلاء للأصمعي لما قرأ عليه ^١ :

وَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا بَنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرٌ

فقال :

وَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَنِي بِالصَّيْفِ تَامِرٌ

فقال : أنت في تصحيفك أشعر من الخطيئة ، أو كما حكى عمن صلى بالخليفة في رمضان ولم يكن يومئذ يحفظ القرآن ، فكان ينظر في المصحف ، فصحف آيات : صنعة الله ، أصيب بها من أساء ، إنما المشركون نحس ، وعددها

١ التصحيف : ٩٥ .

أباه ، تقية الله خير لكم ، هذا أن دعوا للرحمن ولداً ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يعنيه .

سمعت أبا زيد يقول : إن أبا العباس الغماري التونسي أول من أدخل « معالم » الإمام فخر الدين للمغرب ، وبسبب ما قفل به من القوائد رحل أبو القاسم ابن زيتون .

وسمعه يقول : إن ابن الحاجب ألف كتابه الفقهي من ستين ديواناً^١ ، وحفظت من وجادة أنه ذكر عند أبي عبد الله ابن قطرال المراكشي أن ابن الحاجب اختصر « الجواهر » فقال : ذكر هذا لأبي عمرو حين فرغ منه فقال : بل ابن شاس اختصر كتابي ، قال ابن قطرال : وهو أعلم بصناعة التأليف من ابن شاس ، والإنصاف أنه لا يخرج عنه وعن ابن بشير إلا في الشيء اليسير ، فهما أصلاه ومعتمداه ، ولا شك أن له زيادات وتصرفات تنبئ عن رسوخ قدمه وبُعد مَداه .

وكان أبو زيد^٢ من العلماء الذين يخشون الله ، حدثني أمير المؤمنين المتوكل أبو عنان أن والده أمير المسلمين أبا الحسن ندب الناس إلى الإعانة بأموالهم على الجهاد ، فقال له أبو زيد : لا يصح لك هذا حتى تكنس بيت المال ، وتصلي ركعتين كما فعل علي بن أبي طالب ، وسأله أبو الفضل ابن أبي مدين الكاتب ذات يوم عن حاله ، وهو قاعد ينتظر خروج السلطان ، فقال له : أما الآن فأنا مشرك ، فقال : أعيدك من ذلك ، فقال : لم أُرِدْ الشرك في التوحيد ، لكن في التعظيم والمراقبة ، وإلا فأي شيء جلوسي ههنا ؟

والشيء بالشيء يُذكر ، قمت ذات يوم على باب السلطان بمراكش فيمن

١ ابن الحاجب : عثمان بن عمر بن يونس جمال الدين المصري (- ٦٤٦) له مختصر في الفقه المالكي يعرف عادة باسم « فرعي ابن الحاجب » أو المختصر الفقهي ومختصر في أصول الفقه يسمى « أصلي ابن الحاجب » وهو مختصر كتابه منتهى السؤل (انظر مقلة ابن خلدون : ١٠٢٥) .

٢ النص في نيل الابتهاج : ١٤٠ .

ينتظر خروجه ، فقام إلى جانبي شيخ من الطلبة ، وأنشدني لأبي بكر ابن خطاب^١
رحمه الله تعالى :

أبصرتُ أبوابَ الملوكِ تَخْصُ بالـ راجين إدراكَ العُلا والجاهِ
مَرَقَبِينَ لها فمهما فَتُحَتَّ خروا لأذقانٍ لهم وجِباہِ
فأنفتُ من ذاكَ الزحامِ وأشفقتُ نفسي على إنضاءِ جسمي الواهي
ورأيتُ بابَ الله ليسَ عليه من متراحمٍ ، فقصدتُ بابَ اللهِ
وجعلتهُ من دونهم لي عُدَّةٌ وأنفتُ من غيبي وطولِ سفاهي

يقول جامع هذا المؤلف : رأيت بخط عالم الدنيا ابن مرزوق على هذا المحل
من كلام مولاي الجلد مقابل قوله « ورأيت باب الله » ما صورته : قلت ذلك
لسعته أو لقلّة أهله :

إنّ الكرامَ كثيرٌ في البلاد ، وإن قتلوا ، كما غيرهم قُلٌّ وإن كثروا
﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ - الآية (المائدة : ١٠٠) انتهى .

رجع إلى كلام مولاي الجلد - قال رحمه الله تعالى ورضي عنه : وحدثني
شيخ من أهل تلمسان أنه كان عند أبي زيد مرة ، فذكر القيامة وأهوالها فبكى ،
فقلت : لا بأس علينا وأنتم أمامنا ، فصاح صيحةً ، واسودَّ وجهه ، وكاد يتفجر
دماً ، فلما سُرّي عنه رفع يديه وطرفه إلى السماء وقال : اللهم لا تفضحنا مع
هذا الرجل ، وأخباره كثيرة .

وأما شقيقه أبو موسى فسمعت عليه كتاب مسلم ، واستفدت منه كثيراً .

١ هو عزيز بن خطاب المرسى كان في أول أمره ناسكاً زاهداً واستمر على هذه الطريقة حتى امتحن
برئاسة بلده سنة ٦٣٦ فخاض في سفك السماء واجترأ على الأموال من غير وجهها إلى أن قتل في
العام نفسه (ترجمته في الذيل والتكملة ٥ : ١٤٤ وصلة الصلة : ١٦٥ والتكملة رقم ١٩٥٢
واختصار القدح : ١٢٦ والمغرب ٢ : ٢٥٢ وأصال الأعلام : ٣١٥ والحلة السراة ٢ : ٣٠٨) .

فمما سألته عنه قول ابن الحاجب في الاستلحاق « وإذا استلحق مجهول النسب » إلى قوله « أو الشرع بشهرة نسبه » كيف يصح هذا القسم مع فرضه مجهول النسب؟ فقال : يمكن أن يكون مجهول النسب في حال الاستلحاق ، ثم يشتهر بعد ذلك ، فيبطل الاستلحاق ، فكأنه يقول : ألحقه ابتداء ودواماً ، ما لم يكذبه أحد ، هذه هي إحدى الحالتين ، إلا أن هذا إنما ينصور في الدوام فقط . ومما سألته عنه أن الموثقين يكتبون الصحة والجواز والطوع على ما يوهم القطع ، وكثيراً ما ينكشف الأمر بخلافه ، ولو كتبوا مثلاً ظاهر الصحة والجواز والطوع لبرثوا من ذلك ، فقال لي : لما كان مبنى الشهادة وأصلها العلم لم يحمل ذكر الظن ولا ما في معناه احتمال ، فإذا أمكن العلم بمضمونها لم يجوز أن يحمل على غيره ، فإذا تعذر كما هاهنا بني بطن أمرها على غاية ما يسعه فيه الإمكان عادة ، وأجري ظاهره على ما ينافي أصلها ، صيانتها لرونقها ، ورعايتها لما كان ينبغي أن تكون عليه لولا الضرورة . قلت : ولذلك عقد ابن فتوح وغيره عقود الجوائح على ما يوهم العلم بالتقدير ، مع أن ذلك إنما يدرك بما غايته الظن في الحزر والتخمين ، وكانا معاً يذهبان إلى الاختيار وترك التقليد .

3 — وممن أخذت عنه أيضاً حافظها ومدرسها ومفتيها أبو موسى عمران ابن موسى بن يوسف المشدالي^١ ، صهر شيخ المدرسين أبي علي ناصر الدين^٢ على ابنته ، وكان قد فر من حصار بجاية فنزل الجزائر ، فبعث فيه أبو تاشفين ، وأنزله من التقريب والإحسان بالمحل^٣ المكين ، فدرس بتلمسان الحديث والفقه والأصلين والنحو والمنطق والجلد والفرائض ، وكان كثير الاتساع في الفقه والجلد ، مديد الباع فيما سواهما ممّا ذكر، سألته عن قول ابن الحاجب في

١ ترجمة أبي موسى المشدالي في نيل الابتهاج : ٢٠٨ .

٢ هو منصور بن أحمد بن عبد الحق (٧٣١) (راجع ترجمته في نيل الابتهاج : ٣٧٧ وعنوان الدراية : ١٣٤) .

السهو « فإن أخل الإعراض فمبطل عمده » فقال : معناه فإن أخل غيره أنه معرض ، فحذف المفعول لجوازه ، وأقام المصدر مقام المفعولين كما يقوم مقامه ما في معناه من أن^١ وأن^٢ ، قال الله العظيم ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا ﴾ (التكوير : ١ - ٢) قلت : وأقوى من هذا أن يكون المصدر هو المفعول الثاني ، وحذف الثالث اختصاراً لدلالة المعنى عليه : أي فإن أخل الإعراض كائناً ، كما قالوا : نخلت ذلك ، وقد أعربت الآية بالوجهين ، وهذا عندي أقرب ، ومن هذا الباب ما يكتب به القضاة من قولهم « أعلم باستقلاله فلان » أي أعلم فلان من يقف عليه بأن الرسم مستقل ، فحذفوا الأول ، وصاغوا ما بعده المصدر .

سئل عمران وأنا عنده عما صُيغ من الثياب بالدم فكانت حمرة منه ، فقال : يُغسل ، فإن لم يخرج شيء من ذلك في الماء فهو طاهر ، لأن المتعلق به على هذا التقدير ليس إلا لون النجاسة ، وإذا عسر قلعه بالماء فهو عَقْو ، وإلا^٣ وجب غسله إلى أن لا يخرج منه شيء ، قلت : في البخاري قال معمر : رأيت الزهري يصلّي فيما صُيغ بالبول من ثياب اليمن ، وتفسيره على ما ذكره عمران . وكان قد صاهر لقاضي الجماعة أبي عبد الله ابن هربة على ابنته فلم تزل عنده إلى أن توفي عنها .

4 - ومنهم مشكاة الأنوار ، الذي يكاد زيتة يضيء ولو لم تمسه نار ، الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن حاكم السلوي ، رحمه الله تعالى . ورد تلمسان بعد العشرين ، ثم لم يزل بها إلى أن قُتل يوم دُخِلَتْ على بني عبد الواد ، وذلك في الثامن والعشرين من شهر رمضان عام سبعة وثلاثين وسبعمئة .

قال لي الشيخ ابن مرزوق : ابتداء أمر بني عبد الواد بقتلهم لأبي الحسن السعيد ، وكان أسمر لأم ولد تسمى العنبر ، وختم بقتل أبي الحسن ابن عثمان إياهم ، وهو بصفته المذكورة حدّوك النعل بالنعل ، فسبحان من دَقَّتْ حكمته في كل شيء .

ولما وقف الرفيقان أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري ومحمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي في رحلتهم على قبر السعيد بعباد تلمسان تناول ابن الحكيم فحمة ثم كتب بها على جدار هناك :

انظرُ ففيَّ إليكَ اليومَ مُعْتَبَرٌ^١ إن كنت ممن بعين الفكر قد لحظا
بالأمس أدعى سعيداً ، والورى خوَلِي واليوم يدعى سعيداً مَنْ بيَ اتَعَطَا

قال ابن حكيم : كان أول اتصالي بالأستاذ أبي عبد الله ابن آجروم أني دخلت عليه وقد حفظت بعض كتاب « المفصل » فوجدت الطلبة يعربون بين يديه هذا البيت^١ :

عهدي به الحيّ الجميع وفيهم^٢ قبلَ التفرُّقِ مَيَسِرٌ ونِدَامٌ

وقد عُمِّي عليهم خبر « عهدي » فقلت له : قد سدت الحال — وهي الجملة بعده — مسده ، فقال لي بعض الطلبة : وهل يكون هذا في الجملة كما كان في قولك « ضربني زيدا قائماً » ؟ فقلت له : نعم ، قال رسول الله ، صَلَّى الله عليه وسلم : « أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » .

ذكر أبو زيد ابن الإمام يوماً في مجلسه أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشرطيتين ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ﴾ ، ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون ﴿ (الأنفال : ٢٣) فإنهما تستلزمان بحكم الإنتاج لو علم الله فيهم خيراً لتولّوا ، وهو محال ، ثمّ أراد أن يرى ما عند الحاضرين ، فقال ابن حكيم : قال الخوارجي : والإهمال بإطلاق لفظ لو وإن في المتصلة ، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان ، والمهملة في قوة الجزئية ، ولا قياس عن جزئيتين . فلما اجتمعت ببجاية بأبي علي حسين بن حسين وأخبرته بهذا ، وبما أجاب به الزمخشري وغيره ، ممّا يرجع إلى انتفاء تكرار الوسط ، قال لي : الجوابان في المعنى سواء ، لأن القياس على

١ البيت للبيد ، ديوانه : ٢٨٨ .

الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرر الوسط ؛ فأخبرت بذلك شيخنا الآبلي ، فقال : إنما يقوم القياس على الوسط ، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ، ولا سالتين ، إلى سائر ما يشترط ، فقلت : ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلاً لمجمل ما ينبني عليه من الوسط وغيره ، وإلا فلا مانع غير ما قاله ابن حسين ، قال الآبلي : وقد أجبت بجواب السلوي ، ثم رجعت إلى ما قاله الناس لوجوب كون مهملات القرآن كلية لأن الشرطية لا تنتج جزئية ، فقلت : هذا فيما يساق منها للحجة ، مثل ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ (الأنبياء: ٢٢) أما في مثل هذا فلا .

ولما ورد تلمسان الشيخ الأديب أبو الحسن ابن فرحون نزيل طيبة على تربتها السلام سأل ابن حكيم عن معنى هذين البيتين :

رَأَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ فَأَذْكَرْتَنِي لِيَالِيَّ وَصَلِيهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ
كَلاَنَا نَاطِرٌ قَمَرًا وَلَكِنْ رَأَيْتُ بَعَيْنَهَا وَرَأَتْ بَعَيْنِي

ففكر ثم قال : لعل هذا الرجل كان ينظر إليها ، وهي تنظر إلى قمر السماء ، فهي تنظر إلى القمر حقيقة ، وهو لإفراط الاستحسان يرى أنها الحقيقة ، فقد رأى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة ، وأيضاً فهو ينظر إلى قمر مجازاً ، وهو لإفراط الاستحسان^١ لها يرى أن قمر السماء هو المجاز ، فقد رأت بعينه ، لأنها ناظرة المجاز .

قلت : ومن ههنا تعلم وجه الفاء في قوله « فأذكرتني » لأنه لما صارت رؤيتها رؤيته ، وصار القمر حقيقة إياها ، كان قوله « رأت قمر السماء فأذكرتني » بمثابة قولك أذكرتني ، فتأمله فإن بعض من لا يفهم كلام الأستاذ حقّ الفهم ينشده « وأذكرتني » فالفاء في البيت الأول مبنية على معنى البيت الثاني ، لأنها

١ ق : استحسانه .

بنية عليه ، وهذا النحو يسمى الإيذان في علم البيان .
ولما اجتمعنا بأبي الوليد ابن هانيء مَقْدَمه علينا من غرناطة سأل ابن حكيم عن
كرار مَنْ في قوله تعالى ﴿سواء مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾
الرعد : ١٠) دون ما بعدها ، فقال : لولا تكررها أولاً لتوهم التضاد بتوهم
تحاد الزمان ، فارتفع بتكرار الموضوع ، أما الآخر فقد تكرر الزمان ، فارتفع
وهم التضاد ، فلم يحتاج إلى زائد على ذلك ، فقلت : فهلاً اكتفى بسواء عن
كرار الموضوع ، لأن التسوية لا تقع إلا بين أمرين ، وإنما الجواب عندي أنها
تكررت أولاً على الأصل لأنهما صنفان يستدعيها كل واحد منهما أن تقع عليه ،
ثم اختصرت ثانياً لفهم المراد من التفصيل بالأول مع أمن اللبس ، وقد أجاب
لزمخشري بغير هذين فانظره .

سألني ابنُ حكيم المذكور عن نسب المجيب في هذا البيت :
ومُهتَهِفِ الأعطافِ قلت له انتسب فأجاب ما قَتَلَ المحبَّ حرامٌ
ففكرت ثم قلت : أراه تميمياً ، لإلغائه « ما » النافية ، فاستحسنه مني لصغر
سنِّي يومئذ .

تذاكرت^١ يوماً مع ابن حكيم في تكملة البدر بن محمد بن مالك له « شرح
التسهيل » لأبيه ، ففضلت عليه كلام أبيه ، ونازعني الأستاذ ، فقلت :

عهود من الآبا توارثها الأبناء

فما رأيت بأسرع من أن قال :

بَسَوْا مجدَها لكن بنوهم لها أبني

فبهتُ من العجب^٢ .

١ ص : نظرت ؛ ق : وتكلمت .

٢ ق : التعجب .

وتوفي الشيخ ابن مالك سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، وفيها ولد شيخنا عبد المهيمن الحضرمي ، فقليل : مات فيها لإمام نحو ، وولد فيها لإمام نحو .

سألت ابن حكيم عن قول فخر الدين في أول المحصل « وعندي أن شيئاً منها غير مكتسب »^١ بمعنى لا شيء ولا واحد ، هل له أصل في العربية أو هو كما قيل من بقايا عجمته ؟ فقال لي : بل له أصل ، وقد حكى ابن مالك مثله عن العرب ، فلم يتفق أن أستوقفه عليه ، ثم لم أزل أستكشف عنه كل من أظن أن لديه شيئاً منه^٢ ، فلم أجده من عنده أثارة منه ، حتى مررت في باب الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر الداخلة عليها « كان » من « شرح التسهيل » قوله « فإن تقدم على الاستفهام أحد المفعولين نحو « علمت زيداً أبو من » هو « اختير نصبه ، لأن الفعل مسلط عليه ، فلا مانع ، ويجوز رفعه ، لأنه والذي بعد الاستفهام شيء واحد في المعنى فكأنه في حيز الاستفهام ، والاستفهام مشتمل عليه ، وهو نظير قوله : إن أجده إلا يقول ذلك ، وأحد هذا لا يقع إلا بعد نفي ، ولكن لما كان هنا والضمير المرفوع بالقول شيئاً واحداً في المعنى تنزل منزلة واقع بعد نفي » ، فعلمت أنه نحا إلى هذا ، لأن شيئاً ههنا والضمير المرفوع بمكتسب المنفي في المعنى شيء واحد ، فكان شيئاً كأنه وقع بعد غير : أي بعد النفي .

سأل ابن فرحون ابن حكيم : هل تجزئ في التنزيل ست فاءات مرتبة ترتيبها في هذا البيت :

رأى فحباً فرام الوصل فامتنعت فسام صبراً فأعيا نيله فقضى

ففكر ثم قال : نعم ﴿ فطافَ عليها طائفٌ من ربِّكَ وهم نائمون ﴾ - إلى آخره ﴿ (القلم : ١٩) فمَنَعْتَ لَهُ الْبَنَاءَ فِي (فَتَنَادُوا) فَقَالَ لَابْنُ فَرَحُونَ : فَهَلْ عِنْدَكَ غَيْرُهُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ﴾ فَمَنَعْ لَهُ

١ المحصل : ٣ ؛ القول في التصورات وعندي . . . إلخ .

٢ ق ص : عنه .

بناء الآخرة لقراءة الواو ، فقلت : امنع ولا تسند فيقال لك : إن المعاني قد تختلف باختلاف الحروف ، وإن كان السند لا يسمع الكلام عليه ، وأكثر ما وجدت الفاء تنتهي في كلامهم إلى هذا العدد ، سواء بهذا الشرط وبدونه ، كقول نوح عليه السلام : ﴿ فعلى الله توكلتُ - الآية ﴾ (يونس : ٧١) وكقول امرئ القيس :

غشيتُ ديار الحبي بالبكرات

البيتين^١ - لا يقال : فالجب سابع ، لأننا نقول : إنه عطف على « عاقل » المجرد منها ، ولعل حكمة الستة أنها أول الأعداد التامة كما قيل في حكمة خلق السموات والأرض فيها ، وشأن اللسان عجيب .
وقوله في هذا البيت « فحب » لغة قليلة جرى عليها محبوب كثيراً ، حتى استغني به عن محب ، فلا تكاد تجده إلا في قول عنزة :

ولقد نزلتِ فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

ونظيره محسوس من حسن والأكثر أحسن ولا تكاد تجد محسناً ، وهذا التوجيه أحسن من قول القرافي في « شرح التنقيح » : إنهم أجروا محسوسات مجرى معلومات لأن الحسن أحد طرق العلم .

سمعت ابن حكيم يقول : بعث بعض أدباء فاس إلى صاحب له :

ابعثني إليّ بشيء مدار فاس عليه

وليس عندك شيء مما أشير إليه

فبعث إليه ببطة من مري^٢ ، يشير بذلك إلى الرياء .

١ هما قول امرئ القيس :

غشيت ديار الحبي بالبكرات فاعامة فبرقة العيرات

فقول فحلليت فأكناف منيع إلى عاقل فالجب ذي الأمرات

٢ قد شرحنا من قبل لفظة « مري » (ج ٣ : ٩٢) وأما « البطة » فهي إناء كالتقارورة يعمل على شكل بطلة .

وحدث^١ أن قاضيها أبا محمد عبد الله بن أحمد بن الملجوم حضر وليمة ، وكان كثير البلغم ، فوضع بين يديه صهره أبو العباس ابن الأشقر غضاراً من اللون المطبوع بالمرى لمناسبته لمزاجه ، فخاف أن يكون قد عرض له بالرياء . وكان ابن الأشقر يذكر بالوقوع في الناس ، فناول القاضي غضار المقروض ، فاستحسن الحاضرون فطنته .

5 - ومنهم عالم الصلحاء ، وصالح العلماء ، وجليس التنزيل ، وحليف البكاء والعيول ، أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم بن الناصر المجاصي^٢ خطيب جامع القصر الجديد ، وجامع خططي التحديث والتجويد ، ويسميه أهل مكة البكاء ، ولما قدم أبو الحسن علي بن موسى البحيري سأل عنه ، فقل له : لو علم بك أنك ، فقال : أنا آتي من سمعت سيدي أبا زيد الهزميري يقول له لأول ما رآه ولم يكن يعرفه قبل ذلك : مرحباً بالفتى الخاشع ، أسمعنا من قراءتك الحسنة .

دخلت عليه بالفقيه أبي عبد الله السطي في أيام عيد ، فقدم لنا طعاماً ، فقلت : لو أكلت معنا ، فرجونا بذلك ما يرفع من حديث « مَنْ أَكَلَ مَعَ مَغْفُورٍ لَهُ غُفِرَ لَهُ » فتبسم وقال لي : دخلت على سيدي أبي عبد الله الفاسي بالإسكندرية ، فقدم طعاماً ، فسألته عن هذا الحديث ، فقال : وقع في نفسي منه شيء ، فرأيت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في المنام ، فسألته عنه ، فقال لي : لم أقله ، وأرجو أن يكون كذلك .

وصافحته بمصافحته الشيخ أبا عبد الله زيان بمصافحته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعيدي بمصافحته أبا العباس أحمد المثلث بمصافحته المعمر بمصافحته رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

١ ق : ذكر .

٢ ترجمة المجاصي في نيل الابتهاج : ١٢١ ونقل بعض ما قاله المقرئ الجدي فيه .

وسمعتة يحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد ، فكان ينحصره لدينه وعقله بالنسباء باسمه ، وإنما كان ينطق بماليكه يا ساقى ، يا طباح ، يا مزين ، فنادى به ذات يوم : يا قرآش ، فظن ذلك لموجدة عليه ، فلما لم ير أثر ذلك ، وتصورت له به خلوة ، سأله عن مخالفته لعادته معه . فقال : لا عليك ، كنت حينئذ جُنُباً ، فكرهت ذكر رسول الله ، صلتى الله عليه وسلّم ، في تلك الحالة .

ومما نقلته من خط المجاصي ثم قرأته عليه فحدثني به قال : حدثني القاضي أبو زكريا يحيى بن محمد بن يحيى بن أبي بكر ابن عصفور قال : حدثني جدي يحيى المذكور ، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن التجيبي المقرئ بتملسان ، حدثنا الحافظ أبو محمد - يعني والله أعلم عبد الحق الإشبيلي - أخبرنا^١ أبو غالب أحمد ابن الحسن المستعمل ، أخبرنا أبو الفتوح عبد الغافر بن الحسين بن أبي الحسن ابن خلف الألمعي ، أخبرنا^٢ أبو نصر أحمد بن إسحاق النيسابوري ، أملى علينا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، أخبرنا محمد بن علي بن الحسين العلوي ، أخبرنا عبد الله بن إسحاق اللغوي وأنا سأله ، أخبرنا إبراهيم بن الهيثم البلدي ، أخبرنا عبد الله بن نافع بن عيسى بن يونس عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ، صلتى الله عليه وسلّم : قال لي جبريل : ألا أعلمك الكلمات التي قالهن موسى حين انقلب له البحر ؟ قلت : بلى ، قال قل : اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى ، وبك المستغاث ، وأنت المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال ابن مسعود : فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ، صلتى الله عليه وسلّم ، ثم تسلسل الحديث على ذلك ، كل أحد من رجاله يقول : ما تركتهن منذ سمعتهن من فلان ، لشيخه ، وقد سمعت المجاصي

١ قد : حدثنا ، حيث وقعت .

٢ أخبرنا أبو الفتوح . . . أخبرنا : سقطت من ق .

يكررها كثيراً ، وما تركتهن منذ سمعتهن منه .
وأنشدني المجاصي قال : أنشدني نجم الدين الواسطي ، أنشدني شرف الدين
الدمياطي ، أنشدني تاج الدين الأرموي مؤلف «الحاصل» ، قال : أنشدني الإمام
فخر الدين لنفسه^١ :

نهاية إقدام العقول عقالٌ وأكثرُ سعي العالمين ضلالٌ
وأرواحنا في وحشةٍ^٢ من جسوننا وحاصلُ دنيانا أذى ووبالٌ
ولم نستفد من بحثنا طولَ عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم من رجالٍ قد رأينا ودولة^٣ فبادوا جميعاً مُسرعينَ وزالوا
وكم من جبالٍ قد علتُ شرفاتها رجالٌ فماتوا والجبالُ جبالٌ

وتوفي المجاصي في العشر الآخر من شهر ربيع الأول ، عام أحد وأربعين
وسبعمائة .

6 — ومنهم الشيخ الشريف القاضي الرحلة المعمر أبو علي حسن بن يوسف
ابن يحيى الحسيني السبي .

أدرك أبا الحسين ابن أبي الربيع وأبا القاسم العزفي واختص بابن عبيدة وابن
الشاط ، ثم رحل إلى المشرق فلقى ابن دقيق العيد وحلّفته ، ثم قفل فاستوطن
تلمسان إلى أن مات بها سنة أربع وخمسين ، أو ثلاث وخمسين وسبعمائة ، قرأ
علينا حديث الرحمة وهو أول حديث سمعته منه ، حدثنا الحسن بن علي بن عيسى
ابن الحسن اللخمي ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا علي بن المظفر بن
القاسم الدمشقي ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا أبو الفرج محمد بن عبد
الرحمن بن أبي العز الواسطي ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا أبو العز

١ وردت الأبيات في ترجمة فخر الدين في ابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٨ .

٢ ابن أبي أصيبعة : عقله .

٣ ابن أبي أصيبعة : وكم قد رأينا من رجال ودولة .

٤ ق : حدثنا ، حيثما وقعت .

عبد المغيث بن زهير ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي ، وهو أول حديث سمعته منه (ح) . قال الحسن بن علي : وحدثنا أيضاً عالياً الحسن بن محمد البكري ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا أبو الفتوح محمد بن محمد بن محمد بن الجنييد الصوفي ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا زاهر بن طاهر ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي الفضائل عبد الوهاب بن صالح عُرِفَ بابن المغرم لإمام جامع همدان بها ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا أبو منصور عبد الكريم بن محمد بن حامد المعروف بابن الخيام ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك ، وهو أول حديث سمعته منه ، حفظاً ، أخبرنا أبو الطاهر محمد بن محمد بن محمد بن مخمش^١ الزيادي ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن هلال البزار ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا سفيان بن عيينة ، وهو أول حديث سمعته منه ، عن عمرو ابن دينار ، عن أبي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

(ح) وحدثني الشريف أيضاً كذلك بطريقه عن السلفي بأحاديثه المشهورة فيه ، وهذا الحديث أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

قال لي الشريف : قال لي القاضي أبو العباس الرندي : لما قدم أبو العباس ابن الغماز^٢ من بلنسية نزل بجاية ، فجلس بها في الشهود مع عبد الحق بن ربيع^٣ ،

١ ابن مخمش : سقطت من ق ؛ وفي ص : مخمش .

٢ هو أحمد بن محمد بن الحسن ابن الغماز الأنصاري نزل بجاية وولي قضاءها وإقامة الصلوات بجامعها

الأعظم وتوفي بتونس (٦٩٣) ، انظر الفبريني : ٧٠ - ٧٢ .

٣ لعبد الحق ترجمة مسهبة في الفبريني ٣٢ - ٣٦ .

فجاء عبد الحق يوماً وعليه برنس أبيض ، وقد حسنت شارته وكملت هيأته ،
فلما نظر إليه ابن الغماز أنشده :

لَبِيسَ البرنسَ الفقيهُ فباهى ورأى أنه المليحُ فتأها
لو زليخا رأته حين تَبَدَّى لَتَمَنَّتْهُ أن يكونَ فتأها

وبه أن ابن الغماز جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة ، فنزل الشهود من
المثمنة وأخبروا أنهم لم يُهْلَوْهُ ، وجاء حفيد له صغير ، فأخبره أنه أهْلَتْهُ ،
فردهم معه ، فأراهم إياه ، فقال : ما أشبه الليلة بالبارحة ، وقع لنا مثل هذا مع
أبي الربيع ابن سالم ، فأنشدنا فيه :

تواری هلال الأفق عن أعين الوری وأرخى حجاب الغيمِ دونَ محياهُ
فلما تصدَّى لارتقاب شقيقه تَبَدَّى له دون الأنامِ فحيَاهُ

سمعت الشريف يقول : أول زجل عمل في الدنيا :

بالله يا طيرٌ مدللٌ مرٌّ بي وسطَ القفارِ
إياك تجددُ لعاده ترمي حجيرة في داري

7 - ومنهم قاضي جماعتها وكاتب خلافتها وخطيب جامعها ، أبو عبد الله
محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي^١ ، من ولد عقبة بن نافع الفهري ، نزلها
سلفه قديماً ، وخلفه بها إلى الآن ، توفي في أواسط سنة خمس وثلاثين وسبعمئة
وشهد جنازته سلطانها يومئذ أبو تاشفين ، وولى ابنه أبا علي منصوراً مكانه يومئذ ،
ولما ثقل لسانه دعا ابنه هذا فقال له : اكتب هذين البيتين فأني نظمتهما على هذه
الحالة ، فكتب :

إلهي مضت للعمر سبعون حجةً جنيتُ بها لما جنيتُ اللواهيا

١ ترجمة ابن هدية في المرقبة العليا : ١٣٤ وذكر أن وفاته صدر سنة ٧٣٦ .

وعبدك قد أمسى عليل ذنوبه فجد لي برحمتك ، نعم الدوا هيا
ولما ورد الأديب أبو عبد الله محمد بن محمد المكوذي من المغرب رفع إليه
قصيدة أولها :

سَرتُ والدجى لم يبقَ إلّا يسيرها نسيمُ صَباً يحبي القلوبَ مسيرها
وفيهما الأبيات العجائب التي سارت سير الأمثال ، وهي قوله :
وفي الكِلَّةِ الحمراء حمراء لو بدتْ لشكلى لولتى شكلا وثُبورها
فما يستوي مثوى لها مَنْ سوى القنا خيام . وَمَنْ يبيضُ الصفاح ستورها
وما يسوى صدق الغرامِ أرومها ولا يسوى زور الخيال أزورها
فأحسن إليه ، وكلم السلطان حتى أرسل جرابته عليه ، وقد شهدت المكوذي
وهذه القصيدة تُقرأ عليه .

8 — ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي^١ .
أدرك ابن زيتون ، وأخذ عن أبي الطاهر ابن سرور وحلّفته ، وعنه أخذت
شرح المعالم له ، وولي القضاء بتلمسان مرات ، فلم تستغزه الدنيا ، ولا باع الفقر
بالغنى .

9 — ومنهم^٢ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور^٣ .
قاضي الجماعة بعد ابن أبي عمرو ، وكانت له رحلة إلى المشرق ، لقي بها

١ سقطت هذه الترجمة من ق .

٢ ق : ومنهم القاضي .

٣ ترجمة ابن عبد النور في التعريف : ٤٦ وجذوة الاقتباس : ١٩٠ ونيل الابتهاج : ٢٤٠ وهو
ندرومي أي ينسب إلى ندرومة في الشمال الغربي من تلمسان .

جلال الدين القزويني وحلبته ، وتوفي بتونس في الوباء العام في حدود الخمسين وسبعمائة .

10 - ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسين البروني^١ .

قدم عليها من الأندلس ، فأقام إلى أن مات . سمعته يقول : البقر العدوية كالإبل المهمة في الصحراء ، لا يجوز أن تباع بالنظر إليها ، لكن بعد أن تمسك ويستولى عليها .

11 - ومنهم أبو عمران موسى المصمودي ، الشهير البخاري .

سمعت البروني يقول : كان الشيخ أبو عمران يدرس صحيح البخاري ، ورفيق له يدرس صحيح مسلم ، فكانا يُعرفان بالبخاري ومسلم ، فشهدا عند قاضٍ فطلب المشهود عليه الإعذار فيهما ، فقال له أبو عمران : أتمكن من الإعذار في الصحيحين ؟ فضحك القاضي ، وأصلح بين الخصمين .

سألته عما ضربه ابن هدية عليه من إباحة الاستياك في رمضان بقشر الجوز فقال لي : نعم ، ويبلغ ريقه ، تأول ، رحمه الله تعالى ، أن الخصال المذكورة في السواك إنما تجتمع في الجوز ، فكان يحمل كل ما روى فيه عليه ، وهذا غلط فاحش ، لأن العرب لا تكاد تعرفه ، ونظر إلى ما في البخاري من قوله بعد أن ذكر جواز السواك للصائم « ولا بأس أن يتلع ريقه » يعني الصائم في الجملة ، فحمله على المستاك بالجوز ، وكان رحمه الله تعالى قليل الإصابة في الفتيا ، كثير المصيبات عليها .

12 - ومنهم نادرة الأعصار : أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار^٢ .

١ انظر نيل الابتهاج : ٢٢٨ .

٢ ترجمة ابن النجار في التعريف : ٤٧ ونيل الابتهاج : ٢٣٩ وجلوة الاقتباس : ١٩٠ وسماه ابن خلدون « شيخ التعاليم » وذكر أنه كان إماماً في علوم النجامة وأحكامها وما يتعلق بها .

قال لي العلامة الآبلي : ما قرأ أحد عليّ حتى قلت له : لم أبقَ عندي ما أقول لك غير ابن النجار .

سمعت ابن النجار يقول : مر عمل الموقتين على تساوي فضلي ما بين المغرب والعشاء والفجر والشمس ، فيؤذنون بالعشاء لذهاب ثماني عشرة درجة ، وبالفجر لبقائها ، والنجاري على مذهب مالك أن الشفق الحمراء ، وأن تكون فضلة ما بين العشاءين أقصر ؛ لأن الحمرة ثانية الغوارب والطوالع ، فتريد فضلة الفجر بمقدار ما بين ابتداء طلوع الحمرة والشمس ، فعرضت كلامه هذا على المزوار أبي زيد عبد الرحمن بن سليمان اللجائي ، فصوّبه .

وذكرت يوماً^١ حكاية ابن رشد الاتفاق في الخمر إذا تخللت بنفسها أنها تطهر ، واعترضته بما في « الإكمال » عن ابن وضاح أنها لا تطهر ، فقال لي : لا معتبر بقول ابن وضاح هذا ، لأنه يلزم عليه تحريم الخل ، لأن العنب لا يصير خلّاً حتى يكون خمرّاً ، وفيه بحث .

وذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقراية « وهي أصول وفصول ، وفصول أول أصوله ، وأول فصل من كل أصل وإن علا » فقال : إن تركّب لفظ التسمية^٢ العرفية من الطرفين حلت ، وإلاّ حرمت ، فتأملته فوجدته كما قال ، لأن أقسام هذا الضابط أربعة : التركب من الطرفين كابن العم وابنة العم مقابله كالأب والبنت ، التركب من قبيل الرجل كابنة الأخ والعم مقابله كابن الأخت^٣ والحالة .

وأنشدت يوماً عنده على زيادة اللام^٤ :

باعَدَ أُمَّ العَمْرِ من أسيرها . . .

١ قارن بما ورد في نيل الابتهاج : ٢٣٩ .

٢ نيل الابتهاج : يقضية النسبة .

٣ نيل الابتهاج : الأخ .

٤ تمام هذا الرجز : « حراس أبواب على قصورها » .

فقال لي : وما يدريك أنه أراد العَمَرَ الذي أراده المعري بقوله ^١ :

وعَمَر هِنْدٌ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهُ عمرو بن هند يُعَنِّي الناس تعيننا

وأضاف اللام إليه كما قالوا : أم الحليس ، قلت : ولا يندفع هذا بثبت كون المعنية تكنى أم عمرو ؛ لأن ذلك لا يمنع إرادة المعنى الآخر ، فتكون : أم عمرو ، وأم العمر .

قال ابن النجار : بعثت بهذه الأبيات من نظمي إلى القاضي أبي عبد الله ابن هدية فأخرج لغزها :

إنَّ حروف اسمٍ مَن كلفتُ به خَفَّتْ على كلِّ ناطقٍ بقمٍ
سائغةٌ سهلةٌ مخرجها من أجل هذا تزداد في الكلمِ
صحفهٌ ثمَّ آقلبن مصحفهٌ فعلٌ ذكيٌّ مهذبٌ فهمِ
واطلبه في الشعر جدًّا مطلبه تجده كالصبحٍ لاحٍ في الظلمِ
فإنَّ تأملتُ بتَّ منه على علمٍ وإلاَّ فأنت عنه عَمي

واللغز « سلمان » وموضعه تأملت بت ، وتوفي رحمه الله تعالى بتونس أيام الوباء العام .

18 — ومنهم الأستاذ المقرئ الراوية الرحلة أبو الحسن علي بن أبي بكر ابن سبع بن مزاحم المكناسي

ورد علينا من المشرق ، فأقام معنا أعواماً ، ثم رحل إلى فاس ، فتوفي بها في الوباء العام ، جمعت عليه السبع ، وقرأت عليه البخاري والشاطبيتين وغير

١ شروح السقط : ١٦٢٦ ، وعمر هند : يعني قرط هند ، وعمرو بن هند : أحد ملوك الحيرة كان يعرف بالعتف وتعني الناس . فقلوله في الرجز أم العمر — بإدخال اللام — قد يعني « ذات القرط » .

٢ ق : كالعلم .

ذلك ، فأما البخاري فحدثني به قراءة^١ منه على أحمد بن الشحنة الحجار سنة ثلاثين وسبعمائة ، وكان الحجار قد سمعه على ابن الزبيدي سنة ثلاثين وستمائة ، وهذا ما لا يُعرف له نظير في الإسلام ، وقد قال عبد الغني الحافظ : لا نعرف في الإسلام من^٢ وازاه غير عبد الله بن محمد البغوي في قدم السماع ، فإنه توفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، قال ابن خلاد : سمعناه يقول : أخبرنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني سنة خمس وعشرين ومائتين ، وسمعه ابن الزبيدي على أبي الوقت بسنده ، قال لي ابن مزاحم : هذا طريق كله سماع . وأما الشاطبيتان فحدثني بهما قراءة^٣ عليه لجميعهما عن بدر الدين ابن جماعة ، بقراءتهما عليه عن أبي الفضل هبة الله بن الأزرق ، بقراءتهما عليه عن المؤلف كذلك ، وحدثني بتسهيل الفوائد عن ابن جماعة عن المؤلف ابن مالك ، وغير ذلك .

14 - وممن ورد عليها لا يريد الإقامة بها شيخي وبركتي وقُدوتي أبو عبد الله محمد بن حسين القرشي الزبيدي التونسي^١ .

حدثني بالصحيحين قراءة لبعضهما ومناولة لجميعهما ، عن أبي اليمن ابن عساكر لقيه بمكة سنة إحدى وثمانين وستمائة بسنده المشهور ، وحدثني أيضاً أن أبا منصور العجمي حدثه بمحضر الشيخين والده حسين وعمه حسن وأثنى عليه ديناً وفضلاً أنه أدخل ببعض بلاد المشرق على المعمر^٢ أدخله عليه بعض ولد^٣ ولده ، فألفاه ملفوفاً في قطن ، وسمع له دويلاً كدوي النحل ، فقليل له : ألقيت رسول الله ، صلتى الله عليه وسلّم ، ورأيت^٤ ؟ قال : نعم ، قلت : ليس في هذا ما يُستراب منه إلا الشيخ المعمر^٥ ، فإننا لا نعرف حاله ، فإن صح فحدثنا عنه

١ عرف به ابن خلدون في التعريف : ١٤ وقال : كان كبير تونس لعهده في العلم والفتيا وانتحال طرق الولاية التي ورثها عن أبيه حسين وعمه حسن الوليين الشهيرين ؛ وذكره ابن بطوطة في رحلته : ١٦ وكانت وفاته سنة ٧٤٠ هـ والزبيدي - بضم الزاي - نسبة إلى قرية بساحل المهدية .
٢ ولد : سقطت من ق .

ثلاثي ، وقد تركت سنة خمس وأربعين بمصر رجلاً يسمى بعثمان معه تسعون حديثاً يزعم أنه سمعها من المعمر وقد أخذت عنه ، وكتبت منه ، فهذا ثنائي ، وأمر المعمر غريب ، والنفس أميل إلى نفيه .

15 — ومنهم إمام الحديث والعربية ، وكاتب الخلافة العثمانية والعلوية ^١ ، أبو محمد عبد المهيم بن محمد الحضرمي السبتي ^٢ .

جمع فأوعى ، واستوهب أكثر المشاهير وما سعى ، فهو المقيم الظاعن ، الضارب القاطن ، سألتني عن الفرق ^٣ بين علم الجنس واسم الجنس ، فقلت له : زعم الخسرو شاهي أنه ليس بالديار المصرية مَنْ يعرفه غيره ، وأنا أقول : ليس في الدنيا عالم إلاّ وهو يعلمه غيره ^٤ ؛ لأنه حكم لفظي أوجب تقديره المحافظة على ضبط القوانين كعدّل عُمَرَ ونحوه ، فاستحسن ذلك .

وكان ينكر إضافة الحَوَل إلى الله عز وجل ، فلا يجوز أن يقال « بحول الله وقوته » قال : لأنه لم يرد إطلاقه ، والمعنى يقتضي امتناعه ؛ لأن الحَوَل كالحيلة أو قريب منها .

وتوفي بتونس أيام الوباء العام .

16 — ومنهم الفقيه المحقق الفَرَضِي المدقق أبو عبد الله محمد بن سليمان بن

١ العثمانية : نسبة إلى عثمان بن يعقوب المريني ، والعلوية : نسبة إلى علي أبي الحسن المريني .

٢ كان والده محمد بن عبد المهيم الحضرمي أبو عبد الله كبير القدر ولي القضاء بسبته لقرابته من رؤسائها بني العزفي سنة ٦٨٣ فقام بالأحكام أجمل قيام ، فلما صار بلده إلى بني نصر أواخر سنة ٧٠٥ صرف إلى غرناطة هو وأقرباؤه فأقام بها مع ابنه الكاتب البار عبد المهيم ، ثم عاد إلى سبته وتوفي سنة ٧١٢ (المرقبة العليا ١٣٢ - ١٣٣) ثم أصبح عبد المهيم الابن كاتباً للسلطان أبي الحسن المريني وصاحب علامته وكان يعد إمام المحدثين والنحاة بالمغرب ، وعنه أخذ ابن خلدون وغيره (التعريف : ٢٠ ، ٣٨ ومستودع العلامة : ٥٠ وتاريخ ابن خلدون ٧ : ٢٤٧ وجذوة الاقتباس : ٢٧٩ ونثير الجمان لابن الأحمر والإحاطة : ٣١٥) .

٣ ق : سألتني الفرق .

٤ وأنا أقول . . . غيره : سقط من ص .

علي السطحي^١ قرأت عليه كتاب الحوفي علماً وعملاً ، قال لي في قول ابن الحاجب « والثمن والثالث والسادس من أربعة وعشرين » : هذا لا يصح ؛ إذ لا يجتمع الثالث والثمن في فريضة ، وقد سبقه إلى هذا الوهم صاحبُ المقدمات ، وسألت عنه ابن النجار فقال لي : إنما أراد المقام لأنه يجتمع مع الثلثين ، والإنصاف أنه لا يحسن التعبير بما لا تصح إرادة نفسه عن غيره ، فكان الوجه أن يقول : والثلاثان أو ومقام الثلث ، ونحو ذلك ، لأن الثلث إنما يدخل هنا تقديرًا لا تحقيقاً كما في الجواهر ، وانظر باب المدبر من كتاب الحوفي ، فإن فيه موافقة السبعة لعدد لا توافقه فهو من باب الفرض ، وعليه ينبغي أن يحمل كلام ابن الحاجب .

17 - 19 - ومنهم الأستاذ أبو عبد الله الرندي ، والقاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي^٢ ، والقاضي أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي يحيى ، في كثير من الخلق ، فلنضرب عن هذا .

20 - ومن شيوخه^٣ الصالحاء الذين لقيت بها خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي الخياط ، أدرك أبا إسحاق الطيار ، وقد صافحته وأنا صغير ، لأنه توفي سنة تسع وعشرين ، بمصافحته أباه ، بمصافحته الشيخ أبا تميم ، بمصافحته أبا مدين ، بمصافحته أبا الحسن ابن حرزهم ، بمصافحته ابن العربي ، بمصافحته الغزالي ، بمصافحته أبا المعالي ، بمصافحته أبا طالب المكي ، بمصافحته أبا محمد الجريري ، بمصافحته الجُنَيْد ، بمصافحته سرياً ، بمصافحته معروفاً ، بمصافحته داود الطائفي ، بمصافحته حبيباً العجمي ، بمصافحته الحسن البصري ، بمصافحته علي بن أبي طالب ، بمصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١ السطحي : نسبة إلى قبيلة سطة من بطون أوربة بنواحي فاس وكان أحفظ الناس لمذهب مالك وأفقههم

فيه (انظر ترجمته في التعريف : ٣١ ، ٣٨ ونيل الابتهاج : ٢٤٢ وجلوة الاقتباس : ١٤٢) .

٢ ترجمة الجزولي في نيل الابتهاج : ٢٤٩ وسلوة الأنفاس : ٣ : ٢٧٦ .

٣ ق : المشايخ .

21 - ومنهم خطيبها المصقع أبو عبد الله محمد بن علي بن الجمال ، أدرك محمد بن رشيد البغدادي^١ صاحب الزهر والوتريات على حروف المعجم والمذهبة وغيرها ، حدثني عنه أنه تاب بين يديه لأول مجلس جلس به بتلمسان سبعون رجلاً .

22 ، 23 - ومنهم الشقيقان الحاجان الفاضلان أبو عبد الله محمد ، وأبو العباس أحمد^٢ ، ابنا ولي الله أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر ابن مرزوق العجيسي .

كسائي محمد خرقة التصوف بيده ، كما كساه إياها الشيخ بلال بن عبد الله الحبشي خادم الشيخ أبي مدين ، كما كساه أبو مدين ، قال محمد بن مرزوق : وكان مولد بلال سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وخدم أبا مدين نحواً من خمسة عشر عاماً ، إلى أن توفي في عام تسعين وخمسمائة ، ثم عاش بعده أكثر من مائة سنة ، ولبس أبو مدين من يد ابن حرزهم ، ولبس ابن حرزهم من يد ابن العربي ، واتصل اللباس اتصال المصافحة .

24 - ومنهم أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي المكتب ، حدثنا عن قاضيهما أبي زيد عبد الرحمن بن علي الدكالي أنه اختصم عنده رجلان في شاة ادعى أحدهما أنه أودعها الآخر ، وادعى الآخر أنها ضاعت منه ، فأوجب اليمين على المودع عنده ، أنها ضاعت من غير تضييع ، فقال : كيف أضيع وقد شغلنتي حراستها عن الصلاة حتى خرج وقتها ؟ فحكم عليه بالغرم ، فقبل له في

١ محمد بن رشيد البغدادي مجد الدين (- ٦٦٢) يعرف بالو تري لأنه نظم الو تريات وهي قصائد على حروف المعجم تتألف كل واحدة من ٢١ بيتاً في مدح الرسول وأول كل بيت على حرف القافية ، بدأ نظمها بفرناطة سنة ٦٥٢ ثم زاد فيها وعدل منها ، وحج سنة ٦٦١ وقد نشرت باسم « ديوان معدن الإفاضات في مدح أشرف الكائنات » (بيروت ١٣١٠) وعند حاجي خليفة (١٩٩٩) « ذريعة الوصول إلى زيارة جناب حضرة الرسول » .

٢ انظر نيل الابتهاج : ٢٥١ ، قال التنبكي : وأبو العباس ابن مرزوق هو والد الخطيب ابن مرزوق الجلي ، وأبو عبد الله المذكور عنه .

ذلك ، فقال : تأولت قول عمر « ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع » .

25 - ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد الغزموئي^١ ، مكتبي الأول ،
ووسيلتي إلى الله عز وجل ، قرأ على الشيخين أبي عبد الله القصري وأبي^٢ حريث
وحج حجات ، وكان عقد بقلبه أنه كلما ملك مائة دينار عيوناً سافر إلى الحج^٣ ،
وكان بصيراً بتعبير الرؤيا ، فمن عجائب شأنه فيه^٤ أنه كان في سجن أبي يعقوب
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق فيمن كان فيه من أهل تلمسان أيام محاصرته لها ،
فرأى أبو جمعة ابن علي التالسي^٥ الجرائحي منهم كأنه قائم على سانية^٦ دائرة
وجميع قواديسها يصب في تقير في وسطها ، فجاء ليشرب ، فلمّا اغترف الماء
إذا فيه فَرَثٌ ودم فأرسله ، ثم اغترف فإذا هو كذلك ، ثلاثاً أو أكثر ، فعدل
عنه ، فرأى خصبة^٧ ماء وشرب منها ، ثم استيقظ وهو النهار فأخبره ، فقال :
إن صدقت رؤياك فنحن عمّا قليل خارجون من هذا المكان ، قال : كيف ؟
قال : السانية الزمان ، والتقير السلطان ، وأنت جرائحي تدخل يدك في جوفه
فيناولها الفرث والدم ، وهذا ما لا تحتاج معه ، فلم يكن إلّا ضحوة الغد ، وإذا
النداء عليه ، فأخرج فوجد السلطان مطعوناً بخنجر ، فأدخل يده فناولها الفرث
والدم ، فخاط جراحته ، ثم خرج ، فرأى خصبة ماء ، فغسل يديه وشرب ،
ثم لم يلبث السلطان أن توفي ، وسُرّحوا .
وتعداد أهل هذه الصفة يكثر ، فلنصفح عنهم ، ولنختم فصل^٨ من لقيته

١ في نيل الابتهاج (٢٥٣) القرموني .

٢ ق : وابن .

٣ وحج . . . الحج : سقطت من ق .

٤ وردت القصة في نيل الابتهاج : ٢٥٣ .

٥ ق : التالسي .

٦ كذا في الأصلين ، وفي النيل : ساقية .

٧ الخصة : الخوض أو الصهريج (انظر ملحق المعاجم للوزي) .

٨ ق : ولنختم المذكورين في فصل . . . إلخ .

بتلمسان بذكر رجلين هما بقيد الحياة أحدهما عالم الدنيا ، والآخر نادرتهما .

26 — أما العالم فشيخنا ومعلمنا العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي ، التلمساني^١ ، سمع جده لأمه أبا الحسين ابن غلبون المرسي^٢ القاضي بتلمسان ، وأخذ عن فقهاها أبي الحسين التنسي وابني الإمام ، ورحل في آخر المائة السابعة فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ، ثم قفل إلى المغرب فأقام بتلمسان مدة ، ثم فرّ أيام أبي حمّو موسى بن عثمان إلى المغرب .

حدثني أنه لقي أبا العباس أحمد بن إبراهيم الخياط شقيق شيخنا أبي عثمان المتقدم ذكره ، فشكا له ما يتوقعه من شر أبي حمّو ، فقال له : عليك بالجليل ، فلم يلبس ما قال ، حتى تعرض له رجل من غماره ، فعرض عليه الهروب به ، قال : فخفت أن يكون أبو حمّو قد دسّه عليّ ، فتكررت له ، فقال لي : إنما أسير بك على الجليل ، فتذكرت قول أبي إسحاق ، فواطأته ، وكان خلاصي على يده ، قال : ولقد وجدت العطش في بعض مسيري به ، حتى غلظ لساني واضطربت ركبتي ، فقال لي : إن جلست قتلتك لثلاثاً أفترض بك ، فكنت أقوى نفسي ، فمر على بالي في تلك الحالة استسقاء عمر بالعباس ، وتوسّله به ، فوالله ما قلت شيئاً حتى رُفع لي غدير ماء ، فأريته إياه ، فشربنا ونهضنا . ولما دخل المغرب أدرك أبا العباس ابن البناء ، فأخذ عنه ، وشافه^٣ كثيراً من علمائه ، قال لي : قلت لأبي الحسن الصغير : ما قولك في المهدي ؟ فقال : عالم سلطان ، فقلت له : قد أبنت عن مرادي . ثم سكن جبال الموحدين ، ثم رجع إلى فاس ، فلما افتتحت تلمسان لقيته بها ، فأخذت عنه ، فقال لي الآبلي^٤ :

١ ترجمة الآبلي في التمرّيف : ٢١ ، ٣٣ والدرر الكامنة ٣ : ٢٨٨ ونيل الابتهاج : ٢٤٤ وجملة الاقتباس ١٤٤ ، ١٩١ والآبلي - بمد وموحدة مكسورة - نسبة إلى آبله (Avila) من بلاد الجوف الأندلسي أي إلى الشمال الغربي من مدريد .

٢ اسمه محمد بن غلبون .

٣ نيل الابتهاج : وسأل . ٤ انظر نيل الابتهاج : ٢٤٥ .

كنت يوماً مع القاسم بن محمد الصنهاجي ، فوردت عليه طومارة من قبيل القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها :

خيراتُ ما تحويهِ مبدولةٌ ومَطْلَبِي تصحيفُ مقلوبها

فقال لي : ما مطلبه ؟ فقلت : نارنج .

دخل على الآبلي^١ وأنا عنده بتلمسان الشيخ أبو عبد الله الدباغ المالقي المتطبب فأخبرنا أن أديباً استجدي وزيراً بهذا الشطر :

ثمَّ حبيب قلَّما ينصف

فأخذته فكتبته ، ثم قلبته وصحفته ، فإذا هو : قصبتا ملف شحمي .
ومر الدباغ علينا يوماً بفاس ، فدعاه الشيخ ، قلباه ، فقال : حدثنا بحديث اللطافة ، فقال : نعم ، حدثني أبو زكريا ابن السراج الكاتب بسجلماسة أن أبا إسحاق التلمساني وصهره مالك بن المرحل ، وكان ابن السراج قد لقيهما ، اصطحبا في مسير ، فأواهما الليلُ إلى مجشر ، فسألا عن طالبه ، فدُلا ، فاستضافاه فأضافهما ، فبسط قطيفة بيضاء ، ثم عطف عليهما بنجزل ولبن ، وقال لهما : استعملا من هذه اللطافة حتى يحضر عشاؤكما ، وانصرف ، فتحاورا في اسم اللطافة لأي شيء هو منهما حتى ناما ، فلم يرُع أبا إسحاق إلاّ مالك يوقظه ويقول : قد وجدت اللطافة ، قال : كيف ؟ قال : أبعدت في طلبها حتى وقعت بما لم يمر قط على مسمع هذا البدوي فضلاً عن أن يراه ، ثم رجعت القهقري حتى وقعت على قول النابغة :

بمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كأنَّ بنانهُ عَنَمٌ يكادُ من اللطافةِ يُعَقِّدُ

فسنح لبالي أنه وجد اللطافة ، وعليها مكتوب بالخط الرقيق اللين ، فجعل

١ قارن بما في نيل الابتهاج : ٢٥٢ .

إحدى النقطتين للطاء فصارت اللطافة اللطافة واللين اللين وإن كان قد صحف
عنم بغنم ، وظن أن يعقد جبن ، فقد قوي عنده الوهم ، فقال أبو إسحاق : ما
خرجت عن صوبه ، فلما جاء سألاه ، فأخبر أنها اللين ، واستشهد بالبيت كما
قال مالك .

ولا تعجب من مالك فقد ورد فاساً شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي
عرف بابن المسفر^١ ، رسولاً عن صاحب بجاية ، فزاره الطلبة ، فكان فيما
حدثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاماً وقع في تفسير
سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين ، ويستشكله الشيخ معهم ، وهذا نصه^٢ :
ثبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في الجنس ، والبسيط مثل
المركب في الفصل ، وأن الجنس أقوى من الفصل ، فرجعوا به إلى الشيخ الآبلي ،
فتأمله ثم قال : هذا كلام مصحف ، وأصله أن المركب قبل البسيط في الجنس ،
والبسيط قبل المركب في العقل ، وأن الجنس أقوى من العقل ، فأخبروا ابن المسفر ،
فلج ، فقال لهم الشيخ : التمسوا النسخ ، فوجدوه في بعضها كما قال الشيخ ، والله
يؤتي فضله من يشاء .

قال لي الآبلي : لما نزلت تازى بت مع أبي الحسن ابن برّي وأبي عبد الله
الترجالي^٣ ، فاحتجت إلى النوم ، وكرهت قطعهما عن الكلام ، فاستكشفتها عن
معنى هذا البيت للمعري :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

فجعلنا يفكران فيه ، فنمت حتى أصبحنا ، ولم يجداه ، فسألاني عنه ، فقلت :
معناه أقول لعبد الله لما وهى سقاؤنا ، ونحن بوادي عبد شمس : شم لنا برقاً .

١ النص في نيل الابتهاج : ٢٤٥ .

٢ انظر تفسير الفخر الرازي .

٣ ق : البرجالي .

قلت : وفي جواز مثل هذا نظر .

سمعت الآبلي يقول : دخل قطبُ الدين الشيرازي والدييران على أفضل الدين الخونجي ببلده ، وقد تزيتاً بزي القونوية ، فسأله أحدهما عن مسألة ، فأجابه ، فتعابا عن الفهم ، وقرب التقرير ، فتعابا ، فقال الخونجي متمثلاً :

عَلَيَّ نَحْتُ الْمَعَانِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَيَّ لَكُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقْرُ

فقال له : ضم التاء يا مولانا ، فعرّفهما ، فحملهما إلى بيته .

قلت : سمعت الشيخ شمس الدين الأصبهاني يخافه قوصون بمصر يقول : إن شيخه القطب توفي عام أحد عشر وسبعمائة ، وله سبع وسبعون سنة ، وهذا يضعف هذه الحكاية عندي .

سمعت الآبلي يقول : إن الخونجي ولي قضاء مصر بعد عز الدين بن عبد السلام ، فقدم شاهداً كان عز الدين أخره ، فعذله في ذلك ، فقال : إن مولانا لم يذكر السبب الذي رفع يده من أجله ، وهو الآن غير متمكن من ذكره .
سمعت الشيخ الآبلي يحدث عن قطب الدين القسطلاني أنه ظهر في المائة السابعة من المفاسد العظام ثلاث : مذهب ابن سبعين ، وتملك الططر للعراق ، واستعمال الحشيشة .

سمعت الآبلي يقول : قال أبو المطرف ابن عميرة :

فَضَّلَ الْجَمَالَ عَلَى الْكَمَالِ بِوَجْهِهِ فَالْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ وَسَّطَهُ
وَبَطَّرَفَهُ سَقَمٌ وَسَحَرٌ قَدْ أَتَى مُسْتَظْهِراً بِهِمَا عَلَى مَا اسْتَنْبَطَهُ
عَجَباً لَهُ بُرْهَانُهُ بِشُرُوطِهِ مَعَهُ فَمَا مَقْصُودُهُ بِالسَّفْطَةِ

قال : فأجابه أبو القاسم ابن الشاط فقال :

عِلْمُ التَّبَايُنِ فِي النُّفُوسِ وَأَنَّهَا مِنْهَا مُغْلَطَةٌ وَغَيْرُ مُغْلَطَةٍ
فَنَّةٌ رَأَتْ وَجْهَ الدَّلِيلِ وَفَرَقَتْ أَصْغَتْ إِلَى الشَّبَهَاتِ فِيهِ مَوْرَطَةٌ
فَأَرَادَ جَمْعَهُمَا مَعاً فِي مَلَكِهِ هَذِي بِمَنْتَجَةٍ وَذِي بِمُغْلَطَةٍ

يعني قولهم في التام : هو ما تحمل فيه البرهان الفصل .
وأخبار الآبلي وأسميعتي منه تحتل كتاباً ، فلنقف على هذا القدر منها .

27 — وأما النادرة فأبو عبد الله [محمد] بن أحمد بن شاطر الجمحي المراكشي^١ ، صاحب أبا زيد الهزميري كثيراً ، وأبا عبد الله ابن تجلات ، وأبا العباس ابن البناء وأضرابه من المراكشين ومن جاورهم ، ورزق بصحبة الصالحين حلاوة القبول ، فلا تكاد^٢ تجد من يستثقله ، وربما سئل عن نفسه فيقول : وليّ مفسود .

قلت له يوماً : كيف أنت ؟ فقال : محبوس في الروح ؛ وقال : الليل والنهار حرسيان : أحدهما أسود ، والآخر أبيض ، وقد أخذنا بمجامع الخلق يجرّأهم إلى يوم القيامة ، وإنّ مردّنا إلى الله تعالى .

وسمعه يقول : المؤذنون يدعون أولياء الله إلى بيته لعبادته ، فلا يصدّهم عن دعائهم ظلّمة ولا شتاء ولا طين ، ويصرفونهم عن الاشتغال بما لم يبين لهم فيخرجونهم ويفلقون الأبواب دونهم .

ووجدته ذات يوم في المسجد ذاكرًا ، فقلت له : كيف أنت ؟ فقال ﴿ فَهَمُّمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ (الروم : ١٥) فهممت بالانصراف ، فقال : أين تذهب من روضة من رياض الجنة يقام بها على رأسك بهذا التاج ؟ وأشار إلى المنار مملوءاً الله أكبر .

مرّ ابن شاطر يوماً على أبي العباس أحمد بن شعيب الكاتب^٣ وهو جالس

١ ترجمة ابن شاطر في نيل الابتهاج : ٢٤٨ والإحاطة ، الورقة : ١٠٥ والنقل فيها عن المقرئ البلد ؛ وتوفي سنة ٧٥٧ هـ .

٢ وأضرابه . . . تكاد : سقطت من ق .

٣ أحمد بن شعيب الجزنائي من أهل فاس ، برع في اللسان والأدب والعلوم العقلية ونظمه السلطان أبو سميد المريني في حلبة الكتاب وأجرى عليه الرزق مع الأطباء وهلك في الطاعون (سنة ٧٥٠) ؛ نثير فرائد الجمان : ٣٣٥ ونثير الجمان : ٧٠ ونيل الابتهاج : ٦٨ والتعريف : ٤٨ وجذوة الاقتباس : ٤٧ ودرة البحال : ١ : ٢١ .

في جامع الجزيرة ، طهره الله تعالى ، وقد ذهبت به الكفرة ، فصاح به ، فلما رفع رأسه إليه قال له : انظر إلى مركب عزرائيل هذا ، وأشار إلى نعش هنالك ، قد رفع شراعه ونودي عليه الطلوع يا غزي .

وأكل يوماً مع أبي القاسم عبد الله بن رضوان الكاتب جلجلاناً ، فقال له أبو القاسم : إن في هذا الجلجلان لضرباً من طعم اللوز ، فقال ابن شاطر : وهل الجلجلان إلاّ لوزة دقة ؟

وسئل عن العلة^١ في نضارة الحداثة ، فقال : قُرْبُ عهدها بالله ، فقليل له : فمم تغير الشيوخ ؟ فقال : من بُعِدَ العهد من الله ، وطول الصحبة مع الشياطين ، فقليل له : فبَحَرُ أفواههم^٢ ؟ فقال : من كثرة ما تَقَلَّ الشياطين فيها .

وكان يسمى الصغير : فأر المصطكي ، قال لي ابن شاطر : لقيت عمي ميموناً المعروف بديير لقرب موته وقد اصفرّ وجهه وتغيرت حالته ، فقلت له : ما بالك ؟ وكان قد خدم الصالحين ورزق بذلك القبول ، فقال : انسدت الزربطانة فطلع ، يعني العذرة ، يشير إلى الاحتقان للطبيعة .
أنشدني ابن شاطر قال : أنشدني أبو العباس ابن البناء لنفسه :

قصدتُ إلى الوجازة في كلامي^٣

الآبيات .

وأخبار ابن شاطر عندي تحتل كراسة ، فلنقتنع منها بهذا القدر .

فصل — ولما دخلت تلمسان على بني عبد الواد تهباً لي السفر منها ، فرحلت

١ النص في نيل الابتهاج : ٢٤٨ .

٢ نيل الابتهاج : قيل فقيم تنن أفواههم ؟

٣ تنمة البيت : لعلي بالصواب في الاختصار

وقد وردت الآبيات في الإحاطة : ١٠٦ .

إلى بجاية . فلقيت بها أعلاماً درجوا فأمتست بعدهم خلاء بَلَقَعاً .

28 - فمنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي ، عُرِفَ بابن المسفر^١ . باحثه واستفدت منه . وسألني عن اسم كتاب الجوهري فقلت له : من الناس من يقول الصحاح بالكسر ومنهم من يفتح ، فقال : إنما هو بالفتح بمعنى الصحيح . كما ذكره في باب صح ، قلت : ويحتمل أن يكون مصدر صح كحَنان .

وكتب إلى بعض أصحابه يجواب رسالة صدره بهذين البيتين :

وصلتُ صحيفةكم فهزّتْ مِعْطَفي فكأنما أهدتْ كؤوسَ القَرْقَفِ
وكانتْها نَيْلُ الأمانِ الخائِفِ أو وصلُ محبوبٍ لَصَبٍ مُدْتَفٍ

29 - ومنهم قاضيها أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزواوي ، فقيه^٢ ابن فقيه ، كان يقول : مَنْ عَرَفَ ابنَ الحاجبِ أقرأ به المدونة ، قال : وأنا أقرأ به المدونة .

30 - ومنهم أبو علي حسين بن حسين إمام المعقولات بعد ناصر الدين .

31 - ومنهم خطيبها أبو العباس أحمد بن عمران ، وكان قد ورد تلمسان وأورد بها على قول ابن الحاجب في حد العلم «صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض» الخاصة إلا أن يزداد في الحد «لن قامت به» لأنها إنما توجب فيه تمييزاً لا تمييزاً ، وهذا حسن .

32 ، 33 - ومنهم الشيخان أبو عزيز وأبو موسى ابن فرجان ، وغيرهم من أهل عصرهم .

١ ترجمة ابن المسفر في نيل الابتهاج : ٢٣٧ والديباج المذهب : ٣٣٢ وكانت وفاته سنة ٧٤٣ .

34 — ثم رحلت إلى تونس فلقيت بها قاضي الجماعة وفتيها أبا عبد الله ابن عبد السلام^١ ، فحضرت تدريسه ، وأكثرت مباحثته ، ولما نزلت بظاهر قسطينة تلقاني رجل من الطلبة ، فسألني عن هذه الآية ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (المائدة : ٦٧) فإن ظاهرها أن الجزاء هو الشرط : أي وإن لم تبلغ فما بلغت ، وذلك غير مفيد ، فقلت : بل هو مفيد ، أي : وإن لم تبلغ في المستقبل لم ينفعك تبليغك في الماضي ، لارتباط أول الرسالة بآخرها ، كالصلاة ونحوها ، بدليل قصة يونس ، فعبر بانتفاء ماهية التبليغ عن انتفاء المقصود منه ، إذ كان إنما يطلب ولا يعتبر بدونه ، كقوله عليه الصلاة والسلام « لا صلاة إلا بطهور » ، ثم اجتمعت بابن عبد السلام بجامع بوقير من تونس ، فسألته عن ذلك ، فلم يزد على أن قال : هذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله » ، وقد علمتم ما قال الشيخ تقي الدين فيه . قلت : كلام تقي الدين لا يعطي الجواب عن الآية ، فتأمله .

35-41 — وقاضي المناكح أبا محمد الأجمي ، وهو حافظ فقهاؤها في وقته ، والفتية أبا عبد الله ابن هارون شارح ابن الحاجب في الفقه والأصول ، والخطيب أبا عبد الله ابن عبد الستار ، وحضرت تدريسه بمدرسة المعرض ، والعلامة أبا عبد الله ابن الجياي الكاتب ، والفتية أبا عبد الله ابن سلمة ، والشيخ الصالح أبا الحسن المنتصر وارث طريقة الشيخ أبي محمد المرجاني آخر المذكورين بإفريقية ، ورأيت الشيخ ابن الشيخ المرجاني ، فحدثني أبو موسى ابن الإمام أنه أشبه به من الغُرَاب بالغُرَاب ، وسيدني أبا عبد الله الزبيدي المتقدم ذكره ، وأوقفني على خطأ في كتاب الصحاح ، وذلك أنه زعم أن السالم جلدة ما بين العين والأنف ، قال : وفيه يقول ابن عمر في ابنه سالم^٢ :

١ ترجمة ابن عبد السلام في نيل الابتهاج : ٢٤٠ والتعريف : ١٩ والديباج المذهب : ٣٣٦ والمرقبة العليا : ١٦١ .
٢ انظر اللسان (سلم) .

يُديرونني عن سالمٍ وأديرهم^١ وجِلْدَةٌ بين الأنف والعين سالم

قال : وهذا أراد عبد الملك حيث كتب إلى الحجاج « أنت مني كسالم » وهذا خطأ فاحش ، وكان يلزمه أن يسميها بالعمارة أيضاً ، لقوله عليه السلام « عمارة جلدة ما بين عيني وأنفي » وإنما يراد بمثل هذا القرب والتحمدا^١ .

ولقيت بتونس غير واحد من العلماء والصلحاء يطول ذكرهم ، ثمّ قفّلت إلى المغرب يسايرني^٢ رجل من أهل قسنطينة يُعرف بمنصور الحلبي ، فما لقيت رجلاً أكثر أخباراً ولا أظرف نوادر منه ، فمما حفظته من حديثه أن رجلاً من الأدباء مرّ برجل من الغرباء ، وقد قام بين ستة أطفال ، جعل ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله ، وأخذ ينشد :

ما كنتُ أحسبُ أن أبقي كذا أبداً أعيشُ والدّهْرُ في أطرافه حتفُ
ساسٌ بستة أطفالٍ توسّطهمُ شخصي كأحرفٍ ساسٍ وسطها ألفُ

قال : فتقدمت إليه وقلت : فأين تعريقة السين ؟ فقال : طالب وربّ الكعبة ، ثمّ قال للآخر من جهة يمينه : قم ، فقام يجرّ رجله كأنه مبطل ، فقال : هذا تمام تعريقة السين .

41 — 53 — ثمّ رحلت من تلمسان إلى المغرب ، فلقيت بفاس الشيخ الفقيه الحاج أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم الزناسي ، والشيخ الفقيه أبا محمد عبد المؤمن الجاناني ، والشيخ الفقيه الصالح أبا زرهون عبدالعزيز بن محمد القيرواني ، والفقيه أبا الضياء مصباح بن عبد الله الياصوني ، وكان حافظ وقته ، والفقيه أبا عبد الله ابن عبد الكريم ، وشيخ الشيوخ أبا زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي ، والأستاذ أبا العباس المكناسي ، وكنت لقيت الأستاذ أبا العباس ابن

١ ق : والحة .

٢ ق : ولما رحلت منها جمل يسايرني . إلخ .

حزب الله ، والأستاذ أبا عبد الله ابن القصار بتلمسان ، ولقيت غير هؤلاء ممن
يكثر عددهم ، وكنت قد لقيت بنازي الفقيه أبا عبد الله ابن عطية ، والأستاذ أبا
عبد الله المجاصي ، والشيخ أبا الحسين الجيار ، وغيرهم^١ .

53 — 67 — ثم بلغت بالرحلة إلى أغمات ، ثم وصلت إلى سبتة^٢ ،
فاستوعبت بلاد المغرب ولقيت بكل بلد من لا بُدَّ من لقائه من علمائه وصلحائه ،
ثم قفّلت إلى تلمسان فأقيمت بها ما شاء الله تعالى ، ثم أعملت الرحلة إلى الحجاز ،
فلقيت بمصر^٣ الأستاذ أثير الدين أبا حيان الغرناطي ، فرويت عنه ، واستفدت منه
وشمس الدين الأصبهاني الآخر ، وشمس الدين بن عدلان ، وقرأ عليّ بعض
شروحه^٤ لكتب المزني ، وناولني إياه ، وشمس الدين بن اللبان آخر المذكورين
بها ، والشيخ الصالح أبا محمد المنوفي فقيه المالكية بها ، وتاج الدين التبريزي
الأصم ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

ثم حججت فلقيت بمكة^٥ إمام الوقت أبا عبد الله ابن عبد الرحمن التوزري
المعروف بخليل ، وسألته يوم النحر حين وقف بالمشعر الحرام عن بطن محسّر
لأحرك فيه على الحمل ، فقال لي : تمالأ الناس على ترك هذه السنة ، حتى نسي
بتركها محلها ، والأقرب أنه هذا ، وأشار إلى ما يلي الجاية التي على يسار المار
من المشعر إلى منى من الطريق من أول ما يحاذيها إلى أن يأخذ صاعداً إلى منى ،
وما رأيت أعلم بالمناسك منه ، والإمام أبا العباس ابن رضي الدين الشافعي ، وغير
واحد من الزائرين والمجاورين وأهل البلد .

وبالمدينة أعجوبة الدنيا أبا محمد عبد الوهاب الجبرتي وغيره .

١ ق : من لا يحتمل هذا المختصر تعددهم ولا يمكن استيفائهم .

٢ ثم بلغت . . . سبتة : سقطت من ق .

٣ ق : ثم رحلت منها إلى مصر فلقيت . . . إلخ .

٤ ص : شرحه .

٥ ق : ورحلت منها إلى مكة المشرفة فلقيت . . . إلخ .

ثم أخذت على الشام ، فلقيت بدمشق شمس الدين بن قيسم الجوزية صاحب الفقيه ابن تيمية ، وصدر الدين الغماري^١ المالكي ، وأبا القاسم ابن محمد اليماني الشافعي ، وغيرهم ، وبيت المقدس^٢ الأستاذ أبا عبد الله ابن مثبت ، والقاضي شمس الدين بن سالم ، والفقيه المذكور أبا عبد الله ابن عثمان ، وغيرهم .
ثم رجعت^٣ إلى المغرب ، فدخلت سجلماسة ودرعة ، ثم قطعت^٤ إلى الأندلس فدخلت الجبل وأصطبونة ومربلة ومالقة وبلش والحامة ، وانتهت بي الرحلة إلى غرناطة ، وفي علم الله تعالى ما لا أعلم . وهو المسؤول أن يحملنا على الصراط الأقوم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؛ انتهى كلام جدي رحمه الله تعالى في الجزء الذي ألفه في مشيخته ، وقد نلخصه لسان الدين في الإحاطة .

[ترجمة المقرئ بقلم ابن خلدون]

ولنذكر هنا زيادات لا بأس بها ، فنقول : ولما أتم ولي الدين ابن خلدون بذكر مولاي الجلد في تاريخه الكبير عند تعريفه بنفسه وصفه بأنه كبير علماء المغرب ونص محل الحاجة من تاريخه^٥ : لما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع وثمانين أقمنا في البحر نحواً من أربعين ليلة ، ثم وافينا مرسى الإسكندرية يوم الفطر ، ولعشر ليالٍ من جلوس الملك الظاهر^٦ على التخت واقتعاد كرسي الملك دون أهله بني قلاوون ، وكنا على ترقب ذلك لما كان يؤثر بقاصية البلاد

..

١ ق : العمادي .

٢ ق : ثم جئت بيت المقدس فلقيت .

٣ ق : قفلت .

٤ ق : جئت ؛ وعند هذا الموضع بهامش ص : قف على أن الإمام المقرئ جد المؤلف دخل بلدنا درعة حرسها الله ، مما يدل على نسبة المعلق إلى بلدة درعة بالمغرب .

٥ زاد في ق : أنه قال ؛ والنص في التعريف : ٢٤٦ .

٦ يعني أبا سعيد برقوق بن أنص (توفي سنة ٨٠١) وانظر تاريخ ابن خلدون ٥ : ٤٦٧ .

من سموه لذلك وتمهيده له ، وأقامت بإسكندرية شهراً لتهيئة أسباب الحج ، ولم يقدر عامئذٍ . فانتقلت إلى القاهرة أول ذي القعدة ، فرأيت حضرة الدنيا ، وبستان العالم . ومحشر الأمم ، ومدرج الذر من البشر ، وليوان الإسلام ، وكرسي الملك ، تلوح القصور والأواوين في أوجه^١ ، وتزهو الخوانق^٢ والمدارس بأفاقه ، وتضيء البدور والكواكب من علمائه ، وقد مثل بشاطيء بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه السماء يسقيهم النهل والعلل سيحه ، ويجي إليهم الثمرات والخيرات ثبجته^٣ ، ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة وأسواقها تزخر بالنعم ، وما زلنا نحدث عن هذا البلد ، وبعد مداه في العمران ، واتساع الأحوال ، ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجتهم وتاجرهم بالحديث عنه ، سألت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد الله المقرئ فقلت له : كيف هي القاهرة ؟ فقال : من لم يرها لم يعرف عز الإسلام ، وسألت شيخنا أبا العباس ابن إدريس^٤ كبير العلماء ببجاية مثل ذلك ، فقال : كأنما انطلق أهل من الحساب ، يشير إلى كثرة أممه وأمنهم العواقب ، وحضرت صاحبنا قاضي العسكر بفاس الفقيه الكاتب أبا القاسم البرجي^٥ بمجلس السلطان أبي عنان منصرفه من السفارة عنه إلى ملوك مصر وتأدية رسالته النبوية إلى الضريح الكريم سنة خمس وخمسين ، وسأله عن القاهرة فقال : أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار : إن الذي يتخيله الإنسان فإن ما يراه دون الصورة التي تخيلها لاتساع الخيال على كل محسوس إلا القاهرة^٥ فإنها أوسع من كل ما يتخيل

١ التعريف : جوه .

٢ التعريف : الخوانك .

٣ أحمد بن إدريس البجائي (انظر ترجمته في الديباج : ٨١ ونيل الابتهاج : ٥٠) .

٤ أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي من أهل برجة بالأندلس كان كاتب السلطان أبي عنان وصاحب الإنشاء والسر في دولته (انظر ترجمته في التعريف : ٦٤ والإحاطة : ٢ : ٢١٥ وجنوة الاقتباس

(١٩٧) .

٥ فقال . . . القاهرة : سقطت هذه العبارة سهواً من ق .

فيها ، فأعجب السلطان والحاضرون بذلك ؛ انتهى كلام ابن خلدون ، ولا يخلو عن فائدة زائدة .

[فوائد عن المقرئ الجلد]

ولا بأس أن نورد من فوائد مولاي الجلد ما حضرني الآن : فمن ذلك ما حكاه ابن عبد الرزاق عن ابن قطرال قال ^١ : سمع يهودي بالحديث المأثور « نعم الإدام الخل » فأنكر ذلك ، حتى كاد يصرح بالقدح ، فبلغ ذلك بعض العلماء ، فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل وأسبابه سنة ، قال : فما تمت حتى ظهر فيهم الجُذام .

ومنها أنه قال : أنشدني الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد قال : أنشدني الشيخ التقي ابن دقيق العيد لنفسه في معنى لطيف حجازي ^٢ :

إذا كنتُ في نجدٍ وطيب نعيمه تذكّرتُ أهلي باللّوى فمحسّرٍ
وإن كنتُ فيهم زدتُ ^٣ شوقاً ولوعة إلى ساكني نجدٍ وعيلٍ تصبّري
فقد طال ما بين الفريقين موقفي فمن لي بنجدٍ بين أهلي ومعشري

ومنها ما حكاه عن عبد الله بن عبد الحق عن ابن قطرال قال ^٤ : كنت بالمدينة على ساكنها الصلاة والسلام إذ أقبل رافضي بفحمة في يده ، فكتب بها على جدار هناك :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُ فَلَا يَحِبُّ أَبَا بَكْرٍ وَلَا عَمْرًا

١ قارن بما ورد في نيل الابتهاج : ٢٥٢ .

٢ انظر الطالع السعيد : ٣٢١ والديوان الملحق : ١٧٣ وطبقات السبكي ٦ : ١٢ .

٣ الطالع : ذيت .

٤ قارن بما في نيل الابتهاج : ٢٥٢ .

وانصرف ، فألقي علي من الفطنة وحسن البديهة ما لم أعهد مثله من نفسي قبل ، فجعلت مكان يحب « يسب » ورجعت إلى مجلسي ، فجاء فوجده كما أصلحته ، فجعل يلتفت يمينا وشمالا ، كأنه يطلب من صنع ذلك ، ولم يتهمني ، فلما أعياه الأمر انصرف .

ومنها أنه قال : حدثت أن الزاهد أبا عمرة ابن غالب المرسي نزيل تلمسان وقد لقيت غير واحد من أصحابه ، سأله بعض* أن يشهد عقد ابنته ، فتعذر عليه ، فلم يزل به حتى أجاب بعد جهنم ، فحضر العقد ، وطعم الوليمة ، ثم لما حضرت ليلة الزفاف استحضره في ركوبها إلى دار زوجها على عادة أهل تلمسان ، فأجابه مسرعا ، فقيل له : أين هذا التيسير من ذلك التعسير ؟ فقال : من أكل طعام الناس مشى في خدمتهم ، أو كما قال .

ومنها أنه قال : حدثت أن الفقيه أبا عبد الله ابن العواد العدل بتونس التقى يوما مع القاضي أبي علي ابن قداح ، وكان ابن العواد شيخا ، فقال له أبو علي : كبرت يا أبا عبد الله فصرت تمشي كل شبر بدينار ، يُورِّي بكثرة الفائدة في مشيه إلى الشهادة ، فقال له : كنت إذ كنت في سنك أخرج رزقي من الحاجر ، يعرض لابن قداح بأنه جيار ، وكذلك كان هو وأبوه ، رحمهم الله تعالى جميعا ، وهذا من مزاح الأشراف ، كما جرى بين معاوية والأحنف ، انظر صدر « أدب الكتاب » .

ومنها أنه قال : قال لي الحاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الرباطي : كنا عند الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ، ففقد أحدنا نعليه ، فقال الشيخ : كنا عند العَلَم التبريزي فدخل عليه رجل يدعى بشيرا فكلمه ثم خرج فلم يجد نعليه ، فرجع إلى العَلَم وأنشده :

دخلتُ إليكَ يا أُملي بشيرا فلما أن خرجتُ خرجتُ بشرا
أعدتُ يائي التي سقطتُ من اسمي في الحسابِ تُعدُّ عَشرا

وقال رحمه الله تعالى : لما سعى أولاد الشيخ أبي^١ شعيب بالقاضي أبي الحجاج الطرطوشي إلى السلطان وأمر بإشخاصه وكثر لإرجاف المتشيعين فيهم من بعده وخرج الأمر على خلاف ما أملوا منه قال في ذلك :

حمدتُ الله في قومٍ أثاروا شروراً فاستحالتُ لي سرورا
وقالوا النارُ قد شَبَّتْ فلما دنوتُ لها وجدتُ النارَ نورا

ومنها^٢ : أنه حكى أن الشيخ أبا القاسم ابن محمد اليميني مدرس دمشق ومفتيها حكى له بدمشق أنه قال له شيخ صالح برباط الخليل عليه السلام : نزل بي مغربي فمرض حتى طال عليَّ أمره ، فدعوت الله أن يفرج عني وعنه بموت أو صحة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : أطعمه الكسكسون ، قال : يقول هكذا بالنون ، فصنعت له ، فكأنما جعلت له فيه الشفاء . وكان أبو القاسم يقول فيه كذلك ، ويخالف الناس في حذف النون من هذا الاسم . ويقول : لا أعدل عن لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : قلت : ووجه هذا من الطب أن هذا الطعام مما يعتاده المغاربة ويشتهونه . على كثرة استعمالهم له ، فربما نبه منه شهوة أو رده إلى عادة .

وقال الجلد رحمه الله تعالى : رأيت بجامع القسطنطينية من مصر فقيراً عليه قميص إلى جانبه دفاصة قائمة وبين يديه قلنسوة ، فذكر لي هنالك^٣ أنهما محشوتان بالبرادة ، وأن زنة الدفاصة أربعمائة رطل مصرية ، وهي ثلاثمائة وخمسون مغربية ، وزنة القلنسوة مائتا رطل مصرية ، وهي مائة وخمسة وسبعون مغربية^٤ ، فعمدت إلى الدفاصة فأخذتها من طوقها أنا ورجل آخر ، فأملناها بالجهد ، ثم أقمناها ، ولم نصل بها إلى الأرض . وعدت إلى القلنسوة فأخذتها من إصبع كان

١ ق : ابن . ٢ قارن بما في نيل الابتهاج : ٢٥٢ .

٣ زاد في ق : رجل .

٤ وهي ثلاثمائة . . . مغربية : سقطت سهواً من ق .

في رأسها فلم أطق حملها فتركها . وكان يوم الجمعة . فلما قضيت الصلاة مررنا في جملة من أصحابنا بالفقير ، فوجدناه لابساً تلك الدفاسة في عنقه ، واضعاً تلك القلنسوة على رأسه ، فقام إلينا وإلى غيرنا ، ومشى بهما كما يمشي أحدنا بثيابه ، فجعلنا نتعجب ، ويشهد بعضنا بعضاً على ما رأى من ذلك ، ولم يكن بالعظيم الخلقة .

وقال رحمه الله تعالى : كان الأستاذ ابن حكيم قد بعث إليّ بمحرر لأبعث به إلى من يعرضه للبيع ، ثم بلغه أن أحمالاً من المتاع التونسي قد وصلت إلى البلد ، فكتب إليّ : الحمد لله الذي أمر عند كل مسجد بأخذ الزينة ، وصلواته الطيبة ، وبركاته الصيبة . على من ختم به شريعته وأكمل دينه ، وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه والذين يتبعونه . وبعد فما تعلق به الإعلام ، أن تعوضوا المحرر بإحرام^١ . لا يخفى على مثلكم جنسه ومجانسه ، ومن كلام العرب : كل ثوب ولا يسه . وإن أربى على ثمن الأول ثمن^٢ الثاني ، فلست عن الزيادة والحمد لله بالواني . ومن فوائده أنه قال : كتب^٣ في صدر رسالة إلى صاحبنا الشيخ الناسك أبي علي منصور ابن شيخ عصره وفريد دهره ناصر الدين المشدالي الشيخ الخاشع صاحبنا أبو الحسن علي بن موسى البحيري يذكره شوقه إلى لقائه . لما كان يبلغه عنه ، حتى قدر باجتماعهما بوهران أيام قضاء البحيري بها :

أوحشتني ولو اطلعت على الذي لك في فؤادي لم تكن لي موحشا
يا محرقاً بالنار قلب محب أنسيت أنك مستكن في الحشا

وقال رحمه الله تعالى : أنشدني محمد البليقي قال^٤ : أنشدني ابن رشيد قال : أنشدني أبو حفص ابن الحليمي المضري لنفسه :

١ الإحرام : في المغرب يطلق على لباس مكون من بردة سوداء ولباسان من الكتان الأسود (انظر رحلة ابن جبير ص : ١٣٤ والتعليقات ص : ٢٨) .

٢ ق : ومن فوائده ما كتب .

٣ أنشدني . . . قال : سقطت من ق .

لو رأى وَجْهَ حبيبي عاذلي لتفاصلنا على وجه جميل^١

وقال رحمه الله تعالى : قال لي محمد بن داود بن المكتب قال لي بلال الحبشي خادم الشيخ أبي مدين^٢ : كان الشيخ كثيراً ما ينشد هذا البيت :

اللهَ قُلْ وذِرِ الوجودَ وما حوى إن كنت مرتاداً بصدقٍ مرادٍ

وقال رحمه الله تعالى : دخلت على عبد الرحمن بن عفان الجزولي^٣ ، وهو يهود بنفسه ، وكنت قد رأيته قبل ذلك معافى ، فسألته عن السبب ، فأخبرني أنه خرج إلى لقاء السلطان ، فسقط عن دابته ، فتداعت أركانه ، فقلت : ما حملك أن تتكلف مثل هذا في ارتفاع سنك ؟ فقال : حب الرياسة آخر ما يخرج من قلوب الصديقين .

وقال رحمه الله تعالى : قال لي محمد بن مرزوق : قال لي بعض أصحاب أبي إسحاق الطيار دفين عباد تلمسان : إن أبا إسحاق أقام خمساً وعشرين سنة لا ينام إلا قاعداً ، فسألت ابن مرزوق : لم لُقِّب بالطيار ؟ فحدثني عن بعض أصحابه أنه نَشَرَ ذات يوم ثوبه في الشمس على بعض السطوح ، ثم قعد هنالك ، فمر به رجلٌ فقال له : طر ، فقال : أعن أمرك ؟ قال : نعم ، فطار حتى وقع على الأرض وما به من باس ، فقال الجلد رحمه الله تعالى بعد هذا ما نصه : فقلت : إذا ما صار الحق للعبد سمعاً وبصراً فسمع به وأبصر أصاخ إلى الأحوال ، واجتلى المعاني ، فبرى من غير مبصر ، ويسمع من غير ناطق ، كما قال الشيخ أبو عبد الله الشوزي^٤ الحلوي دفين تلمسان :

١ ق : مليح .

٢ ترجمة بلال خادم الشيخ أبي مدين في أنس الفقير : ٩٣ ، وانظر ما تقدم ص : ٢٤٢ .

٣ ترجمة عبد الرحمن الجزولي في نيل الابتهاج : ١٢٩ وفيه ما جاء هنا نقلاً عن المقرئ الجلد . والسلطان الذي خرج للقاءه هو أبو الحسن المريني ، وكانت وفاة الجزولي بعد موقعة طريف سنة ٧٤١ .

٤ تنسب إليه الشوزية وكان في أول أمره من فقهاء مرسية ثم التف حوله أمثال عزيز بن خطاب وحازم

إذا نطقَ الوجودُ أصاخَ قومٌ بأذانٍ إلى نطقِ الوجودِ
وذاكَ النطقُ ليسَ بهِ انعجامٌ ولكنَّ دقَّ عنْ فهمِ البليدِ
فكنَ فطيناً تنادى منْ قريبٍ ولا تكُ منْ ينادى منْ بعيدِ

وقال رحمه الله تعالى : حدثت بمصر أن الشيخ سيدي عمر بن الفارض ولع بجمل ، فكان يستأجره من صاحبه ليتأنس به ، فقيل له : لو اشتريته ، فقال : المحبوب لا يُمْلِكُ ، فسألت : في أي حال كان هذا منه ؟ فقيل لي : في ابتداء أمره ، فقلت : وجدته اعتبار ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ ﴾ (الناشئة : ١٧) فوقفت به رؤية المعنى فيه عليه ، فأحبه مدلاً ، وطلبه مجلاً .

وقال رضي الله عنه : حفظت من خط أبي زيد والد صاحبنا أبي الحسن : قيل للغزالي : ما تقول في العلاج ؟ فقال : وما عسى أن أقول فيمن شرب بكأس الصفاء ، على بساط الوفاء ، فسكر وعربد ، فاستوجب من الله الحد ، فكان حله شهادته ، ثم قال بعد هذا : قلت عربد العلاج في الحضرة لما نسي بسكره أوامره ، فانتصر الظاهر لنفسه لصحة تعلق اسمه ، وسدل الباطن على عنده حجاب الغيرة من إفشاء سره :

على سِمةِ الأسماء تجري أمورهم وحكمةُ وصفِ الذاتِ للحكم أجرت
وقال رحمه الله تعالى : سمعت شيخنا بيت المقدس يقول : تجلى الله على المسجد الأقصى بالجمال ، وعلى المسجد الحرام بالجلال ، وعلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالكمال ، قلت : فذلك يوقف النواظر ، وذلك يملأ الخواطر ، وهذا يفتح البصائر .

وقال رحمه الله تعالى : أخبرني أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عيَّان فارس

= وأبي المطرف وغيرهم . والشوذية طريقة صوفية تشبه طريقة ابن عربي إلا أنها أكثر إيجابية ، وقد تورط أصحابها في السياسة وقالوا بأن العلوم الشرعية غير صحيحة في ذاتها ، ولذلك وجدوا مقاومة شديدة ، وحمل عليهم ابن خلدون ولسان الدين .

نصره الله أن جده أمير المسلمين أبا سعيد سأل كاتبه عبد المهيمن الحضرمي عن تهادي أهل الحب التفاح دون الخوخ ، وكلاهما حسن المنظر ، طيب المخبر ، شديد شبه بأخيه . شديد تشبيه الوجنت به لمتوحيه . فقال : ما عند مولانا ؟ فقال : أرى ذلك لاشتغال التفاح على الحب الذي يذكر بالحب والهوى ، والخروخ على التوى الذي يذكر اسمه صُفْرَة الخوى .

وقال رحمه الله تعالى : قال لي أبو حيان بالقاهرة : قال لي عمر بن الحيمي : تجاذبتُ أنا ونجمُ الدين بن إسرائيل هذا البيت :

يا بارقاً بأعالي الرقمتين بـدا لقد حكيت ، ولكن فاتك الشنبُ
فتحاكمنا إلى ابن الفارض . فأشار بأن ننظم قصيدة نضمنها البيت ، فنظم ونظمت :

يا مَطلباً ليس لي في غيره أربُ إليك آلى التقضي وانتهى الطلبُ
فقضى به لي^١ .

وقال رحمه الله تعالى : حدثت أن أبا زيد الهزيمري بعث إلى أبي عمران التسولي ، وكان كثير الصلاة ، أنه لم يبق بينك وبين الله حجاب إلا الركيعات . فرجع إليه ما معناه : إن الاتصال كان منها ، فلا كان يوم الانفصال عنها . يعني من رُزق من باب فليلزمه .

وقال رحمه الله تعالى : كنت بجامع تلمسان ، وإلى جانبي رجل ينتمي إلى طريقة العرفان ، فجعل سائل يشكو الجوع والألم ، فتصدق ذلك الرجل عليه بدرهم . وقال : إياك أن تشكو الرحمن إلى مَنْ لا يرحم ، فقلت : أمره أن

١ انظر أيضاً الغيث المسجم ١ : ١١٧ فيما يتصل بهذه المعارضة بين ابن الحيمي ونجم الدين بن إسرائيل ، وفي معارضات قصيدة ابن الحيمي انظر ١ : ١١٨ .

يسأل عزيزاً بمولاه . ونهاه أن يشكو ذليلاً إلى سواه .
 وكان الفارابي كثيراً ما يقول : يا رب إليك المشتكى . حتى إنه يوجد أثناء
 كلامه في غير موضعه ، فيعجب منه من لا علم عنده بمنزعه .
 وقال رحمه الله تعالى : حدثت أن الفخر مرتّ ببعض شيوخ الصوفية ، فقليل
 للشيخ : هذا يقيم على الصانع ألف دليل . فلو قمت إليه . فقال : وعزّيه لو عرفه
 ما استدل عليه ، فبلغ ذلك الإمام . فقال : نحن نعلم من وراء الحجاب ، وهم
 ينظرون من غير حجاب .

وقال رحمه الله تعالى : حدثت أن رجلاً كان يجلس إلى أبي الحسن الحرالي .
 وكان يشرب الخمر . فسكر ذات يوم ، فسقط على زجاجة ، فشجّ وجهه .
 فاختنفى إلى أن برىء . ثمّ عاد إلى مجالسة الشيخ . فلما رآه أنشد :

أجريحَ كاساتٍ أرقّتَ نجيعتها طلبُ الثّراتِ يعزُّ منه خلاصُ
 لا تسفكنَ دَمَ الزّجاجةِ بعدها إنّ الجروحَ كما علمتَ قصاصُ

ففهمها الشاب . فتاب .

وقال رحمه الله تعالى : كثيراً ما كنت أسمع أبا محمد المجاصي ينشد هذا
 البيت :

همُ الرجالُ وعيبٌ أن يقالَ لمن لم يتّصفَ بمعاني وصفهمُ رجلُ
 ثمّ يبكي ، وكان أهل البلد يسمونه « البكاء » وبعضهم « الخاشع » .
 ووجدت بخط مولاي الجدد على ظهر كتابه « القواعد » ما نصه : الحمد لله
 تعالى جده ، قرأت صدر كتاب « زهرة البساتين » للقاسم بن الطليسان ، ثمّ
 سمعت ثلاثة أحاديث من أوله . بل حديثاً وأثراً وإنشاداً من في الشيخ الخطيب
 الصّالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عياش الأنصاري ، ثم تناولت منه
 جميع الكتاب المذكور ، وأجازنيه بحق سماعه لبعضه . وتناوله لجميعه من جده

محمد المذكور ، بحق أخذه له عن مؤلفه صهره القاسم المذكور ، وذلك بالمسجد الجامع من مالقة المحروسة ، قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن أحمد المقرري في مئة عشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة .
وبخطه رحمه الله تعالى حيث ذكر ما نصه : الحمد لله ، مخالفة القواعد الشرعية للعوائد العرفية ، كإنكار الحشر وفتنة القبر ، ونحوهما من الأمر بالمعروف ، للركون إلى المشهور المألوف ، أو كالتقليد مع الدليل ، الذي ذمه الشرع في محكم التنزيل .

وبخطه أيضاً^١ : الحمد لله ، قد تتابع صفات العام حتى يصير كأنه أشير به إلى شخص بعينه فيختص ، ومن ثم قيل في قول الله عز وجل ﴿ وَلَا تُطِيعُوا كَلَّافًا مَّهِينًا ﴾ (القلم : ١٠) : إنه الأخنس بن شريق ، وفي قوله تعالى ﴿ وَيَلْ لَّكُلٌّ هُمَ زَوَاجُ الْمُنَافِقِينَ ﴾ (المنزة : ١) : إنه أمية بن خلف ، وفي قوله تعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ (الدثر : ١١) : إنه الوليد بن المغيرة ؛ انتهى .

ووجدت بخطه أيضاً رحمه الله تعالى ما نصه^٢ : الحمد لله ، قال لي المتوكل على الله أبو عنان أمير المؤمنين فارس بن علي : كان جدنا أبو يوسف يعقوب ابن عبد الحق يقول : الولايات ست : ثلاث وقفنها على اختياري : الحجابة ، والقصة ، والشرطة ، وثلاث موكولة إليكم : القضاء ، والإمامة ، والحسبة . ثم قال رحمه الله تعالى : وهذا تدبير حسن .

ومن فوائده : حدثني العدل أبو عبد الله محمد بن أبي زرع عن القاضي أبي عبد الله ابن أبي الصبر أنه أمر الوالي بفاس أن يبني فندق الشماعين ، وكان قد خرب ، فتوقف حتى يأذن السلطان ، فقال له : أسلفني ما أبنيه به ، فإن أجاز ذلك السلطان ، وإلا رددته عليك ، ففعل ، فلما طوّل ذكر ما قال له القاضي ،

١ ق : وقال حيث أشير ما نصه . ص : وبخطه أيضاً . . . إلخ .

٢ ق : وكتب رحمه الله ما نصه .

فغضب السلطان وبعث فيه ، فجعل المبعوثون يأتونه واحداً بعد واحد وهو متمهل في وضوئه وإصلاح بزّته ومركوبه ، ثمّ جعل يمشي الهوينا ، فلقيه ابنه ، فقال له : أسرع فقد أكثر السلطان من التوجيه إليك ، وهو واجدٌ عليك ، فقال له : مسكين أبو يحيى خاف وثبت على حاله ، فلما كان في الطريق لقي بعض العلماء فتعرض إليه فقال : قل بخفيّ لطفك ، بلطف صنعك ، بجميل سترك ، دخلت في كنفك ، تشفّعت بنبيك ، فحفظه ، ثمّ طلبه فلم يجده ، فجعل يقول ذلك ، فلما رآه السلطان سكن ما به ، ثمّ سأله عن ذلك برفق ، فقال له القاضي : كرهت الخراب بقرب القرويين وبالشماعين الذي هو عين فاس ، فسألت الوالي ذلك على أيّ أغرم إن لم تجز ، وقلت له : المرجو من السلطان أن يجعله حبساً ، فقال : قد فعلت ، ثمّ بعث إلى الشهود وحجسه على الجامع ، وشكر للقاضي صنيعه ، وصرفه مغبوطاً .

وهذا السلطان هو أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ، وتوفي محاصراً لتلمسان في ذي القعدة من عام ستة وسبعمائة . وكان ابتداء حصاره إياها سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وكان جملة الحصار فيما حدثت ألف شهر^١ ؛ انتهى .

ومن فوائد مولاي الجدد رحمه الله تعالى ما حكاه تلميذه أبو إسحاق الشاطبي في كتاب « الإنشادات والإفادات » ونصه : إفادة - حضرت يوماً مجلساً في المسجد الجامع بغرناطة مقدّم الأستاذ القاضي أبي عبد الله المقرّي ، في أواخر ربيع الأول عام سبعة وخمسين وسبعمائة ، وقد جمع ذلك المجلس القاضي أبا عبد الله والقاضي أبا القاسم الشريف شيخنا والأستاذ أبا سعيد ابن لب والأستاذ أبا عبد الله البكّسي وذا الوزارتين أبا عبد الله ابن الخطيب وجماعة من الطلبة ،

.....

١ انظر خبر هذا الحصار في الاستقصا ٣ : ٧٩ - ٨٠ . قلت : وقوله « ألف شهر » لا يتفق مع الفترة التي فيها .

فكان من جملة ما جرى أن قال القاضي أبو عبد الله المقرئ : سئلت في مسألة في الأصول لم أجد لأحد فيها نصاً ، وهي تخصيص العام المؤكد بمفصل ، فأجبت بالحواز محتجاً بقول الله عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾ (الأعراف : ٣٣) فهذا عام مؤكد ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يحل الله من الفواحش إلاّ مسألة الناسي » . انتهى .

ومن ^١ الكتاب المذكور ما نصه : إفادة — حدثني الشيخ الفقيه القاضي الجليل الشهير الخطير أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ رحمه الله تعالى . وأمله علينا ، عن العالم الكبير أبي حيان ابن يوسف بن حيان أنه قال : ورد كتاب من الأستاذ أبي عبد الله ابن مثبت الغرناطي إلى صاحب له يسمّى حمزة . وفيه : سئل الشيخ ، قال أبو حيان : يعني وجدت على ظهر نسخة من المفصل بخط عتيق سئل ابن الأخضر بمحضر ابن الأبرش : علام انتصب قوله :

مقالة أن قد قلت سوف أناله

فقال :

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

فقال : سألتك عن إعراب كلمة . فأجبتني بشرط بيت ، فقال ابن الأبرش : قد أجابك لو كنت تفهم ، قال أبو حيان : فوقعت عليه للحين : إن هذا الشطر من قول النابغة :

أتاني أبيّ اللعن أنك لمتني وتلك التي تصطك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع

يروى « مقالة » بالرفع . على أنه بدل من « أنك لمتني » الفاعل ، وبالفتح على ذلك إلاّ أنه بناه لما أضافه إلى مبني .

١ ق : وفي .

ومنه : إفادة — حدثني الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقرئ رحمه الله تعالى قال : سئل أبو العباس ابن البناء رحمه الله تعالى ، وكان رجلاً صالحاً ، في قوله تعالى ﴿ قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ (طه : ٦٣) لِمَ لم تعمل « إن » في « هذان » فقال : لما لم يؤثر القول في القول لم يؤثر العامل في المعمول ، فقال له : يا سيدي هذا لا ينهض جواباً ، فإنه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل إن . فقال له : إن هذا الجواب نواة لا تحتل أن تحك بين الأكف : انتهى .

ومنه : إفادة — قال لنا الشيخ الأستاذ القاضي أبو عبد الله المقرئ رحمه الله تعالى : إن أهل المنطق وغيره يزعمون أن الأسماء المعدولة لا تكاد توجد في كلام العرب . وهي موجودة في القرآن . وذلك قوله ﴿ لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴾ (البقرة : ٦٨) فإن زعم زاعم أن ذلك على حذف المبتدأ . ودخلت « لا » على الجملة ، وتقديره لا هي فارض ولا هي بكر . قيل له : إن كان يسوغ لك ذلك في هذا الموضع فلا يسوغ في قوله تعالى ﴿ لا شرقية ولا غربية ﴾ (النور : ٣٥) فصح أن الاسم المعدول موجود فصيح في كلام العرب .

ومنه : إفادة — حدثنا الأستاذ أبو عبد الله المقرئ . قال : سئل عن قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٣) لم عاد ضمير من يعقل إلى ما لا يعقل ؟ فقال بعضهم : لما اشترك مع من يعقل في السباحة وهي العوم عومل لذلك معاملته . قال : وهذا لا ينهض جواباً ، فإن السباحة لما لا يعقل كالحوت ، وإنما لمن يعقل العوم ، لا السباحة ، وأيضاً فلحقه بما العوم له لازم كالحوت أولى من إلحاقه بما هو غير لازم له ، قال : وأجاب الأستاذ أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي بأن الشيء المعظم عند العرب تعامله معاملة العاقل . وإن لم يكن عاقلاً . لعظمه عندهم . وأجبت أنا بأنه لما عوملت في غير هذا الموضع معاملة من يعقل في نحو قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف : ٤) لصدور أفعال العقلاء عنها أجرى عليها هنا ذلك الحكم للأنس به في موضعه .

ومنه : إفادة - لَقَمَنِي الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقرري رحمه الله تعالى لقمة بيده المباركة ^١ ، وقال : لَقَمَنِي الشيخ أبو عبد الله المسفر قال : لَقَمَنِي أبو زكريا المحياوي قال : لَقَمَنِي أبو محمد صالح قال : لَقَمَنِي الشيخ أبو مدين قال : لَقَمَنِي أبو الحسن ابن حرزهم قال : لَقَمَنِي ابن العربي قال : لَقَمَنِي الغزالي قال : لَقَمَنِي أبو المعالي قال : لَقَمَنِي أبو طالب المكي قال : لَقَمَنِي أبو محمد الحريري قال : لَقَمَنِي الجنيد قال : لَقَمَنِي السقطي قال : لَقَمَنِي معروف الكرخي قال : لَقَمَنِي داود الطائي قال : لَقَمَنِي حبيب العجمي قال : لَقَمَنِي الحسن البصري قال : لَقَمَنِي علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : لَقَمَنِي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : وبهذا السند صافحته أيضاً رضي الله تعالى عنه ^٢ ؛ انتهى . وللمحدثين في هذا السند كلام مشهور ، وانتصر بعضهم لاسادة الصوفية رضي الله تعالى عنهم .

ومنه : إنشادة - أنشدني الشريشي الفقيه أبو عبد الله قال : أنشدني القاضي المقرري قال : أنشدني الرباطي قال : أنشدني ابن دقيق العيد لنفسه من صدر رسالة كتب بها لبعض إخوانه بالحجاز ^٣ :

يهِيمُ قَلْبِي طَرَبًا عِنْدَمَا أَسْتَلِمَحَ الْبَرْقَ الْحِجَازِيَا
وَيَسْتَمِيلُ الْوَجْدُ قَلْبِي وَقَدْ أَصْبَحَ لِي ثَوْبُ الْحِجَى زِيَا
يَا هَلْ أَقْضَى مِنْ مَنَى حَاجَتِي فَأُنْجَرَ الْبُودَنَ الْمَهَارِيَا
وَأُرْتَوِي مِنْ زَمَزَمَ فَمَهِ لِي أَلَدُّ مِنْ رِيْقِ الْمَهَا رِيَا

١ لقمة بيده المباركة : سقطت من ق .
٢ انظر سند المصافحة ص : ٢٤١ .
٣ انظر الديوان الملحق : ١٥٤ والطالع السعيد : ٣٣٢ ولها تخریجات أخرى في الديوان (هامش : ١٥٣) .
٤ الديوان : تهيم نفسي .
٥ الديوان : عقلي .

ومنه : إفادة — حدثنا الأستاذ القاضي أبو عبد الله المقرئ رحمه الله تعالى قال : رأيت لبعض مَنْ أَلَفَ على كتاب « الكشف » للزمخشري فائدة لم أرها لغيره في قوله تعالى ﴿ والراسخون في العلم ﴾ إذ الناسُ يختلفون في هذا الموضع اختلافاً كثيراً ، فقال قوم : الراسخون في العلم يعلمون تأويله . والوقوف عند قوله ﴿ والراسخون في العلم ﴾ ، وقال قوم : إن الراسخين لا يعلمون تأويله . وإنما يوقف^١ عند قوله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ فقال هذا القائل : إن الآية من باب الجمع والتفريق والتقسيم ، من أنواع البيان ، وذلك لأن قوله تعالى ﴿ هو الذي نزل عليك الكتاب ﴾ هو جمع ، وقوله ﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ﴾ تفريق ، وقوله تعالى ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ — إلى قوله تعالى : وابتغاء تأويله ﴾ أحدُ طرفي التقسيم ، وقوله تعالى ﴿ والراسخون في العلم ﴾ الطرفُ الثاني ، وتقديره : وأما الراسخون في العلم فيقولون آمناً به ، وجاء قوله تعالى ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ (آل عمران : ٧) اعتراضاً بين طرفي التقسيم ، قال : وهذا مثل قوله تعالى ﴿ وأنا منّا المسلمون — الآية ﴾ (الجن : ١٤) فقوله ﴿ وأنا ﴾ جمع ، وقوله ﴿ منّا المسلمون ومنّا القاسطون ﴾ تفريق ، وقوله ﴿ فمن أسلم ﴾ ﴿ وأما القاسطون ﴾ تقسيم ، وهو من بديع التفسير ، قلت : ومثله أيضاً قوله تعالى ﴿ يوم يأتِ لا تكلمُ نفس إلا بإذنه — الآيات ﴾ (هود : ١٠٥) ؛ انتهى .

ومنه : إنشادة — أنشدنا الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقرئ في القول بالموجب لبعض العلماء في ودیعة :

إن قال قد ضاعت فصدق أنها ضاعت ، ولكن منك يعني لو تعي
أو قال قد وقعت فصدق أنها وقعت ، ولكن منه أحسن موقع

ومنه : إنشادة أيضاً من القول بالموجب لبعض الختابلة :

يُحْجَوْنَ بِالْمَالِ الَّذِي يَجْمَعُونَهُ حَرَاماً إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمَحْرَمِ
وَيَزْعَمُ كُلُّ أَنْ تَحْطَ ذُنُوبُهُمْ تَحْطَ وَلَكِنْ فَوْقَهُمْ فِي جَهَنَّمَ

ومنه : إفادة — كتب لي بخطه شيخنا الفقيه القاضي الجليل أبو عبد الله المقرئ رحمه الله تعالى على ظهر « التسهيل » لابن مالك الذي كتبه بخطي بعدما كتب لي بخطه روايته فيه عن أبي الحسن ابن مزاحم عن بدر الدين ابن جماعة عن المؤلف فكتب بعد ذلك ما نصه : قال محمد بن محمد المقرئ : بدر الدين ابن جماعة المذكور يدعى بقاضي القضاة ، على ما جرت به عوائد أهل المشرق في تسمية مثله ، وأنا أكره هذا الاسم محتجاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم « إن أخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الملوك ، لا ملك إلا الله » ؛ انتهى ما انتقيته من كتاب « الإنشادات والإفادات » للشاطبي فيما يتعلق بجدي رحمه الله تعالى .

ومن فوائد مولاي الجدي رحمه الله ، مما لم يذكر فيما سبق ، أنه حكى أن ابن أمجوط المولاه دخل في حلقة أبي عبد الله ابن رشيد بجامع القرويين ، وبين رجله قصبة كأنها فرس ، ويده أخرى كأنها رمح . فانتهره رجل ، فضربه برمحه على رأسه ، وقال له : اسكت يا ميت ، فأبته الناس لكلامه ، فقال له الشيخ : يا فقير أنت في حال ونحن في مقال ، وشأن أرباب الأحوال التسليم لأصحاب^١ المقال ، فنظر إليه المولاه وانصرف ، ثم لم ينشب المنتهر أن توفي بعد ذلك بأيام قلائل .

[أخبار للمقرئ عن ابن شاطر]

ومنها : قلت لابن شاطر يوماً^٢ : كيف حالك ؟ فقال : محبوس في الروح ،

١ ق : لأرباب .

٢ مر هذا ، انظر ما تقدم ص : ٢٤٨ .

وصدق لأن الدنيا سجن المؤمن . ولا مخلص له من حبسه إلا بمفارقة نفسه .
وقال : سألت ابن شاطر عن معنى قول ابن الفارض :

فلم ألهُ باللاهوت عن حكم مظهري^١ ولم أنسَ بالناسوت موضع حكمتي

فقال : يقول ما أنا بالحلّاج ولا ببلعام ، ثم قال مولاي الجلد بعد هذا الكلام
ما صورته : قلت : وهذا هو الإنسان على الكمال والتمام ، ولقد سمعته يقول
في الحلّاج : نصف إنسان ، يشير إلى البيت .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى : سمع ابن شاطر إنساناً يقول : الجنة رخيصة ،
فقال : كيف تكون رخيصة والله عز وجل يقول ﴿إِنْ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (التوبة : ١١١) انتهى . ثم قال مولاي الجلد
بأثر هذا الكلام : قلت : ما الأنفس والأموال في جنب ما فيها ممّا لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؟ لا سيما وفوق هذه الحسنى زيادة
الإكرام بالنظر والرضى .

وقال أيضاً : قيل لابن شاطر : صف لنا الدنيا . فقال : ﴿كسرابٍ بَقِيعةٍ﴾
(النور . ٢٩) الآيتين ، فبلغ ذلك أبا زيد ابن الإمام ، فأنكر عائباً لاستحسان سامعه ،
تالياً ﴿يَحْرِقُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (المائدة : ١٣) ولقد أصيب المتعسف بأدهى منها
وأمر . فإنه أفحم يوماً ببعض أهل النظر فتلا عليه ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (البقرة : ٥٨)
على أن له أن يقول : لم أخرج الآية عن مرادها ، فالبهت من انقطاع المعاند ،
والكفر من جحد الجاحد ، ولنا أن نقول : التحريف المذموم هو التحويل للإبطال
وليس هذا في قصد الممثل الأول بالمثال ؛ انتهى .

وهذا كله على مذهب جمهور المالكية في منع الاقتباس : والكلام على ذلك
موضع غير هذا ، فليراجع في كتب البيان وغيرها .

١ ق : منطقي .

وقال رحمه الله تعالى : حدثت أن المتوكل على الله أبا عنان رحمه الله تعالى أعطى ابن شاطر ألف دينار ليحج بها ، فمر بها إلى تلمسان ، فصار يدفع منها شيئاً فشيئاً للمتفرجين بغدير الوريث شرقي عباد تلمسان العلوي ، إلى أن نفدت ، فلما ورد السلطان أبو عنان تلمسان لقيه بسوق العطارين من منشجر الجلد ، فقال له : يا سيدي أبا عبد الله حجّ مبرور ، فقال له : إذا جهلت أصل المال فانظر مصارفه ، ويأبى الله إلا أن يُنفق الخبيث في مثله ، فضحك السلطان وانصرف ، انتهى .

وكان^١ لابن شاطر هذا عجائب ، ولم يكن مخلاً بشيء من الحقوق الشرعية ، وكان معتقداً عند أهل وقته ، وكان السلطان أبو عنان على فقهه يعظمه ويصله ويسلم له ، وبات عنده ليلة بقصره ، وكان يدخل القصر ، ولا تحتجب منه الجوارى ، فاحتاج إلى البول ، فبال في قبة في القصر عظيمة ، فانتهرته إحدى الجوارى ، وقالت له : أتبول في قبة مولانا ؟ فقال لها : إن قبة مولانا الخضر أعظم من هذه ، وأنا أفعل تحتها ما هو أفظع من البول ، وما انتهرني قط ، فذكرت ذلك البخارية للسلطان ، فضحك وعلم أنه يريد السماء . وكان يكتب القرآن والعمدة ولا يخلق حرفاً مجوفاً فإذا غلب على ذلك أصلحه ، حتى حكى أنه سافر لإصلاح حرف مجوف أغلقه سهواً من نسخة كان باعها ، ولم يتذكر ذلك حتى سافر مشترها ، فما رجع حتى جدّده .

وحكى الشيخ أبو القاسم ابن داود الفخار السلوي أن الشيخ أبا عبد الله الشريف التلمساني صاحب « المفتاح في أصول الفقه » وشارح « الجمل الخونجية » المتوفى عام اثنين وسبعين وسبعمائة دفين المدرسة يعقوبية من تلمسان المحروسة افتتح شرح العمدة بما نصه : اللهم احمدك نفسك عمن أمرته أن يتخذك وكيلاً ، حمداً عائداً منك إليك ، متحداً بك ، دائماً بدوام ملكك ، لا منقطعاً ولا مفصولاً ،

١ ق : وذكر .

قال : فقال لي أبو عبد الله ابن شاطر : ما هو انفصال عالم الملك ؟ فقلت له : بالضرورة الوقتية ، فقال لي : ما أجهلك ! وأجهل سيدك أبا عبد الله ! وأجهل ابن سودكين^١ الذي أخذ من كتابه هذا الحمد ! إذ قال « لا منقطعاً ولا مفصلاً » بعد قوله « بدوام ملكك » وهو بالضرورة الوقتية ، وهي منقطعة ، فهلاً قال : « دائماً بدوام قيومتك ، وعظيم قدرك ، ومجدك الأعلى ، وسبحات وجهك الأكرم ، لا منقطعاً ولا مفصلاً » ، فبلغ ذلك أبا عبد الله الشريف ، فبدله ؛ انتهى . وأخبار ابن شاطر كثيرة ، وقد مر ذكره في كلام مولاي الجلد رحمه الله تعالى ، وسيأتي ما ذكره لسان الدين به في « الإحاطة » .

[تمة الفوائد عن المقرئ]

ومن فوائد مولاي الجلد رحمه الله تعالى ما قاله إثر قول الرازي في التفسير « الحس أقوى من العقل » ونصه : هذا على ما حكاه في المحصل من أن المعقولات فرع المحسوسات ، قال : ولذلك مَنْ فَقَدَ حَسّاً فَقَدَ عِلْماً كالأكمه والعينين ، ومذهب جمهور الفلاسفة أن اليقينيات هي المعقولات لا المحسوسات . انظر المحصل ؛ انتهى .

ومن فوائده رحمه الله تعالى أنه قال : أنشدت يوماً الآبلي قول ابن الرومي :

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبهِ وبكحلهِ الأحياء والبُصراء
فلماذا مررت رأيت من عميانه أُمَمًا على أمواتِهِ قُرَاء

فاستعاذني حتى عجبت منه ، مع ما أعرف من عدم ميله إلى الشعر ، وانفعاله له ، وظننت أنه أعجب بما تضمنته البيت الأول من غريب اللف والنشر المكرر الذي لا أعرف له ثانياً فيه ، فقال : أظننت أنني استحسنت الشعر ؟ فقلت : مثلك

١ اسماعيل بن سودكين (ق : شودكين) النوري (- ٦٤٠) تلميذ ابن عربي وشارح كتبه .

يستحسن مثل هذا الشعر ، فقال : إنما تعرفت منه كون العميان كانوا في ذلك الزمان يقرؤون على المقابر . فلأنني كنت أرى ذلك حديث العهد ، فاستفدت التاريخ . وقال مولاي الجدد رحمه الله تعالى ^١ : حدثني الآبلي أن أبا عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي الخطيب بتلمسان كان يقول في خطبته : من يطع الله ورسوله فقد رشيد ، بالكسر ، وكان الطلبة ينكرون عليه ذلك ، فلمّا ورد عليهم الراوية الرحلة أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري سمعه يقول ذلك ، فأنكر عليه في جملتهم ، وبلغ الخطيب ذلك ، فلم يرجع ، فلمّا قفل ابن رشيد من وجهته تلك دخل على الأستاذ أبي الحسن ابن أبي الربيع بسبته ، فهناه بالقدوم ، وقال له فيما قال : رشيدت - يا ابن رشيد - ورشدت لغتان صحيحتان ، حكاهما يعقوب في « الإصلاص » ^٢ ، ثم قال مولاي الجدد ^٣ : قلت : هذه كرامة للرجلين أو الثلاثة .

وقال رحمه الله تعالى ^٤ : قال طالب لشيخنا الآبلي يوماً : مفهوم اللقب صحيح ؟ فقال له الشيخ : قل زيد موجود . فقال : زيد موجود ، فقال له الشيخ : أما أنا فلا أقول شيئاً ، فعرف الطالب ما وقع فيه . فحجل . وهذا الآبلي ^٥ تقدم في كلام مولاي الجدد رحمه الله تعالى أنه عالم الدنيا . وهو تلمساني كما تقدم ، قال تلميذه أبو القاسم السلوي الفخار : دخل عليّ شيخنا الآبلي يوماً . وأنا أعجن طين الفخارة ، فقال لي : ما علامة قبول هذه المادة أكمل صورة تردّ عليها ؟ فقلت : أن تدفع عن نفسها ما هو من غير جنسها من حجر أو زبل أو غيره . فأدركه وجدّ عظيم . حتى إنه صاح وقام وقعد ، وبقي هنيئة مطرقاً برأسه مفكراً ، ثم قال : هكذا هي النفوس البشرية .

١ ق : ومن فوائده رحمه الله ؛ والقصة في نيل الابتهاج : ٢٥٢ .

٢ إصلاص المنطق : ٢١٣ .

٣ زاد في في : قال الآبلي .

٤ النص في نيل الابتهاج : ٢٤٥ .

٥ ق : ووصف الشيخ الآبلي .

قال : وقال لي يوماً ، وقد وجد الصبيان يصوتون بقَصَبٍ رفاق على الذباب
فإذا خرج قتلوه : الغلط الداخل عليه من أي أنواع المغلطات هو ؟ فقلت له :
من إيهام العكس . لما كان كل ذباب مصوتاً ظن أن كل مصوت ذباب ،
فاستحسن ذلك .

قلت : وحدثني مولاي العم الإمام شيخ الإسلام سيدي سعيد بن أحمد
المقري رحمه الله تعالى . عن شيخه ابن جلال مفتي حضرتي فاس وتلمسان ، أنه
كان يحكي أن الغلط جاءه من عدم كلية الكبرى في الشكل الأول ، لأنه ركه
هكذا : هذا مصوت وكل مصوت ذباب ، وقد علمت أنها هنا إنما تصدق جزئية لا
كلية ، وإذا كانت جزئية بطل الإنتاج . لأن ذلك من الضروب العقيمة ؛ انتهى .
ومن ^١ فوائده مولاي الجدد رحمه الله تعالى أنه قال ^٢ : سمعت شيخنا الآبلي
يقول : ما في الأمة المحمدية أشعر من ابن الفارض .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى ^٣ : سمعت شيخنا الآبلي يقول : إنما أفسد العلم
كثرة التواليف ، وإنما أذهب ببيان المدارس ، وكان ينتصف له من المؤلفين والباينين
وإنه لكما قال ، غير أن في شرح ذلك طويلاً ، وذلك أن التأليف نسخ الرحلة التي
هي أصل جمع العلم ، فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير ^٤ . وقد لا يحصل له
من العلم إلاّ النزر اليسير ، لأن عنايته على قدر مشقته في طلبه . ثم صار يشتري
أكبر ديوان بأخمس ثمن ، فلا يقع منه أكثر من موقع ما عوض عنه ، فلم يزل
الأمر كذلك حتى نسي الأول بالآخر ، وأفضى الأمر إلى ما يسخر منه الساخر ؛
وأما البناء فلأنه يجذب الطلبة إلى ما يرتب فيه من الجرايات ^٥ ، فيقبل بها على من

١ قبلها في ن : رجع .

٢ انظر نيل الابتهاج : ٢٤٥ .

٣ نقل صاحب نيل الابتهاج هذا النص ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

٤ نيل الابتهاج : مالا كثيراً .

٥ نيل الابتهاج : لما فيه من مرتب الجرايات .

يعينه أهل الرياسة للأجراء والإقراء منهم أو ممن يرضى لنفسه الدخول في حكمهم ،
ويصرفونها^١ عن أهل العلم حقيقة الذين لا يُدْعَوْنَ إلى ذلك ، وإن دُعُوا لم
يجيبوا ، وإن أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم . ثم قال مولاي الجلد رحمه
الله تعالى : ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها ، ونسبوا
ظواهر ما فيها إلى أمهاتها ، وقد نبه عبد الحق في « تعقيب التهذيب » على ما يمنع
من ذلك لو كان مَنْ يسمع - وذيل كتابه بمثل عدد مسائله أجمع - ثم تركوا
الرواية فكثرت التصحيف ، وانقطعت سلسلة الاتصال ، فصارت الفتاوى تُنْقَلُ
من كتب مَنْ لا يدري ما زيد فيها ممّا نقص منها ، لعدم تصحيحها ، وقلة
الكشف عنها . ولقد كان أهل المائة السادسة وصدر السابعة لا يسوّغون الفتوى
من « تبصيرة » الشيخ أبي الحسن اللخمي لكونه لم يصحّح على مؤلفه ولم يؤخذ^٢
عنه ، وأكثر ما يُعتمد اليوم ما كان من هذا النمط . ثم انضاف إلى ذلك عدم
الاعتبار بالناقلين ، فصار يؤخذ من كتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب
المرضيين^٣ ، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين ، ولم يكن هذا فيمن قبلنا ،
فلقد تركوا كتب البراذعي على نبلها ، ولم يُستعمل منها ، على كره من كثير
منهم ، غير « التهذيب » الذي هو « المدوّنة » اليوم لشهرة مسائله وموافقته في
أكثر ما خالف فيه المدوّنة لأبي محمد . ثم كَلَّ أهل هذه المائة عن حال مَنْ
قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والأصول الكبار ، فاقتصروا على حفظ
ما قلّ لفظه ، ونزّر حظه ، وأفنوا أعمارهم في فهم رموزه ، وحل لغوزه ،
ولم يصلوا إلى ردّ ما فيه إلى أصوله بالتصحيح ، فضلاً عن معرفة الضعيف من
ذلك والصحيح ، بل هو حلّ مُقْفَلٍ ، وفهم أمر مجمل ، ومطالعة تقييدات

١ نيل الابتهاج : ويعصرفهم .

٢ نيل الابتهاج : لكونها لم تصحح . . . ولم تؤخذ .

٣ نيل الابتهاج : كالأخذ من المرضيين .

زعموا أنها تستنهض النفوس . فبينما نحن نستكبر العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشيوخ ، أتيت لنا تقييدات للجهلة ، بل مسودات المسوخ ، فإننا لله وإننا إليه راجعون ، فهذه جملة تهديدك إلى أصل العلم ، وتريك ما غفل الناس عنه ؛ انتهى .

ولنصلها بخاتمة^١ تشير إلى حال العلماء أيضاً — اعلم أن شر العلماء علماء السلاطين ، وللعلماء معهم أحوال ؛ فكان الصدر الأول يفرون منهم ، وهم يطلبونهم ، فإذا حضر واحد منهم أفرغوا عليه الدنيا إفرغاً ليقتنصوا بذلك غيره ، ثم جاء أهل العصر الثاني ، فطمحت أنفسهم إلى دنيا من حصل لهم ، ومنعهم قرب العهد بالخير عن إتيانهم ، فكانوا لا يأتونهم ، فلما دعواهم أجابوهم إلا القليل ، فانتقصوا مما كان لغيرهم بقدر ما نقصوا من منابذتهم ، ثم كان فيمن بعدهم من يأتيتهم بلا دعوة ، وأكثرهم إن دعي أجاب ، فانتقصوا بقدر ذلك أيضاً . ثم تطارح جمهور من بعدهم عليهم ، فاستغنوا بهم عن دعاء غيرهم ، لا على جهة الفضل أو محبة المدحة منهم ، فلم يبقوا عليهم من ذلك إلا التزر اليسير ، وصرفوهم في أنواع السخر والخدم إلا القليل ، وهم ينتظرون صرفهم ، والتصريح بالاستغناء عنهم ، وعدم الحاجة إليهم ، ولا تستعظم هذا ، فاعله سبب إعادة الحال جندة ، عجب الله من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل ، وهذا كله ليظهر لك سر قول النبي صلى الله عليه وسلم « لتبعن سنن من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه خلفهم » ، قيل : اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ » وقد قص علينا القرآن والأخبار من أمرهم ما شاهدنا أكثره أو أكثر منه فينا ، سمعت العلامة الآبلي يقول^٢ : لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل فيهم ، لأننا أتينا أكثر مما أتوا ، يشير

١ ق : وذيلت على ذلك بخاتمة .

٢ انظر نيل الابتهاج : ٢٤٦ .

إلى افتراق هذه الأمة على أكثر مما افرقت عليه بنو إسرائيل ، واشتهار بأسهم بينهم إلى يوم القيامة . حتى ضعفوا بذلك عن عدوهم ، وتعدد ملوكهم لاتساع أقطارهم واختلاف أنسابهم وعوائلهم . حتى غلبوا بذلك على الخلافة ، فنزعت من أيديهم . وساروا في الملك بسير من قبلهم . مع غلبة الهوى واندراس معالم التقوى . لكننا آخر الأمم ، أطلعنا الله من غيرنا على أقل مما ستر منا ، وهو المرجو أن يتم نعمته علينا ، ولا يرفع ستره الجميل عنا . فمن أشد ذلك إتلافاً لغرضنا تحريف الكلم عن مواضعه الصحيحة أن ذلك لم يكن بتبديل اللفظ ، إذ لا يمكن ذلك في المشهورات من كتب العلماء المستعملة ، فكيف في الكتب الإلهية ، وإنما كان ذلك بالتأويل كما قال ابن عباس وغيره ، وأنت تبصر ما اشتملت عليه كتب التفسير من الخلاف ، وما حُمِلَت الآي والأخبار من التأويلات الضعاف . قيل للمالك : لم يختلف الناس في تفسير القرآن ؟ فقال : قالوا بآرائهم فاختلفوا ؛ أين هذه من قول الصديق « أيُّ سماء تُظِلُّني ، وأيُّ أرض تُقِلُّني ، إذا قلت في كتاب الله عز وجل برأيي ؟ » كيف وبعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل إلى بعض الميل . وأقرب ما يحمل عليه جمهور اختلافهم أن يكون بعضهم قد علم بقصد إلى تحقيق نزول الآية من سبب أو حكم أو غيرهما ، وآخرون لم يعلموا ذلك على التعيين ، فلما طال بحثهم وظنوا عجزهم أرادوا تصوير الآية بما يسكن النفوس إلى فهمها في الجملة ، ليخرجوا عن حد الإبهام المطلق ، فذكروا ما ذكروه على جهة التمثيل ، لا على سبيل القطع بالتعيين ، بل منه ما لا يعلم أنه أريد لا عموماً ولا خصوصاً . لكنه يجوز أن يكون المراد ، فإن لم يكن إياه فهو قريب من معناه . ومنه ما يعلم أنه مراد لكن بحسب الشركة والخصوصية مع جواز أن يكون هو المراد بحسب الخصوصية ، ثم اختلط الأمران . والحق أن تفسير القرآن من أصعب الأمور ، فالإقدام عليه جراءة ، وقد قال الحسن

١ : ٥ : قائل .

لابن سيرين : تعبر الرؤيا كأنك من آل يعقوب ! فقال له : تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل ! وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يفسر من القرآن إلا آيات معدودة . وكذلك أصحابه والتابعون بعدهم . وتكلم أهل النقل في صحة التفسير المنسوب لابن عباس إليه إلى غير ذلك . ولا رخصة في تعيين الأسباب والناسخ والمنسوخ إلا بنقل صحيح أو برهان صريح . وإنما الرخصة في تفهيم ما تفهمه العرب بطباعها من لغة وإعراب وبلاغة لبيان إعجاز ونحوها ؛ انتهى .

[ترجمة المقرئ من نيل الابتهاج]

ولنرجع إلى بقية أنباء مولاي الجلد رحمه الله ، فنقول : قال صاحب « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » ما صورته ^١ : محمد بن محمد بن أحمد القرشي التلمساني الشهير بالمقرئ - بفتح الميم - وتشديد القاف المفتوحة - كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في كتابه « العلوم الفاخرة » وضبطه ابنُ الأحمر في فهرسته وسيد أحمد زروق بفتح الميم وسكون القاف - الإمام العلامة النظار المحقق القدوة الحجة الجليل الرحلة ^٢ ، أحد فحول أكابر علماء المذهب المتأخرين الأثبات قاضي الجماعة بفاس ، ذكره ابن فرحون في الأصل ، يعني « الديباج » ، وأثنى عليه ؛ انتهى .

وقال الخطيب ابن مرزوق ^٣ : كان صاحبنا المقرئ معلوم القدر ، مشهور الذكر بالخير ، تبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ، ما يُرجى له النفع به يوم اللقاء ، وعوارفه معلومة عند الفقهاء ، ومشهورة بين الدهماء ؛ انتهى .

١ انظر نيل الابتهاج : ٢٥٠ .

٢ الرحلة : سقطت من نيل الابتهاج .

٣ انظر هذا النقل في نيل الابتهاج أيضاً .

وقال أبو العباس الونشريسي في بعض فوائده : ومَقَرَّة - بفتح الميم ، بعدها قاف مفتوحة مشددة - قرية من قرى بلاد الزاب من أعمال إفريقية ، سكنها سَلَفُهُ ، ثمَّ تحوَّلوا إلى تلمسان ، وبها وُلد الفقيه المذكور ، وبها نشأ . وقرأ وأقرأ ، إلى أن خرج منها صحبة الركاب المتوكلي العناني أمير المؤمنين فارس عام تسعة وأربعين وسبعمائة إلى مدينة فاس المحروسة ، فولاه القضاء ، فنهض بأعبائه علماً وعملاً ، وحُمدت سيرته ، ولم تأخذه في الله لومة لائم ، إلى أن توفي بها إثر قدومه من بلاد الأندلس في غرض الرسالة لأبي عنان عام تسعة وخمسين وسبعمائة ، ثمَّ نُقِل إلى مسقط رأسه تلمسان .

وقال في موضع آخر : إنه توفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى عام تسعة وخمسين وسبعمائة ، بمدينة فاس المحروسة ، ثمَّ نُقِل إلى تلمسان محل ولادته ومقر أسلافه ، ودفن بها في البستان الملاصق لقبلي داره الكائنة بباب الصرف من البلد المذكور ، وهو الآن على ملك بعض ورثة الشيخ أبي يحيى الشريف ؛ انتهى .

ومن أخبار مولاي الجلد رحمه الله تعالى ، أنه قال ^١ : شهدت الوقفة سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، وكانت جمعة ، وقام الخطيب في سابع ذي الحجة في الناس بالمسجد الحرام ، وقال : إن جمعة وفتحتكم هذه خاتمة مائة جمعة وقف بها من الجمعة التي وقف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع آخر عشر من الهجرة ، وشاع ذلك في الناس وذاع ، وكان علم ذلك ممّا تواتر عندهم ، والله أعلم ، وهم يزعمون أن الجمعة تدور على خمس سنين ، وهذا مناف للملك ، ولكن كثير منهم ينكر اطراد هذا ويقول : إنها قد تكون على خلاف ذلك ، فلا أدري .

١ انظر نيل الابتهاج : ٢٥٢ .

ومنها أنه قال : شهدت شمس الدين بن قيم الجوزية قيم^١ الحنابلة بدمشق ، وقد سأله رجل عن قوله عليه الصلاة والسلام « من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجاباً من النار » كيف إن أتى بعد ذلك بكبيرة ؟ فقال : موت الولد حجاب ، والكبيرة خرق لذلك الحجاب ، وإنما يكون الحجاب حجاباً ما لم يُخرق ، فإذا خُرق فقد زال عن أن يكون حجاباً ، ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام « الصوم جُنَّةٌ » ما لم يُخرقها ، ثم قال : وهذا الرجل أكبر أصحاب تقي الدين ابن تيمية .

ومن أخبار مولاي الجدد الدالة على صرامته ما حكاها ابن الأزرقي عنه^٢ : أنه كان يحضر مجلس السلطان أبي عنان لبث العلم ، وكان نقيب الشرفاء^٣ بفاس إذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من في المجلس إجلالاً له ، إلا الشيخ المقرئ ، فإنه كان لا يقوم في جملتهم ، فأحسَّ النقيب من ذلك ، وشكاه إلى السلطان ، فقال له السلطان : هذا رجل وارد علينا نركه على حاله إلى أن ينصرف ، فدخل النقيب في بعض الأيام على عادته ، فقام له السلطان على العادة وأهل المجلس ، فنظر إلى المقرئ ، وقال له : أيها الفقيه ، ما لك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله وأهل مجلسه إكراماً بلدي ولشرفي ؟ ومن أنت حتى لا تقوم لي ؟ فنظر إليه المقرئ وقال له : أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبته ولا يرتاب فيه أحد ، وأما شرفك فمظنون ، ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة سنة ، ولو علمنا شرفك قطعاً لأقمنا هذا من هنا ، وأشار إلى السلطان أبي عنان ، وأجلسناك مجلسه ، فسكت ، انتهى .

١ ق : مفتي ، ونيل الابتهاج : مقيم .

٢ النص في نيل الابتهاج : ٢٥٤ .

٣ نيل الابتهاج : مزوار الشرفاء ؛ والمزوار لقب يعني المقدم وهو من البربرية « امزوار » فيقال مزوار الأطباء ومزوار الطلبة . إلخ . (انظر معجم دوزي) .

قال ابن الأزرقي : وعلى اعتذاره ذلك بأن الشرف الآن مظنون^١ . فمن معنى ذلك أيضاً ما يحكى عنه أنه كان يقرأ بين يدي السلطان أبي عنان المذكور صحيح مسلم بحضرة أكابر فقهاء فاس وخاصتهم . فلماً وصل إلى أحاديث « الأئمة من قريش » قال الناس : إن قال الشيخ « الأئمة من قريش » وأفصح بذلك استوغر قلب السلطان . وإن ورى وقع في محذور . فجعلوا يتوقعون له ذلك ، فلماً وصل إلى الأحاديث قال بحضرة السلطان : والجمهور أن الأئمة من قريش . ثلاثاً ، ويقول بعد كل كلمة : وغيرهم متغلب^٢ ، ثم نظر إلى السلطان وقال له : لا عليك ، فإن القرشي اليوم مظنون ، أنت أهل للخلافة ، إذ بعض الشروط قد توفرت فيك والحمد لله ، فلما انصرف إلى منزله بعث له السلطان بألف دينار ؛ انتهى .

قال أبو عبد الله ابن الأزرقي : قلت : ويلزم أيضاً من اعتذاره أن قيام السلطان لذي الشرف المحقق بالعلم أولى بالمحافظة^٣ على تعظيم حرمان الله ، وقد روي عن بعض الأمراء أنه تكبر على ذلك ، واستخف بمنزلة من عظم به غيره . فسلبه الله ملكه وملك بني من بعده ؛ انتهى .

ومن أجوبة مولاي الجدد رحمه الله تعالى قوله^٣ : سألتني السلطان عمّن لزمته يمين على نقي العلم فحلف جهلاً على البيت ، هل يعيد أم لا ؟ فأجبت بإعادتها ، وقد كان من حضر من الفقهاء أفتوا بأن لا تعاد . لأنه أتى بأكثر مما أمر به على وجه يتضمنه . فقلت له : اليمين على وجه الشك غموس ، قال ابن يونس : والغموس : الحلف على تعمد الكذب ، أو على غير يقين ، ولا شك أن الغموس محرمة منهياً عنها ، والنهي يدل على الفساد ، ومعناه في العقود عدم ترتب أثره ؛ فلا أثر لهذه اليمين . ويجب أن تعاد . وقد يكون من هذا اختلافهم فيمن لاذنوها .

١ نيل الابتهاج : يكون الشرف الآن مظنوناً .

٢ ق ص ونيل الابتهاج : في المحافظة .

٣ ق : ومن أنبأه أيضاً قوله ؛ والحكاية في نيل الابتهاج : ٢٥٣ .

السكوت ، فتكلمت هل يُجتزأ بذلك ؟ والإجزاء هنا أقرب ، لأنه الأصل ،
والصمات رخصة لغلبة الحياء ، فإن قلت : البت أصل ، ونفي العلم إنما يعتبر
عند تعذره ، قلت : ليس رخصة كالصمات .

ومنها أنه قال ^١ : سألني بعضُ الفقراء عن السبب في سوء بخت المسلمين في
ملوكهم ، إذ لم يَلِ أمرهم من يسلك بهم الجادة ويحملهم ^٢ على الواضحة ، بل
من يغتر في مصلحة دنياه ^٣ ، غافلاً عن عاقبة أخراه ، فلا يرقب في مؤمن إلاً
ولا ذمة ، ولا يراعي عهداً ولا حرمة ، فأجبت بأن ذلك لأن الملك ليس في شريعتنا
وذلك أنه كان فيمن كان قبلنا شرعاً ، قال الله تعالى ممتثلاً على بني إسرائيل
﴿ وجعلكم ملوكاً ﴾ (المائدة : ٢٠) ولم يكن ذلك في هذه الأمة ، بل جعل لهم
خلافة ، قال الله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الأرض — الآية ﴾ (النور : ٥٥) وقال تعالى ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث
لكم طالوت ملكاً ﴾ (البقرة : ٢٤٧) وقال سليمان ﴿ رب اغفر لي وهب لي ملكاً ﴾
(ص : ٣٥) فجعلهم الله تعالى ملوكاً ، ولم يجعل في شرعنا إلا الخلفاء ، فكان
أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لم يستخلفه نصّاً ، لكن فهم
الناس ذلك فهماً ، وأجمعوا على تسميته بذلك ، ثم استخلف أبو بكر عمر ،
فخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد ، إلى سبيل الخلافة الذي هو
النظر والاختيار ، ونصّ في ذلك على عهده ، ثم اتفق أهل الشورى على عثمان ،
فإخراج عمر لها عن بنيه إلى الشورى دليل على أنها ليست ملكاً ، ثم تعين عليّ بعد
ذلك ، إذ لم يبق مثله ، فبايعه من أثر الحق على الهوى ، واصطفى الآخرة على
الدنيا ، ثم الحسن كذلك ، ثم كان معاوية أول من حوّل الخلافة ملكاً ، والحشونة

١ راجع المصدر السابق .

٢ نيل الابتهاج : سلك . . . وحملهم .

٣ نيل الابتهاج : صلاح دنياه .

ليناً ، ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، فجعلها ميراثاً ، فلما خرج بها عن وضعها^١ لم يستقم ملكٌ فيها ، ألا ترى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكاً ، لأن سليمان رحمه الله تعالى رغب عن بني أمية إيثاراً لحق المسلمين ولثلاً يتقلدها حياً وميتاً ، وكان يعلم اجتماع الناس عليه ، فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط إلا خليفة ، وأما الملوك فعلى ما ذكرت إلا من قل ، وغالب أفعاله غير مرضية ؛ انتهى .

وفوائد مولاي الجلد وتُحَفُّهُ وطُرْفُهُ ودقائقه يستدعي استقصاؤها مجلدات^٢ ، فلنكتف بما قدّمناه :

وفي الإشارة ما يغني عن الكلام

[مؤلفات المقرئ الجلد]

وأما تأليفه فكثيرة : منها كتاب « القواعد »^٣ اشتمل على ألف قاعدة ومائتي قاعدة ، قال العلامة الونشريسي في حقه : إنه كتاب غزير العلم ، كثير الفوائد ، لم يسبق إلى مثله ، بيّدت أنه يفتقر إلى عالم فتاح ؛ انتهى .
وقد أشار فيه إلى مأخذ الأربعة ، وهو قليل بهذه الديار الشرقية ، ولم أرَ منه بمصر إلا نسخة عند بعض الأصحاب ، وذكر أنها من أوقاف رواق المغاربة بالأزهر المعمور ، وأما قول لسان الدين في « الإحاطة » عند تعرضه لذكر تأليف مولاي الجلد ما صورته « ألّف كتاباً يشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية ، ضمنها كل أصل من الرأي والمباحثة » فهو غير القواعد بلا مِرْيَةٍ .

١ نيل الابتهاج : موضعها .

٢ ق : وإن تتبعنا أخبار مولاي الجلد وفوائده وأقواله وأفعاله خرجنا بالاستطراد عن المراد ... إلخ .

٣ قارن بما في نيل الابتهاج : ٢٥٥ .

ومنها كتاب «الطُّرْف والتُّحَف»^١ غاية في الحسن والظرف ، قاله الونشريسي وقد وقفت على بعضه فرأيت العجب العجاب .

ومنها «اختصار المحصل» ولم يكمله ، وشرحه لجمل الخونجي ، كذلك^٢ ، ومنها كتاب «عمل من طَبَّ لمن حبَّ» وهو بديع في بابه ، مشتمل على أنواع : الأول فيه أحاديث حكمية كأحاديث «الشهاب» و«سراج المهتدين» لابن العربي ، والنوع الثاني منه الكليات الفقهية على جملة أبواب الفقه في غاية الإفادة ، والثالث في قواعد وأصول ، والرابع في اصطلاحات وألفاظ ، قال الونشريسي : وقد أطلعني الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الخالق على نسخة من هذا الكتاب ، فتلطفت في استنساخها ، فلم يسمح به ؛ انتهى .

قلت : وقد رأيت هذا الكتاب بحضرة فاس عند بعض أولاد ملوك تلمسان وهو فوق ما يوصف ، وفيه يقول مولاي الجدّ رحمه الله تعالى :

هذا كتابٌ بديعٌ في محاسنه ضمنته كلَّ شيء خلّته حسناً
فكلُّ ما فيه إن مرَّ اللبيبُ به ولم يشمَّ عييراً شام منه سناً
فخذ به واشدد به كفّ الضنين وذُود ، حتى تحصّله ، عن جفلك الوسناً

وهذه الأبيات كافية في وصف هذا الكتاب ، إذ صاحب البيت أدرى بالذي فيه .

[نقول من كتاب المحاضرات للمقري الجلد]

ومنها كتاب «المحاضرات» وفيه من الفوائد والحكايات والإشارات كثير ، وقد ملكت منه بالمغرب نسختين ، فلنذكر منه بعض الفوائد ، فنقول : قال رحمه الله تعالى : قيل لصوفي : لم تقول الله الله ولا تقول لا إله إلا الله؟ فقال :

١ نيل الابتهاج : التحف والطرف .

٢ قال التنبكي فيه أيضاً : لم يتم .

نَقِي العيب حيث يستحيل العيب عيب ، وهذا إن لم يكن في هذه الكلمة لأنها أفضل ما قالته الأنبياء فهو في كثير من التنزيه الذي يطلقه المتكلمون وغيرهم ، حتى قال الشاشي عنهم : إنهم يتمندلون بأسماء الله عز وجل ، ما عَرَفَهُ من كَيْفِهِ ، ولا وَحَدَهُ من مَثَلِهِ ، ولا عَبَدَهُ من شَبَهِهِ ، المشبّه أعشى ، والمعطل أعمى ، المشبه مثلوث بفرث التجسيم ، والمعطل نجس بدم الجحود ، ونصيب المحقّ لبن خالص وهو التنزيه ، انزل من علو التشبيه ، ولا تَعْلُ قُلُلَ أباطيل التعطيل ، فالوادي المقدس بين الجبلين .

أبو المعالي^١ : من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مُشَبَّهٌ ، ومن سكن إلى النفي المحض فهو مُعْطَلٌ ، ومن قطع بموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد :

جلّ رب الأعراض والأجسام عن صفات الأعراض والأجسام
جلّ ربي عن كل ما اكتنفته لحظات الأفكار والأوهام
برىء الله من هشام وممن قال في الله مثل قول هشام

الدقاق : المريد صاحب ولّه ، لأن المراد بلا شَبَه ، وقيل : مثله الأعلى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ .

الجنيد : أشرف كلمة في التوحيد قول الصديق : الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته .

القشيري^٢ : يعني أن العارف عاجز عن معرفته ، والمعرفة موجودة فيه . غيره : ما عرف الله سوى الله ، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك :

كل ما ترتقي إليه بوهم من جلال وقدره وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى منه ، سبحانه مبدع الأشياء

١ ق : ومنه ، بسقوط لفظة « أبو المعالي » .

٢ موضع هذه اللفظة في ق ، قال .

سأل^١ المريسي الشافعي عن التوحيد بحضرة الرشيد ، فقال : أن لا تتوهمه ولا تتهمه ، فأبته بِشْرٌ .

الشبلي^٢ : من توهم أنه واصل ، فليس له حاصل ، ومن رأى أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فهو فاقد ، ومن أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو غافل ، ومن سكت عنه فهو جاهل^٣ . ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها إلا ناداته هواتف الحقيقة : الذي تطلب أمامك ، وما تبرجت ظواهر المكونات إلا نادتك حقائقها : إنما نحن فتنة فلا تكفر :

ما ينتهي نظري منهم إلى رُتبٍ في الحسن إلا ولاحت فوقها رُتبٌ الجريري : ليس لعلم التوحيد إلا لسان التوحيد .

الحسن^٤ : العجز عن درك الإدراك إدراك :

تبارك الله وارت غيبته حُجبٌ فليس يعرف إلا الله ما الله

دعا^٥ نبي إلى الله عز وجل بحقيقة التوحيد ، فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد . فعجب من ذلك ، فأوحى الله عز وجل إليه : تريد أن تستجيب لك العقول ؟ قال : نعم ، قال : احجُبني عنها ، قال : كيف أحجبك وأنا أدعو إليك ؟ قال : تكلم في الأسباب ، وفي أسباب الأسباب ، فدعا الخلق من هذا الطريق . فاستجاب له اللحم الغفير .

ومنه^٦ : سمع أعرابي اختلاف المتكلمين بمسجد البصرة في الإنسان وانتزاع كل واحد منهم الحجة على رأيه ، فخرج وهو يقول :

١ ق : مثل .

٢ ق : ومنه قيل .

٣ جاهل : مكررة في ق .

٤ ق : ومنه .

٥ ق : دعا الخلق .

٦ ق : ومنه قيل .

إن كنتُ أدري فعليَّ بدتهُ مِّنْ كثرة التخليط فيَّ مَنْ أنه^١
ومَنْ عجز عن أقرب الأشياء نسبة منه ، فكيف يقدر على أبعد الأمور
حقيقة عنه ؟ من عرف نفسه عرف ربّه .
ومنه : دع ما يسبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره .
لما احتُضِرَ الوليد بن أبان ، قال لبنيه : هل تعلمون أحداً هو أعلم بالكلام
مني ؟ قالوا : لا ، قال : فإني أوصيكم بما عليه أهل الحديث ، فإني رأيت
الحق معهم . وعن أبي المعالي نحوه .
ومنه : هجر أحمدُ المحاسبيّ لما صنف في علم الكلام ، فقال : إنما قصدت
إلى نصر السنّة ، فقال : ألسنت تذكر البدعة وشبهة البدعة ؟ قلت : من تحقق كلام
فخر الدين الرازي وجدّه في تقرير الشبّه أشد منه في الانفصال عنها ، وفي هذا
ما لا يخفى .
ومنه : مَن آمن بالنظر إلى ظاهر الثعبان كفر بالاستماع إلى خوار العجل ،
ومن شاهد مجاوزة القدرة الإلهية لمتهى وسع القوة البشرية لم يكثرث بوعيد الدنيا
ولم يؤثر الهوى على الهدى والتقوى .
ومنه : علي بن الحسين : مَن عرف الله بالأخبار ، دون شواهد الاستبصار
والاعتبار ، اعتمد على ما تلحقه التهم .
ومنه : قيل لطبيب : بمَ عرفت ربك ؟ قال : بالإلهيلج ، يجفف الحلق ،
ويلين البطن . وقيل لأديب : بمَ عرفت ربك ؟ قال : بنحلة في أحد طرفيها
عسل ، وفي الآخر لسع ، والعسل مقلوب اللسع . وسأل الدهرية الشافعي عن دليل
الصانع ، فقال : ورقة القرصاد تأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم ،
والنحل فيكون منها العسل ، والطبّاء فينقصد في نوافجها المسك ، والشاء فيكون
منها البعر ؛ فآمنوا كلهم ، وكانوا سبعة عشر .

١ أنه : لغة في أنا ، ومنه قول حاتم : « هذا فردي أنه » (الخزائن ٢ : ٣٨٩) .

قيل لأعرابي : بم عرفت ربك ؟ فقال : البعرة تدل على البعير ، والروث يدل على الحمير ، وآثار الأقدام تدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وبحار ذات أمواج ، أما يدل ذلك على العليم القدير :

قد يستدل بظاهر عن باطن حيث الدخان يكون موقد نارٍ

قيل لأعرابي : بم عرفت الله ؟ قال : بنقض عزائم الصدور ، وسوق الاختيار إلى حبال المقدور .

ومنه : الدقاق : لو كان إبليس بالحق عارفاً ، ما كان لنفسه بالإضلال والإغواء واصفاً .

ومنه : التوحيد محو آثار البشرية ، وتجديد صفات الألوهية . الحق واحد في ذاته لا ينقسم ، واحد في صفاته لا يُماثل ، واحد في أفعاله لا يشارك . لو كان موجوداً عن عدم ، ما كان موصوفاً بالقدم . الحياة شرط القدرة ، دلت على ذلك الفطرة . لو لم يكن الصانع حياً ، لاستحال أن يوجد شيئاً . لو لم يكن باقياً ، لكان للألوهية منافياً . لو كان الباري جسماً ، ما استحق الإلهية اسماً . لو كان الباري جوهرأ ، لكان للحيز مفتقراً . العَرَضُ لا يبقى ، والقديم لا يتغير ولا يفنى . لو لم يكن بصفة القدرة موصوفاً ، لكان بِسْمَةِ العجز معروفاً . لو لم يكن عالماً قادراً ، لاستحال كونه خالقاً فاطراً . دلت الفطرة والعبرة ، أن الحوادث لا تحصل إلا من ذي قُدْرَةٍ . لو لم يكن بالإرادة قاصداً ، ما كان العقل بذلك شاهداً . مَنْ تنوع لإيجاده ، دل ذلك على أن الفعل مراده . لو لم يكن بالسمع والبصر موصوفاً ، لكان لضديهما مألوفاً . لو جاز سامع لا سَمْعَ له ، لجاز صانع لا صنع له . لو كان سمعه بأذن ، لافتقرت ذاته إلى ركن . مَنْ صدرت عنه الشرائع والأحكام ، كان موصوفاً بالكلام . ليس في الصفات

السبع ما لا يتعلق إلاّ الحياة ، ولا ما يؤثّر إلا القدرة والإرادة . كما جاز أن يأمر بما لا يريد جاز أن يريد ما لا يحب . لا يُسأل عمّا يفعل . الواحد كاف ، وما زاد عليه متكافٍ . ليس مع الله تعالى موجودات لأن الموجودات كلّها كالظل . من نور القدرة له رتبة التبعية ، لا رتبة المعية .

إنّ من أشرك بالله ۞ جَهْلٌ بالمعاني
أحول العقل ؛ لهذا ظنّ للواحد ثاني

قال جعفر بن محمد : لو كان على شيء لكان محمولاً ، ولو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو كان من شيء لكان محدثاً .
قيل لثمامة بن الأشرس : متى كان الله ؟ فقال : ومتى لم يكن ؟ فقيل : فلم كفر الكافر ؟ فقال : الجواب عليه .

قال خادم أبي عثمان : قال لي مولاي : يا محمد ، لو قيل لك أين معبودك ما كنت تجيب ؟ قال : أقول بحيث لم يزل ، قال : فإن قيل لك فأين كان في الأزل ؟ فقال : أقول بحيث هو الآن ، فترع قميصه وأعطانيه .

قيل لصوفي : أين هو ؟ فقال : محقك الله ! أطلب مع العين أين ؟ ومنه : سمعت شيخنا يقول : نقصنا صفة كمال له فينا ، يعني إذا وجب له كل الكمال وجب لنا كل النقص . وهذا على أنّه ليس في الإمكان أبدع ممّا كان ، وفيه كلام .

ومنه : بلغ أحمد أن أبا ثور قال في الحديث «خلق الله آدم على صورته» ، إن الضمير لآدم ، فهجره ، فأثاه أبو ثور ، فقال أحمد : أي صورة كانت لآدم يخلقه عليها ؟ كيف تصنع بقوله «خلق الله آدم على صورة الرحمن» ؟ فاعتذر إليه ، وتاب بين يديه .

ومنه : أتى يهودي المسجد فقال : أيكم وصيّ محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأشاروا إلى الصديق ، فقال : إنّي سأتلك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبي أو وصي

نبي ، قال : سل ، قال : فأخبرني عما ليس لله ، وعما ليس عند الله ، وعما لا يعلمه الله ، فقال : هذه مسائل الزنادقة ، وهم بقتله ، فقال ابن عباس : ما أنصفتموه ، إما أن تجيبوه وإما أن تصرفوه إلى من يجيبه ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي « اللهم اهد قلبه ، وثبت لسانه » ، فقال أبو بكر : قم معه إلى علي ، فقال له : أمّا ما لا يعلمه الله فقولكم في عزير إنّه ابن الله ، والله عز وجل لا يعلم له ولدًا ، قال في التنزيل ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ - الْآيَة ﴾ (يونس : ١٨) وأما ما ليس عند الله فالظلم ، وأما ما ليس له فالشريك^١ ، فأسلم اليهودي ، فقبل أبو بكر رأس علي ، وقال له : يا مفرج الكربات ، ووردت^٢ مثل هذه المسائل عن الصحابة ، فالله تعالى أعلم .

وقال العتابي لأبي قرّة النصراني عند المأمون : ما تقول في المسيح ؟ قال : من الله ، قال : البعض من الكل على سبيل التجزيء ، والولد من الوالد على طريق التناسل ، والخل من الخمر على وجه الاستحالة ، والخلق من الخالق على جهة الصنعة ، فهل من معنى خامس ؟ قال : لا ، ولكن لو قلت بواحد منها ما كنت تقول ؟ قال : الباري لا يتجزأ ، ولو جاز عليه ولد لجاز له ثان وثالث وهلم جرا ، ولو استحال فسد ، والرابع مذهبنا ، وهو الحق .
ومنه : أول ما تكلم به عيسى في المهد أن قال ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ (مريم : ٣٠) وهو حجة على الغالين فيه ، يقال لهم : إن صدق فقد كذبتُم ، وإلا فمن عبدتُم ، ولمن ادعيتُم ؟

قال القاضي ابن الطيب للقيس لما وجهه عضد الدولة إلى ملك الروم : لِمَ اتحد اللاهوت بالناسوت ؟ فقال : أراد أن يُنَجِّيَ الناس من الهلاك ، قال :

١ ق : فالشرك .

٢ ص : وروي .

فهل دَرَى أَنَّهُ يُقْتَل وَيُصَلَّب أولاً ؟ فإن لم يدر لم يجوز أن يكون إلهاً ولا ابناً ، وإن درى فالحكمة تمنع من التعرض لمثل ما قلتم إنه جرى .

سأل القاضي هذا البطرك عن أهله وولده ، فأنكر ذلك النصارى ، فقال : تُبرثون هذا ممّا تثبتونه لربكم ؟ سوأةٌ لهذا الرأي ! فانكسروا .

ابن العربي : سمعت الفقراء ببغداد يقولون : إن عيسى عليه السلام كان إذا خلّق من الطين كهيئة الطير طار شيئاً ثم سقط ميتاً لأنه كان يَخْلُق ولا يَرْزُق ، ولو رَزَق لم يبق أحدٌ إلا قال « هو الله » إلا من أوتي هداة .

سأل ابن شاهين الجنيّد عن معنى « مع » فقال : مع الأنبياء بالنظر والكلام ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ (طه : ٤٦) ومع العامة بالعلم والإحاطة ﴿ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ (المجادلة : ٧) فقال : مثلك يصلح دليلاً على الله .

ومنه : سأل قَدَرِي عليّاً رضي الله عنه عن القدر ، فأعرض عنه ، فألح عليه ، فقال : أَحَلَقَكَ كيف شئت ، أو كيف شاء ؟ فأمسك ، فقال : أترونه يقول كيف شئت ؟ إذن والله أقتله ، فقال : كيف شاء ، قال : أبحيك كيف تشاء أو كيف يشاء ؟ قال : كيف يشاء ، قال : فيدخلك حيث تشاء أو حيث يشاء ؟ قال : حيث يشاء ، قال : اذهب فليس لك من الأمر شيء . أبو سليمان : أدخلهم الجنة قبل أن يطيعوه ، وأدخلهم النار قبل أن يعصوه ، جل حكم الأزل ، أن يضاف إلى العلل ، سبق قضاؤه فعله ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة : ٢٠) وأوقفت مشيئته أمره ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً ﴾ (يونس : ٩٩) .

قال الشاذلي : أهبط آدم إلى الأرض قبل أن يخلقه ، لأنه قال ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ ولم يقل في السماء ولا في الجنة .

الأوزاعي : قضى بما نهي ، وحال دون ما أمر ، واضطر إلى ما حرم :

ألقاه في اليمِّ مكتوفاً وقال لهُ إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَ بِالْمَاءِ

قال الأوزاعي لغَيْلان : مشيتك مع مشيئة الله عز وجل أو دونها ؟ فلم يجب ، فقال هشام بن عبد الملك : فلو اختار واحدة ، فقال : إن قال معها فقد زعم أنه شريك ، وإن قال وحدها فقد تفرّد بالربوبية ، قال : لله درك أبا عمرو . من بيان عظمتة ﴿ رفيع الدرجات ﴾ (غانر : ١٥) من آثار قدرته ﴿ بديع السموات ﴾ (الرعد : ٢) توقيع أمره ﴿ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ واقع زجره ﴿ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ (النحل : ٩٠) تنفيذ حكمه ﴿ فَعَالَ لَا يُرِيدُ ﴾ (البروج : ١٦) دستور ملكه ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ (الأنبياء : ٢٣) .

إياس بن معاوية : ما خاصمت أحداً بعقلي كله إلا القدريّة ، قلت لقدري : ما الظلم ؟ فقال : أخذ ما ليس لك ، قلت : فإن الله له كل شيء .
الواسطي : ادعى فرعون الربوبية على الكشف ، وادعت المعتزلة الربوبية على السر ، تقول ما شئت فعلت .

ومنه : من أقصته السوابق لم تُدْنِهِ الوسائل ، إذا كان القدر حقاً فالحرص باطل ، إذا كان الله عز وجل عدلاً في قضائه فمصيبات الخلق بما كسبت أيديهم :

ما عذر معتزليٍّ موسىٍ منعت كفتاه معتزليّاً معسراً صَفَدَا
أيزعُمُ القَدَرَ المحتوم ثَبَّطَهُ إن قال ذاك فقد حلَّ الذي عقَدَا

ومنه : دخل محمد بن واسع على بلال بن فروة فقال : ما تقول في القدر ؟ قال : تفكر في جيرانك أهل القبور فإن فيهم شغلاً عن القدر .

وكل من أغرق في نَعْتِهِ أصبحَ منسوباً إلى العِيِّ

المقادير تبطل التقدير ، وتنقض التدبير .

قال معتزلي لسني : لو أراد ثبوت أحد على الكفر لم يقل ﴿ ليُخْرِجْكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (الأحزاب : ٤٣) فقال السني : لو لم يكن الإيمان من

فعله لم يقل ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ .
 قال تقفور طاغية النصارى لأبي الحسن الشباني^١ : أنت تقول إن الخير والشر
 من الله ؟ وذلك لأن النصارى كلهم على مذهب القدرية في الاستطاعة ، قال :
 نعم ، قال : كيف يعذب عليه ؟ هل كان حقاً عليه أن يخلق ؟ فقال : لم يضطره
 إلى ما خلق مضطراً .

قيل : نزلت ﴿ وما أضلنا إلاّ المجرمون ﴾ (الشعراء : ٩٩) في القدرية ، لأنهم
 أضافوا الحول والقوة في الشر إلى البشر فأشركوهم في الخلق ، أما ترى قوله
 تعالى : ﴿ إنّ المجرمين في ضلالٍ وسعور ﴾ (القمر : ٤٧) إلى قوله تعالى :
 ﴿ إنّنا كلّ شيء خلقناه بقدر ﴾ (القمر : ٤٩) .

كنتُ دهرأ أقولُ بالاستطاعة وأرى الجبر ضلّةً وشناعه
 ففقدت استطاعتي في هوى ظنّي ، فسمعاً لمن أحب وطاعه
 غيره^٢ :

ما لا يكون فلا يكون بحيلة أبدأ ، وما هو كائن سيكون
 غيره^٣ :

تريدُ النفس أن تُعطى منها ويأبى الله إلاّ ما يشاء
 شفاء الصدور ، في التسليم للمقدور :

إذا لم يكن إلاّ الأسنّة مركب فلا رأيَ للمضطر إلا ارتكابها
 غيره :

١ كذا في ق ص ، ولعل الصواب : « الشباني » - بضم الشين - .

٢ ص : ومنه .

٣ غيره : سقطت من ق ص .

أَيَّ يَوْمَيَّ مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَ يَوْمَ لَا يُقَدَّرُ أَمْ يَوْمَ قُدِّرَ

إذا كان الداء من السماء ، بطل الدواء .

قال الحائط للوتد : لمَ تَشْقِيَّ ؟ قال : مل من يدُقِّي .

الناس يَلْحَوْنَ الطَّيِّبَ ، وإنَّما غَلَطَ الطَّيِّبُ لِصَابَةِ الْمُقَدَّرِ^١

قيل لحكيم : أخرج الهمَّ من قلبك ، فقال : ليس بإذني دخل .

نَفْسِي تُنَازِعُنِي فَقُلْتُ لَهَا قَرِي مَوْتٌ يُرِيحُكَ أَوْ صُعُودُ الْمُنِيرِ
مَا قَدْ قُضِيَ سَيَكُونُ فَاصْطَبِرِي لَهُ وَلَكَ الْأَمَانُ مِنَ الَّذِي لَمْ يُقَدَّرِ
وَلِتَعْلَمِي أَنَّ الْمُقَدَّرَ كَائِنْ لَا بَدَّ مِنْهُ صَبِرْتُ أَوْ لَمْ تَصْبِرِي

ومنه : الهارب من المقدور كالمقلب في كف الطالب . من كان السلطان يطلبه ،

ضاق عليه مذهبه ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (الأنعام : ١٣٤ ، يونس : ٥٣ ، هود : ٢٣)
أسلى آية في التنزيل ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ —
إِلَى قَوْلِهِ تَمَالُ بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (الحديد : ٢٢) .

ومنه : أخلَّ رجلٌ بخدمة صاحب الإسكندرية ، فتغيب ، ثم ظفر به عرفاؤه .
فقادوه فانساب منهم ، ورمى بنفسه في بئر ، وتحت الإسكندرية أسرابٌ يسير
فيها القائم من أول البلد إلى آخره ، فلم يزل يمشي حتى وجد بشرأ صاعدة ،
فتعلق بها ، فلذا هي في دار السلطان ، فأخذه فأدبه ، فانظر كيف فرَّ من قوَدَةِ
السلطان مكرهاً ، وأتاه برجله طائعا .

ذهبَ القضاء بحيلة العقلاء

ومنه : قال يزيد بن المهلب لموسى بن نصير^٢ : أنت أدهى الناس وأعلمهم ،

١ هذا البيت لابن الرومي وقافيته : « الأقدار » .

٢ مر هذا في النفع ج ١ ، ص : ٢٨٣ .

فكيف طرحت نفسك في يد سليمان ؟ فقال : إن الهدْهُدْ يهتدي للماء في الأرض الفَيْفَاء ، وينصب له الصبيُّ الفخَّ بالدودة أو الحبة فيقع فيه :

ولو جَرَّتْ الأمور على قياسٍ لَوْقَيَّ شَرَّهَا الْفَطْنُ الْليِّبُ

الواسطي : اختيار ما جرى لك في الأزل ، خير من معارضة الوقت .

ابن معاذ : عجبت من ثلاثة : رجل يريد تناول رزقه بتدبيره ، ورجل شغله غَدُهُ ، وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط .

ومنه : شكى لبعض الأنبياء امرأة كانت تؤذي أهل زمانها ، فأوحى الله إليه : أن فر من قدامها حتى تنقضي أيامها .

ومنه : ابن المعتز : كَرَّمَ اللهُ عز وجل لا ينقض حكمته ، ولذلك لا تقع الإجابة في كل دعوة ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (المؤمنون : ٧١) .

أريد فلا أعطى ، وأعطى ولم أريد وقصّر علمي أن أنال المغيِّباً

ومنه : كان ابن مجاهد ينشد لبعضهم :

أيتها المغتدي ليطلبَ علماً كُلُّ علمٍ عِبْدٌ لعلم الكلام
تطلبُ الفقه كي تُصَحِّحَ حكماً ثُمَّ أغفلت مُنْزِلَ الأحكام

ومنه : قال الأحمد البغدادي للقاضي الباقلاني : هل لله عز وجل أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه ؟ فقال : إن أردتم بالتكليف القول المجرد فقد وجد ، ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً﴾ (الإسراء : ٥٠) ﴿أُنَبِّئُكُم بِأَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ﴾ (البقرة : ٢١) ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السَّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (القلم : ٤٢) وإن أردتم به ما يصح فعله وتركه فالكلام متناقض ، وهذا هو الذي نعرفه ، لأن التكليف اقتضاء فعل ما فيه مشقة ، وما لا يُطَاق لا يُفعل البتة ، فقال : سئلت عن كلام مفهوم فطرحته في الاحتمالات ، فقال : إنني بينت الوجوه المحتملة ، فإن كان معك شيء فهاته ،

١ لِبشار : (شرح المختار : ١١٨) .

فقال عضد الدولة : قد صدق ، وما جمعتكم إلا للفائدة ، لا للمهاترة . ثم قال لقاضيه بشر بن الحسن المعتزلي : تكلم ، فقال : ما لا يطاق على ضربين : أحدهما ما لا يطاق للاشتغال بضده ، وهذا سبيل الكافر ، لا يطبق الإيمان للاشتغال بالكفر ، وأما العاجز فما ورد في الشريعة تكليفه ، ولو ورد لكان جائزاً ، وقد أثنى الله عز وجل على مَنْ سألَه أن لا يكلفه ما لا يطيقه فقال ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ (البقرة : ٢٦٨) لأن الله له أن يفعل في ملكه ما يريد .
ومنه : خرج عمر بن عبد العزيز في سفر ليلاً ، فقال له رجل : انظر إلى القمر ما أحسنه ، فنظر فقال : قد علمت أنك أردت نزوله بالدبران ، ونحن لا نتطير بذلك ولا نعتقده :

إذا عقدَ القضاء عليك أمراً فليَسَّ يحلُّهُ إلا القضاء
يدبَّرَ بالنجوم وليَسَّ يدري وربُّ النجمِ يفعلُ ما يشاء
[وقال آخر] :

ليَسَّ للنجمِ إلى ضمر ولا نفع سبيلُ
إنما النجمُ على الأو قات والسمتِ دليلُ^١

غيره :

من كانَ يخشى زُحلاً أو كان يرجو المُشتري
فلئنني منه — وإن كان أخي الأدنى — بري

لما وجَّه عضد الدولة القاضي ابن الطيب إلى ملك الروم قال له الوزير^٢ :

١ ق : الدليل .

٢ أورد القاضي عياض هذا النص في ترجمة الباقلاني في ترتيب المدارك ، وهي منقولة في آخر كتاب التمهيد (ط . مصر) ص : ٢٤١ - ٢٥٩ وانظر النص المقصود ص : ٢٥٠ وما بعدها ، والوزير المشار إليه هو أبو القاسم المطهر بن عبد الله .

أخذت الطالع لخروجك ؟ فسأله القاضي عن ذلك ، ففسره له . فقال : السعد والنحس بيد الله ، ليس للكواكب فيه تأثير ، وإنما وُضعت كتب النجوم ليتمعش بها العامة ، ولا حقيقة لها ، فاستحضر الوزير ابن الصوفي ودعاه إلى مناظرة القاضي . فقال : لا أقومُ على المناظرة ، وإنما أقول : إذا كان من النجوم كذا كان كذا . وأما التعليل فمن علم المنطق ، والذي يتولى المناظرة عليه أبو سليمان المنطقي^١ . فأحضر وأمر^٢ ، فقال هذا القاضي يقول : إذا ركب عشرة أنفس في ذلك المركب الذي في دجلة فالله تعالى قادر على أن يزيد فيهم آخرَ في ذلك الوقت . فإن قلت له لا يقدر قطعاً لساني . فأني معنى لمناظرتي ؟ فقال القاضي للوزير : ليس كلامنا في القدرة ، لكن في تأثير الكواكب ، فانتقل هذا إلى ما ترى لعجزه . وأنا إن قلت إن الله تعالى قادر على ذلك فلا أقول إنه يخرق العادة الآن ، ولا يجوز عندنا ذلك ، فهو فرار من الزحف ، فقال المنطقي : المناظرة دُرْبة ، وأنا لا أعرف مناظرة هؤلاء القوم ، وهم لا يعرفون مواضعاتنا ، فقال الوزير : قد قبلنا اعتذارك ، والحق أبلغ .

رأس الدين صحةُ اليقين . مَنْ سَابَقَ القدرَ عَشَرَ .
وإذا خَشِيتَ من الأمور مُقَدَّرًا و فررتَ منه فَتَنَحَّوْهُ تتوجَّه
قيل : لما وقعُ الوباء بالكوفة فر ابنُ أبي ليلى على حمار ، فسمع منشداً ينشده :

لن يُسَبِّقَ الله على حمارٍ ولا على ذي منسر طيارٍ
أو يأتيَ الختف على مقدارٍ قد يُصْبِحُ الله أمام الساري^٣

فقال : إذا كان الله أمام الساري فلا مهرب ، ورجع .

١ هو محمد بن هرام السجستاني (حدود ٣٨٠) صاحب كتاب «صوان الحكمة» وأستاذ التوحيد ، وقد أكثر أبو حيان من ذكر أقواله وأخباره في مؤلفاته .

٢ المدارك : وأمر بمكلمة القاضي .

٣ عيون الأخبار ١ : ١٤٤ لبصري هرب من الطاعون .

ومنه : شكّا بعض الصالحين إلى الخليفة ضرر الأتراك ، فقال : أنتم تعتقدون أن هذا من قضاء الله وقدره ، فكيف أردُّه ؟ فقال : إن صاحب القضاء قال : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة : ٢٥١) فردهم عنهم .

القدر والطلب كالعدلين على ظهر الدابة كُلُّ واحد منهما معين لصاحبه ، فالقدر بالطلب ، والطلب بالقدر .

قيل لعارف : إن كنت متوكلاً فألق بنفسك من هذا الحائط فلن يصيبك إلا ما كتب الله لك ، فقال : إنَّما خلق الله الخلق ليجرهم ، لا ليجربوه .

الجوهري : كف الله النار عن يد موسى لئلا تقول النار : طبعي ، واحترق لسانه لئلا يقول الكلیم : مكاني ، وقال غيره : لو لم يقل لنار إبراهيم « سلاماً » لهلك من برد النار .

قيل للجنيد : أنطلب الرزق ؟ قال : إن علمت أين هو فاطلبوه ، قيل : فنسأل الله ؟ قال : إن خشيت أن ينساكم فذكروه ، قيل : فنلزم البيوت ؟ قال : التجربة منك شك ، قيل : فما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة . يقول : ليكن تصرفك بإذنه ، لا بشهوته ، فقد قيل : ترك الطلب يضعف الهمة ، ويذل النفس ، ويورث سوء الظن .

الطرطوشي : القدر والطلب كأعمى ومُتَعَدِّ في قرية ، يحمل الأعمى المقعد ، ويتدُلُّ المقعدُ الأعمى .

قال رجل لبشر : إنني أريد السفر إلى الشام ، وليس عندي زاد ، فقال : اخرج لما قصدت إليه . فإنه إن لم يعطك ما ليس لك ، لم يمنعك ما لك .

الناس في هذا الباب ثلاثة : فرقة عاملت الله عز وجل على مقتضى شمول قدرته للشر والخير ، وأعرضوا عن الأسباب ، فأدركوا التوكل ، وفاتهم الأدب ، وهم بعض الصوفية . وقد قيل : اجعل أدبك دقيقاً . وعلمك ملحاً ، وهذا

إبليس لم^١ تنفعه كثرة علمه لما دفعته قلة أدبه . وفرقة عاملته على ذلك مع الجحريّان على عوائد مملكته ، والتصرف بإذنه على مقتضى حكمته ، وهم الأنبياء وخوادم العلماء ، فأصابوا الأدب ، وما أخطأوا التوكل . والفرقة الثالثة — وهم الجمهور — أقبلوا على الأسباب ، ونسوا المسبب ، ففاتهم الأمان ، فهلكوا .
ومنه : جل الواحد المعروف ، قبل الحدود والحروف .

لقد ظَهَرَتْ فما تخفى على أحد إلّا على أكمّة لا يعرف القمرا
كما بطّنت بما أبديت من حُجُب وكيف يُبصّر من بالعزة استرا

سئل النصيبي عن الرؤية بمجلس عضد الدولة^٢ ، فأنكرها محتجاً بأن كل شيء يُرى بالعين فهو في مقابلتها ، فقال له القاضي ابن الطيب : لا يرى بالعين ، قال له الملك : فماذا يرى ؟ قال : بالإدراك الذي يُحدّثه الله في العين وهو البصر ، ولو أدرك المرئي بالعين لوجب أن يدرك بكل عين قائمة ، وهذا الأجهر عينه قائمة ولا يرى بها شيئاً .

ومنه : ابن العربي : للصوفية في إطلاق لفظ العشق على الحق تجاوز عظيم ، واعتداء كبير ، ولولا إطلاقه للمحبة ما أطلقناها ، فكيف أن نتعدها ؟
الدقاق : العشق مجاوزة الحد في الحب ، ولما كان الحق لا يوصف بالحد لم يوصف بالمحدود ، إذ لو جُمع محابّ الخلق كلّهم لشخص واحد لم يبلغ ما يستحقّه قدْرُ الحق من الحب .

خمسة أبهت ، فلم تعين^٣ لعظم أمرها : الاسم الأعظم ، وساعة الجمعة ، وليلة القدر ، والصلاة الوسطى ، والكبائر — لأن اجتنابها يكفر غيرها ، يعني على أحد الأقوال في المسألة .

١ ق ص : لا .

٢ انظر هذا الخبر في أزهار الرياض ٣ : ٨٢ وترجمة الباتلاني السابقة : ٢٤٩ .

٣ فلم تعين : سقطت من ق .

ومنه : قيل في التسعة والتسعين اسماً : إنها تابعة لاسم الله ، وهو تمام المائة ، فهي عدد درَج الجنة ، لما في الصحيح من أن درَجَها مائة ، بين كل درجتين مسيرة مائة عام ، ولذلك قيل : مَنْ أحصاها دخل الجنة ، وهذه الأسماء مفضلة على غيرها ممّا لا يحصى ، ألا ترى قوله عليه السلام في الصحيح : بأسمائه الحسنی ما علمت منها وما لم أعلم ؟

ذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً منه ، فلم يشر في شيء منها إلى خَلْقِهِ ، وذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً ثلث ذلك العدد فصرح في جميعها بخلقه ، قال ابن عطية : وهذا يدل على أنّه غير مخلوق .

أبو علي ابن أبي اللحم : بت ليلة جمعة بمصر في أيام أبي حريش ، وكان يقول بخلق القرآن ، وأبي خلف المعافري ، وكان يقول : القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، أفكر عن أيهما آخذ ، فلما تمت أتانى آت فقال لي : قم ، فقم ، قال : قل ، فقلت : ما أقول ؟ فقال :

لا والذي رَفَعَ السَّمَا	ء بلا عِمَادٍ لِلنَّظَرِ
فَتَرِيتُ بِالسَّاطِعَا	تِ اللامعاتِ وَالْقَمَرِ
والمالِ السَّبْعِ الطُّبَا	ق بكل مختلف الصورِ
ما قال خلقٌ في القُرَا	نِ بِخَلْقِهِ إِلَّا كَفَرُ
لكن كلامٌ مُنْزَلٌ	من عند خَلَّاقِ البَشَرِ

ثم قال : اكتبها ، فأخذت كتاباً من كتبي وكتبها فيه ، فلما أصبحت وجدت ذلك بخطي على كتاب من كتبي ، فجلست في البيت إلى الزوال ، ثم خرجت فسألني إنسان عما رأيت البارحة ، فقلت : ما أخبرت أحداً ، فقال : قد شاعت رؤياك في الناس .

الخواصُّ : انتهيت إلى رجل مصروع ، فجعلت أؤذن في أذنه ، فناداني الشيطان من جوفه : دعني أقتله ، فإنه يقول بخلق القرآن .

عمرو بن دينار : أدركت سبعة من الصحابة يقولون : مَنْ قال القرآن مخلوق فهو كافر ، قلت : قال مالك : يستتاب .

ومنه ^١ : كان عضد الدولة يحب العلم والعلماء ، فكان مجلسه يحتوي على عدد منهم أكثرهم الفقهاء والمتكلمون ، وكان يعقد لهم مجالس للمناظرة ، فقال لقاضيه بشر بن الحسن : إن مجلسنا خالٍ عن عاقل من أهل الإثبات ينصر مذهبه ، فقال : إنما هم عامة يرون الخير وضده ، ويعتقدونهما جميعاً ، وإنما أراد ذمّ القوم ، ثم أقبل يمدح المعتزلة ، فقال عضد الدولة : مُحالٌ أن يخلو مذهب طبق الأرض من ناصر فانظر ، قال : بلغني أن بالبصرة شيخاً يُعرف بأبي الحسن الباهلي . وفي رواية بأبي بكر ابن مجاهد . وشاباً بابن الباقلاني ، فكتب إليهما ، فلما وصل الكتاب قال الشيخ : قوم كفرة — لأن الديلم كانوا رَوَافض — لا يحل لنا أن نطأ بساطهم ، فقال الشاب : كذا قال ابن كلاب والمحاسبي ومن في عصرهم : إن المأمون فاسق لا يحضر مجلسه ، حتى ساق أحمد بن حنبل إلى طرسوس ، وجرى عليه ما عُرف . ولو ناظروه لكفّوه عن هذا الأمر ، وتبين له ما هم عليه بالحجة ، وأنت أيضاً أيها الشيخ تسلك سبيلهم حتى يجري على الفقهاء ما جرى على أحمد . ويقولون بخلق القرآن ونفي الرؤية . وها أنا خارج إن لم تخرج ، قال الشيخ : إن شرح الله صدرك لهذا فاخرج . فرد الله به الكرة .

حُفَظَ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم المنتقى والمرسل أمثال المنزل . ثم انتقي من ذلك صحةً وفصاحةً ما يبلغ حجم المصحف أو يُرَبِّي عليه . فهل وجدت فيه ما يشبهه أو ينزع إليه ؟ أشهد أنه من عند الله ، تنزيل من لدنه .

أول إعجاز القرآن الجهلُ بنوعه من جنس الكلام ، فإنه لا يدخل في مضمار الشعر ، ولا ينخرط في سلك الخطب . ولا المواعظ والمقامات والكتب . ولا في شيء مما يؤلف التخاطب به ، وتعرف فيه طبقات أهل مذهبه . فإن

١ راجع هذا الخبر في أزهار الرياض ٣ : ٧٩ وترجمه الباقلاني السابقة : ٢٤٦ وما بعدها .

لم يتبين ما رسمت لك فاعرض كلامك في كل صنف من هذه الأصناف تجد لنفسك مع فحوله حالة القصور أو المماثلة أو الزيادة ، ولا تجد لكلامك نسبة إلى القرآن ، بل لا تدري ما تقول إن طُلب منك البيان ، إلا أن تُسلب العقل ، كسليمة وأمثاله ممن ابتلي بالهذيان ، وقد تفتن للدلالة كافر غلبت عليه الجهالة ، انظر السيرة .

الزنجشري : ما أعجب شأن الضلال ، لم يرضوا للنبوة يبشر ، وقد رضوا للإلهية بحجر .

سأل القاضي أبا بكر^١ ملك الروم - حين وجهه عضد الدولة إليه - عن انشقاق القمر ، كيف لم يره جميع الناس ؟ فقال : لأنهم لم يكونوا على أهبة ووعد ، قال : فما النسبة التي بينكم وبين القمر حتى لم يره غيركم من الروم وغيرهم ؟ قال : النسبة التي بينكم وبين المائدة حتى رأيتموها دون اليهود والمجوس ، فدعا القسيس ، فأقر للقاضي ، فقال له القاضي : أتقول إن الكسوف يراد جميع أهل الأرض أم أهل الإقليم الذي في عاذاته ؟ قال : لا يراه إلا من في عاذاته ، قال : فما تنكر من لا يرى انشقاق القمر إلا في تلك الناحية ممن تأهب لذلك ؟ قال : هذا صحيح ، إلا أن الشأن في مثله أن لا ينقل آحاداً ، لكن تواتراً ، بحيث يصل العلم الضروري به إلينا وإلى غيرنا ، وانتفاء ذلك يدل على افتعال الخبر ، فقال الملك للقاضي : الجواب ، فقال : يلزمه في نزول المائدة ما ألزمنا في انشقاق القمر ، فبُهِتَ الذي كفر .

قال ملك الروم للقاضي ابن الطيب في هذه الرسالة : ما تقول في المسيح ؟ قال : روح الله وكلمته وعبيده ، قال : تقولون المسيح عبد ؟ قال : بذلك ندين ، قال : ولا تقولون إنه ابن الله ؟ قال : ما اتخذ الله من ولد ، قال : العبد يخلق ويحيى ويبرئ ؟ قال : ما فعل المسيح ذلك قط . قال : هذا مشهور في الخلق ،

١ انظر المصدرين السابقين .

قال : لا ، قال : ما قال أحد من أهل المعرفة إن الأنبياء يفعلون المعجزات ، لكن الله تعالى يفعلها على أيديهم تصديقاً لهم ، قال : إن ذلك في كتابكم ، قال : في كتابنا أن ذلك كله بإذن الله تعالى ، ولو جاز أن يكون ذلك فعل المسيح لجاز أن يقال إن موسى قلبَ العصا ، وأخرج يده بيضاء ، وقلق البحر ، قال : إن الأنبياء من لدن آدم كانوا يتضرعون للمسيح حتى يفعل ما يطلبون ، قال : أفي لسان اليهود عَظُمُ لا يقولون معه إن المسيح كان يتضرع لموسى . وكذلك أمة كل نبي ، لا فرق بين الموضعين في الدعوى .

الجزوي في قوله عليه السلام « يوشك أن ينزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » : إنما كان الإمام منّا لثلاث تدنس بغبار الشبهة وجهه « لا نبيّ بعدي » . كان بالبصرة يهودي يقرر المتكلمين على نبوة موسى ، فإذا أقرّوا جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال : نحن على ما اتفقنا عليه ، إلى أن نتفق على غيره ، فسأل أبا الهذيل عن ذلك فقال : إن كان موسى هذا الذي أخبر بمحمد صلى الله عليه وسلم وأقر بشرفه وأمر باتباعه فأنا أقر بنبوته ، وإن كان غيره فأنا لا أعرفه ، فتحير اليهودي ، ثم سأله عن التوراة ، فقال : إن كانت التي نزلت على موسى المذكور فهي حق ، وإلا فهي عندي باطل .

ومنه : قيل للحسن : الملائكة أفضل أم الأنبياء ؟ فقال : أين أنت من هذه الآية ﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مُلْكٌ ﴾ (هود : ٢١) .

ومنه : وعن عُمَرَ وعلي - رضي الله عنهما - أن الخضر لقيهما وعلمهما هذا الدعاء ، وذكر فيه خيراً كثيراً لمن قاله في إثر كل صلاة : يا من لا يشغله سمع عن سمع ، ويا من لا تغلظه المسائل ، ومن لا يتبرم على إلحاح الملحين ، أذقني برّد عفوك ، وحلاوة مغفرتك .

ومنه : سمع إياس يهودياً يقول : ما أحق المسلمين ! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ، فقال : أوكل ما تأكله تحلته ؟ قال : لا ؛ لأن الله تعالى يجعل أكثره غذاء ، قال : فما تنكر أن يجعل

جميع ما يأكل أهلُ الجنة غذاء ؟

الرزية كل الرزية ، تضييع أمر المرأة الرندية ، وذلك أنه وردت على تليمان في العشرة الخامسة من المائة الثامنة امرأة من رندة لا تأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تنغوط وتحيض ، فلما اشتهر هذا من أمرها أنكره الفقيه أبو موسى ابن الإمام ، وتلا ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ (المائدة : ٧٥) فأخذ الناس ييثون ثقات نسائهم ودهاتهن إليها ، فكشفن عنها بكل وجه يمكنهن ، فلم يقفن على غير ما ذكر ، وسئلت : هل تشتهين الطعام ؟ فقالت : هل تشتهون التبني بين يدي الدواب ؟ وسئلت : هل يأتيها شيء ؟ فأخبرت أنها صامت ذات يوم فأدركها الجوع والعطش ، فنامت فأتاها آت في النوم بطعام وشراب ، فأكلت وشربت ، فلما أفاقت وجدت نفسها قد استغنت ، فهي على تلك الحال ، تُؤتى في المنام بالطعام والشراب إلى الآن ، ولقد جعلها السلطان في موضع بقصره وحفظها بالعدول ومن يكشف عما عسى تجيء أمها به إذا أتت إليها أربعين يوماً ، فلم بوقف لها على أمر ، بيد أنني أردت أن يزداد في عدد العدول ، ويجمع إليهم الأطباء ، ومن يخوض في المعقولات من علماء الملل المسلمين وغيرهم ، ويوكل من نساء الفرق من يبالغ في كشف من يدخل إليها ، ولا يترك أحد يخلو بها ، وبالحملة يبالغ في ذلك ، ويستدام رعيها عليه سنة ، لاحتمال أن يغلب عليها طبع فتستغني في فصل دون فصل ، ثم يكتب هذا في العقود ، ويُشاع أمره في العالم ، وذلك لأنه يهدم حكم الطبيعة الذي هو أضر الأحكام على الشريعة ، ويبين كيفية غذاء أهل الجنة ، وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ، ويبطل التأثير والتولد ، ويوجب أن الاقتران بالعادات ، لا بالزوم ، وعند الأسباب ، لا بها ، إلى غير ذلك ، إلا أنني لما أشرت بهذا انقسم من أشرت عليه بتبليغه إلى من لم يفهم ما قلت ، ومن لم يرفع به رأساً ، لإيثار الدنيا على الدين ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

وقد ذكر أن امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة ، وحدثني غير واحد

من الثقات ممن أدرك عائشة الجزيرية أنها كانت كذلك ، وأن عائشة بنت أبي يحيى اختبرتها أربعين يوماً أيضاً ، وكم من آية أضيفت^١ ، وحجة نُسيت . هذا مما لم يُعرف مثله قبل المائة الثامنة ، وكذلك الوباء العام القريب فروطه ، يوشك أن يطول أمره ، فينسى ذكره ، ويُكذب المحدث به إذا انقضى عصره ، وكم فيه أيضاً من أدلة ، على أصول الملة .

ومنه : قال شيخ صالحى الفقهاء في عصرنا بفاس أبو زرهون عبد العزيز ابن محمد القيرواني رحمه الله تعالى : مات فقير عندنا بالمتدنة^٢ ، فوجدوا عنده ربطة من دراهم ، فوضعوها عند المؤذن ، فلما نزل ليلحده سقطت من جيبه في القبر ، ولم يشعر حتى واره ، فكشف عنه ، فإذا الدراهم قد لصقت ببدنه درهماً إلى درهم كالنجوم ، فحاول قَلَعَ واحد منها فقامت معه قطعة من لحمه ، وتبعها من ذلك المحلّ ربح منتنة ، قال الشيخ : فاطلعت على ذلك وشاهدته ثم ردوا التراب عليه وانصرفوا .

قال عبد الله بن إدريس لغيلان المروزي : متى تقوم الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، غير أنه مَنْ مات فقد قامت قيامته ، قال : فالمصلوب يعذب عذاب القبر ؟ قال : إن حقت عليه الكلمة ، وما تدري لعل جسده في عذاب لا تدركه أبصارنا ولا أسماعنا ، فإن الله لطفاً لا يدرك ، وانظر الحديث « فلولاً أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم ما أسمعُ من عذاب القبر » . ومنه : المازري : مسألة التكفير بالمال مشكلة ، وقد اضطرب فيها قول مالك وهو إمام الفقهاء ، والقاضي أبي بكر وهو إمام المتكلمين .

الغزالي : لا يقطع بتكفير الفلاسفة إلاّ في ثلاث مسائل : قدم العالم ، ونفي العلم بالجزئيات ، وإنكار المعاد البدني وتوابعه القطعية .

١ ق : أضيفت .

٢ ق : عند باب المتدنة ؛ ص : عندنا بالبادية .

أصل الفلاسفة اعتقاد المحسوسات معقولات ، والمعتزلة اعتقاد المشهورات
قطعيات ، ومن ثم قيل لهم : مخنثة الفلاسفة .
لا يكفي التقليد في عقائد التوحيد ، لا فرق بين إنسان ينقاد ، وبهيمة تُقاد .
ومنه : كان أبو هاشم من أفسق الناس ، فجلس ذات يوم يعيب الإرجاء
وكان في المجلس مرجىء ، فأنشد :

يَعْيِبُ القول بالإرجاء حتى يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوي الإرجاء ذنباً وَعِيدِيَّ يُصِرُّ على الكبائر
كان مالك ينشد كثيراً^١ :

وخير أمور الدين ما كان سنّةً وشَرُّ الأمور المحدثاتُ البدائعُ
ابن عقيل : يشبه أن يكون واضح الإرجاء زنديقاً ، فإن صلاح العالم في
إثبات الوعيد واعتقاد الجزاء ، فلمّا لم يمكن هذا المائت جَحَدُ الصانع لمخالفة
العقل ، أسقط فائدة الإثبات ، وهي الحشية والمراقبة ، وهدم سياسة الشريعة ،
فهم شر طائفة على الإسلام .
سئل مالك عن أشرّ الطوائف ، فقال : الروافض .
بينما ابنُ المعلم شيخُ الرافضة في بعض مجالس المناظرة مع أصحابه أقبل ابن
الطيب فقال : جاءكم الشيطان ، فسمعه على بعد ، فلمّا جلس إليهم تلا عليهم
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴾ (مريم : ٨٣) .
مالك : أهل السنّة مَنْ لا لقب له : لا خارجي ، ولا قدرى ، ولا رافضى .
البديع^٢ :

يقولون لي : ما تحبُّ الوصيَّ فقلتُ : الثرى بقم الكاذبِ

١ ق : كثيراً ما ينشد .

٢ ديوان بديع الزمان : ٨ (ط . مصر ١٩٠٣) .

أُحِبُّ النَّبِيَّ وَآلَ النَّبِيِّ وَأُخْتَصُّ آلَ أَبِي طَالِبٍ
وَأُعْطِي الصَّحَابَةَ حَقَّ الْوَلَاءِ وَأَجْرِي عَلَى السَّنَنِ الْوَاجِبِ
فَإِنْ كَانَ نَصَبًا وَلَاءُ الْجَمِيعِ فَلِئَنِّي كَمَا زَعَمُوا نَاصِبِي
وَلِنْ كَانَ رَفْضًا وَلَاءُ الْجَمِيعِ فَلَا بَرَحَ الرَّفْضُ مِنْ جَانِبِي
أُحِبُّ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَهُ فَمَا الْمَرْءُ إِلَّا مَعَ الصَّاحِبِ
أَبْرَجُو الشِّفَاعَةَ مَنْ سَبَّهُمْ بَلِ الْمَثَلُ السُّوءُ لِلضَّارِبِ
يُوقَى الْمَكَارِهِ قَلْبُ الْجَبَانِ وَفِي الشُّبُهَاتِ يَدُ الْحَاطِبِ

أَخَذَ الْبَيْتَ الْخَامِسَ مِنْ قَوْلِ الشَّافِعِيِّ :

إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

ومنه : أبو حنيفة : لقيت عطاء فقال لي : ممن أنت ؟ فقلت : من أهل الكوفة ، فقال : من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ؟ قلت : نعم ، قال : فممن أنت منهم ؟ قلت : ممن يؤمن بالقدر ، ولا يسب السلف ، ولا يكفر بالذنب ، قال : عرفت ، فالزم .

ومنه : الإرادة تطلق على المحبة ، وعلى قصد أحد الجائزين بالتخصيص ، وكل واحد من المعنيين يوجد بدون الآخر ، أمّا الأول فكقوله :

تريد النفس أن تُعْطَى مُنَاهَا

وهو ظاهر ، وأما الثاني فكقصد المتوعد بالإهلاك إلى أمر عبده الذي أمره بأمر^٢ لينظر امتثاله ، ولدقة الفرق بينهما ضل المعترلة في أمرهما فقالوا : إن الله عز وجل لا يريد المعاصي ، لأنه لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، قال عمار بن ياسر يوم صِفِّين :

١ الديوان : ولأهـ الرصـي .

٢ ق ص : أمر أن يأمره .

صدق اللهُ وهو للصدِّقِ أَهْلٌ وتعالى رَبِّي وكان جليلاً
رَبٌّ عَجَلٌ شهادةً لي بقتلٍ في الذي قد أحبَّ قتلاً جميلاً

ومنه : العبدري : قَتَلَ الحُسينَ دعا إلى حرب ، وأخذ بثأره كذابٌ ثَقِيفٌ ،
ونوّه باسمه أعداءَ ملّةِ جدّه بنو عُبَيْدٍ ليقتص من قضيةٍ بمثلها ، فيقرأ الفهم
سورة تلك الصورة ، ويتهجى الليب حروف تلك الحروب ، فيعلم أن الكل
آلات مستعملات ، حسبما اقتضاه العلم القديم .

ومنه ^١ : أبو العباس الأبياني : ثلاث لو كُتبت على ظفر لوسعن ، وفيهن
خير الدنيا والآخرة : اتَّبِعْ لا تبتدع ، اتضع لا ترتفع ، اتزع لا تنسح .
ومنه : كانت سَكينةُ بني إسرائيل في التابوت ، فغلبوا عليها ، وسَكينةُ هذه
الأمّة في القلوب ، فغلبوا بها ، استحفظوا كتابهم فحرفوا من أحكامه ووصفه ،
وحَفُظَ كتابنا فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومنه : في الصحيح : كان أبو ذر يُقَسِّمُ قسماً أن ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ
اِخْتَصِمَا فِي رَبِّهِمَا ﴾ (الحج : ١٩) نزلت في الذين برزوا يوم بدر : حمزة وعلي
وعبيدة وعتبة وشيبة والوليد ، قلت : ففي الآية شهادة من الله تعالى لعلي بالجنة
والشهادة ، أما الجنة فبنصها ، وأما الشهادة فلائته وصاحبيه استشهدوا ^٢ ،
وخصمهم قتلوا ، فهي رادّةٌ على الخوارج قطعاً .

ومنه : جاز أبو بكر ابن نافع بالكسْرُخ أيام الديلم وقوة الرفض ، فقالت له
امرأة : سيدي أبا بكر ، فقال : لييك يا عائشة ، فقالت له : متى كان اسمي
عائشة ؟ فقال : أيقتلوني وتخلصين ؟

وفي آخر هذا الكتاب ما صورته : فهذه جملة تراجم ، وفيها مَقْنَعٌ لمن
أراد المحاضرة ، أو تنميق مجالس المناظرة ، وكان الفراغ من جمعها في آخر

١ ق : قال .

٢ ق ص : فلان صاحبيه استشهدا .

يوم من شعبان المكرّم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة ؛ انتهى ما تعلق به الغرض من بعض كلام مولاي الجدد رحمه الله تعالى في كتابه « المحاضرات » .

ولنرجع إلى سرّد بقية تواليفه رحمه الله تعالى فنقول : ومنها « شرح لغة قصائد المغربي الخطيب » ، و « مقالة في الطلعة ^١ المملكة » ، و « شرح التسهيل » ، و « النظائر » ، و « كتاب المحرك لدعوى الشر من أبي عنان » ، و « إقامة المريد » ، و « رحلة المتبتل » ، وحاشية بديعة جدّاً على مختصر ابن الحاجب الفقهي ، فيها أبحاث وتدقيقات لا توجد في غيرها ، وقد وقفت عليها بالمغرب ، ومن أشهر كتبه في التصوف كتاب « الحقائق والرقائق » وهو من الحسن بمكان لا يُلْحَق ، وقد شرحه الشيخ الصالح شيخ شيوخ^٢ شيوخنا سيدي أحمد زروق رضي الله عنه ونفعنا به .

[نقول من كتاب الحقائق والرقائق للمقري] .

وقد سنح لي أن أسرد هنا شيئاً من هذا الكتاب الفذ في بابه فنقول : قال فيه مولاي الجدد رحمه الله تعالى : هذا كتاب شفعت فيه الحقائق بالرقائق ، ومزجت المعنى الفائق باللفظ الرائق ، فهو زبدة التذكير ، وخلاصة المعرفة ، وصفوة العلم ، وثقاوة العمل ، فاحتفظ بما يوحى إليك فهو الدليل ، وعلى الله قصد السبيل .

حقيقة — عمل قوم على السوابق ، وقوم على اللواحق ، والصوفي من لا ماضي له ولا مستقبل ، فإن كان زجاجياً فيخرب بخ .

رقيقة — من لم يجد ألم البعد ، لم يجد لذّة القرب ، فإن اللذة هي التخلص من الألم .

١ ص : الطلقة .

٢ شيوخ : سقطت من ق .

حقيقة — لما انطبعت الصور في مرآة الخيال قال العقل : أنا الملك المكوكب ،
فقلت الرياضة : الزمني وتعرف قدرك ، فإذا العقل عَقَل .
رقية — من ضحك في نوم الغفلة بكى عند الانتباه ، فإن الأضغاث أضداد .
حقيقة — أثر الزهد عَقَلَ دَنَّ سقراط على سراج غوطة أبي نصر ، فقيل :
فأين اعتبار ﴿ أَفْتَلَا يَنْظُرُونَ ﴾ ؟ فقال : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْتَلَا تُبْصِرُونَ ﴾
(الذاريات : ٢١) .

رقية — طالب الدنيا يخاف القَوْتُ ، وصاحبها يترقب الزوال ولو بالموت ،
فلذا حمي الوطيس ، وحج الرئيس ، أنشأ الزاهد بينهما ينشد :
عزيز النفس لا ولد يموتُ ولا أنس يحاذرهُ يفوتُ
حقيقة — العابد طالبُ رياسةٍ وحرمة ، والزاهد صاحب نَفَاسَةٍ وهمة ،
والمعنى للعارف يعادي في الله تعالى ويوالي ، ويرضي الله ولا يبالي .
رقية — مَنْ سَابَقَ سَبَقَ ، ومن رَافَقَ ارتَفَقَ ، ومن لاحقَ التَّحَقَّقَ
والعجز والكسل مقدمتا الخيبة ، و :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

حقيقة — العمل دواء القلب ، وإذا كان الدواء لا يصلح إلاّ إذا كان على
حمية البدن ، فكذلك العمل لا ينجح إلاّ بعد صوم النفس ، فارق نفسك وتعال .
رقية — مثل دواعي الخير والشر في الإنسان كمثل الخلط الفاعل والقوة
الدافعة في العليل ، تغلب القوة فيسكن الخلط فيجد الراحة ، وعن قليل يتحرك
فيجد الألم .
حقيقة — العمل على السلامة مسالمة ، وعلى الغنيمة تجارة ، وعلى الأمر قرض ،
فيضاعف له أضعافاً كثيرة .
رقية — تطهر من أدناس هوائك ، وتزين بلباس تقواك ، وقم لمسجد انقبطاعك

على قدم شكواك ، وأحرم بتوجيه قلبك إلى قبلة نَجْوَكَ ، تجد الحق عندك وليس بسواك .

حقيقة — وجد العارف فجاد بنفسه ، فوجد الله عنده ، وتواجد المرید فحاكى ، ومن لم يَبْكُ تَبَاكِي .

رقية — زكَّ نفسك لقلبك ، تَزَكُّ عند ربك ، بِعِهَا منه رخيصة ، فهي على ثمنها لديه حريصة ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى . . . ﴾ (التوبة : ١١١) .

حقيقة — الزوال وقتُ المناجاة ، فظهر قلبك قبله من الحاجات ، وإياك والحظ ، فذهاب نقطته أسرع من اللحظ .

رقية — الزاد لك وهو مكتوب ، والزائد عليك وهو مسلوب ، فأجمل في طلب المضمون ، ولا تلزم نفسك صَفَقَةَ المغبون .

حقيقة — أمر بالتوكل لتقصر الطرف عليه ، وأذن في التسبب لتصرف منه إليه ، فذاك مخبر بحقيقة التفرد ، وهذا مظهر لحكمة التبعد .

رقية — الملك أبو الدنيا ، وهو مع ذلك محبوس فيها ، تبهم عليه الأبواب ، ويستدعي الحراس والحجاب ، فإذا خرج حَدَّقَتْ إليه الأَحوالُ ، وأحدقت بجهاته الحفَاطُ ، أي حَظَّ حَظُّ من فقد نعمة ﴿ فَاْمُنُّوا فِي مَنَاقِبِهَا وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ (الملك : ١٥) .

حقيقة — قال صاحب الزهر الأنيق : علامات المحبة أربع : الإفلاس ، والاستئناس ، والأنفاس ، والوسواس . قلت الإفلاس التجرد إلاّ عنه كالخليل ، والاستئناس التوحش إلاّ منه كالكلب ، والأنفاس صلة الاسم وعائده . رقيقة — ذكر مذكر بمالقة ، فقام الخطيب الشيخ الولي أبو عبد الله الساحلي بهذا البيت :

ليت شعري أفي زمامِ رضاكم كُتِبَ اسمي أم في زمامِ الهوانِ

١ ق : ذمام ؛ والزمام : الديوان .

وكنـت يوماً مع السلطان والـجند يُعرضون عليه ، وكان يسقط ويثبت ، وأنا
أـتفكر في البيت ، حتـى خفت أن أفتضح ، فقلت : واهمّاه من هذا الإبهام !
ثم كدت أـخلدُ بقبح العمل إلى الأرض فينشـلني^١ حسن الظن بالله عز وجل
فأنهض :

إن المقاديرَ إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم^٢

حقيقة – إذا قابل لإبرة القلب مغناطيس الحسن صبا فانجذب ، فإذا اتصل
عشق فانقطع ، فإذا انجذَّ فني فبقي ، حاشا الصوفي أن يموت .
رقية – افتخر الغراب بإقامة قرآن الفجر ، فقيل : حتـى تغسل بول الشيطان
من أذنك ، فطرب الديك فرحاً بالفوز ، وندب العصفور ترحاً على الفوت .
حقيقة – الخلوة بيت الاعتبار ، وفي بيته يُؤتى الحـكم ، وباب هذا البيت
العلم ﴿ واثقوا البيوت من أبوابها ﴾ (البقرة : ١٨٩) .
رقية – واقع فقير هتأة ، ثم دخل خلوته ، فبدت له نفسه بوجه مؤمسة ،
فقال : ما أنت ؟ قالت : أم الحياة ، فقال : ما أجمل أن تبدل هاؤك همزة ،
فقلت : إذن لم تصنع ما شئت ، فانتبه لقرعِ العتاب^٣ ، فتاب .
حقيقة – القلب إيوانُ الملك ويسعني ، وعز الملك يأنف عن ذل المزاحمة ،
أنا أغنى الشركاء عن الشرك .
رقية – لما وضع البسطامي أوزار حُوبه ، فكَّ طابعَ الصحيفة عن قلبه ،
فلم يجد بها غير الطفرى ، فصاح بنفسه لك البشرى ، انزل طيفور عما تريد ،
ليس في الدار أبو يزيد .
حقيقة – قال شيخنا أبو هادي يوماً لأصحابه : بماذا يرتقي العبد عن مقامه إلى

١ ص : فينشـلني .

٢ ص : بالقادر .

٣ ق : الباب .

مقام أعلى منه ؟ قالوا : بفضل الله ورحمته ، فقال : إنما سألتكم عن السبب الخاص بهذا الأمر ، قالوا : ما عند الشيخ ؟ قال : يخلق الله له همة فيرتقي بها إلى رتبة أُسْمَى من رتبته .
ومن هذا الكتاب :

حقيقة — التفت إلى مواهب الملوك تجدهم إنما يوسعون فيما قد يسترجعون ، فأما العلماء وكل من يعطي بحق فإنما يعطون بقصد ﴿ ولا تمدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ (طه : ١٣١) واصبر نفسك دونهم فعن قريب تنصرف عنهم .

رقية — قلت لقلبي : كيف تجددك ؟ فقال : أمّا مِنْ أَمَارَتِكَ ففي عناء الجهاد ، وأمّا مِنْ لَوِّ أَمْتِكَ فعلى جمر الصبر ، قلت : فمَتَى الراحة ؟ قال : إذا اطمأنت النفس ، فاضمححل الوهم وغاب الحس .
حقيقة — قَطَّعُ السَّوَى طَهَارَةً الْمُنِيب ، ولا يقبل الله صلاة بغير طهور ، وكتابه النحيب ، والمكاتب عبدٌ ما بقي عليه ، وبابه الدخول على الحبيب .
نظر رجل إلى امرأة عفيفة فقالت : يا هذا غضَّ بصرك عما ليس لك ، تنفتح بصيرتك فترى ما هو لك .

رقية — لما حنكت الطينة بتمر^١ الجنة ، وغذيت بلبانها ، فطرت على محبتها — انظروا إلى حب الأنصار التمر — فام تطلق الفطام عنها .

وتأبى الطباعُ على الناقل^٢

فذاك ما تجد من الحنين إلى التلاق ، والأنين على الفراق ، والشغف بمدح العابر ، وذم الغابر ، وفي ذلك^٣ :

.....

١ ق ص : بشر .

٢ شطر بيت لأبي الطيب وصدوه : يراد من القلب نسيانكم .

٣ البيت للمعري من قصيدته : « علاني فإن يئس الأمانى . . . » .

كم أردنا ذاك الزمان بمدح فشغلنا بدم هذا الزمان
وإن لم تعرف عصرًا خاليًا ، ولا خلًا نائيًا ، لم يمر عليك ممّا تشتهي ، أطيبُ
ممّا أنت فيه ^١ :

كم منزلٍ في الأرض يألّفه الفتى وحينئذٍ أبدأ لأول منزلٍ
ومنه :

حقيقة — قيل : عرض الكليم بطلب القوت في رحلة الهجرة ﴿إني لما أنزلتَ
إليَّ من خيرٍ فقيرٌ﴾ (القصص : ٢٤) فحمل على كاهل ﴿إنَّ أبي يدْعُوكَ﴾
(القصص : ٢٥) وصرح في سفر التأديب ﴿لو شئتَ لانتَحَدَّتْ عليه أجراً﴾
(الكهف : ٧٧) فحمل على كاهل ﴿هذا فِراقُ بَيْتي وبَيْنِكَ﴾ (الكهف : ٧٨)
قلت : لما تمحض الطلب له اكتمى ، فلمّا تعلّق حق الغير به وفي ، ولذلك
قضى أبا المرأتين الأجلين .

رقية — كان خرق السفينة إراءة لكرامة ﴿فاقذفه في اليمِّ﴾ (طه : ٣٩)
في مرآة ﴿وكانَ وراءَهُم مَلِكٌ﴾ (الكهف : ٧٩) .

وربما صحت الأجسام بالعلل ^٢

وقتلُ الغلام إشارة إلى اشتغال قتله ﴿فقضى عليه﴾ (القصص : ١٥) على
رحمة ﴿فنجيناكَ مِنَ الغَمِّ﴾ (طه : ٤٠) برمز ﴿فخشينا أن يرهقَهُما﴾
(الكهف : ٨٠) والمحن الصم حبال المنح ، وإقامة الجدار إثارة لفتوة ﴿فستقى لهما﴾
ليخفض له جناح ﴿إني لما أنزلتَ إليَّ من خيرٍ فقيرٌ﴾ (القصص : ٢٤) فيستظل من
حر ﴿لو شئتَ لانتَحَدَّتْ عليه﴾ (الكهف : ٧٧) في نية ﴿هذا فِراقُ بَيْتي
وبَيْنِكَ﴾ (الكهف : ٧٨) .

١ البيت لأبي تمام .

٢ عجز بيت للمتنبي وصدده : « لعل عتبك محمود عواقبه » .

حقيقة - قيل لمحمد بن حسن الزبيدي التونسي وأنا عنده بها : كيف لم يصبر الكلیم وقد ناط الصبر بالمشيئة ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ (الكهف : ٦٩) وقد جاء في الصحيح في قصة سليمان عليه السلام « لو قال إن شاء الله لكان كما قال » والمقام الموسوي أجلّ ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه : ٤١) وطلابه أفضل ؟ ما جميع أعمال البرّ والجهاد في طلب العلم إلّا كبصقة في بحر ، فقال : كان موسى على علم من علم الله ، وهو علم المعاملة ، لا يعلمه الخضر ، وكان الخضر على علم من علم الله لا يعلمه موسى ، فلم يظن أن ما لم يحيط به خبراً يأباه حكم الظاهر ، وإلّا كيف يلتزم الصبر عليه ، وقد أمر بصرف الإنكار إليه ؟ ﴿ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا﴾ (طه : ٩٢) بل لم يعتد مثله من ملاقة المشاق ، فيما كان عليه الخضر من اختراق الآفاق ، وركوب الطباقي ، فما علقه بقوله ، فقد صدقه بفعله . وما لم يستطع عليه صبراً ، فلم يدخل في التزامه اعتقاداً ولا ذكراً .

رقية - قال لي عبد الرحمن بن يعقوب المكتّيب : كان عندنا بالساحل سائح مجيراه : إلهي بسطت لي أمني ، وأحصيت عليّ عملي ، وغيب عني أجلي ، ولا أدري إلى أيّ الدارين يذهب بي ، لقد أوقفتني موقف المحزونين ما أبقيني . حقيقة - تنازع القلب والنفس الخلق ، فقسمها بينهما قاضي العقل ، فمن باع منهما حظه فلا شفعة لصاحبه عليه .
ومنه :

حقيقة - الحجب ثلاثة : فحجاب الغيرة منع ، وحجاب الحيرة دفع ، وحجاب الغفلة قطع ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الأعراف : ١٧٩) . رقيقة - اللحم أيام التشريق مكروه ، وكلّ لذة عند أرباب الدنيا كاللحم عندك أيام الأضحى ، فلا ترينك الغفلة عن شرك زيادة النعمة عندك . حقيقة - الفقر إلى الله الاستغناء به عما سواه ، وهوية الرضى بالله أن لا ينظر بالبال إلّاّه .

ومنه :

حقيقة — التلوّن مجون ، تارة طرباً وطوراً^١ شجون ، والتمكن معرفة ،
وأين الحال من الصفة ؟

رقية — قال لي محمد بن عبد الواحد الرباطي : قال لي محمد بن عبد السيد
الطرابلسي : دخلت على أبي الحسن الحرالي فقلت له : كيف أصبحت ؟ فأشد :

أصبحت ألطف من مرّ النسيم سرّى على الرياض يكادُ الوهمُ يؤلّني
من كل معنّى لطيفٍ أحسني قدحاً وكلُّ ناطقة في الكون تُطرني

حقيقة — قال الطالب : الوقت سيف ، وقال الواصل : بل مقت ، فتلا
العارف ﴿ قُلِ اللَّهُ ، ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام : ٩١) .
رقية — لصاحب الوقت يومان :

يوم بأرواح يُباع ويُشترى وأخوه ليس يُسام فيه بدرهم

وفصل الفضل^٢ بينهما :

وما تفضل الأيام أخرى بذاتها ولكنَّ أيام الملاح ملاح

ومنه :

حقيقة — قال لي الشيخ أبو عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي بعباد تلمسان :
قال لي أبو عبد الله ابن حيون : إنّه وجد على ظهر كتاب بخط عتيق : قال أبو
يزيد البسطامي : يظهر في آخر الزمان رجل يسمى شعيباً ، لا تدرك له نهاية ،
قالا : وهو أبو مدّين ، قلت : وقف بظاهره مع الشريعة ، وذهب بباطنه مع
الحقيقة ، فما انقطع لصحة البداية ، ولا رجع لعدم الغاية .

.....

١ ق : وتارة .

٢ ق : وفصل القضاء .

رقية — قمت ببعض الأسحار ، على قدم الاستغفار ، وقد استشعرت
الصباية ، واستدثرت الكتابة ، فأملى الجنان على اللسان ، بما نفث في روعه روح
الإحسان :

منكسر القلب بالحنايا يدعوك يا مانح العطايا
أفعدّه الذنب عن رفيق حثّوا لرضوانك المطايا

ومنه ، إثر حقيقة في شأن العلاج ما نصّه ، ثم قلت :

ولرب داع للجمال أطعته وأبى الجلال عني أن أتقدما
فأطعت بالعصيان أمرهما معاً وجنحت للتسليم كيما أسلما
ومنه :

حقيقة — قلت للسر : ما لك تحس من خلف الموانع ؟ فقال : خرق شعاعي
سور العوائق ، ثم انعكس إلي بصور الحقائق ، فأصبحت كما قيل :

كأنّ مرآة عين الدهر في يده يرى بها غائب الأشياء فلم يغيب

رقية — الليل رداء الرهبة ، تهاب الجبان [فيه] الأبطال ، وتنقي الحواس
دونه الخيال ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ (المزمل : ٦) .
حقيقة — النهار معاش النفس ، فهو استعداد ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً
طَوِيلًا ﴾ (المزمل : ٧) والليل ريش الأنس ، فهو معاد ﴿ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ
وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ (المزمل : ٨) فهذا جمع وذلك فرق ، والحال أسرع ذهاباً
من البرق .

ومنه :

حقيقة — إن أكبرت النفس حالها ، فذكرها أصلها ومآلها ، فإنّها تصغر
عند ذلك ، وتستقيم بك على أرض المسالك « احثوا التراب في وجوه المدّاحين »
﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ (طه : ٥٥) .

رقية — إنما يتعاضم من يجد الحقارة من نفسه ، ويثوهم المهانة عند أبناء
جنسه ، فلذلك تراه مغمزاً للعيون ، مهمزاً للظنون ؛ من أسراً سريرة حسنة كساه
الله رداءها .

رقية — رأيت الملوك لا يُشَمَّتُونَ ، ولا يُدْعَى لهم إلا بما يتعلق بأغراض
الدنيا ، وأكثر ذلك ممّا تحيل عقوده العوائد ، فعلمت أن الدنيا ضد الآخرة .
حقيقة — من لم يفرّ خور وذلك الجبن ، من خاف أدلج ورجا ، من لم يكرّ
تمنّ وتلك الزمانة ﴿ يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ﴾ (النساء : ٧٢) .
رقية — سمعت أبا محمد المجاصي يقول : رويت بالسند الصحيح أن عابداً
رابطاً ببعض الثغور مدة فكان كلما طلع الفجر يسمع من ينشد دون أن يرى شيئاً^١ :

لولا رجال لهم سرد يصومونا وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلزلت أرضكم من تحتكم غضباً فإنكم قومٌ سوء لا تبالونا
حقيقة — ما حمد الله حق حمده ، إلا من عرفه حق معرفته ، وذلك ممّا لا
ينبغي لغيره « لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .
رقية — قلت :

أشيم البرق من بين الثنايا وأشتّم العبير من الثناء
فأبدو تارةً وأغيب أخرى مثار الشوق مشني الحياء

حقيقة — تحقق الحامد بكمال الذات فغاب عن حسّه في بحار العظمة ، وتعلق
الشاعر بجمال الفعل فوقف مع نفسه بسوق النعمة ، فهذا تاجر ﴿ لئن شكرتم
لأزيدنكم ﴾ (إبراهيم : ٧) وذاك ذاكر ﴿ وما بكم من ﴾ (النحل : ٥٢) .
ومنه :

حقيقة — الصبر مطية المريد ، والرضى سجية المراد ، فهذا يقوم للأمر ،
وذاك يسعى للأجر .

١ قارن بما في الكلمة : ٨٤٢ .

رقية — الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف ، والصبر بغير حساب ،
والرضى بالرضى ، وذلك سِدْرَةُ المنتهى .
حقيقة — النفس الأمانة آبدية لا تملك إلا بلطائف الحيل ، والمطمئنة ذكول
لا تنفلت إلا ممّن غفل ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ (يوسف : ١٣) .
رقية — الدنيا معشوق الطالب ، عاشق الهارب ، هذا يستخدمها ، وذاك
يخدمها ، يبني الخادم المسجد ليقال ، ويعمره المخدم لينال ، فعلى الخادم السعي
من غير جدوى :

وليس لرحل خطّه الله حامل

وللمخدوم الجَدْوَى بغير سعي :

وليس لما تَبَيَّنِي يدُ الله هادم

إن السعادة أصلها التخصيص

حقيقة — الجمال ريش ، والحسن صورة ، والملاحة روح ، فذلك ستره
عليك ، وهذا سرّه فيك ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (الحجر : ٢٩) .
رقية — أعطي يوسف شطر الحسن ، يعني حسن آدم ، لأنّه إن لم يكن في
الإمكان أبدع ممّا كان فقد خلقه الحق بيده في أحسن تقويم ، ثم نفخ فيه من
روحه لتتم علّة الأمر بسجود التحيّة والتكريم ، فكان كما قال من أنزل عليه الفرقان
« خلق الله آدم على صورة الرحمن » فأدم إذاً كمال الحسن ، وإلاّ فهو المراد ، لأن
الشر ، يقتضي الخصر ، والنصف ، ينزع عن الوصف ، وأعطى محمد صلى الله
عليه وسلّم كمال الجمال ، فما أبصره أحد إلا هابه ، وتمام الملاحة فما عرفه
شخص إلا أحبه ، مع أنباء نوره في الآباء ، بأن أبوة المعنى لسيد نجباء الأبناء ،
كما قال العارف عمر :

ولائي وإن كنتُ ابنَ آدمَ صورةً فلي فيه معنّى شاهدٌ بأبويّتي

حقيقة — لا يثنيَنَّ الخوف عن قَرَعِ الباب فتَيأس ، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، ولا يدنيَنَّ الرجاء من الفترة فتأمن ، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، فإن لم تستطع بعد الحرص أن تعدل ، فلا تمل كل الميل مع النفس ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (يوسف : ٥٣) .

رقية — ارفع قصتك في رقعة الإقبال على كف الرجاء ، خافضاً من طرف الحياء وصوت الإدلال ، عاكفاً في زاوية الانكماش من وراء ستر الخوف ، يخرج عليك حاجب القدر من باب الكرم بتوقيع ﴿ فاستجبنا له ﴾ (الأنبياء : ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٠) .

ومنه :

حقيقة — صدقُ مجاهدةِ الفاروق أيقظَ الوسنان ، وطردَ الشيطان ، وأرضى الرحمن ، ففاز بسلامة « ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك » ؛ وحقق مشاهدة الصديق أسمعَ من ناجي ، فحاز غنيمة « لو كشف الغطاء ما ازداد يقيناً » .

رقية — ذهب أبو بكر في السابقين ، ولحق عمر بأهل اليقين ، فما أدرك الصديق أداء التصلية ، حتى استدرك الفاروق قضاء التقية :

ولو كنت في أهل اليمين مُنَعَمًا بكيتُ على ما فات من زَمَنِ الصُّبَا

حقيقة — النص سلاح ، والنظر مطية ، والاتِّباع جُنَّة ، والورَع نجاة ، والخلاف فتنة ، والبدع مهالك ، وخير الأمور أوساطها^١ .

ومنه :

حقيقة — تخير المساعد ، واختبر المصاعد ، وليكن همك في سفرك منك معرفتك كيف ترجع إليك ، فلن يحقق صفة الربوبية ، مَنْ لم يتحقق نعت العبودية .

١ ص : أوساطها ؛ ق : أوساطها .

رقية - حدثت أن سيدي أبا الحسن الشاذلي لما أزمع على التحول من طيبة على من بها الصلاة والسلام ، أوقف فعله على إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له ، فرآه في منامه فقال : توحشنا يا علي ؟ فأخذ يعتل ، فأذن له ، وقال : إذا جئت مصر فاقرأ عز الدين بن عبد السلام مني السلام ، قال : فلما التقينا بلغته المألكة سرًا ، فلم تظهر نفسه لذلك ، فلما قام المزرم قال :

صدق المحدث والحديث كما جرى وحديث أهل الحب ما لا يفترى

فاستغفر الشيخ ، ثم كذب نفسه ، ثم حط للتسليم رأسه .

حقيقة - الوهم شيطان القلب يأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وسائر الجهات لمراقبة ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ ﴾ (الأنعام : ٦٥) فمن ثم كان أشد تقلباً من المِرْجَل على النار ، فإذا ذكر الله سكن ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد : ٢٨) .

رقية - فرق القلب من ذكر الله خوف ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الحج : ٣٥) ثم سكن لذكره رجاء ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الرعد : ٢٨) فعاد داء تقشعر منه دواء ﴿ ثُمَّ تَكِينُ ﴾ فنعم بلائمه :

دع عنك لومي فإن اللوم لإغراء

ثم هتف بمناديه :

وداوني بالتي كانت هي الداء

حقيقة - العبودية صفة نفسك ، لأنها حال أحد العبيد ، والعبودية صفة قلبك ، لأنها ملكة واحد العباد ، والعبادة قصد وجهك ، لأنها نعت الفردوس من العباد .

١ المألكة : الرسالة .

ومنه :

حقيقة — إنما تزيد في الدنيا بقدر ما تنقص من الآخرة ، فإن تشييد الجدار على قدر^١ انتقاص الجبل .

رقية — من جر لنفسه جار على قلبه ، فلا تجوز شهادته عند ربه ، لأن العدل من ترك العدول والميل .

حقيقة — لا تقدمن^٢ إلا بدليل وإذن ، واحذر ما لا ينفع ما استطعت فقد تم ، انظر فلا حرج إن جهلت ما لم تكلف علمه ، وأخاف عليك سوء عاقبة المعجوم .

رقية — إذا اهتز العرش بالسحر لدعاء أهل ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ﴾ (السجدة : ١٦) انبعث من نسيمه ما أغشاهم طيبه الراحة ﴿ أَمْنَةً مِنْهُ ﴾ (الأنفال : ١١) وأهب^٣ المستغفر من نومه لإدراك فضل ﴿ رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (المائدة : ١١٩ ، والمجادلة : ٢٢ ، والبيّنة : ٨) .

حقيقة — دع الغريب وما يريب . واركب الحادثة ، ولا تسلك بُنَيَات الطريق ﴿ فَتَفَرِّقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

ومنه :

حقيقة — سفر المرید تجارة . وسفر العارف عمارة ، فهذا يرحل للإقامة عند الحقيقة ، وذاك يطلب الاستقامة على الطريقة .

رقية — إياك أيها المصلي لنا ، أن تلتفت إلى غيرنا ، وأقبل علينا بصدق نيتك ، وناجنا بخلوص سريرتك ، فقد قمنا بينك وبين قبيلتك ، وناجيناك بلسان تلاوتك ، فإن غبت عنا ، فليست منا .

حقيقة — الشطح كناية ، والكرامة عناية ، والاعتراض جناية ، فإياك ولم ؟ فإن عرفت فاتّبع . وإن جهلت فسلم .

١ ق : حسب .

رقية - الليل معاد الأنس ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾
(المزمل : ٦) والنهار معاش النفس ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾ فهذا نشاط
رغبة يتسع في مناكبه المجال ، وتعتور على مراكبه الأحوال ، وذلك حجاب رهبة
تهوي إليه الأوجال ، وتجتمع فيه هموم الرجال ، ألا ترى كيف تهاب الجبان
دونه الأبطال ، وتتقي الحواس خلفه الخيال ؟ كما قال :

نهاري نهار الناس حتى إذا دجا ليّ الليل هزّني إليك المضاجعُ
أقضيّ نهاري بالحديث وبالمُنى ويجمعي والهمّ بالليل جامعُ

حقيقة - حُجُبُ الطالب أربعة : فحجاب الغيرة قاذع ، قيل لبعضهم : أتحب
أن تراه ؟ فقال : لا ، قيل : ولم ؟ قال : أجلُّ ذلك عن نظر مثلي ، وحجاب التيه
قاعم ، نزل فقير على ابن عجوز ، فبينما هي تصلح له الطعام غشي على الفتى ،
فسألها الفقير فقالت له : إنه يَهْوَى ابنة عم له بتلك الخيمة ، فخطرت ،
فاشتم غبار ذيلها ، فذهب الفقير ليخطبها عليه ، فقالت : إذا لم يُطِيقْ غبار
ذيلي فكيف يستطيع أن يشاهدني ؟ وحجاب الحيرة دافع ، ومن ثم حلا لأرباب
الغيبة ، قال بعضهم : يا دليل الحائرين ، زدني تحيراً ، ومر على أصحاب الرغبة
والرهبة ، كما قال :

قد تحيرت فيك خذ بيدي يا دليلاً لمن تحير فيكا

وحجاب الغفلة قاطع ، . كان بعضهم يقول : إن عذبتني بشيء فلا تعذبني
بذلّ الحجاب . ونظر آخر إلى امرأة فوقع عليه سهمٌ فعوره وعليه مكتوب :
نظرت بعين العورة فرميناك بسهم الأدب ، ولو نظرت بعين الشهوة لرميناك
بسهم القطيعة .

رقية - حدثت أن ابن الفارض دخل على الشيخ عز الدين وقد ذهب به
التفكير فيما له عند الله عزّ وجل ، فكاشفَه بأن أنشده من قصيدة له :

لك^١ البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج

فبدرته البشاشه ، وأظن أن قد خلع قُماشه .

حقيقة — وقفتُ ذات يوم بالجبانة ، واستفهمت اسمي هل عرف منها مكانه ، فأملى بعد هنيهة من نظمه ، ما وقفت منه على حقيقة مبلغ علمه :

كل ميت رآته عَيَّني فإني ذلك الميت إن نظرت بقلبي
وجميع القبور قبوري لولا جهل نفسي بما لها عند ربي

رقية — أهم ما على السالك مراعاة قلبه ، أن يتلف في قلبه ، فذلك فساد حاله ، وذهاب رأس ماله ، تزوج فقير فلبس ثياب العرس ، فطلب قلبه فلم يجده ، فصاح : خلِّقاني ، فأعطوه ، فأخذها وخرج .

حقيقة — حُجِّبُ المطلوب ثلاثة : فحجاب التيه جمال ، كما قال العارف عمر :

ته دلالةً فأنت أهلٌ لذاكا وتحكِّم فالحسن قد أعطاك

وحجاب العزة جلال :

همتُ بليتائنا حتى إذا نظرتُ إلى المِرآةِ نهاها وجهُها الحسنُ

وحجاب الكبرياء كمال ، أنشدت لرابعة :

أُحبُّكَ حين حبَّ الهوى وحبًّا لأنَّكَ أهلٌ لذاكا

فأما الذي هو حبُّ الهوى فشغلي بذكرك عن سواكا

وأما الذي أنت أهلٌ له فأن ترفع الحُجبَ حتى أراكا

وما الحمدُ في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمدُ في ذا وذاكا

١ ص : ولي .

وهذا معنى ما في الصحيح « وما بين أهل الجنة وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » .

ومنه :

حقيقة — الآثار منصة التجلي ، فمن لم يزر مهلب ﴿ ويتفكرون ﴾ زار عمير ﴿ يمرون ﴾ وبطل رصد الحجاج .

رقية — من تفكر تذكر ، ومن تذكر تبصر . فإن أكمل وقف ، وإن قصر انصرف ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ (الإنسان : ٣) .

حقيقة — الوحدة فهم ، والتوحيد علم ، والاتحاد حكم ، والاثنية وهم .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

ومنه :

حقيقة — أهم ما على السالك مراعاة قلبه . أن يتلف في قلبه ، فإن ذلك فساد حاله ، وذهاب رأس ماله . رؤي فقير ينادي في السوق : ارحموا صوفيّاً ذهب رأس ماله ، فقيل له : وهل للصوفي رأس مال ؟ فقال : نعم . كان لي قلب ففقدته .

ومنه :

حقيقة ١ — تنازع القلبُ والنفسُ الخلقَ ، فترافعا إلى العقل ، فقسمه بينهما ، فانفردت النفس بالهوى ، والقلب بالتقوى ، فصُرِفَت طرقيهما إلى الجهتين ، وقطعت الشفعة فيهما بين الفئتين .

ومنه ، عند ختم الكتاب ، ما نصه :

حقيقة — لا يودع السر إلا عند أهله ، ولا يذيعه إلا من ضاق ذرعاً بحمله ،

١ مر هذا آتفاً من : ٣١٦ .

فلإن عدا مودعه الرمز فقد زل ، وإن تعدى مذيعة الغمز فقد ضل .

رقيقة — الحسن خلق ، والجمال خلق ، وحسن الأدب في الظاهر عنوان
حسن الأدب في الباطن ، وحيث هو الجمال هو الجميل .

حقيقة — تحقق العلماء بالتوحيد فاستشعروا ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾
(الصفات : ٩٦) لكنهم اعتبروا خلق السبب والابتلاء به ، فتصرفوا بدلالة الإذن في
مذهبه ، فاستقاموا على طريقة الأدب ، ولم يفتهم فضل التوكل ، ولم تتسع معارف
الزهاد لما عرفوا المسبب بكيفية الانصراف إلى السبب منه ، لدقة الفرق بينه وبين
الانصراف عنه ، فوقفوا مع التوكل للعذر ، ولم يستعملوا أدب الجريان مع ابتلاء
الأمر ، وعكف الغافلون على ظاهر السبب ، ففاتهم التوكل والأدب ﴿ أولئك
كالأنعام بل هم أضل ﴾ (الأعراف : ١٧٩) .

رقيقة — ألفت لعبد الحق الإشبيلي بيتاً هو عندي أفضل من قصيدة ، وهو :

قد يُساق المراد وهَوَ بعيد ويريد المريد وهَوَ قريب

ومن أراد معرفة قدر هذا البيت فليتل ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
إِلَيْهِ مَنْ يُنِيب ﴾ (الشورى : ١٣) .

حقيقة — أشرف أسمائك ما أضافك إليه ، وأكرم صفاتك ما دل فيك عليه^١ .

لا تَدْعُنِي إِلَّا يَا عَبْدَهَا فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمَائِي
ولا تصفني بالهوى عندها فعندها تحقيق أنبائي

رقيقة :

أعزُّ بمن سَوْدَاءُ قلبي مَغْرِبٌ لخياله ، وسَوَادُ عيني مَشْرِقٌ
إن غاب عن سِرِّي فعنه لم يغبْ أو عن عياني فهو فيه محققٌ

١ مر البيت الأول فيما تقدم المجلد ٢ : ١٩٣ .

والعينُ تعجزُ أن ترى إنسانَهَا والقلبُ بالروح اللطيفُ مصدِّقُ

صُنَّ عينك عن قلبك لربك ، وقلبك عن نفسك لحبك ، ونفسك عن طبعك
لوليكَ ، وطبعك عن هواك لعدوك ، وهواك عمَّن سواك ، وقد كنت من نسل
الجنة ، وكان بينك وبين البلاء أوقى جنة ، لطف الله تعالى بي وبكم في مجاري
أحكامه ، ويسرنا أجمعين للعمل بموجبات إكرامه ، وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وعلى آله وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم لقائه ؛ انتهى ما تعلق به الغرض من
كتاب « الحقائق والرفائق » لمولاي الجلد الإمام ، سقى الله عهده صوبَ الغمام .
وما ذكرته من كلامه غيَّض من فيض ، وقُلُّ من كُثُر ، ويكفي من الحلِّي ما
قلَّ وستر العنق .

ولنذكر بعض نظمه رحمه الله تعالى ، وقد تقدم بعضه أثناء ما سبق من كلامه
رضي الله عنه ، فراجعهُ إن شئت .

[من شعر المقرئ الجلد]

ومن بديع نظمه رحمه الله تعالى ما في الإحاطة ونصه^١ : نقلت من ذلك
قوله : « هذه لمحة العارض ، لتكملة ألفية ابن الفارض ، سلب الدهر من فرائدها
مائة وسبعة وسبعين ، فاستعنت على ردها بحول الله المعين » .

من فصل الإقبال :

رفضتُ السَّوى وهو الطَّهارة عندما	تَلَفَّعْتُ في مِرْطِ الهوى وهَوَ زِينتي
وجئتُ الحمى وهو المصلَّى ميمماً	بوجهةِ قلبي وجهها وهو قبلتي
وقمتُ وما استفتحتُ إلاّ بذكرها	وأحرمتُ إحراماً لغير تحلّة
فديني إن لاحت ركوعٌ ، وإن دنتُ	سجودٌ ، وإن لاهتُ قيامٌ بحسرةٍ ^٢

١ الإحاطة ٢ : ١٤٦ .

٢ ص : بكمة ؛ ق : بحرة .

على أننا في القرب والبعد واحد
 وكم من هَجِيرٍ خضتُ ظمآن طاوياً
 وفيها لقيتُ الموتَ أحمرَ والعدا
 وبينى وبين العدل فيها منازل
 ولما اقتسمنا خطّيتنا فحامل
 خلا مسمعي من ذكرها فاستعدته
 وكم لي على حكم الهوى^١ من تجلّد
 يقول سميري والأسى سالم الأسى
 لو أن مجوساً بت مؤقّد نارها
 ولو كنت بحراً لم يكن فيه نضحة^٢
 فلا ردم من نقب المعاول آمن
 فممّ تقول الأسطقسات منك أو
 فإن قام لم يثبت له منك قاعد^٣
 فما أنت يا هذا الهوى؟ ماء أو هوا
 ولأتي على صبري كما أنا واصف
 أقلّ الضنى أن عجّ من جسمي الضنى
 وأيسر شوقي أنني ما ذكرتها
 وأخفى الجوى قرع الصواعق منك في
 وأسهل ما ألقى من العدل أنني
 وأوج حظوظي اليوم منها حضيضها

تؤلّفنا بالوصل عينُ التشت
 إليها وديجور طويت برحلة
 بزرقة أسنان الرماح وحدة
 تنسبك أيام الفجار ومؤتة
 فجار بلا أجر وحامل برّة
 فعاد ختام الأمر أصل القضية
 دليل على أن الهوى من سيجني
 ولا توضع الأوزار إلا لمحنة
 لما ظلّ إلا منهلاً ذا شريعة
 لعين إذا نار الغرام استبحرت
 ولا هدم إلا منك شيد بقوة
 علام مزاج ركبت أو طبيعة
 وإلا فانت الدهر صاحب قعدة
 أم النار أم دساس عرق الأمومة^٤
 وحالي أقوى القائمين بحجة
 وما شاكة معشار بعض شكيتي
 ولم أنسها إلا احترقت بلوعة
 جواي^٥ وأخفى الوجد صبر المودة
 أحب أقلّي^٦ ذكرها وفضيحتي
 بالامس، وسل حرّ الجفون الغزيرة

١ ق : القضا .

٢ ق : الأموة .

٣ ق : في جوى نجى .

٤ ق : أقل .

وأوجزُ أمري أنَّ دهرِي كلهُ
أروحُ وما يلقي التأسفُ راحتي
وكالبَيْضِ بَيْضُ الدَّهْرِ والسُّمْرِ سَوْدُهُ
وشأنُ الهوى ما قد عرفتُ ولا تَسَلُ
سقامُ بلا براء ، ضلالُ بلا هدًى
ولا عتبُ فالأبامُ ليسَ لها رضى
ألا أيتها اللوامُ عني قَوَّضُوا
ولا تعذُّوني في البُكاءِ ولا البكى
فما سلسلت بالدمع عيني إن جنتُ
تجلّى وأرجاء الرجاء حوالكُ
فلم يستبن حتى كآني كاسفٌ^٢

كما شاءتِ الحسناءُ يومَ الهزيمةِ
وأغدو وما يعدو التفجعُ خطي
مساءتها في طيِّ طيبِ المسرةِ
وحسبك أن لم يخبرِ الحبُّ رؤيتي
أوامُ بلا ري ، دمُ لا بقيمةِ
وإن ترض منها الصبرُ فهو تعنّي
ركابَ ملامي فهو أولُ محنّي
وخلتوا سبيلي ما استطعتُم ولوعتي
ولكن رأيتُ ذاكَ الجمالَ فجئتُ^١
ورشدي غاوي والعماياتُ عمتِ
وراجعتُ لبصاري له وبصيرتي

ومن فصل الاتصال :

وكم موقفٍ لي في الهوى خُضْتُ دونه
فجاوزتُ في حدّي مجاهدتي له
وحلّ جمالي في الجلالِ ، فلا أرى
وغبتُ عن الأغيارِ في تيهٍ حيرتي^٣
وكأنتِ ناسوتي بأمارَةِ الهوى
وعلمُ يقيني صارَ عيناً حقيقةً
وبدلتُ بالتلوينِ تمكينَ عزّةٍ
وقد غبتُ بعد الفرق والجمع موقفي

عُبابَ الردى بينَ الظُّبى والأسنةِ
مشاهدتي لما سَمَتَ بي همّي
سوى صورةِ التنزيهِ في كلِّ صورةِ
فلم أُنَبِّهْ حتى امتحى اسمي وكنيتي
وعدتُ إلى اللاهوتِ بالمطمئنةِ
ولم يبقَ دوني حاجبٌ غير هيتي
ومن كلِّ أحوالي مقاماتٍ رفعةٍ
مع المحوِّ والإثباتِ عند تثبتي

١ ق : فحنت .

٢ ق : حبي له كل كاشف .

٣ الإحاطة : حالي .

وكم جُلْتُ في سَمِّ الخياطِ وضاق بي
وما اخترتُ إلاَّ دنَّ سقراطَ زاهداً
وفقري مع الصبرِ اصطفتُ على الغنى
وأكتمُ حبي ما كنى عنهُ أهلهُ
ولإني في جنسي ومنهُ لوأحدُ
تسببتُ في دعوى التوكّلِ ذاهباً
وآخرُ حرفٍ صارَ منيَ أولاً
تعرفتُ يومَ الوقفِ منزلَ قومها
فأصبحتُ أقضي النفسَ منها مني الهوى
فبايعتها بالنفسِ داراً سكنتها
فخلّص الاستحقاقُ نفسي من الهوى
فيا نفسُ لا ترجعِ تقطعِ بيننا

ومن فصل الإدلال :

لبسطي وقبضي بسطُ وجهِ البسيطةِ
وفي ملكوتِ النفسِ أكبرُ عبرةِ
مع الشكرِ إذ لم يحظَ فيه مثوئي
وأكني إذا همّ صرّحوا بالحسنةِ
كنوعٍ ، ففصلُ النوعِ علّةُ حصتي
إلى أن أجدي حيلتي تركُ حيلتي
مريداً وحرفٌ في مقامِ العبودةِ
فبتُ بجمعِ سدٍّ خرّقَ التشتِ
وأقضي على قلبي برعي الرعيّةِ
وبالقلبِ منه منزلاً فيه حلّتِ
وأوجب الاسترقاقُ تسليمَ شفعةِ
ويا قلبُ لا تجزعُ ظفرتَ بوحدّةِ

تبدّتْ لعيني من جمالك ملحّةٌ
ومرّتْ بسمعي من حديثك ملحّةٌ
ملامي بنّ ، عندي استبنّ ، وجدي استعنّ
فمن شاهدي سخطٌ ، ومن قائي رضی
مرامي إشاراتٍ ، مراعي تفكيرٍ
وفي موقفي والدارُ أقوّتُ رسومها
معاني أماراتٍ ، مغاني تذكيرٍ
وبثُّ غرامٍ ، والحبيبُ بحضرةِ

أبادتُ فؤادي من سناها بلفحةِ
تبدّتْ لها فيك القران وقَرّتِ
سماعي أعين ، حالي أبين ، قائي اصمتِ
وتلوينُ أحوالي وتمكينُ رتبي
مراقي نهاياتٍ ، مراعي تثبتِ
تقربُ أشواقٍ تبعدُ حسرتي
مباني بداياتٍ ، مثاني تلفّتِ
وردُ سلامٍ ، والرقيبُ بغفلةِ

١ ق : وتبعد .

٢ ف : غرامي . . . سلامي .

ومطلعُ بدرٍ في قضيبٍ على نَقَاً
ومكمنُ سحرٍ بآبِلٍ لهُ بما
ومنبثُ مسكٍ من شقيقِ ابنِ منذرٍ
ووصفُ اللآلِي في اليواقيتِ كلِّما
سلِ السلسيلَ العَدْبَ عن طعمِ ريقه
ورمَّانُ كافورٍ علكتهُ طوابِعُ
ولطفُ هواءِ بينِ حَقَفٍ وبانةٍ
لقد عزَّ عنك الصبرُ حتى كأنه
وأنت وإن لم تُبْقِ مِنِّي صِباةً
وكلُّ فصيحٍ منك يَسْرِي لمسمعي
تهونُ عليَّ النفسُ فيك ، وإنها
فإن تنظريني بالرضى تُشَفِّعَ عليَّ
وإن تذكريني والحياةُ بقيدها^٢
وإن تذكريني بعدما أسكنُ الثرى
صليبي وإلا جددي الوعدَ تدركي
فما أمُّ بَوِّ هالكٍ بتَنُوفَةٍ
فلما رآته لا يَنازِعُ خِلْفُها
بكتُ كلِّما راحتُ عليه وإنها
بأكثرَ مِنِّي لوعةً غيرَ أنِّي
فرحتُ كما أغدُو إذا ما ذكرتها

فويقَ محلِّ عاطلٍ دون دُجِيَّةٍ
حوتُ أضلعي فعلُ القَنَا السَّمْهَرِيَّةِ
على سَوَسَنِ غَضٍّ بِجَنَّةٍ وَجَنَّةٍ
تُعَلُّ بِصَرَفِ الرَّاحِ في كلِّ سُحْرَةٍ
ونكهته يَجْبرُكَ عن علمِ خَبِيرَةٍ
من الندِّ لم تحملُ به بنتُ مُزْنَةٍ
ورقَّةُ ماءٍ في قواريرِ فضةٍ
سُرَاقَةُ لحظٍ منك للمتلِفِ
مُنَى النفسِ لم تقصدُ سواكَ بوجهةٍ
وكلُّ مَليحٍ منك يبدو^١ لمقلتي
لتكرمُ أن تغشَى سواكَ بنظرةٍ
وإن تُظْفِرَني باللقا تُطْفِئَ غلَّتِي
عدلتُ لَأَمْنِي مُنِّي بِمَنِّي
تجلتُ دجَاهُ عند ذاك وولَّتِ
صُباةَ نفسٍ أيقنتُ بتفلَّتِ^٣
أَقِيمَ لها خَلْفَ الحِلابِ فدرتِ
إذا هي لم ترَسِيلَ عليه وضنتِ
إذا ذكرته آخرَ الليلِ حنَّتِ
رأيتُ وقارَ الصبرِ أحسنَ حليةٍ
أطامنُ أحشائي على ما أجنَّتِ

١ ص ق : يبدي .

٢ ص ق : تعيدها .

٣ ق : بتعلة .

أَهْوَنُ مَا أَلْقَاهُ إِلَّا مِنَ الْقَلِيلِ
أَخْوَضُ الصَّلَا ، أَطْفِي الْعَلَا وَالْعُلُوَّ لَا
« أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْحَمَامَةَ غُدُوَّةً »
وَقَاتِلْ مَغْنَاهَا وَمَوْقِفَ شَجْوَهَا
« فَعَنَتْ غَنَاءَ أَعْجَمِيًّا فَهَيَّجَتْ »
فَأَرْسَلَتْ الْأَجْفَانُ سُحْبًا وَأَوْقَدَتْ
« نَظَرْتُ بِصَحْرَاءِ الْبَرِيقَيْنِ نَظْرَةً »
فِيَا لَهَا قَلْبًا شَجِيًّا وَنَظْرَةً
« وَوَاعَجِبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ »
وَاللَّعِينِ لَمَّا سَوَّلَتْ كَيْفَ أَخْبَرَتْ
« وَكُنَّا سَلَكْنَا فِي صَعُودٍ مِنَ الْهَوَى »
إِلَى مَسْتَوًى مَا فَوْقَهُ فِيهِ مَسْتَوًى
« وَكُنَّا عَقْدْنَا عُقْدَةَ الْوَصْلِ بَيْنَنَا »
مُؤَكَّدَةً بِالْإِذْرِ أَيَّامَ عَهْدِهِ

ومن فصل الاحتفال :

أَزُورُ اعْتِمَارًا أَرْضَهَا بَتْنَسْكَ
وَفِي نَشْأَتِي الْأُخْرَى ظَهَرْتُ بِمَا عَلَتْ
وَلَوْلَا خِفَاءُ الرَّمْزِ مِنْ لَا وَلَنْ وَلَمْ
وَلَوْلَمْ يَجِدْ عَهْدَنَا عَقْدُ خَلَّةٍ

وَأَقْصِدُ حَجًّا بَيْتَهَا بِتَحَلَّةٍ
لَهُ نَشْأَتِي الْأُولَى عَلَى كُلِّ فِطْرَةٍ
تَجِدُهَا لَشَمْلِي مَسْلُكًا بِتَشْتٍ
قَضِيْتُ وَلَمْ يَقْضِ الْمَتَى صَدَقُ تَوْبَةٍ

١ ما وضعته بين قوسين صغيرين هو تفسيران من قصائد تالية مختلفة بعضها لأعراب وبعضها من تالية كثير عزة .

٢ ق ص : فضل .

٣ ق ص : زينة .

بعثتُ إلى قلبي بشيراً بما رأتُ
فلَمْ يَعدُ أن شام البشارة شام ما
فيا لك من نورٍ لو أنَّ التفاتةً
تحدث أنفاسُ الصَّبَا أن طيِّبها
وتنبِّئ آصالُ الربيع عن الربى
وتخبر أصواتُ البلابل أنها
فهذا جمالي منك في بُعد حسرتي
تبدَّى وما زال الحجابُ ولا دنا
له كلُّ غيرٍ في تجلِّيه مظهرٌ
تجلِّي دليلٍ . واحتجابُ تنزهٍ
فما شئتَ من شيء وآليت أنه
وفي كلِّ خلْقٍ منه كلُّ عجيبةٍ
وفي كلِّ خافٍ منه مكنٌ حكمةٍ
أراه بقلب القلبِ واللغزِ كامناً
وفي طيِّ أوفاقِ الحسابِ وسراً ما
وفي نَفَثاتِ السحرِ في العُقَد التي
يصور شكلاً مثلَ شكلٍ ويعتلي
وفي كلِّ تصحيفٍ وعضوٍ بذاته
وفي خضرةِ الكمّون تزجي شرابهُ
وفي شَجَرٍ قد خوِّفت قطع أصلها
وفي النخل في تلقّحه واعتبر بما

على قدمٍ عيناى منه فكفّت
جفا الشام من نور الصفات الكرى
تُعارضُ منه بالنفوس النفيس
بما حملته من حَرّاقَةٍ حرّة
وأشجاره أن قد تجلّت فجلّت
تغنت بترجيبي على كل أيك
فكيف به إن قربتني بخلاً
وغاب ولم يفقده شاهدُ حضرتي
ولا غير إلا ما محت كف غير
وإثباتُ عرفانٍ . ومحو تثبت
هو الشيء لم تحمدُ فجارِ أليّ
وفي كلِّ خلْقٍ منه كلُّ لطيف
وفي كلِّ بادٍ منه مظهرٌ جلتو
وفي الزجر والقال الصحيح الأدل
يتم من الأعداد فابدأ بستاً
تَطوُّعُ لها كلُّ الطباع الأيّا
عليه بأوهام النفوس الخبيثا
اختلاجٌ . وفي التقويم مجلى لرؤية
مواعيدُ عرقوبٍ على إثر صفرة
فبان بها حملٌ لأقرب مدة
أتى فيه عن خير البرية واسكت

وفي الطابع السبتي^١ والأحرف^١ التي
وفي صنعة الطلسم والكيمياء^٢ والا
وفي حرز أقسام المؤدب محرز
وفي سيمياء الحاتمي ومذهب اب
وفي المثل^٣ الأولى وفي النحل الألى
وفي كل ما في الكون من عجب وما
فلا سر^٤ إلا وهو فيه سريرة
سل الذكر عن أنصاف أصناف ما أنبى
وعن وضعها في بعضها وبلوغ ما
فلا بد من رمز الكنوز لذي الحجي
ولولا سلام^٤ ساق للأمن خيفتي
ولو لم تداركني ولكن بعطفها
ولو لم تؤانسني عنا قبل لم ولم
ونعم أقامت أمر ملكي بشكرها

ومن فصل الاعتقال :

سرت بفؤادي إذ سرت فيه نظرتي
وذلك لما أطلع الشمس في الدجى
يمانة^٤ لو أنجدت حين أنجدت
وسارت ولم تن العنان بعطفة
محباً ابنة الحين في خير ليلة
لما أبصرت عيناك حياً كميت

١ الإحاطة : في الأحرف .

٢ ق : والكيمياء وفي .

٣ الإحاطة : المثل .

٤ الإحاطة : ابنتي .

لأصْحَمَةٍ في نصْحها قَدَمٌ بَنِي
أَلَتْ فَحَطَّتْ رَحْلها ثُمَّ لَمْ يَكُنْ
فَلَوْ سَمَحَتْ لِي بِالتَّفَاتِ وَحُلَّ مِنْ
وَلَكِنَّهَا هَمَّتْ بِنَا فَتَذَكَّرْتُ
أَجَلْتُ خِيالاً لَأَنْتِي لَا أَجَلَهُ
عَلَى أَنْتِي كَلْتِي وَبَعْضِي حَقِيقَةٌ
وَجَنَسِي وَفَصْلِي وَالْعَوَارِضُ كُلُّهَا
وَجَسْمِي وَنَفْسِي وَالْحَشَا وَغَرَامُهُ
وَفِي كُلِّ لَفْظٍ عَنْهُ مِيلٌ لِمَسْمَعِي
وَدَهْرِي بِهِ عِيدٌ لِيَوْمِ عَرُوبَةٍ
وَوَقْتِي سَهْوٌ فِي فَنَاءِ شَهْدَتِهِ
أَرَاهُ مَعِي حَسَباً وَوَهْماً وَإِنَّهُ
وَأَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِ نَطْقٍ كَأَنَّهُ
مَالَتْ بِأَنْوَارِ الْمَحَبَةِ بَاطِنِي
وَجَلَّتْ بِالْإِجْلَالِ أَرْجَاءُ ظَاهِرِي
فَأَنْتِ الَّذِي أَنْفَيْهِ عِنْدَ تَسْتَرِي
فَتُهُ أَحْتَمِلُ، وَأَقْطَعُ أَصِيلُ، وَاعْلُ اسْتَفْلُ
فَقَلْبِي، إِنْ عَانَبْتَهُ فَيْكَ لَمْ أَجِدْ
وَنَفْسِي تَنْبُو عَنْ سِوَاكَ نَفَاسَةً
تَعْلَقُ الْآمَالُ مِنْكَ بِفَوْقِ مَا
وَحَامَتْ حَوَالِيهَا وَمَا وَافَقَتْ أَحْمَى
فَلَوْ فَاتَنِي مِنْكَ الرِّضَى وَلَحَقَنِي

لِكُلِّ نَجَاشِيٍّ بِهَا حِصْنٌ ذِمَّةُ
سِوَى وَقْفَةِ التَّوْدِيْعِ حَتَّى اسْتَقَلْتُ
مِهَاطِي الْهُوَى وَالْهُونَ جَدًّا تَفَلَّتِي
قَضَاءُ قُضَاةِ الْحَسَنِ قَدِماً فَصَدَّتْ
وَلَمْ أَنْتَسِبْ مِنْهُ لَغَيْرِ تَعَلَّةٍ
وَبَاطِلُ أَوْصَافِي وَحَقُّ حَقِيقَتِي
وَنَوْعِي وَشَخْصِي وَالْهُوَاءُ وَصُورَتِي
وَعَقْلِي وَرُوحَانِيَّةِي الْقُدُسِيَّةِ
وَفِي كُلِّ مَعْنَى مِنْهُ مَعْنَى لِنَوْعِي
وَأَمْرِي أَمْرِي وَالْوَرَى تَحْتَ قَبْضَتِي
وَلَا وَقْتٌ لِي إِلَّا مَسَاهِدُ غَيْبَةٍ
مَنَاطُ الثَّرِيَا مِنْ مَدَارِكِ رُؤْيِي
يُلْقِنُ سَمْعِي مَا تُوسَّوْسُ مَهْجَتِي
كَأَنَّكَ نَوْرٌ فِي سَرَارِ سِرِّي
كَأَنَّكَ فِي أَفْقِي كَوَاكِبُ زِينَةٍ
وَأَنْتِ الَّذِي أَبْدِيهِ فِي حَيْنِ شَهْرَتِي
وَمَرَّ أَمْتَلُ، وَامْلَلُ أَمِيلُ، وَارْمِ أُنْبِتْ
لَعَنِي فِيهِ الدَّهْرَ مَوْقِعَ نَكْتَةٍ
فَلَا تَنْتَمِي إِلَّا إِلَيْكَ بِعِنَّةِ
أَرَى دُونَهُ مَا لَا يُنَالُ بِحِيلَةٍ
سَحَابُ يَأْسٍ أُسْطَرْتُ مَاءَ عِبْرَتِي
بَعْفُو بِكَيْتِ الدَّهْرِ فَوْتُتْ فَضِيلَةٍ

١ ق : وقعت ؛ ص : واقعت .

ولو كنتُ في أهل اليمين منعماً
وكم من مقامٍ قمتُ عنك مسائلاً
أتيتُ بفارابٍ أبا نصرها فلم
ولم يدرِ ما قولي ابنُ سيناء سائلاً
فهل في ابنِ رُشدٍ بعد هذين مرتجى
لقد ضاع - لولا أن تداركني حمى
فقيضَ لي نهجاً إلى الحق سالكاً
فحصنت أنظارَ الجنيد جنيداً
وكسرتُ عن رجل ابن أدهم أدهماً
وعدتُ على حلاجٍ سكري بصلبه
فقولي مشكور ، ورأيي ناجح
رضيتُ بعرفاني فأعليتُ للعلا
فعثتُ ولا ضيراً أخاف ولا قلى
فها أناذا أُمسي وأصبح بينهم

بكيتُ على ما كان من أسبقية
أرى كلَّ حيٍّ كلَّ حيٍّ وميت
أجدُ عنده علماً يبرّد غلتي
فقل كيف أرجو عنده بُرء علي
وفي ابنِ طُفيلٍ لاحتثاثٍ مطيبي
مِنَ الله - سعي بينهم طول مدتي
وأيقظني من نوم جهلي وغفلي
بتركٍ فلي من رغبةٍ ربح رهبة
وأنقذته من أسرٍ حب الأسرة
وألقيتُ بلعامَ التفاني بهوة
وفعلي محمود ، بكلِّ محلة
وأجلستني بعد الرضى فيه جلتي
وصرتُ حبيباً في ديار أجنبي
مُبَلِّغ نفسي منهم ما تَمَنَّتْ

ومن نظمه أيضاً ما حكى عنه في « الإحاطة » إذ قال : وأنشدني قوله في
حال قبض ، وقيدتها عنه ^١ :

إليك بسطتُ الكفَّ أستترالُ الفضلا
وها أناذا قد قُمتُ يقدمني الرجا
أقدمُ رجلاً إن يُضىء برقُ مطمعٍ
ولي عثراتُ لست آملُ إن هوتُ
فلن تدركني رحمةً أنتعشُ بها

ومنك قبضتُ الطرفَ أستشعر الدلا
ويحجمُ بي الخوفُ الذي خامر العقلا
وتُظلمُ أرجائي فلا أنقلُ الرجا
بنفسي أن لا أستقيلَ وأن أصلي
وإن تكنِ الأخرى فأولى بي الأولى

١ الإحاطة ٢ : ١٥٥ .

ومن نظمه رحمه الله تعالى ^١ :

وجدٌ تُسَعِّرُهُ الضلوعُ عٌ وما تَبْرَدُهُ المدامعُ
همٌ تحركه الصَّبَا بةٌ والمهابةُ لا تُطَاوَعُ
أملٌ إذا وصل الرجا أسبابهُ فالَموتُ قاطعُ
بالله يا هذا الهوى ما أنت بالعُشْاقِ صانعُ

وقال رحمه الله تعالى كما في « الإحاطة » : ومما كتبت به لمن بلغني عنه
بعضُ الشيء ^٢ :

نحن . إن تسأل بناسٍ . معشرٌ أهلٌ ما فجَّرته الهممُ
عَرَبٌ من بيضهم أرزاقهم ومن السمرِ الطوالِ الخيم
عَرَضَتْ أحسابهم أرواحهم دون نيلِ العرضِ وهي الكرم
أورثونا المجدَ حتى إننا نرتضي الموتَ ولا نزدحم
ما لنا في الناس من ذنبٍ سوى أننا نلوي إذا ما اقتحموا

وقال : ممّا قلته مديلاً به قول القاضي أبي بكر ابن العربي :

أما والمسجدِ الأقصى وما يتلى به نصّاً
لقد رقصتُ بناتُ الشو قٍ بينَ جوانحي رقصاً

قولي :

فأقلع بي إليه هوى جناحاً عزمه قُصّاً
أقلَّ القلبَ واستعدى على الجثمانِ فاستعصى
فقمْتُ أجولُ بينهما فلا أدنى ولا أقصى

١ ص : قال : ومما قلته من الشعر ، وانظر الإحاطة : ١٥٥ .

٢ انظر هذه القطعة وما يليها في الإحاطة ٢ : ١٥٥ - ١٥٦ .

قال رحمه الله تعالى : ومما قلته في التورية بشأن راوي المدونة :

لا تعجبني لظبي قد دها أسداً فقد دها أسداً من قبل سحنون

ومن نظم مولاي الجند مما لم يذكره في « الإحاطة » قوله حسبما ألفي بخطه
على ظهر نسخة من تأليفه « القواعد » :

ناديت والقلب بالأشواق محرق^١ والنفس من حيرة الإبعاد في دَهشِ
يا معطشي من وصالٍ كنتُ آملُهُ هل فيك لي فرجٌ إن صحتُ واعطشي

ومن نظمه ما أسنده الونشريسي إليه :

خالِفْ هَوَاكَ وكن لعقلك طائعاً تجدِ الحقيقةَ عند طرفِ الناظر

ومنه مما نسب له المذكور ، ورأيت من ينسبها^١ لغيره :

لمَّا رأيناك بعد الشيب يا رَجُلُ لا تستقيمُ وأمرَ النفسِ تمتلُ^٢
زدنا يقيناً بما كُنَّا نصدقُهُ بعد المشيب يشبُّ الحرصُ والأملُ

وفي « الإحاطة » في ترجمة شعره ما صورته قال : ومما قلته من الشعر ،
وبه نختَم الكلام^٢ :

أُنبتَ عوداً لنعماءٍ بدأتَ بها فضلاً وألبستها بعد اللحا الورقا
فظلَّ مستشعراً مستدثراً أرجأ ريانَ ذا بهجةٍ يستوقفُ الحدقا
فلا تشنه بمكروهٍ الجحَى فلكمُ عودته من جميلٍ من لدنِ خلقا
وانفِ القذى عنه واثري الدهر منبته وغدّه برجاٍ واستقيهِ غدّقا
واحفظهُ من حادثاتِ الدهر أجمعها ما جاء منها على ضوءٍ وما طرّقا

١ ق : نسبها .

٢ الإحاطة ٢ : ١٥٦ .

انتهى ما قصدته من ترجمة مولاي الجلد على ما اقتضاه الوقت ، ولو أرسلت
عنان القلم في شأنه لضاق هذا الديوان عن ذلك ، ويرحم الله شيخ شيوخنا
عالم المغرب سيدي أبا العباس الونشريسي ثم التلمساني نزيل فاس صاحب « المعيار »
وغيره إذ قال في تأليفه الذي عرّف فيه بمولاي الجلد لما سأله بعضهم في ذلك ،
وذكر ما حضره ، ما نصه : ولقد استوفى شيخ شيوخنا المحقق النظار أبو عبد الله
ابن مرزوق الحفيد ترجمة المقرئ في كتاب سمّاه « النور البدرى في التعريف
بالفقيه المقرئ » وقد تقدمت الإشارة إلى أن اسم هذا التأليف مبني على أن المقرئ
بفتح الميم وسكون القاف ، وقد علمت ما في ذلك ممّا مضى .

قلت : وقد ملكت بفاس مجلداً ضخماً بخط مؤلفه ، وهو أحد علماء مدينة
فاس ، ألفه برسم مولاي الجلد ، وسمّاه : « الزهر الباسم » وأطال فيه في مدح
مولاي الجلد ، والثناء عليه ، والتنويه بقدره ، وذكر محاسنه ، ولم يحضرني الآن
لكوني تركته مع جملة كتبي بالمغرب . وقد تعلق بحفظي ما قاله في أوله من
جملة أبيات :

إذا ذُكِرَتْ مفاخرُ أهلِ فاسِ ذكرنا مَنْ أتى من تلمسانِ
وقلنا هل رأيتُمْ في قضاةٍ شبيهاً للفقيه العدلِ ثاني
إلى أن قال :

ونفسُ العلمِ إن شانتُ لشخصٍ فما للمقرئ في العلمِ ثاني

[تلامذة المقرئ الجلد]

وقد أخذ عنه رحمه الله تعالى جماعة أعلام مشهورون ، منهم لسان الدين
ابن الخطيب ذو الوزارتين ، والوزير أبو عبد الله ابن زمّرك ، والأستاذ العلامة
أبو عبد الله القيحاوي الآية في علم القراءات ، والشيخ الفقيه القاضي الرحال

لحاج أبو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي الزموري الدار المعروف بنقشابو ، والولي ابن خلدون صاحب التاريخ ، وفي بعض المواضع يعبر منه بصاحبنا ، وفي بعضها بشيخنا ، والنظار أبو إسحاق الشاطبي ، والعلامة أبو محمد عبد الله بن جُزَيّ ، والحافظ ابن علاق ، وغيرهم ممن يظول تعدادهم ، لا كالشيخ الولي الشهير الكبير العارف بالله سيدي محمد بن عباد الرندي^١ شارح حكم ابن عطاء الله فإنه ممن يفتخر مولاي الجدد رحمه الله تعالى بكون مثله تلميذاً^٢ ، ولا بأس أن نورد ترجمته تبركاً به في هذا الكتاب ، ولولم تقتضه المناسبة لتي راعيناها في هذا التأليف ، فكيف وقد اقتضته ؟ فنقول :

ترجمة تلميذه ابن عباد الرندي [

قال في حقه صاحبه الشيخ أبو زكريا السراج ، ما صورته : شيخنا الفقيه الخطيب البليغ الخاشع الخاشي . الإمام العالم المصنف السالك العارف المحقق لرباني ذو العلوم الباهرة ، والمحاسن المتظاهرة ، سليل الخطباء ، ونتيجة العلماء ، أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الفقيه الواعظ الخطيب البليغ العلم الحظي الوجيه لحسيب الأصيل أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عباد ، كان حسن السمّت ، طويل الصمت ، كثير الوقار والحياء ، جميل اللقاء ، حسن الخلق والخلق . عالي الهمة متواضعاً ، معظماً عند الخاصة والعامة ، نشأ ببلده رُندة على أكمل طهارة ، وعفاف وصيانة ، وحفظ القرآن ابن سبع سنين ، ثم تشاغل بعد بطلب العلوم النحوية والأدبية والأصولية والفروعية . حتى رأس فيها وحصل معانيها ، ثم أخذ في طريق الصوفية والمباحثة على الأسرار الإلهية حتى أُشير إليه . وتكلم في علوم الأحوال والمقامات والعلل والآفات وألّف فيه تواليف عجيبة وتصانيف

١ ترجمة ابن عباد الرندي في نيل الابتهاج : ٢٨٧ نقلا عن فهرسة السراج وابن الخطيب القسطيني مؤلف أنس الفقير (و ترجمة ابن عباد فيه ص : ٧٩) .

بديعة غربية^١ . وله أجوبة كثيرة في مسائل العلوم نحو مجلدين . ودرس كتباً وحفظها أو جلتها كشهاب القضاء والرسالة ومختصر ابن الحاجب وتسهيل ابن مالك ومقامات الحريري وفصيح ثعلب وغيرها . وقوت القلوب : أخذ يبلده رُندة عن أبيه القرآن وغيره . وعن خاله الشيخ الفقيه القاضي عبد الله الفريسي العربية وغيرها . وعن الشيخ الفقيه الخطيب أبي الحسن علي بن أبي الحسن الرندي حرف نافع . وعرض عليه الرسالة . وبتلمسان وفاس عن السيد الشريف الإمام العالم العلامة المحقق أبي عبد الله التلمساني الحسني جُمَلَ الخونجي تفهماً وغيره . وعن الشيخ الفقيه القاضي العالم أبي عبد المقري كثيراً من المختصر الفرعي لابن الحاجب وفصيح ثعلب وبعض صحيح مسلم كلها تفقهاً . وعن الشيخ الفقيه العالم أبي محمد عبد النور العمراني الموطأ والعربية . وعن الإمام العالم أبي عبد الله الآبلي « الإرشاد » لأبي المعالي وجميع كتاب ابن الحاجب الأصلي وعقيدة ابن الحاجب تفقهاً . وعن الشيخ الفقيه الحافظ أبي الحسن الصرصري بعض « التهذيب » تفقهاً . وعن الشيخ الأستاذ المقرئ الصالح أحمد بن عبد الرحمن المجاصي - شهر بالكناسي - كثيراً من جُمَل الزجاج وتسهيل ابن مالك . وعن الشيخ الفقيه الصالح أبي مهدي عيسى المصمودي جميع كتاب ابن الحاجب والحاجية له أيضاً تفقهاً . وتفقه على الفقيه العالم أبي محمد الوائلي في كتاب ابن الحاجب الفقهي وأخذ عنه حرف نافع . وعن الشيخ الفقيه الصالح المدرس بالحلفاوين أبي محمد عبد الله الفشتالي كثيراً من « التهذيب » . وعن قاضي الجماعة وخطيب الحضرة أبي عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي كثيراً من « التهذيب » تفقهاً . وكذا عن غيرهم . ولقي بسلاً الشيخ الحاج الصالح السني الزاهد الورع أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر . وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة . قال : قصدتهم لوجدان السلامة معهم . ثم رحل لطنجة فلقني بها الشيخ الصوفي أبا مروان عبد الملك . قال : لازمته كثيراً

١ غربية : سقطت من ق ص ونيل الابتهاج .

وقرأت عليه وسمعت منه . وأنشدني من شعره وشعر غيره . وترددت بيني وبينه مسائل في إقامته بسلاً . وانتفعت به عظيمًا في التصوف وغيره . وأجازني إجازة عامة . مولده برُنْدَة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمئة . وتوفي بعد العصر يوم الجمعة ثالث رجب عام اثنين وتسعين وسبعمئة . وحضر جنازته الأمير فمّن بعده . وهَمَّتِ العامة بكسر نعشه تبركاً به . ولم أرَ جنازة أحفل ولا أكثر خلقاً منها . ورثاه الناس بقصائد كثيرة : انتهى كلام السراج .

وقال غيره في حقه : محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عبّاد . النفزي نسباً . الرُنْدِي بلدًا . الشهير بابن عبّاد ، الفقيه الصوفي الزاهد الولي العارف بالله تعالى .

وقال في حقه الشيخ ابن الخطيب القسْمَطِينِي في كتابه « أنس الفقير وعز الحقيّر »^١ : هو الخطيب الشهير . الصالح الكبير . وكان والده من الخطباء . الفصحاء النجباء . ولأبي عبد الله هذا عقل وسكون . وزهد بالصلاح مقرون . وكان يحضر معنا مجلس شيخنا الفقيه أبي عمران [موسى] العبدوسي رحمه الله تعالى . وهو من أكابر أصحاب ابن عاشر . ومن خيار تلامذته . وأخذ عنه . وله كلام عجيب في التصوف . وصنف فيه . كما هو الآن يقرأ على الناس مع كتب التذكير . وله في ذلك قلم انفراد به . وسلم له فيه بسببه . ومن تصانيفه « شرح كتاب الحكم » لابن عطاء الله في سفر . رأيتُه وعلى ظهر نسخة منه مكتوب :

لا يبلغُ المرءُ في أوطانه شرفاً حتى يكيلَ ترابَ الأرضِ بالقدمِ .

ومن كلامه فيه : الاستئناس بالناس . من علامات الإفلاس . وفتح باب الأُنس بالله تعالى الاستيحاش من الناس . ومن كلامه فيه : من لازم الكون وبقي معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له طريق الغيوب الملَكوتية . ولا خلص بسره إلى

١ انظر هذا المصدر ص : ٧٩ .

فضاء مشاهدة الوجدانية ، فهو مسجون بمحيطاته ، ومحصور في هيكل ذاته . إلى غير ذلك من كلامه . وكان يحضر السماع ليلة المولد عند السلطان ، وهو لا يريد ذلك ، وما رأيت قط في غير مجلس جالساً مع أحد وإنما حظ من يراه الوقوف معه خاصة ، وكنت إذا طلبته بالدعاء احمر وجهه واستحيا كثيراً ، ثم يدعو لي ، وأكثر تمتعه من الدنيا بالطيب والبخور الكثير ، ويتولى أمر خدمته بنفسه ، ولم يتزوج ولم يملك أمة ، ولباسه في داره مرقعة ، فإذا خرج سترها بثوب أخضر أو أبيض ، وله تلامذة كلهم أنحياز مباركون . وبلغني عن بعضهم أنه تصدق حين تاب على يده بعشرة آلاف دينار ذهباً ، وهو الآن إمام جامع القرويين بفاس وخطيبه ، وأكثر قراءته في صلاة الجمعة ﷻ إذا جاء نصر الله ﷻ وأكثر خطبته وعظ . ومثله من يعظ الناس ، لأنه اتعظ في نفسه ، وقد أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام : يا عيسى ، عِظْ نَفْسَكَ فَإِنْ اتَعَطْتَ فَعِظِ النَّاسَ ، وَإِلَّا فَاسْتَحْيِ مَنِي ، ذكره الغزالي ؛ وعهدي به أنه على صفة البدلاء ، الصادقين النبلاء . كثر الله مثله في الإسلام ؛ انتهى .

قلت : وقد زرت قبره مراراً بفاس ، ودعوت الله تعالى عنده ، وهو عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند أهل مصر ، ومن من الله سبحانه عليّ أني سكنت محله لما توليت الخطابة والإمامة بجامع القرويين من فاس المحروسة مُضافين إلى الفتوى ، والدار المعلومة للخطيب بالجامع المذكور إلى الآن تُعرف بدار الشيخ ابن عباد ، وأقيمت على ذلك خمس سنين وأشهرًا ، ثم قوّضت الرحال للمشرق ، وها أنا إلى الآن فيها ، والله ييسر الخير حيث كان .

وقال الشيخ سيدي أحمد زروق في شأن الشيخ ابن عباد : إنه ولد برُندة ، وبها نشأ في عفاف وصون ، ثم رحل لفاس وتلمسان فقرأ بهما الفقه والأصول والعربية ، ثم عاد فصحب بمدينة سلا أفضل أهل زمانه علماً وعملاً سيدي أحمد

ابن عاشر ، نفعنا الله به ، فأظهر الله تعالى عليه من بركاته ما لا يخفى على متأمل ، ثم نُقل بعد وفاة الشيخ فجُعل خطيباً بجامع القرويين من مدينة فاس ، وبقي بها خمس عشرة سنة خطيباً ، فتوفاه الله تعالى بها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة رابع رجب سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، ودفن بكدية البراطل من داخل باب الفتوح . وكان رضي الله عنه ذا صمت وسمت ، وتجمل وزهد ، معظماً عند الكافة ، مُعَوِّلاً في حل المشكلات على فتح الفتاح العليم :

ومن عِلْمِهِ أَنْ لَيْسَ يُدْعَى بِعَالِمٍ وَمَنْ فَقَرَهُ أَنْ لَا يُرَى يَشْتَكِي الْفَقْرَ
وَمَنْ حَالَهُ أَنْ غَابَ شَاهِدُ حَالِهِ فَلَا يَدْعَى وَصَلَاً وَلَا يَشْتَكِي هَجْرًا

كذا رأيت بخط مَنْ أَثْبَتَ به في تعريفه مختصراً مع زيادة ما تحققت ، وكتبته شاهدة بكماله علماً وعملاً . فهي كافية في تعريفه ، وكان الذي طلبه في وضع الشرح على الحكم سيدي أبو زكريا السراج الذي أكثر رسائله له وسيدي أبو الربيع سليمان بن عمر ؛ انتهى .

وقال في موضع آخر : سيدنا العارف المحقق الخطيب البليغ نسيحٌ وحَدِّه ، ومقدم من أئمة من بعده ، أبو عبد الله ، قرأ بفاس وتلمسان العربية والأصول والفقه ككتاب الإرشاد ومختصر ابن الحاجب الفقهية والأصلي وتسهيل ابن مالك ، وتوفي بفاس ، وقبره بها مشهور ، ومزيتته معروفة شرقاً وغرباً ، وقد كتب مسائل معروفة أكثرها لسيدي يحيى السراج ، وله كتب الشرح مع سيدي سليمان بن عمر الذي قال في حقه : إنه ولي بلا شك ، بطلبهما لذلك ، ورأيت كتاباً في الإمامة سَمَّاهُ «تحقيق العلامة في أحكام الإمامة» فذكرته لشيخنا القوري رحمه الله تعالى ، وكان معتنياً بكتبه معوِّلاً عليها في حاله ، فقال : أظنه لوالده سيدي إبراهيم ، وقد كان خطيباً بالقصبة إذ كانت عامرة ، وله خطب عظيمة الفصاحة ، حسنة الموقع ؛ انتهى .

وقال الشيخ أبو يحيى ابن السكاك : أما شيخي وبركتي أبو عبد الله ابن عباد

رضي الله عنه فإنه شرح الحكم وعقد درر منشورها في نظم بديع ، وجمعت من إنشائه مسائل مدارها على الإرشاد إلى البراءة من الحول والقوة ، فيها نبذ كأنفاس الأكابر ، مع حسن التصرف في طريق الشاذلي ، وجودة تنزيله على الصور الجزئية : وبسط التعبير ، مع إنهاء البيان إلى أقصى غاياته ، والتفنن في تقريب النص إلى الأذهان بالأمثلة الوضعية ، فقرب بها حقائق الشاذلية تقريباً لم يسبق إليه ، كما قرب الإمام ابن رشد مذهب مالك تقريباً لم يسبق إليه ، وكان مع ذلك آية في التحقق بالعبودية والبراءة من الحول والقوة وعدم المبالاة بالمدح والذم ، بل له مقاصد نفيسة في الإعراض عن الخلق ، وعدم المبالاة بهم ، وأعظم أخلاقه التي لا يصبر عنها ويضطرب لها غاية الاضطراب أن يحضر حيث ينسى الحق ، لا سيما إن كان نسيان الحق بالنسبة إليه ، فهو الذي يُقْلِقُه ، ويضيق صدره على اتساعه ووفور انشراحه عن ذلك ، ولقد ذكر بعض من كان من أخص الناس به ومنقطعاً إليه أحوال رجال الرسالة القشيرية والحليّة وما منحوا من المواهب ، قال : فلما مات الشيخ واستبصرت ما أشاهده منه من أفعال تدل على القطع بصديقيته لاح لي أن تلك الصفات التي يذكر مشخصة فيه ، نشاهدها عياناً ، ولو لم أر الشيخ لقلت : إنني لم أر كمالاً ، وعلى الجملة فهو واحد عصره بالمغرب . ذكر لي عن قطب المعقول بالمغرب والمشرق الآبلي أنه كان يشير إليه في حال قراءته عليه ، أعني الشيخ ابن عباد ، ويقول : إن هناك علماً جماً لا يوجد عند مشاهير أهل ذلك الوقت ، إلا أنه كان لا يتكلم رضي الله عنه ، وشهد له المقطوع بولايتهم بالتقدم ، وأقروا له بالشيخوخة ، وتبركوا به . كسيدي سليمان اليازغي^١ وسيدي محمد المصمودي وسيدي سليمان بن يوسف ابن عمر الأنفاسي^٢ وأمثالهم ، وكان شيخه الحجة الورع أحمد بن عاشر يُشيدُ بذكره ، ويقدمه على سائر أصحابه ، ويأمرهم بالأخذ عنه ، والانتفاع به ،

١ ق : البازغي ، وهو خطأ . ٢ انظر سلوة الأنفاس ٣ : ١٥٦ .

والتسليم له ، ويقول : ابن عباد أمة وحده ، ولا شك أنه كذلك كان ، أعني غريباً فإن العارف غريب الهمّة بعيد القصد ، لا يجد مساعداً على قصده . وكان الغالب عليه الحياء من الله تعالى . والتتزل بين يدي عظمته ، وتنزله نفسه منزلة أقل الحشرات ، لا يرى لنفسه مزية على مخلوق ، لما غلب عليه من هبة الجلال وعظمة المالك وشهود المنّة ، نظّاراً إلى جميع عباد الله تعالى بعين الرحمة والشفقة والنصيحة العامة ، مع توفية المراتب حقّها ، والوقوف مع الحدود الشرعية ، واعتبارهم من حيث مُراد الله تعالى بهم ، هذا دأبه مع الطائع والعاصي ما لم يظهر له من أحد مَخاييلُ حب التعظيم والمدح والتجبر على المساكين ورؤية الحق إذ هي دعوى لا تليق بالعبد . ومن كانت هذه صفته فقد وصل حد الخلدان ، بل هي علامة تقارب القطع على أنه شقي مُسلّم إلى غضب الله تعالى ومقته . أعاذنا الله تعالى منه . وكان من حال هذا السيد تألف قلوب الأولاد الصغار ، فهم يحبونه محبة تفوق محبتهم لآبائهم وأمهاتهم ، فينتظرون خروجه للصلاة وهم عدد كثير . يأتون من كل أوب ومن المكاتب البعيدة ، فإذا رأوه ازدحموا على تقبيل يده . وكذا كان ملوك زمانه يزدحمون عليه . ويتذللون بين يديه . فلا يحفيل بذلك . وذكر لي بعض تلامذته أن أقواله تشبه^١ أفعاله ، لما منحه الله تعالى من فنون الاستقامة ، مع ما في كلامه من النور والحلاوة التي استفزت ألباب المشاركة . بحيث صار لهم بحث عريض^٢ على تواليفه . انتهى كلام ابن السكاك . وله من التواليف : الرسائل الكبرى . والصغرى^٣ . وشرح الحكم . ونظمها في ثمانمائة بيت من الرجز .

وسحدث الشيخ أبو مسعود الهراس قال : كنت أقرأ في صحن جامع القرويين

١ ق ص : لا تشبه .

٢ ق : تحريض .

٣ طبع هذان الكتابان أولهما بفاس سنة ١٣٢٠ والثاني بيروت سنة ١٩٥٨ .

والمؤذنون يؤذنون بالليل ، فإذا أبو عبد الله ابن عباد قد خرج من باب داره ، وجاء يطير في الصحن كأنه جالس متربع حتى دخل في البلاط الذي حول الصومعة ، ثم مشيت فوجدته يصلي حول المحراب ، وسأله السراج عن أبي حامد الغزالي ، فقال : هو فوق الفقهاء وأقل من الصوفية . ومما نقل من خطه رحمه الله تعالى ولا يدرى هل هي له أم لا :

الحزم قبل العزم فاحزم واعزم وإذا استبان لك الصواب فصم واستعمل الرفق الذي هو مكسب ذكر القلوب وجد وأجمل واحلم واحرس وسر واشجع وصل وأمن وصل واعدل وأنصف وارع واحفظ وارحم وإذا وعدت فعد بما تقوى على إنجازه وإذا اصطنعت فتمم

وذكر الشيخ الفقيه الخطيب القاضي الحاج الرحيل أبو سعيد ابن أبي سعيد السلوي أنه رأى في حائط جامع القرويين أبياتاً مكتوبة بفحم بخط الشيخ أبي عبد الله ابن عباد وهي^١ :

أيتها النفس إليه اذهبي فجه المشهور من مذهبي
مفضض الثغر له نقطة من عنبر في خده المذهب
أيأسني التوبة من حبه طلوعه شمساً من المغرب

قال الشيخ أبو سعيد : فاستشكلت هذه الأبيات لما اشتملت عليه من التغزل ، وذكر الخال والحد والثغر ، ومقام الشيخ ابن عباد يحل عن الاشتغال بمثل هذا ، فلقيت يوماً أبا القاسم الصيرفي ، فذاكرته بالقصة ووجه الإشكال فيها ، فقال لي : مقامك عندي أعلى من أن تستشكل مثل هذا ، هذه أوصاف ولي الله القائم بأمر الله المهدي ، فشكرته على ذلك : انتهى .

١ قد مرت هذه الأبيات ج ٤ ص : ١٤ منسوبة خطأ لابن خروف وهي لابن طلحة الصقلي ، وانظر ما يجيء ص : ٤٨٢ .

قلت : رأيت بخط الونشريسي إثر هذه الحكاية ما نصه : قلت في صحة هذه الحكاية عن الشيخ نظر ، لما احتوت عليه من تعبير الحسن ، وقدر الشيخ وورعه أعلى من هذا ، فهذان إشكالان ، والله أعلم .
وحكى^١ أن الشيخ ابن عباد رحمه الله تعالى لما احتضر جعل رأسه في حجر أبي القاسم هذا ، وأخذ في قراءة آية الكرسي إلى قوله ﴿الحي القيوم﴾ ثم يقول : يا الله يا حي يا قيوم ، فيلقنه من حضر ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ فيمتنع الشيخ من قراءتها ويقول : يا الله يا حي يا قيوم ، فلما قرب وفاته سُمع منه هذا البيت وكان آخر ما تكلم به :

ما عودوني أحبابي مقاطعة بل عودوني إذا قاطعتهم وصلوا

ولما توفي الشيخ ابن عباد رضي الله عنه في التاريخ المتقدم حضر جنازته السلطان أمير المسلمين أبو العباس أحمد ابن السلطان أبي سالم وأهل البلدتين - يعني فاساً الجديد التي هي مسكن السلطان وخواص أتباعه ، وفاساً العتيق التي هي محل الأعلام والخاص والعام من الناس في ذلك القطر ، إذ هي إذ ذاك حضرة الخلافة وقبة الإسلام في المغرب - وتقدم بعده للإمامة والخطبة بجامع القرويين نائبه أيام مرضه الشيخ الصالح الورع أبو زيد عبد الرحمن الزرهوني حسبما قاله الجاحدي رحمه الله تعالى .

وحكى الونشريسي رحمه الله تعالى أن الشيخ ابن عباد كلّم ابن دريدة الوالي في مَظَلَمَة ، فلم يقبل ، فلما كان يوم الجمعة ونزل السلطان أبو العباس للصلاة بجامع القرويين وراء الشيخ ابن عباد ، قال الشيخ في خطبته : من الأمور المستحسنة ، أن لا يبقى الوالي سنة ؛ انتهى .
والشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب مشهورة بأيدي الناس ، ويقرؤون

منها ما يتعلق بالمولد النبوي الشريف بين يدي السلطان تبركاً بها ، وكذا يقرؤونها في المجتمعات في المواسم ، كأول رجب وشعبان ونصفهما والسابع والعشرين منهما ، كرمضان ، وقد حضرت بمراكش المحروسة سنة عشر وألف قراءة كراسة الشيخ في المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بين يدي مولانا السلطان المرحوم أحمد المنصور بالله الشريف الحسني رحمه الله تعالى ، وقد احتفل لذلك المولد بأمور يستغرب وقوعها ، جازاه الله تعالى عن نيته خيراً ، وقد أشرت إلى ذلك في كتابي الموسوم بـ « روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس » وسردت جملة من القصائد والموشحات في وصف ذلك الصنيع ^١ ، ورحمة الله وراء الجميع .

رجع إلى مشايخ لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى فنقول :

٤ - ومنهم : الشيخ الفقيه القاضي بمكناسة الزيتون أبو محمد عبد الحق بن سعيد بن محمد ^٢ ، ذكره في « نفاضة الجراب » وقال : إنه لقيه بمكناسة الزيتون سنة إحدى وستين وسبعمائة . وكان من أهل المعرفة والخصافة ^٣ ، قائماً على كتاب أبي عمرو ابن الحاجب في مذهب مالك . وكان ممتازاً به فيما دون تلمسان ، قرأه على الشيخين عكّمي الأفق المغربي أبي موسى وأبي زيد ابني الإمام عالمي تلمسان والمغرب جميعاً ، قال لسان الدين في « النفاضة » : وتصدر المذكور لإقراءه الآن ، فما شئت من اضطلاع . ومعرفة واطلاع ، وقيد جزءاً نبيلاً على فتوى الإمام القاضي أبي بكر ابن العربي المسماة بالحكاكة ، وسماه

١ نقص هذا المصدر من أوله ، ولكن ما تبقى من ص ٥ - ١٤ يدل على ما يشير المؤلف إليه .
٢ ترجمة عبد الحق بن سعيد في نيل الابتهاج : ١٦٤ . نقلاً عن الروض المتون عن نفاضة الجراب ، وقال كان حياً سنة ٧٦١ هـ .
٣ نيل الابتهاج : والفصاحة .

بـ « الخادمة^١ على الرسالة الحاكمة » أجاد فيه وأحسن ، وقرأت عليه بعضه وأذن في تحمله ؛ انتهى .

٥ - ومن أشياخ لسان الدين الذين لقيهم بمكناسة الزيتون الفقيه الفاضل الخير يونس بن عطية الوئشريسي ، له عناية بفروع الفقه ، وولي القضاء بقصر كتامة .

٦ - ومنهم الفقيه الفاضل الخير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي عفيف^٢ ، المتصدر لقراءة كتاب الشفاء النبوي ، لديه جملة حسنة من أصول الفقه أشف بها على كثير من نظرائه قراءة منه إياها على أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل الضباغ ، وشاركه في قراءتها على الإمام أبي عبد الله الآبلي . . .

٧ - ومنهم الفقيه المدرك الأستاذ في فن العربية : أبو علي عمر بن عثمان الوئشريسي^٣ ، قال لسان الدين : حضرت مذاكرته في مسألة أعوزت^٤ عليه ، وطال عنها سؤاله ، وهي قول الشاعر :

الناس أكيسٌ من أن يمدحوا رجلاً ما لم يروا عنده آثارَ إحسانٍ

وصورة السؤال : كيف [صح] وقوع أفعل بين شيئين لا اشتراك بينهما في الوصف ؛ إذ أوقع الشاعر « أكيس » بين الناس وبين أن يمدحوا ، وهو مؤول بالمصدر وهو المدح ، ولا يوصف بذلك ؛ انتهى .
قلت : الإشكال مشهور ، والجواب عنه بضرب من المجاز ظاهر ، وقد

١ نيل الابتهاج : الخارجة ، وفي التجارية : الجازمة .

٢ ترجمة ابن أبي عفيف في نيل الابتهاج : ٢٤٨ نقلا عن نفاضة الجراب .

٣ ترجمة عمر الوئشريسي في نيل الابتهاج : ١٧٨ نقلا عن نفاضة الجراب وتوفي بفاس سنة ٨١٠ (عن الروض الممتون لابن غازي) .

٤ ق : رسالة أغورت .

أشار إليه أبو حيان في « الارتشاف » وجماعة آخرون في قول بعض المؤلفين كصاحب التلخيص « أكثر من أن تُحصَى » ولولا السأمة لذكرت ما قيل في ذلك ، وخلاصة ما قالوه أن في الكلام تقديرآ ، والله أعلم .

٨ - وممن لقيه لسان الدين بمكناسة الزيتون الفقيه العدل الأخباري الأديب المشارك أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي الخباز ، من أهل الظرف والانطباع والفضيلة ، وهو كاتب عاقد للشروط ، ناظم ناثر مشارك في فنون من العلم ، مؤلف ، وقد ذكرنا في غير هذا المحل ما دار بينه وبين لسان الدين من المحاوراة والمراجعة ، فليراجع ، قال لسان الدين رحمه الله تعالى : ناولني المذكور تأليفه الحسن الذي سمّاه « المنهل المورود في شرح المقصد المحمود » شرح فيه وثائق الجزيري فأربنى بياناً وإفادة وإجادة ، وأذن لي في حمله عنه ، وهو في ثلاث مجلدات ، وأنشدني كثيراً من شعره .

٩ - ومنهم القاضي بها أبو عبد الله ابن أبي رمانة^١ ، قال لسان الدين : لقيته بمكناسة ، وكان من أهل الحياء والحشمة ، وذوي السداجة والعفة ، ثم ذكر ما داعبته به حين تأخر عن لقائه ، وقد ذكرنا ذلك في غير هذا الموضع .

١٠ - وممن لقيه لسان الدين بمكناسة الفقيه العدل أبو علي الحسن بن عثمان ابن عطية^٢ الونشريسي ، قال : وكان فقيهاً عدلاً من أهل الحساب ، والقيام على الفرائض ، والعناية بفروع الفقه ، ومن ذوي السداجة والفضل ، ويقرض الشعر ، وله أرجوزة في الفرائض مبسطة العبارة مستوفية المعنى ؛ انتهى .

وقال ابن الأحمر في حقه : هو شيخنا الفقيه المفتي المدرس القاضي الفرضي الأديب ، الحاج أبو علي ابن الفقيه الصالح أبي سعيد عثمان التجاني المنعوت

١ هو محمد بن علي بن أبي رمانة المكناسي قاضي مكناس (الديباج : ٢٤٩) وانظر ص : ١٤٣ .
٢ نيل الابتهاج : ٨٩ نقلا عن نفاضة الجراب وعن ابن الأحمر ؛ والمقري ينقل عن التنبكي .

بالونشريسي ، أجازني عامة ، أخذ عن الفقيه المفتي الأديب الخطيب المعمر القاضي المحدث الراوية خاتمة المحدثين بالمغرب أبي البركات ابن الحاج البلفيقي ؛ انتهى .

ومولده في حدود أربع وعشرين وسبعمائة .

وذكر صاحب « المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي إفريقية والأندلس والمغرب » جملةً من فتاويه وقال في وثائقه ، وقد أجرى ذكره ، ما صورته : إن بلدنا الشيخ القاضي العلامة أبا علي الحسن وقعت له قضية مع عدول مكناسة ، وذلك أن السلطان أبا عنان فارساً كان أمر بالاعتصار على عشرة من اليهود بمدينة مكناسة وكتب اسم الشيخ أبي علي هذا في العشرة . فشق ذلك على بعض شيوخ العدول المؤخرين لحدائثة سن أبي علي ، فلما علم تشغييهم صنع رجزاً ورفعاه إلى مقام المتوكل على الله أبي عنان نصه :

نبدأ أولاً بحمد الله	ونستعينه على الدواهي
ثم نوالي بالصلاة والسلام	على نبي دونه كل الأنام
وبعد ذا نسأل رب العالمين	أن يهب النصر أمير المؤمنين
خليفة الله أبا عنان	لا زال في خير وفي أمان
ملكه الله من البلاد	من سوس الأقصى إلى بغداد
ويسر الحجاز والجهاد	وجعل الكل له مهادا
يا أيها الخليفة المظفر	دونك أمري إنه مفسر
عبدكم نجل عطية الحسن	قد قيل لا يشهد إلا إن أسن
وهو في أمركم المعهود	من جملة العشرة الشهود
نص عليه أمركم تعيينا	وسنه قارب أربعينا ^٢

١ ق ونيل الابتهاج : على النبي .

٢ ف : الأربعينا .

مع الذي يتسبب العبد إليه من طلب العلم وبجته عليه
على الفرائض له أرجوزة^١ أبرز في نظامها لإبريزه^٢
ومجلس له على الرسالة فكيف يرجو حاسد زواله^٣
حاشا أمير المؤمنين ذاكا وعدله^٤ قد بلغ السماكا
وعلمه قد طبق الآفاقا وحلمه قد جاوز العراقا
وجوده^٥ مشتهر في كل حي قصّر عن إدراكه حاتم طي

وحكى بعض الحفاظ أنه لما بلغت الأبيات السلطان أمر بإقراره على ذلك ،
وقد وقفت على رجزه المذكور ، وله شرح عليه لم أره ، والظاهر أنه ممتن
تدبج معه لسان الدين . رحم الله الجميع ؛ وهو معدود في جملة من لقيه .

١١ - ومن مشايخ لسان الدين رحمه الله ذو الكرامات الكثيرة والمقامات
الكبيرة ، سيدي الحاج أبو العباس أحمد بن عاشر الصالح^١ المشهور ، كان لسان
الدين - رحمه الله تعالى - حريصاً على لقائه بسلا أيام كان بها ، وقد لقيه ، ولم
يتمل منه لشدة نفوره من الناس ، خصوصاً أصحاب الرياسة ، ولذا قال لسان
الدين ، لما ذكر أنه لقيه في « نفاضة الجراب » ، ما صورته : يسّر الله لقاءه على
تعذره ؛ انتهى .

وسترجم الولي المذكور في نظم لسان الدين حيث وصفه بقوله :

بولي الله فابدأ وابتدر

وقبره الآن بسلا محط رجاء^٢ الطالبين . وكعبة قصد الراغبين ، تلوح عليه
أنوار العناية ، وتستمد منه أنواء الهداية . وهو على ساحل البحر المحيط بخارج
مدينة سلا المحروسة . وقد زرته ولله الحمد عند توجهي إلى حضرة مراکش

١ ترجمة أحمد بن عاشر في نيل الابتهاج : ٤٨ وأنس العقير : ٧ وكانت وفاته سنة ٧٦٥ .
٢ ق : رحال .

سنة ألف وتسع ، والناس يشدون الرحال إليه من اقطار المغرب . نفعنا الله تعالى به ، وأعاد علينا من بركاته ، بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

رجع إلى مشايخ لسان الدين الوزير ابن الخطيب رحمه الله تعالى .

١٢ - ومنهم الأستاذ المحقق العلامة الكبير النحوي الشهير أبو عبد الله محمد بن علي الفخار البيري ، رحمه الله تعالى^١ .

كان شيخ النحاة بالأندلس غير مدافع . وأخذ عنه خلق كثيرون كالشاطبي أبي إسحاق صاحب شرح الألفية والوزير ابن زمرّك وغيرهما ، وقد جكى عنه مسائل غريبة تلميذه الشاطبي ، وقال لسان الدين في « الإحاطة » في ترجمة مشيخته ما صورته : ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير والمعتمد عليه العربية على الشيخ الأستاذ الخطيب أبي عبد الله ابن الفخار البيري ، الإمام المجمع على إمامته في فن العربية ، المفتوح عليه من الله تعالى فيها حفظاً واطلاعاً واضطلاعاً ونقلًا وتوجيهاً بما لا مطمع فيه لسواه ؛ انتهى .

ولنورد بعض فوائد ابن الفخار فنقول :

ومن فوائد ابن الفخار المذكور التي حكاها عنه الشاطبي قوله : حدثني أن بعض الشيوخ كان إذا أتى بإجازة يشهد فيها سأل الطالب المجاز عن لفظ إجازة ما وزّنه وما تصوّرفه ؟ ثم قال الشاطبي : ولما حدثنا بذلك سأله عنها فأملى علينا ما نصه : وزن إجازة في الأصل إفعالة . وأصلها إجازة فأعلت بنقل حركة الواو إلى الجيم حملاً على الفعل الماضي استثقلاً . فتحركت الواو في الأصل وانفتح ما قبلها في اللفظ . فانقلبت ألفاً ، فصارت إجازة - بألفين - فحذفت الألف الثانية عند سيبويه لأنها زائدة والزائد أولى بالحذف من الأصلي . وحذفت

...

١ ترجمة ابن الفخار في الكتيبة الكامنة : ٧٠ والإحاطة (الورقة ٢٧٠) إلا أن كتبه فيها « أبو بكر » ؛ وبغية الوعاة : ٨٠ وبغية النهاية ٢ : ٢٠٠ وكانت وفاته سنة ٧٢٣ .

الأولى عند الأخفش لأنها لا تدل على معنى وهو المد ، وقول سيويه أولى ، لأنه قد ثبت عوض التاء من المحذوف في نحو « زنادقة » والتاء زائدة ، وتعويض الزائد من الزائد أولى من تعويض الزائد من الأصلي ، للتناسب ، ووزنها في اللفظ عند سيويه إفعلة وعند الأخفش إفالة لأن العين عنده محذوفة ؛ انتهى .

وقال الشاطبي رحمه الله تعالى : لما توفي شيخنا الأستاذ الكبير ، العلم الخطير ، أبو عبد الله ابن الفخار سألت الله عز وجل أن يرنيه في المنام فيوصيني بوصية أنتفع بها في الحالة التي أنا عليها من طلب العلم ، فلما نمت في تلك الليلة رأيت كأني أدخل عليه في داره التي كان يسكن بها ، فقلت له : يا سيدي أوصني ، فقال لي : لا تعرض على أحد ، ثم سألتني بعد ذلك في مسألة من مسائل العربية كالمؤنس لي ، فأجبت عنها ، ولا أذكرها الآن ؛ انتهى .

وقال الشاطبي أيضاً ما صورته : حدثنا الأستاذ الكبير الشهير أبو عبد الله محمد بن الفخار شيخنا — رحمه الله تعالى — قال ^١ : حدثني بسببته بعض المذاكرين أن ابن خميس لما ورد عليها بقصد الإقراء بها اجتمع إليه عيون طلبتها ، فألقوا عليه مسائل من غوامض الاشتغال ، فحاد عن الجواب عنها بأن قال لهم : أنتم عندي كرجل واحد ، يعني أن ما ألقوا عليه من المسائل إنما تلقوها من رجل واحد ، وهو ابن أبي الربيع ، فكأنه إنما يخاطب رجلاً واحداً ازدراء بهم ، فاستقبله أصغر القوم سنّاً وعلماً بأن قال له : إن كنت بالمكان الذي تزعم فأجيني عن هذه المسائل من باب معرفة علامات الإعراب التي أذكرها لك ، فإن أجبت فيها بالصواب لم تحفظ بذلك في نفوسنا لصغرها بالنظر إلى تعاطيك من الإدراك والتحصيل ، وإن أخطأت فيها لم يسعك هذا البلد ، وهي عشر : الأولى أنتم يا زيدون تغزون ، والثانية أنتم يا هندات تغزون ، والثالثة أنتم يا زيدون ويا هندات تغزون ، والرابعة أنتم يا هندات تحشين ، والخامسة

١ قارن بما ورد في أزهار الرياض ٢ : ٢٩٧ - ٣٠١ .

أَنْتِ يَا هَنْدَ تَخْشَيْنَ ، والسادسة أَنْتِ يَا هَنْدَ تَرْمِينَ ، والسابعة أَنْتِ يَا هَنْدَاتِ تَرْمِينَ ، والثامنة أَنْتِ يَا هَنْدَاتِ تَمْحُونُ أو تَمْحِينَ ، كيف تقول ؟ والتاسعة أَنْتِ يَا هَنْدَ تَمْحِينَ أو تَمْحُونُ ، كيف تقول ؟ والعاشرة أَنْتِ تَمْحُونُ أو تَمْحِينَ ، كيف تقول ؟ وهل هذه الأفعال كلها مبنية أو معربة أو بعضها مبني وبعضها معرب ؟ وهل هي كلها على وزن واحد أو على أوزان مختلفة ؟ علينا السؤال وعليك التمييز لنعلم الجواب ، فبُهِتَ الشيخ ، وشغل المحل بأن قال : إِنَّمَا يُسْأَلُ عَنْ هَذَا صِغَارِ الْوِلْدَانِ ، قَالَ لَهُ الْفَتَى : فَأَنْتِ دُونَهُمْ إِنْ لَمْ تَجِبْ ، فَانْزِعِجِ الشَّيْخَ ، وَقَالَ : هَذَا سُوءُ أَدَبٍ ، وَنَهَضَ مَنْصَرَفًا ، وَلَمْ يَصْبِحْ إِلَّا بِمَالَقَةٍ مُتَوَجِّهًا إِلَى غَرْنَاطَةِ حَرَسِهَا اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا مَعَ الْوَزِيرِ ابْنِ الْحَكِيمِ إِلَى أَنْ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ؛ انْتَهَى .

ثم قال الشاطبي : والجواب عن هذه المسائل ما يُذكر : أما الجواب عن « تغزون » الأولى فإنه معرب ، ووزنه أصلاً تَفْعُلُونَ . ولفظاً تَفْعُونَ ، وعن الثانية فمبني للحاق تون الإناث ووزنه تَفْعُلْنَ ، وعن الثالثة على التغليب فعلى رده للأول يلحق بالأول ، وللثاني كالثاني ، وأما « تخشين » من الرابعة فمبني للنون ووزنه تَفْعُلْنَ ، وعن الخامسة فمعرب ، ووزنه أصلاً تَفْعُلِينَ ولفظاً تَفْعِينَ ، وأما « ترمين » من السادسة فمعرب ، ووزنه أصلاً تَفْعِلِينَ ، ولفظاً تَفْعِينَ ، ومن السابعة مبني للنون ، ووزنه تَفْعِلْنَ ، وأما « تمحون وتمحين » من الثامنة فهما لغتان ، وهما مبنيان للنون ، والتاسعة لا يقال إلا « تمحين » بالياء خاصة لتتفق اللغتان ، ووزنها تفعين كتحشين . وأما تمحيان من العاشرة فعلى لغة الياء لا إشكال وعلى الواو فيظهر من كلام النحويين أنه لا يجوز إلا بالواو ؛ انْتَهَى .

وقد أورد هذه الحكاية عالم الدنيا سيدي أبو عبد الله محمد بن مرزوق — رحمه الله تعالى — في شرحه الواسع العجيب المسمى بـ « تمهيد المسالك » إلى شرح ألفية ابن مالك « ونص محل الحاجة منه : وقد حكى أن بعض طلبة سبئَةَ أورد

على أبي عبد الله ابن خميس عشر مسائل من هذا النوع . وهي : أنتم يا زيدون
تَغْزُون، وأنتم يا هندات تَغْزُون ، وأنتم يا زيدون ويا هندات تَغْزُون ، وأنتم
يا هندات تَخْشَيْنَ . وأنتم يا هند تَخْشَيْنَ ، وأنتم يا هند تَرْمِينَ ، وأنتم
يا هندات تَرْمِينَ ، وأنتم يا هندات تَمْحُونَ أو تَمْحِينَ ، كيف تقول؟ وأنتم
يا هند تَمْحُونَ أو تَمْحِينَ . كيف تقول؟ وأنتم تَمْحُونَ أو تَمْحِينَ . على
لغة من قال مَحَوْتُ . كيف تقول؟ وهل هذه الأمثلة كلها مبنية أو معربة
أو مختلفة؟ وهل وزنها واحد أو مختلف؟ قالوا : ولم يُجِبْ بشيء ، قلت :
ولعله استسهل أمرها . فأما المثال الأول فمعرب . ووزنه تَفْعُلُونَ
كَتَنَظُرُونَ ، إذ أصله تَغْزُوُونَ . فاستثقلت ضمة الواو التي هي لام
فحذفت ، ثم حذفت الواو أيضاً لالتقاءها ساكنة مع واو الضمير ، وكانت أولى
بالحذف لأن واو الضمير فاعل . ولغير ذلك مما تقدم بعضه ، وأما الثاني
فمبني ووزنه تَفْعَلْنَ كَتَخْرُجْنَ . وأما الثالث فكالأول إعراباً ووزناً لأن
فيه تغليب المذكر على المؤنث . وأما الرابع فمبني ووزنه تَفْعَلْنَ مثل تَفْرَحْنَ
لأنه لما احتيج إلى تسكين آخر الفعل لإسناده إلى نون جماعة النسوة رُدَّتْ
الياء إلى أصلها لأنها إنما قلبت ألفاً لتحركها . وانفتاح ما قبلها ، والآن ذهبت
حركتها لاستحقاقها السكون ، وأما الخامس فمعرب ووزنه تَفْعَلِينَ كَتَفْرَحِينَ .
وأصله تَخْشَيْنَ ، فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها . ثم حذفت
لالتقاءها ساكنة مع ياء الضمير . وترك فتحة الشين دالة على الألف . وأما السادس
فمعرب ووزنه تَفْعَلِينَ كَتَضْرِبِينَ . وأصله تَرْمِينَ . حذفت كسرة الياء
لاستيفائها ، ثم حذفت الياء لاجتماعها ساكنة مع ياء الضمير . وأما السابع
فمبني ووزنه تَفْعَلْنَ كَتَضْرِبْنَ . وأما الثامن والتاسع فمضارع مَحَى ورد
بالأوزان الثلاثة ، فمن قال يَمْحُو قال في المضارع من جماعة النسوة تَمْحُونَ
مثله من غرا بناء ووزناً . ومن قال يَمْحِي قال فيه تَمْحِينَ كَتَرْمِينَ بناء

ووزناً ، ومن قال يَمْحَى قال فيه تَمْحِينَ كَتَخَشِينَ بناء ووزناً ، ويقال في المضارع للواحدة على اللغة الأولى تَمْحِينَ كَتَدَعِينَ إعراباً ووزناً وتصريفاً . وقد تقدم في كلام المصنف ، وعلى الثانية كما يقال لها من رَمَى إعراباً ووزناً وتصريفاً ، وعلى الثالثة كما يقال لها من تَخَشَى أيضاً ، وقد تقدما ، وليس ما وقع في السؤال كما نقل من خط بعض الشارحين أنه يقال فيها تَمْحُونَ كَتَفَرَحْنَ بشيء ، وأمر التثنية ظاهر : انتهى بحروفه .

وما قاله رحمه الله تعالى في الاعتذار عن ابن خميس هو اللائق بمقامه ، فإن مكان ابن خميس من العلوم غير منكر ، وقد مدحه ابن خطاب بقوله : -

رَقَّتْ حَوَاشِي طَبْعِكَ ابْنَ خَمَيْسٍ فَهَذَا قَرِيبُكَ لِي وَهَاجَ رَسِيصِي
وَلَمَثَلُهُ يَصْبُو الْحَلِيمَ وَيَمْتَرِي مَاءَ الشُّوْنِ بِهِ وَسِيرَ الْعَيْسِ
لَكَ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَالْبَلَاغَةُ بَعْضُ مَا تَحْوِيهِ مِنْ أَثَرٍ ، مَحَلَّ رُئَيْسِ
نَظْمٍ وَنَثَرٍ لَا تُبَارَى فِيهِمَا عَزَزْتَ ذَلِكَ وَذَا بَعْلَمَ الطُّوسِي

يعني أبا حامد الغزالي .

[ترجمة ابن خميس]

وقال لسان الدين ابن الخطيب في « عائد الصلة » في حق أبي عبد الله محمد ابن خميس التلمساني المذكور ما صورته^١ : كان رحمه الله تعالى نسيجاً وَحْدَهُ زهداً وانقباضاً وبأو^٢ وهمة ، حَسَنَ الشَّيْءِ ، جميل الهيئة . سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيداً عن الرياء . عاملاً على السياحة والعزلة . عارفاً بالمعارف القديمة ،

١ ترجمة ابن خميس (محمد بن عمر بن محمد بن عمر الحجري الرعيبي) في أزهار الرياض ٢ : ٣٠١

وبغية الوعاة : ٨٦ .

٢ أزهار الرياض : وأدباً .

مضطرباً بتفاريق النحل ، قائماً على العربية والأصليين ، طبقة الوقت في الشعر ، وفحل الألوان في المطول ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب ، ثم ذكر من أحواله جملة ، إلى أن قال : وبلغ الوزير أبا عبد الله ابن الحكيم أنه يروم السفر ، فشق ذلك عليه ، وكلفه تحريك الحديث بحضورته ، وجرى ذلك ، فقال الشيخ : أنا كالدلم بطبعي أتحرّك في كل ربيع ؛ انتهى .

وقال ابن خاتمة في «مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية» : إنّه نظم في الوزير ابن الحكيم القصائد التي حليت بها لبّات الآفاق ، وتنفس عنها صدور الرفاق ، وكان من فحول الشعراء ، وأعلام البلغاء [يصرف العويس] ويرتكب مُستصعبات القوّافي . ويطير في القريض مطّار ذي القوادم الباسقة والخوافي ، حافظاً لأشعار العرب وأخبارها ، وله مشاركة في العقليات ، واستشراف على الطلب ، وقعد لإقراء العربية بحضرة غرناطة . ومال بأخرة إلى التصوّف والتجوال ، والتحلي بحسن السمت وعدم الاسترسال ، بعد طيِّ بساط ما فرط له في بلده من الأحوال . وكان صنّع اليدين ، حدثني بعض من لقيت من الشيوخ أنّه صنع قدحاً من الشمع على أبدع ما يكون في شكله ولطافة جوهره وإتقان صنعته . وكتب بدائرة شفته :

وما كنتُ إلا زهرةً في حديقةٍ تبسّمُ عنّي ضاحكاتُ الكمامِ
فقلّبتُ من طورٍ لطورٍ فيها أنا أقبلُ أفواهَ الملوك الأعظمِ
وأهداه خدمةً للوزير أبي عبد الله ابن الحكيم .

وأنشدنا شيخنا القاضي أبو البركات ابن الحاج ، وحكى لنا قال : أنشدني أبو عبد الله ابن خميس . وحكى لي قال : لما وقفت على الجزء الذي ألفه ابن سبعين وسمّاه «الفقيرية» كتبتُ على ظهره :

الفقر عندي لفظٌ دقٌّ معناه من رame من ذوي الغايات عنّاهُ
كم من غبي بعيد عن تصوّره أراد كشف مُعمّاه فعمّاهُ

وأنشدنا شيخنا الأستاذ أبو عثمان ابن ليون غير مرة قال : سمعت أبا عبد
الله ابن خميس ينشد ، وكان يُحَسَّبُ أنهما له ، ويقال : لإنهما لابن الرومي :

ربّ قومٍ في منازلهم عُرِّرَ صاروا بها غُرِّرا
ستر الإحسان ما بهم سترى لو زال ما سترا

ثم قال ابنُ خاتمة : وقد جمع شعره ودوّنه صاحبنا القاضي أبو عبد الله محمد
ابن إبراهيم الحضرمي في جزء سماه « الدر النفيس في شعر ابن خميس » وعرف
به صدره ، وقَدِّم ابنُ خميس المرية سنة ست وسبعمائة فتزل بها في كنف
القائد أبي الحسن ابن كماشة من خدام الوزير ابن الحكيم ، فوسّع له في الإيثار
والمبرة ، وبَسَطَ له وَجَهَ الكرامة طلق الأسيرة ، وبها قال في مدح الوزير
المذكور قصيدته التي أولها :

العُشْيُ تعيبا والنوابغُ عن شكرٍ أَنْعُمِكَ السوابغُ^١

ووجهُها إليه [من المرية] وهي طويلة ، ومنها :

ودسائِعُ ابن كماشةٍ مع كل بازغةٍ وبازغٍ
تأتي بما تهوى النغا نغٍ من شهيّاتِ اللغائغِ

ومنها :

ما ذاق طَعْمَ بلاغةٍ من ليس للحوشيّ ماضغٍ

ويقال : إن الوزير اقترح عليه أن ينظم قصيدة هائية ، فابتدأ منها مطلعها ،
وهو قوله :

١ العشي : جمع أعشى وهو لقب لعدة شعراء منهم الأعشى الكبير وأعشى همدان وغيرهما ، وكذلك
النوابغ : جمع نابغة وهو يطلق على عدة شعراء .

لمن المنازل لا يجيبُ صداها مُحَيِّتٌ معالمها وصَمَّ صداها

وذلك آخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبعمائة . ثم لم يزد على ذلك إلى أن توفي رحمه الله تعالى . فكان آخر ما صدر عنه من الشعر وقد أشار معناه إلى منعه ، وأذن أولاه بحضور أخراه . وكانت وفاته بحضرة غرناطة قتيلاً ضحوة يوم الفطر مُسْتَهْلَ شَوَّال سنة ثمان وسبعمائة . وهو ابن نيف وستين سنة . وذلك يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم ، أصابه قاتله بحقده على مخدومه ، وكان آخر ما سمع منه ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ (غافر : ٢٨) واستفاض من حال القاتل أنه هلك قبل أن يكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه ، فكان يصيح ويستغيث : ابن خميس يطلبي . ابن خميس يضربني ، ابن خميس يقتلني ، وما زال الأمر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال ، نعوذ بالله من الورطات ، ومواقعات العثرات : انتهى ملخصاً .

وحكى غيره أن بعضهم كتب بعد قوله « لمن المنازل لا يجيب صداها » ما نصه : لابن الحكيم ، ومن بديع نظم ابن خميس قوله ١ :

تراجعُ من دنياك ما أنت تاركُ وتسألها العُتْبَى وها هي فاركُ
تؤمل بعد التَّركِ رَجْعَ ودادها وشرَّ وداد ما تودُّ الترائكُ
حلالك منها ما حلالك في الصِّبَا فأنتَ على حَلَوائه متهاكُ
تظَاهرُ بالسُّلوانِ عنها تجملاً فقلبك محزونٌ وثغرك ضاحكُ
تترهتُ عنها نخوةٌ لا زهادةٌ وشعرُ عِذارِي أسودُ اللونِ حالِكُ

وهي طويلة طنانة ، وفي آخرها يقول :

فلا تدعون غيري لدفع مُلَمَّةٍ إذا ما دهي من حادثِ الدهرِ داهكُ ٢

١ أزهار الرياض : ٣٠٥ .

٢ داهك : طاحن كاسر .

فما إن^١ لذاك الصوتِ غيريَ سامعٌ
يَغْصُ وَيَسْجِي نَهْشَلٌ وَمَجَاشِعٌ
تفارقني الروحُ التي لستُ غيرَها
وماذا عسى ترجو لدآتي وأرتجي
يعود لنا شرحُ الشبابِ الذي مضى
وممّا اشتهر من نظمه قوله^٤ :

أَرْقَ عيني بارق^٥ من أثال^٦
أثار شوقاً في ضمير^٧ الحشا
حكى فؤادي قلقاً واشتعال^٨
جوانح^٩ تفتح نيرانها
قولوا وشاة^{١٠} الحب ما شتم^{١١}
عذراً للوامي^{١٢} ولا عذراً لي
قم . تطرد^{١٣} الهم بمشمولة^{١٤}
وعاطيها صفراء ذميمة^{١٥}
كالمسك ريحاً . واللمى^{١٦} مطعماً
عقّها في الدن^{١٧} خمّارها
لا تُثقب^{١٨} المصباح^{١٩} لا واسقي

وما إن^١ لبيت المجد بعديَ سامك^٢
بما أورثني حمير^٣ والسكاسك
وطيب^٤ ثنائي لاصق^٥ بي صائك^٦
وقد شمطت مني اللحن^٧ والأفانك^٨
إذا عاد^٩ للدنيا عقيل^{١٠} ومالك^{١١}

كأنه في جُنح^{١٢} ليلى ذبال^{١٣}
وعبرتي في صحن^{١٤} خدي أسال^{١٥}
وجفّنت^{١٦} عيني أرقاً وانهمال^{١٧}
وأدمع^{١٨} تنهل^{١٩} مثل^{٢٠} العزال^{٢١}
ما لذة الحب سوى أن يقال^{٢٢}
فزلة^{٢٣} العالم ما إن تُقال^{٢٤}
تُقَصّر^{٢٥} الليل إذا الليل طال^{٢٦}
تمنعها الذمة^{٢٧} من أن تُنال^{٢٨}
والتبر^{٢٩} لونا . والهوى في اعتدال^{٣٠}
والبكر^{٣١} لا تعرف^{٣٢} غير^{٣٣} الحجال^{٣٤}
على سنا البرق^{٣٥} وضوء^{٣٦} الهلال^{٣٧}

١ سامك : رافع للقواعد ممل للبناء .

٢ صائك : لاصق .

٣ الأفانك : جمع أفنيك وهو مجمع الحيين ؛ وفي ص ق : الأفانك .

٤ قارن بأزهار الرياض ٣٠٦٠ .

٥ أزهار : من صميم ؛ ق : من .

٦ المزالي : الروايا أو القرب .

٧ أزهار : أعذر لوامي .

٨ أثقب المصباح : جعل ضوءه ساطعاً .

فالعيشُ نومٌ ، والردى بقطة^١
خذها على تنعيم مسطارها^٢
في روضةٍ باكرُ وسميها^٣
كأنَّ فأرَ المسكِ مفتوحةً
من كفٍ ساجي الطرفِ الحاظه
من عاذري والكلُّ لي عاذرٌ
من خلبي الوعد كذابه
كأنه الدهرُ ، وأيُّ امرئٍ
أما تراني آخذاً ناقضاً
ولم أكن قطُّ له عائباً
يأبى ثراء المال علمي . وهل
وتأنفُ الأرضُ مقامي بها
لولا بنو زياناً ما لذَّ لي الـ
هم خوفوا الدهرَ وهم خففوا
لقيتُ^٤ من عامرهم سيداً
وكعبةً للجودِ منصوبةً
حذَّها أبا زيانَ من شاعري
يلتقطُ الألفاظَ لقطَ النوى
مجارياً مهيار في قوله

والمرء ما بينهما كالحيال
بين خوابيها وبين الدَّوال
أحملَ دارينَ وأنسى أوال^٥
فيها إذا هبتُ صباً أو شمال
مفوقاتُ أبداً للتضال
من حسنِ الوجهِ قبيحِ الفعال
ليانَ لا يعرفُ غيرَ المطال
يبقى على الدهرِ إذا الدهرُ حال
عليه ما سوَّغني من محال
كمثل ما عابتهُ قبلي رجال
يجتمع الضدان : علمٌ ومال ؟
حتى تهاداني ظهورُ الرحال
عيشُ ولا هانتُ عليَّ الليال
على بني الدنيا خطاهُ الثقال
غمَرَ رداء الحمدِ جمَّ النوال
يسعى إليها الناسُ من كلِّ بال
مستلحِ التزعةِ عذبِ المقال
وينظمُ الآلاءَ نظمَ الآلال
«ما كنت لولا طمعي في الخيال»

وقصيدة مهيار مطلعها^٤ :

١ المسطار : الخمر أول ما نعصر .

٢ أوال : الاسم القديم للبحرين .

٣ أزهار . ألقيت .

٤ انظر ديوان مهيار ج ٣ ص : ١٦٦ .

ما كنت لولا طمعي في الخيال^١ أنشد ليلى بين طول الليال^٢

ومن نظم ابن خميس قوله^١ :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِمِثْلِ عَيْنِي جُودٍ
عن ناصع كالدرّ أو كالبرق أو
تَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ لَمَاهَا نَظْفَةٌ
لو لم يكن خمرًا سُلَافًا رِيْقُهَا
وكذلك ساجي جفنها لو لم يكن
لو عَجَّتْ طَرْفَكَ فِي حَدِيقَةِ خَلْدِهَا
لَرَتَعْتَ مِنْ ذَلِكَ الْحَمَى فِي جَنَّةٍ
طَرَفَتْكَ وَهْنًا وَالنَّجُومُ كَأَنَّمَا
وَالرَّكْبُ بَيْنَ مَضَعْدٍ وَمَصُوبٍ
يِيضُ إِذَا اعْتَكَرَتْ ذَوَائِبُ شَعْرِهَا
سَرَحَتْ غَلَاثِلُهَا فَقَلْتُ سَبِيكَةً
مَنْعَتِكَ مَا مَنْعَتِكَ يَقْظَانًا فَلَمْ
وَكَأَنَّمَا خَافَتْ بُغَاةَ وَشَاتِهَا
وَيَجْزِعُ ذَلِكَ الْمَنْحَى أَدَمَانَةً^١
وَنَحِيَةً جَاءَتْكَ فِي طَيِّ الصَّبَا
جَرَّتْ عَلَى وَادِيكَ فَضْلَ رَدَائِهَا
هَاجَتْ بِلَابِلٍ نَازِحٍ عَنْ لَفْهِ
وَإِذَا نَسِيتَ لِيَالِي الْعَهْدِ الَّتِي

وتبسّمت عن مثل سِمْطِي جَوْهَرٍ
كالطلّح أو كالأقحوان مؤشّر
بل خمرة لكنّها لم تُعْصَر
تُزْرِي وتلعب بالنهى لم تخطر
فيه مُهَنَّدَ لَحْظِهَا لَمْ يُحْذَر
وأمنت سطوة صُدْغِهَا الْمُتَنَمِر
وكرعت من ذاك اللَّحَى فِي كَوْثَر
حَصْبَاءِ دَرٍّ فِي بَسَاطٍ أَخْضَر
والنوم بين مسكّن ومنقّر
سَقَرَتْ فَأَزْرَتْ بِالصَّبَاحِ الْمُسْفَر
من فضة أو دُمِيَّةٍ مِنْ مَرْمَر
تخلف مواعدها ولم تتغير
فأنتك من أردافها في عسكر
تعطو^٢ فتسطو بالهزبر القصور
أذكى وأعطرت من شميم العنبر
فعرفت فيها عَرَفَ ذَلِكَ الْإِذْخِر
مَشْوَقٍ ذَاكِي الْحِشَا مُتَسَعِر
سَلَفْتُ لَنَا فَتَذَكَّرِهَا تَذَكَّرِي

١ قارن بأزهار الرياض ٢ : ٣١٤ .

٢ أدمانة : ظبية ذات لون أسمر ؛ تعطو : تتناول ورق الشجر فترفع جيدها .

رحنا تغتينا ونرشفُ ثغرها والشمسُ تنظرُ مثل عين الأخر
والروضُ بين مفضضٍ ومعسجدٍ والجو بين ممسكٍ ومعصفر

وكان السلطان أمير المؤمنين أبو عنان المريني - رحمه الله تعالى - كثير
العناية بنظم ابن خميس وروايته ، قال رحمه الله تعالى : أنشدنا القاضي خطيب
حضرتنا العلية أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بقصر المصارة يمنة الله قال : أنشدنا
بلفظه شيخ الأدباء وفحل الشعراء ، أبو عبد الله ابن خميس لنفسه^١ :

أُتِبْتُ ولكنْ بعد طولِ عتابٍ	وفرطٍ لجاحٍ ضاع فيه شبابي
وما زلتُ والعلياءُ تُعني غريمها	أعللُ نفسي دائماً بمَتَابٍ
وهيهات من بعد الشبابِ وشَرَخِه	يلدُ طعامي أو يسوغُ شرابي
خُذْتُ بهذا العيش قبلَ بلائه	كما يُخدعُ الصادي بلمعِ سراب
تقولُ هو الشَّهْدُ المشُورُ جهالةً	وما هو إلا السمَّ شيبَ بِصَابٍ
وما صحب الدنيا كبُكرٍ وتغلب	ولا ككليب رِيء فحلُ ضراب
إذا كعتِ الأبطالُ عنها تقدموا	أعاريبَ غراً في متونِ عِراب
وإن ناب خطبُ أو تفاقم مُعْضِلُ	تلقاه منهم كلُّ أصيدِ ناب
تراءتْ لحساس مَخيلةٍ فرصة	تأنت له في جيئةٍ وذهاب
فجاء بها شوهاء ^٢ تنذرُ قومها	بتشييد أرجام ^٣ وهدمِ قباب
وكان رُغَاءُ السَّقْبِ في قومٍ صالح	حديثاً فأنساه رُغَاءُ سراب
فما تسمعُ الآذانُ في عَرَصاتهم	سوى نوحٍ تُكلى أو نعيبِ غراب
وسل عُرْوَةُ الرَّحَالِ عن صدقِ بأسه	وعن بيته في جعفرِ بن كلاب
وكانت على الأملاكِ منه وفادةٌ	إذا آبَ منها آبَ خير مآب

١ أزهار الرياض ٢ : ٣١٦ .

٢ شوهاء : صفة للطمعة .

٣ الأرجام : الحجارة فوق القبور .

يَجِيرُ عَلَى الْحَيْنِ قَيْسٍ وَخَنْدِفٍ
 زَعَامَةُ مَرْجُوِّ النَّوَالِ مُؤَمِّلٍ
 فَمَرَّ يَزْجِيَهَا حَوَاسِرَ ظُلُمًا
 إِلَى فِدَاكَ وَالْمَوْتُ أَغْرَبُ غَايَةٍ
 تَبَرَّضْ صَفْوَةَ الْعَيْشِ حَتَّى اسْتَشْفَى
 فَأَصْبَحَ فِي تِلْكَ الْمَعَاطِفِ نُهْزَةً
 وَمَا سَهَمَهُ عِنْدَ النُّضَالِ بِأَهْزَعٍ
 وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا تَكْرُرُ عَلَى الْفَتَى
 وَعَادَتَهَا أَنْ لَا تَوْسُطَ عِنْدَهَا
 فَلَا تَرْجُ مِنْ دُنْيَاكَ وَدَاً وَإِنْ يَكُنْ
 وَمَا الْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ إِلَّا اجْتِنَابُهَا
 أَبَيْتُ لَهَا، مَا دَامَ شَخْصِي، أَنْ تُرَى
 فَكَمْ عَطَلْتُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاعِبٍ
 وَكَمْ عَقَرْتُ مِنْ حَاسِرٍ وَمُدْجَجٍ
 إِلَيْكُمْ بَنِي الدُّنْيَا نَصِيحَةً مُشْفَقٍ
 طَوِيلَ مِرَاسِ الدَّهْرِ جَذَلَ مِمَّا حَكَ
 تَأْتَتْ لَهُ الْأَهْوَالُ أَدْهَمَ سَابِقاً
 وَلَا تَحْسَبُوا أَنْتِي عَلَى الدَّهْرِ عَاتِبٌ
 وَمَا أَسْفَى إِلَّا شَبَابٌ خَلَعْتَهُ

بِفَضْلِ يَسَارٍ أَوْ بِفَضْلِ خُطَابٍ
 وَعِزْمَةُ مَسْمُوعٍ الدَّعَاءِ مَجَابٍ
 بِمَا حَمَلُوهَا مِنْ مُنَى وَرِغَابٍ
 وَهَذَا الْمَنَى يَأْتِي بِكُلِّ عَجَابٍ
 فَدَاْفَ لَهُ الْبِرَاضُ قَشْبَ حُبَابٍ^١
 لَنْهَبِ ضِبَاعٍ أَوْ لَنْهَسِ ذُثَابٍ
 وَلَا سَيْفَهُ عِنْدَ الصَّرَاحِ^٢ بِنَابِي
 وَإِنْ كَانَ مِنْهَا فِي أَعَزِّ نَصَابٍ
 فَلَمَّا سَمَاءٌ أَوْ تَخُومُ تَرَابٍ
 فَمَا هُوَ إِلَّا مِثْلُ ظِلِّ سَحَابٍ
 فَأَشَقَى الْوَرَى مَنْ تَصْطَفِي وَتَحَابِي
 تَمَرُّ بِيَابِي أَوْ تَطُورُ^٣ جَنَابِي
 وَكَمْ فَرَقْتُ مِنْ أُسْرَةٍ وَصِحَابٍ
 وَكَمْ أَثَكَلْتُ مِنْ مُعْصِرٍ وَكَعَابٍ
 عَلَيْكُمْ بِصِيرٍ بِالْأُمُورِ نَقَابٌ^٤
 عَرِيضُ مَجَالِ الْهَمِّ حِلْسُ رِكَابٍ
 وَغَصَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ أَشْهَبَ كَابِي
 فَأَعْظَمَ مَا بِي مِنْهُ أَيْسَرُ مَا بِي
 وَشَيْبٌ أَبْنَى إِلَّا نَصُولَ خَضَابٍ

- ١ قشب حباب : سم حية ؛ والإشارة إلى قصة عروة الرحال الذي أجاز لطيمة النعمان وقتله البراض الكثناني فجر ذلك إلى حروب الفجار ، وهو شير مشهور في كتب الأبيام والأمثال .
- ٢ أزهار : المصاع .
- ٣ تطور : تقرب .
- ٤ النقاب : الخبير الذي يضع الأمور مواضعها أو لديه قوة حدس .

وعمرٌ مضى لم أحلّ منه بطائل
لياليّ شيطاني على الغيّ قادرٌ
عكسنا قضايانا على حكم عادنا
على المصطفى المختارِ أركى تحية
فتلك عتادي أو ثناءً أصوغه
كدرٌ سحابٍ أو كدرٌ سحابٍ^١
سوى ما خلا من لوعة وتصابي
وأعذبُ ما عندي أليمُ عذاب
وما عكسها عند النّهي بصواب
فتلك التي أعتدُّ يومَ حساب
كدرٌ سحابٍ أو كدرٌ سحابٍ^١

ومن مشهور نظم ابن خميس قوله^٢ :

عجباً لها أيدوقُ طَعْمَ وصالها
وأنا الفقيرُ إلى تَعْلَةٍ ساعة
كم ذادَ عن عيني الكرى متألّقٌ
يسمو لها بدرُ الدجى متضاللاً
وابنُ السبيل ينجيُ يقبسُ نارها
يعتادني في النوم طيفُ خيالها
كم ليلةٌ جادتْ به فكأنّما
أسرى فَعَطَلَهَا وعَطَلْ شُهْبَهَا
وسوادُ طرته كجَنَحِ ظلامها
دَعْنِي أَشِمُّ بالوهم أدنى لمعة
ما رآدَ طرفي في حديقةٍ خدّها
أنسيبَ شعري رقّ مثلَ نسيمها
وانقلْ أحاديثَ الهوى واشرحْ غري
مَنْ ليس يأملُ أن يمرَّ بياها
منها ، وتمنعي زكاةَ جَمالها
يبدو ويخفي في خفيّ مِطالها
كتضاؤلِ الحسناء في أسماها^٣
ليلاً فتمنحهُ عَقِيلَةً مالها
فتصيني الحافظُها بِنِبالها
زُفَّتْ عليّ ذُكاءُ وقتِ زوالها
بأبي شدّا المعطارِ من مِعْطالها
وبياضُ غرته كضوءِ هلالها
من ثغرها وأشمُّ مسكّةَ خالها
إلا لفتنته بحسنِ دلالها
فشمولُ راحكٍ مثلُ رِيحِ شمالها
بَ لغاتها واذكرُ ثقاتِ رجالها

١ السحاب : القلادة .

٢ أزهار الرياض : ٣١٩ .

٣ استعاره من قول أبي تمام .

كسيت سائب لؤمه فتضاءلت كتضاؤل الحسناء في الأطلار

وإذا مررت برامة فتوق من
 وانصب لمغزها حباله قانص
 وأسئل جداولها بفيض دموعها
 أنا من بقية معشر عركتهم
 أكريم بها فئة أزيق نجيعها
 حلت مدامة وصلها وحلت لهم
 بلغت بهيرميس غاية ما نالها
 وعدت على سقراط سورة كأسها
 وسرت إلى فاراب منها نفحة
 ليصوغ من ألحانه في حانها
 وتغلغل في سهرورد فأسهرت
 فخبأ شهاب الدين لبا أشرق
 ما جن مثل جنونه أحد ، ولا
 وبدت على الشوذي منها نشوة
 بطلت حقيقته وحالت حاله
 هذي - صبابتهم ترق صباية
 أطلاتها وتمش في أطلالها
 ودع الكرى شركا لصيد غزالها
 وانضح جوانحها بفضل سجالاتها
 هذي النوى عرك الرمح بثفالها^١
 بغيا فراق العين حسن مآلها
 فإن انتشوا فبحلوها وحلالها
 أحد وناء لها لبعدها منالها
 فهيرق ما في الدن من جريالها
 قدسية جاءت بنخبة آلالها^٢
 ما سوغ القسيس من أرمالها
 عينا يؤرقها طروق خيالها^٣
 وخوى فلم يثبت لنور جلالها
 سمحت يد بيضا بمثل نوالها
 ما لاح منها غير لمعة آلالها
 فيما يعبر عن حقيقة حالها
 فيروق شاربها صفاء زلالها
 وهي طويلة .

قال السلطان أبو عنان رحمه الله تعالى ° : أخبرني شيخنا الإمام العالم العلامة

١ من قول زهير في مملته :

« فتعرككم عرك الرمح بثفالها البيت »

٢ يشير إلى الفارابي الفيلسوف وقدرته في الموسيقى .

٣ فيه إشارة إلى المهروردي المتصوف . ٤ انظر هامش ٤ ص : ٢٦٠ .

٥ أزهار الرياض : ٣٢٢ .

وحيد زمانه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي رحمه الله تعالى ، قال : لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو إسحاق التنسي من تلمسان إلى بلاد المشرق اجتمع هنالك بقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، فكان من قوله له : كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله ابن خميس ؟ وجعل يحليه بأحسن الأوصاف ، ويُطَنب في ذكر فضله ، فبقي الشيخ أبو إسحاق متعجباً ، وقال : من يكون هذا الذي حَلَّيْتُمُوهُ بهذا الحلي ولا أعرفه ببلده ؟ فقال له : هو القائل :

عجباً لها أيدوق طعم وصالها

قال : فقلت له : إن هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التي وصفتم ، إنما هو عندنا شاعر فقط ، فقال له : إنكم لم تنصفوه ، وإنه لحقيق بما وصفناه به .
قال السلطان : وأخبرنا شيخنا الأبلي المذكور أن قاضي القضاة ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة كانت له تعلو موضع جلوسه للمطالعة ، وكان يخرجها من تلك الخزانة ، ويكثر تأملها والنظر فيها ، ولقد عرفت أنه لما وصلت هذه القصيدة إلى قاضي القضاة تقي الدين المذكور لم يقرأها حتى قام لإجلالها ، انتهى .

وكان ابن خميس رحمه الله تعالى — بعد مفارقة بلده تلمسان ، سقى الله أرجاءها أنواء نيسان — كثيراً ما يتشوق لمشاهدها . ويتأوه من تذكره لمعاهدتها ، وينشد القصائد الطنانة في ذلك ، سالكاً من الحنين إليها المسالك ، فمن ذلك قوله ^١ :

تَلِمَسَانُ لو أَنَّ الزمانَ بها يَسْخُو مَنِ النفس لا دارُ السلام ولا الكَرْخُ
وداري بها الأولى التي حيلَ دونها مثارُ الأسي لو أمكنَ الحنقَ اللبِخُ ^٢

.. ..

١ أزهار الرياض : ٣٢٣ ، وهي قصيدة مليئة بالغريب تعمداً ولذا احتاجت ألفاظها إلى شرح ، فاضطررنا إلى الخروج عن خطتنا في الإقلال من الشروح اللفظية .

٢ اللبِخ : الاحتياك والضرب والقتل .

وعهدي بها والعمرُ في عثوانه
 قرارةُ تيام ، ومغنى صباية
 إذ الدهرُ مثنيُ العنانِ مُنْهَنَةٌ
 ليالي لا أصغي إلى عدلِ عاذلِ
 معاهدُ أنسٍ عَطَلَتْ فكأنَّها
 وأربُعُ آلافٍ عفا بعضُ آيها
 فمن يكُ سكراناً من الوجدِ مرةً
 ومن يقتدحُ زنداً لموقدِ جَدْوَةٍ
 أنسى وقوفي لاهياً في عِراضها
 وإلا اختيالي ماشياً في سماطها
 وإلا فعُدوي مثلما ينقرُ الطلّا
 كأنِّي فيها أردشيرُ بنِ بابكِ
 وإخوان صدق من لِدائي كأنَّهم
 وُعاةٌ لما يلقى إليهم من الهدى
 هم القومُ كلُّ القومِ سيَّانٍ في العلا
 مَضَوْا ومضى ذاك الزمانُ وأنْسُهُ

وماءُ شبابي لا أُجِينُ ولا مطخُ^١
 ومعهْدُ أنسٍ لا يلدُ به لَطخُ
 ولا رَدْعُ يثني من عناني ولا ردخُ^٢
 كأنَّ وقوعَ العدلِ في أذني صمخُ^٣
 ظواهرُ ألفاظٍ تعمدها النسخُ
 كما كان يعرو بعضُ ألواحنا اللطخُ
 فلئنِّي منه طولَ دهري للتلخُ^٤
 فزندُ اشتياقي لا عَفَّارٌ ولا مَرخُ
 ولا شاغلٌ إلا التودُّعُ والسيخُ^٥
 رخيّاً كما يمشي بِطُرَّتِهِ الرخُ^٦
 وليدأ، وحَجَلِي مثلما ينهضُ الفرخُ
 ولا مُلْكٌ لي إلا الشيبةُ والشرحُ
 جاذرُ رملٍ لا عجافٌ ولا بُزخُ^٧
 وعن كلِّ فحشاءٍ ومنكرةٍ صلخُ^٨
 شبابهم الفرعانُ والشيخةُ السِّلخُ^٩
 ومرَّ الصِّبَا والمالُ والأهلُ والبذخُ

١ الأجين : المتغير طمسه ؛ المطخ : الذي تكاثرت فيه الدعاميس .

٢ الردخ : الردع .

٣ الصمخ : الضرب في صمخ الأذن .

٤ الملتخ : الذي اشتد سكره .

٥ السيخ : الفراغ .

٦ الرخ : حجر حر الحركة من أحجار الشطرنج .

٧ الأبزخ : المقعنس ، أي الذي برز صدره ودخل ظهره .

٨ الصلخ : جمع أصلخ وهو التام الصمم .

٩ الفرعان : الطويلو الشعر ، والصلخ : الصلع .

كأن لم يكن^١ يوماً لأفلامهم بها
 ولم يك^٢ في أرواحها^٣ من ثنائهم
 ولا في محيا الشمس من هديهم ستاً
 سعيتم بني عمّور في شتّ شملنا
 دُعيت إلى ما يرتجى من صلاحكم
 تعاليت^٤ عجباً فطمّ عليكم
 وأوغلتم في العجب حتى هلكتم
 كفاكم بها سجنًا طويلًا وإن يكن
 فكم فئة منّا ظفرت^٥ بنيلها
 كأنكم من خلفها وأمامها
 فللسوق منها القيد إن هي أغربت
 كأن تحتها من شدة القلق القطا
 وأقرب ما تهذي به الهلك والتوى
 فماذا عسى نرجوه من لمّ شعثها

صرير^٦، ولم يسمع^٧ لأعبيهم جبح^٨
 شميم^٩ ولا في القضب من لينهم ملح^{١٠}
 ولا في جبين البدر من طيبهم ضمخ^{١١}
 فما تجرّكم ربح^{١٢} ولا عيشنا ربح^{١٣}
 فردّكم عنه^{١٤} التعجرف والجمخ^{١٥}
 عباب^{١٦} له في رأس عليائكم جلتخ^{١٧}
 جماح غواة^{١٨} ما ينهتهم قفخ^{١٩}
 هلاك^{٢٠} لكم فيها فهي لكم فخ^{٢١}
 بأبشارها من حجن أظفاركم برخ^{٢٢}
 أسود غياض وهي ما بينكم أرخ^{٢٣}
 وللهم إن لم تعط ما رعت النخ^{٢٤}
 ومن فوقها من شدة الحذر الفتخ^{٢٥}
 وأيسر ما تشكو به الدل^{٢٦} والفتخ^{٢٧}
 وقد حزّ منها الفرع واقتلع الشلخ^{٢٨}

١ الجبح : قمعة الكعاب في الميسر .

٢ ق : أدواها .

٣ الملح : الطراوة والتثني .

٤ الربح : الوقوع في الشدة .

٥ الجمخ : المعجزة .

٦ الجلتخ : اكتساح السيل للوادي ؛ والفتخ : الضرب على الرأس .

٧ البرخ : قطع اللحم ، وشبه أظفارهم بالسيوف .

٨ الأرخ : الفقي من البقر .

٩ النخ : الضرب على الهام .

١٠ الفتخ : جمع فتحاء وهي صفة العقاب .

١١ الفتخ : فتح الرأس أو ضربه بالمصا .

١٢ الشلخ : الأصل والعرق .

وما يطعم الراجون من حفظ آيها
زعانف أنكاد^١ لثام^٢ عناكل^٣
ولما استقلّوا من مهاوي ضلالهم
دعاهم أبو يعقوب^٤ للشرف الذي
فلّم^٥ يستجيبوه فذاقوا وبالهم^٦
وما زلت^٧ أدعو للخروج عليهم^٨
وأبدل^٩ في استنصاحهم جهد طاقتي
تركت^{١٠} لينا سبتة كل^{١١} نّجعة^{١٢}
وآليت^{١٣} أن لا أرتوي غير مائها
وأن لا أخط^{١٤} الدهر إلا بعقرها
فكم نقت^{١٥} من غلة^{١٦} تلکم الأضا
وحسبي^{١٧} منها علها واعتدالها
وأملأها الصید^{١٨} المقولة الألى
كواكب^{١٩} هدّي في سماء رياسة
ثواقب^{٢٠} أنوار^{٢١} تري كل غامض^{٢٢}

وقد عصفت^{٢٣} فيها رياحهم^{٢٤} النبخ^{٢٥}
متى قبضوا كفّاً على إثره طخّوا^{٢٦}
وأومّوا^{٢٧} إلى أعلام^{٢٨} رشدهم^{٢٩} زخّوا^{٣٠}
يذلّ^{٣١} له رضوى ويعنو له دمع^{٣٢}
وما لامرئ^{٣٣} عن أمر خالقه نخ^{٣٤}
وقد يسمع^{٣٥} الصم^{٣٦} الدعاء إذا أضخّوا^{٣٧}
وما لظنابيب^{٣٨} ابن سابعة قفخ^{٣٩}
كما تركت^{٤٠} للعزّ أهضامها^{٤١} نشمخ^{٤٢}
ولو حلّ لي في غيره المنّ والمذخ^{٤٣}
ولو بوأني دار^{٤٤} امرتها بلخ^{٤٥}
وكم أبرأت^{٤٦} من علة^{٤٧} تلکم اللبخ^{٤٨}
وأبحر^{٤٩}ها العظمى وأريافها النفخ^{٥٠}
لعزهم^{٥١} تعنو الطراخمة^{٥٢} البلخ^{٥٣}
تضيء^{٥٤} فما يدجو ضلال^{٥٥} ولا يطخّو^{٥٦}
إذا الناس في طخياء^{٥٧} غيهم^{٥٨} التخّوا^{٥٩}

- ١ النبخ : جمع أنبخ وهو الجاني الغليظ .
٢ العنكل : الصلب ، وفي ق ص : لأم عناكل ؛ وطلع الشيء : ألقاه من يده فأبده .
٣ زخ : اندفع في الوعدة .
٤ دمع : اسم جبل .
٥ النخ : السير العنيف .
٦ الظنبوب : عظم الساق ؛ القفخ : الكسر أو الشدخ .
٧ المذخ : نوع من العسل .
٨ الأضاة : الغدير أو البحيرة ؛ اللبخ : نوع من الشجر ينفع ورقه في التداوي .
٩ الطراخمة : المتكبرون ؛ البلخ : المتعجرفون .
١٠ طخا الضلال : اشتدت ظلمته .
١١ الطخياء : الظلمة الشديدة ؛ النخ : حار واضطرب .

وروضاتُ آدابٍ إذا ما تأرجتْ
بجامرُ ندىٍ في حداثقِ نرجسٍ
وأبجر علمٍ لا حياضُ روايةٍ
بنو العزفيين الألى من صدورهم
إذا ما فتى منهم تصدى لغايةٍ
رياسةُ أخيارٍ وملكُ أفاضلٍ
إذا ما بدا منا جفاءُ تعطفوا
نزورهمُ حذًا نحافًا فنتشي
يربونا بالعلم والحلم والنهى
وما الزهدُ في أملاكِ لحمٍ ولا التقي
ولأففى رب الخورتنى غنيةً
تطلع يوماً والسديرُ أمامه
وعنَّ له من شيعه الحق قائمٌ
فأصبح يجتابُ المسوحَ زهادهً
وفي واحدٍ الدنيا أبى حاتمٍ لنا

تضاءلَ في أفياء أفنانها الرمحُ^١
تمُّ ولا لفع يصيبُ ولا دحُ^٢
فيكبر منها النضجُ أو يعظم النضجُ
وأيديهمُ تملاً القراطيسُ والطرخُ^٣
تأخر من ينحو وأقصر من ينحو
كرامٍ لهم في كلِّ صالحه رَضِخُ^٤
علينا ، وإن حلت بنا شدة رخوا
وأجمالنا دلحٌ وأبداننا دلخُ^٥
فما خرجنا بزٌ ولا حدثنا برحُ^٦
بيدع ، وللدنيا لزوقٌ بمن يرخو
فما يومه سرٌ ولا صيته رَضِخُ^٧
وقد نال منه العُجبُ ما شاء والجفخُ^٨
بحجة صدقٍ لا عابمٌ ولا وشخُ^٩
وقد كان يؤذي بطنَ أخمصه النخُ^{١٠}
دواءً ، ولكن ما لأدوائنا نتخُ^{١١}

- ١ الرمح : الشجر المجتمع .
- ٢ الدح : لفة في الدخان .
- ٣ الطرخ : الأحوال ، والمفرد طرخة .
- ٤ الرضخ : النوال .
- ٥ الأخذ : الضامر ؛ الدلوح : المتناقل لنقل حملة ؛ والدلوح : السمين .
- ٦ البر : الأيتزاز ؛ البرخ : القهر .
- ٧ الرضخ : خبر تسمعه ولا تستيقنه .
- ٨ الجفخ : التنفج والتكبر .
- ٩ العيام : القدم العيي ؛ الوشح : الضميف .
- ١٠ النخ : نوع من البسط .
- ١١ النتخ : الانتزاع .

تَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا تَخَلَّى عَارِفٍ
وَأَعْرَضَ عَنْهَا مُسْتَهِينًا لِقَدْرَهَا
فَكَانَ لَهُ مِنْ قَلْبِهَا الْحُبُّ وَالْهُوَى
وَمَا مُعْرَضٌ عَنْهَا وَهِيَ فِي طَلَابِهِ
وَلَا مَدْرَكٌ مَا شَاءَ مِنْ شَهْوَاتِهَا
وَلَكُنَّا نَعْمَى مَرَارًا عَنْ الْهَلْدَى
وَمَا لَامَرَى عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَزْحَلٌ
أَبَا طَالِبٍ لَمْ تَبْقَ شَيْمَةٌ سَوْدِدٍ
لِسَوْغَتِ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ أَيَادِيًا
وَأَجْرِيَّتِهَا فِيهِمْ عَوَائِدُ سَوْدِدٍ
غَدَّتْهُمْ غَوَادِيهَا فِيهِمْ فِي عُرُوقِهِمْ
وَعَمَّتْهُمْ حَزَنًا وَسَهْلًا فَأَصْبَحُوا
بَنِي الْعَزْفَيْنِ ابْلُغُوا مَا أُرْدْتُمْ
وَلَا تَقْعُدُوا عَمَّنْ أَرَادَ سِجَالَكُمْ
وَخَلُّوا وَرَاءَ كُلِّ طَالِبٍ غَايَةً

يرى أنها في ثوب نخوته لتخ^١
فلم يشنه عنها اجتذاب^٢ ولا مصنخ^٣
وكان لها من كفه الطرح^٤ والطح^٥
كن في يديه من مُعَانَاتِهَا نَبِخُ^٦
كن حظه^٧ منها التمجع^٨ والنجخ^٩
ونصلج^{١٠} حتى ما لآذانا صمخ^{١١}
ولا لقضاء الله نقض^{١٢} ولا فسخ^{١٣}
يساد^{١٤} بها إلا وأنت لها سنخ^{١٥}
لِدِرَّتِهَا فِي كُلِّ سَامِعَةٍ شَخ^{١٦}
فما لهم كسب^{١٧} سواها ولا نخ^{١٨}
دما^{١٩} ، وفي أعماق أعظمهم مخ^{٢٠}
ومرعاهم وزخ^{٢١} ومرعيهم ولخ^{٢٢}
فما دون ما تبغون وحل^{٢٣} ولا زلخ^{٢٤}
فما غربكم جف^{٢٥} ولا غرفكم وضخ^{٢٦}
وتيهوا على من رام شأوكم وانخوا^{٢٧}

- ١ التخط : كالطخ أي البقعة في الثوب .
٢ المصنخ : جذب الشيء وانزاعه .
٣ الطخ : قذف الشيء بعيداً .
٤ النبخ : قروح في اليد .
٥ التمجع : الاكتفاء بقليل من لبن أو تمر ؛ التمجع : الزهد فيها .
٦ نصلج : نصاب بالصمم ؛ والصمخ : صمخ الأذن .
٧ الشخ : صوت الشخب .
٨ الوزخ : نوع من الشجر ؛ والولخ : الطويل من العشب .
٩ الزلخ : المزلق .
١٠ الغرب : الدلو ؛ الجف : الذي تشنن ؛ الغرف : انتشار الماء ؛ وضخ : قليل .
١١ سقط هذا البيت من ق .

ولا تَدْرُوا الجوزاء تَعْلُو عَلَيْكُمْ
لَأَفْوَهِ أَعْدَائِي وَأَعِينِ حُسْدِي
دَعَوْهَا تَهَادَى فِي مَلَأَةٍ حَسَنَهَا
يَمَانِيَّةٌ زَارَتْ يَمَانِينَ فَانْثَنَتْ
فَفِي رَأْسِهَا مِنْ وَطْءِ أَسْلَافِكُمْ شَدَخُ
إِذَا جَلَيْتِ خَائِيَتِي الْغَضُّ وَالْفَضْخُ
فَفِي نَفْسِهَا مِنْ مَدْحِ أَمْلَاقِهَا مَدَخُ^١
وَقَدْ جَدَّ فِيهَا الزَّهْوُ وَاسْتَحْكَمَ الزَّمْخُ^٢

وقد بسط في «الإحاطة» ترجمة ابن خميس المذكور ، ومما أنشد له قوله^٣ :

سَلِّ الرِّيحَ إِنْ لَمْ تَسْعِدِ السَّفْنَ أَنْوَاءُ
وَفِي خَفَقَانِ الْبَرْقِ مِنْهَا إِشَارَةٌ
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
وَلَمَّتِي لِأَصْبُو لِلصَّبَا كُلَّمَا سَرَّتْ
وَأَهْدِي إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ نَجِيَّةً
وَأَسْتَجْلِبُ النَّوْمَ الْغَرَارَ وَمُضْجَعِي
لَعَلَّ خَيَالًا مِنْ لَدُنْهَا يَمُرُّ بِي
وَكَيْفَ خُلُوصُ الطِّيفِ مِنْهَا وَدُونَهَا
وَلَمَّتِي لِمَشْتَاقٍ إِلَيْهَا وَمُنْتَبِيٍّ
وَكَمْ قَائِلٍ تَفْتَنِي غَرَامًا بِحُبِّهَا
لِعَشْرَةِ أَعْوَامٍ عَلَيْهَا تَجَرَّمَتْ
فَعِنْدَ صَبَاها مِنْ تَلِمَسَانٍ أَنْبَاءُ
إِلَيْكَ بِمَا تَنْمِي إِلَيْهَا وَإِيمَاءُ
وَلِلْأَذْنِ إِصْغَاءُ وَلِلْعَيْنِ إِكْلَاءُ^٤
وَلِلنَّجْمِ مَهْمَا كَانَ لِلنَّجْمِ إَصْبَاءُ^٥
وَفِي رَدٍّ إِهْدَاءُ التَّحِيَّةِ إِهْدَاءُ
قِتَادٍ كَمَا شَاءَتْ نَوَاهَا وَسَلَاءُ^٦
فَفِي مَرَّةٍ بِي مِنْ جَوَى الشَّوْقِ إِبْرَاءُ
عَيُونَُهَا فِي كُلِّ طَالَعَةٍ رَأْءُ
يَبْعُضُ اشْتِيَاقِي لَوْ تَمَكَّنَ إِنْبَاءُ
وَقَدْ أَخْلَقْتُ مِنْهَا مَلَاءَ وَأَمْلَاءُ
إِذَا مَا مَضَى قَيْظٌ بِهَا جَاءَ إِهْرَاءُ^٧

١ المُلَخ : العظمة .

٢ الزَمَخ : الكبر وشموخ الأنف .

٣ أَزْهَارُ الرِّيَاض : ٣٣٦ وفيها يذكر ما حل ببلده من تلمسان لدى حصار يعقوب بن عبد الحق لها .

٤ الإِكْلَاء : ترديد البصر .

٥ أَزْهَار : إسمراء .

٦ السَّلَاء : الشوك .

٧ الإِهْرَاء : شدة البرد التي تهرأ الأجسام .

يَطْنُبُ فيها عاثثون وَخُرْبُ
 كَأَنَّ رِمَاحَ النَاهِبِينَ لِلْكُهَا
 فَلَا تَبْغِينَ فيها مَنَاحاً لِرَاكِبٍ
 وَمَنْ عَجِبَ أَنْ طَالَ سُقْمِي وَنَزَعُهَا
 وَكَمْ أَرْجَقُوا غِيظاً بِهَا ثُمَّ أَرْجَأُوا
 يَرُدُّهَا عِيَابُهَا الدَّهْرَ مِثْلَمَا
 فِيا مَنَزَلاً نَالَ الرَّدَى مِنْهُ مَا اشْتَهَى
 وَهَلْ لِلظَّيِّ الحَرْبِ الَّتِي فِيكَ تَلْتَظِي
 وَهَلْ لِي زَمَانٌ أَرْتَجِي فِيهِ عَوْدَةً
 وَمِنْهَا :

أَحْنُ لَهَا مَا أَطَّتِ النَّيْبُ حَوْلَهَا
 فَمَا فَاتَهَا مِنْ نِزَاعٍ عَلَى النُّوَى
 كَذَلِكَ جَدِي * فِي صِحَابِي وَأَسْرَتِي
 وَلَوْلَا جَوَارُ ابْنِ الْحَكِيمِ مُحَمَّدٍ
 حِمَانِي فَلِمَ تَتَبَّ عَلَيَّ نَوَائِبُ
 وَأَكْفَأُ بَيْتِي فِي كِفَالَةِ جَاهِهِ
 يُؤْمِنُونَ قَصْدِي طَاعَةً وَعِجَّةً
 وَمَا عَاقَبَهَا عَنْ مَوْرِدِ الْمَاءِ أَظْمَاءُ
 وَلَا فَانِي مِنْهَا عَلَى الْقَرَبِ إِجْشَاءُ
 وَمَنْ لِي بِهِ فِي أَهْلِ وَدِّي إِنْ فَاؤُوا
 لِمَا فَاتَ نَفْسِي مِنْ بَنِي الدَّهْرِ إِقْمَاءُ
 بِسُوءٍ وَلَمْ تَرْزَأْ - فَوَادِي أَرْزَاءُ
 فَصَارُوا عِبِيداً لِي وَهُمْ لِي أَكْفَاءُ
 فَمَا عَفْتَهُ عَافُوا وَمَا شَتَّتَهُ شَاؤُوا

-
- ١ أزهار : وتناء ؛ وهم المقيمون بالمكان .
 ٢ الأبداء : الانصباء من الجزور عند المتياسرين .
 ٣ الإطناء : الداء .
 ٤ الإجشاء : تحريك النفس بالشوق .
 ٥ ق : وجدني .
 ٦ الإقماء : الإذلال والتحقيق .
 ٧ أكفأ البيت : ستره .

دعاني إلى المجد الذي كنتُ آملاً
وبوأي من هضبة العزّ تلعة
يشيعني منها إذا سرتُ حافظُ
ولا مثل نومي في كفالة غيره
بغيشه ليث أو بمرقب خالب
إذا كان لي من نائب الملك كافلُ
وإخوانُ صدق من صنائع جاهه
سراعٌ لما يرجي من الخير عندهم
إليك أبا عبد الإله صنعتها
مبرأةٌ ممّا يعيب لزومها
أذعتُ بها السرّ الذي كان قبلها
وإن لم يكن كلُّ الذي كنتُ آملاً
ومن يتكلف مفحماً شكر منة
إذا منشدٌ لم يكن عنك ومنشئ

فلم يك لي عن دعوة المجد إبطاء
يناجي السها منها صعودُ وطأء^١
ويكلوني منها إذا نمتُ كلاء^٢
وللذئب إلامٌ وللصلّ إماء
تُبزُّ كُسا فيه وتُقطع أكساء
ففي حيثما هومتُ كين وإدقاء
يبادرني منهم قيامٌ وإيلاء
ومين كل ما يخشى من الشرّ أبراء
لزومية فيها لوجدي إفشاء
إذا عاب إكفاء سواها وإيطاء
عليه لأخناء الجوانح إضناء
وأعوز إكلاء فما عاز إكماء^٣
فما لي إلى ذاك التكلف إبلاء
فلا كان إنشاد ولا كان إنشاء

رجع إلى ترجمة ابن الفخار وفوائده :

قال الشاطبي : حدثنا الأستاذ الكبير أبو عبد الله ابن الفخار قال : جلس بعض الطلبة إلى بعض الشيوخ المقرئين ، فأتى المقرئ بمسألة الزوائد الأربع في أوّل الفعل المضارع ، وقال : يجمعها قولك « نأيت » فقال له ذلك الطالب : لو جمعتها بقولك « أنيت » لكان أملح ، ليكون كل حرف تضعيف ما قبله ، فالهمزة لواحد وهو المتكلم ، والنون لاثنتين وهما : الواحد ومعه غيره ، والواحد

١ الطأء : المنهبط من الأرض .

٢ الكلاء : الحافظ .

٣ الإكماء : كثرة الكماء .

المعظم نفسه ، والياء لأربعة : للواحد الغائب ، وللغائبين ، وللغائبين ،
وللغائبات ، والتاء لثمانية : للمخاطب ، وللمخاطبتين ، وللمخاطبتين ، والمخاطبة ،
والمخاطبتين ، والمخاطبات ، وللغائبة ، وللغائبتين : فاستحسن الشيخ ذلك منه .
وحكى الشاطبي أيضاً أن شيخه ابن الفخار أورد عليهم سؤالاً ، وهو :
كيف يجمع بين مسألة رجل أوقع الصلاة بثوب حرير اختياراً وبين قوله :

جرى الدميان بالخبر اليقين

فلم ينقدح لنا شيء ، فقال : الجواب أن الأول ممنوع عند الفقهاء شرعاً ،
ورد اللام في دم في الثنية ممنوع عند النحاة قياساً ، وكلاهما في حكم المعدوم
حسباً ، وإذا كان كذلك كان الأول بمنزلة مَنْ صلى بادي العورة اختياراً ،
فتلزمه الإعادة ، وكان الثاني بمنزلة ما باشر فيه عين دم علم الثنية ، فتلزمه
الفتحة ، وإن كان أصلها السكون ، قال : وهذه المسألة تشبه مسألة ابن جني في
الخصائص ، قال ^١ : أَلْقَيْتُ يوماً على بعض من كان يعتادني مسألة فقلت له :
كيف تجمع بين قوله :

لَدُنْ بِهِزُ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ

وبين قوله « اختصم زيد وعمرو » ؟ فلم ينقدح له فيها شيء ، وعاد مستفهماً ،
فقال له : اجتماعهما أن الواو اقتصر به على بعض ما وضع له من الصلاحية الملازمة
مطلقاً ، والطريق اقتصر به على بعض ما كان يصلح له ^٢ .

قال الشاطبي : وحدثني أيضاً قال : كان لقاضي القضاة علماً وجزالة أبي
جعفر ولد يقرأ عليّ بمالقة ، وكان ابناً نبيهاً فهماً ونبلاً ، فسأل مني يوماً مسألة

١ الخصائص ٣ : ٣١٩ والبيت لمساعدة بن جؤية الهذلي في وصف الرمح .
٢ الخصائص : فقلت اجتماعهما من حيث وضع كل منهما في غير الموضع الذي بدى له ، وذلك أن
الطريق خاص وضع موضع العام . /

يذكرها لأقرانه ، وكان معجباً بالغرائب ، فجرى على لساني أن قلت له : بيّن^١ على زيدٍ فعلُ أمرٍ وفاعل ، والأصل ابْنَيْنِ^٢ على زيد ، ثم سهل بالنقل والحذف ، على قياس التسهيل ، فصار بيّن^٣ كما ترى ، فأعجب بالمسألة حتى ناظر فيها ليلة أباه ، وكان أنحى نحاة أهل عصره ، فأعجب ممّا يرى من ابنه من النبل والتحصيل ، فبلغت المسألة الشيخ الأستاذ أبا بكر^٤ ابن الفخار رحمه الله تعالى ، فاعتنى بها ، وحاول في استخراج وجه من وجوه الاعتراض على عادة المصلحين من طلبة العلم ، فوجد في « مختصر العين » أن الكلمة من ذوات الواو ، ولم يذكر صاحب المختصر غير ذلك ، ولم يكن رحمه الله تعالى رأى قول أبي الحسن اللحياني في نواته : إنه ممّا يتعاقب على لامة الواو والياء فيقال : بَسَى يَبْسَى بأو وبسأياً ، كما يقال شأى يشأى شأواً وشأياً ، فلم يقدم شيئاً على أن اجتمع بالقاضي المذكور فقال له : ألم تسمع ما قال فلان بيّن^٥ على زيد وإنما هو بيون^٦ على زيد : لأنه من ذوات الواو . ونص على ذلك صاحب المختصر ، وحمله على أن يرسل إلي ويردني عن ذلك الذي قلته في المسألة ، واجتمعت أنا معه ، وحدثني بما جرى له مع الأستاذ ابن الفخار ، فذكرتُ له ما حكاه أبو الحسن اللحياني في نواته ، وما قاله ابن جني في « سر الصناعة » فسُرَّ بذلك ، وأرسل بعد إلى الأستاذ ابن الفخار ، وذكر له نص اللحياني وقول ابن جني وجمع القاضي بيننا ، وعقد في قلوبنا مودة ، فكان الأستاذ ابن الفخار يومئذ يقصدني في منزلي وفي المواسم . ويستشيرني في أموره على سبيل التأنيس ، رحمة الله عليه ، فأواه على فقد الناس أمثاله .

وقال الشاطبي أيضاً : أنشدني الفقيه الأستاذ الكبير أبو عبد الله ابن الفخار رحمه الله تعالى ، وقال : أُلقي في سري بيت لم أسمع قط في السادس عشر من شهر رجب عام ستة وخمسين وسبعمائة :

١ ما هنا كناه أبا بكر فكان له كنيته .

لتكن راجياً كما أنت ترجو ولا رُبى من الذي أنت راجي

قال الشاطبي : وقرر لنا الأستاذ ابن الفخار المذكور يوماً توجيه قول أبي الحسن الأخفش في كسرة الذال من نحو يومئذٍ إنها إعرابية لا بنائية ، إذ لم يذكر أحد وجه هذا المذهب قبل ، قال ابن جني : إن الفارسي اعتذر له بما يكاد يكون عذراً ، فلمّا تم التوجيه قلت له وأنا حينئذ صغير السن : هب أن الأمر على ما قاله الأخفش من أن الكسرة إعرابية ، فما يصنع ببناء الزمان المضاف إلى « إذ » في أحد الوجهين والإضافة إلى المفرد المعرب تقتضي الإعراب دون البناء ؟ فتعجب من صدور هذا السؤال مني لصغر سني ، وأجاب عنه بأنه قد يذهب السبب ويبقى حكمه ، كما قاله ابن جني في اسم الإشارة في ترجمة سيبويه « هذا عِلْمٌ ما الكلم من العربية » على أن يكون سيبويه وضعه غير مشير به وتركه مبنياً ، وأزال سبب البناء ، ونظّر ذلك بباب التسوية على ما هو مقرر في موضعه ، قال : ونظير ذلك ما قرر من إضافة حيث إلى المفرد مع بقاء البناء فيما ذكره الزمخشري ، وذلك قوله :

أما ترى حيثُ سهيلٌ طالما

وقوله أنشدنا ابن الأعرابي لبعض المحدثين :

ونحن سَعَيْنَا بالبلدِ لمعلٍ وقد كان منكم حيثُ ليّ العمائم

وقد كان حقها أن تعرب لزوال سبب البناء ، وهو الإضافة إلى جملة ، وحصول سبب الإعراب وهو الإضافة إلى المفرد ، ولكنه لم يعتبر النادر ، وأبقى الحكم الشائع .

وقال الشاطبي أيضاً : كان شيخنا ابن الفخار يأمرنا بالوقف على قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ قَالُوا الْآنَ ﴾ وابتدىء ﴿ جئت بالحق ﴾ وكان يفسر لنا معنى ذلك قولهم الآن أي فهمنا وحصل البيان ، ثم قيل : جئت بالحق ، يعني في كل

مرة ، وعلى كل حال ، وكان - رحمه الله تعالى - يرى هذا الوجه أولى من تفسير ابن عصفور له من أنه على حذف الصفة ، أي : بالحق البين ، وكان يحافظ عليه .

وقال الشاطبي : أنشدني صاحبنا الفقيه الأجل^١ الأديب البارع أبو محمد ابن حنبل^١ لنفسه أبياتاً ، أنشدنيها يوم عيد على قبر سيدنا الإمام الأستاذ الكبير الشهير أبي عبد الله ابن الفخار يرثيه بها :

أيا جَدّاً قد أحرز الشرف المحضاً	بأن صار مثوى السيد العالم الأرضي
عجبت لما أحرزته من معارف	وشئى معال لم تزل تعمُر الأرضا
طُويت عليه وهو عينُ زمانه	فيا جفنَ عينِ الدهرِ كم تؤثر الغمضا
فحيالك من صَوَّب الحيا كل ديمة	تُدِيمُ له في الجنة الرفع والخفضا
فها نحن في عيدِ الأسى حول قبره	وقوفاً لنقضي من عيادته الفرضا
كئيل الذي كنا وقوفاً ببابه	بُعِيدَ الأمانى زائرِين له أيضا
ومنا سلامٌ لا يزالُ يخصُّه	يذكره من بعض أشواقنا البعض

[ترجمة ابن حنبل]

قلت : وابن حنبل المذكور له باع مديد في العلم والأدب ، وهو أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن حنبل ، ومن نظمته قوله :

أبَتِ المعارفُ أن تُنالَ بِراحَةٍ إلا بِراحَةٍ ساعدِ الجِدِّ
فإذا ظفرتَ بها فليست بِمدركٍ أربأَ بِغيرِ مُساعدِ الجِدِّ

وقوله رحمه الله :

١ انظر ترجمة ابن حنبل في مستودع العلامة : ٧٤ ، وكان ابن حنبل كاتب علامة السلطان عبد الرحمن المريفي فقيهاً عارفاً بالتوازل .

كم من صديقٍ حالٍ في ودِّهٍ ولم أزل أزويه عن مَحْضِهِ
حضورُهُ عَيْنٌ على ودِّهٍ وغيبه عينٌ على بغضه
ولم أكن أجهلُ هذا ولا عجزتُ أن أجري على قرضه
لكنَّ من قد سرَّني بعضُهُ أحبُّ أن أصفحَ عن بعضه

وقوله رحمه الله يوم عيد ، وهو ممَّا ألهج به أنا كثيراً :

يقولونَ لي خَلَّ عنك الأسي ولذَّ بالسرورِ فذا يومُ عيدٍ
فقلتُ لهم والأسي غالبٌ ووجدني يحیی وشوقي يزيدُ
توعَّدني مآلِكي بالفراقِ فكيف أُسرُّ وعيدي وعيدُ

وقوله رحمه الله :

حبيبٌ زارني في الليل سرّاً فأحيا نَفْسَ مشتاقٍ إليه
وعَلَّلني بنشرِ المسكِ مِنْهُ وحيَّاني بصفحةٍ وجَنَّتِيهِ
وعانقني عناقَ الودِّ صفحاً وفارقني فيا لهفي عليه

رجع — وتوفي الأستاذ سيويو زمانه أبو عبد الله محمد بن علي بن الفخار
أستاذ الجماعة بغرناطة ليلة الاثنين ثاني عشر رجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة
رحمه الله تعالى .

رجع إلى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى .

١٣ — ومنهم^١ الأستاذ ابن العواد — قال في « الإحاطة »^٢ : قرأت كتاب
الله عز وجل على المكتب نسيجاً وحده . في تحمل المتزل حق حمله ، تقوى
وصلاحاً وخصوصية وإتقاناً ونعمة وعناية وحفظاً وتبحراً في هذا الفن ،

١ ق : ومن مشايخه .

٢ انظر مخطوطة الإحاطة ، الورقة : ١١١ أول فصل « المشيخة » .

واضطلاعاً بغرائبه ، واستيعاباً لسقطات الأعلام ، الأستاذ الصالح أبي عبد الله ابن عبد الولي العواد تكتيماً ثم حفظاً ثم تجويداً ، على مقراً أبي عمرو ، ثم نقلني إلى أستاذ الجماعة ، ومطية الفنون ، ومفيد الطلبة ، الشيخ الخطيب المتفّن أبي الحسن علي القيحاوي ، فقرأت عليه القرآن والعربية ، وهو أول من انتفعت به ؛ انتهى .

١٤ - ومن أشياخه رحمه الله الشيخ العلامة أبو عبد الله ابن يبيش ، وله رحمه الله تعالى نظم جيد ، فمنه قوله ملفزاً في مسطرة الكتابة :

ومقصورة خلف الحجاب وسرها مضاع ، فما يلقاك من دونها ستر
لها جثة بيضاء أسبل فوقها ذائب زانتها ، وليس لها شعور
إذا ألبست مثل الصباح وبرقيعت رأيت سواد الليل لم يمتحه الفجر
عقيلة صون لا يفرق شملها سوى من أهمته الخطابة والشعر
وقوله في ترتيب حروف الصحاح :

أساجعة بالوادين تبوئي ثماراً جنتها حاليات خواضب
دعي ذكر روض زاره سقي شربه صباح ضحى طير ظماء عواضب
غرام فؤادي قاذف كل ليلة متى ما نأى وهنا هداه يراقب
وله جواب عن البيتين المشهورين :

يا ساكناً قلبي المعنى وليس فيه سواك ثاني
لأي معنى كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان ؟

فقال :

تحلّني طائعاً فؤاداً فصار إذ حُرته مكاني
لا غرو إذ كان لي مضافاً أني على الكسر فيه باني

وقد ذكرت ذلك في غير هذا الموضع مع زيادة بلفظ لسان الدين ، فليراجع في الباب الخامس من هذا الكتاب .

١٥ - ومن أشياخ^١ لسان الدين رحمه الله تعالى قاضي الجماعة الصدر المتفنن أبو عبد الله ابن بكر^٢ ، قال في «الإحاطة» : «وقرأت على قاضي الجماعة أبي عبد الله ابن بكر رحمه الله تعالى ؛ انتهى .

وقاضي الجماعة عند المغاربة هو بمعنى قاضي القضاة عند المشارقة ، فليعلم ذلك . وابن بكر المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن بكر بن سعيد الأشعري المالقي ، من ذرية أبي موسى الأشعري ، كان من صدور العلماء ، وأعلام الفضلاء ، سداجة ونزاهة ومعرفة وتفنتاً ، فسيح الدرس ، أصيل النظر ، واضح المذهب ، مؤثراً للإنصاف ، عارفاً بالأحكام والقراءة ، مبرزاً في الحديث تاريخاً وإسناداً وتعديلاً وجرحاً ، حافظاً للأنسب والأسماء والكنى ، قائماً على العربية ، مشاركاً في الأصول والفروع واللغة والعروض والفرائض والحساب ، مخفوض الجناح حسن الخلق عطوفاً على الطلبة ، مُحِبّاً في العلم والعلماء ، مُطَرِّحاً للتصنع ، عديم المُبالاة بالملبس بادي الظاهر^٣ عزيز النفس نافذ الحكم ، تقدم ببلده مالمّة ، ناظراً في أمور العقد والحل ومصالح الكافة ، ثم ولي القضاء بها فأعز الخطّة وترك الشوائب^٤ ، وأنفذ الحق ملازماً للقراءة والإقراء ، محافظاً

١ ق : مشايخ .

٢ ترجمة ابن بكر في نيل الابتهاج : ٢٣٤ نقلاً عن الإحاطة ، والمرقبة العليا : ١٤١ - ١٤٧ ووقع في سرد مشيخة لسان الدين من الإحاطة « ابن أبي بكر » وهو خطأ ؛ وقد ترجم ابن الخطيب له أيضاً في «عائد الصلة» وعنه ينقل النباهي . وقد أطنب النباهي في الثناء عليه وقال إنه من جمع بين الدراية والرواية ، وكان لا يأكل إلا عند حاجته للأكل ولا ينام إلا إذا غلبه النوم ولا يتكلم بغير العلم إلا عن ضرورة وشبهه في قضائه بسحتون بن سعيد .

٣ كذا في الأصلين ونيل الابتهاج ؛ وربما كانت « باذ » .

٤ الشوائب : سقطت من ص ق ؛ وفي نيل الابتهاج : وترك الموادة ، وهو أدق وأنسب .

للأوقات ، حريصاً على الإفادة ، ثم ولي القضاء بفرناطة المحروسة^١ سنة ٧٣٧ ، فقام بالوظائف وصدع بالحق وبهَرَجَ الشهود فزيف منهم ما ينيف على سبعين ، واستهدف بذلك إلى مُعاداة ومناضلة خاض ثَبَجَهَا وصادم تيارها ، غير مُبالٍ بالمغبة ولا حافل بالتبعة ، فناله لذلك من المشقة والكيد العظيم ما نال مثله ، حتى كان لا يمشي إلى الصلاة ليلاً ولا يطمئن على حاله ، وجرت له في ذلك حكايات ، إلى أن عزم عليه الأمير أن يرد للعدالة بعض من آخره ، فلم يجد في قناته مَعْمَراً ولا في عُوْدِهِ مَعْجَماً ، وتصدر لبث العلم بالحضرة يقرئ فنوناً جمّة ، فنفع وخرَجَ وأقرأ القرآن ودرّس الفقه والأصول والعربية والفرائض والحساب ، وعقد مجالس الحديث شرحاً وسماعاً على انشراح صدر وحفظ تجمل وخفض جناح ، قال القاضي ابن الحسن^٢ : إنّه كان صاحب عزم ومضاء ، وحكم صادع وقضاء أحرق قلوب الحسدة ، وأعز الخطة بإزالة الشوائب ، وذَهَبَ وَفَضَّصَ الحق بمعارفه ، ونفذ في المشكلات ، وثبت في العضلات ، واحتج وبكت ، وتفقه ونكت . وحدثنا صاحبنا أبو جعفر الشقوري قال^٣ : كنت جالساً بمجلس حكمه ، فرفعت إليه امرأة رقعة مضمنها أنها محبة في مطلقها ، وتبتغي الشفاعة لها في ردها ، فتناول الرقعة ، ووقع على ظهرها بلا مُهْلَة : الحمد لله ، من وقف على ما بالقلوب فليصيح لسماعه إصباحة مغيث ، وليشفع للمرأة عند زوجها^٤ تأسيساً بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لبريرة في مُغِيث* ، والله يسلم لنا العقل والدين . ويسلك بنا سبيل المهتدين ، والسلام من كاتبه .

... ..

- ١ لعل اللفظة هنا يقابلها لفظة « محرم » في نيل الابتهاج .
- ٢ هذا موافق لما في نيل الابتهاج نصاً ولكنه عن المرقبة العليا بالمعنى .
- ٣ انظر المرقبة العليا : ١٤٥ .
- ٤ المرقبة : مفارقتها .
- ٥ بريرة : جارية عائشة ، ومغيث زوجها . فلما أعتقت بريرة وهو ما يزال على الرق اختارت مفارقتها فجاء إلى النبي يبكي ويسأله أن يشفع له عندها .

قال الشقوري : قال لي بعض الأصحاب : هلاً كان هو الشقيع لها ، فقلت :
لصحيح أن الحاكم لا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه على المنصوص .
قرأ ابن بكر المذكور على الأستاذ ابن أبي السداد الباهلي^١ القرآن جمعاً وإفراداً
بالعربية والحديث ، ولازمه وتأدب به ، وعلى الشيخ الصالح أبي عبد الله ابن
عياش^٢ كثيراً من كتب الحديث ، وسمع عليه جميع صحيح مسلم إلا دولة
واحدة ، وأخذ عن الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير والخطيب ابن رشيد والولي
الصالح أبي الحسين ابن فضيلة والأستاذ أبي عبد الله ابن الكماماد^٣ ، وأجازه العدل
الراوي أبو فارس عبد العزيز بن الهواري وأبو إسحاق^٤ التلمساني ؛ ومن أهل
إفريقية المعمر أبو محمد ابن هارون ومحمد بن سيد الناس ؛ ومن أهل مصر الشرف
الدمياطي ، وجماعة من أهل الشام والحجاز ، فقيد^٥ رحمه الله تعالى في المصاف
يوم المناجزة بطريف ، زعموا أنه وقع عن بغلة ركبها ، وأشار عليه بعض
المنهزمين بالركوب فلم يقدر ، وقال له : انصرف هذا يوم الفرح ، إشارة لقوله
تعالى ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (آل عمران : ١٧٠) وذلك ضحى يوم
الاثنين ٧ جمادى الأولى سنة ٧٤١ رحمه الله تعالى .

١٦ — ومن أشياخ لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى الشيخ أبو إسحاق
ابن أبي يحيى الشهير الذكر في المغرب ، وقد عرف به في « الإحاطة » في اسم
إبراهيم من ترجمة الغرباء بما نصّه : إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي ،
من أهل تازى ، يكنى أبا سالم ، ويعرف بابن أبي يحيى^٦ .

١ اسمه عبد الواحد بن أبي السداد .

٢ هو محمد بن عياش الخزرجي ؛ وفي النيل : أبي عبد الله ابن حريث .

٣ هو محمد بن أحمد بن داود اللخمي (الديباج : ٢٩٨) .

٤ زاد في ق : ابن .

٥ ق : وفاته .

٦ ترجمة ابن أبي يحيى في المرقبة العليا : ١٣٦ وجنوة الاقتباس : ٨٤ والإحاطة : ١ : ٢١٧ والمقري
ينقل عن الإحاطة .

حاله من الكتاب المؤتمن^١ - كان هذا الرجل قيماً على « التهذيب » و« رسالة ابن أبي زيد » ، حسن الإقراء لهما ، وله عليهما تقييدان نبيلان قيدهما أيام قراءته إياهما على أبي الحسن الصغير ، حضرت مجالسه بمدرسة عدوة الأندلس من فاس ، ولم أر في متصدري بلده أحسن تدريساً منه ، كان فصيح اللسان ، سهل الألفاظ ، موفياً حقوقها ، وذلك لمشاركته الحضر فيما بأيديهم من الأدوات ، وكان مجلسه وفقاً على التهذيب والرسالة ، وكان - مع ذلك - سَمَحاً فاضلاً ، حسن اللقاء ، على خلق بائنة على أخلاق أهل مصره ، امتُحن بصحبة السلطان ، فصار يستعمله في الرسائل ، فمر في ذلك حظ كبير من عمره ضائعاً لا في راحة دنيا ولا في نصيب آخرة ، ثم قال : وهذه سنة الله فيمن خدّم الملوك ، ملتفتاً إلى ما يعطونه ، لا إلى ما يأخذون من عمره ، وراحته أن يبوء بالصفقة الخاسرة ، لطف الله بمن ابتلي بذلك وخلصنا خلاصاً جميلاً .

ومن كتاب « عائد الصلة » : الشيخ الفقيه الحافظ القاضي ، من صدور المغرب^٢ ، مشاركة في العلم ، وتبحراً في الفقه ، كان وجيهاً عند الملوك ، صاحبهم وحضر مجالسهم واستعمل في السفارة ، فلقيناه بغرناطة ، وأخذنا بها عنه ، تام السراوة حسن العهد مليح المجالس أتيق المحاضرة ، كريم الطبع صحيح المذهب .

تصانيفه - قيد على المدونة بمجلس شيخه أبي الحسن كتاباً مفيداً ، وضم أجوبته على المسائل في سفر ، وشرح كتاب « الرسالة » شرحاً عظيم الإفادة . مشيخته - لازم أبا الحسن الصغير ، وهو كان قارئ كتب الفقه عليه ، وجُلُّ انتفاعه في التفقه به ، وروى عن أبي زكريا ابن يس^٣ ، قرأ عليه كتاب

١ الكتاب « المؤتمن » من تأليف أبي البركات ابن الحاج البليقي وسيأتي ذكره في ترجمته ص :

٤٨٦ .

٢ في الأصلين : العلم ، والتصويب عن الإحاطة .

٣ الإحاطة : ابن أبي ياسين .

« الموطأ » ، إلا كتاب المكاتب وكتاب المدير فإنه سمعه بقراءة الغير ، وعن أبي عبد الله ابن رشيد ، قرأ عليه « الموطأ » و « شفاء عياض » ، وعن أبي الحسن ابن عبد الجليل السدراقي ، قرأ عليه « الأحكام الصغرى » لعبد الحق ، وأبي الحسن ابن سليمان ، قرأ عليه رسالة ابن أبي زيد ، وعن غيرهم .

وفاته — فلج بأخرة فالترم منزله بفاس يزوره السلطان ومنّ دونه ، وتوفي بعد عام ثمانية وأربعين وسبعمائة ؛ انتهى .
وقال ابن الخطيب القسطنطيني : إن ابن أبي يحيى المذكور توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة^١ ؛ انتهى .

١٧ — ومن أشياخ لسان الدين الطنجالي الهاشمي ، وهو محمد بن أحمد^٢ . قال في « عائد الصلة » : كان على سنن سلفه كثرة حياة وسمّة صلاح وشدة انقباض وإفراط وقار وحشمة ، بدّ الكهولة على حداثة سنه في باب الورع والدين والإغراق في الصلاح والخير ، وتقدم خطيباً ثم قاضياً ببلده ، فأظهر من النزاهة والعدالة ما يناسب منصبه ، ففرغ الناس إليه في كائنة الوباء العظيم بأموالهم ، وقلدوه عهود صدقاتهم ، فاستقر في يده من المال الصامت والحلى والذخيرة والعدة ما تضيق بيوت أموال الملك عنه وصرف ذلك مصارفه ، ووضع وفق عهوده ، فلم يتلبس منه بنقيير ولا قيطمير ، وكان مدركاً أصيل الرأي ، قائماً على الفرائض والحساب ، ثم تخرج وطلب الإعفاء فأسعف به على حال ضنائه ، وفي ذلك يقول قريبه صاحبنا الفقيه القاضي أبو الحسن ابن الحسن يخاطبه^٣ :

١ وقال النباهي : في حدود ٧٤٩ .

٢ ترجمته في المرقبة العليا : ١٥٥ .

٣ يعني النباهي صاحب المرقبة العليا ، وقصيدته ص : ١٥٨ .

لك الله يا بدّر السماحة^١ والبشر
ولا سيما لما وليت أمورها
ودارت قضاياها عليك بأسرها
فهمت بها خير القيام مصمتاً
فسرّ بك الإسلام يا ابن حمامة
تعيد عليك الحمد ألسنُ حالها
لذاك أميرُ المسلمين بعدله
فأحييت رسمَ العلم بعد مماته
ولكنك استعفيت عنه تورعاً
فكم من ولي فرّ عنه لعلمه
فزاد اتصالاً عزّه باجتنابه
جريت على نهج السلامة في الذي
وأرضاك مولاك الإمام بفضله
فأنت على الخالين أفضل من قضى
لما حُرّت من شتى المعالي التي بها
صدور مقامات المعارف كلها
هم النفر الأعْلون من آل هاشم
وهي طويلة : انتهى .

١٨ - ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى الشيخ الإمام الخطيب الرئيس
سيدي أبو عبد الله ابن مرزوق^٢ ، ولتلخص ترجمته من « الإحاطة » وغيرها .

١ المرقبة : السعادة .

٢ المرقبة : وتحفظ ما يرضيك .

٣ ترجمة ابن مرزوق في التعريف : ٤٩ ونيل الابتهاج : ٢٧٢ والديباج : ٣٠٥ وتاريخ ابن
خلدون : ٧ : ٣١٢ والإحاطة ، الورقة : ٣١ ؛ والدور الكامنة ٣ : ٤٥٠ (ط . القاهرة) .

فَنَقُولُ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرَ بْنِ مَرْزُوقِ الْعَجِيسِيِّ التَّلْمَسَانِيِّ ، يَكْنَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَيَلْقَبُ مِنَ الْأَلْقَابِ الْمَشْرِقِيَّةِ بِشَمْسِ الدِّينِ .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ لَسَانَ الدِّينِ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي حَقِّهِ : سَيِّدِي وَسَنَدُ أَبِي ، فَخْرُ الْمَغْرِبِ ، وَبِرْكَةُ الدُّوَلِ وَعِلْمُ الْأَعْلَامِ ، وَمُسْتَعْدِمُ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ .

وَمَوْلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ . أَبْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَمْتَعَ بِحَيَاتِهِ وَأَعَانَنِي عَلَى مَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ . قَالَهُ تَرْبِيَّتُهُ وَوَلَدَهُ عَلِيُّ بْنُ الْمُؤَلَّفِ ، انْتَهَى ، يَعْنِي ابْنَ الْخَطِيبِ .

وَقَالَ لَسَانَ الدِّينِ : هَذَا الرَّجُلُ مِنْ طُرْفِ دَهْرِهِ ظَرْفًا وَخُصُوصِيَّةِ وَلَطَافَةٍ ، مَلِيحُ التَّوَسُّلِ ، حَسَنُ اللَّقَاءِ ، مَبْذُولُ الْبِشْرِ ، كَثِيرُ التَّوَدُّدِ ، نَظِيفُ الْبَزَّةِ ، لَطِيفُ التَّأَنِّي ، خَيْرُ الْبَيْتِ ، طَلَّقَ الْوَجْهَ ، خَلَّوْبُ اللَّسَانِ ، طَيِّبُ الْحَدِيثِ ، مُقَدِّرُ الْأَلْفَافِ ، عَارِفٌ بِالْأَبْوَابِ . دَرَبٌ عَلَى صَحْبَةِ الْمُلُوكِ وَالْأَشْرَافِ ، مُتَقَاضٍ^١ لِإِثَارِ السُّلَاطِينِ وَالْأَمْرَاءِ يَسْحَرُهُمْ بِخَلَابَةِ لَفْظِهِ ، وَيَقْتُلُهُمْ فِي الدُّرُوءَةِ وَالْغَارِبِ بِتَنْزِلِهِ ، وَيَهْتَدِي إِلَى أَغْرَاضِهِمُ الْكَمِينَةَ بِحَذَقِهِ ، وَيَصْطَنَعُ غَاشِيَتَهُمْ بِتَلَطُّفِهِ ، مَمْزُوجُ الدُّعَايَةِ بِالْوَقَارِ وَالْفِكَاهَةِ بِالنَّسْكِ وَالْحَشْمَةِ بِالْبَسْطِ ، عَظِيمُ الْمَشَارِكَةِ لِأَهْلِ وَدِهِ وَالتَّعَصُّبِ لِإِخْوَانِهِ ، آلَفُ مَأْلُوفٍ كَثِيرِ الْأَتْبَاعِ وَالْعُلُقَى ، مَسْخَرُ الرِّقَاقِ فِي سَبِيلِ الْوَسَاطَةِ . مُجْنَدِي الْجَاهِ ، غَاصُّ الْمَنْزِلِ بِالطَّلِبَةِ ، مُنْقَادٌ لِلدَّعْوَةِ ، بَارِعُ الْخَطِّ أَنْيَقُهُ ، عَزِيزُ التَّلَاوَةِ مُتَمَسِّعُ الرِّوَايَةِ ، مُشَارِكُ فِي فُنُونِ مِنْ أَصُولِ وَفُرُوعِ وَتَفْسِيرِ . يَكْتُبُ وَيَشْعُرُ وَيَقِيدُ وَيُؤَلِّفُ ، فَلَا يَعْدُو السَّدَادَ فِي ذَلِكَ ، فَارِسُ مَنْبَرٍ غَيْرِ جَزُوعٍ وَلَا هِيَابٍ ، رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فِي كَنْفِ حَشْمَةٍ مِنْ جَنَابِ وَالِدِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَحَجَّ وَجَاوَرَ وَلَقِيَ الْجِلَّةَ ، ثُمَّ فَارَقَهُ وَقَدْ عَرَفَ بِالْمَشْرِقِ حَقَّهُ ، وَصَرَفَ وَجْهَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ ، فَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ السَّالِطَانُ أَبُو الْحَسَنِ أَمِيرُهُ اشْتِمَالًا خَلَطَهُ بِنَفْسِهِ ، وَجَعَلَهُ مَقْضَى سِرِّهِ وَإِمَامَ جُمُعَتِهِ وَخَطِيبَ مَنْبَرِهِ وَأَمِينَ رِسَالَتِهِ ، فَقَدِمَ فِي غَرَضِهَا عَلَى الْأَنْدَلُسِ أَوَاخِرَ عَامِ ثَمَانِيَّةٍ وَأَرْبَعِينَ

١ الإحاطة : متعاط ؛ ص : متفاض .

وسبعمائة ، ولما حالت بالأمير المذكور الحال استقر بالأندلس مفلتاً من النكبة ، في وسط عام اثنين وخمسين وسبعمائة ، فاجتذبه سلطانها رحمه الله وأجراه على تلك الوتيرة فقلده الخطبة بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة ، وأقعدته للإقراء بالمدرسة من حضرته ، وفي أخرَيَات عام أربعة وخمسين صَرََف عنه جفنَ بره في أسلوب طماح ودالة وسبيل هَوَى وقحة ، فاغتم الفترة وانتَهز الفرصة ، وأنفذ في الرحيل العزيمة وانصرف عزيز الرحلة مغبوط المنقلب ، فاستقر بباب ملك المغرب أمير المؤمنين أبي عنان فارس في محل تجلة وبساط قرب ، مشترك الجاه مجدي التوسط ناجع الشفاعة ، والله يتولاه ويزيده من فضله .

مشيخته — من كتابه المسمى « عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من استجازني ^١ من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز » : فممن لقيه بالمدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام الإمام العالم العلامة عز الدين أبو محمد الحسن ابن علي بن إسماعيل الواسطي ، صاحب خُطَّي الإمامة والخطابة بالمسجد الكريم النبوي ، وأفرد جزءاً في مناقبه . والشيخ ^٢ الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السعدي العبادي ، تحمل عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع وأبي اليمن وغيره . والشيخ الإمام خادم الوقت بالمسجد الكريم ، ونائب الإمامة والخطابة به ، ومنشد الأمداح النبوية هنالك ^٣ . والشيخ الصالح الثقة المَعْمَر محيي الدين أبو زكريا يحيى بن محمد المغراوي التونسي سمع ابن حامل والتوزري . والشيخ نور الدين أبو الحسن علي ابن محمد الحجار الفرائش بحرم رسول الله والوقاد به ، وكان مقصوداً من كل قُطْر . والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الصنعاني نائب القضاء بالمدينة . والشيخ الإمام

١ الإحاطة : من سمعت عنه .

٢ الشيخ : سقطت من ق واستعيف عنها بلفظة « منهم » حيث وقعت في سرد مشيخة ابن مرزوق .
٣ إلى هنا وقعت نسخة الإحاطة في تعداد شيوخه ، ولا ريب في أن ذلك يدل على الإيجاز المخل في هذه النسخة .

قاضي القضاة بالمدينة شرف الدين بن محرز الإخميمي بن الأسيوطي . والشيخ الصالح عز الدين خالد بن عبد الله الطواشي . والشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله المعيشي ، سمع ابن مزروع البصري وغيره . والشيخ بهاء الدين موسى بن سلامة الشافعي المصري ، الخطيب بالمسجد الكريم بها . والشيخ الخطيب أبو طلحة الزبير ابن أبي صعصعة الأسواني . والشيخ عفيف الدين المطري . والشيخ الأديب أبو البركات أيمن بن محمد بن محمد إلى أربعة عشر ابن أيمن التونسي المجاور . والشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي المجاور . والشيخ أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن أبي ركبون التونسي ، وقرأ بها على أبيه القرآن العظيم ، قال : وكانت قراعتي عليه بالمدينة عند قبره عليه الصلاة والسلام . وبمكة شرفها الله تعالى الشيخ المعمر الثقة شرف الدين أبو عبد الله عيسى ابن عبد الله الحجبي المكي ، المتوفى وقد قارب المائة . والشيخ زين الدين أحمد ابن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي . والشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي . وشيخ شيوخ رباط الأعجام حيدر بن عبد الله المقرئ . والشيخ مقرئ الحرم برهان الدين إبراهيم ابن مسعود بن إبراهيم الأيلي المصري . والشيخ مصلح الدين الحسن بن عبد الله العجمي . والإمام الصالح أبو الصفاء خليل بن عبد الله القسطلاني التوزري . والشيخ الإمام الصالح أبو محمد عبد الله بن أسعد الشافعي الحجة ، انتهت إليه الرئاسة العلمية والخطط الشرعية بالحرم . والشيخ فخر الدين عثمان بن أبي بكر النويري المالكي . والشيخ القاضي القضاة نجم الدين محمد بن جمال الدين بن عبد الله بن اليمني . والشيخ جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يراجين ، القشيري التلمساني ، وقرأ بها على أبيه وألبسه بها الخرقة . والشيخ الملك شرف الدين عيسى بن محمد بن أبي بكر بن أيوب . والشيخة فاطمة بنت محمد ابن محمد بن أبي بكر بن أيوب . والشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر بن

محمد بن إبراهيم الطبري المكية . والشيخ أبو الربيع سليمان بن يحيى بن سلمان .
 المراكشي السفاح . والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباء عز الدين أبو عمر
 عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكتاني قاضي القضاة بالديار المصرية .
 وبمصر الشيخ علاء الدين القونوي . والتقي السعدي . وقاضي القضاة
 القزويني وهو شهير الذكر رفيع القدر . وقاضي القضاة البرهان الحنفي .
 والشرف أفضى القضاة الإخميمي . والشيخ المحدث المسند البدر محمد بن محمد
 الفارقي . والقطب الحافظ أبو محمد ابن منير . والشهاب أحمد الجوهري الحلبي .
 والمعلم الشرف يحيى المقدسي بن المصري . والشيخ محسن القرشي . والشهاب الحنبلي .
 وفتح الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس
 اليعمري . والشيخ المسند شمس الدين أبو بكر بن سيد الناس أخوه . والإمام
 أبو حيان . والحافظ النسابة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن طي
 ابن حاتم بن خيش الزبيري المصري . يبلغ شيوخه نحواً من ألفي شيخ .
 والشيخ الشمس بن عدلان . والشهاب البوشي المالكي . والشيخ المتصوف تاج
 الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ثعلب المصري مدرس المالكية . والشمس
 ابن كتشغري الخطابي الصيرفي . والعماد ابن النجم الدمياطي . والتاج الأشعري .
 والتقي الثعلبي . والفتح بن عبد القوي . والشمس الورجمي . والتقي الأشموني .
 والعلامة التقي السبكي . والمعروف ابن بنت الشاذلي . وأبو الحسن التميمي .
 والبرهان الحليمي . والشمس الأسواني . والبرهان الحكري . والشمس بن جابر
 الوادي آشي . وأبو محمد عبد الكريم الطوسي . وأبو فارس الزروالي التونسي .
 وصالح بن عبد العظيم بن يونس . وأبو عبد الله ابن القماح . والتاج التبريزي .
 والشيخ محمود الأصبهاني . والشرف المغيلي . والبرهان السفاقي .
 ومن النساء الشيخة المسندة ست الفقهاء فاطمة بنت محمد الفيومي البكري .
 وببليس أسد الدين يوسف بن داود الأيوبي من أبناء الملوك .
 ومن الشاميين بالقدس علاء الدين أبو الحسن علي بن أيوب . وخطيب

القدس النور ابن الصائغ المقدسي . ومحمد بن علي بن مثبت الأندلسي ، والبرهان الجعبري إمام الخليل .

ومن أهل دمشق البرهان بن الفرکاح ، والشمس بن مسلم قاضي الخنابلة . وبالإسكندرية أحمد المرادي بن العشاب ، وأبو القاسم ابن علي بن البراء ، والناصر بن المنير .

وبطرابلس الخطيب أبو محمد جابر بن عبد الغفار . وبتونس الزبيدي ، والقاضي ابن عبد الرافع . والقاضي ابن عبد السلام ، وابن راشد ، وأبو موسى هارون ، والمحدث أبو عبد الله التلمساني ، والحافظ أبو زكريا يحيى بن عصفور التلمساني نزيل تونس . وأبو محمد ابن سعد الله بن أبي القاسم بن البراء .

وببلاد الحريد الشيخ الخطيب أبو عبد الملك ابن حيون . وبالزواب ابن أبي^١ . والشيخ أبو محمد ابن راشد . وبيجاية الإمام النظار المجتهد أبو علي ناصر الدين المشدالي ، والحافظ فقيه زمانه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يلبخت الزواوي ، والشيخ الفقيه أبو عبد الله الخطيب المسفر .

وبتلمسان الشيخان الإمامان ابنا الإمام ، وقاضي القضاة بها أبو عبد الله ابن هدية ، والخطيب أبو محمد المجاصي . والشريف أبو علي حسن بن يوسف بن يحيى الحسني ، والشيخ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي المعروف بابن إسحاق الخياط^٢ وغيرهم^٣ .

محتته^٤ — اقتضى الخوض الواقع بين يدي تأميل الأمير أبي الحسن رحمه الله

١ بعدها يياص في ص . ٢ الخياط : سقطت من ص ق .
٣ اضطربت نسخة ق كثير آ في تعداد هؤلاء الشيوخ ، وكان فيها سقط كثير في ألفاظهم .
٤ ق : ثم قال لسان الدين : ولما اقتضى . . . إلخ ؛ قلت ومن هنا يعود النص فيلتي مع ما في نسخة الإحاطة .

تعالى عودة الأمر إليه وقد ألقاه اليم إلى الساحل بمدينة الجزائر أن قبض عليه بتلمسان أمراؤها المتوثبون عليها في هذه الفترة من بني زيان ، إرضاء لقبيلهم المتهم بمداخلته ، وقد رحل عنهم دسيساً من أميرهم عثمان بن يحيى ، فصرف مأخوذاً عليه طريقه ، منتهباً رحله ، منتهكة حرمة ، وأسكن قرارة مطبق عميق القعر مقفل المسلك حريرز القفل ، ثاني اثنين ؛ انتهى ملخصاً .

ورأيت بخط ابن مرزوق على قوله « وقد رحل عنهم دسيساً — إلى آخره » ما نصه : لم أرحل عنهم إلا بإذنه ، واقترحهم عليّ في الإصلاح بينهم ، لكنهم غدروا تقية على أنفسهم ، قاله ابن مرزوق ، انتهى ، وكتب تحته ولدُ ابن الخطيب ما صورته : نعم ما ترى .

وعند الله تجتمع الخصوم

انتهى .

رجع إلى كلام لسان الدين في حقه — قال بعد الكلام السابق ما ملخصه : ولأيام قتل ثانيه ذبحاً بمقربة من شفا تلك الركبة ، وانقطع أثره ، وأيقن الناس بفوات الأمر فيه ، ولزمان من محنته ظهرت عليه بركة سلفه في خبر ينظر بطرفه إلى الكرامة فنجا ولا تسل كيف ، وخلصه الله خلاصاً جميلاً ، وقدم على الأندلس ، والله ينفعه بنيته ، انتهى .

وكتب ابنُ مرزوق على هذا المحل ما نصه : لم يكن المقتولُ — حين قُتل — معي ، ولا قُتل ذبحاً ، قاله ابن مرزوق ، انتهى . وكتب بعضُ علماء مصر تحته ما نصه : هذه دعوى ، والمؤرخ أعرف ، انتهى ، فكتب آخر بعد هذا ما نصه : أتخبرني عني ؟ انتهى .

رجع — ثم قال لسان الدين في ترجمة شعره ما صورته : ركب مع السلطان

بخارج الحمراء أيام ضربت اللوز قباها البيض ، وزينت الفحص العريض ،
والروض الأريض ، فارتجل في ذلك :

انظرُ إلى الثَّوَارِ في أغصانهِ يحكي النجومَ إذا تبدَّتْ في الحلكِ
حيّا أميرَ المسلمينَ وقال : قد عميتُ بصيرةُ من بغيرك مثلكِ
يا يوسفًا حزت الجمالَ بأسره فمحاسنُ الأيامِ تُومي هيتَ لكِ
أنت الذي صعدتَ به أوصافهُ فيقالُ فيه : ذا ملِكٌ أو مَلِكٌ

إلى أن قال : ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه ما أنشد عنه وبين يديه ليلة الميلاد
المعظم من عام ثلاثة وستين وسبعمائة^١ :

قلْ لنسيمِ السَّحَرِ	لله بلغ خبَري
إن أنت يوماً بالحمى	جررتَ فضلَ المثرى
ثم حثتَ الخطو من	فوق الكُثيبِ الأعفرِ
مستقرّاً في عُشبهِ	خفيّ وطاء المطرِ
تروي عن الضحاك في	روض حديث الزهرِ
مخلّق الأذيالِ بال	عبيرٍ أو بالعنبرِ
وصفٍ لجيرانِ الحمى	وجدي بهم وسهري
وحقّهم ما غيرتُ	ودّي صروفُ الغيرِ
لله عهدٌ فيه قد	ضيّتُ حميدَ الأثرِ
أيامهُ هي التي	أحسبها من عمري
ويا لليلٍ فيه ما	عيبَ بغيرِ القصرِ
العمرُ فينانٌ ووج	ه الدهرُ طلقُ الغررِ
والشملُ بالأحبابِ من	ظومٍ كنظم الدررِ

١ لم ترد هذه القصيدة في الإحاطة .

صفو من العيش بلا
 ما بين أهل تقطف الـ
 وبين آمال تبي
 يا شجرات الحى
 إذا أجال الشوق في
 خرّجت من خدي حدي
 وقلت يا خدّ آرو من
 عهدي بحادي الركب كالـ
 والعيس تجتاب الفلا
 تخط بالأنخاف مظ
 قد عطفت عن مبيد
 قسي سير ما سوى الـ
 حتى إذا الأعلام حـ
 واستبشر النازح بالـ
 وعين الميقات لا
 فالناس بين محرم
 ليك ليك إلـ
 ولاحت الكعبة بيـ
 مقام إبراهيم والـ
 واغتم القوم طوا
 وأعقبوا ركعتي الـ
 وعرفوا في عرفسا
 شائبة من كدر
 أنس جني الثمر
 ح القرب صافي الغدر
 ياك الحيا من شجر
 تلك المغاني فيكري
 ث الدمع فوق الطر
 دمعي صبحاح الجوهر
 ورقاء عند السحر
 واليغمات تنبري
 لوم البرى وهو بري
 والتفت عن حور
 حزم لها من وتر
 لت لحي البشر
 قرب ونيل الوطر
 سفر نجاح السفر
 بالحج أو معتمر
 ه الخلق باري الصور
 ت الله ذات الأثر
 مأمّن عند الدعر
 ف القادّم المبتدر
 سعي استلام الحجر
 ت كل عرف أذفر

البرى : التراب .

ثم أفاض الناسُ سعةً
فوقفوا وكبروا
وفي منى نالوا المنى
وبعد رمي الجمرات
أكرم بذاك السفير وال
يا فوزهُ من موقفٍ
حتى إذا كان الودا
فأي صبرٍ لم ينخن
وأي وجدٍ لم يطير
ما أفجعَ البينَ لقد
ثم ثنوا نحو رسو
فعاينوا في طيبة
رأوا رسول الله واس
نالوا به ما أملاوا
على الضجيجين أبي
زيارة الهادي الشفي
فأحسن الله عزاء
ربيعٌ ترى مستزلاً ال
وملتقى جبريل بال
وروضة الجنة بي
منتخبُ الله ونحو
والمنتقى والكون من
إذ لم يكن في أفقٍ من زحلٍ ومشتري

ذو المعجزات الغرأمة
 يشهد بالصدق له
 والضب والظبي إلى
 من أطعم الألف بصا
 والجيش رَوَاه بما
 يا نكتة الكون التي
 يا حجة الله على الـ
 يا أكرم الرسل على الـ
 يا من له التقدم الـ
 يا من لدى مولده
 إيوان كسرى ارتج إذ
 وموقد النار طفي
 يا عمدي يا ملجئي
 يا من له اللواء والـ
 يا منقذ الغرقى وهم
 إن لم تحقق أمني
 صلي عليك الله يا
 صلي عليك الله يا
 يا ويح نفسي كم أرى
 واحسرتي من قلة الـ
 يحجتي والله بالـ
 يا حسنها من خطب
 يا حسنها من شجر

ثال النجوم الزهر
 منها انشفاق القمر
 نطق الحصى والشجر
 ع في صحيح الخبر
 الراحة المنهمر
 فانت مثال الفكر
 راسح والمبتكر
 له وخير البشر
 حق على التأخر
 المقدس المطهر
 ضاءت قصور قيصر
 كأنه لم يسعر
 يا مفزعني يا وزري
 حوض وورد الكوثر
 رهن العذاب الأكبر
 بؤت بسعي المخسير
 ثمال كل معسر
 نور الدجى المعتكر
 في غفلة من عمري
 زاد وبعد السفر
 برهان وعظ المنبر
 لو مركت من نظري
 لو أورقت من ثمر

أَوْمِلُ الْأُوبَةَ وَالْأَسُوفُ الْعِزْمَ بِهِ
مِنْ صَقَرٍ لِرَجَبٍ ضَمِيعُ فِي الْكِبَرَةِ مَا
وَلَيْسَ مَا مَرَّ مِنْ الْوَقْلَمَا أَنْ حُمِدَتْ
وَلِي غَرِيمٌ لَا يَتِي يَا نَفْسُ جَدِّي قَدْ بَدَا
وَاتَعْظِي بِمَنْ مَضَى مَا بَعْدَ شَيْبِ الْفُؤْدِ مِنْ
أَنْتِ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى وَلَيْسَ مِنْ عَذْرِ يَقِي
يَا لَيْتَ شَعْرِي وَالْمَنَى هَلْ أَرْجِي مِنْ عَوْدَةٍ
فَأَبْرِدَ الْغُلَّةَ مِنْ مَقْتَدِيًا بِمَنْ مَضَى
نَالُوا جَوَارَ اللَّهِ وَهُوَ أَرْجُو بِإِبْرَاهِيمَ
فَوَعْدَهُ لَا يَمْتَرِي وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُرْتَضَى
أَكْرَمُ مِنْ نَالِ الْعُلَا مُمَهَّدُ الْمَلِكِ وَسِي
خَلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي وَكَانَ مِنْهُ الْخُبْرُ فِي الْإِ
أَمْرُ بِكَفِّ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ لَشَهْرِ
مِنْ رَجَبٍ لَصَفَرٍ أَعْدَدْتَهُ فِي صَغَرِي
أَيَّامَ الْمُنْتَظَرِ سَلَامَةٌ فِي غَرَرِ
فِي طَلَبِ الْمُنْكَسَرِ الصَّبْحُ أَلَا فَاعْتَبِرِي
وَارْتَدَعِي وَازْدَجِرِي مُرْتَقِبِ فِشْمَرِي
فِي قُلْعَةٍ وَسَقَرِ مِ حُجَّةِ الْمُعْتَدِرِ
تَسْرُقُ طَيْبَ الْعُمَرِ أَوْ رَجْعَةً أَوْ صَدْرَ
ذَاكَ الزُّلَالِ الْخَصِيرِ مِنْ سَلَفٍ وَمَعَشَرِ
وَالْفَخْرُ لِلْمُفْتَخِرِ لَنَا بِلُغَةِ الْوُطَرِ
فِي الصَّدَقِ مِنْهُ مُمْتَرِي وَالْخَيْرُ ابْنُ الْخَيْرِ
بِالْمَرْهَفَاتِ الْبُتْسِرِ فَالْحَقُّ وَالْيَثْرُ الْجُرِي
فَاقِ بِحَسَنِ السَّيْرِ عَلِيَاءَ وَفَقَّ الْخَبَرِ

فصدق التصديق من	مراة للتصصور
ومستعين الله في	وردي له وصدر
فاق الملوك الصيّد بال	مجد الرفيع الخطر
فأصبحت ألقابهم	منسية لم تذكر
وحاز منه أوحدا	وصف العديد الأكثر
برأيه المأمون أو	عسكره المظفر
بسيفه السفاح أو	بعزمه المقتدر
بالعلم المنصور أو	بالدليل المنتصر
يا ابن الإمام الطاهر	أبر الزكي السير
مدحك قد علم نظ	م الشعر من لم يشعر
جهد المقل اليوم من	مثلي كوسع المكث
فلان يقصر ظاهري	فلم يقصر مضمر

قلت : قول لسان الدين في حق هذه القصيدة « إنها من الشعر المنسوب إلى محاسنه » فيه تعريض خفي بأن هذه القصيدة يحتمل أن تكون قيلت على لسانه حسبما جرت بذلك عادة الأكابر والرؤساء أن ينسب إليهم ما ليس من كلامهم في نفس الأمر ، وليس الواقع عندي كذلك ، لأن باع ابن مرزوق في النظم والنثر مديد ، فأني يقصر عن هذا القصيد ؟ ومن يصدر منه على البديهة قوله :

انظر إلى التوار في أغصانه

الآيات السابقة في اللوز - لا يُستغرب منه مثل هذا ، ولذا كتب ابن لسان الدين على قول والده « من الشعر المنسوب إلى محاسنه » ما صورته : حضرت إنشاءها وإنشادها ليلة الميلاد الشريف في التاريخ المذكور ، واستحسنها شعراء العُدوتين ، وهي مما لا ينكر على مدارك سيدي أبي عبد الله ورسوخه في علم

النظم والنثر ، قاله علي بن الخطيب ؛ انتهى .
وكتب بعضهم على قوله في هذه القصيدة :

أيامه هي التي أعدّها من عمري

ما نصّه : ولت والله ، انتهى ؛ فكتب ابن مرزوق بعده ما نصّه : لكنّها
بدلت بخير منها والحمد لله ، وحسنت الخاتمة ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسليماً ؛ انتهى .

وكتب ابن لسان الدين على قوله :

وقلّما أن حمّدت سلامةً في غرّ

ما نصّه : كذلك كان ، وليت والذي رحمه الله تعالى كذلك ؛ انتهى .
وكتب على قوله « برأيه المأمون - إلخ » ما نصّه : لو كان له رأي مأمون^١
ما نزل على قلعة الملك لشكنى القصبة بدخيلة طلب الراحة ، فضربت عنقه ،
وكانت الراحة منه ؛ انتهى .

وكتب بعض اثر هذا ما صورته : القدر لا يغالب ، الحذر ينفع ما لم يُلْثك
القدر ، فإذا أتى قدر ، لم ينفع حذر ؛ انتهى .
وكتب ابن لسان الدين على قوله « فلم يقصر مضمرى » ما صورته :
صدق والله ؛ انتهى .

ثم قال لسان الدين^٢ : ووردتُ باب السلطان الكبير العالم أبي عنان فَبَلَوْتُ من
مشاركته وحميد سعيه ما يليق بمثله ، ولما نكبه لم أقصّر عن ممكن^٣ حيلة في أمره ،
فلما هلك السلطان أبو عنان وصار الأمر لأخيه المتلاحق من الأندلس أبي سالم بعد

١ ص ق : الميمون .

٢ عاد القاء مع نسخة الإحاطة ، الورقة : ٣٥ .

٣ ص : حميد .

الولد المسمى بالسعيد كان ممن دانت له الطاعة ، وأناخ راحلة الملك ، وحكّب
ضَرَعَ الدولة^١ ، وخطب عروس الموهبة ، فأنشَبَ ظفره في مَتَاتٍ معقود من
لذن الأب ، مشدود من لذن القراية^٢ ، فاستحكم عن قرب ، واستغلظ عن
كتب ، فاستولى على أمره وخلطه بنفسه ولم يستأثر عنه بيثته^٣ ، ولا انفرد بما
سوى بضع أهله ، بحيث لا يقطع في شيء إلا [به و] عن رأيه ، ولا يمحو
ويثبت إلا واقفاً عند حدّه ، فغشيت بابهُ الوفود وصُرِفَتْ إليه الوجُوه ووقفت
عليه الآمال ، وخدمته الأشراف وجلبت إلى سُدَّتِهِ بضائع العقول والأموال ،
وهادته الملوك فلا تحدو الحُدادة إلا إليه ، ولا تحط الرحال إلا لديه ، إن حضر
أجرى الرسم وأنفذ الأمر والنهي لحظاً أو سراراً أو مكاتبة ، وإن غاب ترددت
الرقاع واختلفت الرسل ، ثم انفرد أخيراً ببيت الخلوة ومنتبذ المناجاة من دونه
معصّب^٤ الوزراء وغايات الحجاب^٥ ، فإذا انصرف تبعته الدنيا وسارت بين
يديهِ الوزراء ووقفت ببابه الأمراء ، قد وسع الكلّ لحظهُ وشملهم بحسب الرتب
والأحوال رعيه ، ووسم^٦ أفلاذهم تسويده ، وعقدت بينان عليتهم بنانه ، لكن
رضى الناس الغاية التي لا تدرك ، والحسد بين بني آدم قديم ، وقبيل الملك
مباين لمثله ، فطُويت الجوانح على سُلّ ، وحُنيّت الفضلوع على بث ، وأغضيت
الجبون على قَدَئِي ، إلى أن كان من نكبته الثالثة ما هو معروف ، جعلها الله له
طهوراً . ولما جرت الحادثة على الدولة بالأندلس وكان لحاق جميعنا بالمغرب
جنيت ثمرة ما أسلفته من وده ، فوفى الكيل وأشرك في الجاه وأدرّ الرزق ورفع

١ الإحاطة : وأجاب موسم الدعوة .

٢ في ص ق : التقرب .

٣ الإحاطة : بشيء .

٤ ص ق : مصطف .

٥ الإحاطة : الحجابات .

٦ الإحاطة : ووسع .

المجلس ، بعد التسبب في ^١ الخلاص والسعي في الجبر ، جبره الله تعالى ، وكان له أحوج ما يكون إلى ذلك ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء : ٨٩) انتهى .

وكتب ابن لسان الدين على هذا المحل ما صورته : هذا لسان أبي عليه في الغيبة والحضور ؛ انتهى .

ومما خاطبه به لسان الدين مهنتاً^٢ من طريق القدوم على الأبواب المريئية ، مفلتاً من البلية بشفاعته ، ما نصّه : سيدي الذي إليه انقطاعي وانحياشي ، وملاذي وملجئي الذي يسّر خلاصي وسنّى انتياشي ، ومُنعمي الذي جبر جناحي وأبّت رياشي ، ومولى هذا الصنف العلمي ولا أحاشي ، كتبه صنيعُ نعمتكم الخالصة الحرة ، ومسترقّ فضلكم الذي تألفت^٣ منه في ليل الخطوب الغرة^٤ ابن الخطيب لطف الله به من كذا ، وقد شدّ إلى إبلاغ النفس عذرها في مباشرة تقبيل اليد التي لها اليد العظمى ، والسجدة الرُحْمَى ، فلكم طوقت من نعمي ، وجبال النعم قد أثقلت الظهر ، واستغرقت السرّ والجهر ، فبأي لسان أو بأي بنان ، ولا أثر بعد عيان ، تقابل نعمة تداركت الرمق وقد أشفى ، وأبقت الدماء والشروع في استئصالها لا يخفى ، فيا لك من فردّ هزم ألفا ، ووعد نصر لم يعرف بخلفا ، ونية خلصت تبغي إلى الله زُلْفى ، لقد صدع بها مولاي غريبة في الزمن ، بالغاً حشّن صنيعها صنعاء اليمن ، مترفعة عن الثمن ، وإن لم يقم بها مثله وإلاّ فمَنْ ، فليهن سيدي ما ذاع لمجده^٥ بها من فخر ، وما قدم يوم تزلّ الأقدام من دُخْر ، وما جلب للمقام المولوي الإبراهيمي من طيب ذكر ، واستفاضة حمد وشكر ،

١ الإحاطة : تسبب ؛ ض : بعد التسبب للخلاص .

٢ مهنتاً : سقطت من ص .

٣ ق ص : تألفت .

٤ ق : غرة .

٥ ص ق : من مجده .

لقد ارتهن دعاء الخافي والناعل ، والدالُّ على الخير شريك الفاعل ، والذي أحيا النفس جدير برد عدتها ، وإنجاز عِدَّتِها ، وأنا قد قويت بجاهكم وإن كنت ضعيفاً ، واستشعرت سعداً جديداً وقدرأ منيفاً ، وأيقنت أن الله عز وجل كان بي لطيفاً ، إذ هيا لي من رحمة ذلك المقام المولوي على يدكم نصراً عزيزاً ، وبوأتني من جاهه حرزاً حريزاً ، وقد استأسدت الأعداء ، وأعضل الداء ، وأعمل الاعتداء ، وعز القداء ، فانفرج الضيق ، وتيسرت للخير الطريق . وساغ الريق ، ونجا الغريق ، غريبة لا تمثل إلا في الحلم ، ولطيفة فيها اعتبار لأولي العلم ، اللهم جاز سيدي في نفسه وولده ^١ ، وحاله وبلده ، ومَعاده بعد طول عمره وانفساح أمدِّه ، وكن له نصيراً أحوج ما يكون إلى نصر ، واجعل له سعة من كل حصر ، واقصُر عليه جاه كل قصر ، كما جعلت ذاته فوق كل ذات وعصره فوق كل عصر . وليعلم سيدي أن من أراد بي ^٢ منافسة وحسداً ، وزأر عليّ أسداً ، لما استقل على الكرسي جسداً ، من غير ذنب تبين ، ولا حد تعين ، أصابه من خلاصي المقيم المقعد ، ووعد النفس بأمل أخلف منه الموعد ، لما استنقذني الله برحمته من بين ظفره ونابه ، وغطاني بستر جناحه ، وكثرتني في العيون على قلة ، وأعزني بعز نصره على حال ذلة ، لم يدع حيلة إلا نصبها أمامي ، ليحبط ذلك ^٣ المقام الكريم ذمامي ، ويكدر جمامي ، ويستدرك حيمامي ، وزعم أن بيده على البعد زمامي ، ويأبى ذلك رأيي^٤ يفرق بين الحق وضده ، وعدل لا يخرج الشيء عن حده ، فنبهت سيدي خوفاً أن تتجه حيلة ، أو تفسد وسيلة ، وأنا قادم بالأهل والولد ليعمل في رب الصنيعة على شاكلة الحمد الذي هو له أهل ، فما بابتدائه جهل . ولا يختلف في عظم ما أسداه غر ولا كهل ، ولا يُنَبَّه مثله على تميم ، وإجزال فضل عميم ، ومؤانسة غريب ، وصلة

١ ص : في ولده .

٢ ق : أرادني .

٣ ص : بذلك .

٤ ص : حق .

نصر عزيز وفتح قريب ، بحول الله تعالى .

وقال^١ لسان الدين بعد ما سبق نقله عنه في حق ابن مرزوق : ولما انقضى أمر سلطانه رحمه الله تعالى متجنّياً عليه^٢ بسببه ، محمولاً عليه من أجله ، تقبّض^٣ عليه وأجمع الملاء على قتله ، وشد اعتقاله ، وطُلبَ بالمال العريض وانتُهبت أمواله واعتقلت رباعه . وجُنِبَتْ مراكبه ، واصطفيت أمهات أولاده ، وتمادى به الاعتقال والشدّة ، إلى أن عادته عوائد الله في الخلاص من الشدة ، والانتياش من الورطة ظاهرةً عليه بركة سلفه ، قائمة له حجة الكرامة^٤ في أمره .

حكى أمير المسلمين سلطاننا أعزه الله قال : عرض لي والذي رحمه الله تعالى في النوم فقال : يا ولدي ، اشفع في الفقيه ابن مرزوق ، فقبلت يده ، واقتضيت حفظه ، وحكيت داعيته ، وعينت للوجهة في ذلك قاضي الحضرة ، فكان في ذلك ابتداء الفرج . . .

وحدثني^٥ الثقة من خدام السلطان أبي عنان عنه مخبراً عن نفسه لما نفس عنه من نكبته ، وأجاره من سخطه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني بذلك ، وكفى بها جاهاً وحُرمةً ، قلت : فترك سبيله ، وأُتيح له ركوب البحر إلى البلاد المشرقية بأهله وولده ، فسار في كنف الستر ، وتحت جناح الوقاية ، في وسط رجب من عام أربعة وستين وسبعمئة من ساحل باديس . صحب الله وجهته ، وختم عصمته ؛ انتهى ما لخصته من كلام لسان الدين بلفظه^٦.

١ ق : ثم قال .

٢ عليه : سقطت من ق ص .

٣ ق ص : فقبض .

٤ ق ص : قائمة لهم حجة . . . لهم .

٥ ق : وذكر .

٦ بلفظه : سقطت من ق .

ورأيت على هامش هذا المحل من « الإحاطة » بخط المذكور ما صورته :
أقول وأنا ابن مرزوق المسمى فيه : إنني قد وصلت إلى تونس المحروسة في شهر
رمضان من سنة خمس وستين ، فلقيت بها من المبرة والكرامة والوجاهة فوق
ما يعهده أمثالي ، ووليت خطابة جامع ملكها ، وتدریس أم المدارس فيها ،
وهي المعروفة بمدرسة الشماعين ، كل ذلك تحت رعاية وعناية وملازمة لمجلس
ملكها ، إلى أن توفي سنة إحدى وسبعين ، ثم مع ولده وابن أخيه ، إلى أن
رحلت في البحر في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ، فحللت بالديار
المصرية ، ولقيت من ملكها الذي لم أر في الملوك مثله حليماً وفضلاً وحياءً وجوداً
وتلطفاً ورحماً ، السلطان المالك الملك الأشرف ناصر الدين والدنيا شعبان بن
حسين ، فأحسن لي وأجرى علي وعلى أولادي ما قام به الحال ، وقلدني دروساً
ومدارس ، وأهلني للمثول بين يديه ، والحال مستمر على ذلك حتى الآن ،
وذلك من فضل الله ومعهود إحسانه ، والمرجو من الله حسن العاقبة ، وكتب في
رمضان سنة خمس وسبعين ؛ انتهى .

وكتب بعده أبو الحسن علي بن لسان الدين رحمهما الله تعالى ما صورته :
صدق ، وهو فوق ذلك كله ، فقدره معروف ، ولطالما كان ملك المغرب يفتخر
به ، فصار يفتخر بتقليد الدروس :

والدهر لا يبقي علي حالة

انتهى .

قال في « الإحاطة »^١ : ولما شرح كتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله
تعالى واستبحر فيه ، وأكثر النقل وبذل الجهد ، طلب^٢ أهل العُدوتين نظم

١ انظر الإحاطة ، الورقة : ٤٨ .

٢ ق : طلب منه .

مقطوعات تتضمن الثناء على الكتاب المذكور ، وإطراء مؤلفه ، فائثال عليه من ذلك الطمّ والرّمّ ، بما تعددت منه الأوراق ^١ ، واختلفت في الإجادة وغيرها الأرزاق ، لئثاراً لغرضه ، ومبادرة من كل الجهات لإسعاف أربه ، وطلب مني أن ألمّ في ذلك بشيء فكتبت ^٢ له في ذلك :

شفاء عياضٍ للصدورِ شفاءً	فليس بفضلٍ قد حواه خفاءً
هدية برّ لم يكنْ ^٣ لمديها	سوى الأجرِ والذكرِ الجميلِ كفاء
وفى لنبيّ الله حق وفائه	وأكرمُ أوصافِ الكرامِ وفاء
وجاء به بجرأ يقولُ بفضلِه	على البحرِ طعمٌ طيبٌ وصفاء
وحقُّ رسولِ الله بعدَ وفاته	رعاه ، وإغفالُ الحقوقِ جفاء ^٤
هو الدخرُ يغني في الحياة عتاده	ويترك منه للبنين رفاء
هو الأثرُ المحمودُ ليس يناله	دثورٌ ، ولا يُخشى عليه عفاء
حرصتُ على الإطنابِ في نشر فضلِه	وتمجيده لو ساعدتني فاء

واسترد من هذا الغرض الذي^٥ لم يقنع فيه بالقليل ، فبعثت إليه من محل انتقالي من مدينة سلا حرسها الله تعالى :

أزاهيرُ رياضٍ^٦ أم شفاءٍ لحياضِ
جدلَ الباطلِ للحدِّ قُ بأسيافِ مواضِ
وجلا الأنوارِ بُرها نأ بحقٍ واقراضِ

١ الإحاطة : من ذلك النظم ما تعددت به . . . إلخ .

٢ ق : فنظمت .

٣ سقط هذا البيت من ص ، ووقع هو والذي بعده قبل الثالث في ق ؛ وما هنا يشبه ترتيب الإحاطة .

٤ ص ق : بحر .

٥ ق : ثم لم يكتف في هذا النمط الذي . . . إلخ .

٦ الإحاطة : هي أزهار الرياض ؛ ولم يورد من القصيدة في الإحاطة إلا أربعة أبيات .

وشفى من يشتكي الة
 أي بنين مقال
 أي عهد ليس يرمى
 ومعان في سطور
 وشفاء لصدور
 حرر القصد فما شيء
 يا أبا الفضل أدر أن^١ ال
 فاز عبد^٢ أقرض الله
 وجبت غر^٣ المزايا
 لك يا أصدق راو
 لرسول الله وفيه
 خير خلق الله في حا
 سدد^٤ الله ابن مرزو
 زبدة العرفان ، معنى
 فتولى بسط^٥ ما أج
 ساهراً لم يدري في استخ
 إن يكن ديناً على الأ
 دام في علو^٦ ومن عا
 ما وشى الصبح الدياجي

لمة في زرق الحياض
 آمن^٧ خوف^٨ انقضاض
 بانتكاث^٩ وانتقاض
 كأسود^{١٠} في غياض
 من ضنى الجهل^{١١} مراض
 ن^{١٢} بنقض^{١٣} واعتراض
 له عن سعيك راض
 برجحان^{١٤} القراض
 من طوال^{١٥} أو عراض
 لك يا أعدل قاض
 ت^{١٦} بجدة^{١٧} وانتهاض
 ل^{١٨} وفي آت^{١٩} وماض
 ق^{٢٠} إلى تلك المراض
 كل^{٢١} نسك^{٢٢} وارتياض
 حلت^{٢٣} من غير^{٢٤} انقباض
 لاصه طعم^{٢٥} اغتماض
 يأم^{٢٦} يا قلحان^{٢٧} التقاض
 داه^{٢٨} يهوي^{٢٩} في انخفاض
 بسواد^{٣٠} في بياض

ثم نظمت له أيضاً في الغرض المذكور ، والإكثار من هذا النمط في هذا^٢
 الموضع ليس على سبيل التبجح بإجاده وغرابته ، ولكن على سبيل الإشادة

١ ص ق : سود .

٢ ق ص : في غير هذا .

بالشرح المشار إليه ، فهو بالغ غاية الاستبحار^١ :

حييت يا مختطّ سبت بن نوح وحمل الريحان ریح الصبا دار أبي الفضل عياض الذي يا ناقل الآثار يُعنى بها طريفك في الفضل بعيد المدى كفالك^٢ إعجازاً كتاب الشفا لله ما أجزلت فينا به روض من العلم هَمى فوقه فمن بيان الحق زهر ند تأرج العرف وطاب الجنى وحلة من طيب بخير الورى ومعلّم للسدين^٣ شيدته فقل لها مان كذا أو فلا في أحسن التقوم أنشأته فعمره المكتوب لا يتقضي كأنه في الحفل ریح الصبا ما عذر مشغوف بخير الورى عجبت من أكباد أهل الهوى إن ذكر المحبوب سالت دماً بكلّ مزن يغتدي أو يروح أمانة فيك إلى كل روح أضحت برّياه رياضاً تفوح وواصل في العلم جرّي الجموح طريفك للمجد شديد الطموح والصبح لا يُنكر عند الوضوح من منحة تقصر عنها المنوح من صيب الفكر الغمام السفوح ومن لسان الصدق طير صدوح وكيف لا يثمر أو لا يفوح في الجيب والأعطاف منها نضوح فهذه الأعلام منها تلوح يا من أضلّ الرشد تبني الصروح خلقاً جديداً بين جسم وروح إذا تقضى عمر سام ونوح وكل عطف فهو غصن مروّح إن هاج منه الذكر أن لا ييوع وقد سطا البعد وطال التروح ما هن أكباد ولكن جروح

١ الاستبحار : سقطت من ق .

٢ ق ص : كذلك .

٣ ق : في الدين .

يا سيدَ الأوضاع يا مَنْ لَهُ
يا من لَهُ الفضلُ على غيره بسيدِ الأرسالِ فضلُ الرجوحِ
يا خيرَ مشروحٍ وقى واكتفى والشمسُ تخفى عندَ إشراقِ يوح^١
فتحٌ من الله حَبَّاهِ بِهِ من ابنِ مرزوقٍ بخيرِ الشروحِ
ومن جنابِ الله تأتي الفتوحُ

ثم قال : وعلى الجملة والتفصيل ، فهذا الرجل نسيحٌ وحده شهرة وجلالة
وخصالاً وأبوةً صالحة ، تولاه الله وكان له ، وانصرف بإجملة إلى بلاد المشرق
عام أربعة وستين وسبعمئة ، تولاه الله تعالى وأسعد منقلبِهِ ؛ ومولده بتلِيسان
عام أحد عشر وسبعمئة ؛ انتهى كلام لسان الدين .

[تواجه أخرى لابن مرزوق]

ولتزد في هذه الترجمة على ما ذكره فنقول : قال ابن خلدون : صاحبنا
الخطيبُ أبو عبد الله ابن مرزوق ، من أهل تلمسان ، كان سلفه نزلاء الشيخ أبي
مدّين بالعُباد ، ومتوارثين تربته من لدن جدّهم خادمِهِ في حياته ، وكان جدّه
الخامس أو السادس أبو بكر ابن مرزوق معروفاً بالولاية فيهم ، ونشأ محمد هذا
بتلِيسان ، ومولده فيما أخبرني عام عشرة وسبعمئة ؛ انتهى .
وهو مخالف^٢ لما ذكره لسان الدين فيما مرّ عنه^٣ .

ثم قال ابن خلدون : وارتحل مع والده إلى الشرق سنة ثلاث عشرة ، وسمع
ببجاية على الشيخ ناصر الدين^٤ ، ولما جاور أبوه بالحرمين رجع إلى القاهرة ، فأقام
وبرع في الطلب والرواية ، وكان يجيد الخطين ، ورجع سنة ثلاث وثلاثين^٥ إلى

١ يوح : الشمس ، ولعل الصواب : « والبدر يخفى » .

٢ يعني تاريخ مولده .

٣ ق : فيما يروى عنه .

٤ وسمع . . . الدين : لم يرد في التعريف ، والنص منقول عنه باختصار كثير .

٥ التعريف : سنة خمس وثلاثين .

المغرب ، ولقي السلطان أبا الحسن محاصراً لتلمسان ، وقد شيد بالعبّاد مسجداً عظيماً وكان عمّه محمد بن مرزوق خطيباً به على عادتهم في العبّاد ، وتوفي ، فولاه السلطان خطابةً ذلك المسجد مكان عمّه ، وسمعه يخطب على المنبر ، ويشيد بذكره ويثني عليه ، فحلي بعينه فقربه ، وهو مع ذلك يلازم ابني الإمام ، ويأخذ نفسه بلقاء الأفاضل والأكابر والأخذ عنهم ، وحضر مع السلطان وقعة طريف ، ثم استعمله في الرسالة إلى الأندلس ، ثم إلى ملك قشتالة في تقرير الصلح ، واستنقاذ ولده المأسور يوم طريف ، ورجع بعد وقعة القيروان مع زعماء النصاري ، فرجع إلى المغرب . ووفد على السلطان أبي عنان بفاس مع أمّه حَظِيّة أبي الحسن . ثم رجع إلى تلمسان ، وأقام بالعبّاد ، وعلى تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن وأخوه أبو ثابت ، والسلطان أبو الحسن بالجزائر ، وقد حشد هناك ، فأرسل أبو سعيد ابن مرزوق المذكور إليه سرّاً في الصلح ، فلما اطلع أخوه أبو ثابت على الخبر أنكره على أخيه ، فبعثوا مَنْ حبس ابن مرزوق ، ثم أجازوه البحر إلى الأندلس ، فترّل على أبي الحجاج سلطانها بغرناطة ، فقربه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء ، فلم يزل خطيبه إلى أن استدعاه أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على تلمسان وأعمالها ، فقدم عليه ، ورعى له وسائله ونظّمه في أكابر أهل مجلسه ، ثم بعثه لبثونس على ملكها سنة ثمان وخمسين ليخطب له ابنة السلطان أبي يحيى ، فردت الخطبة ، واختفت لبثونس ، ووشى إلى السلطان أبي عنان أنّه كان مطلعاً على مكانها ، فسخطه لذلك وأمر بسجنه ، فسجن مدة ، ثم أطلقه قبل موته .

ولما استولى أبو سالم على السلطنة أثره ، وجعل زمام الأمور بيده ، فوطىء الناس عقبه ، وغشي أشراف الدولة بابه ، وصرفوا إليه الوجوه . فلما وثب عمر بن عبد الله بالسلطان آخر عام اثنين وميتين حبس ابن مرزوق ، ثم أطلقه

١ التعريف : عام ملكها .

بعد أن رام كثير من أهل الدولة قتله ، فمنعه منهم ، ثم لحق بتونس سنة أربع وستين ، ونزل على السلطان أبي إسحاق وصاحب دولته أبي محمد ابن تافراكين ، فأكرموه وولوه الخطابة بجامع الموحدين ، وأقام بها إلى أن هلك السلطان أبو يحيى سنة سبعين وولي ابنه خالد ، ثم لما قتل السلطان أبو العباس خالداً واستولى على السلطنة ، وكان بينه وبين ابن مرزوق شيء ليله مع ابن عمه محمد صاحب بجاية ، عزله عن الخطبة ، فوجم لها ، فأجمع الرحلة إلى المشرق ، وسرحه السلطان ، فركب السفينة ، ونزل بالإسكندرية ، ثم ارتحل إلى القاهرة ، ولقي أهل العلم وأمراء الدولة ، ونفقت بضائعه عندهم ، وأوصلوه إلى السلطان الأشرف ، فولاه الوظائف العلمية ، فلم يزل بها موقراً الرتبة ، معروف الفضيلة ، مرشحاً لقضاء المالكية ، ملازماً للتدريس ، إلى أن هلك سنة إحدى وثمانين ؛ انتهى ملخصاً .

وقال الحافظ ابن حجر : إنه لما وصل تونس أكرم إكراماً عظيماً ، وفوضت إليه الخطابة بجامع السلطان وتدرّس أكبر المدارس ، ثم قدم القاهرة ، فأكرمه الأشرف شعبان ، ودرّس بالشيخونية^١ والصرغتمشية والنجمية ، وكان حسن الشكل ، جليل القدر ، مات في ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ؛ انتهى .

وقال ابن الخطيب القسطيني : هو شيخنا الفقيه الجليل الخطيب ، توفي بالقاهرة ، ودفن بين ابن القاسم وأشهب ، وله طريق واضح في الحديث ، ولقي أعلاماً ، وسمعنا منه البخاري وغيره في مجالس ، ولمجلسه لباقة وجمال ، وله شرح جليل على «العمدة» في الحديث ؛ انتهى .

وكتب بخطه^٢ بلدنا أبو عبد الله ابن العباس التلمساني ما نصّه : نقلت من خط بعض السادات كتبه للإمام زعيم العلماء الحفيد ابن مرزوق أنه وجد بخط جده

١ ص : بالسيوفية .

٢ ص : ووجد بخط .

الخطيب ابن مرزوق لما ثقفه عمر بن عبد الله على يد الشيخ أبي يعقوب كتب ما نصّه : الحمد لله على كل حال ، خرّج الطبري في منسكه^١ وأبو حفص الملاي في سيرته عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهم ، قالوا : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإثنية التي بأعلى مكة ، وليس بها يومئذ مقبور ، فقال : يبعث الله من ههنا سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، فقال أبو بكر : مَنْ هم يا رسول الله ؟ قال : هم الغرباء من أمّتي الذين يُدفنون ههنا ، ففي هذا الموضع دُفِنَ والذي رحمه الله تعالى ، وبعد سماعه لهذا الحديث بسبعة أيام دفن فيه ، أفراه لا يشفع فيمن أقال عشرة ولده ؟ أفما يشتري هذا بأموال الأرض ؟ أفلا يرعى لي ثمانية وأربعين منبراً في الإسلام شرقاً وغرباً وأندلساً ؟ أفلا يرعى لي أنّه ليس اليوم يوجد من يُسنِّد أحاديث الصحاح سماعاً من باب إسكندرية إلى البرين والأندلس غيري ونحو من مائتين وخمسين^٢ شيخاً ؟ والله ما أعلمه ، لكن حرمني الله تعالى ، نبذت الاشتغال به ، وآثرت اتباع الهوى والدنيا ، فهويت ، اللهم غفرانك ! أفلا يرعى لي مجاورة نحو اثني عشر عاماً وختم القرآن في داخل الكعبة ، والإحياء في محراب النبي صلى الله عليه وسلم ، والإقراء بمكة ، ولا أعلم مَنْ له هذه الوسيلة غيري ؟ أفلا يرعى لي الصلاة بمكة وغربتي بينكم^٣ ، ومحنّي في بلدي ، علي محبتكم وخدمتكم ، مَنْ ذا الذي خدَمكم من الناس يخرج علي هذا الوجه ؟ أستغفر الله ، أستغفر الله ، أستغفر الله من ذنوبي ، وذنوبي أعظم ، وربّي أعلم ، وربّي أرحم ، والسلام ؛ انتهى .

.....

١ ص : مناسكه .

٢ ص : مائة وخمسين .

٣ ق : فيكم .

ففي هذا دليل على عظم قدره ومبكانته في الدين والدنيا .
قلت : ولقد رأيت مصحفه بتلمسان عند أحفاده ، وعليه خطه الرائق الذي
أعرفه ، وهو يقول : قرأت في هذا المصحف تُجاه الكعبة المشرفة اثني عشر ألف
ختمة ؛ انتهى .

ومع هذا فقد نسي في المصحف المذكور لفظة إليك من قوله تعالى ﴿ ينقلب
إليك البصر ﴾ حتى كتبه بخطه فوق السطر حفيدُه العلامة سيدي أبو عبد الله محمد
ابن مرزوق ، رحم الله الجميع .

قال^١ الخطيب المذكور رحمه الله تعالى في بعض تعاليقه ما صورته : ومن
أشياخ والذي سيدي محمد المرشدي ، لقيه في ارتحالنا إلى الشرق ، وحين حملي
إليه وأنا ابن تسع عشرة سنة نزلنا عنده ، ووافقنا صلاة الجمعة ، ومن عاداته
أن لا يتخذ للمسجد إماماً ، وحضر يومئذ من أعلام الفقهاء من لا يمكن اجتماع
مثلهم في غير ذلك المشهد ، قال : فقرب وقت الصلاة ، فتشوف من حضر
من الفقهاء والخطباء إلى التقديم ، فإذا الشيخ قد خرج فينظر يمينا وشمالا وأنا
خلف والذي ، فوقع بصره علي ، فقال لي : يا محمد ، تعال ، قال : فقممت
معه حتى دخلت معه في موضع خلوة ، فباحثني في الفروض والشروط والسنن ،
قال : فتوضأت وأخلصت النية ، فأعجبه وضوئي ، ودخل معي إلى المسجد ،
وقادني إلى المنبر ، وقال لي : يا محمد ، ارقّ المنبر ، فقلت له : يا سيدي ،
والله لا أدري ما أقول ، فقال لي : ارقّ ، وناولني السيف الذي يتوكأ عليه
الخطيبُ عندهم ، وأنا جالس مفكر فيما أقول إذا فرغ المؤذنون ، فلما فرغوا
ناداني بصوته ، وقال لي : يا محمد قم ، وقل بسم الله ، قال : فقممت ، وانطلق
لساني بما لا أدري ما هو ، إلا أنني كنت أنظر إلى الناس ينظرون إلي ويخشعون
من موعظتي ، فأكلت الخطبة ، فلما نزلت قال لي : أحسنت يا محمد ،

١ ق : وكتب :

قِرَاكَ عندنا أن نوليك الخطابة ، وأن لا تخطب بخطبة غيرك ما وليت وحييت ، ثم سافرنا فحججنا ، وأراد والذي الجوار ، وأمرني بالرجوع لأونس عمي وقرابي بتلمسان ، وأمرني بالوقوف على سيدي المرشدي هنالك ، فوقفت عليه وسألني عن والذي ، فقلت له : يُقَبَّل أيديكم ، ويسلم عليكم ، فقال لي : تقدم يا محمد ، واستند إلى هذه النخلة ، فإن شعبياً — يعني أبا مدين — عَبَدَ الله عندها ثلاث سنين ، ثم دخل خلوته زماناً ، ثم خرج فأمرني بالجلوس بين يديه ، ثم قال لي : يا محمد ، أبوك من أحببنا وإخواننا ، إلا أنك يا محمد ، إلا أنك يا محمد ، فكانت هذه إشارة إلى ما امتحنت به من مخالطي أهل الدنيا والتخليط ، ثم قال لي : يا محمد^١ أنت متشوش من جهة أهلك ، تنوهم أنه مريض ، ومن بلدك ، أمّا أبوك فبخير وعافية ، وهو الآن عن يمين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن يمينه خليل المالكي ، وعن يساره أحمد قاضي مكة ، وأمّا بلدك ، فسم الله ، فخط دائرة في الأرض ، ثم قام فقبض إحدى يديه على الأخرى وجعلهما خلف ظهره يطوف بتلك الدائرة ، ويقول : تلمسان ، تلمسان ، حتى طاف بتلك الدائرة مرات ، ثم قال لي : يا محمد ، قد قضى الله الحاجة فيها ، فقلت له : كيف يا سيدي^٢ ؟ فقال : ستر الله إن شاء الله على من فيها من الدراري والحريم ، ويملكها هذا الذي حصرها ، يعني السلطان أبا الحسن ، فهو خير لهم ، ثم جلس وجلست بين يديه ، فقال لي : يا خطيب ، فقلت : يا سيدي عبدك ومملوكك ، فقال لي : كن خطيباً ، أنت الخطيب ، وأخبرني بأمور ، وقال لي : لا بد أن تخطب بالجامع الغربي ، وهو الجامع الأعظم بالإسكندرية ، ثم أعطاني شيئاً من كعيكات صغار ، زودني بها ، وأمرني بالرحيل .

١ فكانت . . . محمد : سقطت من ص .

٢ ق : يا سيدي كيف .

وأما خبر تلمسان فدخلها المريني كما ذكر ، وستر الله من فيها من الدراري
والحریم ، وكان هذا المرشدي يتصرف في الولاية كتصرف سيدي أبي العباس
السبتي ، نفعا الله بهما .

وللخطيب ابن مرزوق المذكور تأليف : منها شرحه الجليل على العمدة
في خمسة أسفار ، جمع فيه بين ابن دقيق العيد والفاكهاني مع زوائد ، وشرحه
النفيس على الشفاء ، ولم يكمل ، وشرحه على الأحكام الصغرى لعبد الحق ،
وشرحه على ابن الحاجب القرعي ، سماه « إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب »
وله غيرها ، وديوان خطب بالغرب مشهور كقصيدته التي قالها في نكبته بتلمسان ،
وأولها :

رفعتُ أموري لباري التَّسَمُّ ومُوجِدِنَا بعد سَبَقِ العَدَمِ

ومن نظمه عند وداعه أهل تونس :

أودعكم وأُنِّي ثم أُنِّي على مَلِكٍ تطاول بالجميل
وأَسألُ رَغْبَةً منكم لربي بتيسير المقاصد والسبيل
سلامُ الله يشملنا جميعاً فقد عزم الغريبُ على الرحيل

ومن نظم أبي المكارم منديل بن أجروم يُسَلِّي المذكور عندما سجن بعد
قتل السلطان أبي سالم ، رحمهم الله أجمعين :

يا شمسَ علمٍ أَفَلَكْتَ بَعْدَ مَا أَضَاءَتْ المَشْرِقُ والمَغْرِبُ
حُجِبَتْ قَسراً عن عيون الوري . والشمسُ لا يُنْكِرُ أنْ تُحْجَبَا

وهو بيت علم وولاية وصلاح لعمته وجده وأبيه وجد أبيه ، ولولديه محمد
وأحمد وحفيده عالم الدنيا البحر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق ،
وولد حفيده المعروف بالكفيف ، وحفيد حفيده المعروف بالخطيب ، وهو آخر
المذكورين منهم فيما نعلم .

[ابن مرزوق الكفيف]

قلت : كان مرادي أن أعرف بجميعهم ، ولكنني خشيت الطول ^١ ، فلنلمّ بذكر الحفيد عالم الدنيا ، وابنه العلامة المشهور بالكفيف ، لأنه — أعني الكفيف — والد أم جدي أحمد ، لأنني أحمد بن محمد بن أحمد ، فوالدة الجد أحمد بنت الكفيف المذكور ، وهو — أعني الكفيف — محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب الرئيس أبي عبد الله بن مرزوق المتقدم الذكر ^٢ ، وكان الكفيف إماماً عالماً علامة ، ووصفه ^٣ ابن داود البلوي بأنه الشيخ الإمام ، عكّم الأعلام ، فخر خطباء الإسلام ، سلالة الأولياء ، وخلف الأتقياء الأرضياء ، المسند الراوية المحدث العلامة المتفنن القدوة الحافل الكامل . وأخذ العلم عن جماعة : منهم عالم الدنيا أبوه ، قرأ عليه الصحيحين والموطأ وغير ما كتبه من تأليفه وغيرها ، وتفقه عليه وأجازه عموماً ، وعن عالمي تلمسان أبيي الفضل ابن الإمام والعقباني ، وغيرهما واللجائي ^٤ ، والشمالي ، وللنظار أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي ، وقاضي الجماعة ابن عقاب وحافظ الإسلام ابن حجر العسقلاني ، وكل هؤلاء أجازه ، وقرأ عليهم مشافهة ، إلا ابن حجر فمكاتبة . ومولده غرة ذي القعدة عام أربعة وعشرين وثمانمائة ، نصف ليلة الثلاثاء ، ومن شيوخه العلامة ابن العباس التلمساني وغيره .

وقال السخاوي : قدم الكفيف مكة سنة إحدى وستين وثمانمائة ، وسمعت سنة إحدى وسبعين وثمانمائة أنه في الأحياء ؛ انتهى .

وأخذ عنه جماعة أئمة كالسنوسي صاحب العقائد الشهيرة وغيرها ، والونشريسي صاحب « المعيار » ، والعلامة أبي عبد الله ابن العباس ، وحلاه بشيخنا

١ ق : التطويل .

٢ ترجمة ابن مرزوق الكفيف في نيل الابتهاج : ٣٥٤ وعنه ينقل المقرئ ؛ والضوء اللامع ٤٦ : ٩ .

٣ ق : وعرف به .

٤ هو أحمد بن محمد بن عيسى (نيل الابتهاج : ٦٢) ؛ وفي ق ص : البجائي .

ومفيدنا علم الأعلام وحجة الإسلام آخر حفاظ المغرب ، وقال : قرأت عليه الصحيحين وبعض مختصري ابن الحاجب القرعي والأصلي ، وحضرت عليه جملة من التهذيب وبعض إلخونجي وغيرها ، وأخذ عنه بالإجازة عالم فاس ابن غازي حسبما ذكره في كتابه المسمى : « التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال الساكن والناد » .

وقال بعض الحفاظ : إن وفاته عام أحد وتسعمائة بتلمسان . وزرت قبره مراراً ، رحمه الله تعالى ؛ ونقل عنه المازوني في نوازل المسماة : « الدرة المكنونة في نوازل مازونة » .

[ابن مرزوق الحفيد]

وأما والده^١ عالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق الشهير بالحفيد^٢ فهو البحر الإمام المشهور الحجة الحفاظ العلامة المحقق الكبير النظار المطلع المصنف المنصف التقى الصالح الناصح الزاهد العابد الورع البركة الخاشع الخاشي النبيه القدوة المجتهد الأبرع الفقيه الأصولي المفسر المحدث الحفاظ المسند الراوية الأستاذ المقرئ المجود النحوي اللغوي البياني العروضي الصوفي الأوّاب الولي الصالح العارف بالله ، الآخذ من كل فنّ بأوفر نصيب ، الراعي في كل علم مراعاه^٣ الخصيب ، حجة الله على خلقه ، المفتي الشهير الرحلة الحاج ، فارس الكراسي والمنابر ، سليل الأكابر ، سيد العلماء الأخيار ، وإمام الأئمة وآخر الشيوخ ذوي الرسوخ ، بدر التمام الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشرعية بأجل محصول ، وآخر النظار الفحول ، شيخ المشايخ ، صاحب التحقيقات البديعة والاختراعات الأنيقة ، والأبحاث الغربية ، والفوائد الغزيرة ، المتفق على علمه وصلاحه

١ ق : أبوه .

٢ ترجمة ابن مرزوق الحفيد في نيل الابتهاج : ٣٠٤ ؛ والضوء اللامع ٧ : ٥٠ .

وهديه ، الذكي الفهامة القدوة الذي لا يسمح الزمان بمثله أبداً ، أوحده الأفراد في جميع الفنون الشرعية ، ذو المناقب العديدة والأحوال السديدة ، شيخ الإسلام وإمام المسلمين ومفتي الأنام ، الذي له القدم الراسخ في كل مقام^١ ضيق ، والرحب الواسع في حل كل مشكل مقفل ، صاحب الكرامات والاستقامات ، السني السني الحريص على تحصيل السنة ومجانبة البدعة ، السيف المسلول على أهل البدع والأهواء الزائغة ، الذي أفاض الله تعالى على خلقه به بركته ، ورفع بين البرية محله ودرجته ، ووسع على خليقته به نخلته ، معدن العلم وشعلة الفهم ، وكيمياء السعادة وكثر الإفادة ، ابن الشيخ الفقيه العالم أبي العباس أحمد ، ابن الإمام العلامة الرئيس الكبير الخطيب الحافظ الرحلة الفقيه المحدث الشهير شمس الدين محمد ، ابن الشيخ العالم الصالح الولي المجاور أبي العباس أحمد ، ابن الفقيه الولي الصالح الخاشع محمد ، ابن الولي الكبير ذي الكرامات والأحوال الصالحة محمد بن أبي بكر ابن مرزوق العجيسي التلمساني : كان رحمه الله تعالى آية الله في تحقيق العلوم ، والاطلاع المفرط على النقول ، والقيام التام على الفنون بأسرها ، أما الفقه فهو فيه مالك ، ولأزمة فروعه حائز ومالك ، فلو رآه الإمام قال له : تقدم ، فلك العهد والولاية فتكلم ، فمئذ يسمع فقهي وفروعي ، ومثلك من راعي ما ينبغي فروعي ، أو ابن القاسم لقرّ به عيناً ، وقال له : طالما دفعت عن المذهب عيناً وشيئاً ، أو المازري ، لعلم أنه بمنظرته حري ، أو الحافظ ابن رشد ، لقال : هلم يا حافظ الرشد ، أو اللخمي لأبصر منه محاسن « التبصرة » ، أو القرطبي لنال منه « التذكرة » ، أو القرافي لاستفاد منه قواعده المقررة ، أو ابن الحاجب لاستند إلى بابه في كشف الإشكالات المحررة ، إلى ما انضم إلى ذلك من معرفة التفسير ودرره ، والاضطلاع بحقائق التأويل وغرره ، فلو

١ نيل الابتهاج : مزلق .

رآه مجاهد ، لعلم أنه في التحقيق خير مجاهد^١ ، أو مقاتل ، لقال : مثلك طَبَّقَ من الفهوم الكلى وأصاب المقاتل ، أو الزغشري لعلم أنه كشاف الخفيات على الحقيقة ، وقال لكتابه : تنحَّ لهذا الخبر عن سلوك الطريقة ، أو ابن عطية ، لركب في الرحلة إلى الاستفادة منه المطية ، أو أبو حيان لفرق في نهره ، ولم تَسِلْ له نقطة من بحره . إلى الإحاطة بالحديث وفنونه . والاطلاع على أسانيده ومتونه ، ومعرفة منكره ومعروفه ، ونظم أنواعه ورصف صنوفه ، إذ إليه الرحلة انتهت في رواياته ودراياته : وعليه المعول في حل مشكلاته وفتح مقفلاته . وأما الأصول^٢ فالعضد ينقطع عند مناظرته ساعده ، والسيف يكلُّ عند بحته حده حتى يترك ما عنده ويساعده . والبرهان لا يهتدي معه لحجة ، والمقترح لا يركب في بحره بلجة . وأما النحو فلو رآه محمود^٣ لتلجلج في قراءة « المفصل » ، واستقل ما عنده من القدر المحصل ، أو الرماني لاشتاق إلى مفاكته وارتاح ، واستجدى من ثمار فوائده وامتاح ، أو الزجاج لعلم أن زجاجه لا يقوم بجواهره . وأنه لا يجري معه في هذا العلم إلا في ظواهره . بل لو رآه الخليل ، لقال : هذا هو المقصد الخليل ، وأثنى عليه بكل جميل . وقال لفرسان النحو : ما لكم إلى حقوق عريته من سبيل^٤ . وأما البيان فالمصباح لا يظهر له نور عند هذا الصبح ، وصاحب المفتاح لا يهتدي معه إلى الفتح ، والقزويني يلقي علومه لإيضاح المعاني ، والسعد يرقى بمفهومه في مطالع المثاني ، وكم له من مناقب . تنحط عن منالها الثواقب ، ومواهب . تجلو بأنوارها الغياهب ، وأما زهده^٥

١ نيل الابتهاج : لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد ؛ قلت : وفي نص المقرئ بعض تنغير لما

ورد في نيل الابتهاج .

٢ ق : الكلام .

٣ يعني الزغشري .

٤ ق ص : وقال في شأن النحو والكلام إلى حقوق بيته من سبيل ، وهو مضطرب ؛ وفي النيل :

وقال . . . إلى حقوقه من سبيل .

٥ ق : ورعه وزهده .

وصلاحه فقد سارت به الركبان . واتفق عليه الثقلان ، فمن وصفه بالبحر .
 قُلْ له : دون علمه البحر ، أو البدر فما يصل خلقه البدر ، أو الدر فأني يشبه
 منطق الدر ، وبالحملة فالوصف يتقاصر عن صفاته وفضلاء عصره لا يرتقون
 إلى صفاته ، فهو شيخ العلماء في أوانه . وإمام الأئمة في عصره وزمانه ، شهد
 بنشر علومه العاكفُ والبادي ، وارتوى من بحار تحقيقاته الظمان والصادي :
 حلف الزمان ليأتينَّ بمثله حَنَيْتُ يمينك يا زمان فكفِّر .

هكذا وصفه بعض العلماء ، وهو فوق ذلك كله .
 وقال في حقّه بلديُّنا الشيخ أبو الفرج ابن أبي يحيى الشريف التلمساني رحمه
 الله تعالى : هو شيخنا الإمام العالم العَلم ، جامع أشنات العلوم الشرعية والعقلية
 حفظاً وفهماً وتحقيقاً راسخ القدم ، رافع لواء الإمامة بين الأمم ، ناصر الدين
 بيده ولسانه وبنانه وبالقلم . محيي السنّة بالفعال والمقال والشيم ، قطب الوقت
 في الحال والمقام والنهج الواضح والسييل الأمم^١ ، مستمر على الإرشاد والهداية ،
 والتبليغ والإفادة ، والرواية والدراية والعناية ، ملازم الكتاب والسنّة على نهج
 الأئمة المحفوظين من البدع في زمن لا عاصم فيه من أمر الله إلا من رحم ،
 ذو همة عليّة ورتبة سنية وأخلاق مرضية وفضل وكريم ، إمام الأئمة وعلم^٢
 الأمة الناطق بالحِكم ومنير الظلم ، سليل الصالحين ، وخلاصة مجد الثّقى والدين ،
 نتيجة مقدمات المهتدين ، حجة الله على العلم والعالم ، جامع بين الشريعة والحقيقة ،
 على أصح طريقة ، متمسك بالكتاب لا يفارق فَرِيَقَه ، الشيخ الإمام أبو عبد
 الله محمد ، اتصلت به فأويتُ منه إلى ربوة ذات قرار ومعين . وقصرت توجّهي
 عليه ، ومثلت بين يديه ، فأنزلي - أعلى الله قدره - منزلة ولده رعاية للذمّ ،
 وحفظاً على الود الموروث من القِدم ، فأفادني من بحار علمه ما تنقّصُ عنه العبارة

١ نيل الابتهاج : الأقوم .

٢ نيل الابتهاج : وعالم .

ويكلّ دونه القلم ، فقرأت عليه جملة من تفسير القرآن ومن الحديث صحيح البخاري بقراءتي وقراءة غيري مراراً وصحيح مسلم كذلك وسنن الترمذي وأبي داود بقراءتي ، والموطأ سماعاً وتفقهاً و«العمدة» ، ومن علم الحديث أرجوزته «الحديقة» وبعض الكبرى وهي «الروضة» تفقهاً ، ومن العربية نصف «المقرب» تفقهاً وجميع سيبويه كذلك ، وألفية ابن مالك ، وأوائل «شرح الإيضاح» لابن أبي الربيع ، وبعض «المغني» لابن هشام ، وفي الفقه «التهذيب» كلّه تفقهاً ، وابن الحاجب الفرعي ، وبعض مختصر الشيخ خليل ، و«التلقين» ، وثلاثي الجلاب ، وجملة من «المتنطية» ، و«البيان» لابن رشد ، وبعض الرسالة ، وكل ذلك قراءة تفقه ، وتفقهت عليه من كتب الشافعية في «تنبيه» الشيرازي و«وجيز» الغزالي من أوله إلى كتاب الإقرار ، ومن كتب الحنفية «مختصر القدوري» تفقهاً ، ومن كتب الحنابلة «مختصر الخرقي» تفقهاً ، ومن أصول الفقه «المحصول» ، و«مختصر» ابن الحاجب ، و«التنقيح» ، وكتاب «المفتاح» لجدي ، وقواعد عز الدين ، وكتاب «المصالح والمفاسد» له ، و«قواعد» القرافي ، وجملة من «النظائر والأشباه» للعلائي ، و«إرشاد» العميدي ، ومن أصول الدين «المحصل» و«الإرشاد» تفقهاً ، وفي القراءات قصيدة الشاطبي تفقهاً ، وابن بري^١ ، وفي البيان «التلخيص» و«الإيضاح» و«المصباح» ، وكلّها تفقهاً ، وفي التفقه^٢ «الإحياء» للغزالي سوى الربع الأخير منه ، وألبسني خرقه التصوف كما ألبسه أبوه وعمّه ، وهما ألبسهما أبوهما جده ، انتهى ملخصاً^٣ .

وكتب المذكور تحت هذا ما نصّه : صدق السيد بن السيد أبو الفرج المذكور فيما ذكر من القراءة والسماع والتفقه وبرّاً ، وقد أجزته في ذلك كلّه ، فهو

١ ق ص : وابن العمدة .

٢ نيل الابتهاج : وفي التصوف .

٣ ملخصاً : سقطت من ق .

حقيق بها مع الإنصاف وصدق النظر ، جعلني الله وإياه ممتن علم وعمل لآخرته واعتبر ، قاله محمد بن مرزوق ؛ انتهى .

وقال تلميذه الولي أبو زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي^١ : قدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله ابن مرزوق فأقام بها ، فأخذت عنه كثيراً ، وسمعت عليه جميع الموطأ بقراءة صاحبنا أبي حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشاني^٢ ، وختمت عليه أربعينيات النووي ، قرأتها عليه في منزله قراءة تفهم ، فكان كلما قرأت عليه حديثاً يعلوه خشوع وخضوع ، ثم يأخذ في البكاء ، فلم أزل أقرأ وهو يبكي إلى أن ختمت الكتاب ، وكان من أولياء الله الذين إذا رؤوا ذُكر الله ، وأجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية ، واشتهر ذكره في البلاد ، فكان يذكره تطرز المجالس ، وجعل الله تعالى حبه في قلوب العامة والخاصة فلا يُذكر في مجلس إلا والنفوس مشوقة^٣ إلى ما يحكى عنه ، وكان في التواضع والإنصاف والاعتراف بالحق في الغاية وفوق النهاية ، لا أعلم له نظيراً في ذلك في وقته ، ثم ذكر كثير آجداً من الكتب مما سمعه عليه ، وأطال في ذلك .

وقال في موضع آخر : هو سيدي الشيخ الإمام الحبر الهمام ، حجة أهل الفضل في وقتنا وخاتمهم ، ورحلة النقاد وخلاصتهم ، ورئيس المحققين وقادتهم ، السيد الكبير ، والذهب الإبريز ، والعلم الذي نصبه التمييز^٤ ، ابن البيت الكبير ، والفلك الأثير ، ومعدن الفضل الكثير ، سيدي أبو عبد الله محمد ابن الإمام الجليل الأوجد الأصيل ، جمال الفضلاء ، سليل الأولياء ، أبي العباس أحمد ، ابن العالم الكبير ، العلم الشهير تاج المحدثين وقدوة المحققين ، أبي عبد الله محمد بن مرزوق .

١ ترجمة الثعالبي في نيل الابتهاج : ١٤٨ .

٢ من أكابر علماء تونس . (٨٤٨ -) ؛ انظر النيل : ١٨٠ .

٣ نيل الابتهاج : متشوقة .

٤ ق : نصب على التمييز .

وقال أيضاً في موضع آخر : هو شيخني الإمام العَلَمَ الصدر الكبير ، المحدث الثقة المحقق بقية المحدثين ، وإمام الحفظلة الأقدمين والمحدثين ، سيد وقته وإمام عصره وورع زمانه وفاضل أقرانه ، أعجوبة أوانه وفاروق زمانه ، ذو الأخلاق المرضية ، والأحوال الصالحة السنية ، والأعمال الفاضلة الزكية ، أبو عبد الله . وقال في حقه المازوني في أول نوازله : شيخنا الإمام الحافظ بقية النظر والمجتهدين ، ذو التواليف العجيبة ، والفوائد الغريبة ، مستوفي المطالب والحقوق ، أبو عبد الله ابن مرزوق :

وقال تلميذه الحافظ العلامة أبو عبد الله التنسي عند ذكره : إن إيماننا مالِكاً سئل عن أربعين مسألة فقال في سب واثنتين « لا أدري » ، وجنّة العالم لا أدري « ما نصّه : ولم نر فيمن أدركنا من شيوخنا من تَمَرَّنَ على هذه الخصلة الشريفة ويكثر استعمالها غير شيخنا الإمام العلامة رئيس علماء المغرب على الإطلاق أبي عبد الله محمد بن مرزوق .

وقال الشيخ أبو الحسن القلصادي في رحلته : أدركت^١ كثيراً من العلماء والعباد والزهاد والصلحاء ، أولاهم في الذكر والتقديم^٢ الشيخ الفقيه الإمام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا أبو عبد الله ابن مرزوق ، حلّ كتّف العلم والعلا ، وجل قدره في الحيلة الفضلا ، قطع الليالي ساهراً ، وقطف من العلم أزاهراً ، فأثمر وأورق ، وغرب وشرق ، حتى توغل في فنون العلم واستغرق ، إلى أن طلع للأبصار هلالاً لأن الغرب مطلع ، وسما في النفوس موضعه وموقعه ، فلا ترى أحسن من لقائه ، ولا أسهل من إلقائه ، لقي الشيوخ الأكابر ، وبقي حمده متعرفاً^٣ من بطون الكتب وألسنة الأقلام وأفواه المحابر ،

١ نيل الابتهاج : أدركت بتلسان .

٢ ق : والتقدم .

٣ نيل الابتهاج : متعرفاً ؛ وفي ص : وبقي عمره .

وكان رضي الله عنه من رجال الدنيا والآخرة ، وكانت أوقاته كلها معمورة بالطاعات ليلاً ونهاراً من صلاة وقراءة قرآن وتدريس علم وفتيا وتصنيف ، وكانت له أورد معلومات وأوقات مشهورة^١ ، وكانت له بالعلم عناية تكشف بها العمياء ، ودراية تعصدها الرواية ، ونباهة تكسب التزاهة ، قرأت عليه - رضي الله عنه - بعض كتابه في الفرائض وأواخر إيضاح الفارسي وشيئاً من « شرح التسهيل » وعرضت عليه إعراب القرآن وصحيح البخاري والشاطبيتين وأكثر ابن الحاجب الفرعي والتلقين وتسهيل ابن مالك والألفية والكافية وابن الصلاح في علم الحديث ومنهاج الغزالي وبعض الرسالة وغيرها ، ثم توفي يوم الخميس بمصر رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة وصلي عليه بالجامع الأعظم بعد صلاة الجمعة ، وحضر جنازته السلطان فمن دونه ، ولم أر مثلاً قبل ، وأسف الناس لفقده ، وآخر بيت سمع منه قبل موته :

إن كان سَفَكٌ دمي أَفْصَى مرادكمُ فما غَلَتْ نَظَرَةٌ منكم بسفك دمي
انتهى ملخصاً .

وفي فهرست ابن غازي في ترجمة شيخه أبي محمد الورياجلي^٢ ما صورته :
وممن لقي من شيوخ تلمسان المحروسة الإمام العَلَم العلامة الصدر الأجل الأوحَد
المحقق النظار الحجة العالم الرباني أبو عبد الله محمد بن مرزوق : وقد حدثني بكثير
من مناقبه وصفة إقراءه ، وقوة اجتهاده ، وتواضعه لطلبة العلم ، وشدة على
أهل البدع . وما اتفق له مع بعضهم ، إلى غيرها من شيمه الكريمة ، ومحاسنه
العظيمة : انتهى .

وقال بعضهم في حقّه : إنّه كان يسير سيرة سلفه في العلم والتخلق والحلم
والشفقة وحب المساكين ، آية الله في الفهم والذكاء والصدق والعدالة والتزاهة

١ نيل الابتهاج : مشهودة .

٢ ص : الورياطي ؛ وهو خطأ .

واتّباع السنّة في الأقوال والأفعال ، ومحبة أهلها في جميع الأحوال ، مبغضاً لأهل البدع ومحباً سداً الذرائع ، وله كرامات ؛ انتهى .

أخذ العلم عن جماعة أجلة ، فمنهم^١ العلامة السيد عبد الله الشريف التلمساني ، وعالم المغرب القاضي سيدي سعيد العقباني التلمساني ، والولي العابد الصالح أبو إسحاق سيدي إبراهيم المصمودي ، وأفرد ترجمته بتأليف ، وعن عمه وأبيه ، ويروي عن جده بالإجازة وابن عرفة وأبي العباس القصار التونسي^٢ ، وبفاس عن النحوي أبي حيان وأبي زيد المكودي ، وجماعة غيرهما ، وبمصر عن السراج البلقيني ، والزين الحافظ العراقي ، والشمس الغماري ، والسراج ابن الملقن ، وصاحب القاموس ، والمحجب ابن هشام ابن صاحب « المغني » ، والنور النويري ، والولي ابن خلدون ، والقاضي التنسي ، وغيرهم .

وأخذ عنه جماعة كالثعالبي ، والقاضي عمر القلشاني ، وابن العباس [والعلامة] نصر الزواوي ، والولي سيدي الحسن أبركان ، وابنه ، وأبي البركات الغماري ، وأبي الفضل المشدالي ، وقاضي غرناطة أبي العباس ابن أبي يحيى الشريف ، وإبراهيم بن فائد ، وأبي العباس الندرومي ، وابنه الكفيف ، وسيدي علي بن ثابت ، والشهاب بن كحيل التجاني ، والعلامة أحمد بن يونس القسمطيني ، والعلامة يحيى بن يدّير^٣ ، وأبي الحسن القلصادي ، والشيخ عيسى بن سلامة البيسكري ، وغيرهم ، كالحافظ التنسي التلمساني .

قلت : وسندي إليه عن عمي الإمام سيدي سعيد المقرّي ، عن الشيخ أبي عبد الله التنسي ، عن والده الحافظ أبي عبد الله محمد التنسي المذكور ، عن ابن مرزوق المذكور بكل مروياته وتأليفه .

وقال السخاوي في حقّه : هو أبو عبد الله ، يُعرف بحفيد ابن مرزوق ، وقد

١ ص : وأما شيوعه فمنهم . إلخ .

٢ ق ص : القط والتونسي ؛ وأثبت ما في نيل الابتهاج .

٣ ق ص : زيد .

يختص بابن مرزوق ، وقد تلا لنافع على عثمان الزروالي ، وانتفع في الفقه بأبي عبد الله ابن عرفة ، وأجازه أبو القاسم محمد بن الخشاب ومحمد بن علي الحفار الأنصاري ومحمد القيجاطي ، وحج قديماً سنة تسعين وسبعائة رقيقاً لابن عرفة ، وسمع من ابن^١ البهاء الدمايني والنور العقيلي بمكة ، وفيها قرأ البخاري على ابن صديق ، ولزم المحب^٢ ابن هشام في العربية ، وكذا حج سنة تسع عشرة وثمانائة ، ولقيه الزيني رضوان بمكة ، وكذا لقيه ابن حجر ؛ انتهى .

وأما تواليفه فكثيرة منها شروحه الثلاثة على البردة ، وسمي الأكبر « إظهار صدق المودة في شرح البردة » واستوفى فيه غاية الاستيفاء ، وضمنه سبعة فنون^٣ في كل بيت ، والأوسط ، والأصغر المسمى بـ « الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب » ، ومنها « الغاية القراطيسية^٤ في شرح الشقراطيسية » و « المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية » ورجز في علوم الحديث سماه « الروضة » ومختصره في رجز سماه « الحديقة » ورجز في الميقات سماه « المقنع الشافي » مشتمل على ألف وسبعائة بيت ، و « نهاية الأمل في شرح الجمل » أي جمل الخونجي ، و « اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة » وهو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من علامة قفصة أبي يحيى ابن عقيبة فأجابه عنها ، و « المعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج » في كراسة ونصف ، أجاب به أبا القاسم ابن سراج الغرناطي عن مسائل نحوية ومنطقية ، و « أنوار اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين » وهو حديث أول حلية أبي نعيم في شأن البدلاء وغيرهم ، و « الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي » ، و « النصيح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل الناقص » في سبعة كراريس ، ردَّ به على عصريَّة الإمام أبي

١ ابن : سقطت من نيل الابتهاج .

٢ ص ق : المجد .

٣ نيل الابتهاج : والمفاتيح القراطيسية .

٤ نيل الابتهاج : ونور .

الفضل قاسم العقباني في فتواه في مسألة الفقراء الصوفية لما صوب العقباني صنيعهم وخالفه هو ، و « مختصر الحاوي في الفتاوي » لابن عبد النور ، و « الروض البهيج في مسائل الخليج »^١ و « أنوار الدراري في مكررات البخاري » [وأرجوزة نظم تلخيص ابن البناء] ورجز تلخيص المفتاح ، نظمه في حال صغره ، ورجز « حرز الأماني » ورجز جمل الخونجي ، ورجز اختصار ألفية ابن مالك ، وتأليفه في مناقب شيخه المصمودي ، وتفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء ، وهذه كلها تامة .

وأما ما لم يكمل من تأليفه فالمتجر الريح والسعي الرجيج والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح ، وروضة الأريب في شرح التهذيب ، والمتزع النبيل في شرح مختصر خليل ، شرح منه كتاب الطهارة في مجلدين ، ومن الأقضية إلى آخره في سفرين ، وإيضاح السالك على ألفية ابن مالك ، إلى اسم الإشارة أو الموصول مجلد كبير في قدر شرح المرادي ، وشرح شواهد شراح الألفية إلى باب « كان » مجلد ، وله خطب عجيبة .

وأما أجوبته وفتاويه على المسائل المتنوعة فقد سارت بها الركبان شرقاً وغرباً ، بدواً وحضراً ، وقد نقل المازوني والونشريسي منها جملة وافرة . ومن تأليفه أيضاً عقيدته المسماة « عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد » و « الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات » و « الدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم » و « إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم » وذكر السخاوي أن من تواليفه شرح ابن الحاجب الفرعي ، وشرح التسهيل : انتهى .

ومولده كما ذكره في شرحه على البردة ليلة الاثنين رابع عشرين^٢ ربيع الأول عام ستة وستين وسبعمائة ، قال : حدثني أمي عائشة بنت الفقيه الصالح

١ زاد في نيل الابتهاج : في أوراق نصف كراس . ٢ ص : رابع عشر من .

القاضي أحمد بن الحسن المديوني ، وكانت من الصالحات ألفت مجموعاً في أدعية اختارتها ، وكانت لها قوة في تعبير الرؤيا اكتسبتها من كثرة مطالعتها لكتب الفن ، أنه أصابني مرض شديد أشرفت منه على الموت ، ومن شأنها وأبيها أنهما لا يعيش لهما ولد إلا نادراً ، وكانوا أسموني أبا الفضل أول الأمر ، فدخل عليها أبوها أحمد المذكور ، فلما رأى مرضي وما بلغ بي غضب وقال : ألم أقل لكم لا تسموه أبا الفضل ، ما الذي رأيتم له من الفضل حتى تسموه أبا الفضل ؟ سموه محمداً ، لا أسمع أحداً يناديه بغيره إلا فعلت به وفعلت ، يتوعد بالأدب ، قالت : فسميناك محمداً ، ففرج الله عنك ؛ انتهى .

ومن فوائده ما حكى في بعض فتاويه قال : حضرت مجلس شيخنا العلامة نخبة الزمان ابن عرفة رحمه الله تعالى أول مجلس حضرته فقرأ ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ (الزغرف : ٣٦) فجري بيننا مذاكرات رائقة ، وأبحاث حسنة فائقة ، منها أنه قال : قرىء (يعشو) بالرفع و (نُقَيِّضُ) بالجرم . ووجهها أبو حيان بكلام ما فهمته ، وذكر أن في النسخة خللاً ، وذكر بعض ذلك الكلام ، فاهتديت إلى تمامه فقلت : يا سيدي . معنى ما ذكره أن جزم (نُقَيِّضُ) بمن الموصولة لشبهها بالشرطية لما تضمنت من معنى الشرط ، وإذا كانوا يعاملون الموصول الذي لا يشبه لفظه لفظ الشرط بذلك فما يشبه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة ، فوافق رحمه الله تعالى وفرح - كما أن الإنصاف كان طبعه - وعند ذلك أنكر عليّ جماعة من أهل المجلس وطالبوني بإثبات معاملة الموصول معاملة الشرط ، فقلت : نصهم على دخول الفاء في خبر الموصول في نحو « الذي يأتيني فله درهم » من ذلك ، فنازعوني في ذلك ، وكنت حديث عهد بحفظ التسهيل ، فقلت : قال ابن مالك فيما يشبه المسألة : وقد يجوز متسبب عن صلة الذي تشبيهاً بجواب الشرط ، وأنشدت من شواهد المسألة قول الشاعر :

١ ق : متوعداً .

كذلك الذي يبغى على الناس ظالماً تُصِبْنُهُ على رَغْمٍ عواقبُ ما صَنَعُ
فجاء الشاهد موافقاً للحال ؛ انتهى بنقل تلميذه المازوني .

وقد ذكر الشيخ^١ ابن غازي الحكاية في فهرسته في ترجمة شيخه الأستاذ
الصُّغَيْرِ ، وفيها بعض مخالفة لما تقدم ، فلنُسِّقْهُ ، قال : حدثني أَنَّهُ بلغه عن
ابن عرفة أَنَّهُ كان يدرِّس من صلاة الغداة إلى الزوال ، يُقْرَأُ فنوناً ، وابتدئ
بالتفسير ، وأن الإمام ابن مرزوق أول ما دخل عليه وَجَدَهُ يفسر هذه الآية
﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ فكان أول ما فاتحه أن قال له : هل يصح
كون (من) هنا موصولة ؟ فقال ابن عرفة : كيف وقد جزمت ؟ فقال له :
تشبيهاً لها بالشرط ، فقال ابن عرفة : إنَّما يقدم على هذا بنص من إمام أو شاهد
من كلام العرب ، فقال : أمَّا النص فقول التسهيل كذا ، وأمَّا الشاهد فقول
الشاعر :

فلا تحفِرنْ بثرأ تريدُ أحمأ بها فإِنَّكَ فيها أنت مِن دُونِهِ تَقَعُ
كذلك الذي يبغى على الناس ظالماً تُصِبْنُهُ على رَغْمٍ عواقبُ ما صَنَعُ

فقال ابن عرفة : فأنت إذاً ابنُ مرزوق ، قال : نعم ، فرحب به ؛ انتهى .
وهو خلاف ما تقدم ، والأول أصوب لنقل غير واحد أن جزم الموصولات إنَّما
يكون في الجواب ، لا في الشرط ، والله تعالى أعلم .

وفي بعض المجاميع أن ابن عرفة اشتغل بضيافته لما انقضى^٢ المجلس .
ومن فوائده أَنَّهُ كان يصرف لفظ « أبي هريرة » بناء على أن جزء العَلَمِ
غيرُ علم ، وخالفه أهل فاس في ذلك لما بلغهم ، ومال الأستاذ الصغير والحافظ
القوري^٣ إلى منع الصرف لوجه ليس هذا موضعها ، ومنها قول ابن مالك :

١ الشيخ : سقطت من ق .

٢ نيل الابتهاج : انفصل .

٣ ص : القدوري ؛ ق : التويري .

ولاضطرار كَبَنَاتِ الأوبر

فإنه مؤذن بأن جزء العلم علم ، وقد ألف في المسألة ابن العباس [التلمساني] تأليفاً سماه « الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الانصراف » ؛ انتهى .
ومن نظمه رحمه الله تعالى :

بلدُ الجِدَارِ ما أمرَ نَوَاهَا كلفَ الفؤادُ بِجِبْهَا وهَوَاهَا .
يا عاذلي كنْ عاذري في حِبِّهَا يكفيك منها ماؤُهَا وهَوَاهَا .

ويعني ببلد الجدار تلمسان ، ولذلك قال في رجز في علم الحديث ما صورته :

ومنَ بها أهلُ ذكاءٍ وفطنٍ في رابعٍ منَ الأقاليمِ قُطْنِ
يكفيك أنِ الداودي بها دُفِنَ مع ضجيجهِ ابنِ غزلونَ الفُطْنِ

قلت : وحدثني عمي الإمام سيدي سعيد المقرئ - رحمه الله تعالى - أن العلامة ابن مرزوق لما قدم تونس في بعض الرسائل السلطانية طلب منه أهل تونس أن يقرأ لهم في التفسير بحضرة السلطان ، فأجابهم إلى ذلك ، وعينوا له محل البدء ، فطالع فيه ، فلما حضروا قرأ القارئ غير ذلك ، وهو قوله تعالى ﴿ فمثلته كمثل الكلب - الآية ﴾ (الأعراف : ١٧٦) وأرادوا بذلك إفحام الشيخ والتعريض به ، فوجم هنيهة ، ثم تفجر بينابيع العلم إلى أن أجرى ذكر ما في الكلب من الخصال الحمودة ، وساقها أحسن مساق ، وأنشد عليها الشواهد ، وجلب الحكايات ، حتى عدّ من ذلك جملة ، ثم قال في آخرها : فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب وخصاله ، غير أن فيه واحدة ذميمة - وهي إنكاره الضيف ، ثم افترق المجلس ، وأخبرني أنه أطل في ذلك المجلس من الصبح إلى قرب الظهر ، وقد طال عهدي بالحكاية ، وإنما نقلتها بمعناها من حفظي ، وهي من الغرائب ، ولولا الإطالة لذكرت ما وقع له مع بعض علماء برصه في الخجاز حسبما ذكره في مناقب شيخه المصمودي ، رحم الله الجميع .

رجع إلى ذكر مشايخ لسان الدين . فنقول :

١٩ - ومن مشايخ لسان الدين الرئيس أبو الحسن علي بن الجياب^١ ، وهو كما في « الإحاطة » علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن ، الأنصاري الغرناطي ، أبو الحسن ، قال : وهو شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ . ومن مشايخه أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، وخلق ، قال : وقد دونت شعره ، فمن معشراته قوله في حرف الجيم :

جريئاً على الزلاّت غير مفكّرٍ جباناً على الطاعات غير معرّجٍ
جمعت لما يفنى اغتراراً يجمعه وضيعت ما يبقى ، سجيةً أهوجٍ
جنوناً بدارٍ لا يدومُ سرورها فدعها سدّى ، ليست بعُشكٍ فادرُجي^٢
جياذك^٣ في شأو الضلالِ سوابقُ تفوت مدى سنّ الوجيه وأعوجِ
جهلت سبيلَ الرشدي فاقصدْ دليلاً تجدْ دارَ سعدٍ بابها غيرُ مُرتجِ
جنابُ رسولٍ ساد أولادَ آدمٍ وقربَ في السبع الطباقي بمعرّجِ
جمالُ أنارِ الأرضِ شرقاً ومغرباً فكلُّ ستاً من نوره المتبلجِ^٤
جلا صدأ المرتاب أن سبّحَ الحصى لديه بنطقٍ ليس بالمتلجلجِ
جعلتُ امتداحي والصلاةَ عليه لي وسائلَ تُحظيني بما أنا مرتجِ

وقال من الأغراض الصوفية السلطانية :

هاتِ اسقني صيرفاً بغير مزاجٍ راحي التي هي راحتي وعلاجي

١ ترجمة ابن الجياب في الكتيبة الكامنة : ١٨٣ ونيل الابتهاج : ١٩٣ ونثير فرائد الجمان : ٢٣٩ (رقم : ٦) ودرة الحجال ٢ : ٣٥ والديباج المنهب : ٢٠٧ والإحاطة : ٣٣٠ (وهي موجزة) .

٢ ليس بعشك فادر جي : مثل يقال في من يدخل نفسه في ما لا يعنيه .

٣ ص ق : جيادي .

٤ سقط البيت من ق .

إن صبَّ منها في الزجاج قطرة
 وإذا الخليعُ أصاب منها شربةً
 وإذا المريدُ أصاب منها جرعةً
 تاهت به في مهمه لا يهتدي
 يرتاح من طربٍ بها فكأنما
 هبت عليه نسمةٌ قدسيةٌ
 فإذا انثنى يوماً وفيه بقيةٌ
 وإذا تمكن منه سكرٌ معرّبٌ
 قصرت عبارةٌ فيه عن وجدانه
 أعشاهُ نورٌ للحقيقة باهرٌ
 رام الصعودَ بها لمركز أصله
 فلئن أمدَّ برحمة وسعادةٍ
 وليرجعنَّ بنعمة موفورةٍ
 ولئن تخطّاهُ القبولُ لما جنى
 ما أنت إلا درّةٌ مكنونةٌ
 فاجهد على تخليصها من طبعها
 واشددْ يدك معاً على جبل الثقي
 ولدى العزيز أبسطْ بساطَ تذللٍ
 هذا الطريقُ له مقدمتان صا
 فاجمعْ إلى ترك الهوى حملَ الأذى
 حرفان قد جمعا الذي قد سطروا
 والمشبُّ الأصفى الذي من ذاقه
 أن لا ترى إلا الحقيقة وحدها

شَفَّ الزجاجُ عن السنا الوهاجِ
 حاجاه بالسرِّ المصون مُحاجي
 ناجاه بالحقِّ المبين مُناجي
 فيه لتأويبٍ ولا إدلاجِ
 غنَّته بالأرمال والأهزاجِ
 في قيءٍ بابٍ دائم الإرتاجِ
 سارت به قصداً على المنهاجِ
 فليصبرنَّ لمصرع الحلاجِ
 فغدا يفيضُ بمنطقٍ للحلاجِ
 فتراهُ يخطُّ في الظلام الداجي
 فرمت به في بحرها الموجِ
 فليخلصنَّ من بعد طول هياجِ
 ما شيبَ عذبُ شرابها بأجاجِ
 فليرجعنَّ نيكماً على الأدرجِ
 قد أودعت في نقطة أمشاجِ
 تعرجُ بها في أرفع المعراجِ
 فإن اعتصمت به فأنت الناجي
 وإلى الغيِّ امددْ يدَ المحتاجِ
 دقتان أنتجتا أصحَّ نساجِ
 واقتنعْ من الإسهاب بالإدماجِ
 من بسط أقوالٍ وطولٍ حجاجِ
 فقد اهتدى منه بنور سراجِ
 والكلُّ مضطربٌ إليها لاجي

هذي بدائعُ حكمةٍ أنشأها بإشارةِ المولى أبي الحجاجِ
وسيعَ الأنامِ بفضلهِ وبعدهِ وبحلمِهِ وبجودهِ الشَّجَّاجِ
من آلِ نصرٍ نخبهَ الملكِ الرضى أمَّنُ المروَّعُ هُمُ وغيثُ الراجي
من آلِ قيلةِ ناصري خيري الورى والخلقُ بين تخاذلٍ ولحاجِ
ماذا أقولُ وكلُّ قولٍ قاصرٌ في وصفِ بحرٍ زاخرِ الأمواجِ
منه لباغي العُرفِ درٌّ فاخرٌ ولمن يعادي الدينَ هَوْلٌ فاجي
دامت سعودك في مزيدٍ والمنى تأتيك أفواجاً على أفواجِ

وقال من المطولات :

لمن المطايا في السرابِ سوابجا تنقلي الفلاة غوادياً وروائحا
عُوجٌ كأمثالِ القسيِّ ضوامرٌ يرمين في الآفاقِ مَرَمًى نازحا

وقال يمدح ، ويصف مصنعا سلطانياً^١ :

زارت تجرُّ بنخوةٍ^٢ أذيالها هيفاء تخلطُ بالنِّفار دلالها
فالشمسُ من حسدِها مصفرةٌ إذ قَصَّرتُ عن أن تكونَ مثالها
وافتك تمزجُ لينها بقساوةٍ قد أدرجتُ طيَّ العتابِ نوالها
كم رمتَ كم مزارها لكنَّه صحَّتْ دلائلُ لم تُطقْ إعلاها
تركتُ على الأرجاء عند مسيرها أَرَجاً كأنَّ المسكَ فُتَّ خلاها
ما واصلتك محبةٌ وتفضلاً لو كان ذاك لواصلتُ إفضالها
لكن توقعتِ السلوَّ فجددتِ لك لوعةً لا تنقي ترحالها
فَوَحَّيْتُهَا^٣ قَسَماً يحقُّ بروره لتجشمنك في الهوى أهوالها

١ انظر نثر فرائد الجمان : ٢٤١ .

٢ نثر : تجر بنخوة .

٣ ق : فوحها .

حَسَنَتْ نَظْمَ الشَّعْرِ فِي أَوْصَافِهَا
 يَا حُسْنَ لَيْلَةٍ وَصَلَهَا ، مَا ضَرَّهَا
 لَمَّا سَكِرَتْ بِرَيْقِهَا وَجَفَوْنَهَا
 هَذَا الرِّبْعُ أَتَاكَ يَنْشُرُ حَسَنَهُ
 وَاخْلَعْ عَذَارَكَ فِي الْبَطَالَةِ جَاغَا
 فِي جَنَّةٍ تَجْلُو مَحَاسِنَهَا كَمَا
 شَكَرْتَ أَبَادِي الْحَيَا شُكْرَ الْوَرَى
 وَصَمِيمِهَا أَصْلًا وَفِرْعَا ، خَيْرَهَا
 الطَّاهِرَ الْأَعْلَى الْأَمِينَ الْمُرْتَضَى
 حَازَ الْمَعَالِي كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
 إِنْ تَلَقَّاهُ فِي يَوْمٍ بِذَلِّ هَيْبَتِهِ
 أَوْ تَلَقَّاهُ فِي يَوْمٍ جَرَبَ عِدَاتِهِ
 مَلِكٌ إِذَا مَا صَالَ يَوْمًا صَوْلَةً
 فَبَسِيبِهِ وَبَسِيفِهِ نَلَتْ الْمُتَى
 الْوَاهِبُ الْآلَافِ قَبْلَ سُؤَالِهَا
 الْقَاتِلُ الْآلَافِ قَبْلَ قِرَاعِهَا
 إِنْ قَلْتَ بِحَرٍّ كَفَّهُ قَصَّصَتْ إِذْ
 مَلَأَ الْبَسِيطَةَ عَدْلُهُ وَأَمَانَهُ
 وَسَقَى الْبَرِيَّةَ فَيَضُّ كَفِيهِ فَقَدْ
 جَمَعَ الْعُلُومَ عَنَاءَةً بِعِيُونِهَا
 مَنَقُولَهَا مَعْقُولَهَا ، وَأَصُولَهَا
 فَلِذَا عَفَاتِكَ عَايَنُوكَ تَهَلَّلُوا
 إِذْ قَبَّحَتْ لَكَ فِي الْهَوَى أَعْمَالَهَا
 لَوْ أَتَبَعْتُ مِنْ بَعْدِهَا أَمْثَالَهَا
 أَهْمَلْتُ كَأْسَكَ لَمْ تُرِدْ إِعْمَالَهَا
 فَافْسَحْ لِنَفْسِكَ فِي مَدَاهِ مَجَالِهَا
 وَاقْرَأْ بِأَسْحَارِ الْهِنَا أَصَالَهَا
 تَجْلُو الْعُرُوسُ لَدَى الزَّفَافِ جَمَالَهَا
 شَرَفَ الْمُلُوكِ هِمَامَهَا مَفْضَالَهَا
 ذَاتًا وَخُلُقًا ، سَمَحَهَا بِذَاتِهَا
 بِحَرَ الْمَكَارِمِ غِيْثَهَا سِلْسَالَهَا
 وَجَرَى لِفَايَاتِ الْكِرَامِ فَنَالَهَا
 تَلَقَّ الْغَمَائِمَ أَرْسَلَتْ هَطَّالَهَا
 تَلَقَّ الضَّرَاعِمَ فَارَقَتْ أَشْبَالَهَا
 خِلَتْ الْبَسِيطَةَ زُلْزَلَتْ زَلْزَالَهَا
 وَاسْتَعَجَلَتْ أَعْدَاؤُهُ أَجَالَهَا
 فَكَفَى الْعَفَاةَ سُؤَالَهَا وَمِطَالَهَا
 فَكَفَى الْعِدَاةَ قِرَاعِهَا وَنَزَالَهَا
 شَبَّهَتْ بِالْمَلْحِ الْأَجَاجِ نَوَالَهَا
 فَالْوَحْشُ لَا تَعْدُو عَلَى مَنْ غَالَهَا
 عَمَّ الْبِلَادَ سَهُولَهَا وَجِبَالَهَا
 آدَابُهَا وَحَسَابُهَا وَجِدَالَهَا
 وَفُرُوعُهَا ، تَفْصِيلُهَا لِجَمَالِهَا
 لَمَّا رَأَوْا مِنْ كَفِّكَ اسْتِهْلَالَهَا

١ ق ونثير : يفتنونها .

وإذا عُداتك أبصروك تيقنوا
 بددت شملهم ببيض صوارم
 وأجحت أرضهم فأصبح أهلها
 فتحت إمارتك السعيدة للورى
 وبنت مصانع رائقات ذكّرت
 وأجلّها قدراً وأرفعها مدى
 هو جنة فيها الأمير مخلّد
 ولأرض أندلس مفاخر أنتم
 فحميتهم أرجاءها ، وكفيتهم
 فبال نصر فاخرت لا غيرهم
 بمحمد ومحمد ومحمد
 فهم الألى ركبوا لكل عزيمة
 وهم الألى فتحوا لكل ملّة
 متقلدون من السيوف عضابها
 الراكبون من الجياد عرابها
 أولي عهد المسلمين ونجبة الـ
 إن العباد مع البلاد مقبرة
 فتفك عانيها ، وتحمي سربها
 أن المنية سلّطت ربّالها
 روّيت من علق الكماة نصالها
 خوراً ١ تغادر نهبه أموالها
 أبواب بشرى واصلت لإقبالها
 دار النعيم جناتها وظلالها
 هذا الذي سامى النجوم وطالها
 بلغت إمارته بها آمالها
 أربابها أضفيتهم سربالها
 أعداءها ، وهديتم ضلالها
 لم تعتمد من قبلهم أقبالها
 قصرت على الخصم الألد نضالها
 جرداً كسين من النجيع جلالها
 باباً أزاح بفتحها إشكالها
 متأبطون من الرماح طوالها
 والضاربون من العدا أبطالها
 أملاك صفوة محضها وزلالها
 بفضائل لك مهدت أحوالها
 وثفيد حلماً دائماً جهالها

وقال يرثي ولده أبا القاسم رحمهما الله تعالى :

هو البين حتماً ، لا لعل ولا عسى
 فما بال نفسي لم تفيض عنده أسى
 وما لفؤادي لم يذب منه حسرة
 فتبّاً لهذا القلب سرعاناً ما قسا

١ نثر : جزأ .

وما لحفوني لا تفيضُ مؤرداً
وما للساني مفصلاً بخطابه
أمنٌ بعدما أودعتُ رُوحِي في الثرى
وبعد فراقِ ابني أبي القاسم الذي
أومل^٢ في الدنيا حياةً وأرتضي
فأماً وللمفجوع فيها استراحةً
على عُمُرٍ أفنيتُ فيه بضاعتي
ظلتُ به في غفلةٍ وجهالةٍ
إلى الله أشكو برحَ حزني فإنه
وهدةً خطبٍ نازلتي عشيّةً
فقد صدّعتُ شملِي وأصمتُ ممّاتلي^٣
ثبتُ لها صبراً لبدةٍ وقعها
وأطمعُ أن يلقي برحمته الرضى
أبا القاسم اسمع شكْوِ والدك الذي
وقفتُ فؤادي مذرّحت على الأسي
وقطعتُ آمالي من الناسِ كلّهم
تواريت يا بدري وشمسي وناظري
وخلفتُ لي عيباً من الثكل فادحاً
أحقاً ثوى ذاك الشبابُ فلا أرى
فيا غُصناً نضراً ثوى عندما استوى
ويا نعمةً لما تبلغتُها انقضتُ

من الدمع يهمي تارةً ومؤرساً
وما كان لو أوفى بعهدٍ لينبسا^١
ووسّدتُ مني فلذةَ القلبِ مرّساً
كساني ثوبَ الثكلِ لا كان ملبساً
مقيلاً لدى أبنائها ومعرّساً
ولا بدءاً للمصدورِ أن يتنفساً
فأسلمني للقبر حيران^٣ مفلساً
إلى أن رمى سهمَ الفراقِ فقرطساً
تلبّسَ منه القلبُ ما قد تلبّساً
فما أغنتِ الشكوى ولا نفعَ الأسأ
وقد هدمتُ ركني الوثيقَ المؤسسا
فما زلزلتُ صبري الجميلَ وقد رسا
وأجزعُ أن يشقى بذنب فينكسا
حسا من كؤوسِ البين أفضعَ ما حسا
فأشهدُ لا ينفكُ وقفاً عبّساً
فلستُ أبالي أحسنَ المرءِ أم أسا
فصار وجودي مذتواريت حنّداً
فما أتعبَ الثكلان نفساً وأنعسا
له بعد هذا اليوم حولي مجلسا
وأوحشني أضعافَ ما كان أنسا
فأنعمُ أحوالي بها صار أبوسا

١ ق : ليقبسا .

٢ ق ص : آمل .

٣ ق : مفاصل .

لَوَدَّعَثُهُ وَالدمْعُ تَهْمِي سَحَابُهُ
وَقَبَّلْتُ فِي ذَاكَ الْجَبِينُ مودِعَاً
وَحَقَّقْتُ مِنْ وَجْدِي بِهِ قَرَبَ رَحَلَتِي
فِيَا رَحْمَةً لِلشَّيْبِ يَبْكِي شَيْبَةً
فَلَوْ أَنَّ هَذَا الْمَوْتَ يَقْبَلُ فِدِيَةً
وَلَكِنَّ حَكْمًا مِنْ اللَّهِ وَاجِبًا
تَغْمِدُكَ الرَّحْمَنُ بِالْعَفْوِ وَالرَّضَى
وَأَلَّفَ مِنَّا الشَّمْلَ فِي جَنَّةِ الْعُلَا

كَمَا أَسْلَمَ السَّلَكُ الْفَرِيدَ الْمُخْمَسَا
لَأَكْرَمَ مِنْ نَفْسِي عَلِيٍّ وَأَنْفَسَا
وَمَاذَا عَسَى أَنْ يُنْظَرَ الدَّهْرُ مِنْ عَسَا
قِيَاسٌ لِعَمْرِي عَكْسُهُ كَانَ أَقْيَسَا
حَبَّوْنَاهُ أَمْوَالًا كِرَامًا وَأَنْفُسَا
يُسَلِّمُ فِيهِ مِنْ بَخِيرِ الْوَرَى اثْنِي
وَكُرَّمٌ مَثْوَاكَ الْجَدِيدَ وَقَدَسَا
فَنَشْرَبُ تَسْنِيمًا وَنَلْبَسُ سُنْدَسَا

وكتب إلى القاضي الشريف وهو بوادي آش :

أَهْزَلًا وَقَدْ جَدَّتْ بِكَ اللَّمَّةُ الشَّمْطَا
أَغْرَكَ طَوْلُ الْعَمْرِ فِي غَيْرِ طَائِلٍ
رَوِيدًا فَإِنَّ الْمَوْتَ أَسْرَعُ وَافِدٍ
فَإِذَا ذَلِكَ لَا تَسْطِيعُ إِدْرَاكَ مَا مَضَى
تَأَهَّبْ فَقَدْ وَافَى مَشْيُوكَ مَنْذَرًا
فَوَافَقَتْ مِنْهُ كَاتِبَ السَّرِّ وَاشْيَا
مَعْمَى كِتَابٍ فَكُّهُ « احْذَرْ » فَهَذِهِ
وَلِنْ طَالَمَا خَاضَتْ بِهِ اللَّجَجَ الَّتِي
وَمَا زِلْتَ فِي أَمْوَاجِهَا مَتَقَلِّبًا
فَقَدْ أَوْشَكَتْ تَلْقِيكَ فِي قَعْرِ حَفْرَةٍ
وَلَسْتَ عَلَى عِلْمٍ بِمَا أَنْتَ بَعْدَهَا

وَأَمَّا وَقَدْ سَاوَرْتَ يَا حَيَّةَ رَقْطَا
وَسَرَّكَ^١ أَنْ الْمَوْتَ فِي سِيرِهِ أَبْطَا
عَلَى عُمُرِكَ الْفَانِي رَكَائِبِهِ حَقًّا^٢
بِحَالٍ ، وَلَا قَبْضًا تَطِيقُ وَلَا بَسْطًا^٣
وَهَا هُوَ فِي فَوْدَيْكَ أَحْرُفُهُ خَطًّا^٤
لَهُ الْقَلَمُ الْأَعْلَى يَخْطُ بِهِ وَخَطَا
سَفِينَةُ هَذَا الْعَمْرِ قَارِبَتِ الشُّطَا
خَبِطَتْ بِهَا فِي كُلِّ مَهْلَكَةٍ خَبِطَا
قَاوَنَةٌ رَفْعًا وَآوَنَةٌ حَقًّا
تَشْدُّ عَلَيْكَ الْجَانِبِينَ بِهَا ضَغْطَا
مُلَاقٍ ، أَرْضَوَانَا مِنْ اللَّهِ أَمْ سَخَطَا

١ ص : وغرك .

٢ سقط البيت من ق .

٣ وقع البيت بعد تاليه في ق .

٤ وقع البيت ثالثاً في ص .

وأعجبُ شيءٍ منك دعواك في النهي
 قسّطتَ عن الحقِّ الميّنِ جهالةً
 وطاوَعْتَ شيطاناً تجيبُ إذا دعا
 تناءى عن الأخرى، وقد قربتُ مدّى
 وتمنحها حبّاً وفرطاً صبايةً
 فيها أنت تهوى وصلّها وهي فاركُ
 صراطُ هدّى نكبتَ عنه عَمَايَة
 فما لك إلا السيدُ الشّافِعُ الذي
 دليلُ إلى الرحمن ، فانهجْ سبيله
 محبته شرطُ القبولِ ، فمن خلتُ
 وما قبِلْتُ منه لدى الله قربةً
 به الحقُّ وضاحٌ ، به الإفكُ زاهقُ
 هو الملجأُ الأحمى ، هو الموئل الذي
 لقد مازجتُ رُوحِي محبتهُ التي
 إليك ابنَ خيرِ الخلقِ بنتَ بديهه
 وحيدةً هذا العصرِ وافَتْ وحيدةً
 وتتلوّ آياتِ التشييعِ إنتها
 لك الشرفُ المأثور يا ابنَ محمد
 إلى شرفي دينٍ وعلمٍ تظاهرا
 ورهطُك أهلُ البيتِ ، بيتِ محمدٍ
 بعثتَ به عقداً من الدرِّ فاخراً
 وأهديتُ منها للسيادةِ غادةً

وهذا الهوى المردي على العقل قد غطى
 وقد خالفك النفسُ فادعت القسّطا
 وتقبّلُ إن أغوى ، وتأخذ إن أعطى
 تدانى من الدنيا ، وقد أزمعت شحطا
 وما منحتُ إلا القنادةَ والخرطاً
 وتأمل قرباً من حياها وقد شطّا
 ودار ردّى أوعيت في سحتها سراطاً
 له فضلُ جاهٍ كل ما يرتعجي يعطى
 فمن حاد عن نهج الدليلِ فقد أخطا
 صحيفتهُ منها فقَدَ فقَدَ الشرطا
 وما زكت الأعمالُ ، بل حبّطتُ حبّطا
 به الفوزُ مرجوٌ ، به الذنبُ قد حُطّا
 به في غدٍ يستشفع المذنبُ الخطّا
 بقليّ خُطّْتُ قبل أن أعرفَ الخطّا
 تُقبّلُ تبجيلاً أناملك السبّطا
 لتبسّط من شتّى بدائعها بسطا
 لموثقةً عهداً ومحكمةً ربطا
 وحسبك أن تُنمى إلى سبطه سبطا
 تبارك من أعطى وبورك في المعطى
 فأعظمُ به بيتاً ، وأكرمُ به رهطا
 وذكرُ رسول الله دُرَّتُهُ الوُسْطى
 نظمتُ من الدرِّ الثمين بها سِمْطاً

١ هذه قراءة ص ؛ وفي ق : شحها شرطاً .

وحاشيتها من كل ما شأنها ، فإن
وفي الطيبين الطاهرين نظمتهما
عليك سلامُ الله ما ذرَّ شارقُ
تَجَعَّدَ حُوشِي تَجِدُ لفظها سبطا
فساعدَها من أجل ذلك حرفُ الطا
وما رددت ورقاء في غُصْنٍ لفظا

وقال :

لله عصرُ الشبابِ عصراً
حَفِظْتُ ما شئتُ فيه حفظاً
حتى إذا ما المشيبُ وافي
لا تعنوا بعدها بحفظٍ
فَتَحَّ للخيرِ كلَّ بابٍ
كنتُ أراهُ بلا ذهابٍ
ندَّ ولكنَّ بلا إيابٍ
ويَدُوا العلمَ بالكتابِ

وقال :

يا أيُّها المسكُ البَخيلُ
أنفقْ وثقْ بالآلهِ تَرْبَحْ
وقدَّم الأقربين واذكر
إلهُكَ المنفقُ الكَفيلُ
فلنَّ إحسانَه جَزِيلُ
ما رُويَ ابتداءً بمن تَعُولُ

وقال :

وقائلة ليم عراك المشيبُ
فقلتُ لها لم أشيبُ كبرةً
وما إن بعهد الصِّبَا من قِدمُ
ولكنَّه الهمُّ نصفُ الهرمِ

وقال :

أيعنادني سقمُ وأنت طيبُ
يقيني أنَّ اللهَ جلَّ جلاله
وتبعدُ آمالي وأنت قريبُ
يقيني فراجي الله ليس ينجيبُ

وقال :

هي النفسُ إنَّ أنتَ ساحتها رمتْ بك أقصى مهاوي الخديعة

وإن أنتَ جشمتها خُطَّةً تنافي رضاها تجدُّها مطيعه
فإن شئت فوزاً فناقضْ هواها وإن وصلتكَ آجزها بالقطيعه
ولا تعباً ببيعادها فمبعادُها كسرَابٍ بيقيعه
وقال :

من أنت يا مولى الورى مقصودُه طوبى له قد ساعدته سعودُه
فليشهدنك له فؤادُ صادقُ وشهودُه قامتْ عليه شهوده
وليفنين عن نفسه ورسومه طرّاً ، وفي ذاك الفناء وجوده
وليحفظنه بارقُ يرقى به في أشرفِ المعراجِ ثم يعيده
حتى يظلّ وليس يدري دهشةُ تقرّيهُ المقصودُ أم تبعيده
لكنّه ألقى السلاحَ مسلماً فمراده ما أنت منه تريده
فلقد تساوى عنده إكرامُه وهوانُه ومفيدُه ومبيده
وقال ملغزاً في حجل^١ :

حاجيتُ^٢ كلَّ فطينٍ ليب ما اسمُ لأنثى من بني يعقوب^٣
ذاتِ كراماتٍ فزرها قرينةُ فزورها أحقُّ بالتقريبِ
تشرکہا في الاسمِ أنثى لم تزلْ حافظتُ لسرها المحجوبِ
وقد جرى في خاتم الوحي الرضى لها حديثٌ ليس بالملكوبِ
وهو إذا ما الفاءُ منه صُحِّفتْ صبيغُ الحياءِ لا الحياءِ المسكوبِ
فهاكها واضحةٌ أسرارها فأمرها أقربُ من قريبِ
وقال أيضاً في آب :

١ الكتيبة الكامنة : ١٨٩ .

٢ الكتيبة : خاطبت .

٣ اليعقوب : ذكر الحجل .

٤ يعني فاء الكلمة وهو حرف الحاء .

حاجيتكم ما اسمُ عَلمٌ ذو نسبةٍ إلى العجمِ
يخبرُ بالرجعةِ وه وراجعٌ كما زعمُ
وصفُ الحبيبِ هو باله صحيفٍ أو بدءُ قسَمِ
دونكه أوضح من نارٍ على رأسِ علمِ

وقال في كانون :

وما اسمٌ لسمين ولم يجمعهما جنسُ
فهذا كلُّ ما يأتي فبالآخرِ لي أنسُ
وهذا ما له شخصُ وهذا ما له حسُ
وهذا ما له سَوَمُ وذا قيمتهُ فلسُ
وهذا أصله الأرضُ وهذا أصله الشمسُ
وهذا واحدٌ من سب عةٍ تحيا بها النفسُ
فمن محموله الجنُ ومن موضوعه الإنسُ
فقد بانَ الذي ألغز ثُ ما في أمره لبسُ

وقال في سلّم :

ما اسمٌ مركَّبٌ مفيدُ الوضعِ مستعملٌ في الوصلِ لا في القطعِ
يُنصَبُ لكن أكثر استعمالٍ من يُعنى به في الخفضِ أو في الرفعِ
هو إذا حَقَّقْتَهُ مغيراً^١ تراه شملًا لم يزلْ ذا صدعِ
فالاسمُ إن طلبته تجده في خامسةٍ من الطوالِ السبعِ^٢
وهو إذا صَحَّفْتَهُ يعربُ عن مكسَّرٍ في غيرِ بابِ الجمعِ^٣

١ الكتيبة : وهو إذا صغرته مخففاً .

٢ إشارة إلى الآية « أو سلمات في السماء » (الأنعام : ٢٥) .

٣ إذا صحفت « سلم » أصبح « يثلم » أي يتكسر .

له أخٌ أفضلُ منه لم تزلْ آثاره محمودَةٌ في الشرح^١
هما جميعاً من بني النجارِ والأفْ ضلُّ أصلٌ في حنينِ الجذع^٢
فهاكه قد سَطَعَتْ أنوارُهُ لا سيّما لكلِّ زاكي الطبع

وقال في مائدة :

حاجيتُ كلَّ فطينٍ نظارٍ ما اسمٌ لأثني من بني النجارِ
وفي كتابِ الله جاء ذكرُها فقلّما يغفلُ عنها القاري
في خبرِ المهديِّ فاطلبها تجدُ إن كنتَ من مطالعي الأخبارِ
ما هي إلا العيدُ عيدُ رحمةٍ ونعمةٍ ساطعةٍ الأنوارِ
يشركها في الاسمِ وصفٌ حسنٌ من وصفِ قُضْبِ الروضةِ المعطارِ^٣
فهاكه كالشمسِ في وقتِ الضُّحى قد شَفَّ عنها حُجُبُ الأستارِ

ثم قال لسان الدين : وأما نثره فمطولات عرفت بما تخللها من الأحوال
متونها ، وقلّت لمكان البديهة والاستعجال عيونها ، وقد اقتنصت جزءاً منها سميت
« تافه من جم ونقطة من يم » وولد بغرناطة في جمادى الأولى عام ثلاثة وسبعين
وستمائة ، وتوفي ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شوال عام تسعة وأربعين
وسبعمائة ، وأنشدت من نظمي في رثائه خامس يوم دفنه على قبره هذه القصيدة :

ما للبراعِ خواضِعِ الأعناقِ طَرَقَ النعيُّ فهن في إطراقِ
وكأنما صَبَغَ الشحوبُ وجوهها والسقمُ من جَزَعٍ ومن إشفاقِ
ما للصحائفِ صَوَّحَتْ روضاتها أسفاً وكنّ نصيرةَ الأوراقِ
ما للبيانِ كؤوسُهُ مهجورةٌ غفل المديرو لها ونام الساقِ

١ أخوه هو المنبر .

٢ من بني النجار : من صنع النجار .

٣ أي أن قُضْبِ الروض تُميد فهي « مائدة » أي متمائلة .

ما لي عدمتُ تجلّدي وتصبري
 خطبُ أصابَ بني البلاغةِ والحجى
 أمّا وقد أودى أبو الحسن الرضى
 كثرُ المعارفِ لا تبيدُ نقودهُ
 منَ للبائعِ أصبحتُ سمر السرى
 منَ لليراعِ يحيلُ من خَطْبِهَا
 قُضِبُ ذوابلُ مشمراتُ بالنى
 منَ للرقاعِ الحمرِ يجمعُ حُسْنُهَا
 تغتالُ أحشاءُ العدوِّ كأنّها
 وهزُ أعطافَ الوليِّ كأنّها
 منَ للفنونِ يحيلُ في ميدانها
 منَ للحقائقِ أبهتُ أبوابها
 منَ للمساعيِ الغرِّ تقصدُ جاهه
 كم شدَّ من عقْدٍ وثيقٍ حكمه
 رَحْبُ الذراعِ بكلِّ خَطْبٍ فادحِ
 صعبُ المقادةِ في الهوادةِ والهوى
 ركبُ الطريقِ إلى الجنانِ وحورها
 فاعجبُ لأنسٍ في مظنةِ وحشةِ
 أمطيّباً بمحامدِ العملِ الرضى
 ما كنتُ أحسبُ قبلَ نعشك أن أرى
 ما كنتُ أحسبُ قبلَ ذفنك في الثرى
 يا كوكبَ الهدى الذي من بعدهِ
 يا واحداً مهما جرى في حلبةِ

والصبرُ في الأزماتِ من أخلاقِ
 شبُّ الزفيرِ به عن الأطواقِ
 فالفضلُ قد أودى على الإطلاقِ
 يوماً ولا تفنى على الإنفاقِ
 ما بينَ شامِ للورى وعراقِ
 سمَّ العدا ومفتاحِ الأرزاقِ
 وأراقمُ ينفنُ بالترىاقِ
 خجلَ الحدودِ وصبغةِ الأحداقِ
 صفحاتُ داميةِ الغرارِ رقاقِ
 راحُ مشعشةُ براحةِ ساقِ
 خيلَ البيانِ كريمةِ الأعراقِ
 للناسِ يفتحها على استغلاقِ
 حرماً فينصرها على الإخفاقِ
 في الله أو أفنى بجلٍ وثاقِ
 أعيتُ رياضتهُ على الحداقِ
 سهلٌ على العافين والطَّرَاقِ
 يلقينه بتصافحِ وعناقِ
 ومقامِ وصلٍ في مقامِ فِراقِ
 ومكفناً بمكارمِ الأخلاقِ
 رضوى تسيرُ به على الأعناقِ
 أنَّ اللهودَ خزائنُ الأعلاقِ
 ركدةِ الظلامِ بهذه الآفاقِ
 جَلَى بغرةِ سابقِ السِّباقِ

يا ثاوياً بطنَ الضريحِ وذكرُهُ
يا غوثَ من وصلَ الصريحَ فلم يجدْ
ما كنتَ إلا ديمةً منشورةً
ما كنتَ إلا روضةً مطورةً
يا مزماً عتاً العشيَّ ركابُهُ
رفقاً أبانا جلَّ ما حملنا
واسمحْ ولو بمزارٍ لقيا في الكرى
وإذا اللقاءُ تصرمت أسبابُهُ
عجباً لنفسٍ ودعتك وأيقنتُ
ما عذرها إن لم تقاسمك الردى
إن قصرتُ أجفاننا عن أن تُرى
واستوقفتُ دهنًا فإنَّ قلوبنا
ثقٌ بالوفاءِ على المدى من فتيةٍ
سَجَعَتْ بما طوقتها من منةٍ
تبكي 'فراقك' خلوةً عمرتها
أماً الثناءِ على عُلَاكَ فذائعٌ
واللهُ قد قرَنَ الثناءَ بأرضه
جادتْ ضريحك ديمةً هطالةً
وتغمدتك من الإلهِ سعادةً
صبراً بني الحِيَابِ إنَّ فقيدكم
وإذا الأسى لفحَّ القلوبُ أوارهُ
أبدأ رفيقُ ركائبٍ ورفاقٍ
في الأرضِ من وَزَرٍ ولا من واقٍ
من غيرِ إرعادٍ ولا إبراقٍ
ما شئتَ من ثمرٍ ومن أوراقٍ
هلاً ثَوَيْتَ ولو بقدرِ فُواقٍ
لا تنسَ فينا عادةَ الإشفاقِ
تُبْقِي بها منّا على الأرماقِ
كان الخيالُ تَعْلِيَّةَ المشتاقِ
أن ليس بعد نَوَاكٍ يوم تلاقي
في فضلِ كأسٍ قد شربتَ دهاقِ
تبكي النجيعَ عليك باستحقاقِ
نهضتُ بكلِّ وظيفةٍ الآماقِ
بك تقتدي في العهدِ والميثاقِ
حتى زَرَّتْ بحماهم الأطواقِ
بالذكرِ في طفَلٍ وفي إشراقِ
قد صحَّ بالإجماعِ والإصفاقِ
بشائه من فوق سبعِ طباقِ
تبكي عليه بواكفِ رَقَرَاقِ
تسمو بروحك للمحلِّ الراقي
سيسرُ مقدّمهُ بما هو لاقِ
فالصبرُ والتسليمُ أيُّ رواقِ

وأنشد في هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله ابن جرّي :

ألم تر أن المجدد أقوت معالمه
هو من سماء العلوات هالها
وثلّت من الفخر المشيد عروشه
وعطّل من حكني البلاغة قُسطها
أجل إنه الخطب الذي جلّ وقعه
ولا فما للنوم طار مطاره
وما لصباح الأنس أظلم نوره
وما لدموع العين فضّت كأنها
قضى الله في قطب الرياسة أن قضى
ومن قارع الأيام سبعين حجة
وفي مثلها أعيا النطاسي طبه
تساوى جواد في رداه وباخل
وما نفعت ربّ الجياد كرامه
وكلّ تلاق فالفراق أمامه
وكيف مجال العقل في غير متفد
ليبتك علياً مستجير بعدله
ليبتك علياً مائع بحر علمه
ليبتك علياً مظهر فضل نصحه
ليبتك علياً معترف جود كفه
ليبتك علياً ليله وهو قائم
ليبتك علياً فضل كل بلاغة
وشخص ضئيل الجسم يرهّب نفثه

فأطاببه قد قوّضت ودعائمه
وخانت جواد المكرمات قوائمه
وقلّت من العز المنيع صوآرمه
وعرّي من جود الأنامل حاتمته
وتكلم غرب الدين والعلم حاجمه
وما للزيم الحزن قصّت قوادمه
وما لمحيّا الدهر قطب باسمه
فواقع زهر والجفون كئامه
فشتت ذاك الشمل من هو ناظمه
ستنبو غراره ويندق قائمه
وضل طريق الحزم في الرأي حازمه
فلا الجود وأقيه ولا البخل عاصمه
ولا منعت منه الغني كرائمه
وكلّ طلوع فالغروب ملازمه
إذا كان باني متصنع هو هادمه
يُصاخ لشكواه ويمنع ظالمه
يُروى بأنواع المعارف هائمته
يُحلّأ عن ورد المآثم حائمته
يواسيه في أمواله ويقاسمه
يكابده أو يومه وهو صائمته
يخلّده في صفحة الطرس راقمه
ليوث الشرى في خيسها وضراغمه^١

١ في هذا البيت كناية عن القلم .

تَكْفَلُ بِالرِّزْقِ الْمَقْدَرِ لِلوَرَى
يَسُدُّهُ سَهْمًا وَيَنْضُوهُ صَارِمًا
إِذَا سَالَ مِنْ شَقِيهِ سَائِلُ حَبْرِهِ
لِيَبْكُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا
تَقْلُدُ مِنْهُ الْمَلِكُ عَضْبَ بِلَاغَةٍ
وَقَلَّدَهُ مَتْنَى الْوِزَارَةِ فَانْتَفَى
فَفِي يَدِهِ وَهُوَ الزَّعِيمُ بِحَقِّهَا
سَخِيٌّ عَلَى الْعَافِينَ سَهْلٌ قِيَادُهُ
إِذَا ضَلَّتِ الْآرَاءُ فِي لَيْلٍ حَادِثٍ
وَقَامَ بِأَمْرِ الدِّينِ وَالْمَلِكِ حَامِيًا
وَقَدْ كَانَ نَيْطَ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالثَّقَى
وَدُوخَ أَعْنَاقِ اللَّيَالِي بِهِمَّةٍ
وَزَادَ عَلَى بَعْدِ الْمَنَالِ تَوَاضَعًا
سُقِيَتِ الْغَوَادِي؛ أَيُّ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ
وَمَا زَالَ يُسْتَسْقَى بِدَعْوَتِكَ الْحَيَا
بَكَتْ فَقْدُكَ الْكِتَابُ إِذْ كَانَ شَمْلُهُمْ
وَطَوَّقَتْهُمْ بِالْبِرِّ ثُمَّ سَقَيْتَهُمْ
وَيَبْكِيكَ مِنِّي ذَاهِبُ الصَّبْرِ مَوْجَعٌ
فَتَنَى نَالَ مِنْهُ الدَّهْرُ إِلَّا وَفَاءَهُ
عَلِيلُ الَّذِي زُرَّتْ عَلَيْهِ جَيُوبُهُ
فَقَدْ كُنْتُ أَلْقَى الْخُطْبَ مِنْهُ بِجُنَّةٍ
سَأَصْبِرُ مُضْطَرًّا وَإِنْ عَظُمَ الْأَمْسَى
وَأَهْدِيكَ إِذْ عَزَّ الْلِقَاءُ نَحِيَّةً

إِذَا اللَّهُ أَعْطَى فَهُوَ فِي النَّاسِ قَاسِمُهُ
وَيَشْرَعُهُ رَحْمًا فَكُلُّ يَلَاثِمُهُ
بِمَا شَاءَ مِنْهُ سَائِلٌ فَهُوَ عَالِمُهُ
فَتَلُكُ مَغَانِيهِ خَلَّتْ وَمَعَالِمُهُ
يَقْدُ السُّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ صَارِمُهُ
بِهَا أَلْمَعِي حَازِمُ الرَّأْيِ عَازِمُهُ
بِرَاعَتِهِ وَالْمَشْرِفِيُّ وَخَاتِمُهُ
أَبِيٌّ عَلَى الْعَادِينَ صَعْبُ شِكَاثِمُهُ
رَأَاهَا بِرَأْيٍ يَصْدَعُ الْخُطْبَ نَاجِمُهُ
فَذُلُّ مَعَادِيهِ وَضِلُّ مِرَاغِمُهُ
بِهِ وَهُوَ مَا نَيْطُ عَلَيْهِ تَائِمُهُ
يَبِيْتُ وَنَجْمُ الْأَفْقِ فِيهَا يَزَاحِمُهُ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَمَّ مَكَارِمُهُ
وَدِينٌ مَتِينٌ ذَلِكَ الْقَبْرِ كَاتِمُهُ
وَمَا هُوَ يَسْتَسْقَى لِقَبْرِكَ سَاجِمُهُ
يُؤْلِفُهُ مِنْ دُوخِ فَضْلِكَ نَاعِمُهُ
نَدَاكَ فَكُنْتَ الرُّوضِ نَاحَتِ حَمَائِمُهُ
تَوَقَّدَ فِي جَنِّيهِ لِلْحُزْنِ جَاحِمُهُ
فَمَا وَهَنْتَ فِي حِفْظِ عَهْدٍ عَزَائِمُهُ
قَرِيبُ الَّذِي شُدَّتْ عَلَيْهِ حَزَائِمُهُ
تَعَارَضُ دُونِي بِأَسَهِ وَتَصَادِمُهُ
أُحَارِبُ حَزَنِي مَرَّةً وَأَسَالِمُهُ
وَطِيبَ ثَنَاءُ كَالْعَبِيرِ نَوَاسِمُهُ

وأنشد الفقيه القاضي أبو جعفر ابن جزي قصيدة أولها :
أبشكما والصبرُ للعهدِ ناكثُ حديثاً أملتُهُ عليَّ الحوادثُ
وأنشد القاضي أبو بكر ابن علي القرشي قصيدة أولها :
هي الآمالُ غايتها نفاذُ وفي الغاياتِ تمتازُ الجيادُ
وأنشد الفقيه الكاتب القاضي أبو القاسم ابن الحكم قصيدة أولها :

ليَسْنَحَ الحِجْي والحلمَ مَنْ كان ناعياً ويرعَ العُلا والعلمَ مَنْ كان راعياً
قصائد مطولات يخرج استقصاؤها عن الغرض . فكان هذا التأبين غريباً لم
يتقدم به عهد بالحضرة لكونها دار ملك ، والتجلة في مثل هذا مقصورة على
أولي الأمر ؛ انتهى ما لخصته من ترجمته في « الإحاطة » .

ولتزد فنقول : ومن ألغازه في الدرهم :

ما بغيضٌ إلى الكرام خصوصاً وحبيبٌ إلى الأنامِ عموماً
فاعجبوا منه كيف يحمي ويُحمى ويكفُّ العدا ويغني العديماً
إن تغيرَ شطريه فالأولُ اسمٌ يألفُ الضرعَ والغمامَ السجُوماً
ويكونُ الثاني كبيرَ أناسٍ حطمتُهُ حيساتهُ تحطيماً
فلذا ما قلبتُ أولَ شطري ردّاً منطوقَ لغزه مفهومأ
وإذا ما قلبتُ ثانيَ شطري كان كفّاً وليس كفّاً رقيماً
قلْبُهُ بعد حذفك الفاء منه هو شيءٌ يحلّل التحريماً
أو صغيرٌ مستحسنٌ لم يؤدّبْ إن تعلّمه يقبل التعليمأ
فلتبيّنْ ما قلتهُ ولتعيّنْ وبه فلتقمْ مقاماً كريماً

وقال في المسك :

ما طاهرٌ طيبٌ ولكنْ ما أصله من ذوي الطهارة
 من الطبَّاءِ الحسانِ لكنْ إذا تأمَّلتْه فقارة
 نصَّ حديثُ الرسولِ فيه شهادةٌ تقتضي بشاره
 تصحيفه بعد حذفِ حرفٍ متلك الأهلُ العماره
 يعني مبنى .

وقال في فلك :

ما اسمٌ لشيءٍ مُرتقي في مغربٍ ومشرق
 إذا حذفتَ فاءه كان لك الذي بقي

وقال أيضاً في الفنار :

ما اسمٌ إذا حذفتَ منه هُ فاءه المتنوعة
 فإنَّه ابنةُ الزنا مضافةٌ لأربعه
 يعني ابنة الزناد ، وهي النار .

وقال في النوم :

ما اسمٌ مسمَّاهُ به يُسْقِطُ حُكْمَ التكليفِ
 وإن دخلتَ البيتَ بالنصِّ حيفَ حقِّ التعنيفِ
 وإن أردتَ شبهه فقلِّبه بالتصحيفِ
 بينه فهو في كتا ب الله بادي التعريفِ

وقال في غزال :

حاجيتكم ما اسم شيءٍ يروق في الوصفِ حسنا
 له محاسنٌ شتى منها فرادى ومثنى

.....^١
 مهما تَنَكَّهُ بِحَذْفِ
 إن زال أولُ حرفٍ
 أو زالَ ثانيهٍ منه
 أو زال ثالثهٍ فيه
 أو زالَ رابعهٍ فالـ
 فأوضحِ القصيدةَ يا مَنْ
 له بل الشعرُ أثنى
 أتاكَ حرفاً لمعنى^٢
 زال الذي منه يُعنى
 فالقتلُ أدهى وأفى
 ولَغَوُ صَبٍّ معنى
 جهادُ فيه تَسَنَّى
 قد فاق عَقلاً وذهناً

وقال في النمل :

ما حيوانٌ اسمه
 وهو إذا قلبته
 وإن تصحَّفَ اسمه
 قد جاء في الذكر الحكيم
 لمن به أنتَ عليم
 فبعضُ أوصافِ اللثيم

وقال في دواة :

وما أنثى بها رَعْيُ الرعايا
 وتقصدها بنوها من رضاعٍ
 لها اسمٌ إن أزلت النقطَ منه
 وإن أبدلتَ آخره بهمزٍ
 وإن بدلتَ أوله بنونٍ
 فأوضحِ ما رمزناه بفكرٍ
 وإمضاء المنايا والقضايا
 إذا انبعثوا لإبرامِ القضايا
 فعذُ بالله من شرِّ البلايا
 فقد أبرأتَ نازلةَ الشكايا
 أتيتَ ببعضِ أرزاقِ المطايا
 سديدِ القصيدِ مُبْدٍ للخفايا

وقال في سفينة :

ما ذاتُ نفعٍ وغَناءٍ عظيمٍ
 لها حديثٌ في الزمانِ القديمِ

^١ بياض في ق ص .

تبدل هذا المعجز مع المعجز التالي في ق .

أوحى بها الله إلى عبده
وعاينها فيما مضى صالح^١
وفي كتاب الله ترددها
إن أنت صحفت أسمها تلقه
أو هو فعل^٢ لك فيما مضى
فهاكه قد لاح برهانه

وقال أيضاً في المسك :

كتبتم^١ كثيراً ولم تكتبوا
فما اسم^٢ جرى ذكره في الكتاب
ففيها مصحف^٣ مقلوبه
وليست بغادية فاعلموا
كهذا الذي سئل^٤ واضحه
فإن شئت فاقرا الفاتحة^٥
يعبر عن حالة صالحه^٦
ولكنها أبداً رائحه
ويغني بقوله في الفاتحة قوله أول الآيات « كتبتم » فافهم .

وقال في صقر :

حاجيتكم^١ ما اسم^٢ لبعض السباع^٣
وعكسه إن شئت عكساً له
وإن تصحفت^٤ بعد قلب له
فبين الإلغاز^٥ وارفعت^٦ لنا
تصحيفه^٧ ما لك فيه انتفاع^٨
يوجد لكن عند دور السماع^٩
فمذهب^{١٠} يعزى لأهل النزاع^{١١}
بنور فكر^{١٢} منك عنه القناع^{١٣}

وقال في الحوت :

ما حيوان^١ في اسمه إن اعتبرته فنون^٢

١ يشير إلى أن الرجل الصالح عاب السفينة التي كانت للغلامين يتيمين كما جاء في سورة الكهف .
٢ تصحيف صقر بعد قلبه هو « رفض » أي مذهب الرفض .

أحرفه ثلاثة	والكل منها هو نون
إن أنت صحفت اسمه	فما جناه المذنبون ^١
أو أبيض أو أسود	أو صفة النفس الخوون
قلب اسمه مصحفاً	عليه دارت السنون
كانت به فيما مضى	عبرة قوم يعقلون
أودع فيه زمناً	سر من السر المصون
فهاكه كالنار في ال	زند له فيها كمون

وقال في لبن :

أفديك ما اسم إذا ما	صحفته فهو سبع
وإن تصحفت بعكس	ففيه للقط شرع
والاسم يعرب عما	لديه ري وشع
في النحل يلفى ولكن	لا يتقى فيه لسع
فليس للنحل أصل	ولا لها فيه فرع
فهاكه قد تبدى	لحجه عنه رفع

وقال في القلم :

ومأموم به عرف الإمام	كما باهت بصحبته الكرام
له إذ يرتوي طيشان صاد	ويسكن حين يعروه الأوام
ويذري حين يستسقي دموعاً	يرقن كما يروق الإبتسام

وله - رحمه الله تعالى - كثير من هذا ، ولم أر أحداً أحكم الإلغاز مثلما أحكمه ابن الجياب المذكور . ولولا الإطالة^٢ لذكرت منها ما يستدل به على

١ تصحيف حوت هو « حوب » أي الذنب .

٢ ق : خشية الإطالة .

صحة الدعوى ، وفيما ذكرنا كفاية .

ومن نظم الرئيس ابن الجياب المذكور في رثاء عمر بن علي بن عتيق القرشي الهاشمي الغرناطي قوله :

قُضِيَ الأمرُ فيا نفسُ اصبري	صَبِرَ تسليمٌ لحكمِ القدرِ
وعزاءُ يا فؤادي إنه	حُكْمُ مَلِكٍ قاهرٍ مقتدرِ
حكمةٌ أحكمها تدبيرُهُ	نحن منها في سبيلِ السفرِ
أجلٌ مقدرٌ ليس بمس	ثَقَدَمَ يوماً ولا مستأخَرِ
أحسنَ الله عزاء كلَّ ذي	خشيةٍ لربه في عمرِ
في إماننا التقيّ الخاشع	الطاهرِ الذاتِ الزكيّ النيرِ
قرشيٍّ هاشميٍّ منتقى	من صميمِ الشرفِ المطهرِ
يشهدُ الليلُ علَيه أنه	دائمُ الذكرِ طويلُ السهرِ
في صلاةٍ بعثت وفودها	زمرّاً للمصطفى من مضرِ
قائماً وراكعاً وساجداً	لطلوعِ فجره المنفجرِ
جمع الرحمن شملنا غداً	لجيبِ الله خيرِ البشرِ
وتلقته وفودُ رحمةِ الله	من تأتي بالرضى والبشرِ

قلت : هذا النظم — وإن برد بما فيه من الزحاف — فله من الوعظ وذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خير لحاف .

قال لسان الدين : ولما نظم القاضي أبو بكر ابن شبرين بيت الكتابة ومألف الجملة هذين البيتين :

ألا يا محبَّ المصطفى زدْ صبايةً وضمَّحْ لسانَ الذكرِ منك بطييةً
ولا تعبانُ بالمبطلين فلانما علامةُ حبِّ الله حبُّ حبيبه

وأخذ الأصحاب في تذييل ذلك ، قال الشيخ الرئيس أبو الحسن ابن الجياب

حمه الله تعالى ورضي عنه :

فَمَنْ يَعْمُرُ الْأَوْقَاتَ طَرّاً بِذِكْرِهِ فَلَيْسَ نَصِيبٌ فِي الْهَدَى كَنْصِيبِهِ
وَمَنْ كَانَ عَنْهُ مَعْرُضاً طَوْلَ ذِكْرِهِ فَكَيْفَ يَرْجِيهِ شَفِيعَ ذَنْبِهِ

وقال أبو القاسم ابن أبي العافية :

أَلَيْسَ الَّذِي جَلَّى دَجَى الْجَهْلِ هَدْيُهُ بِنُورِ أَقْمَنَّا بَعْدَهُ نَهْتَدِي بِهِ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَاتِهِ شُكْرَ مَنْعَمٍ فَمَشْهَدُهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ مَغْيَبِهِ

وقال أبو بكر ابن أرقم :

نَبِيٌّ هَدَانَا مِنْ ضَلَالٍ وَحَيْرَةٍ إِلَى مَرْتَقَى سَامِي الْمَحَلِّ خَصِيْبِهِ
فَهَلْ يَنْكَرُ الْمَلْهُوفُ فَضْلَ مَجِيرِهِ وَيَغْمِطُ شَاكِيَ الدَّاءِ شُكْرَ طَيْبِهِ

فانتهى القول إلى الخطيب أبي محمد ابن أبي المجد فقال :

وَمَنْ قَالَ مَغْرُوراً حِجَابَكَ ذَكَرَهُ فَذَلِكَ مَغْمُورٌ طَرِيدٌ عِيُوبِهِ
وَذَكَرُ رَسُولِ اللَّهِ فَرَضٌ مُؤَكَّدٌ وَكُلُّ مُحَقٍّ قَائِلٌ بِوَجُوبِهِ

وقال يوماً الشيخ أبو الحسن ابن الجياب تجربة للخاطر على العادة :

جَاهِدِ النَّفْسَ جَاهِداً فَإِذَا مَا فَنَيْتُ مِنْكَ فَهُوَ عَيْنُ الْوُجُودِ
وَلْيَكُنْ حُكْمُهَا الْمُسَدَّدُ فِيهَا حُكْمَ سَعْدٍ فِي قَتْلِهِ لِلْيَهُودِ

فأجابه أبو محمد ابن أبي المجد بقوله :

أَيُّهَا الْعَارِفُ الْمَعْبَرُ ذَوْقاً عَنْ مَعَانٍ عَزِيزَةٍ فِي الْوُجُودِ
إِنَّ حَالَ الْفَنَاءِ عَنْ كُلِّ غَيْرٍ كَمَقَامِ الْمَرَادِ غَيْرِ الْمُرِيدِ
كَيْفَ لِي بِالْجِهَادِ غَيْرَ مُعَانٍ وَعَدَوِي مَظَاهِرٌ بِجُنُودِ

ولو أنّي حكمتُ فيمن ذكرتم حكمَ سعدٍ لكنتُ جدَّ سعيدٍ
فأراها حباةً بي فتونا وأراني في حبِّها كيزيدٍ
سوف أسلو بنصحكم عن هواها ولو أبدتُ فعلَ المحبِّ الودودِ
ليس شيءٌ سوى إلهك يبقى واعتبر صدقَ ذا بقولٍ لبيدٍ^١

[ترجمة ابن أبي المجد]

وابن أبي المجد المذكور هو عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان بن محمد بن محمد بن أشعب الرعي^٢ ، من أوجدونة من كورة رية ، يكنى أبا محمد ويعرف بابن أبي المجد ، كان من أعلام الكورة سلفاً وصلاحاً ونية في الصالحين ، كثير الإيثار بما تيسر ، مليح التخلق ، حسن السمّت ، طيب النفس ، حسن الظن ، له حظ من الأدب والفقه والقراءات والفرائض ، وخوض في التصوّف ، قطع عمره خطيباً وقاضياً ببلده ووزيراً ، قرأ على الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير وابن فضيلة المعافري وابن رشيد ، وأجازته طائفة كبيرة ، توفي ليلة النصف من شعبان عام تسعة وثلاثين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى .

[رجع إلى ابن الجياب]

ومن نظم ابن الجياب ما كتب على باب المدرسة العلمية بغرناطة :

يا طالبَ العلم هذا بابُه فُتِحَا فادخل تشاهد سنه لاح شمس ضُحى
واشكرْ مجيرك من حلٍّ ومرتحلٍ إذ قرَّب الله من مرماك ما نزحَا
وشرفتْ حضرةُ الإسلام مدرسةً بها سبيلُ الهدى والعلم قد وضحَا

١ يشير إلى قول لبيد « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » .

٢ ترجمة ابن أبي المجد في الكتيبة الكامنة : ٥٢ ؛ وفي ص : ابن أبي أشعث .

أعمالُ يوسفَ مولانا ونيتسه - قد طرّزتُ صحفاً ميزانها رجحا
ومنه قوله :

أبى الله إلا أن تكون اليدُ العليا لأندلسٍ من غيرِ شرط ولا ثنيا
وإن هي عضتُها ينوبُ نوابٍ فصيرتِ الشهدَ المشوَّرا بها شرباً
فما عدمتُ أهلَ البلاغة والحجى يقيمون فيها الرسمَ للدين والدنيا
إذا خطبوا قاموا بكلِّ بليغةٍ تجلّي القلوبَ الغُلفَ والأعينَ العميا
وإن شعروا جاءوا بكلِّ غريبةٍ تحالُ النجومَ النيراتِ لها حَلْكيا
فأسألُ في الدنيا من الله سِتْرَهُ علينا وفي الأخرى إذا حانت اللقيا

وقال أبو الحسن ابن الجياب :

أرى الدهرَ في أطواره متقلِّباً فلا تأمّنْ الدهرَ يوماً فتخدعاً
فما هو إلا مثلما قال قائلٌ : « مِكرٌ مِفرٌ مِقبلٌ مدبرٌ معا »

وحكي أنه أهدى له الفقيه ابن قطبة رماناً ثم دخل عليه عائداً ، فلمّا رآه
قال له : يا فقيه ، نَعَمْ بالهدنة زمانك ، أراد : نعمت الهدية زمانك ، وكان هذا قبل
موته من مرضه بيسير ، وهو ممّا يدل على ثبوت ذهنه حتى قرب الموت . ساعه
الله تعالى .

ومن نثر ابن الجياب رحمه الله تعالى ما كتبه عن سلطانه إلى بعض سلاطين
وقته ، وهو السلطان أبو سعيد المريني صاحب فاس ، ونصّه : « المقامُ لدى الملك
المنصور الأعلام ، والفضل الثابت الأحكام ، والمجد الذي أشرقت به وجوه
الأيام ، والفخر الذي تُتدارسُ أخباره بين الركن والمقام ، والعز الذي تعلو به
كلمة الإسلام ، مقام محل الأب الواجب الإكبار والإعظام ، السلطان الكذا أبقاه »

١ الشري : الحنظل .

الله في ملك منيع الذمار ، وسعد باهر الأنوار ، ومجد رفيع المقدار ، وسلطان عزيز الأنصار ، كريم المآثر والآثار ، كفيل بالإعلاء لدين الله والإظهار ، مُعَظَّم مقامه وموقره ، ومُجِيلُ سلطانه ومُكَبِّرُه ، المثني على فضله الذي أربى على ظاهره مضمره ، الشاكر لمجده الذي كرم أثره ، المعتد بأبوته العلية في كل ما يقدمه ويؤخره ، ويورده ويصُدِّره ، الداعي إلى الله تعالى بطول بقائه في سعد سامٍ مظهره ، حامٍ عسكره ، فلان : سلام كريم ، طيب عميم ، يخص مقامكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته .

« أما بعد حمد الله الذي أولاكم ملكاً منصوراً ، وفخراً مشهوراً ، وأجياً بدولتكم العلية لمكارم الأخلاق ذكراً منشوراً ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الذي اختاره بشيراً ونذيراً ، وشرح بهدايته صُدُوراً ، وجعل الملائكة الأعلى له ظهيراً ، والرضى عن آله وصحبه الذين ظاهروه في حياته ، وخلفوه في أمته بعد وفاته ، فنالوا في الحالين فضلاً مسطوراً ، وأجرأ موفوراً ، والدعاء لمقامكم الأعلى أسماء الله تعالى بنصر لا يزال به الإسلام مَحْبُوراً ، وسعد يملأ أرجاء البسيطة نوراً ، فكتبت لكم عوائد السعادة ، وحباكم من آلائه بالحسنى والزيادة ، من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ، وليس — بفضل الله سبحانه ثم ببركة مقامكم أيد الله تعالى سلطانه — إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، فلا فضل إلا فضله .

« وأما الذي عند معظم أمركم من الإعظام لمقامكم والإكبار ، والثناء المردد المجدد على توالي الأعصار . والشكر الذي تُثْنِي سوره أثناء الليل والنهار ، والعلم بما لكم من المكارم التي سار ذكرها في الأقطار أشهر من المثل السيّار ، والاعتداد بسلطانكم العليّ في الإعلان والإسرار ، والاستناد إلى جنابكم الكريم في الأقوال والأفعال والأخبار ، فذلك لا يزال بحمد الله تعالى محفوظاً ملحوظاً بعين الاستبصار ، والله ولي العون على ذلك بفضلله وطوّله .

« وإلى هذا أيد الله تعالى سلطانكم ، ومهد أوطانكم ، فقد تقدمت مطالعة

مقامكم أسماء الله أن ملك قسثالة دس^١ من يتحدث في عقد صلح يعود بالهدنة على البلاد ، ويرتفع به عنها مكابדתه من جهة الأعداء ، وقد رُنا أولاً أن ذلك ليس على ظاهر الحال فيه ، وأنه يبدي به غير ما يُخفيه ، ولكن جرينا معه في ذلك المضمار قصداً للتشوف^١ على الأخبار ، فلما دار الحديث في هذا الحكم ، ظهر منه أنه قد جنح للسلم ، وكان خديمتنا نقروز بحكم الاتفاق قد ورد لإشيلية لبعض أشغاله ، فاستحضره وأخذ معه في أمر الصلح وشرح أحواله ، وأعادته إلى معظمكم ليستفهم ما عنده ، ويعلم مذهبهم وقصده ، فأعيد إليه بأنه إن أراد المصالحة على صلح والده مع هذه الدار النصرانية من غير زيادة على شروط تلك القضية ، ولا يعرض لاسترجاع معقل من المعقل التي أخلصت من يد النصرانية ، وأن يكون عقده على الجزيرة الخضراء ورُنْدَة وغيرهما من البلاد الأندلسية . فلا بد من مُطالعة محل والدنا السلطان أمير المسلمين أبي سعيد أبيه الله واستطلاع ما يراه . وحينئذ نعمل بحسب نظره الجميل ومقتضاه ، وأكد على نقروز في أنه إن انقاد لهذا الأمر فليعقد معه هدنة لأمدٍ من الدهر بقدر ما يتسع لتعريفكم بهذه الحال وإعلامكم . ويستطلع فيها نظر مقامكم ، فما هو إلا أن عاد يوم تاريخ هذا بكتاب ملك قسثالة ، وقد أجاب إلى الصلح وانقاد إليه ، على حسب ما شرط عليه ، وأعطى مهادنة مدة شهر فبراير ليعرف فيها مقامكم ، ويعلم ما لديه ، ووافق ذلك وصول الشيخ الفقيه الأجل^٢ أبي عبد الله ابن حبشية أعزه الله من بابكم الكريم أسماء الله ، فأخذ معه في هذا القصد ، واستفهم عما لديه من مقامكم في ذلك من الإمضاء أو الرد ، فذكر أنكم قد أذنتم لمعظمكم في عقد السلم على ما يراه من الأحكام ، إذ ظهر فيها المصلحة لأهل الإسلام . فلما عرف مذهبكم الصالح ، وقصدكم الناجح ، رأى أن يوجه إلى ملك النصارى من يخلص معه حال الصلح ، على ما يعود إن شاء الله

١ ق : قصد التشوق .

تعالى على المسلمين بالنُّجج ، وقدم تعريفكم بما دار من الحديث بين يدي جوابه الوافد على مقامكم صحبة الفقيه أبي عبد الله أعزه الله تعالى ، ولا يخفى على مقامكم حاجة هذه البلاد في الوقت إلى هُدنة يستدرك بها رَمَقها مما لقيته من جهد الحرب ، وما حل بها في هذه السنين من القحط والجَدْب ، فالصلاحُ بحمد الله في هذه الحال بادي الظهور ، وإلى الله عاقبة الأمور .

« هذا ما تزيد لدى معظم مقامكم ، وما يتزيد بعدُ فليس إلا المبادرة إلى مطالعتكم وإعلامكم ، وما كان إمساك الفقيه أبي عبد الله ابن حبشية في هذه الأيام إلا لانتظار خبر الصلح ، حتى يأتىكم به مستوفى الشرح ، وما هو قد أخذ في الرجوع إلى بابكم الأسمى ، والقُدوم إلى حضرتكم العظمى ، والله يصل سعودكم ، ويحرس وجودكم ، ويبلغكم أملككم ومقصودكم ، والسلام . »
ومن إنشاء ابن الجياب رحمه الله تعالى في العزاء بالسلطان أبي الحسن المريني ما صورته بعد الصدر :

« أما بعد حمد الله الواحد القهار ، الحي القيوم حياة لا تنقيد^١ بالأعصار ، القادر الذي كل شيء في قبضة قدرته محصور بحكم الاضطرار ، الغني في ملكوته فلا يلحقه لاحق الافتقار ، المرید الذي بإرادته تصريف الأقدار ، وتقدير الآجال والأعمار ، العالم الذي لا تعزب عن علمه حفايا الأسرار ، وخبايا الأفكار ، مالك الملك وأهله ، ومدبر الأمور بحكمته وعدله ، تذكرة لأولي الأبواب وعبرة لأولي الأبصار ، خالق الموت والحياة لينقلنا من دار الفناء إلى دار القرار ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار ، الذي نهدي بهديه الكريم في الإيراد والإصدار ، والإحلاء والإمرار ، في الشدة والرخاء ، والسراء والضراء ، بسيره الكريمة الآثار ، ونتعزى بالمصيبة به عما دَهَمَ من المصائب الكبار ، ونقدم منه إلى ربنا شفیعاً ماحياً للأوزار ، وآخذاً بالحُجَرِ عن النار ،

١ ق : تنفذ .

ونعلم أننا بالتَّباع سبيله نسعد سعادة الأبرار ، وإقامة ملته وحماية شرعته ننال مرضاة الملك الغفار ، والرضى عن آله وصحبه ، وأوليائه وحزبه ، الذين ظاهروا في حياته على إقامة الحق الساطع الأنوار ، وخلّفوه في أمته قائمين بالعدل حامين للذّمار ، والدعاء لمحلّ أبينا والدكم قدس الله روحه ، وبرّد ضريحه ، بالرحمة التي تتعهد روضته التي هي أذكى من الروض المِعْطار ، والرضوان الذي يتبوّ به مُبَوّاً صدق في الملوك المجاهدين الأخيار ، ولقمامكم الأعلى بسعادة المقدار ، وتمهيد السلطان وبلوغ الأوطار ، فإنّا كتبناه - كتب الله لكم عوائد النصر ، وزبط على قلبكم بالصبر - من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى عندما تحقّق لدينا النب الذي فَتَّ في الأعضاء ، وشب نار الأكباد ، والحادث الذي هدَّ أعظم الأطواد ، وزلزل الأرض الراسية الأوتاد ، والواقع الذي لولا وجودكم لمحارسم الأجواد ، وعطل رسوم الجهاد ، وكسا الآفاق ثوب الحداد ، والخطب الذي ضاقت له الأرض بما رحبت ، وأمّرت الدنيا بما عذبت ، من وفاة محلّ أبينا أكبر ملوك المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، والدكم ألحفه الله تعالى بِرُودَ رضاه ، وجعلَ جَنَّتَه نُزْلَه ومَثْواه ، ونفعه بما أسلف من الأعمال الكريمة ، وما خلّده من الآثار العظيمة ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون تسليماً لما قضاه ، ورضى بما أنفذه وأمضاه ، وعند الله نحسب منه والداً شقيقاً ، حانياً رقيقاً ، لم يزل يولي الجميل قوله وفعله . ويصل لنا من أسباب عنايته ما اقتضاة فضله ، وما هو أحق به وأمله .

« وكنا طولَ حياته لم نجد أثراً لفقد الوالد ، لما أولانا من جميل العوائد ، وكرم المقاصد ، جزاه الله أحسن جزائه ، وأعاننا على توفية حقّه وأدائه ، ولمثل هذه المصيبة - ولا مثل لها - تُظلم الأرجاء ، ويضيق الفضاء ، وتبكيه مُسَوِّمة الجياد ، ومعالم الجهاد ، والسيوف في الأغماد ، وشتى العباد والبلاد ، فلا تسألوا كيف هو عندنا موقع هذا الخطب العظيم ، والحادث المُقْعِد المقيم ، والرزية التي لا رزية مثلها ، والحادثة التي أصيبت بها الملة وأهلها ، فوجدنا لفقده

يتضاعف مع الآناء ، ويتجدد تذكّار ما أسلف من أعمال الملوك الفضلاء ، ولكنه أمرٌ حتمٌ ، وقضاء من الله جزمٌ ، وسبيل يسلك عليها الأول والآخر ، والآتي والغابر ، وليس إلا التسليم ، لما حكم به الحكيم العليم .

« ولما انتهى إلينا هذا النبأ الذي ملأ القلب حسرة والعين عبّرة ، وتوارت شتى الأنباء ، وغلب اليأس فيها على الرجاء ، وجدنا له ما يوجد لفقد الأب الذي ابتداء بالإحسان والإجمال ، وأولى عوارف القبول والإقبال ، ولكنه ما أطفأ نار ذلك الوجد ، وجبرّ كسر ذلك الفقد ، إلا ما منّ الله به علينا وعلى المسلمين من تقلدكم ذلك الملك الذي بكم سمعت معلمه ، وقامت مراسمه ، وعليكم انعقد الإجماع ، وبولايتكم استبشرت الأصقاع ، وكيف لا تستبشر بولاية الملك الصالح الخاشع الأبواب ، صاحب الحرب والمحراب ، عدّة الإسلام ، وعلم الأعلام ، من ثبت فضائله أوضح من مضيئ النهار ، وسارت مكارمه في الآفاق أشهر من المثل السيار .

« وقد كان محل أبيننا والدكم رضي الله عنه لما علم من فضائلكم الكريمة الآثار ، وما قعتم به من حقّه الذي وفيتموه توفية الصلحاء الأبرار ، ألقى إليكم مقاليد سلطانه ، وأثر إليكم أثر قبوله ورضوانه ، حتى انفصل عن الدنيا وقد ألبسكم من أثواب رضاه ما تنالون به قرّة العين ، وعز الدارين ، والظفر بكلنا الحسينين ، فتلك المملكة بحمد الله تعالى قد قام بها حامي ذمارها ، وابن خيارها ، ومطلع أنوارها ، الملك الرضي العدل الطاهر ، قوّام الدياجي وصوّام الهواجر ، حسنة هذا الزمان ، ونجبة ذلك البيت المؤسس على التقوى والرضوان ، فالحمد لله على أن جبر بكم صدّع الإيمان ، وانتضى منكم سيفاً مسلولاً على عبدة الصليان ، وأقر بكم ملك آبائكم الملوك الأعظم ، وتدارك بولايتكم أمر هذا الرزء المتناقم . فإن فقدنا أعظم مفقود ، فقد ظفرنا بأكرم مقصود ، وما مات من أبقى منكم سلالة طاهرة تحيي سنن المعالي والمكارم . وتعمل على شاكلة أسلافها الأكارم ، فتلك المملكة قد أصبحت بحمد الله ونور سعدكم في أرجائها طالع ، وسيف

بأسكم في أعدائها قاطع ، وعزمكم الأمضى لأمرها جامع مانع ، قد أوت منكم إلى الملجأ الأحمى ، واستمسكت بإيالتكم العظمى ، وعرفت أنكم ستبدون فيها من آثار دينكم المتين ، وفضلكم المبين ، ومعاليتكم القاطعة البراهين ، ما يملؤها عدلاً وإحساناً ، وتبلغ به آمالها مثنى ووجداناً ، فهنيئاً لنا ولها أن صارت في ملككم ، وأن تشرفت بملككم ، وألقت مقاليدها إلى من يحمي حماها ، ويدفع عداها ، ولتيهن ذلك المقام الأعلى ما أولاه من العز المكين ، وما قلده من الملك الذي هو نظام الدنيا والدين ، وأن أعطاه راية الجهاد فتلقاها باليمين ، لينصر بها ملة الرسول الصادق الأمين ، فله الفخر بذلك على جميع السلاطين .

« وأما هذه البلاد الأندلسية — حماها الله — فهي وإن فقدت من السلطان الأعلى أبي سعيد أكرم ظهير ، ووقع مصابه منها بمحل كبير ، فقد بلغت منكم إلى من يحميها ، ويكف بأس أعاديها ، ويبتغي مرضاة خالقها فيها ، فملككم بحمد الله تعالى مقتبل الشباب ، جديد الأثواب ، عريق الأنساب ، أصيل الأحساب ، ومجدكم جارٍ على أعراقه جرّي الجياد العراب .

« وإننا لما ورد علينا هذا النبأ معقياً بهذه البشرى ، ووفد علينا ذلك الخبر مردفاً بهذه المسرة الكبرى ، علمنا أن الله سبحانه قد رآب ذلك الصّدق بهذا الصنع الجميل ، وتلافى ذلك الخطب بهذا الخير الجزيل ، فأخذنا من مساهمتكم في الأمور النصيب الوافر ، ورأينا أن آمالنا منكم قد جلت عن مُحَيّاها السافر ، وعيّنّا للوفادة على بابكم لينوب عنا في العزاء والهناء عين الأعيان الفضلاء ، ووجه القواد والكرماء . »

ولتقتصر على هذا المقدار من كلام الرئيس ابن الجياب ، رحمه الله تعالى ؛ ويظهر لي أن نظمه أعلى طبقة من نثره ، وعلى كل حال فهو لا يتكلف نظماً ولا نثراً ، رحمه الله تعالى ورضي عنه وعامله بمحض فضله .

٢٠ — ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى الفقيه الكاتب البارع العلامة

النحوي اللغوي صاحب العلامة بالمغرب الشهير الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي^١ قال في «الإحاطة» فيه ما ملخصه : عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي ، أبو محمد ، شيخنا الرئيس ، صاحب القلم الأعلى بالمغرب .

من «الإكليل» : تاج المفرق ، وفخر المغرب على المشرق ، أطلع منه نوراً أضاءت له الآفاق ، وأثر منه بذخيرة حملت أحاديثها الرفاق ، ما شئت من مجد سامي المصاعد والمراقب ، عزيز عن لحاق النجم الثاقب ، وسلف زينت سماؤه بنجوم المناقب ، نشأ بسبته بلده بين علم يقيده ، وفخر يُشيدُهُ ، وطهارة يلتحف مطارفها ، ورياسة يتفياً وارِفها ، وأبوه رحمه الله تعالى قطبُ مدارها ، ومقام حجتها واعتمارها ، فسلك الوُعُوث من المعارف والسهول ، وبَدَّ على حدائث سنه الكهول ، فلمّا تحلى من الفوائد العلمية بما تجلّى ، واشتهر اشتهار الصباح إذا تجلّى ، تنافست فيه همم الملوك الأخابر ، واستأثرت به الدول على عاداتها في الاستئثار بالذخاير ، فاستقلت بالسياسة ذراعه ، وأخذم النوابل والسيوف يَرّاعه ، وكان عين الملك التي بها يبصر ، ولسانه الذي يسهب به أو يختصر ، وقد تقدمت له إلى هذه البلاد الوفادة ، وجلّت به عليها الإفادة ، وكتب عن بعض ملوكها ، وانتظم في عقودها الرفيعة وسلوكها ، وله في الآداب الراية الخافقة ، والعقود المتناسقة ، ومشيجته حافلة تزيد عن الإحصاء ، وشعره منحط عن محله من العلم والشهرة ، وإن كان داخلاً تحت طَوْر الإجابة ، فمن ذلك قوله :

ترأى سُحَيْراً والنسيمُ عليلٌ وللنجمِ طرفٌ بالصباحِ كليلٌ
وللفجرِ نهرٌ خاضه الليلُ فاعتلتُ شوى أدهمِ الظلماءِ منه حُجُولُ
بزيقٌ بأعلى الرقمتين كأنّه طلائعُ شهبٍ في السماءِ تجولُ

١. قد مر التعريف بعبد المهيمن الحضرمي وذكر مصادر ترجمته (ص : ٢٤٠) من هذا الجزء .

فمزقَ ساجي الليلِ منه شَرَارُهُ
 تبسم ثغرُ الروضِ عند ابتسامه
 ومالتُ غصونُ البانِ نَشْوَى كأنها
 وغنتُ على تلك الغصونِ حمائمُ
 إذا سجعتُ في لحنها ثم قرقرتُ
 سقى الله ربعا لا تزالُ تشوقني
 وجاد رباه ، كلما ذرَّ شارقُ
 وما لي أُنسقي الغمامَ ومدمعي
 وعاذلة باتت تلومُ على السرى
 تقولُ إلى كم ذا فراقٌ وغربةُ
 ذريني أَسْعَى للتي تُكْسِبُ العلا
 فلما تريني من ممارسةِ الهوى
 وفوق أنابيبِ اليراعةِ صَعْدَةٌ
 ولولا السرى لم يحتلِ البدرُ كاملا
 ولولا اغترابُ المرءِ في طلبِ العلا
 ولولا نوالُ ابنِ الحكيمِ محمدٍ
 وزيرُ سما فوق السماكِ جلاله
 من القوم : أمّا في الندي فإنتهم
 حَوَّوا أشرفَ العلياءِ إرثاً ومكسباً
 وما جونة هطالة ذات هيدب
 لها زَجَلٌ من رعدِها ولوامعُ
 كما هدرت وسط القلاصِ وأرسلتُ
 بأجودَ من كفِّ الوزيرِ محمدٍ

وخرقَ سترَ الغيمِ منه نصولُ
 وفاضتُ عيونُ للغمامِ همولُ
 يُدارُ عليها من صباهُ شمولُ
 لهن حفيفُ فوقها وهديلُ
 يطيحُ خفيفٌ دونها وثقلُ
 إليه رسومُ دونها وطلولُ
 من الودقِ هَتَانُ أَجَشُ هطولُ
 سَفُوحٌ على تلك العراصِ همولُ
 وتُكثِرُ من تغذّالها وتطيلُ
 ونأيٌ على ما خَبَلَتْ ورحيلُ
 سناء وتبقي الذكرَ وهو جميلُ
 نحيلاً فحدُّ المشرقي نحيلُ
 تزينُ ، وفي قدّ القناة ذبولُ
 ولا بات منه للسعودِ نزيلُ
 لما كان نحو المجدِ منه وصولُ
 لأصبحَ رُبْعُ المجدِ وهو مُحِيلُ
 وليس له إلا النجومَ قبيلُ
 هضابُ ، وأمّا في الندى فسُيُولُ
 وطابت فروعُ منهم وأصولُ
 مرّتها شمالُ حَرَجَفٌ وقبولُ
 من البرقِ عنها للعيونِ كلولُ
 شقاشقها عند الهياجِ فُحُولُ
 إذا ما توالَتْ للسنين مُحُولُ

ولا روضةً بالحسن طيبةُ الشذا
وقد أذكتُ الزهرَ فيها مجامرُ
وفي مُقلِّ الثَّوارِ للطلِّ عَبرةُ
بأطيبَ من أخلاقهِ الغرُّ كلما
حويتَ أبا عبدِ الإلهِ مناقباً
فغرناطةُ مصرُ وأنتَ خصيئُها
فذاك رجالٌ حاولوا دَرَكَ العلا
تخيركَ المولى وزيراً وناصحاً
وألقى مقاليدَ الأمورِ مفوضاً
وقام بحفظِ الملكِ منك مؤيدُ
وساسَ الرعايا منك أشوسُ باسلُ
وأبلغُ وقادِ الجيُنِ كأنما
تَهم بهِ العلياءُ حتى كأنها
له عَزَمَاتٌ لو أُعيرَ مضاءها
سرى ذكره في الخافقين فأصبحتُ
وأعدى قريضي جودهُ وثناؤهُ
إليك أبا فخرَ الوزارة أرقلتُ
فليتُ إلى لقياك ناصيةَ الفلا
تسدُ دُني سَهْماً لكل ثنيةٍ
وقد لفظتني الأرضُ حتى رمتُ إلى
فقيدتُ أفراسي بهِ وركائبي
وقد كنتُ ذا نفسٍ عَزُوفٍ وهمةٍ
وتهوى العِلا حظي وتغري بضدهِ

يئمُ عليها إذخرُ وجيلُ
تعتَرُ منها للنسيم ذبولُ
تردها أجفانُها وتَجيلُ
تفانمُ خطبُ للزمان يهولُ
تفوتُ يدي من رامها وتطولُ
ونائلُ يملكُ الكريمة نيلُ
بيخلُ ، وهل نال العلاءُ بخيلُ ؟
فكان له ممّا أراد حصولُ
إليك فلم يعدمُ يمينك سؤلُ
نهوضُ بما أعيّا سواك كفيلُ
مبيدُ العدا للمعتفين منيلُ
على وجتبهِ للتضارِ مسيلُ
بُشِينَتُهُ في الحبِّ وهَوَّ جميلُ
حسامُ لما نالتُ ظبَاهُ فلولُ
إليه قلوبُ العالمين تميلُ
فأصبح في أقصى البلادِ يحولُ
برحلي هوجاءُ النجاء ذكولُ
بأيدي ركابِ سيرهن ذميلُ
ضوامرُ أشباهُ القيسي نُحولُ
ذراك برحلي هوَجَلٌ وهجولُ
ولذَّ مقامُ لي بهِ وحلولُ
عليها لأحداثِ الزمان ذُحولُ
لذلك اعترته رقةٌ ونحولُ

وتأبى ليَ الأيامُ إلاَّ إدالةً فصونكَ لي ، إنَّ الزمانَ مُدِيلٌ
فكلُّ خضوعٍ في جنابك عزةٌ وكلَّ اعتزازٍ قد عداكَ خُمُولٌ

وقال :

أبتُ همّي أن يراني امرؤٌ على الدهرِ يوماً لهُ ذا خضوعٍ
وما ذاك إلاَّ لأنّي اتقيتُ بعزَّ القناعةِ ذُلَّ الخشوعِ

مولده بسبّعة عام ستة وسبعين وستمائة ، وتوفي بتونس ثاني عشر شوال
عام تسعة وأربعين وسبعمائة في الطاعون ، وكانت جنازته مشهورة رحمه الله
تعالى ، انتهى .

وحكي أن السلطان أبا الحسن المريني سبَّ الشيخَ عبدَ المهيمن الحضرمي
بمجلس كتابه ، فأخذ عبد المهيمن القلم وكسره ، وقال : هذا هو الجامع بيني
وبينك ، ثم إن السلطان أبا الحسن ندم ، وأفضل عليه ، وخجل ممّا صدر منه
وأحسن إليه .

وكان عبد المهيمن ينطق بالكلام مُعَرَّباً . ويرتفع نسبه إلى العلاء بن الحضرمي
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصل سلفه من اليمن ، وكان جدهم
الأعلى عبدون لحقه الضمّ ببلده ، فارتحل إلى المغرب ، فترل سبّعة .

ولعبد المهيمن الحضرمي شيوخ أجلاء كابن أبي الربيع النحوي وابن الشاط
وابن مسعود وغيرهم . وكان ذا سعد وسؤدد حسن الخط ، رأيت خطه بإجازته
لأبي عبد الله ابن مرزوق وغيره . وكان عالي الهمة سرياً ، أعطى المنصب
حقه ، وكان لا يحتمل الضيم واحتقار العلم ، وكان سريع الجواب : حكى أن
القاضي المليبي وأبا محمد عبد المهيمن الحضرمي المذكور صاحب العلامة للسلطان
أبي الحسن حضرا مجلس السلطان ، فجرى ذكر الفقيه ابن عبد الرزاق ، فقال
المليبي : جمع من الفنون كذا ، حتى وضع يده على أبي محمد عبد المهيمن ، وقال

مخاطباً للسلطان : ويكتب لك أحسن من ذا ، فوضع عبد المهيمن يده على المليلي وقال : نعم يا مولاي ، ويقضي لك أحسن من ذا .

وقال ابن الخطيب القسطنطيني الشهير بابن قنفذ في وفياته ما نصّه : وفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة توفي الشيخ الراوية المحدث الكاتب أبو محمد عبد المهيمن ابن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي ، السبتي ، ومن أشياخه الأستاذ ابن أبي الربيع وابن الغماز وابن صالح الكتاني وغيرهم من الأعلام ؛ انتهى . وقال غيره : إن والد عبد المهيمن توفي غرة صفر سنة اثني عشرة وسبعمائة ، رحمه الله تعالى .

وحكي أن الشيخ أبا محمد عبد المهيمن ذكر يوماً بني العزفي فأثنى عليهم ، فقال له أحد الحسينين ، وكان بينهم شيء : إنهم كانوا لا يحبون أهل البيت ، فكيف حبك أنت لهم ؟ يعني لأهل البيت ، فقال : أحبهم حب التشريع ، لا حب التشيع ؛ انتهى .

قيل : يعني بالعزفين أهل الدولة الثانية ، وأما أهل الأولى فكانوا من المختصين بمحبة آل ، وهم أحدثوا بالمغرب تعظيم ليلة الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام .

ومن أغرب ما وقع للرئيس عبد المهيمن الحضرمي من التشبيه قوله :

لقد رافني مرأى سيجلماسة الذي يقرُّ له في حسنه كلُّ منصفٍ
كأن رؤوسَ النخلِ في عَرَصاتها فوائحُ سورَاتٍ بآخِرِ مصحفٍ

وهذا من التشبيه العقيم الذي لم يُسبق إليه فيما أظن . وكان سبب قوله ذلك أن السلطان أمير المسلمين أبا الحسن المريني لما تحرك لقتال أخيه السلطان أبي علي عمر بسجلماسة فظفر به استمطر أنواء أفكار الكتاب وغيرهم في تشبيه النخل ، فقال عبد المهيمن ما مر ، فلم يترك مقالاً لقائل .

وقد أنشد الحافظ ابن مرزوق الحفيد قال : أنشدني شيخنا ولي الدين الرئيس

أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي لشيخه الرئيس أبي محمد عبد المهيم
الحضرمي السبتي رحمه الله تعالى قوله :

يُجَفِّي الْفَقِيرَ وَيَغْشَى النَّاسُ قَاطِبَةً^١ بَابَ الْغِي ، كَذَا حُكْمُ الْمَقَادِيرِ
وَلِنَّمَا النَّاسُ أَمْثَالُ الْفَرَاشِ ، فَهُمْ يُلْقَوْنَ حَيْثُ مَصَابِيحُ الدَّنَانِيرِ

قلت : ورأيت هذين البيتين في كتاب « رَوْحُ الشَّحْرِ وَرَوْحُ الشَّعْرِ » للعالم
الكاتب ابن الجلاب منسويين لأبي المتوكل الهيثم بن أحمد السكوني الإشبيلي ،
قال : أنشدني أبو الحجاج الحافظ قال : أنشدني الهيثم ، فذكر البيتين ، وكان
تاريخ وفاته قبل أن يخلق عبد المهيم . فتعين أن البيتين ليسا من نظمه ، وإنما
تمثل بهما ونسبتهما له وهم " لا محالة ، والله أعلم .
وأما ما اشتهر على الألسنة بالمغرب من أن أبا حيان مدح عبد المهيم بقوله :

ليس في الغرب عالمٌ مثلَ عبدِ المهيمِ
نحن في العلم أسوة أنا منه وهو مِنِّي

فقد نسب ابن غيازي إلى أبي حيان كما اشتهر ، لكن تاريخ مرور أبي حيان
بالمغرب كان قبل ظهور عبد المهيم بلا خفاء ، وهو عندي محمول على أحد
أمرين : أن المراد عبد المهيم جد عبد المهيم المذكور . أو أن أبا حيان كتب
بالبيتين من مصر بعدما ظهر عبد المهيم وصارت له الرياسة بالمغرب إذ أبو حيان
عاش إلى ذلك الزمان بلا ريب ، ولذا لما ذكر لسان الدين ابن الخطيب في كتابه
« الكنية الكامنة في أنباء أهل المائة الثامنة » الشيخَ أبا حيان قال : وهذا الرجل
طالت حياته حتى أجاز ولدي .

ولعبد المهيم المذكور أخبار غير ما قدمناه منع منها الاختصار . وقد ألف
الخطيب ابن مرزوق باسم ولد^١ ولده فهرسته المشهورة ، وحلاه في صدرها أحسن

١ ولد : سقطت من ق .

حلية ، وهو أهل لذلك . وقد ذكره مولاي الجلد في شيوخه كما تقدم ، وقال فيه :
لأنه إمام الحديث والعريية ، وكاتب الدولة العثمانية والعلوية ، فليراجع ذلك فيما
سبق في ترجمة الجلد .

وأبو سعيد ابن عبد المهيمن كان عالي الهمة كآبائه ، ولما بويع السلطان أبو
عنان طلب منه أن يكون مرتسماً في جملة كتّاب بابه ، فامتنع ، وقال : لا أكون
تحت حكم غيري ، وعنى بذلك أن أباه كان رئيس الكتّاب ، فكيف يكون هو
مرؤوساً بغيره ؟ فلم ترض همته رحمه الله تعالى إلا برتبة أبيه أو الترك ، وارتحل
أبو سعيد محمد المذكور ، وكان فقيهاً عالماً ، من فاس لسببته إلى أن توفي بها سنة
٧٨٧ ، وكان قليل الكلام ، جميل الرّواء ، حسن الهيئة والبنية والشكل ، روى
عن والده وعن الحجار وكتب له سنة ٧٢٤ ، وروى عن الفقيه أبي الحسن ابن
سليمان والرحالة ابن جابر الوادي آشي وابن رشيد وغيرهم .

وابن أبي سعيد هذا اسمه عبد المهيمن كجلده ، وكان صاحب القلم الأعلى ،
روى عن أبيه وجدّه وغيرهما ، رحم الله الجميع .

٢١ - ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى الإمام العلامة قاضي الجماعة
أبو البركات ابن الحاج البليقي^١ : نادرة الزمان ، وشاعر ذلك الأوان ، وهو محمد
ابن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن الشيخ الولي أبي إسحاق ابن الحاج البليقي ، وكان
أبو البركات أحد رجال الكمال علماً ومجداً وسؤدداً موروثاً ومكتسباً ، وقد
عرف به في « الإحاطة » بترجمة مد فيها النفس ، وكتب ابنه على أول الترجمة
ما صورته :

رحمك الله تعالى يا فقيه الأندلس وحسيبها وصدرها وشيخها ، وبرّد
ضربك ، قلّ ما أفدت من نادرة واكتسبت من فائدة ؛ انتهى .

١ قد ذكرنا مصادر ترجمة ابن الحاج البليقي في المجلد الأول من النفع (ص : ٥١٦) .

وحكى في «الإحاطة»^١ أنه لما استسقى وحصلت الإجابة أنشده لسان

الدين :

ظَمِئْتُ إِلَى السَّقْيَا الْأَبَاطِحُ وَالرُّبَى حَتَّى دَعَوْنَا الْعَامَ عَاماً مُجْدِياً
وَالغَيْثُ مُسَدُولُ الْحِجَابِ ، وَإِنَّمَا عَلِمَ الْغَمَامُ قَدُومَكُمْ فَتَادِبَا

ثم ذكر في «الإحاطة» تأليف أبي البركات وشعره ، إلى أن قال حاكياً عن
أبي البركات ما صورته : ومما نظمته وقد أكثروا من التعجب للملازمي البناء
وحفر الآبار^٢ :

في احتفارِ الأساسِ والآبارِ	وانتقالِ الترابِ والجِيارِ
وقعودي ما بينَ رملٍ وآجٍ	رَّ وجصٍّ والطوبِ والأحجارِ
وامتهاني بُرْدَيَّ بالطينِ والماءِ	ءِ ورأسي ولحيَّتي بالغُبَارِ
نشوةٌ لم تمرَّ قط على قلِّ	بِ خليجٍ وما لها من خُمارِ
من غريبِ البناءِ أنَّ بنيهِ	متعبونَ يهوونَ طولَ النهارِ
يبتغونَ الوصالَ من صانعيهِ	والبدارَ إليه كلَّ البدارِ
فلإذا حلَّ في ذَراهمَ تَراهمُ	يشتَهونَ منه بعيدَ المزارِ
مَنْ عَدِيرِي من لائمٍ في بنائي	وهو لي الترجمانُ عن أخباري
ليس يدري معناه من ليس يدري	أنَّ ما عنده على مقدارِ
أفتدي بالذي يقولُ بَناها	ذلك الخالقُ الحكيمُ الباري
وبمن يرفعُ القِواعدَ من يـ	تِ عتيقٍ للحجِّ والزوارِ
وبمن كان ذا جدارٍ وقد كا	ن أبوه من صالحِ الأبرارِ
وبما قد أقامه الخضرُ المخـ	صوصُ علماً يباطنِ الأسرارِ

١ الإحاطة ٢ : ١٠٣ .

٢ لم يرد هذا في الإحاطة .

كان تحت الجدار كنزٌ ، وما أدراك ما كان تحت كنزِ الجدار ؟
 وبمن قد مضى من آبائي الغرُّ الألى شيدوا رفيعَ المنارِ
 فالذي قد بنوه نبني له مثلاً ونجري له على مضمارِ
 قد بنينا من المساجدِ دهرأً ثم نبني لجارها خيرَ جارِ
 مثلما قد بنيتُ للمجدِ أمثلاً لـ مبانيهمُ بكلِّ اعتبارِ
 فالمباني لسانُ حالي ولي فيـها لعمرى ذكرٌ من الأذكارِ
 روحُ أعمالنا المقاصدُ ، لكنَّ حيثُ تخفى تخفى مع الأعذارِ
 فعى من قضي بينانٍ هذي الـ مدار يقضي لنا بعقبى الدارِ

ثم قال في « الإحاطة » بعد كلام : ومن نظمه في الإنحاء على نفسه ،
 واستبعاد وجود المطالب في جنسه ، قال ممّا نظمته يوم عرفة عام خمسين
 وسبعمائة وأنا متزوٍ في غار ببعض جبال المـريّة^١ :

زعموا أنّ في الجبال رجالاً صالحين قالوا من الأبدالِ
 وادّعوا أنّ كلّ منّ ساح فيها فسيلقاهمُ على كلّ حالِ
 فاخترقنا تلك الجبالَ مراراً بنعالٍ طوراً ودون نعالِ
 ما رأينا بها خلافَ الأفاعي وشبّا عقربٍ كمثل النبالِ
 وسباعٍ يجرون بالليل عدّوا لا تسلي عنهم بتلك الليالي
 ولو أنّا كنّا لدى العنوة الأخـرى رأينا نواجذَ الرثبالِ
 وإذا أظلم الدجى جاء لبلى سـُ إلينا يزورُ طيفَ خيالِ
 هو كان الأنيسَ فيها ولولا هـُ أصيبتُ عقولنا بالجبالِ
 خلّ عنك المحالـ يا من تعنّى ليس يلقي الرجالَ غيرُ الرجالِ

وجمع شعره وسماه « العذب والأجاج من كلام أبي البركات ابن الحاج »

١ الإحاطة : ١١٧ .

وسمى أبو القاسم الشريف ما استخرجه منه : « اللؤلؤ والمرجان من بحر أبي البركات
ابن الحاج يستخرجان » .

ومن نظم الشيخ أبي البركات ابن الحاج قوله رحمه الله تعالى :

ألا ليت شعري هل لما أنا أرتجي	من الله في يوم الجزاء- بلاغ
وكيف لمثلي أن ينالَ وسيلة	لها عن سبيل الصالحين مراغ
وكم رمتُ دهرى فتحَ بابِ عبادة	يكونُ بها في الفائزين مساغ
فكدتُ ولم أفعلُ وكيف وليس لي	المعينان فيها صحة وفراغ
لأصبتُ من قومٍ دعاهم إلى الرضى	منادي الهدى فاستنكروه فراغوا
أباغ ترى أخراه من يزدهيه من	زخارف دُنياه الدنية باغ
ويضربُ صفحاً عن حقيقة ما طوت	فيلهيه زورٌ قد أتته مُصاغ
إذا ما بدا للرشد نهجُ ييانه	يُراعُ به عن وحشة فيراع
فياربَّ برِّد العفو هب لي إذا غلت	من الحرِّ في يوم الحساب دماغ
فمن حرقٍ للنفس فيه لواعج	ومن خجلٍ للوجد فيه صباغ
وعظمتُك نفسي لو أنبت، وفي الذي	وعظمت به لو ترعون بلاغ

وأنشد القاضي أبو البركات في هذا الروي قول شيخه الأستاذ أبي علي ابن
سليمان القرطبي :

ألا هل إلى ما أرتضيه بلاغ	وكيف يُرى يوماً إليه فراغ
وقد قطعتُ دوني قواطعُ جمّة	أراع لها مهما جرّت وأراع
وما لي إلا عفوّ ربِّ وفضله	ففيه إلى ما أرتجيه بلاغ

وكان القاضي أبو البركات من بيت كبير علماء وصلاحاً وزهداً ، وجدّه الإمام
الولي العارف سيدي أبو إسحاق ابن الحاج أشهر من نار على علم ، وقبره مشهور
بمراكش وقد زرته بها ، وله كرامات مشهورة .

وحكى في « مزية المرية » من كراماته جملة ؛ قال حفيدهُ الشيخُ أبو البركات :
دخلت على الشيخ الصالح العابد المجتهد الحاج أبي عبد الله محمد بن علي البكري ،
المعروف بابن الحاج ، في منزله بالمرية عائداً قال : أظنّه في مرضه الذي مات
فيه ، فقال حين سألته عن حاله : ادعُ لي ، فقلت له : يا سيدي ، بل أنت تدعو لي ،
فقال لي : شرح الله صدرك ، ونور قلبك بنور معرفته ! فمن عرف الله لم يذكر
غيره ، فقد حكى سيدي أبو جعفر ابن مكنون عن جدهُ قال : كنت مع سيدي
أبي إسحاق ابن الحاج بمراكش فقال لي : هل ترى في المنام شيئاً ؟ فقلت : نعم ،
أرى كأنّي في المرية أمشي من الدار^١ إلى المسجد ، ومن كذا إلى كذا ، فأعرض
عني وقال : ألا ترى إلّا الله ؟ قال : ثم مر به في أثناء كلامه ابنه محمد ، فقال لي :
رأيت هذا ؟ والله ما أدري أن لي ابناً حتى يمر بي ، ولا أذكره إذا غاب عني ،
ولّا أرى إلّا الله ؛ انتهى .

ومن تأليف أبي البركات رحمه الله تعالى كتاب ذكر فيه أخبار سلفه رضي
الله عنهم ، وذكر جملة من كرامات جده سيدي أبي إسحاق المذكور ، نفعنا
الله به .

ومن شعر جده المذكور قوله :

ألا كرمَ الله البلادَ بخطبةٍ	همُ حُسناتُ الدهرِ لا نأبهمُ خطبُ
رعايتهم فرضٌ على كلِّ مسلمٍ	وحبُّهم حقٌّ قد أوجبهُ الربُّ
إذا ما سألتَ الله شيئاً فسلْ بهمُ	فتعظيمهم قربٌ ، وغيبتهم حَرَبُ

وقوله :

شكا فشكا قلبي خبالاً مبرحاً	على غير علم كان مني يشكواهُ
وما التقتِ الأمراؤُ إلا بجامعٍ	من النعتِ سلطانُ الحقيقةِ سواهُ

١ من الدار : سقطت من ق .

فيا فرحةَ المجهودِ إن بات سرُّه
ومن أجله قد كان بالبعدِ راضياً
بدا فبدتْ أعلامُ ضدين في الهوى
برؤيته فارقتْ موتي لبعده
فها أنا حيٌّ ميتٌ بلاقائه
إذا لم تكن أنت الحبيبَ بعينه
وأكذب ما يُلفى الفتى وهو صادقٌ

وقوله رضي الله تعالى عنه :

الحبُّ في الله نورٌ يُستضاء به
جنبُّ أخا حدث في الدين ذا غيرِ
حاشا الديانة أن تُبنى على خَبَلٍ
إنَّ الحقائقَ لا تبدو لمبتدعٍ
تالله لو أبصرتْ عيناه أو ظفرتْ
حقق ترى عجباً إن كنت ذا أدبٍ
إنَّ الطريقةَ في التنزيلِ واضحةٌ
فافهم هُديتْ هُدى الرحمن واهد به

وقوله صدرَ رسالة وجه بها إلى ابنه محمد أيام قراءته بلشيبيلة :

إذا شئت أن تحظى بوصلي وقربتي
وسابقٌ إلى الخيراتِ واسلك سبيلها
فجنبَّ قرينَ السوءِ واصرم حباله
وحصل علومَ الدين واعرف رجاله

وكان رحمه الله تعالى كثيراً ما يتمثل ببني مهيار الديلمي ، وهما :

ومن عَجَبٍ أنِّي أحنُّ إليهمُ
وأسألُ شوقاً عنهمُ وهمُ معي

وتبكيهم عيني وهم في سوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

وحدث القاضي أبو البركات حفيده عن ابن خميس التلمساني المتقدم الذكر قال :
سمعت بعض الأسياف يقول : كان الشيخ أبو إسحاق البليقي الكبير يقول :
اجتمع لنا في الله أربعون ألف صاحب .

وحكى الشيخ أبو البركات المذكور عن الشيخ الصالح الحاج الصوفي أبي
الأصيف ابن عزرة قال : هذه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أخذتها عن
رأبك الشيخ الصالح الحاج أبي عبد الله محمد بن علي بن الحاج مشافهة ، وقال :
لي : إنها صلاة أبي إسحاق ابن الحاج جدك ، وهي : اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد صلاة دائمة مستمرة تدوم بدوامك ، وتبقى ببقائك ، وتخلد بخلودك
ولا غاية لها دون مرضاتك ، ولا جزاء لقاتلها ومصلها غير جنتك والنظر إلى
وجهك الكريم .

ونقل أبو البركات المذكور عن جده أنه كان يستفتح مجلسه بالمرية بهذا
الدعاء : اللهم اجعلنا في عياد منك منيع ، وحصن حصين ، وولاية جميلة ،
حتى تبلغنا آجالنا مستورين محفوظين ، مبشرين برضوانك يوم لقائك ، قال : وفي
وسط الدعاء وآخره : واكفنا عدونا إبليس ، وأعداءنا من الجن والإنس بعافيتنا
وسلامتنا .

وكان الشيخ رضي الله عنه يواصل أربعين يوماً . ومن مآثره أنه بنى ثمانية
عشر جباً في مواضع متفرقة ونحو عشرين مسجداً وبني أكثر سور حصن
بكتفيق ، كل ذلك من ماله .

وقال رضي الله عنه في بعض رسائله : الصوفي عبارة عن رجل عدل تقي
صالح زاهد ، غير منتسب لسبب من الأسباب ، ولا مخيل بأدب من الآداب ،
قد عرف شأنه وزمانه ، وملكت مكارم الأخلاق عينانه ، لا ينتصر لنفسه ،
ولا يتفكر في غده وأمه ، العلم خليله ، والقرآن دليله ، والحق حفيظه ووكيله ،

نظّره إلى الخلق بالرحمة ، ونظّره إلى نفسه بالحذر والتهمة ؛ انتهى .
وأحوالُ هذا الشيخ عجيبة ، وكراماته شهيرة ، وإنّما ذكرنا هذا التّزّرّ
اليسير تبرّكاً بذكره رضي الله عنه في هذا الكتاب ، وتطفلاً على ربّ الأرباب
أن ينفعنا بأمثاله ويحقّق لنا النّجاة والمثاب ، إنّه على ذلك قدير .

رجع إلى أخبار أبي البركات — ولما وقع بينه وبين ابن صفوان ما يقع بين
المتعاصرين رد عليه ابن صفوان ، فانتصر لأبي البركات بعضُ طلبته بتأليف سماه
« شواظ من نار ونحاس يُرْسَلُ على مَنْ لم يعرف قدره وقدر غيره من الناس »
وهو قدر رسالة الشيخ أو أطول ، وألفي على ظهره بخط الشيخ أبي البركات
ما صورته :

قد شيع الكلبُ كما ينبغي من حَجَرٍ صَلَدَ ومن مِقْرَعٍ
فلن يَعدَّ من بعدِ ذا للذي قد كان منه فهو ممّن نُعي

ومن بديع نظم الشيخ أبي البركات رحمه الله تعالى قوله :

يلومونني بعد العذارِ على الهوى ومثلي في وجدي له لا يُفَنِّدُ
يقولون أَمَسْتُ عنه قد ذهب الصُّبا وكيف أرى الإمساكَ والحيطُ أَسودُ

وقوله في المجينات :

ومصفرةٍ الخدين مطويةٍ الحشا على الجبن والمصفرُ يؤذنُ بالخوفِ
لها بهجةٌ كالشمسِ عند طلوعها ولكنها في الحينِ تغربُ في الخوفِ
وفي هذين البيتين تورية متعددة .

وحدث القاضي أبو البركات أنّه لما أراد الانصراف عن سبّة قال له السيد
الشريف أبو العباس رحمه الله : متى عزمت على الرحيل ؟ فأشدد أبو البركات :

أما الرحيلُ فدُونَ بعد غدٍ فمَتَى تقولُ الدارُ تجمعنا

فأنشد الشريف رحمه الله تعالى :

لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً بهِ إن كان تفريقُ الأحبةِ في غدٍ

وحكي أن السيد أبا العباس الشريف المذكور ساير القاضي أبا البركات في بعض أسفاره زمن الشباب ببر الأندلس - أعاده الله تعالى - فلما انتهيا إلى قرية ترليانة ، وأدركهما التعب ، واشتد عليهما حرُّ الحجير ، نَزَلا وأكلا من باكر التين الذي هناك ، وشربا من ذلك الماء العذب ، واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلاً بظلها ، ثم التفت إلى السيد أبي العباس وقال :

ماذا تقولُ فدتك النفسُ في حالي يَفْتِي زماني في حلٍّ وترحالٍ

وأرتج عليه ، فقال لأبي العباس : أجز ، فقال بديها :

كذا النفوسُ اللواتي العزُّ يصحبها لا ترتضي بمقامٍ دونَ آمالٍ
دعها تسرُّ في الفياثي والقفارِ إلى أن تبلغَ السؤلَ أو موتاً بتجوالٍ
الموتُ أهونُ من عيشٍ لدى زمنٍ يُعَلِّي اللثيمَ ويدني الأشرفَ العالي

ولما أوقع الشيخ أبو البركات على زوجه الحرة العريية أم العباس عائشة بنت الوزير المرحوم أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الكتاني ثم المغيلي طليقة كتب نسختها بما نصّه : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وعلى آل محمد ، يقول عبد الله الراجي رحمته محمد المدعو بأبي البركات ابن الحاج خار الله له ولطف به : إن الله جلت قدرته لما أنشأ خلقه على طبائع مختلفة وغرائر شتى ، ففيهم السخي والبخل ، والشجاع والحبان ، والغبي والفتن ، والكيّس والعاجز ، والمسامح والمناقش ، والمتكبر والمتواضع ، إلى غير ذلك من الصفات المعروفة من الخلق ، كانت العيشة لا تستمر بينهم إلاّ بأحد أمرين : إما بالاشتراك في الصفات أو في

بعضها ، وإمّا بصَبْر أحدهما على صاحبه إذا عدم الاشتراك ، ولَمّا علم الشارع أن بني آدم على هذا الوضع شرع لهم الطلاق ليستريح إليه مَنْ عِيلَ صبره على صاحبه ، توسعةً عليهم ، وإحساناً منه إليهم ، فلأجل العمل على هذا طلق كاتبُ هذا عبد الله محمد المذكور زوجته الحرة العربية المصونة عائشة ابنة الشيخ الوزير الحسيب التزيه الأصيل الصالح الفاضل الطاهر المقدس المرحوم أبي عبد الله محمد المغيلي ، طَلقة واحدة ، ملكت بها أمر نفسها دونه ، عارفاً قدره ، قصد بذلك إراحته من عشرته ، طالباً من الله أن يغني كُلاًّ من سَعَتِهِ ، مُشهداً بذلك على نفسه في صحته وجواز أمره يوم الثلاثاء أوّل يوم من شهر ربيع الثاني عام أحد وخمسين وسبعمائة ؛ انتهى .

ومن نوادره رحمه الله تعالى أنّه لما استتاب بعض قضاة المرية الفقيه أبا جعفر المعروف بالقرعة في القضاء بخارج المرية من عمله فاتفق أن جاء بعض الجنّانين بفحص المرية يشتكي من جائحة أو أذاية أصابت جنانه ، ففسدت غلته لذلك ، فأخذ ذلك الجنّان قرعة وأشار إليها متشكياً ، وقال : هذه القرعة تشهد بما أصاب جناني ، فقال الشيخ أبو البركات عند ذلك : غريبتان في عام واحد : القرعة تقضي ، والقرعة تشهد .

وكان له رحمه الله تعالى من هذا النمط كثير .

وقال رحمه الله تعالى : نظمت صبيحة يوم السبت السابع والعشرين لرجب عام خمسة وأربعين وسبعمائة ، وقد رأيت في النوم كأنّي أريد إتيان امرأة لا تحلّ لي ، فيأتي رقيب فيحول بيني وبين ذلك المرأة بعد المرة ، قولي :

ألا كرم الله الرقيب فإنه كفاني أموراً لا يحلّ ارتكابها
وبالغ في سدّ الذريعة فاغتندي يلاحظني نوماً ليغلق بابها

وقال رحمه الله : أنشدني شيعي أبو عبد الله ابن رشيد عند قراءتي عليه

شرحہ لقوافي أبي الحسن حازم ، وقد باحثه يوماً ، مناقشة في بعض ألفاظه من
الشرح المذكور :

تسامخ ولا تستوفِ حقَّك كَلَّه وأغضِ فلم يستوفِ قطُّ كريمُ

ومن نظم الشيخ أبي البركات قوله :

ألا خَلَّ دمعَ العينِ يَهْمِي بِمَقْلَتِي لفرقة عينِ الدمعِ وقف على الدم
فللماء فيه رَنَّةٌ شَجَبِيَّةٌ كرنَّةٌ مسلوبِ الفؤادِ متيم
وللطير فيه نغمةٌ مَوْصِلِيَّةٌ تذكّرني عهدَ الصبا المتقدم
وللحسن أقمارٌ به يوسُفِيَّةٌ تردُّ إلى دينِ الهوى كلَّ مسلم

وله رحمه الله تعالى :

ما كَلُّ من شدَّ على رأسِهِ عمامةٌ يحظى بسِتِّ الوقارِ
ما قيمةُ المرءِ بأثوابِهِ السرُّ في السكانِ لا في الديارِ

وله سائحه الله تعالى :

إذا ما كتمتُ السرَّ عمن أودُّهُ توهمَ أنَّ الودَّ غيرُ حقيقي
ولم أخفِ عنه السرَّ من ضِنَّةٍ به ولكنني أخشى صديقَ صديقي

وله وقد جلس في حلقة بعض المشايخ واستدبر بعض الفضلاء ولم يره، بسبته :

إن كنتُ أبصرتك لا أبصرتُ بصيرتي في الحقِّ بُرهانها
لا غروَ أنِّي لم أشاهدكمُ فالعينُ لا تبصرُ إنسانها

ومما يعجبه رحمه الله من قوله ، قال في «الإحاطة» ويحق أن يعجبه :

تطالبني نفسي بما ليس لي به يدانِ فأعطيها الأمانَ فتقبلُ

عجبتُ لخصمٍ لجَّ في طلباتهِ بِصالحٍ عنها بِالْمَحَالِ فيفصلُ
وممّا أورد له في «الإحاطة» وذكر أنّه لو رحل راحلٌ إلى خراسان لما
أتى إلّا بهما :

رعى الله إخوانَ الحياةِ لأنهم كَفَوْنَا مَوَوناتِ البقاءِ على العهدِ
فلو قد وَفَوْنَا كُنّا أسارى حقوقهمْ نراوحُ ما بينَ النسيئةِ والنقدِ
وقد تمثل القاضي أبو البركات في مخاطبة له للسان الدين بقول القائل :

أيتها النفس إليه اذهبي فحبه المشهورُ من مذهبي
أيا سني التوبة من جِبِّهِ طلوعُهُ شمساً من المغربِ

وحكى غير واحد منهم ابن داود البلوي أن القاضي أبا البركات لما عزم على
الرحلة إلى المشرق كتب إليه ابنُ خاتمة بما صورته :

أشَمْسَ الغربِ حقّاً ما سمعنا بأنك قد سئمت من الإقامةِ
وأنت قد عزمت على طلوعِ إلى شرقِ سموتَ به علامه
لقد زلزلت منا كلّ قلبٍ بحقٍّ الله لا تُقيمُ القيامةِ

قال الحاكمي : فحلف أبو البركات أن لا يرحل من إقليم فيه من يقول مثل
هذا ؛ انتهى . يشير بقوله «لقد زلزلت - إلخ» إلى طلوع الشمس من
مغربها .

قلت : ولما عزمت على هذه الرحلة كتب إليّ بعضُ أصحابنا المغاربة
بالآيات المذكورة متمثلاً ، ولم أرجع عن العزم ، والله غالب على أمره .
قال الوزير لسان الدين رحمه الله تعالى : وما أحسن قول شيخنا أبي البركات
معتذراً عن زرقة عينيه :

حَزَنْتَ عليك العينُ يا مَغْنَى الهوى فالدمع منها بعد بُعْدِكَ ما رَقَا

ولذلك ما ظهرت بلون أزرقٍ أو ما ترى ثوبَ المسامرِ أزرقاً
قال رحمه الله تعالى : وهو من الغريب .

وقال بعض الشيوخ : كنت أقرأ على الشيخ أبي البركات التفسير . فنسيت
ذات ليلة السفر الذي كنت أقرأ فيه بمتزلي ، فاتفق أن حضر الجامع الصحيح
للبخاري ، فقال الشيخ بعد أن أردت القراءة عليه من أوله : افتح في أثناء الأوراق
ولا تعين ، وما خرج لك من ترجمةٍ بلجهةٍ اليمين فاقرأها ، ففعلت ، فإذا غزوة
أُحُد ، فقرأت الحديث الأول من الباب ، وهو عن عقبة بن عامر ، قال : إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء
والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : إني بين أيديكم فرط ، وأنا شهيد عليكم ،
وإن موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإني لست أخشى
عليكم أن تشركوا ، ولكنتي أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها . قال : فكانت
آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الشيخ قوله « صلى
على قتلى أحد » لفظ الصلاة يطلق لغةً على الدعاء ، وشرعاً على الأفعال المخصوصة
المعلومة ، وإذا دار اللفظ بين الشرعي واللغوي فحملة على الشرعي أولى حتى
يدلّ الدليل على خلافه ، فقوله « صلى على قتلى أحد » يحتمل الصلاة الشرعية ،
ويكون ذلك منسوخاً إذ قد تقرر أنه لا يُصَلَّى على شهيد المعترك ولا على من
قد صَلِّيَ عليه ، ولمن يعارضه أن يقول : إن قتلى أحد متفرقون في أماكن ، فلا
تتأني الصلاة الشرعية عليهم ، إذ الصلاة الشرعية إنما تتأني لو كانوا مجتمعين .
والجواب أنهم وإن كانوا متفرقين تجمعهم جهة واحدة ، وليس بُعد ما بينهم
بحيث لا تتأني معه الصلاة عليهم ، هذا ، وإن احتمل حملة على الصلاة اللغوية .
وقوله « كالمودع للأحياء والأموات » أما وداعه للأحياء فلا إشكال فيه ، وأما
الأموات فمعنى وداعه لهم وداع الدعاء لهم ، لأنه إذا مات فقد حيل بينه وبين

الدعاء لهم ، فلا جرم يودعهم بالدعاء لهم قبل أن يحال بينه وبين ذلك . وقوله صلى الله عليه وسلم « لآتي بين أيديكم » أي أتقدم قبلكم ، وقوله صلى الله عليه وسلم « بين أيديكم قرط » أي متقدم ، وبين إذا أضيفت إلى الأيدي تستعمل فيما قبل زمانك وفيما بعده ، والمعنى هنا في قوله « بين أيديكم » أي أتقدم قبلكم . وقوله صلى الله عليه وسلم « وأنا شهيد عليكم » فيه وجهان ، أحدهما : أن يخلق الله في قلبه علماً ضرورياً يميز به بين البر والفاجر ، فيشهد بما خلق الله في قلبه من ذلك ، إذ لا تكون الشهادة إلا على أمر مشاهد ، ومعلوم أنه لم يشاهد ما فعل بعده من أمته فيخلق الله له علماً بذلك ؛ الوجه الثاني : أن يخبره الله تعالى بذلك كما في حديث الحوض : لَيُذَادَنَّ عَنْهُ أَقْوَامٌ كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالَّ فَأَقُولُ : أَلَا هَلُم ، أَلَا هَلُم ، فيقال : إنهم قد غيروا بعدك ، فأقول : فسحقاً فسحقاً فسحقاً ؛ فشهد بما أخبره الله تعالى به ، وهو نظير ما روي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة : ١٤٣) من أن قوم نوح يقولون : كيف تشهدون علينا وزمانكم متأخر عن زماننا ؟ فيقولون : لأن الله تعالى قص علينا أخباركم في كتابه ، فقال ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ - إِلَى آخِرِهِ ﴾ (نوح : ١) . وقوله صلى الله عليه وسلم « وإن موعدكم الحوض ، ولآتي لأنظر إليه من مقامي هذا » نظره صلى الله عليه وسلم إلى الحوض فيه وجهان ، أحدهما : أن يكون نظره إليه بقلبه ، إذ كان قد أطلعته الله عليه ليلة الإسراء ، فصار مرتسماً في قلبه ، فيكون نظره إليه بعين قلبه ، كما يرتسم في قلب أحدنا شئ كل بيته وما فيه من المتاع والثياب وغير ذلك ؛ الثاني : أن يكون الله تعالى قد كشف له عنه ، فيكون نظره إليه بعينه مشاهدة . وقوله صلى الله عليه وسلم « ولآتي لست أخشى عليكم أن تشركوا » إن قيل : كيف قال ذلك وقد ارتد عن الإسلام من ارتد من العرب بعده ؟ فالجواب أنه إنما خاطب بذلك مَنْ لم يشرك من أصحابه ومن بعدهم من التابعين وغيرهم من أمته ، ولم يراعَ رعاَ العرب

وجُهاً لهم ، إذ لا اعتبار بهم لاحتقارهم . وقوله عليه الصلاة والسلام « ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها » قد وقع ما خشي منه عليه الصلاة والسلام من المنافسة في الدنيا ، فكان كما ذكر صلى الله عليه وسلم ؛ انتهى .

وحدث الشيخ أبو البركات قال : كنت ببجاية بمجلس الإمام ناصر الدين المشدّالي أيام قراءتي عليه ، وقد أفاض طلبة مجلسه بين يديه : هل الملائكة أفضل أم الأنبياء ؟ فقلت : الدليل لأن الملائكة أفضل أن الله أمرهم بالسجود لآدم ، قال : فجعل الطلبة ينظر بعضهم إلى بعض ، حتى قال لي بعضهم : استند يا سيدنا ، كأنه يقول : استند إلى حائط ليزول هوس رأسك ، وكانت عبارتهم في ذلك ، وكل منهم يقول لي نحو ذلك لإزراء ، وقال لي الإمام ناصر الدين : أبصر فلمهم يقولون لك الحق ، وكانت لغته أن يقول : أبصر ، قال : فقلت : أتقولون إن أمر الله للملائكة بالسجود لآدم أمر ابتلاء واختبار ؟ قالوا : نعم ، قلت : أفيسخّبر العبد بتقبيل يد سيده ليرى تواضعه ؟ قالوا : لا ، فإن ذلك من شأن العبد دون أن يؤمر ، بل السيد يختبر تواضعه بأن يؤمر بالسجود للعبد ، قلت : فكذا الملائكة ، لو أمرت بالسجود لأفضل منها لكان بمنزلة أمر العبد بالسجود لسيده ، قال : فكأنما ألقيتمهم حجراً .

قال الشيخ أبو البركات : وهذه كحكاية أبي بكر ابن الطيب مع بعض رؤساء المعتزلة ، وذلك أنه اجتمع معه في مجلس الخليفة ، فناظره في مسألة رؤية الباري ، فقال له رئيسهم : ما الدليل أيها القاضي على جواز رؤية الله تعالى ؟ قال : قوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ فنظر بعض المعتزلة إلى بعض وقالوا : جُنّ القاضي ، وذلك أن هذه الآية هي معظم ما احتجوا به على مذهبهم ، وهو ساكت ، ثم قال لهم : أتقولون إن من لسان العرب قولك « الحائط لا يبصر » ؟ قالوا : لا ، قال : أتقولون إن من لسان العرب « الحجر لا يأكل » ؟ قالوا : لا ، قال : فلا يصح إذا نفى الصفة إلا عمّا من شأنه صحة إثباتها له ، قالوا : نعم ، قال : فكذلك قوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ لولا جواز إدراك الأبصار له لم يصح نفيه عنه ،

فأذعنوا لما قال ، واستحسنوه .

وقال الشيخ أبو البركات : كنت ببجاية . وقدم علينا رجل من فاس برسم الحج يُعرف بابن الحدّاد ، فركب الناس في الأخذ عنه والرواية لما يحمله كلّ صعبٍ وذلول . مع أنّه لم تكن منزلته هناك في العلم ، فعجبت لذلك ، حتّى قلت لبعض الطلبة : لقد أخذتموه بكلتا اليدين . ولم أركم مع مَنْ هو أعلى قدراً منه كذلك ، فقالوا لي : لأنّه قدم علينا ونحن لا نعرفه ، وهو في زي حسن ، بخادم يخدمه ، يظن مَنْ يراه أن أباه من أعيان أهل بلده ، فسألناه أحيّ أبوه أم لا ؟ قال : بل حيّ ، قلنا : أهو من أهل العلم ؟ قال : لا ، هو دلال في سوق الخدم . فلذلك آثرناه على مَنْ هو فوقه في العلم . قال : فقلت لهم : حق له أن ترتفع منزلته ويعلو صيته لتخلقه وفضله .
وفوائد أبي البركات كثيرة .

ومن تواليفه « المؤتمن على أنباء أبناء الزمن » كتاب مفيد جدّاً . وهو رضي الله عنه من ذرية العباس بن مرداس السّلّمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وقال الشيخ أبو البركات : ذكر لي أن الفقيه الكاتب أبا الحسن ابن الجياب يحدث عني . ولا أذكر الآن أنّي قلت ذلك ، ولكنني لما سمعته علمت أنّه ممّا من شأنّي أن أقوله وهو أنّي قلت : مثلُ العالم مثل رجل يصبُّ ماء في قفة ، إن واظب على صب الماء بقيت القفة مملوءة . وإن ترك صب الماء بقيت القفة لا شيء فيها من الماء . فكذلك العالم : إن واظب على طلب العلم بقي العلم لم ينقص منه شيء . وإن ترك الطلب ذهب علمه : انتهى .

ونقلت ممّن رأى كلامَ ابن الصباغ في ترجمة أبي البركات ما نصّه : لما ورد مدينة فاس في غرض الهناء والعزاء على أمير المسلمين أبي بكر السعيد ابن أمير المؤمنين أبي عنان . وأبصر الدار غاصة بأرباب الدولة الفاسية ولم يعد منها عدا شخصه . والولدُ على أريكة أبيه أنشد :

لَمَّا تَبَدَّلَتِ الْمَجَالِسُ أَوْجُهًا غَيْرَ الَّذِينَ عَهَدْتُ مِنْ جُلُوسِهَا
وَرَأَيْتَهَا مُحْفُوفَةً بِسَوَى الْأَلَى كَانُوا حُمَاةَ صُدُورِهَا وَبَنَائِهَا
أَنْشَدْتُ بَيْتًا سَائِرًا مُتَقَدِّمًا وَالْعَيْنُ قَدْ شَرِقَتْ بِجَارِي مَائِهَا
« أَمَّا الْقَبَابُ فَلِإِنِّهَا كَقَبَابِهِمْ وَأَرَى نِسَاءَ الْحِمَى غَيْرَ نِسَائِهَا »

وَأُظِنُّ أَنَّهُ^١ تَمَثَّلَ بِالْأَبْيَاتِ فِي سِرِّهِ ، وَإِلَّا فَيُبْعَدُ أَنْ يَقُولَهَا فِي ذَلِكَ الْخَفْلِ لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْهَلَكِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ .

وَحَكَى بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا فِي دَهْلِيزِ بَيْتِهِ مَعَ بَعْضِ الْأَصْحَابِ : فَدَخَلَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحَمَّامِ وَهِيَ بَغِيرِ سِرَاوِيلَ لِقَرَبِ الْحَمَّامِ مِنَ الْبَيْتِ ، فَانْكَشَفَ سَاقُهَا ، فَدَخَلَ خَلْفَهَا مُسْرِعًا ، وَغَابَ سَاعَةً ثُمَّ خَرَجَ وَأَنْشَدَ :

كَشَفَتْ عَلَى سَاقٍ لَهَا فَرَأَيْتُهُ مُتَلَأْلَأًا كَالْجَوْهَرِ الْبَرَقِ
لَا تَعْجَبُوا إِنْ قَامَ مِنْهُ قِيَامَتِي إِنَّ الْقِيَامَةَ يَوْمَ كَشَفِ السَّاقِ

وَلَهُ فِي خَلْدِيمِ اسْمِهِ يَحْيَى احْتِجَمَ مَحْجَمَةٌ وَاحِدَةٌ :

أَرَانِي يَحْيَى صَنْعَةً فِي قَفَائِهِ مُهْدَبَةً لَمَّا تَبَادَرَ لِلْبَابِ
أَرَى^٢ الْخَمْسَ فِيهَا لَا تَفَارِقُ سَاعَةً فَصَوَّرَ بِالْمَوْسَى بِهَا شَكْلَ مَحْرَابِ

وَتَوْفَّقِي الشَّيْخَ الْقَاضِي أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمَذْكُورَ بِشَوَّالِ سَنَةِ ٧٧١ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

٢٢ - وَمِنْ أَشْيَاخِ لِسَانِ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الشَّيْخُ الْحَكِيمُ الْعَلَامَةُ التَّعَالِيمِي ، الشَّاعِرُ الْبَلِيغُ ، أَعْجُوبَةُ زَمَانِهِ فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى عُلُومِ الْأَوَائِلِ ، أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ هَذِيلٍ^٣ وَقَدْ قَالَ فِي « الْإِحَاطَةِ » فِي حَقِّهِ^٤ مَا مَلَخَصَهُ : يَحْيَى

١ ق : وَأُظِنُّهُ .

٢ ص ق : رَأَى .

٣ ترجمة ابن هذيل في الإحاطة ، الورقة : ٣٨١ ، ونثير فرائد الجمان : ٣٢٠ (رقم : ١٣) والكتيبة

الكامنة : ٧٣ (ووردت ترجمته خطأ تحت اسم ابن شقرال) والدرر الكامنة ٤ : ٤١٢ .

٤ في حقه : سقطت من ق .

ابن أحمد بن هذيل التجيبي ، أبو زكريا ، شيخنا ؛ جرى ذكره في « التاج المحلى » بما نصّه : دُرّة بين الناس مُعَفَّلَة ، وخزانة على كل فائدة مقفلة ، وهدية من الدهر الضنين لبنيه محتفلة ، أبدع من رتب التعاليم وعلمها ، وركض في الألواح قلمها ، وأتقن من صور الهيئة ومثلها ، وأسس قواعد البراهين وأثّلها ، وأعرف من زاول شكاية ، ودفع عن جسم نكاية ، إلى غير ذلك من المشاركة في العلوم ، والوصول من المجهول إلى المعلوم ، والمحاضرة المستفزة للحلوم ، والدعابة التي ما خالغ العذار فيها بالملثوم ، فما شئت من نفس عذبة الشيم ، وأخلاق كالزهر من بعد الدّيسم ، ومحاضرة تتحف المجالس والمحاضر ، ومذاكرة يروق النواظر زهرها الناضر ، وله أدب ذهب في الإجابة كل مذهب ، وارتدى من البلاغ بكل رداء مُدْهَب ، والأدب نقطة من حوضه ، وزهرة من زهرات روضه ، وسيمر له في هذا الديوان ما يبهر العقول ، ويحاسنُ برّوائه ورائق بهائه الفيرندُ المصقول ، فمن ذلك ما خرجته من ديوانه المسمى بالسليمانيات والعزفيات^١ قوله :

ألا استودع الرحمن بدرأً مكملًا بفاسٍ من الدرب الطويلِ مطالعةً
ففي فلكك الأزرارِ يطلعُ سعدُه وفي أفقِ الأكبادِ تُلْقَى مواقعه
يصيرُ مرآه منجمٌ مقلتي فتصدقُ في قطعِ الرجاءِ قواطعه^٢
تجسمُ من ماء الملاحه^٣ خده وماء الحيا فيه ترَجَّرَجَ مائه
تلوّنَ كالخرباءِ في خجَلاته فيحمرُّ قانيه ويبيضُ ناصعه
إذا اهتز غنّى حليّه فوق نحره كغصنِ النقا غنّتْ عليه سواجعه
يؤكدُ حتفَ الصبِّ عاملُ قدره وتعطفُ من واو العذار توابعه

١ ص : بالسليمانية ؛ الكتيبة : السليمانيات والعربيات ، والقصيدة في الكتيبة : ٧٧ .

٢ القطع : من اصطلاحات المنجمين بمعنى النقص أو سوء الطالع .

٣ الكتيبة : نور الملاحه .

٤ في ق ص : يذكر ؛ ويؤكد : مناسبة للتلاعب النحوي في البيت .

أعدّ الورى سيفاً كسيفٍ لحاظه فهذا هو الماضي وذلك مضارعه^١
وقال :

وصالك هذا أم نحيّةُ بارقٍ وهجركَ أم ليل السليمٍ لثائقٍ
أناديك والأشواق تُركِضُ جمرها^٢ بصفحةٍ خدّي من دموعٍ سوابقٍ
أبارقٍ ثغرٍ من عُدَيْبٍ رُضابيه قَضَتْ مهجتي بين العذيب وبارقٍ
ومنها :

فلا تتعبن ربح الصبا في رسالة ولا تحجل الطيف الذي كان طارقي
متى طعمت عيني الكرى بعد بُعدكم فلاني في دعوى الهوى غيرُ صادقٍ
وقال :

بدا بدرتيم فوقه الليل عَسْعَسَا وجنة أنس في صباحٍ تنفّسا
حوى النجم قرطاً والدراري مُقَلَّدَا وأسبل من مسك اللوائب حنّدا
كأنّ سنّا الإصباح رام يزورنا وخاف العيون الرامقات فغلّسا
أنى يحمل التوراة ظلياً مزنّرا لطيف الثني أشنب الثغر العسا
وقابل أحبار اليهود بوجهه فسارك ربّي^٣ عليه وقدّسا
فصير دمعي أعيناً شرب سبطه وعمري تيهاً والجوانح مقدّسا
ومنها :

رويت ولوعي عن ضلوعي مسلسلّا فأصبحتُ في علم الغرام مدرسا
نفى النوم عني كي أكون مسهدّا فأصبحتُ في صيد الخيال مهنّدا

١ ق ص : يضارعه .

٢ الكتيبة : حمراها .

٣ الربّي : الحبر من أحبار اليهود (Rabbi) .

غزال* من الفردوس تسقيه أدمعي ويأوي إلى قلبي مقيلاً ومكنسا
طغى ورد خدي بهجئات^١ صدغه فأضعفه بالآس نبتاً وما أسا

وهذا البيت محال على معنى فيلاحي* . قال أهل الفلاحة : إن الآس إذا
اغترس بين شجر الورد أضعفه بالخاصية .

وقال رحمه الله تعالى ورضي عنه^٢ :

نام طفلُ النبتِ في حِجَرِ النُّعَامِ	لاَهْتَازُ الطَّلُ* في مَهْدِ الخُرَامِ
وَسَمَا* الوُسْمِي* أَغْصَانِ الثَّقَا	فَهَوَتْ تَلْمُ أَفْوَاهَ النَّدَامِ
كَحَلِّ الفَجْرِ لَهْمِ جَفَنَ الدَّجَى	وَعَدَا في وَجَنَةِ الصَّبَحِ لثَامَا
نَحْسَبُ البَدْرَ حَيًّا ثَمَلِ*	قَدْ سَقَتْهُ رَاحَةُ الصَّبَحِ مُدَامَا
حَوْلَهُ الزُّهْرُ* كَوْوَس* قَدْ غَدَتْ	مَسَكَةُ* اللَّيْلِ عَلَيْهِنِ خَتَامَا
يَا عَلِيلَ الرِّيحِ رَفَقًا عَلَتِي	أَشْفَى* بِالسَّقَمِ الَّذِي حَزَّتْ سَقَامَا
أَبْلَغْنِ* شَوْقِي عُرْيَبًا بِاللَّوَى	هَمَّتْ* فِي أَرْضٍ بِهَا حَلَّتْوَ غَرَامَا
فَرَشُوا فِيهَا مِنَ الدَّرِّ حَصَى*	ضَرَبُوا فِيهَا مِنَ الْمَسَكِ خِيَامَا
كُنْتُ أَشْفِي غَلَّةً* مِنْ صَدِّكُمْ	لَوْ أَذْنُتُمْ لِحَفْوِي أَنْ تَنَامَا
وَاسْتَفَدْتُ الرُّوحَ مِنْ رِيحِ الصَّبَا	لَوْ أَتَتْ تَحْمَلُ* مِنْ سَلْمَى سَلَامَا

وقال منها أيضاً :

نشأتُ للصَّبِّ* مِنْهَا زَفَرَةٌ* تَسْكِبُ* الدَّمْعَ عَلَى الرَّبْعِ سَجَامَا
طَرِبَ* الْبَرْقُ* مَعَ الْقَلْبِ بِهَسَا وَبِهَا الْأَنَاتُ* طَارَحْنَ الْحَمَامَا

١ ق ص : لحنان .

٢ الكتيبة : ٧٤ والنثر : ٣٢٢ وقد سبقت أبيات منها في المجلد : ٣ ص : ٣٥٧ .

٣ الكتيبة والنثر : وسقى : والمقابلة بين « سما » و « هوت » .

٤ الكتيبة والنثر : الشهب .

طلل لا تشفي الأذن به
 ترك الساكن لي من وصله
 نزعاً من سليمان بها
 شادين يرمى حشاشات الحشا
 وهو للعينين قد ألقى كلاماً
 ضمة الجدران لثماً والتزاماً
 فهم القلب معانيها فهما
 حسب حظي منه أن أرى الذماما

وقال ١ :

أأرجو أماناً منك واللعن غادر
 ويثبت عقلي ٢ فيك والطرف ساهر

ومنها :

أعد سليمان أليم عذابه
 أشاهد منه الحسن في كل نظرة
 دعت للهوى أنصار سحر جفونه
 إذا شق عن بدر الدجى أفق زره
 وفي حرّم السلوان طابت خواطري
 وقد يتزع القلب المبتلى لسلوة
 يقابل أغراض بصد مرادها
 ونار اشتياقي صعدت مزن أدمي
 وقد كنت باكي العين والين غائب
 لطائر قلبي فهو اللين صائر ٣
 وناظر أفاكري بمغناه ٤ ناظر
 قلبي له عن طيب نفس مهاجر
 فإني بتمويه العواذل كافر
 وقلبي لسا في وجته مجاور
 كما اهتز من قطر الغمامة طائر
 ولم يدري أن الضد للصد قاهر
 فمضمر سري فوق خدي ظاهر
 فقل لي كيف الدمع ٥ والين حاضر

١ الكتيبة : ٧٥ .

٢ الكتيبة : قلبي .

٣ الكتيبة : صابر .

٤ الكتيبة : لمناه .

٥ الكتيبة : الشجي .

٦ الكتيبة : فقل كيف حال الدمع .

وليس النوى بالطبع مرّاً ، وإنما لكثرة ما شقت عليه المرائر^١
وقال :

يا بارقاً قاد الخيال فأومضاً اقصد بطيفك مدنفاً قد غمضاً
ذاك الذي قد كنت تعهد نائماً بالسهد من بعد الأجرة عوضاً
لا تحسبني معرضاً عن طيفه لكن منامي عن جفوني أعرضاً
ومنها :

عجب الوشاة لمهجتي أن لم تدب يوم النوى وتشككت فيما مضى
خفيت لهم من سر صبري آية ما فهمت إلا سليمان الرضى
لله درك ناهجاً سبيل الهوى فلمثله أمر الهوى قد فوضاً
أمنت نملاً فوق خدك سارحاً وسللت سيفاً من جفونك منتضى
وقال في المدح :

حريص على جرّ الذوائب والقنا إذا كعت الأبطال والجو عابس
ويعتق الأبطال ، لولا سقوطها لقلت : لتوديع أئته الفوارس
إذا اختطفهم كفّه فسروجهم مجال ، وهم في راحتهم فرائس
وقال يمدح السلطان أبا الوليد ابن نصر عند قدومه من فتح أشكر^٢ :
بحيث البنود الحمر والأسد الورد كئائب سكان السماء لها جند^٣
وتحت لواء النصر ملك هو الورى تضيق به الدنيا إذا راح أو يغدو

١ أخذه من قول الشاعر :

وما اخضر ذاك الخال نباتاً وإنما لكثرة ما شقت عليه المرائر

٢ يريد السلطان إسماعيل بن فرج ، هاجم حصن أشكر سنة ٧٢٤ ، وأشكر من عمل بسطة ، وفي ق ص : أشكو ؛ وانظر الكتيبة : ٧٧ - ٧٩ .

٣ حذف بعد هذا البيت أبياتاً مثبتة في الكتيبة .

٤ الكتيبة : الشرع . . . الهدى .

تَأْمَنَتِ الْأَرْوَاحُ فِي ظِلِّ بَنَدِهِ
فَلَوْ رَامَ إِدْرَاكَ النُّجُومِ لَنَالَهَا
وَمِنْهَا :

بَعِثِي بِحُرِّ النَّعَمِ تَحْتَ أَسِنَّةِ
سَمَاءٍ عَجَاجٍ وَالْأَسِنَّةُ شُهِبَاءُ
وُظِنُوا بِأَنَّ الرَّعْدَ وَالصَّعْقَ فِي السَّمَاءِ
عَجَائِبُ أَشْكَالٍ سَمَاءِ هَرَمَسٍ بِهَا
أَلَّا لَهَا الدُّنْيَا تَرِيكَ عَجَائِبًا
وَقَالَ وَهُوَ مَعْتَقِلٌ :

تَبَاعَدَ عَنِّي مَنَزَلٌ وَحَبِيبُ
وَإِنِّي عَلَى قَرَبِ الْحَبِيبِ مَعَ التَّوَيُّ
لَقَدْ بَعَدْتُ عَنِّي دِيَارٌ قَرِيبَةٌ
أَعَاشَرُ أَقْوَامًا تَقَرُّ نَفُوسُهُمْ
إِذَا شَعَرُوا مِنْ جَارِهِمْ بِتَأْوِهِ
فَلَا ذَاكَ يَشْكُوهُمْ هَذَا تَأْسَفًا
كَأَنِّي فِي غَابِ اللَّيْثِ مَسَالِمُ
تَحَكَّمُ فِيهَا الدَّهْرُ وَالْعَقْلُ حَاضِرُ
وَلَوْ مَالٌ بِالْجَهَالِ مَيَّلَتْهُ بَنَاءُ
رَفِيقٌ بِمَنْ لَا يَنْشِي عَنْ جَرِيمَةٍ
وَيُطْمَعُنَا مِنْهُ بِوَارِقٍ خَلَبُ

١ ص : لإبانه .
٢ ق : فيتوب .

إذا ما تشبشنا بأذيالِ بُردهِ دهتنا إذا جرَّ الخطوبُ خطوبُ
أدار علينا صولحاناً ، ولم يكن سوى أنه بالحداثِ لعوبُ
ومنها :

أيا دهرُ لآتي قد سئمتُ تهدي أجِرني فإنَّ السهمَ منك مصيبُ
إذا خفق البرقُ الطروقُ أجابه فؤادي ودمعُ المقلتين سكوبُ
ولأن طلع الكفِّ الخضيبُ بسحرةٍ فدمعي بحناءِ الدماءِ خضيبُ
تذكرني الأسحارُ^١ داراً ألفتها فيشدُّ حزني والحمام طروبُ
إذا عقلت نفسي بليّت وربما تكاد تفيضُ أو تكادُ تدوبُ
دعوتك ربي والدعاء ضراعةً وأنت تناجي بالدعا فتجيبُ
لئن كان عُقْبِي الصبر فوزاً وغبطةً فلآتي على الصبرِ الجميلِ دروبُ

قال : وبعث إليه هدية من البادية ، فقال يصف منها ديكاً :

أيا صديقاً جعلته ستنداً فراحَ فيما أحبه وغدا
طلبتُ منكم سُرَيْدِكا^٢ خنثاً وجثمُ لي مكانسه لُبدا
صيرَ مني مؤرخاً ولكم ظللتُ في علمه من البلدا
قلتُ له : آدمُ أنعرفهُ قال : حفيدي بعصرنا ولدا
نوحُ وطوفانهُ رأيتُهُما ؟ قال : علونا بفيضهِ أحدا
فقلت : هل لي بجرهمِ خيرٌ ؟ فقال : قومي وجيرقي السعدا
فقلت : قحطانُ هل مررت به ؟ قال : نفثنا ببرده العُقدا
فقلت : ضف لي سباً وساكنها فعند هذا تنفس الصُعدا

١ ق : الأشجار .

٢ السريدك : تصغير سردوك وهو الديك .

فقال : كم لي بدجنهم سَحَرًا
فقلت : هاروت هل سمعت به؟
فقلت : كسرى وآل شرعته؟
ولَّوا وصاروا وها أنا لبدٌ
ديكُ إذا ما انثنى لفكرته
يرفلُ في طيلسانه وها
إذا دَجَا الليلُ غابَ هيكله .
كأنما جُلنارٌ لحيته
كأنَّ حصناً علا بهامته
يرنو يياقوتتي لوأحظه
كأنَّ منجالي ذوائبه
وعوسجٌ مدٌّ من مغالبه
فذاك ديكٌ جَلَّتْ محاسنه
يطلبني بالذي فعلتُ به
وَجَهَّتْهُ مَحَنَةً لَأَكْلِهِ
من صرخة لي وللثوم هدا
فقال : ريشي لسهمه نفدا
فقال : كنتا بجيشه وفدا
فهل رأيتم من فوطهم أحدا
رأى وجوداً طرائقاً قددا
قد صير الدهرُ لونه كدا
كأنَّ حبراً عليه قد جمدا
بُرجانٌ جازا من الهوا مدى
أعدّه للقتال فيه عدا
كأنما اللحظُ منه قد رمدا
قوسُ سماءٍ من أضله بعدا
طغى بها في نقاره وعدا
له صراخٌ بين الديوك بدا
فكم فللنا بلبَّتَيْهِ مُدَى
والله ما كان ذاك منك سدى

ولم نزل بعدُ نستعدي عليه بإقراره بقتله ، ونطلبه بالقود عند تصرفه بالعمل ،
فيوجه الدية لنا في ذلك رسائل .

وقال في غرض أبي نُؤاس ١ :

طرقنا دُيُورَ القومِ وَهَنًا وَتَغْلِيصًا
وقد رفعوا الإنجيلَ فوق رؤوسِهِمْ
فما استيقظوا إلا لصِكَّةٍ بابِهِمْ
وقد شرفوا الناسوتَ إذ عبدوا عيسى
وقد قدَّسُوا الروحَ المقدسَ تقديسًا
فأدهش رهباناً وروَّع قسيسًا

١ الكتيبة : ٧٩ .

وقام بها البطريقُ يسعى ملياً
فقلنا له أمتاً فإننا عصاةٌ
وما قصدنا إلا الكؤوسَ وإنما
ففتحت الأبوابُ بالرحبِ منهم
فلما رأى رقيّ^١ أمامي ومزهر
وقام إلى دنٍ يفضُّ ختامه
وطاف بها رطبُ البنانِ مزنرٌ
سلافاً حواها القارُ لبساً فخلتها
ومنها :

إلى أن سطا بالقومِ سلطانُ نومهم
وثبتُ إليه بالعناقِ فقال لي :
كتبْتُ بدمع العينِ صفحةً خده
فبش الذي احتلنا وكدنا عليهم
فبتنا يرانا الله شرَّ عصاةٍ
وقال بديهة في غزاة من النحاس ترمي الماء على بركة :

عنتُ لنا من وحشٍ وجرةٍ ظبيةً
وأظنُّها إذ حددتْ آذانها
حيثُ بقرني رأسها إذ لم تُجدِ
حنتُ على الندمانِ من إفلاسهم
لله درُّ غزاةٍ أبدتْ لنا
جاءت لوردِ الماء ملء عنائها
ريعتُ بنا فتوقفت بمكانها
يومَ اللقاء تحيةً بينانها
فرمتْ قضيباً بلحينها لحنانها^٢
درُّ الحباب تصوغهُ بلسانها

١ ق ص والكتيبة : زقي ؛ ولعله الرق - بالراء المهملة - ليطلق المزهر .

٢ ق ص : قبيل السبع ؛ والتصويب عن الكتيبة .

٣ سقط البيت من ق .

قال لسان الدين : وفُلِجَ المذكور ، فلزم منزلي لمكان فضله ووجوب حقه ، وقد كانت زوجه توفيت ، وصحبه عليها وجَد ، فلما ثقل وقربت وفاته استدعاني وكاد لسانه لا يبين ، فأوصاني وقال :

إذا متُّ فادفني بحذاء حليتي يخالطُ عظمي في الترابِ عظامها
ولا تدفِنَنِي في البقيعِ فلأتني أريدُ إلى ' يوم الحساب الترامها
ورتبْ ضريحي كيفما شاءه الهوى تكونُ أمامي أو أكونُ أمامها
لعلَّ إله العرش يجبرُ صدْعِي فيُعَلِّي مقامي عنده ومقامها

ومات رحمه الله تعالى في الخامس والعشرين لذي قعدة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة ودفن بحذاء زوجه كما عهد رحمه الله تعالى ؛ انتهى .

ومن نظم ابن هذيل :

وظيِّ زارني واللَّيلُ طِفْلٌ إلى أن لاحَ لي منه اكتهالُ
وألغى الشكَّ من وصلٍ فقلنا بليلِ الشكِّ يُرتَقَبُ الهلالُ

٢٣ - ومن أشياخ لسان الدين : الشيخ أبو بكر ابن ذي الوزارتين ، وهو - أعني أبا بكر - الوزير الكاتب الأديب الفاضل المشارك المتفنن المتبحر في القنون أبو بكر محمد ابن الشيخ الشهير ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم الرندي^٢ ، ومن نظمه قوله^٣ :

نصبرُ إذا ما أدركتك مِلْمَةٌ فصنْعُ إلهِ العالمين عجيبُ
وما يلحقُ^٤ الإنسانَ عارٌ بنكِيةٍ يُنَكَّبُ فيها صاحبٌ وحيبُ

١ ق ص : أفي .

٢ ترجمة أبي بكر ابن الحكيم في الإحاطة ٢ : ١٩٩ والكتيبة الكامنة : ١٩٥ .

٣ الإحاطة : ٢٠٦ والكتيبة : ١٩٥ .

٤ الإحاطة والكتيبة : يدرك .

ففي من مضى للمرء ذي العقل أسوة^١ وعيش كرام الناس ليس يطيب^٢
ويوشك أن تهني سحائب نعمة^٣ فيخصب ربع^٤ للسرور جديب^٥
إلهك يا هذا قريب لمن دعا وكل^٦ الذي عند القريب قريب^٧

قال ابن خاتمة : وأنشدني الوزير أبو بكر مقدّمه على المرية غازياً مع الجيش المنصور ، قال : أنشدني أبي :

ولمّا رأيتُ الشيبَ حلّ^٨ بمفرقي نذيراً بترحال الشبابِ المفارقِ^٩
رجعتُ إلى نفسي فقلتُ لها انظري إلى ما أرى ، هذا ابتداء الحقائقِ^{١٠}

[ترجمة أبي عبد الله ابن الحكيم]

وبيتهم بيت كبير . وأخذ عن غير واحد وعن والده ، وهو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد^١ بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى . اللخمي ، الرندي . الكاتب البليغ الأديب الشهير الذكر بالأندلس ، وأصل سلفه من إشبيلية من أعيانها ، ثم انتقلوا إلى رُنْدَة في دولة بني عباد ، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم^٢ لطلبه ، وقدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر إثر قفوله من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله ابن رشيد الفهري ، فألحقه السلطان بكتابه ، وأقام يكتب له في ديوان الإنشاء إلى أن توفي هذا السلطان وتقلد الملك بعده ولي عهده أبو عبد الله المخلوع فقلده الوزارة والكتابة ، وأشرك معه في الوزارة أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني ، فلمّا توفي أبو سلطان أفرده السلطان بالوزارة ، ولقبه ذا الوزارتين ،

.....

١ الإحاطة : محمد بن محمد .

٢ هذه ترجمة والد أبي بكر ابن الحكيم عن الإحاطة ٢ : ٢٧٩ .

وصار صاحب أمره إلى أن توفي بحضرة غرناطة قتيلاً نفعه الله تعالى غُدْوَةً
يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبعمائة ، وذلك لتاريخ خلع سلطانه وخلافة
أخيه أمير المسلمين أبي الجيوش مكانه ، ومولده برُنْدَة سنة ستين وستمائة .

وكان رحمه الله تعالى علماً في الفضيلة والسرادة ومكارم الأخلاق ، كريم
النفس واسع الإيتار ، متين الحرمة عالي الهمة ، كاتباً بليغاً أديباً شاعراً ، حسن
الخط يكتب خطوطاً على أنواع كلها جميلة الانطباع ، خطيباً فصيح القلم
زاكي الشيم ، مؤثراً لأهل العلم والأدب برّاً بأهل الفضل والحسب ، نفقت
بمدته للفضائل أسواق ، وأشرقت بإمداده للأفاضل آفاق . ورحل للمشرق كما
سبق ، فكانت لإجازته البحر من المرية ، فقضى فريضة الحج ، وأخذ عن لقي
هنالك من الشيوخ ، فمشيخته متوافرة . وكان رفيقه — كما مرّ — الخطيب أبا عبد
الله ابن رشيد الفهري . فتعاونوا على هذا الغرض ، وقضيا منه كل نفل ومقترض ،
واشركا فيمن أخذاه من الأعلام ، في كل مقام ، وكانت له عناية بالرواية
وولوع بالأدب ، وصباة باقتناء الكتب ، جمع من أمهاتها العتيقة ، وأصولها
الرائقة الأنيقة ، ما لم يجمعه في تلك الأعصر أحد سواه ، ولا ظفرت به يده .
أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحاق ابن أبي العاصي ، وتديع معه رفيقه أبو
عبد الله ابن رشيد وغير واحد ، وكان ممدحاً ، وممن مدحه الرئيس أبو محمد
عبد المهيمن الحضرمي والرئيس أبو الحسن ابن الجياب ، وناهيك بهما .
ومن بديع مدح ابن الجياب له قصيدة رائقة راقية يهنيه فيها بعيد الفطر
منها في أولها^١ :

يا قادمًا عمتِ الدنيا بشائرهُ أهلاً بمقدمك الميمون طائرهُ
ومرجباً بك من عيد تحف به من السعادة أجناد تظافره

قدمت فأنخلق في نعمي وفي جدل
 والأرض قد لبست أثواب سندسها
 حاك يد الغيث في ساحاته حلالاً
 فلاح فيها من الأنوار باهرها
 وقام فيها خطيب الطير مرتجلاً
 موشياً ثوب طواه الدهر آونة
 فالغصن من نشوة يثني معاطفه
 وللكام انشفاق عن أزهارها
 لله يومك ما أزكى فضائله
 فكم سريرة فضل فيك قد خبيث
 فافخر بحق على الأيام قاطبة
 فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا
 يلتاح منه بأفق الملك نور هدى
 مجد صميم على عرش السماك سما
 وزارة الدين والعلم الذي رفعت
 وليس هذا ببدع من مكارمه
 يلقي الأمور بصدر منه منشرح
 راعى أمور الرعايا معملاً نظراً
 والملك سیر في تدبيره حكماً
 سياسة الحلم لا بطش يكدرها
 لا يصدر الملك إلا عن إشارته
 تجري الأمور على أقصى إرادته
 وكم مقام له في كل مكرمة

أبدى بك البشر باديه وحاضره
 والروض قد بسمت منه أزهره
 لما سقاها دراكاً منه باكره
 وفاح فيها من النوار عاطره
 والزهر قد رصعت منه منابره
 فها هو اليوم للأبصار ناشره
 والطير من طرب تشدو مزاهره
 كما بدت لك من خل ضمائره
 قامت لدين الهدى فيه شعائره
 وكم جمال بدا للناس ظاهره
 فما لفضلك من ند يظاهره
 قيست بفخر أولي العليا مفاخره
 تضاعل الشمس مهما لاح زاهره
 طالت مبانيه واستعلت مظاهره
 أعلامه والندی الفياض زاخره
 ساوت أوائله فيه أواخره
 بحر وآراؤه العظمى جواهره
 كثر عليه معدوماً نظائره
 تنال ما عجزت عنه عساكره
 فهو المهيّب وما تخشى بواذره
 فالرشد لا تتعداه مصايره
 كأنما دهره فيه يشاوره
 أنست مواردّه فيها مصادره

ففضلها طَبَقَ الآفاقَ أجمعها كأنه مَثَلٌ قد سار سائره
فليس يجحده إلا أخو حسدٍ يرى الصباح فيعشي منه ناظره
لا ملكَ أكبرُ من ملك يدبره لا ملك أسعدُ من ملك يوازره
يا عزَّ أمرٍ به اشتدت مضاربه يا حُسْنَ ملك به ازدانت محضره
تُثني البلادُ وأهلوها - بما عرفوا ويشهدُ الدهرُ آتيه وغابره
بشرى لآمله الموصولِ مأمله تَعَسَّأ لحاسده المقطوعِ دابره
فالعلمُ قد أشرقت نُوراً مطالعه والجلودُ قد أسبلت سَحاً مواطره
والناسُ في بُشْرِ ، والملك في ظفرٍ عالٍ على كلِّ عالي القدر قاهره
والأرضُ قد ملئت أمنأ جوانبها بيمنٍ مَنْ خلصت فيها سرائره
والى أياديه من مثني وموحدة تُساجِلُ البحرَ إن فاضت زواخره
فكلَّ يومٍ تَلَقَّانا عَوَارِفُهُ كساه أمواله الطولى دفاتره
فمن يؤدي لما أولاه من نعمٍ شكراً ولو أنَّ سبحانه يظاهره
يا أيُّها العيدُ بادرْ لثمِّ راحتِه فلتُهمها خيرُ مأمولٍ تبادره
وافخرْ بأنَّ قد لقيت ابن الحكيم على عصيٍ يباريك أو دهرٍ تفاخره
ولتى الصيامُ وقد عظمت حرمتُه فأجرُه لك وافيهِ ووافره
وأقبلَ العيدُ فاستقبلْ به جدلاً واهناً به قادماً عمت بشائره

ومن نثر ذي الوزارتين آخر إجازة ما صورته : وها أنا أجري معه على حسن
معتقده ، وأكيله في هذا الغرض إلى ما رآه بمقتضى تودُّده ، وأجيز له ولولديه
أقر الله بهما عيَّنه ، وجمع بينهما وبينه ، رواية جميع ما نقلته وحملته ،
وحُسْنُ اطلاعه يُفَصِّلُ من ذلك ما أجملته ، فقد أطلقت لهم الإذن في جميعه ،
وأبحثُ لهم الحمل عني ولهم الاختيار في تنويعه ، والله سبحانه يخلص أعمالنا لذاته ،
ويجعلها في ابتغاء مَرْضَاتِه ، قال هذا محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم حامداً لله
عز وجل ، ومصلياً .

ومن شعر ذي الوزارتين ابن الحكيم قوله ^١ :

ما أحسنَ العقلَ وآثارَهُ لو لازم الإنسانُ إشارَهُ
يَصُونُ بالعقلِ الفَيَّ نَفْسَهُ كما يصونُ الحرُّ أسرارَهُ
لا سيّما إن كان في غربةٍ يحتاج أن يعرفَ مقدارهُ

وقوله رحمه الله ^٢ :

إنّي لأعسِرُ أحياناً فيلحقني يسرٌ من الله إنَّ العسرَ قد زالاً
يقولُ خير الورى في سُنّةٍ ثبتتُ « أنفقْ ولا تحشَ من ذي العرشِ إقلالاً »
وهو من أحسن ما قال رحمه الله .

ومن شعر ذي الوزارتين المذكور قوله ^٣ :

فقدتُ حياتي بالعراقِ ومَنُ غداً بحالِ نوّى عمن يُحبُّ فقد فَقَدُ
ومن أجلِ بعدي عن ديارِ ألفتها جحيمُ فؤادي قد تَلَطَّطى وقد وَقَدُ
وقد سبقه إلى هذا القائل :

أواري أواري بالدموعِ تجلّداً وكم رمتُ إطفاءَ اللهبِ وقد وقد
فلا تعذّلوا مَنُ غابَ عنه حبيبُهُ فمن فقدَ المحبوبَ مثلي فقد فقد
كذا رواه ابن خاتمة . ورواه غيره هكذا :

أواري أواري والدموعُ تبينه

وهو الصواب ، قال ابن خاتمة : وأنشدني رئيس الكتاب الصدرُ البليغُ

١ الإحاطة : ٢٩٤ . قلت : وورد في المجلد ٣ : ٣٤٧ منسوباً لصالح بن شريف الرندي .

٢ المصدر نفسه .

٣ المصدر نفسه .

الفاضل أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري ، قال : أنشدني رئيس الكتاب الجليل أبو محمد عبد المهيم بن محمد الحضرمي ، قال : أنشدني رئيس الكتاب ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم رحمه الله :

صحَّ الكتابَ وعنهٍ واختمُ على مكتنتهٍ
واحذرُ عليه من مخا لسة الرقيب بجفنه
واجعلُ لسانك سجنه كيلا تُرى في سجنه

قال ابن خاتمة : وفي سند هذه القطعة نوع غريب من التسلسل .
وحكى أن ذا الوزارتين المذكور لما اجتمع مع الجليل الفقيه الكاتب ابن أبي مدين أنشده ابن أبي مدين^١ :

عشقتكم بالسمع قبل لقاءكم وسمعتُ الفتى يهوى لعمرى كطرفه
وحببني ذكرُ الجليس إليكم فلما التقينا كنتم فوق وصفه
فأنشد ذو الوزارتين ابن الحكيم :

ما زلتُ أسمعُ عن عليك كلَّ سنأ أبي من الشمس أو أجلى من القمر
حتى رأى بصري فوق الذي سمعت أذني فوقَ بين السمع والبصر
ويعجبني في قريب من هذا المعنى قولُ الحاج الكاتب أبي إسحاق الحساوي^٢
رحمه الله :

سحرُ البيان بناني صار يعقده والنفتُ في عقده من منطقي الحسن
لا أنشدُ المرء يلقاني ويبصرني أنا المُعَيَّدُ فاسمعُ بي ولا ترني
رجع — وقال لسان الدين في « عائد الصلة » في حق ذي الوزارتين ابن الحكيم

١ الإحاطة : ٢٩٤ .

٢ ص : الحساوي .

ما صورته^١ : كان رحمه الله فريداً دهره سماحةً وبشاشةً ولودعيةً وانطباعاً ، رقيق الحاشية ، نافذ العزيمة ، مهترآً للمديح ، طلقاً للآمل ، كهنفاً للغريب ، برمكي المائدة ، مهلّبي الحلوى^٢ ، ريان من الأدب ، مضطلعاً بالرواية ، مستكثراً من الفائدة ، يقوم على المسائل الفقهية ، ويتقدم الناس في باب التحسين والتقييح ، ورفّع راية الحديث والتحديث ، نفق بضاعة الطلب ، وأحيا معالم الأدب ، وأكرم العلم والعلماء ، ولم تشغله السياسة عن النظر ، ولا عاقه تدبيرُ الملك عن المطالعة والسماع ، وأفرط في اقتناء الكتب حتى ضاقت تصوره عن خزائنها ، وأثرت أنديته من ذخائرها ، قام له الدهرُ على رجلين ، وأخدمه صدور البيوتات وأعلام الرياسات ، وخوطف من البلاد النازحة ، وأمل في الآفاق النائية ؛ انتهى المقصود منه .

ومن أحسن ما رثي به الوزير ابن الحكيم رحمه الله قولُ بعضهم :

قتلوك ظلماً واعتدوا في فعلهم حدّ الوجوب
ورمواك أشلاءً ، وذا أمرٌ قصّته لك الغيوب
إن لم يكن لك سيدي قبرٌ فقبرك في القلوب

وقال لسان الدين في « الإحاطة » في حق رحلة ذي الوزارتين ابن الحكيم ما صورته^٣ : رحل إلى الحجاز الشريف من بلده على فتاء سنة أول عام ثلاثة وثمانين وستمئة ، فحج وزار ، وتجوّل في بلاد المشرق متجعاً عوالي الرواية في مظانها ، ومنقراً عنها عند مُسنّي شيوخها ، وقيد الأناشيد الغريبة والأبيات المرقصة ، وأقام بمكة شرفها الله من شهر رمضان إلى انقضاء الموسم ، فأخذ بها

١ الإحاطة : ٢٧٩ .

٢ كذا في الإحاطة ؛ وفي ق ص : الخلو .

٣ الإحاطة : ٢٧٩ .

عن جماعة ، وانصرف إلى المدينة المشرفة ، ثم قَفَلَ مع الراكب الشامي إلى دمشق ، ثم كر إلى المغرب ، لا يمر بمجلس علم أو تعلم إلا رَوَى أو رَوَى ، واحتل رُنْدَة حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين وستمائة ، فأقام بها عينا في فرايته ، وعلما في أهله ، معظما لديهم ، إلى أن أوقع السلطان بالوزراء من بني حبيب الواقعة البرمكية وورد رُنْدَة في أثر ذلك ، فتعرض إليه وهناه بقصيدة طويلة من أوليات شعره أولها^١ :

هل إلى ردّ عشيت الوصال^٢ سبب أم ذاك من ضرب المجال ؟

فلما أنشدها إياه أعجيب به وبحسن خطه ونصاعة ظرفه ، فأثنى عليه ، واستدعاه إلى الوفادة على حضرته ، فوفد آخر عام ستة وثمانين ، فأثبته في خواص دولته ، وأحفظه لديه ، إلى أن رقاها إلى كتابة الإنشاء ببابه ، واستمرت حاله معظم القدر مخصوصا بالمزية ، إلى أن توفي السلطان ثاني الملوك من بني نصّر ، وتقلد الملك بعده ولي عهده أبو عبد الله ، فزاد في إحفظائه وتقريبه ، وجمع له بين الكتابة والوزارة ، ولقبه بنذي الوزارتين ، وأعطاه العلامة ، وقلده الأمر ، فبعد الصيت وطاب الذكر ، إلى أن كان من أمره ما كان ؛ انتهى ملخصا . وقال في « الإحاطة » بعد كلام طويل في ترجمته : قال شيخنا الوزير أبو بكر ابن الحكيم ولده : وجدت بخطه رحمه الله تعالى رسالة خاطب بها أخاه الأكبر أبا إسحاق إبراهيم افتتحها بقصيدة أولها^٣ :

ذكر اللوى شوقا إلى أقماره فقضى أسى أو كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه فرمى على وجناته بشراره^٣

١ أورد في الإحاطة : ٢٨٩ - ٢٩١ جملة من أبياتها .

٢ الإحاطة : ٢٩٢ .

٣ سقط الشطر الثاني من ق .

وقد ذكرناها في غير هذا المحل .

وقال مما يُكتب على قوس^١ :

أنا عُدَّةٌ للدين في يدِ مَنْ غَدَا للهٍ منتصراً على أعدائِهِ
أحكى الهلالَ وأسهمي في رجمها لمن اعتدى تحكي رجوم^٢ سمائِهِ
قد جاء في القرآنِ أني عُدَّةٌ إذ نصَّ خيرُ الخلقِ محكمَ آيِهِ
وإذا العدوُ أصابه سهمي فقد سبق القضاء بهلكه وفنائِهِ

قال لسان الدين^٣ : ومن توقيعه ما نقلته من خط ولده ، يعني أبا بكر ، في كتابه المسمى بـ «الموارد المستعذبة» وكان بوادي آش الفقيه الطرائفي^٤ . فكتب إلى خاصة والذي أبي جعفر ابن داود . قصيدة على روي السين ، يتشكى فيها من مشرف بلدهم إذ ذاك أبي القاسم ابن حسان منها :

فيا صَفيّ أبي العباس كيف ترى وأنت أكيسُ من فيها من آكياسِ ؟
ولّوه إن كان ممّن ترتضون به فقد دنا الفتحُ للأشرافِ في فاسِ

ومنها يستطرد ذكر ذي الوزارتين :

للشرق فضلٌ فمنه أشرقَ شُهْبُ من نورهم أقبَسُونَا كلَّ مقياسِ

فوقع عليها رحمه الله تعالى :

إن أفرطتْ بآبن حسان غوائلُهُ فالأمر يكسوه ثوبَ الذكر والباسِ
وإن تزلَّ به في جَوْرَةٍ قدم كان الجزاءُ له ضرباً على الراسِ

١ الإحاطة : ٢٩٥ .

٢ الإحاطة : نجوم .

٣ الإحاطة : ٢٩٥ .

٤ كذا في ق ص ؛ وفي الإحاطة : الطريفي .

فقد أقامني المولى بنعمته لِبَثِّ أحكامه بالعدل في الناس.

ثم أطل في أمره . إلى أن قال في ترجمة قتله ما صورته^١ : واستولت يد الغوغاء على منازل . شغلهم بها مدبر الفتنة خيفة من أن يعاجلوه قبل تمام أمره ، فضاع بها مال لا يُكتب . وعروض لا يُعلم لها قيمة من الكتب والذخيرة والفرش والآنية والسلاح والمتاع والحُرثي . وأخفرت ذمته ، وتعدى به عدوه القتل إلى المثلة . وقانا الله مصارع سوء ، فطيف بشلوه ، وانتهب ، فضاع ولم يقبر ، وجرت فيه شناعة كبيرة . رحمه الله تعالى ؛ انتهى المقصود منه .

رجع :

٢٤ - ومن مشايخ لسان الدين الأستاذ أبو الحسن علي القيجاطي^٢ .

وقال في حقه في « الإحاطة » ما محصله : علي بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكنائي . القيجاطي ، أبو الحسن ، أوجد زمانه علماً وتخلقاً وتواضعاً وتفناً ، ورد على غرناطة مستدعي عام اثني عشر وسبعمائة ، وقعد بمسجدها الأعظم يقرئ فنوناً من العلم من قراءات وفقه وعربية وأدب . وولي الخطابة ، وناب عن بعض القضاة بالحضرة . مشكور المأخذ حسن السيرة عظيم النفع . وقصده الناس وأخذوا عنه ، وكان أديباً لَوَذَعِيّاً فكهاً حلواً . وهو أول أستاذ قرأت عليه القرآن والعربية والأدب إثر قراءة المكتب . وله تأليف في فنون وشعر ونثر . فمن شعره قوله^٣ :

روضُ المشيبِ تفتحتُ أزهارهُ حتى استبان ثُغامهُ وبهارهُ

.....

١ انظر الإحاطة : ٣٠١ .

٢ ترجمة أبي الحسن القيجاطي في الكتيبة : ٣٧ والديباج : ٢٠٧ ونيل الابتهاج : ٢٩٢ وبنية الوعاة : ٣٤٤ والإحاطة ، الورقة : ٣٢٣ ، وقد أوجز الترجمة في النسخة التي اعتمدت عليها وحذف أشعاره .

٣ الكتيبة : ٣٨ .

ودجى الشباب قد استبان صباحه
 فأتى حمام لا يعاف وقوعه
 والعمر مثل البدر يبدو حسنه
 ما للإخاء تقلصت أفيأوه
 والحر يصفح إن أحل خليله
 فراه يدفع إن تمكن جاهه
 ولأنت تعلم أنني زمن الصبا
 ولأنت تعلم أنني زمن الصبا
 والهجر ما بين الأحبة لم يزل
 ولكم تجافى عن جفاء خليله
 ولكم أصر على التدابر مدبر
 فأقام كالكسبي بان نهاره
 أنكرتم من حق معرف لكم
 والشرع قد منع التقاطع نصه
 والسن سن تورع وتبرع
 ما يومنا من أمسنا قدك اتشد
 هلاً حظرتم أو حذرتم منه ما
 عجباً لمن يجري هواه لغاية
 يأتي ضحى ما كان يأتيه دجى
 فيعد ما تفنى به حسناته
 فالنفس قد أجرته ملء عنائها
 والمرء من إخوانه في جنة
 واليمن قد مدت إليه يمينه

وظلامه قد لاح فيه نهاره
 ومضى غراب لا يخاف مطاره
 حيناً ويعقب بعد ذاك سرار
 ما للصفاء تكدرت آثاره
 والبر يسمع إن تجرأ جاره
 وتراه ينفع إن علا مقداره
 ما زلت زنداً والحياة سواره
 ما زلت ممن عف فيه إزاره
 ترك الكلام أو السلام مثاره
 فطين ، وقد ظفرت به أظفاره
 أفضى إلى ندم به إصراره
 أو كالفرزدق فارقت نواره
 بالحق ما لا ينبغي إنكاره
 قطعاً ، وقد وردت به أخباره
 وتسرع لتشرع تختساره
 ذهب الشباب فكيف ينفى عاره
 حق عليكم حظره وحذاره
 محدودة إضماره مضماره
 فكأنه ما شاب منه عذاره
 ويعيد ما تبقى به أوزاره
 يشتد في مضمارها إحضاره
 بل جنة تجري بها أنهاره
 واليسر قد شدت عليه يساره

شعرٌ به أشعرتُ بالنصح الذي يهديه من أشعاره إشعاره
ولو اخترتمُ نقده بمحكمة لامتاز بهرجه ولاح بضاره
هذا هدى فيه اقتده تنل المني أو أنت في هذا وما تختاره
وعليكم مني سلامٌ مثلما أرجتُ بروضٍ يانعٍ أزهاره
وقال من قصيدة رثائية^١ :

حَمَامٌ حِمَامٌ فوق أليك الأسى تشدو تهيجُ من الأشجان ما أوجدَ الوجدُ
وذلك شجُوٌّ في حناجرنا شَجَاً وذلك هزلٌ في ضمائرنا جيدٌ
أرى أرجلَ الأرزاء تشتد نحونا وأيديها تسعى إلينا فتمتدُ
ونحن أولو سهوٍ عن الأمرِ ما لنا سوى أملٍ لإيجابنا عنده جحدُ
فإن خطرتُ للمرء ذكرى بخاطرٍ فتسبيحةُ الساهي إذا سُمِعَ الرعدُ
مصابٌ به قَدَّتْ قُلُوبٌ وأنفُسٌ لدينا إذا في غيره قطعتُ بردُ
تلين له الصَّمُ الصَّلَابُ وتنهمي عيونٌ ويبكي عنده الحجرُ الصَّلْدُ
فلا مقلّةٌ ترنو ، ولا أذنٌ تعي ولا راحةٌ تعطو ، ولا قدَمٌ تعدو
وقد كان يبدو الصبرُ منا تجلداً وهذا مصابٌ صَبْرُنَا فيه ما يبدو

مولده عام خمسين وستمائة ، وتوفي بغرناطة ضحى السبت في السابع والعشرين لذي حجة عام ثلاثين وسبعمائة ، وحضره السلطان فننّ دونه ، رحمه الله تعالى ؛ انتهى .

٢٥ — ومنهم العلامة شيخ الشيوخ أبو سعيد فرج بن لب^٢ .

قال في « الإحاطة » في حقه ما محصله : فرج بن قاسم بن أحمد بن لب ،

١ الكتيبة : ٣٨ .

٢ ترجمة فرج بن لب في الكتيبة : ٦٧ ونيل الابتهاج : ٢١١ وبغية الرعاة : ٣٧٢ والإحاطة ، الورقة : ٣٥٦ ، وقد غمز منه لسان الدين في الكتيبة بعد أن أثنى عليه في الإحاطة .

قال ابن الصباغ : من شعر ابن لب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إذا القلبُ ثارَ أثارِ ادِّكارِ	لقلبي فأذكي عليه أوارا
ترومُ جفوني لنارِ الهوى	خموداً فتهمي دموعاً غزارا
فبساءُ جفوني يسحُّ انهمالاً	ونارُ فؤادي تهيجُ استعارا
أطيلُ العويلَ صباحاً مساء	كثيلاً ولستُ أطيقُ اضطبارا
رقيتُ مراقيَ للحبِ شتّى	فأفنى مراراً وأحيا مرارا
أحنّ اشتياقاً لريحِ سرتِ	وأبدي هياماً لبرقِ أنارا
حينئذٍ وشوقاً إلى معلّم	حوى شرفاً خالداً لا يجارى
به أسكنَ الله أسمى الورى	نبيّاً كريماً وصحباً خيارا
هو المصطفى المنتقى المجتبي	أرى معجزاتٍ وآياً كبارا
يحقُّ علينا ركوبُ البحارِ	وجنوبُ القفارِ إليه ابتدارا

ومنها :

فيا فوزَ مَنْ فاز في طيّبةٍ	بلثمَ المغاني جداراً جدارا
وألصقَ خدّاً على تربها	وأكملَ حجّاً بها واعتمارا
وأهدى السلامَ لخير الأنامِ	على حينَ وافي عليه مزارا
فيا هادي الخلقِ دارَ نعيمٍ	تناهتُ جمالاً وطابتُ قرّارا
لأنت الوسيلةُ والمرتجى	ليومٍ يُرى الناس فيه سكارى
وما هم سكارى ، ولكنهم	دهتهم دواهٍ فتهاّموا حيارى
ترى المرءَ للهول من أمّة	ومن أقربيه يُطيل الفرارا
وكلُّ يخافُ على نفسه	فيكسوهُ خوفُ الإله انكسارا
فصلى الإله ، رسول الهدى ،	عليك ، وأبقى هداك منارا
وقدّسَ ربّي ثرى روضةٍ	يعمُّ الجهاتِ سناها انتشارا

أعير شذا المسك منها الثرى بل المسكُ منه شذاه استعاراً
هنيئاً لمن بهداك اهتدى ومغناك وافى ، وإياك زارا

وقصد رحمه الله تعالى بهذه القصيدة معارضة قصيدة الشهاب محمود التي
نظمها بالحجاز في طريق المدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام ، وهي طويلة ،
ومطلعها :

وَصَلَّنا السُّرَى وهجرنا الديارا وجئناك نطوي إليك القفارا

وقد تبارى الشعراء في هذا الوزن وهذا الروي ، ومنه القصيدة المشهورة :

أقول وآتست بالحي نارا

ولا بن لب رحمه الله تعالى الفتاوى المشهورة .

وقال في « الإحاطة » في حقه ما محصله : فرج بن قاسم بن أحمد بن لب
التغلبى غرناطي أبو سعيد ، من أهل الخير والطهارة والذكاء والديانة وحسن
الخلق . رأس بنفسه وبرز بمزية إدراكه وحفظه ، فأصبح حامل لواء التحصيل
وعليه مدار الشورى وإليه مرجع الفتوى ، لقيامه على الفقه ووزارة علمه وحفظه ،
إلى المعرفة بالعربية واللغة ، ومعرفة التوثيق والقيام على القراءات والتبريز في
التفسير ، والمشاركة في الأصول والفرائض والأدب ، وجودة الحفظ ؛ وأقرأ
بالمدرسة النصيرية في الثامن والعشرين لرجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة ،
معظماً عند الخاصة والعامة ، مقروناً اسمه بالتسويد ؛ فعد للتدريس ببلده على
وفور الشيوخ ، وولي الخطابة بالجامع . قرأ على القيحاوي ، والعربية على ابن
الفخار . وأخذ عن ابن جابر الوادي آشي . فمن شعره في النسيب ^١ :

خذوا للهوى من قلبي اليوم ما أبقي فما زال قلبي كله للهوى رقاً

١ الكتيبة : ٦٨ .

دعوا القلب يصلى في لظى الوجدِ نارَهُ
سلوا اليومَ أهلَ الوجدِ ماذا به لقوا
فإن كان عبدٌ يسأل العتقَ سيداً
بدعوى الهوى يدعو أناسٌ وكلّهم
فطرقُ الهوى شتى ولكنَّ أهلهُ
وكم جمعت طرقُ الهوى بين أهلها
بسيما الهوى تسمو معارفُ أهله
فمن زفرةٍ تزجي سحائبَ عبدةٍ
إذا سكتوا عن وجدهم أعربت به

فنارُ الهوى الكبرى وقلبي هو الأشقى
فكلُّ الذي يلقون بعض الذي ألقى
فلا أبتغي من مالكي في الهوى عتقا
إذا سئلوا طرقَ الهوى جهلوا الطرقا
يحوزونَ في يومِ السِّباقِ بها السبقا
وكم أظهرت عند السَّوى بينهم فترقا
فحيث ترى سيما الهوى فاعرف الصدا
إذا زفرةٌ ترقى فلا عبدةٌ ترقا^١
بواطنٍ أحوالٍ وما عرفت نطقا

وقال في وداع شهر رمضان :

أزمنت يا شهرَ الصيامِ رحيلاً
أجيدك قد جدت بك الآن رحلةً
نزلت فأزمنت الرحيلَ كأنما
وما ذاك إلا أن أهلك قد مضوا
تفكرت في الأوقات^٢ ناشئةً التقي
وهي طويلة .

وقاربت يا بدرَ الزمانِ أفولا
رويدك أمسك للوداع قليلا
نويت رحيلاً إذ نويت نزولا
تفانوا فأبصرت الديار طلولا
أشدَّ به وطناً وأقومَ قيلا

وكان موجوداً عند تأليف « الإحاطة » رحمه الله تعالى ؛ انتهى بالمعنى .
وقال الحافظ ابن حجر : إنه صنف كتاباً في الباء الموحدة ، وأخذ عن
شيخنا بالإجازة قاسم بن علي المالقي ، ومات سنة ثلاث وثمانين وسبعمئة ؛ انتهى .
وقال تلميذه المنتوري ما نصّه : من شيوخي الشيخ الأستاذ الخطيب المقرئ

١ ترقى : تصعد ، وترقا : تسكن وتكف عن البكاء .
٢ ق : الأوقات .

المتفّن المفتي أبو سعيد ابن لب ، مولده سنة إحدى وسبعمائة ، وتوفي ليلة السبت لسبع عشرة ليلة مضت من ذي الحجة عام اثنين وثمانين ؛ انتهى .

وهو مخالف لما سبق عن ابن حجر ، لكن صاحب البيت أدري ، إذ المنتوري تلميذه ، ونحوه للشيخ أبي زكريا السراج في فهرسته ، إذ قال : شيخنا الفقيه الخطيب الأستاذ المقرئ العالم العلم الصدر الأوحّد الشهير ، كان شيخ الشيوخ وأستاذ الأستاذين بالأندلس ، إليه انتهت فيها رئاسة الفتوى في العلوم ، كان أهل زمانه يقيفون عند ما يشير إليه ، قرأ على أبي علي القيّجاطي بالسبع ، وتفقه عليه كثيراً في أنواع العلوم ، ولازمه إلى أن مات ، وأجازه عامة ، وعليه اعتمد ، وأخذ عن أبي جعفر ابن الزيات ، وأبي إسحاق ابن أبي العاصي ، وابن جابر الوادي آشي ، وقاضي الجماعة أبي بكر ، سمع عليه البخاري ، وتفقه عليه ، وقرأ عليه أكثر عقيدة المقترح تفهماً ، وبعض « الإرشاد » وبعض التهذيب ، وعن أبي محمد ابن سلمون ، والبركة أبي عبد الله الطنجالي الهاشمي ، وأجازه ؛ انتهى بمعناه .

وبالحملة فهو من أكابر علماء المالكية بالمغرب حتى قال المواق فيه : شيخ الشيوخ أبو سعيد ابن لب ، الذي نحن على فتاويه في الجلال والحرام ؛ انتهى .

وقلّ من لم يأخذ عنه في الأندلس في وقته ، فمن أخذ عنه الشاطبي ، وابن علاق ، وأبو محمد ابن جزيّ ، والأستاذ القيّجاطي ، والأستاذ الحفار ، والشيخ الوزير ابن الخطيب السلماني ، والكاتب ابن زمرك ، في خلق كثير من طبقتهم ، ثم من الطبقة الثانية أبو يحيى ابن عاصم ، وأخوه القاضي أبو بكر ابن عاصم ، والشيخ أبو القاسم ابن سراج ، والمنتوري ، في خلق لا يحصون .

وله نواليف ، فمنها شرح جمل الزجاجي ، وشرح تصريف التسهيل ،

وكتاب « ينبوع عين الثرة »^١ في تفريع مسألة الإمامة بالأجرة ، وله فتاوى مدونة بأيدي الناس . وممن جمعها الشيخ ابن طركاظ الأندلسي . وله كتابة في مسألة الأدعية إثر الصلوات على الهيئة المعروفة . وقد رد عليه في هذا التأليف تلميذه أبو يحيى ابن عاصم الشهيد في تأليف نبيل انتصاراً لشيخه أبي إسحاق الشاطبي ، رحم الله تعالى الجميع .

٢٦ - ومن أسياف لسان الدين ابن الخطيب أبو القاسم ابن جُزَيّ ، ففي « الإحاطة »^٢ ما ملخصه : محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيّ ، الكلبي . أبو القاسم ، من أهل غرناطة ، وذوي الأصالة والنباهة فيها ، شيخنا . وأصل سلفه من ولبة من حصن البراجلة ، نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي ، وعند خلع دولة المرابطين كان بلدهم يحيى رياسة وانفراد بالتدبير . وكان رحمه الله تعالى على طريقة مثلى من العُكوف على العلم ، والاقتصار على الاقتنيات من حُرِّ النُشب ، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين ، فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس . مشاركاً في فنون من عربية وفقه وأصول وقراءات وأدب وحديث . حَفَظَ للتفسير ، مستوعباً للأقوال ، جماعاً للكتب . ملوكي الخزانة ، حسن المجلس ، ممتع المحاضرة ، قريب الغور . صحيح الباطن . تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حدّائة سنه ، فاتفق على فضله ، وجرى على سَنَنِ أصالته . قرأ على الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير العربية والفقه والحديث والقرآن . وعلى ابن الكماد . ولازم الخطيب أبا عبد الله ابن رشيد وطبقتهم كالحضرمي وابن أبي الأحوص وابن برطال وأبي عامر ابن ربيع الأشعري والولي أبي عبد الله

١ نيل الابتهاج : الشره .

٢ ترجمة أبي القاسم ابن جزي في الكتيبة : ٤٦ وأزهار الرياض ٣ : ١٨٤ والديباج : ٢٩٥ ونيل الابتهاج : ٢٣٥ والمقري ينقل هنا وفي الأزهار عن الإحاطة .

الطنجالي وابن الشاط .

وله تواليف منها « وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم » و « الأنوار السنّية في الكلمات السنّية » و « الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار » و « القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية » و « التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية » وكتاب « تقريب الوصول إلى علم الأصول » وكتاب « النور المبين في قواعد عقائد الدين » وكتاب « المختصر البارع في قراءة نافع » وكتاب « أصول القراء الستة غير نافع » وكتاب « الفوائد العامة في لحن العامة » إلى غير ذلك ممّا قيده في التفسير والقراءات وغير ذلك . وله فهرسة كبيرة اشتملت على جملة كبيرة من علماء المشرق والمغرب .

ومن شعره قوله في الأبيات الغينية ذاهباً مذهب المعري وابن المظفر والسلفي وأبي الحجاج ابن الشيخ وأبي الربيع ابن سالم وابن أبي الأحوص وغيرهم من علماء المشرق والمغرب :

لكلّ بني الدنيا مُرَاد ومَقْصِد وإن مرادي صحةٌ وفراغٌ
لأبلغ في علم الشريعة مبلغاً يكونُ به لي للجنان بَلاغٌ
ففي مثل هذا فلينافس أولو الشهي وحسبي من دار الغرور بَلاغٌ
فما الفوزُ إلا في نعيم مؤبدٍ به العيشُ رَغْدٌ والشرابُ يُسَاغُ

وقال :

أرومُ امتداحِ المصطفى فيردني قصوري عن إدراك تلك المناقبِ
ومن لي بحصرِ البحرِ والبحرِ زائِرُ ومن لي بإحصاءِ الحصى والكواكبِ
ولو أنّ أعضائي غدت ألسناً إذاً لما بلغت في المدح بعض ماربي
ولو أنّ كلّ العالمين تألفوا على مدحه لم يبلغوا بعض واجبِ
فأمسكتُ عنه هيةً وتادباً وعجزاً وإعظاماً لأرفع جانبِ

وَرُبَّ سَكُوتٍ كَانَ فِيهِ بِلَاغَةٌ وَرُبَّ كَلَامٍ فِيهِ عَتَبٌ لِعَاتِبٍ

وقال :

يا ربَّ إنْ ذُنُوبِي الْيَوْمَ قَدْ كَثُرَتْ فَمَا أُطِيقُ لَهَا حَصْرًا وَلَا عِدْدَا
وَلَيْسَ لِي بِعَذَابِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ وَلَا أُطِيقُ لَهَا صَبْرًا وَلَا جَلْدَا
فَانْظُرْ إِلَهِي إِلَى ضَعْفِي وَمُسْكِنِي وَلَا تَذِيقْنِي حَرَّ الْجَحِيمِ غَدَا

وقال :

وَكَمْ مِنْ صَفْحَةٍ كَالشَّمْسِ تَبْدُو فَيُسْلِي حُسْنُهَا قَلْبَ الْحَزِينِ
غَضَضْتُ الطَّرْفَ عَنْ نَظَرِي إِلَيْهَا مَحَافِظَةً عَلَى عِرْضِي وَدِينِي

مولده يوم الخميس تاسع ربيع الثاني عام ثلاثة وتسعين وستمائة ، وفقد
وهو يحترق الناس يوم الكائنة بطريف ضحوة يوم الاثنين تاسع جمادى الأولى
عام أحد وأربعين وسبعمائة ، وعقبه ظاهر بين القضاء والكتابة ؛ انتهى .

[شعر لابن لؤلؤة]

وأذكرني روي الغين الصعب قولَ الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن
يوسف السكوني الأندلسي المعروف بابن لؤلؤة رحمه الله ورضي عنه :

أَمِنْ بَعْدِ مَا لَاحَ الْمَشِيبُ بِمُفْرَقِي أَمِيلُ لَزُورٍ بِالْغُرُورِ يُصَاغُ
وَأُرْتَاخُ لِلذَّاتِ وَالشَّيْبِ مُنْذَرُ بِمَا لَيْسَ عَنْهُ لِلْأَنَامِ مِرَاغُ
وَمَنْ لَمْ يَمُتْ قَبْلَ الْمَمَاتِ فَإِنَّهُ يُرَاعِ بِهَوْلِ بَعْدِهِ وَبِرَاغُ
فِيَارِبٍ وَفَقَنِي إِلَى مَا يَكُونُ لِي بِهِ لِلَّذِي أَرْجُوكَ مِنْهُ بِلَاغُ

توفي المذكور بالطاعون سنة ٧٥٠ ، وكان خطيباً بحصن قمارش رحمه
الله تعالى .

[من نظم ابن جزري]

ومن نظم ابن جُزَيّ المذكور قوله :

أيا من كفتُ النفس عنه تعففاً وفي النفس من شوقي إليه لبيبُ (غرامُ)
ألا إنَّما صبري كصبر ، وإنَّما على النفس من تقوى الإله رقيبُ (بلحامُ)
وهما من التخيير المعلوم في فن البديع .

وقول لسان الدين رحمه الله تعالى « وله عقب ظاهر بين القضاء والكتابة »
يريد به بنيه البارع أبا بكر والعلامة أبا عبد الله والقاضي أبا محمد عبد الله .

[تراجم أولاد ابن جزري]

ولندكرهم فنقول : أما أبو بكر أحمد^١ فهو الذي أُلِّفَ أو أبوه « الأنوار
السنية » وهو من أهل الفضل والتراثة وحسن السمت والمهمة واستقامة الطريقة ،
غرب في الوقار ، ومال إلى الانقباض ، وله مشاركة حسنة في فنون من فقه وعربية
وأدب وخط ورواية وشعر تسمو ببعضه الإجادة إلى غاية بعيدة ، وقرأ على والده
ولازمه ، واستظهر ببعض تأليفه ، وتفقه وتأدب به ، وقرأ على بعض معاصري
أبيه ، ثم ارتسم في الكتابة السلطانية لأول دولة السلطان أبي الحجاج ابن نصر ، وولي
القضاء ببرجة وبأندرش ثم بوادي آش ، مشكور السيرة معروف التزاهة .

ومن شعره :

أرى الناس يُولُون الغنيَّ كرامة وإن لم يكن أهلاً لرفعة مقدار
ويلوون عن وجه الفقير وجوهم وإن كان أهلاً أن يلاقى بأكبار
بَنُو الدهر جاءتهم أحاديثُ جمّة فما صححوا إلا حديث ابن دينار

١ ترجمة أبي بكر ابن جزري في الإحاطة ١ : ٤٨ ، والكنية : ١٣٨ وأزهار الرياض ٣ : ١٨٧ .

ومن بديع نظمه الصادر عنه تصديره أعجاز قصيدة امرئ القيس بن حجر الكندي بقوله^١ :

(ألا عيمٌ صباحاً أيها الطللُ البالي)	أقول لغزمي أو لصالح أعمالي
(سُوءَ حَبَابِ الماءِ حالاً على حال)	أما واعظي شيبٌ سما فوقَ لحي
(مصاييحُ رهبانٍ تُشَبُّ لِقْفَالِ)	أنار به ليلُ الشبابِ كأنه
(ألسَتَ ترى السُّمَارَ والناسَ أحوالي)	نهاني عن غيٍّ وقال مُنبِّهاً
(وهل يعمنُ من كان في العصر الخالي)	يقولون غيِّرهُ لتنعمَ برهةً
(كبرتُ وأن لا يحسنُ اللهوَ أمثالي)	أغالطُ دهرِي وهو يعلمُ أنني
(بآتسةٍ كأنَّها خطٌّ تمثال)	ومؤنسُ نارِ الشيبِ يقبحُ لهوهُ
(ثلاثينَ شهراً في ثلاثةِ أحوال)	أشيخاً وتأتي فعلَ مَنْ كان عمره
(كما شغفَ المهنوءةَ الرجلُ الطالِي)	وتشغفك الدنيا وما إن شغفتها
(ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذِي خال)	ألا إنها الدُّنيا إذا ما اعتبرتها
(لنأموا فما إن من حديثٍ ولا صال)	فأين السذَّين استأثروا قبلنا بها
(لعوبٌ تنسيُّني إذا قمتُ سربالي)	ذهلتُ بها غيًّا فكيف الخلاصُ من
(بأنَّ الفتى يهذي وليس بفعال)	وقد علمتُ مسني مواعدَ توبتي
(هصرتُ بغصنٍ ذي شماريخٍ ميال)	ومدُّ وثقتُ نفسي بحبِّ محمدٍ
(عليه قَتَامُ سَيِّئِ الظنِّ والبال)	وأصبحَ شيطانُ الغَوَايةِ خاسئاً
(لخيلي كُرتي كرةٌ بعد إجمال)	ألا ليت شعري هل تقولُ عزائيهي
(قليلُ همومٍ ما يبيتُ بأوجال)	فأنزل داراً للرسولِ نزيلها
(ييثربَ أدنى دارها نظرٌ عالي)	فطوبى لنفسٍ جاورتُ خيرَ مرسلٍ
(صَبَاً وشمالٌ في منازلٍ قُفَّال)	ومن ذكره عند القبولِ تعطرتُ
(وقد يدرك المجدَ المؤثَّلَ أمثالي)	جوارُ رسولِ اللهِ مجدٌ مؤثَّل

١ القصيدة في المصادر السابقة جميعاً .

ومن ذا الذي يثني عنانَ السرى وقد
 ألم ترَ أن الظبيةَ استشفعتُ بِهِ
 وقالَ لها عودي فقالتَ لَهُ نعم
 فعادتُ إليه والهوى قائلٌ لها
 رثي لبعيرٍ قال أزمع مالكي
 وثورٍ ذبيحٍ بالرسالةِ شاهدٍ
 وحنَّ إليه الجذعُ حنةَ عاطشٍ
 وأصلين من نخلٍ قد التَّأَمَا له
 وقبضة ترابٍ منه ذلتُ لها الظبي
 وأضحى ابن بجحشٍ بالعسيبِ مقاتلاً
 وحسبك من سوطِ الطفيلِ إضاءةٌ
 وبذتَ به العجفاء كلَّ مطهمٍ
 ويا خسفَ أرضٍ تحت باغيه إذ علا
 وقد أنحمتَ نارٌ لفارسٍ طالما
 أبان سبيلَ الرشدين إذ سُبِّلُ الهدى
 لأحمدَ خيرِ العالمين انتقيتها
 وإنَّ رجائي أن ألاقِيَه غداً
 فأدركُ آمالي وما كلُّ آملٍ
 (كفاني ، ولم أطلبُ ، قليلٌ من المال)
 (تميلُ عليه هونةٌ غيرَ مجفال)
 (ولو قطعوا رأمي لديكِ وأوصالي)
 (وكان عداء الوحشِ مني على بال)
 (ليقتلني والمرء ليس بفعل)
 (طويلِ القَرَ والروق أخنس ذبَّال)
 (لغيثٍ من الوسميِّ رائدُهُ خال)
 (فما احتبسنا من لين مسٍّ وتسها)
 (ومسنونة زرق كَأنيابِ أغوال)
 (وليس بذئ رمجٍ وليس بنبال)
 (كصباحِ زيتٍ في قناديلِ ذبَّال)
 (له حجباتٌ مشرفات على القال)
 (على هيكلٍ نهدِ الجزارةِ جَوَّال)
 (أصابَتْ غضاً جزلاً وكُفَّتْ بأجزاء)
 (يَقْلُبْنَ لأهلِ الحلم ضللاً بتضلال)
 (ورِيضَتْ فذلتُ صعبةً أيَّ إذلال)
 (ولستُ بمقليِّ الحِلالِ ولا قالي)
 (بمدركِ أطرافِ الخطوبِ ولا آلي)
 ولا خفاء ببراعة هذا النظم ، وإحكام هذا النسيج ، وشدة هذه العارضة .

[قصيدتان لحازم]

قلت : وقد أذكرني هذا التصدير قصيدة الأديب حازم صاحب المقصورة ،

إذ صدر قصيدة امرئ القيس « قفا نبك » ولذكراها هنا ، قال رحمه الله تعالى ^١ :

(عَيْنِكَ قُلْ إِنْ زَرْتِ أَفْضَلَ مَرْسَلٍ	(قِفَا نَبَكَ مِنْ ذَكَرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ)
وَفِي طَبِيبَةٍ فَانْزِلِي وَلَا تَغْشَى مَنْزَلًا	(بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ)
وَزُرِّي رَوْضَةً قَدْ طَالَمَا طَابَ نَشْرُهَا	(لَمَّا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ)
وَأَثْوَابِكَ أَخْلَعُ مُحْرَمًا وَمَصْدَقًا	(لَدَى السَّرِّ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضَّلِ)
لَدَى كَعْبَةٍ قَدْ فَاضَ دَمْعِي لِبَعْدِهَا	(عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مُحْمَلٍ)
فِيَا حَادِيَّ الْآبَالِ سِرِّي وَلَا تَقْلِي	(عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا أَمْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزَلِي)
فَقَدْ حَلَفْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ وَأَقْسَمْتُ	(عَلَيَّ وَآلَتِ حَلْفَةً لَمْ تَحْلَلِي)
فَقُلْتُ لَهَا لَا شَكَّ أَنْتِي طَائِعٌ	(وَأَنْتِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِي)
وَكَمْ حَمَلْتِ فِي أَظْهَرِ الْعِزِّ رَحْلَهَا	(فِيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمِّلِ)
وَعَاتَيْتِ الْعَجْزَ الَّذِي عَاقَ عِزْمَهَا	(فَقَالَتْ لَكَ الْوِيَلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي)
نَبِيٌّ هَدَى قَدْ قَالَ لِلْكَفْرِ نُورُهُ	(أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا الْبُحْلِي)
تَلَا سُورًا مَا قَوْلُهَا بِمَعَارَضٍ	(إِذَا هِيَ نَصَّتَهُ وَلَا بِمَعْطَلِ)
لَقَدْ نَزَلَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَّةٌ هَدِيهٍ	(نَزُولَ الْيَمَانِيِّ ذِي الْعِيَابِ الْمُحْمَلِ)
أَنْتِ مَغْرِبًا مِنْ مَشْرِقٍ وَتَعَرَّضْتُ	(تَعَرَّضْتُ أَثْنَاءَ الْوَشَاحِ الْمُفْصَلِ)
فَفَازَتْ بِلَادُ الشَّرْقِ مِنْ زِينَةٍ بِهَا	(بِشَقٍّ وَشَقٍّ عِنْدَنَا لَمْ يَحْوَلِ)
فَصَلَّتِي عَلَيْهِ اللَّهُ مَا لَاحَ بَارِقٌ	(كَلِمَعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيبِي مُكَلَّلِ)
نَبِيٌّ غَزَا الْأَعْدَاءَ بَيْنَ ثَلَاثِ عَشْرٍ	(وَبَيْنَ الْكَامِ ، بَعْدَ مَا مَتَأَمَّلِ)
فَكَمْ مَلِكٍ وَافَاهُ فِي زِيٍّ مَنْجِدٍ	(بِمَنْجَرٍ قَبْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ)
وَكَمْ مِنْ يَمَانٍ وَاضِحٍ جَاءَهُ اكْتَسَى	(بِضَافٍ فَوْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ)

١ ديوان حازم : ٨٩ وأزهار الرياض ٣ : ١٧٨ وتسمى هذه القصيدة « حديقة الأزهار وحديقة الافتخار في ملح النبي المختار » .

ومن أبطحي نيط منه نجاده
أزالوا بيدري عن بروجهم العدا
وفادوا ظباهم لا بفتك فتى ولا
وفضي جموعاً قد فداً جامعاً بها
وأحموا وطيساً في حنين كأنه
ونادوا بنات النبع بالنصر أثمرى
وممن له سددت سهمين فاضربي
فما أغنت الأبدان درعاً بها اكتست
وأضحت لواليتها ومالكها العدا
وقد قرّ منصاعاً كما فر خاضباً
وكم قال يا ليل الوغى طلت فانبليج
فليت جوادي لم يسر بي إلى الوغى
وكم مرتقي أوطاس منهم بمسرج
وقرطه خيرصاً كمصباح مسرج
فيرنو لهاد فوق هاديه طرفه
ويسمع من كافورتين بجاني
ترفع أن يعزى له شد شادن
ولكنه يعضي كما مرّ مزبد
ويغشى العدا كالسهم أو كالشهاب أو
جياذ أعادت رسم رسم دارساً
وريعت بها خيل القياصر فلختفت
سبت عرباً من نسوة العرب تستبي
وكم من سبايا الفرس والصفر أسهرت

(يجيد معيم في العشيرة مخول)
(كما زلت الصفواء بالمتزل)
(كبير أناس في بجاد مزمل)
(لنا بطن حقف ذي ركام عقتل)
(إذا جاش فيه حميه غلي مرجل)
(ولا تبعدينا من جنك الملل)
(بسهميك في أعشار قلب مقتل)
(تراثيها مصقولة كالسجنجل)
(يقولون لا نهلك أسى وتجمل)
(لدى سمرات الحمي ناقف حنظل)
(بصبح وما الإصباح منك بأمثل)
(وبات بعيني قائماً غير مرسل)
(متى ما ترق العين فيه تسهل)
(أمال السليط بالذبال المفتل)
(بناظرة من وحش وجرة مطفل)
(أثيث كقنير النخلة المتعكل)
(وارخاء سرحان وتقريب تشفل)
(يكب على الأذقان دوح الكنهيل)
(كجلمود صخر حطه السيل من عل)
(وهل عند رسم دارس من معول)
(جواحرها في صرة لم تزيل)
(إذا ما أسكرت بين درع ومجول)
(نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل)

وحزن بدوراً من ليالي شعورها
 وأبقت بأرض الشام هاماً كأنها
 وما جفّ من حبّ القلوب بغورها
 لخضراء ما دبّت ولا نبتت بها
 شداً طيرها في مشرّ ذي أرومة
 فشدت بروض ليس يذبل بعدها
 وكم هجرت في القبط تحكي ذوارعاً
 وكم أدلجت والقرّ يهفو هزيره
 وخضن سيولاً فيضن بالبيد بعدما
 وكم ركزوا رماً بدعص كأنه
 فلم تبني حصناً خوف حصنهم العدا
 فهدت بفضب شيب بعد صفاله
 وجيش بأقصى الأرض ألقى جيرانه
 يدك الصفا دكاً ولو مر بعضه
 دعا النصر والتأييد راياته اسحبي
 لواء منير النصل طاو كأنه
 كأنّ دم الأعداء في عذاباته
 صحاب برّوا هام العدا وكم قروا
 وكم أكثروا ما طاب من لحم جفّة
 وكم جبن من غبراء لم يسق نبتها
 حكى طيب ذكراهم ومُرّ كفاحهم
 لأمداح خير الخلق قلبي قد صبا
 فدع منّ لأيام صلحن له صبا

(تضلّ العقاص في مثنى ومرسل)
 (بأرجائها القصوى أنابيش عنصل)
 (وقيعائها كأنه حبّ فلفل)
 (أساريع ظبي أو مساويك إسحل)
 (وساق كأنبوب السقي المذل)
 (بكل مغار القتل شدت يذبل)
 (عذارى دوار في ملاء مذبل)
 (ويلوي بأثواب العنيف المثل)
 (أثرن غباراً بالكديد المركل)
 (من السيل والغشاء فلكة مغزل)
 (ولا أطمأ إلا مشيداً بجندل)
 (بأمراس كتان إلى صمّ جندل)
 (وأردف أعجازاً وناء بكلكل)
 (وأيسره عالي الستار يذبل)
 (على أثرينا ذيل مرط مرحل)
 (منارة ممسّى راهب متبل)
 (عصارة حنّاء بشيب مرجل)
 (صفيف شواء أو قدير معجل)
 (وشحم كهذاب الدمقس المقتل)
 (دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل)
 (مداك عروس أو صلاية حنظل)
 (وليس فؤادي عن هواها بمنسل)
 (ولا سيما يوم بدارة جلجل)

وأصبح عن أمّ الخويرث ما سلا
وكن في مديح المصطفى كدبيح
وأمل به الأخرى ودنياك دَعُ فقد
وكن كنيث للفؤاد منابث
ينادي إلهي إنّ ذنبي قد عدا
فكن لي مجيراً من شياطين شهوة
وينشد دنياه إذا ما تدللت
فلان تصلي جلي بخير وصلته
وأحسن بقطع الحبل منك وبته
أيا سامعي مدح الرسول تنشقوا
وروضة حمد للنبي محمد
ويا منّ أبى الإصغاء ما أنت مهتدي
فلو مطلقاً أنشدتها لفظها ارعوت
ولو سمعته عَصَمُ طَوْدٍ أَمالها

وقد عرفت بحازم هذا في «أزهار الرياض» وذكرت جملة من نظمه
ومن بارع ما وقع له قوله ١ :

أدير المدامة فالنسيم مؤرّج
والأرض قد لبست بروداً جماها
والنهر مما ارتاح معطفه إلى
بسمي الأصيل بعسجدي شعاعه
وتروم أيدي الريح تسلب ما اكتسى
فارتح لشرب كؤوس راح نورها
والروض مرقوم البرود مدبّج
فكأنما هي كاعب تبرزج
لقيا النسيم عبابه متموج
أبدأ يوشى صفحه ويدبّج
فتزيده حسناً بما هي تنسج
بل نارها في مائها تنوهج

١ ديوان حازم : ٢٨ وأزهار الرياض ٣ : ١٧٤ .

واسكرُ بشوةٍ لحظٍ من أحبيته
واسمعُ إلى نغماتِ عودٍ تطَّي
بِمَ وزيرُ يسعدانٍ مثانياً
من لَمَ يهيجُ قلبَه هذا فما
فأجبُ فقد نادى بألسنِ حاله
طربتُ جماداتُ وأفصحَ أعجمُ
أففضلُ الحيَّ الجمادُ مسرةً
ما العيشُ إلا ما نعيمُت به وما
متنُ يروك منه ردفُ مردفُ
فإذا نظرتَ لطرَّةٍ ولغرَّةٍ
أيقنتُ أن ثلاثين وما غدا
ليلُ على صبحٍ على بدرٍ على
كأسُ ومحبوبُ يظلُّ بلحظه
يا صاحٍ ما قلبي بصاحٍ عن هوى
وبمهجتي الظَّبيُّ الذي في أضلعي
ناديتُ حادي عيسيه يومَ النوى
قفْ أيها الحادي أودِّعْ مهجةً
لما توافقنا وفي أحداجها
ناديتهم قولوا لبدركم الذي
يحبي العليلَ بلفظةٍ أو لحظةٍ
قالوا نخافُ يزيدُ قلبك لاعتجاً
وبكيتُ واستبكِتُ حتى ظلَّ من
وبقيتُ أفتحُ بعدهم بابَ النى

أو كأسُ خمرٍ من لاه تُمزجُ
قلبَ الخليِّ إلى الهوى وتهيجُ
ومثالاً طبقاتها تتسدرجُ
للقلبِ منه محركُ ومهيجُ
للأنسِ دهرُ الهمومِ مفرجُ
فرحاً وأصبح من سرورٍ يهزجُ
والحيُّ للسراءِ منه أحوجُ
عاطاك فيه الكأسُ ظيُّ أدعجُ
عَبَلُ وخصرُ ذو اختصارٍ مُدمجُ
ولصفحةٍ منه بدتُ تتأججُ
من تحتها ينادُ أو يتموجُ
غصنٍ تحمله كئيبُ رجرجُ
قلبُ الخليِّ إلى الهوى يستدرجُ
شيثانٍ بينهما المني تستنجُ
قد حلَّ وهو يشبُّها ويؤججُ
والعيسُ تحدَّى والمطايا تُحدجُ
قد حازها دون الجوانح هودجُ
قمرُ منيرُ بالهلالِ متوجُ
بضياته تسري الركابُ وتُدأجُ
تظفي غليلاً في الجشا يتأججُ
فأجبتهم خلَّوا اللواعج تلعبُ
عبرتنا بحرُ ببحرٍ يمرجُ
ما بيننا طوراً ، وطوراً يُرتجُ

وأقول يا نفسُ اصبري فعسى النوى بصباحٍ قربٍ ليلها يتبلج
فترقب السراء من دهرٍ شجَا والدهرُ من ضدٍ لصدٍ يخرجُ
وترجُ فرجةَ كلِّ همٍ طارقٍ فلكلِّ همٍ في الزمانِ تفرجُ

وتذكرت هنا جيمية ابن قلاقس ، وهي ^١ :

عَرَضَتْ لمعرضِ الصباحِ الأبلجِ حَوَرَاءُ في طَرْفِ الظلامِ الأدعجِ
فتمزقتُ شيمُ الدُّجَى عن غُرَّتِي شمسٍ في أفقٍ وكلَّةٍ هودجِ
وراءِ أَسْتَارِ الجمولِ لواحظُ غازلن معتدلَ الوشيجِ الأعوجِ
من كلِّ مبتسمِ السَّنَانِ إذا جرى دَمَعُ النجيجِ من الكميِّ الأهوجِ
ولقد صَحَبْتُ الليلَ قَلَصَ بردهُ لعبابِ بحرٍ صباحه المتعوجِ
وكأنَّ منتشرَ النجومِ لآلِي نُظِمْتُ على صرحٍ من الفيروزِ
وسهرتُ أرقبُ من سُهَيْلٍ خافقاً متفرداً ، وكأنَّه قلبُ الشجي
واستعبرتُ مُقَلَّ السحابِ فأضحكتُ منها ثغورَ مُقَوِّفٍ ومدبَّحِ

ولنَعُدْ إلى ذكر أبي بكر ابن جُزَي فنقول :

وله تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية ، ورجز في الفرائض ، وإحسانه كثير ، وتقدم قاضياً للجماعة بحضرة غرناطة ثامن شوال عام ستين وسبعمائة ، ثم صُرف عنها ، ثم لما توفي الأستاذ الخطيب العالم الشهير أبو سعيد فرج بن لب - رحمه الله تعالى - وكان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة ، ولي عوضاً عنه أستاذاً وخطيباً عام اثنين وثمانين وسبعمائة ، فبقي في الخطابة ثلاثة أعوام ، ثم توفي ، وأظن وفاته آخر عام خمسة وثمانين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى .

١ أزهار الرياض ٣ : ١٧٦ .

وأما أخوه أبو عبد الله محمد^١ فهو الكاتب المجيد ، أعجوبة الزمان ، وتوفي بفاس رحمه الله تعالى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة ، وقيل — وهو الصواب — : إن وفاته آخر شوال من السنة قبلها حسبما ألفتته بخط بعض أكابر الثقات بداره من البيضاء ، وهي فاس الجديدة ، قرب مغرب يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شوال من عام سبعة وخمسين وسبعمائة ، وكان دفنه يوم الأربعاء بعد صلاة العصر وراء الحائط الشرقي الذي بالجامع الأعظم من المدينة البيضاء ، وكان مولده في شوال من عام واحد وعشرين وسبعمائة ؛ انتهى .

قال الأمير ابن الأحمر في « نثر الجمان » : أدركته ورأيت ، وهو من أهل بلدنا غرناطة ، وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين بها عالم الأندلس الطائفة فتيها منها إلى طرابلس ، وقتل شهيداً بطريف بعد أن أبلى بلاء حسناً ، وأبو عبد الله ابنه هذا كتب بالأندلس في حضرة ابن عم أبينا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ، وله فيه أمداح عجيبة ، ولم يزل كاتباً في الحضرة الأحمرية النصرية إلى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج ؛ انتهى .

ويعني ابن الأحمر بهذا الامتحان أنه ضربه بالسياط ، من غير ذنب اقترفه بل ظلمه ظلماً مبيهاً . هكذا ألفتته في بعض المقيدات .

ثم قال ابن الأحمر : فقوض الرحال عن الأندلس ، واستقر بالعدوة ، فكتب بالحضرة المرينية لأمر المسلمين أبي عنان ، إلى أن توفي بها رحمه الله تعالى . وكان رحمه الله تعالى طلع في سماء العلوم بداراً مشرقاً ، وسارت براعته مغرباً ومشرقاً ، وسما بشعره فوق الفرقدين ، كما أربى بنثره على الشعري والبطين ، له باع مديد في التاريخ واللغة والحساب ، والنحو والبيان والآداب ، بصير بالفروع والأصول والحديث ، عارف بالماضي من الشعر والحديث ،

١ ترجمة أبي عبد الله ابن جزى في الإحاطة ٢ : ١٨٦ وأزهار الرياض ٣ : ١٨٩ ونثر الفرائد : ٢٩٢ (رقم : ٨) والكتيبة الكامنة : ٢٢٣ ونثر الجمان ، الورقة : ٧٨ .

إن نظم أنسك أبا ذؤيب برقته ، ونُصَيْباً بمنصبه ونخوته ، وإن كتب أربى
على ابن مقلّة بخطّه ، وإن أنشأ رسالة أنسك العماد بحسن مساقها وضبطه ، وهو
رب هذا الشأن ، وفارس هذا الميدان ، ومع تفتنه في الشعر فهو في العلوم قد
نبغ ، وما بلغ أحد من شعراء عصره منه ما بلغ ، بل سلموا التّقدم فيه إليه ،
وألقوا زمام الاعتراف بذلك في يديه ، ودخلوا تحت راية الأدب التي حمّل ،
إذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس في الحمل ، أنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين
أبا الحجاج يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل عم أئينا ابن جدنا الرئيس
الأمير أبي سعيد فرج هذه القصيدة البارة ، وحذف منها الراء المهملة ١ :

قَسَمًا بوضاح السنّ الوهاج	من تحت مسدولِ الذوائبِ داج
وبأبلجٍ بالمسكِ خُطَّتْ نونه	من فوق وسنانِ اللواحقِ ساجي
وبحسنٍ خدّ ديجتِ صفحائه	فغدّت تحاكي مذهّب الدياج
وببسمٍ كالعقدِ نُظِّمَ سلكه	ولمّى حكى الصّهباءِ دون مزاج
وبمنطقٍ تصبو القلوبُ لحسنه	أنسى المسامعَ نغمةَ الأهازج
وبمائسٍ الأعطافِ تشنيه الصّبا	فيميسُ كالخطّي يومَ هياج
ومنعمٍ مثل الكتيبِ يُقِلُّه	مستضعفٌ يشكو من الإدماج
وبمؤعِدٍ للوصلِ أنجز فجأة	من بعد طول تمنعٍ ولحاج
وبأكؤسٍ أطلعنَ في جنح الدجى	شمسَ السّلافةِ في سماء زجاج
وحداقٍ سَحَبَ السحابُ ذبوله	فيها وبات لها النسيمُ يناجي
وجداولٍ سلّتْ سيوفاً عندما	فجئتُ بجيشٍ للصّبا عجاج
وبأفحوانٍ قد تضاحك إذ بكت	عينُ الغمامِ بدمعٍ ثجاج
وقلدودٍ أغصانٍ يملنَ كأنها	تنفي حديثاً بينها وتناجي
وحماثمٍ يهتفنَ شجّوا بالضحي	فهدّيلهنّ لذي الصبابة شاجي

إن المعالي والعوالي والندى
 ملكٌ تتوجُّ بالمهابةِ عندما
 وأفاضَ حكمَ العدلِ في أيامه
 هو منقذُ العاني ، ومُغثي المعتضي
 ماضي العزيمة ، والسيوفُ كليله
 علكم الهدى ، والناسُ في عمياء قد
 غيَّبُ الندى ، والسحبُ تبخلُ بالحيا
 ليثُ الوغى ، والخيلُ تزجي بالقنا
 يتقشعُ الإظلامُ إذ يبدو له
 من آل قيلةٍ من ذؤابةٍ سَعدها
 حيثُ العُلا ممدودةُ الأطنابِ لم
 والأعوجياتُ السوابقُ تمتطى
 والبيضُ والأسلُ العواملُ تقتضي
 مجدُّ ليوسفَ جُمعتْ أشتاته
 مولاي هاك عقيلةٌ تزهو على
 لإنشاء عبدٍ خالصٍ لك حبهُ
 آوى إلى أكنافِ نعماك التي
 سباقُ ميدانِ البلاغةِ والوغى
 جانبُ أختِ الزاي منها عامداً
 فافتحْ لها بابَ القبولِ وأولِ مَنْ

والبأس طوعُ يدَي أبي المحتاجِ
 لم يستجزُ في الدين لبسَ التاجِ
 فالحقُّ أبلغُ واضحُ المنهاجِ
 ومذلُّ العاني ، وغوثُ اللاجي
 طلقُ المحيّا ، والخطوب دواجي
 ضلّوا لوقع الحادثِ المهتاجِ
 والمحلُّ يُبدي فاقة المحتاجِ
 والبيضُ تنهلُ في دم الأوداجِ
 وجهٌ كمثل الكوكب الوهاجِ
 أعلى بني قحطانَ دونَ خِلاجِ
 تخلقُ معالمها يدُ الإنهاجِ
 فتظللُ الآفاقَ سُحبَ عجاجِ
 مُهَجَ الكِماةِ بأبلغ الإزعاجِ
 أعياء سواه بعدَ طول علاجِ
 أخواتها كالغداة المغنّاجِ
 ومن العبيدِ مُدَاهَنٌ ومُداجي
 ليست لآليه صلاتها بخداجِ
 لشعابِ كلٍّ منهما ولاجِ
 فأتتُ من الإحسان في أفواجِ
 أهداكها ما يبتغي من حاجِ

ثم قال ابن الأحمر : وأنشدني أيضاً لنفسه يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله
 أبا عنان فارس ملك المغرب ^١ :

١ الأزهار : ١٩٢ .

إنَّ قلبي لعُهدَة الصبر ناكثٌ
 أضرم النارَ في فؤادي وولّي
 ورماني من مقلتيه بسهمٍ
 كم عدولٍ أتى يُناظرُ فيه
 ويمينٍ آلتها بالتسلي
 جبر الله صدعَ قلبٍ عميدٍ
 فهو يهفو إلى البروقِ ويروي
 سلبته الأشجانَ إلّا بقايا
 وبكاءٍ على عهدٍ مَوَاضٍ
 لستُ وحدي أشكو بليّةٍ وجدي
 يا مضيعَ العهدِ واللهُ يعفو
 غرّني منك والجمالُ غرورٌ
 مُقَلٌّ يقتسمنَ أعشارَ قلبي
 كيف غيرتَ بانتزاحك حالي
 فرطُ حبي وفرطُ بخلك آلي
 ونسدى فارس وحسبك رداً
 ملك البأس والندى ، فهو بالسيه
 محرزُ المجدِ والثناء ، فهذا
 أوطأ الشهبَ رجله وترقي
 قد رآي تسري وما لحقتهُ
 وله المقرّباتُ لا بل هي العقه

عن غزال في عُقدَة السحرِ نافيثٌ
 قائلاً لا تخفْ فلنّني عابثٌ
 ثم قال : اصطبرْ لثانٍ وثالثٌ
 كان تَعَذّلهُ على الحبِّ باعثٌ
 ففضى حسنهُ بأنّي حاثٌ
 صدعتُ شملهُ صروفُ الحوادثِ
 عن نسيم الصبّا ضعافُ الأحادثِ
 من أماني حياهنّ رثائثٌ
 ملأتُ صدرهُ هموماً حدائثٌ
 إن داء الغرام ليس بحادثٍ
 عنك أنّي ارتضيتَ خطّةً ناكثٌ ؟
 وظبّي اللحظَ في القلوبِ عوابثٌ
 بالرضى مني ، اقتسامَ الموارثِ
 وتغيرتَ لي ، ولستُ بحارثٌ^١ ؟
 أنّ عينيك بالفتورِ نوافثٌ
 قول من قال سدّ بابَ البواعثِ
 وبالسببِ عاثٌ أو غاثٌ
 سائرٌ في الورى ، وذلك لاثٌ
 صاعداً في سموه غيرَ ماكثٌ
 ونجومٌ خلف القصورِ لوابثٌ
 بانّ من فوقها الليوثُ الدلاهِثُ^٢

١ يشير إلى قول الشاعر : « تغير لي في من تغير حارث » انظر المجلد الأول : ٢٦ .

٢ الدلاهِثُ : جمع دلهات وهو المقدام .

مطلعاتٌ من كلِّ نعلٍ هلالاً
 إن تراقن فالجبالُ الرواسي
 والمواضي كأنها قد أُعيرتُ
 هي نارٌ محرقاتُ الأعادي
 فيردنَ الوغى ذكوراً عطاشاً
 من معانيه قد رأينا عياناً
 خلُتْ كالنسيم مرَّ سحيراً
 في سبيل الإله يُقصي ويُدني
 شرفُ الملك منه سامٍ وحامٍ
 هاكها من بناتِ فكري بكرةً
 ذات لفظ لا يعتريه اختلالٌ
 زعماء القريض أبقوا بقايا
 من أراد انتقادها فهني هذي
 فلماذا تجلودجي كلَّ حادثٍ
 أو تسابقن فالغيوثُ الخثالثُ
 حدةَ الدهن منه عند المباحثُ
 وهي ماءٌ مطهراتُ الخبائثُ
 ثم يصدرنَ ناهلات طوامثُ
 كلَّ فضل ينصُّه منَّ يحادثُ
 بالأزاهير في البطاح الدماثُ
 ويوالي في ذاته ويناكثُ
 فقدته سامٌ وحامٌ ويافثُ
 ليس يسموها من الناس طامثُ
 ومعان لا تتحيها المباحثُ
 كنتُ دون الورى هنَّ الوارثُ
 عرضة البحث فليكن جدَّ باحثُ

ورأيت بخط ابن الصباغ العميلي^١ على هامش قوله « وندى فارس وحسبك
 ردآ... البيت » ما نصه : ما أبدع تخلّصه للمدح وأطبعه ؛ فإنه أشار إلى قول
 الشاعر رادآ عليه بالتبكيث ، ومعقباً له بالتعنيث^٢ :

قالوا : تركت الشعرَ قلتُ : ضرورةٌ بابُ السّماحةِ والملاحقةِ مُغلّقُ
 مات الكرامُ فلا كريمٌ يرتجى منه النوالُ ولا مليحٌ يُعشقُ

وقيل : إن السلطان أبا عنان أطلَّ من برج يشاهد الحرب بين الثور والأسد
 على ما جرت به عادة الملوك ، فقال ابن جزى المذكور في وصف الحال :

١ انظر الأزهار : ١٩٤ .

٢ الشعر للغزي (ابن خلكان ١ : ٤١ والخريدة ١ : ٦ ، قسم الشام) .

لله يومٌ بدارِ الملكِ مرّاً بهِ من العجائبِ ما لم يجرِ في خلدي
لاحَ الخليفةُ في برجِ العلا قمرّاً يشاهدُ الحربَ بين الثور والأسدِ

ومن بارع نظمهم رحمه الله تعالى قوله :

أبا حسن إن شئتَ الدهرُ شملنا فليسَ لودّ في الفؤادِ شتاتُ
وإن حُلّتْ عن عهدِ الإخاءِ فلم يزل لقلبي على حفظِ المهودِ ثباتُ
وهبني سرتُ مني إليك إساءةً أَلَمْ تتقدّمْ قبلها حسناتُ

وقوله وهو بحال مرض :

إن يأخذ السُّقْمُ من جسمي مآخذَه وأصبحَ القومُ من أمري على خطرٍ
فإنَّ قلبي بحمدِ الله مرتبطٌ بالصبرِ والشكرِ والتسليمِ للقدْرِ
فالمرءُ في قبضةِ الأقدارِ مَصرفه للبرءِ والسقمِ أو للنفعِ والضررِ

وحكي أن الفقيه الرحال أبا إسحاق إبراهيم بن الحاج النميري بقي في خلوته
جميع شهر رمضان المعظم من عام سبعة وخمسين وسبعمئة ، فلما خرج في يوم
عيد الفطر أنشده صهره أبو عبد الله ابن جزّي المذكور لنفسه :

ما سرّارُ البدورِ إلّا ثلاثُ فلماذا أرى سرّاركَ شهرا
أنعجّلتَ سراراً لِعَعامٍ ثم تبقى في سائر العام بدرا

وحكي أنّه كتب للرئيس صاحب القلم الأعلى والعلامة بفاس أبي القاسم
ابن رضوان يطلب منه شراب سكنجيين ، وقصد التصحيف بقوله : « أَحْسِنُ »
زان بيتك نجيبٌ تُسرّ به برّ مرضي « تصحيفه : أحب شراب سكنجيين شربه
برّهُ مَرَضِي ، قال : فجأوبني ابن رضوان بقوله : إن برك نقيس ، تصحيفه
مقلوباً : يشفيك ربنا .

ومن نظم ابن جزّي المذكور قوله :

رعى الله عهداً بالمرية ما أرى به أبداً ما عشتُ في الناسِ بالناسي
وكيف ترى بالله صحبةَ معشرٍ مجاهدٍ بعضٌ منهمُ وابن عباسٍ

وقوله في الزاوية التي أنشأها السلطان أبو عنان :

هذا محلُّ الفضلِ والإيثارِ والرفقِ بالسكّانِ والزوارِ
دارٌ على الإحسانِ شيدتْ والتقى فجزاؤها الحسنى وعقبى الدارِ
هي ملجأ للواردين وموردٌ لابن السبيل وكلُّ ركبٍ ساري
آثار مولانا الخليفةِ فارسٍ أكرمُ بها في المجدِ من آثارِ
لا زالَ منصورَ اللواءِ مظفراً ماضي العزائم ساميَ المقدارِ
بنيتُ على يدِ عبدِهم وخديمِ با بهمُ العليُّ محمد بن جدارِ
في عام أربعةٍ وخمسينَ انقضتْ من بعد سبعٍ مئتينَ في الأعصارِ

ومن نظمهُ قوله مُورياً :

وما أنسى الأحبةَ يومٌ بانوا نخوضُ مطيئهم بجرّ الدموعِ
وقالوا : اليومَ منزلنا الحنايا فقاتُ : نعم ، ولكن من ضلوعي

وقوله مورياً أيضاً :

وربَّ يهوديٍّ أتى متطياً ليأخذ ثاراتِ اليهودِ من الناسِ
إذا جسَّ نبضَ المرءِ أودى بنفسه سريعاً ، ألم تسمع بفتكةِ جسّاسٍ ؟

وقوله :

من أي أشجاني التي جتّتِ النوى أشكو العذابَ وهنَّ في تنوعِ
من وصلي الموقوف أو من هجري الـ حوصلٍ أو من نومي المقطوعِ

١ الأزهار : حين .

أو من حديثٍ تولي وتولي خبراً صحيحاً ليس بالموضوع
يرويه خدي مسنداً عن أدمي عن مقلتي عن قلبي المفجوع
وأول هذه القصيدة :

ذَهَبْتُ حُشَّاشَةً قَلْبِي المصدوعِ بينَ السَّلامِ ووقفَةِ التوديعِ
وقد ضمن شطرها الفقيه عبيد شارج الحلبة^٢ ، إذ قال من قصيدة مطلعها :
اهمي دموعك ساعة التوديع . يا مقلتي ممزوجةً بنجيعِ
بقوله :

يوم استقلت عيسهم وترحلوا « ذهب حشاشة قلبي المصدوع »
وقوله :

بخدي وجسمي والفؤاد وأدمي شهودٌ بهم دَعَوَى الغرام تُصَحِّحُ
ومن عجبٍ أن رجَّحَ الناسَ نقلهمُ وكلُّهمُ ذو جَرَحَةٍ فيه تَقْدَحُ
فجسمي ضعيفٌ ، والفؤاد مَخْلَطٌ ودمني مَطْرُوحٌ ، وخدي مجرَّحُ
وقوله :

يا مُحَيَّاً كتب الحسنُ به أحرُفاً أبدع فيها وبرغ
ميمُ ثغر ، ثم نونُ حاجبٍ ثم عينٌ هي تنمिम البِدَعِ
أنا لا أطمعُ في وَصْلِكَ لي وعلى وجهك مكتوبٌ « منع »

ثم قال ابن الأحمر : ومن لإنشائه البارع مورياً بالكتب ، ورفعها لأمير المؤمنين

١ هذه : سقطت من ص .

٢ ق : الحلية .

المتوكل على الله أبي عَينان فارس رحمه الله تعالى يهنيه بلبلال ولده ولي عهده الأمير
أبي زيان محمد من مرض^١ :

ماذا عسى أدبُ الكتاب يوضحُ من خصالِ مجدك وهو الزاهرُ الزاهي
وما الفصيح بكلياتٍ موعبها كافٍ فيأتي بأنباءٍ وإنباءٍ

أبقى الله تعالى مولانا الخليفة ولسعادته القِدْحُ المُعلَى ، ولزاهر كماله التاج
المُحَلَّى ، تجلّى من حلاه نزهة الناظر ، ويسير بعلاه المثل السائر ، ويتسق من سنائه
العقد المنظم ، ويتضح بهداه القَصْدُ الأَمَمُ ، ولا زالت مقدمات النصر له
مبسوطة ، ومعونة السعد بإشارته مَنوطة ، وهدايته متكفلة بإحياء علوم الدين ،
وإيضاح منهاج العابدين ، وإرشاده يتولى تنبيه الغافلين ، ويأتي من شفاء الصدور
بالنور المبين ، وميقات الخدمة ببابه مطمح الأنفس ، وما يخص الجود من كفه
بغية الملتبس ، قد حكم أدب الدين والدنيا بأنك سراج الملوك ، لما أتت عوارفك
بالمرع السلسل ومعارفك بنظم السلوك ، ووضحت معالم مجدك وضوح أنوار
الفجر ، وزهت بعدلك المسالك والممالك زَهُوَ خريدة القصر ، فلك في جمهرة
الشرف النسب الوسيط ، ومن جمل المآثر الخلاصة والبيسط ، وسبل الخيرات
لها برعايتك تيسير ، ومحاسن الشريعة لها بتحصيلك تحجير . وأنت حجة العلماء ،
الذي تقصّر عن تقصي مآثره فيطنُ الأذكياء ، إن انبَهَمَ التفسير ففي يدك
مِلاك التأويل ، أو اعتاص تفريع الفقه فعندك فصل البيان له والتحصيل ، وإن
تشعب التاريخ فلديك استيعابه ، أو تطاول الأدب ففي إيجاز بيانك اقتضابه ،
وإن ذكر الكلام ففي انتقائك من برهانه المحصول ، أو المنطق ففي موجز آمالك
لُبابُه المنحول ، وليس أساس البلاغة إلاّ ما تأتي به من فصل المقال ، ولا جامع

١ ليس من السهل التعريف بكل هذه الكتب التي وري بها في هذه الرسالة . لأن ذلك يتطلب تطويلا
لا تتحمله هذه الحواشي ، فليراجعها القارئ في فهرست الكتب حيث نورد كل كتاب مقترنا
باسم مؤلفه .

الخير إلا ما حزنه من تهذيب الكمال ، ولذلك صارت خدمتك غاية المطلوب ،
وحبك قوت القلوب ، ولا غرو إن كنت من العلياء درتھا المكنونة ،
فأسلافك الكرام هم جواهرها الثمينة ، بحماستهم أصيبت مقاتل الفرسان ،
وبجود جودهم تسنى رأي الظمآن ، وبتسهيل عدلهم وضحت شُعبُ الإيمان ،
وأنت المنتقى من سمط جُمانهم ، والواسطة في فلائد عقيانهم ، عنك تؤثر سيرة
الاكتفاء ، وعن فروعك السعداء تروى أخبار نجباء الأبناء ، فهم لمملكيتك العلية
بهجة مَجالسها ، وأنس مُجالسها ، وقطب سرورها ، ومطالع نورها ، وولي
عهدك درتهم الخطيرة ، وذخيرتهم الأثيرة ، لا زال كامل سعادته بطول مقامك
محكماً ، وحرز أمانيه بالجمع بين الصحيحين حبك ورضاك معلماً ، وقد وجبت
التهنئة بما كان في حيلة برئه من التيسير ، وما تهبأ في استقامة قانون صحته من
نُجج التدبير ، ولم يكن إلا أن بعدت به عنك المسالك ، وأعوز نور طرفه تقرب
المدارك ، وتذكر ما عهده من الإيناس الموطأ جنباه عند أفضل مالك ، فورِيَّ
من شوقه سقط الزند ، والتهب في جوانحه قبس الوجد ، فأمددته من دعائك
الصالح بحلية الأولياء ، فظفر لما شارف مشارق الأنوار من حضرتك بالشفاء ،
وقد حاز إكمال الأجر بذلك العارض الوجيز ، وكان له كنشيب الإبريز ،
وما هو قادم بالطالع السعيد ، آيب بالمقصد الأسنى من الفتح والتمهيد ، يطلع بين
يديك طلوع الشهاب ، ويبسم عن مُفَصَّل الثناء في الهناء بذلك زهر الآداب ،
فأعِدْ له تحفة القادم من إحسانك الكامل ، واخصصه بالتكملة من إيناسك الشامل ،
فهو الكوكب الدرِّي المستمد من أنوارك السنية ، وفي تهذيب شمائله إيضاح
للخلق الكريمة الفارسية ، لا زالت تزدان بصحاح مآثر عيون الأخبار ، وتنعطر
بنفحة الزهر من ثنائك روضة الأزهار ، وتتل من محامدك الآيات البينات ،
وتتوالى عليك الألفاظ الإلهيات ، بمنّ الله سبحانه وفضله ، والسلام الكريم

يعتمد المقام العلي ، ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ انتهى .

وللمذكور^١ عدة مَقَطَعَات يوري فيها بأسماء الكتب ، فمنها قوله :

ظبيُّ هو الكاملُ في حسنه وثغره أبهى من العقدِ
جماله المدهشُ لكنما أخلاقه تحكي صبا نجدِ

وقوله أيضاً :

لك الله من خلِّ حبَّاني برقعة حبَّتني من آياتها بالنواذرِ
رسالة رمز في الجمال نهايةً ذخيرة نظم أتمحت بالجواهرِ

وقوله :

قصتي في الهوى المُدَوَّنة الـ كبرى وأخبار عشقي المبسوطة
حجتي في الغرام واضحةٌ إذ لم تزل مهجتي بوجود منوطة

[نماذج من التورية بأسماء الكتب]

وتذكرت بالتورية بأسماء الكتب قول الأرجاني :

لما تألَّق بارق من ثغره جادت دموعي بالسحاب المطرِ
فكأن عقد الدر حلَّ قلائد الـ مقيان منه على صحاح الجواهرِ (ي)

وقول لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى :

وظبي لأوضاع الجمال مدرسٍ عليمٍ بأسرار المحاسن ماهرٍ
أرى جيده نصَّ المحلّي ، وقررت ثناياه ما ضمَّت صحاح الجواهرِ

١ ق : وله .

وقول ابن خاتمة :

وَمُعْطَرُ الْأَنْفَاسِ يَبْسُمُ دَائِمًا عَنْ دُرٍّ ثَغْرِ زَانِهِ تَرْتِيبُ
مَنْ لَمْ يَشَاهِدْ مِنْهُ عَقْدَ جَوَاهِرٍ لَمْ يَدْرِ مَا التَّنْقِيحُ وَالتَّهْلِيلُ

وقوله أيضاً :

سَقَّهْنِي عَاذِلِي عَلَيْهِ وَقَالَ لِي وَدُّهُ عِلِيلُ
فَقُلْتُ مَعْتَلٌّ أَوْ صَحِيحٌ يُوَدِّعُهُ عَيْنُهُ الْخَلِيلُ

وقوله أيضاً :

حَازَ الْجَمَالَ بِصُورَةِ قَمَرِيَّةٍ تَجْلُو عَلَيْكَ مَشَارِقَ الْأَنْوَارِ
وَحَوَى الْكَمَالَ بِصُورَةِ عُمَرِيَّةٍ تَتْلُو عَلَيْكَ مَنَاقِبَ الْأَبْرَارِ

وقول الرئيس أبي محمد^١ عبد المهيمن الحضرمي^٢ :

مَنْ اغْتَدَى مَوْطَأً أَكْنَافُهُ صَحَّ لَهُ التَّمْهِيدُ فِي أَحْوَالِهِ
وَقَابَلَ اسْتِذْكَارَهُ بِالْمُتَّقَى مِنْ رَأْيِهِ الْمُخْتَارِ مِنْ أَعْمَالِهِ
وَأَضْحَتْ الْمَسَالِكُ الْحَسَنَى لَهُ تَدْنِي تَقْصِيًّا قُصَى آمَالِهِ
وَسَارَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَنْوَارِ فِي أَدْنَى الْمَسَارِكِ إِلَى إِكْمَالِهِ

ولما وقف على هذه القطعة الفاضل أبو علي حسين بن صالح بن أبي دلامة
عارضها وزاد ذكر القبس والمعلم^٣ :

١ أبي محمد : سقطت من ق .

٢ انظر أزهار الرياض ٣ : ٢٠١ .

٣ الأزهار : ٢٠٢ وابن أبي دلامة هذا هو والد يحيى كاتب العلامة للسلطان أبي العباس المربيعي (مستودع
العلامة : ٧٥) .

قل للموطلّم للورى أكنافه بشراه بالتمهيد في الأحوال
وإذا اكتفى بالمتقى استذكاره وفقى له المختار في الأعمال
ومسالكُ الحسنى تؤديه إلى أقصى التقصي من قصى الآمال
ويلوح من قبس الهداية رشدهُ من معلم التفصيل والإجمال

رجع إلى ابن جزّري ، ومن نظمه :

يا دوحَةَ الأنس من بطحاء وأسجة هل من سبيل إلى أيامك الأول
إذ نجتلي أوجهَ الإيناس مسفرةً ونجتني ثمرَ اللذات والغزل

ومن نظمه رحمه الله تعالى عند خروجه إلى بلاد المغرب ، وورّى بكتابي
« تحفة القادم » و « زاد المسافر » فقال :

ولائي لمن قوم يهونُ عليهمُ ورود المنايا في سبيل المكارم
يطيرون مهما ازورّ للدهر جانبُ بأجنحة من ماضيات العزائم
وما كلُّ نفسٍ تحملُ الذلَّ ، إنني رأيتُ احتمال الذلِّ شأنَ البهائم
إذا أنا لم أظفرُ بزادِ مسافرٍ لديكم فعند الناس تحفةُ قادم

وزاد المسافر لصفوان ، والتحفة لابن الأبار .

ومن نظمه قوله :

نصبَ الحبال للورى بالحسنِ إذ رفعَ اللثامَ وذيله مجرورُ
وأماله عني العواذلُ غيلةً فهو الممالُ وقايي المكسورُ

وقوله أيضاً :

تلك الذؤابة دُبّت من شوقي لها والأحظُ يحميها بأيّ سلاح
يا قلبُ فأنجُ وما إخالك ناجياً من فتنةِ الجعدي والسفاح

وقوله أيضاً :

وعاشقٍ صلتى ومحرا به وجهُ غزالٍ ظلَّ بهواهُ
قالوا تعبدتَ فقلتُ نعم^١ تعبدأ يفهمُ معناه

وقوله رحمه الله تعالى :

لا تعدُ صنفك إن ذهبتَ لصاحب تعتدُّه لكنْ نخيرُ وانتقِ
أوما ترى الأشجارَ مهما ركبتُ إن خولفتَ أصنافُها لمْ تعلقِ

وقوله رحمه الله تعالى :

أيتها النفسُ قفي عندما ألزمتِ، فعلاً كان أو قولاً
فمن يكنُ يرضى بما ساءه أو سره فهو له الأولى
لا يُتركُ العبدُ وما شاءه إلا إذا أهمله المولى

وقوله أيضاً :

لولا ثلاثٌ قد شغفتُ بحبِّها ما عفتُ في حوضِ المنية موردي
وهي الروايةُ للحديث ، وكتبته ، والفقهُ فيه ، وذاك حسبُ المهتدي

وأما أخوهما القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن جُزي فهو الإمام العالم العلامة المعمَّر ، رئيس العلوم الإنسانية ، قال في « الإحاطة »^٢ : هذا الفاضل قريعُ بيت نبيه ، وسلف شهير ، وأبوة خير ، وأخوة بليغة وخؤولة ، أديب حافظ قائم على فن العربية ، مشارك في فنون لسانية ، ظرف في الإدراك ، جسد النظم ، مطواع القرينة ، باطنه نبل وظاهره غفلة ، قعد للإقراء ببلده غرناطة معيداً ومستقلاً ، ثم تقدم للقضاء بجهات نبهة على زمن الحداثة ، أخذ عن والده

١ ص ق : لم نعم .

٢ ترجمة عبد الله بن جزي في الإحاطة ، الورقة : ٢٠٤ والكتيبة : ٩٦ ونيل الابتهاج : ١٢٩ .

الأستاذ الشهير الشهيد أبي القاسم أشياء كثيرة ، وعن القاضي أبي البركات ابن الحاج ، وقاضي الجماعة الشريف السبتي ، والأستاذ البياني ، والأستاذ الأعراف أبي سعيد ابن لب . والشيخ المقرئ أبي عبد الله ابن بيش ، وأجازته رئيس الكتاب أبو الحسن ابن الجياب ، وقاضي الجماعة أبو عبد الله [ابن بكر ، وأبو محمد ابن سلمون ، والقاضي ابن شبرين ، والشيخ أبو حيان ، وقاضي الجماعة أبو عبد الله]^١ المقرئ ، وأبو محمد الحضرمي ، وجماعة آخرون ، وشعره نبيل الأغراض ، حسن المقاصد ؛ انتهى المقصود منه .

وممن أخذ عنه العباس البقني شارح البردة ، والقاضي أبو بكر ابن عاصم ، وبالإجازة الإمام ابن مرزوق الحفيد ، وغيرهم .
وقد عرّف ابن فرحون في « الديباج المذهب » بأبيه الشهيد أبي القاسم وأخيه القاضي أبي بكر دونه ، وعرّف ابن الخطيب في « الإحاطة » بأبيه وأخويه أبي بكر وأبي عبد الله ، وفيما ذكرنا من أمرهم كفاية .

ومما نسبته الوادي آشي لأبي محمد عبد الله بن جزى قوله :

.. يا من أتاني بَعْدُهُ بعدما عاملته بالبرِّ والطفِ
إنِّي تأملت وقد سرفني بجملةٍ من سورة الكهفِ

وله أيضاً^٢ :

لقد قطعتَ قلبي يا خليلي بهجرٍ طال منك على العليلِ
ولكن ما عجيبٌ منك هذا إذ التقطعُ منْ شأنِ الخليلِ

رجع إلى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى .

١ ابن بكر . . . أبو عبد الله : سقط من ق ص وأكملناه من الإحاطة ونيل الابتهاج .

٢ يا من . . . وله أيضاً : سقط كله من ق .

٢٧ - ومنهم القاضي الأديب جملة الظرف أبو بكر ابن شبرين^١ :

وقد استوفى ترجمته في « الإحاطة » وذكره أيضاً في ترجمة ذي الوزارتين ابن الحكيم بأن قال بعد حكايته قتل ابن الحكيم ما صورته^٢ : وممن رثاه شيخنا أبو بكر ابن شبرين رحمه الله تعالى بقوله :

سقى الله أشلاءً كَرُمْنَ على البلى	وما غَضَّ من مقدارها حادثُ البلاء
ومما شجاني أن أهينَ مكانها	وأهملَ قدرُ ما عهدناه مهملاً
ألا اصنع بها يا دهرُ ما أنت صانعٌ	فما كنتَ إلا عبداً المتذللاً
سفكتَ دماً كان الرقوءُ نواله	لقد جئتما شنعاءَ فاضحةَ الملا
بكفني سبنتي ^٣ أزرق العينِ مطرق	عدا فغدا في غيِّه متوغلاً
لنعم قتيلُ القومِ في يومِ عيده	قتيلُ تَبَكِّيهِ المكارمُ والعُلا
ألا إن يومَ ابنِ الحكيمِ لمثكلٌ	فؤادي ، فما ينفكُ ما عشتُ مثكلاً
فقدناه في يومٍ أغرَّ محجلاً	ففي الحشرِ نلقاه أغرَّ محجلاً
سمتُ نحوه الأيامُ وهو عميدها	فلم تشكرِ النعمى ولم تحفظِ الولا
تعاورتِ الأسيافُ منه ممدحاً	كريمًا سما فوق السماكين مزحلاً
وخانته رجلٌ في الطواف به سعتُ	فناء بصديرٍ للعلوم تحملاً
وجُدُّ لم يحضره في الحيِّ ناصرٌ	فمن مبلغ الأحياء أن مهلهلاً

١ ترجمة ابن شبرين في الإحاطة ٢ : ١٧٦ والمرقبة العليا : ١٥٣ والكتيبة : ١٦٦ .

٢ انظر الإحاطة ٢ : ٣٠٢ .

٣ ق ص : سبت ؛ السبتي : النمر ، والشر من قصيدة تنسب للشماخ في رثاء سيدنا عمر (رض) والبيت :

وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفني سبتي أزرق العين مطرق

(انظر طبقات ابن سلام : ١١١) .

٤ ص : وجندل ؛ والإشارة إلى قول الشاعر :

من مبلغ الأحياء أن مهلهلاً أضحى قتيلاً في الفلاة مجندلاً

يدُ الله في ذاكَ الأديمِ ممزقاً
ومن حزني أن لست أعرف مَلَحداً
رويدك يا مَنْ قد غدا شامتاً به
وكنّا نغادي أو نراوحُ بابه
ذكرناه يوماً فاستهلت جفوننا
ومازجَ منا الحزنُ طولَ اعتبارنا
وهاج لنا شجواً. تذكرُ مجلسٍ
به كانت الدنيا تؤخرُ مدبراً
لتبكِ عيونُ الباقيات على فتى
على خادمِ الآثارِ تُتلى صحائفُ
على عضدِ الملك الذي قد تضرعتُ
على قاسمِ الأموالِ فينا على الذي
وأنتى لنا من بعده مُتعلِّلُ
ألا يا قصيرَ العمرِ يا كاملَ العلا
هشوءُ المصلّى أن هلكت ولم تقم
وذاك لأن الأمر فيه شهادةُ
فيأياها الميتُ الكريم الذي قضى
لتهنك من ربِّ السماء شهادةُ
رثيتك عن حبِّ ثوى في جوانحي
ويا رُبَّ مَنْ أوليته منك نعمةً
تناساك حتى ما تمرُّ بباله

تُبَارِكُ ما هبَّت جنوباً وشمالاً^١
له فأرى للترب منه مقبلاً
فبالأمس ما كان العمادَ المؤملاً
وقد ظلَّ في أوجِ العلا مُتوقِّلاً
بدمعٍ إذا ما أمحل العام أخضلاً
ولم ندرِ ماذا منهما كان أطولاً
له كان يهدي الحبي والملا الألى
من الناس حتماً أو تقدم مقبلاً
كريم إذا ما أسبغ العرفَ أجزلاً
على حامل القرآن يتلى مفصلاً
مكارمُه في الأرض مسكاً ومندلاً
وضعنا لديه كلَّ إصرٍ على علأ
وما كان في حاجاتنا متعللاً
يميناً لقد غادرت حزناً مؤثلاً
عليك صلاةٌ فيه يشهدا الملا
وسنتها محفوظةٌ أن تبدلاً
سعيداً حميداً فاضلاً ومفضلاً
تلاقي بيشري وجهك المتهللاً
فما ودع القلبُ العميدُ وما قل^٢
وكنت له ذخيراً عتيداً وموثلاً
ولم يدَّكرْ ذاك الندى والتفضلاً

١ من قول الشماخ أيضاً :

جزى الله خيراً من أمير وباركت

يد الله في ذاك الأديم الممزق

٢ من الآية القرآنية « ما ودعك ربك وما قلى » .

يرابضُ في مثواك كلَّ عشيةٍ صفيفَ شواءٍ أو قديرًا مُعجلاً^١
لحي الله من ينسى الأذمة رافضاً ويُدْهَلُ مهما أصبح الأمر مشكلاً
حنانيك يا بدرَ الهدى فلتشدَّ ما تركت بدور الأفق بعدك أقتلاً
وكنت لآمالي حياةً هنيئةً فغادرتَ مني اليوم قلباً مقتلاً
فلا وأبيك الخير ما أنا بالذي على البعد ينسى من ذمامك ما خلا
فأنت الذي آويتني متغرباً وأنت الذي أكرمتني متطفلاً
قآليتُ لا ينفكُ قلبي مكمداً عليك ولا ينفكُ دمعي مُسبلاً

وكتب ابن لسان الدين على هامش هذه القطعة ما صورته : شكر الله وفاءك يا ابن شبرين و قدس لحدك ، وأين مثلك في الدنيا حسناً ووفاء وعلماً ؟ لا كما صنع ابن زمرك في ابن الخطيب مخدومه ، قاله علي بن الخطيب ؛ انتهى .

٢٨ — ومن أشياخ لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى الشيخ الأستاذ العلامة العلم الأوحـد الصّدّر المصنّف المحدث الأفضل الأصالح الأورع الأنقى الأكل أبو عثمان سعد ابن الشيخ الصالح التقي الفاضل المبرور المرحوم أبي جعفر أحمد بن ليون ، التجيبي^٢ ، رضي الله تعالى عنه ، وهو من أكابر الأئمة الذين أفرغوا جهدهم في الزهد والعلم والنصح ، وله تواليف مشهورة ، منها اختصار « بهجة المجالس » لابن عبد البر ، واختصار « المرتبة العليا » لابن راشد القفصي ، وكتاب في الهندسة ، وكتاب في الفلاحة ، وكتاب « كمال الحافظ وجمال الالفاظ في الحكم والوصايا والمواعظ » ، وكان مولعاً باختصار الكتب ، وتوالياه تزيد على المائة فيما يذكر ، وقد وقفت منها بالمغرب على أكثر من عشرين . ومما^٣ حكى عن بعض كبراء المغرب أنه رأى رجلاً طوالاً فقال لمن

١ من قول امرئ القيس « صفيف شواء أو قدير معجل » .

٢ ترجمة ابن ليون في التكملة : ٨٦ (باسم سيد) ونيل الابتهاج : ١٠٥ والإحاطة ، الورقة : ٣٦٥ .

٣ ق : وقد .

حضره : لو رآه ابن ليون لاختصره ، إشارة إلى كثرة اختصاره للكتب .
ومن تواليفه كتاب « نفح السحر في اختصار رَوْح الشجر^١ وروح الشعر »
لابن الجلاب الفهري ، رحمه الله ، ومنها كتاب « أنداء الديم في الوصايا والمواعظ
والحكم » وكتاب « الأبيات الملهذبة في المعاني المقربة » وكتاب « نصائح الأحباب
وصحائح الآداب » أورد فيه مائتي قطعة من شعره تتضمن نصائح متنوعة ،
ولتنفح منها نبذة فنقول : منها في التحريض على العلم قوله رحمه الله تعالى :

زاحِمٌ أولي العلم حتى تُعْتَدَّ منهم حقيقة
ولا يردُّكَ عجزٌ عن أخذ أعلى طريقة
فإنَّ من جدِّ يعطى فيما يحبُّ لحوقه

وقوله :

شفاء داء العيِّ حسنُ السؤالُ فاسألْ تُلْ علماً ، وقلْ لا تبالْ
واطلبْ فالاستحياء والكبرُ من موانعِ العلمِ فمسا إن يُنالْ

وقوله :

« علمتَ شيئاً و غابت عنك أشياء »^٢ فانظر وحقِّقْ فما للعلم إحصاءُ
للعلم^٣ قسمان : ما تدري ، وقولك لا أدري ، ومن يدعي الإحصاء هذَّاءُ

وقوله :

من لم يكن علمه في صدره نشبتْ يداهُ عند السؤالات التي تردُ
العلمُ ما أنت في الحمام تحضُّرُهُ وما سوى ذلك التكليفُ والكدُّ

١ ق : دوح الشجر ؛ ص : روح السحر .

٢ عجز بيت لابي نواس ، وصدره : « فقل لمن يدعي في العلم فلسفة » .

٣ ق : العلم .

وقوله :

الدرسُ رأسُ العلمِ فاحرصْ عليه فكلُّ ذي علمٍ فقيرٌ إليه
من ضيَّعَ الدرسَ يرى هاذياً عندَ اعتبارِ الناسِ ما في يديه
فعرَّةُ العالمِ من حفظِهِ كعرَّةِ الثَّفيقِ فيما عليه

وقال رحمه الله تعالى في غير ما سبق :

ثلاثٌ مهلكاتٌ لا محالةٌ هوى نفسٍ يقودُ إلى البطالةِ
وشحٌ لا يزالُ يطاع دأباً وعُجبٌ ظاهرٌ في كلِّ حالة

وقال :

اللهُ منقصةٌ بصاحبه فاحذرْ مذلةَ مؤثرِ الله
واللغو نزهةٌ عنه سمعك لا تمنعْ له ، لا خيرَ في اللغو

وقال :

لا تملأْ على صديقك وادراً عنه ما استطعتَ من أذى واهتمام
ما تناسى الذمَّامَ قطُّ كريمٌ كيف ينسى الكريمُ رعيَّ النعامِ
تطعمُ الكلبَ مرةً فيحامي عنك ، والكلبُ في عدادِ اللثامِ

وقال :

احذرْ مؤاخاةَ الدنيءِ فإنَّها عارٌ يشينُ ويورثُ التضريرا
فاللأءُ ينجثُ طعمه لنجاسةٍ إن خالطته ويُسلَبُ التطهيرا

وقال :

١ ق : وقوله ، وكذلك جرى في كثير من المواضع .

تَحْفَظُ مِنَ النَّاسِ تَسْلَمٌ وَلَا تَكُنْ فِي تَقَرُّبِهِمْ تَرْغَبُ
وَلَا تَتْرِكِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا تَرِيدُ ، وَلَا تَبْغِ مَا يَصْعَبُ

وقال :

إِخْوَانُكَ الْيَوْمَ إِخْوَانُ الضَّرُورَةِ لَا تَتَّقُ بِهِمْ يَا أَخِي فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ
لَا خَيْرَ فِي الْأَخِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِذَا عَرَّتْكَ نَائِبَةٌ بِقِيكَ أَوْ يُسْلِي

وقال :

طَلِبُ الْإِنْصَافِ مِنْ قِلْدِ الْإِنْصَافِ فَسَاهِلٌ
لَا تَنَاقَشْ وَتَغَافِلْ فَالْيَبُّ الْمُتَغَافِلُ
قَلَمَا يَحْطِي أَخُو الْإِذِ صَافٍ فِي وَقْتِ بَطَائِلِ

وقال :

مَنْ خَافَهُ النَّاسُ عَظَّمُوهُ وَأَظْهَرُوا بِرَّهُ وَشُكْرَهُ
وَمَنْ يَكُنْ فَاضِلًا حَلِيمًا فَإِنَّمَا حَظُّهُ الْمَضْرَّةُ
فَامِرٌّ وَكُنْ صَارِمًا مَبِيرًا يَهَبُّكَ مَنْ قَدْ تَخَافُ شَرَّهُ

وقال :

إِنْ تَبَغَّ عَدْلًا فَمَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ بِهِ أَعْمَلُ فِي الْوَرَى تَسُدُّ
وَكُلُّ مَا لَيْسَ تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ لَا تَفْعَلْهُ مَعَ أَحَدٍ تَكُنْ أُنَا رَشِدٍ

وقال :

حَسْبِيَ اللَّهُ لَقَدْ ضَلَّتْ بَنَاءَ عَنْ سَبِيلِ الرَّشْدِ أَهْوَاءُ النَّفُوسِ
عَجِبًا أَنْ الْهَوَى هُونٌ وَأَنْ نَوْثَرُ الْهُونِ وَإِذْلالَ الرُّؤُوسِ

وقال :

من يُخَفِّ شَرُّهُ يُؤَفِّ الكرامةُ ويوالى الرعايةَ المستدامةُ
وأخو الفضلِ والعفافِ غريبُ يحملُ الذلَّ والجفسا والملامةُ

وقال :

دعْ من يسيءُ بكَ الظنونَ ولا تحفلْ به إن كنتَ ذا همةُ
من لمْ يحسِّنْ ظَنَّهُ أبداً بك فاطَّرحهُ تكتفي همةُ

وقال :

نَزَّةُ لسانكَ عن قولٍ تُعابُ به وارغبْ بسمعك عن قيلٍ وعن قالٍ
لا تبغِ غيرَ الذي يعينك واطَّرحِ الـ فضولَ تحيا قريرَ العينِ والبسالِ

وقال :

كثرةُ الأصدقاءِ كثرةُ غُرْمٍ وعتابُ يُعنيي وإدخالُ همٍ
فاغْنِ بالبغضِ قانعاً وتغافلْ عنهم في قبيحِ فعلٍ وذمٍ

وقال :

ذلُّ المعاصي مِيتَةٌ يا لها من مِيتَةٍ لا ينقضي عارُها
عزُّ التقي هو الحياةُ التي ذو العقلِ والهمةِ يختارُها

وقال :

لا تُسمِّعْ يوماً صديقَكَ قولاً فيه غَضْرٌ ممن يحبُّ الصديقُ
إنَّ بَرَّ الصديقِ لا شكَّ منه لصديقِ الصديقِ أيضاً فريقُ

١ ص من لا

وقال :

للجار حقٌ فاعتمدْ بِرَّهُ واحملْ أذاه مغضياً ساتراً
فالله قد وصَّى به فاغفرْ زلَّكه الباطنَ والظاهراً

وقال :

سالم الناسَ ما استطعتَ وداري ضُرُّك الناسَ ضُرُّ نفسك يَجْنِي
أخسرُ الناسَ أحقُّ لا يداري لا يقومُ الدخانُ إلاَّ للنارِ

وقال :

النصحُ عند الناسِ ذنبٌ فدعْ نُصحَ الذي تخافُ أن يهجرَكَ
الناسُ أعداءُ لنصَّاحهم فاتركْ هُدَيْتَ النصحَ فيمن تركْ

وقال :

تجري الأمورُ على الذي قدَّ قُدِّرا ما حيلةٌ أبداً تردُّ مُقدِّرا
فارضَ الذي يجري القضاءُ به ولا تضجرُ فمِنَ عدم الرضى أن تضجرا

وقال :

أخوك الذي يحملك في الغيبِ جاهداً ويستر ما تأتي من سوء والقبحِ
وينشرُ ما يرضيك في الناسِ معلناً ويفضي ولا يألو من البرِّ والنصحِ

وقال :

لا تصحبِ الأردى فتردى مَعَه وربما قد تفتني منزَعَه
فالجلُّ إن يُجرَزَ على صخرةٍ أبدى بها طريقةً مُشرَعَه

وقال :

ما فات أو كان لا تندم عليه فما
ارجع إلى الصبر تغنم أجره وعسى
يفيد بعد انقضاء الحادث الندم
تسلو به فهو مسألة ومغتنم
وقال :

السخط عند الثابت زيادة
من لم يكن يرضى بما يقضى فيا
في الكرب تُنسي ما يكون من الفرج
لله ما أشقى وأصعب ما انتهج
وقال :

إن تبتغ الإخوان ما إن تجد
فلا تهنهما وعززهما
أخاً سوى الدينار والدرهم
تعش عزيزاً غير مستهضم
وقال :

من يستهن بصديقه
برُّ الصديق مهابة
يُعين العلو على أذاته
للمرء تُخميل من عُداته
فاحفظ صديقك ولنكن
تبدي المحاسن من صفاته

وقال :

نعوذ بالله من شر اللسان كما
يجني اللسان على الإنسان ميتته
نعوذ بالله من شر البريات
كم لسان من آفات وزلات
وقال :

من لم يكن مقصده مدحة
حجة المدحة رق بلا
فقد أتى بحبوبة العافية
عتق ، وذل يا له داهية
ذمماً أصابه العيشة الراضية
من لا يبالي الناس مدحاً ولا

وقال :

شَرُّ إِخْوَانِكَ مَنْ لَا تَهْتَدِي فِيهِ سَبِيلًا
يُظْهِرُ الْوَدَّ وَيُخْفِي
يَتَّقِي مِنْكَ اتِّقَاءً وَهُوَ يُؤَلِّكَ الْجَمِيلًا

وقال :

قَوِّمُ الْعَيْشِ بِالتَّدْبِيرِ فَاجْعَلْ
وَحْدَ الصَّبْرِ نَفْسَكَ مَهْوً عَزْ
لَعَيْشِكَ مِنْهُ فِي الْأَيَّامِ قَسْطًا
تَلُودُ بِهِ إِذَا مَا الْحَطْبُ شَطَاً

وقال :

الْعَيْشُ ثَلَاثُ فِطْنَةٍ وَالْغَيْرُ مِنْهُ تَغَافُلُ
فَتَغَافِلِ أَنْ كُنْتَ امْرَأً
إِثَارَ عَيْشِكَ تَأْمُلُ

وقال :

يَنْفِذُ الْمَقْدُورُ حَتْمًا لَا يُرَدُّ
أَرْحِ النَّفْسَ تَعَشَّرْ فِي غِبْطَةٍ
فَعَلَامَ الْحَرَصِ دَابَّاءُ وَالْكَثْمَدُ
وَكَيْلِ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ

وقال :

زُرْ مَنْ تَحَبُّ وَزَرِهِ ثُمَّ زَرِهِ وَلَا
لَوْلَا مِتَابَعَةُ الْأَنْفَاسِ مَا بَقِيَتْ
تَمَلَّ وَاجْعَلْهُ دَابَّاءَ مَوْضِعَ النَّظَرِ
رُوحَ الْحَيَاةِ وَلَا دَامَتْ مَدَى الْعُمُرِ

وقال :

لَا تَتْرِكِ الْحَزْمَ فِي شَيْءٍ فَإِنَّ بِهِ
مِنْ ضَيِّعِ الْحَزْمِ تَصَحُّبُهُ النَّدَامَةُ فِي
تَمَامِ أَمْرِكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ
أَيَّامِهِ وَيَرَى ذُلَّ الْمَهَاوِينِ

وقال :

كنْ إذا زرتَ حاضرَ القلبِ واحذرْ أنْ تُمِلَّ المزورَ أو أنْ تُطِيلَا
لا تثقلْ على جليسٍ وخَفِّفْ إنْ من خَفَّ عُدَّ شخصاً نبيلاً

وقال :

من خلا عن حاسدٍ قد ماتَ في الأحياءِ ذكْرُهُ
إنَّما الحاسدُ كالنَّارِ لعودِ طابِ نَشْرُهُ
لا عدَمْنَا حاسداً في نعمةٍ ليستْ تسرُّهُ

وقال :

حبيبك من يغارُ إذا زللتا ويُغْلِظُ في الكلامِ متى أسأتَا
يُسَرُّ إنْ اتَّصفتَ بكلِّ فضلٍ ويحزنُ إنْ نقصتَ أو أنقصتَا
ومن لا يكثرُ بكَ لا يبالي أحَدتَ عن الصوابِ أم أعتدلْتَا

وقال :

لنْ لمنْ تخشى أذاهُ والقه في باب دارِهِ
إنَّما الدنيا مدارا ةٌ فمن تخشاه دارِهِ

وقال :

حَسَدُ الحاسدِ رَحْمَةٌ لا يرى إلا لِنِعْمَةٍ
إنَّما الحاسدُ يشكو حَرَّ أكبادِ وغمَّةِ
لا عدَمْنَا حاسداً في نعمةٍ تكثرُ همَّةِ

وقال :

تبديلُ شخصٍ بشخصٍ خسرانُ الاثنينِ جُمْلَةٍ

فاشدد يديك على مَنْ عرفت ، وارفع مَحَلَّةً
فإنَّ قَطَعَ خليلٍ بَعْدَ التَّواصلِ زَلَّةً

وقال :

أنت بخير ما تركت الظهورُ والقالَ والقبيلَ وطرقَ الشرورُ
من خاض بحراً فهو لا بدَّ يهـ تلُّ ومن يَجْرِ يُصِبه العثورُ
سلامةُ المرءِ اشتغالٌ بما يهـمهُ لنفسه من أمور

وقال :

أنت حرٌّ ما تركتَ الطمعا وعزيرٌ ما تبعتَ الورعا
وكفى بالعزُّ مع حريَّةٍ شرفاً يختاره مَنْ قنعا

وقال :

خلُّ بُنَيَاتِ الطرقِ ووافقِ الناسَ تَفَقُّ
من خالفَ الناسَ أتى أعظمَ أبوابِ الحُمقِ
فكنْ مع الناسِ فترَ لكُ جملةَ الناسِ خُرقُ

وقال :

لا تَصِقْ صدرأً بحاسدٍ فهو في نارٍ يكابدُ
من يرى أنلكَ خيرٌ منه تَعَرُّوهُ شدائدُ
إنما الحاسدُ يَشْقَى وهو لا يحظى بعائدُ^٢

١ ق : واعرف .

٢ ق ص : بفائد .

وقال^١ :

من يستمع في صديقٍ قولَ ذي حسدٍ لا شكَّ يُقْصِبُهُ فاحذر غيلة الحسدِ
يهابك الناس ما تُدْني الصديقَ فإنَّ أقصيته زدت للأعداء في العددِ

وقال :

كم من أخٍ صَحْبَتُهُ والنفسُ عنه راغِبَةٌ
خَشِيتُ ، إنْ فارقتُهُ بالهجرِ ، سوءَ العاقِبَةِ

وقال :

إذا كانت عيوبك عند نقدٍ تُعَدُّ فأنْتَ أجدرُ بالكمالِ
متى سلمتُ من النقدِ البرايا وحسبك ما تشاهدُ في الهلالِ

وقال :

إذا انطوتِ القلوبُ على فسادٍ فإنَّ الصمتَ سترٌ أي سترِ
فلا تنطقْ وقلبك فيه شيءٌ بغير الحقِّ ، واحذر قولَ شرِّ

وقال :

إن كنتَ لا تنصُرُ الصديقَ فدعْ سماعَكَ القولَ فيه واجتنبِ
سماعُ عرضِ الصديقِ منقَصَةٌ لا يرتضيها الكريمُ ذو الحسبِ

وقال :

أنت في الناس تقاسُ بالذي اخترتَ خليلاً
فاصحبِ الأخيار تَعْلُو وتُنَلُّ ذكراً جميلاً

١ وقعت القطعة بعد التي تليها في ق .

صحبةُ الحاملِ تكسو مَنْ يواخيه خمولا

وقال :

اسمعُ يزك السماعُ إنَّ السماعَ رباحُ
لا تَلَقَّ إلا ببشرٍ فالبشرُ فيه النجاجُ
بتطبيك الوجهَ جيدُ أجلُّ منه المزاحُ

وقال :

مَنْ كنتَ تعرفه كُنْ فيه مثداً يكفيك من خلقه ما أنت تعرفه
لا تبغِ من أحدٍ عرفته أبداً غيرَ الذي كنتَ منه قبلُ تألفه

وقال :

حاسب حبيكَ كالعدوِّ تدُمُّ لهْ ولكِ المحبةُ . فالتناصف روحُها
من كان يغمضُ في حقوقِ صديقه . نقصتْ مودته وشيبَ صريحُها

وقال :

تَغافلُ في الأمورِ ولا تناقشُ فيقطعك القريبُ وذو المودةُ
مناقشةُ الفسى تجني عليه وتبدله من الراحاتِ شدةُ

وقال :

إن شئتَ تعرفُ نعمةَ الله التي أولاك فانظرُ كلَّ مَنْ هو دونُكا
لا تنظرِ الأعلى فتنسى ما لديه كَ وَمَنْ مِنْ الضعفاءِ يستجلونُكا

وقال :

عجباً أن ترى قبيحَ سواكا وتُعادي الذي يرى منك ذاكا

لو تناصفت كنت تنكر ما فيك وترضى الوصاة ممن نهاكا
وقال :

جرب الناس ما استطعت تجدهم
فالسعيد السعيد من أخذ العف
لا يرى الشخص منهم غير نفسه
و ودارى جميع أبناء جنسه
وقال :

فرط حب الشيء يعمي ويصم
نقص عقل أن يخطي حسك الخ
فليكن حبك قصدا لا يصم
ب أو يلهيك عن أمر مهم
وقال :

سلم وغض^١ احتسابا
النقد نار تغلي
فذا هو اليوم أسلم
في القلب جمرا^٢ تفرم
عن عيب غيرك تسلم
فاطو اعراضك واغفل

وقال :

عده الكريم عطية
المطل تخريص العدا
لا مطلق في عده الكريم
ق . وذاك من فعل اللثيم
ت فإنه عمل ذميم
فدع المطال إذا وعد

وقال :

من تناسى ذنوبه قتلته وأبانت عنه الولي الحميما

١ ص : وأغض .

٢ ق ص : نخل . جمر .

ذكر لك الذنب نفرةً عنه تبقي لك إنكارَ فعله مستديماً

وقال :

عجباً لمادح نفسه لا يهتدي لتتقصَّ يُبديهِ فيه مدحها
مدحُ الفتي عند التحدثِ نفسه ذكرى معاييبه فيُدري قبحها

وقال :

من حسنت أخلاقه عاش في نعمى وفي عزٍّ هنيء وود^١
ومن تسو للخلق أخلاقه يعيش حقيراً في هموم وكدة

وقال :

من كان يحمي ناسه [صار ذا عزٍّ و]^٢ هابته نفوس البشر
ومن يكن يخذل أحبابه هان^٣ ، ومن هان فلا^٣ يُعتبر

وقال :

قارب وسدد إذا ما كنت في عمل إنَّ الزيادة في الأعمال نقصان
ما حالف القصد في كل الأمور هوى نفس ، وكل هوى شوم وحرمان

وقال :

بقدر همته يعملو الفتي أبداً لا خير في حامل المهماتِ ممنهن
هيهات يعملو فتي خمول همته يقوده لابتدال النفس والمهن

١ ص : هنيئاً يود .

٢ سقط من ق ص ، وأكملناه من المطبوع .

٣ ص : فما .

واحرص* على تخليصها بالذي تنجو به من قولٍ أو من عمل*

وقال :

سكرُ الولاية ما لهُ صَحْوُ وكلامها وحراكها زَهْوُ
يهدي الفتي أيام عزَّتها فإذا تقصَّتْ نابه شَجْوُ
فحذارٍ لا تغررك صولتها وزمانها فثبوتها مَحْوُ

وقال :

دَعِ الجِدالَ ولا تحفلُ به أبدا فإنَّه سببٌ للبغض ما وُجدا
سَلِّمْ تعشُ سالماً من غيرِ متعبةٍ^١ قريرَ عينٍ إذا لم تعرّض أحدا

وقال :

إذا ترى المبلى اشكر أن تجوّتَ ولا تشمتَ به ولتسلَّ من ربك العافية*
وخفُ من أن تبلى كما ابتلى فتُرى كما تراه وما ثقيك من واقية*

وقال :

العمرُ ساعاتٌ تقضى فلا تُقصِّها في السهو والغفلة*
واعمل لما أنت له صائرٌ ما دمتَ من عمرك في مُهله*
ولا تكن تأوي لدنيا وقلُ لا بدَّ لا بدَّ من النقلة*

وقال :

كن رقيقاً إذا قدرت حلماً وتغافلُ تسلكُ طريقاً قويمًا
لا تظنَّ الزمانَ يقي على من سرّه أو ينيل عزّاً سليماً

١ ص : متبعة .

إن للسدر صولةً وانقلاباً ولهذا نعيمه لنّ يلومنا

وقال :

من لم يكن ينفعُ في الشدةُ فلا تكنُ معتمداً وُدّةُ
لا تعتمدُ إلاّ أخا حرمةُ إن ناب خطبُ تُلغيه عُدّةُ
وخلٌ من يهزأ في وده ولا ترى في معضلٍ جدّةُ

وقال :

أخوك الذي تلفيه في كلّ معضلٍ يدافعُ عنك سوءُ بالمال والعريضِ
ويستُرُ ما تأتي من القبحِ دائماً وينشرُ ما يرضي وإن سؤته يغضي

وقال :

لا تنهَ عما أنت فاعلهُ وانظُرْ لما تأتيه من ذنبِ
وابداً بنفسك فانها تقفو الصوابَ فأنّت ذو لبّ

وقال :

ليس الصديقُ الذي يلقاك مبتسماً ولا الذي في التهاني بالسرورِ يُرى
إنّ الصديقَ الذي يولي نصيحته وإن عرّتْ شدةُ أغنى بما قدرا

وقال :

عجباً لمستوفٍ منافعَ نفسه ويرى منافعَ من سواه تصعبُ
ما ذاك إلا عُدْمُ إنصافٍ ومَن عدم التناصفِ كيف يرجو يُصحبُ

وقال :

مَن عدم الهمةَ في راجةٍ من أمره يكرمُ - أو يهتضمُ

ولنّما يشقى أخو همّةٍ فإنّ الانكاد بقدرِ الهممِ

وقال :

قلّما تنفعُ المداراةُ إلاّ عند أهل الحِفاظِ والأحسابِ
مَنْ يداري اللّيثيمَ فهو كمن يسّ تعملُ الدُّرّ في نحورِ الكلابِ

وقال :

دنياك هذي عَرَضٌ زائلٌ تفنُّ ذا الغيرةِ والغفلةِ
فاعملْ لأخراكَ وقدمْ لها ما دمتَ من عمرِكَ في مهلةِ

وقال :

نصيحةُ الصديقِ كنزٌ فلا ترُدّ ما حييتَ نصيحَ الصديقِ
وخذْ من الأمورِ ما ينبغي ودعْ من الأمورِ ما لا يليقُ

وقال :

أنت حرٌّ ما لم يقيدك حُبٌّ أو تكن في الورى يُرى لك ذنبُ
الموى كلّهُ هَوَانٌ وشغلٌ والمعاصي ذلٌّ يعانى وكربُ

وقال :

هَوْنٌ عليك الأمورا تعشْ هنيئاً قريراً
واعلم بأنّ الليالي تبلي جديداً خطيراً
وتستبيحُ عظيماً ولا تجبر حقيراً

وقال :

ألفُ صديقٍ قليلُ والودُّ منهم جميلُ

كما عدوٌ كثيرٌ إذ ضرهٌ لا يزولُ
فلا تُضيّعْ صديقاً فالنفعُ فيه جليلُ

وقال ١ :

دعِ الحسودَ تعاتبهُ لظى حسدهُ حتى تراه لقيَ يموتُ من كدهُ
ما للحسودِ سوى الإعراضِ عنه وأن يبقى إلى كربهِ في يومهِ وغدهُ

وقال :

الناسُ حيثُ يكونُ الجاهُ والمالُ فخلٌ عنكَ ولا تحفلُ بما قالوا
وعدٌّ عمن يقولُ العلمُ قصدهمُ أو الصلاحُ أما تبدو له الحال
انظرُ لماذا همُ يسعون جهدهمُ بينَ لك الحقُّ لا يعرفوه إشكال

وقال :

توسطُ في الأمورِ ولا تجاوزُ إلى الغاياتِ فالغاياتُ غيُ
كلا الطرفينِ مذمومٌ إذا ما نظرتِ وأخذُكَ المذمومَ عيُ

وقال :

عاملُ جميعِ الناسِ بالحسنى إن شئتَ أن تحظى وأن تهنا
ولا تسيءُ يوماً إلى واحدٍ فتجمعِ الراحةَ والأمنَا

وقال :

لا تفكرُ فللأمرِ مدبرٌ وارضَ ما يفعلُ المهيمنُ واصبرُ
أنت عبدٌ وحكمُ مولاك يجري بالذي قد قضى عليك وقدرُ

١ سقط البيتان من ق .

وقال :

إذا رأيتَ القبيحا فقلْ كلاماً مليحاً
وأغضِ واسترْ وسلِّمْ
تعثْ هنيئاً وتلقى
براً وشكراً صريحاً
وكنْ حليماً صفوحاً

وقال :

من ينكر الإحسانَ لا تولِه
البدرُ في السباحِ ما إنْ له
ما عِشتَ إحساناً فلا خيرَ فيه
نفعٌ فذرهُ فهو فعلُ السفِيهِ

وقال :

من لم يكنْ ينفعُ في ودِّهِ
ودُّ بلا نفعٍ عناءٌ فلا
دعه ولا تُقِمْ على عهدِهِ
تُعنْ بشيءٍ حادٍ عن حدِّهِ

وقال :

دُرْ مع الدهرِ كيفما
ودعِ الخلقَ جانباً
دار إن شئتَ تصحبهُ
ليس بالخلقِ تغلبهُ
وحذارِ انقلابه
فكثيرٌ تقلُّبهُ

وقال :

من ليس يغني في مغيبِ عنك لا
يُثني عليكَ وأنتَ معه حاضرٌ
تحفل به فودادهُ ملخولُ
فلإذا تغيبَ يكونُ عنك يميلُ

وقال :

دع نصحَ من يعجبه رأيهُ
ومن يرى يُنجحه سعيهُ

النصحُ إرشادٌ فلا تولِهْ إلا فتىً يحزنه غيُّهْ
لا يقبلُ النصحَ سوى مهتدٍ يقودهْ لرشدهْ هديُّهْ

وقال :

البختُ أفضلُ ما يؤتى: الفتى فإذا يفوتهُ البختُ لا ينفكُ يتضعُ
يكفيك في البختِ تيسيرُ الأمورِ وأن يكونَ ما ليس ترضى عنك يندفعُ

وقال :

افعلِ الخيرَ ما استطعتَ ففعلُ الـ خيرِ ذكرٌ لفاعليه وذُخْرُ
وتواضعُ تُلْ عِلاءَ وعزاً فاتضاعُ النفوسِ عزٌّ وفخرُ

وقال :

صديقُ المرءِ درهمُه بهِ ما دام يُعْظِمُهْ
فصنهُ ما استطعتَ ولا تكنُ في اللهوِ تعدمهْ
فققرُ المرءِ ميتتهُ لذا تغدو فترحمهْ

وقال :

لا تقربْ ما استطعتَ خلَّ عدوَّ فخليلُ العدوِّ حِلْفُ عداوَهْ
وتحفَظْ منهْ ودارِهْ وانظرْ هل ترى من سيماهِ إلا القساوَهْ

وقال :

لا تُعِدْ ذكرَ ما مضى فهو أمرٌ قد تقضى وقد مضى لسييلهْ
وتكلم فيما تريدُ من الآ تي ودبرْ للشيءِ قبل حلولهْ

وقال :

قساوةُ المرءِ من شقائه فإذا يلينُ سادَ بلا أينِ ولا نصَبِ

لا يرحمُ الله إلا الراحمين ، فمن يرحمُ ينل رحمةً في كلِّ منقلبٍ

وقال :

جىء بالسّماح إذا ما جثت في غرَضٍ ففي العبوسِ لدى الحاجاتِ تصعيبُ
سماحةُ المرء تنبي عن فضيلته فلا يكن منك مهما اسطعت تقطيبُ

وقال :

لا تسامح يوماً دنيئاً إذا ما قال في فاضلٍ كلاماً رديئاً
إنَّ قصدَ الدنيّ إنزالُ أهلٍ إلى فضلٍ حتى يرى عليهم علياً

وقال :

خذْ من القولِ بعضه فهو أولى وتحفظْ ممّا يقولُ العُداءُ
ربما تأخذُ الكلامَ بجدٍ وهو هزلٌ قد نَمَقَتْهُ عِدَاتُ
فاحترزْ من غرورِ الأقوالِ واعلمْ أنَّ الأقوالَ بعضها كذباتُ

وقال :

نَافْسِ الْأَخْيَارَ كَيْمَا تَحْرَزَ الْمَجْدَ الْأَيْلَا
'لا تكن' مثلَ سَرَابٍ رِيءٍ لم يشفِ غليلاً
إنّما أنت حديثٌ فلنكنْ ذكراً جميلاً

وقال :

الصمتُ عزٌّ حاضرٌ وسلامةٌ من كلِّ شرٍّ
فإذا نطقتَ فلا تُكْ شراً واجتنبْ قولَ الهذرِ
وحذارٍ ممّا يُتَقَى وحذارٍ من طرقِ الغررِ

وقال :

سَلَامَةُ الْإِنْسَانِ فِي وَحْدَتِهِ وَأَنْسُهُ فِيهَا فِي حَرْفَتِهِ
مَا بَقِيَ الْيَوْمَ صَدِيقٌ وَلَا مِنْ تَرْجِي النِّصْرَةَ فِي صَحْبَتِهِ
فَقَرٌّ فِي بَيْتِكَ تَسْلَمُ وَدَعُ مِنْ ابْتَلَى بِالنَّاسِ فِي مَحْنَتِهِ

وقال :

مَطَاوَعَةُ النَّسَاءِ إِلَى النَّدَامَةِ وَتَوَقُّعُ فِي الْمَهَانَةِ وَالْغَرَامَةِ
فَلَا تَطْعِ الْهَوَى فَيَهِنَ وَاعْدِلْ ففِي الْعَدْلِ التَّرَضِّي وَالسَّلَامَةِ

وقال :

كَانَتْ مَشَاوِرُهُ الْإِخْوَانِ فِي زَمَنِ قَوْلُ الْمَشَاوِرِ فِيهِمْ غَيْرُ مَتَّهِمِ
وَالْآنَ قَدْ يَخْدَعُ الَّذِي تَشَاوَرَهُ إِشْمَاتًا أَوْ حَسَدًا يُلْقِيكَ فِي النَّدَمِ
فَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا أَنْتَ تَقْصِدُهُ يَهْدِيكَ لِلرُّشْدِ فِي الْأَفْعَالِ وَالْكَلِمِ

وقال :

عَدُوٌّ عَمَّنْ يَرَاكَ تَصْغُرُ عَنْهُ وَتَحْفَظُ مِنْ قَرِيبِهِ وَأَبْنُهُ
إِنَّ مَنْ لَا يَرَاكَ فِي النَّاسِ خَيْرًا مِنْهُ فَالْخَيْرُ فِي التَّحْفِظِ مِنْهُ

وقال :

رِزَانَةُ الْمَرْءِ تُعْلِي قَدْرَهُ أَبَدًا وَطِيشُهُ مُسْقِطٌ لَهُ وَإِنْ شَرُفًا
فَارِبًا بِنَفْسِكَ مِنْ طِيشٍ تُعَابُ بِهِ وَإِنْ تَكُنْ حَزْتَ مَعَهُ الْعِلْمَ وَالشَّرْفَا

وقال :

الْصَّدَقُ عَزُوفٌ فَلَا تَعْدِلْ عَنِ الصَّدَقِ وَاحْذَرِ مِنَ الْكُذْبِ الْمَذْمُومِ فِي الْخَلْقِ

١ ق : منه .

من لازم الصدق هابته الورى وعلا
فألزمه دأباً تفز بالعر والسبق
وقال :

ليس الفضل يا أخي أن تحسنا
إن الفضل أن تجازي من أسا
لأخ يجازي بالجميل من الثنا
لك بالجميل وأنت عنه في غنى
وقال :

من واصل اللذات لا بُدَّ أن
فخذ من اللذات واترك ولا
تعقبه منها الندامات
تسرف ففي الإسراف آفات
وقال :

دع معجباً بنفسه في غيه ولبسه
لا يقبل النصح لها من نخوة برأسه
فخله لكيده وعجبه بنفسه

وقال :

عتب الصديق دلالة منه على صدق المودة
فإذا يقول فقصده الـ
فاحلم إذا عتب الصديق ولا تخيب فيك قصده

وقال :

ترتجى^١ في النوائب الإخوان
فإذا لم يشاركوا فسواء
هم لدى كل شدة أعوان
هم والاعداء كيفما قد كانوا

١ ص : يرتجى .

وقال :

انصر أخاك على علاته أبداً تهب وتسلك سبيل العز والظفر
ولا تدعه إلى الإشمت مطرحاً فإن ذلك عين الذل والصغر

وقال :

من عز كانت له الأيام خادمة تربه آماله في كل ما حين
ومن بين أولغت فيه المدى وأرت له النوائب في أثوابها الجون

وقال :

خل المنجم يهذي في غوايته واقصد إلى الله رب النجم والفلك
لو كان للنجم حكم لم تجد أحداً يخالف النجم إلا أنهد في درك

وقال :

حماية المرء لمن يصحب تدل أن أصله طيب
لا خير فيمن لا يرى ناصرأ صديقه وهو له ينسب

وقال :

يا عاتبا من لا له همة ألا اتئد إلى متى تعب
هل يسمع الميت أو يبصر أعمى ؟ محال كل ما تطلب

وقال :

لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل من أهل العقل
هيهات يدري الفضل من ليس له فضل ، ولو كان من أهل النبل

وقال :

لا تطلب المرء بما اعتدت من أخلاقه والمرء في وهن
تثقل الأخلاق لا شك مع تثقل الحالات والسن

وقال :

لا تعامل ما عشت غيرك إلا بالذي أنت ترتضيه لنفسك
ذاك عين الصواب فالزمه فيما تبتغيه من كل أبناء جنسك

وقال :

باعِدِ الناس يوالوكا واعتزل عنهم يهابوكا
فإذا ما تصطفيتهم وقعوا فيك وعابوكا

وقال :

إياك لا تخذل الصديقا وارع له العهد والحقوقا
نصرت ما قدرت عز تمهده للعلا طريقا
فلا تسامح به عدوا وكن له ناصرا حقيقا

وقال :

حدث جليسك ما أصغى إليك ، فإن تراه يُعرض فاقطع عنه وانصرف
خفف فقد يُضجر الذي تجالسه طول المقام أو التحديث في سرف

وقال :

جِماعُ الخير في ترك الظهور وإظهار التواضع والبرور
وفي أضدادها من غير شك جميع وجوه أنواع الشرور

وقال :

حبةُ الدرهم طبعُ البشرُ فاقنَعُ من المرءِ بما قد حضرُ
وقسُ على نفسك في بذله تقفُ على تحقيقِ عينِ الخبرِ

وقال ١ :

لا يَلُمُّ غيرَ نفسه كلُّ من قد عَرَّضَ النفسَ أن تُهانَ فذلًا
ينظرُ العاقلُ الأمورَ فيأبى أن يُرى منه غير ما هو أولى

وقال :

أعدَّ الناس من أتمته المضرةُ من أخٍ كان يرتجي منه نصرةُ
مثل من ٢ غصَّ بالشرابِ ف كان الهلك فيما رجاه يدفعُ ضرةُ

وقال :

سَلِمَ تعشُ سالمًا مما يقالُ من يعترضُ يُعترضُ في كلِّ حالُ
نقدَ الفتي غافلًا عن عيِّهِ لا يرتضى عند ٣ أربابِ الكمالُ

وقال :

تواضعُ المرءِ ترفيعُ لرتبته وكبره ضعةُ من غير ترفيعِ
في نخوةِ الكبيرِ ذلٌ لا اعتزازَ له وفي التواضعِ عزٌ غير مدفوع ٤

وقال :

١ سقط البيتان من ق .

٢ ق ص : كصدر .

٣ ق : عنه .

٤ ق : مرفوع .

إياك لا تنكرُ فضيلةَ كلِّ من تدري فضيلته فترمي بالحسدُ
إنكارها يحني عليك تنقُصاً ويزيده شرفاً يديمُ لك الكمدُ
وقال :

انصر أخاك ما استطعتَ فإنما تعترُّ بالإخوانِ ما عزُّوا
من يخذلِ الإخوانَ يخذلُ نفسه ويهنُّ وما لهوانه عزُّ
وقال :

إذا جزاك بسوءٍ منْ أسأتَ له فذاك عدلٌ وما في العدلِ من زللِ
جزاءٍ سيئةٍ بالنصرِ سيئةٌ لا حيفَ في ذاك في قولٍ ولا عملِ
وقال :

نفسٌ وشيطانٌ ودنيا والهوى ياربُّ سلِّم من شرورِ الأربعة
أنت المخلصُ منْ رجاك وإنِّي أرجوك فيما أتقي أن تدفعه
وقال :

لا تعظَّمْ يا أخي نفد سك إن شئتَ السلامة
من يعظَّمْ نفسه يَجْ نِ امتهاناً وملازمة
فتواضعُ تلقَ عزّاً واحتفاءً وكرامة

وقال :

دعْ لذةَ الدنيا فمن يُبتلى بجها ذاقَ عذابَ السمومِ
لذاتها حلمٌ ، وأيامها ملحٌ ، ولكنْ كَم لها من همومِ
حبةُ الدنيا هلاكٌ ، فمن يرومها أهلكه ما يرومُ

وقال :

كلُّ خلٍّ يعدُّ ما أنت تُخطي لا تعول على صفاء وداده
إنما الخلُّ من تناسى خطايا لك ويبقى له جميلُ اعتقاده

وقال :

من عاملَ الناسَ بالإنصافِ شاركهم في ما لهم وأحبَّوه بلا سببٍ
إنصافك الناسَ عدلٌ لا تزال به تعلو إلى أن تُرى في أرفع الرتبِ

وقال :

قلُّ جميلاً إن تكلمتَ ولا تقل الشرَّ فعقبى الشرُّ شرَّ
من يقلُّ خيراً ينل خيراً ، ومن يقلُّ الشرَّ إذا يخشى الضررُ

وقال :

إذا التأمتُ أمورك بعضَ شيءٍ بأرضك فاستقم فيها ولازمُ
فما في غربةِ الإنسانِ خيرٌ وما بالغربةِ الدنيا تلايمُ

وقال :

إلى متى تسرح مُرغى العنانِ قل يا أخي حتى متى ذا الحرانِ
ارجعْ إلى الله وخلِّ الهوى فما الهوى يا صاحٍ إلا هوانِ
قد أُنذر الشيبُ فهل سامعٌ أنت فمُصنِّعٍ للذي قد أبان ؟

وقال :

من يكفرِ النعمةَ لا بدَّ أن يُسلبَها من حيثُ لا يشعرُ
ومن يكنُّ يشكرها معلناً دامتْ له ناميةٌ تكثرُ

وقال :

اعذرْ أخا الفقر في أن يضيق ذرعاً بنفسه
الفقر موتٌ ، ولكن من للفقير بـرمسه ؟
إنَّ الفقيرَ لميتٌ ما بين أبناء جنسه

وقال :

كما تدينُ أنت يا صاحبي تدان فاعمل عملَ الفاضلِ
أنت كما أنت فخلُ الذي تُزينُ النفسُ من الباطلِ
وَأين أنتَ ثمَّ أنتَ أدِرِ ذا حَسْبُكَ فاحذرْ زللَ العاقلِ

وقال :

مالكَ ما أنفقتهُ قربةٌ لله ، والباقي حسابٌ عليك
فقدَّمِ المالَ تَرِدُ آمناً من بعده وهو ثوابٌ لديك

وقال :

دَعْ مدحَ نفسك إن أردتَ زكاءها فبمدحِ نفسك من مقامك تَسْقُطُ
ما أنتَ تخفضُها يزيد علاؤها والعكس ، فانظر أيما لك أحوطُ

وقال :

ذو النقصِ يَصْحَبُ مثلهُ فالشكلُ يألفُ شكَّلهُ
فاصحَبْ أخا الفضلِ كيما تفقو بفعلِكَ فعله
أما ترى المسكَ دأباً يُكسبُ طيباً محلهُ

وقال :

من عيشي المرءُ يبلو ما يكتُمهُ حتى يكونَ الذي يرعاه يفهمهُ

ما يضمرُ المرءُ بينو من شمائلِهِ
لناظرٍ فيه يهديهِ توسُّمُهُ
وقال :

إنَّما الدنيا خيالٌ وأمانيتها خيالٌ
حبها سكرٌ ، ولكن وصلها ما إن يُنالُ
فتترَّه عن هواها فتَهوى الدنيا ضلالُ

وقال :

قلما يؤذيك من لا يعرفك
لا تنق بالودِّ مبدئ تصطفي
فتحفظ من صديق يالفك
كم صديق تصطفيه يتلفك
وقال :

لا تضجَّرن في الأمورِ وارض بما
ما قدر الله لا مردَّ له
يقضي به الله فهو مكتتب
فما يفيدُ العناء والتعب
وقال :

تنزه عن دنياتِ الأمورِ وخذ بالحزم في الأمرِ الخطيرِ
فأشرافُ الأمورِ لها جمالٌ وتخطُّرٌ في البهاء وفي الظهورِ
وفي سفسافها لا شكَّ وهمٌّ وتمهينٌ يشينُ مدى الدهورِ
وقال :

من يُبتلى من أجله بمنغصٍ
من أزمئت بالوجه منه قرحةٌ
يصبر ، فما أخذ بغير منغصٍ
يعزم على ضررٍ يشينُ مخصصٍ
وقال :

من كان في عزته داره وكرر المشي إلى داره

قَبْلُ يَدًا تَعْجُزُ عَنْ قَطْعِهَا وَلَيْنَ لِمَنْ تَخْشَى مِنْ أَضْرَارِهِ
وقال :

لَا تَبْتَغِ النِّعْمَةَ مِنْ جَائِعٍ لَمْ يَرَهَا قَبْلُ لَأَبَائِهِ
لَا يَرْشَحُ الْإِنَاءَ مَا لَمْ يَكُنْ
وقال :

مَرْوَةٌ الْمَرْءُ رَأْسُ مَالِهِ وَصُونُهُ أَشْرَفُ اعْتِمَالِهِ
مَنْ لَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ تَرَدَّى وَزَالَ عَنْ رَتْبِهِ اكْتِمَالِهِ
وقال :

تَرَكَ الْمَطَامِعَ عِزَّةً وَالْيَأْسُ أَهْنًا وَأَنْزَلَهُ
هَيْهَاتَ يَعْتَرُّ مُشْرِئُ أَصْحَى لِلْأَطْمَاعِ نَهْزَةً
نِزَاهَةً النَّفْسِ عِزٌّ مَا ذَلَّ مِنْ يَسْتَرَهُ

وقال :

تَعْظِيمُكَ النَّاسَ تَعْظِيمٌ لِنَفْسِكَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ طُورًا وَالْأُودِيَّةِ
مَنْ يُعْظِمُ النَّاسَ يَعْظُمُ فِي النُّفُوسِ بِلَا مَسْئُونَةٍ وَيَنْتَلِ عِزُّ الْأَعْزَاءِ
وقال :

اقْنَعْ مِنَ النَّاسِ بِمَقْدَارِ مَا يَعْطُونَ لَا تَبْتَغِ مِنْهُمْ مَزِيدَ
حَسْبِكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ وَقَدَّرْ مَا يَعْطِيكَ فَلَا طِمَاعُ مَا إِنْ تَقِيدَ
وقال :

لَيْنَ إِذَا كَانَتِ الْأُمُورُ صَعَابًا وَتَوَاضَعَتْ لَهَا تَجِدُهَا قَرَابًا

دارٍ من شئتَ تتنفعُ منه واتركُ
لا تكنْ تأخذُ الأمورَ بعُنفٍ
صولةَ الكبرِ فتهنيَ تنجيَ عذابا
من يعاني الأمورَ بالعنفِ خابا
وقال :

سامحِ الناسَ إن أسأؤوا إليكَا
ما ترى كيف أنتَ تعصي ومولا
وتغافلُ إذا تجنَّوا عليكَا
ك يزدُ الإنعامَ دأباً لديكَا
وقال :

اغتم ساعسة الأُنسِ
ليس للمرءِ من الدُّر
وانسَ ما كان بالامسِ
يا سوى راحة نفسِ
من يكن حِلْفَ همومِ
باعَ دنياه ببخسِ

وقال :

حُبُّكَ الشيءَ يُغَطِّي قبحه
لا يرى المحبوب إلا حسناً
فتراه حسناً في كلِّ حالٍ
كان قبحٌ فيه مع ذا أو جمالٍ
حُتِّمَ الحب على ذي الحب أن
لا يرى المحبوب إلا في كمالٍ

وقال :

يحسبُ الناقصُ أنَّ الناسَ قد
لا يرى الناقصُ إلا أنه
غَطَّ المرءُ يغطِّي عقله
غَفَلُوا عن حاله في ضَعْفِهِ
كاملٌ من نعته في صِفَتِهِ
أن يرى النقصَ الذي في جهته

وقال :

١ ق : غم .
٢ ق : وجهته .

أَيَّامُ عَمْرِكَ هَـذِي سَاعَاتُهَا رَأْسُ مَالِكَ
فَاحْرَصْ عَلَى الْخَيْرِ فِيهَا قَبْلَ أَوَانِ ارْتِمَالِكَ
فَلَا تَمَّا أَنْتَ طَيْفٌ تَجْتَابُ سُبُلَ الْمَهَالِكِ

وقال :

تَجِدُ النَّاسَ عَلَى النِّقْصِ وَلَا تَجِدُ الْكَامِلَ إِلَّا مَنْ وَمَنْ
زَمَنُ الْبَاطِلِ وَافِيَ أَهْلُهُ وَكَذَاكَ النَّاسُ أَشْبَاهُ الزَّمَنِ

وقال :

قُلْ جَمِيلًا إِذَا أَرَدْتَ الْكَلَامَا تَجَنَّبْ عِزًّا مُهِنًا مُسْتَدَامَا
إِنَّ قَوْلَ الْقَبِيحِ يورثُ بَغْضًا وَصَغَارًا عِنْدَ الْوَرَى وَمَلَامَا

وقال :

حَسَنَ الظَّنِّ تَعَشُّ فِي غِبْطَةٍ إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ مِنْ أَوْقَى الْجُنُنِ^١
مَنْ يظنُّ السَّوْءَ يُجْزَى مِثْلَهُ قَلَمًا يُجْزَى قَبِيحٌ بِحَسَنِ

وقال :

إِنْ تَبَغَّرَ إِخْوَانُ الصِّفَاءِ فَهَمْ تَحْتَ التَّرَابِ انْتَقَلَوْا لِلْقُبُورِ
إِخْوَانُكَ الْيَوْمَ كَأَزْمَانِهِمْ مُشْتَبِهُونَ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ

وقال :

وَمُسْتَقْبَحٌ مِنْ أَخٍ خَلَّةٌ وَفِيهِ مَعَايِبٌ تُسْتَرْدَلُ
كَأَعْمَى يَمَافُ عَلَى أَعُورٍ عَثَارًا وَعَنْ نَفْسِهِ يَغْفَلُ

١ في المطبوعة : أقوى الفطن .

وقال :

من يبتغِ الودَّ من الناسِ يكنْ لما قالوه بالناسِ
أغضِ عن الناسِ تنلْ ودَّهمْ إنك لا تغني عن الناسِ

وقال :

أعيت مع الناسِ الحيلَ وبار فيهمُ العملُ
في أيِّ وجهٍ أمَّلوا يخبِئُ منهمُ الأملُ
فآثِرِ العزلةَ عن هم تنجُ من كلِّ خللِ

وقال :

لا ترجُ غيرَ الله في شيءٍ تنلْ ما تبتغيه وتُكفِّ كلَّ تخوِّفِ
اللهُ أعظمُ من رجوتَ فتقْ به فهو الذي أعطى وأنجى من كُفِّي

وقال :

توسلْ إلى الله في كلِّ ما تحبُّ بمحبويه المصطفى
تنلْ ما تحبُّ كما تبتغي وحسبك جاهاً به وكفى

انتهى ما لخصت واخترت من الكتاب المذكور .

وهذه نبذة من كتابه^١ « الأبيات المهدبة في المعاني المقربة » فمن ذلك قوله :

اكنم السرَّ واجعلِ الصدرَ قَبْرَه لا تبَّحْ ما حييت منه بذَرَه
أنت ما لم تبَّحْ بسرِّك حرُّ فإذا بحتَ صرتَ عبداً بمره
من يُرد أن يعيشَ عيشاً هنيئاً يتحفظُ ممّا عسى أن يضرَه

١ ق : كتاب .

وقال :

عداوةُ العاقلِ معُ عسرها آمَنُ من صداقةِ الأحقِ
يمكنُ الأحقُّ من نفسه عمداً ومن أحبابه يتقي
لا يحفظُ الأحقُّ خلاً ولا يرضاهُ للصحةِ إلا شقي

وقال :

إذا أمنتَ في الدنيا اعتباراً رأيتَ سرورها رهنَ انتحابِ
بعادُ عن تدانٍ ، واقتارُ عن استغنا ، وشيبُ عن شبابِ
حياةُ كلِّها أضغاثُ حلمٍ وعيشُ ظلُّه مثلُ السرابِ

وقال :

من تراه يسرفُ في ماله يتلفُهُ في لذةٍ وانهماكُ
فذلك المغبونُ في رأيه يسلكُ بالنفسِ سبيلَ الهلاكِ

وقال :

من لا يرى نفسه في الناس قاصرةً عن الكمالاتِ لم يكمل له أدبُ
ومن يكنُ راضياً عن نفسه أبداً فذاك غيرُ عن الآدابِ محتجبُ
آدابُ الانسانِ تحقيقاً تواضعه وجريه دائماً على الذي يجبُ

وقال :

يحقُّ الحقُّ حتماً دون شكٍّ وإن كره المشكِّكُ والمليدُ
صریحُ الحقِّ قد يخفى ولكن بُعِيدَ خفائه لا شكَّ يبدو

وقال :

كلُّ ما قد فات لا ردَّ له فلتكنْ عن ذاك منصروفَ الطمعِ

أُبعِدُ الحسنُ من بعد الصبَا قَلَمَا أدبرَ شيءٌ فرجعُ

وقال :

اغنم غفلةَ الزمانِ وبادرُ لذةَ العيشِ ما بقيتَ سليماً
أمرُ هذي الحياةِ أيسرُ من أنْ تغتدي فيه لائماً أو مكلوماً

وقال :

لا تَغُرَّنْكَ صولةُ الجاهِ يوماً أو تظنَّ أنها تُمادى
صولةُ الجاهِ لفتحِ ناري ولكنْ كلُّ ناري لا بدَّ تُلْفَى رماداً

وقال :

تَنَحَّ عن الناسِ مهما استطعتَ ولا تَكُ في الناسِ بالراغبِ
من اعتمدَ الناسَ يَشْقَى ولا يُرى غيرَ مستقيدٍ عائبِ

وقال :

لا تقل يوماً أنا فتقاسي عنسا
من يعظمُ نفسه يلقَ هوناً وعنا
شرُّ ما يأتي الفتي مدحُه لو فطنا

وقال :

الناسُ إخوانُ ذي الدنيا وإن قبحتْ أفعاله ، وغسدا لا يعرفُ الدينا
يُعْظَمونَ أخوا الدنيا وإن عثرتْ يوماً به أولَّغُوا فيه السكاكينَا

وقال :

العدلُ روحٌ به تحيا البلادُ كما هلاكها أبداً بال جورٍ ينحتمُ

الجورُ شَيْنٌ بهِ التعميرُ منقطعٌ والعدلُ زينٌ بهِ التمهيدُ ينتظمُ
يا قاتِلَ اللهَ أهلَ الجورِ كم خربتُ بهم بلادٌ وكم بادتُ بهم أُممُ

وقال :

اليأسُ أسلى وأغنى من نيلٍ ما يُتمنى
يسلو أخو اليأسِ حتى يهنأ ولا يتعنى
لليأسِ بردٌ فمن لم يذقه لم يتهنأ

وقال :

إذا عظمتُ نفسُ امرئٍ صارَ قدرُهُ حقيراً ، وحيثُ احتلَّ فالذلُّ صاحِبُهُ
يسودُ ويعلو ذُو التواضعِ دائماً ويحظى كما يرضى وتُقضى مآربُهُ

وقال :

وُدُّ من يصطفيك للنفعِ زورُ والجميلُ الذي يريك غرورُ
إنما الودُّ وُدٌّ من ليس يخشى فيك ممّن يلومُ أو من يَضيرُ

وقال :

اشكرْ لمن والاك معروفاً تكن بفضلِ النفسِ معروفاً
شكرُ أخي المنّةِ عدلٌ فكُن بالعدلِ مهما اسطعتَ موصوفاً
من يكفرِ الإحسانَ لا بدّ أن يُلْفَى عن الإحسانِ مصروفاً

وقال :

حَسَبُ الإنسانِ مالهُ وهو في الدنيا كمالُهُ
يُضجرُ الفقرُ أخا الحلَا ثم وإن طالَ احتمالُهُ
عزةُ المرءِ غناهُ وبه تحسنُ حالُهُ

وقال :

لا تصاحبُ أبداً مَنْ
إنَّ نقصَ العقلِ دائِماً
عقله غيرُ متينٍ
يُتَّقَى مثلَ الجنونِ
صحبةُ الأحمقِ عارٌ
لاحقٌ في كلِّ حينٍ

وقال ١ :

وافقَ الناسَ إن أردتَ السلامه
من يوافقُ يعيشُ هنيئاً قريراً
إنَّ روحَ الوفاقِ روحُ كرامةٍ
فتوقُّ الخلفَ واحذرْ أذاه
آمناً من أذيةٍ ومسلامه
فركوبُ الخلفِ عمداً ندامه

وقال :

ظلماتُ الخطوبِ مهما ادهمتْ
أريحِ النفسَ لا تبْتَ حلفَهم
يجلِّها كالصباحِ فجَرُّ انفراجِ
كم همومٍ فيها السرورُ يفاجي

وقال :

من لم يكنْ يقصدُ أن يُحمداً
من يبتغي المدحَ لا بدَّ أن
يعيشُ هنيئاً وينلُ أسعداً
يلحقه الذلُّ وأن يجهداً
عيشُ الفتي في تركِ تقيده
وموته البحثُ إذا قيَّداً

وقال :

قلْ لأهلِ الحاجاتِ مهما ابتغَوْها
إن تريدوا الحاجاتِ من غيرِ بطءٍ
حسبكم ما أتى من التنبيهِ
فاطلبوها عند الحسانِ الوجوهِ

١ سقطت هذه القطعة من ق .

وقال :

خذِ الأمورَ برفقٍ واتَّئِدْ أبدأً لِيَاكَ من عَجَلٍ يدعو إلى وَصَبِ
الرفقُ أحسنُ ما تؤتي الأمورَ به يصيبُ ذو الرفقِ أو ينجو من العطبِ
من يصحبُ الرفقَ يستكملُ مطالبه كما يشاءُ بلا أينِ ولا تعبِ

وقال :

من يبتغي السؤددَ لا بدَّ أن يرهقهُ الجهدُ فسلا يفجرِ
يصعبُ إدراكُ المعالي فمن يرمُ لحاقَ بعضها يصبرِ
لا يحصلُ السؤددُ هيناً ولا يظفرُ بالبغيه إلاَّ جري

وقال :

عاش في الناس من دَرَى قدر نفسه ثم دارى جميعَ أبناءِ جنسه
علمُ الإنسانِ قدره نُبلُ عقلِ وذكاؤه بينُ عن فضلِ حدسه

وقال :

عظَّم الناس تَنَلَّ تعظيمهم واجتنب تحقيرهم فهو الردى
من يَرَّ الناسَ بتحقيرِ يكن عندهم مؤذَى حقيراً أبداً
لا يفرئك إهمالُ امرئ ربما يؤذي الذبابُ الأسداء

وقال :

حبُّ الرياسةِ يا له من داء كم فيه من مِحَنٍ وطولِ عناء
طلَبُ الرياسةِ فتَّ أعضادَ الورى وأذاقَ طعمَ الذلِّ للكبراء
إن الرياسةَ دونَ مرتبةِ التُّقى فإذا اتَّقيتَ علوتَ كلَّ علاء

وقال :

لا تركزنن إلى بئسرت
ذهب الذين إذا ركة
لم يبق إلا شامت
إن شئت تأمن كل شر
ت لهم أمنت من الضرر
أو مسن يضر إذا قدر

وقال :

خل رأي الجهال ما اسطعت واتبع
لا تحذر عن مشورة في مهم
رأي أهل الصلاح نور يجل
رأي أهل الخلو والتجريب
فهي مما تنمي حياة القلوب
ظلمة الكرب في ليالي الخطوب

وقال :

لا يرتضي باللون إلا امرؤ
الموت خير من حياة الفنى
روح حياة المرء في عزه
مقصر ذو همة خاملة
مهتضاً ذا رتبة ساقلة
من ذل مات الميتة العاجلة

وقال :

استغن عن تشاء
من أمل الناس يشقى
فلن ظفرت بحر
فالله يغنيك عنه
وليس يقنع منه
فاحفظ عليه وصنه

وقال :

خذ من صديقك قدر ما يعطيك
من يبيع مقدار الذي يحتاجه
شأن الألى رزقوا الحجي أن يقنموا
لا تبغ أزيد واحذر أن ينفوك
من أخيه يبق غيباً متروكا
فابغ القناعة إنها تغنيك

وقال :

هُنْ إِذَا عَزَّ أُوخُوكَا وَاخْشَ أَنْ يَقْرَضَ فَيْكَا
إِنَّ مِنْ عَانِدٍ أَقْوَى مِنْهُ قَدْ ضَلَّ سُلُوكَا
نَقْصُ عَقْلٍ أَنْ تَعَادِي بَشَرًا لَا يَتَّقِيكََا

وقال :

تَنْزَهُ مَا حَيَّيْتَ عَنِ الْقَسِيحِ وَخَالَفَ مَنْ يَرَى رَدَّ النَّصِيحِ
وَجَلَدٌ بِالْحَزْمِ مَهْمَا اسْطَعْتَ وَاحْذَرُ مَنْ أَنْ يُلْقِيكَ حَزْمُكَ فِي فَضُوحِ
فَلَا تَعْدِلْ عَنِ الْحَقِّ التَّفَاتَا لَغَيْرِ الْحَقِّ مَنْ بَعْدَ الْوَضُوحِ

وقال :

لَا تَخَفْ فِي الْحَقِّ لَوْ مَا صِدْقُهُ يُنْجِيكَ حَتْمَا
يُنْجِي الْحَقُّ وَيَبْدُو نَوْرُهُ لَا يَتَعَمَّى
شَأْنُ ذِي الْحَقِّ اهْتِدَاءُ وَأَخُو الْبَاطِلِ أَعْمَى

وقال :

عَامِلٌ بِجَدِّ جَمِيعِ النَّاسِ تَحْظَ بِهِ وَجَنَّبَ الْهَزْلَ إِنَّ الْهَزْلَ يُرْدِيكََا
الْجَدُّ أَحْسَنُ مَا تَبْدِيهِ مِنْ خُلُقٍ وَالْجَدُّ أَشْرَفُ مَا فِي النَّاسِ يُعْلِيكََا
مِنْ لَازِمِ الْجَدِّ هَابَتِهُ النُّفُوسُ وَمِنْ يَهْزِلُ يَكُنْ أَبْدَاً فِي النَّاسِ مَهْتُوكَا

وقال :

كَفَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ اصْطَفَيْتَا وَضُرًّا مِنْ اعْتَمَدْتَ وَمَنْ عَرَفْتَا
جَمِيعُ النَّاسِ مَوْتَى عَنْكَ إِلَّا مَعَارِفَكَ الَّذِينَ لَهُمْ رَكْنَتَا
تَحَقَّقْ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ صَدِيقٍ وَكُنْ فِي الْغَيْرِ دَهْرًا كَيْفَ شِئْتَا

وقال :

من كان يرغبُ عن أحبائه ويرى تقريبَ أعدائه لا شكَّ يُهْتَزَمُ
يُدْنِي العدوَّ فلا تدنو مودته هيهات كلُّ مُعَاذٍ قَرِيبُهُ نَدَمُ
فاحفظْ صديقك واحذرْ أن تعاديه إنَّ الصديقَ إذا عاديته يَصِمُ

وقال :

جاملٌ عدوكَ كي يَلِيَنَّ حَقْدَهُ فيكفُّ بعضَ البعضِ من إيذائكما
واحفظْ صديقك ما استطعت فإنه أدري بطُرُقِ الضرِّ من أعدائكما

وقال :

إذا ظفرتَ بمن أنحنى عليك فخذْ بالحلمِ فيه ودَعْ ما منه قد فرطاً
إنَّ المسيءَ إذا جازيتهُ أبداً بفعله زدته في غيِّهِ شططاً
العفوُ أحسنُ ما يُجْزَى المسيءُ به يهينه أو يريه أنه سَقَطاً

وقال :

قاتلْ عدوكَ بالفضائلِ إنَّها أعدى عليه من السهامِ النُفْدِ
كسبُ الفضائلِ عِدَّةٌ تُعليك في رُتَبٍ بها سُبُلُ السعادةِ تحتدي
فاحرصْ على نيلِ الفضائلِ جاهداً إنَّ الفضيلةَ صعبةٌ في المأخذِ

وقال :

وَعْدُ الكَرِيمِ وفاءٌ تجنيه كيف تشاء
ما حالَ قَطْ كَرِيمٌ ولا ثناء التواء
فأنجزِ الوعدَ مهما وعدتَ فهو الزكاء

وقال :

ليس الغنى عن كثرة الغرّص
رأسُ الغنى تركُ المطامع عن
فازهدْ تعشْ أغنى البرية في
إنّ الغنى في النفس إن تُرّص
زهدي بلا ميل ولا غرّص
عزّ بلا هم ولا مضّص

وقال :

زمنُ الفضائل قد مضى لسبيله
ركدتُ رياحُ الجدد بعد هبوبها
هيهات ما زمنُ الكرام وما هم
ولوى بطيب العيش وشكُ رحيله
وعلا فريقُ المزل بعد خموله
ذهبوا وجدّ الدهرُ في تحويله

وقال :

مروءةُ المرء ثوبه
بثوبه المرء يعلو
من لم يعنْ ثوبه لم
والعري في الناس عيبه
قدرأ ويحفظُ قربه
يُصنْ وإن لاح شيبه

وقال :

لا تمنعْ ما بقيتَ حيّاً لقول
واطرحْ ما أتاك منه وجنبْ
ليس يجني عليك إلا المضرّة
من يرى بالفضول واتقِ ضرّة

وقال :

ثقلُ تراهُ النفسُ في الغين كالقذى
تثيرُ غمومَ المرء رؤيةً وجهه
وكالجليل الراسي على الصدر والقلب
وتشكو جفاه الأرض شكوى ذوي الكرب

وقال :

أما ترى الأشجار مصفرة
أوراقها كالشمس عند المغيب

ما هي إلا صبرة آذنت بأنها ترحل عما قريب

وقال :

كلُّ ما تحبُّ وتشتهي	ودع الطيب وما يرى
حفظُ الغذاء مشقة	ليست تردُّ مقدراً
كم عدُّ من متحفِّظ	كم صَحَّ ممن قصَّراً
كلُّ التحفِّظ زائدٌ	لا بدَّ ممَّا قدَّراً

وقال :

من كان يأكلُ ما اشتهى	ويرى مخالفةَ الطيبِ
سيرتى مضرةٌ ما أتى	بطراً ويندم عن قريبِ
إنَّ التحفِّظَ في الأمورِ	رَ لشيمةُ الفطنِ اللبيبِ
من لم يكن متحفِّظاً	ينحطُّ ويعدُّ أن يُصيبِ

وقال :

وللحمائم حاءات إذا ما	ظفرت بها عثرت على النعيمِ
فحناء وحكاك مجيدٌ	وقل حَجَرٌ يمرُّ على الأديمِ
وحوضٌ مفعمٌ ماءً للذيأ	وحجَّامٌ على النهجِ القويمِ
وللحلق الحليدة حين تنمى	وأطيبها حديثٌ أخيرِ كريمِ

وقال في الغزل ، وهي آخر كتابه المذكور :

الله أكبرُ جَلَّتْ فتنةُ البشرِ	بنورِ غُرَّتِكَ المُغْنِي عن البصرِ
شمسٌ تطلُّعُ في أفقِ الجمالِ لها	نورٌ نالَتْ في داجٍ من الشَّعرِ
ووردةُ الخلدِ في أبرادٍ سَوَّسَها	شقائقُ زانها التَّغْلِيْفُ بالدرِ

ومسكةُ الحال فوق الخلدِ شاهدةٌ بأنَّ إبداعها إحكامٌ مقتدر
وهذه نبذة من كتابه «أنداء الدِّيم في المواعظ والوصايا والحكم» وكل
ما فيه كالذي قبله من نظمه رحمه الله تعالى ، فمن ذلك قوله رحمه الله :

العلمُ نورٌ وهدى فكنْ بجديّ طالبةً
واحرصْ عليه واعتمدْ فيه الأمورَ الواجبةً
مَنْ لازمَ العلمَ علا على الأنامِ قاطبةً

وقال :

خالِفِ النفسَ عندَ قصدِ هواها تَبَقْ ما عِشْتَ سالماً من أذاها
فاتَّبِعْ الهوى هَوَّانٌ وَلَكِنْ هانَ للنفسِ كي تنالَ مُناها

وقال :

من يخالفُ في شيءٍ الناسَ يَرْجِعْ هَدَفاً للسَّهامِ من كلِّ راشِقٍ
كنْ معَ الناسِ كيفَ كانوا، ووافقْ إنَّ من لا يوافقُ الناسَ ماتقٍ

وقال :

أرحِ النفسَ تَنفَعْ بِحَيَاتِكَ واغْنِ العيشَ قبلَ يومِ وفاتِكَ
واطرح عيبَ مَنْ سواكَ ، وسالمْ جملةَ الناسِ يغفلوا عن أذاتِكَ
واعتبرْ بالذين بادوا ، وبادرْ ما يدانيك من سبيلِ نجاتِكَ

وقال :

سالمِ الناسَ ما استطعتَ ، وجاملْ مَنْ يعاديكَ إن أردتَ السلامةَ
وتترَّعْ عن القبيحِ وجَنِّبْ من يرى بالفضولِ واحذرْ كلامه

وقال :

صديقي أنتَ ما أبقي بخيرٍ وموتي غيرُ محتاجٍ إليك
فلن أحتجُ إليك فأنتَ مني بريءٌ لا صداقةَ لي عليك

وقال :

من أنتَ عنه غنيٌ كن فيه مثلَ اعتقاده
فلن يكن منه ودٌ فجازه بوداده
ولن يكن منه بُعدٌ فخله لبعاده

وقال :

عليك بنفسك لا تشتغلُ بشيءٍ سواها وخلُ الفضولُ
تعش رائحَ القلبِ في غبطةٍ فلا من يضرُّ ولا من يقولُ

وقال :

اترك الفكرَ في الأمورِ ودعها فكما قُدِّرَتْ تكونُ الأمورُ
كلُّ فكرٍ وكلُّ رأيٍ وحزمٍ غيرُ مُجدٍ إذا جرى المقدورُ

وقال :

هونٌ عليك خطوبَ الدهرِ إن لها نهايةً والتناهي عنده الفرجُ
واصبرُ فإنَّ لحسنِ الصبرِ عاقبةً بصبحها ظلمةُ المكروبِ تنبُجُ

وقال :

احذرِ البخلَ إنه شرُّ خلقٍ يُتَحلى به وشرُّ طريقَةٍ
من يجدُ غيرَ مُسْرِفٍ فهو في النَّاسِ مَوْقَى تُثَقِّي عليه الخليفةُ

وقال :

الذلُّ في طلبِ الإفادةِ عِزَّةٌ فاحرصْ على نيلِ الإفادةِ ترشُّدٌ
إنَّ التمزَّزَ في الذي تحتاجه كبيرٌ ، وكبرُ المرءِ أقبحُ مقصدٍ

وقال :

دعْ من عرفتَ ولا تشددْ عليه بدأ ودارهٍ وتحفظْ منه ما بقيا
أما ترى البلدَ الذي نشأتَ به محقرًا كلَّما أصبحتَ معتليا
وغیره من بلادِ الله قاطبةً يعليك ، لا سيما إن كنتَ متقيا

وقال :

يتنبَّهي للذي تحلِّي بعقلٍ أن يَرى كالبازيْ مدةَ عُمره
بينَ أيدي الملوكِ أو في فلاةٍ خيفةً من شرورِ أبناءِ دهره

وقال :

العزلُ يفضحكُ ذلُّه من تبهٍ سلطانِ الولاية
فلإذا وليتَ فسرْ على نهجِ الدماثةِ والرعاية
واقصدْ مداراةَ الوری واحذرْ كيُودَ ذوي السعاية

وقال :

لا تقبلِ الحكمَ على بلدةٍ نشأتَ فيها ، إنه يُحقِّدُ
رياسةُ المرءِ على الأهلِ والـ جيرانِ والخلانِ لا تُحمِّدُ

وقال :

هي الدنيا إذا فكَّرتَ فيها رأيتَ نعيمها سُمَّاً نقيعا

فلا تحفلُ بها واحلُرْ أذاها فإنَّ لسمُها قتلاً ذريعاً
ولا تأسفْ على ما فات منها وبادرْ في حياتك أن تطيعا

وقال :

كنْ وحيداً ما عشتَ تحيا بخيرِ سالماً من شرورِ كل البريةِ
إنَّ من لا يخالطُ الناسَ يبقى دهره لا تعسروهُ منهم أذيةِ

وقال :

لا تبُحْ ما حيتَ يوماً بسرِّ لصديقٍ ولا لغيرِ صديقِ
إنَّ سرّاً يماوِزُ الصلرَ فاشِ يدَّريه العدا ومن في الطريقِ

وقال :

لا تصاحبْ ما عشتَ إلا الكبارا تشمِ ذكراً وتعتلي مقسدارا
إنَّ مَنْ ماشى في طريقِ حقيرٍ يكتسي منه مهنةً واحتقارا
فتحفظْ من أن تؤاخي دنيئاً فهو يعديك ذلَّةً وصغارا

وقال :

محدثاتُ الأمورِ أَردى الشرورِ فتحفظْ من محدثاتِ الأمورِ
إنَّما المحدثاتُ غيٌّ فدعها واجتهدْ أن تُرى مع الجمهورِ
كلُّ من يتبعِ الحوادثَ يشقى ويرى نفسه بغيرِ نظيرِ

وقال :

من تفضلتَ عليه أنتَ لا شكَّ أميرُهُ
ومن اجتجتَ إليه أنتَ بالرغمِ أسيرُهُ
ومن استغنيتَ عنه أنتَ في الدنياءِ نظيرُهُ

وقال :

لم يبقَ من يُطمعُ في ودّه
الناسُ أشباهُ ذئابٍ فهل
من يبتغي اليومَ صديقاً كما
كلاّ ولا من تُرتضى صُحبتهُ
يُعلّمُ ذئبٌ حسنتُ عشرتهُ
يرضى فقد زلّتْ به بغيتهُ

وقال :

فاعلُ الخيرِ مُوقى كلِّ ما
ليس يخشى فاعلُ الخيرِ أذى
بقي من ضرٍّ أو من فتنةٍ
إنَّ فعلَ الخيرِ أوقى جنةٍ

وقال :

تحفظُ من صديقك في أمورٍ
من اعتمد الصديقَ ولم يبالِ
فربّما يضُرُّ بك الصديقُ
يُصيبُهُ الضرُّ وهو به خَلِيقُ

وقال :

لا تركنْ لمخلوقٍ وكنْ أبداً
ولا تملْ لسواه ما حييتَ فمَنْ
ممنْ توكلَّ في الدُّنيا على اللهِ
يرجو سوى الله هاورَ حبلُهُ واهي

وقال :

طلبُ الغايةِ اتِّباعُ غوايهُ
من يكنْ راضياً بما يتسنى
فاعتمد في الأمورِ تركَ النهايةِ
عاشَ عيشَ الملوكِ دونَ أذايهِ

وقال :

لا تعتمدْ أبداً على مخلوقٍ آن
تبغِ النجاحَ وتقصدِ الرشدَ

ق : النجاة .

من يرجُ غيرَ الله يُحرَمُ رُشدَه ويذلَّ وهو غيَّبٌ قصدا
وقال :

سفرُ المرءِ قطعةٌ من عذابه فيه تخليقٌ جسمه وثيابه
إنما العيشُ للفتى بين أهليه ٥ وخلاّته وفي أحبابه
مَنْ يُرِدْهُ يُخيِّرِ اللهُ يُكْفِي ١ كَرَبَ تَجَوَّاله وذلَّ اغترابه
وقال :

سَلِّمْ ولا تعترض يوماً على أحدٍ إن شئتَ تسلِّمْ من حقدٍ وأضرارٍ
من يعترضُ يعترضُ لا شكَّ وهو حرٌّ بذاك فالشرُّ مقدارٌ بمقدارٍ
وقال :

إنَّ الصديقَ لَعَوْنٌ في كلِّ ما تبتغيه
فلا تسيءْ لصديقٍ واحذرْ وقوعك فيه
فالمرءُ قِيلَ كثيرٌ بنفسه وأخيه
وقال :

افعلِ الخيرَ ما استطعتَ تنلْ ما تبتغيه من الثناء الجميلِ
فاعلِ الخيرِ آمِنٌ ليس يخشى صرفَ دهرٍ ولا حلولَ جليلِ
وقال ٢ :

يحقُّ الحقُّ حتماً دون شكٍّ وإن كرهَ المشكِّكُ والمليدُ

١ هذه رواية ص ؛ وفي ق : يكفيه .
٢ سقط البيتان من ق ، لأنهما وردا ص : ٥٧٨ .

صريحُ الحقِّ قد يخفى ، ولكنْ بُعيدُ خفائِهِ لا شكَّ يبدو

وقال :

إن شئتَ عزّاً دائماً فاسلك سبيل من اقتنع
إنَّ القناعةَ عزّةٌ والذلُّ عاقبةُ الطمعِ
المرء إن قنعَ اعلى قدراً وإن طمعَ اتضع

وقال :

استعنْ في الأمورِ بالكتمانِ وتحفظْ من شرِّ كلِّ لسانِ
كلُّ ما لا يُدري منْ أمركَ فضلٌ ليسَ فيه شيءٌ منْ الحسرانِ

وقال :

منْ مالٍ عنك بشيرٌ ميلٌ أنت عنه بميلِ
فالله يغنيك عنه فمَنْهُ كلُّ جميلِ
فليسَ في الودِّ خيرٌ معْ تركِ حُسْنِ القبولِ

وقال :

لا تقطعنْ صديقاً وإن يضقْ بك صدرُ
واحرصْ عليه وزده إن يَجفُ برّاً وشكراً
فإنَّ قَطْعَ صديقٍ لا شكَّ يُعقِبُ ضرّاً

وقال :

خلْ التأتقَ في اللباسِ وسرَّ على نهجِ الأفاضلِ في اختصارِ الملبسِ
إنَّ التأتقَ في اللباسِ يُكثِّرُ الـ حُسَادَ والأعداءِ للملبسِ
فالبسْ كمثلِ الناسِ لا تخرجْ عن الـ معتادِ في شيءٍ فتخطي أو تُسي

وقال :

لا تحقرنَّ عدوًّا ولو يَكُونُ كذَرَّةً
واحتره ما اسطعتَ واجهدُ أن لا تحرك شرَّةً
إنَّ البعوضةَ تؤذي الـ مملوك فوق الأسيرة

وقال :

ما أهنأ الإنسانَ في عيشه ما بينَ أهليه وفي منزله
الذلُّ في الغربَةِ يا كَرَبها وكربَ مَنْ قُوَّضَ عن معقله
وفي اقتلوا أو اخرجوا شاهدُ ساوى خروجَ المرء مع مقتله

وقال :

المالُ يسترُ عيبَ المرءِ فاقتنه واحفظه تبقِ مَوْقِيَّ مَدَةِ الزمنِ
من ضيَّعَ المالَ أبدى عيبه وجنى تمهينه أبداً من كلِّ ممتهنِ

وقال :

سريرةُ المرءِ تُبديها شمائله حتى يرى الناسُ ما يخفيه إعلانا
فاجعل سريرتك التقوى ترى أملاً في كلِّ ما أنت تبغيه وبرهانا

وقال :

ما تَمَّتِ الدنيا لشخصٍ ولا أمَلَ ذا فيها سوى مَنْ فُتِنَ
عادتها الفتكُ بِمَنْ رامها وكلُّ من أعرضَ عنها أمينُ
فلا تغرنك بلذاتها فإنَّ من غرَّ بها قد غُبنُ

وقال :

لا يكن عندك الخديمُ نديماً إنَّ قدرَ الخديمِ دونَ النديمِ

من ينادمُ خديمه يتأذى ويصيرُ الخديمُ غيرَ خديمٍ
إنما يُصلِحُ الخديمَ ابتعادُ واشتغالُ بشأنه المعلومِ
وقال :

تثبتُ في الأمورِ ولا تبادرُ لشيءٍ دونَ ما نظيرَ وفكرِ
قبيحٌ أن تبادرَ ثم تُخطي وترجعَ للثبوتِ دون عذرِ
وقال :

كنُ في زمانك كيف يرضى أهله لا تعدُ طورهم ولا تبدلِ
فلذا ترى الحمقى تحامقُ معَهُمُ وإذا ترى العقلاء فلتعقلِ
من لم يكنُ أبداً كأهل زمانه يشقى ، ولا يحظى بنيلِ مؤملِ
وقال :

الفاضلُ اليومَ غريبٌ بلا عونٍ على شيءٍ من الحقِّ
إن غاب لم يحضرْ وإن قال لم يُسمعْ ولم يؤبه بما يُلقى
ما أضيعَ الفاضلُ يا ويحه كأنه ليسَ من الخلقِ
وقال وهو آخر « أنداء الديم » :

المرءُ عاقبةُ التقى والذلُّ عاقبةُ الرياسةِ
فلذا اتقيتَ علوتَ في أهلِ المجادة والنفاسةِ
ولذا رأستَ نزلتَ في طرقِ التخلقِ والسياسةِ
فلتخترِ التقوى ولا ترأسَ فتخطيك الكياسةِ

وكان تاريخ فراغه من كتاب « أنداء الديم » نصف شعبان عام واحد وثلاثين
وسبعمائة .

ولنذكر بعض أناشيده التي كان ينشدها أهل مجلسه ببلد قصبة المرية أعادها

الله تعالى ، فمما أنشده رحمه الله تعالى لأبي العباس أحمد بن العَرِيف صاحب
« محاسن المجالس »^١ :

من لَمْ يَشَاورَ عالِماً بِأُصُولِهِ فَيَقِينَهُ فِي الْمَشْكَلاتِ ظَنُونُ
من أَنْكَرَ الْأَشْيَاءَ دُونَ تَيْقِنِ وَتَثَبْتِ فَمَعَانِدُ مَفْتُونُ
الْكُلُّ تَذْكَارٌ لِمَنْ هُوَ عَالِمٌ وَصَوَابُهَا بِمَحَالِهَا مَعْجُونُ
وَالْفِكْرُ غَوَاصٌ عَلَيْهَا مَخْرَجُ وَالْحَقُّ فِيهَا لَوْ لَوْ مَكْنُونُ
وَأُنْشِدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَجَادَةٍ :

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يَأْسَ تَشِيخُوا قَبْلَ أَنْ يَشِيخُوا
أَحْذَرُ دَبُّوا وَانْحَنَوْا رِيَاءَ فَاحْذَرُهُمْ إِنَّهُمْ فَخْرُخُ
وَأُنْشِدَ لِنَفْسِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

أَقْلَلِ الْعَشْرَةَ تُغَيِّطُ إِنَّ مَنْ أَكْثَرَ يَنْحَطُ
وَعَلَيْكَ الصَّدَقَ وَاحْذَرُ أَنْ تُرَى فِي الْقَوْلِ تَشْتَطُ
وَالزَّمِ الصَّمْتَ إِذَا مَا خَفْتَ أَنْ تَلْحَى فَتَغْلُطُ
فَعَلَى الْفَاضِلِ يُلْفَى كُلُّ مَفْضُولٍ مُسَلَّطُ
وَأُنْشِدَ لِنَفْسِهِ أَيْضاً :

جُنَّةُ الْعَالِمِ « لَا أَدُ رِي » إِذَا مَا احتَاجَ جُنَّةُ
فَإِذَا مَا تَرَكَ الْجَنَّةَ بَانَ فِيهِ جُنَّةُ
فَالزَّمِ الْجَنَّةَ تَسْلَمُ إِنَّمَا الْجَنَّةُ جُنَّةُ
وَأُنْشِدَ لِلْحَلَّاجِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^٢ :

١ لم ترد في محاسن المجالس (ط . باريس ١٩٣٣) .

٢ ديوان الحلاج : ٦٢ .

يا بدرُ يا شمسُ يا نهارُ أنت لسا جنةُ ونارُ
تجنُّبُ الإثمِ فيك لثمٌ وخشيةُ العارِ فيك عارُ
يخلعُ فيك العِذارَ قومٌ فكيف منْ لا له عِذارُ
وأنشد ممّا يُنسبُ للحلاج أيضاً :

سقي في الحب عافيتي ووجودي في الهوى علمي
وعذابٌ ترتضون به في فمي أحلى من النعمِ
ما لضرٍّ في محبتكم عندنا والله من ألمِ
وأنشد لسدي أبي العباس ابن العريف في «محاسن المجالس» وهي أحسن
ما قيل في طول الليل^١ :

لست أدري أطل ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقلّى
لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعي النجوم كنت مُخلّا
إن للعاشقين عن قصيرِ اللي ل وعن طوله من الفكر شغلا

وأنشد رحمه الله تعالى ممّا أنشده بعض الوعاظ الغرباء :

عانقت لأمَ صُدغها صادٌ لثمي فأرتها المرأة في الخلد لصّا
فاسترابت لما رأت ثمّ قالت أكتاباً أرى ولم أرَ شخصا
قلتُ بالكشط ينمحي، قالت اكشطُ بالثنايا وتابعِ الكشط مصّا
ثمّ لما ذهب أكشط قالت كان لصّاً فصارَ والله فصّا
قلت إنَّ القصوصَ تطيعُ بالله م على خدّ كلّ منْ كان رخصّا
وأنشد لابن خفاجة :

١ انظر محاسن المجالس : ٨٩ وليست الأبيات لابن العريف .

وأغرَّ كاد لطافةً وطلاقةً ينسابُ ماءً بيننا مسكوبا
 قد قام في سطر الندامى فاستوى فحسبته ألفاً به مكتوبا
 وأكبَّ يشربها وتشرب ذمته فرأيتُ منه شارباً مشروبا
 مشمولةً بيننا تُرى في كفه ماء تُرى في خدّه ألhuba
 وأنشد لابن عبد ربه صاحب العقد ممّا نسب له الفتح في « مطمح الأنفس

ومسرح التأنس »^١ :

يا لؤلؤاً يسبي العقولَ أنيقا ورشاً بتقطعِ القلوبِ رفيقا
 ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله درأَ يعودُ من الحياءِ عقيقا
 وإذا نظرتَ إلى محاسن وجهه ألفيتَ وجهك في سناه عريقا
 يا من تقطّع خصره من رقّةٍ ما بالُ قلبك لا يكون رقيقا
 وأنشد لابن عبد ربه أيضاً :

ودعّنتي بزفرةٍ واعتناقٍ ثم قالتُ : متى يكونُ التلاقي ؟
 وتصدتُ فأشرق الصبحُ منها بينَ تلك الجيوبِ والأطواقِ
 يا سقيمَ الجفونِ من غيرِ سقمٍ بينَ عينيكَ مصرعُ العشاقِ
 إنَّ يومَ الفراقِ أفضحُ يومٍ ليتني متُّ قبلَ يومِ الفراقِ
 وأنشد له أيضاً :

هيجَ البينُ دواعي سقمي وكسا جسمي ثوبَ الألمِ
 أيها البينُ أقلني مرةً فإذا عُدتُ فقد حلَّ دمي
 يا خليّ الذرعِ نم في غبطةٍ إنَّ من فارقتَه لم ينمِ
 ولقد هاجَ لقلبي سقماً حبُّ من لو شاء داوى سقمي

١ أكثر هذه القطع أورده المقرئ في الأجزاء السابقة ، انظر ٣ : ٥٦٤ .

وأنشد للمُصَحَّفي^١ :

صفراء تطرق في الزجاج ، فإن سرتُ
عبثَ الزمانُ بجسمها فتسترتُ
خفيتُ على شُرَّابها فكأنَّما
في الجسم دبَّتْ مثلَ صِلٍّ لادغٍ
عن عينه برداء نور سابغٍ
يجدونَ ريتاً في إناء فارغٍ

وأنشد لابن شهيد^٢ :

هَبَّ مِنْ رَقْدَتِهِ مَنْكَرًا
يَمْسَحُ النِّعْسَةَ عَنْ عَيْنِي رَشًا
شَرِبْتُ أَعْطَاهُ خَمْرَ الصَّبَا
رَشًا بِلِ غَادَةٍ مَمْكُورَةٍ
أَحْتَتُ^٣ مِنْ عَضِي فِي نَهْدِهَا
فَأَنَا الْمَجْرُوحُ مِنْ عَضَتِهَا
مَسْبِلٌ لِلْكَمِّ مُرَخٌّ لِلرُّدَا
صَائِدٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَسَدَا
وَسَقَاهُ الْحَسَنُ حَتَّى عَرَبِدَا
عَمِمْتُ صَبْحًا بَلِيلَ أَسْوَدَا
ثُمَّ عَضْتُ حُرًّا وَجْهِيْ عَمْدَا
لَا شَفَايَ اللَّهُ مِنْهَا أَبَدَا

وأنشد لصفوان بن إدريس :

حَمَى الْهُوَى قَلْبَهُ وَأَوْقَدُ
وَقَالَ عَنْهُ الْعَدُولُ سَالُ
وَبِاللَّوَى شَادَنُ عَلَيْهِ
عَلَّهُ رَيْقُهُ بِخَمْرِ
لَا تَعْجَبُوا لِأَنْهَازِ طَرْفِي
أَنَا لَهُ كَالَّذِي تَمَسَّنِي
إِنْ بَسَمَلْتُ عَيْنَهُ لَقَتْلِي
فَهَوَّ عَلَى أَنْ يَمُوتَ أَوْ قَدْ
قَلَدَهُ اللَّهُ مَا تَقْلُدُ
جَيْدُ غَزَالٍ وَلِحْظُ فَرْقَدُ
حَتَّى انْتَشَى طَرْفُهُ فَعَرَبِدُ
فَجِيشُ أَجْفَانِهِ مُؤَيَّدُ
عَبْدٌ ، نَعَمَ ، عَبْدُهُ وَأَزِيدُ
صَلَّى فَوَادِي عَلَى مُحَمَّدُ

١ انظر ج ١ : ٥٩٤ ، ٦٠٤ . ٢ انظر ج ٣ : ٣٥٨ ، ٤٤٣ .

٣ في ق ص : أحجبت ؛ وآثرنا رواية الذخيرة ، وقد صوبناه في موضعه من قبل .

٤ ق ص : خلدي .

وأنشد لأبي علي إدريس بن اليماني :

عُلِّقَتْهُ شَادِنًا صَغِيرًا وَكُنْتُ لَا أَعَشُقُ الصَّغَارَا
يُسْفِرُ عَنْ مُسْتَتِيرِ وَجْهِ صَبَّرَ جَنَحَ الدَّجَى نَهَارَا
لَمْ أَرَ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ مَاءً أَضْرَمَ فِيهِ الْحَيَاءُ نَارَا

وأنشد للرمادي ، أو لابن بُرْدِ القرطبي ^١ :

لَمَّا بَدَا فِي لَازُور دِيَّ الْحَرِيرِ وَقَدْ بَهَّرَ
كَبَّرْتُ مِنْ فَرْطِ الْجَمَا لِي وَقَلْتُ : مَا هَذَا بِشَرِّ
فَأَجَابَنِي : لَا تُنْكِرُوا ثُوبَ السَّمَاءِ عَلَى الْقَمَرِ

وأنشده من وجادة :

يَا ذَا الَّذِي عَدَّابَ مَحْبُوبِهِ أَنْخَتَ عَيْسَ الْعَزِّ مَغْنَى الْمَوَانِ
لَمْ يَنْبِتِ الشَّعْرُ عَلَى خَدِّهِ بَلْ دَبَّ فِي أَصْدَاغِهِ عَقْرَبَانُ
رَفَقًا عَلَى نَفْسِكَ لَا تَفْنَاهَا فَجَوْهَرُ الْأَنْفَسِ دُرٌّ يُصَانُ

وأنشد من « حديقة » ابن يربوع :

غَزَا الْقُلُوبَ غَزَالٌ حَجَّتْ إِلَيْهِ الْعَيُونُ
خُطَّتْ بِخَدِّهِ نُونٌ وَآخِرُ الْحَسَنِ نُونٌ

وأنشد من وجادة :

أُودِعُ فَوَادِي حُرْقًا أَوْ نَعِ ذَاتَكَ تَوَذَى ، أَنْتَ فِي أَضْلَعِي
وَارِمِ سَهَامَ اللَّحْظِ أَوْ كُفَّهَا أَنْتَ بِمَا تَرْمِي مَصَابُ مَعِي
مَوْعِهَا قَلْبِي ، وَأَنْتَ الَّذِي مَسْكَنُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ

١ انظر ما تقدم به ٣ ص : ٥٤٦ .

وأنشد من «حديقة» ابن يربوع :

يخطُّ الشوقُ شخصَكَ في ضميري على بُعد التزاور خطَّ زورِ
وتدنيكَ الأمانِي من فؤادي دنوَّ البرقِ من لمح البصيرِ
فلا تذهبْ فإنَّكَ نورُ عيني إذا ما غبتَ لم تطرفْ بنورِ

وأنشد للوزير المصحفي :

لعينيك في قلبي عليَّ عيونُ وبين ضلوعي للشجونِ فنونُ
لئن كنت صَبّاً مخلقاً في يد الهوى فحبُّكَ غضُّ في الفؤادِ مصونُ
نصبي من الدنيا هواك ، وإنه عذابِي ، ولكنتي عليه ضنينُ

وأنشد لصالح بن شريف :

أيتها العاذل بالله اتندُ لك قلبٌ في ضلوعي أو كبدُ
هي أجفاني فذرْها تنهمي هي أحشائي فدعها تنقد
لا تظنَّ الحبَّ شيئاً هيئاً ليس في الحبِّ قياسٌ يطَّرد
أنت خلوْ وأنا صبٌّ شَجٍ فإذا حدثتَ عني قلْ وزد
فاتركِ اليومَ ملامي إنه يُترَكُ الشيء إذا ما لم يفد
أنا أسلو عن حبيبي ساعةً يا عدولي ، قل هو الله أحدُ

وأنشد له أيضاً :

وافي وقد زانه جمالُ فيه لعشاقه اعتذارُ
ثلاثةٌ ما لها شبيهُ : الوجهُ والحدُّ والعدارُ
فمَنْ رآه رأى رياضاً الوردُ والآسُ والبهارُ

وأنشد من «حديقة» ابن يربوع :

عليكَ بأكرامٍ وبيرٍ لستَ من الناسِ واحذرْ شرَّهم وتوقَّهْ

طبيبٌ وحجّامٌ* وشيخٌ وشاعرٌ وصاحبُ ديوانٍ ومن يتفقهُ
وأنشد لبعض الصوفية :

ما ترى عند أحقِّ في أمور توسُّطا
بل تراه في أمره مُفَرِّطاً أو مُفَرِّطاً

وأنشد لبعض الأدباء^١ :

الصبرُ أولى بوقارِ الفقي من قلقِ يهتك سِرَّ الوقارِ
من لازمَ الصبرِ على حالةٍ كانَ على أيامِهِ بالخيارِ

ولتقتصر من ترجمة ابن ليون على هذا القدر ، فقد حصلت الإطالة ، بل
ونكتفي من مشايخ لسان الدين بمن ذكرنا ، ولنورد ما في الإحاطة في ترجمة
مشيخته وإن تكرر مع ما تقدم ، ونصّه :

[ثبت عام بشيوخ لسان الدين]

المشيخة^٢ — قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب نسيج وحده في تحمل
المنزّلِ حق حملة تقوى وصلاحاً وخصوصية وإتقاناً ونعمة وعناية وحفظاً وتبحراً
في هذا الفن وإطلاعاً لغرائبه ، واستيعاباً لسقطات الأعلام الأستاذ الصالح أبي
عبد الله ابن عبد الولي العواد تكتيباً ثم حفظاً ثم تجويداً إلى مقرئات أبي عمرو رحمة
الله عليهما ، ثم نقلني إلى أستاذ الجماعة ومطية الفنون ، ومفيد الطلبة الشيخ الخطيب

١ هما لغنام المالقي ، انظر ٣ : ٣٩٨ ، ٤ : ٢٨ .

٢ الإحاطة ، الورقة : ٤٠٣ .

المتفنن أبي الحسن علي القيجاطي فقرأت عليه القرآن والعربية ، وهو أول من انتفعت به ، وقرأت على الخطيب الحسيب الصدر أبي القاسم ابن جزري رحمه الله تعالى . ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير ، والمعتمد عليه العربية ، على الشيخ الأستاذ الخطيب أبي عبد الله ابن الفخار البيري الإمام المجمع على إمامته في فن العربية المفتوح عليه من الله فيها حفظاً واطلاعاً ونقلًا وتوجيهاً بما لا مطمع فيه لسواه . وقرأت على قاضي الجماعة الصدر المتفنن أبي عبد الله ابن بكر رحمه الله . وتأدبت بالشيخ^١ الرئيس صاحب القلم الأعلى الصالح الفاضل أبي الحسن ابن الجياب ، ورويت عن الكثير ممن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الرواية ، كالمحدث أبي عبد الله ابن جابر ، وأخيه أبي جعفر ، والقاضي الشهير^٢ الشيخ بقية السلف شيخنا أبي البركات ابن الحاج ، والشيخ المحدث الصالح أبي محمد ابن سلمون . وأخيه القاضي أبي القاسم ابن سلمون ، وأبي عمرو ابن الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير . وله رواية عالية . والأستاذ اللغوي أبي عبد الله ابن بيش ، والمحدث الكاتب أبي الحسن التلمساني المسن . والحاج أبي انقاسم ابن المهني المالقي^٣ ، والعدل أبي محمد السعدي^٤ ، يحمل عن الإمام ابن دقيق العيد ، والقائد الكاتب ابن ذي الوزارتين أبي بكر ابن الحكيم والقاضي المحدث الأديب جملة الظرف أبي بكر ابن شبرين ، والشيخ أبي عبد الله ابن عبد الملك ، والخطيب أبي جعفر الطنجالي ، والقاضي أبي بكر ابن منظور ، والراوية أبي عبد الله ابن حزب الله ، كلهم من مالقة . والقاضي أبي عبد الله المقرئ التلمساني ، والشريف أبي علي حسن بن يوسف ، والخطيب الرئيس أبي عبد الله ابن مرزوق ، كلهم من تلمسان ، والمحدث الفاضل الحسيب أبي العباس ابن يربوع والرئيس أبي محمد الحضرمي

١ د . على الشيخ .

٢ ق : الشهيد .

٣ الإساطة : والشيخ الحاج أبي القاسم ابن البناي .

٤ الإحاطة : والعدل أبي محمد ابن النقري ؛ ص : التبعدي ، وغير واضحه في ق .

السبتين ، والشيخ المقرئ أبي محمد ابن أيوب المالقي آخر الرواة عن ابن أبي الأحموس ، وأبي عثمان ابن ليون من أهل المرية ، والقاضي أبي الحجاج المتشاقري من أهل رُنْدَة ، وطائفة كبيرة^١ من المعاصرين تحملاً وتدبجاً ومن أهل العدة الغربية والمشرق وإفريقية الكثير بالإجازة ، وأخذت الطب والتعاليم والمنطق ، وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا ابن هذيل ، ولازمته . هذا على سبيل الإلماع ، ولو تفرغت لذكر أفذاذهم^٢ لخرج هذا التأليف^٣ عما وُضع له ، انتهى كلامه في « الإحاطة » .

وقد ذكرت في هذا الباب زيادة في بعض التراجم على ما في « الإحاطة » على ما اقتضاه الحال ، إذ ذلك لا يخلو من فائدة زائدة ، وحكمة بالخير عائدة . ولو لم يكن في هذا الكتاب غير هذا الباب لكان كافياً ، لاشتماله على تصوف وحيكم وكرامات وآداب ووصايا وإنشادات وغيرها ، مما يغني عن خبره العيان ، ويشتاق إلى الوقوف عليه ذوو الملكة في البيان ، ولو لم يشتمل إلا على المدائح النبوية التي فيه لتمت محاسنه ، والله سبحانه وتعالى ينفع به ، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه .

انتهى المجلد الخامس

- ١ ق : كثيرة .
٢ الإحاطة : لذكرهم .
٣ الإحاطة : التقييد .

محتويات المجلد الخامس

القسم الثاني

في التعريف بلسان الدين . . .

الباب الأول

٧ — ٧٤

في أولية لسان الدين وذكر أسلافه

٧	أوليته نقلاً عن ابن الأحمر
٨	» » » ابن خلدون
٨	» » » غيرهما
٨	» » » لسان الدين نفسه من « الإحاطة »
١٢	مراث في والد لسان الدين
١٤	واقعة طريف
١٥	واقعة الربض
١٦	ترجمة والد لسان الدين
١٩	ترجمة أبي بكر ابن عاصم
٢٢	عود إلى والد لسان الدين
٢٢ — ٥١	قصائد نونية
٢٢	نونية عبد العزيز الفشتالي
٢٩	نونية أبي الفتح التونسي
٣٢	نونية لسان الدين ورسائله إلى أبي سالم
٤٠	نونية الفقيه عمر الزجال
٤٦	نونية ابن زمرك

٥١	تعريف بلوشة بلد لسان الدين .
٥١	ترجمة ابن مرج الكحل .
٥٥	رائية شمس الدين الكوفي المشبهة لرائية ابن مرج الكحل
٥٧	عود إلى ابن مرج الكحل
٥٨	رسالة صفوان إلى ابن مرج الكحل
٥٩	خطبة نكاح من إنشاء صفوان
٦١	من رسالة عتاب لصفوان
٦٢	ترجمة صفوان بن إدريس
٧٠	رثاء ناهض الوادي آثي للحسين
٧١	رجع إلى أخبار صفوان

الباب الثاني

في نشأة لسان الدين وترقيه وما لقي من مكاييد حتى وفاته ٧٥ - ١٨٨

٧٥	عن ابن الأحمر في حق لسان الدين
٧٦	عن بعضهم في حق لسان الدين
٧٦	نقل عن ترجمة لسان الدين بقلمه
٧٩	من حضور الجواب لدى لسان الدين
٨٠	التعريف، بالسلطان أبي الحجاج
٨٤	بحوء الغني بالله ولسان الدين إلى المغرب نقلاً عن اللوحة البدرية .
٩٠	رسالة على لسان الغني بالله إلى المنصور بن قلاوون
٩٥	نقل عن ابن خلدون في خلع الغني بالله
٩٧	نقل آخر عن ابن خلدون
١٠٤	رواية ابن خلدون عن نهاية لسان الدين
١٠٨	رواية ابن الأحمر
١١٠	تتمة الخبر عن نهاية لسان الدين نقلاً عن ابن خلدون

١١٢	عن ابن حجر
١١٢	تخميس لأبيات لسان الدين الثائية
١١٥	فصل في الاعتبار من كتاب النبراس لابن دحية
١١٨	نبذة عن أعداء لسان الدين
١٢٠	موقف لسان الدين جعل القاضي النباهي يقبل يده
١٢١	ثناء لسان الدين على القاضي النباهي
١٢٢	كتاب من النباهي إلى لسان الدين بعد التغير
١٢٥	زيادة بيان من النباهي في مدرجة الكتاب
١٣١	ظهير من إنشاء لسان الدين بتولية النباهي القضاء
١٣٤	ظهير من إنشائه بتولية ابن زمرك كتابة السر
١٣٦	ظهير ثالث بإضافة الخطاب إلى القضاء للنباهي
١٣٨	نماذج من براعة لسان الدين في القدح
١٤٣	عتاب لسان الدين لابن أبي رمانة
١٤٥	رسائله إلى ابن مرزوق بالتخلي عن الدنيا
١٥٢	تعليقات ابن مرزوق وابن لسان الدين على الرسالة
١٥٣	مرثية المنجنيقي
١٥٤	العبرة من مرث أخرى
١٥٦	رجع إلى أخبار لسان الدين
١٥٦	رسالة في العزاء بأبي جعفر ابن جبير
١٦٠	قطع زهدية
١٦١	شيء من مواعظ ابن الجوزي
١٦٦	رجعة إلى أحوال لسان الدين
١٦٨	تحقيق في نسبة بيتين
١٦٩	ثلاث قصائد لابن زمرك
١٨٠	رجع إلى أحوال لسان الدين
١٨٣	نكبة أبي جعفر ابن عطية

الباب الثالث

١٨٩ - ٦٠٥

في ذكر مشايخه الجلة

- ١ - محمد بن أحمد الحسني السبتي ١٨٩
- [ابنا الشريف السبتي] ١٩٨
- ٢ - محمد بن جابر الوادي آثمي ٢٠٠
- [أشعار لبعض شيوخ لسان الدين] ٢٠٢
- ٣ - المقرئ الجلد محمد بن محمد بن أحمد ٢٠٣
- [هل المقرئ الجلد قرشي ؟] ٢٠٤
- كلام المقرئ الجلد في أوليته ٢٠٥
- دخوله غرناطة ٢٠٩
- [شيوخ المقرئ الجلد] ٢١٥
- 1 ، 2 - ابنا الإمام ٢١٥
- 3 - أبو عمران المشدالي ٢٢٣
- 4 - أبو إسحاق السلوي ٢٢٤
- 5 - أبو محمد المجاصي ٢٣٠
- 6 - أبو علي الحسني السبتي ٢٣٢
- 7 - ابن هدية القرشي ٢٣٤
- 8 - ابن أبي عمرو التميمي ٢٣٥
- 9 - ابن عبد النور ٢٣٥
- 10 - أبو عبد الله البروني ٢٣٦
- 11 - أبو عمران المصمودي ٢٣٦
- 12 - أبو عبد الله ابن النجار ٢٣٦
- 13 - أبو الحسن ابن مزاحم المكناسي ٢٣٨
- 14 - أبو عبد الله الزبيدي التونسي ٢٣٩
- 15 - عبد المهيمن الحضرمي ٢٤٠
- 16 - أبو عبد الله السطحي ٢٤٠

٢٤١	17 - أبو عبد الله الرندي .
٢٤١	18 - أبو عبد الله الخزولي .
٢٤١	19 - أبو إسحاق ابن أبي يحيى .
٢٤١	20 - أبو عثمان الخياط .
٢٤٢	21 - أبو عبد الله ابن الجهمال .
٢٤٢	22 - أبو عبد الله ابن مرزوق .
٢٤٢	23 - أبو العباس ابن مرزوق .
٢٤٢	24 - أبو زيد ابن علي الصنهاجي .
٢٤٣	25 - أبو عبد الله الغزموئي .
٢٤٤	26 - أبو عبد الله الآبلي .
٢٤٨	27 - أبو عبد الله ابن شاطر .
٢٥٠	28 - أبو عبد الله الباهلي .
٢٥٠	29 - أبو عبد الله الزواوي .
٢٥٠	30 - أبو علي حسين بن حسين .
٢٥٠	31 - أبو العباس ابن عمران .
٢٥٠	32 - أبو عزيز ابن فرجان .
٢٥٠	33 - أبو موسى ابن فرجان .
٢٥١	34 - أبو عبد الله ابن عبد السلام .
٢٥١	35-67 - سرد بأسماء بقية الشيوخ .
٢٥٤	[ترجمة المقرئ الجدد عن ابن خلدون]
٢٥٦	[فوائد عن المقرئ الجدد]
٢٧٠	[أخبار المقرئ عن ابن شاطر]
٢٧٣	[ثمة الفوائد عن المقرئ]
٢٧٩	[ترجمة المقرئ من نيل الابتهاج]
٢٨٤	[مؤلفات المقرئ الجدد]
٢٨٥	[نقول من كتاب المحاضرات له]
٣١٠	[بقية مؤلفاته]
٣١٠	[نقول من كتاب الحقائق والرفائق له]
٣٢٨	[من شعر المقرئ الجدد]
٣٤٠	[تلامذة المقرئ الجدد]

٣٤١	[ترجمة تلميذه ابن عباد الرندي]
٣٥٠	رجع إلى مشايخ لسان الدين
٣٥٠	٤ - عبد الحق بن سعيد بن محمد
٣٥١	٥ - يونس بن عطية الونشريسي
٣٥١	٦ - محمد بن أبي عفيف
٣٥١	٧ - عمر بن عثمان الونشريسي
٣٥٢	٨ - أبو جعفر الأوسي الحيازي
٣٥٢	٩ - أبو عبد الله ابن أبي رمانة
٣٥٢	١٠ - الحسن بن عثمان بن عطية الونشريسي
٣٥٤	١١ - أبو العباس أحمد بن عاشر
٣٥٥	١٢ - أبو عبد الله ابن الفخار البيري
٣٥٩	[ترجمة أبي عبد الله ابن خميس]
٣٧٨	رجع إلى ترجمة ابن الفخار وفوائده
٣٨٢	[ترجمة ابن حذلم]
٣٨٣	رجع إلى مشايخ لسان الدين
٣٨٣	١٣ - الأستاذ ابن العواد
٣٨٤	١٤ - أبو عبد الله ابن بيش
٣٨٥	١٥ - أبو عبد الله ابن بكر
٣٨٧	١٦ - ابن أبي يحيى التسولي
٣٨٩	١٧ - محمد بن أحمد الطنجالي الهاشمي
٣٩٠	١٨ - أبو عبد الله ابن مرزوق الخطيب
٤١٢	[تراجم أخرى لابن مرزوق عن غير الإحاطة]
٤١٩	[ابن مرزوق الكفيف]
٤٢٠	[ابن مرزوق الحفيد]
٤٣٤	رجع إلى ذكر مشايخ لسان الدين
٤٣٤	١٩ - أبو الحسن علي بن الحياض
٤٥٧	[ترجمة ابن أبي المجد الرعيني]

٤٥٧	رجع إلى ابن الحبيب
٤٦٤	٢٠ - أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي
٤٧١	٢١ -- أبو البركات ابن الحاج البليقي
٤٨٧	٢٢ - أبو زكريا يحيى بن هذيل
٤٩٧	٢٣ -- أبو بكر ابن الحكيم الرندي
٤٩٨	[ترجمة أبي عبد الله ابن الحكيم]
٥٠٧	٢٤ -- أبو الحسن علي بن إبراهيم القيماطي
٥٠٩	٢٥ - أبو سعيد فرج بن لب
٥١٤	٢٦ - أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزّي
٥١٦	[شعر لابن لؤلؤة]
٥١٧	[من نظم ابن جزّي]
٥١٧	[ترجمة أبي بكر أحمد بن جزّي]
٥١٩	[قصيدتان لحازم القرطاجي]
٥٢٥	[عود إلى ذكر أبي بكر ابن جزّي]
٥٢٦	[أبو عبد الله ابن جزّي]
٥٣٦	[نماذج من التورية بأسماء الكتب]
٥٣٨	رجع إلى ابن جزّي
٥٣٩	أبو محمد ابن جزّي
٥٤٠	رجع إلى مشايخ لسان الدين
٥٤١	٢٧ - أبو بكر ابن شبرين
٥٤٣	٢٨ - أبو عثمان ابن ليون التجيبي
٦٠٣	خاتمة في سرد المشيخة

Abu 'l- 'Abbas A al - Maqqari

NAFH AT-TĪB

V

Edited and Annotated

by

Ihsān 'Abbās, Ph. D.

Dar SADER

P.O.B. 10

BEIRUT, Lebanon

1968

نَفْحُ الطَّيِّبِ مِنْ

غَيْصِنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ

تأليف
الشيخ أحمد بن محمد القرني التيساني

حقته
الدكتور إحسان عباس

المجلد السادس

دار صادر
بيروت

نفع الطيب

٦

دار صادر : صندوق برید ۱۰ - بیروت

الإمام الموفق

الباب الرابع

في مخاطبات الملوك والأكابر الموجهة إلى حضرته العلية ، وثناء غير واحد من
أعلام أهل عصره عليه ، وصرف القاصدين وجوه التأميل إليه ، واجتلائهم
أنوار رياسته الجليلة ، وكتبهم بعض المؤلفات باسمه ، ووقوفهم عند إشارته
ورسمه ، وما يضاهي ذلك في حظه وقسمه ، وسعيهم بين يديه .

اعلم — سلك الله بي وبك الطريق الأقوم الأقوى ، وحلّى صدور جميعنا
بزينة التقوى — أن لسان الدين ذكر في كتبه كالإحاطة ونفاضة الجراب وغيرهما
جملة ممّا خاطبه به الملوك وغيرهم ، من تبجيل وتنويه ، ولنذكر بعض ذلك
من كتبه ومن غيرها تنميماً للمقصود وتبليغاً لنفوس الناظرين في هذه العجالة
ما تؤمله وتنويه .

[١ - ظهير من أبي زيان المريني للسان الدين]

فمن ذلك ما ذكره في «الإحاطة» من إكرام السلطان أبي زيان المريني ابن
الأمير أبي عبد الرحمن ابن السلطان أبي الحسن له ، وسرد ما كتب له به من قوله :
هذا ظهير ، إلى قوله : أيده الله ونصره ، وستى له الفتح المبين ويسّره ،

وبعده ما صورته^١ : « للشيخ الفقيه الأجل الأسنى ، الأعز الأحدثى الأرفع الأجلد
الأسنى الأواحد الأنوه الأرقى ، العالم العليم الرئيس الأعرف المتفنن الأبرع
المصنف المفيد الصدر الأحفل الأفضل الأكمل أبي عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير
الأجل الأسنى الأعز الأرفع الأجلد الوجيه الأنوه الأحفل الأفضل الحسيب
الأصيل الأكمل المبرور المرحوم أبي محمد ابن الخطيب ، قابله أيده الله بوجه القبول
والإقبال ، وأضفى عليه ملابس الإنعام والإفضال ، ورعى له خدمة السلف
الرفيع الجلال ، وما تقرر من مقاصده الحسنة في خدمة أمرنا العال ، وأمر في جملة
ما سوغه من الآلاء الوارفة الظلال ، الفسيحة المجال ، بأن يحدد له حكم ما بيده
من الأوامر المتقدم تاريخها المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية^٢
في كل شهر عن مرتب له ولولده الذي لنظره من متجني مدينة سلا حرسها الله
في كل شهر ، ومن حيث جرت العادة أن يتمشي له ، ورفع الاعتراض ببابها
فيما يجلب من الأدم والأقوات على اختلافها من حيوان وسواه ، وفيما يستفيده
خدامه^٣ بخارجها وأحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك ،
فلا يطلب في شيء من ذلك بمغرم ولا وظيف^٤ ، ولا يتوجه فيه إليه بتكليف ،
يتصل له حكم جميع ما ذكر في كل عام تجديدًا تامًا ، واحترامًا عامًا ،
أعلن بتجديد الخطوة واتصالها ، وإتمام النعمة وإكمالها ، من تواريخ الأوامر
المذكورة إلى الآن ، ومن الآن إلى ما يأتي على الدوام ، واتصال الأيام ، وأن
يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعي والمحاشاة في السخر مهما
عرضت ، والوظائف إذا افترضت ، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف ،

١ ورد هذا الظهير في الاستقصا ٤ : ٤٨ .

٢ العشرية : لعلها العاشرية وهي ما كان في كل دينار منها عشرة دراهم (انظر « عاشر » في ملحق
المعاجم لدوزي) .

٣ ق : خدمه .

٤ الوظيف أو الوظيفة : الضريبة المقررة .

وتتضاعف أسباب المِنَن والعَوَاف ، بفضل الله ، ونحرَّر له الأزواج^١ التي يجرِّها بتالمغت من كل وجيبة^٢ وتحاشي من كل مغرم أو ضريبة ، بالتحريير التام بحول الله وعونه ، ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه ، وليُمنض ما أمضاه ، إن شاء الله ، وكتب في العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة ، وكتب في التاريخ^٣ ، انتهى .
وقوله « وكتب في التاريخ » هو العلامة السلطانية في ذلك الزمان ، يكتب بقلم غليظ ، وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة « صح في التاريخ »^٤ .

[ترجمة أبي زيان المريني]

وقد عرَّف لسان الدين في « الإحاطة » بهذا السلطان بما نصَّه : محمد بن يعقوب أبي عبد الرحمن بن علي أمير المسلمين بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أمير المسلمين بالمغرب إلى هذا العهد ، يكنى أبا زيان^٤ ، وصل الله نصره على عدوِّ الدين ، وأرشدته إلى سنن الخلفاء المهتدين .

حاله — فاضل سكون منقاد ، مشغول بخاصة نفسه ، قليل الكلام ، حسن الشكل ، درِّب بركض الخيل ، مفوض للوزراء ، عظيم التأثي لأغراضهم ، ووكل الأمور لمن استكفاه منهم ، استقدم من أرض النصارى بالأندلس وقد فر

١ الأزواج : هي ما يسمى في المشرق « الأفدنة » ، أخذت من زوج البقر للحرب أي (الفدان) .

٢ الوجيبة : الضريبة .

٣ قال ابن الأثير عند تعريفه العلامة : « فإذا رأيت الصك المريني وعلامته : كتب في التاريخ المؤرخ به ، فهي بخط يد السلطان ، وإذا كانت : وكتب في التاريخ ، فهي بخط يد صاحب العلامة (مستودع العلامة : ٢١) .

٤ بويع أبو زيان الملقب بالمتوكل ١١ صفر سنة ٧٦٣ وقتل غرقاً في السانية التي بروض الغزلان ٢٢ ذي الحجة سنة ٧٦٧ وسنه ٢٨ سنة ودفن بجامع قصره (روضة النسرين : ٣٢ وانظر الاستقصا ٤ : ٥١) .

إليهم خوفاً على نفسه ، فسمح به ملك الروم بعد اشتراط واشتطاط ، فكان وصوله إلى مدينة الملك بفاس يوم الاثنين الثاني والعشرين لصفّر عام ثلاثة وستين وسبعمائة ، ودخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان وبه السعد الأعظم كوكب المشتري من الكواكب السيارة ، وقد كان الوزير قيم الأمر والمثل في الكفاية والاضطلاع بالعظيمة عمر بن عبد الله بن علي الياباني^١ لما ثار بعمه السلطان أبي سالم رحمه الله تعالى وأقام الرسم بأخيه المعتوه المدعو بأبي عمر استدعى هذا المترجم به ، وقد نازله الأمير عبد الحليم ابن عمّهم ، وتوجّه عنه رسوله أثناء الحصار لما رأى الأمر لا يستقيم بمن نصبه ، فتلطف فيه إلى طاغية النصارى ، واستعان بالسلطان أبي عبد الله ابن نصر ، وقد جمعتهم إيالاته ، فم له اللحاق بالمغرب ، وانصرف الأمير عبد الحليم إلى سجلماسة فتملكها ، وتم الأمر للأمير أبي زيان يقوم به عنه وزيره ومستدعيه المذكور مصنوعاً له في خدمته ، أعانه الله تعالى وأصلح حاله وأحوال الخلق على يديه ، ووفدت عليه من محل الانقطاع بسلاً وأنشدته قولي^٢ :

لَمَنْ عَلِمَ ^١ فِي هَضْبَةِ الْمَلِكِ خُفَاقُ	أَفَاقَتْ بِهِ مِنْ غَشْيَةِ الْهَرَجِ آفَاقُ
تُقِيلُ رِيَّاحَ النَّصْرِ مِنْهُ غَمَامَةٌ	تَمْدُّ لَهَا أَيْدٍ وَتَخَضُّعُ أَعْنَاقُ
وَبِيعَةُ شُورَى أَحْكَمِ السَّعْدِ عَقْدَهَا	وَأَعْمَلُ إِجْمَاعٍ عَلَيْهَا وَإِصْفَاقُ
قَضَى عَمْرٍ فِيهَا بِحَقِّ مُحَمَّدٍ	فَسُجِّلَ عَهْدُ لِلْوَفَاءِ وَمِيثَاقُ
أَحْلَمًا تَرَى عَيْنَايَ أَمْ هِيَ فِتْرَةٌ	أَعْنَدُكُمَا فِي مَشْكِ الْأَمْرِ مَصْدَاقُ
وَفَاضَ ^٣ لِفَضْلِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ تُبْتَغَى	وَمَجْتَمَعَاتُ لَا تَرِيبُ وَأَسْوَاقُ
وَسَرَّحَ تَهْنِيهِ الْكَلَاءُ بِالْكَلا	وَفَلَحَ لِسْقِي الْغَيْثِ قَامَ لَهُ سَاقُ

١ راجع أخبار هذا الوزير في العبر ٧ : ٣١٩ ، ٣٢٣ .

٢ انظر القصيدة في الاستقصا ٤ : ٤٦ - ٤٨ .

٣ الوفاض : جمع وفضة وهي المكان الذي يمسك الماء ؛ وفي ص : رفاض .

وقد كان طيفُ الحلم لا يعمل الخطا
وللغيث إمساكٌ وفي الأرض رَجَّةٌ
فكلُّ فريقٍ فيه للبغي رايةٌ
أجل إنّه من آل يعقوب وارثٌ
له من جناح الروح ظلٌ مسجف
أطلّ على الدنيا وقد عادَ ضوءها
فأشرقت الأرجاء من نور ربها
فمين السُننِ لله بالشكر أعلنت
وليس لأمر أبرم الله ناقضٌ
محمدٌ قدّ أحييت دينَ محمد
ولو لم تثب غطى على شفق الضحى
فأيمّن بمشحونٍ من الفلك سابع
أقلك والدأماء تُظهر طاعة
إلى هدف السعد أنبرى منه والدجى
فخطّت لتقويم القوامِ جداولٌ
تبارك من أهداك للخلق رحمة
هو الله يبلو الناس بالخير فتنة
سمّت منك أعناقُ الورى لخليفةٍ

وللفتنة العمياء في الأرض إطباق
وللدين والدنيا وجُومٌ وإطراق
وكلُّ طريقٍ فيه للغيث طراق¹
يحنُّ له البيت العتيق ويشناق
ومن رفرف العزّ الإلهي رُستاق²
دُجى وعلى الأحداق للذعر إحداق
وساح بها لله لطفٌ وإشفاق
وكان لها من قبل همسٌ وإطباق
وليس لمسعى أنجح الله إخفاق
وللخلق أذماء تقيض وأرماق
دمٌ لسيوف البغي في الأرض مُهراق
له باختيار الله حطٌ وإيساق³
إليك وصفح الماء أزرق رفرق
يفضل الحجي سهمٌ من السعد رشاق
وصحّت من التوفيق واليمن أوافق⁴
ومستبعدٌ أن يهمل الخلق خلاق
وبالشر ، والأيام سمٌ وترياق
له في مجال السعدٍ وخدٌ وإعناق

١ سقط البيت من ق .

٢ الرستاق : معربة عن الفارسية بمعنى الناحية أو الكورة .

٣ الخط : الرسو في الميثاء ، والإيساق : مصدر أوسق بمعنى ملأ بالأحمال .

٤ الدأماء : البحر .

٥ يعني بالجداول : الجداول الفلكية ، والأوفاق : جمع وفق وهو المربع الذي يقسم إلى « خانات » ترتب فيها الأرقام .

وقالوا بنانٌ ما استقلَّ بكفّه
وأطنب فيك المادحون وأغرقوا
ألست من القوم الذين أكفّهم
ألست من القوم الذين وجوههم
رياض إذا العاني استظل ظلالها
أبوك وليّ العهد لو سالم الردى
فمن ذا له جدّ كجدّك أو أب
وحسبُ العلا في آل يعقوب أنهم
أسودُ سروحٍ أو بدور أسرة
يطولُ لتحصيل الكمالِ سهادهم

ومنها :

تفيضُ على العافين أم هي أرزاق
فلم يُجدِ إطنابٌ ولم يُغنِ إغراق
غمامٌ ندّى إن أخلف الغيث غيداق
بدورٌ لها في ظلمة الروح لإشراق
ففيها جنّى ملء الأكف وإبراق
وجدك قد فاق الملوك وإن فاقوا
لآلئ والمجدُ المؤثّل نساق
هم الأصل في العلياء والناس إلحاق
فإن حاربوا راعوا وإن سالموا راقوا
فهم للمعالي والمكارم عشاق

لئن نسيّت إحسانَ جدّك فرقة
أجازت خروجَ ابنِ ابنه عن ترائه
ومن دون ما راموه الله قدرة
خذ العفو وابدل فيهم العرف وتوسع
فربّما تنبو مهنّدة الطيّبي
وما الناس إلا مذنبٌ وابن مذنبٍ
ولا ترجُ في كلّ الأمور سوى الذي
إذا هو أعطى لم يضرّ منع مانعٍ
عرفت الردى واستأثرت بك للعدا
فيسرّ لليسرى وأحيا بك الورى
فجازر صنيع الله وازدد بشكره
وأوفٍ لمن أوفى وكافٍ الذي كفى

تزرّ على أعناقهم منه أطواق
ولم تدر ما ضمت من الذكر أوراق
ومن دون ما أمّوه للفتح أغلاق
جريرة من أبدى لك الغدر أخلاق
وتهفو حلوم القوم والقوم حدّاق
ولله إرفاد علتهم وإرفاق
خزائنه ما ضرها قط إنفاق
وإن حشدت طسّم وعاد وعملاق
تخوم بمخطّ الصليب وأعماق
وللروح إرعاد عليك وإبراق
مواهب جود غيثها الدهر دقاق
فأنت كريم طهرت منك أعراق

وتَهْنِيك يا مولى الملوكة خلافة
فقد بلغت أقصى المني بك نفسها
فلا راعٍ منها السُّرْبُ للدهر رائع
أمولاي راعٍ الدهر سِرِّي وغالتي
وليس لكسري غيرك اليوم جابر
ولي فيك ودٌ^١ واعتدادٌ غرسته
وقد عيل صبري في ارتقابي خليفة
وأنت حسامُ الله والله ناصر
وأنت الأمان المستجار من الردى
وأهونُ ما تُرجى لديك شفاعته
ودونكها من ذائع الحمد مخلص
إذا قالَ أمّا كلُّ سَمْعٍ لقوله
ودُمٌ خافق الأعلام بالنصر كلما

شَجَّتْهَا تباريح إليك وأشواق
وكم فازَ بالوصلِ المهمل مشتاق
ولا نال منها جِدَّةُ السَّعدِ لإخلاق
فَطَرَفِي مدعورٌ وقلبي خفاق
ولا ليدي إلاّ بمجدك أعلاق
فراقت به من يانعِ الحمد أوراق
تُحَلُّ به للضرِّ عني أوهاق^٢
وأنت أمينُ الله والله رزاق
إذا راعَ خطبٌ أو تَوَقَّعَ إملاق
إذا لم يكن عزمٌ حثيث وإرهاق
له فيك تقييد يروق وإطلاق
فمُصْنَعٌ ، وأما كلُّ أنفٍ فنشاق
ذهبت لمسعى لم يكن فيه إخفاق

وُعدتُ منه ببر كثير ، واحترام شهير .

دخوله غرناطة - لحق بها مُفْلِتاً عند القبض على قرابته وبني عمه وتقريبهم
إلى مَصارعهم ، فكان وصوله في رمضان من عام خمسين وسبعمائة ، ثم رابه
رائب لحق لأجله بصاحب قشتالة ، وأقام في جملته إلى حين استدعائه المتقرر
آنفاً ، وهو لهذا العهد أمير المسلمين بالمغرب ، أعانه الله تعالى على الخير ،
وأطلق به يده ، وألهمه لما يرضى منه بفضله وكرمه ، انتهت الترجمة .

ورأيت على هامش هذا المحل من « الإحاطة » بخط الخطيب الشهير الإمام

١ ق : أصل .

٢ الأوهاق : جمع وهق وهو الأنشودة .

أبي عبد الله ابن مرزوق التلمساني رحمه الله ما صورته : توفي - يعني السلطان أبا زيان - مغتالاً عام ستة وستين على يد مظاهره الخائن عمر بن عبد الله ابن علي الوزير ، ردّاه في بئر ، وأشاع أنّه أفرط في السكر ، وألقى نفسه في البئر المعروفة برياض الغزلان ، وباع لعمّه عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ، فسلطه الله عليه ، وأخذ حقوق الخلائق على يديه ، فقتله غيلة بعد أن كان تغلب عليه ، فأعمل الحيلة في قتله ، واستمر ملك عبد العزيز ظاهراً ظافراً قد جمع بين المغرب إلى أقصاه وبين ملك تلمسان وقد شرّد أهلها كلّ مُشرّد ، فعندما أقبلت الدنيا عليه ، واستقام ملكه ، وكاد يلحق ملك أبيه أو يزيد مات رحمه الله تعالى ، قيل : مطعوناً^١ ، وقيل غير ذلك ، وذلك في حدود أربع وسبعين ، وولي ولده ، ثم عُرِلَ بابن عمّه أبي العباس ابن السلطان أبي سالم ، وحاز ملك المغرب إلى حين كتب هذا سنة سبع وسبعين وسبعمائة ؛ انتهى ما ألفيته بخط سيدي أبي عبد الله ابن مرزوق .

ورأيت تحته بخط ابن لسان الدين أبي الحسن علي ما صورته : رحمة الله عليك يا عمر بن عبد الله بن علي ، فلقد كنت غسّلت ملك المغرب من درّن كبير ، وقمت على ملك هو وضعف شهير ، وشهّرت سيف الحق ، على الزواكرة الحرق ، فابتهج منبر الدين ؛ انتهى .

ومراده بهذا الكلام الرد على ابن مرزوق في ذمّه للوزير عمر ، وقوله « الزواكرة » لفظ يستعمله المغاربة ، ومعناه عندهم المتلبس الذي يُظهر النسك والعبادة ، ويبطن الفسق والفساد ، وعند الله تجتمع الخصوم .

١ ق ص : مطعوناً .

[٢ - رسالة من أبي سالم إلى لسان الدين]

ولنرجع إلى ما كنّا بسبيله فنقول :

وممّا خوطب به ابن الخطيب رحمه الله تعالى ، من قبل سلطان المغرب المستعين بالله أبي سالم إبراهيم ابن السلطان أبي الحسن المريني ما صورته بعد البسملة والصلاة^١ :

« من عبد الله المستعين بالله إبراهيم أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي الحسن ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق ، أيد الله أمره وأعز نصره ، إلى الشيخ الفقيه الأجل الأسنى الأعز الأخطى الأوجه الأنوه الصدر الأحفل المصنف البليغ الأعرف الأكمل أبي عبد الله ابن الشيخ الأجل^٢ الأعز الأسنى الوزير الأرفع الأنجد الأصيل الأكمل المرحوم المبرور أبي محمد ابن الخطيب ، وصل الله عزته ووالى رفعتة ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

« أما بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسولہ الكريم المصطفى ، والرضى عن آله وصحبه أعلام الإسلام وأئمة الرشد والهدى ، وصلة الدعاء لهذا الأمر العلي العزيز المنصور المستعني بالنصر الأعز والفتح الأسنى ، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله تعالى لكم بلوغ الأمل ، ونُجَحَ القول والعمل - من منزلنا الأسعد بصفة وادي ملوية بمنه الله ، وصُنِعَ الله جميل ، ومنّه جزيل ، والحمد لله ، ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المتكفلة برعي الوسائل ، ذلكم لما تميزتم به من التمسك بالجناب العلي ، المولوي العلوي ، جدد الله تعالى عليه ملابس غُفْرانه ، وسقاه غُيُوثَ رحمته وحنّانه ؛

١ وردت هذه الرسالة في الاستقصا ٤ : ٢٩ - ٣٠ وأزهار الرياض ١ : ٢٨٢ .

وما أهديتم إلينا من التقرب لدينا ، بخدمة ثراه الطاهر ، والاشتغال بمطارف حرمة السامية المظاهر .

« وإلى هذا وصل الله حُظُوتكم ووالى رفعتكم ، فإنه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابلُ بالإسعاف المستعذب وِرْدُهُ ، فوقنا على ما نصَّه ، واستوفينا ما شرحه وقصَّه ، فآثرنا حُسْنَ تَلطُّفكم في التوسل بأكبر الوسائل إلينا ، ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم الجناح العزيز علينا ، وفي الحين عَيْنًا لكمال مطلبكم ، وتمام مأربكم ، والتوجه بخطابنا في حقكم ، والاعتماد بوقفكم ، نخدمين أبا البقاء ابن تاسكورت^١ وأبا زكريا ابن فرقاجة ، أنجدهما الله وتولاهما ؛ وأمس تاريخه انفصلا مودعين إلى الغرض المعلوم ، بعد التأكيد عليهما فيه ، وشرح العمل الذي يوفيه ، فكونوا على علم من ذلكم ، وابسُطوا له جملة آمالكم ، ولما نلرجو ثواب الله في جبر أحوالكم ، وبرء اعتلالكم ، والله سبحانه وتعالى يَصِلُ مبرَّتكم ، ويتولى تكرمتكم ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب في الرابع والعشرين لرجب عام واحد وستين وسبعمئة » .

[٣ - جواب لسان الدين]

فراجعه ابن الخطيب بما نصَّه^٢ : « مولاي خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الأرض عن حجة ، ومعدن الشفقة والحرمة ببرهان وحكمة . أبقاكم الله تعالى عالي الدرجة في المنعمين ، وافِرَ الحظ عند جزاء المحسنين ، وأراكم ثمرة برّ أبيكم في البنين ، وصنع لكم في عدوكم الصنع الذي لا يقف عند معتاد ، وأذاق العذاب الأليم مَنْ أراد في مثاببتكم بلحاد ، عبدكم الذي ملككم رقه ،

١ الاستقصا والأزهار : تاشكورت .

٢ انظر هذه الرسالة في الاستقصا ٤ : ٣٠ - ٣١ والأزهار ١ : ٢٨٤ .

وأوتيم غريته ، وسترتم أهله وولده ، وأسنيتم رزقه ، وجبرتم قلبه ، يُقبَل
موطىء الأخمص الكريم من رجلكم الطاهرة ، المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف
النصر ، الفارعة هَضْبَةَ العز ، المعملة الخطو في مجال السعد ، وميسر^١ الحظ
ابن الخطيب ، من شالة^٢ التي تأكد بملككم الرضي احترامها ، وتجدد برعيتكم
عهدا ، واستبشر بملككم دفينها ، وأشرق بحسناتكم نورها .

« وقد ورد على العبد الجوابُ المولوي البر الرحيم ، المنعم المحسن بما
يليق بالملك الأصيل والقدر الرفيع والهمة السامية والعزة القعساء ، من رعي
الدخيل والنصرة للذمام والاهتزاز لبر الأب الكريم ، فثاب الرجاء
وانبعث الأمل وقوي العَضُدُ وزار اللطف ، فالحمد لله الذي أجرى الخير
على يدكم الكريمة ، وأعانكم على رعي ذمام الصالحين ، المتوسّل إليكم أولاً^٣
بقبورهم ومتعباتهم وتراب أجدائهم ، ثم بقبر مولاي ومولاكم ومولى الخلق
أجمعين الذي تسبب^٤ في وجودكم ، واختصكم بحبّه ، وغمركم بلطفه وحنانه ،
وعلمكم آداب الشريعة ، وأورثكم ملك الدنيا ، وهبأتكم دعواته بالاستقامة
إلى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح البقاء ، وفي علومكم المقدسة ما
تضمنت الحكايات عن العرب من النعرة^٤ عن طائر داسّت أفراخه ناقة في
جوار رئيس منهم ، وما انتهى إليه الامتناع^٥ لذلك ممّا أهينت فيه الأنفس
وهلكت الأموال ، وقُصارى من امتنع لذلك أن يكون كبعض خدامكم
من عرب تامسنا ، فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم فيمن لجأ
أولاً إلى رُحماكم بالأهل والولد عن حسنة تبرعتم بها ، وصدقة حملتكم الحرية

١ ق : الاستقصا : وميسر .

٢ شالة : تعد اليوم من ضواحي الرباط ، وفيها قبور المرينيين . وإليها لجأ لسان الدين عندما نبت
به الأندلس .

٣ ق : الذي هو سبب .

٤ ق : النعرة ؛ الاستقصا : النصرة .

على بذلها ؟ ثم فيمن حط رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم دامع العين خافق القلب واهي الفرعة ، يتغطي بردائه ، ويستجير بعليائه ، كأنتي تراميت عليهم في الحياة أمام الذعر الذي يذهل العقل ويحجب عن التمييز بقصر داره ومضجع رقادته ، ما من يوم إلا وأجهر بعد التلاوة : يا ليعقوب ، يا لمترين ، نسأل الله تعالى أن لا يقطع عني معروفكم ، ولا يسلبني عنايتكم ، ويستعملني ما بقيت في خدمتكم ، ويتقبل دعائي فيكم .

« ولحين وصول الجواب الكريم نهضت إلى القبر المقدس ووضعتة بإزائه ، وقلت : يا مولاي ، يا كبير الملوك ، وخليفة الله ، وبركة بني مريم ، صاحب الشهرة والذكر في المشرق والمغرب ، عبدك المنقطع إليك ، المترامي بين يدي قبرك ، المتوسل إلى الله ثم إلى ولدك بك ، ابن الخطيب ، وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعي وجهك ، والتقرب إلى الله تعالى برعيك ، والاشتهار في مشرق الدنيا وغربها ببرك ، وأنتم من أنتم من إذا صنع صنعة كلها ، وإذا من منة تمها ، وإذا أبدى يداً أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقضة ، وأنا بعد تحت ذيل حرمتك وظل دخيلك ، حتى يتم أملي ، ويخلص قصدي ، وتحف نعمتك بي ، ويطمنن إلى مأملك قلبي .

« ثم قلت للطلبة : أيها السادة ، بيني وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ومناسبة النحلة وأخوة التأليف بهذا الرباط المقدس والسكنى بين أظهركم ، فأمنوا على دعائي بإخلاص من قلوبكم ، واندفعت في الدعاء والتوسل الذي نرجو أن يتقبله الله تعالى ولا يضيعه ، وخاطب العبد مولاه شاكراً لنعمته مشيداً بصنيعته مسروراً بقبوله ، وشأنه من التعلق والتطرح شأنه حتى يكمل القصد ويتم الغرض ، معمور الوقت بخدمة يرفعها ، ودعاء يردده ، والله المستعان » انتهى .

[٤ - رسالة من لسان الدين إلى أبي سالم]

وكان تقدم من لسان الدين كتاب للسلطان المذكور ، وكان ما سبق من كتاب السلطان جواباً له ، وذلك بعد رجوع لسان الدين من مراکش واستقراره في مدينة سلا برباط شالة مدفن السلاطين من بني مرين ، ومنهم السلطان أبو الحسن والد السلطان أبي سالم المذكور ، ونص الكتاب^١ :

« مولاي المرجو لإتمام الصنيعة وصلة النعمة وإحراز الفخر ، أبقاكم الله تعالى تُضَرَّبُ بكم الأمثال في البر والرضى وعلو الهمة ورعي الوسيلة ، مُقْبَلٌ موطىء قدمكم المنقطع إلى تربة المولى والدكم ابن الخطيب من الضريح المقدس بشالة ، وقد حظ رحل الرجاء في القبة المقدسة ، وتذمَّ^٢ بالتربة الزكية ، وقد بلّزاء لحد المولى أبيكم ساعة إياه من الوجهة المباركة وزيارة الربط المقصودة والترب المعظمة ، وقد عزم أن لا يبرح طوعاً من هذا الجوار الكريم والدخيل المرعي حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الأرض ثم عليكم ، والتماس شفاعته في أمر سهّل عليكم لا يجر إنفاد مال ولا اقتحام خطر ، إنما هو لإعمال لسان ، وخط بنان ، وصرف عزم ، وإحراز فخر وأجر ، وإطابة ذكر ، وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم أنه ينقل عنكم إلى المولى المقدس بلسان المقال ما يحضر ممّا يفتح الله تعالى فيه ، ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب ، وقال لي صدر دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم سيدي الخطيب - يعني ابن مرزوق - ستنى الله تعالى أمله من سعادة مقامكم وطول عمركم : أنت يا فلان والحمد لله ممتن لا ينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من البشر والقبول والإنعام ما صدر ، جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين .

١ قارن بما ورد في الاستقصا ٤ : ٢٤ وأزهار الرياض ١ : ٢٧٧ .

٢ الاستقصا : وتيمم .

« وقد تقدم تعريفُ مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله إلى التربة الزكية عنكم حسبما أداه مَنْ حَضَرَ ذلك المشهد من خدامكم ، والعبدُ الآن يعرض عليكم الجواب ، وهو أنني لما فرغت من مخاطبته برأى من الملائكة الكبير ، والجم الغفير ، أكبت على اللحد الكريم داعياً ومخاطباً ، وأصغيت بأذني عند قبره ، وجعل فؤادي يتلقى ما يوحيه إليه لسان حاله ، فكأنني به يقول لي : قل لمولالك : يا ولدي وقرّة عيني المخصوص برضاي وبرّي ، و [من] سرّ حريمي ورد ملكي وصان أهلي وأكرم صنائعي ووصل عملي ، أسلم عليك وأسأل الله تعالى أن يرضى عنك ويُقبِلَ عليك ، الدنيا دار غرور ، والآخرة خير لمن اتقى :

وما الناس إلا هالك وابن هالك^١

« ولا تجد إلا ما قدمت من عمل يقتضي العفو والمغفرة ، أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ، ومثلك من ذكر فتذكر ، وعرف فما أنكر ، وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبري ، وتهمّم بي ، وسبق الناس إلى رثائي ، وأنشدني ومجّدي وبكائي ، ودعا لي وهنأني بمصير أمري إليك ، وعفّر وجهه في تربي ، وأملني لما انقطعت مني آمال الناس ، فلو كنتُ يا ولدي حيّاً لما وسّعني أن أعمل معه إلا ما يليق بي ، وأن أستقل فيه الكثير ، وأحتقر العظيم ، لكن لما عجزت عن جزائه وكلفته إليك ، وأحلتني يا حبيب قلبي عليك ، وقد أخبرني أنه سلبُ المال ، كثير العيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر في عدم نشاطه أثر السن ، وأمل أن ينقطع بجواري ، ويستتر بدخيلي وخدمتي ، ويرد عليه حقه بخدمتي ، ووجهي ووجوه من ضاجعني من سلفي ، ويعبد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتي ، وقد كنت تشوّفت إلى استخدامه في الحياة حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة ، وخطيبنا العظيم المزية القديمُ القربة ، أبو عبد الله ابن مرزوق ، فاسأله يذكرك ،

١ صدر بيت لأبي نواس ، وتماه : « وذو نسب في المالكين عريق » .

واستخبره بخبرك ، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل خديمي بعد الممات ، إلى أن نلحق جميعاً برضوان الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شيء ، وله يا ولدي ولد نجيب يخدم باباك ، وينوب عنه في ملازمة بيت كتابك ، وقد استقر بدارك قراره ، وتعين بأمرك مرتبه ودرجة ، فيكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب ، هذه رغبتني منك ، وحاجتي إليك ، واعلم أن هذا الحديث لا بد له أن يُذكر ويُحدث به في الدنيا وبين أيدي الملوك والكبار ، فاعمل ما يبقى لك فخره ، ويتخلد ذكره ، وقد أقام مجاوراً ضريحي ، تالياً كتاب الله تعالى علي ، منتظراً ما يصله منك ويقرؤه علي ، من السعي في خلاص ماله ، والاحتجاج بهذه الوسيلة في جبره ، وإجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة . فالله الله يا إبراهيم ، اعمل ما يسمع عني وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال ؛ انتهى .

«والعبد يا مولاي مقيم تحت حرمة وحرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته ، ولتعلموا وتحققوا أنني لو ارتكبت الجرائم ، ورزأت الأموال ، وسفكت الدماء ، وأخذت حسائف^٢ الملوك الأعزة ممن وراء النهر من الططر وخلف البحر من الروم ووراء الصحراء من الحبشة وأمكنتهم الله تعالى مني من غير عهد بعد أن بلغهم تدممي بهذا الدخيل ، ومقامي بين هذه القبور الكريمة . ما وسع أحداً منهم من حيث الحياء والحشمة من الأحياء والأموات وإيجاب الحقوق التي لا يُغفلها الكبار للكبار إلا الجود الذي لا يتعقبه البخل ، والعفو الذي لا تفسده المؤاخدة ، فضلاً عن سلطان الأندلس أسعده الله تعالى بموالاةكم ، فهو فاضل ، وابن ملوك أفاضل ، وحوله أكياس^١ ما فيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم ، لا سيما مولاي والدكم الذي أتوسل به إليكم وإليهم ، فقد كان يتبنتي مولاي أبا الحجاج ، ويشمله بكنفه ، وصارخه بنفسه ، وأمدّه بأمواله ،

١ الدشار : المزرعة أو الأرض المستأجرة ، والجمع دشر .

٢ الحسائف : العداوات والضغائن .

ثم صيّر الله تعالى ملكه إليكم ، وأنتم من أنتم ذاتاً وقبلاً ، فقد قرّرت يا مولاي عينُ العبد بما رأت في هذا الوطن المراكشي من وفور حشودكم ، وكثرة جنودكم ، وترادف أموالكم وعددكم ، زادكم الله تعالى من فضله ؛ ولا شكّ عند عاقل أنكم إن انحلت عروة تأميلكم ، وأعرضتم عن ذلك الوطن ، استولت عليه يد عدوه . « وقد علم تطارحي بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان ، وتعلقي بثوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاي والدكم ، وشهرة حرمة شالة معروفة ، حاش لله أن يضيعها أهلُ الأندلس ، وما توسل إليهم قط بها إلا الآن ، وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة ، وأملّي منكم أن يتعين من بين يديكم خديم ، بكتاب كريم ، يتضمن الشفاعة في رد ما أخذ لي ، ويغبر بمشوّاي مترامياً على قبر والدكم ، ويقرر ما ألزمتكم بسبب هذا الترامي من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا ، وتطلبون منه عادة المكارمة بحلّ هذه العقدة ، ومن المعلوم أنّي لو طلبت بهذه الوسائل من صلب ما وسعهم بالنظر العقلي إلا حفظ الوجه مع هذا القبيل وهذا الوطن ، فالحياء والخشبة يأتیان العذر عن هذا في كل ملّة ونحلة .

« وإذا تمّ هذا الغرضُ - ولا شك في إتمامه بالله تعالى - تقع صدقتكم على القبر الكريم بي وتعينوني لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقدّه ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلّم ليلة المولد في جواره وبين يديه ، وهو غريب^١ مناسب لبركم به ، إلى أن أحجّ بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعياً مُثنيّاً مستدعياً للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوّض من ذمتي بالأندلس ذمّة بهذا الرباط المبارك يرثها ذريتي ، وقد ساومت في شيء من ذلك منتظراً ثمنه ممّا يباع بالأندلس بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوقفون لكم في مثل هذا أو يتوقّع فيه وحشة أو جفاء والله ما طلبته ، لكنّهم أسرى وأفضل ، وانقطاعي أيضاً لوالدكم ممّا لا يسع مجدكم إلا عمل ما يليق بكم فيه ، وها أنا أرتقب جوابكم بما لي عندكم

١ غريب : يعني أنه عمل بديع .

من القبول ، ويسعني مجدكم في الطلب وخروج الرسول لاقتضاء هذا
الغرض ، والله سبحانه يطلع من مولاي على ما يليق به ، والسلام . وكتب في
الحادي عشر من رجب عام أحد وستين وسبعماية » .

وفي مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة^١ :

مولايَ ها أنا في جوارِ أبيكا	فأبذلُ من البرِّ المقدَّرِ فيكا
أسمعهُ ما يرضيه من تحت الثرى	واللهُ يُسمعُكَ الذي يرضيكا
واجعلُ رضاهُ إذا نهَدتَ كتيبةً	تُهدي ليلك النصرَ أو تهديكا
واجبر بجبري قلبه تنلِ المنى	وتطالعِ الفتحَ المينَ وشيكا
فهو الذي سنَّ البرورَ بأمره	وأبيه فاشرعْ شرعه لبنيكا
وابعث رسولك منذراً ومحدراً	وبما تؤملُ نيلهُ يأتيكا
قد هزَّ عزمُك كلَّ قطرٍ نازحٍ	وأخافَ مملوكاً بهِ ومليكا
فإذا سموتَ إلى مَرَامٍ شاسعٍ	فغصونه ثمرَ المنى تجنيكا
ضمنتُ رجالُ الله منك مطالبي	لما جعلتك في الثواب شريكا
فلئن كفيتَ وجوها في مقصدي	ورعيتها بركاتها تكفيكا
وإذا قضيتَ حوائجي وأريتني	أملأُ فربك ما أردتَ يريكا
واشدُّدُ على قولي يداً فهو الذي	برهانهُ لا يقبلُ التشكيكا
مولايَ ما استأثرتُ عنك بمُهَجتي	إنني ومُهَجتي التي تفديكا
لكن رأيتُ جنابَ شالة مغنماً	يُضفي عليَّ العزَّ في ناديكا
وفروضُ حقك لا تفوتُ فوقتها	باقٍ إذا استجزيته يجزيكا
ووعدتني وتكرَّرَ الوعدُ الذي	أبتِ المكارمُ أن يكونَ أفيكا
أضفي عليكَ الله سترَ عنايةٍ	من كلِّ محذورِ الطريق يقيكا

١ أزهار الرياض ١ : ٢٨١ .

ببقائك الدنيا تُحاطُ وأهلها فاللهُ جلَّ جلاله يُبقيكما
فلما وصل الكتاب إلى السلطان أجابه بما مر آنفاً .

ورأيت بخط الفقيه الأديب المؤرخ أبي عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي
نزيل تلمسان على هامش قول ابن الخطيب في هذه الرسالة « ولا شك عند عاقل
أنكم إن انحلت عروة تأميلكم - إلخ » ما صورته : كذلك وقع آخر الأمر ،
وكان الاستيلاء على مدينة غرناطة آخر ما بقي من بلاد الأندلس للإسلام في
محرم عام سبعة وتسعين وثمانمائة ، فرحم الله تعالى ابن الخطيب ، العاقل اللبيب ،
وغفر له برحمته ؛ انتهى .

ومما خاطب به لسان الدين السلطان أبا سالم في الغرض المتقدم قوله :

عن باب والدك الرضي لا أبرحُ	يأسو الزمان لأجل ذا أو يجرحُ
ضربت خيامي في حماه فضيبتني	تجني الحميم به وبهمني تسرحُ
حتى يراعى وجهه في وجهتي	بعناية تشفي الصدور وتشرحُ
أيسوغ عن مثواه سيري خائباً	ومنابر الدنيا بذكرك تصدحُ
أنا في حماه وأنت أبصر بالذي	يرضيه منك فوزن عقلك أرجحُ
في مثلها سيف الحمية ينتضى	في مثلها زند الحفيظة يُقدحُ
وعسى الذي بدأ الجميل يعيده	وعسى الذي سدّ المذاهب يفتحُ

[ترجمة أبي سالم المري]

وقد عرّف في « الإحاطة » بالسلطان أبي سالم فقال بعد كلام : أملاك المسلمين ،
وحماة الدين ، وأمرأء المغرب الأقصى من بني مرّين ، غيوث المواهب وليوث العرين ،
ومعتمد الصريخ وسهام الكافرين ، حفظ الله تعالى على الإسلام والمسلمين ظلهم ،
وزين بيدور الدنيا والدين هالتهم ، وأبقى الكلمة فيمن اختاره منهم أو من

أقاربهم ، فما عسى أن يُطْنِبَ اللسانُ في مدحهم ؟ وأين تقع العبارة ؟ وماذا^١ يحصر الوصف ؟ إلى أن قال : وفاته — وفي ليلة العشرين من ذي القعدة^٢ من عام اثنين وستين وسبعمائة^٣ ثار عليه بدار الملك وبلد الإمارة المعروف بالبلد الجديدي من مدينة فاس الحائِثُ الغادرُ مخلفه عليها عمر بن عبد الله بن علي نسمة السوء ، وجملة الشؤم ، والمثل البعيد في الجراءة على الله تعالى ، وقد اهتبل غيرة انتقله إلى القصر السلطاني بالبلد القديم متحولاً إليه حذراً من قاطع^٤ فلكي كان يحذر منه ، استعجله بضعف نفسه ، وأعانه على فرض صحة الحكم به ، وسد الباب في وجهه ، ودعا الناس إلى بيعة أخيه المعتوه ، وأصبح حائراً بنفسه ، يروم ارتجاع أمر ذهب من يده ، ويطوف بالبلد يلتمس وجهاً إلى نجاح حيلة ، فأعياه ذلك ، ورشقت من معه السهام ، وفرّت عنه الأجناد والوجوه ، وأسلمه الدهر ، وتبرأ منه الجدد ، وعندما جنّ عليه الليل فر لوجهه ، وقد التفّ عليه الوزراء ، فسفّهت حلومهم ، وقالت آراؤهم ، ولو قصدوا به بعض الجبال المتبعة لولوا أوجههم شطر مظنة الخلاص ، واتصفوا بإبلاغ الأعذار ، ولكنهم نكلوا عنه . ورجعوا أدراجهم وتسلّوا راجعين إلى يد غادر الحملة ، قد سلبهم الله سبحانه لباس الحياء والرجولية وتأذن الله تعالى لهم بعدُ بسوء العاقبة ، وقصد بعض بيوت البادية وقد فضحه نهارُ الغد ، واقتضى المتبعة أثره حتى وقعوا عليه ، فسيق إلى مَصْرَعِه ، وقُتِلَ بظاهر البلد ثاني اليوم الذي غدر به فيه ، جعلها الله تعالى له شهادةً ونفعه ، فلقد كان^٥ بقية البيت وآخر القوم دَماناً وحياء ، وبعداً عن

١ ق : وما .

٢ ص : قعدة .

٣ قال ابن الأحمر : وقتل رحمه الله تعالى وأنا أنظر إليه وأتوسّع وأبكي يوم الخميس ٢١ الذي

الْقعدة سنة ٧٦٢ وله ٢٨ سنة (روضة النسرين : ٣٠) .

٤ القاطع والقطع في مصطلح المنجمين ما يدل على نقص وخسارة .

٥ انظر أزهار الرياض ١ : ٢٧٠ .

الشروع ، وركوناً للعافية ، وأنشدت على قبره الذي ووريت به جثته بالقلعة من
ظاهر المدينة قصيدةً أدتُ فيها بعض حقه :

بني الدنيا بني لمع السرابِ « لدوا للموت وابنوا للخرابِ »

انتهى المقصود من الترجمة .

وكان يصف لسان الدين بمقربني وجليسي ، كما سبقت الإشارة إليه من كلام
لسان الدين فيما خاطب به ابن أبي رمانة ، والله يسبل على الجميع رداء عفوه
سبحانه .

وقد تقدم أنه شفع لابن الخطيب عند أهل الأندلس ، ولذلك قال يخاطبهم :

سَمِيَّ خليل الله أَحْيَيْتَ مُهْجَتِي وعَاجَلْتَنِي مِنْكَ الصَّرِيخُ على بُعْدِ
فَإِنْ عَشَبْتُ أَبْلِغْ فِيكَ نَفْسِي عَذْرَهَا وَإِنْ لَمْ أَعِشْ فَاللَّهُ يَجْزِيكَ مِنْ بَعْدِي

[ثناء المغاربة والمشاركة على لسان الدين]

وقال الرئيس الأمير الأديب أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر في حق ابن
الخطيب ما صورته^١ : هو شاعر الدنيا ، وعلم المفرد والشئيا ، وكاتب الأرض ،
إلى يوم العرض ، لا يدافع مدحه في الكتُب ، ولا يمنح فيه إلى العتب ، آخر من
تقدم في الماضي ، وسيف مِقْوَلَه ليس بالكهَم إذ هو الماضي ، وإلاّ فانظر
كلام الكتّاب الأول من العصبية ، كيف كان فيهم بالإفادة صاحب القصبة ،
للبراعة ، باليراعة ، وبه أُسكت صائلهم ، وما حُمدت بُكْرُهُم وأصائلهم ،
للجزالة المشربة بالحلاوة ، الممكنة من مفاصل الطلاوة ، وهو نفيس العُوتين ،
ورئيس الدولتين ، بالإطلاع على العلوم العقلية ، والإمتاع بالفهوم الثقيلة ، لكن

١ هذا نص ما قاله في نشر فرائد الجمان ٢٤٢ وانظر أزهار الرياض ١ : ١٩١ .

صِلَّ لسانه في الهجاء لسع ، ونجاد نطقه في ذلك اتسع ، حتى صدمني ، وعلى القول فيه أقدمني ، بسبب هجوه في ابن عمي ملك الصقع الأندلسي ، سلطان ذلك الوطن في نفر الجنسي ، المعظم في الملوك بالقول الجني والإنسي ، ثم صفحت عنه صفحة القادر ، الوارد من مياه الظفر غير القادر ، لأن مثلي لا يليق به إظهار العورات ، ولا يحمل له تتبع العثرات ، اتباعاً للشرع في تحريم الغيبة ، وضرباً عن الكريهة وإثباتاً لحظوظ النقيية الرغبية ، فما ضره لو اشتغل بذنوبه ، وتأسف على ما شربه من ماء اللهو بذنوبه ^١ ، وقد قال بعض الناس : من تعرض للأعراض ، صار عرضُه هدفاً لسهام الأغراض ؛ انتهى .

ومثل هذا في لسان الدين لا يقدح ، وما زالت الأشراف تهجى وتمدح ^٢ ، وعلى تقدير صدور ما يخدش وجه جنابه الرفيع ، فالأولى أن ينشد :

وإذا الحبيبُ أتى بذنوبٍ واحدٍ جاءت محاسنه بألف شفيع

وممن أثنى على لسان الدين ابن الخطيب - رحمه الله تعالى - بعضُ أكابر علماء تلمسان ، ولم يحضرني الآن اسمه ، في تأليف عرّف فيه بالشيخ العلامة سيدي أبي عبد الله الشريف التلمساني وابنيه العالمين أبي يحيى وسيدي عبد الله ، فقال بعد كلام في حق الشريف ما نصّه : وكان علماء الأندلس أعرف الناس بقدره ، وأكثرهم تعظيماً له ، حتى إن العالم الشهير لسان الدين ابن الخطيب صاحب الأنباء العجيبة ، والتأليف البديعة ، كلّمَا ألف تأليفاً بعثه إليه ، وعرضه عليه ، وطلب أن يكتب عليه بخطه ، وكان الشيخ الإمام الصدر المفتي أبو سعيد ابن لب شيخ علماء الأندلس وآخرهم كلّمَا أشكلت عليه مسألة كاتبه بها ، وطلب منه بيان ما أشكل عليه ، مقرأً له بالفضل ؛ انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور .

١ الذنوب : الدلو .

٢ عجز بيت ، وصدرة : « هجوت زهيراً ثم إني مدحته » .

رجع :

وكتب لسان الدين ابن الخطيب متمثلاً بشيخه الأوحاد قاضي الجماعة أبي البركات ابن الحاج البليقي رحمهما الله تعالى^١ :

أَيَّتْهَا النَّفْسُ إِلَيْهِ أَذْهَبِي فَحُبُّهُ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِي
أَيَّاسُنِي التَّوْبَةُ مِنْ حُبِّهِ طُلُوعُهُ شَمْساً مِنَ الْمَغْرِبِ

ويغلب على ظني أنه خاطبه بذلك عند قدومه ، أعني لسان الدين ، من المغرب إلى الأندلس ، والله تعالى أعلم .

وكان قاضي القضاة برهان الدين الباعوني الشامي^٢ ، كثير الثناء على لسان الدين رحمه الله تعالى ، لأنه تلقى أخباره من قاضي القضاة ابن خلدون حسبما ذكرناه في غير هذا الموضع ، ولقد رأيت بخطه على هامش بعض تأليف لسان الدين في الإنشاء ما نصّه : هذا بليغ إلى الغاية ؛ انتهى .

وكتب أثره بعض أكابر علماء المشرق ما نصّه : هذا خط العلامة قاضي القضاة برهان الدين الباعوني ، وهو شديد الاعتناء والمدح للمصنف ابن الخطيب الأندلسي ، معظم له وإنشائه ، وهو خليق بالتعظيم ، جدير بمزيد التمجيد والتكريم ، وكيف لا وهو شاعر مُفْلِقٌ ، وخطيب مِصْقَعٌ . وكاتب مترسل بليغ ، لولا ما في إنشائه من الإكثار ، الذي لا يكاد يخلو من عثار . والإطناب . الذي يُفْضِي إلى الاجتناب ، والإسهاب ، الذي يَقْدُ الإهاب . ويورث الالتهاب ؛ انتهى .

١ قد تقدم القول في البيتين ونسبتهما ج ٤ : ١٤ : ٥ : ٣٤٨ ، ٤٨٢ .

٢ هو إبراهيم بن أحمد الباعوني (- ٨٧٠) الصفدي المولد الدمشقي الدار ، كان ينمت بقاضي القضاة مع أنه رفض تولي القضاء ، وله ديوان شعر ومؤلفات أخرى (الضوء اللامع ١ : ٢٦ والبدر الطالع ١ : ٨ ونظم العقيان ١٣) .

قلت : وهذا الانتقاد غير مُسَلَّم ، فإن لسان الدين وإن أطنب وأسهب ، فقد سلك من البلاغة أحسنَ مذهب ، ويرحم الله تعالى العلامة البرهان الباعوني المذكور أعلاه ، إذ كتب بخطه في آخر بعض تأليف لسان الدين في الإنشاء ما صورته : قال كاتبه إبراهيم بن أحمد الباعوني لطف الله تعالى به : الحمد لله على ما ألهم من البيان وعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم ، وقفتُ على هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، وعُمتُ من بحر بلاغته في زاخره ، وعددته من مناقب مؤلفه ومفاخره ، فإنه برز فيه غاية التبريز ، وأتى بما هو أحسن من الذهب الإبريز ، لا بل هو أبهى من الجواهر ، والنجوم الزواهر ، وعجبت من تلك الألفاظ ، المشبهة لسحر الألفاظ ، ورقة المعاني ، المحكمة المباني ؛ انتهى .

فانظر - أيدك الله تعالى - بعين الإنصاف إلى كلام هذا الفاضل ، المتصف الكامل ، وقِسْه مع كلام ذلك المنتقد المتعصب الناقص الحامل ، مع أن الكلام الذي تعرض له ذاك بالقدح ، هو الذي تصدى له الباعوني بالمدح ، وكل إناء بالذي فيه ينضح ، وإتّما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل ، والأمر أجلى من أن يقام عليه دليل وأوضح .

رجع إلى ما كنّا بصدده :

وقال الوزير ابن عاصم عندما أجرى ذكر سلطان ابن الخطيب أمير المسلمين الغني بالله بعد كلام كثير ما صورة محل الحاجة منه : وكان هذا السلطان من نيل الأغراض على أكمل ما يكون عليه مثله ممن نزع غرقاً في قنوس الخلافة ، حكى لي شيعنا القاضي أبو العباس الحسيني أن كبير ولده الأمير أبا الحجاج طلب من الشيخ ذي الوزارتين أبي عبد الله ابن الخطيب أن يطلب من أبيه الغني بالله أن يبادر بإعذاره ، إذ كان قد جاوز سنّ الإثغار ، دون إعدار ، لمكان ما لحق والده من التمحيص وغير ذلك من الحوادث المهمة ، فأسعده الشيخ بذلك ، وقال

للغني بالله : يا مولانا إن سيدي يوسف وكنني على طلب إعداره من مولانا نصره الله على ما يليق بك وبه ، فقال له الغني بالله : حسبي الله ، وسكت سكتة لطيفة تُشعر بفصل الكلام بعضه من بعض ، ثم قال : ونعم الوكيل ! فعدّها الأكياس من مدارك نُبله ، ومحاسن قوله وفعله ، انتهى .

قلت : هذا من السلطان في حق لسان الدين غاية التبجيل ، أعني قوله « ونعم الوكيل » فأين هذا من سماع كلام أعدائه فيه بعد ، حتى آل أمره إلى النحس بعد ذلك السعد ؟ وسقاه دهره بعد الخلاوة ما مر ، ولم يكن قتله إلا بتسبب السلطان المذكور كما مر :

ثلاثة " ليس لها أمان " البحر والسلطان والزمان

[٥ - رسالة ابن خاتمة إلى لسان الدين]

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى^١ : ولما قضى الله عز وجل بالإدالة ، ورجعنا إلى أوطاننا بن العُدوة ، واشتهر عني ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة ، والنيه على السلطان والدولة ، والتكبر على أعلى رتب الخدمة ، وتطارحت على السلطان في استنجاز وعد الرحلة ، ورغبت في تبرة الذمة ، ونفرت عن الأندلس بالحملة ، خاطبني - يعني أبا جعفر ابن خاتمة - بعد صدر بلّغ من حسن الإشارة وبراعة الاستهلال الغاية بقوله : « وإلى هذا يا سيدي ومحل تعظيمي وإجلالي ، أمتنع الله تعالى الوجود بطول بقائكم ، وضاعف في العز درجات ارتقائكم ، فإنه من الأمر الذي لم يرغب عن رأي العقول ، ولا اختلف فيه أرباب المعقول ، أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها ، وتاج مفرقها ، وواسطة سلكها ، وطراز ملكها ، وقيلادة نحرها ، وفريدة دهرها ، وعقد جيدها المنصوص ، وتمام

١ انظر الإحاطة ١ : ١٢٤ وأزهار الرياض ١ : ٢٦٥ .

زينتها على العموم والخصوص ، ثم أنتم مدار أفلاكها ، وسر سياسة أملاكها ، وترجمان بيانها ، ولسان إحسانها ، وطبّ مارستانها ، والذي عليه عقد إدارتها ، وبه قوام إمارتها ، فلديه يحل المشكل ، وإليه يُلجأ في الأمر المعضّل ، فلا غرو أن تتقيد بكم الأسباع والأبصار ، وتحذّق نحوكم الأذهان والأفكار ، ويُرَجّر عنكم السانح والبارح ، ويستنبأ ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح ، استقراء لمرامكم ، واستطلاعاً لطالع اعتزامكم ، واستكشافاً عن مرامي سهامكم ، لا سيما مع إقامتكم على جناح خفوق ، وظهوركم في ملتصع بروق ، واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق ، حتى تستقر بكم الديار ، ويلقي عصاه التسيار ، ولها العذر في ذلك إذ صدّعها بفراقكم لم يندمل ، وسرورها بلقاكم لم يكتمل ، ولم يبرأ بعد جناحها المهيض ، ولا جَمّ ماؤها المغيض ، ولا تميزت من داجيها لياليها البيض ، ولا استوى نهارها ، ولا تألفت أنهارها ، ولا اشتملت نعمائها ، ولا نُسيت غمّاؤها ، بل هي كالنّاقية ، والحديث العهد بالمكارة ، يستشعر نفس العافية ، ويتمسح منكم باليد الشافية ، فبحنانكم عليها ، وعظيم حرمتكم على من لديها ، لا تشوبوا لها عذّب المُجّاج بالأجاج ، وتفظموها عمّا عودت من طيب المزاج ، فما لدائها وحياة قربكم غير طبكم من علاج .

« ولأنّي ليخطر بخاطري محبة فيكم ، وعناية بما يعنيكم ، ما نال جانبكم صانه الله تعالى بهذا الوطن من الجفاء ، ثمّ أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء ، وأن الوطن لإحدى المواطن الأظّار التي يحقّ لها جميل الاحتفاء ، وما يتعلّق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء ، فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أجنح ، وبحق نفوسكم عن حق أوليائكم أسمع ، وليّتي هي أعظم قيمة من فضائلكم أو هبّ وأسجّح ، وهب أن الدرّ لا يحتاج في الإثبات ، إلى شهادة النحور واللبّات ، والياقوت غني في المكان ، عن مظاهرة القلائد والتيجان ، أليس أنّه أعلى للعيان ، وأبعد عن مكابرة البرهان ، تألّفها في تاج الملك أنوشروان ؟ فالشمس وإن كانت أم الأنوار ، وجللاء الأبصار ، مهما أغمى مكانها من الأفق

قيل : أليلٌ هو أم نهار ، وكما في علمكم ما فارق ذوو الأرحام ، وأولو الأحلام ، مواطن استقرارهم ، وأما كن قرارهم ، إلا برغمهم واضطرارهم ، واستبدال دار خير من دارهم ، ومتى توازن الأندلس بالمغرب ، أو يعوض عنها إلا بمكة أو يثرب ؟ ما تحت أديمها أشلاء أولياء وعبيد ، وما فوقه مرابط جهاد ، ومعاهد ألوية في سبيل الله ومضارب أوتاد ، ثم ييوا ولده ميوأ أجداده ، ويجمع له بين طارفه وتلاده ، أعيد أنظاركم المسددة من رأي فائل ، وسعي طويل لم يحل منه بطائل ، فحسبكم من هذا الإياب السعيد ، والعود الحميد ، وهي طويلة .

[٦ - من لسان الدين إلى ابن خاتمة]

قال لسان الدين رحمه الله تعالى : فأجبت به بقولي ١ :

لُـمُ في الهوى العذريُّ أو لا تلُـمُ فالعدلُ لا يدخلُ أسماعي
شأنك تعني في وشائي الهوى كلُّ امرئ في شأنه ساعي

أهلاً بتحفة القادم ، وريحانة المنادم ، وذكر الهوى المتقادم ، لا يصغر الله مسراك ، فما أسراك ، لقد جبت إليَّ من همومي ليلاً ، وجست رجلاً وخيلاً ، ووفيت من صاع الوفاء كيلاً ، وظننت بي الأسف على ما فات ، فأعملت الالتفات ، لكيلاً ٢ ، فأقسم لو أن الأمر اليوم بيدي ، أو كانت اللمة السوداء من عُددي ، ما أفلت أشراكي المنصوبة لأمثالك ٣ ، حول المياه وبين المسالك ، ولا علمت ما هنالك ، لكنك طرقت حيمي كسعت الغارة الشعواء ، وغيّرت

١ الإحاطة ١ : ١٢٦ والأزهار ١ : ٢٦٧ .

٢ هذا من الاكتفاء ، فهو يشير إلى الآية الكريمة « لكي لا تأسوا على ما فاتكم . . . الآية » .

٣ نثر بيت الشريف الرضي :

لو كانت اللمة السوداء من عُددي يوم الغيم لما أفلت أشراكي

رَبَّعَهُ الْأَنْوَاءَ ، فمُخَمَّدٌ بَعْدَ ارْتِجَاجِهِ ، وَسَكَتُ أَذِينَ دُجَاجِهِ ، وَتَلَاعَبْتُ الرِّيَاحُ
الهُوْجُ فَوْقَ فِجَاجِهِ ، وَطَالَ عَهْدُهُ بِالزَّمَنِ الْأَوَّلِ ، وَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ
مُعَوَّلٍ ؟ وَحَيَّا اللَّهَ نَدْبًا إِلَى زِيَارَتِي نَدْبَكَ ، وَبَادَاهِ الْحَكْمِيَّةُ أَدَبَكَ :

فَكَانَ وَقْدَ أَفَادَ بِكَ الْأَمَانِي كَمَنْ أَهْدَى الشِّفَاءَ إِلَى الْعَلِيلِ

وَهِيَ شَيْمَةٌ بَوْرَكَتٍ مِنْ شَيْمَةٍ ، وَهَبَةُ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَهُ مِنْ لَدُنِ الْمَشِيمَةِ ،
وَمَنْ مِثْلَهُ فِي صَلَةِ رَعِي ، وَفَضْلِ سَعِي ، وَقَوْلِ وَعِي ^١ :

قَسَمًا بِالْكَوَاكِبِ الـ زُهْرُ وَالزُّهْرُ عَاتِمَةٌ
إِنَّمَا الْفَضْلُ مِلَّةٌ خُتِمَتْ بِابْنِ خَاتِمَةٍ

كَسَانِي حِلَّةَ فَضْلِهِ ، وَقَدْ ذَهَبَ زَمَانُ التَّجَمُّلِ ، وَحَمَلَنِي شُكْرُهُ وَكَتَدِي
وَاهٍ عَنِ التَّحْمِلِ ، وَنَظَرَنِي بِالْعَيْنِ الْكَلِيلَةِ عَنِ الْعَيْبِ ، فَهَلَّا أَجَادَ التَّأَمُّلِ ، وَاسْتَطْلَعَ
طَلْعَ نَثِّي ^٢ ، وَوَالَى فِي مَبْرَكِ الْمَعْجِزَةِ حَثِي ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي ﴾ :

وَلَوْ تَرَكْتُ الْقَطَا لَيْلًا لَنَا مَا ^٣

وَمَا حَالَ شَمْلٍ وَتَدَهُ مَفْرُوقٍ ، وَقَاعِدَتُهُ فُرُوقٌ ، وَصُوعَابُ بَنِي أَبِيهِ مَسْرُوقٌ ،
وَقَلْبُ قَرَحِيهِ مِنْ عَضَّةِ الدَّهْرِ دَامٍ ، وَجَمْرَةٌ حَسْرَتِهِ ذَاتُ احْتِدَامٍ ، هَذَا وَقَدْ
صَارَتْ الصَّغْرَى ، الَّتِي كَانَتْ الْكُبْرَى ، لِمَشِيبٍ لَمْ يَدْعُ أَنْ هَجَمَ لَمَّا نَجْمٌ ، ثُمَّ
تَهَلَّلَ عَارِضُهُ وَانْسَجَمَ :

لَا تَجْمَعِي هَجْرًا عَلَيَّ وَغُرْبَةً فَالْهَجْرُ فِي تَلَفِ الْغُرْبِ سَرِيعٌ

١ ق ص : ومرعى .

٢ النث : ما يذيعه المرء من سر .

٣ من أمثاهم ؛ وصدرة : « ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا » يريد أن وراء إثارة القفا في الليل أمراً
رهيباً . انظر فصل المقال : ٣٠٥ - ٣٠٦ .

نظرت فلذا [الجنب ناب ، و]^١ النفس فريسة ظُفُر وناب ، والمال أكيلة
انتهاه ، والعمر رهن ذهاب ، واليد صفر من كل اكتساب ، وسوق المعاد
مترامية ، والله سريع الحساب :

ولو نُعْطِيَ الخيار لما افترقنا ولكن لا خيارَ مَعَ الزمان

وهب أن العمر جديد ، وظلّ الأمن مديد ، ورأي الاغتيال بالوطن شديد ،
فما الحجة لنفسي إذا مرت بمطارح جفوتها ، وملاعب هفوتها ، ومثاقف
قناتها ، ومظاهر عزّها ومَنّاها ، والزمان وكُود ، وزناد الكون غير صلُود :

ولذا امرؤ لدغته أفعى مرّةً تركته حين يُجَرُّ حبلٌ يَفَرِّقُ^٢

ثم إن المرغب قد ذهب ، والدهر قد استرجع ما وهب ، والعارض قد
اشتبه ، وآراء الاكتساب مرجوحة مرفوضة ، وأسماءه على الجوار مخفوضة ،
والنية مع الله على الزهد فيما بأيدي الناس معقودة ، والتوبة بفضل الله عزّ وجل
منقودة ، والمعاملة سامرية ، ودروع الصبر سابرية ، والاقتصاد قد قرت العين
بصحبه ، والله قد عوض حب الدنيا بمحبته ، فلذا راجعها مثلي من بعد الفراق ،
وقد رَقَى لدغتها أَلْفُ راق ، وجمعتني بها الحجرة ، ما الذي تكون الأجرة ؟
جل شاني ، وإن رضي الوامق وسخط الشاني ، لأنني إلى الله تعالى مهاجر ،
وللعرض الأدنى هاجر ، ولأظعان السُّرى زاجر ، لنجد إن شاء الله تعالى وحاجر ،
لكن دعائي للهوى ، إلى هذا المولى المنعم هوى ، خلعت نعلي الوجود وما خلعت ،
وشوقي أمرني فأطعته ، وغالبٌ والله صبري فما استطعته ، والحال أغلب ،
وعسى أن لا ينجيب المطلب ، فإن يسر رضاه فأمر كمل ، وراحل احتمل ، وحادٍ
أشجى الناقة والحمل ، وإن كان خلاف ذلك فالزمان جم العلائق ، والتسليم

١ انفردت بها ص ، ووردت في المصدرين المذكورين .

٢ البيت لصالح بن عبد القدوس (تاريخ بغداد ٩ : ٣٠٤) .

بمقامي لائق :

ما بينَ غَمَضَةِ عَيْنٍ وانتباهتها يُصَرِّفُ الأمرُ من حالٍ إلى حالٍ
وأما تفضيله هذا الوطنَ لِيُمنَ طَيِّرِهِ ، وعموم خيره ، وبركة جهاده ،
وعمران رُبَاهِ ووِهَادِهِ ، بأشلاء عُبَادِهِ وزُهَادِهِ ، حتى لا يفضلهُ إلا أحدُ الحرمين ،
فحقُّ بَرِيءٍ من المَيتِينَ ، لكنني للحرمين جنحت ، وفي جَوْ الشوق إليهما سنحت ،
فقد أفضتُ إلى طريق قَصْدِي محجته ، ونصرتني والمنة لله تعالى حُجَّتُهُ ، وقصد
سيدي أَسْنَى قصد توخَّاهُ الحمد والشكر ، ومعروف عرف به النكر ، والآمال
من فضل الله بعدُ تُمَنَّتار ، والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ، ودعاؤه بظهر الغيب
مدد ، وعدة وعدد ، وبره حالِي الظعن والإقامة معتمَل معتمد ، ومجال المعرفة
بفضله لا يحصره أمد ، والسلام ؛ انتهى .

ومن خط ابن الصباغ ما صورته : يكفي ابنَ خاتمة الغايةُ التي سلمها له
إمام الطريقة ، وواحدها الفذ على الحقيقة ، حيث قال :

إِنَّمَا الْفَضْلُ مِلَّةٌ خُتِمَتْ بِابْنِ خَاتِمَةٍ

ومن نظمه وقد تخلَّى عن الكتابة وطُلِبَ منه أن يعود فأبى وأنشد :

تَقَضَّى فِي الْكِتَابَةِ لِي زَمَانٌ كَشَأْنِ الْعَبْدِ يَنْتَظِرُ الْكِتَابَةَ
فَمَنْ اللَّهَ مِنْ عِتْقِي بِمَا لَا يَطِيقُ الشُّكْرُ أَنْ يَمْلَأَ كِتَابَهُ
وَقَالُوا هَلْ تَعُودُ فَقُلْتُ كَلَّا وَهَلْ حُرٌّ يَعُودُ إِلَى الْكِتَابَةِ

فانظر حُسْنَ هذه التورية العجيبة ؛ انتهى .

[رسالة ابن خاتمة إلى ابن جزري]

ولابن خاتمة يخاطب ابنَ جُرَيٍّ : يا أخِي الَّذِي سَمَا وَدُّهُ أَنْ يُجَازَى ،

وسيدي الذي علا مجده عن أن يُوازي ، وصل الله تعالى لك أسباب الاعتلاء والاعتزاز ، وكافاً ما لك من الاختصاص بالفضائل والامتياز ؛ أمّا إنّه لو وسع التخلف عن جواب أخ أعز ، ولم يجب التكلف عمن قد عجز ، لغطيت عجزى عن عين تعجيزك . ولما تعاطيت المثل بين يدي مناهزك أو مجيزك ، لكنّه في حكم الود المكنون المكنوز ، ممّا لا يحل ولا يجوز ، فلکم الفضل في الإغضاء عن عاجز ، دعاه حكم التكلف إلى القيام مقام مُناجز ، وإن لم يكن ذلك عند الإنصاف ، وحميد الأوصاف ، من السائح الجائر ، فعن جهده ما بلغ وليك إلى هذه الأحواز . ولم يحصل الحقيقة إلاّ على المجاز . أمّا ما ذهبتم إليه من تخميس القصيدة التي أعجزت ، وبلغت من البلاغة الغاية التي عزت مُناهضتها وأعوزت ، فلم أكن لأستهدف ثانياً لمضاضة الإعجاز ، وأسجل على نفسي بالإفلاس والإعواز ؛ انتهى .

وكتب قبلها قصيدة زائفة أجابه بها عن قصيدة زائفة ، التزم فيها ابنُ جزي ترك الراء . لأنّه كان ألشّع يبدها غيناً ، رحم الله تعالى الجميع . وقال لسان الدين في ترجمة ابن خاتمة المذكور^١ : إنّه الصدر المتفنن المشارك ، القوي الإدراك ، السديد النظر ، الثاقب الذهن ، الكثير الاجتهاد ، الموفور الأدوات . المعين الطبع ، الجليد القريحة ، الذي هو حسنة من حسنات الأندلس ، أحمد بن علي بن خاتمة ، من أهل المرية .

[٧ - رسالة من ابن خاتمة إلى لسان الدين]

إلى أن قال : « وممّا خاطبني به بعد إلام الركاب السلطاني ببلده وأنا صحبته ، ولقائه إياي بما يلقي به مثله من تأئيس وبر ، وتودد وتردد :

يا من حصلتُ على الكمال بما رأيتُ عيناَي منه من الجمال الرائع

١ انظر الإحاطة ١ : ١١٤ ، ١١٦ .

قمرٌ يروقُ وفي عطاقيُّ بردهِ ما شئتَ من كرمٍ ومجدٍ بارعٍ
أشكو إليك من الزمانِ تحاملاً في قضٍّ شَمَلٍ لي بقربكَ جامعٍ
هَجَمَ البعادُ عليهِ ضنّاً باللِّقا حتى تقلَّصَ مثلَ برقٍ لامعٍ
فلو آتني ذو مذهبٍ لشفاعةِ ناديتُهُ يا مالكي يا شافعي

« شكواي إلى سيدي ومُعظَّمي - أقر الله تعالى بسنائه أعين المجد ، وأدرّ بثنائه
السنَّ الحمد - شكوى ظمآنٍ صُدَّ عن القراحِ العذبِ لأوّلِ وروده ، والهيمن
رد عن استرواحِ القربِ لمعضلِ صلوده ، من زمانِ هجمِ عليٍّ بإبعاده ، على حين
إسعاده ، ودهمني بفراقه ، غبّاً لإنارةِ أفقي به وإشراقه ، ثم لم يكفِه ما اجترَم في
ترويعِ خياله الزاهر ، حتى حرم عن تشييعِ كماله الباهر ، فقُطِعَ عن توفيةِ حقّه ،
ومنع من تأديةِ مستحقّه ، لا جرّمَ أنّه أنفَ لشعاعِ ذُكائه ، من هذه المطالعِ
النائيةِ عن شريفِ الإنارةِ ، وبخلٍ بالإمتاعِ بذكائه ، عن هذه المسامعِ النائيةِ^١ عن
لطيفِ العبارةِ ، فراجعِ أنظاره ، واسترجعِ مُعاره ، وإلا فعهدي بغروبِ
الشمسِ إلى الطلوعِ ، وأن البدرَ يتصرف بين الإقامةِ والرجوعِ ، فما بال هذا
النيرِ الأسعدِ ، غَرَبَ ثمّ لم يطلع من الغدِ ، ما ذاك إلا لعدوى الأيامِ وعدوّانها ،
وشأنها في تغطيةِ إساءتها وجهِ إحسانها ، وكما قيل : عادت هيف إلى أديانها ،
أستغفر الله أن لا يعد ذلك من المغتصّر ، في جانب ما أولت من الأثر ، التي أزرى
العيان فيها بالأثر ، وأربى الخُبر على الخُبر ، فقد سرت متشوّفات الخواطر ،
وأقرّت مستشرفات النواظر ، بما حوت من ذلكم الكمالِ الباهر ، والجمالِ
الناضر ، الذي قيد خطا الأبصار ، عن التشوّف والاستبصار ، وأخذ بأزمنةِ
القلوب ، عن سبيلِ كل مأمولٍ ومرغوبٍ ، وأنّى للعين ، بالتحوّل عن كمالِ
الزَيْن ؟ أو بالطرف ، بالتّنقل عن خلالِ الظرف ؟ أو للسمع من مراد ، بعد

١ ق : النائية .

ذلكم الإصدار الأدبي والإيراد ، أو للقلب من مراد ، غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس الكرم في حُلل وأبراد ، وهل هو إلاّ الحسن جُمع في نظام ، والبدر طالع لتمام ، وأنواع الفضل ضمها جنس اتفاق والثام ، فما ترعى العين منه في غير مرعى خصيب ، ولا تستهدف الأذن بغير سهم في حلق البلاغة مصيب ، ولا تستطلع النفس سوى مطلع له في الحسن والإحسان أوفر نصيب ، لقد أزرى بناظم حلاه فيما يتعاطاه التقصير ، وانفسح مدى علاه بكل باع قصير ، وسفه حلم القائل إن الإنسان عالم صغير ، شكراً للدهر على يد أسداها بقرب مزاره ، وتحفة أهداها بمطلع أنواره ، على تغاليه في ادخار نفائسه وبخله بنفائس ادخاره ، لا غرو أن يضيق عنا نطق الذكر ، ولا يتسع لنا سوار الشكر ، فقد عمت هذه الأفطار بما شامت من تحف بين تحفٍ وكرامة ، واجتنت أهلها ثمة الرحلة في ظل الإقامة ، وجرى لهم الأمر في ذلك مجرى الكرامة .

« ألا وإن مفاتيحي لسيدي ومعظمي - حرسَ الله تعالى مجده ، وضاعف سعده - مفاتيحه من ظفر من الدهر بمطلوبه ، وجرى له القدر على وفق مرغوبه ، فشرع له إلى أهله باباً ، ورفع له من خجله جلباباً ، فهو يكلف بالاقتحام ، ويأنف من الإحجام ، غير أن الحصر عن درج قصده يقيده ، والبصر يبهّج نقده فيقعه ، فهو يُقدّم رجلاً ويؤخر أخرى ، ويجدد عزماً ثم لا يتحرّى ؛ فإن أبطأ خطابي فلو اضح الأعذار ، ومثلكم من قبل جليّات الأقدار ، والله سبحانه يصل لكم عوائد الإسعاد والإسعاف ، ويحفظ بكم ما للمجد من جوانب وأكناف ، إن شاء الله تعالى . وكتب في عاشر ربيع الأول عام ثمانية وأربعين وسبعمائة » ؛ انتهى .

ومن خاتمة رسالة من إنشاء ابن خاتمة المذكور : فلنصرف عنان البطالة عن الإطالة ، ونسلم على السيادة الطاهرة الأصالة ، بأطيب تسليم ، ختامه مسك ومزاجه من تسنيم .

ومن نظم ابن خاتمة المذكور^١ :

هو الدهرُ لا يُبقي على عائذٍ به فمن شاء عيشاً يصطبرُ لنوائبهُ
فمن لم يُصَبِّ في نفسه فمُصابه بفنوتِ أمانيهِ وفقدِ حبابهُ

ومنه قوله :

ملاكُ الأمرِ تقوى الله ، فاجعلْ تُفاهِ عُدَّةٍ لصالحِ أمرِكْ
وبادرْ نحو طاعتهِ بعزمٍ فما تدري متى يقضى بعمرِكْ

[٨ - رسالة أخرى من ابن خاتمة إلى لسان الدين]

وقال لسان الدين : وكتب إلي - يعني ابن خاتمة المذكور - عقب انصرافه من غرناطة في بعض قدماته عليها ما نصّه^٢ : ممّا قلته بديهة عند الإشراف على جنابكم السعيد ودخوله مع النفر الذين أتحفتهم سيادتكم بالإشراف عليه ، والدخول إليه ، وتنعيم الأبصار في المحاسن المجموعة لديه ، وإن كان يوماً قد غابت شمسهُ ، ولم يتَّفِقْ أن كمل أنسه ، وأنشدته حينئذ بعض من حضر ولعلّه لم يبلغكم ، وإن كان قد بلغكم ففضلكم بحملني في إعادة الحديث :

أقولُ وعينُ الدّمعِ نصبُ عيوننا ولاحَ لبستانِ الوزارةِ جانبُ
أهذي سماءُ أم بناء سما به^٣ كواكبُ غُضَّتْ عن سناها الكواكبُ
تناظرتِ الأشكالُ منه تقابلاً على السَّعدِ وسُطى عقده والحبائبُ
وقد جرتِ الأمواهُ فيه مجرةً مذنَّبُها شُهْبٌ لهن ذوائبُ
وأشرفَ من عليها بهوٌ تحفه شماسي زجاجٍ وشيئها متناسبُ

١ القطعتان في الإحاطة : ١٢٢ - ١٢٣ .

٢ المصدر السابق : ١٢٣ والكتيبة : ٢٤٤ .

٣ الإحاطة : ساءه .

يطلّ على ماء به الآسُ دائراً^١ كما افترّ ثَغْرُ أو كما اخضرّ شاربُ
هنالك ما شاء العلّا من جلاله بها يزدهي بستانُها والمراتبُ
ولما أحضر الطعام هنالك دعي شيخنا القاضي أبو البركات فاعتذر أنّه صائم
قد بيّته من الليل ، فحضرني أن قلت :

دعونا الخطيبَ أبا البركات لأكلِ طعامِ الوزير الأجلّ
وقد ضمّنا في نداه جناناً به احتفل الحسنُ حتى كملّ
فأعرض عني لعذرِ الصيام وما كلّ عذرٍ له مستقلّ
فإنّ الجنانَ محلّ الجزاء وليس الجنانُ محلّ العملِ

وعندما فرغنا من الطعام أنشدت الأبيات شيخنا أبا البركات ، فقال لي :
لو أنشدتنيها وأنتم بعد لم تفرغوا منه لأكلت معكم ، برآ بهذه الأبيات ، والحوالة
في ذلك على الله تعالى ؛ انتهى .

ومن نظم ابن خاتمة المذكور في فرّان :

ربّ فرّانٍ جلا صفحتهُ لهبُ القرنِ جلاء العسجدِ
يضرّمُ النارَ بأحشاء الورى مثلما يضرّم في المستوقدِ
فكأنّ الوجه منه خُبْزةٌ فوقها الشعرُ كقدر أسودِ

[أحمد بن صفوان]

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى^٢ : ولما قدمت مالقة آيياً من السفارة إلى
ملك المغرب محفوفاً بفضل الله تعالى وجميل صنّعه ، موفّى المآرب ، مصحّباً

١ ق : دائر .

٢ انظر ترجمة ابن صفوان في الإحاطة ١ : ١٠٠ والكتيبة : ٢١٦ .

بالإعانة ، لقيني على عادته مهنيًا ، يعني أحمد بن صفوان أحد أعلام مالقة وبقية أدبائها وصدور كتابها ، وأنشدني معيداً في الود مبدياً ، وضمن غرضاً له تعجل قضاءه والحمد لله تعالى :

قدمت بما سرّ النفوس اجتلاؤه
قدوماً بخيرٍ وافرٍ وعنايةٍ
ورفعةٍ قدرٍ لا يداني محلّها
عنيت بأمر المسلمين فكلّهم
بلغت الذي أمّلت من صلاحهم
فيا واحداً أغنت عن الجمع ذاته
تشوّكك الملك الذي بك فخره
فلا زال مُزّداً بحليك جوده
وخصّصت من ربّ العباد بنعمة
وعشت عزيزاً في النفوس محبباً
وقد جاءني داعي السرور مؤدياً
ولي بعد هذا مأرب متوقف
هزرت له عطف البطرني راجياً
ولم يدري أني من علائك منتض
يصمم إن هزته كفتي لمعضل
فحقّق له دامت سعودك حرمتي
وشارك محباً خالصاً لك حبه
وصيل بجزيل الرعي جبل ذمامه
بقيت وصنع الله يدي لك المنى
بحرمة من حقّت سيادته على

فهنت ما عمّ الجميع هناؤه
وعزّ مشيد بالمعالي بناؤه
رفيع وإن ضاهى السماك اعتلاؤه
بما يرتجيه قد توالى دعاؤه
فأدركت مأمولاً عظيماً جزاؤه
وقام بأعباء الأمور غناؤه
وأنت حقيقاً حسنه وبهاؤه
ولا زال موفوراً عليك اصطفاؤه
ينيلكها تخصيصه واحتفاؤه
يلبّي بتبجيل وبرّ نداؤه
لحقّ هناه قرّض عين أداؤه
على فضلك الرحب الجناح قضاؤه
له النجع فاستعصى وخاب رجاؤه
حساماً كفيلاً بالنجاح انتضاؤه
فيكفي العنا تصميمه ومضاؤه
لديك يرحني مطّله والتواؤه
قديماً كريماً عهدُهُ ووفاءه
يصلك جزيلاً شكره وثناؤه
ويوليك من مصنّوعه ما تشاؤه
بني آدم والخير منه ابتداؤه

وجمعت^١ ديوان شعره أيام مقامي بمالقة عند توجيهي صحبة الركاب السلطاني إلى إصراخ الحضراء عام أربعة وأربعين وسبعمائة ، وقدمت صدره خطبة ، وسميت الجزء بـ « الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة » .

[٩ - إجازة ابن صفوان للسان الدين]

وطلبت منه أن يجيزني وولدي عبد الله رواية ذلك عنه ، فكتب بخطه الراقى بظهر المجموع ما نصّه : الحمد لله مستحق الحمد ، أجبت سؤال الفقيه الأجل الأفضل السري الماجد الأوحد الأحفل الأديب البارع الطالع في أفق المعرفة والنباهة ، والرفعة المكيّنة والوجاهة ، بأبهى المطالع ، المصنف الحافظ العلامة الحائز في فني النظم والنثر ، وأسلوب الكتابة والشعر ، رتبة الرياسة والإمامة ، محليّ جيد العصر بتأليفه الباهرة الرؤاء ، ومجلّي محاسن بنيه الراقية على منصة الإشادة والأنباء أبي عبد الله ابن الخطيب ، وصلّى الله تعالى سعادتة ، وحرس مجادته ، وسنّى من الخير الأوفر ، والصنع الأبر ، مقصده وإرادته ، وبلغه في نجله الأسعد ، وابنه الراقى بمحتده الفاضل ومنشئيه الأطهر محلّ الفرقّد ، أفضل ما يؤمل نخلته إياه من المكرمات وإفادته ، وأجزت له ولابنه عبد الله المذكور أبقاهما الله تعالى في عزّة سنية الخلال ، وعافية ممتدّة الأفياء وارفّة الظلال ، رواية جميع ما تقيّد في الأوراق المكتتب على ظهر أوّل ورقة منها من نظمي ونثري ، وما توليت إنشاءه ، واعتمدت بالارتجال والرواية اختياره وانتقاه ، أيام عمري ، وجميع ما لي من تصنيف وتقييد ، ومقطوعة وقصيد ، وجميع ما أحمله عن أشياخي رضي الله تعالى عنهم من العلوم ، وفنون المنثور والمنظوم ، بأي وجه تأدّى ذلك إليّ ، وصح حملي له وثبت إسناده لديّ ، إجازة تامة ، في ذلك كلّ عامّة ، على سنن الإجازات الشرعي ، وشرطها

١ الإحاطة : ١٠٥ .

المأثور عند أهل الحديث المرعي ، والله ينفعني وإياهما بالعلم وحمله ، وينظمننا جميعاً في سلك حزبه المفلح وأهله ، ويفيض علينا من أنوار بركته وفضله ؛ قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية العبدُ الفقير إلى الله الغني به أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ، ختم الله تعالى له بخير ، حامداً الله تعالى ، ومصلحاً ومسلماً على نبيه المصطفى الكريم ، وعلى آله الطاهرين ذوي المنصب العظيم ، وصحابته البررة أولي الأثره والتقديم ، في سادس ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وسبعمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ؛ انتهى .

[١٠ - من العذري إلى لسان الدين]

وكتب الفقيه أبو جعفر ابن عبد الملك العذري من أهل سبته إلى لسان الدين رحمه الله تعالى في بعض الأغراض :

إنني بمجدك لم أزل مُستَيْقِناً أن لا يهدم بالتغير ما بقى
إذ أنت أعظم ماجد يغزى له صفح وأكرم من عفا عن جنى
وكتب أيضاً :

إن كان دهري قد أساء وجارا فذمام مجدك لا يضيّع جارا
فلأنت أعظم ملجأ يُنْجِي إذا ما الدهرُ أنجسد موعداً وأغاراً

[١١ - رسالة من لسان الدين إلى ابن نفيس]

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى : خاطبتُ الشيخَ الشريفَ الفاضلَ أبا عبد الله ابن نفيس صحبة ثمن مسكن اشتريته منه ، وكان قد أهداني فرساً عتيقاً :

جزيت يا ابن رسول الله أفضل ما جزى الإلهُ شريف البيت يوم جزى

إن أعجزَ الشكرُ منِّي منَّةً ضعفت عن بعض حَقِّك شُكْرُ الله ما عجزا

« سيدي ، أبقي الله شرفك تشهد به الطباع ، إذا بعدت المعاهد المقدسة والرباع ، وتعترف به الأبصار والأسماع ، وإن جمحت عارضها الإجماع ، بأي لسان أفني ؟ أم أي الأفنان أهصر وأجني ؟ أم أي المقاصد الكريمة أعني ؟ أمطيت جوادك المبارك ، وأسكنت دارك ، وأوسعت مطلبي اصطبارك ، وهضمت حَقِّك وبوّأت جوارك ، ووصلت للغرباء إيثارك ، أشهد بأنك الكريم ابن الكريم ، لا أقف في تعدادها عند حد^١ إلى خير جد ، فإن أعان الدهر على مجازاة ، وإن ترفع كرمك عن مُوازاة ، فحاجة نفس قضيت ، وأحكام آمال أمضيت ، وإن اتصل العجز فعين على القلدي أغضيت ، ومناصل عزم ما انتضيت ، وعلى كل حال فالثناء ذائع والحمد شائع ، واللسان والحمد لله طائع ، والله مشير ما أنت بائع^٢ ، وقد وجهت من يحاول لسيدي ثمن ما اكتسبه مجده ، وسفّر عنه حمده ، والعقيدة بعد التراضي ، وكمال التقاضي ، وحميد الصبر وسعة التغاضي ، وكونه الخصم والقاضي ، أنه هبة سَوَّغها إنعامه ، وأكلة هناها مِطْعامه ، نسأل الله تعالى أن يعلي ذكره ، ويتولى شكره ، ويُنمي ماله ، ويرفع قدره ، والولد جاره الغريب الذي برز إلى مقارعة الأيام عن خبرة قاصرة ، وتجربة غير منجدة على الدهر وناصره ، قد جعلته وديعة في كرم جواره ، ووضعته في حجر إيثاره ، فإن زاغ فيدّه العليا في تبصيره ، ومؤاخذته بتقصيره ، ومن نَبّه مثله نام ، ومن استنام إليه بمهمة أكرم بمن إليه استنام ، وإن تشوّف^٣ سيدي لحال محبه فمطلق للدنيا من عقال ، ورافض أثقال ، ومؤمل اعتياض بخدمة الله تعالى وانتقال » انتهى .

١ وهضمت . . . عند حد : سقطت من ق .

٢ والحمد . . . بائع : سقطت من ق .

٣ ق : تشوق .

[١٢ - من لسان الدين إلى ابن رضوان]

وقال رحمه الله تعالى : ممّا خاطبت به صدر الفضلاء الفقيه المعظم أبا القاسم
ابن رضوان بما يظهر داعيته من فحواه :

مرضت فأيامي لديك مريضة وبرؤك مقرون ببرء اعتلالها
فلا راع تلك الذات للضر رافع ولا وسمت بالسقم غرّ خلاها

« وردت علي من فثي التي إليها في معرك الدهر أنحيز ، وبفضل فضلها في
الأقدار المشتركة أتميز ، سحابة سرت وساءت ، وبلغت من القصدين ما شاءت ،
أطلع بها سيدي صنيعه ودّه من شكواه على كل عابث في السويداء ، موجب
اقتحام البسداء ، مضمّر نار الشفقة في فؤاد لم يبق من صبره إلاّ القليل ، ولا
من إفصاح لسانه إلاّ الأتني والأليل ، ونوى مدت الغير ضرورة يرضاهما الخليل ،
فلا تسأل عن ضنين تطرقت اليد إلى رأس ماله ، أو عابد نوزع متقبل أعماله ،
أو أمل ضويق في فذلّة آماله ، لكنني رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق ،
وعارضت القواعد الموحشة بالفروق ، ورأيت الخطّ يبهر والحمد لله تعالى ويروق ،
واللفظ الحسن تومض في حبره للمعنى الأصيل بروق ، فقلت : ارتفع الوصب ،
وردّ من الصحة المغتصب ، وآلة الحس والحركة هي العصب ، وإذا أشرق سراج
الإدراك دل على سلامة سكيظه ، والروح خليط البدن والمرء بخليظه ، وعلى
ذلك فلا يقنع بليد احتياطي إلاّ الشرح ، ففيه يسكن الظمأ البرح ، وعذراً عن
التكليف فهو محل الاستقصاء والاستفسار ، والإطناب والإكثار ، وزند القلق
في مثلها أورى ، والشفيق بسوء الظن مغرّى ، وسيدي هو العمدة التي سلمت
لي الأيام فيها ، وقالت : حسب آمالك ويكفيها ، فكيف لا أشفق ، ومن أنفق من عينه
فأنا من عيني لا أنفق ، والله لا يحبط سعيمي في سؤال عصمتها ولا يخفق ، ويرشد
إلى شكره على ما وهب منها ويوفق ، والسلام الكريم على سيدي البر الوصول ،

الذي زكت منه الفروع لما طابت الأصول ، وخلص من ودّه لابن الخطيب
المحصول ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

[١٣ - جواب ابن رضوان]

قال : فراجعني حفظ الله سيادته بما نصّه :

متى شئت ألفي من علائك كلّ ما ينيل من الآمال خير منالها
كبرء اعتلال من دعائك زارني وعادات برّ لم ترم عن وصالها

« أبقي الله ذلك الجلال الأعلى متطولاً بتأكيد البر ، متفضلاً بموجبات الحمد
والشكر ، ورَدَّتْني سَحاءته المشتملة على معهود تشريفه ، وفضله الغني عن
تعريفه ، متحفياً في السؤال ، عن شرح الحال ، ومُعلنّاً بما تحلى به من كرم
الجلال ، والشرف العال ، والمعظم على ما يسّر ذلك الجلال الوزاري الرياسي
أجراه الله تعالى على أفضل ما عَوَّدَه ، كما أعلى في كل مكرمة يده ، ذلك ببركة
دعائه الصالح ، وحبّه المخيم بين الجوانح ، والله سبحانه المحمود على نعمه ،
ومواهب لطفه وكرمه ، وهو سبحانه المسؤول أن يهبني لسيدي قرار الخاطر ،
على ما يسره في الباطن والظاهر ، بمنّ الله تعالى وفضله ، والسلام الكريم على
جلاله الأعلى ورحمة الله وبركاته ، كتبه المعظم الشاكر الداعي الذاكر المحب
ابن رضوان ، وفقه الله تعالى ، في ذي الحجّة ختام عام واحد وستين وسبعمائة » ؛
انتهى .

[١٤ - من لسان الدين إلى الجنان]

وقال رحمه الله تعالى : وفاتحته - يعني الشيخ الجنان - محرّكاً قريحته ومستثيراً
ما عنده ، بقولي :

إن كانت الآدابُ أضحتُ جَنَّةً فلقد غدا جناها الجنانُ
أقلامه القُضْبُ اللَّدان بدوَحها والزهرُ ما رَقَمَتْهُ منه بنانُ
وذكر بعد البيتين سَجْعاً بليغاً .

[١٥ - جواب الجنان]

ثمَّ قال : فراجعني الجنان بما نصّه :

يا خاطبَ الآدابِ مهلاً^١ فقد ردّك عن خطبتها ابن الخطيبُ
هل غيره في الأرض كفاء لها وشرطها الكفاةُ قولُ مصيبُ
أصبح للشرطِ بها معرساً فاستفتِ في الفسخ فهل من مجيبُ

أيّها السيد الذي يُتنافس في لقائه ويَتَغَالى ، ويصادم بولائه صرف الزمان
ويتعالى ، وتُسْتَنْجِج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه ، وتُقْتَصَر شوارد العلوم
بروايات كلامه فكيف بمداناة عيانه ، جلوت عليّ من بنات فكرك عقائل نواهد ،
وأقمت بها على معارفك الجمة دلائل وشواهد ، واقتنصت بِشَرَك بديهتك من
المعاني أوابدَ شَوَارِد ، وفَجَّرْتَ من بلاغتك وبراعتك حياضاً عذبة الموارد ،
ثمَّ كلفتنني من إجراء ظالعي^٢ في ميسدان ضليعها ، مقابلة الشمس المنيرة بسراج
عند طلوعها ، فأخلدت^٣ لإخلاق مهيفض الجناح ، وفررت فرار الأعزل عن شاكي
السلاح ، وعلمت أنّي إن أخذت نفسي بالمقابلة ، وأدليت دلو قريحتي للمُساجلة ،
كنت كمن كلف الأيام مراجعة أمسها ، أو طلب ممّن علته السماء محاولة لمسها ،
وإن رضيت من القريحة بسجيتها ، وأظهرت القَدَرَ الذي كنت امتَحْتُ من
رَكِيَّتِها ، أصبحت مسخرة للراوين والسامعين ، ونبت عن أسمى دواوينهم

١ ق ص : طالعي .

٢ ق ص : فأخذت .

كما تنبو عن الأشيب عيون العين؛ ثم إن أمرك يا سيدي لا يُحَلُّ وثيق مبرمه ، ولا
يَحِلُّ نسخ محكمه ، فامتثلته امتثال من لم يجد في نفسه حزجاً من قضائك ، ورجوت
حسن تجاوزك وإغضائك ، أبقاك الله تعالى قطباً لفلك المكارم والمآثر ، وفصلاً
لخاتم المحامد والمفاخر ، والسلام « انتهى .

[ترجمة ابن الجنان]

والجنان المذكور^١ مغربي من مكناسة الزيتون ، وهو الشيخ الفقيه العدل
الأديب الأخباري المشارك ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي ،
الجنان ، من أهل الظرف والانطباع والفضيلة ، كاتب عاقل ناظم نائر مشارك
في فنون من العلم ، له تصنيف حسن في ثلاث مجلدات سمّاه « المنهل المورود
في شرح المقصد المحمود » شَرَحَ فيه وثائق أبي القاسم الجزيري المالكي ، فأربى
على غيره بياناً وإفادة ، قال في « نفاضة الجراب » : وناولني إياه ، وأذن لي
في حملي عنه ، وأنشدني كثيراً من شعره ، فمن ذلك ما صدر به رسالة يهنيء
بها ناقهاً من مَرَضٍ^٢ :

البسِ الصَّحَّةَ بُرداً قشيباً	وارشفِ النعمةَ ثغراً شنيباً
واقطفِ الآمالَ زهراً نضيراً	واعطفِ الإقبالَ غصناً رطيباً
إن يكنْ ساءك وعُكْ تقضَى	تجسدِ الأجرَ عظيماً رحيباً
فانتعشْ في دهرنا ذا سرورٍ	يصبحِ الحاسدُ منه كشيياً

[مقطعات وقصائد تكتب على المباني]

وقال أيضاً لسانُ الدين في النفاضة : قرأت بالدور الخشبي في الدار التي

١ انظر ترجمته في نيل الابتهاج : ٥٠ .

٢ الأبيات في المصدر المذكور .

نزلت بها بمكناسة الزيتون أحياناً منقشة استحسنتها لسهولةا فأخبرني أنها من
نظمه ، وهي :

انظر إلى منزل متى نظرت	عيناك يعجبك كل ما فيه
ينبىء عن رفعة المالكه	وعن ذكاء الحجي لبانيه
يناسب الوشي في أسافله	ما يرقم النقش في أعاليه
كأنه روضة مدبجة	جاد لها وابل بما فيه
فأظهرت للعيون زخرفها	ووافقتها على تجليسه
فهو على بهجة تلوح به	ورونق للجمال يبيده
يشهد الساكنين أن لهم	من جنة الخلد ما يحاكيه

قلت : قد تذكرت هنا ، والشيء بالشيء بذكر ، ما رأيته مكتوباً على
دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزياتي ،
وهي من بدائع الدنيا ، وهو :

انظر بعينك بهجتي وسنائي	وبديع إتقاني ، وحسن بنائي
وبديع شكلي ، واعتبر فيما ترى	من نشأتي بل من تدفقي مائي
جسم لطيف ذائب سيلانه	صاف كدوب الفضة البيضاء
قد حف بي أزهار وشي نعمت	فغدت كمثل الروض غيب سماء

وما أنشده بعض أهل العصر في المغرب بقصد أن يرسم في الأستار المذهبة
المحكمة الصنعة التي جعلها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسني رحمه
الله تعالى لكي يستر بها النواحي الأربع من القبة الكبيرة بالبديع ، وتسمى هذه
الستور عند أهل المغرب بالحائطي ، ففي الجهة الأولى :

متع جفونك من بديع لباسي وأدر على حسني حُميا الكاس

هذي الربى والروض من جرعائها
أننى لروض أن يروق بهاؤه
فالروض تغشاه السوام ، وإنما
وعلى الجهة الثانية :

من كل حسنا كالقضب إذا انثى
ولقد نشرت على السماك ذوائبي
وجرت ذيلي بالمجرة عابثاً
ما نيط مثلي في القباب ولا ازدهت
وتزري بغصن البانة الميأس
ونظرت من شزر إلى الكناس
فخرأ بمخترعي أبي العباس
بفتى سواه مراتب وكراسي
وعلى الجهة الثالثة :

ملك تقاصرت الملوك لعزه
غيث المواهب بحر كل فضيلة
فرد المحاسن والمفاخر كلها
ملك إذا وافى البلاد تارجت
ورماهم بالذل والإتعاس
ليث الحروب مسعر الأوطاس
قطب الجمال آخر الندى والباس
منه الوهاد بعاطر الأنفاس
وعلى الجهة الرابعة :

وإذا تطلع بدره من هالة
أيامه غرراً تجلت كلها
لا زال للمجد السني يشيده
ما مال بالغصن التسيم وحبيت
يُعشي سناه نواظر الجلاس
أبى من الأعياد والأعراس
ويقيم مبناه على الآساس
دُررُ الندى في جيده الميأس

وما أنشدنيهِ بعضُ العصريين من المغاربة لصاحبنا المرحوم الفقيه الكاتب

١ في ص : علماً اغتلى ؛ ق : عل ما اغتلى .

المحقق أبي محمد الحسن بن أحمد المسفيوي المراكشي^١ أحد مشاهير الكتّاب
بباب أمير المؤمنين المنصور بالله أبي العباس الشريف الحسني ملك المغرب ، صَبَّ
الله تعالى على الجميع أمطار الرضوان ممّا كتب في بعض مباني صاحبنا الوزير
العلامة الأجل سيدي عبد العزيز الفشتالي رحمه الله تعالى ، وهو :

أَجَلِ المَعْلَى من قِداحِ سُرُوري وأَدِرْ كُؤوسَ الأَنْسِ دونِ شُرُوري
خَلَعْتُ على عِطْفِ البِهاءِ محاسني فَكَسْتُ بهِ الآفاقَ ثوبَ حُبُوري
وَتَناسَقَ الوَشْيُ المَفُوفُ حَلَّتِي نَسَقَ الشُّدُوري على نَحُوري الحُوري
شَاوِ القُصُوري قُصُورُها عن رُتبة لي بِالسَّنا المَدُودِ والمَقُصُوري^٢
في المَبْنَى المراكشي وَأَفْقَه أَزرى على الزُوراءِ والخابُوري
أعلى مقامِي البارِعُ الأَسمَى الذي قَدِ حاز سَبَقَ النَظْمِ والمنشُوري
فإذا أَقْلَ بَنائُهُ أَقلامُهُ نَفَثْتُ^٣ عَقُودَ السَّحرِ بين سَطُوري
عَبْدُ العَزِيزِ أَخو الجَلالةِ كاتِبُ سِرِّ الخَليفةِ أَحْمَدَ المنصُوري
لا زالَ في يَمَنِ وأَمَنِ ما شَدَّتْ وَرَقُ بَروِضٍ بالتَدَدَى مَطرُوري

وبعضه كتبته بالمعنى من حفظي لطول العهد ، والغاية في هذا الباب ما أنشدنيه
لنفسه الوزير أبو فارس عبد العزيز الفشتالي المذكور ، وهي جملة من قصائد
كتبته في المباني الملوكية المنصورية بالحضرة المراكشية ، حاطها الله تعالى ، فمنها
ما كتب خارج القبة الخمسينية أي التي فيها خمسون ذراعاً بالعمل ، وذلك قوله
رحمه الله تعالى على لسان القبة^٤ :

١ ترجم له المقرئ في روضة الآس : ١٦٣ وأورد جملة من شعره ، وانظر درة المجال : ١ : ١٢٨

وله قصائد في مناهل الصفا .

٢ يريد : بالسنا (مقصوراً) وبالسنا (مدوداً) .

٣ ق : نقشت .

٤ وردت القصيدة في روضة الآس : ١٣٨ - ١٣٩ .

سموتُ فخرٌ البدرُ دونيَ وانحطاً
وصُغتُ من الإكليلِ تاجاً لفرقي
ولاحتُ بأطواقِ الثريا كأنها
وعديتُ عن زهرِ النجوم لأنني
وأجريتُ من فيضِ السماحةِ والندى
عقدتُ عليه الجسرَ للفخرِ فارتمتُ
تنفضُ ما بينَ الغروسِ كأنه
حواليه من دَوْحِ الرياضِ خرائدُ
إذا أرسلتُ لدنُ الفروعِ وفتحتُ
يرنحها مرُّ النسيمِ إذا سرى
يشقّ رياضاً جادها الجودُ والندى
وسالتُ بسلسالِ اللّجّينِ حياضهُ
تطلّعَ منها وسطَ وُسطاهُ دُميةً
حكّتُ وحبابُ المساءِ في جنباتها
إذا غازلتها الشمسُ ألقى شعاعها
توسمتُ فيها من صفاء أديمها
إذا اتسقتُ ببيضُ القبابِ قلادةً
تكنّني ببيضُ الدُّمى فكأنها
قدودٌ ولكن زانها الحسن عريها
نمت صعداً تيجانها فتكسرتُ
فيا لك شأواً بالسعادة أهلاً^٢

وأصبحَ قرصُ الشمسِ في أذني قرطاً
ونيطتُ بيَ الجوزاءِ في عنقي سمطاً
نثيرُ جُمانٍ قد تتبعته لقطاً
جعلتُ على كيوانِ رجليَ منحطاً
خليجاً على نهرِ المجرةِ قد غطى
إليه وفودُ البحرِ تغرفُ ما أنطى
وقد رقرقتُ حصباؤه حيّةً رقطاً
وغيدُ تجرّ^١ من خمائلها ميرطاً
جنى الزهرِ لاحَ في ذوائبها وخطاً
كما مال نشوانُ تشرّبَ إسفنطاً
سواء لديها الغيثُ أسكبَ أم أخطأ
بحاراً غدا عرضُ البسيطِ لها شطاً
هي الشمسُ لا تخشى كسوفاً ولا غمطاً
سنا البدرِ حلّ من نجومِ السما وسطاً
على جسمها الفضيّ نهرأ بها لطاً
نقوشاً كأنّ المسكَ ينقطها نقطاً
فلئنّي لها في الحسنِ دُرّتها الوسطى
عَدّارى نضتُ عنها القلائدَ والريطا
وأجملَ في تنعيمها النحتَ والخرطاً
قواريرُ أفلاكِ السماحِ بها ضغطاً
بأكنافه رَحَلُ العُلا والهَدَى حُطاً

١ ص ق : تجرر ، ولا يصلح للوزن .

٢ ق ص : شأو ... أهل .

وكعبةً مجدٍ شادها العزُّ فانبرت
ومسرحَ غزلان الصَّريم كناسُها
فليكن به ما طاب لا الأثيل والحمُطا
تراهُ من المسكِ الفتيتِ مدبراً
وإن باكرته نسمةٌ سَحَرَأ سرى^١
أقرَّت لهُ الزهراء والخلدُ وانتقت
جَنابُ رواقُ المجدِ فيه مطنَّبُ
إمامٌ يسيرُ الدهرُ تحت لوائه
وفتَاحُ أقطارِ البلادِ بفيلقِ
تطلُعُ من خرصانه الشَّهبُ فانثنت
كتائبُ نصرٍ إن جرتِ للممةِ
إذا ما عقدنَ رايةَ عكويَّةِ
فما للسما تلكَ الأهلةُ إنما
يطاوعُ أيدي المملواتِ عنانها
يدُ لأميرِ المؤمنينَ بكفَّها
أدارَ جداراً للعُلا وسرادقاً

تطوفُ بمغناها أمانِي الوري شوطا
جنايا قبابٍ لا الكثيبَ ولا السَّقْطا
ووسَّدن فيه الوشي لا السِّدْر والأرطى
إذا مازجته السَّحْبُ عاد بها خلطا
إلى كل أنفٍ عَرَفُ عنبره قسْطا
أواوينُ كسرى الفرسِ تغبطه غبطا
على خير من يعزى لخير الوري سبطا
وتُرسى سفانٌ للعُلا حيثما وطأ
يفلقُ هاماتِ العدا بالظُّبى خبطا
ذوائبُ أرض الزنج من ضوئها شُمطا
جرت قبلها الأقدارُ تسبقُها فُرطا
جعلن ضمانَ الفتحِ في عقدِها شرطا
سناكبها أبَقَت مثالا بها خطا
فيعتاضُ من قبضِ الزَّمانِ بها بسطا
زمامٌ يقود الفرس والروم والقبطا
يحوط جهات الأرض من رعيه حوطا

وقوله ممّا كتب بيّهوها بممرر أسود في أبيض^٢ :

لله بهوٌ عزٌّ منه نظيرُ
رُصِفَتْ نقوشُ حلاه رَصِفَ قَلائدُ^٣
لما زها كالروضِ وهو نصيرُ
قد نضدتها في النحورِ الحورِ
وشيّ وفضّةُ تربها كافورِ
فكأنتها والتبر سالَ خلّالها

١ روضة الآس : نسمة لسرى بها .

٢ روضة الآس : ١٣٦ .

٣ ق : قلادة .

وكأنَّ أرضَ قراره ديباجةٌ
ولإذا تصعد نداء نوءاً ففي
شأو القصور قصورها عن وصفه
فلإذا أجلت اللحظة في جنباته
وكأنَّ موجَ البركتين أمامه
صُفَّت بِصُفَّتِهَا تماثلُ فضة
فتديرُ من صفو الزلال معتقاً
ما بين آسادٍ يهيجُ زئيرها
ودحت من الأنهار أرضَ زجاجةٍ
راقت فمن حصبتها وفواقعٍ
يا حُسْنَهُ من مَصْنَعٍ فيهاؤه
وكأنما زهرُ الرياضِ بجنبه
ولدسته الأسمى تَخَيَّرَ رَصْفَهُ
ملكٌ أناف على الفراقِدِ رتبةً
قطبُ الخلافةِ تاجُ مفرقِ دولة
وجرى إلى أقصى العراق لرعيها^٢
نجلُ النبي ابنُ الوصي سليلُ مَنْ
بحرُ الندى ، لكنّه متموجٌ
طَوْدٌ يخفُ لحلمه ووقاره
دامتُ معاليه ودام ومجده
وتعاهدته عن الفتوح بشائرُ

قد زان حُسْنَ طرازها تشجير
أتماطيه نَوْرٌ به ممطور
سيان فيه خَوَرْنَقٌ وسدير
يرتدُّ وهو بحسنه محسور
حركاتُ سَجَفٍ صافحته دَبور
مَلَكُ النفوسِ بحسنا تصوير
يسري إلى الأرواح منه سرور
وأساودِ بُسْلِي لهن صغير
وأظللها فتلَكُ يضيء منير
تطفوا عليها اللؤلؤ المنثور
باهى نجومَ الأفق وهي تنور
حيثُ التفت كواكبٌ وبدور
فخرُ الورى وإمامها المنصور
وأقله فوقَ السَّمَاءِ سرير
رُميت بِجَحْفَلِهَا اللُّهُامُ الكور
جيشٌ على جسرِ القراتِ عبور
حقنَ الدماءَ وعَفَّ وهو قدِير
سيفُ العُلا ، لكنّه مطرور
ولحيشه يومَ التزال ثبير
طوقٌ على جيدِ العُلا مزرور
يغدو عليه بها المسا وبكور

١ ق والروضة : يطفو .

٢ الروضة : لرعيها .

ما دامَ منزلُ سعدِه يرقى به^١ نصرٌ يرفُ لواؤه المنشور
ومشت^٢ به مرحاً جِيادُ مسرَّةٍ وأدار كاسَ الأنس فيه سَمير
وقوله ممّا كتب: بداخل القُبّة المذكورة^٣:

جَمالُ بداعي سحرَ العيونا	ورونقُ منظري بهرَ الجفونا
وقد حسنت نقوشي واستطارت	سنّاً يُعشي عيونَ الناظرينا
وأطلع سَمكي الأعلى نجوماً	ثواقبَ لا تغورُ الدهرَ حيناً
وجوّي من دخانِ النَّدّ ألقى	على أرضي الغياهبَ والدُّجونا
علوتُ دوائرَ الأفلاكِ سبعاً	لذلك الدهرَ ما ألفتُ سكونا
فصغتُ من الأهلّةِ والحنايا	أساورَ والخلاخلَ والبُرينا
تكتفني حياضُ مائحاتٍ	أمامي والشمالَ أو اليميناً
يُقَيّدُ حسنُها الطرفَ انفساحاً	ويجري الفلكُ فيها والسفينا
تدافعَ نهرُها نحوي فلمّا	تلاقى البحرُ في جري دفيناً
ترى شُهَبَ السماءِ بهنَّ غرقى	فتحسبها بها الدُرّ المصونا
وقد نشرَ الحجابُ على سماها	لآلئِ تزدري العقدَ الثميناً
فخرتُ وحقّ لي لمّا اجتبانِي	لمجلسه أميرُ المؤمنينِ
هو المنصورُ حائرُ خصلٍ سَبَقِ	وباني المجدِ بنياناً مكيّناً
وليثُ وغى إذا زار امتعاضاً	يروغُ زثيره هنداً وصينا
إذا أمتُ كتائبُه الأعادي	بعثن برعيه جيشاً كميناً

١ الروضة : يرتاده .

٢ ق : وجرت .

٣ روضة الآس : ١٣٥ .

٤ ص : جنحها .

٥ ص : ويكري .

٦ ق : نثر .

يدبرُ عليهمُ من كلِّ حربٍ تدقُّهم رَحَى أو منجنونا
 إمامٌ بالمغرب لآحَ شمساً بها الشرقُ اكتسى نوراً مُبيناً
 بقيتَ بذِي القصور الغُرِّ بدرأ تلوحُ بأفقهن مدى السنينَا
 تحفٌ بكم عواكفُ عند بابي ملائكة كرام كاتبونَا
 لك البشرى أمير المؤمنين ادُّ خلوها بسلامٍ^١ آمينَا

وقوله في بعض المياني المنصورية^٢ :

معاني الحسنِ تظهرُ في المغاني ظهورَ السحرِ في حدَقِ الحسانِ
 مشابه في صفاتِ الحسنِ أضحت تمتُ بها المغاني للغواني
 بكلِّ عمودٍ صبيحٍ من لجينِ تكونَ في استقامةٍ خُوطِ بانِ
 مفصَّلةِ القسودِ مثلثاتِ مواصلةِ العناقِ من التذاني
 تردَّتْ سابريّ الحسنِ يزري بحسنِ السابريّ الحسرواني
 وتعطو الخيزرانةَ من دُماها بسالفَةِ القطيعِ البرهماني
 لمجدك تنتمي لكنْ نماها إلى صنعاء ما صنع اليدانِ
 يدينُ لك ابنُ ذي يَزَنٍ ويعنو لها غُمدانُ في أرضِ اليمانِ
 غدتْ حرماً ولكن حلَّ فيها لوفدكمُ الأمانُ معَ الأمانِ
 مبانٍ^٣ بالخلافةِ أهلاتِ بها يتلو الهدى السَّبْعَ المثاني
 هي الدنيا وساكنها إمامٌ لأهل الأرضِ من قاصٍ وداني
 قصورٌ ما لها في الأرضِ شبهُ وما في المجدِ للمنصورِ ثاني

وقوله رحمه الله تعالى مما كتب في المصرية^٤ المطللة على الرياض المرتفعة

١ الروضة : مع سلام .

٢ روضة الآس : ١٣٣ .

٣ ق : منازل .

٤ المصرية : منزل يبنى شبه علي .

على القبة الخضراء من بديع^١ المنصور ، وكان إنشاؤها في جمادى الأولى من عام خمسة وتسعين وتسعمائة^٢ :

باكر لديّ من السرور كؤوسا	وارضِ النديمَ أهلةً وشموسا
واعرجْ على ^٣ غُرْفِي المنيفِ سماؤها	تلقَ الفراقِدَ في حمايَ جلوسا
ولإذا طلعتْ بأوجِها قمر العلّا	لا ترتضي غيرَ النجومِ جليسا
شَرِقَ القصورُ بريقها لما اجتلتْ	منّي على بُسْطِ الرياضِ عروسا
واعترضتْ بالمنصور أحمدَ ضيغما	ورَدَا تحيّرَ من بديعي خيسا
ملكٌ أرى كلَّ الملوكِ ممالكًا	لِعُلاه والدُّنيا عليه حيسا
دامت وفودُ السعدِ وهي عواكفُ	تَصِلُ المقيّلَ لديّ والتعريسا
وهناك يا شرفَ الخلافةِ دولةٌ	تلقى برايتها طلائعَ عيسى

وقوله من جملة قصيدة من نمط ما تقدم لم أستحضر أولها^٤ :

سلبت تماثيلها الحجى لما اغتدت	تزهو بحسنِ طرازها تذهيبا
ولقد تشامخَ في العلو سماكها	فجرى على الفلكِ المنيرِ جنّيا
وسما إلى الشهبِ الزواهرِ فاغتنى الـ	إكليلُ منها تاجها المعصوبا
هذا البديعُ يعزّ شبه بدائعِ	أبدعتهن بهِ فجاء غريبا
أضنى الغزاةَ حسنه حسداً لذا	أبدى عليها للأصيلِ شحوبا
وانقضّت الزُّهرُ المُنيرةُ إذ رأتْ	زهرَ الرياضِ بهِ ينور عجيبا
شيدتهن مصانعا وصنائعا	أنجزن وعدك للعلا المرقوبا

١ البديع : أحد المنشآت الثلاث التي بناها المنصور ، والاثنان الآخران هما : المرة والمشتهى .

٢ روضة الآس : ١٣٤ .

٣ الروضة : إل .

٤ هذا ما قاله أيضاً في الروضة : ١٣٥ وزاد هناك : « ولعلي أجد أولها إن شاء الله فألحقه بها » وانظر القصيدة في مناهل الصفا ٢ : ٢٨١ .

وجريت في كلّ الفخار لغاية
 فانعم بملكك فيه دام مؤبداً
 وإليكها عذراء فكّر أهديت
 ونظمت من درر البلاغة عقدها
 ورفعته لمقامكم تمشي على اس
 فأنت على شرف لكم فتوقفت
 شفعت إليك بحب جدك أحمد
 دامت بك الدنيا يروق جمالها
 وكلاكتم الله العظيم كلاءة
 أدركتها أو ما مست لغوبا
 تجني به فنّ النعيم رطيبا
 وجعلت مدحك مَهْرَها الموهوبا
 فغدا يروقُ بجيدها ترتيبا
 تحيا فيزعجها الولا ترغيبا
 لما رأت ذاك الجلال مهيبا
 لتُنيلها منك الرضى المرغوبا
 وإلى القيامة أمركم مرهوبا
 يرضى بها خلتاً لكم وعقيبا

[رسالة من الفشتالي إلى المؤلف]

ومحامن صاحبنا المذكور في النظم والنثر يضيق عنها هذا التأليف ، وكنت
 أثبت منها جملة في غير هذا الموضع .
 ولما أحس بعزمي على الرحلة إلى الحجاز ، واقتضائي من سلطان المغرب في
 وعده لي بها النّجاز ، كتب إليّ من حضرة مراکش وأنا حينئذٍ بفاس ، ما
 صورته بعد سطر الافتتاح :

يا نسمة عطست بها أنف الصبا
 هبّي على ساحات أحمد وشرحي
 وضي لي بالمنحنى من أضلعي
 بان الأوبة عنه ، حي قد توى
 فعاك تسعد يا زمان بقربهم
 فتضمخت بعيرها قنن الربى
 شوقي إلى لقياء شرحاً مطمئناً
 قلباً على جمر الغضا متقلّباً
 منهم ، وآخر قد نأى وتغيّباً
 فأقول أهلاً باللقاء ومرحباً

« السيادة التي سواها الله من طينة الشرف والحسب ، وغرس دوحته الطيبة
 بمعدن العلم الزاكي المحتد والنسب ، سيادة العالم الذي تمشي تحت علم فتياه

العلماء الأعلام ، وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة النثر والنظام ، وحملة الأقلام ، كلما خطاً أو كتب ، وإذا استطار بفكره الوقاد سواجع السجع انثالت عليه من كل أوكارها ونسلت من كل حدب ، وحكت بانسجامها السيل والقطر في صبب ، الفقيه العالم العليم ، والمحصل الذي ساجلت العلماء لتدرك في مجال الإدراك شأوه فلم ، سيدنا الفقيه الحافظ حامس لواء الفتيا ، ومالك المملكة في المنقول والمعقول من غير شرط ولا ثنيا ، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد المقرئ أبقاه الله تعالى للعلم يفتن أبكاره ، ويتجني من روضه اليانع ثماره ، سلام الله عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، كتبه المحب الشاكر عن ود راسخ العباد ، ثابت الأوتاد مزهر الأغوار والأنجاد ، ولا جديد إلا الشوق الذي تحن إلى لقياكم ركائبه وترتاح ، وتحوم على مورد الأنس بكم حوم ذات الجناح على العذب القراح ، جمع الله تعالى الأرواح المتلفة على بساط السرور وأسيرة الهنا ، وأتاح للنفوس من حسن محاضرتكم قطف المشتى وهو غصن الجنى .

« وقد اتصل بالمحب الودود الرقيم الذي راق من سواد النقش وبياض الطرس شياته ، وأرانا معجز أحمد فبهرت آياته ، وخبا سقط الزند لما أشرقت من سماء فكرم آياته ، فأطربنا بتغريد طيور همزاته على أغصان ألفاته ، وعودنا بالسبع المثاني بنانا أجادت نثر زهراته على صفحاته ، ثم مررنا بتضاعفه بسوق الرقيق ، فرمنا السلوك على منحاها فعمت علينا الطريق ، وقلنا : واهاً على سوق ابن نباتة وكساد رقيقها ، واستلاب البهجة عن نفيس دررها وأنيقها ، لا كسوق نفق فيها سوق الغزل ، وعلا كعب الراح والأعزل ، وتضافر على سحر النفوس والألباب هاروت الجحد وماروت الهزل ، وقد ألقينا السلاح وجنحنا للسلم ، وتهيأنا للسياحة فوقفنا بساحل اليم ، وسلمنا لمن استوت به سفينة البلاغة على الجودي ، فأبنا والحمد لله على السلامة بالفهاة والعي ، وقلنا : ما لنا وللإنشاء ، فهو فضل الله يؤتيه من يشاء .

« وعذراً أيتها الشيخ عن البيت الذي عطست به أنف الصبا فقذفت به البديهة

من الفم ، وشرقت به صدْرُ قنّاة القلم ، كما شرقت صدر القنّاة من الدم .
« وأما ما تحمّل الرسول من كلام ، في صورة ملام ، لا بل مدام ، أترع
به من سلاف المحبّة كأسٌ وجام ، فلا وربك ما هي إلاّ نفحة نفحت ، لا سموم
لفحت ، هزنا بها جِدْعٌ أدبكم كي يتساقط علينا رُطباً جَنِيّاً ، ويَهْمِي
وَدْقُهُ على الرّبع المحيل من أفكارنا وسُمِيّاً وولِيّاً ، فجاد وأروى ، وأجاد
فيما روى ، وأحيا من القرائح ميتاً كان حديثاً يُروى ، وطرساً بين أنامل الأيام
يُنشر ويطوى ، أحيا الله تعالى قلوبنا بمعرفته ونواسم رحمته ، وعَرَجَ بأرواحنا عند
الممات إلى المحل الأخص بالمؤمن من حضرته . وأهدي السلام ، المُزْرِي بمسك
الختام ، إلى الفقيهِين الأبحدين ، الصّدرين الأنجدين ، الفلّدين التوأمين ، الفاضلين
المجيدين ، فارسي البراعة واليراعة ، ورئيسي الجماعة في هذه الصناعة ، رضيحي
لبان الأدب وواسطي عقده ، ومُجِيلِي قِدْحِهِ المعلّى ومُورِيِي زَنْدِهِ ،
المتعين بشميم عَرَاره ورَنْدِهِ ، الكارعين بالبحر الفياض من هزله وجِدَّة ،
الآتين بالجنس والفصل من رسمه وجِدَّة ، الكاتب البارح أبي الحسن سيدي علي
ابن أحمد الشامي ، والكاتب البليغ أبي عبد الله سيدي محمد بن علي الوجدي ^١ ،
وأقرّر لهما الود المستحكم المعاهد ، الصافي المناهل العذب الموارد ، وأنّي قائم
بورد الثناء عليكم وعليهما لدى المقام العلي ، الإمامي الناصري ، دام سلطانه ،
وتمهدت أوطاره وأوطانه .

« ونُنهي إليكم أن الفقيه المحبّ الأستاذ سيدي محمد بن يوسف ^٢ طَلَّقُ
اللسان بالشكر ، صادقٌ على أيلك الثناء عن تلكم السيادة بما واليتموه به من جزيل
الإحسان ، وقابلتموه به عند الورود والصدر من البِشْر والكرامة وجميل الامتنان ،
والسلام التام مُعاد عليكم ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبه وجب الكتّاب إليكم ،

١ ترجمة الوجدي في روضة الآس : ٧١ وانظر ص (لب) من المقدمة .

٢ راجع المجلد الثاني ص : ٤٧٠ .

والله سبحانه يرعاكم ، في يوم الخميس مو في عشرين من محرم الحرام فاتح
سبعة وعشرين وألف ، المحب الودود الشاكر عبد العزيز بن محمد الفشتالي لطف
الله تعالى به ، وخار له بمنّه وكرمه « انتهى .

ومن أراد شيئاً من أخباره فعليه بكتابي الموسوم بـ « روضة الآس العاطر
الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراکش وفاس » وقد بلغتني وفاته رحمه
الله تعالى وأنا في مصر بعد عام ثلاثين وألف ، رحمه الله تعالى ؛ فلقد كان أوحده
عصره ، حتى إن سلطان المغرب كان يقول : إن الفشتالي نفتخر به على ملوك
الأرض ، ونباري به لسان الدين ابن الخطيب ، رحم الله تعالى الجميع .

[تعريف بأبي الحسن الشامي]

والشامي الذي أشار إليه هو من أعيان أهل فاس وذوي البيوت بها ، وجدّه
قدم من الشام على حضرة فاس ، فشهروا بالنسبة إلى الشام ، وقد بلغتني وفاته
أيضاً بعد الثلاثين بعد الألف ، وقد أجاب عن الأبيات البائية التي خاطبني بها
الوزير سيدي عبد العزيز الفشتالي المذكور رحم الله تعالى الجميع بقوله :

نَمَتْ نَوَافِحُ عَرَفِ أَنْفَاسِ الصَّبَا	فَنَمَى بِهَا رَوْضُ الْوَدَادِ وَأَخْصَبَا
نَثَرَتْ جَوَاهِرَ سَلَكُهَا فَتَتَوَجَّأ	غَصْنُ النُّضِيرِ بِدَرِّهَا وَتَعْصَبَا
وَرَمَتْ مُحَاجِرَ مَنْحَى ذَاكَ الْحَمَى	فَغَدَا بِهَا خَيْفُ الْقُلُوبِ مُحْصَبَا
وَرَوَتْ أَحَادِيثَ الْغَرَامِ صَحِيحَةً	فَشَفَتْ فَوَاداً مِنْ بَعَادِكَ مَوْصَبَا
لَا غَرَوَ أَنْ طَارَتْ حُشَّاشَةُ لَبِّهِ	طَرِبَاً فَمَا خَلَوْا الْغَرَامَ كَمَنْ صَبَا
لَا زَلَمَ وَالزَّهْرُ يَنْشَقُّ عَرَفَكُمْ	وَالزَّهْرُ تَحْسُدُ مِنْ كَمَالِكَ مَنْصَبَا

ولنُصْنِكُ عَيْنَ الْبَنَانِ ، ونرجع إلى ما كنا بصددّه من شأن لسان الدين
ابن الخطيب المريع منه بمُزَنِ البلاغة والفصاحة جنان الجنان ، فنقول والله سبحانه
ولي التوفيق والإمداد ، وليس إلّا عليه الاعتماد :

[١٦ - بين ابن الجياب ولسان الدين]

وقال ابن الصباغ العقيلي^١ : كان أبو الحسن ابن الجياب رئيس كتاب الأندلس وهم رؤساء غيرهم ، واختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله ابن الخطيب اختصاصاً تاماً ، وأورثه رتبة من بعده ، وعهد بها إليه ، مشيراً بذلك على من استشاره من أعلام الحجاب عند حضور عمره ، وتدريب بذكائه حتى استحق أزمته فأنسى بحسن سياسته شيخه المذكور ، ونال التي لا فوقها من الحظوة ، وبعد الصيت وسعادة البخت ، اتفق له يوماً بعدما عزم النصراني على ورود البلد وضافت به الصدور ، فأنشد ابن الجياب بديهاً بمحضر الكتاب :

هذا العدو قد طغى وقد تعدى وبغى

وقال لابن الخطيب : أجز أبا عبد الله ، فأنشده بديهاً :

وأظهرَ السلمَ وقد أسرَّ حسواً في ارتغا
فبلغَ الرحمنُ سيفَ النصرِ فيه ما ابتغى
وردةً ردَّ ثمـو د والفصيلُ قد رغا
حتى يرى وليمةً لكل مرهوب الثغا

فقال ابن الجياب : هكذا وإلا فلا ، وعجب الحاضرون من هذه البديهة ؛ انتهى .

[١٧ - قصيدتان للبلوي يخاطب بهما لسان الدين]

ومما خوطب به لسان الدين قول الفقيه أبي يحيى البلوي المري^٢ رحم الله الجميع :

١ أزهار الرياض ١ : ١٩٢ .
٢ ص : المري .

علّلوني ولوّ بوعسدٍ محالٍ واصلوني ولوّ بطيفٍ خيالٍ
 واعلموا أنّي أسيرُ هواكمُ لستُ أنفكُ دائماً عن عقّالٍ
 فدموعي من بينكم في انسكابٍ وفؤادي من هجركم في اشتعالٍ
 يا أهيلَ الحمى كفاني غرامي لا تزيدوا حسبي بما قد جرى لي
 من مُجيري من لحظٍ ريمٍ ظلومٍ حلّلَ الهجر بعد طيب الوصالٍ
 ناعسٍ الطرفِ أسهرَ الجفنِ منّي طالَ منه الجفا بطول اللّيالي
 بابليّ اللحاظِ أصمى فؤادي ورماهُ من غُنْجِه بنبالٍ
 وكسا الجسمَ من هواه نجولاً قصده في النوى بذلك انتحالي
 ما ابتدئ في الوصالِ يوماً بعطفٍ مذ روى في الغرامِ بابَ اشتغالي
 ليس لي منه في الهوى من مجيرٍ غيرُ تاجِ العُلا وقطبِ الكمالِ
 علّمَ الدينَ عزه وسنانه ذروةُ المجدِ ، يدرُ أفقُ الجلالِ
 هو غيثُ الندى ، وبحرُ العطايا هو شمسُ الهدى ، فريدُ المعالي
 إن وشى في الرقاع بالنقشِ قلنا صفحةُ الطّرسِ حلّيتُ بالآلي
 أو دجا الخطبُ فهو فيه شهابٌ زانه الصبحُ في ظلامِ الضلالِ
 أو نبا الأمرُ فهو في الأمرِ عَضْبٌ صادقُ العزمِ عند ضيقِ المتجالِ
 لستَ تلقى مثاله في زمانٍ جلّ في الدهرِ يا أخي عن مثالِ
 قد نأى بي حبيّ له عن ديارٍ لا بلحْدوى ولا لتيّلِ نوالِ
 لكن اشتقتُ أن أرى منه وجهاً نوره فاضحٌ لنورِ الهلالِ
 وكما همتُ فيه ألثمُ كفاً جاد لي بالنوالِ قبل السؤالِ
 ها كها ابن الخطيب عذراء جاءت تلثم الأرض قبل شيعِ النعالِ
 وتوفّي حقّ الوزارة عمّن هو ملكٌ لها على كلّ حالِ

ومن نظمه قوله يخاطبه مهتئاً في إعداره أولادهُ بعد نثر نصّه : يعتذر عن
 خدمة الإعدار ، ويصل المدح والثناء على بُعد الدار ، بتاريخ الوسط من شهر

شعبان عام تسعة وأربعين وسبعمائة :

لا عُدْرَ لي عن خدمة الإعدارِ
أو عاقبي عنه الزمانُ وصرفه
قد كنتُ أرغبُ أن أفوزَ بخدمتي
بادي المسرة بالصنيع وأهله
من شاء أن يلقي الزمانَ وأهله
فليأت حَيَّ ابن الخطيب ملياً
كم ضمَّ من صيدٍ كرامٍ قدرهم
إن جئت ناديه فنبُ عني وقل
يا من له الشرفُ القديم ومن له
يهنيك ما قد نلت من أمل به
نجلالك قطبا كلِّ مجدٍ باذخِ
عبد الإله وصنوه قمر العلا
ناهيك من قمرين في أفقِ العلا
زاكي الأرومة مُعرقٌ في مجده
رَقَّتْ طبائعه وراق جماله
وحلت شمائلُ حسنه فكأنتما
فلإذا تكلمت قلتَ طَلَّ ساقطُ
أوفتَ حبر المسك في قرطاسه
تتسمُّ الأقلامُ بينَ بنانه
فتخالُ من تلك البنانِ كمائماً

ولئن نأى وَطَنِي وشطَّ مَزَارِي
تقضي الأمانِي عادة الأعصارِ
وأحطَّ رحلي عندَ بابِ الدارِ
متشمرأ فيه بفضلِ لِمَازَارِي
ويرى جلالاً شاع في الأقطارِ
فيفوزُ بالإعظام والإكبارِ
يسمو ويعلو في ذوي الأقدارِ
نلتَ المُنَى بتلطُّفِ ووقارِ
حسبُ الصميمِ العِدُّ يومَ فخارِ
في الفرقدين النيرين لساري
أملانِ مَرَجُوانٍ في الإعصارِ
فرعانِ من أصلٍ زكا ونجارِ
ينميها نورٌ من الأنوارِ
جمُّ الفضائلِ طيبُ الأخبارِ
فكأنتما خُلِقا من الأزهارِ
خلعتُ عليه رقةَ الأسحارِ
أو وقعُ دُرٌّ من نَحْوِ جَوَارِي
فالروضُ غيبُ الواكفِ المدرارِ
فتريكَ نظم الدرِّ في الأسطارِ
ظَلَّتْ تفتَحُ ناضراً النُّوَارِ

تلقاهُ فيأضَ الندى مهللاً
بحرُ البلاغة قُسَّها وإيادُها
إن ناظرَ العلماءَ فهوَ إمامُهم
أربى على العلماءِ بالصيتِ الذي
ما ضره أن لم يحىء متقدماً
إن كان أخره الزمانُ لحكمة
الشمسُ تُحجبُ وهي أعظمُ نيرٍ
يا ابنَ الخطيبِ خطبتها لعلاكمُ
جاءتكم من خجل على قدم الحيا
وأنت تؤدي بعضَ حقٍّ واجبٍ
مدَّت يدَ التطفيلِ نحو علاكمُ
فابذلْ لها في النقدِ صفحكِ إنها
لا زلتَ في دعةٍ وعزٍّ دائمٍ

يلقاك بالبشرى والاستبشار
سحبانها حبرٌ من الأحبار
شرفُ المعارفِ ، واحدُ النُّظار
قد طارَ في الآفاقِ كلَّ مطار
بالسبقِ يُعرفُ آخرُ المضمَار
ظهرتْ وما خفيت كضوء نهار
وترى من الآفاقِ إثر دراري
بكرًا تزفُّ لكم من الأفكار
قد طيبت بثنائك المعطار
عن نازحِ الأوطان والأوطار
فتوشحت من حلتكم بنُصار
تشكو من التقصير في الأشعار
ومسرةٍ تترى مع الأعمار

[ترجمة أبي يحيى البلوي]

قال لسان الدين في حق المذكور في « الإحاطة » : هو محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوي ، من أبناء النعم وذوي البيوتات ، كثير السكون والحياء ، آل به ذلك أخيراً إلى لؤثة لم يستفق منها ، لطفَ الله به ، حسن الخط ، مطبوع الأدب ، سيال الطبع معينه ، وناب عن بعض القضاة ، وهو الآن رهين ما ذكر يتمنى أهله موته ، والله ولي المعافاة .

وجرى ذكره في « الإكليل » بما نصّه : من أولي الاتصال ، بأولى الخلال البارة والخصال ، خطأ رائقاً ، ونظماً بمثله^١ لائقاً ، ودعابة يسترها تجهّم ،

وسكوناً في طيه إدراك وتفهم ، غني بالدراية والتقييد ، ومال في النظم إلى بعض التوليد ، وله أصالة نبتت في السرو عروقتها ، وتألفت في سماء المجادة بروقها ، وتصرف بين النيابة في الأحكام الشرعية ، وبين الشهادات العلمية المرعية ؛ انتهى . ورأيت بخط أبي الحسن علي بن لسان الدين على هامش هذا المحل من « الإحاطة » ما صورته : رحمة الله عليه ما أعذب حلاوته ، وأعظم مروءته ، وأكرم أصالته ، وبنو البلكوى ذوو حسب ، وأهل نعيم ، وتربية ملوكية ، حيّاهم الله وبيّاهم ! قال ذلك حبيبهم وأخوهم علي بن الخطيب ؛ انتهى .

[١٨ - من ابن مرزوق إلى لسان الدين]

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى عند ذكر الخطيب الرئيس أبي عبد الله محمد ابن مرزوق التلمساني ما صورته : ولما قدمت على مدينة فاس في غرض الرسالة خاطبني بمنزل^١ الشاطبي على مرحلة منها بما نصّه :

يا قادمًا وافي بكلّ نجاح	أبشر بما تلقّاه من أفراح
هذي ذرى ملك الملوك فلند بها	تنل المني وتفز بكلّ سماح
مغنى الإمام أبي عنان يسمّن	تظنّفز ببحر في العلا طفاح
من قاس جود أبي عنان في الندى	يسواه قاس البحر بالضّحضاح
ملك يفيض على العفاة نواله	قبل السؤال وقبل بسطة راح
فلجود كعب وابن سعدى ^٢ في الندى	ذكر متحاه عن نداه ماحي
ما إن سمعت ولا رأيت بمثله	من أريحي للندى مرتاح
بسط الأمان على الأنام فأصبحوا	قد الحفوا منه بظل جناح
وهي على العافين سيّب نواله	حتى حكى سع الغمام الساحي

١ ص : بمنزلة .

٢ ابن سعدى : أوس بن حارثة الطائي .

فَنَوَالُهُ وَجَلَالُهُ وَفَعَالُهُ فَاقَتْ وَأَعَيْتَ أَلْسِنَ الْمُدَّاحِ
 وَبِهِ الدُّنَا أَضْحَتْ تَرُوقُ وَأَصْبَحَتْ كُلُّ الْمُنَى تَنْقَادُ بَعْدَ جَمَاحِ
 مَنْ كَانَ ذَا تَرَحٍّ فَرُؤِيَّةٌ وَجْهَهُ مِتْلَافَةٌ الْأَحْزَانِ وَالْأَتْرَاحِ
 فَانْهَضَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَفَزُّ بِمَا تَبْغِيهِ مِنْ أَمَلٍ وَنِيلٍ نَجَاحِ
 لَا زِلْتَ تَرْتَشِفُ الْأَمَانِي رَاحَةً مِنْ رَاحَةِ الْمَوْلَى بِكُلِّ صَبَاحِ

فالحمد لله يا سيدي وأخي على نعمه التي لا تُحصى ، حمداً يؤمُّ به جميعنا
 المقصد الأسنى فيبلغ الأمد الأقصى ، فطالما كان معظم سيدي للأسى في خَبَالِ ،
 وللأسف بين اشتغال بال ، واشتغال بَلْبَالِ ، ولقد ومكم على هذا المقام المولوي
 في ارتقاب ، ولمواعيدكم بذلك في تحقق^١ وقوعه من غير شك ولا ارتياب ،
 فها أنت تجتلي من هذا المقام العلي بتشيعك وجوه المسراتِ صباحاً ، وتتلقَّى أحاديث
 مكارمه ومواهبه مُسْنَدَةً صباحاً ، بحول الله تعالى ، ولسيدي الفضل في قبول
 مركوبه الواصل إليه بسرجه ولجامه ، فهو من بعض ما لدى المعظم من إحسان
 مولاه وإنعامه ، ولعمري لقد كان وافداً على سيدي في مستقره مع غيره ،
 فالحمد لله الذي يسر في إيصاله ، على أفضل أحواله .

[١٩ — جواب لسان الدين]

فراجعته بما نصّه :

رَاحَتْ تَذَكُرُنِي كُؤُوسَ الرَّاحِ وَالْقَرْبُ يَخْفُضُ لِلْجَنُوحِ جَنَاحِي
 وَسَرَتْ تَدُلُّ عَلَى الْقَبُولِ كَأَنَّمَا دَلَّ النَّسِيمُ عَلَى انْبِلَاجِ صَبَاحِ
 حَسَنَاءُ قَدْ غَنِيَتْ بِحَسَنِ صِفَاتِهَا عَنْ دُمْلُجٍ وَقِلَادَةٍ وَوَشَاحِ
 أَمَسْتُ تَحْضُ عَلَى اللَّيَازِ بِمَنْ جَرَتْ بِسَعُودِهِ الْأَقْلَامُ فِي الْأَلْوَاكِ

١ ص : ولمواعيدكم . . . محقق .

بخليفة الله المؤيد فارس
 ما شئت من شيم ومن همم غدت
 فضل الملوك فليس يدرك شأوه
 أنسى بني عباسهم بليوائه
 وغدت مغاني الملك لما حلها
 وحياء من أهداك تحفة قادم
 ما زلت أجعل ذكره وثنائه
 ولقد تمازج حبه بجوارحي
 ولو أنني أبصرت يوماً في يدي
 فالآن ساعدني الزمان وأيقنت
 إيه أبا عبد الإله ، وإنه
 أما إذا استنجدتني من بعد ما
 فإليكها مهزولة وأنا امرؤ
 شمس المعالي الأزهر الوضاح
 كالزهر أو كالزهر في الأدواح
 أنى يقاس الغمر بالضحاح
 منصور ، أو بحسامه السفاح
 تزهي بيد هدئ وبحر سماح
 في العرف منها راحة الأرواح
 روحي وريحاني الأريج وراحي
 كتمازج الأجسام بالأرواح
 أمري لطرت إليه دون جناح
 من قربه نفسي بفوز قداحي
 لنسائه ود في علاك صراح
 ركبت لما جئت الخطوب رياحي
 قررت عجزى واطرحت سلاحي

« سيدي أبقاك الله لعهد تحفظه ، وولي بعين الوفاء تلحظه ، وصلني
 رقتك التي أبدعت ، وبالحق من مولى الخليفة صدعت ، وألفني وقد سطت
 بي الأوجال ، حتى كادت تلتف الرحال ، والحاجة إلى الغذاء قد شممت كشح
 البطين ، وثانية العجاوين قد توقع فوات وقتها وإن كانت صلاتها صلاة الطين ،
 والفكر قد غاض معينه ، وضعف وعلى الله جزاء المولى الذي يعينه ، فغزني
 بكتيبة بيان أسد ها هصور ، وعلمها منصور ، وألفاظها ليس فيها قصور ،
 ومعانيها عليها الحسن مقصور ، واعتراف مثلي بالعجز في المضائق حول ومئة ،
 وقول « لا أدري » للعالم فكيف لغيره جنة ، لكنها بشرتي بما يقل لمؤديه
 بذل النفوس وإن جلت ، وأطلعني من السراء على وجه تحسده الشمس
 إذا تجلت ، بما أعلمني به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله في

عبدّه ، وصدق المَخيلة في كرم مجده ، وهذا هو الجود المَحض ، والفضل الذي شكره هو الفرض ، وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات مَنْ يبدأ بالنوال ، من قبل الضَّرّاعة والسؤال ، من غير اعتبار للأسباب ولا مجازاة للأعمال ، نسأل الله تعالى أن يبقى منها على الإسلام أَوْفَى الظلال ، ويُبْلِغها من فضله أقصى الآمال ، ووَصَلَ ما بعثه سيدي صاحبها من الهدية ، والتحفة الودية ، وقبلتها امتثالاً ، واستجلبت^١ منها عِتْقاً وجمالاً ، وسيدي في الوقت أنسب لاتخاذ ذلك الجنس ، وأقدر على الاستكثار من إناث البَهْم والإنس ، وأنا ضعيف القدرة ، غير مستطيع على ذلك إلاّ في الندرة ، فلو راء سيدي ورأيه سَداد ، وقَصْده فضل ووداد ، أن ينقل القضية إلى باب العارية من باب الهبة ، مع وجود الحقوق المترتبة ، لبَسَطَ خاطري وجمّعه ، وعمل في رفع المؤونة على شاكلة حالي معه ، وقد استصحبت مراكوباً يشقّ عليّ هجره ، ويناسب مقامي شكله ونَجْره ، وسيدي في الإسعاف على الله أجره ، وهذا أمر عرض ، وفرض فرض ، وعلى نظره المعوّل ، واعتماد إغضائه هو المعقول الأوّل ، والسلام على سيدي من معظم قدره ، وملتزم برّه ، ابن الخطيب ، في ليلة الأحد السابع والعشرين لذي قعدة خمس وخمسين وسبعمئة ، والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الأجفان ، وظنّ أنّه الطوفان ، والحقاق في غدها بالباب المولوي مؤمل بحول الله » انتهى .

[٢٠ - من البرجي إلى لسان الدين]

وكتب القاضي أبو القاسم البرّجي^٢ لسان الدين في غرض الشفاعة لبعض قرابته قوله^٣ :

١ ص ق : واستجلبت .

٢ ترجمة البرجي في الإحاطة ٢ : ٢١٥ والكتيبة : ٢٥٠ ونيل الابتهاج : ١٧٢ .

٣ الكتيبة : ٢٥١ .

أيا سابقاً في مجال البراعة* وفارس مَيِّدان أهلِ البراعة*
 ومَنْ بَدْرُهُ في سماءِ المتعالِي يزِينُ بوصفِ الكمالِ ارتفاعه
 بما لكَ في الفضلِ من حُجَّةٍ ومن لَمَرَةٍ في ذويهِ مُطاعه
 قضاءك في معسرٍ حلَّ دَيْنٌ عليه فلِمَ رجاؤه قد أضاعه
 وقد كان ينبغي لديكم شفيعاً توسَّطَ عندكم في شفاعه
 على أنَّه في اقتضاء الودادِ يوفِّي موازينه أو صُواعه
 وما هو في سوقِ تقرِيطكم ونشْر حلاككم بمزجَى البضاعه

« كُتِبَ يا سيدي - أدام الله تعالى علاكم ، وحرس مجدكم الطاهر وسناكم -
 وأنا بين خَجَلٍ مفعم ، وعجلٍ مفعم ، أتذكَّرُ تسويفي بلقائكم ، حين
 سمح الدهر باقترابكم ، فأحجم وأفكر في أن إحجامي عند ذلك بإرجائي ،
 عسى أن يكون وفق رجائي ، أفاتني المقصود فأرى الحزم في أن أقدم ، وموقفها
 بين يديكم فلان ، يطالبني مطالبة الغريم ، وأروم مطاله فلا يبرح ولا يتريم ،
 والانقياد في زمام طاعته ممّا توجبه المروّة بعدما أوجبه الشارع إذ جعل له حظاً
 في الأبوة ، وقد أعلقتّه من ذمام علائكم بالحبل المتين ، وأنزلته من حماكم
 بِرَبْوَةِ ذات قرارٍ ومعين ، فإن أعرتموه من لحظكم الجميل طَرَفَ اهتبال ،
 وأقبلتموه من اعتنائكم الخزيل وَجْهَ إقبال ، فقد عاد دهره بعد النفار مُواتياً ،
 ونزل على أهل المهلَب شاتياً ، ومجدكم كفيل بتبليغ أمله ، وتوسيع جذله ،
 وذلكم يدٌ على معظمكم شكرها ، وعلى الله أجرها » انتهى .

[ترجمة أبي القاسم البرجي]

والبرجي المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم ،
 الغساني البرجي ، يكنى أبا القاسم ، من أهل غرناطة ، قال في « الإحاطة » :
 هو فاضل مجتمّع على فضله ، صالح الأبوة ، طاهر النشأة ، بادي الصيانة والعفة ،

طرف في الخير والحشمة ، صدر في الأدب ، جم المشاركة ، ثاقب الفهم ، جميل العشرة ، ممتع المجالسة ، حسن الشعر والخط والكتابة ، فذ في الانطباع ، صنّاع اليد^١ ، محكم لعمل الكثير من الآلات العلمية ، ويجيد تفسير الكتب ، رحّل إلى العُدوة ولقي جلة ، وتوسّل إلى ملكها مجدّد الرسم ومعتام أولي الشهرة وعامر دست الشعر والكتابة ، أمير المسلمين أبي عنان ، فاشتمل عليه ، ونوّه به وملاً بالخير يده ، فاقتنى جِدّة وحُظوة ، وذكرأ وشهرة ، وانقبض مع استرسال الملك لفضل عقله ، حتّى تشكى إلى سلطانهِ بَثّ ذلك عند قدومي عليه ، وآثر الراحة ، وجهد في التماس الرحلة الحجازية ، ونبذ الكل ، وقصر الخطوة^٢ ، وسلا الخطوة ، فأسعفه سلطانه بغير ضه ، وجعل حبّلاً همّة^٣ على غاربه ، وأصحبه إلى النبي الكريم صلوات الله عليه رسالةً من إنشائه وقصيدة من نظمه ، وكلاهما يعلن في الخلفاء ببعث شأوه ، ورسوخ قَدَمِ علميه ، وعراقه البلاغة في نسب خصله ، ولما هلك وولي ابنه [قدمه] قاضياً بمدينة^٤ ملكه وضاعف له التنويه ، فأجرى الخطوة على سبيل من السداد والنزاهة ، ثمّ لما ولي السلطان أبو سالم عمّه أجراه على الرسم المذكور ، واستجلى المشكلات بصدقه ، وهو الآن بحاله الموصوفة مفخر من مفاخر ذلك الباب السلطاني على تعدد مفاخره .

شعره - ثبت في كتاب « نفاضة الجراب » من تأليفنا عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر مَنْ أنشد ليلتئذ من الشعراء ما نصّه : وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي جملة السداجة^٥ وكرم الخلق وطيب النفس وخذن العافية وابن الصلاح والعبادة ونشأة القرآن

١ الإحاطة : الدين .

٢ ص : الخطو .

٣ ق والإحاطة : نعمه .

٤ قدمه . . . بمدينة : سقطتا من ق ، ولفظة « قدمه » سقطت من ص .

٥ ص : الشداخة .

المتحيز إلى حزب السلامة المنقبض عن الغمار العزوف عن فضول القول والعمل
جامع المحاسن الأشتات^١ من عقل رصين وطلب ممتع وأدب نقاوة ويد صنّاع أبو
القاسم ابن أبي زكريا البرّجي ، فأُنشِدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة
الفريدة^٢ :

أصغى إلى الوجد لما جدّ عاتبه
لم يعط للصبر من بعد الفراق يداً
لولا التوى لم يبت حرّان مكتئباً
يستودع الليل أسرار الغرام وما
لله عصر بشرقى الحمى سمحت
يا جيرة أودعوا إذ ودّعوا حرّاقاً
يا هل ترى تجمع^٣ الأيام ألفتنا
ويا أهيل ودادي ، والنوى قدّف
هل ناقض العهد بعد البعد حافظه
ويا ربوع الحمى لا زلت ناعمة
يا من قلب مع الأهواء منعطف
يسمو إلى طلب الباقي بهمة
وفتنة المرء بالمألوف معضلة
أبكي لعهد الصبا والشيب يضحك بي
ولن ترى كالموى ، أشجاءه سالفه
وهمة المرء تغليه وترخصه

صَبَّ لَهُ شُخْلُ عَمَّنْ يَعَاتِبُهُ
فَضْلٌ مِّنْ ظِلٍّ إِرْشَاداً يَخَاطِبُهُ
يَغَالِبُ الْوَجْدَ كَتَمًا وَهُوَ غَالِبُهُ
تَمْلِيهِ أَشْجَانُهُ فَالِدَمْعُ كَاتِبُهُ
بِالْوَصْلِ أَوْقَاتُهُ لَوْ عَادَ ذَاهِبُهُ
يَصُلِّي بِهَامِنْ صَمِيمٍ الْقَلْبَ ذَائِبُهُ
كَعَهْدِنَا أَوْ يَرُدُّ الْقَلْبَ سَالِبُهُ
وَالْقُرْبُ قَدْ أَهَمَّتْ دُونِي مَذَاهِبُهُ
وَصَادَعُ الشَّمْلِ يَوْمَ الشَّعْبِ شَاعِبُهُ
يَبْكِي عَهْدَكَ مُضْنَى الْجَسْمِ شَاحِبُهُ
فِي كُلِّ أَوْبٍ لَهُ شَوْقٌ يَجَازِبُهُ
وَالنَّفْسُ بِالْمَيْلِ لِلْفَانِي تُطَالِبُهُ
وَالْأَنْسُ بِالْإِلْفِ نَحْوَ الْإِلْفِ جَازِبُهُ
يَا لِلرَّجَالِ سَبَبَتْ جِدِّي مَلَاعِبُهُ
وَلَا كَوَعْدِ الْمُنَى ، أَحْلَاهُ كَاذِبُهُ
مَنْ عَزَّ نَفْسًا لَقَدْ عَزَّتْ مَطَالِبُهُ

١ الأشتات : ثبتت في ق ص وسقطت من الإحاطة .

٢ القصيدة في الإحاطة وبعضها في الكتيبة .

٣ الكتيبة : ترجع .

ما هانَ كسبُ المعالي أو تناولها
لولا سُرى الفلك السامي لما ظهرت
في ذمة الله ركبٌ للعلا ركبوا
يرمون عرضَ الفلا بالسير عن عرضٍ
كانتهم في فؤادِ الليلِ سيرٌ هوى
شدُّوا على لبِ الرمضاء وطأتهم
وكتفوا الليل من طولِ السرى شططاً
حتى إذا أبصروا الأعلام مائلةً
بحيثُ يأمنُ مَنْ موله خائفه
فيها وفي طيبة الغراء لي أملٌ
إن أنسَ ٢ لا أنسَ أياماً بظلهما
شوقي إليها وإن شطَّ المزارُ بها
إن ردها الدهر يوماً بعدما عبث
معاهدٌ شرفتُ بالمصطفى قلها
عهدُ المجتبي الهادي الشفيع إلى
أوفى الورى ذمماً ، أسماهمُ همماً
هو المكملُ في خلقٍ وفي خلقٍ
عنايةً قبلَ بدء الخلقِ سابقةً
جاءتُ تبشّرنا الرسلُ الكرامُ به
أخباره سرُّ علمِ الأولين وسلُّ
تطابقِ الكونِ في البُشرى بمولده

بل هانَ في ذاك ما يلقاه طالبه^١
آثاره ولما لاحَ كواكبه
ظهرَ السرى فأجابتهم نجائبه
طيَّ السجلَ إذا ما جدَّ كاتبه
لولا الضرامُ لما خفتُ جوانبه
فغاص في لجةِ الظلماء راسبه
فخلّفوه وقد شابت ذوائبه
بجانبِ الحرمِ المحميّ جانبهِ
من ذنبهِ وينالُ القصدَ راغبه
يُصاحبُ القلبَ منه ما يُصاحبه
سقى ثراه عَميمُ الغيثِ ساكبه
شوقُ المقيمِ وقد سارت حبابه
في الشملِ منّا يدهُ لا نَعائبه
من فضله شرفٌ تعلّو مراتبه^٣
ربّ العباد أمينُ الوحي عاقبه
أعلاهمُ كرمًا ، جلتُ مناقبه
زكتُ حُلاه كما طابت مناسبه
من أجْلِها كانَ آتية وذاهبه
كالصبيح تبدُّو تباشيراً كواكبه
بديرِ تيماء ما أبداه راهبه
وطبقَ الأرضَ أعلاماً تجاوبه

١ سقط البيت من ص .

٢ ق ص : لا أنس ؛ الإحاطة : لم أنس .

٣ ص : مراقبه .

فالجنُّ تهتِفُ إعلاناً هواتفهُ
 ولمْ تزل عصمةُ التأييد تكفهُ
 سرى وجنحُ ظلامِ الليلِ منسدلُ
 يَسْمُو لكلِّ سماءٍ منه منفردُ
 لمنتَهَى وَقَفَ الروحُ الأمينُ بِهِ
 لقابِ قَوْسَيْنِ أو أدنى فما علمتُ
 أراهُ أسرارَ ما قد كان أودعه
 وآبَ والبدرُ في بحرِ الدجى غرقُ
 فأشرقَتْ بستانهُ الأرضُ واتَّبعَتْ
 وأقبلَ الرشْدُ والتاحتْ زواهره
 وجاءَ بالذِّكرِ آياتٍ مُفَصَّلةُ
 نُورٌ مِنَ الحِكمِ لا تخبو سواطعُه
 لَهُ مقامُ الرِّضَى المحمودِ شاهِدُهُ
 والرُّسلُ تحتَ لواءِ الحمدِ يقدمُها
 لَهُ الشِّفاعاتُ مقبولا وسائِلُها
 والحوضُ يروى الصدى من عذبٍ مورده
 محامدُ المُصْطَفَى لا يَنْتَهِي أبدأ
 فضلُ تكفَّلَ بالدَّارينِ يوسِعُها
 حسبي التوسَّلُ منها بالذي سمعتُ
 حيَّاهُ من صلواتِ الله صَوْبُ حَيَّا
 وخلَّدَ اللهُ ملكَ المُستعينِ بِهِ
 إمامُ عدلٍ بتقوى الله مشتملُ
 مسدَّدُ الحِكمِ ، مَيِّمُونُ نقيته

والجنُّ تقذفُ إحراقاً ثوابهُ
 حتى انجلي الحقُّ وانزاحتْ شوائبُهُ
 والنجمُ لا يهتدي في الأفقِ ساربه
 عَنِ الأَنامِ وجَبَرائيلُ صاحبه
 وامتازَ قُرْباً فلا خَلَقُ يقاربُهُ
 نفسُ بمقدارِ ما أولاهُ واهبه
 في الخلقِ والأمرُ باديه وغائبه
 والصُّبحُ لما يؤبُ للشرقِ آيِبُهُ
 سُبُلَ النِّجاةِ بما أبدتْ مذاهبه
 وأدبرَ الغيُّ فانبجاستْ غياهبُهُ
 يَهْدِي بها من صِراطِ الله لَاحِبُهُ
 بخرٌ مِنَ العلمِ لا تَفْنِي عَجائِبُهُ
 في موقفِ الحشرِ إذ نابت نوابِهُ
 محمدُ أحمدُ السامي مَراتبه
 إذا دهى الأمرُ واشتدتْ مصاعبه
 لا يشتكي غلَّةَ الظَّمانِ شارِبُهُ
 تعدادُها ، هل يَعُدُّ القَطَرُ حاسبه ؟
 نَعْمى ورُحمى فلا فَضْلُ يُناسِبُهُ
 به القوافي وجلَّتْها غرائبُ
 تُحْدِي إلى قبره الزاكي نجائبه
 مؤيِّدَ الأمرِ مَنْصُوراً كَتائِبُهُ
 في الأمرِ والنهي يرضيه يراقبه
 مظفَّرُ العزمِ ، صدِّقُ الرَّأيِ صائبه

مُشَمَّرٌ لِلتَّقَى أَذْيَالِ مَجْتَهِدٍ
 قَدْ أَوْسَعَتْ أَمَلِ الرَّاجِي مَكَارِمُهُ
 وَفَازَ بِالْأَمْنِ مَجْبُوراً مُسَالِمَهُ
 كَمْ وَافِدٍ آمَلٍ مَعَهُودَ نَائِلِهِ
 وَمُسْتَجِيرٍ بَعِزٍّ مِنْ مَثَابَتِهِ
 وَجَاءَهُ الدَّهْرُ يَسْتَرْضِيهِ مُعْتَذِراً
 لَوْلَا الْخَلِيفَةُ لِإِبْرَاهِيمَ لَانْهَمَتْ
 سَمَتْ لِنَيْلِ تَرَاثِ الْمَجْدِ هَمَّتْ
 يَنْمِيهِ لِلْعَزِّ وَالْعَلِيَا أَبُو حَسَنِ
 مِنْ آلِ يَعْقُوبَ حَسْبَ الْمَلِكِ مَفْتَخِراً
 أَطْوَادُ حِلْمٍ رَسَا بِالْأَرْضِ مُحْتَدُهُ
 تَحْفَهَا مِنْ مَرِينِ أَبْحَرُ زَخَرَتْ
 بِكُلِّ نَجْمٍ لَدَى الْهَيْجَاءِ مُلْتَهَبِ
 أَكْفَهُمْ فِي دِيَاجِيهَا مَطَالَعُهُ
 يَا خَيْرَ مَنْ خَلَصَتْ لَهِ نَيْتُهُ
 جَرَدَتْ وَالْفِتْنَةُ الشَّعْوَاءُ مُلْبَسَةٌ
 وَخَضَّتْهَا غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَكَلٍ
 صَبَرَتْ نَفْساً لِعَقْبِي الصَّبْرِ حَامِدَةٌ
 فَلِيَهِنْ دِينَ الْهَدَى إِذْ كُنْتُ نَاصِرَهُ
 لَا زَالَ مَلِكُكَ وَالتَّأْيِيدُ يَخْدُمُهُ
 وَدَمَتْ فِي نِعَمٍ تَضْفُو مَلَابِسُهَا
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مَا

جَرَّارُ أَذْيَالِ سُحْبِ الْجُودِ سَاحِبِهِ
 وَأَحْسَبَتْ رَغْبَةَ الْعَافِي رَغَائِبُهُ
 وَبَاءَ بِالْخِزْيِ مَقْهُوراً مُحَارِبِهِ
 أَتْنَى وَأَتْنَتْ بِمَا أُولَى حَقَائِبِهِ
 عَزَّتْ مَرَامِيهِ وَانْقَادَتْ مَآرِبِهِ
 مُسْتَغْفِراً مِنْ وَقُوعِ الذَّنْبِ تَائِبِهِ
 طُرُقُ الْمَعَالِي وَنَالِ الْمَلِكِ غَاصِبِهِ
 وَالْمَلِكُ مِيرَاثُ مَجْدٍ وَهُوَ غَاصِبِهِ
 سَمَحُ الْخِلَاقِ مُحَمَّدٌ ضَرَائِبِهِ
 بِيَابِ عَزِّهِمُ السَّامِيِّ تَعَاقِبِهِ
 وَزَاخَمَتْ مِنْكَبِ الْجُوزَا مَنَاكِبِهِ
 أَمْوَاجُهَا وَغَمَامٌ ثَارَ صَائِبِهِ
 يَنْقُضُ وَسَطَ سَمَاءِ النَّقْعِ ثَائِبِهِ
 وَفِي نَحُورِ أَعَادِيهِمْ مَغَارِبُهُ
 فِي الْمَلِكِ أَوْ خَطَبَ الْعَلِيَاءِ خَاطِبِهِ
 سَيْفًا مِنَ الْعِزِّ لَا تَنْبُو مُضَارِبِهِ
 وَقَلَمًا أَدْرَكَ الْمَطْلُوبَ هَائِبِهِ
 وَالصَّبْرُ مَذْكَانٌ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبِهِ
 أَمْنٌ يُوَالِيهِ أَوْ خَوْفٌ يَجَانِبُهُ
 تَقْضِي بِخَفْضِ مُنَاوِيهِ قَوَاضِيهِ
 فِي ظِلِّ عِزٍّ عَلَا تَضْفُو مَشَارِبِهِ
 سَارَتْ إِلَيْهِ بِمُشْتَاقٍ رَكَائِبِهِ

ومن شعره ما قيده لي بخطه صاحب قلم الإنشاء بالحضرة المرينية الفقيه الرئيس
الصدر المتفّن أبو زيد ابن خلدون^١ :

صحبا القلبُ عمّا تعلّمينَ فأقلعنا	وعطّلَ من تلك المعاهدَ أربعا
وأصبحَ لا يُلَوّي على حدّ منزلٍ	ولا يُتَّبِعُ الطرفَ الخليّ المودّعا
وأضحى من السلوانِ في حرزٍ معقلٍ	بعيدٍ عن الأيام أن يتضعضا
يردُّ الجفونَ النّجّلَ عن شُرُفاته	وإن لحظتُ عن كل أجنيّدٍ أنلّعا
عزيزٌ على داعي الغرام انقياده	وكان إذ ناداه للوجدِ أهطعا
أهابَ به للشيبِ أنصحُ واعظٍ	أصاخ له قلباً منيباً ومسمعا
وسافر في أفقِ التفكّرِ والحجى	زواهره لا تبرحُ الدهرَ طُلّعا
لعمري لقد أنضيتُ عزمي تطلّبا	وقضيتُ عمري رِقبةً وتطلّعا
وخضتُ عبابَ البحرِ أنخضرَ مُزبداً	ودستُ أديمَ الأرضِ أغبرَ أسفعا

وقال حسبما قيده المذكور^٢ :

نهاهُ النّهى بَعْدَ طولِ التّجاربِ	ولاحَ لهُ منهجُ الرشدِ لاحِبُ
وخاطبَ به دَهْرُهُ ناصحاً	بالسنةِ الوعظِ من كلّ جانبُ
فأضحى إلى نُصْحِهِ واعياً	والغنى حديثَ الأمانِ الكواذبُ
وأصبحَ لا تستيبه الغواني	ولا تزدريه حظوظُ المناصبُ

ثم قال في «الإحاطة» : وإحسانه كثير في النثر والنظم والقصار والمطولات ،
واستعمل في السفارة إلى ملك مصر وملك قشتالة ، وهو الآن قاضي حضرة الملك

١ الإحاطة : ٢٢٠ .

٢ المصدر السابق : ٢٢١ والكتيبة : ٢٥١ وقد حولت في ق إلى وزن الطويل مثل «ولاح له نهج
من الرشد لاحب» أو «وخاطبه دهر له كان ناصحاً» : . . إلخ .

نسيجُ وَحْدِهِ فِي السَّلامَةِ وَالتَّخَصُّصِ وَاجْتِنَابِ فَضُولِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، كَانَ
اللَّهُ لَهُ ؛ انْتَهَى .

وكتب ابن المصنف بهامش ترجمة المذكور من « الإحاطة » ما صورته :
سيدي وشيخي علامة المغرب اليوم ، وحائز رتبة العليّة من خطابة وقضاء وعلامة
وهو أحق بها ، لخلاله الحميدة ، أبقاه الله تعالى ، قاله محبه علي بن الخطيب ؛
انتهى .

وكتب على القصيدة الميلادية المتقدمة ما نصّه : رويتها عنه ، وسمعتها من
لفظه ، وأجازني إياها بتلمسان ؛ انتهى .

وكتب على حاشية قصيدته « صحا القلب - إلى آخره » ما صورته : سمعتها
من لفظ سيدي وشقيق روعي الإمام العلامة الرائس أبي زيد ابن خلدون بالأندلس
أمتع الله به تعالى ؛ قال ذلك أخوه علي بن الخطيب ؛ انتهى .

[٢١ - مخاطبات ابن زمرك للسان الدين]

وقال في « الإحاطة » في ترجمة ابن زمرك ما صورته^١ : وشعره مترام إلى
هَدَفِ الإِجَادَةِ ، خَفَاجِي التَّرْعَةِ ، كَلَفَ بِالْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ وَالْأَلْفَاظِ الصَّقِيلَةِ ،
غَزِيرِ الْمَادَةِ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبَنِي بِهِ وَهِيَ مِنْ أَوَّلِ مَا نَظَّمَهُ قَصِيدَةً مَطْلَعُهَا :

أَمَّا وَانْصِدَاعِ النُّورِ مِنْ مَطْلَعِ الْفَجْرِ

يقول فيها بعد أبيات :

لَكَ اللَّهُ مِنْ فَدَا الْجَلَالَةِ أَوْحَدٌ تَطَاوَعَهُ الْآمَالُ فِي النِّهْيِ وَالْأَمْرِ
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي طَالَ فَخْرُهُ عَلَى الْمُرْهَفَاتِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ السُّمْرِ
يَقْلُدُ أَجْيَادَ الطُّرُوسِ تَمَائِمًا بِصِنْفِي لَالٍ مِنْ نِظَامٍ وَمِنْ نَثْرٍ

١ الإحاطة ٢ : ١٨٤ وانظر القصيدة في الكتيبة : ٢٨٤ وأزهار الرياض ٢ : ١٦٤ .

تَهَيَّبَكَ الْقُرْطَاسُ فَاحْمَرَّ إِذْ غَدَا
كَأَنَّ رِيَاضَ الطَّرْسِ خَدُّ مَوْرَدٍ
فَشَارَةُ هَذَا الْمَلِكِ رَائِقَةُ الْحُلَى
وَمَا رَوْضَةُ غَنَاءٍ عَاهَدَهَا الْحَيَا
تُغْنِي قِيَانُ الطَّيْرِ فِي جَنَابَتِهَا
تَمَدُّ لَأَكْوَاسِ الْعَرَارِ أَنْامِلًا
وَيَحْرُسُ خَدُّ الْوَرْدِ صَارِمٌ نَهْرَهَا
يَفَاخِرُ مَرَاها السَّمَاءَ مُحَاسِنًا
إِذَا مَسَحَتْ كَفُّ الصَّبَا جَفَنَ نَوْرَهَا
بَأَعْطَرَ مِنْ رِيَا ثَنَائِكَ فِي السُّرَى
عَجِبْتُ لَهُ يُحْكِي خِلَالَ خَمِيلَةٍ
إِذَا أَضْرَمْتَ مِنْ بَأْسِهَا الْحَرْبُ جَاحِمًا
وَإِنْ كَلَّحَ الْأَبْطَالُ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
لَكَ الْحَسَبُ الْوَضَّاحُ وَالسُّودْدُ الَّذِي
تَشْرَفَ أَفْقٌ أَنْتَ بَدْرٌ كَمَالِهِ
تَكَلَّلَ تَاجُ الْمَلِكِ مِنْكَ مُحَاسِنًا
بِعِزَّةٍ مَضمُونِ السَّعَادَةِ أَوْحَدٍ
طَوَى الْحَيْفَ مَنشُورَ الْلَوَاءِ مُؤَيِّدًا
وَمَدَّ ظِلَالِ الْأَمْنِ إِذْ قَصَرَ الْعَدَا
إِذَا احْتَفَلَ الْإِيوَانُ يَوْمَ مَشُورَةٍ
صَدَعْتَ بِفَصْلِ الْقَوْلِ غَيْرَ مَنَازِعٍ
فَلِنْ تَظْفِرِ الْحَيْلُ الْمَغِيرَةُ بِالضَّحَى
فَلَا زِلْتَ لِلْعَلِيَاءِ تَحْمِي ذِمَارَهَا

يُقَلُّ بِحُورًا مِنْ أَنْامِلِكَ الْعِشْر
يَطْرُزُهُ وَشْيُ الْعِذَارِ مِنَ الْخَبَرِ
بِأَلْوِيَةِ حُمُرٍ وَبِالصُّحُفِ الْحَمْرِ
تَحْوُكُ بِهَا وَشْيَ الرَّبِيعِ يَدُ الْقَطْرِ
فَيَرْقِصُ غِصْنُ الْبَانِ فِي حُلُلٍ خَضِرٍ
مِنْ السُّوسَنِ الْغَضِّ الْمُخْتَمِ بِالْتَبْرِ
وَيُمنَعُ ثَغْرُ النُّورِ بِالذَّابِلِ النَّصْرِ
وَتَزْرِي نَجُومُ الزَّهْرِ مِنْهَا عَلَى الزَّهْرِ
تَنْفَسُ ثَغْرَ الزَّهْرِ عَنْ عَنِيرِ الشَّحْرِ
وَأَبْهَرَ حَسَنًا مِنْ شَمَائِلِكَ الْغُرِّ
وَتَفْرُقُ مِنْهُ الْأَسَدُ فِي مَوْقِفِ الذَّعْرِ
تَأْجِجُ مِنْهُ الْعُضْبُ فِي بِلْجَةِ الْبَحْرِ
تَرْفُقُ مَاءُ الْبِشْرِ فِي صَفْحَةِ الْبَدْرِ
يَضِيقُ نَظَاقُ الْوَصْفِ فِيهِ عَنِ الْخَصْرِ
فَغَرْنَاطَةُ تَخْتَالُ تِيهًا عَلَى مِصْرِ
وَفَاخَرَتِ الْأَمْلَاكُ مِنْكَ بَنُو نَصْرِ
وَعُرَّةٌ وَضَّاحُ الْمَكَارِمِ وَالنَّجَرِ
فَعَزَّ حِمَى الْإِسْلَامِ بِالطِّيِّ وَالنَّشْرِ
فِيُتْلَى سَنَاءُ الْمَلِكِ بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ
وَتَضْطَرِبُ الْأَرَاءُ مِنْ كُلِّ ذِي حِجْرٍ
وَأُطْلَعَتْ آرَاءُ قَبْسَنَ مِنَ الْفَجْرِ
فَعَنَ رَأْيِكَ الْمَيْمُونِ تَظْفَرُ بِالنَّصْرِ
وَتَسْحَبُ أَذْيَالَ الْفَخَارِ عَلَى النَّصْرِ

وللعلم فخر الدين والفتك بالعدا بآوت به يا ابن الخطيب على الفخر
 فيهنك عيدُ الفطر من أنت عيده ويثني بما أوليت من نعيم غر
 جبرت مهيضاً من جناحي ورشته وسهلت لي من جانب الزمن الوعر
 وبوأتني من ذروة العز معتلى وشرفتني من حيث أدري ولا أدري
 وسوغتني الآمال عذباً مسلسلأ وأسميت من ذكرى ورفعت من قدرى
 فدهري عيدٌ بالسرور وبالمنى وكل ليالي العمر لي ليلة القدر
 فأصبحت مغبوطاً على خير نعمة يقل لأدناها الكثير من الشكر
 وهي طويلة ؛ انتهى .

قلت : هذا الرئيس ابن زمرك صرح هنا بأنه بجاه لسان الدين ابن الخطيب
 أدرك من العز ما أدرك ، ثم انقلب عليه مع الدهر وكفر نعمته وبها أشرك ،
 وحرك من دواعي قتله ما حرك ، وكم من صديق لك ضرك ، وعققت بعدما
 برّك ، وساءك إثر ما سرّك ، ولذا رأيت بخط ابن لسان الدين على هامش قوله
 في هذه القصيدة « ومد ظلال الأمن — إلخ » ما صورته : هذا مدحه لحاه الله ؛
 وعلى قوله « وبوأتني من ذروة العز — إلخ » ما مثاله : هكذا شهادتك لحقه ،
 ثم تحوّل عنه ، وكفر نعمته ، اغرب أخراك الله ؛ انتهى .

وكتب بهامش أول ترجمته من « الإحاطة » ما نصّه : أتبعه الله خزيّاً ،
 وعامله بما يستحقّه ؛ فبهذا ترجمه والذي مولاه الذي رفع من قدره فيه ، ولم
 يقتله أحد غيره ، كفانا الله تعالى شرّ من أحسنأ إليه .

وكتب أيضاً تحت هذا ما مثاله : هذا الوغد ابن زمرك من شياطين الكتاب
 ابن حداد بالبيازين ، قتل أباه بيده ، أوجعه ضرباً فمات من ذلك ، وهو أخس
 عباد الله تربية ، وأحقرهم صورة ، وأخملهم شكلاً ، استعمله أبي في الكتابة
 السلطانية ، فجئنا أيام تحولنا عن الأندلس منه كل شرّ ، وهو كان السبب في
 قتل أبي مصنف هذا الكتاب الذي ربّاه وأدّبه واستخدمه ، حسبما هو معروف ،

وكفانا الله شرًّا من أحسننا إليه وأساء إلينا ؛ انتهى .

وقد ألمنا بترجمته في هذا الكتاب في باب تلامذة لسان الدين فلتراجع هنالك .

ومما كتب به ابن زمرك المذكور إلى لسان الدين ابن الخطيب جواباً عن

رسالة قوله ^١ :

حَيَّتْ صَباحاً فَأَحْيَتْ سَاكِنِي الْقَصْبَةِ	واسترجعتْ أَنْفُساً بِالشَّوْقِ مُغْتَصِبَةَ
قَضَى الْبَيَانُ لَهَا أَنْ لَا نَظِيرَ لَهَا	فَأَحْرَزْتُ مِنْ مَعَانِي خَصْلَهُ قَصْبَةَ
نَاجَتْ طَلِيحَ سُرِّي لَا يَسْتَفِيقُ لَهَا	هَدَّتْ جَوَارِحَهُ وَاسْتَوَهَنْتْ عَصْبَةَ
فَحَرَّكَتُهُ عَلَى فَتْكِ السَّكَلَالِ بِهِ	وَأَذْهَبْتُ بِسُرُورٍ الْمُلْتَقَى نَصْبَةَ
وَأَذْكُرْتُ عَهْدَ مُهْدِيهَا عَلَى شَحْطِ	فَعَاوِدِ الْقَلْبِ مِنْ تَذْكَارِهِ وَصَبَةَ
مَا كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ دَهْرِي بِجَوْهَرِهِ	لَوْ كَانَ يَسْمَعُ لِي بِالْقَلْبِ مَنْ غَصْبَةَ
سَلْ أَدْمَعَ الصَّبِّ مِنْ أَعْدَى السَّحَابِ بِهَا	وَقَلْبَهُ بِجَمَارِ الشَّوْقِ مَنْ حَصْبَةَ
فَاللَّهُ يَحْفَظُ مَهْدِيهَا وَيَشْكُرُهُ	فَوَجَّهَهَا بِعَصَابِ الْحَسَنِ قَدْ عَصْبَةَ
مَنْ كَانَ وَارِثَ آدَابٍ يَشْعَشَعُهَا	بِالْفَرْضِ إِنِّي فِي إِرْثِي لَهَا عَصْبَةَ
هُوَ الْمَلَاذُ مَلَاذُ النَّاسِ قَاطِبَةً	سَبْحَانَ مَنْ لَغِيَاثِ الْخَلْقِ قَدْ نَصْبَةَ

وخاطبه كذلك بقوله ^٢ :

يَكْلَفْنِي مَوْلَايَ رَجَعَ جَوَابُهُ	وَمَا لَتَعَاظِي الْمُعْجِزَاتِ وَمَا لِيَا
أَجِيْبُكَ لِلْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ	وَأَكْتُبُ مِمَّا قَدْ أَفْدَتْ الْأَمَالِيَا
فَأَنْتَ الَّذِي طَوَّقْتَنِي كُلَّ مَنَّةٍ	وَأَحْسَبْتَ آمَالِي وَأَكْسَبْتَ مَالِيَا
وَأَنْتَ الَّذِي أَعْدَى الزَّمَانَ كَمَالَهُ	وَصَبِرْتَ أَحْرَارَ الزَّمَانِ مَوَالِيَا
فَلَا زِلْتَ لِلْفَعْلِ الْجَمِيلِ مُوَاصِلًا	وَلَا زِلْتُ لِلشُّكْرِ الْجَزِيلِ مَوَالِيَا

١ الأزهار ٢ : ١٦٦ .

٢ الكتيبة : ٢٨٨ والأزهار ٢ : ١٦٧ .

وخاطبه كذلك بقوله ١ :

طالعتها دون الصُّباحِ صَباحا	لَمَّا جَلَتْ غُرَرَ البَيَانِ صَباحا
ولقد رأيتُ، وما رأيتُ كحُسْنِها	وجهاً أَعْرَ ومِسمَاً وضَّاحا
عذراء أَرْضَعَهَا البَيَانُ لِبَانَهُ	وأطالَ مَعْدَى عندها ومَراحا
فَأَتَتْ كما شَاءَتْ وشَاءَ نَجِيها	تذكي الحُجَى وتُنَعِّمُ الأرواحا
لا بل كمثلِ الرُّوضِ باكَرَهُ الحيا	وسقى به زهرَ الكَمامِ ففاحا
وطوتُ بساطَ الشوقِ مِنِّي بعدما	نشرتُ عليَّ من القَبولِ جَناحا

وخاطبه كذلك بقوله ٢ :

ذَرُونِي فإِنِّي بالعِلاءِ خَيْرُ	أُسِيرُ فَإِنَّ النِّسْرَاتِ تَسِيرُ
وكم بَتُّ أطوي الليلَ في طَلَبِ العُلا	كَأَنِّي إلى نَجمِ السَّمَاءِ سَفِيرُ
بعزمٍ إِذَا مَا الليلُ مَدَّ رِواقَهُ	يَكُرُّ عَلَيَّ ظِلْمائِهِ فِينِيرُ
أخو كَلَفٍ بالمجدِ لا يَسْتَفْزُهُ	مِهادُ إِذَا جَنَّ الظُّلَامُ وَثِيرُ
إِذَا مَا طَوَى يَوْمًا عَلَى السَّرِّ كَشَحَهُ	فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى المَمَاتِ نُشُورُ
وإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ المَمْنَعُ جَارُهُ	لَتَسْبِي فَوَادِي أَعِينُ وَثُغُورُ
وما تَعْتَرِينِي فِتْرَةٌ فِي مَدَى العُلا	إِلَى أَنْ أَرَى لِحْظًا عَلَيْهِ فَتُورُ
وَفِي السَّرْبِ مِنْ نَجْدٍ تَعَلَّقْتُ ظَبِيَّةً	تَصُولُ عَلَيَّ أَلْبَابُنَا وَتَغِيرُ
وَتَمْنَعُ مِيسُورَ الكَلَامِ أَنَا الهُدَى	وَتَبْخَلُ حَتَّى بِالْخِيَالِ يَزُورُ
أَسْكَانَ نَجْدٍ جَادَهَا وَاكْفُ الحيا	هَوَاكُمُ بَقْلِي مُنْجِدٌ وَمُغِيرُ
وَيَا سَكْنِي بِالْأَجْرَعِ الفَرْدِ مِنْ مِئْنَى	وَأُسْرُ حَظٍّ مِنْ رِضَاكَ كَثِيرُ
ذَكَرْتُكَ فَوْقَ البَحْرِ والبَعْدُ بَيْنَنَا	فَمَدَّتْهُ مِنْ قِيَضِ الدُّمُوعِ بِحُورُ

١ الأزهار ٢ : ١٦٧ .

٢ الأزهار ٢ : ١٦٧ .

وأومضَ خَفَّاقُ النُّوَابَةِ بَارِقُ
ويهفو فُوَادِي كُلِّمَا هَبَّتِ الصَّبَا
ورالله ما أدري أذكرك هزِّي
فمَنْ مُبْلَغُ عني التَّوَى ما يسوؤها
بأثًا غَدَاً أو بعده سوفَ نلتقي
إلى كم أرى أكني ووجدي مصرح
أمنجد آمالي ، ومغلي كاسدي
أنسى ، ولا أنسى ، مجالسك التي
نزورك في جنح الظلام ونثني
على أنتي إن غبتُ عنك فلم تغب
نروح ونغدو كلَّ يومٍ وعندها
فظلُّك فوق حَيْثُما كنتُ وارف
وعذراً فلاني إن أطلتُ فإنما
وكتب إليه خاتمة رسالة كذلك :

وحقَّك ما استطعت بعدك غمضة
وعارضتُ مَسْرَى الرِّيح قَلْتُ لعلَّها
إلى أن بدا وَجْهُ الصَّبَّاح كأنه
فقلتُ لقلبي استشعرِ الأنسَ وابتهج
وسِرْ في ضِمان الله حيثُ توجهتُ
من النوم حتى آذن النجمُ بالغروب
نمُّ برياً منك عاطرةِ الهبوب
حيَّاك إذ يجلو بغُرَّتِه الخطوب
فإن تبعد الأجسامُ لم تبعدِ القلوب
ركابُك لا تخشِ الحوادثُ أن تنوبَ

قلت : هذه غاية في معناها ، لولا خروجها عن القواعد في ترتيب قافيتها
ومبناها ، فانظر إلى تحوُّله عن لسان الدين بعد هذه المدائح ، ونسبته إليه بعده
القبائح ، والإنسان خَوَّان ، إلا النادر من الإخوان ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله .

قال في « الإحاطة » في ترجمة ابن سلبطور ما نصّه : ومما خاطبني به :

تالله ما أورى زنادَ القلقِ سوى بريقٍ لاحَ لي بالأبرقِ
أيقنتُ بالحَيْنِ فلولا نفحةٌ نجديّةٌ منكمُ تلافتَ رمقي
لكنتُ أقضي بتلظّي زفرةٍ وحسرةٍ بينَ الضلوعِ تلتقي
فأهٍ من هَوْلِ النوى وما جئى على القلوبِ موقفُ التفرّقِ
يا حاكّي الغصنِ انثنى متوجّأً بالبدرِ تحتَ لمةٍ من غسقِ
اللهَ في نفسٍ مُعنتى أقصِدَتْ من لاجعِ الشوقِ بما لم تُطيقِ
أنى على أكثرها برحُ الأسى دعُ ما مضى منها وأدركُ ما بقي
ولو بللّامِ خيالٍ في الكرى إن ساعدَ الجفنَ رقيبُ الأرقِ
فربّ زورٍ من خيالٍ زائرٍ أقرَّ عينيَّ وإن لم يصدقِ
شقيتُ من برحِ الأسى لو أنَّ مَنْ أصبحَ رقيّ في يديه مُعنتي
ففي معاناةٍ الليالي عائقٌ عن التصابي وفنونِ العلقِ
وفي ضمانٍ ما يُعاني المرءُ من نوائبِ الدهرِ مشيبُ المفرّقِ
هذا لعمرى معَ أني لم أبتُ منها بشكوى روعةٍ أو فرّقِ
فقد أخذتُ من خطوبِ غدرها بآبِ الخطيبِ الأمنِ ممّا أتقي
فخرُ الوزارة الذي ما مثله بدرّ علا في مغربٍ أو مشرقِ
ومذ أرائيه زماني لم أبلُ مِن صَرفهٍ بمُرْعِدٍ أو مُبرّقِ
لا سيّما منذُ حططتُ في حمى مقامه¹ الأَمْنِ رحلَ أينقي
أيقنتُ أني في رجائي لم أخبُ وأنّ مسعى بغيتي لم يُخفّقِ
ندبٌ لهُ في كلّ حُسنٍ آيةٌ تناسبتُ في الخلقِ أو في الخلقِ

١ سقطت هذه الكلمة من ص ، وفي ق : سماء .

في وجهه مسحةٌ بِشَرِّ إن بدت
 تعتبر الأبصارُ في اللآلءِ ما
 كالدهر في استينائه وبطشه
 إنْ بخلَ الغيثُ استهلَّتْ يدُه
 وإنْ وشتْ صفحة طرسٍ انجلى
 بمثلها من حبراتٍ أخرجلتْ
 ما راق في الآذانِ أشنافٌ سوى
 تودُّ أجيادُ الغواني أن يرى
 فسَلْ به هل آده الأمرُ الذي
 إذا رأى الرأيَ فلا يخطئه
 إليه أبا عبدِ الإله هاتِها
 خذها إليك بكراً فكري يزدي
 لازلتَ مرهوبَ الجنبِ مرتجئِ
 مبلِّغَ الآمالِ فيما تبغي

تبهرجتُ أنوارُ شمسِ الأفقِ
 عليه مِن نورِ السماحِ المشرقِ
 كالسيفِ في حدِّ الظُّبى والرونقِ
 بوابلٍ من غيثٍ جودٍ غَدَقِ
 ليلٌ دجاها عن سنا مؤتلقِ
 حواشيَ الروضِ خدودُ المَهْرَقِ
 ملتقطاتٍ لفظه المفرقِ
 حليتها من درّ ذاك المنطقِ
 حُمِّلَ في شرخِ الشبابِ المونقِ
 يُمنُّ اختيارٍ للطريقِ الأوفقِ
 عذراء تحشر في وجوه السُّبُقِ
 لديك بالأعشى لدى المخلوقِ
 موصولَ عزٍّ في سَعودٍ ترتقي
 مؤمنَ الأغراضِ ممّا تنقي

[ترجمة ابن سلبطور]

وابن سلبطور هو : محمد بن محمد بن أحمد بن سلبطور الهاشمي .
 قال في « الإحاطة » : من أهل المرية ، يكنى أبا عبد الله ، من وجوه بلده
 وأعيانه ، نشأ نبيه البيت ساحباً بنفسه وبماله ذيل الخطوة ، متحلياً بخصل
 من خط وأدب ، وزيراً متجنداً ظريفاً ، درباً على ركوب البحر وقيادة
 الأساطيل ، ثم انحطّ في هواه انحطاطاً أضاع مروءته واستهلك عقاره وهَدَّ
 بيته ، وألجأه أخيراً إلى اللحاق بالعدوة فهلك بها .
 وجرى ذكره في « الإكليل » بما نصّه : مجموع شعر وخط ، وذكاء عن

درجة الظرفاء غير منحط ، إلى مجادة أثيلة البيت ، شهيرة الحي والميت ، نشأ في حِجر التَّرفِ والنعمة ، محفوفاً بالمالية الجمَّة ، فلماً عقل عن ذاته ، وترعرع بين لِداته ، أجرى خيول لذاته ، فلم يَدَعْ منها رَبْعاً إلا أفقره ، ولا عقاراً إلا عقره ، حتى حطَّ بساحلها ، واستولى بسفر الإنفاق على جميع مراحلها ، إلا أنَّه خلص بنفس طيبة ، وسرَّآوة سماؤها صَيِّبة ، وتمتَّع ما شاء من زير وبم ، وتأتس لم يُعطِ القيادة لهم ، وفي عفو الله سَعَة ، وليس مع التوكل عليه ضَعَة .

شعره - من شعره قوله يمدح السلطان ، وأنشدها إيَّاه بالمضارب من وادي الغيران عند قدومه المرية :

أثغرك أم سيمط من الدرّ ينظم وريقك أم سك به الراح تُختم
ووجهك أم باد من الصبح نير وفرعك أم داج من الليل مظلم
أعلل منك الوجد والليل متلفي وهل ينفع التعليل والخطب مؤلم
وأقع من طيف الخيال بزورة لو أن جفوني بالنام تنعم
ثم سرد لسان الدين القصيدة ، وهي طويلة .

ثم قال : ومن شعره مديلاً على البيت الأخير حسبما نُسِب إليه ببلده :

نامت جفونك يا سؤلي ولم أنم ما ذاك إلا لفرط الوجد والسقم
أشكو إلى الله ما بي من محبتكم فهو العليم بما ألقى من الألم
« إن كان سفك دمي أقصى مرادكم فما غلّت نظرة منكم بسفك دمي »
ومما يُنسب إليه كذلك :

قف بي وناد بين تلك الطلول أين الألى كانوا عليها نزول
أين ليالينا بهم والمنى نجنيه غضاً بالرضى والقبول

لا حُمِّلُوا بعضَ الذي حَمَلُوا يومَ تولَّتْ بالقيابِ الحُمُولُ
إن غبتمُ يا أهلَ نَجْدٍ ففِي قلبي أنتم وضلوعي حُلُولُ^١

ثم قال : ناب في القيادة البحرية عن خاله القائد أبي علي الرنداحي ، وولي
أسطول المنكب^٢ برهة ، وتوفي بمراكش عام خمسة وخمسين وسبعمائة ،
رحمه الله تعالى ؛ انتهى .

[٢٣ - من ابن راجح إلى لسان الدين]

وقال لسان الدين : كتب إليَّ أبو عبد الله ابن راجح التونسي بما يظهر من
أبياته ، وهي :

أما والذي لي في حُلاك من الحمد ومالك ملاكي لديّ من الرfid
لقد أشعرتني النفسُ أنك مُعرضٌ عن المسرفِ الآتي لفضلك يستجدي
فإن زلةً مني بدتُ لك جهرةً فصفحاً فما والله أذنبتُ عن قصدٍ

[٢٤ - جواب لسان الدين]

فراجعته بقولي :

أجلكَ عن عتبٍ يغضُّ من الودِّ وأكرمُ وجهٍ العذرِ منك عن الردِّ^١
ولكنني أهدي إليك نصيحتي وإن كنتُ قد أهديتها ثم لم تُجدِ
إذا مَقُولُ الإنسانِ جاوزَ حدَّهُ تحوّلتِ الأغراضُ منه إلى الضدِّ^٢
فأصبح منه الجلدُ هزلاً مذمّماً وأصبح منه الهزلُ في معرضِ الجلدِ
فما اسطعتَ قبضاً للعنانِ فإنّه أحقُّ السجاسا بالعلاء وبالوجدِ

١ ق : نزول ؛ ص : حمول .

٢ هذه رواية ص ؛ وفي ق : المبكم .

[ترجمة ابن راجح]

وقال في « الإحاطة » في حق ابن راجح المذكور ما محصّله^١ : محمد بن علي ابن الحسن بن راجح ، الشريف الحسيني باعترافه ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (الزمر : ٧ ، والإسراء : ١٥ ، والأنعام : ١٦٤) تونسي ، أبو عبد الله ، يُعرف بابن راجح ، صاحب رُواء وأبهة^٢ ، نظيف البزة ، فاره المركب ، مطفف مكيال الإطراء ، جَمُوحٌ في إيجاب الحقوق ، مترامٍ إلى أقصى آماد التوغّل ، سخي اللسان بالثناء ثرائه ، مرسلٌ لعنائه في كل المحافل ، متواضع متودد فكه مطبوع حسن الخلق عذب الفكاهة ، مخصوص حيث حلّ من الملوك والأمراء بالآثرة ، وممّن دونهم بالمداخلة والصحبة ، ينظم الشعر ، ويحاضر بالآبيات ، ويقوم على تاريخ بلده ، ويثابر على لقاء أهل المعرفة ، والأخذ عن أولي الرواية ، قدم الأندلس عام خمسين وسبعمائة مفلتاً من الوقعة بالسلطان أبي الحسن ، فمهد له سلطانها كَنَفَ برّه ، وآواه إلى سَعَةِ رعيه ، وتأكدت بيني وبينه صحبة .

[٢٥ - من لسان الدين إلى ابن راجح]

كتبتُ إليه أولَ قدومه بما نصّه أحنو حذو أبيات ذكر أن شيخنا أبا محمد الحضرمي خاطبه بها :

أَمِنْ جَانِبِ الْغَرْبِيِّ نَفْحَةُ بَارِحٍ	سَرَتْ مِنْهُ أَرْوَاحُ الْجَوَى فِي الْجَوَارِحِ ؟
قَدَحْتُ بِهَا زَنْدَ الْغَرَامِ وَإِنَّمَا	تَجَافَيْتُ فِي دِينِ السَّلْوِ لِقَادِحِ
وَمَا هِيَ إِلَّا نَسْمَةٌ حَاجِرِيَّةٌ	رَمَى الشَّوْقُ مِنْهَا كُلَّ قَلْبٍ بِقَادِحِ
رَجَحْنَا لَهَا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ كَأَنَّهَا	شَمَائِلُ أَخْلَاقِ الشَّرِيفِ ابْنِ رَاجِحِ

١ ق : حاصله .

٢ ق : وبديهة .

فتى هاشم سباً إلى كل غاية
أصيل العلا جَمُ السيادة ، ذكره
وفرقانُ مجدٍ يصدعُ الشكَّ نورُهُ
وفارسُ ميدانِ البيانِ إذا انتضى
رقيقٌ كما راقنتك نعمةُ ساجعٍ
إذا ما احتبى مستحضراً في بلاغة
وقد شرعتُ في مجمعِ الحقلِ نحوه
فما ضعفتُ منه لصوله صادعٍ
تذكرتُ قسّاً قائماً في عكاظه
ليهلك شمسَ الدين ما حزت من علّا
رعى الله ركباً أطلع الصبحَ مسفراً
ولله ما أهدته كئوماً أوضعتُ
أقول لقومي عندما حطَّ كورها
ذروها وأرضَ الله لا تعرضوا لها
إذا ما أردنا القول فيه فمنّ لنا
بقيتُ مئى نفسٍ وتحفةً قادمٍ
ولا زلت تلقى البرّ والرحبَ حيثما

[٢٦ - جواب ابن راجح]

فأجاني بما نصّه :

وصبراً ، مغارِ الفتلِ في كلِّ فادحٍ
طرازُ نُضارٍ في برودِ المدائحِ
حبا الله منه كلُّ صدرٍ بشارحِ
صحائفه أنست مضاء الصفائحِ
وجزّلٌ كما راعتك صولةُ جارحِ
وخوضِ خِضمِّ القولِ منه بسابعِ
أسنةُ حربٍ للعيونِ اللوامحِ
ولا ذهبتُ منه بحكمةٍ ناصحِ
وقد غصّ بالشّمِّ الأنوفُ الجحاجحِ
خواتمه موصولةٌ بالفواتحِ
لمراك من فوق الرُّبى والبطائحِ
برحلك في قفرٍ عن الأنسِ نازحِ
وساعدها السعدانُ وسط الأباطحِ
بمعرضٍ سوءٍ فهي ناقةٌ صالحِ
بطوعِ القوافي وانبعاثِ القرائحِ
وموردَ ظمآنٍ وكعبةٍ مَادحِ
أرحت السرى من كُلى غادٍ ورائحِ

أعني مطلع الأنوارِ لمحةً لامحِ
وهل بالمئى من مَوردِ الوصلِ يرتوي
تعادُ لفقودِ عَنِ الحيّ نازحِ
غليلٌ عليلٌ للتواصلِ جانحِ

١ ق : الحصل .

فيا فيضَ عينِ الدمعِ مالكَ والحمى
 مرابعُ آرامي وموردُ ناقتي
 سقى الله ذاك الحيَّ ودَقّاً فلانة
 وأبدى لنا حورَ الخيامِ تُزفُّ في
 ترى حيَّ تلك الحورَ للحورِ مهيعٌ
 ويا دوحةَ الريحانِ هل لي عودة
 وهل أنتِ إلا حلةٌ حاتمة
 أقامَ بها الفخرَ الخطيبُ منابراً
 وشقَّعَ بالإنجيلِ حمدَ مديحه
 وفرَّقَ بالفرقانِ كلَّ فريقة
 وهل هو إلا للبريةِ مرشدٌ
 فبشرى لسانَ الدين ساد بك الورى
 متى قلتَ لم تتركِ مقالاً لقائل^١
 فمن حامَ بالحي الذي أنتَ ربُّه
 يحقُّ له أن يشفعَ الحمدَ بالثنا
 ويا فوزَ ملكٍ دمتَ صدرَ صدوره
 بآرائكِ اللاتي تدلُّ على الهدى
 ملكتَ خصالَ السبقِ في كلِّ غايةٍ
 مطامح^٢ آمالٍ لأشرفِ همّة
 فدونكها يا مهدي المدحِ مدحةٌ

ورنَدَ الحمى والشيخَ شيخَ الأشايحِ
 فسقى لها سقىً لناقةً صالحِ
 حمى لمحاتِ العينِ عن لمحِ لامحِ
 حلى الحسن والحسنَى وحلى الملامحِ
 يدلُّ ، وهل حسمٌ لداء التبارحِ
 لعفرِ عفارِ الأنسِ بينَ الأباطحِ
 تغصُّ نواديها بغادٍ ورائحِ
 لترتيلِ آياتِ الندى والمنائحِ
 وأوترَ بالتوراةِ شفعَ المدائحِ
 نأت عن رشادٍ فيه محضُ النصائحِ
 لكلِّ هدى هادي لأرجحِ راجحِ
 وأورى الهدى للرشدِ أوضحَ واضحِ
 وإن لم تقلُّ لم يُغنِ مدحٌ لمادحِ
 وعامَ ببحرٍ من عطابك طافحِ
 ويغدو بذاك البحرِ أسبحَ سابحِ
 وبشرى له قد راح أريج رليح^٣
 وتبدي لمن خصصت سُبُلَ المناجحِ
 ومَلَكْتَ ما ملكت يا ابنَ الجمجاجِ
 أقلُّ مراميها أجلُّ المطامحِ
 أجبتُ بها عن مدحِ أشرفِ مادحِ

١ من قول حسان في مدح ابن عباس :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل

بملقطات لا ترى بينها فصلاً

٢ سقط البيت من ص .

٣ ق : مطالب .

تُهَنِّيكِ بالعام الذي عَمَّ مدحُه موَاهِبُ هاتيكِ البحارِ الطوافِحِ
فخُذْهَا سَمِيَّ الفخرِ يا خيرَ مسبلٍ على الخلقِ إغْضَاءَ سُتُورِ التسامحِ
ودُمُ خاطِبِ العليا بها خيرَ مخاطِبِ وأتوقَ تَوَاقٍ وأطمحَ طامحِ

[بقية ترجمة ابن راجح]

ثمَّ قال لسان الدين : توفي يوم الخميس ثالث شعبان سنة خمس وستين
وسبعمائة ، وقد ناهز السبعين ، ودفنناه بروضتنا بباب البيرة ، وأعفني شارب الشعر
من ثاني^١ مِقَصَّه ، عفا الله تعالى عنا وعنه ؛ انتهى .

قلت : رأيت بخط البدر البشتكي في اختصاره لإحاطة لسان الدين وسمّاه
بـ « مركز الإحاطة » في هذا المحل ما نصّه : قال كاتبه : لو وفق الله تعالى هذا
الرجل لم يجب عن مثل تلك الحائية بهذا الهداء ، ولعل ما في كتاب أبي البركات
الذي اسمه « شعر مَنْ لا شعر له » أنزل من هذه الطبقة ؛ انتهى .

وقد أشار لسان الدين لهذا بقوله السابق : وأعفني شارب الشعر من ثاني^١ مِقَصَّه ،
فله دره من لودعي زان خاتم البراعة بَقَصَّه ، فلكم له من عبارة وجيزة يقضي
بها ما لم يستطع غيره أن يعبر عنه بإطنابه ، فعلى كل مَنْ يروم التعبير ، عمّا في
الضمير ، أن يتمسك بأطنابه .

وقال ابن خاتمة : حدثني الشريف الأديب أبو عبد الله ابن راجح التونسي
مَقْدَمَه علينا بالمرية قال : سجن القاضي أبو عبد الله ابن عبد السلام شاباً وسيماً
لحقّ تعين عليه ، فأنشدته مداعباً :

أقاضي المسلمين حكمتَ حكماً غداً^٢ وجهُ الزمانِ له عبُوسا

١ ص : نابي .

٢ ق : بدا .

سجنت على الدراهم ذا جمال ولم تسجنه إذ غصّب النفوس
فأجابني بأن قال : إنما شكاه لي أربابُ الدراهم ، دون أرباب النفوس ؛
انتهى .

رجع إلى ما خوطب به لسان الدين رحمه الله تعالى :

[٢٧ - من العشاب إلى لسان الدين]

ومما خاطبه به أبو عبد الله العشاب^١ التونسي في بعض الأعياد قوله :

يُمنّ أبي عبد الإله محمد	تيمّن هذا القطر وانسجم القطر
أفاض علينا من جزيل عطائه	بحوراً تديم المدّ ليس له جزر
وآسنا لنا عدماً مغانياً	إذا ذكرت في القلب ليس لها دعر
هنيئاً بعيد الفطر يا خير ماجد	كريم به تسمو السيادة والفخر
ودمت مدى الأيام في ظل نعمة	تطيع لك الدنيا ويعنوك الدهر

[٢٨ - من محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي إلى لسان الدين]

وقال لسان الدين في ترجمة ابن عبد الملك المراكشي ما صورته : وخاطبني
بقوله :

وليت ولاية أحسنت فيها	ليعلم أنها شرفت بقدرك
وكم وال أساء فقليل فيه	ذني القدر ليس لها بمدرك

وقال أيضاً يخاطبني في المعنى :

١ ق : الفشتالي .

٢ ص : من ذكرها .

وليتَ فقيلَ أحسنَ خيرُ والِ ففاقَ مَدَى مداركها بفضلهُ
وكم والِ أساءَ فقيلَ فيه دَنَا فَمَحَا محاسِنَها بفعلهُ

[ترجمة ولد ابن عبد الملك]

وفي « الإحاطة » ما محصّله أن المذكور محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأنصاري الأوسي ، كان شديد الانقباض ، محجوب المحاسن ، تنبو العين عنه جهامة ووحشة ظاهر وغرابة شكل ، وفي طي ذلك أدب غض ، ونفس حرّة ، وحديث ممتع ، وأبوّة كريمة ، أحد الصابرين على الجهد ، المستمسكين بأسباب الحشمة ، الراضين بالخصاصة ، وأبوه قاضي القضاة نسيجٌ وحده الإمام العالم التاريخي المتبحر في الآداب ، تقلبت به أيدي الليالي بعد وفاته لتبعة سلطت على نشبه ، فاستقر بمالقة مقدوراً عليه ، لا يهتدي لمكان فضله إلا من عثر عليه ، ومن شعره قوله :

من لم يصنْ في أملٍ وجهه عَنكَ فَصُنْ وجهكَ عن ردّه
واعرفْ له الفضلَ وعرفْ له حيثُ أحلَّ النفسَ من قصده

ثم قال : توفي في ذي القعدة عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة ؛ انتهى .

[٢٩ - من المكودي إلى لسان الدين]

ومما مُدِح به لسان الدين قولُ أبي عبد الله محمد المَكُودي الفاسي رحمه الله تعالى :

رُحماكَ بي فلقد خَلَدْتَ في خَلَدِي هوى أكابدُ منه حُرْقَةَ الكبدِ
حللتَ عَقْدَ سُلُوي عن فؤادي إذ حللتَ منه محلَّ الروح من جسدي
مرآكَ بدري ، وذكراك التناذُ في ودين حبك إضماري ومعتقدي

ومن جمالك نورٌ لآخٍ في بصري ومن ودادك روحٌ حلٌّ في خلدي
لا تحسبنَ فؤادي عنك مصطبراً فقبلَ حبِّك كان الصبرُ طوعَ يدي
وهالكٌ جسفي قد أودى النحولُ به فلوَّ طلبتَ وجوداً منه لم تجدِ
بما بطرفك من غُنْجٍ ومن حَوَرٍ وما بثغرك من دُرٍّ ومن بَرَدِ
كنْ بينَ طرفي وقلبي منصفاً فلقد حايتَ بعضهما فاعدلْ ولا تحدِ
فقال لي : قد جعلتَ القلبَ لي وطناً وقد قضيتَ على الأجفانِ بالسُّهْدِ
وكيفَ تطلبُ عدلاً والهوى حَكَمٌ وحكمه قطٌّ لَمْ يعدلْ على أحدِ
من لي بأعيدٍ لا يرثي لذي شجنٍ وليسَ يعرفُ ما يلقاه ذو كمدِ
ما كنتُ من قبلٍ إذعاني لسطوته إخالُ أنَّ الرشا يسطو على الأسدِ
إن جاد بالوعدِ لم تصدقْ مواعده فإن قنعتُ بزورِ الوعدِ لم يعدِ
شكوته عِلِّي منهُ فقال : ألا سرُّ للطبيبِ فما برء الضنى بيدي
فقلتُ : إن شئتَ برئي أو شفا ألمي فبارتشافِ لماك الكوثرِيَّ جُدِ
وإن بخلتَ فلي مولى يجودُ على ضعفي ويبرىء ما أضنيتَ من جسدي

وخرج بعد هذا إلى مدح لسان الدين فأطال وأطاب ، وكيف لا وقد ملأ
من إحسانه الوطاب ، رحم الله تعالى الجميع .

[٣٠ - من اليتيم إلى لسان الدين]

وقال لسان الدين : كتبت إلى أبي عبد الله اليتيم^١ أسألُ منه ما أثبت في
كتاب « التاج » من شعره ، فكتب إليَّ بهذه الأبيات :

أما الغرامُ فلمْ أُخلِلْ بمذهبهِ فلمْ حرمتَ فؤادي نيلَ مطلبهِ

١ هو محمد بن علي بن محمد العبدي ، وسينقل المقرئ ترجمته عن التاج فيما يلي ، وبعضها مثبت أيضاً
في الكتيبة : ٥٩ .

يا معرضاً عن فؤاد لم يزل كلفاً
قطعت عنه الذي عودته فغدا
أيام وصلك مبدول ، وبرك بي
وسمع ودك عن إفاك العواذل في
لا أنت تمنعني نيل الرضى كرمًا
لله عرفك ما أذكى تنسمه
أنت الحبيب الذي لم أتخذ بدلاً
يا ابن الخطيب الذي قد فقت كل سنا
محمد الحسن في خلق وفي خلق
حضرت أو غبت ما لي عن هوالك غنى
سيان حال التداني والبعاد ، وهل
يا من أحسن ظني في رضاه وما
إن كان ذنبي الهوى فالقلب مني لا
بحبه ، ذا حذار من تجنبه
وحظه من رضاه برق خلبه
مجدد ، قد صفا لي عذب مشربه
شغل وبدر الدجى ناس لمغربه
ولا فؤادي بوان في تطلبه
لو كنت تمنحني استنشاق طيبه
منه وحاشا لقلبي من تقلبه
أزال عن ناظري إظلام غيبه
أكلت باسمك معنى الحسن فازه به
لا ينقص البدر حسناً في تغيبه
لمبصر البدر نيل في ترقبه ؟
ينفك يهدي قبيحاً من تغضبه
يصغي لسمع ملام من مؤنبه

[٣١ - من لسان الدين إلى اليتيم]

فأجبت بهذه الرسالة ، وهي ظريفة في معناها : « يا سيدي الذي إذا رفعت
راية ثنائها تلقيتها باليدين ^٢ ، وإذا قُسمت سيها ^١ وداده على ذوي اعتقاده كنت
صاحب الفريضة ^٣ والدين ، دام بقاؤك لطرفة تبديها ، وغريبة تردفها بأخرى
تليها ، وعقيلة بيان تجليها ، ونفس أخذ الحزن بكظمها ، وكلف الدهر
بشت نظمها ، تؤنسها وتسليها ، لم أزل أشد على بدائعك يد الضنين ، وأفتني

١ ص : نأيت .

٢ فيه إشارة إلى قول الشماخ :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابية باليمين

٣ الفريضة : الإرث أو الحصة منه .

درر كلامك ، ونفثات أقلامك ، اقتناء الدر الثمين ، والأيام بلقائك تَعِدُ
ولا تُسعد ، وفي هذه الأيام انثالت عليّ سماؤك بعد قَحْط ، وتواترت لدي
آلاؤك على شَحْط ، وزارني من عقائل بيانك كلُّ فاتنة الطرف ، عاطرة
العَرَف ، رافلة في حلل البيان والظرف ، لو ضربت ييوتها بالحجاز ، لأقرت
لها العربُ العاربة بالإعجاز ، ما شئت من رصف المبني ، ومطاوعة اللَّفْظ لغرض
المعنى ، وطيب الأسلوب ، والتشبيث بالقلوب ، غير أن سيدي أفرط في التنزل ،
وخلط المخاطبة بالتغزل ، وراجع الالتفات ، ورام استدراك ما فات ، ويرحم
الله تعالى شاعر المعرة فلقد أجاد في قوله ، وأنكر مناجاة الشوق بعد انصرام
حوّله^١ :

أبعد حَوْلٍ تناجي الشوقَ ناجيةً^٢ هلاً ونحن على عشرٍ من العُشْرِ^٣

« ولقد تجاوزت في الأمد ، وأنسيت أخبار صاحبك عبد الصمد ، فأقسم
بألفيات القدود ، وهمزات الجفون السود ، وحامل الأرواح مع الألواح ،
بالغدو والرواح ، لولا بُعد مزارك ، ما أمنت غائلة ما تحت إزارك ، ثم إنني
حققت الغرض ، وبحث عن المشكل الذي عَرَض ، فقلت : للخواطر^٣ انتقال ،
ولكل مقام مقال ، وتختلف الحوائج باختلاف الأوقات ، ثم رفع اللبسَ خبرُ
الثقات » .

ومنها — « وتعرفت ما كان من مراجعة سيدي لحرفة التكتيب والتعليم ،
والحنين إلى العهد القديم ، فسررت باستقامة حاله ، وفضل ماله ، وإن لاحظ

١ من قصيدته التي مطلعها :

يا ساهر البرق أيقظ راقده السرير لعل بالجزع أغواناً على السهر

(شروح السقط : ١١٤) .

٢ الناجية : الناقة السريعة ؛ والعشر : شجر ، وأراد به هنا المكان الذي ينبت فيه .

٣ ق : للخاطر .

اللاحظ ، ما قال الجاحظ^١ ، فاعترض^٢ لا يرد^٣ ، وقياس لا يطرد^٤ ، حبذا والله عيش^٥ التأديب ، فلا بالضنك ولا بالجديب ، معاهدة الإحسان ، ومشاهدة الصور الحسان^٦ . يميناً إن المعلمين ، لسادة المسلمين ، ولأنتي لأنظر منهم كلما خطرت على المكاتب ، أمراء فوق المراتب ، من كل مسيطر الدرة ، متقطب الأسرة ، متمر للوارد تنمر الهرة ، يغدو إلى مكتبه ، كالأمير في موكبه ، حتى إذا استقل في فرشه^٣ ، واستوى على عرشه ، وترنم بتلاوة قالونه وورثه^٤ ، أظهر للخلق احتقاراً ، وأزرى بالجلال وقاراً ، ورفعت إليه الخصوم ، ووقف بين يديه الظالم والمظلوم ، فتقول : كسرى في إيوانه ، والرشد في أوانه ، أو الحجاج بين أعوانه ، فإذا استولى على البدر السرار ، وتبين للشهر الغرار ، تحرك إلى الخرج ، تحرك العود إلى الفرج ، أستغفر الله مما يشق^٥ على سيدي سماعه ، وتشمئز من ذكره طباعه ، شيم اللسان ، خلط الإساءة بالإحسان ، والغفلة من صفات الإنسان ، فأبي عيش كهذا العيش ؟ وكيف حال أمير هذا الجيش ؟ طاعة معروفة ، ووجوه إليه مضرّوفة ، فإن أشار بالإنصات ، لتحقق القصّات ، فكأنّما طمس على الأفواه ، ولأم بين الشفاه ، وإن أمر بالإفصاح ، وتلاوة الألواح ، علا الضجيج والعجيج ، وحف به كما حف بالبيت الحجيج ، وكم بين ذلك من رشوة تدس ، وغمزة لا تحس ، ووعد يستنجز ، وحاجة تستعجل وتحفز ، هنا الله سيدي ما خوّله ، وأنساه بطيب أخرّاه أوّله ، وقد بعثت بدعائتي هذه مع إجلال قدره ، والثقة بسعة صدره ، فليتلّقها بيمينه ، ويفسح لها في المرتبة بينه وبين خدينه ، ويفرغ لمراجعتها وقتاً من أوقاته عملاً بمقتضى دينه ، وفضل يقينه ، والسلام .

١ يومئ إلى أن الجاحظ قد ذم معلمي الصبيان ، ويداعب ابن اليتيم في عودته إلى هذه الحرفة .

٢ ومشاهدة . . . الحسان : سقطت من ق .

٣ ق : استقبل على فرشه .

٤ قالون وورث : مقرئان اختص كل منهما بقراءة من القراءات .

[ترجمة أبي عبد الله اليتيم]

ثم قال : ومن المداعبة التي وقعت إليها الإشارة ما كتب به إليه صديقه أبو علي ابن عبد السلام :

أبا عبد الإله نداء خيل وفي جاء يمنحك النصيحة
إلى كم تألف الشبان غيباً وخذلاناً، أما تخشى الفضيحة؟

فأجابه بقوله :

فديتك صاحب السمة المليحة ومن طابت أرومته الصريحة
ومن قلبي وضعت له محلاً فما عنه يحل بأن أزيحه
نأيت فدمع عيني في انسكاب وأكبادي لفرقتكم قريحه
وطرفي لا يتأخ له رقاد وهل نوم لأجفان جريحه
وزاد تشوقي أبيات شعر أنت منكم بالفاظ فصيحة
ولم تقصد بها جدّاً ، ولكن قصدت بها مداعبة وقبحه
فقلت : أتألف الشبان غيباً وخذلاناً ، أما تخشى الفضيحة ؟
ففيهم حرفتي وقوام عيشي وأحوالي بخلطتهم نجiche
وأمرني فيهم أمر مطاع وأوجههم مصابيح صبيحه
وتعلم أنني رجل حصّور وتعرف ذلك معرفة صبيحه

ثم قال لسان الدين — بعد إيراد ما مر — ما صورته : ولما اشتهر المشيب بعارضه ولمته ، وخفر الدهر بعهود صباه وأذمته ، أقلع واسترجع ، وتألم لما فرط وتوجّع ، وهو الآن من جلة^٢ الخطباء طاهر العريض والثوب ، خالص

١ سقط هذان البيتان من ق .

٢ ق : جملة .

من الشَّوْب ، بادٍ عليه قبول قابل التوب ، وتوفِّي في أخريات صفر سنة خمسين وسبعمائة في الطاعون ، رحمه الله تعالى وغفر له ؛ انتهى .

واليتيم المذكور هو أبو عبد الله محمد بن علي العبدري المالقي ، وفي حقّه يقول لسان الدين في «التاج» ما مثاله : هو مجموع أدوات حسان ، من خط ونعمة^١ لسان ، أخلاقه رَوْضٌ تنضوع نسماته ، وبشره صبح تتألق قَسَماته ، ولا تخفى سِماته ، يُقَرِّطِيسُ أغراض الدعاة ويُصْمِيها ، ويفوق سهام الفكاهة إلى مَرَامِها ، فكلّما صدرت في عصره قصيدة هازلة ، أو أبيات منحطة عن الإجابة نازلة ، خَمَسَ أبياتها وذيلها ، وصَرَفَ معانيها وسيلها ، وتركها سَمَر الندمان ، وأضحوكة الأزمان ، وهو الآن خطيبُ المسجد الأعلى بمالقة ، متحلّ بوقار وسكينة ، حالّ من أهلها بمكانة مَكِينة ، لسهولة جانبه ، واتضاح مقاصده في الخير ومداهبه ، واشتغل لأوّل أمره بالكتيب ، وبلغ الغاية في التعليم والترتيب ، والشباب لم ينصل خضابُه ، ولا سُلَّتْ للمشيبي عِضابُه ، ونفسه بالمحسن كلفة صَبَّة ، وشأنه كله هوى ومَحَبَّة ، ولذلك ما خاطبه بعضُ أودائه ، وكلاهما رمى أخاه بدائه ، حسبما يأتي خلال هذا المقول وفي أثنايه ؛ انتهى .

وذكر نحو ما تقدّم ذكره ، سامح الله الجميع بفضله .

[٣٢ - مخاطبة الكرسوطي لسان الدين]

وقال لسان الدين في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي الفاسي^٢ نزيل مالقة ما صورته : وأنشدني وأنا بمالقة أحاول لَوِّثَ العمامة ، وأستعين بالغير على الإحكام لها :

١ ق : من حفظ ونعمة .

٢ ترجمة الكرسوطي في الإحاطة ، الورقة : ٥٠ وفيه البيتان .

أَمَعَمًا قَمْرًا تَكَامِلَ حُسْنُهُ أُرَبَّى عَلَى الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي الْبَهَا
لَا تَلْتَمِسُ مِمَّنْ لَدَيْكَ زِيَادَةٌ فَالْبَدْرُ لَا يَمْتَارُ مِنْ نَوْرِ السَّهَا

[ترجمة أبي عبد الله الكرسوطي]

قال لسان الدين : وهو فقيه محدث متكلم ، ألف كتباً منها « الغرر في تكميل الطُّرر » طُرر أبي إبراهيم الأعرج ، ثم كتاب « الدرر في اختصار الطُّرر » المذكور ، وتقييدان على الرسالة كبير وصغير ، ونُحْص « التهذيب » لابن يثير ، وحذف أسانيد المصنفات الثلاثة ، والتزم إسقاط التكرار ، واستدرك الصحاح الواقعة في الترمذي على البخاري ومسلم ، وقيد على مختصر الطليطي ، وشرع في تقييد على قواعد الإمام أبي الفضل عياض بن موسى برسم ولدي ، ويصدر منه الشعر مصدراً لا تكنفه منه العناية ، وكانت له اليد الطولى في عبارة الرؤيا ، ومولده بفاس عام تسعين وستمائة ؛ انتهى ملخصاً .

[٣٣ — مخاطبة ابن الزبير لسان الدين]

وقال في ترجمة أبي عمرو ابن الزبير ما صورته : وممّا خاطبني به عند إيابي من العُدْوَةِ في غرض الرسالة قوله :

نوالي الشكرَ للرحمن فرضاً	على نِعَمٍ كَسَتْ طَوْلًا وعرضاً
وكم لله من لطفٍ خفيٍّ	لنا منه الذي قد شا وأمضى
بمقدمك السعيد أتت سعودٌ	ننال بها نعيمَ الدهر محضاً
فيا بشرى لأندلس بما قد	به والاك بارينا وأرضي
ويا لله من سفرٍ سعيد	قد آقرضك المهيمن فيه قرضاً
ورحتَ بنيةٍ أخلصتَ فيها	فأبت بكلّ ما يبغي ويرضى
وثبتَ لنصرة الإسلام لما	علمت بأنّ الأمر إليك أفضى

لقد أحييت بالتقوى رؤسوماً كما أرضيت بالتمهيد أرضاً
وقمت بسنة المختار فينا ثمهد سنة وتقيم فرضاً
ورضت من العلوم الصعب حتى جنيت ثمارها رطباً وغبناً
فرأيتك راجح فيما تراه وعزمتك من مواضي الهند أمضى
تدبر أمر مولانا فيلقى الـ مسيء لديك إشفاقاً وإغضاً
فأعقبنا شفاء وانبساطاً وقد كانت قلوب الناس مرضى
ومن أضحى على ظلم وأمسى يرد إن شاء من نعمك حوضاً
أبا عبد الإله إليك أشكو زمني حين زاد الفقر عضاً
ومن نعمك أستجدي لباساً تفيض به عليّ الجاه فيضاً
بقيت مؤملاً ترجى وتخشى ومثلك من إذا ما جاد أرضى

[ترجمة أبي عمرو ابن الزبير]

وأبو عمرو المذكور هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير ، أبوه الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير أستاذ الزمان شيخ أبي حيان وغيره ، وقال في « الإحاطة » في حقه : إنه فكه حسن الحديث ، ركض طرف الشبية في ميدان الراحة منكباً عن سنن أبيه وقومه ، مع شغوف إدراك ، وجودة حفظ ، كانا يطعمان والده في نجابته ، فلم يعدم قادحاً ، شرق فنال حظوة ، وجرت عليه خطوب ، ثم عاد إلى الأندلس ، فتطور بها ، وهو الآن قد نال منه الكبر يزجي لوقته^١ بمالقة متعللاً برمتى من بعض الخدم المخزنية^٢ ، استجاز له والده الطم والرم من أهل المغرب والمشرق ، وبضاعته في الشعر مزجاة ، ثم قال : مات تاسع المحرم عام خمسة وستين وسبعمائة ؛ انتهى .

١ ق : الوقت .

٢ المخزنية : نسبة إلى المخزن وهو الدولة .

[ترجمة أبي يحيى الأكلحل]

وقال في ترجمة أبي يحيى محمد بن أحمد بن محمد بن الأكلحل ما صورته :
شيخ هيدوري^١ الذقن ، خدوع الظاهر ، خلوب اللفظ ، شديد الهوى إلى
الصوفية ، والكلف بإطراء أهل الخير ، من بيت صَوْن وحشمة ، متقدم في
معرفة الأمور العلمية ، خائض في غمار التصوف ، وانتحال كيمياء السعادة ،
راكب متن دعوى عريضة في مقام التوحيد ، تكذبها أحواله الراهنة ، لمعاصرة
خلقه على الرياضة ، واستيلاء الشره ، وغلبة سلطان الشهوة ، والمشاحة أيام
الولاية ، والسباب^٢ الشاهد بالشدة ، والحلف المتصل بياض اليوم في ثمن
الخردلة باليمين التي فيها فساد الأنكحة ، والغضب الذي يقلب العين .

[٣٤ - مخاطبة الأكلحل للسان الدين]

خاطبني بين يدي نكبتك ولم أكن أظن الشعر مما تلوكه جَحَفَلْتَهُ^٣ ، ولكنته
من أهل الكفاية :

رجوتك بَعْدَ الله يا خيرَ مُنْجِدٍ	وأكرمَ مأمولٍ وأعظمَ مُرْفِدٍ
وأفضلَ مَنْ أَمَلْتُ للحادثِ الذي	فقدتُ به صبري وما مَلَكْتَ يدي
وحاشا وكلاءً أن يَخِيبَ مؤملي	وقد علقَتُ بأبن الخطيب محمدٍ
وما أنا إلاَّ عبدٌ نعمته التي	عهدتُ بها يُنْجِي وإنْجَاحَ مقصدي
وأشرفُ من حَصَّ الملوك على التقي	وأبدى لهم رشداً نصيحةً ^٤ مرشدٍ

١ ق : هيدري ؛ ولعلها هيدوري من قولهم هدر التبت إذا كثر وطال .

٢ ص : والسيد ولعلها محرفة عن « والسب » .

٣ الجحفلة للدابة بمنزلة الشفة للإنسان .

٤ ق : رشد النصيحة .

وساس الرعايا الآن خير سياسة
 وأعرض عن دنياه زهداً وإنما
 وما هو إلا الليث والغيث إن أتى
 وبحر علوم درة كلماته
 صقيل مرآي الفكر رب لطائف
 بديع عروج النفس للملا الذي
 شفيق رفيق دائم الحلم راحم
 صفوح عن الجاني على حين قدرة
 أيا سيدي يا عمدتي عند شدتي
 حنانك والطف بي وكن لي راحماً
 رجاءك رجاء للذي أنت أهله
 وأمك مضطراً لرحماك شاكياً
 وعندي افتقار لا يزال مواصلاً
 ترفق بأولاد صغسار بكائهم
 وليس لهم إلا إليك تطلع
 أنلهم أيا مولاي نظرة مشفق
 وعامل أنا الكرب الشديد برحمة
 ولا تنظرن إلا لفضلك ، لا إلى
 وإن كنت قد أذنبت إني تائب
 بقيت بخير لا يزال وعزة
 وسخرك الرحمن للعبد ؛ إنه

ثم قال : وهو الآن من مسطري الأعمال على تهوّر واقتحام كبرة^٢ ، من

١ سقط البيت من ص .

٢ ق : كبيرة .

خط لا غاية وراءه في الركافة ، كما قال المعري ^١ :

تمشت ^٢ فوقه حُمْرُ المَنَيا وَلكن بعدما مُسِخَتْ نَمَلا ^٣

[٣٥ - مخاطبة ابن عياش للسان الدين]

وقال في ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن عياش بن مشرف الأمي :
لأنه من أهل الأصالة والحسب ، ظهرت منه على حداثة السن أبيات ، ونُسب
إليه شعر توسل به ، وتصرف في الإشراف ، فحمدت سيرته ، وكتب إلي
بقوله :

سَيَقَرَّتْ شَمُوسُ الْيَمَنِ وَالْإِقْبَالِ وَبَدَتْ بِدُورِ السَّعْدِ ذَاتُ كَمَالِ
لَقُدُومِ سَيِّدِنَا الْوَزِيرِ مُحَمَّدِ أَعَزُّ بِهِ مِنْ سَيِّدِ مَفْضَالِ
قَمَرٌ تَجَلَّى بَيْنَ زُهْرٍ تَجَتَّلِي يَهْدِي لِفَعْلِ الْخَيْرِ لَا الْإِضْلالِ
سِرَّ آمِنًا لَا تَكَثَّرَتْ ، فَلَأَنْتِ فِي حَفِظِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمُتَعَالِي
بِرَّآ وَبِحِرَّآ لَا تَخَافُ مُلَمَّةً وَعَدُوٌّ ذَاتُكَ خَلْفَ ظَهْرِكَ صَالِي
لَا يَسْتَقِرُّ لَهُ قَرَارٌ بَعْدَكُمْ مِمَّا يَحُلُّ بِهِ مِنَ الْأَوْجَالِ
وَالْآنَ تَرْجِعُ سَالِمًا وَمَبْتَرَأً يَبْلُوغُ كُلَّ مَسْرَةٍ وَمَنَالِ
وهي طويلة ، نَمَطُهَا متخلف عن الإجادة ، وهي من مثله مما يُسْتَظَرَفُ ؛
انتهى .

[٣٦ - مخاطبة أبي عبد الله الوادي آشي للسان الدين]

وقال في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد العراقي الوادي آشي : فاضل

١ شروح السقط : ١٠٤ .

٢ السقط : ودبت .

٣ البيت في وصف السيف ؛ أي أن إفرنده وكأنما دبّت فوقه النمل .

الأبوة ، بادي الاستقامة ، حسن الأخلاق ، تولّى أعمالاً ، كتب إلي وقد أبى
عملاً عُرِضَ عليه بقوله :

أَصُمْتُ أَلْفًا ثُمَّ أَنْطَقُ بِالْخَلْفِ	وَأَفْقَدُ أَلْفًا ثُمَّ آتُسُ بِالْخَلْفِ
وَأَمْسَكُ دَهْرِي ثُمَّ أَفْطَرُ عِلْقَمًا	وَيُمَحِّقُ بَدْرِي ثُمَّ أَلْحَقُ بِالْخَسْفِ
وَعَزَّكُمُ لَا كُنْتُ بِالذَّلِّ عَامِلًا	وَلَوْ أَنَّ ضَعْفِي يَنْتَهِي بِي إِلَى الْخُتْفِ
فَإِنْ تَعْمَلُونِي فِي تَصْرِفِ عِزَّةٍ	وَعَدَلٍ وَإِلَّا فَاحْشَمُوا عِلَّةَ الصَّرْفِ
بَقِيَمٍ وَسُحْبِ الْعَفْوِ مِنْكُمْ تَظَلِّلْتَنِي	وَحِظْتُ ثَنَائِي دَائِمًا ثَانِي الْعِطْفِ

[٣٧ - مخاطبة أبي محمد الأزدي للسان الدين]

وقال في ترجمة أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأزدي ما صورته : وخاطبني
لما وليت خطة الإنشاء وغيرها في أواخر عام تسعة وأربعين وسبعمئة بما نصّه :
حُشَّاشَةُ نَفْسٍ أَعْلَنْتْ لِمَذْيِبِهَا بَتَذْكَارِ أَيَّامِ الْوَصَالِ وَطِيبِهَا
وَنَادَتْهُ رَحْمَى أَحْيَيْهَا نَفْسَ مَدْنَفٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تَحْيَيْهَا بِوَجِيهِهَا
فَدَاوٍ بِقَرَبٍ مِنْكَ لَا عِجَّ وَجَدَهَا وَفِيضَ أَمَاقِهَا ، وَطُولَ نَحْيِهَا
وَقَدْ بَلَّغْتَ حَدًّا بِهِ صَحَّ فِي الْهَوَى وَأَحْكَامِهِ ثَوْبُ الضَّنَى فِي نَصِيحِهَا
وَهَلْ يَتَدَاوَى دَاءُ نَفْسٍ تَعِيسَةٍ إِذَا كَانَ يَوْمًا دَاوَاهَا مِنْ طِيبِهَا
لَعَلَّ أَوَارِ الْوَجْدِ تَحْمَدُ نَارُهُ فَيُورِدُ عَنْهَا مَا بَهَا مِنْ لُهِيبِهَا
إِلَيْكَ حَدَاها الشَّرْقُ يَا بَدْرَهَا الَّذِي يَعْزُّ عَلَيْهَا مِنْهُ طَوْلُ مَغْيِبِهَا
سَلَكْتَ بِهَا سَبِيلَ الْهَوَى فَهِيَ تَبْتَغِي لِقَاكَ وَتَبْغِي غَفْلَةً مِنْ رَقِيبِهَا
أَجْبَهَا بِإِبْقَاءِ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا سَتَفْنِي إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ بِمَجِيْبِهَا
وَمِيلُ نَحْوِهَا بِالْوَدِّ فَهِيَ قَدْ آذَعَتْ كَمَا تَذَعُنُ الْأَقْلَامُ لِابْنِ خَطِيبِهَا
وَحِيدَ الزَّمَانِ الْمَاهِرِ الْبَاهِرِ الْخَلِي وَجَهْدِ آدَابِ الْعُلَا وَأَدِيبِهَا
إِمَامُ مَعَالِيهَا ، وَبَحْرُ عِلْمِهَا وَبَدْرُ دِيَاغِيهَا ، وَصَدْرُ شَعْوِهَا

مُصَرَّفُهَا كَيْفَ انْثَنَتْ وَمَعِيدُهَا
 وَرَافِعُ أَعْلَامِ الْبَلَاغَةِ وَالَّذِي
 وَحَامِلُ رَايَاتِ الرِّيَاسَةِ رَفْعَةً
 مِنْ الْغُرِّ مَمَّنْ أَوْجَبَتْ لَشَبَابِهَا
 مِينَ أَبْنَاءِ أَرْبَابِ الْمَنَابِرِ وَالْأُولَى
 خِلَالُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ طُودِ الْحَجِيِّ أَبِي
 أَجَادٍ وَأَجْدَى فَاسِلٌ عَنْ ذِكْرِ طِيَّةٍ
 فَنِي كُلِّ مَا يَسْدِي مُحَمَّدٌ عِبْرَةٌ
 تَجِبُ الْقَوَافِي إِنْ دَعَا بِبَعِيدِهَا
 تَخِيرُ أَخْلَاقَ الْكِرَامِ فَلَمْ يَكُنْ
 تَقْدَمُ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ حَاجِبًا
 وَقَامَ لَهَا فِي سَاحَةِ الْعِزِّ كَاتِبًا
 فَأَبْدَى مِنْ أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ أَوْجُهًا
 هَنِئًا بِهِ يَمْنًا بِأَسْعَدِ مَائِلِ
 فَلِلسَّعْدِ تَأْثِيرٌ يَجِيءُ إِذَا جَرَى
 أَمُوقِدَ نَارِ الْفِكْرِ يَقْدَحُ زَنْدَهَا
 حَدَّانِي إِلَيْكَ الْحُبُّ قِدَمًا وَمَالٌ بِي
 فَقَدَمَتْهَا نَظْمًا قَوَافِي قَصْرَتْ
 وَكُنْتُ كَمَنْ وَافَى لَدَى الدَّارِ بِالْحَصَى
 فَصَلَهَا وَخَذَ بِالْعَفْوِ فِيهَا فَلَمْ أَصِلْ
 وَمَبْدُئُهَا حَيْثُ انْتَهَتْ وَمَصِيبُهَا
 أَتَى نَازِلًا أَوْ نَازِلًا بِعَجِيبِهَا
 قَضَى الْمَجْدُ تَخْصِيصًا لَهُ بِوُجُوبِهَا
 مَعَالِيَهُمُ الْفَضْلَ الْعَظِيمَ وَشَبِيبِهَا
 سَمَا فَعَرَهُمْ بَيْنَ الْوَرَى بِرُكُوبِهَا
 مُحَمَّدٌ بَادٍ حَسْنُهَا مِنْ ضَرْبِهَا
 وَحَاتِمُهَا زَهْوًا بِهِ وَحِيبِهَا
 مُحَاسِنُهَا تَنْبِي بَسْرٍ غُيُوبِهَا
 وَتَنْقَادُ طَوْعًا إِنْ دَعَا بِقَرِيبِهَا
 نَهَى وَلَهُى يَرْضَى بِغَيْرِ رَحِيبِهَا
 لِيَنْجِدَهَا فِي سَلْمِهَا وَحُرُوبِهَا
 بِمَحْضَرِهَا أَسْرَارَهَا وَمَغِيبِهَا
 تَقَرُّ لَهَا بِالْحَسَنِ عَيْنُ لَبِيبِهَا
 لَغْرَنَاطَةُ قَاضٍ بِصَرْفِ خَطُوبِهَا
 بِهِ قَدَرٌ كَالرَّيْحِ عِنْدَ هَبُوبِهَا
 فَيَسْبِي بِهِ الْأَلْبَابَ سَحَرُ نَسِيبِهَا
 حَدِيثٌ لِأَمَالٍ خَلَّتْ عَنْ غَرِيبِهَا
 لَدَيْكَ بِذَاوِي فِكْرَتِي وَرَطِيبِهَا
 يَرْفَعُ مِنْهَا سَاهِيًا عَنْ عِيُوبِهَا
 لِأَبْلَغَ مِنْهَا فَاغْتَفَرُ مِنْ ذُنُوبِهَا

[قطع من شعر الأزدى]

وصاحب هذا النظم من أهل بلش ، وله اقتدار على النظم والنثر ، قال في

« الإحاطة » ما محصّله : ومما وقع له أثناء مقامات وأغراض تشهد باقتداره مهملًا :

رعى الله عهداً حوى ما حوى	لأهل الوداد وأهل الهوى
أراهم أموراً حلاً وردها	وأعطاهم السؤلَ كلاً سوا
ولما حلا الوصلُ صالوا له	وراموه مأوى وماء رِوا
وأوردتهم سرّاً أسرارهم	وردّاً إلى كلّ داء دوا
وما أملّ طال إلاّ وهى	وما أملّ صال إلاّ هوى

وقال معجمة :

بثّ بيّني يَبْثني فيض جفني	شَغَفني شَفَني فَشَبْتُ بيّني
فَتَنَنْتني بغنْجٍ ظيّر تجنّي	تَبَتْنِي نَقْضَ نَيْتِي بَتَجْنِي
بزّة زينت قَضيبَ تَنَنِي	قَضَيْتُ بَغْيِي فَفَزْتُ بَفْنِي
خفتُ تَشَتَّيتَ بيّني فَجَعَلْتَنِي	ثَقَّةً تَنَنِي فَخَبَّ ظَنِي

وقال كلمة وكلمة :

الهوى شَفَني وأهملَ جفني	أدعماً تَنَنِي دَمّاً بَتْنِي
أحورُ شَبَّ حَرّاً بِيّ لَمّاً	نَقْضَ الْعَهْدِ بَيْنَ طَوْلِ تَجْنِي
حَاكَمُ يُتَقَى وَلَا ذَنْبَ إِلَّا	شَغَفٌ لَمْ يَخْبِ لِمَسَاةِ ظَنِي
مَا لَهُ يَنْقُضُ الْعَهْدَ فَيُشْجِي	وَلَهَا يَنْثِي مُسَهَّدَ جَفْنِي
لَمْ يَجْزُ وَصْلُهُ فَبِتُ مُحَالاً	يَقْتَضِي حَلَّ بَغْيِي كُلُّ فَنِي

وقال يرثي ديكاً فَقَدَهُ ، ويصف الوجد الذي وَجَدَهُ ، ويبيكي عدم أذانه ، إلى غير ذلك من مستظرف شانه :

أودى به الحنفُ لَمَّا جَاءَهُ الْأَجَلُ ديكاً فلا عِوَضَ منه ولا بَدَلُ

قد كان لي أملٌ في أن يعيشَ فلم
فقدته فلمعري إنها عظةٌ
ما كان أبدعَ مرآهُ ومنظرهُ
كانَ مطرّفَ وشي فوقَ ملبسه
كانَ لِكَلِيلِ كسرى فوقَ مفرقه
مؤقتٌ لم يكنْ يُعزى له خطأ
كانَ زرقال^١ فيما مرَّ علّمه
يرحلُ الليلُ ، يحبي بالصراخ فما
رأيته قد وهتَ منه القوّى فهو
لو يُفتدى بديوك الأرضِ قلّ له
قالوا الدواء فلم يغنِ الدواء ولم
أملتُ فيه ثواباً أجرَ محتسبٍ

يثبتُ مع الحُتفِ في بُقْيَاه لي أملٌ
وبالمواعظِ تُذْري دمعها المُقلُ
وصفاً به كلّ حينٍ يُضربُ المثلُ
عليه من كلّ حُسنٍ باهرٍ حُلُلُ
وتاجه فهو عالي الشكلِ محتفلُ
فيما يرتبُ من وردٍ ولا خذلُ
علمَ المواقيتِ ممّا رتبَ الأوّلُ
يصده ككَلِّ عنه ولا مكلُ
للأرضِ فعلاً يريه الشاربُ الثملُ
ذاك الفداء ولكن فاجأ الأجلُ
ينفعه من ذاك ما قالوا وما فعلوا
إن نلتُ ذلك صحّ القولُ والعملُ

وأمره السلطان أبو عبد الله سادس الملوك النصريين ، وقد نظر إلى شلير
وقد تردى بالثلج وتعمم ، وكل ما أراد من بزته وتمم ، أن ينظم في وصفه ،
فقال بديهاً :

وشيوخ جليل القدر قد طال عمرهُ
عليه لباسٌ أبيضٌ باهرُ السنّا
فطوراً تراهُ كلّهُ كاسياً به
وطوراً تراهُ عارياً ليسَ يكتسي
وكم مرّت الأيامُ وهو كما ترى
وذاك شليرُ شيخُ غرناطة التي

وما عنده علمٌ بطولٍ ولا قِصرُ
وليس بثوبٍ أحكمته يدُ البشّرِ
وكسوته فيها لأهلِ النّهى عبرُ
بحرٌ ولا بردٌ من الشمسِ والقمرِ
على حاله لم يشكُ ضعفاً ولا كبرُ
لبهجتها في الأرضِ ذكرٌ قد اشتهرُ

١ يريد إبراهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقال وقد وضع صحيفة في الرصد اسمها الزرقلة
(أو الزرقالة) .

بها ملك سامي المراتي ، أطاعه كبار ملوك الأرض في حالة الصغر
تولاه رب العرش منه بعصمة تقيه مدى الأيام من كل ما ضرر
وتوفي المذكور في بلده بلش في طاعون عام خمسين وسبعمائة ؛ انتهى .

[٣٨ - من لسان الدين إلى ابن رضوان]

وقال في «الإحاطة» في ترجمة صاحب القلم الأعلى بالمغرب أبي القاسم
ابن رضوان النجاري^١ ما صورته : ولما ولي الإنشاء بساب ملك المغرب ظهر
لسلطاننا بعض قصور في المراجعات ، فكتبت إليه^٢ :

أبا قاسم^٣ لا زلت للفضل قاسماً بميزان عدل ينصر الحق من نصّر
مدادك وهو المسك طيباً ومنظراً وإلا سواد القلب والفؤاد والبصر
عهدناه في كل المعارف مطناً فما باله في حرمة الود مختصر
أظنك من ليل الوصال انتخبته إلينا ، وذاك الليل يوصف بالقصر
أردنا بك العذر الذي أنت أهله ومثلك لا يرمتي بعبي ولا حصر

[٣٩ - جواب ابن رضوان]

فراجعي ، ولا أدري أهني من نظمه أم نظم غيره :

-
- ١ هو صاحب كتاب «الشهب الالامة في السياسة النافعة» وترجمته في الإحاطة ، الورقة : ٢٤٤
والكتيبة : ٢٥٤ ونيل الابتهاج ١٢٣ والتعريف ٤١ (و ص : ٢٠) وفهرسة السراج (ك :
١٢٤٢ د : ٢٦٤٣) الورقة : ١٣٩ ، ١٤٨ ومستودع العلامة : ٥٢ ونثير الجمان ، الورقة :
٦٥ (نسخة دار الكتب) وجذوة الاقتباس : ٢٤٧ وقد كتبنا عنه دراسة مفصلة (نشرت في كتاب
العبد الصادر ببيروت سنة ١٩٦٧) .
٢ الأبيات وجوابها في الكتيبة : ٢٥٦ .
٣ كناه في الإحاطة بأبي محمد .

حقيقٌ أبا عبد الإله بك الذي لمذهبه في البر يتضح الأثر
 وإن الذي نبّهت مني لم يكن نؤوماً وحاشا الود أن أغمط الأثر
 وربّ اختصار لم يشين نظم ناظم وربّ اقتصار لم يعب نثر من نثر
 وعذرك عني من محاسنك التي نظام حلاها في الممدوح ما انتثر
 ومن عرف الوصف المناسب منصفاً تأتي له نهج من العذر ما دثر

[ترجمة ابن رضوان]

وهو عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري ، من أهل مالقة ، صاحب العلامة العلية والقلم الأعلى بالمغرب ، قرأ على جماعة منهم بتونس قاضي الجماعة ابن عبد السلام ، قال في « التاج » فيه أيام لم يفهم حوضه ، ولا أزهرو روضه ، ما نصّه : أديب أحسن ما شاء ، وفتح قلبه فملاً الدلو وبّل الرشاء ، وعانى على حداثته الشعر والإنشاء ، وله ببلده بيت معمور بفضل وأمانة ، ومجد وديانة ، ونشأ هذا الفاضل على أتم العفاف والصون ، فما مال إلى فساد بعد الكون ، وله خط بارع ، وفهم إلى الغوامض مسارع ، وقد أثبت من كلامه ، ونقشاته أقلامه ، كل محكم العقود ، زار بابنة العنقود ، فمن ذلك قوله ^١ :

لعلكما أن ترعيا لي وسائل فبالله عوجا بالركاب وسائل

ومنها :

لقد جار دهري إذ نأى بمطالبي وظل بما أبغي من القرب ماطلا
 عتبت عليه فاغتدى لي عاتبا وقال : أصخ لي لا تكن قط عاذلا
 أتعتبني أن قد أفدتك موقفا لدى أعظم الأملاك حلما وناثلا

١ القصيدة في الإحاطة : ٢٤٦ - ٢٤٨ .

ملك حباه الله بالخلق الرضى وأعلى له في المكرمات المنازل
وهي طويلة .

ومن نظم ابن رضوان المذكور^١ :

تبرأت من حوّلِي إليك وأيقنتُ برحماك آمالي أصحّ يقين
فلا أرهَبُ الأيامَ إذ كنتَ ملجأً وحسبي يقيني باليقين يقيني

وكلفه أبو عنان وصف صيد من غدير فقال من أبيات^٢ :

ولربّ يومٍ في حِمَاكَ شهدته	والسّرحُ ناشرةٌ عليك ظلالها
حيثُ الغديرُ يريك من صفحاته	درعاً تجيدُ بهِ الرياحُ صيقلها
والمنشآتُ بهِ تديرُ حبالاً	للصيدِ في حَيْكَلٍ تديرُ حبالها
وتُريكَ إذ يلقى بها اليمُّ الذي	أنختُ جوانحه وغابَ خلالها
فحسبتها زَرَدًا وأنّ ^٣ عوالياً	تركتُ بهِ عند الطعانِ نصالها

وقال فيه أيضاً :

أبصرتُ في يومِ الغديرِ عجائباً	جاءت بآياتِ العجائب مُبْصِرةً
سمكاً لدى شَبَكِكَ فقلّ ليلٌ بدت	فيه الزواهرُ للتواظُرِ نيرةً
فكأنّ ذا ^٤ زَرَدٌ نضاعفَ نسجه	وكأنّ تلكَ أسِنَّةٌ متكسره

ومما نظمه عن أمر الخلافة المستعينية ليُكتب في طُرّة قبة رياض الغزلان

١ الإحاطة : ٢٥٠ والكنية : ٢٥٩ .

٢ الكنية : ٢٥٧ .

٣ ق ص : لو أن .

٤ ق : فكأنه .

من حضرته^١ :

هذا محلُّ المني بالأمْنِ مَعْمُورُ
مأوى النعيم به ما شئت من تَرْفٍ
ويطلع الروضُ منهُ مصنعاُ عَجَباً
ويسطعُ الزهرُ من أرجائه أرجاً
مَغْنَى السرور سقاه الله ما حَمَلَتْ
انظر إلى الروضِ تنظرُ كلَّ معجبةٍ
مرَّ النسيم به يبغي القِرَى فقَرَى
وهامت الشمسُ في حسنِ الظلالِ به
والدوحُ ناعمةٌ تهتز من طربِ
كأنما الطيرُ في أفنائها صَدَحَتْ
والنهرُ شقَّ بساطَ الروضِ تحسبه
ينسابُ للجنة الخضراء أزرقهُ
هذي مصانعُ مولانا التي جمعتُ
وهذه القبة الغراء ما نظرت
ولا يصورها في الفهم ذو فيكرٍ
ولا يرامُ بحصرٍ وصفُ ما جمعتُ
فيها المقاصيرُ تحميها مهابته
كأنَّها الأفقُ تبسِّدو النيراتُ به
وينشأ المزنُ في أرجائه وله
وينهمي القطرُ منه وهو منسكبُ

مَنْ حَلَّه فهو بالآمالِ محبوبُ
تهوَّى محاسنه الولدانُ والخور
يضاحكُ النورِ من لآلئه النور
ينافحُ الندى نشرٌ منه منشور
غرَّ الغمامِ وحلَّته الأزاهير
مما ارتضاه لرأي العينِ تحبير
دراهمَ النورِ تبديدٌ وتثير
ففرقتُ فوقها منه دنانير
همساً ، وصوتُ غناء الطيرِ مجهور
بشكرٍ مالِكها ، والفضلُ مشكور
سيفاً ولكنه في السلم مشهور
كالأيمِ جدَّ انسياً وهو مذعور
شملَ السرور ، وأمرُ السعدِ مأمور
لشكلها العينُ إلا عزَّ تنظير
إلا ومنه لكلِّ الحسنِ تصوير
من المحاسن إلا صدَّ تقصير
لله ما جمعتُ تلك المقاصير
ويستقيمُ بها في السعدِ تسيير
من عنبرِ الشَّحْرِ إنشَاءً وتسخير
ماءٍ من الوردِ يذكو منه تقطير

١ القصيدة في الاستقصا ٤ : ٤٠ .

وتخفق الريحُ منهُ وهي ناسمةُ
ويشرق الصبحُ منه وهو من غُررِ
وتطلعُ الشمسُ فيه من سَناءِ ملكِ
لله منهُ إمامٌ عادلٌ بهرتُ
غيثُ السَماحِ وليثُ البأسِ فاللقَ به
قلُ للمُباري وإن لم تلقه أبدأُ
فخر الأنام أحلُ الفخرَ منزله
إذا أبو سالم مولى الملوك بدأ
فأيّ خطبٍ يخافُ الدهرَ آملهُ
بشراك بشراك يا نجلَ الخلافةِ ما
لك الخلودُ بعزِّ الملكِ في نعمٍ
فانعم هنيئاً بِلَدَاتِ مواصلةِ
لا زلتَ تلقى المُنَى في غبطةِ أبدأُ
وقال وكتب به على قلم فضة :

إذا شهدتُ بالنصرِ خَطِيئَةَ القَنَا
كفى شاهداً مني بفضلك ناطقاً
وقال وكتب به على سكين :

أروحُ بأمرِ المستعينِ وأغتدي
ويُفعلُ في الأقلامِ حَدِّي مصلحاً
لإذهابِ طغيانِ اليراعِ الرواقمِ
كفعلِ طُيِّ أسيافهِ في الأقلامِ
قال : ومما كتب به على قصيدة عيدية :

لما رأيتُ هدايا العيدِ أعظَمُها
هديةُ الطيبِ في حُسْنٍ وتعجيبِ

ولم أجدُ في ضروبِ العاطراتِ شذا
أهديتُ نحوكَ منه كُلَّ ذي أرجٍ
وفي القبولِ منالُ السعدِ فالتقَ بهِ
وقال في رجلٍ يلقبُ بالبعيرِ :

وذي لقبٍ عنتَ لهُ عندَ صحبه
دَعَوهُ بِعَيْرٍ فاستشاطَ فقالَ مَهْ
فقلتُ لهُ عُدْ نحوهم لتعودَ من
فقال وقد غصَّ الفضاءُ بصوته
لئن عدتُ نادوني بعيراً كمثلها
وقال ٢ :

وبخيلٍ لَمَّا دَعَوهُ لِسُكْنِي
قال لي مخزنٌ بداري فيه
قلتُ وُقِفْتُ للصوابِ فحاذرُ
لا تعرِّجْ على الجنانِ بسُكْنِي
منزلٍ بالجنانِ ضَنَّ بذلك
كلُّ مالي فلستُ للدَّارِ تارك
قولَ خلٍّ مرغَّبٍ في انتقالك
ولتكنْ ساكناً بمخزنٍ مالك ٣
وقال رحمه الله تعالى في مركب :

يا ربَّ منشأةٍ عجبتُ لشأنها
سكنتُ بجنيها عصابةً شدة
فتحرَّكتُ بإرادةٍ مَعَ أنها
وقد احتوتُ في البحرِ أعجبَ شأنٍ
حلَّتْ محلَّ الروحِ في الجنانِ
في جنسها ليستَ من الحيوانِ

١ يوري بكلمة « العود » وهو البعير أيضاً . وفي ص : لا تمش .
٢ الأبيات في الإحاطة : ٢٥٤ وكذلك القطعتان التاليتان . والثانية منهما في الكتيبة : ٢٥٨ .
٣ يوري بمالك التي تعني المال ، ومالك هو خازن النار .

وَجَرَتْ كَمَا قَدْ شَاءَ سُكَّانُهَا فَعَلِمْتُ أَنَّ السَّرَّ فِي السُّكَّانِ^١
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَذِي خُدَعٍ دَعَاؤُهُ لَاشْتِغَالٍ وَمَا عَرَفُوهُ غَنًّا مِنْ سَمِينٍ
فَأَظْهَرَ زَهْدَهُ وَغَنَى بِمَالٍ وَجَيْشُ الْحَرْصِ مِنْهُ فِي كَمِينٍ
وَأَقْسَمَ لَا فَعَلْتُ يَمِينَ خَبٍّ فَيَا عَجَبًا لِحِلَافٍ مَهِينٍ
يَغُرُّ بَيْسَرَهُ وَيَمِينِ حَنْثٍ لِيَأْكُلَ بِالْيَسَارِ وَبِالْيَمِينِ
وَهُوَ الْآنَ بِحَالِهِ الْمَوْصُوفَةِ ؛ انْتَهَى .

[٤٠ — مخاطبة أبي بكر ابن عبد الملك للسان الدين]

وَقَالَ لِسَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : خَاطَبَنِي أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ مُسْتَدْعِيًّا إِلَى إِعْذَارِ وَلَدِهِ بِقَوْلِهِ :

أُرِيدُ مِنْ سَيِّدِي الْأَعْلَى تَكَلُّفَهُ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى دَارِي صَبَاحَ غَدٍ
يَزِيدُنِي شَرَفًا مِنْهُ وَيُبَصِّرُنِي صِنَاعَةَ الْقَاطِعِ الْحِجَامِ فِي وَلَدِي
فَأَجَبْتُهُ :

يَا سَيِّدِي الْأَوْحَدَ الْأَسْمَى وَمُعْتَمِدِي وَذَا الْوَسِيلَةَ مِنْ أَهْلِي وَمَنْ بَلَدِي
دَعَوْتَ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الصُّحَابَ ضَحَى وَفِيهِ مَا لَيْسَ فِي سَبْتٍ وَلَا أَحَدٍ
يَوْمُ السَّلَامِ عَلَى الْمَوْلَى وَخُدَمَتِهِ فَاصْفَحْ وَإِنْ عَثَرْتُ رَجُلِي فَخُذْ بِيَدِي
وَالْعَذْرُ أَوْضَحُ مِنْ نَارٍ عَلَى عَسَلَمٍ فَعَدْتُ إِنْ غَبْتُ عَنْ لَوْمٍ وَعَنْ فَنَدٍ
بَقِيَتْ فِي ظِلِّ عَيْشٍ لَا نَفَادَ لَهُ مَصَاحِبًا غَيْرَ مُحْصَوْرٍ إِلَى أَمَدٍ

١ التورية في السكان من المثل « الشأن في السكان لا في المكان » والسكان أيضاً « دفة السفينة » .

[ترجمة أبي بكر ابن عبد الملك]

وأبو بكر المذكور أصله من باغنة ، ونشأ بلوشة ، وهو محسوب من
الغرناطين .

وفي « التاج » في حقه ما صورته : فارض " هاجي ، مُداهن مداحي ،
أخبت من نظر من طرف خفي ، وأغدر من تلبس بشعار وفي ، إلى مكيدة مبثوثة
الحبائل ، وإغراء يقطع بين الشعوب والقبائل ، من شيوخ طريقة العمل ، المتقلبين
من أحوالها بين الصَّحْوِ والثلل ، المتعللين برسومها حين اختلط المرعي بالهمَل ،
وهو ناظم أرجاز ، ومستعمل حقيقة ومجاز ، نظم مختصر السيرة ، في الألفاظ
اليسيرة ، ونظم رجزاً في الزجر والقال ، نبه به تلك الطريقة بعد الإغفال ؛ انتهى .

قال : ومن شعره :

إنَّ الولايةَ رفعةٌ لكنَّها أبدأ إذا حققتها تنقلُ
فانظر فضائلَ من مضى من أهلها تجد الفضائلَ كلها لا تغزلُ
توفي بالطاعون بغرناطة عام خمسين وسبعمائة ؛ انتهى .

[٤١ - مخاطبة أبي سلطان للسان الدين]

وقال في ترجمة أبي سلطان عبد العزيز بن علي الغرناطي بن يشت ما صورته ١ :
ومما خاطبني به قوله :

أطلتُ عتبَ زمانٍ فلَّ من أُملي وسُمته الدمُّ في حلٍّ ومرتلٍ
عاتبته ليلين العتبُ جانبَه فما تراجعَ عن مَطلٍ ولا بَحَلٍ

١ ترجمته في الإحاطة ، الورقة : ٣١٥ .

فعدتُ أمتحه العتي لي ليشفق لي
 فالعتبُ عندي كالعتبي فليست أرى
 فقلتُ للنفس كُفِّي عن معاتبة
 من يعتلق في الدنيا بابن الخطيب فقد
 قالتُ فمن لي بتقريبي لخدمته
 فقال للناس كُفُّوا عن محادثتي
 قد اشتغلتُ عن الدنيا بآخرتي
 وقد رعتُ وما أهملتُ من منح
 ولستُ أرجعُ للدنيا وزخرفها
 أليست تبصرُ أطماري وبعدي عن
 فقلتُ ذلك قولٌ صحَّ بحمله
 ما أنت جالبُ أمرٍ تستعين به
 ولا تحل حراماً أو تحرم ما
 ولا تبعُ آجلَ الدنيا بعاجلها
 وأين عنك الرشا إن ظلمتَ طلبها
 هل أنت تطلبُ إلا أن تعودَ إلى
 فما لأوحدِ هذا الكونِ قاطبةً
 لم يلتفتُ نحوَ ما تبغيه من وطيرٍ
 إن لم تقعْ نظرةٌ منه عليك فما
 فدوتك السيد الأعلى فمطلبكم
 فقد خبرتُ بني الدنيا بأجمعهم
 فما رأيتُ له في الناس من شبه
 وقد قصدتُك يا أسمى الورى همماً
 فما سواك لما أملتُ من أملٍ

فقال لي إن سمعي عنك في شغلٍ
 أصغي لمحك إذ لم أصغِ للعدلِ
 لا تنقضي وجواب صيغ من وجلٍ
 سما عن الذل واستولى على الجذلِ
 فقد أجاب قريباً من جوابك لي
 فليس ينفعكم حولي ولا حيلي
 وكان ما كان من أيامي الأولِ
 فكيف يختلط المرعي بالهملِ
 من بعد شيب غدا في الرأس مشتلِ
 نيل الخطوظ وإغذاذي إلى أجلي
 لكن من شأنه التفصيل للجملِ
 على المتظالم في حال ومقتبلِ
 أحل ربك في قول ولا عملِ
 كما الولاة تبع اليم بالوشلِ
 هذا لعمرى أمرٌ غير منفعلِ
 كتب المقام الرفيع القدر في الدولِ
 وأسمح الخلق من حافٍ وممتلِ
 ولم يسد الذي قد بان من خللِ
 يصفو لديك الذي أملت من أملِ
 قد نيط منه بفضل غير منفصلِ
 من عالم وحكيم عارفٍ وولي
 قل النظر له عندي فلا تسئلِ
 وليس لي عن حمى عليك من حولِ
 وليس لي عنك من زيغ ولا ميلِ

فانظر لحالي فقد رقت الحسود لها . واحسم زمانة ما قد ساء من علل .
 ودم لنا ولدين الله ترفعهُ ما أعقبت بكسر الإصباح بالأصل .
 لا زلت معتلياً عن كل حادثة . كما علت ملّة الإسلام في الملل .
 انتهى .

[ترجمة عبد العزيز أبي سلطان]

والمدكور هو عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد
 العزيز بن يشت ، من غرناطة ، يكنى أبا سلطان ، قال في « الإحاطة » في حقّه :
 فاضل حيي حسن الصورة بادي الحشمة ، فاضل البيت سريته ، كتب في
 ديوان الأعمال فأتقن ، وترقى إلى الكتابة السلطانية ، وسفر في بعض الأغراض
 الغربية ، ولازم الشيخ أبا بكر عتيق بن مقدم من مشيخة الصوفية بالحضرة فظهرت
 عليه آثار ذلك في نظمه ومقاصده ، فمن نظمه ما أنشده ليلة الميلاد المعظم :

القلبُ يعشق والمِدامُ تَنطِقُ	برحَ الخفاءِ فكلُّ عضو منطِقُ
إن كنتُ أكنم ما أكنُّ من الجوى	فشحوبُ لوني في الغرام مصدقُ
وتدليّ عندَ اللقا وتملّقي	إنَّ المحبَّ إذا دنا يتملّقُ
فلكم سترتُ عن الوجود محبتي	والدمعُ يفضحُ ما يُسِرُّ المنطقُ
ولكم أُمّوه بالطلول وبالكني	وأخوضُ بحرَ الكتم وهو الأليقُ
ظهر الحبيبُ فلستُ أبصرُ غيره	فبكلِّ مرئيٍّ أرى يتحقّقُ
ما في الوجود تكثُرُ لمكثُرٍ	إنَّ المكثُرَ بالأبطلِ يعلقُ
فمتى نظرتُ فأنتَ موضعُ نظرتي	ومتى نطقتُ فما بغيرك أنطقُ
يا سائلي عن بعض كنه صفاته	كَلَّ اللسانُ وكَلَّ عنه المنطقُ
فاسلكَ مقاماتِ الرجالِ محققاً	إنَّ المحقّقَ شأوه لا يلحقُ
مزقَ حجابَ الوهم لا تحفلُ به	فالوهمُ يسترُ ما العقولُ تحقّقُ

واخلص^١ إذا شئت الوصول ولا تتل^٢
 إن التحلي في التخلي فاقصد^١
 ولتقتبس^٢ نار الكليم ولا تخف^١
 ومتى تجلّى فيك سرّ جماله
 دع رتبة^٢ التقليد عنك ولا تته^١
 واقطع^١ حبال علائق وعوائق^٢
 جرد^١ حسام النفس عن جفن الهوى
 فإذا فهمت السرّ منك فلا تبسّج^١
 بالدوق لا بالعلم يدرك علمنا
 وبما أتى عن خير من وطىء الثرى
 خير^١ الورى وابن الذبيحين الذي
 من^١ أخبر الأنباء قبل بيعته
 رفعت له الحجب التي لم ترتفع^١
 ورقى مقاماً قصّرت عن كنهه
 وطىء البساط تدلّلاً وجرى إلى
 إنسان عين الكون مبلغ سرّه
 سرّ الوجود ونكتة الدهر الذي
 من جاء بالآيات يسطع نورها
 يا سيد الأرسال غير مدافع^١
 بالفقر جئتكم موثلي لا بالغنى
 فاجبر كسير جرائر وجرائم^١

فالعجز عن طلب المعارف موبق^١
 ذاك الجنب ، فبابه لا يغلّق^١
 والغى السوى إن كنت منها تفرّق^١
 وصعقت خوفاً فالمكلم يصعق^١
 تلقّ الذي قيّدت وهو المطلق^١
 إن العوائق بالمكابر تطرق^١
 إن العوائد بالتجرّد تخرق^١
 فالسيف من بثّ الحقائق أصدق^١
 سرّ بمكنون الكتاب مصدّق^١
 سرّ الوجود وغيثه المتدفّق^١
 أنواره في هديها تتألق^١
 ولنصّه سرّ الكتاب يصدق^١
 إلا إليه فكلّ سرّ يخرق^١
 رتب الوجود وكعّ عنه السبق^١
 أمّد تنهى ما إليه مسبّق^١
 قطب الجمال وغيثه المتدفّق^١
 كلّ الوجود بجوده يتعلّق^١
 والذكر فهو عن الهوى لا ينطق^١
 وأجلّهم سبقاً وإن هم أعنقوا^١
 فالذلّ والإذعان عندك ينفق^١
 فالقلب من عظم الخطايا يقلّق^١

١ لا تتل : لا تقصر .

٢ ق : رية .

أرجوك يا غوث الأنام فلا تدع
حاشاك تطرد من أذاك مؤملاً
ومحبي تقضي بآنك منقذي
يا هل تساعدني الأمانى والمنى
إن كان ثبطني القضا بمقيدي
ولئن ثوى شخص بأقصى مغرب
فعليك يا أسنى الوجود تحية
وعلى صحابتك الذين تأثفوا
وعلى الألى آووك في أوطانهم
أعظم بأنصار النبي وحزبه
من مثل سعد أو كقيس نجله
أكرم بهم وبمن أتى من سرهم
من مثل نصر أو بنيه ملوكنا
بمحمد نجس الخليفة يوسف
مولى الملوك وتاج مفريق عزهم
ملك يرى أن التقدم مغنم
تروى أحاديث الوغى عن بأسه
ملك البسالة والمكارم والنهى
ملئت قلوب عداه منه مهابة
مولاي يا أسى الملوك ومن غدت
لا تقطعوا عني الذي عودتم
لا تحرموني مطلبي فمحبي
فانعم بردي في بساطك كاتباً
فاسلم أمير المسلمين لأمة

باب الرضى دوني يسد ويخلق
فلأنت لي مني أحن وأرفق
مما أخاف فمسا بغيرك أعلق
وأحل حيث سنا الرسالة يشرق
فعنان عزمي نحو مجدك مطلق
فتشوقني مني إليك يشرق
من طيب نفحتها البسيطة تعبق
رتب الكمال ومثلهم يتألق
نالوا بذلك رتبة لا تلحق
وبمن أتى بعباءة يتعلق
عرف السيادة من حماهم ينشق
عز النظر فمجدهم لا يلحق
كل الأنام لعزهم يتلق
عز الهدى فحماه ما إن يطرق
وأجل من تحدى إليه الأيق
مهما تعرض موكب أو فيلق
فالسيف يسند والعوالي تطلق
فعداته منه تغص وتفرق
فمغرب من خوفه ومشرق
عين الزمان إلى سناه تحرق
فالعبد من قطع العوائد يشفق
تقضي لسعي أنه لا يخفق
وأعد لما قد كنت فهو الأليق
أفواههم ما إن بغيرك تنطق

واهنيأ بها من ليلة نبوية جاءت بأكرم من به يتعلّق
صلّى عليه الله ما هبّت صباً واهتزّ غصنٌ في الحديقة موركٌ
ثمّ قال : وهو الآن بحالته الموصوفة : انتهى .

[٤٢ - رسالة من النباهي للسان الدين]

وممّا خوطبَ به لسان الدين رحمه الله تعالى ما حكاه في « الإحاطة » في
ترجمة القاضي أبي الحسن النباهي ، إذ قال ما نصّه : وخاطبني بسبّة وأنا يومئذ
بسلاً بقوله : يا أيتها الآية البالغة وقد طُمست الأعلام ، والغرة الواضحة وقد
تنكرت الأيام ، والبقية الصالحة وقد ذهب الكرام ، أبقاكم الله تعالى البقاء
الجميل ، وأبلغكم غاية المراد ومنتهى التأمل ، أبى الله أن يتمكن المقام بالاندلس
بعدكم ، وأن يكون سكون النفس إلا عندكم ، سرّ من الكون غريب ،
ومعنى في التشاكل عجيب ، أختصر لكم الكلام ، فأقول بعد التحية والسلام :
تفاقت الحوادث ، وتعاضمت الخطوب الكوارث ، واستأسدت الذئاب الأخابث ،
ونكت الأكثر من ولد سام وحام ويافث ، فلم يبق إلا كاشع باحث ، أو مكافح
عابث ، ويا ليت شعري من الثالث ؟ فحينئذ وجهت وجهي للفاطر الباعث ،
ونجوت بنفسي لكنّ منّجى الحارث ، وقد عبرت البحر كسير الجناح ،
دامي الجراح ، ولأنّي لأرجو الله سبحانه بحسن نيتكم أن يكون الفرج قريباً ،
والصنع عجيباً ، فعمادي أعان الله على القيام بواجبه ، هو الركن الذي ما زلت
أميل على جوانبه ، ولا تزيدني الأيام إلا بصيرة في الإقرار بفضله والاعتداد به ،
وقد وصلني خطابٌ سيدي الذي جلّى الشكوك بنور يقينه ، ونصح النصيح
اللائق بعلمه ودينه ، وكأنّه نظر إلى الغيب من وراء حجاب ، فأشار بما أشار به
على سارية عمر بن الخطاب ، ومن العجب أنّي عملت بمقتضى إشارته ، قبل
بلوغ إضبارته ، فله ما تضمّنه مكتوبكم الكريم من الدر ، وحرّره من الكلام

الحر ، وإيم الله لو تجسم لكان مَلَكًا ، ولو تنسم لكان مسكًا ، ولو قبس لكان شهابًا ، ولو لبس لكان شابًا ، فحلّ مني علم الله تعالى محل البرء من المريض ، وأعاد الأنس بما تضمنته من التعريض ، والكلم المُرِّيَّة بِقِطْعِ الرّوض الأريض ، فقبلته عن راحتكم ، وتخيّلت أنّه مُقيم بساحتكم ، ثم وردتُ معينه الأصفى ، وكلت من بركات مواعظه بالمكيال الأوفى ، وليست بأول أياديكم ، وإحالتكم على الله فهو الذي يجازيكم ، وبالجملّة فالأمور بيد الأقدار ، لا إلى المراد والاختيار :

وما كلُّ ما ترجو النفوسُ بِنافعٍ ولا كلُّ ما تخشى النفوسُ بضَرَّارٍ
انتهى .

قلت : أين هذا الكتاب من الذي قدمناه عنه في الباب الثاني ، حين أظلم بينه وبين لسان الدين الجوه وعِطْفَه إلى مُهاجاته ثاني ، وسفّر في أمره إلى العُدُوَّة ، واجتهد في ضرره بعد أن كان له به القدوة ، وقد قابله لسان الدين بما أذهب عن جفنه الوَسَن ، وألف فيه كما سبق « خَلَع الرّسن » .

[ترجمة النباهي]

على أنّه عرّف به في « الإحاطة » أحسن تعريف ، وشرّفه بحلاه أجمل تشريف ، إذ قال ما ملخصه^١ : علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله ابن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي أبو الحسن ، ويُعرف بالنباهي ، هذا الفاضل قريعُ بيت مَجَادَة وِجْلالة ، وبقيّة تعين وأصالة ، عفّ النشأة ، طاهر الثوب ، مؤثر للوقار والحشمة ، خاطب للشيخوخة ، مستعجل للشيبة ، ظاهر الحياء ، متحرّك مع السكون ، بعيد الغَوَر ، مرهف الجوانب

١ قارن بما كتبه عنه في الكتيبة : ١٤٦ بعد أن تغيرت النفوس .

مع الانكماش ، مقتصد في الملبس والآلة ، متظاهر بالسذاجة ، بريء من النوك والغفلة ، يقظ للمعارض ، مهتد إلى الملاحن ، طرف في الجود^١ ، حافظ مقيّد طلعة إخباري ، قائم على تاريخ بلده ، شرع في تكميل ما صنف فيه ، ملازم للتقييد والتطير^٢ ، منقّر عن الإجازات والفوائد ، استفدت منه في هذا الغرض وغيره كثيراً ، حسن الخط ، ناظم ناثر ، نثره يشف على نظمه ، ذاكر للكثير ، استظهر محفوظات منها « النوادر » للقالي ، وناهيك به محفوظاً مهجوراً ، ومسلكاً غفلاً ، فما ظنك بسواه ، نشأ ببلده حرّ الطعمة فاضل الأبوة ، وقرأ به ، ثم ولي القضاء بملتماس^٣ ثم ببش وعملها ، فسيح الخطّة مطلق الجراية ، بعيد المدى في باب التزاهة ، ماضياً غير هيوب ، حتى أربى في الزمن القريب على المحتكين ، وغبّر في وجوه أهل الدربة ، وجرت أحكامه مستندة إلى الفتيا ، جارية على المسائل المشهورة ، ثم نُقل منها إلى النظر في أمور الحل والعقد بمالقة مضافة إليه الخطط النبيهة ، وصدر له منشور من إملائي ، إلى أن قال في ترجمة نظمه : قال نظمت سمح الله تعالى لي قطعتين موطّأً فيهما على البيتين المشهورين ، إحداهما :

بنفسي من غزلان حزّوى غزالة^١ جمالٌ يحيّاها عن النسك زاجرٌ
تصيدُ بلحظ الطرف من رام صيدها ولو أنّه النسر الذي هو طائرٌ
مُعْطَرَةٌ الأنفاس راققة الحلّى هواها بقلبي في المهامه سائرٌ
« إذا رمت عنها سلوة قال شافعٌ من الحبّ : ميعاد السلو المقابر »

والأخرى :

وقائلة لما رأت شيب لمتي لئن ميلت عن سلمى فعذرك ظاهرٌ

١ ق : المجون .

٢ التطير : التقييد في طرر الكتب .

٣ ق : بملتمو .

زمانُ التصابي قد مَضَى لسبيله وهل لك بعد الشيبِ في الحبِّ عاذرُ
فقلتُ لها : كلا وإن تلفَ الفتى فما هواها عند مثلي آخرُ
« سيقى لها في مضمَر القلب والحشا سريرةٌ ودَّ يومَ تبلى السرائرُ »

وكتب على مثال النعل الكريم ، وأهداه لمزمع سفر :

فديتك لا يهدى إليك أجل من حديث نبيّ الله خاتمِ رُسُلِهِ
ومن ذلك الباب المثالُ الذي أتى به الأثرُ المأثورُ في شأنِ نعلِهِ
ومن فضله مهما يكنُ عند حاملٍ له نالَ ما يهواه ساعةَ حملِهِ
ولا سيما إن كان ذا سَفَرٍ به فقد ظفرتُ بمناءُ بالأمنِ كلِّهِ
فدونك منه أيُّها العَلَمُ الرضى مثلاً كريماً لا نظيرَ لمثليهِ

وقال مراجعاً عن أبيات يظهر منها غرضها :

إذا كنتَ بالقصدِ الصَّحيحِ لنا تهوى فسلمَ لنا في حكمنا ودعِ الشكوى
ولا تتَّبِعْ أهواءَ نفسك والتفتُ لنا حيثُ كنّا في الرخاء وفي التَّلاوى^١
وكم من محبةٍ في رضانا وحبِّنا محاً كلَّ ما يبدو سوانا له مَحْواً
رأنا عياناً عينَ معنى وجودِهِ فعاجَ عن الشكوى وفَوَّضَ في البلوى
وقال تحكَّمْ كيف شئتَ بما ترى رضيتُ بما تقتضي وهمتُ بما تهوى
فحلَّ لدينا بالخلوصِ وبالرضى محلَّ اختصاصِ نال منه المنى صَفْواً
فإن كنتَ ترجو في الصبابةِ والهوى لحاقاً بهم فاسلكِ طريقهمُ الأضواء
ومُتْ في سبيل الحبِّ إن كنتَ مخلصاً لنا في الهوى تحيا حياةُ أولي التقوى
هنالك تُؤتَى ما تريدُ وتقتضي ديونكَ منّا دون مَطْلٍ ولا دعوى
وتشربُ من عينِ اليقينِ وتغتذي بخمرِ الصفاِ الصَّرفِ الزلالِ لكي تروى

١ اللأواء : الشدة .

وقال :

لا تلجأَنَّ لمخلوقٍ منَ النَّاسِ من يافث كان أصلاً أو من الياسِ
وثقُ بربِّكَ لا تياسُ تجدُ عجباً فلا أضربُ على عبدٍ من الياسِ

وقال :

فدينك لا تصحبُ لثيماً ، ولا تكنُ مُعيناً لهُ إنَّ اللثيمَ خؤونُ
فلا عهدَ يرعى ، لا ، ولا نعمةَ يرى ولا سرّاً خلٍّ عن عداه يصونُ

وقال يخاطب أبا القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان :

لكَ اللهُ قلبي في هوائكَ رهينُ وروحي عني إن رحلتَ ظعِينُ
ملكْتَ بحكم الفضلِ كلِّي خالصاً وملككَ للحرِّ الصريحِ يزينُ
فهبُ لي من نطقي بمقدارٍ ما بهِ يترجم سرٌّ في الفؤادِ دفينُ
فقد شملتنا من رضاكَ ملابسُ وسَحَّ لدينا من نَدَاكَ مَعِينُ
أعنتَ على الدهرِ الغشومِ ولم تزلْ بدُئيساك في الأمرِ المهمُّ تعينُ
وقصَّرتَ من لم تعلم النفسُ أنَّه خذولُ إذا خان الزَّمانُ يخونُ
ولأتي بحمدِ اللهِ عنه لفي غنى وحسبي صبرٌ عن سواكَ يصونُ
أبى لي مجدٌ عن كرامِ ورثته وقوفاً ببابِ الكريمِ يمينُ
ونفسٌ سمتُ فوقَ السماكينِ همةً وما كلُّ نفسٍ بالهوانِ تدينُ
ولمَّا رأتُ عيني مُحَيَّاكَ أقسمتُ بأنَّك للفعلِ الجميلِ ضمينُ
وعاد لها الأُنسُ الذي كان قد مضى بريَّةً إذ شرَّخُ الشبابِ خدينُ
بحيث نشأنا لابسينِ حلى التَّقَى وكلُّ بكلٍّ عند ذاكِ ضنينُ
أما وسنا تلكَ اللَّيالي وطبيها ووجدَ غرامي ، والحديثُ شجونُ
وفتيانِ صدقِ كالشموسِ وكالحيا حديثهمُ ما شئتَ عنه يكونُ
لئن نزحتُ تلكَ الديارِ فوجدنا عليها لهُ بينَ الضلوعِ أنينُ

إذا مرَّ حينٌ زاده الشوقُ جِدَّةً
 وأتَى بمسلاها ، وللبين لذةُ
 لقد عبثتُ أيدي الزمانِ بجمعنا
 وبعدُ التقينا في محلٍّ تغرَّب
 فقابلتُ بالفضلِ الذي أنتَ أهله
 وغبتُ وما غابت مكارمك التي
 عيناً لقد أوليتنا منك نعمةً
 ويقصرُ عنها الوصفُ إذ هي كلُّها
 ولما قدمت الآن زاد سرورنا
 لأنك أنتَ الروحَ منا وكلِّنا
 ولو كان قدر الحبِّ فيك لقاؤنا
 ولكن قصَّدنا راحةَ المجد جهدنا
 هنيئاً هنيئاً أيها العَلمُ الرضى
 لك الحسنُ والإحسانُ والعلمُ والتقى
 وكم لك في بابِ الخلافةِ من يدٍ
 وقامتُ عليها للملوك أدلةُ
 فلا وجهَ إلا وهو بالبشرِ مُشرقُ
 بقيتُ لرَبِّ الفضلِ تحمي ذماره
 ودونك يا قطبَ المعالي بُنيَّةُ
 أتنك ابنَ رضوانٍ تمتُ بودها
 فخلُ انتقادَ البحثِ عن هفواتها
 وخذها على علائها فحديثُها

وليسَ بعابٍ للربوعِ حنينُ
 أقلُّ أذاهاً للسَّليمِ جنونُ
 وحانَ افتراقُ لم تَحُلْهُ يمينُ
 وكلُّ الذي دونَ الفراقِ يهونُ
 وما لك في حُسْنِ الصنيعِ قرينُ
 على شكرها الربُّ العظيمُ يعينُ
 تلذُّ بها عندَ العيانِ عيونُ
 لها وجهُ حرٍّ بالحياءِ مصونُ
 ومقدمك الأسنى بذلك قمينُ
 جسمٌ ، فعند البعدِ كيف نكونُ
 إليك لكنّا باللزمِ ندينُ
 فراحتهُ شَمَلُ الجميعِ تصونُ
 بما لك في طيِّ القلوبِ كمينُ
 فحبُّك دنيا للمحبِّ ودينُ
 أقرتُ لها بالصدقِ منك مَرِّينُ
 فأنتَ لديها ما حييتَ مَكِينُ
 ولا نطقَ إلا عن عَلاكِ مَينُ
 صحيحاً كما قد صحَّ منك يقينُ
 من الفكرِ عن حالِ المحبِّ تُبينُ
 وما لسوى الإغضاءِ منك ركونُ
 ومَهْدُها بالسمعِ حيثُ تكونُ
 حديثُ غريبٍ قد عراه سكونُ

وهو بحاله الموصوفة ؛ انتهى باختصار .

[٤٣ - مخاطبات بين لسان الدين وابن الجيَاب]

ولما كتب لسان الدين الى شيخه الرئيس الكاتب أبي الحسن الجيَاب قصيدة أولها ١ :

أُستخرجاً كَنَزَ العقيقِ بآماقي أناشدك الرحمنَ في الرَّمَقِ الباقي
فقد ضعفتُ عن حملِ صبري طاقِي عليك وضاقَتُ عن زفيرِي أطواقي

وهي طويلة أجابه عنها بقوله :

سقاني فأهلاً بالمدامة ٢ والساقِ سُلَافاً بها قام السرورُ على ساقِ
ولا نَقَلَ إلّا من بدائعِ حكمةِ ولا كأسَ إلّا من سطورِ وأوراقِ
فقد أنشأتُ لي نشوةً بعد نشوةِ تمدّ بروحانيةِ ذاتِ أذواقِ
فمن خطّها الفاني ٣ متاع لناظري وسمعي، وحظ الروح من خطها الباقي
أعادتُ شبايَ بعد سبعين حجةً فأنابُهُ قد جدّت بعد إخلاقِ
وما كنتُ يوماً للمدامة صاحِباً ولا قبلتها قطُّ نشأةً أخلاقِي
ولا خالطتُ لحمي ولا مازجتُ دمي كفى شرّها مولاي فالفضلُ للواقي
وهذا على عهدِ الشَّبابِ ، فكيف لي بها بعد ماءٍ للشبيبة مُهْرَاقِ ؟
تَبَصَّرُ فحكما القهوتين تخالفا فكم بين إثباتِ لعقلٍ وإزهاقِ
وشتان ما بين المُدامين فاعتبرُ فكم بين إنجاحِ لسعي وإخفاقِ
فتلك تهادى بين ظلمٍ وظلمةِ وهذي تهادى بين عدلٍ وإشراقِ
أيا علّم الإحسانِ غيرَ منازعِ شهادةَ إجماعٍ عليها وإصفاقِ ٤

١ انظر الكتيبة : ١٨٦ .

٢ الكتيبة : بالسقاية .

٣ الكتيبة : الباهي .

٤ الكتيبة : وإطباق .

فضائلك الحسنى عليّ تواترت
خزائنُ آدابٍ بعثتْ بدورها
ولا مثلَ بكرٍ حرّةٍ عربيّةٍ
فأقسم ما البيضُ الحسانُ تبرّجتْ
بدورٌ بدتْ من أفق أطواقها على
فناظرٍ منها الأقحوانُ ثغورها
وناسبَ منها الوردُ خدّاً مورّداً
وألبسَ من صنعاءَ وشياً منمنماً
بأحلى لأفواه ، وأبهى لأعين
رأيتُ بها شهبَ السماء تنزلت
ألا إنَّ هذا السحرُ لا سحرُ بابلٍ
لقد أعجزتْ شكري فضائلُ ماجدٍ
تقاضى ديونَ الشعرِ مني منبهاً
فلو نشر الصادان من مَلَحَدَيْهِمَا
فخذُ بزمامِ الرفقِ شيخاً تقاصرت
فلا زلت تحيي للمكارم رسمها

بمنهمرٍ من سحُب فكرك غيثاً
إليّ ولم تمننُ بخشية إنفاقٍ
زكية أخلاقٍ كريمة أعراقٍ
تناجيك سرّاً بين وحي وإطراقٍ
رياض شدتْ في قطبها ذاتُ أطواقٍ
وقابل منها نرجسٌ سحرّاً أحداقٍ
سقاء الشبابِ التضرُّ بورك من ساقٍ
وحلّين من درّ نفائسٍ أعلامٍ
وأحيى لألباب ، وأشهى لعشاقٍ
إليّ تحييني تحية مشتاقٍ
فقد سحرت قلبي المعنى فَمَنْ راقٍ
أبرّ بأحباب وأوفى بميثاقٍ
رويدك لا تعجلُ عليّ بإرهاقٍ
لإنصافِ هذا الدّينِ إذا بلاملاقٍ^١
خطاه وعاهده بمعهودٍ إشفاقٍ
وقدرك في أهل العلّا والنهي راقٍ

قال : وكتبت إليه في غرض العتاب قصيدة أولها :

أدّرنا وضوء الأفق قد صدع الفضا
مدامة عتب بيننا نقلها الرضى
فلله عينا من رآنا وللحيا
حبيّ بأفاق البشاشة أومّضا

١ الكتيبة : حسن .

٢ الصادان : الصابي أبو إسحاق والصاحب بن عباد .

نفرُّ إلى عدلِ الزمانِ الذي أتى
ونأسو كلومَ اللفظِ باللفظِ عاجلاً

فراجعني عنها بهذه القصيدة :

ونبرأ من جورِ الزمانِ الذي مضى
كذا قدَحُ الصهباءِ داوى وأمرضا

ألا حبذا ذاك العتابُ الذي مضى
أغارت له خيلُ فما ذعرت حمى
تألتق منه بارق صاب مؤنه
تألاً نوراً للصداقة حافظاً
فإن سودّ الشيطانُ منه صحيفة
وما كان حبُّ أحكم الصدق عهده
أعيدُ وداداً زاكياً القصدِ وافيّاً
ونية صدق في رضى الله أخلصت
من الآفك الساعي ليخفي نورها
وكيف يحلّ المبطلون بإفكهم
تعرض يبغي هدمها فكأنه
وحرّض في تنفيره فكأنما
وأوقد ناراً فهو يصلى جحيمها
أيا واحدي المعداد بالآلف وحده
بعثت من الدرّ النفيس قلائداً
نتيجة آداب وطبع مهذب
ولا مثل بكرى باكرتي أنفا
هي الروضة الغناء أينع زهرها
أو الغادة الحسناء راقته فينقضي
تطابق منها شعرها وجبينها

وإن جرّة واش بزورٍ تضمضوا
ولكنها كانت طلائع للرضى
على معهد الحبّ الصميم فروضاً
وإن ظنّ سيفاً للقطيعة مُنتضى
أتى ملكُ الرُحى عليها فيبضاً
ليرمى بوسواس الوشاة فيرفضاً
تخلص من أدرانه فتمحضاً
سناها بأفاق البسيطة قد أضاً
أينفى شعاع الشمس قد ملأ الفضا؟
معاقد حبّ أحكمتها يدُ القضا
لتشييد مبناها الوثيق تعرضاً
على البر والتسكين والحبّ حرّضاً
يقلب منها القلب في موقد الغضا
ويا ولدي البر الزكي إن ارتضى
على ما ارتضى حكم المحبة واقتضى
أطال مداه في البيان وأعرضاً
كزورة خيل بعدما كان أعرضاً
تناظرُ حسناً مذهباً ومفضضاً
مدى العمر في وصفنيها وهو ما انقضى
فذا الليل مسوداً وذا الصبح أبيضاً

أو الشُّهُبُ منها زينةٌ وهدايةٌ
أنت ببدیع الشعرِ طوراً مصرحاً
ومتهدَّتِ الأعذارُ دونَ جنائيةٍ
لك اللهُ من برٍّ وفيٍّ وصاحبٍ
لسانك في شكري مفيضٌ تفضلاً
وقلبك فاضت فيه أنوارُ خلتي
وقصدك مشكورٌ، وعهدك ثابتٌ
فهل معَ هذا ريبةٌ في مودةٍ
فثيقٌ بولائي إلتني لك مخلصٌ
عليك سلامُ اللهِ ما هبَّتِ الصُّبَا

ورَجْمٌ لشیطانٍ إذا هو قیضاً
بآیاتك الحسنی ، وطوراً معرضاً
ولو أنك الجاني لكنتُ المغمضاً
محضتُ له صدقَ الضمیر فأعوضاً
فيا حُسنَ ما أهدى وأسدى وأقرضاً
فألقي يَدَيَّ تسليمه لي مفوضاً
وفضلك منشورٌ ، وفعلك مُرتضى
بحال ؟ وإن رابت فما أنا معرضاً
هوئى ثابتاً يبقى فليس له انقضا
وما بارقُ جنحِ الدجنةِ أومضاً

وقال لسان الدين : من غريب ما خاطبني به قوله ^١ :

أقسم بالقيسين والنابعين
وبابن حُجْرٍ وزهيرٍ وابنه
ثمَّ بمشاق الثريا والرة
وبأبي الشيص ودعبلٍ ومَن
وولدي المعتز والرضي والـ
واختم بقُسرٍ وبسحبانٍ وإن
وحلبتني نثرهم ونظمهم
إنَّ الخطيبَ ابنَ الخطيبِ سابقٌ
راقتني الصحيفةُ الحسناءُ التي
تجمعُ من براعة المعنى إلى

وشاعري طيبي والمولدين
والأعشين بعدُ ثمَّ الأعمين
يأت وعزة ومي وبثين
كشاعري خُزاعة المخضرمين
سري ثمَّ حسنٍ وابن الحسين
أوجب حقٌ أن يكونا أولين
في مشرقٍ أقطارهم والمغربين
بنثره ونظمه للحلبتين
شاهدتُ فيها المكرماتِ رأيَ عين
براعة الألفاظِ كلتا الحسينين

أشهدُ أُنك الذي سبقْتَ في طريقي الآدابِ أقصى الأمدِين
 شعرٌ حوى جزالةً ورقّةً تصاغ منه حلّة للشّعريين
 رسائلٌ أزهارها منشورةٌ سرورُ قلبٍ ومتاعُ ناظرين
 يا أحوذياً يا نسيجَ وحدهِ شهادةً تزهتُ عن قولِ مَين
 بقيتَ في مواهبِ الله التي تقرُّ عينيك وتملأُ اليدين
 انتهى .

[٤٤ - من سعيد الغرناطي إلى لسان الدين]

وحكى لسان الدين أن سعيد بن محمد الغرناطي الغساني استعار منه كتاباً ،
 فأرسله إليه وعلى ظهره هذه الأبيات :

هذا كتابٌ كلّه معجمٌ أفحمني معناهُ إفحاما
 أعجمه منشئه أولاً وزاده الناسخُ إعجاما
 أسقط من إجماله جملةً وزاد في التفصيلِ أقساما
 وغيرَ الألفاظِ عن وضعها وصيرَ الإيجادَ إعداما
 فليس في إصلاحه حيلةٌ تُرجى ، ولو قبل أعواما

ولم أقف على جواب لسان الدين له عنها ، والله تعالى أعلم .
 وولد سعيد المذكور سنة ٦٩٩ .

[٤٥ - مخاطبات بين ابن البناء ولسان الدين]

ومما خوطب به لسان الدين لما تقلد الكتابة العليا قولُ أبي الحسن علي بن
 محمد بن علي بن البناء الوادي آشي رحمه الله تعالى :

هو العلاء جرى باليمن طائرُهُ فكان منك على الآمالِ ناصرُهُ

ولو جرى بك ممتداً إلى أمد
لقد حباه منيع العز خالقه
فليزه فخرأ فما خلقت يعارضه
لله أوصافك الحسنى لقد عجزت
هيئات ليس عجباً عجز ذي لسن
هل أنت إلا الخطيب ابن الخطيب ومن
فلان يقصر عن الأوصاف ذو أدب
يا ابن الكرام الألى ما شب طفلهم
مهلاً عليك فما العليا قافية
ولا المكارم طرساً أنت راقمه
ماذا على سابق يسري إلى ستن
سير حيث شئت من العليا مثلاً
أنت الإمام لأهل الفخر إن فخرُوا
ما بعد ما حزنه من عزة وعلاً
نادت بك الدولة النصري محتدا
حلتيتها برداء البر مرتدياً
فالملك يرقل في أبراده مراحاً
فاهناً بها نعمة ما إن يقوم لها
وليهنها أنها ألفت مقالدها
فإنه بدر تم في مطالعها

لأعجز الشمس ما آبت عساكره
بفاضل منك لا تحصي مآثره
ولا علاء مدى الدنيا يفاخره
من كل ذي لسن عنها خواطره
عن وصف بحر رمى بالدر زاهره
زانت جللى الدين والدنيا مفاخره
فما بدا منك في التقصير عاذره
إلا وللمجد قد شئت مآثره
ولا العلاء بسجع أنت ناثره
ولا المناقب طباً أنت ماهره
إن كان من رفقه خل يسايره
فما أمامك سباق تحاذره
أنت الجواد الذي عزت أوافره
شأو يطارد فيه المجد كابره
نداء مستنجد أزرأ يوازره
وصبح يملك فجر السعد سافره
قد عمت الأرض إشراقاً بشائره
من اللسان ببعض الحق شاكره
إلى زكي زكت منه عناصره
قد طبق الأرض بالأنوار ناثره

وقال لسان الدين : وأهدى إلى قباقب خشب جوز وكتب معها :

هاكها ضمراً مطايا حسانا نشأت في الرياض قُضباً ليدانا
وثوت بين روضة وغدير مرضعات من النّـمير لبانا

لابسات من الظلال بروداً دونها القُضْبُ رقةً وليانا
ثمّ لمّا أراد لإكرامها الله وسنّى لها المني والأمانا
قصبت بآبك العليّ ابتداراً ورَجّت في قبلك الإحسانا

قال : فأجبتة :

قد قبلنا جياذك الدُّهمَ لمّا أن بلونا منها العناق الحسانا
أقبلت خلفَ كلِّ حِجرٍ تبعٍ خلعتْ وصفها عليه عيانا
فعنينا برعيها وفسحنا في ربوع العلا لها ميدانا
وأردنا امتطاءها فاتخذنا من شرك الأديم فيها عنانا
قدمت قبلها كتيبة سحرٍ من كتاب سبّت به الأذهانا
مثلما تجنّبُ الجيوشُ المذاكي عُدّةً للقاء مهما كانا
لم يرقْ مقلتي ولا راق قلبي كعُلاها براعةً وبَيانا
من يكن مُهدياً فمثلك يهدي لم أجِدْ للثنا عليكَ لسانا

وقال لسان الدين : ومن أبدع ما هز به إلى إقامة سوقه ، ورعي حقوقه ،

قوله :

يا معدنَ الفضلِ موروثاً ومكتسباً وكلّ مجدٍ إلى عليائه انتسبا
يباب مجدكم الأسمى أخو أدبٍ مستصرخٌ بكمُ يستنجدُ الأدبا
ذلّ الزمانُ له طوراً فبلّغه من بعض آماله فوقَ الذي طلبا
والآن أركبه من كلِّ نائبةٍ صعبَ الأعنة لا يألو به نصبا
فحملته دواعي حبكم وكفى بذلك شافعُ صدقٍ يبلغ الأربا
فهَلْ سرى نسمةً من جاهكم فيها خليفةُ الله فينا يطر الذّهابا

[ترجمة ابن البناء]

وقال لسان الدين في « الإكليل » في حق المذكور ما صورته : فاضل يروك وقاره ، وصقر بَعْدَ مطاره ، قدم من بلده يروم اللحاق بكتّاب الإنشاء وتوسل بنظم أُنِيق ، ونسيب في نسب الإجادة عريق ، تُعْرَب براعته عن لسان ذليق ، وطبع طليق ، وذكاء بالأثرة خليق ، وبينما هو يُلْحَم في ذلك الغرض ويُسْدي ، ويعيد وييدي ، وقد كادت وسائله أن تنجح ، وليل رجائه أن يصبح ، اغتاله الحِمام ، وخانته الأيام ، والبقاء لله تعالى والدوام ، توفي بالطاعون في عام واحد وخمسين وسبعمائة وسنه دون الثلاثين ، رحمه الله تعالى ؛ انتهى .

[٤٦ - رسالة من لسان الدين إلى سلطان تونس]

ولمّا خطب لسان الدين من سلطان تونس بما لم يحضرني الآن أجاب عنه بما نصه : « المقام الإمامي الإبراهيمي المولوي المستنصري الحَقْصِي ، الذي كَرَّمَ فرعاً وأصلاً ، وشرف جنساً وفصلاً ، وتملّى في ظلّ رعاية المجد ، من لدن المهّد ، كرماً وخصلاً ، وصرّفت متجردة الأقلام ، إلى مثابة خلافته المنصورة الأعلام ، وُجُوهُ عبارة الكلام ، فاتخذ من مقام إبراهيم مُصَلّي ، مقامُ مولانا أمير المؤمنين الخليفة الإمام أبي إسحاق ابن مولانا أبي يحيى أبي بكر ابن الخلفاء الراشدين ، أبّاه الله تعالى تهوي إليه الأفتدة كلّما انتشت بذكره ؛ وتنافس الألسنة في إحراز غاية حمده وشكره ، وتتكفل الأقدار بإنفاذ نبيه وأمره ، وتغرى عواملُ عوامِلِهِ بحذف زيد عدوّه وعمّره ، ويتبرع أسمر الليل وأبيض النهار بإعمال بيضِهِ وسُمرِهِ ، ولا زال حُسامه الماضي يغني يومه في النصر عن شهره ، والروض يحيه بمباسم زهره ، ويرفع إليه رُفَع الحمد ببنان قضبه الناشئة من معصَم نهره ، وولي الدنيا والآخرة يمتعنا بهما بعد الإعانة على مَهْرِهِ ، يُقَبَّلُ بساطه المعوّد الاستلام بصفحات الحدود ، الرافع

عماده ظلُّ العدل الممدود ، عبدُ مقامه المحمود ، وواردُ غمَرِ إنعامه غير
المنزور ولا المثمود ، المُثني على نعمه العميمة ، ومِنَحْه الجسيمة ، ثناء الروض
المَجُود ، على العُهُود ، ابنُ الخطيب ، من باب المولى الموجب حقّه ، المتأكّد
القروض ، الثابت العهد ، المعتدّ منه بالود الجامع الرسوم والحدود ، والفضل
المتوارث عن الآباء والجدود ، يسلم على مثابتها سلامَ متلو على مثلها إن وجد
المثل في الثاني ، ويعوّد كماها بالسبع الثاني ، ويدعو الله تعالى لسلطانها بتشييد
المباني ، وتيسير الأمان ، ويُنهي إلى علوم تلك الخلافة الفاروقية المقدّسة
بمناسب التوحيد ، المستولية من مدارك الآمال على الأمد البعيد ، أن مخاطبتها
المولوية تاهت على الملوك فارعة العلا ، مزَعَفَرَة الحلل والحلى ، ذهبية المجلى ،
تفيد العز المكين ، والدنيا والدين ، وتُرعى في الآباء والبنين ، على مر السنين
﴿صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (البقرة : ٦٩) وقد حملت من مدحها
الكریم ما أخفى للمملوك من قرّة عَينٍ ، ودرّة زين ، جبين الشرف الوضاح ،
ومستوجب الحق على مثله من الخلق بالنسب الصّراح ، والغُرر والأوضاح ،
والأَرَجِ الفَوّاح ، فاقتنى دره النفيس ، ووجد المروع^١ في جانب الخلافة التنفيس ،
وقراه لما قرأه التعظيم والتقدیس ، وقال ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَِّّي أُلْغِيْ إِيَّكَ كِتَابٌ
كَرِيمٌ﴾ (النمل : ٢٩) وإن لم يكن بلقىس ، أعلى الله تعالى تلك اليد مُطَوِّقَة
الأيادي ، ومخجلة الغمام والغواوي ، وأبقاها عامرة النوادي ، غالبية الأعادي ،
وجعل سيفها السفاح ورأيها الرشيد وعلمها الهادي ، ووصل ما ألطف به رعيها
من أشنات بر بلغت ، وموارد فضل سوّغت ، أمدتها سعادة المولى بمدد لم
يضر معه البحر الهائل ، ولا العدو الغائل ، وأقام أودّها عند الشدائد الفُلك
المائل ، لا بل الملك الذي له إلى الله الوسائل ، وحَسِبَ الجفن رسالتكم الكريمة
لحظاً فصان وأكرم ، وعُوذَة فتعوّذ بها وتحرم ، وتولى المملوك تنفيق عروضها

بانشرح صدره ، وعلى قدره ، فوقعت الموقع الذي لم يقعه سواها ، فأما الخيل
فأكرم مئواها ، وجُعِلت جنان^١ الصون مأواها ، ولو كسيت الربيع المزهر حللاً ،
وأوردت في نهر المجرة عكلاً ونهلاً ، وقلدت النجوم العواتم صحلاً ، ومسحت
أعطافها بمنديل النسيم ، وألحفت بأردية الصباح الوسيم ، وافترشت لمرابطها
الحشايا ، وأقضمت حبات القلوب بالعشايا ، لكان بعض ما يجب ، لحقها الذي
لا يحدد فضله ولا يحتجب ، وما عداها من الرقيق والفتيان ، رعاة ذلك الفريق
تكفله الاستحسان ، وأطنب الاعتقاد وإن قصر اللسان ، تولى الله تعالى تلك
الخلافة بالشكر الذي يُحسبُ العطاء ، والحفظ الذي يُسبَلُ الغطاء ، والصنع
الذي ييسر من مطا الأمل الامتطاء ، وأما ما يختص بالمملوك فقد خصه بقبوله
تبركاً بتلك المقاصد التي سددها الدين ، وعددها الفضل المبين ، وأنشد الخلافة
التي راق من مجدها الجبين :

قلدتني بفرائد أخرجتها من بحر جودك وهو ملتطمُ السَّبَجِ
ورعت نسبتهما فإن سبيكة مما يلائم لونها قطع السَّبَجِ

والمملوك بهذا الباب النصري أعزه الله تعالى على قدم خدمة ، وقائم بشكر
منة لكم ونعمة ، وحاضر في جملة الأولياء بدعائه وحبه ، ومتوسل في دوام
بقاء أيامكم ونصر أعلامكم إلى ربه ، وإن بعدد بجسمه فلم يبعد بقلبه ، والسلام
الكريم ، الطيب البر العميم ، ينخصها دائماً متصلاً ، ورحمة الله تعالى وبركاته »
انتهى .

[٤٧ - مخاطبة من ابن البربري المالقي إلى لسان الدين]

ومما خوطب به لسان الدين قول أبي الحسن علي بن يحيى الفزاري المالقي

١ ص : جنات .

المعروف بابن البربري ، وكان ممن يمدح الملوك والكبراء :

لِبَابِكَ أَمَّ الْأَمْلُونُ وَيَمْتَمُوا
وَمَنْ رَاحَتِي كَفَيْكَ جَدَوَاكَ تَنْهَمِي
وَأَنْتَ لَمَّا رَامُوهُ كَعْبَةُ حَجَّهِمْ
يَطُوفُونَ سَبْعًا حَوْلَ بَابِكَ عِنْدَمَا
فِيْمْثَنَّاكَ يَمْنٌ لِلرَّعَايَا وَمَنْتَ
وَلَقِيَاكَ بِشَرٍّ لِلنَّفُوسِ وَجَنَّةٌ
فِيَا وَاحِدَ الْأَزْمَانِ عِلْمًا وَمَنْصِبًا
وَمَنْ وَجْهَهُ كَالْبَدْرِ يَشْرِقُ نُورُهُ
وَمَنْ ذَكَرَهُ كَالْمَسْكَ فَضْلاً خَتَامُهُ
لَقَدْ حَزَنَتْ فَضْلَ السَّبْقِ غَيْرَ مَنَازِعٍ
حَوِيَتْ مِنْ الْعِلْيَاءِ كُلَّ كَرِيمَةٍ
وَبَاهَيْتَ أَقْلَامَ الْأَنَامِ بَرَاعَةً
إِذَا فَاخَرَ الْأَعْجَادُ يَوْمًا فَلَانَمَا
وَلِنْ سَكَنُوا كُنْتَ الْبَلِيغَ لَدَيْهِمْ

وَفِي سَاحَتِي رَحْمَاكَ حَطُّوا وَخِيمُوا
فَتَرَوِي عَطَاشٌ مِنْ نَدَاكَ وَتَنْعَمُ
إِذَا شَاهَدُوا مَرَاكَ لَبَّوْا وَأَحْرَمُوا
يَلُوحُ لَهُمْ ذَاكَ الْمَقَامُ الْمَعْظَمُ
وَيَسْرَاكَ يَسْرٌ لِلْعُقَاةِ وَمَغْنَمُ
تَرْنٌ بِهَا وَرَقُ الْمَنَى وَتَرْتَمُ
وَيَا مَنْ بِهِ الدُّنْيَا تَرُوقُ وَتَبْسُمُ
وَمَنْ جُودُهُ كَالْغَيْثِ بَلْ هُوَ أَكْرَمُ
وَكَالشَّمْسِ نَوْرًا بِشْرُهُ الْمُتَوَسِّمُ
فَأَنْتَ عَلَى أَهْلِ السَّبَاقِ مُقَدَّمُ
بِهَا الرُّوضُ يَتَنَدَّى وَالرُّبَى تَبْسُمُ
فَلَا قَلَمٌ إِلَّا يَرَاكَ يَخْدُمُ
لِمَجْدِكَ فِي حَالِ الْفَخَارِ يُسَلِّمُ
تَعَبَّرُ عَنْ سِرِّ الْعُلَا وَتَرْجَمُ

ومنها :

فِيَا صَاحِبَتِي نَجْوَايَ عُوجًا بِرَامَةٍ
وَقَوْلًا لَهُ عَبْدٌ بِبَابِكَ يَرْتَجِي
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا عُلَاكَ وَسِيلَةٌ
فَعَجْدٌ بِالَّذِي يَرْجُوهُ مِنْكَ فَمَا لَهُ
بَقِيَتْ وَنَجْمُ السَّعْدِ عِنْدَكَ طَالَعٌ
عَلَى رَبِّهِ حَيْثُ النُّدَى وَالتَّكْرَمُ
قَضَاءٌ لُبَانَاتٍ لَدَيْكَ تَتِمُّمُ
وَلَا شَيْءَ أَسْمَى مِنْ عِلَاكَ وَأَعْظَمُ
كَعْقَدِ ثَمِينٍ مِنْ ثَنَائِكَ يُنْظَمُ
يُضِيءُ لَهُ بَدْرٌ وَتَشْرِقُ أَنْجَمُ

توفي المذكور بالطاعون عام خمسين وسبعمائة ؛ انتهى .

[٤٨ - مخاطبة من الحرالي إلى لسان الدين]

وممّا خوطب به قولُ أبي القاسم قاسم بن محمد الحرالي المالقي القاضي
بانتقيرة^١ قبل وفاته :

عليك قصرت المدح يا خيرَ ماجدٍ	وأفضلَ موصوفٍ بكلِّ المحامدِ
ويا كهفَ ملهوفٍ ، وملجأَ خائفٍ	وموردَ جودٍ قد كفى كلَّ واردٍ
لقد شهّرت بالمجدِ منك شمائلٌ	محاسنها أزكى وأعدلُ شاهدٍ
وكلُّ الذي يبدو من الفضل بعضُ ما	حُييت به ، أعظمُ بها من محامدِ
إذا أملت منك المكارمُ ألفتِ	تُنادي هلمُّوا فزتمُ بالمساعدِ
عطاؤكم جزلٌ فمن أملَ الغنى	فمثلكم يبغي فيا سعدَ قاصدِ
وراثَةُ مجدٍ كابرًا بعد كابرٍ	وأصلُ زكيّ الفرع عذبُ المواردِ

[ترجمة أبي القاسم الحرالي]

وتوفي المذكور بالطاعون عام خمسين وسبعمائة ، وفي حقّه يقول في
« الإكليل » : مشمر في الطلب عن ساق ، مثابر على اللحاق بدرجات الخذاق ،
منتحل للعربية ، جادٌ في إحصاء خلافتها ، ومُعاطاة سُلّافها ، وربما شرست في
المذاكرة أخلاقه ، إذا بُهّرجت أعلّاقه ، ونوزع تمسّكه بالحجّة واعتلاقه .
وقال لسان الدين في ترجمة شعر المذكور : إنّه ضعيف مهزول ؛ انتهى .

[٤٩ - رسالة من المنتشاقري إلى لسان الدين]

وممّا خوطب به قول أبي الحجاج يوسف بن موسى الجذامي المنتشاقري
من أهل رُنْدَة ، ونصّه :

حَبّاك فؤادي نيلَ بشرى وأحياكا وحيدٌ بآدابٍ نفائسٍ حيّاكا

١ انتقيرة (Antequera) تبعد عن مالقة حوالي ٦٠ كيلومتراً شمالاً .

بدائعُ أبدَها بديعُ زمانه فطاب بها يا عاطرَ الروض ريتا
أُمهدياتها أودعت قلبي علاقةً وإن لم يزل مُغرّياً قديماً بعلياً
إذا ما أشار العصرُ نحو فريده فإياك يعنني بالإشارة إياك
لأتحفني لقياك أسنى مؤملي وهل تُحفّةٌ في الدهر إلا بلياً
وأعقبَ إتحافى فرائدك التي وجوبُ ثناها يا لساني أعياها

ووصل هذا النظم بنثر صورته : « خصصتني أيها المخصوص بمآثر أعيا
عدّها وحصّرها ، ومكارم طيّب أرواح الأزاهر عطرُها ، وسارت الركبان
بثنائها ، وشملت الخواطر محبة علائها ، بفرائدك الأنيقة ، وفوائدك المزرية جمالاً
على أزهار الحديقة ، ومعارفك التي زكت حقاً وحقيقة ، وهَدّت الضالّ عن
سبيل الأدب مهتّعه وطريقه ، وسبق تحفتك أعلى التحف عندي وهو مأمول
لقائك ، والتمتع بالتماح سنّك الباهر وسنائك ، على حين امتدت لذلّكم اللقاء
أشواقي ، وعظم من فوت استنارتي بنور محيّاك إشفاقي ، وتردد لهجي بما يبلغني
من معاليك ومعانيك ، وما شاده فكرك الوقاد من مبانيك ، وما أهلت به بلاغتك
من دراسه ، وما أضفيت^١ على الزمان من رائق ملبسه ، وما جمعت من أشناته ،
وأحييت من أمواته ، وأيقظت من سِنّاته ، وما جاد به الزمان من حسنّاته ،
فلترداد هذه المحاسن من أنبائك ، وتصرّف الألسنة بثنائك ، علقت النفس من
هواها بأشدّ علاقة ، وجنحت إلى لقائك جنوحَ والهة مشتاقة ، والحوادث الجارية
تصرّفها ، والعوائق الحادثة كلّما عطفتم أملها إليه لا تتحفها به ولا تعطفها ،
إلى أن ساعد الوقت ، وأسعد البخت ، بلقائكم في هذه السفرة الجهادية ، وجاد
إسعاف الإسعاد من أمنيّتي بأسنى هدية ، فلقيتكم لقياً خجلاً ، ولمحت
أنواركم لمحة على وجّل ، ومحبتني في محاسنكم الرائقة ، ومعاليكم الفائقة ، على

١ ق ص : أضيفت .

ما يعلمه ربنا عزّ وجل ، وتذكرت عند لقائكم المأمول ، لإنشاء قائل يقول :

كانت مساءلةُ الركبانِ تخبر عن محمد بن الخطيب أطيّب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعتُ أذني بأحسن مما قد رأى بصري

قسمٌ لعمري أقوله وأعتقده ، وأعتده وأعتمده ، فلقد بهرت منك المحاسن ،
وفُتّت من يُحاسن ، وقصّر عن شأوك كلُّ بليغ لسن ، وسبقت فطنتك
النارية النورية بلاغة كل فطين ، وشهد لك الزمان أنك وحيدٌ ، ورئيس
عصبة الأدبية وفريده ، فبورك لك فيما أنلت من الفضائل ، وأوتيت من آيات
المعارف التي بها نور الغزاة ضائل ، ولا زلت ترقى في مراتب المعالي ، موقى
صروف الأيام والليالي « انتهى .

[٥٠ - رسالة لسان الدين إلى المنتشافي]

وهذا الخطاب جواب من المذكور لكلام خاطبه به لسان الدين نصّه :

حمدتُ على فرطِ المشقةِ رحلةً أتاحتُ لعيني اجتلاءً محيّاكا
وقد كنتُ بالتذكّارِ في البعدِ قانعا وبالريحِ إن هبّتْ بعاطر ريبّاكا
فحلّتْ لي النعمى بما أنعمتْ به عليّ فحيّاها الإلهُ وحيّاكا

« أيها الصدر الذي بمخاطبته يُباهى ويتشرف ، والعلم الذي بالإضافة إليه
يتعرف ، والروض الذي لم يزل على البعد بأزهاره الغضة يُتّحف ، دمت
تتراحم على موارد ثنائك الألسن ، ويروى الرواة من أنبائك ما يصح ويحسن ،
طالما مالت إليك النفوسُ منا وجنّحتْ ، وزجرت الطائر الميمون من رقاعك
كلّما سنّحتْ ، فالآن اتضح البيان ، وصدّق الأثر العيان ، ولقد كنّا للمقام
بهذه الرحال نرتفض ، ويجنُّ الظلام فلا نغمض ، هذا يقلقه إصفار كيسه ،
وهذا يتوجّع لبعد أنيسه ، وهذا تروعه الأهوال ، وتضجره بتقلبها الأحوال ،

فمن أنة لا تنفع ، وشكوى إلى الله تعالى تُرفع ، فلما ورد بقدمك البشير ،
وأشار إلى ثنية طلوعك المشير ، تشوفت النفوس الصديقة إلى جلائها وصيقلها ،
والعقول إلى حلِّ عيقلها ، والأنفس المُفحمة إلى فصل مقالها ، ثم إن الدهر
راجع التفاته ، واستدرك ما فاته ، فلم يسمح من لقائك إلا بلمحة ، ولا بعث
من نسيم روضك بغير نفحة ، فما زاد أن هيَّج الأشواق فالتهمت ، وشنَّ
غاراتها على الجوانح فانتهمت ، وأعلَّ القلوب وأمراضها ، ورمى ثغرة الصبر
فأصاب غرضها ، فإن رأيت أن تنفّس عن نفسٍ شدَّ الشوق مُحَنَّقها ،
وكدَّر مشارب أنسها وأذهب روثقها ، وتتحف من آدابك بدرر تُفتني ، وروضة
طيبة الجنى ، فليست ببدع في شيمك ، ولا شاذة في باب كرمك ، ولولا شاغل
لا يبرح ، وعوائق أكثرها لا يُشرح ، لنافست هذه السحابة في القدوم عليك ،
والمثول بين يديك ، فتشوّقي إلى اجتلاء أنوارك شديد ، وتشبيحي إلى إبلاء الزمان
جديد « انتهى .

[ترجمة أبي الحجاج المنتشاقري]

ووصف لسان الدين في « التاج المحلّي » أبا الحجاج المذكور بما صورته^١ :
حسنة الدهر الكثير العيوب ، وتوبة الزمان الجهم^٢ الذنوب ، ما شئت من أدب
يتألّق ، وفضل تتعطر به النسمات وتتخلّق ، ونفس كريمة الشمائل والضرائب ،
وقريحة يقذف بحرّها بدرر الغرائب ، إلى خشية الله تعالى تحول بين القلوب
وقرارها ، وتثقي النفوس عن اغترارها ، ولسان يبوح بأشواقه ، وجفن يسعجو
بدرر آماقه ، وحرص على لقاء كل ذي علم وأدب ، ومن يمتُّ إلى أهل الديانة
والعبادة بسبب ، سبق بقُطره الحَلْبَة ، وفرع من الأدب الهضبة ، ورفع الراية ،

١ انظر ترجمة أبي الحجاج المنتشاقري في الكتيبة : ١١٩ ؛ وهذه النسبة إلى منتشاق (Monte - Sacro)
في مقاطعة أكوئنة .

وبلغ في الإحسان الغاية ، فطارت قصائده كلَّ المطار ، وتغنّى بها راكب الفُلك
وحادي القطار ، وتقلد خُطّة القضاء ببلده ، وانتهت إليه رئاسة الأحكام بين
أهله وولده ، فوضحت المذاهبُ بفضل مذهبه وحُسن مقصده ، وله شيمة في
الوفاء تعلّم منها الآس ، ومؤانسة عذبة لا تستطيعها الأكواس ، وقد أثبت من
كلامه ما تتحلّى به مراتب المهارق ، ويجعل طيبه فوق المفارق ، وكنت أتشوق
إلى لقائه ، فلقيته بالمحلة من جبل الفتح لقياً لم تبلَّ صدّي ، ولا شقّت كدّاً ،
وتعذر بعد ذلك لقاءه ، فخاطبته بهذه الرقعة :

حمدت على فرط المشقة رحلة

فذكر لسان الدين ما قدمنا إلى آخره .

وقد أورد جملة من مطولاته وغيرها ومؤلفاته ، ولنلخص بعض ذلك فنقول :
ومن شعر أبي الحجاج المذكور يمدح الجهة الكريمة النبوية ، مُصدِّراً بالنسب
لبسط الخواطر النفسانية ، قوله :

لما تنهى الصبُّ في تشويقه	درُّ الدموعِ اعتاضها بعقيقه
متلهفٌ وفؤاده متلهبٌ	كيف البقا بعد احتدام حريقه
متموجٌ بحرُ الدموعِ بخده	أنّى خلاصٌ يرتجى لغريقه
متجرعٌ صابَ النوى من هاجرٍ	ما إن يحنُّ للاعجات مشوقه
يسبي الخواطرَ حسنه ببديعه	يُصَيِّبُ النفوسَ جماله بأنيقه
قيّدُ النواظرِ إذ يلوحُ لرامقٍ	لا تشني الأحداقُ عن تحديقِه
للبدْرِ لَمَحَتُهُ كِبِشَرِ ضيائه	للمسكِ نَفَحَتُهُ كَنَشْرِ فتيقه
سكرتُ خواطرُ لاهيه كأنهم	شربوا من الصهباء كأسَ رحيقه
عطشوا لثغري لا سبيلَ لريقه	إلا كلمحهمُ للمع بريقه

١ ق : تتجل .

ما ضرَّ مولى عاشقوه عبيدُه
 عنه اضطباري ما أنا بمطيعه
 سجَّعَ الحمامُ بشوقٍ ترجيعِ الهوى
 وبكتُ هديلاً راعها تفريقه
 وبكاءٍ أمثالي أحقُّ لأنَّني
 وغفَلْتُ في زمنِ الشبابِ المنقضي
 وبدا المشيبُ وفيه زجرُ ذوي النُّهى
 حسبي ندامةُ آسفٍ ممَّا جنى
 ويروم ما خرم الهوى زمن الصِّبا
 ويردُّ الشكوى لديه تذلاً
 فيصحُّ من سكرِ التصابي سكره
 لو كنتُ يمتُّ التقي وصحبته
 لأفدتُ منه فوائداً وفرائداً
 لله أربابُ القلوبِ فإنَّهم
 قاموا وقد نام الأنام فنورهم
 وتأنَّسوا بحبيهم فلهم به
 قصَّرتُ عنهم عندما سبقوا المدى
 لولا رجاءُ تلمُّحٍ من نورهم
 وتأرجُّ يستافُ من أرواحهم
 لفنيتُ من جرّاً جرّاً ثري التي
 ومعى رجاءُ توسِّلٍ أعدده
 حبي ومدحي أحمد الهادي الذي
 أسمى الورى في منصبٍ وبمنسبٍ
 الحقُّ أظهره عقيبَ خفائه

لو رقَّ إشفاقاً لحالِ رقيقه
 مثلُ السلوِّ ولا أنا بمطيعه
 فأثارَ شجورَ مشوقه بمشوقه
 ويحقُّ أن يبكي أخو تفريقه
 لم أقضِ للمولى أكيدَ حقوقه
 أقبِحُ بنسخِ بروره بعقوقه
 لو كنتُ مزدجراً لشيم بروقه
 يصلُ النسيجَ لوزره بشهيقه
 ويروم من مولاه رتق فتوقه
 علَّ الرضى يحويه دركُ لحوقه
 نسخاً لحكم صبوحة وغبوقه
 وسلكتُ إيثاراً سواء طريقيه
 عرضتُ تُسامُ لرابحٍ في سوقه
 من حزبٍ من نال الرضى وفريقه
 هتكَ الدجى بضياؤه وشروقه
 بيشرٍ لصدقِ الفضلِ في تحقيقه
 ولسابقِ فضلٍ على مسبوقه
 يحيي الفؤادَ بسيره وطروقه
 سببَ انتعاشِ الروح طيبُ خَلوقه
 من خوفها قلبي حليف خفوقه
 ذخراً لصدماتِ الزمانِ وضيقه
 فوزُ الأنامِ يصحُّ في تصديقهِ
 من هاشمٍ زاكي النِّجار عريقه
 والدِّينُ نظَّمه لدى تفريقهِ

ونفى هُداه ضلالةً من جائر
سبحان مرسله إلينا رحمةً
والمعجزاتُ بدتْ بصدقِ رسوله
كالظبي في تكليمه، والجدع في
والنار إذ خمدتْ بنور ولادة
والزادُ قلَّ فزاد من بركاته
ونبوعُ ماء الكفِّ من آياته
والنخلُ لما أن دعاه مشى له
والأرضُ عاينتها وقد زويت له
وكذا ذراعُ الشاةِ قد نطقتْ له
ورمى عداه بكفِّ حصبا فانثنت
وعليه آياتُ الكتابِ تنزلت
وأذيق من كأسِ المحبةِ صيرفها
حاز السناء وناله بعروجه
ولكم له من آيةٍ من ربِّه
يا خيرةَ الأرسالِ عندِ إلهه
علقتُ آمالي بجاهك عدَّةً
وعلقتُ من جبلِ اعتمادِ عمدةً
ولئن غدوتُ أخيدَ ذنبي لآتني
وكسادُ سوقي مذبلاتٍ لبابكم
ويحنُّ قلبي وهو في تغريبه
وتزيد لوعته متى حثَّ السرى
وأرى قشيبَ العمرِ أمسى بالياً

مستوثقٌ بيغوثه ويعوقه
يهدي ويهْدِي الفضلُ من توفيقه
وحقيقه بالمسأثراتِ خليقه
تحنيه ، والبدر في تشقيقه
وأجاج ماءً قد حلا من ريقه
فكفى الجيوشَ بتمّره وسويقه
وسلامُ أحجارٍ غدتْ بطريقه
ذا سرعةٍ بعدوقه وعروقه
فقريب ما فيها رأى كسحيقه
نطقَ اللسانِ فصيحِه وذليقه
هرباً كمدعورِ الجئانِ فُروقه
تُتلى بعلو جلالِه وبُسوقِه
سبحان ساقيه بها ومذيقه
جاز السماء طباقتها بخروقه
وعناية ورعايةٍ بحقوقه
يا محرزَ العلى على مخلوقه
والقصدُ ليس يخيبُ في تعليقه
لتمسّكي بقويته ووئيقه
أرجو بقصدك أن أرى كطليقه
يقضي حصولَ نفوذه ونفوقه
لمزاره لرُباك في تشريقه
حادٍ حداً بجماله وبنوقه
ومرورَ دهري جدّ في تمزيقه

وأخافُ أن أقضي ولم أقضِ المُنَى
فمَنى أخطُ على اللوى رحلي وقد
وأمرُغُ الخلدن في تربٍ غدا
وأعيدُ إنشائي وإنشادي الشنا
حتَّى أميل العاشقين تطرباً
ونجاةُ التسليم أبلغُ شافعٍ
ولذي الفخار وذو الحلَى ووزيره
مني السلامُ عليهم كالزُّهرِ في
وقال ١ :

بنفوذِ سَهْمٍ منيَّتي ومُروقه
بلغتُ ركابي للحمى وعقيقه
كالمسك في أرجٍ شذا منشوقه
ببديعِ نظمٍ قريحتي ورقيقه
كالغصن مرَّ صَباً على ممشوقه
وثنا المديح حديثه وعقيقه
صديقه وأخي الهدى فاروقه
تأليفها والزُّهرِ في تأنيقه

هواكمُ بقلبي ما لمحكمه نسخُ
ومن نشائي ما إن صحت منه تشوئي
عليه حياتي مَدُّ تمادت وميتي
ولي خلَّدُ أضحي قنيص ٣ غرامه
قتلتُ سلوتي حين أحييتُ لوعي
وأغدو إلى سعدى بكرخٍ علاقتي
وناصحُ كتمي ٤ إذ زكت بيئته ٥
وأرجو بتحقيقي هواكم بأن أفي
وما الحبُّ إلا ما استقلَّ ثبوته

ومِن أجله جفني بمدمعه يسخو
سواء به عصر المشيب ٢ أو الشَّرْحُ
وبعني إذا بالصُّور يتفقُ النفخُ
ولا شَرَكُ يذني إليه ولا فحُ
وما اجتبح بالإقرار في حالي لطحُ
وقصدي قصدي ليس سعدى ولا الكرخُ
يجولُ عليه من دموع الأسى نضخُ
فعهدٌ ولا نقضٌ ٦ ، وعقدٌ ولا فسخُ
لمبناه رصٌ في الجوانح أو رسخُ ٦

١ القصيدة في الكتيبة : ١٢١ .

٢ ق والكتيبة : الشباب .

٣ ق ص : يبيض .

٤ الكتيبة : وما صح جسمي .

٥ ق ص : أدركت ؛ ص : بيناته .

٦ ق : رض ... أو رضخ .

إذا مسلكٌ لم يستقمُ بطريقه
بدا لضميري من سناكم تلمحُ
على عودِ ذاك الملح ما زلتُ نادياً
يسدي بأياديكم وقلبي شاغل

سلكتُ اعتدالاً مثلما يسلك الرخُ
فبخٍ لعقلٍ لم يطرُ عندها بخُ
كما تندب الورقاء فارقتها الفرخُ
فمن فكرتي نسجُ ومن أمني نسجُ

وقال :

إليك تحنُّ النُجُبُ والنُجَباءُ
تحبُّ بركابِ تحبِّ وصولها
فأنفاسُها ما إن تني صُعداؤها
همُ عابجوا إذ عجل السيرُ داءهم
فعدتُ ودوني للحبيبِ ترحلوا
له وعليه حبُّ قلبي وأدمعي
بطيبة هل أرضى وتبدو سماؤها
شذا نَفَحِها واللمحُ منها كآته
فيا حادياً غنى وللركب حادياً
بستلَعِ فسل عما أقاسي من الهوى
وفي عالج مِنِّي بقلبي لا عَجُ
وللرقتين أرقمُ الشوقِ لادغُ
أما كن تمكينٍ وأرضٍ بها الرضى

فهم وهَيَّ في أشواقهم شركاءُ
لأرضٍ بها بادٍ سناً وسناء
وأنفُسُهُمُ من فوقها سُعْداءُ
وأشباهُ مثلي مُدُنَفُونِ بِطاءُ
وما قاعدٌ والراحلون سواءُ
وقد صحَّ لي حبٌّ وسَحَّ بكاءُ
وإن تكُ أرضاً فالحبيب سماءُ
ذكاء عبير والضياء ذكاءُ
عناني بعدَ البعد عنكَ عناءُ
وسلُ بقاء إذ يلوح قباءُ
فهل لي علاجٌ عنده وشفاءُ
ودرياقهُ أن لو يُباح لقاءُ
وأرجاءُ فيها للمشوق رجاءُ

وقال ١ :

أدبُ الفتى في أن يرى متيقظاً
فلإذا تمسَّكَ بالهوى يهوي بهِ
لأوامرٍ من ربِّه ونواهِ
والحبلُ منه لمن تيقنَ واهِ

١ هذه المقطوعة واثنان تاليتان في الكتيبة : ١٢٢ .

وقال :

يا من بدُنياه ظلّ في بلجٍ حققْ بأنّ النجاةَ في الشاطي
تطمعُ في إرثك الفلاحَ وقد أضعتْ ما قبله منَ أشرطِ
كن حذراً في الذي طمعتَ بهِ من حجبِ نقصٍ وحجبِ إسقاطِ

وقال :

تُرى شعروا أنّي غبطتُ نسيمةً ذكّتْ بتلاقي الروضِ غيبَ الغمائمِ
كما قابلتُ زهرَ الرياضِ وقبّلتُ ثغورَ أفاحيهِ بلا لومٍ لائمِ

وقال :

ورَدَ المشيبُ مُبيّضاً بورودهِ ما كان من شعرِ الشبيبةِ حالكا
يا ليتهُ لو كان بيّضَ بالشقى ما سودّتهُ مآثمٌ من حالكا
إنّ المشيبَ غدا رداءٌ للردى فإذا علاك أجدّ في ترحالكا

وقال ١ :

لوعةُ الحبِّ في فؤادي تعاصتُ أن تُداوى ولَوْ أنّي ألفُ راقِ
كيفَ يَبْرأ مِنْ علةٍ وعليها زائدٌ علةُ النوى والفراقِ
فانسكابُ الدموعِ جارٍ فجاري والتهابُ الضلوعِ راقٍ فراقِ

ومن غرائب الاتفاق أنّه قال : كنت جالساً بين يدي الخطيب أبي القاسم
التاكروني صبيحة يوم بمسجد مالقة ، فقال لنا في أثناء حديثه : رأيت البارحة
في عالم النوم كأنّ أبا عبد الله الجلياني يأتيني ببتي شعر في يده ، وهما :

١ الكتيبة : ١٢٢ .

كل علم يكون للمرء شغلاً بسوى الحق قاذح في رشاده
فلذا كان فيه لله حظ فهو مما يُعده لمعاده

قال : فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الأديب أبو عبد الله الجلياني ،
والبيتان معه ، فعرضهما على الشيخ ، فأخبره أنه صنعهما البارحة ، فقال له كل
من في المجلس : أخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك ، فكان هذا من العجائب .
ولأبي الحجاج المذكور تواليف ، منها كتاب « ملاذ المستعين في بعض
خصائص سيد المرسلين » أربعون حديثاً ، وكتاب « تخصيص القرب وتحصيل
الأرب » و « قبول الرأي الرشيد في تخميس الوترية النبوية لابن رشيد »
و « انتشاق التسمات التجدية واتساق النزعات الجدية » و « غرر الأمانى المسفرات
في نظم المكفّرات » و « النفحات الرندية واللمحات الرندية » مجموع شعره ،
و « حقائق بركات المنام في مرأى المصطفى خير الأنام » و « الاستشفاء بالعدة
والاستشفاع بالعمدة في تخميس البردة » و « توجع الراثي في تنوع المراثي »
و « اعتلاق السائل بأفضل الوسائل » و « ملح البهيج ونفح الأريج » في ترجيز
كلام الشيخ أبي مدين من عبارات حكمية وإشارات صوفية ، وكتاب « تجريد
رؤوس مسائل البيان والتحصيل لتيسير البلوغ لمطالعتها والتوصل » وفهرسة
روايته ، ورجز ذكر مشايخ أبي عمر الطنجي ، وكتاب « أرج الأرجاء في مزج
الخوف والرجاء » أربعون حديثاً في الرجاء والخوف .

وكان رحمه الله تعالى حياً حين ألف لسان الدين « الإحاطة » رحمه الله تعالى
الجميع .

ورأيت على ظهر أول ورقة من « الريحانة » بخط الإمام الكبير الشهير الشيخ
إبراهيم الباعوني الدمشقي رحمه الله تعالى ما نصّه : قال كاتبه إبراهيم بن أحمد
الباعوني — غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، وبلغه من فضله مطلوبه — صاحب
كتاب الريحانة ، آية من آيات الله سبحانه ، لوجه أدبه طلاقة ، ولسانه ذلاقة ،

وللقلوب به علاقة ، وفي خطّه غلاقة ، يعرفها مَنْ عرف اصطلاحه بمطالعه ،
وينفتح له باب فهمها بتكرير مراجعته ، فليتأمل الناظر إليه ، والمقبل عليه ، ما
فيه من الجواهر ، والنجوم الزواهر ، بل الآيات البواهر ، وليسبح الله تعالى تعجباً
من قدرته جل وعلا ، ومواهبه التي عذب ماؤها التّميّز وحلا ، وليقل عند
تأمل دره النّظيم ﴿ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴾ (الحديد : ٢١) ؛ انتهى .

وقوله رحمه الله تعالى « وفي خطّه غلاقة » ليس المراد به إلا صعوبة الخط
المغربي على أهل المشرق حسبما يُعلم ممّا بعده ، وإلاّ فإن خط لسان الدين رحمه
الله تعالى محمود عند المغاربة ، ولتقتصر من هذا الغرض على ما ذكر ، فإن تتبعه
يطول ؛ إذ هو بحر لا ساحل له .

[نقل من الروض الأريض لابن عاصم]

وكان لسان الدين رحمه الله تعالى مؤثراً لقضاء حاجة مَنْ أمّله ، وقصد
بابه وأمّ له ، سواء كان من أودائه ، أو من أعدائه ، وقد ذكر الوزير الرئيس
الكاتب أبو يحيى ابن عاصم رحمه الله تعالى عنه في ذلك حكاية في أثناء كلام
رأيت أن أذكر جملة لما اشتمل عليه من الفائدة ، وهو أنّه ذكر في ترجمة
شموس العصر من ملوك بني نصر من كتابه المسمّى بـ «الروض الأريض » في
اسم السلطان الذي كان ابن الخطيب وزيره ، وهو الغني بالله محمد بن يوسف بن
إسماعيل بن فرج بن نصر الخزرجي ، بعد كلام ما صورته^١ : كان قد جرى
عليه التّمحيص الذي أزعجه عن وطنه إلى الدار البيضاء بالمغرب من إيالة بني
مّرين ، فأفادته الحنكة والتّجربة هذه السيرة التي وقف شيوخنا على حقيقتها ،
وانتهجوا واضح طريقتهما ، وبلغتنا منقولة بالسنة صدقهم ، معبراً عنها في عرف

١ أزهار الرياض ١ : ٥٨ - ٦٠ .

التخاطب بالعادة ، فلم يكن الوزير الكيس والرئيس الجهد يجريان من الاستقامة على قانون ، ولا يطردان من الصواب على أسلوب ، إلا بالمحافظة على ما رسم من القواعد ، والمطابقة لما ثبت من العوائد ، وكان ذوو النبل من هذه الطبقة وأولو الخلق من أرباب هذه المهن السياسية يتعجبون من صحة اختياره لما رسم ، وجودة تمييزه لما قصد ، ويرَوْن المفسدة في الخروج عنها ضربة لازب ، وأن الاستمرار على مراسمها أكد واجب ، فيتحرون بالالتزام كما تُتحرى السنن ، ويتوخونها بالإقامة كما تُتوخى الفرائض ، وسواء تبادرَ لهم معناها ففهموه ، أو خفي عليهم وجهُ رسمها فجهلوه ، حدثني شيخنا القاضي أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسيني أن الرئيس^١ أبا عبد الله ابن زَمَرْك دخل على الشيخ ذي الوزارتين أبي عبد الله ابن الخطيب يستأذنه في جملة مسائل مما يتوقف عادة على إذن الوزير ، وكان معظمها فيما يرجع إلى مصلحة الرئيس أبي عبد الله ابن زَمَرْك ، قال الشريف : فأَمْضَاهَا كُلَّهَا له ، ما عدا واحدة منها تضمنت نقض عادة مستمرة ، فقال له ذو الوزارتين ابن الخطيب : لا ، والله يا رئيس أبا عبد الله لا آذن في هذا ، لأننا ما استقمنا في هذه الدار إلاّ بحفظ العوائد .

ثم قال صاحب الروض : فلمّا تأذّنَ الله تعالى للدولة بالاضطراب ، واستحكم الوهن بتمكن الأسباب ، عدّلَ عن تلك القواعد الراسخة ، واستخف بتلك القوانين الثابتة ، فنشأ من المفاصد ما أعوزَ رَفْعُهُ ، وتعدد وتره وشفعه ، واستحكم ضرره حتى لم يمكن دَفْعُهُ ، وتعذر فيه الدواء الذي يُرْجى نفعه ، وكان قد صحبه من الجلد ما سنّى آماله ، وأنجح بإذن الله تعالى أقواله وأعماله ، فكان يجري الأمر على رسم من السياسة واضح ، ونظر من الآراء السديدة راجح ، ثم يخفه من الجلد سياج لا يفارقه إلى تمام الغاية المطلوبة من حصوله ، وتمكن مقتضى الإرادة السلطانية من فروعه وأصوله ؛ انتهى كلام ابن عاصم .

١ ص : الرانس ، حيشا وقعت .

وإذ جرى ذكره فلا بأس أن نلمع بشيء من أحواله ، لأن أهل الأندلس كانوا يسمونه ابن الخطيب الثاني ، فنقول :

[ترجمة أبي يحيى ابن عاصم]

هو الإمام العلامة الوزير الرئيس الكاتب الجليل البليغ الخطيب الجامع الكامل الشاعر المفلح النائر الحجة ، خاتمة رؤساء الأندلس بالاستحقاق ، ومالك خدام البراعة بالاسترقاق ، أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم ، القيسي الأندلسي الغرناطي ، قاضي الجماعة بهسا ، كان - رحمه الله تعالى - من أكابر فقهاؤها وعلمائها ورؤسائها ، أخذ عن الإمام المحقق أبي الحسن ابن سمعت ، والإمام القاضي أبي القاسم ابن سراج ، والشيخ الراوية أبي عبد الله المنتوري ، والإمام أبي عبد الله البياني ، وغيرهم ، ومن تأليفه شرح تحفة والده ، وذكر فيه أنه ولي القضاء سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، ومنها كتاب « جنة الرضى في التسليم لما قدر الله تعالى وقضى » وكتاب « الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريضة » كأنه ذيل به إحاطة لسان الدين ابن الخطيب ، وله غير ذلك ، وقد أطلت الكلام في ترجمته من كتابي « أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض »^١ .

ووصفه ابن فرج السبتي بأنه الأستاذ العليم الصدر المفتي القاضي رئيس الكتاب ، ومعدن السماحة ، ومنبع الآداب ، انتهى .

[نموذج من نثر ابن عاصم]

وقد تقدم بعض كلامه فيما مرّ ، ومن بديع نثره الذي يسلك به نهج ابن

١ انظر ص : ١٤٥ وما بعدها من الجزء الأول من أزهار الرياض .

الخطيب رحمه الله تعالى قوله من كلام جلبت جملته في «أزهار الرياض» ، واقتصر هنا على قوله بعد الحمدلة الطويلة ما صورته^١ : أمّا بعدُ فإن الله على كل شيء قدير ، وإنه بعباده لخبير بصير ، وهو لمن أهل نيّته ، وأخلص طويّته ، نعم المولى ونعم النصير ، بيده الرفع والخفض ، والبسط والقبض ، والرشد والغى ، والنشر والطي ، والمنح والمنع ، والضر والنفع ، والبطء والعجل ، والرزق والأجل ، والمسرّة والمساءة ، والإحسان والإساءة ، والإدراك والفوت ، والحياة والموت ، إذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون ، وهو الفاعل على الحقيقة وتعالى الله عمّا يقول الآفكون ، وهو الكفيل بأن يظهر دينه على الدين كلّه ولو كره المشركون ، وإن في أحوال الوقت الداهية لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وعبرة لمن يفهم قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ﴾ (الحج : ١٨) و﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة : ١) بينما الدسوت عامرة ، والولادة آمرة ، والفئة مجموعة ، والدعوة مسموعة ، والإمرة مطاعة ، والأجوبة سمعاً وطاعة ، وإذا بالنعمة قد كُفّرت ، والذمة قد خُفرت .

إلى أن قال : والسعيد من اتعظ بغيره ، ولا يزيد المؤمن عمره إلاّ خيراً جعلنا الله تعالى ممّن قضى عمره بغيره ، وبينما الفرقة حاصلة ، والقطيعة فاصلة ، والمضرة واصله ، والحبل في انبتات والوطن في شتات ، والخلاف يمنع رعّي متات ، والقلوب شتى من قوم أشتات ، والطاغية يتمطى لقصم الوطن وقضمه ، ويلحظه لحظ الحائف على هضمه ، والآخذ بكظمه ، ويتوقع الحسرة أن يأذن الله بجمع شمله ونظمه ، على رغم الشيطان ورغمه ، وإذا بالقلوب قد اختلفت ، والمتنافرة قد اجتمعت بعدما اختلفت ، والأفئدة بالألفة قد اقتربت إلى الله تعالى وازدلفت ، والمتضرعة إلى الله تعالى قد ابتهلت ، في إصلاح الحالة التي سلكت ، فألقت الحرب أوزارها ، وأدنت الفرقة النافرة مزارها ، وجلبت الألفة الدينية

١ أزهار الرياض ١ : ١٦٠ .

أنوارها ، وأوضحت العصمة الشرعية آثارها ، ورفعت الوحشة الناشئة أظفارها ،
 أعذارها ، وأرضت الخلافة الفلانية أنصارها ، وغضت الفئة المتعرضة أبصارها ،
 وأصلح الله تعالى أسرارها ، فجمعت الأوطان بالطاعة ، والتزمت نصيحة الدين
 بأقصى الاستطاعة ، وتسابقت إلى لزوم السنة والجماعة ، وألقت إلى الإمامة الفلانية
 يَدَ التسليم والضراعة ، فتقبلت فيئاتهم ، وأحمدت جيئاتهم ، وأسعدت
 آمالهم ، وارتضيت أعمالهم ، وكملت مطالبهم ، وتممت مآربهم ، وقضيت
 حاجاتهم ، واستمعت مناجاتهم ، وألستهم بالدعاء قد انطلقت ، ووجهتهم في
 الخلوص قد صدقت ، وقلوبهم على جمع الكلمة قد اتفقت ، وأكفهم بهذه
 الإمامة الفلانية قد اعتلقت ، وكانت الإدالة في الوقت على عدو الدين قد ظهرت
 وبرقت ، إلى أن قال : وكفّت القدرة القاهرة ، والعزة الباهرة ، من عدوان
 الطاغية غوائل ، بإعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فواتح وأوائل ،
 ومعلوم بالضرورة أن الله تعالى لطيف بعباده حسبما شهد بذلك برهان الوجود ،
 ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (إبراهيم : ٣٤) دليل على ما سوغ من
 الكرم والجلود ؛ انتهى المقصود منه ، وهو كلام بليغ ، ومن أراد جملة فعلية
 بأزهار الرياض .

[من نظم ابن عاصم]

ومن نظم ابن عاصم المذكور قوله مخاطباً شيخه قاضي الجماعة أباً القاسم
 ابن سراج ، وقد طلب الاجتماع به زمن فتنة ، فظن أنه يستخبره عن سر من
 أسرار السلطان ، فأعده معتذراً ، ولم يصدق الظن :

فديتك لا تسأل عن السرّ كاتباً فتلقاه في حال من الرشد عاظلاً
 وتضطره إمسا لحالة خائن أمانته أو خائض في الأباطل
 فلا فرق عندي بين قاضٍ وكاتبٍ وشيٍّ ذا بسرٍّ أو قضيٍّ ذا بباطل

[قصيدة لابن الأزرقي في مدحه]

ومن بديع ما نُظِم في مدح الرئيس أبي يحيى ابن عاصم المذكور قولُ العلامة
ابن الأزرقي رحمه الله تعالى :

خضعت لمعطفه الغصونُ الميسُ
ذو مبسم زهرُ الربى في كسبه
ومورّد من ورده أو ناره
فالورد فيه من دموعي يرتوي
كلت محاسنه فقد ناضر
صعب التعطف بالغرام حبيته
غرس الشوق ثم أغرى الوجد بي
ما كنت أشقى لو حللت بجنة
الحاظه ورضابيه وعذاره
وليال أنس قد أمنت بهن من
أطلعت شمس الراح فيها فاهتدى
صفراء كالعقيان في الألوان لا
صبت شقيقاً فاستحالت نرجساً
وحباها يغنى بأسنى جوهر
يُجلى بها للغم منها حندساً
حتى إذا عمشت مِرآة البدر من
ناديته وسنا الصباح مُحَضَّض
يا مطلع الأنوار زهراً يجتنى
بك مجلس الأنس اطمأن وبابن عا
بدر بأنوار الهدى متطلع

ورنا فهام بمقلتيه النرجس
متنافس عن طيبه متنفس
يتنعم القلب العميد ويأس
والنار فيه من ضلوعي تُقبس
ولوا حظ نُجِّل ونغر العس
فالحب يُحني والتعطف يُحبس
فالوجد يُغري والشوق يُغرس
من وصله تحيا لديها الأنفس
حور بها أو كثر أو سندس
واش ينم ومن رقيب يحرس
عاش إلينا في الدجى ومُغلس
ندمان كالشهبان منها أكوس
في مزجها فمورّد ومورس
أنفَى لغم المعدمين وأنفس
قمر عليه من الذؤابة حندس
صبح بدا تلقاه إذ يتنفس
ينجاب عنه من الظلام معس
ومشعشع الصهباء ناراً تلمس
صم اطمأن من الرياسة مجلس
غيث بأشتات الندى متبجس

حامى فلم ترتع لخطب يعتري
 شيم مهذبة ، وعلم راسخ
 لو كان شخصاً ذكره لبدا على
 ذاكم أبو يحيى به تحمى العلا
 بيت على عمدة الفخار مطنب
 خيم وعرس في حماه فكم حوى
 إنا لنغدو هيماً فينبلنا
 حتى أقمننا والأمانى منهضاً
 لم ندر قبل يراعيه وبنانه
 هن اليراع بها يؤمن خائف
 مهما انبرت فهي السهام يرى لها
 يشفى بمأمله الشكي المعتري
 فتقص حين تشق منها ألسن
 من كل وشاء بأسرار النهى
 قد جمع الأضداد في حركاته
 عطشان ذو ري ، ييس مثمر ،
 لله من تلك اليراع جواذب
 روضنا شماس القول في أوصافها
 وإليكها حللاً تشابه نسجها
 واهناً بعيد باسم متهلل
 وأحبس لواء الفخر موقوفاً فإن
 ووفى فلم نحفل بدهر يبخص
 ومكارم هتن ، ومجد أقعس
 أعطافه من كل حمد متلبس
 وبه خلال الفخر طراً تحرس
 مجد على متن السماك مؤسس
 فيه المراد مخيم ومعرس
 رياً ويوحشنا النوى فيؤنس
 ت وابتمنا والزمان معبس
 أن الذوايل بالغمام تبجس
 ويحاط مدعور ، ويعنى مفلس
 وقع لأغراض البيان مقرطس
 يحيا بمأمنه الحمام المؤيس
 وتسير حين تقط منها أروس
 درب بإظهار السرائر يهجس
 فلذا اطراد فخاره لا يعكس
 غضبان ذو صفح ، فصيح أخرس
 للسحر منك كأتها المغنيطس
 فهي التي راضت لنا ما يشمس
 مثلي يفصلها ومثلك يلبس
 وإفاك يجهر بالسرور ويهمس
 الحمد موقوف عليك محبس

قلت : وعندي الآن شك في صاحب هذه القصيدة ، هل هو قاضي الجماعة
 بغرناطة محمد بن الأزرق أو ابن الأزرق الثاني القائل فيما يكتب على السيف :

إن عَمَّتْ الأفقَ من نَقعِ الوغى سَحُبٌ فَشِمٌ بها بارقاً من لمع إيماضي
وإن نَوَتْ حركاتُ النصرِ أرضَ عِيداً فليس للفتحِ إلاّ فعليّ الماضي
والله سبحانه أعلم .

[رسالة ابن عاصم إلى ابن طركاط]

ومن إنشاء الرئيس ابن عاصم المذكور ما كتب به يخاطب الكاتب أبا القاسم
ابن طركاط ، وهو : « القضاء — حفظ الله تعالى كمالك ، وأنجح آمالك — إذا
لم يحطه العدلُ من كلا جانبيه سبيلٌ معوجٌ ، ومذهب لا يوافق عليه مُناظر
ولا ينصره محتجٌ ، كما أنّه إذا حاظه العدلُ جادة للنجاة ، وسببٌ في حصول
رحمة الله تعالى المرتجاة ، وسوق لنفاق بضاعة العبد المزجاة ، وأجمل العدل
ما تحلى به في نفسه الحكم ، وجرى على مقتضى ما شهدت به الآراء المشهورة
والحكم ، حتى يكون عن البغي رادعاً ، وبالقسط صادعاً ، ولأنف الأنفة
من الإذعان للحق جادعاً ، وأنت أجلك الله تعالى على سعة اطلاعك ، وشدة ساعد
قيامك بالطريقة واضطلاعك ، ممن لا يُنَبَّه على ما ينبغي ، ولا يرد على طلبته
من الإنصاف المبتغي ، فلك في الطريقة القاضية التبريز ، وأنت إذا كان غيرك
الشبه الذهبُ الإبريز ، ولعلمية عدلك التوشية بالنزاهة والتطريز ، وليتني كنت
لمظهرك الحكمي حاضراً ، ولإعلام القضية بآرائك المرتضاة محاضراً ، والوازع
قد تمرّسَ بالخصوم ، وجعل المتصدي للإذن في محل المخصوم ، وأنت حفظك
الله تعالى قد قمت من غلظ الحجاب بالمقام المعصوم ، ومثلت من سعة المنزل
في الفضل والطول كالشهر المصوم ، والباب قد سُد ، وداعي الشفاعة قد رُد ،
والميقات للإذن قد حُد ، ومطلب الأجرة المتعارفة قد بلغ الأشد ، حتى إذا قضي
الواجب ، وأذن في دخول الخصمين الحاجب ، وكبح السابقين إلى الحد الذي

لا يَعدُّونه ، وحفز^١ إيماءه مَنْ تعداه أو وقف دونه ، وقد حصل باللحظ واللفظ التساوي ، وأنتج المطالب الأربعة هذا اللازم المساوي ، ومجلسك قد رجح وقاره برضوى ، ومجتلاك قد فضح نوره البدر الأضواء ، وقد امتزت عن سواك من القضاة بمراسم لا تليق بجملتهم معارفها ، وتخصصت عنهم بملايس تعج عجيجاً من جذامهم مطارفها^٢ ، بحيث تحد لخلع النعلين حداً لا يتجاوز طواه ، وتسد في بعض الأوقات الباب سداً لا تُرقع بالمحاجر كواه^٣ ، وتفصل بين الخصمين أحياناً بالنية^٤ دون الكلام ولكل امرئ ما نواه .

« وهذه أعانك الله تعالى مكملات من العدل في الحكم وقف عياض دون تحقيق مناطها ، وأعيت ابن رشد فلم يهتد ببيانه ولا تحصيله لاستنباطها ، فما بال النازحة^٥ عنك حساً ومعنى ، النازلة من تقاضي دينك بمنزلة المطول المعنى ، المعتقلة من ملكة رقل بحيث أقصاها لاعمج الشوق ، المعذبة من الصبابة فيك بما شب عمّره عن الطوق ، تتنفس الصعداء مما تشاهده منك من مبتدعات الجور ، وتردد البكاء على ضياع ما استعار الحسن لصفاتها من النجد والغور ، وتقضي العجب ممّا تسمع من عدلك الذي لم تجتدل لمحة من نوره ، ومن حلمك الذي أشقاها^٦ فلم تحضر لدكة طوره ، وتستصوب أنظار النحاة في منع التهيئة والقطع في العامل ، وتستجلب اصطلاح العروضيين في المديد والبسيط دون الطويل والكمال ، فهلاً راجعت فيها النظر ، وأنجزت لها الوعد المنتظر ، وكففت من

١ ص : وأحفز ؛ ق : وأحقر .

٢ إشارة إلى قول الشاعرة :

شكا الخز من روح وأفكر ريحه وعجت صجيحاً من جذام المطارف

٣ من قول الشاعر : « ورقن الكوى بالمحاجر » وأصله قول المثقّب العبدى « وثقبن الوساوس لليون » .

٤ ق ص : بالبيئة .

٥ أخذ يتحدث هنا - بضمير المؤنث - عن رسالة لم يحفل القاضي برد جوابها .

٦ ص : أشقاها المجد .

عيونها دموعاً مستهلة ، واجتليت من جبينها الوضاح ما أخجل بدوراً مشرقة وأهيلة ، ولم تحوجها إلى أن ينطق قرينها^١ الروحاني بالشعر على لسانها ولسانك ، ولم تضطرها في هذه المعاملة إلى ما لا ترتضيه من كفر إحسانك ، والعدر أظهر ، والبرهان أبهر ، وخلافك في العالم أشهر ، وأنت إن لم يكن ما يعصم الله تعالى منه لمقتضى الطبيعة أقهر .

« وقد أدرجتُ لك في طي هذا ما يصل إلى يدك ، وتلهج به في يومك وغدك ، منتظرة منك إطفاء الجوى بالجواب ، ومحو ما سبق من الخطأ بالخطاب ، إن شاء الله تعالى ، والله تعالى يصل سعادته ، ويحفظ مَجَادته ، ومعاد السلام من الشاكر الذاكر ابن عاصم وفقه الله تعالى في أوائل ذي الحجة عام خمسة وأربعين وثمانمائة » انتهى ، وهو ممّا لم أذكره في « أزهار الرياض » .

[ظهير بتقديم ابن عاصم للنظر في أمور الفقهاء]

ولنذكر هنا الظهير الذي جلبته فيها^٢ بتقديم المذكور للنظر في أمور الفقهاء وغيرهم ، ونصّه : هذا ظهير كريم إليه انتهت الظواهر شرفاً عليّاً ، وبه تقررت الآثار برهاناً جليّاً ، وراقت المفاخر قلائد وحليّاً ، وتميزت الأكابر الذين افتخرت بهم الأقلام والمحابر ، اختصاصاً مولويّاً . فهو وإن تكاثرت المرسومات وتعددت ، وتوالت المنشورات وتجددت ، أكبر^٣ مرسوم تتم في الاعتقاد نظراً خطيراً ، وأحكم في التفويض أمراً كبيراً ، وأبرم في الاستخلاص عزماً أيّساً . اعتمد بمسطوره العزيز ، واختص^٤ بمنشوره الذي تلقّاه اليُمنُ بالتعزير ، من لم يزل

١ قرينها : سقّلت من ق .

٢ فيها : يعني في أزهار الرياض ؛ انظر ج : ١ ص : ١٧٢ .

٣ ق : أكرم .

٤ ق : واختبر .

بالتعظيم حقيقاً ، وبالإكبار خليفاً ، وبالإجلال حرّياً . فهو شهير لم يزل في الشهرة سابقاً ، هادٍ لم يزل بالهدى ناطقاً ، بليغ لم يزل بالبلاغة درّياً ، عظيم لم يزل في النفوس معظماً ، علم لم يزل في الأعلام مقدماً ، كريم لم يزل في الكرام سنيماً . اشتملت منه محافل الملك على العقد الثمين ، وحلّت به المشورة في الكنف المحوط والحرم الأمين ، فكان في مشكاة الأمور هادياً ، وفي ميدان المرشد جرّياً . فللى مقاماته تبلغ مقامات الإخلاص ، وإلى مرتبته تنتهي مراتب الاختصاص ، فيمن حاز خصلاً ، وزين حقلاً ، وشرف ندياً . واستكمل همماً ، واستحمل قلماً ، واستخدم مشرفياً . فله ما أعلى قدر هذا الشرف ، الجامع بين المتلد والمطرف^١ ، السابق في الفضل أمداً قصيباً . الحال من الاصطفاء مظهرأ ، الفارع من العلاء منبرأ ، الصاعد من العز كرسيأ . حاز الفضل لإرثاً وتعصياً ، واستوفى الكمال حقاً ونصيأ ، ثناء أرجه كالروض لو لم يكن الروض ذابلاً وهدياً . نوره كالبدر لو لم يكن البدر آفلاً ، ومجد علوه كالسها لولم يكن السها خفيأ . فما أشرف الملك الذي اصطفاه ، وكل له حق التقريب ووفاه ، وأحلّه قرارة التمكين ، ومن اختصاصه بالمكان المكين ، فسبق في ميدان التفويض وشأى^٢ ، ورأى من الأنظار الحميدة ما رأى ، صادعاً بالحق إماماً علماً ، موضحاً من الدين نهجاً أمماً ، هادياً من الواجب صراطاً سويأ . بانياً للمجد صرحاً مشيداً ، مشهراً للعدل قولاً مؤيداً ، مبرماً للخير سبباً قويأ . فآله تعالى يصل لمقام هذا الملك الذي طلع في سمائه بدرأ دونه البدر ، وصدرأ تلوذ به الصدور ، سعدأ لا تمطّله الأيام في تقاضيه ، ونصرأ يمضي به نصل الجهاد فلا يزال ماضيه ، على الفتح مبنيأ . ويوالي له عزاً يدود عن حرم الدين ويمنحه تأييداً^٣ يصبح في أعناق الكفر حديث سيفه قطعياً .

١ ق : والطارف .

٢ الأزهار : وساء ؛ ق : وشاء .

٣ هكذا في الأزهار ؛ وفي ص : وخيفة وتأييداً ، واللفظتان على الرفع في ق .

أمر به مرسوماً عزيزاً لا تبلغ المرسومات إلى مداه ، ولا يبدى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه ، عبد الله أمير المسلمين محمد الغالب بالله أيّد الله تعالى مقامه ، ونصر أعلامه ، وشكر إنعامه ، ويسرّ مرامه ، لإمام الأئمة وعلم الأعلام ، وعماد ذوي العقول والأحلام ، وبركة حملة السيوف والأقلام ، وقُدوة رجال الدين وعلماء الإسلام ، الشيخ الفقيه أبي يحيى ابن كبير العلماء ، شهير العظماء ، حجة الأكابر والأعيان ، مصباح البلاغة والبيان ، قاضي القضاة وإمامهم ، أوجد الجليّة وطود شمامهم ، الشيخ الفقيه أبي بكر ابن عاصم أبقاه الله تعالى ، ومناطق الشكر له فصيحة اللسان ، ومواهب الملك به معهودة الإحسان ، وقلائد الأيادي منه متقلدة بجيد كل إنسان ، قد تقرّر والمفاخر لا تُنسب إلا لبنيها ، والفضائل لا تعتبر إلا بمن يشيد أركانها ويبنيها ، والكمال لا يُصفي سرّبه ، إلا لمن يؤمن سرّبه ، أن هذا العلم الكبير ، الذي لا يفي بوصفه التعبير ، علم بآثاره يقتدى ، وبأنظاره يهتدى ، وبإشارته يستشهد ، وبإدارته يسترشد ، إذ لا أمد علو إلا وقد تخطاه ، ولا مركب فضل إلا وقد تخطاه ، ولا شارقة هدى إلا وقد جلاها ، ولا لبة فخر إلا وقد حلاها ، ولا نعمة إلا وقد أسداها ، ولا حرمة إلا وقد أبداها ، لما له في دار الملك من الخصوصية العظمى ، والمكانة التي تسوغ النعمى ، والرتب التي تسمو العيون إلى مُرتقاها ، وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتتلقاها ، حيث سر الملك مكتوم ، وقرطاسه مختم ، وأمره محتوم ، والأقلام قد روضت الطروس وهي ذاوية ، وقسمت الأرزاق وهي طاوية ، شقت ألسنتها فنطقت ، وقطّعت^٢ أرجلها فسبقت ، ويبست فأثمرت إنعاماً ، ونكست فأظهرت قواماً ، وخطت فأعطت ، وكتبت فوهبت ، ومشقت فرفقت ، وأبرمت فأنعمت ، فكم يسرت الجبر ،

١ ص : على (علا) .

٢ ق : وقطعت .

وعفرت الهيزبر ، وشنتفت المسامع ، وكيثفت المطامع ، وأقلت فيما ارتفع
من المواضع ، وأحلت لما امتنع من المراضع ، فهي تنجز النعم ، وتحجز النقم ،
وتبث المذاهب ، وتحث المواهب ، وتروض المراد ، وتنهض المراد ، وتحرس
الأكناف ، وتغرس الأشراف ، مصيخة لنداء هذا العمداد الأعلى ، طامحة لمكانه
الذي سما واستعلى ، فيما يملئ عليها من البيان الذي يقر له بالفضيل ، الملك الضليل ،
ويشهد له بالإحسان ، لسان حسان ، ويحكم له بيري القوس^١ ، حبيب بن أوس ،
ويهم بما من الأساليب عنده ، شاعر كنده ، ويستمطر سحبه الثرة ، فصيح
المعرة ، إلى منشور تزيل الفقر فيقره ، وتدرّ الرزق درره ، لو أنهى إلى قس
إياد لشكر في الصنعة أياديه ، واستمطر سحبه وغواديه ، أو بلغ إلى سحبان
لسحره ، وما فارقه عشيته ولا سحره ، ولو رآه الصابي لأبدى إليه من صبوته
ما أبدى ، أو سمعه ابن عباد لكان له عبدا ، أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائعه ،
واستنزر بضائعه ، أو تحف به البستي لاتخذة بستانا ، أو عرض على عبد الحميد
لأحمد من صوبه هتانا ، فأعظم به من عال لا ترقى ثنيته ، ولا تحاز مزيته ،
ولا يترجم أفقه ، ولا يكرم حقه ، ولا ينال له عن اكتساب الحمد ناظر ، ولا
ينقاس به في الفضل مناظر ، وهل تقاس الأجادل بالغاث ، أو الحقائق بالأضغاث ؟
ألا وإن بيته هو البيت الذي طلع في أفقه كل كوكب وقاد ، ممتن وشج
به للعلوم اتقاء وانتقاد ، وتراعى به للمدارك ذكاء وانتقاد ، فأعظم بهم أعلاماً
وصدوراً ، وأهلاً وبدوراً ، خلدت ذكرهم الدواوين المسطرة ، وسرت في
محامدهم الأنفاس المعطرة ، إلى أن نشأ في سمائهم هذا الأوحاد ، الذي شهرة
فضله لا تجحد ، فكان قمرهم الأزهر ، ونيرهم الأظهر ، ووسيلة عقدهم
الأنفس ، ونتيجة مجدهم الأفعس ، فأبعد في المناقب آماده ، ورفع الفخر وأقام
عماده ، وبني على تلك الأساس المشيدة ، وجرى لإدراك تلك الغايات البعيدة ،

١ ق : بيرة النفوس .

فسبق وجلّتي ، وشنّف بذكره المسامع وحلّتي ، ورفع المشكل ببيانه ، وحرر
 الملتبس ببرهانه ، إلى أن أحله قضاء الجماعة ذروة أفقه الأصعد^١ ، وبوّأه عزيز
 ذلك المقعد ، فشرّف الخطوة ، وأخذ على الأيدي المشتطة ، لا يراقب إلا ربّه ،
 ولا يضمّر إلا العدل ووجهه ، والمجلس السلطاني أسماه الله تعالى يختصه بنفسه ،
 ويفرغ عليه من حبل الاصطفاء ولبسه ، ويستمطر فوائده ، ويجرب بأنظاره
 حقوق الملك وعوائده ، فكان بين يديه حكماً مُقسّطاً ، ومقسماً لحظوظ
 الإنعام مُقسّطاً ، إلى أن خصّه بالكتابة المولوية ، ورأى له ذلك حق الأولوية ،
 إذ كان والده المقدس نعم الله تعالى ثراه ، ومنحه السعادة في أخراه ، مشرّف ذلك
 الديوان ، ومعلي ذلك الإيوان ، يجبر رقاع الملك فتروق ، وتلوح كالشمس
 عند الشروق ، فحلّ ابنه هذا^٢ الكبير شرفاً ، الشهير سلفاً ، مرتبته التي سمّت ،
 وافتقرت به عن السعد وابتسمت ، فسحبت به للشرف مطارف ، وأحرزت به
 من الفخر التالد والطارف ، فهو اليوم في وجهها غرّة ، وفي عينها قرّة ، والله
 هو في ملاحظة الحقائق ورعيها ، وسمع الحجج ووعيتها ، فلقد فضل بذلك أهل
 الاختصاص ، وسبقهم في تبين ما يشكل منها وما يعتاص ، إذ المشكلة معه
 جليلة الأغراض ، والآراء لديه آمنة من مأخذ الاعتراض ، فكم رتبة عمرها
 بذويها ، فأكسبها تشريفاً وتنويها ، وعلى ذلك فأعلام قضاة الوطن ، ومن عبّر
 منهم وقطن ، مع أقدارهم السامية ، ومعاليهم التي هي للزهر مسامية ، إنّما
 رقتهم وساطته التي أحسنت ، وزينت بهم المجالس وحسّنت ، فيه^٣ أمضوا
 أحكامهم ، وأعملوا في الأباطيل احتكامهم ، وكتبوا الرسوم ، وكتبوا
 الخصوم ، وحلوا دسّت القضاء ، وسلوا سيف المتضاء ، وفي زمانه تخرّجوا ،

١ ق : الأسعد .

٢ ص : ذلك .

٣ كذا في ص ق ؛ وفي الأزهار : فيه .

وفي بستانه تأرجوا ، ومن خلقه اكتسبوا ، وإلى طرقة انتسبوا ، وعلى موارد
حاموا ، وحول فوائده قاموا ، وبتعريفه عُرِفوا ، وبتشريفه شرفوا ، وبصفاته
كَلِفُوا ، وبعرفاته وقفوا ، فأَمِنُوا مع انسكاب سحب إفادته من الجَدْب ،
وقاموا بذلك الفرض بسبب ذلك التدب ، وهل العلماء وإن عمّت فوائدهم ،
وانتظمت بجياد الأذهان فرائدهم ، إلا من أنواره مستمدون ، وإلى الاستفادة
من أنظاره ممتدون ، وببركاته معتدون ، وبأسبابه مشتدون ، فبه اجتُنيت من
أفنان المناير ثمراتهم ، وتأرجت في روضات المعارف زهراتهم ، وبه عمروا
الخلق ، واثلق من أنوارهم ما اثنق ، إذ كل من اصطناعه محسوب ، وإلى
بركته منسوب ، فهو بدرهم الأهدى ، وغيثهم الأجدى ، وعقدتهم المقتنى ،
وروضهم المجتنى ، وبدر منازلهم ، وصدر محافلهم .

وعلى ما أعلى المقام المولوي من مكانه ، وقضى به من استمكانه ، واعتمد
من إبرامه ، وأبرم من اعتماده ، ومهد من لإكرامه ، وكرم من مهاده ، واختص
من علاه ، وأعلى من اختصاصه ، واستخلص من حُلاه ، وحلا من استخلاصه ،
ووفى من تكرمه ، وكرم من وفائه ، واصطفى من مجده ، ومجد من اصطفاؤه ،
وقدم من براعته ، وحكم من يراعته ، وشقق من كتابته ، وأنطق من خطابته ،
وسجل من أنظاره ، وعجل من اختياره ، فذكا ذكره ، وسطا سطره ، وأمعن
معناه ، وأغنى مغناه ، أشار أيده الله تعالى باستئناف خصوصيته وتجديدها ،
وإثبات مقاماته وتحديدها ، لتعرف تلك الحدود فلا تُتخطى ، وتُكبر تلك
المراتب فلا تُستعصى ، فأصدر له شكر الله تعالى لإصداره ، وعمر بالنصر داره ،
هذا المنشور الذي تأرج بمحامده نَشْرُه ، وتضمن من مناقبه البديع فراق
طيه ونَشْرُه ، وغدا وفرائد المآثر لديه موجدة مكونه^١ ، وأصبح للمفاخر مالكا
لما أتى به مدونه ، وخصه فيه بالنظر المطلق الشروط ، الملازم للتفويض ملازمة

١ ق : مكنونه ؛ ص : مكنونه .

الشرط للمشروط ، المستكمل للفروع والأصول ، المستوفي الأجناس والفصول ، في الأمور التي تختص بأعلام القضاة الأكابر ، وكتاب القضاة ذوي الأعلام والمحابر ، وشيوخ العلم وخطباء المنابر ، وسائر أرباب الأقسام القاطن منهم والعابر ، بالحضرة العلية ، وجميع البلاد النصرية ، تولى الله تعالى جميع ذلك بمعهود ستره ، ووصل لديه ما تعود من شفيع اللطف ووتره ، يحوط مراتبهم التي قُطفت من روضاتها ثمرات الحكم وجُنِيَتْ ، ويراعي أمورهم التي أقيمت على العوائد وبُنِيَتْ ، وحقوقهم التي حُفِظَتْ لهم في المجالس السلطانية ورُعِيَتْ ، ويحل كل واحد منهم في منزلته التي تليق ، ومرتبته التي هو بها خَلِيق ، على ما يقتضي ما يعلم من أدواتهم ، ويخبر من تباين ذواتهم ، ويرشّح كل واحد إلى ما استحقّه ، ويؤتي كل ذي حق حقه ، اعتماداً على أغراضه التي عدلت ، وصدحت على أفنانها من الأفواه طيور الشكر وهَدَلَتْ ، واستناداً في ذلك إلى آرائه ، وتفويضاً له في هذا الشأن بين خلصاء الملك وظُهِرَآئِه ، وذلك على مقتضى ما كان عليه أعلام الرياسة الذين سبقوا ، وانتهضوا بهمهم واستبقوا ، كالشيخ الرئيس الصالح أبي الحسن ابن الجيّاب ، والشيخ ذي الوزارتين أبي عبد الله ابن الخطيب ، رحمهما الله تعالى .

فليقم أبقاه الله تعالى بهذه الأعمال التي سَمَتَ واعتزّت ، ومالت بها أعطاف العدل واهتزّت ، وسار بها الخبر حيث السرى ، وصار بها الحق مشدود العرى ، وعلى جميع القضاة الأمضياء ، والعلماء الأرضياء ، والخطباء الأولياء ، والمقرئين الأركياء ، وحملّة الأقسام الأحظياء ، أن يعتمدوا هذا الولي العماد في كل ما يرجع إلى عوائدهم ، ويختص في دار الملك من مراتبهم وفوائدهم ، وما يتعلق بولاياتهم وأمنياتهم ، ويليق بمقاصدهم ونياتهم ، فهو الذي يسوغهم المشارب ، ويبلغهم المآرب ، ويستقبل العلي بالعلي ، والعاطل بالخلي ، والمشكل بالجلي ، والمفرق بالتاج ، والمقدمة بالإنتاج ، وعلى ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرهم على ولاياتهم وأبقاهم ، ولقاهم من حفظ المراتب ما رقاهم ، فليجروا

على ما هم بسبيله ، وليهتدوا بمرشد هذا الاعتناء ودليله ، وكتب في صفر عام سبعة وخمسين وثمانمائة ؛ انتهى .

قلت : وإنما أتيت به لوجه : أحدها ما يتعلق بلسان الدين إذ وقعت الإشارة إلى مرتبته في آخره ، والثاني ما اشتمل عليه من الإنشاء الغريب ، والثالث معرفة حال الرئيس أبي يحيى ابن عاصم وتمكّنه من الرياسة ، لأننا بنينا هذا الكتاب على ذكر ما يناسبه من أنباء أهل المغرب ، لكون أهل هذه البلاد المشرقية ليس لهم بها عناية ، والرابع أن بعض أكابر شيوخننا ممن أُلّف في طبقات المالكية لما عرّف بأبي يحيى ذكره في نحو أسطر عشرة ، وقال : هذا الذي حضرني من التعريف به ، والخامس أن ابن عاصم المذكور كما قاله الوادي آشي وغيره كان يدعى في الأندلس بابن الخطيب الثاني ، ويعنون بذلك البلاغة والبراعة والرياسة والسياسة .

رجع إلى أخبار لسان الدين فنقول :

وأما كتب التأليف باسم لسان الدين رحمه الله تعالى ، فقد قال في «الإحاطة» لما أجرى ذكر ذلك ما صورته: وأما ما رفع إليّ من الموضوعات العلمية ، والوسائل الأدبية ، والرسائل الإخوانية ، لما أقامني الملك صنماً يعتمد ، وخيلاً إليه يستند ، صادرة عن الأعلام ، وحملتة الأقلام ، ورؤساء النثر والنظام ، فجَمَّ يضيق عنه الإحصاء ، ويعجز عن ضم نشره الاستقصاء ، وربما تضمن هذا الكتاب كتاب «الإحاطة» منه كثيراً ، ومنظوماً أثيراً ، ودرّاً ثيراً ، جرى في أثناء الأسماء ، وانتمى إلى الإجابة أكرم الانتماء ، غفر الله تعالى لي ولقائله ، فما كان أولاني وإياه بستر زوره ، وإغراء الإضراب بغروره ، فأهون بما لا ينفع ، وإن ارتفع الكلم الطيب لا يرفع ، اللهم تجاوز عنا بفضلك وكرمك ؛ انتهى .

وقد تقدم في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي الفاسي نزيل مألقة وصاحب التأليف العديدة أنه أُلّف تقييداً على قواعد الإمام القاضي

أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى برسم ولد لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى ، وكذلك غير واحد من أهل عصره ، قصدوه بالنظم والنثر ، وهي سنة الله سبحانه وتعالى في عبادته ، إذ السلطان سوق يُجَلَّبُ إليها ما ينفق فيها ، والله سبحانه وتعالى وليُّ المكافأة ، لا ربَّ غيره ، ولا مأمول سواه^١ ؛ انتهى .

١ ص : ولا . . . سواء : سقطت من ص ؛ وإلى هنا انتهت نسخة ص ، وفي آخرها « انتهى الجزء الثالث من نفع الطيب تاريخ الإمام العالم العلامة أحمد المقرئ المالكي » .

الباب الخامس

في إيراد جملة من نثره الذي عتيق أربيعُ البلاغة من نفعاته ، ونظمه الذي تألق نور البراعة من لمحاته وصفحاته ، وما يتصل به من أزجاله وموشحاته ، ومناسبات راققة في فنون الأدب ومصطلحاته .

اعلم — سلك الله تعالى بي وبك أوضح محجة ، وجعلنا ممن انتحى صوب الصواب ونهجه — أن هذا الباب ، هو المقصود بتأليف هذا الكتاب ، وغيره كالتبّع له ، وها أنا أذكر ما حضرني الآن من بنات أفكار لسان الدين التي هي بالمحاسن متقنة ، وللبدائع متغلة ، فأقول :

أما نثره فهو البحر الزخار ، بل الدر الذي به الافتخار ، وناهيك أن كتبه الآن في المغرب قبلة أرباب الإنشاء التي إليها يصلون ، وسوق دررهم النفيسة التي يزينون بها صدور طروسهم ويحلون ، وخصوصاً كتابه «ريحانة الكتاب ونجمة المنتاب» فإنه ، وإن تعددت مجلداته ، على فن الإنشاء والكتابة مقصور ، وقد اشتمل على السلطانيات وغيرها ومخاطباته لأهل المشرق والمغرب على لسان ملوك الأندلس الذين عكّم بلاغتهم منصور ، وقد تركت نسختي منه في المغرب ، ولو حضرني لكفتني عن هذه الفوائد التي أتعبت خاطري في جمعها من مقيداتي التي صحبتها معي ، وهي قليلة .

وقد مرّ في هذا الكتاب جملة من نثره ونظمه ، والذي نجلبه هنا زيادة على ما سبق .

وقال رحمه الله تعالى في «الإحاطة» عند ترجمة نثره ما صورته : وأما النثر

فبحر زاهر ، ومدى طوله مستاخر ، وإنك لم يفخر عليك كفاخر ، وقد مرّ منه في تضاعيف هذا الديوان كثير ، ونحن نجلب منه ما يشير إليه مُشير ؛ انتهى .

١ - فمن ذلك قوله في غرض التحميد ممّا افتتح به الكتاب في التاريخ المتضمن دولة بني نصر^١ : « الحمد لله الذي جعل الأزمنة كالأفلاك ، ودول الأملاك كأنجم الأحلاك ، تطلعها من المشارق نيرة ، وتلعب بها مستقيمة أو متحيرة ، ثم تذهب بها غائرة متغيرة ، السائق^٢ عَجَل ، وطبع الوجود مرتجل ، والحى من الموت وجِل ، والدهر لا معتذر ولا خَجَل ، بينما ترى الدّست عظيم الزحام ، والموكب شديد الالتحام ، والوزعة تشير ، والأبواب يقرعها البشير ، والسرور قد شمل الأهل والعشير ، والأطراف تلتهمها الأشراف ، والطاعة يشهرها الاعتراف ، والأموال يحوطها العدل أو يبيحها الإسراف ، والرايات تُعقّد ، والأعطيات تُنفّد ، إذ رأيت الأبواب مهجورة ، والدسوت لا مؤمّلة ولا مزورة ، والحركات قد سكنت ، وأيدي الإدالة قد تمكنت ، فكأنما لم يسمر سامر ، ولا نبى ناه ولا أمر آمر ، ما أشبه الليلة بالبارحة ، والغادية بالرائحة ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾ (الكهف : ٤٥) .

٢ - ومن نثره قوله في استدعاء إمداد وحضّ على الجهاد : « أيها الناس رحمكم الله تعالى ، إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دهم العدو قصمه الله تعالى ساحتهم ، ورام الكفر خذله الله تعالى استباحتهم ، وزحفت أحزاب الطواغيت إليهم ، ومد الصليب ذراعيه عليهم ، وأيديكم بعزة الله تعالى أقوى ، وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى ، وهو دينكم فانصروه ، وجواركم الغريب فلا تخفروه ، وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه ، الجهاد الجهاد فقد تعين ،

١ يريد كتاب اللحة البدرية ، انظر مقدمته ص : ٩ .

٢ اللحة : السابق .

الجارّ الجارّ فقد قرر الشرع حقه وبيّن ، الله الله في الإسلام ، الله الله في أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله ، الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله ، قد استغاث بكم الدين فأغيثوه ، قد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه ، أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة أعانكم الله تعالى عند الشدائد ، جدّدوا عوائد الخير يصل الله تعالى لكم جميل العوائد ، صلوا رحم الكلمة ، واسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة ، كتاب الله بين أيديكم ، وألسنة الآيات تنادىكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله سبحانه يقول فيه ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم ﴾ (الصف : ١٠) ومما صح عنه قوله « من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمهما الله على النار » « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم » « من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا » ، أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت ، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت ، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عبادته ، جاهدوا في الله بالألسن والأقوال حتى جهاده :

ماذا يكون جوابكم لنيكم وطريقُ هذا العذر غير ممهّد
إن قال لم فرّطتم في أمّي وتركتموهم للعدوّ المعتدي
تالله لو أنّ العقوبة لم تُخَفْ لكفى الحيا من وجه ذلك السيّد

اللهم اعطف علينا قلوب العباد ، اللهم بث لنا الحميّة في البلاد ، اللهم دافع عن الحريم والضعيف والأولاد ، اللهم انصرنا على أعدائك ، بأحبابك وأوليائك ، يا خير الناصرين ، اللهم أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً . انتهى .

٣ — ومن ذلك قوله في صداق أمره السلطان بإنشائه لكبير الشرفاء بفاس في فصل منه تضمن ذكر أوليتهم واستيطانهم لتلك المدينة ما صورته :
« فضرِب بفاس — عمرها الله تعالى — حلته ، وأورث منها بالبقعة الزكية

الرفيعة سرائه وجلته ، فتبواؤا من ذلك الغور ، المعشب الروض الأرج النور ،
هالة سعد ، وأفق برق ورعد ، ودست وعيد ووعد ، يتناقلون رُتَبَ الشرف
الصريح كابرآ عن كابر ، ويروي مسلسل المجد عن بيتهم الرفيع الجدد كل حريص
على عوالي المعالي مثابر :

فالكف عن صلة ، والأذن عن حسن والعين عن قرّة ، والقلب عن جابر
حيث الأنوف الشّم والوجوه العُر ، والعزة القعساء والنسب الحر ، والفواطم في
صدف الصون من لدن الكون كأنهن الدر ، آل رسول الله ونعم الآل ، والموارد
الصادقة إذا كذب الآل ، ومن إذا لم يُصَلَّ عليهم في الصلاة حَبِطَتْ منها الأعمال ،
طلبة الراكب ، ونشدة الطالب ، وسراة لؤي بن غالب ، وملتقى نور الله
تعالى ما بين فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب . انتهى ، وهو طويل لم يحضرني
منه الآن سوى ما ذكرته .

٤ - ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى : كتبت إلى بعض السادة الفضلاء ،
وقد بلغني مرضه أيام كان الانزعاج عن الأندلس إلى الإيالة المرينية^١ :
« وردت علي من فتى التي إليها في معركة الدهر أنخيز ، وبفصل فضلها في
الأقدار المشتركة أتميز ، سحابة سرّت وساءت ، وبلغت من القصدين^٢ ما
شاءت ، أطلع بها سيدي صنيعة وده من شكواه على كل عابث في السويداء ، موجب
اقتحام البيداء ، مضرم نار الشفقة في فؤاد لم يبق من صبره إلا القليل ، ولا من
إفصاح لسانه إلا الأنين والأليل ، ونوى مدت لغير ضرورة يرضاهما الخليل ،
فلا تسأل عن ضنين تطرقت اليد إلى رأس ماله ، أو عابد نوزع في تقبل أعماله ،
أو أمل ضويق في فذلكة آماله ، لكني رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق ،
وعارضت القواعد الموحشة بالفروق ، ورأيت الخطّ يبهر والحمد لله تعالى ويروق ،

١ مر في الباب الرابع ص : ٤٣ أن هذا النص من رسالة خاطب بها أبا القاسم ابن رضوان .

٢ ق : القصيد .

واللفظ الحسن تومض في حبره للمعنى الأصيل بروق ، فقلت : ارتفع الوصب ،
ورُدَّ من الصّحة المقتصب ، وآلة الحس والحركة هي العصب ، وإذا أشرق سراج
الإدراك دل على سلامة سليطه ، والروح خليط البدن والمرء بخليطه ، وعلى ذلك
فبليد احتياطي لا يقنعه إلاّ الشرح ، فبه يسكن الظمأ البرح ، وعُذراً عن التكليف
فهو محل الاستقصاء والاستفسار ، والإطناب والإكثار ، وزندُ القلق في مثلها
أورى ، والشفيق بسوء الظن مُغرى ، والسلام .

٥ - ومن نثر لسان الدين ما ذكره في « الإحاطة » في ترجمة أبي عبد الله
الشّدِيد وهو محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الجياني الأصل ثم المالقي
إذ قال ما صورته^١ :

« جملة جمال^٢ من خط حسن واضطلاع بحمل كتاب الله ، بلبل دَوْح
السبع المثاني ، وماشطة عروس أبي الفرج ابن الجوزي ، وآية صُقعته ونسيج
وحده في حسن الصوت وطيب النغمة ، اقتحم لذلك دسوت الملوك ، وجبر
أذيال الشهرة^٣ ، عذب الفكاهة ، ظريف المجالسة ، قادراً على المحاكاة ،
متسوّراً حمى الوقار ، مليئاً داعي الانبساط ، قلده شهادة الديوان بمالقة فكان مُغار
حبّْل الأمانة ، شامخ مارن النزاهة ، لوحاً للألقاب ، وعزّزت ولايته ببعض
الألقاب النبيلة ، وهو الآن الناظر في أمور الحِسْبَة ببلده ، ولذلك خاطبته برقعة
أداعبه بها وأشير إلى أضداده بما نصه :

يا أيها المحتسبُ الجزلُ ومن لديه الجدلُ والهزلُ
يهنيك والشكرُ لمولى الورى ولايةٌ ليسَ لها عزلُ

كتبت أيها المحتسب ، المنتمي إلى النزاهة المنتسب ، أهنيك ببلوغ تمنيك ، وأحذرك

١ الإحاطة ، الورقة : ١٢ .

٢ الإحاطة : مجموع خلال .

٣ الإحاطة : الصّحبة .

من طمع نفس بالغرور تمنيك ، فكأنني بك وقد طافت بركابك الباعة ، ولزم
أمرك السمع والطاعة ، وارتفعت في مصانعتك الطماعة ، وأخذت أهل الريب
بغثة كما تقوم الساعة ، ونهضت تقعد وتقيم ، وسطوتك الريح العقيم ، وبين
يديك القسطاس المستقيم ، ولا بد من شرك يُنصب ، وجماعة على ذي جاه تعصب^١ ،
ودالة يمت بها الجناح الأخصب ، فإن غضضت طرفك ، أمنت على الولاية
صرفك ، وإن ملأت ظرفك^٢ ، رحلت عنها حرفك ، وإن كففت فيها كفك ،
حفك العز فيمن حفك ، فكن^٣ لقالي المجبنة قالياً ، ولحوت السلة سالياً ، وأبد
لدقيق الحواري زُهدَ حواري^٤ ، وازهد فيما بأيدي الناس من العواري ، وسر
في اجتناب الحلواء ، على السبيل السواء ، وارفض في الشواء ، دواعي الأهواء^٥ ،
وكن على المراس^٤ ، وصاحب ثريد الراس شديد المراس ، وثب على طيخ الأعراس
ليثاً مرهوب الافتراس ، وأدب أطفال القسوق في السوق ، لا سيما من كان قبل
البلوغ والبسوق ، وصمم على استخراج الحقوق ، والناس أصناف فمنهم خسيس
يطمع منك في أكلة ، ومُسْتَعِد عليك بوكزة أو ركلة ، وحاسد في مطية تُركب
وعطية تُسكب ، فاخفض للحاسد جناحك ، وسدّد إلى حربه رماحك ، وأشبع
الخسيس منهم مرقعة فإنه حنق ، ودُسّ له فيها عظماً لعله يخنق ، واحفر لشريرهم
حفرة عميقة ، فإنه العدو حقيقة ، حتى إذا حصل ، وعلمت أن وقت الانتصار
قد اتصل ، فأوقع وأوجع ولا ترجع ، وأولياءه من الشياطين^٥ فافجع ، والحق^٥
أقوى ، وأن تغفو أقرب للتقوى ، سددك الله تعالى إلى غرض التوفيق ، وأعلّقتك

١ الإحاطة : تنصّب .

٢ ملأ ظرفه : كناية عن قبول الهدية والرشا .

٣ الإحاطة : وارفض في الشوا دواعي الهوى .

٤ المراس : صانع المريسة .

٥ الإحاطة : من حزب الشيطان .

من الحق بالسبب الوثيق ، وجعل قدومك مقروناً برخص اللحم والزيت والدقيق » ؛
انتهى .

٦ - ومما كتب به لسان الدين إلى علي بن بدر الدين الطوسي بن موسى
ابن رحو بن عبد الله بن عبد الحق من مدينة سلا ما نصه :

« يا جملة الفضل والوفاء ما بمعاليك من خفاء
عندي بالودّ فيك عقدٌ صحفهُ الدهرُ باكتفاء
ما كنت أقضي حلاك حقاً لو جئت مدحاً بكلّ فاء
فأول وجه القبول عذري وحسبك^١ الشك في صفاء

سيدي الذي هو فصل جنسه ، ومزية يومه على أمسه ، فإن افتخر الدين من أيك
بيدته افتخر منك بشمسه ، رحلت على المنشئ والقرارة ، وعمل الصبوة والفرارة ،
فلم تتعلق نفسي بذخيرة ، ولا عهد جيرة خيرة^٢ ، كتعلقها بتلك الذات التي
لطفت لطافة الراح ، واشتملت بالمجد الصّراح ، شفقة أن تصيبها معرفة والله تعالى
يتقيها ، ويحفظها ويُبقيها ، إذ الفضائل في الأزمان الرذلة غوائل ، والضد عن ضده
منحرف بالطبع ومائل ، فلما تعرفت خلاص سيدي من ذلك الوطن ، وإلقاءه
وراء الفرضة^٣ بالعطن ، لم تبق لي تعلّة ، ولا أحرضتني له علة ، ولا أوتي جمعي
من قلّة ، فكتبت أهني نفسي الثانية بعد هناء نفسي الأولى ، وأعترف للزمان
باليد الطّولى ، فالحمد لله الذي جمع الشمل بعد شتاته ، وأحيا الأنس بعد مماته ،
سبحانه لا مبدّل لكلماته ، وإياه أسأل أن يجعل العصمة حظ سيدي ونصيبه ، فلا
يستطيع حادث أن يصيبه ، وأنا أخرج له عن بث كمين ، ونصح أنا به قمين ،

١ ق : وجنب .

٢ خيرة : سقطت من ق .

٣ ق : العرصة .

بعد أن أسبرَ غوره ، وأخبرَ طوره ، وأرصد دوره ، فإن كان له في التشريق أمل ، وفي ركب الحجاز ناقة وجمل ، والرأي فيه قد نجحت منه نية وعمل ، فقد غني عن عرف البقرات ، بأزكى الثمرات ، وأطفأ هذه الجمرات ، برمي الجمرات ، وتأنس بوصل السرى ووصال السراة ، وأنا به إن رضيني أرضى مرافق ، ولواء عزي به خافق ، وإن كان على السكون بناؤه ، وانصرف إلى الإقامة اعتناؤه ، فأمر له ما بعسده ، والله يحفظ من الغير سعده ، والحق أن تحذف الأبهة وتختصر ، ويحفظ اللسان ويغضّ البصر ، وينخرط في الغمار ، ويخلّي عن المضمار ، ويجعل من المحظور مداخلة من لا خلاق له ، ممن لا يقبل الله تعالى قوله ولا عمله ، فلا يكتم سرّاً ، ولا يتطوق من الرجولة زراً ، ويرفض زمام السلامة^١ ، وترك العلامة على النجاة علامة ، وأما حالي فكما علمتم مُلّازم كين^٢ ، ومهبط تجربة وسن^٣ ، أزجي الأيام ، وأروم بعد التفرق الالتئام ، خالي اليد ، مليء القلب والخلد ، بفضل الواحد الصمد ، عامل على الرحلة الحجازية التي اختارها لكم ولنفسي ، وأصيل في التماس الإعانة عليها يومي بأمني ، أوجب ما قررته لكم ما أنتم أعلم به من ود قررته الأيام والشهور ، والخلوص المشهور ، وما أطلت في شيء عند قدومي على هذا الباب الكريم لإطالتي فيما يختص بكم من موالاته ، وبذل مجهود القول والعمل في مرضاته ، وأما ذكركم في هذه الأوضاع فهو ممّا يقر عين المجادة ، والوظيفة التي ينافس فيها أولو السيادة ، والله يصل بقاءكم ، ويسر لقاءكم ، والسلام « انتهى .

٧ - ومن نثر لسان الدين ما أثبتته في « الإحاطة » في ترجمة ابن خلدون صاحب التاريخ الذي تكرر نقلنا منه في هذا التأليف :
ولنذكر الترجمة بجملتها فنقول : قال رحمه الله تعالى في « الإحاطة » ما نصه : « عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن

١ ق : الصعبة زمان السلامة .

إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ، من ذرية عثمان أخي كريب المذكور في نبهاء ثوار الأندلس ، ويُنسب سلفُهم إلى وائل بن حجر ، وحاله عند القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفة ، انتقل سلفه من مدينة إشبيلية عن نباهة وتعين وشهرة عند الحادثة بها أو قبل ذلك ، فاستقر بتونس منهم ثاني المحمدين محمد بن الحسن ، وتنازلوا على حشمة وسراوة ورسوم حسنة ، وتصرفتُ جدُّ المترجم به في القيادة . وأما المترجم به فهو رجل فاضل ، حسن الخلق ، جم الفضائل ، باهر الحصل ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، خاصي الزي ، عالي المهمة ، عزوف عن الضيم ، صعب المقادة ، قوي الجأش ، طامح لقنن الرياسة ، خاطب للمحظ ، متقدم في فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور ، بارع الخط ، مغرٍ بالثجلة ، جواد حسن العشرة ، مبذول المشاركة ، مقيم لرسم التعيين ، عاكف على رعي خلال الأصاله ، مفخر من مفاخر الترخوم المغربية . قرأ القرآن ببلده على المكتب ابن برال ، والعربية على المقرئ الزواوي وغيره ، وتأدب بأبيه ، وأخذ عن المحدث أبي عبد الله ابن جابر الوادي آشي ، وحضر مجلس القاضي أبي عبد الله ابن عبد السلام ، وروى عن الحافظ أبي عبد الله السطحي ، والرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي ، ولازم العالم الشهير أبا عبد الله الآبلي وانتفع به ، انصرف من إفريقية منشئه بعد أن تعلق بالخدمة السلطانية على الحادثة ، وإقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة ، عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة ، وعرف فضله ، وخطبه السلطان مُنْفَقُ سوق العلم والأدب أبو عنان فارس بن علي بن عثمان ، واستحضره^١ بمجلس المذاكرة فعرف حقه وأوجب فضله ، واستعمله على الكتابة أوائل عام ستة وخمسين ، ثم عظم عليه حمل الخاصة من طلبة الحضرة لبعده عن حسن التأني ، وشفوفه بثقوب الفهم وجودة الإدراك ، فأغروا به

١ ق : واستقدمه واستحضره .

السلطان إغراء عَصْدَه ما جُبِلَ عليه عهدئذٍ من إغفال التحفظ ممّا يريب لديه ، فأصابته شدة تخلصه منها أجله ^١ ، كانت مغربة في جفاء ذلك الملك وهناة جواره ، وإحدى العواذل لأولي الهوى في القول بفضله وعدم الخشوع وإهمال التوسل وإيادة المكسوب في سبيل النفقة والإرضاخ على زمن المحنة وجار المنزل الخشن ، إلى أن أفضى الأمر إلى السعيد ولده ، فأعته قيّم الملك لحينه ، وأعاده إلى رسمه ، ودالت الدولة إلى السلطان أبي سالم ، وكان له به الاتصال قبل تسوغ المحنة بما أكد حظوته ، فقلده ديوان الإنشاء مطلق الجرايات محرر السهام نبيه الرتبة ، إلى آخر أيامه . ولما ألفت الدولة مقادها بعده إلى الوزير عمر بن عبد الله مدبر الأمر ، وله إليه وسيلة وفي حليه شركة وعنده حق ، رابه تقصيره عمّا ارتقى إليه أمله ، فساء ما بينهما بما آل إلى انفصاله عن الباب المريني ، وورد على الأندلس في أول ربيع الأول عام أربعة وستين وسبعمائة ، واهتز له السلطان ، وأركب خاصته لتلقيه ، وأكرم وفادته ، وخلع عليه وأجلسه بمجلسه ، ولم يدخر عنه برّاً ومؤاكلة ومراكية ومطايبة وفكاهة » .

٨ - وخاطبني لما حل بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرني الآن ، فأجبت عنها بقولي ^٢ :

حللت حلول الغيث في البلد المحلّ على الطائر الميمون والرحب والسهل
يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه من الشيخ والطفل المهدل والكهل
لقد نشأت عندي للقيالك غبطة تُنسّي اغتباطي بالشبية والأهمل
أقسمت بمن حجت قريش لبيته ، وقبر صُرفت أزيمة الأحياء لميته ، ونور ضُربت
الأمثال بمشكاته وزيتيه ، لو خيرت أيها الحبيب الذي زيارته الأمانة السنية ، والعارفة

١ ق : الأجل .

٢ أوردها ابن خلدون في التعريف : ٨٢ .

الوارفة ، واللطفية المطيفة ، بين رجع الشباب يقطر ماء ويرفُ نماء ، ويغازل
عيون الكواكب فضلاً عن الكواكب إشارة وإيماء ، بحيث لا الوخط يلمُ بسياج
لمته ، أو يقدح ذُبالة في ظلمته ، أو يقوم حواريه في ملته ، من الأحابش وأُمته ،
وزماته رَوْح وراح ، ومغدى في النعيم ومراح ، وقصف صراح ، ورقى وجراح ،
وانتحاب واقتراح ، وصدور ما بها لآلاً انشراح ، ومسرات تردفها أفراح ، وبين
قدومك خليع الرسن ، ممتعاً والحمد لله باليقظة والوسن ، محكماً في نسك الجنيد
أو فتك الحسن ، ممتعاً بظرف المعارف ، ماثلاً أكف الصيارف ، ماحياً بأنوار
البراهين شُبّه الزخارف ، لما اخترت الشباب وإن راقني^١ زمنه ، وأعياني ثمنه ،
وأجرت سحائب دمي دِمنه ، فالحمد لله الذي رقى جنون اغترابي ، وملّكني
أزمة آراي ، وغبطني بمائي وتراي ، ومألّف أتراي ، وقد أغصني بلذيد شراي ،
ووقع على سطورهِ المعبرة إضرابي ، وعجّلتُ هذه مُغَبَّطَةً بمنّاخ المطية ،
ومنتهى الطية ، وملتقى السعود غير البطية ، وتنهى الآمال الوثيرة الوطية ، فما
شئت من نفوس عاطشة إلى ربّك ، متجملة بزيّك ، عاقلة خطى مهزّيك ، ومولى
مكارمه نشيدة أمثالك ، ومظان مثالك ، وسيصدق الخبر ما هنالك ، ويسع فضل
مجدك في التخلف عن الإصحار^٢ ، لا بل اللقاء من وراء البحار ، والسلام .

٩ - ولما استقر بالحضرة جرت بيني وبينه مكاتبات أقطعها الظرف جانبه ،
وأوضح الأدب مذاهبه ، فمن ذلك ما خاطبته به وقد تسرّى جارية رومية اسمها
هند صبيحة الابتاء بها :

أوصيك بالشيخ أبي بكره^١ لا تأمنن في حالة مكره^٢
واجتنب الشك إذا جئته^٣ جنبك الرحمن ما تكره^٤

١ ق والتعريف : شافعي .

٢ الإصحار : الخروج لتلقيه خارج البلد .

سيدي لا زلت تتصف بالوالج ، بين الخلاخل والدمالج ، وتركض فوقها
ركض الهمالج ، أخبرني كيف كانت الحال ، وهل حُطَّت بالقاع من خير
البقاع الرحال ، وأحكم بمروءة المراودة الاكتحال ، وارتفع بالسقيا الإحمال ،
وصح الانتحال ، وحصحص الحق وذهب المحال ، وقد طولعت بكل بشري
وبشر ، وزفَّت هند منك إلى بشر ، فله من عشية ، تمتعت من الربيع بفُرش
موشية ، وأبدلت منها أي آساد وحشية ، وقد أقبل ظبي الكناس ، من الديماس ،
ومطوق الحمام ، من الحمام ، وقد حسنت الوجه الجميل التطرية ، وأزيلت
عن الفرع الأثاث الأبرية ، وصُقلت الخلود فكأنها الأمرية^١ ، وسُلط الدَلْكُ
على الجلود ، وأغریت النورة بالشعر المولود ، وعادت الأعضاء يزلق عنها اللمس ،
ولا تناها البنان^٢ الخمس ، والسحنة يحول في صفحتها الفضية ماء النعيم ، والمسواك
يلبي من ثنية التنعيم ، والقلب يرمى من الكف الرقيم^٣ بالمقعد المقيم ، وينظر
إلى نجوم الوشوم فيقول : إني سقيم ، وقد تفتح ورد الخضر ، وحكم لزنجي
الصفيرة بالظفر ، واتصف أمير الحسن بالصدود المغتفر ، ورش بماء الطيب ،
ثم أعلق بباله دخان العود الرطيب ، وأقبلت الغادة ، يهديها اليمن وتزفها السعادة ،
فهي تمشي على استحياء ، وقد ذاع طيب الريا وراق حسن المحيا ، حتى إذا نُزِع
الخف ، وقُبِّلَت الأكف ، وصُخب المزمار وتجاوب الدف ، وذاع الأرج ،
وارتفع الحرج ، وتجوّز اللوى والمنعرج ، ونزل على بشر بزيارة هند الفرج ،
اهتزت الأرض وربت ، وعوصيت الطباع البشرية فأبت ، ولله در القائل^٤ :

ومرّت فقالت : متى نلتقي ؟ فهشّ اشتياقاً إليها الخبيثُ
وكاد يمزّقُ سربالهُ فقلت : إليك يساقُ الحديثُ

١ لعل الأبرية جمع برى بمعنى التراب ، والأمرية : المرايا جمع مرآة .

٢ البنان : سقطت من ق .

٣ الرقيم : المزين .

٤ ينسب البيتان لبشار (فصل المقال : ٤٦) وفي الثاني منهما المثل «إليك يساقُ الحديث» .

فلما انسدل جنح الظلام ، وانتصفت من غريم العشاء الأخيرة فريضة السلام ،
وخاطت خيوط المنام عيون الأنام ، تأتّى دنو الجلسة ، ومسارقة الجلسة ، ثم عضّة
النهد ، وقبله القم والخد ، وإرسال اليد من النجد إلى الوهد ، وكانت الإمالة القليلة
قبل المد ، ثم الإفاضة فيما يغبط ويرغب ، ثم الإماطة لما يشوش ويشغب ، ثم
لإعمال المسير ، إلى السرير^١ :

وصرنا إلى الحسنى ، ورقّ كلامنا ورُضتْ فذلّتْ ضعبة^٢ أيّ إذلال

وهذا بعد منازعة للأطواق يسيرة ، يراها الغيد من حسن السيرة ، ثمّ شرع
في التكة ، ونزع الشكة^٣ ، وتهيئة الأرض العزاز^٤ عمل السكة ، ثمّ كان الوحي
والاستعجال ، وحمي الوطيس والمجال ، وعلا الجزء الخفيف ، وتضافرت
الخصور الهيف ، وتشاطر الطبع العفيف ، وتواتر التقييل ، وكان الأخذ الويل ،
وامتاز الأنوك من النبيل ، ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل ، فيا لها من نعم
متداركة ، ونفوس في سبيل القحة متهالكة ، ونفّس يقطع حروف الخلق ،
وسبحان الذي يزيد في الخلق ، وعظمت الممانعة ، وكثرت باليد المصانعة ، وطال
التراوغ والتزاور ، وشكّي التهاور ، وهنالك تختلف الأحوال ، وتعظم الأهوال ،
وتخسر أو تربح الأموال ، فمن عصاً تنقلب ثعباناً مبيئاً ، ونونة^٥ تصير تينياً ،
وبطل لم يهمله المعتك الهائل ، والوهم الزائل ، ولا حال بينه وبين قرنه الحائل ،
فتعدى فتكة السليّك إلى فتكة البرّاض ، وتقلد مذهب الأزارقة من الخوارج
في الاعتراض^٥ ، ثم شق الصف ، وقد خضب الكف ، بعد أن كان يصيب البوسى

١ البيت لامرئ القيس ، ديوانه : ٣٢ .

٢ ونزع الشكة : سقطت من ق .

٣ العزاز : الصلبة .

٤ النونة : السكة ، وفي العبارات كنايات تنطوي على الغمز والسخرية .

٥ الاعتراض : عدم المبالاة بالقتل في حال الخروج أو الإقدام على القتل الجماعي .

بطعنته ، وبيوء بمقت الله ولعنته :

طعنت ابن عبد الله طعنة ناثرة لها نَقْدٌ لولا الشعاع أضواءها^١

وهناك هدا القتال ، وسكن الخبال ، ووقع المتوقع فاستراح البال ، وتشوف إلى مذهب الثنوية من لم يكن للتوحيد بمبال ، وكثر السؤال عن المبال ، بما بال ، وجعل الجريح يقول وقد نظر إلى دمه ، يسيل على قدمه :

إني له عن دمي المسفوك معتذر أقول حَمَلْتُهُ في سفكه تعباً^٢

ومن سنان^٣ عاد عناناً ، وشجاع صار جباناً ، كلما شابهته شائبة ريبه ، أدخل يده في جيبه ، فأنجحرت الحية ، وماتت الغريزة الحية ، وهناك يزيغ البصر ، ويخذل المنتصر ، ويسلم الأشر ، ويغلب الحصر ، ويحفّ اللعاب ، ويظهر العاب^٤ ، ويخفق الفؤاد ، ويكبو الجواد ، ويسيل العرق ، ويشد الكرب والأرق ، وينشأ في محل الأمن الفَرَق ، ويدرك فرعونَ الغرق ، ويقوى اللجاج ويعظم الحرق ، فلا تزيد الحال إلا شدة ، ولا تعرف تلك الجائحة المؤمنة إلا ردة :

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهداه^٥

فكم مغرى بطول اللبث ، وهو من الخبث ، يؤمل الكرة ، ليزيل المعرة ، ويستنصر الخيال ، ويعمل باليد الاحتيال :

إنك لا تشكو إلى مصمّتٍ فاصبر على الحمل الثقيل أو مت^٦

١ البيت لقيس بن الخطيم ، ديوانه : ٧ .

٢ ق : التعب .

٣ عطف على قوله فيما سبق : « فمن عصا تنقلب . . . إلخ » .

٤ ق : اللغاب ؛ والعاب : العيب .

٥ ق : فأكثر .

٦ المصمت : الذي يهتم إذا شكوت إليه ؛ وهذا من الأمثال ، (انظر اللسان - صمت -) .

ومعتذر بمرض أصابه ، جرّعه أوصابه ، ووجع طرقه ، جلب أرقه ، وخطيب
أرتج عليه أحياناً ، فقال : سيحدث الله بعد عسر يسراً وبعد عي بياناً ؛ اللهم إنا
نعوذ بك من فضائح الفروج إذا استغلقت أقفالها ، ولم تتسم بالنجيع أغفالها ، ومن
مبغرات الأقدار ، والنكول عن الأبيكار ، ومن النزول عن البطون والسرر ،
والجوارح الحسنة الغرر ، قبل ثقب الدرر ، ولا تجعلنا ممن يستحيي من البكر
بالغداة ، وتعلم منه كلال الأداة ، وهو مجال فضحت فيه رجال ، وفراش
شكيت فيه أوجال ، وأعملت روية وارتهال ، فمن قائل :

أرفعه طوراً على إصبعي ورأسه مضطرب أسفله
كالخنش المقتول يلقى على عودٍ لكي يطرح في مزبلته

وقائل :

عدمت من أيري قوى حسه يا حسرة المرء على نفسه
تراه قد مال على أصله كحائطٍ خرَّ على أسفه

وقائل :

أيحسدني إبليسُ دأين أصبحا برجلي ورأسي دُملاً وزكاما
فليتهدما كانا به وأزيدُهُ رخاوةً أيرٍ لا يطيقُ قياما
إذا نهضتُ للنيلك أزيابُ معشرٍ توسدَ إحدى خصيتيه وناما

وقائل :

أقولُ لأيري وهو يرقب فتكةً به : خبت من أير وعالتك داهية
إذا لم يكن للأير بختٌ تعذرت عليه وجوهُ النيك من كل ناحيه

وقائل :

تعقف فوق الخصيتين كأنه رشاء إلى جنب الركبة ملتف

١ ق : ونالتك .

كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه إلى أبويه ثم يدركه الضعف
وقائل :

تكرّش أيري بعدما كان أملسا وكان غنيّاً من قواه فافلسا
وصار جوابي للمها إن مررت بي «مضى الوصل لإمنية تبعث الأسي»
وقائل :

بنفسي من حيّيته فاستخفّ بي ولم يخطر المجران يوماً على بالي
وقابلني بالغور والتجد بعدما حططت به رحلي وجردت سربالي
وما أرتجي من موثر فوق تكة عرضت له شيئاً من الحشف البالي
هموم لا تزال تُبكي ، وعلل الدهر تُشكي ، وأحاديث تُقص وتُحكي ، فإن
كنت أعزك الله سبحانه من النمط الأوّل ، ولم تقل :

وهل عند رسم دارس من معول^١

فقد جنيت الثمر ، واستطبت السمر ، فاستدع الأبواق من أقصى المدينة ، وأخرج
على قومك في ثياب الزينة^٢ ، واستبشر بالوفود ، وعرف المسمع عازفة الجود ،
وتبجح بصلابة العود ، وإنجاز الوعود ، واجن رمّان النهود ، من أغصان القدود ،
واقطف ببنان اللثم أقاح الثغور وورد الخدود ، وإن كانت الأخرى فأخف الكمد ،
وارض الثمد ، وانتظر الأمد ، وأكذب التوسم ، واستعمل التبسم ، واستكتم
النسوة ، وأفض فيهن الرشوة ، وتقلد المغالطة وارتكب ، وجيء على قميصه
بدم كذب ، واستنجد الرحمن ، واستعن على أمرك بالكتمان :

١ صدر هذا البيت « وإن شفائي عبرة مهراقة » وهو من معلقة امرئ القيس .

٢ يشير إلى زهوه كأنه قارون .

لا تُظْهَرَنَّ لِعَاذِلٍ أَوْ عَاذِرٍ حَالِيكَ فِي الضَّرَاءِ وَالسَّرَاءِ^١
فَلرَحْمَةُ الْمُتَفَجِّعِينَ حَرَارَةٌ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ

وانتشق الأرج ، وارتقب الفرج ، فكم غمام طما ﴿وما رميت إذ رميت ولكن
الله رمى﴾ (الأنفال : ١٧) واملِكْ بعدها عِنانَ نفسك حتى تتمكنك الفرصة ،
وترفع إليك القصة ، ولا تشره إلى عمل لا تفيء منه بتمام ، وخذ عن إمام ،
ولله درُّ الحارث بن هشام^٢ :

الله يعلمُ ما تركتُ قتالهم حتى رموا مهري بأشقرَ مزبدٍ
وعلمتُ أني إن أقاتل دونهم أقتلُ ، ولم يضرر عدوي مشهدي
ففررتُ منهم والأحبةُ فيهم طمعاً لهم بعقابٍ يومٍ مفسدٍ

واللبانات تلين وتجمع ، والمآرب تدنو وتنزح ، وتحرن ثم تسمع ، وكم من
شجاع خام^٣ ، ويقظ نام ، ودليل أخطأ الطريق ، وأضلَّ الفريق ، والله عز وجل
يجعلها خلة موصولة ، وشملاً أكنافه بالخير مشمولة ، وبنية أركانها لركائب اليُمن
مأمولة ، حتى تكثر خدام سيدي وجواريه ، وأسرته وسراريه ، وتصفو عليه نعم
باريه ، ما طورِدَ قنيص ، واقتُحِمَ عيص ، وأدرك مرام عويص ، وأعطي زاهد
وحرم حريص ، والسلام .

[بقية ترجمة ابن خلدون عن الإحاطة]

توآلفه — شرح البردة شرحاً بديعاً دل به على انفساح ذَرَعه ، وتفنن إدراكه

١ ق : السراء والضراء .

٢ قالها حين فر عن أصحابه يوم بدر وعيره حسان بالفرار بقوله :
إن كنت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجى الحارث بن هشام

وانظر حماسة البحري : ٤٠ .

٣ خام : حاد وجين .

وغزارة حفظه ، ولخص كثيراً من كتب ابن رشد ، وعلق للسلطان أيام نظره في العقلیات تقييداً مفيداً في المنطق ، ولخص محصل الإمام فخر الدين الرازي ، وبه داعبته أول لقيه ، فقلت له : لي عليك مطالبة فإنك لخصت محصلي ، وألّفت كتاباً في الحساب ، وشرع في هذه الأيام في شرح الرجز الصادر عني في أصول الفقه بشيء لا غاية فوقه في الكمال .

وأما نثره وسلطانياته السجعية فخلُج بلاغة ، ورياض فنون ، ومعادن إبداع ، يفرغ عنها يراعه الجريء ، شبيهة البداءات بالخواتم ، في نداوة الحروف ، وقرب العهد ببحر المداد ، ونفوذ أمر القريحة ، واسترسال الطبع .
وأما نظمه فنهض لهذا العهد قدماً في ميدان الشعر ، ونقده باعتبار أساليبه فانتال عليه جوه ، وهان عليه صعبه ، فأتى منه بكل غريبة .

خاطب السلطان ملك المغرب ليلة الميлад الكريم عام اثنين وستين وسبعمائة بقصيدة طويلة أولها^١ :

أسرفن في هجري وفي تعذيبي	وأطلن موقف عبرتي ونحيبي
وأبين يوم البين وقفة ساعة	لوداع مشغوف الفؤاد كتيب
لله عهد الطاعنين وغادروا	قلبي رهين صباية ووجيب
غربت ركائبهم ودمعي سافح	فشرقت بعدهم بماء غروبي ^٢
يا ناقماً بالعتب غلة شوقهم	رحماك في عذلي وفي تأنيبي
يستعذب الصب الملام ولانتي	ماء الملام لدي غير شريب ^٣
ما هاجني طرب ولا اعتاد الجوى	لولا تذكر منزل وحبيب
أهفو إلى الأطلال كانت مطلقاً	للبدري منهم أو كناس ريب

١ القصيدة في التعريف : ٧٠ .

٢ الغروب : الشئون ، أي مجاري الدموع .

٣ الشريب : العذب ؛ وفي التعريف : شروب .

عبثت بها أيدي البلى وترددت
تبلى معاهدها وإن عهودها
وإذا السديار تعرضت لمتيم
ليه على الصبر الجميل فإنه
لم أنسها والدهر يثني صرقته
والدار مونيقة محاسنها بما
يا سائق الأظعان تعسف الفلا
متهافتاً عن رحل كل مدلل
تتجاذب النفحات فضل رداه
إن هام من ظلم الصباية صبحه
أو تعرض مسراهم سدوف الدجى
في كل شعب منيعة من دونها
هلا عطف صدورهن إلى التي
فتوم من أكناف يثرب مأمناً
حيث النبوة آياها مجلوة
سر غريب لم يحجبه الثرى

في عطفها للدهر أي خطوب
ليجدها وصفني وحسن نسيبي
هزته ذكراها إلى التشيب
ألوى بدني فؤادي المنهوب
ويغض طرفي حاسد ورقب
لبست من الأيام كل قشيب
وتواصل الإسآد بالتأويب
نشوان من أين ومس لغوب
في ملتقاها من صبا وجنوب
نهلوا بمورد دمعهم المسكوب
صدعوا الدجى بغرامه المشوب
هجر الأمانى أو لقاء شعوب
فيها لبسانة أعين وقلوب
يكفيك ما تخشاه من ثريب
تلو من الآثار كل غريب
ما كان سر الله بالمحجوب

ومنها بعد تعديد معجزاته صلى الله عليه وسلم :

يا سيد الرسل الكرام ضراعة
عاقبت ذنوبي عن جتابك والمنى
لا كالألى صرفوا العزائم للتقى

تقضي منى نفسي وتذهب حوئي
فيها تعلقني بكل كذوب
فاستأثروا منها بخير نصيب

١ الإسآد : سير الليل ، والتأويب : سير النهار .

٢ الحوب : الإثم .

لم يخلصوا لله حتى فَرَّقُوا
هَبْ لِي شَفَاعَتَكَ الَّتِي أَرْجُو بِهَا
إِنَّ النِّجَاةَ وَإِنْ أُتِيحَتْ لِمَرِيءٍ
إِنِّي دَعَوْتُكَ وَائْتَقَأْ بِإِجَابَتِي
قَصَرْتُ فِي مَدْحِي فَلِمَ يَكُ طَيْبًا
مَاذَا عَسَى يَبْنِي الْمُطِيلُ وَقَدْ حَوَى
يَا هَلْ تَبْلُغُنِي اللَّيَالِي زُورَةً
أَحْمُو خَطِيئَاتِي بِإِخْلَاصِي بِهَا
فِي فِتْنَةٍ هَجَرُوا الْمَنَى وَتَعَوَّدُوا
يَطْوِي صَحَائِفَ لَيْلِهِمْ فَوْقَ الْفَلَا
إِنْ رَنَمَ الْحَادِي بِذِكْرِكَ رَدَدُوا
أَوْ غَرَّدَ الرِّكْبُ الْخَلِيَّ بِطَبِيبَةٍ
وَرَثُوا اعْتِسَافَ الْبَيْدِ عَنْ آبَائِهِمْ
الطَّاعِنُونَ الْخَلِيلَ وَهِيَ عَوَابِسُ
وَالْوَاهِبُونَ الْمُقْرَبَاتِ صَوَافِسُ
وَالْمَانِعُونَ الْجَارَ حَتَّى عِرضُهُمْ
تُخْشَى بَوَادِرُهُمْ وَيُرْجَى حِلْمُهُمْ
ومنها :

سائلٌ به طامِي الْعُبَابِ وَقَدْ سَرَى
تَهْدِيهِ شُهْبُ أَسِنَّةٍ وَعِزَائِمِ
تُزْجِي بِرِيحِ الْعِزْمِ ذَاتُ هُبُوبِ
يَصْدَعْنَ لَيْلَ الْحَادِثِ الْمَرْهُوبِ

١ السَّيِّبُ : شَعْرُ عَرَفِ الْفَرَسِ .

٢ خَوَارِ الْعَنَانِ : لَهْنُ الْمَطَفِ .

حتى انجلت ظلم الضلال بسعيه
 يا ابن الألى شادوا الخلافة بالتقى
 جمعوا بحفظ الدين آي مناقب
 لله مجدك طارفاً أو تالداً
 كم رهبة أو رغبة لك والعلا
 لا زلت مسروراً بأشرف دولة
 تحيي المعالي غادياً أو راثحاً
 وسطا الهدى بفريقها المغلوب^١
 واستأثروك بتساجها المعصوب
 كرموا بها في مشهد ومغيب
 فلقد شهدنا منه كل عجب
 تُقتاد بالترغيب والترهيب
 بيدو الهدى من أفقها المرقوب
 وجديد سعدك ضامن المطلوب

وقال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هدية ملك السودان إليه وفيها الزرافة^٢:

قدحت يد الأشواق من زندي
 ونبتت سلواني على ثقة
 ولرب وصل كنت آمله
 لا عهد عند الصبر أطلبه
 يلحى العذول فما أعنفه
 وأعارض النفحات أسأله
 يهدي الغرام إلى مسالكها
 يا سائق الوجناء معتسفاً
 أرح الركاب ففي الصبا نبأ
 وسكن الربوع برامة خيراً
 ما لي تلام على الهوى خلقي
 لأبيت إلا الرشد مذ وضحت
 نعم الخليفة في هدى وتقى
 وهفت بقلبي زفرة الوجد
 بالقرب فاستبدلت بالبعد
 فاعتضت منه مؤلم الصدا
 إن الغرام أضاع من عهدي
 وأقول ضل فأتبني رشدي
 برّد الجوى فتزيد في الوقْد
 لتعلي بضعف ما تهدي
 طي القلاة لطية الوجد
 يغني عن المستنة الجرد
 عن ساكني نجد وعن نجد
 وهي التي تأبى سوى الحمد
 بالمستعين معالم الرشد
 وبناء عز شامخ الطود

١ ق : المطلوب .

٢ التعريف : ٧٤ ، وانظر الاستقصا ٤ : ٣٥ .

نَجْلُ السَّارِقِ الْغُرِّ شَأْنُهُمْ كَسْبُ الْعَلَا بِمَوَاهِبِ الْوَجْدِ
ومنها :

لله مِني إِذْ تَأَوَّبَني شَهْمٌ يَنْقُلُ بَوَاتِرًا قَضْبًا
أُورِيتُ زَنْدَ الْعَزْمِ فِي طَلْبِي وَوَرَدْتُ عَنْ ظِلِّ مَنَاهِلِهِ
هِيَ جَنَّةُ الْمَأْوَى لِمَنْ كَلَفَتْ لَوْ لَمْ أَعْلُ بِوَرْدِ كَوْنِهَا
مَنْ مُبْلِغٌ قَوْمِي وَدُونَهُمْ أَنِّي أَنْقَذْتُ عَلَى رَجَائِهِمْ
ذكرَاهُ وَهُوَ بِشَاهِقٍ فَرْدٍ وَجُمُوعَ أَقْيَالٍ أُولِي أَيْدٍ
وَقَضَيْتُ حَقَّ الْمَجْدِ مِنْ قَصْدِي فَرَوَيْتُ مِنْ عَزٍّ وَمِنْ رِفْدٍ
آمَالَهُ بِمَطَالِبِ الْمَجْدِ مَا قَلْتُ هَذَا جَنَّةُ الْخُلْدِ
قُدُفُ النَّوَى وَتَنُوفَةُ الْبَعْدِ وَمَلَكَتُ عَزَّ جَمِيعَهُمْ وَحَدِي
ومنها ١ :

ورَقِيمَةُ الْأَعْطَافِ حَالِيَةً وَحَشِيَّةُ الْأَنْسَابِ مَا أَنْسَتْ
تَسْمُو بِجِيدٍ بِالْغِصْنِ صُعْدًا طَالَتْ رُؤُوسَ الشَّاعِغَاتِ بِهِ
قَطَعْتُ إِلَيْكَ تَنَافُؤًا وَصَلْتُ تَخَذِي عَلَى اسْتِصْعَابِهَا ذُلُّلًا
بِسُوءِ ذِكِّ اللَّاتِي ضَمَنْ لَنَا جَاءَتْكَ فِي وَفْدِ الْأَحَابِشِ لَا
وَأَفْوَكَ أَنْضَاءَ تَقَلَّبَهُمْ كَالطَّيْفِ يَسْتَقَرِّي مَضَاجِعَهُ
مَوْشِيَّةٍ بَوْشَائِعِ الْبُرْدِ فِي مُوحَشٍ الْبِيدَاءِ بِالْقُرْدِ
شَرَفَ الصُّرُوحِ بِغَيْرِ مَا جَهْدٍ وَلَرَبَّمَا قَصُرَتْ عَنْ الْوَهْدِ
إِسَادَهَا بِالنَّصِّ وَالْوَحْدِ وَتَبَيْتُ طَوَعَ الْقَنْ وَالْقَدَّ
طُولَ الْحَيَاةِ بِعَيْشَةٍ رَغْدٍ يَرْجُونَ غَيْرَكَ مُكْرِمَ الْوَفْدِ
أَبْدِي السُّرَى بِالْغُورِ وَالنَّجْدِ أَوْ كَالْحَسَامِ يُسْكِلُ مِنْ غَمْدِ

١ ومنها - سقطت من ق .

يثنون بالحسنى التي سبقت
ويرون لحظك من وفادتهم
يا مستعينا جل في شرف
جازاك ربك عن خلقته
وبقيت للدنيا وساكنها
من غير إنكار ولا جحد
فخرأ على الأتراك والهند
عن رتبة المنصور والمهدي
خير الجزاء فنعم ما تسدي
في عزة أبدأ وفي سعد

وقال يخاطب عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب :

يا سيد الفضلاء دعوة مشفق
ما لي وللإقصاء بعد تلة
وأرى الليالي رنقت لي صافياً
ولقد خلصت إليك بالقرب التي
ووثقت منك بأي وعد صادق
وسما بنفسي للخليفة طاعة
حتى انتحاني الكاشحون بسعيهم
رغمت أنوفهم بنجح وسائلي
وبغوا بما تقوموا علي خلاقي
لا تطمعنهم ببذل في التي
أنى أضام وفي يدي القلم الذي
ولي الحصائص ليس تأبى رتبة
قسماً بمجدك وهو خير آلية
إني لتصطحب الهموم بمضجعي
عطفاً علي بوحدتي عن معشر
أغمدو إذا باكرتهم متجلداً
حيران أوجس عند نفسي خيفة
نادى لشكوى البث خير سميع
بالقرب كنت لها أجل شفيع
منها فأصبح في الأجاج شروعي
ليس الزمان لشمها بصدوع
أنني المصون وأنت غير مضيع
دون الأنام هواك قبل نزوع
فصددتهم عني وكنت منيعي
وتقطعت أنفاسهم بصنيعي
حسداً فراموني بكل شنيع
قد صنتها عنهم بفضل قنوعي
ما كان طيعه لهم بمطيع ؟
حسبي بعلمي ذاك من تفريعي
أعتدتها لفؤادي المصدوع
فتحول ما بيني وبين هجوعي
نفت الإباء صدودهم في روعي
وأروح أعر في فضول دموعي
فتسر في الأوهام كل مروع

أطوي على الزفراتِ قلباً آدهُ حملُ المسومِ تجولُ بين ضلوعي
ولقد أقولُ لصرفِ دهرٍ رابني بحوادثِ جاءت على تنوعِ
مهلاً عليكِ فليس خطبك ضائري فلقد لبست له أجنَّ دروعِ
إني ظفرتُ بعصمةٍ من أوحدي بدَّ الجميعَ بفضلهِ المجموعِ

وقال يخاطب بعض الوزراء في حال وحشة^١ :

هنيئاً بصومٍ لا عداه قبولُ وبشرى بعيدٍ أنت فيه منيلُ
وهنيئها من عزَّة وسعادة تتابعُ أعوامٌ بها وفصولُ
سقى الله دهرأ أنت إنسانُ عينه ولا مسَّ ربعا في حماك محولُ
فعصرك ما بين الليالي مواسمُ لها غررٌ وضاحَّة وحجولُ
وجانبك المأمولُ للوجودِ مشرعُ يحومُ عليه عالمٌ وجهولُ
عساك وإن ضنَّ الزمانُ منولي فرسمُ الأماني من سواك محيلُ
أجبرني وليس الدهرُ لي بمسلمٍ إذا لم يكن لي في ذراكٍ مقيلُ
وأوليتني^٢ الحسنى بما أنا آملُ فمثلك يولي راجياً وينيلُ
ووالله ما رُمْتُ الترحلَ عن قلبي ولا سَخَطُ للعيشِ فهو جزيلُ
ولا رغبةً عن هذه الدارِ إنها لتظلُّ على هذا الأنامِ ظليلُ
ولكن نأى بالشعبِ غني حبابُ دعاهنَّ^٣ خطبُ للفراقِ طويلُ
يهيجُ بهنَّ الوجدَ أني نازحُ وأنَّ فؤادي حيث هنَّ حلولُ
عزیزٌ عليهنَّ الذي قد لقيته وأنَّ اغترابي في البلادِ يطولُ
توارتُ بأنباتي البقاعُ كأنني تُخُطِّطُ أو غالت ركابي غولُ

١ هو الوزير عمر بن عبد الله ، ويستجير بصديقه ورديفه الوزير مسعود بن رحو بن ماساي ،

والقصيدة في التعريف : ٧٧ .

٢ التعريف : وأولني .

٣ التعريف : شجائن .

ذكرك يا مغنى الأحبة والهوى
 وحييت عن شوق ربك كأنما
 أحبابنا والعهد بيني وبينكم
 إذا أنا لم ترض الحمل مدامعي
 لآلم مقامي حيث لم ترد العلا
 أجاذب فضل العمر يوماً وليلة
 ويذهب فيما بين يأس ومطمع
 تعلني منه أمان خوادع
 أما لليال لا ترد خطوبها
 يروغني من صرفها كل سادح
 أداري على رغم العدا لا لرية
 وأغدو بأشجاني عليلًا كأنما
 وإني وإن أصبحت في دار غربة
 وصدتني الأيام عن خير منزل
 لأعلم أن الخير والشر ينتهي
 وأني عزيز بابن ماساي مكر
 فطارت بقلبي أنة وعويل
 يمثل لي نوي بها وطلول
 كريم، وما عهد الكريم يحول
 فلا قربتني للقاء حمول
 مرادي ولم تعط القيادة ذلول
 وساء صباح بينها وأصيل
 زمان بنيل المعلوات بنيل
 ويؤسني لئان منه مطول
 فقي كبدي من وقعهن فلول
 تكاد له صم الجبال تزول
 يصانع واش خوفها وعدول
 تجود بنفسي زفرة وغلبل
 تحيل الليالي سلوتي وتزيل
 عهدت به أن لا يضم نزيل
 مداه وأن الله سوف يديل
 وإن هان أنصار وبان خليل

وقال يمدح^١ :

هل غير بابك للغريب مؤمل
 هي همة بعث إليك على النوى
 متبواً الدثنا ومتجع المنى
 حيث القصور الزاهرات منيفة
 أو عن جنابك للأماني معدل
 عزماً كما شحذ الحسام الصيقل
 والغيث حيث العارض المتهلل
 تغنى بها زهر النجوم وتحفل

١ قالها يمدح أبا العباس سلطان تونس عندما قدم إليه نسخة من كتابه « العبر » ، انظر التعريف : ٢٣٣ .

حيثُ الخيامُ البيضُ يُرفعُ للعلا
حيثُ الحمى للعزّ دون مجالهِ^١
حيثُ الكرامُ ينوبُ عن نار القيرى
حيثُ الجيادُ أملتْهُنَّ بنو الوغى
حيثُ الوجوهُ الغرُّ قنّتها الحيا
حيثُ الملوكُ الصيّدُ والتفّر الألى
والمكرّماتِ طيرافُها المتهدّلُ
ظلُّ أفاءته الوشيحُ الذّبْلُ
عرّفُ الكيّباءِ بجميهم والمندَلُ
ممتًا أطلّوا في المُغارِ وأوغلوا
والبشرُ فوق جبينها يتهلّلُ
عزّ الجوارُ لديهمُ والمنزلُ

وأشدّ السلطان أبا عبد الله ابن الحجاج لأول قدومه ليلة الميلاد الكريم عام
أربعة وستين وسبع مائة هذه القصيدة^٢ :

حيّ المعاهدَ كانت قبلُ تحيّني
إنّ الألى نرحت دارى ودارهمُ
وقفتُ أنشدُ صبراً ضاعَ بعدهمُ
أمثلُ الرّبعِ من شوقٍ وألثمهُ
وينهبُ الوجدُ مني كلّ لؤلؤةٍ
سقتُ جفوني مغاني الرّبعِ بعدهمُ
قد كان للقلبِ عن داعي الهوى شغل
أحبّبتنا هل لعهدِ الوصلِ مدّكرُ
ما لي وللطيفِ لا يعتادُ زائرهُ
يا أهلَ نجدٍ وما نجدُ وساكنها
أعندكمُ أنّتي ما مرّ ذكركمُ
أصبر إلى البرقِ من أنحاء أرضكمُ
بواكبِ الدمعِ يرويهَا ويُظنّيني
تحمّلوا القلبَ في آثارهمُ دوني
فيهمُ وأسألُ رسماً لا ينجيني
وكيفَ والفكرُ يدينه ويقصيني
ما زالَ جفني عليها غيرَ مأمونٍ
فالدمعُ وقفّ على أطلاله الجونِ
لو أنّ قلبي إلى السلوان يدعوني
منكم وهل نسمةٌ منكم تحيّني
وللتسيمِ عليلاً لا يسداويني
حسناً سوى جنة الفردوس والعينِ
إلاّ انثيتُ كأنّ الراحَ تثنييني
شوقاً ، ولولاكمُ ما كان يصبّني

١ الم. ب. : في سراحاته .

٢ الم. ب. : ٨٥ .

يا نازحاً والمنى تُدنيه من خلّدي حتى لأحسبه قرباً ينساجيني
أسلى هواك فؤادي عن سواك وما سواك يوماً بحالٍ عنك يُسليني
ترى الليالي أنستك ادّكاري يا من لم يكن ذكره الأيامُ تنسيني

ومنها :

أبعد مرّ الثلاثين التي ذهبتُ أولى الشباب بإحساني وتحسيني
أضعتُ فيها نفساً ما وردت به إلاّ سرابٌ غرورٍ لا يرويني
واحسرتي من أمانٍ كلّها خُدعٌ تریشُ غيبي ومرّ الدهرِ يبريني

ومنها في وصف المشور^١ المبني لهذا العهد :

يا مصنّعاً شيدتُ منه السعودُ حمى لا يطرقُ الدهرُ مبناهُ بتوهينِ
صرحٌ يحارُ لديه الطرفُ مفتتناً فيما يروقك من شكلٍ وتكوينِ
بُعداً لإيوان كسرى إنّ مشوركِ الـ سامي لأعظمُ من تلك الأواوينِ
ودّع دمشق ومغناها فقصركَ ذا « أشهى إلى القلب من أبواب جيرون »

ومنها في التعريض بالوزير الذي كان انصرافه بسببه :

مَنْ مبلغٌ غني الصحبِ الألى جهلوا ودّي وضاع حماهم إذ أضاعوني
أني أويتُ من العليا إلى حرّمٍ كادتُ مغانيه بالبشرى تحييني
وأنتي ظاعناً لم ألقَ بعدهمُ دهرأ أشاكي ولا خصماً يشاكيني
لا كالتّي أخفرتُ عهدِي ليالي إذ أقلبُ الطرفَ بين الخوفِ والهونِ
سقيماً ورعيّاً لأيامي التي ظفرتُ يداي منها بحظٍّ غير مغبونِ
أرتادُ منها مليّاً لا يماطلني وعداً وأرجو كريماً لا يُعنيني

١ المشور : المكان الذي يجلس فيه السلطان للحكم .

ومنها :

وهاك منها قوافٍ طيِّها حكم مثل الأزهري في طيِّ الرياحين
تلوح إن جليت درآ ، وإن تليت تني عليك بأنفاس البساتين
عانيت منها بجهد كل شاردة لولا سعودك ما كانت تواتيني
بمانع الفكر عنها ما تنقستم من كل حزن بطي الصدر مكنون
لكن بسعدك ذلت لي شواردها فرضت منها بتجبير وتزيين
بقيت دهرك في أمن وفي دعة ودام ملكك في نصير وتمكين
وهو الآن بحالته الموصوفة من الوجاهة والحظوة قد استعمل في السفارة إلى
ملك قشتالة فراقه وعرف حقه .

مولده بتونس بلده في شهر رمضان عام اثنين وثلاثين وسبعمائة ، انتهى
كلام لسان الدين في حق ابن خلدون .

[تعليق للمقري والباعوني]

قلت : هذا كلام لسان الدين في حق المذكور في مبادئ أمره وأواسطه ،
مكيف لو رأى تاريخه الكبير الذي نقلنا منه في مواضع وسماه « ديوان العبر
وكتاب المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من
دوني السلطان الأكبر » ورأيت بهفاس وعليه خطه في ثماني مجلدات كبار جدآ ،
وقد عرف في آخره بنفسه ، وأطال . وذكر أنه لما كان بالأندلس وحظي عند
السلطان أبي عبد الله شمس من وزيره ابن الخطيب رائحة الانقباض ، فقوض الرحال
ولم يرض من الإقامة بحال . ولعب بكرته صوالجة الأقدار ، حتى حل بالقاهرة
المعزية واتخذها خير دار ، وتولى بها قضاء القضاة وحصلت له أمور ، رحمه
الله تعالى .

وكان — أعني الولي ابن خلدون — كثير الثناء على لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى .

ولقد رأيت بخط العالم الشهير الشيخ إبراهيم البساعوني الشامي فيما يتعلق بابن خلدون ما نصّه محل الحاجة منه : تقلبت به الأحوال حتى قدم إلى الديار المصرية ، وولي بها قضاء قضاة المالكية ، في الدولة الشريفة الظاهرية ، وصحبته — رحمه الله تعالى — في سنة ٨٠٣ عند قدومه إلى الشام صحبة الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق في فتنة تمرلنك عليه من الله تعالى ما يستحقه ، وأكرمه تمرلنك غاية الإكرام ، وأعادته إلى الديار المصرية ، وكنت أكثر الاجتماع به بالقاهرة المحروسة للمودة الحاصلة بيني وبينه ، وكان يكثر من ذكر لسان الدين ابن الخطيب ، ويورد من نظمه ونثره ما يشنف به الأسماع ، وينعقد على استحسانه الإجماع ، وتتقاصر عن إدراكه الأطماع ، فرحمة الله تعالى عليهما ، وأزكى تحيياته تهدي إليهما . ولقد كان ابن خلدون هذا من عجائب الزمان ، وله من النظم والنثر ما يزري بعقود الجمان ، مع الهمة العلية ، والتبحر في العلوم النقلة والعقلية ، وكانت وفاته بالقاهرة المعزية سنة ٨٠٧ ، سقى الله تعالى عهده ، ووطأ في الفردوس مهده . قاله وكتبه الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن أحمد الباعوني الشافعي ، غفر الله تعالى له زلله ، وأصلح خلله ؛ انتهى .

١٠ — ومن نثر لسان الدين ما ذكره في « الإحاطة » في ترجمة يحيى بن إبراهيم ابن يحيى البرغواطي من بني الترجمان ، ولنذكر الترجمة بجملتها لاشتمالها على ما ذكر وغيره في حق المذكور بعد قوله « إنه من بني الترجمان » ما صورته : « عزف عنهم وانقطع إلى لقاء الصالحين ، وصحبة الفقراء المتجردين ، وكان نسيجَ وَحْدِهِ في طلاقة اللسان ، حافظاً لكل غريبة من غرائب الصوفية ، يتكلم في مشكلاتهم ، حفظ « منازل السائرين » للهروي ، وثائية ابن الفارض ؛ مليح الملبس ، مترفع عن الكُندية ، حسن الحديث ، صاحب شهرة ، ومع ذلك

فمغضوض منه ، محمول عليه ، لما جبل عليه من رفض الاصطلاح ، واطراح التغافل ، مؤلّع بالنقد ، والمخالفة في كل ما يطرق سمعه ، مرشحاً ذلك بالجلد المبرم ، ذاهباً أقصى مذاهب القحّة ، كثير الفلتات ، نالته بسبب هذه البلية محن ، ووُسم بالرهق في دينه مع صحة العقل ، وهو الآن عامر الرباط المنسوب إلى اللجام على رسم الشياخة ، عديم التابع ، مهجور الفناء ، قيد الكثير من الأجزاء منها في نسبة الذنب إلى الذاكر جزء نبيل غريب المأخذ ، ومنها فيما أشكل من كتاب أبي محمد ابن الشيخ ، وصنف كتاباً كبير الحجم في الاعتقادات جلب فيه كثيراً من الحكايات ، رأيت عليه بخط شيخنا أبي عبد الله المقرئ ما يدل على استحسانه . ومن البرسام الذي يجري على لسانه ، بين الجلد والقحّة والجهالة والمجانة ، قوله لبعض خدام باب السلطان وقد ضويق في شيء أضجره منقولاً من خطّه — بعد ردّ كثيرٍ منه للإعراب — ما نصه : الله نور السموات من غير نار ولا غيرها ، والسلطان ظلُّ له وسراجُه في الأرض ، ولكل منهما قرّاش مما يليق به ويتهافت عليه ، فهو تعالى محرق قرّاشه بذاته ، مغرقهم بصفاته وسراجُه ، وظله هو السلطان محرق قرّاشه بناره ، مغرقهم بزيتِه ونواله ، فقرّاش الله تعالى ينقسم إلى حافّين ومسبّحين ومستغفرين وأمناء وشاخصين ، وقرّاش السلطان ينقسمون إلى أقسام لا يشذ أحدهم عنها ، وهم وزغة ابن وزغة ، وكلب ابن كلب ، وكلب مطلقاً ، وعار ابن عار ، وملعون ابن ملعون ، وقط ، فأما الوزغة فهو المغرق في زيت نواله المشغول بذلك عما يليق بصاحب النعمة من النصيح وبذل الجهد ، والكلب ابن الكلب هو الكيس المتحرز في تهافته من إحراق وإغراق يعطي بعض الحق ويأخذ بعضه ، وأما الكلب مطلقاً فهو المواجه وهو المشرّد للسفهاء عن الباب المعظم القليل النعمة ، وأما العار ابن العار فهو المتعاطي في تهافته ما فوق الطوق ، ولهذا امتاز هذا الاسم بالرياسة عند العامة إذا مر بهم جلف أو متعاطم يقولون : هذا العار ابن العار ، يحسب نفسه رئيساً ، وذلك لقرب المناسبة ؛ فهو موضوع لبعض الرياسة ، كما أن الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة ، وأما الملعون

ابن الملعون فهو المغالط المعاند المشارك لربه المنعم عليه في كبريائه وسلطانه ، وأما القط فهو الفقير مثلي المستغني عنه لكونه لا تختص به رتبة ، فتارة في حجر الملك ، وتارة في السنداس^١ ، وتارة في أعلى الرتب ، وتارة محسن ، وتارة مسيء ، تُغفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة ، إذ هو من الطوائف ، متطير بقتله وإهانته ، تياه في بعض الأحيان بعزة يجدها من حرمة أبقاها له الشارع ، وكل ذلك لا يخفى . وأما الفَرَّاش المحرق فهو عند الدول نوعان : تارة يكون ظاهراً وحصلته مسح المصباح وتصفية زيتته وإصلاح فتيله وستر دخانه ومسايسة ما يكون من المطلوب منه ، ووجود هذا شديد الملازمة ظاهراً ، وأما المحرق الباطن فهو المشار إليه في دولته بالصلاح والزهد والورع فيعظمه الخلق ويترك لما هو بسبيله ، فيكون وسيلة بينهم وبين ربهم وخليفته الذي هو مصباحهم ، فإذا أراد الله تعالى إهلاك المروءة وإطفاء مصباحها تولى ذلك أهل البطالة والجهالة ، وكان الأمر كما رأيتم ، والكل فَرَّاش متهافت ، وكل^٢ يعمل على شاكلته .

١١ — قال الوزير لسان الدين : وطلب مني الكتب عليه بمثل ذلك . فكتبت ببعض أوراقه إثارة لضجره . واستدعاء لفكاهة انزعاجه ، ما نصه :
« وقفت من الكتاب المنسوب لصاحبنا أبي زكريا البرغواطى على برسام محموم ، واختلاط مدموم ، وانتساب زنج في روم ، وكان حقه أن يتهيب طريقاً لم يسلكها ، ويتجنب عقيلة لم يملكها ، إذ المذكور لم يتلق شيئاً من علم الأصول ، ولا نظر من الإعراب في فصل من الفصول ، إنما هي قِحة وخلاف ، وتهاون بالمعارف واستخفاف ، غير أنه يحفظ في طريق القوم كل نادرة ، وفيه رجولية ظاهرة ، وعنده طلاقة لسان ، وكفاية قلماً تتأتى لإنسان ، فلما الله نضرع أن يعرفنا مقادير الأشياء . ويجعلنا بمعزل عن الأغبياء ، وقد قلت مرتجلاً من أول نظرة ، واجتزاء بقليل من كثرة :

١ السنداس : بيت الراحة .

كلُّ جارٍ لغايةٍ مرْجوةٌ فهو عندي لم يعدْ حقَّ الفتوةِ
وأراكِ اقتحمتَ ليلاً بهيماً موبلاً منك ناقةٌ في كوةِ
لا اتباعاً ولا اختراعاً أتتنا إذْ نظرنا عروسكِ المجلوةِ
كلُّ ما قلتَهُ فقد قاله النا سٌ مقالاً آياتهُ متلوةِ
لم تزدْ غيرَ أن أبحتَ حمى الإء رابٍ في كلِّ لفظةٍ مقروءِ
نسألُ اللهَ فكرةً تلزمُ العق لَ إلى حشمةٍ تحوطُ المروءِ
وعزيرُ عليٍّ أن كنتَ يحیی ثم لم تأخذ الكتابَ بقوةِ »

١٢ - ومن بديع نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ما كتبه لسلطان تلمسان إثر قصيدة سينية حازت قصب السبق ، ولثبت الكل هنا فنقول : قال الإمام الحافظ عبد الله التنسي نزيل تلمسان رحمه الله تعالى ، عندما جرى ذكر أمير المسلمين السلطان أبي حمّو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمّراسن بن زيان رحمه الله تعالى ، ما صورته : وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله ابن الخطيب كثيراً ما يوجه إليه بالأمداح ، ومن أحسن ما وجه له قصيدة سينية فائقة ، وذلك عندما أحس بتغير سلطانه عليه ، فجعلها مقدمة بين يدي نجواه ، لتمهد له مثواه ، وتحصل له المستقر ، إذا أبلّجها الأمر إلى المقر ، فلم تساعده الأيام ، كما هو شأنها في أكثر الأعلام ، وهي هذه ^١ :

أطلعنَ في سدَفِ الفروع شموسا ضحكك الظلامُ لها وكان عبوسا
وعطفنَ قُضباً للقُدودِ نواعماً بوثنَ أدواحِ النعيمِ غُروسا
وعدلنَ عن جهرِ السلامِ مخافةً ال واشي فجئنَ بلفظه مَهْموسا
وسقَرنَ من دهشِ الوداعِ وقومُ هُنَّ إلى الترحلِ قد أناخوا العيسا
وخلصنَ من خللِ الحجالِ إشارةً فركنَ كلَّ حجالها مخلوسا
لم أنسها من وحشةٍ والحيُّ قد زجرَ الحمولَ وآثرَ التغلّيسا

١ أزهار الرياض ١ : ٢٥٠ وبنية الرواد ٢ : ٢٨٧ .

لا الملتقى من بعدها كَثَبٌ ولا
 فوقفتُ وقْفَةً هائمٍ برحاؤه
 ودَعَوْتُ عيني عاتباً وعيونها
 نافستِ يا عينيَّ درَّ دموعهم
 ما للحمى بعدَ الأَجَبِ موحشاً
 وليسرَّيه حولَ الحميلةِ نافرأ
 ولظله المورودِ غمرُ قلبيه
 حيَّيته فأجابني رَجْعُ الصدى
 ما إن يزيدُ على الإعادةِ صوتهُ
 نَضَبَ المعينِ وقلَّصَ الظلُّ الذي
 نتوَّعدُ الرجعى ونغتنمُ اللقا
 فإذا سألتَ فلا تسألُ مخبراً
 عهدي بهِ والدهرُ يتحفُ بالمنى
 والعيشُ غَضُّ الرِّيعِ والدُّنيا قد اجد
 أتري بعيدُ الدهرُ عهداً للصِّبا
 أوطانُ أوطارٍ تعوضُ أفقها
 هيهاتَ لا تغني لعلَّ ولا عسى
 والدَّهرُ في دستِ القضاءِ مدرَّسُ
 تفتنُ في جُمْلِ الورى أبحائهُ
 وسجِيَّةُ الإنسانِ ليسَ بناصرٍ
 يغرُّ مَهْمَا ساعدتْ آمالهُ

عُوْجُ الركائبِ تَسَامُ التَّخْيِيسُ^١
 وَقِفَتُ عَلَيْهِ وَحُبَّتْ تَحْيِيسَا
 بعضا النوى قد يَجَسَّتْ تَحْيِيسَا
 فعرضتِ درأً للدموعِ نفيسا
 ولكم تراءى آهلاً مأنوسا
 عَمَنُ يحسُّ بهِ وكان أنيسا
 لا يقتضي ورداً ولا تعرِّيسا
 لا فَرَقَ بينهما إذا ما قيسا
 حرفاً فيشفي بالمزيدِ نسيسا^٢
 ظلنا عكوفاً عندهُ وجلسا
 ونديرُ من شكوى الغرامِ كؤوسا
 وإذا سمعتَ فلا تحسُّ حسيسا
 وقد اقتضتْ نعماهُ أن لا بوسا
 تليتُ بمغناهُ عليَّ عروسا
 دَرَسَتْ مغاني الأَنسِ فيه دروسا
 من رونتِ البشرِ البهيَّ عبوسا
 في مثلها إلا لآيةِ عيسى
 فإذا قضى يستأنفُ التدريسا
 لا سيَّما في بابِ نعمٍ وبيسا
 من صبغها حتى يرى مرموسا
 فإذا عَراهُ الخطبُ كان يؤوسا

١ ق ص : التجنيس ، والتصويب عن الأزهار والبهية ؛ التخييس : تدليل الدابة .

٢ النسييس : غاية الجهد ؛ قلت ولعل الصواب « رسيسا » .

فَلَوَ أَنَّ نَفْسًا مُكِّنَتْ مِنْ رَشْدِهَا
لَمْ تَسْتَفْزَ رَسُوخَهَا النِّعْمَى وَلَا
قَلْ لِلزَّمَانِ إِلَيْكَ عَسَنَ مُتَدَمِّمٍ
فَإِذَا اسْتَحَرَّ جَلَادُهُ فَأَنَا الَّذِي اس
وَإِذَا طَغَى فِرْعَوْنُهُ فَأَنَا الَّذِي
أَنَا ذَا أَبُو مَثْوَاهُ^٣ مَنْ يَحْمِي الْحَمَى
بِحِمَى أَبِي حَمَّوْ حَطَطْتُ رِكَائِي
أَسَدُ الْهِجَاجِ إِذَا خَطَا قَدُمًا سَطَا
بَدْرُ الْهَدَى يَأْبَى الضَّلَالِ ضِيَائُهُ
جَبَلُ الْوَقَارِ رَسَا وَأَشْرَفَ وَاعْتَلَى
غَيْثُ النِّوَالِ إِذَا الْغَمَامُ حَلَوْبَةٌ
تَلْقَاهُ يَوْمَ الْأَنْسِ رَوْضًا نَاعِمًا
كَمْ غَمْرَةٌ جَلَّتْ وَكَمْ خُطْبٌ كَفَى
كَمْ حِكْمَةٌ أَبْدَى وَكَمْ قَصْدٌ هَدَى
أَعْلَى بَنِي زَيْتَانَ وَالْقَدُّ الَّذِي
جَمَعَ الْهَدَى وَالْبَاسَ وَالشِّيمَ الْعَلَا
وَالْحَلَمُ لَيْسَ يَبَايِنُ الْخَلْقَ الرِّضَى
وَالسَّعْدُ يَغْنِي حَكْمَهُ عَنْ نَصْبَةٍ
كَمْ رَاضٍ صَعْبًا لَا يَرِاضُ مُعَاصِيًا

يَوْمًا وَقَدَّسَهَا الْهَدَى تَقْدِيسًا
هَلَعَتْ إِذَا كَثُرَتْ^١ إِلَيْهَا الْبُوسَى
بِضْمَانٍ عَزَّ لَمْ يَكُنْ لِيَخِيسَا^٢
تَغَشَّيْتُ مِنْ سَرْدِ الْيَقِينِ لَبُوسًا
مِنْ ضَرِّهِ وَأَذَاهُ عُدْتُ بِمُوسَى
لَيْشًا وَيَعْلَمُ بِالزَّيْرِ الْخَيْسَا
لَمَّا اخْتَبَرْتُ اللَّيْثَ وَالْعَرِيسَا
فَتَخَلَّفَ الْأَسَدَ الْهَزْبَرَ فَرِيسَا
أَبْدَأَ فَيَجْلُو الظُّلْمَةَ الْخَنْدِيسَا
وَسَمَا فُطِطَاتِ الْجِبَالِ رُؤُوسَا
مَثَلْتُ بِأَيْدِي الْخَالِبِينَ بَسُوسَا^٤
وَتَرَاهُ بِأَسَا فِي الْهِجَاجِ بَثِيسَا
إِنْ أَوْطَأَ الْجُرْدَ الْعَتَاقَ وَطِيسَا
لِلسَّالِكِينَ أَبَانَ مِنْهُ دَرِيسَا^٥
لَيْسَ الْكَمَالَ فَزِينِ الْمَلْبُوسَا
وَالسُّودَدَ الْمُتَوَاتِرَ الْقُدُمُوسَا
وَالْعِلْمُ لَيْسَ يِعَارِضُ النَّاهُوسَا
تَسْتَخْبِرُ التَّرْيِيعَ وَالتَّسْدِيسَا
كَمْ خَاضَ بِحَرًّا لَا يَخَاضُ ضُرُوسَا

١ ق : كَثُرَتْ .

٢ خَاس : خَفِرَ الْعَهْد . ٣ الْبَيْتَةُ : نَادَى أَبَا مَثْوَاهُ .

٤ الْبُوسُوس : الَّتِي تَتَطَلَّبُ لِإِسَاسٍ أَيْ تَسْكِينًا كَمَا تَدْر .

٥ الدَّرِيس : الطَّرِيقُ الْخَلْفِيُّ .

بَلَغَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا مَتَهَلًّا^١
 يَا خَيْرَ مَنْ خَفَقَتْ عَلَيْهِ سَحَابَةٌ^٢
 وَأَجَلَ^٣ مِنْ حَمَلْتَهُ صَهْوَةً سَابِغٍ
 قَسَمًا بِمَنْ رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ مَا
 وَدَحَا الْبَسِيطَةَ فَوْقَ لُجٍّ مُزْبِدٍ^٤
 حَتَّى يَهَيْبَ بِأَهْلِهِ الْوَعْدُ الَّذِي
 مَا أَنْتَ إِلَّا ذَخْرُ دَهْرِكَ دَمَتْ فِيهِ
 لَوْ سَاوَمْتَهُ الْأَرْضُ فَيْكَ بِمَا حَوَتْ^٥
 حَلَفَ^٣ الْبُرُورُ بِهَا أَلِيَّةً صَادِقٍ
 مَنْ قَاسَ ذَاتَكَ بِالذَّوَاتِ فَإِنَّهُ^٤
 لَا تَسْتَوِي الْأَعْيَانُ فَضْلَ مَزِيَّةٍ
 لِعَنَانَةِ التَّخْصِصِ سِرٌّ غَامُضٌ^٥
 مِنْ أَنْكَرَ الْفَضْلِ الَّذِي أُوتِيَتْهُ^٥
 مِنْ دَانَ بِالْإِخْلَاصِ فَيْكَ فَعَقْدُهُ
 وَالْمَنْتَمَى الْعَلَوِيُّ عَيْصُكَ لَمْ تَكُنْ^٥
 بَيْتُ الْبَتُولِ وَمَنْبَتُ الشَّرَفِ الَّذِي
 أَمَّا سِيَاسَتُكَ الَّتِي أَحْكَمْتَهَا
 فَلَوْ أَنَّ كَسْرَى الْفَرَسِ أَبْصَرَ بَعْضَهَا
 لَوْ سَارَ عَدْلُكَ فِي السَّنِينَ لَمَا اشْتَكَتْ

وَعَلَا السُّهَاءُ وَاسْتَسْفَلَ الْبَرْجِيسَا^١
 لِلنَّصْرِ تُمْطَرُهُ أَجَشُّ^٢ بِجِيسَا^٢
 إِنْ كَرَّ ضَعُضَعُ كَرُّهُ الْكُرْدُوسَا
 عَمَدٍ وَرَفَعَ فَوْقَهَا إِدْرِيسَا
 مَا إِنْ يَزَالُ عَلَى الْقَرَارِ حَبِيسَا
 حَشَرَ الرَّئِيسَ إِلَيْهِ وَالْمَرْوُوسَا
 صَوْنَ الْحَرِيزِ مُمْتَعًا مَحْرُوسَا
 لَرَأَكَ مُسْتَأْمًا بِهَا مَبْخُوسَا
 وَيَمِينُ مَنْ عَقَدَ الْيَمِينَ غَمُوسَا
 جَهْلَ الْوِزَانِ وَأَخْطَأَ التَّقْيِيسَا
 وَطَبِيعَةَ فَطَرَ الْإِلَهَ وَسُوسَا^٤
 مِنْ قَبْلِ ذَرَّةِ الْخَلْقِ خَصَّ نَفُوسَا
 جَحَدَ الْعِيَانِ وَأَنْكَرَ الْمَحْسُوسَا
 لَا يَقْبَلُ التَّمْوِيَةَ وَالتَّلْبِيسَا
 لَتَرَى دَخِيلًا فِي بَنِيهِ دَسِيسَا
 تَحْمِي الْمَلَائِكُ دُوحَهُ الْمَفْرُوسَا
 وَرَمَيْتَ بِالتَّقْصِيرِ أَسْطَالِيسَا
 مَا كَانَ يَطْنَعُ أَنْ يُعْدِي سُوسَا^٥
 بَخْسًا ، وَلَمْ يَكُ بَعْضُهُنَّ كَبِيسَا

١ البرجيس : المشتري .

٢ البجيس : المتدفق بغزارة .

٣ ق والبغية : كلف .

٤ السوس : الخليقة والسجية .

٥ يعدي سوسا : يتجاوز السوس ، منطقة تستر ، وفي الأزهار : يعد سوسا أي ذا سياسة .

ولو الجوّاري الحُنُسُ انتسبت إلى
قُدَّت الصعابَ فكلُّ صعبٍ سامحٌ
تلقى الليوثَ وللقَتنامِ غَمَامَةٌ
وكانها نحتَ الدروعِ أرقامٌ
ما لابنِ مامةٍ في القديمِ وحاتمٍ
مَنْ جاءَ منهمُ مثلَ جودكَ كلِّما
أنتَ الذي افتكَّ السفينَ وأهله
أنتَ الذي أمددتَ ثغرَ اللهِ بالصـ
وأعنتَ أندلساً بكلِّ سبيكةٍ
وشحينةٍ بالبرِّ في سُبُلِ الرضى
إنَّ لم تجرَّ بها الحميسَ فطالما
وملأتَ أيديها وقد كادت على
صدقتَ للآمالِ صنعةَ جابرٍ
والحلَّ والتقطيرَ والتصعيدَ والـ
فسبكتَ من آمالها مالا ، ومن
بُهِتوا فلما استخبروا لم ينكروا
وتُدِيرُ من قلبِ السَّطورِ سبائكا
ونحوتَ نحوَ الفضلِ تعضدُ منه بالـ
وجبرتَ بعدَ الكسرِ قومكَ جاهداً

إقدامِ عزمكَ ما خسنَ خُنوساً^١
لكَ بالقيادِ وكانَ قبلُ شَموساً
قدَحَ الصفيحِ وميضُها المَقبوساً
ينظرونَ من خللِ المغافرِ شوماً
ضربَ الزمانُ بجودهم ناقوساً
حسبوا المكارمَ كسوةً أو كيساً
إذْ أوسعتُ سبُلُ الخلاصِ طموساً
لَمَقاتِ تَبْلِسُ كَرَّةً إبليساً
موسومةٍ لا تعرفُ التَّدليساً
والبرِّ قاربَ قاعِها القاموساً
جَهَزَتْ فيها للنوالِ خميساً
حكمَ القضاءِ تُشافهُ التَّفليساً
وكفيتها التَّشَميعَ والتَّشَميساً^٢
تخميرَ والتصويلَ والتَّكليساً^٣
أوراقها ورَقاً ، وكنَّ طُروساً
وزناً ولا لوناً ولا ملموساً
منها ومن طبعِ الحروفِ فلوساً
مسموعٍ ما ألفتَ منه مقيساً
تُغني العديمَ وتُطلقُ المحبوساً

١ هذا البيت والذي بعده سقطا من ق .

٢ ذكر جابر بن حيان وأردف ذلك بذكر بعض المصطلحات الكيميائية ؛ فالتشيع : تليين الشمع ،
والتشيس : تعريض المواد للشمس .

٣ الحل : التحليل الكيميائي ؛ والتقطير والتصعيد مثلهما . والتصويل : جعل الرواسب طافية
وهو تال للتكليس .

ونشرت راية عزهم من بعد ما
أحكمت حيلة برئهم بلطافة
وفلكت من حد الزمان وإنه
وشحدت حدًا كان قبل مثلما
لم ترج إلا الله جل جلاله
قدمت صباحاً فاستضأت بنوره
ما أنت إلا فالح متيقن
ومتاجر جعل الأريكة سهوة
ما إن تباع أو تشاري واثقاً
والعزم يفرع النجوم بناؤه
ومقام صبرك واتكالك مذكر
ومن ارتضاه الله وفق سعيه
ما ازددت بالتمحيص إلا جدة
ولطالما طرق الحسوف أهلة
ثم انجلت قسماتها عن مشرق
خذها إليك على النوى سينية
إن طوولت بالدّر من حول الطلى
لولاك ما أصغت لخطبة خاطب
قصدت سليمان الزمان وقاربت
لي فيك ود لم أكن من بعد ما
كم لي بصحة عقده من شاهد

دال الزمان فسامها تنكيسا
قد أعجزت في الطب جالينوسا
أوحى وأمضى من غرار موسى
ونعشت جدًا كان قبل تعيسا
في شدة تكفى وجرح يوسى
ووجدت عند الشدة التنفيسا
بالنُججِ تعمر مُمرعاً وبييسا
عريّة والمتكا القربوسا
بالربح إلا المالك القدوسا
مهما أقام على التقى تأسيسا
بحديثه الشبلي أو طساووسا
فرأى العظيم من الحظوظ خسيسا
ونضوت من خلع الزمان لبيسا
ولطالما اعترض الكسوف شموسا
للسعد ليس بجاذر تنعيسا
ترضى الطباق وتشكر التجنيسا
يوماً تشكّت حظها الموكوسا
ولعنست في بيتها تعيسا
في الخطو تحسب نفسها بلقيسا
أعطيت صفقة عهده لأحيسا
لا يحذر التجريح والتدليسا

يقفو الشهادة باليمين ، وإنه لا يستقرُّ قرارُ أفكاري إلى وأرى تجاهك مستقيم السير لا هي دينُ أيامي فإن سَمَحْتَ به لا زال صنعُ الله مجنوباً إلى مُتتابعاً كمتابعِ الأيام لا فلكوا أنصفتك إيالةُ الملكِ السني قرنتُ بذكرك والدعاء لك الذي القلبُ أنت لها رئيسُ حياتها لم تؤمن من أن يُعدَّ فسيسا أن أستقرَّ لدى عُلاك جليسا قصدِ الذي أعملته معكوسا لم يبق من شيء عليه يوسى مثوأك يهدي البشر والتأنيسا يذرُّ التعاقبَ جمعةً وخميسا رُضت الزمان لها وكان شريسا تخساره التسنيح والتقديسا لم تُعتبر مهما صلحت رئيسا

ثم قال الحافظ التنسي رحمه الله تعالى بعد سرد هذه القصيدة ما معناه : إن لسان الدين ابن الخطيب حدّا في هذه القصيدة السنية حدّوا أبي تمام في قصيدته التي أولها ٢ :

أَقْشِبَ رَبِّهِمْ أَرَاكَ دَرِيسَا تَقْرِي ضِيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا

واختلس كثيراً من ألفاظها ومعانيها ؛ انتهى .

ووصل لسان الدين هذه القصيدة بنثر بديع نصه :

« هذه القصيدة — أبقى الله تعالى أيام المثابة المولوية الموسوية ممتعة بالشمل المجموع ، والثناء المسموع ، والملك المنصور الجموع — نفثة من باح بسر هَواه ٣ ، ولبي دعوة الشوق العاث بلبه وقد ظفر بمن يُهدي خبر جواه ، إلى محل هَواه ، ويختلس بعث تحيته ، إلى مثير أريحته ، وهي بالنسبة إلى ما يعتقد

١ الفيس : الضعيف ؛ وفي ق ص : قسيسا .

٢ ديوانه ٢ : ٢٦٢ .

٣ البقية : بسر حبه .

من ذلك الكمال ، الشاذ عن الآمال . عنوان^١ من كتاب : وذواق من أوقار ذات أفتاب ، وإلا فمن يقوم بحق تلك المثابة لسانه ، أو يكافئ إحسانها إحسانه ، أو يستقل بوصفها يراعه ، أو تنهض بأيسر وظيفها ذراعه ؟ ولا مكابرة بعد الاعتراف . والبحر لا ينفد بالاعتراف ، لا سيما وذاتكم اليوم^٢ والله تعالى يقيها . ومن المكاره يقيها ، وفي معارج القرب من حضرة القدس يرقىها ، ياقوتة اختارها واعتبرها ، ثم ابتلاها بالتمحيص في سبيل التخصيص واختبرها ، وسبيكة أخلصها مسجرتها ، فخلصها بتسجيرها من الشوب^٣ ، وأبرزها من لباب الذوب^٤ ، وقصرت عن هذه الأثمان . وسُرَّ بصدق دعواه البهرمان^٥ ، ليفاضل بين الجهام والصَّيْب^٦ و﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ﴾ (الأنفال : ٣٧) فأراكم أن لا جدوى للعديد ولا للعدة ، وعرفكم بنفسه في حال الشدة ، ثم فسح لكم بعد ذلك في المدة ، لتعرفوه إذا دال الرخاء . وهبَّت بعد تلك الزعازع الريحُ الرُّخاء ، وملاكم من التجارب . وأوردكم من ألطافه أعذب المشارب ، ونقلكم بين إمرار الزمان وإحلاله . ولم يسلبكم إلا حقيراً عند أوليائه ، وأعادكم المعاد المُطهر ، وألبسكم من أثواب اختصاصه المُعلم المشهر ، فأنتم اليوم بعين العناية ، بالإفصاح والكناية ، قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف بالجنابة ، فإن كان الملك اليوم علماً يُدرس ، وقوانين في قوة الحفظ تُغرس ، وبضاعة برصد التجارب تُحرس ، فأنتم مالك دار هجرته المحسوبة ، وأصمعي شعوبه المنسوبة ، إلى ما حزتم من أشنات الكمال ، المُربّية على الآمال ، فالبيت علوي المتسب ، والمملك بين الموروث والمكتسب ، والجلود يعترف به الوجود ، والدين يشهد به الركوع والسجود ، والبأس تعرفه التهائم والنُّجود ، والخلق يحسده الروض المتجود ، والشعر يغترف من عذب نعيم . ويصدق ما قال : بدىء بأمير وختم بأمير ، وإن مملوككم حوّم

١ ق : أخلصها وشجرها فخلصتها الشحيرة من الشوب وأبرزتها من لباب الذوب ؛ وكذلك هي في

أصول الأزهار ؛ وفي البقية : خلصها وشجرها فخلصتها السحيرة من الشوب . . . الخ .

٢ البقية : يصدق دعوته البرهان ؛ والبهرمان : العصفور .

من بآبكم على العذب البرود ، فعاقه الدهر عن الورود ، واستقبل أفقه ليحقق الرصد ، ولكنه أخطأ القصد ، ومن أخطأ الغرض أعاد ، ورجا من الزمان الإسعاد ، فربما خُبيء نصيب ، أو كان مع الخواطيء سهم مصيب^١ ، وكان يؤمل صحة ركاب الحجاز ، فانتقلت الحقيقة منه إلى المجاز ، وقطعت القواطع التي لم ينلها الحساب ، ومنعت الموانع التي خلص منها إلى الفتنة الانتساب ، ومن طلب الأيام أن تجري على اقتراحه ، وجبّ العمل على اطراحه ، فإنما هي البحر الزاخر ، الذي لا يدرك منه الآخر ، والرياح متغايرة ، والسفينة الحائرة ، فتارة يتعذر من المرسى الصرف ، وتارة تقطع المسافة البعيدة قبل أن يرتدّ الطرف ، هذا إن سالمها عطبها ، وأعفي من الوقود حطبها ، ولقد علم الله جل جلاله أن لقاء ذلك المقام الكريم عند المملوك تمام المطلوب ، ممّن يجبر كسر القلوب ، فإنه ممّا انعقد على كماله الإجماع ، وصحّ في عوالي معاليه السّماع ، وارتفعت في وجود مثاله الأطماع ، أخلاقاً هدّتها الكرم الوضاح ، وسجية كلف بها الكمال الفضاح ، وحرصاً على الذكر الجميل وما يتنافس فيه إلّا من سمّت هممه ، وكرمت ذممه ، وألفت الخلد رممه ، إذ الوجود سراب ، وما فوق التراب تراب ، ولا يبقى إلّا عمل راق ، أو ذكر بالجميل يُسّطر في أوراق ، حسبما قلت من قصيدة كتبها على ظهر مكتوب موضوع أشار به من كانت له طاعة ، فوفت بمقترحه استطاعة :

يمضي الزمان وكلّ فان ذاهب	إلّا جميل الذكر فهو الباقي
لم يبق من إيوان كسرى بعد ذا	لّك الحفل إلّا الذكر في الأوراق
هل كان للسفاح والمنصور وال	مهديّ من ذكر على الإطلاق
أو للرشيدي ولأمين وصنوه	لولا شبة براعة الوراق
رجع التراب إلى التراب بما اقتضت	في كلّ خلق حكمة الخلاق

١ أصله من المثل « مع الخواطيء سهم صائب » .

إلاّ الثناء الخالد العطر الشّدّا يهدي حديث مكارم الأخلاق

والرغبة من مقامكم الرفيع الجنب ، أن يمكنها من حسن المتّاب ، فتعظي بحلول
ساحته ، ثمّ بلثم راحته ، ثمّ بالإصغاء ، ولا مزيد للابتغاء ، إلى أن ترتفع الوساطة ،
وتغني عن التركيب البساطة ، ويُنسى الأثر بالعين ، ويحسن الدهر قضاء الدين .
ونسأل الذي أغرى بها القريحة ، ولم يجعل الباعث إلاّ المحبة الصريحة ، أن يبقى
تلك المثابة زينةً للزمان ، وذخراً مكنوفاً باليمن والأمان ، مظلاًّ برحمة الرحمن .
بفضله وكرمه ؛ انتهى .

١٣ — ومما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى إلى الشيخ الرئيس الخطيب
شيخه أبي عبد الله ابن مرزوق رحمه الله تعالى حين كانت أزمّة أمر المغرب بيده
أيام السلطان أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن المريني رحمه الله تعالى الجميع ، ما
صدرته :

« سيدي بل مالكي بل شافعي ، ومُنتشلي^١ من الهفوة ورافعي ، وعاصمي
عند تجويد حروف الصنائع ونافمي ، الذي بجاهه أجزلت المنازل قيراي ، وفصّات
أولاي والمئة لله تعالى أخراي ، وأصبحت وقول الحسن^٢ هيجيراي :

علقتُ بجبلٍ من جبالٍ محمّدٍ أمنتُ به من طارقِ الحدّثانِ
تغطيتُ من دهري بظلّ جناحه فعبني ترى دهري وليس يراني
فلو تُسأل الأيامُ ما اسمي ما درتُ وأين مكاني ما عرفن مكاني

وصلت مكناسة حرسها الله تعالى حداني حدو نذاك ، سحائب لولا الخصال المبرة
قلت : يداك^٣ ، وكان الوطن لاغتيباطه بجواري ، أو ما رآه من انتياب زوّاري ،

١ ق : ومنشلي .

٢ يعني أبا نواس ، والأبيات في ديوانه : ٩٧ .

٣ ق : قبلت يداك ؛ فاقتضى التصويب ، والمبرة : الزائدة عل خصال السحائب هنا .

أوغر إلى بهت يقطع الطريق ، وأطلع يده على التفريق ، وأشرق القوافل مع كثرة الماء بالريق ، فلم يسع إلاّ المقام أياماً قعوداً في البر وقياماً ، واختياراً لضروب الأنس واعتيافاً ، ورأيت بلدة معارفها أعلام ، وهوأها برد وسلام ، ومحاسنها تعمل فيها ألسنة وأقلام ، فحيّا الله تعالى سيدي فلکم من فضل أفاد ، وأنس أحياء وقد باد ، وحفظ منه على الأيام الذخر والعناد ، كما ملكه زمام الكمال فاقتاد ، وأنا أطارح عليه في صلات تفقده ، وموالاة يده ، بأن يسهمني في فرض مخاطبته مهما خاطب معتبراً بهذه الجهات ، ويصحبني من مناصحته بكؤوس مسرة يعمل فيها هالك وهات ، فالعز بعزه معقود ، والسعد بوجوده موجود ، ومنهّل السرور بسروره مورود ، والله عز وجل يُبقيه بقاء الدهر ، ويجعل حُبّه وظيفة السر وحمّده وظيفة الجهر ، ويحفظ على الأيام من زمنه زمن الزهر ، ويصل لنا تحت إيالته العام بالعام والشهر بالشهر ، آمين آمين « انتهى .

١٤ — وممّا خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى صاحب الأشغال بالمغرب أبا عبد الله ابن أبي القاسم بن أبي مدّين يهنيه بتقلد المنصب من رسالة قوله :

تعودُ الأمانُ بعدَ انصرافٍ ويعتدلُ الشيءُ بعد انحرافٍ
فإن كان دهرُكَ يوماً جتّى فقد جاء ذا خجلٍ واعترافٍ

طلع البشير أبقالك الله تعالى بقبول الخلافة المرينية ، والإمامة السنية ، خصها الله تعالى ببلوغ الأمانة ، على تلك الذات التي طابت أرومتها وزكت ، وتأوّت العلياء لتذكر عهداً وبكت ، وكاد السرور ينقطع لولا أنها تركت منك الوارث الذي تركت ، فلولا العذر الذي تأكدت ضرورته ، والمانع الذي ربما تقررت لديكم صورته ، لكنت أول مشافه بالهناء ، ومصارف لهذا الاعتناء ، الوثيق البناء ، بنقود الحمد لله والثناء ، وهي طويلة .

١٥ — وممّا خاطب به رحمه الله تعالى قاضي الجماعة وقد نالته مشقة

جرّها غلطُ الخدّامِ السوءِ واشتراكِ الأسماءُ ، أعتبه عندها السلطان وخلع عليه
وأشاد بقدره بما نصه :

تعرفتُ . أمراً ساءني ثمّ سرّني وفي صحّة الأيام لا بد من مرّضٍ
تعمّدك المحبوب بالذاتِ بعدما جرى ضده ، والله يكفيه بالعرضِ

في مثلها سيدي يُحمّد الاختصار ، وتُقصّر الأنصار ، وتُصرف^١ الأبصار ،
إذ لم يتعين ظالم ، ولم يتبين يقظ ولا حالم ، وإنما هي هدية أجر ، وحقيقة وصل
أعقبت مجاز هجر ، وجرح جُبار ، وأمر ليس به اعتبار ، ووقية لم يكن فيها
إلاّ غُبار ، وعثرة القدم لا تُنكر ، والله سبحانه يُحمّد في كلّ حالة ويُشكر ،
ولإذا كان اعتقاد الخلافة لم يَشُبّه شائب ، وحسن الولاية لم يعبه عائب ، والرعي
دائب ، والجاني تائب ، فما هو إلاّ الدهر الحسود ، لمن يسود ، خَمَسَ بيد ثمّ
سترها ، ورمى عن قوس ما أصلحها — والحمد لله — ولا أوترها ، إنما باء بشينه ،
وجنى من مزيد العناية محنة عينه ، ولا اعتراض على قدر ، أعقب بحظ معتذر ،
وورّد نُغصَ بكر ، ثمّ أنّسَ بإكرام^٢ صدر ، وحسبنا أن نحمد الدفاع من
الله تعالى والذب ، ولا نقول مع الكَظْمِ إلاّ ما يُرضي الرب ، وإذا سابق أولياء
سيدي في مضمار ، وحماية ذمار ، واستباق إلى بر وابتدار ، بجهد اقتدار ،
فأنا ولا فخر متناول القصبة ، وصاحب الدّين من بين العصبة^٣ ، لما بلوت من
بر أوجه الحسب ، والفضل الموروث والمكتسب ، ونصح وضح منه المذهب ،
وتنفيق راق منه الرداء المذهب ، هذا مُجمل وبيانه إلى وقت الحاجة مؤخّر ،
ونبذة شرّه لتعجيلها يراع^٤ مسخّر ، والله سبحانه يعلم ما أنطوي عليه لسيدي من
إيجاب الحق ، والسير من إجلاله على أوضح الطرق ، والسلام ؛ انتهى .

١ ق : وتطرف .

٢ ق : بأكرم .

٣ العصبة : الأقرباء . من جهة الأب .

١٦ — وقال رحمه الله تعالى : خاطبتُ بعض الفضلاء بقولي ممّا يظهر
من الحملة غرضه :

تعرفتُ قُرْبَ الدارِ ممّن أحبّه فكنتُ أجيدُ السيرَ لولا ضرورة
لأتلوّ من آيِ المحامدِ سورة وأبصر من شخص المحاسن صورة

كنت أبقاك الله تعالى لاغباطي بولائك ، وسروري بلقائك ، أود أن أطوي إليك
هذه المرحلة ، وأجدّد العهد بلقياك المؤمّلة ، فمنع مانع ، وما ندري في الآتي
ما الله صانع ، وعلى كل حال فشأني قد وضح منه سبيل مسلوك ، وعليمه مالك
ومملوك ، واعتقادي أكثر ممّا تسعه العبارة ، والألفاظ المستعارة ، وموصّلها
ينوب عني في شكر تلك الذات المستكملة شروط الوزارة ، المتصفة بالعفاف
والطهارة ، والسلام .

١٧ — وقال سامحه الله تعالى يخاطب السلطان أبا عبد الله ابن نصر جبره الله
تعالى عند وصول ولده من الأندلس :

الدهرُ أضيقُ فُسْحَةً من أن يرى بالحزنِ والكمدِ المضاعفِ يُقَطِّعُ
وإذا قَطَعْتَ زمانه في كربة ضيعتَ في الأوهامِ ما لا يرجعُ
فاقنعْ بما أعطاك ربك واغتم منه السرورَ وخلّ ما لا ينفعُ

مولاي الذي له المنن ، والخلق الجميل والخلق الحسن ، والمجد الذي وضع
منه السنن ، كتبه عبدك مهنئاً بنعم الله تعالى التي أفاضها عليك ، وجلبها إليك ،
من اجتماع شملك ، بنجلك ، وقضاء دينك ، من قرة عينك ، إلى ما تقدم
من إفلاتك ، وسلامة ذاتك ، وتمزق أعدائك ، وانفرادك بأودائك ، والزمن ساعة
في القيصّر ، لا بل كلمّح البصر ، وكأني بالبساط قد طوي ، والتراب على
الكل قد سوي ، فلا تبقى غبطة ولا حسرة ، ولا كربة ولا يسرة ، وإذا نظرت

ما كنت فيه تجددك لا تنال منه إلا أكلة وفراشاً ، وكنيناً ورياشاً ، مع توقع الوقائع وارتقاب الفجائع ، ودعاء المظلوم وصداع الجائع ، فقد حصل ما كان عليه التعب ، وأمن الرهب ، ووضح الأجر المذهب ، والقدره باقية ، والأدعية راقية^١ ، وما تدري ما تحكم به الأقدار ، ويتمخض عنه الليل والنهار ، وأنت اليوم على زمانك بالخيار ، فإن اعتبرت الحال واجتنبت المحال . لم يخف عليك أنك اليوم خير منك أمس ، من غير شك ولا لبس ، وكان من أمني التوجه إلى رؤية ولدكم ولكن عارضتني موانع ، ولا ندري في الآتي ما الله تعالى صانع ، فاستنبت هذه في تقبيل قدّمه ، والهناء بمقدمه ، والسلام .

١٨ — وقال رحمه الله تعالى : قلت أخاطب محمد بن نوار ، وقد أعرس بنت مزوار الدار السلطانية ، وهو معروف بالوسامة وحسن الصورة :

إن كنت في العرس ذا قصورٍ فلا حضورٌ ولا دخالة^٢
ينوبُ نظمي منابَ تيسٍ والنثرُ عن قُفّة النخالة^٣

هناكم الله سبحانه دعاء وخبراً ، وألبسكم من السرور حبراً ، وعودكم بالخمس ، حتى من عين الشمس ، فلعمري لقد حصلت النسبة ، ورضيت هذه المعيشة الحسبة ، ومن يكن المزوار ذواقه^٣ ، كيف لا يشق البئر أطواقه ، وينشر القبول عليه رواقه ، وأنتم أيضاً بركان جمال ، وبقية رأس مال ، ويمين في الانطباع وشمال ، بمنزلكم اليوم بدرٌ وهلال ، ولعقد التوفيق بفضل الله تعالى استقلال ، فأنا أهنيكم بتسني أمانيكم ، والسلام .

١٩ — وقال رحمه الله تعالى مخاطباً عميد مراکش المتميز بالرأي والسياسة

١ كذا في ق ، ولعلها أن تقرأ « واقية » .

٢ الدخالة : الهدية .

٣ لست مطمئناً إلى أن اللفظة صحيحة .

والهمة وإفاضة العدل وكف اليد والتجافي عن مال الجباية عامر بن محمد بن علي
الهنثاتي^١ :

تقولُ ليَ الأظعانُ والشوقُ في الحشا لهُ الحكمُ يمضي بين ناهٍ وآمرٍ
إذا جبلَ التوحيدُ أصبحتَ فارعاً فخيمَ قَرَارَ العَيْنِ في دارِ عامرٍ
وزُرُ تربةَ المَعْلومِ إنَّ مزارها هو الحجُّ يُفضي نحوهُ كلُّ ضامرٍ
ستَلقي بمثوى عامرٍ بن محمدٍ ثغورَ الأمانِ من ثنايا البشائرِ
وللهِ ما تبلوهُ من سَعَدٍ وجهه وللهِ ما تَلْقاهُ من يُمنٍ طائرٍ
وتُسَعملُ الأمثالُ في الدهرِ منكما بخيرِ مَزورٍ أو بأغبطِ زائرٍ

لم يكن همي أبقاك الله تعالى مع فراغ البال ، وإسعاف الآمال ، ومساعدة الأيام
والليال ، إذ الشمل جميع ، والزمان كله ربيع ، والدهر مطيع سميع ، إلا
زيارتك في جبلك الذي يعصم من الطوفان ، ويواصل أمنه بين النوم والأجفان ،
وأن أرى الأفق الذي طلعت منه الهداية ، وكانت إليه العودة ومنه البداية ،
فلما حُمَّ الواقع ، وعجز عن خرق الدولة الأندلسية الراقع ، وأصبحت ديار
الأندلس وهي البلاقع ، وحسنت من استدعائك إياي المواقع ، وقوي العزم وإن
لم يكن ضعيفاً ، وعرضت على نفسي السفر بسببك فألفيته خفيفاً ، والتست
الإذن حتى لا نرى في قبلة السداد تحريفاً ، واستقبلتك بصادر مشروح ، وزند
للعزم مقدوح ، والله سبحانه يحقق السؤل ، ويسهل بمثوى الأمائل المثول ، ويهيئ
من قبل هتاتة القبول ، بفضلته .

٢٠ — وللسان الدين ابن الخطيب مقامة عظيمة بديعة وصف بها بلاد الأندلس

١ كان أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتي كبير جبل درن والبلاد المراكشية ، وقد وفد على أبي زيان
ابن أبي عبد الرحمن فأكرمه سنة ٧٦٣ ، فلما عاد إلى بلده كان كأنه حاكم مستقل فيها ، وكان
ذلك فاتحة انتفاضات كثيرة إلى أن هلك عامر على يد السلطان عبد العزيز ، كما يذكره المقرئ في
ما يلي (ص: ٢١٩) وهذه القصيدة والرسالة في الاستقصا ٤ : ١٧ ومشاهدات لسان الدين : ١٢٠ .

والعدوة ، وأتى فيها من دلائل براعته بالعجب العُجاب ، وقد تركتها مع كتيبتي بالمغرب ، ولم يحضرني منها الآن إلاّ قوله في وصف مدينة سبتة ما صورته :

« قلت : فمدينة سبتة ، قال ^١ : عروس المجلى ، وثنية الصباح الأجلى ، تبرجت تبرج العقيلة ، ونظرت وجهها من البحر في المرأة الصقيلة ، واختص ميزان حسناتها بالأعمال الثقيلة ، وإذا قامت بيض أسوارها ، وكان جبل بنيونش ^٢ شَمَامَة أزهارها ، والمنازة منارة أنوارها ^٣ ، كيف لا ترغب النفوس في جوارها ، وتهيم ^٤ الخواطر بين أنجادها وأغوارها ^٥ ؟ إلى المينا الفُلُكية ، والمراقي ^٥ الفلُكية ، والركية الزكية ، غير المنزورة ولا البكية ، ذات الوقود الجزل ، المعد للأزل ، والقصور المقصورة على الجلد والهزل ، والوجوه الزّهر السّحَن ، المضمّنون بها عن المحنّ ، دار الناشبة ، والحامية المضرمة للحرب الناشبة ، والأسطول المرهوب ، المحذور الألهوب ، والسلاح المكتوب المحسوب ، والأثر المعروف المشوب ، كرسى الأمراء والأشراف ، والوسيط ، لخامس أقاليم ^٦ البسيطة ، فلا حظاً لها في الانحراف ، بَصْرَة علوم اللسان ، وصنعاء الحُلُل الحسان ، وثمرّة امتثال قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل : ٩٠) الأمانة على الاختزان ، القويمة المكيال والميزان ، محشر أنواع الحيتان ، ومحط قوافل العصير والحرير والكتّان ، وكفهاها السكنى ببنيونش في فصول الأزمان ، ووجود المساكن النبيهة بأرخص الأثمان ، والمدفن المرحوم ، غير المرحوم ، وخزانة كتب العلوم ، والآثار المنبئة عن أصالة الحلوم ، إلاّ أنها فاعرة أفواه الجنوب ، للغيث المصبوب ^٧ ، عرضة للرياح ذات

١ انظر هذا النص في مشاهدات لسان الدين : ١٠١ .

٢ بنيونش (Baliunech) : قرية إلى الغرب من سبتة .

٣ المشاهدات : شوارها .

٤ المشاهدات : وتهيم .

٥ المشاهدات : والمراسي .

٦ ق : الأقاليم .

٧ ق : المصبوب .

الهبوب ، عديمة الحرث فقيرة من الحبوب ، ثغر تنبو فيه المضاجع بالجنوب ،
وناهيك بحسنة تُعدُّ من الذنوب ، فأحوال أهلها رقيقة ، وتكلّفهم ظاهر مهما
ظهرت وليمة أو عقيقة ، واقتصادهم لا تلتبس منه طريقة ، وأنساب نفقاتهم في
تقدير الأرزاق عريقة ، فهم يمصون البلالة مصّ المحاجم ، ويجعلون الحبز في
الولائم بعدد الجماجم ، وفتنتهم ببلدهم فتنة الواجم بالبشير الهاجم ، وراعي
الجديب بالمطر الساجم ، فلا يفضلون على مدينتهم مدينة ، الشك عندي في مكة
والمدينة « انتهى .

وقد سلك في هذه المقامة وصف بلدان المغرب بالسجع والتقفية ، ووقّأها
من المدح وضده أكمل توفية ، وعكس هذه الطريقة في « نفاضة الجراب »
فوصف فيها الأماكن بكلام مرسل جزل غير مسجع ، مع كونه أقطع من السيف
إذا بان عنه القُرَاب .

٢١ - فمن ذلك قوله حين أجري ذكر مدينة « مكناسة الزيتون » :
وأطلّت مدينة مكناسة في مظهر النجد ، رافلة في حلال الدوح ، مبتسمة عن شنب
المياه العذبة ، سافرة عن أجمل المراد ، قد أحكم وضعها الذي أخرج المرعى ،
قيد النص وفذلكة الحسن ، فنزلنا بها منزلاً لا تستطيع العين أن تخلفه حسناً ووضعاً
من بلد دارت به المداشر^١ المُغَلّة ، والتفت بسوره الزياتين المفيدة ، وراق بخارجه
للسلطان المستخلص الذي يسمو إليه الطرف ، ورحب ساحة والتفاف شجرة
ونباهة بنية وإشراف ربوة ، ومثلت بإزائها الزاوية القُدُمي المعدة للوراد^٢ ،
ذات البركة النامية ، والمثذنة السامية ، والمرافق المتيسرة ، يصاحبها الحان البديع
المنصب الحصين الغلق الخالص بالسابلة والجوابة في الأرض يتغنون من فضل الله

١ المداشر : القرى أو المزارع .

٢ ق : للوراد .

تعالى ، تقابلها غرباً الزاوية الحديثة المربية برونق الشيبة ومزية الجدة والانفساح
وتفنن الاحتفال ، إلى أن قال : وبداخلها مدارس ثلاث لبث العلم ، كلفت
بها الملوك الجللة الهمم ، وأخذها التنجيد ، فجاءت فائقة الحسن ، ما شئت من
أبواب نحاسية ، وبرك فياضة تقذف فيها صافي الماء أعناق أسدية ، وفيها خزائن
الكتب والجراية الدارة على العلماء والمتعلمين ، وتفضل هذه المدينة كثيراً من
لذاتها بصحة الهواء وتبحر أصناف الفواكه وتعمير الخزائن ومداومة البر
لحوار تراثها سليماً من الفساد معافى من العفن ، إذ تقام ساحات منازلها غالباً
على أطباق الآلاف من الأقوات تتناقلها الموارد ويصحبها التعمير وتتجافى عنها
الأرض ، ومحاسن هذه البلدة المباركة جمّة ، قال ابن عبدون من أهلها والله دره :

إن تفتخر فاس بمسا في طيّها وبأنتها في زيّها حسناء
يكفيك من مكناسة أرجاؤها والأطيان : هواؤها والماء

ويُسَامِنُها شرقاً جبل زرهون ، المنبجس العيون ، الظاهر البركة ، المتزاحم
ال عمران ، الكثير الزياتين والأشجار ، قد جلله سكرأ ورزقاً حسناً ، فهو عنصر
الخير ، ومادة المجبى ، وفي المدينة دور نبهة ، وبنى أصيلة ، والله سبحانه
ولي من اشتملت عليه بقدرته ، وفيها أقول :

بالحسن من مكناسة الزيتون قد صحَّ عُدُّ الناظر المفتون
فضلُ الهواء وصحةُ الماء الذي يجري بها وسلامةُ المعزون
سَحَّتْ عليها كلُّ عين ثرةً للمزنِ هاميةِ الغمامِ هتون
فاحمرَّ خدُّ الوردِ بينَ أباطحِ وافترَّ ثغرُ الزهرِ بين غصون
ولقد كفاهها شاهداً مهما ادعتْ قصبَ السباقِ القربُ من زرهون
جبلٌ تضحكتِ البروقُ بجوّه فبكتْ عذابُ عيونهِ بعيون

وكأنما هو بربري فاقده^١ في لوحه والتين والزيتون
حييت من بلد خصيب أرضه مثنوى أمان أو مناخ أمون
وضفت عليك من الإله عناية تكسوك ثوبي أمنة وسكون

٢٢ — وقد وصفها في مقامة البلدان على منوال السجع فقال^١ : مكناسة
مدينة أصيلة ، وشعب للمحاسن وفصيلة ، فضّلها الله تعالى ورعاها ، وأخرج
منها ماءها ومرعاها ، فجانبها مريع ، وخيرها سريع ، ووضعها له في فقه
الفضائل تفريع ، اعتدل فيها الزمان ، وانسدل الأمان ، وفاقت الفواكه فواكهها
ولا سيما الرمان ، وحفظ أقواتها الاختزان ، ولطفت فيها الأواني والكيزان ،
ودنا من الحضرة جوارها ، فكثرت قصّادها من الوزراء وزوّارها ، وبها المدارس
والفقهاء ، ولقصبتها الأبهة والمقاصير والأبهاء .

[تعليق للمقري]

ويعني بالحضرة مدينة فاس المحروسة لأنها إذ ذاك كرسي الخلافة ، ومكناسة
مقر الوزارة ، وأهل المغرب يعبرون عن المدينة التي فيها كرسي الخلافة بالحضرة .
قلت : دخلت مكناسة هذه مراراً عديدة ، وقد أبلى الدهر محاسنها التي كانت
في زمان لسان الدين^٢ ابن الخطيب جديدة ، واستولى عليها الخراب ، وتكدر منها
بالفتن الشراب ، وعاث في ظاهرها الأعراب ، وفي باطنها سماسة الفتنة العائقة
عن كثير من الآراب ، حتى صار أهلها حزبين ، لبس كثير من أهلها ثياب
البعد عنها والبين ، والله تعالى يجبر حالها ، ويعقب بالخصب إحمالها ، ويرحم الله
تعالى ابن جابر إذ قال :

لا تنكرن الحسن من مكناسة فالحسن لم يبرح بها معروفا
ولئن محت أيدي الزمان رسومها فلربما أبقت هناك حروفا

١ كذا في ق ، ولعلها « ناقد » .

٢ انظر مشاهدات لسان الدين : ١٠٩ .

على أن ضواحيها كانت في زمان لسان الدين مأوى للمحاربين والاصوص ، ومثوى للأعراب الذين أعضل داؤهم بأقطار المغرب على العموم والخصوص ، ولذلك يقول لسان الدين رحمه الله تعالى :

مكناسةٌ حُشِرَتْ بها زُمْرُ العدا فمدى بريدٍ فيه ألفُ مريدٍ
من واصلٍ للجوع لا لرياضةٍ أو لابسٍ للصوفٍ غير مُريدٍ
فإذا سَلَكَتْ طريقَهَا متصوفاً فانوَ السلوكَ بها على التجريدِ

وما أشار إليه رحمه الله تعالى فيما سبق من ذكر الزاوية القُدُمي والجديدة أشار به إلى زاويتين بناهما السلطان أبو الحسن المريني الكثير الآثار بالمغرب الأقصى الأوسط والأندلس ، وكان بنى الزاوية القُدُمي في زمان أبيه السلطان أبي سعيد والجديدة حين تولى الخلافة ، وله في هذه المدينة غير الزاويتين المذكورتين عدّة آثار كثيرة جميلة من القناطر والسقايات وغيرها ، ومن أجل مآثره بها المدرسة الجديدة ، وكان قدّم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ، ولما أخبر السلطان بتمام بنائها جاء إليها من فاس ليراها ، فقعد على كرسي من كراسي الوضوء حول صهريجها ، وجميء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها ، ففرّقها في الصهريج قبل أن يطالع ما فيها ، وأنشد :

لا بأسَ بالغالي إذا قِيلَ حَسَنٌ ليسَ لما قَرَّتْ بهِ العينُ ثَمَنٌ

وهذا السلطان أبو الحسن أشهر ملوك بني مرين ، وأبعدهم صيتاً ، وكان قد ملك رحمه الله تعالى المغرب بأسره وبعض الأندلس ، وامتد ملكه إلى طرابلس الغرب ، ثم حصلت له الهزيمة الشنعاء قرب القيروان حين قاتل أعراب إفريقية ، فغدره بنو عبد الواد الذين أخذ من يدهم ملك تلمسان ، وانتهزوا الفرصة فيه ، وهربوا إلى الأعراب عند المصافّة ، فاختل مصافه ، وهُزِمَ أقبح هزيمة ، ورجع إلى تونس مغلوباً ، وركب البحر في أساطيله ، وكانت نحو الستمئة من السفن ، فقضى الله تعالى أن غرقت جميعاً ، ونجا على لوح ، وهلك من كان معه من أعلام المغرب ،

وهم نحو أربعمائة عالم^١ ، منهم السطي شارح الحوفي ، وابن الصباغ الذي أُملي في مجلس درسه بمكناسة على حديث «يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْر^٢» أربعمائة فائدة . قال الأستاذ أبو عبد الله ابن غازي رحمه الله تعالى : حدثني بعضُ أعيان الأصحاب أنه بلغه أن الفقيه ابن الصباغ المذكور سُمِعَ بمنصورة تلمسان المحروسة ينشد كالمعاتب لنفسه^٣ :

يا قلبُ كيف وقعتَ في أشراكهم ولقد عهدتُكَ تحذُرُ الأشركا
أرضي بذلٍ في هوى وصبايةٍ هذا لعمرُ الله قدْ أشقاكا

ومات رحمه الله تعالى غريقاً في أسطول السلطان أبي الحسن المريني على ساحل تدلس^٥ هو والفقيه السطي والأستاذ الزواوي وغير واحد في نكبة السلطان أبي الحسن المعروفة .

ومن نظم ابن الصباغ المذكور في العلاقات المعتمدة في المجاز وفي المرجحات له قوله رحمه الله تعالى :

يا سائلاً حَصَرَ العلاقاتِ التي وضعُ المجازِ بها يَسُوغُ ويَجْمَلُ
خُذْهَا مرتبةً وكلُّ مُقابلٍ حكمُ المُقابلِ فيه حقٌّ يَجْمَلُ
عن ذكر ملزومٍ يعوِّضُ لازمٌ وكذا بعلته يعاضُ معتلُّ
وعن المعمَّمِ يستعاضُ مخصَّصٌ وكذلك عن جزءٍ ينوبُ المكملُ
وعن المحلِّ ينوبُ ما قد حلَّه والحذفُ للتخفيفِ ممَّا يسهلُ
وعن المُضَافِ إليه نابٌ مُضَافُه والضدُّ عن أضدادِه مُستَعْمَلُ

-
- ١ عرف ابن خلدون في كتاب التعريف ببعض من كان في صحبة أبي الحسن من العلماء ، وانظر كلامه عن ابن الصباغ ص : ٤٥ .
٢ النُّغَيْر : تصغير نفر وهو طائر صغير أحمر المنقار .
٣ ورد البيتان دون نسبة في مشارق أنوار القلوب : ٦٠ .
٤ مشارق : أبدأ تعالى الله ما .
٥ تدلس : مدينة على ساحل الجزائر .

والشبهُ في صفةٍ تبينُ وصورةُ ومن المقيّدِ مطلقٌ قد يُبدلُ
والشيءُ يسمى باسم ما قد كانهُ وكذلك يُسمى بالبديلِ المبدلُ
وضعِ المجاور في مكانةٍ جارهِ وبهذه حكمُ التعاكسِ يكملُ
واجعل مكان الشيءِ آلهُ، وجىءُ بمنكّرٍ قصْدَ العمومِ فيحصلُ
ومعرّفٍ عن مطلقٍ وبه انتهتُ ولحلّها حكمُ التداخلِ يشملُ
وبكثرةٍ وبلاغةٍ ولزومهِ لحقيقةٍ رجحانُهُ يتحصّلُ

انتهى كلام شيخ شيوخنا الإمام أبي عبد الله محمد بن غازي رحمه الله تعالى .
وقد حكى ابن غازي المذكور عن شيخه القوري عن شيخه ابن جابر أن ابن
الصباغ المذكور اعترض على القاضي ابن عبد السلام التونسي ، قال : لما لقي ابن
الصباغ بتونس اعترض عليه ابن الصباغ أربع عشرة مسألة لم ينفصل عن واحدة
منها ، بل أقرّ بالخطأ فيها ، إذ ليس ينبغي اتصاف بالكمال ، إلاّ لربي الكبير
المتعال ؛ انتهى .

وذكر الشيخ أبو عبد الله الأبّي رحمه الله تعالى في « شرح مسلم » عند
تكلّمه على أحاديث العين ما معناه أن رجلاً كان بتلك الديار معروفاً بإصابة العين ،
فسأل منه بعض الموتورين للسلطان أبي الحسن أن يصيب أساطيله بالعين ، وكانت
كثيرة نحو الستمائة ، فنظر إليها الرجل العائن ، فكان غرقها بقدرة الله الذي يفعل
ما يشاء ، ونجا السلطان برأسه ، وجرت عليه محن ، واستولى ولده السلطان أبو
عنان فارس على ملكه ، وكان خلّفه بتلمسان ، ولم يزل في اضطراب حتى ذهب
إلى سجلماسة ، ومنها خلص إلى جبل هنتاة قرب مراکش ، فذهب إلى حربه
ابنه السلطان أبو عنان فارس بجيوشه ، وأناخ على الجبل بكلكله ، ولم تخفر أهل
هنتاة بجواره لديهم ، ولا كبيراهم عامر بن محمد وأخوه ، وصبروا على الحصار
وخراب الديار ، وحرّق الأماكن ، حتى مات هناك رحمه الله تعالى ونُقل بعدُ
إلى شالة سلا مدفن أسلافه ، ومن أراد الوقوف على أخباره فعليه بكتاب الخطيب

ابن مرزوق الذي ألفه فيه وسماه « المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن » .

ولما ذهب لسان الدين ابن الخطيب إلى عامر بن محمد بيجبله المشهور زار محل وفاة السلطان المذكور ، وقد ألمّ بذكر ذلك في « نفاضة الجراب » إذ قال : وشاهدت بيجبل هتاتة محل وفاة السلطان المقدس أمير المسلمين أبي الحسن رحمه الله تعالى ، حيث أصابه طارق الأجل ، الذي فصل الخطبة ، وأصمت الدعوة ، ورفع المنازعة ، وعايته مرفعاً عن الابتذال بالسكنى مفترشاً بالحصباء ، مقصوداً بالابتهاال والدعاء ، فلم أبرح يوم زيارة محل وفاته أن قلت^١ :

يا حسنهما من أربع وديار	أضحت لباغي الأمن دار قرار
وجبال عز لا تذأ أنوفها	إلا لعز الواحد القهار
ومقر توحيد وأس خلافة	آثارها تنبي عن الأخبار
ما كنت أحسب أن أنهار الندى	تجري بها في جملة الأنهار
ما كنت أحسب أن أنوار الحجى	تلتاح في قن وفي أحجار
تحت جوانبها البرود ، وإن تكن	شبت بها الأعداء جذوة نار
هدت بناها في سبيل وفائها	فكأنها صرعى بغير عقار
لما توعدتها على المجد العدا	رضيت بعيث النار لا بالعار
عمرت بجلية عامر وأعزها	عبد العزيز بمهف بتار
فرسا رهان أحرزا قصب الندى	والبأس في طلق وفي مضمار
ورثا عن الندب الكبير أيهما	محفص الوفاء ورفعة المقدار
وكذا الفروع تطول وهي شبيهة	بالأصل في ورق وفي أثمار
أزرت وجوه الصيد من هتاتة	في جوها بمطالع الأقمار
لله أي قبيلة تركت لها	نظراء دعوى الفخر يوم فخار

١ القصيدة في المشاهدات : ١٢٨ وأزهار الرياض ١ : ٢٩٤ .

نصرت أمير المسلمين وملكه
وارت^١ علياً عندما ذهب الردى
وتخاذل الجيش الهام واصبح^٢ الـ
كفرت صنائعه فيتم دارها
وأقام بين ظهورها لا يتقي
فكانها الأنصار لما أتست^٣
لما غسدا لحظاً وهم أجفانه
حتى دعاه الله بين بيوتهم
لو كان يمنع من قضاء الله ما
قد كان يأمل أن يكافيء بعض ما
ما كان يقنعه لو امتد المدى
فيعيد ذلك الماء ذائب فضة
حتى تفوز على النوى أوطانها
حتى يلوح على وجوه وجوههم
ويسوع الأمل القصي كرامها
ما كان يرضى الشمس أو بدر الدجى
أو أن يتوج أو يقلد هامها
حق على المولى ابنه لئثار مسا
فلمثلها ذخير الجزاء ، ومثلته
وهو الذي يقضي الديون وبره
حتى تحج محلة رفعوا بها

قد أسلمته عزائم الأنصار
والروح بالأسماع والأبصار
أبطال بين تقاعد وفرار
مستظهاً منها بعز جوار
وقع الردى وقد ارتدى بشار
فيما تقدم غربة المختار
نابت شفاهم عن الأشفار
فأجاب ممثلاً لأمر الباري
خلصت إليه نوافذ الأقدار
أولوه لولا قساطع الأعمار
إلا القيام بحققها من دار
ويعيد ذلك الترب ذوب نضار
من ملكه بجلائل الأوطار
أثر العناية^٣ ساطع الأنوار
من غير ما ثنيا ولا استعصار
عن درهم فيهم ولا دينار
ونحورها بأهله ودراري
بذلوله من نصير ومن إشار
من لا يضيع صنائع الأحرار
يرضيه في علن وفي إسرار
علم الوفاء لأعين النظار

١ المشاهدات : آوت ؛ ق : وأوت . . . بعدما .

٢ ق : أن سبت .

٣ المشاهدات : الرعاية .

فيصير منها البيتُ بيتاً ثانياً للطائفين إليه أيّ بدار
تغني قلوبُ القومِ عن هدي بهِ ودموعُهم تكفي لرمي جمار
حييت من دارٍ تكفل سعيها الـ محمود بالزلزلى وعقبى الدار
وضفت عليك من الإله عنايةً ما كراً ليل فيك إثر نهار

ويعني بالمولى ابنه السلطان أبا سالم ابن السلطان أبي الحسن .

ومن العجائب أن الرئيس عامر بن محمد الذي جرى في هذه الأبيات ذكره
كان يؤمل يليوائه للسلطان أبي الحسن ونُصرت له وعدم إخفار ذمته فيه أن ينال
من أولاده الملوك بذلك عزّاً مستطيلاً ورياسة زائدة على ما كان فيه ، فقضى
الله تعالى أن كان حتفه على يد السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ، إذ
نازله بمنجوده ، وحاصره بمعتقله ، حتى استولى عليه وقتله ، حسبما استوفى ذلك
الشيخ الرئيس قاضي القضاة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي
نزىل مصر في تاريخه الكبير الذي سماه بـ «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» فمن
شاء فليراجعه ثمة .

وكان الرئيس أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتي المذكور خرج على السلطان
عبد العزيز بالسلطان المعتمد على الله أبي الفضل محمد ابن أخي السلطان عبد العزيز
المذكور ، فكان من قتله ما ذكر ، والله غالب على أمره .

ولنرجع إلى ما كنا فيه من ثمر لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى
عنه ، فنقول :

٢٣ — ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى في كتابه «أعمال الأعلام»

ما صورته :

«وفي غرضي إذا من الله تعالى بانفراج الضيقة الوقتية ، ومُعَاوَدَةِ الأَزمان
الهنية ، والنصبة النقية ، أن نصنف في التاريخ كتاباً مبنياً على التطويل ، مستوعباً

للكثير والقليل ، نسميه « بضاعة المهولين في أساطير الأولين » يكون هذا الكتاب بالنسبة لآليه الحصاة من الرمال ، والقطرة من الغيث المثال ، بإعانة ذي القدرة والجلال » ؛ انتهى .

٢٤ — ومن كلامه رحمه الله تعالى : فما استبعد المرام ، مَنْ قصد الكرام ، وما فقد الإيناس ، من أَمَل الناس ؛ انتهى .

وقد سلك لسان الدين رحمه الله تعالى في كثير من كتبه كـ « الكتيبة الكامنة » و « التاج المحلى » و « الإكليل الزاهر » وغيرها تحلية الأعلام من حملة السيوف والأعلام ، بالكلام المسجع الآخذ بحظه من الإتيان على طريقة صاحب « القلائد » و « المطمح » أبي نصر الفتح بن عبيد الله المدعو بابن خاقان بليغ الأندلس غير مدافع وعلى نهج مباريه ابن بسام صاحب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » وهو كتاب ينبغي أن يراجع ، وقد رأيت أن آتي بشيء من كلام لسان الدين فيما ذكر ، ونُلم بعد تحليته بالتعريف بحال مَنْ حلاه من الأعلام ، بحسب ما من به ويسره لي الملك العلام ، سبحانه وتعالى ، فنقول :

٢٥ — قال لسان الدين رحمه الله تعالى في بعض كتبه في وصف بعض من عرف به ما نصه : أي نفس صافية من الكدر ، وصدر طيب الورد والصدّر ، ودوحة عهد تندى أوراقها ، وميشكاة فضل يستطلع إشراقها ، تمسك برضاع الكأس ، يرى ذلك من حسن عهده ، وقسم لحظاته بين آس الرياض وورده ، فلما حوّم حمامه للوقوع . وكاد يقوّض رحله عن الربوع ، وشعر بجبائل المنية تعتلقه ، وسرعان خيل الأجل تزهقه ، أقلع عن فنّه ، وأمر بسفك دنته ، ولجأ إلى الله تعالى بأوبته ، وضرع إلى الله تعالى في قبول توبته وغفران حوبته ، فكان ذلك عنوان الرضى ، وعلامة عفو الله تعالى عما مضى ، دخلت عليه في مرضه ، وأشرتُ باستعمال الدواء المسمى بلحية التيس عند الأطباء ، فاستعمله ، فوجد بعض خفة .

٢٦ - وقال في آخر : كثيف الحاشية ، معدود في جنس السائمة والماشية ، تُلِيَت على العمال به سورة الغاشية ، تولَّى الأشغال السلطانية فدُعِرَت الحُبابة لولايته ، وقامت قيامتهم لطلوع آيته ، وقنطوا كل القنوط ، وقالوا : جاءت الدابة تكلمنا وهي إحدى الشروط ، من رجل صائم الحشوة ، بعيد من المصانعة والرشوة ، يتجنب الناس ، ويقول عند المخاطبة : لا مِساس ، وعلى مسافة نجهيه ، وتجهتهم وجهه ، فكان خالطاً لإساءته بإحسانه ، مشتغلاً بشانه ، غاضاً من عنان لسانه ، عهدي به في الأعمال يقدر فيها ويدبر ، ويرجح ويعبر ، ويحبط ويتبر ، وهو مع ذلك يكبر ، ويحسن من الأزمنة ويقبّح ، وهو يسبح ، ولما شرع في البحث والتنقيب ، والمحاسبة على القِطْمير والنقير ، أتاه قاطع الأجل ، فحنّ ركابه فأقضى العجل ، وصدرت عنه أبيات خَصَمَ فيها وقضم ، وحصل تحت القدر المشترك مع من نظم .

٢٧ - وقال في آخر : كودن حلبة الآداب ، وسنور عبد الله بيع بقيراط لما شاب^١ ، هام بوادي الشعر مع مَن هام ، واستمطر منها الجهام ، فجاء بأبيات أوهى من بيت العنكبوت نسجاً ، ومقاصد لا تبين قصداً ولا نهجاً ، وله بيت معمور بقضاة أكابر ، فرسان أقلام ومحابر ، وعمال قادوا الدهر بأزمة أزمتهم ، وفرعوا الزهر بهمتهم ، وتكاثر عليه رحمه الله الإحسَن ، وتعاورته المحسَن ، وتصرف آخر عمره في بعض الأعمال المخزنية فتعلل بنزر القوت ، إلى الأجل الموقوت .

٢٨ - وقال في آخر : معدود في وقته من أدبائه ، ومحسوب في أعيان بلده وحُسبائه ، كان رحمه الله تعالى من أهل العدالة والخير ، سائراً على منهج الاستقامة

١ يشير إلى قول بعضهم :

كسنور عبد الله بيع بدرهم صغيراً فلما شب بيع بقيراط
انظر الحيوان ٥ : ٣١٥ وتعليق الجاحظ على البيت ، والحاشية رقم : ٤ .

أحسن السَّير ، وله أدب لا يقصر عن السداد ، وإن لم يكن بطلاً فمن يكثر
السواد ، قد أثبت له ما عثرت عليه ، ممّا ينسب الناس إليه .

٢٩ — وقال في آخر : معتر غير قانع ، ومنجع كل شهم وخانع ، نشأ
ببلده مألقة أبرع من أورد البراعة في نِقَس ، وهز غصنها في روضة طِرْس ،
إلا ما كان من سخافة عقله ، وقعوده تحت المثل « اخْبُرْ تَقْلِهِ » ، لا يرتبط إلى
رتبة ، ولا ينتمي إلى عَصْبَة ، ولا يتلبّس بسمت ، ولا يستقيم من أمت^١ ،
أخبرني مَنْ غني بخبره ، وذكر عيبره ، من صباه إلى كبره ، أنه رشح في بعض
الدول ، وعرض لاكتساب الخيل والحوّل ، وخلعت عليه كسوة فاخرة ،
وشارة بزهر الرياض ساخرة ، فانقاد طَوَّع حرمانه ، ونبذ صفقة زمانه ، وحمله
فرطُ التَّهَم ، على أن ابتاع في حجره طعاماً كثير الدَّسَم ، وأقبل وأذياه منه
تقطر ، كما اختلفت باللبن الأشطر ، فطرُد ونُبذ ، وطُرح بعدما جُبذ ، لقينته
بمالقة وقد قلب له زمانه عينيه ، وسقط في يديه ، فانتابني بأمداحه ، وتعاورني
بأجاجة وقراحه .

٣٠ — وقال في آخر : أديب نار فكره تنوقد ، وأريب لا يُعترض كلامه
ولا يُنقَد ، أما الهزل فهو طريقته المثلى ، ركض في ميدانها وجلّى ، وطلع في
أفقها وتجلّى ، فأصبح علّم أعلامها ، وعابر أحلامها ، إن أخذ بها في وصف
الكاس ، وذكر الورد والآس ، وألمّ بالربيع وفصله ، والحبيب ووصله ، والروض
وطيبه ، والغمام وتقطيبه ، شقّ الجيوبَ طرباً ، وعلّ النفوس شرباً وضرباً ،
وإن ابغى لاعتلال العشيّة ، في فرش الربيع الموشيّة ، ثمّ تعدّاها إلى وصف
الصَّبوح ، وأجهز على الزق المجروح ، وأشار إلى نغمات الورق ، يرفلن في
الحلل الزُّرق ، وقد اشتعلت في عنبر الليل نارُ البرق ، وطلعت بنودُ الصباح في

١ الأمت : الاعوجاج .

شرفات الشرق ، سَلَبَ الحليم وقاره ، وذكر الخليع كأسه وعقاره ، وحرك
الأشواق بعد سكونها ، وأخرجها من وكونها ، بلسان يتزاحم على موارد الخيال ،
ويتدفق من حافاته الأدب السيال ، وبيان يقيم أود المعاني ، ويشيد مصانع اللفظ
محكمة المباني ، ويكسو حلل الإحسان جسوم المثلث والمثاني ، إلى نادرة لمثلها
يشار ، ومحاضرة يُجنى بها الشهد ويُشار ، وقد أثبت من شعره المعرب وإن كان
لا يتعاطاه إلا قليلاً ، ولا يجاور إلا تعليلاً ، أبياتاً لا تخلو عن مسحة جمال على
صفحاتها ، وهبّة طيب يتمّ في نفحاتها .

٣١ - وقال أيضاً في آخر : ظريفُ السجية ، كثير الأريحية ، ارتحل من
لورقة فتحها الله تعالى واتخذ المرية داراً ، وأليفَ بها استقراراً ، إلى أن دعاه بها
داعيه ، وقام فيها ناعيه .

٣٢ - وقال في وصف آخر : شيخ أخلاقه لينة ، ونفسه - كما قيل في
نفس المؤمن - هيّنة ، ينظم الشعر عذباً مساقفه ، محكماً اتساقه ، على فاقة ،
وحال ما لها من إفاقة ، أنشد المقام الكريم بظاهر بلده قصيدة استغرب منه منزعها ،
واستعذب من مثله مشرعها .

٣٣ - وقال في آخر : من أئمة أهل الزمام ، خليق برّعي المتات والذّمّام ،
ذو خط كما تفتح زهر الكيمام ، وأخلاق أعذب من ماء الغمام ، كان يبيله
رحمه الله تعالى بدار إشرافه محاسباً ، ودرة في لجة الإغفال راسباً ، صحيح العمل ،
يلبس الطروس من براعته حُسْنِ الحلل ، وله شعر لا بأس به ، ولا خفاء بفضل
مذهبه .

٣٤ - وقال في آخر : خير من استبق إلى داعي الفلاح استباقاً ، وانتمى
إلى القوم الذين هم في الآخرة أطولُ أعناقاً ، وإن كانوا في الدنيا أضيقُ أرزاقاً ،
مردد أذكار ، ومُسَبِّح أسحار ، وعامر مثذنة ومنار ، كان يبيله مؤذناً بجامعها ،

ومؤقتاً بأُم صوامعها ، ومعتبراً فيمن كان بها من السدنة ، ومن مثله قوله : فكأنما
قرَّبَ بدنة ، وله لسان مخيف ، وشعر سخيف ، توشح بحليته ، وجعله وسيلة
كُديته .

٣٥ - وقال في آخر : عظيم الهيثة حسن اللقاء ، أغرب في حسن المداراة
من العنقاء ، استمر عمره للحكم ، وصبر على حجج الصم والبكم ، وأفرط
في هسسته وهزته ، وتنزل عن نخوة القضاء وعزته ، وله سلف في القضاء عالي
المراقب ، مُزاحم للنجم الثاقب ، وقد أثبت من شعره ما تيسر إثباته ، ونجح
بروض هذا المجموع نباته .

٣٦ - وقال في آخر : قاضٍ توارث كل جلالة ، عن كلاله ، وجمع في
العلم الحسب ، بين الموروث والمكتسب ، أشرق بجيدٍ معمٍ في العشرة مخول ،
وألقت عليه مقاليدها من منقول ومتأول ، إلى نزاهة لا تغرها البيضاء ولا الصفراء ،
وحلم لا تستهويه السعاية ولا يستفزه الإغراء ، ووقار يستخف الجبال الراسية ،
ونظر يكشف الظلم الغاشية ، تولى قضاء الحضرة فأنفذ الأحكام وأمضاها ، وشام
سيوف الجزالة وانتضاها ، ولبس أثواب النزاهة والانقباض فما نضاها ، وسلك
الطريق التي اختارها السلفُ وارتضاها ، فاجتمعت الأهوال المفترقة عليه ، وصرف
الثناء أعنة الألسن إليه ، ثم كرّ إلى بلده ، واستقر نخطيباً بقرارة أهله وولده .

٣٧ - وقال في آخر : مُنتَمٍ إلى معرفة ، متصف من الذكاء بأحسن صفة ،
أقرأ ببلده علم اللسان ، وما حاد عن الإحسان ، وعانى الشعر فنظم قوافيه ، وما
تكلف فيه ، وعلى غزارة مادته ، ووضوح جادته ، فشعره قليل البشاشة ، ذاهبُ
الحُشاشة ، وذو الإكثار ، كمثل العثار ، وله سلف يخوض في الحقائق ، وينتحل
بعض الكلام الرائق .

٣٨ - وقال في آخر : مُنَمٍّ لدين وعفة ، وإلى نفس بالعرَضِ الأدنى

مستخفّة ، ممّن نزع إلى سلوك ورياضة ، ويفيض في طريق القوم بعض إفاضة .

٣٩ — وقال في آخر : ممّن يتشوق إلى المعارف والمقالات ، ويرتاح إلى الحقائق والمحاللات ، ويشتمل على نفس رقيقة ، ويسير من تعليم القرآن على خير طريقة ، ويعاني من الشعر ما يشهد بنُبله ، ويُستظرف من مثله .

٤٠ — وقال في آخر : مشمر في الطلب عن ساق ، مثابر على اللحاق بدرجات الحُدّاق ، منتحل للعربية جادّ في إحصاء خلافتها ، ومعاطاة سُلّافها ، وربما شرس في المذاكرة أخلاقه ، إذا بُهرجت أعلامه ، ونوزع تمسكه بالحجة واعتلاقه ، ورحل إلى المغرب فاستجدى بالشعر سلطانه ، ثم راجع أوطانه .

٤١ — وقال في آخر : منتمٍ إلى زهد ، باذل في التماس الخير الجهد ، نظمه لا يخلو من حلاوة ، ومعانيه في طريقه عليها بعض طلاوة .

٤٢ — وقال في آخر : كاتب سجلات لا يساجلُ في صحة فصولها ، وتوقيع فروعها على أصولها ، وكلما طلب بالنظم القريحة ، وأعمل الفكرة الصريحة ، مع إقلاله ، وعدم استعماله ، أجابت ولَبَّتْ ، وتنسّمت رياحُها وهبَتْ .

٤٣ — وقال رحمه الله تعالى وسامحه في بعض العدول الصوفية الأخيار ، الذين وحدوا الله وفتنوا عن سائر الأغيار : خير عدل ، وممّن له وقار وفضل ، مُتّسم بخير ، معرض عن غير ، مشتمل بصفات مرضية ، مُلم بالنظم في الطريقة الصوفية .

وللسان الدين رحمه الله تعالى ركّض في هذا الميدان لا يجارى فيه ، وثبوت فضل لا يستند إلى دليلٍ جاحدُه ونافيه .

٤٤ — وقال رحمه الله تعالى في كتابه « التاج المحلّي في مساجلة القِدْح

المعلّى « في ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي المري^١ ، ما صورته :
لُجَّ معرفة لا يَغِيضُ ، وصاحب فنون يأخذ فيها ويفيض ، نشأ ببلده مشمراً عن
ساعد اجتهاده ، وسائراً في قُنن العلم ووهاده ، حتى أُنِعَ روضه ، وفهق حوضه ،
ثمَّ أخذ في راحة ذاته ، وشام بارق لذاته ، ثمَّ سار في البطالة سير الجَمُوح ،
وواصل الغَبوق بالصَّبوح ، حتى قضى وطره ، وسثم بطره ، وركب الفُلُك ،
وخاض اللجج الحُلُك ، واستقر بمصر على النعمة العريضة ، على شك في قضاء
حجة الفريضة ، وهو اليوم بمدرستها الصالحة نبيه المكانة ، معدود في أهل العلم
والديانة ؛ انتهى .

وقال في « الإحاطة » في حق المذكور ما نصه : من خط شيخنا أبي البركات
في الكتاب « المؤتمن على أنباء أبناء الزمن » : كان سهلاً سلس القياد ، لذيد
العشرة ، دمث الأخلاق ، ميالاً إلى الدعة ، نفوراً عن النصب ، يركن إلى فضل
نباهة وذكاء يحاسب بهما عند التحصيل والدراسة والدؤوب على الطلب ؛
من رجل يجري من الألحان على مضمار لطيف ، ولم يكن له صوت رخيم يساق^٢
انطباعه في التلحين ، فجبر ذلك بالأوتار ، وحاول من ذلك بيده مع أصحابه ما
لاذ به الظرفاء منهم ، واستعمل بدار الأشراف بالمرية ، فأحكم تلك الطريقة في
أقرب زمان ، وجاء زمame يروق مَن ذلك العمل من شأنه ، ثمَّ نهضت به همته
إلى أرفع من ذلك ، فسار إلى غرناطة ، فقرأ بها العربية وغيرها ، وانخرط في
سلك نبهاء الطلبة لأدنى مدة ، ثمَّ رحل إلى بلاد المشرق في حدود العشرين وسبعمائة
فلم يتجاوز القاهرة لموافقة هوائها علة كان يشكوها ، وأخذ في إقراء العربية بها ،
وعُرف بها إلى أن صار يدعى بأبي عبد الله النحوي . قال شيخنا المذكور : ورأى
في صغره فارة أنثى فقال : هذه قرينة ، فلقَّب بذلك ، وصار هذا اللقب أغلب

١ انظر ترجمته في الكتيبة : ٨٨ وبغية الوعاة : ٦٠ والدرر : ٤ : ١٠٣ (ط . القاهرة) .

٢ ق : يصادق .

عليه من اسمه ومعرفته .

ثم قال لسان الدين في حق المذكور ما ملخصه : إنه قرأ بالحضرة على الخطيب أبي علي القيحاوي وطبقته ، وأخذ بالقاهرة عن الأستاذ أبي حيان ، وانتفع بجاهه ، نقل إلينا الحاج الحافظ أبو جعفر ابن غصن من شعره حسبما قيده عنه بمصر :

بُعْدُ المزار وَلَوْ عَتَةُ الأشواقِ	حَكَمًا بِفَيْضٍ مدامعِ الآماقِ
وَحُفُوقُ نُجْدَى النسيمِ إِذَا سَرَى	أَذْكَى لَهيبَ فُؤَادِي الخفّاقِ
أَمْعَلِّي أَنْ التَّوَصَّلَ فِي غَدٍ	مَنْ ذَا الَّذِي لَغْدٍ فِدَيْتُكَ بَاقِي
إِنَّ اللَّيَالِيَّ سُبِقَتْ إِنْ أَقْبَلَتْ	وَإِذَا تَوَلَّتْ لَمْ تُنَلِّ بِلِحاقِ
عَجْ بِالْمَطِيِّ عَلَى الْحَمَى ، سَقَى الْحَمَى	صَوَّبَ الْغَمَامِ الْوَاكِفِ الرِّقَاقِ
فِيهِ لَذِي الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَدَادَةٌ	قَلْبٌ سَلِيمٌ مَا لَهُ مِنْ رَاقِ
قَلْبٌ غَدَاةَ فِرَاقِهِمْ فَارَقَتْهُ	لَا كَانَ فِي الْأَيَّامِ يَوْمٌ فِرَاقِ
يَا سَارِيًّا وَاللَّيْلُ سَاجٍ عَاكِفٌ	يَقْرِي الْفَلَا بِنَجَائِبِ وَنِياقِ
عَرَجٌ عَلَى مَثْوَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ذِي الْمَقَامِ الرَّاقِ
وَرَسُولٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَنْ لَهُ	حَفْظُ الْعَهْدِ وَصَحَّةُ الْمِيثَاقِ
الظَّاهِرُ الْآيَاتِ قَامَ دَلِيلُهَا	وَالظَّاهِرُ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْرَاقِ
بَدْرُ الْهَدَى وَهُوَ الَّذِي آيَاتُهُ	وَجَبِينُهُ كَالشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ
الشَّافِعُ الْمَقْبُولُ مَنْ عَمَّ الْوَرَى	بِالْجُودِ وَالْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ
الصَّادِقُ الْمَأْمُونُ أَكْرَمُ مَرْسَلِ	سَارَتْ رِسَالَتُهُ إِلَى الْآفَاقِ
أَعْلَى الْكِرَامِ نَدَى وَأَبْطَاطُهُمْ يَدَا	قَبْضَتْ عَنَانَ الْمَجْدِ بِاسْتِحْقَاقِ
وَأَشَدَّ خَلْقِ اللَّهِ إِقْدَامًا إِذَا	حَمَى الْوُطَيْسُ وَشَمَرَتْ عَنْ سَاقِ
أَمْضَاهُمْ وَالْخَيْلُ تَعَثَرُ فِي الْوَعْيِ	وَتَجُولُ سَبْحًا فِي الدَّمِ الْمَهْرَاقِ

١ القصيدة في الكتيبة : ٨٨ - ٩٠ .

مَنْ صَيَّرَ الْأَدِيَانَ دِيناً وَاحِداً
وَأَحْلَنَّا مِنْ حُرْمَةِ الْإِسْلَامِ فِي
لَوْ أَنَّ لِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ كَمَالَهُ
لَوْ أَنَّ لِلْبَحْرَيْنِ جُودَ يَمِينِهِ
لَوْ أَنَّ لِلْأَسَادِ شِدَّةَ بَأْسِهِ
لَوْ أَنَّ لِلْآبَاءِ رَحْمَةَ قَلْبِهِ
ذُو الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ الْخَفِيِّ الْمُنْجَلِيِّ
آيَاتُهُ شَهْبٌ وَغُرٌّ بِنَانِهِ
مَاجَتْ فَتَوْحُ الْأَرْضِ وَهُوَ غِيَاثُهَا
ذُو رَأْفَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٍ
وِخْصَالٍ مَجْدٍ أَفْرَدَتْ بِالْخِصْلِ فِي
ذُو الْمَعْجَزَاتِ الْغُرِّ وَالْآيِ الَّتِي
ثَنَّتِ الْمُعَارِضُ جَائِراً لَمَّا حَكَتْ
يَقْطُ الْفَوَادِ سَرَى وَقَدْ هَجَعَ الْوَرَى
وَسَمَا وَأَمْلَأَ السَّمَاءَ تَحْفَهُ

ومنها :

يَا ذَا الَّذِي اتَّصَلَ الرَّجَاءُ بِجَبَلِهِ
حُبِّي إِلَيْكَ وَسِيلَتِي وَذَخِيرَتِي
وَالْإِلِكَ أَعْمَلْتُ الرُّوَا حِلَّ ضُمَرَا
نُجْبَاً إِذَا نَشَدْتُ حَلَى تِلْكَ الْعَلَا
يَحْدُو بَيْنَ مَيْنَ النَّحِيبِ مَرْدَدٌ
غَرَضٌ إِلَيْهِ فَوَقَّتْنَا أَسْهَمَا
فَأُنْخَتَهَا بِفِنَائِكَ الرَّحْبِ الَّذِي

مَنْ بَعْدَ إِشْرَاكِ مَضَى وَنَفَاقِ
ظِلٍّ ظَلِيلٍ وَارِفِ الْأُورَاقِ
مَا نَالَهُ كَسْفٌ وَنَكْسٌ مُحَاقِ
أَمِنْ السَّفِينِ غَوَائِلَ الْإِسْكَاقِ
لَشَنَّتْ عَنِ الْإِنْجَادِ وَالْإِعْرَاقِ
ذَابَتْ نَفُوسُهُمْ مِنَ الْإِشْفَاقِ
وَالْجَاهِ وَالشَّرَفِ الْقَدِيمِ الْبَاقِ
سُحْبُ النُّوَالِ تَدْرُ بِالْأَرْزَاقِ
وَرَبَّتْ رَبَّى الْإِيمَانِ وَهُوَ السَّاقِ
وَهْدَى وَتَأْدِيبٍ بِحَسَنِ سِيَاقِ
مَرْمَى الْفَخَارِ وَغَايَةِ السَّبَّاقِ
كَمْ آيَةٍ فُتِّدَتْ وَهْنٌ بِوَاكِ
فَلَتَقَ الصَّبَاحُ وَكَانَ ذَا إِفْلَاقِ
لِقَامِ صَدَقٍ فَوْقَ ظَهْرِ بُرَاقِ
حَتَّى تَجَاوِزَهُنَّ سَبْعَ طَبَاقِ

وَأَنْبَتَ مِنْ هَذَا الْوَرَى بِطَلَا
إِنِّي مِنَ الْأَعْمَالِ ذُو إِمْلَاقِ
تَخْتَالُ بَيْنَ الْوُخْدِ وَالْإِعْنَاقِ
تَطْوِي الْفَلَامِ مَمْتَدَّةَ الْأَعْنَاقِ
وَتَقْوَدُهُنَّ أَزْمَةً الْأَشْبَاقِ
وَهِيَ الْقَسِي بُرَيْنَ كَالْأَفْوَاقِ
وَسِعَ الْوَرَى بِالنَّائِلِ الدَّفَاقِ

وقيرى مؤمِّلِكَ الشفاعةُ في غدٍ
وعليكَ يا خيرَ الأنامِ تَحِيَّةٌ
تتأرَّجُ الأرجاءُ من نَفحاتِها
ومنها :

قَسَمًا بطيبِ ترابِ طَيِّبَةٍ ؛ إنه
وبشأنِ مسجدِها الذي يرجى بهِ
لأجودُ فيهِ بأدمعِ أسلاكِها
أغدو بتَقْيِيلِ على حَصْبائِهِ
ومنها :

وعليكَ ذا النورينِ تسليمٌ له
كفؤُ النبيِّ وكفؤُ أعلى جَنَّةٍ
وكفاه ما في الفتحِ جاء ومصحفٌ
وعلى أبي السبطينِ مَنْ سَبَقَ الألى
الطاهر الطهر ابنِ عمِّ المصطفى
مُبدي القضايا من وراءِ حجابِها
يغزو العُدَّةَ بغلظةٍ فيهدُّهمُ
راياتُهُ لا شيءَ من عقبانِها
وعلى كرامِ ستَّةِ عشرتِ بهمُ
ما بينَ أروعِ ماجدِ نيرائِهِ
وأخي حروبِ صدَّةِ رَشِقُ القنا
ما غرَّدتْ شجواً مطوَّقةً وما
وعلى القرابةِ والصحابَةِ كلِّهم

نورٌ يلوحُ بصفحةِ المهراقِ
حيزتُ له بشهادةٍ وصدقِ
في الفتحِ يحمده وفي الإطباقِ
سبقوا إلى الإسلامِ يومَ سباقِ
شرفٌ على التخصيصِ والإطلاقِ
ومفتِّحُ الأكمامِ عن أعلاقِ
بصوارمِ تفري الفقارِ رفاقِ
بمطارِ يومِ وغَيِّ ولا بمطابقِ
عند النظامِ لآلِءِ النُسقِ
جنحَ الظلامِ تشبُّ للطُّراقِ
عَمَّا قدودِ مثلنِ رفاقِ
شَقَّتْ كمامِ الروضِ عن أطواقِ
والتابعينَ لهمُ ليومِ تلاقِ

وذكر في « الإحاطة » غير هذه .

٤٥ - وقال لسان الدين في « التاج » في ترجمة محمد بن عبد الرحيم الوادي
أشي^١ ما صورته : ناظم أبيات ، وموضح غُرر وشيات ، وصاحب توقيعات
وقيعات ، وإشارات ذوات شارات ، وكان شاعراً مكثراً ، وجواداً لا يخاف
عثراً ، دخل على أمير بلده المخلوع عن ملكه ، بعد انتشار سلكه ، وخروج
الخصرة عن ملكه ، واستقراره بوادي آش مروع البال ، متعللاً بالآمال ،
وقد بلغه دخول طبرنش^٢ في طاعته ، فأنشده من ساعته :

خُذْهَا إِلَيْكَ طَبْرِنْشَا شَفَّعَ بِهَا وادي الأشا
والأمُّ تأتي بنتَهَا والله يفعلُ ما يشا

ومن نوادره العذبة ، ما كتبه إليه يطلب منه الحسبة :

أُنلِّي أيا خيرَ البرية خطَّةً ترفعني قدراً وتُكسبني عزّاً
فأعترُّ في أهلي كما اعترَّ بَيْدَقُ على سفرة الشطرنج لما انثنى فرزا

فوقع له بما ثبت في ترجمته ؛ انتهى .

٤٦ - وقال في « الإكليل » في ترجمة أبي عبد الله ابن العطار المزني ما
صورته : ممّن نبغ ونجب ، وحق له البر بذاته ووجب ، تحلّى بوقار ، وشعشع
للأدب كأس عقار ، إلاّ أنّه احترّم في اقتبال ، وأصيب للأجل بنبال ؛ انتهى .

٤٧ - وقال في « الإكليل » في ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد
ابن علي بن يحيى بن خاتمة الأنصاري المزني^٣ ، ما صورته : ممّن ثكلته البراعة ،
وفقدته البراعة ، تأدب بأخيه وتهذب ، وأراه في النظم المذهب ، وكساه من
التفهم والتعليم الرداء المذهب ، فاقتفى واقتدى ، وراح في الحلبة واغتدى ، حتى

١ ترجمته في الدرر ٤ : ١٣٣ (ط . القاهرة) .

٢ طبرنش (Tabernas) شرقي المرية . ٣ ترجمته في الدرر ٤ : ٢٠١ .

نبل وشدا ، ولو أمهله الدهر لبلغ المدى ، وأما خطه فقيد الأبصار ، وطرفة
من طرف الأمصار ، واعتبط يانع الشبية ، مخضراً الكتبية ، مات عام خمسين
وسبعمائة .

وأورد له في « الإحاطة » قوله :

وَمَضَى الْبَرْقُ فَتَارَ الْقَلْقُ	ومضى التّومُ وحلّ الأرقُ
مَذُ تَذَكَّرْتُ لِأَيَّامٍ خَلَّتْ	ضمنا فيها الحمى والأبرقُ
وعَشِيَّاتٍ تَقَقَّضَتْ بِاللَّوَى	في محيّا الدهرِ منها رونقُ
إِذْ شَبَابِي وَالتَّصَابِي جُمِعَا	ورِياضُ الأَنسِ غَضُّ مَورِقُ
شَتَّ يَوْمُ الْبَيْنِ شَمْلِي لَيْتَ مَا	خُلِقَ الْبَيْنُ لِقَلْبٍ يَعِشُقُ
آهٍ مِنْ يَوْمٍ قَضَى لِي فَرْقَةً	شَابَ مِنِّي يَوْمَ حَلَّتْ مَفْرَقُ

وقوله ^١ :

الرَّفْعُ نَعْتُكُمْ لَا خَانَكُمُ أَمَلُ والخَفَضُ شِمَةُ مَثَلِي وَالْهَوَى دُولُ
هَلْ مِنْكُمْ لِي عَطْفٌ بَعْدَ بَعْدِكُمْ إِذْ لَيْسَ لِي مِنْكُمْ يَا سَادَتِي بَدَلُ

قلت : البيت الثاني غاية في معناه ، وأما الأول فسافل وإن أسس على الرفع مبتاه ،
والله أعلم .

٤٨ — وقال في « الإكليل » في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم
ابن عيسى بن داود الحميري المالقي ^٢ ما صورته : علّم من أعلام هذا الفن ،
ومشعشع راح هذا الدن ، مجموع أدوات ، وفارس يراعة ودواة ، ظريف
المنزع ، أنيق المرأى والمسمع ، اختص بالرياسة فأدار فلك إمارتها ، واتسم

١ البيتان في الدرر الكامنة .

٢ انظر أيضاً ترجمته في الكتبية : ١٥٨ والدرر ٤ : ٢٧١ (ط . القاهرة) .

باسم كتابتها ووزارتها ، ناهضاً بالأعباء ، صاعداً في درج التقريب والاجتباء ، مصانعاً دهره في راح وراحة ، آوياً إلى فضل وسماحة ، وخصب ساحة ، كلما فرغ من شأن خدمته ، وانصرف عن رب نعمته ، عقد شرباً ، وأطفأ من الاهتمام بغير الأيام حرباً ، وعكف على صوت يستعيده ، وظرف يبيده ويعيده ، فلماً تقلبت بالرياسة الحال ، وقوضت منها الرجال ، استقر بالمغرب غريباً ، يقلب طرفاً مستريباً ، ويلحظ الدنيا تبعة عليه وثريباً ، وإن كان لم يُعَدَم من أمرائه حظوة وتقريباً ، وما برح ييوح بشجنه ، ويرتاح إلى عهود وطنه ، ومما أعرب به ، عن براعة أدبه ، قوله ^١ :

« يا نازحينَ ولم أفارق منهمُ شوقاً تأجَّجَ في الضلوعِ ^٢ ضرامهُ
غُيِّبَتْ عن ناظريَّ وشخصُكمُ حيث استقرَّ من الضلوعِ مقامهُ
رَمَتْ النوى شملِي فشتتَ نظمهُ ^٣ والبينُ رامٍ لا تطيشُ سهامهُ
وقد اعتدى فينا وجدٌ مبالغاً وجرتُ بمحكمٍ جوره أحكامهُ
أترى الزمانَ مؤخراً في مدَّتِي حتى أراهُ قد انقضتْ أيامهُ »

تحملها يا نسيم نجدي النفحات ، وجديّة اللّفحات ، تؤدي عني إلى الأجرة نفحها سلاماً ، وتورد عليهم لفحها برّداً وسلاماً ، ولا تقل كيف تحملني ناراً ، وترسل على الأجرة مني إعصاراً ، كلاً إذا أهديتهم تحية إيناسي ، وآنسوا من جانب هبوبك نار ضرام أنفاسي ، وارتاحوا إلى هبوبك ، واهتزوا في كف مسرى جنوبك ، وتعلّلوا بك تعليلاً ، وأوسعوا آثار مهَبِّكَ تقبيلاً ، أرسلها عليهم بليلاً ، وخاطبهم بلطافة تطفك تليلاً ، ألم تروني كيف جئتكم بما حماني عليلاً :

١ الكتيبة : ١٦١ ؛ والبيتان الأولان في الدرر : ٢٧٢ .

٢ الكتيبة : في الفؤاد .

٣ ق : شمله .

كذلك تركته^١ ملقًى بأرضٍ له فيها التعلُّلُ بالرياحِ
إذا هبَّتْ إليه صبا إليها وإن جاءته من كلِّ النواحي
تساعده الحمائمُ حينَ يبكي فما ينفكُ موصولَ النواحي^٢
يخاطبهنَّ مهما طرُنَ شوقاً أما فيكنَّ واهبةُ الجناحِ

ولولا تعلله بالأماني ، وتحدث نفسه بزمان التذاني ، لكان قد قضى نجه ، ولم
أبلغكم إلا نعيه أو نذبه ، لكنه يتعلل من الآمال بالوعد الممتول ، ويتطرح
باقراحاته على الزمن المجهول ، ويحدث نفسه وقد قنعت من بروق الآمال بالخُلب ،
ووثقت بمواعيد الدهر القُلب ، فيناجيهما بوحى ضميره ، وإيماء تصويره :
كيف أجذك يوم الالتقاء بالأحباب ، والتخلص من رِبقة الاغتراب ، أبائنة
الحضور أم بادية الاضطراب ، كأني بك وقد استفزك وله السرور ، فصرفك
عن مشاهدة الحضور ، وعانتك غشاوة الاستعبار للاستبشار ، عن اجتلاء محيّا
ذلك النهار :

يومٌ يُداوي زماناتي منَ آزماني أزالَ تنغيصَ أحياني فأحياني
جعلتُ لله نذراً صومه أبدأ أفي به وأوفي شرطَ إيماني
إذا ارتفعنا وزال البعد وانقطعتُ أشطانُ دهرٍ قد التفتُ بأشطاني
أعدّه خيرَ أعيادِ الزمانِ إذا أوطاني السعدُ فيه ترب أوطاني

أرأيت كيف ارتياحي إلى التذكار ، وانقيادي إلى معللات توهمات الأفكار ؟
كأن البعد باستغراقها قد طويت شقته ، وذهبت غني مشقته ، وكأني بالتخيل بين
تلك الحمائل أننسم صباها ، وأننسم رباها ، وأجتني أزهارها ، وأجتني أنوارها ،
وأجول في خمائلها ، وأننعم بذكرها وأصائلها ، وأطوف بمعاملها ، وأنشق

١ الكتيبة : غريب بكم .

٢ الكتيبة : التياح .

أزهار كمامها ، وأصيح بأذن الشوق إلى سجع حمامها ، وقد داخلني الأفراح
ونالت مني نشوة الارتياح ، ودنا السرور لتوهم ذهاب الأتراح ، فلما أفقت
من غمرات سكري ، ووثبت من هفوات فكري ، وجدت مرارة ما شابه لي
في استغراق دهري ، وكأني من حينئذٍ عالجت وقفة الفراق ، وابتدأت منازعة
الأشواق ، وكأنما أغمضني النوم . وسبح لي بتلك الفكرة الحلم :

ذكرَ الديارَ فهجَّهْ تذكَّرهْ وسرَّ به من حينه أفكارهْ
فاحتلَّ منها حيث كان حلولهْ بالوهمِ منها واستقرَّ قرارهْ
ما أقربَ الآمالَ من غفواتهْ لو أنها قضيتُ بها أوطارهْ

فلذا جئتُها أيها القادم والأصيلُ قد خلع عليها بُرداً مُورساً ، والربيع قد مدَّ على
القيعان منها سندساً ، فاتخذها — فديتُكَ — معرَّساً ، واجرر ذيلك فيها متبخراً ،
وبث فيها من طيب نفحاتك عنبراً ، وافثق عليها من نوافج أنفاسك مسكا أذفراً ،
واعطف معاطف بانها ، وأرقِصْ قُضْبَ ريجانها ، وصافح صفحات نهرها ،
ونافح نفحات زهرها ، هذه كلها أمارات ، وعن أسرار مقاصدي عبارات ،
هنالك تنتعش بها صبايات ، تعالج صبايات ، تتعلَّل بإقبالك ، وتعكف على لثم
أذيالك ، وتبدو لك في صفة الفاني المتهالك ، لطفها بلطافة اعتلاك ، وترفق
بها ترفق أمثالك ، فإذا مالت بهم إلى هواك الأشواق ، ولَوَّوا إليك الأروُس
والأعناق ، وسألوك عن اضطرابي في الآفاق ، وتقلَّبي بين الإشأم والإعراق ،
فقل لهم : عرض له في أسفاره ، ما يعرض للبدر في سراه ، من سرار السرار ،
ولحاق المحاق ، وقد تركته وهو يسامر الفرقدين ، ويساير النيرين ، وينشد إذا
راعه البين :

وقد نكونُ وما يُخشى تفرُّقنا فاليومَ نحنُ وما يُرجى تلاقينا

لم يفارق وعناء الأسفار ، ولا ألقى من يده عصا التسيار ، يتهداه الغور والنجد ،

ويتداوله الإرقال والوَخْدُ ، وقد لفحته الرَّمضاء ، وسئمه الإنضاء ، فالجهات تلفظه ، والآكام تبّهظه ، يحمل همومه الرواسم ، وتحياته البواسم :

لا يستقرُّ بأرضٍ حين يبلغها ولا له غير حدٍ العيسِ ليناسُ

ثم إذا استوفوا سؤالك عن حالي ، وتقلّبي بين حلّي وترحالي ، وبلغت القلوب منهم الخناجر ، وملأت الدموع المحاجر ، وابتلت ذبولك بمائها ، لا بل تضرجت بدمائها ، فحيّتهم عني تحيّة منفصل ، ووداعٍ مرتحل ، ثم اعطف عليك ركابك ، ومهّد لهم جنابك ، وقل لهم إذا سألتني عن المنازل بعد سكانها ، والربوع بعد ظعن أظعانها ، بماذا أجيبه ؟ وبماذا يسكن وجيبه ، فسيقولون لك هي البلاقع المقفّرات ، والمعارف التي أصبحت نكرات :

صمّ صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائلِ

قلّ لهم : كيف الروض وآسُهُ ؟ وعمّ تتأرجح أنفاسُهُ ؟ عهدي به والحمام يردد به أسجاعه ، والذباب يغني به هزجاً فيحك بذراعه ذراعه ، وغصونه تعتق ، وأحشاء جداوله تصطّفق ، وأسحارُهُ تنسم ، وأصالة تتوسم ، كما كانت بقية نضرته ، وكما عهدتها أنيقة خضرته ، وكيف التفاته عن أزرق نهره ، وتأنقه في تكليل إكليله بينانع زهره ، وهل رقّ نسيمُ أصائله ، وصفت موارد جداوله ؟ وكيف انفساح ساحاته ، والتفاف دوحاته ؟ وهل تمتدّ كما كانت مع العشي فينانةُ سرحاته ، وعهدي بها المديدة الظلال ، المزعفرة السربال ؟ وهل تحدّق الآن به عيون نرجسه ، ويمد بساط سندسه ؟ وأنّي منه مجالس لِدائي ، ومعاهد غدوائي وروحاني ، إذ أباري في المجون لمن أباري ، وأسبق إلى اللذات كلّ من أباري ، فسيقولون لك : ذوتُ أفنائه ، وانقصفت أغصانه ، وتكدّرت غدرانه ، وتغير رَوْحُهُ ورِيحانه ، وأقفرت معالمه ، وأخرست حمامه ، واستحالت حُلُلُ خمائله ، وتغيّرت وجوه بُكره وأصائله ، فإن صلّصلَ حنين رعد فعن قلبي

لفراقه خَفَقَ ، وإن تَلَأَّ بَرَقَ فَعَنَ حَرَ حشاي اثتلق ، وإن سَحَّتِ السحب
فمُسَاعِدَةٌ لِحَفَنِي ، وإن طال بكَاؤُهَا فَعَنِي ، حَيَّاهَا اللهُ تعالى منازل ، لم تزل بمنظوم
الشمْل أَوَاهِل ، وحين انتثرت نثرت أزهارها أَسْفَا ، ولم تثن الريح من أغصانها
مِعْطَفَا ، أعاد الله تعالى الشمْل فيها إلى محكم نِظَامِهِ ، وجعل الدهر الذي فرقه
يَتَأَنَّقُ في إَحْكَامِهِ ، وهو سبحانه يجبر الصَّدْع ، ويعجل الجمع ، إنَّه بالإجابة
جليد ، وعلى ما يشاء قدير .

إِيه بُنَيَّ كَيْفَ حَالٌ مِنْ اسْتَوْدَعْتَهُمْ أَمَانَتَكَ ، وَأَلْزَمْتَهُمْ صَوْنَكَ وَصِيَانَتَكَ ،
وَأَلْبَسْتَهُمْ نَسَبَكَ ، وَمَهَّدْتَ لَهُمْ حَسَبَكَ ، اللهُ فِي حِفْظِهِمْ فَهُوَ اللَّائِقُ بِفَعَالِكَ ،
الْمُنَاسِبُ لَشَرَفِ خِلَالِكَ ، أَرَعَ لَهُمُ الْإِغْتِرَابَ لَدَيْكَ ، وَالْإِنْقِطَاعَ إِلَيْكَ ، فَهُمْ
أَمَانَةُ اللهِ تَعَالَى فِي يَدَيْكَ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَحْفَظُكَ بِحِفْظِهِمْ ، وَيُوَالِي بِلَحْظِكَ أَسْبَابَ
لِحَظِهِمْ ، وَإِنْ ذَهَبَتْ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَحْوَالِ ، فَنِعَمَ اللهُ تَعَالَى مِمْتَدَّةَ الظَّلَالِ ، وَخَيْرَاتِهِ
وَارْفَةَ السَّرْبَالِ ، لَوْلَا الشُّوقُ الْمَلْأَمُ ، وَالْوَجْدُ الَّذِي سَكَنَ الْحِيَاظَ .

٤٩ — وقال في « الإكليل » في ترجمة أبي بكر محمد بن محمد بن عبد الله
ابن مقاتل المالقي^١ ما نصه : نابغة مالقية ، وخَلَفَ وبقيّة ، ومغربي الوطن أخلاقه
مَشْرِقِيّة ، أزمع الرحيل إلى المشرق ، مع اخضرار العود وسواد المَفْرَق ، فلمّا
توسّطت السفينة اللُّجَج ، وقارعت الشَّبَج ، هال عليها البحر فسقاها كأس
الحمام ، وأولدها قبل التمام ، وكان فيمن اشتملت عليه أعوادها ، وانضم على
نوره سوادها ، من جملة الطلبة والأدباء ، وأبناء السراة الحسباء ، أصبح كلٌّ
منهم مطيعاً ، لداعي الردى وسميعاً ، وأحيوا فرادى وماتوا جميعاً ، فأجروا
الدموع حزناً ، وأرسلوا العبرات عليهم مُزْنًا ، وكأن البحر لما طَمَسَ سَبِيلَ
خلاصهم وسدّها ، وأهال هضبة سفينتهم وهدّها ، غار على نفوسهم النفيسة
فاستردّها ، والفقيه أبو بكر مع إكثاره ، وانقياد نظامه ونثاره ، لم أظفر من أدبه

١ ترجمته في الدرر ٤ : ٣١٣ (ط . القاهرة) .

إلاّ بالقليل التافه ، بعد وداعه وانصرافه ، فمن ذلك قوله وقد أبصر فتّى عائراً :

ومهفهف هافي المعاطف أحور فضحت أشعة نوره الأقمرا
زلت له قدم فأصبح عائراً بين الأنام لعاً لذلك عثارا
لو كنت أعلم ما يكون فرشت في ذاك المكان الخدّ والأشفارا
وقال :

أيا لبني الرفاء تنضي ظباؤهم جفونَ ظباهم فالقوادُ كليمُ
لقد قطع الأحشاء منهم مهفهفٌ له التبرُ خدٌ واللّجينُ أديمُ
يسدد إذ يرمي قسيّ حواجب وأسهمها من مقلتيه تسومُ
وتسقمني عيناهُ وهي سقيمةٌ ومن عجبٍ سقمٌ جناهُ سقيمُ
ويذبُلُ جسمي في هواهُ صبايةٌ وفي وصله للعاشقين نعيمُ

كان غرقه في أخريات عام تسعة وثلاثين وسبعمائة ؛ انتهى .

٥٠ - وقال في « الإكليل » في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد الشّديد المالقي ما نصه : شاعرٌ مُجيد حوْك الكلام ، ولا يقصر فيه عن درجة الأعلام ، رحل إلى الحجاز لأول أمره فطال بالبلاد المشرقية ثواؤه ، وعميت أباؤه ، وعلى هذا العهد وقفتُ له على قصيدة بخطه غرضها نبيل ، ومرعاها غير وبيل ، تدل على نفّس ونفّس ، وإضاءة قَبَس ، وهي :

لنا في كلِّ مكرمةٍ مقامٌ ومن فوقِ النجومِ لنا مقامُ

ومنها :

روينا من مياهِ المجدِ لما وردناها وقد كثرَ الزحامُ
فنحن همُ ، وقلُّ لي من سوانا لنا التقديمُ قدماً والكلامُ
لنا الأيدي الطّوال بكلِّ صوبٍ يهزُّ به لدى الروحِ الحسامُ
ونحنُ اللابسونَ لكلِّ درعٍ يصيبُ السُّمرَ منهمْ انثلامُ

بأندلسٍ لنا أيامٌ حرب
ثوى منها قلوبَ الرومِ خَوْفٌ
حمينا جانبَ الدينِ احتساباً
وتحتَ الرايةِ الحمراءً منّا
بنو نصر وما أدراك ما هم
لهم في حربهم فتكات عمرو
يقولُ عداتهمُ مهما ألتوا
إذا شرعوا الأسنةَ يومَ حربٍ
كأنَّ رماحهم فيها نجومٌ
أناسٌ تُخْلِفُ الأيامُ ميتاً
رأينا من أبي الحجاج شخصاً
موقى العرضِ محمودُ السجايا
يجولُ بذهنه في كلِّ شيءٍ
قويمُ الرأي في نوبِ الليالي
له في كلِّ معضلةٍ مضاءٌ
رؤوفٌ قادرٌ يُغْضِي وَيَعْفُو
تطوفُ بيتِ سؤدده القوافي
وتسجدُ في مقامِ علاه شُكراً
أفارسها إذا ما الحربُ أُنحتْ
ومطرها إذا ما السَّحْبُ كَفَّتْ
لك الذكرُ الجميلُ بكلِّ قطرةٍ
لقد جُبِّنا البلادَ فحيثُ سرنا
فضلتْ ملوكها شرقاً وغرباً
فأنتَ لكلِّ معلوٍ مدارٌ
مواقفهن في الدنيا عظامٌ
يخوفُ منه في المهدِ الغلامُ
فها هو لا يهان ولا يضامُ
كتائبُ لا تطاق ولا ترامُ
أسودُ الحربِ والقومُ الكرامُ
فللأعمارِ عندهمُ انصرامُ
أتونا ما من الموتِ اعتصامُ
فحقَّقْ أنَّ ذاكَ هو الحِمامُ
إذا ما أشبهَ الليلَ القَتامُ
بحيٍّ منهمُ فلهمُ دوامُ
على تلك الصفاتِ له قيامُ
كريمُ الكفِّ مقدامُ همامُ
فيدركهُ وإنَّ عزَّ المَرامُ
إذا ما الرأيُ فارقه القوامُ
مضاءُ الكفِّ ساعدها الحسامُ
وإنَّ عَظْمَ اجتناءِ واجترامُ
كما قد طافَ بالبيتِ الأنامُ
ونعمَ الركنُ ذاكَ والمقامُ
على أبطالها ودنا الحِمامُ
وكفُّ أنخي الندى أبداً غمامُ
لك الشرفُ الأصيلُ المستدامُ
رأينا أنَّ ملكك لا يرامُ
وبتَ لملكها يقظاً وناموا
وأنتَ لكلِّ مكرمةٍ إمامُ

جَعَلْتِ بِلَادَ أُنْدَلُسَ إِذَا مَا ذُكِرْتَ تَغَارُ مِصْرُ وَالشَّامُ
مَكَانُ أَنْتَ فِيهِ مَكَانُ عَزَى وَأُوطَانُ حَلَّتْ بِهَا كِرَامُ
وَهَبْتَكَ مِنْ بَنَاتِ الْفَكْرِ بَكَرًا لَهَا مِنْ حُسْنِ لَقِيَاكَ ابْتِسَامُ
فَنَزَهَ طَرَفَ مَجْدِكَ فِي حِلَاهَا فَلِلْمَجْدِ الْأَصِيلِ بِهَا اهْتِمَامُ

٥١ . وقال في « الإكليل » في ترجمة الشريف محمد بن الحسن العمراني
من أهل فاس^١ ما صورته : كريم الانتماء ، متظلل بأغصان الشجرة الشماء ،
من رجل سليم الضمير ، ذي باطن أصفى من الماء النّيمير ، له في الشعر طبع يشهد
بعروبية أصوله ، ومضاء نصوله .

وذكر في « الإحاطة » أن الشريف المذكور توفي في حدود ثمانية وثلاثين وسبعمائة .

٥٢ . وقال في « الإكليل » في ترجمة محمد بن أحمد بن إبراهيم المرادي
العشّاب ، وهو قرطبي الأصل تونسي المولد والمنشأ ، ما صورته : جواد لا يُتعاطى
طَلَقُهُ ، وَصُبِحَ فَضْلُ لَا يَمِائِلُ فَتَلَقُّهُ ، كَانَتْ لِأَبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الدُّوَلِ
الْحَفْصِيَّةِ مَنْزِلَةً لَطِيفَةَ الْمَحَلِّ ، وَمُفَاوِضَةً فِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ، وَلَمْ يَزَلْ تَسْمُو بِهِ قَدَمُ
النَّجَابَةِ . مِنَ الْعَمَلِ إِلَى الْحِجَابَةِ . وَنَشَأَ ابْنَهُ هَذَا مَقْضِيَّ الدِّيُونِ ، مَقْدَّئِي بِالْأَنْفُسِ
وَالْعِيُونِ ، وَالْدَّهْرِ ذُو أَلْوَانٍ ، وَمَارِقُ حَرْبٍ عَوَانٍ ، وَالْأَيَّامِ كُرَاتٍ تُثَلَقَفُ
وَأَحْوَالٍ لَا تُتَوَقَفُ . فَأَلَوَى بِهِمُ الدَّهْرُ وَأُنْجَى ، وَأَغَامَ جُوهَهُمْ بِعَقَبٍ مَا أَصْحَى ،
فَشَمَلَهُمُ الْإِعْتِقَالَ ، وَتَعَاوَرَتْهُمْ النُّوْبُ الثَّقَالُ ، وَاسْتَقَرَّتْ بِالْمَشْرِقِ رِكَابُهُ ،
وَحُطِّتْ بِهِ أَقْتَابُهُ . فَحَجَّ وَاعْتَمَرَ ، وَاسْتَوَطَّنَ تِلْكَ الْمَعَاهِدَ وَعَمَرَ ، وَعَكَفَ
عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَمَجُودَ الْحُرُوفِ ، وَقَرَأَ الْمَعْرُوفَ ، وَقَيَّدَ وَأَسْنَدَ ، وَتَكَرَّرَ
إِلَى دُورِ الْحَدِيثِ وَتَرَدَّدَ ، وَقَدَّمَ عَلَى هَذَا الْوَطَنِ قَدُومَ النَّسِيمِ الْبَلِيلِ ، عَلَى كَبْدِ
الْعَلِيلِ ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ قَرَارُهُ ، وَاشْتَمَلَ عَلَى جَفْنِهِ غَرَارُهُ ، بَادَرَتْ إِلَى مُؤَانَسَتِهِ ،
وَنَابَرَتْ عَلَى مَجَالَسَتِهِ . فَاجْتَلَيْتَ لِلْسَّرِّ شَخْصًا ، وَطَالَعْتَ دِيْوَانَ الْوَفَاءِ مُسْتَقْصَى ،

١ . ترجمته في الدور ٤ : ٤٦ (ط . القاهرة) .

وشعره ليس بمجائد عن الإحسان ، ولا غفل عن النكت الحسان ؛ انتهى .

٥٣ — وقال في « الإكليل » في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر بن علي ابن إبراهيم المليكشي^١ ما صورته : كاتب الخلافة ، ومُشعشع الأدب الذي يزري بالسُلالة ، كان بطل مجال ، وربّ روية وارْتِجال ، قدم على هذه البلاد وقد نبا به وطنه ، وضاق ببعض الحوادث عَطَنه ، فتلوّم تلوّم النسيم بين الحمائل ، وحل منها محل الطيف من الوشاح الجائل ، ولبت مدة إقامته تحت جراية واسعة ، وميرة^٢ يانعة ، ثمّ آثر قُطره ، فولّى وجهه شطره ، واستقبله دهره بالإنابة ، وقلده خُطّة الكتابة ، فاستقامت حاله ، وحُطّت رحاله ، وله شعر أنيق ، وتصوّف وتحقيق ، ورحلة إلى الحجاز سعيها في الخير وثيق ، ونسبها في الصالحات عريق ، ومن شعره قوله :

رَضِي نلتِ ما ترضين من كل ما يهوى	فلا توقّنيني موقفَ الذلّ والشكوى
وصفّحاً عن الجاني المسيء لنفسه	كفاه الذي يلقاه من شدّة البلوى
بما بيننا من خلوة معنوية	أرقّ من النجوى وأحلّ من السلوى
قفي أشكى لوعةَ اليبس ساعة	ولا يكُ هذا آخرَ العهد بالنجوى
قفي ساعة في عرصَةِ الدار وانظري	إلى عاشقٍ ما يستفيق من البلوى
وكم قد سألتُ الريحَ شوقاً إليكم	فما حنّ مسراها عليّ ولا ألوى
فيا ريحُ حتى أنتِ ممّن يغارُ بي	ويا نجدُ حتى أنتِ تهوى الذي أهوى
خلّقتُ ولي قلبٌ جليدٌ على النوى	ولكنّ على فقدِ الأحبّة لا يقوى

وحدث بعض من عني بأخباره ، أيام مقامه بمالقة واستقراره ، أنه لقي بباب الملعب من أبوابها ظبية من ظبيات الإنس ، وقبينة من قبينات هذا الجنس ، فخطب وصالها ، واتقى بفؤاده نصالها ، حتى همّت بالانقياد ، وانعطفت انعطاف الغصن

١ ترجمته في نيل الابتهاج : ٢٣٧ ورحلة البلوي (الورقة : ٢٢) والدرر : ٤ : ٢٢٦ (ط . القاهرة) .

٢ ق : ومبرة .

الميتاد ، فأبقى على نفسه وأمسك ، وأنيفَ من خلع العذار بعدما تنسك ، وقال :

لم أنسَ وقفنا ببابِ الملعبِ بين الرجا واليأس من متجنبِ
وعَدَتْ فكنتُ مراقباً لحديثها يا ذلَّ وقفة خائف مترقبِ
وتدللتُ فذللتُ بعد تعزُّزِ يأتي الغرامُ بكلِّ أمرٍ معجبِ
بدويةً أبدى الجمالُ بوجهها ما شئتَ من خدِّ شريق مذهبِ
تدنو وتبعدُ نفرةً وتجنياً فتكادُ تحسبها مَهَاة الرَّبِّربِ
ورنتُ بلحظ فاتنٍ لك فاترٍ أنضى وأمضى من حسام المضربِ
وأرتكَّ بابلُ سحرها يجفونها فسبتُ ، وحق لملثها أن تستبي
وتضاحكتُ فحككتُ بنير ثغرها لمعان نور ضياء برق خلَّبِ
بمنظَّم في عقدِ سمطيَّ جوهرٍ عن شبه نورِ الأتخوان الأشنبِ
وتمايلتُ كالغصنِ أخضله الندى رِيَّانَ من ماء الشبيبة مخضبِ
تثنيه أرواحُ الصباية والصَّبَا فتراهُ بينَ مشرقٍ ومغربِ
أبتِ الروادفُ أنْ تميلَ بميله فرستُ وجالَ كأنه في لولبِ
متوجاً بهلالٍ وجهٍ لاح في خلل السحاب لحاجبٍ ومحجبِ
يا من رأى فيها محباً مغرماً لم ينقلب إلا بقلبِ قَلْبِ
ما زالَ مذٌ ولتى يحاولُ حيلةً تدنيه من نيلِ المني والمطلبِ
فأجالَ نارَ الفكرِ حتى أوقدتُ في القلبِ نارُ تشوقٍ وتلهبِ
فتلاقتِ الأرواحُ قبلَ جسومها وكذا البسيطُ يكونُ قبلَ مركَّبِ

وقال :

أرى لك يا قلبي بقلبي محبةً بعثتُ بها سرِّي إليك رسولا
فقابلنه بالبشرى ، وأقبل عشيّةً فقد هبَّ مسكِي النسيمِ عليلا
ولا تعتذر بالقطرِ أو بللِ الندى فأحسنُ ما يأتي النسيمُ بليلا

توفي عام أربعين وسبعمائة بتونس ، رحمه الله تعالى ؛ انتهى .

٥٤ — وقال في « الإكليل » في ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر العبدري التونسي الشاطبي الأصل^١ ، ما نصه : غَدِيَّ نعمة هامية ، وقريع رتبة سامية ، صُرفت إلى سلفه الوجوه ، ولم يبق من إفريقية إلا مَنْ يخافه ويرجوه ، وبلغ هو مدة ذلك الشرف ، الغاية من الترف ، ثم قلب الدهر له ظهر المِجَنِّ ، واشتد به الخُمار عند فراغ الدَّنِّ ، ولحق صاحبنا هذا بالمشرق بعد خطوط مُبيرة ، وشدة كبيرة ، فامتزج بسكانه وقُطَّانَه ، ونال من اللذات به ما لم ينله في أوطانه ، واكتسب الشمائل العذاب ، وكان كابن الجَهم بُعث إلى الرصافة ليرقَّ فذاب ، ثم حوِّم على وطنه تحويم الطائر ، وألمَّ بهذه البلاد لمام الخيال الزائر ، فاغتنمت صفقة وده لحن وروده ، وخطبت موالاته على انقباضه وشروده ، فحصلت منه على درة تُفَتِّي ، وحديقة طيبة الجَنِّي ، أنشدني في أصحاب له بمصر قاموا بیره :

لكل أناسٍ مذهبٌ وسجيةٌ ومذهبٌ أولادِ النظامِ المكارمُ
إذا كنتَ فيهم ثاوياً كنتَ سيداً وإن غبتَ عنهم لم تنلِكَ المظالمُ
أولئك صَحبي لا عدمت حياتهم ، ولا عدموا السعدَ الذي هو دائمُ
أُغني بذكرهم وطيب حديثهم كما غرَّدت فوق الغصون الحمايمُ

وقال :

أحييتنا بمصرٍ لو رأيتُم بكائي عند أطرافِ النهارِ
أكنتم تشفقون لفرطِ وجدي وما ألقاهُ من بُعدِ الديارِ

٥٥ — وقال في « الإكليل » في ترجمة أبي القاسم محمد بن أبي زكريا يحيى ابن أبي طالب عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي السبي^٢ ، ما صورته : فرع تأود من الرياسة في دَوْحة ، وتردد بين غدوة في المجد ورَوْحة ، نشأ والرياسة العزفية

١ ترجمته في الدرر ٤ : ١٩٨ (ط . القاهرة) .

٢ الدرر : ٥٢ .

تعله وتنهله ، والدهر يسر أمله الأقصى ويُسهله ، حتى اتسقت أسبابُ سعده ،
وانتهت إليه رياسة سلفه من بعده ، فألقت إليه رحالها وحطَّتْ ، ومتعته بقربها بعدما
شطَّتْ ، ثمَّ كَلَحَ له الدهر بعدما تبسم ، وعاد زَعَزَعًا نسيْمُهُ الذي كان يتنسم ،
وعاق هلاله عن تيمِّه ، ما كان من تغلب ابن عمِّه ، واستقر بهذه البلاد نازح الدار ،
بحكم الأقدار ، وإن كان نبيه المكانة والمقدار ، وجرت عليه جراية واسعة ،
ورعاية متتابعة ، وله أدب كالروض باكرتهُ الغمام ، والزهر تفتحت عنه
الكمام ، رفع منه راية خافقة ، وأقام له سوقاً نافقة ، وعلى تدفق أنهاره ،
وكثرة نظمه واشتهاره ، فلم أظفر منه إلا باليسير النافه ، بعد انصرافه ؛ انتهى .

٥٦ — وقال في « الإكليل » في ترجمة أبي عبد الله محمد بن [عبد الرحمن]
المكودي الفاسي ما نصه: شاعر لا يُتقاصى ميدانه ، ومرعى بيان رفَّ غضاهاُ وأينع
سعدانه ، يدعو الكلام فيهِ طبع لداعيه ، ويسعى في اجتلاب المعاني فتتجج مساعيه ،
غير أنه أفرط في الانهماك ، وهوى إلى السمكة من أوج السَّمَاك ، قدم على هذه البلاد
مفلتاً من رهق تلمسان حين الحصار ، صفر اليمين واليسار من اليسار ، فلَّ
هَوًى أنحى على طريفه وتلاده ، وأخرجه من بلاده ، ولما جدَّ به البين ، وحلَّ هذه
البلدة بحال تفتحها العين ، والسيف بهزته لا بحسن بزته ، دعونه إلى مجلس أعاره
البدر هالته ، وخلع عليه الأصيلُ غلالته ، وروض تفتَّح كمامه ، وهَمَّى عليه غمامه ،
وكأس أنس تدور ، فتتلقى نجومها البدور ، فلما ذهبَتِ المؤانسة بنحجله ، وتذكر
هواه ويوم نواه حتى خفنا حلول أجله ، جذبنا للمؤانسة زمame ، واستسقيناه منه
غمامه ، فأمّتع وأحسبَ ، ونظر ونسب ، وتكلم في المسائل ، وحاضر بطُرْفِ
الآبيات وعيون الرسائل ، حتى نشر الصباح رايته ، وأطلع النهار آيته ، فمما
نسبه إلى نفسه وأنشدناه قوله :

غرامي فيكَ جَلَّ عن القياسِ وقد سقيتنيهِ بكلِّ كأسِ
ولا أنسى هواكَ ولو جفاني عليكَ أقاربي طُرّاً وناسي

ولا أدري لنفسي من كمالٍ سوى أني لعهدك غيرُ ناسي

وقال :

بَعَثْتُ بِخَمْرٍ فِيهِ ماءٌ وَإِنَّمَا بَعَثَ بِماءٍ فِيهِ رائحةُ الخمرِ
فَقَلَّ عَلَيْهِ الشُّكْرُ إِذْ قَلَّ سَكْرُنَا فَنَحْنُ بِلَا سَكْرٍ ، وَأَنْتَ بِلَا شَكْرِ .

٥٧ - وقال لسان الدين رحمه الله تعالى في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري الغرناطي^١ ما صورته : معلم مدرّب ، مسهل مقرب ، له في صنعة العريية باعٌ مديد ، وفي هدفها سهم سديد ، ومشاركة في الأدب لا يفارقها تسديد ، خاصي المنازع مختصرها ، مرتب الأحوال مقررها ، تميز أول وقته بالتجارة في الكتب فسُلِّطَ منه عليها أرضة آكلة ، وسهم أصاب من رميتها الشاكلة ، أثرى بسببها وأترّب ، وأغنى جهة وأفقر أخرى ، وانتقل لهذا العهد الأخير إلى سكنى مسقط رأسه ، ومنبت غرسه ، وجرت عليه جرایة من أحباسها ، ووقع عليه قبول من ناسها ، وبها تلاحق به الحمام ، فكان من تراها البداية وإليها التمام ، وله شعر لم يقصر فيه عن المدى ، وأدب توشح بالإجادة وارتنى ، أنشدني بسبته تاسع جمادى الأولى عام اثنين وخمسين وسبعمئة يجيب عن بيتي ابن العفيف التلمساني :

يا ساكنًا قلبي المعنى وليسَ فيه سواك ثاني
لأي معنى كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان

فقال :

نَحَلْتُني طائماً فؤاداً فصار إذ حُرِّتُهُ مكاني
لا غرو إذ كان لي مضافاً أني على الكسرِ فيه باني

وقال يخاطب الشريف أبا العباس وأهدى أقلاماً :

١ انظر أيضاً ترجمته في الكتبية : ٩٠ وبغية الوعاة : ١٠٠ والدرر : ٣٥٨ (ط . القاهرة) وراجع ما تقدم في النسخ ٥ : ٣٨٤ .

أناملك الغرُّ التي سبَّبُ جودها يفيض كفيض المزنِ بالصيَّب القطرِ
أنتني منها تحفةٌ مثلُ حدها إذا انتضيتْ كانت كرهفة السَّمَرِ
هي الصفرُ لكن تعلمُ البيضُ أنها محكِّمةٌ فيها على التَّفعِ والضرِ
مهذَّبةُ الأوصالِ ممشوقةٌ كما تصوغ سهام الرمي من خالص التبرِ
فقبلتها عشراً ومثلتُ أنتي ظفرتُ بلمٍ في أناملك العشرِ

وقال في ترتيب حروف الصخاخ :

أساجعةٌ بالواديين تبَّوئي ثماراً جنتها حالياتٌ خواضبُ
دعي ذكرَ روض زاره سقي شربه صباح ضحى طيرٌ ظمأٌ عواصبُ
غرامُ فؤادي قاذفٌ كلَّ ليلةٍ متى ما نأى وهنأ هواهُ يراقبُ

مولده في حدود ثمانين وستمائة ، وتوفي بغرناطة في رجب عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة ؛ انتهى .

قلت : رأيت بخط الجلال السيوطي على هامش جوابه عن بيتي ابن العفيف التلمساني ما صورته : قلت : في هذا البيت تصريح بأن المضاف إلى الياء مبني على الكسر ، وهو رأي مرجوح عند النحاة ، ذهب إليه الجرجاني ، والصحيح أنه معرب ، على أن ذلك لا يحتاج إلى جواب كما يظهر بالتأمل ، قاله عبد الرحمن السيوطي ؛ انتهى . ويعني بذلك أن الساكنين إنما يكسر أحدهما ، لا محلهما ، والله سبحانه أعلم .

٥٨ - وقال لسان الدين في « الإكليل » في ترجمة أبي عبد الله محمد بن هانيء اللخمي السبتي ، وأصله من إشبيلية ، ما صورته : علم تشير إليه الأكف ، ويُعمل^٢ إلى لقائه الحافر والخف ، رفع للعريية ببلده راية لا تتأخر ، ومرج

١ الكتيبة : أر خالص .

٢ الإحاطة : وينتقل .

منها بلحة تزخر ، فانفسح مجالُ درسه ، وأثمرت أنواع غرسه ، فركض ما شاء ومرح ، ودوّن وشرّح ، إلى شمائل يملك الظرف زمامها ، ودعابة راشت الحلاوة سهامها ، ولما أخذ المسلمون في مُنازلة الجبل وحصاره ، وأصابوا الكفر منه بجارحة لبصاره ، ورموا بالشُّكل فيه نازح أمصاره ، كان ممّن انتدب وتطوّع ، وسمع النداء فأهطع ، فلازمه إلى أن نفذ لأهله القوت ، وبلغ من فسحة الأجل الموقوت ، فأقام الصلاة بمحراه ، وحيّاه وقد غير محياه طول اغترابه ، وبادره الطاغية قبل أن يستقر نصل الإسلام في قِرايه ، أو يعلق أصل الدين في تراهيه ، وانتدب إلى الحصار ربه وتدرّع ، ودعاه أجله فلبّى وأسرع ، ولما هدر عليه الفنيق ، وركع إلى قبلة المنجنيق ، أصيب بحجر دوّم عليه كالجراح المخلّق ، وانقضّ إليه انقضاض البارق المتألق ، فاقتنصه واختطفه ، وعمد إلى زهره فاقتطفه ، فمضى إلى الله تعالى طوع نيّته ، وصحبته غرابة المنازع حتى في أمنيته ؛ انتهى .

وقد جوّد ترجمته في « الإحاطة »^١ وقال : إنّه ألّف كتباً منها شرح « تسهيل الفوائد » لابن مالك ، مبدع تنافس الناس فيه ، وكتاب « الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة » ، وكتاب « إنشاد الضوال وإرشاد السوّال » في لحن العامة ، وهو مفيد ، وكتاب « قوت المقيم »^٢ ودوّن ترسيل أبي المطرّف ابن عميرة وضمه في سفرين ، وله جزء في الفرائض ، وحدثني شيخنا الشريف القاضي أبو القاسم قال : خاطبت ابن هانيء بقصيدة من نظمي أولها :

هاتِ الحديثَ عن الركبِ الذي شَخَصَا

فأجاني بقصيدة على رويها ، أولها :

لولا مشيبٌ بفودي للفؤادِ عصي أنضيتُ في مهمه التشيبِ لي قُلُصا

١ ترجمته في الورقة : ٦٠ وقد نقل فيها ما قاله في الإكليل .

٢ وكتاب . . . المقيم : سقط هذا من الإحاطة .

واستوقفت عبراتي وهي جارية
مسائلاً عن لياليه التي انتهزت
وكنتُ جاريتُ فيه من جرى طلقاً
أصابَ شاكلة المرمي حين رمى
ومن أعدَّ مكان السبل نبل حجى
ثم انثنى ثانياً عطف النسيب إلى
فظلتُ أرفلُ فيها لبسة شرفتُ
يقولُ فيها وقد خولت منحتها
هذي عقائلُ وافتُ منك ذا شرف
فقلتُ هلاً عكست القول منك له
وقلتُ ذي بكرُ فكرُ من أخي شرف
لها حلّى حسنيات على حلل
خولتها وقد اعتزّت ملابسها
خذها أبا قاسمٍ مني نتيجة ذي
جاءتُ تجاوبُ عما قد بعثت به
وهي طويلة .

ومما ينسب إليه :

ما للنوى مدّت لغير ضرورة
إنّ الحليل وإن دعت ضرورة
ولقبل ما عهدي بها مقصورة
لم يرض ذاك فكيف دون ضرورة

وقال مضمناً للثاني :

لا تلمني عاذلي^١ حين ترى
وجه من أهوى فلومي مستحيل

١ الإحاطة : خلني يا عاذلي .

لو رأى وجهه حبيبي عاذلي لتفارقنا على وجه جميل

وأجاب الشريف المذكور عن قصيدة مهموزة بقوله :

يا أوجد الأدباء أو يا أوجد الـ فضلاء أو يا أوجد الشرفاء
من ذا تراه أحق منك إذا التوت طرق الحجاج بأن يجب ندائي
أدب أرق من الهواء وإن تشا فمن هوا والماء والصهباء
والدُّ من ظلم الحبيب وظلمه بالظاء مفتوحاً وضمّ الظاء
ما السحر إلا ما تصوغ بنائه ولسانه من حلية الإنشاء

وهي طويلة يقول فيها بعد جملة أبيات :

لله نفثة سحر ما قد شئت لي من نفث سحر في مشاد ثناء
عارضت صفواناً بها فأريت^١ ما يستعظم الراوي لها والرائي
لو راء لؤلؤك المنظم لم يفز من نظم لؤلؤه بغير عناء
بوأتني منها أجل مبولاً فلاخمصي مستوطىء الجوزاء
وسما بها اسمي سائراً فأنا بما أسديت ذو الأسماء في الأسماء
وأشدت ذكرى في البلاد فلي بها طول الثناء وإن أطلت ثوائي
ولقومي الفخر المشيد بنيت^٢ يا حسن تشيد وحسن بناء
فليهن هانيهم^٢ يد بيضاء ما إن مثلها لك من يد بيضاء
حليت أبياتاً له لحمية تجلى على مضربة غراء
فليشمخوا أنفاً بما أوليتهم يا محرز الآلاء بالإيلاء

ووصلها بنثر نصه : « هذا بُني » - وصل الله سبحانه لك ولي بك علو المقدار،

١ ق : فأرتك .

٢ : فلتهنها بهم .

وأجرى وفق إرادتك وإرادتي لك جاريات الأقدار — ما سَنَحَ بهِ الذهن الكليل ،
واللسان القليل ، في مراجعة قصيدتك الغراء ، الجالبة السراء ، الآخذة بمجامع
القلوب ، الموفية بجوامع المطلوب ، الحسنة المهيّج والأسلوب ، المتحلية بالخلي
السنية ، العريقة المنتسب في العلا الحسنية ، الجالية لصدل القلوب ران عليها الكسّل ،
وخانها المسعدان السؤل والأمل ، فمتى حامت المعاني حولها ، ولو أقامت حولها ،
شكت ويلها وعوّها ، وحرمت من فريضة الفضيلة عوّها ، وعهدي بها والزمان
زمان ، وأحكامها الماضية أمانى مقضية وأمان ، تتوارد ألافها ، ويجمع إجماعها
وخلافها ، ويساعدها من الألفاظ كل سهل ممتنع ، مفترق مجتمّع ، مستأنس
غريب ، بعيد الغور قريب ، فاضح الخليل ، واضح العلا ، وضاح الغرة والجليل ،
رافع عمود الصبح المبين ، أيد من الفصاحة بأيادٍ ، فلم يحفل بصاحبي طيبي
ولإياد ، وكسي^١ نصاعة البلاغة ، فلم يعبأ بهتمام وابن المراغة ، شفاء المحزون ،
وعلم سر المخزون ، ما بين منثور والموزون ، والآن لا ملهيج ولا مبهج ، ولا
مرشد ولا منهج ، عكست القضايا فلم تُنتج ، فبلد القلب الذكي ، ولم يرشح
القلم الزكي ، وعم الإفحام وغم الإحجام ، وتمكن الإكداء والإجبال ، وكورت
الشمس وسيرت الجبال ، وعلت سامة ، وغلبت ندامة ، وارتفعت ملامة ،
وقامت لنوعي الأدب قيامة ، حتى إذا ورد ذلك المهرّق ، وفرّع غصنه المورق ،
وتغنى به الحمام الأورق ، وأحاط بعداد عداته الغصص والشرّق ، وأمن من ذلك
الغصب والسرّق ، وأقبل الأمن وذهب لإقباله الفرّق ، نفخ في صور أهل المنظوم
والمنثور ، وبُعثر ما في القبور وحُصّل ما في الصدور ، وتراءت للأدب صور ،
وعمرت للبلاغة كور ، وهَمّت للبراعة درر ، ونظمت البراعة درر ، وعندها تبين
أنك واحد حلبة البيان ، والسابق في ذلك الميدان يوم الرهان ، فكان لك القدم ، وأقر
لك مع التأخر السابق الأقدم ، فوحي نصاعة ألفاظ أجدها حين أوردتها ، وأسلتها

١ ق : ونسي .

حين أرسلتها ، وأزنتها حين وزنتها ، وبراعة معان سلكتها حين ملكتها ، وأرويتها حين رويتها أو رويتها^١ ، وأصلتها حين فصلتها أو وصلتها ، ونظام جعلته بجسد البيان قلباً ، ولمعصمه قلباً ، وهصرت حدائقه غلباً ، واركتبت رويته صعباً^٢ ، ونثار أتبعته له خديماً ، وصيرته لمدير كأسه نديماً ، ولحفظه ذمامه المدامي أو مدامه الادمي مديماً ، لقد فتنتني حين أتتني ، وسببتني حين أطبنتني ، فذهبت خفتها بوقاري ، ولم يرعها بعد شيب عذارى ، بل دعت للتصابي فقلت مرحباً ، وحللت لفتنتها الحباً ، ولم أحفل بشيب ، وألفت مارد تصابي نصيب^٣ ، وإن كنا فرسي رهان ، وسابقي حلبة ميدان ، غير أن الجلدة بيضاء ، والمرجو الإغضاء بل الإرضاء . بُني كيف رأيت للبيان هذا الطوع ، والخروج فيه من نوع إلى نوع ؟ أين صفوان بن إدريس ، ومحل دعواه بين رحلة وتعريس ؟ كم بين ثغاء بقر الفلاة وبين الليث ذي الفريس ؟ كما أني أعلم قطعاً وأقطع علماً ، وأحكم مضاء وأمضي حكماً ، أنه لو نظر إلى قصيدتك الرائقة ، وفريدتك الحالية الفائقة ، المعارضة بها قصيدته ، المنتسخة بها فريدته ، لذهب عرضاً وطولاً ، ثم اعتقد لك اليد الطولى ، وأقر فارفع النزاع ، وذهبت له تلك العلاقات والأطماع ، ونسي كلمته اللؤلؤية ، ورجع عن دعواه الأدبية ، واستغفر ربه من تلك الآلية . بُني وهذا من ذلك الجري في تلك المسالك ، والتبسط في تلك المآخذ والمثارك ، أيتزع غيري هذا المتزع ؟ أم المرء بنفسه وابنه مولع ؟ حيّا الله الأدب وبنيه ، وأعاد علينا من أيامه وسنيه ، ما أعلى منازعه ، وأكبي منازعه ، وأجل مآخذه ، وأجهل تاركه وأعلم آخذه ، وأرق طباعه ، وأحق أشياعه وأتباعه ، وأبعد طريقه ، وأسعد فريقه ، وأقوم نهجه ، وأوثق نسجه ، وأسمح ألفاظه ، وأفصح عكاظه ، وأصدق معانيه وألفاظه ، وأحمد نظامه ونثاره ،

١ حين . . . رويتها : سقطت من ق .

٢ أشار إلى صعوبة القافية ، وإن كانت همزية ، وهي غير صعبة .

٣ يشير إلى قول نصيب (الأغاني ١٦ : ١٠٩) :

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسني النثر الصنار

وأغنى شعاره ودثاره ، فعائبه مطرود ، وعائبه مصفود ، وجاهله محصود ، وعالمه محسود ، غير أن الإحسان فيه قليل ، ولطريق الإصابة فيه علم ودليل ، مَنْ ظفر بهما وصل ، وعلى الغاية القصوى منه حصل ، ومن نكب عن الطريق ، لم يُعَدَّ من ذلك الفريق ، فليَهْنِكْ أيها الابن الذكي ، البرُّ الزكي ، الحبيب الخفي ، الصفيّ الوفيّ ، أنك حاملُ رايته ، وواصل غايته ، ليس أولوه وآخروه لذلك بمنكرين ، ولا تجد أكثرهم شاكرين ، ولولا أن يطول الكتاب ، وينحرف الشعراء والكتّاب ، لفاضت ينابيع هذا الفضل فيضاً ، وخرجت إلى نوع آخر من البلاغة أيضاً ، قَرَّتْ عيونُ أودِّائك ، وملئت غيظاً صدور أعدائك ، ورقيت درج الآمال ، ووقيت عين الكمال ، وحفظ منصبك العالي ، بفضل ربك الكبير المتعالي ، والسلام الأتم الأتم الأكمل الأعم ، يخصك به من طال في مدحه إرقالك وإغذاذك ، وراد روض حمدك وابلك وطلُّك ورذاذك ، وغدت مصالح سعيه في سعي مصالحك ، وسينفعك بحول الله وقوته وفضله ومنته مُعَاذُك ، ووسمت نفسك بتلميذه فسمت نفسه بأنه أستاذك ، ابن هانيء ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

وكانت وفاته شهادة في أواخر ذي القعدة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ، ورثاه شيخنا أبو التماسم الحسني بقصيدة أثبتت في اسمه منها :

سقى الله بالخضراء أشلاء سؤددٍ تضمّنهنَّ التُّربُ صوبَ الغمام

ورثاه شيخنا أبو بكر ابن شبرين فقال :

قد كان ما قال البريدُ فاصبرْ فحزنك لا يفيدُ
أودى ابن هانيء الرضى فاعتادني للثكلِ عيدُ
بحر العلوم وصدرها وعميدُها إذ لا عميدُ

١ ق : طريق .

قد كانَ زيناً للوجو
 العِلْمُ والتَّحْقِيقُ والتَّ
 تَنَدَى خِلاَّتْهُ فَقُلْ
 مُغْضٍ عَنِ الْإِخْوَانِ لَا
 أَوْدَى شَهِيداً بِأَذْلٍ
 لَمْ أَنْسَهُ حِينَ الْمَعَا
 وَلَهُ صَبُوبٌ فِي طَلَا
 لَلَّهِ وَقْتُ كَانَ يَنْ
 أَيَّامَ نَغْدُو أَوْ نَرُو
 وَلِذَا الْمَشِيخَةُ جُئْتُمْ
 وَمَرَادُنَا جَمُّ النَّبَا
 لَهْفِي عَلَى الْإِخْوَانِ وَالْ
 لَوْ جِئْتُ أَوْطَانِي لِأَنْ
 وَلِرَاعِ نَفْسِي شَيْبُ مَنْ
 وَلَطُفْتُ مَا بَيْنَ اللَّحُو
 سِرْعَانِ مَا عَاثَ الْحِمَا
 كَمْ رُمْتُ أَعْمَالَ الْمَسِي
 وَالْآنَ أَخْلَفْتُ الْوَعُو
 مَا لِلْفَتَى مَا يَبْتَغِي
 أَعْلَى الْقَدِيمِ الْمَلِكِ يَا
 يَا بَيْنَ قَدْ طَالَ الْمَدَى

دِ فِيهِ قَدْ فُجِعَ الْوُجُودُ
 وَفِيهِ الْحَسْبُ التَّلِيدُ
 فِيهَا هِيَ الرُّوضُ الْمَجُودُ
 جَهْمُ الْقَاءِ وَلَا كَنُودُ
 مَجْهُودُهُ ، نِعَمَ الشَّهِيدُ
 رَفُ بِاسْمِهِ فِينَا تُشِيدُ
 بَ الْعِلْمِ يَتْلُوهُ صَعُودُ
 ظَمْنَا كَمَا نُظِّمَ الْفَرِيدُ
 حُ وَسَعَيْنَا السَّعْيَ الْحَمِيدُ
 هَضْبَاتُ حِلْمٍ لَا تَمِيدُ
 تِ وَعِيشُنَا خَضِيرُ بَرُودُ
 أَتْرَابِ كُلِّهِمْ فَقِيدُ
 كَرْنِي التَّهَامِ وَالنُّجُودُ
 غَادَرْتُهُ وَهُوَ الْوَلِيدُ
 دِ وَقَدْ تَكَاثَرَتْ الْأَحُودُ
 مٌ وَنَحْنُ أَيْقَاطُ مَجُودُ
 رِ فَقِيدَتْ عَزْمِي قِيُودُ
 دُ ، وَأَخْلَقْتُ تِلْكَ الْبُرُودُ
 فَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ
 وَيَلَاهُ يَعْطَرُضُ الْعَبِيدُ ؟
 أَبْرَقُ وَأَرَعْدُ يَا يَزِيدُ

١ أخذه من قول الكميت :

أرعد وأبرق يا يزيد د فما وعيدك لي بضائر

ولكل شيء غايةً ولربما لان الحديدُ
إليه أبا عبدِ الإلهِ ودوننا مرمي بعيدُ
أينَ الرسائلُ منك تأتينا كما نُسقي العقودُ
أينَ الرسومُ الصالحا ت؟ تصرمت أين العهودُ
أنعمُ مساء لا تخطي لك البشائرُ والسعودُ
وأقدمُ على دارِ الرضى حيثُ الإقامةُ والخلودُ
والقـ الأجرةَ حيثُ دارُ الملكِ والقصرُ المشيدُ
حتى الشهادةُ لم تفتكـ فنجمك النجم السعيدُ
لا تبعدنْ وعداً لو أن البسء في الدنيا يعودُ
فلئن بليت فإن ذكـ رك في الدنا غصنٌ جديدُ
تالله لا تنساكـ أذ لدية العلاما اخضرَّ عودُ
وإذا تسومح في الحقو قـ فحقك الحقُّ الأكيدُ
جادت صبدك غمامةً يرمي بها ذاك الصعيدُ
وتعهدتـك من المهية من رحمة أبدأ وجودُ

وقوله أول هذه الرسالة «عارضت صفوان بها ، إلى آخره» يعني بذلك همزية صفوان بن إدريس المشهورة بين أدياء المغرب ، ولذكراها إفادة للغرض ، وهي :

جاء الرئي من بانة الجرعاء نوءان من دمعي وغيم سماء
فالدمع يقضي عندها حق الهوى والغيم حق البانة الغناء
خلت الصدور من القلوب كما خلعت تلك المقاصر من مها وظباء
ولقد أقول لصاحبي وإنما ذخير الصديق لا كد الأشياء
يا صاحبي ولا أقل إذا أنا ناديت من أن تُصغيا لندائي

١ ق : العقود .

عوجاً نجاري الغيث في سقي الحمى
ونسُنَّ في سقي المنازل سنة
يا منزلاً نشطت إليه عبرتي
ما كنت قبل مزار ربك عالماً
يا ليت شعري ، والزمان تنقل
هل نلتقي في روضة موشية
ونسال فيها من تألفنا ولو
في حيث أتلت الغصون سوالفاً
وبدت ثغور الياسمين فقبلت
والورد في شط الخليج كآته
وكان غصن الزهر في خضر الربى
وكأئما جاء النسيم مبثراً
فكساه خلة طيبه ورمى له
وكأئما احتقر الصنيع فبادرت
والغصن يرقص في حلى أوراقه
وافتر ثغر الأقحوان بما رأى
أفديه من أنس تصرم فأنقضى
لم يبق منه غير ذكرى أو منى
أو رقعة من صاحب هي تحفة
كبطاقة الوشقي إذ حيا بها
ما كنت أدري قبل فض ختامها
حتى ثيت معاطفي طرباً بها
فجعلت ذاك الطرس كأس مدامة
وعجبت من خل يعاطي خلّه

حتى يرى كيف انسكاب الماء
نمضي بها حكماً على الظرفاء
حتى تبسم زهره لبكائي
أن المدامع أصدق الأنواء
والدهر ناسخ شدة برحاء
خفاقة الأغصان والأفياء
ما فيه سخنة أعين الرقباء
قد قلدت بالآء الأنداء
عني عذار الآسة الميساء
رمد ألم بمقلية زرقاء
زهر النجوم تلوح بالخضراء
للروض يخبره بطول بقساء
بдраهم الأزهار رمي سخاء
للعدر عنه نغمة الورقاء
كالخود في موشية خضراء
طرباً وقهقه منه جري المساء
فكأنه قد كان في الإغفاء
وكلاهما سبب لطول عناء
إن الرقاع لتحفة النبهاء
إن الكتاب تحية الخلطاء
أن البطائق أكوس الصهباء
وجررت أذيالي من الخيلاء
وجعلت مهديه من التدماء
كأساً وراء البحر والبيداء

ورأيتُ رونقَ خطِّها في حُسْنها
فوحقَّها من تسعِ آياتٍ لقد
فكأنني موسى بها ، وكأنها
لو جاء فكرُ ابنِ الحسينِ بمثلها
سوداءُ إذْ أبصرتها لكنها
ولقد رأيتُ وقد تأوَّبني الكرى
أنَّ السَّماءَ أتى إليَّ رسولها
بالفرقدينِ وبالثرثِ أدرجاً
فكفى بذاكِ الطَّرسِ من كافورةٍ
قسماً بها وبنظمها وبنثرها
وعلمتُ أنَّك أنتَ في إبداعها
لا ما تغطتْ بابلٌ من سحرها
ولقد رमितُ لها القيادَ وإنها
وطلبتُ من فكري الجوابَ فعقتي
فلذا تركتُ عَروضها ورويا
ويَعثتُها ألفيةٌ همزيةٌ
علمتُ بقدركَ في المعارفِ فأنبرتُ
انتهت القصيدة ، ومن خطِ ناظمها صفوان نقلتها .

رجع :

٥٩ - وقال لسان الدين رحمه الله تعالى في ترجمة أبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي في « التاج » ما صورته : طويل القوادم والحوافي ، كلفَ على كبر سنه بعقائل القوافي ، شاب في الأدب وشبَّ ، ونشق ريح البيان لما هبَّ ، فحاول رقيقه وجزله ، وأجاد جدّه وأحكم هزله ، فإن مدح ،

صمدح ، وإن وصف ، أنصف ، وإن عصف ، قصف ، وإن أنشأ ودون ، وتقلب
في أفانين البلاغة وتلون ، أفسد ما شاء الله وكون ، فهو شيخ الطريقة الأدبية
وفتاتها ، وخطيب حفلها كلما أتاها ، لا يتوقف عليه من أغراضها غرض ، ولا
يضيع لديه منها مفترض ، ولم تزل بروقه تتألق ، ومعانيه بأذبال الإحسان تتعلق ،
حتى برز في أبطال الكلام وفرسانه ، وذُعرت القلوب بسطوة لسانه ، وألقت
إليه الصناعة زمامها ، ووقفت عليه أحكامها ، وعبر البحر منتجعا بشعره ،
ومنفقا في سوق الكساد من شعره ، فأبرق وأرعد ، وحذر وأوعد ، وبلغ جهد
إمكانه ، في التعريف بمكانه ، فما حرك ولا هز ، وذل في طلب الرغد وقد عز ،
وما برح أن يرجع إلى وطنه الذي اعتاده ، رجوع الحديد إلى قناده ، وقد أثبت
من نزعاته ، وبعض مخترعاته ، ما يدل على سعة باعه ، ونهضة ذراعه ، فمن
النسيب قوله :

ما للمحب دواء يُذهِبُ الألما عنه سوى لم فيه ارتشاف لمي
ولا يردّ عليه نوم مقلته إلاّ الدنوّ إلى مَنْ شَفّه سقما
يا حاكما والهوى فينا يؤيّده هوالك فيّ بما ترضاهُ قد حكما

ثم سردها . وقال في المديح :

إليك جدّ بيّ التسيارُ تأميلا فلي على فضلك المأمولِ تعويلا
الحمدُ لله حمداً لا كفاء له بسعد أيامك المأمولُ قد نيلا
يا راغباً مرتجأً دفعُ معضلة فصبره بصروف الدهرِ قد عيلا
ألمُ بحضرة ملك كل مفتخر بالملك يوليه بالتعظيم ترسيلا
فرع من الدوحة النصرية اجتمعت فيه الفضائلُ تتيماً وتكميلا
لديه ممّا لدى الصديق تسمية وميسمٌ وكفاهَ ذاك تفضيلا

وهي طويلة ؛ انتهى .

٦٠ — وقال لسان الدين في « الإكليل » في ترجمة أبي الحسن علي بن إبراهيم ابن علي بن خطاب السكاك من أهل غرناطة ، ما صورته : متسور على بيوت القريض ، في الطويل من الكلام والعريض ، ممتن أطاعته براعة الخط ، وسلّمت لأقلامه رماحُ الخط ، عانى كتابة الشروط لأول أمره ، ثمّ ألظّتْ به محتته على توفّر خصاله ، ونُبل خلاّله ، وهو الآن من كتّاب ديوان الحساب ، يتعلّل من الأمور المخزنية ببعض الألقاب ؛ انتهى .

٦١ — وقال في « التاج » في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الحق ابن الصباغ العقيلي الغرناطي^١ ما صورته : اللّسن العارف ، الناقد لجواهر المعاني كما يفعل بالسكة الصيارف ، والأديب المجيد ، الذي تحلّى به للعصر النحرُ والجيد ، إن أجال جياذ براعته فضح فرسان المهارق ، وأنجل بين بياض طيرسه وسواد نِفْسِه الطُرَر تحت المفارق ، وإن جلا أبكار أفكاره ، وأثار طير البيان من أوكاره ، سلب الرحيقَ المقدّم فضلَ إسكاره ، إلى نفس لا يفارقها ظرف ، وهمة لا يرتد إليها طرف ، وإبانة لا يُفْل لها غَرَب ولا حرف ، وله أدب غض ، زهره على مجتنبه منفض ، كتبت إليه أستنجز وعده في الإتحاف برائقه ، والإمتاع بزهر حدائقه ، قولي :

عندي لموعدك افتقارٌ مخرجٌ وعهودك افتقرتُ إلى إنجازها
والله يعلم فيك صدقَ مودتي وحقيقةُ الأشياء غيرُ مجازها
فأجابني بقوله :

يا مُهديَ الدرِّ الثمينِ منظماً كليماً حلالُ السحرِ في إنجازها
أدركتَ حَلَباتِ الأوائلِ وانيباً ورددتِ أولاهُ على أعجازها

١ انظر ترجمته أيضاً في الكتيبة : ٢٢٨ .

أحرزت في المضمار خصل سباقها ولأنت أسبقهم إلى إحرازها
حكيت بالسمطين مني عاطلاً وبعثت من فكري فتاة مفاها
فلأنجزن مواعدي مستعظماً فاسمع ، وبالإغضاء منك فجازها

وقال في « الإحاطة » في حق المذكور : إنه من أهل الفضل والسراوة والرجولة والجزالة ، فذو في الكفاية ، ظاهر السداجة والسلامة ، مُصعَّبٌ لأضداده ، شديد العصبية لأولي وداده ، يشتمل على خلال من خط بارع وكتابة حسنة وشعر جيد ومشاركة في فقه وأدب ووثيقة ومحاضرة ممتعة ، ناب عن بعض القضاة وكتب الشروط ، وارتسم في ديوان الجند ، وكتب عن شيخ الغزاة أبي زكريا يحيى بن عمر على عهده ، ثم انصرف إلى العُدوة سابع عشر جمادى الأولى من عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة ، فارتسم في الكتابة السلطانية منوهاً به مستعملاً في خدم مجدية بان غناؤه فيها وظفرت كفايته ؛ انتهى .

وقد وصفه بصاحبنا ، ثم قال : ومن شعر المذكور قوله :

ليت شعري ، والهوى أملٌ وأماني الصبُّ لا تقفُ
هلٌ لذاك الوصل مرتجعٌ أو لهذا الهجر منصرفٌ ؟

وقال :

وظبي سبي بالطرف والعطف والجيد^١ وما حاز من غنجٍ ولينٍ ومن غيدٍ
أشرتُ إليه بالدنو مداعباً فقال : أيدنو الظبي من غابة الأسد ؟

وقال في مبدل قصيدة مطولة :

حديث المغاني بعدهنَّ شجون^٢ وأوجهُ أيامِ التباعدِ جُونُ

١ الكتيبة : زها بالطرف ... والطلا .

٢ ق : شجون .

لما الله أيامَ الفراقِ فكم شجّتُ
وحياً دياراً في رُبّ أغرناطة
لأرخصتُ فيها من شبابي ما غلا
خليليّ - لا أمرٌ - بأربُعها قيفا
ألم ترياني كلما ذرّ شارقُ
إذا لم يساعدني أخٌ منكما فلا
أليسَ عجيباً في البريّة مَنْ له
فلا تثقنْ من ذي وفاءٍ بعهدِهِ
لقبليّ عذرٌ في فراقٍ ضلوعه
ومن تركَ الحزمَ المعينَ فإنّه
رعى الله أيامي الوثيقَ ذمامها
ولم أرَ مثلَ الدهرِ أمّا عدوّه
ولولا أبو عمرو وجودُ بنانهِ

وقال :

زار الخيالُ ويا لها من لذّة
ما زلتُ أَلُمُّ مَبْسَماً منظومه
لكنّ لَذَاتِ الخيالِ مَنَامُ
درٌّ ومَوْرَدِ الشَّهْيِ مُدَامُ
وأضْمُ غصنِ البانِ من أعطافهِ
وأشْمُ مسكاً فُضْ عَنْهُ خَتَامُ

مولده عام ستة وسبعمائة ، وتوفي بفاس ، وقد تخلفه السلطان كاتب ولده عند
توجهه لإفريقية في العشرين من رمضان عام ثمانية وخمسين وسبعمائة ، رحمه الله
تعالى .

١ ق : فخب .

وقد وهم لسان الدين في شهر وفاة المذكور ، وإنما الصواب أنه توفي يوم
الأحد ثامن شوال ، فاعلم ذلك ، والله سبحانه أعلم .

رجع :

٦٢ - وقال في « التاج المحتلى في مساجلة القيدح المعلنى » وفي « الإكليل
الزاهر فيمن فضل عند نظم التاج من الجواهر » وغيرهما مما ثبت في حلى
رؤساء الكتاب ، وحاملي ألوية الآداب ، في ترجمة شيخه ابن الجياب^١ ، ما نصه :
« صدر الصدور الجليلة ، وعلم أعلام هذه الملة ، وشيخ الكتابة وبانيها ، وهاصر
أفنان البدائع وجانيها ، اعتمدته الرياسة فناء بها على حبل ذراعه ، واستعانت به
السياسة فدارت أفلاكها على قطب من شبة يراعه ، فتفيا للعناية ظللاً ظليلاً ،
وتعاقبت الدول^٢ فلم تَرَ به بديلاً ، من ندب على علوه متواضع ، وحبر لثدي
المعارف راضع ، لا تمر مذاكرة^٣ في فن إلا وله فيه التبريز ، ولا تعرض جواهر
الكلام على محكات الأفهام إلا وكلامه الإبريز ، حتى أصبح الدهر راوياً لإحسانه
وناطقاً بلسانه ، وغرب ذكره وشرق ، وأشأم وأعرق ، وتجاوز البحر الأخضر
والخليج الأزرق ، إلى نفس هذبت الآداب شمائلها ، وجادت الرياضة خمائلها ،
ومراقبة لربه ، واستنشق لروح الله من مهبته ، ودين لا يعجم عوده ، ولا
تخلف وعوده ، وكل ما ظهر علينا معشر بنيه من شارة تجلى بها العين ، أو إشارة
كما سبك اللجين ، فهي إليه منسوبة ، وفي حسناته محسوبة ، فلانما هي أنفس
راضها بآدابه ، وأعلقها بأهدابه ، وهذب طباعها ، كالشمس تلقي على النجوم
شعاعها ، والصور الجميلة ، تترك في الأجسام الصقيلة انطباعها ، وما عسى أن أقول

١ انظر المجلد ٥ : ٤٣٤ .

٢ الكتيبة : دول العدل .

٣ الكتيبة : لا يمر الكلام .

في إمام الأئمة ، ونور الدياجي المدلهمة ، والمثل السائر في بُعد الصيت وعلو الهمة ، وقد أثبت من عيون قصائده ، وأدبه الذي علق الإحسان في مصايده ، كل وثيق المعنى ، كريم المجنى جامع بين حصافة اللفظ ولطافة المعنى ؛ انتهى . والمذكور له ترجمة في هذا الكتاب في باب مشيخة لسان الدين فلتراجع .

٦٣ - وقال في « الإكليل » في حق عمر بن علي بن غفرون الكلبي من أهل منتفريد^١ ما صورته : شيخ خدم ، قام له الدهر فيها على قدم ، وصاحب تعريض ، ودهاء عريض ، وفائز من الدول النصيرية بأياد بيض ، أصله من حصن منتفريد ، خدم به الدولة النصيرية عند انتزاع أهله ، وكان ممن استنزلهم من حزنه إلى سهله ، وحكم الأمر الغالي في يافعه وكهله ، فكسب حظوة أرضته ، ووسيلة أرهفته وأمضته ، حتى عظم جاهه وماله ، وبسقت آماله ، ثم دالت الدول ، وتنكرت أيامه الأول ، وتغلب من يجانسه ، وشقي بمن كان ينافسه ، فجف عوده ، والثالث سعوده ، وهلك والحمول يُظِلّه ، والدهر يقوته من صباة حرث كان يستغله ، وله شعر لم يتقنه النظر ، ولا وضحت منه الغرر ، توفي في ذي الحجة عام أربعة وأربعين وسبعمائة ؛ انتهى .

٦٤ - وقال في « الإكليل » في حق قاسم بن محمد بن الجعد الفهري المري ما صورته : هو من أئمة أهل الزمام ، خليف برعي الزمام ، ذو حظ كما تفتح زهر الكمام ، وأخلاق أعذب من ماء الغمام ، كان ببلده حاسباً ، ودراً في لجة الإغفال راسباً ، صحيح العمل ، يلبس الطروس من براعته أسنى الحلل ، قال يمدح السلطان :

أرى أوجه الأيام قد أشرقت يشرأ فقل لي رعاك الله ما هذه البشري
وما بال أنفاس الخزامى تعطرت فأرجت الأرجاء من نفحها عطرا

١ ق : منتفريد ؛ ومنتفريد (Montefrio) تقع شمال مدينة لوشة واسمها القديم (Mons Frigidus) .

ونقبتِ الشمسُ المنيرةُ وجهَهَا قصوراً عن الوجه الذي أخجل البдра

وهي طويلة ، توفي المذكور عام خمسين وسبعمائة بالطاعون .

٦٥ — وقال في « الإكليل » في حق أبي عثمان سعيد الغساني ما صورته :
هو ممن يتشوق إلى المعرفة والمقالات ، ويتسق إلى الحقائق والمُحالات ، ويشتمل
على نفس رقيقة ، ويسير من تعليم القرآن على خير طريقة ، ويعاني من الشعر
ما يشهد بنبله ، ويُستظرف من مثله ؛ انتهى .

٦٦ — وقال في « الإكليل » في ترجمة أبي الحجاج يوسف بن علي
الطرطوشي^١ ما صورته : روض أدب لا تعرف الذواء أزهاره ، ومجموع فضل لا
تخفى آثاره ، كان في فنون الأدب مُطلق الأعنة ، وفي معاركه ماضي الظبي
والأسنة ، فإن هزل ، وإلى تلك الطريقة اعتزل ، أبرم من الغزل ما غزل ،
وبزل من دنان راحه ما بزل ، وإن صرف إلى المغرب غرّب لسانه ، وأعاره
لمحة من إحسانه ، أطاعه عاصيه ، واستجمعت لديه أقاصيه ، ورَدَ على الحضرة
الأندلسية والدنيا شابة ، وريح القبول هابّة ، فاجتلى محاسن أوطانها ، وكتب عن
سلطانها ، ثمّ كَرَّ إلى أوطانه وعطف ، وأسرع اللحاق كالبارق إذا خطف ،
وتوفي عن سنّ عالية ، وبرود من العمر غالية .

٦٧ — وقال في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن المتأهل العذري من
أهل وادي آش ما صورته^٢ : رجل غليظ الخاشية ، معدود في جنس السائمة
والماشية ، تليت على العمال بة سورة الغاشية ، وليّ الأشغال السلطانية فذعرت
الجباة لولايته ، وأيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته ، وقنطوا كل القنوط ، وقالوا :
جاءت الدابة تكلمنا وهي إحدى الشروط ، من رجل صائم الحشوة ، بعيد عن
المضاعة والرشوة ، يتجنب الناس ، ويقول عند المخالطة لهم : لا مساس ، عهدي

١ ترجمته في الدرر ٥ : ٢٤٢ وفيه : مات بعد ٧٤٠ .

٢ قد مرّت هذه الفقرة (رقم : ٢٦) .

به في الأعمال يحبط ويُتَبَّر ، وهو يهَلِّل ويكَبِّر ، ويحسِّن ويقبِّح ، وهو يسبِّح ، وقال يخاطب بعض أمراء الدولة :

عمادي، ملاذي، موثلي، ومؤملي ألا انعم بما ترضاه للمتأهل
وحقق بنيل القصد منك رجاءه على نحو ما يرضيك يا ذا الفضل
فأنت الذي في العلم يُعرف قدره بخير زمان فيه لا زلت تعتلي
فهنيئت يا معنى الكمال برتبة تقرأ لكم بالسبق في كل محفل
توفي عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة ؛ انتهى .

وتذكرت بقوله « ويحسن ويقبح ، وهو يسبح » قول الآخر :

قد بُلينا بأمر ظلم الناس وسبَّح
فهو كالجزار فيهم يذكر الله ويدبِّح

رجع :

٦٨ — وقال لسان الدين في ترجمة أبي عبد الله ابن باق^١ من « التاج » ما صورته : مدير أكؤس البيان المعتق ، ولعوب بأطراف الكلام المشتق ، انتحل لأول أمره الهزل من أصنافه ، فأبرز درّ معانيه من أصدافه ، وجنى ثمرة الإبداع حين قِطافه ، ثم تجاوزه إلى المغرب وتخطّاه ، فأدار كأسه المُترَع وعاطاه ، فأصبح لفنيه جامعاً ، وفي فلكيه شهاباً لامعاً ، وله ذكاء يطير شرره ، وإدراك تبليج غُرره ، وذهن يكشف الغوامض ، ويسبق البارق الوامض ، وعلى ذلاقة لسانه ، وانفساح أمد إحسانه ، فشديد الصبابة بشعره ، مُغلٍ لسعره ؛ انتهى . والمذكور هو محمد بن إبراهيم بن علي باق الأموي ، مرسى الأصل ، غرناطي النشأة ، مالقي الاستيطان .

وقال في « عائد الصلة » : كان رحمه الله تعالى كاتباً أديباً ذكياً لودعياً يجيد

١ ترجمته في الدرر ٣ : ٣٧٦ (ط . القاهرة) .

الخط ويرسل النادرة ، ويقدم على العمل ، ويشارك في الفريضة ، وبذل السَّبَّاق في الأدب الهزلي المستعجل بالأندلس ، غير زماناً من عمره محارفاً للفاقة يعالج بالأدب الكلدية ، ثم استقام له الميسم ، وأمكنه البخت من امتطاء غاربه ، فأنشبت الحُظوة فيه أناملها بين كاتب وشاهد وحاسب ومدير تجر ، فأثرى ونما ماله ، وعظمت حاله ، عهد عندما شارف الرحيل بجملته تناهز الألف من العين ، لتصرف في وجوه من البر ، فتوهم أنها كانت زكاة أمسك بها ، انتهى .
وقال أيضاً : أخبرني الكاتب أبو عبد الله ابن سلمة أنه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله في رويته :

أحرز الحصل من بني سلمة	كاتبٌ تخدمُ الظُّبي قَلَمَه
يحملُ الطُّرسُ من أنامله	أثرَ الحسنِ كلَّما رَقَمَه
وتعدُّ البيانَ فكرته	مرسلاً حيث يمت ديمه
خصَّني متحفاً بخمس إذا	بسمِ الروضِ فُقِنَ مبتسمه
قلت أهدى زهر الرُّبى خضيلاً	فلذا كلُّ زهرةٍ كلمه
أقسم الحسنُ لا يفارقها	فأبرَّ انتقاؤها قسمه
خطَّ أسطارها ونمَّقَها	فأتت كالعقودِ منتظمة
كاسياً من حلاه لي حُللاً	رسمُها من بديع ما رسمه
طالباً عند عاطشٍ نهلاً	وليسه الغيوثُ منسجمه
يتغني الشعر من أخي بلكه	أخرسَ العيي والقصور فَمَه
أيها الفاضل الذي حفظت	السنُّ المدحِ والثنا شيمه
لا تكلفُ أخاكَ مقترحاً	نشرَ عارٍ لديه قد كتّمه
وابقَ في عزّةٍ وفي دعة	ضافي العيشِ وارداً شيمه
ما ثنى الغصنُ عِطْفَه طرباً	وشدا الطيرُ فوقه نغمه

ورأيت على هامش هذه القصيدة بخط أبي الحسن علي بن لسان الدين ما صورته :

نعم ما خاطب به شيخنا وبركة أهل الأندلس وصدر صدورهم أبا عبد الله ابن سلمة ، ومن لفظه سمعتها بالقاهرة ، وإنها لمن النظم العالي المتسق نسق الدرّ في العقود ، رحمه الله تعالى ، قاله ابن المؤلف ؛ انتهى .

وقرأ ابن باق المذكور على الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير والخطيب أبي عثمان ابن عيسى ، وتوفي بمالقة في اليوم الثامن والعشرين لحرم فاتح عام اثنين وخمسين وسعمائة ، وأوصى بعد أن يحفر قبره بين شيخيه الخطيبين أبي عبد الله الطنجالي وأبي عثمان ابن عيسى أن يُدفن به ، وأن يُكتب على قبره هذه الآيات :

ترحمّ على قبر ابن باق وحسبه	فمن حقّ ميتٍ الحيّ تسليمُ حبه
وقل آمنَ الرحمنُ روعةَ خائفٍ	لتفريطه في الواجباتِ وغيه
قد اختار هذا القبر في الأرض راجياً	من الله تخفيفاً بقدرٍ وليته
فقد يشفعُ الجارُ الكريمُ لجاره	ويشملُ بالمعروفِ أهلَ نديته
ولاني بفضلِ الله أوثقُ واثقٍ	وحسبي وإن أذنبْتُ حبُّ نبيّه

انتهى .

٦٩ — وقال لسان الدين في ترجمة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سالم ابن فضيلة المعافري المري^١ المدعو بالتوّ من « الإكليل » ما نصه : شيخ أخلاقه لينة ، ونفسه كما قيل هينة ، ينظم الشعر سهلاً مساه ، محكماً اتساقه ، على فاقة ، ما لها من إفاقة ، أنشد المقام السلطاني بظاهر بلده قوله :

سرت ريحٌ نجد من رُبى أرضِ بابلِ	فهاجتُ إلى مسرى سُراها بلبلي
وذكرني عَرَفُ النسيمِ الذي سرى	معاهدَ أحبابٍ سِراةٍ أفاضلِ
فأصبحتُ مشغوفاً بذكر منازلِ	ألفتُ ، فواشوقي لتلك المنازلِ
فيسا ريحُ هُبِّي بالبطاحِ وبالرُبى	ومرّي على أغصانِ زهرِ الحمائلِ
وسيري بجسمي التي الروحُ عندها	فروحي لديها من أجلِّ الوسائلِ

١ ترجمته في الدرر ٣ : ٣٦٧ (ط . القاهرة) .

وقولي لها عني مُعَنَّكَ بالنوى له شوقٌ معمودٍ وعبرةٌ ثاكلٍ
فيا بأبي هيفاء كالغصنِ تنثني تقدُّ بقدرٍ كاد ينقدُّ مائلٍ
وهي طويلة .

ومن شعر المذكور قوله من قصيدة :

بَهَرَتْ كشمسٍ في غلالةٍ عسجدٍ وكبدرٍ تمَّ في قضيبٍ زبرجدٍ
ثمَّ انثنتُ كالغصنِ هَزَّتْهُ الصَّبَا طرباً فتزري بالغصونِ الميِّدِ
حوراءُ بارعةُ الجمالِ غريرةٌ تزهى فتزري بالقضيبِ الأملدِ
إن أدبرتُ لم تُبقِ عقلَ مدبرٍ أو أقبلتُ قتلتُ ولكن لا تدي

قال القاضي أبو البركات ابن الحاج : وابتلي المذكور باختصار كتب الناس ، فمن ذلك مختصره المسمى « الدرر الموسومة في اشتقاق الحروف المرسومة » وكتاب حكايات يسمى « دوحة الجنان وراحة الجنان » وغير ذلك .
قال أبو البركات : وسألته عن مولده ، فقال : لي اليوم ستون سنة ، وقال ذلك ليلة الخميس السابع والعشرين لذي قعدة عام أربعين وسبعمائة ، وتوفي آخر رمضان من عام تسعة وأربعين ، رحمه الله تعالى ؛ انتهى .

رجع :

٧٠ - قال لسان الدين في « الإكليل » في ترجمة الكاتب صاحب العلامة أبي العباس أحمد بن علي الملياني المراكشي ما نصه : الصارم الفاتك ، والكاتب الباتك ، أي اضطراب في وقار ، وتجهّم تحته أنس العقار ! اتخذ ملك المغرب صاحب علامته ، وتوّجه تاج كرامته ، وكان يطالب جملة من أشياخ مراكش بثار عمه ، ويطوّقهم دمه بزعمه ، ويقصر على الاستنصار منهم بنات همه ، إذ سَعَوْا فيه حتى اعتُقل ، ثم جدوا في أمره حتى قُتل ، فترصد كتاباً إلى مراكش

يتضمن أمراً جَزَماً ، ويشمل من أمور الملك عَزْماً ، جعل فيه الأمر بضرب رقابهم ، وسبني أسبابهم ، ولما أكد على حامله في العَجَل ، وضايقه في تقدير الأجل ، تأتت حتى علم أنه قد وصل ، وأن غرضه قد حصل ، فرّاً إلى تلمسان وهي بحال حصارها ، فاتصل بأنصارها ، حالاً بين أنوفها وأبصارها ، وتعجب من فراره ، وسوء اغتراره ، ورجّمت الظنون في آثاره ، ثم وصلت الأخبار بتمام الحيلة ، واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة ، فتركها شنيعة على الأيام ، وعاراً في الأقاليم على حملة الأقاليم ، وأقام بتلمسان إلى أن حلَّ مُخَنَّق حصرها ، وأزيل هميان الضيقة عن خصرها ، فلحق بالأندلس ولم يعدم برّاً ، ورعيّاً مستمراً ، حتى أتاه حِمَامُه ، وانصرفت أيامه ؛ انتهى .

والمذكور ترجمه في « الإحاطة »^١ بقوله : صاحب العلامة بالمغرب ، الكاتب الشهير البعيد الشأو في اقتضاء الثرة ، المثل المضروب في الهمة ، وقوة الصريمة ، ونفاذ العزيمة .

حاله — كان نبيه البيت ، شهير الأصالة ، رفيع المكانة ، على سجية غربية من الوقار والانقباض والصمت ، آخذاً بحظ من الطب^٢ ، حسن الخط ، مليح الكتابة ، قارضاً للشعر ، تذهب نفسه فيه كل مذهب .

وصمته — فتك فتكة شهيرة أساءت الظن بحملة الأقاليم على ممر الدهر ، وانتقل إلى الأندلس بعد مشقة .

شعره — من شعره الذي يدل على بأوه ، وانفساح خطاه في النفاسة وبُعْد شأوه ، قوله :

العزُّ ما ضُرِبَتْ عليهِ قبابي والفضلُ ما اشمَلْتُ عليه ثيابي

١ انظر ج ١ : ١٤٩ ، والإعلام بمن حل مراکش ١ : ٣٧٣ .

٢ ق : الطلب ؛ وأثبتنا ما في الإحاطة .

والزهرُ ما أهداهُ غصنُ براعتي والمسكُ ما أبداهُ نِقْسُ كتابي
فالمجد يمنع أن يزاحمَ موردي والعزمُ يأبى أن يضامَ جنابي
فإذا بلوتُ صنيعَةً جازيتها بحمىلٍ شكري أو جزيلِ ثوابي
وإذا عقدتُ مودةً أجريتها بحمى طعامي من دمي وشرابي
وإذا طلبتُ من الفراقِدِ والسُّها ثأراً فأوشكُ أن أنالَ طلابي

وفاته - توفي بغرناطة يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر وسبعمائة
ودُفن بجبانة باب إلبيرة ، تجاوز الله تعالى عنه ؛ انتهى .

رجع إلى نثر ابن الخطيب رحمه الله تعالى :

٧١ - فمن ذلك قوله في « الروضة » في ترجمة « ضحام الغصون من
شجرة السر المصون » ما صورته : وهي التي أفاءت الظل الظليل ، وزانت المرأى
الجميل ، وتكفلت لمحاسن الشجرة الشماء بالتكفيل ، وتعدد إلى غصون المحبوبات ،
وأقسام موضوعاتها المكتوبات ، وغصن المحيين ، أصنافهم المرتبين ، وغصن
علامات المحبة ، وشواهد النفوس الصبّة ، وغصن الأخبار المنقولة ، عن ذوي
النفوس المصقولة ، وعند تعين هذه الأغصان المقسومة ، كمل شكل الشجرة
المرسومة ، والسرحة الموصوفة الموسومة ، ففاءت الظلال ، وكرمت الخلال ،
فحيي من تفرد وتوحد ، واستظل من استهدى واسترشد ، ووقف الهائم فخطب
وأشدا :

يا سَرَحَةَ الحَيِّ يا مَطُولُ بَشْرَحُ الذي بيننا يطولُ
عندي مقالٌ فهل مقامٌ تُصْغِنَ فيه لما أقولُ
ولي ديونٌ عليكِ حَلَّتْ لو أَنَّهُ يَنْفَعُ الحُلُولُ

١ أورد منها بيتين في النفع ٣ : ٥٠٦ ونسبهما لابن براق .

ماضي من العيش كان فيه منزلةنا ظللك الظليل
زال وماذا عليه ماذا يا سرح لو لم يكن يزول
حيثا عن المذنب المعنى منبتك القطر والقبول

وقال رحمه الله تعالى : فصول في المعرفة تغازل بها عيون الإشارة ، إذا
قصرت عن تمام المعنى ألسن العبارة ، والله در القائل :

وإذا العقول تقاصرت عن مدرك لم تتكل إلا على أذواقها
المعرفة اختراق المراتب الحسية ، والنفوس الجنسية ، والعقول القدسية ،
والبروز إلى فضاء الأزل ، إذا فني من لم يكن وبقي من لم يزل ، مع عمران المراتب ،
ورؤية الجائز في الواجب :

ومن عجب أني أحزن إليهم وأسأل شوقاً عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها ويشكون النوى قلبي وهم بين أضلعي
المعرفة مقام يأتلف من جمع مفروق ، وأفول وشروق ، وسل عروق ، ورد
مسروق ، حتى يذهب الكيف والأين ، ويتعين العين ، فيجمع العدد ويحمل ،
وينحى السوى ومع ذلك لا يهمل :

للعدا منك نصيب ولك السهم المصيب
إنما يومك يوماً ن : خصيب وعصيب

المعرفة مقام سامي المنعرج ، عاطر الأرج ، ينقل من السعة إلى الحرج ، ومن
الشدّة إلى الفرج :

طريقك لا تخفى به إن تتبعت خطاك ولا يخفى مبيتك فيه
متاعك منشور على كل خيمة ورؤياك أمن من ترفع تيه

المعرفة عين إن لم تبصر أجزاءها ، أحسن الله عزاءها ، وحقيقة إن لم يجعل الفراق
إزاءها ، كانت الغيرة^١ أجزاءها ، فهي دائرة مركزها يجمع ، ومحيطها في التفريق
يطمع ، يستقل الملك أجمع . ويرى من يرى ويسمع من يسمع :

بُعْدُ المحيطِ من المحدّدِ واحدٌ والكلُّ في حقِّ الوجودِ سواءُ
والحقُّ يعرفُ ذاتهُ من ذاتِهِ صحَّ الهوى فتلاشتِ الأهواءُ

المعرفة صعود ونزول ، ووقوف ووصول ، فلا الوصول عن البداية يقطع ،
ولا البداية عن النهاية تمنع :

من له الأمر أجمعُ كلُّ ما شاء يصنعُ
حصلَ القصدُ واستقرَّ فلم يبقَ مطمعُ

العارف في البداية يشكر الراكع والساجد ، ثمَّ يعذر الواجد المتواجد ، ثمَّ يرجم
المنكر الجاحد ، فإذا انتهى ورُدَّ العدد إلى الواحد ، قال لسان حاله :

من رأى لي نشيدةً أو على عينها أثرُ
فله الحكم قل له ذهبَ العينُ والأثرُ

إلى أن قال : قال الرئيس : العارف هشَّ بش بسّام ، فيجل الصغير من تواضعه
مثلما يجل الكبير ، ويبسط من الخامل مثلما يبسط من النبیه ، ثمَّ علل فقال :
وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق ، وبكل شيء فإنه يرى فيه الحق ، لاني لأجد
ريح يوسف^٢ :

لمعتُ نارهمُ وقد عَسَسَ الی لُ وضجَّ الحادي وحارَ الدليلُ
فتأملتُها وقلتُ لصحبي هذه النارُ نارُ ليلى فميلوا

١ ق : العزة .

٢ انظر مشارق أنوار القلوب : ٧٢ وهما من قصيدة للسهروردي .

العارف شجاع ، وكيف لا وهو بمنزل عن هيبة الموت ، وجواد ، وكيف لا وهو بمنزل عن صعبة الباخل ، وصفاح ، وكيف لا ونفسه أكبر من أن تخرجها زلة بشر ، ونساء للأحقاد ، وكيف لا وذكره مشغول بالحق ، وقالوا : مَنْ عرف الله تعالى صفا له العيش ، وطابت له الحياة ، وهابه كل شيء ، وذهب عنه خوف المخلوقين ، وأنس بالله رب العالمين .

الشيلي : ليس لعارف علاقة ، ولا لمحب شكوى ، ولا لعبد دعوى ، من عرف الله سبحانه انقطع ، بل خرس وانقمع ، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ؛ انتهى .

٧٢ — وقال رحمه الله تعالى في بعض تراجم الروضة : الفرع الصاعد إلى الهواء ، على خط الاستواء ، من رأس العمود القائم ، إلى منتهى الوجود الدائم ، ويشتمل على قشر لطيف ، وجيرم شريف ، وأفنان ذوات ألوان ، قنوان وغير قنوان ، وطلّح نضيد ، وجنّى سعيد ، فالقشر الحدود والرسوم ، وخواص العارف الذي هو المعروف بها والموسوم ، والفنون التي يقوم عليها والعلوم ، والجرم ظاهر الخلق المقسوم ، وعلاجه كما تعالج الجسوم ، وباطنه المجاهدات التي عليها يقوم ، وقلبه الرياضة والغصون المقامات فيها المقام المعلوم ، ومادتها السلوك الذي بتدريج غذائه تبلغ الأفنان والورقات ما تروم ، والزهرات اللوائح والطوالع والبوادر التي لها الهجوم ، والواردات التي تدوم أو لا تدوم ، ثمّ الجنى وهو الولاية التي كان الغارس عليها يحوم ؛ انتهى .

ثمّ فصل الكل رحمه الله تعالى فليراجع من أراد .

٧٣ — ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ما كتبه على لسان سلطانه للأمير يلغا الخاصكي^١ ، وهو : « إلى الأمير المؤمن على أمر سلطان المسلمين ،

١ كان مديّر الدولة أيام المنصور محمد والأشرف شعبان ، قتله غلماناه لعسفه وظلمه سنة ٧٦٨ .

المقلّد بتدبيره السديد قلادة الدين ، المثني على رسوم بره لمقامه لسان الحرم الأمين ،
الآوي من مرضاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى الربوة ذات القرار
والمعين ، المستعين من الله تعالى على ما تحمّله وأمله بالقوي المعين ، سيف الدعوة ،
ركن الدولة ، قوام الملة ، مؤمل الأمة ، تاج الخواص ، أسد الجيوش ، كافي
الكفاة ، زين الأمراء ، علم الكبراء ، عين الأعيان ، حسنة الزمان ، الأجلّ
المرفع الأسنى الكبير الأشهر الأسمى الحافل الفاضل الكامل المعظم الموقر الأمير
الأوحد يلبغا الخاصكي ، وصل الله له سعادة تشرق غُرَّتُها ، وصنائع تسبح فلا
تشعُّ درَّتُها ، وأبقى تلك المثابة قلادة الله تعالى وهو درَّتُها .

« سلام كريم ، طيب برّ عميم ، يخص إمارتكم التي جعل الله تعالى الفضل
على سعادتها أمانة ، واليسر لها شارة ، فيساعد الفلك الدوّار مهما أعملت إدارة ،
وتمثّل الرسوم كلما أشارت إشارة .

« أما بعد حمد الله تعالى الذي هو يعلمه في كل مكان ، من قاصٍ ودان ،
وإليه توجه الوجوه وإن اختلفت السّير وتباعدت البلدان ، ومنه يلتبس الإحسان ،
وبذكره ينشرح الصدر ويطمئن القلب ويمرح اللسان ، والصلاة والسلام على
سيدنا ومولانا محمد رسول العظيم الشان ، ونبيّه الصادق البيان الواضح البرهان ،
والرضى عن آله وأصحابه وأحزابه أحلاس الخيل ، ورهبان الليل ، وأسود الميدان ،
والدعاء لإمارتكم السعيدة بالعزّ الرائق الخبر والعيان ، والتوفيق الوثيق البنيان ،
فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله تعالى لكم حظاً من فضله وافرأ ، وصنعاً عن محبّة
السرور سافراً ، وفي جو الإعلام بالنعم الجسام مسافراً - من حمراء غرناطة
حرسها الله تعالى دار ملك الأندلس دافع الله سبحانه عن حوزتها كيد العُدّة ،
وأنحف نصّلها ببواكر النصر المهداة ، ولا رائد إلا الشوق إلى التعارف بتلك
الأبواب الشريفة التي أنتم عنوان كتابها المرقوم ، وييت قصيدها المنظوم ، والتماس
بركتها الثابتة الرسوم ، وتقرير المثول في سبيل زيارتها بالأرواح عند تعذره
بالجسوم ، وإلى هذا فإننا كانت بين سلفنا تقبّل الله تعالى جهادهم ، وقدس

نفوسهم ، وأمن مَعَادهم ، وبين تلك الأبواب كما عرفتم من عدلها وإفضالها ، مراسلةٌ يَمُّ عَرَفُ الخلوص من خلالها ، وتسطع أنوار السعادة من آفاق كمالها ، وتلتمح من أسطار طروسها محاسن تلك المعاهد الزاكية المشاهد ، وتُعرب عن فضل المذاهب وكرم المقاصد ، اشتقنا إلى أن نجددها بحسن منابكم ، ونواصلها بمواصله جنابكم ، ونغنم في عَوْدِها الحميد مكانكم ، ونؤمل لها زمانكم ، فخطابنا الأبواب الشريفة في هذا الغرض مخاطبة خجيلة من التقصير ، وجيلة من الناقد البصير ، ونؤمل الوصول في خفارة يدكم التي لها الأيادي البيض ، والموارد التي لا تغيض ، ومثلكم من لا تخيب المقاصد في شمائله ، ولا تضحى المآملُ في ظل خمائله ، فقد اشتهر من حميد سيركم ما طَبَّقَ الآفاق ، وصحب الرفاق ، واستلزم الإصفاق ، وهذه البلاد مباركة ، ما أسلف أحد فيها مشاركة ، إلا وجدها في نفسه ودينه وماله وعياله ، والله سبحانه أكرم مَنْ وفى لامرئ بمكياله ، والله عز وجل يجمع القلوب على طاعته ، وينفع بوسيلة النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعول على شفاعته ، ويبقي تلك الأبواب ملجأ للإسلام والمسلمين ، وظلاً لله تعالى على العالمين ، وإقامة لشعائر الحرم الأمين ، ويتولى إعانة إمارتكم على وظائف الدين ، ويجعلكم ممن أنعم الله تعالى عليه من المجاهدين ، والسلام الكريم يخضعكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ انتهى .

٧٤ - ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى قوله في قضية امتناع بعض الموثقين من أكل طعامه بمدينة سلا ، وقد صدر به كتابه المسمى بـ « مثل الطريقة في ذم الوثيقة » وهذا نصه : أما بعد حمد الله الذي قرر الحكم وأحكمه ، وبين الحلال من الحرام بما أوضحه من الأحكام وعلمه ، ونوع جنس المعاش وقسمه ، وماز كل نوع منه ووسمه ، فأثبتته متفاوتاً في درجات التفضيل ورسومه ، والصلاة والسلام على مولانا محمد رسول الله الذي فضله على الأنبياء وقربه وطهر من دنس الشبهات شيمه ، فما استعمله في غير طاعته ولا استخدمه ، ولا أعمل في سوى

البر والهدى بَنَانَهُ وَلَا قَدَمَهُ ، والرضى عن آله وأصحابه الذين رَعَوْا ذِمَّتَهُ ، واستمطروا دِيَمَتَهُ ، وتواصوا من أجله بالبر وتواصوا بالرحمة ، فهذا كتابُ «مثلِ الطريقة في ذم الوثيقة» دعا إلى جمعه قلة الإنصاف من المُدَاهِن والمُعَاَصِر ، والمباهت في مدرك النور الباصر ، ورضى مظنة النّيل منهم بالباع القاصر ، والمناضلة عن الحمى الذي لم يؤيده الحق بالولي ولا بالناصر ، ولوضعه حكاية ، ولنفته شكاية ، إذ معرفة الأشياء بعلمها ممّا يتشوق إليه ، ويحرص عليه ، وهو أني لما قدمت على مدينة فاس حرسها الله تعالى ، مستخلصاً بشفاعة الخلافة ، ذات الإنافة ، مستدعياً برسالة الإيالة ، ذات الجلالة ، فانسحب والمنة لله السر ، وانفسح الفتر ، وشفع من النعم الوتر ، واقتدى المرؤوس بالرئيس ، وتنافس الأعلام في التأنيس ، واتصل الاحتفاء والاستدعاء ، وانتخب الموعى والوعاء ، وأخذ أعقاب الطيبات الوضوء والطيب والدعاء ، تعرفت فيمن جمعته الأخوّة ، والمداعي المتعينة ، برجل من نبهاء موثقها غرّني بمخيلة البشاشة التي يستفزُّ بها الغريب ، ويستخلص هوى من لم يعمل التجريب ، فأنست بمكانه ، واستظهرت على ما يعرض من مكتتب بدكانه ، وشأنني في الاغبطاط بمن عرفت شاني ، فلست للميقّة بشاني ، واسترسالي ، حتى لمن أسالي ، طوع عتاني :

أفادتكم النعماء مني ثلاثةٌ ضميري ويتلوهُ يدي ولساني

ولم يكُ إلّا أن حللت بمدينة سلا حرسها الله تعالى مقصود المحل وإن رغم الدهر الذي رمى فأقصد ، معتمداً بفتوحات الله تعالى وإن أرتج الباب بزعمه وأوصد ، مُصْحَباً بمدد عنايته وإن كمن وأرصد ، لا يمر فاضل إلّا عرّج على مثنوي ، وأتى من البر فوق هواي ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، وتعرفت عن صاحبي الفاسي أنه قدم علينا من سخر عملية فلا لها الدسر المنهوبة ، وتخللها المسببة المرهوبة ، واغتذى الأطعمة التي مرّقتُها الدموع ، ومطبختها الحمى المروع ، واستقر بالمدينة بعد أن لان وضّرع ، وجدّل وصرع ، نافقَ البقلة كاسيدَ الورع ،

ونزل بمثوى خمول ، ومحط مجهول ، وكَنَف ممقوت ، وجوار لا يبخل بغية
ولا يسمح بقوت ، فبادرت استدعاه بفاضل من الطلبة ممن يتلقى به الوارد ،
ويقتاد الشارد ، وقد أغرب بقراءة الاحتفاء والاحتفال ، وأجنب الإغفاء والإغفال ،
وجهازت السرايا إلى التماس نعم الله تعالى فحلت الأنفال ، فلما عرض عليه
الدعوة تعجرف ونفر ، ولما مسح عطفه بالاستئزال نزا وطفّر ، حتى بهت
الرسول كما بهت الذي كفر ، وآب يحمل عذراً بارداً ، واحتجاجاً شارداً ،
فأقطعت جانب شماسه ، وخليت بينه وبين وسواسه ، ومن الغد قصّدتني فاعتذر ،
وأكثر الهذر ، ولم ينبت الله النبات الحسن شيئاً ممّا بدّر ، وكان جوابي إياه
ما نصه :

أبَيْتُمْ دُعَوِي إِمَّا لِبَأْوٍ وتَأْبَى لَوْمَهُ مِثْلِي الطَّرِيقَةُ
وبِالْمُخْتَارِ لِلنَّاسِ اقْتِدَاءُ وقد حَضَرَ الْوَلِيمَةَ وَالْعَقِيقَةُ
وغير غَرِيبَةٍ أَنْ رَقَّ حُرٌّ على مَنْ حَالَهُ مِثْلِي رَقِيقَةُ
وإِمَّا زَاغَرُ الْوَرَعِ اقْتِضَاها ويَأْبَى ذَاكَ دُكَّانُ الْوَثِيقَةِ
وغيْشَانُ الْمَنَازِلِ لاختِيَارِ يُطَالِبُ بِالْجَلِيلَةِ وَالْدَقِيقَةِ
شَكَرْتُ مَخِيلَةً كَانَتْ مَجَازاً لَكُمْ وَحَصَلَتْ بَعْدُ عَلَى الْحَقِيقَةِ

وذاع خبرها فقلبت عنها الجنوب ، وكلف بها الطالب والمطلوب ، وهشّ إلى
المراجعة عنها أحد الموثقين بسلا ممن يحوم حول حمى الإدراك ، ويروم درجة
الاختصاص ببعض الفنون والاشترك ، وله في الأدب مساس ، وجلب الباس ،
بما نصه :

رسولك لم يُبْنِ لي عن طريقه تقَرَّبُ مِنْ حَدِيقَتِكَ الْأُنَيْقَةِ
فلا بأوَّ لديَّ ولا إباء ولكن ساء في الغرض الطريقة
وهبْ أَنِي أَسَأْتُ فُكْمَ صَدِيقٍ تدلِّلَ واعتدى فجفا صديقه

فلا عجبٌ فديتَ لرفقٍ حرٍّ يسكنُ عندَ خجلتهِ رفيقه°
ولاني فيكَ معتقدٌ ، ولكن أرى الأيامَ حاقدةً حنيقه°
على ذي الودِّ فيمن ودَّ حتى يفارقه° وإن أضحي رفيقه°

فراجعته بما نصه لما أسلفته من جزاء مصاعه ، وكِلْتُ له بصاعه :

من استغضبت من هذي الخليقة° بمغضبةٍ بإنكارٍ خليقة°
ولم يغضب فتّيسٌ أو حمارٌ مجازاً ، لا ، لعمرى ، بل حقيقة°
بعثتُ بمرسلٍ لك مع عتيقي فلم تطع الرسولَ ولا عتيقه°
وطوّقتَ السفيرَ الذنبَ لما عجلتَ به ولم تُبلعه ريقه°
إمامُ جماعةٍ وقريعٌ تقوى ومُبلغُ حجةٍ ، وحفيظُ سيقه°
فبؤتَ بها على الأيامِ داءَ عضالاً لا تفيقُ عليه فيقه°
وقد عارضتَ عذرَكَ باعترافٍ فزدتَ مذمةً تسمُ الطريقة°
وهل بعدَ اعترافٍ من نزاعٍ وهل بعدَ افتصالٍ من وثيقه°
ومن جهل الحقوقِ أطاعَ نفساً ببحرٍ الجهلِ راسيةً غريقه°
ومنجى نيقةٍ أمرٌ بعيدٌ إذا نصبَ المهندسُ منجنيقه°

فأمسك حيثنذ وأقصر ، ورأى الأمر يطول فاختصر ، إلا أنه نمي لي عنه قوله :
إن دكان الوثيقة إن نافي الورع فبغير بلده ، وأذهلته لذة لدده ، عما هو بصدده ،
فارتفعت له أن أنصر الدعوى بما يسلمه المنصف المساهل ، وينكره الأرعن الجاهل ،
وتشدّ به المنازل والمناهل ، والمعالم والمجاهل ، مستنداً إلى الحكم الشرعي ، والسّنن
المرعي ، والمشاهدة والحس ، وشهادة الجن والإنس .

١ السيقة : لملها صورة اشتقاقية من السوق أو السياق بمعنى المهر الذي يساق إلى المرأة في صداقها ،
وما يقرب هذا المعنى أن الرجل الذي وجهت إليه الأبيات من كتاب الوثائق .

ولو تُركَ القَطَا ليلًا لنا

والله يجعله موقظاً من السننات ، وازعاً عن كثير من الهنات ، وينفع فيه بالنية
فلنما الأعمال بالنيات ، وها أنا أبتدىء وعلى الله الإعانة ، وبحوله وقوته الإفصاح
والإبانة .

قلت : ينحصر الكلام فيه في سبعة أبواب ، الباب الأول : في جواز الإجارة
فيها عند العلماء ، الباب الثاني : في الشركة المستعملة بين أربابها ، الباب الثالث : في
محلها من الورع إن سوغها الفقه ، الباب الرابع : في منزلتها من الصنائع والمهن ،
الباب الخامس : في أحوال متتحليها من حيث العلم غالباً ، الباب السادس : في
أحوالهم من جهة استقامة الرزق وانحرافه ، الباب السابع : في رد بعض ما يحتاج
به فيها . انتهت الخطبة المقتطعة من تأليف لسان الدين رحمه الله تعالى .

وهذا التأليف في نحو كراسة ، وقال في آخره ما صورته : فإن قيل : ترك
الأجر وقبول العوض في هذا الأمر يدعو إلى تعطيله ، فيفقد الناس منفعة هذه
الطريقة وغنائها ، قلت : الإنصاف فيها اليوم أن لو كان متوليها يرتزق من
بيت المال وأموال المصالح والأوقاف التي تسع ذلك ، وحال الجماهير في فقدانها
والاضطرار إليها ورفع أمورهم بها إلى السلطان ورغبتهم في نصب من يتولى ذلك
حالهم في فقدان أئمة الصلاة في المساجد الراتبية في جريانه من بيت المال بعلة التزامهم
وارتباطهم فقط ، حسبما نقل الإجماع فيه القاضي أبو بكر ابن العربي رحمه
الله تعالى ومنع الارتزاق من غيره إجماعاً ، وقد كان بالمدن المعتبرة من بلاد
الأندلس - جبرها الله تعالى - ناس من أولي التعفف والتعين ، كبني الجند بإشبيلية
وبني الخليل وغيرهم بغيرها ، يتعيشون من فضول أملاكهم ، ووجائب رباعهم ،
ويقعدون بدورهم عاكفين على بر ، متنايين لرواية وفتيا ، يقصدهم الناس في
الشهادة فيجاملونهم ، ويبركون على صفقاتهم ، ويهدونهم إلى سبيل الحق فيها
من غير أجر ولا كلفة ، إلا الحفظ على المناصب ، وما يجريه السلطان من الحرمة

والنفقة^١ في الضرورة ، وما يهديهم الناس من الإطراء والتجلة ، والله سبحانه ينيلهم من الأجر والثوبة ، وبلغني اليوم أن حالها بمدينة سجلماسة ينظر إلى هذا الحال من طرف خفي ، ولم يفسد بها كل الفساد ، وكذلك لم نزل نتعرف أن الأمر في شأنها بمدينة تونس أقرب ، وبعض الشر أهون من بعض ، ولو بقيت بحالها لوجب تقرير فضلها وتقريظ متحلها ، فالصدق أنجي ، والحق عند الله أحجى ، والله عز وجل يستعملنا فيما يرضيه ، ويلطف بنا فيما يجريه علينا من أحكامه وما يقضيه ، ويجعلنا ممن ختم له بالحسن ، ويقربنا إلى ما هو أقرب من رحمته وأدنى ، وصلوات الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ؛ انتهى .

وكتب على ظهر الورقة الأولى من هذا التأليف شيخ شيوخ شيوخنا الإمام الكبير المؤلف الشهير سيدي أحمد الونشريسي رحمه الله تعالى ما صورته : الحمد لله ، جامع هذا الكلام المقيد هذا بأول ورقة منه قد كدّ نفسه في شيء لا يعني الأفاضل ، ولا يعود عليه في القيامة ولا في الدنيا بطائل ، وأفنى طائفة من نفيس عمره في التماس مساوىء طائفة بهم تُستباح الفروج ، وتملك مشيدات الدور والبروج ، وجعلهم أضحوكة لذوي الفتك والمجانة ، وانتزع عنهم جلباب الصدق والديانة ، سامحه الله تعالى وغفر له ، قال ذلك وخطّه بيمنى يديه عبّيد ربه أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الونشريسي خار الله سبحانه له ؛ انتهى ما ألفيته . وقد كان لسان الدين رحمه الله تعالى كثيراً ما يعرض ويصرح بهجو بعض أهل سلا أو كلهم حتى قال :

أهل سلا صاحت بهم صائحه غادية في دورهم رائحه
يكفيهم من عوز أنهم ريحانهم ليست له رائحه

والله المرجو للعفو عن الزلات .

٧٥ - ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى خطبة كتابه في المحبة الذي ما

١ ق : والنفقة .

ألف في فنه أجمع منه ، ولنوردها فإن فيها دلالة على فضله وعظم قدر الكتاب ، وهي : « اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاسَ أنفسنا الناشقة ، وعلّل بجريال حبك جوانح أرواحنا العاشقة ، وسدد إلى أهداف معرفتك نبالَ نبلنا الراشقة ، واستخدم في تدوين حمدك شبا أعلامنا الماشقة ، ودلّ على حضرة قدسك خطرات خواطرنا الذائقة ، وأبين لنا سبيل السعادة التي جعلت فيها الكمال الأخير لهذه الأنفس الناطقة ، واصرفنا عند سلوكها عن القواطع العائقة ، حتى نأمن مخاوف أجبالها الشاهقة ، وأحزابها المنافقة ، وأوهامها الطارئة الطارقة ، وبرازخها القاسية الغاسقة ، فلا تسرق بضائعنا العوائد السارية السارقة ، ولا تحجبنا عنك العوارض الجسمية اللاحقة ، ولا الأنوار المغلظة البارقة ، ولا العقول المفارقة ، يا من له الحكمة البالغة والعناية السابقة ، وصلّ على عبدك ورسولك محمد درة عقود أحبابك المتناسقة ، وجالب بضائع توحيدك النافقة ، المؤيد بالبراهين الساطعة والمعجزات الخارقة ، ما أطلعت أفلاك الأدواح زُهر أزهارها الرائقة ، وحدت قطار السحاب حُداة رعوها السائقة ، وجمعت ريح الصبا بين قدود أغصانها المتعائقة .

« أما بعد ، فإنه لما ورد على هذه البلاد الأندلسية المحروسة بحدود سيوف الله حدودها ، الصادقة بنصر الله للفئة القليلة على الفئة الكثيرة وعودها - وصلّ الله تعالى عوائد صنعه الجميل لديها ، وأبقاها دار إيمان إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها - «ديوان الصبابة» وهو الموضوع الذي اشتمل من أبطال العشاق على الكثير ، واستوعب من أقوالهم الحديثة والقديمة كلّ تنظيم ونثر ، وأسدى في غزل غزله وألحم ، ودلّ على مصارع شهدائهم من وقف وترحم ، فصديق الخبير المخبر ، وطمت اللجة التي لا تُعبر ، وتأرج من مسراه المسك والعنبر ، وقالت العشاق عند طلوع قمره : الله أكبر :

مررت بالعشاق قد كبروا وكان بالقرب صبي كريم

١ كتاب من تأليف شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة .

فقلت : ما بالهم ؟ قال لي : أُلقيَ للحبِّ كتابٌ كريمٌ
ولا غرو أن أقام بهذه الآفاق ، أسواق الأشواق ، وزاحم الزفرات في مسالك
الأتواق ، وأسأل جواهر المدامع من بين أطباق تلك الحقائق^١ ، وفتك نسيما
الضعيف العهد والميثاق بالنفوس الرقاق :

جنى النسيمُ علينا وما تبيّنتُ عُذْرَهُ
إذ صيّرَ الخلقَ نجداً والأرضَ أبناءَ عُذْرَهُ

فوقع للحجة المصرية التسليم^٢ ، وقالت أسنة الأقلام معربة عن أسنة الأقاليم :

سلمتُ لمصرَ في الهوى من بلدٍ يهديهِ هواؤه لدى استنشاقهِ
من ينكرُ دعوايَ فقلْ عنيْ له تكفي امرأةُ العزيزِ من عشاقهِ

فغمر المحافل والمجالس ، واستجلس الراكب واستركب الجالس ، يدعو الأدب
إلى مآدبه فلا يتوقف ، ويلقي عصا سحره المصري فتلقف ، ما شئت من ترتيب
غريب ، وتطريب من بنان أريب ، يشير إلى الشعر فتتقاد إليه عيونه ، ويصيح
بالأدب الشريد فتليبه فنونه ، وأنهى خبره للعلوم المقدسة ، ومدارك العز الموطدة
المؤسسة ، سما به الجدد صُعداً إلى المجلس السلطاني مقر الكمال ، ومطمح الأبصار
والآمال ، حيث رفارف العز قد انسدت ، وموازين القسط قد عدلت ، وفصول
الفضل قد اعتدلت ، وورق أوراق المحامد قد هدلت ، مجلس السلطان المجاهد ،
الفتاح الماهد ، المتحلّي في ريعان العمر بالحديد ، والمملك السعيد ، بحلى القانت
الزاهد ، شمس أفق الملة ، وفخر الخلفاء الجلّة ، بدرُ هالات السروج المجاهدة ،
أسد الأبطال البارزة إلى حومة الهياج الناهدة ، مُعشي الأبصار المشاهدة ، مظهر
رضى الله تعالى عن هذه الأمة الغريبة عن الأنصار والأقطار ، من وراء أمواج^٣

١ ق : الأطباق . ٢ كذا قال ، ولكن ابن أبي حجلة مغربي المولد ، استوطن القاهرة .

٣ أمواج : سقطت من ق .

البحر الزخار ، باختياره لها واعتيامه ، وملبسها برود اليمن والأمان ببركة أيامه ،
ومن أطلع الله تعالى أنوار الجمال من أفق جبينه ، وأنشأ أمطارَ السماح من غمام
يمينه ، وأجرى في الأرض المثل السائر بحلمه وبسالته ودينه ، أمين الله تعالى على
عهدة الإسلام بهذا القطر وابن أمينه وابن أمينه ، فخر الأقطار والأمصار ، ومطمح
الأيدي وملتح الأبصار ، وسلالة سعد بن عبادة سيد الأنصار ، ومن لو نطق
الدين الحنفي لحياه وفداه ، أو تمثل الكمال صورة ما تعداه ، مولانا السلطان
الإمام العالم العامل المجاهد أمير المسلمين أبو عبد الله ابن مولانا أمير المسلمين أبي
الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر الأنصاري
الخرزجي ، جعل الله تعالى ثغرة الثغر مبشماً عن شتَب نصره ، والفتح المبين
مذخوراً لعصره ، كما قصر آداب الدين والدنيا على مقاصير قصره ، وسوغه
من أشات مواهب الكمال ما تعجز الألسن عن حصره ، ولا زالت أفنان الأفلام
تتحف الأقاليم بجني فنون هصره ، فخصته عين استحسانه أبقاءه الله تعالى بلحظة
لحظ ، وما يلقاها إلا ذو حظ ، وصدرت إلي منه الإشارة الكريمة بالإملاء في
فته ، والمنادمة على بنت دته ، وحسب الشحم من ذي ورم والله سبحانه يجعلني
عند ظنه ، ومتى قورن المثري بالمترب ، أو وزن المشرق بالمغرب ؟ شتان بين من
تجلى الشمس منه فوق منصتها ، وبين من يشره أفقه الغربي لابتلاع قرصتها ،
لكني امتثلت ، ورشت ونثلت ، ومكرهاً لا بطلاً مثلت ، وكيف يتفرغ
للتأليف ، ويتبرع للوفاء بهذا التكليف ، من حمل الدنيا في سن الكهولة على
كاهله ، وركض طيرف الهوى بين معارفه ومجاهله ، واشترى السهر بالنوم ،
واستنفد سواد الليل وبياض اليوم ، في بحث يجهز ، وفرصة تنهز ، وثغر للدين
يُسَد ، وأزر للملك يشد ، وقصة ترفع ، ووساطة تنفع ، وعدل يحرق على
بذله ، وهوى يجهد في عذله ، وكريم قوم ينصف من نذله ، ودين تراح الشوائب
عن سبيله ، وسياسة تشهد للسلطان بنبله وإصابة نبيله ، ما بين سيف وقلم ،
وراحة وألم ، وحرب وسلم ، ونشر علكم أو علم ، وجيش يعرض ، وعطاء

يُفَرِّضُ ، وقرض حسن لله تعالى يُفَرِّضُ ، في وطن توافر العدو على حصره ،
 ودار به دَوْر السوار على خصره ، وملك قصر الصبر والتوكل على قصره ، وعددُ
 نسبه من العدد العظيم الطاقة ، الشديد الإصاقة ، نسبةُ الشعرة من جلد الناقة ،
 وبالله نستدفع المكروه ، وإليه نمد الأيدي ونصرف الوجوه ، وسألت منه — أيده
 الله تعالى — القنوع بما يسره الوقت ، ممّا لا يناله المَقْتُ ، والذهاب بهذا الغرض
 لما يليق بالترب والسن ، ويؤمن من اعتراض الإنس والجن ، وما كنت ممّن
 أثر على الجلد الهزل ، واعتاض من الغزل الرقيق الغزل بشيمة الجزل ، ولا آنف
 من ذكر الهوى بعد أن خُصّتُ غماره ، واجتئيت ثماره ، وأقمت مناسكه ورميت
 جماره ، وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة ، فاهوى أول تميمه قلدتني الدابة ،
 والترب التي عرفتها في البداية ، وأنا الذي عن عروته نُبتُ ، وبُعثتُ إلى الرصافة
 لأرقّ فذُبتُ ، إلى أن تبين الرشد من الغي ، وصار النشر إلى الطي ، وتصايح
 ولئدان الحيّ ، كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم كما منّ عليّ :

جزى الله عني زاجرَ الشيب خير ما جزى ناصحاً فازت يداي بخيره
 ألفتُ طريقَ الحبّ حتى إذا انتهى تعوضتُ حبّ الله عن حبّ غيره

حال السواد بحال الفؤاد ، وصوّح المرعى فانقطعت الرؤّاد ، ونهاني ازورار خيال
 الزوراء ، والثقات عاذل الشيب عن المقلة الحوراء ، وكيف الأمان ، وقد طلع
 منه النذير العريان ، يدل على الخبر بخبره ، وينذر بهاذم اللذات على أثره ، والله
 در القائل :

دعتني عيناك نحو الصبا دعاء يردد في كلّ ساعة
 فلولا ، وحققك ، عذر المشيب لقلتُ لعينيك : سمعاً وطاعة

ولولا أن طيف هذا الكتاب الوارد طرّق مضجعي وقد كاد يبدو الحاجب ،
 ويضيق من الفرض الواجب ، ويعجب من نوم الغفلة العاجب ، لجريت معه في

ميدانه ، وعقدتُ بنائي ببنانه ، وتركت شاني وإن رغم الشاني لشانه ، وقلت
معتذراً عن التهويم في بعض أحيانه :

أهلاً بطيفك زائراً أو عائداً تفديك نفسي غائباً أو شاهداً
يا مَنْ على طيف الخيالِ أحوالي أظنُّ جفني مثل جفنك راقداً
ما نمتُ ، لكنَّ الخيالِ يلمُّ بي فيجمله طرقي فيُطرقُ ساجداً

ومن العصمة أن لا تجد ، هلاً قبل المشيب ، ومع الزمن القشيب ، وقبل أن تمخض
القربة ، وتبنى الخانقاه والتربة ، وتؤنس بالله الغربية ، وعلى ذلك فقد أثر ، وباء
قلبي المعثر ، اللهم لا أكثر :

وبدا له من بعد ما اندمك الهوى برقٌ تألّقَ مؤهناً لمعائه
يبدو كحاشية الرداء ودونه صعبُ الذرا متمنّعٌ أركانهُ
فبدا لينظر كيف لاح ، فلم يطق نظراً إليه ورددت أشجانهُ
فالنارُ ما اشتملت عليه ضلوعه والماءُ ما سمحت به أجفانهُ

وجعلت الإملاء على حمل مؤازرته أيده الله تعالى علاوة ، وبعد الفراغ من ألوان
ذلك الخوان حلاوة ، وقلت مخاطب مؤلف كتاب « الصباية » بما يعتمده جانب
إنصافه ، ويغطي على نقصٍ إن وقع فيه كمال أوصافه :

يا مَنْ أدار من الصباية بيننا قدحاً ينمُّ المسكُ من رِيّاهُ
وأتى بریحانِ الحديثِ فكلّما سمح النديمُ براحه حَيّاهُ
أنا لا أهيم بذكر مَنْ قتل الهوى لكن أهيمُ بذكرٍ من أحياءُ

وعنَّ لي أن أذهب بهذا الحب المذهب المتأدي إلى البقاء ، الموصل إلى ذروة السعادة
في معارج الارتقاء ، الذي غايته نعيم لا ينقضي أمده ، ولا ينفد مدده ، ولا
يُفصل وصله ، ولا يفارق الفرع أصله ، حب الله المبلغ إلى قربهِ ، المستدعي لرضاه

وجبه ، المؤثر بالنظر إلى وجهه ، ويا لها من غاية ، الملقى رَحْلَ المتصف به بعد قطع بحار الفناء على ساحل الولاية .

« وكنت وقفت من الكتب المؤلفة في المحبة على جملة منها كتاب يشهده العوام ويستخفه الهوام ، ورسالة ابن واصل رسالة مهادرة ، تطفو من دارة إلى دارة ، في مطاردة هر وفارة ، وكتاب ابن الدباغ القيرواني^١ كتاب مفرقع ، ووجه المقصود منه متبرقع ، وكتاب ابن خلصون وهو أعد لها لولا بداوة تَسِيمُ الخُرطوم ، وتناسب الجمل المخطوم ، فكنت بما ذكر لا أقنع ، وأقول ما أصنع ، فالله يعطي ويمنع :

قلتُ للساخِرِ الذي رفعَ الأنفَ واعتلى
أنتَ لم تأمنِ الهوى لا تُعَيِّرُ فتُبْتلى

شعر :

وعذلتُ أهلَ العشقِ حتى ذُقْتُهُ فَعَجِبْتُ كيف يموت من لا يعشق^٢
ومن المنقول : لا تُظهر الشماتة بأخيك ، فيعافيه الله ويبتليك .

بلاني الحبُّ فيكَ بما بلاني فشاني أن تفيض غروب شاني

أجل بلاني بالغرض الذي هو من القلوب سر أسرارها ، ومن أفنان الأذهان بمنزلة أزهارها ، ومن الموجودات وأطوارها قطبُ مدارها ؛ ليكون كتابي هذا المقدم على المأزق المهلك ، المتشبع بما لا يملك ، وأن يقنع الانصاف ، فعسى أن يشفع الإنصاف ، والافتراف ، يدرؤه الاعتراف ، أنا عند المنكسرة قلوبهم ، ولا تجود يد ، إلا بما تجد ، وكل يُنفق ممّا آتاه الله :

وابنُ اللَّبُونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطعُ صولةَ البُرُلِ القناعيسِ^٣

١ لعله يشير إلى كتاب « مشارق أنوار القلوب » لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ (- ٦٩٦) . وقد نشره الأستاذ هـ . ريتير (دار صادر : ١٩٥٩) .

٢ البيت المتنبي من قصيدته التي مطلعها « أرق على أرق ومثلي يارق » .

٣ البيت لجرير ، ديوانه : ٢٥٠ .

وعسى الذي أنطق شوقاً ، أن ينطق ذوقاً ، والذي حرك سفلاً أن يحرك فوقاً ،
والذي يسره مقالاً ، أن يكفيه حالاً .

فأولُ الغيثِ طلٌّ ثم ينسكب

الحرب أول ما تكون بلحاجة*

وإن الحرب أولها الكلام*

نحمد الله سبحانه على الكلف بهذه الطريقة ﴿وما يُلْقَاهَا إِلَّا ذو حظٍّ عظيم﴾
(نصبت : ٣٥) وللأرض نصيب من كأس الكريم^٢ :

أليس قليلاً نظرةً إن نظرتها* إليك ؟ وكلاً ليس منك قليل

فاتني أن أرى الديارَ بطرفي* فلعلني أرى الديارَ بسمي^٣

وعلى ذلك فذهبت في ترتيبه أغرب المذاهب ، وقرعت في التماس الإعانة
باب الجواد الوهاب ، وأطلعت فصوله في ليل طلوع نجوم الغياهب ، وعرضت
كتائب العزيمة عرضاً ، وأقرضت الله قرضاً ، وجعلته شجرة وأرضاً ، فالشجرة
المحبة مناسبة وتشبيها ، وإشارة لما ورد في الكتب المنزلة وتبيينها ، والأرض النفوس
التي تغرس فيها ، والأغصان أقسامها التي تستوفيها ، والأوراق حكاياتها التي
تحكيها ، وأزهارها أشعارها التي تحييها ، والوصول إلى الله تعالى ثمرتها التي ندرها
بفضل الله ونقتنيها ، شجرة لعمر الله يانعة ، وعلى الزعازع متمانة ، ظلها ظليل ،
والطرف عن مداها كليل ، والفائز بجناها قليل ، رست في التخوم ، وسمت

١ صدره : فإن النار بالعودين تذكى ؛ يرد في رسالة لنصر بن سيار يستنجد بها الخليفة الأموي
عند ظهور المسودة .

٢ عكس قول الشاعر : وللأرض من كأس الكرام نصيب ، وكذلك ثبت النص في ق .

٣ البيت للشريف ، ديوانه ١ : ٦٥٨ وديوان الصباية : ٤٩ .

إلى النجوم ، وتنزهت عن أعراض الجسوم ، والرياح الحُسوم ، وسُقِّيت بالعلوم ،
وغُذِّيت بالفهوم ، وحملت كمائمها بالزهر المكتوم ، ووفيت ثمرتها بالغرض
المُروم ، فاز من استأثر بجنائها ، وتَعَتَّى من عني بلفظها دون مدناها ، فمن استصبح
بدُهنها استضاء بسناها ، ما أبعدا وما أدناها ، عينا ملأت الأكف بغناها ، كم
بين أوراقها من قلب مقلَّب ، وفي هوائها من هوَى مغلَّب ، وكم فوق أفنانها من
صادح ، وكم في التماس سقيطها من كادح ، وكم دونها من خطب فادح ،
ولأربابها من هاجٍ ومادح ، تنوّعت أسماؤها ، ولم تنوع أرضها ولا سماؤها ،
فسميت نخلة تهز وتجنّى ، وزيتونة مباركة يُستصبح بزيتها الأسنى ، وسِدرة إليها
ينتهي المعنى ، أصلها للوجود أصل ، وليس لها كالشجر جنس ولا فصل ، وتربتها
روح ونفس عقل ، وشرفها يعضده بديهة ونقل ، يحط الهائمون بفنائها ، ويصعد
السالكون حول بنائها ، تخرق السبع الطباق ببراقتها ، وتمحى ظلّم الحس بنور
إشراقها ، فسبحان الذي جعلها قُطب الأفلاك ، ومدافن الأضواء والأحلاك ،
ومغرد طيور الأملاك ، وسبب انتظام هذه الأسلاك ، لم يحلّ فيها طريد بعيد ،
ولا اتصف بصفاتها إلا سعيد ، ولا اعتلق بأوجيها هاوٍ في حضيض ، ولا بمحض
برهانها متخبط في شرك نقيض ، ولا تعرّض لشيم بوارقها متمسم بسمة بغيض ،
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ومنه نستزيد
الاستغراق في بحارها ، والاستنشاق لنواسم أسحارها ، والاستدلال بذرى أفنانها
عليه ، والوصول بسبب ذلك إليه ، إنه ولي ذلك سبحانه ، فطاب لعمري المنبت
والنابت ، وسما الفرعُ الباسق ورسا الأصل الثابت ، وفاءت الأفنان ، وزخرفت
الحنان ، وتعددت الأوراق والزهرات والأغصان ، ولم أترك فنناً إلا جمعت
بينه وبين مُناسبه ، ولا فرعاً إلا ضمّمته إلى ما يليق به ، واستكثرت من الشعر
لكونه من الشجرة بمنزلة النسيم الذي يحرك عذبات أفنانها ، ويؤدي إلى الأنوف
روائح بستانها ، وهو المزار الذي ينفخ الشوق في يراعتة ، والعزيمة التي تُنطق
مجنون الوجد من ساعته ، وسلعة ألسن العشاق ، وترجمان ضمير الأشواق ،

ويعتلى صور المعاني الرقاق ، ومكان من فنائص الأذواق ، به عبر الواجدون عن
وَجَدَهُمْ ، ومشى المحبون إلى قَصْدِهِمْ ، وهو رسول الاستلطاف ، ومنزل
الأنطاف ، اشتمل على الوزن المطرب ، والجمال المعجب المغرب ، وكان
للأوطان مركباً ، ولأنفعال النفوس سبباً ، فلا شيء أنسب منه للحديث في المحبة ،
ولا أقرب للنفوس الصبّة ، واجتلبت الكثير من الحكايات وهي نوافل فروض
الحقائق ، ووسائل مجالس الرقائق ، ومراوح النفوس من كد الأفكار ، وإحماض
مسارح الأخبار ، وحظ جارحة السمع من منح الاعتبار ، وبعض الجواذب لنفوس
المحبين ، والبواعث لهمم السالكين ، وحجتها واضحة بقوله تعالى ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ
عَلَيْكَ ﴾ (هود : ١٢٠) في القرآن المبين ، ونقلت شواهد من الحديث والخبر
تجري صاحبها تجري الزكاة من الأموال ، والخواطر من الأحوال ، ويجري ما
سواها من غير الصحيح مجرى الأمثال ، ليكون هذا الكتاب لعموم خيره ، مسرّحاً
للفاره وغيره ، ويجد كل ميداناً لسيره ، وملتقطاً لطيره ، ومحكماً لغيره ، فمن
فاق كلف بأصوله ، ومن قصر قنع بفصوله ، ومن وصل حمد الله تعالى على
وصوله ، وسميته « روضة التعريف بالحب الشريف » ويحتوي على أرض
زكية ، وشجرات فلكية ، وثمرات ملكية ، وعيون غير بكية .

« والحب حياة النفوس الموات ، وعلة امتزاج المركبات ، وسبب ازدواج
الحيوان والنبات ، وسر قوله عز وجل ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ
نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ (الأنعام : ١٢٢) ليس كالحب
الذي دون فيه المدونون ، ولعبت بكثرة أقباسه صوالج الجنون ، وقاد الهوى أهله
بجبل الهوى ، وساقته فيه المنى للمنون ، حين نظرت النفوس من سفلى الجنبتين ،
ورضيت الأثر عن العين ، وباعت الحق بالمين ، ولم تحصل إلا على خفي حنين ،
وارحمتا لعشاق الصور ، وسبقاق ملاعب الهوى والهوى ، لقد كلفوا بالزخارف
الحائنة الحائلة ، والمحاسن الزائفة الزائلة ، وسليح الجبابة ، وبضائع الإهانة ،
أزمان التمتع بهم قصيرة ، والأنكاد عليهم مُغيرة ، فتراهم ما بين طعين بعامل

قَدَّ ، ومضرج بدم خدَّ ، وأسير ثغر قد أعوز فداؤه ، وسقيم طَرْف قد
أعضل داؤه ، وما شئت من ليل يُسهر ، ونداء به يُجهر ، وجُيوب تُشق ، وبصائر
تخطف أبصارها إذا لمع البرق ، ونواسم تحمل التحيات ، وخلع أيكٍ تتلقى
بخلع الأريحيات ، وربما اشتد الختل ، وأصاب النبل فكان الخبل ، قلوب اشتغلت
عن الله فشغلها الله بغيره ، وهب الحبَّ الجسماني لا تبعث عليه شهوة بهيمية ،
ولا تدعو إليه قوة وهمية ، أليست الداعية مرتفعة ، والباعثة منقطعة ، وصورة
الحسن دائرة ، وأجزاؤه المتناظرة متناثرة ؟ أليس الجراب العنصري عائداً إلى أصله ؟
أليس الجنس مفارقاً لفصله ؟ والله درُّ علي رضي الله تعالى عنه ، وقد نظر إلى قدح
الماء وقد أراد أن يشرب ، وعن الاعتبار أعرب ، فقال : كم فيك من خدَّ
أسيل ، وطرف كحيل ! فأواه مكررة مرددة ، ووالفاه معادة مجددة ، على
قلب أصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ، ويقول يا
ليتني لم أشرك بربي أحداً ، وحسبنا مرارة الفراق ذلاً ، وفقد النقد قلاً ، والغفلة
عن الله شقاء محتوماً ، والكآبة على الفائت شوماً :

صدّني عن حلاوة التشيع اتقائي مرارة التوديع
لم يقم أنسُ ذا بوحشة هذا قرأتُ الصواب تركَ الجميع

وإن كانت الشهوة فأخسس بها داعية ، وإلى الفضيحة ساعية ، حسبك من حمار
يعلن بنداء المحبة نهاقه ، ويقذفه على السباق احتياجه إلى السّفاد واشتياقه ، أسير
خَبال ، وصريع مَبال ، أولى له ثمّ أولى لو تأمل محاسن الجسوم ما أكذب رائدها
المُطري ، وأخبت زخرفها المُغري ، وأقصر مدة استمتاعها ، وأكثر المساعي
نحت قناعها :

على وجهٍ ميّ مسحةٌ من ملاحه وتحت الثياب العارُ لو كان بادياً^١
ما ثمّ إلا أنفاسٌ تركد وتخبث ، وعلل تنشأ وتحدث ، وزخارف حسن تُعاهد ثمّ

١ ينسب للي الرمة (ديوانه : ٦٧٥) وقيل بل وضع على لسانه .

تنكث ، وتركيبٌ يطلبه التحليل بدّينه ، ويأخذ أثره بعد عينه ، وأنس يُفقد ،
واجتماع كأن لم يُعقد ، وفراق إن لم يكن فكأن قد :

ومن سرّه أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقد

* * *

منغصّ العيش لا يأوي إلى دعةٍ من كان ذا بلدٍ أو كان ذا ولدٍ
والساكن النفس من لم ترضَ همته سكنى مكانٍ ولم يسكن إلى أحدٍ

وقلت وقد مات سكن عزيز عليّ أيام التغرب بسلا عظم جزّعي عليه :

يا قلبُكم هذا الجوى والخفوت ذمّاءك استبقِ لثلاث يَفوتُ
فقال لا حَوْلَ ولا قَوْلَ لي قد كان ما كان فحسبي السكوتُ
فارقني الرشدُ وفارقتُهُ لمّا تعشقتُ بشيء يموتُ

والزمان لا يعتبر ، وحاصله خبر ، والحازم من نظر في العواقب ، نظر المراقب ،
وعرف الإضاعة ، ولم يجعل الحلم بضاعة ، إنما الحب الحقيقي حبٌّ يُصعدك
ويرقيك ، ويخلدك ويبقيك ، ويطعمك ويسقيك ، ويخلصك إلى فئة السعادة ممّا
يشقيك ، ويجعل لك الكون روضاً ، ومشرب الحق حَوْضاً ، ويُجنّيك زهر المنى ،
ويُغنيك عن أهل الفقر والغنى ، ويخضع التيجان لنعلك ، ويجعل الكون متصرف
فعلك ، ليس إلّا الحب ، ثمّ الوصل والقرب ، ثمّ الشهود ، ثمّ البقاء بعدما
اضمحلّ الوجود ، فشفيت الآلام ، وسقط الملام ، وذهبت الأضغاث والأحلام ،
واختصر الكلام ، ومحيت الرسوم وخفيت الأعلام ، ولن الملك اليوم والسلام ،
فالْحذر الحذر ، أن يُعجل النفس سيرها ، ويفارق القفص طيرها ، وهي بالعرّض
الفاني متنبطة ، وبنائي الثقيل مرتبطة ، وبصحبة الفاني مغتبطة ﴿ أن تقول نفس ﴾

يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرامة فأكون من المحسنين ﴿ (الزمر: ٥٦-٥٨) وفي ذلك قلت :

أعشاق غير الواحد الأحد الباقي	جنونكم والله أعياء على الراقي
جننتم بما يفنى وتبقى مضاضة	تعذب بين البين مهجة مشتاق
وتربط بالأجسام نفساً حياتها	مباينة الأجسام بالجوهر الراقي
فلا هي فازت بالذي علقته به	ولا رأس مال كان ينفعها باقي
فراق وقسر وانقطاع وظلمة	قيني البعد من نيل السعادة يا وافي
كأنني بها من بعد ما كشف الغطا	صريعة أحزان لديغة أشواق
تقلب كفتيها بخيط موصل	رشقة قد دون سبعة أطباق
فلا تطعموها السم في الشهد ضلّة	فذلك سم لا يسداوى بدرياق
بما اكتسبت تسعى إلى مستقرها	فلما بوفر محسب أو يملأ
وليس لها بعد التفرق حيلة	سوى ندم يذري مدامع آماق
ولو كان مرمى الحزن منها إلى مدى	لهان الأسى ما بين وخد وإعناق
فجدوا فإن الأمر جد ، وشمروا	بفضل ارتياض أو بإصلاح أخلاق
ولا تطلقوا في الحس ثني عنائها	وشيموا بها للحق لمحة لإشراق
ودسّوا لها المعنى رويداً وأيقظوا	بصيرتها من بعد نوم وإغراق
ومهما أفاقت فافتحوا لاعتبارها	مصاريح أبواب وأقفال أغلاق
وعاقبة الفاني اشرحوا وتلطّفوا	بأخلاقها المرضي تلطف لإشفاق
فإن سكرت واستشرفت عند سكرها	لماهيّة المسقى ومعرفة الساق
أطيلوا على روض الجمال خطورها	إلى أن يقوم الوجد فيها على ساق
وخلّوا لهيب الشوق يطوي بها الفلا	إلى الوجد في مسرى رموز وأذواق
فما هو إلا أن تحط رحالها	بمئوى التجلي والشهود بإطلاق

وتنفى إذا ما شاهدت عن شهودها وقد فنيَ الفاني وقد بقيَ الباقي
هنالك تلقى العيشَ تضيفو ظلاله وتنعمُ من عينِ الحياةِ برقراقِ
وما قَسَمُ الأرزاقِ إلاَّ عجيبةً فلا تطردِ السؤالَ يا خيرَ رزاقِ

وقد أخذ الكلام في هذا الافتتاح حِدَّةً ، وبلغ النهر مداه ، فلأخذ أثر هذا الذي
سردت ، في تقرير ما أردت ، وما توفيتي إلاَّ بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ؛
فنقول : ينقسم هذا الموضوع إلى أرض ، وشجر غص ، وكلُّ منها ميسور جِدَّةً ،
وفنَّ على حِدَّةً ، ما شئت من مرأى ومستمتع ، فمن شاء أفرد ومن شاء جمَعَ ،
فلنبداً بالأرض والفلاحة ، والتكسير والمساحة ، وتعيين حدود تلك الساحة ، ثمَّ
نأتي بالشجرة التي تؤمل جناها ، وننظر إناها ، ونجعل الزاد المبلغ معناها ،
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

برنامج هذا الكتاب الذي يحصر الأجناس والفصول ، ويردُّ الفروع إلى
الأصول ، ويسر الباحث عن مسأله بسبب الوصول ، بحول الله وقوته :

خطبة الأعراس ، وتوطئة الغراس ، وتنحصر في جملتين :

الجملة الأولى: في صفة الأرض وأجزائها ، وجعل الاختيار بإزائها ، وفيها رتب :

الرتبة الأولى — رتبة الأطباق المفروضة ، والاعتبارات المعروضة ، وفيه

مقدمة وأطباق :

المقدمة في تعيين الأرض المذكورة .

الطبق الأول : طبق القلب .

الطبق الثاني : طبق الروح .

الطبق الثالث : طبق النفس .

الطبق الرابع : طبق العقل .

الرتبة الثانية — رتبة العروق الباطنة ، والشعب الكامنة ، وفيها فصول :

- الفصل الأول : في العروق المعدنية .
- الفصل الثاني : في المقررات العينية .
- الفصل الثالث : في المدبرات البدنية .
- الفصل الرابع : في البحوث البرهانية .

الجملة الثانية : في صفة الفلاحة والعمل ، المتكفل فيها بنيل الأمل ، وفيها اختيارات :

- الاختيار الأول : فيما يصلح للاعتماد من هذه الأرض ، وفيه فصول :
- الفصل الأول : في أرض النفس المطمئنة .
- الفصل الثاني : في أرض النفس الأمارة .
- الفصل الثالث : في أرض النفس اللوامة .

الاختيار الثاني : في محركات العزيمة ، لاعتماد هذه الأرض الكريمة ، وفيه فصول :

- الفصل الأول : في الجذب وما يتصل بذلك .
- الفصل الثاني : في الوعظ المثمر لليقظة .
- الفصل الثالث : في ذم الكسل .

الاختيار الثالث : يشتمل على جلب الماء لسقي هذه الأرض من عين العلم في جدولي العقل المحرر والنقل المقرر ، وفيه مقدمة في فضل العلم وتعدد أجناسه ، وفصول :

- الفصل الأول : في جدول العقل .
- الفصل الثاني : في جدول النقل .
- الفصل الثالث : في مقدار الماء المجلوب ، للفكح المطلوب .
- الفصل الرابع : في غبار التكوين ، وسبب التلوين .

الاختيار الرابع : في الحرث ، وإخراج لَبَن هذه الفلاحة من بين الدم
والفَرث ، وفيه أقسام :
أولها : القلب الأول .

ثانيها : القلب الثاني الذي عليه المعوّل .
ثالثها : في سكة الازدراع والتعمير ، وهو مظنة التثمير .

الاختيار الخامس : في تنظيف الأرض المعتمرة من الأرض الخبيثة ، والجدر
المعرضة والشعب المذمومة ، وفيه فصول :
الفصل الأول : في إزالة شكوك تسبق إلى المعتقد غالباً .

الفصل الثاني : في قلع الشجر التي تضر بهذه الأرض وتعاديها بالطبع .

الاختيار السادس : في أمور ضرورية تلزم لهذه الفلاحة ، وفيه فصول :
الفصل الأول : في أمراض يُشرع في علاجها ، ممّا يرجع لطبع الأرض
ومزاجها .

الفصل الثاني : في اختيار أنواعها وأجزائها .

الفصل الثالث : في أقوال تليق بأفحاص الفلاح وإصحاره ، عند ملاحظة
عجائب الكون وآثاره .

الفصل الرابع : في الوقت المختار لغراسة الأسباب ، في الحب الباب ،
وتنحصر في مقدمة علمية ، وجرثومة جرمية : المقدمة العلمية في ترتيب المحبة
والمعرفة ، الجرثومة الجرمية تنقسم إلى بيان يعطي الصورة ، ويشرح الضرورة ،
وإلى بطن وظهر ، وسر وجهر ، وباسط ، وبرزخ واسط ، فالباطن الشرع
والنقل ، وينقسم إلى أصول :

الأصل الأول : الكلام في النبوة من حيث النقل .

الأصل الثاني : في الإيمان والاعتبار العامي .

الأصل الثالث : فيما يتبع ذلك من اليقظة والتوبة في حق غير المحتاج إلى ذلك .

الأصل الرابع : في تقرير العناية والتوفيق في حق غير المحتاج إلى ذلك .
الأصل الخامس : في الموعظة والسماع من حيث تهذيب الجميع ، والظاهر
الطبع والعقل ، وينقسم إلى أصول :

الأصل الأول : جزء الفلسفة العلمي والعملية .

الأصل الثاني : سلامة الفطرة في حق المستغني عن ذلك .

الأصل الثالث : في معرفة الجمال والكمال .

الأصل الرابع : في الاعتبار الخاصي .

الأصل الخامس : السلوك بالفكر .

الأصل السادس : في التشبيه بالمبدأ الأول ، باسط الذكر الباسط ، والبرزخ
الواسط ، الصاعد من التخوم ، إلى النجوم ، وهو من أنخص الأشياء بباطن
الشجرة ، وأصولها المعتبرة ، ويشتمل على مقدمة وثلاثة أصول :

الأصل الأول : الأدعية والأذكار ، وله عشر شعب .

الأصل الثاني : أصل الأسماء ، وهي أصول الأرض والسماء ، وله تسع
وتسعون شعبة .

الأصل الثالث : أصل السيمياء ، وهو الذي عفن بعضه وبقي الانتفاع ببعضه .

العمود المشتمل على القشر والعود ، والجتنى الموعود ، ينقسم قسمين :
قشر وخشب ، ودر مخشَلَب ، والقشر ظاهر يكسر ويخذو ، وباطن ينمي
ويغذو ، فظاهره الذي يكسر ويخذو يتضمن الكلام في المحبة وأقسامها من حيث
اللسان ، لا من حيث نوع الإنسان ، وباطنه الذي ينمي ويغذو يتضمن الثناء على
المحبة طبعاً وعقلاً ، وشرعاً ونقلًا .

الحشب الذي يُتخذ منه النشب ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول : في الحدود والمعرفات ، والأسماء الدالة عليها والصفات .

القسم الثاني : معقول معناها ، المتجلي فيه نور سَنّاها .

القسم الثالث : ارتباطها بالمقامات ، واختصاصها فيها بالكرامات .
القسم الرابع : تبين ضرورتها ، وإيضاح مزيتها .
الفرع الصاعد في الهواء ، على خط الاستواء ، من رأس العمود القائم ،
إلى منتهى الوجود الدائم ، ويشتمل على قشر لطيف ، وجيرم شريف .
القشر : الحدود للمعرفة والرسوم ، وخواص العارف الذي هو المعروف بها
والموسوم ، وينقسم إلى فصول :
الفصل الأول : في حدود المعرفة ورسومها وما قيل فيها .
الفصل الثاني : في أوصاف العارف .
الفصل الثالث : في تفضيل العارف .
الفصل الرابع : في علوم العارف .
والجيرم الشريف ، من الفرع المنيف ، ينقسم إلى ظاهر ، وباطن ، وقلب .
فالظاهر ينقسم إلى أقسام : الكلام في الأخلاق ومنشئها وطباعها بحسب القوى
النفسانية وإفراطها وتفريطها واعتدالها وعلاجها ، وفيه المجاهدات .
والباطن يتضمن الكلام في أن النظر إلى وجه الله تعالى هو السعادة الكبرى
بكل نظر واعتبار .
والقلب قلب الغصن يتضمن الرياضة والسلوك على المقامات كلها ، ويتفرع
منه عشرة غصون :

- الغصن الأول : غصن فروع البدايات .
- الغصن الثاني : غصن فروع الأبواب .
- الغصن الثالث : غصن فروع المعاملات .
- الغصن الرابع : غصن فروع الأخلاق .
- الغصن الخامس : غصن فروع الأصول .
- الغصن السادس : غصن فروع الأدوية .

الغصن السابع : غصن فروع الأحوال .
الغصن الثامن : غصن فروع الولايات .
الغصن التاسع : غصن فروع الحقائق .
الغصن العاشر : غصن فروع النهايات ، ولكل فروع أوراق ، ويلحق به
صورة السلوك بالذكر حتى يتأتى الوصول ، وعلى المقصود الحصول ، والكلام
على زهرات الطوالع واللوائح والبواهد والواردات ، ونختم بالحتى ، المقترن ببيل
المنى ، وهي الولاية .

تفرع ضخام الغصون ، من شجرة السر المصون ، وهي :
غصن المحبوبات وأقسامها ، وتنقسم إلى أربعة أفنان :
الفن الأول : فن الرب المحبوب .
الفن الثاني : فن العبد المحبوب .
الفن الثالث : فن الدنيا المحبوبة .
الفن الرابع : فن الآخرة المحبوبة .
غصن المحبين ، وأصنافهم المرتبين ، ينقسم إلى مقدمة بيان ، وستة أفنان :
الفن الأول : في رأي الفلاسفة الأقدمين .
الفن الثاني : في رأي أهل الأنوار والإشراقين .
الفن الثالث : في رأي الحكماء الإسلاميين .
الفن الرابع : في رأي المكملين بزعمهم المتممين .
الفن الخامس : في أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين .
الفن السادس : في الصوفية سادة المسلمين .
غصن علامات المحبة ، وشواهد النفوس الصبّة ، وينقسم إلى ثلاثة أفنان :
الفن الأول : فيما يرجع إلى حقوق المحبوب .
الفن الثاني : فيما يرجع إلى باطن المحب .

الفن الثالث : فيما يرجع إلى ظاهره .
غصن اختيار المحبين في ميدان جهادهم ، وتباين أحوال أفرادهم ، وهو
ثلاثة أفنان :

الفن الأول : فن المجاهد الصريح .

الفن الثاني : فن المنبت الجريح .

الفن الثالث : فن الصريح الطريح .

جوائح الشجرة ، ومضار فلاحتها المعتبرة ، وينقسم إلى جوائح من نسبتها ،
بالنظر إلى مائها وتربتها ، وإلى ما هو راجع إلى الخواطر - وهي على عدد الرياح -
وإلى ما سببه غفلة الفلاح ، عذر الطائر الصادح ، على فرض القادح ، ووجود
الهاجي والمادح .

صورة الشجرة ذات الحسن الباهر ، والجنى والأزهار ، وآثارها للحسن
الظاهر ، بفضل المريد القاهر ، لا إله إلاّ هو سبحانه له الحمد ؛ انتهت الخطبة
التي تدل على ما وراءها .

وقال رحمه الله تعالى في آخر هذا الكتاب ما نصه : ونحتم الكلام في هذه
الشجرة والاستدلال على شرف هذه الفلاحة الضمنية بهذه الأبيات :

فلاحتنا لها القيدُ الملقى وسرحتنا الضمنية للنجاحِ
ألست ترى منادي الخمس نادى بمختلف الجهات أو النواحي
يرددُ في الأذان لكلّ واعٍ على الأذانِ حيّ على الفلاحِ

وهذا طائر على الشجرة صادح ، ولاحق كادح ، ومعتذر إن قدح قادح ،
وتعارض هاج ومادح . قال المؤلف : ولا بد لنا من دري صادح على هذه الأفنان ،
وشادٍ يهيج أشجان الجنان ، ويثير شجو الرأفة والحنان ، ويبين مجال الضرورة
لذوي الاتصاف ، بكرم الأوصاف ، والناظرين إلى الهنات بعيون الإنصاف ،
فيرحم من قد كان شره النقْد ، ويعذر من تشوّف لاستضعاف هذا القصد ،

والأعذار التي تقرر عنا هذا الطائر عديدة ، ومبدئة في الصدق معيدة ، وقرية من الحق لا بعيدة ، فمنها أن هذا الفرض اليوم بأكثر الأرض ، ميدانٌ عدم فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله من يُجِيلُ كما يحب جواداً ، ونفيرٌ لا يجيبه إلا من يكثر سواداً ، قد طُمست الأعلام ، وسقط الحمد والملام ، وما لجرح بميت لإيلام ، فمدلول هذا الفن بهذه التخوم عنقاء مغرب ، وإكسير يحدث عنه غير واصل ولا مجرب ، إنما يرجع فيه إلى كتب مُقفلة ، وأغراض مغفلة ، وما عسى أن يعول المسكين مثلي على قاصر إدراكه ، مع اقتسام باله واشترائه ؟ قَصَّر العلم والعمل ، فاختلط المرعيُّ والهَمَلُ ، وأخفق المسعى وخاب الأمل ، ومنها شواغل الدنيا التي اختطفت من المكاتب ، وموّهت بالمراتب ، ولقبت بالوزير والكاتب ، وأقامت العبدَ الذي لا يملك شيئاً مقام العاتب ، ومن كان بهذه المثابة وإن عدَّ يقطاً حازماً ، ونحريراً عالماً ، فإنما هو غريق ، وتائه لا يبدو له طريق ، ولا ينسأغ له ريق ، ولا يُطفأ ببرد اليقين منه حريق ، ولا يربح عليه من قصاد الله تعالى فريق ، ونستغفر الله ، فالذي ألهم لهذه العيوب ، يتكفل بإصلاح القلوب ، ومكاشفة الغيوب ، وإن كانت النفوس للحق جاحدة ، فما أمري إلا واحدة :

لا تعجبَنَّ لطالب نالَ العلا كهلًا وأخفق في الزمان الأوَّل
فالخمرُ تحكُمُ في العقولِ مُسِنَّةٌ وتُداسُ أوَّلَ عصرها بالأرجلِ

ومنها الاشتغال بالهتَدَر ، عن العلم والنظر ، منذ أزمان عديدة ، ومُدَد مديدة ، فلم يبقَ ممّا حُصِّل ، وإليه ممّا في الزمان القديم تُوصَّل ، إلا رسم بلقع ، وسملٌ ما له مُرَقَّع ، ومنها أني لم أنتدب إلى هذا الوظيفة الذي قلَّ من يتعاطاه ، ويثير قطاه ، ويقعد مطاه ، من تلقاء نفسٍ جاهلة ببعده مداه ، ومطل جداه ، ومطالبة مدعيه بما كسبت منه يده ، فلا يتجاوز طوره ولا يتعداه ، وإن طالب الحق من شرط وصوله ، سلب فصوله ، وحالة موته ، وانقطاع حسه فضلاً عن صوته ،

١ ق : يجيل . ٢ ق : شل .

لكني خُضْتُ على عدم السباحة غمرًا ، وامثلت مع سقوط الاستطاعة أمرًا ،
وجئتُ بما في وسعي انقيادًا وامثالًا ، ومثلت مثلاً ، فضرورتي بفضل الله تعالى
مشروحة ، والدعوى عن كتفي مطروحة ، وعلى ذلك فقد علم الذي يعلم الأسرار ،
ويقرُّب الأبرار ، ويقلل العثار ، ويقبل الأعذار ، أن مدة الاشتغال به لم تتجاوز
شهرين اثنين ، بين كتب وكم ، وابتداء وختم ، مع ما يتخلل الزمان من حمل
لو رُميَ به رَضْوَى لَتَدْعُدَ ، أو أنزل على ثبير لخشع من خشية الله تعالى
وتصدع : مداراة عدو قد تكالب على الإسلام ، وسياسة سواد صم عن الملام ،
وتعدّي حدود الشهي والأحلام ، وارتقاب هجوم جيش الآجال وراية الشيب
من الأعلام ، وقد أُنذر بالفجر انقشاع الظلام ، وكاد يصعد الخطيب فينقطع
الكلام ، جعلت لنقله حصّة من جنح الظلام الغاسق ، والليل الواسق ، وعاطيت
حميَّاه نديم الغارق^١ ، وتعرضت لاقتناص خياله الطارق ، وسرقته من أيدي الشواغل
والليل معين السارق ، ولم يعمل فيه عبد القيس^٢ نظراً مُعاداً ، ولا أنجز من تصحيحه
عَلِمَ الله تعالى ميعاداً ، إنما هو كراس يفرغ من تسويده رجراج الحبر ، مختلط
الترب بالتبر ، فيدفع ملموم الماسخ ، إلى يد الناسخ ، وكلفة المتناقل ، إلى كف
الناقل ، وتُذَفَص صحيفته من الزبرة إلى الصاقل ، إذ كان الأمر — أيده الله تعالى
ونفعه — حريصاً على تعجيل المعارضة ، ومتحريراً سبيل الشرع في هذه المصارفة
والمقارضة ، والجفن المشرق يعلن بالتبريح ، وينتظر مساعدة الريح ، فمن وقف
عليه من فاضل أنار الله بصيرته ، وجبل على الإنصاف سيرته ، أو مَنْ كان من
أهل الله الذي يعلم أن ما سوى الله تعالى ظل وفيء ، ويتحقق معنى قوله ﴿ ليس
لك من الأمر شيء ﴾ ، فقد أوجب الإنصاف أن يمحو اقترافي باعترافي ، ويغطي
أوصافي بإنصافي ، والرحماء يرحمهم الرحمن ، وقد عذر القنبرة سليمان ، ومع

١ كذا ، ولعل صوابه « العائق » أي الخمر القديمة أو الشراب الجيد .

٢ حقه أن يقول عبد قيس ، لإشارته إلى قول الشاعر :
أعد نظراً يا عبد قيس فإنما أضامت لك النار الحمار المقيدا

الاستسلام الأمان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ولا بأس أن يُعرَضَ بتلك
الأخوين الحُصينة المثنى والمروج ، والحمل والفروج ، وفي السماء البروج ،
وفي الأرض الفروج ، والأعرج يُستندِر منه العروج ، ونعم الأيدي المستعملة
في التقصير ، إلى الولي النصير والناقد البصير . اللهم استر بسترِكَ فضائِحنا المخلَّفة ،
وقبائِحنا المجمعَة المؤلَّفة ، فهو كله تحويمٌ حولَ حِمَاكَ ، ودندنة يا كريم بباب
رُحْمَاكَ ، وزند أنت قدَحَتَه ، وتألَّق بارق أنت ألحَتَه ، فصلِّ السبب يا واصل
الأسباب ، واجعلنا ممَّن تذكَّر فنفعته الذكْرى وما يتذكر إلاَّ أولو الألباب ،
اللهم دُلَّ نفوسنا الحائرة على عين الخبر ، واجذبها إلى المؤثر بزمَام الأثر ، اللهم
اجبر الضلالة المُثْقَلَة الظهر ، وارفع عنها مَلَكَة القهر ، وحيطة الدهر ، والسفر من بلد
السر إلى بلد الجهر ، اللهم أعلِّق بعروة الحق أيدينا الخابطة ، وأظفر بعدوِّ الهوى عزائمنا
المرابطة ، اللهم أوصلْ سبينا بسببك ، واحملنا إليك بك ، لا إله إلاَّ أنت ، وصلِّ
على عبدك ونيبك محمد خاتم النبيين والمرسلين وآله والصحابة أجمعين » انتهى .
وقال — رحمه الله تعالى — آخرَ بعضِ تراجم هذا الكتاب ما صورته :
خاتمة تشتمل على إشارات ، وتختال من الحق في شارات ، قال بعض ممَّن يطأ
بمطية السلوك ، حِمى الملوك ، وينقض زوايا الغيوب ، عن المطلوب ، ببصر
بصائر القلوب : شهدت أصناف المحبين والعشاق ، على اختلاف البلاد وتباين
الآفاق ، لا أدري أقال كشفاً وشهوداً ، أو فرضاً أو وجوداً ، أو يقظة أو هجوداً ،
وقد ركضوا مطايا الأشواق ، وضربوا آباطها بعصيَّ المشارب والأذواق ،
وتزوّدوا أزواد الحقائق ، وودعوا أحباب العوائد والعلائق ، وتساهلوا في
المحبوب اعتراض العوائق ، وتفاضلوا في اختيار الجوادِّ واقتحام المضائق ، والطرق
إلى الله تعالى عدد أنفاس الخلائق ، فمن خابط عشواء ، ومسقط أهواء ، يقول :

يا ليت أنِّي أوقدُ النارا فإنَّ ممَّنْ يهواك قد حارا^١

١ حور في قول عدي بن زيد :

يا لبيئ أوقدي النارا إن من تهوين قد حارا

فيجيبه الصدى :

ومن طلب الوصول لدار ليلٍ بغيرِ طريقها وقعَ الضلالُ
ومثبتٌ بحيث لا يبدو عَلمٌ ، ولا يُقتَصَّ خف ولا قَدَمٌ ، في مفازةٍ وجودٍ
من حَلَّتْها عَدَمٌ ، وهو يصيحُ :
بأبي وأمي والذي ملكْتُ يدي أفندي الذي يهدي الطريقَ الاحبا
ثم يقول :

ولقد سَرَيْتُ إليك لكنْ حينَ لم يكن الدليلُ أَجَلَ قصْد السالك
ومن طاوٍ نقد زاده ، وفرغ مزاده ، قد استسلم ، وعجز أن يتكلم ، ولسان
حاله ينشد :

إذا أنْتَ لم تزرع وأبصرتَ حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذرِ
وراكضٍ يقطع الدوّ ، ويعرف الجوّ ، يثبت الأعلام الخافية ، ويقصد
الموارد الصافية والظلال الضافية ، حاديه أمله ، ودليله علمه والراحلة عمله ،
ينشد بأعلى صوته :

قَرُبَ اللقاء فكيف لا ترتاحُ للقاء سكانِ الحمى الأرواحُ
وفرائقٍ يركض البريد ، ويصحب التفريد ، بلغ الطيّّة ، وأناخ المطيّة ،
قبل وصول الرفقة البطيّة :

سرى سلخ شهر في فُواق حلوبةٍ فللهِ ما أنأى سَراهُ وما أدنى
﴿ لو اطلّعتَ عليّهم لولّيتَ مِنْهُمْ فِراراً ولملّيتَ مِنْهُمْ رُعباً ﴾
(الكهف : ١٨) .

وقلت :

نَهَضُوا وقد جنَّ الدجى وتخالفت سبلُ الردى فمستدون وضلّلُ

سَلَنِي عَنِ الْمُنْبِتِّ حِينَ تَقْطَعُ أَسْبَابَهُ تِيهًا وَلَا مِنْ يَسْأَلُ
قَوْمٌ سَطَّتْ بِهِمُ السَّبَاعُ ، وَفِرْقَةُ عَطَشُوا ، وَأَيْنَ مِنَ الظُّمَاءِ الْمُنْتَهَلُ ؟
لَفَحَ الْهَجِيرُ وَجُوهَهُمْ بِسَعِيرِهِ فَتَهَافَتُوا بِبِلَالَةٍ وَتَعَلَّلُوا
وَجَمَاعَةٌ رَكَبُوا الْمَفَاوِزَ دَائِمًا عَثَرُوا عَلَى أَثَرِ فَشَطٍّ الْمَنْزِلُ
وَرُكَّابٌ جَعَلُوا الدَّلِيلَ أَمَامَهُمْ وَسَرَوْا فَفَازُوا بِالَّذِي قَدْ أَمَلُوا
وَاللَّيْلُ مُتَلَفَةٌ ، وَمَدْرَجَةُ الْهَوَى لَا يَسْتَقِلُّ بِهَا الْمَطِيُّ الذَّلُّ
وَالوَاصِلُونَ هُمْ الْقَلِيلُ وَكَيْفَ لَا قَفَرٌ وَمَسْبُوعَةٌ وَلَيْلُ الْيَلِّ
يَا رَحِمَةَ الْعَاشِقِينَ تَقَحَّمُوا خَطَرَ النَّوَى وَعَلَى الشَّدَائِدِ عَوَّلُوا
طَارَتْ بِهِمْ أَشْوَاقُهُمْ فَعَقُولُهُمْ مَعْقُولَةٌ عَنْ شَأْنِهَا لَا تَعْقِلُ
عِذْرًا لَكُمْ يَا أَهْلَ عُدْرَةِ شَأْنِكُمْ سَلَّمْتُ فِيهِ لَكُمْ فَقُولُوا وَافْعَلُوا

حتى إذا خرجوا إلى قضاء القدر المشترك ، وأفلت من أفلت من الشَّرَك ،
وسلم من قَتِيلِ الْمُعْتَرَك ، وأشرفوا بركاب الآمال ، على ثنية الجمال ، زعقوا
بإزاء الباب ، ونادوا من وراء الحجاب :

كُلُّ كَتَى عَنْ شَوْقِهِ بِلَغَاتِهِ وَلرَّيْبًا أَبْكِي الْفَصِيحَ الْأَعْجَمَ

وأوصلوا رِقَاعَ شُكُوَاهُمْ ، بِسَرِّ هَوَاهُمْ ، وبرزوا صَفًا ، واستظهروا
بشفعائهم التي ظنوا أنها لا تخفى ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾
(الزمر: ٣) وقد تعينت الأوصاف وتميزت ، وانتبهدت الأصناف وتميزت ،
والعشاق نجت وسلمت ، مذ علمت ، منهم الصَّقُوعُ والمجان ، والخرافيشُ
والبهلوان ، ممن يعول على ذراعِهِ ، وملء كُمَّتَهُ وصَوَاعِهِ ، وطول باعِهِ ،
وصِلَابَةُ طِبَاعِهِ ، وسَكَاظَةُ لِسَانِهِ ، وامتزاج إساءته بإحسانه ، شأنه البحث عن
المحبوب ، مع الشروق والغروب ، والتوصل إلى وَصْلِهِ المطلوب ، بالحركة
الرشيقية واللفظ الخَلُوب ، ومن اتَّسَمَ بِإِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ ، وصحبة الشرار ،

واللسان المهذار ، حُسِبَ من الأغيار ؛ ومنهم بُدَاة ، ليس لهم إلاّ المُنَادمة أَدَّة ،
تعذر عليهم تمييز المحبوب فغلطوا ، وعكفوا على تنزيهه فأفرطوا :
ربما ضرَّ عاشقٌ معشوقاً ومن البرّ ما يكونُ عقوقاً

وغلبت على سجيّتهم السلامة ، ولم تنلهم لعدم الموضّل والمعرّف الملامة ،
وليس للقبول عليهم علامة ؛ ومنهم مَنْ شَعَارَه الحشمة ، ولزيمه العفاف
والعصمة ، أولو الحياء والوقار ، والكتم للأسرار ، ومخالطة الأبرار ، والتوسل
إلى المحبوب بالافتقار ، وصفاء الضمائر من الأكدار ، لا تختلجهم الشواغل ،
ولا يطرّق شرايهم الواغل^١ ، أغنتهم الشواهد عن الدعوى ، وأصمتهم الرضى عن
الشكوى ، وتقسمت معاملاتهم الآداب ، وصحَّ منهم إلى مراتب المراقبة
الانتداب ، والناقد بصير ، وكلام النيات قصير ؛ ومنهم المغلوب الحال ،
المحمول من فوق الرحال ، رَقَصَ وشطّح ، وسكر فافتضح ، فهو بلغ الرفقة ،
وملوع الحرقه ، دعني وعبدني بلغ ، فلأنّه يضحكني سبع مرات في اليوم ؛
ومنهم من لم يأخذه نعت ، ولا تعين له فوق ولا تحت ، ولا حمد ولا مقت ،
ولا حين ولا وقت ، لو نطق لقال : أنا المعدم الموجود ، والشاهد المشهود
﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعُدَتْ ثَمُودُ﴾ (مرد : ٩٥) .

قضى وَصَلَهَا لي ، وابتلاكُم بِحَبَّهَا وهل يأخذُ الإنسانُ غيرَ نصيبه
ولم يكنْ إلا أن خرجت الرقاع ، وفُضِّلَتِ البقاع ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ
مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران : ٢٥) .
فكان في رقعة طائفة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وما كان لبشرٍ
أن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا ، أو مِّنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أو يُرْسِلَ رَسُولًا

١ الواغل : المتطفل على الشراب ، يكتني به عن الدخيل في فريق أهل الحياء من السالكين .

فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴿ (الشورى: ٥١) قلدتم العقل وله طَبَوْرٌ ، ورأيتكم الحركاتِ لا يتناهى لها دور ، وعالم الجزئيات لا يُسْبِرُ له غَوْرٌ ، وَحَوْرُ المعادِ في بعض الفروض لا يكونُ له كَوْرٌ^١ ، ويا شَرَّ ما أصبحتم في المعاد الأول تعتقدونه ، أن جعلتم التصرف في عالم الملك لمن دونه ، قفوا مكانكم ، ولوموا أنفسكم ودعوا شأنكم^٢ .

وكان في أخرى : أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ ارجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴿ (الحديد: ١٣) أساطينَ الحكمة المشرقية ، وفَرَاشِ الأنوار الحقيقية ، دعونا من استكثار الأنوار ، واحتشاد الأطوار ، الحقُّ نورٌ إرشادٍ لا يطيقُ حُسْنَ ذاته ، إلا من ركب ظهر شتاته ، فارفعوا الكلف ، واذكروا مجرى من تقدم وسلف .

وكان في أخرى : أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قُلِ اللّهُ ، ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿ (الأنعام: ٩١) لَمْ تَرَكَوا البراهين على أصلها ، ولا ناسبتهم جنسَ هذه الموضوعات بفصلها ، وأثرتهم شَغْباً طويلاً ، وأوسعتم المُتشابه تأويلاً ، ولم تعتمدوا من العقل دليلاً ، ولا وقفتُم في مجازات العقول قليلاً ، وهَوَلْتُم باصطلاح غيركم تهويلاً ، وادعيتُم الشهود ولم يجعل الله تعالى في الاحتجاج به إلا للأنبياء سبيلاً ، وبنيتُم الحقائق على قياسٍ ونظر ، من غير عين للعقل والنقل ولا أثر :

رُبَّ خِلٍّ أَدَارَ فِيَّ اعْتِقَادًا لَمْ أَكُنْ قَبْلَهُ عَرَفْتُ بَفَنَّةً
حَكَمْتُ نَفْسَهُ عَلَى عِلْمٍ غَيْبِي جَعَلَ اللّهُ بَاطِنِي عِنْدَ ظَنِّهِ

وعسى أن تكونوا ممن أخطأ في اجتهاده فأثيب ، واستغفر فسمع « لا

١ الحور : النقصان ، والكور : التمام .

٢ ق : ولوموا مكانكم والزموا شأنكم .

تَشْرِيبُ » ، فثمرتكم صحيحة ، والمقاصد من التبعة مريجة ، إذا كانت صريحة ، ولولا الافتيات ، لوضحت في ميدان السبق لكم الشّيات ، لكنْ شانكمُ الهديان ، وقُلِّبت منكم بضغفائكم من المتأخرين الأعيان ، كابن قسيٍّ وابن برّجان^١ ، فتبرأوا من أتباعكم المُطيفة ، وأحزابكم المخيفة ، وأخلصوا فعلَ الأنصار يوم قتال بني حنيفة ، وحبّذا الحكم المقتدي ، ومن يهد الله فهو المهتدي ، واكْبَحُوا الألسن عن طلاقها وذلاقتها ، ولا تكلفوا العقولَ فوق طاقتها ، فلا بد من توقيف وتسليم ، وفوق كل ذي علم عليم ، وإذا محيتم فائبتوا ، أو نطق لإنسان فاسكتوا ، ولا ترضوا أن تُكتبوا مع الذين كُبتوا ، ولكم الحظ السني ، والوصل الهني .

وكان في أخرى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وما خَلَقْنَا السَّمَاءَ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ، ما خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الأنبياء : ١٦) ذهب بوجودكم العدم ، وابتلع حدوثكم القديم ، ورضيتم بالإشراف ، في الاستشراف ، والتوغلُ لَتَزِيْمُ الانحراف ، ومن جعل الحسَّ وَهْمًا ، فقد كابر العيان ظلماً ، والعقل الذي غلّطكم هو آلةُ حكمكم ، وأداة علمكم ، والعالم أوثق من أن تكون تمويه راقش ، والوجود المطلق أبسطُ من أن يصير أبا بَرَأَقَش^٢ ، ثمَّ ما لكم والتبجح والتشيع^٣ ، والتعقب والتتبع ، ولم يغن العراك ، ووقع في ثمرتكم الاشتراك ، فالفيلسوف يتحد بالعلة القريبة من الخلق ، ثمَّ يتلاشى في ذات الحق ، والحكيم يَجُوزُ إلى عين الحق رتبة الفناء المطلق ، والمتشرّع قد

١ ابن قسي : ثار في أعقاب دولة المرابطين وتسمى تلك الثورة « ثورة المريدين » وكان شيخاً من مشايخ الصوفية وهو صاحب كتاب خلع النعلين ، وقد انتشرت طريقته بشلب وكثر خوض أتباعه في الكتب التصوفية وموضوعات الغلاة من الباطنية ؛ وأبو الحكم ابن برّجان أيضاً من المتصوفة ، وقد غربه علي بن يوسف اللمتوني وتوفي بمراكش سنة ٥٣٧ (انظر أعمال الأعلام : ٢٤٨ - ٢٥٢) .

٢ أبو بَرَأَقَش : رمز للتلون ، وهو اسم طائر يتنفس فيتنغير لونه .

٣ التشيع : أن يدعي المرء ما لا يحسن .

عضده ونصره ، « كنت سَمْعُه وبَصَرُه » ، وإن كان معظم القول الهذر ،
ففيكم بعدُ نظر .

وكان في أخرى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا
لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (النكبات : ٦٩) أنتم الأحباب ،
ولكم يُفتح من الجنان^١ الأبواب ، ركبتم ظهور الأعمال ، وركب غيركم
ظهور الآمال ، وفزتم بسحب الأذيال ، ومن دونكم يحوك عناكب الخيال ،
فبدايتكم الأساس الوثيق ، الذي يبنى عليه التحقيق ، ونهايتكم إليها ينتهي الطريق ،
وبها يحط فريق الله تعالى ونعم الفريق ، أولكم المقرب المدرب ، وأوسطكم
الفرد المعرب ، وآخركم الولي المقرب ، حضرتكم بذكر محبوبكم حتى غبتم ،
فهنيئاً لكم طبتم ، حواسٌ مسدودة ، وخيوط أفكار كلها ممدودة ، ومشاهد
مشهودة ، ومغلطات تتجاوز حُرَّاسها ، وقواطع معترضة بحلِّ مِرَّاسها ، إلى
أن لا توجد تَقِيَّة ، ولا تبقى بقية ، عند تجلي المعالم الخفية ؛ لو اشتمل العلم على
عملكم ، لكان الكلُّ من هملكم ، بحيث تتعين المراتب وتميز ، وتتقرر
المشارب وتتحيز ، فلا يعترض قاطع إلا وقد علم شأنه ، وتعين وقته ومكانه ،
ولا تمثل غاية إلا ودرجها محدودة ، ومراحلها معدودة ، ومشاهداتها قبل دخول
الطريق مشهودة ، فهناك تُطَوَّى المراحل ، ويلوح في اللّوحة القريبة الساحل ،
ويأمن طول الطريق الواصل .

وكان في رقعة المحبين الذين قربوا قبل هذا اليوم وأدخلوا ، من بعد ما تخيروا
للإصطفاء وانتخلوا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ
وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ،

١ ق : الجناب .

واللهُ سميعٌ عليمٌ ﴿ (آل عمران : ٣٣ ، ٣٤) أنتم الأحياب ، ولباب الألباب ، وبوساطتكم اتصلت بين النفوس وبين الحق الأسباب ، لولاكم لم يُفتح الباب ، فلا يصل إلّا مَنْ أوصلتم ، ولا يُحجب إلّا مَنْ قطعتم وفصلتم ، أنتم الرعاة والخلق الهمل ، وأنتم الدعاة لمن يريد نيلَ الأمل ، مُهدت لكم سُرُرُ القرب تمهيداً ، وبُعِثتم إلى الناس ليوحّدوا الله توحيداً ﴿ ولتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (البقرة : ١٤٣) فطوبى لمن أصاخ منكم إلى نِدا ، واستضاء بنور هُدى ، صلواتُ الله عليكم أبداً ، أنتم أولو الأولوية المعقودة ، والعساكر المحشورة المحشودة ، ورؤساء أهلِ المحبّة ، وأدِلّاء مبتغي الوسيلة والقُرْبَة ، ومسالككم قد بينتها الصحفُ المنزلة ، والملائكة المرسلة ، ودخلت على العِندارى خُدورها ، وعمت السماء وبدورها ، وأغنت عن تقرير نحلها المكاتبُ المائجة بالصبيان ، والسنن المعقودة لها حلق التبيان ، والقواعد المفترضة على الأعيان ، والخزائن المرصوصة بعلوم الأديان ﴿ اليومَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (المائدة : ٣) وقيل لأتباعهم من الجمهور ، وأقطاب فلَكِهم المشهور : على قدر أتباعكم ، مناقل أبواعكم ، وبحسب اقتدائكم ، يكون سماع ندائكم ، والمهادُ لمن وَكَّرَهُ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة : ٧) وتأخيركم في التوقيع هو التقديم ، و« ساقى القوم آخرهم شرباً » مثلٌ قديم ، قال المخبر : فرأيت وجوههم قد تهللت ، ونوّاسم المسرّات نحوهم قد أقبلت ؛ ومَنْ سواهم من خالص وزائف ، بين راجٍ وخائف . وسمعت أن طائفة استدعيت بحثٍ حفيّ ، وأدخلت من باب خفيّ ، قيل لهم : هم أصحاب الخبر المكتوم ، وأرباب المقام غير المعلوم ، جعلنا الله تعالى منهم برحمته :

ولولا الحبُّ ما قَطَعُوا الفيافي ولولا الحبُّ ما قَطَعُوا البحارا
فدَعَوْهُمْ والذي ركبوا إليه وبحثاً عن خلاصك واختبارا

فلا تشغل بحبّ ديار لَيْلى ولكن حبّ من سكن الديارا^١

وقال قبل هذه الخاتمة بعد كلام كثير ما نصّه : وقد أتينا على ما شرطنا من تقرير ما أمكن من هذه الآراء ، وهم ما بين سابق للخيرات ومقتصد وظالم لنفسه ، ومع ذلك مُخَبِّتون ، وعلى آثار الحبيب مُكَبِّتون ، ما كلّ طريقٍ تُوَصِّلُ ، ولا كل تجارة على الربح تحصّل ، ومن العشاق مهجور ومطرود ، وموصل وموعود ، ومغبوط ومحسود ، ومحروم ومَجْدود ، ومرحوم ومردود :

يا غايّتي ، ولكلّ شيء غاية ، والحبّ فيه تأخّرٌ وتقدّمٌ
قلّ لي بأيّ وسيلةٍ يحظى بما يرجوه غيري من رضاك وأحرّم

ورقة : ولكلّ دائرة مفروضة ، وهالة حول قَمَرِ الحق معروضة ، تعود الخطوط من محيطها المُسَدَّد ، إلى مركزها المحدد : فالفيلسوف يروم التثبيت بالعلّة الأولى ، ويعني بها ذات الحق ، أو أن يتحد بالثانية ، وهي مرآة وجه الحق ؛ والإشراق يروم التّجَوُّهُرُ بنور الأنوار المعبر عنه بالحق ، والاتصال به إمّا بواسطة من الحق أو بغير واسطة من الحق ؛ والحكيم أن يؤديه فكره إلى الحق ، ثم يفتى في الحق ، ثم يبقى بالحق ، والمتشرّع أن يُجَنِّ في جنة الحق ، ويحصل على جوار الحق ، وينظر إلى جوار الحق ؛ وصاحب الوَحْدَةِ المطلقة أن يكون المتفرّق عين الحق ، فسبحان الحق ، المعبود بالحق ، الموجد الجمع في الفَرَق ، لا إله إلا هو . وزيد في هذا المحض الذي كثر في قربه الدّعاء^٢ ، وطال على الرؤوس منه الصُّداع ، ما تفرد له المقالة المختصرة ، والعناية الميسرة ، بحول مَنْ لا حول ولا قوّة إلّا به . انتهى .

وقال رحمه الله تعالى في عد ما عدد من فرق الاعتزال ما نصّه :

١ حور قول الشاعر :

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

٢ الدّعاء : العدو فيه بطنه والتواء .

الحُبُّ حَرَّكَهُمْ لِكُلِّ جِدَالٍ والحُبُّ أَقْحَمَهُمْ عَلَى الْأَهْوَالِ
والحُبُّ قَاطَعَ بَيْنَهُمْ وَأَضَلَّهُمْ عَنْ نِيلٍ مَا رَامُوهُ كُلَّ ضَلَالٍ
والحُبُّ أَنْشَأَ فِيهِمْ عَصِيَّةً بِالْقَيْلِ أَضْرَمَ نَارَهَا وَالْقَالَ

ولأنما استكثرنا من ذكرهم عبرة لمن تأمل حركاتِ هذا الفَرَّاشِ المختلفِ
الآراءِ عن دُبَالِ الحقِّ ، يبتغون إليه الوسيلةَ ، قومٌ بالطاعةِ ، وقومٌ بالمعصيةِ ،
وما منهم إلاّ مُدَّعٍ في المحبةِ متهاكٍ ، حريصٌ على السعادةِ بزعمه ﴿وجوه﴾
يوميئُ خاشعةً عاملةً ناصبةً ﴿(الفاشية : ٢)﴾ ممنّ قصد الحقِّ فأخطأه ، وأراد
الصوابَ فضللَ عنه ، واشتهر بالحكمة بعدُ في الملةِ الإسلامية جماعةٌ
بالمشرق والأندلس ، فمن المشاركة : أبو الفرج^١ ، ويعقوب الكندي ،
وحُسَيْنُ بنِ إِسْحَاقَ ، وثابت بن قرّة ، فكان عندهم مباشرتها من حيث الترجمة
والمزاولة ، إلى أن قال : ومن أهل الأندلس : محمد بن مسعدة السرقسطي ،
وأحمد بن طاهر الطُرْطُوشِي ، ويحيى بن عمران القرطبي ، وطُفَيْلُ بنِ
عاصم ، وكَلَيْبُ بنِ همام البياسي ، والحسن بن حرب الداني ، وابن مسرة ،
ومسلمة المجريطي ، وأبو بكر ابن الصائغ ، وأبو بكر ابن طُفَيْلٍ ، وأبو
الوليد ابن رُشْدٍ^٢ ، وكلّ هؤلاء المتقدمين والمتأخرين محب عاشق مستهلك ،
قال الشاعر :

وعليّ أن أسمى وليّ حس عليّ إدراكُ النجاحِ

حَيَارِي يَمِيدُ بِهِمْ شَجْوُهُمْ كَأَنَّهُمْ ارْتَضَعُوا الْخَنْدَرِيسَا

١ أبو الفرج هو عبد الله بن الطيّب وستترجم له بعد صفحات .

٢ قد جمع لسان الدين هنا عدداً من المشتغلين بالحكمة من الأندلسيين وإذا استثنينا آخر خمسة
ذكرهم وجدنا البقية ممن لم يعرفوا معرفة واضحة .

إذا لم يكن عَوْنٌ من الله للفقى أُنْتَه الرزايا من وجوه الفوائد^١
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ، ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ،
إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَذَلِكَ خَلَقَهُمْ ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ (هود : ١١٨) ﴾ فَرِيقًا هَدَى ، وَفَرِيقًا حَقَّ
عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴿ (الأعراف : ٣٠) ﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿ ، قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ، فَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿ (الأنعام : ١٤٩) ﴾ والخلق قد مدوا أَبْصَارَهُمْ وآمَالَهُمْ ، وَتَحَرَّكَوا طَوْعًا
وَكَرْهًا يَعْتَشُونَ إِلَى نَوْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمِنْ أَعْمَى أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ ،
وَأَعْمَى فَقَطْ يَجْتَزِي عَنْ الْعَيَانِ بِالْمَخْبَرِ ، وَأَحُولُ يَبْصُرُ الشَّيْءَ شَيْئِينَ ، وَالوَاحِدَ
اثْنَيْنِ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أحوى الجفون له رقيبٌ أحولُ الشَّيْءُ في إدراكه شَيْئَانِ
فيلوحُ في عينيَّ منه واحدٌ ويلوحُ في عينيه منه اثْنَانِ
يا ليتَه تركَ الذي أنا مبصرٌ وهو المخيرُ في الحبيبِ الثاني
وضعيف لا يبصر من بعيد ، وأجهر لا يبصر من قريب ، وأعشى تكثر في
عينيه الأشعة ، وربما تندر ، وزرقاء اليمامة :

سبحانَ من قَسَمَ الخطو ظَ فلا عتابَ ولا ملامه^٢
أعشى وأعمى ، ثمَّ ذو بصري ، وزرقاء اليمامة
لولا استقامة من هذا هُ لما تبيّنَ العلامة
ومجاورُ الغررِ المخيرِ في له البشارةُ بالسلامه
أقام سبحانه الحجة ، وفرق بين الأمر والإرادة ، وأعطى الكفاية من القدرة
﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد : ٢٦) اقتصرنا من هذا البحرِ

١ البيت لأبي فراس الحمداني ، ديوانه : ٨٣ وفيه : « إذا كان غير الله للمرء عدة » .

٢ قد أورد المقرئ هذه القصيدة في المجلد الأول : ٧ وانظر مقدمة المحقق : ١٤ .

على نقطة ، ومن هذا الودّ قَطْرَةٌ :

ومن يَسُدُّ طريقَ العارضِ الهَطِيلِ^١ ؟

* * *

عَدُّ الحصى والقَطْرِ ليس يُرامُ

وذكرنا الرسل والأنبياء والأتباع ذكرًا من غير تبويب ولا تعيين ، لشياع آرائهم ، والعلم بمقاصد مللهم ، وأغراض دعواتهم ، من توحيد الله تعالى وتنزيهه وصفاته وأسمائه ، وكيف يُحشَرُ الناس ليوم لا ريب فيه ﴿ وَلتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (الجاثية : ٢٢) وتعليم طرق النجاة ، وإيضاح سبيل الله تعالى ، والتحذير من الغفلة عمّن إليه الرجعى ، وله الآخرة والأولى ، والتخويف من كل ما يقطع عنه ، والترغيب فيما يوصل إليه ، وشأن الرياضة والتدريج في أحوالها حتى تنتقل من الظواهر إلى البواطن ، وتسري في الخلف من السلف ، والندب إلى الاقتصار على الضرورة والقناعة بالبلاغ ، وتبين الرسم فيها ، والتعيين لحدودها ، قد تضمنت ذلك كله آياتُ الله التي تكفل بحفظها ، وسنة رسوله التي قيّضَ مناخل الصدق لتصحيح نقلها ، فالمكاتب - والمنّة لله تعالى - ماثجة ، والمدارس حافلة ، فما لنا والإطالة في الموجود الذائع ، والمشهور الشائع :

والشمسُ تكبرُ عن حَلِّي وعن حُلل

* * *

فهى الدراري في التقلیدِ بالدرر

ما أغنى الشمس عن مدحِ المادح ، تحصيلُ الحاصل عتاء ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة : ٣٣) .

فلنذكر بعضَ أرباب الآراء من قريب وبعيد ، وخلق جديد ، على صورة

١ للمتنبى ، وصدّره : وما ثناك كلام الناس عن كرم .

المثال المفروض وليكون كعرض الحبوب الذي تجزى منه الحفنة عن الحفنة ،
والقربة عن القرية^١ ، ونقتصر على اليسير لإقامة الترتيب ، وإحكام التبويب ،
وليرى الواقف عليه أننا قد نفصنا الزوايا ، ورشفنا الروايا ، وامتكنا العظام^٢ ،
واستقصينا النظام ، حرصاً على نشيدة الحق أن تعقل ، وعلى الطباع أن تنقل ،
وعلى المرائي الصديّة أن تصقل ، وعلى صورة النجاة أن تمقل ، ونسأل الله تعالى
هداية توصل إليه ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ؛ انتهى .

وقال رحمه الله تعالى فيما قبل هذا الكلام بكلام ما صورته : غصن المحبين ،
وأصنافهم المرتبين ، ويشتمل على مقدمة بيان ، وستة أفنان .

فالمقدمة . . . فنقول : أصناف المحبين والعشاق كثير ، وهبَاء نثير ،
وجرّاد أثارها مثير ، بحيث يشقّ إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم :
فقلتُ كما شاءت و شاء لها الهوى : قَتِيلُكَ ، قالت : أَيُّهُمْ ؟ فهمُ كَثُرُ^٣ ؟
ثمّ مدّ النفسَ بما لا يقتضي المقام الاختصاري ذكره في هذا الموضع .

وقال رحمه الله تعالى في بعض تراجم الروضة ، وهي الخاتمة التي تنبه النفوس
الصبّة ، على حكم المحبّة ﴿ لَيْسَ هَلَكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ
عَنْ بَيْتَةٍ ﴾ (الأنفال : ٤٢) بعد كلام ما صورته : فِقَر في معنى هذه الخاتمة فيها
حِكَم تنثال ، وتجري مجرى الأمثال :

المحبّة بحر بعيد الشط ، وخطّ الفناء منتهى الخط ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ
— إلخ ﴾ (الأحزاب : ٧٢) .

المحبّة مهووى بعيد ، ومجال وعد ووعد ، مرّجل يغلي ، ثم خيال
يولي ، وليس له حد عليه يعول .

المحبّة ظهر لا يركبه ، مَنْ يرى الموت فيتنكبه ، ولا يعلوه ، مَنْ يأتي

١ يريد أن يائع الحبوب يعرض منها نموذجاً مثل ملء حفنة أو قربة .

٢ امتك العظم : امتص ما في داخله .

٣ البيت لأبي فراس ، ديوانه : ٢١١ .

إلى وادي الفناء فيسلوه ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ (البقرة : ٢٤٩) كم قَصَمَت
المحبة من ظهر ، وكم سرّ صيرت إلى جَهْر ، أولها العار المشهور ، وآخرها
الطي المنشور ، ثم الموت ثم النشور ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ
الكتاب﴾ (الزمر : ٦٩) .

المحبة أنس يستدرج ، ثم شوق يُلجم ويُسرج ، ثم فناء يزعج ، عن
الوجود ويخرج :

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائم

المحبة كاس ، كم جردت من كاس ، وآس ، مَنْ شَمَهُ لم يجد مِنْ آس :

متى أرتجي يوماً شفائي من الضنى إذا كان من يجني عليّ طيبي

تراحم أنفاس المحبين على خَطَرَات الصبّا ، تراحم الهباء على مطارح شعاع
الدّبا ، فلولا بليلها لالتهمت ، وتعليل عليها لتلك الأرقام لذهبت :

عليلةٌ في حواشي مِرْطَها بَلَلٌ يُهْدَى لكلِّ عليلٍ منه إبْلال

المحبة رقة ، ثم فكرة مسترقة ، ثم ذَوْق ، يطير به شَوْق ، ثمَّ وَجَل
لا يبقى معه طَوْق ، ثم لا تحت ولا فَوْق :

أينما كنتُ لا أَخْلُفُ رَحْلاً مَنْ رَأَى فقد رَأَى ورحلي

الهوى هَوَان ، وحيّام له ألوان ، دمع ساجم ، ووجد هاجم ، وهيام
لا يبرح ، ثم وراءه ما لا يُشْرَح :

قال : بَمَنْ جُنَّ؟ وهل في الورى ما يبعثُ الحَبْلَ سوى حبه ؟

مَنْ اقْتَحَمَ بحر الهوى ، هَوَى . لا تدخل في بحر الهوى حتى تشاور صبرك ،
وتجاوز قبرك ، فإن كنت منّا أو فَرَحَ بِسلام .

الهوى طريق ، ولسلوكة فريق . الزاد سر مكتوم ، ووفاء معلوم :

وللميادينِ أبطالٌ لها خلُقوا وللدّواوينِ حُسُابٌ وكتابٌ

الحبُّ حَجٌّ ثانٍ ، لا يَشْنِي نفسَ المريدِ عنهُ ثانٍ ، طريقُهُ التجريدُ ، وزاده
الذكرُ ، وطوافه المعرفةُ ، وإفاضة الفناء ﴿ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَافَاتِ فَاذْكُرُوا ﴾
اللهِ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، واذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ، وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ
قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِّينَ ﴿ (البقرة : ١٩٨) .

الغرامُ ، صعب المَرَامِ ، والدخول فيه حرامٌ ، ما لم يكن فيه شروط كرام .
من عرف ما أخذ ، هان عليه ما ترك ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾
(القصص : ٦٨) ظهر الهوى طريقاً سهلاً ، فكثُر التائهون جهلاً :

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَقِي أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِ الْفَوَائِدِ^١

والعكس :

قَدْ يَجْبَأُ الْمَحْبُوبَ فِي مَكْرُوهِهَا مَنْ يَجْبَأُ الْمَكْرُوهَ فِي الْمَحْبُوبِ^٢

وقال الشيخ^٣ :

هو الحبُّ فاسلمٌ بالحشا ما الهوى سَهْلٌ فما اختاره مُضْنَى بِهِ وَلَهُ عَقْلٌ
وعشٌ خالياً فالحبُّ راحتُه عَنَّا وأولُّهُ سَقَمٌ وآخِرُهُ قَتْلٌ
نصَحْتُكَ علماً بالهوى والذي أرى مخالفي ، فاختر لنفسك ما يحلو
فمن لم يمت في حبه لم يعيش به ودون اجتناء النحل ما جَنَّتِ النحلُ
طريق القوم مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمَوْتِ ، وإليه الإشارة بقوله « موتوا قبل أن
تموتوا » . بيدي لا بيد عَمَرُو ، وقال بعضهم : رأيت ربَّ العزة فقلت : يا ربِّ
بِمَ أَصِلُ إِلَيْكَ ؟ قال : فارق نفسك وتعال :

١ انظر ما تقدم ص : ٣١٠ .

٢ البيت للسان الدين نفسه من بائية طويلة ستأتي عند ذكر شعره .

٣ هو ابن الفارض ، انظر ديوانه : ١٣٤ وديوان الصبابة : ٢٥ .

رَفَضُ السَّوَى فرضٌ على العينِ لا تخلطنَ الحقَّ بالميسرِ
والأينُ والكيفُ سوى ظاهرٍ فاستغنِ عن كيفٍ وعن أينِ

الحشب ، الذي يُتَّخَذُ منه النشب ، ينقسم إلى أقسام ، وأجزاء جسام :
القسم الأول : في الحدود والمعرفات ، والأسماء الواقعة والصفات ^١ .

وللسان الدين رحمه الله تعالى في المواعظ اليدُ الطولى ؛ قال في الروضة في الفصل
الثاني في محركات العزيمة — وهي اليقظة — ما نصّه : قلت : والمحركات المشتركة
في باعث اليقظة كثيرة : منها الوعظ السائق بمقود الشارد عن الله تعالى إلى مَرَبُطِ
التوبة ، ومحرك العزيمة يُرَدِّدُ أذانه على نُؤَامِ أهل الكهف ، وقد ضرب نومُ
الغفلة على آذانهم ، حتى يحول بينهم وبين آذانهم ، ويركبهم ظهر الرياضة التي تُلَحِّقُهم
بالمجدوبين من إخوانهم ، ولما كان حب الدنيا هو المانع عن الشروع في إطلاق
العمل ، والقاطع به بعده لم يجد أساة خبل الهوى وجنون الكسل أنجحَ من رقى
العدل والتأنيب ، وتقبيح المحبوب ، سيما إذا انزعجت نبال نبلة عن حنيات
ضلوع الصدق ، وقال بعضهم : الكلام إذا خرج من القلب دخل القلب :

أوقدِ النارَ من رسالةٍ لَيْلَى واحذرِ السيلَ بعدها من دموعي
ولا تعدلِ الوعظَ البليغَ باللسانِ الفصيح ، والقلبَ القَرِيح ، فإذا رأيت
الأرض قد اهتزت وربّت ، وهضابَ القُلُوبِ القاسية قد تقلبت ، فشمّرُ
للغراس والزراع عن الذراع ، واغتم السراع والإسراع :

إذا هبَّتْ رياحُكَ فاغتمها فإنَّ لكلِّ عاصفةٍ سكونا

حفر لها ماء يريها بدءاً * * * واضمن لها حوضاً وإن لم تحفرِ
واربأ بنفسك عن تسامحِ بائعٍ * * * واغتم إذا سامتك شهوةٌ مشتري

قالوا : الوعظ يضرب وجه النفس عن التثبط في بساط اللذات ، وينقل

١ الحشب . . . والصفات : هذه العبارة مقحمة هنا وقد وردت ص : ٢٩٤ .

خطواتها عن الخطو في ملعب الخطيئات ، ويمثل لها الصبر عياناً ، ويبين العواقب المحجوبة بياناً ، وينشئ سحاب الحزن في أجواف أجزائها ، ويذكرها بما لها وانتهاها ، ويعرض عليها مصارع فنائها ، وخراب بنائها ، وفراق حبايبها وأبنائها ، عند نزول هاذم اللذات بفنائها ، فترجع إلى الله تعالى بحكم الاضطرار أفكارها ، وتخضع من خيفة الله تعالى وجلاله أبصارها .

والوعظ يكون بلسانين ، ويوجد فنين : لسان حال ، ولسان مقال ، وربما كان لسان الحال أبلغ ، وهو يُسمَع من القبور الموحشة ، والقصور الخالية ، والعظام البالية ، وفيه حكايات وأخبار ، ولسان المقال كقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ، وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ (إبراهيم : ٤٥) وهو سبيل الله تعالى التي بعث بها النبيين ، وضمن فصولها الكتاب المبين ، والسوط الذي يحمل على الأوتة ، ويسوق ذود المتطهرين إلى غدير التوبة ، ونحن نجعله هيئمة بين يدي الفراسة ، لتزكية النفوس إن صدق حكم الفراسة ، فمن ذلك ما صدر عني على لسان واعظ :

« الحمد لله الولي الحميد ، المبدئ المعيد ، البعيد في قربه من العبيد ، القريب في بُعدِه فهو أقرب من جبل الوريد ، محيي ربوع العارفين بتحيات حياة التوحيد ، ومغني نفوس الزاهدين بكنوز احتقار الافتقار إلى العرّاض الزهيد ، ومخلص خواطر المحققين من سُجُون دُجُون التقييد ، إلى فُسْح التجريد ، نحمده وله الحمد المنتظمة درره في سلوك الدوام وسموط التأيد ، حمداً من نزه أحكام وحدانيته ، وأعلام فردانيته ، عن مرابط التقليد ، ومخابط الطبع البليد ، ونشكره شكر من افتتح بشكره أبواب المزيد ، ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو شهادة نتخطى بها معالم الخلق إلى حضرة الحق على كبد التفريد ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله قلادة الجيد المجيد ، وهلال العيد ، وقد تكة الحساب وبيت القصيد ، المخصوص بمنشور الإدلال ،

وإقطاع الكمال ، بين مقام المراد ومقام المرید ، الذي جعله السبب الأوصل في نجات الناجي وسعادة السعيد ، وخاطب الخلائق على لسانه الصادق بحجتي الوعد والوعيد ، فكان ممّا أوحى به إليه ، وأنزل الملك به عليه ، من الذكر الحميد ، ليأخذ بالحُجَزِ والأطواق من العذاب الشديد ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ ، ونحن أقربُ إليه من حبل الوريد ﴿ (ق : ١٦) ﴾ إلى قوله (حديد) ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تقوم ببعض حقه الأكيد ، وتسري إلى تربته الزكية من ظهور المواجه الجاثية على البريد^١ :

قعدتُ للتذكير ولو كنتُ منصفاً لذكرتُ نفسي فهي أحوج للذكرى
إذا لم يكنْ مني لنفسي واعظٌ فإليت شعري كيف أفعلُ في الأخرى

آه ! أي وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبابنا يُسمع ؟ وفي ماذا وقد تبين الرشد من الغي يطمع ؟ يا من يعطي ويمنع ، إذا لم تقم الصنعة فماذا نصنع ؟ اجتمعنا بقلوبنا يا من يفرق ويجمع ، ولين حديدنا بنار خشيتك فقد استعاذ نبيك صلى الله عليه وسلم من قلب لا يخشع ، ومن عين لا تدمع ، اعلموا — رحمكم الله — أن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الأقوال والأحوال ، ومن الجُماد والحيوان ، وما أملاه المَلَكُوان^٢ ، فإن الحق نور لا يضره أن يصدر من الخامل ، ولا يقصر بمحموله احتقارُ الخامل ، وأنتم تدرون أنكم في أطوار سفر لا تستقر لها دون الغاية رحلة ، ولا تتأتى معها إقامة ولا مهلة ، من الأَصْلَاب ، إلى الأرحام ، إلى الوجود ، إلى القبور ، إلى النشور ، إلى إحدى داري البقاء ، أفي الله شك ؟ فلو أبصرتُم مُسافراً في البرية يبني ويفرش ، ويمهد ويعرش ، ألم تكونوا تضحكون من جهله ، وتَعْجَبُون من ركافة عقله ؟

١ يريد مواجد المشتاقين إلى زيارة قبره عليه السلام .

٢ الملوك : الليل والنهار .

ووالله ما أموالكم ولا أولادكم وشواغلكم عن الله التي فيها اجتهدكم إلا بقاء سقَرٍ في ققَرٍ ، أو إعراس في ليلة نقَرٍ ، كأنتكم بها مَطْرَحَةٌ تعبر فيها المواشي ، وتنبو العيون عن خبرها المتلاشي ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٢٨) . ما بعد المقيّل إلا الرحيل ، ولا بعد الرحيل إلا المنزل الكريم أو المنزل الويّيل ، وإنكم تستقبلون أهوالاً سكرات الموت بَوَاكِيرٍ حسابها ، وعتبُ أبوابها ، فلو كشف الغطاء عن ذرة منها لذهلت العقول وطاشت الأبواب ، وما كل حقيقة يشرحها الكلام ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (فاطر : ٥) . أفلا أعددتُم لهذه الورطة حيلة ، وأظهرتم للاهتمام بها مَخِيلَةً ؟ أتعوّيلاً على عفوه مع المقاطعة وهو القائل في مقام التهديد ﴿ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ؟ (إبراهيم : ٧) أأمنّا من مَكْرِهِ مع المنابذة ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (الأعراف : ٩٩) أطمعنا في رحمته مع المخالفة وهو يقول ﴿ فَسَأَكْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف : ١٥٦) أمشاقة ومعاندة ﴿ وَمَنْ يُشَاقَّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ؟ (الحشر : ٤) أشككنا في الله ؟ فتعالوا نعيد الحساب ، ونقرر العقد ونتصف بدعوة الحق أو غيرها ، من اليوم تفقد العقائد عند التساهل بالوعيد ، فالعامي يدمي الإصبع الوجعة ، والعارف يضمدها مبدأ العصب :

هكذا هكذا يكون التعامي هكذا هكذا يكون الغرور

﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ، مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (يس : ٣٠) وما عدا عما بدا ؟ ورسولكم الحريص عليكم الرؤوف الرحيم يقول لكم « الكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » فعلام بعد هذا المعول ؟ وماذا يتأول ؟ اتقوا الله سبحانه في نفوسكم وانصحوها ، واغتنموا فُرَصَ الْحَيَاةِ وارْجُوهَا ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِيرِينَ ﴾

(الزمر : ٥٦) وتنادي أخرى ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى : ٤٤) وتستغيث أخرى ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (الأعراف : ٥٣) وتقول أخرى ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِي﴾ (المؤمنون : ٩٩) فرحم الله مَنْ نُظِرَ لِنَفْسِهِ ، قبل غُرُوبِ شَمْسِهِ ، وَقَدَّمَ لَغْدَهُ مِنْ أَمْسِهِ ، وعلم أن الحياة تَجْرُ إلى الموت ، والغفلة تقود إلى الفوت ، والصحة مَرَكِبُ الأَلَمِ ، والشبيبة سفينة تقطع إلى ساحل الهَرَمِ . وإن شاء قال بعد الخطبة : إخواني ، ما هذا التواني ، والكلف بالوجود الفاني عن الدائم الباقي والدهر يقطع الأماني ، وهازم اللذات قد شرع في نقض المباني ؟ ألا معتبر في عالم هذه المعاني ؟ ألا مرتحل عن مغاير هذه المغاني ؟

ألا أُذُنٌ تُصْغِي إِلَيَّ سَمِيعَةً^١ أُلْحِثُهَا بِالصَّدَقِ مَا صَنَعَ الْمَوْتُ
مددتُ لَكُمْ صَوْتِي فَأَوَاهَ حَسْرَةً على ما بدا منكم فلم يسمع الصوت
هو القدرُ الآتي على كلِّ أمة فتوبوا سراعاً قبل أن يقع الفوت

يا كلفاً بما لا يدوم ، يا مَفْتُوناً^١ بغرور الوجود المهدوم ، يا صريعَ جدار
الأجل المهدوم ، يا مشتغلاً ببنیان الطرق قد ظهر المُنَاخُ وَقَرُبَ الْقُدُومُ ،
يا غريقاً في بحار الأمل ما عساك تعوم ، يا معللَ الطعام والشراب ولع السراب ،
لا بد أن تهجر المشروب وتترك المطعوم . دخل سارق الأجل بيت عمرك فسلب
النشاط وأنت تنظر ، وطوى البساط وأنت تكرب ، واقتلع جواهر الجوارح
وقد وقع بك النهب ، ولم يبق إلا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد :

لو خَفَّفَ الوجدُ عَنِّي دعوتُ طالبِ ثاري

﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ (المؤمنون : ١٠٠) كيف التراخي والفوت مع
الأنفاس ينتظر ؟ كيف الأمان وهاجم الموت لا يبقى ولا يَدَّر ؟ كيف الركون
إلى الطمع الفاضح وقد صحَّ الخبر ؟ مَنْ فُكِرَ في كَرَبِ الحُمَارِ تنغصت عنده

١ ق : منبونا .

لذة النبذ ، مَنْ أَحَسَّ بَلَّغَطِ الحريق فوق جداره لم يُصْغ بصوته لنغمة العود ،
مَنْ تيقن بذلَّ العزلة هان عليه ترك الولاية :

ما قامَ خيركَ يا زمان بشرّه أولى لنا ما قتلَ منك وما كفى

أوحى الله سبحانه إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه أن ضع يدك على
مَتْنِ ثور ، فبعدد ما حاذته من شعره تعيش سنين ، فقال : يا ربّ وما بعد ذلك ؟
قال : تموت ، قال يا ربّ فالآن :

رأى الأمر يُفْضِي إلى آخر فصَيَّرَ آخره أولاً

إذا شعرت نفسك بالميل إلى شيء فاعرض عليها غصة فراقه ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنْ بَيْتَةٍ وَيَحْيَا مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيْتَةٍ﴾ (الأنفال : ٤٢) فالمفروح به هو المحزون
عليه ، أين الأحباب ؟ مروا ، فيا ليت شعري أين استقروا ؛ استكانوا والله
واضطروا ، واستغاثوا بأوليائهم ففروا ، وليتهم إذ لم ينفعوا ما ضروا ، فالمنازل
من بعدهم خالية خاوية ، والعروش ذابلة ذاوية ، والعظام من بعد التفاضل
متشابهة متساوية ، والمساكن تندب في أطلالها الذئاب العاوية :

صَحْتُ بِالرَّبْعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَمْضِي الْغَرِيبُ
وَيَجْنِبُ الدَّارِ قَبْرٌ جَدِيدٌ مِنْهُ يُسْتَقِي الْمَكَانُ الْجَدِيدُ
غَاضٌ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ التَّمَاحِي قُلْتُ هَذَا الْقَبْرُ فِيهِ الْحَبِيبُ
لَا تَسْلُ عَنْ رَجْعَتِي كَيْفَ كَانَتْ إِنَّ يَوْمَ الْبَيْنِ يَوْمٌ عَصِيبُ
بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ عَلَّتْ نَفْسِي بَعْدَ الْفِي كُلِّ آتٍ قَرِيبُ

أين المعمّر الخالد ؟ أين الولد أين الوالد ؟ أين الطارف أين الثالث ؟ أين المجادل
أين المجالد ؟ ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم : ٩٨)
وُجُوهٌ علاهن الثرى ، وصحائف تُفَضُّ ، وأعمال على الله تُعرض . بحث الزهاد

والعباد ، والعارفون والأوتاد ، والأنبياء الذين يُهْدَى بهم العباد ، عن سبب الشقاء الذي لا سعادة بعده ، فلم يجدوا إلا البعد عن الله تعالى ، وسببه حب الدنيا « لن تجتمع أمتي على ضلالة » :

هَجَرْتُ حَبَائِي مِنْ أَجْلِ لَيْلٍ فَمَا لِي بَعْدَ لَيْلٍ مِنْ حَبِيبٍ
وَمَاذَا أُرْتَجِي مِنْ وَصْلٍ لَيْلَى سَتَجْزِي بِالْقَطِيعَةِ عَنْ قَرِيبٍ

وقالوا : ما أورد النفسَ المواردَ وفتحَ عليها بابَ الحُتفِ إلا الأملُ ، كلِّما قوِّمتها مَثاقِفُ الحدودِ فَتَحَ لها أركانَ الرخصِ ، كلِّما عقدت صومَ العزيمة أهداها طُرْفَ الغرورِ في أطباقٍ : حتى ، وإذا ، ولكن ، وربما ، فأفرط القلبُ في تقلبيها حتى أفطر :

ما أوبقَ الأنفَسَ إِلَّا الأملُ	وهو غرورٌ ما عليه عَمَلُ
يفرضُ منه الشخصُ وهماً ما له	حالٌ ولا ماضٍ ولا مستقبلُ
ما فوق وجه الأرضِ نفسُ حيةٍ	الا قد انقضَّ عَليها الأجلُ
لو أنهم مِنْ غيرِها قد كَوَّنوا	لامتلاء السهلِ بهم والجبلُ
ما ثمَّ إِلَّا لُقْمٌ قد هَيَّئْتُ	للموتِ ، وهو الأكلُ المستعجلُ
والوعدُ حقٌ والورى في غفلةٍ	قد خودعوا بعاجلٍ وضلُّوا
أين الذين شيدوا واغترسوا	ومهدوا وافترشوا وظلُّوا
أين ذوو الراحة زادت حسرةٌ	إذ جُنُّوا إلى الثرى وانتقلوا
لم تدفعِ الأحبابُ عنهم غيرَ أنْ	بكوا على فراقهم وأعوَّلوا
اللهَ في نفسك أولى مَنْ له	ذخرتَ نصحاً وعتاباً يقبلُ
لا تتركها في عَمَى وحيرةٍ	عن هولٍ ما بين يديها تغفلُ
حقَّرتَ لها الفاني وحاولَ زُهدُها	وشوقَها إلى الذي تستقبلُ
وفدَّ إلى الله بها مضطرةٌ	حتى ترى السيرَ عليها يسهلُ

١ ق : بعد .

هو الفناء والبقاء بعده والله عن حكمته لا يُسألُ
يا قُرَّةَ العينِ ويا حَسْرَتَها يومَ يُوقَى الناسُ ما قد عملُوا

يا طرداء المخالفة ، إنكم مُدْرَكُونَ فاستيقوا باب التوبة ، فإن ربَّ تلك
الدار يجير ولا يجار عليه ، فإذا أمتم فاذكروا الله كما هداكم ، يا طُفَيْلِيَّةَ
الهمّة ، دُسُّوا أنفسكم بزُمرِ التائبين وقد دُعُوا إلى دعوة الحبيب ، فإن لم
يكن أكل فلا أقل من طيب الوليمة ، قال بعض العارفين : إذا عقد التائبون
الصلح مع الله تعالى انتشرت رعايا الطاعة في عمالة الأعمال ﴿ وأشرقَت الأرضُ
بنُورِ ربِّها ووُضِعَ الكتابُ ﴾ (الزمر : ٦٩) . معاني هذا المجلس والله نسيم سحر ،
إذا استنشقه مخمور الغفلة أفاق ، سَعوط هذا الوعظ ينغص إن شاء الله زَكَاةَ
البطالة ، إن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ، لا كسير هذا الكتاب يقلِّب بحكمة
جابر القلوب المنكسرة عَيْنَ مَنْ كان له قلب ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ،
وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ (الأنعام : ٣٦) إلهي دلنا من حيرة يضل فيها — إلا إن
هديت — الدليل ، وأجرنا من غمرة وكيف إلا بإعانتك السبيل ؟ نفوس صدىء
على مرّ الأزمان منها الصَّقيِل ، ونبا بجنوبها عن الحق المقيِل ، وآذان أنهضها
القول الثقيل ، وعثرات لا يقيِلها إلا أنت يا مقيِل العثار يا مقيِل ، أنت حسبنا
ونعم الوكيل ؛ انتهى .

ومن مواعظ لسان الدين رحمه الله سبحانه ما أورده في الروضة لإثر ما سبق ،
إذ قال : إخواني صمَّت الآذان والنداء جهير ، وكذب العيان والمشار إليه
شهير ، أين الملك وأين الظهير ؟ أين الخاصة أين الجماهير ؟ أين القبيل والعشير ؟
أين كسرى بن أردشير ؟ صدق والله الناعي وكذب البشير ، وغشَّ المستشار
واتهم المشير ، وسئل عن الكلِّ فأشار إلى التراب المُشير :

خذ من حياتك للمماتِ الآتي وبتدارِ ما دامَ الزمانُ مُواتي
لا تغترُّ فهو السَّرابُ بقيقه قد خودعَ الماضي بهِ والآتي

يا من يؤملُ واعظاً ومذكراً
هلاًّ اعتبرتَ ويا لها من عيبرةٍ
قف بالبقيعِ ونادٍ في عَرَصاته
درجُوا ولستَ بخالدٍ من بعدهم
والله ما استهلكتَ حَيّاً صارخاً
لا فُوتَ عن دَرَكِ الحِمَامِ هاربٍ
كيف الحياةُ للدارجِ متكلِّفٍ
أسفاً علينا معشرَ الأمواتِ لا
ويغرنا لمعُ السَّرابِ فنغتدي
والله ما نصَّحَ امرءاً من غشّه
يوماً ليوقظهُ من الغفلاتِ
بمدافنِ الآباءِ والأمّاتِ
فلكمُ بها من جيرةٍ وليداتِ
متميزٍ عنهم بوصفِ حياةٍ
إلاّ وأنتَ تُعدُّ في الأمواتِ
والناسُ صرعى معرّكِ الآفاتِ
سنةَ الكرى بمدارجِ الحياتِ
نفكُ عن شُغلٍ بهاكِ وهاتِ
في غفلةٍ عن هاذمِ اللذاتِ
والحقُّ ليسَ بخافتِ المشكاةِ

يا من غدا وراح ، وألف المراح ، يا من شرب الراح ، ممزوجة بالعذب
القراح ، وقعد لعيان صروف الزمان مقعد الأفراح ، كأنتك والله باختلاف
الرياح ، وسماع الصباح ، وهجوم غارة الاجتياح ، فأدبل الخفوت من الارتياح ،
ونُسيت أصوات الغناء برنات الرياح ، وعوضت عُرُرُ النُوبِ القباح ، من غُرر
الوجوه الصُّباح ، وتناولت الجسومَ الناعمة أيدي الاطِّراح ، وتنوسيت العهود
الكريمة بمر المساء عليها والصباح ، وأصبحت كُماة النطاح ، من تحت البطاح ،
ونحملت المهندة والرماح ، ذليلة من بعد الجماح :

ولو كان هَوْلُ الموتِ لا شيءَ بعده لهان علينا الأمرُ واحتقر الهولُ
ولكنه حَشْرٌ ونَشْرٌ وجَنَّةٌ ونارٌ ، وما لا يستقلُّ به القولُ

يا مشتغلاً بداره ورَمَّ جداره ، عن إسراعه إلى النجاة وبِداره ، يا من
صاح بإنذاره شَيْبُ عِذاره ، يا من طَرَفَ^١ عينَ اعتذاره بأقذاره ، يا من قطعه
بُعْدُ مزاره وثِقْلُ أوزاره ، يا معتلفاً^٢ ينتظر هجوم جزّاره ، يا مختلساً للأمانة

١ ق : صرف . ٢ ق : معتلفاً .

يرتقبُ مفتش ما تحت إزاره ، يا من أمعن في خمر الهوى خَفُ من إسكاره ،
يا من خالف مولى رِقَه تَوَقَّ من إنكاره ، يا كلفاً بعارية تُرَدُّ ، يا مفتوناً
بأنفاس تُعَدُّ ، يا معولاً على الإقامة والرحال تُشَدُّ ، كأنني بك وقد أوثق الشدَّ ،
وألصق بالوسادة الخدَّ ، والرجلُ تقبض والأخرى تمدَّ ، واللسان يقول ﴿ يا ليتنا
نُرَدُّ ﴾ (الأنعام : ٢٧) :

إنّا إلى الله وإنّا له ما أشغل الإنسان عن شأنه
يرتاح للأثواب يزهي بها والخيط مغزول لأكفانه
ويخزنُ الفلسَ لورائِهِ مُستنفداً مبلغَ أكوانه
قوَّضُ عن الفاني رجالَ امرئٍ مدَّ إليه عينَ عرفانه
ما ثمَّ إلا مُوقَفٌ زاهدٌ قد وكَّلَ العدلُ بميزانه
مُقَرَّطٌ يَشْقَى بتفريطه ومحسنٌ يُجْزى بإحسانه

يا هذا خفي عليك مَرَضُ اعتقادك فالتبس الشحمُ بالورَم ، جهلت قِيَمُ
المعادن فبيعتَ الشَّبهَ بالذهب ، فَسَدَ حِسُّ^٢ ذوقك فتشكَّهتَ بمحظله ، أين
حرصك من أجلك ؟ أين قولك من عملك ؟ يدركك الحياء من الطفل فتتحامى
حمى الفاحشة في البيت بسببه ، ثم تُواقِعها بعين خالق العين ، ومُقَدِّر الكيف
والأين ، تالله ما فَعَلَ فَعَلَكَ بمعبوده ، مَنْ قَطَعَ بوُجُوده ﴿ ما يَكُونُ مِنْ
نَجْوَى ثَلَاثَةٍ — إلهٍ عليم ﴾ (المجادلة : ٧) تعود عليك مَساعي الجوارح التي
سخرها لك بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، فتبخل منها في سبيله بفلس ،
وأحدُ الأمرين لازم : إمّا التكذيب ، وإمّا الحماقة ، وجمعك بين الحالتين
عجيب ، يرزقك السنين العديدة من غير حق وَجَبَ لك ، وتسبيء الظن به في
يوم ؟ توجب الحق ، وتعتذر بالغفلة ، فما بال التماذي ؟ تعرّف بالذنب فما

١ ق : فيه ، ولعلها « قيمة » .

٢ ق : حسن .

الحجة في الإصرار ؟ ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِيدًا﴾ (الأعراف : ٥٨) يا مدعي النسيان ماذا فعلت بعد التذكير ؟ يا معتدراً بالغفلة أين ثمرة التنبيه ؟ يا مَنْ قطع بالرحيل أين الزاد ؟ يا ذُبابة الحرص كم ذا تلجج في ورطة الشهد ؟ يا نائماً مِلْءَ عينيه حُدُودِ الأجل ؟ قد أنذر ، يا ثملَ الاغترار قُرْبَ خُمَارِ الندم ، تدّعي الخلق بالصنائع وتجهل هذا القدر ، تبذل النصيح لغيرك وتغش نفسك هذا الغش ، اندمَلْ جرحُ توبتك على عَظْمٍ ، قام بناء عزمتك على رمل ، نبتت خضراء دَعَوَتِكَ على دِمْنَةٍ ، عَقِدْتَ كَفْلَكَ من الحق على قَبْضَةِ ماء ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (فاطر : ٨) إذا غام جو هذا المجلس ، وابتدأ رش غمام الدموع ، قالت النفس الأمّارة : حوالينا لا علينا ، فدالت رياح الغفلة ، وسحابُ الصيف هفاف ، كلما شدّ طفل العزيمة على دِرَّةِ التوبة صانعتَه ظنُّ الشهوة عن ذلك بعصفور ، إذا ضيق الخوف فُسِّحَتِ المهل سرق الأمل حدود الجار ، قال بعض الفضلاء : كانوا إذا فقدوا قلوبهم ، تفقدوا مطلوبهم ، ولو صدق الواعظُ لأثر ، اللهم لا أكثر :

طبيبٌ يداوي الناسَ وهو عليلٌ

والخطب جليل ، والمتفطن قليل ، فهل إلى الخلاص سبيل ؟ اللهم انظر إلينا بعين رحمتك التي وسعت الأشياء ، وشملت الأموات والأحياء ، يا دليلَ الخائرين دُلَّنَا ، يا عزيز ارحم دُلَّنَا ، يا وليَّ من لا وليَّ له كُنْ لنا كلِّنا ، إن أعرضتَ عنا فمن لنا ؟ نحن المذنبون وأنت غفار الذنوب ، فقلِّبْ قلوبنا يا مقلبَ القلوب ، واسترْ عيوبنا يا ستارَ العيوب ، يا أمل الطالب ويا غاية المطلوب ؛ انتهى .

ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى في المواعظ ما خاطب به بعض من استدعى منه الموعظة ، ونصّه :

إذا لم أنح يوماً على نفسي التي بجرّائها أحببت كلّ حبيب
وقد صحّ عندي أنّ عادية الردى تدبُّ لها والله كلّ ديب
فمتنّذا الذي يبكي عليها بأدمعي إذا كنتُ موصوفاً برأي لبّيب

كم قد نظرت إلى حبيب تغار من إرسال طرفك بكتاب الهوى إلى إنسانه ،
وقد ذبلت بالسقم نرجسة لحظه ، وذوّت وردة خدّه ، واصفرت لمغيب الفراق
شمسُ حسنه ، وهو يجود بنفسه التي كان يبخلُ منها بالنفس ، يخاطب بلسان
حاله مترجماً : « وليت الفجل يهضمُ نفسه » ، وأنت على أثر مسحبه إلى دسّت
الحكم ﴿ وما أدري ما يُفعلُ بي ولا بيكم ﴾ (الأحقاف : ٩) .
ومنها : تالله لو لم يكن المخبر صادقاً لنشب بحلق العيش بعده شوكة الشك :

ولو أنّا إذا متنا تركنا لكان الموتُ راحةً كلّ حيٍّ
ولكنّا إذا متنا بُعِثنا ونُسأل بعده عن كلّ شيءٍ

فالحازم من بتر الآمال طوعاً ، وقال : بيدي لا بيد عمرو ﴿ يا أيّها
الناسُ إنّ وعدَ الله حقٌّ فلا تغرّركمُ الحياةُ الدُّنيا ولا يغرّركمُ بالله
الغرور ﴾ (فاطر : ه) .
وقال أمير الوعاظ رحمه الله تعالى :

وبضدّها تبيّنُ الأشياءُ^١

يا مقتولاً ما له طالب ثار ، بريدُ الموت مُطلّقُ الأعينِ في طلبك ، وما
يحميك حصن ، ثوبُ حياتك منسوج من طاقات أنفاسك ، والأنفاس تستلب
ذرات ذاتك ، وحركات الزمان قويّة في النسيج الضعيف ، فيا سرّعة التمزق ،
يا رابطاً مناه بخيط الأمل ، إنّه ضعيف القتل ، صياد التلف قد بثّ الصقور ،
وأرسل العقّبان ، ونصّب الأشرار ، وقطع المواد ، فكيف السلامة ؟ تهيأ

١ عجز بيت المتنبي ، صدره : « وتذمهم وبهم عرفنا فضله » .

لِسُرْعَةِ الموتِ وأشدَّ منها قلب القلب ، ليت شعري لما يؤول الأمر ؟
فوالله لا أدري أَيَغْلِبُنِي الهوى إذا جَدَّ جَدُّ البين أم أنا غالبُهُ
فإن أستطعُ أَغْلِبُ وإن يغلب الهوى فَمِثْلُ الذي لا قِيَتُ يُغْلِبُ صاحِبُهُ
مركبُ الحياة يجري في بحرِ البدن برُخاءِ الأنفاس ، ولا بدَّ من عاصف قاصف
بفُلْكه ويغرق الركاب :

فاقضوا مآربكم عِجَالاً إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ من الأسفار^١

وقال : كأنك بحرب التلف قد قامت على ساق ، وانهزمت جنود الأمل ،
وإذا بملك الموت قد بارز الروحَ يجذبها بخطاطيف الشدائد من قِنانِ العروق ،
وقد شد كتافَ الذبيح ، وحرار البصر لشدة الهول ، وملائكة الرحمة عن اليمين
قد فتحو أبوابَ الجنة ، وملائكة العذاب عن اليسار قد فتحو أبواب النار ،
وجميع المخلوقات تستوكف الخبر ، والكون كله قد فاء على صيحة : سَعِدَ
فلان ، أو شقي فلان ، فهناك تنجلي أبصار الذين كانت أعينهم في غطاء عن
ذكرى . ويحك ! تهيأ لتلك الساعة ، حصِّل زاداً قبل الفوت :

تمتَّع من شميم عَرَّارِ نجدٍ فَمَا بعدَ العشيَّة من عَرَّارِ

مَثَلُ لعينيك سُرْعَةُ الموت ، وما قد عزمت أن تفعل حينئذٍ في وقت الأسر
فافعله في وقت الإطلاق ، وقال أبو العتاهية^٢ :

خَانَكَ الطرف اتَّئِدُ^٣ أَيُّهَا القلبُ الجموحُ
فَدَوَاعِي الخَيْرِ والشرِّ دُنُوٌّ وَنَزْوُ
كَيْفَ لِإِصْلَاحِ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ

١ البيت لأبي الحسن التهامي ، من قصيدته « حكم المنية في البرية جاري » ، ديوانه : ٢٨ .

٢ ديوان أبي العتاهية : ٩٧ .

٣ الديوان : الطموح .

أَحْسَنَ اللهُ بِنَا أَنْ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمَشْهُورُ مِنَّا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ فَضُوحُ
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طَوِيتُ عَنْهُ الْكُشُوحُ
صَاحٍ مِنْهُ بِرَحِيلٍ طَائِرُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
مُوتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ ضَرَّ عَلَى بَعْضٍ فَتُوحُ
سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ عَلِمَ الْمَوْتَ يَلُوحُ
كَلَّمْنَا فِي غَفْلَةٍ وَالْ لَدَهْرٍ يَغْدُو وَيَرُوحُ
لَبْنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْ يَا غَبُوقُ وَصَبُوحُ
رُحْنٌ فِي الْوُشْيِ وَأَصْبَحَ مِنْ عَلَيْهِنَّ الْمُسُوحُ
كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْرِ رَ لَهْ يَوْمًا نَطُوحُ
نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مَسْ كَيْنُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
لَتَنُوحَنَّ وَلَوْ عُمٌّ رَتَ مَا عُمَرَ نُوحُ

وقال في المعنى ١ :

لَمَنْ طَلَّلَ أَسْأَلُهُ مُعْطَلَةٌ مَنَاهِلُهُ
غَدَاةَ رَأَيْتُهُ تَنْعَى أَعَالِيَهُ أَسَافِلُهُ
وَكُنْتُ أَرَاهُ مَأْهُولًا وَلَكِنْ بَادَ أَهْلُهُ
وَكُلُّ لَاعْتِسَافٍ لَدَهْرِ رِ مُعْرِضَةٍ مَقَاتِلُهُ
وَمَا مُتَمَلِّكٌ إِلَّا وَرَيْبُ الدَّهْرِ شَامِلُهُ
فِيصْرَعُ مِنْ يَصَارَعُهُ وَيَتَنَضَّلُ مِنْ يُنَاضِلُهُ
يَنَازِلُ مِنْ يَهْمُ بِهِ وَأَحْيَانًا يُخَاطِلُهُ

١ ديوانه : ٣٢٧ .

٢ الديوان : وما من مسلك .

وأحياناً يؤخّره
كفالك به إذا نزلت
وكم قد عزّ من ملك
ويثني عطّفه مَرَحاً
فلما أن أتاه الحقُّ
فخفّض^٢ عينه للمو
فما لبث السّياق به
فجهزه إلى جدث
ويصبح شاحط المئوى
مخمّشة نوادبسه
وكم قد طال من أمل
رأيت الحق لا يخفى
لا فانظر لنفسك أي
لمزل وحدة بين ال
قصير السّمك قدرضمت^٣
بعيد تجاور الجيرا
أأيتها المقابر في
ومن كنا نتاجرهُ
ومن كنا نُعاشرهُ
ومن كنا نُشاربه

وتارات يعاجله
على قوم كلاله
تحفّ به قبائله
وتعجبه شائله
ولّى عنه باطله
ت واسترخت مفاصله
إلى أن جاء غاسله
سيكتر فيه خاذله
مفجعة ثواكله
مسلّبة حلائله
فلّم يدركه آمله
ولا تخفى شواكله
زاد أنت حامله
مقابر أنت نازلّه
عليك به جتادلّه
ن ضيقة مدّاخله
لك من كنا ننازلّه
ومن كنا نعامله
ومن كنا نداخله
ومن كنا نُؤاكله

١ الديوان : قنابله .

٢ الديوان : فغض .

٣ الديوان : رصت .

وَمَنْ كُنَّا نُفَاخِرُهُ وَمَنْ كُنَّا نُطَاوِلُهُ
 وَمَنْ كُنَّا نَرَاقِبُهُ وَمَنْ كُنَّا نُزَايِلُهُ
 وَمَنْ كُنَّا نُكَارِمُهُ وَمَنْ كُنَّا نَجَامِلُهُ
 وَمَنْ كُنَّا لَهُ الْفَأْ قَلِيلًا مَا نُزَايِلُهُ^١
 وَمَنْ كُنَّا لَهُ بِالْأَمِّ سِ إِخْوَانًا نَوَاصِلُهُ^٢
 فَحَلَّ مُحَلَّةً مَنْ حَلَّ هَا صُرِمَتْ حَبَائِلُهُ
 أَلَا إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَذَّ هَلُّ وَالْخَلْقُ نَاهِلُهُ
 أَوَاخِرُ مَنْ تَرَى تَفْنَى كَمَا فَنِيَتْ أَوَائِلُهُ
 لِعَمْرِكَ مَا اسْتَوَى فِي الْأَمِّ سِرِّ عَالِمُهُ وَجَاهِلُهُ
 لِيَعْلَمَ كُلُّ ذِي عَمَلٍ بِأَنَّ اللَّهَ سَائِلُهُ
 فَأَسْرَعَ فَائِزًا بِالْخَيْبِ سِرِّ قَائِلُهُ وَفَاعِلُهُ

ثم قال لسان الدين رحمه الله تعالى ، بعد ما سبق ، ما صورته : وهذا الغرض
 بحر ، ويكفي من خزائنه عرض ، ومن بيت ماله قرص ، إن شاء الله تعالى .
 ثم قال : تنبيه يشتمل على سؤالين : أحدهما أن يقال : الوعظ غير مناسب
 للمحبة ، إذ لا يحصل إلا بعد الفراغ واليقظة ، الثاني : أن يقال : عظمتم الحسرة
 لفراق عالم الحس ، وأطلتم في قشور ، فنجيب عن الأول : إننا لم نجلب الوعظ
 إلا بين يدي تأميل حضور المحبة ، فكأنه يجري مجرى الأسباب ، فإن الغرض
 به وجهة النفس من جو السرور ، واللعب بالزور ، إلى جو الحزن والارتماض ،
 ومن هنالك تأخذ بخطامها أيدي الاضطرار ، فتحصل اليقظة ثم التوبة ، ومنها
 يستقيم الطريق في منازل السائرين إلى الحق :

١ ق : نزاوله ، والتصويب عن الديوان .

٢ الديوان : ومن كنا بلا مين أحاييناً ...

والنفسُ راغبةٌ إذا رَغِبَتْها وإذا تُرِدُّ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ^١

وعند ذلك يُطَوِّى بساط الزجر والوعظ^٢ ، ويمدّ بساط الاعتبار والحب ،
إن شاء الله تعالى ، فإنّها كالثَّكْلِي بطبعها لما فارقتَه من عنصر نور الله تعالى
والعوالم الروحانية التي هي الشعار والدثار ، والأمل والدار ، والحياة والجمال ،
والوجود والكمال ، وإن كانت لا تشعر بالسبب ، ولا تستحضر ذكر العلّة ،
فإذا ذُكر الفراق أنّتْ ، أو تُنوشدت الآثار حنّتْ ، ويطرقها الحزن عند
الألحان الشجية ، وتحس بعض الأحيان بالمواجد العشقية :

وقالوا أتبكي كلَّ قبرٍ رأيتهُ لقبر ثوى بين اللّوى والدكادك^٣
فقلت لهم : إن الأسى يبعث الأسى دعوني فهذا كلّ قبر مالكِ

وعن الثاني : إن كثيراً من النفوس لا تشعر بوجود عالم الحس ، فضلاً عن النظر
فيه ، وإن شعرت بذلك عد منها نبلاً ، ومنْ كان بهذه المثابة لا سبيل لندائه
إلا من باب القشور ﴿أولئك يُنادَوْنَ من مكانٍ بعيدٍ﴾ (فصلت : ٤٤) إلى أن
يتأثى النداء من باب الله تعالى بفضل الله تعالى ، فالنفوس الشخصية غير متساوية ،
وهي بهوى الهوى هاوية ، فالقريبُ منها يُجذبُ بالأنامل ، والبعيدُ بالجزل
الكوامل ، وعلى قدر المحمول تكون قوّة الحامل :

يضع الهِناء مواضع النقب^٤

يكفي اللَّيْبَ إشارةً مكتومةً وسواه يدعى بالنداء العالي
وسواهما بالزجر من قبل العصا ثمَّ العصا هي رابعُ الأحوالِ

١ لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ١١ .

٢ والوعظ : سقطت من ق .

٣ البيتان لمتعم بن نيرة في رثاء أخيه مالك .

٤ من أمثالهم ؛ وهو شطر بيت لدريد بن الصمة ، وصدره : « متبذلاً تبدو محاسنه » .

وقال رحمه الله تعالى في فصل ذم الكسل ، ما صورته : ونحن نجلب بعض الأمثال في ذمه ، مما يسهل حفظه ، ويجب لحظه ، فمن ذلك : الكسل مزلة للريح ، ومسخرة الصبح . إذا رقدت النفس في فراش الكسل استغرقها نوم الغفلة ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك : ١٠) . الندامة في الكسل كالسم في العسل . الكسل آفة الصنائع ، وأرضة في البضائع . العجز والكسل ، يفتحان الحمول ولا تسهل . الفلاح إذا ملَّ الحركة ، عدم البركة :

ظهران لا يُبْلِغانِ المرءَ إن رُكبا باب السعادة : ظهر العجز، والكسلُ

وفي اغتنام الأيام : من أضاع الفرصة ، تجرع الغصة . إن كان لك من الزمان شيء فالحال ، وما سواه فمُحال . تارك أمره إلى غد ، لا يُفلح للأبد . الإنسان ابنُ ساعته ، فليُحطِّطْها من إضاعته . التسويف سُمُّ الأعمال ، وعدوُّ الكمال . لم يُحرِّمِ المُبادر ، إلّا في النادر . ما درجت أفرأخُ ذلِّ إلا من وكثر طماعة ، ولا بسَقَّتْ فروعُ ندمٍ إلّا من جرثومة إضاعته . العزم سوق ، والتاجر الجسور مرزوق . مَنْ وثق بعهد الزمان ، علقت يدها بجبل الحرمان . الربح في ضمن الخسارة ، والمضيق أولى بالخسارة .

ومن أمثالهم - في نظر الإنسان لنفسه ، قبل غروب شمسهِ - قولهم : اعلم أن كلَّ حكيم صانع إذا فكر في أمره ونظر في العواقب علم أنه لا بد يوماً أن يخرب دكانه الذي هو محل بضاعته ، وتنحل أنقاضه ، وتكل أدواته ، وتضعف قوّته ، وتذهب أيام شبابه ، فمن بادر واجتهد قبل خراب الدكان ، واستغنى عن السعي ، فإنه لا يحتاج بعد ذلك إلى دكان آخر ، ولا إلى أدوات مجددة ، فليتنجر بما اقتناه ويشغل بالانتفاع والالتذاذ بما كسبت يده ، وهذه حالة النفس بعد خراب الجسد ، فبادر واجتهد واحرص واستعجل ، وتروّد قبل

خراب دكانك وهدم بنيته ، فإن خير الزاد التقوى ، قال حسّان^١ :

إذا أنْتَ لم ترحل بزاد من التَّقَى وأبصرت بعد اليوم من قد تزوّدا
نَدِمْتَ على أن لا تكون كمثلِهِ ولم تَتَرَصَّد مثلَ ما كان أرصدا

قال أبو الفرج ابن الطيب البغدادي^٢ في اغتنام الوقت في كتابه « في السياسة والآراء الفاضلة » : يجب أن تعيد وتمثّل ، فإن الفكر مضطرب متشوّش بكثرة نوازع النفس واختلاف قُواها ، والعمى في بعض الأوقات ، فإذا سنع للنفس وقتاً فاضلاً بصفاء جوهرها ، وأبرمت قانوناً أو صورة متوسطة فاضلة ، يجب أن يقيد بذلك وقت سعد ربما لا يعاود أو يعاود ؛ انتهى .

٧٦ — ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ما كتب به على لسان سلطانه إلى شيخ الموحّدين بتونس ابن تافراجين ، يخبره بالتمحيص الجاري عليه ، ونصّه : « من أمير المسلمين أيده الله ونصّره ، وأعلى أمره وأظهره ، إلى ولينا في الله تعالى الذي له القَدَم الرفيع المناصب ، والمجد السامي الذوائب ، والسياسة التي أخبرها سَمَرُ الركبان وحدّو الركائب ، الشيخ الجليل الكبير ، الشهير الخطير ، الهمام الأمضى ، الرفيع الأعلى ، الأجدد الأوحد ، الأسعد الأصعد ، الأوفى الظاهر الطاهر الفاضل الباسل الأرضي الأنقى المعظم الموقر المبرور ، علّم الأعلام ، سلالة أكابر أصحاب الإمام ، مُعيد دولة التوحيد إلى الانتظام ، أبي محمد عبد الله ابن الشيخ الجليل الكبير الشهير الماجد الخطير الرفيع الأسعد

١ كذا والمشهور أن هذين البيتين من قصيدة الأعشى التي نظمها في مدح الرسول وحالت قريش بينه وبين الوفاة عليه ، ومطلعها « ألم تقتض عينك ليلة أرمدا » .
٢ أبو الفرج عبد الله بن العليّ عراقي فيلسوف اعتنى بشرح الكتب القديمة في المنطق والحكمة من تأليف أرسطوطاليس وكتب جالينوس الطبية (قيل توفي سنة ٤٣٥) ومن تلامذته ابن بطالان (القفطي : ٢٢٣ ، وابن أبي أصيبعة ١ : ٢٣٩) .

الأجد الحسيب الأصيل الأمضى الأرضى الأفضل الأكل المعظم المقدس^١ المرحوم
أبي العباس تافراجين ، وصلّ الله تعالى له عزّة تناسب شهرة فضله ؛ وسعادة
تتكفل له في الدارين برفعة محله : سلام كريم يخص مجادتكم الفاضلة ، وربتكم
الحافلة ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

« أمّا بعد حمدٍ الذي يُمَحَّصُ ليشيب ، ويأمر بالاستقالة ليُجيب ،
ويُعْقِبَ ليلَ الشدة بصبح الفرج القريب ، ويخني من شجر التوكل عليه ،
والتسليم إليه ، ثمر الصنع العجيب ، ويظهر العبر مهما كسر ثم جَبَرَ لكل ذي
قلب منيب ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي نلجأ إلى ظل شفاعته
في اليوم العصيب ، ونستظهر بجاهه على جهاد عبدة الصليب ، ونستكثر عدد
بركاته في هذا الثغر الغريب ، ونصُول منه على العدو بالحبيب ، والرضى عن
آله وصحبه نجوم الهداية من بعد الأمانة من الأفول والمغيب ، فإنّا كتبناه
إليكم — كتب الله لكم عزّة متصلة ، وعِصْمة بالأمان من نُوب الزمان متكفلة —
من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ، ولا زائد بفضل الله تعالى الذي لطف
وجَبَرَ ، وأظهر في الإقالة وحسن الإدالة العيبر ، ممّن كتب الله تعالى له العقبي
لما صَبَرَ ، إلا الخبرُ الذي كسا الأعطاف الحبر ، والصنع الذي صدّق خبره
الخبر ، والحمد لله تعالى كثيراً كما هو أهله فلا فضل إلاّ فضله ، ولمكانتكم
عندنا المحلّ الذي قررت شهرة فضلكم قواعده ، وأعلت مصاعده ، وأثبت التواتر
شواهد ، إذ لا نزال نتحف بسيركم التي في التدبيرات تُقْتَفَى ، وعلم يُسْتَرشد به
إذا العلم اختفى ، والسبيل عفا ، وإن تلك الدولة بكم استقام أودّها ، وقامت
والحمد لله عُمْدُها ، وإنكم رعيتم في البنين حقوق آبائنا ، وحفظتم عليها ميراث
عليائها ، ولو لم تتصل بنا أنباؤكم الحميدة ، وآراؤكم السديدة ، بما يفيد العلم
بفضل ذاتكم ، ويُغْري قوى الاستحسان بصفاتكم ، لغبطنا بمخاطبتكم

ومفاتحتكم ، ما نجدُهُ من الميل لكم طبعاً وجبيلةً ، من غير أن نعتبر سبباً أو عيلةً ، فالتعارف بين الأرواح لا يُنكّر ، والحديث الكريم يؤيد من ذلك ما يُنقل ويُدكّر^١ .

«وبحسب ذلك نطلعكم على غريب ما جرى به في ملكنا القدر ، وحيث بلغ الورد وكيف كان الصّدّر ، وربما اتصلت بكم الحادثة التي أكفأها على دار ملكنا من لم يعرف غير نعمتها غاذياً ، ولا برح في جوانب إحسانها رائجاً وغاذياً ، يتيم حجرها الكافل ، ورضيع درّها الحافل ، الشقي الخاسر ، الحائن الغادر ، محمد بن إسماعيل بن محمد المستجير بنسبنا من لؤم غدره ، الخفية عنا حيلُ مكره لخمول قدره ، إذ دّعاه محتومُ الحين ليهلك إلى أن يهلك ، وسوّلت له نفسه الأمانة بالسوء أن يملك أنحانا الخاسر ثم يملك ، وسبحان الذي يقول ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود : ٤٦) ، وكيف تم له ما أبرمه من تسوّر الأسوار ، واقتحام البوّار ، وتملك الدار ، والاستيلاء على قطب المدار ، وأننا كننفتنا عصمةُ الله تعالى بمتحولنا الذي كان به ليلتئذٍ محل ثوائنا ، وكفّت القدرة الإلهية أكفّ أعدائنا ، وخلصنا غيلاً بحالٍ انفرادٍ إلاّ من عناية [الله] ونعم الرفيق ، وصدّق اللّجّل إلى رحمة الله تعالى التي ساحتها عن مثلنا لا تضيق ، مهما^٢ تنكّر الزمان أو تفرق الفريق ، وشرذمةُ الغدر تأخذ علينا كلّ فج عميق ، حتى أويّنا من مدينة وادي آش إلى الجبل العاصم ، والحجة المرغمة أنفَ المخاصم ، ثم أجزّنا البحر بعد معاناة خطوب ، وتجهّم من الدهر وقطوب ، وبلا الله هذا الوطنَ بمن لا يرجو الله وقاراً ، ولا يألُو شعائره المعظمة احتقاراً ، فأضرمه ناراً ، وجلّل وجوهه خزيّاً وعاراً ، حتى هتك الباطل حِمَاه ، وغير اسمه ومُسَمَاه ، وبدّد حاميته المتخيرة وشدّ بها ، وسخّم دواوينه التي تحصّها الترتيب والتجريبُ وهذّبها ، وأهلك نفوسها وأموالها ، وأساء لولا

١ يشير إلى الحديث «الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف . . . إلخ» .

٢ ق : فمهما .

تَدَارِكُ اللهَ تعالى أحوالها .

«ولمّا تأذن جلّ جلاله في إقالة العِثَار ، ودرك الثَّار ، وأنشأت نواسمَ رضاه
إدامة الاستغفار ، ورأينا قلادة الإسلام قد آن انتشارها ، والملة الحنيفة كادت
تذهب آثارها ، ومسائل الخلاف يتعدد مثارها ، وجعلت الملتان نحونا تشير ،
والملك يأمل أن يوافيه بقدمونا البشير ، تحركنا حركة خفيفة تشعر أنّها حركة
الفتح ، ونهضنا نبندر ما كتب الله تعالى من المنح ، وقد امتعض لنا الكونُ بما
حمل ، واستخدم الفلّك نفسه بمشيئته تعالى واكتمل ، وكاد يقرب لقرى ضيفنا
الثورُ والحمل ، وظاهرنا محلُّ أئحينا السلطان الكبير الرفيع المعظم المقدس أبي
سالم الذي كان وطنه مأوى الجنوح ، ومهَبَّ النصر الممنوح — رحمة الله تعالى
عليه — مظاهرةً مثله من الملوك الأعظم ، وختم الجميل بالجميل والأعمال
بالخواتم ، وأنفَ حتى عدوُّ الدين لنعمتنا المكفورة ، وحقوقنا المحجوبة المستورة ،
فأصبح بعد العدوّ جيباً ، وعاد بعد الإبابة مُنيباً ، وسَخَّر أساطيله تحضيضاً على
الإجازة وترغيباً ، واستقبلنا البلاد وبحر البشر يزخر مَوْجُه ، ومملك الإسلام قد
خرَّ على الخضيض أَوْجُه ، والرومُ مستوليةٌ على الثغور ، وقد ساءت ظنون
المؤمنين بالعقبي ولله عاقبة الأمور ، والخبيثُ الغادر الذي كان يموّه بالإقدام قد
ظهر كذب دَعْوَاه ، وهان مَثْوَاه ، وتورط في أشراكِ المندمة تورطَ مثله
ممن اتَّبَعَ هواه ، وجحد نعمة مولاه ، فلولا أن الله ، عزّ وجلّ ، تدارك
جزيرة الأندلس بركابنا ، وعاجل أوارها بانسكابنا ، لكانت القاضية ، ولم ترَ لها
من بعد تلك الريح العقيم من باقية ، لكننا والفضل لله تعالى رفعنا عنها وطأةَ
العدوِّ وقد ناء بكلكل ، وابتزنا منها أيّ مشربٍ ومأكَل ، واعتزنا عليه
بالله تعالى الذي يعز ويذل ، ويهدي ويضل ، فلم نسأله في شرطٍ يجرُّ غَضاضةً ،
ولا يخلِّف في القلوب مضاضةً ، وخَضُّنا بحر الهَوَل ، وبرثنا إلى الله تعالى ربنا
عن القوة والحَوَل ، وظهرت للمسلمين ثمرة سريرتنا ، وما بذلنا في مصانعة

العدو عن الإجهاز عليهم من حسن سيرتنا ، فقويت فينا أطماعُهم ، وانعقد على التحرُّم بنا لإجماعهم .

«وقصدنا مالتقة بعد أن انثالت الجهة الغربية ، وأذعنت المعازل الأبيّة ، فيسر الله تعالى فتحها ، وهياً منحها ، ثمّ توالّت البيّعات ، وصرخت بمآذن البلاد الدُّعاة ، واضطرب أمر الخائن وقد دلفت المخاوف إليه ، وحسب كلّ صبيحة عليه ، فاقتضت نعامته الشائلة ، ودولة بغيه الزائلة ، وآراؤه الفائلة ، أن ضم ما أمكنه من ذخيرة مكنونة ، وآلة للملك مَصُونَة ، واستركب أوباشه الذين استباح الحقّ دماءهم ، وعرف الخلق اعتزاءهم للغدر وانتماهم ، وقصد سلطان قشتالة من غير عهد ولا وثيقة ، ولا مثلى طريقة ، ولا شيمة بالرعيّ خليلة ، لكن الله ، عزّ وجل ، حمّله على قدمه ، لإراقة دمه ، وزين الوجود بعدمه ، فليحين قدومه عليه راجياً أن يستفيّزه بعرض ، أو يحيل صحّة عقده المبرم إلى مَرَض ، ومؤملاً هو وشيعته الغادرة كرامة على الإسلام مُجهّزة ، ونصرة لمواعيد الشيطان مُنْجِزة ، تقبّض عليه وعلى شيعته ، وصمّ عن سماع خديعته ، وأفحش بهم المثلة ، وأساء بحسن رأيه فيهم القِتلة ، فأراح الله تعالى بلبادتهم نفوس العباد ، وأحيا بهلاكهم أرواق البلاد .

«وحشّنا السير إلى دار ملكنا فدخّلناها في اليوم الأغر المحجّل ، وحصلنا منها على الفتح الإلهي المعجّل ، وعدنا إلى الأريكة التي نبا بنا عنها التمحيصُ فما حسبناه إلاّ سراراً أعقبه الكمال ، ومرضاً عاجله الإبلال ، فثابت للدين الآمال ، ونجحت الأعمال ، وبذلنا في الناس من العفو ما غفّر الذنوب ، وجبّر القلوب ، وأشعنا العفو في القريب والقاصي ، وألبسنا المريب ثوب البري ، وتألفنا الشارد ، وأعذبنا الموارد ، وأجرينا العوائد ، وأسّيننا الفوائد ، إلا ما كان من شرّذمة عظمت جرّاءهم ، وخبّثت في معاملة الله تعالى سرائرهم ، وعُرف شؤمهم ، وصدق من يلوّمهم ، فأقصيناهم وشرّدناهم ، وأجلّيناهم

عن هذا الوطن الجهادي وأبعدناهم .

« ولما تعرّف سلطان قشتالة باستقلالنا ، واستقرارنا بحضرة الملك واحتلالنا ،
بادر يُعرّف بما كان من عمله فيمن لَحِقَ به من طائفة الغدر ، وإخوان
الخدعة والمكر ، وبعث إلينا برؤوسهم ، ما بين رئيسهم الشقيّ ومرؤوسهم ، وقد
طفأ على جدّ أول السيوف حبّابُها ، وراق بجنّاء الدماء خِضابُها ، وبرز الناسُ إلى
مشاهدتها معتبرين ، وفي قدرة الله تعالى مستبصرين ، ولدفاع الناس بعضهم ببعض
شاكرين ، وأحقّ الله تعالى الحقّ بكلماته وقطّع دابر الكافرين ، فأمرنا بنصب
تلك الرؤوس بمسورِ الغدر الذي فرعته ، وجعلناها علماً على عاتق العمل السيئ
الذي اخترعته ، وشرعنا في مُعالجة العلم ، وأفضّنا على العباد والبلاد حُكْمَ
السلم ، فاجتمع الشمل كأحسن أحواله ، وسكن هذا الوطن بعد زلزاله ،
وأفاق من أهواله .

« ولعلمنا بفضلكم الذي قضياه شائعة ، ومُقدّماته ذائعة ، أخبرناكم به على
اختصار ، واجتزاء واقتصار ، ليسر دينكم المتين بتماسك هذا الثغر الأقصى
بعد استرساله ، وإشرافه على سوء مآله ، وكنتنا نخاطب محل أخينا السلطان الجليل
المعظم الأسعد الأوحّد الخليفة أمير المؤمنين أبي إسحاق ابن الخليفة أمير المؤمنين
المعظم المقدس أبي يحيى ابن أبي بكر ابن الأئمة المهتدين والخلفاء الراشدين
— وَصَلَّ الله تعالى أسباب سَعْدِهِ وحرس أكناف مجده — لولا أنّا تعرفنا
كوْنَه في هذه المدة مقيماً بغير تلك الحضرة التونسية ، فاجتزأنا بمخاطبة جهتكم
السنية ، وبين سلفنا وسلفكم من الود الراسخ البنّان ، والكريم الأثر والعِيان ،
ما يدعوا إلى أن يكون سببُ المخاطبة مَوْضُوعاً ، وآخره الود خيراً من الأولى ،
لكن الطريق جَمٌّ العوائق ، والبحر مفروق^١ البوائق ، وقَبُولُ العذر بشواغل

القطر بالفضل لائق ، ومُرَادنا أن يتصل الودُّ ، ويتجدّد العهد ، والله عز وجل يتولى أمور المسلمين بمتوارد إحسانه ، ويَجْمَع قلوبهم حيث كانوا على طاعة الله تعالى ورضوانه ، وهو سبحانه يُطِيل سعادتكُم ، ويحرس مجادتكُم ، ويُنجح إدارتكم ، ويُستتي إرادتكم ، والسلام الكريم يخلصكم ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

٧٧ - ومن نثره رحمه الله تعالى ما أنشأه عن سلطانه الغني بالله ، وذلك قوله : « يا أيها الناس ، ضاعف الله تعالى بمزيد النعم سروركم ؛ وتكفل بلطفه الخفي في مثل هذا القطر الغريب أموركم ؛ أبشركم بما كتب به سلطانكم السعيد إليكم ، المترادفة بيمينه وسعادته نعمُ الله تعالى عليكم ، أمتع الله تعالى الإسلام ببقائه ، وأيده على أعدائه ، ونصره في أرضه بملائكة سمائه ، وأن الله تعالى فَتَحَ له الفتح المبين ، وأعزَّ بحركة جهاده الدين ، وبيّض وجوه المؤمنين ، وأظفره باطريرة البلد الذي فجّع المسلمين بأسرهم فجيحةٌ تثير الحميّة ، وتحرك الأنفس الأبيّة ، فانتقم الله تعالى منهم على يده ، وبلغه من استئصالهم غاية مقصده ، فصَدَقَ من الله تعالى لأوليائه وعلى أعدائه الوعدُ والوعيد ، وحكم بإبادتهم المبدىء المعيد ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ؛ إن أخذته أليمٌ شديدٌ ﴾ (هود : ١٠٢) وتحصّل من سببه بعدما رويت السيوف من دماثهم آلاف عديدة ، لم يُسمَع بمثُلها في المدد المديدة ، والعهود البعيدة ، ولم يُصَبَّ من إخوانكم المسلمين عددٌ يُذكر ، ولا رجل يُعتبر ، فتح هني ، وصنع سني ، ولطف خفي ، ووعد وفي ، فاستبشروا بفضل الله تعالى ونعمته ، وقِفُوا عند الافتقار والانقطاع لرحمته ، وقابلوا نِعَمَه بالشكر يَزِدْكم ، واستبصروا في الدفاع عن دينكم ينصركم ويؤيدكم ، واغلبوا بهذه الدولة المباركة التي لم تَعْدُمُوا من الله تعالى معها عيشاً خصبياً ، ولا رأياً مُصيباً ، ولا نصراً عزيزاً ولا فتحاً قريباً ، وتضرعوا في بقائها ، ونصّر لوائها ، إلى مَنْ لم يزل سميعاً للدعاء مجيباً ، والله عز وجل

يجعل البشائر الفاشية فيكم عادة ، ولا يعدمكم ولا أولي الأمر منكم توفيقاً وسعادة ، والسلام الكريم يخصصكم ، ورحمة الله تعالى وبركاته من مُبْلِغ ذلك فلان » انتهى .

٧٨ — ومن نثر لسان الدين — رحمه الله تعالى — ما أنشأه عن سلطانه الغني بالله تعالى — حين وصله ابنه الذي كان بفاس — يخاطب سلطان فاس ، ما نصّه : « المقام الذي تقلّد نافلة الفضل شقّعاً ، وجود سورة الكمال إفراداً وجمّعاً ، واستولى وجمع ببرّه المتّح ، والتهنئة والفتح ، فأحرز أصلاً وفرعاً ، واستحق الشكر عقلاً وشرعاً ، وأغرى أيديّ جوده ، بالقصد الذي هو حظّ وليه من وجوده ، فأثار من جيش اللقاء نقّعاً ، ووسّط به جمّعاً ، مقام محلّ أخينا الذي أعلام مقاصده دربة بحسن التوقيع ، وعيون فضله مذكاة لإحكام الصنيع ، وعذبات فخره تهفو بذروة العلم المنيع ، ومكارمه تتفنن فيها مذاهب التنويع ، أبقاه الله تعالى وألسن فضله ناطقة ، وأقيسةُ سعده صادقة ، وألويته بالنصر العزيز خافقة ، وبضائع مكارمه في أسواق البر نافقة ، وعصائب التوفيق لركائب أغراضه موافقة ؛ السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا : سلام كريم ، طيب برّ عميم ، يخصّ مقامكم الأعلى ، وطريقتكم المثلى ، وأخوتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، مُجِلُّ قدركم ، وملترم بركم ، وموجب حمدكم وشكركم ، فلان .

« أمّا بعد حمد الله تعالى الذي جعل الشكر على المكرمات وقفاً ، ونهج منه بإزائها سبيلاً لا تكتسب ولا تخفى ، وعقد بينه وبين المزيد سبباً وحلفاً ، وجعل المودة في ذاته ممّا يُقَرَّبُ إليه زُلْفَى ، مريح تجارة من قصد وجهه بعمله حتى يرى الشيء ضعفاً ، وناصر هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السيرة بمن يُوسّعها فضلاً وعطفاً ، ومُدني ثمار الآمال فتمتّع بها اجتناء وقطفاً ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي الكريم ، الرؤوف الرحيم ،

الذي مدّ من الرحمة على الأمة سجّفاً ، وملاً قلوبها تعاطفاً وتعارفاً ولطفاً ،
القائل « مَنْ أَيْقَنَ بِالْخِلَافِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ » ووعد مَنْ عامل الله تعالى بربح المقاصد
السنية ، وعداً لا يجد خُلُفاً ، والرضى عن آلِه وأصحابه الذين كانوا من بعده
للإسلام كَهَفاً ، وعلى أهلِه في الهواجر ظِللاً ملتفّاً ، غيوثُ الندى كلّما
شامُوا سَمَاحاً وليوثُ العدى كلّما شَهِدُوا زَحَفاً ، والدعاء لمقام أخوتكم
الأسعد بالنصر الذي يكف من عُدُوَانِ الكفر كَفّاً ، والمجد الذي لا يغادر
كتابُه من المفاخر التي ترك الأول للآخر حَرَفاً ، وإلى هذا — أيدكم الله بنصر
من عنده ، وحكم للملكم الأسمى باتصال سعده ، وأنجز في ظهوره على من
عاند أمره سابقَ وعده — فإِنَّا نقرر لدى مقامكم وإن كان الغيِّ بأصالة عقْلِه ،
عن اجتلاء الشاهد ونقْلِه ، وجلاء البيان وصقْلِه ، أن الهدايا وإن لم تحلّ العينُ منها
كما حلت ، أو تناولها الاستنزارُ فما نبهت في لحظ الاعتبار ولا جَلَّتْ ، أو كانت
زَيْفاً كلّما أغري بها الاختبار قَلَّتْ ، لا بد أن تترك في النفوس مَيْلاً ، وأن
تستدعي من حسن الجزاء كَيْلاً ، وأن تنال من جانب التراحم والتعاطف نَيْلاً ،
وأَيُّ دليل أوضح مَحَجَّةً ، وأبين حجةً ، من قوله صلى الله عليه وسلّم
« تهادوا تحابوا » من غير تبين مقدار ، ولا لإعمال اعتبار ، ولا تفرقة بين
بلين ولا نُضار ؟ فكيف إذا كانت الهدية فليدة الكبد التي لا يلد العيش بعد
فراقها ، ولا تضيء ظلّم الجوانح إلا بطلوع شمسها وإشراقها ، وجمع الشمل
الذي هو أقصى آمال النفوس الآلفة ، والبواطن المصاحبة للحنين المحالفة ، لا سيما
إذا اقتعدت محلّ الهناء ، بالفتح الرائق السّناء ، وحفّت بها من خلفها وأمامها
صنائع البر وقوّة الاعتناء ، فهنالك تفخر ألسن الثناء ، وتنطبق أعلام الشكر
السامية البناء .

« وإِنَّا ورد علينا كتابُكم الذي سَطَره البر وأمّلاه ، وكَنَفَه اللَّحْظُ
وتَوَلَّاه ، ووَشَّحه البيانُ وحَلَّاه ، مهنئاً بما منح الله جلّ جلاله من رد الحق ،
وتعيين الجمع ورفع الفرق ، وتطويق الأمان وأمان الطوق ، وإسعاد السعد ،

وبلوغ القصد ، وقطع دابر من جحد نعمة الأب والجد ، وسل سيف البغي
دامي الحد ، والحمد لله تعالى حمداً يلهمه ويتيح له ، ونسأله إمداداً يسوغه ويسبيحه ،
على أن أحسن العقبى وأعقب الحسنى ، وأرى النعم بين فرادى ومثنى ،
وجمع الشمل الذي قد تبدد ، وجدد رسم السعادة لهذا القطر فتجدد ، وأخذ
الظالم فلم يجد من مَحِيص ، وجمع لنا الأجر والفخر بين تخصيص وتمحيص ،
وقلّد برؤوس الفجرة الغدرة الفرضة التي فرعوها ، وأطفأ بمراق دماهم
نار الضلالة التي شرعوها ، وكتب لقييلكم الفضل الذي يُحمد ويُشكر ، والحق
الذي لا يُجحد ولا يُنكر ، فلقد أوى لما تبرأت الخُلصان ، وتحقّى عندما
تنكر الزمان ، وسبب الإدالة ، وطاوع الأصالة والجلالة ، حتى فرج الله تعالى
الكربة ، وآنس الغربة ، وأقال العثرة وتقبل القربة ، له الحمد على آلائه ،
وصلة نعمائه ، ملء أرضه وسماؤه .

« ووصل صحبته الولد مكنوفاً بجناح اللطف ، ممهّداً له ببركتكم مهاداً
العطف ، فبرزنا إلى تلقيه تنويهاً لهديتكم وإشادة ، وإبداء في بركم وإعادة ،
وأركبنا الجيش الذي آثرنا حين استقلالنا عرضه ، وقررنا بموجب الاستحقاق
فرضه ، فبرز إلى الفضاء الأفّيح حسن الترتيب ، سافراً عن المرأى العجيب ،
ولولا الحنان الذي تجده النفوس للأبناء وتستشعره ، والشوق إلى اللقاء الذي
لا يحجده منصف ولا يُنكره ، لما شقّ علينا طول مقامه في حجركم ، ولا ثوابه
لصقّ أريكة أمركم ، فجواركم محل لاستفادة رسوم الإمارة ، وتعلّم السياسة
والإدارة ، حتى يزد علينا يقدم كتيبة جهادكم ، ويقود إلينا طليعة نصركم إيانا
وإمدادكم ، فنحن الآن نشكر مقاصدكم التي اقتضى الكمال سياقها ، وزين
المجد آفاقها ، وقدّرها فأحكم طباقتها ، ونقرر لديكم أن حظنا من ودادكم ،
ومحلنا من جميل اعتقادكم ، حظّ بان رجحانه وفضله ، ولم يتأت بين من
سلف من السلف مثله ، من الصعبة في المنزل الحشّين وهي الوسيلة ، وفي رعيها

تظهرُ الفضيلة ، والاشتراك في لازم الوصول إلى الحق ، وضم أشتات الخلق ،
والمودة الواضحة الطرق ، إلى ما بين السلف ، من الودّ الآمن بدُّرُهُ من الكلّف ،
المنخورة أذِمَّتُهُ للخلف ، فإذا كانت المعاملة جارية على حسَبه ، وشعبها راجعة
إلى مذهبه ، جنى الإسلام ثمرة حافلة ، واستكفى الدينُ إِيالة كافلة ، فالله ، عزّ
وجلّ ، يمهّد البلاد بيمن تدبيركم ، ويُجرِّي على مهتَب السدادِ جميعَ
أُمُوركم ، ويجعلكم ممّن زين الجهاد عواتق أعماله ، وكان رضى الله تعالى
عنه أقصى آماله ، حتى تُرَبِّي مآثركم على مآثر أسلافكم الذين عرف هذا الوطن
الجهادي إمدادهم ، وشكر جهادهم ، وقبل الله تعالى فيه أموالهم وأولادهم ،
وحَسَّن من أجله معادهم .

«وقد حضر بين يدينا رسولكم الذي وجهتم الولد -أسعده الله تعالى - لنظره ،
وتخبرتموه لصحبة سفره ، فلان ، وهو من الأمانة والفضل ، والرجاحة والعقل ،
بحيث طابق اختياركم ، واستحقَّ إثارتكم ، فأطنب في تقرير ما لديكم من
عناية بهذه الأوطان عينت الرشد ، وضربت الوعد ، وأخلصت في سبيل الله تعالى
القصد ، وغير ذلك ممّا يؤكد المودة المستقرة الأركان ، المؤسسة على التقوى
والرضوان ، فأجبنه بأضعاف ذلك ممّا لدينا لكم ، وقابلنا بالثناء الجميل قولكم
وعملكم ، والله تعالى يصل سعدكم ، ويحرُسُ مجدكم ، والسلام الكريم
يخصكم ، ورحمة الله تعالى وبركاته .»

٧٩ - ومن ذلك ما كتبه - رحمه الله تعالى - على لسان الأمير سعد ابن
سلطان الغني بالله تعالى إليه وهو :

«مولاي ومولى كبيرى ومولى المسلمين ، ورحمتي المتكفلة بالسعد الراقق
الجبين . يقبلُ قدَمكم التي جعل الله تعالى العزَّ في تقبيلها ، والسعد في اتباع
سبيلها ، عبْدُكم الصغير في سنه ، الكبير في خدمتكم وخدمة كبيره في حياتكم
بفضل الله تعالى ومَنّته ، الهاشُّ لتمرير وجهه في كتابكم حسن الذراع ، المنبئة طباعه

عن العبودية الكامنة بالبيدار إلى ذلك والإسراع ، عبدكم وولدكم سعد ، كتبه من بابكم ، المحوط بعز أمركم ، المتحف إن شاء الله تعالى بأنباء نصركم ، وقد وصل إلى عبدكم تشريفكم السابغ الحلال ، وتنويهكم المبلغ غايات الأمل ، وخط يدكم الكريمة وغمامة رحمتكم الهامية الدائمة ، فيا له من عز أثبت لي الفخر في أبناء الملوك ، وسار بي من الترشيح لرتب حظوتكم على المنهج المسلوك ، قرّر من عافية مولاي وسعادته ، واقتران السعود حيث حل بوفادته ، ما تكفل ببلوغ الآمال ، وتم لسان الحال في شكر الله تعالى لسان المقال ، والله تعالى يديم أيام مولاي حتى يقوم بحق شكر النعم لسانه ، وتؤدي بعده جوارحه من الدفاع بين يدي سلطانه ما يسر به سلطانه ، وبعث جوابه منقولا ليد حامله من يده ليهنئ تقبيل اليد الكريمة بحال تأكيد ، ويقرر ما لعبده إلى وجهه الكريم من شوق شديد ، ويعرف شمول نعمة الله تعالى ونعمته لمن ببابه من خدام وحرّم وعبيد ، ويمد يد الرغبة لمولاه في صلة الإنعام بتشريفه ، وإعلامه بتزايدات حركته وتعريفه ، ففي ضمن ذلك كل عز مشيد ، وخير جديد ، وينتهي تحية أهل منزل مولاي على اختلافهم بحسب منازلهم من نعمة لحظه ، التي يأخذ منها كل بحظه ، والسلام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته .

٨٠ — وقال رحمه الله تعالى : ومن نثري ما خاطبت به السلطان على لسان ولده من مالتة ، وقد وصلت به إليه من المغرب :

«مولاي الذي رضى الله تعالى مقرون برضاه ، والنجاح مسبب عن نيته ودُعاه ، وطاعته مرتبطة بطاعة الله ، أبقى الله تعالى عليّ بكم ظلّ رحماه ، وغمام نعماه ، وزادني من مواهب هداية في توفية حقّه الكبير فإن الهدى هدى الله : يقبل مواطئ أقدامكم التي ثراها شرف الحدود وفخر الجباه ، ويقرر من عبوديته ما يسجل الحق مقتضاه ، ويسلم على مثابة رحمتكم السلام الذي يحبه الله تعالى ويرضاه ، ولدكم وعبدكم يوسف ، من منزل تأييدكم

بظاهر مألقة، حرسها الله ، والوجود ألسنٌ بالعزّ بالله ناطقة ، والأعلام والشجر
ألويةٌ بالسعد خافقة ، وأنواع التوفيق متوافقة ، وصنائع اللطيف الخبير
مصاحبة مرافقة .

«وقد وصل يا مولاي لعبدكم المفتخر بالعبودية لكم ما بعث به عليّ مقامكم ،
وجادت به سحائب إنعامكم ، ولن تحت حجة ستركم المسدول ، وفي ظل
اهتمامكم الموصول ، ولن ارتسم بخدمة أبوابكم الشريفة من الخدام ، وأولي
المراقبة والالتزام ، ما يضيق عنه بيانُ العبارة ، ويفتضح فيه لسانُ القول والإشارة ،
من عنايات سنية ، ونعم باطنة وجلية ، وملاحظة مولوية ، ومقاصد ملكية ، فما
شئت من قباب مذهبة ، وملابس منتخبة ، وأسرّة مرتبة ، ومحاسن لا مستورة
ولا محجة ، والواء الذي نشرتم على عبدكم ظلّه الظليل ، ومددتم عليه جناح العز
الجليل ، جعله الله تعالى أسعد لواء يسير في خدمتكم ، ومد عليّ وعليه لواء
حرمتمكم ، حتى يكون لجهادي بين يديكم شاهداً ، وبالنصر العزيز والفتح
المبين عليكم عائداً ، ولطائفة الخلوص لأمركم قائداً ، ولأولياء بابكم هادياً
ولأعدائكم كائداً .

«واتفق يا مولاي أن كان عبدكم قد ركب مغتماً برد اليوم ، ومؤثراً للرياضة
في عقب النوم ، والتف عليه الخدام ، والأولياء الكرام ، فلمّا عدنا تعرضت
لنا تلك العنايات المجلوة الصور ، المتلوة السور ، وقد حشر الناس ، وحضرت
منهم الأجناس ، فعلا الدعا ، وانتشر الثنا ، وراقت الأبصار تلك الهمة
العليا ، فنسأل الله تعالى يا مولاي أن يكافئ مقامكم بالعز الذي لا يتبدل ،
والنصر الذي يُستأنف ويُسْتَقْبَل ، والسعد الذي مُحْكَم لا يتأول ، والعبد
ومن له على حال اشتياق للورود على أبوابكم الرفيعة المقدار ، وارتياح لقرب
المزار :

وأبرحُ ما يكون الشوقُ يوماً إذا دنتِ الديارُ من الديارِ

«والعمل على تيسير الحركة متصل ، والدهر لأوامر السعد محتفل ، بفضل الله تعالى ، والسلام على مقام مولاي مقام الشفقة والرحمة ، والمنّة والنعمة ، ورحمة الله تعالى وبركاته » انتهى .

٨٩ — ومن لإنشاء لسان الدين في تولية الأمير يوسف المذكور مشيخة الغزاة على لسان السلطان والده ما نصّه :

« هذا ظهير كريم فاتح بنشر الأولوية والبُؤود ، وقودِ العساكر والجنود ، وأجال في ميدان الوجود ، جياة البأس والحدود ، وأضفى ستر الحماية والوقاية بالتهائم والنجود ، على الطائفين والعاكفين والرُكّع السجود ، عقد للمعتمد به عقد التشريف ، والقدر المنيف ، زاكي الشهود ، وأوجب المنافسة بين مجالس السروج ومضاجع المهود ، وبشر السيوف في الغُمُود ، وأنشأ ريح النصر آمنة من الخمود ، أمضى أحكامه ، وأنهد العزّ أمامه ، وفتح من زهر السرور والخبور كمامه ، أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد ابن فرج بن نصّر — أيد الله تعالى أمره وخلد ذكره — لكبير ولده ، وسابق أمدّه ، وريحانة خلدّه ، وياقوتة الملك على يده ، الأمير الكبير الطاهر الظاهر الأعلى ، واسطة السلك ، وهلال سماء الملك ، ومصباح الظلّم الحلك ، ومظنة العناية الأزلية من مدير الفلك ومجري الفلك ، عنوان سعده ، وحُسام نصره وعضده ، وسميّ جده ، وسلالة فضله ومجده ، السعيد المظفر الهمام الأعلى الأمضى ، العالم العامل الأرضي ، المجاهد المؤمل المعظم أبي الحجاج يوسف ، ألبسه الله تعالى من رضاه عنه حُللاً لا تخلق جِدَّتْها الأيام ، ولا تبلغ كنهها الأفهام ، وبلغه في خدمته المبالغ التي يُسرُّ بها الإسلام ، وتسبّح في بحار صنائعها الأقلام ، وحرّس معاليها الباهرة بعينه التي لا تنام ، وكنفه بركنه الذي لا يُضام ، فهو الفرع الذي جرى بحصّله على أصله ، وارتسم نصّره في نصله ، واشتمل حدّه على فصّله ، وشهدت ألسن خياله ، برفعة

جلاله ، وظهرت دلائلُ سعادته ، في بدء كل أمر وإعادته ، لما صرف وجهه إلى ترشيحه ، لافتراع هضاب المسجد البعيد المدى وتوشيعه ، بالصبر والحلم والبأس والندى ، وأرهف منه سيفاً من سيوف الله تعالى لضرب هام العدا ، وأطلّعه في سماء الملك بدّر هُدَى ، لمن راح وغدّا ، وأخذ بالآداب التي تقيم من النفوس أودا ، وتبذر في اليوم فتجني غدا ، ورقاه في رتب المعالي طوراً فطوراً ، ترقى النبات ورقاً ونوراً ، ليجده بحول الله تعالى يداً باطشة بأعدائه ، ولساناً مُجيباً عند ندائه ، وطرزاً على حُلّة علائه ، وغماماً من غمام آلائه ، وكوكباً وهاجاً بسّمائه ، وعقد له لواء الجهاد على الكنيّة الأندلسية من جنده ، قبل أن ينتقل عن مهده ، وظلّله بجناح رايته ، وهو على كتيد دابته ، واستركب جيش الإسلام ترحيباً بوفادته ، وتنوياً بمجاداته ، وأثبت في غرض الإمارة النصرية سهم سعادته ، رأى^١ أن يزيده من عنايته ضروباً وأجناساً ، ويتبع أثره ناساً فناساً ، قد اختلفوا لساناً ولباساً ، واتفقوا ابتغاء لمرضاة الله والتماساً ، ممّن كرم انتماؤه ، وزُينت بالحسب العدّ سماءه ، وعُرف غناؤه ، وتأسّس على المجدادة بناؤه ، حتى لا يدع من العناية فناً إلاّ وجلبه إليه ، ولا مقادة فخر إلاّ جعلها في يديه ، ولا حُلّة عزّ إلاّ أضفى ملابسها عليه .

و [لما] كان جيش الإسلام في هذه البلاد الأندلسية — أمّن الله سبحانه خلاها ، وسكن زلزالها ، وصدق في رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء آمالها — كلفَ همته ، ومَرعى ذمته ، وميدان اجتهاده ، ومتعلّق أمل جهاده ، ومعرج إرادته ، إلى تحصيل سعادته ، وسبيل خلاه ، إلى بلوغ كماله ، فلم يدع له علة إلاّ أراحها ، ولا طلبية إلاّ أجال قِدادها ، ولا عزيمة إلاّ أورى اقتدادها ، ولا رغبة إلاّ فسّح ساحها ، آخذاً مدوّنته بالتهذيب ، ومصافّه بالترتيب ، وآماله بالتقريب ، محسناً في تلقّي الغريب ،

١ هذا جواب « لما » في السطر الأول اعلاه .

وتأنيس المريب ، مستنجزاً له وبه وعد النصر العزيز والفتح القريب ، ورفع عنه لهذا العهد نظر مَنْ حَكَمَ الأغراض في حُماته ، واستشعر عروق الحسائف لتشذيب كُلماته ، واشتغل عن حسن الوساطة لهم بمصلحة ذاته ، وجلب جباته ، وتثمير ماله وتوفير أوقاته ، ذاهباً أقصى مذاهب التعمير بأمد حياته ، فانفرج الضيق ، وخلص إلى حسن نظره الطريق ، وساغ الريق ، ورضي الفريق ، رأى - والله الكفيل لنجح رأيه ، وشكر سعيه ، وصلة حفظه ورعيه - أن يجهد لهم اختياره ، ويحسن لديهم آثاره ، ويستنيب فيما بينه وبين سيوف جهاده ، وأبطال-جلاده ، وحماة أحوازه ، وآلات اعتزازه ، مَنْ يجري مَجْرَى نفسه النفيسة في كل مَبْنَى ، ويكون له لفظ الولاية وله - أيده الله تعالى - المعنى ، فقدمه على الجماعة الأولى كبرى الكتائب ، ومقادة الجنائب ، وأجَمَة الأبطال ، ومُزَنَة الودقِ المَطَالِ ، المشتعلة من الغزاة على مشيخة آل يعقوب نساء الملوك الكرام ، وأعلام الإسلام ، وسائر قبائل بني مَرين ، ليوث العَرين ، وغيرهم من أصناف القبائل ، وأولي الوسائل ، ليحوط جماعتهم ، ويعرف بتفقدته إطاعتهم ، ويستخلص لله تعالى ولأبيه - أيده الله تعالى - طاعتهم ، ويشرف بإمارته مواكبهم ، ويزين بهلاله الناهض إلى الإبدار على فلك سعادة الأقدار كواكبهم ، تقديماً أشرق له وجه الدين الخفيف وتهلل ، وأحسّ باقتراب ما أمل ، فللخيل اختيال ومَرّاح ، وللأسل السُمُر اهتزاز وارتياح ، وللصدور انشراح ، وللآمال مَغْدَى في فضل الله تعالى ورَوّاح :

« فليتولّ ذلك - أسعده الله تعالى - تولى مثله ممن أسرة الملك أسرته ، وأسوة النبي صلوات الله تعالى عليه أسوته ، والملك الكريم أصل لقرعه ، والنسب العربي منجد لطيب طبعه ، آخذاً أشرافهم بترفيح المجالس بنسبة أقدارهم ، مُغْرِباً حسن اللقاء بإيثارهم ، شاكراً غنائهم ، مستدعيّاً ثنائهم ، مستدرّاً لأرزاقهم ، موجباً المزية بحسب استحقاقهم ، شافعاً لديه في رغباتهم المؤمّلة ، ووسائلهم المتحمّلة ، مسهلاً الإذن لو فودهم المتلاحقة ، منفقاً لبضائعهم النافقة ،

مؤنساً لغرمائهم ، مستجلباً أحوال أهليهم وآبائهم ، مميّزاً بين أغفالهم ونبهائهم .
« وعلى جماعتهم - رعى الله تعالى جهادهم ، ووفر أعدادهم - أن يطيعوه
في طاعة الله تعالى وطاعة أبيه ، ويكونوا يداً واحدة على دفاع أعداء الله تعالى
وأعدائه ، ويشدوا في مواقف الكريهة أزره ، ويمثلوا نهيه وأمره ، حتى يعظم
الانتفاع ، ويشور الدفاع ، ويخلص المصالح لله تعالى والمصالح ، فلو وجد - أيده
الله تعالى - غاية في تشريفهم لبلغها ، أو موهبة لسوّغها ، لكن ما بعد ولده
العزیز عليه مذهب ، ولا وراء مباشرتهم بنفسه معزّب ، والله تعالى منجج
الأعمال ، ومبلغ الآمال ، والكفيل بسعادة المآل .

« فمن وقف على هذا الظهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمنه من أمر مطاع ،
وفخر مستند إلى إجماع ، ووجوب اتباع ، وليكن خير مترعبيّ لخير راع ،
بحول الله تعالى .

« وأقطعه - أيده الله تعالى - ليكون بعض المواد لأزواد سفره ، وسماط
نقّره ، في جملة ما أولاه من نعمه ، وسوّغه من موارد كرمه ، جميع القرية
المنسوبة إلى عرب عینان ، وهي المخلة الأثيرة ، والمنزلة الشهيرة ، تنطلق عليها
أيدي خُدّامه ورجاله ، جارية مجرى صريح ماله ، محررة من كل وظيفة
لاستغلاله ، إن شاء الله تعالى ، فهو المستعان سبحانه ، وكتب في كذا » انتهى .
٨٢ - وكتب لسان الدين - رحمه الله تعالى - في شأن تقليد الأمير سعد

أخي المذكور الأصغر منه سنّاً ما صورته :

« هذا ظهير جعل الله تعالى له الملائكة ظهيراً ، وعقّد منه في سبيل الله تعالى
لواء منصوراً ، وأعطى المعتمد به باليمن كتاباً منشوراً ﴿ وما كان عطاء ربك
محظوراً ﴾ (الإسراء : ٢٠) وأطلع صبح العناية المبصرة الآية يبهر سُفوراً ، ويسطع
نوراً ، وأقر عيوناً للمسلمين وشرح صدوراً ، ووعد الأهلة أن تصير بإمداد
شمس الهدى إياها بدوراً ، وبشّر الإسلام بالنصر المنتظر ، والفتح الرائق الغرر ،

مواسط وثغوراً ، وأتبع حماة الدين لواء الإمارة السعيدة النصرية فأسعد بها أمراً
 وأكريم بها مأموراً ، أَمَرَ به ، وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه ، أمير المسلمين
 عبد الله محمد ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحجاج ابن أمير
 المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الوليد ابن فرج بن نصر ، أعلى الله
 تعالى رايته وسدد رأيه ، وشكر عن الإسلام والمسلمين سعيه ، لقوة عينه ، ومقتضى
 حقه من العدو وذئبه ، وغصن دوحه ، وآية لوجه ، ودرة قلادته ،
 ودُرِّيَّ أفلاك مجادته ، وسيف نصره ، وهلال قصّره ، وزينة عصره ،
 ومتقبل هديه ورشده ، ومظنّة إشراق سعده ، وإنجاز وعده ، ولده الأسعد ،
 وسليل ملكه المؤيد ، الأمير الأجلّ الأعزّ الأسنى الأطهر الأظهر الأعلى ،
 لابس أثواب رضاه ونعمته ، ومنحة الله لنصره وخدمته ، ومظهر عزّه وبعد
 همته ، التقيّ الرضيّ العالم العامل الماجد حامي الحمى تحت ظل طاعته ، وكافي
 الإسلام الذي يأمن من إضاعته ، المحرز مزايا الأعمار الطويلة حفظّ الشهر في يومه
 وحظّ اليوم في ساعته ، الموقر المهيب المؤمل المعظم أبي النصر سعد عرفه الله
 تعالى ببركة سعد بن عبادة جده ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأعظم
 بمجده ، ووزيره في حله وعقده ، وأجناه ثمرة النصر الذي كناه به ووصل
 سببه بسببه فما النصر إلا من عنده ، وأنتج له الفتح المبين من مقدمتي نصره
 وسعده ، لما صرّف وجهه عنايته إليه في هذه البلاد الأندلسية التي خلص الله أفرادها
 وانقطاعها ، وتمحّض - لأن تكون كلمة الله هي العليا - قرأها ، وصدق
 مِصَالها في سبيله جلّ وعلا ومِصاعها ، إلى ما يمهّد أرجاءها ، ويحقق رجاءها ،
 من سلم يعقده ، ولا يعدم الحزم معه ولا يفقد ، وعطاء ينقد ، ورأي لا يتعقب
 ولا ينقد ، وحرّب تُضَمَّر له الجياد ، ويُعْتَقَلُ الأسْلُ الميَّاد ، وكان الجيشُ
 رَوْضَ أمله الذي في جنّاه يسرح ، ومرمى فكره الذي عنه لا يبرح ، فديوانه
 ديوان أمانيه الذي تسهب فيه وتشرح ، أسهمته من سياسته أوفى الحظوظ

وأَسْنَاهَا ، وقَصَرَ عليه لفظَ العناية ومعناها ، ووقف عليه مَوْحَدَهَا ومَثْنَاهَا ،
فأزاح علله ، وأحيا أمله ، وأنشأ جَدَّالَهُ ، ورفع عنه من لم يبذل الجَدَّالَهُ ،
ولا أَخْلَصَ لله فيه عمله .

« واختار لقيادة مقابله المنصورة ، وإمارة غزواته المبرورة ، أقرب الناس
إلى نفسه نَسَبًا ، وأوصلهم به سَبَبًا ، وأحقهم بالرتب المنيفة والمظاهر الشريفة ،
ذاتًا وأبًا ، وحدًا وشبًا ، وأمره على أشرافه ، ودل به الأنفال على أعرافه ،
وصرف إليه آماله ، واستعمل في أسنته يمينه وفي أعتته شماله ، وعقد عليه
ألويته الخافقة لعزة نصره ، ورأى الظهور على أعداء الله تعالى جنسًا فهيأه لهصره ،
وأدار هالة قتام الجهاد عن قرب بالولادة على بدره ، ونبّه نفوس المسلمين على
جلالة قَدْرِهِ ، وقدّمه على الكتيبة الثانية من عسكر الغزاة المشتملة على الأشياخ من
أولاد يعقوب كبار بني مَرِّين ، وسائر قبائلهم المكرمين ، وغيرهم من القبائل
المحترمين ، ينوب عن أمره في عَرْضِ مسائلهم ، وقِرَئِ وافدهم ؛ وإجراء
عوائدهم ، تقديمًا تهلّل له الإسلام واستبشر ، وتيقن الظفر فاستبصر ، لما علم
بمن استنصر ، فليخلصوا له في طاعته الكبرى الطاعة ، وليعلقوا ببنان نداء بنان
الطماعة ، ويؤملوا على يديه نجاح الوسيلة إلى مقامه والشفاعة ، ويعلموا أن
اختصاصهم به هو العنوان على رَفَعِ محالهم لديه ، وعزة شأنهم عليه ، فلو وجد
هَضْبَةٌ أعلى لَفَرَعَهَا لهم وعلاها ، أو عزة أعز لجلّلاها ، أو قبيلة أركى لصرف
وجوههم شَطْرَهَا وولّلاها ، حتى تجنى ثمرة هذا القَصْدِ ، وتعود بالسعد حركة
هذا الرصد ، وتعلو ذؤابة هذا المجد ، وتشهد بنصر الدين على يده ألسنة الغور
والنجد ، بفضل الله سبحانه .

« وعليه — أسعد الله الدولة باستعماله مكافحًا بأعلامها ، وزينًا لأيامها ، وسيفًا
في طاعة إمامها — أن يقدم منهم في مجلسه أهلَ التقديم ، ويقابل كرامهم بالتكريم ،
ويستدعي آراء مشايخهم في المشكلات في أمور الحرب ، ويغضي جفون عزائمهم
في موقف الصبر والضرب ، ويتفقدتهم بإحسانه عند الغناء ، ويقابل حميد سعيهم

بالثناء ، على هذا يعتمد وبحسبه يعمل ، وهو الواجب الذي لا يُهْمَل ، وقصده
بالإعظام والإجلال ، والانقياد الذي يعود بالآمال ، ويُنجح الأعمال ، بحول الله
تعالى متقبل ، وكتب في كذا » انتهى .

٨٣ - ومما اشتمل على نظم لسان الدين ونثره ما كتب به من سُلّا إلى
سلطانة الغني بالله تعالى ، وقد بلغه ما كان من صنع الله سبحانه له [وعودته إلى
سلطانة] :

« هنيئاً بما خوّلت من رفعة الشانِ وأن خصّك الرحمنُ جلّ جلاله أغار على كرسيه بعضُ جنّته فلما رآها فتنةً خرقاً ساجداً وهب لي ملكاً بعدها ليس ينبغي فأناهُ لما أن أجابَ دعاءهُ وإن كانَ هذا الأمرُ في الدهرِ مفرداً فقابلُ صنيعِ الله بالشكرِ واستعنْ وحقّ الذي سمّاكَ باسمِ محمدٍ لما بلغَ النعمى عليك سروره فلأتّي أنا العبد الصريح انتسابه إذا كنتَ في عزٍّ ومُلكٍ وغبطة	وإن كرهَ الباغي وإن رَغِمَ الشّاني بمعجزةٍ منسوبةٍ لسليمانٍ فألقتْ له الدنيا مقالداً إذعانٍ وقال إلهي امننْ عليّ بغفرانٍ تقلّده بعدي لإنسٍ ولا جانٍ من العزّ ما لم يُؤت يوماً لإنسانٍ فأنتَ له لما اقتديت به الثاني به وأجزّ إحسان الإله بإحسانٍ لأن الصبّا قد عادَ منه بريّعانٍ أليّة وافٍ لا أليّة خوّانٍ كما أنتَ مولاي العزيز وسلطاني فقد نلتُ أوطاري وراجعتُ أوطاني
---	---

«مولاي الذي شأنه عَجَب ، والإيمان بعناية الله تعالى به قد وَجَب ، وعزه
أظهره مَنْ برداء العزّة احتجب ، إذا كانت الغاية لا تُدْرَك ، فأولى أن تسلّم
وتترك ، ومنة الله تعالى عليك ليست ممّا يشرح ، قد عقل العقل فما يبرح ، وقيد
اللسان فما يرتعي في مجال العبارة ولا يسرح ، اللهم ألهمنا على هذه النعمة شكراً

ترضاه ، وإمداداً من لدنك نتقاضاه ، يا الله يا الله . سعود أنارت بعد أفول
شهابها ، وحياة كرّث بعد ذهابها ، وأحباب اجتمعت بعد فراقها ، وأوطان
دكتت بعد بُعد شامها من عراقها ، وأعداء أذهب الله تعالى رستم بغيمهم
ومعاه ، وبُغاة أدار عليهم الدهر رحاه ، وعباد أعطوا من كشف الغم ما
سألوه ، ونازحون لو سئلوا في إماتة القرب بما في أرواقهم لبذلوه ، وسبحان
الذي يقول ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ ﴾ (النساء : ٦٦) فليهن الإسلام بياض وجهه بعد اسوداده ،
وتغلب إيالة من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر على بلاده ، وعودة الملك المظلوم
إلى معتاده ، واستواء الحق النائي جنبه فوق مهاده ، ورد الإرث المغصوب إلى
مستحقه عن آبائه وأجداده . والحمد لله الذي غسل عن وجه الأمة الحنيفية العار ،
وأفقد عهدها وقد ملكها الذعار ، فرد المعار ، وأعيد الشعار ، نحمدك اللهم
حمداً يليق بقدرتك ، لا بل لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

« والعبد يا مولاي قد بهرت عقله آلاء الله تعالى قبلك ، والفكر جائل واللسان
ساكت ، والعقل ذاهل والطرف باهت ، فإن أقام رسماً للمخاطبة فقلتم مرح
وركض ، وطرس هز جناح الارتياح ونفض ، ليس هذا المرام ممّا يرام ،
ولا هذه العناية التي تحار فيها الأفهام ، ممّا تُصمّي غرضه السهام ، فنسأل
الله تعالى أن يجعل مولاي من الشاكرين ، وبأحكام تقلبات الأيام من المعتبرين ،
حتى لا يغرّه السراب الخادع ، والدهر المرغم للأنوف الخادع ، ولا يرى في
الوجود غير الله من صانع ، ولا معطي ولا مانع ، ويمتعه بالعز الجديد ، ويوفقه
للنظر السديد ، ويلهمه للشكر فهو مفتاح المزيد ، والسلام » انتهى .

٨٤ — وممّا خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى أبا عبد الله ابن عمر

التونسي قوله :

« سيدي الذي عهده لا يُنسى ، وذكره يُصبح في ترديده بالجميل ويُمنسى ،

أبقاكم الله تعالى تجلون من السعادة شمسا ، وتصرفون في طاعته لساناً فرداً وبناناً خمسا : وصلني كتابكم الأشعث الأغبر ، ومقتضبكم الذي أضغاثه لا تُعبّر ، شاهدةٌ بعدم الاعتناء أوضاعه ، معدوماً إمتاعه ، قصيراً في التعريف بالحال المشوّفٍ إليها باعه ، مضمّناً الإحالة على خليٍّ من معناها ، غيرٍ ملتبسٍ بموَحِّدها ولا مثناها ، سأله كما يسأل المريضُ عمّا عند الطبيب ، ويحرص الحبيبُ على تعرّف أحوال الحبيب ، فذكر أنّه لم يتحمّل غير تلك السّحابة المغنية في الاختصار ، المجحفة بحظّيّ الأسماع والأبصار ، فهمتُ بالعتب ، على البخيل بالكتب ، ثم عذرت سيدي بما يعترني مثله من شواغل تطرق ، وخواطر تومض وتبرق ، وإذا كان آمناً سِرْبُهُ ، مُهتّاً سِرْبُهُ ، فهو الأمل ، ويُقنع هذا المجمل ، وإن كان التفسير هو الأكمل ، وما ثمّ ما يعمل ، وودّه في كل حال ودّه ، والله سبحانه بالتوفيق يمدّه ، والسلام .

وكانت للسان الدين رحمه الله تعالى مخاطبات كثيرة لسلطان الدولة وأعيانها ، دلّت على قوّة عارضته في البلاغة ، وقد ألمعنا بجملة منها في هذا الكتاب في مواضع ولم نكثر منها طلباً للاختصار أو التوسط بحسب ما اقتضاه الباعث في الحال ، والله سبحانه وتعالى يبلغ الآمال ، ويزكي الأعمال .

٨٥ — ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ما كتبه عن السلطان أبي الحجاج يوسف بن نصر إلى سيد العالمين صلى الله عليه وسلّم لإثر نظم ، ونصّ الكَل هو :

إذا فاتني ظلُّ الحمى ونعيمه	فحسبُ فؤادي أن يَهَبَ نسيمه
ويُقنعني أني به متكتف	فزمزمه دمي ، وجسمي حطيمه
يعود فؤادي ذكر مَنْ سكن الغضا	فيُقعدّه فوق الغضا ويقيمّه
ولم أرَ شيئاً كالنّسيم إذا سرى	شفى سقمَ القلبِ المشوقِ سقيمّه
نعللُ بالتذكّار نفساً مشوقة	نديرُ عليها كأسه ونديمّه

وما شفّتي بالغَورِ قدّ مرنَحْ
ولا سهرتُ عيني لبَرْقِ ثَنِيَّةِ
براني شوقٌ للنبيِّ محمّدٍ
ألا يا رسولَ اللهِ ناداكِ ضارعٌ
مَشُوقٌ إذا ما الليلُ مدّ رِواقَهُ
إذا ما حديثُ عنك جاءك به الصَّبَا
أيجهرُ بالتجوى وأنتَ سميعُها
وتعوزهُ السقيا ، وأنتَ غيائهُ
بنوركِ نورَ اللهِ قد أشرقَ الهدى
لكَ انهلَ فضلُ اللهِ بالأرضِ ساكباً
ومن فوقِ أطباقِ السماءِ بك اقتدى
لكَ الخلقُ الأرضي الذي جلّ ذكره
يجلُّ مَدَى عليكَ عن مدحِ مادحٍ
ولي يا رسولَ اللهِ فيكَ وراثَةُ
وعندي إلى أنصارِ دينكَ نسبةٌ
وكانَ بودّي أن أزورَ مَبَوّأَ
وقد يُجهدُ الإنسانُ طِرفَ اعتزامِهِ
وعذري في تسويفِ عزمي ظاهرٌ
عَدَّتْني بأقصى الغربِ عن تَرْبِكَ العدا
أجاهدُ منهم في سَبيلِكَ أمةً
فلولا اعتناءُ منك يا ملجأَ الوري
فلا تقطعِ الحبلَ الذي قد وصلتهُ

ولا شاقني من وحشٍ وجرةٍ ريمهُ
من الثغرِ يبدو مَوْهيناً فأشيمهُ
يسومُ فؤادي بَرَحُهُ ما يسومهُ
على النَّأيِ محفوظُ الودادِ سليمةُ
تهمُّ به تحتَ الظلامِ همومهُ
شجَاهُ مِن الشَّوقِ الحثيثِ قديمهُ
ويشرحُ ما يخفي وأنتَ عليهُ
وتتلفهُ الشكوى ، وأنتَ رحيمهُ
فأقمارهُ وضّاحةٌ ونجومهُ
فأنواؤه ملتفةٌ وغُيومهُ
خليلُ الذي أوطاكَها وكليمهُ
ومجدك في الذكرِ العظيمِ عظيمهُ
فموسرُ درِّ القولِ فيكَ عديمهُ
ومجدك لا يَنسَى الذمامَ كريمهُ
هي الفخرُ لا يَخْشَى انتقالاً مقيمهُ
بك افتخرتُ أطلالهُ ورسومهُ
ويُعوزه مِن بَعْدِ ذاكِ مَرُومهُ
إذا ضاقَ عُدْرُ العزمِ عَمَنَ يلومهُ
جلالتهُ الثغرِ الغريبِ ورُومهُ
هي البحرُ يُعيي أمرها من يرومهُ
لريعِ حماه واستبِيحِ حريمهُ
فمجدك موفورُ النوالِ عَميمهُ

وَأَنْتَ لَنَا الْغَيْثُ الَّذِي نَسْتَدْرُهُ وَأَنْتَ لَنَا الظِّلُّ الَّذِي نَسْتَدِيمُهُ
وَلَمَّا نَأَتْ دَارِي وَأَعُوزَ مَطْمَعِي وَأَقْلَقْنِي شَوْقُ يَشْبُ جَحِيمُهُ
بَعَثْتُ بِهَا جَهْدَ الْمَقْلِّ مَعُولًا عَلَى مَجْدِكَ الْأَعْلَى الَّذِي جَلَّ خَيْمُهُ
وَكَلْتُ بِهَا هَمِي وَصَدَقَ قَرِيحِي فَسَاعَدَنِي هَاءَ الرُّوِيِّ وَمِيمُهُ
فَلَا تَنْسِنِي يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى فَمِثْلُكَ لَا يُنْسَى لَدَيْهِ خَدِيمُهُ
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقُ وَمَا رَاقَ مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ وَسِيمُهُ

« إلى رسول الحق إلى كافة الخلق ، وغمام الرحمة الصادق البرق ، الحائز في ميدان اصطفاء الرحمن قصب السبق ، خاتم الأنبياء ، وإمام ملائكة السماء ، ومن وجبت له النبوة وآدم بين الطين والماء ، شفيع أرباب الذنوب ، وطبيب أدواء القلوب ، والوسيلة إلى علاّم الغيوب ، نبي الهدى الذي طهر قلبه ، وغفر ذنبه ، وختم به الرسالة ربه ، وجرى في النفوس مجرى الأنفاس حبه ، الشفيع المشفع يوم العرض ، المحمود في ملائكة السماء والأرض ، صاحب اللواء المنشور يوم النشور ، والمؤمن على سِرِّ الكتاب المسطور ، ومُخْرِج الناس من الظلمات إلى النور ، المؤيد بكفاية الله وعصمته ، الموفور حظّه من عنايته ونعمته ، الظل الخفاق على أمته ، مَنْ لو حازت الشمسُ بعضَ كماله ما عدت إشراقاً ، أو كان للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم إشفاقاً ، فائدة الكون ومعناه ، وسر الوجود الذي يبهج الوجود سنّاه ، وصفيّ حضرة القدس الذي لا ينال قلبه إذا نامت عيناه ، البشير الذي سبقت له البشرى ، ورأى من آيات ربّه الكبرى ، ونزل فيه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾ (الإسراء: ١) مَنْ الأنوارُ من عنصر نوره مُسْتَمَكَّة ، والآثار تخلق وآثاره مستجدّة ، مَنْ طُوي بساطُ الوحي لفقده ، وسُدَّ باب الرسالة والنبوة من بعده ، وأوتي جوامع الكلم فوقف البلغاء حسرَى دون حدّه ، الذي انتقل في الغرر الكريمة نوره ، وأضاءت لميلاده مصانع الشام وقصوره ، وطفقت الملائكة تحيته وفودها وتزوره ، وأخبرت الكتب

المنزلة على الأنبياء بأسمائه وصفاته ، وأخذ عهد الإيمان به على مَنْ اتصلت
ببعثته منهم أيام حياته ، المتفزع الأمانع يوم الفزع الأكبر ، والسند المعتمد عليه
في أهوال المحشر ، ذو المعجزات التي أثبتتها المشاهدة والحس ، وأقر بها
الجن والإنس ، من جماد يتكلم ، وجذع لفراقه يتألم ، وقمر له ينشق ،
وحجر يشهد أن ما جاء به هو الحق ، وشمس بدعائه عن مسيرها تحبس ، وماء
من بين أصابعه يتجسس ، وغمام باستسقائه يصب ، وطوي يصبق في
أجاجها فأصبح ماؤها وهو العذب المشروب ، المخصوص بمناقب الكمال وكمال
المناقب ، المسمى بالحاشر العاقب ، ذو المجد البعيد المرامي والمراقب ، أكرم من
رُفعت إليه وسيلة المعترف المغترب ، ونجحت لديه قربة البعيد المقرب ،
سيد الرسل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، الذي فاز بطاعته المحسنون ،
واستُنقذ بشفاعته المذنبون ، وسعد باتباعه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،
صلى الله عليه وسلم ما لمع برق ، وهمع ودق ، وطلعت شمس ، ونسج
اليوم أس :

« من عتيق شفاعته ، وعبد طاعته ، المعتصم بسببه ، المؤمن بالله ثم به ،
المستشفي بذكره كلما تألم ، المفتتح بالصلاة عده كلما تكلم ، الذي إن ذكر
تمثل طلوعه بين أصحابه وآله ، وإن هبَّ النسيم العاطر وجد فيه طيب خلالة ،
وإن سمع الأذان تذكر صوت بلال ، وإن ذكر القرآن استشعر تردد جبريل
بين معاهده وخلاله ، لا يثيم تربه ، ومؤمل قربه ، ورهين طاعته وحبه ،
المتوسل به إلى رضى الله ربه ، يوسف بن إسماعيل بن نصر :

« كتبه إليك يا رسول الله والدمع ماح ، وخيل الوجد ذات جيماح ، عن
شوق يزداد كلما نقص الصبر ، وانكسار لا يتاح له إلا بدؤ مزارك الجبر ،
وكيف لا يعيبي مشوقك الأمر ، وتوطأ على كبده الجمر ، وقد مطلت
الأيام بالقدوم على تريك المقدسة اللحد ، ووعدت الآمال ودانت بإخلاف
الوعد ، وانصرفت الرفاق والعين بنور ضريحك ما اكتحلت ، والركائب إليك

ما رَحَلَتْ ، والعزائم قالت وما فعلت ، والنواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تَسْرَحْ ، وطبورُ الآمال عن وكور العجز لم تَبْسِرَحْ ، فيا لها من معاهدَ فاز مَنْ حَيَّاهَا ، ومشاهد ما أعْطَرَ رِيَّاهَا ، بلاد نِيَطَتْ بها عليك التماثم^١ ، وأشرقت بنورك منها النجودُ والتهائم ، ونزل في حُجُرَاتِهَا عليك الملك ، وانجلي بضياء فرقانك فيها الحلكك ، مَدَارِسُ الآيات والسور ، ومَطَالع المعجزات السافرة الغُرَر ، حيث قضيت الفروض وحتمت ، وافتتحت سورة الرحمن وختمت ، وابتدئت الملة الحنيفية وتمت ، ونُسخت الآيات وأحكمت :

« أما والذي بعثك بالحق هادياً ، وأطلعك للخلق نوراً بادياً ، لا يطفىء غُلَّتِي إِلَّا شِرْبُكَ ، ولا يُسَكِّن لوعي إلا قربك ، فما أَسْعَدَ مَنْ أفاض من حرم الله إلى حرمك ، وأصبح بعد أداء ما فرضت عن الله ضيفَ كرمك ، وعَقَّر الخلد في معاهدك ومعاهد أسرتك ، وتردد ما بين دارِي بعثتك وهجرتك ، وإني لما عاقنتني عن زيارتك العوائق ، وإن كان شغلي عنك بك ، وعدتني الإعداء فيك عن وصل سبي بسبيك ، وأصبحت بين بحرٍ تتلاطم أمواجه ، وعدو تتكاثف أفواجه ، ويحجب الشمس عند الظهيرة عجاجه — في طائفة من المؤمنين بك وطمّنا على الصبر نفوسهم ، وجعلوا التوكل على الله وعليك لبوسهم ، ورفعوا إلى مصارختك رؤوسهم ، واستعذبوا في مرضاة الله تعالى ومرضاتك بؤوسهم ، يطiron من هيعة إلى أخرى ، ويلتفتون والمخاوف عن يُمنى ويسرى ، ويقارعون وهم الفئة القليلة جموعاً كجموع قيصر وكسرى ، لا يبلغون من عدو هو الدر عند انتشاره ، عُسْشَرَ معشاره ، قد باعوا من الله تعالى الحياة الدنيا ، لأن تكون كلمة الله تعالى هي العليا ، فيا له من سِرْب مَرُوع ، وصريخ إلا منك ممنوع ، ودعاء إلى الله وإليك مرفوع ، وصبية حُمُر

١ نثر فيه قول الأعراي :

بلاد بها نيطت علي تماثمي . وأول أرض من جلدي ترابها

الخواصل ، تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل ، والصليب قد تمطى فمدّ
ذراعيه ، ورفعت الأطماع بضبعيه ، وقد حُجبت بالقَتَامِ السماء ، وتلاطمت
أمواج الحديد ، والبأس الشديد ، فالتقى الماء ، ولم يبق إلا الدَّماء ، وعلى ذلك
فما ضعفت البصائر ولا ساءت الظنون ، وما وعد به الشهداء تعتقده القلوب حتى
تكاد تشاهده العيون ، إلى أن نلقاك غداً إن شاء الله تعالى وقد أبلينا العذر ،
وأرغمنا الكفر ، وأعمَلنا في سبيل الله تعالى وسبيلك البيض والسمر - استنبت^١
رقعتي هذه لتطير إليك من شوقي بجناح خافق ، وتسعد من نيتي التي تصحبها برفيق
مُوافِق ، فتؤدّي عن عبدك وتبلغ ، وتعفر الخلد في تُربك وتمرغ ، وتطيب
برياً معاهدك الطاهرة وبيوتك ، وتقِف وقوف الخضوع والخشوع تجاه تابوتك ،
وتقول بلسان التملّق ، عند التثبّت بأسبابك والتعلّق ، منكسرة الطرف ، حذراً
بهرجتها من عدم الصّرف : يا غياث الأمة ، وغمام الرحمة ، ارحم غربتي
وانقطاعي ، وتغمد بطوّلك قصر باعي ، وقوّ على هيبتك خورّ طباعي ، فكم
جزّت من لج مهوّل ، وجُبت من حزون وسهُوّل ، وقابِلُ القبول نيّاتي ،
وعجّل بالرضى لإجابتي ، ومعلوم من كمال تلك الشّيم ، وسجّايا تيك الديم ،
أن لا يخيب قَصْدُ من حطّ بفنائها ، ولا يظمأ وارداً أكبّ على إناثها .

« اللهم يا من جعلته أول الأنبياء بالمعنى وآخرهم بالصورة ، وأعطيته لواء
الحمد يسير آدمُ فمن دونه تحت ظلاله المنشورة ، وملكته أمتة ما زوي له من
زوايا البسيطة المعمورة ، وجعلتني من أمتة المجبولة على حُبّه المفطورة ، وشوقني
إلى معاهده المبرورة ، ومشاهده المزورة ، ووكلت لساني بالصلاة عليه ، وقلبي
بالحنين إليه ، ورغبتني بالتماس ما لديه ، فلا تقطع منه أسبابي ، ولا تحرمني
من حبه ثوابي ، وتداركني بشفاعته يوم أخذ كتابي .
« هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت داره ، وشطّ مزاره ، ولم يجعل بيده

١ استنبت : جواب « لما » التي وقعت قبل سطور عديدة .

اختياره . فإن لم تكن^١ للقبول أهلاً فأنت للإغضاء والسماح أهل ، وإن كانت ألفاظها وعرة فجنايك للقاصدين سهل ، وإن كان الحب يتوارث كما أخبرت ، والعروق تدس حسبما إليه أشرت ، فلي بانتسابي إلى سعد عميد أنصارك مزية ، ووسيلة أثيرة حفية ، فإن لم يكن لي عمل يترتضيه فلي نية ، فلا تنسني ومن بهذه الجزيرة المفتوحة بسيف كلمتك ، على أيدي خيار أمتك ، فإنما نحن بها وديعة تحت بعض أفعالك ، نعوذ بوجه ربك من إغفالك ، ونستنشق من ريح عنايتك نفحة ، ونرتقب من محيا قبولك لمحة ، ندافع بها عدواً طغى وبغى ، وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى ، فمواقف التمحيص قد أعيت من كتب وورخ ، والبحر قد أصمت من استصرخ ، والطاغية في العدوان مستبصر ، والعدو محلق والولي مقصر ، وبجاهلك ندفع ما لا نطيق ، وبعنایتك نعالج سقيم الدين فيفيق ، فلا تفردنا ولا تهملنا ، وناد ربك فينا ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا ﴾ (البقرة : ٢٨٦) ، وطوائف أمتك حيث كانوا عناية منك تكفيهم ، وربك يقول لك وقوله الحق ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ (الأنفال : ٣٣) والصلاة والسلام عليك يا خير من طاف وسعى ، وأجاب داعياً إذا دعا ، وصلى الله على جميع أحزابك وآلك ، صلاة تليق بجلالك ، وتحق لكمالك ، وعلى ضجيعيك وصديقك ، وحيبيك ورفيقيك ، خليفتك في أمتك ، وفاروقك المستخلف بعده على جللك ، وصهرك ذي النورين المخصوص ببرك ونحلتك ، وابن عمك سيفك المسلول على حلتك ، بدر سمائك ووالد أهلتك ، والسلام الكريم عليك وعليهم كثيراً أثيراً ورحمة الله تعالى وبركاته ، وكتب بحضرة جزيرة الأندلس غرناطة ، صانها الله تعالى ووقاها ، ودفع عنها ببركتك كيد عداها » انتهت الرسالة .

٨٦ — وكتب أيضاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان مخدمه

١ الضمير يعود إلى « وسيلة » ويعني بها الرسالة .

السلطان الغني بالله محمد ابن السلطان أبي الحجاج — رحم الله تعالى الجميع —
ما صورته :

دَعَاكَ بِأَقْصَى الْمَغْرِبَيْنِ غَرِيبُ
مَدَلْ بِأَسْبَابِ الرِّجَاءِ وَطَرْفُهُ
يَكْلِفُ قُرْصَ الْبَدْرِ حَمْلَ تَحِيَّةٍ
لَتَرْجِعَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ غَدَوَةٌ
وَيَسْتَوْدِعُ الرِّيحَ الشَّمَالَ شَمَائِلًا
وَيَطْلُبُ فِي جَيْبِ الْجُيُوبِ جَوَابَهَا
وَيَسْتَفْهَمُ الْكَفَّ الْخَضِيبَ وَدَمْعُهُ
وَيَتَّبِعُ آثَارَ الْمَطِيِّ مَشِيعًا
إِذَا أَثَرُ الْأَخْفَافِ لَاحَتْ مَحَارِبًا
وَيَلْقَى رِكَابَ الْحَيِّجِ وَهِيَ قَوَافِلُ
فَلَا قَوْلَ إِلَّا أَنَّهُ "وَتَوَجَّعُ"
غَلِيلُ "وَلَكِنْ مِنْ قَبُولِكَ مِنْهَلُ"
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي وَالْأَمَانِي ضَلَّةُ
أَبْنَجْدُ نَجْدُ بَعْدَ شَحْطِ مَزَارِهِ
وَتَقْضَى دِيُونِي بَعْدَ مَا مَطَّلَ الْمَدَى
وَهَلْ أَقْتَضِي دَهْرِي فَيَسْمَحُ طَائِعًا
وَيَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ لِحَوْمِي مَوْرَدُ
وَلَكِنَّكَ الْمَوْلَى الْجَوَادُ وَجَارُهُ
وَكَيْفَ يَضِيقُ الدَّرْعُ يَوْمًا بِقَاصِدِ
وَمَا هَاجَنِي إِلَّا تَأَلَّقُ بَارِقِ

وَأَنْتَ ، عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ ، قَرِيبُ
غَضِيفُ عَلَى حَكْمِ الْحَيَاءِ مَرِيبُ
إِذَا مَا هَوَى وَالشَّمْسُ حِينَ تَغِيبُ
وَقَدْ ذَاعَ مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ طِيبُ
مَنْ الْحَبِّ لَمْ يَعْلَمْ بِهِنَّ رَقِيبُ
إِذَا مَا أَطْلَتِ وَالصَّبَاحُ جَنِيبُ
غَرَامًا بِحَنَاءِ النَّجِيعِ خَضِيبُ
وَقَدْ زَمَزَمَ الْحَادِي وَحَنَ نَجِيبُ
يَخْرُ عَلَيْهَا رَاكِعًا وَيَنْسِبُ
طِيلَاحُ وَقَدْ لَبَّى النَّدَاءَ لَيْبُ
وَلَا حَوْلَ إِلَّا زَفَرَةٌ وَنَحِيبُ
عَكِيلُ "وَلَكِنْ مِنْ رِضَاكَ طِيبُ"
وَقَدْ تَخْطِئُ الْأَمَالَ ثُمَّ تَصِيبُ
وَيَكْتُبُ بَعْدَ الْبَعْدِ مِنْهُ كَثِيبُ
وَيَنْفُذُ بَيْعِي وَالْمَيْعُ مَعِيبُ
وَأَدْعُو بِحُظِي مَسْمَعًا فَيُجِيبُ
لَدَيْكَ ؟ وَهَلْ لِي فِي رِضَاكَ نَصِيبُ ؟
عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ لَيْسَ يَخِيبُ
وَذَاكَ الْجَنَابُ الْمُسْتَجَارُ رَحِيبُ
يَلُوحُ بِفَوْدِ اللَّيْلِ مِنْهُ مَشِيبُ

ذكرتُ به ركبَ الحجاز وجيرةً
 فبتُ وجفنتي من لآلئِ دمعِهِ
 ترتحنِي الذكري ويهفو بيّ الجوى
 وأحضرُ تعليلًا لشوقي بالمتى
 مرامي ، لو أعطى الأمانى ، زورةً
 فقولُ حبيبٍ إذ يقول تشوقاً
 تعجبتُ من سيفي وقد جاور الغضا
 وأعجبُ أن لا يورقَ الرمحُ في يدي
 فيا سرحَ ذلك الحيّ لو أخلفَ الحيا
 ويا هاجِرَ الجوّ الحديبِ تلبثاً
 ويا قادحَ الزندِ الشّحاحِ ترفقاً
 أيا خاتمَ الرسلِ المتكينِ مكانهُ
 فؤادي على جمرِ البعادِ مقلّبُ
 فوالله ما يزدادُ إلا تلهباً
 فليلتُهُ ليلُ السّليمِ ويومُها
 هوأي هُدًى فيك اهتديتُ بنوره
 وحسبي على أني لصحبك مُنتمٍ
 عدتُ عن مغانيك المشوقة للعدا
 حِرَاصُ على إطفاء نورٍ قد حثتهُ
 فكم من شهيدٍ في رضاك مجدّلٍ
 تمرُّ الرياحُ الغُفلُ فوق كلومهم
 بنصرِكَ عنك الشغلُ من غيرِ منّةٍ

أهابَ بها نحو الحبيب مُهيبُ
 غنيّ وصبري للشجونِ سليبُ
 كما مال غصنُ في الرياضِ رطيبُ
 ويطرقُ وجدُ غالبُ فأغيبُ
 يُبثُّ غرامُ عندها ووجيبُ
 عسى وطنُ يدنو إليّ حبيبُ
 بقَلْبِي فلم يسبكه منه مذيّبُ
 ومن فوقه غيثُ المشوقِ سكيبُ
 لأغناك من صَوْبِ الدموعِ صيبُ
 فعهدي رطبُ الجانينِ خصيبُ
 عليك فشوقي الخارجيّ شيبُ
 حديثُ الغريبِ الدارِ فيك غريبُ
 يُماحُ عليه للدموعِ قلبُ
 أبصرتُ ماءً ثارَ عنه هيبُ
 إذا شدَّ للشوقِ العصابُ عصبُ
 ومنتسبي للصحبِ منك نسيبُ
 وللخزرجيّينِ الكرامِ نسيبُ
 عقاربُ لا يخفى لهنّ ديبُ
 فمستلبُ منّ دونه وسليبُ
 يظله نسرُ ويندبُ ذيبُ
 فتعقبُ من أنفاسِها وتطيبُ
 وهل يتساوى مشهدُ ومغيّبُ

فإن صَحَّ منك الحظُّ طاوَعَتِ المُنَى ويبعدُ مرمى السهم وهو مُصِيبُ
ولولاك لم يُعْجَمَ من الروم عودُها فعُودُ الصليبِ الأعجميِّ صليبُ
وقد كانتِ الأحوالُ ، لولا مراغبُ ضمنتَ ووعدُ بالظهور ، تُريبُ
فما شئتَ من نصرٍ عزيزٍ وأنعمِ أثابَ بهنَّ المؤمنين مُثِيبُ
منابرُ عزٍّ أذّنَ الفتحُ فوقها وأفصحَ للعضبِ الطريرِ خطيبُ
نقُودُ إلى هيجائها كلَّ صائلٍ كما ريعَ مكحولُ اللحاظِ رَبِيبُ
ونجتابُ من سَرَدِ اليقينِ مدارعاً يكفّئُها من يجتني ويثيبُ
إذا اضطربَ الخطيُّ حولَ غديرِها يروقكَ منها بلّةٌ وقَضِيبُ
فعدراً وإغضاءً ولا تنسَ صارخاً بعزكَ يرجو أن يجيبَ مجيبُ
وجاهك بعدَ الله نرجو ، وإنه لحظُّ مليءٌ بالوفاء رغبُ
عليك صلاةُ الله ما طيّبَ الفضا عليك مطيلٌ بالثناء مطيبُ
وما اهترَّ قدٌ للغضونِ مرتَّحٌ وما افترَّ ثغرٌ للبروقِ شَنِيبُ

« إلى حجة الله تعالى المؤيدة ببراهين أنواره، وفائدة الكون ونكتة أدواره، وصفوة نوع البشر ومنتهى أطواره ، إلى المجتبي وموجود الوجود لم يغن بمطلق الوجود عديمه ، المصطفى من ذرية آدم قبل أن يكسو العظام أديمه ، المحتوم في القيد ، وظلمات العدم ، عند صدق القَدَم ، تفضيله وتقديمه ، إلى وديعة النور المنتقل في الجباه الكريمة والغرر ، ودرة الأنبياء التي لها الفضل على الدرر ، وغمام الرحمة الهامية الدرر ، إلى مختار الله تعالى المخصوص باجتماعه ، وحبيبه الذي له المزية على أحبائه ، وذرية أنبياء الله تعالى آبائه ، إلى الذي شرح صدره وغسله ، ثم بعثه واسطة بينه وبين العباد وأرسله ، وأتم عليه إنعامه الذي أجزله ، وأنزل عليه من الهدى والنور ما أنزله ، إلى بشرى المسيح والذبيح ، ومن لهم التجرُّ الرياح ، المنصور بالرعب والريح ، المخصوص

بالنسب الصريح ، إلى الذي جعله في المَحُولِ غماماً ، وللأنبياء إماماً ، وشقَّ صدره لتلقي روح أمره غلاماً ، وأعلم به في التوراة والإنجيل إعلاماً ، وعلم المؤمنين صلاةً عليه وسلاماً ، إلى الشفيع الذي لا تُردُّ في العُصاة شفاعته ، والوجيه الذي قرنت بطاعة الله تعالى طاعته ، والرؤوف الرحيم الذي خلصت إلى الله تعالى في أهل الجرائم ضراعتة ، صاحب الآيات التي لا يسعُ ردها ، والمعجزات التي أربى على الألف عدها ، فمن قمر شقَّ ، وجذع حن له وحق ، وبنان يتفجّر بالماء ، فيقوم بريّ الظماء ، وطعام يشبعُ الجمع الكثير يسيره ، وغمام يُظللُّ به مقامه ومسيره ، خطيب المقام المحمود إذا كان العريض ، وأول من تنشقُّ عنه الأرض ، ووسيلة الله تعالى التي لولاها ما أقرض القرض ، ولا عُرِف النفل والقرض ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المحمود الخلال من ذي الجلال ، الشاهد بصدقه صحفُ الأنبياء وكتبُ الأرسال ، وآياته التي أثلجت القلوب ببرد اليقين السلسال ، صلى الله عليه وسلّم ما ذرَّ شارق ، وأومض بارق ، وفرق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق ، صلاة تتأرج على شذا الزهر ، وتبتلج عن سنا الكواكب الزهر ، وتردد بين السر والجهر ، وتستغرق ساعات اليوم وأيام الشهر ، وتدوم بدوام الدهر :

« من عبد هُداة ، ومستقري مَوَاقِعِ نِداءه ، ومزاحم أبناء أنصاره في منتداه ، وبعض سهامه المفوقة إلى نحور عداة ، مؤمل العتق من النار بشفاعته ، ومحرز طاعة الجبار بطاعته ، الآمن باتصال رعيه من إهمال الله تعالى وإضاعته ، متخذ الصلاة عليه وسائل نجاة ، وذخائر في الشدائد مُرتجاة ، متاجر بضائعها غير مُزجاة ، الذي ملأ بحبه جوانح صدره ، وجعل فكره هالة لبدنه ، وأوجب حقه على قدر العبد لا على قدره ، محمد بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي ، نسيب سعد بن عبادة من أصحابه ، وبوارق سحابه ، وسيوف نصرته ، وأقطاب دار هجرته ، ظلله الله تعالى يوم الفزع الأكبر من رضاك عنه بظلال الأمان ، كما أثار قلبه من هدايتك بأنوار الهدى والإيمان ، وجعله

من أهل السياحة في فضاء حبك والهيمنان :

« كتبه إليك يا رسول الله - واليراع تقتضي الهبة صفرة لونه ، والمداد يكاد أن يحول سواد جونه ، وورقة الكتاب يخفق فؤادها حرصاً على حفظ اسمك الكريم وصونه ، والدمع يقطر فتتقط به الحروف وتفصل الأسطر ، وتوهمُ المثلول بمثواك المقدس لا يمر بالخاطر سواه ولا يخطر ، عن قلب بالبعد عنك قريح ، وجفن بالبكاء جريح ، وتأوه عن تبريح ، كلما هب من أرضك نسيم ريح ، وانكسار ليس له إلا جبرك ، واغتراب لا يؤنس فيه إلا قربك ، وإن يقض فقبرك ، وكيف لا يسلم في مثلها الأسى ، ويوخش الصباح والمساء ، ويرجف جبل الصبر بعدما رسا ، لولا لعل وعسى ، فقد سارت الركبان إليك ولم يقض مسير ، وحومت الأسراب عليك والجنح كسير ، ووعدت الآمال فأخلفت ، وحلفت العزائم فلم تف بما حلفت ، ولم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الأثيل ، إلا على التمثيل ، ولا من المعالم الملتزمة التنوير ، إلا على التصوير ، مهبط وحي الله تعالى ومنتزل أسمائه ، ومتردد ملائكة سمائه ، ومدافن أوليائه ، وملاحد أصحاب خيرة أنبيائه ، رزقني الله تعالى الرضى بقضائه ، والصبر على جاحم البعد ورمضائه - من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الإسلام بالأندلس قاصية سيلك ، ومسحبة رجلك يا رسول الله وخيلك ، وأناى مطارح دعوتك ومساحب ذيلك ، حيث مصاف الجهاد في سبيل الله وسبيلك قد ظللها القتام ، وشهبان الأسنة أطلعها منه الإعتام ، وأسواق بيع النفوس من الله تعالى قد تعدد بها الأيامي والأيتام ، حيث الجراح قد تحلت بعسجد نجيعها النحور ، والشهداء تحف بها الحور ، والأمم الغربية قد قطعها عن المدد البحور ، حيث المباسم المفترة ، تجلوها المصارع البرة ، فتحييها بالعرء ثغور الأزاهر ، وتندبها صوادح الأدواح برنات تلك المزاهر ، وتحلي السحاب أشلاءها المعطلة من ظلها بالجواهر ، وحيث الإسلام من عدوه المكاييد بمنزلة

قطرةٍ من عارضِ غمام ، وحَصاةٍ من ثبيرٍ أو شَمَام ، وقد سدت الطريق ،
وأسلم الفراقُ الفريق ، وأغصَّ الريق ، ويشسَّ من الساحل الغريق ، إلا أن
الإسلام بهذه الجهة المتمسكة بحبل الله تعالى وحَبْلِكَ ، المهتدية بأدِلَّةِ سُبُلِكَ ،
سالم والحمد لله تعالى من الانصداع ، محروسٌ بفضل الله تعالى من الابتداع ،
مقدودٌ من جديد الملة ، معدومٌ فيه وجودُ الطوائف المضلّة ، إلا ما يخص
الكفر من هذه العلة ، والاستظهار على جمع الكثرة من جموعه بجمع القلة .
« ول هذه الأيام يا رسول الله أقام الله تعالى أودّةً برّاً بوجهك الوجهيه ورَعِيّاً ،
وإنجازاً لوعدك وهو الذي لا يخلف وعداً ولا يخيب سَعِيّاً ، وفتح لنا فتوحاً
أشعرتنا برضاه عن وطننا الغريب ، وبشّرتنا منه تعالى بغفر التقصير ورفع
الثريب ، ونصرنا ولّه المنّة على عبْدَةِ الصليب ، وجعل لآلِنا الرُدِّيَّيْنِ
ولامينا السّردي حكم التغليب ، وإذا كانت الموالي التي طوّقت الأعناق مِنّهُها ،
وقررت العوائد الحسان سيرها وسننّها ، تبادر إليها نوّابها الصرخاء وخدامها
النصحاء بالبشائر ، والمسرات التي تشاع في العشائر ، وتجلو لديها نتائج أيديها ،
وغايات مباديها ، وتتاحفها وتهاديا ، بمجاني جناتها وأزاهر غَوّاديا ، وتطرف
محاضرها بطُرفِ بواديا ، فبابُكَ يا رسولَ الله أولى بذلك وأحقّ ، ولك
الحق الحق ، والحرُّ منّا عبْدُكَ المسترقّ ، حسبما سجّله الرق ، وفي رضاك
من كل من يلتمس رضاه المطمع ، ومثوّاك المتجمّع ، وملوك الإسلام
في الحقيقة عبيد سُدَّتْكَ المؤملة ، وخَوَّلْ مُثابِتكَ المحسنة بالحسنات المجملة ،
وشهب تعشو إلى بدورك المكملة ، وبعض سيوفك المقلّدة في سبيل الله تعالى
المحملة ، وحَرَسة مهادِك ، وسلاح جهادك ، وبروق عيهاك .
« وإن مكفول احترامك الذي لا يخفر ، وربّيّ إنعامك الذي لا يكفر ،
وملتحف جاهك الذي يمحي ذنبه بشفاعتك إن شاء الله تعالى ويُغفّر ، يطالع
روضة الجنة المفتحة أبوابها بمثوّاك ، ويفاتح صيوان القُدُس الذي أجنّك وحَوّاك ،

وينثر بضائع الصلاة عليك بين يدي الضريح الذي طَوَّاهُ ، ويعرض جنى ما
 غرست وبذرت ، ومصداق ما بشرت به لما بشرت وأنذرت ، وما انتهى إليه
 طَلَقُ جهادك ، ومَصَبُ عِيادك ، لتقرَّ عينُ نصحك التي أنام العيونَ الساهرةَ
 هجوعُها ، وأشيع البطونَ وروَّاهَا ظمؤُها في الله تعالى وجوْعُها ، وإن كانت
 الأمور بمرأى من عَيْنِ عنايتك ، وغيبها متعرف بين إفصاحك وكنائتك ، ومجمله
 يا رسول الله صلى الله عليك ، وبلغَ وسيلتي إليك ، هو أن الله سبحانه لما عرفني
 لطفه الخفي في التمحيص ، المقتضي عدم المحيص ، ثم في التخصيص ، المغني
 بعيانه عن التنصيص ، وفق بركاتك السارية رحمتها في القلوب ، ووسائل
 محبتك العائدة بنيل المطلوب ، إلى استفادة عظة واعتبار ، واغتنام إقبال بعد إدبار ،
 ومزيد استبصار ، واستعانة بالله تعالى وانتصار ، فسكن هبوب الكفر بعد إعصار ،
 وحلَّ مخنق الإسلام بعد حصار ، وجرت على سنن السنَّة بحسب الاستطاعة
 والمنَّة السيرة ، وجُبرت بجاهك القلوب الكسيرة ، وسُهلت المآربُ العسيرة ،
 ورفع بيد العزة الضيِّم ، وكشف بنور البصيرة الغيِّم ، وظهر القليل على الكثير ،
 وباء الكفرُ بخطَّة التعثير ، واستوى الدينُ الخفيفُ على المهاد الوثير ، فاهتبلنا
 يا رسول الله غيرة العدو وانتهزناها ، وشِمْنَا صَوَارِمَ عزة الغدو وهَزَّناها ،
 وأزحنا علل الجيوش وجهزناها .

« فكان ممَّا ساعد عليه القدر ، والخطبُ المبتدر ، والورد الذي حَسُنَ بعده
 الصَّدَر ، أننا عاجلنا مدينة بُرْغُهُ^١ ، وقد جَرَّعَتِ الأخْتين مالقَةَ ورُنْدَةَ ،
 من مدائن دينك ، ومزابين ميادينك ، أكواسَ الفِراق ، وأذكرت مثل مَنْ
 بالعراق ، وسدت طرق التزاور عن الطُّراق ، وأسالت المسيلَ بالنجيع
 المُرَّاق ، في مواصد المراد والمَرَّاق ، ومنعت المراسلة مع هدير الحمام ، لا بل
 مع طَيِّف المنام عند الإلام ، فيسّر الله تعالى اقتحامها ، وألحمت بيض الشفار

١ بُرْغُهُ (Burgo) بين مالقة ورندة .

في زُرُق الكفار لإحامها ، وأزال بَشْرُ السيوف من بين تلك الحروف لإحامها ،
فانطلق المَسْرَى ، واستبشرت القواعدُ الحَسْرَى ، وعدمت بطريقها المخيف
مصارع الصَّرْعَى ومثاقف الأسْرَى ، والحمد لله على فتحه الأسْنَى وَمَنْحِهِ
الأسْرَى ، ولا إله إلا هو منقَل قيصر وكسرى ، وفاتح مغلقتهما المنبعة قَسْرًا ؛
واستولى الإسلام منها على قرار جنات ، وأم بنات ، وقاعدة حصون ، وشجرة
غصون ، طهرت مساجدها المغتصبة المكرهة ، وفجع بحفظها الفيل الأفيل وأبرهة ،
وانطلقت بذكر الله الألسنة المدرّهة ، وفاز بسبق ميدانها جياذك الفرهة ، هذا
وطاغية الروم على توفّر جموعه ، وهول مرثيه ومسموعه ، قريبٌ جوارُه ،
بحيث يتصل خَوَارُه ، وقد حرك إليها الحنين حوَارُه .

«ثمّ نازل المسلمون بعدها شجاء الإسلام الذي أعيا النطاسيَّ علاجه ،
وكرك^١ هذا القطر الذي لا تُطاوَل أعلامه ولا تصاول أعلاجه ، وركاب الغارات
التي تطوي المراحل إلى مُكايدة المسلمين طي البرود ، وحجر الحيات التي لا
تخلع على اختلاف الفصول جلود الزرود ، ومُنْعَصُ الورود في العذب المورد ،
ومُقْضِ المضاجع ، وحلم الهاجع ، ومجهّز الخطب الفاجيء الفاجع ، ومستدرك
فاتكة الراجع ، قبل هبوب الطائر الساجع ، حصن آشر^٢ حماه الله تعالى دعاء
لا خبراً ، كما جعله للمتفكرين في قدرته معتبراً ، فأحاطوا به إحاطة القلادة
بالجيد ، وأذلوا عزته بعزة ذي العرش المجيد ، وحفت به الرايات يَسِمُها
وَسْمُك ، ويلوح في صفحاتها اسمُ الله تعالى واسْمُك ، فلا ترى إلا نفوساً
تتراحم على مَوْرَد الشهادة أسرابها ، وليوثاً يَصْدُق في الله تعالى ضِرابُها ،
وأرسل الله عليها رِجْزاً إسرائيليّاً من جَرَاد السهام ، تشد آياته عن الأفهام ،

١ شبهه بحصن الكرك ، وكان ذا شأن ومنعة في الحروب الصليبية .

٢ حصن آشر (Iznajar) في الجنوب الشرقي لحصن روطة (Rute) على ضفة رافد من روافد
شنيل ؛ وقد صُحِف في ق فكتب «أشب» .

وسدد إلى الجبل النفوس القابلة للإلهام ، من بعد الاستغلاق والاستبهاًم ، وقد عبثت جوارح صخوره في قنائص الهام ، وأعيا صَعْبُهُ على الجيش اللُّهَام ، فأخذ مسائغةُ النقصُ والنقبُ ، ورعًا فوق أهله السَّقبُ^١ ، ونُصبت المعارج والمَراقي ، وقُرعت المناكب والتراقي ، واغتنم الصادقون مع الله تعالى الحظ الباقي ، وقال الشهيد السابق : يا فوز استبائي ، ودخل البلد فألحم السيف ، واستُلبَ البَحْتُ والزيف ، ثم استخلصت القصبة فعلت أعلامك في أبراجها المشيدة ، وظفر ناشدُ دينك منها بالنشيدة^٢ ، وشكر الله تعالى في قصدها مساعي النصائح الرشيدة ، وعمل ما يرضيك يا رسول الله في سدِّ ثُلُمها ، وصَوْن مستلمها ، ومداواة أَلَمها ، حرصاً على الاقتداء في مثلها بأعمالك ، والاهتداء بمِشْكَاة كمالك ، ورتب فيها الحماة تشجي العدو ، وتصل في مرضاة الله تعالى ومرضاتك برواحها الغُدُو .

«ثم كان الغزو إلى مدينة إطريرة^٣ بنت حاضرة الكفر إشبيلية التي أظلمتها بالجناح الساتر ، وأنامتها في ضَمَان الأمان للحُسام الباتر ، وقد وتر الإسلام من هذه المومسة البائسة بوتر الواتر ، وأحفظَ منها بأذى الوقاح المهاثر ، لما جرته على أسراه من عمل الخاتل الخاطر ، حَسَبَ المنقول لا بل المتواتر ، فطوى إليها المسلمون المدى النازح ، ولم تشكُ المطيُّ الروازح ، وصدق الجِدُّ جَدَّها المازح ، وخفقت فوق أوكارها أجنحةُ الأعلام ، وغشيتها أفواجُ الملائكة الموسومة وظلالُ الغمام ، وصابت من السهام ودَّق الرَّهَام ، وكاد يكفي السهام على الأرض ارتجاج أجوائها بكلمة الإسلام ، وقد صَمَّ خاطبُ عروس الشهادة

١ السقب : ولد الناقة وفي العبارة إشارة إلى ما حل بقوم صالح عندما عقروا الناقة ، فيقال في المثل لتصوير الهلاك « رغا فوقهم السقب » .
٢ النشيدة : الضالة التي تنشد أي تطلب .
٣ إطريرة (Utrera) إلى الجنوب الشرقي من إشبيلية على بعد ٣٩ كيلومتراً ، وقد ضبعت بكسر الهجزة وسكون الطاء .

عن الملام ، وسمح بالعزير المصُون مباع الملك العلام ، وتكلم لسانُ الحديد الصامت وصمت إلاّ بذكر الله لسانُ الكلام ، ووفت الأوتار بالأوتار ، ووصل بالخطّي ذرْع الأبيض البتار ، وسلطت النار على أربابها ، وأذن الله تعالى في تبار تلك الأمة وتبأها ، فنزلوا على حكم السيف آلافاً ، بعد أن أتلّفوا بالسلاح إتلافاً ، واستوعب المقاتلة كِتافاً ، وقُرِنُوا في الجُدُلِ أَكثافاً أَكثافاً ، وحُمِلت العقائل والخرائد ، والولدان والولائد ، لركاباً من فوق الظهور وإردافاً ، وأقلت منها أفلاك الحمول بدوراً تضيء من ليالي المحاق أسدافاً ، وامتلأت الأيدي من المواهب والغنائم ، بما لا يصوّره حلم النائم ، وتركت العوّافي تتداعى إلى تلك الولائم ، وتفتن من مطاعمها في الملائم ، وشنت الغارات على حمص فجملت خارجها مغاراً ، وكست كبار الروم بها صغاراً ، وأجحرت أبطالها لإجحاراً ، واستاقت من النعم ما لا يقبل الحصر استبحاراً .

« ولم يكن إلا أن عدل القسم ، واستقل بالقفول العزيز الرسم ، ووضع من التوفيق الوسم ، فكانت الحركة إلى قاعدة جَيّان قِيعَة الظل الأبرد ، ونسيجة المنوال المفرد ، وكناس الغيد الحُرْد ، وكُرسي الإمارة ، وبحر العمارة ، ومهوى هوى الغيث الهَتُون ، وحزب التين والزيتون ، حيث خندق الجنة تدنو لأهل النار مَجانِيه ، وتشرق بشواطئ الأنهار لإشراق الأزهار زُهرُ مبانيه ، والقلعة التي تَخْتَمَتُ بنانُ شرفاتها بخواتيم النجوم ، وهَمَّت من دون سحابها البيض سحائبُ الغيث السَّجُوم ، والعقيلة التي أبدى الإسلام يوم طلاقها . ، وهجوم فراقها ، سِمَة الوجوم لذلك الهجوم ، فرمتها البلاد المسلمة بأفلاذ أكبادها الوادعة ، وأجابت منادي دعوتك الصادقة الصاعدة ، وحَبَّتْها بالفادحة الفادعة ، فغَصَّت الرُّبى والوهاد بالتكبير والتهليل ، وتجاوبت الخيلُ بالصَّهيل ، وانهالت الجموعُ المجاهدة في الله تعالى انهيالَ الكَثيب المَهيل ، وفهمت نفوسُ العباد المجاهدة في الله تعالى حقَّ الجهاد معاني التيسير من ربّها والتسهيل ، وسفرت الرايات عن المرأى الجميل ، وأربت المحلات المسلمة على التأميل ، ولما صبحتها

النواصي المقبلة العُرَر، والأعلام المكتتة الطُرَر ، برز حاميتها مُصْحِرِينَ^١ ،
 وللحوزة المستباحة منتصرين ، فكأثرهم من سَرْعَانِ الأبطال رَجُلُ الدِّبَا^٢ ،
 ونَبَتْ الوهاد والرُّبَى ، فأقحموهم من وراء السور ، وأسرعت أقلام الرماح
 في بسط بعددهم المكسور ، وتركت صرعاهم ولائم للنسور ، ثم اقتحموا رِبَاضَ
 المدينة الأعظم ففرعوه ، وجدّوا مَنْ دافع عن أسواره وصَرَعه ، وأكواسَ
 الختوف جرّعه ، ولم يتصل أولى الناس بأخراهم ، ويحمد بمخيم النصر العزيز
 سُراهم ، حتى خذل^٣ الكافر الصبرُ وأسلم الجِلْد ، ونزل على المسلمين النصر
 فدُخِلَ البلد ، وطاح في السيل الجارف الوالد منه والولد ، وأتهم المطرف والمتلد ،
 فكان هولاً بعيداً الشناعة ، وبعثاً كقيام الساعة ، أعجل المجانيق عن الركوع
 والسجود ، والسلام عن مطاولة النجود ، والأيدي عن ردم الخنادق والأغوار ،
 والأكبش عن مناطق الأسوار ، والنفوط عن لصعاق الفجار ، وعمد الحديد ،
 ومعاول البأس الشديد ، عن نقب الأبراج ونقض الأحجار ، فهيلتِ الكتبان ،
 وأبيد الشيب والشبان ، وكسرت الصُّلْبَان ، وفجع بهدم الكنائس الرهبان ،
 وأهبطت النواقيسُ من مَرَاقبها العالية وصروحها المتعالية ، وخلعت ألسنتها
 الكاذبة ، ونقل ما استطاعته الأيدي المجاذبة ، وعجزت عن الأسلاب ذوات
 الظهور ، وجلل الإسلام شعار العزّ والظهور ، بما خلت عن مثله سواف الدهور
 والأعوام والشهور ، وأعرست الشهداء ومن النفوس المبيعة من الله تعالى نحل
 الصدقات والمهور ، ومن بعد ذلك هُدم السور ، ومحيت عن محيطه المحكم
 السطور ، وكاد يسير ذلك الجبلُ الذي اقتعدته المدينة ويدك ذلك الطور ، ومن
 بعد ما خرب الوجار ، عُمُرت الأشجار ، وعُفِّرَ المنار ، وسلطت على بنات

١ مصحرين : بارزين .

٢ الرجل : الجماعة ، والدبا : الجراد .

٣ في ق : جذل ، وصوبناه .

٤ ق : الأشلاء .

التراب والماء النار ، وارتحل عنها المسلمون وقد عمتها المصائب ، وأصمى لبثها
السهمُ الصائب ، وجللتها القشاعيمُ العصائب ، فالذئاب في الليل البهيم تعسل ،
والضباع من الحذبِ البعيد تنسل ، وقد ضاقت الجُدُلُ عن المخائق ، وبيع
العرضُ الثمين بالدائق ، وسُبكت أسورة الأسوار ، وسويت الهضاب بالأغوار ،
واكتسحت الأحوازَ القاصية سرايا الغوار ، وحجبت بالدخانِ مطالعُ الأنوار ،
وتخلفت قاعتها عبرة للمعتبرين وعظة للناظرين ، وآية للمستبصرين ، ونادى لسان
الحمية ، يا لثارات الإسكندرية ، فأسمع آذان المقيمين والمسافرين ، وأحقَّ الله
الحقَّ بكلماته وقطع دابر الكافرين .

«ثم كانت الحركة إلى أختها الكبرى ، ولدتها الحزينة عليها العبرى ، مدينة
أبدة^١ ذات العمرانِ المستبحر ، والربضِ الحرق المصحر ، والمباني الثَّمَّ الأنوف ،
وعقائل المصانع الجمة الحلي والشنوف ، والغاب الأنوف ، بلدة التجر ، والعسكر
المَجْر ، وأفق الضلال الفاجر الكذب على الله تعالى الكاذبِ الفَجْر ، فخذل
الله تعالى حاميتَها التي يعي الحسابَ عدُّها ، وسَجَر بحورها التي لا يرام مدُّها ،
وحقَّت عليها كلمة الله تعالى التي لا يستطاع رَدُّها ، فدُخلت لأوّل وهلة ،
واستوعب جَمُّها والمنة لله تعالى في نهلة ، ولم يكف السيف من عليها ولا مهلة ،
فلمّا تناولها العفا والتخريب ، واستباحها الفتح القريب ، وأسندَ عن عوآليها
حديثُ النصر الحسن الغريب ، وأقعدت أبراجها من بعد القيام والانتصاب ،
وأضُرِعتْ مسايِفها^٢ لهول المصاب ، انصرف عنها المسلمون بالفتح الذي عظم
صيته ، والعز الذي سما طَرَفه واشترأب لِيَتُّه ، والعزم الذي حُمِدَ مسْراه
ومبيته ، والحمد لله ناظم الأمر وقد راب شتيته ، وجابر الكسر وقد أفات
الجبر مفيته .

١ أبدة (Ubeda) - بتشديد الباء - إلى الشمال الشرقي من جيان .

٢ المسايِف : جمع مسيف ، ويعني بها لسان الدين في الأرجح ، المدماك (أي السطر من البناء) .

« ثم كان الغزو إلى أم البلاد ، ومشوى الطارف والتلاد ، قرطبة ، وما قرطبة ؟
المدينة التي على عمل أهلها في القديم بهذا الإقليم كان العمل ، والكروسي
الذي بعصاه رُعي الحمل ، والمصر الذي له في خطة المعمور الناقة والحمل ،
والأفق الذي هو لشمس الخلافة العَبْشَمِيَّة^١ الحمل ، فخيم الإسلام بعقوتها^٢
المستباحة ، وأجاز نهرها المعبي على السباحة ، وعم دَوْحها الأشيب بواراً ،
وأدار المحلات بسورها سيواراً ، وأخذ بمُخَنَّتِهَا حِصَاراً ، وأعمل النصر بشجر
بصلها^٣ اجتناء ما شاء واهتصاراً ، وجدل من أبطالها من لم يرض انجحاراً ، فأعمل
إلى المسلمين إصحاراً ، حتى فرغ بعض جهاتها غلاباً جهاراً ، ورفعت الأعلام لإعلاماً
بعز الإسلام وإظهاراً ، فلولا استهلال الغواذي ، وأن أتى الوادي ، لأفضت
إلى فتح الفتوح تلك المبادي ، ولقضى تَفَثُهُ^٤ العاكف والبادي ، فاقضى
الرأي - ولذنب الزمان في اغتصاب الكفر إياها متاب ، تعمل ببشره بفضل
الله تعالى أقتاد وأقتاب^٥ ، ولكل أجل كتاب - أن يُرَاضَ صَعْبُهَا حتى يعود
ذلولاً ، وتُعْفَى معاهدها الآلهة فتترك طُلُولاً ، فإذا فجع الله تعالى بمارج النار
طوائفها المارجة ، وأباد بخارجها الطائفة والدارجة ، خَطَبَ السيف منها أم^٥
خارجة^٥ ، فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار ومفارق المضاب بالهشيم قد شابت ،
والغلات المستغلات قد دعا بها القَصَلُ فما ارتابت ، وكأن صحيفة نهرها لما

١ العبشمية : نسبة إلى عبد شمس .

٢ العقوة : الساحة . وفي ق : بعقرتها .

٣ ق : فأعمل النصر . . . نصها ؛ والمراد أن النصر حطم رماحها .

٤ التفث في الحج : الحلق والتقشير وقص الأنفجار ونحر البدن وغير ذلك مما يفعله الحاج إذا حل من إحرامه ، والمراد أنه استوفى حجه ، فكفى به لسان الدين عن بلوغ غاية الأرب .

٥ أم خارجة : كانت سريعة الخطبة ولذلك قيل في المثل « أسرع من نكاح أم خارجة » وقد شبه قرطبة بها لتداول الغلبة عليها دهرأ بعد دهر ، وألح ابن شهيد إلى هذا حين تنزل بقرطبة فقال :

زنت بالرجال على سنها فيا حبذا هي من زانيه

أضرمّت النار في^١ ظهرها ذابت ، وحيته فرّت أمام الحريق فانسابت ، وتخلّفت لغمام الدخان عمائم تلويها برؤوس الجبال أيدي الرياح ، وتنشرها بعد الركود أيدي الاجتياح ، وأغرّيت بأقطارها الشاسعة ، وجهاتها الواسعة ، جنود الجوع ، وتوعدت بالرجوع ، فسلب أهلها لتوقع الهجوم منزور الهجوع ، فأعلامها خاشعة خاضعة ، وولّدانها لثديّ البؤس راضعة ، والله سبحانه يُوفِدُ بخبر فتحها القريب ركابَ البُشرى ، وينشر رحمته قبيلنا نشرًا .

«ثم تنوّعتُ يا رسول الله لهذا العهد أحوالُ العدو تنوّعاً يوهّم إفاقة من الغمرة ، وكادت فتنته تؤذّن بنخمود الحمرة ، وتُوقّع الواقع ، وحذّر ذلك السمُّ الناقع ، وخيف الحرق الذي يحار فيه الراقع ، فتعرّفت عوائد الله سبحانه ببركة هدايتك ، وموصول عنايتك ، فأُنزل النصر والسكينة ، ومكّن العقائد المكيّنة ، فثابت الغزائم وهبّت ، واطّردت عوائد الإقدام واستتبت ، وما راع العدو إلا خيل الله تعالى تجوس خلاله ، وشمس الحق توجب ضلاله ، وهُدَاك الذي هَدَيْت يُدْخِضُ ضلاله ، ونازلنا حصني قنبيّل والحائر^٢ ، وهما معقلان متجاوران يتناجى منهما الساكن سراراً ، وقد اتخذنا بين النجوم قَرَاراً ، وفصل بينهما حسام النهر يروق غراراً ، والتفّ معصمه في حلّة العَصْب وقد جعل الجسر سواراً ، فخذل الصليبُ بذلك الثغر مَنْ تولاّه ، وارتفعت أعلام الإسلام بأعلاه ، وتبرجت عروسُ الفتح المبين بمجّلاه ، والحمد لله تعالى على ما أولاه .

ثم تحركنا على تفتة^٣ تعدّي ثغر الوسطة على عدوّه المساوِر في المضاجع ، ومصبحه بالفاجيء الفاجع ، فنازلنا حصن روضة الآخذ بالكِظْم ، المعترض بالشجّا اعراض العظم ، وقد شحنه العدو مدداً بئيساً ، ولم يألُ اختياره رأياً ولا تليساً ، فأعيا دأؤه ، واستقلت بالمدافعة أعداؤه ، ولما أتلع إليه جيد المنجنيق ،

١ ق : حافي ، وللمها : حامي .

٢ ق : والحوائر .

٣ على تفتة : على أثر .

وقد برك عليه بروك الفتيق ، وشد عصام العزم الوثيق ، لجأ أهلُه إلى التماس
العهود والمواثيق ، وقد غصوا بالريق ، وكاد يذهب بأبصارهم لمعانُ البريق ،
فسكناه من حامية المجاهدين بمن يحمي ذماره ، ويقرر اعتماره ، واستولى أهل
الثغور إلى هذا الحد على معاقل كانت مستغلقة ففتحوها ؛ وشرعوا أرشيّة الرماح
إلى قُلُوبِ قلوبها فمتحوها .

« ولم تكد الجيوش المجاهدة تنفضُ عن الأعراف متراكم الغبار ، وترخي عن
آباط خيلها شدَّ حَزْمُ المغار ، حتى عاودت النفوسُ شوقَها ، واستبعت ذوقَها ،
وخطبت التي لا فوقَها ، وذهبت بها الآمال إلى الغاية القاصية ، والمدارك
المتصاعدة على الأفكار المتعاصية ، فقصدنا الجزيرة الخضراء باب هذا الوطن الذي
منه طريقَ وادعه ، ومطلع الحق الذي صدَّع الباطلَ صادعه ، وثنية الفتح التي
برَّقَ منها لامعه ، ومشرف الهجوم الذي لم تكن لتعثر على غيره مطامعه ، وفرضة
المجاز التي لا تنكر ، ومجمع البحرين في بعض ما يذكر ، حيث يتقارب الشيطان ،
ويتوازي الخطان ، وكاد أن تلتقي حَلَقَتَا البِطَان ، وقد كان الكفرُ قَدَرُ قَدَرٍ
هذه الفرضة التي طرق منها حِمَاه ، ورماه الفتح الأول بما رماه ، وعلم أن لا
تتصل أيدي المسلمين بإخوانهم إلا من تلقائها ، وأنه لا يعدم المكروه مع بقائها ،
فأجلب عليها برَجْلَه وخَيْلَه ، وسد أفق البحر بأساطيله ، ومراكب أباطيله ،
بِقِطْع لَيْلَه ، وتداعى المسلمون بالعدوتين إلى استنقاذها من لهواته ، أو إمساكها
من دون مَهْوَاتِه ، فعجز الحول ، ووقع بملكه إياها القول ، واحتازها قَهْرًا ،
وقد صابرت الضيق ما يناهز ثلاثين شهرًا ، وأطرق الإسلام بعدها إطراق الواجم ،
واسودَّت الوجوه لخبرها الهاجم ، وبكتها حتى دموع الغيث الساجم ، وانقطع
المدد إلا من رحمة من يُنْقِصُ الكروب ، ويغري بالإدالة الشروق والغروب ،
ولما سُكِّنَا بِشَبَا الله تعالى نَحْرَهَا ، وأغصصنا بجيوش الماء وجيوش الأرض
تُكَاثِرُ نَجْم السماء برها وبحرها ، ونازلناها نذيقها شديد النزال ، ونحجَّها
بصدق الوعيد في سبيل الاعتزال ، رأينا بأوَّ لا يظاھر إلا بالله تعالى ولا يُطال ،

وممنعة يتحاماها الأبطال ، وجناباً روضه الغيث الهطال ، أما أسواقها فهي التي أخذت النجد والغور ، واستعدت بجدال الجلالد عن البلاد فارتكبت الدور^١ ، تحوز بجرأ من العمارة ثانياً ، وتشكك أن يكون الإنس لها بانياً ، وأما أبراجها فصفوف وصفوف ، تزين صفحات المساييف منها أنوف ، وآذان لها من دوامغ الصخر شئوف ، وأما خندقها فصخر مجلوب ، وسور مقلوب ، فصندقها المسلمون القتال بحسب محلها من نفوسهم ، واقران اغتصابها ببوسهم ، وأفول شمسهم ، فرشقوها من النبال بظلاله تحجب الشمس فلا يشرق سناها ، وعرجوا في المراقي البعيدة يفرعون مبنائها ، ونفوسها أنقبا ، وحصونها عقاباً ، ودخلوا مدينة اللبنة^٢ بينتها غلاباً ، وأحسبوا السيوف استللاً^٣ والأيدي اكتساباً ، واستوعب القتل مقاتلتها السابعة الجئن ، البالغة المن ، فأخذهم الهول المتفاقم ، وجدلوا كأنهم الأراقم ، لم تفلت منهم عين تطرف ، ولا لسان يلي من يستطلع الخبر أو يستشرف .

« ثم سمت الهمم الإيمانية إلى المدينة الكبرى فداروا سواراً على سورها ، وتجاسروا على اقتحام أودية الفناء من فوق جسورها ، وأدنوا إليها بالضروب من حيل الحروب ، بروجاً مشيدة ، ومجانيق توثق حبالها منها نشيدة ، وخفقت بنصر الله تعالى عذبات الأعلام ، وأهدت الملائكة مدد السلام ، فخذل الله تعالى كفارها ، وأكهم^٤ شفارها ، وقلّم بيد قدرته أظفارها ، فالتمسوا الأمان للخروج ، ونزلوا على مراقي العروج ، إلى الأباطح والمروج ، من سمائها ذات البروج ، فكان بروزهم إلى العراء من الأرض ، تذكرة بيوم العرض ، وقد

١ أي أنها وقعت في قضية دور (وهو من مصطلح المنطق) بسبب ما استعدت به من جدال المجادلة ؛ ولا ريب أن التلاعب بمصطلح أهل المناظرة هنا واضح .

٢ في ق : البنية ؛ والمقصود أن هذه المدينة « اللبنة » هي بنت الجزيرة الخضراء أي هي من توابعها .

٣ يقابل هنا بين الاحتساب - وهو ما كان لوجه الله تعالى - وبين الاكتساب .
٤ أكهم : أكل عن الضرب .

جلل المقاتلة الصغار ، وتعلق بالأمان النساء والصغار ، وبودرت المدينة بالتطهير ، ونطقت المآذن العالية بالأذان الشهير ، والذكر الجهير ، وطرحت كفارها الثماثيل عن المسجد الكبير ، وأزرى باللسنة النواقيس لسان التهليل والتكبير ، وأنزلت عن الصروح أجرامها ، يعيي الهندام^١ مرامها ، وألقي منبر الإسلام بها جفواً فأنست غربته ، وأعيد إليه قربه وقربته ، وتلا واعظ الجمع المشهود ، قول منجز الوعود ومُورِق العود ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيبُ ، وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ، ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (هود : ١٠٢) فكان الدمع يُغرق الآفاق ، والوجد يُستأصل الأرقام ، وارتفعت الرغبات ، وعلت السيئات ، وجيء بأسرى المسلمين يرسفون في القيود الثقال ، وينسلون من أحداق الاعتقال ، فقُتكت عن سوقهم أساود الحديد ، وعن أعناقهم فلككات البأس الشديد ، وظلّلوا بجناح اللطف العريض المديد ، وترتبت في المقاعد الحامية ، وأزهزت بذكر الله تعالى المآذن السامية ، وعادت المدينة لأحسن أحوالها ، وسكنت من بعد أهوالها ، وعادت الجالية إلى أموالها ، ورجع إلى القطر شبابه ، ورُدَّ على دار الإسلام بابه ، واتصلت بأهل لا إله إلا الله أسبابه ، فهي اليوم في بلاد الإسلام قلادة النحر ، وحاضرة البر والبحر ، أبقى الله تعالى عليها وعلى ما وراءها من بيوت أمتك ، ودائع الله تعالى في ذمتك ، بكلمة دينك الصالحة الباقية ، وسدّل عليه أستار عصمته الواقية ، وعُدنا والصلاة عليك شعار البروز والقفول ، وهجيراً الشروق والأفول ، والجهاد يا رسول الله الشأن المعتمد ، ما امتدّ بالأجل الأمد ، والمستعان الفرد الصمد .

« ولهذا العهد يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبكّغ وسيّلي إليك ، بلغ من هذا

١ الهندام : الآلات .

القُطْر المرتدي بجاهك الذي لا يذل من ادَّرَعَه ، ولا يضل من اهتدى بالسبيل الذي شرعه ، إلى أن لا طَفَنَّا ملكُ الروم بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها ، ورفع التماثيل ببيوت الله تعالى ونصبها ، فانجأ عنها بنورك الخلك ، ودار بإداتها إلى دعوتك الفلك ، وعاد إلى مكاتبها القرآن الذي نزل به على قلبك الملك ، فوجبت مطالعةُ مقرِّك النبويِّ بأحوالِ هذه الأمةِ المكفولة في حِجْرِكَ ، المفضلة بإدارة تَجْرِكَ ، المهتدية بأنوار فَجْرِكَ ، وهل هو إلا ثمراتُ سَعْيِكَ ، ونتائج رَعْيِكَ ، وبركة حبِّكَ ، ورضاكَ الكفيل برضى ربِّكَ ، وغمام رعدك ، وإنجاز وَعْدِكَ ، وشعاع من نور سعدك ، وبَذَرٍ ينجي رَيْعَه من بعدك ، ونصر رايته ، وبرهان آيتك ، وأثر حمايتك ورعايتك .

« واستنبْتُ هذه الرسالة مائحةً بحرِ الندى الممنوح ، ومُفاتيحة بابِ الهدى بفتح الفتوح ، وفارعة المظاهر والصروح ، وملقية الرحل بمنزل الملائكة والروح ، لتمدُّ إلى قبولك يَدَ استمناح ، وتطيرَ إليك من الشوق الحثيث بجناح ، ثم تقف موقف الانكسار ، وإن كان تَجْرُها آمناً من الخسار ، وتُقَدِّم بأنس القربة ، وتحجم بوَحْشة الغربة ، وتتأخَّر بالهيبة ، وتُجْهش لطول الغيبة ، وتقول : ارحم بُعدَ دارِي ، وضعف اقتداري ، وانتزاع أوطاني ، وخلو أعطاني ، وقلة زادِي ، وفراغ مزادِي ، وتقبَّلْ وسيلةَ اعترافي ، وتغمَّدْ هفوةَ اقترافي ، وعجِّلْ بالرضى انصراف متحملي لانصرافي ، فكم جُبْتُ من بحر زاخر ، وقفَّر بالركاب ساخر ، وحاش لله تعالى أن يخيب قاصدك ، أو تنخطاني مقاصدك ، أو تطردني موائدك ، أو تضيقَ عني عوائدك ، ثم تمدَّ مقتضيةً مزيد رحمتك ، مستدعيةً دعاء مَنْ حضر من أمَّتكَ ، وأصحبتهَا يا رسولَ الله عرضاً من النواقيس التي كانت بهذه البلاد المفتحة تعيق الإقامة والأذان ، وتسمع الأسماع الضالة والأذان ، ممَّا قَبِيلَ الحركة ، وسالم المعركة ، ومكَّن من نقله الأيدي المشتركة ، واستحق بالقدوم عليك والإسلام بين يديك السابقة في الأزل البركة ، وما سواها فكانت جبلاً عَجَزَ عن نقلها الهدام ، فنسخ وجودَها الإعدام ، وهي يا

رسول الله جنى من جنانك ، ورطب من أفنانك ، وأثر ظهر علينا من مسحة حنانك .

« هذه هي الحال والانتحال ، والعائق أن تشد إليك الرحال ، ويعمل الترحال ، إلى أن نلقاك في عَرَصات القيامة شفيحاً ، ونحل بجاهك إن شاء الله تعالى محلاً ربيعاً ، ونقدم في زُمرة الشهداء الدامية كلومهم من أجلك ، الناهلة غلهم في سَجْلِكَ ، ونبتهل إلى الله تعالى الذي أطلعك في سماء الهداية سراجاً ، وأعلى لك في السبع الطباق معراجاً ، وأم الأنبياء منك بالنبى الخاتم ، وقفى على آثار نجومها المشرقة بقمرك العاتم ، أن لا يقطع عن هذه الأمة الغربية أسبابك ، ولا يسد في وجوهها أبوابك ، ويوقفها لاتباع هداك ، ويثبت أقدامها على جهاد عيداك ، وكيف تعدم ترفيها ، أو تخشى بَخْساً وأنت موفيتها ، أو يعذبها الله تعالى وأنت فيها ؟ وصلاة الله وسلامه تحط بفنائك رجال طيبها ، وتهدر في ناديك شقاشق خطيبتها ، ما أذكر الصباحُ الطلُّقُ هداك ، والغمامُ السَّكْبُ نَداك ، وما حنَّ مشتاق إلى لثَمِ ضريحك ، وبُلَيْتِ نسمات الأسحار عمّا استرقت من ريحك ، وكتب في كذا » . انتهت الرسالة ، وفيها ما لا خفاء به من براعة لسان الدين ، رحمه الله تعالى وقدس روحه الطاهرة ، آمين .

٨٧ - ومما علق بحفظي من نثره رحمه الله تعالى أثناء رسالة في الغزاء خاطب بها ملك المغرب قوله بعد كلام : أين مروان بن الحَكَم ودَهاؤه ، وعبد الملك بن مروان وبهاؤه ، والوليد وبنائؤه ، وسليمان وغذاؤه ، وعمر بن عبد العزيز وثنائؤه ، ويزيد ونساؤه ، وهشام وخيلائؤه ، والوليد وندماؤه ، والجعدي وآراؤه ، أم أين السفاح وحُسامه ، والمنصور واعتزامه ، والمهدي وإعظامه ، والمهادي وإقدامه ، والرشيد وأيامه ، والأمين ونِدامه ، والمأمون وكلامه ، والمعتمد وإسراجه وإلحامه ؟ انتهى .

وقد تقدّم كلام أبي الخطاب ابن دحية في هذا المعنى بطوله في الباب الثاني من هذا القسم ، فليراجع ثمة ^١ .

[للمقري محاكياً لسان الدين]

قلت : وقد تقدّم في الخطبة نَظْمِي لمثل هذا ، وقد كنت نسجت على منوال لسان الدين وأنا بالمغرب نثراً مما لم يحضرني منه الآن غير قولي : أين الإسكندر ويونانه ، وشداد وبنياه ، والنمروذ وعدوانه ، وفرعون وهامانه ، وقارون وطغيانه ، وكسرى أنوشروان وإيوانه ، وقيصر وبطارقته وأعوانه ، وسيف ابن ذي يزن وعُمدانه ، والمنذر ونُعمانه ؟ إلى أن قلت : وأين أبو بكر رضي الله تعالى عنه وثباته ، وعمر رضي الله تعالى عنه ووُثباته ، وعثمان رضي الله تعالى عنه ورَهَبَاتِهِ ، أم أين علي رضي الله تعالى عنه وشجاعته وعلمه ، وأين معاوية رضي الله تعالى عنه وحمله ، وأين يزيد وظلمه ؟

ثم ذكرت ما تقدم لسان الدين ، وقلت بعده : وأين الواثق وغناؤه ، والمتوكل ومَوَالِيهِ وأولياؤه وأبناؤه ، والمنتصر وآماله ، والمعز وجَمَالِهِ ، والمستعين وعُصَمَائِهِ ، والمهتدي وأعماله ، والمعتضد وذكاؤه وإحاطته بالأخبار واشتماله ، والمقتدر ونساؤه وإهماله ؟ إلى أن قلت : وأين بنو عُبيد وضلالهم ، وبنو بويه وجلالهم ، وبنو سَلْجُوق ونظامهم ، وبنو سامان وإعظامهم ، وبنو أيوب وصلاحهم ، والجراكسة ومبائيتهم وسلاحهم ؟

ثم قلت في ملوك المغرب : وأين عبد الرحمن الداخل وأمراؤه ، والناصر وزَهْرَاؤُهُ ، والحكم ووزراؤه ، والمؤيد وظهراؤه ، أم أين المنصور بن أبي عامر وغزواته ومواليه ، والمُظَفَّر وأدواته ومعاليه ، أم أين بنو حَمُود

١ انظر المجلد ٥ : ١١٥ .

وعُلاهم ، وأوصافهم وحِلاهم ، وبنو جَهْوَر وحَزْمهم ، وبنو باديس وعَزْمهم ، وأين مُعْتَصِد بني عَبَّاد ، ومعتمدهم الذي سَنَّا كرمِه للمعتفين باد ، وبنو ذي النون وَمَزِيَّتُهُمْ ، وبنو صُمَادح ومریتهم ، وبنو الأفطس وبنو هود ، وما كان لهم من المكارم في الحفل المشهود ، وأين لَمْتُونُه ، وصبرهم الذي ركبوا مُتُونُه ، أم أين الموحدون وناصرهم ومنصورهم ، ومصانعهم وقصورهم ، أم أين بنو الأحمر وغرناطتهم ، وإزالتهن عن حوزة الدين أَدْناسَ المعتدين وإماطتُهُمْ ، وجعلُهُم الأمورَ لمثل ابن الحكيم ولسان الدين وإناطتُهُمْ ، أم أين بنو مَرَيْن وفارسهم ، ومغانيمهم ومدارسهم ، وأين بنو زِيَّان ومنازلهم الشاهقة ، وأشجار عزهم الباسقة ، وأين الحَفْصِيَّون ، ومستنصرهم الذي قضى للمعالي الديون ، وأبو فارس ، الذي شُنِقَتْ بأخباره آذانُ الطروس والفهارس ؟ طحنت والله تعالى الجميعَ رحي المنون ، وتأيمتِ الأزواجُ ويتم البنون ، وطالت الأيام والسنون ، وبقيت القصور العالية خالية ، والرسوم المتكاثرة دائرة ، والسلوك المنظومة متناثرة ، وعن قريب يقف الكلُّ بين يدي ربِّ الأرباب ، في يوم تَذْهَلُ فيه الأبواب ، وتنقطع إلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسباب ، ويقتص للمظلوم من الظالم ، وتنبهم للنجاة الطرقُ والمعالِم ، وتُبلى السرائر لدى مَنْ هو بها عالم ، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا ، وما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران : ٣٠) يوم يحكم الله تعالى في الخلق ، بالحق ، حسبما سبق في علمه إذ جعلهم قريباً وبعيداً ، وشقيئاً وسعيداً ، اللهم اجعلنا في ذلك اليوم الصعب مَمَّن فاز بالنجاة ، وحاز شفاعة نبيك ومُصْطَفَاكَ ذي الحرمة والجاه ، صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ؛ انتهى .

رجع لنثر لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى :

٨٨ — ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى ما خاطب به سلطان المغرب

أبا زِيَان لما تمَّ له الأمر ، وهو مشتمل على نظم ونثر ، ونصّه :

يا ابن الخلائف يا سميَّ محمدٍ	يا مَنْ علاهُ ليس يحصُرُ حاصِرُ
أبشُرُ فأنت مجدُّ الملكِ الذي	لولاك أصبحَ وهو رَسَمُ دائِرُ
من ذا يعاندُ منك وارثه الذي	بسعودِه فَلَكَ المشيئةُ دائِرُ
أَلَقْتُ إِلَيْكَ يَدُ الخِلافةِ أمرها	إذ كنتَ أنت لها الوليُّ الناصرُ
هذا وبينك للصريخِ وبينها	حربٌ مضرَّةٌ وبحرٌ زاجرُ
من كانَ هذا الصنعُ أوَّلَ أمره	حَسُنْتَ له العقبى وعزَّ الآخرُ
مولايَ عندي في علاكَ محبةٌ	واللهُ يعلمُ ما تُكِنُّ ضمائرُ
قلبي يحدثني بسألكَ جابرُ	كسري ، وحظي منك حظٌّ وافرُ
بَرَى جدودك قد حَطَطْتُ حقيبي	فوسيلتي لعُلاكَ نورُ باهرُ
وبذلتُ وسعي واجتهادي مثلما	يلقي للملكِ سيفَ أمرِكَ عامرُ
فهو الولي لدى الذي اقتحم الردى	وقضى العزيمة وهو سَيْفُ باترُ
وولي جدك في الشدائدِ عندما	خذلت علاهُ قَبَائِلُ وعشائرُ
فاستهدى منه النَّصْحَ واعلم أنَّه	في كلِّ معضلةٍ طيبٌ ماهرُ
إن كنت قد عجلت بعضَ مدائحِي	فهي الرياضُ ، وللرياضِ بواكرُ

« مولانا ، وعمدة ديننا ودنيانا ، الذي سخر الله تعالى البر والبحر بأمره ، وحكم فوق السموات السبع بعز نصره ، وأغنى يوم سَعْدِهِ عن سَلِّ السلاح وشَهْرِهِ ، وفتق عن زهر الصنع الجميل كمامة تسليمه وصبره ، وقِيضَ له في علم غيبه وزيراً منخوراً لشدِّ أزره ، وقود الملك إليه على حال حَصْرِهِ ، الخليفة الإمام ، الذي استبشر به الإسلام ، وخفقت بعزّه الأعلام ، ولاح بدرُ مُحْيِيهِه فافتضَّ الظلام ، المقتدي بالنبى الكريم سميّه في المرشد التي تألّق منها الصبح ، والمقاصد التي لازمها النُجج ، والتمحيص الذي نبع منه المنحُ ، حتى

في الهجرة التي جاءه بعدها الفتح ، أبو زيان ابن مولانا السلطان ولي العهد ترشيحاً ومآلاً ، ومؤمل الإسلام تقلداً للمذهب الصريح وانتحالاً ، وأمير المسلمين لو أوسع القدر إمهالاً ، ووُسْطَى عقد البنين خلائق متعددة وخِلالاً ، المتحف بالشهادة ولماً يعرف بدره هلالاً ، المعوّض بما عند الله تعالى سعادةً ألبسته سِرْبَلاً ، وأبلغته من رضوان الله تعالى آمالاً ، أبي عبد الرحمن ابن مولانا أمير المسلمين عظيم الخلفاء ، وعنصر الصبر والوفاء ، وستر الله تعالى المسدول على الضعفاء ، والمجاهد في سبيل الله تعالى بنفسه وماله ، المنيف على مراكز النجوم بهمه وآماله ، المقدس أبي الحسن ابن موالينا الخلفاء الطاهرين والأئمة المرضيين ، من قبيل بني مَرّين ، وصفوة الله تعالى في هذا المغرب الأقصى من أوليائه المؤمنين ، وزينة الدنيا وعمدة الدين ، هنأه الله تعالى ما أورثه من سرير الملك الأصيل ، وخوّله من سعادة الدنيا والدين على الإجمال والتفصيل ، وتوجه من تاج العزة القعساء عند اشتباه السبيل ، وعوّضه من قبيل الملائكة عند تشتت القبيل ، وجعل قدمه الراسخة ، وآياته الناسخة ، وربّوته السامية الباذخة ، وغرة نصره الشاذخة^١ ، وأوزعه شكر آلائه ، في الخلاص من ملكة أعدائه ، وخطر البحر وعدوان مائه ، وغُول السفر ، وارتكاب الغرر ، وثبات أقدام أوليائه الذين ما بدّلوا تبديلاً ، ولا ارتضوا لقبيلة طاعته بعد أن ولوا وجوههم شَطْرَها تحويلاً ، بل صبروا صبراً جميلاً ، وباعوا نفوسهم تنميماً لعقدة إيمانهم وتكميلاً .

« يسلم على مقامكم الذي وسم السعد مشرق جبينه ، وذُخِرَتْ قُبُلُ الطاعة ليمينه ، وأقسم الدهر بمظاهرة أمره السعيد فبراً - والشكرُ لله تعالى - في يمينه ، عبدكم الذي اعتلق منكم بالوسيلة الكبرى ، وقرّ بملككم عيناً وشرح صدرا ، وبذل الجهد وإن قل قُدْرَةَ وقدر ، والتمس لكم الدعاء علناً وسراً ، ابن الخطيب الذي حَطَّ رَحْلَ اقتصاده بتراب الملوك الكرام جدودكم ، محارب

١ شذخت الغرة : سالت فملاّت الوجه دون أن تصل العينين .

بركم وأسباب وجودكم ، وآبائكم الذين في مظاهرتهم ورعيهم يظهر للناس مخايل هداكم وتدرُّ سحائبُ جودكم ، ملتحفاً منذ سنتين بأصونة قبورهم وثيابها ، مستظلاً بأفنيته المعظمة وقباها ، ممرغاً خدّه بترابها ، مؤاصلاً الصراخ يا لمين ويا ليعقوب متطارحاً على أبوابها ، فلم يُتسحِ الله تعالى له نعمة ترعى الضيف وتحمي الدخيل ، أو حميّة تدفع الضيم وتشفي الغليل ، إلاّ على يدكم يا أيّها الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، وبطل الميدان في موقف الهول العظيم ، المذخور لنصر المظلوم وإنصاف الغريم ، وإجالة أقلام الفتح بفتح الأقاليم .

« كنبه مهنثاً بما سنّى الله تعالى للملككم من الصنع الذي خرق حجاب العادة ، وأرى إعجاز السعادة ، معجلاً ذلك بين يدي المبادرة إلى لثم بساطكم الذي شرف وجوهها بلشمه الوجوه ، وتخشاها الأملاك الجابرة وترجوه ، وأداء الواجب من القيام بمنظوم ثنائه في الحقل المشهود ، وإبلاغ لسان الحمد وسع المجهود ، وإلقاء ما عند العبد من خلوص وجنوح ، وحبّ واضح أيّ وضوح ، فوليّ دعوتكم الشيخ أبو ثابت أعزّه الله تعالى يقرره ، ويبين مجمله ويفسره ، والعبد واثق بفضل الله تعالى على يديكم ، وملتمس النصر لديكم ، وقاطع أن طلبته بكم تتسنى ، وأنكم سبب عاقبته الحسنى ، إما بالظهور على الوطن الذي تجرأ به المنقلب^١ على ملككم ، ومدّ اليد إلى نثر سلككم ، ونقص إرثكم المسلم المحرر ، وزلزل وطنكم المؤسس على الطاعة المقرر ، وأضرّم النار في بساطكم وجبالكم ، وأطلق يد الفتنة على بيوت أموالكم متكثراً عليكم بالقلة ، متعزّزاً بالذلة ، جانياً على داركم بما لا تبيحه الملة ، أو بالشفاعة الجازمة إن لم يتأذن الله تعالى في الانتصاف ، والله يجعل الظهور بكم من الأوصاف ، ويعينكم على جبر الكسير ، وتيسير الأمر العسير ، ويهنيكم منيحة الملك الكبير ، ويبقي كلمته في عقبكم بعد تملق التعمير ، والسلام . »

٨٩ — وله رحمه الله تعالى في مخاطبة السلطان أبي زيان المذكور: « المولى الذي طوق المن ، وأحيا السنن ، وأنبت الله تعالى حبه في القلوب النبات الحسن ، ناظم كلمة الدين بعد انتشارها ، ومُقيِل عثارها ، والآخذ بثارها ، والمخلد لآثارها ، السلطان أبو زيان . . . إلخ — أبقاكم الله تعالى عالي القدم ، منصور العَلَم ، ظاهرآ على الأمم ، مقصود الحمى كالركن الملتزم . عبدُ مقامكم الذي آوَيْتموه غريبآ ، وأنستموه مريبآ ، وأنلتموه على عدوه الدهر نصرآ عزيزآ وفتحآ قريبآ ، فلم يخش دركآ وتريبآ ، ولا عدم خطوة وشفقة ونعمة وتقريبآ ، ابن الخطيب عن ثناء يعطر الآفاق ، ويرقم الأوراق ، ويخلق الجيوب والأطواق ، وحب بهر نورآ وراق ، وجاس اشتهاره الشام والعراق . ويطالع العبدُ محل مولاه الذي خلّف ببابه قلبه وولده ، وصبره وجلده ، وصير وطنه داره الحقيقية وبلده ، أنّه لما قدم على محل أخيه ، المعتد بما أودع الله تعالى من الخلال الشريفة فيه ، مولاي ابن مولاي أبي عبد الله — كفل الله تعالى جميل رعيه وكرم عهده ، وحكم بإعلاء جدّة ومضاء حدّة — رعى الوسيلة ، وصدّق المخيلة ، وجلا عند اجتلاء مخاطبتكم أسارير الفضيلة ، فلم يدع حقآ إلا صرفه ، ولا نكرة إلا عرفه ، ولا نعمة إلا أولاه ، وما ذاك يا مولاي وإن تعددت الرسائل والأذمة ، وادّكرت القُربُ بعد أمة ، إلا بوصاتكم التي لا تُهمل ، وحرمتكم التي لا تُجهل ، وعطف مقامكم الذي اشتهر ، واعتنائكم بعبدكم الذي راق وبهر ، فالعبد عبدكم بكل اعتبار ، وخديمكم وإن نأت الدار ، ومحسوب على نعمه مقامكم الرفيع المقدار ، والأمل في مقامكم غير منقطع السبب ، والأهل والولد تحت كنف مقامكم الأصيل الحسب ، حتى يمنّ الله تعالى بحج بيته وزيارة رسوله على يديكم ، ويكون قضاء هذا الوطر منسوبآ إليكم ، وبعد هذا يستقرّ القرار ، حيث يختار من يخلق ما يشاء ويختار ، بحول الله تعالى .

والعبد يذكر مولاه بما بشره به بين يدي وداعه ، وبمراى وزيره السعيد واستماعه ، من انجلاء الحركة عن عزه وظهوره ، ونجاح أحواله واستقامة أموره ، ويهنيه بصدق الوعد ، وإمطار الرعد ، وظهور السعد ، وهي وسيلة إذا عُدَّت الوسائل ، وروعت الذمم الجلائل ، ومثل مولاي مَنْ رَعَى وأبقى ، وسلك التي هي أبرُّ وأتقى ، وما قصر عنه القلم من حق مولاي فالرسول أعزّه الله تعالى يتممه ، وما قصر عنه الرسول فالله تعالى يعلمه ، وهو جلّ وعلا يديم أيام مولاي ويبقي مجده ، ويتصلّ سعده ، والسلام » انتهى .

٩٠ - ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى شيخ الدولة يحيى بن رحو^١ قوله : « سيدي الذي له المزية العظمى ، والمحلّ الأسمى ، شيخ قبيل بني مَرِّين ، وقطب مدار الأحرار على الإجمال والتعيين ، والمتميز بالدهاء والرجاحة ، والمعرفة الفسيحة الساحة ، والصدقة المباحة ، وشروط الصوفية من ترك الأذى ووجود الراحة ، أسلّم على ذاتكم الطاهرة التي بخلت الأزمان والله أن تأتي بنظيرها ، وتنافس الدول في تكبيرها ، وسارت المواكب الملوكية بمسيرها ، وأنت الألسن بفضلها وخيرها ، وأقرر لديها أني أعددت من معرفتها بالأندلس كنزاً لم أنفق منه إلى اليوم وزناً ، إعداداً له وخزناً ، إذ لا يخرج العتاد الكبير إلا عن حاجة وفاقه ، ولا ترد اليد إلى الذخيرة إلا في إضاعة وعجز طاقة ، وما كانت الوصلة بمثلها ليهملها مثلي جهلاً بقيمتها العالية ، وإزراء بجهتها الكافية ، لكن نابت عن يدها أيد ، وكفى عن ابتدائها ما كف الله تعالى من عمرو وزيد ، والآن أقرر أني قد كادت حاجتي إلى ذلك العتاد أن تتمحض ، وزبدته أن تتمحض ، إذ هو حظي من رعي ذلك القبيل الذي قصر ب عليه رياسته ، والوزير

١ هو يحيى بن عمر بن رحو ، ولده يوسف بن إسماعيل رئاسة الجند المغربي بعد أبي ثابت عامر بن عثمان (سنة ٧٤١) ، وهذه هي وظيفة شيخ الغزاة بالأندلس ، وقد بقي يحيى في هذه الوظيفة حتى سنة ٧٦٤ حين قبض عليه السلطان النصري وسجنه واستلبه جاهه (اللوحة البدرية : ١١٨) .

الذي من رأيه تستمد سياسته ، وإذا وفد خاصة هذه المدينة مهتتين ، وبشكر
إيالته الكريمة مُثْنِينَ ، فخيمته ظلٌ ظليل ، ومشاركته معتمدي في الكثير فكيف
ولا غرض لي إلاّ في القليل ، وعندي أن رعيته لثلي لا يفتقر إلى وسيلة تجلب ،
ولا ذمام يحسب ، فمثله من قدر قدر الهناء ، وشد أعلام الحمد والثناء ، سامية
البناء ، وعرف أن الدنيا على الله تعالى أحقر الأشياء ، وقد رفعت أمري كله
بعد الله تعالى إلى رأيك ، وغنيت عن سعبي لنفسي بجميل سعيك ، والسلام .

٩١ — ومما خاطب به لسان الدين شيخه سيدي أبا عبد الله ابن مرزوق
التلمساني رضي الله تعالى عنه قوله شافعاً : « يا سيدي أبقاكم الله تعالى مَحَطَّ
الآمال وقِبْلَةَ الوجوه ، وبلّغ سيادتكم ما تؤمله من فضل الله تعالى وترجوه ،
وكلاً بعين حفظه ذاتكم الفاخرة ، وجعل عز الدنيا متصلاً لكم بعز الآخرة ،
بعد تقبيل يديكم التي يدها لا تزال تُشكر ، وحسنتها عند الله تعالى تُذكر ،
أنهي إلى مقامكم أن الشيخ الكذا أبا فلان — مع كونه مستحقّ التجلّة بهجرة
إلى أبوابكم الكريمة قدّمتم ، ووسائل من أصالة وحشمة كرمتم ، وفضل
ووقار ، وتنويه للولاية أن كانت ذات احتقار ، وسن اقتضى الفضلُ بره ،
وأدب شكر الاختبار عليه وسرّه — له بمعرفة سلفكم الأرضي وسيلة مَرَعِيّة ،
وفي الاعتراف بنعمتكم مقامات مرضية ، وتوجّه إلى بابكم ، والتمسك
بأسبابكم ، والمؤمل من سيدي ستره بجناح رعيه في حال الكبيرة ، ولحظه
بطرف المبرة ، إمّا في استعمال يليق بذوي الاحتشام ، أو سكون تحت رعي
واهتمام ، وإعانة على عمل صالح يكون مسكة ختام ، وهو أحق الغرضين بالتزام ،
وإحالة سيدي في حفظه رسم مثله ، على الله تعالى الذي يجزي المحسنين بفضله ،
ومنه نسأل أن يديم أيام المجلس العليّ محروساً من النوائب ، مُبَلِّغ الآمال
والمآرب ، والمملوك قد قرّر شأنه في إسعاف المقاصد المأمولة من الشفاعة إليكم ،
والتحسب في هذه الأبواب عليكم ، وتقليب القلوب بيد الله تعالى الذي يعطي

ويمنع ، ويملك الأمر أجمع ، والسلام .

٩٢ - وكتب إليه أيضاً في الشفاعة بما نصّه : « سيدي الأعظم ، وملاذي الأعصم ، وعروة عزي الوثقى التي لا تُفصم ، أبقاك الله تعالى بقاء آثارك آية للعز تأمر الدهر فيأتمر ، ويلبي بفنائك الطائف والمعتمر ، بأيّ لسان أثني على فواضلك وهي أمّهات المينن ، وطُرف الشام واليمن ، ومقامات بديع الزمن ، والتحف المرتفعة عن الثمن ؟ فحسبي دعاء أردده وأواليه ، وأرتقب مطلوب الإجابة من مُقدّمه وتاليه ، وإن تشوّف المنعم للحال الموقوف خيره بمشيئة الله تعالى على جميل سعيه ، الموسّد على وطاء لطفه المغشّي بغطاء رعيه ، قلب خافق ، وقلب مؤمن يحول به وسواسُ منافق ، وقد تجاوز موسى مجمع البحرين ، وأصبح سريّ بابه سريّ العين ، ولقد كانت مراحل الرّمك قصيرة قبل أن يكسبها زجلي ثقل الحركة ، ويخلط خاصّي في وظائفها المشتركة ، وليت أمري برز إلى طرف ، وأفضى إلى منصرف ، وربما ظفر آيس بما يرجوه ، وبرز المحبوب من المكروه ، والله تعالى لا يفضّح جاه الكتاب الذي أحيا وأنشر ، وحيّا وبشر ، وأعطى صحيفته باليمين وقد جمعت مثابكم المحشر ، وموصل كتابي ، ينوب في تقبيل اليد العليا متناهي .

« ولعلم سيدي أن هذا القطر على شهرته ، وتألّق مشترية وزهرته ، إذا انتحل كرامه ، وعهد الفضل لم يبق إلا انصرامه ، فهو لبابه المتخير ، وزلاله الذي لا يتغير ، أصالة معروفة ، وهمّة إلى الإيثار مصروفة ، ونُبلاً على السنّ والكبرة ، ورجولية خليقة بصلة الحرمة والمبرة ، والوسيلة لا تُطرح ، والمعنى الذي لا يفسّر لوضوحه ولا يُشرح ، وهو انتماؤه إلى جناب سيدي حديثاً وقديماً ، واعترافه بنعمه مديراً لها ومديماً ، والله تعالى يوفي من إيثار سيدي حفظه ، ويجدّد لديه رعيه ولحظه ، حتى يعود خافقاً علّم إقباله ، معلماً برّد اهتباله ، مسروراً

يبلوغ آماله ، فلعمرى إن حلَّ ولايته لكفَّيَّ ، وإنَّ عهد أمانته لوفِّيَّ ، وإنَّ عامل جدّه لظاهر وخفيّ ، وما يفعله سيدي من رعيه ، وإنجاح سعيه ، محسوب من مناقبه ، ومعدود في فضل مذاهبه ، والسلام الكريم يخلصكم ورحمة الله وبركاته » انتهى .

وقد تكررت في كتابنا هذا مخاطبات لسان الدين رحمه الله تعالى للخطيب ابن مرزوق المذكور نظماً ونثراً ؛ إذ كان - أعني ابن مرزوق - رئيس الدولة ، ومعتمد الجليّة ، وسبق منّا التعريف ببعض أحواله في باب مشايخ لسان الدين ممّا جرّته المناسبة ، فليرجع إليه من أراد ، والله تعالى يجعل للجميع من أهل السعادة .

٩٣ - وممّا اشتمل على نثر لسان الدين ونظمه ما خاطب به الرئيس أبا زيد ابن خلدون ، لما ارتحل من بحر المرية واستقر ببلد بسكرة عند رئيسها أبي العباس ابن مزنيّ ، صحبة رسالة خطبها أخوه أبو زكريا ، وقد تقلّد كتابة صاحب تلمسان ، ووصل الكتاب عنه من إنشائه ، وهذه صورة ما كتبه لسان الدين رحمه الله تعالى^١ :

بنقسي وما نفسي عليّ بهينة	فيتزلّني عنها المكاس ^٢ بأثمان ^٢
حبّيب نأى عني وصمّم لا يني	وراش سهام البين عمداً فأصماني
وقد كان همّ الشيب ، لا كان ، كافياً	فقد آدني لما ترحلّ همان
شرعتُ له من دمع عيني مورداً	فكدّر شربي بالفراق وأظماني
وأرعيته من حُسن عهدي جميمة	فأجذب آمالي وأوحش أزماني
حلقتُ على ما عنده لي من رضى	قياساً بما عندي فأحنّث أيماني
ولائي على ما نالني منه من قلى	لأشتاق من لقياه نُغبة ظماني

١ وردت هذه الرسالة في التعريف : ١٠٤ .

٢ المكاس : المشاحة في الثمن .

سألتُ جنوني فيه تقربَ عرشه فقسْتُ بجنّ الشوقِ جِنَّةَ سليمانِ
إذا ما دعا داعٍ من القومِ باسمه وثبّتُ وما استتبّتْ شيمةَ هيمانِ
وتالله ما أصغيتُ فيه لعاذلٍ تحاميته حتى ارعوى وتحاماني
ولا استشعرتُ نفسي برحمة عابدٍ تُظَلِّلُ يوماً مثلهُ عبدَ رحمنِ
ولا شعرتُ من قبله بتشوقٍ تخلل منها بينَ روح وجثمانِ

أما الشوقُ فحدث عن البحرِ ولا حرَج ، وأما الصبرُ فسلُ به أيةَ درج ،
بعد أن تجاوز اللوى والمنعرج ، لكن الشدة تعشقُ الفرَج ، والمؤمن يتنشَق
من رَوْحِ الله تعالى الأَرَج ، وأنتى بالصَّبْر ، على إبر الدَبْر ، لا بل الضرب
المهر^١ ، ومطاولة اليوم والشهر ، حتى حكم القهر ؟ وهل للعين أن تسلو سلو
المقصر ، عن إنسانها المبصر ، أو تذهل ذهول الزاهد ، عن سرّها الرائي والمشاهد ؟
وفي الجسد بضعةٌ يصلح إذا صلحت ، فكيف حاله إن رحلت عنه ونزحت ،
وإذا كان الفراق هو الحِمام الأول ، فعلامَ المعول ؟ أعيّت مُراوضة الفراق ،
على الراق ، وكادت لوعة الاشتياق ، أن تُفْضي إلى السّياق :

تركتُموني بعد تشييعكم أوسعَ أمرَ الصبرِ عصيانا
أقرعُ سني ندماً تارة وأستمحُ الدمعَ أحياناً

وربما تعلتُ بغشيانِ المعاهد الخالية ، وجددتُ رسومَ الأسى بمباكرة
الرسوم البالية ، أسأل نونَ النوى عن أهليه ، وميمَ الموقد المهجور عن مُصْطليه ،
وثاء الأثافي المثلثة عن منازل الموحدين ، وأحار بين تلك الأطلال حيرة الملحدِين ،
لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين ، كَلِفْتُ لعمر الله بسالٍ عن جفوني المؤرقة ،
ونائم عن همومي المتجمعة المتفرقة ، ظَعَنَ عن ملال ، لا متبرماً مني بشرّ
خلال ، وكدّر الوصل بعد صفائه ، وضرّج النصل بعد عهد وفائه :

١ الهبر : الذي يهبر أي يقطع .

أَقِيلَ اشْتِيَاقًا أَيَّهَا الْقَلْبُ رَبِّمَا رَأَيْتَكَ تُصْنِفِي الْوَدَّ مِنْ لَيْسَ جَازِيَا^١
قَهَا أَنَا أَبْكِي عَلَيْهِ بِدَمٍ أَسَالُهُ ، وَأَنْهَلُ فِيهِ أَسَى لَه^٢ ، وَأَعْلَلُ بِذِكْرَاهُ قَلْبًا^٣
صَدَعَهُ ، وَأَوْدَعَهُ مِنَ الْوَجْدِ مَا أَوْدَعَهُ ، لَمَّا خَدَعَهُ ، ثُمَّ قَلَاهُ وَوَدَّعَهُ ، وَأَنْشَقَ
رِيَّاهُ أَنْفَ ارْتِيَاكِ قَدْ جَدَّعَهُ ، وَأَسْتَعْدِي بِهِ عَلَى ظَلَمِ ابْتَدَعَهُ :

خَلِيلِي هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا قَتِيلًا^٤ بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي^٥
فَلَوْلَا عَسَى الرَّجَاءُ وَلَعَلَّهُ ، لَا بَلْ شِفَاعَةُ الْمَحَلِّ الَّذِي حَلَّهْ ، لَمْزَجْتُ الْحَنِينَ
بِالْعَتَبِ^٥ ، وَبَثَّتْ كِتَابِيهِ كَمْنَاءَ فِي شِعَابِ الْكُتُبِ ، تَهَزُّ مِنَ الْأَلْفَاتِ رَمَاحًا خُزَّرَ
الْأَسْنَةُ ، وَتَوَتَّرَ مِنَ النُّونَاتِ أَمْثَالُ الْقَيْسِيِّ الْمُرْنَةِ ، وَتَقَوَّدَ مِنْ بَيَاضِ الطَّرْسِ
وَسَوَادِ النَّقْصِ بُلُقًا تَرْدِي^٦ فِي الْأَعْنَةِ ، وَلَكِنَّهُ أَوَى إِلَى الْحَرَمِ الْأَمِينِ ، وَتَفِيًّا
ظِلَالِ الْجَوَارِ الْمُؤْمِنِ مِنْ مَعَرَّةِ الْعَوَارِ عَنِ الشِّمَالِ وَالْيَمِينِ ، حَرَمِ الْخِلَالِ الْمُرْنِيَّةِ ،
وَالظَّلَالِ الْيَزْنِيَّةِ ، وَالْهَمَمِ السَّنِيَّةِ ، وَالشِّيمِ الَّتِي لَا تَرْضَى بِالْدُونِ وَلَا بِالْدَنِيَّةِ ،
حَيْثُ الرَّفْدُ الْمَمْنُوحُ ، وَالطَّيْرُ الْمِيَامِنُ يُزْجَرُ لَهَا السُّنُوحُ ، وَالْمَثْوَى الَّذِي إِلَيْهِ -
مَهْمَا تَقَارَعَ الْكِرَامُ عَلَى الضَّيْفَانِ ، حَوْلَ جَوَابِي الْجَفَانِ - الْمِيلُ وَالْجَنُوحُ :

نَسَبٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نَوْرًا ، وَمَنْ فَلَقَ الصَّبَاحَ غَمُودًا^٧
وَمَنْ حَلَّ بِتِلْكَ الْمَثَابَةِ فَقَدْ أَطْمَأَنَّ جَنْبُهُ ، وَتَغَمَّدَ بِالْعَفْوِ ذَنْبَهُ ، وَلِلَّهِ دُرُّ
الْقَاتِلِ حَيْثُ يَقُولُ :

١ البيت للمتنبّي بعد فراقه لسيف الدولة وحلوله عند كافور .

٢ التعريف : وأندب في ربيع الفراق ، آسى له .

٣ التعريف : وأشكو إليه حال قلب .

٤ البيت لحَمِيلِ بَشِينَةَ ، ديوانه : ١٧٦ .

٥ التعريف : لنشرت ألوية العتب .

٦ تردي : تمشي الرديان ، وهو نوع من المشي دون العدو .

٧ البيت لأبي تمام (ديوانه : ٨١ ط . بيروت) .

فوحقّه لقد انتدبتُ لوصفه بالبُخلِ لولا أنّ حمصاً داره
بلد متى أذكره تهتجّ لوعي وإذا قدحت الزند طار شراره

اللهم غفراً ، لا كُفراً ، وأين قرارة النخيل ، من مَثَوَى الأكلف البخيل ،
ومكذبة المخيل ؟ وأين ثانية هَجَرَ ، من متبوّلا من ألد وفَجَرَ ؟

من أنكر غيثاً منشؤه في الأرض وليس بمُخلفها
فبنانُ بني مَزْنِي مُزْنٌ تنهلُ بلطف مُصَرَّفها
مُزْنٌ مذ حلَّ بيسكرة يوماً نطقت بمُصَحَّفها^١
شكرت حتى بعبارتها وبمعناها وبأحرفها
ضحكت بأبي العباس من أأيّام ثنايا زخرفها
وتنكرت الدنيا حتى عرفت منه بمعرفها

بل نقول : يا محلّ الولد ﴿ لا أقسمُ بهذا البلدِ وأنتَ حلٌّ بهذا البلدِ ﴾
(البلد: ٣، ٢) لقد حلَّ بَيْنُكَ عُرَى الجلد ، وخلق الشوق بعدك يا ابن خلدون
في الصميم من الخلد ، فحيّاً الله تعالى زمناً شُفِيَتْ برُقي قربك^٢ زَمَانَتُهُ ،
واجتُلِيَتْ في صدف مجدك جَمَانَتُهُ ، ويا من لمشوق لم تقض من طول خلّتك
لُبَانَتُهُ^٣ ، وأهلاً برؤض أظلت أشتات معارفك بَانَتُهُ ، فحمايمه بعدك تندب ،
فيساعدها الجندُب ، ونواسيمُه ترقُ فتتغاشى ، وعشياته تتخافت وتتلاشى ،
ومُزْنُهُ باك ، ودَوَّجُهُ في مآتم ذي اشتباك ، كأن لم تكن قَمَرَهالاتِ قبابه ،
ولم يك أنسك شارع بابَه ، إلى صفوة الظرف ولُبابه ، ولم يسبح إنسانُ عينك في
ماء شبابه ، فلهفي عليك من درة اختلستها يدُ النوى ، ومَطلُ بردّها الدهر
ولَوَى ، ونَعَقَ الغرابُ بينها في ربوع الجَوَى ، ونطق بالزجر فما نطق عن

١ مصحف بسكرة : بشكره أو تشكره .

٢ التعريف : في قربك .

٣ التعريف : وقضيت في مرعى خلّتك لبانتة .

الهوى ، وبأي شيء نعتاضُ منك أيتها الرياض ، بعد أن طمى نهرك^١ الفياض ،
وفهقت الحياض ؟ ولا كان الشائء المشنوء ، والحربُ المهنوء ، من قِطْع
ليلٍ أغار على الصبح فاحتمل ، وشارك في الدمّ الناقّةَ والجمل ، واستأثر جنحه
ببدر النادي لما كمل ، نشر الشراع فرّاع ، وأعمل^٢ الإسراع ، كأنّما هو
تمساح النيل ضايق الأحباب في البرهة ، واختطف لهم من الشط نزهة العين
وعين النزهة ، ولجّجَ بها والعيون تنظر ، والغمر عن الاتّباع يحظر ، فلم
يُقدّرْ إلاّ على الأسف ، والتماح الأثر المنشف ، والرجوع بملء العيّبة
من الخيبة ، ووقر الجسرة^٣ من الجسرة ، وإنّما نشكو إلى الله البثّ والحزن ،
ونستمطر من عبارتنا المزن ، وبسيف الرجاء تصوّل ، إذا شرّعت لليأس
النصول :

ما أقدر الله أن يُدني على شحطٍ من داره الحزن ممّن داره صولٌ

فإن كان كلّم الفراق رغبياً^٥ ، لما نويت مغيباً ، وجللت الوقت الهنيء
تشغيلاً ، فلعلّ الملتقى يكون قريباً ، وحديثه يروى صحيحاً غريباً .
إيه ثقة^٦ النفس كيف حال تلك الشمائل ، المزهرة الحماثل ؟ والشيم ،
الهامية الديم ، هل يمرّ ببالها من راعت بالبعد باله ، وأخمدت بعاصف البين
ذُباله ، أو ترثي لشؤون شأنها سكّب لا يفتر ، وشوق بيت حبال الصبر ويبتر ،
وضنّى تقصر عن حلله الفاقعة صنعاء وتستر ، والأمر أعظم والله يستر ، وما
الذي يضرّك ؟ صين من لفح السّموم نضيرك ، بعد أن أضرمّت وأشعلت ،

١ نهرك : سقطت من ق .

٢ التعريف : وواصل .

٣ الجسرة : الناقّة ؛ والوقر : الحمل .

٤ البيت لحندج بن حندج المري ، (حساسة المرزوقي : ١٨٣١) .

٥ الجرح الرغب : الواسع .

٦ التعريف : إيه سيدي .

وأوقدت وجعلت ، وفعلت فعلتك التي فعلت ، أن تترفق بدماء ، أو تردّ
 بنُغْبَةٍ ماء ، أرماقَ ظِماء ، وتتعاهد المعاهد بتحية يُشَمُّ منها شذا أنفاسك ، أو
 تنظر إلينا على البعد بمُقَلَّة حَوَراء من بياض قرطاسك وسواد أنفاسك ، فربما
 قنعت الأنفسُ المحبة بخيال زُور ، وتعللت بنوالٍ منزور ، ورضيت لما لم تصدِ
 العنقاء بزرزور :

يا من ترحل والنسيم لأجله تشاقُ إن هبت شذا رِيّاها
 تحيي النفوس إذا بعث تحية فإذا عزمت اقرأ ﴿ومن أحياء﴾^١

ولئن أحيت بها فيما سلف نفوساً تفديك — والله تعالى إلى الخير يهديك —
 فنحن نقول معشر مريدك : ثنّ ولا تجعلها بيضة الديك^٢ ، وعذراً فلنّني لم
 أجترّ على خطابك بالفقر الفقيرة ، وأدلت لدى حجراتك برفع العقيرة ، لا عن
 نشاط بعث مَرْمُوسَه ، ولا اغتباط بالأدب تغري بسياسته سُوسَه ، وانبساط
 أوحى إليّ على الفترة ناموسَه ، وإنّما هو اتفاق جرّته نفثة المصدور ، وهيناء
 الحرب المجذور ، وخارق لا مخارق^٣ ، فثم قياس فارق ، أو لحن غني به بعد
 المات^٤ مفارق ، والذي سبّبه^٥ ، وسوّغ^٦ منه المكروه وحبّبه ، ما اقتضاه
 الصنوّ يحيى — مدّ الله تعالى حياته ، وحبرّس من الحوادث ذاته — من خطاب
 ارتشف به لهذه القريحة بئالاتها ، بعد أن رضي علالاتها ، ورشح إلى الصّهر
 الحضرمي سلالاتها ، فلم يسع إلا إسعافه ، بما أعافه ، فأملت مُجيباً ، ما لا

١ إشارة إلى الآية الكريمة : ومن أحياء فكأنما أحيى الناس جميعاً (المائدة : ٣٢) .

٢ من قول بشار :

قد زرتنا مرة في العمر واحدة ثني ولا تجعلها بيضة الديك

٣ التعريف : وإن تملل به مخارق .

٤ التعريف : بعد البعد .

٥ التعريف : والذي هيأ هذا القدر وسببه .

٦ التعريف : وسهل .

يُعدّ في يوم الرهان نجيباً ، وأسْمَعْتُ وَجيباً ، لما ساجلتُ بهذه الترهات سحراً عجيباً ، حتى إذا أَلَفَ القلمُ العريان سَبَّحَهُ ، وجمع برذون الغرارة فلمْ أُطِيقْ كَبَّحَهُ ، لم أَفَقْ من غَمْرَةٍ غلّوه ، وموقف متلوّه ، إلا وقد تَحَيَّزَ إلى فثتك معترّاً بل معترّاً ، واستقبلها ضاحكاً مُفْتَرّاً ، وهشّ لها برّاً ، وإن كان لونه من الوجَلِ ١ مُصْفَرّاً ، وليس بأوّل من هجر ، في التماس الوصل ممّن هَجَرَ ، أو بعث التمر إلى هَجَرَ ، وأي نسب بيني اليوم وبين زخرف الكلام ، وإجالة جياذ الأقلام ، في محاورة الأعلام ؟ بعد أن حال الجَحْرِيضُ ، دون القريض ٢ ، وشغل المريض ، عن التعريض ، واستولى ٣ الكسلُ ، ونصّلت الشعرات البيض كأنّها الأسَلُ ، تروع برقط الحيات ، سِرْبَ الحياة ، وتطرق بذوات الغُرُزِ والشَّيَاتِ ٤ ، عند البيات ، والشيب الموت العاجل ، وإذا ابيضَّ زَرْعٌ صَبَّحَتْهُ المناجل ، والمعتبر الآجل ، وإذا اشتغل الشيخ بغير معاده ، حُكِمَ في الظاهر بإبعاده ، وأسرّه في مَلَكَةِ عَمَادِهِ ، فأغضَّ أَبْقاكَ الله واسمَحَ ، لمن قَصَّرَ عن المَطْمَحِ ، وبالعين الكليّة فالْمَحِ ، واغتم لباسَ ثوبِ الثواب ، واشفَى بعض الجوى بالجواب ، تولاكَ الله تعالى فيما استضفت وملكت ، ولا بعدت ولا هلكت ، وكان لك آيةٌ سلكت ، ووَسَمَكَ من السعادة بأوضح السمات ، وأتاح لقاءك من قبل الممات ، والسلام الكريم يعتمد جلال ولدي ، وساكن خَلَدِي ، بل أخِي وإن غتبتهُ ٥ وسيدي ، ورحمة الله تعالى وبركاته » انتهى .

قلت : هذه الرسالة الرافلة في حلل البلاغة لم أر مثلاً ولم أقف عليه ، فرحم الله تعالى لسان الدين ووجهه سحائب الرحمة إليه ، فلقد كان آية الله في النظم

١ التعريف : الخجل .

٢ هذا مثل ؛ والجريض : ما يعترض في الخلق من غصص ، أي حال العائق دون قول الشعر ، ويتصل بقصة عبيد بن الأبرص ويوم البؤس عند النعمان .

٣ التعريف : وغلب حقى .

٤ ذوات الغرر والشَّيَات هي الخيل .

٥ التعريف : وإن اتقيت عتبه .

والنثر وجميع العلوم على اختلافها .

٩٤ - وكما خاطب الولي ابن خلدون مخاطب أخاه أبا زكريا يحيى حسبما قال في بعض كتبه : ومما خاطبت به الفقيه أبا زكريا ابن خلدون ، لما ولي الكتابة عن السلطان أبي حمزة سلطان تلمسان من بني زيان واقرن بذلك نصر وصنع غبطته به وأشدتُ به قصد تنفيقه وإنهاضه لديه : «نخص الحبيب الذي هو في الاستظهار به أخ وفي الشفقة عليه وكّد ، والولي الذي ما بعد قرب مثله أمل ولا على بُعده جَلَد ، والفاضل الذي لا يخالف في فضله ساكن ولا بلد ، أبقاه الله تعالى وفاز فوزه وعصمته لها من توفيق الله سبحانه عمداً ، ومورد سعادته المسوغ لعادته لا غُور ولا ثَمَد ، ومدى إمداده من خزائن إلهام الله تعالى وسداده ليس له أمد ، وحمى فرح قلبه بمواهب من ربه أن يطرقه كمد .

« تحية مُجِلِّته ، من صميم قلبه بمحلته ، المنشئ رواق الشفقة ، مرفوعاً بعمد المحبة والمِقة ، فوق ظعنه وحلته ، مؤثره ومُجِلِّته ، المعني بدقّ أمره وجِلِّته ، ابن الخطيب ، من الحضرة الجهادية غرناطة ، صان الله تعالى خلاها ، ووقى هجير هجر الغيوم ظلالها ، وعمر بأسود الله تعالى أغياها ، كما أغرى بمن كفر بالله تعالى صياها ، ولا زائد إلاّ من من الله تعالى تصُوب ، وقوة يسترد بها المنصوب ، وينفض الصليب المنصوب ، والحمد لله تعالى الذي بحمده يُنال المطلوب ، وبذكره تطمئن القلوب ، ومودتكم المودة التي غدتها ثُدِيّ الخلوص بلبانها ، وأحلتها حلائل المحافظة بين أعينها وأجفانها ، ومهدت موات أخواتها الكبرى أساس بنيانها ، واستحقت ميراثها مع استصحاب حال الحياة إن شاء الله تعالى واتصال زمانها ، واقتضاء عهود الأيام بيمينها وأمانها ، ولله درُّ القائل :

فإن لم يكنْها أو تَكُنْه فإنَّه أخوها غَدَتَه أمُّه بلبانها ١

١ البيت لأبي الأسود الدؤلي (ديوانه في نفائس المخطوطات ٢ : ٣٧) وكان له غلام يتاجر إلى الأهواز ويشرب الخمر .

« وصل الله تعالى ذلك من أجله وفي ذاته ، وجعله وسيلة إلى مرضاته ، وقربة تنفع عند اعتبار ما روعي من سنن الجبار ومفترضاته .

« وقد وصل كتابكم الذي فاتح بالريحان والروح ، وحلّ من مرسوم الولاء محلّ البسملة من اللوح ، وأذن لتوافح الثناء بالبوح ، يشهد عدله بأنّ البيان يا آل خلدون سكن من مثواكم دار خلود ، وقدح زنداً غير صلود ، واستأثر من محابركم السيالة ، وقضّب أفلامكم الميالة ، بأبٍ مُنْجِبٍ وأم ولود ، يقفو شأنه غير المشنوّ ، وفصيله غير الجُرب ولا المهنوّ ، من الخطاب السلطاني سفينة مُنْجِحٌ ١ ، إن لم نقل سفينة نوح ، ما شئت من آل أزواج ، وزُمر من الفضل وأفواج ، وأمواج كرم تطفو فوق أمواج ، وفنون بشائر ، وإهطاع قبائل وعشائر ، وضربٍ للمسرات أعيان الشائر ، فله هو من قلم راعي نَسَبَ القنا فوصل الرحم ، وأنجد الوشيح والملتحم ، وساق بعصاه من البيان الذود المزدحم ، وأخاف من شدّة عن الطاعة مع الاستطاعة فقال ﴿ لا عاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ (هود : ٤٣) ولولم يوجب الحقّ بَرِّقه ورعده ، ووغيده ووعدده ، لأوجبه يمنه وسعده ، فلقد ظهرت مخايل نُجْحِه ، علاوة على نصحه ، ووضحت محاسن صُبْحِه ، في وحشة الموقف الصعب وقبحه ، وصلّ الله تعالى له عوائد منحه ، وجعله لإقليدأ كلّما استقبل باب أمل وكّله الله تعالى بفتّحه .

« أمّا ما قرّره ولاؤكم من حب زكا على حبة القلب حبه ، وأنبتة النبات الحسن ربّه ، وساعده من الغمام سكّبه ، ومن النسيم اللدن مهّبه ، فرسم ثبت عند الولي نظيره ، ومن غير معارض يضيّره ، وربما أربى بتذييل مزيد ، وشهادة ثابت ويزيد ٢ ، ولم لا يكون ذلك ، وللقلب على القلب شاهد ؟ وكونها

١ المنوح : العطايا .

٢ ثابت ويزيد : من أعلام التابعين الثقات كأن تقول : ثابت البناني ويزيد بن الأسود ، ثم يلمح إلى قول جميل :

إذا قلت ما بي يا بشينة قاتلي من الوجد قالت ثابت ويزيد

أجناداً مُجنّدة لا يحتاج تقريره إلى ماهد وجهّد جاهد ، ومودة الأخوة سبيلها
 لاحب ، ودليلها للدعوة الصادقة مصاحب ، إلى ما سبق من فضل ولقاء ،
 ونظافة سقاء ، واعتقاد ، لا يُرَاع سِرُّهُ بذنب انتقاد ، واجتلاء شهاب وقاد ،
 لا يحوج إلى إيقاد ، إنما عاق عن مواصلة ذلك نوى شطّ منها الشطن ، وتشذيب
 لم يتعين معه الوطن ، فلمّا تعين ، وكاد الصبحُ أن يتبين ، عاد الوَمِيسُ دَيَّجوراً ،
 والثماذ بحراً مسجوراً ، إلى أن أعلق الله تعالى منكم اليدَ بالسبب الوثيق ، وأحلّكم
 منجى نيق^١ ، لا يخاف من منجنيق ، وجعل يراعكم لسعادة موسى^٢ معجزة
 تأتي على الخبر بالعيان ، فتخرّ لثعبانها سحرّة البيان :

أُحْيِي سَقَى حَيْثُ لُحِثَ الْحَيَا	فَتَنَعَمَ الشَّعَابَ وَنَعَمَ الْوَكُون
وَحَيّاً يِرَاعُكَ مِـنْ آيَةِ	فَقَدْ حَرَّكَ الْقَوْمَ بَعْدَ السَّكُون
دَعَوْتَ لَخْدَمَةِ مُوسَى عَصَاهُ	فَجَاءَتْ تَلَقَّفُ مَا يَأْفَكُون
فَأَذْعَنَ مَنْ يَدْعِي السَّحَرِ رَغْماً	وَأَسْلَمَ مِنْ أَجْلِهَا الْمُشْرِكُون
وَسَاعَدَكَ السَّعْدُ فِيمَا أَرَدْتَ	فَكَانَ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُون

«فأنتم أولى الأصدقاء بصلّة السبب ، ورعي الوسائل والقرب ، أبقاكم الله
 تعالى وأيدي الغبطة بكم عالية ، وأحوال تلكم الجهات بدركم المهمات حالية ،
 وديّم المسرات من إنعامكم المبررات على معهود المبرات متوالية .
 «وأما ما تشوقتم إليه من حال وليكم فأمل متقلص الظل ، وارتقاب لهجوم
 جيش الأجل المطلق ، ومقام على مساورة الصلّ ، وعمل يكذب الدعوى ،
 وطمأنينة تنتظر الغارة الشعوا ، ويد بالمدخور تفتح ، وأخرى تجهد وتمنع ،
 ومرض يزور فيثقل ، وضعف عن الواجب يعقل ، إلا أن اللطائف تستروح ،

١ النيق : الطويل من الجبال .

٢ موسى : هو السلطان أبو حمو .

والقلب من باب الرجاء لا يبرح ، وربما ظفر البائس ، ولم تطرّد المقاييس ،
تداركنا الله تعالى بعفوه ، وأوردنا من منهل الرضى والقبول على صفوه ، وأذن لهذا
الخرق في رَفْوِه .

« وأما ما طلبتم من انتساخ ديوان ، وإعمال بنان في الإتحاف ببيان ، فتلك
عهود لديّ مهجورة ، ومعاهد لا مُتَعَهِّدة ولا مَزُورة ، شغل عن ذلك حوضٌ
يعلو بلجه ، وحرص يُقْضَى من لغط المانع عجبهُ ، وهول جهادٍ تساوى جُمادياه
وَرَجَبُهُ ، فلولاً التماسُ أجر ، وتعلُّلٌ بربح تجر ، لقلت : أهلاً بذات
النحيين^١ ، فلئن شكت ، وبذلت المصنُون بسبب ما أمسكت ، فلقد ضحككت
في الباطن ضعف ما بككت ، ونستغفر الله تعالى من سوء انتحال ، وإيثار المزاح
بكل حال ، وما الذي ينتظر مثلي ممّن عرف المآخذ والمتارك ، وجربّ لما بئلا
المبارك ، وخبر مساة الدنيا الفارك ؟

« هذا أيتها الحبيب ما وسعه الوقت الضيق ، وقد ذهب الشباب الرّيتق ،
فليسبح فيه معهود كمالك ، جعل الله تعالى مطاوعة آمالك ، مطاوعة يمينك
لشمالك ، ووطأ لك موطأ العزّ بباب كل مالك ، وقرن الشجع بأعمالك ،
وحفظك في نفسك وأهلك ومالك ، والسلام » انتهى .

٩٥ — ومن مخاطبات لسان الدين لصاحب العلامة أبي القاسم ابن رضوان :

« قد كنت أجهِدُ في التماس صنيعة نفساً شهابُ ذكائها وقادُ
وأقولُ لو كان المخاطب غيركم عِنْدَ الشدائد تذهبُ الأحقادُ

« سيدي ، أبقاكم الله تعالى علّم فضل وإنصاف ، ومجموع كمال أوصاف :
كلام النية قصير ، والله تعالى بحسنات الأقوال والأفعال بصير ، وإليه بعد هذا الخطاب
كلّ رجعى منا ومصير ، وليس لنا إلاّ هو مولّى ونصير ، وهذا الرجل سيدي الخطيبُ

١ يكنى عن كثرة الشغل لقولهم في المثل : « أشغل من ذات النحيين » والنحي : ظرف السن .

أبو عبد الله ابن مرزوق - جبره الله تعالى - بالأمس كنّا نقف ببابه ، ونتمسك بأسبابه ، ونتوسل إلى الدنيا به ، فإن كنّا قد عرفنا خيراً وجهت المشاركة ، أو كفافاً تعينت المتاركة ، أو شراً اهتبلت غرة الهدى الأنفس المباركة ، واتصفت بصفة من يُعصى فيسمح ، ويُسأل فيمنح ، ويعود إلى قبيح بالفعل الحميل ، ويُحسب يد التأمل ، ومع هذا فلم ندر إلاّ خيراً كرم منه المورد والمصرف ، ومن عرف حجة على من لا يعرف ، وأنتم في الوقت سراج علم لا يخبو سنّاه ، ومجموع تخلّق عرفنا منه ما عرفناه ، وهذه هي الشهرة التي تُغتّم إذا سمرت ، والهنة التي تُحبّر عليها النفس إذا نفرت ، حتى لا تجد بعون الله تعالى عارضاً يعوقها عن الخير ، وسبيل الكمال الأخير ، والأجر في استيفاء كتاب الشفاعة ، وتحريّ المقاصد النفاة ، وتنفيق البضاعة ، قد ضمنه من وعّد بقيام الساعة ، والجزاء على الطاعة وغير الطاعة ، وهذه المشاركة تسجيل لفضلكم قبلي ، وهي في الحقيقة لي ، فكيف والله تعالى يرى عملكم وعملي ، والمتروك حقير ، والوجود إلى رحمة من رحمت الله تعالى فقير ، والسلام » انتهى .

٩٦ - ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى قوله في مخاطبة شيخ العرب مبارك بن إبراهيم رحمه الله تعالى ^١ :

« ساحات دارك للضياف مبارك »	وبضوء نار قيرارك يهدى السالك
ونوالك المبدول قد شمل الورى	طرّاً ، وفضلك ليس فيه مشارك
قل للذي قال الوجود قد انطوى	والبأس ليس له حسام فاتك
والجود ليس له غمام هاطل	والمجد ليس له همام باتك ^٢
جمع الشجاعة والرجاحة والندى	والبأس والرأي الأصيل مبارك

١ وردت هذه الرسالة في الاستقصا ٤ : ١٣ - ١٥ .

٢ الباتك : القاطع .

للدين والدنيا وللشيم العُلا والجلود إن شحَّ الغمامُ السافكُ
 عند الهياج ربيعةُ بن مُكْدَمٍ في الفضل والتقوى الفضيلُ ومالكُ^١
 ورث الجلالةَ عن أبيه وجدّه فكأنتهم ما غاب منهم هالكُ
 فجياده للآملين مراكبُ وخيامُهُ للقاصدين أرائكُ
 فإذا المعالي أصبحت مملوكةً أعناقُها بالحقِّ فهو المالكُ
 يا فارسَ العربِ الذي من بيته حرَّم لها حجُّ به ومناسكُ
 يا من يُبشِّرُ باسمه قصَّادهُ فلهم إليه مساربُ ومسالكُ
 أنت الذي استأثرتُ فيك بغبطي وسواك فيه مأخذُ ومتاركُ
 لا زلتَ نوراً يهتدي بضياؤه من جنَّه للروع كيلُ حالكُ
 ويخصُّ مجدَّك من سلامي عاطرُ كالمسك صاك به الغوالي صائكُ^٢

الحمد لله تعالى الذي جعل بيتك شهيراً ، وجعلك للعرب أميراً ، وجعل اسمك فالاً ، ووجهك جمالاً ، وقربك جاهاً ومالاً ، وآل رسول الله صلى الله عليه وسلم لك آلاً ، أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها ، وقُطِبَ سيادتها وكبرائها ، وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبقى ، ومكرمة لا يضل المتصف بها ولا يشقى ، إذ جعل خيمتك في هذا المغرب على اتساعه ، واختلاف أشياعه ، مأمنًا للخائف ، على قياس^٣ المذاهب والطوائف ، وصرف الألسنة إلى مدحك والقلوب إلى حبك ، وما ذلك إلا لسريرة لك عند ربك ، ولقد كنت أيام تجمعني وإيّاك المجالس السلطانية على معرفتك متهاكاً ، وطوع الأمل سالكاً ، لما يلوح لي على وجهك من سيما المجد والحياء ، والشيم الدالة على العلياء ، وزكاء الأصول وكرم الآباء ، وكان والذي — رحمه الله تعالى — قد عين اللقاء

١ الفضيل بن عياض ومالك بن دينار (وقد يكون : مالك بن أنس) .

٢ الغوالي : الطيوب ، مفردتها غالية ؛ صاك : خلط ومنزع .

٣ الاستقصا : على كثرة .

خال السلطان قرييكم لما توجه في الرسالة إلى الأندلس نائباً في تأنيسه عن مخدومه ،
ومنوهاً حيثُ حلَّ بقدمه ، واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة والمعرفة ، والوسائل
المختلفة ، فعظُم لأجل هذه الوسائل شوقي إلى التشرف بزيارة ذلك الجناب الذي
حلَّوهُ شرف وفخر ، ومعرفته كنز وذخْر ، فلما ظهر الآن لمحل الأخ الكذا
القائد فلان اللحاقُ بك ، والتعلّق بسببك ، رأيتُ أنّه قد اتصل بهذا الغرض
المؤمل بعضي والله تعالى ييسر في البعض ، عند تقرير الأمنِ وهدنة الأرض ،
وهذا الفاضل بركة حيثُ حلَّ لكونه من بيت أصالة وجهاد ، وماجداً وابنَ
أعجاد ، ومثلّك لا يُوصَى بحسن جواره ، ولا يُنبّه على إثارة ، وقبيلك في
الحديث — من العرب — والقديم ، وهو الذي أوجب لها مزية التقديم ، لم يفتخر
قطُّ بذهبٍ يجمع ، ولا ذخيرة يُرفّع ، ولا قصر يبنى ، ولا غرس يُجنى ،
إنما فخرها عدوّ يُغلب ، وثناء يجلب ، وجزورٌ ينحر ، وحديث يذكر ،
وجود على الفاقة ، وسماحة بحسب الطاقة ، فلقد ذهب الذهب ، وفي النشَب ،
وتمزقت الأثواب ، وهلك الحليلُ العراب ، وكلُّ الذي فوق التراب تراب ،
وبقيت المحاسنُ تروى وتنقل ، والأعراضُ تجلى وتُصقل ، والله درُّ الشاعر
إذ يقول :

وإنّما المرءُ حديثٌ بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى^١

هذه مقدمة إن يسّر الله تعالى بعدها لقاء الأمير ، فيجلي اللسان عمّا في
الضمير :

ومدحي على الأملاك مدح ، وإنّما رأيتك منها فامتدحت على وسمي
وما كنتُ بالمهدي لغيرك مدحتي ولو أنّه قد حلَّ في مفرق النجمِ «

١ من مقصورة ابن دريد (ص : ١١٥) .

٩٧ - ومن ذلك ما خاطب به شيخه الخطيب سيدي أبا عبد الله ابن مرزوق ،
وهو :

« راشَ زَماني وبَرَى نَبْلَهُ فكَنتَ لي من وقعها جُنَّةٌ
ولو قهرتَ الموتَ أَمَتَنِي منهُ وأدخلتني الجَنَّةُ
فكيفَ لا أنشرها مِنَّةٌ قد عَرَفَتَهَا الإنسُ والجِنَّةُ »

« بماذا أخطب به تلك الجلالة ، فيتيسر الخطاب وتحصل الدلالة ، ألسيدي
ويشركني فيه ، من قال لا إله إلا الله بفيه ؟ أو بروح حياتي ، ومقدم ماهية ذاتي ،
وذخري الكبير الكثير ، لا بل فلنكي الأثير ، وهو تضيق على الولد والأهل ،
وتعدي المراتب المحدودة من الجهل ، فلم يبق إلا الإشارة الخارجة عن وظائف
اللسان ، وهي بعض دلالات الإنسان ، أفدت الإكسير ، وجبرت الكسير ،
ورويت يا أبا العلا^١ التيسير ، وغمرت بالكرم وأمن حمام الحرم الظعن والمسير ،
فمن رام شكر بعض^٢ أياديك فلقد شد حقائب الرحال ، إلى نيل المحال ، والحق
أن تكيل جزاك ، لمن جعل إلى المجد اعتراك ، ونولي شكرك وثناك ، إلى من
عمر بما يرضيه من الرفق بالخلق وإقامة الحق إنّاك ، وندعو منك بالبقاء إلى
الروض المتجود ، وغمام الجود ، وإمام الرُكَّع السُّجود ، لا بل لنور الله تعالى
المشرق على التهائم والنُّجود ، ورحمته المبتوثة أثناء هذا الوجود .

« وليعلم سيدي أن النفس طماعة جمّاعة ، وسراب آمالها بخارُه لماعة ، فلا
تفريق من كد ، ولا تقف عند حد ، سيّما إذا لم يهذبها السلوك والتجريد ، ولم
يسرّ منها في عالم الغيب البريد ، ولا تجلت لها السعادة التي يجذب بها المراد
ويشمّر لها المريد ، إلى أن يتأتّى عمّا دون الحق المتحيد ، ويصح التوحيد ،

١ ق : يا ابن الملا .

٢ بعض : سقطت من ق .

وقد مثلت الآن خصماً ، توسعُ ظهر استظهارى بالتسليم قَصْماً ، وتقول :
المال عديلي عند القيمة ، وطيبى في الأحوال السقيمة ، وهو نتيجة كدّي عند
الأقيسة العقيمة ، ومن استخلصني على شرفي إذا تفاضلت الجواهر ، وتبينت
للحق المظاهر ، وتعينت المراتب التي يقتعدها على رأي البراهمة النور الاصفهندي
والنور القاهر ، فخلاصُ المال طَوَّعُ يديه ، وهو كما قال الله تعالى أهْوَنُ
عليه ، فألاطفها ، حتى تلين معاطفها ، وأخادعها ، حتى تلوي أخادعها ، وأقول :
قد وقع الوعد ، وأشرق السعد ، ولان الجعد ، وسكن الرعد ، والله تعالى الأمر
من قبلُ ومن بعد ، فتجيني : العمر المنام ، وأيام الجاه والقدرة قد يحق لها
الاغتنام ، وهمُّ العاقل إلى وقته الحاضر مصروف ، و « إذا لم يغير حائطه »
مثل معروف ، وفي الوقت زبون يرجى به استخلاصُ الحقوق ، ويستبعد وقوع
العقوق ، فإن رأى مولاي أن يشفع المنة ، ويقرع باباً ثانياً من أبواب الجنة ،
قبل أن يشغل شاغل ، أو يكدر الأكل والشرب وارش^١ أو واغل^١ ، أو يثوب
للمتعدي نظر في اللجاج ، أو يُدَسَّ له ما يحمله على الاحتجاج ، - و « أو »
متسع مناطها ، فسيح استنباطها ، كثير هياطها ومياطها - فهو تمام صنيعة التي
لم ينسج على منوالها الأحرار ، ولا اهتدت إلى حسنتها الأبرار ، ولا عرف بدرُ
مجدها السرار ، فإنه كان الفرار ، والله تعالى ثم له خلص الاضطرار ، ويستقر
تحت دخیله القرار ، وتطمئن الدار ، فإنَّ ما ابتداء به من عزَّ ضَرَبَ على الأيدي
العادية منه حكمُ الحكام ، وفارع الهضاب والآكام ، على ملا ومجمع ،
ومرأى من الخلق ومسَّمع ، يقتضي اطراد قياس العزة القعساء ، وسعادة
الإصباح والإمساء ، وظهور درجات الرجال على النساء ، فهو جاه حارت
فيه الأوهام وهذه أذياله ، ومن ركب حقيقة أمرها هان عليه خياله ، والمال
ماله ، والعيال عياله ، والوجود سريع زياله ، والجزاء عند الله تعالى مكياه ،

١ الوارش : المتطفل على الآكلين ؛ والواغل : المتطفل على الشاربين ؛ وفي ق : واش .

وعروض المغصوب باقية الأعيان^١ ، مستقلة الشجر قائمة البنيان ، تمنع عن شرائها قاعدة الأديان ، وغيرها من مكيل وموزون ، بين مأكول ومخزون ، والكتب ملقاة. بالقاع ، مطرحة بأخبث البقاع ، فإن تأتّى الجبّر ، وإلاّ فالصبّر ، على أنّ وعدّ عمادي لا يفارق الإنجاز ، ومكرمه التي طوقها قد بلغت الشام والحجاز ، وحقيقة التزامه تباين المجاز ، وآية مجده تستصحب الإعجاز ، ولله در إبراهيم بن المهدي يخاطب المأمون ، لما أكذب في العفو عنه الظنون :

وهبت مالي ولم تبخل عليّ به . وقبل ذلك ما إن قد وهبت دمي^٢

وقد كانت هذه المنقبة غريبة فعززتها بأختها الكبرى ، وفريدة فجئت بأخرى ، وشفعت وتثرا ، أبقاك الله تعالى لتخليد المناقب ، وإعلاء المراتب ، وجعل أخص نعلك تاجاً للنجم الثاقب ، وتكفّل لك في النفس والولد بحسن العواقب :

أمين أمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا^٣

وأما تنبيه سيدي على إنشاء رزق ، وتقرير رفق ورفق ، فلا أنبه حاتماً وكعباً ، أن يملأ قعباً ، لمن خاض بجرأ أو ركب صعباً ، هذا أمر كفانيه الكافي ، وداء كوخز^٤ الأشافي ، أذهب الشافي ، والسلام » انتهى .

٩٨ — ومن إنشاء لسان الدين رحمه الله تعالى على لسان السلطان قوله :

« هذا ظهير كريم ، مُضمّنهُ استجلاء لأُمور الرعية واستطلاع ، ورعاية

١ . يشير لسان الدين هنا إلى ما أخذ منه بالاندلس ، من عروض ومكيلات وموزونات وكتب . . .

إلخ ؛ ويقول إن أعيان العروض (من شجر ومبان) لا تزال شاهدة .

٢ الأغاني ١٠ : ١٢٥ وروايته : « رددت مالي ولم تمن علي به ؛ وقبل ردك مالي . . . إلخ » .

٣ انظر المجلد ١ : ١٧٥ .

٤ ق : لوخز ؛ والأشافي : جمع إشفى وهو المخرز .

كرمت منها أجناس وأنواع ، وعدل بهر منه شعاع ، ووصايا يجب لها إهطاع ،
أصدرناه للفقير فلان لما تقرر لدينا دينه وعدله وفضله ، رأينا أنه أحقّ من نقله
الهمّ الأكيد ، ونرمي به من أغراض البرّ الغرض البعيد ، ونستكشف به أحوال
الرعايا حتى لا يغيب عنا شيء من أحوالها ، ولا يتطرق إليها طارق من أهوالها ،
وينهي إلينا الحوادث التي تنشأ فيها لإنهاء يتكفل بحياطة أبقارها وأمواها .

« وأمرناه أن يتوجه إلى جهة كذا حاطها الله تعالى فيجمع الناس في مساجدهم ،
ويندبهم من مشاهدهم ، ويبدأ بتقرير غرضنا في صلاح أحوالهم ، وإحساب
أمواهم ^١ ، ومكابدتنا المشقة في مداراة عدوهم الذي نعلم من أحواله ما غاب
عنهم دفعه الله تعالى بقدرته ، ووقى نفوسهم وحريمهم من معرّته ، ولما رأينا
من انبئات الأسباب التي تؤمل ، وعجز الحيل التي كانت تعمل ، ويستدعي
إنجادهم بالدعاء ، وإخلاصهم فيه إلى رب السماء ، ويسأل عن سيرة القواد ،
وولاية الأحكام بالبلاد ، فمن نالته مظلمة فليرفعها إليه ، ويقصّها عليه ، ليلغها
إلينا ، ويوفدها مقررة الموجبات لدينا ، ويختبر ما افترض صدقة للجبل ، وما
فصل عن كريم ذلك العمل ، ليعيّن إلى بناء الحصن بجبل فارّه يسرّ الله تعالى لهم
في إتمامه ، وجعل صدقتهم تلك مسكة ختامه ، وغيره ممّا افترض إعانة
للمسافرين ، وإنجاداً بلجهد الكافرين ، فيعلم مقداره ، ويتولى إختباره ^٢ ، حتى
لا يجعل منه شيء على ضعيف ، ولا يعدل به لمشروف عن شريف ، ولا تقع
فيه مضايقة ذي الجاه ، ولا مُخادعة غير المراقب لله ، ومتى تحقّق أن غنياً
قُصّر به عن حقّه ، أو ضعيفاً كلف منه فوق طوقه ، فيجبر ^٣ الفقير من الغني ،

١ ق : آمالهم .

٢ ق : إختباره .

٣ ق : فيجبر .

وَيَجْرِي مِنَ الْعَدْلِ عَلَى السَّنَنِ السَّوِيِّ ، وَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّ هَذِهِ الْمَعُونَةُ ١ وَإِنْ كَانَتْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَحَلِّ ضَرُورَتِهَا يَسِيرَةً ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَضَاعِفُهَا لَهُمْ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ، فَلَيْسَتْ مِمَّا يُلْزَمُ ، وَلَا مِنَ الْمَعَاوِنِ الَّتِي بَتَكَرَّرِهَا يُجْزَمُ ؛ وَيَنْظُرُ فِي عَهْدِ التَّوْفِيقِ فَيَصْرِفُهَا فِي مَصَارِفِهَا الْمُتَبَيَّنَةِ ، وَطَرَقِهَا الْوَاضِحَةِ الْبَيِّنَةِ .

« وَيَتَفَقَّدُ الْمَسَاجِدَ تَفَقُّدًا يَكْسُو عَارِيَهَا ، وَيَتِمُّ مِنْهَا الْمَآرِبُ تَتِمُّمًا يُرْضِي بَارِيَهَا ، وَيَنْدُبُ النَّاسَ إِلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لَصِبْيَانِهِمْ ، فَذَلِكَ أَصْلُ أَدْيَانِهِمْ ، وَيُخَذِّرُهُمُ الْمَغِيبَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَعْشَارِهِمْ ، فَالزَّكَاةُ أَخْتُ الصَّلَاةِ وَهُمَا مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ بِأَقْصَى الْجِدِّ وَالْإِعْتِرَامِ ، وَرَفَعْنَا عَنْهُمْ رِسْمَ التَّعْرِيفِ نَظَرًا إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْإِهْتِمَامِ ، وَقَدَمْنَا الثَّقَاتَ لَهُذِهِ الْأَحْكَامِ ، وَجَعَلْنَا الْخَرْصَ ٢ شَرْعِيًّا فِي هَذَا الْعَامِ ، وَفِيمَا بَعْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَعْوَامِ .

« وَمَنْ أَهَمُّ مَا أَسْنَدْنَاهُ إِلَيْهِ ، وَعَوَّلْنَا فِيهِ عَلَيْهِ ، الْبَحْثُ بِتِلْكَ الْأَحْوَازِ عَنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ ، وَالسَّائِرِينَ مِنَ السَّبِيلِ عَلَى غَيْرِ السَّوَاءِ ، وَمَنْ يُنْبِزُ بِفُسَادِ الْعَقْدِ ، وَتَحْرِيفِ الْقَصْدِ ، وَالتَّلْبِسِ بِالصُّوفِيَّةِ وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مِنْ أَهْلِ الْفُسَادِ ، وَالذَّاهِبِينَ إِلَى الْإِبَاحَةِ وَتَأْوِيلِ الْمَعَادِ ، وَالْمُؤَلِّفِينَ بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، وَالْمُتَّبِعِينَ لِمَذَاهِبِ الضَّلَالِ ، فَهَمَّا عَثَرَ عَلَى مُطَوَّقٍ بِالْتِّهْمَةِ ، مِنْبِزُ بَشِيءٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَلْيَشُدَّ ثِقَافَهُ شَدًّا ، وَيَسُدَّ عَنْهُ سَبِيلَ الْخِلَاصِ سَدًّا ، وَيَسْتَرِعِي فِي شَأْنِهِ الْمَوْجِبَاتِ ، وَيَسْتَوْعِبِ الشَّهَادَاتِ ، حَتَّى يَنْظُرَ فِي حَسْمِ دَائِهِ ، وَيَعَاجِلِ الْمَرَضَ بِدَوَائِهِ ، فَلْيَتَوَلَّ مَا ذَكَرْنَا نَائِبًا بِأَحْسَنِ الْمَنَابِ ، وَيَقْصِدْ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى رَاجِيًّا مِنْهُ جَزِيلَ الثَّوَابِ ، وَيَعْمَلْ عَمَلًا مَنًّا لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَ لِيَجِدَ ذَلِكَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ .

« وَعَلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوَادِ وَالْأَشْيَاخِ وَالْحُكَّامِ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُ يَدًا وَاحِدَةً

١ المعونة : الضريبة ، والجمع معاون .

٢ الخرص : تخمين الكرم والنخيل خاصة ؛ وفي ق : الخرص .

على ما حررنا في هذه الفصول ، من العمل المقبول ، والعدل المبذول ، ومن قصر عن غاية من غاياته ، أو خالف مقتضى من مقتضياته ، فعقابه عقاب من عصى أمر الله وأمرنا فلا يلم إلا نفسه التي غرته ، وإلى مصرع النكير جرته ، والله تعالى المستعان » انتهى .

٩٩ - ومن ذلك ما خاطب به تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني لما قصدها عقب ما شرع في جواره وتوسل إلى أغراضه بذلك إلى ولده رحم الله تعالى الجميع :

« السلام عليك ثم السلام ، أيها المولى الهمام ، الذي عرف فضله الإسلام ، وأوجبت حقه العلماء الأعلام ، وخفقت بعز نصره الأعلام ، وتنافست في إنفاذ أمره ونهيه السيوف والأقلام . السلام عليك أيها المولى الذي قسم زمانه بين حكم فصل ، وإمضاء فصل ، وإحراز فصل ، وعبادة قامت من اليقين على أصل . السلام عليك يا مقرر الصدقات الجارية ، ومُشبع البطون الجامعة وكاسي الظهور العارية ، وقادح زناد العزائم الواريسة ، ومُكتب الكتائب الغازية في سبيل الله تعالى والسرايا السارية . السلام عليك يا حجة الصبر والتسليم ، وملتقى أمر الله تعالى بالخلق المرضي والقلب السليم ، ومُقوّض الأمر في الشدائد إلى السميع العليم ، ومُعْمَل البنان الطاهر في اكتاب الذكر الحكيم . كرم الله تعالى تربتك وقدسها ، وطيب روحك الزكية وآنسها ، فلقد كنت للدهر جمالاً ، وللإسلام ثمالاً ، وللمستجير مجيراً ، وللمظلوم ولياً ونصيراً ؛ لقد كنت للمحارب صدى ، وفي المواكب بدرأ ، وللمواهب بحرأ ، وعلى العباد والبلاد ظلاً ظليلاً وستراً ؛ لقد فرغت أعلام عزك الثنايا ، وأجزلت هممتك للملوك الأرض الهدايا . كأتك لم تعرض الجنود ، ولم تنشر البنود ، ولم تبسط العدل المحدود ، ولم توجد الجود ، ولم تزين الرُكع السجود ، فتوسدت الثرى ، وأطلت الكرى ، وشربت الكأس التي يشربها الورى ، وأصبحت ضارع الخد ، كليل الخد ،

سالكاً ستين الأب والجد ، لم تجد بعد انصرام أجلك ، إلا صالح عملك ، ولا أصبحت لقبرك ، إلا رابح تجرك ، وما أسلفت من رضاك وصبرك ، فنسأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك ، ويسجود بسحاب الرحمة ترابك ، وينفعك بصدق اليقين ، ويجعلك من الأئمة المتقين ، ويعلي درجتك في عاينين ، ويجعلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين .

« وليهنك أن صير الله تعالى ملكك من بعدك ، إلى نير سعدك ، وبارق رعديك ، ومنجز وعدك ، أرضى ولدك ، وريحانة خلدك ، وشقة نفسك ، والسريحة المباركة من غرسك ، ونور شمسك ، وموصل عملك البر إلى رمسك ، فقد ظهر عليه أثر دعواتك ، في خلواتك وأعقاب صلواتك ، فكلمتك والمنّة لله تعالى باقية ، وحسنتك إلى محل القبول راقية ، يرعى بك الوسيلة ، ويتمم مقاصدك الجميلة ، أعانه الله تعالى ببركة رضاك على ما قلبه ، وعمر بتقواه يومه وغده ، وأبعد في السعد أمدّه ، وأطلق بالخير يدّه ، وجعل الملائكة أنصاره والأقدار عدده .

« ولآتي أيّها المولى الكريم ، البر الرحيم ، لما اشتراني ، وراشني وبراني ، وتعبدني بإحسانه ، واستعمل في استخلاصي خط بنانه ، ووصية لسانه ، لم أجد مكافأة إلا التقرب إليك وإليه برثائك ، وإغراء لساني بتخليد عليائك ، وتعفير الوجنة في حرمك ، والإشادة بعد الممات بمجدك وكرمك ، ففتحت الباب في هذا الغرض ، إلى القيام بحقك المفترض ، الذي لولاه لاتصلت الغفلة عن أدائه وتمادت ، فما يبست الألسن ولا كادت ، متحيزاً بالسبق ، إلى أداء هذا الحق ، بادئاً بزيارة قبرك الذي هو رحلة الغرب ما نويته من رحلة الشرق ، وما أعرضت عنه فأقطعه أثر مواقع الاستحسان ، وقد جمع بين الشكر والتنويه والإحسان ، والله سبحانه يجعله عملاً مقبولاً ، ويبلغ فيه من القبول مأمولاً ، ويتغمّد من ضاجعته من سلفك الكرام بالمغفرة الصيّبة ، والتحيات الطيبة ، فنعم الملوك الكبار ،

والخلفاء الأبرار ، والأئمة الأخيار ، الذين كرمت منهم السيّر وحسنت الأخبار ،
وسعد بعزمتهم الجهادية المؤمنون وشقي الكفار ، وصلوات الله تعالى عوداً
وبدءاً على الرسول الذي اصطفاه واختاره فهو المصطفى المختار ، وعلى آله
وأصحابه الذين هم السادة الأبرار ، وسلم تسليمًا » انتهى .

١٠٠ - وقال لسان الدين رحمه الله تعالى : ومما خاطبت به الوزير المتغلب
على الملك بالمغرب ما نصّه :

« لا ترجُ إلا اللهَ في شدّةٍ وثيقٍ بهٍ فهو الذي أيدَكَ
حاشاك أن ترجُوَ إلا الذي في ظلمةِ الأحشاء قد أوجدك
فاشكره بالرحمة في خلقه ووجهك ابسط بالرضى أو يدك
والله لا تهملُ ألطافه قلادة الحق الذي قلّدتك
ما أسعدَ الملكَ الذي سُسّته يا عُمَرَ العدلِ ، وما أسعدك

» نخص الوزير الذي بهر سعه ، وحُمد في المضاء قصده ، وعول على الشيم
التي اقتضاها مجده ، وأورثه إياها أبوه وجدّه ، الوزير عمر الكذا ابن الشيخ الكذا ،
أبقاه الله تعالى ثابت القَدَم ، خافق العَلَم ، شهيرٌ حديثُ سعه في الأمم ، مثلاً
خيرٌ بسالته وجلالته في العرب والعجم .

» تحيةٌ معظّم مجده الكبير ، المستند إلى عهده الوثيق وحسبه الشهير ؛ السرور
بما سنّاه الله تعالى له من نُجْحِ التديير ، والنصر العديم النظير ، وإنجاده إياه
عند إسلام النصير ، وفراق القبيل والعشير ، ابن الخطيب ، واليدُ ممدودة إلى
الله تعالى في صِلَة سعد الوزير - أبقاه الله تعالى - ودوام عصمته ، واللسان يطنب
ويسهب في شكر نعمته ، والأمل متعلق بأسبابه الكريمة وأذمته ، وقد كان
شيّعهُ مع الشفقة التي أذابت الفؤاد ، وألزمت الأرق والسهاد ، على علمٍ بأن
عناية الله تعالى عليه عاكفة ، وديَم آلائه لديه واكفة ، فإن الذي أقدره وأيده

ونصره ، وأنفذت مشيئته ما دبّرهُ ، كفيل بإمداده ، ومُكيّ بإسعاده ، ومبرّجُوّ لإصلاح ديناه ومَعاده ، وفي أثناء هذه الأراجيف استولى على معظم وزارته الجزع ، وتعاورته الأفكار تأخذ وتَدَع ، فإنتي كما يعلم الوزير أعزّه الله تعالى منقطع الأسباب ، مستوحش من الجهة الأندلسية على بُعد الجناح ، ومستعدّي عليّ بكوفي من المعدودين فيمن له من الخلفان والأحباب ، فشرعت في نظريّ أحصل منه على زوال اللبس ، وأمان النفس ، واللحاق بمأمن يرعاني برعي الوزير ، بخلال ما يدبر الأمر من له التدبير ، ففي أثناءه ، وتمهيد أساس بناه ، ورَدّ البشير بما سنّاه الله تعالى لسيدي وجابر كسري ، ومنصفي بفضل الله تعالى من دهري ، من الصنع الذي ظهر ، وراق نوره وبهَر ، فأمنتُ وإن لم أكن ممّن جتّى ، وحفّتي المسرات بين فرادى وثّني ، وانشرح بفضل الله تعالى صدري ، وزارنتي النعم والتهاني من حيث أدري ولا أدري ، ووجهت الولد الذي شملته نعمة الوزير وإحسانه ، وسبق إليه امتنانه ، نائباً عني في تقبيل يده وشكر يده ، والوقوف ببابه ، والتمسك بأسبابه ، آثرته بذلك لأمر : منها المزاولة فيما كان يلزمني من إخوته الأصاغر ، وتدريبه على خدمة الجلال الباهر ، وإفرادي له بالبركة ، ولعائق ضعف عن الحركة ، وبعد ذلك أشرعُ بفضل الله تعالى في العمل على تجديد العهد بباب الوزارة العلية ، عارضاً من ثنائها ما يكون وفق الأمنية ، ورُبّ عمل أغنى عنه فضل نية ، والسلام الكريم على سيدي ورحمة الله تعالى وبركاته .

١٠١ — قال : وكتبت إليه أيضاً على أثر الفتح الذي تكيف له :

« سيدي الذي أَسَرَّ بسعاده ، وظهور عناية الله تعالى به في إبدائه وإعاداته ، وأعلم كرم مَجَادته ، وأعترف بسيادته ، الوزير الميمون الطائر ، البخاري حديثُ سعده ومَضائيه مجرى المثل السائر ، أبقاه الله تعالى عزيز الأنصار ، جارية بيمن نقييته حركة الفلك الدوّار ، معصوماً من المكاره بعصمة الواحد القهار ؛

معظم سيادته الرفيعة الجانب ، وموقر وزارته الشهيرة المناسب ، الداعي إلى الله تعالى بطول بقاءه في عزّ واضح المذاهب ، وصنع واكف السحاب ، ابن الخطيب ، عن الذي يعلم سيدي من لسان طلق بالثناء ، ويد ممدودة إلى الله تعالى بالدعاء ، والتماس لما يعدّ من جزيل النعماء ، والفتح الذي تفتح له أبواب السماء ، وقد اتصل ما ستاه الله تعالى له من النصر والظهور ، والصنع البادي السفور ، لما التقى الجمعان ، وتهوديت أكواس الطعان ، وتبين الشجاع من الجبان ، وظهر من كرات سيدي وبسالته ما تحدث به ألسنة الركبان ، حتى كانت الطائلة لحزبه ، وظهرت عليه عناية ربه ، فقلت : الحمد لله الذي جعل سعد عمادي متصل الآيات ، واضح الغرر والشّيات . وقد كنت بعثت أهنته بما قدم من صنع جميل ، وبلوغ تأميل ، فقلت : اللهم أهد علينا التّهاني تتّرى ، واجعل الكبرى من نعمتك السالفة بنعمتك الرادفة الخالفة هي الصغرى ، واجمع له بين نعم الدنيا والأخرى ، والناس — أبقى الله تعالى سيدي — لهم مع الاستناد إليك جهات ، وأمور مشتهات ، إلا المحب المشيع فجهتك هي التي آتست الغربية ، وفرّجت الكربة ، ووعدت بالخير ، وضمنت عاقبة الضير ، وأنا أرتقب ورود التعريف الموالي على عبيده بهذه المدينة وأصل إن شاء الله تعالى لمباشرة الهناء ، وقرة العين بمشاهدة الآلاء ، والله عزّ وجلّ يديم سعادة سيدي ويطيل بقاءه ، ويرادف قبيله نعمه وآلاءه ، بفضلته « انتهى » .

١٠٢ — وقال : ومما خاطبت به المذكور وأنا ساكن بسلا :

« أيا عُمَرَ العدل الذي مَطَّلَ المدى بوعده الهدى حتى وفيت بديته
ويا صَارِمَ الملك الذي يستعده لدفع عِداه أو لمجلس زينه
هَنَّتْ عينكَ يقظى من الله عصمة كفت وجه دين الله موقع شينه
وهل أنت إلا الملك والدين والدُّنا ولا يلبس الحق المئين بميينه
إذا نال منك العين ضرٌّ فإنما أصيب به الإسلام في عين عينه »

«الوزير الذي هو للدين الوزر الوافي ، والعلم السامي المراقب والمراق ،
والخلي المقلد فوق الترائب والتراقي ، والكثرة المؤمل والدختر الباقي ، حجب الله
تعالى العيون عن عين كمالك ، وصير الفلك الدوار مطية آمالك ، وجعل اتفاق
اليمن مقروناً بيمينك ، وانتظام الشمل معقوداً بشمالك .

« اعلم أن مطلق لسان الثناء على مجدك ، والمستضيء على البعد بنور سعدك ،
ومعقود الرجاء بعروة وعدك ، لا يزال في كل ساعة يسحب الفلك فيه ذيلها ،
ويعاقب يومها وليلها ، مُصْغَى الأذن إلى نيل يهدي عنك لله تعالى دفاعاً ، أو يمد
في ميدان سعدك باعاً ، وأنت اليوم النصير على الدهر الظلوم ، وآسي الكلوم ،
وذو المقام المعلوم ، فتعرفت أن بعض ما يتلاعب به بين أيدي السادة الخدام ،
وتتفككه به المثاقفة والأقدام^١ ، من كرة مرسلة الشهاب ، أو نارنجة ظهر عليها
من اسمها صبغة الالتهاب ، حومت حول عينك لا كدّر صفاؤها ، ولا هُدم
فوق مهاد الدعة والأمن إغفاؤها ، فرعت حول حماها ، ورامت أن تصيب فخيـب
الله تعالى مرماها :

نرى السوء مما نتقي فنهابه وما لا نرى مما بقي الله أكثر^٢

« فقلت : مكروه أخطأ سَهْمُهُ ، وتنبيه من الله تعالى لمن نبيل عقله وفهمه ،
ودفاع قام دليـله ، وسعد أشرق جليله ، وأيام أعربت عن إقبالها ، وعصمة
غطت بسرّبالها ، وجوارح جعل الله تعالى الملائكة تحرسها ، فلا تغتالها الحوادث
ولا تفترسها ، والفطن يشعر بالشيء وإن جهل أسبابه ، والصوفي يسمع من
الكون جوابه ، فبادرت أهنته تهتة من يرى تلك الجوارح الكريمة أعز عليه
من جوارحه ، ويرسل طير الشكر لله تعالى في مساقط اللطف الخفي ومسارحه ،

١ المثاقفة : أهل الثقافة أي الذين يصارعون الحيوانات المتوحشة ؛ والأقدام : الحمقى .
٢ مر هذا البيت وقصته بين الأمير عبد الرحمن ووزيره الزجاجي في المجلد ٣ ص : ٦١٣ ، ٥٣٩ .

وسأله سبحانه أن يجعلك عن النوائب حِجْرًا لا يُقرب ، وربك ربّعا لا يخرب ، ما سبّح الخوتُ ودبّ العقرب ، ثم إنني شفعت الهناء ووترته ، وأظهرت السرور فما سترته ، بما سنّاه لتدبيرك من مسالمة تكذبُ الإرجاف ، وتغني عن الإيجاف ، وتخصب للإبل العجاف ، وتريح من كيد ، وتفرغ إلى مجادلة عمرو وزيد ، وكأنني بسعدك قد سدّك الأمان ، وعدل الزمان ، وأصلح الفاسد ، ونفق الكاسد ، وقهر الروع المستاسد ، وسرّ الحبيب وساء الحاسد ، والسلام » انتهى .

١٠٣ - ومن إنشاء لسان الدين رحمه الله تعالى ما خاطب به الرئيس عامر ابن محمد بن علي الهنتاتي معزيا له عن أخيه عبد العزيز :

«أبا ثابتٍ كنْ في الشدائدِ ثابتا أعيدُكَ أنْ يُلْفَى حُسودُكَ شامتا
عزاؤُكَ عن عبد العزيزِ هو الذي يليقُ بعزِّ منك أعجزَ ناعتا
فدوحتُكَ الغنَاء طالتْ ذوائبا وسرّحتُكَ الشَّمَاء طابتْ منابتا
لقد هدَّ أركانَ الوجودِ مُصابهُ وأنطقَ منه الشَّجْوُ من كان صامتا
فمن نَفَس حرٍّ أوثقَ الحزنُ كظمها ومن نَفَسٍ بالوجدِ أصبحَ خافتا
هو الموتُ للإنسانِ فصلٌ لحدِّه وكيف ترجي أن تصاحبَ مائتا
وللصبرِ أولى أن يكونَ رجوعنا إذا لم نكنْ بالحزنِ نَرْجِعُ فائتا

«اتصلَ بي أيُّها الهمام ، وبدر المجد الذي لا يفارقه التمام ، ما جنته على عليائك الأيام ، واقتنصه مُحَلِّق الردى بعد أن طال الحيام ، وما استأثر به الحِمام ، فلم يغنِ الدفاع ولا نفع الدِّمام ، من وفاة صنوك الكريم الصفات ، وهلاك وَسْطَى الأسلاك ، وبدر الأحلاك ، ومجير الأملاك ، وذهاب السَّمَح الوهَّاب ، وأنا لذيغُ صِلِّ الفراق ، الذي لا يفيق بألف راق ، وجريح سَهْم

١ الحجر : المتنوع المحمي .

البين ، ومُجاري العيون الجارية بدمع العين ، لفقد أنيس سهّل عليّ مَضَض النكبة ،
ونَحَى ليث الخطب عن فريستي بعد صدق الوثبة ، وآنسي في الاغتراب ،
وصحبنني إلى منقطع التراب ، وكفل أصاغري خير الكفالة ، وعاملني من حسن
العشرة بما سجّل عقد الوكالة ، انتزعه الدهر من يدي حيث لا أهل ولا وطن ،
والاغترابُ قد ألقى بعطّن ، وذات اليدِ يعلم حالها مَنْ يعلم ما ظهر وما بطن ،
ورأيت من تطارح الأضاغر على شِلُو الغريب ، النازح عن النسب والقريب ،
ما حملني على أن جعلت البيت له ضريحاً ، ومدفنّاً صريحاً ، لأخدع من يرى
أنّه لم يزل مقيماً لديه ، وأن ظلّ شفقتة منسحبٌ عليه ، فأعيا مصابي عند ذلك
القرح ، وأعظم الظمأ البرح ، ونكأ القرع القرع ، إذ كان ركناً قد بنته لي يد
معرفتك ، ومتصفاً في البرّ بي والرعي لصاغيتي بكرم صفتك ، فواللهما عليه من
حسام ، وعز سام ، وأبادٍ جسام ، وشهرة بين بني حام وسام ، أي جمالٍ خلّق ،
ووجه للقاصد طلّق ، وشيم تطمح للمعالي بحق ، وأي عضد لك يا سيدي الأعلى
لا يَهِنُ إذا سطا ، ولا يقهر إذا خطا ، يوجب لك على تحليه بالشيبة ، ما توجبه
البُنوّة من الهيبة ، ويرد ضيفك آمناً من الخيبة ، ويسد ثغرك عند الغيبة ، ذهبت
إلى الجزع فرأيت مُصابه أكبر ، ودعوت بالصبر فولّى وأدبر ، واستنجدتُ
الدمع فنضب ، واستصرخت الرجاء فأنكر ما روى واقتضب ، وبأي حزن يُلقَى
عبد العزيز وقد جلّ فقده ، أو يطفأ لأعجه وقد عظم وقّده ، اللهم لو بكى
بندى أياديه ، أو بغمائم غواديه ، أو بعُباب واديه ، وهي الأيتام أي شامخ
لم تهْدَه ، أو جديد لم تُبْلِه وإن طالّت المدة ؟ فرقت بين التيجان والمفارق ،
والحدود والنمارق ، والطلّي والعقود ، والكأس وابنة العقود ، فما التعلل بالفان ،
وإنما هي إغفاءة أجفان ، والتشبث بالحبال ، وإنما هو ظلّ زائل ؟ والصبر على
المصائب ، ووقوع سهمها الصائب ، أولى ما اعتمد طيلاً ، ورجع إليه طوعاً
أو غيلاً ، فأنا يا سيدي أقيمُ رسم التعزية ، وإن بُؤتُ بمضاعفِ المرزية ، ولا
عتب على القدر ، في الورد من الأمر والصدر ، ولولا أن هذا الواقع ممّا لا

يجدي فيه الخُلُصان ، ولا يغني فيه السَّراع ولا الحرصان ، لأبلى جهده مَنْ
أقرضتموه معروفاً ، وكان بالتشيع إلى تلك الهضبة معروفاً ، لكنّها سوقٌ لا
ينفقُ فيها إلا سلعة التسليم ، للحكيم العليم ، وطَيّ الجوانح على المضض الأليم ،
ولعمري لقد خلدت لهذا الفقيّد وإن طمس الحِمام محاسنه الوضاحه ، لمّا كبس
منه الساحة ، صحفاً منشّرة ، وثغوراً بالحمد موثّرة ، يفخر بها بنّوه ،
ويستكثر بها مكتسبو الحمد ومُفتنّوه ، وأنتم عماد البازة ، وعلم المفازة ،
وقطب المدار ، وعامر الدار ، وأسد الأجمة ، وبطل الكتيبة الملجمة ، وكافل
البيت ، والستر على الحي والميت ، ومثلك لا يُهدى إلى نهجٍ لاجب ، ولا
ترشده نار الجباحب ، ولا ينبه على سنن نبيّ كريم أو صاحب ، قدرك أعلى ،
وفضلك أجلى ، وأنت صدر الزمان بلا مدافع ، وخير مُعلٍ لأعلام الفضل
ورافع ، وأنا وإن أخرت فرض بيعتك لما خصّيتي من المصاب ، ونالني من
الأوصاب ، ونزل بي من جور الزمان الغصّاب ، ممّن يتقبل عُذْرهُ الكرم ،
ويسعه الحرم المحترم ، والله سبحانه الكفيل لسيدي وعمادي بقاء يكفل به الأبناء
وأبناء الأبناء ، ويعلي لقومه رُتَبَ العزّ سامية البناء ، حتى لا يوحش مكان فقيّد
مع وجوده ، ولا يحسّ بعضُ زمانٍ مع جوده ، ويقر عينه في ولده وولد
ولده ، ويجعل أيدي مُناويه تحت يده ، والسلام .

١٠٤ - وخاطبه لسانُ الدين أيضاً بما نصّه :

« سيدي الذي هو رجل المغرب كلّهُ ، والمجمَعُ على طهارة بيته وزكاء أصله ،
علم أهل المجد والدين ، وبقية كبار الموحّدين .
« بعدَ السلام الذي يجب لتلك الجلالة الراسخة القواعد ، السامية المصاعد ،
والدعاء لله أن يفتح لك في مضيقات هذه الأحوال مسالك التوفيق ، ويمسكك
من عصمته بالسبب الوثيق ، أعرفك أن جبلك اليوم وقد عظم الرّجفان ، وفاض
التنور وطغى الطوفان ، تؤمل النفوسُ الغرّقى جُودِيّ جودِهِ ، وتغبط غايةً

الاغتياب بوجوده . ووالله لولا العلائقُ التي يجبُ لها الالتزام ، ما وقع على غير قصدك الاعتزام ، والله تعالى يمدك بإعانتة على تحملُ القُصَّاد ، ويبقي محلك رفيعَ العماد كثيرَ الرماد ، ويجعل أبا يحيى خلفاً منك بعد عمر النهاية البعيد الآماد ، ويبقي كلمة التوحيد فيكم إلى يوم التناد . وحاملهُ القائد الكذا معروف النباهة والجهاد ، ومحله لا ينكر في الفؤاد ، لما اشتبهت السبل ، والتبسَ القول والعمل ، لم يجد أنجي من الركون إلى جنابك ، والتمسكُ بأسبابك ، والانتظام في جملة خواصك وأحبابك ، حتى ينبلج الصبح ، ويظهر النُّجج ، ويعظم المنح ، ويكون بعد هجرته الفتح ، ومثلُكم من قُصِدَ وأُمِّلَ ، وأنْضِيَ إليه المطي وأُعْمِلَ ، وأمّا الذي عندي من القيام بحق تلك الذات الشريفة ، والقول بمنابها المنيفة ، فهو شيء لا تفي به العبارة ، ولا تؤديه الألفاظ المستعارة ، والله تعالى المسؤول في صلة عز سيدي ودوام سعده ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته » انتهى .

١٠٥ — وقال لسان الدين رحمه الله تعالى : وممّا خاطبتُ به شيخ الدولة — وقد استقل من مرض — ما نصّه :

« لا أعدم الله دار الملك منك سنّاً يحلى به الحالكان الظلم والظلمُ
وأُنشدتكَ الليالي وهي صادقة «المجد عوفي إذ عوفيت والكرم»^١

«مَنْ علم — أعلى الله تعالى قدرك — أن المجد جواد حُلاك شياتهُ ، لا بل الملك بدرٌ أنت آياته ، لا بل الإسلامُ جسمٌ أنت حياته ، دعا منك بالبقاء لمجد يروق بك جبينهُ ، ومُلْكٌ تنيره وتزينه ، ولدينٍ تعامل الله تعالى بإعزازه وتدوينهُ ، فلقد ألت نفوسُ المؤمنين لآلامك ، ووجم الإسلامُ لتوقع إسلامك ، وخفقت الأعلام لتأخر أطرافك بمصالح الملك وإعلامك ، فإنما أنا ملُ الدين والدنيا متشبثة بأذيال أيامك ، ورحالُ الأملِ مخيمةٌ بين حلالك وخيامك ،

١ صدر بيت المتنبي ، وعجزه «وزال عنك إلى أعدائك الألم» .

فإذا قابلت الأشرافُ نِعَمَ الله تعالى بشكر ، ورمت الغفلة عن ذلك بنكر ، فاشكره
جلَّ وعلا بملء لسانك وجنانك ، واجرِّ في ميدان حمده مطلقاً من عنانك ، على
ما طوّفك من استرقاق حرٍّ ، وإفاضة أيادٍ غُرٍّ ، واقتناء عسجدٍ من الحمد
ودرٍّ ، وإتاحة نفعٍ ودفعِ ضرٍّ ، وإدالة حلوٍ من مرٍّ ، وكنْ على ثقةٍ من مدافعةِ
الله تعالى عن حِمَاكَ ، وعزٍّ تبلغ ذوائبه السَّمَاءُ ، ورزقٍ يحره فألٌ منمتاك ،
ودونك مجلسَ الإمامة فقد تديره بزمامك ، وحُظوة الخلافة فاستحقها
بوسائلك القديمة وذمامك ، ومحاسن الدولة فاجلّها على منصة إمامك ، ورسوم
البر فأغرّ بها عينَ اهتمامك ، وذروة المنبر فأمضِ بها ظُبنة حسامك ، وأجنِ
الآملين زهرَ الأيادي البيض من كمائم أكمامك ، فيا عز دولة بك — يا جملة
الكمال — قد استظهرت ، وأذلت المعاند وقهرت ، وبإعمال آرائك اشتهرت ،
فراقت فضائلها وبهرت : جزالةٌ كما شقَّ الجوّ جارح ، ولطافةٌ كما طارح
نغمَ التأليفِ مطارح ، وفكر في الغيب سارج ، ودين لغوامض الحلم والعدل
شارح ، ومكارم تحت آثار الكرماء ونسخت ، وحكمت عقود أخبار الأجواد
في الأعصار ونسخت ، فلم تدع لفضل الفضلِ ذكراً ، وتركت معروف
يحيى بن خالد نكراً ، لا بل لم يبق لكعب ، من علو كعب ، وأنست دعوة
حاتم ، بأيّ ماحٍ وخاتم ، قُصارُهُ شيءٌ حُوار ، ومنع حيوار ، وعقرُ ناب ،
عند اقشعرار جَنَاب ، وأين يقع من كبر قدْرٍ ترفع عن الكبر ، وجودٍ نخضب
الأيدي بحناء الثبر ، وعزٍّ استخدم الأسلَ الطّوال بيراع أقلّ من الشبر ،
وحقن الدماء المُرّاة بإراقة نجيع الخبر ، وفكّ العِقَال ، ورفع النُوبَ الثقال ،
وراعَ الذرّة والمثقال ، وعشّر الزمان فأقال ، ووجد لسان الصدق فقال .

« أقسمُ ببارئ النّسم ، وهو أبرُّ القسَم ، ما فازت بمثلك الدول ، ولا ظفرت
بمثلك الملوك الأواخر والأول ، ولو تقدّمت لم يُضربْ إلاّ بك المثل ، ولم
يقع إلا على سنّتك وكتابك والإجماع المنعقد على آدابك العمل ، والمملوك لما شام
مالكه برّق العافية ، وتدرّع بالألطاف الخافية ، كتب مبشراً بالهناء ، ومذيعاً

ما يجبُ من الحمد والثناء ، وشاكراً ما له بوجوده من الاعتناء ، فقد بادر ركن الدين بالبناء ، وأبقى السر والمنة على الآباء والأبناء ، فنسأل الله تعالى أن يمتع منك بأثير الملوك ، ووسطى السلوك ، وسُلالة أرباب المقامات والسلوك ، ويقيقك وحصّة الصحة وافرة ، وغُرّة العزة القعساء سافرة ، وغادة عادة السعادة غيرُ نافرة ، وكتيبة الأمل في مقامك السعيد غائمة ظافرة ، ما زَحَقَتْ للصباح شُهْبُ المواكب ، وتفتحت بشطّ نهر المجرّة أزهارُ الكواكب ، والسلام » انتهى .

١٠٦ - ومن ذلك ما خاطبَ به سيدي أبا عبد الله ابن مرزوق ، جواباً عن كتابه ، وقد استقر خطيبُ السلطان بتونس :

« ولما أن نأتُ منكم ديارٌ وحالَ البعدُ بينكمُ وبينِي
بعثتُ لكم سواداً في بياضٍ لأنظركم بشيءٍ مثلِ عيني

» بِمَ أَفاتحك يا سيدي ، وأجلَّ عُدَدِي ؟ [كيف أهدي] سلاماً ، فلا أحذر ملاماً ؟ أو أنتخبُ لك كلاماً ، فلا أجد لتبعية التقصير في حقك الكبير إيلاماً ؟ إن قلت : تحية كسرى في الثناء وتبّع ، فكلمة في مرتع العجمة تربع ، ولها المصيفُ فيه والمربع ، والجَمِيمُ والمنيع ، فتروى متى شاءت وتشيع ، وإن قلت : إذا العارض خطر ، ومهما همى أو قطر ، سلام الله يا مطراً ، فهو في الشريعة بطّـر ، وركبة خطر ، ولا يُرعى به وطنٌ ولا يُقضى به وطر ، وإنما العِرق الأوشج ، ولا يستوي البان والبنفسج ، والغوّسج والعرفج :

سلام وتسليم وروحٌ ورحمة عليك وممدود من الظل سجسج^٢

١ من قول الشاعر :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

٢ البيت لابن الرومي من قصيدته في رثاء يحيى بن عمر العلوي ومطلعها :

أمامك فانظر أي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم وأعوج

والسجسج : البرود .

« وما كان فضلك ليمنعي الكفرانُ أن أشكره ، ولا لينسني الشيطانُ أن أذكره ، فأخذ في البحر سبباً^١ ، أو أسلك غير الوفاء مذهباً ، تأبى ذلك - والمنّة لله تعالى - طيباع ، لها في مجال الرّعيّ باع ، وتحقيق وإشباع ، وسوائم من الإنصاف ، ترعى في رياض الاعتراف ، فلا يطرّقا ارتياح ، ولا تخيفها سباع ، وكيف نجحد تلك الحقوق وهي شمسُ ظهيرة ، وأذان عقيرة^٢ جّهيرة ، فوق مثذنة شهيرة ، أدت الأكتاد لها ديون تستغرقُ الدّم ، وتسترقُ حتى الرّم ، فإن قضيت في الحياة فهي الخطّة التي نرتضيها ، ولا نقنع من عامل الدهر المساعد إلا أن ينفذ مراسمها ويُمضيها ، وإن قُطع الأجل فالغنيّ الحميد - من خزائنه التي لا تبید - يقضيها ، ويرضي من يقضيها . وحيّا الله تعالى أيها العَلَم السامي بالخلال ، زمناً بمعرفتكَ المبرة على الآمال ، برّاً وأتخف ، وإن أساء بفراقك وأجحف ، وأعزى بعدما ألحف ، وأظفر باليتيمة المذخورة للشدائد والمزاین^٣ ، ثم أوحش منها أصوثة هذه الخزاین ، فأب حنينُ الأملِ بخفيّه ، وأصبح المغربُ غريباً يقلّبُ كفيّه ، ونستغفر الله تعالى من هذه الغفلات ، ونستهديه دليلاً في مثل هذه الفلّوات ، وأي ذنب في الفراق للزمن ، أو لغرابِ الدّمّن ، أو للرواحلِ المدبّلة ما بين الشام إلى اليمن ، وما منها إلا عبد مقهور ، وفي رُمة القدر مبهور ، عقد والحمد لله مشهور ، وحجّة لها على النفس اللوامة ظهور ، جعلنا الله تعالى ممّن ذكر المسبب في الأسباب ، وتذكّر ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة : ٢٦٩ ، آل عمران : ٧) ، قبل غلق الرّهْن وسد الباب ، وبالجملة فالفراق ذاتي ، ووعدّه مائيّ ، فإن لم يكن فكأنّ قدّم ، ما أقرب اليوم من الغد ، والمرء في الوجود غريب ، وكلّ آت قريب ، وما من مقام إلا لزوال ، من غير احتيال ، والأعمار مراحِل والأيام أميال :

١ ناظر إلى الآية القرآنية : « وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله في البحر . . . » .

٢ العقيرة : الصوت .

٣ المزاین : يريد أن الدرة تتخذ لأمور الزينة .

نَصِيحُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَيِّبٍ نَصِيحُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالٍ^١

« جعل الله تعالى الأدب مع الحق شائناً ، وأبعد عنا الفراق الذي شائنا ،
ولأني لأسر لسيدي بأن رعى الله تعالى صالح سلكه ، وتداركه بالتلافي في
تلكه ، وخلّص سعادته من كلفه ، وأحلكه من الأمن في كنفه ، وعلى قدرها
تصاب العلياء ، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء .
« هذا ، والخير والشر في هذه الدار ، المؤسسة على الأكدار ، ظلال
مضمحلان ، فقد ارتفع ، ما ضرّ أو نفع ، وفارق المكان ، فكأنّه ما كان ،
ومن كلمات الملوك ، البعيدة عن السلوك ، إلا أن يشاء ملك الملوك^٢ :

خذ من زمانك ما تيسّر واترك بجهدك ما تعسّر
ولربّ مجمل حالة ترضى به ما لم يُقَسّر
والدهر ليس بدائم لا بدّ أن سيسوء إن سرّ
واكم حديثك جاهداً شمت المحدث أو تحسر
والناس آية الزجا ج إذا عثرت به تكسر
لا تعدم التقوى فمن عدم التقى في الناس أعسر
وإذا امرؤ خسر الإل فليس خلق منه أخسر

« وإن لله تعالى في رعيك لسراً ، ولطفاً مستمراً مستقراً ، إذ ألقاك اليم إلى
الساحل ، فأخذ بيدك من ورطة الواحل ، وحرك منك عزيمة الراحل ، إلى الملك
الحلّاحل ، فأدالك من إبراهيمك سميّاً ، وعرفك بعد الوليّ وسميّاً ، ونقلك
من عناية إلى عناية ، وهو الذي يقول وقوله الحق ﴿ ما ننسخ من آية -
الآية ﴾ (البقرة : ١٠٦) .

١ من قصيدة المتنبي في رثاء أم سيف الدولة .

٢ الأبيات في مشاهدات لسان الدين : ١١٥ .

«وقد وصل كتاب سيدي محمد - والحمد لله - العواقب ، ويصف المراقبي التي حلّتها والمراقب ، وينشر المفاخر الحفصيّة والمناقب ، ويذكر ما هيّأه الله تعالى لديها من إقبال ، ورّخاء بال ، خصيصيّ اشتمال ، ونشوة آمال ، وأنته اغتبط وارتبط ، وألقى العصا بعدما خبط ، ومثل تلك الخلافة العلية مَنْ تَزِنُ الذوات المخصوصة من الله تعالى بتشريف الأدوات بميزان تمييزها ، وتفرق بين شَبّه المعادن وإبريزها ، و « شِبّه الشيء » مَثَلٌ معروف^١ ، ولقد أخطأ من قال : الناس ظروف ، إنّما هم شَجَرَاتٌ رِيعٌ في بقعةٍ ماحلة^٢ ، وإبلٌ مائةٌ لا تجد فيها راحلة^٢ ، وما هو إلا اتفاق ، ونجح للمسلك وإخفاق ، وقلّما كَذَبَ إجماعٌ وإصفاق ، والجليسُ الصالحُ لربّ سياسةٍ أملٌ مطلوب ، وحظٌ إليه مَجْلُوب ، وإن سئل أطرف ، وعمر الوقت ببضاعةٍ أشرف ، وسَرَقَ الطباع ، ومدّ في الحسنات الباع ، وسكّى في الخطوب ، وأضحك في اليوم القَطُوب ، وهدى إلى أقوم الطرق ، وأعان على نوائب الحقّ ، وزرع له المودة في قلوب الخلق ، زاد الله تعالى سيدي لديها قُرْباً أثيراً ، وجعل فيه للجميع خيراً كثيراً ، بفضله وكرمه .

«ولعلمي بأنّه - أبقاه الله تعالى - يقبل نصحي ، ولا يرتاب في صدق صبحي ، أغبطه بمثوّاه ، وأنشده ما حضر من البديهة في مسارة هداه ونجواه :

بمقام إبراهيم عُدّ واصرف به فِكْرًا تَوَرَّقُ عن بواعث تنبري
فجواره حَرَمٌ وَأَنْتَ حَمَامَةٌ ورقاء والأغصانُ عودُ المنبر
فلقد أمنت من الزمان ورَيْبِهِ وهو المروّع للمسيء وللبري

«وإن تشوّف سيدي فلعمر وليّه لو كان المطلوب دنيا لوجب وقوع الاجتزاء،

١ من قول المتنبي :

وشبه الشيء منجذب إليه وأشبهنا بدنينا الطغام

٢ من حديث الرسول (ص) : « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة » .

ولا غتبط بما تحصل في هذه الجزور ، المبيعة في حانوت الزور ، من السهام الوافرة
الأجزاء ، فالسلطان — رعاه الله تعالى — يوجب ما فوق مزية التعليم ، والولد
— هداهم الله تعالى — قد أخذوا بحظّ قلّ أن ينالوه بغير هذا الإقليم ، والخاصة
والعامة تعامل بحسب ما بلته من نصيح سليم ، وترك لما بالأيدي وتسليم ، وتدبير
عاد على عدوّها بالعذاب الأليم ، إلا من أبقى السلامة وهو من إبطان الحسد
بحال السليم ، ولا ينكر ذلك في الحديث ولا في القديم ، ولكن النفس منصرفة
عن هذا الغرض ، نافضة يدّها من العرض ، قد فوتت الحاصل ، ووصلت في
الله تعالى القاطع وقطعت الواصل ، وصدق لما نصيح الفرد الناصل ، وتأهّبت
للقاء الحِمام الواصل ، وقلت :

انظر خضاب الشباب قد نصلا وزائر الأنس بعده انفصلا
ومطلبي والذي كلفت به حاولت تحصيله فما حصلا
لا أمل مُسَعَفٌ ولا عمَلٌ ونحن في ذا الموت قد وصلا

« والوقت إلى الإمداد منكم بالدعاء في الأصائل والأسحار ، إلى مُقِيل العِثار ،
شديد الافتقار ، والله عزّ وجلّ يَصِلُ لسيدي رعيّ جوانبه ، ويتولى
تيسير آماله من فضله العميم ومآربه ، وأقرأ عليه من التحيات ، المحملة
من فوق رحال الأريحيات ، أزكاها ، ما أوجع البرقُ الغمام فأكباها ، وحسد
الروضُ جمالَ النجوم الزواهر فقاسها بمباسم الأزهار وحكاها ، واضطبن^١
هَرَمُ الليل عند الميل عصا الجوزاء وتوكاها ، ورحمة الله تعالى وبركاته » انتهى .

١٠٧ — وممّا خاطب به لسان الدين — رحمه الله تعالى — ابن مرزوق
المذكور قوله :

١ اضطبن العصا : وضعها تحت ضبته ليتوكأ عليها ، والضبن : ما بين الخاصرة ورأس الورك .

«سيدي ، وعمادي ، كَشَفُ قناع النصيحة من وظائف صديق ، أو خديم لصيق ، وأنا بكلتا الجهتين حقيق ، ويتلجلج في صدري كلام أنا إلى نَفْثته ذو احتياج ، ولو في سبيل هياج ، وخرق سياج ، وخوض دَيَاجٍ ، وقد أصبحت سعادتي عن أصل سعادتك فرعاً ، فوجب النصيحُ طبعاً وشرعاً ، فليعلم سيدي أن الجاه ورطة ، والاستغراق في تيار الدول غلطة ، وبمقدار العلو — إلا أن يقي الله تعالى — تكون السقطة ، وأتته — والله تعالى يعصمه من الحوادث ، ويقيه من الخطوب الكوارث — وإن تبعه الجحْمُ فهو مفرد ، وبسهام الحَسَدَةِ مُقْصَدٌ ، وأن الذي يقبَلُ يده ، يُضْمَرُ حسده ، وما من يوم إلا والعِلل تستشري ، والحيل تريش وتبري ، وسمومُ المكائد تسري ، والعينُ الساهرة تطرقُ العينَ النائمة من حيث تدري ولا تدري ، وهذا الباب الكريم مخصوص بالزيادة والبركة ، وخصوصاً في مثل هذه الحركة ، فثم ظواهر تُخالف السرائر ، وحيلٌ تُصيبُ في الجوّ الطائر ، وما عسى أن يتحفّظ المحسود ، وقد عَوَتْ الكلابُ وزارت الأسود ، وإن ظن سيدي أن الخطة الدينية تذب عن نفسها ، أو تنفع مع غير جنسها، [فذلك] قياسٌ غير صحيح ، وهبوب الريح ، وإنّما هي درجة فوق الوزارة والحجابه ، ودهر يدعى فيبادر بالإجابة ، وجاه يجر على القبيل الأذيال ، ويفيدُ العزّ والمال ، وبحرٌ هال ، وصدور تحمل الجبال ، وإن قطع بالأمان ، من جهة السلطان ، لم يؤمن أن يقع فيه ، والله سبحانه يقيّه ، ويمتّع به ويُبْقِيّه ، ما البشر بصدّده ، والحي يجري إلى أمدّه ، فيستظهر الغير بقييل ، ويجري من التغلب على سبيل ، ويبقى سيدي — والله تعالى يعصمه — طائراً بلا جناح ، ومحارباً دون سلاح ، ينادي من مكان يثق بوده في طلل ، ويقرع سن النادم والأمر جتل ، ومثله بين غير صنفه — ممّن لا يتصف بظرف ، ولا يلتفت إلى الإنسانية بظرف ، ولا يعبد الله تعالى ولو على حرّف — محمول عليه من حيث الصنفية ، معتمد بالعداوة الخفية ، وإن ظن غير هذا فهو غدوع مسحور ، ومفتون مغرور ، وبالفكر في الخلاص تفاضلت النفوس ، واستندفع البوس ، وله وجوه كلّها متعذر

الحصول ، دونه ببيضُ النصول ، إلا ما كان من الغرض الذي بان فيه بعد الجِدِّ الفتور ، وعدل عنه وقد أخذ الدستور ، وتيسرت الأمور ، وتقررت الأيمان والندور ، فإنه عَرَضَ قريب وسفر قاصداً ، ومَسَعَى لا ينفق فيه سيدي من ماله درهم واحد ، ووطن لحركتيه راصد ، لا يمنع عليه أهله ، ولا يستصعب سَهْلُهُ ، وأميره جبره الله تعالى يتطارح في تعيينكم لاقتضائه ، وإحكام آرائه ، وتأمين خائفه ، واستقدام أصنافه وطوائفه ، وتتحركون حركة العز والتشويه ، والقدر النبیه ، لا يُعْوزُكم مِمَّن وراءكم مَطْلَب ، ولا يُلْفِي عن مخالفتكم مذهب ، ولا يكدر لكم مشرب .

«وتمر أيام وشهور ، وتظهر بطون للدهر وظهور ، وتُفْتَحُ أبواب ، وتُسَبِّب أسباب ، من رجوع يتأتى بعد السكون والفتور ، وقد سكنت الخواطر وتنوعت الأمور ، أو مقام تمهد به البلاد ، ويعمل في ترتيب الصلة الحسنة الاجتهاد ، وتستغرق في هذا الغرض الآماد ، ويتأتى ان حدث وتراكم حادث الاستقلال والاستبداد ، تنهت في الأعمار ، ويكون لمن ينتقل به على الشرق والغرب الخيار ، أو التحكم في ذخيرة سما منها المقدار ، وذُهِل عند مشاهدتها الاعتبار ، وخزانة الكتب بحملتها وفيها الأمهات الكبار ، قد تجافت عنها الحاجة وعدم إليها الاضطرار ، والربع الذي يُسَوِّغ بالشرع والعقار ، فهذا كله حاصل ، وثم ضامن لا يُتَّهَم وكافل ، وعهود صيغها غير ناصل .

«وبالجملة فالوطن لأغراض الملك جامع ، ولقاصده من المقام أو الانتقال مطيع وسامع ، وإن توقع إثارة فتنه ، أو ارتكاب إحنة ، فالأمر أقرب ، وحاله المتيسر أغرب ، وهذه الحجة في تلمسان غير معتبرة ، وأجوبتها مقرر ، وقدم رسول الطاغية وإعانتها تحصل في الغالب ، على هذه المطالب ، وبالجملة فالدنيا

١ من الآية الكريمة (التوبة : ٤٢) «لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك» .

قد اختلّت ، والأقدامُ قد زلّتْ ، والأموال قد قلّتْ ، وشيبة الدهر ولّتْ ،
وذلك القطر على علّاته أحكم لمن يرومُ الجاهَ وأمنع ، وأجدى بكل اعتبار
وأففع ، وقد حَضَرَتْ لاستخلاصكم إياه الآلةُ التي لا تتأتّى في كل زمان ،
وتهيأَ إمكان أيّ إمكان ، واقتضيت أيمان ، وعُرِضت سلع ثقلُها أثمان ،
وارتهنت الوفاء مروعاتٌ وأديان ، وتحقّق بذلك القطر الفساد الذي اشتهر به
مأموره وأموره وأميره ، والمنكر الذي يجب على كل مسلم تغييره ، فإن شئت شرعاً
فالحكم ظاهر ، أو طبعاً فالطبع حاضر ، وما ثمَّ عاذل بل عاذر ، والمؤونة
التي تلزم أقل من أن تكون ثمن بعض الحصون ، فضلاً عن الشجرة ذات
الغصون ، وما يُستهلك في هذا الغرض شيء له خطر ، ولا يُستنقذ من الصحيفة
سطر ، واليد محكمة بكلٍّ أو شطر .

«وما يخص المملوك من هذا الأمر إلاّ استنقاذ نَشَب ، واستخلاص مؤمّل
بين موروث ومكتسب ، وبعيد أن لا ينعر له في زمن من الأزمان ، فلا بدّ في
كل وقت من أعيان ، ومروعات وأحساب وأديان ، والله سبحانه كل يوم هو في
شان ، وأما خدمة دوله فهي عليّ حرام ، لا ينجح لي فيها أن أعتمدها مرام ،
وكأنّي بالمشرق لاحق ، ولأنفاسه الذكية ناشق ، فما هي إلاّ أطماع ، سرّابها
لماح ، فإذا انقطعت ، انفسحت الدنيا واتسعت ، ومعاش في غمار ، أو عكوف
في كسر دار ، لداومة استقالة واستغفار ، والله ما تُؤهم أن من بتلك البلاد
يستنسر بغائنه عليكم ، أو يحتقر ما لديكم ، فقد ظهر الكائن ، وتطابق المخبر
والمعائن ، فسبحان من يقوي الضعيف ويهين المخيف ، ويجري يد المشروف
والشريف ، والهمم بيد الله تعالى يُنجدُها ويخذلها ، والأرضُ في قبضته يرعاها
ويحملها .

«هذا بثّ لا يسع إفشاؤه ، وسر إن لم يُطوّر سقط به على السرحان شاؤه^١ ،

١ أصل المثل «سقط العشاء به على سرحان» ، ولعل القراءة الصحيحة : «عشاؤه» .

وفيه ما ينكره الأمر ، وتتعلق به الظنون وتعمل الخواطر ، فتدبروه واعتبروه ،
وبعقلكم فاستبروه ، ثم غطوه بالإحراق واستروه ، والله تعالى يرشدكم للتي
هي أسد ، ويحملكم على ما فيه لكم العز السرمد ، والفخر الذي لا ينفد ،
والسلام ^١ انتهى .

١٠٨ - وقال رحمه الله تعالى : ومما صدر عني ما أحببت به عن كتاب
بعث به إليّ الفقيه الكاتب عن سلطان تليمان أبي عبد الله محمد بن يوسف القيسي
الثغري :

«حيّا تليمان الحيا فربوعها صدّافٌ يجودُ بدرّه المكنون
ما شئت من فضلٍ عميمٍ إن سقى أروى ومنّ ليس باليمنون^٢
أو شئت من دينٍ إذا قدح الهدى أورى ودنيا لم تكن بالدون
وردّ النسيم لها بنشر حديقه قد أزهرت أفنانها بفنون
ولذا حبيبة أم يحيى أنجبت فلها الشفوف على عيون العين

«ما هذا النشر ، والصف والحشر ، واللف والنشر ، والفجر والليالي العشر ،
شدّاً كما تنفست دارين ، وسطور رقم حللها التزيين ، وبيان قام على إبداعه
البرهان المبين ، ونفس ، وشي به طرس ، فجاء كأنه عيون العين ، لا بل
ما هذه الكتائب الكتبية التي أطلعت علينا الأعنة ، وأشرعت إلينا الأسنة ، وراعت
الإنس والجنّة ، فأقسم بالرحمن ، لولا أنها رفعت شعار الأمان ، وحيّت
بتحية الإيمان ، لراعت السرب ، وعاقبت الذود أن يردّ الشرب ، أظنها مدد
الجهاد قدّم ، وشاردّ العرب استعمل في سبيل الله واستخدم ، والمتأخّر على ما
فاته ندم ، والعزم وجد بعدما عدم ، نستغفر الله ، إنما هي رقاع الرفاع ^٣ ،

١ ورى لسان الدين في هذه الرسالة عن أمور وحاطها بالغموض ولذا طلب أن تحرق الرسالة .

٢ المن : الفضل ؛ والممنون : المقطوع .

٣ ق : رقاع رقاع ؛ والرفاع : رفع الحب بعد الحصاد .

وصِلَات صَلَاة لَيْسَ فِيهَا سَبَقٌ وَلَا إِرْبَاعٌ^١ ، وَبِقَاعٌ لَهَا بَطَلٌ الطَّبَاعِ الْكَرِيمَةِ
 انْتِفَاعٌ ، وَالْحَانَ بَيَانُ يَعْضِدُهَا إِيقَاعٌ ، وَدَرٌ مَنْسُوقٌ ، وَرَطْبٌ لِنُخْلِهَا بُسُوقٌ ،
 وَلِلَّهِ دَرُ الْقَائِلِ : الْمَلِكِ سَوْقٌ^٢ ، وَمَنْ نَصِيرُ الشَّيْخِ عَلَى كَتِيبَةٍ تَعْقِبُهَا كَتِيبَةٌ ،
 وَاقْتِضَاءٌ وَجِيبَةٌ مِنْ ذِي غَلَّةٍ غَيْرِ نَجِيبَةٍ ، بَيْنَا هُوَ يَكَابِدُ مِنْ مَرَاجِعَةِ الْحَيِّ مِنْ
 حَضَرَمَوْتِ الْمَوْتِ ، وَلَا يَكَادُ يَرْجِعُ الصَّوْتُ ، إِذْ صَبَّحَتْهُ قَيْسٌ^٣ وَهِيَ الَّتِي شَدَّتْ
 عَنْ الْقِيَّاسِ ، وَأَجْحَمَتْ عَنْ مِبَارَزَتِهَا أَسْوَدُ الْأَخْيَاسِ^٤ ، فَلَوْلَا امْتِثَالُ أَمْرِ ،
 وَصَبْرٌ عَلَى جَمْرٍ ، لِأَعَادَ مَا حَكِيَ فِي مِبَارَزَةِ الْوَصِيِّ عَنْ عَمْرٍو^٥ ، فَتَحَرَّجَ مِنْ
 الْخَطْلِ ، وَبَيْنَ عُدْرَةِ الْمَكْرَهِ عَنْ مِبَارِزَةِ الْبُطْلِ ، أَلَمْ يَدْرِ قَائِدُ رَعِيلِهَا ، وَزَائِرُ
 غِيلِهَا ، أَتَى أُمْتُ بَذْمَةٍ مِنْ عَمِيدِهِ لَا تُخَفَّرُ ، وَأَنْ ذَنْبٌ لِإِضَافَتِي لَهُ
 لَا يُغْفَرُ ، وَحَقُّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُجْحَدُ وَلَا يُكْفَرُ :

لَمَّا رَأَتْ رَايَةَ الْقَيْسِيِّ زَاخِفَةً^١ إِلَيَّ رِيعَتْ وَقَالَتْ لِي وَمَا الْعَمَلُ ؟
 قُلْتُ الْوَعْيُ لَيْسَ مِنْ رَأْيِي وَلَا عَمَلِي لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلُ
 قَدْ كَانَ ذَاكَ وَرَنَاتُ الصَّهْلِ ضُحَى تَهْزُ عِطْفِي كَأَنِّي شَارِبٌ ثَمِيلُ
 وَالْآنَ قَدْ صَوَّحَ الْمَرْعَى وَقَوَّضَ الْإِلَ خِيَمَاتِ وَالرَّكْبَ بَعْدَ اللَّبْثِ مُحْتَمِلُ
 قَالَتْ أَلَسْتَ شَهَابَ الدِّينِ تَضْرِمُهَا حَاشَا الْعَلَا أَنْ يَقَالَ : اسْتَنُوقَ الْجَمْلُ
 وَإِنَّ أَحْسَنَ مِينَ هَذَا وَذَا وَزَرُ بَمَثَلِهِ فِي الدَّوَاهِي يُبْلَغُ الْأَمَلُ
 هُوَ الْحَمَى لِأَبِي حَمُوٍ اسْتَجْرَهُ فَفِيهِ لَهُ الْأَمْنُ مِنْسَدَلٌ وَالْفَضْلُ مَكْتَمَلُ
 وَاللَّهُ لَوْ أَهْمَلَ الرَّاعِي النَّقَادَ بِهِ مَا خَافَ مِنْ أَسَدٍ خَفَّانٍ بِهِ هَمَلُ^٥

١ الإرباع : الإسراع . وفي ق : إرقاع .

٢ هو من المثل : « الملك سوق يحمل إليها ما نفق فيها » .

٣ ق : الأجناس .

٤ الوصي : علي بن أبي طالب ، ومبارزته لعمر بن العاص - فيما روي - تدل على أن عمر لم يكن من أرباب المبارزة وإنما من أهل الحيلة والدهاء .

٥ النقاد : الغنم ؛ وخفان : اسم موضع .

تكون من قوم موسى إن قَضَوْا عدلوا وإن تقاعدَ دهرٌ جائرٌ حملوا
هَمُّ الجبالِ الرواسي كلما حلموا هَمُّ البحارِ الطوامي كلما حملوا
فقلتُ : كان لكِ الرحمن بعدي ما سواه معتمدٌ والرأي معتمَلٌ
فها أنا تحت ظلٍّ منه يلحفني والشمْلُ مني بسترِ العزِّ يشتمَلُ
فقلْ لقيس لقد خاب القياسُ فلا تذكُّوا المصاعَ وتحت الليل فاحتملوا
دامتْ له دَيْمُ النعمى مُساجلةً يَمناه ، تنهلُ اليمنى فتنهملُ
وآمنتُ شمسُ علياه الأفولَ إلى طيِّ الوجودِ فلا شمسٌ ولا حَمَلُ

«ولو خوى - والعوذ بالله - نجم هذا المتات ، ولم يتصف السبب - وحاشاه -
بالانصاف ولا بالانبيات ، فمرعى العدل مكفول ، وسبب الرفق موصول ،
وإن اشتجرت نُصُول ، والهرمُ تأبى الأبطالُ التنزلَ إلى نزاله ، والناسكُ
الثائبُ يدينُ ضربُ الغاراتِ باعتزاله ، إلا مَنْ أعرق في مذهبِ الخارجي
الأنحرق ، نافع بن الأزرق ، وحسبي ، وقد ساء كسبي ، أن أترك الخطر
لراكبه ، وأخلّي الطريق لمن يَبْتِى النارَ به ، ونسير بسير أمثالي من الضعفاء ،
ونكفّ فهو زمان الانكفاء ، ونسلم مخطوبةَ هذا الفن إلى الأكفاء ، ونقول :
بالبنين والرفاء ، فقد ذهب الزمن المذهب ، وتبين المذهب ، وشاخ البازي
الأشهب ، وعتادُ العمر يُنْهب ، ومرهب الفوت من فوقِ الفود يرهب ،
اللهم ألهم هذه الأنفسَ رُشدَها ، وأذكرها السكرات وما بعدها .

«إيه أخي والفضلُ وَصْفُكَ ونعتك ، والزَيْفُ يُبْهَرِجُه بحتك ، وسهامُ
البراعة انفردَ بها بِرْيُكَ وَتَحْتُكَ ، وصلّني رسالتك البرة ، بل غمامتك
الثرة ، وحيثني تُغور فضلك المُفْتَرّة ، فعظمتُ بورودها المسرة ، جددتِ
العهدَ بمحبوب لقاك ، وأنهلت ظامي الاستطلاع في سقائك ، واقتضت تجديد
الدعاء ببقائك ، إلا أنّها ربّما ذُهِلت عند وداعك ، وأبهر عقلها نورُ إبداعك ،

١ ق : ولو جرى ... المتاب ... بالانتياب .

فلم تَلْقَنْ الوصية ، وسلكتِ المسالك القصصية ، وأبعدت من التطوف ، وجاءت تبتغي من أسرار التصوف ، ومتى تُقَرَّنْ هيبَةُ السبع الشداد ، بحانوتِ الحدّاد ، أو تنظر أحكام الاعتكاف ، بدكان الإسكاف ، أو يُتَعَلَّمْ طبعُ المثقال ، بحانوتِ البقال ؟ والظن الغالب — وقد تلبس المطالب — أنكم أمرتموها ، لما أصدرتموها ، بإعمال التشوّف ، فطردت حكم الإبدال ، غائبة عما يلزم من الجدال ، وسمّت الشين صاداً ، وعينت لزرع الوصية حصّاداً ، والله تعالى يجعل المحبّ عند ظنّ من نظر بمرآته ، أو وصّفه ببعض صفاته ، وهي تزلق عن صفاته ، فالتصوّف أشرف ، وظلاله أوفّ ، من أن يناله كلفُ باطل ، ومغرورٌ بسرّابٍ ماطل ، لا برّبابٍ هاطل ، ومفتون بحالٍ حالٍ أو عاطل ، ومن قال ولم يتصف بمقاله ، فعقله لم يَترَمْ عن عقّاله ، وجبالُ أثقاله ، مانعة له عن انتقاله .

«وعلى ذلك، وبعد تقرير هذه المسالك ، فقد عمرت يدها كيلا تعود بها صِفْراً بعد لإعمال السفر ، أو ترى أنّها قد طولبت بذنب الغلط المغتفر ، وأصبحت المراجعة بمجلس وعظٍ فتحت به باب الحرج ، إلى إنكار الإمام أبي الفرج^١ ، وفنّ الوعظ لما سأل الأخ هو الصديق المسعد ، والمُبرِّقُ قبل غمام رحمته والمُرْعِد ، والله در القائل : لست به ولم تبعد ، والاعتراضُ بعدُ مُلّازم ، لكنّ الإسعافَ لقصده لازم ، وعامله عند الاعتلال بالعدر جازم ، وإغضاؤه ملتمس ، وفضله لا يخبو منه قَبَس ، وعذراً أيّها الفاضل ، وبعد الاعتذار ، عن القلم المِهْذَار ، وإغفال الحذار ، اقرأ عليهم من طيّب السلام ، ما يُخْجَلُ أزهار الكمام عقب الغمام ، ورحمة الله تعالى مِن مُمْلِيهِ على الكاتب ، ولعلّها تفنّأ من عَثْبِ العاتب ، ابن الخطيب : فإنّي كتبته والليل دامس ، وبحرُ

١ يعني أبا الفرج ابن الجوزي لشهرته في الوعظ .

الظلام طامس ، وعادة الكسل طبع خامس ، والنافخ بشكوى البرد هامس ،
والذبال المتنادم خافت ، لا يهتدي إليه الفَرَاش المتهافت ، يقوم ويقعد ،
ويقيق ثم يرعد ، ويزفر ثم يخمد ، وربما صار ورقة آس ، أو مبضع آس ،
وربما أشبه العاشق في البوح بما يخفيه ، وظهوره من فيه ، فتميله الآمال وتلويه ،
وتميته النواسم الهفافة بعدما تحييه ، والمطر ، قد تعذّر معه الوطر ، وساقه الخطر ،
وفعل في البيوت المتداعية ما لا يفعل الترك والططر ، والنشاط ، قد طوي منه
البساط ، والجوارح بالكلال تعتذر ، ووظائف الغد تنتظر ، والفكر في الأمور
السلطانية جائل ، وهي بحر هائل ، ومثلي مقنوع منه باليسير ، ومعذور في قصر
الباع وضعف المسير ، والسلام » انتهى .
وهي من البلاغة في الذروة .

١٠٩ — ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى قوله : ومما صدر عني في
السياسة : « حدثت من امتاز باعتبار الأخبار ، وحاز درجة الاشتهار ، بنقل
حوادث الليل والنهار ، وولج بين الكمائم والأزهار ، وتلطف لحجل الورد
من تبسم البهار ، قال : سهر الرشيد ليله ، وقد مال في هجر النبيذ ميله ، وجهد
ندماؤه في جلب راحته ، وللمام النوم بساحته ، فشحت عيادهم ، ولم يغن
اجتهادهم ، فقال : اذهبوا إلى طرُق سمّاها ورسمها ، وأمهاث قسمها ،
فمن عثرتم عليه من طارق ليل ، أو غشاء سبل ، أو صاحب ذيل ، فبلغوه ،
والأمتة سوغوه ، واستدعوه ، ولا تدعوه ، فطاروا عجالى ، وتفرقوا
ركباناً ورجالا ، فلم يكن إلا ارتداد طرف ، أو فواق حرف ١ ، وأتوا بالفتيحة
التي اكتسحوها ، والبضاعة التي ربحوها ، يتوسطهم الأشعث الأغبر ، واللج
الذي لا يُعبّر : شيخ طويل القامة ، ظاهر الاستقامة ، سبلكته مشمطة ،

١ الفواق : فترة ما بين الحلبتين ؛ والحرف : الناقة .

وعلى أنفه من القبع^١ مَطَّة ، وعليه ثوب مرقوع ، لطير الحرق عليه وقوع ،
يُهيئُهمُ بذكر مسموع ، وينبئ عن وقت مجموع ، فلما مثلَ سلم ، وما
نيس بعدها ولا تكلّم ، فأشار إليه الملك فقعد ، بعد أن انشمر وابتعد ، وجلس ،
فما استرق النظر ولا اختلس ، إنما حركة فكره ، معقودة بزمام ذكره ،
ولحظات إعتباره ، في تفاصيل أخباره ، فابتدره الرشيد سائلاً ، وانحرف إليه
مائلاً ، وقال : ممّن الرجل ؟ فقال : فارسي الأصل ، أعجمي الجنس عربي
الفصل ، قال : بلدك وأهلك وولدك ؟ قال : أما الولد فولد الديوان ، وأما
البلد فمدينة الإيوان ، قال : النحلة ، وما أعملت إليه الرحلة ؟ قال : أما الرحلة
فلاعتبار ، وأما النحلة فالأمر الكُبار ، قال : فننك ، الذي اشتمل عليه دتلك ؟
فقال : الحكمة فتني الذي جعلته أثيراً ، وأضجعت فيه فراشاً وثيراً ، وسبحان
الذي يقول ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة : ٢٦٩)
وما سوى ذلك فتبع ، ولي فيه مُصْطَف ومُرتَبَع ، قال : فتعاقد جدل
الرشيد وتوفر ، كأنما أغشى وجهه قطعة من الصبح إذا أسفر ، وقال : ما رأيت
كالليلة أجمع لأمل شارد ، وأنعم بمؤانسة وارد ، يا هذا إنني سائلك ، ولن تخيب
بعد وسائلك ، فأخبرني ما عندك في هذا الأمر الذي بُلينا بحمل أعبائه ، ومُنينا
بمراوضة إباطه ، فقال : هذا الأمر قِلادة ثقيلة ، ومن خُطّة العجز مستقيلة ،
ومفتقرة لسعة الذرع ، وربط السياسة المدنية بالشرع ، يفسده الحكم في
غير محله ، ويكون ذريعة إلى حله ، ويصلحه مقابلة الشكل بشكله ، ومن لم يكن
سبعاً آكلًا تداعت سباع إلى أكله .

« فقال الملك : أجملت ففصل ، وبريت فنصل ، وكلت فأوصل ،
وانثر الحب لمن يُحوصل ، واقسم السياسة فنونا ، واجعل لكل لقب قانوناً ،
وابدأ بالرعية ، وشروطها المرعية .

١ القبع : الصياح أو الإعياء والانهيار .

« فقال : رعيّتك ودائع الله تعالى قبيلتك ، ومرآة العدل الذي عليه جبيلتك ، ولا تصل إلى ضبطهم إلاّ بإعانة الله تعالى التي وهب لك ، وأفضل ما استدعيت به عونّه فيهم ، وكفايته التي تكفيهم ، تقويم نفسك عند قصد تقويمهم ، ورضاك بالسهر لتنويمهم ، وحراسة كهلمهم ورضيعهم ، والترفع عن تضييعهم ، وأخذ كل طبقة بما عليها وما لها ، أخذاً يحوطُ مالها ، ويحفظُ عليها كمالها ، ويقصّرُ عن غير الواجبات آمالها ، حتى تستشعرَ عليّتها رأفتك وحنانك ، وتعرف أوساطها في النصب امتنانك ، وتحذر سيفلتها سناتك ، وحظرُ على كل طبقة منها أن تتعدى طورها ، أو تخالف دورها ، أو تجاوزَ بأمر طاعتك قوّرها ، وسدّها فيها سبُل الذريعة ، وأقصرَ جميعها عن خدمة الملك بموجب الشريعة ، وامنع أغنياءها من البطر والبطالة ، والنظر في شبهات الذين بالتمشدد والإطالة ، وليقلّ فيما شجر بين الناس كلامها ، ويرفض ما تنبذ به أعلامها ، فإن ذلك يُسقطُ الحقوق ، ويرتبُ العقوق ، وامنعهم من فحش الحرص والشره ، وتعاهدهم بالمواعظ التي تجلو البصائر من المره ، واحملهم من الاجتهاد في العمارة على أحسن المذاهب ، وانتههم عن التحاسد على المواهب ، ورضهم على الإنفاق بقدر الحال ، والتعزي عن الفائق فترده من المحال ، وحذر البخل على أهل اليسار ، والسخاء على أولي الإعسار ، وخذهم من الشريعة بالواضح الظاهر ، وامنعهم من تأويلها متع القاهر ، ولا تطلق لهم التجمع على من أنكروا أمره في نواديهم ، وكف عنهم أكفّ تعدّهم ، ولا تبخ لهم تغيير ما كرهوه بأيديهم ، ولتكن غايتهم ، فيما توجّهت إليه إبايتهم ، ونكصت عن الموافقة عليه رايتهم ، لإنهاء إلى من وكلّته بمصالحهم من ثقاتك ، المحافظين على أوقاتك ، وقدم منهم من أمنت عليهم مكره ، وجمدت على الإنصاف شكره ، ومن كثر حياؤه من التأنيب ، وقابل الهفوة باستتابة المنيب ، ومن لا يتخطى عندك محله الذي حله ، فربما عمد إلى المبرم فحلّه ، وحسن النية لهم

بجهد الاستطاعة ، واغتفر المكاره في جنب حسن الطاعة ، وإن ثار جرادهم ، واختلف في طاعتك مرآدهم ، فتحصن لثورتهم ، واثبت لفورتهم ، فإذا سالوا وسلوا ، وتفرقوا وانسلوا ، فاحتقر كثرتهم ، ولا تُقِلْ عثرتهم ، واجعلهم لما بين أيديهم وما خلفهم نكالاً ، ولا تترك لهم على حلمك اتكالاً .

« ثم قال : والوزير الصالح أفضل عددك ، وأوصل مددك ، فهو الذي يصونك عن الابتذال ، ومباشرة الأندال ، ويثب لك على الفرصة ، وينوب في تَجَرُّع الغصّة ، واستجلاء القصة ، ويستحضر ما نسيته من أمورك ، ويغلب فيه الرأي بموافقة مأمورك ، ولا يسعه ما تمكنك المسامحة فيه ، حتى يستوفيه ، واحذر مصادمة تياره ، والتجوز في اختياره ، وقدم استخارة الله تعالى في إثارة ، وأرسل عيون الملاحظة على آثاره ، وليكن معروفاً بالإخلاص لدولتك ، معقود الرضى والغضب برضاك وصوّلتك ، زاهداً عما في يديك ، مؤثراً لكل ما يُزْلِفُ لديك ، بعيد المهمة ، راعياً للأذمة ، كامل الآلة ، محيطاً بالإيالة ، رحيب الصدر ، رفيع القدر ، معروف البيت ، نبيه الحمي والميت ، مؤثراً للعدل والإصلاح ، درياً بحمل السلاح ، ذا خبرة بدخل المملكة وخارجها ، وظهرها وسرجها ، صحيح العقد ، متحرزاً من النقد ، جاداً عند هوك ، متيقظاً في حال سهوك ، يلين عند غضبك ، ويصِلُ الإسهاب بمقتضبك ، قلقاً من شكره دونك وحمده ، ناسباً لك الإصابة بعَمَدِهِ ، وإن أعبا عليك وجود أكثر هذه الخلال ، وسبق إلى نقضها شيء من الاختلال ، فاطلب منه سكون النفس وهدونها ، وأن لا يرى منك رتبة إلا رأى قدره دونها ، وتقوى الله تعالى تفضل شرف الانتساب ، وهي للفضائل فذلكمة الحساب ، وساو في حفظ غيبه بين قربه ونأيه ، واجعل حفظه من نعمتك موازياً لحظك من حسن رأيه ، واجتنب منهم من يرى في نفسه إلى الملك سيلاً ، أو يقود من عيصيه للاستظهار عليك قبيلاً ، أو من كائر مالكَ ماله ، أو من تقدم لعدوك استعماله ، أو من سمّت لسواك آماله ، أو من يعظم عليه إغراض وجهك ، ويهمة نادر نجهك ،

أو من يداخلُ غيرَ أحبابك ، أو من ينافسُ أحداً ببابك .

«وأما الجند فاصرف التقديمَ منهم للمقاتلة ، والمكايدة والمخاتلة ، واستوفِ عليهم شرائط الخدمة ، وخذهم بالثبات للصدمة ، ووفّ ما أوجبت لهم من الجراية والنعمة ، وتعهدهم عند الغناء بالعلقة والطعمة ، ولا تكرم منهم إلا من أكرمه غناؤه ، وطاب في الذبّ عن ظنك ثناؤه ، وولّ عليهم النبهاء من خيارهم ، واجتهد في صرفهم عن الإفتتان بأهلهم وديارهم ، ولا توطئهم الدعة مهاداً ، وقدمهم على حصصك وبعوثك مهما أردت جهاداً ، ولا تليّن لهم في الإغماض عن حسن طاعتك قياداً ، وعوّدهم حُسْنَ المواساة بأنفسهم اعتياداً ، ولا تسمح لأحدٍ منهم في إغفال شيء من سلاح استظهاره ، أو عُدّة اشتهاره ، وليكن ما فضل من شيعتهم وريتهم ، مصروفاً إلى سلاحهم وزيتهم ، والتزيد في مراكبهم وغلمانهم ، من غير اعتبار لأثمانهم ، وامنعهم من المستغلات والمتاجر ، وما تكسّب به غير المشاجر ، وليكن من الغوار اكتسابهم ، وعلى المغانم حسابهم ، كالجوارح التي تفسد باعتيادها ، أن تظنّ من غير اصطياها .

«واعلم أنّها لا تبدل نفوسها من عالم الإنسان ، إلا لمن يملك قلوبها بالإحسان وفضل اللسان ، ويملك حركاتها بالتقويم ، ورُتّبها بالميزان القويم ، ومن تثق بإشفاقه على أولادها ، ويشترى رضى الله تعالى بصبره على طاعته وجلادها ، فإذا استشعرت لها هذه الخلال تقدمتك إلى مواقف التلف ، مطيعة دواعي الكلف ، واثقة منك بحسن الخلف ، واستبق إلى تمييزهم استباقاً ، وطبقهم طباقاً ، أعلاها من تأملت منه في المحاربة عنك أخطاراً ، وأبعدهم في مرضاتك مطاراً ، وأضبطهم لما تحت يده من رجالك حزماء ووقاراً ، واستهانة بالعظائم واحتقاراً ، وأحسنهم لمن تقلده أمرك من الرعية جواراً ، إذا أجدت اختباراً ، وأشدّهم على مماثلة من مارسه من الخوارج عليك اصطباراً ، ومن بّلا في الذي عنّ لك إحلاء وإمراراً ، ولحقه الضر في معارض الدفاع

عنك مراراً ، وبعده مَنْ كانَتْ محبته لك أزيد من نجدته ، وموقعُ رأيهِ أنفع من موقعِ صعدته ، وبعدهما مَنْ حَسُنَ انقيادُهُ لأمرائك ، وإحماده لأرائك ، ومَنْ جعل نفسه من الأمر حيث جعله ، وكان صبره على ما عراه أكثر من اعتداده بما فعله . واحذر منهم من كان عند نفسه أكبر من موقعه في الانتفاع ، ولم يستحي من التزيك بأضعاف ما بذله من الدفاع ، وشكا البخس فيما تعذر عليه من فوائدك ، وقاس بين عوائد عدوك وعوائدك ، وتوعد بانتقاله عنك وارتحاله ، وأظهر الكراهية لحاله .

«وأما العمال فلإنهم ينبئون عن مذهبك ، وحالهم في الغالب شديدة الشبه بك ، فعرفهم في أمانتك السعادة ، وألزمهم في رعيك العادة ، وأنزلهم من كرامتك بحسب منازلهم في الاتصاف ، بالعدل والإنصاف ، وأحلتهم من الحفاية ، بنسبة مراتبهم من الأمانة والكفاية ، وقفهم عند تقليد الأرجاء ، مواقف الخوف والرجاء ، وقرّر في نفوسهم أن أعظم ما به إليك تقربوا ، وفيه تدرّبوا ، وفي سبيله أعجموا وأعربوا ، إقامة حقّ ودحض باطل ، حتى لا يشكو غريم مَطلّ ماطل ، وهو أثر لديك من كل ربّاب هاطل ، وكفّهم من الرزق الموافق ، عن التصدي لذنبي المرافق ، واصطنع منهم من تيسرت كلفته ، وقويت للرعايا ألفته ، ومن زاد على تأميله صبره ، وأربى على خبره خبره ، وكانت رغبته في حسن الذكر ، تشف على بنات الفكر ، واجتنب منهم من يغلب عليه التخرق في الإنفاق ، وعدم الإشفاق ، والتنافس في الاكتساب ، وسهّل عليه سوء الحساب ، وكانت ذريعته المصانعة بالنفاية ، دون التقصي والكفاية ، ومن كان منشؤه خاملاً ، ولأعباء الدناءة حاملاً ، وابغى مَنْ يكون الاعتذار في أعماله ، أوضح من الاعتذار في أقواله ، ولا يفتنك ممّن قلدته اجتلاب الحظّ المُنقِع ، والتنفق بالسعي المسمع ، ومخالفة السنن المرعية ، واتباعه رضاك بسخط الرعية ، فإنه قد غشّك ، من حيث بلك ورشك ، وجعل من يمينك

في شمالك ، حاضر مالك ، ولا تُضْمَنُ عاملاً مال عمله ، وحُلْ بينه فيه وبين
أمله ، فإنك تميّت رسومك بحياه ، وتخرجه من خدمتك فيه إلا أن تملكه إياه ،
ولا تجمع له بين الأعمال فيسقط استظهارك ببلد على بلد ، والاحتجاج على
والد بولد ، واحرص على أن يكون في الولاية غريباً ، ومنتقله منك قريباً ،
ورهيئة لا يزال معها مريباً ، ولا تقبل مصالحته على شيء اختانه ، ولو برغبة
فتّانه ، فتقبل المصانعة في أمانتك ، وتكون مشاركاً له في خيانتك ، ولا
تُطيل مدة العمل ، وتعاهد كشف الأمور ممّن يرعى الهمل ، وبلغ الأمل .
«وأما الولد فأحسن آدابهم ، واجعل الخير دابهم ، وخفّ عليهم من
إشفاقك وحنانك ، أكثر من غلظة جنانك ، واكتم عنهم ميلك ، وأفضّ فيهم
جودك ونيلك ، ولا تستغرق بالكلف بهم يومك ولا ليلتك ، وأثبّهم
على حسن الجواب ، وسبق لهم خوف الجزاء على رجاء الثواب ، وعلمهم
الصبر على الضرائر ، والمهلة عند استخفاف الجرائر ، وخذهم بحسن السرائر ،
وحب إليهم مراس الأمور الصعبة المراس ، وحسن الاصطناع والاحتراس ،
والاستكثار من أولي المراتب والعلوم ، والسياسات والحلوم ، والمقام المعلوم ،
وكره إليهم مجالسة الملهين ، ومصاحبة الساهين ، وجاهد أهواءهم عن عقولهم ،
وحذر الكذب على مقولهم ، ورشّحهم إذا آنت منهم رشداً أو هدياً ،
وأرضعهم من الموازرة والمشاورة ثدياً ، لتمرّتهم على الاعتیاد ، وتحملهم على
الازدياد ، ورشّهم رياضة الجياد ، واحذر عليهم الشهوات فهي داؤهم ،
وأعداؤك في الحقيقة وأعداؤهم ، وتدارك الخلق الذميمة كلما نجمت ، واقدعها
إذا هجمت ، قبل أن يظهر تضعيفها ، ويقوى ضعيفها ، فإن أعجزتك في الصغر
الحيل ، عظم الميل :

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولئن تكلن إذا قومتها الخشب
وإذا قدروا على التدبير ، وتشوفوا للمحل الكبير ، إياك أن توطئهم في

مكانك ، جهد إمكانك ، وفرقهم في بلدانك ، تفريق عيّدانك ، واستعملهم في بعوث جهادك ، والنيابة عنك في سبيل اجتهادك ، فإنّ حَضْرَتَكَ تشغلهم بالتحاسد ، والتباري والتفاسد ، وانظر إليهم بأعين الثقات فإن عين الثقة ، تُبَصِّرُ ما لا تبصر عين المحبة والميعة .

«وأما الخدم فلأنّهم بمنزلة الجوارح التي تفرق بها وتجمع ، وتبصر وتسمع ، فرُضِنُهُم بالصدق والأمانة ، وصُنُّهُمْ صَوْنُ الجُمَانَةِ ، وخُذْمُهُمْ بِحَسَنِ الانقياد إلى ما أثرته ، والتقليل ممّا استكثرته ، واحذرْ منهم من قويتْ شهواته ، وضاعت عن هواه لهواته ، فإن الشهواتِ تنازعُكَ في استرقاقه ، وتشاركك في استحقاقه ، وخيّرهم من ستر ذلك منه بلطف الحيلة ، وآداب الفساد محيلة ، وأشربْ قلوبهم أن الحقَّ في كلّ ما حاولته واستترته ، وأن الباطلَ في كلّ ما جانبته واعتزلته ، وأن مَنْ تصفَّحَ منهم أموركَ فقد أذنب ، وباينَ الأدبَ وتجنَّب ، وأعْطِ مَنْ أكدّته ، وأضقتْ منه ملكتهُ وشددته ، رَوْحَةً يشتغلُ فيها بما يعنيه ، على حسب صعوبة ما يُعَانِيهِ ، تغبطهم فيها بمسارحهم ، وتجمّ كليلَةَ جوارحهم ، ولتكنْ عطاياك فيهم بالمقدار الذي لا يُبْطِرُ أعلامهم ، ولا يُؤْسِفُ الأصاغرَ فيفسد أحلامهم ، ولا تَرْمِ مُحْسِنَهُمْ بِالْغَايَةِ من إحسانك ، واتركْ لمزيدهم فضلة من رفدك ولسانك ، وحذرْ عليهم مخالفتك ولو في صلاحك ، بحدّ صلاحك ، وامنعهم من التوائبِ والتشاجر ، ولا تحمد لهم شيم التقاطع والتهاجر ، واستخلصْ منهم لسرك من قلّتْ في الإفشاء ذنوبه ، وكان أصبرَ على ما ينوبه ، ولودائعك من كانتْ رغبته في وظيفة لسانك ، أكثر من رغبته في إحسانك ، وضبطه لما تقلّد من وديعتك ، أحبّ إليه من حسن صنيعتك ؛ وللسفارة عنك مَنْ حلا الصدق في فمه ، وآثره ولو باختطار دمه ، واستوفى لك وعليك فهم ما تحمّله ، وعُني بلفظه حتى لا يهمله ، ولمن تودعه أعداء دولتك مَنْ كان مقصور الأمل ، قليل القول صادق العمل ، ومن كانت

قسوته زائدة على رحمته ، وعظمته في مرضاتك آثر من شحمته ، ورأيه في
الحذر سديد ، وتحرزّه من الحيل شديد ، ولخدمتك في ليلك ونهارك من
لانت طباعه ، وامتد في حسن السجية باعه ، وأمن كيده وغدره ، وسلم من
الحقد صدره ، ورأى المطامع فما طمع ، واستثقل إعادة ما سمع ، وكان بريئاً
من المال ، والبشر عليه أغلب الجلال ، ولا تؤنسهم منك بقيح فعل ولا قول ،
ولا تؤيسهم من طول ، ومكن في نفوسهم أن أقوى شفعايمهم ، وأقرب إلى
الإجابة من دعائهم ، لإصابة الغرض فيما به وكلوا ، وعليه شكلوا ، فإنك لا تعدم
بهم انتفاعاً ، ولا يعدمون لديك ارتفاعاً .

«وأما الحرم فهن مغارس الولد ، ورياحين الخلد ، وراحة القلب الذي أجهدته
الأفكار ، والنفس التي تقسمها الإحماد إلى المساعي والإفكار ، فاطلب منهن من
غلب عليهن من حسن الشيم ، المترفة عن القيم ، ما لا يسوءك في خللك ، أن
يكون في ولدك ، واحذر أن تجعل لفكر بشر دون بصير ليهن سيلاً ، وانصب
«ون ذلك عذاباً ويلاً ، وأرعين من النساء العجز من بانت في الديانة والأمانة
بها ، وقويت غيرته ونبله ، وخذهن بسلامة النيات ، والشيم السنيات ،
وحسن الاسترسال ، والخلق السلسال ، وحدّر عليهن التغامز والتغاير ،
والتنافس والتخاير ، وآس بينهن في الأغراض ، والتصامم عن الإعراض ،
والمحابة بالأعراض ، وأقلل من مخالطتهن فهو أبقى لهمتكم ، وأسلل لحرمتم ،
ولتكن عشرتك هن عند الكلال والملال ، وضيق الاحتمال ، بكثرة الأعمال ،
وعند الغضب والنوم ، والفراغ من نصب اليوم ، واجعل مبيتك بينهن تنم
بركاتك ، وتستتر حركاتك ، وافضل من ولدت منهن إلى مسكن تختبر به
استقلالها ، وتعتبر بالتفرد خلاها ، ولا تطلق لحرمة شفاعته ولا تدبيراً ، ولا
تنشط بها من الأمر صغيراً ولا كبيراً ، واحذر أن يظهر على خدمهن في خروجهن
عن القصور ، وبروزهن من أجمة الأسد المنصور ، زي بارع ، ولا طيب
للأنوف مسارع ، واخصص بذلك من طعن في السن ، ويشس من الإنس

والجن ، ومن توفّر النزوع إلى الخيرات قبله ، وقصر عن جمال الصورة ورُسّم بالبلّة .

« ثمّ لما بلغ إلى هذا الحد حمي وطيس اسحقفاره ، وختم حيزبّه باستغفاره ، ثم صمت مكيّاً ، واستعاد كلاماً أوّليّاً .

« ثم قال : واعلم يا أمير المؤمنين — سدد الله تعالى سهمك لأغراض خلافته وعصمك من الزمان وآفته — أنّك في مجلس الفصل ، ومباشرة الفرع من ملكك والأصل ، في طائفة من عز الله تعالى تذبّ عنك حُماتها ، وتدافع عن حوزتك كَمَاهَا ، فاحذر أن يعدل بك غضبك عن عدل تزي منه بضاعة ، أو يهجم بك رضاك على إضاعة ، ولتكن قدرتك وقفاً على الاتصاف ، بالعدل والإنصاف ، واحكم بالسّوية ، وأجح بتديرك إلى حسن الرويّة ، وخفّ أن تقعد بك أُناتك عن حزم تعين ، أو تستفزك العجلة في أمر لم يتبين ، وأطع الحجة ما توجهت إليك ، ولا تحفل بها إذا كانت عليك ، فانقيادك إليها أحسن من ظفرك ، والحق أجدى من نفرك ، ولا تردّنّ النصيحة في وجهه ، ولا تقابل عليها بنجّه ، فتُمنعها إذا استدعيتها ، وتُحجّب عنك إن استوعبتها ، ولا تستدعها من غير أهلها ، فيشغبك أولو الأغراض بجهلها ، واحرص على أن لا ينقضي مجلس جلسته ، أو زمن اختلسته ، إلا وقد أحرزت فضيلة زائدة ، أو وثقت منه في معادك بفائدة .

« ولا يزهدنك في المال كثرته ، فتقل في نفسك أثرته ، وقس الشاهد بالغائب ، واذكر وقوع ما لا يحتسب من النوائب ، فالمال المصبون ، أمنع الحصون ، ومن قل ماله ، قصرت آماله ، وتهاون بيمينه شماله ، والملك إذا فقد خزينه ، أخنى على أهل البلدة التي تزيه ، وعاد على رعيته بالإجحاف ، وعلى جبايته بالإلحاف ، وساء معتاد عيشه ، وصغر في عيون جيشه ، ومنّوا عليه بنصره ، وأنفوا من الاقتصار على قصره ، وفي المال قوة سماوية تصرف الناس لصاحبه ، وتربط آمال أهل السلاح به ، والمال نعمة الله تعالى فلا تجعله ذريعة إلى خلافه ، فتجمع

بالشهوات بين إتلافك وإتلافه ، واستأنس بحسن جوارها ، واصرف في حقوق الله تعالى بعض أطوارها ، فإن فَضَّلَ المالُ عن الأجل فأَجَلَّ ، ولم يضر ما خلف منه بين يدي الله عزَّ وجلَّ ، وما ينفق في سبيل الشريعة ، وسد الذريعة ، مأمول خَلَفُهُ ، وما سواه فممتعين تَلَفُهُ .

«واستخلص لنواديك الغاصة ، ومجالسك العامة والخاصة ، من يليق بولوج عَتَبِهَا ، والعروج لرتبها ، أمّا العامية فمن عظم عند الناس قدره ، وانشرح بالعلم صدره ، أو ظهر يساره ، وكان لله تعالى إخبائته وانكساره ، ومن كان للفتيا منتصباً ، وبتاج المشورة معتصباً ، وأمّا الخاصية فمن رَقَّتْ طباعه ، وامتد فيما يليق بتلك المجالس باعه ، ومن تبحر في سير الحكماء ، وأخلاق الكرماء ، ومن له فضل سافر ، وطبع للدنية منافر ، ولديه من كل ما تستر به الملوك عن العوام حظ وافر ، وصف ألبابهم بمحصول خيرك ، وسكن قلوبهم بئمن طيرك ، وأغنيهم ما قدرت عن غيرك . واعلم بأن مواقع العلماء من ملكك مواقع المشاغل المتألقة ، والمصاييح المتعلقة ، وعلى قدر تعاهاها تبذل من الضياء ، وتجلو بنورها صُورَ الأشياء ، وفرغها لتجوير ما يزين مدتك ، ويحسن من بعد البلاء جيدتك ، وبعناية الأواخر ذكرت الأول ، وإذا بحيث المفاخر خربت الدول .

«واعلم أن بقاء الذكر مشروطٌ بعمارة البلدان ، وتخليد الآثار الباقية في القاصي والدان ، فاحرص على ما يوضح في الدهر سُبُلك ، ويحرز المزية على من قبلك ، وأن خير الملوك من ينطق بالحجة وهو قادر على القهر ، ويبذل الإنصاف في السر والجهر ، مع التمكن من المال والظهر ، ويسار الرعية جمال للملك وشرف ، وفاقتهم من ذلك طرف ، فغلب أليقَ الحالين بمحلك ، وأولاهما بظعنك وحيلتك .

«واعلم أن كرامة الجور دائرة ، وكرامة العدل متكاثرة ، والغلبة بالخير

سيادة ، وبالشّر هَوّادة ، واعلم أن حسن القيام بالشرعة يحسمُ عنك نكايّة الخوارج ، ويسمو بك إلى المعارج ، فإنّها تقصدُ أنواع الخدع ، وتوري بتغيير البِدع ، وأطلق على عدوك أيدي الأقوياء من الأكفاء ، وألسنة اللّيف من الضعفاء ، واستشعر عند نكته شعار الوفاء .

«ولتكنْ ثقتك بالله تعالى أكثرَ من ثقتك بقوة تجدها ، وكنية تنجدها ، فإن الإخلاص يمنحك قوى لا تُكتسب ، ويمهد لك مع الأوقات نصراً لا يحتسب .
«والتمس أبداً سلمَ من سالمك بنفيس ما في يدك ، وفضلْ حاصلَ يومك على مُنتظر غدك ، فإن أبى وضحتْ محبتك ، وقامت عليه للناسِ بذلك حجتك ، فللنفوس على الباغين مِيلٌ ، ولها من جانبه نِيلٌ ، واستهد في كلّ يومٍ سيرة من يناويك ، واجتهد أن لا يوازيك في خير ولا يساويك ، وأكذبْ بالخير ما يُشيعه من مساويك ، ولا تقبل من الإطراء إلّا ما كان فيك فضل عن إطالته ، وجدّ يُزري على بطالته ، ولا تلقَ المذنبَ بصيِّتك «سَلِّكْ» ، واذكر عند حركة الغضب ذنوبك إلى ربك ، ولا تنسَ أن ربَّ المذنب المذنب .
الفصل ، وجعل في قبضتك ريش النصل . وتشاغلْ في هدنة الأيام بالاستعداد واعلم أن التراخي مندرٌ بالاشتداد ، ولا تهملْ عَرْضَ ديوانك ، واختبار أعوانك ، وتحصين معاقلك وقلاعك . وعُمَّ إِيالتك بحسن اطلاعك ، ولا تشغل زَمَنَ الهدنة بلذاتك ، فتجني في الشدة على ذاتك ، ولا تطلقْ في دولتك ألسنة الكهانة والإرجاف ، ومطاردة الآمال العِجاف ، فإنه يبعثُ سوء القول ، ويفتحُ باب العَوَل ، وخذ على المدرسين والمتعلمين ، والعلماء والمتكلمين ، حملاً الأحداث على الشكوك الخالجة والمزلات الواجحة ، فإنه يفسدُ طباعهم ، ويغري سباعهم ، ويمدّ في مخالفة الملة باعهم ، وسُدَّ سبيلَ الشفاعات فإنّها تفسد عليك حُسْنَ الاختيار ، ونفوسَ الخيار ، وابذل في الأسرى من حُسْنِ ملكتك ما يرضي مَنْ مَلَكَكَ رقابها ، وقلّدك ثوابها وعقابها ، وتلقَّ بدءَه نهارك بذكر الله تعالى في ترفعك وابتدالك ، واختم اليوم بمثل ذلك .

« واعلم أنك مع كثرة حُجَابِكَ ، وكثافة حِجَابِكَ ، بمنزلة الظاهر للعيون ، المطالب بالديون ، لشدة البحث عن أموركَ ، وتعرف السر الخفي بين أمركَ ومأمورك ، فاعمل في شرك ما لا تستقيح أن يكون ظاهراً ، ولا تأنف أن تكون به مُجَاهِراً ، وأحسب بِرَّيْكَ في الله ونَحْتِكَ ، وخَفَ مَنْ فوقَكَ يَخْفَ مَنْ تحتَكَ ، واعلم أن عدوك من أتباعك من تناسيت حسنَ قَرْضِهِ ، أو زادت مؤونته على نصيبه منك وقَرْضِهِ ، فأصمت الحجاج ، وتوقَّ اللجاج ، واسترب بالأمل ، ولا يحملنك انتظامُ الأمور على الاستهانة بالعمل ، ولا تحقرن صغير الفساد ، فيأخذ في الاستسداد ، واحبس الألسنة عن التخلي باغتيالكَ ، والتشبث بأذيال ثيابكَ ، فإن سوء الطاعة ينتقل من العين الباصرة ، إلى الألسنة القاصرة ، ثم إلى الأيدي المتناصرة ، ولا تثق بنفسك في قتال عدوِّ ناوأك ، حتى تظفر بعدوِّ غضبك وهواك ، وليكن خوفك من سوء تدبيرك ، أكثر من عدوك الساعي في تنبيرك^١ ، وإذا استترلت ناجماً^٢ ، أو أمنت ثائراً هاجماً ، فلا تقلده البلد الذي فيه نَجَمٌ ، وهَمَى عارضه فيه وانسجم ، يعظم عليك القدح في اختيارك ، والغص من إيثارك ، واحترز من كيدهِ في حَوْرِكَ ومَأْمَكِ^٣ ، فإنك أكبر همته وليس بأكبر همك ، وجمل المملكة بتأمين الفلوات ، وتسهيل الأقوات ، وتجديد ما يُتعامَلُ من الصرف في البياعات ، وإجراء العوائد مع الأيام والساعات ، ولا تبخس عيار قيم البضاعات ، ولتكن يدك عن أموال الناس محجورة ، وفي احترامها إلا عن الثلاثة مأجورة : مال مَنْ عدا طوره طوره أهله ، وتخارق في الملابس والزينة ، وفضول المدينة ، يروم معارضتك بجهله ، ومن باطن أعداك ، وأمين اعتدالك ، ومن أساء جوار رعيتك بإخساره ، وبذل الأذية فيهم يمينه ويساره .

١ التنبير : الهلاك .

٢ الناجم : الثائر .

٣ الحور : العودة ؛ والمأم : القصد .

وأضرَّ ما مُنيتَ به التعادي بين عبدانك ، أو في بلد من بلدانك ، فسُدَّ فيه الباب ، وأسأل عن الأسباب ، وانقلهم بوساطة أولي الألباب ، إلى حالة الأحباب ، ولا تطوق الأعلام أطواق المنون ، بهواجس الظنون ، فهو أمر لا يقفُ عند حد ، ولا ينتهي إلى عدّ ، واجعلْ ولدك في احتراسك ، حتى لا يطمع في افتراسك .

«ثم لما رأى الليلَ قد كاد ينتصف ، وعموده يريدُ أن ينقصف ، ومجال الوصايا أكثر ممّا يصف ، قال : يا أمير المؤمنين ، بحرُ السياسة زاهر ، وعمر المتمتع بناديك مستاخر ، فإن أذنتَ في فنٍّ من فنون الأنسِ يجذبُ بالمقاد ، إلى راحة الرقاد ، ويُعتقُ النفسَ بقدرة ذي الجلال ، من ملكة الكلال .

» فقال : أمّا وقد استحسنّا ما سردت ، فشأنك وما أردت .

«فاستدعى عوداً فأصلحه حتى حمده ، وأبعد في اختباره أمدّه ، ثم حرك بجمّه ، وأطال الجلوسَ ثمّه ، ثم تغنى بصوت يستدعي الإنصات ، ويصدع الحصة ، ويستفز الحليم عن وقاره ، ويستوقف الطير ورزقُ بنيهِ في منقاره ، وقال :

صاح ما أعطَرَ القبولَ بنمّه	أتراها أطالت اللبثَ ثمّه
هي دارُ الهوى مئى النفس فيها	أبدَ الدهرِ والأمانى جمّه
إن يكنّ ما تارّجَ الجوُّ منها	واستفاد الشذا وإلا فممّه
مَنَ الطرفي بنظرة ولأنفسي	في رباها وفي ثراها بشمه
ذُكرَ العهدُ فانتفضتُ كأني	طرفتني من الملائك لِمّه
وطنٌ قد نَضِيتُ فيه شياهاً	لم تُدَسّ منه البرودَ مَدَمّه
بنّتُ عنه والنفسُ من أجلٍ من قد	خلَفَتَهُ خلاله مُغْتَمّه
كان حلماً فويحُ مَنْ أَمَلَ الدّه	رَ وأعماه جهلّه وأصمّه
تأملُ العيشَ بعد أن خلقَ الجسد	م وبنياؤه عسيرُ المرمّه؟
وغدت وفرةُ الشيبة بالشئ	بِ على رغم أنفها معتمّه

فَلَقَدْ فَازَ سَالِكٌ جَعَلَ اللَّهُ ٥ إِلَى اللَّهِ قَصْدَهُ وَمُسَامَتَهُ
مَنْ يَبْتَ مِنْ غُرُورِ دُنْيَا بِهِمْ يَلْدَغُ الْقَلْبَ أَكْثَرَ اللَّهُ هَمَّهُ

ثمَّ أَجَالَ اللَّحْنَ إِلَى لَوْنِ التَّنْوِيمِ ، فَأَخَذَ كُلٌّ فِي النَّعَاسِ وَالتَّهْوِيمِ ، وَأَطَالَ
الْجَسَّ فِي الثَّقِيلِ ، عَاكِفًا عَكُوفَ الضَّاحِي فِي الْمَقِيلِ ، فَعَاظَ عَيُونَ الْقَوْمِ ،
بِخَيُوطِ النَّوْمِ ، وَعَمَرَ بِهِمُ الْمَرَاقِدَ ، كَأَنَّمَا أَدَارَ عَلَيْهِمُ الْفَرَاقِدَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ،
فَمَا عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ وَلَا عَرَفَ ، وَلَمَّا أَفَاقَ الرَّشِيدَ جَدًّا فِي طَلَبِهِ ، فَلَمْ يَعْلَمْ بِمُتَقَلَّبِهِ ،
فَأَسَفَ لِلْفَرَاقِ ، وَأَمَرَ بِتَخْلِيدِ حِكْمِهِ فِي بَطُونِ الْأَوْرَاقِ ، فَهِيَ إِلَى الْيَوْمِ تَتَلَّى
وَتُنْقَلُ ، وَتَجْلِي الْقُلُوبَ بِهَا وَتُصْقِلُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » انتهى .
قال في « الإحاطة » بعد إيراد نبذة من نثره ما صورته : فهذا ما حضر من
المنثور وحفظه عندي من الإجازة ضعيف ، وغرضه كما شاء الله تعالى سخيف ،
لكن الله سبحانه بعباده لطيف ؛ انتهى .

١١٠ — ومما علق بحفظي من نثره قوله في تحليته لبعض أهل زمانه : هو
إمام الفئة ، وعين أعيان هذه المائة .

١١١ — وقوله في وصف فاس^١ : نعم العرين ، لأسود بني مَرَيْنَ ، ذات
المشاهد التي منها مطرح الجنة ومسجد الصابرين :

بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا وَكَسَاهُ رِيشَ جَنَاحِهِ الطَّاوُوسُ^٢
فَكَأَنَّمَا الْأَنْهَارُ فِيهِ مُدَامَةٌ وَكَأَنَّ سَاحَاتِ الدِّيَارِ كُؤُوسُ

جمعت ما ولد سام وحام ، وكثر الالتئام والالتحام ، واشتد الزحام ، إلى

١ انظر مشاهدات لسان الدين : ١١٠ - ١١١ والمقري ينقل من حفظه فلذلك اختلف ما أورده عن

النص الأصلي في عدة مواضع ، لا حاجة للإشارة إليها .

٢ مر البيتان والقول في نسبتهما في المجلد ١ : ١٦٩ .

أن قال : يلقي الرجل أبا مثواه فلا يدعوه لبيته ، ولا يُطعمه من بَقْلِهِ وزيته ؛
لا يطرق الضيف حِمَاهِم ، ولا يعرف اسمهم ولا مسمّاهم ﴿إِلَّا﴾ الذين آمنوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴿ (س : ٢٤) .

١١٢ - وقوله في وصف مراکش المحروسة : ذات المقاصر والقصور ،
ومأوى اللّيث المتصّور ، ومسكن الناصر والمنصور ، إلى أن قال : ومنارها
في الفلاة ، بمنزلة وآلي الولاية . ثمّ بعد كلام : إلّا أن خرابها هائل ، وزحامها
حرب وائل ، وعقاربها كثيرة اللبيب ، منغصة لمضاجعة الحبيب ؛ انتهى ما
كتبته من حفظي لطول العهد .

١١٣ - وقال رحمه الله تعالى في وصف مدينة بسطة^١ من كلام لم يحضرني
جميعه الآن : محل خصيب ، ومنزل رحيب ، وكفاها مسجد الجنة دليلاً على
البركة وباب المسك دليلاً على الطيب ، ولها من اسمها نصيب ، إذ هي بحر الطعام ،
وينبوع العيون المتعددة بتعدّد أيام العام ؛ انتهى .

[في ذكر بسطة]

ولما أجرى ذكر بسطة الإمام أبو الحسن القلصادي^٢ في رحلته قال : سقى
الله تعالى أرجاءها المشرقة ، وأغصانها المورقة ، شأيب الإحسان ، ومهداها
بالهدنة والأمان ، دار تخرجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور ، وتقرّ لها
بالقصور ، مع ما حوته من المحاسن والفضائل ، من صحّة أجسام أهلها وما طُبِعوا

١ المشاهدات : ٣١ .

٢ أبو الحسن القلصادي علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي نزيل غرناطة ، آخر من له التواليف
الكثيرة من أئمة الأندلس (إذ توفي سنة ٨٩١) . وقد ترجم له المقرئ في الراحلين إلى المشرق
(ج ٢ : ٦٩٢) .

عليه من كرم الشماثل ، وحسبك فيها من عدم الحرج ، أن داخلها باب الفرج ؛
ثم قال : والله در القائل :

دارٌ مشى الإتقانُ في تنجيدها حتى تناسَبَ روضُها وبنائُها
مَرْقومةُ الجنَّاتِ ذاتُ قرارةٍ يمتدُّ قُدَّامَ العيونِ فضاؤها
ما زال يضحكُ دائماً نواَرها في وجهِ ساحتهِ ويلعبُ ماؤها

ولبعض أصحابنا فيها وهر الأديب الكاتب أبو عبد الله ابن الأزرق :

في بسطةٍ حيثُ الأباطحُ مُشْرِقةٌ أضحتْ جفوني بالمحاسنِ مُغلقةٌ
وله أيضاً في تورية :

قلْ لِمَنْ رامَ النوى عن وَطَنِ قَوْلُهُ ليسَ بها من حَرَجِ
فَرَجِ الهمِّ بسكنى بسطةٍ إنَّ في بسطةِ بابِ الفَرَجِ

رجع :

١١٤ - ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ما خاطب به السلطان على لسان
جدته ، وهو :

« إلى قرّة أعيننا وأعين المؤمنين ، وفلذة كبدنا الذي نصل للقائه الحنين بالحنين ،
وعزنا الذي حللنا من كنفه بالحرم الأمين ، وبسترنا الذي خلفنا برضاه من أفقده
الدهر من كرم البنين ، ووارثنا المستأثر بعدنا بطول السنين ، أمير المسلمين
الأسعد المؤيد الموفق الطاهر البر الرحيم الأرضي الكافل الفاضل حفيدنا محمد
ابن ولدنا الرضى وواحدنا الكريم الخفي السلطان الكبير الخليل السعيد الطاهر الظاهر
المقدس ، جعل الله تعالى من عصمته لزيماً يرافقه ، وأجرى القدر بما يوافقه ،
وحفظ عليه الكمال الذي تناسب فيه خلقه وخلقه ، والبر الذي حسنت فيه
طرقه وطرائقه .

« من المستظلة بظلال رضاه وبرّه ، المبتهلة إلى الله تعالى في عزّ نصره ، وسعادة أمره ، الداعية إلى الله تعالى أن يسترها في الحياة وما بعدها بستره ، وما يفضّل عمرها من عمره ، جدته الثاقبة إليه ، كتبته من كتّفه العزيز بحمّرائه العلية عن الخير الدائم بدوامه ، واليسر الملازم ببركة أيامه ، ولا زائد بفضل الله تعالى إلا الشوق إليه ، وتحويم الكبد الخافقة خفوق رايته عليه ، وتجهيز مواكب الدعاء المقبول من خلفه ومن بين يديه .

« وقد وصل كتابه العزيز الوفاة والوصول ، الكريم الجُمْل والفصول ، مُطْلَع وجه السرور والجلل ، ومُهندي قصيّ الأمل ، ومجددُ العهدِ بحديثه الذي في ضمنه شفاء الغُلل ، وبرء العِلل ، مُهندياً تحفة عافيته وهي الهدية التي جلت عن المكافاة ، وترفعت عن المجازاة ، إنّما يشاؤني عليها مَنْ يصل بفضلها عادتها ، ويوالي بعد الإبداء إعادتها . ووصفتم يا ولدي ما عرفتم من نعم الله تعالى التي انثالت عليكم سحابها ، وعنايته التي يلقي ركايبكم تسهاها وترحابها ، واستبشار الجهات بقدومكم الميمون ، واجتلاء وجهكم الذي فيه للإسلام قرّة العيون ، وكيف لا يكون ذلك وأنتم ذخركم العزيز ، وحرزهم الحريز ، والندرة التي خلصها من معادن سلفكم الذهب الإبريز ، في أيامكم والحمد لله نامت أجفانهم ، وتكيف أمانهم ، نسأل الله تعالى أن يديم لنا ولهم نعمة بقائكم ، ويُعلي الدين بعلوكم في معارج العز وارتقائكم ، فقابلنا ما قرره سلطانكم بالحمد والثناء ، والشكر المتصل على الآناء ، ومحضتكم من خالص الدعاء ، ما يتكفّل لكم بالحسنى وما وعد الله تعالى من نيل الرجاء ، وتمهيد الأرجاء ، وأصدرت هذا الجواب لكم مصدر الهناء ، بنعم الله تعالى المُغْدقة والآلاء ، ونسأل من فضلكم وبركم صلة التعريف بمثل هذه الأخبار السارة والأنباء ، وإتحافنا بمثلها مع الصباح والمساء ، وإن كان مجدكم غنيّاً عن الشبه لمثل هذه الأشياء ، أدام الله تعالى لكم أسباب البقاء ، وكان لكم في كلّ حال ، من إقامة وارتحال ، بعزة وجهه وقدرته » انتهى .

ويرحم الله تعالى لسان الدين ابن الخطيب ، فإنه يعبر في كل مقام بما يليق ، فتارة يترقى في أدراج البراعة ، وطوراً يهتك عنان البراعة .

[شعر لسان الدين]

وأما شعر لسان الدين رحمه الله تعالى فهو من النهاية في الحسن ، وقد قدمنا في هذا الكتاب منه نبذة في أثناء نثره وكلامه الذي جلبناه ، وفي مواضع غيرهما ، جملة مفيدة من شعره رحمه الله تعالى .

وقال رحمه الله تعالى في « الإحاطة » ما نصّه : الشعر — ولنثبت جملة من مطولاته ، وننثله بشيء من مقطوعاته ، ونقدم من المطولات أمداح رسول الله صلى الله عليه وسلم تبركاً بها ، فمن ذلك قولي^١ :

هل كنت تعلم في هبوب الريح	نفساً يوجب لأعج التسريح
أهدتك من شيخ الحجاز تحية	فاحت لها عرض الفجاج الفيح
بالله قل لي كيف نيران الهوى	ما بين ريح في الفلاة وشيح
ونخضية المنقار تحسب أنها	نهلت بمورد دمعني المسفوح
باحت بما تخفي وناحت في الدجى	فرأيت في الآفاق دعوة نوح
نطقت ، بما يخفيه قلبي ، أدمعي	ولطالما صمتت عن التصريح
عجباً لأجفان حملن شهادة	عن خافت بين الضلوع جريح
ولقلما كتبت رواة مدامعي	في صفحاتها حلية التجريح
جاد الحمى بعدي وأجراع الحمى	جود تكل به متون الريح
هن المنازل ، ما فؤادي بعدها	سال ، ولا وجدي بها بمريح
حسي وكوفاً أن أزور بفكرتي	زوارها والجسم رهن فزوح ^٢

١ الإحاطة ، الورقة : ٤١٣ .

٢ الإحاطة : رهن ضريح .

فَأَبْتُ فِيهَا مِنْ حَدِيثِ صَبَاتِي
وَدُجْنَةً كَادَتْ تَضِلُّ بِهَا السُّرَى
رَعَشْتُ كَوَاكِبُ جَوْهَا فَكَأَنَّهَا
صَابِرَتْ مِنْهَا بِلْجَةً مَهْمَا ارْتَمَتْ
حَتَّى إِذَا الْكَفُّ الْخَضِيبُ بِأَفْقِهَا
شَمْتُ الْمَنَى وَحَمَدْتُ إِدْلَاجَ السُّرَى
فَكَأَنَّمَا لَيْلِي نَسِيبُ قَصِيدَتِي
لَمَّا حَطَّطْتُ لَخِيرٍ مِنْ وَطْنِ الثَّرَى
رَحِمَى إِلَهَ الْعَرْشِ بَيْنَ عِبَادِهِ
وَالْآيَةِ الْكُبْرَى الَّتِي أَنْوَارُهَا
رَبُّ الْمَقَامِ الصَّدَقِ وَالْآيِ الَّتِي
كَهْفُ الْأَنَامِ إِذَا تَفَاقَمَ مُعْضِلُ
يَرْدُونَ مِنْهُ عَلَى مَثَابَةِ رَاحِمٍ
لَهْفِي عَلَى عُمْرٍ مَضَى أَنْضَيْتُهُ
يَا زَاجِرَ الْوَجْنَاءِ يَعْتَسِفُ الْفَلَا
يَصِلُ السُّرَى سَبْقًا إِلَى خَيْرِ الْوَرَى
لِي فِي حِمَى ذَاكَ الضَّرِيجِ لُبَانَةٌ
وَبِمَهْبِطِ الرُّوحِ الْأَمِينِ أَمَانَةٌ
يَا صَفْوَةَ اللَّهِ الْمَكِينِ مَكَانُهُ
أَقْرَضْتُ فَيْكَ اللَّهُ صَدَقَ مَحَبَّتِي
حَاشَا وَكَلَّا أَنْ تَخِيبَ وَسَائِلِي
إِنْ عَاقَ عَنْكَ قَبِيحٌ مَا كَسَبْتُ يَدِي

وَأَحْتُ فِيهَا مِنْ جَنَاحِ جَنُوحِي
لَوْلَا وَمِيزَا بَارِقٍ وَصَفِيحِ
وَرَقٍ تُقَلِّبُهَا بَنَانُ شَحِيحِ
وَطَمْتُ رَمَيْتُ عُبَابَهَا بِسَبُوحِ
مَسَحْتُ بِوَجْهِهِ لِلصَّبَاحِ صَبِيحِ
وَزَجَرْتُ لِلْأَمَالِ كُلِّ سَنِيحِ
وَالصَّبْحُ فِيهِ تَخْلُصِي الْمَدِيحِ
بَعِنَانِ كُلِّ مَوْلَدٍ وَصَرِيحِ
وَأَمِينِ الْأَرْضَى عَلَى مَا يُوْحِي
ضَاءَتْ أَشْعَتُهَا بِصَفْحَةِ يُوحِ ١
رَاقَتْ بِهَا أَوْرَاقُ كُلِّ صَحِيحِ
مَثَلُوا بِسَاحَةِ بَابِهِ الْمَفْتُوحِ
جَمَّ الْهَيْبَاتِ عَنِ الذُّنُوبِ صَفُوحِ
فِي مَلْعَبِ اللَّتْرَهَاتِ فَسِيحِ
وَاللَّيْلُ يَعْرِ فِي فَضُولِ مُسُوحِ
وَالرَّكْبُ بَيْنَ مُوسَدٍ وَطَرِيحِ
إِنْ أَصْبَحْتَ لُبْنَى أَنَا ابْنُ ذَرِيحِ
الْيُمْنُ فِيهَا وَالْأَمَانُ لِرُوحِي
يَا خَيْرَ مُؤْتَمِنٍ وَخَيْرَ نَصِيحِ
أَيُّكُونُ تَجَرِّي فَيْكَ غَيْرَ رَبِيحِ
أَوْ أَنْ أَرَى مَسْعَايَ غَيْرَ نَجِيحِ
يَوْمًا فَوَجْهُهُ الْعَفْوُ غَيْرُ قَبِيحِ

١ يوح : اسم الشمس .

واخجلتي من حلبة الفكر التي
 قصرت خطاها بعدما ضمّرتها
 مدححتك آيات الكتاب فما عسى
 وإذا كتاب الله أثني مفصلاً
 صلّى عليك الله ما هبت صباً
 واستأثر الرحمن جلّ جلاله
 أغريتها بغرامسي المشروح
 من كل موفور الحمام جموح
 يثني على عليك نظم مديحي
 كان القصور قصار كل فصيح
 فهفت بغصن في الرياض مروح
 عن خلقه بخفي سرّ الروح

وأنشدت السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الأعظم من عام ثلاثة وستين
 وسبعمائة هذه القصيدة :

تألق تجدياً فأذكّرني نجداً
 وميض رأى برّد الغمامة مغفلاً
 تبسم في بحريّة ١ قد تجهمت
 وراود منها فاركاً قد تنعمت
 وأغرى بها كف الغلاب فأصبحت
 فحلّتها الحمراء من شفق الضحى
 لك الله من برق كأن ميضه
 تعلم من مكانه شيم الندى
 وتوج من نوّارها قنن الرّبي
 لسرعان ما كانت مناسف للصبا
 بلاد عهدنا في قرارها الصبا
 إذا ما النسيم اعتلّ في عرصاتها
 وهاج بي الشوق المبرّح والوجد
 فمدّ يداً بالتبر أعلمت البردا
 فما بذلت وصلّاً ولا ضربت وعدا
 فأهوى لها نصلاً وهددها رعدا
 ذلّوا ولم تسطيع لإمرته ردّاً
 نضاهها وحلّ المزن من جيدها عقدا
 يد الساهر المقرور قد قدحت زندا
 فغادر أجراع الحمى روضة تندى
 وختّم من أزهارها القضب المُلدا
 فقد ضحكت زهراً وقد خجلت وردا
 يقلّ لذلك العهد أن يألف العهدا
 تناول فيها البان والشّيح والرندا

١ الإحاطة : مفهماً .

٢ البحرية : صفة للسحابة .

فكم في مجاني وردها مِنُ علاقةٍ
إذا استشعرتها النفسُ عاهدتِ الجوى
ومن عاشقٍ حرٍّ إذا ما استماله
ومن ذابلٍ يحكي المحبين رقةً
سقى الله نَجْدًا ما نضحتُ بذكرها
وأنسَ قلبي فهو للعهدِ حافظُ
صبورٌ وإن لم يبقَ إلا ذبالةُ
صبورٌ إذا الشوقُ استجادَ كتيبةً
وقد كنتُ جلدًا قبل أن يذهب النوى
أأجحدُ حقَّ الحبِّ والدمعُ شاهدُ
تسائرٍ في إثر الحُمُولِ فريدهُ
جرى يَتَقَا في ملعبِ الخلدِ أشهباً
ومرتحلٍ أجريتُ دمعي خلفه
وقلتُ لقلبي طيراً إليه برقعي
سرتُ صُواعِ العزمِ يومَ فراقه
وكحلتُ عيني من غبارِ طريقه
ليَ الله كم أهذي بنجدٍ وحاجرٍ
وما هوَ إلا الشوقُ ثارَ كمينه
وما بيَ إلا أن سرى الركبُ موهناً
وجاشتُ جنودُ الصبرِ والبينِ والأسى
ورُمْتُ نهوضاً واعتزمتُ مودعاً
رقيقٌ بسدت للمشترين عيوبُهُ

إذا ما استثيرتُ أرضها أنبتتُ وجدا
إذا التمحتها العينُ عاقدتِ السهدا
حديثُ الهوى العذري صيره عبدا
فيثني إذا ما هبَّ عَرَفُ الصبا قدأ
على كبدي إلا وجدتُ لها بَردا
وقلَّ على الأيام مَن يحفظ العهدا
إذا استقبلتُ مسرى الصبا اشتعلتُ وقدأ
تجوسُ خلالَ الصبرِ كان لها بَندا
ذمائي وأن يستأصلَ العظمَ والجلدا
وقد وقع التسجيلُ من بعد ما أدَّى
فلله عينا من رأى الجواهر الفردا
وأجهده ركضُ الأسى فجرى وردا
ليرجعه فاستنَّ في إثره قصدا
فكانَ حمأً في المسير بها هدى
فلجَّ ولم يرقبُ سُواعاً ولا ودأ
فأعقبها دمعاً وأورثها سهدا
وأكني بدعدٍ في غرامي أو سُعدي
فأذهل نفساً لم تُبْ عنده قصدا
وأعمل في رملِ الحمى النصَّ والوَخدا
لدي فكان الصبرُ أضعفها جندا
فصدَّني المقدورُ عن وجهتي صدأ
ولم تُلْتَفَتْ دعواه فاستوجبَ الردأ

تَخَلَّفَ مِنِّي رَكْبٌ طَيِّبَةٌ عَانِيًا
مُخَلَّفٌ سَرِبَ قَدْ أُصِيبَ جَنَاحُهُ^١
نَشَدْتُكَ يَا رَكْبَ الْحِجَازِ ، تَضَاءَلَتْ
وَجَمَّ لَكَ الْمَرْعَى وَأَذَعَنْتِ الصَّوَى
إِذَا أَنْتَ شَافِهَتِ الدِّيَارَ بِطَيِّبَةٍ
وَأَنْسَتَ نُورًا مِنْ جَنَابِ مُحَمَّدٍ
فَتَبُّ عَنْ بَعِيدِ الدَّارِ فِي ذَلِكَ الْحَمَى
وَقُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَبْدٌ تَقَاصَرْتُ
وَلَمْ يَسْتَطِعْ مِنْ بَعْدِ مَا بَعْدَ الْمَدَى
تَدَارَكُهُ يَا غَوْثَ الْعِبَادِ بِرَحْمَةٍ
أَجَارَكَ اللَّهُ الْعِبَادَ مِنَ الرَّدَى
حَمَى دِينُكَ الدُّنْيَا وَأَقْطَعَكَ الرِّضَى
وَطَهَّرَ مِنْكَ الْقَلْبَ لِمَا اسْتَخْصَصَهُ
دَعَاهُ فَمَا وَلَّى ، هَدَاهُ فَمَا غَوَى
تَقَدَّمْتَ مَخْتَارًا ، تَأَخَّرْتَ مَبْعُوثًا
وَعَلَّةُ هَذَا الْكَوْنِ أَنْتَ ، وَكُلُّ مَا
وَهْلٌ هُوَ إِلَّا مَظْهَرٌ أَنْتَ سِرُّهُ
فَفِي عَالَمِ الْأَسْرَارِ ذَاتُكَ تَجْتَلِي
وَفِي عَالَمِ الْحَسَنِ اغْتَدَيْتَ مَبُورًا
فَمَا كُنْتَ لَوْلَا أَنْ ثَبَّتَ هِدَايَةً
فَمَاذَا عَسَى يُثْنِي عَلَيْكَ مُقَصِّرٌ
بِمَاذَا عَسَى يَجْزِيكَ هَاوٍ عَلَى شَفَا
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يَا كَاشِفَ الْعَمَى

١ ق : جَنَانُهُ .

أَمَّا آنَ لِلْعَانِيِ الْمَعْنَى بِأَنْ يُفْقَدَى
وَطَرْنِ فَلَمْ يَسْطِعْ مَرَّاحًا وَلَا مَغْدَى
لَكَ الْأَرْضُ مُهِمًّا اسْتَعْرَضَ السَّهْبُ وَامْتَدَّ
وَلَمْ تَفْتَقِدْ ظِلًّا ظَلِيلًا وَلَا وَرْدًا
وَجِثَّتْ بِهَا الْقَبْرِ الْمُقَدَّسَ وَاللَّحْدَا
يَجْلِي الْقُلُوبَ الْغُلْفَ وَالْأَعْيْنَ الرَّمْدَا
وَأَذْرَبَهُ دَمْعًا وَعَقَّرَهُ بِهِ خَدًّا
خُطَاهُ وَأَضْحَى مِنْ أَحْبَبَتِهِ فَرْدًا
سَوَى لَوْعَةٍ تَعْتَادُ أَوْ مَدْحَةٍ تُهْدَى
فَجُودَكَ مَا أَجْدَى وَكَفُّكَ مَا أُنْدَى
وَبَوَّاهُمْ ظِلًّا مِنَ الْأَمْنِ مَمْتَدًّا
وَتَوَجَّجَكَ الْعُلْيَا وَالْبَسْكَ الْحَمْدَا
فَجَلَّلَهُ نُورًا وَأَوْسَعَهُ رَشْدًا
سَقَاهُ فَمَا يَظْمَا ، جَلَاهُ فَمَا يَصْدَا
فَقَدْ شَمِلَتْ عَلَيَاؤُكَ الْقَبْلَ وَالْبَعْدَا
أَعَادَ فَأَنْتَ الْقَصْدُ فِيهِ وَمَا أَبْدَا
لِيَمْتَازَ فِي الْخَلْقِ الْمَكْبُ مِنَ الْأَهْدَى
مَلَامَحَ نَوْرِ لَاحٍ لِلطُّورِ فَانْهَدَا
لِتَشْفِي مِنْ اسْتَشْفَى وَتَهْدِي مِنْ اسْتَهْدَى
مِنْ اللَّهِ مِثْلَ الْخَلْقِ رَسْمًا وَلَا حَدًّا
وَلَمْ يَأَلُ فَيْكَ الذِّكْرُ مَدْحًا وَلَا حَمْدًا
مِنْ النَّارِ قَدْ أَوْرَدَتْهُ بَعْدَهَا الْخُلْدَا
وَمُذْهِبَ لَيْلِ الرُّوعِ وَهُوَ قَدِ ارْبَدَا

إلى كم أراني في البطالة كأنعاً
تقضى زماني في لعل وفي عسى
حسامُ جبانٍ كلما شيمَ نصله
ألا ليت شعري هل أراني ناهداً
رضيع لبان الصدق فوق شملة
فتُهدى بأشواق السراة إذا سرت
إلى أن أخط الرحل في تربك الذي
وأطفىء في تلك الموارد غلتي
لمولدك اهتزّ الوجود فأشرقت
ومن رعبه الأوثانُ خرّت مهابةً
وغاض له الوادي وصبح عزّه
رعى الله منها ليلة أطلع الهدى
وأقرض ملكاً قام فينا بحقتها
وحياً على شطّ الخليج محلةً
وجاد الغمام العِدُّ فيها خلائفاً
عليّاً وعثماناً ويعقوب ، لا عدا
حمّوا وهم في حومة البأس والندی
ولله ما قد خلّفوا من خليفة
إذا ما أراد الصعب أغرى بنيه
وكم معتدٍ أردى وكم تائه هدى
أبا سالم دينُ الإله بك اعتلى
فدُم من دفاع الله تحت وقاية
ودونكها مني نتيجة فكرة
ولو تركت مني الليالي صُباباً

وعمرى قد ولّى ، ووزري قد عدا
فلا عزمة تمضي ولا لوعة تهدا
تراجع بعد العزم والتزم الغمدا
أقود القلاص البدن والضامر النهدا
مضمرة وسدت من كورها مهدا
وتُحدى بأشعاري الركاب إذا تحدى
تضوّع ندّاً ما رأينا له ندّاً
وأحسب قرباً مهجة شكت البعدا
قصور بيصري ضاءت الهضب والوهدا
ومن هوله إيوان كسرى قد انهدا
بيوتاً لنارِ الفرس أعدمها الوقدا
على الأرض من آفاقها القمر السعدا
لقد أحرز الفخر المؤثّل والمجددا
يحالف من يتابها العيشة الرغدا
مآثرهم لا تعرف الحصر والعدا
رضى الله ذاك النجل والأب والجددا
فكانوا الغيوث المستهلة والأُسدا
حوى الإرث عنهم والوصية والعهدا
صدور العوالي والمُطهّمة الجردا
وكم حكمة أخفى ، وكم نعمة أبدى
أبا سالم ظلّ الإله بك امتددا
كفاك بها أن تسحب الخلق السردا
إذا استرشحت للنظم كانت صفّاً صلدا
لأجهدتها ركضاً وأرهقتها شدا

ولكنه جهّد المقلّ بلغتهُ وقد أوضّح الأعداء مَنْ بَلَغَ الجهدا
وقلت أخطب السلطان الملك الكبير العالم أبا عنان على أثر انصرافه من بابه رحمه
الله تعالى :

أبدى لداعي الفوز وجهَ منيب
كلفُ الجنان إذا جرى ذكرُ الحمى
والنفسُ لا تنفكُ تكلفُ بالهوى
رحلَ الصّبا فطرحَتْ في أعقابهِ
أترى التغزّلَ بعد أن ظعنَ الصّبا
أنّي لمثلي بالهوى من بعد ما
لبسَ البياضَ وحلَّ ذرّوةَ منبرٍ
قد كان يسترني ظلامُ شيبتي
وإذا الحديدانِ استجدّا ألبيا
سلي عن الدهرِ الخوونِ وأهلهِ
مقلّبُ الحالاتِ فاحبرُ تقلُّه
فكلّ الأمورَ إذا اعترتكِ لربها
قد يخبأ المحبوبَ في مكروهها
واصبرِ على مضضِ الليالي إنها
واقنّعُ بحظّ لم تنلْهُ بحيلةٍ
يقع الحريصُ على الردى ولكم غدا
مَنْ رامَ نيلَ الشيءِ قبلَ أوانهِ
فإذا جعلتَ الصبرَ مفزعَ مُعضلٍ
وإذا استعنت على الزمانِ بفارسٍ

وأفاقَ من عدلٍ ومن تأنيبٍ
والبان حنّ له حنينَ النّيبِ
والشيبُ يلحظها بعينِ رقيبٍ
ما كان من غزَلٍ ومن تشيبٍ
شأني الغداةَ أو النسيبَ نسيبي
للوخطِ في الفودّينِ أيّ ديبٍ
مني ووالى الوعظَ فعلَ خطيبٍ
والآنَ يفضحني صباحُ مشيبي
من لبسةِ الأعمارِ كلّ قشيبٍ
تسلّ المهلّبَ عن حروبِ شيبٍ
مهما أعدتَ يداً إلى تقليبٍ
بما ضاقَ لطفُ الربِّ عن مربوبٍ
مَنْ يحبُّ المَكروهَ في المحبوبِ
لحواملٍ سيَلِدُنَّ كلّ عَجيبٍ
ما كلّ رامٍ سهمهُ بمصيبٍ
تركُ التسبّبِ أنفعَ التسيبِ
رامَ انتقالَ يَلْمَلِمِ وعَسيبِ
عاجلتَ علتهُ بطبّ طيبٍ
لَبّي نداءك منه خيرُ مجيبِ

١ فارس هو السلطان أبو عنان .

بخليفة الله الذي في كفه
المنتقى من طينة المجد الذي
يرمي الصعاب بصعبه فيقودها
ويرى الحقائق من وراء حجابها
من آل عبد الحق حيث توشحت
أسد الشرى سرج الورى فمقامهم
إما دعا الداعي وثوب صارخاً
شهب ثواقب في سماء عجاجة
ما شئت في آفاقها من رامج
عجبت سيوفهم لشدة بأسهم
نظموا بلبات العلا واستوسقوا
تروي العوالي والمعالى عنهم
من كل موثق به إسنادُهُ
فأبو عنان عن علي نصه
جاءوا كما اتسق الحساب أصالة
متجسداً من جوهر النور الذي
متألقاً من مطلع الحق الذي
قل للزمان وقد تبسم ضاحكاً
هي دعوة الحق التي أوضاعها
هي دعوة العدل الذي شمل الورى
لو أن كسرى الفرس أدرك فارساً
لما حلت بأرضه مستملياً

غيث يروض ساح كل جديب
ما كان يوماً صرفه بمشوب
ذلاً على حسب الهوى المرغوب
لا فرق بين شهادة ومتغيب
شعب العلا وربت بأي كتيب
لله بين محارب وحروب
ثابوا وأموا حومة التثويب
مأثورها قد صح بالتجريب
يبدو وكف بالنجيع خضيب
فتبسمت والجو في تقطيب
كالرمح أنوباً على أنوب
أثر الندى المولود والمكسوب
بالقطع أو بالوضع غير معيب
للقول عن عثمان عن يعقوب
وغدا فذاك ذلك المكتوب
لم ترم يوماً شمسه بغروب
هو نور أبصار وسر قلوب
من بعد طول تجهّم وقطوب
جمعت من الآثار كل غريب
فالشاة لا تخشى اعتداء الذيب
ألقي إليه بتاجه المعصوب
ما شئت من بر ومن ترحيب

١ فذاك : جمع فذلكة وهي محمل الحساب .

شمل الرضى فكأن كل أفاحة
وأُتيتُ في بحر القيرى أم القرى
فرايتُ أمن الله في ظل الثقي
ورأيت سيف الله مطرور الشبا^١
وشهدتُ نور الحق ليس بأقل
ووردتُ بحر العلم يقذف موجهُ
لله من شيم كأزهار الربى
وجمال مرأى في رداء مهابة
يا جنة فارقتُ من غرفاتها
أسني على ما ضاع من حظي بها
إن أشرق شمس شرقتُ بعبرتي
حتى لقد علّمتُ ساجعة الضحى
وشهادة الإخلاص توجب رجعتي
يا ناصر الدين الخفيف وأهله
حقق ظنون بنيك فإنهم
ضاقتُ مذاهب نصرهم فتعلقوا
ودجا ظلام الكفر في آفاقهم
فانظر بعين العز من ثغر غدا
نادتك أندلس ومجدك ضامن
غصب العدو بلادها وحسامك
أرض السوايح في المجاز حقيقة
يتأود الأسل المثقف فوقها

تومي بثغر للسلام شنيب
حتى حططت بمرفأ التقريب
والعدل تحت سرادق مضروب
يمضي القضاء بمحده المرحوب
والدين والدنيا على ترتيب
للناس من درر الهدى بضروب
غيب انثيال العارض المسكوب
كالسيف مصقول الفرند مهيب
دار القرار بما اقتضته ذنوبي
لا تنقضي ترحاته ونحيبي
وتفيض في وقت الغروب غروبي
شجوي وجائحة الأصيل شحوبي
لنعيمها من غير مس لغوب
أنضاء مسغبة وفل خطوب
يتعللون بوعدك المرقوب
بجناب عز من علاك رحيب
أوليس صبحك منهم بقريب؟
حدّر العدا يرنو بطرف مريب
أن لا ينجب لديك ذو مطلوب
ماضي الشبا مسترجع المغصوب
من كل قعدة مخرب وجنوب
وتنجب صاهلة رغاء نجيب

١ المطرور : المشعوز ؛ الشبا : الحد .

والنصرُ يُضحكُ كلَّ مبسمِ غرة
والرومُ فارمٍ بكلِّ نجمٍ ثاقبٍ
بنو ابل السُّلبِ التي تركتُ بني
وأضف إلى لام الوغى أليفَ القنا
إن كنتَ تعجمُ بالعزائمِ عودها
ولكَ الكتابُ كالحماثلِ أطلعتُ
فمرنَّحُ العطفينِ لا من نشوةٍ
يبدو سدادُ الرأي في راياتها
وترى الطيورَ عصائباً من فوقها
هذبتها بالعرضِ يُذكرُ يومه
وهي الكتابُ إن تُنوسي عَرْضها
حتى إذا فرضَ الجلالُ جداله
قدَّمَتِ سالبةَ العدوِّ وبعدها
وإذا توسطَ وصلُ سيفك عندها
وتبرأ الشيطانُ لما أنْ علا
الأرضُ لارثٍ والمطاميعُ جَمَّةُ
وخلائفُ التقوى هُمُ ورآنها
لكأنني بكَ قد تركتُ ربوعها
وأقمتُ فيها مأتماً لكنَّه
وتركتُ مفلتها بقلبٍ واجبٍ
تبكي نواديبها وينقلنَ الخطا

واليسمنُ مَعْقودٌ بكلِّ سيبِ
يُذكي بأربُعها شواطئَ لهيبِ
زيانَ بينَ مجدَلٍ وسليبِ
تظهرُ لديكَ علامةُ التغليبِ
عودُ الصَّليبِ اليومَ غيرُ صليبِ
زهرَ الأسنةِ فوقَ كلِّ قضيبِ
ومورِدُ الخدينِ غيرُ مريبِ
وأمورها تجري على تجريبِ
لحلولِ يومٍ في الضلالِ عصيبِ
عَرَضُ الوري للموعِدِ المكتوبِ
كانتَ مدوَّنةً بسلا تهذيبِ
ورأيتَ ريحَ النصرِ ذاتَ هبوبِ
أخرى بعزِّ النصرِ ذاتَ وجوبِ^٢
جزْأَيَ قياسكَ فُزتَ بالمطلوبِ
حزبُ الهدى من حزبه المغلوبِ
كلُّ يهشُّ إلى التماسِ نصيبِ
فإليكها بالحظِّ والتعصيبِ
قفرأ بكرَّ الغزو والتعقيبِ^٣
عرسُ لنسٍ بالفلاةِ وذيبِ
رهباً وخدٍ بالأسى مندوبِ
من شلوٍ طاغيةٍ لشلوٍ سليبِ

١ يومي إلى المدونة في الفقه المالكي ، وتهذيب المدونة للبرادعي .

٢ في هذا البيت وما بعده إشارات إلى المصطلح المنطقي .

٣ التعقيب : العودة ثانية ، وهو من قولهم « قدح معقب » أي يعاد إلى الخريطة مرة بعد مرة .

جعلَ الإلهُ البيتَ منكَ مثابةً
 فإذا ذكرتَ كأنَّ هَبَّاتِ الصَّبَا
 لولا ارتباطُ الكونِ بالمعنى الذي
 قلنا لعالمك الذي شرفتهُ
 ولأجلِ قطركَ شمسها ونجومها
 تبدو بمطلعِ أفقها فضيةً
 مولاي أشواقِي إليك تهزني
 بحلى علاكَ أطلتُها وأطبقتها
 طالبتُ أفكارِي بفرضِ بديها
 متنبئُ أنا في حُلَى تلكَ العلى
 والطبعُ فحلُّ ، والقريحةُ حرَّةُ
 هابتَ مقامكَ فاطبتِ صعاها
 لكنني سهلتُها وأدلتُها
 إن كنتُ قد قاربتُ في تعديلها
 عذري لتقصيري وعجزِي ناسخُ
 مَنْ لم يدنِ لله فيكَ بقربةٍ
 للعاكفينَ وأنتَ خيرُ مُثِيبِ
 فضتُ بمدرجها لطيمةً^١ طيبِ
 قصّرَ الحجى عن سرِّه المحجوبِ
 حسدُ البسيطِ مزينةً التركيبِ
 عدلتُ من التشريقِ للتغريبِ
 وتغيبُ عندكَ وهي في تذهبِ
 والنارُ تفضحُ عَرَفَ عودِ الطيبِ
 ولكم مُطيلٍ وهو غيرُ مُطِيبِ
 فوفتُ بشرطِ الفورِ والترتيبِ
 لكنَّ شعري فيكَ شعراً حبيبِ
 فاقبلهُ بينَ نجيةٍ ونجيبِ
 حتى غدتُ ذُللاً على التدريبِ
 من كلِّ وحشيٍ بكلِّ ريبِ^٣
 لا بدَّ في التعديلِ من تقريبِ^٤
 ويحلُّ منكَ العفوُ عن تريبِ
 هو من جنابِ الله غيرُ قريبِ

ولما احتفل السلطان لإعذار ولده نظمت هذه القصيدة مساعدة لمن نظم من الأصحاب ، وتشتمل على أوصافٍ من ذكر الحلبة التي أرسلها ، والطلبة التي

١ اللطيمة : وعاء الطيب أو قافلة تحمل طيوباً .

٢ اطيبت : استملت .

٣ الوحشي : اللفظ الوحشي ؛ والريبب : المريب المؤلف في البيت يعني به القول ؛ ولعل فيه إشارة بعيدة إلى وحشي قاتل حمزة وإلى الريبب مثل عمر بن أبي سلمة الذي كان ربيب النبي (ص) .

٤ التعديل والتقريب من مصطلحات الحساب والفلك .

نصبها في الهواء للفرسان يرسلون العصي إليها ، والثيران التي أرسل عليها الأكلب الرومية تمسكها في صورة القرط من آذانها ، وهي آخر النظم في الأغراض السلطانية ، قصر الله تعالى ألسنتنا على ذكره ، وشغلها به عن غيره :

شَحَطْتُ وَفَوْدُ اللَّيْلِ بَانَ بِهِ الْوَخْطُ
أَتَاهُ وَلِيدُ الصَّبْحِ مِنْ بَعْدِ كِبَرَةٍ
كَأَنَّ النُّجُومَ الزَّهْرَ أَعْشَارُ سُورَةٍ
وَقَدْ وَرَدَتْ نَهْرَ الْمَجْرَةِ سَحَرَةٍ
وَقَدْ جَعَلَتْ تَقْلِي بِأَعْمَلِهَا الْفَلَا
يَحْفُ عِبَابُ اللَّيْلِ عَنْهَا جَوَاهِرًا
فَسَارَتْ خَيْالًا مِثْلَهَا ، غَيْرَ أَنَّهُ
سَرَتْ سَلَخُ شَهْرِ فِي تَلَفَّتِ مَقْلَةٍ
لِيَ اللَّهِ مِنْ نَفْسٍ شَعَاعٍ وَمَهْجَةٍ
وَنَقْطَةِ قَلْبٍ أَصْبَحَتْ مِنْشَأَ الْهَوَى
فَأَقْسَمُ لَوْلَا زَاغُ الشَّيْبِ وَالنُّهَى
لَرِيعَ لَهَا الْأَحْرَاسُ مِنْتِي بِطَارِقٍ
تَسَاقَلَهُ كَوَآمَاءُ سَامِيَةِ الدَّرَا
وَلَوْلَا النُّهَى لَمْ تَسْتَهِنْ سُبُلَ الْهَدَى
وَلَوْلَا عَوَادِي الشَّيْبِ لَمْ يَبْرَحِ الْهَوَى
وَلَوْلَا أَمْسِيرُ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٌ
يَنْوُبُ عَنِ الْإِصْبَاحِ إِنْ مَطَلَ الدَّجَى

وَعَسَكَرُهُ الزُّنْجِيُّ هَمٌّ بِهِ الْقَبْطُ
أَيُولَدُ أَجْنَا نَاحِلُ الْجِسْمِ مَشْمُطُ
وَمِنْ خَطَرَاتِ الرَّجْمِ أَثْنَاءُهَا مَطُ
غَوَائِصَ فِيهِ مِثْلَمَا تَفْعَلُ الْبَطُ
وَيُرْسَلُ مِنْهَا فِي غَدَائِرِهِ مَشْطُ
فِيَكْثُرُ فِيهَا النَّهْبُ لِلْحَيْنِ وَالْإِقْطُ
مِنْ الْبَثِّ وَالشُّكُوى يَبِينُ لَهُ لَغْطُ
عَلَى قَتَبِ الْأَحْلَامِ تَسْمُو وَتَنْحَطُ
إِذَا قُدْحَتْ لَمْ يَخْبُ مِنْ زَنْدِهَا سَقْطُ
وَعَنْ نَقْطَةِ مَفْرُوضَةٍ يَنْشَأُ الْخَطُ^٢
وَنَفْسٌ لَغَيْرِ اللَّهِ مَا خَضَعَتْ قَطُ
مَقَارِقُهُ شُمُطُ وَأَسْيَافُهُ شُمُطُ
وَيَقْدِفُهُ شَهْمٌ مِنَ النَّيْقِ مَنْحَطُ
وَكَادَ وَزَانُ الْحَقِّ يَدْرِكُهُ الْغَمُطُ
يَهْيِجُهُ نَوْءٌ عَلَى الرَّمْلِ مَخْطُ
لَهَلَتْ بِحَارُ الرُّوعِ وَاحْتَجَبَ الشُّطُ
وَيُضْمَنُ سَقْيَ السَّرْحِ إِنْ عَظُمَ الْقَحْطُ

١ الأجنأ - وهو مهموز الآخر - الأحدث .

٢ قد مر بنا استخدام لسان الدين لمعارفه في الشعر ، وهو هنا يظهر شيئاً من معرفته الهندسية .

تقرُّ له الأملاكُ بالشِّيمِ العِلا
أرادوه فارتدُّوا ، وجاروه فانشوا
تُبِرُّ على المدّاحِ غُرُّ خلاله
تعلّم منه الدهرُ حالِيَه في الورى :
ويجمعُ بين القبضِ والبسطِ كفه
خلاتق قد طابت مذاقاً ونفحةً
أسبطَ الإمام الغالبِيَّ محمّداً
وقتك أواقي الله من كلِّ غائلٍ
لقد زلزلت منك العزائمُ دولةً
إيالةً غدِرَ ضيَع الله ركنها
على قدَرٍ جلّى بك الله بؤسها
وكانوا نعيمَ الجنّتينِ تفيّأوا
فقد عوّضوا بالأثُلِ والحمطِ بعدها
فمن طائحٍ فوق العراءِ مجدّلٍ
وأتحفَ منك الله أمةَ أحمدٍ
أنمتَ على مهّدِ الأمانِ عيونها
وصمَّ صدى الدنيا فلمّا رحمتها
وأحكمتَ عقْدَ السلمِ لم تألُ بعده
وأيقنَ مراتبُ ، وأصحبَ نافرٌ

إذا بُذِلَ المعروفُ أو نُصِبَ القسطُ
وساموه في مَرَقَى الجلالةِ فانخطّوا
ومارسموا فوق الطروسِ وما خطّوا
فآونةً يسخو ، وآونةً يسطو
بحكمةٍ من في كفه القبضُ والبسطُ
كما مُزجتُ بالباردِ العذبِ إسفنطُ^١
ويا فخرَ ملكٍ كنتَ أنتَ له سبطُ
فأيُّ سلاحٍ ما المجنُّ وما اللمطُ^٢
أناختَ على الإسلامِ تجني وتشتطُ
ونادى بأهلِها التّبارَ فلم يُبْطوا
ولا يكملُ البُحرانُ أو ينضجُ الخلطُ
ولمّا يقعَ منها التّزولُ ولا الهبطُ^٣
وهيهاتَ أين الأثُلُ منها أو الحمطُ
ومن راسفٍ في القيدِ أزقه الضغطُ
أماناً كما يصفو على الغادةِ المرطُ
فيُسمعُ من بعد السهادِ لها غَطُّ
تراحِمَ مرتادٍ عليها ونخشطُ
وجاء فصَحَّ العقدُ واستوثقَ الربطُ
وأذعنَ مُعْثاصُ ، وأقصرَ مشطُ

١ الإسفنط : اسم للخمر .

٢ اللط : الدرق المظية ، منسوبة إلى لمطة من قبائل المغرب .

٣ استوحى في هذا البيت والذي يليه الآية الكريمة « لقد كان لسيا في مسكنهم آية جنتان . . . الآية »
(سبأ : ١٥) .

والله مَبْنَاكَ الذي معجزاتُه
 وأنسَتْ غَرِيبَ الدارِ مسقطَ رأسه
 تناسبتِ الأوضاعُ فيكَ وأحكمتْ
 فجاء على وفق العلا رائقُ الحلَى
 والله إعْذارٌ دعوتُ لهُ الورى
 تقودهم الزلْفَى ، ويدعوهم الرضى
 وأغرِيتْ بالبهيمِ العلاجَ تخفياً
 أتتْ صورةً معلولةً عن مزاجها
 قضيتْ بها دَيْنَ الزمانِ ، ولم يزلْ
 وأرسلتْ يومَ السَّبْقِ كلَّ طِمِيرَةٍ
 رَتَتْ عن كحيلٍ كالغزالِ إذا رنا
 وقامتْ على منحوتةٍ من زبرجدٍ
 وكلَّ عتيقٍ من تماثيلِ رومَةٍ
 وطاعنةٍ نحرَ السَّكَاكِ أعانها
 تَلَقَّفَ حَيَاتِ العَصِيَّ إذا هوتْ
 أُرْزَتْ بها بجرَ الهواءِ سَفِينَةٌ
 وطاردتْ مَقْدَامَ الصُّوَارِ بِجَارِحِ
 مَتِينُ الشَّوَا فِي رَأْسِهِ سَمَّهَرِيَّةٌ
 وقد كان ذا تاجٍ فلمَّا تعلَّقَا
 وجيءَ بِشَبْلِ المَلِكِ يَنجِدُ عِزْمَهُ
 سمحتْ بهِ لم ترعَ فرطَ ضنَّانَةٍ
 فأقدمَ مَخْتاراً ، وحكَمَ عاذراً

سَمَتَ أَنْ تَوَافِيهَا الشَّفَاهُ أَوْ الْخَطُّ
 وَمِنْ دُونَ فَرْخِيهِ الْقَتَادَةُ وَالْخَرَطُ
 عَلَى قَدَرٍ حَتَّى الْأَرَاثِكُ وَالْبُسْطُ
 كَمَا سُمِّطَ الْمَنْظُومُ أَوْ نُظِمَ السَّمْطُ
 فَهَبُوا لِدَاعِيهِ الْمَهِيْبِ وَإِنْ شَطُّوا
 وَيَحْدُوهُمْ الْخَصْبُ الْمَضَاعِفُ وَالْغَيْطُ
 فَلَمْ يَذْخِرِ الشَّيْءُ الْغَرِيبُ وَلَا السَّمْطُ
 وَأَصْلُ اخْتِلَافِ الصُّورَةِ الْمَزْجُ وَالْخَلْطُ
 أَكْدَى كَذُوبَ الْوَعْدِ يَلُوي وَيَشْطُّ
 كَمَا قَذَفَ الْمَلْمُومَةُ النَّارُ وَالنَّفْطُ
 وَأَوْفَتْ بِهَادٍ كَالظَّلِيمِ إِذَا يَعْطُو
 تَخَطُّ عَلَى الصَّمِّ الصَّلَابِ إِذَا تَخْطُو
 تَأْتَقُ فِي اسْتِخْطَاطِهِ الْقَسُّ وَالْقَمْطُ
 عَلَى الْكُونِ عَرَقٌ وَاشْجٌ وَلَحْيٌ سُبْطُ
 فَتَعْبَانِهَا لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ سُرْطُ
 عَلَى الْجَوِّ لَا الْجُودِيَّ كَانَ لَهَا حِطُّ
 يُصَابُ بِهِ مِنْهُ الصَّمَاخُ أَوْ الْإِبْطُ
 مَقْصَرَةٌ عَشْنُهُنَّ مَا يُنْبِتُ الْخَطُّ
 بِسَامِعَتَيْهِ زَانَهُ مَهْمَا قُرْطُ
 عَلَيْهِ الْخِفَافُ الْجَعْدُ وَالْخَلْقُ السَّبْطُ
 وَفِي مِثْلِهَا مِنْ سَنَةِ يَتْرَكُ الْفَرْطُ
 وَلَمْ يَشْتَمَلْ مَسْكٌ عَلَيْهِ وَلَا ضَبْطُ

١ السمت : الخفيف الجسم .

ولو غير ذات الله رامته نَضَضَتْ
وأسد نزال من ذؤابة خزرج
جلادهم مثنى إذا اشتجر الوغى
كتائب أمثال الكتاب تتالياً
دليلهم القرآن ، يا حبذا الهدى
وبيض كأمثال البروق غمامها
ولكنه حكم يطاع وسنة
وربت نقص للكمال ماله
فهنيته صنعاً ودمت مملكتاً
ودون الذي يهدي ثناؤك في الورى
رضيت ومن لم يرض بالله حاكماً
حياتك للإسلام شرط حياته
قناً كالأفاعي الرقط أو دونها الرقط
بهاليل لا روم القديم ولا قبط
كأن رعاء بالعضاء لها خبط
فمن بيضها شكل ، ومن سمرها نقط
ورھطهم الأنصار ، يا حبذا الرھط
إذا وشحت سحب القتام دم عبط
وأعمال بر لا يليق بها الحبط
ولا غرو فالأقلام يصلحها القط
عزيزاً تشيد المعلوات وتخط
من الطيب ما تهدي الألوة والقسط^١
ضلالاً فله الرضى وله السخط
ولا يوجد المشروط إن عديم الشرط
هذا كاف في المطولات لنجلب منها عرضاً يدل على جوبها ، ونتحف منها أنفس
الظرفاء بمطلوبها ، منقولة من الكتاب المسمى بـ « أبيات الأبيات » ومن الكتاب
المسمى بـ « الصيِّب والجهام » .

فمن التورية على طريقة المشاركة قولي^٢ :

مضجعي فيك عن قتادة يروي وروى عن أبي الزناد فؤادي
وكذا النوم شاعر فيك أسمى من دموعي يهيم في كل وادي
ومن هذا الباب أيضاً :

١ الألوة : العود يتبخر به ؛ والقسط : عود هندي أيضاً يدخل في البخور والطيب .
٢ راجعت أكثر هذه المقطعات على نسخة الإحاطة ولكنها لم ترد على الترتيب الذي جاءت فيه في النسخ ؛
ولست أرى حاجة إلى شرحها في الحواشي ؛ وانظر أيضاً أزهار الرياض ١ : ٣٠٤ - ٣١٣ فقد
ورد أكثرها هنالك ؛ وكذلك نثير فرائد الجمان : ٢٤٨ - ٢٥٦ .

ولمّا رأيتُ عزمي حثيثاً على السُّرى وقد رابها صبري على موقفِ البينِ
أنتُ بصحاحِ الجوهريِّ دموعُها فعارضتُ من دمعي بمختصرِ العينِ
وفي هذا المعنى :

كتبْتُ بدمعِ عيني صفحَ خَدَيَّ وقد منع الكرى هجرُ الخليلِ
ورابَ الحاضرينَ ، فقلتُ : هذا كتابُ العينِ يُنسَبُ للخليلِ
ومن الأغراضِ الظريفةِ فيها :

تعجلتُ وخط الشيب في زمنِ الصُّبا لخوضي غمارَ الهمِّ في طلبِ المجدِ
فمهما رأيتُ شبيبةً فوق مفرقي فلا تنكروها لأنها شبيبةُ الحمدِ
ومن التورية بالنجوم ، والكاتب بيته بيت شرفه :

بأوتُ على زمي همةً فأعتبني الزمنُ العاتبُ
وشرفني الله في موطني وفي بيته يشرف الكاتبُ

وأبدع منها قولِي لمن يدعى بشمس الدين :

قلْ لشمسِ الدينِ وقَّيتَ الردى لم يدعْ سُقْمُكَ عندي جَلداً
رَمِدَتْ عَيْنُكَ هذا عَجَبٌ أوعَيْنُ الشمسِ تشكو الرَّمداً

وقلتُ في غرضِ التورية بما يظهر من الأبيات :

أفَلَّ الأُلى كانوا نجو ما للورى فالكونُ مظلمُ
وتساكر الناسُ الحدي بَ الحقِّ وافترقدَ المعلمُ
أنا كاتبُ السلطانِ ما طالعتُ قطُّ كتابَ مُسلمِ
إلا سخاماً قادحاً في الدينِ واللهُ المسلمُ

وفي معنى الدعابة مع بعض الطلبة :

قال لي عندما أتى بجدال
ولساني يبدلُ الدالَ تاءً
التمسُ مخرجاً يوافقُ قولي

وشكوكٍ على أصولِ الدينِ
عاجزٌ في الأمورِ عن تبيينِ
قلت: أحسنتَ يا جلالَ التينِ

وفي التورية :

اذمُ ذوي التطفيلِ مهما أتى
يمشي على رجله مع أنهُ

وإن تكن أجملتهم فاعنه
من جنس من يمشي على بطنه

وقلت :

أفقدَ جفنيّ للذيدِ الوسنُ
عذارهُ المسكيُّ في خدّه

من لم أزل فيه خليعَ الرّسنِ
أنبتهُ الله النباتَ الحسنُ

وقلت في رثاء من اسمه حسن :

أشكو إلى الله من بئ ومن شجتي
أصابتهُ الحسنُ العينُ التي رشقتُ

لم أجن من محنتي شيئاً سوى تحن
وعادةُ العين لا تُضمي سوى الحسنِ

وفي الشيب :

تفیرُ عن الشيبِ الغواني تعزّزاً
بدا وضحاً في جدة العمر شانياً

كما يعترها إن رأت سام أبرصاً
فمن سام شيخاً فهو قد سام أبرصاً

وقلت في السها من النجوم الجوفية :

قالوا : السها بادي النحول كأنّه
أنراه يشكو؟ قلت : هذا ممكنُ

متستّرٌ تبسّدو مخايلُ خوفه
واللهُ يَعْلَمُ دارَهُ من جوفه

وقلت :

عابوا وقالوا : بساقه شَعَرٌ
قلت: انظروا ورد روضِ وجنته
لقد عداه الكمالُ من ساقِ
وكلُّ وردٍ مُشَوَّكُ الساقِ

وقلت في التضمين :

رُفِعَتْ قصةُ اشتياقي ليجيى
ورمى بالكتاب ضعفَ اهتبالِ
فَزَوَى الوجهَ رافضاً للفتوةِ
قلت يحيى خذِ الكتابَ بقوةِ

وقلت :

وذى حَيْكِلٍ يُعْيِي التَّقِيَّةَ أمرُهُ
يدبُ شَبُولَ اللَّيْثِ ، واللَّيْثُ سَاهِرُ
مكايدُهُ في بلجةِ الليلِ تسبحُ
ويسرقُ نَابَ الْكَلْبِ ، والكلبُ ينبحُ

وقلت :

لَمَّا رَأَوْا كَلْفِي بِهِ وَدَرَوْا
قالوا الفتي حلوا فقلتُ لهم
مقدار ما لي فيه من حُبِّ
طلعتُ حلاوته على قلبي

وقلت ، ولهما حكاية :

وذى زوجة تشكو فقلتُ له : اسقيها
فقال : أَبَتُ شَرِبَ الدَّوَاءَ بطبْعِها
دواءٌ من الحَبِّ المَلِيْنِ للبَطْنِ
فقلت : اسقيها إن عافت الشربَ بالقرنِ

وقلت :

لعنوا بَرِيًّا من خبائثِ ظَنِّهمْ
والله لا أوطأتُ ساقِي سوقَهمْ
فالله يلعنُ أهلَ سوقِ العنبرِ
أبدَ الزمانِ فتلك سوقُ آلِ العنْ بَرِي

ومن الفكاهات :

ولما دعاني داعي الهوى وأخلف ما كنتُ أملتُهُ
ولم يبقَ غير البكا حيلةً بكيتُ بمقدار ما نلتُهُ

وقلت ، وقد رُفِعَ للسلطان باكورة بنفسج :

قدم البنفسجُ وهو نعم الواردُ قد نَمَّ منه لِي طيبٌ زائدُ
فسألته : ما باله ؟ فأجابني والحقُ لا يُبغى عليه شاهدُ
أقبلتُ أطلبُ من بنانِ محمدٍ صلةً فعادَ عليّ منه عائدُ

وقلت من التشبيه :

سهرنا وفي سير النجومِ اعتبارنا إلى أن ضفا لليلِ من فوقنا رَيطُ
فخلينا شهابَ الرجمِ إبرةَ خائطٍ مسوحاً وما يبقى من الذنبِ الخيطُ

وقلت أودّع صديقاً أنستُ به :

فلاحةٌ مثلي ممقوتةٌ وإن أعجبَ البدءُ منها وراقُ
زرعتُ اللقاءَ وعالجتهُ فلمُ أستفدُ منه إلاّ الفراقُ

ومن تضمين المثل :

لا تهيجُ بالذكرِ في كبدي نارَ وجدٍ شقّ محتملةُ
ويقولُ الناسُ في مثلي لا تحركُ من دنا أجلكُ

ومن المدح :

عجباً لراحتكِ المثلثةُ بالندي أن لا تكونَ على الغمامِ غماما
يهمني ووجهكُ نورُهُ متألقٌ والقطرُ إن سحَبَ السحابُ أغاما

ومن أبيات المدح :

يا ناصرَ الدِّينِ لَمَّا قَلَّ ناصِرُهُ
لولا التَّشَهُّدُ والتردادُ منكَ له
ومطلع الجودِ في الدنيا - وقد أفلا
لم يسمعِ الناسُ يوماً من لسانك لا

ومن أوصاف صنيع سلطاني :

ماذا أحدثتُ في صنيعِ خلافة
فكأنما الجوّزاء حينَ تعرّضتُ
هشّتْ إليه الشُّهبُ في آفاقها
شدّتْ لتخدم فيه عقْدَ نطاقها

ومن قصيدة في وصف فرس :

فبَوَّأتهُ مِنْ مهجّتي مُتَبَوِّأ
ويا عَجَباً مِنّي وفرط تشييعي
خفياً على سرِّ الفؤادِ المكتّمِ
أهيم بوجدي فيه - وهو ابن مُلْجَمِ

ومن الحماسة في التورية بالمنطق^١ :

حتى إذا فرضَ الجِلادُ جداله
قدّمتْ سالبَةَ العدوِّ وبعدها
ورأيتُ ريحَ النصرِ ذاتَ هبوبِ
أخرى بعزّ النصرِ ذاتَ وجوبِ
وإذا توسّطَ حدُّ سيفك عندها
جزأني قياسَ فزت بالمطلوبِ

وفي خاتمة قصيدة :

ما ضرّني إنْ لم أجيء متقدّماً
ولئن غدا رُبّعُ البلاغةِ بَلَقْعاً
السبقُ يُعرّفُ آخرَ المضمارِ
فلربّ كنزٍ في أساسِ جدارِ

ومن المدح :

إنْ أبهمَ الخطبُ جَلّي في دُجْنَتِهِ
وإن عتا الدهرُ أبلى من أسرَّتِهِ
رأياً يفرّقُ بين الرأْي والرشدِ
وكفّه هدْيَ حيرانٍ ورِيَّ صَدِّ

١ مرت الأبيات في البائية التي مدح فيها أبا عنان ، انظر ما تقدم ص : ٤٥٨ .

وإنْ نظرتَ إلى لآلئِ غُرَّتِه يومَ الهياجِ رأيتَ الشمسَ في الأسدِ

ومن الأوصاف في قصيدة :

كمْ ليالٍ بَتُّ في ظِلِّمائها أمتطي من نارِ شوقي فُرُشا
وكأنَّ النَّجمَ شَرِبْتُ ثَمْلًا واصلَ الثَّملةَ حتى ارتعشا

ومن التورية بالكفتين من الحيل العددية :

لا عدلَ في الملكِ إلاَّ وهوَ قد نصبه وصيرَ الخلقَ في ميزانه عَصَبَه
والكفتانِ ترى من كفه درتا أن تخرجَ العددَ المجهولَ للطلبه
وفي رجلٍ يحتال على الولاية^١ :

حلفتُ لهم بأنَّكَ ذو يسارٍ وذو ثقةٍ وبرٍّ في اليمينِ
ليستندوا إليك بحفظِ مالٍ فتأكلَ باليسارِ وباليمينِ

وقلت ، ولهما حكاية تظهر من الأبيات :

قلتُ لما استقلَّ مولاي زَرْعي ورأى غِلَّةَ الطعامِ قليلَه
دمني لانتجاعِي الحرثِ كَلَّتْ فهيَ اليومَ دمنةٌ وكليلَه

ومما صدرتُ به كتاباً لأحد الفضلاء :

يا مَنْ تقلَّدَ للعلاءِ سلوكا والفضلُ صيرَ نهجَه مسلوكا
كاتبتي متفضلاً فملكنتي لا زلتُ منك مكاتباً مملوكا

وقلت في غرض يظهر منه :

١ يتفق لسان الدين وابن رضوان في هذه التورية ، انظر ما تقدم ص : ١١٢ .

جلس المولى لتسليم الورى
فإذا ما سألوا عن يومنا
ولفصل البرد في الجو احتكام
قلت : هذا اليوم بردٌ وسلامٌ

وقلت من التورية :

يا مالكي بخلال
أضمرت قلبي ناراً
تُهدي إلى القلب حيرة
يا مالك بن نُويره

وقلت في التورية :

أضاف إلى الجفون السود شعراً
فقلت أميرُ هذا الحسن تزكو الـ
كجنع الليل أو صبغ المداد
أجورُ له بتكثير السواد

وقلت أيضاً :

بأبي بدر غزاني
فأنا اليوم شهيدُ الـ
مستبيحاً شرح صدري
حباً من غزوة بدر

وقلت ، ولهما حكاية :

أيا ليلةً بالخصب لم تأل شهرة
فأمن قلب اللوز من علة النوى
كما اشتهرت في فضلها ليلة القدر
وأصبح فيها التين منشراح الصدر

ومن النزعات المشرقية في التورية :

يا قائلدي نحو الغرام بمقللة
ماذا جنيت علي من مضض الهوى
نفقت حلاوتها بكل فؤادي
الله ينصف منك يا قوادي

١ ق : ولها .

٢ ق : من غمة .

ومن هذا النمط المشرقي :

وقالت حَلَقْتُ الكسَّ مَنِي بَنَوْرَةَ
ألا فابلغي عني فديتُكَ واصدقي
فقلتُ لها استنصرت من ليس ينصرُ
مخلِّق ذاك الكسَّ أَنِي مقصّرُ

ومنها :

قال لي والدموعُ تنهلُ سَحّاً
بك ما بي فقلتُ مولاي عافا
أنا جفني القريحُ يروي عن الأء
ومن آيات التورية أو ما داخلته :

في مصر قلبي من خزائن يوسف
حَلَيْتُ شعري باسمه فكأنه
حَبُّ وعيرُ مدامعي تمتاره
في كلِّ قَطْرِ حَلَّةٍ دينساره

ومن المدح أيضاً ولا أستحضر لقبه :

رأيتُ بكفكَّ اعتبارا
فقلتُ وقد عجبتُ منها
بأساً وندى ما إن يبارى
يا بحرُ متى تدعو نوارا
وقلتُ ممّا يجري مجرى الحكم :

إنَّ الهوى لَشكَايةٌ معروفةٌ
والنفسُ إن ألفتْ مرارةَ طعمه
صبرُ التصبرِ من أجلِّ علاجها
ضمنتُ بذلكَ له صلاحَ مزاجها
ومن الغرائب في الأوصاف :

كأنما الروضُ مَلِكٌ
باهى به جُلَساءُ

١ ق : سحياً .

يرضى التّديمُ فمهما سقى الرياض كساهُ

وفي غرض النسيب :

أصبحَ الخلدُ منكَ جَنَّةَ عدنٍ مجتلى أعينٍ وشمَّ أنوفٍ
ظَلَّلتهُ من الجفونِ سيوفُ جنة الخلدِ تحتَ ظلِّ السيوفِ

وقلت في النسيب :

أرسلتُ طرفي في حُلاكِ بنظرةٍ هي كانت السببَ الغريبَ لما بي
وأراكَ بالعبراتِ قد عاقبتها ليسَ الرسولُ بموضعٍ لعقابِ

ومن تحسين القبيح :

وأحوّلَ يعدي القلبَ سهمُ جفونه فتضحى صحيحات القلوب به مرضى
رأى الحسنُ أنَّ اللحظَ منه مُهندٌ فحرقهُ كيما يكونَ له أمضى

ومن النزعات الحسنة :

من لي بذكرى كلِّما أوجزتها تمحو سُلوَيَ واشتياقي تثبتُ
وسحابُ دمعٍ كلِّما أمطرته غير القتادِ بمضجعي لا يُنبِتُ

ومن النسيب :

جاء العذارُ بظلٍّ غيرِ ممدودٍ فمتمهى الحسنُ منه غيرُ محدودٍ
ناديتُ قلبي إذ لاحتْ طلائعهُ يا صهرَ أيوبَ هذا درعُ داودِ

وفي نقيضه :

ما ضرَّ منِّي أنْ أخلّفتَ موعودي وروض خلدك أضحى ذاوي العُودِ
وقالَ قوسُ عِذارٍ فوقَ صفحتِهِ سفينة الحسنِ قد حطَّت على الجودي

ومن التضمين :

يا مَنْ بَاكَتَافِ فُؤَادِي رَبَّعٌ^١ قد ضاقَ بي عن حبِّكَ المتسعُ
ما فيكَ لي جدوى ولا أرعوي « شحَّ مطاعٌ وهوى متبعٌ »

ومن الأغراض المخترعة :

أُنكرتُ لما أَطَلَّ عارضُهُ فقال لي حين رابهُ نظري
ألمْ تقلْ لي بأنَّني قَمَرٌ فانظر إلى وبرِّ أرنبِ القمرِ

ومن التضمين :

يا كوكبَ الحسنِ يا معناهُ يا قَمَرَهُ يا روضَهُ المتناهي الرَّيعِ يا ثَمَرَهُ
أمرني بسلوِّ عنكَ ممتنعٍ « مأمورٌ حسنك لما يقض ما أمره »

وقلت :

لما رَضِيتَ بفرقي وبعادي وصرمتَ آمالي ونختَ ودادي
لأَعْنَتُ أُمَّ الصبرِ فيكَ وبعده ورثتُ للأشجانِ كثرَ فؤادي
فالصبرُ مني أَجَنَّبِيَّ بعدها ولواعجُ الأشجانِ من أولادي

ومن الأغراض المشرقية :

سارَ بي للأمير يشكو اعتراضِي يوسفُ والشهودُ أبناءُ جنسِهِ
قال لي ما تقول قلتُ مجيباً لم نخفُ من نكاله أو لحبسه
حَصَّحَصَ الحقُّ يا خُرُودُ فدعني أنا راودتُ يوسفاً عن نفسه

ومن الأوصاف :

١ ق : ربع .

بتنا نظارحُ همَّ القحطِ ليلتنا وأيدَ الهَمُّ والسَّهْدُ البراغيثا
وكانَ يَحمدُ ما كُنَّا نكابدهُ منَ المشقَّةِ لو أنَّ البراغيثا

وفي قريب من المعنى :

وقالوا بَدَتْ منكمْ على الجسمِ حمرةٌ فقلتُ براغيثُ لكمْ رَقَطونَا
عَدَّتْ نحونا ليلاً ومن بعدنا اغتدتْ كما رَقَصَتْ في القلُوبِ بزر قَطونَا
ومن التضمين :

قال جَوادي عندما همزتُ همزاً أعجزه
إلى متى تهمني ﴿ويلٌ لكلِّ هُمَزَةٍ﴾

وفي رثاء السلطان أبي الحجاج رحمه الله تعالى :

غبتَ فلا عينٌ ولا مخبرٌ ولا انتظارٌ منكْ مرقوبُ
يا يوسفُ أنتَ لنا يوسفُ وكلُّنا في الحزنِ يعقوبُ
وقلت ، ولهما حكاية :

طالَ حزني لنشاطِ ذاهبٍ كنتُ أُسقى دائماً من حانهِ
وشبابٍ كان يندى نضرةً^١ نزلَ الثلجُ على ريحانهِ
وقلت ، وقد أعجبنى نشاطُ ولدي :

سرقَ الدهرُ شبابي من يدي ففؤادي مُشعرٌ بالكَمَدِ
وحمدتُ الأمرَ إذْ أبصرتهُ باعَ ما أفقدني من ولدي

١ ق : وشباب كان يندى من يدي .

وقلت ، ولهما حكاية :

قلتُ للشيبِ لا يَرَبِّكَ جَفائي في اختصاري لك البرور ومقتك
أنتَ بالعتبِ يا مشيبيَ أولى جثني غفلةً وفي غير وقتك

ومما خططته في رملةٍ نزلتها :

أقمنا برهةً ثم ارتحلنا كذلك الدهرُ حالٌ بعد حالٍ
وكلُّ بدايةٍ فإلى انتهاءٍ وكلُّ إقامةٍ فإلى ارتحالٍ
ومن سام الزمانَ دوامَ أمرٍ فقد وقف الرجاء على المحالِ

وقلت أيام مقامي بسلا :

أيا أهلَ هذا القطرِ ساعدَه القطرُ بليتُ فدلّوني لمن يُرفَعُ الأمرُ
تشاغلْتُ بالدنيا ونمتُ مفرطاً وفي شغلي أو نومي سُرِقَ العمرُ

وقلت ، والبقاء لله وحده ، وبه نختم الهذر :

عدّ عن كيتٍ وكيتٍ ما عليها غيرُ ميتٍ
كيفَ ترجو حالةَ البقّةِ يا لمصباحٍ وزيتٍ

انتهى ما نقلته من « الإحاطة » من ترجمة نظمه ، وبعض ما ذكر هنا قد تقدّم ،
وكرّره لكونه بلفظه في الإحاطة ، وقد ذكرت أثناء الأبواب غير هذا الباب
من نظم لسان الدين - رحمه الله تعالى - كثيراً ، ولنعرّض ذلك هنا بذكر ما لم
يتقدّم ذكره ، إذ نظمه بحر لا ساحل له ، ولذا كتب ابنه أبو الحسن على هذا
المحل من الإحاطة ما صورته : ولوالدي أيضاً المترجم به - رحمه الله تعالى -
في سكين الأضاحي لسلطان أبي الحجاج يوسف بن نصر فيما يكتب بالسكين
المضحية :

ليّ الفخرُ إن أبصرني أو سمعتَ بي على كلّ مصقول الغرارين مرهفٍ
كفاني فخرًا أن تَراني قسائمًا بسنة إبراهيمَ في كفّ يوسفٍ

ومقطوعاته كثيرة لم يتضمن هذا الديوان منها إلا القليل بسبب الاختصار ، ومن أراد الوقوف على جملتها فعليه بكتاب « الصيّب والجهام » في شعره ، رحمه الله تعالى ، قال ذلك ولده علي ، لطف الله تعالى به آمين ؛ انتهى .

فمن ذلك قوله رحمه الله تعالى ^١ :

عسى خطرة بالركب يا حادي العيسِ لنظفّر من ذاك الزلال بعلّة حبستُ بها ركي فواقًا ، وإنما لقد رسختُ أيّ الجوى في جوانحي بمبدانٍ جفني للسهاد كتيبةً وما بي إلا نفحةٌ حاصريّةٌ ألا نفّسُ يا ريح من جانب الحمى ويا قلبُ لا تُلّق السلاحَ فربما وقد تُعْتَبُ الأيّامُ بعد عتابها ولا نخش لجّ الدمع يا خطرة الكرى نقولُ سليمى ما لجسمك شاحباً وقد كنتَ تعطو كلما هبت الصّبا ومن رابح الأيّام يا ابنة عامرٍ	على الهضبة الشّماء من قصر باديسٍ وننعم في تلك الظلال بتعريسٍ عقدتُ على قلبي بها عقد تحبّيسٍ كما رسخ الإنجيلُ في قلب قسيسٍ تغير على سرح الكرى في كراديسٍ سرت والدجى ما بين وهنٍ وتغليسٍ تُنَفّسُ من نار الجوى بعض تنفيسٍ تعذّر في الدّهرِ اطرادُ المتقايسِ وقد يعقب الله النعيم من البوسِ إلى الجفن بل قيسي على صرح بلقيسٍ مقالّة تأنيب يُشابُ بتأئيسٍ بريان في مساء الشبيبة مغموسٍ بحبّوب الفلا راحت يداهُ بتفليسٍ
--	--

١ الإحاطة : ٤٢١ وأزهار الرياض ١ : ٢٣٤ .

٢ قصر باديس : فرضة بالمغرب تقابل مالقة من الديار الأندلسية .

٣ التحبّيس : الوقف الدائم .

فلا تحسبي والصدق خير سجية
 وقفراء أمّا ركبها فمضلل
 سحبنا بها من هضبة لقرارة
 إذا ما نهضنا عن مقل غزالة
 أدركنا بها كأساً دهاقاً من السرى
 وحانة خمّار هدانا لقصدها
 تطلّع ربانيّتها من جداره
 بكرنا وقلنا إذ نزلنا بساحه
 أيا عابد الناسوت إنّا عصابة
 وما قصدنا إلاّ المقام بجانة
 فأنزّلنا قوراء في جنباتها
 بدرنا بها طين الختام بسجدة
 ودار العذارى بالمدام كأنها
 وصارفتنا فيها نُضاراً بمثله
 وقمنا تشاوى عندما متّع الضحى
 فقال لبس المسلمون ضيوفنا
 وهل في بني مثواك إلاّ مبرّز
 إذا هزّ عسّال اليراعة فاتكأ
 يقلّب تحت النقع مقلة ضاحك
 ظهور النوى إلاّ بطون النواميس
 ومربعها من آنس غير مانوس
 ضلالاً وملنا من كيناس إلى خيس
 نزلنا فعرّسنا بساحة عريس
 أمكننا بها عند الصباح من الروس
 شميم الحميا واصطكاك النواويس
 يهيم في جنح الظلام بتقدّيس
 عن الصافات الجرد والضمر العيس
 أتينا لتثليث بلى ولتسديس
 وكم ألبس الحقّ المدين بتليس
 محارب شئ لاختلاف النواميس
 أردنا بها تجديد حسرة إلبس
 قطع تهادي في رياش الطواويس
 كأننا ملأنا الكاس ليلاً من الكيس
 كما نهضت غلب الأسود من الخيس
 أما وأيلك الخبر ما نحن باليس
 مجلبة شورى أو بحلقة تدريس
 أسال نجيع الخبر فوق القراطيس
 إذا التفت الأبطال عن مقل شوس

١ لعل صوابها : « النواويس » .

٢ العريس : عرين الأسد .

٣ ق : فوراً على جنباتها ، والتصويب عن أزهار الرياض والإحاطة .

٤ الأزهار : قطا تهادي ؛ وسقط البيت من الإحاطة .

سبيناً عقار الروم في عقر دارها^١ بحليّة تمويه وخدعة تدليس
لئن أنكرت شكلي ففضلي واضح وهل جائر في العقل إنكار محسوس
رسبت بأقصى الغرب ذخراً مضنة وكم درّة علياء في قلاع قاموس
وأغربت سُوسي بالعذيب وبارق على وطن داني الجوار من السوس

ومن أبدع ما صدر^٢ عن لسان الدين رحمه الله تعالى لاميته المشهورة التي خاطب
بها السلطان حين عاد من المغرب إلى الأندلس ، وأعاد الله تعالى عليه ملكه الذي
كان خلّع منه ، ويقال : إن السلطان أمر بكتب هذه القصيدة على قصوره بالحمراء
إعجاباً بها ، وإنها إلى الآن لم تزل مكتوبة بتلك القصور التي استولى عليها العدو
الكافر ، أعادها الله تعالى للإسلام ، وأول هذه القصيدة :

الحقُّ يعلو والأباطلُ تسفلُ والله عن أحكامه لا يُسألُ

قال لسان الدين رحمه الله تعالى : نظمتموها للسلطان - أسعده الله تعالى - وأنا بمدينة
سلا ، لما انفصل طالباً حقه بالأندلس ، كان صنعُ الله تعالى براعة استهلالها ،
ووجهت بها إليه إلى رُندة قبل الفتح ، ثم لما قدمت أنشدتها بعد الفتح وفاء بنذري
وسميتها « المنح الغريب في الفتح القريب » ومنها :

وإذا استحالتْ حالةٌ وتبدّلتْ فاللهُ عزَّ وجلَّ لا يتبدّلُ
واليسرُ بعدَ العسرِ موعودٌ به والصبرُ بالفرجِ القريبِ موكلُ
والمستعِدُّ لما يؤمَلُ ظافرٌ وكفاك شاهدٌ « قيدوا وتوكلوا »^٣
أحمدٌ والحمدُ منك سجيّةٌ بحليتها دونَ الوري تتجملُ
أما سعودك فهي دونَ مُنازعٍ عقدٌ بأحكامِ القضاء مسجلُ

١ الإحاطة والأزهار : خانها .

٢ انظر أزهار الرياض ١ : ٢٦٢ .

٣ يشير إلى الحديث « اعقلها وتوكل » .

ولك السجايا الغرُّ والشَّيمُ التي
ولك الوقار إذا تزلزلت الرُّبى
عوذ كمالك ما استطعت فإنه
تاب الزمان إليك مما قد جنى
إن كان ماضٍ من زمانك قد مضى
هذا بذاك فشقق الجاني الذي
والله قد ولّك أمرَ عبادِهِ
وإذا تغمّدتك الإله بنصره

ومنها :

وظعنت عن أوطان ملكك راكباً
والبحر قد حنيت عليك ضلوعه
ولك الجواري المنشآت قد اغتدت
جوفاء يحملها ومن حملت به

ومنها :

صبتهم غرر الجياد كأنما
من كل منجرد أغر محجل
زجل الجناح إذا أجد لغاية^٢
جيد كما التفت الظليم وفوقه^١
فكأنما هو صورة في هيكل

١ سقط هذا البيت من ق .

٢ الأزهار : لغارة .

ومنها :

وخليج هندٍ راقٍ جُسْنُ صفائه حتى يكاد يعومُ فيه الصبقلُ
غرقتُ بصفحته النمالُ وأوشكتُ تبغي النجاةَ فأوثقتُها الأرجلُ
فالصرحُ منه مُمرَّدٌ ، والصفحُ من - هُ مُورَّدٌ ، والشطُّ منه مهدلٌ^١
وبكلُّ أزرقٍ إنْ شكَّتْ الحَاظَةُ مرَّةَ العيونِ فبالعجاجةِ تُكحلُّ
متأوِّدٌ أعطسائهُ في نشوةٍ ممَّا يعلُّ من الدماءِ وينهلُّ
عجباً له أنَّ النجيعَ بطرفهٍ رمدٌ ، ولا يخفى عليه مقتلُ

ومنها :

للهِ موقفكَ الذي وثبَّاته وثباتهُ مَثَلٌ بِهِ يُتَمَثَّلُ
والخيلُ خطٌّ ، والمجالُ صحيفةٌ والسُّمُرُ تنقطُّ ، والصَّوارمُ تشكُلُ
والبيضُ قد كُسرتْ حروفُ جفونها وعواملُ الأسَلِ المثقَّفُ تعملُ
للهِ قومكَ عندَ مشجرِ القنسا إذْ ثَوَّبَ الدَّاعي المهيَّبُ وأقبلوا
قومٌ إذا لَفَّحَ الهجيرُ وجوههمُ حجبوا براياتِ الجهادِ وظللوا

وهي طويلة لم يحضرني الآن منها سوى ما كتبت .

ومن نظمه رحمه الله تعالى قوله^٢ :

يا إمامَ الهدى وأيَّ إمامٍ أوضحَ الحقَّ بعد إخفاءِ رسمه
أنتَ عبدُ الحليمِ ، حلمكَ نرجو فالمسمَّى له نصيبٌ من اسمه

وقال يخاطبُ عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني أبا مالك ابن سلطان إفريقية
مودعاً^٣ :

١ الأزهار : مصتدل .

٢ أزهار الرياض ١ : ٢٦١ .

٣ المصدر نفسه .

أبا مالك أنت نجلُ الملوكِ غيوثُ الندى وليوثُ النزالِ
ومثلك يرتاحُ للمكرماتِ وما لك بين الورى من مثالِ
عزيزُ بأنفسنا أن نرى ركابك مؤذنةً بارتحالِ
وقد خبرت منك خلُقاً كريماً أنافَ على درجاتِ الكمالِ
وفازتُ لديك بساعاتِ أنسٍ كما زار في الليل طيفُ الخيالِ
ولولا تَعَلُّنَا أننا نزورك فوق بساطِ الجلالِ
ونبلغُ فيكَ الذي نبتغي وذاك على الله سهلُ المنالِ
لما فترتُ أنفُسُ من أسَى ولا برحتُ أدمعُ في انهمالِ
تلقَّتك حيث حللتُ السعودُ وكان لك الله في كلِّ حالِ

وتوفي أبو مالك المخاطب بهذا في بلاد الحريد سنة ٧٥٠ .

ومن نظم ابن الخطيب قوله لما أشرف على الحضرة المراكشية حاطها الله تعالى^٢:

ماذا أحدث عن بحر سبَّحتُ به من البحارِ فلا لئمٌ ولا حَرَجُ
دحاهُ مبتدعُ الأشياءِ مستوياً ما إن به دركٌ كلاً ولا دَرَجُ
حتى إذا ما المنارُ الفردُ لآحَ لنا صبحت إبشري يا مطايا جءك الفرَجُ
قربت من عامرٍ داراً ومنزلةً والشاهد العدل هذا الطيب والأرجُ

وقال رحمه الله تعالى^٣:

كأنَّا بتامسنا نجوسُ تخلالها وممدودها في سيرنا ليس يُقصرُ
مراكبُ في البحرِ المحيطِ تخبطُ ولا جهةً تدري ولا البرَّ تبصرُ

١ الأزهار : احتالت .

٢ أزهار الرياض : ٢٦٥ .

٣ المصدر نفسه .

وقال ساعده الله تعالى ، وهو مكتوب بالمدرسة التي بناها السلطان أبو الحجاج ابن نصر رحمه الله تعالى ^١ :

ألا هكذا تُبنى المدارسُ للعلمِ	وتبقى عهودُ المجدِ ثابتةَ الرسمِ
ويُقصِد وجه الله بالعملِ الرضى	وتجنى ثمار العزِّ من شجر العزمِ
تفاخر مني حضرة الملكِ كلِّما	تقدم خصم في الفخار إلى خصمِ
فأجدى إذا ضنَّ الغمامُ من الحيا	وأهدى إذا جنَّ الظلام من النجمِ
فيا ظاعناً للعلمِ يطلبُ رحلةً	كفيت اعتراض البید أو لجج الیمِ
ببأي حُطَّ الرحلَ لا تنوِ وجهةً	فقد فزت في حال الإقامة بالغُفمِ
فكم من شهابٍ في سمائي ثاقبٍ	ومن هالةٍ دارتْ على قمرٍ تمِ
يفيضون من نورٍ مبینٍ إلى هدًى	ومن حكمةٍ تجلو القلوب إلى حکمِ
جزى الله عني يوسفًا خير ما جزى	ملوك بني نصر عن الدين والعلمِ

وقال رحمه الله تعالى ^٢ : مررت يوماً مع شيخنا أبي البركات ابن الحاج ببعض مسالك غرناطة حرسها الله تعالى فأنشدني من نظمه :

غرناطة ما مثلها حضرة^٣ الماء والبهجة والحضرة^٤

واستجازني رحمه الله تعالى ، فقلت :

سكانها قد أسكنوا جنة^٥ فهم يُلَقَّون بها نصره^٦

وقال في تورية طيبة ^٣ :

إني وإن كنتُ ذا اعتلالٍ رثَّ القوى بيِّنَ الهزالِ

١ أزهار الرياض : ١ : ٢٧٢ .

٢ المصدر نفسه .

٣ أزهار الرياض : ١ : ٢٧٤ .

في عارضِ التيسِ لي شفاءً فكيف في عارضِ الغزالِ

وقال رحمه الله تعالى يخاطب شيخه سيدي أبا عبد الله ابن مرزوق موثقاً على بيت
المشاركة في العذار^١ :

أما والذي تبلى لديه السرائرُ	لما كنت أرضى الحسفَ لولا الضرائرُ
غدوتُ لضميمِ ابنِ الربيبِ فريسةً	أما ثار من قومي لنصريِ ثائرُ
إذا التمسْتُ كفيّ لديه جرائبي	كأنّي جان أوبقتُهُ الجرائرُ
وما كان ظني أن أنالَ جرایسةً	يحكم من جرّائها فيّ جائرُ
متى جاد بالدينارِ أخضرَ زائفاً	ودارتُهُ دارتُ عليها الدوائرُ
وقد أخرج التعنيتُ كيسَ مرارتي	ورقتُ لبلوای النفوسِ الأخایرُ ^٢
تذكرتُ بيتاً في العذارِ لبعضهم	له مثلٌ بالحسن في الأرضِ ثائرُ
« وما أخضرَ ذلك الخلدُ نبياً ، وإنما	لكثرة ما شققتُ عليه المرائرُ »
وجاهُ ابنِ مرزوقٍ لديّ ذخيرةٌ	وللشدةِ العظمى تُعدُّ الذخائرُ
ولو كان يدري ما دهاني لساءه	وأنكرَ ما صارتُ إليه المصائرُ

وقال رحمه الله تعالى يخاطب أحد الشرفاء^٣ :

أعيا اللقاء عليّ إلا لمحةً في جملة لا تقبلُ التفصيلا
فجعلتُ بابلَ عن يمينك نائباً أهديه عند زيارتي تقيلا
فإذا وجدتك نلتُ ما أملتُهُ أو لم أجذك فقد شفيتُ غليلا

ولما دخل رحمه الله تعالى مدينة أنفا^٤ ، ومر منها على دار عظيمة تُنسب إلى والي

١ المصدر نفسه .

٢ اضطربت هذه اللفظة في ق ، وأثبتنا ما في أزهار الرياض .

٣ أزهار الرياض ١ : ٢٧٥ .

٤ أنفا : هي الدار البيضاء الحديثة في المغرب .

جبايتها عبّو من بني الترجمان قارون قومه وغني صنفه ، قال ١ :

قد مررنا بدار عبّو الوالي وهي ثكلى تشكو صروف الليالي
أقصّدت ربّها الحوادث لما رشقته بصائبات نبال
كان بالأمس والياً مستطيلاً وهو اليوم ما له من والٍ

وقال في الشيخ ابن بطّان الصنهاجي ٢ :

لله دركّ يا ابن بطّان فما لشهير جودك في البسيطة جاحد
إن كان في الدنيا كريمٌ واحدٌ يزنُ الجميعَ فأنتَ ذاك الواحدُ
أجريتَ فضلكَ جعفرأً يحيا بهِ ما كان من مجدٍ فذكرك خالدُ
فالقومُ منك تجمّعوا في مفردٍ ولدٌ كما شاء العلّاء ووالدُ
وهي الليالي لا تزالُ صروفها يشقى بموقعها الكريمُ الماجدُ
وبمستعين الله يصلحُ منك ما قد كان أفسدهُ الزمانُ الفاسدُ

وقال رحمه الله تعالى وقد انتابه البرغوث ٣ :

زحفتُ ٤ إليّ ركائبُ البرغوثِ نَمَّ الظلام بركبها المحثوثِ
بالحبة السوداء قابل مقدمي لله أي قيرى ، أعدّ ، خبيثِ
كسحتُ بهن ذباب سرح تجلدي ليلاً فجبلُ الصبرِ جدُّ رثيثِ
إن صابرتُ نفسي أذاه تعبّدتُ أو صحتُ منه أنفتُ من تحنيثِ
جيشانٍ من ليلٍ وبرغوثٍ فهلُ جيشُ الصباح لصرختي بمغيثِ

١ أزهار الرياض ١ : ٢٨٨ .

٢ المصدر نفسه .

٣ أزهار ص : ٢٨٩ .

٤ ق : رجعت .

وقال يخاطب الوالي محمد بن حسّون بن أبي العلاء ، وصدّر بها رسالة ^١ :

لم يُبق لي جودُ الولايةِ حاجةً	في الأمن أو في الجاه أو في المالِ
بعد اللقاء أولو الفضائلِ بغيتي	ورأيتُ هذا القصدَ شرطَ كمالِ
أجملتهُ وتشوّفتُ لبيسانه	هممٌ فكنتَ مفسّرَ الإجمالِ
وخصصتُ بالإلقاء غيركَ غيرَةً	وجعلتُ ذكركَ شاهدَ الأعمالِ
لبستَ يا ابنَ أبي العلاء قُشْبَ الملا	وتركتَ أهلَ الأرضِ في أسمالِ
إنْ دونَ الفضلاء فضلًا مُعلّمًا	فلقد أثبتَ عليه بالإكمالِ
تُفني عليك رعيّةً آمالُها	في أن تفوزَ يداك بالآمالِ
أرعيّتها هملًا فلم يطرق لها	بمنيعِ سورك طارقُ الإهمالِ
من كنتَ واليه تولّتهُ العلاء	ومن اطّرحتَ فما له من والي

وقال في عثمان بن يحيى بن عمر بن روح ^٢ :

أسميَّ ذي النورين وجهك في الوغى	شمس الضحى حلّت بليث عرينِ
إن تفتخر بمرين أرضُ العدوِّ الـ	قصوى فإنّك أنتَ فخرُ مرينِ

وقال رحمه الله تعالى عند وقوفه على مراکش واعتباره بما صار إليه أمرها ^٣ :

بلدٌ قد غزاهُ صَرَفُ الليالي	وأباحَ المصونَ منه مُسيحُ
فالذي خَرَّ من بناءه قَتيلٌ	والذي خَرَّ منه بعضُ جريحُ
وكأنَّ الذي يزورُ طبيبٌ	قد تأتّى له بها التشريحُ
أعجبتُ منه أربعُ ورسومٌ	كان قديمًا بها اللسانُ الفصيحُ

١ أزهار : ٢٨٩ .

٢ المصدر نفسه .

٣ أزهار : ٢٩٠ .

كم معانٍ غابت بتلك المغاني وجمال أخفاهُ ذاكَ الصريحُ
وملوكٍ تَعَبَّدوا الدهرَ لما أصبح الدهرُ وهو عبدٌ صريحُ
دوخوا نازحَ البسيطةِ حتى قالَ ما شاء ذابيلُ وصفيحُ
حين شبت لهم من البأس نارُ ثمَّ هبت لهم من النصرِ ريحُ
أثرٌ ينسحبُ المؤثرُ لما طال بعد الدنو منهُ التزوحُ
ساكن الدار روحها، كيف يبقى جسدٌ بعدما تولَّى الروحُ ؟

وقال رحمه الله تعالى يخاطب أحمد بن يوسف حفيد الولي الصالح سيدي أبي محمد صالح النائم في ظل صيته رحمه الله تعالى ^١ :

يا حفيدَ الولي يا وارث الفخ ر الذي نال في مقام وحال
لك يا أحمد بن يوسف جينا كلَّ قطيرٍ يعيي أكفَّ الرجال

وقال في « نفاضة الجراب » : لما خرجت من آسفي ^٢ سرت إلى منزل ينسب إلى أبي خدو ، وفيه رجل من بني المنسوب إليه اسمه يعقوب ، فألطف وأجزل ، وآنس في الليل ، وطلبتني بتذكرة تثبت عندي معرفته فكتبت له ^٣ :

نزلنا على يعقوب نجل أبي خدو فعرّفنا الفضلَ الذي ما له حدُّ
وقابلنا بالبشرِ واحتفل القيرى فلم يبقَ لحمٌ لم نَنَلْهُ ولا زبدُ
يحقُّ علينا أن نقومَ بحقه ويلقاه منا البرُّ والشكرُ والحمدُ

وقال :

أُلقي إلى الأيام فضلَ مقادتي فتجنّبي ما بين كدٍ وإرهاقِ

١ أزهار : ٢٩٨ .

٢ آسفي : بالمغرب على ساحل الاطلنطي ؛ والسين منها مفتوحة أو ساكنة .

٣ المصدر نفسه .

وأُتلف بين الخلق والرزق فكرتي ولستُ بخلاقٍ ولستُ برزاقٍ
إذا كنتُ بالإثراء لي في تملقٍ رضيتُ بعز النفس في عز إملاقٍ

وقال :

لك الملك ملك الحسن فاقض بنا الذي تشاء فما يُعصى لأمرِكَ واجبهُ
إذا ما كسرت اللحظ من تحت حاجبٍ تحكّم في الأبواب كسرى وحاجبهُ

وقال :

سألنا ربيعَ العامِ للعامِ رحمةً فضنَّ ولم يسمحْ بذرةٍ لإنعامِ
فقلنا وقد ردَّ الوجوهَ ولم يُبَلِّ قليلُ الحيا قُبِّحتْ والله من عامِ

وقال :

تخوّنه صرفُ الزمان وهَل ترى بقاءَ الحيّ أو دواماً على أمرِ
هو الدهر ذو وجهين يومٍ وليلةٍ ومن كان ذا وجهين يعتبُ في غدرِ

وقال رحمه الله تعالى في شجر الجوز :

انظر إلى يتّعي وحُسنِ بُسُوقِي يهفو النسيمُ بقدّي المشوقِ
يجلو اللواحظَ منظري حسناً كما يجلو ثُغورَ الغانيات عروقي

وقال رحمه الله تعالى في ساقٍ :

كيف آمتما على الشَّربِ ظلياً لحظهُ في القلوبِ غيرُ أمينِ
راح يسقي فصَّبَّ في الكأسِ نزرأ ثقةً منه بالذي في العيونِ

وقال يخاطب السلطان^١ :

١ أزهار : ٢٩٨ .

أَنْتَ لِلْمُسْلِمِينَ خَيْرُ عِمَادٍ وَمِلَاحٍ وَأَيُّ حِرْزٍ حَرِيزٍ
لَوْ رَأَى مَا شَرَعْتَ لِلخَلْقِ فِيهِ عَمْرُ الْفَاضِلِ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
بَلَزَى مُلْكُكَ الْمُبَارَكِ خَيْرًا وَقَضَى بِالْشَفُوفِ وَالتَّبَرِيزِ
فَاشْكُرِ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتَ بِفَعْلٍ وَبِقَوْلٍ مُطَوَّلٍ أَوْ وَجِيزِ
كُلُّ مُلْكٍ يُرَى بِصَحْبَةِ أَهْلِ الْإِ عِلْمٍ قَدْ بَاءَ بِالْمَحَلِّ الْعَزِيزِ
فَإِذَا مَا ظَفَرَتْ مِنْهُمْ يَأْكُسِي رِيَّ مِلْأَتِ الْبِلَادِ مِنْ إِبْرِينِ
وَالْبَرَايَا تَبِيدُ وَالْمُلُوكُ يَفْنَى أَيْنَ كَسْرَى الْمُلُوكِ مَعَ أَبْرُونِ

وقال رحمه الله تعالى :

مَا لِي أَهْذَبُ نَفْسِي فِي مَطَامِعِهَا وَالنَّفْسُ تَأْنِفُ تَهْدِيئِي وَتَهْدِي بِي
إِذَا اسْتَعْنْتُ عَلَى دَهْرِي بِتَجْرِبَةٍ تَأْبَى الْمَقَادِيرُ تَجْرِيئِي وَتَجْرِي بِي

وقال :

مَنْ لَا نَصِيبَ لَصَحْبِهِ فِي خَيْرِهِ وَإِذَا سَعَى لَمْ يَقْضِ حَاجَةً غَيْرَهُ
فَاقْصِدْ أَبَاهُ مَتَى أَرَدْتَ وَقُلْ لَهُ اللَّهُ يُلْهِمُهُ الْعِزَّاءَ بِأَيْسَرِهِ

وقال رحمه الله تعالى :

أَمُسْتَخْرِجًا كَنْزَ الْعَقِيقِ بِأَمَاقِي أَنَا شَدَكَ الرَّحْمَنَ فِي الرَّمَقِ الْبَاقِي
فَقَدْ ضَعَفْتُ عَنْ حِمْلِ صَبْرِي طَاقِي عَلَيْكَ وَضَاقْتُ عَنْ زَفِيرِي أَطَوَاقِي

وقال رحمه الله تعالى :

إِذَا لَمْ أَشَهِدْ مِنْكَ قَبْلَ مَنِيَّتِي نَهَايَةَ آمَالِي وَغَايَةَ غَايَاتِي
فَحَسُنَ عِزَائِي حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقِرَّةَ عَيْنِي لَمْ تَحُلْ بِمِرَاتِي
شَهُودِكَ أَمْنِي مِنْ عُدَاةِ خَوَاطِرِي وَقُرْبِكَ حِرْزِي مِنْ تَوَقُّعِ آفَاتِي

فلان لم يكن^١ وصل^٢ فهيها إشارة^٣ فيا حسن شاراني بها من إشارات
وقال رحمه الله تعالى يخاطب الدنيا :

دُنْيَا خَدَعْتَ الَّذِي سَفَرْتَ لَهُ عَنْ صَفْحَةٍ لَمْ يَحُلْ بِهَا كَرَمُ
سَرَقْتَ حِظَّ الْإِلَهِ مِنْ يَدِهِ فَهَانَ مَا كَانَ مِنْهُ يُحْتَرَمُ
هَذَا الَّذِي نَالَ مِنْكَ لَيْسَ لَهُ مَنْقُطَعٌ دَائِمٌ وَمَنْصَرَمُ
وَهَبْهُ نَالَ الَّذِي أَرَادَ أَمَا بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَشِيبُ وَالْمَهْرَمُ

ولما أورد رحمه الله تعالى قول القائل^٤ في وصف الدنيا :

كَلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً وَكَبَّ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سَنَانَا
وَكَأَنَّا لَمْ نَرْضَ فِيهَا بَرِيءً بِالدَّهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مِنْ أَعَانَا

قال أثره ما نصّه : والحق ما قلته من أبيات تناسب ذلك ، ولا حول ولا
قوة إلا بالله :

وَاللَّهِ إِنْ لَمْ يُدَارِكْهَا وَقَدْ وَحَلَتْ بِلَمْحَةٍ أَوْ بِلُطْفٍ مِنْ لَدُنْهِ خَفِي
وَلَمْ يَجِدْ بِتَلَاْفِيهَا عَلَى عَجَلٍ مَا أَمْرُهَا صَائِرٌ إِلَّا إِلَى التَّلَفِ
فَجَبَ الدُّنْيَا رَأْسَ كُلِّ بَلِيَّةٍ ، وَلَوْلَاهُ لَمْ تَزَلِ النَّفْسُ صَافِيَةً عَالِيَةً عَنْ سَجِيَّتِهَا
الْأُولِيَّةِ .

ومن نظمه رحمه الله تعالى قوله :

إِنْ رَأَى الْحَقُّ فِيكَ مِنْهُ بَقِيَّةً فَاتَّقِ الْبَعْدَ فِيهِ حَقَّ التَّقِيَّةِ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلذَّاتِكَ رَسْمٌ قَائِمٌ تِلْكَ حَالَةُ حَقِّيَّةِ

وقوله رحمه الله تعالى :

١ هو المتنبي ، من قصيدة له مطلعها « صحب الناس قبلنا ذا الزمانا » .

فسامح إذا ما لم تفدك عبارة
وتلخيص ما دندنت بالقول حوله
وإن أشكلت يوماً فخذها كما هيا
إذا قمت بالباقي فما زلت باقيا
وقال رحمه الله تعالى^١ :

ففي عالم الأسرار ذاتك تجتلي
وفي عالم الحس اغتديت ميوأ
ملايح نور لآح للطور فانهدا
لتشفي من استشفى وتهدي من استهدى
فما كنت لولا أن أتيت هداية
من الله مثل الخلق رسماً ولا حدا
وهذه الأبيات في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال رحمه الله تعالى :

حمامة البان ما هذا البكاء على
لا منزل بنت عنه أنت تندبه
مر الليالي وما ذا البث والحرز
ولا حبيب ولا نخل ولا سكن
لو كنت تنفث عن شوق منيت به
إذا لصار رماداً تحتك الغصن
وقال رحمه الله تعالى مضمناً :

أمط عنك مهما اسطعت كل إرادة
تكون مريداً ثم فيك إرادة
ولا فمغنى القوم عنك بعيد
إذا لم ترد شيئاً فأنت مريد
وقال رحمه الله تعالى :

تعلقته من دوحة الجود والباس
ضروباً بضرب للبراعة والقنا
قضيماً لعوباً بالرجاء وبالباس
طروباً بحمل المشرفة والكاس
يذكرنيه الصبح عند انصداعه
ويبدو لعيني شعره وجبينه
إذا ما سفحت الخبر في صفح قرطاس

١ انظر ص : ٤٥٣ .

وقال رحمه الله تعالى :

أحبُّ لِحَبَّهَا جَمَلِي وَرَحْلِي وعزمي والقَتَادَة والطريقا
وَمَنْ أَخْشَاهُ مِنْ سِيعٍ وَلَصٍّ فكيفَ فريقيها ؟ سلموا فريقيا !
وكيفَ أَخْصَّ بِاسْمِ الْحَبِّ إِنْ لَمْ أحبُّ لأجلها إلا صديقا

وقال رحمه الله تعالى : وقلت من قصيدة :

أنا نسخةُ الأكوانِ أدمجُ خطَّها فسِرُّ ذوي التحقيق في طيِّ أوراقي
فمِنْ عالمِ الأشباحِ ليلى وظلِّمي ومن عالمِ الأرواحِ نوري وإشراقي

وقال رحمه الله تعالى :

مولايَ مولايَ إِنْ أَرْضَاكَ بِذَلِّ دُمِي فَقَدْتُ أَتَيْتُ بِهِ أَسْعَى عَلَى قَدَمِي
وإِنْ تَعَاظَمَ ذَنْبٌ قَدْ جَنَّتْهُ يَدِي وطالَ قَرْعِي عَلَيْهِ السِّنُّ مِنْ نَدَمِ
فَهَبْهُ لِي وَاغْتَفِرْ مَا كَانَ مِنْ خَطَايَا وزلَّةٍ وارَعَ لِي حَبِي عَلَى الْقَدَمِ

وقال رحمه الله تعالى من قصيدته العينية السلوية التي وجهها إلى سلا أيام
خَلَّفَ بِهَا أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ :

بوليَّ اللهُ فابداً وابْتَدِرْ واحدِ الآحادِ في بابِ الورعِ

[ترجمة الولي ابن عاشر]

قلت : هذا الولي هو العارف بالله تعالى سيدي الحاج أحمد بن عاشر أحد
الصلحاء أصحاب الكرامات المشهورة بالمغرب ، وقد زرت قبره بسلا عام تسعة
وألف ، وهو أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر^١ ، الأندلسي ، نزيل سلا ، الولي
الزاهد المشهور بالمناقب والأحوال .

١ انظر ترجمة ابن عاشر في نيل الابتهاج : ٤٣ والمقري ينقل عنه ؛ وأنس الفقير : ٩ .

قال ابن عرفة : ما أدركت مبرزاً في زماننا هذا إلا الشيخ أبا الحسن المنتصر وأحمد بن عاشر بسلاً ؛ انتهى .

وقال بلدينا أبو عبد الله ابن سعد التلمساني في كتابه « النجم الثاقب فيما لأولياء الله تعالى من المناقب » : كان أحدَ الأولياء الأبدال ، معدوداً في كبار العلماء ، مشهوراً بإجابة الدعاء ، معروفاً بالكرامات ، مقدماً في صدور الزهاد ، منقطعاً عن الدنيا وأهلها ، ولو كانوا من صالحى العباد ، ملازماً للقبور في الخلاء المتصل ببحر مدينة سلا ، منفرداً عن الخلق ، لا يفكر في أمر الرزق ، وله أخبار جليلة ، وكرامات عجيبة مشهورة ، ممتن جُمِيع له العلم والعمل ، وألقي عليه القبول من الخلق ، شديد الهيبة ، عظيم الوقار ، كثير الخشية ، طويل التفكير والاعتبار ، قصده أمير المؤمنين أبو عنان ، وارتحل إليه عام سبعة وخمسين وسبعمائة ، فوقف ببابه طويلاً ، فلم يأذن له ، وانصرف وقد امتلأ قلبه من حبه وإجلاله ، ثم عاود الوقوف ببابه مراراً فما وصل إليه ، فبعث له بعض أولاده بكتاب كتبه إليه يستعطفه لزيارته ورؤيته ، فأجابه بما قطع رجاءه منه ، وأيس من لقائه ، واشتد حزنه ، وقال : هذا ولي من أولياء الله تعالى حجبه الله عنا ؛ انتهى .

ولما أجرى ذكره لسان الدين في « نفاضة الجراب » قال ما ملخصه : ولقيت من أولياء الله تعالى بسلاً الولي الزاهد الكبير المتقطع القرين ، فراراً عن زهرة الدنيا ، وعزوفاً عنها ، وإغفاء في الورع ، وشهرة بالكشف ، وإجابة الدعوة وظهور الكرامة ، أبا العباس ابن عاشر ، يسر الله تعالى لقاءه على تعذره لصعوبة تأتية ، وكثرة هيئته ، قاعداً بين القبور في الخلاء ، رث الهيئة ، مُطْرِق اللحظ ، كثير الصمت ، مفرط الانقباض والعزلة ، قد فرّ من أهل الدنيا وتطارحهم ، فهو شديد الاشمئزاز من قاصده ، مُجَرَّم للوثبة من طارقه ، نفع الله تعالى به . وقال ابن الخطيب القسطنطيني الشهير بابن قنفذ : لقيته بسلا سنة ٧٦٣ ، وهو على أتم حال في الورع ، والفرار من الأمراء ، والتمسك بالسنة ، وهو الشيخ

الفقيه الولي ، توفي في سنة خمس وستين وسبعمائة ؛ انتهى .
وممن انتفع به ونال بركته الولي العارف بالله سيدي أبو عبد الله ابن عباد
شارح الحكم ، وقد ترجمناه في هذا الكتاب .

وقال ابن عباد المذكور في رسائله : وقد كنت قديماً خرجت في يوم مولده
صلى الله عليه وسلم صائماً إلى ساحل البحر ، فوجدت هناك سيدي الحاج ابن عاشر
رحمه الله تعالى وجماعة من أصحابه معهم طعام يأكلونه ، فأرادوا مني الأكل ،
فقلت : لاني صائم ، فنظر إلي سيدي الحاج نظرة منكرة ، وقال لي : هذا يوم
فرح وسرور يُستقبح في مثله الصوم كالعيد ، فتأملت قوله فوجدته حقاً ، وكأنه
أيقظني من النوم ؛ انتهى .

وقال ابن قنفذ السابق في رحلته ما صورته : وكان ابن عاشر رحمه الله تعالى
فريداً في الورع ، ميسراً عليه في ذلك أتم تيسير ، محفوظاً من كل ما فيه شبهة ،
كثير النفور من الناس ، وخصوصاً أصحاب الولاية في الأعمال ، وخرجت على
يده تلامذة نجباء أخيار ، وطريقه أنه جعل « إحياء علوم الدين » بين عينيه ، واتبع
ما فيه بجد واجتهاد ، وصدق وانقياد ، وكان الحجّة في ذلك الطريق ، وأول
اجتماعي به نقر مني ، فحبسته بيدي وهزته ، فتبسم ووقف معي ، وسألني
عن نسبي ، ودعا لي ، وطلبته بما يطعمني ، فاعتذر لي بالإقلال ، ثم قال : أمهل ،
فدخل وأخرج لي حبّات تين يابسة في يده اليمنى ، وغطاها باليد اليسرى ، ودفعها
إليّ ، وضحك معي ، وعجب الحاضرون من ليانته وانشراحه معي ، لأنه
لا ينبسط إلى أحد ، وحصل لي بذلك فخر لا يدري قدره إلا من حاول بعضه
معه ، وقصدي كثير من الخواص فسألني عن مجلسي معه وما وقع من جوابه
وسؤاله ، وقد حاول ملك المغرب لما ارتحل إليه في عام سبعة وخمسين وسبعمائة
على لقائه فلم يقدر عليه بوجه ، وحجبه الله تعالى حتى تبعه يوم جمعة من الجامع
الأعظم على قدمه ، والناس ينظرونه ، وهو لم يره ، فرجع ، ولم يكن قوته إلا
من نسخ العمدة في الحديث ، وكيف يبيعها ، ولمن يبيعها ، ولا يأخذ إلا قيمتها ،

ولم تنزل حالته وبركته في زيادة إلى أن توفي سنة ٧٦٥ ، وسأله بعض الأنصار بمحضري عن الفرق بين مكاشفة المسلم ومكاشفة النصراني ؛ لوجود ذلك من بعضهم ، فقال : المسلم الذي له هذه الدرجة يرى من العاهة ، والنصراني لا يرى ، ثم قال : وهل يرى الفقيه من العاهة ؟ فقال له : نعم ، ثم نظر يمينا وشمالا ليجد صاحب عاهة فيأتي بالعيان ، فلم يجد أحدا ، وكأنه اغتاض لهذا السؤال ، ثم أخرج يده وقال : يأتي لمن يقعد عن الحركة ، فيحبسه بيده ، ويقومه وقد ذهب ألمه بعد أن جثا إلى الأرض في الصفة ، ثم قال : وسئل بعضهم عن هذا ، وكان السائل نصرانياً في زي المسلم ، فقال له : الفرق بينهما سقوط الزنار من وسطك ، قال : فسقط ، وفضحه الله تعالى ، وأسلم بسبب ذلك ؛ انتهى كلام ابن قنفذ القسطيني ، رحمه الله تعالى .

وترجمة ولي الله تعالى سيدي الحاج ابن عاشر — نفعا الله تعالى ببركاته — متسعة جداً ، وكراماته ومناقبه لا تبلغ لها حداً ، ولا نطبق لها عدداً ، وإنما ألعنا بذكره قصداً للتبرك به ، والله ولي التوفيق ، وهو الهادي إلى سواء الطريق .

رجع إلى نظم لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى ، فنقول : ومن مداعباته رحمه الله تعالى قوله :

ومولع بالكتب يتتبعها بأرخص السوم وأغلاه
في نصف الاستدكار أعطيته مختصر العين فأرضاه

وبعني بمختصر العين الزبيدي فافهم ، وقال رحمه الله تعالى من قصيدة :

ووالله ما اعتلّ الأصيل ، وإنما تعلم من شجوي فبان اعتلاله

وهذا غاية في المبالغة وحسن التعليل .

وقال رحمه الله تعالى^١ : وقفت على قبر المعتمد بالله في مدينة أغمات في حركة راحة أعملتها إلى الجهات المراكشية ، باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار ، عام واحد وستين وسبعمائة ، وهو بمقبرة أغمات في نَشْرَ من الأرض ، وقد حفَّت به سِدْرَة ، وإلى جنبه قبر « اعتماد » حظية مولاه رُمَيْك ، وعليهما هيئة التغرب ومعاناة الحمول من بعد الملك ، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما ، فأنشدت في الحال :

قد زرتُ قبرك عن طوعٍ بأغماتِ رأيتُ ذلكَ من أولى المهماتِ
لم لا أزوركِ يا أُنْدَى الملوكِ يداً ويا سراجَ الليالي المدهماتِ
وأنت من لو تخطى الدهر مَصْرَعَه إلى حياتي بلحادثٍ فيه أيباتي
أنافَ قبرك في هَضْبٍ يميّزهُ فتنتحيه حَقِيَّاتُ التحياتِ
كرمتَ حيّاً وميتاً واشتهرتَ عللاً فأنتَ سلطانُ أحياءٍ وأمواتِ
ما ريء مثلك في ماضٍ ، ومعتقدي أن لا يَرى الدهرُ في حالٍ ولا آتِ

وقد تقدّم هذا في القسم الأول في الباب السابع منه ، وكررته هنا ، والله الموفق .

وقال رحمه الله تعالى مورياً حين أكل مشرفُ الدار القابضَ ، أي أكل ماله^٢ :

مُشْرِفُ دارِ الملكِ ما باله منتفخِ الجوفِ شكاً نافضاً^٣
فَقِيلَ لي ليسَ بهِ علّةٌ لكنّه قد أكلَ القابضاً^٤

١ أزهار الرياض ١ : ٢٩٧ ، وانظر الأبيات في الجزء ٤ : ٩٨ .

٢ أزهار : ٣٠٠ .

٣ النافض : الحمى .

٤ القابض - في المصطلح الأندلسي - المال المقبوض .

وقال^١ :

يا نفسُ لا تصغي إلى سلوةٍ كم أخلف الموعدَ عرقوبُ
وأنتَ يا قلبي وصّاك لإبراهيمُ بالحزنِ ويعقوبُ

وقال في السعيد أبي بكر ابن السلطان أبي عنان :

أميرٌ كأنَّ قُميرَ الدُّجى أفاض الضياءَ على صفحتَيْهِ
تملأ قلبي مِن حبه غداةَ نظرتُ بعيني إليه
فلا بسطَ الدهرُ كف الردى لذلك الشيخِ وذاك الوجهِ

وقال يخاطب الخطيب ابن مرزوق :

تعلّمَ طَيْفُوري خلالَ سميّه وإن كان منسوباً إلى غير بسطام^٢
وجاء فقيرَ الوقتِ لأبسَ خرقةً فليس براضٍ غيرَ صحبةِ صوام
فديتك لا تردُّدُهُ عَنْكَ غيباً ودرّسُهُ يا مولاي قصّةَ بلعام^٣

وقال : ممّا كتبت به إلى ابن مرزوق المذكور ، وقد وصل ولده إلى سلا
ومنع ابن الخطيب عن لقائه عذرُ مرضٍ ، وكان نزوله بزاوية النساك :

صدّني عَنْ لقاء نجلِكَ عذرٌ يمنعُ الجسمَ عن تمامِ العبادهِ
واختصرتُ القرى لأن حطّاً رحلاً في محلّ الغنى ودار الزّهادهِ
ولَو آتَيْتُ احتفلتُ لم يُعِنْ الدهرُ -رُ- ولا نلتُ بعضَ بعضِ أرادهِ
وعلى كلِّ حالٍ فقصوري عادةٌ إذ قبولُكَ العذرَ عادهِ

١ هذه المقطوعة والعشر التالية لها في أزهار الرياض ٣٠٠ - ٣٠٤ .

٢ الطيفور : طبق عليه طعام أو مائدة صغيرة ، وفي الإسبانية (Ataifor) ، وانظر الحاشية : ٢

من ج ٤ : ٥١٠ ، وطيفور اسم أبي يزيد البسطامي .

٣ بلعام اسمه مشتق من البلع فهو يوري بذلك .

لا عدمت الرضى من الله والحسنى كما نصَّ وَحْيُهُ والزيادة

وقال يخاطبه من ضريح السلطان أبي الحسن بشالة لاستنهاض عزيمته في قضاء
غرضه :

برئت لله من حَوَلي ومن حَيَلِي
أصبحتُ ما لي من عطفِ أُوَمَلِه
ما كنتُ أحسبُ أن أرمى بقاصيةٍ
من بعد ما خلصتُ نحوي الشفاعةُ ما
إن كنتُ لستُ بأهلٍ للذي طمحتُ
فكيفَ يُلغى ولا تُرعى وسيلته
من بعد ما اشتهرتُ حالي به وسرتُ
والرسلُ ترى ولا تخفى نتائجها
ولا لليلي من صبحٍ أطلعه
لو أنني بآبن مرزوقٍ عقدتُ يدي
لكان كربي قد أفضى إلى فرجٍ
ألمحتُ بالعتبِ لم أحذرُ مواقعه
ولستُ أجحد ما خُوِّلتُ من نعم
ولستُ أياس من وعد وعدت به

إن نام عني وليِّي فهو خيرُ ولي
من غيره في مهماتٍ ولا بدَلٍ
للهجر أقطعُ فيها جانبَ الأملِ
بين العُلا والدجى والبيض والأسلِ
إليه نفسي وأهوى نحوه أُملي
دخيلُ قبرِ أميرِ المسلمين علي
بها الركائبُ في سهلٍ وفي جبلٍ
عند التأملِ من قولٍ ولا عملٍ
كانَ همِّي قد مدَّ الدُّجْنَةَ لي
وكان محتكماً في خيرة الدولِ
وكان حزني قد أوفى على جدلي
« أنا الغريقُ فما خوفي من البللِ »
لكنها النفس لا تنفكُ عن أملٍ
« وإِنما خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلٍ »

وقال رحمه الله تعالى يخاطب السلطان أبا الحجاج :

أمولاي إنَّ الشعرَ ديوانُ حكمةٍ
وقد وُجدَ المختارُ في الحفلِ مُنصِتاً
يفيد الغنى والعزَّ والجاه من كانا
لهُ وحباً كعباً عليهِ وحسانا

١ الأزمار : الفلا .

وفيما رواه الناقلون وأثبتوا
بأنَّ أبا بكرٍ خليفَتَه الرضى
وأنَّ عليّاً قدّسَ الله جمعمهم
لهم في ضروبِ القولِ إذ هم فحولهُ
وفاض على أهلِ القريضِ نوالُهم
وأنتَ أحقُّ الناسِ أنْ تفعلَ الذي
فما زلتَ تهدي في البريةِ هديه
وإن قيلَ قدرُ المرءِ ما هو محسنٌ
وقال مورياً :

بنفسي حبيبٌ في ثنياه « بارق »
إذا كان لي منه عن الوصلِ « حاجر »
ولكنَّها للواردين عذابُ
فدمعي « عقيق » بالحفونِ مذابُ
وقال :

عذبتُ قلبي بالهوى فقيامه
ولقد عهدتُ القلبَ وهو موحدُ
في نارٍ هجركَ دائماً وقعوده
فعلامٌ يُقضى في العذابِ خلوده
وقال في التجنيس :

دعوتُك للودِّ الذي جَنَّبَته
وقلتُ لعهدِ الوصلِ والقربِ بعدما
تداعى وهل أسلو حياقي وأنتَ هي
ولم تنه عنه الشَّهى كيف ينتهي
وقال :

ناديتُ دمعِي إذ جدَّ الرحيلُ بهم
سقطتُ يا دمعُ من عيني غداةَ نأى
والقلبُ من فَرَقِ التوديعِ قد وجَّبا
عني الحبيبُ ولم تقصِرِ الذي وجَّبا

وقال :

شليِرُ لعمري أساء الجوارَ وسدَّ عليَّ رحيبَ الفضاء
هو الشيخُ أبردُ شيءٍ يُرى إذا لبس البرنسَ الأبيضُ

وقال : قلت أخاطب بعض من أدل عليه وما أولاني بذلك :

إذا قمتَ قلْ بعقيب الكرى إلهي أنتَ إله الورى
تباركتَ أنشأتهم من تراب وأنشأتني بينهم من خرا

قلت : ولا خفاء ببشاعة هذا ، فحذفه أولى من إثباته .

وقال يداعب بعض أصحابه :

شيخُ رباطٍ إن أتى شادنٌ خلوته عند انسدادِ الظلامِ
أدلتني وقد أبصره دلتوه وقال يا بشراي هذا غلامٌ

وقال في غرض يظهر :

لم أجد فيه لينَ بثِّ لقلبي وقبولاً لحجتي واعتذاري
ثقلَ الله ظهره بعيالٍ سودَّ الله وجهه بعدارٍ

وقال من قصيدة :

أخذتَ وأمواجُ الردى متلاطمةً بضبغتي يا نجل الوصي وفاطمة

وقال :

ووجه غرستُ الوردَ فيه بنظرةٍ فيا ليتَ كفِّي مُتعتَ بجثي غرسي
كأنَّ سوادَ الخالِ في وجناته علامةُ مولانا على أحمرِ الطرس
وبينهما في باطن الأمرِ نسبةٌ لذلك أمضيتُ الغرامَ على نفسي

وقال يشير إلى بعض طبقات الغناء :

ضربت الفقيه فقلت ذاك غريبة ما كان ذلك منه بالمعلوم
فدنا إلي وقال قد أصرفتكم من ضرتي بغريبة المزموم
وفي آخر سنة أربع وسبعين وجه إلى السلطان أبي حمزة سلطان تلمسان أبياتاً
لزومية في غرض الهناء ، وهي :

وقف الغرام على ثناك لساني	رعياً لما أوليت من إحسان
فكأنما شكري لما أوليته	شكر الرياض لعارض النيسان
أنا شيعتك لك حيث كنت ، قضية	لم يختلف في حكمها نفسان
ولقد تشاجرت الرماح فكنت في	ميدان نهر فارس الفرسان
ورويت غرماً مائراً أسندتها	لعلاك بين صحائح وحسان
ولأنت أولى بالتشيع شيمة	لم تتفق لسواك من إنسان
الشمس أنت قد انفردت وهل يرى	بين الورى في مطلع شمسان
جبرت بجبرك كل نفس حرة	وشدا بشكرك الله كل لسان
وبدت سعودك مستقيماً سيرها	وعلت فقر أمامها النحسان
فاستقبل السعد المعاود سافراً	عن أي وجه للرضى حسان
وابغ المزيدي بشكر ربك ولتثق	بمضاعف الإنعام والإحسان
فالشكر يقتاد المزيدي ركائباً	تنتاب بابك منه في أرسان
ثم السلام عليك يزرعي عرفه	طيباً بعرف العود والبكسان

وقال ٢ :

١ ق : بذكر .

٢ أزهار : ٣٠٤ .

بحقّ ما بيننا يا ساكني القصبة^١ ردّوا عليّ حياتي فهي مغتصبة^٢
ماذا جنيتم على قلبي بينكم^٣ وأنتم الأهل^٤ والأحباب^٥ والعصبة^٦

قلت : ولعل ابن زمرّك قال أبياته التي على هذا الروي المذكورة في غير هذا
الموضع من هذا الكتاب جواباً لهذه حين كان ابن زمرّك من جملة أتباع لسان
الدين رحم الله تعالى الجميع .

وقال لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى^١ :

حين ساروا عني وقد خنفتني عبرات^٢ قد أعربت عن ولّوعي
صحت^٣ من ينصر^٤ الغريب؟ فلما لم أجد^٥ ناصراً بلغت^٦ دموعي
وقال :

قال لي والدموع تنهل^١ سحبا في عراض^٢ من الحدود محول
بك ما بي فقلت مولاي عافا لك المعافي من عبّرتي ونحولي
أنا جفني القريح يروي عن الأء^٣ مش والجن^٤ منك عن مكحول
وقال :

أشكو لمبسمه الحريق وقد حمى عني لماه المشتى وريحته^١
يا ريقه حيرتني ومطلتي ما أنت إلا بارد^٢ يا ريقه^٣
وقال فيمن ركب البحر وماد^٤ :

ركب السفينة واستقل^١ بأفقها فكأنما ركب^٢ الهلال^٣ الفرقد^٤

١ أزهار : ٣٠٥ وكذلك القطعة التالية والتي بعدها .

٢ ق والأزهار : عراض .

٣ أزهار : ٣٠٦ والقطعة التي تليها أيضاً .

وشكوا إليه بميده فأجبتهم لا غرو إن ماد القضيب الأملد
وقال عندما خرج السلطان ابن الأحمر من فاس متوجهاً إلى الأندلس لطلب
حقه :

ولما حثت السيرَ والله حاكم للكل في الدنيا بعز وفي الأخرى
حكى فرس الشطرنج طرفك لا يرى ينقل من بيضاء إلا إلى حمراء
ويعني بالبيضاء فاساً الجديدة ، وبالحمراء حمراء غرناطة .
وتذكرت هنا أن بعض علماء الأندلس ، وأظنه أبا عبد الله ابن جزي ، لما
رمدت عين بعض أهل فاس سأله عنها ، فقال :

يا سيدي عيني قد أودى قذاها بالأنس
فانظر إليها ترها دار ملك الأندلس

يعني حمراء ، فأجابه بقوله :

وقيت مما تشتكي من القذى والوصب
ما رمدت عينك بل عين العلاء والأدب
فلتحمدن أن لم تكن دار ملك المغرب

يعني بيضاء ، وهذا من غريب ما يحاضر به .

رجع - وقال لسان الدين رحمه الله تعالى :

أجاد براع الحسن خط عذاره وأودعه السر المصون الذي يدري
ولم يفتقر فيه لخم وطابع فمبسمه أغناه عن طابع السر

١ هذه القطعة والقطع المشر التالية في أزهار الرياض ٣٠٧ - ٣١٠ .

وقال في غرناطة :

أحبيك يا معنى الكمال^١ بواجب
تقسّم منك التربّ قومي وجيرتي
وأقطع في أوصافك الغرّ أوقاتي
ففي الظّهر أحيائي وفي البطن أمواتي

وقال في غرض ينحو نحو المشاركة :

رموا بالسّلوّ حليف الغرام
أعوذ بعزّك يا سيدي
وأدمعه كالحيا الهاطل
لذليّ من دعوة الباطل

وقال :

يا ليل طُلّت ولم تجد تبسم
هلاًّ رحمت تغربي وتفرقي
وأريتني خلّق العبوس النادم
لله ما أقساك يا ابن الخادم

وقال في مروحة سلطانية :

كأنّي قوسُ الشمس عند طلوعها
ولألاّ كما هبّت بمحتدم الوغى
وقد قدمت من قبلها نسمةُ الفجر
بنصرٍ ولكن من بنود بني نصر

وقال يخاطب شيخه ابن الجيّاب :

بين السهام وبين كُتُبِكَ نسبة
وإذا أردت لها زيادةً نسبة
فبها يصاب من العدو المقتل
هذي وهذي في الكنانة تجعل

وقال يتغزل ، وفيه معنى غريب :

إنّ اللّحاظ هي السيوفُ حقيقة
لم يدعْ غمدُ السيف جفنًا باطلاً
ومن استراب فحجتي تكفيه
إلا لشبه اللّحظ يغمد فيه

١ أزهار : أحبك يا معنى الكمال .

قيل : وأحسن منه قول غيره :

إنَّ العيونَ النُّجْلَ أمضى موقِعاً من كلِّ هنديٍّ وكلِّ يمنيٍّ
ففضلُ العُيونِ على السيوفِ بأنَّها قتلتْ ولمْ تخرجْ من الأجفانِ

وأصل ما قال لسان الدين قول الأول :

بينَ السيوفِ^١ وعينيهِ مناسبةٌ من أجلها قيل للأغمادِ أجفانُ

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى في الساعة ، وتسميها المغاربة المنجانة :

تأملِ الرملَ في المنجانِ منقطعاً يجري وقدَّرهُ عُمراً منك منتهاها
واللهِ لو كان وادي الرمل^٢ ينجدُه ما طالَ كامله إلا وقد ذهب

وقال :

أقولُ لعاذلي لما نَهاني وقد وجدَ المقالة إذ جَفَّاني
علمتَ بأنَّه مُرُّ التجني وفاتكَ أنَّه حلُّ اللِّسانِ

وقال في غرض صوفي :

لا تنكروا إن كنتُ قد أحببتكم أو أنتي استولى عليَّ هواكم
طوعاً وكرهاً ما ترون فإنتي طفتُ الوجودَ فما وجدتِ سواكم

وقال يمدح ، وفيه تورية :

وإن نظَّرتَ إلى لآلئِ غُرَّتِه يومَ الهياجِ رأيتَ الشمسَ في الأسدِ

وقال ممّا يُكتب على طاق الماء بباب القبة^٣ :

١ ق : اللحاظ .

٢ ق : الأرض .

٣ هذه القطعة والقطع الثلاث بعدها في الأزهار ٣١٢ - ٣١٣ .

أنا طاقٌ تزهو بيَ الأيامُ تعبتُ في بدائي الأفهامُ
وتبدَّيتُ للنواظر محسرا بآ كآنَ الإناءُ في إمامُ
واقفٌ للصلاة حتى إذا ما جئت للشربِ حان مني سلامُ

وقال في ذلك أيضاً :

يا صانعي الله ما أحكمته فلأنتَ بينَ العالمين رئيسُ
أحكمتَ تاجي يوم صغت رقوشه فصبتُ إليه مفارقٌ ورؤوسُ
وأقمتَ في محرابه فكأنه مجلى لإناء الماء فيه عروسُ

وقال في المشيب^١ :

أتى لمثلي بالهوى من بعد ما للوخط في الفودين أي ديب
لبس البياض وحل ذروة منبر مني ووالى الوعظ ، فعل خطيب

وقال رحمه الله تعالى :

والله ما جان على ماله أو جأه من ذب عن عرضه
والناس في خير وفي ضده هم شهداء الله في أرضه

وقال^٢ :

إلهي بالبيت المقدس والمسمى وجمع إذا ما الخلق قد نزلوا جمعا
وبالموقف المشهود يا رب في منى إذا ما أسأل الناس من خوفك الدمعا
وبالمصطفى والصحب عجل إقالي وأنجح دعائي فيك يا خير من يدعى
صدعتُ وأنت المستغاثُ جَنابه أقبل عثرتي يا موثلي واجبر الصدعا

١ البيتان من يائيته التي تقدمت ص : ٤٥٥ .

٢ أزهار الرياض ١ : ٢٧١ .

وقال رحمه الله تعالى في بنيونش سبتة^١ :

بنيونش^٢ أسنى الأماكن رقعة^٣ وأجل^٤ أرض الله طراً شانا
هي جنة الدنيا التي من حلّها نال الرضى والروح والريحانا
قالوا القروء بها فقلت فضيلة^٥ حيوانها قد قارب الإنسان^٦

وفي بنيونش هذه يقول أبو عبد الله ابن مجبر^٧ :

بنيونش^٨ جنة^٩ ولكن^{١٠} طريقها يقطع النياطا
وجنة^{١١} الخلد لا يراها إلا فتى يقطع الصراطا

وقال ابن الخطيب رحمه الله تعالى^{١٢} :

إن^{١٣} الهوى لشكاية معروفة صبر^{١٤} الصبر من أجل^{١٥} علاجها
والنفس إن ألفت مرارة طعمه يوماً ضمنت لها صلاح مزاجها

وقال رحمه الله تعالى^{١٦} :

ولمّا رأت عزمي حثيثاً على السرى وقد رابها صبري على موقف^{١٧} البين
أتت بصحاح^{١٨} الجوهرى دموعها فقابلت^{١٩} من دمعي بمختصر^{٢٠} العين

وقال رحمه الله تعالى :

تذكرت عهداً كان أحلى من الكرى وأقصر^{٢١} من الملام طيف^{٢٢} خياله

١ أزهار الرياض ١ : ٣٤ .

٢ الأزهار : بليونش ، وهي لغة في بليونش .

٣ ذكر في الاستبصار : ١٣٨ أن على قرية بليونش جبلاً عظيماً فيه القردة .

٤ وردا في أزهار الرياض (٣٤) منسوبين للقاضي عياض .

٥ مر البيتان في ما تقدم ص : ٤٧١ .

٦ مر البيتان في ما تقدم ص : ٤٦٤ .

فيا ليت شعري مَنْ أتاح لي المني وعذَّب بالي هل أمرٌ بباله
وقال رحمه الله تعالى :

عيني جنت فعلام تحرق أضلعي أبما جنى جارٌ يعذَّب جارُ
يا قلبُ لا تدهشك نيرانُ الهوى فكناز إبراهيم تلك النارُ
فاصبرْ على ما حملوا تنل المني بالسبك أدرك نقشه الدينارُ
وقال رحمه الله تعالى :

وما كان إلا أن جنى الطرف نظرة غدا القلب رهناً في عقوبة ذنبه
وما العدل أن يأتي امرؤً بحريرة فيؤخذ في أوزارها جارٌ جنبه
وقال رحمه الله تعالى :

برى جسدي فيكم غرامٌ ولوعة إذا سكن الليلُ البهيمُ ثورُ
فلولا أني ما اهتدى نحو مضجعي خيالكم بالليل حين يزورُ
ولو شئت في طي الكتاب لزرتكم ولم تدر عني أحرفٌ وسطورُ
وقال رحمه الله تعالى :

بلدٌ تحفُّ به الرياضُ كأنه وجهٌ جميلٌ والرياضُ عذاره
وكأنما واديه معصمٌ غادة ومن الجسور المحكمات سواره

وقال رحمه الله تعالى يخاطب السلطان أبا حمو صاحب تليمان ويشكره على
ما كان أعان به أهل الأندلس :

لقد زار الجزيرة منك بحرٌ يعدُّ فليس تعرف منه جزراً

١ هذه القطعة والتي تليها في أزهار الرياض : ٢٦١ .

أعدت لها بعهدك عهدَ موسى سميكَ فهي تتلو منه ذكرًا
أقمت جدارها وأفدت كثرًا ولو شئت اتخذت عليه أجرًا

وقال أيضًا :

وقالوا الجزيرة قد صوّحت فقلت غمام الندى تنتظر
إذا وكفت كف موسى بها غماماً يعودُ الجنبُ الخضرُ

وقال رحمه الله تعالى عقب الإياب من الرحلة المراكشية^١ :

أفادت وجهي بذاك مالا قضى ديني وأصلح بعض حالي
ومتعت الخواطرُ بانسراح وأطرفت النواظرُ باكتحال
وأبت خفيفَ ظهري ، والمطايا بجاهك - تشتكي ثقلَ الرحال
وشاني للمعالم غيرُ شأنٍ وحالي بالمكارم جدُّ حال
فحبُّ علاكَ لِيَمَانِي وعقدي وشكرُ نداك ديني وانتحالي
كما قد صَحَّ لَهِ انقطاعي بتأملي جنابك وارتحالي
وما يبقى سوى فعلٍ جميلٍ وحالُ الدهر لا تبقى بحال
وكلُّ بدايةٍ فإلى انتهاءٍ وكلُّ إقامةٍ فإلى ارتحال
ومن ساءَ الزمانَ دوامَ أمرٍ فقد وقف الرجاء على المحال

وقال رحمه الله تعالى في الضراعة إلى ربه ، والاعتراف بذنبه^٢ :

مولايَ إن أذنبتُ يُنكَرُ أن يُرى منك الكمالُ ومنّي النقصانُ ؟
والعفو عن سببِ الذنوبِ مسبَّبٌ لولا الجنايةُ لم يكن غفرانُ

١ أزمар : ٢٧١ .

٢ أزمар : ٢١١ .

وقال رحمه الله تعالى ١ :

سلامٌ على تلك المِراجِ إنَّها معاهدُ الأَني وعهدُ صحابي
ويا آسَةَ المغنى انعمي فلطالما سكبتُ على مثواك ماءَ شباي

وقال ساعده الله تعالى :

أموطني الذي أزعجتُ عنه ولمْ أرْأَ بهِ مالا ولا دمَ
لئن أزعجتُ عنك بغير قصدٍ فقبلي فارَقَ الفردوسَ آدمَ

ومن ميلادياته رحمه الله تعالى قوله ٢ :

ما على القلب بعدكم من جُناحٍ أن يَرى طائراً بغيرِ جَناحٍ
وعلى الشوقِ أن يَشُبَّ إذا ه بَـ بِأَنفاسكم نسيمُ الصِّباحِ
جيرةَ الحيِّ ، والحديثُ شجونٌ والليالي تَلينُ بعدَ الجِماحِ
أترون السلوَ خامراً قلبي بعدكم ؟ لا وفالقِ الإصباحِ
ولَو أَنِّي أُعْطِيَ اقتراحي على أيامٍ ما كان بَعْدُكم باقِراحِ
ضايقتني فيكم صروفُ الليالي واستدارتُ عليَّ دَوْرَ الوِشاحِ
وسقتني كأسَ الفراقِ دهاقاً في اغتباقي مواصِلِ واصطِباحِ
واستباحَت من جِدَّتِي وفَتَّانِي حَرَمًا لَمْ أَخْلُكْهُ بالمِستَباحِ

ومنها :

يا ترى والنفوسُ أسرى أمانٍ ٣ ما لها من وثاقها من سَراحِ
هل يُباحُ الورودُ بعد ذِبادٍ أو يتاح اللقَاءُ بعد انتراحِ

١ أزهار : ٦ .

٢ أزهار : ٢٣٧ والإحاطة : ٣١٥ .

٣ الإحاطة : الأمانى .

وإذا أعوز الجسومَ التلاقي نَابَ عَنْهُ تعارفُ الأرواح

وهي طويلة لم يحضرني منها الآن سوى ما ذكرته .

وقد حدا حَدَّوَهَا الفقيهُ الكاتبُ أبو زكريا يحيى بن خلدون أخو قاضي
القضاة ولي الدين بن خلدون صاحب التاريخ ، فقال في مولد عام ثمانية وسبعين
وسبعمائة ، واستطرد مدح السلطان أبي حمّو موسى صاحب تلمسان الذي تقدم
ذكره قريباً^١ :

ما على الصبِّ في الهوى من جناحٍ	أن يرى حِلْفَ عبدةٍ وافتضاحٍ
وإذا ما المحبُّ عِيلَ اصطباراً	كيف يُصْغِي إلى نصيحةٍ لاحٍ
يا رعى الله بالمحبِّ ربَّعاً	أذنتْ عهدَه النوى بانتزاحٍ
كم أدركنا كأسَ الهوى فيه مزحاً	ربَّ جِدِّ من الجوى في المزاحٍ
هل إلى رَسْمِهِ المحيلِ سبيلٌ	يا حُدَاةَ المطيِّ تلكَ الطَّلَاحِ
نسألُ الدارَ بالخليطِ ونسقي	ذلكَ الرَّبْعَ بالدموعِ السَّفَاحِ
أيَّ شجوةٍ عاينتُ بعد نَوَاهَا	من أَسَى لازمٍ وصبرٍ مُزَاحِ
أهلَ ودي إن رابكم بَرَحٌ وجدي	من صبا بارقٍ وبرقٍ لِيَاحِ
فاسألوا البرقَ عن خفوقِ فَوَادِي	والصبا عن سَقَامِ جِسمي المَتَاحِ
يا أهْيَلِ الحمى نداءً مشوقٍ	ما له عن هوى الدُّمَى من بَرَاكِ
طالما استعذبَ المدامعَ ورْدَاً	في هواكم عن كلِّ عذبٍ قَرَاكِ
عاده بالطلولِ للشوقِ عِيدٌ	من حَمَامٍ بدوحنٍ صَدَاكِ
من لِقَلْبٍ من الجوى في ضِرَامٍ	ولحنٍ من البكا في جَرَاكِ
ولصبٍّ يهبُّهُ الذِّكْرُ شَوْقاً	فهو سَكراً يرتادُ من غيرِ رَاحِ
وليالٍ قضيتُ للهوى فيها	وَطَرَاً والشبابُ ضَافِي الجَنَاحِ

١ أزهار : ٢٣٩ .

راكباً في الهوى ذلول تصاب
ونجوم المني تنير إلى أن
أي مسرى حمدت لم أخل منه
واختساري يوم القيامة إن لم
لم أقدم وسيلة فيه إلا
سيد العالمين دنياً وأخرى
سيد الكون من سماء وأرض
زهرة الغيب مظهر الوحي معنى الـ
آية المكرمات قطب المعالي
أول الأنبياء تخصيص زلفى
صفوة الخلق أرفع الرسل قدراً
من ميلاده بمكة ضاءت
وخبئت نار فارس وتداعت
من رقى في السماء سبعا طباقاً
ودنا منه قاب قوسين قرباً
من هدى الخلق بين حمير وسود
من يجير الوري غداً يوم يجزى
من إلى حوضه وظل لواه
أحمد المجتبي حبيباً ، وأنتى
في أناجيله المسيح تلاه
ولكم حجة وبرهان صدق
إن في النجم والنبات لآيات
معجزات فتن المدارك وصفاً

ساحباً في الغرام ذيل مراح
روّع الشيب سربها بالصباح
بسوى حسرة وطول افتضاح
يغفر الله زلتى واجتراحى
حب خير الورى الشفيح الماحي
أشرف الخلق في العلا والسماح
سره بين غاية وافتتاح
نور كنه المشكاة والمصباح
مصطفى الله من قریش البطاح
آخر المرسلين بعث نجاح
وسراج الهدى وشمس الفلاح
من قرى قيصر جميع الضواحي
من مشيد الإيوان كل النواحي
ورأى آي ربه في اتضاح
ظافراً في العلا بكل اقتراح
وجلا ليل غيبتهم بالصباح
كل عاص وطائع باجتراح
يلجأ الناس بين ظام وضاحي
فوق عز الحبيب مرمى طماح ؟
باسمه ، والكليم في الألواح
في سماع أتى بها والتماح
بهرت والجماد والأرواح
وحساباً كالزهر أو كالصباح

يا رواة القريض والشعر عجزاً
لأنما حسبت الصلاة عليه
يا إلهي بحق أحمد عفواً
وأدم دولة الخليفة موسى
مفخر الملك مستقر المزايا
ناصر الحق خاذل الجور عدلاً
يتلقى الندى بوجه حبيبي
وله المكرمات إراثاً ولبساً
من عللاً باذخ وفخر صميم
وأحاديث في المعالي حسان
عاقدة صفقة العلاء كل حين
للندى والهوى يروح ويغدو
ملك تشرق الأسرة منه
وإذا ما علا بعالي العوالي
لبس الدهر منه حلة حسن
وعلى عاتق الخلافة منه
ورث الملك شاعراً عن سراة
من بني القاسم الذين تحلوا
فترعوا هضبة الخلافة مجداً
نشروا راية المفاخر حمداً
يا إماماً بدء الملوك جللاً
أنت شمس الكمال دمت عليها
وبنوك الأعلون أنجم سعد
وأبو تاشفين بدر منير

ما عسى تدركون بالأمداح
وهي للفوز آية استفتاح
عن ذنوب جنيتها قباح
ذي المعالي المبينة الأوضاح
مظهر اللطف ذو الثقي والصلاح
متجاً الخائفين بحر السباح
ويلقي العدا ببأس صفاح
حاز حمداً بها معلن القداح
وكمال بحت ومجد صراح
رويت عنه في العوالي الصّباح
فأثر فيه سعيه بالرباح
أي مغدّى إلى العلاء ومراح
في سماء السرير نور صباح
صهوة الجرد فهو ليث الكفاح
وثني للسرور عطف مراح
طرز فخر سبي النهي بالتماح
شيدوا ركنه بأيدي الصفاح
بالمعالي واستأثروا بالفلاح
رفعوا سقفه على الأرماح
خافق النور بالرّبي والبِطاح
وجمالاً فديت بالأرواح
في اغتباق من المنى واصطباح
زاهرات بنورك الوضاح
زانه الله بالخلال الصّباح

أكمل العالمين خلقاً وخلقاً أشرف الناس في الندى والكفاح
وبكم زينّت سماء المعالي . واهتدى الناس في الدجى والصباح

وكان السلطان أبو حمّو المدوح بهذه القصيدة يحتفل لليلة مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلّم غاية الاحتفال ، كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك
العصر وما قبله .

ومن احتفاله له ما حكاه شيخُ شيوخنا الحافظ سيدي أبو عبد الله
التنسي ثم التلمساني في كتابه « راحُ الأرواح فيما قاله المولى أبو حمّو من الشعر
وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح » ونصّه : أنّه كان
يُقيم ليلة الميلاد النبوي — على صاحبه الصلاة والسلام — بمشورة من تلمسان
المحروسة مدّة ساعة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة ، فما شئت من نمارق
مصفوفة ، وزرّابيّ مبثوثة ، وبُسُطٍ مُوشّاة ، ووسائد بالذهب مغشاة ، وشمع
كالأسطوانات ، وموائد كالهالات ، ومباخر منصوبة كالقباب ، يخالها المبصر
تبراً مذاب ، ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة ، كأنّها أزهار الربيع المنمنمة ،
تشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر ، ويخالط حسن ريّاها الأرواح ويخامر ،
رتّب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال ، وقد علت الجميع أبهة
الوقار والإجلال ، وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة
والسلام ، ومكفّرات^١ ترغّب في الإقلاع عن الآثام ، يخرجون فيها من فن
إلى فن ومن أسلوب إلى أسلوب ، ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس
وترتاح إلى سماعه القلوب ، وبالقرب من السلطان رضوان الله تعالى عليه خزّانة
المنجّاة قد زخرفت كأنّها حلّة يمانية ، لها أبواب موجفة^٢ على عدد ساعات الليل

١ المكفّرات : أشعار تقال في التزهيد فتكفر ما كان من عبث ، وهي تشبه « المحصّات » .

٢ الأزهار : مرتجة .

الزمانية ، فمهما مضت ساعة وقع الثَّقَر بقدر حسابها ، وفتح عند ذلك بابٌ من أبوابها ، وبرزت منه جارية صُورت في أحسن صورة ، في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة ، فتضعها بين يدي السلطان بلطافة ، ويُسرّأها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة ، هكذا حالهم إلى انبلاج عَمُود الصباح ، ونداء المنادي حيّ على الفلاح ؛ انتهى .

وقال التنسي المذكور في كتابه المسمى بـ « نظم الدر والعقيان في شرف بني زِيَّان وذكر ملوكهم الأعيان » ما نصّه : وكان السلطان أبوحمّو يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلّم ، ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم ، يقيم مدّة^١ يحشر لها الأشراف والسوقة ، فما شئت من نمارق مصفوفة ، وزراريّ مبثوثة ، وشمع كالأسطوانات ، وأعيان الحضرة على مراتبهم تطوف عليهم ولّدان قد لبسوا أقبية الخز الملّون وبأيديهم مباخر ومرشات ينال كلّ منها بحظّه ، وخزانة المنجانة ذات تماثيل لجن محكمة الصنعة ، بأعلاها أيكة تحمل طائرًا فرخاه تحت جناحيه ، ويختله فيهما أرقم خارج من كوة بجذر الأيكة صاعدًا^٢ ، وبصدرها أبواب مرتجة بعدد ساعات الليل الزمانية ، يصاقب طرفيها بابان كبيران ، وفوق جميعها دُورين رأس الخزانة قمر أكمل يسير على خط الاستواء سير نظيره في الفلك ، ويُسامت أول كل ساعة بابها المرتج ، فينقض من البابين الكبيرين عقابان ، بفي كل واحد منهما صنجة صُفّر يلقيها إلى طست من الصفر مُجَوّف بوسطه ثقب يفضي بها إلى داخل الخزانة فيرنّ ، وينهش الأرقم أحد الفرخين ، فيصفر له أبوه ، فهناك يُفتح باب الساعة الذاهبة ، وتبرز منه جارية محتزمة كأظرف ما أنت راء ، يُمَنّاها لإضبارة فيها اسم ساعتها منظومًا ، ويُسرّأها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة ، والمُسَمِّع قائم ينشد

١ المدعاة : الدعوة .

٢ الأزهار : صعداً .

أمداح سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ،
ثم يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دَوْرًا ، والرياض نَوْرًا ، وقد اشتملت
من أنواع محاسن المطاعم^١ على ألوان تشهيهها الأنفس وتستحسنها الأعين ،
وتلذُّ بسماع أسمائها الآذان ، ويَشْرَه مبصرها للقرب منها والتناول وإن كان
ليس بغرثان ، والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه فيه ، وكل ذلك بمرأى
منه ومَسْمَع حتى يصلي هنالك صلاة الصبح . على هذا الأسلوب تمضي ليلة
المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع أيام دولته ، أعلى الله تعالى مقامه في
عليين ، وشكر له في ذلك صنيعة الحميل آمين . وما من ليلة مولد مرت في أيامه
إلا ونظم فيها قصيداً في مديح مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أول ما
يبتدىء المسمع في ذلك الحفل العظيم بإنشاده ، ثم يتلوه إنشاد من رفع إلى مقامه
العلي في تلك الليلة نظماً ؛ انتهى وهو أتم مساقاً ممّا في « راح الأرواح » .
ولا بأس أن نلمّ ببعض المقطوعات التي أنشأها الكاتب أبو زكريا يحيى
ابن خلدون المذكور على لسان جارية المتجانية في مخاطبة السلطان أبي حمّو معلّمة
بما مرّ من ليل ، ففي مضي ساعتين قوله^٢ :

أخليفةَ الرحمن والملكُ الذي تعنو لعزّ علّاه أملاكُ البشرُ
لله مجلسك الذي يحكي علّاهُ بك مالكي أفق السماء لمن نظر
أوما ترى فيه النجومَ زواهرأ وجّهُ الخليفة بينهن هو القمر
والليلُ منه ساعتان قد انقضتُ تثني عليك ثنا الرياضِ على المطر
لا زال هذا الملكُ منصوراً بكمُ وبَلَّغْتَ ممّا ترتجي أسنى الوطر

وقوله في مضي ثلاث ساعات :

١ الأزهار : الطعام .

٢ وردت هذه المقطعات في بغية الرواد ٢ : ٢١٩ - ٢٢٢ وأزهار الرياض ١ : ٢٤٦ - ٢٤٧ .

أُمُولَايَ يَا ابْنَ الْمَلُوكِ الْأُولَى
تَوَلَّيْتُ ثَلَاثَ مِنَ اللَّيْلِ أَبَقْتُ
فَدُمْتُ حُجَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ
لَهُمْ فِي الْمَعَالِي سَنِيُّ الرُّتْبِ
لَكَ الْفَخْرُ فِي عُجْمِهَا وَالْعَرَبُ
تَنَالُ الَّذِي شِئْتَهُ مِنْ أَرْبِ

وقوله في مضي ست ساعات :

يَا مَاجِدًا وَهُوَ فَرْدٌ
سِتُّ مِنَ اللَّيْلِ وَلَتُّ
دَامَتْ لِيَالِيكَ حَتَّى
تَخَالَهُ فِي عَسَاكِرِ
مَا إِنَّ لَهَا مِنْ نَظَائِرِ
إِلَى الْمَعَادِ نَوَاضِرِ

وقوله في مضي ثماني ساعات :

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ ذَاتًا
مَرَّتْ ثَمَانٍ وَأَبَقْتُ
فِيهِنَّ كَانَ شَبَابِي
وَلَتَى بِهَا الدَّهْرُ عَنِّي
فَاللَّهُ يَبْقِيكَ مَوْلَى
وَأَشْرَفَ النَّاسِ أَسْرَةً
فِي الْقَلْبِ مِنِّي حُسْرَةً
أَخَا نَعِيمٍ وَنَضْرَةً
تُرَى لَهَا بَعْدُ كَرَّةً
يَطِيلُ فِي السَّعْدِ عُمُرَةً

وقوله في مضي عشر ساعات :

يَا مَالِكَ الْخَيْرِ وَالْخَيْلِ الَّتِي حَكَمْتَ
هَذَا الصَّبَاحَ وَقَدْ لَاحَتْ بِشَائِرُهُ
لِلَّهِ عَشْرٌ مِنَ السَّاعَاتِ بَاهِرَةٌ
كَذَا تَمَرُّ لِيَالِي الْعَمْرِ رَاحِلَةٌ
نَمْسِي وَنَصْبِحُ فِي هُوِ نُسْرٍ بِهِ
لَهُ بَعِزٌّ عَلَى الْأَيَّامِ مُقْتَبِلٌ
وَاللَّيْلِ وَدَّعَانَا تَوْدِيْعٌ مَرْتَحِلٌ
مُضِينَ لَا عَنْ قِلْتِي مِنَّا وَلَا مَلَلٌ
عَنَّا وَنَحْنُ مِنَ الْأَمَالِ فِي شُغْلٍ
جَهْلًا وَذَلِكَ يُدْنِينَا مِنَ الْأَجَلِ

١ البقية : يا واحداً في علاه من نابه في مساكر .

والعمر يمضي ولا ندري فوا أسفا
يا ليت شعري غداً كيف الخلاصُ به
يا ربَّ عَفْوِكَ عما قد جَنَّتْهُ يدي
يا ربَّ وانصر أميرَ المسلمين أبا
وأبقِ في العزِّ والتمكين مدتهُ
عليه إذ مسرَّ في الآثام والزلل
ولم نقدمْ له شيئاً من العمل
فليس لي بجزاء الذنب من قبَل
حمو الرضى وأئله غاية الأمل
وأعل دولته الغرَّاء على الدول

انتهى المجلد السادس

١ البقية : القراء في .

محتويات المجلد السادس

الباب الرابع

٥ - ١٦٣ في مخاطبات الملوك والأكابر للسان الدين

٥	١ - ظهر من أبي زيان المريني للسان الدين
٧	[ترجمة أبي زيان المريني]
١٣	٢ - رسالة من أبي سالم إلى لسان الدين
١٤	٣ - جواب لسان الدين
١٧	٤ - رسالة من لسان الدين إلى أبي سالم
٢٢	[ترجمة أبي سالم المريني]
٢٤	[ثناء المغاربة والمشاركة على لسان الدين]
٢٨	٥ - رسالة ابن خاتمة إلى لسان الدين
٣٠	٦ - من لسان الدين إلى ابن خاتمة
٣٣	[رسالة ابن خاتمة إلى ابن جزري]
٣٤	٧ - رسالة من ابن خاتمة إلى لسان الدين
٣٧	٨ - رسالة أخرى من ابن خاتمة إلى لسان الدين
٣٨	[أحمد بن صفوان]
٤٠	٩ - إجازة ابن صفوان للسان الدين
٤١	١٠ - من العذري إلى لسان الدين
٤١	١١ - رسالة من لسان الدين إلى ابن نفيس
٤٣	١٢ - من لسان الدين إلى ابن رضوان
٤٤	١٣ - جواب ابن رضوان
٤٤	١٤ - من لسان الدين إلى الجنان
٤٥	١٥ - جواب الجنان
٤٦	[ترجمة الجنان أحمد الأوسي]
٤٦	[مقطعات وقصائد تكتب على المباني]

٥٦	[رسالة من الفشتالي إلى المؤلف]
٥٩	[تعریف بأبي الحسن الشامي]
٦٠	١٦ - بين ابن الجلياب ولسان الدين
٦٠	١٧ - قصيدتان للبلوي يخاطب بهما لسان الدين
٦٣	[ترجمة أبي يحيى البلوي]
٦٤	١٨ - رسالة من ابن مرزوق إلى لسان الدين
٦٥	١٩ - جواب لسان الدين
٦٧	٢٠ - من البرجي إلى لسان الدين
٦٨	[ترجمة أبي القاسم البرجي]
٧٥	٢١ - مخاطبات ابن زمرك للسان الدين
٨١	٢٢ - من ابن سلبطور إلى لسان الدين
٨٢	[ترجمة ابن سلبطور]
٨٤	٢٣ - من ابن راجح إلى لسان الدين
٨٤	٢٤ - جواب لسان الدين
٨٥	[ترجمة ابن راجح]
٨٥	٢٥ - من لسان الدين إلى ابن راجح
٨٦	٢٦ - جواب ابن راجح
٨٨	[بقية ترجمة ابن راجح]
٨٩	٢٧ - من العشّاب إلى لسان الدين
٨٩	٢٨ - من محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي إلى لسان الدين
٩٠	[ترجمة محمد بن محمد بن عبد الملك]
٩٠	٢٩ - من المكودي إلى لسان الدين
٩١	٣٠ - من أبي عبد الله اليتيم إلى لسان الدين
٩٢	٣١ - من لسان الدين إلى اليتيم
٩٥	[ترجمة أبي عبد الله اليتيم]
٩٦	٣٢ - مخاطبة الكرسوطي للسان الدين
٩٧	[ترجمة أبي عبد الله الكرسوطي]
٩٧	٣٣ - مخاطبة ابن الزبير للسان الدين
٩٨	[ترجمة أبي عمرو ابن الزبير]
٩٩	[ترجمة أبي يحيى الأكحل]
٩٩	٣٤ - مخاطبة الأكحل للسان الدين

١٠١	.	.	.	٣٥ - مخاطبة ابن عياش للسان الدين
١٠١	.	.	.	٣٦ - مخاطبة أبي عبد الله الوادي آشي للسان الدين
١٠٢	.	.	.	٣٧ - مخاطبة أبي محمد الأزدي للسان الدين
١٠٣	.	.	.	[قطع من شعر الأزدي]
١٠٦	.	.	.	٣٨ - من لسان الدين إلى ابن رضوان
١٠٦	.	.	.	٣٩ - جواب ابن رضوان
١٠٧	.	.	.	[ترجمة ابن رضوان]
١١٢	.	.	.	٤٠ - مخاطبة أبي بكر ابن عبد الملك للسان الدين
١١٣	.	.	.	[ترجمة أبي بكر ابن عبد الملك]
١١٣	.	.	.	٤١ - مخاطبة أبي سلطان الغرناطي للسان الدين
١١٥	.	.	.	[ترجمة عبد العزيز أبي سلطان]
١١٨	.	.	.	٤٢ - رسالة من النباهي للسان الدين
١١٩	.	.	.	[ترجمة النباهي]
١٢٤	.	.	.	٤٣ - مخاطبات بين لسان الدين وابن الجياد
١٢٨	.	.	.	٤٤ - من سعيد الغرناطي إلى لسان الدين
١٢٨	.	.	.	٤٥ - مخاطبات بين ابن البناء ولسان الدين
١٣١	.	.	.	[ترجمة ابن البناء]
١٣١	.	.	.	٤٦ - رسالة من لسان الدين إلى سلطان تونس
١٣٣	.	.	.	٤٧ - مخاطبة من ابن البربري المألقي إلى لسان الدين
١٣٥	.	.	.	٤٨ - مخاطبة من الحرالي إلى لسان الدين
١٣٥	.	.	.	[ترجمة أبي القاسم الحرالي]
١٣٥	.	.	.	٤٩ - رسالة من المنتشاقي إلى لسان الدين
١٣٧	.	.	.	٥٠ - رسالة من لسان الدين إلى المنتشاقي
١٣٨	.	.	.	[ترجمة أبي الحجاج المنتشاقي]
١٤٦	.	.	.	[تعليق الباعوني على كتاب الريحانة]
١٤٦	.	.	.	[نقل من الروض الأريض لابن عاصم]
١٤٨	.	.	.	[ترجمة أبي يحيى ابن عاصم]
١٤٨	.	.	.	[نموذج من نثر ابن عاصم]
١٥٠	.	.	.	[من نظم ابن عاصم]
١٥١	.	.	.	[قصيدة لابن الأزرق في مدح ابن عاصم]
١٥٣	.	.	.	[رسالة ابن عاصم إلى ابن طركاظ]

١٥٥	.	.	.	[ظهر بتقديم ابن عاصم للنظر في أمور الفقهاء]
١٦٢	.	.	.	التأليف باسم لسان الدين وولده .

الباب الخامس

في إيراد جملة من نثر لسان الدين وشعره وموشحاته

٤٤٨ - ١٦٥	.	.	.	نثر لسان الدين .
-----------	---	---	---	------------------

١٦٥	.	.	.	١ - فاتحة كتاب « اللوحة البدرية » .
١٦٥	.	.	.	٢ - قطعة له في الخوض على الجهاد .
١٦٦	.	.	.	٣ - صديق لكبير الشرفاء بفاس .
١٦٧	.	.	.	٤ - كتاب إلى بعض السادة (ابن رضوان) لمرض ألمّ به .
١٦٨	.	.	.	٥ - من ترجمة أبي عبد الله الشديد في الإحاطة .
١٧٠	.	.	.	٦ - كتاب إلى علي بن بدر الدين الطوسي .
١٧١	.	.	.	٧ - من ترجمة ابن خلدون في الإحاطة .
١٧٣	.	.	.	٨ - جواب لسان الدين عن رسالة لابن خلدون .
١٧٤	.	.	.	٩ - رسالة لسان الدين في مداعبة ابن خلدون حين تسرى جارية رومية
١٨٠	.	.	.	بقية ترجمة ابن خلدون عن الإحاطة .
١٩١	.	.	.	[تعليق للمقري والباعوني]
١٩٢	.	.	.	١٠ - من ترجمة يحيى البرغواطي .
١٩٤	.	.	.	١١ - تعليق لسان الدين على كتاب ألفه البرغواطي .
١٩٥	.	.	.	١٢ - رسالة إلى أبي حمزة مرفقة بقصيدة سينية .
٢٠٤	.	.	.	١٣ - رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب أيام أبي سالم .
٢٠٥	.	.	.	١٤ - رسالة في تهنئة ابن أبي مدين صاحب الأشغال .
٢٠٦	.	.	.	١٥ - رسالة إلى قاضي الجماعة بسبب غلط أحد الخدام .
٢٠٧	.	.	.	١٦ - رسالة إلى بعض الفضلاء يعتذر عن الذهاب إليه .
٢٠٧	.	.	.	١٧ - رسالة إلى أبي عبد الله ابن نصر حين وصل ولده الأندلس .
٢٠٨	.	.	.	١٨ - رسالة في تهنئة ابن نوّار حين تزوج بنت المزوار .
٢٠٨	.	.	.	١٩ - رسالة إلى عامر بن محمد الهنتاني عميد مراکش .

٢١٠	.	.	.	٢٠ - من مقامة له في البلدان يصف مدينة سبتة
٢١١	.	.	.	٢١ - من « نفاضة الجراب » في وصف مكناسة الزيتون
٢١٣	.	.	.	٢٢ - وصف مكناسة في مقامة البلدان
٢١٣	.	.	.	[تعليق للمقري]
٢١٧	.	.	.	[زيارة لسان الدين لقبر السلطان أبي الحسن وقصيدته في رثائه]
٢١٩	.	.	.	٢٣ - نبذة من كتاب « أعمال الأعلام »
٢٢٠	.	.	.	٢٤ - من كلامه ؛ وطريقته في كتابة التراجم
٢٢٠	.	.	.	٢٥-٤٣ - نقول متفرقة من نثره في كتب التراجم
٢٢٥	.	.	.	٤٤ - عن التاج في ترجمة ابن لب الأمي
٢٣٠	.	.	.	٤٥ - عن التاج في ترجمة ابن عبد الرحيم الوادي آشي
٢٣٠	.	.	.	٤٦ - عن الإكليل في ترجمة ابن العطار المزني
٢٣٠	.	.	.	٤٧ - « » « » محمد بن علي ابن خاتمة
٢٣١	.	.	.	٤٨ - « » « » ابن داود الحميري
٢٣٦	.	.	.	٤٩ - « » « » ابن مقاتل المالقي
٢٣٧	.	.	.	٥٠ - « » « » الشديد المالقي
٢٣٩	.	.	.	٥١ - « » « » ابن الحسن العمراني
٢٣٩	.	.	.	٥٢ - « » « » محمد المرادي العشاب
٢٤٠	.	.	.	٥٣ - « » « » أبي عبد الله المليكنشي
٢٤٢	.	.	.	٥٤ - « » « » أبي عبد الله العبدري
٢٤٢	.	.	.	٥٥ - « » « » أبي القاسم العزفي
٢٤٣	.	.	.	٥٦ - « » « » أبي عبد الله المكودي
٢٤٤	.	.	.	٥٧ - من نثره في ترجمة ابن بيش العبدري
٢٤٥	.	.	.	٥٨ - عن الإكليل في ترجمة أبي عبد الله ابن هانيء السبي
٢٥٣	.	.	.	[همزية صفوان]
٢٥٥	.	.	.	٥٩ - عن التاج في ترجمة أبي محمد الأزدي
٢٥٧	.	.	.	٦٠ - عن الإكليل في ترجمة أبي الحسن السكاك
٢٥٧	.	.	.	٦١ - عن التاج في ترجمة ابن الصباغ العقيلي
٢٦٠	.	.	.	٦٢ - عن التاج والإكليل في ترجمة ابن الحياض
٢٦١	.	.	.	٦٣ - عن الإكليل في ترجمة ابن غفرون الكلبي
٢٦١	.	.	.	٦٤ - « » « » ابن الجلد الفهري

٢٦٢	.	.	.	٦٥ - عن الإكليل في ترجمة أبي عثمان الغساني
٢٦٢	.	.	.	٦٦ - « » « » « » أبي الحجاج الطروشى
٢٦٢	.	.	.	٦٧ - « » « » « » ابن المتأهل العدرى
٢٦٣	.	.	.	٦٨ - عن التاج وعائد الصلة في ترجمة ابن باق
٢٦٥	.	.	.	٦٩ - عن الإكليل في ترجمة ابن فضيلة المعافري
٢٦٦	.	.	.	٧٠ - عن الإكليل والإحاطة في ترجمة أبي العباس الملياني
٢٦٨	.	.	.	٧١ - صورة من نثره في روضة التعريف
٢٧١	.	.	.	٧٢ - صورة أخرى من روضة التعريف
٢٧١	.	.	.	٧٣ - من رسالة له إلى يلبغا الخاصكى
٢٧٣	.	.	.	٧٤ - صدر كتابه المسمى « مثلى الطريقة في ذم الوثيقة »
٢٧٨	.	.	.	[تعلیق الونشريسي على هذا الكتاب]
٢٧٩	.	.	.	٧٥ - خطبة كتابه في المحبة
٢٩١	.	.	.	[برنامج كتابه في المحبة]
٣٠٠	.	.	.	[نماذج مختارة من كتابه في المحبة]
٣١٥	.	.	.	[نماذج منه في الوعظ]
٣٢٧	.	.	.	[قصيدتان لأبي العتاهية]
٣٣٠	.	.	.	[هل يناسب الوعظ المحبة]
٣٣٢	.	.	.	[فصول في ذم الكسل واغتنام الوقت]
٣٣٣	.	.	.	٧٦ - رسالة إلى ابن تافراجين على لسان السلطان
٣٣٩	.	.	.	٧٧ - رسالة إلى الشعب في البشارة بفتح إطريرة
٣٤٠	.	.	.	٧٨ - رسالة عن السلطان إلى سلطان فاس
٣٤٣	.	.	.	٧٩ - رسالة على لسان الأمير سعد ابن الغني بالله
٣٤٤	.	.	.	٨٠ - رسالة على لسان ولد السلطان من مالقة
٣٤٦	.	.	.	٨١ - ظهير في تولية الأمير يوسف مشيخة الغزاة
٣٤٩	.	.	.	٨٢ - ظهير في تقليد الأمير سعد مشيخة الغزاة
٣٥٢	.	.	.	٨٣ - رسالة كتبها من سلا إلى الغني بالله
٣٥٣	.	.	.	٨٤ - رسالة إلى أبي عبد الله ابن عمر التونسي
٣٥٤	.	.	.	٨٥ - رسالة على لسان أبي الحجاج إلى رسول الله (ص)
٣٦٠	.	.	.	٨٦ - رسالة على لسان الغني بالله إلى رسول الله (ص)
٣٧٩	.	.	.	٨٧ - من رسالة له في العزاء
٣٨٠	.	.	.	[للمقري محاكياً لسان الدين]

٣٨٢	٨٨	—	خطبة للسلطان أبي زيان لما تم له الأمر
٣٨٥	٨٩	—	خطبة أخرى للسلطان أبي زيان
٣٨٦	٩٠	—	خطبة ليحيى بن رحو
٣٨٧	٩١	—	خطبة لابن مرزوق الخطيب
٣٨٨	٩٢	—	رسالة إلى ابن مرزوق في الشفاعة
٣٨٩	٩٣	—	رسالة إلى أبي زيد ابن خلدون
٣٩٦	٩٤	—	رسالة إلى أبي زكريا ابن خلدون
٣٩٩	٩٥	—	رسالة إلى أبي القاسم ابن رضوان
٤٠٠	٩٦	—	رسالة إلى شيخ العرب مبارك بن إبراهيم
٤٠٣	٩٧	—	رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب
٤٠٥	٩٨	—	ظهير على لسان السلطان
٤٠٨	٩٩	—	خطبة تربة السلطان أبي الحسن المريني
٤١٠	١٠٠	—	رسالة إلى وزير المغرب
٤١١	١٠١	—	رسالة أخرى إليه على أثر فتح
٤١٢	١٠٢	—	رسالة ثالثة إليه من سلا
٤١٤	١٠٣	—	رسالة إلى عامر بن محمد الهنتاتي في التعزية بأخيه
٤١٦	١٠٤	—	رسالة أخرى إليه
٤١٧	١٠٥	—	رسالة إلى شيخ الدولة وقد أبل من مرض
٤١٩	١٠٦	—	رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب
٤٢٣	١٠٧	—	رسالة أخرى إلى ابن مرزوق
٤٢٧	١٠٨	—	جواب عن كتاب من سلطان تلمسان
٤٣١	١٠٩	—	مقامة في السياسة
٤٤٥	١١٠	—	من نثره «عبارة واحدة»
٤٤٥	١١١	—	من نثره في وصف غاس
٤٤٦	١١٢	—	من نثره في وصف مراكش
٤٤٦	١١٣	—	من نثره في وصف بسطة
٤٤٦			[في ذكر بسطة للتصادي]
٤٤٧	١١٤	—	رسالة إلى السلطان على لسان جدته
٥١٧—٤٤٩			شعر لسان الدين
٤٤٩			مطلوات من الإحاطة

٤٦٣	مقطعات عن الإحاطة
٤٧٥	مختارات أخرى من غير الإحاطة
٤٩١	[ترجمة الولي ابن عاشر]
٤٩٤	رجع إلى نظم لسان الدين
٥١٠	[قصيدة لأبي زكريا ابن خلدون]
٥١٣	[احتفالات أبي حمو بالمولد النبوي]
٥١٥	[مقطوعات لأبي زكريا ابن خلدون على المنجاة]

Abu 'l- 'Abbās A. al- Maqqarī

NAFH AT-TĪB

VI

Edited and Annotated

by

Ihsān 'Abbās, Ph. D.

Dar SADER

P.O.B. 10

BEIRUT, Lebanon

نَفْحُ الطَّيِّبِ

غَضَنُ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِّيبِ

تأليف
الشيخ أحمد بن محمد القرني التيساني

محققة
الدكتور اجسان عباس

المجلد السابع

دار صادر
بيروت

نفع الطيب

٧

جميع الحقوق محفوظة .

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار صادر : صندوق بريد ١٠ - بيروت



الباب الخامس

(تمة)

رجع إلى نظم لسان الدين رحمه الله تعالى ، فنقول :

وأما مَوْشَحَاتِه وأزجاله فكثيرة ، وقد انتهت إليه رئاسة هذا الفن ، كما صرح بذلك قاضي القضاة ابن خلدون في مقدمة تاريخه الكبير ، ولندكر بعض كلامه ، إذ لا يخلو من فائدة زائدة ، قال رحمه الله تعالى ما ملخصه^١ : وأما أهل الأندلس فلمّا كثر الشعر في قُطْرِهِمْ ، وتهدّبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التّميّز فيه الغاية ، استحدث المتأخّرون منهم فنّاً منه سَمَوَهُ بالموشع ، ينظمونه أسماطاً أسماطاً وأغصاناً أغصاناً ، يكثرّون منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويُسَمّون المتعدد منها بيتاً واحداً ، ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعدُ إلى آخر القطعة ، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات ، ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب ، وينسبون فيها ويمدحون كما يُفعل في القصائد ، وتجاوزوا^٢ في ذلك إلى الغاية ، واستظرفه الناسُ وحده^٣ الخاصّة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه ، وكان المخترعُ

١ انظر مقدمة ابن خلدون: ١٣٢٧ وأصل هذا النص نفسه ورد في «المقتطف من أزهار الطرف» لابن

سعيد ، وراجع أزهار الرياض ٢ : ٢٠٨ .

٢ المقدمة : وتجاوزوا .

٣ المقدمة والأزهار : جملة .

لها بجزيرة الأندلس مقدّم بن معافى القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني ، وأخذ عنه ذلك ابنُ عبد ربه صاحب العقد ، ولم يُذكر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما ، فكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صُمّادح صاحب المريّة ، وقد ذكر الأعلام البطلانيّ أنّه سمع أبا بكر ابن زُهر يقول : كلُّ الوشّاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله :

بَدْرُ تَمَّ شمس ضُحى غصن نَقا . مسك شَمَّ
ما أتمَّ ما أوضحا . ما أوزقا ما أنمَّ
لا جرّم منّ لمحا قَدَّ عَشِقا قد حرم

وزعموا أنّه لم يسبق عبادة وشاحٌ من معاصريه الذين كانوا في زمان ملوك الطوائف ، وجاء مصلياً خلفه منهم ابن أرفع رأسه شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، قالوا : وقد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له حيث يقول :

العودُ قد ترنمُ بأبدعِ تلحينٍ وشقّتِ المذائبُ رياضَ البساتين
وفي انتهائه حيث يقول :

تَخطِر ولم تسلمْ عَساك المأمون مُروّع الكتابُ يحيى بن ذي النون
ثمّ جاءت الحُتْبة التي كانت في مدة الملتزمين فظهرت لهم البدائع ، وفُرسان حلبهم^١ : الأعمى التطيلي ، ثمّ يحيى بن بقي ، وللتطيلي من الموشحات المذهبة قوله^٢ :

١ المقتطف : وفرسا رمان حلبهم .

٢ ديوان الأعمى : ٢٧٢ .

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى صَبْرِي فِي الْمَعَالِمِ أَشْجَانُ
وَالرَّكْبُ وَسَطَ الْفَلَاحِ بِالْخُرْدِ النَّوَاعِمِ قَدْ بَانُوا

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل^١ هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشّاحين اجتمعوا في مجلس بإشبيلية ، وكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها ، فتقدم الأعمى التّطيلي للإنشاد ، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله :

صاحك عن جُمان سافر عنْ بَدْرٍ
ضاقَ عَنْهُ الزَّمانُ وَحَوَاهُ صَبْدَرِي

خرّق ابنُ بقي موشحته وتبعه الباكون^٢ .
وذكر الأعلام البطلانيّوسي^٣ أنه سمع ابن زُهر يقول : ما حسدت قطُّ
وشاحاً على قول إلاّ ابن بقي حين وقع له^٤ :

أما ترى أحمدُ في مجدِه العالي لا يلحق
أطلعه المغربُ فأرنا مثله يا مشرق

وكان في عصرهما من الوشّاحين المطبوعين أبو بكر الأبيض ، وكان في عصرهم أيضاً الحكيم أبو بكر ابن باجة صاحب التلاحين المعروفة .
ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس غلومه ابن تيفلويت^٥ صاحب سرقسطة فألقى عليه بعض موشحته :

١ المقتطف : وسنعت غير واحد من الأشياع . . إلخ .

٢ راجع هذه القصة في المجلد ٣ : ٤٠٤ .

٣ المقتطف : ويسمى الأعلام البطلانيّوسي يقول . . إلخ .

٤ انظر هذه الموشحة في ديوان التّطيلي : ٢٧٠ - ٢٧٢ وهي في دار الطراز : ٦٣ منسوبة لابن بقي .

٥ المقتطف : أنه لما ألقى على بعض قينات ابن تيفلويت . . إلخ .

جرّ الزيلَ أيّما جرّ [وصِلَ السكرَ منك بالسكر]^١

فطرب المدوح لذلك ، وختمها بقوله :

عقد الله راية النصر لأمير العلا أبي بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صباح : واطرباه ! وشقّ ثيابه ، وقال : ما أحسن ما بدأت وما ختمت ، وحلف الأيمان المغلظة أن لا يمشي ابنُ باجة لداره إلا على الذهب ، فخاف الحكيم سوء العاقبة ، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه .

ثم قال ابن خلدون بعد كلام : واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف ، إلى أن قال : وابن هرودوس^٢ الذي له :

يا ليلة الوصل والسعود بالله عودي

وابن مؤهل^٣ الذي له :

ما العيدُ في حلّة وطاقٍ وشمّ طيب

ولنّما العيدُ في التلاقي مع الحبيب

وأبو إسحاق الزويلي^٤ .

.....
١ زيادة من المقتطف .

٢ ترجم له في المغرب (٢ : ٢١٠) وسماه أحمد بن هرودس بتقديم الواو على الدال ؛ وكنيته أبو الحكم ؛ وفي التحفة (٥٤) أنه إبراهيم بن علي بن هرودس ؛ وقال إنه من أهل حصن مرشانة من عمل المرية وتوفي بمراكش سنة ٥٧٢ ؛ وسماه في التكملة أيضاً إبراهيم (ص : ١٥٤) وأورد له صاحب المغرب موشحة (٢ : ٢١٥) هي التي أورد هنا مطلعها ؛ وأغلب الظن أن الصواب في نسبه « هرودوس » بتقديم الدال وهي لفظة بربرية ترمز إلى الهجولة . والأرجح أن اسمه « أحمد » لقوله يخاطب أحمد بن عبد الملك بن سميد « يا سميري » (انظر النفع ٤ : ٢٠١) .

٣ ذكره في المغرب ٢ : ٣٩٠ باسم « ابن موهه » وأبو به له موشحة وقال إنه شاطبي سكن مرسية ومدح ابن مردئيش .

في المقدمة والأزهار : الدويهي ، وما أثبتناه هو ما ورد في المقتطف .

قال ابن سعيد : سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول : إنه دخل على ابن زُهر ، وقد أَسَنَّ ، وعليه زيُّ البادية ، إذ كان يسكن بحصن سبته ، فلم يعرفه ، فجلس حيث انتهى به المجلس^١ ، وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها :

كحلُّ الدجى يجري من مقلّة الفجرِ على الصبّاحِ
ومعصمُ النهْرِ في حُللِ خضرٍ من البطّاحِ

فتحرك ابن زُهر ، وقال : أنت تقول هذا ؟ قال : اختبر ، قال : ومن تكون ؟ فأخبره ، فقال : ارتفع ، فوالله ما عرفتك .
قال ابن سعيد : وسابقُ الحُكبة التي أدركتُ هو أبو بكر ابن زُهر ، وقد شرقت موشحاته وغرّبت ، قال : وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول : قيل لابن زُهر : لو قيل لك : ما أبدع ما وقع لك في التوشيح ؟ فقال : كنت أقول :

ما للمولّه من سكره لا يُفِيقُ يا لهُ سكران
[مِنْ غَيْرِ خمرٍ ما للكثيرِ المشوّقُ يندُبُ الأوطان]
هلّ تُستعادُ أيا منّا بالخليج وليالينا
إذْ يُستفادُ مِنْ النسيم الأريج مسكُ دارينا
وإذْ يكادُ حسنُ المكانِ البهيج أنْ يُحيينَا
نهر أظْلَه . دَوْح عَليّه أنيق مؤنق فينان
والماء يَجري وعائِمٌ وغريقٌ من جنى الرياحان

واشتهر بعده ابن حيون ؛ إلى أن قال : وبعد هؤلاء ابن حزمون بمُرسية ، ذكر ابن الراس أن يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه ، فأنشده موشحة لنفسه ، فقال له ابن حزمون : ما الموشح بموشح حتى يكون عارياً من التكلف ، فقال :

١ المقتطف : فجلس حيث وجد .

على مثل ماذا ؟ فقال : على مثل قولي :

يا هاجسري هَلْ إلى الوصالِ منك سَبِيلُ
أو هَلْ يرى عَن هَوَاكَ سَالِ قلبُ العليلِ

وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة ، قال ابن سعيد : كان والذي يعجب
بقوله :

إنَّ سَبِيلَ الصِّباحِ في الشرقِ عادَ بحراً في أجمع الأفقِ
فتداعَتْ نوابدُ الورقِ أتراها خافتُ من الغرقِ
فبَكَتْ سَحرةٌ على الورقِ

واشتهر بإشيلية لذلك العهد أبو الحسن ابن الفضل ، قال ابن سعيد عن والده :
سمعت سهل بن مالك يقول له : يا ابن الفضل ، لك على الوشّاحين الفضل ،
بقولك :

واحسرتي لزمان مضى عشيّة بانّ الهوى وانقضى
وأفردتُ بالرغم لا بالرضى وبتُّ على جمرات الغضا
أعائق بالفكر تلك الطلولُ وألثمُ بالوهم تلك الرسومُ

قال : وسمعت أبا بكر ابن الصابوني ينشد الأستاذ أبا الحسن الدبّاج موشحاته
غير ما مرّة فما سمعته يقول « لله درك » إلا في قوله :

قسماً بالهوى لذي حَجَرٍ ما لليل المشوق من فجرٍ
خَمَدَ الصبَحُ لَيْسَ يطردُ
ما لليلي فيما أظنُّ غَدَ
صَحَّ يا لَيْلُ أنك الأبدُ

أو تقضتُ قوادمُ النسرِ فنجومُ السماء لا تسري

ومن موشحات ابن الصابوني قوله :

ما حالُ صَبٍّ ذي ضنًى واكتئابُ أمرضُهُ يا ويلتاهُ الطَّيِّبُ
عامَلُهُ محبوبُهُ باجتئابُ ثمَّ اقتدى فيه الكرى بالحبيبِ

جفا جُفُونِي النومُ لكَتَي لَمْ أَبْكِهِ إِلَّا لَفَقْدِ الخيالِ
وذو الوصالِ اليومَ قَدْ غَرَّني منه كَمَا شاءَ وشاءَ الوصالِ
فلستُ باللائمِ مَنْ صدَّقني بصورة الحقِّ . ولا بالمحالِ

واشتهر ببر العُدوة ابن خلف الجزائري صاحب الموشحة المشهورة :

يد الإصباح . قَدْ قَدَحَتْ زنادَ الأنوارِ من مجامرِ الزهرِ

وابن خزر البجائي ، وله من موشحة :

ثغرُ الزمانِ موافقُ حيَّاكَ مِنْهُ بابتسامِ

ومن محاسن الموشحات موشحة ابن سهل شاعر إشبيلية وسبته من بعدها^١ :

هل دَرَى ظَنِّي الجميَّ أنْ قد حمى قلبَ صَبٍّ حَلَّه عن مكنَسِ
فهو في حرٍّ وخَفَقٍ مثلما لعبت ريسُ الصَّبِّ بالقيسِ

وقد لسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب شاعرُ
الأندلس والمغرب لعصره فقال :

جادك الغيثُ إذا الغيثُ هَمَى يا زمانَ الوصلِ بالأندلسِ
لم يكنْ وصلُكَ إِلَّا حُلْبَا في الكَرَى أو خِلْسَةَ المختلسِ

١ انظر ديوان ابن سهل : ٣٨٣ وهي الموشحة التي شرحها الأفراني في كتاب سماء « المسلك السهل
في شرح توشيح ابن سهل » . يقول الأفراني : وقد وقفت على أزيد من اثني عشرة موشحة مما
عورضه به توشيح ابن سهل .

إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ الْمَنَى	يَنْقُلُ الْخَطْوَ عَلَى مَا يَرْتَمِ
زُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَثُنَا	مَثَلَمَا يَدْعُو الْوَفُودَ الْمَوْصِمُ
وَالْحَيَا قَدْ جَلَّلَ الرُّوضَ سَنَا	فَتَغُورُ الزَّهْرُ مِنْهُ تَبَسُّمُ
وَرَوَى النِّعْمَانُ عَنْ مَاءِ السَّمَاءِ	كَيْفَ يَرُوي مَالِكٌ عَنْ أَنَسٍ
فَكَسَّاهُ الْحَسَنُ ثَوْبًا مُعَلِّمًا	يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسٍ
فِي لَيَالٍ كَتَمْتُ سِرَّ الْهَوَى	بِالدَّجَى لَوْلَا شَمُوسُ الْغُرَى
مَالِ نَجْمٍ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى	مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ
وَطَرٌّ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى	أَنَّهُ مَرٌّ كَلِمَحِ الْبَصْرِ
حِينَ لَدَى الْإِنْسِ شَيْئًا أَوْ كَمَا	هَجَمَ الصَّبْحُ هَجُومَ الْحَرَسِ
غَارَتِ الشُّهُبُ بَنَّا أَوْ رِيحًا	أَثَرَتْ فِينَا عَيُونَُ الرُّجَسِ
أَيُّ شَيْءٍ لَامَرَى قَدْ خَلَصَا	فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مُكِّنَ فِيهِ
تَنْهَبُ الْأَزْهَارُ مِنْهُ الْفُرَصَا	أَمْنًا مِنْ مَكْرِهِ مَا تَنْقِيهِ
فَإِذَا الْمَاءُ تَنَاجَى وَالْحَصَى	وَحَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ
تَبَصَّرُ الْوَرْدَ غِيورًا بَرِّمَا	يَكْتَسِي مِنْ غِيظِهِ مَا يَكْتَسِي
وَتَرَى الْآسَ لَبِيًّا فِيهَا	يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأَذْنَيْ فَرَسٍ
يَا أَهْلَ الْحَيِّ مِنْ وَادِي الْغَضَا	وَبِقَلْبِي سَكَنَ أَنْتُمْ بِهِ
ضَاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْفَضَا	لَا أَبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
فَاعْبُدُوا عَهْدَ أَنَسٍ قَدْ مَضَى	تُعْتَقُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ
وَاقْبُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمَا	يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسٍ
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا	أَفَرَضُونَ عَقَاءَ الْحَبَسِ

وبقلبي منكم مقتربُ
قمرٌ أطلعَ منه المغربُ
قد تساوى محسنٌ أو مذنبُ
بأحاديثِ المنى وهو بعيدُ
شقوةَ المغرَى به وهو سعيدُ
في هواه بينَ وعدٍ ووعدٍ

ساحرُ المقلّةِ معسولُ اللَّمي
سدّدَ السهمَ وسمّى ورمى
جالَ في النَّفسِ مجالَ النَّفسِ
فقوّادي نهبةُ المفترسِ

إن يكنْ جارٍ وخابَ الأملُ
فهو للنفسِ حبيبٌ أولُ
أمره مُعْتَمِلٌ مُمْتَلِ
وفؤادُ الصبِّ بالشوقِ يذوبُ
ليس في الحبِّ لمحبوبِ ذنوبُ
في ضلوعٍ قد بَرّاهما وقلوبُ

حكّمَ التحفّةَ بها فاحتكما
منصفَ المظلومِ ممّنَ ظلما
لم يراقبْ في ضعافِ الأنفسِ
ومجازي البرِّ منها والمُسي

ما لقلبي كلما هبتَ صبا
كان في اللوحِ له مكتبا
جلب الهمَّ له والوصبا
عاده عيد من الشوقِ جديدِ
قوله : « إنَّ عذابِي لَشَدِيدِ »
فهو للأشجانِ في جهْدٍ جهيدِ

لا عَجْ في أضلعي قد أضرمّا
لم يدعْ في مُهْجتي إلا ذمّا
فهي نارٌ في هَشِيمِ اليبسِ
كبقاء الصبحِ بعد الغلسِ

سلّمي يا نفسُ في حكمِ القضا
دعك من ذكرى زمانٍ قد مضى
واصر في القولِ إلى المولى الرضى
واعمرى الوقتَ برُجعى ومتابِ
بين عُنْبِي قد تقصّتْ وعتابِ
ملهم التوفيقِ في أمّ الكتابِ

الكريم المُتَّهَى والمُنْتَمَى
يتزلُّ النصرُ عليه مثلما
أسدِ السَّرْجِ وبدرِ المجلسِ
يتزلُّ الوحي بروحِ القدُّسِ

إلى هذا الحد انتهى ابن خلدون من موشحة لسان الدين ، ولا أدري لِمَ لَمْ
يكملها ، وتمامها قوله :

مصطفى الله سَمِيَّ المصطفى	الغني بالله عَن كلُّ أحد
مَنْ إِذَا مَا عَقَدَ العهدَ وَفَى	وإذا ما فُتِحَ الخطبُ عقد
من بَنِي قيسِ بن سعدٍ وكفى	حيثُ بَيَّتُ النصرَ مرفوعُ العمَد
حيثُ بَيَّتُ النصرَ محمى الحمى	وجنَى الفضلِ زكيُّ المغرس
والهوى ظلُّ ظليلٌ خيما	والندى هبَّ إلى المغرس
هاكها يا سبطَ أنصار العُلا	والذي إن عَثَرَ الدهرُ أقال
غادةٌ ألبسها الحسنُ مُلا	تبهرُ العينَ جِلاءَ وصقال
عارضتُ لفظاً ومعنى وحلى	قول من أنطقه الحبُّ فقال :
« هل درى ظبي الحمى أن قد حمى	قلبَ صَبَّ حلَّه عن مكْنَسِ »
« فهو في خفقٍ وحرٍّ مثلما	لعبتُ ريحُ الصَّبَا بالقَبَسِ »

ثمَّ قال ابن خلدون : وأما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عاثوه من
الموشحات ، ومن أحسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سناء الملك المصري التي
اشتهرت شرقاً وغرباً ، وأولها :

[با] حبيبي ارفع حجابَ النور عَن العذار
تَنْظُرُ المسكَ عَلَى كافور في جَلَنار
كلِّي يا سَحْبُ تيجانِ الرُّبى بالحلي
واجعلي سِوارها منعطفَ الجلول

ولمّا شاع فنَّ التوشيح في أهل الأندلس ، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق

كلامه وتصريح أجزائه ، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ، ونظموا في طريقتهم بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيه إعراباً^١ ، واستحدثوا فنّاً سموه بالزجل ، والتزموا النظم فيه على مناحيهم إلى هذا العهد ، فنجأوا فيه بالغرائب ، واتسع فيه للبلاغة بجال ، بحسب لغتهم المستعجمة ، وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر ابن قزمان ، وإن كانت قيلت قبله بالأندلس^٢ ، لكن لم تظهر حللاًها ، ولا انسبكت معانيها ، واشتهرت رشاقتها ، إلا في زمانه ، وكان لعهد الملتّمين ، وهو إمام الزجالين على الإطلاق ، قال ابن سعيد : رأيت أزجاله مروية ببغداد أكثر ممّا رأيتها بحواضر المغرب ، قال : وسمعت أبا الحسن ابن جَحْنَر الإشبيلي^٣ إمام الزجالين في عصرنا يقول : ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة ، وقد خرج إلى منزله مع بعض أصحابه ، فجلسوا تحت عريش ، وأمامهم تمثال أسد من رخام يصب الماء على صفائح من الحجر ، فقال :

وعريشٌ قد قامَ على دكّانٍ بحالٍ رواقٌ
وأسدٌ قد ابتلعَ ثعبانٍ من غلظٍ ساقٍ
وفتحَ فمُو بحالٍ إنسانٍ بهِ الفُواقُ
وانطلقَ من ثم على الصّفاح واللقى الصباح

- ١ يؤخذ من هذا أن ابن خلدون يرى أسبقية الموشح على الزجل ، وهو أمر يخالف طبيعة الأشياء ، لأن الزجل في أصله أغنية شعبية ، وإنما يعني ابن خلدون أن الزجل أحرز « مكانة أدبية » بعد شيوع الموشح .
- ٢ ظهر من الزجالين ابن نمارة وابن راشد قبل ابن قزمان ولكنه خالف طريقة القدامى - كما يسميهم - واختار العودة بالزجل إلى سهولة الأغنية الشعبية وروقتها .
- ٣ هو علي بن جعدر (المغرب ١ : ٢٦٢ واختصار القلح : ١٧٢) قال ابن سعيد : أكثر اشتهاره بالانطباع في الزجل ، وجالسته كثير أباشبيلية ، وطال عمره حتى جاوز التسعين ومات سنة ٦٣٨ .

وكان ابن قزمان مع أنه قرطبي الدار كثيراً ما يتردد إلى إشبيلية ، ويتتاب
نهرها .

إلى أن قال ابن خلدون : وجاءت بعدهم حكمة كان سابقها مدغليس^١ ،
وقعت له العجائب في هذه الطريقة ، فمن قوله في زجله المشهور :

ورذاذُ دقْ ينزلُ وشعاعُ الشمسِ يضربُ
فترى الواحدُ يفضضُ وترى الآخرُ يذهبُ
والنباتُ يشربُ ويسكرُ والقصونُ ترقصُ وتطربُ
وتريدُ تبي إلى النـا ثم تستحي وترجع

ومن محاسن أزجاله قوله :

لاح الضياء والنجوم سكارى

ثم قال : وظهر بعد هؤلاء في إشبيلية ابن جحدر الذي فضل على الزجالين
في فتح ميسورة بالزجل المشهور الذي أوله :

من يُعاند التوحيد بالسيف يمحى أنا بري ممن يعاند الحق

قال ابن سعيد : لقينته ولقيت تلميذه البعيع^٢ صاحب الزجل المشهور الذي
أولهُ :

ليتني إن ريت حبيبي أفتل أذنو بالرسيل
لش أخذ عنق الغزير وسرق فم الحجيل

١٠ اسمه أحمد بن الحاج ، وكان في دولة بني عبد المؤمن ، وهو شيخ الزجالين بعد ابن قزمان (المغرب
٢ : ٢١٤) وقد أورد له ابن سعيد (٢ : ٢٢٠) زجلين وله في العاقل الحالي أزجال (١٨ -
٢٥) وأخرى منقولة من سفينة ابن مبارك شاه (العاقل ٢٠٤ - ٢١٤) وانظر النفع ٣ : ٣٨٥ .
٢ ق : البعيع .

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك إمام الآداب ، ثم من بعدهم لهذه
العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب إمام النظم والنثر في الملة الإسلامية
غير مدافع ، فمن محاسنه في هذه الطريقة :

امزج الأكواس^١ واملالي^٢ نُجِدَدَ ما خُلِقَ المال^٣ إلا أن يُبَدَدَ

ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى المشتري منهم :

بين طلوع^٤ وبين نزول^٥ اختَلَطَت الغزول^٦
ومضى من لَمْ يَكُنْ^٧ وبقي مَنْ لَمْ يَزُول^٨

ومن محاسنه أيضاً قوله في ذلك المعنى :

البعد^٩ عَنكَ يا ابني أعظم^{١٠} مصايبي^{١١} وحين حَصَلَ^{١٢} لي قربك سَيَبْتَ^{١٣} أقاربي^{١٤}

انتهى المقصود جلبيه من كلام ابن خلدون ، وقد أطال رحمه الله تعالى في هذا
المقصد ، ولَمْ أَرِدْ إبراد جميع كلامه لطوله وعدم تعلُّق الغرض به ، وفيما
ذكرته منه كفاية لتعلُّقه بأمر لسان الدين رحمه الله تعالى ، وشهادته له أنه شاعر
الإسلام غير مدافع ، وأنه انتهت إليه رياسة الصناعة الزجلية والتوشيحية .

[ترجمة ابن باجة من القلائد]

وأبو بكر بن باجّة الذي أشار إليه ابن خلدون : هو أبو بكر ابن الصائغ
التنجيبي السَّرْقُسْطِي ، الذي قال في حقّه لسان الدين في « الإحاطة » : إنه آخر
فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس ، وكان بينه وبين الفتح بن خاقان صاحب
« القلائد » معاداة فلذلك هجاه في القلائد ، وجعله آخر ترجمة فيها إذ قال ما
نصّه^١ : الأديب أبو بكر ابن الصائغ ، هو رَمَدُ عَيْن^٢ الدين ، وكمّله^٣ نفوس

١ القلائد : ٣٠٠ - ٣٠٦ . ٢ القلائد : جفن .

المهنددين ، اشتهر سُخْفًا وجنوناً ، وهَجَرَ مفروضاً ومسنوناً ، فما يتشرّع ، ولا يأخذ في غير الأضاليل ولا يشرع ، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة ، ولا أظهر مخيلة إنابة ، ولا استنجى من حدث ، ولا أشجى فؤاده بتوار في حدث ، ولا أقر ببارية ومصوره ، ولا قرّ عن تباريه في ميدان تهوره ، الإساءة إليه أجدى من الإحسان ، والبهيمة عنده أهدى من الإنسان ، نظر في تلك التعاليم ، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض كتاب الله الحكيم العليم ، ونبذه وراء ظهره ثاني عطفه ، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، واقتصر على الهيئة ، وأنكر أن تكون له إلى الله تعالى فيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، وأجترم على الله اللطيف الخبير ، واجترأ عند سماع النهي والإيعاد ، واستهزأ بقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ (القمر : ٨٥) فهو يعتقد أن الزمان دور ، وأن الإنسان نبات أو نور ، حِمَامَه تمامه ، واختطافه قِطَافَه ، قد عحي الإيمان من قلبه فما له فيه رَسَم ، ونسي الرحمن لسانه فما يمرّ له عليه اسم ، وانتمت نفسه إلى الضلال وانتسبت ، ونفت ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (غانر : ١٧) ، فقصر عمره على طَرَبٍ ولهو ، واستشعر كلّ كبير وزهو ، وأقام سوق المويستقى ، وهام بحادي القطار وسقفاً ، فهو يعكف على سماع التلاحين ، ويقف عليه كل حين ، ويعلن بذلك الاعتقاد ، ولا يؤمن بشيء قادنا إلى الله تعالى في أسلس مقاد ، مع مثيل وخيم ، ولؤم أصل وخيم^١ ، وصورة شوها الله تعالى وقبحها ، وطلعة إذا أبصرها الكلب نبجها ، وقذارة يؤذي البلاد نفسها ، ووضارة يحكي الخداد دنسها ، وفند لا يعمر إلا كنفه ، ولد لا يقوم إلا الصعاد جنته ، وله نظم أجاد فيه بعض إجادة ، وشارف الإحسان أو كاده ،

١ الخيم : الطيبة والأصل .

فمن ذلك ما قاله في عبد حبشي كان يهواه ، فاشتمل عليه أنثى سَعَر حشاه^١ ،
ونقله إلى حيث لم يعلم مشواه ، فقال :-

يا شائقي حيث لا أَسْطِيعُ أدركهُ . ولا أقولُ غداً أغدو فألقاهُ
أما النهارُ فليلي ضمَّ شملته على الصّباح فأولاهُ كأخراهُ
أغرّ نفسي بآمالٍ مزوّرةٍ مِنْها لقاؤك . والأيامُ تأباهُ
وله فيه لما بلغه موته ، وتحقّق عنده فتوته :

ألا يا رزقُ والأقدارُ تجري - بما شئتَ نَشا أو لا نشاء
هل أنتَ مطارحي شجوي فتدري وأدري كيفَ يحتمل القضاء
يقولون الأمورُ تكونُ حوراً . وهذا فقدّه فمتى اللقاء

وله في الأمير أبي بكر ابن إبراهيم قدس الله تعالى تربته ، وآنس غربته ،
مدائح انتظمت بلبّات الأوان ، ونظمت على كل شئت من الإحسان ، فمن
ذلك قوله :

توضّح في الدجى طرفٌ ضريّرُ ستاً بلوى الصريمة يستطيرُ
فيا بأبي ولم أبذل يسيراً . وإن لم يكفهم ذاك الكثير
بريقٌ لا تقلّ هو ثغرُ سلمى فتأثم ، إنّه حُوبٌ وزور
فكيف وما أطلّ الليلُ منه ولا عيقت بساحته الخمور
ترامى بالسدير فزاد قلبي من البرحاء ما شاء السدير
فلولا أنّ يومَ الحشرِ يقضي عليّ بحكمِ مولى لا يجرور
دعوتُ على المشقّر أن يجازى بما تجزى به الدار الغرور

١ القلائد : جواه .

ومنها :

لقد وسع الزمان عليه عدوى ، وَخُفِّرَ بِشِبْلِهِ اللَّيْثُ الْهَاصُورُ
وَقَلْبَنَا الزَّمانُ فَلَا بُطُونُ تَضْمِنَتِ الْوَفَاءَ وَلَا ظُهُورُ
سوى ذكرٍ أَطَارِحَهُ فَلَوْلَا إِيَّاهُ أَمِيرُ لَقَدْ عَفَا لَوْلَا الْأَمِيرُ
هَمَامٌ جُودُهُ يَصِفُ السَّوَارِي وَسُطُوتُهُ يُعَيِّرُهَا الْمَجِيرُ
وَقَلْنَا نَحْنُ كَيْفَ وَرَاحَتَهُ بِحُورٍ يَلْتَنِظِي فِيهَا سَعِيرُ
فَهَلْ فِيمَا سَمِعْتَ بِهِ خِصَامٌ يَكُونُ الْخِصَمُ فِيهِ هُوَ الْعَذِيرُ

وكان الأمير أبو بكر يعتقد له هذه المائة ويرأها ، ويجود أبداً تراها ،
فلما ولي الثغر والشرق لم يغفله من رعي ، ولم يكله^١ إلى شفاعة وسعي ،
وحمله على ما كان يعتقد فيه من المقت ، واستعمله على ما كان يقتضيه خلق^٢
الوقت ، من إقامة الوعد^٣ ، وتسويغه كل نعيم رغد ، وتغليب حجة داحضة ،
وإنهاض عثرة غير ناهضة ، فتقلد وزارته ودولته تزهى منه بأندى من الوسمي^٤
المبتكر ، وأهدى من النجم في الليل المعتكر ، وألويته تيمس زهواً ميس الفتاة ،
ورعيته تبتهج بملكه ابتهاج حيي بابن المومة^٥ ، ومذاهبه يبسطها الفضل وينشرها ،
وكتائبه لا يكاد العدو يعشرها ، فجاش إليه وانبرى ، وراش في تنكيلهم وبرى ،
وأقطعهم ما شاء من مقابحتة ، وأسمعهم ما يصم بين ختمه ومفاتحتة ، فوغيرت

١ القلائد : لم يغفلها . . . ولم يكلها ؛ والضمير عائد على « المائة » .

٢ القلائد : من إقامة كل وعد . ق : من إقامة وعد .

٣ كذا ؛ وفي القلائد : ابتهاج جابر بعهد البوابة ، وفي التبيين خطأ في اسم العلم ، أما البوابة
والمومة فيدلان على شيء واحد هو الأرض المتسعة ؛ وأرى أن الإشارة إلى من اسمه « جرير » وهو
المشهور باسم « المتلمس » إذ يقول في ذكر البوابة :

لن تسلكي سبل البوابة منجدة ما عاش عمرو وما عبرت قابوس
والبوابة هنا ثنية في طريق نجد .

صدورهم السليمة ، واعتلت صحة ضمائرهم بنفوسهم الأليمة ، ولم يزل يأخذ في الإضرار بهم ولا يدع ، ويعلن به ويصدع ، حتى تفرق ذلك الجمع ، وألقاه بين بصر السباب والسمع ، وأفرد الدولة من ولاتها ، وجرداها من حماها ، فاستعجل العدو بذلك واستشرى ، وزأر منه على سرقسطة ليث شري ، ولما رأى الشرقد ثار قتامة ، وبدا من ليله إعتامه ، ارتحل واحتمل ، وقال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ، وأقام ببلنسية يشفي نفسه ، ويستوفي أنسه ، ونجوم سعدا كل يوم غائرة ، والعدو يتربص بها أسوأ دائرة ، ويروم منازلها ثم يدع الاقتحام ، ويريد التقدم إليها فيؤثر الإحجام ، تهيأ لذلك الملك السري ، والليث البحري ، وفي خلال هذه المحاولة ، وأثناء تلك المطاولة ، عاجل الأمير أبا بكر حيامه ، واستسر فيها تمامه ^١ ، وأجته الثرى ، وحاز منه بدر دجنة وليث شري ، فعطلت الدنيا من علاء وجود ، وأطلت عليها بفقده حوادث أجديت تهايمها والنجود ، وفيه يقول يرثيه بما يسيل الفؤاد نجيعاً ، ويبيت به الأسى لسامعه ضجيعاً :

أيها الملك قد لعمرى نعى المج د نواعيك يوم قمن فنحننا
كم تقارعت والخطوب إلى أن غادرتك الخطوب في الترب رهنا
غير أنني إذا ذكرتك والده سر إخال اليقين في ذاك ظناً
وسألنا متى اللقاء فليل حشر قلنا : صبراً إليه وحزناً

وكثيراً ما يُغير هذا الرجل على معاني الشعراء ، وينبذ الاحتشام من ذلك بالعراء ، ويأخذها من أربابها أخذ غاصب ، ويعوضهم منها كل هم ناصب ، فهذا مما أطل به كمد أبي العلاء وغمه ، فإنه أخذه من قوله يرثي أمه ^٢ :

١ يريد أنه كان بداراً كاملاً فأصابه السرار .

٢ شروح السقط : ١٤٦٠ ، ١٤٦٨ .

فيا ركبَ المنونِ ألا رسولٌ^١ يبلغُ روحَهَا أَرْجَ السلامِ
سألتُ متى اللقاءَ فقليلَ حتى يقومَ الهامدونَ من الرّجَامِ

ولما خافت سرقسطة من يد الإسلام ، وبانت نفوس المسلمين قرعاً منهم في
يد الاستسلام ، ارتاب بقيح أفعاله ، وجرىء من احتدائه بتلك الآراء وانتعاله ،
وأخافه ذنبه ، ونبا عن مضجع الأمنِ جنبه ، فكرّ إلى الغرب ليتوارى في
نواحيه ، ولا يترأى لعين لائمه ولاحيه ، فلما وصل شاطبة حضرة الأمير
إبراهيم بن يوسف بن تاشفين وجدّ باب نفاذه وهو مبهم ، وعاقه عنه مدلول^١
عليه ملهم ، فاعتقله اعتقالاً شفى الدين من آلامه ، وشهد له بعقيدة إسلامه ،
وفي ذلك يقول ، وهو معقول ، ويصرح بمذهبه الفاسد ، وغرضه المستاسد :

خَقَصْ عليك فما الزمانُ وريبه	شيء يلومُ ولا الحياةُ تدومُ
واذهبْ بنفسٍ لم تضعْ لتحلها	حيثُ احتلتَ بها وأنتَ عليم
يا صاحبي لفظاً ومعنى خلته	من قبلُ حتى بيّنَ التقسيم
دعْ عنك من معنى الإخاء ثقيله	وانبذْ بذاك العبء وهو ذميم
واسمعْ وطارحني الحديثَ فإنه	ليلٌ كأحداثِ الزمانِ بهيم
خذني على أثر الزمان فقد مضى	بؤسٌ على أنثائه ونعيم
فعمى آرى ذاك النعيمَ وربّه	مرحٌ وربُّ البؤس وهو سقيم
هيهات ساوتَ بينهم أجدائهم	وتشابه المحسودُ والمحروم

ولما خلع من تلك الحيلة ونجا ، وأثار من سلامته ما كان دجاً ، احتال
في إخفاء ماله ، واستيقاء أماله ، فأظهر الوفاء للأمير أبي بكر بالثناء له والتأيين ،
وتداهيه في ذلك واضح مستبين ، فإنه وصل بهذه الترعّة من الحماية إلى حرم ،

١ القلائد : شيعان مدلول .

وحصل في ذمة ذلك الكرم ، واشتمل بالرعي ، وأمن من كل سعي ، فافتنى
قياناً ، ولقنهن أعاريض من القريض وركب عليها ألحاناً أشجى من النوح ،
ولطف بها إلى إشادة الإعلان باللوعة والبوح ، فسلك بها أبدع مسلك ، وأطلعها
نيرات ما لها غير القلوب من فلك ، فمن ذلك قوله :

إنَّ غراباً جرى ببينهمُ جاوبته بالنياسة الصردُ
طاروا فها أنت بعدهم جسدُ قد فارق الروح ذلك الجسدُ
واكتموا صُبحَةً بينهمُ فبئس والله ما الذي اعتمدوا

وكفوله :

سلامٌ وإمامٌ ووسميُّ مزنةٍ على الجدثِ النَّائي الذي لا أزوره
أحقاً أبو بكر تقصّي فلا يرى تردُّ جماهير الوفود ستوره
لئن أنيست تلك القبور بلحده لقد أوحشت أنصاره وقصوره

ومن قلّة عقله وتزارته ، أنه في مدة وزارته ، سقّر بين الأمير أبي بكر
رحمه الله تعالى وبين عماد الدولة بن هود رحمه الله تعالى بعد سعايات عليه أسلفها ،
وذخائر كانت له على يديه أتلّفها ، فوافاه أوغّر ما كان عليه صدراً ، وأصغر
ما كان لديه قدراً ، قال به ذلك الانتقال ، إلى الاعتقال ، فأقام فيه شهوراً
يغازله الحيام بمقلة شوهاء ، وتتنازله الأوهام بقطرته الورّهاء ، وفي ذلك يقول :

لعلك يا يزيد علمت حالي فتعلم أيّ خطبٍ قد لقيتُ
ولائي إن بقيتُ بمثل ما بي فمن عجب الليالي أن بقيتُ
يقولُ الشامتون شقاء بختٍ لعمرُ الشامتين لقد شقيتُ
أعندهمُ الأمانُ من الليالي وسالمهم بها الزمنُ المقيتُ
وما يدرون أنهم سيُسقوا على كره بكأسٍ قد سُقيتُ

وعزم عماد الدولة يوماً على قتله ، وألزم المرقبين به التحيُّلَ على ختله ،
فمني إليه الأمر الوَعْر ، وارتمى به في بلجج اليأس الذعر ، فقال :

أقولُ لنفسي حينَ قابلتها الردى فراغتُ فراراً منه يُسرَى إلى يمني
قيرى تحمدي بعضَ الذي تكرهينه فقد طالما اعتدتِ الفرار إلى الأهنا

ثم قضى له قدر قضى بإنظاره ، وما أمضى من إباحته ما كان رهين انتظاره ،
ويمهل الفاجر حكمةً من الله تعالى وعلماً و﴿ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾
(آل عمران : ١٧٨) ؛ انتهى نص القلائد .

[ثناء الفتح على ابن باجة]

وَأين هذا من تحليته له في بعض كتبه بقوله فيه ما صورته : نور فهم ساطع ،
وبرهان علم لكل حجة قاطع ، تتوجت بعصره الأعصار ، وتأرجت
من طيب ذكره الأمصار ، وقام أوانُ المعارف واعتدل ، ومال للأفهام فتناً
وتهدل ، وعطل بالبرهان التقليد ، وحقق بعد علمه الاختراع والتوليد ،
إذا قدح زئد فهمه أورى بشرر للجهل محرق ، وإن طما بحر خاطره فهو لكل
شيء مغرق ، مع نزاهة النفس وصونها ، وبُعد الفساد من كونها ، والتحقيق ،
الذي هو للإيمان شقيق ، والجد ، الذي يخلق العمر وهو مستجد ، وله أدب يود
عُطارد أن يلتحفه ، ومذهب يتمنى المشتري أن يعرفه ، ونظم تعشقه اللبّات
والنحور ، وتدّعيه مع نفاسة جوهرها البحور ، وقد أثبت منه ما تهوى الأعين
النَّجْلُ أن يكون لئمهها ، ويزيل من النفوس حزنها وكدها ، فمن ذلك قوله
يتغزل :

أَسْكَنَ نَعْمَانَ الْأَرَكَ تَيَقَّنُوا بِأَنْكُمْ فِي رَيْعِ قَلْبِي سُكَّانُ

ودوموا على حفظ الوداد فطالمسا
سلوا الليل عني إذ تناءت دياركم
وهل جرّدت أسياف برق سمائككم
بلينا بأقوام إذا استُحفظوا خانوا
هل اكتحلت لي فيه بالنوم أجفان
فكانت لها إلا جفوني أجفان
وله :

أتأذن لي آتي العقيق اليمانيا
وهل داركم بالحزن قفراء لآتي
فيا مكرع الوادي أما فيك شربة
ويا شجرات الجزع هل فيك وقفة
أسأله ما للمعالي وما ليا
تركت الهوى يقتاد فضل زماميا
لقد سال فيك الماء أزرق صافيا
وقد فاء فيك الظل أخضر صافيا
وأورد له في «المطمح» أنه استأذن على المستعين بالله ، فوجده محجوباً، فقال :

من مبلغ خير إمام نشأ ذا عزة وسامياً قدراً
قول امرئ لو قاله للصفاء أنبت فيه ورقاً خضراً
عبدك بالباب له خجلة لو أنها بالزرجس أحمرأ

وحكى غير واحد أنه مات له سكن كان يهواه ، فبات مع بعض أصحابه
عند ضريحه ومثواه ، وكان قد عرف وقت كسوف البدر بصناعة التعديل ،
فزور في نفسه بيتين في خطاب القمر أتقنهما ولحنهما ، حتى إذا كان قبيل وقت
الكسوف بقليل تغنى فيهما بذلك الصوت المشجي ، واللحن يسوق الشوق
ويزجي ، وهما :

شقيقك غيب في لحدِه وتُشرق يا بدر من بعده
فهلاً كسفت فكان الكسوف حداداً لبست على فقهه

فكسف القمر في الحال ، وعدت هذه من نوادره التي جيد الأخبار بفرائدها
حال ، ساعه الله تعالى .

[ابن الحداد الوادي آشي]

ثم رأيت في « الإحاطة »^١ نسبة ذلك لغيره ونصه : محمد بن أحمد بن الحداد ، الوادي آشي ، يكنى أبا عبد الله .

حاله - شاعر مفلح ، وأديب شهير ، مشار إليه في التعاليم ، منقطع القرين منها في الموسيقى ، مضطلع بفك المعنى ، سكن المرية ، واشتهر بمدح رؤسائها من بني صُمّادح ، وقال ابن بَسّام : كان أبو عبد الله هذا شمس ظهيرة ، وبحر خبر وسيرة ، وديوان تعاليم مشهورة ، وضح في طريق المعارف وضوح الصبح المتهلّل ، وضرب فيها بقدرح ابن مُقبِل^٢ ، إلى جلالته مقطع ، وأصالة متنزع ، ترى العلم ينم على أشعاره ، ويبين في منازعه وآثاره .

تأليفه - ديوان شعره كبير معروف ، وله في العروض تصنيف مشهور مزج فيه بين الألحان الموسيقية والآراء الخليلية .

بعض أخباره - حدث بعض المؤرخين ممّا يدل على ظرفه أنّه فقد سكناً عزيزاً عليه ، وأحوجت الحاجة إلى تكلف سلوة ، فلمّا حضر الندماء ، وكان قد رصد الخسوف القمري ، فلمّا حقق أنّه ابتداء أخذ العود وغنى « شقيقك غُيِّبَ - إلى آخره » وجعل يرددّها ويخاطب البدر ، فلم يتم ذلك إلا واعترضه الخسوف ، وعظم من الحاضرين التعجب .

ثم قال لسان الدين في ترجمة شعره : وقال^٣ :

أقبلن في الخبرات يقضرن الخطا ويرين في حُلّ الوراشين القطا^٤
سرب الجوى لا الجوى عود حسنه أن يرتعي حبّ القلوب ويلقطا

١ الإحاطة ٢ : ٢٥٠ .

٢ ينسب القدح إلى الشاعر ابن مقبل لأنه أجاد وصفه (ديوانه : ٢٨ - ٢٩) .

٣ لم ترد هذه القصيدة في الإحاطة ؛ وهي في اللخيرة ٢/١ : ٢١٩ .

٤ الوراشين : جمع ورشان وهو من الطيور المفردة .

مالت معاطفهنّ من سُكْرِ الصِّبَا ميلاً يخيفُ قدودَها أن تسقطا
وبمسقطِ العَلَمين أَوْضَحُ معلّم لمهفّف سَكَن الحشا والمسقطا
ما أخجَلَ البدر المُنبِر إذا مَشَى يَخْتالُ والغصنُ^١ النصير إذا خطا

ومنها في المدح :

يا وافرديّ شرقِ البلادِ وغربها أكرمتما خيلَ الوفادة فاربطا
ورأيتما ملكَ البريةِ فاهنّا^٢ ووردتما أرضَ المريّة فاخططا
يدي^٣ نحور الدارعين إذا ارتأى ويذلُّ عزّ العالمين إذا سطا

انتهى المقصود منه ، وأورد له في الإحاطة قصيدة ثانية أولها :

حديثك ما أحلى ، فزيدي وحدثني

وهي طويلة .

وكتب عليها ابن المؤلف ما صورته : سمعتها من لفظ شيخني أبي جعفر
ابن خاتمة بالمريّة في سنة خمس وستين وسبعمائة ، قاله علي بن الخطيب ؛ انتهى .

رجع إلى أخبار ابن الصائغ ، ومن نظمه قوله :

ضربوا القبابَ على أقاحي روضةٍ خطرَ النسيمُ بها ففاحَ عيرا
وتركتُ قلبي سارَ بينَ حُبّوهم دامي الكلومِ يسوقُ تلك العيرا
هلاًّ سألتَ أميرهم هل عندهم عانَ يَفْكُ^١ ولو سألتَ غيورا
لا والذي جعل الغصونَ معاطفاً لهمُ وصاغَ الأقحوانَ ثغورا
ما مرّ بي ريح الصِّبَا من بعدهم إلا شهقتُ لهُ فعاد سعي را

١ الذخيرة : والخوط ، ق : والحدود .

٢ الذخيرة : قاطباً .

٣ الذخيرة : يرمي .

وتوفي ابن الصائغ في شهر رمضان سنة ٥٢٣ ، وقيل : سنة خمس وعشرين ، مسموماً في باذنجان بمدينة فاس ، وهو تُجِيبِي بضم- التاء وفتحها ، وباجّة : بالباء الموحدة ، وبعد الألف جيم مشددة ، ثم هاء ساكنة ، وهي القصة بلغة الفرنج ، وسَرَقُسطة - بفتح السين والراء وضم القاف وسكون السين الثانية وبعدها طاء مهملة - مدينة كبيرة بالأندلس ، استولى عليها العدو سنة ٥١٢ .

وقال الأمير ركن الدين بيبرس في تأليفه « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة »^١ إن ابن الصائغ كان عالماً فاضلاً ، له تصانيف في الرياضات والمنطق ، وإنه وَزَرَ لأبي بكر الصحراوي صاحب سَرَقُسطة ، ووزر أيضاً ليحيى بن يوسف ابن تاشفين عشرين سنة بالمغرب ، وإن سيرته كانت حسنة ، فصلحت به الأحوال ، ونجحت على يديه الآمال ، فحسده الأطباء والكتّاب وغيرهم ، وكادوه ، فقتلوه مسموماً ؛ انتهى .

وأنشد له بعضهم :

همُ رحلوا يومَ الخميسِ عشيّةً فودّعَتْهُمْ لَمَّا اسْتَقَلُّوا وودعوا
ولمَّا تولّوا ولّتِ النفسُ مَعَهُمْ فقلتُ: ارجعي قالت: إلى أين أرجع
إلى جَسَدٍ ما فيه لحمٌ ولا دمٌ وما هوَ إلا أعظمُ تنقّع
وعينين قد أعماهها كثرةُ البُكا وأذنٍ عصّتْ عُدَّالها ليس تسمع

وقد ذكر بعضهم في تعزيز بيتي الحريري : أنه لابن الصائغ الأندلسي ، وليس هو بهذا فيما أعلم :

انقذْ مهوى أزرِهِ فأنثى مَهْ يا عدو لي في الذي انقذْ مَهْ
مندمةٌ قَتَلُ المعنَى فلا ترسلُ سهامَ اللحظِ تأمنُ دمهْ

١ هو تاريخ كبير مرتب على حسب السنين انتهى فيه إلى سنة ٧٢٤ ؛ وتوفي ركن الدين بيبرس المنصوري الدواداري سنة ٧٢٥ .

[ترجمة الفتح عن الإحاطة]

رجع إلى ابن باجة — وقد ذكر لسان الدين في « الإحاطة » سببَ العداوة بينه وبين الفتح في ترجمة الفتح ولذكروها بنصّه فنقول ^١ : قال رحمه الله تعالى :
الفتح بن محمد بن عبيد الله ، الكاتب ، من قرية تُعرف بقلعة الواد ^٢ من قرى
يَحْصُب ، يكنى أبا نصر ، ويُعرف بابن خاقان .

حاله — كان آية من آيات البلاغة لا يُشَقُّ غُبَّاره ، ولا يُدْرِك شأوه ، عذب
الألفاظ ناصعها ، أصيل المعاني وثيقها ، لعوباً بأطراف الكلام ، معجزاً في باب
الحلى والصفات ، إلا أنه كان محارفاً مقدوراً عليه ، لا يمل من المعاقرة والقَصْف ،
حتى هان قَدْرُهُ ، وابتذلت نفسه وساء ذكره ، ولم يدع بلداً من بلاد الأندلس
إلا ودخله مسترفداً أميره واغلاً في عليته ، قال الأستاذ في « الصلة » : وكان
معاصراً للكاتب أبي عبد الله ابن أبي الخصال ، إلا أن بطالته أخذت به عن
مرتبته . وقال ابن عبد الملك ^٣ : قصد يوماً إلى مجلس قضاء أبي الفضل عياض
نخمرآ ، فتسم بعضُ حاضري المجلس رائحة الخمر ، فأعلم القاضي بذلك ،
فاستثبت ^٤ وحدّه حدّاً تاماً ، وبعث إليه بعد أن أقام عليه الحد بثمانية دنانير
وعمامة ، فقال الفتح حينئذ لبعض من أصحابه : عزمت على إسقاط القاضي أبي
الفضل من كتابي الموسوم بـ « قلائد العقيان » ، قال : فقلت : لا تفعل ، وهي
نصيحة ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقلت له : قصتك معه من الجائز أن تُنسى ،
وأنت تريد أن تتركها مؤرخة ، إذ كل من ينظر في كتابك يجدك قد ذكرت

١ الإحاطة ، الورقة : ٣٥٣ .

٢ الإحاطة : بصخرة الولد ، وهماش إحدى نسخ الدليل والتكملة : من قرية شرقي قلعة يحصب تعرف
بشجرة الولد . ق : بقرية الواد .

٣ قلت انظر الدليل والتكملة ٥ : ٥٣٠ .

٤ الدليل : فاستثبت في استنكاهه ؛ وفي الإحاطة : فاستتابه .

فيه مَنْ هو مثله ودونه في العلم والصيت ، فيسأل عن ذلك ، فيقال له ،
فيتوارث العلم عن الأكابر الأصاغر ، قال : فتبين ذلك ، وعلم صحته وأقر
اسمه .

وحدثني بعض الشيوخ أن سبب حقه على ابن باجة أبي بكرٍ آخرِ فلاسفة
الإسلام بجزيرة الأندلس ما كان من إزارائه به وتكذيبه إياه في مجلس إقرائه ،
لأنه جعل يُكثّر ذكر ما وصله به أمراء الأندلس ووصف حلياً ، وكان يبدو من
أنفه فضلة خضراء اللون — زعموا — فقال له : فمن تلك الجواهر إذن الزمردة
التي على شاربك ؟ فثلبه في كتابه بما هو معروف ، وعلى ذلك فأبو نصر نسيجٌ
وحده ، غفر الله تعالى له .

مشيخته — روي عن أبي بكر : ابن سليمان بن القصيرة وابن عيسى ابن
اللبانة ، وأبي جعفر ابن سعدون الكاتب ، وأبي الحسن ابن سراج ، وأبي خالد ابن
بشتغير ، وأبي الطيب ابن زرقون ، وأبي عبد الله ابن خلصة الكاتب ، وأبي عبد
الرحمن ابن طاهر ، وأبي عامر ابن سرور ، وأبي محمد ابن عبدون ، وأبي الوليد
ابن حجاج ، وابن دريد الكاتب .

توالياقه — ومصنفاته شهيرة : منها « قلائد العقيان » و « مطمح الأنفس »
والمطمح أيضاً ، وترسيله مدون ، وشعره وسط ، وكتابته فائقة .
شعره — من شعره قوله ، وثبت في قلائده ، يخاطب أبا يحيى ابن الحاج^١ :

أكعبةً علياء وهضبةً سيّودة وروضةً مجدٍ بالمفاخر تُمطرُ
هنيئاً لملك زار أفقك نوره وفي صفحتيه من متصائلك أسطرُ
ولأنتي لخلق الجناحين كلما سرى لك ذكر أو نسيمٌ مُعطرُ
وقد كان واشٍ هاجنا لتهاجر فبت وأحشائي بجوى تنفطرُ

١ انظر أيضاً القلائد : ١٨٠ والمطرب : ١٨٩ .

فهل لك في ودٍّ ذَوَى لك ظاهراً وباطنه يَنْدَى صفاءً ويقطرُ
ولست بعَلِقٍ بيعٍ بخساً ولانسي لأرفعُ أَعْلَاقِ الزمانِ وأخطرُ
فروجع عنه بما ثبت أيضاً في قلائده ممّا أوّله :

ثَبِّتَ أبا نصرٍ عَناني ، وربما ثَبَّتْ عزيمةَ السهمِ المصممِ أسطُرُ

نثره — ونثره شهير ، وثبت له من غير المتعارف من السلطانيات ظهيراً كتبه
عن بعض الأمراء لصاحب الشرط ، ولا خفاء بإدلاله وبراعته : كتاب تأكيد
اعتناء ، وتقليد ذي منة وغناء ، أمر بإنفاذه فلان ، أيده الله تعالى ، لفلان
ابن فلان ، صاله الله تعالى ، ليتقدم لولاية المدينة الفلانية وجهاتها ، ويَضْرَحُ^١
ما تكاثف من العُدْوَانِ في جنباتها ، تنوياً أحظاه بعلائه ، وكساه رائق مِلائه ،
لما علمه من سنائه ، وتوسّعه من غَنائِه ، ورجاه من حُسْنِ مَنابِه ، وتحققه من
طهارة ساحته وجَنابِه ، وتيقن — أيده الله تعالى — أنه مستحق لما ولاه ، مستقل^٢
بما تولاه ، لا يعتريه الكَسَلُ^٣ ، ولا تثنيه عن المضاء الصوارم والأسل ، ولم
يَكِلِ الأمرَ منه إلى وَكَلٍ ، ولا ناطه بِمَنَاطٍ عجز ولا فَشَلٍ ، وأمره أن يراقب
الله تعالى في أوامره ونواهيه ، وليعلم أنه زاجره عن الجور وناهيه ، وسائله عما
حكم به وقضاه ، وأنفذه وأمضاه ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ
يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (الانطار : ١٩) فليتقدم إلى ذلك بحزم لا يخمد توقّده ، وعزم
لا ينفد تفقّده ، ونفس مع الخير ذاهبة ، وعلى متن البر والتقوى راكبة ، ويقدم
للاحتراس من عرف اجتهداه ، وعلم أرقه في البحث وسُهادَه ، وحُمدت
أعماله ، وأمن تفريطه وإهماله ، ويضم إليهم من يحدو حُلُوهم ، ويقفو شأوهم ،

١ يضرح : يزِيل وينسل ؛ وفي ق : ويصوح .

٢ مستقل : حامل للمبء ؛ وفي الإحاطة : مشتل .

٣ الإحاطة : الكلل .

ممن لا يستراب بمناحيه ، ولا يصاب خلل في ناحية من نواحيه ، وأن يُدْكَى العيون على الجئنة ، وينفي عنها للذئب السُّنَّات ، ويفحص عن مكانهم ، حتى ينص بالريق^١ نفس آمنهم ، فلا يستقر بهم موضع ، ولا يفر منهم خب ولا موضع ، فإذا ظفر منهم بمن ظفر بحث عن باطنه ، وبث السؤال في مواضع تصرفه ومواطنه ، فإن لاحت شبهة أبدأها الكشف والاستبراء ، وتعدأها البغي والافتراء ، نكَّله بالعقوبة أشدَّ نكال ، وأوضح له منها ما كان ذا إشكال ، بعد أن يبلغ إناه ، ويقف في طرفه مداه ، وحثَّ له أن لا يكشف بشرة إلا في حد يتعين ، وإن جاءه فاسق أن يتبين ، وأن لا يطمع في صاحب مال موفور ، وأن لا يسمع من مكشوف في مستور ، وأن يسلك السنن المحمود ، ويتزه عقوبته من الإفراط وعفوه من تعطيل الحدود ، وإذا انتهت إليه قصَّة مشكلة أخرها إلى غده ، فهو على العقاب أقدر منه على رده ، فقد يتبين في وقت ما لا يتبين في وقت ، والمعالجة^٢ بالعقوبة من المقت ، وأن يتغمد هفوات ، ذوي^٣ الهيئات ، وأن يستشعر الإشفاق ، ويخلع التكبر فإنه مكابس أهل النفاق ، وليحسن لعباد الله تعالى اعتقاده ، ولا يرفض زمام العدل ولا مقاده ، وأن يعاقب المجرم قدر زلته ، ولا يعتز عند ذلته ، وليعلم أن الشيطان أغواه ، وزين له مشواه ، فليشفق من عثاره ، وسوء آثاره ، وليشكر الله تعالى على ما وهبه من العافية ، وألبسه من ملابسها الضافية ، ويذكره جلَّ وعلا في جميع أحواله ، ويفكر في الحشر وأحواله ، ويتذكر وعداً ينجز فيه ووعيداً ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدَّ لو أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران : ٣٠) والأمير أيده الله تعالى ولي له ما عدل وأقسط ، وبريء منه إن جار وقسَّط ، فمن قرأه فليقف عند حده ورسنه ، وليعرف له حق

١ الإحاطة : ينهض بالروح .

٢ الإحاطة : والعجل .

٣ الإحاطة : أولي .

قطع الشرّ وحسّمه-، ومن وافقه من شريف أو مشروف ، وخالفه في نهى عن منكر أو أمر بمعروف ، فقد تعرض من العقاب لما يذيقه ويأكل خبثه ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، وكتب في كذا .

وفاته - بمراكش ليلة الأحد لثمان بقين من محرم من عام تسعة^١ وعشرين وخمسائة ، ألفي قتيلاً بيت من بيوت فندق أحد فنادقها ، وقد ذُبح وعُبت به ، وما شعر به إلا بعد ثلاث ليال من قتله ؛ انتهى نص الإحاطة .

[ترجمة الفتح عن المغرب]

وقال في « المغرب » ما ملخصه^٢ : فخر أدباء إشبيلية بل الأندلس- : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي ، صاحب « القلائد » و « المطمح » ، ذكره الحنجاري في المسهب ، الدهر من رواة قلائده ، وحملة فرائده ، طلع من الأفق الإشبيلي شمساً طبّق الأفاق ضياؤها ، وعمّ الشرق والغرب سناها وسناؤها ، وكان في الأدب أرفع الأعلام ، وحسنة الأيام ، وله كتاب « قلائد العقيان » ومن وقف عليه لا يحتاج في التنبيه على قدره إلى زيادة بيان ، وهو وأبو الحسن ابن بسّام الشتمري مؤلف الذخيرة فارساً هذا الأوان ، وكلاهما قُسم^٣ وسحبان ، والتفضيل بينهما عسير ، إلا أن ابن بسّام أكثر تقييداً ، وعلماً مفيداً ، وإطناً في الأخبار ، وإمتاعاً للأسماع والأبصار ، والفتح أقدر على البلاغة من غير تكلف ، وكلامه أكثر تعلّقاً وتعشّقاً بالأنفس ، ولولا ما اتسم به ممّا عُرف من أجله بابن خاقان ، لكان أحد كتاب الحضرة المرابطية بل مجليها المستولي على الرهان ، وإنّما أُخلّ به ما ذكرناه ، مع كونه اشتهر بدم

١ الإحاطة : سبعة .

٢ ترجمته في المغرب ١ : ٢٥٤ وبين ما أورده المقرئ وما جاء في المغرب اختلاف كبير ، هذا مع أن المقرئ يصرح بأنه يلخص .

أولي الأحساب ، والتمرين بالطعن على الأدباء والكتّاب ، وقد رماه الله تعالى بما رمى به إمام علماء الأندلس أبا بكر ابن باجة ، فوجد في فندق بمحضرة مراکش قد ذبحه عبد أسود خلا معه بما اشتهر عنه ، وتركه مقتولاً وفي دبره وتد ، والله سبحانه يتغمده برحمته .

ومن شعره قوله من أبيات في المدح :

إلى أين ترقي قد علوت على البدر وقد نلت غايات السيادة والقدر
وجدت إلى أن ليس يُذكر حاتم وأغنيت أهل الجذب عن سبل القطر
وكم رام أهل اللوم باللوم وقفة وبحرك مد لا يؤول إلى جزر
ولو لم يكن فيك السماح جيلة لأثر ذاك اللوم فيك مع الدهر

وذكره ابن الإمام في « سمط الجمان » وأنشد له :

لله ظي من جنابك زارني يختال زهواً في ملاء مراح
ولي التماسك في هواه كأنه مروان خاف كئاب السفاح
فخلعت صبري بالعرا ونبذته وركبت وجدي في عنان جماح
أهدى لي الورد المضعف خدّه فقطفته باللحظ دون جناح
وأردت صبراً عن هواه فلم أطق وأريت جيداً في خلل مزاح
وتركت قلبي للصبابة طائراً تهفؤ به الأشواق دون جناح

وذكره ابن دحية في « المطرب » ونعته بـابن خاقان ، قال : والشيخ أبو الحجاج البياسي ينكر هذا ، وقيل : إنما قيل له ابن خاقان لما تقدم ذكره في كلام الحجاري ، وقال ابن دحية : إنه قُتل ذبحاً بمسكنه في فندق بيت من حضرة مراکش صدر سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، أشار بقتله علي بن يوسف بن تاشفين .

وقال أبو الحسن ابن سعيد : رأيت فضلاء الأندلس ينتقدون على الفتح أول افتتاحه في خطبة قلائده « الحمد لله الذي راض لنا البيان حتى انقاد في أعنتنا ، وشاد مثواه في أجنتنا » لكون ما تضمنته الفقرة الأولى أصوب مما تضمنته الفقرة الثانية ، والصواب ضد ذلك ؛ انتهى .

وقال ابن الأبار في « معجم أصحاب الصدي »^١ : إنه لم يكن مرضياً ، وحذفه أولى من إثباته ؛ انتهى . ولذا لم يذكره في التكملة .
وقال ابن خاتمة : إنه لم يُعرف من المعارف بغير الكتابة والشعر والآداب . وما حكاه في « الإحاطة » من تاريخ وفاته مخالف لما حكاه ابن الأبار أنه ليلة عيد الفطر من سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، قال : وقرأت ذلك بخط من يوثق به . وحكي ابن خلكان^٢ أقولاً آخر أنه توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، قيل : وهو خطأ ، على أنه حكى القول الآخر أيضاً .

ودفن بباب الدباغين ، رحمه الله تعالى .
وقد قيل : إن قتله كان بإشارة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين أخيه إبراهيم الذي ألف برسمه « قلائد العقيان » .
وقد ذكر ابن خلكان أن المطمح ثلاث نسخ : صغرى ، ووسطى ، وكبرى ، والذي قاله ابن الخطيب وابن خاتمة وغير واحد من المغاربة أنه نسختان فقط : صغرى ، وكبرى ، ولعله الصواب ، إذ صاحب البيت أدري بالذي فيه .
ومن تأليف الفتح « راية المحاسن وغاية المحاسن » ومجموع في ترسيله ، وتأليف صغير في ترجمة ابن السيد البطلاني نحو الثلاثة كراريس على منهاج القلائد^٣ .

.....

١ انظر المعجم : ٣٠٠ (رقم : ٢٨٥) .

٢ وفیات الأعيان ٣ : ١٩٤ .

٣ هذا التأليف نقله المقرئ في أزهار الرياض ٣ : ١٠٣ - ١٤٩ ؛ وذكر ابن عبد الملك له مؤلفاً اسمه « حديقة المآثر » ولم أجده مذكوراً عند غيره .

[رسائل الفتح]

١ - ومن بديع إنشاء الفتح المذكور ساعه الله تعالى قوله : أطال الله تعالى بقاء الوزير الأجل ، عتادي الأمسرى ، وزنادي الأورى ، وأيامه أعياد ، وللسعد في زمانه انقياد ، أما أنا - أدام الله تعالى عزه - فجوى عاتم ، وأعيادي مآتم ، وصُبْحِي عِشاء ، وما لي إلا من الخطوب انتشاء ، أبيت بين فؤاد خافق وطرف مُسَهَّد ، نائي المحلة من مزار العود ، حين لا أرى الروض المنور ، ولا أحس سُهَيْلاً إذا لاح ثم تَهَوَّر^١ ، وقد بعدت دار إلى حبيبة ، ودنت مني حوادثُ بأدناها تؤذى الشبيبة ، وأي عيش لمن لزم المفاوز لا يَريمُها ، حتى ألقه ريمُها ، قد رمته النوائب فما اتقى ، وارتقت له الجوائح في عُشور المرتقى ، يُواصل النوى ولا يهجر سيرا ، ولا يزجر في الإراحة طيراً ، قد هام بالوطن ، هيام ابن طالب بالحوض والعطن ، وحنَّ إلى تلك البقاع ، حنينه إلى أثلاث القاع^٢ ، ولا سبيل أن يشعب صدر بينه شاعب ، أو تكلّمه أحجار للدار وملاعب ، وليس له إلى أين يجنح ، ولا يرى أمله يسُنَح ، قد طوى البلاد وبسطها ، وتطَرَّفَ الأرضَ وتوسطها ، ولم يُلَفِ مَقِيلاً ، ولا وجد مَقِيلاً ، إلى الله أشكو ما أقاسي وأقاصي ، ويده الأقدام والنواصي ، ولقاؤه موعد كل موعد ، وكل معمر سيدركه يوماً حِمَام الموعود ، وأنفذته وقد صدرتُ عن فلانة بعد أهوال لقيتها ، وأنكال سَقِيَّتْها ، وسفر لقيت منه نصيباً ، وكَدَّرَ أعقبني وصيباً ، وإلى متى يعتزلي السعد ؟ ولله الأمر من قبل ومن بعد ، انتهى .

.....

١ ق : تنور ، وصوابه « تنور » .

٢ يشير إلى يحيى بن طالب الحنفي حين اغترب عن وطنه اليمامة إلى العراق وافتقر ، وهو يقول في الحنين إلى أثلاث القاع :

أيا أثلاث القاع من بطن توضح حنيي إلى أفيانكن طويل
وقد شرح ياقوت قصته في معجم البلدان (قرقرى) .

٢ - وكتب رحمه الله تعالى من رسالة : سيدي لا علمتَ ارتفاعاً ، ولا حُرمتَ تكيفاً من السعد وارتفاعاً ، أنا الآن مشغولُ البال ، لا أفرق بين الإعراض والإقبال ، وعنده تفرغي أوجه لك ما حضر ، ومثلُك أرجأ الأمر وأنظر ، وفي علم الله تعالى لو أمكنني لحملتُك على كاهل ، وأوردتك منه أعذب المناهل ، وأبحت لك السعد ثغراً ترتشفه ، وخلعته بُرداً عليك تلتحفه ، لكن الزمان لا يجد ، وصروفه لا تتجدد ، وعلى أي حال فلا بد أن تجد قيرارك ، وتحمد سُراك ، إن شاء الله تعالى .

٣ - وكتب إلى أبي بكر بن علي^١ عند ولايته لإشبيلية : أطال الله تعالى بقاء الأمير الأجلّ أبي بكر للأرض يملكُها ، ويستدير بسعده فلَسْكُها ، استبشر الملك وحق له الاستبشار ، وأوماً إليه السعد في ذلك وأشار ، بما اتفق له من توليتك ، وخفّق عليه من التويتك ، فلقد حُبّي منك بملك أمضى من السهم المسدّد :

طويل نجاد السيف رَحْب المقلد

يُقدّم حيث يتأخّر الذابل ، ويكرم إذا بخل الوابل ، ويحمي الحمى كربيعة ابن مُكَدَّم ، ويسقي الظبي نجيماً كلون العندم ، فهنيئاً للأندلس لقد استردت عهد خلقائها ، واستمدّت تلك الإمامة بعد عفائها ، حتى كأن لم تمر أعاصرها ، ولم يمتد حكمُها ولا ناصيرُها ، اللذان عمرا الرُصافة والزّهرا ، وتكحّا عقائل الروم وما بذلا إلا المشرفية مَهْراً ، والله تعالى أسأله انتصار أيامك ، وبه أرجو انتشار أعلامك ، حتى يكون عَصْرُكَ أعجب من عصرهم ، ونصْرُكَ أعزّ من

١ أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين أكبر أبناء علي وكان يعرف ببكور (تصغير تحب) ، نشأ في إشبيلية ، وكان مؤدبه أبو مروان ابن زهر ، وقد ولي أمر المدينة سنة ٥١٨ هـ وعزل عنها سنة ٥٢٢ هـ .

نصرهم ، والسلام ؛ انتهى .

٤ — وقال بعضهم : من أحسن ما رأيت له قوله : معاليك أشهر رؤوماً ، وأعطر نسيماً ، من أن يغرب شهاب مسعاه ، أو يجذب لرائد مرعاه ، فإن نبهتك فإنما نبهت عمراً^١ ، وإن استنرتك فإنما أستنير قمرأً ، والأمير أيده الله تعالى أجل من أعنتهم في ملكه ، وأنتظم في سلكه ، فإنه حسام بيد الملك ، طلاقته فيرنده ، وشهامته حده ، وقضيب ، في دوحة الشرف رطيب ، بشره زهره ، وبره ثمره ، وقد توسمت نارك لعلّي أفوز منها بقبس ، أو تكون كنار موسى بالوادي المقدس ، وعسى الأمل أن تعلو بكم قداحه ، ويشف من أفقكم مضباحه ، فجرّد — أيديك الله تعالى — صارم عزم لا تُفلّ غروبه ، واطلع كوكب سعد لا يخاف غروبه ؛ انتهى .

ولنذكر بعض كلامه في « المطمح » لغرابته في هذه البلاد المشرقية بخلاف « القلائد » فإنها موجودة بأيدي الناس فيه .

[نماذج من تراجم المطمح]

١ — قال رحمه الله تعالى في ترجمة أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي^٢ :
إمام اللغة والإعراب ، وكعبة الآداب ، أوضح منها كل إيهام ، وفصح دون الجهل بها محل الأوهام ، وكان أحد ذوي الإعجاز ، وأسعد أهل الاختصار والإيجاز ، نجم الأندلس في إقبالها ، والأنفس أول تهتمها بالعلم واهتبالها ، فنفتت له عندهم البضاعة ، وانفتت على تفضيله الجماعة ، وأشاد الحكم بذكره ، فأورى بذلك زناد فكره ، وله اختصار « العين » للخليل ، وهو معدوم

١ أخذه من قول يشار في ملح عمر بن العلاء :

إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها صرأ ثم نم

٢ المطمح : ٥٣ - ٥٥ .

النظير والمثل ، و « لحن العامة » و « طبقات النحويين » وكتاب « الواضح »
وسواها من كل تأليف مُخْجَل لمن أتى بعده فاضح ، وله شعر مصنوع ومطبوع ،
كأنما يتفجر من خاطره يَنْبُوع ، وقد أثبت له منه ما يقترح ، ولا يطرح ،
فمن ذلك قوله :

كيف بالدين القديم لك من أمّ تميم
ولقد كان شفاء من جوى القلب السقيم
يُشرقُ الحسنُ عليها في دجى الليل البهيم

وكتب مراجعاً :

أغرقتني في بحورِ فكري فكدتُ منها أموتُ لَمَّا
كلّفتني غامضاً عويصاً أرجمُ فيه الظنونَ رجماً
ما زلت أسرو السجوفَ عنه كأتني كاشفُ لظُلما
أقربُ من ليله ، وأناى مستبصراً تارة وأعمى
حتى بدا مشرقُ المحيّا لَمَّا اعتلى طالعاً وتما
للهِ مِن منطقي وجيزٍ قد جلّ قدرأ وجلّ فهما
أخلصتَ لله فيه قولاً سلّمتَ لله فيه حكما
إذ قلتَ قولَ امرئٍ حكيمٍ مراقبٍ للإلهِ علما
اللهُ ربّي وليّ نفسي في كل بوسٍ وكلّ نُعْمى

وكتب إلى أبي مسلم ابن فهد وكان كثير التكبر ، عظيم التجبر ، متغيراً^٢
لسانه ، مقفراً من المعالم جَنَانَه :

١ المطمح : غيا .
٢ المطمح : متعزاً .

أبا مسلم ، إنَّ الفتى بفؤاده ومِقْوَلِهِ لا بالمراكب واللبسِ
وليس رُوءاء المرء يغني قَلَامَةً إذا كان مقصوراً على قصر النفسِ
وليس يفيدُ الحلم والعلم والحجى أبا مسلم طول القعود على الكرسي

واستدعاه الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين فعجل إليه وأسرع ، فأمرع من
آماله ما أمرع ، فلما طالت نَوَاه ، واستطلت عليه لَوَعَتُهُ وجَوَاه ، وحنَّ
إلى مستكنِّه بإشييلية ومثواه ، استأذنه في اللحق بها فلوَّمه ولَّواه ، فكتب إلى
من كان يألفه ويهواه :

ويحك يا سَلَمَ لا تُرَاعِي لا بدَّ للبين من مساعٍ
لا تحسبني صبرتُ إلاَّ كصبر ميتٍ على التزاع
ما خلق الله من عذابٍ أشدَّ من وقفة الوداع
ما بينها والحمام فرقٌ إلا المناحلت في النواعي
إن يفرق شملنا وشيكاً من بعد ما كان في اجتماع
فكلُّ شملٍ إلى افتراقٍ وكلُّ شعبٍ إلى انصداع
وكلُّ قربٍ إلى بعدٍ وكلُّ وصلٍ إلى انقطاع

٢ - وقال - ساعه الله تعالى - بعد ترجمة السلطان بالمرية المعتصم بن صُمَادح
ما نصّه: ابنه عز الدولة أبو مروان عبد الله^١ ، فتى الراح المعاقِرُ لدنانها ، المهتصر
لأغصان الفتوة وأفنانها ، المهجر لفلاة الظباء والآرام ، المشهر في باب
الصَّبَابَةِ والغرام ، نشأ في حِجْر أبيه نديم قَهْوَةٍ ، ومُدِّيم صَبْوَةٍ ، وخديم
شَهْوَةٍ ، لا يريم كاساً ، ولا يروم إلا اقتضاء وانتكاساً ، ما شهد قتلاً ولا
قتالاً ، ولا تقلد صارماً إلا غتالاً ، قد آمن منه جَنَانُ الجبان ، وعدت له غصون
البيان ، وما زال مرتضعاً لأخلاف البَطَالَةِ ، مقتطعاً ما شاء من إطالة ، متوغلاً

١ لم ترد هذه الترجمة في المطبع المطبوع .

في شباب الفتاك ، متغلغلاً في طريق الانتهاك ، إلى أن وجهه أبوه إلى أمير المسلمين سفيراً عندما بدت له وجوه الفتنة تُسْفِر ، ومعاهد الهدنة تُقْفِر ، مع أكامل أصحابهم نُقْصَانَه ، وذوي أديان جعلهم خُلُصَانَه ، يسمعون بوادِر بَدَاذِنَه ، وينظرون مناكر لداذِنَه ، قالت سَفَرَتَه إلى الاعتقال ، وقصرت نخوته ما بين قيد وعقال ، فجاء كالمهر لا يعرف لجاماً ، وصار حبيس قوم لا يألونه استعجاً ، وحين شالت نعامته ، وسالت عليه ظلامته ، كتب إلى أبيه :

أبعدَ السنا والمعالي خمولُ وبعد ركوبِ المذاكي كِبُولُ
ومن بعد ما كنتُ حرّاً عزيزاً أنا اليومَ عبدٌ أسيرٌ ذليلُ
حللتُ رسولاً بفرناطة فحلَّ بها في خطبٍ جليلُ
وثُقِّفْتُ إذ جئتُها مرسلًا وقبليَ كان يُعزُّزُ الرسولُ
فقدتُ المريةَ أكرمَ بها فما للوصولِ إليها سبيلُ

فراجعه أبوه بقطعة منها :-

عزيزٌ عليَّ ونوحِي دليلُ على ما أقامي ودمعي يسيلُ
وقطَّعتِ البيضُ أغمادها وشقَّتْ بُنودٌ وناحتْ طبولُ
لئن كنتُ يعقوبَ في حزنه ويوسفَ أنتَ فصبرٌ جميلُ

ولم يزل يتحيّل في تخلصه ، وأخذه من يد مُقْتَنِصِه ، فسُرِقَ وحراسه منه بمكان السلك من النحر ، وطرق به على ثبَج البحر ، فوافى المَرِيَّة ، وقد أخذ البحث عليه آفاق البرية ، فهنيء المعتصم بخلاصه ، وبقي مستقرّاً بعِرَاصِه ، إلى أن أخلوها ، ومضوا لطلبة ما نووها ، فنجا أخوه إلى حيث ذكرنا من بلاد الناصر ، ولجأ هو إلى أحد المرابطين لأذِمَّة كانت بينهما وأواصر ، وأقام معه سَمِير لِهوه ، وأمير سهوه ، إلى أن انقضى أمدُّه ، وطواه سروره لا كمدُّه ، فلم يَرِ إلا

خالعاً لِعِذاره ، طالعاً في ثَنِيَّاتِ اغتراره ، غير مكثرت باثْنِضاعه ، ولا منحرف
عن ارتشاف الغيِّ وارتضاعه ، وبدا منه في هذه الحال ندى كاثَّر به السحاب ،
وظاهر بسببه الصُّحاب ، وتخدَّم الأوطار ، وتقدم لنوي الرتب فيها والأخطار ،
[تقدماً] حَسَن من ذكره ، وأولع الألسن بشكره ، فارتفع عنه الكدْح ، وشَقَّع
له في الدم ذلك المدح ، وكان نظمه بديع الوصف ، رفيع الرِّصْف ، وقد أثبتُّ
له ما يشهد بإجادته وإحسانه ، شهادة الروض بوجود نيسانه .

أخبرني ابن القطان أنه سائر الأمير يحيى بن أبي بكر إلى طُلَيْطَلَة في جيوش
فاضتُ سَيْلاً ، وخاضت المطايا قناتِها لَيْلاً ، وكان ملكاً لم يُعَقِّد على مثله
لواء ، ولم يحتو على شِبْهه حواء^١ ، جمال مُحَيّا ، وكمال عَليّا ، وحسن شَيْم ،
وبُعد هِمَم ، أغنى العُفاة ، وأحيا الرفات ، وألغى الأجواد ، وأنسى كعب
ابن مامة وابن أبي دُوَاد ، فلمّا شارف طُلَيْطَلَة وكشفها ، واشتَفَّ بلالتها
وارتشفها ، وضرب بكنفها مَضارِبَه ، وأجال بساحتها زَنْجَه وأعارِبَه ، سقط
أحدُ ألويته عن يد حامله ، وانكسر عند عامله ، فطائفة تفاءلت ، وطائفة تطيرت ،
وفرقة ابتهجت ، وأخرى تغيرت ، فقال :

لَمْ يَنْكسرْ عودُ اللّواءِ لطِيرةٍ يُخْشَى عَلَيْكَ بِهَا وَأَنْ تَتَأَوَّلَا
لَكِنْ تَحَقَّقَ أَنَّهُ يَنْدُقُ فِي نَحْرِ الْعِدا وَلَدَى الْوَغَى فَتَعَجَّلَا

وأخبرني أخوه رفيعُ الدولة أن ابن اللبابة كتب إليه والخلع قد نضا لبوسه ،
وقصر بوسه ، وكدر صفاءه ، وغدر وفاءه ، وطوى ميدان جوده ، وأذوى
أفنان وجُوده ، قوله^٢ :

يا ذا الذي هزَّ أمداحي بحليته وعزّه أن يهزَّ المجد والكرما

.....

١ الحواء : مضرب الأعراب .

٢ مر البيتان وجوابهما في النفع ج ٣ : ٣٩٦ .

واديك لا زرع فيه اليوم تبذله فخذ عليه لأيام المني سلماً
- فدعته دواعي الندى ، وأولعته بالحداء في ذلك المدى ، فتحيل في برّ طبعه ،
وكتب معه :

المجدُ ينجل من نقديك في زمنٍ ثناه عن واجب البرّ الذي علما
فدؤنك التزّ من مُصنّف مودّته حتى يوفّيكَ أيامَ المني سلماً
٣ - ابنه الثاني : رفيع الدولة أبو يحيى ابن المعتصم :

من بيت^١ إماره ، وإلى السعد طوافه^٢ بها واعتماره ، عمرت أنديته ،
ونشرت به رايات العزّ وألويته ، إلى أن خوى كوكبهم ، وهوى مرقبهم ،
فتفرقوا أيادي سبّا ، وفرقوا من وقع الأسنة والظبي ، وفارقوا أرضاً كأرض
غسان ، ووافقوا أياماً كيوم أهل اليمامة مع حسان ، بعدما خامرت النفوس
مكارمهم مخامرة الرحيق ، وأمّهمُ الناس من كل مكان سحيق ، وانتجعوا
انتجاع الأنواء ، واستطعموا في المحل والأواء ، وصالوا بالدهر وسطّوا ،
وبين النهي والأمر فيه خطّوا ، ورفيع الدولة هذا فجر ذاك الصباح ، وضوء
ذلك المصباح ، وغصن تلك الدوحة ، ونسيم تلك النفحة ، لم يمتن والدهر قد
بذله ، ولا ترك الانتصار والأمر قد خذله ، فالتحف بالصون وارتدى ، وراح
على الانقباض واغتدى ، فما تلقاه إلا سالكاً جدّدا ، ولا تراه إلا لابساً سوددا ،
وله أدب كالروض المجود إذا أزهـر ، ونظم كزهر التهائم والنجود بل كالصبح
إذا أسفر واشتهر ، أوقفه على النسيب ، وصرفه إلى المحبوبة والحبيب ، فمن ذلك
قوله^٣ :

١ المطبوع : ثنية .

٢ المطبوع : حجه .

٣ انظر أيضاً بعض هذه المقطعات في الحلة ١ : ٨٣ - ٨٤ .

ما لي والبدن لم يسمح بزورته
إن كان ذاك لذنوب ما شعرت به
ولله أيضاً :

يا عابدَ الرحمنِ كم ليلةٍ
إذ كنت كالغصنِ ثنَّته الصَّبَا
ولله أيضاً :

وأهيفَ لا يلوي على عتبِ عاتبٍ
يحكمُ فينا أمره فتنطيعه
ولله أيضاً رحمه الله تعالى :

وعليَّته حلوَ الشماثلِ ماجناً
ما زلتُ أنصفه وأوجبُ حقَّه
ولله أيضاً :

حبيبٌ متى ينأى عن العين شخصه
ويسكن ما بين الضلوع إذا بدا
ولله أيضاً :

أفدِّي أبا عمرو وإن كان جانياً
فما كان ذاك الود إلا كبارقٍ
عليّ ذُنوباً لا تُعدُّ بالعتبِ^١
أضواء لعتيَّ ثمَّ أظلم للقلبِ^٢

١ المطمح : بالبهت .

٢ المطمح : في الوقت .

وله وقد بلغه موثي ، وتحقق عنده فوثي^١ :

مثنى الوزارة قد أودى فما فعلت تلك المحابر والأقلام والطُرُسُ
ما كنت أحسب يوماً قبل ميته أن البلاغة والآداب تختلسُ

واستأذن ليلة على أحد الأمراء وأنا عنده في أسنى موضع ، وأبهى مطلع ،
وجوانب حَفْدِهِ بين يدي عتلة ، وسحائب رفده عليّ مُنْهَلَّةً ، وكان
أجمل مَنْ مُقِيلٌ ، وأكمل مَنْ مِينٌ المهد إلى سرير الملك قد نُقِلَ ، وكتب
إليّ يهنيني بقدوم من سفر :

قدمت أبا نصير على حال وحشة فجاءت بك الآمالُ واتصلَ الأنسُ
وقرّت بك العينانِ واتصلَ المُنَى وفازت على يأسٍ يبغيها النفسُ
فأهلاً وسهلاً بالوزارة - كلها ومن رأيه في كل مظلمة شمسُ

٤ - وقال في المطمح في ترجمة الوزير أبي الوليد ابن حزم^٢ : - واحدٌ دونه
الجمع ، وهو للجلالة بصر وسمع ، روضةٌ علاه رائقة السنا ، ودوحة بهاء
طيبة الجنى ، لم يتنزر بغير الصوّن ، ولم يشتهر بفسادٍ بعدد الكون ، مع نفس
برئت من الكبر ، وخلصت خلوص الثبر ، مع عفاف التحف به بروداً ،
وما ارتشف به ثغراً بروداً ، فعفّت مواطنه ، وما استرابت ظواهره ولا بواطنه ،
وأما شعره ففي قالب الإحسان أفرغ ، وعلى وجه الاستحسان يلتقى ويبلغ ،
وكتب إليه ابن زُهر :

أبا الوليد وأنت سيد مدحج هلاً فككت أسير قبضة وعده
وحياة مَنْ أمد الحياة بوصله وذهابها حتماً بأيسر ضده

١ لم تردني المطمح .

٢ المطمح : ٣١ - ٣٤ .

لَأَقَاتِلَنَّكَ إِنْ قَطَعْتَ بِمُرْهَفٍ مِّنْ جَفْنِهِ وَبَصْعَدَةٍ مِّنْ قَدِّهِ
فراجعهُ أبو الوليد :

لَبَّيْكَ يَا أَسَدَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا مِنْ صَادِقِ عِبَثِ الْمَطَالُ بُوْعَدِهِ
يَمْضِي بِأَمْرِكَ سَاءَ أَوْ سَرَّ الْقَضَا وَيَقْلُ حَدَّ النَّائِبَاتِ بِحَدِّهِ
إِيَّاهُ وَوَأَقَاتِلَنَّكَ الصَّبَا فِي مَعْرَضِ ذَهَبِ الْمَشِيبِ بِهِزْلِهِ وَبِجَدِّهِ

٥ - وقال في المطمح في ترجمة أبي بكر الغساني ، ما صورته ^١ :
صليب العود ، مَهَيْبُ الْوَعُودِ ، لَوْ دَعِيَ لَهُ الْأَسَدُ الْوَرْدُ لِأَجَابِ ، وَلَوْ رَمَى
بِذِكْرِهِ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ لِأَنْجَابِ ، وَلَوْ قَعَدَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَطْوَادُ لِتَحْرُكِ سَكُونِهَا ،
وَلَوْ عَصَمَتْهُ الطُّيُورُ مَا آوَتْهَا وَكُونِهَا ، مَعَ وَقَارِ تَحَالِهِ يَدْبُلُهَا ، وَفَخَّارِ يَفْضَحِ
بُلْبُلُهَا ، وَشَيْتَمِ لَوْ كَانَتْ بِالرُّوْضِ مَا ذَوَى ، أَوْ تَقَابَسَتْ فِي الْخَلْقِ مَا رَمَدَ
أَحَدٌ بَعْدَ مَا شَوَى ، وَسَجَايَا تَنْجَلِي عَنْهَا الظُّلُمَاءُ ، كَأَنَّ مَزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ ؛ انْتَهَى .
وهذا الغساني هو صاحب تفسير القرآن وقد عرّف به في « الإحاطة »
فليراجع ثمة .

٦ - وقال أيضاً في المطمح ما صورته : أبو عامر ابن عقّال ^٢ .
كَانَ لَهُ بَيْنِي قَاسِمٌ تَعْلَقُ ، وَفِي سَمَاءِ دَوْلَتِهِمْ تَأَلَّقُ ، فَلَمَّا خَوَتْ نَجْمُهُمْ ،
وَعَقَبَتْ رَسْمُهُمْ ، انْحَطَّ عَنْ ذَلِكَ الْخُصُوصُ ، وَسَقَطَ سَقُوطُ الطَّائِرِ الْمَقْصُوصُ ،
وَتَصَرَّفَ بَيْنَ وَجُودٍ وَعَدَمٍ ، وَتَحَرَّفَ قَاعِدًا حِينًا وَحِينًا عَلَى قَدَمٍ ، وَفِي
خِلَالِ حَالِهِ ، وَأَثْنَاءِ انْتِحَالِهِ ، لَمْ يَدَعْ حِظَّهُ ^٣ مِنَ الْحَبِيبِ ، وَلَا ثَنِي لِحِظِهِ

١ لم ترد هذه الترجمة في المطمح المطبوع .
٢ المطمح : ٨٦ - ٨٧ وكتبه فيه « ابن عقّال » وقد مر في غير موطن من هذا الكتاب « ابن حبال »
ويتصنف كثيراً « ابن غتال » . . . إلخ .
٣ المطمح : خطأ .

عن الغزال الريب ، ولم يزل يطير ويقع ، والدهر يحرق حاله ويرقع ^١ ، إلى أن أرقاه الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى أعلى ربوة ^٢ ، وأراه ^٣ أبهى حظوة ، فأدرك عنده رتبة أعلام التحجير والإنشا ، وترك الدهر قلق الحشا ، وتسم منزلة لا يتسمنها إلا من تظهر من درته ، وجمع إحسانه في ميدان حرته ، والحظوظ أقسام لا تسام ، والدنيا إنارة وإعتام ^٤ :

ولو لم يعمل إلا ذو محلّ تعالى الجيش وانحطّ القتام ^٥

وقد أثبت عنه بعض ما انتقته ، والذي أخذته مبادئ لما أبقته ، فمن ذلك قوله :

يا ويح أجسام الأناس	م لما تطيق من الأذى
خلقت لتقوى بالغدا	وسقمها ذاك الغدا
وتنال أيام السلا	مة بالحياة تلذذا
فإذا انقضى زمن الصبا	ورمى المشيب فأنفدا
وجد السقام إلى المفا	صل والجوانح منفدا
ويقول مهما يعط شي	ئنا ناولوني غير ذا

وحدا في هذه القصيدة حدّو الصابي في قوله ^٦ :

وجعُ المفاصل وهو أي	سرّ ما لقيت من الأذى
ردّ الذي استحسنته	والناس من حظّي كذا
والعمر مثل الكاس ير	سب في أواخرها القذى

١ المطمح : يخفض . . . ويرفع .

٢ المطمح : إلى أسمى ذروة .

٣ المطمح : ورداه .

٤ زاد في المطمح : وصفاء يتلوه قتام .

٥ البيت للمتنبي (شرح الواحدي : ١٦٢) .

٦ اليتيمة ٢ : ٣٠٠ .

وله يعتذر عن زيارة اعتمدها ، ومواصلة اعتقدها ، فعاقت عنها حوادثُ
لَوْتَهُ ، وعدتته عن ذلك وثنتته :

بَيْنَمَا كُنْتُ رَاجِعًا لِلْقَائِمِ وَالتَّشَفِّي بِالْبِشْرِ مِنْ تِلْقَائِهِ
وَتَرَقَّبْتُ مِنْ سَمَاءِ نَزَاعِي قَمَرِ الْأَنْسِ طَالِعًا مِنْ سَمَائِهِ
إِذْ دَهَانِي اعْتَرَضُ خُطْبُ ثَنَانِي عَنْ غَمَامٍ يَشْفِي الْغَلِيلَ بِمَائِهِ
فَتَدَلَّهْتُ وَانْزَوَيْتُ حَيَاءً مِنْهُ وَالْعَذْرُ وَاضِحٌ لِسَانِهِ

وله فصل كتب به عن الأمير إبراهيم يصف إجازة أمير المسلمين البحر سنة
خمس عشرة وخمسمائة : وفي الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جَوَازُهُ — أيده
الله تعالى — من مرسى جزيرة طريف على بحر ساكن قد ذل بعد استصعابه ،
وسهل بعد أن رأى الشامخ من هضابه ، وصار حيّه ميّناً ، وهذره صمّناً ،
وجباله لا ترى فيها عيوجاً ولا أمّناً ، وضعف تعايطه ، وعقد السلم بين
مواجه وشاطئه ، فعبر آمناً من لهواته ، متمكناً لصهواته ، على جواد يقطع
الجوّ سبّحاً ، ويكاد يسبق البرق لَمَحاً ، لم يحمل لحاماً ولا سَرَجاً ، ولا عهد
غير اللجّة الخضراء مَرَجاً ، عيانه في رجله ، وهُدْبُ العين يحكي بعض شكله ،
فلله هو من جواد ، له جسم وليس له فؤاد ، يخرق الهواء ولا يرهبه ، ويركض
الماء ولا يشربه .

٧ — وقال في ترجمة الفقيه أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي^١ ،
ما نصّه :

من ثَنِيَّة شرف وحَسَب ، ومن أهل حديث وأدب ، إمام في اللغة متقدم ،
فارغ لِرُتَب الشعر مُتَسَنِّم ، له رواية بالأندلس ورحلة إلى المشرق ، ثم عاد

د المطبع : ٥٥ .

وقد توج بالمعارف المفترق ، وأقام بقرطبة علماً من أعلامها ، ومتسماً لترفعها وإعظامها ، تؤثره الدُّوَل ، وتصطفيه أملاكها الأول ، ما زال فيها مقيماً ، ولا برح عن طريق أمانها مستقيماً ، إلى أن اغتيل في إحدى الليالي بقضية يطول شرحها فأصبح مقتولاً في فراشه ، مذهولاً كل أحد من انبساط الضرب إليه على انكماشه ، وقد أثبت من محاسنه ما يعجب السامع ، وتُصنفي إليه المسامح ، فمن ذلك قوله :

وضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم . على ما به منهم حين الأباغر
وأصبر عن أحباب قلب ترحلوا ألا إن قلبي سائر غير صابر
ولما رجع إلى قرطبة وجلس ليرى ما احتقبه من العلوم ، اجتمع إليه في المجلس خلق عظيم ، فلما رأى تلك الكثرة ، وما له عندهم من الأثرة ، قال :
لأتي إذا حضرته ألف معبرة يكتبن حدثني طوراً وأخبرني
نادت بمفخري الأقلام معلنة هذي المفاخر لا قعبان من لبن
وكتب إلى ذي الوزارتين أبي الوليد ابن زيلون :

أبا الوليد وما شطت بنا الدار وقلاً منا ومنك اليوم زواراً
وبيننا كل ما تدريه من ذمم وللصبا ورق خضر وأنواراً
وكل عتب وإعتاب جرى فله بدائع حلوة عندي وآثاراً
فاذكر أخاك بخير كلما لعبت به الليالي فإن الدهر دواراً

٨ - وقال في ترجمة صاحب العقد الفقيه العالم أبي عمر أحمد بن عبد ربه ٢ :

١ سقط هذا البيت من ق .

٢ المطبع : ٥١ - ٥٣ وبعض مقطعات ابن عبد ربه وردت في الأجزاء السابقة .

عالم ساد بالعلم ورأس ، واقتبس به من الخطوة ما اقتبس ، وشهر بالأندلس
حتى سار إلى المشرق ذكره ، واستطار شرر الذكاء فكره ، وكانت له عناية
بالعلم وثقة ، ورواية له متسقة ، وأما الأدب فهو — كان — حُبَّتُهُ ، وبه
غمرت الأفهام بلحنته ، مع صيانة وورع ، وديانة ورد ماءها فكَّرَع ، وله
التأليف المشهور الذي سماه «العقد» ، وحماه عن عثرات النقد ، لأنه أبرزه
مُتَقَنِّفَ القناة ، مُرَهِّفَ الشَّباة ، تقصُر عنه ثواقب الألباب ، وتبصر السحر
منه في كل باب ، وله شعر انتهى منتهاه ، وتجاوز سيماك الإحسان وسماه .
أنخبرني ابنُ حزم أنه مرَّ بقصر من قصور قرطبة لبعض الرؤساء فسمع منه
غناء أذهب لبَّه ، وألَّهَبَ قلبه ، فبينما هو واقف تحت القصر إذ رُشَّ بماء من
أعاليه ، فاستدعى رقعة ، وكتب إلى صاحب القصر بهذه القطعة :

يَا مَنْ يَضُنُّ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الْغَرْدِ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ هَذَا الضَّنَّ فِي أَحَدٍ
لَوْ أَنَّ أَسْمَاعَ أَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةٌ أَصَغْتُ إِلَى الصَّوْتِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدْ
فَلَا تَضُنَّ عَلَيَّ سَمْعِي وَمَنْ بِهِ صَوْتًا يَجُولُ بِجَالِ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ
أَمَّا النَّيِّدُ فَلَا تَنِي لَسْتُ أَشْرِبُهُ وَلَا أَجِيثُكَ إِلَّا كَيْسَرَتِي بِيَدِي

وعَزَمَ فَنِي كَانَ يَتَأَلَّفُهُ ، وخامره كَلَفُهُ ، على الرحيل في غَدِهِ ، فأذهبت
عزمته قوى جَلَدِهِ ، فلَمَّا أَصْبَحَ عَاقَتَهُ السَّمَاءُ بِالْأَنْوَاءِ ، وساقته مكرهاً إلى
الثَّوَاءِ ، فاستراح أبو عمر من كَدِّهِ ، وانفسح له من التواصل ضائق أَمَدِهِ ،
فكتب إلى المذكور ، العازم على البكور :

هَلَا ابْتَكَرْتَ لِيْنِ أَنْتَ مَبْتَكِرٌ هِيَهَاتَ يَا بَى عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْقَدَرُ
مَا زِلْتُ أَبْكِي حِذَارَ الْبَيْنِ مَلْتَهَباً حَتَّى رَثَى لِيَ فَيْكَ الرِّيحُ وَالْمَطَرُ
يَا بَرْدَهُ مِنْ حَيَا مُزْنٍ عَلَى كَبَدٍ نِيرَانَهَا بِغَلِيلِ الشَّوْقِ تَسْتَعْرِ
آلَيْتُ أَنْ لَا أَرَى شَمْساً وَلَا قَمَراً حَتَّى أَرَاكَ فَأَنْتَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

ومن شعره الذي صرّح به تصريح الصب ، وبرّح فيه وقائع اسم الحب ،
قوله :

الجسمُ في بلدٍ والروحُ في بلدٍ يا وحشةَ الروح بل يا غربةَ الجسدِ
إن تبك عيناك لي يا مَنْ كلفتُ بهِ من رحمةٍ فهما سهماك في كبدي
ومنه قوله :

ودّعَتني بِزَفرةٍ^١ واعتناقٍ ثمّ نادتُ متى يكونُ التلاقي
وبدتُ لي فأشرق الصبحُ منها بينَ تلكَ الجيوبِ والأطواقِ
يا سقيمَ الجفونِ من غيرِ سقمٍ بينَ عَيْنَيْكَ مصرعَ العشاقِ
إنَّ يومَ الفراقِ أظلعُ يومٍ ليتني متُّ قبلَ يومِ الفراقِ
وله أيضاً :

يا ذا الذي حطَّ الجمالُ بخدِّه خطّينَ هاجا لوعةً وبلا بلا
ما صَحَّ عندي أنَّ لحظك صارمٌ حتى لبستَ بعارضيكَ حمائلًا

وأخبرني بعضهم أن الخطيب أبا الوليد ابن عيال^٢ حج ، فلمّا انصرف ،
تطلّع إلى لقاء المتنبي واستشرف ، ورأى أن لقياه فائدة يكتسبها ، وحلّة فخر لا
يحتسبها ، فصار إليه فوجده في مسجد عمرو بن العاص ، ففاوضه قليلاً ، ثمّ
قال : أنشدني للمليح الأندلس ، يعني ابن عبد ربّه ، فأنشده :

يا لؤلؤاً يَسْجِي العقولَ أنيقاً ورشاً بتقطيعِ القلوبِ رفيقاً
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثلهِ درّاً يعودُ من الحياءِ عقيقاً

١ المطمح : بزورة .

٢ كذا هنا وفي بعض أصول المطمح : ابن عقّال .

وإذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناه غريقا
يا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ ما بالُ قلبك لا يكون رقيقا
فلمّا أكل إنشادها استعادها منه ، وقال : يا ابن عبد ربّه ، لقد تأتيتك
العراق حبّوا .

وله أيضاً :

ومُعَدَّرٌ نَقَشَ الجِمالُ بِخَطِّهِ خَدّاً لَهُ بدمِ القُلُوبِ مَضْرُجاً
لَمّا تيقنَ أنَّ سيفَ جفونه من فرجسٍ جعل النُّجادَ بِنفسِها
وله أيضاً :

وساحبة فَضَّلَ الذُّيولُ كأنَّها قَضِيبٌ من الرِّيحانِ فوقَ كَثِيبٍ
إذا ما بدت من ثغرها قال صاحبي أطمعني وخُذْ مِن وِصْلِها بِنَصِيبٍ
وله أيضاً :

هَبَّجَ الشَّوقُ دِوَاعِي سَقَمِي وكسا الجِسمَ ثِيابَ الأَلَمِ
أَيُّهَا البَيْنُ أَقِلْنِي مرّةً فإذا عُدْتُ فقد حلَّ دمي
يا خَلِيَّ الدَّرْعِ نَمِّ في غِبْطَةٍ إنَّ من فارقتَه لم يَنْمِ
ولقد هاجَ بِجِسمي سَقَمًا حُبٌّ من لو شاء داوَى سَقَمِي

وبلغ سنَّ عَوْفِ بنِ مُحَلِّمٍ^١ ، واعترف بذلك اعتراف متألّم ، عندما وهتَ
شدته ، وبليت جِدَّتُهُ ، وهو آخر شعر قال ، ثم عثر في أذبال الردي وما
استقال :

١ هو القائل :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سعي إلى ترجمان

كِلَانِي لِمَا بِي عَاذِلِيْ كَفَانِي طَوِيْتُ زَمَانِي بِرُهْمَةٍ وَطَوَانِي
 بَلَيْتُ وَأَبْلَيْتُ اللَّيَالِي مَكْرَهًا وَصَرَفَانِ لِلْأَيَّامِ مَعْتُورَانِ
 وَمَا لِي لَا أَبْلَى لِسَبْعِينَ حِجَّةً وَعَشْرٍ أَنتَ مِنْ بَعْدِهَا سَنَتَانِ
 فَلَا تَسْأَلَانِي عَنْ تَبَارِيحِ عَلْتِي وَدُونِكَمَا مَنِي الَّذِي تَرِيَانِ
 وَلَئِنِّي بِحَوْلِ اللَّهِ رَاجٍ لِفَضْلِهِ وَلِي مِنْ ضَمَانِ اللَّهِ خَيْرَ ضَمَانِ
 وَلَسْتُ أَبَالِي مِنْ تَبَارِيحِ عَلْتِي إِذَا كَانَ عَقْلِي بَاقِيًا وَلِسَانِي

وفي أيام إقلاعه عن صَبَوته ، وارتجاعه عن تلك الغفلة وأوْبَتِهِ ، وانثنائه عن
 مجون المجون إلى صفاء توبته ، محص أشعاره في الغزل بما ينافيها ، ونصل من
 قوادمها وخوافيها ، بأشعار في الزهد على أعاريضها وقوافيها ، منها القطعة
 التي أولها :

هَلَا ابْتَكُرْتَ لِيْنِ أَنْتَ مُبْتَكِرُ

محصها بقوله :

يَا رَاقِدًا لَيْسَ يَعْفُو حِينَ يَقْتَدِرُ مَاذَا الَّذِي بَعْدَ شَيْبِ الرَّأْسِ تَنْتَظِرُ
 عَايْنُ بِقَلْبِكَ إِنَّ الْعَيْنَ غَافِلَةٌ عَنْ الْحَقِيقَةِ وَاعْلَمْ أَنَّهَا سَقَرُ
 سُودَاءٍ تَزْفَرُ مِنْ غِيْظٍ إِذَا سَفَرَتْ لِلظَّالِمِينَ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَلْدُرُ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ غَيْرُ الْمَوْتِ مَوْعِظَةٌ لَكَانَ فِيهِ عَنِ اللَّذَاتِ مُزْدَجَرُ
 أَنْتَ الْمَقُولُ لَهُ مَا قُلْتَ مُبْتَدَأُ : هَلَا ابْتَكُرْتَ لِيْنِ أَنْتَ مُبْتَكِرُ

٩ - وقال في ترجمة أبي القاسم المنيشي ، ما صورته ١ :

أبو القاسم المنيشي ، أحد أبناء ٢ حضرة إشبيلية المقلّين ، الناهضين بأعباء

١ المطبع : ٨٨ والنص مختلف عما أورده المقرئ .

٢ المطبع : أنساء .

الضرائر المستقلتين ، لم يزل يَعْشُو لكل ضوء ، ويتتجع مصاب كل نوء ،
 فيوماً يَنْصِب ويوماً يُجْدِب ، وآونة يفرح وأخرى يشتدب ، إلى أن صدقت
 مخايله ، فرمقت بخوته وتحايله ، وأتى من العجب ، بمنسدل الحُجُب ، ومن
 الأشتر ، ما لم يأت من بَشَر ، وما تصرف إلا في أنزل الأعمال ، ولا تعرف
 إلا بأخون العمال ، لم يَفْرَح رِبْوَة ظهور ، ولم يقرع باب رجل مشهور ،
 وله أدب ولِسَن ، ومذهب فيهما يُسْتَحْسَن ، لكنّه نكب عن المقطع الجزل ،
 وذَهَب مذهب الهزل ، إلا في النادر فر بما جَدَّ ، ثم أخلق منه ما استجدَّ ، وعاد
 إلى دَيْدَنَه ، عودة أبي عبادا إلى واواته ومُدَنَه ، وأخذ في ذلك الغرض ، وليس
 شرط كتابي بذاءه ، ولا أن يقف حذاءه ، وقد أثبت له ما هو عندي نافق ،
 ولغرض كتابي موافق ، فمن ذلك قوله :

يا رَوْضَة باتت الأنداء تخدمها	أتى النسيم وهذا أول السحر
إن كان قدك غصناً فالثراء به	مثل الكماثم قد زُرَّت على الزهر
أربأ بخديك عن ورد وعن زهر	واغن بقرطيك عن شمس وعن قمر
يا قاتل الله لحظي كم شقيت به	من حيث كان نعيم الناس بالنظر

وله من رثاء في والدتي رحمه الله عليها :

يا ناصحي غير مفتات ولا شجن	على النصائح والنصائح مفتات
لا أستجيب ولو ناديت من كُتِب	قد وقدتني تعلات وعلات
إن كان رأيك في برّي وتكرمي	بحيث قد ظهرت منه علامات
لا ترض لي غير شجوي لا أفارقه	فذلك اختاره والناس أشتات

ومنها :

يا ذا الوزارة من مثني وواحدة لله ما اصطنعت منك الزارات

أبو عباد هو معبد الغني ، ومدنه الخان له تسمى حصون معبد .

لله منك أبا نصر أخو جلد إذا أَلَّتْ مَلَمَّاتٌ مَهْمَاتُ
أستودعُ اللهَ نوراً ضمّه كفنٌ كما تُؤَارِي بدورَ التَّمِّ هالاتُ
قضتُ زليت شبابي كان موضعها هيهات ؛ لو قُضِيَتْ تلكَ اللَّبَّاتُ
مضتُ ولما يَقمُ من دُونِها أحدٌ هَلَا وقد أغذرتُ فيها المِروءاتُ

وله يُصف زرزوراً :

أمنبرٌ ذاكَ أم قضيبُ يفرعه مُصَقَّعٌ خطيبُ
يختالُ في بُردتي شبابٍ لم يتوضَّحْ بها مشيبُ
كأنما ضَمَخَتْ عليه أبرادَه مسكَةٌ وطيبُ
أخرسٌ لكنَّهُ فصيحٌ أبسله لكنَّهُ لبيبُ
جَهْمٌ على أنه وسيمٌ صعبٌ على أنه أريبُ

١٠ - أبو الحسن البرقي ١ :

بلنسي الدار ، نفيسي المقدار ، ما سمعت له بشرف ، ولا علمت له بسلق ،
ولا اطلعت منه على غير سرف ، ورد لإشيلية سنة تسع وتسعين وأربعمائة ٢ ،
واتصل بابن زُهْر ، فناهيك من حظ في أكنافه جال ، ومن لحظ فيما أَرادَه أجال ،
ومن أمل استوفر ، وحظ مسك أذفر ، ومن وجه جاه له أسفر ، سلك به ساحة
الغائب ، وتملك بسببه إباحة الحاضر والغائب ، وقال فما نبذت مقالته ، وأقال
فما قيَّدَتْ إقالته ، وكان حلو المجالسة ، مجلّو الموانسة ، ذا نَشَب وافر ،
ومذهب في المساهمة سافر ، إلاّ أنه كان كلفاً بالفتيان ، مُعَنَّى بهم في كل
الأحسان ، وثيَّف على السبعين وهو برداء الصبوة مرتد ، ويعترئها معتد ،
مع أدب زهرته تَرِفٌ ، وكأنه بحر والألباب منه تغترف ، وقد أثبت له بعض

١ المطبع : ٨٩ .

٢ المطبع : سنة خمس وسبعين وأربعمائة .

ما وجدت له في الغلمان ، وأنشدت له في تلك الأزمان ، فمن ذلك قوله رحمه الله تعالى :

إن ذكرتَ العقيقَ هاجك شوقٌ رُبَّ شوقٍ يهيجُهُ الادرَّكارُ
يا خليليَّ حدِّثني عن الرِّكِّ بـ سُحيراً أُنْجِدُوا أم أغاروا
شغلونا عَنِّ الوداعِ وولوا ما علَيْنِهِمُ لوودَّعوا ثمَّ ساروا
أنا أهواهُمُ على كلِّ حالٍ عدلوا في هواهمُ أم جاروا

وعلق بإشيلية فني يُعرف بابن المكر ، وبات من حبّه طريحاً بين أيدي
الوساوس والفكر ، لا يمشي إلاَّ صَبّاً ، ولا يفشي إلاَّ غراماً وحبّاً ، وما زال
يقاسي لوعته ، مقاساةً يناجي بها صرعته ، ويكابد جواه ، ويلازم هواه ، حتى
اكتسى خدّه بالعدار ، وانمحت عنه بهجة آذار ، فسلاً من كلفه ، وتصدى ذلك
لمواصلته بصلفه ، فقال :

الآنَ لَمَّا صَوَّحَتْ وجنَّاتُهُ شوكتاً وأضحتْ سلوةَ العشاقِ
واستوحشتْ منه المحاسنُ واكتستْ أنوارُ وجهك واهنَ الأخلاقِ
أُمِيتَ تبذلُ لي الوصالَ تصنعاً خلقُ اللثيمِ وشيمةُ المذَّاقِ
هلاًَّ وصلتَ إذ الشمالكُ قهوةٌ وإذ المحيّا روضةُ الأحداقِ
يا-كم أطلتْ غرامَ قلبٍ مُوجِعٍ كم قدَّ ألبَّ إليكَ بالأشواقِ
ما كنتَ إلاَّ البدرَ ليلةَ تمه حتى قضتَ لكَ ليلةٌ بمحاقِ
لاحَ العِذارُ فقلَّتْ وجدُّ نازحٍ إنَّ ابنَ دابةٍ مؤذنٌ بفراقِ

وله فيه مناقضاً لذلك الغرض ، معارضاً للوعة سلوه الذي كان عرض :

يلومون في ظيِّ ترايدَ حُسْنُهُ بخطَّينِ خطّاً لوعي وغراميا

وقد كنتُ أهوى خدّه وهو عاطلٌ فكيفَ وقد أضحي لعينيَ حالياً

وله أيضاً في مثله :

أجبلُ الطرفِ في خدّ نصيرٍ يرددُ ناظري نظري إليه
إذا رمِدَتْ بحمرته جفوني شفاها منه إتمدُّ عارضيه

١١ - أبو الحسن علي بن جودي^١ :

برّز في الفهم ، وأحرز منه أوفر سهم ، وعانى العلوم بقريحة ذكية ،
وواخى بنفس في المعارف زكية ، وله أدب واسع مداه ، يانع كالروض بلّله
نداه ، ونظم "أرق" من دمع العاني ، ولطيف المعاني ، وأعَبَق من نفس الخمائل ،
في أكف الصبا والشمائل ، ونثر كالزهر المَطْلُول ، أو السلك المحلول ، إلا
أنه سها فأسرف ، وزها بما لا يعرف ، وتصدى إلى الدين بالافتراء ، ولم يراقب
الله تعالى في ذلك الاجتراء ، واشتهرت عنه في ذلك أقوال سدّ إلى الملة نصاها ،
وأبدى بها ضلالها ، فعظمت به المحنة ، وكنت له في كل نفس إحنة ، وما زال
يتدرّج فيها ويتنقل ، حتى عثر وما كاد يستقل ، فمر لا يُلَوِّي على تلك النواحي ،
وفرّ لا يثني إلى لوائهم ولواحي ، وما زال يركب الأهواء ويتخوضها ، ويدلل
النفس بها ويروّضها ، حتى أسمعحت ببعض الإسماع ، وكفّت عن ذلك الجملح ،
واستقر عند أبي مالك فأواه ، ومهد له مشواه ، وجعله في جملة من اختص من
المبطلين ، واستخلص من المعطلين ، فكثيراً ما يصطفقهم ، ولا يدري أبدخهم
أم يقتنيهم ، وقد أثبت له ما يبهّر سامعاً ، ويظهر برقاً لامعاً ، فمن ذلك قوله :

أحنُّ إلى ريح الشمال فإنّها تذكّرنا نجداً وما ذكرنا نجداً
تمرُّ على ربّع أقام به الهوى وبدل من أهليه جائمة رُبداً

١ المطمح : ٩٠ وبين النصين اختلاف .

فيا لَيْتَ شعري هل تُقَضِّي لُبَانَهُ
خليلي لا والله ما أحملُ الهوى
فأرتشفَ اللّمْيَا وأعتقَ القَدَا
وإن كنتُ في غير الهوى رجلاً جَلَدَا
وقوله أيضاً :

سلِ الركبَ عن نجدٍ فإنَّ نَحِيَّةَ
ولا فَمَا بِالْ مُطَيِّ على الوجي
لساكن نجد قد تحملها الركبُ
خفافاً وما للريح مرجعُها رَطْبُ
وقوله أيضاً :

إذا ارتحلت غريبة فاعرضا لها
لقد ساءنا أنا بنيدٌ وأنتنا
فبجئنا إسا بعنادٍ مبرحٌ
ظعننا على حكم الليالي وخطبها
وكنْتُ أَرْجِي الدهر بعد الذي مضى
أحقاً يسيرُ الركبُ لم ترتحلُ بِنَا
فبالغريب من نهوى له البلد الغربا
بأرضين شَتَّى لا مزاراً ولا قرباً
ولمّا أمورٌ باعثاتٌ لنا كربا
فيا ليت لم ندرِ الليالي ولا الخطبا
دياراً وقرباً والأصاديق والصحبا
إليك ولَمْ تَحْدُ الحداةُ لنا ركبا
وقوله أيضاً :

لقد هيَّجَ النيرانُ يا أمَّ مَالِكٍ
عشيّةَ لا أرجو لقاءك عندها
بتدميرِ ذكرى ساعدتها المدامعُ
ولا أنا أن يدنو مع الليل طامعُ
وقوله أيضاً :

حننتُ إلى البرق اليماني ، وإنما
فيا راكباً يطوي البلادَ تحملنُ
ليالينا بالجزعِ جزعِ محجّرٍ
وما ضرَّ صحي وقفةٌ بمحجّرٍ
نعالجُ شوقاً ما هنالك هانيا
تحيّتنا إن كنتَ تلجأ لاقيا
سقى الله يا فيحاء تلك اللياليا
أحيي بها تلك الرسوم البواليا

وله أيضاً :

خليلي من نجد فإن بنجدهم مصيفاً لبيت العامري ومربعا
ألا رجعا عنها الحديث فلنتي لأغبط من ليلي الحديث المرجعا
عزيز علينا يا ابنة القوم أننا غريبان شتى لا نطيق التجمعا
فريق هوى منا يمان ومُشتم يحاول يأساً أو يحاول مطمعا
كأننا خلقنا للنوى وكأنما حرام على الأيام أن تتجمعا
ووجدت له في بعض نسخ «المطمح» قوله أيضاً^١ :

سقى دارك اللائي بيطن مُحَصَّبٍ مثاكيل من وفد الغمام المرتج
ألم تعلمي يا فتنة القلب أنني تطارحت من حيي لكم كل مطرح
إذا نعت غريبان دار وجدني وشوقي مقيم بين ناء ونزح

وله أيضاً :

ألا خبير وللبلوى ضروب وفيك لكل مشتاق حبيب
حباك الله بالنعى فنونا وجر لكم مع النعمى خطوب
متى تقضي بخسفتك الليالي وتعصف فيكم ريح هبوب
فإنكم تجرون المنايا وتعمر من مجانيكم قلوب

وقد ذكر في «المطمح» له تخميساً جارياً على ألسنة الناس إلى الآن ، وهو :

أيا ساكنين بأرض اللوى وصالكم لسقامي دوا
وعافاكم الله من ذا الجوى ملككم فؤادي فصار الهوى
علي رقيب رقيب رقيب

١ وردت هذه القطعة في ق بمد القطعة التي أولها «إذا ارتحلت غريبة . . .» .

ولما تبدت لهم حالتي وما حرك الهجير من زفرتي
بكوا رحمة لي من ساعتي فقلت متى الوصل يا سادتي
فقالوا قريب قريب قريب

وهو وإن لم يكن في ذروة البلاغة فقد ذكرته لأتته مطروق بالمغرب عند أهل
التلاحين وغيرهم .

ولنذكر بعض نص خطبة المطمح ، قال رحمه الله تعالى فيه : أمّا بعد حمد
الله الذي أشعرنا إيماناً^١ وإلهاماً ، وصبر لنا أفهاماً ، ويسر لنا برود آداب ،
ونشّرنا للانبعاث لإثباتها والانتداب ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي بعثه
رحمة ، ونبأه منه ومنه ونعمة ، وسلّم تسليماً ، فإنه كان بالأندلس أعلام ،
فتنوا بسحر الكلام ، ولقوا منه كل تحية وسلام ، فشعشعوا البدائع وروّقوها ،
وقلدوها بمحاسنهم وطوقوها ، ثم هَوّوا في مهاوي المنايا ، وانطوا بأيدي
الرزايا ، وبقيت مآثرهم الحسان ، غير مثبتة في ديوان ، ولا جملة في تصنيف
تحتلي فيه العيون ، وتحتني منه زهر الفنون ، إلى أن أراد الله تعالى إظهار إعجازها ،
واتصال صدورها بأصجازها ، فحللت من الوزير أبي العاصي حكيم بن الوليد
عند من رحّب وأهلّ ، وأعلّ بمكارمه وأهل ، وندبني إلى أن أجمعها في
كتاب ، وأدركني من التنشط إلى إقبال ما ندب إليه ، وكتابة ما حث عليه ،
فأجبت رغبته ، وحليت بالإسعاف لبّته ، وذهبت إلى إبدائها ، وتخلّدت عليها ،
وأملت منها في بعض أيام ، ثلاثة أقسام ، القسم الأول : يشتمل على سرّد غرر
الوزراء ، وتناسق درر الكتب والبلغاء . القسم الثاني : يشتمل على محاسن أعلام
العلماء ، وأعيان القضاة والحكماء . القسم الثالث : يشتمل على ذكر محاسن
الأدباء ، النوايغ النجباء ؛ انتهى .

١ إيماناً : سقطت من ق والمطمح .

وهذه خطبة «المطمح الصغير» ، وأما الكبير والأوسط فضمنهما ذكر الملوك والسلطين حسبما نقلنا بعضه فيما مر من هذا الكتاب ، على أننا نقلنا بعضاً من الصغير أيضاً ، فليعلم ذلك من يقف على هذا الكتاب ، ومن له أدنى ممارسة ، وليراجع من الترجمة الفرق بين كلامه في الصغير وغيره ، وبالجمله فما رأيت ولا سمعت أحلى من عبارة الفتح رحمه الله تعالى في تحليه الناس ، ووصف أيام الأئس ، وليس الخبر كالعيان ، وقد سردنا بعض كلامه في « القلائد » وفي « المطمح » .

[قطعة من الموشحات]

ولنرجع الآن إلى ما كنا بصددده من أمر التوشيح ، فنقول : وتمام موشحة ابن سهل التي عارضها لسان الدين هو قوله :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى	قلب صبّ حله عن مكس
فهو في حرّ وخفق مثلما	لعبت ريع الصبا بالقبس
يا بدوراً أطلعت يوم النوى	غرراً تسلك بي نهج الفر
ما لقلبي في الهوى ذنب سوى	منكم الحسن ومن عيني النظر
أجتني اللذات مكلوم الجوى	والتلذذي من حبيبي بالفكر
كلما أشكوه جداً بسما	كالرؤى بالعارض المنبجس
إذ يقيم القطر فيها مائما	وهي من بهجتها في عرس
غالب لي غالب بالتؤده	بأبي أفديه من جاف رقيق
ما رأينا مثل ثغر نضده	أقحواناً عصرت منه رحيق
أخذت عيناه منه العريده	وفؤادي سكره ما إن يفيق

فاحمُ الجُمّةِ معسولُ اللمى	أَكحلُ اللحظِ شهيقُ العَسْرِ
وجهه يتلو « الضحى » مبتسما	وهو من إعراضه في « عبس »
أيّها السائلُ عن ذُلِّي لديه	لي جزاء الذنبِ وهو المذنبُ
أخذت شمسُ الضحى من وجنتيه	مشرقاً للصبّ فيه مغربُ
ذهبت أدمعُ أجفاني عليه	وله خدّ بلحظي مذهبُ
يطلعُ البدرُ عليّهِ كلّما	لاحظتُهُ مقلتي في الخُلَسِ
ليت شعري أيّ شيء حرّما	ذلك الوردَ على المغرَسِ
كلّما أشكو إليه حرّقي	غادرتني مقلّته دثفا
تركتُ الحافظُ من رَمَقي	أثرَ النملِ على صمّ الصفا
وأنا أشكره فيما بقي	لستُ ألحاهُ على ما أتلّفا
فهو عندي عادلٌ إن ظلّما	وعَدولي نطقُهُ كالخرسِ
ليس لي في الحبّ حكمٌ بعدما	حلّ من نفسي محلّ النَفْسِ
منهُ للنارِ بأحشائي اضطرامٌ	يلتظي في كل حين ما يشا
وهي في خديهِ بَرْدٌ وسلامٌ	وهي ضرٌّ وحريقٌ في الحشا
أتقي منه على حكمِ الغرامِ	أسدّ الغابِ وأهواه رشا
قلت لما أن تبدّئ مُعلّما	وهو من الحافظه في حرّسِ
أيّها الآخذُ قلبي مقنّما	اجعلِ الوصلَ مكانَ الخُمُسِ

وقد عارض هذا الموشح أيضاً بعض متأخري المغاربة فقال :

يا عُرَيْبَ الحمي من حيّ الحمى	أنتم عييدي وأنتم عُرُسي
لم يحلّ عنكم ودادي بعدما	حلّتم لا وحياةِ الأنفُسِ

مَنْ عَذِيرِي فِي الَّذِي أَحْبَبْتُهُ	مَالِكٌ قَلْبِي شَدِيدُ الْبَرْحَا
بَدْرٌ تَمَّ أَرْسَلَتْ مُقْلَتُهُ	سَهْمٌ لَحْظٌ لِفَوَادِي جَرْحَا
إِنْ تَبَدَّى أَوْ تَثْنَى خَلْتُهُ	غَصْنٌ بَانَ فَوْقَهُ شَمْسٌ ضُحَى
تَطْلُعُ الشَّمْسُ عِشَاءً عِنْدَمَا	تَنْجَلِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسٍ
وَتَرَى اللَّيْلَ أَضَا مِنْهَزَمَا	وَتَرَى الصَّبْحَ أَضَا فِي الْعَلَسِ
يَا حَيَاةَ النَّفْسِ صِلْ بَعْدَ النَّوَى	وَالهَذَا مُضْنَى شَدِيدَ الشَّغْفِ
قَدْ بَرَاهَ السَّقَمُ حَتَّى ذَا الْهَوَى	كَادَ أَنْ يُفْضِي بِهِ لِلتَّلَفِ
أَهْ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ بِاللَّوَى	وَزَمَانٍ بِالْمُنَى لَمْ يَسْعَفِ
كُنْتُ أَرْجُو الطَّيْفَ يَأْتِي حُلْمَا	عَائِدًا يَا نَفْسُ مِنْ ذَا فَيَأْسِي
هَلْ يَعُودُ الطَّيْفُ صَبَاً مَغْرَمَا	سَاهِرًا أَجْفَانَهُ لَمْ تَنْعَسِ ١
هَمَّتْ فِي أَطْلَالٍ لَيْلِي وَأَنَا	لَيْسَ فِي الْأَطْلَالِ لِي مِنْ أَرْبٍ
مَا مَرَادِي رَاكِمَةً وَالْمُنْحَى	لَا وَلَا لَيْلِي وَسَعْدِي مَطْلَبِي
إِنَّمَا سَوْلي وَقَصْدِي وَالْمُنَى	سَيِّدُ الْعُجْمِ وَتَاجُ الْعَرَبِ
أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ طَهَ مِنْ سَمَا	الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّرِيفِ الْكَيَّسِ ٢
خَاتَمُ الرِّسْلِ الْكَرِيمِ الْمُتَمَى	طَاهِرُ الْأَصْلِ زَكِيُّ النَّفْسِ

وقال في مِباراة هذه الموشحات السابقة :

لا تَلْمَنِي يَا عَلَوِي تَأْتِمَا	مَا تَرَى جِسْمِي بِسَقَمٍ قَدْ كُسِي
مِثْلَمَا شَرَحُ غَرَامِي عِلْمَا	حَيْثُ أَشْكُو وَحْشَةً مِنْ مَوْنَسِ

١ ق : هل يرى في جنح ليل الغلس .

٢ ق : وحظي بالنور لما أن كسي .

ظبي أنس عن فؤادي ثقرا	وفؤادي مكتوي من صده
وعذولي في هوى الحب فترى	بسلام مذ نهى عن وده
أنت أعمى يا عذولي ما ترى	يانع الورد بدا من خده
وله ثغر إذا ما ابتسما	كبروق أومتضت في الغلس
وثناياه كدر نظمما	ففضياها في الدجى كالقبس
كم ترى سحراً يجفنيه بدا	لفؤاد في الهوى أضحي كليم
ليس سحر مقلتي هذا سدى	يا فؤادي إن شفى السحر السقيم
خيفة أوجس قلبي ، وغدا	راحلاً صبري ، وها شوقي مقيم
يا إله العرش يا رب السما	يا عليماً بفسمير الأنفس
قلبي الوهمان يشكو ألما	من جفا ظبي أغن أكيس
أعيت يسبي البرايا بالقل	أدعج الجفن بعينه حور
لورأته الشمس أضحت في حجل	وهو للبدر بوجه قد قمر
من معاني حسنه رق الغزل	في غزال قد غزاني بالنظر
آخذ بالروح مني كلما	رمى الصب بطرف أنس
يقنص الأسد بلحظ قد رمى	أسهما تفتك من غير قسي
يا رعى الله زماناً سلفا	بلويلات تقصت بانشرائح
مثل دينسار وها قد صرفا	في الدّ العيش مع حب وراح
فاعلدروا القلب الذي قد شغفا	بحبيب ما له عنه برّاح
بدر تم أهيف حلوى اللمي	ريقه شهد شهى اللّمس
كسلاف عهدا قد قدما	تنجلي في كأسها كالعرس

قهوة بكر عجوز عتقت زمناً في دنها من قبل نوح
هي لما في زجاج أشرقت شمس راح غربت في كل روح
جددت بسطاً وكم قد مزقت قلب صب في غبوق وصبح

حلف الحمار عنها قسماً أنها بالملك كادت تنسي
فاسقني صيفاً ولا تمزج بما راحه كم أذهبت من عبس
في رياض قد شدا شجورهُ عاطئها بين أكناف الشجر
وانظم الشمل ودع منشوره حول ورد وأقاح وزهر
وإذا الطل بدا شهورهُ كلل الأوراق منه بالدرر

ما ترى الريحان عبداً خدماً حيث أضجى واقفاً في المجلس
جلس السرير لكن ربما استحت منه عيون النرجس

فترة في رياض خضر وغصون غردت فيها هزار
وانشق عرف زهور عطر ياسمين زينته الجلنار
وشدا الزهر كسك أذفر واقبل العذر لابن البردار

طامع في رحمة الله وما خاب عبد طامع لم يأس
يا إلهي جُد علينا كرماً يا كريماً قبل أخذ الأنفس

رجع إلى موشحات ابن الخطيب :

قال لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى : ومما قلته من الموشحات التي
انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها ^١ :

١ الموشحة في أزهار الرياض ١ : ٣١٤ وهي في مدح السلطان يوسف أبي الحجاج .

رُبَّ لَيْلٍ ظَفَرْتُ بِالْبَدْرِ وَنَجِسْتُ السَّمَاءَ لَمْ تَدْرِ

حَفِظَ اللَّهُ لَيْلَنَا وَرَعَى
أَيَّ شَمَلٍ مِنَ الْهَوَى جَمَعَا
غَفَلَ الدَّهْرُ وَالرَّقِيبُ مَعَا

لَيْتَ نَهَرَ النَّهَارِ لَمْ يَجْرِ حَكَمَ اللَّهُ لِي عَلَى الْفَجْرِ

عَلَّلَ النَّفْسَ يَا أَخَا الْعَرَبِ
بِمُحْدِثٍ أَحَلَّى مِنَ الْفَضْرِ
فِي هَوَى مَنْ وَصَالَهُ أُرْبَى

كَلَّمَا مَرَّ ذَكَرَ مَنْ تَلَوِي قُلْتُ يَا بَرْدَهُ عَلَى صَدْرِي

صَاحٍ لَا تَهْنَمُ بِأَمْرِ غَدٍ
وَأَجْزُ صَرَفَهَا يَدَا يَدٍ
بَيْنَ نَهْرٍ وَبَلْبَلٍ غَرْدٍ

وَعَصُونَ تَمِيلُ مِنْ سُكْرِ أَعْلَنْتُ يَا غَمَامُ بِالشُّكْرِ

يَا مُرَادِي وَمَتْنِي أُمْلِي
هَاتِمَا عَسَجْدِيَّةَ الْحَلَلِ
حَلَّتْ الشَّمْسُ مَتَزِلَ الْحَمَلِ

وَبُرُودُ الرِّيحِ فِي نَشْرِ وَالصَّبَا عَنِيَّةُ النَّشْرِ

غَرَّةُ الصَّبَحِ هَذِهِ وَضَحَتْ
وَقِيَانُ النَّصُورِ قَدْ صَدَحَتْ
وَكَأَنَّ الصَّبَا إِذَا تَفَحَّتْ

وهفا طيبتها عن الحَصْرِ ملحّة في علا بني نَصْرِ

هم ملوك الوري بلا ثُنْيَا
مهّدوا الدين زينوا الدنيا
وحَمَى الله منهم العَلْيَا

بالإمام المرقّع الحَطَرِ والغمام المبارك القَطَرِ

إنّما يوسفٌ إمام هُدَى
حاز في العلوات كلّ مَدَى
قُلْ للدهرِ بملكه سعدا

افتخرْ جملةً على الدهرِ كافتخار الربيع بالزهرِ

يا عماد العلاء والمجدِ
أطلع العيد طالع السعدِ
ووفى الفتح فيه بالوعدِ

وتجلّت فيه على القصرِ غُرُرٌ من طلائعِ النصرِ

فتنهّا من حسنه البهيجِ
بحياة النفوس والمهجِ
واستمعها ودع مقال شجي

قسماً بالهوى لنبي حَجَرٍ ما لليل المشوق من فجرِ

ومن بديع موشحات لسان الدين رحمه الله تعالى قوله^١ :

١ الموشحة في أزهار الرياض ١ : ٢١٥ - ٢١٦ .

كم ليوم الفراقِ من غُصَّةٍ في فؤاد العميدِ
نرفعُ الأمرَ فيهِ والقصةَ للوليِّ الحميدِ

رحل الركبُ يقطعُ البيدا بسفسين النياقِ
كلُّ وجناء تُتلعُ الجيدا وتبذُّ الرفاقِ
حسبتُ ليلةَ اللقا عيدا فهي ذاتُ اشتياقِ

صائماتُ لا تقبلُ الرخصةَ قَبْلَ فطرٍ وعيدِ
فهي مُدُّ أملتُهُ مَحْصَة بجهادٍ جهيدِ

ومنه في آخره :

يا إمامَ العلاءِ والفخرِ ذا السَّنا المبهجِ
هاكها لا عدمنتُ في الدهرِ آملاً يَرْنجي
عارَضْتُ قولَ بائعِ التمرِ بمقالٍ شجي
غَرَّبوكِ الجِمالُ يا حَقْصَة مِن مَّكانٍ بعيدِ
من سِجْلِ ماسيةٍ ومن قَفْصَة وبلادٍ الجريدِ

وقد ألفت — رحمه الله تعالى — في هذا الفن كتابه المسمى : « جيش التوشيح »
وأتى فيه بالغرائب ، وذيلَ عليه صاحبنا وزير القلم بالمغرب العَلَم الشهير المنفرد
في عصره بمحاضرة قصب السبق في البلاغة سيدي عبد العزيز بن محمد الفشتالي — رحمه
الله تعالى — بكتاب سماه « مدد الجيش »^١ واستهلّه بقوله : حمداً لمن أمدَّ
جيش محمد بعترته . وأتى فيه بكثير من موشحات أهل عصرنا من المغاربة ،

١ هذه المخرجة قد تقرأ معربة وغير معربة .

٢ انظر روضة الآس : ١٦٢ .

وضمنه من كلام أمير المؤمنين مولانا المنصور أبي العباس أحمد الشريف الحسيني -
رحمة الله تعالى ورضوانه عليه - ما زاده زیناً ، وأخبرني - رحمه الله تعالى -
أنه ذكر فيه لأهل العصر في أمير المؤمنين ولأمير المؤمنين المذكور أزيد من
ثلاثمائة موشح ، ولا حرج في إيراد بعضها هنا ، فمنها قول أحد الوافدين من
أهل مكة على عتبة السلطان مولانا المنصور^١ ، وهو رجل يقال له « أبو الفضل
ابن محمد العقاد » وقد عارض بها موشحتي لسان الدين وابن سهل السابقتين^٢ :

لَيْتَ شعري هل أروي ذا الظما من لَمَى ذاكَ الثُّغَيْرَ الألعسِ
وترى عيناى رَبَّتِ الحمى باهياتٍ بقُدُودٍ مُيسرِ
يُدْخلون السَّقَمَ من دار اللوى كَلَمَ الهجرُ فؤادي وأسرِ
هدَّ من ركنِ اصطباري والقوى مُبدلاً أجفانَ نومي بالسَّهرِ
حين عزَّ الوصلُ عن وادي طوى هملتُ أعينُ دمعِي كالمنطرِ
فعاكم أن تجودوا كرما بلقاكم في سوادِ الحنْدَسِ
وتداووا قلبَ صبٍّ مُغرما من جراحاتِ العيونِ النَّعَسِ
كلَّما جنَّ ظلامُ الغَسَقِ هزَّني الشوقُ إلَيْكُمْ شَغفا
واعتراني مِن جفاكم قلقي مُدْ تذكرتُ جياداً^٣ والصفَا
وتناهتْ لوعتي من حُرقي ثمَّ زادَ الوجدُ فيّ التلْفا

١ يعني السلطان أحمد المنصور الذهبي أبا العباس ابن محمد الشيخ المهدي السمني ، وهو من أعظم
سلاطين السعديين ؛ انتصر على البرتغاليين في موقعة وادي المخازن سنة ٩٨٦ وفتح السودان ،
وأهم ببناء المساجد والمستشفيات وشجع العلوم ؛ توفي سنة ١٠١٢ (راجع مناهل الصفا للفشالي ،
والجزء الخامس من الاستقصا والأعلام للشيخ العباس ابن إبراهيم) .

٢ وردت الموشحة في روضة الآس : ١٤ .

٣ جياد : يعني جبل أجياد بمكة .

فانعموا لي ثم جودوا لي بما يُطْفُفُ^١ نيران الجوى ذي القبسِ
ساعةً لي من رضاكم مغنا وتداوي جنتي مع نفسي

كنت قبلَ اليوم في زهوٍ وتيه مع أجابي بسلعِ ألبُ
ومعي ظبيُّ يلحدي وجتيه مشرقُ الشمسِ وأخرى مغربُ
فرماني بسهامٍ من يديه ضاربُ البينِ قلبي متعبُ

لستُ أرجو للقاهم سلماً غير مدحي للإمام الأراسِ
أحمد المحمود حقاً من سما الشريف ابن الشريف^٢ الكيسِ
ومنها قول بعض المراكشين^٣ :

واختجلتُما للصباح والشمسِ إذ لاحَ جُودُ
ساقٍ يدبرُ الكؤوسا تضيءُ خمرأ وترهُرُ

تفادمتُ في الدنانِ من عهدِ نوحٍ تُروِّقُ
في لونها الهرماني^٤ تُدار فينا وتعيقُ
قدْ أطلقت من عنانِ منْ عن صَبُوحٍ يرفقُ

يسعى بها من ملاحٍ من كان باللحظِ يُسكرُ
بالحسنِ يُصبي الجليسا ويستخسف الموقرُ

١ خرج عن الإعراب ضرورة .

٢ الروضة : الكريم ابن الكريم .

٣ انظر روضة الآس : ٢٩ .

٤ ق والروضة : البرهاني .

يشير كامن وجد	في قلب كل سقيم
يسطر عكينا بقصد	يزري بفنن قوم
أشقى بعشقي وودي	في جنّة ونعيم
من ذي الوجوه الصّباح	يا شادناً غنّ واذكر
وهات لحناً نفيساً	نرويه عنك ونأثر
في مدح من ساد طفلاً	هذي البرايا وفاقا
من حاز مجداً وفضلاً	بين الأنعام وفاقا
في عدله قال قولاً	يسري فيعدو العراقا
في أحمد ذي السّاح	في الشرق والغرب ينصر
أحيا الهدى والنفوسا	وذللّ ملّة قيصر
تراه سلماً وحرباً	من رأيه في جتوده ^١
يخنال لم ينج عجباً	من عزّه في بروده
يهوى المعالي كسباً	ويقتنيها بجوده
فخار أهل الطّاح	وعزّ من قد تمصر
ثناه يملا الطروسا	عن صورة المجد عبر
ملك بني في البدع	منازلاً كالدراري
فيا له من صنيع	الروض والماء جاري
فقل بصوت رفيع	إذ بان فجر النهار

١ قافية هذا النّصن دون هاء في الروضة .

أهدى نسيمُ الصُّباحِ مسكاً شَمِيعاً وعنبر
وجيء بها خندريسا من خدّ ساقيه تُعصر

ومن موشحات السلطان المنصور المذكور^١ :

ريّانُ من ماء الصُّبا أهيفُ وممتلي البردِ
كالفضنِ هزته الصُّبا فوقَ الرُّبى الشُّهبِ
قد قلتُ لما أن سبّى بحُسْنِه يسبي
من عينه سلَّ ظُبي وغمدها قلبي
أسرّني ماضي الشُّبا أوطفَ مرئحُ القَدِّ
يا فاضحَ الروض سنا بل مخجلَ البدرِ
وقاطعي ظلماً عنا ومنْ مقرُّه صدري
إن لم تكن شمسَ دُنا فإنتها تجري
علَّقته من الظُّبا أسجفُ يسطو على الأسدِ
قلتُ له وقد نهَّدْ وجدَّ في حربي
وغلبَ الظُّبيُّ الأسدُ ففازَ بالغلبِ
الشمسُ بُرَّجُها الأسدُ فاسعَ إلى قلبي

ولم يحضرني الآن تمامها .

ومنها قوله يعارض لسان الدين وابن الصابوني^٢ :

١ روضة الآس : ٥٦ .

٢ روضة الآس : ٥٧ .

وليلي الشعور إذ تسري ما لنهز النهار من فجرٍ

حبّذا الليلُ طال لي وحدي
لو تراني جعلته بُردي
فاطمياً في خلعة الجعدي

هي ليلي أختُ بني بشرٍ فأين أنت يا أبا بدرٍ

كم سقطنا ألطف من طلٍّ
واجتمعنا وما درى ظليّ
واسترحنا من كاشحٍ نذلٍ

ربّ ليل ظفرت بالبدرٍ ونجوم السماء لم تدرِ^١

وبنفي مهفّفٌ ألى
ومطيعٌ وغرّني لما
سأله^٢ وقانعي ممّا

في رباط قسمتي صدري الحنين وناظري بدرٍ

وهلالٍ في حسنه اكتملا
هو شمسٌ وأضلعي الحملا
قام يشدو وينثي في ملا^٣

قسماً بالهوى لذي حجرٍ ما لليل المشوق من فجرٍ^٤

١ هذا القفل لسان الدين .

٢ الروضة : يا غفائي ، وسقطت اللفظة من ق .

٣ الروضة : في علا .

٤ هذا القفل لابن الصابوني .

[من مقطعات المنصور]

ثم عنّ لنا أن نورد هنا جملةً من مقطوعات مولانا السلطان المنصور ممّا تلقيناه عنه أيام كوننا في إيالته الشريفة ، فمن ذلك قوله زاداً على من قال في ابن أبي الحديد^١ :

لقد أتى بارداً ثَقِيلاً ولم يرثْ ذاك من بعيدٍ
فهو كما قد علمتْ شيءٌ أشهرُ ما كان في الحديدِ
ما صورته :

لقد أتى صارماً صَقِيلاً ولم يرثْ ذاك من بعيدٍ
شديدَ بأسٍ متى يعادي وشدةُ البأسِ في الحديدِ
ومن نظمه قوله^٢ :

للهِ تمرٌّ طيِّبٌ وافى على البشرى انطوى
يا حُسْنَهُ مجتمعاً يحلُّو لنا بلا نوى
وقوله معنياً في « قمر » على طريقة الاكتفاء :

مُعذِّبِي أعجزْني نيلُهُ من لي بمن مسكنُهُ في السما
لَمْ أنسَ إذ قالَ ألا تكفني قلتُ بمن بالطرفِ قلبي رمى
وقوله :

تبدَّى وزندُ الشوقِ تقدحُهُ النوى فتوقدُ أنفاسي لظاه وتضرمُ
وهشَّ لتوديعي فأعرضتُ مشفقاً على كبدٍ حرَّى وقلبٍ يقسمُ

١ قال المقرئ إنهما لمؤلف «طي الفلك الدائر على المثل السائر» ولكنه لا يتذكر اسمه (الروضة : ٤٧).
٢ أكثر هذه المقطعات وردت في روضة الآس : ٣٦ - ٥٢ وفي منازل الصفا ٢ : ٢٠٧ - ٢١٤ .

ولولا ثواه بالحق لأهتبا ولكنها تُعزى إليه فتكرم
فأعجب لآساد الشرى كيف أحجمت^١ على أنه ظي الكناس ويقدم
وقال قدس الله تعالى روحه موريا :

إن يوماً لناظري قد تبدى فتملى من حُسْنِه تكحلا
قال جفني لصنوه لا تلاقى إنَّ بَيْتِي وبينَ لِقْيَاكِ ميلا

وقد تبارى خُدامُ حضرة هذا السلطان في تخميس هذين البيتين ، ومن
أشهر ذلك قول الأستاذ الحافظ سيدي أحمد الزموري رحمه الله تعالى ، وكان
يصلي بالسلطان التراويح :

ورقيب يسرددُ اللحظَ ردّا ليس يرضى سوى ازديادي بُعدا
ساعة الطرف مذ جنى الخلد وردا إنَّ يوماً لناظري قد تبدى
فتملى من حُسْنِه تكحلا

وتصدى من فحشه في استباقٍ يَمْنَعُ اللحظَ من جنى واعتناقٍ
أيأس العين من لحاظٍ اتلاقي قال جفني لصنوه لا تلاقى
إنَّ بَيْتِي وبينَ لِقْيَاكِ ميلا

ومن نظم السلطان المذكور ، وهو من أوليات شعره ، قوله في وردة مقلوبة
بين يلدي محبوبه :

ووردة شَفَعَتْ لي عند مرثهني راقَتْ وقد سجدت لفاتر الخدق
كأنَّ خضرتها من فوقِ حمرتها خالٌ على خده من غير عَيْقٍ
وقال أيضاً من أولياته :

١ الروضة : كيف تعجم .

شادن نَمَّ عليه عَرَفُهُ^١ ما خلاصي من سهام كامنه^٢
أَحْلَلُ فيه أَنِّي خائفٌ وغزالي بعدَ خوفِي آمنه^٣

وقال في وصف رقيب ملازم :

رقيبِي كأنَّ الأرضَ مرآةً شَخِصِهِ فأين تَوَلَّى الطرفُ مِنِّي^٢ يراه
مقيمٌ بوجهِ الوصلِ حتى كأنَّما وصالي هلالٌ واليسودُ صداه

وقال :

أيا روضةً ضَنَّتْ عليَّ بزهرها ولَمْ يَتَلَقَّ ناظرِي سواك^٣
أبيحي لنفسي من شَدَاكِ بقاءها إذا فُتَّ طرفي علَّ الأَنفَ يراك

وقال أيضاً :

على جَدْوَلٍ غَطَّتْ عليه بشعرها لئلا يرى الشمسَ الرقبةَ لي طرفُ
فبتُ أرى في جدولٍ بدرَ وجهها غريقاً ونقطاتِ العبيرِ بهِ كَلَفُ

وقال :

طَرَقْتُ حِمَاهُ والأسودُ خَوَادِرُ به فتولَّى بالطَّبِّي وهو يبعدُ
فعلِمْتُ آسَادَ الشرى كيف تقدمُ وعَلِمَ غَزْلَانُ النقا كيف تشردُ

وقال :

لَمَّا نَأَى المحبوبُ رَقَّ لي الدُّجَى وأتى يعلِّني برَعِي كواكِبِهِ^١
أولى غرابِ البينِ ردك يا حشا والبينُ مُزِنِي الصِّباحِ كواك بهِ^٢

١ الروضة : نفحه .

٢ اقرأ بخلف الياء وجعلها حركة كالكرة على النون .

٣ الروضة : سناك .

وقال معمياً باسم حَظِيَّتِهِ الشهيرة الحسن والإحسان « نسيم » :

يا هلالاً طلوعه بينَ جفني وغزالاً كناسه بينَ جنبي
إنَّ سهماً رميتَ غادر همّاً لو تناهى ما شكَّ آخرُ قلبي

ورأيت بخطه على هذا المحل ما صورته : قولي « إنَّ سهماً » تنصيص ،
و « غادر همّاً » إسقاط ، وهو إشارة لإسقاط « همّاً » من هذا الاسم ، وقولي
« لو تناهى » انتقاد ، والانتقاد : الإشارة إلى بعض أجزاء الكلمة ليؤخذ جزء
الاسم المطلوب ، كأن يذكر الوجه أو الصدر أو التاج أو الرأس ، ويعني به
الحرف الأول من الكلمة ، والقلب والجوف والحشا والخصر ، ويراد به الوسط ،
والآخر والمنتهى والختام ، ويقصد به آخر الكلمة ، فقولي « لو تناهى » معناه
أنه أخذ لفظة هم غير متناه ، فبقيت الميم من همّاً ، وقولي « ما شكَّ آخر قلبي »
انتقاد أيضاً ، وأردت بآخر قلبي الياء ، ويسمى أيضاً التسمية ، وهو : أن تذكر
الاسم وتريد المسمى ، أو تذكر المسمى وتريد الاسم ، وقد تم الاسم .
واعلم أنهم لم يشترطوا في استخراج الاسم^١ بطريق التعمية حصولها بحركاتها
وسكناتها ، بل اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة لهيئاتها الخاصة فإذا وقع
ذلك فمن المحسنات^٢ ، ويسمى العمل « التذييل »^٣ . انتهى كلامه على البيتين
في اسم نسيم .

وقال في اسم « غزال » وقد جمع تعميمين ولغزاً :

وأملدَ مطويّ الحشا زال ردفه فلا خصر إلاَّ إنَّ تصورته وهما^٤
بنصف اسمه يرمي القلوبَ وعكس ما بقي أبدأ أذنَ المحبِّ به أصمى

١ الروضة : الكلمة .

٢ ق : التذييل .

٣ سقطت اللفظتان من ق ، وأثبتتهما من الروضة .

وكتب عليه ما صورته : قولي « أملد » أردت به بعمل الترادف غصن ،
و « مطوي الحشا » انتقاد ، و « زال ردفه » قضيت به غرضين ، أزلت به النون
بعمل الإسقاط الباقي بعد طي الصاد التي بوسطه ، وأثبتته — أعني « زال » —
في موضعها : أي النون من غصن ، والحال أن الصاد محذوفة ، وذلك بعمل
الانتقاد ، وأوضحت ذلك بقولي « فلا خصر » وإن كنت لا أحتاج إليه ، لئلا
يكون في البيت شيء خارج عن التعمية ؛ انتهى تفسيره ، رحمه الله تعالى .
ويعني بقوله « بنصف اسمه يرمي القلوب » غز ؛ لأنه نصف غزال ،
ويعني بقوله « وعكس ما بقي إلى آخره » لفظة « لا » لأنها مقلوب ما بقي
وهو « ال » .

وقال في اسم « سلاف » على منهاج ما تقدم :

وَأَحْوَرَ وَسَنَانَ الْجَفُونَ كَأَنَّمَا سَقَى لَحْظَةً مِنْ رَيْقٍ فِيهِ بِقَرْقَفٍ
نَضًا صَارِمًا لَا قُلَّ صَارِمٍ لَحْظَةً تَزِيدُ فِيهِ مِنْذُ سَلِ تَلَاهُ فِي .

وفسره بقوله : قولي « تلاه في » من طريق التسمية ، و « في » من العمل
التذييلي وهو أن يأتي بالكلمة بحركاتها وسكناتها ، وهي من المحسنات كما سبق .
وقال في اسم « آمنة » من التعمية أيضاً :

مِنْ شِقَائِي قَنْصَتَهُ وَهُوَ خِشْفٌ فِي رِضَاهُ عَنِ الْمُلُوكِ ابْتَدَلْتُ^١
أَمْلَدُ مِنْهُ مَذَّ تَحَلَّلَ خَصْرٌ وَتَشَنَّى عَنْ حَبِّهِ مَا عَدَلْتُ

وكتب عليه ما صورته : قولي « أملد » أردت الألف بعمل التشبيه ، و « خضر
منه » انتقاد ، وأردت بالخصر وسط لفظة « منه » وتحلله : أن ينحل السكون
الذي على النون ، وقولي « وتشنى » أي الألف من الثنية ، لا التشني ، فتم الاسم

١ الروضة : لم أقل ف أن قلت فات فهمت .

بحركاته وعدده ؛ انتهى تفسيره .

- وقال وقد ليس منصورية من النوع الذي يقال له « قلب حجر » ، والمنصورية :
نوع ليس معروف بالمغرب استخرجه السلطان المذكور وأضافه إلى اسمه :

وصفوا اشتياقي للحبيب وسرهم قول الحبيب أنا أنا فيه
قلبي له حجر ، فقلت مغالطاً للعاذل المؤذي أنا فيه

قال : وفي هذين البيتين عدة من المحسنات غير التعمية : منها جناس التركيب
المسمى بالملفق ، وحده : بأن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين ، وهذا
هو الفرق بين الملحق وبين المركب ، وقيل من فرق بينهما ، ومنها الانسجام ،
ومنها الاستخدام . وعهدي بالفقيه علي بن منصور الشيطمي تعرض إلى شرحهما
بكراسة . والتعمية في هذين البيتين بالعمل^١ الحسابي وهو كثير ، إلا أن هذا
العمل أحسبني أبا عذرتة إذ لم أره لغيري ، ومادة التعمية فيه « أنا أنا فيه » قلبي
له حجر « فقولي « أنا أنا فيه » معناه أن تضرب « أنا » في هـ ، وقولي « في هـ »
نص في الضرب ، ويخرج من هذا مائتان وستون عدد حروف هيماني وحقتك ،
وقولي « قلبي له حجر » بعمل القلب يصير « رجح » فصار المجموع « هيماني
وحقتك يرجح » ، وفيه التورية ، و « هيماني وحقتك » الخارج من هذا الضرب
فيه نهكم بالواشي ، فهو من المحسنات أيضاً ، أعني قوله « وحقتك » ، ويصلح
أن تسمى هذه التعمية بالافتنان ، لأن الافتنان عندهم : أن يفتن الشاعر فيأتي
بفتن متضادين من فنون الشعر في بيت واحد ، وهذا وقع التضاد فيه في كلمة
واحدة ، فظاهر « أنا أنا فيه » يضاد « هيماني وحقتك يرجح » الذي يخرج بطريق
الحساب ، فافهمه ، ويمكن استخراج تعمية أخرى من قولي للعاذل المؤذي
« أنا فيه » ؛ انتهى .

١ الروضة : بالعد .

والاستخدام الذي أشار إليه هو في قوله « أنا فيه » أي في هذا الثوب المسمى بقلب حجر ، كما دلت عليه الحكاية ، وأمّا المعنى الثاني لقوله « أنا فيه » فظاهر .
وقال وقد قطف وردة من روض المسرة في زمن الرجس :

وافى بها البستانُ صنوكَ وردةً يقضي بها لما مَطَلَّتْ وعوداً
أهدى البهار محاجراً وأتى بها في وقته كيما تكونَ خدوداً
فبعثتها مرتادةً بنسيمها تثني من الروضِ النضيرِ قُدُوداً
وقال :

لي حبيبٌ يأتي بكلِّ غريبٍ هو عندي مُتَكَرِّرٌ ومعرفٌ
لستُ أشكو لصبري ونحوي أنه بي نحا وفيَّ تصرفٌ
فعله فيَّ لازمٌ متعدٍ ومزيدٌ مجردٌ ومضعفٌ
وقال :

لا وطيفَ علمِ السيفِ فقد في قوامٍ كفنا الخطَّ نهْدُ
ووميضٍ لاحَ لَمْنَا بسمتِ فأرثنا منه دُرّاً أو بَرْدُ
ما هلالُ الأفقِ إلّا حاسدٌ منه حسناً وعلاءٌ وغيدُ
ولدا عاش قليلاً ناحلاً كيف لا يقبني نحولاً مَنْ حسدُ

وقد ضمّن قوله « ما هلال الأفق » أديب زمانه الشيخ إمام الدين الحليلي الوافد على حضرته من بيت المقدس فقال :

قسماً بالبيت والركن الذي طابَ حجاً واستلاماً للأبدِ
« ما هلالُ الأفقِ إلّا حاسدٌ » منه حسناً وعلاءٌ وغيدُ

وقد اتفق لإمام الدين هذا أنه اجتمع بالحضرة المنصورية ، هو والعقاد المكي

السابق والشريف المدني ، وهو رجل وافد من أهل المدينة انتمى إلى الشرف ،
فقال إمام الدين : يا أمير المؤمنين ، إن المساجد الثلاثة التي تُشَدُّ إليها الرحال
شَدَّ أهلها إليك الرحال : هذا مكِّي ، وذاك مدني ، وأنا مقدسي ، ثم أنشد^١ :

إنَّ أمير المؤمنين أحمد بحر الندى وفضله لا يُجحدُ
فطية ومكة أهلها والمسجد الأقصى بذاك شهدوا

رجع إلى نظم المنصور ، وقال :

وكيف بقلب في هواه مقلَّبٍ وأنى له بين الضلوعِ مقامُ
فيا شادناً يرعى الحشا أنت بالحشا أما لمحلِّ أنت فيه ذِمَامُ

وقال يخاطب رئيس كتّابه صاحبنا سيدي عبد العزيز الفشتالي السابق الذكر :

يا كاتباً الفاظه تغرس^٢ روضاً ذا فن
إنَّ جسواي للذي يشكو دناهُ اردد حزن

وقال مؤرياً بمصانعه الثلاثة : البديع ، والمسرّة ، والمشتهى :

بستانُ حسنك أبدعتَ زهراته ولكم نهيتُ القلبَ عنه فما انتهى
وقوامُ غصنك بالمسرّة ينثني يا حسنه رمانةً للمشتهى

ولولا خوف الإطالة المُمِلة لذكرت من محاسن مولانا أمير المؤمنين المنصور
— رحمه الله تعالى — بعضَ ما أؤدي به حقّه ، سقى الله تعالى عيَّاده ، وقد
بسطت الكلام على السلطان المذكور في كتابي « روضة الآس العاطرة الأنفاس
في ذكر من لقيته من أعلام مراکش وفاس » وأطال الكلام على ترجمته صاحبنا

١ الروضة : ١٤ .

٢ الروضة : إذا كتب يفرس .

الوزير الكبير الشهيد سيدي عبد العزيز بن محمد الفشتالي في كتابه المسمى بـ « مناهل الصفا في فضائل الشُّرفاء » وعهدي به أكلَ منه ثمانِيَ مجلدات ، وهو مقصور على حولة السلطان المذكور وذويه ، وألف كاتبُ أسرارهِ الرئيس أبو عبد الله محمد بن عيسى فيه كتاباً سماه « الممدود والمقصور من سَناء السلطان المنصور » وهذه التسمية وحدها مطربة ، رحم الله تعالى الجميع .

رجع إلى التوشيح :

كتب إليَّ بعضُ أذكِياء الأصحاب الأعيان موشحاً يمدحني به في آخره عارض به موشح لسان الدين السابق الذي أوله :

جادك الغيثُ إذا الغيثُ هَمَى يا زمان الوصلِ بالأندلسِ

ونصّه :

عَطَّرَ الأرجاءَ لما نَسَمَسَا شَمَّالٌ للصبحِ عندَ الغلسِ
وأنتَ شمسُ الضحى تنسُجُ ما يقرأ الليلُ لنا من عَبَسِ

طافَ بالكأسِ من الزهرِ قتي مَوْتِجٌ بالصدِّ عني مذ قتي
فَنَ الألبابِ لَمَّا التفتَا واحتمى منهُ ببعضِ الشفةِ
وأنا ما بينَ حتَّى ومَتى صدَّه تيهُ الهوى عن ألفي

وكؤوسُ الراحِ بينَ النُدامِ أَرَجَتُ بالعرَفِ أفقَ المجلسِ
خمرةٌ صفراءُ في البلورِ ما أشبهَ الحانَ بروضِ الرجسِ

بادِرِ اللذةِ واجمعْ شملها بمِدامٍ وغِلامٍ مُعْطَرِبِ
ذي عُيونِ ناعساتٍ كم لها من فنونِ السحرِ ما يلعبُ بي
وافرِ الأردافِ عاتى حملها ناحِلِ الخصرِ ، وذا من عجبِ

كلما أترع كأساً قال ما أنت بالشاري حياة الأنفس
فابذل الجهد وكن مغتتما لنفس النفس طيب الأنفس
فرص الأيام كن متهزأ مبتدأها قبل حذف الخبر
ورحاب الأنس لج متجزأ قبل أن تمضي كلمح البصر
واجن من زهر الهوى مجترأ من جنائيات هجوم الكبر
لا تخف لوماً ويم حيثما لاحت الذات كالمختلس
ما مضى أنس ووافى مثلما كان ذا الدهر لنا بالحرس
للرياض اذهب ترى بلبلها لاشتياق الورد مثل الشكل
وخلود الورد قد كللها دمع طل لاشتياق البلبل
وقنود البان قد قام لها مانع الوصل بحد الأسل
والرئي فاحت تحاكي خدما وعليهن ثياب السندس
جيها زُرر بالزهر كما زُر بالفضة ثوب الأطلس
وجلا الروض لنا أشجاره مائسات في قباء أخضر
وترى في جيدها نواره يتلألا كعقود الجواهر
خلع الليل به أطماره فغدا كالصبح باهي المنظر
وبقايه زهت فيه أما في شفاء الغيد حُسن اللعس
كمذار في محيا علما فبدا للغير لا الملتمس
حبذا الصبوة أيام الصبا وعيون الشيب في سهو الوسن
فلماذا أيقظها دهر صبا لصروف حد شقريها وسن
جرّد الشيب لنا بيض الشبا واقفني شرخ شيب وطمن

وغدا الإنسانُ شيخاً مَرِماً	واعتراه لاعجٌ من وجَسٍ
فأتَ إذ مات فيقضي ندماً	واغتنامُ الوقتِ شغلُ الكيسِ
لا تدعُ عُمرَكَ يمضي هَدَراً	أنتَ إذ ذاك جَبَانٌ غافلٌ
وارقَ بالجهْدِ من السؤلِ الدرا	واجتهدْ والضرعُ ضخمٌ حافلٌ
إنما الأيامُ أمثالُ الشرى	والجريءُ الشهمُ ليثٌ بأسلٌ
ووحوشُ الإنسِ تسعى مغنماً	بأردأ لسأسدِ المفترسِ
تركَ الوهمَ وخاضَ الظُلماً	ولهُ العزمُ أضأ كالقبسِ
ليسَ يحظى بالثنى إلا الذي	كابدَ الأهوالَ حتى ظفيرا
كانَ للراحةِ كالمتبدلِ	مِن وراءِ الظهرِ أنى ظهرا
مثلاً قد باتَ ذا طرفٍ قَدِي	يقطعُ الليلَ جميعاً سهرا
في طِلابِ العلمِ حتى علما	أنهُ يملا بروحِ القدسِ
أحمدُ الناصبِ فينا علما	للتقى فازَ به مَنْ يأنسِ
حلَّ في مضرٍ وإن كان العلا	قد عفتْ لما اعترها في خَلَلٍ
ورباضُ الفضلِ لما أن علا	نَقَعَ جهلٌ جفَّ منهن البللُ
ازدَرَّتْ أغصانها حتى خلا	قاعها من عَدَبِ ما يشفي العللُ
نفرتْ إذ حلَّ فيها كالسما	وهو بدرٌ بكمالِ مكسِ
حوله الطلابُ كالشهبِ سما	قدروها من نورهِ المقتبسِ
أيها الطالبُ للعلمِ اتبَدْ	لئسَ إلا بابهُ ينفعُكا
إن ترمِ نيلَ المرجى فاجتهدْ	في اتِّباعِ الذي يرفَعُكا
عِلْمٌ مَنْ يعملُ لكسيرٌ فزدْ	منهُ واتركْ حاسداً يدفعُكا

والزَّمِ الأَعْتَابَ وانزِلْ بالحِمْيَ
 باعتقادٍ فازَ من قد لثما
 مد خَبَرْتُ النَّاسَ طَرّاً نظرا
 لم أَجدُ إلا مَقالاً صدرا
 غيرَ ما يَمْلِيهِ فانتظرُ لَترى
 ببدیع النّطقِ لَمّا نظما
 وأنى يَخضعُ جَمعُ العلما
 إنّما المجدُ الرَفِيعُ الممتطي
 يَدْعُ المرفوعَ كالمنهبطِ
 ناظراً في أمره بالأحْوَطِ
 كلٌّ من أمّ حمّاهُ قد حمى
 فإذا جرّد منه انفصما
 حبّذا المغربُ قطراً بالسنا
 قطرهُ الشامخُ قد أهدى لنا
 كلٌّ من فاتتَهُ أسبابُ المُنَى
 قل لمن يَرجو سوى المذكور ما
 لا ، ولا النَّاسُ سواء إنّما
 لُذْ بشهمٍ فازَ مَنْ أَمَلَهُ
 أثقلَ السُّوددِ إذ حمَلَهُ
 وحِماه الأَمْنُ ، من أمّ له
 خالِعَ الرَبْقَةَ من قولِ المِسي
 نعلهُ والكِبَرُ شأنُ المُبْلِيسِ^١
 لمناطِ الأمرِ في هذا الزمان
 عن دعاوٍ أخلفتُ عند العيان
 دُرَرَ الألفاظِ في سِمِطِ البيان
 بُهِتَ المنطِقُ مثلَ الأخرسِ
 نحوَ ذا المفردِ في الملتبسِ
 أُرؤسَ الآسادِ قسراً مثلَ ذا
 ثم للنازلِ يُعلي ميفذا
 خافضِ الطرفِ على حرّ القذى
 بحُسامِ العزمِ هَشَّ الملمسِ
 جَلَمَدُ الصخرِ بذاك الميسِ
 فضلهُ يَبْهَرُ بَدْرَ الأفقِ
 سيّداً قد فاق شمسَ المشرقِ
 بعُـلـاه للثريا يرتقي
 يَنبُتُ الزهرُ بأرضِ اليبسِ
 رأيُ مَنْ سَوَاهُمْ في هوسِ
 بنوالِ فاقَ سَحَّ الهامِلِ
 وقَرَّ فضلُ مستيّنٍ شاملِ
 بلغِ القصدَ ، فبشرى الآملِ

١ ق : الملبس .

بجره الوافرُ بالعلم طما كاملَ الأمدادِ لم يحتبسِ
نال منه الناسُ حتى عمما مشرقاً والغربَ للأندلسِ
رجع إلى موشحات لسان الدين ابن الخطيب ، رحمه الله تعالى ،

فمن المنسوب إلى محاسنه قوله :

قد حرّكَ الجللُ بازي الصباح والفجرُ لاح
فيا غراب الليلِ حُثَّ الجناح

وهذا مطلع موشح بديع له لم يحضرني الآن تمامه ؛ لكوني تركته وجملة من
كلام لسان الدين في كتبي بالمغرب جبرها الله تعالى عليّ ، وهو معارض للموشح
الشهير الذي أوله :

بنفسجُ الليلِ تذكّى وفاح بَيْنَ البطاح
كأنّه يسقى بمسك وراح

وهذا المنحى هو الذي سلكه الجمالُ ابنُ نُبّانة^١ إذ قال مادحاً لخلال الدين
الخطيب رحم الله تعالى الجميع :

ما سَحَّ محمرُّ دموعي وساح على الملاح
إلاّ وفي قلبي المعتى جراح

بي من بتي الأثرالك حلّو الشباب مرُّ السّطا
عشيقته حينَ عديمَتُ الصّوابِ مِن الخطا
تَشْكُو حشا الغزلان منهُ التهابِ إذا عطا
وربّما تَشْكُو الفصونُ اكتئابِ إذا خطا

١ هو محمد بن محمد بن محمد ابن نبّانة الفارقي وله ترجمة مسهبة في الوافي ١ : ٣١١ - ٣٣١ ولم
ترد الموشحة هنالك أو في ديوانه .

ما ماسَ ذاكَ العَصْنُ بَيْنَ الوِشاحِ إلا وِراح
 قَوْلُ عَدُوِّي كُلِّهِ فِي الرِّيحِ
 آهًا لَصَبٍّ دَمَعَهُ حَيْثُ كَانَ دمعٌ أريق
 هَذَا أُسِيرٌ فِي وَجْهِهِ الحِسانُ وإذا طَلَبُوق
 أَرَّقَ جِيسِي بِالضُّنَى يَوْمَ بَانَ بدرُ الفَرِيقِ
 فَهِيَ أَنَا اليَوْمَ لَهُ يَا فُلَانُ عَيْدٌ رَفِيقِ
 يَزِيدُ أَجْنَفَانِي نَدَى وَارْتِشَاحِ نَهْيُ اللُّوْاحِ
 مِثْلُ جَلالِ الدِّينِ يَوْمَ السَّمَاحِ
 حَبْرٌ لَهُ فِي الخَلْقِ ذِكْرٌ جَمِيلٌ لا يُفْتَرَى
 مَاحٍ عَلَى غِظِّ الغَمَامِ البَحِيلِ مَحَلُّ الثَّرَى
 مَا رَأَتْ العَيْنُ لَهُ مِنْ مِثْلٍ ولا تَرَى
 يَوْسَدُ فِي أَوْطَانِهِ لِلنَّزِيلِ نارَ القِيرَى
 شَرَارُهَا فِي الكَيْسِ حَمْرٌ صَحاح لها اقْتِداح
 لَكُنْهَا فِي القَلْبِ عَذْبٌ قَرَّاح
 يَا مالِكَ العِلْمِ وَفَيْضِ النَّدَى جِزَتْ المَدَى
 فابْتَقَ وَكُلُّهُ العَالَمِينَ القِيدَا دَعِ العِيدَا
 أَنْتَ الَّذِي أَصْبَحَ غَيْثُ الجَدَا صَبَحَ الهَدَى
 كَمْ يُقْتَنَى مِنْكَ وَكَمْ يُقْتَدَى وَيُجْتَدَى
 عَسَلٌ جَلِيٌّ وَنَوَالٌ صُرَّاح صَفْوُ مُبَاح
 يَرَوِي بِهِ رَاوِي الرَّجَا عَنْ رِبَاح

وَمُغْرَمٍ لَا يَخْتَشِي مِينَ رَقِيبٍ وَلَا عَذُولٍ
 مَعْلَقُ الْقَلْبِ بِشَجْوٍ عَجِيبٍ وَلَا وُصُولٍ
 يَسْكُرُ لَكِنْ بِصِفَاتِ الْحَيِّبِ لَا بِالشَّمُولِ
 لَمَّا رَنَا الظِّي وَمَا سَ الْقَضِيبِ أَصْحَى يَقُولُ
 كَمْ يَنْتَضِي جَفْنَتَكَ وَعِطْفَكَ صِفَاحٍ عَلَى رِمَاحٍ
 مَا ذِي مَحَاسِنٍ ذِي خَزَائِنٍ سِلَاحٍ

ومن الموشحات الصادرة من المشاركة المعارضة للمغاربة قول عثمان البلطي^١
 يمدح القاضي الفاضل :

وَيْلَاهُ مِنْ رَوَّاحٍ بِجَوْرِهِ يَنْقُضِي
 ظِيَّ لَهُ إِعْدَادٌ مِنْهُ الْجَفَا جُظِّي

ولم أقف على تمامها ، وقد بارى بها التوشيح المشهور للمغاربة ، وهو :

عِقَارِبُ الْأَصْدَاغِ فِي السُّوسَنِ الْغَضِّ
 تَسْنِي تَقَى مِنْ لَازٍ بِالنِّسْكِ وَالْوَعْظِ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْدُو عَلَيَّ لَمْ أَحْسِبْ
 أَنْ تَخْضَعَ الْأَسَدُ لِخَوْذِ السَّرِيبِ
 ظِيَّ لَهُ خَدٌّ مُقْضَضٌ مُذْهَبٌ
 وَشَادَنٌ يَبْسُدُ فِي صَدْعِهِ عَقْرَبٌ

١ في ق : الملطي والتصويب عن معجم الأدباء (١٢ : ١٤١) وقال نسبة إلى بلط التي تقارب الموصل
 وذكرها في معجم البلدان بالياء . وعثمان بن عيسى البلطي انتقل إلى دمشق وعلم في الزبداني ولما فتح
 صلاح الدين مصر انتقل إليها وفيها توفي سنة ٥٩٩ هـ بعد أن كان يدرس النحو ويقرئ القرآن ؛
 وقد أورد ياقوت موشحته ص : ١٤٧ كما أوردها ابن شاعر في الفوات ٢ : ٦٧ في ترجمة
 البلطي .

رَقَّةُ زَهْرِ الْبَاغِ^١ فِي جِسْمِهِ الْفَضِي
وَقِسْوَةُ الْأَفْلَازِ فِي قَلْبِهِ الْفُظِي

مَهْفُفٌ بِسَدْعٍ أَصْبَحْتُ مَغْرَى بِهِ
قَلْبِي لَهُ رَبْعٌ لَوْ كُنْتُ فِي قَلْبِهِ
أَصَابَنِي صَدْعٌ مَذْ لَجَّ فِي عَتَبِهِ
السَّهْدُ وَالْإِدْمَعُ حِظِّي مِنْ قَرَبِهِ

وَالْعَيْنُ لَا يَنْسَاغُ لَهَا جَنَى الْغَمَضِ
وَالدَّمْعُ ذُو إِغْدَاذٍ نَاهِيكَ مِنْ حِظِّ

ومن أحسن ما للمشاركة من التوشيح قولُ الشهاب الغزالي يعارط أسدله
ابن حسن الموصل^٢ :

يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ وَكَأْسَ الْعِقَارِ دُونَ اسْتِثَارِ
عَلَمْتَمَانِي كَيْفَ خَلَعَ الْعِيدَارِ

اغْتَمِ اللَّذَّاتِ قَبْلَ الذَّهَابِ
[وَجُرَّ أَذْيَالُ الصَّبَا وَالشَّبَابِ]^٣
وَاشْرَبْ فَقَدْ طَابَتْ كُؤُوسُ الشَّرَابِ

عَلَى خُدُودِ تَنْبِتِ الْجُلُنَارِ ذَاتَ احْمَرَارِ
طَرَّزَهَا الْحَسَنُ بِأَسِ الْعِيدَارِ

١ الباغ : الحديقة .

٢ انظر المنهل الصافي ١ : ٣٤٤ وتوشيح التوشيح : ١٠٩ .

٣ مقطع هذا الشطر من ق .

الراح لا شك حياة النفوس
فحل منها عاطلات الكؤوس
واستجلها بين الندامى عروس

تُجلى على خطاياها في إزار من النصار
حباؤها قام مقام النصار

أما ترى وجه الهنا قد بدا
وطائسر الأشجار قد غردا
والروض قد وشاه قطر الندى

فكمّل اللهو بكأس تدار على افرار
مباسم النوار غب القطار

اجن من الوصل ثمار التي
وأوصل الكأس بما أمكنا
مع طيب الريقة حلو الجنى

بمقلة أفك من ذي الفقار ذات احوار
منصورة الأجفان بالانكسار

زار وقد حل عفوّد الجفا
وافتر عن ثغر الرضى والوفا
فقلت والوقت لنا قد صفا

يا ليلة أنعم فيها وزار شمس النهار
حييت من بين الليالي القصار

١ المنهل : واصل .

ويعجبني من موشحات الغزالي المذكور قوله^١ :

ما على من هام وجداً بذوات الحلى
مبتلى بالخدق السود وبيض الطلى

باللسوى ملكي حسن لديوني لوى
كم نوى قتلي وكم عذبني بالنوى
قد هوى في حبه قلبي بحكم الهوى

واصطفى نار تجتبه ونار القلى
كيف لا يدوب من هام برجم الفلا

هل ترى يجمعنا الدهر ولو في الكرى
أم تسرى عيني محباً من لجسي برى
بالسرى يا حاديتي ركب يليلي سرى

عللاً قلبي بتذكّار اللقاء عللاً
وانزلا دون الحمى ، حي الحمى منزلاً

بي رشا دمني بسرّي في هواه فشا
لو يشا برّد مني جمرات الحشا
ما مشى إلا انثنى في سكره وانثنى

عطلاً من الحميا يا مدير الطسلا
ما حلا إذا أدار الناظر الأكنحلا

١ المنهل الصافي ١ : ٣٤٥ .

هَلْ يُلَامُ	مَنْ غَلَبَ الْحُبُّ عَلَيْهِ فَهَامَ
مُسْتَهَامُ	بِفَاتِرِ اللَّحْظِ رَشِيقِ الْقَوَامِ
ذِي ابْتِسَامِ	أَحْسَنَ نَظْمًا مِنْ حَبَابِ الْمَدَامِ
لَوْ مَلَا	مَنْ رَيْقِهِ كَأَسَا لِأَحْيَا الْمَلَا
أَوْ جَسَلَا	وَجْهًا رَأَيْتَ الْقَمَرَ الْمُجْتَلَا
لَوْ عَقَا	قَلْبُكَ عَمَّنْ زَلَّ أَوْ مِنْ هَقَا
أَوْ صَقَا	مَا كَانَ كَالْجُلْمَدِ أَوْ كَالصَّقَا
بِالْوَفَا	سَلَّ عَنْ فَيِّ عَدَّتْهُ بِالْجَفَا
هَلْ خَلَا	فُؤَادُهُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَلَا
أَوْ سَمَلَا	أَوْ خَانَ ذَاكَ الْمَوْثِقَ الْأَوَّلَا

وقوله أيضاً يعارض الموصلي^١ :

مَا سَلَّتِ الْأَعْيُنُ الْفَوَاتِرُ	مِنْ غَمْدِ أَجْفَانِهَا الصَّفَاحِ
إِلَّا أَسَالَتْ دَمَ الْمَحَاجِرُ	مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَلَا كِفَاحِ
ثَالِثُ مَا حَرَّكَ السَّوَاكِنُ	غَيْرُ الظُّبَاءِ الْجَاذِرِ
لَمَّا اسْتَجَاشَتْ بِكُلِّ طَاعِنُ	مِنْ الْقُسُودِ النَّوَاضِرِ
وَفَوْقَ أَسْهَمِ الْكَثَائِنُ	مِنْ كُلِّ جَفْنٍ وَنَاضِرِ
عُرِبُ إِذَا صَحْنُ يَالْعَامِرِ	بَيْنَ سَرََايَا مِنَ الْمَلَا
طَلَّتْ عَلَيْنَا مِنْ الْمَحَاجِرِ	طَلَائِعُ تَحْمِلُ السَّلَاحِ

١ المنهل الصافي ١ : ٣٤٧ ..

أَحْبَبُ بِمَا تَطْلُعُ الْجُيُوبُ	مِنْهَا وَمَا تُبْرِزُ الْكَلَلُ
مَنْ أَقْمَرُ مَا لَهَا مَغِيبُ	وَأَغْصَنُ زَانَتِهَا الْمَيْلُ
هِيَهَاتَ أَنْ تَعْدَلَ الْقُلُوبُ	عَنْهَا وَلَوْ جَارَتْ الْمُقَلُّ
لَمَّا تَوْشَحْنَ بِالْفِدَائِرِ	سَقَرْنَ عَنْ أَوْجُهُ صَبَاحِ
فَانْهَزَمَ اللَّيْلُ وَهُوَ عَائِرُ	بَذِيلُهُ وَاخْتَفَى الصَّبَاحُ
وَأَهْيَفُ نَاعِمِ الشَّمَائِلِ	تَهْزُهُ نَسْمَةُ الشَّمَالِ
فَيَنْتَفِي كَالْقَضِيبِ مَائِلُ	كَمَا انْتَفَى شَارِبُ وَمَالِ
لَهُ عِذَارٌ كَالنَّدَى سَائِلُ	لِلَّهِ كَيْمٌ مِنْ دَمٍ أَسَالِ
شَقَّتْ عَلَى نَبْتِهِ الْمَرَاتِرُ	مِنْ دَاخِلِ الْأَنْفُسِ الصَّحَاحِ
تَكَلُّ فِي وَصْفِهِ الْخَوَاطِرُ	وَتُخْرَسُ الْأَلْسُنُ الْفَصَاحِ
ظَهِيَ إِلَى الْإِنْسِ لَا يَمِيلُ	الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْ حُلَاهِ
الْحَسَنُ قَالُوا وَلَمْ يَقُولُوا	مَبْدَاهُ مِنْهُ وَمُنْتَهَاهِ
وَطَرْفُهُ النَّاعِسُ الْكَحِيلُ	هِيَهَاتَ مِنْ سَيْفِهِ النَّجَاحِ
أَذَلَّ بِالسَّحَرِ كُلَّ سَاحِرٍ	فَهُوَ لَهُ خَافِضُ الْجَنَاحِ
يَجُولُ فِي بَاطِنِ الضَّمَائِرِ	كَمَا يَجُولُ الْقَضَا الْمُتَاحِ
أَمَّا تَرَى الصَّبِيحَ قَدْ تَطَلَّعَ	مُذْ غَمَضْتَ أَعْيُنَ الْفَسَقِ
وَالْبَدْرَ نَحْوَ الْغُرُوبِ أَسْرَعَ	كَهَارِبٍ نَالَهُ فَرَقِ
وَالْبَرْقَ بَيْنَ السَّحَابِ يَلْمَعُ	كَصَارِمِ خَسِينٍ يَمْتَشِقُ
وَتَحْسَبُ الْأَنْجَمَ الزَّوَاهِرَ	أَسْنَةً أُلْقَتْ الرَّمَاحِ
فَانْهَزَمَ النَّهْرُ وَهُوَ سَائِرُ	فَدَرَعَتْهُ يَدُ الرِّيَّاحِ

١ المنهل : في ذيله .

وموشحة الموصلي التي عارضها الغزالي هي قوله^١ :

رنا بأجفانه الفواتر	لمّا انثنى واحدُ الملاح
فسلّ من طرفه بواتر	وهزّ من عطفه رماح
ناظره جرّد المهند	وغمدته منّي الحشا
وعامل القدّ فهو أملد	يطعن للقلب ^٢ إن مشى
والعارض القائم المزرد	لفتنة الناس قد نشا
والحاجب القوس، بالفواتر	لتبّله في الحشا جراح
ومشرف الصدغ فهو جائر	سلطانهُ للدما أباح
فجفنه الفاتك الكيناني	من ثعل ^٣ رآش لي نبال
وهو الخفاجي قد غزاني	ووجهه من بني هلال
عبّسي لحظ له سباني	جسم زبيدي بالدلال
والردف يدعى من آل عامر	وواضح الصلّت من صباح
وخصره من هشيم ضامر	يدور من حوله وشاح
فوجهه جنّة وكوثر	رُضابه العذب لي حلا
والنار في وجنته تسعر	حيالها خاله ^٤ اصطلى
عجبت من خاله المعنير	إذ يعبد النار كيف لا

١ المنهل الصافي ١ : ٣٥٠ .

٢ المنهل : في القلب .

٣ المنهل : من مقل ٤ وثل : قبيلة مشهورة بالرماية .

٤ المنهل : هتيم .

٥ ق : والخال خيالها .

يُحَرِّقُ^١ بِالنَّارِ وَهُوَ كَافِرٌ وَمَا سَقَى رِيْقَهُ الْقِرَاحَ
كَامِلٌ^٢ حَسَنٌ مَعْنَاهُ وَافِرٌ بَسِيطٌ وَصَفٍ كَالْمَسْكِ فَاحَ
مَا اخْتَضَرَ^٣ نَبْتُ الْعَذَارِ إِلَّا بَلَّسَهُ سَيْجٌ^١ الشَّقِيقُ
وَهُوَ كَنَمَلٍ سَعَى وَوَلَّى وَلَمْ يَجِدْ^٢ لِلْجَنَى طَرِيقَ
مِنْ رِيْقَةِ الْبَدْرِ إِذْ تَجَلَّى فِي هَالَةِ الْعَارِضِ الْأَنِيقِ
لَمَّا تَبَدَّى بِالْوَجْهِ دَائِرٌ وَحَيَّرَ الْعَقْلَ حِينَ لَاحَ
شَقٌّ^٣ عَلَى خَدِّهِ الْمَرَاثِرِ وَقَطَعَ الْأَنْفُسَ الصُّحَاخَ
وَرُبَّ يَوْمٍ أَتَى وَحَيَّا كَالشَّمْسِ وَالنَّجْمِ وَالْقَمَرِ
بِالْكَأْسِ وَالرَّاحِ وَالْمَحْيَا ثَلَاثَةً^٢ تَفْتَنُ الْبَشَرَ
وَقَالَ قَمٌّ^٣ يَا نَدِيمُ هَيَّا اقْضِ بِنَا لَذَّةَ الْوَطَرِ
فَالْحَمْرُ تُجَلِّي عَلَى الْمَزَاهِرِ مِنْ اغْتِبَاقٍ إِلَى اصْطِبَاحِ
وَطَافَتِ الرَّاحُ بِالْمَجَامِرِ مِنْ عَنَبِ الزَّهْرِ فِي الْبَطَاحِ

وَمِمَّا يُطْرَبُنِي مِنَ الْمَوْشَحَاتِ قَوْلُ^٢ بَعْضِهِمْ :

مَا بِي شَمُولٌ^١ إِلَّا شَجَوْنُ مَزَاجُهَا فِي الْكَاسِ^٢ دَمْعٌ هَتُونٌ
لِلَّهِ مَا يَدَّرُ مِّنَ الدُّمُوعِ
صَبٌّ^٣ قَدْ اسْتَعْبِرَ مِّنَ الْوُلُوعِ
أَوْدَى بِهِ جَوْدَرُ يَوْمَ الطَّلُوعِ^٣

١ المنهل : يبهج .

٢ هذه الموشحة لابن بقي (دار الطراز : ٦٧) .

٣ دار الطراز : يوم البقيع .

فهو قَتِيلٌ لا بَلَّ طَعِينٌ بين الرجا والياسُ له سنون^١
 جرحت للحينِ كَفَّتِي بِكَفَّتِي
 وحيلَ ما بيني وَبَيْنَ لِنَفِي
 لا شكَّ بالبينِ يَكُونُ حَتْفِي
 حال الرحيلِ ولي ديسون إن رَدَّها العباسُ فهو الأمين
 أما ترى البدرا بدر السَّعود
 قد اكتسى خُضْرًا مِنْ البرود
 إذا النثى نضراً مِنْ القُدود
 أمْهَحِي يَقُولُ مَتَّ يَا حَزِينُ قد اكتنى بالآس الياسمين
 قُلْتُ وَقَدْ شَرَّدَ النِّسْوَ عَنِّي
 وَأَيَّاسُ الْعُودِ السَّقْمُ مِنِّي
 صَدَّ فَلَمَّا صَدَّ قَرَعْتُ سِنِّي
 جسمي نَحِيلٌ لا يَسْتَبِينُ يطلبُهُ الجَلَّاسُ حيثُ الأنين
 تَجَاوَزَ الْجَدَا قلبي اشتياقنا
 وَكَلَفَ السَّهْدَا مِنْ لَا أَطَاقَا
 قُلْتُ وَقَدْ مَدَا لَيْلِي رَوَاقَا
 لَيْلِي طَوِيلٌ وَلَا مَعِينُ يا قلبَ بعضِ الناسِ أما تَكِينُ

١ دأب الطراز : منون .

الباب السادس

في مصنفاته في الفنون ، ومؤلفاته المحققة للواقف عليها الآمال والظنون ،
وما كمل منها أو اختبرته دون إتمامه المتون

اعلم أن تصانيف لسان الدين التي علمتُ نحو الستين ، وكلها في غاية البراعة ،
بحيث إنّه لم يأت أحد من أهل عصره بمثل ما جاء به ، بل وكثير من غير أهل
عصره رحمه الله تعالى ، وقد وقفت بالمغرب على كثير منها ، وفيها أقول مضمناً
ببعض تغيير :

تصانيف الوزير ابن الخطيب ألدُّ من الصِّبَا الغَضِّ الرَّطِيبِ
فأية راحة ونعيم عيشٍ توازي كتبه أم أيُّ طيبٍ

قال رحمه الله تعالى في تعريفه بنفسه آخر « الإحاطة » ما صورته ^١ :

التوايف ؛ « التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى » ، و [« الكتيبة الكامنة في
أدباء المائة الثامنة »] ^٢ ، و « الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر »
ثم « النقاية بعد الكفاية » هذا في نحو القلائد والمطمحين لأبي نصر الفتح بن محمد ،
و « طرفة-العصر في دولة بني نصر » في أسفار ثلاثة ، و « بستان الدول » موضوع
غريب ما سُمع بمثله ، قلَّ أن شذَّ عنه فن من الفنون ، يشتمل على شجرات

١ الإحاطة ، الورقة : ٣١٢ .

٢ سقط ذكر الكتيبة الكامنة من ق ، وهو الأصوب لأن المقري سيستدرك ذكره من بعد بين الكتب
التي لم تذكر قبلاً .

عشر : أولها شجرة السلطان ، ثم شجرة الوزارة ، ثم شجرة الكتابة ، ثم شجرة القضاء والصلاة ، ثم شجرة الشرطة والحسبة ، ثم شجرة العمل ، ثم شجرة الجهاد ، وهي فرعان : أسطول ، وخيول ، ثم شجرة ما يضطر باب الملك إليه من الأطباء والمنجمين والبيازرة والبيطرة والفلاحين والندماء والشطرنجيين والشعراء والمغنين ، ثم شجرة الرعايا ، وتقسيم هذا كله غريب يرجع إلى شعب ، وأصول ، وجرائم ، وعمد ، وقشر ، ولحاء ، وغصون ، وأوراق ، وزهرات مثمرة ، وغير مثمرة ، مكتوب على كل جزء من هذه الأجزاء بالصيغ اسم الفن المراد به ، وبرناجه صورة بستان ، كل منه نحو من ثلاثين سفراً ، ثم قطع عنه الحادث على الدولة ، وديوان شعري في سفرين سميته « الصيَّب والجهام والماضي والكهّام » ، والنثر في غرض السلطانيات كثير ، والكتاب المسمى بـ « اليوسفي في صناعة الطب » في سفرين كبيرين ، كتاب ممتع ، و « عائد الصلة » وصلت به صلة الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير ، في سفرين ، وكتاب « الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة » كتاب كبير في أسفار تسعة ، هذا متصل بآخرها ، و « تخلص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات الثلاثة » ، و « جيش التوشيح » في سفرين ، ومن بعد الانتقال من الأندلس وما وقع من كساد الدولة « نقاضة الخراب في علالة الاعترا ب » موضوع جليل في أربعة أسفار ، وكتاب « عمَلُ مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَب » ومترلته في الصناعة الطيبة بمنزلة كتاب أبي عمرو ابن الحاجب المختصر في الطريقة الفقهية ، لا نظير له ، ومن الأراجيز المسماة « رقم الحلل في نظم الدول » والأرجوزة المسماة بـ « الحلل المرقومة في اللمع المنظومة » ألفية من ألف بيت في أصول الفقه ، والأرجوزة المسماة بـ « المعلومة » معارضة للمقدمة المسماة بالمجهولة في العلاج من الرأس إلى القدم

إذا أُضيفت إلى رجز الرئيس أبي علي كملت بها الصناعة كمالاً لا يشينه نقص ،
والأرجوزة المسماة بـ « المعتمدة في الأغذية المفردة » والأرجوزة « في السياسة
المدنية » ، إلى ما يشد عن الوصف كالرجز « في عمل الترياق الفاروقي » ،
و « الكلام على الطاعون المعاصر » ، و « الإشارة » ، و « قطع السلوك » ،
و « مثلى الطريقة في ذم الوثيقة » حتى في الموسيقى والبيطرة والبيزرة ،
هذر كُشِفَ به الحجاب ، ولعب بالنفس الإيجاب ، وضاع الزمان ولا تبيل
بين الرد والقبول والنفي والإيجاب ، والله در القائل - وهو المؤلف^١ - :

والكونُ أشراكُ نفوسِ الورى طُوبى لنفسٍ حرةٍ فازت
إن لم تمزْ معرفةَ الله قد أورطها الشيء الذي حازت

وكلُّ مُيسرٍ لما خُلِقَ له ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم ، انتهى
ما له في آخر « الإحاطة » بحروفه .

قلت : ولندكر ما تأخر تأريخه عن الإحاطة أو أشير إليه فيها مجملًا فنقول :
من أشهر تواليفه رحمه الله تعالى كتاب « ربحانة الكتاب ونجعة المتتاب »
في عدة مجلدات ، وهو داخل في قوله السابق في الإحاطة : والنثر في أغراض
السلطانيات كثير ؛ وهذا الكتاب قد اشتمل من الإنشاء على كثير في أغراض
شتى من مخاطبات الملوك على اختلاف أجناسهم وصدقاتهم وغير ذلك من أحوالهم
وأحوال الكبراء ومخاطباتهم حتى ملوك النصارى ، وذكر في صدره خطبَ
بعض كتبه ، وفي آخره بعض مقاماته وتحليته لأهل عصره ، وغير ذلك ،
وبالجملة فهو كتاب مفرد في بابه .

وقال الأمير الشهير العلامة أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر رحمه الله تعالى في
كتابه « نثر فرائد الجمان فيمن نظمني وإياه الزمان » ما صورته^٢ : لابن الخطيب

١ وهو المؤلف : زيادة من ق ، لم ترد في الإحاطة .

٢ نثر فرائد الجمان : ٢٤٤ وأزهار الرياض : ١٨٩ .

الأوضاع المصنّفات ، التي آذانُ إحسانها هي المُقرَّطات المُشَنَّفَات ، منها في التصوف ، الذي أكثر أهل الحقائق إليه نظر التشوف « روضة التعريف بالحب الشريف » ؛ انتهى ، وسرَدَ غير هذا الكتاب ممّا قدمنا ذكره وغيره .

وهذا الكتاب — أعني « روضة التعريف » — غريب المترع ، وعارض به « ديوان الصباية » لابن أبي حجلة صاحب « السكردان » ، وضمنه من التصوف وعبارات أهله العجيب العُجاب ، وتكلم فيه على طريقة أهل الوحدة المُطلقة ، وبذلك سجل عليه أعداؤه في نكته الآخرة التي ذهبت فيها نفسه ، ونسبوه إلى مذهب الحلول وغيره ، ممّا ذكره يطول حسبما أُلعنا بذلك فيما سبق ، وقد جعل هذا الكتاب شجرة ذات أفنان وعمود ، مشتمل على القشر والعود ، وأوراق ، وصورة طائر فوقها ، ولم أر في فنّه مثله ، جازاه الله تعالى عن نيته ؛ فإنّه في الحب الشريف الرباني ، مبلغ الناظر فيه غاية أمنيته .

ومن تواليفه رحمه الله تعالى غير ما سبق « اللوحة البدوية في الدولة النصرية » وكتاب « السحر والشعر » و « معيار الأخبار » و « مفاضلة مألقة وسلا » و « خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف » وقد ذكرهما في الريحانة بنصهما ، وجعلهما من جملة ما اشتملت عليه ، و « المسائل الطيبة » في مجلد ، و « الكنية الكامنة في شعراء المائة الثامنة » ورسالة « تكوّن الجنين » و « الوصول لحفظ الصحة في الفصول » وكتاب « الوزارة » و « مقامة السياسة » و « الغيرة على أهل الحيرة » و « حمل الجمهور على السّنّ المشهور » و « الزبدة الممخوضة » و « الرد على أهل الإباحة » و « سند الذريعة في تفضيل الشريعة » و « تقرير الشبه وتحرير الشبه » و « استئزال اللطف الموجود في سر الوجود » و « أبيات الأبيات » فيما اختاره رحمه الله تعالى من مطالع ما له من الشعر ، و « قُتات الخوان ولقط الصوان » في سفر يتضمن المقطوعات فقط ، و « كناسة الدكان بعد انتقال السكان » ، و « الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة » جمع فيه نظم ابن صفوان ، و « أعمال الأعلام فيمن بويح قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك

من شجون الكلام » و « المباخر الطيبة في المفاخر الخطيبة » و « خلع الرسن
في أمر القاضي ابن الحسن » وتدين شعر شيخه ابن الجياب ، وجمع نثر المذكور
وسماه « تافه من جمّ ونقطة من يسمّ » وشرحه لكتاب نفسه « رقم الحلل في
نظم الدول » ؛ فهذا ما حضرني علمه من تواليف لسان الدين رحمه الله تعالى ،
فأما « البيطرة » ففي مجلد ، وأما « البيطرة » ف كذلك في مجلد جامع لما يرجع إليه من
محاسن الخيل وغير ذلك ، وأما « رجز الأصول » فقد شرحه قاضي القضاة ولي
الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ المشهور ، وأما « رقم
الحلل في نظم الدول » فهو في غاية الحلاوة والعبودية والجزالة ، وقد كنت
بالمغرب أحفظ أكثره ، فنسيته الآن ، وأبتدأه بقوله :

الحمد لله الذي لا ينكره من سرّحت في الكائنات فكره

وعلق بحفظي الآن منه قوله في الوليد بن يزيد :

ثمّ الوليد بن يزيد العاثّ قد نُقلت من فعله خبائثُ

وفي آخر دولة بني أمية قوله :

وصارَ قصرَ الملك من أمية أقفَرَ ربيعاً من ديار مية

وفي الأمين :

باعَ العلّاء بشادين وكاسٍ وصحبةَ الشيخ أبي نواسٍ

وفي المعتصم :

وهو الذي تألّف الأتراكا فنصّبوا لقومه الأشركا

ومن أبيات هذا الكتاب قوله :

وَيَفْسُدُ الْمَلِكُ بِالْإِحْتِجَابِ كَذَاكَ بِالزَّهْوِ وَبِالْإِعْجَابِ

وما أحسن قوله فيه عند ذكر موت بعض الملوك :

وَأَقْفَرْتُ مِنْ مَلِكِهِ أَوْطَانُهُ سُبْحَانَ مَنْ لَا يَنْقُضِي سُلْطَانَهُ

[معلومات عن كتاب الإحاطة]

وأما كتاب « الإحاطة » فهو الطائر الصيت بالشرق والمغرب ، والمشاركة أشد إعجاباً به من المغاربة ، وأكثر لهجاً بذكره ، مع قلته في هذه البلاد الشرقية ، وقد اعتنى باختصاره الأديب الشهير البدر البشتكي^١ ، وسمّاه « مركز الإحاطة في أدباء غرناطة » وهو في مجلدين بخطه ، رأيت الأخير منهما بمصر ، وقال في آخره ما نصّه : هذا آخر ما أردت إيراده ، وفوّتُ أبراده ، من كل طرفة وتحفة وفائدة أدبية ونادرة تاريخية ، في كتاب « الإحاطة بتاريخ غرناطة » ، ولما كان المعول عليه ، والباعث الداعي إليه ، ذكر أدبائه ، ومآثر علمائه ، سمّيته « مركز الإحاطة بأدباء غرناطة » والحمد لله أولاً وآخراً ، وباطناً وظاهراً ، علقة لنفسه ثم لمن شاء الله تعالى من بعده الفقير إلى عفوان ربه محمد بن إبراهيم بن محمد البدر البشتكي ، لطف الله تعالى به بعمته وكرمه ، مستهل صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، انتهى . وقد جعل كل أربعة أجزاء من الأصل في مجلد ، إذ هو في مجلدين كما سبق ، ونسخة الأصل في ثمانية مجلدات ، فتقص من الأصل ثلاثة أرباع أو نحوها . ولما وقف سلطان الأندلس من كتاب « الإحاطة » نسخة على بعض مدارس غرناطة كتب ابن^٢ عاصم حجة الوقفية بخطه ، ولتبتها لما فيها من الفوائد ، قال

١ هو محمد بن إبراهيم بن محمد أبو البقاء بدر الدين الأنصاري البشتكي الششقي الأصل المتوفى بالقاهرة سنة ٨٣٠ (انظر الضوء اللامع ٦ : ٢٧٧ ومطالع البدر ١ : ٨٠) .

الأديب الفقيه أبو عبد الله محمد بن الخداد الشهير بالوادي آشي نزيل تلمسان المحروسة : كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال ، والفائقة الكمال ، من « الإحاطة بتاريخ غرناطة » المحبسة على المدرسة اليوسفية ، من الحضرة العلية ، بخط قاضي الجماعة ، و منفذ الأحكام الشرعية المطاعة ، صدر البلاء ، وعلم العلماء ، ووحيد الكبراء ، وأصيل الحسباء ، الوزير الرئيس المعظم أبي يحيى ابن عاصم — رحمة الله تعالى عليه — ما نصه : الحمد لله الجاعل الاستدلال بالمؤثر على المؤثر مما سلمه الأعلام ، وشهدت به العقول الراجحة والأحلام ، وهو الحجة المعتمدة حين تتفاضل الألباب وتتقاصر الأفهام ، وبه الاستمسك إن طرقت الشكوك أو عرّضت الأوهام ، وحسبك بما يسلم في هذا المقام العالي من الأدلة ، وما يعتمد في هذا المجال المتضايق من البراهين المستقلة ، فحقيق أن يتلقى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفن المشار إليه بالتقبول ، ويستنبط المهتدي لاستنباطه لما فيه من التبادر للأفهام والتسابق للعقول ، وإذا ثبت أن المستدل بهذه الأدلة سالك على سواء سبيل ، ومُنْتَمٍ من صحة النظر إلى أكرم قبيل ، فلا خفاء أن كتاب « الإحاطة » للشيخ الرئيس ذي الوزارتين أبي عبد الله ابن الخطيب — رحمه الله تعالى — من أثر هذه الدولة النصيرية أدامها الله تعالى بكل اعتبار ، ومآثرها التي هي عبرة لأولي الألباب وذكرى لذوي الأبصار ، أما الأول فلا أن الأنبياء التي أظهرت بهجتها ، وأوضحت حجتها ، وشرفت مقصدها ، وكرمت مصعبها ، إنما هي مناقب ملوكها الكرام ، ومكارم خلفائها الأعلام ، أو أخبار من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور حملة السيوف والأقلام ، وأفذاذ حافظة الدين والدنيا ، والشرف والعليا ، والملك والإسلام ، أو ما يرجع إلى مفاخر حضرة الملك ، ويتنظم نظم الجمان في ذلك السلك ، من حصة قلعتها ، وأصالة منعتها ، وقديم اختطاطها ، وكرم جهادها ورباطها ، وحسن تربيها ووضعها ، وما اشتمل عليه من مقاصد الأنس أهل ربّعها ، وما سوى هذه الأقسام الثلاثة فمن قبيل القليل ، ومما يرجع إلى شرف الحضرة ممن انتابها

من أهل الفضل الواضح والمجد الأثيل ، وأما ثانياً فإن راسم آياتها المتلوة ، ومُبدع محاسنها المجلوة ، وناقل صورتها من الفعل إلى القوة ، إنما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصيرية الكريمة ، ونشأة من نشآت جودها الشامل النعمة الهامل الدائمة ، فما ظهر عليه من كالات الأوصاف ، على الانصاف ، فأخلاف هذه المكارم النصيرية أرضعته ، وعناياتها الجميلة أسستهُ فوق الكواكب ورفعتهُ ، وإليها ينسب إحسانه إن انتسب ، ومن كريم تشریفها اكتسب ، والحضرة هي منشؤه الذي عظم فيه قدره ، بل أفقهُ الذي أشرق فيه بدوه ، والتشريفات السلطانية التي فتحت للنّها باللّٰها ، وأحلت من مراقي العز فوق السها ، وأمكنت الأيدي من اللخائر والأعلاق ، وطوقت المن كالقلائد في الأعناق ، وقلدت الرئاسة والأقلام أقلام ، وثنت الوزارة والأعلام أعلام ، فبهرت أنواع المحاسن ، وورد معين البلاغة غير المطروق^١ ولا الآسن ، وبرعت التواليف في الفنون المتعددة ، واشتهرت التصانيف ومنها هذا التصنيف المشار إليه لما له من الأذمة المتأكدة ، إذ أظهر هذا الاستدلال ، وأوضح البيان ما كتبه الإجمال ، فلنقصيح الآن بما قصد ، ولنحقق من أنجم السعادة ما رصد ، وذلك أن ملولنا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، الغالب بالله المؤيد بنصره أبي عبد الله محمد ابن الخلفاء النصريين ، أيداه الله ونصره ، وسنّى له الفتح المبين وييسره ، مآثر لم يسبق إليها ، ومكارم لم يجز أحد ممن وسم بالكرم عليها ، بلحالة قدرها ، وضخامة أمرها ، من ذلك هذا المقصد الذي أثر لها كالكتاب المذكور وسواه ، مما هو واحد في فنه وفد في معناه ، عقّد في جميعها التحسيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العليا هنالك ليشمل به الإمتاع ، ويعم به الانتفاع ، والله تعالى ينفع بهذا القصد الكريم ، ويتولى المثوبة على هذا العقد الجسيم ، وهذه النسخة في اثني عشر سرفاً متفقة الخط والعمل ، اكتب هذا

١ المطروق : الماء الذي يالت فيه الثواب .

على ظهر الأول منها ، وبتاريخ رجب الفرد من عام تسعة وعشرين وثمانمائة ،
عرف الله تعالى بركته بمنتهى ؛ انتهى .

وكان لسان الدين ابن الخطيب — رحمه الله تعالى — أرسل في حياته نسخة
من « الإحاطة » إلى مصر ، ووقفها على أهل العلم ، وجعل مقرها بخانقاه سعيد
السعداء ، وقد رأيت منها المجلد الرابع ، وهذا نص وقفيته : الحمد لله وحده ،
وقف الفقير إلى رحمة الله تعالى الشيخ أبو عمرو ابن عبد الله بن الحاج الأندلسي
— نفع الله تعالى به — عن موكله مصنفه الشيخ الإمام العلامة بركة الأندلس لسان
الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخطيب الأندلسي
السلماني — فسح الله تعالى في مدته ، وفتح لنا وله أبواب رحمته ، ومنحنا
ولياته من رفده وعطيته ، وأسكننا وإياه أعالي جنته — جميع هذا الكتاب
« تاريخ غرناطة » - ، وهو ثمانية أجزاء ، هذا رابعها ، عن مصنفه المذكور
بمقتضى التفويض الذي أحضره ، وهو أنه فوض إليه النيابة عنه في جميع أموره
المالية كلها ، وشؤونه جميعها ، والنظر في أحواله على اختلافها وتباين أجناسها ،
تفويضاً تاماً على العموم والإطلاق ، والشمول والاستغراق ، لم يستثن شيئاً مما
يجوز النيابة فيه إلا أسنده إليه ، وهو ثابت على سيدنا ومولانا قاضي القضاة يومئذ
بثغر الإسكندرية المحروس — أدام الله تعالى أيامه — كمال الدين بخالصة أمير
المؤمنين أبي عبد الله محمد بن الربيع المالكي ثبوته مؤرخ بثالث ذي الحجة عام
سبعة وستين وسبعمائة ، وفقاً شرعياً على جميع المسلمين يتفقون به قراءة ونسخاً
ومطالعة ، وجعل مقره بالخانقاه الصالحية سعيد السعداء ، رحم الله تعالى واقفها ،
وجعل النظر في ذلك للشيخ العلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حجلة ،
حرسه الله تعالى ، ثم من بعده لناظر أوقاف الخانقاه المذكورة ، فلا يحل لأحد ،
يؤمن بالله العظيم ، ويعلم أنه صائر إلى ربه الكريم ، أن يبطله ولا شيئاً منه ،

ولا يبدله ولا شيئاً منه ، فمن فعل ذلك أو أعان عليه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ، إن الله سميع عليم ، ومن أعان على إبقائه على حكم الوقف المذكور جعله الله تعالى من الفائزين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأشهد الواقف الوكيل عليه في ذلك في الثاني والعشرين لشهر الله تعالى المحرم عام ثمانية وستين وسبعمائة ؛ انتهى .

وقد رأيت بظهر أول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء ، فمن ذلك ما كتبه الحافظ المقرئ المؤرخ ، ونصّه : انتقى منه داعياً لمؤلفه أحمد ابن علي المقرئ في شهر ربيع سنة ثمان وثمانمائة . وما رقمه الحافظ السيوطي ونصّه : الحمد لله وحده ، طالعته على طبقات النحاة واللغويين ، وكتبه عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي سنة ثمان وستين وثمانمائة ؛ انتهى

وبعد هذين ما صورته : انتقى منه داعياً لمؤلفه محمد بن محمد القوصوني سنة أربع وخمسين وتسعمائة .

وبعد ما صورته : أنهاه نظراً وانتقاءً علي الحموي الحنفي ، لطف الله به . ويخط مولانا العارف الرباني علامة الزمان وبركة الأوان سيدي الشيخ محمد البكري الصديقي ما نصّه : طالعته مبتهجاً برياضه الموثقة ، وأزهار معانيه المشرقة ، مرتقياً في درج كلماته العذاب سماء الاقتباس ، مقتنياً من لطائفه درراً وجواهر بل أحاشيها بذلك القياس ، كتبه محمد الصديقي غفر الله له ؛ انتهى .

ورأيت بهامش هذه النسخة كتابة جماعة من أهل المشرق والمغرب كابن دُقماق والحافظ ابن حجر وغيرهما من أهل مصر ، ومن المغاربة ابن المؤلف أبي الحسن علي [ابن] الخطيب ، والخطيب الكبير سيدي أبي عبد الله ابن مرزوق ، والعلامة أبي الفضل ابن الإمام التلمساني ، والنحوي الراعي ، والشيخ الفهامة الشهير يحيى العجمي شارح الألفية وصاحب التأليف ، وغير هؤلاء معتن يطول

تعدادهم ، رحم الله تعالى جميعهم .

وقد أشار ابن الأحمر حفيد الغني بالله تعالى الذي كان ابن الخطيب وزيراً له ثم انفصل عنه حسبما تقدم إلى ما يتعلق بكتاب « الإحاطة » في جملة كلام نصّه : وتلقينا ممن نثق به أن الكاتب المجيد الأصيل حسياً ، البارع أدباً ، أبا عبد الله ابن جُزَيّ وقدّ على السلطان أبي عنان صاحب المغرب في حدود عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة ، فأكرم جنابه ، وكمل من تقريبه واصطناعه آرايه ، فانتدب إلى ذكر وطنه الأندلسي ، وصاح بمن عدّله :

أيا وَيَحَ الشَّجِيّ من الخلي

وبرع غاية البراعة في التاريخ الذي جمعه ، ورفع راية البلاغة لما كلف به ووضعه ، فلم يكن شيء من الكلام إلّا قال الإحسان وأنا معه ، استوعب ما شاء ، وأبدع في كل ما نقل سواء كان شعراً أو إنشاءً ، لكن سابقاً أجله منّح من الإمتاع بمجمله ومفصّله ، وجاءت الحادثة العظمى من وفاة مولانا والد جدّنا أمير المسلمين أبي الحجاج في غرة شوال من عام خمسة وخمسين وسبعمائة فعين لتعريف صاحب المغرب بالكاتبة خاص الدولة ورئيس الحملة أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب ، فوقف من تاريخ ابن جُزَيّ على شاطئ نهر فياض ، وانتشق من ورقاته أزهار رياض ، وحمله النظر في بدائعه على أن يأخذ في جمع كتابه المسمى بـ « الإحاطة فيما تيسر من تاريخ غرناطة » ووجد لذلك موجباً أغراه بجمعه ، وهو أن الشيخ الحجة الشاعر الملقب أبا إسحاق ابن الحاج وقدّ على الأندلس بعد جَوّبه في الآفاق ، وترحله إلى ما وراء الشام والعراق ، وإعلامه أنّه يذهب في بداية تاريخ مذهب ابن جُزَيّ وغيره ، وكان وحيداً في فنون الآداب ، والمساجلة لأعلام الكتاب ، وبحكم الاتفاق على أثر وصول ابن الخطيب من الرسالة للسلطان أبي عنان وجَدّ الحاجب الخطير أبا

النعميم رضوان قد استولى على وظيفة الحجابة والرياسة وأقنعه بالاسم من ذلك المسمى ، وبأن وقفه دون طُموحه إلى عادته من المرقب الأسمى ، فأنج الانتباز من تلك الرياسة الخطيبية أن ألقى الخطبة على جلاله مقدارها ، وتوضّح أنوارها ، في مرتقى إجلالها وإكبارها ، وأخذ في تأليف « الإحاطة » مستدعياً تصحيح الموالد والوقيات ، والأسماء والمسميات ، ومستكثراً من طُرف المصنّفات ، ليتم قصده من الإطناب ، ونقله العيون الرائقة من كلّ كتاب ، وألقى جميع مقاصده ، والمعظم من تنظيم فرائده ، بيد الشيخ العمدة معلم الحملة منا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم أبي عبد الله الشريفي ، قدس الله تعالى ضريحه ، وهذا الشيخ الذي لم يجاوز سنّ الكهولة في ذلك الوقت هو الذي تولى من المبيضات نقله ، وأحكم جنسه وقصّله ، وانحتم على مجلدات ستة . ولما عاد ابن الخطيب إلى الأندلس بعودة جدنا الغني بالله تعالى إلى ملكه عام ثلاثة وستين وسبعمائة تلاحقت الفروع من كتاب « الإحاطة » بالأصول ، وأنجز من التبحر فيه الوعد المملوك ، ووضعت بخانقاه سعيد السعداء نسخته المتممة من اثني عشر سقراً ، انتهى كلامه .

وقد علمت أن المکتوب في الوقفية كما مر ثمانية مجلدات ، لا اثنا عشر ، فلعل ذلك الاختلاف بسبب الكبر والصغر ، والله سبحانه وتعالى أعلم .
والكاتب أبو عبد الله ابن جزي الذي أشار إليه قد عرفنا به فيما سبق فليراجع .

[ترجمة ابن الحاج النميري]

وأما العلامة ابن الحاج ، فهو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد بن أسد بن قاسم الكاتب القاضي النميري ، ويُعرف بابن الحاج الغرناطي ، قال

في الإحاطة^١ : نشأ على عفاف وطهارة ، وبر وصيانة ، وبلغ الغاية في جودة الخط ، وارتسم في كتاب الإنشاء عام أربعة وثلاثين وسبعمائة ، مع حسن سمت ، وجودة أدب وخط ، وظهور كفاية ، يقيد ولا يفتر^٢ ، ويروي الحديث مع الطهارة والنزاهة ، مليح الدعابة ، طيب الفكاهة ، شرق وحج وتطوف وقيد واستكثر ودون رحلة سفره ، وناهيك بها طرفة ، وقفل لإفريقية ، وخدم بعض ملوكها ، وكتب ببجاية ، ثم خدم سلطان المغرب أبا الحسن ، ثم كتب عن صاحب بجاية ، ثم تنزه عن الخدمة ، وانقطع بترية الشيخ أبي مدّين مؤثر الحمول ، ذاهباً مذهب العكوف بباب الله تعالى ، حجة على أهل الحرص والتهافت ، ثم جبر على الخدمة عند أبي عنان ، ثم أفلت عند موته فلحق بالأندلس ، وتلقّى ببرّ وتنويه وعناية ، وولي القضاء بقرب الحضرة ، وهو الآن من صدور القطر وأعيانه ، متوسط الاكتحال ، روى عن مشيخة بلده واستكثر ، وأخذ في رحلته عن ناس شتى ، وألف تواليف منها « إيقاظ الكرام بأخبار المنام » وجزء في بيان الاسم الأعظم كثير الفائدة ، و « نزهة الحدق في ذكر الفرق » وكتاب « اللباس والصحبة في جمع طرق المتصوفة » المدعي أنّه لم يجمع مثله ، وجزء في الفرائض على الطريقة البديعة التي ظهرت بالمشرق ، وجزء في الأحكام الشرعية سمّاه بـ « الفصول المقتضية في الأحكام المنتخبة » ورجز في الجدّال ، ورجز صغير في الحجب والسلاح ، ورجز صغير سمّاه بـ « مئآت القوانين في التورية والاستخدام والتضمين » ، مولده بغرناطة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، وامتحن بالأسر مع جماعة بعد قتال عام ثمانية وستين ، ثم فكّه الله تعالى ؛ انتهى ملخصاً .

وأخذ عنه جماعة كالقاضي أبي بكر ابن عاصم صاحب « التحفة » وغيره ، وهو من الأدباء المكثرين ، وكان عندي بالمغرب مجلد من رحلته التي بخطّه ،

١ الإحاطة ١ : ١٩٣ والمقري ينقل ملخصاً .

٢ الإحاطة : وهو في أثناء هذه الحال يقيد ولا يفتر .

وقد أثنى فيه بالعجب العُجاب ، وتمهر في الحديث على طريقة أهل المشرق ،
لأنه لقي جماعة من الحفاظ كالذهبي والبرزالي والمزي ، وناهيك بالثلاثة ،
وغيرهم ممن يطول تعداده ، وله النظم الرائقة ، العذب الجامع بين جزالة المغاربة
ورقة المشارقة ، كما ستراه ، فمن نظمه يمدح الحفاظ جمال الدين يوسف بن
الزكي عبد الرحمن المزي ، وقد أبصره على أسيرة دار الحديث الأشرفية بدمشق :

جمالُ الدين للإقراء يعلو أسرته إذا اصطفت الرجالُ
فمد جليته محاسنه بدا لي مُحيتاً في أسرته الجمالُ

ضمن قول المعري^١ :

أهل فبشّر الأهلين منه محيتاً في أسرته الجمالُ

وقوله في الحفاظ علم الدين أبي القاسم محمد بن يوسف البرزالي . :

نوى النوى علم الدين الرضى فأنا من بعد فرقة بالشام ذو ألم
فلا تكلمي على حيي دمشق فقد أصبحت فيها زماناً صاحب العلم

وقال فيه أيضاً :

نوى النوى علم الدين الرضى فذكت نارُ اشتياقي حتى استعظموا ألمي
فقلت : إنني من قوم شعارهم جودٌ ، فلا تنكروا ناري على العلم

وقال في الحفاظ شمس الدين الذهبي :

رحلت نحو دمشق الشام مبتغياً رواية عن ذوي الأحلام والأدب
ففزت في كتب الآثار حين غدت تُروى بسلسلة عظمى من الذهب (ي)

١ شروح السقط : ١٧١٧ .

وقال في الحافظ المزي أيضاً :

جَمالُ الدين أضْحى في دمشق إماماً نحوه طالَ الذميلُ
فلَمْ أعدمُ بمنزله جَميلاً فحيثُ هوَ الجمالُ هوَ الجميلُ

وقال حين بُدوره على الأمير الصالح المحدث الجليل قطب الدين أبي
إسحاق إبراهيم ابن الملك المجاهد سيف الدين إسحاق ابن السلطان الملك الرحيم
بدر الدين بن لؤلؤ بن عبد الله النوري صاحب الموصل ليروي عنه :

إلى قَصْدِ قُطْبِ الدينِ وافيتُ عندَما أقمْتُ على الترحالِ في الشرقِ والغربِ
وأصبحتُ كالأفلاكِ في السيرِ والسُرى فها أنا في مصرٍ أدورُ على القُطبِ
وقال في قاضي القضاة العالم الشهير صاحب التفسير عماد الدين الكندي ،
وهو ممن أخذ عنه بغير الإسكندرية :

ولما اختبرتُ ذواتِ الورى تعجبتُ من حسنِ ذاتِ العمادِ
فقتلكَ التي لَمْ أَكنْ مبصراً مدَى عُمُرِي مثلها في البلادِ

وقال في القاضي وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجي :

أضْحى وجيهُ الدينِ أسبقَ سابقٍ في العلمِ والعلِياءِ والخلقِ النبيهِ
عجب الورى من سبقه وتعجبوا فأجبتهم لا تنكروا سبقَ الوجيهِ

ومن بديع نظمهم رحمه الله تعالى قوله :

قد قاربَ العشرينَ ظيبي لَمْ يكنْ ليرى الورى عن حبه سُلوانا
وبدا الربيعُ بخدّه فكانتما وافى الربيعُ ينادمُ النُعمانا

وقوله :

وعارضَ في خدّه نباته بحسنه بينَ الورى يَسْحَرُنا
أجرى دموعي إذ جرى شوقاً له فقلت ﴿ هذا عارضٌ ممطرنا ﴾

وقال وقد توفي أبو يحيى أبو بكر صاحب تونس وولي ابنه أبو حفص
عمر بعد قتله لإخوته :

وقالوا أبو حفص حوى الملك غاصباً وإخوته أولى وقد جاء بالنكر
فقلت لهم كفوا فما رضى الورى سوى عمر من بعد موت أبي بكر
وقال :

أتوني فعابوا من أحب جماله وذلك على سمع المحب خفيف
فما فيه عيب غير أن جفونه مراض ، وأن الخصر منه ضعيف
وقال :

أيا عجبا كيف تهوى الملوك محلي وموطن أهلي وناسي
وتجسدي وهي مخدومة يوما أنا إلا خديم بفاس
وقال :

لي المدح يروى منذ كنت كأنما تصورت مدحا للورى وثناء
وما لي هجاء فاعجب لشاعري وكاتب سر لا يقيم هجاء

وقال في حقه القاضي أبو البقاء خالد البلوي^١ : نقلت من خط سيدي ورفيقي
وصديقي إمام المسلمين ، برهان الدين ، أبي إسحاق ابن إبراهيم بن عبد الله بن
الحاج وأكثره ممّا كان أنشدني قديماً من نظمه في التورية قوله :

وبهاة تقول إن هي كلبت ودعا للمزاح خل مجاز

١ انظر أيضاً تاج الفرق ، الورقة : ٢٢١ .

٢ عندما عاد البلوي من رحلته ووصل قسنطينة (سنة ٧٤٠) نزل عند صديقه ابن الحاج (تاج الفرق ،
الورقة : ٢٠٩) .

وَأَزِيرِ الرَّدْفَ إِنَّمَا فِي الْأُزْرِ مِنِّي رَمْلَ يَبْرِينَ يَا طَيْبُ وَعَالِجُ
وقوله :

وروض ممحِل جَدَّبَ المَرَاعِي سَرِيعَ الْقِيْظِ وَقَدْأَ وَالتَّهَابَا
حكى ابن أبي ربيعة لا شُجُونًا وَلَكِنْ كونه يهوى الربابا
وقوله :

وظبي طرَّ عَارِضُهُ وَأَعْفَى عَذَارًا بَعْدَ يَزْهَوِ بِاخْضَرَارِ
رأى سقمًا بِمَقْلَتِهِ فَوَافَى بَاسٍ عَادَ لَكِنْ مِنْ عِذَارِ
وقوله :

أَتُونِي بِنَمَامٍ مِنَ الرُّوضِ يَانَعِ سَقَتَهُ الْغَوَادِي كُلِّ أَسْجَمٍ مَدَارِ
فلا غرو إن أَصْلَيْتَهُ نَارَ زَقَرْتِي وَحَكَمَ عَلَى النَّمَامِ الْإِلْقَاءَ فِي النَّارِ
وقوله :

هذه الشمسُ بِالْحِجَابِ تَوَارَتْ بَعْدَ نَوْرِهَا وَرَحْبٍ وَبَشَرِ
وَأَتَى اللَّيْلُ بِالنَّسِيمِ عَكِيلًا - فَهُوَ يَمْشِي مِنْ أَفْقِهِ لَابْنُ زُهْرٍ
يعني بذلك الوزير الكبير الشهير الطبيب ابن زهر الإشبيلي الأندلسي ،
فإنه كان وحيد دهره في الطب ، فجاءت التورية بسبب ذلك محكمة إلى الغاية .
وقال أبو إسحاق النميري المذكور :

أَيَا ضَوْءَ الصَّبَاحِ ارْفُقْ بِصَبٍّ تَسِيلُ دُمُوعَهُ فِي الْحَدِّ سَيْلًا
وَكُنْتُ بِلَيْلَةٍ لَيْلَاءٍ طَالَتْ فَهَا أَنَا فِي الْوَرَى مَجْنُونٌ لَيْلًا

١ كتبناها هكذا لتناسب التورية في « ليلاء » .

وقال يخاطب شيخه سيف الدين :

لمولاي سيف الدين في الفقه بيننا مقامُ اجتهادٍ ليس يلحقهُ الحيفُ
فتقليده فرضٌ على أهلِ عصرنا ولا عَجَبٌ عندي إذا قلَّدَ السيفُ

وقال :

رعى اللهُ معطارَ التَّسِيمِ فإنه رأى من غصونِ البانِ ما شاء من عطفٍ
وأبدى حديثَ الغيثِ وهو مُسَكَّلٌ لذلكَ لعمري ليس يخلو من الضعفِ

وترشحت التورية بكون المحدثين يقولون « الحديث المسلسل لا يخلو من الضعف ، ولو في التزام التسلسل ، مع كون متن الحديث صحيحاً » كما قرر في محله .

وقال رحمه الله تعالى :

نظرتُ إلى روضِ الجمالِ بوجهه وسَقَيْتَهُ دمعاً به العينُ تكلفُ
فصحَّ حديثُ الحسنِ عن وردِ خدِّها وإن كانَ أضحى وهو راوٍ مضعفُ

وقال رحمه الله تعالى :

بدا عارضُ المحبوبِ فاحمرَّ خجلتهُ وأهدى لنا ورداً بهِ الحسنُ ناهضُ
فقلتُ له لا تنكِرِ الوردَ ناضراً فقد سال في خدِّك من قبلُ عارضُ

وقال :

النومُ عن إنسانٍ عيني نافرٌ كالوَحشٍ ليس يقاربُ الإنسانا
والدمعُ منها فاض طُوفاناً فلا عجبٌ إذا ما غرَّقَ الأجفانا

وقال رحمه الله تعالى :

بَكَتْ شَجْنًا ففاض الدمعُ بِحُكْيِ يَتَامَى الدُرِّ إِذْ يَتَهَوَّى تُوَامَا
وَسَلَّتْ مِنْ عَاجِرِهَا مَسِيوْفًا فَخَفْتُ عَلَى الْمَحَاجِرِ وَالْيَتَامَى

وقال القاضي خالد البلوي رحمه الله تعالى : من نظم صاحبنا أبي إسحاق ابن
الحاج النميري يخاطب شيخه وشيخنا أيضاً صاحب ديوان الإنشاء الإمام جمال
الدين إبراهيم ابن الإمام العلامة صاحب ديوان الإنشاء ملك الكلام قس الفصاحة
شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي ، وقد تقرب إليه في قصد الرواية عنه :

إلى ابنِ شهابِ الدين طالَ تغرّبي فلما سرت عيسي له وركابي
رويتُ حديثَ الفضل عنه فصَحَّ لي كما شئت مرويّاً عن ابنِ شهابِ

وقوله يخاطب كمال الدين بن جمال الدين المذكور :

أشبهت والدك الرضى في فضله وأخذته عنه بخير مناب
ومسكتني فحديثُ فضلك في الوري عن مالك يروي عن ابنِ شهابِ

وقال رحمه الله تعالى :

لعمرك ما ثغره باسم ولكنّه حَبَبٌ لَاعِبُ
ولو لم يكن ريقه مسكراً لما دار من حوله الشاربُ

وقال رحمه الله تعالى ملفزاً في القلم :

سألتك ما واش يراد حديثه ويهوى الغريب النازح الدار إفصاحه
تراه مدى الأيام أصفر ناحلاً كمثل عليل وهو قد لازم الراحة

وقال وقد وقف حاجب السلطان على عين ماء ببعض الثغور وشرب منها :

تعجبت من ثغر هذي البلاد ومولاي من عينها شاربُ
فلله ثغر أرى شارباً وعين بدا فوقها حاجبُ

وقال :

وحمراء في الكأس مشمولة نحت على العود في كل بيت
فلا غرو أن جاءني سابقاً إلى الأنس خل يحث الكميت

وقال :

بروضتنا الظمياء طال اكتئابنا فله غيث ميت آمالنا أحيا
وأشبه مهياراً فهنا تلك عينه نقيض إذا شام البروق على ظميا

وقال :

اثنان عراً فلم يظفر بئيلهما وأعوزا من هما في الدهر مطلقه
أخ مودته في الله صادقته ودرهم من حلال طاب مكسبه

وقال مورياً بالقائد نافع على ما اختاره البخاري وجماعة أن أصبح الأسانيد
مالك عن نافع :

عن نافع أسند حديث أحبتي يا مالكا رقي بحسن صنائع
فأجل إسناد وخير رواية عندي رواية مالك عن نافع

وقال :

لاني لأعجب من فعالك في الهوى لما حللت بحسن ذاتك ذاتي
ونفيت نومي ثم أثبت الأسمى فجمعت بين النفي والإثبات

وقال :

ألا معصم للصب من وثني معصم أطلت إليه نظرة المتوسم
فأبقت به عيني حللى من سوادها وبعض سواد وسط قلبي المتيم

وليس خضاباً ما علاه ، وإتّما جرى فيه بعد الدمع ما عزّ من دمي
ولم يعد منّي اللون لونٌ سواده خلا أُنّي أشقى وقيل له : انعم
وقال وقد جاء الشاعر المقلق أبو العباس أحمد بن عبد المنّان بيت الكتاب وفي
عينه خضرة :

أيا أحمدُ المرتضى للعلا ومنّ حاز في صنعه كلّ زين
ترأيت في العلم روضاً نضيراً فلا تنكرن خضرةً حول عين
وله فيه :

لك الخيرُ عدمُ السبك أبداً ناظري زمردةً غضرةً من الجنيه
فلا تنكروا مراع من ذلك لأنّي لصائعُ تبرّ القولِ ناقدُ شينه
ولا عجبٌ إن أعوز السبكُ صائغاً فأوجب عدمُ السبك خضرةً عينه
وقال فيمن يُعرف بالصهال :

ألا ربّ فرسانٍ توافوا فأدركوا مع الليل أوتاراً لهم دون إمهال
وأجروا بصهالٍ كثيراً كما ابتغوا فلا تنكروا الإجراء منهم بصهالٍ
ولما كتب الرئيس الكاتب الجليل أبو عبد الله العزفي مداعباً :

يا عصبه كلّ فقى منهم علّم فرغتم من كتبكم ردّوا القلم
أجابه ابن الحاج المذكور بقوله :

ألا احتسبوا ما قد أعرتم لفتية تكثرُكم بالصفح عن فعلهم قاضي
ولا تطمعوا في الردّ فالناس كلهم رأوا أنّ مولانا له القلم الماضي

وقال الوادي آثي : نقلت من خط الكاتب العلامة الصدر البارع الحاج

القاضي الناظم النائر الجامع للمحاسن والمفاخر أبي إسحاق إبراهيم بن الحاج
النميري ما نصّه : كتب إليّ الفاضل النخبة أبو الفضل ابن رضوان متمثلاً
بقول المأمون :

ملك الثلاثُ الآتساتُ عنائي

فكتبتُ إليه في التورية :

هنيئاً لك البُشرى بهنّ قدم كما تريدُ بنعمي للسعادة جامعة
وإن كنتَ من أهل الصلاح فلا تكن بمائلٍ قلبٍ منك عن حبّ رابعة
فأجابني بقوله :

يا سيدي ذكرتني بالزابعة لعلها لكل خيرٍ جامعة
لأنّي أخافُ أن تكونَ باقية فتفركَ المغسازلَ المطاوعة

ولابن الحاج المذكور من قصيدة طويلة :

لمن الخيامُ سَطَّتْ ببيضٍ صفاحٍ وارتُ سواداً غال كلّ صباحٍ
إن مُزِّقَتْ رُقعتْ بنقعٍ كتائبٍ أو قُوِّضَتْ عُمُدتْ بسُمرٍ رماحٍ
وله في رثاء الطبيب ابن عمار ، واقترح عليه ذلك ابن جُزّي :

ألا أسعدا عيني على السهدِ والبكا فقد واصلَ السهد المبرّحُ تذكاري
وأبدى الردى فتكَّ ابن عبادٍ أذسطا قلا غرو أن أبكي لفقدِ ابن عمارٍ
وقال ممّا يُكتب في الترس :

أنا الترسُ قد أنشأتُ بالأمر عُدّة ليوم جهادٍ مُطلعٍ غُرّة النصرِ

فلاقوا بني الأعداء في زحفهم ولا
ولا تنكروا سري لقتل حاملي
تبالوا بقرع الزرق والبيض والسمير
ففي اسمي كما شاهدتم أحرف السري
وله يهني السلطان أبا عنان أمير المؤمنين الميرني بالإبلال من المرض :

مطالبُ إلا أنهن مواهبُ
شفاء أمير المؤمنين وإنه
وكم قلتُ غاب البدرُ والشمسُ ضلّةً
ولم يغيبا لكن شكّا الضّرّ فارسُ
لك الله يا خيرَ الملوكِ وخيرَ منّ
وقتلُ لمن وافى بشيراً نفوسنا
أقول لجرّد الخيل قُبّاً بطونُها
طوالع من تحت العجاج كأنّها
مُحتجّلة غرّاً كأنّ رِعالها
من الأعوجيّات الصّوافن ترتعي
هنيئاً فقد صحّ الإمام الذي به
ومستأصلُ الفلّ المغنّدُ جيادُه
ومن حطّم السّمير الطوال كعوبُها
وكرّ على أرضِ العدا بفوارسٍ
كانَ ظبَاهُم في الهياج أكفُّهم
كانَ رماحَ الخطّة أحسابهم ، وما
هم ما هم ، حدّث عن البحر أو بني
من البيت شادت قيسُ عيلانَ فخره
وأحيا له مُلْكُ الخليفةِ فارسٍ

قضى الله أن تقضى ، فنعم المطالبُ
لأكرم من تُحدي إليه الركائبُ
ورأيتُ على قلبي الهمومُ النواصبُ
وأوحش منه مجلسَ الملك غائبُ
نحن له حتى العتاقُ الشواذبُ
فما هي إلا بعضُ ما أنت واهبُ
معقدة منها لحربٍ سباسبُ
نعام بكُتبان الصّريمِ خواصبُ
بحارُ جرتُ فيها الصّبا والجنائبُ
إذا رجفتُ يومَ القراعِ مقائبُ
تُقلّ السيوفُ المرفقاتُ القواصبُ
لضرب كما ترغو الفحولُ الضّواربُ
بطعن كما امتاح الرّكيّة شاربُ
كأنّهم في الحرب أسدُ غوالبُ
تجودُ وأرواحُ العداة مواهبُ
حوت من نفوسِ المعتدين مناقبُ
ميرين فنهّجُ القول أبلغُ لاحبُ
فطالستُ معاليه وطابستُ مناسبُ
مأثر غالتها الليالي اللّواهبُ

كريمٌ فلا الحادي النجائبَ غفّقُ لديه ، ولا المنضي الركائبَ خائبُ
 أرى بذله النعمى ففضّت مكاسبُ أرى بأسه الأنضى ففضّت كئائبُ
 أنامله يُروي الورى صوبُ جودِها فلولا دوام الرأي قلت السحابُ
 وكم خلّت برقاً في الدجى نورَ بشره تشيّمُ سناهُ الناجياتُ التجائبُ
 فأخجلني أني أرى البرقَ خلّباً فلا الصوبُ هامٍ ولا الجودُ ساكبُ
 أعزني أميرَ المؤمنين بلاغةُ فإتني عن عجزٍ للحدك هائبُ
 وأنطقُ لساني بالبيان معلماً فإتني في التعليم للجود راغبُ
 وكيف ترى لي بعدُ في الجودِ رغبةُ وجودك لي فوق الذي أنا طالبُ
 وقد شبت الآمال إذ شبت ثم إذ تفقدتها لم يدري ما شبّ شائبُ
 بلغت بك الآمالَ حتى كأنّها وقد صدقت ما شئت صدقاً كواذبُ
 عجت وما تولى ، وأوليت مُعجِباً فلا برحتَ تنمو لديك العجائبُ
 وحسي دعاء لو سكتُ كُفَيْتُهُ كما قيل لكن في الدعاء مذاهبُ
 وما أنا إلا عبدك المخلصُ الذي يراقبُ في إخلاصه ما يراقبُ
 فخذها تبث العذر لا المدح ؛ إنّه هو البحر قل هل يجمع البحر حاسبُ
 بقيت بقاء الدهر ملكك قاهرُ وسيبك فيأض ، وسيفك غالبُ
 وعوفيت من ضرّ وأعطيت أجره ولا روعت إلا عداك النواذبُ

وقال رحمه الله تعالى :

ولولا ثلاثُ جاء جبريلُ سائلاً لخير الورى عنها لآثرتُ فقداني
 مقاماتُ إسلامٍ أزيدُ بفعله ثواباً وإيماناً أديم وإحساني

وقال رحمه الله تعالى : أنشدني السلطانُ أميرُ المؤمنين أبو عنان فارس ابن
 أمير المسلمين أبي الحسن المريني رحمهما الله تعالى لنفسه :

يا مملأ بأرض تلك البلاد حَيَّ فاساً وحَيَّ أهل الوداد
إن تناءت بشخصها عن عياني فتحاها مُصَوَّرٌ في فؤادي

[قصائد في مدح تلمسان وفاس]

قلت : تذكرت بهذا البحر والروي والغرض قولَ الفقيه الكاتب العلامة
الناظم النائر أبي عبد الله محمد بن يوسف الثغري كاتب سلطان تلمسان أمير
المسلمين أبي حمّو موسى بن يوسف الزياني يمدحه ويذكر تلمسان المحروسة :

أيها الحافظون عهد الوداد جدّوا أنسنا بباب الجياد
وصلّوها أصائلًا بليالٍ كلالٍ نُظْمَنَ في الأجياد
في رياضٍ مُنْصَدَّاتٍ المجاني بين تلك الرُّبَى وتلك الوهاد
وبروجٍ مُشِيدَاتٍ المتباني بادياتِ السنا كشهبٍ بواد
رقّ فيها النسبُ مثلَ نسيبي وصفنا النهرُ مثلَ صفو وذادي
وزها الزهرُ والغصونُ تَنَتَّتْ وتغنّتْ عليّه ورُقّ شواد
وانبرى كلُّ جدولٍ كحسامٍ عاريّ الغمدِ سندسيّ التجاد
وظلالُ الغصونِ تكتبُ فيه أحرفاً سَطَّرتْ بغيرِ مداد
تُذكرُ الوشمَ في معاصمِ خَوْدٍ نصبت فوقه ذوات امتداد
وكؤوبسِ المنى تُدارُ علينا بجنى عَفَّةٍ ونَقْلٍ اعتقاد
واصفارُ الأصيلِ فيها مُدَامٌ وصفيرُ الطيورِ نغمةُ شاد
كم غَدَوْنَا بها لأنسٍ ورحنا جادها رائحٌ من المزن غاد
ولكم راحة على اللوح كادت أن تريح الصبا لنا وهَوَّ غاد
رَقَّتِ الشمسُ في عشاياه حتى أحدثت منه رقةً في الجماد
جَدَّدَتْ بِالْغُرُوبِ شَجْوَ غريبٍ هاجه الشوقُ بعد طولِ البعاد

يا حَيَا المَزْنَ حَيَّهَا مِنْ بِلَادِ
وَتَعَاهِدْ مَعَاهِدَ الْأَنْسِ مِنْهَا
حَيْثُ مَغْنَى الْهَوَى ، وَمُلْهَى الْغَوَايِ
وَمَقَرَّ الْعُلَا ، وَمَرْقَى الْأَمَانِي
كُلُّ حَسَنِ عَلَى تَلَمَّسَانٍ وَقَفَّ
ضَحْكُ التَّوَرِّ فِي رُبَاهَا وَأَرْبَى
وَسَمَا تَاجُهَا عَلَى كُلِّ تَاجٍ
يَدْعِي غَيْرَهَا الْجَمَالَ فَيَقْضِي
وَبِشْعَرِي فَهَمْتُ مَعْنَى عُلَاهَا
حَضْرَةُ زَانِهَا الْخَلِيفَةُ مُوسَى
وَحَبَّاهَا بِكُلِّ بَذَلٍ وَعَدَلٍ
مَلِكٌ جَاوَزَ الْمَدَى فِي الْمَعَالِي
مَتَّعِلٌ لِلْهَدَى مَنِيعُ النُّوَاحِي
قَاتِلُ الْمُحَلِّ وَالْأَعَادِي
كَلَّمَا ضَمَّتِ السَّحَابُ أَغْنَتْ
كَمْ هَبَاتٍ لَهُ وَكَمْ صَدَقَاتٍ
فَأَيَادِي خَلِيفَةِ اللَّهِ مُوسَى
رَكَّبَ الْجُودَ فِي بَسِيطِ يَدَيْهِ
جَلَّ بَارِيهِ مَلْجَأُ الْبَرَايَا
جَلَّ مَنْ خَصَّهُ بِتِلْكَ الْمَزَايَا
شَيْمٌ حُلُوةُ الْجَنَى وَسَجَايَا
يَا إِمَامَ الْهَدَى ١ وَشَمْسَ الْمَعَالِي

غَرْسَ الْحَبِّ غَرْسَهَا فِي فُؤَادِي
وَعَهْدَ الصَّبَا بِصَوْبِ الْعِيَادِ
وَمَرَادَ الْمُتَى ، وَنَيْسَلَ الْمَرَادِ
وَمَجْرُ الْقَنَا ، وَمُجْرَى الْجِيَادِ
وِخْصُوصاً عَلَى رَبِّي الْعِبَادِ
كَهْفُ ضَحَّاكِهَا عَلَى كُلِّ نَادٍ
وَنَمَا وَهْدُهَا عَلَى كُلِّ وَادٍ
حَسْنُهَا أَنَّ تِلْكَ دَعْوَى زِيَادٍ
مِنْ حَلَاهَا فَهَمْتُ فِي كُلِّ وَادِي
زِينَةُ الْحَلِيِّ عَاطِلُ الْأَجْيَادِ
وَحِمَاها مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِ
فَالنَّهَائِيَّاتُ عِنْدَهُ كَالْمِبَادِي
مَظْهَرُ الْعُلَا رَفِيعُ الْعِمَادِ
جَمِيعاً بَغْرَارُ الظُّبَى وَغُرُ الْإِيَادِي
رَاحَتَاهُ عَنِ السَّحَابِ الْغَوَادِي
عَائِدَاتٍ عَلَى الْعُقَاةِ بَنَادِ
أُبْحَرُ عَذْبَةٍ عَلَى الْوَرَادِ
فَتَلَاوِي بِهِ تَلَاوَةَ الْعِبَادِ
كَالْحَيَا ضَامِنًا حَيَاةَ الْبِلَادِ
بَاهِرَاتٍ مِنْ طَارِفٍ وَتَسْلَادِ
شَهْدَ الْمَجْسَدِ أَنَّهَا كَالشَّهَادِ
وَعَمَامَ النَّدَى وَبَدَرَ النَّادِي

لكَ بَيْنَ الْمُسْلُوكِ سِرٌّ خَفِيٌّ ليس مَعْنَاهُ للعَقُولِ بِيَادِ
فَكَأَنَّ الْبِلَادَ كَفْتُكَ مَهْمَا كَانَ فِيهَا مِنْ يَنْتَمِي لِعِنَادِ
قَبِضْتُ كَفْتُكَ الْبِنَانَ عَلَيْهِ فَأَتَى بِالْأَذْعَانِ حِلْفَ انْقِيَادِ
بِكُمْ تَصْلَحُ الْبِلَادُ جَمِيعاً إِنَّ آرَاءَكُمْ صِلَاحُ الْبِلَادِ
لَمْ تَزَلْ دَائِماً تَحْنُ إِلَيْكُمْ كَحَنَنِ السَّقِيمِ لِلْعُودِ
لَوْ أُعِينَتْ بِمَنْطِقٍ شُكْرَتَكُمْ مِثْلَ شُكْرِ الْعَفَاةِ لِلْأَجْوَادِ
قَدْ أَطَاعَتْكُمْ الْبِلَادُ جَمِيعاً طَاعَةً أَرْغَمَتْ أَنْوْفَ الْأَعَادِي
فَأَرِيحُوا الْجِيَادَ أَنْتَعِبْتُمُوهَا وَأَقْرِؤُوا السُّيُوفَ فِي الْأَعْمَادِ
وَاهْنَاؤُا خَالِدِينَ فِي عِزِّ مَلِكٍ قَائِمِ السَّعْدِ دَائِماً الْإِسْعَادِ
وَالْيَكْمُ مِنْ مُدْهَبَاتِ الْقَوَافِي حِكْماً سَهَّلَتْ لِسَانَ الْمَقَادِ
كُلَّ بَيْتٍ مِنَ النِّظَامِ مُشِيدٍ عَطَّرَ الْأَفْقَ بِالثَّنَاءِ الْمَجَادِ
ذُو ابْتِسَامٍ كَزَهْرِ رَوْضٍ بِجُودٍ وَانْتَظَامٍ كَسَلَكِ دَرٍّ بِجَادِ

ولأبي المكارم منديل ابن الإمام الشهير صاحب « المقدمة الآجرومية » قصيدة
في المنحى وافقت قصيدة الثغري في البحر وبعض المطلع ، فلا ندري أيهما
نسج على منوال الآخر : إذ هما متعاصران ، إلا أن ذاك قالها في تلمسان ، وهذا في
مدينة فاس ؛ وهي :

أيها العارفون قَدَّرَ الصَّبُّوحِ جَدُّدُوا أَنْسَنَا بِيَابِ الْفَتْوحِ

يعني بِيَابِ الْفَتْوحِ أَحَدَ أَبْوَابِ فَاسَ ، كما أن باب الجياد في كلام الثغري
أحد أبواب تلمسان .

ثم قال ابن آجروم بعد المطلع :

١ ق : المشاد .

جَدُّدُوا ثُمَّ أَنْسَنَا ثُمَّ جَلُّدُوا
 حَيْثُ شَابَتْ مَفَارِقُ اللُّوزِ نَوْرًا
 وَبَدَأَ مِنْهُ كُلُّ مَا أَحْمَرَّ يَحْكِي
 وَكَأَنَّ الَّذِي تَسَاقَطَ مِنْهُ
 وَإِذَا مَا وَصَلْتُمْ لِلْمَصَلَّى
 وَبَطَيْنُفُورِهَا فَطُوفُوا لَكَيْمًا
 وَلَتَقِيمُوا هُنَاكَ لِمَحَّةٍ طَرَفٍ
 ثُمَّ حَطُّوا رِحَالَكُمْ فَوْقَ نَهْرٍ
 فَوْقَ حَافَاتِهِ حَدَاقُ خَضِرٍ
 وَكَأَنَّ الطَّيُورَ فِيهَا قِيَانٌ
 وَهِيَ تَدْعُوكُمْ إِلَى قُبَّةِ الْجَوْ
 فِيهِ مَا تَشْتَهُونَ مِنْ كُلِّ نَوْرٍ
 وَغُصُونٍ تَهْبِجُ رَقْصًا إِذَا مَا
 فَأَجْبُوا دَعَاءَهَا أَيُّهَا السَّرَّ
 وَاجْنَحُوا لِلْمَجُونِ فَهُوَ جَدِيرٌ
 وَأَخْلَعُوا ثُمَّ لِلتَّصَابِي عِذَارًا
 وَإِذَا شَتَّمُ مَكَانًا سِوَاهُ
 فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ لِنَحْوِ خَلِيجٍ
 عَطَرَتْ جَانِبَيْهِ كَفُّ الْغَوَادِي
 قُلْ لِمَهْيَارَ إِنْ شَمَمْتَ شَذَاهَا
 أَيْنَ هَذَا الشَّدَا الدَّكِيَّ مِنَ الْقِي
 حَبْنًا ذَلِكَ الْمَهَادُ مَهَادًا
 ثُمَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَهَادُ أَفِيضُوا

يَسْرَحُ الطَّرْفُ فِي جِبَالٍ فَسِيحٍ
 وَتَسَاقُطُنْ كَاللُّجَيْنِ الصَّرِيحِ
 شَفَقًا مَزَقَتْهُ أَيْدِي الرِّيحِ
 نَقَطُ لُحْنٍ مِنْ دَمٍ مَسْفُوحِ
 فَتَحْلُوا بِمَوْضِعِ التَّسْبِيحِ
 تَبْصُرُوا مِنْ ذَرَاهِ كُلِّ سَطُوحِ
 لَتَرُدُّوا بِهِ ذَمَاءَ الرُّوحِ
 كَلَّ فِي وَصْفِهِ لِسَانُ الْمَدِيحِ
 لَيْسَ عَنْهَا لِعَاشِقٍ مِنْ تَزْوِجِ
 هَتَفَتْ بَيْنَ أَعْجَمٍ وَقَصِيحِ
 زِي هَلُمُّوا إِلَى مَكَانٍ مَلِيحِ
 مَغْلَقٍ فِي الْكِمَامِ أَوْ مَفْتُوحِ
 سَمِعْتَ صَوْتَ كُلِّ طَيْرٍ صَدُوحِ
 بُو وَخَلُّوا مَقَالَ كُلِّ نَصِيحِ
 وَخَلِيقٌ مِنْ مِثْلِكُمْ بِالْجَنُوحِ
 إِنْ خَلَعَ الْعِذَارِ غَيْرُ قَبِيحِ
 هُوَ أَجْلَى مِنْ ذَلِكَ فِي الْوُضُوحِ
 جَاءَ كَالصَّبْلِ مِنْ قِفَارٍ فَسِيحِ
 بِشَدَا عَرَفَ زَهْرَهَا الْمُنُوحِ
 قَوْلُ مُسْتَخْبِرٍ أَخِي تَجْرِيعِ
 صَوْمٍ وَالرَّنْدِ وَالْقَضَا وَالشَّيْعِ
 بَيْنَ دَانٍ مِنَ الرَّبِّي وَتَزْوِجِ
 نَحْوِ هَضْبٍ مِنَ الْمُمُومِ مَرِيحِ

فيه الحسن دَوْحَةٌ وروايا وانشرح الذي فؤاد قريح
 وحجار تدعى حجار طبول غير أن التطويل غير صحيح
 تنثر الشمس ثم كل غلوة زعفراناً مبللاً بنضوح
 وسوى من هناك يسبي عقولاً ويحلي لحاظ طرف طموح
 وعيون بها تقر عيون وكلاها بأسو كلوم الجريح
 فرشت فوقها طنافس زهر ليس كالعهن نسجها والمسوح
 كلما مر فوقهن طليح عاد من حسنهن غير طليح
 فانهضوا أيها المحبون مثلي لرى ذات حُسْنها الملموح
 هكذا يريج الزمان وإلا كل عيش سواه غير ربيح
 وما أحسن قول الكاتب الثغري يمدح تلمسان والسلطان المذكور آنفاً

تاهت تلمسان بحسن شبابها وبدا طراز الحسن في جلبابها
 فالبيشربيلو من حجاب ثغورها متبسماً أو من ثغور حبابها
 قد قابلت زهر النجوم بزهرها وبروجها وبروجها وقبابها
 حسنت بحسن مليكها المولى أبي حمو الذي يحمي حمى أربابها
 ملك شمالك كزهر رياضها ونداه فاض بها كفيض عبابها
 أعلى الملوك الصيدين أعلامها وأجلها من صفوها ولبابها
 غارت بغرة وجهه شمس الضحى وتنقبت خجلاً بثوب ضبابها
 والبدر حين بدت أشعتها له حسناً تضاعل نوره ونحباها
 لله حضرته التي قد شرفت خدامها فسموا بخدمة بابها
 فاللهم في يمينه يبلغها المنى والمدح في علياه من أسبابها

وللثغري المذكور قصيدة لامية بديعة في مدح السلطان أبي حمو ،

ووصف بلاد تلمسان ، وأجاد فيها إلى الغاية ؛ وهي ^١ :

قم مبصراً ^٢ زمن الربيع المقبل
وانشق نسيم الروض مظلولا وما
وانظر إلى زهر الرياض كأنه
في دولة فاضت يداها بالندى
بسطت بأرجاء البسيطة عدلها
سلطانها المولى أبو حمو الرضى
تاهت تلمسان بدولته على
راقت محاسنها ورق نسيمها
عرج بمنعرجات باب جياها
ولتغد للعباد منها غدوة
وضريح تاج العارفين شعبيها
فمزاره للدين والدنيا معاً
وبكهفها الضحك قف متزهاً
وتمش في جنباتها ورياضيها
تسليك في دوحاتها وتلاعها
وبروبة العشاق سلوة عاشق
بنواسم وبواسم من زهرها
فلو امرؤ القيس بن حجر راءها

تَرَ ما يسرُّ المُجتني والمُجتلي
أهداك من عَرَفٍ وعُرْفٍ فاقبل
در ^٣ على لبّات ربّات الحلي
وقضت بكل مئى لكل مؤمل
وسطت بكل معاند لم يعدل
ذو المنصب السامي الرفيع المعتلي
كلّ البلاد بحسن منظرها الجلي
فحلا بها شعري وطاب تغزلي
وافتح بها باب الرجاء المُقفل
تصبح هموم النفس عنك بمعزل
زُرّه هناك فحبدا ذاك الولي
تُمحى ذنوبك أو كروبك تنجلي
تسرح نفوسك في الجمال الأجل
واجنح إلى ذاك الجناب المخضل
نغم البلابل واطراد الحدول
فتنت وألحاظ الغزال الأكل
تهديك أنفاساً كعُرْفِ المندل
قدماً تسلى عن معاهد مأسل

١ القصيدة في بنية الرواد ١ : ١٣ .

٢ البقية : نجل .

٣ البقية : درر .

٤ البقية : جفونك .

أَوْ حَامٍ حَوْلَ فِينَاهَا وَظَبَائِهَا
فَإَذْكَرَ لَهَا كَلْفِي بِسَقَطِ لَوَائِهَا
كَمْ جَادِي فِيهَا الزَّمَانُ بِمَطْلَبِ
وَاعْمَدَ إِلَى الصَّفْصِيفِ يَوْمًا ثَانِيًا
وَإِذَا تَرَاهُ مِنَ الْأَزَاهِرِ خَالِيًا
يَنْسَابُ كَالْأَيْمِ أَنْسَابًا دَائِمًا
فَزَلَالَهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ قَدْ حَلَا
وَاقْصِدْ يَوْمَ ثَالِثِ فَوَارَةٍ
تَجْرِي عَلَى دَرٍّ بَلِينًا سَائِلًا
وَإِشْرَفَ عَلَى الشَّرَفِ الَّذِي يِلَازِهَا
تَاجٌ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَاسَنِ بِهَجَةٍ
وَإِذَا الْعَشِيَّةُ شَمْسُهَا مَالَتْ فَمَلْ
وَبَلَعِبَ الْخَيْلِ الْفَسِيحِ مَجَالَهُ
فَلَحْلِبَةِ الْأَشْرَافِ كُلِّ عَشِيَّةٍ
فَتَرَى الْمُجَلِّيَّ وَالْمُصَلِّيَّ خَلْفَهُ
هَذَا يَكْرُ وَذَا يَفْرُ فَيَنْثَنِي
مَنْ كُلِّ طَرَفٍ كُلِّ طَرَفٍ يَسْتَبِي
وَرَدُّ كَانَ أَدِيمَهُ شَفَقُ الدُّجَى
أَوْ مِنْ كُمَيْتٍ لَا نَظِيرَ لِحَسَنِهِ
أَوْ أَحْمَرَ قَانِي الْأَدِيمِ كَعَسْجِدِ
أَوْ أَدْهَمَ كَاللَّيْلِ إِلَّا غُرَّةً
جَمَعَ الْمَحَاسِنَ فِي بَدِيعِ شِيَاتِهِ
عَقْبَانُ خَيْلٍ فَوْقَهَا فَرَسَانِهَا
فَرَسَانُ عَبْدِ الْوَادِ آسَادُ الْوُغَى

مَا كَانَ مُحْتَفَلًا بِحَوْمَةٍ حَوْمِلِ
فَهَوَايَ عَنْهَا الدَّهْرُ لَيْسَ بِمُنْسَلِ
جَادَتَهُ أَخْلَافُ الْغَمَامِ الْمُسْبِلِ
وَبِهِ تَسْلُ وَعَنْهُ دَابًّا فَاسْأَلِ
أَحْسِنَ بِهِ عَطْفًا وَغَيْرَ مُعْطَلِ
أَوْ كَالْحَسَامِ جَلَاهُ كَفُّ الصَّيْقَلِ
وَجَمَالُهُ فِي كُلِّ عَيْنٍ قَدْ جُلِيَ
وَبَعْدَ مِنْهَا الْمُبَارَكِ فَانْهَلِ
أَحْلَى وَأَعْدَبَ مِنْ رَحِيقِ سُلْسَلِ
لَتَرَى تَلْمَسَانَ الْعَلِيَّةِ مِنْ عَمَلِ
أَحْسِنَ بَتَاجٍ بِالْبَهَاءِ بِكُلِّ
نَحْوِ الْمُصَلِّيِّ مِلَّةٍ الْتَمَهَلِ
أَجَلِ النَّوَظِرِ فِي الْعَتَاقِ الْخَفَلِ
لَعَبٌ بِذَلِكَ الْمَلْعَبِ الْمُتَهَمَلِ
وَكِلَاهُمَا فِي جَرِيهِ لَا يَأْتِي
عَطْفًا عَلَى الثَّانِي عَنَانِ الْأَوَّلِ
قَيْدِ النَّوَظِرِ فَتَنَةِ الْمُتَأَمَّلِ
أَوْ أَشْهَبُ كَشَهَابٍ رَجَمَ مَرْسَلِ
سَامٍ مَعَمٍّ فِي السَّوَابِقِ مُخَوَّلِ
أَوْ أَشْقَرُ يَزْهُو بِعَرَفٍ أَشْعَلِ
كَالصَّبْحِ ، بَوْرِكٍ مِنْ أَعْرِ مَحْجَلِ
مَهْمَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْهَلِ
كَالْأَسَدِ تَنْقُضُ انْقِضَاضَ الْأَجْدَلِ
حَامُو الدَّمَارِ أَوَّلُو الْقَخَارِ الْأَطْوَلِ

فإذا دنت شمسُ الأصيلِ لغربها
 من بابٍ ملعبها لبابٍ حديدِها
 وتأنَّ من بعدِ الدخولِ هنيهةً
 فهو المؤمِّلُ والديارُ كنايةً
 فإذا أميرُ المؤمنين رأيتُهُ
 فالمجدُّ لفظٌ في الحقيقةِ مجملٌ
 بشرى لعبدِ الرادِ بالملكِ الذي
 بأعزِّهم جاراً ، وأمنهم حمىً
 بالعدلِ المستنصرِ المنصورِ والـ
 وكفاهمُ سعداً أبو حمو الذي
 وبحسنِ نيته لهم وبمجدِ
 ذو الهمةِ العليا التي آثارها
 بحرِ الندى الأحلى وفخرِ المنتدى
 ينهلُ منه لنا الجدا وبه الدجى
 هنىء به زمنَ الربيعِ وقلْ له
 وعلى علاه من صنعةِ فضلهِ

وكأنه عارض بهذه القصيدة قطعة في بحرِها وروياها في مدحِ مدينةِ فاس
 لبعض العلماء ، وأظنه القاضي المزدغي ، وهي :

يا فاسُ حياً الله أرضك من ثرى
 يا جنةَ الدنيا التي أربتْ على
 غرفٍ على غرفٍ ويمجري تحتها
 وبساتنٌ من سندسٍ قد زُحرفتْ
 وبجامعِ القروينَ شُرفَ ذكره
 وسقاك من صوبِ الغمامِ المسبيلِ
 حمصٍ بمنظرها البهيِّ الأجملِ
 ماءُ الدُّ من الرحيقِ السلسلِ
 يجداولُ كالأيمِ أو كالقيصلِ
 أنسٌ بذكره يهيجُ تملُّكي

وبصّحته زمن المصيف عجائب^١ فمع العشي^٢ الغرب فيه استقبل
واشرب بتلك البيلة^٣ الحسناء به واكرع^٤ بها عني فديتك وانهل
وقد تمثل لسان الدين رحمه الله تعالى في مدينة فاس بقول القائل^٥ :

بلك أعارته الحمامة طوقها وكساه ريش جناحه الطاووس^٦
فكأنما الأنهار فيه مدامة^٧ وكأن ساحات الديار كؤوس^٨
وما أحسن قوله - أعني لسان الدين - في مدح تلمسان^٩ :

حيّا تلمسان الحيا فربوعها صدف^{١٠} يجود بدره المكنون^{١١}
ما شئت من فضل عميم إن سقى أروى ومن ليس بالمنون^{١٢}
أوشئت من دين إذا قدح الهدى أورى ودنيا لم تكن بالدون^{١٣}
ورد النسيم لها بنشر حديقة قد أزهرت أفنانها بفنون^{١٤}
وإذا حبيبة أم يحيى أنجبت^{١٥} فلها الشفوف على عيون العين

يعني بحبيبة أم يحيى عين ماء بتلمسان من أعذب المياه وأخفها ، وكانت
جارية بالقصور السلطانية ، ولم تزل إلى الآن منها بقية آثار ورسوم ، والبقاء
لله تعالى وحده .

وممن مدح تلمسان الحاج الطيب أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الشهير
بالتلليسي رحمه الله تعالى ، إذ قال^{١٦} :

سقى الله من صوب الحيا هاطلاً وبلاً ربوع تلمسان التي قد رها استعلى

١ قد شرحنا البيلة ، هامش : ١ مجلد : ١ ص : ٢٠٦ .
٢ مر البيتان والقول في نسبتهما ، المجلد : ١ ص : ١٦٩ وانظر مشاهدات لسان الدين : ١١١ .
٣ أزهار الرياض ١ : ٧ .
٤ أورد له صاحب بنية الرواد عدداً من القصائد والموشحات في الجزء الثاني ؛ وهذه القصيدة في الجزء
الأول ص : ١٧ .

ربوعٌ بها كانَ الشبابُ مُصاحبي
فكم نلتُ فيها من أمانٍ قصيةٍ
وكم غازلتني الغيدُ فيها تلاعباً
وكم لَيْلَةً بَيْنَنَا عَلَى رِغْمِ حاسدٍ
وكم لَيْلَةً بَيْنَنَا بِصَفْصِفِهَا الَّذِي
وكديّةُ عشاقٍ لها الحسنُ يَنْتَهِي
نَعَمَ ، وغديرُ الجوزةِ السَّالِبُ الحُجَى
ومنه وَمِنْ عَيْنِ آمٍ يَحْيِي شِرابنا
وعبادها ما القلبُ ناسٍ ذمامه
به شيخنا المذكور في الأرضِ ذكره
لها بَهْجَةٌ تُزْري على كلِّ بلدةٍ
فيا جَنَّةَ الدُّنيا الَّتِي راق حُسْنُهَا
ولا عجبٌ أن كنتَ في الحسنِ هكذا
ولاحتَ لدينا فيكَ منه "محاسن"
مطاعٌ شجاعٌ في الوغى ذو مهابةٍ
كريمٌ حلِيمٌ حاتميٌ نوالسهُ
لَهُ راحةٌ كالغيثِ ينهلُ ودَقُّها
هوَ الملكُ الأرقى هوَ الملكُ الرضى
ومَنْ هذه الأوصافُ فيه تجمعتْ
إمامٌ حَبَّاهُ اللهُ ملكاً مؤزَّراً
مِنْ الزَّابِ وافانا عزيزاً مظفَّراً

جررتُ إلى اللذاتِ في دارها الذبلا
وكم مَنَحَ الدهرُ الضنينَ بها. النبلا
وكم من عدولٍ لا أُطِيعُ له قولاً
نديراً كؤوسِ الوصلِ إذ بالصفاء تُثَمِّلا
تسامى على الأنهارِ إذ عدم المثلا
يعود المسنُّ الشيخُ من حسنِها طفلاً
نعمتُ بها طفلاً وهمتُ بها كهلاً
لأنهما في الطيبِ كالنيلِ بل أحلّنى
به روضةٌ للخيرِ قد جُعِلَتْ حِلّاً
أبو مدينٍ أهلاً به دائماً أهلاً
بِنتاجِ عليها كالعروسِ إذا تُجلى
فحازت على كلِّ البلادِ به الفضلا
ومومى الإمامِ المرتضى فيكَ قد حَلّا
كأنَّ سناها حاجِبُ الشمسِ إذ جَلّى
حسامٌ على الباغين في الأرضِ قد سَلّا
سعيدٌ حَمِيدٌ يصدقُ القولَ والفعلا
وصارمٌ نصرٍ مرهفٌ الحد لا فُلا
هو الملكُ الأسنى هو الملكُ الأعلى
حقيقاً على كلِّ المعالي قد استولى
فلا ملكٌ إلا لعزتهِ ذلاً
يجرُّ من النصرِ المتوطِّ به ذبلاً

بدت إليك .الغربِ شدةُ بأسِهِ
 فبادرَهُ بالصلحِ خوفَ فواتِهِ
 فكان بحمدِ الله صلحاً مُهنأً
 لَهُ في المعالي رتبةٌ لا ينالها
 لطاعته كلُّ الأنامِ تبادرتْ
 أحسادُهُ موتوا فإنَّ قلوبَكُم
 لقد جَبَر اللهُ البلادَ بِملكِهِ
 فلا زالَ هذا الملكُ فيه مغلداً
 وإنعامه للمعتضين وما أولى
 وسألهُ إذ كانَ ذاكَ به أولى
 به طابَت الدنيا وجزنا به السُّبُلَا
 سواه وكُتِبَ في فضائله تُنثَى
 فيا سعدَ من وافى ويا ويحَ من ولَّى
 بجمر الغضا ممّا بها أبداً تصلى
 به مُلئتُ أمناً ، به مُلئتُ عدلاً
 وصارمه الأمضى وخادمه الأعلى

وممّا مُدحت به تليمان قولُ الإمام الصوفي أبي عبد الله محمد بن خميس
 الذي قدمنا ذكره في هذا الكتاب وبعض ما يتعلق به ، وذكرنا أيضاً فيما مرّ
 بعض أمداحه لها ^١ :

تليمانُ جادتكِ السحابُ الروائحُ ^٢
 وسحَّ على ساحاتِ بابِ جِياها
 يطيرُ فؤادي كلما لاحَ لامعُ
 ففي كلِّ شفرٍ من جفوني مائعُ
 فما الماءُ إلا ما تسحُّ مدامعي
 خليلي لا طيفُ لعلوةٍ طارقُ
 نظرتُ فلا ضوءٌ من الصبحِ ظاهرُ
 بحمّكما كُفّا الملامَ وساعا
 ولا تعدلاني واعذراني فقلّما
 وأرستَ بيّواديكِ الرياحُ اللواقحُ
 مُلِثُ يصابي تربّها ويصافحُ
 وينهلُ دمعي كلما ناحَ صادقُ
 وفي كلِّ شطرٍ من فؤادي قاذحُ
 ولا النارُ إلا ما تُجِنُّ الجوانحُ
 بليلٍ ولا وجهٌ لصبحي لائحُ
 لعيني ولا نجمٌ إلى الغربِ جانحُ
 فما الخُلُ كلُّ الخُلُ إلا المسامحُ
 يردُّ عناني عن عليّة ناصحُ

١ وردت القصيدة في بغية الرواد ١ : ١١ .

٢ البغية : الدوالح .

كتمتُ هواها ثم برّحَ بي الأسى
 لساقيةِ الروميّ عندي مزينةٌ
 فيكمّ لي عليها من غدوّ وروحةٍ
 فطرفٌ على تلك البساتين سارحٌ
 تحارُّ بها الأذهانُ وهي ثواقبُ
 طبائِءِ مغانيها عَوّاطِ عواطفُ
 تقتلهمُ فيها عيونٌ نواظرُ
 على قريةِ العبادِ منّي نحيّةٌ
 وجادٌ ثرى تاجِ المعارفِ ديمةٌ
 إليك شعيب بن الحسين قلوبُنَا
 سعيّتَ فما قصّرتَ عن نيل غايةٍ
 نسيّتُ وما أنسى الوريطةَ ووقفهَ
 مطلقاً على ذاك الغديرِ وقد بدت
 أماؤك أم دمعِي عشيةَ صدّقت
 لئن كنتَ ملأناً بدمعِي طافحاً
 وإن كان مُهري في تلاعك سائحاً
 قراح أنى ينصبُّ من رأس شاهق
 أرقّ من الشوقِ الذي أنا كاتمٌ
 أما وهوى من لا أسميه إنسي
 أبعد صيامي واعتكافي وخلوتي
 لبعثُ رشادي فيه بالغِي ضلّةً
 وأيُّ مقامٍ ليس لي فيه حاسدٌ

وكيف أطيقُ الكتمَ والدمعُ فاضحُ
 وإن رغمتُ تلك الرواسي الرواشحُ
 تُساعدني فيها المنيّ والمنائحُ
 وطرفٌ إلى تلك الميادين جامحُ
 وتهفو بها الأحلامُ وهي بوارحُ
 وطيرُ مجانيها شوادِ صوادحُ
 وتبكيهمُ منهم عيونٌ نواضحُ
 كما فاحَ من مسك اللطيمة فائحُ
 تنغصُّ بها تلك الرُبى والأباطحُ
 نوازعُ لكنّ الجسوم نوازحُ
 فسعيك مشكورٌ وتجرك رابحُ
 أنافحُ فيها روضه وأفاوحُ
 لإنسانٍ عيّني من صفاه صفائحُ
 عليه فينا ما يقولُ المكاشحُ
 فلإني سكرانٌ بحبك طافحُ
 فذاك غزالي في عبّابك سابحُ
 بمثلٍ حلاه تستحثُّ القرائحُ
 وأصفي من الدمع الذي أنا سافحُ
 لعرضي كما قال النصيحُ لناصحُ
 يُقال فلانٌ ضيقُ الصدرِ بائحُ
 وكم صالحٍ مثلي غدا وهو طالحُ
 وأيُّ مقالٍ ليس لي فيه مادحُ

ألا قُلْ لفرسانِ البَلاغةِ أَسرجوا
أَيَحْمِلْ ذكري عندهم وهو نابِهٌ
بدورٌ إذا جنَّ الظَّلامُ كواملٌ
تركلكَ سوقَ البزِّ لا عن تهاونٍ
وإنِّي وقَلْبِي في ولائِكَ طامعٌ
أيا أهلَ ودِّي والعشيرُ مؤمنٌ
وهل ذلكَ الظبيُّ النصاحيُّ للذي
كنيتُ بها عنهُ حياةٌ وحشمةٌ

فقد جاءكم منِّي المكافي المكافحُ
ويَغْمَطُ شجوي عندهم وهو شائعُ
وأَسْدٌ إذا لاحَ الصبايحُ كوالحُ
وكيف وظبيُّ سانحٌ فيك بارحُ ؟
وناظرٌ وهَمِي في سِماطِكَ طامعُ
أتَقْضِي ديوني أم غريمي فالحُ
يقطعُ من قلبي بعَيْنِيهِ ناصحُ
ووجهُ اعتذارِي في القضيةِ واضحُ

[تعريف بتلمسان]

وتلمسان هذه هي مدينتنا التي عُلِّقَتْ بها التماثيل ، وقد نزلها من سلفنا عبد الرحمن بن أبي بكر المقرئ بن علي صاحب الشيخ أبي مدين ، الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين ، وهو الأب الخامس كما سبق في ترجمة أخبارهم ، وهي من أحسن مدائن المغرب ماء وهواء ، حسبما قال ابن مرزوق :

بكفيك منها ماؤها وهواؤها

وقال الكاتب أبو زكريا يحيى بن خلدون في كتابه « بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد وأيام أبي حمو الشاخصة الأطواد » بعد كلام في شأن البربر ، ما صورته ^١ : ودار ملكهم وسط بين الصحراء والتل تسمى بلغة البربر تلمسن ، كلمة مركبة من « تلم » ومعناه تجمع ، و « سن » ومعناه اثنان : أي الصحراء والتل فيما ذكره شيخنا العلامة أبو عبد الله الآبلي ، رحمه الله تعالى ، وكان

١ بغية الرواد ١ : ١٩ / ٩ .

حافظاً بلسان القوم ، ويقال « تلمشان » ، وهو أيضاً مركَّب من « تلم »^١ ومعناه لها ، و « شان » أي لها شأن ، وهي مدينة عريقة في التمدن ، لذينة الهواء ، عذبة الماء ، كريمة المنبت ، اقتعدت بسفح جبل ، ودُوَيْنَ^٢ رأسه بسيط أطول من شرق إلى غرب ، عروساً فوق منصّة ، والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين ويطل منها^٣ على فحص أفيح معد للفلاحة تشق ظهوره الأسلحة عن مثل أسنمة المهاري ، وتقر في بطونه عند تلميث الغمام بطون العذارى^٤ ، وبها للملك قصور زاهرات اشتملت على المصانع الفائقة ، والصروح الشاهقة ، والبساتين الرائقة ، ممّا زخرفت عروشه ، ونمقت غروسه ، ونوسبت أطواله وعروضه ، فأزرى بالخورنق ، وأخجل الرصافة ، وعبث بالسدير . وتنصبّ إليها من عل أنهار من ماء غير آسن ، تتجاذبه أيدي المذانب والأسراب المكفورة^٥ خلّالها ، ثم ترسله بالمساجد والمدارس والسقايات بالقصور وعلية الدور والحمامات ، فيفعم الصهاريج ، ويفهق الحياض ، ويسقي ريعه^٦ خارجها مغارس الشجر ومنابت الحبّ ، فهي التي سحرت الأبواب رواء ، وأصبت النّهى جمالاً^٧ ، ووجد المادحون فيها المقال فأطالوا وأطابوا ، إلى أن قال : فأنا أنشد ساكنها قول ابن خفاجة لاستحقاقها إيّاه عندي^٨ :

ما جنةُ الخلدِ إلا في منازلكم وهذه كنتُ لو خيّرْتُ اختارُ

١ البقية : تل .

٢ البقية : ودون .

٣ البقية : تطل منه .

٤ البقية : العذارى . والمذارى : الأراضي التي لم تروّأ .

٥ المكفورة : المستورة .

٦ البقية : يساتينها .

٧ جمالا : سقطت من البنية .

٨ ديوان ابن خفاجة : ٣٦٤ .

لَا تَتَّقُوا بَعْدَهَا أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرًا فَلَيْسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ

وتوسّط قطراً ذا كُوَرٍ عديدةٍ تعمّرها أمشاج البربر والعرب ، مَرِيعة الجنّبات ، منجبة للحيوان والنبات ، كريمة الفلاحة ، زاكية الإضابة ، فربما انتهت في الزَّوْجِ الواحد منها إلى أربعمائة مد كبير ؛ ثم أطال في ذلك ابن خلدون المذكور بما يوقف عليه في الكتاب المذكور .

وممّا يُنسب للسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى في وصفها ما صورته :
تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ، ووضعت في موضع شريف ، كأنّها ملك على رأسه تاجه ، وحواليه من الدوحات حَشَمَه وأَعْلَاجُه ، عبّادها يدها وكهفها كفها ، وزينتها زيانها ، وعينها أعيانها ، هواها المقصور بها فريد ، وهواؤها المملود صحيح عتيد ، وماؤها بَرُود صَريد ، حجبتها أيدي القدرة عن الجنوب ، فلا تُحُولَ فيها ولا شحوب ؛ خزانة زرع ، ومسرّح ضَرَع ، فواكهها عديدة الأنواع ، ومتاجرها فريدة الانتفاع ، وبرانسها رقاق رفاع ، إلّا أنّها بسبب حب الملوك ، مطمعة للملوك ، ومن أجل جمعها الصَّيْدَ في جوف القرا ، مغلوبة للأمرأ ، أهلها ليست عندهم الراحة ، إلّا فيما قبضت عليه الراحة ، ولا فلاحه ، إلّا لمن أقام رسم الفلاحة ، ليس بها لسع العقارب ، إلّا فيما بين الأقارب ، ولا شطارة ، إلّا فيمن ارتكب الخطارة ؛ انتهى .

وقد كنت بالمغرب نويت أن أجمع في شأنها كتاباً ممتعاً أسمّيه : «أنواء نيسان في أنباء تلمسان» وكتبت بعضه ، ثم حالت بيني وبين ذلك العزم الأقدار ، وارتحلت منها إلى حضرة فاس حيث ملك الأشراف ممتدُّ الرّواق ، فشغلت بأمور الإمامة والفتوى والخطابة وغيرها ، ثم ارتحلت بنية الحجاز ، وجعلت إلى الحقيقة المجاز ، وها أنا ذا إلى الآن في البلاد المصرية ، وفي علم الله تعالى ما لا نعلم ، والتسليم لأحكام الأقدار أسلم ، والله تعالى يختم لنا بالحسنى بجاه نبيّه ومصطفاه صلى الله عليه وسلّم .

وبها ولدت أنا وأبي وجدي وجد جدي ، وقرأت بها ونشأت إلى أن ارتحلتُ عنها في زمن الشبيبة إلى مدينة فاس سنة تسع وألف ، ثم رجعت إليها آخر عام عشرة وألف ، ثم عاودت الرجوع إلى فاس سنة ثلاث عشرة وألف . إلى أن ارتحلت عنها للمشرق أواخر رمضان سنة سبع وعشرين وألف ، ودخلت مصر برجب من عام ثمانية وعشرين وألف ، والشام بشعبان عام سبعة وثلاثين وألف ، وأبْتُ منها إلى مصر أواخر شوال من العام ، وشرعت في هذا المؤلف بالقعدة من العام .

[ترجمة أبي مدين]

وقد تخرّج بتلمسان من العلماء والصلحاء ما لا ينضبط ، ويكفيها افتخاراً دَفَنُ وليّ الله سيدي أبي مدين بها ، وهو شعيب بن الحسين الأندلسي ، شيخ المشايخ ، وسيد العارفين ، وقدوة السالكين ، قال الشيخ أبو عبد الله محمد ابن التلمساني في كتابه « النجم الثاقب فيما لأولياء الله تعالى من المناقب » : كان^١ الشيخ سيدي أبو مدين فرداً من أفراد الرجال ، وصدرأ من صدور الأولياء الأبدال ، جمَعَ الله له علم الشريعة والحقيقة ، وأقامه ركن الوجود هادياً وداعياً للحق ، فقصد بالزيارة من جميع الأقطار ، واشتهر بشيخ المشايخ ، وذكر التادلي وغيره أنه خرج على يده ألف شيخ من الأولياء أُولي الكرامات ، وقال أبو الصبر كبير مشايخ وقته : كان أبو مدين زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى ، خاض بحار الأحوال ، ونال أسرار المعارف ، خصوصاً مقام التوكّل ، لا يُشَقُّ غباره ، ولا تُجْهَل آثاره ، قال التادلي : كان مبسوطاً بالعلم ، مقبوضاً بالمراقبة ، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم له بذلك ، أخبرني مَنْ شهد وفاته أنه رآه

١ انظر نيل الابتهاج : ١٠٧ فأكثر هذه الترجمة منقول عنه .

في آخر الرمتق يقول : الله الحق . وكان من أعلام العلماء ، وحفاظ الحديث ،
 خصوصاً جامع الترمذي ، وكان يقوم عليه ، ورواه عن شيوخه عن أبي ذر ،
 وكان يلزم كتاب « الإحياء » ويعكف عليه ، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك
 فيجيب عنها في الوقت ، وله مجلس وعظ يتكلم فيه ، فتجتمع عليه الناس
 من كل جهة ، وتمر به الطيور وهو يتكلم فتقف تسمع ، وربما مات بعضها ،
 وكثيراً ما يموت بمجلسه أصحاب الحب ، تخرج عليه جماعة كثيرة من العلماء
 والمحدثين وأرباب الأحوال ، وكان شيخه أبو يعزى يثني عليه جميلاً ، ويخصه
 بين أصحابه بالتعظيم والتبجيل ، قرأ بفاس بعد قدومه من الأندلس على الشيخ
 الحافظ أبي الحسن ابن حرزهم ، وعلى الفقيه الحافظ العلامة أبي الحسن ابن غالب .
 وذكر عنه أنه قال : كنت في أول أمري وقراءتي على الشيوخ إذا سمعت
 تفسير آية أو معنى حديث قنعت به وانصرفت لموضع خال خارج فاس أتخذته
 مأوى للعمل بما فُتح به عليّ ، فإذا خلوت به تأتيني غزاة تأوي إليّ وتؤنسني ،
 وكنت أمرّ في طريقي بكلاب القرى المتصلة بفاس ، فيدورون حولي ، ويصبصون
 لي ، فيينا أنا يوماً بفاس إذا برجل من معارفي بالأندلس سلّم عليّ ، فقلت :
 وجبت ضيافته ، فبعث ثوباً بعشرة دراهم ، فطلبت الرجل لأدفعها له ، فلم
 أجده هنالك ، فخليتها معي ، وخرجت لخلوتي على عادتي ، فمررت بقريتي ،
 فتعرض لي الكلاب ، ومنعوني الجواز ، حتى خرج من القرية من حال ييني
 وبينهم ، ولما وصلت لخلوتي جاءني الغزاة على عادتها ، فلما شمتني نفرت
 عني ، وأنكرت عليّ ، فقلت : ما أوتي عليّ إلا من أجل هذه الدراهم التي
 معي ، فرميتها ، فسكنت الغزاة ، وعادت لحالها معي ، ولما رجعت لفاس جعلت
 الدراهم معي ، ولقيت الأندلسي ، فدفعها إليه ، ثم مررت بالقرية في خروجي
 للخلوة ، فدار بي كلابها وبصبصوا على عادتهم ، وجاءني الغزاة فشمتني من

١ انظر أيضاً التادلي : ٣٢٠ .

مفرقي لقدمي ، وأنست بي كعادتها ، وبقيت كذلك مدة ، وأخبار سيدي أبي يعزى ترد عليّ ، وكراماته يتداولها الناس وتُنقل إليّ ، فملاً قلبي حبه ، فقصدته مع جماعة الفقراء ، فلمّا وصلنا إليه أقبل على الجماعة دوني ، وإذا حضر الطعام منعني من الأكل معهم ، وبقيت كذلك ثلاثة أيام ، فأجهدني الجوع ، وتحيّرت من خواطر ترد عليّ ، ثم قلت في نفسي : إذا قام الشيخ من مكانه أمرغ وجهي في المكان ، فقام ، ومرغت وجهي فقمّت وأنا لا أبصر شيئاً ، وبقيت طول ليلي باكياً ، فلمّا أصبح دعاني وقربني ، فقلت له : يا سيدي ، قد عميت ولا أبصر شيئاً ، فمسح بيده على عيني ، فعاد بصري ، ثم مسح على صدري ، فزالت عني تلك الخواطر ، وفقدت ألم الجوع ، وشاهدت في الوقت عجائب من بركاته ، ثم استأذنته في الانصراف بنية أداء الفريضة ، فأذن لي وقال : ستلقى في طريقك الأسد فلا يرُعك فإن غلب خوفه عليك فقل له : بحرمة يدنورا^١ إلا انصرف عني ، فكان الأمر كما قال . فتوجه الشيخ أبو مدين للشرق وأنوار الولاية عليه ظاهرة ، فأخذ عن العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء ، وتعرّف في عرّة بالشيخ سيدي عبد القادر الكيلاني ، فقرأ عليه في الحرم الشريف كثيراً من الحديث ، وألبسه خرقة الصوفية ، وأودعه كثيراً من أسرارهِ ، وحلاه بملابس أنواره ، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته ، ويعده أفضل مشايخه الأكابر .

وعن بعض الأولياء قال : رأيت في النوم قائلاً يقول : قل لأبي مدين : بُثّ العلم ولا تُبالِ ، ترتع غداً مع العوالي ، فإنك في مقام آدم أبي الذراري ، فقصصتها عليه فقال لي : عزمت على الخروج للجبال والفيافي حتى أبعث عن العمران ، ورؤياك هذه تعدل بي عن هذا العزم ، وتأمرني بالجلوس ، فقولك « ترتع غداً مع العوالي » إشارة لحديث «خلق الذكر مراتع أهل الجنة» ، والعوالي : أصحاب عليين ، ومعنى قوله «أبي الذراري» أن آدم أعطي قوّة على النكاح

١ التشف : يلنور .

وأمر به ، ولم يجعل له قوّة على كون ذريته مطيعين مؤمنين ، وكذا نحن أعطانا الله العلم وأمرنا ببثّه وتعليمه ، ولا قدرة لنا على كون أتباعنا موفّقين .

وكان يقول : كراماتُ الأولياء نتائج معجزات نبينا صلى الله عليه وسلّم ، وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده عن الجنيد عن سري السقطي عن حبيب العجمي بالسند إلى رب العزة جل جلاله .

وعن العارف عبد الرحيم المغربي قال : سمعت سيدي أبا مدين يقول : أوقفني ربي عزّ وجل بين يديه وقال لي : يا شعيب ماذا عن يمينك ؟ قلت : يا رب عطاؤك ، قال : وعن شمالك ؟ قلت : يا رب قضاؤك ، فقال : يا شعيب قد ضاعفت لك هذا ، وغفرت لك هذا ، فطوبى لمن رآك أو رأى من رآك .

وعن سيدي أبي العباس المرسى : جئتُ في ملكوت الله تعالى ، فرأيت سيدي أبا مدين متعلّقاً بساق العرش وهو يومئذ أشقر أزرق ، فقلت له : وما علومك ؟ وما مقامك ؟ فقال : علومي أحد وسبعون علماً ، وأما مقامي فراجع الخلفاء ، ورأس السبعة الأبدال .

وسئل رضي الله عنه عمّا خصّه الله تعالى به ، فقال : مقامي العبودية ، وعلومي الألوهية ، وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية ، ملأت علومه سري وجهري ، وأضاء بنوره برّي وبحري ، فالمقرب من كان به عليمّاً ، ولا يسمو إلّا من أوتي قلباً سليماً ، الذي يسلم ممّا سواه ، ولا يكون في الوعاء إلّا ما جعل فيه مولاه ، فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شك ۞ وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السحاب ۞ (النمل : ٨٨) .

وسئل عن الحياء ، فقال : أوله دوام الذكر ، وأوسطه الأنس بالمدكور ، وأعلاه أن لا ترى شيئاً سواه .

واختلف أهل مجلسه : هل الخضر ولي أم نبي ؟ فرأى رجل صالح منهم معروف بالولاية النبيّ صلى الله عليه وسلّم تلك الليلة فقال صلى الله عليه وسلّم : الخضر نبي ، وأبو مدين ولي .

وذكر التادلي^١ وغيره أن رجلاً جاءه ليعترض عليه ، فجلس في الحلقة ، فأخذ صاحبُ الدولة في القراءة ، فقال له أبو مدين : أمهل قليلاً ، ثم التفت للرجل ، وقال له : لِمَ جئت ؟ فقال : لأقتبس من نورك ، فقال له : ما الذي في كلك ؟ قال له : مصحف ، فقال له : افتحه واقرأ في أول سطر يخرج لك ، ففتحه وقرأ أول سطر فإذا فيه ﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَخُنُوا فِيهَا ، الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف : ٩٢) فقال له أبو مدين : أما يكفيك هذا ؟ فاعترف الرجل وتاب وصلاح حاله .

وذكر صاحب «الروض» عن الشيخ الزاهد أبي محمد عبد الرزاق أحد خواص أصحابه قال : مر شيخنا أبو مدين في بعض بلاد المغرب ، فرأى أسداً افترس حماراً وهو يأكله ، وصاحبه جالس بالبعد على غاية الحاجة والفاقة ، فجاء أبو مدين وأخذ بناصية الأسد ، وقال لصاحب الحمار : أمسك الأسد واستعمله في الخدمة موضع حمارك ، فقال له : يا سيدي أخاف منه ، فقال : لا تخف ، لا يستطيع أن يؤذيك ، فمرَّ الرجل يقوده والناسُ ينظرون إليه ، فلما كان آخر النهار جاء الرجل ومعه الأسد للشيخ وقال له : يا سيدي هذا الأسد يتبعني حيث ذهبتُ ، وأنا شديد الخوف منه ، لا طاقة لي بعشرته ، فقال الشيخ للأسد : اذهب ولا تعد ، ومتى آذيت بني آدم سلطتهم عليكم .

ومن مشهور كراماته أنه كان ماشياً يوماً على ساحل ، فأسره العدو ، وجعلوه في سفينة فيها جماعة من أسرى المسلمين ، فلما استقرَّ في السفينة توقفت عن السير ، ولم تتحرك من مكانها ، مع قوة الريح ومساعدتها ، وأيقن الروم أنهم لا يقدرّون على السير ، فقال بعضهم : أنزلوا هذا المسلم فإنه قسيس ، ولعله من أصحاب السرائر عند الله تعالى ، وأشاروا له بالتزول ، فقال : لا أفعل إلاّ إن أطلّقتهم جميعاً من في السفينة من الأسارى ، فعلموا أن لا بد لهم من ذلك ،

.....

١ التشوف : ٣٢٣ .

فأنزلوهم كلهم ، وسارت السفينة في الحال .
ومن كراماته أنه لما اختلف طلبة بحاية في حديث « إذا مات المؤمن أعطي نصف الجنة » وأشكل عليهم ظاهره : إذ يموت مؤمنين يستحقان كل الجنة ، فجاءوا إليه وهو يتكلم على رسالة القشيري ، فكاشفهم في الحال بلا سؤال ، وقال لهم : المراد أنه يعطى نصف جنته هو ، فيكشف له عن مقعده ليتنعم به وتقر عينه ، ثم النصف الآخر يوم القيامة .

وكان أولياء وقته يأتونه من البلدان للاستفتاء فيما يعرض لهم من المسائل .
وذكر تلميذه الصالح سيدي عبد الخالق التونسي عنه أنه قال : سمعت برجل يسمى موسى الطيار يطير في الهواء ويمشي على الماء ، وكان رجل يأتيني عند صدع الفجر فيسألني عن مسائل لا يفهمها الناس ، فوقع ليلة في نفسي أنه موسى الطيار الذي سمعت به ، وطال عليّ الليل في انتظاره ، فلما طلع الفجر نقر الباب رجل ، فإذا هو الذي يسألني ، فقلت له : أنت موسى الطيار ؟ فقال : نعم ، ثم سألني وانصرف ، ثم جاءني مع رجل آخر فقال لي : صليتنا الصبح ببغداد ، وقدمنا مكة فوجدناهم في صلاة الصبح^١ ، فأعدنا معهم ، وجلسنا^٢ حتى صليتنا الظهر ، وأتينا القدس فوجدناهم في الظهر ، فقال لي صاحبي هذا : نعيد معهم ، فقلت : لا ، فقال لي : ولم أعدنا الصبح بمكة ؟ فقلت له : كذلك كان شيعي يفعل ، وبه أمرنا ، فاختلفنا وأتيناك للجواب ، فقال أبو مدين : فقلت لهم : أمّا إعادة الصبح بمكة فلأنها بها عين اليقين ، وببغداد علم اليقين . وعين اليقين أولى من علم اليقين ، وصلاتكم الظهر بمكة - وهي أم القرى - فلذلك لا تعاد في غيرها ، قال : فقتنا به وانصرفا .

وكان استوطن بحاية ويقول : إننا معينة على طلب الحلال ، ولم يزل بها

١ ق : فوجدناهم في الظهر في صلاة الصبح .

٢ نيل الابتهاج : فبقينا .

يزداد حاله على مر الليالي رفعة ، ترد عليه الوفود وذوو الحاجات من الآفاق ، ويخبر بالوقائع والغيوب ، إلى أن وَشَى به بعضُ علماء الظاهر عند يعقوب المنصور ، وقال له : إِنَّا نخاف منه على دولتكم ، فإن له شَبَهًا بالإمام المهدي ، وأتباعه كثيرون بكل بلد ، فوقع في قلبه وأهمته شأنه ، فبعث إليه في القُدوم عليه ليختبره ، وكتب لصاحب بجاية بالوصية به والاعتناء ، وأن يُحمَل خير محمل ، فلمّا أخذ في السفر شق على أصحابه وتغيروا وتكلموا^١ ، فسكتهم وقال لهم : إن مني قريب ، وبغير هذا المكان قدرت ، ولا بد لي منه ، وأنا شيخ كبير ضعيف^٢ ، لا قدرة لي على الحركة ، فبعث الله تعالى مَنْ يحملي إليه برفق ، ويسوقي إليه أحسن سوق ، وأنا لا أرى السلطان ولا يراني ، فطابت نفوسهم ، وذهب بوسهم ، وعلموا أنه من كراماته ، فارتحلوا به على أحسن حال ، حتى وطئوا به حَوْزَ تلمسان ، فبدت له رابطة العباد ، فقال لأصحابه : ما أصلحه للرقاد ، فمرض مرض موته ، فلمّا وصل وادي يسر اشتد به المرض ، ونزلوا به هناك ، فكان آخر كلامه : الله الحق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، فحُمِل إلى العباد ، ومدفن الأولياء الأوتاد ، وسمع أهل تلمسان بجزائره ، فكانت من المشاهد العظيمة ، والمحافل الكريمة ، وفي ذلك اليوم تاب الشيخ أبو علي عمر الحباك ، وعاقب الله تعالى السلطان ، فمات بعده بسنة أو أقل .

ونقل المعتنون بأخباره أن الدعاء عند قبره مستجاب ، وجربه جماعة ، وقد زرته مئين من المرات ، ودعوت الله تعالى عنده بما أرجو قبوله .

وقد أطل في ترجمته التادلي في كتابه « التشوف لرجال التصوف »^٣ وقد

١ وتكلموا : سقطت من نيل الابتهاج .

٢ نيل الابتهاج : وقد كبرت وضعفت .

٣ انظر هذا الكتاب ص : ٣١٦ - ٣٢٥ .

أفردها ابن الخطيب القسطنطيني بتأليف سمّاه « أنس الفقير » .
ومن كلامه : من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم ، ومن اشتغل بطلب
الدنيا ابتلي فيها بالذل ، ومن لم يجد من قلبه زاجراً فهو خراب .
وقوله : بفساد العامة تظهر ولادة الجور ، وبفساد الخاصة تظهر دجاجة
الدين الفتان .

وقوله : من عرّف نفسه لم يغرّب بثناء الناس عليه ، ومن خدم الصالحين
ارتفع ، ومن حرّمه الله تعالى احترامهم ابتلاه الله بالمقت من خلقه ، وانكسار
العاصي خير من صولة المطيع .

وقوله : من علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق .
وسئل عن المحو والشيخ ، فقال : المحو من شهدت له ذاتك بالتقديم ، وسرك
بالاحترام والتعظيم ، والشيخ مَنْ هداك بأخلاقه ، وأيدك بإطراقه ، وأثار
باطنك بإشراقه ، إلى غير ذلك من كلامه النير ، وهو بحر لا ساحل له .

وله نظم كثير مشهور بأيدي الناس ، ومما يُنسب له قوله :

بكت السحابُ فأضحكت لبكائها	زهَرَ الرياضُ وفاضتِ الأنهارُ
وقد آقبلتُ شمسُ النهارِ بحلّةٍ	خَضُرًا ، وفي أسرارها أسرار
وأنى الربيعُ بخيله وجنوده	فتمتعتُ في حسنه الأَبصار
والوردُ نادى بالورودِ إلى الحسى	فتسابقُ الأَطيارُ والأشجار
والكأسُ ترقصُ والعقارُ تشعشتُ	والجوُّ يضحكُ والحبيبُ يُزار
والعودُ للغيدِ الحسانِ مجاوبُ	والطارُ أخفى صوتهُ المزمار
لا تحسبوا الزمرَ الحرامَ مرادنا	مزمارنا التسبيحُ والأذكار
وشرابنا من لطفه ، وغناؤنا	نعم الحبيبُ الواحد القهار
والعودُ عاداتُ الجميل ، وكأسنا	كأسُ الكياسة ، والعقارُ وقار

فتسألوا وتطيبوا واستغفروا قبل الماتِ فدهركم غداً
واللهُ أرحمُ بالفقيرِ إذا أتى من والديه فإنَّه غفار
ثمَّ الصلاةُ على الشفيحِ المصطفى ما رَتَمَتْ بلغاتها الأطيَّار

وإنَّما ذكرت ترجمة سيدي الشيخ أبي مدين للتبرك به ، ولكونه شيخَ
جدي ، فأنا في بركته لقول جدِّي : إنَّه دعا له ولذريته بما ظهر قبوله ، ولأنَّنا
ذكرنا في هذا التاليف كثيراً من أنباء أبناء الدنيا ، فأردنا كفارة ذلك بذكر
الصالحين ، والله الموفق بمنَّه وكرمه ، آمين .

الباب السابع

في ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستهدين به على المنهاج ، المتلقين أنواع العلوم منه والمقتبسين أنوار الفهوم من سراج الوهاج

اعلم أن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرون ، إلا أنه لم يُرزق السعادة في كثير منهم ، بل يارزوه بالعداوة واجتهدوا في إيصال المكروه إليه .

١ - فمن أشهرهم الوزير الكاتب أبو عبد الله ابن زمرك^١ ، وارث مرتبته من بعده ، ومقتنع أريكة سعده ، وقد ألمع به في « الإحاطة » وكان إذ ذاك من جملة أتباعه ، إذ قال ما محصله : محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحي يكنى أبا عبد الله ، ويُعرف بابن زمرك . أصله من شرقي الأندلس ، وسكن سلفه ربض^٢ البيازين من غرناطة ، وبه ولد ونشأ ، وهو من مفاخره .

حاله - هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس وأفراد نجباؤها ، مختصر مقبول هش خلوب ، عذب الفكاهة حلو المجالسة ، حسن التوقيع خفيف الروح

١ ترجمة ابن زمرك في الإحاطة ٢ : ٢٢١ - ٢٤٠ والكتيبة : ٢٨٢ ونيل الابتهاج : ٢٨٢ ونثير فرائد الجمان : ٣٢٧ والتمريف : ٢٧٤ وجزوة الاقتباس : ١٨٤ والدرر الكامنة ٤ : ٤١٢ وأزهار الرياض ٢ : ٧ - ٢٠٦ ، وقد نقل بعض ما أورده ابن الخطيب في الإحاطة ، وما جاء منه في كتاب مستقل لابن الأحمر ، وسيكرر هذا في ترجمته هنا ، ولهذا أيجريت المقارنة بين ما ورد في النفع والأزهار دون أن أشير إلى كل موضع على حدة .

٢ ق : روض .

عظيم الانطباع شره المذاكرة ، فطن بالمعاريض حاضر الجواب ، شعلة من شعل الذكاء تكاد تحترق جوانبه ، كثير الرقة فكاه غزل مع حياء وحشمة ، جواد بما في يده مشارك لإخوانه ، نشأ عفاً طاهراً ، كلفاً بالقراءة عظيم الدؤوب ، ثاقب الذهن ، أصيل الحفظ ظاهر التبل ، بعيد مدى الإدراك جيد الفهم ، فاشتهر فضله وذاع أرجه وفشا خبره ، واضطلع بكثير من الأغراض وشارك في كثير من الفنون ، وأصبح متلقف كرة البحث وصارخ الحلقة [وسابق الحلقة] ومظنة الكمال ، ثم ترقى في درج المعرفة والاضطلاع وخاض بلجة الحفظ ، وركض قلم التقييد والتسويد والتعليق ، ونصب نفسه للناس متكلماً فوق الكرسي المنصوب ، وفوق المحفل المجموع ، مستظهراً بالفنون التي بعدد فيها شأوه من العربية والبيان [واللغة] وما يقذف به في لجج النقل من الأخبار والتفسير ، متشوقاً مع ذلك إلى السلوك مصاحباً للصوفية آخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة ، ثم عانى الأدب فكان أملك به ، وأعمل الرحلة في طلب العلم والازدياد ، فترقى إلى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب أبي سالم إبراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ، ثم عن السلطان ، وعُرف في بابهِ بالإجادة . ولما جرت الحادثة على السلطان صاحب الأمر بالأندلس ، واستقر بالمغرب ، أنس له وانقطع إليه ، وكر في صحبة ركابه إلى استرجاع حقه ، فلفظ منه محله وخصه بكتابة سره ، وثابت الحال ودالت الدولة وكانت له الطائلة ، فأقره على رسمه معروف الانقطاع والصاغية كثير الدالة ، مضطجاً بالخطا خطأ وإنشاء ولسناً ونقداً ، فحسن منابه واشتهر فضله وظهرت مشاركته وحسنت وساطته ، ووسع الناس تخلفه ، وأرضى للسلطان حملة ، وامتد في ميدان النظم والنثر بآه ، فصدر عنه من المنظوم في أمداحه قصائد بعيدة الشأو في مدى الإجادة ، وهو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد ، أعانه الله تعالى وسدده .

شيوخه - قرأ العربية على الأستاذ رحلة المغرب في فنها أبي عبد الله ابن الفخار ،
ثم على القاضي الشريف إمام الفنون اللسانية أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني ،
والفقه والعربية على الأستاذ المفتي أبي سعيد ابن لب ، واختص بالفقيه الخطيب
الصدر المحدث أبي عبد الله ابن مرزوق فأخذ عنه كثيراً من الرواية ، ولقي
القاضي الحافظ^١ أبا عبد الله المقرئ عندما قدم على الأندلس وذاكره ، وقرأ
الأصول الفقهية على أبي علي منصور الزواوي ، ويروي عن جملة منهم القاضي
أبو البركات ابن الحاج ، والمحدث أبو الحسين ابن التلمساني ، والخطيب أبو
عبد الله ابن اللوشي ، والمقرئ أبو عبد الله ابن بيش ، وقرأ بعض الفنون العقلية
بمدينة فاس على الشريف الرحلة الشهير أبي عبد الله العلوني^٢ التلمساني ، واختص
به اختصاصاً لم يخل فيه من استفادة مران وحنكة في الصنعة .

شعره - وشعره مترام إلى هدف الإجادة ، خفاجي التزعة ، كلف بالمعاني
البديعة والألفاظ الصعبة ، غزير المادة ، فمن ذلك ما خاطبني به ، وهو من أول
ما نظمه قصيدة مطلعها :

أما وانصداع النور من مطلع الفجر

وهي طويلة .

ومن بدائعه التي عقم عن مثلها قياس قيس ، واشتهرت بالإحسان اشتها
الزهد بأوينس^٣ ، ولم يخل مجاريه ومباريه إلا بويج ووينس ، قوله في إعدار
الأمير ولد سلطانه المنزه بمكانه ، وهي من الكلام الذي عنيت الإجادة بتذهيبه
وتهذيبه ، وناسب الحسن بين مديحه ونسيبه :

١ ق : الحافظ القاضي .

٢ سقطت هذه اللفظة من الإحاطة .

٣ هو أويس القرني من أوائل الزهاد في العصر الأموي .

مَعَاذَ الْهَوَى أَنْ أَصْحَبَ الْقَلْبَ سَالِيَا
دَعَانِي أَعْطِ الْحَبَّ فَتَضَلَّ مَقَادِنِي
وَدُونَ الَّذِي رَامَ الْعَوَازِلُ صَبُوءًا
وَقَلْبًا إِذَا مَا الْبَرْقُ أَوْمَضَ مَوْنَهَا
خَلِيلِي لَنِي يَوْمَ طَارِقَةِ النَّوَى
وَبِالْخَيْفِ يَوْمَ النَّفْرِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
وَذِي أَشْرٍ عَذِبِ الثَّنَايَا مَخْصَرٍ
أَحُومٌ عَلَيْهِ مَا دَجَا اللَّيْلُ سَاهِرًا
يَضِيءُ ظِلَامُ اللَّيْلِ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي
أَجِيرَتَنَا بِالرَّمْلِ وَالرَّمْلُ مَتَزَلٌ
وَلَمْ أَرَ رَبِّعًا مِنْهُ أَقْضَى لُبَانَةً
سَقَتْ طَلَهُ الْغُرُ الْغَوَادِي وَتَنَظَّمَتْ
أَبْثَكُمُ أَنِّي عَلَى النَّأْيِ حَافِظٌ
أُنَاشِدُكُمْ وَالْحُرُّ أَوْفَى بَعْدِهِ
هَلْ الْوَدُّ إِلَّا مَا تَحَامَاهُ كَاشِحٌ
تَأْوِينِي وَاللَّيْلُ يُدْكِي عَيْونَهُ
وَقَدْ مِثَلْتُ زَهْرُ النُّجُومِ بِأَنْفَقِهِ
خِيَالٌ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ أَلَمْ يَبِي
عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ اهْتَدَى نَحْوَ مَضْجَعِي
رَفَعْتُ لَهُ نَارَ الصَّبَابَةِ فَاهْتَدَى
وَمِمَّا أَجَدَّ الْوَجْدَ سَرَبٌ عَلَى التَّقَا

وَأَنْ يَشْغَلَ اللَّوَامُ بِالْعَذَلِ بِأَلْيَا
وَيَقْضِي عَلَيَّ الْوَجْدُ مَا كَانَ قَاضِيَا
رَمَتْ بِي فِي شِعْبِ الْغَرَامِ الْمَرَامِيَا
قَدَحْتُ بِهِ زَنْدًا مِنَ الشَّوْقِ وَارِيَا
شَقِيتُ بَيْنَ لَوْ شَاءَ أَنْعَمَ بِأَلْيَا
تَخَلَّقَتْ قَلْبِي فِي حَبَالِكَ عَانِيَا
يَسْقِي بِهَاءِ النَّعِيمِ الْأَقَاحِيَا
وَأَصْبَحَ دُونَ الْوَرْدِ ظَمْبَانُ صَادِيَا
إِذَا الْبَارِقُ النَّجْدِي وَهْنًا بِدَا لِيَا
مَضَى الْعَيْشُ فِيهِ بِالشَّيْبَةِ حَالِيَا
وَأَشْجَى حِمَامَاتٍ ، وَأَحْلَى مِجَانِيَا
مِنَ الْقَطْرِ فِي جِيدِ الْغُصُونِ لَأَلْيَا
ذَمَامَ الْهَوَى لَوْ تَحْفَظُونَ ذَمَامِيَا
وَلَنْ يَعْلَمَ الْأَحْسَانُ وَالْخَيْرُ جَازِيَا
وَأَخْفَقَ فِي مَسْعَاهُ مَنْ جَاءَ وَاشِيَا
وَيَسْحَبُ مِنْ ذَيْلِ الدُّجْنَةِ ضَافِيَا
حَبَابًا عَلَى نَهْرِ الْمَجْرَةِ طَسَافِيَا
فَأَذْكُرُنِي مَنْ لَمْ أَكُنْ عَنْهُ سَالِيَا
وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي السَّقَمُ وَالشَّوْقُ بَاقِيَا
وَخَاضَ لَهَا عَرْضَ الدُّجْنَةِ سَارِيَا
سَوَانِحُ يَصْقَلْنَ الطُّلَّ وَالتَّرَاقِيَا

نزعن عن الألفاظ كلَّ مسدّدٍ
 ولما تراءى السُّرْبُ قلتُ لصاحبي
 حذارك من سقمِ الجفونِ فإنّه
 وإنَّ أميرَ المسلمين عمّداً
 تضيءُ النجومُ الزاهرات خياله
 معال إذا ما النجمُ صوّبَ طلباً
 يسابقُ علويَّ الرياحِ إلى الندى
 ويغضي عن العوّاءِ إغضاءً قادرٍ
 همامٌ يروعُ الأسدَّ في حومةِ الوغى
 مناقبُ تسمو للفخارِ كأنما
 إذا استبقَ الأملاكُ يوماً لغايةٍ
 بهرتُ فأخفيتُ الملوكَ وذكرها
 جلوتُ ظلامَ الظلمِ من كلِّ معتدٍ
 هدّيتُ سبيلَ الله من ضلّ رشده
 أفدتُ وحييَ الملكِ ممّا أفدته
 وقد عرفتُ منها مرّين سوابقاً
 وكان أبو زيّانَ جيّداً معطلاً
 لك الخيرُ لم تقصدْ بما قد أفدته
 لما تكبيرُ الأملاكُ غيركُ أمراً
 ولا تشكّي الأيامُ من داءِ فتنة
 وأندلساً أوليتَ ما أنتَ أهلهُ
 تلافيتَ هذا الثغرَ وهو على شفا
 ومن بعد ما ساءتْ ظنونُ بأهلها

فغادرنَ أفلاذَ القلوبِ دوامياً
 وأيقنتُ أنّ الحبَّ ما عشت دانيماً
 سيُعدي بما يُعني الطيبَ المداوياً
 ليُعدي نداءُ السّارياتِ الهوامياً
 وينثُ في روعِ الزمانِ المعاليا
 مبالغها في العزِّ حتّى وانيساً
 ويفضحُ جدوى راحتيهِ الغواديا
 ويرجعُ في الحلمِ الجبالَ الرواسيا
 كما راعتِ الأسدُّ الظباءَ الجوازيا
 تجاري إلى المجدِ النجومَ الجوازيا
 أبّيتُ وذاك المجدَ إلّا التناهيما
 ولا عجبٌ فالشمسُ تخفي الداريا
 ولا غرو أن تجلُو البُورُ الدياجيا
 فلا زلتَ مهدياً إليه وهاديا
 وطوّقتُ أشرافَ الملوكِ الأياديا
 تُقرُّ لها بالفضلِ أخرى اللياليما
 فزيّنته حتى اغتدى بك حاليما
 جزاءً ولكن همّة هي ما هيا
 ولا ترهبُ الأشرافُ غيركُ ناهيا
 فقد عرفتُ منك الطيبَ المداويا
 وأوردتها ورداً من الأمنِ صافيا
 وأصبحتُ من داءِ الحوادثِ شافيا
 وجاموا على وردِ الأمانِ صواديا

فما يأمّلون العيشَ إلاّ تعلّلاً
عطفت على الأيامِ عطفةَ راحمٍ
فأنسَ من تلقائكَ الملكُ رُشدَهُ
وقفت على الإسلامِ نفساً كريمةً
فرايى كما انشقّ الصباحُ ، وعزّةً
وكانت رماحُ الخطّ خُصماً ذوابلاً
وأوردت صفحَ السيفِ أبيضَ ناصعاً
لك العزمُ تستجلي الخطوبَ بهديه
إذا أنت لم تفخرُ بما أنتَ أهلهُ
ويهنئكَ دونَ العيدِ عيدٌ شرّعتهُ
أقمتَ بهِ من فطرةِ الدينِ سنّةً
صنيعُ تولّى اللهُ تشييدَ فخره
تودُّ النجومُ الزُّهرُ لو مثّلتَ بهِ
وما زالَ وجهُ اليومِ بالشمسِ مشرقاً
على مثله فليعقد الفخرُ تاجَهُ
بهِ تغمرُ الأنواءُ كلَّ مِقْوَةٍ
ويوسُفُ فيهِ بالجمالِ مقنّعٌ
وأقبلَ ما شابَ الحياءَ مهابةً
وأقدمَ لا هَيَابَةَ الحفلِ واجماً
شمائلُ فيهِ من أيّهِ وجدّه
فيا علقاً أشجى القلوبَ لو أنّنا
جريتَ فأجريتَ الدموعَ تعطفاً
وكم من وليّ دون بابك مخلصٍ

ولا يعرفون الأمنَ إلاّ أمانياً
والبستها ثوبَ امتنانك ضافياً
ونالَ بك الإسلامُ ما كانَ راجياً
تصدُّ عدوّاً عن حِمَاهُ وعادياً
كما صقل القَيْنُ الحسامَ اليمانيا
فأنهلتَ منها في الدماءِ صوادياً
فأصدرته في الروحِ أحمرَ قانيا
ويُلقي إذا تنبو الصوارمُ ماضياً
فما الصبحُ وضّاحَ المشارقِ عالياً
نبثَ بهِ في الحسافقينِ التهانيا
وجددتَ من رسمِ الهدايةِ عافياً
وكانَ لما أوليتَ فيهِ مجازياً
وقصّصتَ من الزُّلفى إليك الأمانياً
سروراً بهِ والليلُ بالشُّهبِ حالياً
ويسمو بهِ فوقَ النجومِ مراقياً
ويحدو بهِ من كانَ بالفقيرِ سارياً
كأنَّ له من كلِّ قَلْبٍ مُناجياً
يقلّبُ وجهَ البدرِ أزهرَ باهياً
ولا قاصراً فيهِ الخطأ متوانياً
تري العزَّ فيها مستكنّاً وبادياً
فدينك بالأعلاقِ ما كنتَ غالياً
وأطلعتَ فيها للسرورِ نواشيساً
يُقدّيه بالتّفسيرِ النفيسةِ واقياً

وصيد من الحيّين أبناء قيلة
 بهاليل غرّ إن أعدوا لغارة
 فوالله لولا أن توخيت سنة
 لكان بها للأعوجيات جولة
 وترك أوصال الوشيج مقصداً
 ولما قضى من سنة الله ما قضى
 أفضنا نهنى منك أكرم منعم
 فيهنى صفاح الهند والبأس والندى
 وبني البنود الخافقات فلانها
 كآتي به يشقى الصوارم والظبي
 كآني به قد توج الملك يافعا
 وقضى حقوق الفخر في مينة الصبا
 وما هو إلا السعد إن رمت مطلقاً
 فلا زلت يا فخر الخلافة كافلاً
 ودُمت قريّر العين منه بقبطة
 نظمت له حرّ الكلام تائماً
 لآل بها تبأى الملوك نفاسة
 أرى المال يرميه الجليدان بالبلى
 تكفّ الأعادي أو تُبىد الأعاديا
 أعادوا صباح الحيّ أظلم داجيا
 رضيت بها أن كان ربك راضيا
 تُشيب من الغلب الشباب النواصيا
 ويبض الظبي حمر المتون دواميا
 وقد حسدت منه النجوم المساعيا
 أبى لعيم الجود إلا تواليا
 وسمر العوالي والعناق المذاكيا
 سيعقدها في ذمة النصر غازيا
 ويحطم في الأمم الصلاب العواليا
 وجمع أشات المكارم ناشيا
 وأحسن من دين الكمال التقاضيا
 وسدّت سهماً كان ربك راميا
 ولا زلت يا خير الأئمة كافيا
 وكان له رب البرية واقيا
 جعلت مكان الدرّ فيها القوافيا
 وجعلت لعمرى أن تكون لآليا
 وما إن أرى إلا المحامد باقيا

وورد على السلطان أبي سالم ملك المغرب رحمة الله تعالى عليه وقد الأحاييش
 بهدية من ملك السودان ، ومن جملتها الحيوان الغريب المسمى : « الزرافة » ، فأمر
 من يعاني الشعر من الكتاب بالنظم في ذلك الغرض ، فقال وهي من بدائع :

لولا تَأَلُّقُ بَارِقِ التَّذْكَارِ - ما صَابَ واكفُ دَمْعِي المَدَارِ
لكنَّهُ مَهْمَا تَعَرَّضَ خَافِقًا - قَلَحَتْ يَدُ الْأَشْوَاقِ زَنْدَ أَوَارِي
وَعَلَى الْمَشُوقِ إِذَا تَذَكَّرَ مَعْهَدًا - أَنْ يُغْرِي الْأَجْفَانَ بِاسْتِعَارِ
أَمْدُكَرِي غَرْنَاطَةً خَلَّتْ بِهَا - أَيْدِي السَّحَابِ أَزْرَةَ النُّوَارِ
كَيْفَ التَّخَلُّصُ لِلْحَدِيثِ وَبَيْنَنَا - عَرْضُ الْفَلَاةِ وَطَافِحُ الزُّخَارِ
هَذَا عَلَى أَنَّ التَّغْرِبَ مَرْكَبِي - وَتَوَلَّجَ الْفَيْحُ الْفَسَاحَ^٢ شِعَارِي
فَلَكُمْ أَقْمَتُ غَدَاةٍ زُمْتُ عَيْسُهُمْ - أَبْغَى الْقَرَارَ وَلَاتَ حِينَ قَرَارِ
وَطَفَقْتُ أَسْتَقْرِى الْمَنَازِلَ بَعْدَهُمْ - يَمْحُو الْبُكَاءُ مَوَاقِعَ الْآثَارِ
إِنَّا بَنَى الْأَمَالَ تَخَدَعْنَا الْمَنَى - فَخَادَعُ الْأَمَالِ بِالسَّيَارِ
نَتَجَشَّمُ الْأَهْوَالَ فِي طَلَبِ الْعَلَا - وَنَرُوعُ سَرِبَ النُّومِ بِالْأَفْكَارِ
لَا يَمُورُ الْمَجْدُ الْخَطِيرَ سِوَى أَمْرِي - يُمَطِّي^٣ الْعَزَائِمَ صِهْوَةَ الْأَخْطَارِ
إِمَّا يُفَاخِرُ بِالْعَتَادِ فَنُفَخْرُهُ - بِالشَّرَفِ وَالْقَنَاءِ الْخَطَّارِ
مُسْتَبَصِّرٌ مَرَمَى الْعَوَاقِبِ وَاصِلٌ - فِي حِمْلِهِ^٤ الْإِيرَادَ بِالْإِضْدَارِ
فَأَشَدُّ مَا قَادَ الْجَهْلُولَ إِلَى الرَّدَى - عَمَهُ الْبَصَائِرُ لَا عَمَى الْأَبْصَارِ
وَلَرَبَّ مَرِيدٍ الْجَوَانِحِ مَزِيدٍ - سَبَّحَ الْهَلَالَ^٥ بِلُجَّةِ الزُّخَارِ
فَتَقَتْ كَمَاثِمُ جَنَحِهِ عَنْ أَنْجَمٍ - سَفَرَتْ زَوَاهِرُهُنَّ عَنْ أَزْهَارِ
مَثَلَتْ عَلَى شَاطِئِ الْمَجْرَةِ نَرَجَسًا - تَصْطَفُّ مِنْهُ عَلَى خَلِيجِ جَارِي
وَكَأَنَّمَا بَدْرُ التَّمَامِ يَجْنَحُهُ - وَجْهُ الْإِمَامِ بِحِفْظِ جَرَّارِ
وَكَأَنَّمَا خَمْسُ الثَّرِيَّا رَاحَةً - ذَرَعَتْ مَسِيرَ اللَّيْلِ بِالْأَشْبَارِ
أَسْرَجَتْ مِنْ عَزَمِي مَصَابِيحًا بِهَا - تَهْدِي السَّرَاقَةَ لَهَا مِنَ الْأَقْطَارِ

١ ق : ودوننا .

٢ ق : انفصاح .

٣ ق والإحاطة : يعطي ، والصواب ما في الأزهار .

٤ ق : جملة .

وارتاعَ من بازي الصباحِ غرابهُ
لما أطلَّ فطارَ كلَّ مطارٍ
ومنها :-

وغريبةٌ قطعتْ إليك على الوقي
تُسيهٍ طيِّتَهُ التي قد أمَّها
يقتادها من كلِّ مشتملٍ اللجى
تشدو بحمدِ المستعينِ حُداتها
إنَّ مَسَّهمْ لفتحُ الهجيرِ أبلَّهمْ
خاضوا بها ليجَّ القلا فتخلَّصتْ
سلمتْ بسعدك من غوائلٍ مثلها
وأنتك يا ملكَ الزمانِ غريبةٌ
مَوْشِيَّةُ الأعطافِ رائقةُ الحلى
راقِدَ العيونِ أديمها فكانهُ
ما بينَ مبيضٍ وأصفرٍ فاقعٍ
يحكي حداثقَ نرجسٍ في شاقٍ
تحدوا قوائِمَ كالجنوعِ وفوقها
وسمَّتْ بجيدٍ مثلِ جذعٍ مائلٍ
تستشرفُ الجدرانُ منهُ تراباً
تاهتْ بكلكلها وأتلعَ جيدُها
خرجوا لها اللحمَ الغفيرَ ، وكلهمْ
كلٌّ يقولُ لصحبه قوموا انظروا
ألقتْ ببابك رحلها ولطالما
علمتْ ملوكَ الأرضِ أنك فخرُها

بيداً تبيدُ بها همومُ الساري
والركبُ فيهنسا ميتُ الأخبارِ
وكأتما عيناهُ جذوةُ نَارٍ
يتعللونَ بهِ على الأكوارِ
منهُ نسيمُ ثنائِكَ المعطارِ
منها خلوصُ البدرِ بعد سراجٍ
وكفى بسعدك حامياً للدمارِ
قيدُ النواظرِ نزهةُ الأبصارِ
رقمتْ بدائعها يدُ الأقدارِ
روضُ تفتيحٍ عن شقيقٍ بهارٍ
سال اللجينُ بهِ خلالَ نُضارٍ
تنسابُ فيه أرقامُ الأنهارِ
جبَّلتْ أشمُ بنورهِ متوارٍ
سهلِ التعطفِ لينِ خوارٍ
فكأتما هو قائمٌ بمنسارٍ
ومشى بها الإعجابُ مشيَ وقارٍ
متعجبٌ من لطفِ صنعِ الباري
كيفَ الجبالُ تُقادُ بالأسيارِ
ألقي الغريبُ بهِ عصا التسيارِ
فتسابقَتْ لرضاك في مضمارِ

١ كذا في جميع الأصول ، ولعلها « تجلوا » يريد : تنصب .

يتبؤونَ بهِ وإنْ بَعُدَ المدى من جَاهِكَ الأعلى أعزَّ جوارِ
فارفعْ لواءَ الفخرِ غيرَ مدافعِ واسحبْ ذبولَ العسكرِ الجرارِ
واهناْ بأعيادِ الفتوحِ مَحُولًا ما شئتَ من نصيرٍ ومن أنصارِ
وليكها من روضِ فكيري نفحةً شفَّ الثناءَ بها على الأزهارِ
في فصلِ منطقها ورائقِ رسمها مستمتعُ الأسماعِ والأبصارِ
وتميلُ مَنْ أصفى لها فكأنتي عاطيتُهُ منها كؤوسَ عَقَارِ
وأنشدُ السلطانَ في ليلةِ ميلادِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عقب ما فرغ
من البنية الشهيرة ببابه رحمه الله تعالى :

تأملْ أطلالَ الهوى فتألمَا وسيما الجوى والسقمِ منها تعلمَا
أخو زفرةٍ هاجتْ له نارَ ذِكْرةٍ فأعجِدَ في شِعْبِ الغرامِ وأتمها
وسرد لسان الدين هذه القصيدة بطولها ، وهي تقارب التسعين بيتاً ، ثم قال
ما نصه : وأنشد السلطان في وجهة للصيد أعمالها ، وأطلق أعنة الجياد في ميادين
ذلك الطراد وأرسلها ، قوله :

حيَّاكِ يا دارَ الهوى من دارِ نوء السِّماكِ بديمةٍ مِدْدارِ
وأعاد وجهَ رباكِ طَلْقاً مشرقاً متضاحكاً بمباسمِ النُّوارِ
أمدكري دارَ الصبابةِ والهوى حيثُ الشباب يرفُّ غصنٌ^١ نُصارِ
عاطيتني عنها الحديثُ كأنما عاطيتني عنها كؤوسَ عَقَارِ
إيهِ وإنْ أذكِتَ نارَ صبابتي وقدَحْتَ زندَ الشوقِ بالتذكاري
يا زاجرَ الأظعانِ وهي مشوقةٌ أشبهتها في زفرةٍ وأوارِ
حنَّتْ إلى نجدٍ وليستَ دارها وصَبَّتْ إلى هِنْدِيَّةٍ والغارِ
شاقَتْ بهِ برقَ الحمى واعتادها طيفُ الكرى بمزارها المزوارِ^٢

١ الأزهار : حسن .

٢ كذا في الإحاطة ؛ وفي الأزهار :

لكنها شامت به برق الحمى واعتادها طيف الكرى بمزار

هل تُبلغُ الحاجاتِ إن حملتها
 عرضُ بذكري في الخيامِ وقلْ إذا
 عارٌ بقومك يا ابنةَ الحيين أن
 أمتعتِ ميسورَ الكلامِ أنا الهوى
 وأبان جاري الدمعِ عندي هيامه
 هذا وقومك ما علمتُ خلاهم
 الله في نفسٍ شتاعٍ كلما
 بالله يا لمياء ما منع الصبا
 يا بنتَ مَنْ تشدو الحداةُ بذكره
 ما ضرَّ نسمةً حاجرٍ لو أنها
 هلْ بانهُ من بعدنا متأودُ
 وهل الأطباءُ الآنساتُ كمهدنا^٢
 يفتكن من قاماتها ولحاظها
 أشعرتُ قلبي حُبهنَّ صبا^٣
 وعلى الكتيبِ سوانحُ حمرُ الحلى
 أدنى الحجيحُ مزارهنَّ ثلاثة^٤
 لكنَّ يومَ النَّفْرِ جُدنَ لنا بما
 يا ابن الألى قد أحرزوا خصلُ العلا
 وتنوبُ غن صوبِ الغمامِ أكفهم
 من آلِ سعدٍ رافعي علمِ الهدى

إنَّ الوفاءَ سجيّةُ الأحرارِ
 جثتَ العقيقَ مُبلَّغَ الأوطارِ
 تكلوي الديونَ وأنتِ ذاتُ يسارِ
 وبخلتِ حتى بالخيالِ الساري ؟
 لكن أضعتِ له حقوقَ^١ الجارِ
 أوفى الكرامِ بذمةٍ وجوارِ
 هبَّ النسيمُ تطيرُ كلَّ مطارِ
 أن لا تهبَّ بعرفك المعطارِ
 متعلِّين به على الأكوارِ
 أهدتُ لنا خيراً من الأخبارِ ؟
 متجاوبٌ مترنمُ الأطيارِ ؟
 يصرعنَّ أسدَ الغابِ وهي ضواري ؟
 بالمشرقيّةِ والقنا الخطارِ
 فرميتني من لوعي ببحارِ
 يبيضُ الوجوهِ يُصدنُ بالأفكارِ
 بمنى لو أنَّ مِنى ديارِ^٣ قرارِ
 عودننا من جفوةٍ ونفاري
 وسموا بطيبِ أرومةٍ ونجارِ
 وتنوبُ أوجههم عن الأعمارِ
 والمصطفين لنصرةِ المختارِ

١ الأزهار : أضعت حقوق ذلك .

٢ الأزهار : كمهدنا .

٣ الإحاطة : بدار .

٤ الأزهار : فضل .

أصبحت وارث مجدهم وفخارهم
وجه^١ كما حَسَرَ الصباحُ نقابه^٢
جددت دون الدين عزمة أروع
حطت البلاد ومن حوته^٣ ثغورها
لله رحلتك التي نلنا بها
أوردتنا فيها لجودك مورداً
وأقضت فينا من ندادك مواهباً
أضحكت^٤ ثغر^٥ الثغر لما جثته^٦
حتى القلاة^٧ تقيم يومَ وزدتها
وسرت^٨ عقاب^٩ الجوّ تهديك الذي
والأرض تعلم أنك الفوت الذي
ولرب^{١٠} ممتد^{١١} الأباطح^{١٢} موحش^{١٣}
همل^{١٤} المسارح^{١٥} لا يُراع^{١٦} قنيصه^{١٧}
سرح^{١٨} عنان^{١٩} الريح فيه وربما
باكرته والأفق^{٢٠} قد خلغ^{٢١} الدجى
وجرى به نهر^{٢٢} النهار كمثل ما
عبر^{٢٣} ضمت^{٢٤} به المستنفرات^{٢٥} كأنها
أبعتها غرر^{٢٦} الجياد كواكباً
والهاديات^{٢٧} يؤمها عبل^{٢٨} الشوى^{٢٩}

ومشرف^{٣٠} الأعصار^{٣١} والأمصار^{٣٢}
ويد^{٣٣} تمد^{٣٤} أناميل^{٣٥} يبحار^{٣٦}
جددت^{٣٧} منها سنة^{٣٨} الأنصار^{٣٩}
وكفى^{٤٠} بسعدك^{٤١} حامياً للدار^{٤٢}
أجر^{٤٣} الجهاد^{٤٤} ونزهة^{٤٥} الأبصار^{٤٦}
مستعذب^{٤٧} الإيراد^{٤٨} والإصدار^{٤٩}
حسنّت^{٥٠} مواقعها^{٥١} على التكرار^{٥٢}
وخصصته^{٥٣} بخصائص^{٥٤} الإيثار^{٥٥}
سنن^{٥٦} القرى^{٥٧} بثلاثة^{٥٨} الأنوار^{٥٩}
تصطاد^{٦٠} من وحش^{٦١} ومن أطيار^{٦٢}
تضفي^{٦٣} عليها^{٦٤} واتي^{٦٥} الأستار^{٦٦}
عالي^{٦٧} الربى^{٦٨} متباعد^{٦٩} الأقطار^{٧٠}
إلا^{٧١} لنباة^{٧٢} فارس^{٧٣} ميغوار^{٧٤}
ألقت^{٧٥} بساحته^{٧٦} عصا^{٧٧} التسيار^{٧٨}
ميسحاً^{٧٩} ليكنس^{٨٠} حلة^{٨١} الإسفار^{٨٢}
سكب^{٨٣} النديم^{٨٤} سلاقة^{٨٥} من قار^{٨٦}
خيل^{٨٧} عيراب^{٨٨} جلن^{٨٩} في مضمار^{٩٠}
تنقض^{٩١} رجماً^{٩٢} في سماء^{٩٣} غبار^{٩٤}
متدفق^{٩٥} كتدفق^{٩٦} التيسار^{٩٧}

١ في الإحاطة والأزهار ؛ وأرى الأصل فيه ما أثبتته لأنه يتحدث عن خروج السلطان
للصيد ، ورميه ثلاثة ثيران ، فكان فلاة الصيد راعت سنة القرى بتقديمها الثيران له .
٢ المستنفرات : الحيوانات التي استنفرت لكي تعدو الجياد ورامها ، ويمرّز السلطان لذة مطاردتها
وصيدها .
٣ عبل الشوى : كناية عن الثور ، والهاديات : المتقدّمات سبقاً .

أزجيتها شقراء رائقة الحللى
أثبت فيه الرمح ثم تركته
حامت عليه الذابلات كأنها
طفقت أرائيه غداة أثرتها
هل ينفع الباع الطويل وقد غدت
من كل منحفر بلمحة بارق
وجوارح سبقت إليه طلابها
سود وييض في الطراد تتابع
ترمي بها وهي الحنايا ضبراً
ظنت بأن ينجوها ، كلاً ولو
وبكل فتشخاء الجناح إذا ارتمت
زجل الجناح مصفق كمن الردى
أجلى الطريد من الوحوش وإن رمى
وأريتنا الكسب الذي أعداده
بيض وصفر خلعت مطرح سرحها
من كل موثي الأديم مفوف
خلط البياض بصفرة في لونه
أو أشعل راق العيون كأنه
سرح بمخضر الجوانب يانع
قد أرضعته الساريات لبانها
أخذت سعودك حذرهما فلحكمة
لما أرتك الشمس صفرة حاسد
نفث عليك السحب نفث معوذ
فارفع لواء الفخر غير مدافع

فرميتها منها بشعلة نار
خضبت الجوانح بالدم الموار
طير أوت منه إلى أوكار
تبغي الفرار ولات حين فرار
يوم الطراد قصيرة الأعمار
فاتت خطاه مدارك الأبصار
فكأتما طالبنه بالشار
كالليل طارده بياض نهار
مثل السهام نزعن عن أوتار
أغريته بأرائب الأقمار
فكأنها نجم السماء الساري
في غلب منه وفي منقار
طيراً أذاك به على مقدار
ملأت جمالاً أعين النظار
روضاً تفتح عن شقيق بهار
رقمت بدائعه يد الأقدار
فترى اللجين يشوب ذوب نضار
غلس يخالط سدفه بنهار
تنساب فيه أراقم الأنهار
وحللن فيه أزرة النوار
أغرث جفون المزن باستعبار
لجئتك المتألق الأنوار
من عينها المتوقع الإضرار
واسحب ذيول العسكر الجرار

واهناً بمقدمك السعيد مخولاً
قد جئتُ دارك محسناً ومؤملاً
واليكها من روض فكري نفحة
ما شئت من عزٍّ ومن أنصارٍ
متعت بالحسن وعقبى الدار
شفَّ الثناء بها على الأزهار

ومن شعره في غير المطولات قوله ١ :

لقد زادني وجداً وأغرى بي الجوى
تشير وراء الليل منه بنانة
تلوح سناً حين لا تنفخ الصبا
قطعت به ليلاً يطارحني الجوى
إذا قلت لا يبدو أشال لسانه
إلى أن أفاق الصبح من غمرة الدجى
لك الله يا مصباح أشبهت مهجتي
ذُبالٌ بأذيال الظلام قد التفت
مخضبةً والليل قد حجب الكفا
وتبدي سواراً حين تثني له العظفا
فأوتنة يبدو وأوتنة يخفى
وإن قلت لا يخفى الضياء به كفا
وأهدى نسيم الروض من طيبه عرفا
وقد شفها من لوعة الحب ما شفا

ومما ثبت له صدر رسالة :

أزور بقلبي معهد الأنس والهوى
ومهما سألت البرق يهفو من الحمى
فيا ليت شعري والأمانى تتعلل
وהל جبرني الأولى كما قد عهدتهم
وأنب من أيدي النسيم رسائل
يأدره دمي مجيئاً وسائلاً
أيرعى لي الحى الكرام الوسائل
يؤالون بالإحسان مَرَّ جاء سائلاً

ومن أبياته الغراميات :

قيادي قد تملكه الغرام
ودمي دونه صوب الغوادي
ووجدي لا يُطاق ولا يُرام
وشجوي فوق ما يشكو الحمام

١ يصف مصباحاً .

٢ الأزهار : وتبدو .

إذا ما الوجدُ لم يبرح فؤادي على الدنيا وساكنها السلامُ
وفي غرض يظهر من الآيات :

ومشتمل بالحسن أحوى مهقهف قضى رجعُ طرفي من محاسنه الوطرُ
فأبصرتُ أشباهَ الرياضِ محاسناً وفي خدّه جرحٌ بدا منه لي أثرُ
فقلتُ بلحلاسي خلدوا الحذرَ إنما به وصَبُّ من أسهم الفُنج والحورُ
ويا وجنةً قد جاورتُ سيفَ لحظةٍ ومن شأنها تدمي من الملح بالبصرُ
تخيّلَ للعينين جرحاً وإنما بدا كلفٌ منه على صفحة القمرُ

ومما يرجع إلى باب الفخر ، ولعمري لقد صدق :

الأئمة في الجود والجودُ شيمةٌ جُبِلْتُ على لئثارها يوم مولدي
ذريني فلو أني أنكدُ بالغي لكنتُ ضنيناً بالذي ملكتُ يدي

وقال :

لقد علمَ الله أني امرؤ أجَرُّ ذيلَ العفافِ القشيبُ
فكم غمّضَ الدهرُ أجفانهُ وفازتُ قِداحي بوصل الحبيبُ
وقيلَ رقيبك في غفلةٍ فقلتُ أخافُ الإلهَ الرقيبُ

وفي مدح كتاب «الشفاء» [وقد] طلبه الفقيه أبو عبد الله ابن مرزوق عندما
شرع في شرحه :

ومسرى ركابٍ للصبأ قد وُتتْ به نجائبُ سُحبٍ للترابِ نُزوعها
تسلُّ سيوفَ البرقِ أيدي حُداتها فتنهلُ خوفاً من سَطَاها دموعها
تعرّضنَ غرباً يبتغينَ مُعرّساً فقلتُ لها : مراكشُ وربوعها
لتسقيَ أجداثاً بها وضرائحاً عِياضُ إلى يومِ المعادِ ضجيعها

وأجدر مَنْ تَبْكِي عَلَيْهِ يِرَاعُهُ
فَكَمْ مِنْ يَدٍ فِي الدِّينِ قَدْ سَلَفَتْ لَهُ
وَلَا مِثْلَ تَعْرِيفِ الشِّفَاءِ حَقَّقَهُ
بِمِرَّةٍ حَسَنٍ قَدْ جَلَّتْهَا يَدُ النَّهْيِ
نَجُومٌ اِهْتَدَاءٌ ، وَالْمَدَادُ يَجْنُهَا
لَقَدْ حَزَّتْ فَضْلًا يَا أَبَا الْفَضْلِ شَامِلًا
وَلِلَّهِ مَمَّنْ قَدْ تَصَدَّقَى لَشَرْحِهِ
فَكَمْ مَجْمَلٍ فَصَّلَتْ مِنْهُ وَحِكْمَةٍ
مَحَاسِنُ وَالْإِحْسَانُ يَبْدُو خِلَالَهَا
إِذَا مَا أَجَلَّتْ الْعَيْنُ فِيهَا تَخَالَهَا
مَعَانِيهِ كَالْمَاءِ الزَّلَالِ لَدَى صَدَى
رِيَاضٍ سَقَاها الْفَكْرُ صَوِّبَ ذِكَاثِهِ
تَفَجَّرَ عَنْ عَيْنِ الْيَقِينِ زِلَالَهَا
أَلَا يَا ابْنَ جَارِ اللَّهِ يَا ابْنَ وَلِيَّهِ
إِذَا مَا أَصُولُ الْمَرْءِ طَابَتْ أَرْوَمُهُ
بَقِيَتْ لِأَعْلَامِ الزَّمَانِ تُنِيلُهَا

بَصْفَحَةِ طَرْسٍ ، وَالْمَدَادُ نَجِيْعُهَا
يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ عَنْهُ صَنِيعُهَا
فَقَدْ بَانَ فِيهِ لِلْعُقُولِ جَمِيعُهَا
فَأَوْصَافُهُ يُلْتَأَحُ فِيهِ بَدِيعُهَا
وَأَسْرَارُ غَيْبٍ ، وَالْيِرَاعُ تَدِيعُهَا
فَيَجْزِيكَ عَنْ نَصِيحِ الْبَرَايَا شَفِيعُهَا
فَلَبَّاهُ مِنْ غُرِّ الْمَعَانِي مُطِيعُهَا
إِذَا كَتَمَ الْإِدْمَاجُ مِنْهُ تَشِيعُهَا
كَمَا أَفْتَرَّ عَنْ زَهْرِ الْبَطَاحِ رِبِيعُهَا
نَجُومًا بِآفَاقِ الطَّرُوسِ طُلُوعُهَا
وَالْفَاضِلُ دُرٌّ يَرْوِي نَصِيعُهَا
فَأَخْصَبَ لِلْوَرَادِ مِنْهَا مَرِيعُهَا
فَلَذَّ لِأَرْبَابِ الْخُلُوصِ شُرُوعُهَا
لَأَنْتَ إِذَا عُدَّ الْكِرَامُ رَفِيعُهَا
فَلَا عَجَبٌ أَنْ أَشْبَهْتُهَا فِرْعَوْنُهَا
هَدَى ، وَلِأَحْدَاثِ الْخُطُوبِ تَرْوَعُهَا

مولده رابع عشر شوال من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ؛ انتهى كلام لسان الدين
في « الإحاطة » في ترجمة تلميذه أبي عبد الله ابن زمرك .

قلت : ورأيت بخط أبي الحسن علي بن لسان الدين — رحمهما الله تعالى —
على هامش هذه الترجمة من « الإحاطة » كلاماً في حق ابن زمرك رأيت أن
أذكره بجملة الآن ، وإن تقدم بعضه في هذا الكتاب :
فمن ذلك أنه كتب على حاشية أول الترجمة ما صورته : أتبعه الله تعالى خزيًا ،
وعامله بما يستحقه ، فبهذا ترجمه والذي مولاه الذي رفع من قدره فيه ، ولم

يقتله أحد غيره ، كفانا الله تعالى شر من أحسنّا إليه ؛ انتهى .

وكتب على قوله « نشأ عفّا طاهرآ - إلى آخره » ما نصه : هذا الرغدُ ابن زمرك من شياطين الكتاب ، ابن حداد بالبيازين ، قتل أباه بيده ، أوجعه ضرباً فمات من ذلك ، وهو أخس عباد الله تربية ، وأحقّهم صورة وأخملهم شكلاً ، استعمله أبي في الكتابة السلطانية ، فجئنا أيام تحولنا عن الأندلس منه كل شر ، وهو كان السبب في قتل أبي مصنف هذا الكتاب الذي رباه وأدبه واستخدمه ، حسبما هو معروف ، وكفانا الله تعالى شر من أحسنّا إليه وأساء إلينا ؛ انتهى .

وكتب على قول والده « فترقى إلى الكتابة - إلى آخره » ما صورته : على يد سيدي أبي عبد الله ابن مرزوق ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ؛ انتهى .

وكتب على قول « معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا - إلى آخره » ما نصه : هذه القصيدة نظم له مولاي الوالد تغمّده الله تعالى برحمته منها النسيب كله ، وهكذا جرت عادته معه في الأمداح السلطانية حضرة الملك^١ ، والله المطلع على ذلك ، قاله ابن المصنف علي بن الخطيب ؛ انتهى .

وكتب على قوله « لولا تألّقى بارق التذكار - إلى آخره » ما صورته : هذا الرجس الشيطان كثيراً ما ينظم في هذا الوزن ، ويتبع حمارة هذه الراء ، حتى لا يتركها جملة ، إذ الرجل ابن حمّار مكاري حداد ، فالنفس تميل بالطبع ؛ انتهى .

وكتب على قوله « حيّاك يا دار الهوى من دار - إلى آخره » ما صورته : انظر إلى كثرة تحريكه لخمارة هذه الراء ، علقت له بها ماخوليا ؛ انتهى .

وكتب على قوله « وجوارح سبقت إليه طلابها - إلى آخره » ما صورته : سرق طردية إبراهيم بن خفاجة ، فانظرها تجده سرق المعاني والألفاظ ، مع أن

٢ ق : حضرت لذلك ، ولعلها : « حضرت ذلك » .

والذي نظم له أكثرها على حسب عادته معه ، قاله علي بن الخطيب ؛ انتهى .
وكتب على قوله « يا مصباح » ما نصه : كان يحب صبيّاً اسمه مصباح ، وهو
الآن مجنون العقل بتونس يحترف بالحياكة ؛ انتهى .

وكتب على قوله « ألائمي في الجود - إلى آخره » ما صورته : كذبت يا
نجس ، من أين الفخر لك أو لبيتك ؟ لست والله من الجود في شيء ، نعم سُسُخنةُ
عين الجود ؛ انتهى .

وكتب على قوله « لقد علم الله أني امرؤ - إلى آخره » ما معناه : لا والله ،
فأنت مشهور بكذا ، يا قرد ، فمن أين العفاف وأنت بالأندلس كذا وكذا ؟ إلى
أن قال : وأنحسهم بيتاً ؛ قاله مولاك الذي ربيت في نعمته ونعمة الله علي بن
الخطيب بالقاهرة ؛ انتهى .

وقد نسبته إلى ما لا يليق ، فالله أعلم بحقيقة الأمر .
وكتب غيره على قول ابن زمرك « أزور بقلبي - الأبيات المتقدمة » عند
قوله « سائلاً » في موضعين : هما من السؤال ، فحصل على الإيطاء المذموم ؛
انتهى .

قلت : أما ما ذكره ابن لسان الدين من أن أباه كان ينظم لابن زمرك فذلك
والله أعلم كان في ابتداء أمره ، وإلا فقد جاء ابن زمرك في آخر أيام لسان الدين
وبعد موته بالبدائع التي لا تُنكر ، كما سنذكره ، وأما كونه سعى في قتل لسان
الدين مع إحسانه إليه فقد جوزي من جنس عمله ، وقُتل بمرأى من أهله ومسمع ،
وأزهقت معه روح ابنه ، حسبما نذكره ، وهذا قصاص الدنيا ، وعفو الله تعالى
في الآخرة منتظر للجميع .

ولنذكر ترجمة ابن زمرك من كلام ابن السلطان ابن الأحمر في مجلد ضخّم
رأيت بالمغرب جمع فيه شعر ابن زمرك وموشحاته ، وعرف به في أوله ، إذ
قال ما نصه : أما بعد ما يجب من حمد الله تعالى في كل حال ، وشكره على ما

أولى ويسر من صلاح الأحوال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الأنبياء وسيد الأرسال^١ ، والرضى عمن له من صَحْبٍ وأنصار وآل ، فإن من المعلوم أن الأدب له بالنفس علاقة تؤديه إلى الاستحسان ، وتؤثر من اشتهر به بالملاحظة يلحظ الحظ مع تعاقب الأحيان ، ولا خفاء أن أيام مولانا الجلد المقدس الغني بالله — تولاّه الله تعالى برضوانه — كانت غرراً في وجوه الأيام ، ومواسم تجمع الطم والرّم من الرؤساء الأعلام ، الآخذين بأعنة الكلام ، السابقين في حلبة الثار والنظام ، وأن الفقيه الرئيس المدرك ، الناظم النائر أبا عبد الله محمد بن يوسف ابن زمرك ، عفا الله تعالى عنه ، وحسبك بمن ارتضاه مولانا الجلد رحمه الله تعالى لكتابته ، وصرفه في الوجوه المتعددة من رسالته وحجابه ، وكان بذلك خليقاً ، لما جمع من أدوات الكمال علماً وتحقيقاً ، وإدراكاً ونبلاً وفقهاً وأصولاً وفرواً وأدباً وتحصيلاً ، وبياناً وتفسيراً ونظماً وترسيلاً — لما كان قد أخفت الأيام سنناً صبحه ، وخابت وسائل نصحه ، وعادت بعدوانها بعد فوز قدحه ، وعثر بين أقدام أقوام لا يعرفون أيّ ذخّر فقدوا ، ولا أيّ مطلق من تصرفاته الجميلة قيدوا ، مستبصرين بالجهل في دياجي غيهم ، معجبين بما ارتكبه من جياذ بغيمهم جميعهم يلحظه بمقل دامية ، وألفاظ حامية ، يصابحونه بأوجه خلّت عن الوجاهة سيماها الحسد ، وضميرها السخط بما قدره الواحد الصمد :

فخرّ على الألاء لم يوسد^٢ كأنّ جبينه سيف صقيل^٣

فيا لله من أشلاء هنالك ضائعة ، وأعلاق غير مصونة ، ووسائل مخفورة ، وأذمة قطعت أرحامها ، ولم يرعَ ذمامها ، وعانت الأيدي الفاتكة حينئذٍ على بنيّه ، وارتكبوها شنعاء في أهله وذويه :

١ الأرسال : جمع رسول ، وهو غير مألوف .
٢ البيت لابن عنمة الضبي في رثاء بسطام بن قيس (الحماسية رقم : ٣٥٥ من شرح المرزوقي) ؛
والألاء : الواحدة من شجر الألاء .

هل كان إلاّ حياً تحيا العبادُ به هل كان إلاّ قدّى في عين ذي عور
 إن قال قولاً ترى الأبصار خاشعةً لما يخبر من وحي ومن أثر
 يا لهف قلبي لو قد كنت حاضرةً غداة جرّعه أدهى من الصبر
 لما تركتُ له شلواً بمضيعةً ولا تولي صريع الناب والظفر
 « وكان ما كان ممّا لست أذكره فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر »

وإن سأل سائل عن الخبر الذي ألعنا بذكره ، وضمتنا هذا البيت ذرواً^١ من
 فطيع أمره ، فذلك عندما نسب صاحب الأمر إليه ما راب ، وتكّه وابنيه للجبين
 معقّرين بالتراب ، وصدمه في جنح الليل والمصحف بين يديه يتوسل بآياته ،
 ويتشفّع بعظيم بركاته ، فأخذته السيوف ، وتعاورته الختوف ، وأذهبه سلباً
 قتيلاً ، مُصَيِّراً مصراع منزله كثيراً مهيباً ، وكنا على بعد من هذه الآفة التي
 أورثت القلوب شجناً طويلاً ، وذكرتنا بعناية مولانا الجدي الغني بالله بلحابه
 أعظم ذكرى ، فأغرينا برثائه خلّداً وفكراً ، وارجمنا عند ذكره الآن هذه الأبيات
 إشارةً مقنعة ، وكناية في السلوان مطمعة ، وأرضينا بالشفقة-أوداءه ، وأرغمنا
 بتأيينه أعداءه ، ولما تبلج الصبح لذي عينين ، وتلقينا راية الفرج بالراحتين ،
 عطفتنا على أبنائه عواطف الشفقة ، وأطلقنا لهم ما عاثت الأيدي عليه صلةً لرحم
 طالما أضاعها من جهل الأذمة ، وأخضر عهود تخدّمه لمن سلف من الأئمة ،
 وصرفنا للبحث والتفتيش وجوه آمالنا ، وجعلنا ضمّ ما نثرته الحوادث من
 منظوماته من أكيد أعمالنا ، وكان تعلقاً بمحفوظنا جملة وافرة من كلامه ،
 مشتملة على ما راق وحسن من نثاره ونظامه ، فأضفنا ذلك إلى ما وقع عليه
 اجتهدنا من رقاعه الحائلة المنتهية بأيدي النوايب ، الدائرة المستلبة بتعدي
 النواصب ، فخلص من الحملة قلائد عقيان ، وعقود در ومرجان ، تراح

١ ذرواً : طرفاً ؛ وفي ق : درآ .

النفوسُ النفيسة لإنشادها ، وتحضر الأبصارُ والأسماعُ^١ عند إيرادها ، إلى ما يتخللها من تخليد مآثر سلفنا ، والإشارة بعظيم ملكتنا ، فشرعنا في تقييد أوابدها الشاردة ، وإحياء رسومها البائدة ، كلفاً بالأدب لوضوح فضله ، وتأدية لما يجب من رعاية أهله . ولنبداً بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبه عليه ، ونظهر ما كنا نضمّره من الميل إليه ، في كل ما له أو عليه ، فنقول :

هو الفقيه الكاتب الفذ الأوحد ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن يوسف الصريحي ، ويُعرف بابن زمرك .

أصله من شرق الأندلس ، وسكن سلفه بالبيازين من غرناطة ، وبها وُلد ، فنشأ ضئيلاً كالشهاب يتوقّد ، مختصر الجرم والأعينُ بإطالة فواضله تشهد ، ومكتب الفئة القرآنية يؤثّره بالجناب الممهد . فاشتغل أولُ نشأته بطلب العلم والدُّعُوب على القراءة ، وأخذ نفسه بملازمة حلقات التدريس ، ولم يبلغ حد وجوب المفترضات إلّا وهو متحمل الرواية ، وملتزم لفوائد الدراية ، ومُصابيح كلِّ يوم أعلام العلوم ، ومستمدّ بمصاييح الحدود العلمية والرسوم ، فافتتح أبواب الكتب النحوية بالإمام أبي عبد الله ابن الفخار الآية الكبرى في فنّ العربية ، وتردد الأعوامَ العديدة إلى قاضي الجماعة أبي القاسم الشريف فأحسن الإصغاء ، وبذ النحاة البلغاء ، بما أوجب رثاءه^٢ عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الفريدة التي أولها :

أغرى سرّاة الحَيِّ بالإطراقِ

واهتدى في طريق الخطبة ومناهج الصوفية بالخطيب المعظم أبي عبد الله ابن مرزوق الوافد على مولانا الجلدّ أبي الحجاج ، رضي الله تعالى عنه ، في عام ثلاثة

١ الأزهار : وتحضر الأبصار الأسماع ؛ ق : وتسمع .

٢ ق : أن رثاء .

وخمسين وسبعمائة ، وإليه جنح ، وإياه قصد عند تغربه إلى المغرب في دولة
السلطان أبي سالم ، فتوجه بالعمامة التي ارتجل بين يديه فيها :

تَوَجَّتَنِي بِعِمَامَتِهِ تَوَجَّتَ تاجَ الكرامه
فَرَوْضُ حَمْدِكَ يُزْهِى مِنِّي بِسَجْعِ الحمامه

وأخذ علم الأصلين عن الحافظ الناقد أبي علي منصور الزواوي ، وبرع في الأدب
أثناء الانقطاع وأول الطلب لأبي عبد الله ابن الخطيب ، ولكن لم يحمدا بينهما
المال ، واقتدى في العلوم العقلية بالشريف أبي عبد الله التلمساني قدوة الزمان ،
وحصلت له الإجازة والتحذيث بقاضي الجماعة وشيخ الحملة أبي البركات ابن
الحاج ، وبالخطيب البليغ أبي عبد الله اللوشي ، وبالخطيب الورع أبي عبد الله ابن
بيش^١ العبدري ، رضي الله تعالى عنه وعن جميعهم ، وبواجب محافظتنا على
عهدهم ، إذ نحن وردنا بالإجازة التامة عذب وردهم ، وصل سبينا بهم الكثير
من شيوخنا مثل الإمام المعظم أبي محمد عبد الله بن مجزي ، ومعلمنا الثقة المجتهد
أبي عبد الله الشريشي ، والقاضي الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن علاق ،
وغيرهم ، رحمة الله تعالى عليهم ، لذلك صار صدراً في نوادي طلبة الأندلس
وأفراد نجبتها ، فما شاءه المحاضر يحده في خضله^٢ ، ويتلقاه من باهر فضله ،
فكاهة ومجالسة أنيقة ممتعة ومحادثة أريضة مزهرة ، وجواباً مطبقاً للمفصل^٣ ،
وذهناً سابقاً لإيضاح المشكل ، مع انقياد الطبع ، وإرسال الدفعة في سبيل الخشوع
والرقة ، ورشح الجبين عند تلقّي الموعظة ، وصون الوجه بجلباب الحياء ، ومقابلة
الناظر إليه بالاحتشام والمبادرة للاستدعاء ، على طهارة وبذل وسع وكرم نفس ،
لم يعهد أجمل مشاركة منه لإخوانه ، ولا أمتع منه بجاهه ، إلى مبالغة في الهشّة

١ ق : بيش .

٢ الخضل : الأول ؛ وفي ق : غمته .

٣ هذه رواية ق والأزهار ؛ وفي التجارية : شافياً للمفصل .

والمبرة والإيثار بما منح ، وجنوح إلى حبّ الصالحين ، وذلك بالانضواء إلى شيخ الفرق الصوفية الولي أبي جعفر ابن الزيات ، وأخيه الفاضل الناسك شيخنا أبي مهديّ ، قدس الله تعالى مغناه ، وسواهما من أهل الاندلس والعُدوة ، وحمله أشد الحمل على كل ملبس^١ كأبي زكريا البرغواطي وسواه . ومن تنديراته — زعموا — على أبي الحسن المحروق لميله عنه :

ولدُ الفقير والرباط ولكنْ نفسُهُ للسلوك ذاتُ افتقار

وخطب الأدب يافعاً وكهلاً ، وحاز علمه إدراكاً ونهلاً ، ولما كانت الحادثة على مولانا الجدد — رحمه الله تعالى — واجتاز إلى المغرب كما تقرر في غير هذا ، كلف به وأنس إليه ، لحلاوة منطق ورفع استبحاش ومراوضة خلّق ، ثمّ كرّ في صحبة ركابه فعَلَّتْ منزلته ولطُفَ عمله .

وقفنا على رقعة من رقاعه وهو يبديء فيها ويعيد ، ويقول : خدمته سبعاً وثلاثين سنة : ثلاثاً بالمغرب ، وباقيها بالاندلس ، أنشدته فيها ستاً وستين قصيدة في ستة وستين عيداً ، وكلُّ ما في منازل السعيدة من القصر والرياض والشار^٢ والسيكة من نظم رائق ، ومدح فائق ، في القباب والطاقات والطرز وغير ذلك فهو لي ، وكنت أواكله وأواكل ابنه مولاي أبا الحجاج ، وهما كبيراً ملوك أهل الأرض ، وهنأتهم بكذا وكذا قصيدة ، وفوّض لي في عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين ، وصلح النصاري عقده تسع مرات ، ألحست فوّض إليّ ذلك ؟ قلنا : صدق في جميع ما ذكره ، والعقود بذلك شاهدة له . وخصّه عام ثلاثة وسبعين بكتابة سره ، واستعمله بعد أعوام في السفارة بينه وبين ملوك عصره ، فحميد متابعه ، ونمت أحواله ورغيد جنابه ، وكان هنالك بعض تقولات تشين

.....

١ ملبس : مخلط ؛ وفي الأزهار وق : متلبس .

٢ الدشار : القرية أو الكفر ، والجمع دشر ودشائر .

وجه اجتهاده ، وتومىء بما احتقَبه من سوء مقاصده وما صرفه من قبيح أغراضه ،
وهاجت الفتنة ، فكانت سفارته أعظم أساليبها .

وعند الأشد من عُمُرِه عرضت لأفكاره تقلبات ، وأقعدته عن قِداح
السياسة آفاتٌ مختلفات ، وأشعرته حدة ذهنه أن يتخبط^١ في أشراك وقعات ،
فقعده بجامع مالتقة ثم بمسجد الحمراء ملقياً على الكرسي فتوناً جمّة ، وعلوماً لم
يزل يتلقاها عن أولياء التعظيم والتجلة ، فانحاز إلى مادة^٢ أمم بمالقة طما منهم
البحر ، وتراءى لأبصارهم وبصائرهم الفخر ، وكان التفسير أغلب عليه لفرط
ذكائه ، وما كان قيده وحصله أيام قراءته وإقراءه ، فما شئت من بيان ، وإعجاز
قرآن ، وآيات توحيد وإخلاص ، ومناهج صوفية تؤذن بالخلاص ، يوم الأخذ
بالنواص ، ومراراً عدة سمع ما يليق به ولي الأمر ، ويا شدة البلوى التي أذاقه
مرّها ، وأمطاه إلى طيبة الملاك ظهرها ، ويا قرب ما كان القوت ، والحسام
الصلت ، من متباعد هذه القرب التي ألغيت^٣ .

قلنا : لقد جمع جواد القلم فأطلقنا^٤ ونحن نشير إلى هذا الرئيس^٥ وتبدل
طباعه ، بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطراله ، وإحراز شيم أدت إلى علو مقداره ،
واستقامة مبادره ، قال عمر مولانا جدنا إلى النفاد ، ورمت رئيس كتابه هذا
أسهم الحساد ، فظهر الخفي ، وسقط به الليل على سرحان ، وقد طالما جرب
الوفي والصفي . وكان من شأنه الاستخفاف بأولياء الأمر من حجاب الدولة ،
والاسترسال في الرد عليهم بالطبع والجيلة ، مع الاستغراق في غمار الفن أندلساً
وغرباً ، ومراعاة حظوظ نفسه استيلاء وغصباً ، أما الجراءة فانتضى سيفها ،

١ الأزهار : أنه متخبط .

٢ ق : مائدة .

٣ الأزهار : من تباعد . . . ألغيت .

٤ يعني أطلقنا له العنان .

٥ ق : الراس ؛ حيثما وقعت .

وأما إكفاء السماء على الأرض فقواصم نَوْع صنوفها ، وأما المجاهرة فوقف بميدان الاعتراض صفوفها ، وأما المجاملة فنكَّرَ معروفها ، أداه هذا النبأ العظيم إلى سكنى المعتقل بقصبة المرية ، وعلى الأثر كان الفرج قريباً ، وسطور المؤاخلة قد أوسعها العفو تضريباً ، ونالته هذه المحنة عند وفاة مولانا الجلد الغني بالله ، وكانت وفاته غرة شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وسبعائة ، لأسباب يطول شرحها أظهرها شراسة في لسانه ، واغترار بمكانه ، وتضريب بين خدام السلطان وأعوانه ، فكبا للبدن والقم ، إلى أن منَّ الله تعالى بسراحه ، وأعادته إلى الحضرة في أول شهر رمضان المعظم من عام أربعة وتسعين وسبعائة ، فكان ما كان من وفاة مولانا الوالد رحمه الله تعالى ، وقيام أختينا محمد مقامه بالأمر ، فاستمر الحال أياماً قلائل ، وقدم للكتابة الفقيه ابن عاصم لمدة من عام ، ثم أعاد المذكور إلى خُطَّته وقد دَمِيتُ بعضُ أخلاقه ، وخمدت شرسته وحلا بعض مذاقه ، فما كان إلا كلاً وليت وإذا به قد ساء مشهداً وغيباً ، وأوسع الضمائر شكاً وزيباً ، وغلبت الإحنُ عليه ، وغلت مبراجلها لديه ، فصار يتقلب على جمر الغضا ، ويتبرَّم بالقضا ، ويظهر النصح وفي طيه التشفي ، ويسم نفسه بالصلاح ، ويعلم بالخشوع ، ويشير بآيته الناصح الأمين ، ويتلو قوله تعالى ﴿ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ (الأعراف : ٧٩) ورتب على المشتغلين كبيرهم وصغيرهم ذنباً لم يترفوها ، ونسب إليهم نسباً من التضييع لم يعرفوها ، وأنهم احتجوا الأموال ، وأساءوا الأعمال والأقوال ، فلم يظفر من ذلك بكبير طائل ، ولا حصل على تفاوت أعداده على حاصل ، هذا على قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية ، وعدم اضطراره بالأمور الجبائية ، فمن نفس بروح ميربها ، ويكدر بالامتحان والامتحان شربها ، ومن ضارعة خاشعة لله تعالى سُلِّبت ، وطولبت بغير ما اكتسبت ، وتعدت الأيدي إلى أقوام جلَّة سعدوا بشقائه ، وامتنحوا وهم المبرِّأون من تزويره واعتدائه ، وسيسألون يوم لا يغني مال ولا بنون .

وصار يصرف أغراضه ، ويظهر أحقادَه ، بين إفصاح بما كان الإعجامُ خيراً من إلقائه ، وإن عمر المسكين المستضعف لا حاجة في طول بقائه ، إلى مجاهرة عهده منه أيام شببته تقيضُها ، وانعكس في شاخته تصرُّيحُها المنغص وتعريضُها ، لا يريح نفسه من جهده ، ولا يقف من اللجلجة عند حد ، وقد كان ثقل سمعه فسأت إجابته ، وطغت أخلاقه فسثم الناس وساطته ، وربما استحلط فلم يكن بين اللازمة واللازمة إلا الخنث عن قصد وغير قصد ، ودعا على نفسه وأبنائه بإنجاز وعده ، وأن يقيض الله له ولهم قاتل عمده ، فسبحان القاهر فوق عباده ، الرحيم بهذا الشخص وبالأموات من شيعته وأولاده ، فاستمرَّ على ذلك إلى إحدى الليالي ، فهلك في جنح الليل في جوف داره على يد مخدومه ، تلقَّاه — زعموا — عند الدخول عليه ، وهو بالمصحف رافع يديه ^١ ، فجذلته السيوف ، وتناولته الختوف ، فقضي عليه ، وعلى من وجد من خدامه وابنيه ، كل ذلك بمرأى عين من أهله وبناته ، ولم يتقوا الله فيه حقَّ ثقته ، فكانت أنكى الفجائع ، وأفظع الوقائع ، وسأت القالة ، وعظم المصائب ، وكل شيء إلى أجل نافذ وكتاب . انتهى كلام ابن الأحمر في مقدمة كتابه ^٢ .

وقد اطلعت منه على تصارييف أحوال ابن زمرك ، وقتله على الوجه الذي يُعلم منه أن ثار لسان الدين ابن الخطيب لديه لا يترك ، بل قتلته أفضع من قتلة لسان الدين ، لأن هذا قُتل بين عياله وأهله ، وقُتل معه ابنه ومن وجد من خدمه ، ولسانُ الدين رحمه الله تعالى خُتق بمفرده ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وهو العفو الغفور .

وقد فُهم من مضمون ما سبق أن قتل ابن زمرك بعد عام خمسة وتسعين وسبعمئة ، ولم أقف من أمره على غير ما تقدم .

١ ق : رافعاً به .

٢ سى هذا الكتاب « البقية والمدرك من شعر ابن زمرك » .

ولا بأس أن نلم بشيء من نظمه البارع مما كنت انتقيته بالمغرب من تأليف ابن الأحمر المذكور ، وأوردت كثيراً منه في « أزهار الرياض » .
فمن ذلك قوله في ذكر غرناطة العلية ، وتهنئة سلطانه الغني بالله ببعض المواسم العيدية ، ووصف كرائم جياده ، وآثار ملكه وجهاده :

يا مَنْ يَحْنُ إلى نجدٍ وناديا	غرناطةٌ قد ثَوَتْ نجدٌ بواديا
قفْ بالسبيكة وانظرْ ما بساحتها	عقيلةٌ والكثيبُ الفردُ جاليتها
تقلَّدَتْ بوشاحِ النهرِ وابتسمتْ	أزهارُها وهي حَلْيٌ في تراقيا
وأعينُ الرجسِ المطلولِ يانعةٌ	ترقرقُ الطلُّ دمعاً في مآقيا
وافترَّ ثغورُ أقاحٍ من أزهارها	مقبلاً خَدَّ وردٍ من نواحيها
كأنما الزهرُ في حافاتها سَحَرَا	دراهمٌ والنَّسيمُ اللَّدَنُ يحياها
وانظرْ إلى الدَّوْحِ والأنهارِ تكتفها	مثل الندامى سواقيا سواقيا
كم حولها من بدورٍ تجتني زهراً	فتحسبُ الزهرَ قد قبَّلْنَ أيديها
حصباًؤها لؤلؤٌ قد شَفَّ جوهرها	والنهرُ قد سالَ ذَوْباً من لآليها
نهرُ المجرةِ والزهرُ المطيفُ به	زهرُ النجومِ إذا ما شئت تشبيها
يزيدُ حسناً على نهرِ المجرةِ قد	أغناهُ درَّ حَبَابٍ عن دراريها
يدعى المنجمُ رائيهِ وناظرهُ	مسمياتُ أبانتها أساميتها
إنَّ الحجازَ مغانيه بأندلسِ	ألفاظها طابقتُ منها معانيها
فتلكَ نجدٌ سقاها كلُّ منسجمٍ	من الغمامِ يحياها فيحييها
وبارقٌ وعُدَيْبٌ كلُّ مبتسمٍ	من الثغورِ يحليها مجليها
وإن أردتَ ترى وادي العقيقِ فَرِدْ	دموعَ عشاقها حمراً جواريا
وللسبيكةِ تاجٌ فوقَ مفرقها	تودُّ درُّ الداراي لو تحليها

١ حين عدد لسان الدين البساتين والمتنزهات في غرناطة قال : « ومدرج نجد ومدرج السبيكة وجنة العريف » وتقع السبيكة إلى الجنوب الشرقي من الحمراء .

فإنَّ حمراءها والله يكلؤها
 إنَّ البدورَ لتيجانٌ مكلَّةٌ
 لكنَّها حسدت تاجَ السبيكة إذ
 بروجها لبروج الأفقِ مِجْجَلَةٌ
 تلك القصورُ التي راقَت مظاهرها
 لله لله عَيْنَا مَنْ رَأَى سَحَرًا
 والضُّبْحُ في الشرقِ قد لاحت بشاره
 تهوي إلى الغربِ لما غالها سَحَرٌ
 وساجع العود في كف النديم إذا
 يُبْدِي أفانينَ سحرٍ في ترنمه
 يحسُّ ناعمُ الأطرافِ تحسبها
 مقاتلٌ بلحاظِ قوسٍ حاجبها
 فبأكرم الروض والأغصان مائلة
 لم يرقص الدوح بالأكمام من طرب
 وأسمعتُها فنونَ السحرِ مبدعة
 غرناطة أنسَ الرحمنُ ساكنها
 أعدى نسيمهم لطفاً نفوسهم
 فخلدَ الله أيامَ السرورِ بها
 وروضَ المحلِّ منها كلُّ منبجسٍ
 يحكي الخليفةَ كفاً كلما وكفت
 تغني العفاةُ وقد أمت مكارمه

ياقوتةٌ فوقَ ذاكَ التاجِ عليها
 جواهرُ الشَّهْبِ في أبي مجاليها
 رأت أزهرةَ زهراً يجليها
 فشهبها في جمالٍ لا تضاهيها
 تهوي النجومُ قصوراً عن معاليها
 تلكَ المنارةُ قد رقت حواشيها
 والشَّهْبُ تَسْتَنُّ سبْقاً في مجاريها
 وغمضَ الفجرُ من أجفانِ واشيها
 ما استوقفت ساجعات الطيرِ يفرها
 يُصْبي العقولَ بها حسناً ويسبيها
 لآلئاً وهي نورٌ في تلايلها
 ترمي القلوبَ بها عمداً فتُصْبيها
 يثني النفوسَ لها شوقاً تشنَّيها
 حتَّى شدا من قيانِ الطيرِ شاديها
 ورُقُ الحمامِ وغناها مغنيها
 باحتَ بسرٍّ معانيها أغانيها
 فرقةُ الطبعِ طبعٌ منه يُعديها
 صُفراً عشيَّاتها بيضاً لياليها
 إذا اشتكت بغليلِ الجذبِ يرويها
 بالجوْدِ فوقَ مَوَاتِ الأرضِ يحْييها
 عن السؤالِ وبالإحسانِ يُغنيها

١ هذه رواية ق والأزهار ؛ وفي التجارية : ما استوقفت الطير يديها ويقرها .

لها بنانٌ فلا غيثٌ يساجلها
 فإن تصبَّ سحبه بالماء حينَ هَمَّتْ
 يا أيها الغيثُ أنتَ الغوثُ في زمنٍ
 إنَّ الرعايا جزاك اللهَ صالحَةً
 إنَّ الخلائقَ في الأقطارِ أجمعِها
 فكلُّ مصلحةٍ للخلقِ تحكُمها
 إذا تيممتَ أرضاً وهي مجدبةٌ
 يا رحمةً بثَّتِ الرحمى بأندلسٍ
 في فضلِ جودك قد عاشتْ مشيختها
 في طولِ عمركَ يرجو اللهَ آملُها
 عوائدُ اللهَ قد عودتْ أفضلُها
 سُلَّ السعودِ وخلَّ البيضُ مغمدةً
 للهَ أيامُكَ الغرُّ التي اطردتْ
 للهَ دولتُكَ الغراءُ إنَّ لها
 هيهاتَ أنْ تبلغَ الأعداءُ مأربةً
 هذي سيوفُكَ في الأجفانِ نائمةٌ
 سريرةٌ لك في الإخلاصِ قد عرفتْ
 لم يحجب الصبحُ شهبَ الأفقِ عن بصرِ
 يا ابنَ الملوكِ وأبناء الملوكِ إذا
 أبناءُ نصيرِ ملوكٍ عزَّ نصرهمُ
 همُ المصابيحُ نورَ اللهَ موقدها
 همُ النجومُ وأفقُ الهدى مطلعها

١ الأزهاري : لم تحجب شهب الأفاق عن بصر .

همُ البدورُ ، كمالُ ما يفارقها
 قضت قواضبها أن لا انقضاء لها
 وخلدت في صفاح الهند سيرتها
 وأورثتك جهاداً أنت ناصره
 كم موقف ترهب الأعداء موقعه
 ثارت عجاجته واليوم محتجب
 وللأسنة شهب كلما غربت
 وللسيوف بروق كلما لمعت
 أطلعت وجهاً تريك الشمس غرته
 من أين للشمس نطق كله حكيم
 لك الجياد إذا تجري سوابقها
 إذا انبرت يوم سبقي في أعنتها
 من أشهب قد بدا صباحاً ترأع له
 إلا التي في لحام منه قيدها
 أو أشقر مر عن شقر البروق وقد
 أو أحمر جمره في الحرب متقد
 لون العقيق وقد سال العقيق دماً
 أو أدهم ملء صدر الليل تنعيله
 إن حارت الشهب ليلاً في مقلده
 أو أصفر بالعشيات ارتدى مرحاً
 همُ الشمس ، ظلام لا يوارىها
 وأمضت الحكم في الأعدا مواضبيها
 وأسندت عن عواليها معاليها
 والأجر منك يرصّيها ويحظيها
 والخيل تردني ووقع السمر يردنيها
 والنقع يؤثر غيماً من دياجيها
 في الدارين تجلّت من عواليها
 تزجي الدماء وريح النصر يزجيها
 تبارك الله ما شمس تساميها
 يفيدها كل حين منك مبيدها
 فللرياح جيات ما تجاريها
 ترى البروق طلاحاً لا تباريها
 شهب السماء فإن الصبح يخفيها
 فإنه سامها عزاً وتنويها
 أبقى لها شفقاً في الجوّ تنبيها
 يعلو لها شرر من بأس مذكيها
 بعطفه من كماء كرى يدميها
 أهلة فوق وجه الأرض يديها
 فصبح غرته بالنور يهديها
 وعرفه بتمادي الليل ينبيها

١ هكذا في ق ؛ وفي التجارية : مرعب ، ولا معنى له ؛ ق : تنسيها .

٢ الأزهار : مثل .

٣ ق : ينبيها .

مموه بنضار تاه من عجب
 ورب نهر حسام رق رائقه
 تجري الرؤوس حباباً فوق صفحته
 وذابل من دم الكفار مشربه
 وكم هلال لقوس كلما نبضت
 أئمة الكفر ما يمت ساحتها
 يا دولة النصر هل من مبلغ دولاً
 أو مبلغ سالف الأنصار مألوفة
 أن الخلافة أعلى الله مظهرها
 يا ابن الدين لهم في كل مكرمة
 أنصار خير الوري ، مختار هجرته
 سمته الملة السمحاء تكرمة
 ففي حنين وفي بدر وفي أحد
 ولتسأل السير المرفوع مسندها
 مائر جلد الرحمن أثرها
 ماذا يجيد بليغ أو يتمقه
 له الجهاد به تسري الرياح إلى
 تحدى الركاب إلى البيت العتيق به
 بشارت تسمع الدنيا وساكنها
 كفى خلافتك الغراء منقبة
 وقد أفاد بنيه الدهر تجربة
 إذا رميت سهام العزم صائبة
 شكراً لمن عظمت منا مواهبه

فليس يعدم تنويهاً ولا تيهها
 متى تردده نفوس الكفر يردبها
 وما جرى غير أن البأس يحربها
 ينجي الفتوح وكف النصر تبجنيها
 ترى النجوم رجوماً في مراميها
 إلا وقد زلزلت قسراً صياصياها
 مضمين أنك تحيها وتنسيها
 والله بالخلد في الفردوس يجزيها
 أبقت لنا شرفاً والله يقيها
 مفاخر ولسان الدهر يملها
 جيران روضته ، أكرم بأهلها
 أنصارها ، وبهم عزت أوليها
 تُلقي مفاخرهم مشهورة فيها
 فعن موافقهم تروى مغازيها
 ينصها من كتاب الله قاريها
 من الكلام ووحى الله ناليها
 ممالك الأرض من شئ أقاصيها
 فمكة عمرت منه نواديها
 إذا دعا باسمك الأعلى مناديا
 أن الإله يوالي من يواليها
 أن السعود تعادي من يعاديها
 فما رميت ، بل التوفيق راميا
 وإن تعدد فليس العد يحصيها

عمّا قريب ترى الأعياد مقبلة
 وتبلغ الغاية القصوى بشائرها
 فاهناً بما شئت من صنع تُسَنِّرُ به
 مولاي خذها كما شئت بلاعتها
 أرسلتها حيثما الأرواحُ مرسله
 جاءت تهنيك عيدَ الفطرِ معجبة
 البشرُ في وجهها ، واليمنُ في يدها
 لو رصَّعَ البلرُ منها تاجَ مفرقه
 فإن تكن بنت فكري وهو أوجدها
 في روض جودك قد طوّفتني مِنّا
 ولو أعرتُ لسانَ الدهرِ يشكرها
 بقيتَ للدين والدنيا إمامَ هدًى
 والسعدُ يجري لغاياتِ تؤمِّلها

وقال رحمه الله تعالى شاكرًا لنعم وصلته من المذكور في عاشوراء :

مولاي يا ابنَ السابقين إلى العلا
 إن لوحظوا في المعلواتِ فإنهم
 أو فوخروا في المكرماتِ فإنهم
 أبناءُ أنصارِ النبي وصحبه
 والمؤثرين ، وربُّنسا أثنى بها
 فاضت علينا من نذاك غمام
 من كف شفافِ الضياءِ تخاله

والرافعين 'لواءها المنشورا
 طلعا بآفاقِ السعلاء بدورا
 نظموا بأسلاكِ الفخارِ شلورا
 في الذكرِ أصبحَ فخرهم مذكورا
 في الحشرِ خلَّدَ وصفهم مسطورا
 وتفجرت من راحتك بحورا
 لصفاء جوهره تجسّدَ نورا

١ يشير إلى الآية الكريمة في الأنصار «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» .

نِعَمٌ مُنَوَّعةٌ تعدَّدَ وفُرُها أعجزتَ عنها شكريَ الموفورا
 في موسمٍ للدينِ قد جدَّدتَهُ وأقمتَ فينا عيدهَ المشهورا
 أضعافَ ما أهديتنا من مِنَّةٍ تُهدي إلينا ثوابها عاشورا
 وعلى الطريقِ بِشائرُ محمودَةٍ ألقاكَ جذلاناً بها مسرورا

وقال يصف زهر القرنفل الصعب الاجتناء بجبل الفتح ، وقد وقع له
 السلطان الغني بالله المذكور بذلك ، فارتجل قطعاً منها :

أتوني بنواري يروقُ نضارةً كخداً الذي أهوى وطيب تنفُّسه
 وجاءوا به من شاهقٍ متمنِّجٍ تمنَّعَ ذاكَ الظبي في ظلِّ مكنِسه
 رعى الله مني عاشقاً متقنعاً بزهرٍ حكى في الحسنِ خدَّ مؤنسه
 وإن هبَّ خفاقُ النسيمِ بنفحةٍ حكَّتْ عَرفَه طيباً قضى بئأنسه

ومنها :

رعى الله زهراً ينتمي لقرنفلٍ حكى عَرفَ مَنْ أهوى وإشراق خدِّه
 ومنَّبهتهُ في شاهقٍ متمنِّجٍ كما امتنعَ المحبوبُ في تيه صدِّه
 أميل إذا الأغصانُ مالت بروضةٍ أعانقُ منها القُصْبَ شوقاً لقدِّه
 وأهفو لخفاقِ النسيمِ إذا سرى وأهوى أريج الطيب من عَرفِ ندِّه

ومنها :

يقرُّ بعيني أن أرى الزهرَ يانعاً وقد نازعَ المحبوبَ في الحسنِ وصفه
 وما أبصرتُ عيني كزهرٍ قرَّنفُلٍ حكى خدَّ من يسبي الفؤادَ وعَرفَه
 تمنَّعَ في أعلى المضاربِ لمجتنٍ تمنَّعتهُ مني إذا رمتُ إلفه
 وفي جبلِ الفتحِ اجتنبوهُ تفاؤلاً بفتحِ لبابِ الوصلِ يمنحُ عطْفَه
 وما ضرَّ ذاكَ الغصنَ وهو مرَّحٌ إذا ما ثنى نحو المتيِّمِ عطْفَه

قال ابن الأحمر في الكتاب المذكور فيما مر : ومن القصائد التي يود الصبح سناها ،
والنسيم اللدن رقة معناها ، يهنيء مولانا الجلد رضي الله تعالى عنه عند وصول
خالصة مقامه ، وكبير خدامه ، القائد خالد رحمه الله تعالى من تلمسان بالهدية ،
وتجديد المقاصد الودّية ، ووافق استئناف^١ راحة من الذات العلية ، ومن بعض
فروع دوحته^٢ الزكية :

أدريها ثلاثاً من لحاظك واحبس
إذا ما نهاني الشيب عن أكؤسِ الطلا
عذيري من لحظٍ ضعيفٍ وقد غدا
وروضٍ شبابٍ ماسٍ غصنٍ قوامه
وما زال وردُ الخدِّ وهو مضعّفٌ
وكم جال طِرفُ الطرفِ في روضِ حسنه
أما وليالي الوصلِ في روضةِ الصبا
لئن نسبتَ تلكَ العهودَ أحبي
وحاشا لنفسي بعدما افترّ فودّها
وألبسها ثوبَ الوفاِ خليفةً
وجددَ للفتحِ المبينِ مواسماً
وأورثه العلياء كلَّ خليفة
فيا زاجرَ الأظعانِ وهي ضوامرُ
إذا جنتَ من دارِ الغني بربه
فلئن شئتَ من بحرِ السماحةِ فاغترفْ

فقد غالَ منها السكرُ أبناءَ مجلسِ
تديرُ عليّ الخمرَ منها بأكؤسِ
يحكمُّ منا في جُجومِ وأنفُسِ
وفتحَ فيه اللحظُ أزهارَ نرجسِ
يعبرُ أفاحَ الثغرِ طيبةً تنفّسِ
يقيدهُ فيه العذارُ بسندسِ
ومألفِ أحبابي وعهدِ تأنّسي
فقلبي عهدَ العامريةِ ما نسي
من الشيبِ عن صبحٍ بهِ متنفّسِ
بهِ لبسِ الإسلامِ أشرفَ ملابسِ
أقامَ بها الإيمانُ أفراحَ معرسِ
نمّاهُ إلى الأنصارِ كلَّ مقدّسِ
بغيرِ الفلا والوحشِ لم تتأنّسِ
مُنّاخَ العُلا والعزِّ فاعقِلْ وعرسِ
وإن شئتَ من نورِ الهدايةِ فاقبسِ

١ ق : استباق .

٢ ق : دوحته .

أمولاي إنَّ السعدَ منكَ لآيةٌ^١
إذا شئتَ أن ترمي القصيَّ من المني
فترمي بسهمٍ من سعودك صائبٍ
أهنيك بالإبلالِ ممَّنْ شفاؤه
ودعني أريدُ يَمناكَ فهي غمامةٌ
أقبلُ منها راحةً إثرَ راحةٍ
ومن نَسَبَ الفتحَ المينَ ولادةً
فيا أيها المولى الذي بكماله
لآمَنَتَ موسى من عوادي سميّه
بعثتَ بيمونَ النقيبةِ في اسمه
فجاءك بالمالِ العريضِ هديةً
وشفعها بالصفافساتِ كأنَّها
تنصُّ من الإشرافِ جيدَ غزالةٍ
لك الخيرُ موسى مثلُ موسى، كلاهما
فلا زلتَ في ظلِّ التَّعِيمِ وكلُّ مَنْ
عليك سلامٌ مثلُ حَمْدِكَ عاطرٌ

وقال في مولد عام سبعة وستين وسبع مائة وألَمْ في أخرياتِها بوصفِ المشوَرِ الأُسنَى ،
الرفيع المبنى :

زار الخيالُ بأيمنِ الزوراءِ فجلا سناهُ غياهبَ الظُّلَماءِ
وسرى مع التَّسماتِ يسحبُ ذيلُهُ فأتَتْ نَمُّ بعنبرٍ وكِبَاءِ
هذا وما شيءٌ ألدَّ من المني إلاَّ زيارتُهُ معَ الإغفاءِ

١ الأزهاري : أمولاي والى السعد منك ولاية .

بَشِنَا خَيَالَيْنِ التَّحْفَنَا بِالضُّبْنِ
 حَتَّى أَفَاقَ الصَّبْحُ مِنْ غَمَرَاتِهِ
 يَا سَائِلِي عَنْ سِرِّ مَنْ أَحْبَبْتُهُ
 تَاللَّهِ لَا أَشْكُو الصَّبَابَةَ وَالْهُوَى
 يَا دِينَ قَلْبِي لَسْتُ أَبْرَحُ عَانِيَا
 أَبْكِي وَمَا غَيْرُ النَّجِيعِ مَدَامُ
 أَهْفُو إِذَا تَهْفُو الْبُرُوقُ ، وَأَنْتَنِي
 بِاللَّهِ يَا نَفْسَ الْحَمَى رَفَقًا بِمَنْ
 عَجَبًا لَهُ يَنْدَى عَلَى كَبْدِي وَقَدْ
 يَا سَاكِنِي الْبَطْحَاءُ أَيَّ إِيَانَةٍ
 أَتَرَى النَّوَى يَوْمًا تَخِيبُ قِدَاحَهَا
 فِي حَيْكَمٍ قَمَرٌ فَوَادِي أَفْقِهِ
 لَمْ تُنْسِنِي الْأَيَّامُ يَوْمَ ودَاعِهِ
 أَبْكِي وَيَسْمُ الْمَحَاسِنُ تَحْتَلِي
 يَا نَظْرَةً جَاذِبَتْهَا أَيْدِي النَّوَى
 مِنْ لِي بِثَانِيَةٍ تَنَادِي بِالْأَسَى
 وَلَرَبَّ لَيْلٍ بِالْوَصَالِ قَطَعْتُهُ
 أَنْسَيْتُ فِيهِ الْقَلْبَ عَادَةً حَلْمِهِ
 وَجَرِيتُ فِي طَلْقِ التَّصَابِي جَاغِحًا
 أَطْوِي شِبَابِي لِلْمَشِيبِ مَرَاغِحًا
 وَالسَّقَمِ مَا نُخْشِي مِنَ الرُّقْبَاءِ
 وَتَجَاذِبْتُ أَيْدِي النَّسِيمِ رَدَائِي
 السَّرُّ عِنْدِي مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
 لِسَوَى الْأَحْبَةِ أَوْ أَمُوتَ بِدَائِي
 أَرْضَى بِسَقَمِي فِي الْهُوَى وَعِنَائِي
 أَذْكِي ، وَلَا ضَرَمٌ سِوَى أَحْشَائِي
 لِسُرَى النَّوَاسِمِ مِنْ رَبِّي تِيْمَاءِ
 أَغْرِيبَتِهِ بِتَنْقَسِ الصُّعْدَاءِ
 أَذْكِي بِقَلْبِي جَمْرَةَ الْبُرْحَاءِ
 لِي عِنْدَكُمْ يَا سَاكِنِي الْبَطْحَاءِ
 وَيَفُوزُ قِدْحِي مِنْكُمْ بَلْقَاءِ
 تَفْدِيهِ نَفْسِي مِنْ قَرِيبٍ نَائِي
 وَالرَّكْبُ قَدْ أَوْفَى عَلَى الزُّورَاءِ
 فَعَلَقْتُ بَيْنَ تَبَسُّمٍ وَبِكَاءِ
 حَتَّى اسْتَهْلَتْ أَدْمَعِي بَدْمَاءِ
 « قَدْ كَافَتْكَ أَسْرَفْتُ فِي الْغُلُوءِ »^١
 أَجْلُو دَجَاهُ بِأَوْجُهُ النَّدْمَاءِ
 وَحَثْتُ فِيهِ أَكْؤُسَ السَّرَاءِ
 لَا أَنْتَنِي لِمَقَادَةِ النَّصْحَاءِ
 بِرَوَاحِلِ الْإِصْبَاحِ وَالْإِمْسَاءِ

١ الأزهاري : جادت بها .

٢ صدر بيت لأبي تمام ؛ وقامه : « كم تملكون وأنتم سجراني » ورواية الديوان : أرييت في الغلواء .

يا ليت شعري هل أرى أطوي إلى
فتطيب في تلك الربوع مدائحي
حيث النبوة نورها متألق
حيث الرسالة في ثنية قدسها
حيث الضريح ضريح أكرم مرسل
المصطفى والمرضى والمجتبي
خير البرية مجتباها ذخرها
تاج الرسالة - ختمها وقوامها
لولة للأفلاك ما لاحت بها
ذو المعجزات الغر والأي الألى
وكفالك رد الشمس بعد مغيبها
والبدر شق له وكم من آية
وبليلة الميلاد كم من رحمة
قد بشر الرسل الكرام ببعثه
أكرم بها بشرى على قدم سرت
أسمى بها الإسلام يشرق نوره
هو آية الله التي أنوارها
والشمس لا تخفى مزينة فضلها
يا مصطفى والكون لم تعلق به
يا مبظهير الحق الجلي ومطلع ال
يا ملجأ الخلق المشفع فيهم
يا آسى المرضى ومنتجع الرضى

قبر الرسول صحائف اليباء
ويطول في ذاك المقام ثوائي
كالشمس تزهى في سنا وستاء
رفعت لهدى الخلق خير لواء
فخر الوجود وشافع الشفعاء
والمشتقى من عنصر العلياء
ظل الإله الوارف الأفياء
وعمادها السامي على النظراء
شهب تنير دياجي الظلماء
أكبرن عن عدد وعن إحصاء
وكفالك ما قد جاء في الإسراء
كأنامل جاءت بنبع الماء
نشر الإله بها ومن نعماء
وتقدم الكهان بالأنباء
في الكون كالأرواح في الأعضاء
والكفر أصبح فاحيم الأرجاء
تجلو ظلام الشك أي جلاء
إلا على ذي المقلة العمياء
من بعد أيلدي الخلق والإنشاء
نور السني الساطع الأضواء
يا رحمة الأموات والأحياء
ومواسي الأيتام والضعفاء

١ الأزهار : جادت ،

أشكو إليك - وأنت خير مؤمل
إنني مددتُ يدي إليك - تضرعاً
إن كنتُ لم أخلص إليك - فإنما
وبسعدٍ مولاي الإمام محمد
ظلُّ الإله على البلادِ وأهلها
غوثُ العبادِ وليُّ مُشْتَجِرِ القنا
كالذَّهْرِ في سَطَوَاتِهِ وسماحه
رقتُ سجاياهُ وراقتُ مجتلى
كالزَّهْرِ في إِبْرَاقِهِ ، والبدرِ في
يا ابنَ الألى إجمالهم وجمالهم
أنصارُ دينِ الله حزبُ رسوله
يا ابنَ الخلائفِ من بني نصري ومن
من كلِّ مَنْ تَقَفُ الملوكُ ببابه
قومٌ إذا قادوا الجيوشَ إلى الوغى
والعزُّ مجلوبٌ بكلِّ كتيبةٍ
يا وارثاً عنها مناقبها التي
يا فخرَ أُنْدَلُسٍ وعصمةَ أهلها
كم خُضِّتْ طوع صلاحها من مهمه
تهدي بها حادي السرى بعزائم
فأرفعُ لواءَ الفخرِ غيرَ مدافعٍ
واهناً يميناك السعيدِ فإنه

داء الذنوبِ وفي يديكَ دوائي
حاشا وكلاً أن يخيبَ رجائي
خلصتُ إليك محبتي وندائي
تَعِدُ الأمانِي أن يُتَاحَ لقائي
فخرُ الملوكِ السادةِ الخلفاءِ
يومَ الطعانِ وفارجُ الغمَاءِ
تجري صباهُ بزَعزَعٍ ورُخاءِ
كالنَّهْرِ وسطَ الروضةِ الغناءِ
إشراقه ، والزَّهْرِ في لألاءِ
فلتُ الصِّباحِ وواكفُ الأنواءِ
والسَّابِقُونَ بِحَلْبَةِ العلياءِ
حاطوا ذِمَارَ المَلَّةِ السَّمْحَاءِ
يستمطرونَ سحائبَ النعماءِ
فالرعبُ رائدُهم إلى الأعداءِ
والنصرُ معقودٌ بكلِّ لواءِ
تسمو مراقبها على الجوزاءِ
يجزيكَ عنها اللهُ خيرَ جزاءِ
لا تهتدي فيه القَطَا للماءِ
تهدي نجومَ الأفقِ فضلَ ضياءِ
واسحبْ ذبولَ العزةِ القَعَسَاءِ
كهفٌ ليومٍ مشورةٍ وعطاءِ

لله منه هالة قد أصبحت حرم العفاة ومصرع الأعداء
 تتابها طير الرجاء فتجني ثمر المني من دوحة الآلاء
 لله منه قببة مرفوعة دون السماء نفوت لحظ الراي
 راق بدائع وشيها فكانها وشي الربيع بمسقط الأنداء
 عظمتم ميلاد النبي محمد وشقعتته بالليلى الغراء
 أحيت ليلك ساهراً فأفدنا قوت القلوب بذلك الإحياء
 يا أيها الملك الهام المجتبى فانت علاك مدارك العقلاء
 من لي بأن أحصي مناقبك التي ضاقت بين مذاهب الفصحاء
 واليك مني روضة مطلولة أرجت أزهرها بطيب ثناء
 فافسح لها أكتاف صفحك إنها بكر أنت تمشي على استحياء

قال ابن الأحمر : ومن إغذاريات ابن زمرك المحكمة نسقاً ورضفاً ،
 المتناهية في كل فن حسن تحلية غريبة ووصفاً — حسبما اقتضته ملاحظة النسبة
 الرفيعة مولانا رحمة الله تعالى عليه واحتفاله المناسب لعز ملكه من تعميم الخلق
 بالحق في دعواهم ، واستدعاء أشراف الأمم من أهل المغرب وسواهم ، تقنناً
 في مكارم متعددة أيامها عن أصالة المجد معربة ، وإغراء لهم الملك بما لتعميم
 الأنس من أوضاع مغرية ، ومباهاة بعرض الجيوش والكتائب للعدو الكافر ،
 وتكاثراً من ممالك دولته بالعدد الوافر ، مما أجم اللسن الذكي عياً ، وغادر
 الإعذار الذنوبي منسياً ، كافاً الله سبحانه أبوته المولوية عنا وعن آياتنا ، وتلقى
 بالقبول الكفيل بتجديد الرضوان ما يصل له من خالص دعائنا ، إنه منعم جواد —
 قوله في الصنيع المختص من ذلك بمولانا الوالد قدس الله تعالى روحه ، وذلك
 سنة أربع وستين وسبع مائة :

١ وري هنا بكتابي « قوت القلوب » و « إحياء علوم الدين » .

٢ ق : منها ؛ يعني القصيدة .

معاذ الهوى أن أصبح القلب ساليا

القصيدة ، وقد تقدمت بتمامها فراجعها .

ثم قال : ومن ذلك ما أنشد في الصنيع الثاني المخصوص بعمينا السيدين الأميرين سعد ونصر ، رحمة الله تعالى عليهما ، وأجاد في وصف الجند والجرّد والطلبة وغرائب الأوضاع :

أرسلته دمعاً تَصَرَّجَ بالدم	ألمحة من بارق متبسم
يهفو فؤادك عن جوانح مغرم	وللمحة تهفو بيانات اللوى
خُلِقَ الهوى تعتاد كل متيم	هي عادة عذرية من يوم أن
أدري الهوى ، واليوم أعدل لومي	قد كنت أعدلُ ذا الهوى من قبل أن
حدّر الرقيب ومدمع لم يسجّم	كم زفرة بين الجوانح ما ارتقت
هيهات واشي السقم لما يكم	إن كان واشي الدمع قد كم الهوى
قد كاد يخفى عن خفي توهم	ولقد أجدّ هواي رسم دارس
فأطلت فيه ترددي وتلومي	وذكرت عهداً في حناه قد انقضى
ورقاء تنفث شجوها برتم	ولربما أشجى فؤادي عنده
أشجى الفصيح بها بكاء الأعجم	لا أجذب الله الطلول فطالما
قف بي عليها وقفة المتلوم	يا زاجر الأظعان يحفزها السرى
حُمراً كحاشية الرداء المُعلم	لنرى دموع العاشقين يرسمها
سقياً لها ولعهدا المتقدم	دمن عهدت بها الشبية والهوى
أغزو بها السلوان غزو مصم	وكتيبة للشوق قد جهزتها
وأريت للعشاق فضل تهمني	ورفعت فيها القلب بنداً خافقاً
لكن من أهوا ضايق مقدمي	فأنا الذي شاب الحماسة بالهوى
ورُميت من غنج اللحاظ بأسهم	فطعنت من قد القوام بأسمر

يا قاتلَ الله الجفون فإنها
ظلمت قتيلَ الحبِّ ثمَّ تبيّنتُ
يا ظليّةً ستّحتْ بأكنافِ الحمى
ما ضرَّ إذ أرسلتَ نظرةً فأتكُ
فرايتُ جسماً قد أصيبَ فؤاده
ولقد خشيتُ بأنَّ يقادَ بجرّحه
كم خضتُ دونك من غمارِ مفازةٍ
والنجمُ يسري من دجاءِ أدهمِ
والبدْرُ في صفحِ السماء كأنّه
والزهرُ زهرٌ والسماءُ حديقةُ
والليلُ مُربّدُ الجوانحِ قد بسّدا
فكأنما فلقَ الصبحِ وقد بدا
ملكٌ أفاضَ على البسيطةِ عدله
هو منتهى آمالِ كلِّ موفقٍ
لاحتُ مناقبه كواكبُ أسعدِ
ولقد تراءى بأسه وسماحه
مثل الغمامِ وقد تضاحك بركة
أنسى سماحة حاتمٍ ، وكذلك في
سيرٍ تسيرُ النيراتُ بهديها
فالبدْرُ دونك في علّا وإنارةٍ
ولك القبابُ الحمر تُرفعُ للندى
يدكى الكباء بها كأنّ دخانه
ولك العوالي السمرُ تُشرعُ للعدى

مهما رمت لم تخطِ شاكلة الرمي
للسقمِ فيها فترةُ المتظلمِ
سقيَ الحمى صوبَ الغمامِ المسجمِ
أن لو عطفتِ بنظرةِ المرحمِ
من مقتلتيك وأنت لم تتأثمي
فوهبتِ لحظك ما أحلك من دمي
لا تهتدي فيها الليوثُ ليجمِ
رحبِ المقلد بالثريا ملنجمِ
مرأةٌ هندی وسط لُججٍ ترتمي
فتقتُ كمائمَ جنحها عن أنجمِ
فيه الصباحُ كفرّة في أدهمِ
مزأى ابن نصرٍ لاح للمتوسمِ
فالشاة لا تخشى اعتداء الضيغمِ
هو موردُ الصادي وكنزُ المَعْدِمِ
فراأت ملامحَ نوره عينُ العمي
فأتى الجلالُ من الجمالِ بتوأمِ
فأفادَ بينَ تجهّمٍ وتبسمِ
يوم اللقاء ربيعة بن مكدّمِ
وتعبيرُ عَرَفَ الروض طيبَ تنسمِ
والبحرُ دونك في ندى وتكرّمِ
فترى العمائم تحتها كالأنجمِ
قطّعُ السحابِ بجوها المتغيّمِ
فتخرُّ صرعى الليدين وللفمِ

ولك الأيادي البيضُ قد طوقتها
 شيمٌ يُقرُّ الحاسدونَ بفضلها
 ورث السماحةَ عن أبيه وجده
 نقلوا المعالي كابراً عن كابرٍ
 وتسنموا رتبَ العلاء بحقها
 يا آل نصر أنتم سُرجُ الهدى
 الفاتحونَ لكلِّ صعبٍ مُقتلٍ
 والباسمونَ إذا الكُماةُ عوابسُ
 أبناء أنصارِ النبي وحزبه
 سلَّ عنهمُ أحداً وبدراً تلقَّهم
 وبفتح مكة كم لهم في يومه
 أقسمتُ بالحرمِ الأمينِ ومكة
 لولا مآثرهم وفضلُ علامهم
 ماذا عسى أنثي وقد أنثتُ على
 يا وارثاً عنها مآثرها التي
 يا فخرَ أندلسٍ لقد مُدَّتْ إلى
 أمّا سعودك في الوغى فتكفَّلتُ
 وأفيتَ هذا الثغرَ وهو على شفا
 ورعيتهُ بسياسةٍ دارتُ على
 كم ليلةٍ قد بتَّ فيها ساهراً
 يا مظهرَ الألفاظِ وهي خفيةٌ
 لله دولتكِ السيِّ آثارها
 ما بعد يومك في المواسم بعدما

صيدَ الملوكِ ذوي التلادِ الأقدم
 والصبحُ ليس ضياؤه بمكتم
 فالأكرمُ ابن الأكرم ابن الأكرم
 كالرمح مطَّرد الكعوبِ مقوم
 ما بين جد في الخلافة وابنم
 في كلِّ خطبٍ قد تجهَّم مظلُم
 والفارجون لكلِّ خطبٍ مبهم
 والقدمون على السواد الأعظم
 وذوي السوابقِ والجوارِ الأعصم
 أهلَ الغناء بهسا وأهلَ المقم
 بلواء خيرِ الخلقِ من مُتقدِّم
 والركنِ والبيتِ العتيقِ وزمزم
 ما كان يُعزى الفضلُ للمتقدم
 عليائهم آيُ الكتابِ المحكم
 قد شيدتُ للفخرِ أشرفَ معلم
 عليك كَفُّ اللائدِ المستعصم
 بسلامةِ الإسلامِ فاخلدُ واسلم
 فشفيتُ مُعْضِلَ دائِه المستحكم
 غنَّطَه دورَ السوارِ بمعصم
 تهدي الأمانَ إلى العيونِ النؤم
 ومُهَبَّ ريحِ النصرِ للمتسم
 سيرَ الركابِ لمنجدٍ أو مُتهم
 أتبعَ عيدَ الفطرِ أكرمَ موسم

وافتك أشراف البلاد ليومه
 صرفوا إليك ركايبهم^١ وتيمّموا
 وتبوّأوا منه بدار كرامة^٢
 ودّت نجوم الأفق لو مثلت به
 والروض غتال^٣ بحلية سندس
 ورياحه نسمت بنشر لطيمة
 وأريتنا فيه عجائب جمّة^٤
 أرسلت سرعان الجياد^٥ كأنها
 من كل منحفر بخطفة بارق
 طرف يشك الطرف في استنباته
 ومسافر في الجوّ تحسب أنه
 رام استراق السمع وهو منّع
 رجمته من شهب النصال حواصب^٦
 ومدارة الأفلاك أعجز كنهها
 يمشي الرجال يحوفها وجميعهم
 ومنوع الحركات قد ركب الهوا
 فإذا هوى من جوه ثم استوى

من كل ندب للعلا متسم
 من بابك المتتاب خير ميمم
 فالكل بين مقرب ومنعم
 لتقوّز فيه برتبة المستخدم
 من كل موشى الرقوم منم
 وأقاحه بسمت بشعر ملثم^٧
 لم تجر في خلد ولم تتوهم
 أسراب طير في التنوّفة^٨ حوم
 قد كاد يسبق لمحة المتوهم
 فكأنه ظن بصدّر مرجم
 يرقى إلى أوج السماء بسلم
 فأصيب من قضب العصي^٩ بأسهم
 لولا تعرضه لها لم يترجم
 إبداع كل مهندس ومهندم
 عن مستوى قدميه لم يتقدّم
 يمشي على خطّ به متوهم
 أبصرت طيراً حول صورة آدم

- ١ في أصول أزهار الرياض وفي التجارية : مسلم ؛ وصححه محققو الأزهار : « مثلهم » وأثبتنا ما في ق ، لكونه أقرب إلى الصواب .
 ٢ سرعان الليل : أوائلها .
 ٣ التنوّفة : المفازة .
 ٤ ق : قواضب ، ولها وجه ، لأنه يتحدث عن الجواد ، فالقواضب السيوف ، وهي ترجمه أي تتعرض له .
 ٥ الأزهار : حل .

يمشي على فني الرشاء كأنه
وليك من صون العقول عقيلة
ترجو قبولك وهو أكبر منحة
طاردت فيها وصف كل غريبة
ودعوت أرباب البيان أريهم
ما ذاك إلا بعض أنعمك التي
فيه مساور ذابل أو أرقم
وقفت بيابك وقفة المسترحم
فاسمَح به خلّدت من متكرم
فنظمت شارده الذي لم ينظم
« كم غادر الشعراء من متردم »^١
قد علمتنا كيف شكر المنعم

ثم قال : وأنشد من ذلك في الصنيع المخصوص بعننا الأمير أبي عبد الله
— رحمة الله تعالى عليه — وأطنب في وصف دار الملك وغير ذلك من ضخامة
آثار مولانا رضي الله تعالى عنه :

سل الأفق بالزهر الكواكب حاليا
وحملت معتل التسيم أمانة
فيا من رأى الأرواح وهي ضعيفة
وساوس كم جدت وجد بي الهوى
ومن يطع الألفاظ في شرعة الهوى
عدلت بقلبي عن ولاية حكمه
وما الحب إلا نظرة تبعث الهوى
فيا عجباً للعين تمشي طليقة
: ألا في سبيل الله نفس نفيسة
ويا ربّ عهد للشباب قضيت
خلوت بمن أهواه من غير رقبة
فلاني قد أودعته شرح حاليا
قطعت بها عمر الزمان أمانيا
أحملها ما يستخف الرواسيا
فعدت به القلب المقلب هازيا
فلا بد أن يعصي نصيحاً ولاحيّاً
غداة ارتضى من جائر اللحظ واليا
وتعقب ما يعيي الطبيب مداويا
ويصبح من جرأها القلب عانيا
يرخص منها الحب ما كان غاليا
وأحسن من دين الوصال التقاضيا
ولكن عفاني لم أكن عنه خاليا

١ غير قول عترة المفتيح بـ « هل » ؟ وعجز البيت : « أم هل عرفت الدار بعد توهم » وهو مطلع
معلقته .

ويومٍ بمسّينُ الظباءِ شَهدتُهُ
 ولم أصحُ من خمرِ اللحاظِ وقد غدا
 وجردَ من غمدِ الغمامةِ صارماً
 تبسّمَ فاستبكي جفوني غمرةً^١
 وأذكرني ثغراً ظمئتُ لورده
 وراح خفوقَ القلبِ مثلي كأنما
 وليلةً بات البدرُ فيها مضاجعي
 كرعْتُ بها بين العذيبِ وبارق
 رشفتُ به شَهدَ الرضابِ سُلَافَةً
 فيا برّدةً ذاكَ الثغرِ رَوَيْتَ غلتي
 وروضةً حسن للشبابِ نضيرةً
 وبتُ أسقي^٢ وردةً الخدَّ أدْمَعِي
 ومالتُ بقلبي مائلاتُ قدودِها
 جزى الله ذاكَ العهدَ عَوْداً فطلما
 وقل لليالِ في الشبابِ نعمتها
 ويا وادياً رَفَتَ عليّ ظلاله
 رمّني عيونُ السّرْبِ فيه وإنما
 فلولاً اعتصامي بالأميرِ محمّد
 فقل للذي يبني على الحسنِ شِعْرَةً
 فكم من شكاةٍ في الهوى قد رفاتُها

أجدُّ وصلاً بالياً فيه بالياً
 به الجوّ وضاحَ الأسرةِ صاحِباً
 من البرقِ مصقولَ الصفيحِ يمانياً
 ملأتُ بدرَ الدمعِ منها ردائياً
 ولا والهوى العذريّ ما كنت ناسياً
 يبرق الحمى من لوعة الحب ما ييا
 وباتتُ عيون الشَّهْبِ نحوي روانياً
 بموردٍ ثغرٍ بات بالدرِّ حالياً
 وقبّلتُ في ماء النعيمِ الأَقاحيسا
 ويا حرّاً أنفاسي أذبتُ فؤادياً
 هصرتُ بغصنِ البانِ فيها المجانياً
 فأصبحَ فيها نرجسُ اللحظِ ذاوياً
 فما للقلودِ المائلاتِ وما ليا
 أعاد على ربي الظباءِ الجوازيأ
 وقضيتُها أنساً : سقيتُ لياليا
 ونحن نديرُ الوصلَ قدّستُ^٣ وادياً
 رمينَ بقلبي في الغرامِ المرامياً
 لما كنتُ من فتكِ اللواحظِ ناجياً
 عليه معَ الإحسانِ لا زلتُ بانياً
 ورفعتُها بالمدحِ إذ جاء تاليا

١ الأزهار : حبرة .

٢ الأزهار : وقد بت أسقي .

٣ الأزهار : فدبت .

وكم ليلة في مدحه قد سهرتها
 ولاح عمودُ الصبحِ مثلَ انتسابه
 إمامٌ أفاد المكرماتِ زمانه
 وجاوز قدَرَ البدرِ نوراً ورفعةً
 هو الشمسُ بثت في البسيطة نفعتها
 هو البحرُ بالإحسانِ يزخرُ موجُهُ
 هو الغيثُ مهما^١ يمسك الغيثُ سُحبةً
 شمائلُ لو أنَّ الرياضَ بحسنتها
 فيا ابنَ الملوكِ الصبيدِ من آلِ خزرجِ
 ألسْتَ الذي ترجو العفاةُ نواله^٢
 ألسْتَ الذي تخشى البغاةُ صياله^٣
 وهديكُ مهما ضلت الشهبُ قصدها
 وعزمكُ أمضى من حسامك في الوغى
 فكم قاذحٍ في الدينِ يكفرُ ربّه^٤
 وما راعه إلاَّ حسامٌ وعزمة^٥
 فلولاك يا شمسَ الخلافةِ لم يبنَ
 ولولاك لم ترفعْ سماءُ عجاجةٍ
 ولولاك لم تنهلْ غصونُ من القنا
 فأثمرَ فيها النصلُ نصراً مؤزراً
 ومهما غدا سَقَّاحُ سيفك عارياً

أباهي بدرُ النظمِ فيه الداريا
 رفعتُ عليه للمديحِ المبائيا
 وشادَ له فوق النجومِ المعاليا
 ولم يرضَ إلاَّ بالكمالِ مواليا
 وأنوارها أهدت^١ قريباً وقاصيا
 ولكنه عذبٌ لمن جاء عافيا
 يروُّ بسُحبِ الجودِ من كان صاديا
 لما صار فيها زهرها الغضُّ ذاويا
 وذا نسبٌ كالصبحِ عزَّ مُساميا
 فتُخجلُ بجدواه السحابِ الغوايا
 فتوجل^٢ عليها الصعابُ العوايا
 تولتهُ في جنحِ الدجّةِ هاديا
 وإن كان مصقول الغرارين ماضيا
 قدحتَ له زندَ الحفيظةِ وارييا
 يضيئان في ليل الخطوبِ الدواجيا
 سبيلُ جهادٍ كان من قبلُ خافيا
 تلوحُ بها بيضُ النصولِ دراريا
 وكانت إلى وِردِ السماءِ صواديا
 وأجنى قطاف الفتح غصناً ودانيا
 يغادرُ وجهَ الأرضِ بالدمِ كاسيا

١ الأزهار : أبدت .

٢ ق : يهي ، والتصحيح عن الأزهار .

٣ الأزهار : فتزل ، وكلتا اللفظتين غير موضحتين للمعنى المقصود ، وسقط البيت من ق .

قضى الله من فوق السموات أنه
 فكم معقل للكفر صبحت أهله
 رقيت إليه والسيوف مشيخة
 ففتحت مرقاه الممتع عنوة
 وناقوسه بالقسر أسمى معطلا
 عجائب لم تخطر ببال وإنما
 فمك استفاد الدهر كل عجيبة
 وعك يروي الناس كل غريبة
 والله مبنك الجميل فلأنسه
 فكم فيه للأبصار من متنزّه
 وتهوى النجوم الزهر لو ثبت به
 ولو مثلت في سابقه^١ لسابقت
 به البهو قد جاز البهاء وقد غدا
 وكم حلة جلته بحليها
 وكم من قسي في ذراه ترفعت
 فتحسبها الأفلاك دارت قسيها
 سوارى قد جاءت بكل غريبة
 به المرمر المجلو قد شفى نوره
 إذا ما أضاءت بالشعاع تخالفا
 به البحر دقاع العباب تخاله
 إذا ما جلت أيدي الصبا من صفحه

على من أبى الإسلام في الأرض قاضيا
 يجيش أعاد الصبح أظلم داجيا
 وقد بلغت فيه النفوس التراقيا
 وبات به التوحيد يعلو مناديا
 ومنبره بالذكر أصبح حاليا
 ظفروا بها عن همة هي ما هيا
 يباهي بها الأملاك أخرى لباليا
 تخط على صفح الزمان الأماليا
 يفوق على حكم السعود المباليا
 تجدد به نفس الحليم الأمانيا
 ولم تك في أفق السماء جواريا
 إلى خدمة ترضيك منها الجواريا
 به القصر آفاق السماء مباهيا
 من الوشي تُنسي السابري اليمانيا
 على عمد بالنور باتت حواليا
 تظل عمود الصبح إذ بات^٢ باديا
 فطارت بها الأمثال تجري سواريا
 فيجلو من الظلماء ما كان داجيا
 على عظم الأجرام منها لآليا
 إذا ما انبرى وقد التسميم مباريا
 أرتنا دروعا أكسبتنا الأياديا

١ الأزهار : ساحته .

٢ الأزهار : لاح .

وراقصة في البحر طوع عنائها
 إذا ما علت في الجوّ ثمّ تحدّرت
 بدوّبٍ بلّينٍ سال بين جواهرٍ
 تشابهَ جارٍ للعيونٍ بجمادٍ
 فإن شئت تشبيهاً له عن حقيقةٍ
 فقل أرقصت منها البحيرة متنها
 أرتنا طبع الجود وهي وليدة
 سقت ثغزهرالروض عذب برودها
 كأن قد رأت نهر المجرة ناضياً
 وقامت بنات الدوح فيه موائلاً
 رواضع في حجر الغرام ترعرعت
 بها كل ملتف الغدائر مسبل
 وأشرف جيد الغصن فيها معطلاً
 إذا ما تحلّت درّ زهر غروسه
 مصارفة التقدين فيها بمثلها
 فإن ملأت كفّ النسيم بمثلها
 فيملاً حجر الروض حول غصونها
 تغرد في أفنانها الطير كلما
 تراجعها سجعاً فتحسب أنها

تراجع ألحان القيان الأغاني^١
 تحلّي بمرفض الحُمان - النواحي
 غداً مثلها في الحسن أبيض صافياً
 فلم أدري أيّاً منهما كان جارياً
 تصيبُ بها المرمى وبوركت رامياً
 كما يُرقص المولود من كان لاهياً
 ولم ترض في الإحسان إلا تغالياً
 وقامت لكي تهدي إلى الدهر^٢ ساقياً
 فرامت بأن تجري إليه السواقياً
 فرادى. ويتلو بعضهنّ مثانيساً
 وشبّت فشبت حبّها في فؤادياً
 تجيلُ به أيدي النسيم مدارياً
 فقلدت النوار منه التراقيساً
 بيت لها النمام بالطيب واشياً
 أجاز بها التقدين منها كما هياً
 دراهم نور ظلّ عنها مكافياً
 دنائير شمس تترك الروض حالياً
 تجسُّ به أيدي القيان الملاهياً
 بأصواتها تملّي عليها الأغانيا

١ الأزهار : النوانيا ؛ ق : الممانيا .

٢ الأزهار : نبتها .

٣ الأزهار : الزهر .

٤ الأزهار : أجاز بها قاضي الجمال البقاضي .

٥ الأزهار : مع الضمى .

فلم ندرِ روضاً منه أنعمَ نضرةً
ولم نرَ قصراً منه أعلى مظاهراً
معاني من نفس الكمال انتقيتها
وفاتحت مبناه بعيد شرعته
ولما دعوت الناس نحو صنيعه
وأمره من أقصى البلاد تقرباً
وأذكرت يوم العرض جوداً ومنعةً
جزيت به كلاً على حال سعيه
وأطلعت من جزل الوقود هودجاً
وحين غدا يدكى ببابك للقري
وطامحة في الجوّ غير مطالة
تمد لها الجوزاء كفّ مسارعاً
ولا عجب أن فانت الشهب بالعلا
فبين يدي مثواك قامت نخلة
وشاهدُ ذا أتي ببابك واقف
وقد أرضعت ثدي الغمام قبلها
فلما أبيت عن قرارة أصلها
وعدت لقاء السحب عيداً وموسماً
فأضحكت البرق الطروب خلاها
رأت نفسها طالت فظنت بأنها

وأعطر أرجاء ، وأحلى مجانيا
وأرفع آفاقاً ، وأنسج ناديا
وزينت منها بالجمال المغانيا
تبث به في الخافقين التهانيا
أجابوا لهم من جانب الغورداعيا
وما زال منك السعد يدني الأقاصيا
بموقف عرض كنت فيه المجازيا
فما غرست يمانه أصبح جانبا
تذكر يوم النفر من كان ساهيا
فلا غرو أن أجريت فيه المذاكيا
يرد مداها الطرف أحسّر عانيا
ويدنو لها بدر السماء مناجيا
وأن جاوزت منها المدى المتناها
ومن خدّم الأعلى استقاد المعاليا
وقد حسدت زهر النجوم مكانيا
بحجر رياض كن فيه نواشيا
أرادت إلى مرقى الغمام تعاليا
لذلك اغتدت بالزمر تلهي الغواديا
وباتت لأكواس الدراري معاطيا
تفوت على رغم اللحاق المراميا

فخفَّتْ إليها الذابلاتُ^١ كأنها
 حكّت شَبَهَا^٢ للنحل والنحلُ حوله
 فمن مثبتٍ منها الرميّة مدركٍ
 وحصنٍ منيعٍ في ذراها قد ارتقى
 كأنَّ بروقَ الجوّ غارت وقد أرت
 فأنشأت برجا صاعداً متزلاً
 تطوّرت حالاتٍ أتى في ضروبها
 فحجلٌ برجليها وشاحٌ بخصرها
 وما هو إلاّ طيرٌ سعدٍ بذروة
 أمولايَ يا فخرَ الملوكِ ومنْ به
 بتوكّ على حكمِ السعادةِ خمسة
 تبيّت لهم كفُّ الثريا معيذة
 أسامٍ عليها للسعادة ميسمٌ
 جعلت أبا الحجاج فاتح طيرسهم
 وحسبك سعدٌ ثم نصرٌ يليهم
 أقيمت به من فطرة الدين سنة
 وجاعوا به ملء العيون وسامة
 فيا عاذراً ما كان أجراً مثله
 وجاءتك من مصر التحايا كرائمًا

طيورٌ إلى وكرٍ أطلكنَ لهاويا
 عصيٌ إلى مثواه تهوي عواليها
 ومن طائشٍ في الجوّ حلقٌ وانيا
 فأبعد في الجوّ الفضاء المراقيا
 بروج قصورٍ شدتْهن سواميا
 يكونُ رسولاً بينهن مداريا
 بأنواعٍ حلتني تستفز الغواني
 وتاجٌ إلى ما حلّ منها الأعالي
 غدا زاجراً من أشهب الصبح بازيا
 سيلغ دينُ الله ما كان راجيا
 وذا عددٌ للعين ما زال واقيا
 ويصبحُ معتلٌ النواسم راقيا^٣
 ترى العزّ فيها مستكنًا وباديا
 وقد عرفت منك الفتوح التواليا
 محمدُ الأرضى ، فلا زلت راضيا
 وجددت من رسم الهداية عافيا
 يقبلُ وجه الأرض أزهر باهيا
 فمثلك لا يدمي الأسود الضواري
 فما فتحت أيدي التجار الغوالي

١ ق : الزائلات .

٢ ق : شبحاً .

٣ سقط البيت من ق .

٤ يريد الذي يقوم بالتمتاع .

ووافتك من أرض الحجاز نيمة^١ وناداك بالتمويل^٢ سلطان طيبة^٣ وقام وقد وافى ضريح محمد^٤ سريرتك^٥ الرحى جزاك بسعيها فوالله لولا سنة^٦ نبوية^٧ وعذر^٨ من الإعذار قرر حكمه^٩ لراعت بها للحرب^{١٠} أهوال^{١١} موقف لك الحمد^{١٢} فيه من صنيع^{١٣} تعدة^{١٤} تشد^{١٥} له الخوزاء^{١٦} عقد^{١٧} نطقها وهنيت^{١٨} بالأمداح^{١٩} فيه^{٢٠} وقد غدا ودونك^{٢١} من بحر البيان^{٢٢} جواهر^{٢٣} وطاردت^{٢٤} فيها وصف^{٢٥} كل^{٢٦} غريبة^{٢٧} فيا وارث^{٢٨} الأنصار^{٢٩} لا عن كلاله^{٣٠} بأمداحه^{٣١} جاء الكتاب^{٣٢} مفصلاً^{٣٣} لقد عرف^{٣٤} الإسلام^{٣٥} ممّا أفدته^{٣٦} عليك^{٣٧} سلام^{٣٨} الله^{٣٩} فاسلم^{٤٠} مخلداً^{٤١}

تتم صنع^{٤٢} الله^{٤٣} لا زال^{٤٤} باديا^{٤٥} فيا طيب^{٤٦} ما أهدى^{٤٧} إليك^{٤٨} مناديا^{٤٩} لسلطانك^{٥٠} الأعلى^{٥١} هنالك^{٥٢} داعيا^{٥٣} إله^{٥٤} يوفى^{٥٥} بالجزاء^{٥٦} المساعيا^{٥٧} عهدناه^{٥٨} مهدياً^{٥٩} إليها^{٦٠} وهاديا^{٦١} من الشرع^{٦٢} أخبار^{٦٣} رفعت^{٦٤} عواليا^{٦٥} تشيب^{٦٦} بمبيض^{٦٧} النصول^{٦٨} العواليا^{٦٩} فنالته^{٧٠} في الفخر^{٧١} عزز^{٧٢} ثانيها^{٧٣} لتخدم^{٧٤} فيه^{٧٥} كي تنال^{٧٦} المعاليا^{٧٧} وجودك^{٧٨} فيه^{٧٩} بالإجادة^{٨٠} وافيها^{٨١} كرم^{٨٢} فما يشترين^{٨٣} إلا^{٨٤} غواليها^{٨٥} فأعجزت^{٨٦} من يأتي^{٨٧} ومن كان^{٨٨} ماضيا^{٨٩} تراث^{٩٠} جلال^{٩١} يستخف^{٩٢} الرواسيا^{٩٣} يرثله^{٩٤} في الذكر^{٩٥} من كان^{٩٦} تاليا^{٩٧} مكارم^{٩٨} أنصارية^{٩٩} وأياديا^{١٠٠} نجدد^{١٠١} أعياداً^{١٠٢} وتبلي^{١٠٣} أعاديا^{١٠٤}

ثم قال : ومن ذلك في الصنيع المختص بالأمرء الحيلة : أحنينا المعز لتولتنا أبي الحسن ، وأحنينا أبي العباس ، وابن عمنا أبي عبد الله ، وصلى الله تعالى سعودهم . ولقد أبدع في تشييده وتأسيسه ، وبسط يد الحسن من براعته وتخمينه^٤ ، وذلك

١ ق والأزهار : بالتهويل ؛ والتمويل : قوله « يا مولاي » .

٢ الأزهار : في الجزاء .

٣ ق : للجزو .

٤ الأزهار : من براعة تخمينه .

ج ١ عودة مولانا رحمة الله تعالى عليه من سبته لما عادت إلى ملكه :

أرقتُ لبرقٍ مثلٍ جفني ساهرا ينظّمُ من قطرٍ الغمامِ جواهرها
فيسمُ ٢ ثغرُ الروضِ عنه أزهرا وصبحٍ حكى وجهَ الخليفةِ باهرا
تجسمُ من نورِ الهدى وتجمدا

شفاني معتلُ النسيمِ إذا انبرى وأسند عن دمي الحديث الذي جرى
وقد فتقَ الأرجاءَ منكأً وعبراً كأنَّ الغني بالله في الروض قد سرى
فهبتُ به الأرواحُ عاطرةً الرّدا

عذيري من قلبٍ إلى الحسنِ قد صبا تهيّجهُ الذكرى ويصبو إلى الصّبا
وبُجري جياذَ اللهو في ملعبِ الصّبا ولولا ابنُ نصيرٍ ما أفاق وأعتبا
رأى وجهه صبحَ الهدايةِ فاهتدى

إليكَ أميرَ المسلمينِ شكايَسةً جنى الحسنُ فيها للقلوبِ جنابةً
وأعظمَ فيها بالعيونِ نكابةً وأطلع في ليلٍ من الشعرِ آيةً
محيتاً جميلاً بالصباحِ قد ارتدى

بهديكَ تُهتدي النيرانُ وتهتدي وأنواؤها جندوى يمينك تهتدي
وعذلكَ للأملِكِ أوضحُ مرشدٍ بآثاره في مشكلِ الأمرِ تهتدي
فما بالُ سلطانِ الجمالِ قد اغتدى

نحكّمَ منا في نفوسٍ ضعيفةٍ وسلَّ سيوفاً من جفونٍ نحيفةٍ
ألم يدرِ أنا في ظلالِ خليفةٍ ودولةِ أمنٍ لا تُراعُ مُنيقةٍ
بها قد رسا دينُ الهوى وتمهدا

١ الأزهار : وذلك عام .

٢ الأزهار : فأضحك .

خطوا بدمِ المشتاقِ لحظاً أراقهُ وبرقاً بأعلامِ الثبّةِ شاقهُ
وإن كلفوه فوقَ ما قد أطاقهُ يثّ حديقاً ما الذّ مساقهُ
خليفةتنا المولى الإمام محمد

تقلدَ حكم العدلِ ديناً ومذهبا وجوّزَ الليالي قد أزاح وأذهبا
فيا عجباً للشوقِ أذكى وألهبا وسلّ صباحاً صارمَ البرقِ مذهبها
وقد باتَ في جفّنِ الغمامةِ مغمدا

يذكرني ثغراً لأسماءِ أشنبا إذا ابتسمتُ تجلّو من الليلِ غيبها
كعزمِ أميرِ المسلمين إذا احتجى وأجرى به طيفاً من الصبحِ أشهبها
وأصدرَ في ذاتِ الإلهِ وأوردا

فسيحانَ من أجرى الرياحِ بنصره وعطّرَ أنفاسَ الرياضِ بشكره
فبرد الصّبا يطوى على طيبهِ نشره ومهما تجلّى وجهه وسطَ قصره
تري هالةً بدرُ السماءِ بها بدا

إمامٌ أفادَ للملواتِ زمانهُ فما لحقتْ زُهرُ النجومِ مكانهُ
ومدّ على شرقٍ وغربٍ أمانهُ ولا عيبَ فيه غيرَ أنّ بانهُ
تُغرقُ مستجديه في أبحرِ الندى

هو البحرُ مدّ العارضِ التهتلا هو البدرُ لكنّ لا يزالُ مكتملاً
هو الدهرُ لا ينجسُ الخطوبَ ولا ولا هو العلمُ الخفاقُ في هضبةِ العلا
هو الصارمُ المشهورُ في نصرةِ الهدى

أما والذي أعطى الوجودَ وجودهُ وأوسعَ من فوقِ البسيطةِ جودهُ
لقد أصحابَ النصرِ العزيزِ بنودهُ ومدّ بأمالكِ السماءِ جنودهُ
وأنجزَ للإسلامِ بالنصرِ موعدا

أمولايّ قد أنجحتَ رأياً ورايةً ولم تُبقِ في سبقِ المكارمِ غايةً
فتهدي سجايا كابنِ رشدٍ نهايةً وإن كان هذا السعدُ منك بدايةً
سبقي على مرّ الزمانِ مخلداً

سعودك تُغني عن قراعِ الكتائبِ وجودك يُزري بالغمامِ السواكبِ
وإن زاحمتها شُبهها بالمناكبِ ووجهك بدرُ المنتدى والمواكبِ
وقد فسحت في الفخرِ أبناؤك المدى

بنوكَ كأمثالِ الأناملِ عِدَّةٌ أُعِدَّتْ لما يُخشى من الدهرِ عِدَّةٌ
وزيدَ بهم بُرْدُ الخلافةِ جِدَّةٌ أطالَ لهم في ظلِّ ملكك مُدَّةً
إلهٌ يطيلُ العمرَ منك مؤبداً

بدورٍ بأوصافِ الكمالِ استقلتِ غمامٌ بفياضِ النّوالِ استهلّتِ
سيوفٌ على الأعداءِ بالنصرِ سلّتِ نجومٌ بأفاقِ العلاءِ تجلّتِ
ولاحتِ كما شاءتِ سعودك أسعداً

وإنّ أبا الحجاجِ سيفكَ متضى وبدرٌ بأفاقِ الجمالِ تعرّضا
بنوركِ يا شمسَ الخلافةِ قد أضأ وراقتِ على أعطافهِ حُللُ الرضى
فحلَّ محلاً من علاك^١ ممهداً

ملكٌ له تعنو الملوكُ جلالهً يجرّ أذيالَ الفخارِ مطالهً
وتفرّقُ أسدُ الغابِ منهُ بسالةً وتروضاهُ أنصارُ الرسولِ سُلالةً
فأبناؤه طابوا فروعاً ومعتداً

أزاهرُ في روضِ الخلافةِ أينعتِ زواهرُ في أفقِ العلاءِ تطلّعتِ

١ الأزار : رضاك .

جواهرُ أُغيتْ في الجمالِ وأبدعتْ وعن قيمةِ الأعلاقِ قدراً ترفعتْ
يسرُّ بها الإسلامُ غيًّا ومشهدا

بعهدِ وليِّ العهدِ كرمَ عَهْدُهُ وأنجزَ في تخليدِ ملكك وعدُهُ
تنظّمَ منهم تحتَ شملكِ عَقْدُهُ وأورثهم فخراً أبوهُ وجدُهُ
فأعلى عليّاً حينَ أحمدَ أحمدا

نحوطُ بهمُ ملكاً عزيزاً وملةً وتلحظُ عينُ السَّعدِ منهم أهلةً
ستبدو على أفقِ العلاِ مستقلةً وسُحباً بفياضِ العلاِ مستهلةً
تفجّرُ بحراً للسَّاحةِ مُزبدا

ونجلكَ نصرٌ يقتضي نجلَ رسمهِ أميرٌ يزينُ العقلَ راجحُ حلمهِ
أتاكَ بنجلٍ يُستضاءُ بنجمهِ لحبِّ رسولِ اللهِ سمّاهُ باسمهِ
وباسمكَ في هذي الموافقةِ اقتدى

أقمتَ بإعذارِ الإمارةِ سُنَّةً وطوّقتَ من حليِّ بفخركَ منَّةً
وأسكنتَها في ظلِّ بركَ جَنَّةً وألحفتها بُردَ امتنانكَ جَنَّةً
وعَمَّرتَ منها بالتلاوةِ مسجدا

فلهِ عينا مَنْ رآهم تطلَّعوا غصوناً بروضِ الجودِ منك ترعرعوا
وفي دوحةِ العلياءِ منك تفرَّعوا ملوكٌ يجلبابِ الحياءِ تقنَّعوا
أضياءُ بهمُ من أفقِ قصرِكَ متلدى

وقد أشعروا الصبرَ الجميلَ نفوسهمُ وأضفوا بهِ فوق الحليِّ لبوسهمُ
وقد زينوا بالبشرِ فيه شمسهمُ وعاطوا كؤوس الأُنسِ فيه جليسهمُ
وأبدوا على هَوْلِ المقامِ تجلُّدا

.....
١ الأظهار : وقد أفرغوا .

شمائلُ فيهم من أبيهم وجدَّهم تفصلُ آيُ الفخرِ فيها بحمدِهم
وتنسبها الأنصارُ قديماً لسعدِهم تضيءُ بها نوراً مصابيحُ سعدِهم
ولم لا ومن صحبِ الرسولِ توقُّداً

فوالله لولا سُنَّةُ قلدِ أقمَّتْها وسيرةُ هَدْيِ النبيِّ علمتْها
وأحكامُ عدلٍ للجنودِ رسمتْها بحالتِ بها الأبطالُ تقصدُ سمتْها
وتتركُ أوصالَ الوشيجِ مقصداً

ويا عاذراً أبدى لنا الشرعُ عُذْرَهُ طرقتَ حمى قد عَظَّمَ الله قدرَهُ
وأجريتَ طيباً يحمدُ الطيبُ نشرَهُ لقد جئتَ ما تستعظمُ الصيْدُ أمرَهُ
وتفديه إن يقبلَ خليفته فداً

رعى الله منها دعوةً مستجابةً أفادتْ نفوسَ المخلصينَ إنابةً
ولم تُكَلِّفْ من دونِ القبولِ حجابةً وعاذرها لم يُبدِ عذراً مهابةً
فأوجبَ عن نقصٍ كمالاً تزيّداً

فنقصُ كمالِ المسالِ وفرُّ نصايهِ وما السيفُ إلّا بعدَ مشقِّ ذبابهِ
وما الزَّهرُ إلّا بعدَ شقِّ إهابهِ بقطعِ يراعِ الخطِّ حسنُ كتابهِ
وبالنقصِ يزدادُ الذُّبالُ توقُّداً

ولما قَضَوْا من سُنَّةِ الشرعِ واجبا ولم نلُتْ من دونِ الخلافةِ حاجبا
أقضنا نهني منك جدلانَ وإهابا أفاضَ علينا أنعماً ومواهباً
تعوّدَ بذلَ الجودِ فيما تعوّدَا

هنيئاً هنيئاً قسداً بلغتْ مؤملاً وأطلعتْ نوراً يبهُرُ المتأملَا

وأحرزت أجرَ المنعمين مكملًا تباركَ مَنْ أعطى جزيلًا وأجملًا
وبلَّغَ فيكَ الدينَ والملكَ مقصداً ،

ألا في سبيلِ العزِّ والفخرِ موسمٌ يظلُّ بهِ ثغرُ المسرةِ يسمُ
وعرَفُ الرضى من جوهٍ يتنسمُ وأرزاقُ أربابِ السعادةِ تُقسمُ
ففي وصفهِ ذهنُ الذكيِّ تبلداً

وجلَّلتَ في هذا الصنيعِ مصانعا تَمَى بدورُ التَّمِّ منها مطالعا
وأبديتَ فيها للجمالِ بدائعا وأجريتَ للإحسانِ فيها مشارعا
يودُّ بها نهرُ المجرَّةِ مورداً

وأجريتَ فيها الخيلَ وهي سوابقُ وإن طَلَّبتَ في الروعِ فهي لواحقُ
نجومٌ وآفاقُ الطرادِ مشارقُ يفوتُ التماحُ الطرفُ منها بوارقُ
إذا ما تجاري الشَّهبَ تستيقُ المدى

وتطلعُ في ليلِ القنَمِ كواكبا وقد وردتْ نهرَ النهارِ مشاربا
تقودُ إلى الأعداءِ منها كواكبا فترسمُ من فوقِ الترابِ محاربا
تخورُ رؤوسُ الرومِ فيهنَّ سُجَّداً

سوابقُ بالنصرِ العزيزِ سوانحُ وهنَّ لأبوابِ الفتوحِ فوانحُ
تقودُ إليك النصرَ والله مانحُ فما زلتَ بابَ الخيرِ والله فاتحُ
وما تمَّ شيءٌ قد عدا بعد ما بدا

رياحُ لها مثنى البروقِ أعنةٌ ظباءُ فإنَّ جنَّ الظلامِ فجينةٌ
تقيها من البدرِ المتممِ جنةٌ وتشرعُ من زُهرِ النجومِ أسنةٌ
فتقلِّفُ شُهبَ الرَّجمِ في أنغرِ العدا

فأشهبُ من نسلِ الوجيهِ إذا انتمى جرى فشأى شُهْب الكواكبِ في السما
وخلَّفَ منها في المقلَّدِ أنجما تردَّى جمالاً بالصباحِ وربما
يقول له الإصباح : نفسي لك الفدا

وأحمرُّ قد أذكى به البأسُ جمرَةً وقد سلَّبَ الياقوتَ والوردَ حمرةً
أدار به ساقٍ من الحربِ خمرَةً وأبدى حجاباً فوقها الحسنُ غرةً
يزينُ بها خدّاً أسيلاً مؤرداً

وأشقرُّ مهما شعثُ الركضِ برِّقَهُ أعار جوادَ البرقِ في الأفقِ سَبَقَهُ
بدا شفقاً قد جَلَّلَ الحسنُ أفقَهُ ألم ترَ أنَّ اللهَ أبدعَ خلقَهُ
فسال على أعطافه الحسنُ عَسَجَدَا

وأصفرُّ قد ودَّ الأصيلُ جمالَهُ وقد قدَّ من بُردِ العشيِّ جلالَهُ
إذا أسرجوا جِنَحَ الظلامِ ذبالَهُ فغَرَّتُهُ شمسٌ^١ نضىءَ مجالَهُ
وفي ذيله ذيلُ الظلامِ قد ارتدى

وأدهمُّ في مسحِ الدجى متجردُ يجيشُ بها بحرٌ من اللَّيْلِ مُزبدُ
وغرَّتُهُ نجمٌ بهِ تتوقَّدُ له البدرُ سُرجٌ والنجومُ مقلَّدُ
وفي فلقِ الصبحِ المبينِ تقيَّدَا

وأبيضُ^٢ كالقرطاسِ لاحَ صباحُهُ على الحسنِ مَغْدَاهُ وفيهِ مَراحُهُ
وللظَّبيَّاتِ الآثاتِ مِراحُهُ تراهُ كَنَشْوَانِ أَمالتهُ راحُهُ
وتحسبهُ وسطَ الجمالِ معربدا

١ ق : نجم .
٢ ق : وأشهب .

وذاهبةٌ في الجوّ ملءٌ عنانها وقد لفعتُها السُّحبُ بُرْدَ عنانها
يفوتُ ارتدادَ الطَّرفِ لمَحُ عيانها وختّمتِ الجوزاءُ سَبْطَ بنانها
وصاغتُ لها حلّيَ النجومِ مقيّداً

أراها عمودُ الصّبحِ علُوَ المصاعدِ وأوهمها قربَ المدى المتباعدِ
ففاتتهُ سَبَقاً في مجالِ الرواعدِ وأتخفتِ الكفّ الخضيبَ بساعدِ
فطوقتِ الزُّهرَ النجومَ بها يداً

وقد قذفتها للعصيّ حواصبُ قد انتشرتْ في الجوّ منها ذوائبُ
تزاور منها في الفضاءِ حبابُ فبينهما من قبلِ ذلكَ متناسبُ
لأنهما في الرّوضِ قبلُ تولّدا

بناتُ لأمٍّ قد حُبِنَ أرواحها دعاها الهوى من بعدِ كَمٍّ لبوحها
فأقلامُها تهوي لخطِّ بلوحها فبالأَمْسِ كانت بعضُ أغصانِ دوحها
فعادتْ إليها اليومَ من بعدُ عوداً

ويا رَبَّ حصنٍ في ذراها قد اعتلى أنارتْ بروجُ الأفقِ في مظهرِ العلا
بروجَ قصورٍ شِدَّتْها متطولا فأنشأتْ برجاً صاعداً متنزلاً
يكونُ رسولاً بينها متردداً

وהל هي إلاّ هالةٌ حولَ بدرها يصوغُ لها حلياً يليقُ بنحرها
تطوّر أنواعاً تشيدُ بفخرها فحجّلُ برجليها وشاحٌ بخصرها
وتاجٌ بأعلى رأسها قد تنصّداً^١

١ شبيه بقوله في القصيدة السابقة :

فحجّل برجليها وشاحٌ بخصرها وتاجٌ إلى ما حل منها الأعاليا

أَرَادَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ وَهُوَ مَمْنَعٌ قَسَامَ بِأَذْيَالِ الدَّجَى يُنْفَعُ
وَأَصْنَى لِأَخْبَارِ السَّمَاءِ يَتَسَمَّعُ فَاتَّبَعَهُ مِنْهَا ذَوَابِلُ شُرْعُ
لِتَقْدَفَهُ بِالرُّعْبِ مَتْنَى وَمَوْحِداً

وَمَا هُوَ إِلَّا قَائِمٌ مَدَّةً كَفَّةً لِيَسْأَلَ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ لُطْفَهُ
لِمَوْلَى تَوْلَاهُ وَأَحْكَمَ رَصْفَهُ وَكَلَّفَ أَرْيَابَ الْبَلَاغَةِ وَصَفَهُ
وَأَكْسَرَمَ مِنْهُ الْقَائِنَاتِ الْمُتَهَجِّداً

مَلَاقِي رَكْبٍ مِنْ وَفْدِ النُّوَّاسِمِ مَقْبِلَ ثَغْرِ السَّبْرُوقِ الْبَوَاسِمِ
مُخْتَمَ كَفِّ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ مَبْلَغَ قَصْدٍ مِنْ حُضُورِ الْمَوَاسِمِ
تَجَسَّدَهُ مَهْمَا صَنِيعٌ تَجَدَّداً

وَمُضْطَرِبٌ فِي الْجَوِّ أَثْبَتَ قَامَةً تَقْدِمَ يَمْشِي فِي الْهَوَاءِ كِرَامَةً
تُطْلَعُ فِي غَضَنِ الرِّشَاءِ كِمَامَةً وَتُحْسِبُهُ تَحْتَ الْغَمَامِ غَمَامَةً
يَسِيلُ عَلَى أَعْطَافِهَا عَرَقُ النَّدَى

هَوَى وَاسْتَوَى فِي حَالَةٍ وَتَقَلَّبَا كَخَاطِفِ بَرْقٍ قَدْ تَأَلَّقَ خُلْبَا
وَتُحْسِبُهُ قَدْ دَارَ فِي الْأَفْقِ كَوَكْبَا وَمَهْمَا مَتْنَى وَاسْتَوْقَفَ الْعَقْلَ مَعْجَبَا
تَقَلَّبُ فِيهِ الْعَيْنُ لِحْظاً مُرَدِّداً

لَقَدْ رَامَ يَرْقَى لِلسَّمَاءِ بِسَلَمٍ فَيَمْشِي عَلَى خُطٍّ بِهِ مَتَوَهِّمٍ
أَجِيلٌ فِي الَّذِي يَبْدِيهِ فِكْرَ تَوْسَمٍ تَرَى طَائِراً قَدْ حَلَّ صُورَةَ آدَمِي
وَجِينَا بِمَهْوَاةِ الْفَضَاءِ تَمَرِّداً

وَمُنْتَسِبٌ لِلْخَالِ سَمَّوَهُ مَلْجِماً لَهُ جِكَمَاتٌ حَكَمَهَا فَاهُ الْجَمَا
تُخَالَفُ جِنْساً وَالِدَاهُ إِذَا انْتَمَى كَمَا جِنْسُهُ أَيْضاً تُخَالَفُ عَنْهُمَا
عَجِبْتُ لَهُ إِذْ لَمْ يُلَدْ وَتَوَلَّدَا

ثلاثتها في الذكر جاءت مبينة من اللاء سمّاها لنا الله زينة
وأُنزلَ فيها آيةً مستيئةً وأودعَ فيها للجهولِ سَكينةً
والآءُ فيها على الخلقِ بدداً

كسوه من الوشي اليماني هودجا يمدّ على ما فوقه الظلّ سَجَنجا
وكم صورة تجلّ به تبهّر الحجي وجزل وقود ناره تصدع الدجي
وقلب حسود غاظ مذكيه موقدا

ومسا هي إلا مظهرٌ لجهاده أرتنا بها الأفراحُ فضلَ اجتهاده
ملاعِبُها هزّتْ قُدودَ صِغاده وأذكرت الأبطالَ يومَ طراذه
فما ارتبت فيه اليومَ صدقته غدا

ألا جدّدَ الرحمنُ صنماً حضرته ودوّحَ الأمانِي في ذراهُ هَضْرته
بقصرٍ طويلٍ الوصف فيه اختصرته يقيّد طرفَ الطرفِ مهما نظرتَه
«ومن وجد الإحسانَ قيّداً تقيّداً»^١

دعوت له الأشراف من كلّ بلدة فجاموا بآمالٍ لهم مستجدة
وخصّوا بالطفاف لديه معدّة أيادٍ بفياض الندى مستندة
فكلّهم من فضله قد تزودا

وجاءتك من آل النبي عصابة لها في مراني المكرمات إصابة
أحبّتك حبّاً ليس فيه استراية ولبت دواعي الفوز منها إجابة
وناداهم التخصيص فابتدروا النداء

أجازوا إليك البحرَ والبحرُ يزخرُ ليحرّ سماح مدّه ليس يجزرُ

١ عجز بيت المتنبي ، صدره «وقيدت نفسي في ذراك عجة» .

فروا هم من عذب جودك كثر^١ وواليت من نعمك ما ليس يحصر^٢
وعظمتهم ترجو النبي محمدا

عليه صلاة الله ثم سلامه به طاب من هذا النظام اختتامه
وجاء بحمد الله حلوا كلامه يعز على أهل البيان مرامه
وتمسي له زهر الكواكب حسدا

أبت به حادي الركاب مشرقا حديث جهاد للنفوس مشوقا
رमित به من بالعراق مفوقا وأرسلت منه بالبديع مطوقا
حماما على دوح الثناء مغردا

ركضت به خيل البيان إلى مدى فأحرزت خصل السبق في حلبة الهدى^١
ونظمت من نظم الدراري مقلدا وطوقت جيد الفخر عقدا منضدا
وقمت به بين السماطين منشدا

نسقت من الإحسان فيه فرائدا وأرسلت في روض المحاسن رائدا
وقلدت عطف الملك منه قلائدا تعودت فيه للقبول عوائدا
فلا زلت للفعل الجميل^٢ معودا

ولا زلت للصنع الجميل مجددا ولا زلت للفخر العظيم مخلدا
وعمرت عمرا لا يزال مجددا وعمرت بالأبناء أوحدا أوحدا
وقرت بهم عينك ما سائق حدا

وقال في عيد :

بشرى كما وضع الزمان وأجمل^١ يغشى سناها كل من يتهلل^٢

١ ق : المدي .

٢ الأزهار : للفضل الجزيل .

أبدى لها وجهُ النهارِ طَلَاقَةً
ومنابرُ الإسلامِ يا ملكَ الوري^١
تجلو لنا الأكوانُ منكَ محاسناً
فالشمسُ تأخذُ منَ جبينكَ نورها
والروضُ ينفخُ منَ ثنائكَ طيبه
والبرقُ سيفُ منَ سيوفكَ متضي
يا أيها الملكُ الذي أوصافه^٢
«اللهُ أعطاكَ التي لا فوقها»^٣
وجهٌ كما حسَرَ الصباحُ نقابَه
تلقاهُ في يومِ السماحةِ والوغي
كفٌ أبتَ أن لا تكفَ عن التدي
وشمائلُ كالروضِ باكره الحيا
خلقُ ابنِ نصرٍ في الجمالِ كخلقهِ
نورٌ على نورٍ بأبهى منظرٍ
فاقَ الملوكَ بسيفه وبسبيهِ^٤
وإذا تطاولَ للعميدِ عميدهم
يا آيةَ الله التي أنوارُها
قلُ للذي التبتُ معالمُ رشدِه
قد ناصحَ الإسلامَ خيرُ خليفة
فلقد ظهرتَ من الكمالِ بمستوى

واقترَ من ثغرِ الأفاحِ مقبل
بجلاكَ أو بجليتها تتكلم
تُروى على مرِّ الزمانِ وتُنقل
والبشرُ منكَ بوجهها يتَهَلَّل
والورقُ فيه بالمادحِ تهدل
والسحبُ تهيمُ من يدك وتهمل
درُّ على جيدِ الزمانِ يُفَصِّل
وحباكَ بالفضلِ الذي لا يُجهل
لضيائه تعشو البدورُ الكُمَّل
والبشرُ في جنباتِه يتَهَلَّل
أبدأ فإن ضنَّ الحيا تسترسل
وسرَّتْ برَّياهُ الصَّبَا والشَّمَال
ما بعدها من غايةٍ تُستكمل
في حسنه لمؤملٍ ما يأمل
فبعده وبفضله يُتمثل
فله عليه تطاولٌ وتطوُّل
يُهدى بها قصْدُ الرشادِ الضُّلَّ
هيهات قد وضعَ الطريقُ الأمثل
وحمى عزيزَ الملكِ أغلبُ مُشبل^٥
ما بعده للنوي الخلافةِ مامل

١ هذه رواية الأزهاري ؛ وفي ق : بالملك الملى .

٢ من رجز وتماحه :

وقد أراد المشركون عوقها عنك ويأبى الله إلا سوقها

٣ ق : بسبقه وبسيفه . ٤ ق : مشبل .

وعناية الله اشتملت رداها
فالجود إلا من يدك مقتّر
والعمر إلا تحت ظلك ضائع
حيث الجهاد قد اعثلت رايته
حيث القباب الحمر تُرفع للقري
يا حجة الله التي برهانها
قل للذي ناواك يرقب يومه
والله جلّ جلاله إن أمهلت
يا ناصر الإسلام وهو فريسة
يا فخر أندلس وعظمة أهلها
لا يهمل الله الذين رعيّتهم
لا يبعد النصر العزيز فإتسه
لولا نذاك لها لما نفع الندي
لولا كان الدين يُغْمَطُ حقّه
لكن جنيت الفتح من شجر القنا
ولقبل ما استفتحت كلّ ممنع
ومتى نزلت بمقل متأشب
وإذا غزوت فإنّ سعدك ضامن
فمن السعود أمام جيشك موكب

وعلقت منها عروة لا تُفصل
والغيث إلا من نذاك مبخل
والعيش إلا في جنابك ممحل
حيث المغام للعفاة تنقل
قد عام في أرجائهنّ التندل
عزّ المحقّ به وذلك البطيل
فوراءه ملك يقول ويفعل
أحكامه مستدرجاً لا تهمل
أسد الفلاّمين حولها تسلك
لك فيهم النعمى التي لا تُجهل
فلأنت أكفى والعناية أكفل
آوى إليك وأنت نعم الموئل
ولحف من ورد الصنائع متهل
ولكان دين النصر فيه يُمطل
وجنى الفتوح لمن عدلك مؤمل
من دونه باب المطامع مُقفل
فالعصم من شعفاته تُستزل
أن لا تخيب وأنّ قصدك يكمل
ومن الملائك دون جنك جحفل

١ الأزهار : قام .

٢ ق : يرفع .

٣ الأزهار : المدا . ق : المل .

٤ الأزهار : ملل .

وكتيبة أردفتها بكتيبة
من كل منحفر كلمة بارق
أوفى بهاد كالظلم وخلفه
حي إذا ملك الكمي عنانه
حملت أسود كربة يوم الوغي
لبسوا الدروع غدائراً مصقولة
من كل معتدل القوام مثقف
أذكت فيه شعله من نصله
ولرب لماع الصقال مشهر
رقت مضاربه وراق فيرنده
فإذا الحروب تسعرت أجزالها
وإذا دجا ليل القتام رأيت
فاعجب لها من جذوة لا تنطفي
هي سنة أحييتها وفريضة
فإذا الملوك تفاخرت بجلودها^١
يا ابن الدين جملهم ونواهم
يا ابن الإمام ابن الإمام ابن الإما
آباؤك الأنصار تلك شعارهم
فهم الألى نصروا الهدى بعزائم
ماذا يحبر شاعر في مدحهم
مولاي لا أحصي مآثرك التي

والخيل تمرح في الحديد وترفل
بالبدن يسرج والأهلة ينعل
كفل كما ماج الكتيب الأهيل
يهوي كما يهوي بجو أجدل
ما غابها إلا الوشيع الذبل
والسمر قصب فوقها تتهدل
لكنه دون الضريبة يعسل
يهدي بها إن ضل عنه المقتل
ماضي ، ولكن فعله مستقبل
فالحسن فيه مجمل ومفصل
ينساب في يملك منها جدول
وكأنه فيه ذبال مشعل
في أبحر زخرت وهن الأعمال
أديتها قرباتها تتقبل
فلأنت أحق بالجهاد وأفضل
شمس الضحى والعارض المتهلل
م ابن الإمام ، وقدرها لا يُجهل
فلحيهم آوى النبي المرسل
مصقولة وبصائر لا تحذل
وبفضلهم أنى الكتاب المنزل
بجديتها تنضي^٢ المطي^١ الذلل

١ الأزهار : بجلودها .

٢ الأزهار : تنضي .

وإذا الحقائقُ ليس يدركُ كنهها
فإليكَ من شِوَالِ غِرَّةٍ وجهه
عذراء راقٍ العيدَ رونقُ حسنِها
رضعتُ لبانَ العلمِ في حِجرِ النُّهى
سلكَ البيانُ بها سبيلَ إجادَةٍ
جاءت تهنِي العيدَ أَيْمَنَ قادمٍ
وطوى الشهورَ مَراحِلًا معدودةً
وأتى وقد شَفَّ النحولُ هلاله
عقدتُ بِمِرْقَبِ العيونِ مُسَرَّةً
فاسلمُ لألفِ مثله في غبطةٍ
فلذا بقيتُ لنا فكلُّ سعادةٍ
في الدينِ والدُّنيا بها تتكفلُ
سَيَّانٍ فيها مَكْرٌ ومُقْتَلٌ
أهداكها يومٌ أغرُّ مُحَجَّلٌ
فقدنا بنظمِ حليتها يتجملُ
فوقَتْ لها منه ضروعُ حُفْلٍ
لولا صفاتُكَ كان عنها يعدلُ
وافى بشهرِ صِيامِهِ يتوسَّلُ
كيما يُرى بِفِئاءِ جودك ينزلُ
ولشوقه للقاءِ وجهك ينحلُ
فمكَبَّرَ لطلوعِهِ ومُهَلَّلُ
ظلَّ المني من فوقه يتهدَّلُ
في الدينِ والدُّنيا بها تتكفلُ

وقال ابن الأحمر : ومن جِيَادِ أناشيده المُمَيِّزة بالسبقية ، وبارقات تَهَانِيهِ فِي
المَوَاسِمِ العَقِيقِيَّةِ ، قَوْلُهُ يَهْنَتُهُ - رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ - بِطُلُوعِ مَوْلَانَا الْوَالِدِ
قُدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحُهُ ١ :

طَلَعَ الْهَلَالُ وَأَفْقُهُ مَتَهَلَّلُ
أَوْفَى عَلَى وَجْهِ الصَّبَاحِ بَغْرَةٌ
شَمْسُ الْخِلَافَةِ قَدْ أَمَدَّتْ نُورَهُ
لِلَّهِ مِنْهُ هَلَالٌ سَعْدٍ طَالِعٌ
وَأَلَحَتْ يَا شَمْسُ الْهَدَايَةِ كَوْكَبًا
وَالتَّاجُ تَاجُ الْبَدْرِ فِي أَفْقِ الْعَلَا
فَمَكَبَّرَ لَطُلُوعِهِ وَمُهَلَّلُ
فَقَدْذَا الصَّبَاحُ بِنُورِهِ ٢
وَبَسَعْدِهَا يَرْجُو التَّمَامَ وَيَكْمُلُ
لِضِيَائِهِ تَعْشُو الْبُدُورُ الْكُتْمَلُ
يُعْشِي سَنَاهُ كُلِّ مَنْ يَتَأَمَّلُ
مَا زَالَ بِالزُّهْرِ النُّجُومِ يَكْلَلُ

١ لتشابه القصيدتين تشابه كثير من الأبيات .

٢ الأزهار : بنورها .

ولئن حوى كلَّ الجمالِ فإنه
أطلعتْ يا بدرَ السّماحِ هلاله
يبدو بهالاتِ السّروجِ وإنه
قلدتْ عطفَ الملكِ منه صارماً
حليتهُ بحلّ الكمالِ وجوهرِ الـ
يفزو أمامك والسّعودُ أمامه
مَنْ مبلغُ الأنصارِ منه بشاره
أحيا جهادهمُ وجدّدَ فخرهم
فيه إلى الأجرِ الجزيلِ توصّلوا
مَنْ مبلغُ الأذواءِ من يَمَنُ وهمُ
أنَّ الخلافةَ في بنهمُ أطلعتْ
مَنْ مبلغُ قحطانِ آسادِ الشرى
أنَّ الخلافةَ وهو شبلُ ليوهمُ
يَني بني الأنصارِ أنَّ إمامهمُ
يَني البنودَ فإنها مستظلهُ
يَني الجيادِ الصافناتِ فإنها
يَني المذاكي والعوالي والظُّبي
يَني المعالي والمفاخرَ أنَّه
سبقتْ مقدّمةُ الفتحِ قدومهُ
وبدتْ نجومُ السعدِ قبلَ طلوعه

بالشَّهبِ أبهى ما يكونُ وأجمل
والملكُ أفقُ الخلافةِ متزل
من نورِ وجهك في العلا يستكمل
بغنائهِ ومضائهِ يُتمثّل
خلُقِ النّفيسِ وكلَّ خلُقٍ يجعل
وملائكُ السّبعِ العلا تنزّل
غرُّ البشائرِ بعدها تسترسل
بعد المئين فملكهم يتأثّل
وبهم إلى ربِّ السما يتوسّل
قد توجّوا وتملكوا وتقيّلوا
قمرأ به سعدُ الخليقةِ يكمل
ما غابها إلاّ الوشيح الذُّبُل
قد حاط منها الدينَ ليثُ مُشبل
قد بلغتْهُ سعوده ما يأمل
وجناح جبريل الأمين يظلل
بفتوحه تحت الفوارس تهدل
فيها إلى نيلِ المني يتوصّل^٢
في مرتقى أوجِ العلا يتوقّل
وأناك وهو الوادعُ المنهمل
تجلو المطامع قبله وتؤثّل^٣

١ الأزهار : مليكهم .

٢ ق : يتوسل .

٣ الأزهار : لا تأفل .

وروتُ أحاديثَ الفتوحِ غرائباً
ألقتْ إليكَ بهِ السَّعُودُ زمامَها
فالفتحُ بينَ معجَلٍ ومُوجَلٍ
أوليسَ في شأنِ المشيرِ دلالةٌ
ناداهُمُ داعي الضلالِ فأقبلوا
عَصَبُوا الرسولَ إِيَّايَةَ وتحكمتُ
كانوا جبالاً قد عَكَتْ هضباتُها
كانوا بحاراً من حديدٍ زاخِرٍ
ركبتُ أرجلُها الأَدامَ كُلَّما
كان الحديدُ لباسَهم وشعارَهم
«اللهُ أعطاك التي لا فوقها»
جددتُ للأَنصارِ حُلِّيَ جهادِها
من يتحفُ البيتَ العتيقَ وزمزمأ
متسابقينَ إلى مَثابَةِ رحمةٍ
هيماً كأفواجِ القطا قد ساقها
من كلِّ مرفوعِ الأكفِ ضراعةٌ
حتى إذا روتِ الحديثَ مسلسلأ
من فتحك الأسنى عن الجيشِ الذي
أهدتهمُ السَّراءُ نصرةً دينَهم
وتناقلوا عنكَ الحديثَ مسرَّةً
ودعوا بنصرِكَ وهو أعظمُ مفخراً

والنصرُ يَملي والبشائرُ تنقل
فالسعدُ يُمضي ما تقولُ ويفعل
يُنسيكَ ماضيه الذي يستقبل
أنَّ المقاصدَ من طلابكَ تكمل
ودعاهُمُ داعي المنون فجَدُّوا
فيهمُ سيوفُكَ بعدها فاستمثلوا
نسفتهمُ ريعُ الجِلادِ فزَلُّوا
أذكتهمُ نارُ الوغى فتسبَّلوا^١
يتحرَّكونَ إلى قيامِ تصهل
واليومَ لم تلبسَهُ إلاَّ الأَرجل
فَتَحَّا بهِ دينُ الهدى يثأثل
فالدينُ والدنيا بهِ تتجمل
والوفدُ وفدُ اللهِ فيه ينزل
من كلِّ ما حَدَّبَ إليه تنسل
ظماً شديداً والمطافُ المنهل
والقلبُ يخفقُ والمدامعُ تهمل
بيضُ الصوارمِ والرماحُ العُسل
بشباتِهِ أَهلُ الوغى تتمثل
واستبشروا بحديثِها وتهلَّلوا
بسماعِهِ واهتزَّ ذاكَ المحفل
إنَّ الحجيجَ بنصرِ ملكك يحفل

١ ق : ثاني .

٢ ق : فنفتهم ... الضلال .

٣ ق : فتبسلوا .

فاهناً بملكك واعتمد شكراً به
 شرفت منه باسم والدك الرضى
 أبديت من حسن الصنيع عجائباً
 خفقت به أعلامك الحمر التي
 هدرت طبول العز تحت ظلها
 ودعوت أشراف البلاد وكلهم
 وردوا ورود الهيم أجهدا الظما
 وأثرت فيه للطراد فوارساً
 من كل وضاح الجبين كأنه
 يرد الطراد على أغر عجّل
 قد عودوا قنص الكماة كأنما
 يستبعون هودجاً مؤشية
 قد صوّرت منها غرائب جمّة
 وتضمنت جزل الوقود حمولها
 والعاديات إذا تلت فرسانها
 لله خيلك ؛ إنها لسوابح
 من كل برقي بالثريا ملجّم
 أوفى بهاد كالظليم وخلفه
 هنّ البوارق غير أنّ جيادها
 من أشهب كالصبح يعلو سرجه
 أو أدهم كالليل قلند شهبه
 لطف الإله وصنعه تتخول
 يحيا به منه الكريم المفضل
 تُروى على مرّ الزمان وتُنقل
 بخفوقها النصر العزيز موكل
 عنوان فتح إثرها يستعجل
 ينبي الجميل وصنع جودك أجمل
 فصفا لهم من ورد كفك متهل
 مثل الشموس وجوههم تتهلّل
 نجم وجنح النقع ليل مسبل
 في سرجه بطل أغر عجّل
 عقابها ينقض منها أجدل
 من كل بدع فوق ما يتخيّل
 تنسي عقول الناظرين وتذهل
 والنصر في التحقيق ما هي تحمل
 آتي القتال صفوفها ترتل
 بحر القتام وموجه متهلّل
 بالبدر يسرج والأهلة ينعل
 كفّل كما ماج الكئيب الأهيل
 عن سبق خيلك يا مؤيد تنكل
 صبح به نجم الضلالية يافل
 خاض الصباح فأثبتته الأرجل

١ ق : يتحمل .

أو أشقرٍ سالَ النُّضارُ بعطفه
أو أحمرٍ كالخمرِ أضمر بأسه
كالخمرِ أتزع كأسها لندامها
أو أصفرٍ لبسَ العشيَّ ملاءةً
أجملتَ في هذا الصنيعِ عوائلداً
أنشأتَ فيها من نذاك غمائمًا
فجرتَ من كفّيك عشرةَ أبحرٍ
من قاس كفك بالغمام فلانةُ
تسغو الغمامُ ووجهها متجهمُ
والسُّحبُ تسمعُ بالمياهِ وجوده
من قاس بالشمسِ المنيرةَ وجهه
من أين للشمسِ المنيرةَ منطقُ
من أين للشمسِ المنيرةَ راحةُ
من قاس بالبدرِ المنيرِ كماله
من أين للبدرِ المنيرِ شمائلُ
من أين للبدرِ المنيرِ مناقبُ
يا مَنْ إذا نفحتْ نواسمُ حمده
يا من إذا لمحتْ محاسنُ وجهه
يا مَنْ إذا تُلّيتْ مفاخرُ قومه
كفل الخلافةَ منك يا ملكَ العلا
مأمونُها وأمينُها ورشيدُها
وكساهُ صبغةَ بهجةٍ لا تنصل
بالركضِ في يوم الحفيظة يشعل
وبها حباةُ غرةٍ تتسَيَّل
وبذيله ليل ذيلُ مُسَبَّل
الجودُ فيها مجملٌ ومفصلُ
بالفضلِ تنشأ والسماحةُ تهمل
ترجي سحاب الجودِ وهي الأمل
جَهْلُ القياسِ ومثلها لا يجهل
والوجهُ منه مع الندى يتهلل
ذهبُ به أهلُ الغنى تتمول
ألفيتهُ في حكمه لا يعدل
بيانهِ درُ الكلامِ يُفصلُ
تسخو إذا بخلَ الزمانُ الممحِل
فالبدرُ ينقصُ والخليفةُ يكمل
تسري برّياها الصبا والشمال
يجهادها تُنضي المطيُّ الذُّكُل
فالمسكُ يعبقُ طيبُهُ والمندل
تعشو العيونُ ويبهَرُ المتأمل
آيُ الكتابِ بذكرها تتزَل
واللهُ جلُّ جلالهُ لك أكفل
منصورها مهديها المتوكل

حَسْبُ الخِلافة أن تكون وليَّها
حَسْبُ الزمان بأن تكون إمامه
حَسْبُ الملوك بأن تكون عميدها
حَسْبُ المعالي أن تكون إمامها
يا حجةَ الله التي برهانها
أنتَ الإمامُ ابن الإمام ابن الإمام
علَّمتَ حتى لم تدع من جاهلٍ
وعنايةُ الله اشتملت رداها
ومنها^١ :

أخذت قلوبَ الكافرين مهابةً
حسبوا البروقَ صوارماً مسلولةً
وترى النجومَ مناصلاً مرهوبةً
يا ابنَ الألى إجمالهم وجمالهم
مولاي لا أحصي مآثرَكَ التي
أصبحتُ في ظل امتداحك ساجداً
طوقته طوقَ الحمايم أنعماً
فإليك من صون العقول عقيلةً
عنراء راق الصنع رونقَ حسنِها
خيرتها بين المني فوجدتها
ففقولهم من خوفها لا تعقيلُ
أرواحهم من بأسها تسليلاً
يفرُّ منها الخائفُ المتنصل
شمسُ الضحى والعارضُ المتهلّل
بجهادها يتوصّل المتوسّل
ظلُّ^٢ المني من فوقه يتهدّل
فقدنا بشرككَ في المحافل يهدل
أهداكها صنعٌ أغرُّ عجّل
فقدنا بنظمِ حليها يتكلّل
أقصى مناهها أنها تُتقبّل

١ قال في أزهار الرياض (٢ : ١٢١) بعد هذا البيت : اتصل بهذا البيت جملة من القصيدة المترجمة في العيديات التي أولها « بشرى كما وضع الصباح وأجمل » وحذفناها من هذه اقتصاراً للتكرار .
٢ الأزهار : ظل .

لا زلت شمساً في سماء خلافةٍ وهلاكٍ الأسمى يتمُّ ويكمل
قال : ومن رقيق منازعه في بعض نُزّه مولانا رضوان الله عليه بالقصر
السلطاني من شنيل قوله :

نفسى الفداء لشادن مهما خطرتُ
فضح الغزاة والأفاحة والقنا
عجياً لليل ذوائب من شعره
عجياً لعقد الثغر منه منظماً
ما رمتُ أن أجني الأفاح بشعره
لم أنسه ليل ارتقاب هلاله
بنسباً نراقبه بأول ليلة
طالعته في روضة كخلاله
وكلاهما بيدي محاسن جمّة
والكأس تطلع شمسها في خده
نورية كجبينه ، وكلاهما
هي نسخة^٣ للشيخ فيها نسبة
أفرغت في جسم الزجاجة روحها
لا تسقى غير الروض فضلة كأسها
ما هب حفاق النسيم مع السحر
ناجى القلوب الخافقات كمثلته^٤

فالقلم من ستهم الجفون على خطرتُ
مهما تثنى أو تبسم أو نظرتُ
والوجه يسفر عن^١ صباح قد سفر
والعقد من دمعي عليه قد انتثر
إلا وقد سلّ السيوف من الحور
والقلم من شك الظهور على غرر
فلذا به قد لاح في نصف الشهر
والطيب من هذي وتلك قد اشتهر
ملء التنسم^٢ والمسامع والبصر
فتكاد تُعشي بالأشعة والنظر
يجلو ظلام الليل بالوجه الأغر
ما إن يزالا يرعشان من الكبر
فرايتُ روح الأنس منها قد بهر
فالعصن في ذيل الأزاهر قد عثر
إلا وقد شاق النفوس وقد سحر
ووشى بما تحفي الكمام من الزهر

١ الأزهار : والوجه منه من .

٢ الأزهار : المشام .

٣ كذا في ق ؛ وفي الأزهار : شيمة ، وكلتا اللفظتين قاصرة الدلالة .

٤ ق : لثله ، والمعنى : أن القلوب خافقات كمثل خفق النسيم المذكور في البيت السابق .

وروى عن الضحاك عن زهر الرُّبِّي
ونَحَمَلَتْ عَنْهُ حَدِيثَ صَحِيحِهِ
يَا قَصْرَ شَيْلٍ وَرَبْعَكَ أَهْلُ
لِلَّهِ بِمَرْكَ وَالصَّبَا قَدْ سَرَدَتْ
وَالْأَسْ حَفَّ عِدَارُهُ مِنْ حَوْلِهِ
قَبْلَ بَثْرِ الزَّهْرِ كَفَّ خَلِيفَةُ
وَأَفْرَشَ خُلُودَ الْوَرْدِ تَحْتَ نَعَالِهِ
وَانْظُمَ غَنَاءُ الطَّيْرِ فِيهِ مَدَائِحُ
الْمُنْتَقَى مِنْ جَوْهَرِ الشَّرَفِ الَّذِي
وَالْمَجْتَبَى مِنْ عَنَصْرِ النُّورِ الَّذِي
ذُو سَطْوَةٍ مَهْمَا كَفَى، ذُو رَحْمَةٍ
كَمْ سَائِلٍ لِلدَّهْرِ أَقْسَمَ قَائِلًا :
مَوْلَايَ سَعْدَكَ كَالْمُهَنْدِ فِي الْوَعَى
مَوْلَايَ وَجْهَكَ وَالصَّبَاحُ تَشَابَهَا
إِنَّ الْمُلُوكَ كَوَاكِبُ أَخْفَيْتَهَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ زَمَانِكَ مَوْسَمُ
فَاسْتَقْبَلِ الْأَيَّامَ يَنْدَى رَوْضَهَا
قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا الْعَشَايَا ضَعْفَ مَا
يَا ابْنَ الدِّينِ إِذَا تُعِدَّةَ خِلَالِهِمْ
إِنْ أوردوا هَيْمَ السِّبْوَ غِلَاثِرَا
سَائِلُ يَبْدُرُ عَنْهُمْ يَبْدُرُ الْهَدَى

ما أسند الزهري عنه عن مطر
رُسُلُ النسيم وصدق الخبر الخبر
والروض منك على الجمال قد اقتصر
منه دروعاً تحت أعلام الشجر
عن كل من يهوى العذار قد اعتلر^١
يغنيك صوب الجود منه عن المطر
واجعل بها لون المضاعف عن خضر
وانثر من الزهر الدراهم والدرر
في ملحه قد أنزلت آي السور
في مطلع الهدى المقدس قد ظهر
مهما عفا ، ذو عفة مهما قدر
والله ما أيامه إلا غرر
لم يبق من رسم الضلال ولم يدر
وكلاهما في الحافقين قد اشتهر
وظلعت وحدك^٢ في مظاهرها قمر
في طية الخلق أعياد كبر
ويرف والنصر العزيز له ثمر
قد فضضت منها المحاسن في السحر
نفد الحساب وأعجزت منها القدر
مصقولة فلطالما حملوا الصلر
فيهم على حزب الضلال قد انتصر

١ ق : اقتدر .

٢ الأزهار : وجهك .

واسأل مواقفهم بكلّ مشهرٍ
تجد الثناء بيأسهم ويجودهم
فيمثل هديك فلتنر شمس الضحى
ماذا أقول وكلّ وصف معجز
تلك المناقب كالنواقب في العلا
إن غاب عبدك عن حماك فإنه
فاذكره إن الذكر منك سعادة
ورضاك عنه غاية ما بعدها
فاشكر صنيع الله فيك فإنه
وعليك من روح الإله تحية

واقر المغازي في الصحيح وفي السير
في مصحف الوحي المنزل مستطر
وبمثل قومك فليفاخر من فخر
والقول فيك مع الإطالة مختصر
من رامها بالخصر أدركه الخصر
بالقلب في تلك المشاهد قد حضر
وبها على كل الأنام قد افتخر
إلا رضى الله الذي ابتدع البشر
سبحانه ضمنّ المزيّد لمن شكر
تهفو إليك مع الأصائل والبكر

ثمّ قال : ومن أغراضه الوقتية — استرسالاً مع الطبع البديهي في الشكر عن
ضروب من التحف التي يقتضيها التحقّي السلطاني بأولياء خدمته — نبذ متعددة
فيما يظهر فيها ، فمنها قوله :

يا خير من ملك الملوك بجوده
والله ما عرف الزمان وأهله
وافيت أهلي بالرياض عشية
فوجدته قد طله صوب الندى
وسفائن مشحونة ألقى بها
رطب من الطلع النضيد كأنها
من كل ما كان النبي يحبها
وبدائع التحف التي قد أطلعت

وبفضله قد أشبه الأملكا
أمناً ويمناً دائماً لولاكا
في روض جاهك تحت ظل ذراكا
بسحاب تنهل من يمناكا
بحر السماح يحيش من نعمكا
قد نظمت من حسنهما أسلاكا
وأحبها الأنصار من أولاكا
مثل الدور أنارت الأحلاكا

١ الأزهار : رضاكا .

نُطِفَ من النورِ المينِ تجسّمتُ
يحلّو على الأفواهِ طيبُ مذاقِها
طافتُ بها النشأُ الصغارُ كأنّها
نجواهُمُ مهجاً سمعتُ كلامهمُ
بلّغتُ في الأبناء عبّداً سؤلَهُ
يتدارسونَ من الدعاءِ صحائفاً
فبقيتُ شمساً في سماءِ خلافةٍ
حتى حسينا أنهنّ هُداكا
لولا التجسّدُ خلّتهنّ ثناكا^١
سِرْبُ القطا لما وردن نّداكا
ونداؤهم : مولاي ، أو مولاكا
لا زلتَ تبلغُ في بنيك مُناكا
كيما يطيلَ الله في بقيناكا
وهمُ البدورُ أمدّهنّ سناكا
ومنها وقد أهداه نعمة الله أطباقاً من حبّ الملوك^٢ :

كتبَ الإلهُ على العبادِ محبةً
وأنا الذي شَرَفْتَهُ من بينهمُ
ما زلتَ تُحَفِّضُهُ بكلِّ ذخيرةٍ
وإلى الملوكِ قد اعتزى من عزّه
لك كان فرضُ كتابها موقوتا
حتى جعلتَ له المحبةَ قوتا
حتى لقد أنحفّتَه الياقوتا
فغدا له ياقوتها ممقوتا

ومنها في مثل ذلك :

يا خيرَ مَنْ ملكَ الملوكُ
فكأنّما ياقوتها
إنّ الملوكَ إذا بلّجوا
وكذا العفاةُ إذا شكّوا
فاللهُ يقبلُ مَنْ دعا
لا زلتَ تطلعُ غُرّةً
أهديتني حبّ الملوكُ
نظمتُ لنا نظمَ السلوكِ
فغيّثهمُ أنْ أمْلوكُ
فغناهمُ أنْ يسألوكُ
لعلاكَ من أهلِ السلوكِ
كالشمسِ في وقتِ الدُّلوكِ

١ الأزهار : سناكا .

٢ ما يعرف في مصر باسم « حب العزيز » .

ومنها ، وقد أهداه صيداً ممّا صاده أولاده :

يا خيرَ مَنْ ورثَ السماحَ عن الأُمّلى	نصروا الأُمّلى وتبوّأوا إيماننا
في كلّ يومٍ منك تحفةٌ منعمٍ	والى الجميلَ وأجزَلَ الإحسانا
قد أذكرتُ دارَ النعيمِ عبيدَه	وتضمنتُ من فضلهِ رضوانا
تهدي مَوالي ^١ الذينَ تفرّعوا	عن دَوْنِ فخركَ في العلا أغصانا
بجلالكَ الأعلى قنيصاً أتعبوا	في صيدهِ الأرواحَ والأبدانا
فتخصّني منهُ بأوفَرِ قسمةٍ	فَسَحَتْ لِعبدكَ في الرضى ميدانا
اللهِ مِنْ مَوَلّى كريمٍ باللي	تهدي الموالى يُتحفُ العبدانا
تدعو بنيّ إلى الغنى برّبّه	يا ربّنا أغنِ الذي أغنانا
وعليكَ من قدسِ الإلهِ تحيةٌ	تهديكَ منهُ الرّوحَ والريحانا

ومنها ، وقد أهداه أصنافاً من الفواكه :

يا مَنْ له الوجهُ الجميلُ إذا بدا	فاقتُ محاسنهُ البدورَ كمّالا
والمتقى من جوهرِ الفخري الذي	فاقَ الخلائفَ عزّةً وجمالاً ^٢
ما أبصرتُ عيناى مثلَ هديّةٍ	أبدتُ لنا صنعَ الإلهِ تعالى
فيها من التفاحِ كلّ عجيبةٍ	تدكي بريّاتها صبّاً وشمالاً
تهدي لنا نهدَ الحبيبِ وخدّه	وتري من الوردِ الجنيّ مثالا
وبها من الأترجِ شمسٌ أطلعتُ	من كلّ شطرٍ للعيونِ هلالاً
ويحفّها ورقٌ يروقُ كأنّه	ورقُ النُضارِ وقد أجاد نبالاً
لون ^٣ العشيّةَ ذهبتَ صفحاتها	رقتُ وراقتُ بهجةً وجمالاً

١ الأزهار : مواليك .

٢ الأزهار : وجلالا .

٣ ق : لولا .

وبها من النّقلِ الشّهيّ مذكّرٌ
 للهٍ منها خُضرةٌ من خُضرةٍ
 أذكرتني العهدَ القديمَ ومعهداً
 فأردتُ تجديدَ العهدِ وإنّما
 فأردتُ من ذكراك كأسَ مدامةٍ
 فبقيتَ شمساً في سماءِ خلافةٍ
 عهداً تولّى ليتسهُ يتوالى
 تغني العُفاةَ وتُحسبُ الآمالا
 كانتُ شمسُ الرّاحِ فيه تلالا
 كتبَ المشيبُ على عذارِي لا لا
 وشربتُ من حبي لها جريالاً
 لا يستطيعُ لها الزمانُ زوالاً

ومنها يوم عاشوراء :

يا أيها المولى الذي بركاته
 لك راحةٌ تزجي الغمامَ بأنملٍ
 واليومَ موسمُ قربةٍ وعبادةٍ
 راعيتَ فيه سُنّةَ نبوةٍ
 لا زلتَ عاملكَ كلّهُ في غبطةٍ
 رفعتُ لواءَ النّدى منشوراً
 فجرتُ منها بالنوالِ بحوراً
 وغداً ، ظفرتُ بأجره ، عاشوراء
 تروي الثقاتُ حديثه المشهوراً
 لُقيتَ منها نَصرةٌ وسروراً

ومنها في بعض قطعة :

واليتَ ما أوليتَ يا بحرَ النّدى
 فإذا يهزّ لها اللسانُ حسامةُ
 علّمتَ فرسانَ الكلامِ نظامها
 والبحرُ تمتازُ السحابُ ماءه
 ووحقٌ جودك ما رأيتُ كهذه
 فصفاً فخرُك قد قضتُ بنفاذه
 كتعلّمَ التلميذُ من أستاذه
 فتجودهُ من غيثها برّذاذه

ومنها ، وقد أهداه باكوراً :

يا وارثَ الأنصارِ ومهيّ مزيّةٍ
 أهديتني الباكورَ وهيّ بشاره
 بفخارها أني الكتابُ المتزّلُ
 ببواكرِ الفتحِ الذي يُستقبلُ

وولادةٌ لهلالٍ تيمّ طالعٌ
هو أولُ الأنوارِ في أفقِ الهدى^١
مولايَ صديقُ الفالِ قد جربتهُ
من لفظِ عبدك، والعواقبُ أجملُ
وجهُ الزمانِ بوجهه يتهلّلُ
وترى الأهلّةَ بعدهُ تسترسلُ

ومنها في جفنة :

طعامك من دارِ النعيمِ بعثتهُ
بهضبةِ نعمى قد سمونا لأوجيها^٢
وقوراء قد درّنا بهالةٍ بدرها
وقد حُمِلت فوقَ الرؤوسِ لأنها
فما شئت من طعمِ زكيٍّ مُهنِّلٍ
فلو أنها قد قدمت لخليفةً
وكم لك من نعمى عليّ عميمةً
فلا زلت يا مولى الملوكِ مبلّغاً
فشرّفته من حيث أدري ولا أدري
فصدنا بأعلاها الشهيّ من الطيرِ
كما دارت الزهرُ النجومُ على البدرِ
هديةً مولّى حلّ في مفرقِ الفخرِ
وما شئت من عَرَفٍ ذكيٍّ ومن نشرِ
لأعظمها قدراً وبالعَ في الشكرِ
يقُلُّ لأدناها الجميلُ من الذكرِ
أمانيّ ترجوها إلى سالفِ الدهرِ

ومنها شكراً عن كتاب :

مولاي يومَ الجمعةِ
فانعمْ صباحاً واغتمْ
وابشرْ بصنعِ عاجلِ
وانتظرِ الفتحَ الذي
وبيضُسهُ وسُمرُه
واللطفُ مرجوٌ فردُ
سعودُه مجتمعهُ
أوقاتهُ المجتمعهُ
أعلامُه مرتفعهُ
يأتيك بالنصرِ معه
إلى العداةِ مُشرّعهُ
بفضلِ ربي مشرّعهُ

١ ق : الندى .

٢ ق : لأجلها .

فانحني شرفتي	برقعة مرفعة
بل روضة مطورة	أزهارها منوعة
حديقة قد جدتها	بصوب جود مترعة
وراية منشورة	وآية مستبدعة ^١
كم حكيم لطيفة	في طيها مستودعة
عقيلة صورتها	من الجمال مبدعة
سقيتي من فضلها	بفضل كاس مترعة
قدم وأملك الوري	على علاك مجمعة

ومنها شكراً على خلعة :

يا بدر تم في سماء خلافة	حققت نجوم السعد هالة قصره
ألبيت عبدك من ثيابك ملبساً	قد قصرت عنه مدارك شكره
ورضاك عنه خير ما ألبيته	فلقد أشاد بجاهه وببره
ألبستني ، أركبني ، شرفني	أهديني ما لا أقوم بحصره
نظري لوجهك وهو أجمل نير	يزري على شمس الزمان وبدره
أعلى وأعظم منة لا سيما	وأنا المنعم في الحضور بيشره
لا زلت مولى للملوك مؤملاً	وحلاك للإسلام مفخر دهره

ومنها ، وقد خلع — رضوان الله تعالى عليه — على رسول من أرساله :

أبحر سماح مد عشرة أبحر	تفيض غمام الجود وهي الأنامل
بكفك غيث البلاد وأهلها	يروض محل الأرض، والعام محل

١ سقط البيت والذي يليه من ق .

٢ الأزار : وعلاك .

لك الخير إن أصبحت بحر ساحة يعم نداء فالمواهب ساحل
خلعت على هذا الرسول ملابساً بها تتسنى في علاك المآمل
وبلغته آماله كيف شاءها قبلت يا مولاي ما أنت آمل

ومنها وقد مرض بعض أبنائه رحمة الله تعالى على الجميع ، قوله سائلاً عن حاله :

أسألك بدر التم كيف هلاله وأدعوك الرحمن جل جلاله
وأسأله تعجيل راحته التي وسيلتنا فيها النبي وآله
ستبلغ فيه ما تؤمل من منى ويرضيك يا بدر الكمال كماله

وفي مثله :

أقول لبدر التم كيف هلالكا نعمت صباحاً بالسعود^١ وآلكا
وبلغت في النجل الكريم^٢ سعادة تفر بها عيناً وينعم بالكا
وخصمت بالبشرى من الله ربنا كما عم أقطار البلاد نوالكا

ومن التورية باسم قائد ولاء على جماعة من الجند :

يا أيها المولى الذي أيامه تهمني بسحب الجود من آلائه
أبشر بلحيشك بالسعادة كلما يغزو وتصر الله تحت لوائه

وأنشده في مجلس اتخذه :

أمولاي يا ابن السابقين إلى العلا ومن نصروا الدين الحنيفي أولاً
غشيت بنور الله عن كل زينة وألبست من رضوانه أشرف الحل
وقارك زاد الملك عزاً وهبة وسوغه من رحمة الله منهل

١ الأزار : بالسرور .

٢ الأزار : السعيد .

ويا شمس هدي في سماء خلافة .
تبارك من أبدالك في كل مظهر
فيخجل منك الشمس شمس هداية
إذا أنت ألبست الزمان وآله
وطوقت أجياد الملوك أيادياً
فما شئت فالبس فالشاهد قائل :
ألا كل من صلي وضحي ومن دعا
وجودك شرط في حصول قبوله

وأبناؤه الزهر المنيرة تجلى
جميلاً جليلاً مستعاضاً مؤملاً
ويحسد منك البدر بدرأ مكملاً
ملايس عز ليس يدركها البلى
وتوَجَّتهم بالفخر تاجاً مكللاً
تبارك ما أبهى وأسنى وأجملاً
ومد يديه ضارعاً متوسلاً
وجودك أثرى كفه فتنفلاً^١

وقال برسم ما يرسم علي ثوب في بعض هدايا مولانا رحمه الله تعالى للسلطان أبي
العباس :

أهدي أباً العباس
ثوب السماء لأنه
فلق الصباح بوجهه
يكسو إماماً لم يزل
في له من مرتد
أذباله من حمده
وبطرزه مدح زرى
إن كنت في لون السما
فلأنت يا بدر العلا
أنا منشد « ما في وقو

ملك الندى والباس
بدر بسدا للناس
عوذته بالناس
بحلى المحامد كاسي
ثوب الثقي لباس
مسكية الأنفاس
بالمدح في القرطاس
بنسبة وقياس
شرفتني بلباس
فك ساعة من باس^٢

١ الأزار : متنفلاً .

٢ صدر بيت لأبي تمام ، وعجزه « تقضي ذمام الأربع الأدراس » .

ترى رياضاً^١ أطلعت
 أوراقهن توريقهن
 ومن المديح مدامتي
 فقله يمتع لابي
 زهراً على أجناس
 يقضيها الميساس
 ومن المجامر كاسي
 بالبشر والإيناس

وقال في مثل ذلك :

إن الإمام عمداً
 للباسه ثوباً ، وقد
 وعمامة الشفق^٢ التي
 يا حسنها إذ أرسلت
 وكان وشي رقومها
 وبطرزه لون السما
 لله منسسه نيسر
 مستنصر ، أعلى له
 أهدي الخليفة أحمد
 لبس المحامد وارتدى
 من فوقها شمس الهدى
 من كفه غيث الندى
 بالبرق طرر عسجداً
 ووجهه قمر بدا
 حل المنازل أسعدا
 فوق المنازل أسعدا

ثم قال وأنشده وهو على جواد أدهم :

تيمكتني لنا المولى الإمام عمداً
 فأبصرت صباحاً فوق ليل وقد حكى
 على أدهم قد راق حسن أديمه
 مقلد ذاك الطرف بعض نجومه

وكتب له مع هدية زهر :

أمولاي تقيلي ليمناك شاقني
 ولما رأيت الدهر ما طلكتي بها
 ولا ينكر الظمان شوقاً إلى البحر
 وشوقي من حيث أدري ولا أدري

١ ق : رياضاً .

٢ الأزهار : التقوى .

بعثتُ لكَ الزَّهرَ الجَنِّيَّ لعلَّهُ يقبلُها عني ثغورٌ من الزَّهرِ
وكتبُ إليه أيضاً متشوقاً :

كتبْتُ ودمعي بلَّلَ الركبَ قطرُهُ
حنيناً لمولِّي أتلَفَ المالَ جودُهُ
وما عشتُ بعدَ اليَينِ إلَّا لأنَّني
وأنشدَه أيضاً وهو بحالٍ تألمُ :

كأنِّي بلطفِ الله قد عَمَّ بحُلُقِهِ
وقاضي القضاء الحَتمَ سَجَلُ بَختِهِ^١
وعافى إمامَ المسلمينَ وقد شفى
ونخطُّ على رسمِ الشفاءِ له « اكفى »
وله في مثل ذلك :

لكَ الخيرُ يا مولاي أبشِرْ بعصمة
وعافيةٍ في صحَّةٍ مستجدَّةٍ
ووجهُ التَّهاني مُشرقٌ متهلِّلٌ
وقد ظهرتُ للبرِّ منكَ علامةٌ
عقدتَ مع الأيامِ في حفظها صلحا
تجددُ للدينِ السَّعادةَ والتَّشجعا
وجوَّ الأمانِ بعدما غام قد أضحي
علامتك العلياً^٢ تقول لنا « صحا »
وفي مثل ذلك :

يا إماماً قد نخذنا
نخطُّ يَمناكَ ينادي
هُ من الدهرِ مَلَاذا
صحَّ هذا صحَّ هذا

وقال مهتناً بالشفاء :

١ الأزمهر : حكمة .

٢ الأزمهر : العظمى .

الحمد لله بَلَّغْنَا الْمُنَى لَمَّا رَأَيْنَاكَ ، وَزَالَ الْعَنَاءُ
وَفُزْتُ بِالْأَجْرِ وَكُتِبَتِ الْعِدَا وَفُزْتُ بِالْعِزِّ وَطِيبَ الشَّنَاءُ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا بِهِ مِنْ عَلَيْنَا مِنْ ظُهُورِ السَّنَاءِ

وقال أيضاً في نحوه :

نعم قَرَّتِ الْعَيْنَانِ وَانْشَرَحَ الصَّدْرُ وَقَدْ لَاحَ مِنْ وَجْهِ الْإِمَامِ لَنَا الْبَدْرُ
سَرِينَا بَلِيلِ التِّيهِ يَكْدُبُ فَجْرَهُ فَلَمَّا تَجَلَّى فَجْرُهُ صَدَقَ الْفَجْرُ
أَغْرَى الْمُحْيَا بِالْحَيَاءِ مُقْنَعٌ زَهَاهُ الْكَلَامُ الْحُرُّ وَالنَّسَبُ الْحُرُّ
إِمَامُ الْهُدَى قَدْ خَصَّهُ بِخَلَاقَةٍ إِلَهٌ لَهُ فِي خَلْقِهِ النَّهْيُ وَالْأَمْرُ

وقال في مثله : ، وقد ركب زحمه الله تعالى لمعاhead حضرته :

هَنِيئاً هَنِيئاً لَا نَقَادَ لَعَدِهِ وَبَشْرَى لَدَيْنِ اللَّهِ لِإِنْجَازِ وَعْدِهِ
فَقَدْ لَاحَ بَدْرُ التَّمِّ فِي أَفْقِ الْعُلَا وَحُلٌّ كَمَا يَرْضَى مَنَازِلَ سَعْدِهِ
وَطَافَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٌ بِحَضْرَتِهِ الْعَلِيَّا مَبْلَغَ قَصْدِهِ
وَلَا حَتَّ بِهَا الْأَنْوَارُ مِنْ بَشِيرِ وَجْهِهِ وَفَاحَ بِهَا النُّوَارُ مِنْ نَشْرِ حَمْدِهِ
وَأَبْصَرَتِ الْأَبْصَارُ شَمْسَ هِدَايَةٍ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْجَاءُ مِنْ زَهْرِ رِفْدِهِ
وَلَوَّحَتِ الْأَعْلَامُ فِيهَا بِنَصْرِهِ كَمَا لَوَّحَ الصَّبِيحُ الْمِيزَانُ بَيْنَدِهِ
سَتَهْدِي لَهُ الْأَيَّامُ كُلَّ مَسْرَةٍ وَيُحْيِي بِهِ الرَّحْمَنُ آثَارَ جَدِّهِ
فَسَلَّ حِصَامُ السَّعْدِ وَاضْرَبَ بِهِ الْعِدَا وَخَلَّ حِصَامُ الْهِنْدِ فِي كَثَرِ غَمْدِهِ
فَسَيْفُكَ سَيْفُ اللَّهِ مَهْمَا سَلَّكَهُ يَقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ قَائِمُ حَدِّهِ

١ الأزهار : إمام .

٢ الأزهار : المنير .

٣ الأزهار : واضرب بحده .

٤ الأزهار : في كَنِّ .

وقال ، وقد عاد رحمه الله تعالى من بعض متوجهاته الجهادية لجبل الشوار :

على الطائر الميمون والطالع السعد
وقد عدت من جبل الشوار لتجلي عائل للفتح المبين بلا عد

وقال مما رسم في طيقان^١ الأبواب بالمباني السعيدة التي ابتناها رحمه الله تعالى :

أنا تاج كهلال أنا كرسي جمال
يتنجلي الإبريق فيه كعروس ذي اختيال
جود مولانا ابن نصر قد حباني بالكمال

وفي مثله :

من رأى التاج الرفيعا قد حوى الشكر البديعا
تحسد الأفلاك منه قوسه السهل المتيعا
دمت ربعا للتهاني أنظم الشمل الجميعا

وفيه :

للغني بالله قصر للتهاني يصطفيه
فيه محراب صلاة يقف الإبريق فيه
تاليا سورة حسن^٢ والمعالي تقتضيه

وفيه :

أي قوس ذي جمال^٣ سهمه سهم السعادة

١ ق : طبقات .

٢ الأزهار : حبي .

٣ الأزهار : كمال .

مَلِكُ الْإِبْرِيْقِ فِيهِ عَوْدَ الْإِحْسَانِ عَادَةً
ذُو صَلَاةٍ مِنْ صِلَاتٍ كُلَّهَا دَائِباً مُعَادَةً

وقال في المعنى ممّا كتب به لعننا الأمير «سعد» رحمة الله تعالى عليه :

انظر لأفقي جمال به الأباريقُ تصعّد
حُسْنٌ بديعٌ حبّاه به الأميرُ المجدّد
فخرُ الإمارة سعدٌ به الخليفةُ يسعد
وكيف لا وأبوه فخرُ الملوك محمد
عليه خلّني رضاه في كلِّ يومٍ يُجدّد

وقال فيه أيضاً :

رفعتُ قوسَ سُمائي يُزهي بتاج الهلال
قدّ قلدته نقوشي دُرّ الدوّاري العوالي
تري الأباريقَ فيه تهديك عذبَ الزلال
قد زان قصري سعدٌ بسعدِ المتوالي
قدام يعمرُ ربّي في كلّ مولى الموالي

وفي الغرض :

ما ترى في الرياضِ أشباهي يسحرُ العقلَ حسني الزاهي
زانَ روضي أميره سعدٌ وهو نجيلُ الغني بالله
دامَ منه بمرتقى عزٍّ أمرٌ بالسعودِ أو ناهي

وقال في غرض الشكر عن مغطى^٢ صنهاجي أهدها إياه :

١ ق : الأمين .

٢ يستدل من القطعة أن المغطى نوع من الصناديق .

لَمَنْ قَبَّةٌ حَمراءُ مُدَّةٌ نُضارُها
وما أرضُها إلا خِزائنُ رَحمةٍ
وقد شَبَّهَ الرَّحْمَنُ خَلْقَنا بِهِ
ومَعْرُوشَةَ الأَرْجاءِ مَفْرُوشَةً بِها
تَرى الطَّيْرَ في أَجْوافِها قد تَصَفَّفتُ
ونسَبَها صُنْهاجَةً غَيْرَ أَنَّها
حَبَّتِي بِها دُونَ المَصيدِ خِلافَةً
وفي مثله :

ما للعالمِ جَمَعَتُ في قَبَّةٍ
في صَفْحٍ صَرَحَ بِالزَّواجِ مَمُوءَةٍ
ما إِنْ رَأَيْتُ ولا سَمِعْتُ كَطائِرٍ
إِنْ لَمْ تَكُنْ تلكَ الطَّيُورُ تَغَرَّدَتِ
صُفَّتْ عَلَيْها لِلْفَواكِهِ كُلِّ ما
لو أَبْصَرْتُ صُنْهاجَةً أَوْضاعَهُ
عَوَّدَتْنِي الصَّنْعَ الجَمِيلَ تَفَضُّلاً
وَبِسُورَةِ الأَنْعامِ كَمِّ مِنْ آيَةٍ
وقال تَذِيلاً لِبَيْتِي ابنَ المَعْتَرِ ١ :

سَقَتْنِي في لَيْلٍ شَبَّيْهَ بِشَعْرِها
« فَأَمْسَيْتُ في لَيْلَيْنِ لِلشَّعْرِ ٢ وَالِدَجِي
شَبَّيْهَةَ خَلْدِها بِغَيْرِ رَقِيبٍ
وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمَرٍ وَخَدٍّ ٣ حَبِيبٍ »

١ الأزهاري : بطائر .

٢ انظر أثمار أولاد الخلفاء : ١٧٩ .

٣ الصولي : فبت لنا الليلين بالشعر .

٤ الصولي : وفجرين من زاح ووجه .

إلى أن بدا الصبحُ المبينُ كأنه^١ مُحَيّا ابنَ نصرٍ لم يُشَنِّ بغروب
شمائله^٢ مهما أديرَتْ كؤوسها قلائدُ أَسْماعٍ وأنسُ قلوب
وقال مذيلاً على بيت ابن وكيع^٣ :

« هي في أوجه الندامى عقيق^٤ وهي مثلُ النصارِ في الأقداحِ »
كأبنِ نصرٍ تراهُ في الحربِ ليثاً وهو بدرُ الندى وغيثُ السّماحِ
ذكره قد ثنى قُدُودُ النّدامى وأعادَ الحياةَ في الأرواحِ^٥
وقال ممّا يرسم للغني بالله :

لغني بالله مُلْكُك^٦ بُرْده بالعزُّ مَذْهَبُ
دام في رفعةٍ شانٍ ما جلا الإصباحُ غَيْثُ
وقال أيضاً :

يا ابنَ نصرٍ لك مُلْكُك^٦ ليسَ تعدوه الفتوحُ
دمت رُوحاً للمعالي ما سرى في الجسمِ روحُ
ومن مقطوعاته :

وابنُ نصرٍ له عينا كصبحِ إن تجلّى جلالنا^٧ كلُّ كَرْبِ
ذو حسامٍ كأنه لمعُ برقٍ في بنانٍ كأنها غيثُ سُحْبِ
ومن أخرى :

وكانَ النجومَ في غَسَقِ اللّيلِ لي جُمانٌ يلوحُ في آبنوسِ

١ لم يرد في ديوانه المجموع .
٢ الأزهار : الأشباح ؛ وهي بمعنى الأجسام .
٣ الأزهار : جلا دجى .

وكانَ الصِّباحَ في الأفقِ يَجلى بجلى النجومِ . مثلَ العُروسِ
وكانَ الرِّياضَ تَهدي ثناءً للغنى بالله فوقَ الطُّروسِ

وقال من قصيدة أولها :

أضياءَ هَدْيٍ أم ضياءَ نهارِ وشذا المحامدِ أم شذا الأزهارِ
قسماً بهديك في الضياءِ ، وإنه شمسٌ تمدُّ الشَّهبَ بالأنوارِ^١

ومنها :

كم من لطائفَ للهدى أوضحتها خفيتَ لطائفها^٢ على الأفكارِ
كم من جرائمَ قد غفرتَ عظيمها مُستترلاً^٣ من رحمةِ الغفارِ
علمتَ ملوكُ الأرضِ أنك فخرها فتسايقتُ لرضالك في مضمارِ

ومنها يصف الجيش :

سالتَ به تحتَ العجاجِ سفينة لقحت بريحِ العزمِ^٣ من أنصارِ
أرستَ يهوديَ الجودِ في يومِ الندى وجرتَ يومَ الحربِ في تيارِ

ومنها :

ألقى بأيدي الرياحِ فضلَ عنائه فيكادُ يسبقُ لمحةَ الأبصارِ

ومنها :

فهو العِرابُ متى أثرتَ يومَ الوغى^٤ قد أعربتَ عن لطفِ صنْعِ الباري

١ بين هذا البيت وسابقه في أزهار الرياض : ومنها بعد كثير .

٢ الأزهار : مداركها .

٣ الأزهار : العزم .

٤ الأزهار : متى أثرت في الوغى ؛ ق : أثرت يوم .

ومنها :

إن خاض في ليل العجاج^١ رأيتُهُ
يملؤ دُجُنَّتَهُ بوجهِ نهارِ

ومنها :

كم فيهمُ من قارٍ ضيفٍ طارقٍ
وضحتُ شواهدُ فضلهِ للقارِ

ومنها :

يا أيُّها الملكُ الذي أيامُهُ
قد زاركَ العيدُ السعيدُ مبشراً
لما ازدَهَّتْهُ عواطفُ اللطفتها
فأتى يؤمُّ منك هدياً صالحاً
وأناكَ يسحبُ ذيلَ سَحْبٍ أَعْدَقَتْ
جادتِ بجاري الدمعِ من قَطْرِ الندى
فأعادَ وَجْهَ الأرضِ طَلْقاً مشرقاً
لما دعاكَ إلى القيامِ بسنةٍ
فأفضتَ فينا من نَدَاكَ مواهباً
فاهناً بعيدٍ عادَ يشتملُ الرضى

ومنها :

لا عُدْرَ لي إن كنتُ فيه مقصراً
فإذا نظمتُ من المناقبِ دُرّاً
فلذلكَ أنظمتُ قلائدَ لؤلؤٍ
سَدَّتْ صفاتُكَ أوجهُ الأعذارِ
شرقتني منها بتنظُّمِ دراري
لألاؤِها قد شَفَّ بالأنوارِ

١ الأزهار : بحر العجاج -

وَأُنْشِدْ عَلَى لَحْدِهِ الْمُقَدَّسِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ١ :

ضريحَ أميرِ المسلمين محمدٍ
وحيثُك^٢ من رَوْحِ الإلهِ تَحِيَّةٌ
وشقَّتْ جَنُوبَ الزَّهْرِ فَيْكَ كَائِمٌ
وصابتْ من الرِّحْمَى عَلَيْكَ غَمَائِمٌ
وزارتك من حُورِ الجنانِ أَوَانِسٌ
وجاءتْكَ بالبشرى ملائكةُ الرِّضَى
وصافَحَ منك الروضُ أَطْيَبَ تَرْبَةٍ
رَضَى اللهُ وَالصَّفْحُ الْجَمِيلُ وَعَفْوُهُ
وَيَا صَدَقًا قَدْ فَازَ مِنْ جَوْهَرِ الْعُلَا
أَعْنَدَكَ أَنْ الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالْحَجَى
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا هَالَةُ الْقَمَرِ الَّذِي
وَيَا عَجَبًا مِنْ ذَلِكَ التَّرَبِّ كَيْفَ لَا
لَقَدْ ضَاقَتْ الْأَكْوَانُ وَهِيَ رَحِيَّةٌ
قَدِمَتْ هَلَى الرَّحْمَنِ أَكْرَمَ مَقْدَمِ
أَقَامَ بِكَ الْمَوْلَى الْإِمَامَ مُحَمَّدٍ
فَجَاءَ كَمَا تَرْضَى وَتَرْضَى بِهِ الْعُلَا
وَمَدَّ ظِلَالِ الْعَدْلِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
وَقَامَ بِمَفْرُوضِ الْجِهَادِ عَنِ الْوَرَى
قَضَى بَعْدَمَا قَضَى الْخِلَافَةَ حَقَّهَا

يُخَصُّكَ رَبِّي بِالسَّلَامِ الْمُرَدِّ
مَعَ الْمَلَا الْأَعْلَى تَرَوْحُ وَتَغْتَدِي
يَرْفُثُ بِهَا الرِّيحَانُ عَنْ خَتْمِ نَدِي
تَرْوِي ثَرَى هَذَا الضَّرِيحِ الْمُنْجَدِ
نَوَاعِمُ فِي كُلِّ النِّعَمِ الْمَخْلَدِ
كَمَا جَاءَ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الْمُمَجَّدِ
وَعَاهِدَ مِنْكَ الْمَزْنَ أَكْرَمَ مَعْدِ
يُوَالِي عَلَى ذَلِكَ الصَّفِيحِ الْمُنْضَدِ
بِكُلِّ^٣ نَقِيسٍ بِالنَّفَاسَةِ مَفْرَدِ
وَزَهَرَ الْحَلَى قَدْ أُدْرِجْتَ طَيِّئًا مَلْجَدِ
بَنُورِ هِدَاةِ الشَّهْبِ تَهْدِي وَتَهْتَدِي
يَفِيضُ بِبَحْرِ السَّمَاحَةِ مُزْبَدِ
بِمَا حُزَّتْ مِنْ فَخْرِ عَظِيمٍ وَسُودَدِ
وَزُوِّدَتْ مِنْ رَحْمَاهِ خَيْرٍ مَزُودِ
مُؤْمَلٌ فَوْزَ بِالشَّفِيعِ مُحَمَّدِ
وَأُنْجِزَ لِلْأَمَالِ أَكْرَمَ مَوْعِدِ
وَكَفَّ أَكْفَ الْبَغْيِ مِنْ كُلِّ مَعْتَدِ
وَعَوَّدَ دِينَ اللَّهِ خَيْرَ مَعُودِ
وَعَامَلَ وَجْهَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَقْصَدِ

١ انظر أزهار الرياض ٢ : ١٥٢ .

٢ الأزهار : وحيالك .

٣ الأزهار : حاز ... لكل .

وفتح بالسيف الممالك عنوة
 وكسر تمثال الصليب وأخرست
 وطهر محراباً وجدّد منبراً
 ودانت له الأملاك شرقاً ومغرباً
 وطبّق معمور البسيطة ذكره
 وسافر عن دار الفناء ليجتلي
 وقام بأمر الله حق قيامه
 لئن سار للرحمن خير مودع
 فقد خلف المولى الخليفة يوسف
 سبيلك في سبل المكارم يقتضي
 محمد جلّي الخطب من بعد يوسف
 ولو وجه الناس الفداء مسوغاً
 ستبكيك أرض كنت غيث بلادها
 وتبكي عليك السحب ملء جفونها
 وتلبس فيك النيرات ظلامها
 وما هي إلا أعين قد تسهدت
 فلا زلت في ظل النعيم مخلداً
 وأوردك الرحمن حوض نبيه
 عليك سلام مثل حمدك عاطر
 وصلى على المختار من آل هاشم

ومدت له أملاكها كف مجتد
 نواقيس كانت للضلال بمرد
 وأعلن ذكر الله في كل مسجد
 وكلهم ألقى له الملك باليد
 وسارت به الركبان في كل فندقد
 بما قدم اليوم السعادة في غد
 بعزّة لا وان ولا مردد
 وحل من الفردوس أشرف مقعد
 يعيد له غرّ المساعي ويبتدي
 وهديك يا خير الأئمة يقتدي
 ويوسف جلّ الخطب بعد محمد
 فذاك ببدل النفس كل موحد
 وتبكيك حتى الشهب في كل مشهد
 بدمع يروّي غلّة المجدي الصدي
 حداداً ويذكر النجم جفن مسهد
 فكحلها نجم الظلام بإحمد
 ونجلك يحيا بالبقاء المخلد
 وأصدر من خلقت عن خير مورد
 يفض ختام المسك عن تترك الندي
 صلاة بها فرجو الشفاعة في غد

وقال يستعطف الوالد السلطان أبا الحجاج^١ :

١ أزهار الرياض : ٢ : ١٥٧ .

بما قد حزت من كرم الحلالِ بما أدركت من رُتب الجلالِ
بما حوَّلت من دينٍ ودنيا بما قد حزت من شرفِ الجمالِ
بما أوليت من صنعٍ جميلٍ يطابقُ لفظه معنى الكمالِ
تغمدني^٢ بفضلِكَ ، واغفرها ذنوباً في الفَعَال وفي المَقَالِ

وقال أيضاً^٣ :

أَتَعَطَّشُ أولادي وأنت غمامةٌ نعمُ جميعِ الخلقِ بالنفعِ والسقيا
وتظلمُ أوقاتي ووجهُكَ نيرٌ تفيضُ به الأنوار لدينِ والدنيا
وجَدُّكَ قد سَمَّاكَ ربُّكَ باسمه وأورثكَ الرحمنُ رتبته العليا
وقد كان أعطاني الذي أنا سائلٌ وسوَّغني من غيرِ شرط ولا ثنيا
وشعيرتي في غُرِّ المصانعِ خالدٌ يحْيِيه عني في المماتِ وفي المحيا
وما زلتُ أهدي المدحَ مسكاً مُفْتَقاً فتحمله الأرواحُ عاطرةً الربنا
وقد أكثر العبدُ التشكِّي وإنه وحقُّكَ يا فخرَ الملوك قد استجيا
وما الجودُ إلا ميتٌ ، غير أنه إذا نفختُ يَمناكَ في روحه يحيا
فمن شاء أن يدعو لدينِ محمدٍ فيدعو لمولانا الخليفةِ بالبقيا

وقال أيضاً فيه وقد نزل بالولجة من مرج الحضرة :

منزلُ اليُمنِ والرضى والسعودِ أنجزتُ فيه صادقاتُ الوعودِ
كلَّ يومٍ نزاهةٌ إن تقضتُ أنشدتها السعودُ : بالله عودي
جمع المستعِين وصفَ كمالٍ بينَ بأس عمِّ الملوك وجودِ

١ الأزهار : الممالي .

٢ ق : تملها .

٣ الأزهار : ومن ذلك أيضاً يخاطب أخانا السلطان أبا عبد الله رحمة الله تعالى عليه متوسلاً بتقديم ذمامه ، والخدم المتعددة من نظامه .

فاهنن في غبطة وعزة ملك أنت والله فخر هذا الوجود
وقال أيضاً مشيراً لتوليته العلامة :

لك غرة ^١ ودّ الصباح جمالها	ومحاسن تهوى البلور ^٢ كمالها
وشمائل ^٣ تحكي الرياض ^٤ خلاها	وأنامل ^٥ ترجوا ^٦ الأنامل ^٧ خلاها
للمستعين خلافة ^٨ نصريّة ^٩	عرفت ^{١٠} ملوك ^{١١} العالمين جلالها ^{١٢}
وأنا الذي قد نال ^{١٣} منك معالي ^{١٤}	تهدي ^{١٥} النجوم ^{١٦} الزاهرات ^{١٧} منالها
تهديه ^{١٨} ما قد نلته ^{١٩} من بعضها	فالفخر ^{٢٠} كل ^{٢١} الفخر ^{٢٢} فيمن نالها
في كل ^{٢٣} يوم ^{٢٤} منك ^{٢٥} منّة ^{٢٦} منعم ^{٢٧}	لو طاولت ^{٢٨} سمك ^{٢٩} السما ^{٣٠} ما طالها
بلتغت ^{٣١} آمال ^{٣٢} العبيد ^{٣٣} فبلغت ^{٣٤}	فيك ^{٣٥} العبيد ^{٣٦} من البقا ^{٣٧} آمالها

وقال أيضاً وكتبها إليه مع خمسة أقلام :

أيا مالكا ^١ لم يبد ^٢ للعين ^٣ حسنه ^٤	سوى ملك ^٥ قد حل ^٦ من عالم ^٧ القدس ^٨
لك ^٩ الخير ^{١٠} خلاها ^{١١} كالأنامل ^{١٢} خمسة ^{١٣}	نعود ^{١٤} مرآك ^{١٥} المكمل ^{١٦} بالخمس ^{١٧}
فمن أبصرت ^{١٨} عينك ^{١٩} مرآه ^{٢٠} قليقل ^{٢١}	أعوذ ^{٢٢} برب ^{٢٣} الناس ^{٢٤} أو آية ^{٢٥} الكرسي ^{٢٦}

ثم قال ابن الأحمر : وقال يخاطب مولانا الوالد رحمة الله تعالى عليه وقد مرّ
معه بفتح^١ رية^٢ ، والثلج^٣ قد عم^٤ أنديته^٥ ، وبسط^٦ أرديته^٧ ، في وجهة^٨ توجهها^٩
مولانا بالحد^{١٠} تغمده^{١١} الله تعالى إلى مالقة :

يا من^١ به رتب^٢ الإمارة^٣ تعلي^٤ ومعالم^٥ الفخر^٦ المشيدة^٧ تبتي^٨

١ ق : تربي .

٢ الأزهار : جمالها .

٣ الأزهار : سمك الملا .

٤ الأزهار : المعالي .

أزجرُ بهذا الثلجِ فالأُ إِنَّهُ ثلجُ اليقينِ بنصرِ مولانا الغني
 بسطَ البياضَ كرامةً لقدمهِ وافترَّ ثغراً عن مسرةٍ معني
 فالأرضُ جوهرةٌ تلوحُ لمجتلِ والدوحُ مزهرةٌ تفوحُ لمجني
 سبحانَ من أعطى الوجودَ وجودَهُ ليدلَّ منهُ على الجوادِ المحسينِ
 وبدائعُ الأكوانِ في إتقانها أثرٌ يشيرُ إلى البديعِ المتقنِ

ثم قال : ومن أوليات نظمه يخاطب شيخه الوزير أبا عبد الله ابن الخطيب
 مادحاً قوله :

أما وانصداعِ النورِ من مَطْلَعِ الفجرِ

إلى آخره ، وقد تقدمت .

ثم قال : وقال يراجع الكاتب أبا زكريا ابن أبي دلالة^١ :

على الطائرِ الميمونِ والطارحِ السعدِ أَتَنِي مَعَ الصنعِ الجميلِ علي وَعَدِ
 وأحييتَ يا يحيى بها نفسَ مغرمِ يحيلُ جِيادَ الدمعِ في ملعبِ السهدِ
 نسيتُ وما أنسى وفائي وخلتي وأقفرَ رُبْعَ القلبِ إلا من الوجدِ
 وما الطلُّ في ثغري من الزهرِ باسمِ بأزكى وأصفى من ثنائي ومن ودي
 فأصدقتها من بحرِ فكري جواهرأ تنظّم من درِّ الدُراري في عقدِ
 وكنتُ أطيلُ القولَ إلا ضرورةً دعيتُ إلى الإيجازِ في سورةِ الحمدِ

وأنشد السلطان أبا العباس المرسي في غراب^٢ من إنشائه :

إنسانَ عينِ الدهرِ جَعَنُكَ قَدْ غدا يحفَكَ منه طائرُ اليُمنِ والسعدِ
 إذا ما هفّا فوقَ الزُّؤوسِ شرّاعهُ أراكَ جناحاً مُدّاً للجزرِ والمدِّ

١ أزهار الرياض ٢ : ١٧٥ .

٢ الغراب : نوع من السفن .

وأنشد فيه أيضاً :

لك الخيرُ شأنُ الحفنِ يحرسُ عَيْنَهُ وهذا بعينِ الله يحرسُ دائماً
تبيتُ له خمسُ الثريا معيدةً تقلدُهُ زُهرُ النجومِ تماثماً
فيا جفنُ لا تنفكُ في الحفظِ دائماً وإن كنتَ في لُجٍّ من البحرِ عائماً

انتهى ما لخصته من كلام ابن الأحمر في حق ابن زمرك ، وذلك جملة من
نظمه .

[موشحات ابن زمرك]

وقد رأيت أن أعزز ذلك ببعض موشحات ابن زمرك المذكور^١ مما انتقته
من كلام ابن الأحمر .

فمنها قوله منشوقاً إلى غرناطة ويمدح الغني بالله :

بالله يا قامة القضيبي ونجبل الشمس والقمر
من ملك الحسن في القلوب وأيد اللحظ بالخور

من لم يكن طبعه رقيقاً لم يدري ما للذة الصبأ
فرب حر غدا رقيقاً تملكه نفحة الصبأ
نشوان لم يشرب الرقيقاً لكن إلى الحسن قد صبأ

فعدب القلب بالوجيب ونعم العين بالنظر
وبات والدمع في صيب يقدح من قلبه الشرر

١ في الأزهار : وقد من لي أن أذكر جملة من موشحات لغرابتها ، ولأن جل ما وقفت عليه منها
ينخرط في سلك المعرب ، إذ أكثره من تخلع البسيط .

عجبتُ من قلبي المعنى	يهفو إذا هبتِ الرياحُ
لو كان للصبِّ ما تمنى	لطارَ شوقاً إلى البطاحِ
وبلبلُ الدَّوحِ إن تغنى	أسهرَ ليلى إلى الصباحِ
عساكَ إن زرتَ يا طيبي	بالطيفِ في رقدة السَّحرِ
أن تجعلَ النومَ من نصيبي	والعينَ تحمي من السهرِ
كم شادنٍ قاد لي الختوفا	بمريعِ القلبِ قد سَكَرَ
يسلُّ من لحظة سيوفا	فالقلبُ بالروعِ ما سكنَ
خلقتُ من عادتي ألُوفاً	أحنُّ لآلافِ والسكنِ
غرناطةٌ منزلُ الحبيبِ	وقربُها السؤلُ والوطرُ
تبهرُ بالمنظرِ العجيبِ	فلا عدا ربَّعها المطرُ
عروسةٌ تاجُها السيكةُ	وزهرها الخليُّ والحللُ
لم ترضَ من عزِّها شريكه	بحسنتها يضرَّبُ المثلُ
أيدها الله من مليكه	تملكها أشرفُ الدولِ
بدولة المرتجى المهيبي	الملكِ الطاهرِ الأغصِرِ
تخالُّ من بُردها القشيبِ	في حلةِ النورِ والزهرِ
كرسيُّها جنةُ العريفِ	مرآتها صفحةُ الغديرِ
وجوهرُ الطلِّ عن شنوفِ	تحكمها صنعةُ القديرِ
والأنسُ فيها على صنوفِ	فمن هديلٍ ومن هديرِ

١. الأزهار : بلا جناح .

كم خرق الزهرُ من جيوبِ وكلل القُصْبَ بالدررِ
 فالقُصْنُ كالكَاعبِ اللَّعوبِ والطيْرُ تشدو بلا وترِ
 ولائمُ النصرِ في احتفالِ وفرحُ دينِ الهوى ١ جديدِ
 سلطانُها مُعمِلُ العوالي محمد الظافرُ السعيدِ
 ومُجَلُّ البدرِ في الكمالِ سلطانُها المجتبي الفريدِ
 أَصْفَحْ لِقَوْلِي عن الذنوبِ أكرمُ عافٍ إذا قدرِ
 وشمسُ هَدْيٍ بلا مغيبِ وبحرُ جودٍ بلا حَسَرِ
 مولاي يا عاقدَ البنودِ تظلل الأوجهُ الصَّباحِ
 أوحِشْتَ يا نجمةَ الوجودِ غرناطةً هالةَ السَّماحِ
 سافرتَ باليَمْنِ والسعودِ وعدتَ بالفتحِ والنجاحِ
 يا ملُهم القلبِ للغيوبِ ومُطْعِمَ النصرِ والظفرِ
 أسمعك الله عن قريبِ : « على السلامة من السفرِ »

وقال أيضاً ٢ من الموشحات الرائقة ٣ ، في مثل أغراض هذه السابقة ، وأشار
 إلى محاسن من وصف النشار :

نَسِيمُ غرناطة عليلُ لكنَّهُ يبرىء العليلِ
 وروضُها زهرهٌ بليلُ ورشفه يتنقعُ الغليلِ
 سقى بنجدِ رَبِّي المصلّى مبكراً روضَه الغمامِ
 فجفنهُ كلما استهلاً تبسمَ الزهرُ في الكِمامِ
 والروضُ بالحسنِ قد تحلى ٤ وجردَ النهرُ عن حِمامِ

١ الأزار : الهدى .
 ٢ الأزار : الفائقة .
 ٣ ق : ثم ذكر .
 ٤ الأزار : تجل .

ودوحها ظلّه ظليل	يَحْسُنُ في رَبِّهِ المَقِيلُ
والبرقُ والجوُّ مستطيل	يلعبُ بالصَّارِمِ الصَّقِيلُ
عقيلةٌ تاجُها السَّيِّكةُ	تطلُّ بالمرقبِ المنيّفُ
كأنّها فوقه مليكة	كرسيُّها جَنَّةُ العريفِ
تطبعُ من عسجدٍ سيِّكة	شموسُها كلّما تطيفُ
أبدعك الخالقُ الجميلُ	يا منظرًا كلّهُ جَمِيلُ
قلبي إلى حُسْنِهِ يميلُ	وقبلنا قد صَبَا جَمِيلُ
وزاد للحسنِ فيكَ حسنا	محمدُ الحمدِ والسَّامِحُ
جدّد للفخرِ فيكَ مَغْنَى	في طالعِ اليُمْنِ والنَّجَاحِ
تدعى دُشَارًا وفيكَ معنى	يخصُّكَ الفألُ بافتتاحِ
فالنصرُ والسعدُ لا يزولُ	لأنّهُ ثابِتُ أصِيلُ
سعدٌ وأنصاره قبيلُ	آباؤه عِرةُ الرِّسُولِ
أبدى به حكمةَ القديرِ	وتوجَّ الرُّوضِ بالقَبَابِ
ودرّعَ الزَّهرَ بالغديرِ	وزيّنَ النهرَ بالحَبَابِ
فمنَ هديلٍ ومن هديرِ	ما أوَّلَعَ الحسنُ بالشَّبابِ
كبت على روضها القبولُ	وطرفها بالسُّرى كَكِيلُ
فلَمْ يزلْ بَيْنَها يَجُولُ	حتى تَبَدَّتْ لَهُ حُجُولُ
للزَّهرِ في عطفها رُقُومُ	تلوحُ للعَيْنِ كالنَّجُومِ
وللندى بَيْنَها رَسُومُ	عقدُ الندى فوقه نَظِيمُ
وكلُّ وادٍ بها يهيمُ	ولم يزلْ حولها يحومُ

ا ق : معنى .

شئيلها مُدَّةً منه نيلُ
 وعين وادٍ به تسيلُ
 والشينُ ألفُ لمستئيلُ
 من فوقٍ خذلٍ له أسيلُ
 كم من ظلالٍ به ترفُ
 ومن زجاجٍ به يشفُ
 تَضْفُو له فوقها سُتُورُ
 ما بينَ نُورٍ وبين نُورُ
 ومن شمسٍ بها تُصَفُ
 تديرها بيئتها البُورُ
 مزاجُها العذبُ سلسيلُ
 وكيف والشيبُ لي علولُ
 يا هِلَ إلى رشفها سبيلُ
 وصبغهُ صفرةُ الأصيلُ
 يا سَرَحَةَ في الحمى ظليله
 رَوْضَكَ الله من خميله
 كم نلتُ في ظلك المني
 يُجْنِي بها أطيبُ الجنى
 وبرقها صادقُ المخيلة
 ما زال بالغيثِ محسنا
 أنجز لي وعدك القبولُ
 فلم أقل مثلَ من يقولُ :
 « يا سَرَحَةُ الحمي يا مَطُولُ »
 شرحُ الذي بيتنا يطولُ

ومن ذلك ما كتب به إلى الغني بالله :

أبلغ لغرناطة سلامي
 فلو رعى طيفُها دمامي
 وصف لها عهدي السليمُ
 ما بت في ليلة السليمُ
 كم بت فيها على اقتراح
 أدير فيها كؤوسَ راح
 أعلُ من خَمْرَةِ الرضابِ
 قد زانها الثغرُ بالحجابِ
 أختالُ كالمهر في الجماحِ
 نشوان في روضة الشبابِ

١- الأزهار : قد زانت .

أضاحكُ الزهرَ في الكِمامِ	مباهاً روضه الوسيم
وأفصحُ الغصنَ في القوامِ	إن هبَّ من جوها نسيم
بيننا أنا والشبابُ ضافٍ	وظلُّه فوقنا مديدٌ
وموردُ الأنسِ فيه صافٍ	وبرده رائقٌ جديدٌ
إذ لاح في القودِ غير خافٍ	صبحُ به نبه الوليدُ
أيقظَ مَنْ كان ذا منامٍ	لما انجلي ليله البهيم
وأرسلَ الدمعَ كالغمامِ	في كلِّ وادٍ به أهِيم
يا جيرةً عهدهم كريمٌ	وفعلهم كله جميلٌ
لا تغدوا الصبَّ إذ يهيمُ	فقبله قد صبا جميلٌ
القربُ من ربكم نعيمٌ	وبعدكم خطبه جليلٌ
كم من رياضٍ به وسامٍ	يزهى بها الرافضُ المسيم
غديرها أزرق الحمامِ	ونبتها كله جنيم ^٢
أعندكم أنني بفاسٍ	أكابدُ الشوقَ والحنينَ
أذكرُ أهلي بها وناسي	واليومُ في الطولِ كالستين
اللهُ حسبي فكم أقاسي	من وحشة الصخبِ والبنين
مطارحاً ساجعَ الحمامِ	شوقاً إلى الإلفِ والحميم
والدمعُ قد لجَّ في انسجامِ	وقد وهى عقدهُ التنظيم

١ الأزمهر : الرائد .

٢ ق : جسيم .

يا ساكني جنة العريف	أُسكنتمُ جنةَ الخلودِ
كم ثمَّ من منظرٍ شريفٍ	قد حُفَّ باليُمن والسعودِ
ورُبَّ طَوْدٍ بهِ منيفٍ	أدواحهُ الخضرُ كالبنودِ
والنهرُ قد سُلَّ كالحسامِ	لراحةِ الشَّربِ مستديمٍ
والزهرُ قد راق بابتسامِ	مُقبلاً راحةَ التديمِ
بلغ عبيد المقامِ صحي	لا زلتمُ الدهرَ في هنا
لِقائكمُ بُغيةُ المحبِّ	وقربكمُ غايةُ المني
فعندكمُ قد تركتُ قلبي	فجدد اللهُ عهدنا
وداركَ الشملَ بانتظامِ	مينَ مُرتجى فضلهِ العميمِ
في ظلِّ سلطاننا الإمامِ	الظاهرِ الظاهرِ الحليمِ ^٢
مؤمنُ العلوتينِ ممّا	يخافُ من سطوةِ العدا
وفارجُ الكربِ إن المّا	ومذهِبُ الخطبِ والرّدَى
قد راقَ حسناً وفاقَ حلما	وما عدا غيرَ ما بدا
مولاي يا نخبَةَ الأنامِ	وحائزَ الفخرِ في القديمِ
كم أرقبُ البدرَ في التمامِ	شوقاً إلى وجهكَ الكريمِ

منها موشحة عارض بها موشحة ابن سهل التي أولها « ليل الهوى يقظان »

وهي :

نواسمُ البُستانِ	تنثرُ سلكَ الزَّهرِ
والطلُّ في الأغصانِ	ينظمهُ بالجوهرِ

١ ق : من يرتجي .

٢ ق : الحميم .

وراحة ^١ الإصباح	أضاء منها المشرق
تنشرها الأرواح	فلا تزال تخفق
والزهر زهر فاح	لها عيون ترمق
فأيقظ الندمان	يبصرن ما لم يبصر
جواهر الشهبان ^٢	قد عرضت للمشترى
قدحت لي زندا	يا أيها البارق
أذكرتني عهدا	إذ الشباب رائق
فالشوق لا يهدا	ولا الفؤاد الخافق
وكيف بالسُّلوان	والقلب رهن الفكر
وسحب الهجران	تحجب وجه القمر
لولا شمس الكاس	ندبرها بين البدور
وعرج الإناس	متا على ربع الصدور
لكن لها وسواس	يفري بربات الخلور
كتم ^٣ واله هيمان	بصبح وجه مسفر
ضياؤه قد بان	من تحت ليل مقرر
يا مطلع الأنوار	كم فيك من مرأى جميل
ونزهة الأبصار	ما ضر لو تشفى الغليل
يا روضة الأزهار	وعرفها يبري الغليل

.....
١ الأزهار : وراية .

٢ ق : الشبان .

قَضِييُكَ الْقَيْنَانُ	يُسْقَى بِدَمْعِ هَمِيرٍ
فَلَا عَجُ الْأَشْجَانُ	فِيضَ الدَّمْعِ يَمْتَرِي ^١
هَلْ فِي الْهَوَى نَاصِرُ	أَوْ هَلْ يُجَارُ الْهَالِمُ
لَوْ كَانَ لِي زَائِرُ	طَيْفُ الْخِيَالِ الْهَالِمُ
مَا بَتُّ بِالسَّاهِرِ	وَدَمْعُ عَيْنِي سَاجِمُ
وَالْحُبُّ ذُو عِدْوَانُ	يَجْهَدُ فِي ظِلْمِ الْبَرِي
وَصَارِمُ الْأَجْفَانُ	مُؤَيَّدُ بِالْحَوَرِ
رَحْمَاكَ فِي صَبٍّ	أَذْكُرْتَهُ عَهْدَ الصَّبَا
بِوَاعَتْهُ الْحُبُّ	قَادَتْ إِلَيْهِ الْوَصْبَا
لَمْ تَهْفُ بِالْقَلْبِ	رِيحُ الصَّبَا إِلَّا صَبَا ^٢
بَلِيلَةَ الْأُرْدَانِ	قَدْ ضُمَّتْ بِالْعَنْبَرِ
يَشِيرُ غَصْنُ الْبَانِ	مِنْهَا بِفَضْلِ الْمُنْزَرِ
طَيِّبَهَا حَمْدُ	فَخَرِ الْمُلُوكِ الْمُجْتَبَى
مَنْ يَرْجِعُ الطُّودُ	مَنْ حَلَمَهُ إِذَا احْتَبَى
قَدْ جَرَّدَ السَّعْدُ	مِنْهُ حَسَامًا مُدْهَبًا
فَالْبَاسُ وَالْإِحْسَانُ	وَالْعَوْتُ لِلْمُسْتَنْصَرِ
تَحْمِلُهُ الرِّكْبَانُ	تَحْيَا لِلْمُنِيرِ
عَصَابَةُ الْكِتَابِ	حَقٌّ لَهَا الْفُوزُ الْعَظِيمُ
تَحْتَالُ فِي أَثْوَابِ	أَلْبَسَهَا الطُّولُ الْجَسِيمُ
فَحَسْبَهَا الْإِطْنَابُ	فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ الْعَمِيمِ

١ ق والأزهار : يجري ؛ وامرئى اقتل من مرى بمعنى استدر . ٢ ق : هبا .

نخليفة الرحمن* لا زلت سامي المظهر
يا مورد الظمآن* ورأس مال المعسر

خذها على دعوى* تزي على الروض الوسيم
جاءت كما تهوى* أرق من لذن النسيم
قد طارحت شكوي* من قال في الليل البهيم
« ليل الهوى يقظان* والحب تررب السهر »
« والصبر لي خوان* والنوم من عيني بري »

وله في الصبوحيات :

ريحانة الفجر قد أطلت* خضراء بالزهر تزهز
وراية الصبح قد أطلت* في مرقب الشرق تُنشَرُ

فالشهب من غارة الصباح* تُرعد خوفاً وتنفق
وأدهم الليل في جماح* أعنة البرق يُطلق
والأفق في ملتقى الرياح* بأدمع الغيث يشرق

والسحب بالجوهر استهلت* فالبرق سيف مجوهر
صفاحه المدهيات حلت* في راحة الجوّ تُشهر

كم للصبا ثم من مقبل* بطيبه الزهر يشهد
والنهر كالصارم الصقيل* في حلية النور يغمد
ورب قال به وقيل* للطير في حين تنشد

فالسُن الورق قد أملت* مدائح عنه تشكر
ونسمة الصبح قد تجلت* في سندس الروض تعبر

١ الأزهار : زامي .

والكاسُ في راحة النديمِ	يحلُّو بها غيبِهم المومِ
أقبستِ النار في القديمِ	من قبل أن تخلقِ الكرومِ
والنهرُ في ملعب النسيمِ	للزهر في عطْفهِ رقومِ
فلبّةُ الحلّي ^١ قد تحلّت	والطلّ ^٢ في الحلّي ^٢ جومر
وبهجة الكون قد تجلّت	والروض بالحسنِ يهر ^٣
يُنذِرني وجنة الحبيبِ	والآسَ في صفحة العذار
وشاربَ الشاربِ العجيبِ	بَسِنَ أقاح وجلنار
يديرُ من ثغره الشنيبِ	سُلَاقَةً دونها العقار
حلّت لأهل الهوى وجلّت	بالذكرِ والوهمِ تُسكرُ
كَمَ من نفوسٍ بها تسلّت	فما لها الدهرَ منكِرُ
يا غُصْنُ بَانٍ يميلُ زَهْوَا	ريّانَ في روضة الشبابِ
لو كنتَ تصغي لرفع شكوى	أطلّت من قصة العقابِ
ومن لمثلي بيّتَ نجوى	للبدن في رفرِفِ السحابِ
عزائمُ الصبرِ فيك حلّت	وعقدةُ الصبرِ تذخر
قد أكرتَ منك ما استقلت	وليتَ لو كنتَ تشعر
كَمَ ليلةٌ بثّها وبثّا	ضدين في السُّهْدِ والرقادِ
أسامرُ النجمِ فيك حتى	علّمتُ أجفانها السَّهادِ
أرقبُ بدرَ الدجى ، وأنتا	قد لحتَ في هالة الفؤادِ

١ ق : الشمس .

٢ الأزهار : القصب .

٣ ق : يزهر .

٤ الأزهار : أجفانه .

نَفْسِي وَلَيْتَ مَا تَوَلَّيْتُ	دَعَهَا عَلَى الشَّوْقِ تَصْبِرُ
لَوْ سُمِّتَها الهَجْرَ مَا تَوَلَّيْتُ	وَلَمْ تَكُنْ عَنْكَ تَنْفِرُ
عَلَّمَهَا الصَّبْرَ فِي الْحُرُوبِ	سُلْطَانُنَا عَاقِدُ الْبُنُودِ
مَعْفَرُ الصَّيْدِ لِلْجَنُوبِ	أَعَزُّ مِنْ حُفٍّ بِالْخُنُودِ
نُصِرَتْ بِالرَّعْبِ فِي الْقُلُوبِ	وَالْيَيْضُ لَمْ تَبْرَحِ الْغُمُودُ
عَنَاءَةُ اللَّهِ فِيهِ حَلَّتْ	بِسَعْدِهِ الدِّينُ يُنْصَرُ
وَالْخَلْقُ فِي عَصْرِهِ تَمَلَّتْ	غَنَائِمًا لَيْسَ تُحْصَرُ
مَوْلَايَ يَا نَكْتَةَ الزَّمَانِ	دَارَ بِمَا تَرْتَضِي الْفَلَكَ
جَلَلْتُ بِالْيَمَنِ وَالْأَمَانِ	كُلَّ مَلِكٍ وَمَا مَلِكُ
لَمْ يَدِرْ وَصْفِي وَلَا عِيَانِي	أَمَلِكُ أَنْتَ أَمْ مَلِكُ
جُنُودُكَ الْغُلْبُ حَيْثُ حَلَّتْ	بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ تُخْفَرُ
وَعَادَةُ اللَّهِ فِيكَ دَلَّتْ	أَنَّكَ بِالسَّكْرِ تَظْفَرُ
يَا آيَةَ اللَّهِ فِي الْكَمَالِ	وَمُخْجَلِ الْبَدْرِ فِي التَّمَامِ
قَدِمْتَ بِالْعَزِّ وَالْجَلَالِ	وَالدَّهْرِ فِي ثَغْرِهِ ابْتِسَامِ
يَخْتَالُ فِي حُلَّةِ الْجَمَالِ	وَالْبَدْرِ قَدْ عَادَ فِي اخْتِمَامِ
رِيحَانَةُ الْفَجْرِ قَدْ أَظَلَّتْ	خَضِرَاءَ بِالزَّهْرِ تَزْهَرُ
وَرَايَةُ الصَّبْحِ قَدْ أَظَلَّتْ	فِي مَرْقَبِ الشَّرْقِ تَنْشُرُ

وَقَالَ سَامِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى .:

قَدْ طَلَعَتْ رَايَةُ الصَّبَاحِ	وَأَذَنَ اللَّيْلِ بِالرَّحِيلِ
فَبَاكِرِ الرُّوْضِ بِاصْطِبَاحِ	وَاشْرَبَ عَلَى زَهْرِهِ الْبَلِيلِ

فَالْوُرْقُ هَبَّتْ مِنَ السُّبَاتِ لَمَسِيرِ الدَّوْحِ تَخْطُبُ
تَسْجِعُ مَفْتَنَةَ اللِّغَاتِ كُلُّ عَنِ الشَّوْقِ يُعْرِبُ
وَالْفَصْنُ بَعْدَ الدِّهَابِ يَأْتِي لِأَكْوَسِ الطَّلِّ يَشْرَبُ

وَأَدْمَعُ السُّحْبِ فِي انْسِيَاكِ فِي كُلِّ رَوْضٍ لَهَا سَبِيلُ
وَالْحَوَّ مُسْتَبْشِرُ النَّوَاحِي يَلْعَبُ بِالصَّارِمِ الْعَقِيلِ

قَمِ فَاغْتَنِمِ بَهْجَةَ النُّفُوسِ مَا بَيْنَ نَوْرٍ وَبَيْنَ ثَوْرٍ
وَشَفَّعِ الصَّبْحَ بِالشَّمُوسِ تَدِيرُهَا بَيْنَنَا الْبَدُورُ
وَنَبِّهِ الشَّرْبَ لِلْكُؤُوسِ تَمْزِجُ مِنْ رَيْقَةِ الثَّغُورِ

مَا أَجْمَلَ الرَّاحَ فَوْقَ رَاحِ صَفَرَاءَ كَالشَّمْسِ فِي الْأَصِيلِ
تَغَادِرُ الصَّدْرَ ذَا انْشِرَاحِ لِلْأَنْسِ قِي طَيْهٍ مُقْبِلِ

وَلَا تَذَرِ خَمْرَةَ الْجَفُونِ فَسَكْرَهَا فِي الْهَوَى جُنُونِ
وَلَتُخْشَى مِنْ أَسْهَمِ الْعَيُونِ فَإِنَّهَا رَائِدُ الْمُنُونِ
عَرَضَتْ مِنْهَا إِلَى الْفَتُونِ وَكُلُّ خُطْبٍ لَهَا يَهُونُ

أَهْمِ بِالْفَسَادَةِ الرَّدَاحِ وَالْجَسْمُ مِنْ حَبِّهَا عَلِيلُ
لَوْ بَتَّ مِنْهَا عَلَى اقْتِرَاحِ نَقَعَتْ مِنْ رَيْقِهَا الْغَلِيلُ

أَوَاعِدُ الْعَطِيفِ لِلْمَتَامِ وَمَنْ بَلَعَتْ بَيْتِي بِالْمَتَامِ
أَسْهَرُ فِي لَيْلَةِ التَّمَامِ وَأَنْتِ يَا بَدْرُ فِي التَّمَامِ
وَالْتَمُّ الزَّهَرَ فِي الْكَيْبَامِ عَلَيْهِ مِنْ ثَغْرِكَ ابْتِسَامِ

سَفَرْتُ عَنْ مَبْهَمِ الْأَقَاحِ وَرَيْقُكَ الْعَذْبُ سَلْسَبِيلُ
قُلْ لِي يَا رَبَّةَ الْوَشَاحِ هَلْ لِي إِلَى الْوَصْلِ مِنْ سَبِيلِ

يا كعبة الحسن زدت حسنا وللهوى حولك المطاف
وغصن بان إذا تثنى لو حان من زهرك القطاف
ألا انعطاف على الممتى فالغصن يزهى بالانعطاف
أصبحت تزهو على الملاح بذلك المنظر الجميل
ووجهك الشمس في انضاح لو أنها لم تكن تميل
ما الزهر إلا بنظم در تحسد في حسنه العقود
للملك الظاهر الأغر أكرم من حف بالسعود
محمد الحمد وابن نصر وباسط العدل في الوجود
مُساجل السحب في السماح بالغيث من رفته الجليل
ومجمل البدر في الرياح بغيرة ميسا لها مثل
يا مشرب الحب في القلوب وواهب الصبح للصفاح
نصرت بالرعب في الحروب والرعب أجدى من السلاح
قد لحق من عالم الغيوب لم تعدم الفوز والفلاح
مراكش نيسة افتتح والصنع في فتحها جليل
بُشراك بالفتح والنجاح والشكر من ذلك القليل

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

في كؤوس النفر من ذاك اللعس راحة الأرواح
وتغشى الروض مسكي النفس عاطس الأرواح
وكسا الأدواح وشيا مذهبا يبهز الشمسنا

د ق : الطاهر .

عسجدٌ قد حلَّ من فوق الربِّي	يبهجُ النفسا
فاتخذ للهِوِ فيه مركبا	تلحقُ الأنسا
منبرُ الغُصنِ عليه قد جَلَسَ	ساجعُ الأدواخ
حلَّلَ السندسِ خُضْرًا قد لبسَ	عِطْفُهُ المرتاح
قُمْ تَرَى هذا الأصيلَ شاحبا	حُسْنُهُ قد راق
ولأذيالِ الغُصونِ ساجبا	في حُلَى الأوراق
ونَدِيمٍ قالَ لي مُخاطِبا	قولَ ذي إشفاق
عادةُ الشمسِ بغربِ تُخْتَلَسُ	هاتِ شمسَ الراح
إنْ أَرانا الجَوَّ وجهاً قد عَبَسَ	أوقِدِ المِصْبَاح
ووجوهُ الشَّرْبِ تغني عن شُموسِ	كلِّما تُجلى
بلحاظِ أسكرتنا عن كُؤوسِ	خمرها أحلى
مظاهراتٍ من خفايا في النفوسِ	سُوراً تُتلى
ما زمانُ الأنسِ إلاَّ مَحْتَلَسِ	فاغتمِ يا صاحُ
وعيونُ الشَّهْبِ تدكي عن حرسِ	تخضمُ النَّصْاحُ
ما تَرى ثغرَ الوميضِ باسما	يُظْهِرُ البِشْرا
وثناءُ الروضِ هبَّ ناسما	عاطِراً نَشْرا
بثَّ منْ أزهاره دراهما	قائلاً : بُشْرى
ركب المولى معَ الظَّهِيرِ الفرسِ	وشقِّيْ وارتاح
بجنودِ الله دأباً يحترسِ	إن غدا أو راح

١ ن : وسقي .

وجب الشكرُ عليّنا والها
 بَعْضُنَا بَعْضًا
 فزمانُ السعدِ وضَّاحُ السنا
 وجهه الأَرْضِي
 أثمرت فيه العوالي بالمتى
 ثمرًا غَضًّا
 يجتني الإسلامُ منها ما اغترس
 سيفهُ السَفَّاحُ
 في ضميرِ النفعِ منها قد هَجَسَ
 شُهْبُ تَلْتِاحُ
 يا إماماً بالحسامِ المُتَنَضِّي
 نصَرَ الحقَّ
 ثغركَ الوضَّاحُ مهما أومضا
 أخجلَ البرقا
 وديونُ السعدِ منه تَقْتَضِي
 توسعُ الحقَّ
 لكَ وجهٌ من صباحٍ مُقْتَبَسُ
 بيشرُهُ وضَّاحُ
 وجميلُ الصَفْحِ منه مُلْتَمَسُ
 منعمُ صَفَّاحُ
 هاكها تمزج لطفاً بالنسيمِ
 كلَّما هبَّ
 قد أتتْ بالبرِّ والصنعِ الجسيمِ
 تشكرُ الربَّ
 أخجلت من قال في الصبحِ الوسيمِ
 مفرماً صبَّ
 « غرد الطير فنبّه من نصس »^١
 يا مديراً الراحِ
 « وتعرّى الفجرُ عن ثوبِ الغلس »
 وانجلي الإصباحُ

وقال أيضاً ساعده الله تعالى :

قد أنعمَ اللهُ بالشفاءِ واستكملت راحةُ الإمامِ
 فلتنطقِ الطيرُ بالهناءِ وليضحك الزهرُ في الكِمامِ
 وجُوده بهجةُ الوجودِ وبرؤه راحةُ النفوسِ

١ تفسين من شعر ابن ركيح .

قد لاح في مرقب السعود
 فالدوح يومي إلى البنود
 والزهر في هروضة السماء
 والصبح مستشف اللواء
 محاسن الكون قد تجلت
 عرائس بالها تحلت
 وألسن الورق قد أملت
 تستوقف الخلق بالغسل
 تطب لله في الثناء
 كم من ثغور لها ثغور
 ومن خيلور بها بدور
 تقول إذ حضها السرور
 قد أنعم الله بالبقاء
 قد صادف النجى في الدواء
 يهنيك مولاي بل يهنى
 فالغرب والشرق منك يعنى
 والله لولاك ما تنها
 يا مورد الأنفس الظماء
 وقرة العين بالبهاء
 واستبشرت أوجه الشمس
 أكمامه غطت الرؤوس
 كالزهر قد راق بابتسام
 والبدر مستقبل التمام
 جمالها العقل يهر
 والطل في الخلق جوهر
 مدائحاً عنه تشكر
 كأنها تحسن الكلام
 تقول سلّمت يا سلام
 تبسم إذ جاءها البشير
 يشير منها له المشير
 تبارك المنعم القدير
 في ظل مولى به اعتصام
 فالداء عنا له انفصام
 ببرئك الدين والمضى
 بمذهب الخطب والردى
 ما فيه من سطوة الردى
 قد كانت يشفقها الأوام
 رددت للأعين التمام

١ الأعمار : إلى السجود ... حلت .

لو أبذلُ الروحَ في البشارِ
فأنتِ يا نفسُ مستعاره
لم أدري إذ سطرَ العياره
لا زلتِ مولايَ في هناء
ودمتَ للملكِ في اعتلاء
يذلتُ بعضيَ النبي ملكُ
مولايَ بالفضلِ جمَلُكُ
أمَلِكُ هوَ أم ملكُ
مُبَلِّغُ القصدِ والمرامُ
تسحبُ أذيالَهُ الغمامُ

وقال في معلقة :

عليك يا ريةُ السلامُ
مذ حَلَّ في قصرِكِ الإمامُ
والدوحُ في روضِكِ الأنيقُ
والغصنُ في نهره غريقُ
والجو من وجهك الشريقُ
وأعينُ الزهر لا تنامُ
تنفثُ من تحتها الغمامُ
عروسةُ أنتِ يا عقيلهُ
مدت لك الكفَّ مستقيلهُ
وبالبحرُ مرأتك الصقيلهُ
والخليُّ زهرُ له انتظامُ
قد راق من ثغره ابتسامُ
ولا عدا ربَّعك المطرُ
فقربك السؤلُ والوطرُ
للشكرِ قد حطَّت الرؤوسُ
وفي حُسله كما عروسُ
تحسده أوجهُ الشمسِ
تستعذبُ السَّهْدَ والسهرُ
ترقيقُ من أعينِ الزهرِ
تُجَلِّي على مَظهرِ الكمالِ
تمسحُ أعطافك الشمالِ
تشفُّ عن ذلك الجمالِ
يكللُ القُصْبَ بالدررِ
والوردُ في خدَّها خَمَرُ

١ ورد بدله في الأزهار :

كم فيك للمغم المَشوق
والنوح
والجو من وجهك
من منظر يبهج النفوس
(إلييت)

إن قيل مَنْ بَعَلُّهَا المَقْدَى	ومن لَهُ وصلُّها مباحٌ
أقول أسنى الملوكِ رفدا	مخلدُ الفخرِ بالصفاحِ
محمدُ الحمدِ حينَ يهدى	تساؤه عاطرُ الرياحِ
تخبرُ عن طيبهِ الكِمامُ	والخُبْرُ يغني عن الخَبْرِ
فالسعدُ والزعبُ والحسامُ	والنصرُ آياتهُ الكُبرُ
ذو غُرَّةٍ تسحرُ البلورا	وطلعةُ تُخجلُ الصُّباحِ
كم رايةٍ سامها ظهورا	تُظَلِّلُ الأوجهَ الصُّباحِ
وكمُ جهادٍ جللاه نورا	أظفرُ بالفوزِ والتجاحِ
الظاهرُ الظاهرُ الهمامُ	أعزُّ مَنْ صالَ وافتخرُ
لسيفه في العدا احتكامُ	جربى بهِ سابقُ القدرِ
يا مرسلَ الخيرِ في الغوارِ	لو تطلبُ البحرَ تلحقُ
لك الجوارى إذا تجاري	سوابقَ الشَّهبِ تسبقُ
تستنُّ في بلحةِ البحارِ	فالكفرُ منهن يفرقُ
فالدِّينُ وليقصرِ الكلامُ	بسيفك اعترَّ وانتصرُ
كذلك أسلافُك الكرامُ	همُ نصروا سيِّدَ البشرِ

وقال من غير هذا البحر في المحدث^١ بمالقة :

قد نُظِمَ الشملُ أتمَّ انتظامُ	واغنمِ الأحيابُ قربَ الحبيبِ
واستضحكِ الروضُ نُفُورَ الغمامِ ^٢	عن ميسمِ الزهرِ البرودِ الشنيبِ

١ المحدث : اسم بناء بمالقة .

٢ الأزهار : الكلام .

وعمّم النور رؤوس الرّبي	وجلّل الثور صدور البطاح
وصافح القُصب نسيم الصّبا	فالزهر يرنو عن عيون وقاح
وعاود النهر زمان الصّبا	فقلّد الزهر ^١ مكان الوشاح
وأطلع القصر برود التمام	في طالع الفتح القريب الغريب
خدودها قامت مقام الغمام	فلا اشتكى ^٢ من بعدها بالمغيّب
أصبحت يا ربة مجلى النفوس	جمالك العين بها يبهز
والبشر يسري في جميع الشموس	وراية الأنس بها تُشهر
والدوح للشكر تحطّ الرؤوس	وأنجم الزهر بها تزهز
وراجع النهر غناء الحمام	وقد شدّت تسجع تسجع الخطيب
بمنبر الغصن الرشيق القوام	لما انقضى يهفو بقدر رطيب
يا حبذا مبنائك فخر القصور	برؤوجه طالت بروج السما
ما مثله في سالفات العصور	ولا الذي شاد ابن ماء السما
كم فيه من مرأى بهيج ونور	في مرتقى الجوّ به قدّ سما
خليفة الله ونعم الإمام	أتخفك الدهر بصنع عجيب
يهنيك شمل قد غدا في التمام	ممهداً في ظلّ عيش حصيب
نواسم الوادي بمسك تفوح	ونفحة الندّ به تبعق
وبهجة السكّان فيه تلوح	وجوه من نورهم يشرق
وروضه بالسرّ منه يبوخ	بلايل عن وجدّه تنطق

١ الأزهار : النهر .
٢ الأزهار : لا اشتكى .

لو أن من يفهم عنها الكلام
ونهره قد سل منه الحسام
فهي تهنيك هناء الأديب
يلحظه الترجس لحظ المريب

فأجمل الأيام عصر الشباب
يا دُرّة القصر وشمس القباب
وأجمل الأجل يوم اللقا
وهازم الأحزاب في الملتقى
بشرك الرب بحسن المآب
متّعك الله بطول البقا

ولا يزال القصر قصر السلام
يتلو عليك الدهر في كل عام
يختال في بُرد الشباب القشيب
﴿نصر من الله وفتح قريب﴾

وقال من المخلع في الشفاء :

في طالع اليمن والسعود
فاشرق النور في الوجود
قد كملت راحة الإمام
وابتسم الزهر في الكيمام

قد طلعت راية النجاح
وقال حيّ على الفلاح
وانهزم البؤس والعنا
مؤذن القوم بالمئي
فالدهر يأتي بالافتراح
مستقبلاً أوجه المنا

تحقق منشورة البرود
والأنس مستجمع الوفود
والسعد يقدم من أمام
واللطف مستعذب الحمام

وأكؤس الطل مترعات
والطير مفتحة اللغات
بأمل السوسن النسدي
تشلو بأصوات معبد
والفصن يذهب ثم يأتي
بالسنن الغص مرندي

١ الأزمار : القوز .

والدَّوْحُ يَوْمِي إِلَى السَّجُودِ شُكْرًا لِلَّهِ الَّذِي أَلْزَمَهُ الْجَسَمُ
وَالرَّيْحُ خَفَاقَةُ الْبُسُودِ تَبَاكُرُ الرُّوضِ بِالْغَمَامِ

مُظَاهِرُ الْجَمَالِ تُجَلَّى قَدْ هَزَّ أَعْطَافَهَا السَّرُورُ
وَبَاهِرُ الْحَسَنِ قَدْ تَجَلَّى مَا بَيْنَ نَوْرِ وَبَيْنَ نُورٍ
قَدْ هَنَأَتْ بِالشِّفَاءِ مَوْلَى بَعْضُهُ تَفَخَّرَ الْعَصُورُ

مَا بَيْنَ بَأْسٍ وَبَيْنَ جُودٍ قَدْ مَهَّدَ الْأَمْنُ لِلْأَنَامِ
خَالِدِينَ ذُو أَعْيُنٍ رُقُودٍ وَكَانَ لَا يَطْعَمُ النَّامِ

وَالكَاسُ فِي رَاحَةِ السَّقَاةِ تَرْوَحُ طَوْرًا وَتَغْتَسِدِي
يَهْدِيكُنَّ رَاتِقُ السَّمَاتِ مَا بَيْنَ بَرْقٍ وَفَرْقَدٍ
وَالشَّمْسُ تَذْهَبُ لِلْيَابِ قَدْ لَبَسَتْ ثَوْبَ عَسْجَدٍ

وَالزَّهْرُ فِي الْبَانِعِ الْمَجُودِ يَقَابِلُ الشَّرْبَ بِاتِسَامِ
وَالرُّوضُ مِنْ حَلِيَةِ الْغَمُودِ قَدْ جَرَّدَ النَّهْرَ عَنْ حَسَامِ

مَوْلَايَ يَا أَشْرَفَ الْمُلُوكِ وَعَصْمَةُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ
أَهْدِيكَ مِنْ جَوْهَرِ السُّلُوكِ يَقْدِفُهُ بِحُسْرُكِ الْمُعِينِ
جَعَلْتُ تَنْظِيمَهُ سُلُوكِي وَأَنْتَ لِي الْمُنْجِدُ الْمُعِينِ

نَحْيَةَ الْوَاحِدِ الْمَجِيدِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَالسَّلَامِ
عَلَيْكَ مِنْ رَاحِمٍ وَدُودٍ يَا مَخْجَلِ الْبَدْرِ فِي التَّمَامِ

وقال من الرمل المجزوء :

وَجْهٌ هَذَا الْيَوْمَ بِاسْمِ وَشَذَا الْأَزْهَارِ نَاسِمِ

هاتما صاح كؤوسا	جالسات للسرور
وارتقب منها شموسا	طالعات في حُبُور
ما ترى الروض عروسا	في حُلَى نَوْرٍ ونُورٍ
وأنت رسلُ النواسم	تجتلي هذي النواسم
قد أهلت بالبشائر	أضحكت ثغرَ الأزاهر
سنحت في يمين طائر	ونظمن كالجواهر
فانشروها في العشائر	إن هذا الصنع باهر
وأشيعوا في العوالم	الغني بالله سالم
أي نور يتوقد	أي بدر يتللا
أي فخر يتخلد	أي غيث يتسوال
إنما المولى محمد	رحمة الله تعالى
كفد بحر المقاسم	وبها حج المباسم
خير أملك الزمان	من بني سعد ونصر
ما ترى أن الشواني	في صعيد البر تجري
قد أطارتها التهاني	دون بحري وبحري
مذ رأيت بحر النعائم	كلها جار وعائم
فهنيئاً بالشفاء	يا أمير المسلمينا
ولنا حقُ الهناء	وجميع العالمينا
إن جهرنا بالدعاء	ينطق الدهر أمينا
دمت محروس المكارم	بظبي البيض الصوارم

وقال يهني السلطان موسى ابن السلطان أبي عنان ، وقد وجه إليه الغني بالله أمه
وعياله عند تملكه المغرب من قبلكه :

قد نُظِمَ الشَّمْلُ أتمَّ انتظام	ولاحتِ الأَقمارُ بعدَ المغيّبِ
وأضحك الروضُ ثغورَ الغمام	عن مبسم الزهر البرودِ الشنّيبِ
وعاودَ الغصنُ زمانَ الصّبا	وأشربَ الأنسَ جميعُ النفوسِ
وعتمَ النَّورُ رؤوسَ الرُّبى	وجلَّلَ النُّورَ وجوهَ الشُّموسِ
وأطربَ الغصنَ نسيمُ الصّبا	فالدَّوحُ للشُّكرِ تحطُّ الرؤوسُ
واستقبلَ البدرُ لياليَ التمام	وصافحَ الصّبحَ بكفِّ خضيبِ
وراجعَ الأَطيارَ سجعُ الحمام	بكلِّ ذي لحنٍ بديعٍ غريبِ
نواسمُ الوادي بمسكٍ تفوح	ونفحةُ الندِّ به تعبقُ
وبهجةُ السَّكانِ فيه تلوح	وجوهُ مسنِ نوره يشرقُ
وعرفهُ بالطيبِ منه يفوح	كانهُ من عنبرٍ يفتقُ
والنهرُ قد سُلَّ كثرَ الحسام	حبابُهُ تطفو وطوراً تَغيبُ
وثغرها قد راق منه ابتسام	يُهنّئُ الحَبَّ بقربِ الحبيبِ
كواكبُ أبراجهنِ الخدورُ	يلوحُ عنها كلُّ بدرٍ ليساحُ
جواهرُ أصدافهنِ القصورُ	نظمها السَّعدُ كنظمِ الوِشاحِ
يا حبّذا والله ركبُ السُّرورُ	ييشُرُ المولى بنيلِ اقتراحِ
ابتهجَ الكونُ بموسى الإمام	واختالَ في بُردِ الشَّبابِ القَشيبِ
وعادهُ يُخدمُ مثلَ الغُلامِ	شبابُهُ قد عادَ بعدَ المَشيبِ

أكرم به والله وفده الكريم	مولى سناً « الحرة » في مقدمه
مرضاتها تحظي بدار النعيم	وتوجب التوفيق لمن منعمه
بشر بالنصر وفتح جسيم	وخيره أجمع في مقدمه
لقاؤها المبرور مسك الختام	بشرك الله بصنع عجيب
وقصرك الميمون قصر السلام	خط يحفظ من سميع عجيب
مولاي يهنسك وحق الهنا	قد نظم الشمل كنظم السعد
قد غزت بالقخر ونيل المني	وأئجز السعد جميع الوعد
وقرت العين وزال العنا	وكلما مر صنيع يعود
فلا يزل ملكك حلف الدوام	يتجاوز في التخليد أوف نصيب
يتلو عليك الدهر بعد السلام :	﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾

وقال رحمه الله تعالى في وصف غرناطة والطرود وغيرها :

لله ما أجمل روض الشباب	من قبل أن يفتح زهر المشيب
في عهده أدرت كأس الرضاب	حباؤها الدر بغر الحبيب
من كل من ينجل بدر التمام	إذا تبدى وجهه للعيون
ويفضح الغصن بلين القوام	وأين منه لين قذ الغصون
ولحظه يمضي مضاء الحسام	ويذهل العقل بسحر الحقون
أبصرت منه إذ يحط الثقاب	شمساً ولكن ما لها من مغيب
إذا تجلت بعد طول ارتقاب	صرقت عنها اللحظ خوف الرقيب

١ ق : ثناء ؛ وفي الأزهار : مولانا .

مَنْ عَازِرِي مِنْهُ فَوَادَا صَبَا	لَلَامِيعِ الْبَرْقِ وَخَفَقِي الرِّيحِ
يَطِيرُ إِنْ هَبَّ نَسِيمُ الصَّبَا	تَعِيرُهُ الرِّيحُ خَفُوقَ الرِّيحِ
مَا أَوْلَعَ الصَّبَّ بَعْدَ الصَّبَا	وَهَلْ عَلَى مَنْ قَدْ صَبَا مِنْ جُنَاحِ
فَقَلْبُهُ مِنْ شَوْقِهِ فِي التَّهَابِ	قَدْ أَحْرَقَ الْأَكْبَادَ مِنْهُ الْوَجِيبُ
وَالْجَفْنُ مِنْهُ سَحْبُهُ فِي انْسِكَابِ	قَدْ رَوَّضَ الْخُلْدَ بِدَمْعٍ بِسَكِيبِ
غُرْنَاظَةُ رَجْعِ الْهَوَى وَالْمُنَى	وَقُرْبُهَا السَّوْلُ وَنِيلُ الْوُطَرِ
وَطَيْبُهَا بِالْوَصْلِ لَوْ أَمَكْنَا	لَمْ أَقْطَعْ اللَّيْلَ بِطُولِ السَّهْرِ
عَمَّا قَرِيبٍ حَقٍّ فِيهَا الْهَنَا	بَيْنَ ذِي الْعُودَةِ بَعْدَ السَّفَرِ
وَيُحْمَدُ النَّاسُ نِجَاحَ الْإِيَابِ	بِكُلِّ صَنِيعٍ مُسْتَجِدٍّ غَرِيبِ
وَيَكْتَبُ الْقَالَ عَلَى كُلِّ بَابٍ :	﴿ نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾
مَا لَذَّةُ الْأَمْلاكِ إِلَّا الْقَنْصُ	لَأَنَّهُ الْقَالَ بِصَيْدِ الْعِدَا
كَمْ شَارِدٍ جَرَّعَ فِيهِ الْغُصَصُ	وَأُورِدَ الْمُحْرُوبُ وَرَدَّ الرَّدَى
وَكَمْ بَذَا الْقَحْصِ لَنَا مِنْ حَصَصِ	قَدْ جُمِعَ الْبَاسُ بِهَا وَالنَّدَى

ومنها بعد أبيات من الوزن والروي :

مولاي مولاي ، وأنت الذي	جَدَّدْتَ لِلْأَمْلاكِ عَهْدَ الْجَلَالِ
والشمسُ والبدرُ من العَوْدِ	لَمَّا رَأَتْ مِنْكَ بَدِيعَ الْجَمَالِ
والروضُ في نعمته يَغْتَلِي	بَطِيبٍ مَا قَدْ حَزُّتَهُ مِنْ خِلَالِ
بشراكَ بشراكَ بحسنِ الْمَأْبِ	تَسْتَضْحِكُ الرُّوضُ بِشَفْرِ شَتَائِبِ
ودمتَ محروسَ الْعُلَا وَالْجَنَابِ	بِعَصْمَةِ اللَّهِ السَّمِيعِ الْمَجِيبِ

انتهى ما انتقيته من كلام ابن زَمَرْك من كتاب ابن الأحمر ، رحمه الله

تعالى . وقد عرفت منه ما تسنى للغني بالله ابن الأحمر من الفتوحات والسعود
ونفاذ الأمر على ملوك المغرب ، فهو الأحق بقول لسان الدين ابن الخطيب رحمه
الله تعالى :

ملكٌ إذا عاينتُ منهُ جَيِّينه فارقتُهُ والنورُ فوق جِيبي
وإذا لثمتُ يمينه وخرجتُ من أبوابه لثمتَ الملسوكُ يميني

وكان الغني بالله المذكور معتقداً في الصالحين ، حتى إنه كتب وهو بفاس
مخلوعاً إلى ضريح ولي الله سيدي أبي العباس السبتي بمراكش ، ومن إنشاء وزيره
لسان الدين على لسانه :

يا وليَّ الإله أنت مطاعٌ

الآيات والنثر بعدها ، وقد ذكرتهما في الباب الخامس فراجعهُ^١ ، وكان
ذلك بفضل الله تعالى عنوان رجوعه إلى ملكه ، ونظم تلك الأماكن في سلكه ،
حتى حصل له من السعد ما لم يحصل لغيره حسبما يُعلم ذلك من كلام لسان الدين
وابن زمرك وغيرهما .

[ترجمة الولي السبتي]

والسبتي المذكور : هو سيدي أبو العباس أحمد بن جعفر السبتي
الخزرجي^٢ ، الولي الصالح العالم العارف بالله القطب ذو الكرامات الشهيرة ،
والمناقب الكثيرة ، والأحوال الباهرة ، والفضائل الظاهرة ، والأخلاق الطاهرة ،

.....

١ انظر أيضاً أزهار الرياض ١ : ٢٧٣ .

٢ راجع ترجمة الولي السبتي في أنس الفقير : ٧ - ٩ وتعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس
لابن الموقت (ط . فاس ١٩١٨) ونيل الابتهاج ٣١ - ٣٧ . وعن هذا الأخير ينقل المقرئ ؛
وراجع الاعلام للعباس بن إبراهيم ١ : ٢٣٩ - ٣٣٨ .

نزىل مراكش ، وبها توفي سنة إحدى وستمائة ، وولادته بسنة عام أربعة وعشرين وخمسمائة ، ودفن خارج مراكش ، وقبره مشهور مقصود بإجابة الدعاء ، وقد زرته مراراً كثيرة ، فرأيت عليه من ازدحام الناس ما لا يوصف ، وهو ترياق مجرب .

قال لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى : كان سيدي أبو العباس السبتي — رضي الله تعالى عنه — مقصوداً في حياته ، مستغاثاً به في الأزمات ، وحاله من أعظم الآيات الخارقة للعادة ، ومبني أمره على انفعال العالم عن الجود^١ ، وكونه حكمة في تأثير الوجود ، له في ذلك أخبار ذائعة وأمثال باهرة ؛ ولما توفي ظهر هذا الأثر على تربته ، وتشبث بلحمه ، وانسحب على مكانه عادة حياته ، ووقع الإجماع على تسليم هذه الدعوى ، وتخطى الناس مباشرة قبره بالصدقة إلى بعثها له من أماكنهم على بعد المدى ، وانقطع الأماكن القصي^٢ ، يحملهم أجنحة نياتهم فتھوي إليه بمقاصدهم من كل فج عميق ، فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة .

وقال ابن الزيات^٣ : كان أبو العباس قد أعطي بسطة في اللسان ، وقدرة على الكلام ، لا يناظره أحد إلا أفحمه ، ولا يسأله إلا أجابه ، كأن القرآن والحجج على طرّف لسانه حاضرة ، يأخذ بمجامع القلوب ، ويسحر العامة والخاصة ببيانه ، يأتيه المنكرون للإنكار فما ينصرفون إلا مسلمين منقادين ، وشأنه كله عجيب ، وهو من عجائب الزمان . وحدثني مشايخنا أنهم سمعوه يقول : أنا

١ في الأصل : الوجود ، والتصويب عن التنيكي ؛ وأورد العباس بن إبراهيم أن ابن رشد أرسل أبا القاسم الخزرجي ليحرف مذهب أبي العباس بمراكش ، فلما نقل الخزرجي خبره إلى ابن رشد قال له : « هذا رجل مذهبه أن الوجود يفعل بالجود » وهو مذهب فلان من قدماء الفلاسفة .

٢ نيل الابتهاج : المكان الأقصى .

٣ تنقل المصادر ترجمة السبتي عن التشوف ، ولكن ابن الزيات صرح بأنه يفرد ترجمة السبتي إذ لا يكفي في ذكره الاختصار ، وجعل ترجمته في آخر كتابه ، إلا أنها لم تطبع مع سائر الكتاب ، وقد نقل العباس بن إبراهيم ما ذكره ابن الزيات في تلك الترجمة .

القطب . وحدثني أبو الحسن الصنهاجي من خواص خدامه قال : خرجت معه مرةً لصهريج غابة الرمان يوم عرفة ، فجلسنا هناك وصلينا ، فقال لي : إنما سمي هذا اليوم يوم عرفة لانتشار الرحمة فيه لمن تعرّف إليه بالطاعات ، وقد فاتنا عرفة ، فتعال نمثّل بهذا المكان ونعمل كما يعملون ، لعلّ الله تعالى يتغمّدنا برحمته معهم ، فعمل^١ مكاناً دائراً بالعين الكعبة ، ومحلّ عنصر الماء الحِجْر ، وموضعاً آخر مقام إبراهيم ، فطاف بالعين أسبوعاً وأنا أطوف بطوافه ، وكبر على العنصر في كل طواف ، وصلى في مثل^٢ المقام ركعتين تامتين ، وأطال في سجود الثانية ، ثم استند إلى الشجرة ثم قال لي : يا علي ، اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك تُقضى ، فإن الله تعالى وعد في هذا اليوم من تعرّف له أن يقضي حوائجه ، فقلت له : ما أريد إلاّ التوفيق ، فقال لي : ما خرجت معك من باب المدينة حتى وفقت ، فسألته عن حاله من بدايته إلى نهايته ، وبم تنفعل له الأشياء ويستجاب له الدعاء ؟ ولمّ صار يأمر بالصدقة والإيثار من شكا إليه حالاً أو تعذّر عليه مطلب في هذه الدار ؟ فقال لي : ما أمر الناس إلا بما ينتفعون به ، وإنّي لما قرأت القرآن وقعدت بين يدي الشيخ أبي عبد الله الفخار تلميذ القاضي عياض ونظرت في كتب الأحكام وبلغت من السن عشرين سنة وجدت قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ فتدبرته وقلت : أنا مطلوب به ، فلم أزل أبحث عنها^٣ إلى أن وقفت على أنّها نزلت حين آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وأنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم حكم المؤاخاة ، فأمرهم بالمُشاطرة ، ففهمت أن العدل المأمور به في الآية هو المشاطرة ، ثم نظرت إلى حديث « تفرّق أمّتي على ثلاثين فرقة - الحديث » وأتته صلى الله عليه وسلم

١ ق : فعمل ؛ نيل الابتهاج : فعمل .

٢ في الأصل : قبل .

٣ نيل الابتهاج : فبحث عن الآية .

قاله صبيحة اليوم الذي آنحى فيه بين المهاجرين والأنصار ، وذكر له^١ الأنصار أنهم شاطروا المهاجرين ، فقال لهم ذلك بأثره^٢ ، فعلمت أن الذي هو عليه وأصحابه المشاطرة والإيثار ، فعقدت مع الله تعالى نيّة أن لا يأتيني شيء إلا شاطرت فيه الفقراء ، فعملت^٣ عليه عشرين سنة ، فأثمر لي الحكم بالخاطر^٤ ، فلا أحكم على خاطري بشيء إلا صدق ، فلما أكلت أربعين سنة راجعت تدبر الآية فوجدت الشطر هو العدل ، والإحسان ما زاد عليه ، فعقدت مع الله تعالى نيّة لا يأتيني قليل ولا كثير إلا أمسكت ثلثه وصرفت الثلثين لله تعالى ، فعملت عليه عشرين سنة ، فأثمر لي الحكم في الخلق بالولاية والعزل فأولي من شئت ، وأعزل من شئت ، ثم نظرت بعد ذلك في أول ما فرضه الله تعالى على عباده في مقام الإحسان ، فوجدت شكر النعمة ، بدليل إخراج الفطرة عن المولود قبل أن يفهم ، ووجدت أصناف من^٥ تُصرف إليهم الصدقات^٦ الواجبة [سبعة] وسبعة أصناف آخر صرّفها فيها للإحسان والزيادة ، وذلك أن لنفسك عليك حقاً ، وللزوجة حقاً ، وللرحم حقاً ، ولليتيم حقاً ، وللضعيف حقاً ، وذكر صنفين آخرين ، فانتقلت لهذه الدرجة ، وعقدت مع الله تعالى عقداً أن كل ما يأتيني أمسك سبعة حق النفس وحق الزوجة وأصرف الخمسة أسباع لمستحقيها ، فأقمت عليه أربعة عشر عاماً ، فأثمر لي الحكم في السماء ، فمتى قلت « يا رب » قال لي : لبّيك ، ثم قال لي : إنها نهايتي بتمام عمري ، وهو أن تنقضي لي ستة أعوام تكملة العشرين عاماً .

قال الصنهاجي : فأرخت ذلك اليوم ، فلما مات وحضرت جنازته تذكرت التاريخ المكتوب ، وحققت العدد ، فنقصت من ستة أعوام ثلاثة أيام خاصة ،

١ نيل الابتهاج : ذكر ذلك الحديث اثره .

٢ نيل الابتهاج : فبقيت .

٣ نيل الابتهاج : حكم الخاطر .

٤ نيل الابتهاج : أصناف من يعطى الصدقة .

ليحتمل أن تكون من الشهور الناقصة ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .
وقال أبو بكر ابن مساعد : جاء بعض السلاطين إلى أبي العباس وهو راكب ،
وقال له : إلى متى تحيرنا ولا تصرح لنا عن الطريق ؟ فقال له : هو الإحسان ،
فقال له : بين لي ، فقال له : كل ما أردت أن يفعله الله تعالى معك فافعله
مع عبيده .

وقال له أبو الحسن الخباز^١ : أما ترى ما فيه الناس من القحط والغلاء ؟
فقال : إنما حبس المطر لبخلهم ، فلو تصدقوا لمطرؤوا ، فقل لأصحابك
الفلاحين : تصدقوا بمثل ما أنفقتم تمطرؤوا ، فقال له : لا يصدقني أحد ، ولكن
مُرني في خاصة نفسي ، فقال له : تصدق بمثل ما أنفقت ، فقال له : إن الله
تعالى لا يُعاملُ بالدينِ ، ولكن أستسلف ، فاحتال وتصدق بها كما أمره ،
قال : فخرجت إلى البحيرة التي عمرتها والشمس شديدة الحر ، فأيست من المطر ،
ورأيت جميع ما غرست مشرفاً على الهلاك ، فأقمت ساعة فإذا سحابة أمطرت
البحيرة حتى رويت ، وظننت أن الدنيا كلها مطرت ، فخرجت فإذا المطر لم
يتجاوزها ؛ انتهى .

والحكايات عنه في مثل هذا كثيرة .

وقال ابن الخطيب القسطيني في رحلته^٢ : حضرت عند الحاج الصالح
الورع الزاهد أبي العباس أحمد بن عاشر بمدينة سلا ، وقد سأله أحد الفقراء
عن كرامة الأولياء ، فقال له : لا تنقطع بالموت الكرامة ، انظر إلى السبي ،
يشير إلى الشيخ الفقيه العالم المحقق أبي العباس السبي المدفون بمراكش ، وما ظهر
عند قبره من البركات في قضاء الحاجات بعقب الصدقات ، سمعت يهودياً بمراكش
يلهج ببركته وينادي باسمه في أمر أصابه لا مع المسلمين ، فسألته عن سببه ،

١ نيل الابتهاج : الجنان .

٢ يعني أنس الفقير ، كما تقدم ، انظره ص : ٨ .

فأخبر أنه وجد بركته في غير موطن ، فسألته عما بدا له في وقت ^١ ، فقال لي :
 وحق ما أنزل على موسى بن عمران ما أذكر لك إلا ما اتفق لي ، سرّيتُ ليلة
 مع قافلة في مفازة ، فخرجتُ دابتي ، فما شككت في اقترلي وسلب مالي ، فجلست
 وبكيت ، وبينني وبين الناس بعد ، وقلت : يا سيدي أبا العباس ، خاطرك ،
 قال لي : والله ما أتممت الكلام إلا وأهل القافلة أصابهم سبب وقفوا به ، وضربت
 دابتي ، وخف عرجها ، ثم زال ، واتصلت بالناس ، فقلت له : لم لم تُسلم ؟
 فقال : حتى يريد الله تعالى ، وعجبت من كون ذلك من يهودي ، وهذه شهادة من
 عدوّ في الدين . ولقد وقفت على قبره مرات ، وسألت الله تعالى في أشياء يتسر
 لي فيها سؤلي : منها أن أكون ممّن يشتغل بالعلم ويوصفُ به ، وأن ييسر عليّ
 فتحهم كتب عينتها ، فيسر الله تعالى عليّ ذلك في أقرب مدّة . وكان السبتي آية
 في أحواله ، ما أدرك صحبته إلا الخواص من الناس ، وكان أصل مذهبه الحض
 على الصدقة ، وكان أمره عجبا في إجابة الدعاء بنزول المطر ، واختصاصه بمكان
 دون آخر ، وقال لأصحابه : أنا القطب ، وكان تفقّه على أبي عبد الله الفخار ،
 ووقفت على قبره ، وله بركات وأنوار . وكان السبتي آية في المناظرة ، وأوذني
 باللسان كثيرا جدّا فصفح وتجاوز .

ورأى ^٢ عبد الرحمن بن يوسف الحسني النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ،
 فقال له : يا رسول الله ، ما تقول في السبتي ؟ قال : وكنت سييء الاعتقاد فيه ،
 فقال لي بعد أن تبسم : هو من السّباق ، قال : فقلت يئن لي يا رسول الله ،
 فقال : هو ممّن يمر على الصراط كالبرق ، قال : فخرجت بعد الصبح ،
 فلقيني أبو العباس ، فقال لي : ما رأيت وما سمعت ؟ والله لا تركتك ^٣ حتى

١ أنس الفقير : عما رأى له في أقرب وقت .

٢ ما يزال النقل مستمرا عن أنس الفقير .

٣ ق : لا أتركك .

تعرفني ، فعرفته ، فصباح : كلمة الصفا من المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ انتهى ببعض اختصار .

وقال ابن الزيات : وحدثني أبو العباس الصنهاجي وغيره أن رجلاً يُعرف بابن الشكاز^١ ، وكان غنياً فدار عليه الزمان واقتقر ، حدث أنه وصل لأبي العباس السبتي وعليه ثوب خلّق^٢ تظهر منه عورته ، فشكا إليه حاله ، فأخذ بيده إلى أن خرج معه من باب تاغزوت ، فجاء إلى مطهرة هنالك ، قال : فدخل أبو العباس المطهرة وتجرّد من أثوابه وناداني ، وقال لي : خذ هذه الثياب ، فأخذتها ، وكان بعد العصر ، فأردت أن أرى ما يكون من أمره ، فصعدت إلى حائط هناك إلى قرب المغرب ، فلذا بفتى خرج من الباب على دابة معه رزمة ثياب ، فلما رأيته نزلت إليه ، فقال لي : أين الفقيه أبو العباس ؟ فقلت : ها هو في الساقية عريان ، فقال لي : أمسك الدابة ، فسمعت الفقيه يقول له : أين تلك الثياب ؟ فأخذها منه وخرج ، فلما رآني قال لي : وما لك هنا ؟ قلت : يا سيدي خفت عليك ، فلم أقدر على الانصراف وأتركك ، فقال لي : أفرى الذي فعلت ما فعلت له يتركني ؟ ثم سألت الفتى عن سبب وصوله إليه ، فذكر له أن إحدى الكرائم أمرته أن يحمل إليه تلك الثياب ، وقالت له : لا تدفعها إلا للفقيه ، ولا يلبسها إلا هو ، وهذه قصة صحيحة مشهورة .

وقال ابن الخطيب : وروضته بباب تاغزوت أحد أبواب مراکش غير حافلة البناء ، ربما يتبرع متبرع باحتفالها فلا تساعد الأقدار ، وزرتها ، وربما شاهدت في داخلها أشياء من أهل التعفف والتصوّف يسارقون خفية الناظر إلى مساقط رحمت الله تعالى عليها لكثرة زائريها ، فيقتحم^٣ ذو الحاجة بابها خالماً نعله مستحضراً نيته ويقعد بإزاء القبر ويخاطبه بحاجته ، ويعين بين يدي النجوى صدقة

١ نيل الابتهاج : السكان ؛ ق : السكالك ، والتصويب عن الأعلام .

٢ ق : فيقمم ؛ نيل الابتهاج : فيلج .

على قبره ، ويدسها في أواني في القبر معدة لذلك ، ومن عجز عن النقدين تصدق بالطعام ونحوه ، فإذا خف الزائرون آخر النهار عمد القائم إلى التربة إلى ما أودع هناك في تلك الأواني وفرقه على المحاويج الحاقين بالروضة ، ويحصون كل عشية ، ويعممهم الرزق المودع فيها ، وإن قصر عنهم كملوه في غده .

قال ابن الخطيب لسان الدين : وترافع خدام الروضة لقاضي البلد . وتخاصموا في أمر ذلك الرزق المودع هناك ، فسألهم القاضي عن خسرجه اليوم ، فقالوا : يحصل في هذه الأيام في اليوم الواحد ثمانمائة مثقال ذهباً عيناً ، وربما وصل في بعض الأيام لألف دينار فما فوقها ، فروضة هذا الولي ديوان الله تعالى في المغرب لا يحصى دخله ولا تحصر جبايته ، فالتبر يسيل ، واللجين يفيض ، وذو الحاجة كالطير تغدو خيماً صاباً وترجع بطاناً ؛ يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

قال : وأنا ممن جرب المنقول عن القبر ، فاطردّ القياس ، وتزيفت الشبهة ، وتعرفت من بدء زيارته ما تحققت من بركته ، وشهد على برهان دعوته ؛ انتهى . وقال الشيخ أبو الحجاج يوسف النادلي في كتابه « التشوّف إلى رجال التصوّف »^١ : كان أبو العباس جميل الصورة ، أبيض اللون ، حسن الثياب ، فصيح اللسان ، مقتدراً على الكلام ، حليماً صبوراً ، يُحسّن إلى من يؤذيه ، ويعلم على من يسفه عليه ، رحيماً عطوفاً محسناً إلى اليتامى والأرامل ، يجلس حيث أمكنه الجلوس من الطرق والسوق ، ويحض على الصدقة ، ويذكر في فضلها آيات وأحاديث ، ويأخذها ويفرقها على المساكين ، ويرد أصول الشرع إلى الصدقة ، ويفسرها بها ، ويقول : معنى قول المصلي « الله أكبر » أي : من أن نضن عليه بشيء ، فمن رأى شيئاً من متاع الدنيا في نفسه أكبر فلم يُحرم ولا كَبّر ، ومعنى رفع اليدين للتكبير : تخلّيت من كلّ شيء لا قليلاً ولا كثيراً ،

١ انظر الأعلام ١ : ٢٤١ .

وهكذا يتكلم بنحو هذا في جميع العبادات ، ويقول : سِرُّ الصوم أن تجوع ، فإذا جعت تذكرت الجائع ، وما يقاسيه من نار الجوع ، فتتصدق عليه ، فمن صام ولم يعطف على الجائع فكأنه لم يصم ، إلى غير ذلك من كلامه في مثل هذا . وكان إذا أتاه امرؤ يأمره بالصدقة ، ويقول له : تصدق ، ويتفق لك ما تريده ، وأخبره في ذلك كثيرة عجيبة .

قال التادلي : وحدثني ولدُه الفقيهُ أبو عبد الله عن أبيه أنه قال : كان ابتداء أمري وأنا صغير أنني سمعت كلام الناس في التوكل ، ففكرت في حقيقته^١ فرأيت أنه لا يصح إلا بترك شيء ، ولم يكن عندي منه [بد] ، فتركت الأسباب ، واطّرحت العلائق ، ولم تتعلّق نفسي بمخلوق ، فخرجت سائحاً متوكلاً ، وسرت نهاري كله ، فأجهدتني الجوع والتعب ، وقد نشأت في رفاهية [من العيش]^٢ ، وما مشيت قط على قدمي ، فبلغت قرية فيها مسجد ، فتوضأت ودخلت المسجد فصليت المغرب ثم العشاء ، وخرج الناس ، فقامت لأصلي ، فلم أقدر من شدة الجوع والتألم بالمشي ، فصليت ركعتين ، وجلست أقرأ القرآن إلى أن مضى جزء من الليل ، فإذا قارع يقرع الباب بعُنف ، فاستجاب له صاحب الدار ، فقال له : هل رأيت بقرتي ؟ فقال : لا ، فقال : إنها ضلت وقد أكثر عجلتها من الحنين فطلبتها فلم نجدتها في القرية ، فقال أحدهم : لعلها [دخلت] في المسجد وقت العتمة ، ففتحوا باب المسجد ودخلوا فوجدوني ، فقال صاحب البقرة : ما أظنك أكلت الليلة شيئاً ، فذهب وجاءني بكسرة خبز وقدح لبن ، ثم ذهب ليأتيني بالماء فوجد بقرته في داخل الدار ، فخرج لجيرانه وقال لهم : ما زالت البقرة من الدار ، وما كان خروجي إلا لهذا الفتى الجائع في المسجد ، ثم رغبني أن أمشي معه لمتزله ، فأبيت .

١ ق : دقيقه ، والتصويب من الاعلام .

٢ سقطت من ق .

وكان في أول أمره يسكن في الفندق^١ ويعلم الحساب والنحو ويأخذ الأجرة على ذلك ، وينفقها على طلبة العلم الغرباء ، ويمشي في الأسواق ، يذكر الناس ، ويضربهم على ترك الصلاة ، ويأتي بالطعام على رأسه .

وبات ليلة عند الطلبة فارتفعت أصواتهم بالذاكرة ، فلذا بالحرس قد قرعوا باب الفندق فقام إليهم القيّم بخدمته ، فقالوا له : ما تعلمون أن من رفع صوته بالليل يُقتل ؟ ثم قعد اثنان من الحرس على باب الفندق ليحملونا إذا طلع الفجر للوالي^٢ ، فجاء القيّم فأخبرنا فأدركنا خوف عظيم ، وأيقننا بالهلاك ، فأخذ أبو العباس في الضحك ولا يبالي ، ثم خلا بنفسه عند السحر ساعة ثم قال لنا : لا نخوف عليكم ، قد استوهبتكم من الله تعالى ، وهذان الحرسيان الواقفان غداً يُقتلان إن شاء الله تعالى ، فقليل له : الجزاء عندك على الأفعال من الخير والشر ، وهما لم يفعلوا ما يوجب قتلهما ، بل جزاؤهما يُروّعان كما روّعانا ، فقال : العلماء ورثة الأنبياء ، وترويعكم عظيم لا يقابله منهم إلا القتل ، فما زلنا نعارضه في ذلك حتى قال : عقوبتهما أن يُضرب كل واحد منهما مائة سوط ، ثم اجتاز عبد الله الحرّاز صاحب الوقت بالجامع الأعظم ، فوجد حانوته^٣ مفتوحاً ، ورأى الحرسيين على قرب ، فلم يشكّ أنهما حلاّ^٤ ، فحملاً إلى رجة القصر قبل طلوع الفجر ، فقال لنا أبو العباس : اجضروا على ضربهما كما أرادا قتلكم ، فتبعناهما ، وحضرنا حتى ضرب كل واحد مائة سوط .

وكراماته ومناقبه كثيرة لا تحصى .

وكان يقول^٥ : أصل الخير في الدنيا والآخرة الإحسان ، وأصل الشرّ فيهما البخل ، قال الله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ ﴾ (اليل : هـ) وقال عن إبليس ﴿ ثُمَّ

١ زاد التادلي في الأصل : الفندق الذي بأجادر ، المعروف بفندق مقبل .

٢ الاعلام : لنقتل .

٣ ق : تابوته .

٤ حلاه : فتعاه ؛ وفي الاعلام : فتحاها .

٥ انظر الاعلام : ٢٥٨ .

لَا تَبْتَغِهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴿ (الأعراف: ١٧) وقال ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ ﴿ (التوبة: ٧٥) وقال ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿ (الحشر: ٩) وقال ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴿ (القلم: ١٧) وقال ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿ (آل عمران: ١٣٣) وقال ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ ﴿ (البقرة: ١٧٧) وقال ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْآيَةِ ﴿ (الأحزاب: ٧٢) فهذه الأمانة هي الرزق ، فأعطت السموات ما فيها من الماء وهو المطر ، والأرض ما فيها من الماء النازل من الجبال ، والجبال ما فيها كذلك ، وأنبتت الأرض وأبت لمسالكها ، فحزن الإنسان جميعها عنده ومنع المساكين لأنه كان ظلوماً جهولاً ، وفي الحديث « هم الأقلون ورب الكعبة ، إلا من قال هكذا وهكذا — الحديث » ولما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه دعا عليهم موسى بالبخل ، فقال ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ — إِلَى قَوْلِهِ : دَعَوْتُكُمْ ﴿ (يونس: ٨٨، ٨٩) وكان رضي الله عنه في آخر عمره كثيراً ما يقرأ هذه الآية ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى — إِلَى قَوْلِهِ : سَوْفَ يَرَى ﴿ (النجم: ٢٢) وكان يقول : من قال إن الله تعالى لا يجازي على الصدقات فقد وافق اليهود في الفرية على الله تعالى لأنهم قالوا ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴿ (المائدة: ٦٤) أي لا يجازي على الصدقات ، قال الله تعالى ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ — إِلَى آخِرِهِ ﴿ أي يجازي على العطاء كيف شاء . وكان يقول في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ — الآية ﴿ (التوبة: ٣٤) إِنَّمَا كُتِبَتْ هَذِهِ الْمَوَاضِعُ لِأَنَّ الْغَنِيَّ يُعْرِضُ عَنِ الْمَسْكِينِ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ يَجْنِبُهُ ، ثُمَّ يَظْهَرُهُ ، فعوقبت هذه المواضع بالكي بالنار لإعراضه عن الفقير ، ومنازعه رحمه الله تعالى في أمثال هذا كثيرة ؛ انتهى مخلصاً .

وحدث أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يعمر^١ أنه دخل صحبة الشيخ سيدي أبي العباس السبي إلى الأمير السيد أبي سعيد عثمان يعوده ، فقال له : ادعُ الله

١ أورده في الأعلام : ٣١٠ نقلا عن النفع .

تعالى لي أيتها الشيخ ، فقال له : ارجع إلى الله تعالى حق الرجوع بحيث تتحقق أنه المُمرض والمُعافي ، واخرج عن بعض ما عندك من فضول الدنيا لأبناء الجنس ، لتكون ممن وُقي شح نفسه ، فتحينئذ يحصل لك ما ترجوه من الدعاء ، ثم التفت إلى الحاضرين وقال : في المرض فوائد لا ينبغي أن تُجهل : الأولى معرفة قدر العافية ، الثانية تمحيص بعض الذنوب ، الثالثة توقع الثواب ، الرابعة تنقية الجسم من فضول الأخلاط ، الخامسة كثرة ذكر الله تعالى والتضرع إليه ، السادسة حلوث الرقة والشفقة ، السابعة - وهي العظمى - الصدقة والخروج عن رذيلة البخل ؛ انتهى . وحدث الكاتب أبو القاسم ابن رضوان عن أبي بكر ابن منظور عن بعض أعيان مراکش أنه توفي وأوصى ابناً له كان من أهل البطالة أن يعمد إلى ألف دينار من متخلفه ، فيدفعها للشيخ سيدي أبي العباس السبتي ، ففعل ، وقال للشيخ : إن أبي توفي وأوصاني أن أدفع إليك هذه الألف دينار تضعها حيث شئت ، فقال له الشيخ : قد قبلتها وصرفتها إليك ، فقال له : يا سيدي ، وما تأمرني أن أفعل بها ؟ قال : خذها ، قال : فانصرفت من عنده وسؤت ظناً بقوله ، ثم قلت : وأنا أنفق مثل ذلك على عادي في الوجه الذي يلذ لي ، فلأفعلن بها ما أفعل بغيرها ، فأخذتها في محفظة - وخرجت ألتمس الزنى ، فإذا امرأة على دابة وغلّام يقودها ، فأشرت إلى الغلام ، فقال لي : نعم ، واتبعني إلى بستان لي ، فنزلت المرأة ، فأدخلتها إلى قبة كانت في البستان ، وأخذ الغلام الدابة وصار ناحية ، وقال : أغلق الباب ، ففعلت ، ثم أقبلت إلى القبة فإذا المرأة تبكي بكاء شديداً حتى طال بكاءها ، وبكيت لبكائها ، فقلت لها : ما شأنك ؟ فقالت : افعل ما دعوتني لأجله ، ودع عنك هذا ، ونحيبها يزيد ، فقلت لها : إن المعنى الذي دعوتك لأجله لا يصلح مع البكاء ، بل مع الأيس وانشرح الصدر وزوال الانقباض ورفع الحجل ، فقالت : نترك البكاء ونرجع للأنس على ما تحب ويوفى غرضك ، فقلت : لا ، حتى أعلم سبب بكائك ، وألححت عليها ، فقالت : أتعرف حاجب الملك الذي سجنه ؟ قلت : نعم ، قالت : فأنا ابنته ،

ولم يبق له أحد غيري ، وقد سجنه الملك وأخذ أمواله ، فما زلت أبيع ما ترك أبي وأنفقه عليه ، حتى لم يبق بيدي شيء ، فلما أعيتني الحيلة فيما أنفقه أبلأت نفسي ووقفت هذا الموقف وأنا بكر ما رأى لي أحد وجهاً قط ، فرميت لها بالآلف دينار وقلت لها : والله لا قربت منك على هذا الوجه أبداً ، فأنفقي الدنانير على والدك إلى أن تنفد ، وابعي لي غلامك أعلمه بمنزلي ، ولازمي دارك ، واستمري على صيانتك وإلا فضحتك ، وتربني والله لا أزال أبيع أملاكي وأنفقها على والدك حتى أموت أو يفنى كل ما أملكه ، ثم خرجت ألتبس الغلام وإذا بجماعة يطلبون البنت ، وقالوا : إن الملك رضي عن والدها ، ورد عليه ضياعه وأملاكه ، ووصله بعشرة آلاف دينار ، وقعد يلتمس بنته فلم توجد ، فسقط في يد الغلام الذي كان مع الدابة ، وظن أن الأمر على ما جرى بيني وبين البنت ، فبادرته وقلت له : لا عليك ، فتجاهل في خبرها حتى ينصرفوا ، ودخلت إلى البنت وقلت لها : إن الملك قد رضي عن والدك ، ورد عليه ماله ووصله ، فسيري إلى دارك ، فركبت دابتها وانصرفت ، فدخلت على والدها فقال لها : أين كنت ؟ وما الذي أخرجك عن دارك ؟ وهمَّ بها ، فقالت له : أخرج عني كل من في الدار ، ففعل ، فأخبرته أمرها مع الشاب من أوله إلى آخره ، ورمت إليه بالآلف دينار ، وقالت له : هذا الذي أعطاني لأنفق عليك ، فقال أبوها : هذا والله هو الكبيريت الأحمر ، والله لو كان أبوه كفافاً ما أنفت أن أزوجه منه ، فوجه العبد الذي كان معها إلى الشاب ، وقال له : إن سيدي يدعوك ، قال : فخفت أن يوضع عنده الأمر على غير وجهه ، ثم أقدمت لإقدام من علم براءة نفسه ، فدخلت عليه ، فقام إليّ وعانقني ، وقد عرف لي مقامي ، وقال : أما الآن وأنت من أعيان الناس فقد قررت بك عيني ، وقال : والله لو كان أبوك كفافاً ما أنفت لبنتي أن أزوجه منها ، فما قام من المجلس حتى وجهه إلى

١ ق : وقد عرفني .

العدول وأشهد على نفسه بأنه زوج ابنته فلانة من هذا الشاب ، ونقدّها عنه الشطر الأول من العشرة آلاف دينار التي وصله بها الملك وأجلّ لها عنه الشطر الثاني ، وأهدى لها من الحلّى كذا وكذا ، ومن الثياب كذا وكذا ، حتى أتى على أكثر أملاكه حتى أنفقها على ذلك ، فحصل من إشارة الشيخ السبتي - رضي الله عنه - في تلك الألف دينار على أضعاف مضاعفة من الأموال ، وظفر بيتت حاجب الملك ؛ انتهى .

رجع إلى ابن زمرك رحمه الله تعالى :

قال الشاطبي في « الإشارات والإفادات » ما صورته :
إفادة : أفادني صاحبنا الفقيه الكاتب أبو عبد الله ابن زمرك إثر إيباه إلى وطنه من رحلة العُدْوَة في علم البيان فوائد أذكر منها الآن ثلاثاً : الفقه في اللغة ، وهو النظر في مواقع الألفاظ وأين استعملتها العرب ، ومن مثل هذا الوجه « قرم » و « عام » إذا اشتهى ، لكن لا يستعمل « قرم » إلا مع اللحم ، ولا يستعمل « عام » إلا مع اللبن ، فتقول : عمتُ إلى اللبن ، وكذلك قولهم : أصفر فاقع ، وأحمر قانٍ ، ولا يقال بالعكس ، وهذا كثير . والثانية تحري الألفاظ البعيدة عن طرفي الغرابة والابتدال ، فلا يُستدل بالحوشي من اللغات ، ولا المبتدل في ألسن العامة . والثالثة اجتناب كل صيغة تخرج الذهن عن أصل المعنى أو تشوش عليه ؛ إذ المقصود الوصول في بيان المعنى إلى أقصاه ، والإتيان بما يحصله سريعاً ويمكنه في الذهن ، وتحوي كل صيغة تمكن المعنى وتحرض السامع على الاستماع ، وأخبرني أن كتاب المغرب يحافظون في شعرهم وكتاباتهم على طريقة العرب ، ويذمتون ما عداها من طريقة المولدين ، وأنها خارجة عن الفصاحة ، وهذه المعاني الثلاثة لا توجد إلا فيها .

وذكر من شَرَحَ بديعية الحلّي من المغاربة وهو الشيخ النحوي عبيد الثعالبي في شواهد حسن الختام أن منه ختام قصيدة للكاتب البارع أبي عبد الله المعروف

بابن زمرك الأندلسي مدح بها ملك المغرب عبد العزيز حين قدم عليه رسولا من صاحب الأندلس ، وهو قوله :

ولو أنشدت بين العذيب وبارق لقال رواة الغرب يا حبذا الشرق
ولم يظهر لي كل الظهور دلالة لي على حسن الختام ، ولا بد ، فإله سبحانه أعلم .
وقد أطلنا في ترجمة ابن زمرك فلنختم نظامه بموشحة له زهرية مولدية
تضمنت مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهي هذه ^١ :

لو ترجع الأيام بعد الذهاب	لم تقدح الأيام ^٢ ذكرى حبيب ^٣
وكل من نام بليل الشباب	يوقظه الدهر بصبح المشيب
يا راكب العجز ألا نهضة	قد ضيقت الدهر عليك المجال
لا تحسبن أن الصبا روضة	تنام فيها تحت فتيء الظلال
فالعيش نوم والردى يقظة	والمرء ما بينهما كالخيال ^٤
والعمر قد مرّ كمرّ السحاب	والمُنْتَقَى بالله عما قريب
وأنت مخلوع بلمنع السراب	تحسبه ماء ولا تستريب
والله ما الكون بما قد حوى	إلا ظلال توهم الغافلا
وعادة الظل إذا ما استوى	تبصره مُتَقَلّاً زائلا
إنّا إلى الله عبيد الهوى	لم نعرف الحق ولا الباطلا
فكل من يرجو سوى الله خاب	وإنما الفوز لعبد منيب
يستقبل الرجعى بصدق المتاب	ويرقب الله الشهيد القريب

١ أوردتها في أزهار الرياض ٢ : ٢٠٥ .

٢ الأزهار : الأشواق .

٣ ق : ذكر الحبيب .

٤ من قول أبي الحسن التهامي :

فالعيش نوم والنية يقظة والمرء بينهما خيال ساري

يا حسرتا مرَّ الصَّبَا وانقضى وأقبل الشيبُ يقصُّ الأثر
واخجلتا والرحلُ قد قوَّضا وما بقي في الخبر غير الخبر
وليتني لو كنتُ فيما مضى أدَّخرُ الزادَ لطول السفر
قد حان من ركب التصابي لإياب ورائدُ الرشِدِ أطلَّ المغيب
يا أكمة القلبِ بغيثِ الحجاب كمَّ ذا أناديك فلا تستجيب
« هل يحملُ الزاد لدار الكريم »^١ والمصطفى الهادي شفيعُ مطاع
فجاههُ ذخرُ الفقيرِ العديم وحبّه زادي ونعمَ المتاع
والله سمّاه الرؤوفَ الرحيم فجاره المكفولُ ما إن يُضَاع
عسى شفيعُ الناس يومَ الحساب وملجأ الخلقِ لرفعِ الكروب
يلحقني منه قَبُولُ مجاب يشفعُ لي في موبقات الذنوب
يا مصطفى والخلقُ رهنُ العدم والكونُ لم يفتق كمامَ الوجود
مزيةٌ أعطيتها في القديم بها على كلِّ نبيٍّ تسود
مولدك المرقومُ لَمَّا نجم أنجز للأمةِ وعدَ السّود
ناديتُ لو يُسمع لي بالجواب شهرَ ربيعٍ يا ربيعَ القلوب
أطلعتُ للهدى بغير احتجاب شمساً ولكن ما لها من غروب

٢ - ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى ، الطيب العالم ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا^٢ ، وشرحه عليها من أبدع الشروح ، وقد نقل عن لسان الدين

١ - من قول الشاعر :

هلا احتجبت الزاد قلت اكفني هل يحمل الزاد لدار الكريم
٢ يعني أرجوزة ابن سينا في الطب ، وأولها بعد التحييدات :
الطب حفظ صحة براء مرض من سبب في بدن منذ عرض
(انظر قنواتي : مؤلفات ابن سينا : ١٧٢ وما بعدها) .

كثيراً ، واعتمد عليه في أمور الطب ، وقد طال عهدي به الآن ، وهو من الكتب المشهورة بالمغرب ، ولم أره بهذه الديار المشرقية .

٣ - ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى : الأديب الكاتب العالم العلامة القاضي أبو بكر ابن جُزَيّ الكلابي ، وأبوه الشيخ أبو القاسم ابن جزي شيخ لسان الدين ، وبيت بني جزي بيت كبير مشهور بالمغرب والأندلس ، وقد عرفنا فيما سبق بالشيخ أبي القاسم وابنيه العلامتين الناظمين الناثرين الكاتب أبي عبد الله محمد والقاضي أبي بكر المذكور ، فليراجع في الباب الثالث^١ .

ورأيت بخط بعض غلماء المغرب أن أبا بكر المذكور روى عن لسان الدين ابن الخطيب - رحمه الله تعالى - جميع تواليفه مع أنه مقاربه في السن ، ولكن الإنصاف في ذلك الزمان غير معدوم ، وقد عرف به لسان الدين في « الإحاطة » والذي فهمت من عبارته في الإحاطة أنه إن عبر بصاحبنا فلا يطلقها غالباً إلا على تلامذته ، وربما أطلقها على غيرهم كما لا يخفى على من مارس كلامه ، رحمه الله تعالى ، وأتقن تاريخ أهل المغرب والأندلس ، رحم الله تعالى الجميع .

٤ - ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى : مؤدب أولاد الملوك ومعلمهم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبد الله الشريشي ، وهو الذي تولى أولاً نقل « الإحاطة » من مبيضتها ، كما سبقت الإشارة إليه في كلام حفيد السلطان ابن الأحمر ، وأحكم النسخة ، فكانت في مجلدات ستة ، وكان لسان الدين ألقى إليه بالمبيضات اعتماداً منه عليه ، وثقة به ، لاشتغال لسان الدين بأمور المملكة .

٥ - ومن تلامذة لسان الدين : القاضي الكاتب أبو محمد عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي .

.....

١ انظر ترجمته في ما تقدم ٥ : ٥١٧ .

قال في « الإحاطة » : صاحبنا الفقيه الخطيب ، كاتب الإنشاء بالباب السلطاني أبو محمد ، نسيج وحده في أصالة البيت وعفاف النشأة ، مقصود المنزل ، نبيه الصهر ، معم مخول في الأصالة ، بارع الخط ، جيد القريحة ، سيال المداد ، نشيط البنان ، جكند على العمل ، خطيب ناظم نائر ، قرأ بغرناطة ، وولي الخطابة بالمسجد الأعظم والقضاء سنتين ببلده في حداثة السن ، ثم انتقل إلى غرناطة فجاءت به الكتابة السلطانية داحضة بالحق ، آوته إلى هضبة أمانة مستظهرة ببطل كفاية ، فاستقل رئيساً في غرض إعانتني وانتشالي من هفوة الكلفة على جلال الضعف وإلام المرض . ثم كشفت الخبرة منه عند الحادثة على الدولة ، وإزعاجها من الأندلس عن سؤا لا تُوارى ، وعورة لا يرتاب في أشنوعتها ولا يتمارى ، فسبحان من علّم النفس فجورها وتقواها ، إذ لصق بالدائل الفاسق^١ فكان آلة انتقامه ، وجارحة صيده ، وأجولة كيده ، فسفك الدماء ، وهتك الأستار ، ومزق الأسباب ، وبدل الأرض غير الأرض ، وهو يزقه في أذنه زقوم النصيحة ، وينحله لقب الهداية ، ويبلغ في شدّ أزره إلى الغاية ، عنوان عقل الفتى اختياره ، يجري في سبيل دعوته طوالاً ، أخرق يسيء السمع فيسيء الإجابة ، بدويّاً قحاً جمهورياً ذاهلاً عن عواقب الدنيا والآخرة ، طرفاً في سوء العهد وقلّة الوفاء ، مردوداً في الخافرة ، منسلخاً من آية السعادة ، تشهد عليه بالجهل يده^٢ ، وقيم عليه الحجج شره^٢ ، وتبوئه هفوات الندم جهالته ، ثم أسلم المحروم مصطنعه أحوج ما كان إليه ، وتبرأ منه ، ولحقته بعده مطالبة مالية لقي لأجلها ضغطاً ، وهو الآن بحال خزي ، واحتقاب تبعات ، واستدعيت شيئاً من نظمه ونثره حال التصنيف ليترجم به ، فكتب إليّ ما نصّه :

يا سيّداً فاقَ في مجدٍ وفي شرفٍ وفاتَ سَبَقاً بفضلِ الذاتِ والسلفِ

١ يعني السلطان النصري الذي هرب منه لسان الدين إلى المغرب .

٢ ق : شره .

وفاضلاً عَنْ سَبِيلِ الدَّمِ منحرفاً
 وتُحْفَةً الزَّمَنِ الْآتِي بِهِ فَلَقَدْ
 وَمَعْدِنًا لِنَقِيسِ الدَّرِّ فَهُوَ لِمَا
 وَبَحَرَ عِلْمِ جَمِيعِ النَّاسِ مَعْتَرِفٌ
 وَسَابِقاً بِذَلِكَ أَهْلَ الْعَصْرِ قَاطِبَةً
 مِنْ ذَا يَخَالِفُ فِي نَارٍ عَلَى عِلْمِ
 مَا أَنْتَ إِلَّا وَحِيدُ الْعَصْرِ فِي شَيْئٍ
 اللَّهُ مِنْ مُنْتَمٍ لِلْمَجْدِ مُتَسَبِّحٌ
 اللَّهُ مِنْ حَسْبِ عَيْدٍ وَمِنْ كَرَمِ
 لِيهِ أَيْمَا مِنْ بِهِ تَبَايَ الْوَزَارَةُ إِذْ
 يَا صَاحِبَ الْقَلَمِ الْأَعْلَى الَّذِي جُمِعَتْ
 يَا مَنْ يَقْصُرُ وَصْفِي فِي عِلَالِهِ وَمَنْ
 شَرَفْنِي عِنْدَمَا اسْتَدْعَيْتَ مِنْ نَظْمِي
 وَرَبِّمَا رَاقٍ تُغَرُّ فِي تَبَسُّمِهِ
 أَجَلٌ قَدْرَكَ أَنْ تَرْضَى لِمُتَجَعِّ
 هَذَا ، وَلَوْ أَنَّنِي فِيمَا أَتَيْتُ بِهِ
 لَكُنْتُ أَفْضَى إِلَى التَّقْصِيرِ مِنْ خَجَلٍ
 فَحَسْبِيَ الْعَجْزُ عَمَّا قَدْ أَشْرَتْ بِهِ
 لَكِنْ أَجِبْتُ إِلَى الْمَطْلُوبِ مُمْتَلِئاً
 فَانْظُرْ إِلَيْهَا بَعِينَ الصَّفْحِ عَنْ زَلَلِ
 بَقِيَّةِ الدَّهْرِ تَطْوِيهِ وَتَنْشُرِهِ

ثُمَّ ذَكَرَ نَثْرًا ، وَأَنْ مَوْلَدَهُ بِوَادِي آشٍ آخِرَ عَامِ تِسْعَةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَتَوَلَّى
 الْخُطَابَةَ وَالْإِمَامَةَ بِهَا عَامَ ثَمَانِيَةٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، ثُمَّ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِهَا وَأَعْمَالَهَا عَامَ

ثلاثة وأربعين وسبعمائة ، ثم انتقل للحضرة آخر رجب عام ستة وخمسين
وسبعمائة ، ومن شعره قوله :

ألا أيها الليلُ البطيء الكواكبِ . متى ينجلي صبحٌ بليلِ المآربِ
وحتى متى أرى النجومَ مراقباً . فمن طالع منها على إثر غاربِ
أحدثُ نفسي أن أرى الركبَ سائراً . وذنبى يُقْصيني بأقصى المغاربِ
فلا فُزْتُ من نيل الأمانى بطائلٍ . ولا قمتُ في حق الحبيبِ بواجبِ
فكم حدثتني النفسُ أن أبلغ المني . وكم عكَلتني بالأمانى الكواذبِ
وما قصرتُ بي عن زيارة قبره . معاهدُ أنس من وصالِ الكواعبِ
ولا حُبُّ أوطانٍ نبتَ بي ربوعها . ولا ذكرُ خلٍّ حلَّ فيها وصاحبِ
ولكنُ ذنوبٌ أثقلتني فيها أنا . من الوجد قد ضاقتُ عليّ مدهابي
إليك رسولَ الله شوقي مجدداً . فيا ليتني يمتُّ صدرُ الركائبِ
فأعملتُ في تلك الأباطح والرُبى . سُراي مجدداً بين تلك السبابِ
وقضيتُ من لثم البقيع لبائتي . وجبتُ الفلا ما بين ماشٍ وراكبِ
ورويتُ من ماء بززم غلتي . فله ما أشهاهُ يوماً لشاربِ
حبيبي شفيعي منتهى غايي التي . أرجي ومن يرجوه ليس بخائبِ
محمدُ المختارُ والهاشرُ الذي . بأحمدَ حاز المجد من كل جانبِ
رؤوفٌ رحيمٌ خَصَّنَا الله باسمه . وأعظمُ براحٍ في الثناء وعاقبِ
رسولٌ كريمٌ رَفَعَ اللهُ قدره . وأعلى له قدراً رفيعَ الجوابِ
وشرفه أصلاً وفرعاً ومعتداً . يزاحمُ آفاقَ السما بالكواكبِ
سراجُ الهدى ذو الجاه والمجد والعلا . وخيرُ الورى الهادي الكريم المتاسبِ
هو المصطفى المختارُ من آل هاشمٍ . وفو الحسبِ العِدُّ الرفيع المناصبِ

١ كأنه نسخ فيه قول ابن خفاجة (ديوانه : ٢١٧) :
وحتى متى أرى الكواكب ساهراً . فمن طالع أخرى الليالي وغارب

هو الأمدُ الأقصى هو الملجأُ الذي
 لإمامُ النبيين الكرام ، ولأنه
 بشيرٌ نذيرٌ مُقْضِيْلٌ مُتَطَوِّلٌ
 شريفٌ منيفٌ باهرٌ الفضلِ كاملٌ
 عظيمٌ المزايا ما له مِنْ مُمَاتِلٍ
 ملاذٌ منيعٌ ملجأٌ عاصمٌ لمن
 جليلٌ جميلٌ الخلقِ والخلقِ ما له
 وناهيك من فرعِ نَمَتِه أصوله
 أولي الحسبِ العدُّ الرفيعِ جنابُه
 لهٌ معجزاتٌ ما لها من مُعارضٍ
 تحدَّى بهن الخلقَ شرقاً ومغرباً
 فدونهاها كالأنجمِ الشَّهْبِ عِدَّةٌ
 وإحصاؤها مهما تتبعتْ مُعَوِّزٌ
 لقد شَرَّفَ الله الوجودَ بِمُرْسَلٍ
 وشَرَّفَ شهراً فيه مولده الذي
 فشهرٌ ربيعٍ في الشهورِ مقدَّمٌ
 فلهِ منه ليلةٌ قد تَلَأَلَتْ
 ليهنَ أميرَ المُسلمين بها المني
 على حين أحياها بذكرِ حبيبهِ
 وآلفَ شملًا للمُحِبِّينَ فيهمُ

ينالُ بهِ مرغوبَه كلُّ راغبٍ
 لكالبدرِ فيهم بينَ تلك الموابكِ
 سراجٌ منيرٌ بدَّ نور الكواكبِ
 نفيسٌ المعالي والخلي والمتاقبِ
 كريمٌ السجايا ما له من مناسبٍ
 يلوذُ به من بين آتٍ وذاهبٍ
 نظيرٌ ، ووصفُ الله حجةً غالبٍ
 إلى خيرِ مجدي من لؤيِّ بن غالبٍ
 بدور الدياجي أو صدور الكتائبِ
 وآياتُ صدقٍ ما لها من مغالبِ
 وما ذاك عمَّن حاد عنها بغائبِ
 ونور سَنًا لا يخفي للمُراقبِ
 وهل بعد نورِ الشمسِ نورٌ لطالبِ
 له في مقامِ الرُّسلِ أعلى المراتبِ
 جلا نورُه الأسنى دياجي الغياهِبِ
 فلا غرو أن الفخرَ ضربةٌ لازبِ
 بنور شهابٍ بينَ الأفقِ شهابِ
 وأن نال من مولاه أسمى الرغائبِ
 وذكرِ الكرامِ الطاهرين الأطايِبِ
 فسار على نهجٍ من الرشدِ لاجِبِ

١ ق : الكواكب .

فسوف يُجازَى عن كريمِ صنيعه^١ بتخليد سلطانٍ وحسنِ عواقبِ
وسوف يُريَه الله في نصرِ دينه غرائبَ صنع فوق تلك الغرائبِ
فيحمي حمى الإسلامِ عمّن يرؤمه بسُمُرِ العوالي أو ببيضِ القواضبِ
ويعتزُّ دينُ الله شرقاً ومغرباً بما سوف يبقى ذكره في العجائبِ
إلهي ما لي بعد رحماك مطلبٌ أراه بعين الرشدِ أسنى المطالبِ
سوى زورةِ القبرِ الشريفِ وإته لموهبة^٢ فاقت جميعَ المواهبِ
عليه سلام الله ما لاح كوكبٌ وما رافق الأظعانَ حادي الركائبِ

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى : وليس لهذا الرجل انتحال لغير الشعر
والكتابة وغير هذا الشعر قران ، فقلَّ أن ينتهي هذا الشعر في الضمة والاسترذال
إلى ما دون هذا النمط ، فهو بغير ثان شعراً وشكلاً وبلداً ، لطف الله تعالى بنا
وبه ؛ انتهى باختصار .

٦ - ومن تلامذة لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى الكاتبُ أحمد بن
سليمان بن فركون^١ ، ومن نظمه على لسان من يرمى بالداء العضال في قرَج^٢
عبدِ ابن زَمْرَك الوزير بعد ابن الخطيب :

قالوا كلفت به غلاماً حالكاً فأجبتهم في فيه ما يرضي المهج
مهما جنت بحسنه وبجبه علقّت فوق من حرزاً من سبج

١ ترجم له في الإحاطة ١ : ٢٢٨ وأثنى عليه بأنه شعلة من شمل الذكاء والإدراك ومجموع خلال حميدة
وأه طالب نبيل مدرك نجيب بذأقرانه . . . ثم عاد فترجم له في الكتيبة الكامنة : ٣٠٥ وأثنى عليه
بالدم الشديد : « جرو محقور وفي جلدة كلب عقور . . . وسفيه يقال عند ذكره : كفأك الله
شر من أحسنت إليه » وما ذلك إلا لأن ابن فركون كان من الزمرة التي تغيرت على لسان الدين .
٢ قال لسان الدين في الكتيبة الكامنة في ترجمة ابن زمرك : « وبينه وبين معاصريه مداخلات في غلام
له غريب (لعلها : غريب) جعله مرمى غزل ونسيب . . . وجميعت الأقوال في هذا الميدان ،
فجمعت بين الندس والهدان ، والقاصي والدان . . . إلخ » .

ورأيت بخط الوادي آشي ما صورته : وجدت بخط لسان الدين ، وخاتمة
أعلام البيان المجدين ، ذي الوزارتين أبي عبد الله ابن الخطيب رحمه الله تعالى في
طرة اسم الكاتب أحمد بن سليمان بن فركون ، المختص به ، المتأدب بما انفرد
به من انتساخ تواليف ابن الخطيب ما نصّه : يسقط هذا الساقط من الديوان ؛
انتهى .

ولعلّ لسان الدين إنّما أمر بإسقاطه من الإحاطة لما يُتّهم به من معنى بيته
السابقين ، ويحتمل أن يكون لغير ذلك ^١ ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

١ قلت هذا الترجيح من المقرري يؤكد أنه لم يطلع على الكتيبة الكاسنة ، ولا عرف سبب التغير في نفس
لسان الدين على أحد تلامذته .

الباب الثامن

في ذكر أولاده

الرافلين في حُلل الجلالة ، المقضين أوصافه الجميدة وجيلاله ، الوارثين العلم والعمل والرياسة والمجد عن غير كلاله ، ووصيته لهم الجامعة لأداب الدين والدنيا ، المشتغلة على النصائح الكافية والحكم الشافية من كل مرض بلائُنيا ، المنقلة من أنواع الضلالة ، وما يقع في ذلك من المناسبات القوية ، والأمداح النبوية ، التي لها على حسن الختام أظهر دلاله

اعلم — وفقني الله تعالى وإياك لمرضاته ، وجعلنا ممن يعتبر بالدهر في معضاته — أن أولاد لسان الدين ثلاثة : عبد الله ، ومحمد ، وعلي ، وكلهم حَدَّثَ عن أبيه وعن ابن الجياب .

أما محمد فقد نال حظه من التصوّف ، ولم يكن له إلى خدمة الملوك تشوّف ، ولم يحضرني الآن نص من أنبائه أكتبه لعدم وجود الكتب التي هي مَظَان ذلك ، إذ قد تركتها بالمغرب .

وقد سبق فيما مرّ^١ من كلام ابن خلدون أن أولاد لسان الدين كانوا من نُدَماء السلطان وأهل خلوته ، وأن عليّاً كان خالصة السلطان ، رحم الله تعالى الجميع .

وأما عبد الله فقد كتب بالعُدْوَتين ، لملوك الحضرتين ، وتولى القيادة والكتابة بالأندلس أيام كان أبوه مدبر الدولة ، وأكثر الناس بها كالمخوَّاص

١. فيما مر : سقطت من ق .

حونه ، ولا أعلم الآن ما آل إليه أمره بعد وفاة أبيه ، وقد ألمَّ ببعض التعريف بمبدأ أحواله أبوه لسان الدين في كتاب « الإحاطة في تاريخ غرناطة » فقال في حقه ما ملخصه^١ : عبد الله بن محمد بن علي بن سعيد بن الخطيب التلمساني ، حسن الشكل ، جيد الفهم ، يُغَطِّي منه رمادُ السكون جمرَةَ حركة ، منقبض عن الناس قليل البشاشة ، حسن الخط ، وسَطَ النظم ، كتب عن الأمراء بالمغرب ، وأنشدتهم واقتضى صكوكهم بالإقطاعات^٢ والإحسان ، واختال في خِلَتهم ، ثم لما كانت الفتنة كتب عن سلطان وطنه معزز الخطة بالقيادة ، قرأ على قاضي الجماعة الخطيب أبي القاسم الحسني ، والخطيب أبي سعيد فرج بن لب التغلبي ، واستظهر بعض المبادئ في العريية ، واستجيز^٣ له مَنْ أدركه ميلادُهُ من أهل المشرق والمغرب . وشعره مترفع عن الوسط إلى الإجادة ، يكلِّله عذر الحدائث ، فمنه قوله في مولد أربعة وستين وسبعمائة :

بحقّ الهوى يا حُدَاةَ الحمولِ	قفوها قَلِيلًا بتلكَ الطلولِ
معاهدُ مَرَّتْ عليها السحابُ	يبرقُ خَفُوقٍ ودمعِ هَمولِ
أحنُّ إليها حنينَ العِشارِ	وأبكي عليها بشجوى طويلِ
فيا سعدُ عَرَّجْ عليها الركابَ	ففيها لقلبي شفاءُ الغليلِ
سقاها من المزن صوبُ الغمامِ	وحيا بعرفِ النسيمِ العليلِ
ولا زالَ فيها يجرُّ الذبولَ	فيحيي النفوسَ بجرِّ الذبولِ
لئن حُلَّتْ يا رَبِّعُ عَنْ عهدنا	فعهدُ الهوى ليس بالمستحيلِ
ومما شجاني وميضُ خَفُوقٍ	كقلبي غداةَ النوى والرحيلِ
وميضُ إذا سلَّه المزنُ وهنا	يضيءُ سنناه كعضبٍ صقيلِ

١ انظر الإحاطة ، الورقة : ٢٣٧ .

٢ الإحاطة : بالاقطاع .

٣ الإحاطة : وأجاز .

أطار الفؤادَ فؤادَ المشوقِ
فبتُّ أطاولُ لَيْلَ التمامِ
ودمعَ يساجلُ دمعَ الغمامِ
فيا ليت شعري وهل من سبيلِ
وهلْ يَسمحُ الدهرُ بعدَ العنادِ
وهلْ راجعُ عهدنا بالحمى
فيا حُسنَ مأوى عزاءِ جميلِ
وفي ذمة الله ركبٌ سرّوا
نشاوى بكأسين كأسِ الهوى
يؤمّون بالعيس أمّ القرى
ديارُ بها الوحيُ وحيُّ السما
بها أشرقَ الدينُ كالشمسِ نوراً
فيا حاديَ العيس يطوي القلا
سفائنَ آلِ طواها السرى
نشدتك بالبانِ بانِ الحمى
إذا ما حلتَ لدى طيبةِ
وقبراً ثوى فيه خيرُ الورى
فأبلغَ بحيةَ صبِّ مشوقِ
وقلْ يا رسولَ الهدى والشفيعِ
عليكَ الصلاةُ وطيبُ السلامِ
نبيّ كريمٌ رؤوفٌ رحيمٌ
إمامُ الهدى المجتبي المصطفى

وأغرى الشهادةَ بطرفِ كليلِ
بوجدِ جديدٍ وصبرِ مُحيلِ
وشجوةَ الحماثم عندَ الهدّيسِ
على الوجدِ يوماً بصبرِ جميلِ
يجبرِ الكسيرِ وعزُّ الذليلِ
على رغمِ دهرٍ ظلومِ جهولِ
ويا طيبَ مأوى بظلِّ ظليلِ
يجدون والليلُ مُرخى السدولِ
وكأسٍ من الأمنِ مثل الشمولِ
وقبرِ النبيّ الشفيعِ الرسولِ
تنزّلُ ، أكرمُ بهِ من نزولِ
وآن من الشركِ وقتُ الأفولِ
بوخذِ القلاصِ ونصِّ الذمّلِ
وشقُّ الحزُونِ وقطعُ السهولِ
وبالموردِ العذبِ والسلسيلِ
وجنتِ محلّ الرضى والقبولِ
وبشرى الكليمِ وفخرِ الخليلِ
عدته عوادي الزمانِ الخدولِ
إذا ضاقَ صدرُ أبٍ عن سليلِ
يجيئك عندَ الضحى والأصيلِ
بنصِّ الكتابِ وحكمِ العقولِ
بأزكى شهيدٍ وأهدى دليلِ

١ ق : وما .

به أظهر الله دين الهدى
 وقام بأعباء دين الإله
 فأكرم بليلة ميلاده
 لك الله من ليلة فضلها
 وأبد بالنصر مولى أقام
 أعاد بها الليل مثل النهار
 وأبدى الرضى نحوها والقبول
 سمي النبي الكريم الرسول
 محمد المرتضى المستجار
 من نفر النفر أسد الكفاح
 تراهم لدى السلم أطواد حليم
 ميد العدا ، وعجي العفاة
 فأس حكي النار عند احتدام
 فيصلي عداه لدى الحرب نارا
 إذا قلت البيض يوم الوغى
 ملك كليل لمن يرتجيه
 وفرغ كريم حميد الخلال
 فدام لنا ما سرى في الرياض
 وحن مشوق لأرض الحجاز
 وعلم كيف سواء السبيل
 أتم القيام بفعل وقيل
 على كل وقت وعصر وجيل
 يجر على النجم فضل الذبول
 مواسمها فعل بر وصول
 بوجه كريم وفعل جميل
 وأكرم به من حفي كليل
 وسيف الإله العلي الجليل
 ميد العدا ومنيل الجزيل
 وأهل السماح عشي النزول
 ويوم الكريمة آساد غيل
 وماوى الغريب ومذني الدخيل
 وجود حكي الشجب عند الهول
 ويروي نداه زمان المحسول
 فليست ترى غزمه ذا قلول
 بكل مرام بعيد وسول
 نماء إلى المجد طيب الأصول
 نسيم الصبا ومهب القبول
 إذا لاح لعماض برق كليل

وقال يمدح السلطان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر من مدينة فاس^١:

لن طلل بالرقمتين محيل عقت دمتيه شمال وقبول

١ أورد بعضها في نسخة الإحاطة المشار إليها .

يلوحُ كباقي الوشمِ غَيْرَهُ البلي
فيا سعدُ مهلاً بالركابِ لعلنا
قف العيسَ ننظرُ نظرةً تُذهِبُ الأُمى
وعرجُ على الوادي المقدسِ بالحمى
فيا حبذا تلك الديارُ وحبذا
دعوتُ لها سقي الحمى بعدما سرى
وأرسلتُ دمعي للغمامِ مساجلاً
فأصبحَ ذاكَ الرِّبعُ من بعدِ محلّه
لئن حالَ رسمُ الدارِ عما عهدتُه
ومما شجاني بعدما سكن الهوى
توسدنَ فرعَ البانِ ، والنجمُ مائل
فيا صاحبي دُعُ عنك لومي فإنه
تقول : اضطباراً عن معاهدك الألى
فلله عينا من رأيي وللأسي
يطاولُ ليلَ التَمُّ مني مُسَهَّدُ
فيا ليتَ شعري هل يعودنَ ما مضى
وهل راجعُ عهد الحمى سقي الحمى
وأيامُ أنسٍ كم نعمنا بقربها
حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنى
لجودُ أميرِ المسلمين محمدٍ
ملكُ - أتاهُ اللهُ في الملكِ عَزْمَةٌ
هو الملكُ المنصورُ والبطلُ الذي

وجادتُ عليه السَّحْبُ وهي همولُ
نسائلُ ربيعاً فالحبُّ سؤولُ
ويشفى بها بين الضلوعِ غليلُ
فطاب لديه مَرَبْعٌ ومَقِيلُ
حديثُ بها للعاشقين طويلُ
وميضُ وعَرَفٌ للنسيمِ عليلُ
فَسَالَ على الخدين منه مَسِيلُ
رياضياً بها الغصنُ المروحُ بميلُ
فعهدُ الهوى في القلبِ ليس يحولُ
بُكَاءُ حماماتٍ - هنَّ هديلُ
وقد آن من جيش الظلامِ رحيلُ
كلامُ علي سمعَ المحبَّ ثَقِيلُ
وهيهاتَ صبري ما إليه سَبِيلُ
غداةً استقلتُ بالخليطِ حمولُ
وقد بانَ عني منزلُ وُخْلِيلُ
وهل يسمحنَ الدهرُ وهو بخيلُ
وظلَّ بعينِ اللعْمِ فيه ظليلُ
وقد غابَ عَنَّا حاسدُ وعدولُ
هنَّ إلى البيتِ العتيقِ ذَمِيلُ
بكلِّ مرامٍ في الزَّمانِ كَفِيلُ
يروعُ الأعادي بِأسْها وبهولُ
يهون عليه الخطبُ وهو جليلُ

إِذَا قُلَّتِ الْبَيْضُ الرِّقَاقُ وَجَدْتَهُ
 يَقْصُرُ بَاعُ الْمَدْحِ دُونَ صِفَاتِهِ
 مِنَ الْبُخْرِ الْبَيْضِ الْوَجْوهُ لَدَى الْوَعَى
 هُمْ مَا هُمْ وَالْحَرْبُ قَدْ شَبَّ نَارَهَا
 إِذَا سَلُّوا يَوْمَ النَّدَى فَنَوَالَهُمْ
 بِهِمْ عَزَّ دِينُ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
 هُمْ السَّادَةُ الْأَنْصَارُ وَالْعَرَبُ الْأَلَى
 لَهُمْ يَوْمَ بَدْرِ وَالرَّسُولُ أَمِيرُهُمْ
 فَأَصْبَحَ أَصْحَابُ الْقَلْبِ كَأَنَّهُمْ
 وَقَدْ أَمِنَ الْإِسْلَامُ كَيْدَ عَدُوِّهِ
 وَعَدُوا رَوَاحًا لِلْمَدِينَةِ وَالرَّضَى
 فَمَنْ ذَا يَجَارِي أَوْ يَدَانِي عَصَابَةً
 لَكُمْ يَا بَنِي نَصْرِ مِنَ الْمَجْدِ هَضْبَةً
 فَيَا سَيِّدَ الْأَمْلاكِ وَالْوَاحِدِ الَّذِي
 لَقَدْ قَرَعَ الْأَعْدَاءَ مِنْكَ مُؤَيَّدٌ
 فَلَمْ يَدْرِكُوا مَا أَمَلُوا غَيْرَ سَاعَةٍ
 تَعَاوَيْنَ فِي بَابِ الْبُنُودِ بِسِحْرَةٍ
 أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمُوتُوا بِغِيظِهِمْ
 فَأَضْحَوْا حَدِيثًا فِي الْبِلَادِ وَيَوْمَهُمْ
 بِسَعْدِ إِمَامٍ يُنْزِلُ الْعُصْمَ سَعْدُهُ
 وَفَرَعٍ كَمَالٍ فِي الْخِلَافَةِ ثَابِتٍ
 حَكَمَى وَجْهَهُ شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا بَدَأَ
 أَعَادَ لَنَا بِالْعَدْلِ أَيْمَانَهُ الَّتِي

أَخَا عَزَمَاتٍ مَسَا بَيْنَ فَلُولُ
 وَيَرْجِعُ عَنْهَا الْفَكْرُ وَهُوَ كَلِيلُ
 لَهُمْ غَرَرٌ وَضَّاحَةٌ وَحُجُولُ
 وَاللَّخِيلُ فِي جَنَحِ الْعِجَاجِ صَهِيلُ
 تَفِيضُ شَأْيِبٍ لَهُ وَسَيُولُ
 وَأَصْبَحَ دِينُ الْكُفْرِ وَهُوَ ذَلِيلُ
 حَمَى الدِّينِ حَيٍّ مِنْهُمْ وَقَبِيلُ
 تَصُولُ بِهِ أَرْمَاحُهُمْ وَتَطُولُ
 كَثِيبُ لُوطٍ الْمَرْهَفَاتِ مَهِيلُ
 وَغُودِرَ رَبْعُ الْكُفْرِ وَهُوَ مُحِيلُ
 لَهُمْ مِنْهُ فَوْزٌ عَاجِلٌ وَقَبُولُ
 جَزَائِهِمْ عِنْدَ الْإِلَهِ جَزِيلُ
 تَزُولُ الرُّوَاسِي وَهِيَ لَيْسَ تَزُولُ
 إِذَا عُدَّ فَعَزَّ لَيْسَ عَنْهُ عَدُولُ
 لَهُ الدَّعْرُ نَصْرٌ وَالْحَسَامُ دَلِيلُ
 كَذَلِكَ مَتَاعُ الْأَخْسَرِينَ قَلِيلُ
 كَلَابٌ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَوِيلُ
 فَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْ مَكْرِهِمْ وَأَلِيلُ
 وَسَاءَ صَبَاحٌ عَنْدهُمْ وَأَصِيلُ
 وَيُرْوَى نَدَاهُ وَالزَّمَانُ مُحُولُ
 نَمَتْهُ إِلَى الْمَجْدِ الزَّكِيِّ أَصُولُ
 وَرِيَّاهُ عَرَفَ الرُّوْضِ وَهُوَ بَلِيلُ
 عَهْدَنَا ، فَدَارَتْ لِلْسُرُورِ شَمُولُ

فدام لنا ما هَبَّ عَرَفٌ من الصَّبَا وأومض برقٌ في الظلام كليلٌ
وَحَنٌّ مشوقٌ للحجاز إذا بدت لعينيه منه شامةٌ وطفيلٌ
وأشرقَ نجمٌ مثلَ قلبي خافق وحانَ له عندَ الغروبِ أقولُ
ولا زالتِ الأقدارُ تجري بأمره وصنعَ إلهُ العرشِ فيه جميلٌ

وقال في إعذار ابن السلطان رحمه الله تعالى ورضي عنه :

أثَرُها عزيمةٌ تُنْضِي الركايا وإن دُميتْ لها العينُ انسكابا
لعلَّ الوجدَ تطفأ منه نارٌ أبتُ إلا زفيراً والتهابا
أما بعد الألى ترجو قلوبٌ تسارعُ نحو أرضهم انقلابا
فيا أخوتي كُفَّا عَنِّي عتابي فليستُ بسامعٍ أبداً عتابا
تذكرتُ العقيقَ فسال دمي عقيقاً من تذكره مذايا
أقولُ لنسمةٍ مرّت صباحاً يعطرُ عَرَفُها القفرَ اليابا
ألا يا هذه بكوني رسولي وكوني إن رجعتْ لي الجوابا
نشدتك بَلَّغني صحي سلامي إذا جِئتِ المعاهدَ والقبابا
يلومني العواذلُ في اشتياقي إذا ما القلبُ من وجدي تصابي
وكم بين الأباطح من مهابةٍ تروعُ بلحظها الأسدَ الغضابا
رمني ثم قالت وهي تُزري ولم تحذرْ بفتكتها العقابا
إذا ما الشهبُ للغرب استمالت وفودُ الليلِ بالإصباحِ شابا
أوجهُ إن رَقَدْتُ إليك طيفي كلعج البرقِ يمترقُ السحابا
فقلتُ : لقد بخلتِ على مشوقٍ أبيتُ إلا غراماً واكتئابا
وكيف لهُ بنومٍ بعد وجدٍ يذيبُ لهيبه الصَّمَّ الصلابا

سينصره من الأنصار ملك*
 كريم الذات من ملا كرام
 تواضع رجمة وعلا علا*
 فليس يصد عن جدواه راج
 له عطف على الراجي جميل
 وعدل^١ آمن الأرجاء حتى
 أمولاي الذي أحيا المعالي
 مددت على البلاد جناح عدل
 وتاب الدهر مما قد جناه
 وسكن عز دولتك الدواهي
 ويسا لله إعدار سعيد
 عجب لمقدم والروع يهفو
 ومن شبل أطاع أنا سلاح
 وهل عذر لعاذر ليث غاب
 فلو لا سنة حكمت وهدي
 لحامت عصابة الأنصار عنه
 من الصيد الذين لهم نفوس
 تنير الليل أوجههم إذا ما
 دعوت به الأنام ليوم حشر
 رأوا من زخرف الدنيا مقاما
 وأبهتهم فما عاطوا حديثا

إذا ناداه مظلوم أجابا
 لقد طابت سجاياهم وطابا
 وسهل منه للناس الحجابا
 وليس يسد عن عافيه بابا
 يقل من الردى ظفرا ونابا
 ترى الغزلان لا تخشى الذئابا
 وقد بليت وألخت الترابا
 وكف الجور تستلب استلابا
 فجلت له بعفوك حين تابا
 فكانت رحمة دقت عذابا
 دعوت السعد فيه فاستجابا
 بأقنعة الكماة وما استرابا
 وحكمه اضطبارا واحتسابا
 أظن فؤاده والعقل غابا
 أصبت وقد سبكت به الصوابا
 بأسياف نقد بها الرقابا
 لغير الفخر لا تصل الطلابة
 أرادوا السير أو حثوا الركابا
 ولم تذخر لهم إلا الثوابا
 يذكر بالحنان لمن أنابا
 ولا عرفوا السؤال ولا الجوابا

ولو مكثوا به دهرًا طويلًا
 وطاردت الصُّوَارَ بكلِّ ضارٍ
 ضربت به على الآذانِ منها
 ومعضوبِ الجبينِ يتاجِ رَوْقٍ
 تعرف أنَّ تحت الأرضِ ثورًا
 وكلَّت به هضمَ الكشحِ أجتى
 تباعدَ جمعُ الشدقينِ منه
 فأنبتَه كَوْحِي الطرفِ حتى
 وصاح به الصُّوَارُ وقد رآه
 «ففضَّ الطرفَ إنَّكَ مَنْ نَمِرٍ»
 وأرسلت الجيادُ إلى استباقِ
 فَمِنْ وَرْدٍ أَقْبَ وَمِنْ كُمَيْتٍ
 وساقيةِ العمادِ إذا أطلَّت
 تحومُ بها العصيُ فَرَّاشَ ليلٍ
 تحفُ بها خيولُ القومِ منّا
 عجائبُ أبدعتْ عليك فيها
 محمد لا عدمتِ الدهرَ حمداً
 وزكَّى نفسَكَ الرحمنُ لما
 تداركتِ البلادَ ومنَّ عليها
 لقد أوليتنا بيضَ الأيادي
 رَوَتْ عَنْكَ العوالي في المعالي
 ستفتحُ من بلادِ الشركِ أرضاً

لما ذكروا الطعامَ ولا الشرابا
 كما أتبعَت عَفْرِيثاً شهابا
 فلم تسطعْ حراكاً واضطرابا
 يروعُ خُواره الأسدُ الغضابا
 فرام بأن يشقَّ له الترابا
 حديدَ النابِ تحسبها حرابا
 وسالَ الموتُ بينهما لعابا
 توثقُ منه جَازره غلابا
 حيسَ الكلبِ قد مُنِعَ الإيابا
 فلا كعباً بلغت ولا كلابا
 كأنَّ بوارقاً شقَّتْ سحابا
 وأشهبَ يُلهبُ الأرضَ التهابا
 إلى الأدواحِ تنسابُ انسيابا
 ترومُ بسمعه منه اقترابا
 فترسلُ نحوها الجُرْدَ العرابا
 ومثلَكَ يبدعُ الأمرُ العجابا
 فقد أحسنتِ في الملكِ المتأبَا
 رآكَ ملكَتِ للمجدي البُصَابَا
 فأمنتِ الثنائفَ والشعابا
 لقد طوّقتنا المنَّ الرغابا
 حديثَ الفخرِ حقاً لا انتسابا
 قد اعتقَلتْ عُقائِلها اغتصابا

وَتُعْمَلُ فِي الْعَدَا بَيْضَ الْمَوَاضِي
فَمَا كَأْسٌ مِنَ الصَّهْبَاءِ صَرْفٌ
وَطَافَ بِهَا مِنَ الرُّهْبَانِ بَدْرٌ
تَجِدُ الْأَنْسَ عَوْدًا بَعْدَ بَدءٍ
بِأَعْدَبَ مِنْ ثَنَائِكَ حِينَ يَطْوِي
أُمُولَايَ اسْتَمَعَهَا بِنْتَ فِكْرٍ
وِغَاصٍ عَلَى فَرَائِدِهَا الْغَوَالِي
وَهَنَّاكَ إِلَهِهُ بِكُلِّ نَعْمَى
وَدَمَتْ لِعِزَّةِ الْإِسْلَامِ رَكْنًا
وَقَالَ ، وَقَدْ أَنْشَدَهَا السُّلْطَانُ لَيْلَةَ الْمِيلَادِ عَامَ خَمْسَةِ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ :
نَقَسُ الصَّبَا أَهْدَى إِلَيَّ نَسِيمَا
يَا هَلْ يَبْلُغُنِي السُّرَى خَيْرَ الْوَرَى
وَأَسَاقُ الرُّكْبَانَ فَوْقَ نَجِيمَةٍ
وَأَحْطَ رَحْلِي فِي كَرِيمِ جَوَارِهِ
حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الَّذِي قَدْ أَمَلُوا
وَتَزَاحَمُوا فِي التَّرَبِّ يَسْتَلْمُونَهُ
قَبَّلْتُ ذَاكَ التَّرَبَّ مِنْ شَوْقِي إِلَى
وَبَكَيْتُ مِنْ دَمْعِ الْمَآقِي زَمْزَمًا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَبَا
لِلَّهِ مَوْلَدُهُ الَّذِي أَنْوَارُهُ
شَرَعَتْ مِنَ التَّأْيِيدِ سَيْفَ هِدَايَةٍ
كَسَرَ الْأَكَاسِرَ بِالْعَرَاءِ وَلَمْ يَدْعُ
إِلَى أَنْ يُنْكَرَ السَّيْفُ الْقُرَابَا
تَعِيدُ الشَّيْخَ مِنْ طَرْبِ شَبَابَا
يَهْتِكُ مِنْ دَجَى اللَّيْلِ الْحُجَابَا
وَرَبَّعُ الْهَمِّ تَرَكَهُ خَرَابَا
بِهِ الرُّكْبُ الْأَبَاطِحَ وَالْهَضَابَا
تَخَيَّرَهَا فَسَافِرُهَا لُبَابَا
وَشَقَّ عَلَى نَفَائِسِهَا الْعَبَابَا
تَقْوَدُ لَكَ الْأَمَانِيَّ الصَّعَابَا
إِلَى أَنْ يَشْمَلَ الشَّيْبُ الْغَرَابَا
قَدْ رَامَ مَمْتَنًا وَرَامَ عَظِيمَا
فَأَرَى مَعَاهِدَ لِلْهَوَى وَرَسُومَا
تَقْصُرِي مِنَ الْيَدِ الْعَرَاضِ أَدِيمَا
أَرْجُو نَعِيمًا فِي الْجَنَانِ مُقِيمَا
وَرَأَوَا مَقَامًا بِالرَّضَى مُوسُومَا
أَرَأَيْتَ فِي الْوَرْدِ الظُّمَاءَ الْهِيمَا
مَنْ حَلَّهُ وَأَقَمْتُ فِيهِ لَزِيمَا
وَتَرَكْتُ جِسْمِي كَالْحَطِيمِ حَطِيمَا
تَهْدِي مِنَ الطَّيِّبِ الزَّكِيِّ شَمِيمَا
صَدَعَتْ ظِلَامًا لِلضَّلَالِ بَيْهَمَا
أَرَدَتْ ظُبَاهُ فَارِسًا وَالرُّومَا
أَنْ رَدَّ قَيْصَرَ قَاصِرًا مَهْزُومَا

لله منها لیسلةٌ أضحی بها شملُ الهدی لأولي الهدی منظوما
 أبداً أميرُ المسلمین أعدّها بدعاً من القصرِ الکَرِیمِ جسیما
 ملکُ أقسامِ الله منه خلّقه مولی رؤوفاً بالعبادِ رحیما
 یحمي ذمارَ المسلمین من الردی ویبیحُ ربّعا للعدا وحریما
 بمحمدٍ قد عادَ دینُ محمد غصنُ الریاضِ وكان قبلُ هشیما
 أحیا به الله الخلافةَ بعدما كانت بأطباقِ الترابِ رمیما
 من آلِ سعدِ الخزرجِ بنِ عبادة طابوا فروعاً فی العلا وأروما
 تلقاه فی يومِ الکریهةِ والوغي والخیلُ عابسةٌ أغرّ وسیما
 وتخالُ کفّیه إذا شحّ الحیا أفقا بعامیةِ الغیوثِ غیوما
 تأبى خلالَ العدلِ والشیمِ العلا من أن یرى فی دهره مظلوما
 کهفُ العبادِ وفخرها وثناؤه ترک المدیحِ علی الطروسِ رقیما
 لا زالَ یلقى العیشَ طلقاً والعلا مرقتی وصرفَ الحادثاتِ خدیما
 ما اهتر غصنٌ فی الحدیقةِ ناعمٌ لما أحسنَ من الشمالِ شمیما

مولده بغرناطة ، يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة؛
 انتهى .

[أشعار لسان الدين]

ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ولده عبد الله المذكور ما في
 « النفاضة » من قوله : أنشدت ابني عبد الله وقد وصل لزيارتي من الباب السلطاني
 حيث جرايته ووظيفته ، وانجر حديث ما فقد بغرناطة في شجون الكلام :
 يا بُنيَّ عبدَ الإلهِ احتساباً عن أثاثٍ ومثزلٍ وعقارٍ

١ ق : التقصد .

كيف يأسى على خسارة جزء مَنْ يرى الكلَّ في سبيل الخسار
هدَفُ لا تتي سهامُ الليالي عن سباقٍ تجاهه وبِدار
واحدُ طائشٍ وسهمٌ مصيبٌ ليس ينجي منها اشتمال حذار
غير ذي الدار صرف المم فيها فمناخُ الرحيل ليس بدار

انتهى . وقال أيضاً رحمه الله تعالى : ممّا أنشدته ولدي عبدَ الله ، وأمرته
بمحفظة والتأدب به واللهج بحكمته :

إذا ذهبتَ بِمِئْكَ لا تُضَيِّعْ يساركَ في البكاء ولا المصيبةُ
ويُسْرَاك اغتم فالقوسُ ترمي وما تدري أرشفتها قريبهُ
وما بغريبة تُوبُ الليالي ولكنَّ النجاةَ هي الغريبةُ

قال : ومن المنظوم في قريب من هذا قولي :

أيا أهلَ هذا القطرِ ساعده القطرُ ذهبتُ فدلوني لمن يرفعُ الأمرُ
تشاغلُ بالدنيا ونمتُ مفرطاً وفي شغلي أو نومي سرقُ العمرُ

وقال رحمه الله تعالى : وممّا قلته وقد انصرف عني الولدُ عبد الله إلى مدينة
فاس لإقامة رسمه من الخدمة ، وأشجاني انصرافه لوقوع قرحة على قرح ، والله
المستعان :

بان يومَ الخميس قرّةُ عيني حسبي الله أيّ موقفٍ بين
لو جئني موقفُ النوى حين حيّاً حان يوم الوداع والله حيّتي
ضايقتني صروفُ هذي الليالي وأطالت همّي وألوتْ بديني
وطنٌ نازحٌ وشملٌ شتيتُ كيف يبقى مُعدَّبٌ يعدد ذنبي
يا إلهي أدركْ بلطفك ضعفي إنّ ما أشكيه ليس بهين

وقال رحمه الله تعالى : أنشدت يوماً ولدي عبدَ الله وقد رأيت منه نشاطاً

ومُرحَّلاً انتقل مُني إليه بعد السن ؛

سَرَقَ الدهرُ شباي من يدي وفؤادي مُششَعراً بالكَمَدِ
جملةُ الأمرِ إذا أبصرتهُ باعَ ما أفقدني من ولدي

وقد سبق هذان البيتان عند ذكر بعض نظم لسان الدين رحمه الله تعالى .

[علي وتعليقاته على الإحاطة]

وأما علي بن لسان الدين رحمه الله تعالى فهو شاعر البيت بعد أبيه النبيه ،
وكان مُصاحباً للسلطان أحمد المريني المستنصر بالله ابن السلطان أبي سالم ابن
السلطان أبي الحسن المريني ، رحمهم الله تعالى .

وحكى بعضهم أنه حضر معه في بيتان ، سَحَّ فيه ماء المذاكرة الهتان ،
وقد أبدى الأصيل شواهد الاصفرار ، وأزعم النهار لما قدم الليل على الفرار ،
فقال المستنصر لما لان جانبه ، وسالت بين سرحات البستان جداوله ومدانيه :

يا فاسُ إِنِّي وأَيْسَمُ اللهُ ذَوْ شَغَفٍ في كُلِّ رَجَعٍ لَهم مَغْنَاهُ يَسِينِي
وقد أَنَسْتُ بِقَرَبٍ مِنْكَ يا أُمَلِي ونَظَرَةً فيكُمْ بِالْأَنْسِ مَحِينِي

فأجابه أبو الحسن علي بن الخطيب ، بقوله المصيب :

لا أَوْحَشَ اللهُ رَبِّعاً أَنْتَ زائِرُهُ يا بهجَةَ المَلِكِ والدُنْيا مَعَ الدِّينِ
يا أَحْمَدَ الحَمْدِ ، أَبْقالَكَ الإلهَ لَنَا فخرَ الماوكِ وسلطانَ السلاطينِ

وقد رحل رحمه الله تعالى إلى مصر ، ولم يحضرني الآن من أحواله بعد دخوله
مصر ما أعول عليه ، وقد كان وقف بالقاهرة على نسخة « الإحاطة » التي وجهها
أبوه إلى مصر ووقفها بخانقاه سعيد السعداء كما أشرنا إليه فيما مر ، فكتب
بالخواشي كتابات مفيدة ، وقد ذكرنا بعضها فيما أسلفناه من هذا الكتاب ،

فليراجع : إما تكميل لما أغفله أبوه ، وإما إخبار عما شاهده هو ، أو رواية له عن المترجم به ، أو جواب عن أبيه فيما انتقد عليه .

[نماذج في تعليقاته من ترجمة ابن جابر]

ولنذكر شيئاً منها غير ما تقدم بعد إيراد نص « الإحاطة » فنقول :
قال في « الإحاطة » في حرف الميم في ترجمة شمس الدين الهواري^١ الضرير
شارح ألفية ابن مالك وصاحب البديعة الشهيرة بالأعمى والبصير ، ما صورته :
محمد بن أحمد بن علي الهواري ، يكنى أبا عبد الله ، ويُعرف بابن جابر ،
من أهل المرية .

حاله - رجل كفيف البصر ، مدل على الشعر ، عظيم الكفاية والمنة على
زَمَانَتِهِ ، رحل إلى المشرق ، وتظاهر برجل من أصحابنا يُعرف بأبي جعفر الإلبيري ،
صارا روحين في جسد ، ووقع الشعر منهما بين لَحْيَيْ أُسْد ، وشمر للعلم
وطلبه ، فكان وظيفة الكفيف النظم ، ووظيفة البصير الكتّاب ، وانقطع الآن
خبرهما ؛ انتهى .

فكتب المذكور على أوّل الترجمة ما صورته : نعم الرجل ورفيقه أبو جعفر .
أحسن الله تعالى إليهما ، فلقد أحسنا الصحبة ، في الغربة ، وانفردا بالتزَاهة
والفضل وعلو الهمة ، إلا أن المصنف قصرَ فيهما بعض قصور ، ومنهما يُطلب
الإغضاء والصفح ، فالرجل مات ، وذكرُ الأموات بالخير مشروع ، وهما
والله الشرف الباهر بقطرهما علماً وعملاً ، أمتع الله تعالى بهما ، قاله ولَدُ
المؤلف علي بن الخطيب بالقاهرة ؛ انتهى .

١ قد ترجم المقرئ لابن جابر الضرير ورفيقه أبي جعفر الإلبيري (المجلد ٢ : ٦٦٤ - ٦٨٧) .
وها هو يعود إلى الإسهاب في ذكر الرجلين في هذا الجزء .

وكتب على قول أبيه « وانقطع الآن خبرهما » ما نصّه : هما الآن يلبيرة من حلب ، تحت إنعام ولطف ، تحت إليهما الرواحل ، وتضرب إليهما آباط الثُجُب .

رجع لتكميل ترجمة الشمس ابن جابر من « الإحاطة » :

قال لسان الدين بعد ما مضى ما نصّه ، وجرى ذكره في الإكليل بما نصّه : محسوب من طلبتها الجليّة ، ومعدود فيمن طلع بأفقها من الأهلة ، رحل إلى المشرق وقد أصيب ببصره ، واستهان في جنب الاستفادة بمشقة سفره ، على بيان عذره ، ووضوح ضره .

شعره — وشعره كثير ، فمنه قوله :

سلوا حُسْنَ ذاك الخالِ في صفحة الخلد متى رَقَمُوا بالمسكِ في ناعم الوردِ
وقولوا لذاك الثغرِ في ذلك اللَّمَى متى كان شأنُ الدرِّ يوجدُ في الشهد
ومن هزَّ غصنَ القدِّ منها لفتني وأودعَه رمانتي ذلك النهْد
ومن متّع القُصْبَ اللدانَ بوصفها إلى أن أعرنَ الحسنَ من ذلك القد
فتاة تفتُّ القلبَ مني بمقلة لها رقة الغزلانِ في سطوة الأسد
تمنيتُ أن تهدي إليَّ نهودها فقالت رأيتَ البدر يهداه أو يهدي
فقلتُ ألرُّمانُ بُدٌّ من الجنى فناهتُ وقالت : بالرواحظِ لا الأيدي
فقلتُ أليس القلبُ عندك حاصلاً فقالت قلوبُ الناسِ كلَّهمُ عندي
فقلتُ اجعليني من عبيدك في الهوى فقالت كفاني كم لحسنٍ من عبد
إذا شئتَ أن أرضاك عبداً فمتَّ جوى ولا تشتكي واصبرْ على ألم الصدِّ
ألم ترَ أنَّ النحلَ يُحمَلُ ضرُّها لأجل الذي تجنيه من خالص الشهد
كذلك بدّلُ النفسَ سهلٌ لذي النهى لما يكسبُ الإنسانُ من شرف الحمد
ألستَ ترى كفَّ ابنِ جانة طالما أضاع كريمَ المالِ في طلب المجد

وكتب ابن المؤلف على هذه القصيدة ما صورته : عارضة قوية ، ونزعة
خفاجية ، وكيف لا والشيخ أبو عبد الله صدر صدور الأندلس علماً ونظماً
ونحواً ، زاده الله تعالى من فضله ، انتهى .

رجع إلى الترجمة — قال لسان الدين : وقال ، يعني ابن جابر :

عرج على بان العذيب ونادي	وانشد فديتك أين حل فوادي
وإذا مررت على المنازل بالحمى	فاشرح هنالك لوعي وسهادي
إيه فديتك يا نسيمة خبري	كيف الأحبة والحمى والوادي
يا سعد ، قد بان العذيب وبانه	فانزل فديتك قد بدا إسعادي
أخذ في البشارة منهجتي يوماً إذا	بان العذيب ونور حسن سعاد
قد صح عيدي يوم أبصر حسنها	وكذا الهلال علامة الأعياد

ومما نقلته من جزء قيده لي صاحبنا الفقيه الأستاذ أبو علي الزواوي مما
ادعاه لنفسه :

علي لكل ذي كرم ذمام	ولي بمدارك المجد اهتمام
وأحسن ما لدي لقاء حر	وصحية معشر بالمجد هاموا
ولاني حين أنسب من أناس	على قمم النجوم لهم مقام
يميل بهم إلى المجد ارتياح	كما مالت بشاربها المسدام
هم لبسوا أديم الليل برداً	ليستفر عن أديمهم الظلام
هم جعلوا متون العيس أرضاً	فمد عزموا الرحيل فقد أقاموا
فمن كل البلاد لنا ارتحال	وفي كل البلاد لنا مقام
وحول موارد العلياء منا	لنا مع كل ذي شرف زحام
تصيب سهامنا غرض المعالي	إذا ضللت عن الغرض السهام
وليس لنا من المجد اقتناع	ولو أن النجوم لنا خيام

ثم سرد لسان الدين القصيدة بتمامها ، وذكر بعد ما سبق اثنين وستين بيتاً ، ولم نثبتها لطولها ، ثم قال بعدها : نجزت وما كادت ، ثم قال بعدها أيضاً : وقد وطأ لإمطاء قروحها ، وأعيا لإكثار سروحها ، ثم قال بعده : والله ولي النجاة بفضله ؛ انتهى .

وكتب ابنه علي أول القصيدة وهو : « عليّ لكلّ ذي كرمٍ ذمامٌ » ما نصّه : نزعة معترية ، قاله ابن المؤلف رحمه الله تعالى ؛ انتهى .

وكتب الشيخ ابن مرزوق على قوله « نجزت إلى آخره » ما صورته : ما أنصف المصنفُ هذا الفاضلَ في ترجمته ، وقدره شهير ، ومكانه من الفضيلة كبير ، وعلمه غزير ، ولعلّه لم يطلع إلا على ما أودعه .

وكتب إثره ابنُ لسان الدين ما صورته : نعم يا سيدي أبا عبد الله ابن مرزوق لم ينصف المترجمَ به المؤلفُ ، ولولا أنهما بالحياة ما صدر منكم التنبيه ، ولو حصلا تحت الصفيح لم تُعملوا فيهما قلماً ، هكذا شأن الدنيا بقلّة الوفاء شنشنة معروفة ، والحق على الأموات شأن المغاربة ، قاله علي ابن المصنف رحمه الله تعالى ؛ انتهى .

[استطراد بأشعار ابن جابر]

ولا خفاء أن لسان الدين لم يستوف حقوق الشمس ابن جابر الهواري المذكور مع أن له محاسن جمّة . ومن محاسنه رحمه الله تعالى :

هناؤكم يا أهلَ طيبة قد حقّقاً فبالقرب من خير الوري حُرِّمَ السبقا
فلا يتحرّك ساكنٌ منكمُ إلى سواها وإن جَار الزّمانُ وإن شقا
فكمّ ملكٍ رامَ الوصولَ لمثل ما وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكمُ نلتم عنايةَ ربّكمُ فها أنتمُ في بحر نعمته غرقى

ترونَ رسولَ الله في كلِّ ساعةٍ متى جئتمْ لا يفلق الباب دونكم فيسمعُ شكواكمْ ويكشف ضرركم بطيبة مثواكم ، وأكرمُ مرسل فكم نعمة الله فيها عليكمْ أنتم من الدجال فيها فحولها كذاك من الطاعون أنتم بئامن فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم حياةً وموتاً تحت رحماه أنتم فيا راحلاً عنها لدنيا يريدُها أخرجُ عن حِرْزِ النبيّ وحوزة لكن سرت تبغي من كريم إحانة هو الرزقُ مقسومٌ فليس بزائل فكمْ قاعدٍ قد وسّع الله رزقه فعمش في حمى خير الأنام ومث به إذا قمت فيما بين قبرٍ ومنبرٍ لقد أسعد الرحمنُ جار محمد

ومن محاسنه رحمه الله تعالى المقصورة الفريدة ، وهي قوله ^١ :

بادَرَ قلبي للهوى وما ارتأى لما رأى من حُسْنها ما قد رأى
 فقرَّبَ الوجدَ لقلبي حبها وكان قلبي قيلَ هذا قد نأى

١ واضح أن هذه المقصورة من « المشرات » على حروف المعجم وقد فصلنا بين أجزائها لتتضح لقارئ صورتها .

يا أيها العاذلُ في حبي لها أقصرُ فلي سمعُ عن العذلِ بأى^١
لو أبصر العاذلُ منها لمحةً ما فُضَّ بابَ جَدِّه ولا فأتى^٢
سَرَّحتُ طرفي طالباً شأوَ العلا وتابعاً في حبيها ما قد شأى^٣
إنِّي لأرعاها على تتبعها عهدي ، ومثلي من وفى إذا وأى^٤
مَن منصفٍ من شادنٍ لم أرجهُ حاجة من وصله إلا زأى^٥
وإن قبضتُ النفسَ عن سلوانه مدَّة أديمٍ هجره لي وسأى^٦
لأقطعنَّ البیدَ أفري حاذها بضامٍ يقشري الحصى إذا جأى^٧
حتى أزورَ ربَّةَ الخلدِ وقد ذاد الكرى عني الوشاة وذأى^٨

* * *

يا ربَّ ليلٍ قد تعاطينا به حديث أنسٍ مثلَ أزهار الرُّبى
في روضةٍ تعانقتُ أغصانها إذ واصلتُ ما بينها ريحُ الصَّبَا
نادمتُ فيها من بني الحسنِ رشاً يصبو له من لم يكن قطُّ صبا
حلوا رخيماً الدلَّ في أعظافه لينٌ وفي الحَاظِة بيضُ الطُّي
أنا مَ كان العيشُ غضباً حسنه عذبَ الجنى رِيَّانَ من ماء الصَّبَا
أيَّ زمانٍ ومحلٍّ للمنى ما ضاق مغناه بنا ولا نبا
يا مَرَبَّعاً ما بينَ نجدٍ والحمى ويا زماناً قبلَ حباتي ما حبا

١ بأى يباى : فخر ؛ وفي ق : فلي قلب ... نأى .

٢ فأتى : شق وخرج .

٣ شأى : قد تعي « بعد » أو « أعجب وأطرب » .

٤ وأى : وعد ؛ وفي ق : ومثلي من فأتى ... إلخ .

٥ زأى : تكبر ، عن ابن الأعرابي .

٦ سأى الثوب والأديم : مده حتى انشق .

٧ الحاذ : طريقة المتن وهو موضع البلد من الفرس ؛ وجأى : قذف .

٨ ذأى : ساق سوقاً شديداً وطرد .

اللهُ يرعاهُ زماناً لم يحُلْ^١ عن بذل ما نأمله ولا أبى
فأيّ متغنىّ أهل يممته^٢ لمقصد حلت لنا فيه الحبّا
هل ترجيع الأيام عيشاً باللوى فراقه كان اللهمم الأربى^٣

• • •

تالله لا أعبأ بعيش قد مضى ولا زمان قد تعدّى وعنا
مذ علفت كفيّ بالهادي الذي ساد الورى طفلاً وكهلاً وفتى
كالبحر لا يفيض يوماً وردّه^٤ لوارد إذا أصاف أو شتا
متصل البر لمن قد آتته^٥ لا يكره العودة ممن قد أتى
ولا ينجي نفسه في ضيقة أيّ نهار سرّ هذا ومتى
إنّ رسول الله مصباح هدى يهتدى به من في دجى الليل متا^٦
كفّ بني الجور بعدل واضح^٧ كما تكفّ اليد كفاً من فنى
كم ذي هوى قد راضه بهديه فانقاد كالعبد إذا العبد قتا^٨
قد خالط الحلم سجايا طبعه كمثل ما قد خالط الثوب السنا^٩
أقسمت لا زلت أوالي مدحه^{١٠} ما اشتدّ بالناس زمان ورثا^{١١}

• • •

لولا اشتياقي لديار كرمّت لبعدها يرثي لنا من قد رثى
ومدح من أرجو بأمداحي له^{١٢} لإصلاح ما قد عاث مني وعثا
لم أجعل الشعر لنفسي خلّة^{١٣} ولم يحش فكري به ولا غثا^{١٤}

١ ق : أملتة .

٢ اللهمم : الداهية ؛ الأربى : الشديدة .

٣ متا في الأرض مثل مطا ، أي متى .

٤ قتا العبد : خدام ، أو أحسن الخدمة .

٥ سى الثوب يستيه بمعنى سداه يسديه .

٦ رثا - من الأضداد : شد وأرغى .

٧ غثا : أكثر غثاؤه .

فَمَا أَرَى الْأَيَّامَ تَبْدِي مُنْصَفًا
يَا ضَيْعَةَ الْأَلْبَابِ فِي دَهْرٍ غَدَا
يَا وَبِيلَ أُمِّ لَيْسَ تَزْجِي ضَيْمَهَا
هَلْ مَارَسْتَ إِلَّا أَنَا عَزَمَ إِذَا
تَسِيلُ مِنْ جَهْدِ السُّرَى أَعْطَافُهُ
لَهُ اعْتَصَامٌ بِالرَّسُولِ الْمُجْتَبَى
مَنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا حِلٌّ عِنْدَهُ
وَلَوْ حَكَيْتُ الْمَسْكَ مِنْ حَسَنِ النَّثَا
فِيهِ فَتَيْتُ الْمَسْكَ يَلْعَلُهُ الْخَثَى ١
مِثْلِي بِمَا تَبْدِيهِ مِنْ مَنَعِ الْخَثَا ٢
مَا قَعَدَ النَّاسُ ٣ عَنْ الْخَطْبِ جِثَا ٤
كَثُلُ مَا سَالَ مِنَ الدُّوْحِ اللَّثَى ٥
أَجُودُ مَنْ أَضْفَى الْعَطَايَا وَحَثَا
وَلَا يُنِيلُ الْمَالَ إِلَّا بِالْخَثَا ٥

* * *

أَنَا الْفَتَى لَا يَطَّيَّبُنِي طَمَحٌ
لَكِنْ إِذَا اضْطَرَّ زَمَانٌ جَائِرٌ
لَا أَسْأَلُ التَّنْذِلَ وَلَوْ أَنَّنِي بِهِ
حَسْبِي بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ بِهِمْ
أَوْلَئِكَ الْقَوْمُ الْأَلَى مَنْ أَمَّهْمُ
يَلْقَاكَ مِنْهُمْ كُلُّ وَجْهِ مَشْرِقٍ
إِنِّي مَذُومٌ أَمَلْتُهُمْ لَمْ يَشْنِي
إِنْ أَنَا قَدْ نَكَّرْتَنِي دَهْرٌ عَدَا
يَطْوِي الْعَدَا ذَكَرِي وَمَجْدِي نَاشِرِي
أَنَا الَّذِي أَعْمَلْتُ لِلْمَجْدِ السُّرَى
فَأَبْذَلَ الْوَجْهَ لِنَيْلِ يَزْنَجِي
أَمَلْتُ مَنْ لَيْسَ يَرُدُّ مِنْ رَجَا
أَمْلِكُ مَا حَازَ النَّهَارُ وَالْدَجَى
يَغْنَى نَمْنِ اسْتَغْنَى وَيَنْجُو مِنْ نَجَا
أَمْنٌ مِمَّنْ لَامَ يَوْمًا وَهَجَا
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ إِذَا اللَّيْلُ سَجَا
عَنْ طَلَبِ الْمَجْدِ زَمَانٌ قَدْ شَجَا
فَطَالَمَا عَرَفْنِي فَضْلُ الْحَجَى
آلَيْتُ لَا زَالَ لَهْمُ مَنِي شَجَا
لَا أَسَامُ الْإِيْنَ وَلَا أَشْكُو الْوَجَى

* * *

- ١ الخثى : جمع خثي ، وهو روث الثور .
- ٢ الخثا : التراب المَحْثُو أو المَحْثَى .
- ٣ جثا : جلس على ركبتيه للخصومة أي لمواجهة الخطب ، فهو مستوفز .
- ٤ اللثى : شيء ينقصه ساق الشجرة أبيض غائر .
- ٥ يريد بملء الكفين .

كم سرت في البيداء لا يُقلّقي
أرسلها غرّ الذرا تسري بنا
يطيح مفتوت الحصى من دونها
فكم بذلت الجهد في كسب الغلا
أرغم أعدائي بحزم نافذ
أذود عن عرضي وأحمي حسبي
أقسم بالبيت ومن طاف به
وكل من أعمل الله الخطا
ومعشر تجّوا وعجّوا فلهم
لا زلت أزجيها لإدراك العلا

حرّ الهجير لا ولا برد الضحى
كل عويص السير صعب المنتحى
كأنه سهم عن القوس طحا^١
وجدت بالنفس لحاني من لحا
يعرّكهم عرك الثفال بالرحى
بكرم جزل ومتجد قد ضحا
ومن نحا وجهته فيمن نحا
مجا بها من الخطايا ما عجا
بمرتقى المروة ذكر ووحى^٢
حتى ترى من جهدها مثل اللّحا

* * *

يا عجباً من حاسد لي قد زها
كأنّي لم أعرف العزّ ولا
وإنما الدهر له تقلّب
إن الذي لا يثنى عن جوده
خير الورى طراً من الله به
شرّقه الله وحلّى جيده
زبّته تواضع على عّلا
فكم حمى بهديه وكم وقى

بعيش الغض عليّ وانتخى
صاحبت دهرى في سرور ورخا
إن ارتخى شد وإن شد ارتخى
إن بخل الدهر لنا وإن سخا
أذهب عنا كلّ غيّ فامتخى^٣
بجوهر من كل مجد موتخى^٤
فما ازدهى بعزة ولا نخا^٥
وكم أفاد آملاً وكم نخا

١ طحا : ذهب بعيداً .

٢ الوحى : الموت .

٣ يقال انخى من الشيء أي تبرأ منه وتخرج .

٤ موتخى : متجرى .

٥ نخا : زهى ، وقال الأصمعي ، يقال : نخى وانتخى ولا يقال نخا .

خَلَّصَ مِنْ أَسْرِ الْخَطَايَا جَاهَهُ فَمَا عَلَى قَلْبِ أَمْرِيءَ مِنْهَا طَخَا^١
خَفَّفَ عَنَّا ثَقْلَ مَا نَحْمِلُهُ فَلَمْ نَبْتَ مِنْ ثَقْلِهِ نَشْكُو السَّخَا^٢

* * *

إِنْ نَحْسِبِ الرُّسُلَ سَمَاءً قَدْ بَدَتْ فَإِنَّهُ - فِي أَفْقِهَا نَجْمٌ هَدَى
وَلِنْ يَكُنْ كُلُّ كَرِيمٍ قَدْ مَضَى طَلًّا فَقَدْ أَصْحَى لَنَا غَيْثٌ جَدَا
وَلِنْ يَكُونُوا أَنْجَمًا فِي فَلَكَ فَإِنَّهُ مِنْ بَتَيْنِهِمْ بَدْرٌ بَدَا
وَاسْطَةُ السَّلَكِ إِذَا مَا نُظْمُوا وَمَلَجَأَ الْقَوْمَ إِذَا الْخَطْبُ عَدَا
كَالْبَحْرِ بِلِ كَالْبَدْرِ جُودًا وَسَنَا فَحَبْدًا مِنْ اجْتَدَى أَوْ اقْتَدَى
أَحْسَنَ أَخْلَاقًا مِنَ الرُّوْضِ إِذَا مَا اخْتَالَ فِي بُرْدِ الصَّبَا أَوْ ارْتَدَى
وَسَاقِطَ الْقَطَرِ عَلَيْهِ دَمْعُهُ فَابْتَلَّ بِرُودُ الزَّهْرِ مِنْهُ وَانْتَدَى
تَفْدِيهِ نَفْسِي مِنْ شَفِيعٍ لِلْوَرَى وَقَلَّتِ النَّفْسُ لَهُ مِنِّْي فِدَا
هُوَ الَّذِي أَنْعَشْنَا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ يَبِسَ الْغَصْنُ وَأَذْوَاهُ الصَّدَى
وَكُنْتُ فِي لَيْلِ الْهَوَى ذَا حَيْرَةٍ فَجَاءَ بِالْحَقِّ وَأُنْجِي وَهَدَى

* * *

فَكَمْ كَسَا مِنْ ثَوْبٍ نَعْمَى قَدْ ضَفَا وَكَمْ هَدَى بِعَلْمِهِ وَكَمْ غَدَا
مِنْ اقْتَدَى بغيره فَإِنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْ سُبُلَ الْهُدَى وَلَا جَدَا
هَلْ هِيَ إِلَّا سَنَّةُ الْحَقِّ الَّتِي أَرشَدَ مَنْ لَازَ بِهَا أَوْ احْتَدَى
كَفَّ اللِّسَانَ وَانْبَسَاطَ الْكَفِّ بِالِ خَيْرٍ وَطِيبَ الذِّكْرِ هُمْ قَدْ شَدَا^٣

١ الطخا : قطع السحاب .

٢ السخا : ظلع يصيب البعير حين يشب بالحمل الثقيل .

٣ شدا : آذى ، أي أن هذه الواجبات تقلق من يريد الاحتفاظ بها ، وفي التجارية : عرف قد شدا ، ويكون شدا بمعنى تطلب .

أحسنُ ما نالَ الفتي من كرمٍ
والصمتُ عما لا يفيد قوله
لا شيء كالصمتِ وقاراً للفتى
من عيبه يشغله عن غيره
ومن يعب عيباً ومن يحسن إذن
ومن تكن دنياه أقصى همه

أن لا يَرَى من أجله من ائتمدى
من كليمٍ يهذي به فيمن هذى
يوماً ولا أنجى له من الأذى
بات سليمَ العرض نفّاح الشدا
لان له كل عَصِيٍّ وخدا^١
لم يرو من ثدي الحجي ولا اغتدى

* * *

لا تنفق العمرَ سوى في حبٍّ من
يهديك من رشدٍ ومجدٍ واضح
أجاد هدياً وأفاد نائلاً^٢
ترى بني الحاجات نحو بابهِ
لهم إلى رؤيته تشوق^٣
ذا يبتغي علماً وهذا نائلاً^٤
كانتهم إذا رأوا غُرَّتَهُ
وجهٌ لديه يُحمدُ السيرُ ، كذا
هذا إذا ما أخلفَ الناسُ وقى
إذا شددت الكفَّ في أمر به

هو الذي في ستنِ الحق جري
روضين من علمٍ وذكر قد سرى
وجاد حتى عمم الجود الورى
قد أعملوا العيس بحزن في البرى
تشوق الساري إلى نارِ القيرى
وخائب من قصده ليس يرى
وقد حجيح عاينوا أم القرى
عند الصباح يحمدُ القوم^٥ السرى
نائي المدى في مجده سامي الدرا
فليس بالواني ولا الواهي العرى

* * *

أنهضني بهديه إلى التقى بعد قصور العزم والباع الوزى^٦

١ خدا : لان واسترعى .

٢ ق : الساري ؛ وقوله « عند الصباح . . . » مثل .

٣ الوزى : القصير .

هو الشفيعُ المجتري بجاهه بمثلِ ذاك الجاه حقاً يجتري
مذزرتَه لم أشكُ من شحط النوى إذ كان لي فيه غنى ومُجتري
وما وجدتُ غربةً ولم يجدُ مسَّ اغتراب من إلى الجودِ اعتري
متصلُ البشرِ غضوبٌ للهدى إذا رأى من زاغ عنه أو نزا
أصبح من أيامه في مأمنٍ من قد لجأ يوماً إليه أو رزى^١
تخذتُه كهفاً فبتُ آمناً جزاه ربُّ العرش خير ما جزى
أدبنا بسنةٍ أفلحَ من نعى إليها النفسَ يوماً أو عزا
يجزي أخا الحسنى على إحسانه شكر امرئٍ راضٍ الأمورَ وحزاً^٢
لستُ أجازي الشرَّ بالشرِّ ، ولا أغزو لناوي السوء مثلَ ما غزوا
لم ترَ عينٌ كرسول الله ذا حزمٍ ، ولا أحلم إن دهرٌ غزوا

* * *

إذا ملأتُ الأمورَ قلنقلتُ ألفيته كأنه طودٌ رسا
بخلقه فليقتدِ المسرءُ فما أكرمها من مقتدى ومؤتسى
كنُ حذراً وإن رأيتَ ثمرةً فمثلها توقدُ جَمرةَ الأسى
لا تياسنَ إن تئامى أملٌ وكلما عثا زمانٌ قد عسا
وإن بدا صبحُ المشيبِ فاطرحُ ما كان إذ ليلُ الشبابِ قد غسا^٣
ولا تظنَّ الشيبَ يرجى طبه بزورٍ صبيغٍ أو مُدامٍ يُحتسى
إذا الفى قومٌ واعتدَّ العصا لقوسه عن وترٍ أعياءُ الأسا
فاذكرْ زمانَ الشيبِ في حالِ الصبا عسى يلينُ للتقى قلبٌ قسا

١ رزا : إذا قبل البر ، وأرزي إل : بلأ .

٢ حزا : عرف وجرب ، والحازي : الكاهن .

٣ غسا الليل يفسو : أظلم .

ما أقبح اللهو على المرء إذا ما اشتعل الرأسُ مشياً واكتشى

* * *

لا تحسب الراحة راحاً قرّفاً لا تحسب الراحة راحاً قرّفاً
إذا أداروها وقد جنّ الدجى إذا أداروها وقد جنّ الدجى
قد جُجبت في دنّها دهرأ إلى قد جُجبت في دنّها دهرأ إلى
لم يبقَ من جواهرها إلّا سنا لم يبقَ من جواهرها إلّا سنا
كأنّها والكأسُ قد حَفَّتْ بها كأنّها والكأسُ قد حَفَّتْ بها
يديرها مختلفُ الحسنِ إذا يديرها مختلفُ الحسنِ إذا
يحكي القطا والطبي والغصنِ إذا يحكي القطا والطبي والغصنِ إذا
ولتأ الراحةُ زُهدُ المرء في ولتأ الراحةُ زُهدُ المرء في
والمجدُ إيقادك نيران القري والمجدُ إيقادك نيران القري
والجود أن تعطي قباء للندى والجود أن تعطي قباء للندى

* * *

خاب امرؤ لم ير أرضاً حلّها خاب امرؤ لم ير أرضاً حلّها
أرسله الله هدًى ورحمةً أرسله الله هدًى ورحمةً
وخلّص الأنفسَ من أسر الهوى وخلّص الأنفسَ من أسر الهوى
ذو رافة تلقاه يوم العرضِ قد ذو رافة تلقاه يوم العرضِ قد
صلّى عليك الله يا من جاهه صلّى عليك الله يا من جاهه
يا من جرى من كفه الماءُ ومن يا من جرى من كفه الماءُ ومن
بك اعتصامي يوم يدنو من دنا بك اعتصامي يوم يدنو من دنا

١ فصي الشيء من الشيء : فصله ، ولعله يعني هنا : ميز الخير من الشر .

٢ مصى : لم أجد له معنى ملائماً للسياق هنا .

هل غير إحسانك يرجو مذنبٌ طال به خوفُ الخطايا وانتصى
يا مَنْ سما في يوم بدرٍ بدره عزّاً ليشقى كلُّ من شقَّ العصا
أحصاهمُ ربُّ السماء عدداً وإنهم أدنى الفريقين حصي

* * *

يا مجتبي من خير قومٍ حسباً فيما أتى من زمن وما مضى
يا من تدانى قاب قوسين ومن قيل له سلّ تُعطى قد نلت المضا
ومن أتى والناسُ من ظلمهمُ في ظلمةٍ ليس لها من مرتضى
فكان كالصبح جلاً جنح الدجى فأذهب الإظلام عنا وانتضى
رُضيتَ للإرسالِ إذ آدمُ به ن الماء والطين فكنت المرتضى
اختارك الله رسولاً هادياً أكرم بما اختار لنا وما ارتضى
يا أحلّم الناس على من قد جنى وأعدل الخلق إذا ما قد قضى
يا مُصغّر الألف إذا ما جاد أو جرد في الهيجاء سيفاً أو نضاً
يا ناصحاً أحكم تشييد الهدى عزماً فلمّا يتنقض ولا انقضى
يا مُصنّفاً للناس ظيل رحمةٍ بات العدا منها على جمر الغضا

* * *

ادفع الشرّ بحسنى فإذا به أخو صديقٍ وإن كان سطا
وانفٍ لنفسٍ كرهت أعمالها كمن يريك قدرها حث الخطا
إن يدرك الهوى القى في بيته ليس كمن سعى إليه وخطا
وإنّ خيراً من صديق سيء أن يصحب الإنسان في البيد القطا
ولا ترُم ما لا تطيق نيله فخجلة الخيبة شرُّ مُمتطى
وبت من الدنيا مبات خائف فلليالي عدوات وسطا
وخلّها عنك ولا تعباً بما تبوأ المكث منها وعطا

١ صلا : تناول .

وجنب الحرص - تعش - ذا عزة
ولا تجد للنفس حظاً واطرح
لا تطرين صاحباً بغير ما
أفلح من - إن شدة الحرص نطا^١
من امتطى الكبر فبئس ما امتطى
فيه - فإطراء الفتى كسر المطا^٢

* * *

لا يحسن المدح سوى لمن يرى
خير عباد الله ذو العز الذي
كم آمن ببابه وقبل أن
أصبح من حرمة في حرم
في منزل سيان فيه ربه
إن رسول الله غيث واكف
إذا أعد للمؤمن القرى
لما علمت جودة الجزل وما
يمثفه فوق طمير ضامر
ليس يمس الأرض من سرعته
مادحة بمدحه قد احتظى
لظله بأوي الشريف والشظى^٣
يلقاه لاقى ما عجا وما عظا^٤
يرفل في ظل هبات وحظا
وضيفه فيما اقتنى وما حظا^٥
إذا لهيب الصيف داج والتظى
لم يدخر عن ضيفه ولا حظا^٦
هناك من علم وحلم وبظا^٧
منتظم الأعضاء متلثوم الشظا
كأنما يخشى بها مس اللظى

* * *

يا موسع الألف بصاع شبعاً
وأخصب الضرع بلمس كفه
ومن مشى الدوح إليه وسمى
وبادر المزن له لما دعا

١ نطا : بمد أو امتد .

٢ المطا : الظهر .

٣ الشظى من الناس : الموالي والأتباع .

٤ يقال لقي الإنسان ما عجا وما عظاء وما أورمه : إذا لقي شدة وبلاء .

٥ كأنه يعني : أصاب حظاً .

٦ حظا : فاضل بين .

٧ البظا : اكتناز اللحم ، ويريد هنا وفرة العلم .

وسلم الظبي عليه كرمًا واستشهد الضب فجياً معلناً
إليك أعملت المطايا في القلا مسوغاً^١ جاهلك علي في غد
أزكى صلاة وسلام أبداً وسبح الرعد بحمد من سقى
فاشتملت بالنور كل فدفد وباكر البيداء غيثاً مسبل^٢
وكلم الميت فقام ورعى بصدقه ومثعباً لما ادعى
تساب ما بين أراك ولعا أكون ممن قد أجاد ورعا
عليك ما ارتاح الظليم وارتعى صوب الحيا فقال للأرض لعا
لم يك للسارح فيه مرتعى فأخلف النبت المشيم ورعى

* * *

ودق سحاب تحسب البرق به واخضرت الدوح ومدت قضيبها
وساقت لها السحاب حملها ترى خرير الماء في قضيبه
فسكن القبط لهيب حرة غيث حمى الرمضاء عتاً مثلما
ناه عن الفحشاء داع للهدى أسنة قد أشرعت يوم وغى
فيها حسن الثام وصفا^٣ إذ خوف الرعد تساقط الفغا^٣
كأنه نبت ذود قد رغا وفر لما أن رأى الماء طفى
حمى رسول الله جوراً من بغى لم يتطق بياطل ولا لغا

* * *

هذا إذا استكفيت في أمر به أهذاك فيما تنتجيه وكفى
تهفو به ريح العلا إلى الندى كأنه ناعم غصن قد هفا
محبي الهدى والعدل في زمانه من بعد ما ألفاهما على شفا

١ ق : مسرماً .

٢ الصفا : الميل .

٣ الفغا : البسر الفاسد المنير ، أو ما يخرج من الطعام فيرمى به .

أخفي الهدى قومٌ فأضحى وهو قد
 إن يقض يعدل أو متى يسأل يهب
 وإن يجحد يُجزل وإن جاد يُعد
 بحرطما، بدر سماء، غضب حمى
 لمجند أو مقتد أو معتد
 ما لي لا أضفي له المدح وقد
 أسس خلقت الجود، فينا فاغتندي
 أظهره بعد إليه فما اختفى
 وإن يقل يصدق وإن يعد وتقى
 وإن تسيء يحسن وإن تجن عفا
 روض، نما، طب أفاد وشفى
 أو مجذب أو مشتك خطباً جفا
 أضحي به الحق علينا قد ضفا
 به لنا ورد المعالي قد صفا

* * *

الجود يُعلي المرء والبخل لقد
 والعز ما أحسنه لكنه
 والجهل للإنسان عيب قاذح
 والعلم في حال الغنى والفقر لا
 ولا ألوم المال فالمال حمى
 قد جيل الناس على حب الغنى
 وما لذي الفقر لديهم رتبة
 إن الغنى طب للعلات الفتى
 والحزم أخرى ما به المرء اقتدى
 من لم يبت مع الليالي حازماً
 يحط عن رتبته من ارتقى
 إن كان هذا مع علم وتقى
 ولو حوى مالا ككثبان نقا
 يزال يرفى بك كل مرتقى
 من جاهل يلقالك شر ملتقى
 قربه فيهم مهاب متقى
 ولو أفاد وأجاد واتقى
 والفقر داء لا تداويه الرقى
 في أمره وما به النفس وتقى
 لغذرها غادرته فيها لتقى

* * *

أمضيت طرفي كي يرى طرفي ما أخبرته من طيب مجد قد زكا

١ ق : أو مجتز .

فَصَدَّقَ الْحَاكِي مَا أَبْصَرْتَهُ وَفَاقَ مَا عَايَنْتَهُ مَا قَدْ حَكِي
 فَسَهَّلْتُ رُؤْيَيْهُ جَهْدَ السَّرَى وَأَشَكْتُ الْأَيَّامُ مَنْ كَانَ شَكَا
 عَجِبْتُ لِلْأَيَّامِ مَنْ عَزَّ بِهَا ذَلَّ، وَمَنْ يَضْحَكُ بِهَا يَوْمًا بَكِي
 فَكَمْ لَهَا مِنْ كَرَّةٍ عَلَى فَنَى جَلَدٌ إِذَا مَا لَهَبُ الْحَرْبِ ذَكَا
 تَجَنَّبُ الْأَسَدُ سَطَاهُ فِي الْوَغَى فَلَدَّ حَتَّى صَارَ قَصْوَاهُ بُكََا
 وَكَمْ صَرِيحٌ غَادَرْتُ لَيْسَ لَهُ مِنْ مَلِجٍ يَوْمًا وَلَا مِنْ مَشْتَكِي
 عَدْتُ عَلَى نَفْسٍ عَدِيٍّ وَسَقْتُ مِنْهَا ابْنَ حُجْرٍ كَأْسَ سَمِّ كَالذِّكََا
 وَاسْتَلَبْتُ مُلْكَ بَنِي سَاسَانَ لَمْ تَرَكَ لَهُ عَلَى اللَّيَالِي مَرْتَكِي^٢

* * *

لَمْ يَأْمَنِ الْمَأْمُونُ مِنْ صَوْلَتِهَا وَلَا ابْنُ هِنْدٍ مِنْ عَوَادِيهَا خَلَا
 وَأَتْبَعْتُ جَعْفَرَ الْفَضْلَ وَكَمْ بَاتَ الْبَلَاءُ يَسْقِيهِمَا صِرْفُ الْبَلَا
 وَغَالَتْ الرِّبَاءُ فِي مَنَعَتِهَا فَأَظْفَرْتُ عَمْرًا بِهَا فَمَا أَلَا^٤
 وَأَنْفَذْتُ فِي آلِ بَكْرِ حَكْمَهَا وَجَرَّعْتُ مَهْلَهْلًا كَأْسَ الْبَلَى
 وَكَمْ مَسَبَّتْ مِنْ سِلْمٍ مِنْ نَعْمَةٍ فَمَزَّقُوا فِي كُلِّ قَفَرٍ وَقَلَا
 وَأَهْلَكِي عَادًا وَأَفْنَتْ جَرَهْمَا وَزَوَّدَتْ مِنْهَا تَمِيمًا بِالصَّلَى^٥
 فَرَعُونَ مُوسَى أَوْجَحْتُ فِي جِلْعَةٍ فَمَاتَ قَهْرًا بَعْدَ عَزٍّ وَعُلَا
 وَأَظْفَرْتُ بَابَنَ زِيَادٍ مِثْلَمَا أَفْنَتْ يَزِيدَ حَسْرَةً لَمَّا اعْتَلَى
 وَسَيْفٌ اسْتَلَّتْهُ مِنْ غُمدَانِهِ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ خَضَعَتْ لَهُ الطُّلَى^٦

١ الذكا : الجمرة الملتهبة .

٢ المرتكى : الممّول .

٣ الطلا : النلام ، شبهه بولده الظبية .

٤ ألا يألو : قصر .

٥ الصل : الوقود ، يشير إلى ما فعله أحد المناذرة ببني تميم حين حرقهم .

٦ الطل : الرقاب .

ثم أعادته فحزَّ الجيشُ عن حوزته حزَّ النبات المختل^١

* * *

هي الليالي ليس يرعى صرفها	لا خاملاً فيها ولا من قد سَمَا
ولا رسول الله فينا لم يزل	كهف حمى ^٢ ، فهو لنا نعم الحمى
الله ما أكرمه من سيد ^٣	يُنمى من المجد لأعلى متمى
سليم صدر ذو وفاء لم يمحى	في صدره غش أمرى ولا غمى ^٤
أوسعنا فضلاً فما خاب امرؤ	أوي إلى ذاك الجنب وانمى
يا من غدا للخلق كهفاً وحمى	فأكرم المثوى وآوى وحمى
إنّا أتينا من ديار دونها	موتشة يسداء أو بحر طما
وانتحي من قبح ما أسلفته	ذو كبد رُضت ودمع قد همى
فلا نجيبني مما لك من	شفاعة تُرجى وفضل قد نما
إنك من قوم بهم يشفى العنا	ويُدركُ الشاؤم البعيد المرتضى

* * *

أعرض عن الجاهل مهما قد أسا	وحسبه من جهله ما قد حوى
ولا تلم ذا سَفَه فإنه	إن لنته لم يتشد ولا ارعوى
وإن رأيت من كريم عثرة	فقل لعماً ولا تعجب بما احتوى
وإن ترُعكَ من زمان فرقة	فاصبر لها فالصبر أشفى للجوى
لم أشكر البعد على خير حمى	قد صدّني عن أنسه شحط النوى
يا منزلاً ما بين نجد والحمى	ويا دياراً بين كئيبان اللوى

١ المختل : المتطوع .

٢ ق : حياً .

٣ ق : من سند .

٤ غمى : غطى .

هل لي إلى تلك المعالي عودة*
لا تعجبوا من لعبِ الدهر بنا
إن عشتُ لاقيتهمُ وإن أمتُ
إنَّ رسولَ الله مُدَّ أُمَّلتهُ
أو جرعةٌ من ذلك الماءِ الرَوَى
فأيَّ إنسانٍ على حالٍ سوا
فلإنما الدنيا فناءٌ وتَوَى
فالدهرُ قد أضمر نصحي ونوى

إلي والذي ما زال يسري جاهداً
فقدّم الغسلَ وصلى ونضاً
ثمّ نوى مُلبياً ثمّ مضى
ثمّ أتى بابَ بني شَيْبَةَ قد
فَقَبَّلَ الركنَ وطاف وسَعَى
ثمّ أتى الموقفَ يدعو راغباً
ثمّ رمى ثمّ أفاض وانْهَرى
ثمّ مضى مرتحلاً فيمن مضى
يبغي التي شرفها الله بِمَنْ
فَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ إِذَا حَجَّ جُفَاً

خَلَقُ عَلَيَّ لَمْ يَجْعَلْهُ إِلَّا أَمْرًا
 فَإِنْ يَقُولُ: مَنْ حَازَهَا؟ قُلْ: الَّذِي
 مَعْتَصَمُ الرَّاجِينَ. إِنَّ خُطْبُ دَنَا
 الْمُرْشِدُ النَّاصِحُ لِلَّهِ فَمَا
 مِنْ جَدٍّ فِي إِدْرَاكِ مَا رَامَ يَجِدُ
 فَلَا يَقْصُرُ بِكَ خَوْفُ خِيَةِ
 وَاكْتَسَبَ الْحَمْدَ بِمَا تَبْدِيهِ مِنْ

واحرص على المجد ودينك اطرح
والمرء من إن فاته لم يكتسب
من لازم الكبر على الناس اغتدى
فأمرها أمرٌ زهيدٌ المشتبهى
وإن ينل لم يفتخر ولا ازدهى
متنصع القدير ولو نال السُّها

* * *

أنى تخيب اليوم آمالي ولي
يدني الفتى إلى مدى آماله
إن أهزل القوم زمانٌ معورٌ
وإن أمارت الجذب كلَّ مخصب
أرسل سحْبَ هديه جارية
أوقع في الأنفُس من ماو لدى
لم تعي من فعل جميل كفه
ما لي لا أبلغ أقصى غاية
لكل شخص غاية يبلغها
تعا يدُ السائل من معروفه
من كفه أكرم من صوب الحيا
ولو غدا من دونها الأرض الليا^١
أنعشهم حتى يرى لهم حيا^٢
بدا لنيران القرى منه حيا^٣
بالحق حتى حيي الدر حيا^٤
ظام إذا ما اشتد بالشمس الحيا
ولا له في المكرمات معنيا
في مدح من بالغ جوداً واغتيا
وما له في المعلوات مغتيا^٥
ولم يقصر كرمًا ولا اعتيا

* * *

والآن قد أكلتها في مدحه
ضممتها من كل فن درراً
حليتها جيد معاليه وما
أملح حلي المدح في جيد العلأ
مقصورة يقصر عنها من خلا
نظماً فأضححت من نفيسات الحلأ

١ الأرض اليا : التي بعد ماوها واشتد البر فيها .

٢ الحيا : الخصب .

٣ لعله شبيه بقولهم : حايت النار أي أحييتها .

٤ الحيا : المطر .

٥ مغتيا : موضع غاية أو نهاية .

جعلتها مني وداعاً فاعتجب لنظمها الحلو الجلي كيف حلا

* * *

مَنْ قارب الرحلة عن ذاك الحمى	كيف أجاد النظم يوماً أو درى
أرسلتها من خاطر خامره	وجند جلا عن مقلتي طيب الكرى
وكيف لا آسى على بعدي عن	قوم جرى من جودهم ما قد جرى
أنصار دين الله والهادي الذي	لولا وضوح هديّه ضلّ الورى
فالقلب بين مشرق ومغرب	مقسّم اللوعة مجذوب العرى
إذا ذكرت الغرب حنت مهجتي	وبلّ دمي من جوى الشوق الثرى
وإن ذكرت حب من في مشرق	أبطأ بي حبهم عن السرى
إن يصف من وجه لشخص مورد	كدر من أخرى فلا صفو يرى
فإن ترحلت فقلبي عندكم	لم ير نحل عن بابكم ولا سرى

* * *

ولا تزال رُسُلُ شوقي أبدا	ترى على مجدكم الجزل الندى
ولن تمر ساعة إلا هفا	بذكركم مُنْصِيحُ نظمي وشدا
فليس عندي للتجاة مخلص	إن لم يكن منكم نوال أو جدّا
بكم ملاذي وحماكم ملجئي	ليس سوى ذاك السماح المجتدى
وما ذخرنّا عُدّة سواكم	مثلكم من يُرتجى ويحتدى
لا أوحش الله دياراً أنتم	فيها ولا أزرى بمرعاها الصدى
ولا نأت داركم ولا خلا	ربكم ما راح يوم واغدى

ومن محاسنه أيضاً البديعية المشهورة ، وهي المعروفة ببديعية العميان ، ولو لم يكن من محاسنه إلا قصيدته التي في التورية بسور القرآن ومدح النبي صلى الله عليه وسلم لكنى ، وهي من غرر القصائد ، وكثير من الناس ينسبها للقاضي

الشهير عالم المغرب أبي الفضل عياض ، وكنت أنا في أول الاشتغال ممن يعتقد صحة تلك النسبة ، حتى وقفت على شرح البديعية الموصوفة لرفيقه أبي جعفر ، فإذا هي منسوبة للناظم ابن جابر ، وهي :

في كل فاتحة للقول معتبره	حق الثناء على المبعوث بالقره
في آل عمران قدماً شاع مبعثه	رجالهم والنساء استوضحوا خبره
من مدّ للناس من نعيمه مائدة	عمّت فليست على الأنعام مقتصره
أعراف نعيمه ما حلّ الرجاء بها	إلا وأنفال ذلك الجود مبتدره
به توسّل إذ نادى بتوبته	في البحر يونس والظلماء معتكره
هود ويوسف كم خوف به أمنا	ولن يروّع صوت الرعد من ذكره
مضمون دعوة إبراهيم كان ، وفي	بيت الإله وفي الحجر التمس أثره
ذو أمة كدويّ النحل ذكرهم	في كل قطر ، فسبحان الذي فطره
بكهف رحمة قد لاذ الوري ، وبه	بشري ابن مريم في الإنجيل مشتهره
سماء طه ، وحضّ الأنبياء على	حجّ المكان الذي من أجله عمّره
قد أفلح الناس بالنور الذي غمروا	من نور فرقانه لما جلا غمره
أكابر الشعراء اللسن قد عجزوا	كالنمل إذ سمعت آذانهم سورة
وحسبه قصص للعنكبوت أتى	إذ حاك نسجاً بباب الغار قد ستره
في الروم قد شاع قدماً أمره وبه	لقمان وفق للدر الذي نثره
كم سجدة في طلي الأحزاب قد سجدت	سيوفه فأراهم ربّه عبره
سبأهم فاطر السبع العلاء كرمأ	لن يباسين بين الرسل قد شهره
في الحرب قد صفّت الأملاك تنصره	فصاد جمع الأعادي هازماً زمّره
لغافر الذنب في تفصيله سور	قد فصلت لمان غير مختصره
شوراه أن تهجر الدنيا فزخرها	مثل الدخان فيعشي عين من نظره

عزّت شريعته البيضاء حين أتى
فجاء بَعْدَ القتالِ الفتحُ متصلاً
بقاف والذاريات - اللهُ أقسمَ في
في الطُّورِ أبصر موسى نجم سؤده
أسرى غنال من الرحمن واقعةً
أراه أشياء لا يقوى الحديدُ لها
في الحشر يومَ امتحانِ الخلقِ يُقبلُ في
كفٌ يسبِّحُ لله الحِصاةُ بها
قد أبصرتُ عنده الدنيا تغابنها
تحريمه الحبَّ للدنيا ، ورغبته
في نون قد حقّت الأمداح فيه بما
بجاهه سال نوحٌ في سفينته
وقالت الجنُّ جاء الحقُّ فاتبعوا
مدثراً شافعاً يومَ القيامة هل
في المرسلاتِ مِنَ الكتبِ انجلي نبأ
الطافه النازعات الضيم في زمن
إذ كوّرت شمس ذاك اليوم وانفطرت
والسما انشقاق والبروج خلت
فسبّح اسم الذي في الخلق شقّعه
كالفجر في البلد المحروس عُمرته
والليلُ مثلُ الضحى إذ لاح فيه ألم
ولو دعا التين والزيتون لا ابتدرا

أحقاف بدر وجند الله قد نصره
وأصبحت حُجرات الدين منتصره
أنّ الذي قاله حقٌ كما ذكره
والأفق قد شقّ لإجلالاً له قمره
في القرب ثبّت فيه ربّه بصره
وفي مُجادلة الكفار قد نصره
صفٍ من الرُّسلِ كُلُّ تابعٍ أثره
فاقبل إذا جاءك الحق الذي قدّره
نالت طلاقاً ولم يصرف لها نظره
عن زهرة الملك حقّاً عندما نظره
أثنى به الله إذ أبدى لنا سيرة
سفن النجاة وموج البحر قد غمره
مُزماً تابِعاً للحق لن يدّره
أتى نبيّ له هذا العلّا ذخره
عن بعثه سائر الأخبار قد سطره
يوم به عيس العاصي لما ذعّره
سماؤه ودعت ويل به الفجره
من طارق الشهب والأفلاك مُنتثره
وهل أتاك حديث الحوض إذ نهّره
والشمس من نوره الوضاح مستره
نشرح لك القول في أخباره العطره
إليه في الحين - واقرأ تستين خبره

في ليلة القدر كم قد حلّ من شرف
كم زلزلت بالحياد العاديات له
له تكاثر آيات قد اشتهرت
ألم تر الشمس تصديقاً له حُبست
أريت أن الله العرش كرمه
والكافرون إذا جاء الورى طردوا
إخلاص أمداحه شغلي ، فكم فلق
أزكى صلاتي على الهادي وعترته
صدّيقهم عمر الفاروق أحزمهم
سعد سعيد عبيد طلحة وأبو
وحمة ثم عباس وألهما
أولئك الناس آل المصطفى وكفى
وفي خديجة والزهراء وما ولدت
عن كل أزواجه أرضى ، وأوثر من
أقسمت لا زلت أهديهم شذا مديحي

في الفخر لم يكن الإنسان قد قدره
أرض بقارعة التخويف منتشرة
في كل عصر فويل للذي كفره
على قرّيش ، وجاء الروح إذ أمره
بكوثر مرسل في حوضه نهره
عن حوضه فلقد تبّت يدا الكفرة
للصبح أسمعت فيه الناس مفتخره
وصحبه ، وخصوصاً منهم عَشْرَة
عثمان ثم علي مهلك الكفرة
عبيدة وابن عوف عاشر العشرة
وجعفر وعقيل سادة خيرته
وصحبه المقتدون السادة البرره
أزكى مديحي سأهدي دائماً درره
أضحت براءتها في الذكر منتشرة
كالروض ينثر من أكامه زهره

[معارضات لقصيد ابن جابر في تضمين السور]

انتهت القصيدة ؛ وقد عارض منحاه جماعة فما شقّوا لها غباراً ، ومن
معارضاتها قول بعضهم :

بسم الإله افتتح الحمد والبقرة
على نبيّ له الرحمن محتدح
كذا بمائدة الأنعام فضّله
أنفاله نزلت أيضاً براءة من

مُصلياً بصلاة لم تزل عطره
في آل عمران أيضاً والنسا ذكره
ووصفه التّم في الأعراف قد نشره
يحبه وهو مشغول بما أمره

به نجا يونس من حوته ونجا
 أقسم برعد إبراهيم أن له
 سبحانه جاعله كهفا لأمة
 طه به الأنبياء للحج قد وفدوا
 آيات فرقانهم ذلت لها الشعرا
 والعنكبوت على غار له نسجت
 لقمان حكمته من بعض حكمته
 كم في سبا عبرة للقلب قد فطرت
 قد صفت الأنبياء والرسل قاطبة
 إن صاد قلبي الهوى تنزيل منقذه
 كم خلعة فصلت للطالعين له
 لم تلهم زينة الدنيا وزخرفها
 إذا جثا الخلق والأحقاف قد شرفت
 محمد خص بالفتح المبين وقد
 قاف الوفاق وذر الطور نجم هدى
 رحن واقعة كل الحديد بها
 من يمتحن صفنا في يوم جمعنا
 مظهر من نفاق ليس بينهم
 وحرموها وفي ملك لما زهدوا
 إن تسألوني عن نوح نبي هدى
 مؤمل اسمه مدثر، وله
 للمرسلات نبأ في يوم نازعة

هود ويوسف من سجن به عبره
 في حجر نخل ترى الآيات مشتهره
 ومريم زوجة في جنة نصره
 والمؤمنون على النور اقتفوا أثره
 وسورة النمل قد قصت لنا سيره
 والروم ولت برعب منه منكسره
 فاسجد لرب على الأحزاب قد نصره
 فلكد ياسين تنجو يا أبا البره
 خلف النبي بأمر الله مؤتمره
 وغافر الذنب كم ذنب له غفره
 وأمرهم بينهم شورى بلا نكره
 كانوا يروها كدخان له قتره
 فذاك يوم على الكفار قد نصره
 أتاه في الحجرات الوحي بالخيره
 وشق رب السما للمصطفى قمه
 كم من مجادلة في الحشر محتدوه
 فليس يلقى به غش ولا كدوه
 تغابن طلقوا دنياهم القدره
 كزهده صاحب نون حقق خبره
 والمصطفى سامع الجن الذي جهره
 يوم القيامة للإنسان ما ضميره
 عبوس تكوير شمس فيه منفطره

مطفف الكيل قد بانَّت خسارته في يوم شقّ السّما أبراجها النضرة
كم طارقٍ سبَّح الأعلى بغاشيةٍ والفجر بلدته بالشمس مستره
والليل قُمه ولا تترك صلاةً ضحى يشرح لك الصدر والخيرات مُدّخره
بسورة التين اقرأ أنّها نزلت في ليلة القدر ، والأنوارُ منتشرة
ولم يكن مثل خير الرُّسل أحمدنا منه تزلزلت الكفّارُ والفجرة
بعادياتٍ لها قرع بهامته أعمى التكاثر من قلبٍ له بصره
من كان في عصره همّآزة أبداً يلقاه قبل قريش قاهرٌ قهره
ويلٌ لمانع ماعون تراه غدا مباعداً كوثر الهادي الذي أثره
الكافرون إذا جا نصرُ خالقنا تبا لهم لُعنوا همّ أمة كفره
أخلص ربّ فلق الناس تنجُ إذا يومَ المعاد غدا من شرّة عسره
وصل ربّ على الهادي وعيرته وآله وعلى أصحابه العشره

وممن سلك هذا المنهج الشيخ القلقشندي إذ قال :

عوذت حبي برب الناس والفلق المصطفى المجتبى المملوح بالخلق
إخلاص وجدي له والعذر يقلقني تبّت يدا عاذل قدّ جاء باللق
يهدي لأمتي والنصر يعضده والكافرون وعُدّالي على نسق
هذا له كوثر والدين شرعته والمصطفى من قريش دينٌ وتقي
ألم ترّ المساء قد سحّت أصابعه ويلٌ لكلّ جهول بالنبي وشقي
في كلّ عصر ترى آياته كثرت أضحى تكاثُرُها في سائر الألق
وعند قارعة فهو الشفيعُ لنا والعاديات من الأجفان في طلق
وزلزلت من غرامي كلّ جارحة وكلّ بينة تحكي لكم علق
يا عالي القدر رفقا مسّي ضرر فالله قد خلق الإنسان من علق

ولو دعا التين والزيتون جاء له
يبدو كشمس الضحى والليل طرته
إني بغاشية لولاك يا أملي
كم طارق منك بالإحسان يطرقني
وفي انشقاق فؤادي عبء ، وبه
والانفطار به مما يكابده
والصب في عبس والنازعات به
ومرسلات دم الإنسان جارية
وبالمدثر إني ماسك أبداً
فالجن والإنس في خير بيعته
وفي المعارج معراج الرسول علا
والله مرسله في نون بشره
وجاء بالحل والتحريم أمته
وفي التغابن تجار به ربوا
يا صاحب الجمعة الغراء يا أملي
وأنت في الحشر عوني في مجادلتي
وعند واقعة إن كان لي رمتي
لم أرع يا قمرى للنجم في سهر
قلبي الكليم غدا للطور مرتقياً
وقاف يعجز عن حمل الغرام بكم
إننا فتحنا قتالاً للعدول فني
دخان زخرف ما العدال فيه هبا

والشرح عنه^١ طويل غير مختلق
كالشمس في بلد والفجر في أفق
أنت الشفيع إلى الأعلى وخير تقي
مثل البروج أنى في أحسن الطرق
ويل من الصد ، والأجفان في أرق
والشمس قد كورت في القلب ذي الحرق
وقد أنى نبأ من دمه الغدق
إلى القيامة من دمعي ومن حرق
وبالمزمل إن أجمت بالعرق
هذا ونوح به أنجي من الغرق
حقاً ، وفي حاقة كثر لمخترق
والمثلك بخيره حتى رأى ولقي
وبالطلاق من الدنيا لمنطلق
إذ المنافق في خسر وفي نفق
في الصف عند امتحاني أنج من زلقي
عسى تزيل حديد النار من عنقي
فاشفع إلى ربك الرحمن من رمتي
إلا لعلك من نار الجحيم تقي
ودر دمي غدا بالذاريات سقي
وليس في حجرات الدمع من رمي
أحقاف جائية في الغيظ والخنق
شوراي تركه في أنف محرق

وعزّ مَنْ فُصِّلَتْ في مدحه سور
فغافر الذنب كم أهدي به زُمرّاً
وليس غيرك في الصافات أقصده
يا فاطراً قَدْ سبّ الأحزاب طلعت
لقمان يشهدُ أنّ الروم تعرفه
هذا ولي قصص بالنمل قد كتبت
تبارك الله من بالنور كلله
يا أيّها الأنبياء طه ختامكم
لاذوا بكهف لهم سبحان خالقه
فالركن والحجر حقاً قد أضاء له
والله ربّي برعب الرعد ينصره
فيوسف مع هود والخليل إذا
لتوبّي أرتجي الأنفال منه غداً
أعراف أنعام إنعام له اشتهرت
كلّ النساء تلد مثل الرسول إذا
أعطيت خاتمة من سورة البقرة
فأنت فاتحة الأنبياء وخاتمهم
والقلقشندي محبّ قال سيرته
فاقبل هدية عبدٍ أنت مالكة
صلى عليك إله العرش ما طلعت

نبيّنا المصطفى الهادي إلى الطرقِ
وكمّ سقى كفتهُ صادٍ بمندقي
وأنت ياسين لي من سائر الفرقِ
كم سجدة لك في الأسحار والغسقِ
والعنكبوت فقد سدت عن الغلقِ
هامت بها الشعرا في خدّه اليقيني
قد أفلح الحجّ لما زاره فوقّي
ويا ابن مريم خذ من مسكه العبقِ
حتى أتى الأمر بعد الخوف والفرقِ
وذاك دعوة لإبراهيم ذي الخلقِ
مسير شهر بلا سيف ولا درقِ
ويونس شربوا من كأسه الدهقِ
فلأتني رجلٌ أضحيت في قلقِ
وكم لمائدة أسدى لمرتزقِ
فينا وفي آل عمران ولم تُطقِ
لَمْ يُعْطَها أحد فيما مضى وبقي
وكلّهم قَدْ أنوا بالود والملقِ
في مدح خير الوري المملوح بالخلقِ
وانظر إليه فإنّ العبد في قلقِ
ورّقا على فنّنٍ والورق في الورقِ

وهذه القصيدة وإن لم تلحق بلاغة قصيدة ابن جابر فهي ممّا يُتبرك به ،
والأعمال بالنيات .

ووقفت على أخرى من هذا النمط هي بالنسبة إلى هذه كنسبة هذه إلى

قصيدة ابن جابر ، وهي :

بحمد إله العرش أستفتح القولا . وفي آية الكرسي أستمنح الطولا
 وفي آل عمران أتى ذكر أحمد . نساؤهم بالعقد قد أنعموا القولا
 بأعراف رحماه بأنفال جوده . شرفنا وفُضِّلنا وتبنا إلى المولى
 له يونس نادى وهود ويوسف . وذاكره في الرعد لا يسمع الهولا
 ودعوة إبراهيم كان محمد . وفي الحجر خير الخلق قد فضل الرسلا
 له أمة كالنحل قد صبح فضلهم . فسبحان من أسرى بأحمدنا ليلا
 علا فضله والناس في كهف نيله . ومريم في الأخرى يكون لها بعلا
 وطه له فضل على الخلق كلهم . ولكن جميع الأنبياء علا فضلا
 ولولاه ما حُجَّ المقامُ وكعبة . فأفلح من قد طاف فيها ومن حلا
 ومن نوره الوهاج كل منور . وفرقانه قد أحمد الكفر والبُطلا
 ترى الشعرا كالنمل حول محمد . إذا قصص في العنكبوت لهم تلى
 علا ديننا روما ولقمان عالم . بأن السيوف أسجدت كل من ضلّا
 والاحزاب يسبهم بحكمة فاطم . وياسين قد صفّت له الملائ الأعلّى
 وصاد جميع الكافرين بزمرة . له غافر في الحرب قد فصلت فصلا
 وشوراه في الدنيا بها كل زلفة . وقد زخرف الكفار في دينهم جهلا
 لقد رأوا الدخان حول بيوتهم . بجائية الأحقاف قد قتلوا قتلا
 محمدنا لم يخلق الله مثله . وفي الحجرات فضله أبدأ يتلى
 وقد أنزل الجبار قافاً بذكره . كما تذر الكفار ريح بها تبلى
 بطور سما والنجم ما ضوء أحمد . كما قمر بل نور خير الورى أجلى
 به الله رحمن وفي وقعة ترى . حديدآ به الكفار يحلهم جدلا

وقد سمع الغفار دعوة أحمد
صفقنا بجمع للأعادي فمنهم
يرى غيبته في الخير منهم مطلق
لأحمد ملك لا يوازيه سيد
بحق لقد سالت أبا طح مكتة
صحيح بأن الجن جاءت لأحمد
للدثر فضل القيامة واضح
وعم يجدوا فلا من منازع
لقد كورت شمس بها انفطر السما
ولكن بروج الجو تزهو بأحمد
وغاشية كال فجر حلت ببلدة
وفاق البضحى حقاً جين محمد
فأقسم بالتين الذي عم نفعه
ألم يكن الكفار قد ضل سعيهم
وقارعة جلت وألهام الهوى
ألم تر أن الله فضل أحمداً
أريت بأن الكوثر العذب خصه
لقد نصر الرحمن ربي محمداً
فيا أحد إنني بفضلك عائد

بحشر ، ولكن بامتحان به تبلى
مناق إن الكفر في درك سفلى
ولكن من يحرم نعيماً فقد ضللاً
ونون لقد قلنا مقالاً به استعلى
بفضل الذي قد كان نوح به استعلى
ومزمل كان الغمام له ظلاً
أناه ، وجمع المرسلات حوت سبلا
فحيث تراه لا عبوساً ولا بخلاً
لويل أتى الكفار وانشق واستولى
وفي طارق الأفلاك فضله الأعلى
بها حرم أمن كشمس جلت ليلاً
كما بانشرح الصدر قد خصه المولى
وبالقلم الأعلى لقد ر له أعلى
وقد زلزلوا بالعاديات كما يتلى
ووالعصر إن الويل يقرهم نزلاً
لأمن قريش حيثما سلكوا السبلا
به ، وجميع الكفر لن يردوا أصلاً
فأردى أبا هب ولم يكتسب نيلاً
إذا غسق الديجور ناديت يا مولى

ولم أقف على غير هذه الأبيات من هذه القصيدة ، وقد سقط منها كما رأيت
سورة الناس ، فقلت مكملًا على نمطه :

ويا مالكا للناس إنني لا أئذ بعفوك فاغفر عمن عبك والجهلا

ويا رب عاملنا بما أنتَ أهله . من الجود والرحمى وإن لم نكن أهلاً
وصَلِّ على مسك الختام محمد أتمَّ صلاة تملأ الحزنَ والسهلاً

[خطبة لعياض يورّي فيها بأسماء السور]

وتذكرت بهذا الموضع خطبة القاضي أبي الفضل عياض التي ضمّنها سور
القرآن على المهيع الماضي آنفاً ، وهي : الحمد لله الذي افتتح بالحمد كلامه ،
وبين في سورة البقرة أحكامه ، ومد في آل عمران والنساء مائدة الأنعام ليتمّ إنعامه ،
وجعل في الأعراف أنفال توبة يورّس وألر كتاب أحكمت آياته بمجاورة يوسف
الصدّيق في دار الكرامة ، ونسّج الرعد بحمده ، وجعل الناز برداً وسلاماً على
إبراهيم ، ليؤمن أهل الحجر أنّه إذا أتى أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ
إلاّ إليه ولا يُظلمون قلامه ، وجعل في حروف كهيعص سرّاً مكنوناً قدم بسببه
طه صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء ليظهر لإجلاله وإعظامه ، وأوضح الأمر
حتى حج المؤمنون بنور الفرقان والشعراء صاروا كالنمل ذلاًّ وضغاراً لعظمته ،
وظهرت قصص العنكبوت فأمن به الروم ، وأيقنوا أنّه كلام الحي القيوم ،
نزل به الروح الأمين على زَيْن مَنْ وافى القيامة ، وأفصح لقمان الحكمة بالأمر
بالسجود لرب الأحزاب فسبا فاطر السموات أهل الطاغوت ، وأكسبهم ذلاًّ
وخزياً وحسرة وندامة ، وأمدّ ياسين صلى الله عليه وسلم بتأييد الصافات
فصاد الزمر يوم بدره وأوقع بهم ما أوقع صناديدهم في القلب مكدوس ومكبوب
حين شالت بهم النعمامة ، وغفر غافر الذنب وقابل التوب للبدرين رضي الله
عنهم ما تقدم وما تأخر حين فصلت كلمات الله فذل من حقت عليه كلمة
العذاب وأيس من السلامة ، ذلك بأن أمرهم شورى بينهم وشغلهم زخرف
الآخرة عن دخان الدنيا فجثوا أمام الأحقاف لقتال أعداء محمد صلى الله عليه
وسلم يمينه وشماله وخلفه وأمامه ، فأعطوا الفتح وبوّقوا حجرات الجنان وحين

تلوا ﴿قاف والقرآن المجيد﴾ وتدبروا جواب قسم الذاريات والطور لاح لهم نجم الحقيقة وانشق لهم قمر اليقين فنافروا السامة ، ذلك بأنهم آمنهم الرحمن إذا وقعت الواقعة واعترف بالضعف لهم الحديد وهُزم المجادلون وأخرجوا من ديارهم لأول الحشر يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين حين نافروا السلامة .

أحمدته حمدًا من امتجنته صفوف الجموع في نفق التغابن فطلق الحرمات حين اعتبر الملك وعامه ، وقد سمع صريف القلم وكأنه بالحاقة والمعارض يمينه وشماله وخلفه وأمامه ، وناح نوح الجن فترمل وتدثر فترقا من يوم القيامة ، وأنس بمرسلات النبيل فترزع العبوس من تحت كور العمامة ، وظهر له بالانفطار التطفيف فانشقت بروج الطارق بتسيح الملك الأعلى وغشيت الشهامة ، فارب الفجر والبلد والشمس والليل والضحى لقد انشرفت صدور المتقين ، حين تلوا سورة التين ، وعلق الإيمان بقلوبهم فكل على قدر مقامه يبين ، ولم يكونوا بمنفكين دهرهم ليله ونهاره وصيامه وقيامه ، إذا ذكروا الزلزلة ركبوا العاديات ليطفنوا نور القارعة ، ولم يلهم التكاثر حين تلوا سورة العصر والهمزة وتمثلوا بأصحاب الفيل فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، أرايتهم كيف جعلوا على رؤوسهم من الكور عمامة ، فالكور مكتوب لهم والكافرون خذلوا وهم نصروا وعدل بهم عن لب الطامة ، وبسورة الإخلاص قروا وسعدوا وبرب الفلق والناس استعاذوا فأعينوا من كل حزن وهم غم وندامة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة نال بها منازل الكرامة ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ما غردت في الأيك حماسة ؛ انتهت .

وممن نسبها للقاضي عياض الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي جمعة الوهراني ، وفي نفسي من نسبتها له شيء لأن نفس القاضي في البلاغة أعلى من هذه الخطبة ، والله تعالى أعلم .

وكنيت رأيت بتلمسان المحروسة بخط عمي ومفيدي ولي الله تعالى العارف

المعروف بشيخ الشيوخ الإمام المقتي الخطيب سيدي سعيد بن أحمد المقتري -
صَبَّ الله عليه سجال الرضوان - خطبة من هذا النمط نصّها :

[خطبة على مثالا لأبي جعفر الطنجالي]

الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ليصطفى من آل عمران
رجالاً ونساء وفضلهم تفضيلاً ، ومدّة مائدة أنعامه ورزقه ليعرف أعراف أنفال
كرمه وحقّه على أهل التوبة وجعل ليونس في بطن الحوت سبيلاً ، ونجّى هوداً
من كربته وحزنه ، كما خلّص يوسف من سجنه وجبّه ، وسبّح الرعد بحمده
ويمنه ، واتخذ الله إبراهيم خليلًا ، الذي جعل في حجر الحجر من النحل شراباً .
نوع باختلاف ألوانه ، وأوحى إليه بحفيّ لطفه سبحانه ، واتخذ منه كهفاً قد
شيد بنيانه ، وأرسل روحه إلى مريم فتمثل لها تمثيلاً ، وفضل طه على جميع
الأنبياء فأتى بالحج والكتاب المكنون ، حيث دعا إلى الإسلام قد أفلح المؤمنون ،
إذ جعل نور الفرقان دليلاً ، وصدّق محمداً صلى الله عليه وسلم الذي عجزت
الشعراء عن صدق نفعه ، وشهدت النمل بصدق بعثه ، وبين قصص الأنبياء في
مدة مكثه ، ونسج العنكبوت عليه في الغار سترًا مسدولاً ، وملئت قلوب الروم
رعباً من هيئته ، وتعلم لقمان الحكمة من حكمته ، وهدى أهل السجدة للإيمان
بدعوته ، وهزم الأحزاب وسباهم وأخذهم أخذاً ويلاً ، فلقبه فاطر السموات
والأرض بيامين كما نفذ حكمه في الصافات ، وبين صاد صدقه بإظهار المعجزات ،
وفرق زمر المشركين وصبر على أقوالهم وهجرهم هجراً جميلاً ، فغفر له غافر
الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وفصلت رقاب المشركين إذ لم يكن أمرهم
شورى بينهم وزخرف منار الإسلام وخفي دخان الشرك وخرّت المشركون
جاثية كما أندر أهل الأحقاف فلا يهتدون سبيلاً ، وأذل الذين كفروا بشدة القتال
وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز ، وحجر الحجرات الحريز ، وبقاف القدرة

قُتِلَ الْخِرَاصُونَ تَقْتِيلًا ، كَلَّمَ مُوسَى عَلَى جَبَلِ الطُّورِ ، فَارْتَقَى نَجْمٌ مُحَمَّدٌ صَلَّى
الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاقْتَرَبَتْ بِطَاعَتِهِ مِبَادِي السَّرُورِ ، وَأَوْقَعَ الرَّحْمَنُ وَاقِعَةَ الصَّبْحِ
عَلَى بَسَاطِ النُّورِ ، فَتَعَجَّبَ الْحَدِيدُ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَكَثُرَتْ الْمَجَادِلَةُ فِي أَمْتِهِ ، إِلَى أَنْ
أُعِيدَ فِي الْحَشْرِ بِأَحْسَنَ مَقِيلًا ، اِمْتَحَنَتْهُ فِي صَفِّ الْأَنْبِيَاءِ وَصَلَّى بِهِمْ إِمَامًا ،
وَفِي تِلْكَ الْجُمُعَةِ مَلَتْ قُلُوبُ الْمُنَافِقِينَ مِنَ التَّغَابُنِ خَسْرًا وَإِرْغَامًا ، فَطُلِقَ وَحُرِمَ
تَسَارُفُهُ الَّذِي أَعْطَاهُ الْمَلِكُ وَعَلَّمَ بِالْقَلَمِ وَرَتَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ، وَعَنْ عِلْمِ الْحَاقَّةِ كَمْ
سَأَلَ سَائِلٌ فَسَالَ الْإِيمَانُ ، وَدَعَا بِهِ نُوحٌ فَنَجَاهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الطُّوفَانِ ، وَأَتَتْ إِلَيْهِ
طَائِفَةُ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ : يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ،
فَكَمْ مِنْ مَدْنٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَقَةً عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا أُرْسِلَ مَرَسَلَاتِ الدَّمْعِ فَعَمَّ
يَتَسَاءَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ ، وَمَا تَقْبَلُ مِنْ نَازِعَاتِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا عَبَسَ عَلَيْهِمْ
مَالِكٌ وَتَوَلَّاهُمْ بِالْعَذَابِ ، وَكَوَّرَتْ الشَّمْسُ وَانْفَطَرَتْ السَّمَاءُ وَكَانَتْ الْجِبَالُ
كُثْبًا مَهِيلًا ، فَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ إِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ، وَطُوِيَتْ ذَاتُ الْبُرُوجِ
وَطُرِقَ طَارِقُ الصُّورِ بِالنَّفْخِ لِلْقِيَامِ ، وَعَزَّ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى لَغَاشِيَةِ الْفَجْرِ فَيَوْمَئِذٍ
لَا بِلَدٍ وَلَا شَمْسٍ وَلَا لَيْلٍ طَوِيلًا ، فَطُوبَى لِلْمُصَلِّينَ الضَّحَى عِنْدَ انْشِرَاحِ
صُدُورِهِمْ إِذَا عَايَنُوا التِّينَ وَالزَّيْتُونَ وَأَشْجَارَ الْجَنَّةِ فَسَجَدُوا بِاقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ هَذَا النَّعِيمَ الْأَكْبَرَ لِأَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ مَا أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَتَبَتَّلُوا
تَبْتِيلًا ، وَلَمْ يَكُنْ لِلدِّينِ كُفْرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ الزَّلْزَلَةِ مِنْ صَدِيقٍ وَلَا
حَمِيمٍ ، وَتَسَوَّقَهُمْ كَالْعَادِيَاتِ إِلَى سِوَاءِ الْجَحِيمِ ، وَزَلْزَلَتْ بِهِمْ قَارِعَةُ الْعِقَابِ وَقِيلَ
لَهُمْ : أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ، هَذَا عَصْرُ الْعِقَابِ الْأَلِيمِ وَحُثِّرِ الْمُحْمَرَّةَ وَأَصْحَابِ
الْقَيْلِ إِلَى النَّارِ فَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ، وَقَالَتْ قَرِيشٌ : مَا أَمْنَمَ مِنْ هَوْلِ
الْمَحْشَرِ ، أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالْدِّينِ كَيْفَ طُرِدَ عَنِ الْكُوثرِ ، وَسِيقَ الْكَافِرُونَ
إِلَى النَّارِ وَجَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ فَتَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ إِذْ لَا يَجِدُ إِلَى سُورَةِ
الْإِخْلَاصِ سَبِيلًا ، فَنَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَنَعُوذُ بِرَبِّ
النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي فَسَقَ ، وَنَتُوبِ

إليه ، ونتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلاً ، انتهى :
وهي من إنشاء الفقيه الجليل الشريف الكامل أبي المجد عبد المنعم ابن
الشيخ الفقيه العدل أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي
رحمه الله تعالى ونفعنا به وبسلفه الطاهر .

[عود إلى نظم ابن جابر]

ومن نظم ابن جابر المذكور قوله :
جعلوا لأبناء الرسول علامة^١ إنَّ العلامةَ شأنٌ منْ لم يُشهرِ
نورُ النبوةِ في كريم وجوههم يعني الشريفَ عن الطراز الأخضرِ
وفي هذا المعنى يقول شمس الدين^٢ الدمشقي :

أطرافُ تيجانٍ أنت من سندسٍ خضري بأعلامٍ على الأشرافِ
والأشرفُ السلطانُ خصَّصَهُمُ بها شرقاً لثرفهم من الأطرافِ

والأشرف المذكور هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون
الصالح الألفي ، رحمه الله تعالى .
وقال الرحالة ابن بطوطة في رحلته عند ذكر سلطان ماردين ابن الملك الصالح
ابن الملك المنصور ما نصّه^٣ : وله المكارم الشهيرة ، وليس بأرض الشام والعراق

١ ق : وبسلفه .

٢ ق : شمس الدين الحزني .

٣ رحلة ابن بطوطة : ٢٣٨ ، وقال ابن بطوطة في الملك المنصور وأله الملك الصالح : كان كريماً
شهير الصيت ولي الملك بها (أي بماردين) نحو خمسين سنة وأدرك أيام قازان ملك التتر وصاهر
السلطان غدابنده بابنته ديار خاتون .

ومصر أكرم منه ، يقصده الشعراء والفقراء فيجزل عطاياهم جرياً على سنن أبيه ،
قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الأندلسي الهواري الكفيف مادحاً فأعطاه
عشرين ألف درهم ؛ انتهى .

ومن شعر ابن جابر رحمه الله تعالى :

وفي الخيامِ وَمَنْ لِي بالخيامِ رَشَاءٌ لا أحسبُ البدرَ في حُسْنٍ يقاومُهُ
مثلُ الغزالةِ إن تاهتْ وإن طلعتْ فكيف يصرفُ عنه الصبُّ لائمهُ

وقوله رحمه الله تعالى :

في القلبِ من حبِّكم بدرٌ أقام بهِ فالطرفُ يبصرُ نوراً حين يبصرُهُ
تشابهه المقدُّ حسناً فوق لبَّتهِ والثغرُ نظماً إذا ما لاحَ جوهرُهُ

وقوله :

ردفٌ أقام لنا بها فنَّ الهوى وإذا أنت لتقومَ قالَ لها اقعدِي
أبصرتها ما بينَ ذاكَ وبينَ ذا فوقعتُ منها في المقيمِ المقعدِ

وقوله :

سامحَ بالوصلِ على بخلهِ وقال لي أنت بوصلي حقيقُ
فقلتُ ما رأيك في نزهةِ ما بينَ كاساتِ وروضِ أنيقِ
فقال يعني خده واللمى : هذا هو الروضُ وهذا الرحيقُ
فبتُ منْ دمعي ومن خده ما بينَ نعمانٍ وبين العقيقِ
وإذ تذلتُ على حبِّه قال : أما تخشى ؛ أما تستفيقُ ؟
قدي وخدي خفَّهما يا فتي هذا هو الرمحُ وهذا شقيقُ

وقوله :

وَقَفَّتْ لِلوداعِ زَيْنَبُ لَمَّا رَحَلَ الركبُ والمدامعُ تُسْكَبُ
مَسَحَتْ بالبنانِ دَمْعِي ، وحلَوُ سَكْبُ دَمْعِي على أَصَابِعِ زَيْنَبُ

رجع إلى أولاد لسان الدين رحمه الله تعالى :

ومن قصيدة موشحة لابن زمرك يخاطب بها شيخه وغدومه الوزير لسان
الدين ابن الخطيب قبل أن يظلم الجوّ بينه وبينه ، جواباً عن رسالة خاطب بها
لسان الدين ابن الخطيب أولاده صدر نظم له لم يحضرني ذلك الآن قوله :

ما لي بحملِ الهوى يَدَانِ مِـنْ بَعْدِ ما أَعُوْزَ التَّدَانِ
أَصْبَحْتُ أَشْكُوهُ مِنْ زَمَانِ ما بَتُّ مِنْهُ على أَمَانِ
ما بالُ عَيْنِيكَ تَسْجَمَانِ والدَمْعُ يَرْفُضُ كَالْحِمَانِ
ناداك والإلفُ عَنْكَ وَإِنْ والبَعْدُ مِنْ بَعْدِهِ كَوَانِي
يا شَقَّةَ النَّفْسِ مِنْ هَوَانِ بَلَّحَجَ فِي أَبْجَسِ الهَوَانِ
لم يَثْنِهِ عَنْ هَوَاكَ ثَانِ يا بَغِيَّةَ الْقَلْبِ قَدْ كَفَانِي

وقال بعض الحفاظ في ترجمة أبي الحسن علي بن لسان الدين بعد أن ذكر
روايته عن أبيه وابن الجياب وابن مرزوق : إنه أخذ عن جماعة غيرهم ،
كالشريف القاضي الفقيه أبي علي الحسن بن يوسف بن يحيى بن أحمد الحسيني
السبتي نزيل تلمسان ، والفقيه الإمام العلامة قاضي الجماعة بفاس وكبير العلماء
بالمغرب أبي عبد الله محمد المقرئ التلمساني القرشي ، والشريف العالم أبي القاسم
محمد ابن الفقيه العالم المعلم لكتاب الله تعالى أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن
عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن
القاسم بن الحسن بن إدريس بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي
الله تعالى عنهم ، وليس لإدريس المذكور هنا بملك المغرب وجدّ الأدارسة .

قال : وروى أيضاً عن القاضي ابن شبرين الإشبيلي ثمّ السبتي نزيل غرناطة ،
والقاضي أبي البركات البليقي ، والكاتب صاحب القلم الأعلى أبي جعفر ابن صفوان
القيسي المالكي ، وابن خاتمة ، والفقير الحاج أبي القاسم محمد ابن الفقيه الصالح
العالم أبي عمرو يحيى ابن الفقيه الصالح أبي القاسم محمد الغساني الرحبي نزيل
فاس ، وغيرهم ممن يطول تعدادهم من الأئمة الأعلام ، نجوم الإسلام ، انتهى .

[خطبة للكفعمي في تبيين أسماء السور]

وقد وقفت للكفعمي رحمه الله تعالى في شرح بديعته على خطبة وقصيدة من
هذا النمط . قال رحمه الله تعالى ما نصه :

ولنختم الخاتمة بخطبة وجيزة ، في فنّها عزيزة ، وجعلناها في مدح سيد البرية ،
وتورياتها في السور القرآنية ، فكن لسورها قارياً ، ولما راجها راقياً ، وعلّ
وانهل من شرايها السكري ، وفكه نفسك بتسجيها النميري ، وهي هذه :
الحمد لله الذي شرف النبي العربي بالسبع المثاني وخواتيم البقرة من بين الأنعام ،
وفضل آل عمران على الرجال والنساء بما وهب لهم من مائدة الأنعام ، ومنحهم
بأعراف الأنفال وكتب لهم براءة من الآثام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له الذي نبّئ يونس وهوداً ويوسف من قومهم برّعد الانتقام ، وغلّ
إبراهيم في الحجر بلعاب النحل ذات الإسراء فضاهى كهف مريم عليها السلام ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي هو طه الأنبياء وحج المؤمنين ونور فرقان
الملك العلام ، فالشعراء والنمل بفضلهم تخبر ، ولقصص العنكبوت الروم تذكر ،
ولقمان في سجده يشكر ، والأجزاء كأيا دي سبأ تُقهر ، وفاطر يس لصافاته
ينصر ، وصاد مقلة زمره تنظر الأعلام ، قال حم بقتال فتحة في حجرات قافه
قد ظهرت ، وذاريات طوره ونجمه وقمره قد عطرّت ، وبالرحمن واقعة حليده
يوم المجادلة قد نصرت ، وأبصار معانديه في الحشر يوم الامتحان حسرت ،

وصفّ جمعته فائز إذ أجساد المنافقين بالتغابن استعرت ، وله الطلاق والتحريم
ومقام الملك والقلم فتاهيك به من مقام ، وفي الحاقة أعلى الله له المعارج على نوح
المتطهر ، وخصته من بين الإنس والجن يا أيّها المزمل ويا أيّها المدثر ، وشقّعه
في القيامة إذا دمّوع الإنسان مرسلات كالماء المتفجر ، ووجهه عند نبأ النازعات
وقد عبس الوجه كاهلال المتنور ، ويوم التكوير والانفطار وهلاك المطففين
وانشقاق ذات البروج بشفاعته غير متضجر ، وقد حرس لمولده السماء بالطارق
الأعلى وتمت غاشية العذاب إلى الفجر على المردة اللثام ، فهو البلد الأمين وشمس
الليل والضحي المخصوص بانسراح الصدر ، والمفضل بالتين والزيتون المستخرج
من أمشاج العلق الطاهر العلي القدر ، شجاع البرية يوم الزلزال إذ عاديات القارعة
تلوس أهل التكاثر ومشركي العصر ، أهلك الله به الهُمزة وأصحاب القيل
إذ مكروا بقريش ولم يتواصوا بالحقّ ولم يتواصوا بالصبر ، المخصوص بالدين
الحنيفي والكوثر السلسال والمؤيد على أهل الجحد بالنصر ، صلى الله عليه وعلى
آله وأصحابه ما تبّت يدا معاديه ، ونعم بالتوحيد مواليه ، وما أفصح فلق الصبح
بين الناس وامتد الظلام .

[قصيدة على مثاها للكفعمي]

ولنشفع هذه الخطبة بقصيدة على سور القرآن ، في مدح سيد ولد عدنان ،
يحسن هنا أن ننضي عن فرائد نقائسها لطلابها ، ما أغدق من خمرها وستورها ،
ونجّلني عن خرائد عرائسها لخطابها ، ما أسدق من غررّها في خلدورها ،
فانظر إلى سور أبياتها وصور تورياتها ، ثم ادّعهن يأتينك سعيًا ، فحفظاً لها
ووعياً ، وهي هذه :

يا مَنْ له السبعُ المثاني تنزلُ وخواتم البقرة عليه تنزلُ
في آل عمران النساء لم تلد كنظيره الأجساد ذلك تفعل

مولى له الأنعام والأعراف وال
 بعُلاه توبة يونس قبلت كذا
 وكذلك إبراهيم في حجر له
 يا كهف مريم أنت طه الأنبيا
 يا نورُ يا فرقانُ يا مَنْ مدحه
 والنملُ في قصص الحديث به دعت
 والروم تلو إسمه ولكم به
 وبعزمه الأحزاب جمعهم سباً
 يس سمّاه الإلهُ بذكره
 يا لَيْثِي صَادٍ شربت بكأسه
 كم مؤمنٍ قد فُصِّلَتْ أعلامه
 ودخان جائية على أحقادها
 حجراتُ قاف ذارياتُ سمائه
 ودنا له القمرُ المنيرُ وشقّه الـ
 زَعَفُ الحديد بحربه أصواتها
 وله لدى الحشر العظيم شفاعَةٌ
 عن ضَفٍّ جمعته المنافقُ نائياً
 يا مَنْ به شُرِعَ الطلاقُ ومن له الـ
 يا من به ذو النون لاذ يئمنه
 يا من سأل نوحٌ بظاهر إسمه
 مدثّرٌ يوم القيامة شافعٌ
 يا مَنْ نزولُ المرسلات بيعته

أنفال والحِكم التي لا تُجهل
 هود ويوسف رعدهم يتجلجل
 والنحل في الإسرا عليه تعولُ
 والحج ثم المؤمنون الأفضل
 نطقت به الشعراء وهو المرسل
 وعليه نسجُ العنكبوت يهدل
 لقمان حقّاً في المضاجع يسأل
 وبه الملائكة الكرامُ تفضل
 وكواكبُ بسعوده لا تأفل
 وعليه في زُمرٍ وردت فأنهل
 من زخرفٍ يحدّاه يا من يعقل
 بقتاله أطفئ وفتح أدخل
 في طورها نجمٌ منيرٌ يكمل
 رحمنٌ واقعةً له لا تُجهل
 رعدٌ مجسّدةٌ لقومٍ أبسّوا
 في أمةٍ بالإمتحان تسربلوا
 يوم التغابن من حديد ينعل
 تحريمٌ والملكُ العظيمُ الأكل
 لما أصيب بحاقة لا تعدل
 يا من أته الجنُ يا مزمل
 وغلّص الإنسان وهو المثل
 يا أيها النّبأ العظيمُ الأكل

والنازعات نزعن نفسَ عدوة
وهو الشفيع إذا المنيرة كوّرت
ولدى ذوي التطفيف ويَلِّ السّما
والله قد حرس السماء بطارق
وأزال غاشية العذاب ونوره
بلدٌ أمين ثم شمس أشرقت
شمس الضحى من وجهه ولصدره
يا من أتى في التين حقاً ذكره
يا من ليالي القدر بيّنة له
بالعاديات أزال قارعة العدا
ولقد أتى من قبل عصر نبينا
هو صاحب الإيلاف والدين الذي
والكافرون لنصره في جيدهم
يا خاتماً فلّق الصباح كوجهه^١
أبياتها ميقات موسى عدّة^٢
صلّى عليه الله مع أصحابه^٣

هذا ، وقد عبس الجبين وأذهلوا
والإنفطار من السماء يعجل
في الإنشقاق إذ البروج تبدل
لولادة الأعلى به يفضل
كالفجر إذ أنواره تتهلّل
والشعر ضاهى الليل بل هو أليل
الأنشراح ، وقلبه لا يغفل
فاقرأ ولا يرتاب فيه ، واسألوا
وعداه بالزلزال منه تزلزلوا
وبقوله الهاكم ما تجهل
ويل لأهل الفيل منه وقتلوا
يُسقى غداً من كوثر يتسلسل
مسد إذا التوحيد عنه تعدل
والناس منه مكبر ومهلّل
والكفعمي بمدحه يتجمل
ما زال طير العندليب يعندل

[ترجمة الكفعمي]

والكفعمي هو إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد بن صالح نسبة إلى كفر
عيما^٣ قرية من قرى أعمال صفد ، كما تقول في النسبة إلى بني عبد الدار :

١ ق : بوجه .

٢ ق : ثم صحابه .

٣ في ق والتجارية : هتما ، والكفعمي نسبة إلى كفر عيما إحدى قرى جبل عامل ، كما ذكره صاحب =

عبدري ، وإلى حصن كيفا : حصكفي ، وشرحه لبديعته سماه نُور حَدَقَة
البديع ونُورُ حَديقَةِ الربيع «^١ وما رأيت مثله في سعة الحفظ والجمع .

ومن نظمه في أسماء الكتب :

يا طريقَ النجاةِ بحرَ فلاح	أنتَ دفعُ المومِ والأحزانِ
أنتَ أنسُ التوحيدِ عِدَّةُ دَاعٍ	ثم روحُ الإحيا وفلكُ المعاني
نهجَ حيٍّ ونثرُ درٍّ نبيِّه	ورِياضُ الآدابِ ذكري البيانِ
فاتقُ رائعَ مسرةٍ راضٍ	متهى السؤلِ جامعٌ للأمانِ
نزهةٌ عِدَّةٌ ظرائفُ لطفٍ	روضةٌ مبهجُ جنانِ الجنانِ
زاهرٌ كاملٌ شهابٌ وكثر	مجتنى من ذخيرةِ الإخوانِ
فصباحُ الألفاظِ فيه تلقى	وشلورُ العقودِ والمرجانِ
وهو قوتُ القلوبِ نهجُ جنانِ	وكنوزُ النجاحِ والبرهانِ

فناسب بين أسماء الكتب ، وقصدُه غيرُ ذلك ، وأكثر هذه الكتب التي
ورأى بها غير موجودة بأيدي الناس ، بل ولا معروفة لديهم ، وهذا دليلٌ على
سعة اطلاعه .

ومن بدائع الكفعمي المذكور رسالة كتبَ بها إلى قاضي القضاة العالم العلامة
أبي العباس ابن الفرفور^٢ في شأن أستاذ دار قاضي القضاة المذكور الأمير علاء

= روضات الجنات (٧) نقلا عن بهاء الدين العاملي ، والنسبة الشائمة إليها كفعيماوي . والمترجم به
إمامي المذهب ، وله كتب وأشعار وتصانيف منها : كتاب جنة الأمان الواقعة المشتهر باسم المصباح
وكتاب البلد الأمين والدروع الحصين وكتاب نهاية الأرب في أمثال العرب وغيرها ، وقد توفي سنة
٩٠٥ .

١ ذكره حاجي خليفة (١٩٨٢) وأوله : الحمد لله الذي شيد بليان صرح البيان .
٢ هو شهاب الدين أحمد بن محمود بن عبد الله بن محمود الشهير بابن الفرفور الدمشقي الشافعي (٨٥٢ -
٩١١) ولي قضاء القضاة الشافعية بدمشق ثم جمع له بينه وبين قضاء مصر سنة ٩١٠ فأتاب حته
بدمشق ولده ولي الدين (الكواكب السائرة ١ : ١٤١) .

الدين ، ويخرج من أثنائها قصيدة منها : يقبل الأرض وينهي (سلام) عبد لكم
(عجب) وعلى المقة مكب (لو بدا) للناظرين (عشر) معشار (شوقه)
وغرامه (لطبق) ذلك (ما بين) آفاق (السماوات) السبع (والأرض) : لشدة
هيامه (تراه) حقاً (لكم) حافياً (بالأمن) والسرون (والسعد) والحبور
(داعياً) لا جرم (وهذا) الثناء المتوالي و (الدعا) للمقام العالي (لا شك)
من لازم الفرض) ملكه الله تعالى أزيمة البسط والقبض ، (وأعجاك) ربي من
المعاطب (في) دينك و (دنياك) وأنتك (من) شر (كل) صغير (شدة)
وكبيرها ، (وأرضاك) ، وجعلك أميناً (في) الأرض ، إلى (يوم القيامة)
والنشور (والعرض ، كما أنت) أمن (لي) من المخاوف و (عون) في كل
شدة (وغوث) وملجأ (وعدة) وأنجحت آمالي (ووفرت) بلإحداكم (لي
مالي) وأحسن قرضي (ووفرت) بإجلالك (لي عرضي ، ويُنهي) المملوك
(إلى) سيده (قاضي القضاة) وكافي الكفاة (بأن) المتولي الأمين (ذا) الفخر
المبين (علي ابن) المرحوم (فخر الدين) قوله (في أمركم) العالي (مرضي)
وفعله مقضي (ومدحكم) عليه (فرض) واجب (قراه) أبداً (لسانه) ويذكر
المناقب (وحبكم) له واختياركم (إياه) دالاً بأنه أمين حليم (شاهده) حقاً
(يقضي) يجعله على خزائن الأرض إنه حفيظ عليم (حديث) مدح (سواكم)
ليس من مدائحه ، و (لا يمر) أبداً (بقلبه) وجوارحه (وإن مرة) في خاطره
(لا يخلو) قطعاً (وحكمكم) عليه شرعاً ، ومرسومكم (يمضي) وأمركم يقضي
(بته) سروراً (به) رؤساء أهل الشام ، ومن في (القيبات) من الأنام ،
(عزة) وعلواً (لخدمته) الشريفة (إياك) ولأته (يا قاضي) بقضاة الدين
و (الأرض) لا يريد سواك ، (فلان يك) الخادم المذكور (في) بعض (أفعاله)
غافلاً (أو) في (مقاله) غير كامل و (عصاكم) في بعض الأمر (فمين
العفو) والستر (عن ذنبه) لا جرم (تغضي) ، وهو بتوبته إليه يقضي ،

و (سلام) الله (عليكم) ورحمته لديكم (كلّما) نطق ناطق أو (ذرّاً) في
المشارك (شارق) وما دارت الأفلاك ، (وسبحت) بلغاتها (الأملاك ، في)
فسيح (الطول و) رحب (العرض) ، دوماً ما بين السماء والأرض .
وهذه أبيات القصيدة المتولدة من هذه الرسالة :

سلام محب لو بدا عُشْرُ شوقه لطبّق ما بين السّموات والأرضِ
تراه لكم بالأمن والسعد داعياً وهذا الدعا لا شك من لازم الفرض
وأُنْجَاك في دنياك من كل شدة وأَرْضَاكَ في يوم القيامة والعرض
كما أنت لي عون وغوث وعدّة ووفرت لي مالي ووفرت لي عِرْضي

هذا ، ويصح أن يقرأ « عوناً » بالنصب على الحالّة ، وهو الذي رأيته
بخطه ، أعني الكفعمي ، ثم قال :

وينهي إلى قاضي القضاة بأنّ ذا عليّ بن فخر الدين في أمركم مَرَضِي
ومدحكمُ فرض قراه لسانه وحبّكم إِيَّاه شاهده يقضي
حديث سواكم لا يمر بقلبه وإن مرّاً لا يحلو وحكمكم يمضي
يَتِيهِ بِهِ أَهْلُ الْقَبِيَّاتِ عِزّة لخدمته إِيَّاكَ يا قاضي الأرض
فإن يكُ في أفعاله أو مقالِه عصاكم فعين العفو عن ذنبه تغضي
سلام عليكم كلّما ذرّاً شارق وسبّحتِ الأملاك في الطول والعرض

قلت : وهذه طريقة بديعة ، وقد تبارى فيها البلغاء ، فبعضهم يعتمد إلى
أحاديث أو آيات وينسج على متواله مثلها ، ويفرقها في أبياته أو سجعاته ، ويكتبها
بلون مخالف للأصل ، وقد ذكرت في روضة الورد من « أزهار الرياض » من
كلام ابن عاصم ما لا مزيد وراءه ، فليراجعه مَنْ أرادَه ، وذكرت في غيره
أيضاً نبذة .

رجع إلى نظم ابن جابر - فمن ذلك قوله :

ناديتُ مَنْ أَسْرِي بهِ بحياة من أَسْرِي بهِ
سلْ مدمعاً تجري بهِ بكنواه في تجريه

وقوله :

أيها العاذلُ في حبي لهُ خلْ نفسي في جَوَاهَا تحرقُ
ما الذي ضَرَكَ منهُ بَعْدَ ما صار قلبي في هواه تحت رِقْ

وله :

بَرْدُ الصَّبَاحِ على بَرْدِ الصَّبَا سَحَرَا ما زالَ يَذْكرني أوقاتِ نَعْمَانِ
لهفي لِعِيشٍ قُضِينَا في معاهدِها ما بينَ حُسْنٍ من الدنيا وإِحْسَانِ

وله رحمه الله تعالى من حسناته المقبولة المضاعفة أيضاً :

جعلتُ ملاكَ العين والقلبِ في الهوى بناطقة القُرْطَيْنِ صامتة القلبِ
تصحَّفُ لي ألحاظُها لِنَ قَدِّها وتقلبُه كيما تصيدَ بهِ قلبي

قال بعض علماء المشرق : أجاد والله هذا العالم المغربي المقلِّد ، وأراد أن
لفظ لين إذا قلب صار « نيلًا » ، وإذا صحَّف صار « نَبْلًا » ، وهذا زيادة
على ما فيه من التحريف ؛ انتهى .

[من شعر أبي جعفر رقيق ابن جابر]

وقريب منه لرقيق المذكور قوله :

يفترُّ عَنْ بَرْدٍ يثير بِيَرْدِهِ حَرَّ الغرام ولا سبيلَ لِرَشْفِهِ
أخذ الرشا من حُسْنه طَرَفًا لذا تَسَبَّ الورى ملح الجمالِ لَطَرَفِهِ

وله :

تَجْرُ فَرْعِيهَا عَلَى لَأَثَرِهَا رَافِلَةٌ فِي حُلَلِ الْحَسَنِ
فَتُطْلَعُ الْبَدْرَ لَنَا فِي الدَّجَى وَتُرْسَلُ الْبَدْرَ عَلَى الْغَصَنِ

وله :

قَدْ نَعَمْنَا بِجَزَعِ نَعْمَانَ لَكِنْ عَقْنَا الْعَبْدَ ، وَالْعَقُوقُ قَبِيحُ
قُلْ لِأَهْلِ الْخِيَامِ أَمَّا فَوَادِي فَجَرِيحُ لَكِنْ وَدِّي صَحِيحُ

وقوله :

مُقَدَّمَاتُ الرَّقِيبِ كَيْفَ غَدَتِ عِنْدَ لِقَاءِ الْخَيْبِ مُتَّصِلَةٌ
تَمْنَعُنَا الْجَمْعَ وَالْخُسُوفَ مَعًا وَإِنَّمَا ذَلِكَ جُنُكُمُ مُشْفِصِلَةٌ

وله يمدح سيد الخلق وخاتم المرسلين ، صلى الله عليه وعليهم أجمعين :

رَحْمَةً أَرْسَلَهُ اللَّهُ لَنَا وَشَفِيعاً قَدْ غَدَا فِينَا غَدَا
وَهَبَ الْمَالَ لِمَنْ مَالَ لَهُ وَفَدَى مِنْ ذَنْبِهِ مَنْ وَقَدَا
لَيْسَ يَحْصِي فَضْلَهُ إِلَّا الَّذِي هُوَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَا

وله :

حَسَنَ النِّيَّةِ مَا اسْطَعْتَ وَلَا تَتَّبِعْ فِي النَّاسِ أَسْبَابَ الْهَوَى
إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، مَنْ يَنْوِ شَيْئاً فَلَهُ مَا قَدْ نَوَى

وله :

قَالَتْ وَقَدْ حَاوَلْتُ نَيْلَ وَصَالِهَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ لَا تَجُوزُ الْمَسْأَلَةُ
بِاللَّهِ قُلْ لِي أَيْنَ نَحْوِكَ يَا فَيَّ أَرَأَيْتَ مَوْصُولًا يَجِيءُ بِلا صَلَةِ

وهذا معنى قد تلاعب الشعراء بكُـرْتِه ، وقضيةُ ابن عنين في ذلك مع المعظم دالةٌ على توقد فكرته ، وما ذاك إلاّ أنّه مرض فكتب إلى الملك المعظم :

انظرْ إليّ - بعين مولّى لم يزلْ يُولي الندى وتلافَ قبلَ تلافِي
أنا كالذي ، أحتاجُ ما يحتاجُهُ فاغنمُ دعائي والثناء الوافي

فعاده المعظم وأعطاه ألفاً ، وقيل : ثلاثمائة ؛ وقال له : هذه الصلة ، وأنا العائد .

قال بعض المغاربة في هذا : قد تطف ابن عنين في الصلة والعائد ، وأجاد وسبق المعظم إلى فهم مقصوده مطابقة الحوار فأتى بما يُستغرب عن سيويه ونظرائه ، فلذلك جعل الشرف ابن عنين ديوانه مملوفاً بمدحه وأطرابه ، وتقلته من حفظي وفيه بعض تغيير بيتين .

[عود إلى شعر ابن جابر]

وقال ابن جابر المذكور :

يا دارَ ليل لا صَمَتَكَ يدُ البلى وسقاكَ دَرَّ الغيثِ كلُّ سحابِ
أصبو إلى تلك الربوعِ ، وكيف لا أصبو ومنّ منازلُ الأحبابِ

وقال من قصيدة :

وأطلبُ تشويقَ الأنامِ بحسنِهِ فأذكرُ من أسمائِهِ كلَّ طيبِ

ومنها :

وإني لم أمدحهُ إلا تشوقاً وإن كان مشهوراً بشرقٍ ومغربِ

وقال :

أمر الشباب [.....]
أسرَ الهوى مهج الأنام لها
فَهَمَّا فقالت : دَمَعَتِي أغلَى
إذ سلَّ من أعطافها أسلا

وقال :

ظعنوا [والقلود] منهم رماح
جاء دَمَعِي لهم وقد حاد صبري
طعنوا في الحشا بها فأصابوا
حين سارت بالظاعنين الرِّكَّابُ

وقال :

شاه وَجْهَ الرقيبِ إذ شاء وَصَلِي
زارني بالنَّهارِ في اللَّيلِ لكنْ
قمرِي ، والأَنامُ عَنَّا نيامُ
ليلُ فرعٍ يحارُ فيه الظَّلامُ

وقال :

يا أَيُّهَا الجائرُ في حكمه
قد كُنتَ من أعدلِ شيءٍ يُرى
إنيَ فيما قد جرى جائرُ
وأنتَ في أهلِ الهوى جائرُ

وقال :

قد زعم العاذلُ لي أَنَّهُ
ما هُوَ هادٍ لي ولكنَّهُ
يُهدي لي الرُّشدَ بما يصنعُ
هاذِ فسمعي قال لا تسمعوا

وقال :

شفى فؤادي من شقا هجره
وزارني يحكي غزالَ النقا
وبِتُّ من لقياءُ في عيدِ
في الحسنِ لولا الحلْيُ في الجيدِ

وقال :

سلبَ القلبَ غزالٌ قدُهُ قدٌ حكى البانَ لنا والسَّلما
ساحرُ العينِ إذا أبصره كاتبٌ ألقى لديه القلما
وقال :

يكفي الأنامَ بسيفه وبسييه عقَدَ المكارهَ والمكارمَ دائما
وقال :

تحلّت بما يحكي محاسن ثغرها وحلّت عقودَ الصبرِ مني عقودُها
ثقيلةُ أردافٍ فصعبُ قيامُها بما حملتُ منها وسهلُ قعودُها
وقال :

أبى حُسْنُها إلاّ افتتانَ قلوبنا فكَمَ قد أبادَ الحسنُ فيها من الناسِ
وقالت تحمّلُ طولَ هجري إن تُردُّ وصالَ ذواتِ الحسنِ قلتُ على راسي
وقال :

أرى أناساً ، من أراد الرضى منهم رجا ما ليس بالممكنِ
سيّانٍ أن يعطوا وأن يمنعوا قد ضاعَ فيهم كرمُ المحسنِ
وقال :

يا جيرةَ الحميّ حيّا الله وإديكم فكَمَ سرورٍ به للقلبِ قد عَرَضا
فلن أنالَ حياةً أستلذّ بها إذا أنا لم أنلُ من وصلكم غرضا
وقال :

شبَّ حرّ الفؤادِ ماءً رضابٍ منه قد حارَ فيه ماءُ الغمامِ
زان بالخليّ جيدهُ قلتُ : ماذا ؟ قال : شيءٌ نظمتهُ من كلامي

وقال :

صَادَ قَلْبِي وَصَدَّ عَنِّي صَدُودَا وَاثَقَى يَسْحَبُ النُّوَابِ سَوْدَا
فَرَأَيْتُ الصَّبَاحَ فِي اللَّيْلِ يَبْدُو وَشَهِدْتُ الرَّشَا يَصِيدُ الْأَسُودَا

وقال :

لَأَنْتِ سَمِيتُ مِنَ الزَّمَانِ لَطُولِ مَا قَدْ صَدَّ عَنْ حُسْنِ الْوَفَاءِ رَجَالَهُ
وَمِنَ النُّوَادِرِ فِي زَمَانِكَ أَنْ تَرَى خِلَافًا حَمَدَتْ وَدَادَهُ وَخِلَالَهُ

وقال :

إِنْ قَابَلَ الْغَصْنَ بِأَعْطَافِهِ فَقُلْ أَنْ تُبْصِرَ مِنْ فَرَقٍ
قُلْتُ قَدْ اسْتَبَعَدَ كُلُّ الْوَرَى فَقَالَ ذَلِكَ الْبَعْضُ مِنْ حَقِّي

وقال :

صَحَّ أَنْ الصَّبَاحَ مِنْ وَجَنَّتِيهَا وَغَصْبُونَ الرِّيَاضِ مِنْ مَعْطَفِيهَا
قَاتَلَ اللَّهُ عَاذِلِي قَلْبٍ يَوْمٌ لَيْسَ يَسْعَى بِالْعَدْلِ فِيهِ إِلَيْهَا

وقال :

شَدُّوا عَمَلَهُمْ يَوْمَ الرِّحَالِ وَقَدْ عَا رَسُومَ اصْطِبَارِي فَقَدْ مَنَّ رَحَلَا
هَزُّوا الْغَصُونَ عَلَى الْكَثْمَانِ حِينَ مَضَوْا وَأَسْبَلُوا فَوْقَ أَقْمَارِ الدَّجَى كِلَلَا

وقال :

خَدَّ تَرَى الْوَرْدَ بَعْضًا مِنْ عَاسِنِهِ تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَبَى شَمَائِلَهُ
لَصَارِمِ اللَّحْظِ قَدْ أَرْخَى حِمَائِلَ مِينٍ عَذَارِهِ فَحَمَى عَنَّا خَمَائِلَهُ

وقال :

قام حادي الركاب ليلاً فغنى
قيل نام الأنام فاهجع قليلاً
فاستقام السرى وثار الغرام
قلت دون الحبيب لست أنام
وقال :

ترامي بنا في البید شوقاً إلى الحمى
فلما برأينا ربّع من سكن الحشا
ترى عنده الأجفان منهلة الدمع
نزلنا فقبلنا ثرى ذلك الربيع
وقال :

يراودني الواشي على حب غيرها
مؤفرة الأرداف ، مهضومة الحشا
وإن محالاً أن يرى مثل حسنها
يريك التفات الظبي فاتر جفنها
وقال :

سلت علينا سيوفاً من لواظها
أضحّت لسفك دم العشاق هادرة
ومن لنا من سيوف اللحظ من وافي
فما ترى دية في قتل عشاق
وقال :

في خدّها شبهة للخال أو شية
وتشي من الحسن لم يحتج لصنع يد
بما حوى الحسن من أطفاسرار
تبارك الله هذي صنعة الباري
وقال :

بين الجوانح لو علمت من الجوى
فدع المدامع في مدى جريانها
نار عليها سكب عيني يهمع
فالدمع بعد فراقهم لا يمتنع
وقال :

قالوا بدارين قد قالوا ، وقد وردوا ماء العقيق ، وبالزوراء قد باتوا

بانوا عن العين لكن بالقلوب ثووا وفي الجادِ عن الأحباب آفاتُ
وقال :

مليحةُ الخدِّ به شامةٌ . كالوردِ قد نُقِطَ بالغاليةِ
قلتُ لها : ما اسمك ؟ قولي لنا قالت : فما تعرفني غاليةِ
وقال :

جاريةٌ جاريةٌ في مدَى شبابُها من أُمْلَحِ الخلقِ
ما بينَ فَرَقِ الضَّحَى لما بدا ووجهيها للناسِ من فرقِ
وقال :

لصبَّه منه امتدادُ النوى فلا يلامُ الدمعُ في صَبِّهِ
في قدَّه لينٌ فهلاًّ قضى بقلبه منه إلى قَلْبِهِ
يريدُ بالقلبِ الأولِ التحويلَ والنقلَ : أي فهلاًّ قضى بتقلِّ اللين الذي في
قدَّه إلى قلبه .

وقال :

يا لابسَ اللامِ والأسيافِ عاريةٌ قد انعطفتَ على الأعطافِ واللامِ
ويا ضجيجَ رماحِ الخطِّ يرسلها في كلِّ هامٍ لها باللحظِ في الهامِ
الهام الأول : جمع هامة ، والثاني اسم فاعل من همى يهيم .
قال رفيقه : لو قال « من الهام » لكان أليق بالمعنى والطف .
وقال :

مَنْ مالَ يبغي كَسْبَ مالٍ له من حِرْمِهِ إن جاء أو حِلِّهِ

فلا تثق يوماً به واحترز منه فما يُبقي على خيله

وقال يتشوق إلى وطنه بالمرية :

لله عيش بالمرية قد ذهب
وهبت لنا تلك الليالي مدة
أخباره بالحسن تكتب بالذهب
ثم استرد الدهر منا ما وهب

وقال :

أن من شوقه فئار الضرام
لا تسلك ما جرى من الدمع لما
ودرى الناس أنه مستهام
قيل هذي النقا وهذي الخيام

وقال :

صلاة إله العالمين على الذي
يجود على الراجي وإن كان مذنباً
أقل العطايا منه واد من النعم
وما قوله للسائلين سوى نعم

وقال :

قد سبأ قلبي غزال فان
أنا لا أعتب فيما قد جرى
سل به كيف اعتدى في سلبه
صفتح الله له عن ذنبه

وقال :

صبرت له فتمادى به
وأنكر برّي ويا طالماً
هواه ، فكانت هي الفاصلة
أتاني يوماً فألقى صله

وقال :

وليل نظمنا به شملنا
وفرقنا الدهر من بعد ذا
كما انتظم البيت بالقافية
فلست من اليوم ألقى فيه

أي فئة ، ولا يكمل التجنيس فيه إلا بتسهيل الهمزة كما قال رفيقه ، ولما أنشده
قال :

ومن هذا النوع قول بعض الأندلسيين :

وقائل قال ألا صيف لنا بستاننا هذا ونارنجنا
قلت لهم بستانكم جنة ومن جنى النارنج نارا جنى

وقال ابن جابر المذكور :

قل بحق الهوى سمحت بوصل ربة القلب أم نهاك الرقيب
رُميت نيل الوصال منها فقالت لك وصل غداً فقلت : قريب

وقال :

زَيْنَ الخلد منه صدغ كنون قد بدا تحته عذار كلام
قلت هذي محاسن ابن هلال فأنشئ وهو ضاحك من كلامي

وقال :

لها حُسن لها عن كل شيء به قلبي ، فما أنا أستفيق
على وجنتها نعمان يبدو لنا وشفاها هن العقيق

وقال :

تمر في ذكركم ، والله ، أحياني ولو سرى طيفكم ليلاً لأحياني
لا يعذب العيش لي بعد العذاب ولا نعيم مثل ليالينا بنعمان

وقال :

مدارة هذا الخلق أوليك بينهم صفات هي الأقمار والنظم دارات

وشارتُ حمدَ البرء أن لا تُرى له على الناسِ ممّا لازمَ الحلمِ داراتُ
وقال :

أرى كدّاً سعيي إلى خاملٍ ، ولو أراكَ مدّى في فرقَدٍ بلّغَ السّها
وما الخيرُ يوماً من لثيمٍ بممكنٍ وإن كان منه الخيرُ يوماً فقد سها
وقال :

أرى حيّدي عن كلّ طارئٍ نعمةً أراحَ يدي من أن يُقيّدَها الذلُّ
فمن أخذَ المعروفَ من غيرِ أهله تروحُ الليالي وهو في عنقهِ غُلُّ
وقال :

شبا لحظيها الماضي وحسُنُ شبابها هُما حملاً نفسي من الوجدِ ما بها
كثيبُ النقا من ردفها ، وقضيئُ لمعطفها ، والبدرُ تحتَ نقابها
وقال :

حلَّ عقْدَ الصبرِ مني عقْدُها إذ نبتَ قلبي بما في قلبها
تحسبُ الدرَّ على لبّتها أنجماً قد كُئِّلَ البدرُ بها
وقال :

شعرٌ كالليلِ يَبْدُو نَحْتَهُ قمرٌ قد حارَ شعري في صفائِهِ
نَقَلَ المسواكُ عن ميسمه أنّ ماءَ الوردِ يجري من لثانِهِ
وقال :

مَنْ سَنَّ تلكَ اللحاظَ فاتَّبَعَتْ من سُنَّةِ الحبِّ كلّ متَّبِعٍ
تَقْتُلُ عشاقها بلا سببٍ وذاكَ في الحبِّ غيرُ مبتدِعٍ

وقال :

وما شجُوُ صالٍ لوعةَ الهجرِ قد قضى زمانَ وصالٍ لم تُكَدَّرْ مشاربهُ
كشجُوِ محبٍ لم يذقْ لذةَ الرضى ولا بات والغيدُ الحسانُ تلاعبهُ

وقال :

سَرَتْ في رحالِ العيسِ منه أهلةٌ فأيسرُ حالٍ أن أزودها قَلْبِي
بعيشك قلْ لي هل دروا كيف علَّتِي وفيضَ دموعي بعد مُنْصَرَفِ الركبِ

وقال :

مَنْ جنى باللحاظ زَهَرَ المعاني من جَنَابِ الحمى إذا الناسُ ناموا
هو قَدْ نالَ كلَّ ما يتمنى وسَعَتْ في مُرَادِهِ الأيامُ

وقال :

لطائفُ حسنِها بربوعِ قَلْبِي لطائفُ أَلْجَأْنِي للغرامِ
تركُ تكاسلاً في اللحظِ منها لتحسبه تَنَبَّهَ من مَنَامِ

وقال :

إذا زُرْتَ حَيًّا بالعقيقِ فحيَّهمْ وذكرهمْ عهدي وحقَّ ودادي
حرامُ فراقِ العيسِ حتى تُحلَّتِي بواديهِ من تلك الوجوهِ بوادي

وقال :

مِنْ فرطِ ما في الطرفِ من فتنَةٍ قَدْ غلبَ الحبُّ على الناسِ
قالتْ نَسِيتَ العهدَ قلتُ اكفني عني فما عبدك بالناسي

وقال :

بينَ نعمانٍ وسَلَمٍ مَلَأَ ليسَ منهمْ لمحبةِ أَلَمُ
كَلَفِي منهمْ بِسَدْرِ حَلٍّ فِي فَلَنِكَ العِلْيَاءِ فاعرفَ مَنْ هُمُ

وقال :

أراقبها وحينَ أرى سَيْلاً أقاربها فتتفرُّ كالغزالِ
وقالت أنتَ مرتقِبٌ لماذا فقلتُ لها : ارتقابي للهِلالِ

وله من قصيدة مطوّلة في فضائل الصحابة العشرة وأهل البيت ، فمما يختص منها بأبي بكر رضي الله تعالى عنه قوله :

فمنهم أبو بكر خليفتهُ الذي	له الفضلُ والتقديمُ في كلِّ مشهدٍ
وصديقُ هادي الخلقِ والمؤثرُ الذي	لإنفاقه للمالِ في اللهِ قدُّ هُدي
وصهرُ رسولِ الله ، وابنتهُ التي	يبرئها نصُّ الكتابِ المُسجّدِ
وصاحبه في الغارِ إذ قال لا تخفْ	فثالثنا ذو العرشِ أوثقُ منجدِ
وسدَّ على المختارِ مخرجَ حيّةٍ	هناكَ برجلٍ منه فازتْ بأسعدِ
وفيه وفي خيرِ الأنامِ تسامعوا	بمكّةِ صوتَ الهاتفِ المتقصدِ ^١
« جزى الله ربَّ الناسِ خيرَ جزائه	رفيقين حلاًّ خيمتي أمَّ معبدِ ^٢
وعتقُ بلالٍ حسبه ، فهو سيّدٌ	تأثّلَ في الإسلامِ ، إعتاقُ سيّدِ

١ يقال إن أهل مكة سمعوا بعد هجرة الرسول ومعه أبو بكر هاتفاً يقول : جزى الله ... إلخ البيت التالي ؛ وقد مر الرسول وصاحبه بخيمتي أم معبد هاتكة بنت خالد بن خليف الخزاعية فقالا عندها ، ويقال إنها ذبحت لها شاة وطبختها (انظر إمتاع الأسماع : ٤٣ وحيون الأثر ١ : ١٨٨ - ١٨٩) .

٢ رواية البيت في حيون الأثر (١ : ١٨٨) :

جزى الله خيراً والجزاء يكفه رفيقين قالاً خيمتي أم معبد
وقد وردت الرواية المثبتة في النسخ مع وضع « قالاً » موضع « حلاً » في ص : ١٨٩ من الكتاب المذكور .

وقال رسولُ الله إنَّ أَمَنَّتْكُمْ
فصدَّقْ إذْ كذبتُمْ ، وأطاعْ إذْ
ولو أنْتي من أمتي كنت آخذاً
لكان أبو بكر ، ولكن أخوة
فلما أراد الله قبْضَ نبيِّه
تقدم في نيلِ الخلافةِ بَعْدَهُ
وقد فارقتْ يومَ السقيفةِ فرقة
وقام عليٌّ بَعْدَ ذلكَ مبايعاً
وأظهرَ عذراً في تأنيهِ صادقاً
فأبى بجمهِ منهم غيرَ قاصِرٍ
وما أشبه الصديقَ في الفضلِ مشبه

عليّ أبو بكر وأوفى بمَوْعدٍ^١
عصيمٌ ، ووافاني موافاةً مُسْعِدِ
خليلاً تولّى خطّي وتودُّدي
في الاسلام مهما تنقص الناسُ تزدَدُ^٢
وصار إلى دار النعيم المخلَّدِ
بإجماعهم لا بالحسام المهنَّدِ
فلما رأته الحقُّ لم تزدَدِ
فأثني ثناء المخلص المتودِّدِ
وباع طَوْعاً لا لفقدانٍ مسندِ
ومن يتبع الإنصافَ والحقَّ يُحمَدِ
ولا أحصيت أوصافُهُ بتعددِ

ومما يختص بعمر رضي الله تعالى عنه قوله من هذه القصيدة :

ويتبعه في فضله عُمَرُ الذي
وما كلُّ مَنْ رام السعادةَ نالها
هو المرء لم يتركْ له الحقُّ صاحباً
ولأ سلك الشيطانُ فجاً قد اغتدى
ومِنْ ظَلَّه قد كان ينقرُ هيبَةً^٣
لَهُ حيثما أضحى يَروُحُ ويغتدي

رمى عن قسيِّ الصديق قوسَ مُسَدِّدِ
ولكنَّهُ مَنْ يُسْعِدِ اللهُ يَسْعِدِ
ولا قعد الشيطانُ مِنْهُ بِمَقْعَدِ
لَهُ سالكاً من خوفهِ المتريِّدِ

١ يشير إلى الحديث: « ما من أحد أعظم عندي يداً من أبي بكر وإساني بنفسه وماله » رواه الطبراني، وفيه أرطاة أبو حاتم وهو ضعيف (مجمع الزوائد ٩ : ٤٦) .
٢ هو تعبير عن الحديث : « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن إخواناً ومودة إلى يوم القيامة » رواه الطبراني ، وفيه نهشل بن سعيد وهو متروك (المصدر السابق ٩ : ٤٥) .
٣ في الأحاديث : « إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا شر لوجهه » (مجمع الزوائد ٩ : ٧٠) وهناك أحاديث أخرى في خوف الشيطان منه ؛ وفي صحيح مسلم (٢ : ٢٣٤) : والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجعك .

وقد جاء عنهم : ما برحنا أعزةً
ومن قولهم : لإسلامه كان غرة
ول امرته كانت على الناس رحمة
ومن فضله رعي النبي بغيره
وقد قيل للفاروق : هذا ، ومن به
فأقبل يبكي قائلاً كيف غيرتي
ورؤيا رسول الله للقدح الذي
وناوله الفاروق من بعد ما ارتووا
فأولهُ العلم الذي منه ناله
فصارت له غرباً فأروى بها الورى
ورؤياه أيضاً في قميص يجره
فأول خير الخلق طول قميصه
وتفريقه ما بين حق وباطل
وسمي بالفاروق من أجل هذه
وحسبك أن الله وافق رأيه
كذا في أذان والحجاب وجعلهم

بإسلامه فانكف من كان يعتدي
وهجرته فتحاً شجاً كل ملحد
فأبوا إلى فتح وعز مهّد
له فأننى عن قصره المتشيد
فأنبأه عن ذا النعيم المؤيد
عليك ، ولولا أنت ما كنت أهدي
تناول من در به غاية الصدي
إلى أن غدا من ظفره الري يتدي^٢
وأول رؤيا الدلو حسن التأيد
فكان افتتاح الأرض فتح مهّد
وللناس قمص بعضها يبلغ الثدي
بما حاز في إيمانه من تأيد^٣
يوم سقى الكفار أظفَع مورد
وما زال في نص الهدى ذا تجلّد
لدى يوم بدر إذ رأى قتل من فدى
مصلّى مقاماً للخليل بمسجد^٤

- ١ يشير إلى الحديث : « دخلت الجنة فرأيت فيها داراً أو قصرأ فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب ، فأردت أن أدخل فذكرت غيرتك ؛ فبكى عمر وقال : أي رسول الله ، أو عليك يفار ؟ » (صحيح مسلم ٢ : ٢٣٣ وورد فيه الحديث بصورة أخرى وانظر مجمع الزوائد ٩ : ٧٤) .
- ٢ عن ابن عمر عن النبي (ص) أنه قال : بينا أنا نائم إذ رأيت قدحاً أتيت به فيه لبن فشربت حتى لأرى الري يجري في أطافيري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب ، قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : العلم . (الرياض النضرة ١ : ٢٧٥) .
- ٣ عن أبي سعيد عن النبي (ص) قال : بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما هو أسفل من ذلك ، وعرض علي عمر وعليه قميص يجره . فقال من حوله : ما أولت يا نبي الله ذلك ؟ قال : الدين . (الرياض النضرة ١ : ٢٧٥) .
- ٤ عن عمر أنه قال : وافقت ربي في ثلاث : مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر (وانظر =

شديدٌ على أهلِ الهوى رحمةٌ لمن
ومما رَوَوْا إنَّ كان في أمةٍ فني
وما أبغضَ الفاروقَ إلا مُفارقٌ^١
عن الحقِّ لَمْ يَمُنَّحْ ولم يتَّحِدْ
يُحَدِّثُ الفاروقُ من ذاك فاعداً^٢
لدين الهدى ذو مذهبٍ لم يسدَّ^٣
ومما يختصُّ بعثمان رضي الله تعالى عنه قوله :

وحسبي عثمان بن عفان أنه
إمامٌ صبورٌ للأذى وهو قادرٌ
هو الجامعُ القرآنَ والقانتُ الذي
ويقطعُ بالصوم النهارَ ويتنهي
وقال رسولُ الله في بشر رومةٍ
له الجنةُ العليا بذلك فاشترى
فقال رسولُ الله إذ جاءه بما
هنيئاً لعثمان بن عفان فعله
وقولُ ألا أبدي حياء لمن له
وبلَّغ بشري الهاشميُّ بأنه
ولكن على بلوى ، وقال سارتضي

عليه اعتمادِي وهو سؤلي ومقصدي
حليمٌ عن الجاني جميلُ التعودِ
إذا جنَّ ليلٌ ليس يأوي لمَرَقَدِ
مدى ليله في خشيةٍ وتهجدِ
أما مشترٍ يبغي بها الأجرَ في غدِ
وتجهيزُ جيشِ العسرةِ اذكر وعددِ
قد احتاج من مالٍ وظهَّيرَ وأعبدِ
وما ضرَّه ما بعدُ مع هذه اليدِ^١
قد استحييت الأملاكُ أشرفُ محدثِ^٢
من الجنة العليا بأكرمٍ مَقْعَدِ
وأصبرُ صبرِ الطائع المتجلدِ

= تفصيل ذلك في الرياض النضرة ١ : ٢٦١ وما بعدها وانظر صحيح مسلم ٢ : ٢٣٤ .
١ في صحيح مسلم (٢ : ٢٣٤) قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد
فإن عمر بن الخطاب منهم ؛ قال ابن وهب في تفسيره محدثون : ملهون . وانظر الرياض النضرة
١ : ٢٦٠ .
٢ من فضائل عثمان أنه جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بغير أتم الألف بخمسين فرساً (وقيل
أكثر من ذلك) وقال فيه الرسول « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » - وهو حديث حسن غريب -
وأنه اشترى بشر رومة بعشرين ألف درهم (انظر الرياض النضرة ٢ : ١٢٠ - ١٢٢) .
٣ يشير إلى الحديث الذي ينص على أن الرسول (ص) كان مضطجماً في بيته كاشفاً عن فخذه أو
ساقه ، فاستأذن أبو بكر ثم عمر ، وهو على تلك الحال ، فلما استأذن عثمان جلس وسوى ثيابه ، فلما
سئل في ذلك قال : « ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة ؟ » (صحيح مسلم ٢ : ٢٣٤ - ٢٣٥) .

فأظهر يوم الدار صبر أولي النهى
ولم يرضَ ، صوناً للدماء ، بحريهم
فمات شهيداً صابراً فهو خير من
على بنتي المختار أرخى ستوره
ولم يدع ذا النورين إلا لأنه
وإن لعثمان بن عفان رتبة
ولو شاء لم تظفر به يد معتد
وكان متى يستنجد القوم يستنجد
على نفسه في غير حق قد اعتدي
فناهيك من مجد وعز مجد
حوى بيته نورين من نور أحمد
من المجد تسمو عن سيمالك وفرقد
ومما يختص بعلي رضي الله تعالى عنه قوله :

وإن علياً كان سيف رسول
وصهر النبي المجتبى وابن عمه
وزوجه رب السما من سمائه
بغير نساء الجنة الغر سودداً
فباتا وحلي الزهد خير حلاهما
فأثرت الجنة من حلل ومن
وما ضر من قد بات والصفوف لبسه
وقال رسول الله إنني مدينة
ومن كنت مولاه علي وليه
وإنك مني خالياً من نبوة
وقال غداً أعط اللواء محبياً
فباتوا وكل يشتهي أن ينالها
فنادى علياً ثم أبرأ عينه
فأعطاه إياها وقال له ادعهم
وصاحبه السامي المجد مشيد
أبو الحسين المحتوي كل سودد
وناهيك تزويجاً من العرش قد بُدي
وحسبك هذا سودداً لمسود
وقد آثرا بالزاد من جاء يجتدي
حلي لها رعيماً لذلك التزهد
وفي السندس الغالي غداً سوف يجتدي
من العلم وهو الباب ، والباب فاقصد
ومولك فاصدق حب مولك ترشد
كهرون من موسى وحسبك فأجهد
إلي وللرحمن بالنصر مرتدي
إلى أن بدا وجه الصباح المجود
بتفت كأن لم يمس قبل بأرمد
ومهما أبوا فأنهد إليهم تؤيد

١ أثار في هذا البيت وما سبقه إل أحاديث في قصائل علي منها : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » و « من كنت مولاه فعلي مولاه » ومنها « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .

فجدل منهم من جنى عندما دعا
وقاتل طول اليوم والباب ترسه
فأعجزهن الباب من بعد عشرة
وكان من الصبيان أولَ سابق
وجاء رسولُ الله مرتضياً له
فمستح عنه الترب إذ مسَّ جلده
وقال له قولَ التلطف « قم أبا
وفي ابنه قال المصطفى ذان سيدا
وأرسله عنه الرسول مبلغاً
وقال هل التبليغ عني ينبغي
وقد قال عبد الله للسائل الذي
وأما عليّ فالتفت أين بيته
بأمرين من حرّ وبرد فلم يجد
وما زال صوّماً منياً لربه
فتنوعاً من الدنيا بما نال ، معرضاً
لقد طلق الدنيا ثلاثاً ، وكلّمنا
وأقربهم للحق فيها وكلّمهم

إلى الحرب دعوى ألفتك المتمرّد
يجرّ به للقوم في كل مرصد^١
فما الظن في هذا القوي المؤيد
إلى الدين لم يسبق بطائع مرشد
وكان عن الزهراء بالمتشرد
وقد قام منه ألفاً للتفرد
تراب « كلام المخلص المتودد^٢
شبابكم في دار عزّ وسودد
وخصّ بهذا الأمر تخصيص مفرد
لمن ليس من بيتي فبالقوم فاقتد
أتى سائلاً عنهم سؤال مندّد
وبيت رسول الله فاعرفه وأشهد
أذى بردها أو حرّها المتوقد
على الحقّ قوَّاماً كثير التّعبد
عن المال ، مهما جاءه المال يزهد
رأها وقد جاءت يقول لها ابعدني
أولو الحق لكنّ كان أقرب مهتد

ومنها في ذكر السبطين رضي الله تعالى عنهما :

١ قص في هذه الأبيات إعطاء الراية لملي يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه »
ثم سأل عن عليّ فقيل : إنه يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه ، فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرئ
حتى كأن لم يكن به وجع ؛ وفي الهجوم على الحصن طرح ترسه وتناول باباً عند الحصن فترس به
نفسه . . . إلخ . (الرياض النضرة ١ : ٢٤٢ - ٢٤٧) .
٢ في سبب تلقيب عليّ بابي تراب انظر صحيح مسلم ٢ : ٢٣٨ .

وبالحسنين السيدين توسل
 هما قرّتا عين الرسول وسيدا
 وقال : هما ريحائتي ، أحبُّ من
 هما اقتسما شبه الرسول تعادلا
 فمن صدره شبه الحسين أجله
 وللحسن السامي مزايا كقوله
 سيُصلحُ ربُّ العالمين به الوري
 وإن تطلبوا ابناً للنبي فلن تروا
 بدا سيداً ظهر الرسول قد ارتقى
 فقالوا له طال السجود فقال لا
 وكان الحسين الصارم الحازم الذي
 شبيه رسول الله في البأس والندی
 لمصرعه تبكي العيون وحققها
 فبعداً وسحقاً لليزيد وشمره
 يجدهما في الحشر عند تفردي
 شباب الوري في جنة وتخلد
 أحبهما ، فاصدقهما الحب تسعد
 وماذا عسى يُخصيه منهم تعددي
 وللحسن الأعلى وحسبك فاعدد
 هو ابني هذا سيد وابن سيد
 على فرقة منهم وعظم تبدد
 سواي : مقال منه غير مفند
 فقتر ولم يُعجله وهو بمسجد
 ولكنما ابني خفت إن قتت يشردا
 متى يُقصر الأبطال في الحرب يشدد
 وخير شهيد ذاق طعم المهند
 فله من جرم وعظم تمرّد
 ومن سار مسرى ذلك المقصد الردي

ومنها في ذكر حمزة رضي الله تعالى عنه :

ومن مثل ليث الله حمزة ذي الندى
 فكم حزاً أعناق العدا بسيفه
 فقال رسول الله : هذا أمرته
 وقال أبو جهل : أصبت محمداً
 مبيد العدا مأوى الغريب المطرد
 وذبح عن المختار كل مشدد
 ولي أسد ضار لدى كل مشهد
 بما ساءه فاهتز هزة سيد

١ إشارة إلى الحديث : إن ابني هذا سيد وليصلحن الله به بين فئتين من المسلمين عظيمين . (مجمع الزوائد ٩ : ١٧٨) .

٢ انظر الخبر عن الحسن كيف جاء وهو طفل فصعد على ظهر النبي وهو ساجد . (المصدر السابق ص : ١٧٥) .

وأهوى له بالقوس ما بين قومه ، وقال له : إني على دينه فلن فذل أبو جهل وأبدى تلفظاً فعاد وقد نال السعادة . واحتدى وفي يوم بدرٍ حثّ عند سؤالهم لمن كان لإعلامٍ برزيشٍ نعاماً فذاك الذي والله قد فعلت بنا وفي أحدٍ نال الشهادة بعدما ففاز وأضحى سيد الشهداء في وصلي رسول الله سبعين مرة وقال : مصابٌ لن نصابٍ بمثله وأسمعهم لكن حمزة ما له نواحيه وزاد إلى فضل العمومة أنه وما زال ذا عرضٍ مصونٍ عن الأذى كريمٌ متى ما أوقد النار للقري

وقال : وأخرى بالحسام المهند أطقتَ فعرّج عن طريقيّ واردد ومن ينصر الحقّ المئين يؤيد^١ وأضحى لدين الله أكرم مسعد لما شهدوا من بأسه المتوقد يشردنا مثل النعام المشرّد أفاعيله في الحرب ما لم نعود أذاق سباعاً للردى شرّ مورد ملائكة الرحمن يسمي ويغتدي عليه إلى ثنتين عند التعدد وإن كان لي يومٌ سأجزي بأزيد وبشر بالنار النوائح ، ما عدي . . . وقلن يا أعين اسعدي^٢ أخوه رضاعاً هكذا المجد فاشهد ومال مهان في العطايا مهسد « تجد خير نار عندها خير موقد »^٣

ومنها في ذكر العباس رضي الله تعالى عنه :

- ١ يتحدث عن إسلام حمزة بعد أن سمع أن أبا جهل أساء إلى النبي فجاء إلى أبي جهل بفناء الكعبة ، وجمع يديه بالقوس وضربه بها فيقال إن أبا جهل قال له : « ما كنت يا أبا حمزة فاحشاً » وعل أثر هذه الحادثة أعلن إسلامه . (مجمع الزوائد ٩ : ٢٦٧) .
- ٢ يتحدث كتيب السيرة بإسهاب عن استشهاد حمزة يوم أحد على يد وحشي ، وحزن النبي عليه ، وصلاته عليه كلما صلى على شهيد من أمته ، وقوله « لكن حمزة لا يواكي له . . . » وقوله « لن أصاب بمثلك أبداً » .
- ٣ شطر بيت للحطيفة (ديوانه : ٥١) وصدره : متى تأته تعشو إلى ضوء ناره .

وقد بلغَ العباسُ في المجد رتبةً تقولُ لبدرِ التَّم : قصَّرتَ فأبعدِ
ألا إنَّه فَضَّلَ السَّقايةَ قَدَّ حوى فكان لوفدِ الله أكرمَ مورد
وكان طويلَ الباعِ في الباسِ والندى كريماً متى يسترُفدِ القومُ يرفد
ويومَ حنينٍ ليس يُنسى ثباته ودعوته مستنجداً كلَّ منجد
وقال رسولُ الله فيه عليٌّ ما عليه وأيضاً مثله في التَّزِيد
ألا إنَّ عمَّ المرءِ صنو أبيه كي يزيدهم في برِّه المتأيد
وبشَّره أنَّ الخلافةَ في الورى لأولاده من سيدٍ ومسود
بشيئته استسقوا إذ المحلُّ شاملٌ فجاءهمُ غيثٌ سقى كلَّ فدغد

انتهى ما وقفت عليه من هذه القصيدة الفريدة ، وليس بيدي الآن ديوان
شعره حتى أكتبها بكمالها فإنَّها مناسبةٌ لهذا الباب الذي جعلناه ختماً للكتاب
كما لا يخفى .

ومن مقطعات ابن جابر :

شغفتُ بها حيناً من الدهر لم يكنْ سوى سكبِ دمعِي في محبتها كسبي
وما أصلُ هذا كله غيرُ نظرةٍ إلى مُقلَّة منها أضعتُ لها قلبي

وقال :

قَدَّ بانَ عندي في مبيعٍ لَه لحظاً رشاً يلجظُ من دُعرِ
إنِّي على المنجرِ مطيعٌ لَه ممثلاً في السرِّ والجهْرِ

وقال :

هذا الرشا يقنصُ ليثَ الشرى بنظرةٍ منه فلا مَخْلَصُ
لو عارضَ العاذلَ يوماً له لكان من أولٍ ما يَقْنَصُ

وقال :

ظيية في ثغرها لَعَسُ^١ يُجْتَنِي من رشفه عَسَلُ^٢
سَبَلِكَ التيه بمقلتها مسلماً قد زانه كسلُ

وقال :

رَقَمَ الحالُ خَدَّها فرأينا قَمَرَ الأفقِ فيه نقطة ليلِ
قلتُ: أين الكئيبُ والنصنُ؟ قالتُ: كلُّ ما قد ذكَّرتُه تحتَ ذيلي

وقال :

إن خفتَ من فتك المهتد والقنا - فإذا رَتَّتْ وإذا مشَتْ لا تقربِ
في قلبِ بَرْقعها محاسنُ أنزلت قَمَرَ السماء لنا بقلبِ العقربِ

وقال :

رأى علولي حُسْنَهَا بعدما حَقَّقَ كوفي للهوى جانحا
فقال إن كنتَ محباً لها فقد حمدنا رأيك الناجحا

وقال :

ذكرَ اللهُ بالمسرية عيشاً لستُ عن ذكره الجميلِ أحولُ
طالَ عهدي بها وما دمتُ حياً لا يزيدُ الرجاءُ بل قد يطولُ

وقال :

مرَّتْ ليالٍ بالمرية طالما قَضَيْتُ من ليلٍ بهنٍ مآربا
لم أسألُ عن تلك الديارِ وإنما جعلَ القضاءَ لكلِ نفسٍ غالباً

وقال :

لا تَعُقَّتِي عن العقيقِ فلأني بين أكنافه تركتُ فؤادي
وعلى تَرْبِهِ وقفتُ دموعي ولسُكَّانِهِ وهبتُ ودادي

وقال :

عرف المنزل الذي دار فيه زمنُ الأنسِ والشبابِ النضيرِ
فشجاه قلبُ التلاقي فراقاً واثني عنه ذا فؤادٍ كبيرِ

وقال :

جمالُ هذا الغزالِ سحرٌ يا حبّداً ذلك الجمالُ
هلالُ خَدَّيْهِ لم يُغَيِّبْ عني وإن غُيِّبَ الهلالُ
غزالُ أنسٍ يصيدُ أسداً فاعجبُ لما يصنعُ الغزالُ
دلاله دلٌّ كلَّ شوقٍ عليّ إذ زائنه الدلالُ
كماله لا يخافُ نقصاً دام له الحسنُ والكمالُ
نباله قد رمت فؤادي يا حبّداً تلکم النبالُ
حلالٌ وصلي له حرامٌ وحکم قتلي له حلالُ
زُلالُ ذاك الحبي حياي وأين لي ذلك الزلالُ
قناله لا يطاقُ لكن يعجبني ذلك القتالُ

وقال :

بين تلك الخيام أكرم حيّ طرِبتُ للندى عليهم خيامُ
قد أقاموا بين العقيق وسلعٍ فحياةُ النفوسِ حيثُ أقاموا

وقال :

إذا جئتَ نجداً كرم الله عهدَه فسلم على أهل المنازلِ من نجدِ

لئن حال بُعدُ الدار بيني وبينهم فلأتني لأرعاهمُ على ذلك البعدِ
وقال :

خَجَلْتُ عندما نظرتُ إليها وانشتُ وهْيَ بين تيهٍ ومنعٍ
إنما وَرَدُ خدِّها زرعُ طرفي حين مروا فكيف أحرَمُ زرعِي
وقال :

لكَ نفسي إذا بدتَ لكَ نجدُ فلقدَ سرَّني الزَّمانُ بنجدِ
فلتلكَ الخيامِ عندي عهدُ وأبى الله أن أضيَّعَ عهدي
وقال :

سلْ عن القومِ إن بدتَ لكَ سلْعُ فقؤادي عِنْدَ الدينِ بسلعِ
لي على تلْكُمُ المعاهدِ دمعُ كادَ يُغني بها عَن اللثِّ دمعِي
وقال :

صفحوا عَنَّ محبهم وأقالوا من عثارِ النوى ومَنّوا بوصلِ
لستُ أستوجبُ الوصالَ ولكن أهلُ تلكَ الخيامِ أَكْرَمُ أهلِ
وقال :

مال الزمانُ بهم عَنِّي وقدَ بعدوا لم يلْهني عنهمُ أهلٌ ولا مالُ
لأنِّي لأخشى وما الأيامُ طوعُ يدي أنِّي أموتُ ولي في القلبِ آمالُ
وقال :

بينَ وادي النقا وِبانِ المُصلَّى ملأَ ألبسوا الوجودَ جَمالاً
إن يكنَ قد نوى لي الدهرُ قرباً منهمُ فهوَ قد كَفاني نوالاً

وقال :

زرتُ الديارَ عن الأحبةِ سائلاً ورجعتُ إذلالاً بدمعِ سائلٍ
ونزلتُ في ظلِّ الأراكَةِ قائلاً والرَّبعُ أخرسُ عن جوابِ القائلِ

وقال :

لا أوحشَ اللهَ المنازلَ منهمُ منهمُ غدت تلكَ الديارُ حساناً
فاشكرُ لدهركَ أن أراكَ بمحاجرٍ بأن الحمى وأراكَ قد باناً

وقال :

لكَ يا واديَّ العقيقِ عَليْنَا كلُّ ما شئتَ من ذمامٍ وثيقِ
فَمَن البرِّ أنْتي أنْبري مِن عقوقٍ لمتزلٍ بالعقيقِ

وقال :

يا أهلَ ذي سَلمٍ بشرى لمستلمٍ ذاكَ الثرى مُقَدِّمٌ في السيرِ لم ينمِ
يؤمُّ داراً بها خيرُ الورى حسباً الخاتمُ الرسلِ من عَرَبٍ ومن عجمِ

ولنقتصر من كلام ابن جابر في هذا الموضع على هذا المقدار ، وإنما أطنبت فيه لما تقدم من الاعتراض على لسان الدين في عدم توفيقه بحق المذكور وحق رفيقه ، مع أنه أطال فيمن دونهما من أهل عصره ، وأيضاً فإن كليهما غريب عندنا بالمغرب ، لكونهما ارتحلا قبل أن يشتهرا كل الاشتهار ، وكان خبرهما في الشرق أشهر .

[من شعر رفيق ابن جابر]

وأما رفيقه شارح بديعته فقد ذكرنا في غير هذا الموضع بعض حاله وكلامه ، ولنترد هنا ما تيسر ، فنقول : من نظمه :

لَمَّا عدا في الناس عقربٌ صُدغها كَفَّتْ أذاهُ من الورى بالبرقعِ
والصبحُ تحتَ خمارها مُتَسَرٌّ عَنَّا متى شاءتْ تقولُ لَهُ اطلعِ

وقال :

تَجَنَّتْ فجنَّ في الهوى كلُّ عاقلٍ رآها وأحوالُ المحبِّ جنونُ
وما وَعَدَتْ إِلَّا عَدَتْ في مِطالها كذلكَ وعْدُ الغانياتِ يَكُونُ

وقال :

لا تَجِدُوا في الهوى على كَلْفٍ نظيرُهُ في الغرامِ لَنْ تَجْعِدُوا
لَهْفَانُ ما يشتكي إلى أَحَدٍ ظمآنُ غيرَ الديموعِ لا يردُّ :

وقال :

ربَّ ليلٍ قَطَعْتُهُ بالجزيره فتذكرتُ أهْلَنَا بالجزيره
قَصَّرَ الأَنْسُ ما تطاولَ مِنْهُ وكذا أزمُنُ السرورِ يسيره

قال : والجزيرة الأولى المراد بها حمص المحيط بها النهر المسمى بالعاصي ،
والثانية جزيرة الأندلس .

وله أيضاً :

وما لي والتزينَ يومَ عيدٍ وجيدُ صبايتي بالدمعِ حالي
وقد أرسلتُ أشهبها بِرِيداً وبعدَ كبيتها يني بحالي

والمراد بالأشهب الدمع الذي لا يشوبه شيء ؛ وبالكُمَيْتِ الدمع المشوب
بالدم ، قال رحمه الله في شرح البديعية وقد ذكر العقيق بعد كلام ما نصّه :
قلت : وكان هذا الوادي المبارك زمن عثمان رضي الله تعالى عنه ذا قصور محفّّة ،
وحداق ملنّّة ، وبنيان مشيد ، ونخل طلعه نضيد ، وجنات تؤتي أكلها كل حين ،

وسواقٍ تجري بهِ بماءٍ مَعِينٍ ، ثم لعبت بهِ أيدي السنين ، وغيرت معالِه
فصار عبرةً للناظرين ، فلم يبقَ من مَعاهدِه إلا آثارٌ تشهد بحسنه ، ونضرة نعيم
تدلُّ على ما سلف من نضارة غصنه ؛ وقد خرجنا إلى هذا الوادي أيام مجاورتنا
بالمدينة الشريفة ، وهو يتدفق بمائه ، ويعارضُ بجوهر حَبابه أنجم سماءه ، وقد
سالتُ شعابه ، وفاض عُبابه ، والناسُ تفرقوا في جهاته ، واقترشوا غصن نباته ،
والشَّيخُ قد توشَّحَ بالندى ، والأنسُ قد راح به وغداً ، والأصيلُ ملهَّب الرداء ،
والبيداء مخضرة الأنداء ، وبخافته آثارُ قصور ، ليس لها في الحسنِ قصور ، قد
بَلَّيْتُ وحسناها جديد ، وخربت وربَّعها بالأنسِ مَشِيد ؛ انتهى .

ومن بديع نظمهِ قوله :

مهلاً فما شِئِمُ الوفا متقادةً لَمَنِ ابتغى من نيلها أوطارا
وَتَبُّ المعالي لا تُنالُ بحيلةٍ يوماً ولو جهد الفئى أو طارا

وقوله رحمه الله تعالى :

على وادي العقيق سكبتُ دمي بلا عينٍ فيبدو كالعقيقِ
فكم غُصْنٍ ورَيْقٍ منه يُحكى قوامَ رشا شهبيٍّ فمٍ ورَيْقِ

وقال :

سألتك بالله يا مَنْ غداً يصرفُ بالقلبِ أفعالهُ
تداركُ عجباً بدرياقٍ وصلِ فإنَّ بَعادَكَ أفعَى لَهْ

وقال :

لا تَأْمَنَنَّ على القلوبِ بَ فَمَنهُ أَصلُ غرامها
فلحاظُهُ منَّ التي رَمَتِ الوريَّ بِسَهاِمِها
ومن فوائده رحمه الله تعالى في شرح البديعية ما نصّه : ومن غريب ما في

« لَدَى » أن أبا علي حكى في تذكرته عن المفضل أنها أنت بمعنى « هل » وأنشد :

لَدَى مِنْ شَبَابٍ يُشْتَرَى بِمَشِيبٍ وكيفَ شَبَابُ المرءِ بَعْدَ ذَهَابِ ١

رجع - وقال رحمه الله تعالى يتشوق إلى حَمراء غرناطة :

ذَابَتْ عَلَى الحَمراءِ حُمُرٌ مَدَامَعِي والقلبُ فيما بين ذلك ذَائِبٌ
طَالَ المَدَى بِي عَنْهُمْ وَلَرَبَّمَا قَدْ عادَ من بَعْدِ الإطالةِ غَائِبٌ

وقال :

ما هَبَّ من نحو السَّيِّكةِ بَارِقٌ إلاَّ غدا شوقي لقلبي شَابِكَا
والله ما اخترتُ الفراقَ لَرَبِّعِهَا لكن قضاء الله أوجبَ ذلكَا

وقال :

منازلُ سلمى إن خَلَّتْ فَلَطالِمَا بها عَمِرْتُ في القلبِ مِنِّي منازلُ
رسائلُ شوقي كُلَّ يومٍ تَرورُهَا وما ضُيِّعَتْ عندَ الكرامِ الرِّسائِلُ ٢

وقال :

بِجَوْرِ الوداعِ لَنَا مَوْقِفٌ أَذَابَ الفؤادَ لِأَجْلِ الوداعِ
فَمَا أَنسى غَدَاةَ النوى وحادي الركائبِ للبينِ داعي

قال : وجور الوداع موضع بظاهر غرناطة ، عادة من سافر أن يودّع هناك .

وقال :

ناولته وردةً فاحمرَّ من خجلٍ وقال : وجهي يُغْنيني عن الزَّهرِ

١ ق : ذهب .

٢ ق : الوسائل .

الخدُّ وردُّ ، وعيني فرجسٌ ، وعلى خدِّي عِذارٌ كريمانِ على نهرٍ

وقال رحمه الله تعالى في التشريع :

يا راحلاً ينبغي زيارة طيبة نلتَ المُنَى بزيارة الأخيارِ
حيَّ العقيق إذا وصلت وصف لنا وادي مِنِّي بأطيابِ الأخبارِ
وإذا وقفت لدى المعرفِ داعياً زالَ العنا وظفرت بالأوطارِ

وقال :

يا أولاً في المرسلين وآخرأ الله خصَّكَ بالكمال ليرضيكُ
من قبلِ آدم قد جعلتَ نبيّه قدماً فقدّمك الإلهُ ليُعَلِّيكُ
أوحى إليك لكي تكون حبيبهُ وبتمَّ نعمتهُ عليك ويهديكُ

وقال :

صيرتني في هواك اليوم مشتهراً لا قيسُ ليلى ولا غيَّلانُ في الأولِ
زعمتُ أنَّ غرامي فيك مكتسبٌ لا والذي خلقَ الإنسانَ من عَجَلٍ

وقال :

لا تُعادِ الناسَ في أوطانهم قلّما يُرعى غريبُ الوطنِ
وإذا ما شئتَ عيشاً بيّتهم «خالقِ الناسَ بخلقِ حسنٍ»

وقال :

نسختي اليوم في المحبةِ أصلٌ فعلِها اعتمادُ كلِّ عميدِ
نقلُوا مرسلَ الدامعِ منها وصحيحَ الهوى بغيرِ مزيدِ
قد رواها قبلي جميلٌ وقيسٌ حينَ هاما بكلِّ لحظٍ وجيدِ

ومن فوائده : أنه لما أنشد في « طراز الحلة » قول سعد الدين محمد بن عربي
في ابن مالك :

إنَّ الإمامَ جمالَ الدينَ فضَّلَه

« إلى آخره » قال ما ملخصه : ولما أورده الصفدي في « فض الختام » قال :
هذا في غاية الحسن لو كان الكتاب المذكور يسمى « الفوائد » وإنما هو « تسهيل
الفوائد » فذكر المضاف إليه دون المضاف ، وهي تورية ناقصة ، قلت : ابن مالك
له كتابان : أحدهما « الفوائد » صنعه أولاً ثم صنع « تسهيل الفوائد » بعده ،
وكأنه سهَّلَ فيه كتابَ الفوائد ، وكنت وقفت على هذا الكتاب المسمى بالفوائد
ببلدنا غرناطة ، فلما وصلنا إلى هذه البلاد بحثنا عنه فلم نجده ، وتمادى الأمر
على ذلك إلى سنة ٧٦٠ ، فوجدناه في حلب ، وهو الآن عندنا ، وهو عزيزُ
الوجود ، ولذلك خفيَ على القاضي صلاح الدين ؛ انتهى وبعضه بالمعنى .
وقال أبو جعفر أحمد المترجم به : كتبت إلى صاحبنا الشيخ بدر الدين
خليل الناسخ :

مَدَدْتَ النوى وقَصَرْتَ اللَّقا أَرْضَى بهذا وأَنْتَ الخليل
وتَرَكْ أَحْمَدَ ذا وحْشَةٍ لَدَيْكَ وَأَنْتَ لَهُ ابنُ جَلِيلٍ
وقال :

قد كان لي أنسٌ بطيب حديثكم والآن صار حديثكم برسولٍ
ولقد مددتُ من النوى مقصوره إنَّ الخليلَ يراه غيرَ جميلٍ
وله رحمه الله تعالى :

ما للنوى مُدَّتْ وَأَنْتَ خَلِيلنا ولقبلُ قد قصرت برغم الكاشحِ
أَتَبَعْتَ في ذا مذهباً لا يُرْتَضَى أبداً وليس الرأيُ فيه بِصالحِ

وله :

ولما رأى الحسادُ منك التفاتةً إلى جانب الله الذي كان مرفوضاً
أضافوا إلى عكياك كلَّ نقيصةٍ حقيقٍ لدينا بالإضافة مخفوضها

وله :

حُسْنُكَ ما بينَ الوردى شائعٌ قد عُرِفَ الآن بلامِ العذر
فجاءَ منه مبتدأ للهوى . . . بجبرتهُ الآسُ معَ الجلتار

ولنقتصر على هذا المقدار إلى هنا .

رجع إلى أولاد لسان الدين رحمهم الله تعالى :

وقد قلنا أن علي بن لسان الدين كان نديمَ السلطان وخاصته ، كما ذكرنا
في مخاطبته لابن مرزوق في الباب الخامس قوله : فالسلطانُ يراعاه الله تعالى يوجب
ما فوق مزية التعظيم ، والولدُ مداهم الله تعالى قد أخذوا بحظ قلَّ أن يتألوه
بغير هذا الإقليم ، والخاصةُ والعامةُ تعامل بحسب ما بكتته من نصيحٍ سليم
وترك لما بالأيدي وتسليم ، وتدير عاد على عدوها بالعذاب الأليم ، إلا من
أبدى السلامة وهو من ليطان الحسد بحال السليم ؛ انتهى .

ولقد صدق رحمه الله تعالى فيما ذكره من النصيح وغيره .

ومن فضائحه رحمه الله تعالى ما كتب به على لسان السلطان ، ونصه : « من
عبد الله أمير المسلمين محمد وصل الله تعالى سعيده ، وبلغه من فضله العميم
قصده ، إلى أوليائنا المخصوصين منا ومن سلكنا بدمام الجوار القريب ،
والمساكنة التي لا يتطرق إلى حقها الذي بني استراة المستريب ، المعتمدين إذا
عدت الرعايا ، وذكرت المزايا ، بمزيد الاعتناء والتقريب ، من الأشياخ
الجللة الشرفاء والعلماء ، والصُدور الفقهاء ، والعدول الأذكاء ، والأعيان

الوزراء ، والحُماة المدافعين عن الأرجاء ، والأمناء الثقات الأتقياء ، والكافة الذين نصل إليهم عوائد الاعتناء ، ونسير فيهم بإعانة الله تعالى على السبيل السواء ، من أهل حضرتنا غرناطة المحروسة بفضل الله تعالى وربّضها ، شرّح الله تعالى لقبول الحكمة والموعظة الحسنة صدورهم ، وكنّفت بنتائج الاستقامة سرورهم ، وأصلح بعنايته أمورهم ، واستعمل فيما يرضيهم أميرهم وأمورهم : سلام كريم عليكم أجمعين ورحمة الله تعالى وبركاته .

« أمّا بعد حمد الله الذي إذا رضي عن قوم جعل لهم التقوى لباساً ، والذكرى لبناء المتأب أساساً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي هدانا إلى الفوز العظيم ابتغاء لرحمته والتماساً ، والرضى عن آله الذين اختارهم له ناساً ، وجعلهم مصابيح من بعده اقتداء واقتباساً ، فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله تعالى إعزازكم وحرس أحوالكم ؛ وجعل للعمل الصالح اهتزازكم ؛ وبقبول النصائح امتيازكم - من مستقرنا بمحروسة الحمراء ، حماها الله سبحانه ، ولا متعرف بفضل الله تعالى إلا هداية تظهر على الأقوال والأعمال ، وعناية تحف من اليمين والشمال ، وتوكل على الله يتكفل لنا ببلوغ الآمال ، وأنتم أولياؤنا الذين لا ندّخر عنهم نصيحاً ، ولا نهمل في تدبيرهم ما يثمر نُجْحاً ، وبحسب هذا الاعتقاد لا نغفل عن نصيحة ترشدكم إذا غفلتم ، وموعظة نقصها عليكم إذا اجتمعتم في بيوت الله واختلفتم ، وذبح عنكم تارة بسلم نَعْقِدُها ، ومطاوله نُسَدِّدُها ، وتارة بسيف في سبيل الله تعالى نُحَدِّدُها ، وعمارة للشهادة نرددها ، ونفوس بوعد الله نَعِدُّها ، ونرضى بالسهر لتمام أجفانكم ، وبالكَدِّ لتتدبّع صبيانكم وولدائكم ، وباقتحام المخاوف ليتصل أمانكم ، ولو استطعنا أن نجعل عليكم وقاية كوقاية الوليد لجعلنا ، أو أمكننا أن لا تفضلكم رعيةً بصلاح دينٍ أو دنيا لفعلنا ، هذا شغل زماننا منذ عرفناه ، ومرمى همّنا مهما استهدفناه ، وقد استرعانا الله تعالى جماعتكم ، وملأنا طاعتكم ، وحرّم علينا إضاعتكم ،

والراعي إذا لم يقصد بسائمته المراعي الطيبة ، ويتتبع مساقط الغمام الصيبة ، ويوردها الماء النмир ، ويتغ لها النماء والتثمير ، ويصلح خللها ، ويداو عللها ، قلَّ عَدَدُها ، وعدمت غلَّتْها وولدها ، فندم على ما ضيعه في أمْسِه ، وجنى عليها وعلى نَفْسِه .

« وألفيناكم في أيامنا هذه الميامن عليكم قد غمرتكم آلاء الله تعالى ونعمه ، وملأت أيديكم مواهبه وقسمته ، وشغل عدوكم بفتنة قومه فنتم للعافية فوق ميهاد ، وبعده عهدكم بما تقدم من جهد وجهاد ، ومخمصة وسهاد ، فأشفقنا أن يجركم توالي الرخاء إلى البطر ، أو تحملكم العافية على الغفلة عن الله تعالى وهي أخطر الخطر ، أو تجهلوا مواقع فضله تعالى وكرمه ، أو تستعينوا على معصيته بنعمه ، فمن عرف الله تعالى في الرخاء وجده في الشدة ، ومن استعد في المهل وجد منفعة العدة ، والعامل من لا يغتر في الحرب أو السلم بطول المدة ، فالدهر مبلي الجدة ، ومستوعب العدة ، والمسلمون إخوانكم اليوم قد شغلوا بأنفسهم عن جبركم ، وسلموا لله في نصركم ، ونشبت الأيدي ولا حول ولا قوة إلا بالله بشغركم ، وأهمتهم فن تركت رسوم الجهاد خالية خاوية ، ورياض الكتاب الخضر ذابلة ذاوية ، فإن لم تسمروا لما بين أيديكم في هذه البرهة فماذا تنتظرون ؟ وإذا لم تستنصروا بالله مولاكم فبمن تستنصرون ؟ وإذا لم تستعدوا في المهل فمتى تستعدون ؟ لقد خسر من رضي في الدنيا والآخرة بالدون ، فلا تأمنوا مكر الله ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ (الأعراف : ٩٩) .

« ومن المنقول عن الليل ، والمشهور في الأواخر والأول ، أن المعصية إذا فشت في قوم أحاط بهم سوء كسبهم ، وأظلم ما بينهم وبين ربهم ، وانقطعت عنهم الرحمات ، ووقعت فيهم المثلات والنقمات ، وشحت السماء ، وغيض الماء ، واستولت الأعداء ، وانتشر الداء ، وجفت الضروع ، وأخلفت الرضوع .

« فوجب علينا أن نستميلكم بالموعظة الحسنة ، والذكرى التي توقظ من السُّنة ، ونقرع آذانكم بقوارع الألسنة ، فأفرعوا الشيطان بوعيتها ، وتقربوا إلى الله تعالى برعيتها ، الصلاة الصلاة فلا تهملوها ، ووظائفها المعروفة فكمّلوها ، فهي الركن الوثيق ، والعلم المائل على جادة الطريق ، والخاصة التي يتميز بها هذا الفريق ، وبادروا صفوفها المائلة ، وأتبعوا فريضتها النافلة ، وأشرعوا إلى تاركها أسنة الإنكار ، واغتنموا بها نواشيء الليل وبوادي الأسحار ، والزكاة أختها المنسوبة ، ولدتها المكتوبة المحسوبة ، فمن منعهما فقد بخل على موله ، باليسير مما أولاه ، وما أحقّه بذهاب هبة الوهاب وأولاه ؛ فاشترؤا من الله تعالى كرائم أموالكم بالصدقات ، وأنفقوا في سبيله يربحكم أضعاف النفقات ، وواسؤا سؤالكم كلما نُصبت الموائد ، وأعيدت للرفقة العوائد ، وارعوا حق الجوار ، وخلوا على أيدي الدعة والفجسار ؛ وأخرجوا الشنآن من الصدور ، واجعلوا صلة الأرحام من عزم الأمور ، وصونوا عن الاغتيال أفواهكم ، ولا تعوّدوا السفاهة شفاهكم ، وأقرضوا القرض الحسن إلهكم ؛ وعلموا القرآن صبيانكم ، فهو أس المنى ، وازرعوه في تراب تراثهم فحسب أن يُجنى ، ولا تركوا النصيحة لمن استنصح ، وردوا السلام على من تحية الإسلام أفصح ، وجاهدوا أهواءكم فهي أولى ما جاهدتم ، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، وثابروا على خلق العلم والتعلم ، وحفوا بمراقي التكلم ، وتعلموا من دينكم ما لا يسعكم عند الله تعالى جهله ، ويتبين أنكم أهله ، فمن القبيح أن يقوم أحدكم على وقاية برّه وشعيّره ، ورعاية شانه وبعيّره ، ولا يقوم على شيء يخلص به قاعدة اعتقاده ، ويعدّه منجاة ليوم معاده ، والله عز وجل يقول ولقوله يرحل المنتجعون ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ ﴾ (المؤمنون : ١١٥) .

« واثقفوا من الحوادث الشنيعة ، والبدع التي تفت في عضد الشريعة ، فقد شن علينا الملبسة بأهل التصوف المغار ، ونال حملتها بل جملتها بإغماضهم

الصغار ، وتؤوّل المعاد والجنّة والنار ، وإذا لم يَغُرّ الرجل على دينه ودين أبيه
فعلى مَنْ يَغَارُ ، فالأنبياء الكرام وورثتهم العلماء ، هم أئمةُ الاقتداء ،
والكواكبُ التي عيّنَها الحقُّ للاهتداء ، فاحذروا معاطبَ هذا الداء ، ودسائس
هذه الأعداء .

«وأهم ما صرفتم إليه الوجوه ، واستدفعتم به المكروه ، العملُ بأمره جل
وعلا في الآية المتلوّة-، والحكمة السافرة المجلوّة ، من ارتباط الخيل وإعداد
القوّة ، فمن كان ذا سعة في رزقه ، فليَقْمُ الله بما استطاع من حقّه ، وليتخذ
قرساً يعمر محلّته بصهيله ، ويَقْتَنه من أجل الله وفي سبيله ، فكم يتحمّل من
عيالٍ يلتمسُ مرضاتهنّ باتخاذِ الزينة ، والتنافس في ترف المدينة ، ومؤونة
الارتباط أقل ، وعلى الهمة والدين أدل ، إلى ما فيه من حماية الحوزة ، وإظهار
العزة ، ومن لم يحسن الرمي فليتدرب ، وباتخاذ السلاح إلى الله فليتقرب ، وقبل
الرمي تُرَاش السهام ، وعلى العباد الاجتهاد وعلى الله التمام .

«والسكّة الجارية في حوادث نواديكُم ، وأثمان العُرُوض التي بأيديكم ،
مَنْ تحيّف حروفها ، ونكّر معروفها ، أو سامح في قبول زيف ، أو مبخوس
حيف ، فقد اتّبع هواه، وخان نفسه وسواه ، قال الله عزّ وجل ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ
وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الشعراء : ١٨١) ولتعلموا أن
نيتكم صلوات الله عليه إنّما بعثه الله مجاهداً وبالحق قاضياً ، وعن المفوات
حليماً متفاضياً ، فتمسكوا بحبله ، ولا تعدلوا عن سبيله ، يروكم الله تعالى
من سجله ، ويراعكم من أجله ، مُرَاعاة الرجل لِنَجْلِه ، فهو الذي يقول
﴿وما كان الله ليعذبَهم وأنتَ فيهم، وما كان الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾
(الأنفال : ٢٣) وإن كان في وطنكم اليوم سعة ، وقد ألحفكم أمن من الله تعالى
ودعة ، فاحسبوا أنكم في بلد محصور، وبين لحبي أسدٍ مَصُور، اكتشفكم

بحرٌ يعبُّ عبابه ، ودار بكم سُورٌ بيدِ عدوكم بابه ، ولا يدري متى ينتهي السُّلم ، وينشعب الكَلَم ، فإن لم تكونوا بناءً مَرصُوصاً ، وتستشعروا الصبر عموماً وخصوصاً ، أصبح الجناح مقصوباً ، والرأي قد سلبته الحيرة ، والمال والحريم قد سلبت فيه الضنائة والغيرة ، وإن شاء الله تَهَبُّ ريح الحمية ، ونصرة النفوس على الخيالات الوهمية ، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، والله مُتِمُّ نوره على رغم الجاحدين وكره الكافرين ﴿ وَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٤٩) .

« واعتقدوا أن الله تعالى لم يجعل الظهور مقروناً بعدد كثير ، ولو مثل جراد مزرعة أثارها مثير ، بل بإخلاص لا يبقى لغير الله افتقاراً ، ونفوس توسع ما سوى الحق اقتداراً ، ووعد يصدق ، وبصائر أبصارها إلى مثابة الجزاء تحديق ، وهذا الدين ظهر مع الغربة ، وشطّفت التربة ، فلم ترعه الأكاسرة وفيولها ، والقياصرة وخيولها ، دين حنيف ، وعلم مُنِيف ، من وجوه شطر المسجد الحرام تولى ، وآيات على سبعة أحرف تتلى ، وزكاة من الصميم تنتقى ، ومعارض ترتقى ، وحج وجهاد ، ومواسم وأعياد ، ليس إلا تكبير شهير ، وأذان جهير ، وقوة تعد ، وثغور تسد ، وفيء يقسم ، وفخر يرسم ، ونصيحة تهدي ، وأمانة تؤدى ، وصدقة تخفى وتبدي ، وصدور تشرح وتشفى ، وخلق على خلق القرآن تحلى وتقفى ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا العقد قد سُجِّل ، والوعدُ به قد عُجِّل ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، وأتممتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴿ (المائدة : ٣) ولا ينقطع لهذا الفرع عادةٌ وَصْلِهِ ، ما دام شبيهاً بأصله ، وإنما هو حَكَبٌ لكم زبدته الممخوضة ، وخلاصته الممخوضة ، والعاقبة للمتقين ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (ص : ٨٨) .

« وحضرتكم اليوم قاعدة الدين ، وغاب المجاهدين ، وقد اخترعت بنا أيامنا هذه وأيام والدنا المقدس الآثار الكبار ، والحسنات التي تنوقلت بها الأخبار ،

وأغفلت إلى زمنكم الحسنة المدخورة ، والمنقبة المبرورة ، وهي يمارستان بقيم منكم المرضى المطرحين ، والضعفاء المغترين منهم والمعرضين في كل حين ، فأنتم تطؤونهم بالأقدام ، على مرّ الأيام ، ينظرون إليكم بالعيون الكليّة ، ويعربون عن الأحوال الدليّة ، وضرورتهم غير خافية ، وما أنتم بأولى منهم بالعافية ، والمجانين تكثر منهم الوقائع ، وتفشو منهم إماتة العهد الدائع ، عار تحظره الشرائع ، وفي مثله تُسدّ الدرائع .

« وقد فضلتم أهل مصر وبغداد ، بالرباط الدائم والجهاد ، فلا أقل من المساواة في معنى ، والمنافسة في مَبْتَى ، يذهب عنكم لؤم الجوار ، ويزيل عن وجوهكم سيمات العار ، ويدل على همتكم ، وفضل شيمتكم ، أهل الأقطار ، وكم نفقة هانت على الرجل في مشروع ، وحرص اعتراه على ممنوع ، فأسرعوا فالنظر في هذا المهم خير مشروع ، ولولا اهتمامنا بمرتقة ديوانكم ، وإعدادنا مال الجباية للمجاهدين من إخوانكم ، لسبقناكم إلى هذه الزلفة ، وقمنا في هذا العمل الصالح بتحمل الكلفة ، ومع ذلك فإذا قدناكم إلى الجنة بينائه ، وأسهمناكم في فريضة أجره وثنائه ، فنحن إن شاء الله تعالى نعيّن له الأوقاف التي تجري عنها المرفقة ، وتتصل عليه بها الصدقة ، تأصيلاً لفخركم ، وإطابة في البلاد لذكركم ، فليشاور أحدكم هيمته ودينه ، ويستخدم يساره في طاعة القصد الكريم ويمينه ، ونسأل الله تعالى أن يوفق كلاً لهذا القصد ويعينه ، ومن وراء هذه النصائح عزم ينهيها إلى غايتها ، ويجبر الكافة على اتباع رأيها ورأيها ، فأعملوا الأفكار فيما تضمنته من الفصول ، وتلقوا داعي الله تعالى فيها بالقَبُول ، والدنيا مزرعة الآخرة ، وكم معتبر للنفوس الساخرة ، بالعظام الناخرة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (فاطر: ٥) وأنتم اليوم أحقّ النَّاس بقبول الموعدة نفوساً زكية ، وفهُوماً لا قاصرة ولا بطيّة ، وموطن جهاد ، ومستسقى غمام

من رحمة الله تعالى وعياده ، وبقايا السلف بالأرض التي فتحوا فيها هذا الوطن ،
وألغوا فيها العَظَن ، فإلى أين يذهب حسن الظن بأديانكم ، وصحة إيمانكم ،
وتساوي أسراركم وإعلانكم ؟

« اللهم ! إنا قد خرجنا لك فيهم عن العهدة المتحملة ، وبلغناهم نصيحتك
المكملة ، ووعدناهم مع الامتثال رحمتك المؤملة ، فيسّرنا وإياهم اليسرى ،
وعرّفنا لطائفك التي خفي فيها المسرى ، ولا تجعلنا ممن صمّ عن النداء ،
وأصبح شماعة الأعداء ، فما ذلّ من استنصر بجانبك ، ولا ضلّ من استبصر
بسنتك وكتابك ، ولا انقطع منّ توصل بأسبابك ، والله سبحانه يصلّ لكم
عوائد الصنع الجميل ، ويحملكم وإيانا من التوفيق على أوضح سبيل ، ويصل
سعدكم ، ويحرسُ مجدكم ، والسلام الكريم يُخصّصكم ورحمة الله تعالى وبركاته . »
انتهى .

ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان السلطان بعد كلام :
« الله في الهمم فقد خمدت ريمها ، والله الله في العقائد فقد خفيت
مضاييحها ، والله الله في الرجولية فقد قلّ حدّها ، والله الله في الغيرة فقد
تعسّر جدّها ، والله الله في الدين فقد طمع الكفر في تحويله ، والله الله في الحريم
فقد مدّ إلى استرقاقه يد تأميله ، والله الله في الملة التي يريد إطفاء سنّاها ، وقد
كلّ فضلها وتناهى ، والله الله في الحريم ، والله الله في الدين الكريم ، والله الله
في القرآن ، والله الله في الجيران ، والله الله في الطارف والتالد ، والله الله في الوطن
الذي توارثه الولد عن الوالد ، اليوم تستأسد النفوس المهينة ، اليوم يستنصر
الصبر والسكينة ، اليوم ترعى لهذه المساجد الكرام الذمّم ، اليوم يسلك سبيل
العزم والحزم والشدة والشّم ١ ، اليوم يرجع إلى الله المصرون ، اليوم يفيق من
نوم الغفلة المغترون ، قبل أن يتفاقم الهول ، ويحق القول ، ويُسد الباب ، ويحق

١ اليوم . . . والشّم : سقطت من ق .

العذاب ، ويسترق الكفر الرقاب ، فالنساء تقي بأنفسهن أولادهن الصغار ، والطيور ترفرف لتحمي الأوكار ، إذا أحست العيث^١ بأفراخها والإضرار ؛ تمر الأيام عليكم مرّ السحاب ، وذهاب الليالي لكم ذهاب ، فلا خبر يفضي إلى العين ، ولا حديث في الله تعالى يُسمع بين اثنين ، ولا كد إلا لزينة يُحلتى بها نحرٌ وجيد ، ولا سعي إلا لمتاع لا يغني في الشدائد ولا يفيد ، وبالأمس نُدبتم إلى التماس رُحمنى مسخرِ السحاب ، واستقالة كاشف العذاب ، وسؤال مرسل الديمة ، ومحبي البشر والبهيمة ، وقد أمسكت عليكم رحمة السماء ، وأعبرت جوائبكم المخضرة احتياجاً إلى بلالة الماء ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ (الذاريات : ٢٢) وإليها الأكف تمدون ، وأبوابها بالدعاء تقصدون ، فلم يُصحر منكم عدد معتبر ، ولا ظهر للإنابة ولا الصدقة خبر ، وتثقل عن إعادة الرغبة إلى الولي الحميد ، والغني الذي ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (إبراهيم : ١٩) وإيم الله لو كان لهواً لارتقت الساعات ، وضاعت المتسعات ، وتزاحمت على أُنديته الجماعات .

« أتعزأ على الله وهو القوي العزيز ؟ أتليساً على الله وهو الذي يميز الخبيث من الطيب والشبه من الإبريز ؟ أمعاندة والنواصي في يديه ؟ أغروراً بالأمل والرجوع بعدُ إليه ؟ مَنْ يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ من ينزل الرزق ويفيده ؟ مَنْ يُرْجَعُ إليه في الملمات ؟ مَنْ يُرْجَى في الشدائد والأزمات ؟ من يوجد في المحيا والممات ؟ أفي الله شك يَخْلُجُ القلوب ؟ أتمّ غير الله يدفع المكروه ويستر المطلوب ؟ تفضلون على اللجل إليه^٢ عوائد الفضل ، ونزه الجهل ، وطائفة منكم قد برزت إلى استسقاء رحمته تمد إليه الأيدي والرقاب ، وتستكشف بالخضوع لعظمته العقاب ، وتستعجل إلى مواعيد إجابته الارتقاب ، وكأنكم عن كرمه

١ ق : العيث..

٢ ق : الجالية .

قد استغفرت ، أو على الامتناع من الرجوع إليه بنيتم .
« أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله عليه من التبليغ^١ باليسير ، والاستعداد للرحيل إلى دار الحق والمسير ، ومداومة الجوع ، وهجر الهجوع ، والعمل على الإياب إلى الله تعالى والرجوع : دخلت فاطمة رضي الله تعالى عنها وبيدها كسرة شعير فقال : ما هذا يا فاطمة ؟ فقالت : يا رسول الله خبزت قرصة وأحببت أن تأكل منها ، فقال : يا فاطمة أما إنته أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث . وكان صلى الله عليه وسلم يستغفر في اليوم سبعين مرة يلتمس رحمه ، ويقوم وهو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر حتى ورمت قدماه ، وكان شأنه بالجهاد ، ودأبه الجهد والاجتهاد ، ومواقف صبره تعرفها الربى والوهاد ، ومقامات رفقته تحوم على مراتبها الزهاد ، فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون ؟ وإذا لم تهتدوا به فبمن تهتدون ؟ وإذا لم ترضوه باتباعكم فكيف تعتزّون^٢ إليه وتنتسبون ؟ وإذا لم ترغبوا في الاتصاف بصفاته غضباً لله تعالى وجهاداً ، وتقللاً من العرّاض^٣ الأدنى وسهاداً ، فقيم ترغبون ؟

« فابتروا حبال الآمال فكل آت قريب ، واعتبروا بمثلات من تقدّم من أهل البلاد والقواعد فذهولكم عنها غريب ، وتفكروا في منابرها التي يعلو عليها واعظ وخطيب ، ومطيل ومطيب ، ومساجدها المتعددة الصفوف والجماعة ، المعمورة بأنواع الطاعة ، وكيف أخذ الله تعالى فيها بذنب المترفين من دونهم ، وعاقب الجمهور بما أغضّوا عنه عيونهم ، وساءت بالغفلة عن الله تعالى عُنُقُهم جميعهم ، وذهبت النقمات بعاصيهم ومن داهن في أمره من مطيعهم ، وأصبحت مساجدهم مناصباً للصلبان ، واستبدلت مآذنهم بالنواقيس من الأذان ، هذا والناس ناس والزمان زمان .

« فما هذه الغفلة عمن إليه الرجعى وإليه المصير ؟ وإلى متى التساهل في حقوقه

١ ق : التبليغ .

وهو السميع البصير ؟ وحتى متى مد الأمل في الزمن القصير ؟ وإلى متى نسيان اللجل إلى الولي النصير ؟ قد تداعت الصليبان مجلبة^١ عليكم ، وتحركت الطواغيت من كل جهة إليكم ، أفيخذلكم الشيطان وكتاب الله قائم فيكم ؟ وألسنة الآيات تنادىكم ، لم تمتح سطورها ، ولا احتجب نورها ، وأنتم بقايا من فتحها من عدد قليل ، وصابر فيها كل خطب جليل ، فوالله لو تمحض الإيمان ، ورضي الرحمن ، ما ظهر التثليث في هذه الجزيرة على التوحيد ، ولا عدم الإسلام فيها عادة التأييد ، لكن شمل الداء ، وصم النداء ، وعميت الأبصار فكيف الاهتمام ؟ والباب مفتوح ، والفضل ممنوح ، فتعالوا نستغفر الله جميعاً فهو الغفور الرحيم ، ونستقل مقيل العثار فهو الرؤوف الحليم ، ونصرف الوجوه إلى الاعتراف بما قدمت أيدينا فقبول المعاذير من شأن الكريم ، سُدَّتْ الأبواب ، وضعفت الأسباب ، وانقطعت الآمال إلا منك يا فتاح يا وهاب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ، وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (عهد : ٧) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ، وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٩) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران : ٢٠٠) أعدوا الخيل وارتبطوها ، وروضوا النفوس على الشهادة وغبطوها ، فمن خاف الموت رضي بالدنية ، ولا بد على كل حال من النية ، والحياة مع الذل ليست من شيم النفوس السنية ، واقتنوا السلاح والعدة ، وتعرفوا إلى الله تعالى في الرخاء يعرفكم في الشدة ، واستشعروا القوة بالله تعالى على أعدائه وأعدائكم ، واستميتوا من دون أبنائكم ، وكونوا كالبناء المرصوص لحملات هذا العدو النازل بفنائكم ، وحوطوا بالتعويل على الله تعالى وحده بلادكم ، واشتروا من الله جل جلاله أولادكم . ذكروا أن امرأة

١ ق : مجابة ؛ التجارية : متراكمة .

احتمل السبع ولدها وشكت إلى بعض الصالحين ، فأشار عليها بالصدقة ، فتصدقت برغيف ، فأطلق السبع ولدها ، وسمعت النداء : يا هذه لقمة بلقمة ، وإنا لما استؤدِ عناه لحافظون .

« واهجروا الشهوات ، واستذكروا البقية من بعد الفوات ، وأفضلوا لمساكينكم من الأقوات ، واخشعوا لما أنزل الله تعالى من الآيات ، وخذلوا نفوسكم بالصبر على الأزمات ، والمواساة في المهمات ، وأيقظوا جفونكم من السُّنات ، واعلموا أنكم رضعاء لئذي كلمة التوحيد ، وجيران البلد الغريب والدين الوحيد ، وحزب التمحيص ، ونفخ المَرَام العويص ، فتفقّدوا معاملتكم مع الله تعالى ، ومهما رأيتم الصدق غالباً ، والقلب للمولى الكريم مراقباً ، وشهاب اليقين ثاقباً ، فتقوا بعناية الله التي لا يغلبكم معها غالب ، ولا ينالكم لأجلها عدو مطالب ، فإنكم في السر الكثيف ، وكنف الخير اللطيف ، ومهما رأيتم الخواطر متبدّدة ، والظنون في الله مترددة ، والجبهات التي تخاف وترجى متعددة ، والغفلة عن الله ملامسها متجددة ، وعادة دواعي الخذلان دائمة ، وأسواق الشهوات قائمة ، فاعلموا أن الله تعالى منفذ فيكم وعده ووعيده في الأمم الغافلين ، وأنكم قد ظلمتم أنفسكم ولا عدوّان إلاّ على الظالمين ، والتوبة تردّ الشارد^١ إلى الله تعالى والله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وهو القائل ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (هود : ١١٤) .

« وما أقرب صلاح الأحوال مع الله تعالى إذا صحّت العزائم ، وتوالت على حزب الشيطان الهزائم ، وخملت الدنيا الغربية في العيون ، وصدقت فيها عند الله الظنون ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (فاطر : هـ) وثوبوا سراعاً إلى طهارة الثوب ، وإزالة

١ ق : وعظة .

٢ ق : السارح .

الشُّوب ، واقصدوا أبواب غافر الذنب وقابل التوب ، واعلموا أن سوء الأدب مع الله تعالى يفتح أبواب الشدائد ، ويسد طرق العوائد ، فلا تطلوا بالتوبة أزمانكم ، ولا تأمنوا مكر الله فتغشوا إيمانكم ، ولا تعلقوا متابكم بالضرائر ، فهو علام السرائر ، وإنما علينا أن ننصحكم وإن كنا أولى بالنصيحة ، ونعتمدكم بالموعظة الصريحة ، الصادرة - علم الله تعالى - عن صدق القريحة ، وإن شاركناكم في الغفلة فقد سبقناكم إلى الاسترجاع والاستغفار ، وإنما ليكم لدينا نفس مبدولة في جهاد الكفار ، وتقدم قبلكم إلى مواقف الصبر التي لا ترضى بالفرار ، واجتهاد فيما يعود بالحسن وعقبى الدار ، والاختيار لله ولي الاختيار ، ومصرف الأقدار ، وما نحن نسرع في الخروج إلى مدافعة هذا العدو ونفدي بنفوسنا البلاد والعباد ، والحريم المستضعف والأولاد ، ونصلي من دونهم نار الجلال ، ونستوهب منكم الدعاء لمن وعد بإجابته ، فإنه يقبل من صرف إليه وجه إنايته ، اللهم كن لنا في هذا الاهتمام نصيراً ، وعلى أعدائك ظهيراً ، ومن انتقام عبدة الأوثان كفيلاً ، اللهم قو من ضعفت حيلته فأنت القوي المعين ، وانصر من لا نصير له إلا أنت فإياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم ثبت أقدامنا وانصرنا عند تزلزل الأقدام ، ولا تسلمنا عند لقاء عدو الإسلام ، فقد ألقينا إليك يد الاستسلام ، اللهم دافع بملأكتك المؤمنين ، اللهم اجعلنا على تيقظ وتذكر من ﴿ قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشبوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ (آل عمران: ١٧٣) .

وقد وردت علينا المخاطبات من إخواننا المسلمين الذين عرفنا في القديم والحديث اجتهادهم ، وشكرنا في ذات الله تعالى جهادهم ، بني مرين أولي الامتاع لله تعالى والحمية ، والمخصوصين بين القبائل الكريمة بهذه المزية ، بعزمهم على الامتاع لحق الجوار ، والمصارحة التي تليق بالأخرار ، والنفرة

لانهتاك ذِمار نبيهم المختار ، وحركة سلطانهم بتلك الأقطار والأمصار ، ومدافعة
أحزاب الشيطان وأهل النار ، فاسألوا الله تعالى إعادتهم على هذا المقصد الكريم
الآثار ، والسعي الضمين للعزّ والأجر والفَخار ، والسلام الكريم يخصّكم أيها
الأولياء ورحمة الله وبركاته ؛ انتهى .

ومما كتبه ابنُ لسان الدين رحمه الله تعالى على لسان سلطانه الغني بالله تعالى
والنظر إليهم بعين الشفقة ما صورته :

« هذا كتاب كريم أصدرناه بتوفيق الله تعالى شارحاً للصدور ، مصلحاً
بإعانة الله تعالى للأمور ، ملُحفاً العدل^١ والإحسان الخاصة بالجمهور ، يعلم
من يسمعه أو يقف عليه ، ومن يقرؤه ويتدبر^٢ ما لديه ، ما عاهدنا الله تعالى
عليه من تأمين النفوس وحقن الدماء ، والسير في التجاني عنها على السنن السواء ،
ورفع التناوب عن البعيد منها والقريب ، والمساواة^٣ في العفو والغفران بين
البريء منها والمريب ، وحمل من ينظر بعين العداوة في باطن الأمر محمل
الحبيب ، وترك ما يتوجّه بأمر المطالبات ، ورفض التبعات ، ممّا لا يعارض
حكماً شرعياً ، ولا يناقض سنناً في الدين مرعياً ، فمن كان رهن تبعة أو طريد
تُهمّة ، أو منبوزاً^٤ في الطاعة برية توجب أن نريق دمه^٥ ، فقد سحبتنا عليه
ظلال الأمان وألحفناه أثواب العفو والغفران ، ووعدناه من نفسنا مواعد الرفق
والإحسان ، حكماً عامّاً ، وعفوّاً تامّاً ، فاشياً في جميع الطبقات ، منسحباً على
الأصناف المختلفة ، عاملنا في ذلك من يتقبل الأعمال ، ولا يضيع السؤال ،
واستغفرنا عن نفسنا وعمن أخطأ علينا من رعيتنا ممن يدرأ الشرع غلطته ،

١ ق : ملحفاً جناح الله العدل .

٢ ق : ويبي .

٣ ق : والمساواة منها .

٤ ق : منبوزاً .

٥ توجب . . . دمه : سقطت من ق .

وَيَقْبَلُ الْحَقَّ قِيَّاتَهُ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء : ١١٠) لما رأينا من وجوب اتفاق الأهواء والضمائر ، وخلوص القلوب والسرائر ، في هذا الوطن الذي أحاط به العدو والبحر ، ومسّه بتقدم الفتنة الضر ، وصلة لما أجراه الله تعالى على أيدينا ، وهياه بنا في نادينا ، فلم يخف ما سكن بنا من نار الفتنة ، ورفع من بأسٍ وإحنة ، وكشف من ظلمة ، وسدل من نعمة ، وأصفى من مورد عافية ، وأولى من عصمة كافية ، بعدما تحربت الثغور ، وفسدت الأمور ، واهتضم الدين ، واشتد على العباد كلب الكافرين المعتدين ﴿ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ﴾ (يوسف : ٣٨) فله الحمد دائماً ، والشكر واجباً ، ومن الله نسأل أن يتم نعمته علينا كما أتمها على أبونا من قبل إن ربك حكيم عليم .

« ونحن قد شرعنا في تعيين مَنْ ينوب عنا من أهل العلم والعدالة ، والدين والجلالة ، للتطوف في البلاد الأندلسية ، ومباشرة الأمور بالبلاد النصرية ، يُنْهَوْنَ إلينا ما يستطلعون ، ويبلغون من المصالح ما يتعرفونه ، ويقيدون ما تحتاج إليه الثغور ، وتستوجب المصلحة الجهادية من الأمور ، ونحن نستعين بفضلاء رعيتنا وخيارهم ، والمراقبين الله تعالى منهم في إيرادهم وإصدارهم ، على إنهاء ما يخفى عنا من ظلامات تقع ، أو حادث يُبتدع ، ومن اتخذ بجواره خمر فاشية ، أو نشأت في جهته للمنكر ناشية ، فنحن نقلده العهد ، ونطوقه القلادة ، ووراء تنبيهنا على ما خفي من الشكر لمن أهده ، وإحماد سعي من أبلغه وأداه ، ما نرجو ثواب الله تعالى عليه ، والتقرب به إليه ، فمن أهدى لنا شيئاً من ذلك فهو شريك في أجره ، ومقاسم في مثوبته يوم ربح تجره ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » انتهى .

[وصية لسان الدين لأبنائه]

وإذ أجرينا طرف القلم ملء عنانه فيما لسان الدين رحمه الله تعالى من

النصائح والمواعظ والوصايا ، وما يرجع بالنفع على الخاصة وجمهور الرعايا ، كلٌّ دون شأوه ، وقصر عن أمدّه مدّيدٌ خَطَّوهُ ، وقد تقدّم في هذا الكتاب من ذلك جملة وافرة ، فلتراجع في محالها المتكاثرة ، وقد آن أن نسرد في هذا المحل الوصية التي أوصى لسانُ الدين رحمه الله تعالى بها أولاده ، وهي وصية جامعة نافعة ، يحصل بها انتعاش ، لاشتمالها على ما لا بد منه في المعاد والمعاش ، ونصّها^١ :

- الحمد لله الذي لا يروعه الحِمَامُ المرقوب ، إذا شيمَ نجمةُ المثقوب ، ولا يبعثه الأجل المكتوب ، ولا يفجؤه القراقِ المعتوب ، ملُهم الهدى الذي تطمئن به القلوب ، ومُوضِح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة في قسم الوجوب ، لا سيما للولي المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل في الكتاب المعجز الأسلوب ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ﴾ (البقرة : ١٣٣) ﴿ ووصى بها إبراهيمُ بنيه ويعقُوب ﴾ (البقرة : ١٣٢) والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زُرَّتْ على نوره نجوبُ الغيوب ، وأشرف من خلعت عليه حلل المهابة والعصمة فلا تقتحمه الغيون ولا تصيغه العيوب ، والرضى عن آله وأصحابه الثابرين على سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب ، والأمل المسلوب ، والاقتداء الموصل للمرغوب ، والعز والإمن من اللغوب .

وبعد ، فإنني لما علاني المشيب بقمته ، وقادني الكبر في رمته^٢ ، وادكرت الشباب بعد أمته^٣ ، أسفت لما أضعت ، وندمت بعد الفطام على ما رضعت ، وتأكدت وجوب نصحي لمن لزمني رعيته ، وتعلق بعيني^٤ سعيته ، وأمّلت أن

.....

١ قارن نص هذه الوصية بما ورد في أزهار الرياض ١ : ٣٢٠ .

٢ ق : برمته ، والتصويب عن الأزهار .

٣ ق : بهمته .

٤ الأزهار : بسعيي .

تعدى إلى ثمرة^١ استقامته وأنا رهين قَوَات ، وفي برزخ أموات ، ويأمن العثور
في الطريق التي اقتضت عثاري ، إن سلك - وعسى أن لا يكون ذلك - على
آثاري ، فقلت أخاطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخلد ، بعد الضراعة إلى الله تعالى
في توفيقهم ، وإيضاح طريقهم ، وجَمْع تفريقهم ، وأن يمن عليّ منهم بحسن
الخلق ، والتلافي من قبل التلف ، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدي السلف ،
فهو ولي ذلك ، والهادي إلى خير المسالك .:

اعلموا هذاكم الله تعالى الذي بأنواره تهتدي الضلّال ، وبرضاه تُرفع
الأغلal ، وبالتماس قربه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأخلفت الآمال ،
وتبرأت من يمينها الشمال - أني مُودعكم وإن سألني الردى ، ومفارقكم وإن
طال المدى ، وما عدا ممّا بدا ، فكيف وأدوات السفر تجمع ، ومناذي الرحيل
يسمع ، ولا أقل للحبيب المودع من وصية محتضر ، وعجالة مقتصر ، ورتيمة^٢
تُعقد في خنصر ، ونصيحة تكون نشيدة واع مبصر ، تتكفل لكم بحسن العواقب
من بعدي ، وتوضح لكم من الشفقة والحنوّ قصدي ، حسبما تضمن وعد الله
من قبل وعدي ، فهي أربكم الذي لا يتغير وقفه ، ولا ينالكم المكروه ما رفّ
عليكم سقفه ، وكأني بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ، وبتأشطكم قد
كسل ، واستبدل الصاب من العسل ، ونصول الشيب تروع بأسل ، لا بل
السام^٣ من كل حذب قد تسَل ، والمعاذ للحد ولا تسَل ، فبالأمس كنتم فراخ
حجر ، واليوم أبناء عسكر مجرّ ، وغداً شيوخ مضبّعة وهجر ، والقبور
فاغرة ، والنفوس عن المألوفات صاغرة ، والدنيا بأهلها ساخرة ، والأولى تعقبها

١ الأزهار : ثمرات .

٢ الرتيمة : الخيط الذي يشد في الإصبع لتستذكر به الحاجة .

٣ السام - بتخفيف الميم - : الموت .

٤ الأزهار : آباء .

الآخرة ، والحازم من لم يُتَعَظَ به في أمر ، وقال : بيدي لا بيد عمرو^١ ، فافتنوها من وصية ، ومَرَّام في النصيح قَصِيَّة ، وخصُّوا بها أولادكم إذا عقلوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا ، وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملاً ، ولكن ليلوهم أيهم أحسن عملاً ، ولا رضي الدنيا متزلاً ، ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منزلاً .

ولتلقنوا تلقيناً ، وتعلموا علماً يقيناً ، أنكم لن تجدوا بعد أن انفرد بذنبي ، ويفترش الترابَ جنبي ، ويسح انسكابي ، وتهول عن المصلتي ركابي ، أحرص مني على سعادة إليكم تُجَلِّب ، أو غاية كمال بسبيكم تُرْتَاد وتُطَلِّب ، حتى لا يكون في الدين والدنيا أَوْرَفَ منكم ظلاً ، ولا أشرف عملاً ، ولا أغبط قهلاً وعلاً ، وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى قولي الآذان ، وتستلمحوا صُبْحَ نصحي فقد بان ، وسأعيد عليكم وصية لقمان : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ، يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ، وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان : ١٣ - ١٩) وأعيد وصية خليل الله وإسرائيل ، حكم ما تضمنه حكم تنزيله ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٢) والدين الذي ارتضاه واصطفاه ، وأكمله ووفاه ، وقرَّره مصطفاه ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أعمل فيه انتقاد ، فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مقرر ، ومستمد من عقل أو نقل محرر ، والعقل متقدم ، وبناءؤه مع رفض أخيه متهدم ، فالله واحد أحد ، فردٌ صمد ، ليس له والد ولا ولد ،

١ قوله قالتها الزباء حين انتحرت وأبت أن تستسلم لعمرو بن عدي .

تتره عن الزمان والمكان ، وسبق وجوده وجود الأكوان ، خالق الخلق وما يعملون ، الذي لا يُسأل عن شيء وهم يُسألون ، الحلي العليم المدبر القدير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) أرسل الرسل رحمة لتدعو الناس^١ إلى النجاة من الشقاء ، وتوجه الحجة في مصيرهم إلى دار البقاء ، مؤيدة بالمعجزات التي لا تتصف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ، ثم ختم ديوانهم بنبي ملتنا المرعية الحمل^٢ ، الشاهدة على الملل ، فتلخصت الطاعة ، وتعينت^٣ الإمرة المطاعة ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة ، ثم إن الله تعالى قبضه إذ كان بشراً ، وترك دينه يضم من الأمة نشرأ ، فمن تبعه لحق به ، ومن تركه تورط^٤ عنه في متشبهه ، وكانت نجاته على قدر سببه ، روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعدي ؛ كتاب الله ، وسنتي ، فعضوا عليهما بالتواجد »^٥.

فاعملوا يا بني بوصية من ناصح جاهد ، ومشفق شفقة والد ، واستشعروا حبه الذي توفرت دواعيه ، وعوا مَراشد هديه فيا فوز واعيه ، وصلوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به مجملأ^٦ أو مفصلاً^٦ على حسبه ، وأوجبوا التجارة لصحبته الذين اختارهم الله تعالى لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من تواب محبته ، واشملوهم بالتوقير ، وفضلوا منهم أُولي الفضل الشهير ، وتبرأوا من العصبية التي لم يدعكم إليها داع ، ولا تع التشاجر بينهم أذن^٧ واع ، فهو عنوان

١ الأزار : العباد . .

٢ الأزار : المرعية للهمل .

٣ الأزار : وتبينت .

٤ ق والتجارية : نوط .

٥ هو من حديث العرياض بن سارية السلمي الصحابي عن الرسول ؛ وعضوا عليهما بالتواجد أي تمسكوا بهما كما يتمسك العاص بجميع أعضائه ، وروي الحديث « فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين عضوا عليهما بالتواجد » (أسد الغابة ٣ : ٣٩٩) .

٦ أو مفصلاً : سقطت من ق والأزار .

السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ، ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة ، وأثمتها بالحيلة ، فهم صفة نصولهم ، وفروع ناشئة من أصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم .

واعلموا أنني قطعت في البحث زماني ، وجعلت النظر شاني ، منذ برآني الله تعالى وأنشاني ، مع نبل يعترف به الشاني ، وإدراك يسلمه العقل الإنساني ، فلم أجد خابط ورق ، ولا مصيب عرق ، ولا نازع حطام ، ولا متكلف فطام ، ولا مقتحم بحر طام ، إلا وغايته التي يقصدها قد فضلتها^١ الشريعة وسبقته ، وقرعت ثيبتها وارقتها ، فعليكم بالتزام جادتها السابلة ، ومصاحبة رفقتها الكاملة^٢ ، والاهتداء بأقمارها غير الآفلة ، والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران : ٨٥) وقد علت شرائعه ، وراع الشكوك رائعه ، فلا تسترلکم الدنيا عن الدين ، وابذلوا دونه النفوس فعل المهتدين ، فلن ينفع متاع بعد الخلود في النار أبد الآبدين ، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ، ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بلغت فأنت خير الشاهدين .

فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعي شوه الوجوه ونضيج الجلود ، واستعيدوا برضى الله من سخطه ، واربتأوا بنفوسكم عن غمطه ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمدوا على جيفة العرض الزائل اثلافكم ، واقتنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا على ما فات وتعذر ، فإنما هي دجنة ينسخها الصباح ، وصفقة يتعاقبها^٣ الخسار والرياح ، ودونكم عقيدة الإيمان فشدوا بالنواجذ عليها ، وكفكفوا الشبه أن تدنوا إليها .

١ الأزهار و ق : فضلتها ؛ ونفصلتها : سبقته وبلتها في الرمي .

٢ الأزهار : الكافلة .

٣ الأزهار : يتعقبها .

واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لا يرقوهُ عمل ، وكل ما سوى
 الراعي همل ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم الميت^١ أمل ، وتمسكوا بكتاب
 الله تعالى حفظاً وتلاوة ، واجعلوا حملة على حمل التكليف علاوة ، وتفكروا في
 آياته ومعانيه ، وامثلوا أوامره ونواهيه ، ولا تتأولوه ولا تغلوا فيه ، وأشربوا
 قلوبكم حب من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حبه ، وصونوا شعائر
 الله صون المحترم ، واحفظوا القواعد التي يبنى عليها الإسلام حتى لا ينخرم .
 الله في الصلاة ذريعة التجارة ، وخاصة الملة ، وحاقنة الدم ، وغنى المستاجر
 المستخدم ، وأم العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ، والناحية عن
 الفحشاء والمنكر وإن^٢ عرض الشيطان عرضهما ، ووطئاً للنفس الأمارة سماءهما
 وأرضهما ، والوسيلة إلى بل الجوانح ببرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض
 الفكر ، وضامنة^٣ حسن العشرة من الجار ، وداعية للمسالمة من الفجار ، والواسمة
 بسمة السلامة ، والشاهدة للعبد^٤ برفع الملامة ، وغاسول الطبع إذا شانه طبع ،
 والخير الذي كل ما سواه له تبع^٥ ، فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء وإعادة ،
 فالخير عادة ، ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية ، وتأثروا على العلية الدنية^٦ ،
 فإن أوقاتها^٧ المعينة بالانفلات تنبس^٨ ، والفلك بها من أجلكم لا يحبس ، وإذا
 قورنت^٩ بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذي لا يغيره الغلو ولا الأصيل .

١ الميت : سقطت من الأزهار .

٢ الأزهار : مها .

٣ الأزهار : وضابطة .

٤ الأزهار : المقعد .

٥ الأزهار : كل خير له تبع .

٦ وتأثروا . . . الدنية : سقطت من ق وأصل الأزهار .

٧ ق : فأوقاتها .

٨ تنبس : تسرع .

٩ الأزهار : قرنت .

والوظائف بعد أدائها لا تفوت ، وأين حق من يموت من حق الحي الذي لا يموت ، وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها ، وأتبعوها النوافل ما أطقتموها ، فبالإتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة استحققت^١ الكمال ، ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح مع إضاعة رأس المال^٢ ، وذلك أخرى بإقامة الفرض ، وأدعى إلى مساعدة البعض البعض .

والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل ، وشرط لمشروطها محصل ، فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهاها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها ، والحجول والفرر فأطيلوها ، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها ، فالبناء بأساسه ، والسيف برئاسه . واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور ، وذكر مجهور وغير مجهور ، تستغرق الأوقات ، وتتنازع شتى الخواطر المفترقات ، فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعقل ، وكان في درج الرجولية ذا انتقال ، واستقاض صداه بصقال ، وإن تراخى قهقر الباع ، وسرقت الطباع ، وكان لما سواها أضييع فشمل الضياع .

والزكاة أختها الحبيبة ، وليدتها القريبة ، مفتاح السماحة بالعرض الزائل ، وشكران المستول على الفضد من درجة السائل ، وحق الله تعالى في مال من أغناه ، لمن أجهده في المعاش وعنتاه ، من غير استحقاق ملأ يده وأخلى يد أخيه ، ولا علت إلا القدر الذي يخفيه ، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه . فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها ، في اختيار عرضها ونتاجها ، واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عدل ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون ، ولا تدرون أين تسلكون ، فوهب وأقدر ، وأورد بفضله وأصدر ، ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ،

.....

١ الأزهار : استحق .

٢ زاد في الأزهار : وثابروا عليها في الجماعات ، وبيوت الطاعات ، فهو أرفع للام ، وأظهر لشرائع الإسلام وأبر بإقامة . . . إلخ .

فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نَوَالِه .
وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زُلْفَى ، المحموضة لمن يعلم السر
وأخفى ، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ، والاجتهاد ،
وإثارة التهجد^١ على المهاد ، وإن وسع الاعتكاف فهو من سنته المرعية ، ولواحقه
الشرعية ، فبذلك تحسن الوجوه ، وتحصل من الرقة على ما ترجوه ، وتذهب
قسوة الطباع ، ويمتدّ في ميدان الوسائل الباع .
والحج - مع الاستطاعة - الركن الواجب ، والفرص على العين لا يحجبه
الحاجب ، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فَرَضَ عن ربّه
وسنّه ، وقال ليس لهُ جزاء عند الله إلاّ الجنة .
ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوّة عليه ، وغنى
لديه ، فكونوا ممن يسمع نفيه ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه .
هذه عمدة الإسلام وفروضة ، وتقود مهرة وعروضه ، فحافظوا عليها تعيشوا
مبرورين ، وعلى من بناويكم ظاهرين ، وتلقوا الله لا مُبَدِّلِينَ ولا مُغَيِّرِينَ ،
ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .
واعلموا أن بالعلم تُستكمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلي محاسنها من بعد
الانتقاب ، فعليكم بالعلم النافع ، دليلاً بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا
الباب ، والموصل إلى الباب ، والله عزّ وجلّ يقول ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ
يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر: ٩)
والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيفة ، وشَرْطُهُ الخشية لله تعالى
والخيفة ، وخاصة الملاء الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تُتلى ، والسبيل في
الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى التجلّة عادة ، والذخر الذي قليله ينفع ،

١ الأزهار : السهاد .

وكثيره يشفع^١ ، لا يغلبه الغاصب ، ولا ينسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزّه الدهر إذا مال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، من لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل وإن جم ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتمسوه لبنيتكم ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ، واحملوهم على جمعه ودرّسّيه ، واجعلوا طباعهم تدرّس^٢ لغرسه ، واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جرّاه ، وسهر يهجر له الجفن كترّاه ، تعقلوا لهم ولاية عزّ لا تُعزل ، وتُحلّوهم مثابة رفعة لا يُحطّ فارعا ولا يُستترّل ، واختاروا من العلوم التي ينفعها الوقت ، ما لا يناله في غيره المقت .

وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجم بمنابها المريعة ، من علوم لسان لا تستغرق الأعمار فصولها ، ولا يضايق ثمرات المعاد حصولها ، فإنّما هي آلات لغير ، وأسباب إلى خيّر منها وخير ، فمن كان قابلاً لازدياد ، وألقى فهمه ذا انقياد ، فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحة من سقيمه ، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المنّة ، المهدي كنوز الكتاب والسنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الحلّة ، والتدرّب في طرق النظر وتصحيح الأدلّة ، وهذه هي الغاية القصوى في المنة ، ومن قصر إدراكه عن هذا المرمى ، وتقاعد عن التي هي أسمى ، فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ، وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة ، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكاً ، ورأياً ركيكاً ، ولا يثمر في العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ، وتطويق الاحتقار ، وسميّة الصغار ، وخمول الأقدار ، والحسّف من بعد الإبدار ، وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال ، وأوفق^٣ من قطع العمر في الجِدال ، هذا ابن رشد قاضي المصر

١ الأزهار : والشر الذي قليله يشفع وينفع وكثيره يعل ويضر .

٢ ق : ندى .

٣ ق : وأشفق .

ومُفْتِيهِ ، وملتَمِس الرشد ومُؤَلِّيهِ^١ ، عادت عليه بالسخط الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخطوا سامكم بحامها ، إلا ما كان من حساب ومساحة ، وما يعود بجلوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فممحجور ، وضرم مسجور ، وممقوت مهجور .

وأمرؤا بالمعروف أمرأ رقيقاً ، وانها عن المنكر نهياً حرياً بالاعتدال حقيقة ، واغبطوا من كان من سِنَةِ الغفلة مُقِيْقاً ، واجتنبوا ما تُنْهَوْنَ عنه حتى لا تسلكوا منه طريقاً .

وأطيعوا أمر من ولاه^٢ الله تعالى من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفتنة جَمَرًا ، ولا تُدْأَخِلُوا في الخلاف زيْدًا ولا عَمْرًا .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى عليه الآباء السنة البنين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيء عُرف به . وإياكم والكذب فهو العورة التي لا تُؤَارَى ، والسوأة التي لا يُرْتَاب في عارها ولا يُتَمَارَى ، وأقل عقوبات الكذاب ، بين يدي ما أعد الله له من العذاب ، أن لا يقبل منه صدقه إذا صدق ، ولا يعول عليه إن كان بالحق نَطَقَ .

وعليكم بالأمانة فالخيانة لُوم ، وفي وجه الديانة كُلُّوم ، ومن الشريعة التي لا يعذر بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الحشمة والصيانة ، ولا تجزوا من أقرضكم دين الخيانة ، ولا توجدوا للغدر قَبُولًا ، ولا تقروا عليه طبعاً مجبولاً ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء : ٣٤) ولا تستأثروا بكثر ولا خزن ، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل ولا حزن ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم في كيل أو وزن ، والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو بالكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان في

١ الأزهاري : ومؤتيه .

فُسحة ممتدة ، وسبل الله تعالى غير مُتسدة ، ما لم ينبذ إلى الله تعالى بأمانه ،
ويغمس في الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به سَنَنًا قويمًا ،
وجلى من الجهل والضلال ليلاً بهيماً ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ
جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء :
٩٣) واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرم طباعه ، وامتد في سبيل
السعادة باعه ، لو لم تلتق نور الله الذي لم يهد شعاعه ، فالخلال لم تضق عن الشهوات
أنواعه ، ولا عدم إقناعه ، ومن غلبت عليه غرائر جهله ، فلينظر هل يجب أن
يُزنى بأهله ، والله قد أعدَّ للزاني عذاباً وبيلاً ، وقال ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنا إِنَّهُ
كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (النساء : ٢٢) .

والحمر أم الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ، والله لم يجعله الله في الحياة
شرطاً ، والمحرم قد أغنى عنه بالخلال الذي سوَّغ وأعطى ، وقد تركها في الجاهلية
أقوامٌ لم يرضوا لعقولهم بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضرة في مرضاة الأجساد ،
والله تعالى قد جعلها رجساً محرماً على العباد ، وقرَّنها بالأنصاب والأزلام في
مباينة السداد .

ولا تقربوا الربا فإنه من مناهي الدين ، والله تعالى يقول ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ
الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة : ٢٧٨) وقال : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ
مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (البقرة : ٢٧٩) في الكتاب المبين ، ولا تأكلوا مال أحد بغير حق
يبينه ، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه ، والتمسوا الحلال يسعى فيه
أحدكم على قدمه ، ولا يكل اختياره إلا للثقة من خدمه ، ولا تلجأوا إلى المشابهة
إلا عند عدمه ، فهو في السلوك إلى الله تعالى أصل مشروع ، والمحافظة عليه
مغبوط ، وإياكم والظلم فالظالم مقنوت بكل لسان ، مجاهر الله تعالى بصريح
العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد في الصحاح الحسان . والنميمة فساد
وشتات ، لا يبقى عليه متات ، وفي الحديث « لا يدخل الجنة قتات »^١ .

١ القتات : المنام الذي ينقل الحديث أو الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون (النهاية ٣ : ٢٢٧) .

واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والغيبة فباب الخير معها مسدود ،
والبخل فما رؤي البخل وهو مودود . وإياكم وما يُعتذر منه فمواقع الخزي
لا تستقال عثراتها ، ومظنّات الفضائح لا تؤمن غمراتها ، وتفقدوا أنفسكم
مع الساعات ، وأفسدوا السلام في الطرقات والجماعات ، ورقوا على ذوي الزمانات
والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم في البضاعات . وعولوا عليه وحده
في الشدائد ، واذكروا المساكين إذا نصّبتم الموائد ، وتقربوا إليه باليسير من
ماله ، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله ، وارعوا
حقوق الجار ، واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار ، وتعاهدوا أولي الأرحام ،
والوشائج البادية الالتحام ، واحذروا شهادة الزور فإنّها تقطع الظهر ، وتفسد
السرّ والجهر ، والرّشا فإنّها تحط الأقدار ، وتستدعي المذلّة والصغار ، ولا
تسامحوا في لعبة قمر ، ولا تشاركوا أهل البطالة في أمر . وصونوا المواعيد من
الإخلاف ، والأيمان من حيث الأوغاد والأجلاف ، وحقوق الله تعالى من
الإزراء والاعتساف ، ولا تلهجوا بالآمال العجاف ، ولا تكلفوا بالكهانة
والإرجاف . واجعلوا العمر بين معاش ومعاد ، وخصوصية وابتعاد . واعلموا أن
الله سبحانه بالمِرصاد ، وأن الخلق زرع وحصاد ، وأقلوا بغير الحالة الباقية
الهموم ، واحذروا القواطع عن السعادة كما تُحذر السموم . واعلموا أن الخير أو
الشر في الدنيا محال أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أذية المؤذين ، ولا تقارضوا مقالات
الظالمين ، فالله لمن بُغيّ عليه خير الناصرين ، ولا تستعظموا حوادث الأيام
كلّما نزلت ، ولا تضجوا للأمراض إذا أعضلت ، فكل منقرض حقير ،
وكل مُنقّض وإن طال قصير ، وانتظروا الفرج ، وانتشقوا من جناب الله تعالى
الأرج ، وأوسعوا بالرجاء الجوانح ، [واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبى
لعبد إليه جانح]^١ ، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء ، والجاؤا إليه في البأساء والضراء ،

١ واجنحوا . . . جانح : سقطت من ق وأصل الأزهار .

وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذي يقيد به الشارد ، ويعذب الوارد ، وأسهموا منها للمساكين وافضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ، فمن الآثار « يا عائشة ، أحسن جوار نعم الله ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم » . ولا تطفوا في النعم فتقصروا عن شكرها ، وتلفكم الجهالة بسكرها ، وتتوهموا أن سعيكم جلبها ، وجدكم حكيمها ، فالله خير الرازقين ، والعاقبة للمتقين ، ولا فعل إلا لله إذا نظر بعين اليقين ، والله لا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تذهبوا بذهابه زينكم ، وليلتزم كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ، بما أمكنه من إخلاص وبر ، ومراعاة في علانية وسر ، وللإنسان مزية لا تُجهل ، وحق لا يُهمل . وأظهروا التعاضد والتناصر ، وصلوا التعاهد والتراور ، تُرغموا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوداء ، ولا تتنافسوا في الحظوظ السخيفة ، ولا تتهاوشوا تهاوش السباع على الجيفة ، واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ، فإذا أسديتم معروفا فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساء أمراً فاحصره :

والله لا تنسوا مقارضة سجلي ، وبروا أهل مودتي من أجلي ، ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلبي المهاد ، الذي لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع في العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه إن تغلب العدو على بلده في الافتضاح والافتقار ، ومعوقاً عن الانتقال ، أمام الثوب الثقال ، وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال في الطلب أولى ، وازهدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا فخيرها لا يقوم بشرها ، ونفعها لا يقوم بضرها ، وأعقاب من تقدم شاهدة ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضدة ، ومن بلي بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال ، والتقلل من المال ، وليحذر معاداة الرجال ، ومزلات الإدلال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ، وإفشاء السر ، وسكر الاغترار^١ ، وليصن الديانة ، ويؤثر الصمت ويلزم الأمانة ، ويسر من رضى

١ زاد في التجارية : فإنه دأب الفر ، والمباراة ساقطة من ق والأزهار .

الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق ، وليقف في التماس أسباب الجلال دون الكمال غير التقصان ، والزعازع تسالم اللذّن اللطيف من الأغصان ، وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الحظوظ^١ وغلاباً ، فذلك ضرر بالمروءات والأقدار ، داع إلى الفضيحة والعار ، ومن امتحن بها منكم اختياراً ، أو جبر عليها إكراهاً وإثارةً ، فليتلّق وظائفها بسعة صدره ، ويبدّل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإحنة ، وهي بين إخطاء وسعادة ، وإخلال بعبادة ، وتوقع عزل ، وإدالة بلزاء بيع جد من الدنيا بهزل ، ومزلة قدّم ، واستتباع ندّم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ، جعلكم الله ممّن نفعه بالتبصير والتنبيه ، وممّن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه أسعدكم الله وصيتي التي أصلدتها ، وتجارتني التي لربحكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستنشيت من دروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعتم لآلئها النفيسة القيّم ، استكثرت من بواعث الندّم . ومهما ستمت إطالتها ، واستغرقت مقالاتها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلك الحساب ، وضابط هذا الباب ، كان الله خليفتي عليكم في كل حال ، فاللدينا مناخ ارتحال ، وتأمل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ، جعلها الله من وراء خطة النجاة^٢ ، وثقّق بضائمتها المزجاة ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودع ، والله سبحانه يلاّمه حيث شاء من شمل متصدع ، والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ، ورحمة الله وبركاته .

انتهت الوصية الفريدة في خستها ، الغريبة في فنّها ، المبلغة نفوس الناظرين

١ التجارية : المطلوب .

٢ ق والتجارية : جبل . . . خطته النجاة .

فيها فوق ظنّها ، ولأجل ذلك كان شيخ شيوخنا المؤلف الكبير الفقيه الإمام قاضي القضاة العلامة سيدي الشيخ عبد الواحد ابن الشيخ الإمام عالم المالكية صاحب التآليف العديدة كـ « المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب » - وهو في ست مجلدات [ولولم يكن له غيره] لكان كافياً ، وله مصنفات كثيرة غيره أكثرها في مذهب مالك ، ولم يؤلف في المذهب مثلها - [كثيراً ما يدخل منها في خطبه]^١ .

[وصية لابن الجنان على لسان ابن هود]

رجع إلى ما كنا فيه :

أقول : لم تزل عادة الأكابر من العلماء والملوك الوصية لأولادهم وعماهم باقتضاء النهج الذي يرون فيه السلوك ، وقد وقفت للفقيه الكاتب أبي عبد الله محمد ابن الجنان المرسي الأندلسي رحمه الله تعالى على وصية ضمن رسالة كتبها عن ابن هود ملك الأندلس إلى أخيه اشتملت على ما لا بدّ منه ، فرأيت أن أذكرها هنا تميماً للفائدة ، ونصها بعد الصدر :

من مجاهد الدين ، وسيف أمير المؤمنين ، عبد الله المتوكل عليه أمير المسلمين محمد بن يوسف بن هود ، أيده الله تعالى بنصره ، وأمدّه بتمكينه ، وأعانه على ما ينويه من إحياء معالم دينه ، إلى صينونا المبارك ، وقسيمنا وأخينا المخصوص بتبجيلنا وتكريمنا ، وحُسامنا المتتضي المرتضى لإمضاء عزمنا وتصميمنا ، الأمير الأعلى ، الموقر الأسمى ، الميمون النقيية المحمود السجية ، الأحب النية ، الأعز علينا ، المتمم بمساعيه الصالحة كل ما نويّنا ، أدام الله تعالى تظفيره وإسعاده ، وأمضى في الحق قواضيه وصيعاده ، ووالى معاونته وإنجاده ، وتولى توفيقه

١ قد سقط ما بين معقنين من ق والتجارية ، وزدناه حسب المعنى من أزهار الرياض .

وإرشاده ، سلام طيب كريم زالك يخلصكم ورحمة الله تعالى وبركاته .
 أما بعد — فالحمد لله الذي أوضح للحق سبيلاً ، ومد ظل رحمته على الخلق
 ظليلاً ، وجعل العدل يحفظ نظام الإسلام كفيلاً ، ونزل الأحكام على قدر
 المصالح تنزيلاً ، ونصب معالم الهدى علماً لمن اقتدى ودليلاً ، وألهم إلى ما
 يرضاه عملاً ومعتقداً وقيلاً ، وصلواته الطيبة ، وبركاته الصيبة ، على سيد
 العالمين ، وخاتم النبيين ، محمد رسوله الذي فضله بخلته واصطفاه تفضيلاً ، وبعثه
 بالحنيفية السمحة فيبينها تبييناً وفصلها تفصيلاً ، ورتبها كما أمره ربه إباحة وتندباً
 وتحريماً وتحليلاً ، حتى ثبتت سنة الله ﷻ فلن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن
 تجد لسنة الله تحويلاً ﴿ (فاطر : ٣) ﴾ وعلى آله وصحبه الذين فهموا ما جاءهم
 به عليه الصلاة والسلام نصاً وتأويلاً ، وأبقوا من سيرتهم الفاضلة ، وأحكامهم
 العادلة ، أساساً للمتقين جليلاً ، ومآثر للمقتفين تسبّح الأفهام والأقلام في
 بحارها سبّحاً طويلاً ، وأمضوا عزائمهم تنسخ بالحق باطلاً وبالهدى تضليلاً ،
 ورضوان الله تعالى يتوالى على خليفته ، وحامل أمانته إلى خليفته ، الذي كل
 الله تعالى له موجبات الإمامة تكميلاً ، وأناله من هدي النبوة أفضل ما كان
 للهداة ميلاً ، سيدنا ومولانا الإمام المنتصر بالله تعالى أبي جعفر المنصور أمير
 المؤمنين المتبوء من ساحة الشرف والجلالة محلاً شريفاً جليلاً ، والمنتخب من
 محبوبية بيت الرسالة الذي وجد الوحي عنده معرّساً ومقيلاً ، والدعاء له من
 لدن العزيز القوي بنصر يأتي لإمداده بمدد الملائكة قبيلاً ، وفتح يؤتي الإيمان من
 الظهور بغية وتأميلاً — .

فإنّا كتبناه إليكم كتب الله تعالى لكم عزماً لا يزال عَضْبُهُ صقيلاً ، وعزاً
 يروق بإظهار الحق غرةً وتحجيلاً ، ورأياً لقداح السداد والنجاح مُجِيلاً ، وسعداً
 يوصل إلى الإسعاد برضاه توصيلاً ، من حضرتنا بمرسية حرسها الله تعالى ، ونحن
 نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو على فضله الذي أناله جسيماً جزيلاً ، ونتوكل
 عليه ، توكل من يلجأ في كل أحواله إليه ، وكفى بالله وكيلاً ، ونستعينه على أمور

المسلمين التي حملنا منها أمانة كبيرة وعيبتاً ثقيلاً ، ونقف بالضراعة بين يديه ،
 طلباً لما يخلصنا لديه ، عساه أن يجعل لرغبتنا قبُولاً وتوسيلاً ، ونعوذ به من
 كل عمل لا يكون حاصله إلا مآلاً وبيلاً ، وعرضاً من الدنيا قريباً ومتاعاً قليلاً .
 إننا - والله المرشد - لنعلم أن هذا الأمر الذي قللنا الله تعالى منه ما قللده ،
 وأسندنا إلينا من أمور خلقه فيما أسنده ، قد ألزمتنا من حقوقه الواجبة ، وفروضه
 الراتبة ، ما لا استطاع إلا بمعونته أدائه ، ولا يستتب إلا بتوفيق الله تعالى انتهاؤه
 وابتدأؤه ، فهو المشكور عز وجهه على نعمته ، والمستعان على ما يلبي من رضاه
 ويقرب من رحمته ، وأن كل امرئ بشأنه مشغول ، وعن خوئية نفسه مسؤول ،
 ونحن بما استرعانا الله تعالى مشغولون ، وعن الكبير والصغير مسؤولون ، وعلينا
 النصيحة لله في عباده وبلاده ، والنظر لهم بمآلاتهم المجتهد واجتهاده ، ولا
 قوة إلا بالله عليه توكلنا ، وبه إليه توصلنا ، فعيننا تسهر لنتنام للرعية عيونهم ،
 ونحركنا يتصل ليحصل لهم سكونهم ، وأملنا أن لا نقر فيهم بحول الله تعالى ظلماً
 ولا هضمًا ، ولا نخرم لهم في إقامة حقوق الله ما استطعنا نظماً ، وأتقن ينصرف عن
 هذا القصد بعمله ونيته ، من يعرف أن الله جل جلاله لا يجوز ظلم ظالم في بريته ،
 ولعل الله الذي حملنا ما حملنا ، واستعملنا بمشيئته فيما استعملنا ، أن يهب لنا
 توفيقه ، ويسلك بنا إلى هداه طريقه .

ألا وإن من وليناه أمراً من أمور المسلمين فهو مطلوب به ، وموقوف عليه
 عنده ، فليُنظر امرؤ في جزئية ما نيظ به وكيئته ، وليراقب فيما لديه عالم خفيته
 وجليته ، ألا وكلكم راعٍ وكل راعٍ مسؤول عن رعيته ، فمن حفظ الله حفظه
 الله في نفسه وآله ، وقضى له بالسعادة في حاله ومآله ، وأنجاه يوم عرضه وسؤاله ،
 والخلق عيال الله فأحبهم إليه أحبهم لعياله . العدل العدل فيه قامت السموات
 والأرض ، وإقامته أقيمت السنة والقرص ﴿ اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾
 (المائدة : ٨) وأقوى ما تشد به أركان الدين وتقوى ، أما إن الحق في أن لا تتعدى

أساليب الشرع وقوانينه ، وأن لا يتجاوز في قضية من القضايا إفصاحه وتبيينه ، وأن يجازى بحكمه المسيئون والمحسنون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .
ألا وإننا قد عثرنا لبعض قواد الجهات وحكامها على أمور أنكرنا معرفتها ، واستقبحنا مستوصفاتنا ، وورثنا إلى الله تعالى من متغيراتها ومخرفاتها ، وعلمنا أن منهم أقواماً لا يتوزعون عن الأموال والدماء ، ولا يحذرون فيما يأتون ويدّرون جبار الأرض والسماء ، فأزلنا بحمد الله ذلك ونحوه ، وعجلنا ابتغاء رضاه محقة ومحوة ، وأنبعثنا لنظر جديد ، واستئناف لإصلاح أحوال وتسديد ، وتغليظ في المحرمات وتشديد ، واستقبلنا ما يوسع الأمور ربطاً وضبطاً ، ويفيض على الأمة بعون الله تعالى عدلاً وقسطاً ، وتعين علينا فيما رأيناه لإنفاذ الخطاب إلى كل من استكفينا بالبلاد ، ووليناه النظر عنا في مصالح العباد ، بما يكون إن شاء الله تعالى الاعتماد على فصوله ، والاستناد إلى محموله ، والاجتهاد بحسب فروعه وأصوله :

فأول ما نوصيكم به وأنفسنا تقوي الله في كل حال ، ومراقبة أوامره وتواحيه عند كل انتحاء وانتحال ، والوقوف عند حدود الله التي حدها ، وأرصدها بإزاء موجباته وعدها ، فإنه لا يتعداها إلا من رام تعقّي رسمها وطمسه ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (الطلاق : ١) والمحافظة على ما به تحفظ الشريعة ، والملاحظة لما يضم الرعايا من حوزة أولى الحياطة المنفعة ، والمثابرة على ما تكف به أكف الاعتداء ، والمبادرة إلى الاهتمام بالسلف الصالح والاعتداء ، والطريقة المثل ، وآيات الله التي تتلى ، وهداياته التي لأبصار البصائر تجل ، وخفّض الجناح ، والأخذ بالرفق والإنجاح ، وتوخي الحق الذي هو أوضح انبلاجاً من فلق الإصباح ، والحلم والأناة ، والمذاهب المستحسنات ، والأمور البيّنات .

والله الله في الدماء فإنها أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فيها ، ولا سبيل لاستحلالها إلا بعد ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل المسلم

لأخيه ، وقد قال مالك الأمر والخلق ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الأنعام: ١٥١) فتثبتوا فيها فأمرها جليل ، وتحريمها لا يدخله تحليل ، وإياكم أن تجعلوا فيها لأحد من ولاية الجهاد حكماً أو نظراً ، أو تَكِلُوا إليهم منها مستكراً أو مستتراً ، فإنه إذا استبد بالقضاء فيها كل والٍ ذهبت هدرأ ، واستباحها الجاهل والجاهل أشراً وبطراً ، وربما كان فيهم من في طباعه سبعية فيقتل بها الناس قتلاً ذريعاً ، ويتسهل بذلك من جوره صعباً ويرتكب بهمه شنيعاً ، ويذهل عن قول الله تعالى ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: ٣٢) فأنتى تحمل المساعدة في هذا الشأن ، أو يحكم به كل إنسان في نفوس أهل الإيمان ؟ معاذ الله أن يكون هذا ونحن نعرفه ، أو ينصرف إليه نظرنا فلا نزله ولا نصره ، فسدوا هذا الباب سداً ، وصدوا عنه مَنْ أمه صدأ ، وكفوا كل ما كان من الأيدي للدماء ممتداً ، ومَنْ وجب عليه القتل شرعاً وتعين ، واتضح موجب القصاص فيه وتبين ، فليس لكم إلا القاعدة الكبرى ، تُتَحَرَّى فيها الأحكام عليه بمحضر القاضي والشهود كما يجب أن يتحرى ، بعد أن يتثبت في نازله لديكم ويستجلى ويُستَبْرأ ، فلا تحمل القضية إلا على بصيرة ، وحقيقة مستنيرة ، فقد يلوح في اليوم ما خفي بالأمس ، ويتعذر بعد الإقادة إعادة النفس .

..... وميلاك الأمر في انتقاء من يتصرف ، وتولية من لا يضيع ولا يتحيف ، فتخبروا للأنظار والجهات ، مَنْ تُرْتَضَى سيرته من الولاية ، ولا تستعملوا أهل الفظاظة والجهالة ، والمصرين على الراحة والبطالة ، فإنهم إذا استرعوا أضاعوا ، وإذا دعاهم شيطان الهوى أطاعوا ، وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا ، وميلوا باختياركم إلى المتسمين بالصلاح ، المرتسمين في ديوان الكفاة النصاح ،

١ شرعاً : سقطت من ق .

وأطيلوا مع ذلك التنقيح عنهم والتنقيب ، ولا تغفلوا عن التعمد بالبحث البعيد منهم والقريب ، ومن عثرتم له على منكر من استباحة دم أو مال ، وإضاعة للحقوق وإهمال ، فخلدوا على يده ، وجازوه بفساد مقصده ، وأنزلوه بالمنزل الأقصى ، وعاملوه معاملة من أوصي بتقوى الله فما استوصى .

واصرفوا نظركم إلى القضاة فإن مدار الشريعة إنما هو على ما يستند إليهم ، ويقصر من الأحكام عليهم ، فإذا كانوا من أهل العلم والديانة ، وذوي النزاهة والصيانة ، أمسكهم الورع بزمامه ، وبلغ العهد بهم غاية تمامه ، وإذا كانوا بضدّ هذا قبلوا الرشوة ، وأوطأوا العشوة ، وأطالوا النشوة ، وأحلتوا من الدماء والفروج محرماً ، وطمسوا من السنّة بالليل والمين معلمها ، وحكموا بالهوادة والهوى ، وطووا من الحق ما انتشر ونشروا من الباطل ما انطوى ، فانتقوهم فهم أولى بالانتقاء ، وشرّ جاسيرهم وجاهلهم أحق بالانتقاء ، ولا تقدموهم ولا غيرهم بالشفاعات والوسائل ، ولكن قدموهم بتورعهم في القضايا وعلمهم بالمسائل .

وممّا نؤكد عليهم فيه أمر الشهود ؛ فإن شهادة الزور هي الداء العضال ، والظلمة التي يتستر بها الظلمة والضلال ، والحجة الداحضة التي بها يحلّل الحرام ويحرم الحلال ، وقد كثر في هذا الزمان أهل الشهادة الفاسدة ، ونفقت بهم سوق الأباطيل الكاسدة ، فتقدموا إلى القضاة وفقهم الله تعالى أن لا يقبلوا إلا مشهوراً بركاء وعدل ، موفوراً حفظه من رجاحة وعقل ، ومن كان مغموماً عليه في أحواله ، منبوزاً بالاسترابة في شهادته وأقواله ، فلتردّ شهادته على أدراجها ، وليبطل ما يكون من حجاجها . وأكدوا عليهم عند تعارض العقود في الترجيح ، والنظر في التعديل والتجريح ، لتجري أمور المسلمين على مستوى الحقّ المستبين ، وتبدو المعدّلة مشرقة الغرّة مؤثقة الجبين .

وممّا نأمركم به أن تبحثوا عن العمال ، ولا تولّوا منهم إلا الحسن الطريقة المرضي الأعمال ، ومن لم يكن منهم جارياً على القوانين المرعية ، ناصحاً لبيت المال

رفيقاً بالرعية ، وكان في أمانته حائداً عن الجادة السوية ، قائلاً كما قال قبله ابن التتية^١ ، فليُعوَّض منه غيره ، وليُرفع عن الجانيين ضيره ، فإنه ما كانت الحياة قط في شيء إلا أهلكته ، ولا وضعت في إنسان طبيعة سوء إلا ملكته .

ولئنما هو مال الله تعالى الذي يرزق منه الحياة ، وبه تُسد الثغور المهمات ، فينبغي أن يختار له محتاط في اقتضائه وقبضه ، حافظ لدينه ومروءته في كله وبعضه ، فخلوا في انتقاء هذه الأصناف المسمين ، واطلبوا بهذه الأوصاف المصرفين والمولين ، واجمعوا من الاجتهاد الحميد والقصد والاعتماد الأثر والعين ، وأنصفوا منهم إن تظلم من أحدهم متظلم ، واشفوا بشكوى كل متشكك وألم كل متألم ، واعلموا أن حرمة الأموال بحرمة الدماء لاحقة ، وأن إحدى القضيتين للأخرى مساوية ولاحقة ، ومن أكبر ما ورد في ذلك وأعظمه ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حرمة مال المسلم كحرمة دمه » .

وليكن الناس في الحق سواء لا محاباة ولا مفاضلة ، ولا مجاوزة في تغليب قوي على ضعيف ولا محاولة ، إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وإن دلائل الشرع بمراد الله سبحانه وتعالى لشاهدة ، ولا يؤخذن أحد بجريرة أحد ، ولا ينجني ولد على والد ولا والد على ولد ، فكتاب الله تعالى أولى بالاتباع وأحرى ، لقول الله عز وجل ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (الأنعام : ١٦٤)^٢ اللهم إلا من آوى محدثاً فإنه مأخوذ بما أجرم ، وملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فارفعوا — أعاننا الله تعالى وإياكم — للعدل بكل علم مناراً ، واتخذوا الرفق بالإمامة شعاراً ، فقد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرفق لا يكون

١ يسمى عبد الله بن التتية بن ثعلبة الأزدي ، قال ابن حجر في الإصابة (٤ : ١٢٣) : مذكور في حديث أبي حميد الساعدي في الصحيحين أن النبي (ص) بعث رجلاً على الصلقات يدعى ابن التتية وذكره الفيروزآبادي في تحفة الأبيي (ص : ١٠٧) باسم عمر بن التتية وقيل الأتية الأول قول ابن دريد والثاني قول ابن الكلبي .

٢ وردت الآية أيضاً في سورة الإسراء : ١٥ وفاطر : ١٨ والزمر : ٧ .

في شيء إلا زانه ، ولا يُترع من شيء إلا شأنه » وقد نصّ الكتاب والسنة على مواضع اللين والاشتداد ، ونبها على منازع المقاربة والشداد ، فلا غضب لأمر إلا بما غضب له الله عز وجل ، ولا رضى به إلا إذا استقر فيه رضى الله تعالى وحل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الذي يجلد فوق ما أمر الله تعالى به يقول له الله عز وجل : عبي ، لم جلدت فوق ما أمرتك به ؟ فيقول : رب غضبت لغضبك ، فيقول : أكان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي ؟ ثم يؤتى بالمقصر فيقول : عبي ، لم قصرت عما أمرتك به ؟ فيقول : رب رحمته ، فيقول : أكان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتي ؟ » قال : فيأمر فيهما بشيء قد ذكره لم يحفظه الراوي ، إلا أنه قال : صيروهما إلى النار ، أعادنا الله تعالى منها بفضلها ورحمته ! فليوقف بالقضايا حيث وقف بها الشرع ، ويحفظ الأصل من هذه الوصايا والفرع ، واحتاطوا في الرعية فإنه رأس المال ، والأمانة التي لا ينبغي أن يكون فيها شيء من الإهمال ، ومع توفيقكم لما سطرناه ، في هذا الكتاب وشرحناه ، من أبواب الخير المسعد في المآب والمآل ، فاستوفوا ضروب الصالحات واستقصوها ، واعملوا أعمال البر وخصوها ، واذكروا آلاء الله وقصوها ، ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (إبراهيم : ٣٤) واشتدوا في تغيير المنكرات كلها ، واحسموا أدواءها من أصلها ، ورغبوا الناس في الطاعات واندبواهم إليها ، ووضحوا لهم أعمالهم وحرّضوهم عليها ، وانتهوا في كل سعي ناجح ، ورأي راجح ، إلى أفضل ما ينتهي إليه المنتصحوون ، ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران : ١٠٤) .

وخذوا بعمارة مساجد الله التي هي بيوت الأتقياء ، ومحلّ مناجاة ذي العظمة والكبرياء ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين .
ومروهم بأن يعلموا أولادهم كتاب الله تعالى فإن تعليمه للصغار يطفىء غضب

الرَّبِّ ، ونعم الشفيع يوم القيامة ، والمتوسل فيما يتوج القاريء وأباه تاج الكرامة ، وأرشدوا للخير ما استطعتم ، واتبعوا سبيله فهو أشرف ما اتبعتم ، والله ولي التوفيق والإرشاد ، والملجئ بالهداية إلى طريق الفوز والسداد .

وهذه أوامرنا إليكم امتثلنا أمر الله تعالى فامتثلوها ، وأحضروها في خواطركم مع كل لحظة ومثلوها ، وإننا لما يكون منكم فيها لمستمعون ، ولآثاركم فيما يوفيهام لتطلعون ، وقد خرجنا لكم عن عهدة لزمنا في التذكير ، ونهجننا لكم منها التقديم والتأخير ، والله تعالى يعلم أننا إنما قصدنا ما نرجو الخلاص به يوم الحساب ، وأردنا رضاه فيما أوردناه من هذا الحظر والإيجاب ، لنرعى حقه سبحانه فيمن استرعانا ، ونسعى في صلاح الأمة عسى الله تعالى أن ينجح فيه مسعانا .

اللهم عبّدك بضرع إليك ، ويخضع بين يديك ، في أن تلهمه إلى ما يعمل قصداً ومعتمداً ، وتهب له من لذلك رحمة وتيسر له من أمره رشداً ، اللهم منك المعونة على ما وليت ، ولك الشكر على ما أوليت ، فاللهدي من هديت ، والخير كله فيما قضيت . اللهم من أعاننا على مرضاتك فكن له معيناً ، وأورده من توفيقك عذباً معيناً ، إنك الولي النصير ، العلي الكبير .

وإذا وصلكم كتابنا هذا فقصوه^١ على الناس مفصلاً ومجملًا ، وأظهروا مضمونه لهم قولاً وعملاً ، واسلكوا بهم من مرادهم سنناً مستجملًا ، إن شاء الله تعالى ، والله سبحانه يديم علاكم ، ويصل إعادتكم في كل محمّد وإبداكم ، ويبرز حظوظكم من السعادة وأنصباكم ، بمنه وكرمه لا ربّ سواه . والسلام الأكرم الأزكى يخصكم ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

وكتب في الرابع والعشرين لحمدى الأولى سنة أربع وثلاثين وستمائة ؛ انتهى .

١ ق : فنصوه .

[ترجمة ابن الجنان]

وهذا ابن الجنان^١ له الباع المديد في النظم والنثر ، ومن شعره رحمه الله تعالى في مرضه الذي توفي فيه ، وهو آخر كلامه :

جهل الطبيبُ شكايتي ، وشكايتي أنَّ الطبيبَ هوَ الذي هو ممرضي
فإن ارتضى برئي تداركَ فضلَهُ وإن ارتضى سقمي رضىتُ بما رضى
ما لي اعتراضٌ في الذي يقضي بهِ لكنَّ لرحمتهِ جعلتُ تعرّضِي

ومن نظمه رحمه الله تعالى ملفزاً في بطيخة :

وحُبلى بأبناء لها قد تمخضوا بأحشائها من بعد ما ولدوها
كسوها غداةَ الطلقِ بُرداً معصفاً على يفتى أزارها عقدوها
ولما رأوها قد تكاملَ حُسْنها وأبدرَ منها طالعٌ حسدوها
فقد واقميصَ البدرِ بالبرقِ واجتلوا أهلتها من بعد ما فقدوها
ولو أنصفوا ما أنصفوا بدر تمها ولا أعدموا الحسنة إذ وجدوها

وقال أيضاً ملفزاً في الميل ، وهو المِرْوَد :

مسترخص السوم غال عال له أيُّ خطوه
ما جاوز الشبر قدراً لكنَّهُ ألفُ خطوه

وهذا استخدام ما به باس ، لأنه اكتسى من الحسن خير لباس ، وكم لهذا

١ كتب حيثما ورد في ق والتجارية « ابن الجيان » - بالياء - وهو خطأ ؛ فقد ذكره ابن عبد الملك في مواضع من الذيل والتكملة (٤ : ١٠٨ و ٥ : ٣٢٧ . . .) بالنون ؛ ونسخة الجزء الخامس من الذيل والتكملة مضبوطة مصححة . وكذلك ثبت اسمه في المصادر التي ترجمت له (انظر الإحاطة ٢ : ٢٥٦ - ٢٦٤ وعنوان الدراية : ٢١٣) . وله في الذيل والتكملة (٥ : ٣٢٧) رسالة إلى أبي عبد الله ابن عابد ، وفي (٤ : ١٠٨) تعزية في أستاذة سهل بن مالك ، والجزء الذي ترجم له فيه ابن عبد الملك لا يزال مفقوداً ، وعنه ينقل لسان الدين .

الكاتب من محاسن ، ماؤها غير آسن .
وقد عرّف لسان الدين في الإحاطة بابن الجنان ، وأطال في ترجمته ، ونشير
إلى بعض ذلك باختصار .
وهو محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري من أهل مرسية ، أبو عبد الله ابن
الجنان .

كان محدثاً راوية ضابطاً ، كاتباً بليغاً شاعراً بارعاً ، رائق الخط ، ديناً
فاضلاً ، خيراً ذكياً ، استكتبه بعض أمراء الأندلس فكان يتبرم من ذلك ويقلق^١
منه ، ثم خلصه الله تعالى منه ، وكان من أعاجيب الزمان في إفراط القماء ،
حتى يظن رائيه الذي استدبره أنه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها ، متناسب
الخلقة ، لطيف الشائل وقوراً ، خرج من بلده حين تمكن العدو من قبضته سنة
٦٤٠ ، فاستقرّ بأريولة إلى أن دعاه إلى سبته الرئيس أبو علي ابن خلاص^٢ ،
فوفد عليه ، فأجلّ وفادته ، وأجزل إفادته ، وحظي عنده حظوة تامة ، ثم
توجّه إلى إفريقية ، فاستقرّ ببجاية ، وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات
ظهرت فيها براعته ، وروى ببلده وغيره عن أبي بكر ابن خطاب وأبي الحسن
سهل بن مالك وابن قطرال وأبي الربيع ابن سالم وأبي عيسى ابن أبي السداد وأبي
علي الشلوين وغيرهم ، وكان له في الزهد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم
بدائع ، ونظم في المواعظ للمذكورين كثيراً ، انتهى مختصراً ، وإلا فترجمته في
الإحاطة متسعة ، رحمه الله تعالى .

ولما كتب له أبو المطرف ابن عميرة برسائله الشهيرة التي أولها « تحييك
الأقلامُ تحية كسرى ، وتقف دون مدّاك حَسْرَى » وهي طويلة ، أجابه بما

١ الإحاطة : ويضيق .

٢ هو الحسن بن خلاص تولى سبته سنة ٦٣٧ ثم ثار فيها في زمن السيد أبي الحسن ابن المعتض بالله من
خلفاء الموحدين سنة ٦٤١ وباع للأمر أبي زكريا الحفصي صاحب تونس . وكانت وفاته سنة ٦٤٦
(ابن عذاري ٣ : ٣٥٩ ط . تلوان) .

نصّه : « ما هذه التحية الكسروية؟ وما هذا الرأي وهذه الروية ؟ أتُنكِتُ من الأقلام ؟ أو تَبكِتُ من الأعلام ؟ أو كلا الأمرين توجّهَ القصدُ إليه ، وهو الحقّ مصداقاً لما بين يديه ؟ وإلاّ فعهدي بالقلم يتسامى عن عكسه ^١ ، ويطرأى للغاية البعيدة بنفسه ، فمتى لانت أناييهُ للعاجم ، ودانت أعاريه للأعاجم ؟ واعتجّباً لقد استنوق الحمل ، واختلف القول والعمل ، لأمرٍ ما جدّغَ أنفه قصير ^٢ ، وارتد على عقبه الأعمى أبو بصير ، أمسرٍ أستقي من سحابه فلا يسقيني ، وأستشفى بأسمائه فلا يشفيني ، واليوم يُحَلّتي محلّ أنوشروان ، ويشكو مني شكوى الزيدية من بني مروان ^٣ ، ويزعم أنني أبطلت سحره بثر ذروان ^٤ ، ويخفي في نفسه ما الله مبيده ^٥ ، ويستجدي بالأثر ^٦ ما عند مستجديه ، فمن أين جاءت هذه الطريقة المتبعة ، والشرعة المبتدعة ؟ أيعظن أن معّمّاه لا ينفك ، وأنه لا ينجلي هذا الشك ؟ هل ذلك منه إلا إحماض الثّبي ، وإحماض تفتّيه ، ونشوة من خمر الهزل ، ونخوة من ذي ولاية آمنٍ من العزل ؟ تالله لولا محلّه من القسم ، وفضله في تعليم النّسم ، لأسمعته ما ينقطع به صلكه ، وأودعته ما ينصدع به صدّقه ، وأشرت بطرف المشرفي وحده ، وأشرت إلى تعاليه عن اللعب بجمده ، ولكن هو القلم الأوّل ، فقوله على أحسن الوجوه يتأوّل ، ومعدود في تهذيبه ، كل ما لسانه يهذي به ، وما أنساني إلا الشيطان أياديه أن أذكرها ^٧ ، وإنّما أقول :

١ أي من الملق .

٢ هذا مثل يرد في قصة الزباء وجديمة .

٣ الزيدية : أتباع زيد بن علي ، وقد قتله الأمويون في زمن هشام بن عبد الملك .

٤ بثر ذروان : بناحية المدينة ، وفي حديث هشام بن عروة أن لييد بن الأصم سحر الرسول وخبأ السحر في تلك البثر .

٥ إشارة إلى الآية : « وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس » .

٦ ق : بالأسد ؛ التجارية : بالأثر

٧ من الآية : « وما أنساني إلا الشيطان أن أذكره » .

ليت التحية كانت لي فأشكرها^١

ولا عتب إلاّ على الحياء ، المبرحة بالبرحاء ، فهي التي أقامت قيامتي في
الأندية ، وقامت عليّ قيام المتعدية ، يتظلم وهو عين الظالم ، ويُلين القول وتحت
سم الأراقيم ، ولعمر اليراعة وما رضعت ، والبراعة وما صنعت ، ما خامرني
هواها^٢ ، ولا كلفت بها دون سواها ، ولقد عَرَضَتْ نفسها عليّ مراراً ،
فأعرضتُ عنها ازوراراً ، ودفعتها عني بكل وجه ، تارة بلطفٍ وأخرى بنَجْه^٣ ،
وخفتُ منها السامة ، وقلت : انكحي أسامة ، فرضيت مني بأبي جهم^٤ وسوء
ملكته ، وابن أبي سفيان وصعلكته^٥ ، وكانت أسرع من أم خارجة للخطبة ،
وأسمح من سجاح^٦ في استنجاح تلك الخطبة .

« ولقد كنت أخاف من انتقال الطباع في عشرينها ، واستثقال الاجتماع من
عترتها ، وأرى من الغبن والسفاه ، أخذها وترك بنات الأفواه والشفاه^٧ ، إذ هي
أيسر مؤونة ، وأكثر معونة ، فغلطني فيها أن كانت بمثل تنوارى صنوناً عن
الشمس ، ومن نسوة خفوات لا ينطقن إلا بالهمس ، ووجدتها أطوع من البنان
للكف ، والعنان للكف^٨ ، والمعنى للاسم ، والمنعنى للرسم ، والظل للشخص ،
والمستدل للنص ، فما عرفت منها إلاّ خيراً أرضاه ، وحسبتها من الحافظات

.....

- ١ من شعر كثير عزة ؛ وتماه : مكان يا جبل حيث يا رجل .
- ٢ الضمير عائذ إلى « الحاء » ولعله يعني قصيدة أو رسالة بنيت على تكرير الحاء في كل كلمة .
- ٣ النجى : الرد القبيح .
- ٤ في ق والتجارية : أبو جهل ، وهو خطأ ، انظر التعليق التالي .
- ٥ يشير إلى قصة فاطمة بنت قيس أخت الضحاك حين خطبها معاوية وأبو جهم : أما معاوية فوصف بأنه صملوك لا مال له ، وأما أبو جهم فإنه لا يضع عصاه من عاتقه (أي يضرب النساء) ، وتزوجت فاطمة بعد ذلك أسامة بن زيد .
- ٦ قصة زواج سجاح من مسيلمة مشهورة ؛ وقد ضرب بها المثل في الإسماح .
- ٧ بنات الأفواه والشفاه من الحروف مثل الباء والميم . . . إلخ .
- ٨ الكف : الكبح والمنع .

للغيب بما حفظ الله ، فعجبت لها الآن كيف زلت نعلها ، ونشزت فنشرت ما استكتمها بعلمها ، واضطربت في رأيها اضطراب المختار بن أبي عبيد^١ ، وضربت في الأرض تسعى علي^٢ بكل مكر وكيد ، وزعمت أن الجحيم خدعها ، وألان أخذَ عَمَّا ، وأخبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور^٣ ، وأحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور^٤ :

« فقد جاءت إفكاً وزوراً ، وكثرت من أمرها متزوراً ، وكانت كالقوس أرنت^٥ وقد أصمت القنيص ، والمراودة قالت ﴿ مَا جَزَاء ﴾ وهي التي قدت القميص^٦ ، وربما يظن بها الصدق وظن الغيب ترجيم ، ويقال : لقد خفضت الحياء بالجوار لهذا الجحيم ، وتنتصر لها التي خيمت بين الرجسة والريحانة ، وختمت السورة باسم جعلت ثانيه أكرم نبي على الله سبحانه ، فإن امتعضت لهذه الكلمة ، تلك التي سبقت بكلمتها بشارة الكلمة ، فأنا ألوذ بعلمها ، وأعوذ بفضلها ، وأسأله أن تقضي قضاء مثلها ، وتعمل بمقتضى ﴿ فابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ (النساء : ٣٥) .

« على أن هذه التي قد أبدت مَينَها ، ونسيت الفضل بيني وبينها ، إن قال الحكماء : منها كان التشوز ، عادت حرورية^٧ العجوز ، وقالت : التحكيم في دين الله تعالى لا يجوز ، فعند ذلك يحصص الحق ، ويعلم من الأولى بالحكم والأحق ، ويصيبها ما أصاب أروى ، من دعوة سعدية حين الدعوى ، ويا ويحها أرادت أن تجني علي^٨ فجنت لي ، وأناخت لي مركب السعادة وما ابتغت إلا نخلي ، فأتى شرها بالخير ، وجاء النفع من طريق ذلك الضير ، أتراها علمت

١ المختار بن أبي عبيد الثقفي الناصر المطالبة بدم الحسين؛ حوالي ٦٥ هـ . لم يكن ثابت الرأي مخلص النية .

٢ أي سيبلغ خبرها إلى مكان ناء ، والخابور من روافد الفرات .

٣ يعني سابور ذا الأكتاف ويقال إنه تنكر ودخل بلاد الروم فوقع في يد قيصر .

٤ إشارة إلى قصة امرأة العزيز « وراودته التي هو في بيتها من نفسه » وعندما انفصح الأمر قالت

« ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً . . . الآية » .

٥ أي ترفض التحكيم وتقول : لا حكم إلا لله .

بما يثيره اعوجاجها ، وينجلي عنه عجاجها ، فقد أفادت عظيم الفوائد ، ونظيم الفرائد ، ونفس الفخر ، ونفيس الدر ، وهي لا تشكر أن كانت من الأسباب ، ولا تذكر إلا يوم الملاحاة والسباب .

« ولأنما يستوجب الشكر جسيماً ، والثناء الذي يتضوع نسيماً ، الذي شرف إذ أهدى أشرف السحائم ، وعرف بما كان من انتحاء تلك الحاء المذمومة في الحاءات ، فإنه وإن ألم بالفكاهة ، بما أمل من البداة ، وسمى باسم السابق السكيت ، وكان من أمر مداعبته كيت وكيت ، وتلاعب في الصفات تلاعب الصفاح والصبا بالبانة ، والصبا بالعاشق ذي اللبانة ، فقد أغرب بفنونه ، وأغرى القلوب بفتونه ، ونفت بخفية الأطراف ، وعبث من الكلام المشقق بالأطراف ، وعلم كيف يحض البيان ، ويخلص العيان ، فمن الحق شكره على أياديه البيض ، وإن أخذ لفظة من معناه في طرف التقيض .

« تالله أيها الإمام الأكبر ، والغمام المستمطر ، والحبر الذي يشفى سائله ، والبحر الذي لا يرى ساحله ، ما أنا المراد بهذا المسلك ، ومن أين حصل ذلك النور لهذا الخلق ، وصح أن يقاس بين الحداد والملك ؟ إنه لتواضع الأعزة ، وما يكون عند الكرام من الهزة ، ونحرىض الشيخ للتلميذ ، وترخيص في إجازة الوضوء بالنيذ ، لو حضر الذي قضى له بجانب الغري أمر البلاغة ، وارتضى ما له في هذه الصناعة ، من حسن السبك لخليها والصياغة ، وأطاعته فيما أطلعت طاعة القوافي الحسان ، واتبعت فيما جمعته لكن بغير إحسان ، لأذعن كما أذعنت ، وظمن عن محل الإجادة كما ظعنت ، وأنتى يضاهى الفرات بالنغبة ، ويباهى بالفلوس من أوتي من الكنوز ما إن مفاخمه لتتوء بالعصبة ، وأي حظ للكلالة بالنشب ، وقد اتصل للورثة عمود النسب ، هيهات والله المطلب ، وشتان الدر والمتخشب ، وقد سيم الغلب ، ورجع إلى قياده السلب .

« وإن كنا ممن تقدم لشدة الظلم إلى المنهل ، كن أقدم إلى عين تبوك بعد النهي للعلل والمنهل ، فقد ظهرت بعد ذلك المعجزة عياناً ، وملأ ما هنالك جناناً ،

وما تعرضنا بإساءة الأدب واللوم ، ولكن علمنا أن آخر الشرب ساقى القوم ، وإن أسهبنا فما نلنا رتبة ذلك الإيجاز ، وإن أعرقنا فهو لنا في الحجاز ، فلكم قصيرات الحجال ، ولنا قصيرات الخطا في هذا المجال ، وإكثارنا في قلة ، وجارنا من الفقر في فقر وذلة ، ومن لنا بواحدة يشرق ضياؤها ، ويخفي النجوم خجلها منها وحيائها ؟ إن لم تطل فلأنها للفروع كالأصل ، وفي الجموع كتيلة الوصل ، فلو سطع نورها الزاهر ، ونورها الذي تطيب منه الأنوار الأزاهر ، لسجدت النيران ليوسف ذلك الجمال ، ووجدت تفحات ريتاها في أعطاف الجنوب والشمال ، وأسرت نحوها النفوس لإسراع الحجيج يوم النفر ، وسار خبرها وسرى فصار حديث المقيمين والسفر ، وما ضر تلك السخرة في تجليها ، الساحرة بتجنيها ، أن كانت بمنزلة ربيبتها بل ربيبتها ، هذه التي سبقتني لما سقتني بسيتتها^١ ، ووجدت ريحها لما فصلت من مصر غيرها ، وحين وصلت لم يدلني على سارها إلا عيبرها ، وكم رامت أن تستر عني بليل خبرها في هذه المغاني^٢ ، فأغراني بهاؤها^٣ وكل مغرم مغرى بيباض صبح الألفاظ والمعاني ، وهل كان ينفعها ، تلفحها بمرطها وتلفعها ؟ إذ نادتها المودة ، قد عرفناك يا سودة ، فأقبلت على شم نشرها وعرفها ، ولثم سطرها وحرفها ، وقربت الثناء الحافل ، وقرأتها فزيت بها المحافل ، ورمت أمر الجواب ، فعزني في الخطاب ، لكن رسمت هذه الرقعة التي هي لديكم بعجزي واشية ، وإليكم مني على استحياء ماشية ، وإن رقت وجهها فما رقت لها حاشية ، فمنا بقبولها على عللها ، وانقعوا بماء سماحتكم حرر غللكها ، فإنها وافدة من استقر قلبه عندكم وثوى ، وأقر بأنه يلقط في هذه الصناعة ما يلقي للمساكين من النوى ، بقيم سيدي للفضل والإغضاء ، ودمت غرة في جبين السمحة البيضاء ، واقتضيت السعادة

١ السيرة : الذين قبل نزول الدرة .

٢ ق : أن يستر عني الليل خبرها في هذه المغاني .

٣ ق : بها .

المتصلة مدة الاقتضاء ، يئمن الله سبحانه » انتهى .

ومن نثر ابن الجنان رحمه الله تعالى في شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم :
« لمحمد خير الأنام ، ولبيته التمام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، خيرة المفاخر ،
يتضاءل لعظمتها المفاخر ، والمعالى ، يتصاغر لعزتها المعالي ، والمكارم ، يعجز
عن مساجلتها المكارم ، والمناقب ، لا تضاهي سناها النجوم الثواقب ، والمحامد ، لا
يبلغ مداها الحامد ، والمماجد ، لا يتعاطى رتبتهن المماجد ، والمناسب ، سمت
بجلالهن المناصب ، والعناصر ، طيبها الشرف المتناصر ، والفضائل ، تفجرت
في أرجائهن الفواضل ، والشمال ، تأرججت بعرفهن الجنايب والشمال ، فلا
مُجاري لسيد البشر ، الآتي بالندارات والبشائر ، فيما حباه الله تعالى به وخصه ،
وقصه علينا من خلقه العظيم ونصه ، عند رسم مدائحه يوجد المعول ، وفي الثناء
عليه يستقصر الكلام المطول ، هو الآخر في ديوان الرسالة والأول ، وله
في الفضيلة ، وقبول الوسيلة ، النص الذي لا يؤول ، نوره صدع الظلم ، وظهوره
رفع لدين الله تعالى العلكم ، بدأه الوحي وهو بحراء ، وأسر إليه سر تقدم الإسراء ،
حتى إذا نصب له المعراج ، وتوقد في منارة السماء ذاك السراج ، ناجى الحبيب
حبيه ، وجلا عن وجه الجلاء جلاييه ، فتلقى ما تلقى ، لما علا وترقى ، ثم صدر
عن حضرة القدس ، وجبين هدايته يبهّر سنا الشمس ، فشق لمعجزاته القمر ،
ونهى بأمر ربه وأمر ، وأزال الجهالة ، وأزاح الضلالة ، وكسر منصوب الأوثان ،
ونصر من قال واحد أحد على من قال ثالث ثلاثة أوثان ، وبني الملة على قواعدها
الخمس ، وأحيا دين إبراهيم وكان رفاتاً بالرمس ، فرفلت الحنيفة البيضاء في
بردة الجدة ، وبيضت بيضاء غرتها أوجه الأيام المسودة ، وانتشرت الرحمة
بنيها ، ومطرت الرحمة من سحب حياها ، وافتنن الآيات الباقيات البيئات في
مساقها واتساقها ، وإشراقها في آفاقها واتلاقها .

« وشهد الحجر والشجر ، والماء من بين البنان يتفجر ، والظبية والضرب ،
والجدع المشتاق الصب ، والشاة والبعر ، والليث إذا هدأ أو سمع منه الزئير ،

والحي والحمد ، والقَصَّة والزاد ، بأن محمداً رسول الملك الحق ، والمبلغ عنه بواسطة الملك إلى الخلق ، وصاحب اللواء المعقود ، والمقام المحمود ، والحوض المورود ، والقول المسموع ، والذكر المرفوع ، والصدر المشروح ، والفخر الباهر الوضوح ، والأنوار المتناقلة ، والآثار المتداولة ، والنبوة التي عهدُها تقادم ، من قبل خلق آدم ، والمزية المعروفة قدرها الجليل ، المقبول فيها ما دعا به الخليل ، والرتبة التي استشرف إليها الكليم ، حتى قال له ﴿ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٤) ربُّه الكريم ، والبشارة التي كان بها يصيح حين يسبح ، روح الله تعالى وكلمته عيسى المسيح ، والشفاعة التي يرجوها الرسل والأمم ، ويقرع بها الباب المرتج المبهم ، فما لبينا المختار ، من علو المقدار ، واصطفاء الجبار ، والاختصاص بالآثرة ، والاستخلاص للحضرة ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا .

«وحسب هذا الوجود من الفضل الرباني والوجود الذي لم يزل عظيمًا ، أن بعث الله تعالى فيه رسولاً رؤوفاً بالمؤمنين رحيمًا ، عزيزاً على ربِّه الكريم كريمًا ، بسرِّه سجدت الملائكة لآدم تعظيمًا ، وبذكره ينظم سلك المادح لحضرته العلية تنظيمًا ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا ، صلاة تتصل ما دار كأس محبته على أحبته . فكان مزاجه تَسْنِيمًا ، وسلاماً ينزل دار دارين . فيرسل بيضائعها إلى روضة الرضى نسيماً » .

ومن خطبه المرتجلة قوله ساعه الله تعالى :

«الحمد لله الذي حمده من نعمائه، وشكره على آلائه من آلائه ، أحمدته حمداً عارف بحق سنائه ، واقف عند غاية العجز عن إحصاء ثنائه ، عاكف على رسم الإقرار بالافتقار إليه والاستغناء به في كل آثائه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتوحد بعظمته وكبريائه ، المتقدس عما يقوله الملحدون في أسمائه . وأصلي على سيد ولد آدم ونخبة أنبيائه ، محمد المفضل على العالمين باجتماعه

واصطفائه ، المنتقى من صميم الصميم وصريح الصريح بجملة آياته ، المرتضى
الإمارة والمكانة بإبلاغ أمر الله وأدائه ، أرسله الله للناس كافة عموماً لا يتخصص
باستثنائه ، وفَضَّلَه بالآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة على أمثاله من المرسلين
ونُظرائه ، ورقاه إلى الدرجات العلا وأنهاه إلى سِدْرَةِ المنتهى ليلة إسرائه ،
وَحَبَّاه بالخصائص التي لا يضاهي بها بهاء كماله وكمال بهائه ، وَرَدَّاه رِداء العصمة
فكانت عناية الله تكفنه عن يمينه وشماله وأمامه وورائه^٢ ، ووفاه من حظوظ البأس
والندى ما شهد بمزيتته على الليث والغيث في إباته وانهمائه ، صلى الله عليه وعلى
آله مصابيح الهدى ونجوم سمائه ، صلاة تتصل ما سمع البدر بائتلاق أنواره
والقطر ياندفاق أنوائه ، وسلم تسليمًا .

ومن نوره رحمه الله تعالى رسالة كتب بها من الأندلس إلى سيد الكونين
صلى الله عليه وسلم ، وهي :

« السلام العميم الكريم ، والرحمة التي لا تبرح ولا تريم ، والبركة التي أولها
الصلاة وآخرها التسليم ، على حضرة الرسالة العامة الدعوة والنبوة ، المؤيدة
بالعصمة والأيد والقوة ، ومثابة البر والتقوى فهي لقلوب الطيبين صفاً ومروءة ،
مقام سيد العالمين طُوراً ، وهاديهم عبداً وحرراً ، ومنقذهم من أشراك الهلاك وقد
ظلما ألفوا العيش ضنكاً والدهر مُراً ، ومقر الأنوار المحمدية ، والبركات
السرمدية ، أمتع الله تعالى الإسلام والمسلمين بحراسة أضوائها ، وكلاءة ظلها
العلية وأفيائها ، وأقر عين عبدها بلثم ثراها ، والانخراط في سلك من يراها .

« السلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا أحمد ، السلام عليك يا أبا القاسم ،
سلام من يمدّ إليك يد الغريق ، ويرجو الإنقاذ ببركتك من نكد المضيق ،
ويتقطع أسفاً ويتنفس صعداً كلما ازدلف إليك فريق ، وعمرت نحوك طريق ،

١ ق : مجد . -

٢ ورداه . . . ورائه : سقطت من ق .

ولا يفتر صلاة عليك له لسان ولا يحف ريق .

« كُتِبَتْ يا رسولَ الله وقد رحل المجنون وأقمت ، واستقام المستعملون وما استقامت ، وبينى وبين ثَمَّ ثراك النبوي ، ولح سنالك المحمدي ، متجاوز لا يفوز بقطعة إلا من طهر دنس ثوبه ، بماء تَوْبِهِ ، وسر وَصَمَ عِيهِ ، بظهر غِيهِ ، فكلما رُمْتُ المتاب رُدَدَتْ ، وكلما يمت الباب صُدِّدَتْ ، وقد أمرنا الله تعالى بالمجيء إليك ، والوفادة عليك ، ومن لي بذلك يا رسول الله والآثم تُنْشَى وتُبْعِدُ ، والأيام لا تُدْنِي ولا تُسَعِدُ ، وبين جنبي أشواق لا يزال يهزني منها المُقِيمُ المُقْعِدُ ، ولئن كنت ممَّنْ خَلَفَتْهُ عِيوبُهُ ، وأوبَقَتْهُ ذُنُوبُهُ ، ولم يرض للوفادة وهو مذنس ، على ذلك المقام وهو المطهر المقدس ، فعندي من صدق محبتك ، وحُبِّ صحبتك ، والاعتلاق بدمتك ، ما يُقَدِّمُنِي وإن كنت مبطلًا ، ويقربني وإن كنت مخطلًا .

« فاشفع لي يا رسول الله في زيارتك فهي أفضل المنى ، وتوسل لي إلى مَوَلَّيْ بَيْنَ فَضِيلَتِكَ ، وتَقَبَّلْ وسيلتك ، في الثقلة من هناك إلى هنا ، واقبلني وإن كنت زائفًا ، وأقبل عليَّ وإن أصبحت إلى الإثم متجانفًا ، فأنت عماد أمتك جميعًا وأشتاتًا ، وشفيعهم أحياء وأمواتًا . ومن نأت به الدار ، وقعدت بعزمه الأقدار ، ثم زار خَطُّهُ ولفظُهُ ، فقد عظم نصيبه من الخير وحظُّهُ ، وإن لم أكن سابقًا فعسى أن أكون مُصَلِّيًا ، وإن لم أعد مُقْبِلًا فلعلي أعد مُوَلِّيًا ، ووحقك وهو الحق الأكيد ، والقسم الذي يبلغ به المُقْسِمُ ما يريد ، ما وَخَدَتْ إليك ركاب ، إلا والقلب إثرها التهاب ، وللدمع بعدها سَحٌّ وانسكاب ، ويا ليتني ممَّنْ يزورك معها ولو على الوجنتين ، ويحييك بين ركبتها ولو على المقلتين ، وما الغنى دونك إلا بؤس وإقلال ، ولا الدنيا وإن طالبت إلا سجون وأغلال ، والله تعالى يمن على كتابي بالوصول والقبول ، وعلى بلحاجي ببركتك ولو بعد طول .

« ثم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته عليك يا سيد الخلق ، وأقربهم من الحق ، ولمولاه بإحراز قَصَبِ السَّبْقِ ، ومن طهر الله تعالى مثواه وقَدَسَهُ ، وبناءه على

التقوى والرضوان وأسس ، وآتاه من كل فضل نبوي أعلاه وأسناه وأنفَسَه ،
وعلى ضجيعيك السابقين لمهاجريك وأنصارك ، الفائزين بصحبتك العلية وجوارك ،
وعلى أهل بيتك المطهرين أوائلَ وأواخرَ ، الشهيرين مناقب ومفاخر ، وصحابتك
الذين عزروك ووقروك ، وآووك ونصروك ، وقدموك على الأنفس والأموال
والأهل وآثروك ، وأقرئك سلاماً تنال بركته مَنْ مَضَى من أمتك وغَبرَ ،
ويخص بفضل الله تعالى وجاهك من كتب وسَطَّرَ ، إن شاء الله تعالى .

« كتبه عبدك المستمسك بعروتك الوثقى ، اللاتذ بحرمك الأيمن الأوقى ،
التأخر جسماً المتقدم نطقاً ، فلان ، والسلام عليك يا رسول الله صلى الله عليك
وسلم تسليماً كثيراً ورحمة الله تعالى وبركاته » .

وله من خطبة طويلة : « ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الصفوة المجتبي ،
الكريم أمّاً طاهرة وأباً ، المختار من الطيبين مباركاً طيباً ، المصطفى نبياً إذ كان
آدم بين الماء والطين مُتَقَلِّباً ، المتقدم بمقام تأخر عنه مقام الملائكة المقربين ،
انتخبه الله وانتجبه ، وأظهره على غيبٍ عن غيره حَجَبَه ، وشرفه في الملأ
الأعلى وأعلى رُتَبَه ، وخطَّ اسمه على العرش سَطْرًا وكتبه ، فهو وسيلة النبيين ،
 والمرشع أولاً لإمامة المرسلين ، بعثه ربّه لختم الرسالة ، ونعته بنعت الشرف
والجلالة ، وأيده بالحجة البالغة والدلالة ، وجعله نوراً صادعاً لظلام الضلالة ،
وأثنى في ذكره الحكيم ، على خلقه العظيم ، فما عسى أن يبلغ بعدُ ثناء المُثْنين ،
بفضله التصريح وإليه الإشارة ، وبه سبقت من إبراهيم الدعوة ومن عيسى
البشارة ، وعليه راقّت من صفة الرؤوف الرحيم الحلية والشارة ، وهو المخير
بين الملوك والعبودية فاختر العبودية بعد الاستخارة والاستشارة ، فبتواضعه
حل بمكان عند ذي العرش مكين أسرى به ربه إليه ، ووفد أكرم وفادة عليه ،
وأذناه قاب قوسين لديه ، ووضع إمامة الرسالة العظمى في يديه ، وقال له
﴿ اصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (الحجر : ٩٤) فصعد بأمر الله

صَدْعًا ، وَأَوْتِي مِنَ الْمَثَانِي سَبْعًا ، وَمِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ آلَافًا وَإِنْ كَانَ أَوْتِي
مُوسَى تَسْعًا .

«فَمَا مَشَى الشَّجَرُ إِلَيْهِ يَجْرُ عُرْوَقُهُ إِلَّا كَرَجُوعِ الْعَصَا حِينَ تَسْعَى ، وَمَا تَفْجَرُ
الْحَجَرُ بِالْمَاءِ بِأَعْجَبَ مِنْ بَنَانِهِ نَبْعَتُ بِالْعَذْبِ الْفَرَاتِ نَبْعًا ، فَارْتَوَى مِنْهُ خَمْسُمِائَةٍ
وَقَدْ كَانَ يَكْفِي آلَافًا فَكَيْفَ الْمِائِينَ ، وَكَمْ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ مَعْجَزَةٍ
تَبْهَرُ ، وَآيَةٍ هِيَ مِنْ أُخْتِهَا أَكْبَرُ ، رَجَعَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَكَلَّمَهُ
الضَّبُّ وَأَخْبَرَ بِهِ الذُّئْبُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ الشَّجَرُ وَالْحَجَرُ ، وَكَانَ لِلْجَذْعِ عِنْدَ فِرَاقِهِ
إِعْلَانًا بِوُجُودِهِ وَاشْتِيَاقَهُ أَنَّهُ وَحْنِينَ ، أُعْطِيَ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ،
وَكَانَتْ لَهُ فِي الْغَارِ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ خَفِيَ بِهَا عَلَى الْقَوْمِ الْأَثَرُ ، وَارْتَجَّ لِمَوْلَدِهِ لِيَوَانُ
كَسْرَى وَخَمَدَتْ نَارُ فَارَسٍ وَكَانَ ضَرْمُهَا يَتَسَعَرُ ، وَأَتَتْهُ أَنْخَبَارُ السَّمَاءِ فَمَا عَمِي
فِي الْأَرْضِ الْخَبَرُ ، فَحَدَّثَ عَنِ الْغُيُوبِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ، وَجَعَلَ لَهُ
الْقُرْآنُ مَعْجَزَةً تُتْلَى ، يَبْتَلَى الزَّمَانُ وَهِيَ لَا تَبْتَلَى ، وَتَعْلُو كَلِمَاتُهَا عَلَى الْكَلَمِ
وَلَا تُعْلَى ، وَتَجِلُّ آيَاتُهَا فِي عَيْنِ آيَاتِ الشَّمْسِ حِينَ تُجَلِّي ، فَيَتَوَارَى مِنْهَا
بِالْحِجَابِ حَاجِبٌ وَخَبِيرٌ ، يَهْرُ إِعْجَازُ التَّنْزِيلِ الْعَلِيِّ ، وَظَهَرَ بِهِ صَدَقَ النَّبِيُّ
الْعَرَبِيِّ ، فَكَيْمَ نَادَى لِسَانُ عِزِّهِ فِي النَّدَى ، بِأَهْلِ الْبَيْدِيَّةِ مِنَ الْفَصْحَاءِ وَالرُّوِي :
قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ فَلَمْ يَكُونُوا لَهَا مُسْتَطِيعِينَ .

«لَقَدْ خَصَّ نَبِينًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْآيَاتِ الْكُبْرَى ، وَالِدَلَالَاتِ الْوَاضِحَةِ الْفُرَرِ ،
وَالْمَقَامَاتِ السَّامِيَةِ الْمَظْهَرِ ، وَالْكَرَامَاتِ الْمَخْلُودَةِ لِلْمُفَخَّرِ ، فَهُوَ سَيِّدُ الْمَلَأِ النَّبَوِيِّ
وَالْمَعْشَرِ ، وَحَامِلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ فِي الْمَحْشَرِ ، وَصَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَالْكَوْثَرِ ،
وَالشَّفِيعِ الْمَشْفَعِ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ ،
وَذُرِّيَّتِهِ الْمُبَارَكِينَ . وَصَحَابَتِهِ الْأَكْرَمِينَ ، وَأَزْوَاجِهِ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَاةٌ
مَوْصُولَةٌ تَرُدُّ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَتَصْعَدُ إِلَى السَّمَوَاتِ الْعَلَا فَتَكُونُ كِتَابًا فِي
عِلِّيَّيْنِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وَمِنْ ثَرِهِ فِي خُطْبَةِ قَوْلِهِ : «أَيُّهَا النَّاسُ ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، أَصْبَحُوا

أسماعكم لمواعظ الأيام ، واعتبروا بأحاديثها اعتبار أولي النهى والأحلام ، وأخضروا لفهم موادها أوعى القلوب وأصحّ الأفهام ، وانظروا آثارها بأعين المستيقظين ولا تنظروا بأعين النُّوَام ، ولا تخدعنكم هذه الدنيا الدنية بتهاويل الأباطيل وأصغاث الأحلام ، ولا تنسينكم خُدْعُهَا الموهّنة وخيالاتها الممثلة ما خلا من مقالاتها في الأنام ، فهي دار انتياب النوائب ، ومصابب المصائب ، وحدوث الحوادث وإلمام الآلام ، دار صفوها أكدار ، وسلمها حرب تدار ، وأمنها خوف وحذار ، ونظمها تفرق وانتشار ، واتصالها انقطاع وانصرام ، ووجودها فناء وانعدام ، وبنائوها تَضَعُضُوعٌ وانهدام ، ينادي كل يوم بنداها منادي الحِمَام ، فلا قرار بهذه الغرارة^١ ولا مقام ، ولا بقاء لساكنيها ولا دوام . «فبست الدار داراً لا تدارى ، ولا تُقِيلُ لعائريها عيثارا ، ولا تقبل لمعتذر اعتذارا ، ولا تقي من جورها حليفاً ولا جاراً ، وليس لها من عهد ولا ذِمَام ، كم فتكت بقوم غافلين عنها نيام ، كم نازلت بنوازها من قباب وخيام ، كم بدلت من سلامة بداء ومن صحة بسقام ، كم رمت أغراض القلوب بمُصْصِمِيات^٢ السُّهَام ، كم جردت في البرايا للمنايا من حُسَام ، كم بددت بأكف الناثبات الناهبات من عطايا جسام ، كم أبادت طوارق حوادثها من شيخ وكهل وغلّام . لا تبقي على أحد ، ولا ترثي لوالد ولا ولد ، ولا تخلد سروراً في خلد ، ولا يمتد فيها لآمل أمد ، بينا يقال قد وجد ، إذ قيل قد فقد . بُعداً لها قد طُبعت على نكد وكمد ، فالفرح فيها تَرَح ، والخبرة عبرة ، والضحك والابتسام ، بكاء وأدمع سِجَام . تفرق الأحبة بعد اجتماعهم ، وتسكن الوحشة مؤنس رباعهم ، وتبيح بالحِمَام حمى الأعزّة فلا سبيل إلى امتناعهم ، وتستحث ركائب الخلائق على اختلاف أنواعهم ، إلى مصيرهم إلى الله عزّ وجل وارتجاعهم ،

١ ق : القرارة .

٢ ق : بمزاياها بمصميات .

فيسيرون طوع الزمام ، ويلقون مقادة التذلل والاستسلام ، حتى يلجأوا بالرغام ،
وينزلوا بطون الرجام ، ويحلّوا الوهد بعد المقام السام ، فلا ناج من خطبها العظيم
ولا سليم ، يتساوى في حكم المنية الأغر والبهيم ، والأعز والمضيم .

«ولو أنه ينجو من ذلك بمجد صميم ، وجدّ كريم ، وحظ عظيم ، ومضياء
وعزيم ، ومزية وتقديم ، وحديث في الفضل وقديم ، وشرف لسمك السموات
مُسام ، وعُلّي على ساق العرش المجيد ذو ارتسام ، لتجا حبيبُ الملك العلام ،
وسيد السادات الأعلام ، وصفوة الصفوة الكرام ، وخاتم الأنبياء ولبينة التمام ،
وصباح الهدى ومصباح الظلام ، والأبيض المستسقى به غيثُ الغمام ، ثمال
الأرامل وعصمة الأيتام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، لكن مع قدره الجليل
وفضله الجلي ، أقدم الموت على جانبه العلي ، وتقدم ملك الموت لقبض روحه
القدسي وتغيب في الثرى جمال ذلك الوجه البهي ، وتغيض ماء السماء والندى ، لملك
السماحة النبوية والندى ، وأصيب المسلمون وأعظم بها مصيبة بنيهم العربي ،
الهاشمي القرشي ، فيا له وللإسلام ، من مصاب أسلمنا للحزن أيّ إسلام ،
وأسال مياه الدموع عن احتراق للصلوع واضطرام ، وأرانا أن الأسى في رزية
لخير البرية واجب وأن الناسي حرام .

«وهل يسوغ الصبر الجميل ، في فقيد بكنه الملائكة وجبريل ، وكثر له في
السموات السبع النحيب والمويل ؟ انقطع به عن الأرض الوحي الحكيم والتنزيل ،
وعظمت الرزية به أن يؤدي حقيقتها الوصف^١ والتمثيل ، غداة أقفر منه الرّيع
المُحيل ، وأوحش من أنسه البقع والنخيل ، وكان من تلك الروح الطاهرة
الوداع والرحيل ، وقامت البتُولُ تندب أباهها بقلب قريح وجفن دام ، وتنادت
الأمّة مات الرسول ففي كل بيت بكاء وانتحاب ونوح والتزام ، وحارت الأبواب
والعقول فلا صبر هنالك لقد زلّت عن الصبر الأقدام . ولما نُعيت إليه صلى الله عليه

١ الوصف : سقطت من ق .

وسلم نفسه ، وآن أن تأفل من تلك المطالع شمسه ، آذن أمتته بالفراق وأعلمهم ، وناشدهم في أخذ القصاص وكلّمهم ، مخافة أن يمضي إلى الملك الحق ، وعليه تباعة لأحد من الخلق ، وحاشاه عليه الصلاة والسلام ، من صفات جائر للأمة ظلام ، ولكنّه تعريف من نبي الرحمة بما يجب وإعلام ، ثم استمر به صلوات الله وسلامه عليه وتمادى ، وزاد به السقم المتتاب وتهادى ، حتى واره مكلّحته ، وبجلا منه ربّعه ومسجله ، فعمّ الحزن والاكتئاب ، وتوارى النور فأظلم الجنب ، وعاد الأصحاب ، وكأنّما دموعهم السحاب ، فقالت فاطمة وقد رابها من دفن أبيها الكريم ما راب : أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ فكأن كلامها للقلوب المفجعة كيّلام ، وللعيون المفجرة بالدموع انسفاح وانسجام .

«وفي مثل هذا الشهر شهر ربيع ، المشيد بذكر الأشجان المذيع ، كانت وفاة هذا النبي الهادي الشفيع ، وانتقاله إلى الملا الأعلى والرفيق الرفيع ، حين ناداه ربّه إلى قربهِ ، فلبى بشوق قلبه تلبية المهطع المطيع ، وحَنّ إلى حضرة القدس فانتظم حين حل بها ما كان من شمله الصديق ، وانتظر من صنع الرب جميل الصنيع ، وإنجاز وعد الشفيع في الجميع ، إذ أعطي لواء الحمد وقام محمود المقام ، ووقف على الحوض ينادي : هلموا إليّ أروكم من العطش والأوام .

«اللهم اسقنا من حوضه المورود ، وشرّفنا بلوائه المعقود ، وشفّعنا فينا في اليوم المشهود ، وارحمنا به إذا صرنا تحت أطباق اللّحد ، اللهم اجعله لنا تعزية من كل مفقود ، وأوجد لنا من بركاته أشرف موجود ، وجازه عنا بما أنت أهله من فضل وإحسان وجود ، وانفعنا بمحبته ومحبة آله وصحابه الرّكّع السّجود ، واجعلنا معهم في الجنة دار الخلود ودار السلام . واخصصهم عنا بأكرم تحية وأفضل سلام ، وصلّ عليهم صلاة تستلم أركان رضوانك أيّ استلام ، وتنتظم له كرامات إحسانك أيّ انتظام .

«فصلوات الله عليه ، وأطيب تحياته ورحمته تتوالى لديه ، وأجزل بركاته ،

ما تجدد في ربيع ذكر وفاته ، وتمدّد كهف القبول لطالبي فضله وعفاته ، وتعزى به كل مصاب في مصيباته ، وترجى شفاعته كل محب فيه متبع لهداياته ، وتوفرت للمصلين عليه والمسلمين على جنابه ، حظوظ من بركة الله تعالى وأقسام ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦) اللهم صلّ عليه من نبي لم يزل بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، اللهم صلّ عليه من نبي أوجبت حبه وعظمته تعظيماً ، اللهم صلّ عليه من نبي صليت عليه تجلّة وتكريماً ، وأمرتنا بالصلاة عليه لإرشاداً وتعليماً ، فلنا بأمرك اقتداء وإتمام ، وبحمدك على ما هديتنا افتتاح واختتام ، وكلامك يا ربنا أشرف الكلام ، ولوجهك وحده البقاء والدوام ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن : ٢٧) ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (غافر : ٦٥) « انتهى .

وترجمة ابن الجنان واسعة جداً ، وكلامه في النبويات نظماً ونثراً جليل ، رحمه الله تعالى .

وقال لسان الدين في « الإحاطة » بعد أن عرف به وأورد له الرسالة ما صورته : ومحاسنه عديدة ، وآماده بعيدة ، ثم قال : إنّه انتقل إلى بجاية فتوفي بها في عشر الخميس وستمائة ؛ انتهى .

وقال صاحب « عنوان الدراية » في حق ابن الجنان المذكور ما ملخصه^١ : الفقيه الخطيب ، الكاتب البارع الأديب ، أبو عبد الله ابن الجنان ، من أهل الرواية والدراية والحفظ والإتقان ، وجودة الخط وحسن الضبط ، وهو في الكتابة من نظراء الفاضل أبي المطرف ابن عميرة المخزومي ، وكثيراً ما كانا يتراسلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء ، ولا يصل إليه إلا القليل من البلغاء ، ونثره ونظمه

١ عنوان الدراية : ٢١٣ .

كلته حسن ، ونظمه غزير ، وأدبه كثير ، ومن ذلك قصيدته الدالية التي مطلعها :
يا حادي الركبِ قفْ بالله يا حادي وارحمْ صبايةَ ذي نأي وإبعادِ
وله أيضاً :

تركُ التزاهةَ عندنا أدى إلى وصفِ التزاهةِ
ما ذاكَ إلا أَنهنا تدعو الوقورَ إلى الفكاهةِ
وإذا امرؤُ نبسُدُ الوقا رَفَقْد تلبَّسَ بالسفاهةِ

[خمسات من المدائح النبوية]

ومن بديع نظم ابن الجنان رحمه الله تعالى هذا التخميس في مدح سيد
الوجود ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم^١ :

اللهُ زاد محمداً تكريماً
وحيّاهُ فضلاً من لدنه عَظيماً
واختصّه في المرسلين كريماً

ذا رَأْفَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

جلّت معاني الهاشميِّ المرسلِ
وتجلّتِ الأنوارُ منهُ لمحتلي
وسمّا بهِ قُلُوبُ الفَخَارِ المَعْتَلِ

فاحتلّ في أفقِ السَّمَاءِ مُقِيماً صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

١ وشرف وكرم : سقطت من ق .

حاز المحامدَ والمادحَ أحمدُ
وزكت مناسبه وطاب المحتدُ
وتأثَّلتَ علياؤه والسؤددُ

بمجداً صميماً حادثاً وقديماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

شمسُ الهداية ، بدرها الملتاحُ
قطبُ الجلالة ، نورها الوضّاحُ
غيثُ السحابة للندى يرتاحُ

· يروي بكوثره الظماء الهيما صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

تاجُ النبوة ، خاتمُ الأنبياء
صفوُ الصريح ، خلاصةُ العلياء
نجلُ الذبيح ، سلالَةُ العلماء

بُشرى المسيح ، دعاء إبراهيم صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

فخرُ لآدم قد تقادم عصره
من قبل أن يدري ويجري ذكره
سرُّ طوّاهُ الطينُ فهمَ نشره

معنى السجودِ لآدم تفهيماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

لله فضلُ المصطفى المختارِ
ما إن له في المكرمات مُجاري
ولا مبارٍ باختصاص الباري

بالحقّ قدّم مجده تقدّماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

أوصافُ سيّدنا النبيّ الهادي
ما نالها أحدٌ من الأجدادِ
فالرُّسل في هدي وفي إرشادِ

قدّ سلّمُوا لنبيّنا تسليماً صلّوا عليه وسلّمُوا تسليماً

آياته بهرّت مسناً وسناء
وأفادت القمّرين منه ضياء
وعلتْ بأعلامِ الظهور لواء

فهدى به الله الصراط قويمًا صلّوا عليه وسلّمُوا تسليماً

دنت النجومُ الزُّهرُ يومَ ولادته
ورأت حلّمةُ آيةَ لسيادته
وتحدّثتْ سعدٌ بذكرِ سعادته

فتفّساءلوا نعمَ اليّيمِ يتيماً صلّوا عليه وسلّمُوا تسليماً

لمّا ترعرع جاءه الملائكانِ
بالطستِ فيها حكمة الرحمنِ
فاستخرجا القلبَ العظيمَ الشانِ

منه وطهرّ ثمّ عادَ سليماً صلّوا عليه وسلّمُوا تسليماً

كرمتْ مناصي أحمدٍ خيرِ الزّورى
وجرى له القلمُ العليُّ بما جرى
ما كان ذلكمُ حديثاً يُفترى

لكنّه الحقُّ الجليُّ رسوماً صلّوا عليه وسلّمُوا تسليماً

ما زالَ برهانُ النبيِّ يُلوحُ
يغدو بهِ الإعجازُ ثمَّ يروحُ
حتى أتاهُ بعدَ ذاكَ الروحُ

يوحى لهُ وحيُ الإلهِ حكيمًا صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

شهدتُ لهِ بمزيةِ التفضيلِ
سُورٌ وآياتٌ من التنزيلِ
وصلاةُ خالقهِ أدلُّ دليلِ

فافهمهُ واسمعِ قولهُ تعظيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

إنَّ الرسولَ المعتلي المقدارِ
لمؤيدٌ من ربِّهِ القهارِ
بالمعجزاتِ جَلَّتْ عَمَى الأبصارِ

وشفت من آدواء الضلال سقيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

كمْ شاهدٍ لمحمدٍ بنبوتهِ
في أيدي تأييدِ الإلهِ وقوتهِ
فبذاك أَعْلَى اللهِ دعوةَ حَجَّتِهِ

فمضت حساما صارما وعزيمًا صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

البدرُ شقَّ لهُ ليُظهرَ صدقهُ
والشمسُ قد وقفت تعظّمُ حقّهُ
والمزنُ أرسلَ إذ توَسَّلَ ودقهُ

فاخضرَّ ما قد كان قبلُ هشيمًا صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

والماء بينَ بَنَانِهِ قد سالا
عذباً مَعِيناً سائِفاً سلسالا
كنداهُ يَمْنَحُ رَفْدَهُ من سالا

وَيُنِيلُ رَاجِيهِ النَوَالِ جَسِيماً صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

بِرَكَاتِهِ أَرْبَتُ عَلَى التَّعْدَادِ
كَمْ أَطْعَمْتُ مِنْ حَاضِرِينَ وَبَادِي
مِنْ قِصْعَةٍ أَوْ حِثْيَةٍ مِنْ زَادِ

رِزْقاً كَرِيماً لِلْجِيوشِ عَمِيماً صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

سَجَدَ الْبَعِيرُ لَهُ سَجُودَ تَذَلُّلِ
وَشَكَكَ إِلَيْهِ بِمِرْقَةٍ وَتَمَلُّلِ
وَالشَّاةُ قَالَ ذِرَاعَهَا : لَا تَأْكُلِ

مَنْيَ فَلَانِي قَدْ مَلِثْتُ سَمُوماً صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

وَالْغَصْنُ جَاءَ إِلَيْهِ يَمْشِي مُسْرِعاً
وَالصَّخْرُ أَفْصَحَ بِالنَّحِيَةِ مَسْمَعاً
وَالظُّلْيَةُ الْعَجَمَاءُ فِيهَا شَقْعاً

وَالضَّبُّ كَلَّمَ أَحْمَدَ تَكْلِيماً صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

وَالْجَذْعُ حَنَّ لَهُ حِينَ الْوَالِهِ
يَبْدِي الَّذِي يَخْفِيهِ مِنْ بَلْبَالِهِ
أَفْلاً يَحْنُ مَتِيماً بِجِمَالِهِ

يَشْتَاقُ وَجْهاً لِلذِّي وَسِيماً صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

ما بالنا نسلو وحبُّ حبيينا
يقضي بيتُ غرامنا ونحينا
لو صح في الإخلاص عقد قلوبنا

لم ننسَ عهداً للرسولِ كريماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

أين الدموعُ تُفيضُها هتانا
أين الضلوعُ تُقضيها أشجانا
حتى نقيمَ على الأسي برهانا

لنتممَ إرشادنا تَحَمُّيماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

أوليس هادينا إلى سُبُلِ الهدى
أوليس منقلدنا مِن أَشْرَاكِ الردى
أوليس أَكْرَمَ من تعمّم وارتندي

أوكمْ يَكُنْ أَزكى البريّةِ خيماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

ذاك الشفيعُ مقامه محمودُ
ولواؤه يبيدُ العلا معقودُ
فلماذا توافّت للحسابِ وفودُ

قالوا : تقدّمْ بالأَنامِ زعيماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

فيقومُ بالبَابِ العليّ ويسجدُ
ويقولُ : يا مولاي آنَ الموعدُ
فيجابُ : قلْ يُسْمَعُ إليك محمدُ

ونُريكَ منا نَصْرَةً ونعيماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

أَعْظِيمُ بَعْرٌ مُحَمَّدٍ وَبِجَاهِهِ
أَكْرَمُ بِهِ مَتَوَسِّلًا لِلَّهِ
شَرِبْتُ كَرَامَ الرُّسُلِ فَضْلَ مِيَاهِهِ

فَقَدْتُ تَعْظِيمُ حَقِّهِ تَعْظِيمًا صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

يَا سَامِعِي أَخْبَارَهُ وَمَفَاخِرَهُ
وَمُطَالَعِي آثَارَهُ وَمَائِثَرَهُ
وَمُؤْمِلِي وَافِي الثَّوَابِ وَوَافِرَهُ

إِنْ شِئْتُمْ فَوْزًا بِذَاكَ عَظِيمًا صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

قلت : وكثيراً ما كنت أنشد هذه القصيدة بالمغرب في مجالس التدريس ،
وأضيف إليها قبلها أخرى لبعض أهل المغرب الذين لهم في منازل الأمداح
النبوية مَقِيلٌ وتَعْرِيسٌ ، وهي قصيدة ميلادية كأنما لم ينظمها مؤلفها إلاّ مقدّمة
لهذه القصيدة الفريدة ، وهي :

اسْمَعْ حَدِيثًا قَدْ تَضَمَّنَ شَرْحُهُ رَوْضًا مِنَ الْإِنْسَانِ أَيْنَعَ دَوْحُهُ
فِيهِ الشِّفَاءُ لِمَنْ تَكَاثَرَ بَرَّحُهُ وَافِي رَيْعٌ قَدْ تَعَطَّرَ نَفْحُهُ
أَذْكَى مِنَ الْمَسكِ الْقَتِيقِ نَسِيمًا

شَهْرٌ حَوَى بَوْجُودَ أَحْمَدَ أَسْعَدَا بِالْمُصْطَفَى بَيْنَ الشُّهُورِ تَفَرَّدَا
يَا مَا أَجَلَ سَنَا عُلَاهُ وَأَمْجَدَا لَوْلَادَةِ الْمُخْتَارِ أَحْمَدَ قَدْ غَدَا
يَزْهَوُ بِهِ فَخْرًا تَرَاهُ عَظِيمًا

يَا مَنْ بِأَدْمَعَ مِقْلَتَيْهِ يَغْتَدِي كَمْ ذَا تَنَادَى حَسْرَةً : مَنْ مُنْقَذِي
وَتَقُولُ لِلزُّفَرَاتِ : هَلْ مِنْ مَنْقَذٍ بُشْرَى بِشَهْرٍ فِيهِ مَوْلَدُهُ الَّذِي
سَرَّ الزَّمَانَ عُلُوَّهُ تَعْظِيمًا

١ ق : ب ز .

يا ليلة رُفعت بأحمد حُجُبُها لما دنا بعد التباعِدِ قُربُها
وتطلعت للسعدِ فينا شُهبُها ضاءت لها شرقُ البلادِ وغُربُها
وتأنَّقت أرجاؤها تنعيمًا

أسدى إليك الدهر حُسْنُ صنيعة وحبَّاك من غُصْنِ الجنى بديعة
وافى هلال محمدٍ بريعه فاعتزَّ أمر الله عند طلوعه
وغدا به دين الإله قويمًا

نظم الزمانُ بجيدِ عمركِ درةً فاشكرْ مآثره وواصلِ بيرةً
وافاك بالسِرِّ المصونِ فسرةً واعرف لهذا الشهر حقَّ قدره
فلقد غدا بين الشهور كريمًا

يا صاحِ جاءت بالأمانِ أسعدُ وأطلَّ بالبشرى الكريمةَ مولدُ
هذا ربيعٍ فيه أنجز موعِدُ شهرٍ كريمٍ جاء فيه محمدُ
صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا

ثم قلتُ أنا عند ختمِ دَرَسِ « الشفا » ، موطئًا لقصيدة ابن الجنان المذكور
ولعذب براعتها مرتشفا ، ما نصه والأعمال بالنيات :

انشقَّ أزاهر عن فنونِ رياضٍ للعلم واكرع من عذابِ حياضٍ
واسقِ الرياضِ بذكره الفياضِ واحفظْ كلاماً للإمامِ عياضِ
قد تمت أقسامه تنميما

للهِ روضٌ منه أُنِيعَ دوحُه يخفى به من الكريمِ ومنحُه
فهو الشفاء لمن تكاثر بَرَحُه مسكُ الختامِ بهِ تعطر نفحُه
فشلاه في الأرجاء صار شميما

فاضت علينا من هداه عوارفُ زهرٌ وأنوارٌ وظلٌّ وارفُ
ونمارقٌ مصفوفةٌ ومطارفُ يا حُسْنُ ما أبداه فذُّ عارفُ
دُرّاً بأسلاكِ الحديثِ نظيماً

لمْ لا وبالمُلكِ الشَّفيعِ تشرِّفاً خيرُ البريةِ ركنُ أربابِ الصفا
من أسعدِ الراجي وقصداً أسعفا طهَ النبيّ الهاشمي المصطفى
صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

وقد رأيت بعد وصولي إلى هذا الموضع من هذا الكتاب أن أذكر قصيدة
ابن الجنان المذكور في روي تلك القصيدة غير مخمسة مستقلة بنفسها ، وهي قوله
رحمه تعالى :

صلّوا على خيرِ البريةِ خيماً	وأجلُّ مَنْ حازَ الفخارَ صميماً
صلّوا على من شَرُفَتْ بوجوده	أرجاءُ مكّةَ زمزماً وحطّيماً
صلّوا على أعلى قريشٍ منزلاً	بذرّاه خيَّمتِ العُلا تخيماً
صلّوا على نورٍ تجلّى صبحه	فجلاً ظلاماً للضلالِ بهيماً
صلّوا على هادٍ أرانا هديه	نهجاً من الدينِ الحنيفِ قويماً
صلّوا على هذا النبيّ فائمه	من لم يزلْ بالمؤمنينِ رحيماً
صلّوا على الزاكي الكريمِ محمدٍ	ما مثله في المرسلينِ كريماً
ذاك الذي حاز المكارمَ فاغتندتْ	قد نُظِّمْتُ في سلكه تنظيماً
من كان أشجعَ من أسامةٍ في الوغى	ولدى الندى يحكي الحيا تجسيماً
طلّقُ المحيّا ذو حياءٍ زانهُ	وسطَ النّديّ وزاده تعظيماً
حكمتْ له بالفضلِ كلُّ حكيمةٍ	في الوحي جاء بها الكتابُ حكيماً
وبدت شواهد صدقه قد قسّمتْ	بدرَ الدُّجى لقسيمه تقسيماً
والشمسُ قد وقفت له لما رأتْ	وجهاً وسيماً للنبيّ وسيماً
كم آيةٍ نطقتْ تصدّقُ أحمداً	حتى الحمادُ أجابه تكليماً

والجذعُ حنَّ حنينَ صَبٍّ مغرمٍ أضحى للوعاتِ الفِراقِ غريماً
جلَّتْ مناقبُ خاتمِ الرُّسلِ الذي بالتَّورِ خَتَمَ والهدى تخنيماً
وسمت به فوق السماء مراتبُ بمقامِ صدقِ عَزٍّ فيه مقيماً
فلهُ لواءُ الحمدِ غيرَ مدافعٍ وله الشفاعةُ إذ يكونُ كليماً
فرجوه في يومِ الحسابِ ، وإنما نرجو لموقفهِ العظيمِ عظيمًا
ما إنْ لَنَا إِلَّا وَسِيلَةُ حَبِّهِ ونحيبةٌ تذكرو شَدًّا وشميماً
ونخير ما أهدي امرؤُ لنيِّهِ أَرَجُ الصلاةِ مع السلامِ جسيماً
يا أيُّها الراجون منه شفاعَةً صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا

وهذه قصيدة بديعة مخمسة من كلام الشيخ الأستاذ أبي العلاء إدريس بن موسى القرطبي^١ في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقف عليها أبو عبد الله ابن الجنان المذكور وقرظها بما سنذكره بعدها قريباً ، وهي :

أهلاً بكم يا أهل هذا النادي أهلَ اعتقادِ الوعدِ والميعادِ
أهدوا الصلاة إلى النبي الهادي وصلُّوا السلامَ له مع الآبادِ
يندى نسيماً مذكراً تسليماً

هو أولُ الشفعاةِ يومَ المحشرِ وسواه بينَ تقدُّمٍ وتأخُّرٍ
بهت الحضورُ لهولِ ذلك المحضِرِ والكلُّ في الخطبِ العميمِ الأكبرِ
قَدَّ هَيَمَتْ ألبابهم نسيماً

ذاك المقامُ الأشهرُ المحمودُ هو للنبيِّ محمدٍ موعودُ
فيه الشفاعةُ ذخرها موجودُ درك المراد وحوضه المورودُ
فضل الكليم به وإبراهيم

١ هو إدريس بن محمد بن محمد بن موسى الأنصاري القرطبي ، مال إلى العربية والآداب وأقرأ ذلك بقرطبة إلى أن تملكها الروم فخرج إلى سبتة وأقرأ هناك ؛ وكانت له مشاركة في النظم والنثر مع غلبة الانقباض عليه والصلاح ؛ توفي آخر سنة ٦٤٧ (التكملة : ١٩٧) .

عيسى وموسى والخليل مروعٌ من هولٍ مطلقٍ هنالك يَفْظَعُ
فيقالُ أحمدُ قلْ فإنك تَسْمَعُ فيقومُ بحمدِ ربِّه فيشفَعُ
فضلاً من الربِّ العظيمِ عظيمًا

يا أُمَّةَ المختارِ أنْتُمْ أُمَّةُ والهولِ قَدْ عمَّ البسيطةِ به
والأنبياءِ سواءِ كلُّ هَمَّةٍ تَخْلِصُ مهجتهِ وليسَ بهمةِ
مَنْ كانَ في الدنيا عليه كريما

صلى الإله على الذي صلى عليه عشرًا بواحدة يزكّيها لديه
وأراه في الدارينِ قُرَّةَ ناظره يا قاصدين إلى وصولكم إليه
راجين من أرجى القبول نسيمًا

لولا وصيّةُ صاحبِ التّزِيلِ أن لا يقالَ له غُلُوّ القيلِ
قولُ الغلاةِ لصاحبِ الإنجيلِ لغلوتُ في التعظيمِ والتّجليلِ
عظمُ المكانةِ يوجبُ التعظيمًا

طوبى لقلبٍ قد تلالا إذ صفا بالسرِّ منه قد تثبتَ إذ هفا
خُطَّتْ به آياتُ حبِّ المصطفى فغدا لصاحبه بذلك مصحفا
يهدى إلى نهجِ النّجاةِ قويمًا

فاقتِ علا ذكره إذ راقتِ حلّى ملأ النّبوةَ أهمهم حينَ اعتلى
في ليلةِ الإسراءِ أعلى معلى كتب الإله له التّقدم في العلا
وعليّهمُ التّفويضُ والتّسليما

وكذاك يسلم في الشفاعة كلّهم وعملهم عند الإله عملهم
ظلُّ النّبيِّ محمدٍ هو ظلّهم يمشون تحت لوائه فيدلهم
يشدى عليهم بهجةً ونعيمًا

أوصافه من كل حسن أبهج العرف ينفع والسنا يتلج
فتأرج الأرجاء منه وتبهج فاق الزواهر نورها يتوهج
والزهر تفتح النسيم وسيما

طلت المحيا منهل للنائل أنحى على الدنيا بزهد كامل
هو مثل الدنيا بظل زائل لم تر ضيه حال النعيم الحائل
ما حاول الترفيه والتنعيما

ما ورث المختار مال مؤمل إلا جواهر في الكتاب المترل
أشهى لقلب الناظر المتأمل وأقر إعجاباً لعين المجتلي
من كل قيمة مقتض تقويما

وفقت يا من لم يخالف نصه حزت الكمال وليس تخشى نقصه
نهج الهدى قول النبي اقتضته بالوحي شرفه الإله وخصه
شرفاً على شرف السناء صميما

سبحان مؤخ لا يحد له الكلام من قال ذات كلام خلاق الأنام
خلقت فذلك آثم كل الأنام ذاك الذي في الدين ليس له ذمام
إلا ذمام لا يزال ذميما

ضل الذي يعني الهدى مما سواه وهو به في كل مهواة هواء
من فارق الفاروق قد تبث يداه حيران لم يهتد السبيل إلى هداه
لا يعرف التحليل والتحريما

بالمدح مجد المصطفى يتمته من حكي أوصاف له نظمته
لم أبلغ المعشار إذ أحكمته بعضاً نسيت وبعضه ألهته
قلّده جيد الزمان نظيما

لو فزتُ بالإحسانِ من حَسَّانٍ . وسجبتُ أذيلي على سَحبانٍ
أو أبدتني لُسنُ كلِّ زمانٍ من كلِّ ذي زعمٍ عظيم الشانِ
ما كنتُ بالمعشار منه زعيما

إدريسُ حَقَّتْكَ الحقوقُ خفوقا هلا خففتَ إلى الرسول خفوقا
وقريتَ بالعزمِ المهمومِ ضيوقا وشدت أن هال الزمان صروقا
مهلاً كفاك معلّمي التعليما

ثقةٌ بفضلِ الواحدِ القهارِ ملكُ الملوكِ مصرّفُ الأعصارِ
جملُ النبيِّ مكرمِ الآثارِ وأمدّه بالتصرِ والأنصارِ
وأتمَّ نعمتهُ له تتيما

هل أجلون بصري بكحل سنه ياسعد من كحلت به عيناه
ظفرت يده ، وساعدته مناه لله ذاك الأفق ما أسناه
كرم المحل فيقتضي التكريما

ونصُّ تقرُّظ ابن الجنان على هذه القصيدة هو قوله :

ما زال كلُّ حليفٍ لله أضحي وليّا
وللعلمِ خليلًا وعن سواها خليّا
يصوغُ عِفْيَانٌ مدحَ الهاشميِّ حليّا
ويوجبُ الحقُّ فيه إيجابَه الأوليّا
ويقتضي في رضاه نهجًا جليلاً جليّا
والكلُّ أحظاهُ حظًّا فالقوزُ يُلْفَى مليّا
لكنَّ إدريسَ منهم حاز المكانَ العليّا

ولا يخفاك أنه التزم في هذه القطعة ما لا يلزم من اللام قبل الياء ، رحمه
الله تعالى .

ولا بأس أن نورد هنا ما حضر من التخمينات الموافقة لتخمين ابن الجنان المذكور السابق أولاً في البحر والروي والمنحى الذي لا يفضل قاصده ، وكيف لا وهو مدح^١ الجناح الرفيع العظيم النبوي .
فمن ذلك قول أبي إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي ، فإن بعضاً ذكر أنها من قوله لما أظهر الإسلام ، وهي لا تقتضي رفع الريبة فيه والانتهاج^٢ :

جعل المهيم^٣ حبّ أحمد شيم^٤
وأتى به في المرسلين كريمة^٥
فقداهواه على القلوب تيم^٦

وغدا هداه هديهم تيم^٧ صلّوا عليه وسلّموا تسليما .

أبدى جبين^٨ أيّه شاهد^٩ نوره
مسّجت^{١٠} به الكهّان^{١١} قبل ظهوره
كالطير غرّد^{١٢} معرباً بصفيره

عن وجه^{١٣} إصباح^{١٤} بطل^{١٥} نسيم^{١٦} صلّوا عليه وسلّموا تسليما

أنس^{١٧} الرسالة بعد^{١٨} شدة^{١٩} نفرة^{٢٠}
منجى^{٢١} البرية وهي في يد^{٢٢} غمرة^{٢٣}
محبي^{٢٤} النبوة والهدى عن فترة^{٢٥}

فكأنما^{٢٦} كفل^{٢٧} الرشاد^{٢٨} يتيم^{٢٩} صلّوا عليه وسلّموا تسليما

١ ملح : سقطت من ق .

٢ لم أجد هذه الخمسة منسوبة لابن سهل الإسرائيلي إلا في التفتح ، ولم ترد في ديوانه (ط . صادر

١٩٦٧) .

اللَّهُ أَوْضَحَ فَضْلُهُ فَتَوَضَّحَا
وَاللَّهُ يَبَيِّنُ حَبَّةَ فِي (وَالضَّحَى)
وَالْجُدُّ حَنَّ لَهُ هَوَى فَرْتَحَا

وَالْمَاءُ فَاضَ بِكَفِّهِ تَسْنِيماً صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

رَبِّمَا الرِّوَايَةُ عَنْ عُلَاهُ زَكِيَّةُ
بِحَوَاهُ رَبَّانِيَّةُ مُلْكِيَّةُ
أَوْصَافُهُ عُلُوِّيَّةُ فَلَكِيَّةُ

فَلِإِخَالٍ شَعْرِي عِنْدَهَا تَنْجِيماً صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

اِحْتَثَّ فِي السَّبْعِ الطَّبَاقِ بُرَاقَهُ
وَالْأَرْضُ وَاجِمَةٌ تَخَافُ فِرَاقَهُ
سَبْحَانَ مَنْ أَدْنَى مُرَّاهِ فِسَاقَهُ

شَخْصاً عَلَى مُلْكِ الْمُلُوكِ كَرِيماً صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

فَاشْتَمَّ رِيحَانَ الْقُلُوبِ الطَّيِّبَا
وَدَدَنَا فَاسْتَمِعْ يَا مُحَمَّدُ مَرْحَبَا
إِنِّي جَعَلْتُكَ جَارَ عَرْشِي الْأَقْرَبَا

إِنْ كُنْتُ قَبْلَكَ قَدْ جَعَلْتُ كَلِيماً صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

يَا لَيْلَةً يَجْرِي الزَّمَانُ فَتَسْبِقُ
الْحَجَبُ فِيهَا وَالْأَرَائِجُ تُفْتَقُ
مَا كَانَ مَسْكُ اللَّيْلِ قَبْلَكَ يَعْجُ

١ ق : تفخيماً ، وما أثبتته أنسب .

بُشْرَى مُحَمَّدٍ اسْتِفَادَ نَسِيمَا صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمَا

حَتَّى إِذَا اقْتَعَدَ الْبَرَقَ لِيَتَزَلَا
نَادَتْهُ أَسْرَارُ السَّمَوَاتِ الْعُلَا
يَا زَاجِلًا وَدَّعَتْهُ لَا عَنْ قَلِي

مَا كَانَ عَهْدَكَ بِالْغُيُوبِ ذَمِيمَا صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمَا

صَعَدَ النُّجُودَ وَسَارَ فِي الْأَغْوَارِ
سَمَكَ السَّمَاءَ طَوْرًا وَبَطْنَ الْغَارِ
مُنْقَسِمًا فِي طَاعَةِ الْجَبَّارِ

مَا أَشْرَفَ الْمُقْسُومَ وَالْمُقْسِيمَا صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمَا

الشَّافِعُ الْمُتَوَسِّلُ الْمُتَقَبِّلُ
الْقَانِتُ الْمَدْتَّرُ الْمَزْمَلُ
وَافِي وَظَهَرُ الْأَرْضِ دَاجٍ مَحَلُّ

فَجَلَا الْبَهِيمَ بِهِ وَأَرَوَى الْهَيْمَا صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمَا

دَفَعَتْ كِرَامَتُهُ الزُّنُوجَ عَنِ الْحَرَمِ
وَدَعَاهُ جَبْرِيلُ الْمُتَزَهِّ فِي الْحَرَمِ
وَعَزَّتْ لَهُ آيَاتُ نُونٍ وَالْقَلَمِ

خُلُقًا بِهِ شَهِيدَ الْإِلَهِ عَظِيمَا صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمَا

طَاوَرَ يُفَيْضُ الزَّادَ فِي أَصْحَابِهِ
غَيْثٌ وَلَكِنْ كَانَ يُسْتَنْصَحِي بِهِ
طَابَتْ ضَمَائِرُ قُلُوبِهِ وَتَرَابِهِ

منهُ بسرّ لم يكن مكتوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

يا شوقيّ الحامي الى ذاك الحمى
فمتى أفضيه غراماً مُغرماً
ومتى أعانقه صعيداً مكرماً

بضمير كلّ موحّدٍ ملثوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

ومن ذلك قول بعض الرعاظ ، وأظنه من أهل المشرق :

جلّ الذي بعثَ الرسولَ رحيماً
ليردَّ عنّا في المَعادِ جحيماً
وبِهِ نَرْجِي جَنَّةً ونَعِيماً

أضحى على الباري الكريم كريماً صلّوا عليه وسلّموا تسليما

ما ضلّ عن وحي الإله وما غوى .
حاشا رسول الله ينطق عن هوى
الصادقُ الثقةُ الأمينُ بما روى

قدّ نال من رب السماء علوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

وافى لهُ الروحُ الأمينُ مبشّراً
نادى به يا خيرَ مَنْ وطىء الثرى
أجيبِ المهيمَنَ يا محمدُ كي ترى

ملكاً كريماً في السماء عظيماً صلّوا عليه وسلّموا تسليما

فأجابه المختارُ حينَ دعا بهِ

ربُّ السموات العُلا لخطابه
ركبَ البراقَ وقد أتى بلخابه

أَمسى لَهُ الروحُ الأمينُ ندِيمًا صلّوا عليه وسلّموا تسليما

فمَنى أرى الحادي يبشّرُ باللقا
ويضمّه بانُ المحصَّبِ والثّقا
وأرى ضريحَ المصطفى قد أشرقا

مولي حليماً لَنُ يزالَ رحيمًا صلّوا عليه وسلّموا تسليما
وأقول للزوّار قد نلتُ المنى
يهنيكمُ طيبُ المسرةِ والمنا
فاستبشروا من بعد فقيرٍ بالغنى

فالله زادكمُ بهِ تكريما صلّوا عليه وسلّموا تسليما
ثمَّ الرضى عَن آله الكرماء
وكذاك عَن أصحابه الخلفاء
فهواهمُ ديني وعقد ولائي

قوماً تَراهم في المعاد نجوما . صلّوا عليه وسلّموا تسليما

ومنها قول بعض فضلاء المغاربة رحمه الله تعالى :

يا أمةَ الهادي المبارك أحمدِ
يهنيكمُ نيلُ الأمانِ في غدِ
بمحمدٍ فزتمُ ومنَ كـمحمدٍ

إن شتمُ أن تدركوا التّميما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على البدرِ المنيرِ الزاهرِ
صلّوا على المسكِ الفتيقِ العاطرِ
صلّوا على الفصنِ البهيّ الناضرِ

وتتعمّوا بصلاتكم تنعيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على مَنْ بالنبوة زينا
صلّوا على من بالكمال تمكنا
بمحمّد فزنا بإدراك المنى

فضلاّ منحنا حادثا وقديما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على البدرِ المنيرِ اللائحِ
صلّوا على الهادي الحبيبِ الناصحِ
صلّوا على المسكِ الفتيقِ الفائحِ

لرشدٍ فهمٍ والهدى تفهيمًا صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على مَنْ مجدهُ قد أسسا
والماء بينَ بنانه قد بُجّسا
وأنت إليه سرّحةٌ حتى اكتسى

بفروعها إذ خيمتُ تخيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على من كان يبصرُ من قفا
وعليه سلّمتِ الجنادلُ والصفّا
والذئبُ قال صدقتَ أنت المصطفى

وشكا إليه بازلٌ قد ضيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على من قد شفى بالريقِ
عينَ الضرير ولدغةَ الصديقِ
وأعاد طعمَ الماءِ مثلَ رحيقِ

إذ مجَّ فيه العنبر المختوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على مَنْ بالملائك جيّشا
وغدتْ تظله الغمامُ إذا مشى
حرّستْ سماء الله لما أن نشأ

ليكونَ سرُّ حبيبهِ مكتوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا عليه كلّ حينٍ تربحوا
وبهديه مهما اهتديتم تفلحوا
والأجر يشملكُم فجدّوا تنجحوا

وإذا أردتم أن يكون عظيمًا صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا بجمعكم على شمس الهدى
صلّوا على بدرٍ يزِينُ المشهدا
صلّوا عليه به الرّشادُ تمهدا

والذكرُ بينَ فضلهُ تفخيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا بإخلاصٍ على خير البشرِ
صلّوا على من فاق حسنا واشتهر
ونمت فضائله وشقّ له القمرُ

ولكم دليل في علاه أقيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صَلُّوا عَلَى مَنْ قَدْ رَأَى الرَّحْمَانَا
بِالْقَلْبِ أَوْ بِالْعَيْنِ مِنْهُ عَيَانَا
عَنْ قَابِ أَوْ أَدْنَى مَقَامِ كَانَا

فَخُذِ الْفَوَائِدَ كَيْ تَفَادَ عُلُومَا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَيْهِ كُلُّكُمْ لَا تَسْأَمُوا
وَتَبَرَّكُوا بِصَلَاتِهِ وَتَنَعَّمُوا
فَعَلَيْهِ صَلَّي الْأَنْبِيَاءُ وَسَلَّمُوا

شَرْفًا لَهُمْ إِذْ أَمَّهُمْ تَقْدِيمَا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

يَا حَاضِرِينَ بَلَّغْتُمْ كُلَّ الْمَنَى
عَنْ جَمْعِكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ذَهَبَ الْعَنَا
وَالْيَكُمُ وَاللَّهُ قَدْ وَجَبَ الْمَنَا

بِمُحَمَّدٍ كَرَّمْتُمْ تَكْرِيمَا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

قُولُوا بِرَغَمِ مُعَانِدِينَ وَخُسَدٍ
كَيْ تَرْغَمُوا أَنْفًا لِكُلِّ مُفْنَدٍ
صَلِّ الْإِلَٰهَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

أَبْدًا وَزَادَ لِقُدْرِهِ تَعْظِيمَا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

يَا رَبُّ يَا ذَا الْمَنِّ وَالْإِحْسَانِ
جُدْ بِالرَّضَى وَالْغُفْرِ وَالْغُفْرَانِ
لِلْوَالِدِينَ وَمَنْشَدِ الْأَوْزَانِ

وَالسَّامِعِينَ أُنْهِمُوا تَنْهِمَا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صلى عليه الله ما اجتمع الملا
صلى عليه الله ما قطع الفلا
صلى عليه الله ما انتجع الكلا

أبدأ وما رعت السّوَامُ هَشِيمَا صَلّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

ومن ذلك قولُ الإمام العالم الشهير الأديب مالك بن المرحل الملقبِ ثم السبتي ،
وهي من غرر القصائد ، وفيها لزومٌ ما لا يلزم من ترتيبها على حروف المعجم
بجعلها بدأ وروياً على اصطلاح المغرب :

ألف : أجلُ الأنبياء نبيء
بضيائهِ شمس النهار تضيء
وبه يؤملُ محسن ومسيء

فضلاً من الله العظيم عظيماً صَلّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

باء : بدا في أفقِ مَكَّةَ كوكبا
ثمَّ اعتلى فجلا سناه الغيها
حتى أنار الدهرُ منه وأخصبا

إذ كان فيضُ الخيرِ منه عميماً صَلّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

تاء : تبيّنت الهدى لما أتى
فنفى الشريكَ عن القديم وأثبتنا
أحديةً من حاد عنها قد عتنا

وتلا كلاماً للكریم - كريماً . صَلّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

ثاء : ثوى في الأرض منه حديثُ

في كلِّ أفقٍ طيِّبُهُ مبعوثُ
داعٍ بأنواعِ الهدى مبعوثُ

يتلَّوْ نجوماً أو يهزْ نجوماً صلُّوا عليه وسلِّمُوا تسليماً

جيم : جلا بسراجهِ الوهاجِ
ما جنَّ من ليلِ الظلامِ الداجي
وسقى القلوبِ بمائه الثَّجاجِ

فأصارها بعدَ الغيومِ غميماً صلُّوا عليه وسلِّمُوا تسليماً

حاء : حمى دينِ الهدى بصفائهِ
وسمَّ بِشُمِّ كالجبالِ أراجيحِ
من كلِّ أزهرٍ هاشميٍّ واضحِ

لولا نداهُ غدا النباتُ هشياً صلُّوا عليه وسلِّمُوا تسليماً

خاء : خبَّتْ نيرانُ جهلِ شامخِ
آياتِ علمٍ للرسالةِ راسخِ
مِنْ مُثَبِّتِ ماحٍ ومنسٍ ناسخِ

قد خصَّ بالذكرِ الحكيمِ حكيماً صلُّوا عليه وسلِّمُوا تسليماً

دال : دعا فأجاب كلُّ سَعِيدِ
وأبى بوعدٍ صادقٍ ووَعِيدِ
حتى أقرَّ الناسُ بالتوحيدِ

وتجنَّبوا الإِشراكَ والتَّجسيماً صلُّوا عليه وسلِّمُوا تسليماً

ذال : ذُبَابُ حِصَامِهِ مَشْحُودُ
لِلنَّاكثِينَ ، وَعَهْدُهُمْ مَنبُودُ
أَمَّا السَّعِيدُ فَبِالنَّبِيِّ يَلُودُ

فيدال من ذُلُّ الشقاء نعيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

راه : رويّا عن ذوي الأخبار
أنّ الندى والبأس مع إيثار
بعض صفات المصطفى المختار

كمّ قد تقدم بالأنام زعيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

زاي : زعيمٌ بالتّزال عزيزُ
وبليغٌ معنى في المقالٍ وجيزُ
فلقوله من فعله تعزيرُ

ولربما عادَ الكلام كلُّوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

طاء : طويلُ السيفِ متسعُ الخطا
رحبُ الذراع ومن يمد لهم سطا
يردي العدا وإذا ارتدى متخبطا

يري عذاباً إذ ألام أليما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

ظاء : ظهير للعباد حفيظُ
حظ لدى ربّ العباد حفيظُ
حقّ له التّأبين والتّقريظُ

ميّاً وحيّاً ظاعناً ومقيماً صلّوا عليه وسلّموا تسليما

كاف : كريم العنصرين مبارك
متفرد بالجهاء ليس يشارك
فهو الذي بمقامه يتدارك

والهول يغدو مقعداً ومقيماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً
لام : له عقد اللواء الأجل
وله الشفاعة في غد إذ تسأل
وإذا دعا فدعاؤه مقبل

حق الرحيم بأن يرى مرحوما صلّوا عليه وسلّموا تسليماً
ميم : ملائكة الإله تسلّم
فتوجّأ عليه إذ بدا وتعظّم
وتمرّ جبريل بها يتقدّم

فيضاعف التعظيم والتكرّما صلّوا عليه وسلّموا تسليماً
نون : نبيّ جاءنا ببيان
ومعجزات أبرزت لعيان
وبحسبه أن جاء بالقرآن

يشفي قلوباً تشتكي وجسوما صلّوا عليه وسلّموا تسليماً
صاد : صفيّ للإله ومخلص
ومقرّب ومفضل ومخصّص
ذهب سيك وزنه لا ينقص

قد طاب خيماً في الوري وأروما صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

ضاد : ضميرٌ نصحه محوَضُ
ضافي القراءة بالعلوم يفيضُ
إن غاض ماء البحر ليس يفيضُ

لما استمرَّ زلالهُ تسنينا صلّوا عليه وسلّموا تسليما

عين : عزيزٌ ذكره مرفوعُ
في الأنبياء وقوله مسموعُ
مشروح صدر حبه مشروعُ

من لا يدينُ بذاك كانَ ذميا صلّوا عليه وسلّموا تسليما

غين : غزا من فلبغهنه ومن طغى
وغدا يشبُّ لمن طغى نار الوغى
حتى أقامت من عصي بعد الصفا

وتقومُ النارُ العصا تقويما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

فاء : فواتحُ سورة الأعرافِ
وبراءة والرعدِ والأحقافِ
أحظنته بالأقسامِ والأوصافِ

فمّنى توفي حقه منظوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

قاف : قوافي النظمِ عنه تضييقُ
أطبقه الإنسانُ ليس يطيقُ
فالخلقُ في التقصيرِ عنه خليقُ

ولوّآتهم ملأوا الفضاء رقوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

سين : سلام كالنَّفيس تنفَّسَا
وقد اجتني ورداً وصافحَ نرجسا
أهدى إليه في الصباح وفي المساء

بقصائدٍ كادت تكون نسيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

شين : شمائله الكريمة تعطشُ
من كان من سكر المحبة يرعشُ
لكن أضعاع العمرَ فيما يوحشُ

فغدّت ندامته عليه نديما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

هاء : هو المادي الذي اقتدح النّهي
فتفكرت في ملك من رفع السُّها
وقضى بحسنة للأمور ومتهى

فأفادها النظر السديد عموما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

واو : وهى ركن التجلّد، بل هوى
لمّا ثوى في التّرب من بعد الثّوى
فحوى الضريح الرّحب نجماً ما غوى

أجرى من الدمع السجوم سجوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

لام : لأجلك فاض دمي جدولا
فاخضّر آس أساك إذ ييس الكلا
يا خير من كلاً المكرم وللعلا

وحى الحمى ورمى فأعمى الروما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

يا : يَجِيهِ وَيَسْقِيهِ الْحَيَا
رَبُّ الْعِبَادِ عَجَازِيًّا وَمَوْفِيَا
وَمُشْرِفًا وَمُسْلِمًا وَمُصْلِيَا

يا مُسْلِمِينَ وَرَثَتُمُ التَّسْلِيمَا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

ومن ذلك قولُ الفقيه الكاتب أبي العباس أحمد بن محمد بن العباس المغربي حسبما نقلته من المجلد الخامس والعشرين من كتاب « منتهى السؤل في مدح الرسول »^١ للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة المغربي الأنصاري رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا بقصده ، وهي أيضاً مرتبة على حروف المعجم ما عدا الابتداء ويوت الانتهاء ، غير أن ترتيب حروف المعجم في آخر الأَشْطَار ولم يلتزم صاحبها الابتداء كما فعل مالك بن المرحل ، رحمه الله تعالى :

الله زادَ المصطفى تعظيماً
وقضى لهُ التفضيلَ والتقدِماً
وأنا لهُ شرفاً لديه جسيماً

فهو المُتَمِّمُ فَخْرُهُ تَمِيماً صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صلُّوا على مَنْ خُصَّ بِالْأَنْبَاءِ
وأبوهُ ما بينَ الثرى والماءِ
ثمَّ استمرَّ النورُ في الآبَاءِ

فتوارثوه كريمة وكرماً صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

١ قد ذكرت في المقدمة نقلاً من رحلة العياشي قول هذا الرحالة إن المقرئ لم يطلع على كتاب « منتهى السؤل » وهذا هو المؤلف يذكر اطلاعه على الجزء الخامس والعشرين منه ؛ وبما أن الكتاب كثير الأجزاء فكلام العياشي يظل يعني أن المقرئ لم ير الجزء الذي ذكر فيه مدح النمل النبوية .

صلّوا على بدرٍ بدا من يثربِ
فأضاء بالأنوار أقصى المغربِ
وجلا عن الدنيا دياجي الغيبِ

فبدا لنا نهج الرشاد قويمًا صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على من بالشرائع قد أتى
وأباد أحزاب الطغاة وشتّتا
وأبان أسباب النجاة ووقتتا

للأمة التحليل والتحريما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على من بالغيوب يحدثُ
وبروعه الروح المقدس ينفتُ
محبوبنا وشقيعنا إذ نُبعثُ

في يوم لا يدري الحميم حميما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على صبح الهدى المتبلّج
صلّوا على بحر الندى المتموج
صلّوا على روض الجمال المبهج

كيما تنالوا الفوز والتنعيمًا صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على غيث الأنام السافح
صلّوا على المسك الذكي النافع
أزرت روائحه بكل روائح

فالأرض طبّقها شذاه نسيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صَلُّوا عَلَى مَنْ عَهْدُهُ لَا يُفْسَخُ
صَلُّوا عَلَى مَنْ شَرْعُهُ لَا يُنْسَخُ
صَلُّوا عَلَى مَنْ حِزْبُهُ لَا يُمَسَخُ

نَبَأُ يُفْهَمُ فَضْلُهُ تَفْهِيمًا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صَلُّوا عَلَى مَنْ فَخْرُهُ لَا يَنْفَدُ
صَلُّوا عَلَى مَنْ فَضْلُهُ لَا يَمُحَدُ
أَتَى وَكُتِبَ الرُّسُلُ طُرًّا تَشْهَدُ

تَنْبِيُ الْيَهُودِ بِفَضْلِهِ وَالرُّومِ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صَلُّوا عَلَى مَنْ قَدْ حَمَى عَنَّا الْأَذَى
وَمَنْ الْغَوَايَةَ وَالضَّلَالَةَ أَنْقَذَا
صَلُّوا عَلَى مَنْ ذَكَرَهُ نَعَمُ الْغَدَا

وَبِمَدْحِهِ نُرْوِي الْقُلُوبَ أَهْمِيَا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صَلُّوا بِإِخْلَاصٍ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرِ
مَنْ قَبْلَ نَشْأَتِهِ الْمُبَارَكَةِ اشْتَهَرَ
كَمْ كَاهِنٍ عَنْهُ أَبَانَ وَكَمْ خَيْرٍ

وَلَكُمْ دَلِيلٌ فِي عِلَافِهِ أَهْمِيَا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صَلُّوا عَلَى مَنْ جَلَّ مَوْلَدُهُ وَعِزُّ
ضَمَّتْ قُصُورُ الشَّامِ لَمَّا أَنْ بَرَزَ
وَتَدَانَتْ الشُّهُبُ الثَّوَاقِبُ كَالْخَرَزِ

أَوْ كَاللَّاتِي نُنْظِمُ تَنْظِيمًا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صلّوا على من يوم مولده سطا
بجميع آلهة الضلالة والخطا
وهوى له عرش اللعين وأسقطا

والفرس هدّمْ صرحهم تهديما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على من ليس فظّاً غالظا
لأخيه في الإرضاع كان محافظا
فأعجب لذلك كيف كان ملاحظا

للعدل فينا مرضعاً وفطيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على مَنْ شأوه لا يدركُ
صلّوا على من شأوه لا يشركُ
موسى وعيسى والخليل تبركوا

بليغاته وعَنَوْا لَهُ تسليما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على مَنْ خَلَفَهُ صلى الرسل
شرف على تمكين عزّته يدل
فلأذن فقل هو سيدّ لهم ودل

لا تخش تويخاً ولا تحشима صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على من قد سرى نحو السما
ليلاً وعاد وما برحنا نوّما
بالروح والجسم المطهر قدّ سما

قلّنه وراغِم من أبى ترغима صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلوا على مَنْ قد رأى الرحمانا
بالقلبِ أو بالعين منه عيانا
من قاب أو أدنى مكان كانا

فخذ الفوائد واحذر التجسيما صلوا عليه وسلّموا تسليما

صلوا على مَنْ بالمحبة خُصّصا
والقلبُ منه شقٌّ حتى خلّصا
من حظ إبليس اللّعين وعصا

وأعيد ما إن يشتكي تليما صلوا عليه وسلّموا تسليما

صلوا على من بالسيادة قد حضى
وانشقّ لإكراماً له البدر المضي
ولكم دليل كالصباح الأبيض

فاسمع وكن بالمعجزات عليما صلوا عليه وسلّموا تسليما

صلوا على مَنْ كَلَمَتْهُ ذراعُ
وبفضله كَفَّتِ المِثْنُ الصاعُ
والجدعُ حنَّ له وما الأجذاعُ

بأرقّ منا أنفساً وفهُوما صلوا عليه وسلّموا تسليما

صلوا على من مدحه لا يفرغُ
ماذا عسى مُدّاحه أن يبلغوا
فللّنا يُثني عليه ويبلغُ

فاقرأ تجده محكماً تحكيما صلوا عليه وسلّموا تسليما

صلّوا على مَنْ كان يبصر بالقفا .
وعليه سلّمت الجنادل والصفّا
والذئب قال صدقت أنت المصطفى

وشكا إليه بازل قد ضيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما
صلّوا على من قد شفى بالريق
عين الضرير ولدغة الصديق
وأعاد طعم الماء مثل رحيق

إذ معّ فيه العنبر المختوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما
صلّوا على من مجده قد أسسا
والماء بين بنانه قد يجسا
وأنت إليه سرحة حتى اكتسى

بفروعها إذ خيمت تخيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما
صلّوا على مَنْ باللائك جيّشا
وغدت تظلّله الغمام إذا مئى
حرس سماء الله لك أن نشا

ليكون سرّ حبيبه مكتوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما
صلّوا على مَنْ قد حبّاه إلهه
بالكوثر البروي لنا أمواهه
في يوم حشر الخلق يظهر جاهه

إذ يقدم الرّسل الكرام زعيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلوا على من خُصَّ بالخوض الروى
وكذلك خصَّص بالمقام وباللوا
نوحاً وآدم والكليم قد احتوى

وابن البتول حوى وإبراهيم صلوا عليه وسلّموا تسليماً

صلى عليه الله ما قُطِعَ القلا
صلى عليه الله ما اجتمع الملا
صلى عليه الله ما انتُجِعَ الكلا

أبدأ ، وما رعت السوام هشيماً صلوا عليه وسلّموا تسليماً

صلى عليه الله ما هطل الحيا
صلى عليه الله ما التمع الضيا
فلقد شفى الدنيا من الداء العيا

ولقد حمى عنا لظى وجحيماً صلوا عليه وسلّموا تسليماً^١

* * *

الله سيدنا النبي الأكل
الله برق جبينه المتهلل
الله جود يمينه المتهطل

أحيا وأغنى بالنوال عديماً صلوا عليه وسلّموا تسليماً

١ قد انتهت الملاحظة النبوية بحسب الترتيب المجاني ولا أدري هل هذه البقية منها أو من قصيدة جديدة .

لله منه ذاته وحقيقته
لله منه خلقه وخليقته
لله منه شرعه وطريقته

فلقد جلت بشموسها التغيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

يا أمة الهادي النبي المصطفى
بالله لو كنّا نعامل بالوفا
متنا عليه حسرة وتلهفا

حتى نؤدي حقه المحتوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

ما كان أولانا بطول نحينا
ما كان أوجبنا بفرط وجينا
أفستطيع الصبر عن محبوبنا

ما الصبر عن لقاءه إلّا لوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

لم لا تُفيضُ على اللوام دموعنا
لم لا نقضُ من الغرام ضلوعنا
لم لا نخلي أهلنا وربوعنا

حتى نعين من ذراه رسوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

أولم يكن يحنو علينا مشفقا
أولم يكن متعطفا مترقفا
أولم يعالجنا بأنواع الرقي

حتى اغتدى منا الليل سليما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

من مثله ما إن يضرُّ وينفع
من مثله يدْرأ العذاب ويدفع
مَنْ مثله لذوي الكبائر يشفع

مَنْ مثلهُ بالمؤمنين رحيمًا صلّوا عليه وسلّموا تسليما

يا ويح نفسي كم أرى ذا صبوة
ومسامعي عن واعظي في نبوة
فعسى الرسول يُقيلني من كبوة

فلَكم رجاء عاثرٌ فأقيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

يا رب بالهادي الرفيع المحتد
اغفر لعبدك أحمد بن محمد
فلقد توسل إذ رجاك بسيد

ما رُدَّ معتلق به محروما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

ناشدتكم يا سامعي هذا الثنا
قولوا متى أسمعتموه تديّنا
اغفر لقائله المقصر ما جنى

بمدح خير الورى المعصوما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

قلت : وإنّي لأسأل الله تعالى بلسانٍ لم أعص به وهو لسان هذا المادح ،
إذ قال « يا رب بالهادي » فإنّي أحمد بن محمد بكّغه الله أمله من غفرانه بمنّته
وكرمه آمين .

رجع - ومن ذلك قولُ الفقيه الكاتب الأديب أبي العباس أحمد بن القاسم

الإشيلي الشهير بابن القصير ، وطريقه هذه مخالفة للطريق المتقدمة من بعض
الوجوه ، رحم الله تعالى الجميع :

اللهُ أكرمُ أحمداً تكريماً
فَعَدَا رسولاً للعباد كريماً
فاشكر غفوراً للذنوب رحيماً

أرضى النبي بقوله تعليماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

لله منه هدى نبيّ مرتضى
بالبعث منه لنا قضى لطف القضا
ملأت فضائله المَهَارِقَ والفضا

ودجا الوجودُ فعند مبعثه أضأ صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

عجبت لنا منه ملائكة السما
أن كان بالإسراء ليلاً قد سما
ورقى البراق به وجبريل لما

قد سرّه سرّاً وجهراً سلماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

أعْظِمُ به من مرسل قدّ بشراً
بوجوده البشر السعيد ويسترا
لليسر فهو أجل مبعوث يُرى

بهده أمته زهت بين الورى صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

من جاء بالقرآن معجزة له
أعيا الورى من بعده أو قبله
الله كرمه وفضل فضله

وأجلّ مِنْهُ فرعُهُ وأصلُهُ صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

مَنْ سَبَّحَتْ صُحُفُ الْحصى فِي كَفِّهِ
وَالْبدر شَقَّتْ نَصْفَهُ عَنْ نَصْفِهِ
ليرى بِهِ إعجاز مَنْ لَمْ يُصِفْهُ

حزناً بمعجز ذكره أو وصفه صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

يكفيه أَنْ يتلى اسمُهُ ويكرَّرَ
مع لِسْمِ خالِقِهِ إِذَا ما يُذْكَرُ
هذا الَّذِي بِمِقالِهِ لا يَفْجُرُ

أبدأ ولا لخلافه يتصوّر صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

العبد أُسْرِفَ يا نبي الله
في الذنبِ ساءَ عَنْ تُقاهِ لاهِي
فاشَقَّعْ لَهُ مِنْ مِذنبِ أَوَاهِ

يرجو كريماً منك جَمَّ الجاهِ صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

أُنْأى الزَّمانِ وِصولُهُ أو نِوْلُهُ
فاستصحب الأبيات مِنْهُ رِوْلُهُ
فأنيلَ بِفَضْلِكَ للمرادِ حِصْلُهُ

حسبي ثَنّاً وَازنتَ مِنْهُ فِصولُهُ صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

ابن القصير أَطالَ فيكَ نِظامُهُ
ليرى لَذاكَ مسلماً إِسلامُهُ
وترى مطاوعَ أمرِهِ وكلامُهُ

لا زال يُقرِّبكَ إِلَهُ سَلامه صَلَّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تسليما

وما أحسن قولَ جمال الدين بن جلال الدين الجوزي رحمه الله تعالى :

فَضَّلَ النَّبِيِّنَ الرَّسُولَ مُحَمَّدَ شَرَفًا يَزِيدُ ، وَزَادَهُمْ تَعْظِيمًا
دُرِّيَّةً يَتِيمٌ فِي الْفَخَارِ ، وَإِنَّمَا خَيْرُ اللَّآلِي مَا يَكُونُ يَتِيمًا
سَادَ النَّبِيِّينَ الْكَرَامِ وَكُلُّهُمْ صَلَّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تسليما
وَاللَّهُ قَدْ صَلَّى عَلَيْهِ كَرَامَةً صَلَّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تسليما

[مسدسات في مدح الرسول]

ومن ذلك هذا التسديس البديع الذي هو من نظم الإمام العارف بالله تعالى علاء الدين محمد بن عفيف الدين الأيحي الحسني الصفوي الزينبي - رحمه الله تعالى - مما رتبته على حروف المعجم والتزم الحرف أول الأشرطة الأربعة وآخرها :

اللَّهُ أَحْمَدُ أَحْمَدًا إِذْ يَبْرَأُ أَوْضَى وَضِيءُ نُورِهِ يَتَلَأَلُ
أَنْوَارِهِ كُلَّ الْعَوَالِمِ تَمَلَأُ أَكْوَانُهُ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُ تَنْشَأُ
إِنْ كُنْتُمْ أَنْقَدْتُمْ لَهُ تَسْلِيمًا صَلَّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تسليما

بَدْرٌ بَدَأَ مِنْ نُورِهِ يَتَطَلَّبُ بِحَرِّ بَحُورِ الْجُودِ مِنْهُ تَرْكَبُ
بِرٌّ وَبِرْهَانٌ جَلَا يَتَقَلَّبُ بِالمُصْطَفَى مِمَّنْ صَفَا أَتَقَرَّبُ
بَادِرٌ بِمَا يَجْدِي لَكُمْ تَنْعِيمًا صَلَّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تسليما

تَاللهُ مِثْلُ مُحَمَّدٍ لَا يَثْبِتُ تَمَّ الْكَمَالِ الْمُنْتَهَى وَنَبِوَّةُ
تَاجِ الْعُلَا بِالمُصْطَفَى يَثْبِتُ تَاهَتْ عَقُولٌ لِلَّذِي هُوَ يَنْعَتُ
تَحْفَ الصَّلَاةِ بِهِ عَلَيْهِ أَدِيمًا صَلَّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تسليما

ثقة بالذي يوماً يقومُ ويُبعثُ	ثمة البرية بالنبي تغوثُ
ثبت الشفاعة للورى يتحدث	ثرة الطوائف للذي يتثبت
ثبت لزام الباب فيه مقيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
جاء النبي عوالمًا يتبلج	جاهٌ له مَنْ جاءه يتبهج
جاهٌ ينجلي من لظى تتوهج	جاءت له الأشجار أرضاً تفرج
جاور نبيّ الله نلتَ نعيمًا	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
حقاً هو الحقُّ المبين ^١ الأوضحُ	حبُّ حبّاهُ حبهُ يرتجحُ
حسناته حثياته ^٢ تُسترجعُ	حتى القلوب بحبه ترجعُ
حوت العلوم لذاته تكريما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
خَيْرُ البرايا دينه هو ناسخ	خيرٌ له خيرُ الخيور رواسخ
خَرَّ الذي عَن دينه هو بازخ ^٣	خالٍ خليّ عن نقائص باذخ
خُذْ باتباع - فعاله ترسيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
دلّ الأنام على الإله محمدُ	دامت سعادة من بأحمد يسعدُ
دارٌ له مأوى المحامد تحمدُ	دان الوجود به ومن هو أحمدُ
داوم على باب له تخيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
ذكرُ الحبيب أحقُّ ما يتأخذُ	ذخرًا ليومٍ بالنواصي يؤخذُ
ذاك الشفيع لمن به يعودُ	ذاك الذي يجنبه يستنقذُ
ذلوا له ولبابه تغنيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما

١ ق : الحقيق .

٢ ق : حسناته .

٣ البازخ : المتقاص .

رب النبي محمد هو يذكر	رتب الحبيب كتابه متذكر
رائي محيا أحمد هو ينظر	روح القلوب ولاؤه هو ينصر
روح بذكره المريح ندما	صلوا عليه وسلموا تسليما
زين البرايا بالوجود معزز	زان العوالم حسنه يفوز
زن فضله عن كلهم يتميز	زد ذكره عن زلة يتحرز
زلفي أنله بالمسنى تميما	صلوا عليه وسلموا تسليما
سبق الأنام بفضله هو أنفس	ساد الجميع بسودد يترأس
سبحان من أسرى به يتأنس	سر الحبيب بسرّه يتقدس
سمع الكلام من الإله كليما	صلوا عليه وسلموا تسليما
شمس الهدى بدر الدجى يتبشش	شرف الحبيب من الوجوه يفتش
شكراً لولانا عليه وأبهش	شوق إليه وافر أعطش
شغل للبك بالحبيب أديما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صفة الكلام لذاته هو أخلص	صفة الكتاب كماله يتلخص
صفة القلوب بحبه تتخلص	صفه صبا صيب وأنى يخلص
صل بالصلاة جنابه تكليما	صلوا عليه وسلموا تسليما
ضفت الفيوض من الحبيب تفيض	ضعفي إليه آملا يتعوض ^٢
ضري وضيري كله يتقوض	ضل الذي في بابه لا ينهض
ضمن الحبيب لذاكره زعيما	صلوا عليه وسلموا تسليما

١ ق : لسانك .

٢ ق : يتفوض .

طوبى لمن يجيبه يتنشط	طابت به أحواله والمنشط
طال اشتياقي طيبة أتيسط	طالَ الإلهُ علي طولاً ييسط
طوبى بمدحته يطيبُ نسima	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
ظلُّ الهدى بهداه قد يتحفظ ^١	ظلمات شرك قد جلت تتدلظ ^٢
ظلي لظلّ وداده يتحفظ	ظهري ظهيري حبه أتحمظ ^٣
ظني به يغدو العقاب عديما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
علت المعالي بالنبي وترفع	عزّ علاه للذي هو يتبع
عمت عطاياه لكل ينفع	عرش العظيم قد ارتقى يترفع
عرجَ الإلهُ به إليه عليما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
غوث الورى ذا المصطفى هوسايف	غيثُ الندى هو في البرايا سائغ
غمر الندى أقصى النهاية بالغ	غزر الحيا شمسٌ وبدرٌ بازغ
غنما نما بالمؤمنين رحima	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
فخرٌ وذخرٌ بالمفاخر يشرف	فردٌ وحيدٌ في العوالم أشرف
فتح الوجود وكل كون مردف	فازَ الفقير بلطفه يتلطف
فاح النسيم من الحبيب جسيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
قسم الإلهُ بعمره فيفوق	قسمت وجوه الحسن منه فيسبق
قمرٌ وشمسٌ نوره متالتق	قمنٌ بذكره الدعاء معلق
قطب لدائرة الوجود كريما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما

١ ق : يتقظ .

٢ تتدلظ : تصرح في مرورها .

٣ ق : أحمظ .

كتب الإلهُ ثناءهُ ما يدرك	كتبَ اسمَهُ قُربَ اسمِهِ يَتَبَرَكُ
كلُّ الكمالِ لَهُ بِهِ يَسْتَدْرِكُ	كُنْهُ الكَمالاتِ التي لا تَدْرِكُ
كيف كَفَى دُرَّ الثناءِ يَتِيماً	صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً
لمعات نورِ مُحَمَّدٍ هي تَنجِلُ	للشَّمسِ والبدرِ المُنِيرِ فَتَحْمِلُ
لذاتِ ذَكَرِ مُحَمَّدٍ هي أَكْمَلُ	لذوي الحوائجِ لائِذٌ مِتَكْفِلُ
لذِ خَدِ بِجَدِّ مِنْكَ تُلَفِّ حَكِيماً	صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً
مَنْ مِثْلُهُ فِي الْعَالَمِينَ مَعْظَمُ	مَنْ مِثْلُهُ فِي الْعَالَمِينَ مَكْرَمُ
مَنْ لِلإِلَهِ لَدَى اللِّقَاءِ يَكْلَمُ	مَنْحاً حَبَاهُ مِنْهُ قَدْ يَتَعَلَّمُ
مَنْ الإِلَهِ لَدَيْهِ صَارَ عَمِيماً	صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً
نورَ لَهُ فِي آدَمَ يَتَبَيَّنُ	نَقْلًا إِلَى آبَائِهِ يَتَعَيَّنُ
نَايَ الْعَوَالِمِ إِذْ أَتَى مَتَعَيْنُ	نَارَ الْمَجُوسِ تَحْمَدُتْ تَتَهَوَّنُ
نِعْمَاهُ جَمْتُ¹ إِذْ نَعَمَ كَرِيماً	صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً
وَجْهَهُ بِهِ كُلُّ الْوُجُوهِ إِلَيْهِ هُوَ	وَجْهُ الْوُجَاهِ بِكُلِّهِ يَتَوَجَّهُوا²
وَوُجَاهُهُ وَجْهُ الْمَرَامِ فَوَجَّهُوا	وَجْهُ¹ إِلَيْكَ نَبِيَّنَا فَتَوَجَّهُوا
وَجْهٌ¹ إِلَيْنَا نَظَرَةٌ تَكْرِيماً	صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً
هُوَ مُصْطَفَى عِنْدَ الإِلَهِ الْأَوْجِهَةِ	هَادٍ لَنَا وَبِوَجْهِهِ مِنْ أَوْجِهَةِ
هَا إِنَّهُ وَجْهِي لِهَذَا أَوْجِهَةِ	هِيَ هَنِيئًا وَجْهُهُ بِالْأَوْجِهَةِ
هَامَ الْفَوَادُ بِحَبِّهِ تَتِيماً	صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

١ ق : جلّت .

٢ ق : بوجهه قد أوجهوا .

لا مثل للمختار أعلى من علا لاجيه ناج قد نجا كل البلى
لاذ الصفي به يتوب فأقبلا لاقى النبي محمد أن يقبلا
لازم محباً للمحبب نديما صلوا عليه وسلموا تسليما

يا أكرم الخلق الذي هو ملجئي يأتي محمد العفيفي الذي
يده يمد إليك مرتجياً وفي يقن بصفوته الصفي ويكتفي
يمناً لذكرك يبتدي تحميما صلوا عليه وسلموا تسليما

وله أيضاً رضي الله تعالى عنه قصيدة أخرى على طريقة هذه ، وقد نظمها
بعدها نفع الله تعالى بنيته ، وبلغه غاية قصده وأمنيته ، وهي هذه :

أحسن بطلعة أحمد هي أضوا أعلن بلمعته العوالم تملأ
أزين به لما أتى يتلألاً أين بآيات له فتنبأ
الله قدمته بها تقديماً صلوا عليه وسلموا تسليما

بدأ الإله بنوره فيعقب بدء الذي بالمصطفى يتقلب
فيه لذي الحاجات إذ يتطلب بدء بذكراه به يستوهب
بل هو إلى الأرب انتفع تعميما صلوا عليه وسلموا تسليما

ثلث العلامات التي هي تثبت تب العدا تباً وعنه تثبت
تمت له الآيات فيك تبكت تورا موسى ناطقاً هي تنعت
توقع حاجات صفوا تسليما صلوا عليه وسلموا تسليما

ثبت الكمال له ومنه يورث ثبت الورى لو لم تكن لا تحدث
ثبت بذكرى المصطفى يتحنث ثبت الذي يجنابه يتشبث
ثبت بذكر قد تراه قديما صلوا عليه وسلموا تسليما

جاء العوالم نورهُ يتبلج	جاد العوالم بحره يتموج
جاز السّموات العلّا يتعرج	جاب الجميع بسامه يتفرج
جار لهُ جارى لهُ تنعيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
حار العقول لدحه إذ يمدح	حيا الحياء بريّه يستروح
حي لهُ فضل به يسترجع	حي لهُ حامى حمى فتروح
حي الحامى الحامى تصير سليما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
خلق لهُ كل به يشمخ	خلق لهُ بالنقص لا يتلطخ
خلق لهُ أحسن به هو أبذخ	خلق يحق لهُ الثناء الأرسخ
خلق إلهي بذاك تمينا	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
دار الحبيب أحق ما يعتمد	دارت بها كل السعادة تسعد
دانت أهاليها بما هو يرشد	دار بحسن طيبة لا تبعد
دارك سكوناً بالسكون مقينا	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
ذكر الحبيب محمد هو ينقلد	ذكر لما ينسي رسولا ينقلد
ذكر الإله ثناؤه ويلدذ	ذكره تنفع سامعا يتلدذ
ذيل النبي خذ اعتمد تعظيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
ربّ الورى سبحانه هو أكبر	ربّ النبي محمد فيكبر
ربّ الرؤوف حبيبه فيدبر	ربّي اصطفاه من الورى فأكبر
ربّ ارجاء للمني تدويما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما

١ ق : يروح .

زاد الإلهُ عُرُوجه فيرُز	زانُ العوالم إذ أتاها يِرز
زاد لأخرى حبّه يتحرّز	زادت معاليه عروجاً ينشز
صلّوا عليه وسلّموا تسليما	زعمَ الشفاعةَ ذاكره زعيما
سارَ السّموات العلّا يستأنس	سادَ الجميع إذا أتى هو أنفس
سامي ذراهُ للمُحبّ تؤنس	سأل الإله وزاد ما يتنافس
صلّوا عليه وسلّموا تسليما	سارعُ إلى ذاك الدرا تخيما
شرق لأشرق شرقه يتفرّش	شرف لأمتّه به يتفايش
شوقاً إليه قد إليه أجهدش	شرقاً وغرباً فيه عقل يدعش
صلّوا عليه وسلّموا تسليما	شكراً على النعمى تزيد نعيما
صفة عن الشيء الذي يتنقص	صفة له ذات له هو أخلص
صفة شريعته النقائص تخلص	صفة له حارت عقول تفحص
صلّوا عليه وسلّموا تسليما	صفة له وبربه لتسدبما
ضاع الذي عن ذكره هو يعرض	ضاعَ المديح لأحمد يَروّض
ضاف بذكره المُنَى يتعرّض	ضاف حباه كفّه ليفضفض
صلّوا عليه وسلّموا تسليما	ضاعف له الآمال صلّه مديما
طابت مدائحهُ فطاب المنبسط	طالَ العوالم إذ أتى هو يقسط
طام له بحر الألى يتنشط	طالت به النعمى وطاب المنشط
صلّوا عليه وسلّموا تسليما	طالب مطالب كلّها تتميما
ظهر لأمتّه ظهير ملحظ	ظهر النبي وربّ [أحمد يلحظ]
ظلّ له ظلوا به يتحفّظوا	ظهروا على الأمم افتخار ملحظ
صلّوا عليه وسلّموا تسليما	ظلت الظلال إذا ذكرت نديما

عدّ المحاسن للنبي يستتبع	عدّ له آياته تتنوع
عدّاه مولاه إليه فيطالع	عدّ لذكراه غداة يشفع
عدّ باب منّ بالمؤمنين رحيمًا	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
غزرت له الآيات هنّ نوابغ	غزر الحيا عزّ الورى هو سائغ
غمر الرّدا بحر الندى يترفع	غمر البلاد بذكّره يستفرغ
غمر بذكّراه الفسّاد وسيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
فاض الجمال وفاض منه يوسف	فازّ المحبّ بذكّره لا يوسف
فاضت عليه فيوضه يتزلف	فاشّ له الآيات لا يتكلّف
فاد له كلّ بهّم تقدّما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
قمر بدا من أفقه هو فائق	قمرّ يجاب بذكّره ويعلق
فمقام كلّ الأنبياء وسائق	فمقام جود عمّ كلّاً يرفق
قم بابّه مستنجحاً ومقيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
كلّاً به فتح الوجود ويدرك	كلّ الكمالات احتوى لا يشرك
كلّ اللسان عن البيان ويمسك	كلّىء الذي بجنابه يتمسك
كلّ مرتجأك إليه ثق تكريما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
لمحمّد هو مصطفى ومؤمل	لمحمّد بن محمد ما يأمل
لمحت عليه بروقه يتحمّل	لمعان نور وداده يستكمل
لم لا أصيب من الحبيب شميما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
من مثل ذاك المصطفى يتعظم	من كلّ وجه للكمال يعظم
منّ علينا من إله أعظم	منه العروج إليه وهو يعظم
من كان للربّ العظيم كليما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما

نور الإله حبيبه يتمكن	نادى الإله حبيبه يتمكن
نال نوالاً شرحه لا يمكن	ناد له طوبى لمن يتمكن
نادى الحبيب بذكره تكليما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
والله مثل محمد لا يشبه	والله مولاهُ العوالم كيف هو
وجه الوجود بذاته وبه له	وجه علا وبوجهه فتوجهوا
وجدوا وجاد من النجاة مقيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
هو أكمل من كل وجه أوجه	هو ذا الحبيب القلب منه أوجه
[...] فأولى طبيه وأوجه	هول من الأرض المُكثّر أوجه
هانا بنار الشوق صرت سقيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
لا ريب لا مثل له والله لا	لاحت له الآيات عرشاً قد علا
لاقى ارتقاء ربّه فتوصلا	لاج به نال المنى إلى الألا
لازم لباب جنابه تقسيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
يا أكرماً كل إليه يكتنحي	يأتي محمدك العفيفي الذي
يقنا توسّل بالصفى ويحتدي	يده إليك [يمدُّ] فقرأ ترجي
يمن افتتاح باسمه تخيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما

قلت : وإنّما أثبت هاتين القصيدتين في جملة ما سردته ، وإن كان فيهما من التكلف ما لا يخفى لأوجه ، أحدها : أن صاحبهما من الصالحين يسلم له ويتبرك بكلامه ، ومن اعترض على مثله يخشى عليه من تسديد السهام للملامه ، الثاني : أنهما مدح للنبي صلى الله عليه وسلم وعليه من الله أركى صلاته وأتم سلامه ، الثالث : أن المراد جمع ما وقفت عليه في البحر والروي والمعنى ،

١ لفظة التكلف هنا قاصرة ، إذ هذا النمط من السداسيات خارج عن طبيعة اللغة ودلالات اللفظ .

لأن بعضاً من العلماء ذكر لي أنه لم يطلع في ذلك إلا على قصيدة ابن الجنان ،
فأحببت أن أعرض لتعريفه بهذا العدد وإعلامه ، على أن القصد الأعظم ما هو إلا
التلذذ بذكر أمداح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، خصوصاً المقتبس فيها قوله
تعالى ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

وقد كنت نويت أن أولف في ذلك بالخصوص كتاباً أسميته « روضة
التعليم في ذكر الصلاة والتسليم على من خصّه الله تعالى بالإسراء والمعينة والتكليم »
والله تعالى المسؤول في التيسير ، فلتزد عليه يسير .

ومن ذلك هذا التسديس الذي وجدته في كتاب « درر الدرر »^١ للشيخ
الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد^٢ بن أحمد بن أبي
بكر العطار الجزائري من جزائر بني مزغنة ، وهي المشهورة الآن بالجزائر :

أنوار أحمد حُسنها يتلألاً	المصطفى بحلى الكمال يحسلاً
الشمس تخجل وهو منها أضواً	النور منه مقسّم ومجزأ
قد زان ذاك النور إبراهيماً	صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

صلوا على المسك الفتيق الأطيب	صلوا على الورد المعين الأعذب
صلوا على نور ثوى في يثرب	صلوا عليه بمشرق وبمغرب
ما زال في الرسل الكرام كريماً	صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

صلوا على زهر الكمال الثابت	صلوا على طود البهاء الثابت
صلوا على من فاق نعت الناعت	خير الورى من ناطق أو صامت
وأعزهم نفساً وأطهر خيماً	صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

١ سيورده باسم « نظم الدرر » بعد قليل .

٢ بن عبد . . . محمد : سقطت من ق .

صلّوا على طيب يفوح ويمكث	صلّوا على من بالهدى يتحدث
صلّوا على من عهده لا يُنكث	أضحى يعلمنا الهدى تعلّما
صلّوا على من عهده لا يُنكث	صلّوا على من نورهُ يتبلج
صلّوا على من عهده لا يُنكث	للحضرة العليا لئلا يرج
صلّوا على من عهده لا يُنكث	وبها على العرش المجيد مُقيما
صلّوا على صبح الرّشاد الواضح	صلّوا على البدر المنير اللاّئح
صلّوا على الهادي النبي الناصح	صلّوا على المسك الذكي الفائح
صلّوا عليه وسلّموا تسليما	الرشد فهمّ والهدى تفهّما
صلّوا على من شرعه لا يُنسخ	صلّوا على من بالثناء يضمخ
صلّوا على من شرعه لا يُنسخ	نال المفاخر والكمال قديما
صلّوا على من شرعه لا يُنسخ	صلّوا على الهادي لأعذب مورد
صلّوا على من شرعه لا يُنسخ	صلّوا على بدر التمام الأسعد
صلّوا على من شرعه لا يُنسخ	الله عظم قدره تعظيما
صلّوا عليه فللسعادة يجذب	صلّوا على من بالنبوة ينفذ
صلّوا عليه فللسعادة يجذب	صلّوا على من حبه لا يُنبذ
صلّوا عليه فللسعادة يجذب	في موقف يُنسب الحميم حميما
صلّوا على الرّوض البهي الناضر	صلّوا على البدر المنير الزاهر
صلّوا على المسك الفتيق العاطر	صلّوا على بحر العلوم الزاخر
صلّوا عليه وسلّموا تسليما	وتنعموا بصلاتكم تنعيما

صلّوا على نُور يَكُوح ويبرز	صلّوا على نُور يَكُوح ويبرز
بمحمّد حلّ الكمال تُطَرِّز	بمحمّد حلّ الكمال تُطَرِّز
قد نُظِّمَت لِكَمالِهِ تَنْظِيمًا	قد نُظِّمَت لِكَمالِهِ تَنْظِيمًا
صلّوا على مَنْ بالبهاء يَخْطُط	صلّوا على مَنْ بالبهاء يَخْطُط
للمصطفى بِسُطِّ الكرامة تُبْسُط	للمصطفى بِسُطِّ الكرامة تُبْسُط
وبنوره أَضْحَى الزمان وسيما	وبنوره أَضْحَى الزمان وسيما
صلّوا على من بالمهابة يَلْحَظ	صلّوا على من بالمهابة يَلْحَظ
صلّوا على من بالهداية يَلْفَظ	صلّوا على من بالهداية يَلْفَظ
ورضاه مَبَّ لَنَا وطاب نسима	ورضاه مَبَّ لَنَا وطاب نسима
صلّوا على من قدره لا يُدْرِك	صلّوا على من قدره لا يُدْرِك
صلّوا على من حُبّه لا يُتْرَك	صلّوا على من حُبّه لا يُتْرَك
وبه تحلّى ظاعنًا ومقيما	وبه تحلّى ظاعنًا ومقيما
صلّوا على البدرِ المُنِيرِ الأَكْمَل	صلّوا على البدرِ المُنِيرِ الأَكْمَل
صلّوا على الهادي النبيّ الأَحْفَل	صلّوا على الهادي النبيّ الأَحْفَل
فيه تَقَدَّمَ وحدهُ تَقْدِيمًا	فيه تَقَدَّمَ وحدهُ تَقْدِيمًا
صلّوا على عَرَفٍ ذِكِّي ناسِم	صلّوا على زهرٍ أُنِيقٍ بِناسِم
من جوده نلنا بِخَيْرٍ مَقاسِم ^١	صلّوا عليه فهو بدرٌ مَواسِم
صلّوا عليه وسلّمُوا تسليما	أنواره قَدْ تَمَّت تَمِيمًا

١ ق : يحفظ .

٢ ق : صلوا على من المقام قاسم .

صلّوا على مَنْ بالنّبوة زينا	صلّوا على مَنْ بالكمال نمكنا
صلّوا على هادٍ أبانٍ وبينا	بمحمدٍ فزنا بإدراك المني
للخلقِ أرسل رحمةً ورحيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
صلّوا على من بالكمال يخصص	صلّوا على مَنْ نورُهُ لا ينقص
صلّوا عليه على الدوام وأخلصوا	ظلٌّ ضفا بالأمن لا يتقلص
شمل الورى طرّاً وطاب عميما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
صلّوا على صبح تبليج بالرضى	وقضى على ليل الضلالة فانقضى
صلّوا على مَنْ بالنجاة تعرّضا	صبح تذهب نورهُ وتفضضا
وعسلا وخيّم ضوءه تحيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
صلّوا على البدر المنير الساطع	صلّوا على الروض الأنيق اليانع
صلّوا على الصبح المنير اللامع	صلّوا على المسك الفتيق الذائع
ووقاه في وهج الهجير مغيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
صلّوا على الثور الأعم السايغ	صلّوا على البدر الأتم البازغ
صلّوا على المسك الذكيّ البالغ	صلّوا على الورْد المعين السائع
للواردين به غدا تميما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
صلّوا على من بالتقرب يوصف	صلّوا على من بالمحبة يُعرف
صلّوا على من بالعلّا يتشرف	صلّوا عليه به الكمال يزخرف
المجد فحّم ذكره تفخيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما
صلّوا على مسك يطيب لناشِق	صلّوا على الروض الأنيق الرائِق
إشراقه بمغاربٍ ومشارِق	صلّوا على البدر الأتم الفائق
بادٍ تنسم حسنه تنسيما	صلّوا عليه وسلّموا تسليما

١ ق : الطالع .

صلوا على الدرّ النفيس الأنفَسِ	صلوا على الدرّ النفيس الأنفَسِ
صلّوا عليه فهو زين المجلسِ	صلّوا عليه فهو زين المجلسِ
راق النفوس شذا وطاب شميما	راق النفوس شذا وطاب شميما
صلوا على المختار أفضل من مشى	صلوا على المختار أفضل من مشى
بمحمد عرّفُ القرنفل قد فشا	بمحمد عرّفُ القرنفل قد فشا
ببري الضنى أبداً ويروي الهيما	ببري الضنى أبداً ويروي الهيما
صلوا على الهادي النبيّ الأنزه	صلوا على الهادي النبيّ الأنزه
في فضله كلّ الشهادة تنتهي	في فضله كلّ الشهادة تنتهي
في حبه أضحى الغرام غريما	في حبه أضحى الغرام غريما
صلّوا على نور بطيّبة قد ثوى	صلّوا على نور بطيّبة قد ثوى
صلوا عليه فليس ينطق عن هوى	صلوا عليه فليس ينطق عن هوى
في موقفٍ يذرُ السّليم سليما	في موقفٍ يذرُ السّليم سليما
صلوا على نور تلالاً واعتلى	صلوا على نور تلالاً واعتلى
صلّوا على مسك يخالط منّدلا	صلّوا على مسك يخالط منّدلا
وبه المعالي خيمت تخيما	وبه المعالي خيمت تخيما
صلوا على منّ نال مجداً عاليا	صلوا على منّ نال مجداً عاليا
صلّوا على نور تبدّى حاليا	صلّوا على نور تبدّى حاليا
وإذا سما المخدم زان خديما	وإذا سما المخدم زان خديما

وقد توارد في بعض هذا التسديس مع بعض بيوت القصيدة السابقة التي أولها :

١ ق : خست تختيا .

يا أمة الهادي المبارك أحمد

حسبما يعرفه المتأمل ، والذي في ظني أن صاحب « يا أمة الهادي » متأخر عن ابن العطار فهو الذي أخذ منه ، والله سبحانه أعلم .
وتوارد أيضاً في عدة أبيات مع تخميس الكاتب أبي العباس ابن جمال الدين المتقدم ذكره وأوله :

الله زادَ محمداً تعظيماً

وهما على منوال واحد ، غير أن ذلك تخميس وهذا تسديس ، وابن جمال الدين أقدم من ابن العطار تاريخاً ، فيحتمل أن يكون ألم بكلام ابن جمال الدين ، أو ذاك من توارد الخاطر .
ورأيت في هذا الكتاب تسديساً آخر لم يرتبه على حروف المعجم ، وجعل روي الشطرين الأخيرين حرف اللام ، فأحييت ذكره هنا زيادة في التبرك بمدح المصطفى عليه أجل الصلاة والسلام ، وهو :

نُورُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ	أُرْبَتِ مَحَاسِنُهُ عَلَى الْأَنْوَارِ
مَرَّاهُ يُخَنِّجِلُ بِهِجَةَ الْأَقْمَارِ	نُورٌ يُنْجِي مِنْ عَذَابِ النَّارِ
قَدْ زَانَ ذَاكَ النَّورَ إِسْمَاعِيلاً	صَلُّوا عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلاً
صَلُّوا عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ الْمَشْرِقِ	صَلُّوا عَلَيْهِ بِمَغْرِبٍ وَمِشْرِقِ
صَلُّوا عَلَى غَصْنِ الْكَمَالِ الْمُورِقِ	بِالْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ بَرَقَ الْأَبْرِقِ
يَهْدِي غَرَاماً لِلنَّفُوسِ دَخِيلاً	صَلُّوا عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلاً
صَلُّوا عَلَى مَنْ قَدْ تَنَاهَى فَخْرُهُ	صَلُّوا عَلَى مَنْ قَدْ تَعَاظَمَ قَدْرُهُ
صَلُّوا عَلَى مَنْ قَدْ تَأَرَّجَ نَشْرُهُ	صَلُّوا عَلَى مَنْ قَدْ تَنَاسَقَ دَرُّهُ
عَقْدَ السَّنَاءِ لِمَجْدِهِ الْكَلِيلِ	صَلُّوا عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلاً

صلّوا على خير الأنام المرسل	صلّوا على خير الأنام المرسل
صلّوا على أسنى سنا المتوسل	صلّوا على أسنى سنا المتوسل
صلّوا عليه بكرة وأصيلا	ظلّ علينا لا يزال ظليلا
صلّوا على من فاق عرف العنبر	صلّوا على النور الأتمّ الأكبر
كم زان ذكر المصطفى من منبر	صلّوا عليه فهو أصدق مخبر
صلّوا عليه بكرة وأصيلا	وأراح من داء الضلال عيلا
صلّوا على من فاق كل مبشر	صلّوا على النور الأتمّ الأنور
صلّوا على بدر يرى في المحشر	صلّوا عليه هديتم من معشر
صلّوا عليه بكرة وأصيلا	حاز الجمال فلا يزال جميلا
صلّوا عليه بمشرق وبمغرب	صلّوا على النور البهيّ المغرب
بالفكر يشرب ويع من لم يشرب	صلّوا على الورد الشهيّ المشرب
صلّوا عليه بكرة وأصيلا	منه ، وينقع بالورود غليلا
صلّوا على من في النجاة يفكر	صلّوا على من فخره لا ينكر
صلّوا على من بالهداية يشكر	صلّوا على من بالنبوة يذكر
صلّوا عليه بكرة وأصيلا	شكراً على مر الزمان حفيلا
صلّوا على من في الكمال تقسّم	صلّوا على من بالسيادة قد سما
صلّوا على طيب سرى وتنسّم	صلّوا على صبح بدا متبسّم
صلّوا عليه بكرة وأصيلا	وغدا وراح معطراً وبليلا
صلّوا عليه سرى وفاح وما انبرى	صلّوا على مسك يخالط عنبرا
لبس الجمال مطرزاً ومعبرا	صلّوا عليه حوى الكمال الأكبرا
صلّوا عليه بكرة وأصيلا	وبذاك قد خص الجليل جليلا

صلّوا على من بالنبوة تُوجّا	صلّوا على من بالنبوة تُوجّا
صلّوا عليه لقد أضاء وأبهجا	صلّوا عليه لقد أضاء وأبهجا
نور يعود الطرف منه كليلًا	نور يعود الطرف منه كليلًا
صلّوا على نورٍ تبلّج لاثحا	صلّوا على نورٍ تبلّج لاثحا
صلّوا على مسكٍ تأرّج فاثحا	صلّوا على مسكٍ تأرّج فاثحا
وبحبّه يستوجبُ التبجيلا	وبحبّه يستوجبُ التبجيلا
صلّوا على من نوره ملاء الفضا	صلّوا على من نوره ملاء الفضا
صلّوا على من خُصَّ حقّاً بالرضى	صلّوا على من خُصَّ حقّاً بالرضى
وهدى إلى نيل الرشاد سبيلا	وهدى إلى نيل الرشاد سبيلا
صلّوا على بدرٍ يدوم كماله	صلّوا على بدرٍ يدوم كماله
صلّوا على من قد تعاظم حاله	صلّوا على من قد تعاظم حاله
وإلى الورود به أجدّ رحيلًا	وإلى الورود به أجدّ رحيلًا
صلّوا بأجمعكم على شمس الهدى	صلّوا بأجمعكم على شمس الهدى
صلّوا عليه فمن رآه تشهدا	صلّوا عليه فمن رآه تشهدا
أرضى التزيل ويئنّ التزيلا	أرضى التزيل ويئنّ التزيلا
صلّوا على من قد تأثّل بمجده	صلّوا على من قد تأثّل بمجده
ما زهره لولاه أو ما ورّده	ما زهره لولاه أو ما ورّده
في تربه ما أعذب التقيلا	في تربه ما أعذب التقيلا
صلّوا على محبوبنا مطلوبنا	صلّوا على محبوبنا مطلوبنا
صلّوا عليه فهو روض قلوبنا	صلّوا عليه فهو روض قلوبنا
صلّوا على مطلوبنا محبوبنا	صلّوا على مطلوبنا محبوبنا
لا نرتضي عن حبه تبديلا	لا نرتضي عن حبه تبديلا
صلّوا عليه بكرة وأصيلًا	صلّوا عليه بكرة وأصيلًا

١ ق : تأمل .

صلّوا على خير الأنام الأطهر	صلّوا على النور الأتم الأزهر
صلّوا على الصبح المنير الأشهر	صلّوا عليه بإتصال الأشهر ^١
الله فضّلنا به تفضيلاً	صلّوا عليه بكرة وأصيلاً
صلّوا على من قد تنهى في العلا	صلّوا على من كان أكل أجمل ^٢
صلّوا على درّ تزان به الحلّ	المجد ألبسه الكمال مكملاً
والله كلّ مجده تسكيلاً	صلّوا عليه بكرة وأصيلاً

وأظن أنّي رأيت بعض هذه القصيدة في كتاب العروسي المغربي ، وهو متأخر .

[قصائد ومقطعات في مدح الرسول]

ومن قصائد هذا الكتاب قصيدة صرح فيها بابن المغربي : وهي :

أهدت لنا طيبَ الروائح يثربُ	فهبوبُها عندَ التّسم يطربُ
رقت فرقاً من الصباية والأسى	قلب بنيران البعساد يعذبُ
شوقاً إلى أسنى نبيّ حبهُ	يحلّو على مرّ الزمان ويعذبُ
المصطفى أعلى البرية منصّباً	قد جلّ في العلياء ذاك المنصبُ
فزّنا به بين الأنام بديعة	أبدأ علينا بالأمانى تسكبُ
حاز السيادة والكمال محمدٌ	فإليه أشتات المحامد تُنسبُ
محبوبنا ونبيّنا وشفيّعنا	يُدني إلى ورد الرضى ويقربُ
بضياؤه الملتاح أشرق مشرقٌ	وبنوره الوضاح أغرب مغربُ
وبه وردنا الأمن عذباً صافياً	وبه ترقى في المعالي يشجبُ

١ ق : من نبي أنور .

٢ ق : صلّوا عليه فما أتم وأجمل .

صبح الهدى أنواره بنينا
 إن طابت الأنفاس من زهر الربى
 صيرت أمداح النبي المصطفى
 فعلي من أمداح أحمد خلعة
 وممدحه شمس الرضى طلعت على
 أترى يبشرني البشير بقربه
 ويقال لي بشراك قد نلت المتى
 هذا مقر الوحي هذا المصطفى
 ريد ورد طيبة واشف من ألم النوى
 كم ذا التواني عن زيارة مورد
 منّا السلام على النبي محمد

صبحاً تروق الناظرين وتعجب
 رياه أذكى في النفوس وأطيب
 لي مذهباً يا حيداك المذهب
 موشية لها طراز مذهب
 أفقي تضيء وتورها لا يغرب
 وأبث أشواق الفؤاد وأندب
 يا مغربي إلى متى تتغرب
 هذا الذي أنواره لا تحجب
 قلباً على جبر الأسى يتقلب
 عذب المقام به ولد المشرب
 ما أسفرت شمس وأشرق كوكب

وقد سمي هذا الكتاب بـ « نظم الدرر في مدح سيد البشر » و « الورد العذب المعين في مولد سيد الخلق أجمعين » وليس هو بابن العطار المشرقي الذي كان معاصراً لابن حجة الحموي ، فإن ذلك متأخر عن هذا ، وهذا مغربي وذاك مشرقي ، فلم يتفقا لا في زمان ولا في مكان ، سوى اشتراكهما في الشهرة بابن العطار .

ووجدت على ظهر أول ورقة من بعد تسميته السابقة ما صورته : ممّا أنشأه الشيخ الفقيه القاضي العدل الأديب البارع أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي بكر بن يوسف العطار ، رواية العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد ابن الأمين الأقشهري ، قرأت هذا الكتاب وقصائده على حروف المعجم وقصيدتين غيرها على ناظمها القاضي المذكور قراءة ضبط وتصحيح ورواية مقابلة

١ يعني بابن العطار المشرقي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الديسري ، وله في المدافع النبوية « عنوان السعادة » (الدرر الكامنة ١ : ٢٨٧) .

بأصله بموضع الحكم في مدينة الجزائر من أقصى إفريقية - حُرِسَتْ - في دُولٍ متفرقة ، وآخرها يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ذي القعدة أو آخر عام سبعة وسبعمائة ، ونَصُّ ما كُتِبَ على نص قراءتي عليه : صحيحٌ ذلك ، وكتبه محمد بن عبد الله ابن محمد بن محمد بن العطار ، والحمد لله رب العالمين ؛ انتهى .

ورأيت أثر ما تقدم بخط الأقسهري ما صورته : سمع من لفظي جميع « نظم الدرر في نسب سيد البشر » لجامعه ، القاضي المذكور أصلاه القاضي شمس الدين محمد ابن المرحوم عبد المنعم الشيبني وولدُه أبو محمد عبد الدائم وابنُ أخيه أبو محمد عبد الباقي بن تاج الدين بن حفص^١ بن أبي بكر البوري وغيرهم ، نحو سماعي قراءة مني على مؤلفه أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر العطار سنة سبع وسبعمائة ، قاله راسمه الأقسهري ؛ انتهى .

ومن قصائد هذا الكتاب قوله :

أبدأ تشوقك أو تروقك يثربُ	فلإ متى يقصيك عنها المغربُ
هي جنة في النفس يعذبُ ذكرها	والقربُ منها والتداني أعذبُ
المسك معترفٌ بأنَّ نسيما	أسمى وأسرى في النفوسِ وأطيبُ
والعبر الورديُّ دان لطيبها	منهُ التعطر والتأرج يطلبُ
جيش الصباية شن غارات الأسي	من بعدها فالصبرُ منها ينهبُ
والشوقُ يثينا إليها كلما	وقف الحمام على الأراكة ينحطبُ
حتى النسيمُ إذا سرى من ربعها	يثني من الروض الغصون ويضطربُ
حيًا فأحيا المستهام بطيبه	فنفوسنا بهبوبه تنطيبُ
يا حبذا في رُبَّ طيبة وقفة	بين الركائب والمدامع تُسكبُ

.....

١ ق : أبي حفص .

حتى يرقّ للوعتي وصبايتي ودموع عيني كلّ من يتغربُ
 شوقاً لمن زان الوجودَ ، وحبّه يدني إلى ربّ الرضى ويقرّبُ
 سادَ الأنامَ المصطفى بكماله فإليه أجناس السيادة تُنسبُ
 بالنور زان حلّى علا آياته وبحسن ذاك النور أعرب معربُ
 الشمسُ يغربُ نورها وضياؤها أبداً ونورُ المصطفى لا يغربُ
 الله أرسله إلينا رحمةً فبجاهه عنا الرضى لا يُحجبُ
 بمحمدٍ فزنا بإدراك المني فالوقت طاب لنا وطاب المشربُ
 خير الورى محبوبنا ونيّنا حزننا به الجاه الذي لا يُسلبُ
 روضُ النفوس محمدٌ ونعيمها وبه يُفَضّض حليها ويُدَهَّبُ
 شرفٌ تقادم قبل آدمَ عهدهُ للنور أطنابٌ عليه تطنّبُ
 منا عليه مدى الزمانِ تحية يثني عليها المندليّ ويطنّبُ
 ومنها قوله رحمه الله تعالى :

طلعت ، وقارنها البهاء ، بُدورُ أبداً على قطبِ السعود تدورُ
 من نورِ أحمدٍ يُستمدُّ ضياؤها وبهاؤها ، يا جذاك النور
 ويزيدُ ذاك النور حسناً فائقاً يومَ القيامةِ والأنامُ حضور
 محبوبنا أسمى البريّة منصّباً يومَ النشورِ لواؤه منشور
 فزنا بخير العالمين محمدٍ وجرى بوفق مرادنا المقدور
 لاحتَ لنا أنواره فزماننا نورٌ ، وأنسٌ دائمٌ وسرور
 بالمصطفى المختار قابلنا الرضى بينَ الأنامِ فسعيناً مشكور
 الله فضلهُ على كلِّ الورى فهو الحبيبُ ، وفضله مشهور
 القربُ خصّصه وعظّم قدره فسما بيهجةِ نوره ناحور
 خيرُ النبيّين الكرامِ نيّنا بالنور في العرش اسمه مسطور

يا صاحبي نداء صب مغرم
عوجا علي بوقفة وبعطفة
إن لم أزر بالجسم قبر المصطفى
نيران قلبي بالبعد توقدت
فمن الفراق الحتم نيران لها
فمعي أفوز بوقفة في طيبة
ويقال لي إنزل بأكرم منزل
إن جاد دهر بالوصول لطية
هي جنة من حلتها نال المني
حتى النسيم إذا سرى من نحوها

ومنها قوله رحمه الله تعالى :

أما النسيم فقد حيّاك عاطره
خاطر بزوحك في نيل الوصال فكم
زهر الربى باسم تندي كئامه
ما حل روض المني الغض الجني دنف
والنهر أبرز للبدر الأتم حلي
والغصن تلعب أنفاس الرياح به
والليل قد رقمت بالشهب حلتها
والنور محض جنى فوق الندى درر
وملبس الروض قد زانته خضرته
والصبح سل على جيش الظلام ظبي

وبارق المنحني أحيّاك ماطره
من نازح نال طيب الوصل خاطره
رقّ النسيم بها إذ راق ناظره
فاستضحكت فيه من عجب أزاهره
والبدر طرز ماء النهر زاهره
والطل قد نثرت منه جواهره
والبرق ييسم في الظلماء ساهره
وعقدها زين الأغصان دائره
والليل بالفجر قد شابت غدائره
وعندما سلها ولّت عساكره

١ ق : الوصول .

للزهر سرٌ وعَرَفُ الروض فاضحه
هل زار طيبة ذاك العرف حين سرى
طابت بطيب رسول الله فهي به
به مَعَدَّةٌ تَسَامَى للعلا ، وبه
أَسْنَى التبيين قدراً نوره أبداً
وأفضلُ الخلق من عُرْبٍ ومن عجم
إن كان للرُّسل عقدٌ وهُوَ آخرهم
روضٌ من الحلم غصٌّ راق منظره
إن جاد صاحٍ بَلْقِيَاهُ الزمانُ فَمِلْ
وصيفٌ له حال صبٍّ مغرمٌ دنفٍ
واذكر هناك بعيدَ الدار غَرْبَهُ
أهدى السَّلام بلا حدٍّ ولا أمدٍ

ومنها قوله رحمه الله تعالى :

أمتزلنا جادت ثراك السحابُ
ووشاك وسمي الغمام بدره
وحياً نسيمُ الريح بالجزع أنسا
فيا عهدنا بالخيف هل أنت عائدُ
وهل راجعُ عصرُ الشباب الذي انقضى
وهيهات أن يُقضى لنا برجوعه
وقد سلب الدهرُ المفرقُ أنسا
فما وهبَ الإيناس إلا مغالطاً
أطالبُ أيام العقيق بعودة
فيا صاحبي كن مُسْعِدي في صباي

ولا فجادته الدموعُ السواكبُ
وحلتي محلاً حلَّ فيه الحجابُ
فما عاب ذاك الأنس بالجزع عائب
ويا أنسا بالجزع هل أنت آيب
وقد شيت سودَّ الشعورِ الشوايب
كما كان غصناً مورقاً وهو ذاهب
وأودى به الدهرُ للأنس سالب
وأي بخيل للنفائس واهب
وقد عزَّ مطلوبٌ له أنا طالب
ولا فما أنت الصديقُ المصاحبُ

إذا ما بدا برقُ الحجازِ فأدعني
أعاتبُ أيامَ البعاد ، وقلتما
وأبجلُ بالصبرِ الجميل ، وإنه
ولما بدتُ أعلامُ طَيِّيةٍ قصَّرتُ
وقفنا وسلمنا وفاضتُ دموعنا
نزلنا وقبَّلنا من الشوقِ ترهبنا
قلعينِ من تلك المعاهدِ نزهةً
حوَّتْ سيد الرسل الذي جلَّ قدره
بهِ غالبٌ حازَ المفاخر سالفاً
بهادي الورى طراً متناصبه سَمَتُ
محمدٌ الهادي بإشراقِ نوره
ترقى إلى السبع الطباقِ وما بدا
وخاطبه في حضرة القدس ربُّه
تبيُّ بدتُ أنواره وتلاَّات
لقد أشرقَتْ شمسُ النهار بنوره
أعلل قلبي بالوصول لقبره
ولتي أناديه وإن كنت نازحاً
إذا كنت لي يا سيد الرسل شافعاً
بمدحك يا من جلَّ قدراً وحظوة
فيا معشرَ الأحباب إنَّ نيتنا
ألا فاذكروه كلَّ حين وسلموا
وقوموا على أقدامكم عند ذكره

تفيض إلى الوراد منها المشارب
يردُّ حرَّ الشوق بالعتب عاتب
لينهبه من وارد البين ناهب
من الشوق ما قد طولته السباب
وحنَّت إلى ذاك الجنب الركائب
وطابتُ بذاك الترب منّا الترائب
وللقلب في تلك الرسوم مآرب
له في مقام القرب تقضى المطالب
ولا شرفٌ إلا الذي حاز غالب
وراحت بخير الرسل تلك المناصب
تمزق من ليل الضلال غياهب
له في ترقيه من الحجب حاجب
وأدناه في حال الخطاب المخاطب
فمنها تضيئ النيرات الثواقب
وبدر الدجى لما بدا والكواكب
وإن غبتُ ما قلبي وحقق غائب
نداء غريب غربته المغارب
فما أنا من نيل السعادة خائب
وجاهاً وتمكيناً تُنال المواهب
إلى فوزنا داعٍ وساعٍ وخاطب
عليه ، بذلك الذكر تسمُّ المراتب
فذلك في شرع المحبة واجب

ومنها قوله رحمه الله تعالى .:

شمس الهدى وضحت بأشرف مرسل
من وجه عبد الله كان ظهورها
خلعت على الآفاق أشرف ملبس
فالنيران المشرقان كلاهما
فالشمس لما أن بدت أنواره
والبدر قابله بحسن كامل
وليلة الإسراء أجمل منظر
فضلت على الأيام من شرف لما
وبدا بها نور النبي المصطفى
إذ جاءه الروح الأمين مسلماً
فسرى إلى أسنى محل وارتقى
رفعت له حجب الجلال بأسرها
حتى انتهى الروح الأمين لحده
ناداه لما أن ترقى وحده :
ارقا إلى الأفق المبين مشاهداً
واسعد بزورة من تعظم ملكه
فسما فشهد حضرة القدس التي
وبدا الكمال له ونودي مقبلاً :
أنت المراد لسرنا ولوحينا
والبس بحضرة قلمنا خلع الرضى
ولك الوسيلة يا محمد عندنا
فاحكم بما يوحى إليك من الهدى
ودحت دجى ليل الضلال المسبل
للخلق طراً في ربيع الأول
وبدت فأى دجنة لم تنجل
للمصطفى اعترفا بعجز مجمل
أومت إليه بالسلام الأحفل
فانشق للبدر الأتم الأكل
بجمال إسراء الحبيب الأجمل
حازته من شرف النبي الأفضل
وبدت لنا نار الكليم المصطفى
ومبشراً بورود أعذب منهل
والجفن منه بنومه لم يكحل
فرأى جلالاً لم يكن بممثل
وبحث يذهل عقل من لم يذهل
لك يا محمد ذا التقرب ليس لي
واترك حظوظك بالحضيض الأسفل
واصعد إلى عرش الحبيب الأول
سبحاتها تغشى حجب التأمل
أهلاً وسهلاً بالحبيب المقبل
أقبل إلينا يا محمد تقبل
منّا وجراً الذيل منها وارفل
وبها نجيب وسيلة المتوسل
وانزل بأنوار الكتاب المنزل

فيه شفاء للصدر فبرؤها
 يا نفس هل تشفيك زورة طيبة
 ولتى زمانك في التصابي والمنى
 يا قلب ، روعات الجوى هل تنقضي
 وأزور قبر الهاشمي محمد
 إنني وإن بخل الزمان بقربه
 أسقي الثرى تسكابها ، فمعينها
 لهفي على بعد المزار متى أرى
 ومتى أبشر بالمنى ، ويقال لي :
 ونهب تلقائي نواسم طيبة
 فلقد بليت بلوعة وبدمعة
 خيلت قربك برء داء صبابتي
 شوقاً إلى خير الأنام بأسرهم
 فيه أنا متوسل في مقصدي
 ويجاهد عند الأنام مآربي
 وبه الأمانى قد حلل بساحي
 بشراك نفسي فالأمانى أعجلت
 بمدىحه أضحى الزمان مسالمي
 فيه إلهي قد رجوتك راغباً
 وإليك ربّي رغبتى وتوسلي

بمفصل منه وغير مفصل
 فرسومها برء لكل مقبل
 فدعي التصابي والأمانى وارحلي
 عني ؟ ولوعات الجوى هل تنجلي ؟
 قبل الرحيل وقبل عذل العذل
 فبلوعتي وبدمعتي لم أبخل
 يهمني ، ونار صبابتي ما تأتلي
 يقضي الزمان بقرب ذلك المنزل ؟
 هذا مقر الوحي دونك فانزل ؟
 إنني أجود بها إليك وحق لي
 وهوبك الأزكى شفاء المبطل
 ضمن البعاد به فطال تحيلى
 سؤلي وأسنى مقصدي ومؤملي
 أسنى التوسل بالرسول المرسل
 ووسائلى تُقضى وإن لم أسأل
 وحوادث الحدثن صرن بمعزل
 نحوي تبشّرني بخير معجل
 تندى أسرة وجهه المتهلل
 دون الأنام فباب جودك موثلي
 وعليك في كل الأمور توكللي

وثبت في آخر هذا الكتاب ما صورته : قال محمد بن عبد الله بن محمد بن
 محمد بن أبي بكر بن يوسف بن العطار نفعه الله تعالى بالعلم : كان الفراغ من
 إكمال هذا الفصل وإتمامه ، حسب نثره ونظامه ، ضحوة يوم الجمعة الثاني من

شعبان المكرم سنة ست وتسعين وستمائة ، ما عدا أربع قصائد اشتمل عليها ،
فإنها تقدمت على إنشائه ، أودعتها فيه ، والله سبحانه المستعان ، وذلك بمدينة
الجزائر - جزائر بني مزغنة - من أقصى إفريقية من أرض متيجة ، صانها الله
تعالى ؛ انتهى .

ونبت في آخره بخط بعض الأكابر ما نصّه : تأليف الفقيه العالم الأديب
البارع أبي عبد الله محمد بن العطار الجزائري ؛ انتهى .
وهو كتاب نفيس جمع فيه بين حسن النظم والنثر ، فآله تعالى يجازي صاحبه
أفضل الجزاء ، بمنته وكرمه .

ولا بأس أن نورد هنا من كلام أهل الأندلس بعض الأمداح النبوية زيادة
على ما ذكر هنا فنقول : قال العارف بالله تعالى ابن العريف في كتاب « مطالع
الأنوار ومنايع الأسرار » :

وَحَقَّقْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ قَلْبِي	يحبك قربة نحو الإله
جرت أمواهُ حبك في فؤادي	فهام القلب في طيب المياه
فصرتُ أرى الأمور بعين حقٍّ	وكنت أرى الأمور بعين ساهي
إذ شغف الفؤادُ به وداداً	فهل ينهأُ عن ذكره ناهي ؟
يهِيمُ بذكره ويحنُّ شوقاً	حنينَ المستهام إلى الملاهي
يخامرُه ارتياحٌ منه حتى	يقول أولو الجهالة : ذاك لاهي
وما هو حقٌّ فضلٍ قد رآه	فصارَ يجدُّ في طلب الملاهي
فسوف ينال في الدنيا سروراً	وفي الدار الأخيرة كلَّ جاه
ويعطى ما تمنى من أمانٍ	كما قد حبَّ محبوبَ الإله

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا عاذلي في طلابي	دعني من العدل دعني
سأعملُ العيسَ شوقاً	بالعزمِ دونَ التأنّي

إلى ضريح رسول
أشدو على كل فج
يا أظهر الخلق إنني
فأعتق اليوم رقي
فأنت أنت ملاذي
إن غبت عن عين جسمي
لولاك كنا أناساً
فإذ بعثت رسولا
لله خالص شكري
فلأنسي عبد سوء
مصدق حسن ظني
حين الحمام يغني
بذلتي عبد قين
وانظر بعطفك مني
إياك إياك أعني
ما غبت عن عين ذهني
أشراً من كل جن
فخير فضل ومن
عساه يصفح عني
قلبت ظهر المجن

وقال في خاتمة ذلك الكتاب :

صلّي الإله على النبي الهادي
صلّي عليه الله ما اسودّ الدجى
صلّي عليه الله ما انبلج السنا
صلّي عليه الله ما همع الحيا
صلّي عليه الله ما هفت الصبا
صلّي عليه الله ما ألفت الكرى
صلّي على المختار أحمده ربّه
صلّي على خير الأنام محمد
صلّي الإله على رسول حاشري
صلّي الإله على رسول عاقبي
ما لاذت الأرواح بالأجساد
فكسا حياء الأفق برّد حديد
فابيض وجه الأرض بعد سواد
فسقى البلاد برائح أو غادي
وشدا على فني الأراكة شادي
جفن فخامره لذيذ رقادي
ما استمسكت نار بطي زناد
من خصه بالنور والإرشاد
حشير الأنام لديه في الميعاد
في الدهر وهو بفضله كالهادي

١ ق : وقوله رحمه الله تعالى . . . الباب .

صلى الإله على رسولٍ خاتمٍ	خَتَمَ النبوةَ بالكتابِ الهادي
صلى الإله على المقتضى ما اقتضى	بشرُ نبوتهُ بغيرِ عنادٍ
صلى على ماحي الضلالِ إلهُ	ما غردتْ طيرٌ على الأعوادِ
لى الإله على رسولٍ فاتحٍ	فتحَ الظلامِ بنورهِ الوقادِ
صلى الإله على نبيٍّ راحمٍ	بالملةِ الغراءِ ، بعدِ فسادٍ
صلى الإله على نبيٍّ طالعٍ	رحمَ الإلهُ بهِ من الإبعادِ
صلى الإله على نبيٍّ طالعٍ	بملاحمٍ قَصَمَتْ فؤادَ العادي
صلى عليه الله فهو نبيُّه	ناداهُ بالإرشادِ خيرُ منادٍ
صلى عليه الله فهو رسولهُ	أعطاهُ رايةَ عزيمةٍ ورشادٍ
صلى عليه الله فهو خليلُه	أسدى إليه منه كلَّ سدادٍ
صلى عليه الله فهو صفيهُ	صَفَى سريره من الأحقادِ
صلى عليه الله فهو وليُّه	والاهُ في الإصدارِ والإيرادِ
صلى عليه الله فهو المصطفى	من كلِّ حضارٍ العبادِ وبادي
صلى عليه الله فهو المجتبي	يُجَبِّي إليه الخيرُ دونَ نقادِ
صلى عليه الله فهو المتقى	نورُ الزمانِ وواحدُ الآحادِ
صلى عليه مَنْ براه مطهراً	واختاره طوداً من الأطوادِ
صلى عليه من براه بفضله	وأعاده حياً لغيرِ معادِ
صلى عليه مَنْ أراه جلاله	وأناله من ذاك كلِّ مرادِ
صلى عليه من أحلَّ فؤاده	في ظلِّ عرشٍ ثابتِ الأوتادِ
صلى عليه مَنْ غَدَاهُ بنعمة	فتضاعفتْ كتضاعفِ الأعدادِ
صلى عليه مَنْ كساه عوارفاً	واختصه منه بخيرِ أيادِ

وقال الشيخ أبو عبد الله ابن عمران مادحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم

مرتباً على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب ، كما تقدم :

ألف : أيا خيرَ البريةِ هذي	مِدَحِي ، وما أنا في مقالي هاذي
باء : بها أظهرتُ صدقَ محبتي	وبذلكَ الجاهِ الكريمِ ليياذي
تاء : اتخذتُ وسيلةً ما حكتهُ	وجعلتهُ يومَ المعادِ عيادي
ثاء : ثنائي ليس يحصرُ فضلكَ الـ	زاهي ولا يحويه باستحواذِ
جيم : جلالك جلٌّ طورُ فخاره	عن شبهٍ مثلٍ أو لحاقٍ مُحاذي
حاء : حُبَّيتَ بمعجزاتٍ ذكرها	يولي ذوي الإيمانِ كلٌّ لذاذِ
خاء : خصصتَ بها بفضلٍ عنايةٍ	منها بلحاتٍ إلى أجلٍّ ملاذِ
دال : دحضتُ بحقَّتْها مستقرياً	إبطالَ زورٍ مشعوزٍ ملاذِ
ذال : ذراع الشاة أفصحَ غبراً	عماً يحاذرُ ضره بنفاذِ
راء : رميتَ عصائباً قد ألّبوا	فَعَمُوا ولمَّا يُنصروا بلواذِ
زاي : زعيم بالوجهة أنت إذْ	كلٌّ بجاهك عاذ كلٌّ عياذِ
طاء : طلابهم لديك شفاعةٌ	فيها بذذتَ الجمعَ أيّ بذاذِ
ظاء : ظمأؤهم بحوضك سؤغوا	ريّاً كأنّ به مذاقةً ماذي
كاف : كفلتَ بما تلته (والضحى)	لجماعةِ الجارين باستنقاذِ
لام : لدعوتك المجابة أسبلت	ثرواتُ هَتَّانِ الحيا بهماذِ
ميم : معين يدريك إذ غلب الظنُّما	أروى الورى من توأمٍ وفذاذِ
نون : نجّارك أصلهُ متخيرٌ	من بطنِ ذاتِ علاٍ وأطهرِ حاذي
صاد : صعدت ذرا الموقف زلفة	تركَ السعدِ مقطعَ الأفلاذِ
ضاد : ضويت إلى جلالِ كافلٍ	لكَ بالرضى درَّ الجلالةِ غاذِ
عين : علاذكر افتخارك وارتقى	عن غمزٍ مغتابٍ وزورٍ الباذي
غين : غمام قد علاك مظلاً	يمشي بمشيكٍ دائماً ويحاذي

فاه : فصاحتك البليغة أعجزت	للقوم من قربي ومن شذاذ
قاف : قواعد صرح كسرى زلزلت	لولادة أوهت قوى ابن قباد
سين : سبقت بكل فضل يغتدي	جفن المعالي منه ليس بقاذ
شين : شأوت مفاخر أكل الوري	وتركتهم غرقى بلجة آذي
هاه : هتفت على تنائي شفتي	بعلاك هذي ، ما نخلتك هذي
واو : ولو أني استطعت لسابقت	قلمي خطأ قدمي بالإغذاذ
لا : لا أكيف قدر شوق باعث	لعزائي مستنهض شحاذ
ياء : يميناً لو قدرت إذن لما	أخرت سعي مبادر حدحاذ
دامت عليك صلاة ربك ما همت	ديم بوبل هساطل ورذاذ

رجع إلى الكاتب أبي عبد الله ابن الجنان الأندلسي :

قال - تقبل الله تعالى منه - يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

يا من تقدس عن أن	يحيط وصف بذاته
ومن تعالى جلالاً	عن مشبه في صفاته
ومن قبول ثنائي	إليه أسنى هباته
صلى على من تبدى	نور الهدى من سماته
ومن علا الفخر لما	نمى إلى معلواته
محمد خير هاد	بحلمه وأناته
محمد خير داع	بالصدق من كلماته
محمد خير مبد	لنا سنا معجزاته
أكرم به من نبي	همت سما مكرماته
أعزز به من رسول	سمت علا درجاته
ونخصه الله منه	بالفضل من تكمماته

لما حباه بأوفى صلاته في صلاته

وقال :

يا ربّ بلّغ سلامي	لأحمد ذي الشفاعة
لخاتم الرّسل أعني	إمام تلك الجماعة
لأبهر الخلق مجدّاً	يحكي الصباح نصاعه
لمن صفات علاه	تُعجزُ أهل البراعة
لسيد سنّاه	يُزمنُ السنا والبراعة
لمرشد بهداه	قد فاز عبد أطاعه
شمس النبوة معط	شمس السماء شعاعه
وناظم الحسن نظاماً	قد ضمّ منه شعاعه
وسرّ سرّك يا من	أرى العيون اطلاعه
ومن حبا بذكاء	خلالته وطباعه
ومدّ في كلّ فضل	لصفوة الرّسل باعه
فزده يا ربّ فخراً	وزدّ محبّيه طاعه

وقال أيضاً غيره :

لقد رفع الإله عن البرايا	بيعت محمد ميّحت الصروف
أتى والناس في الآفاق نهب	لسمر الخطّ أو بيض السيوف
فأنقذهم ، ولولاه لكانوا	لقى بين الضلالة والخوف
نبي لا يغفل عليه إلا	سخيّف العقل ذو رأي مؤوف
كأعمار اليهود أو النصارى	أو الفلكي أو كالفيلسوف
فبعض للتجاهل والتعامي	وبعض للتحيّر والوقوف
زعانف لا يهلك لها رؤاء	فإنّ الجهل مائحة الظروف

إذا جرى بمختلٍ ضعيفٍ فإنَّ صحاحنا فوقَ الألوفِ
 فبرهانُ النبوةِ مستفيضٌ ندلُّ بهِ على رغمِ الأنوفِ
 شفوفُ الرُّسلِ متضحٌ ولكن لأحمدِ الشفوفُ على الشفوفِ
 حروفُ الخطِّ أصلٌ للمعاني وللألفِ التقسُّمُ للحروفِ

وما أحسن قول القائل رحمه الله تعالى :

لولا النبيُّ محمدٌ هلكَ الوري في سوءٍ حاله
 أعلى الوري قدراً وأكـمهم وأظهرهم دلالة
 ختمَ الإله بهِ النبـوةَ والطهارةَ والرسالة
 واختصَّه دونَ السبـرِ يةً بالمكانةِ . والجلالة
 بدرُ الرسالةِ والصحا بهِ حول ذلك البدر هاله
 قدَفَ الحصى في أعينِ الـكُفَّارِ فاعتنقوا الجدلـه
 وتدرعوا ثوبَ الكـآ بهِ بعد إظهار الجزاله
 فأضخَ إلى أنبائه تعلّمَ بأنَّ المنتهى له
 وإذا ابتغيتَ وسيلةً وملحتُ وملحتَ آله
 فاقطعْ بأنك آمنٌ يومَ القيامةِ لا محاله

وقال أبو القاسم سعد بن محمد رحمه الله تعالى :

أطلقْ لسانك بالصلاة على النبيِّ الأبطحيِّ الهاشميِّ محمدٍ
 واجعلْ شعوركِ ذاك تنجُ به غداً إنَّ النجاةَ بذكرِ يومٍ للغدِ

ولأبي اليمن ابن عساكر رحمه الله تعالى :

١ ق : كل .

يا ربِّ صلِّ على النبي وآله
واخصص ختومَ سلامنا بجنابهِ
واحرس شريعته وأوضح سبلها
وأديم كرامته وأعل مناره
وارفع له الدرجات في رتب العلا
واقم بين يديك زلفى موقف
وأئل شفاعته وأورد حوضه
بشتاقه ويعوقه علق به
فيه إليه غلّة ما تشفى
وله عليه في الأصائل والضحي
وبه إلى تقيل موطىء تحليه

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

ألا إن الصلاة على الرسول
فصل عليه ؛ إن الله صلتى
وصل عليه قد صلت عليه
ألا إن الصلاة عليه نور
وتثقل لميزان خفيف
إذا صليت صلتى الله عشرأ
وتحظى بالشفاعة يوم تضحى
فأكثر أو أقل فانت تجزى
فصل عليه تجزى جزاء ضعف
وأولى الناس أكثرهم صلاة

صلواتنا ما دامت الأيام
كالمسك يعبق ففض عنه ختام
تبلو بها للسالك الأعلام
وأئله أعلى ما لديك يرام
فهو الذي للمرشدين إمام
للحمد ما لسواه فيه مقام
من لو أناه [...] منه أوام
لزمانه وزمانه وسقام
إلا بلياه ، وعز مرام
تهدى إليه نجيحة وسلام
وجده له بين الضلوع أوام

شفاء للقلوب من الغليل
عليه ولا تكونن بالبخيل
ملائكة السماء يجبرئيل
لدى الظلمات في اليوم المهول
وتخفيف من الوزر الثقيل
بواحدة عليك على الرسول
وما لك من مقيل أو منيل
بذلك من كثير أو قليل
وتجز مضاعف الأجر الجزيل
عليه به وأحرى بالقبول

وأنجاهم من الأهوال عبدٌ
فكنْ لهجاً بذكره حفيّاً
وصلْ صلاةً مشتاقٍ إليه
وصلْ مدى الزمان على رسول
وصلْ على حبيبٍ فاق فضلاً
فصلّى الله أفضل من يصلّي
وآتاهُ الوسيلةَ مستجيباً
وأزلفهُ شفَعهُ لياوِي
وأطدّ شرعهُ وحمى حماهُ
وشرفهُ ولم يبرح شريفاً
وزادَ محبّةً شرفاً وفخراً
وزاد علاه منه بطول عمرٍ
وأوردنا عليه الخوض وفداً

بها لهجٌ بدّل ١ قال وقيل
بليّاهُ ومنصبه الجليل
وداوٍ بذكره سقمَ العليل
كريمٍ مصطفى برٍّ وصول
مدى شأوَ الكليم مع الخليل
عليه في الصباح مع الأصيل
وبلّغهُ نهايةَ كلِّ سؤل
إليه الناسُ في ظلِّ ظليل
وأبدّه بواضحة الدليل
فيجمع جملة المجد الأثيل
بتفضيلٍ وتنويلٍ جزيل
قصيٍّ من مواهب طويل
لنروى بالروى من سلسيل

وله رحمه الله تعالى :

أدمِ الصلاةَ على النبيّ المصطفى
وتولّ إقبالاً عليها كلّما
فالفخرُ أجمعهُ له فتلقه
تخلصْ بذاك من الجحيم ونارها
هتف المؤذنُ مشعراً بشعارها
من نوبة الأسحار فوق منارها

فهذه عذّة قصائد في مدحه صلّى الله عليه وسلّم ، أرجو من الله سبحانه أن
تكون مكفرة لما ارتكبته على وجه الفخر والشهرة من الهزل واللغو ، فإن ذلك والله
قول لا فعل له ، وإنما هو على نهج أهل الأدب كالحافظ شيخ الإسلام ابن حجر

١ كذا بالتسكين ، وفي هذه القصائد تمايح أحياناً في اللفظ والإعراب لم نشر إليه .

وغير واحد ممّن ألف في الأدب وجمعه .

ولا بأس أن نعرّضها بمقطوعات تكون للتكفير زيادة ، وحقّ لمن توسل بسيد الوجود صلّى الله عليه وسلّم أن لا تضيع وسائله ، وكيف وهو صاحب المقام المحمود والشفاعة والسيادة ، فمنها قول ابن الجنان المذكور آنفاً رحمه الله تعالى :

إلى أحمد المختار تُهدي تحية	تفأوح روض الحزن بالله المزن
إذا نافحت مغناه زاد تأرجاً	وإن لثمت بمناه قابله اليمّن
أسير أشواق رسولاً بعرفها	لتسعدنا منه العوارف والمن
وأرجو لديه الفضل فهو مثيله	وما خاب لي فيه الرجاء ولا الظن
عليه اعتماد حين لا لي حيلة	إليه استناد حين ينبو بي الركن
به وثقت نفسي الضيفة بعدما	أضرب بها من ضعف قوتها الوهن
إليه صلاتي قد بعثت مشفعاً	سلاماً به الإحسان ينساق والحسن

وقوله رحمه الله تعالى :

أيذهب يوم لم أكفر ذنوبه	بذكر شفيع في الذنوب مشفع
ولم أقصر في حق الصلاة فريضة	على ذي مقام في الحساب مرفّع
أرجي لديه النفع في صدق حبه	ومن يرجع المختار لا شك ينفع
وأهدي إلى مثواه مني تحية	إذا قصدت باب الرضى لم تدفع

وقوله رحمه الله تعالى :

يا أرحم الخلق يوم الحشر والندم	أرحم عبيدك يا ذا الطول والنعم
إني توسلت بالمختار ملجأنا	الطاهر المجتبى من خيرة الأمم
إليك من سيئاتي إنها عظمت	يا واحداً لم يزل فرداً ولم يتم
عليه منه صلاة كلما طلعت	شمس وما خط في الأوراق بالقلم

فهو الشفيعُ الذي أرجو النجاةَ به من الجحيم إذ الكفارُ كالحمَمِ
وقوله أيضاً رحمه الله تعالى :

بحبيبِ القلوبِ معتمدِ الخلا
قد تشفَعْتُ من ذنوبي إلى ذي الـ
فاشفعْ اشفعْ يا خاتمِ الرُّسلِ يومَ الـ
لظُلومِ لنفسه قد تنامي
فإذا ما تذكر الذنبَ فاضتْ
لا تخيَّبُ رجاءه إنه مِن
وعليك الصلاةُ بدءاً وعوداً

وقوله أيضاً عفا الله تعالى عنه :

يا ربَّ إنَّ شفعي من ذنوبي في
محمد خاتمِ الرُّسلِ المبلِّغِ لا
عليه مني صلاةٌ كلما سجع الـ
وبعد ذلك أعدادُ الجبالِ ورمه
كذلك أيضاً سلامي طيبٌ عطرٌ
لله وهو كئيبٌ خائفٌ وجيلٌ

يومَ القيامةِ خير الخلقِ والنسمِ
لدينِ الحنفي والإسلامِ للأسمِ
حمامٌ فوق غصونِ البانِ والسَّلمِ
ل الأرض والطيرِ والحيتانِ والنَّعمِ
عليه ما قام عبدٌ في دجى الظُّلَمِ
من الذنوبِ حزينٌ القلبِ ذو ألمِ

وقول الشيخ الإمام أبي زيد الفازازي رحمه الله تعالى :

كملتْ بنعتِ محمدٍ خيرِ الورى
واختصَّ دون الأنبياء بدعوةٍ
فاضتْ على الثَّقَلَيْنِ منه أشعةٌ
فالإنسُ تعلمُ أنه مقصودها

غرَّرتْ القصائد كلَّها وحجوها
وسع العبادَ عمومها وشموها
طلعتْ وما عقبَ الطلوعَ أفوها
والجنُّ توقنُ أنه مأموها

كم آية بالصدق كان ظهورها
وكفاك هذا الوحي فهو شهادة
جمع الإله المكرمات لامة
كم آية بالسبق كان نزولها
لمحمد لزم العباد قبولها
هذا النبي الهاشمي رسولها

وقوله رحمه الله تعالى :

أي نور كشف الله به
ختم الله به أنواره
وأنا دليل بين
فهو للناس جميعاً مرشد
تركت دعوته وهو الرضي
فأعبد أنباءه فهو مني
والذي يهدي إلى شرعته
والذي يرغب عن سنته
سُدَفَ الباطل عنا أجمعين
عندما أكمل سن الأربعين
عجزت عنه دواعي المدعين
وهو بالله تعالى مستعين
سائر الخلق إليها مهطعين
أنفس القائل والمستمعين
فهو محتاج من العذب المعين
فهو من شيعة إبليس اللعين

وقوله وهو كما قبله لزومي :

أصبح فلخير العالمين مناقب
أني والورى أسرى فكان غياثهم
وعقّى رسوم الكافرين وأهلها
تقدّم كل العالمين إلى مدّى
وخصّ بتشريف على الناس كلهم
ترقى إلى السبع الطباق ترقياً
وبالجسم أسرى الله وهو دلالة
فسبحان من أسرى إليه بعبد
وكم عجب أوحى إلى عبده به
تدل على التمكين والشرف الأسرى
بنور سماء ينقلوه عن الإسرا
فلا قيصر من بعد ذاك ولا كسرى
تظل به الأوهام ظالمة حسرى
ومن لم يقل هذا تقوله قسراً
حقيقاً ولم يعبر سفيناً ولا جسراً
يحملها من لا يُيسّر لیسرى
وبورك في الساري وبورك في المسرى
فلعنك تجميلاً ولا تطلب الفسرا

وقوله رحمه الله تعالى :

هالك عن هذا النبي المصطفى	خبراً يتقبله من سمعة
سبحت صم الحصى في كفه	ثم في كف الهداة الأربعة
وإذا أبدى نبي عبدة	فهو لا ينكر فيمن تبعه
أي نطق قد روى إعجازه	عن سماع كل من كان معه
حجج الرسل التي قد سلفت	أصبحت في أحمد مجتمعة
فاعتقد صحتها واعمل بها	فدعساوى ضدها منقطعة
ممكّنات العقل لا يمحدها	غير أهل الطبع والمبتدعة

وقوله رحمه الله تعالى :

إذا أمّلت من مولاك قرباً	فجدّد ذكر خير الأنبياء
وصل عليه أول كل قول	وأخره بصبح والمساء
فإن محمداً أعلى البرايا	محلّاً في السيادة والعلاء
لواء الحمد في يمين يديه	وكل الناس من دون اللواء
فحدث عن دلائله فضيها	شفاء للنهي من كل داء
ولست بناقل للمشر منها	وهل تفنى الزواجر بالدلاء
فقل للسامعين قفوا فهذا	محال ليس يحصر بانتهاء
براهين البسيطة ليس تحصي	فلونكم براهين السماء

وقوله رحمه الله تعالى :

أما يمين محمد	ويساره فهما سماء
كلتاها إن صوّح الـ	مرعى لنا طعم وماء
وإذا أضرب بنا السقا	م وغيره فهما شفاء

فأعجب لكف في الورى	فيها عن المزن اكتفاء
فأقطع بأن محمدًا	في الخلق ليس له كفاء
فلذا أصبحت لآية	فالنور فيها والضياء
هذا الصباح الهاشم	بي بدا فليس به خفاء
فالارض قد فتحت بيب	عنه وفتحت السماء
سبق القضاء بسبقه	والله يفعل ما يشاء

وقوله رحمه الله تعالى :

بركات رسل الله غير خفية	ومحمد خير البرية أبرك
هذا النبي الهاشمي هو الذي	هدي الأنام به وبان المسلك
كم آية لمحمد كم حجة	عز الولي بها وذل المشرك
دعواته مسموعة مرفوعة	والحسن ليس يصح فيه تشكك
لا شيء أعجب من دليل واضح	يحيا به بعض وبعض يهلك
أمسك بجبل محمد خير الورى	تظفر بقصدهك أيها المستمسك
ولذا عجبت لغاية في رفعة	فمحل أحمد غاية لا تدرك

وقوله رحمه الله تعالى :

قَبَّحَ الإله الملحدِين	فلنهم جحدوا الضرورة
والمعجزات تواترت	عن أحمد في كل صورة
والله أعلى كعبه	في خلقه وأتم نوره
كثر الطعام مع الشرا	ب يكفه عند الضرورة
وتكثفت عناية	من ربه أعلت أموره
نأدى البرية فالقلو	ب إلى إجابته مَصُورَة

وحمي الشريعة بالدلي
قل للمشكك حين يه
بيني وبينكم الكتا
ل فدع معاندها وزوره
لدي في تشككه قصوره
ب فدونكم فأتوا بسوره

وقال رحمه الله تعالى :

إذا بهرت للهاشمي - دلالة
فكم مرة آتى الغني كف سائل
له تحت أستار الغيوب شهادة
يحدث عما كان أو هو كائن
إذا الصديق لم يعوزك في غدواته
وحسبك في الأنباء بالغيب أنه
فكم حجج في طيها ودلائل
وكم مرة أعطى المتى فكر سائل
معدلة لم تبق قولاً لقائل
فقس آخراً من صدقه بالأوائل
فلا شك في تصديقه بالأصائل
ستمعها بالنقل من قول قائل

وقوله رحمه الله تعالى :

يا ذا المعنى بهذا الذكر تسمعه
هذا النبي ، ومن آيات أثره
قد انقضت معجزات الغيب وافية
وهاك نوعاً من الإعجاز منتزهاً
لا نعدم النقل عن آثار سيدنا
تنقل الأنف في النوار ينشق
إن القلوب إذا اعتلت خواطرها
في المدح تأثره في سيد الناس
في الطيب والطول لا تجري بمقياس
صحيحة باستفاضات وإحساس
عن نقد منقذ أو صفح قرطاس
فلنما نحن فيها بين أعراس
من ياسمين إلى ورد إلى آس
فذكر أحمد فيها المبرى الآس

وقوله رحمه الله تعالى :

تأدب إذا ذكر المصطفى
فإن التأدب عند السماع
بصمت اللسان وغض البصر
يفهم في النطق أو في النظر

وردُّ أحاديثها لأنها
وصلَّ عليه مدى ذكره
ولا تستربُّ في براهينه
فكم آية ظهرت للنبي
ومن شك في نور برهانه
فكبر على عقله أربعاً
دليل على صدق خير البشر
فذلك أفضل ما يُدخِر
فتسلَّك مسلك قوم آخر
وكم أثر عنده قد ظهر
على أن برهانه قد بهر
وقل فوق طورك هذا الخبر

وقوله رحمه الله تعالى :

اعمل بآثار النب
واقبل نصيحتها فقي
واشدد يمينك بالشر
خير البرية أحمد
ذو قوة عند الإ
زان النيون الوري
هاد إلى طرق النجا
والهج بمدح الهاشم
ولئن فعلت فلن تفو
ي فلأنها النور المبين
ها العز والشرف المكين
مة لأنها السبب المتين
والحق يصحبه اليقين
م مقرب منه مكين
ومحمد لهم مزين
ة مؤيد فيها أمين
ي فإنه الحصن الحصين
تك بعد ذا دنيا ودين

وهذا تسديس جعلته للكتاب مسك الختام :

وللتاس أعمال فخير وضده وما يحسن الأعمال غير الخواتم
ولاً فالأمداح النبوية بحر لا ساحل له ، وفيها النثر والنظام ، زاده الله شرفاً
وحباه أفضل الصلاة وأزكى السلام .
وهذه القصيدة من نظم الفقيه الأجل أبي الحجاج يوسف بن موسى
المتشاقري الأندلسي — نفعه الله تعالى بنيته ، وبلغه غاية أمنيته — وترتيبها على

حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب فيما عدا الروي فإنه على حرف الميم ،
وكذا آخر الشطر الذي قبله فإنه ميم أيضاً ، وهذا نصه بحروفه ما عدا حرف
الواو فلإني لم أجده وكملمته على منواله :

حلّ في طيّبة رسول كريم	فعليه الصلاة والتسليم
صفوة الخلق خاتم الأنبياء	مرشد الناس للطريق السواء
والعماد الملاذ في اللاواء	وشفيح العصاة يوم الجزاء
يوم يبدو لديه جاه عظيم	فعليه الصلاة والتسليم
أذهب الغمي نوره والغياب	فأضاءت مشارق ومغارب
وغدا الحق غالباً للأكاذب	وبدت منه للأنام عجائب
صديق أقواله بها معلوم	فعليه الصلاة والتسليم
لبراهين صدقه معجزات	حيثما حلّ حلت البركات
وسمّت أربع به وجهات	فيه قد تعرفت عرفات
وبه تاه زمزم والحطيم	فعليه الصلاة والتسليم
لم يزل هادياً صدوق الحديث	ووفياً بالعهد غير نكوث
ومجيباً لدعوة المستغيث	وكرماً نداه فوق الغيوث
ويداه بالجوّد جوّد سجوم	فعليه الصلاة والتسليم
بهج الحق أوضح الابتهاج	سيد نوره أضاء الدياجي
خصه الله ليلة المعراج	باصطفاء ورفعة ونتاج
وبتكليمه له التكريم	فعليه الصلاة والتسليم

مصطفى مجتبي كريم صفوح	للنبيين جاهه ممنوح
فلاكرامه أجير الذبيح	ونجما آدم وخلص نوح
وكذلك الخليل إبراهيم	فعليه الصلاة والتسليم
كل دين بدينه منسوخ	فسوى ما قضى به مفسوخ
لهداه بكل قلب رسوخ	فالورى مادح له ومصبخ
كلهم في هوى النبي يهيم	فعليه الصلاة والتسليم
بعثه كان رحمة للعباد	دلهم بالهدى طريق الرشاد
ونفى كل باطل وعناد	ودعا للإله دعوة هادي
فإذا الحق واضح مستقيم	فعليه الصلاة والتسليم
أمة بالشكاة ظنني أخيد	مستجيراً بحسامه يستعيد
وبه كانت الوحوش تلوذ	وله خاطب الذراع الخنيد
لا تدقني فلإني مسموم	فعليه الصلاة والتسليم
أشبع الجيش والطعام يسير	ودعا نخلة فجاءت تسير
وهمتي من يديه عذب نمير	وله البدر شق وهو منير
معجزات تحار فيها الفهوم	فعليه الصلاة والتسليم
حجب النور في السموات جازا	فاحتوى الفضل والعلاء وحازا
فيه في غد نال المفازا	وكفى أمة الرسول اعترازا
أن تمنى يكون منها كليم	فعليه الصلاة والتسليم

إنما الحكمُ منه عدلٌ وقسطٌ	لم يحُرْ في القضاء والحكم قطُّ
حبه في بلوغ قصدي شرطٌ	وبأمداحه ذنوبي تحطُّ
ويزولُ العنا وتجلي الهمومُ	فعليه الصلاة والتسليمُ
قد جمى ديننا برعيٍ ولحظٍ	ونقى روعنا بأمنٍ وحفظٍ
وحبانا بما لدى الربِّ يُحظي	هادياً راحماً لنا غيرَ فظٍّ
مثل ما نصَّه الكتاب الكريمُ	فعليه الصلاة والتسليمُ
نور برهانه جلا كلَّ شركٍ	وهداهُ أجار من كلِّ هلكٍ
أخيرُ العالمين من غير شكٍّ	فلكم رامةُ العداة بشكٍّ
وهو في كلِّ حالةٍ معصومٌ	فعليه الصلاة والتسليمُ
ما لخير الأنام منهم عديلٌ	إنه مجتبي نبي رسولٍ
ما عسى ماح الشفيع يقولُ	وبأمداحه أتى التنزيلُ
وثناهُ خلالهُ مرسومٌ	فعليه الصلاة والتسليمُ
نحن لولا اتباعه لشقينَا	نورُ برهانه أَرانا يقينا
وغدا ما نخاف منه يقينا	وكؤوساً بحوضه قد سقينا
من رحيقِ مزاجهُ مختومٌ	فعليه الصلاة والتسليمُ
أحمد عند ربه ذو اختصاصٍ	جاههُ كاملٌ بغير انتقاصٍ
عدة للمسيء يوم القصاصِ	وشفيحٌ لكل جانٍ وعاصي
يوم يحفو الحميم فيه الحميمُ	فعليه الصلاة والتسليمُ

بيديه حوائجُ الكلْ تُقضى	ويجازي الذي أجاز وأمضى
وينادي الحبيب أنتَ المرضى	سوف نعطيك ما تحب وترضى
فتحكّم يعضى لك التحكيمُ	فعليه الصلاة والتسليمُ
فاق بالمولد السعيد ربيع	إن فيه بدا الجلال الرفيع
من هو الذخر والعماد المنيع	فملاذ للمذنين شفيع
ورؤوف بالمؤمنين رحيمُ	فعليه الصلاة والتسليمُ
أفضح الناس في حديث وأبلغ	بينَ الوحي للأنام وبلغ
طيب الحل قد أباح وسوغ	ولكتم نعمة من الله سوغ
فإحسانه علينا عميمُ	فعليه الصلاة والتسليمُ
كان بالحق والهدى معروفا	أجود الناس بالندى موصوفا
شرف الله قدره تشريفا	هادياً مرشداً رسولاً شريفاً
مجده في العلاء مجدٌ صميمُ	فعليه الصلاة والتسليمُ
وجهه باللبها أضواء وأشرق	مجده في صميمه الأصل أعرق ^١
مسّ في كفه قضيباً فأورق	باصبع قد أشار للبدر فأنشق
ثمّ قد عادَ وهو بدرٌ سليمُ	فعليه الصلاة والتسليمُ
جاءه الوحي أنت خير الناس	بلغ الأمر لا تخف من بأس
وخذ العفو للأنام وواس	واحمهم من مكاييد الوسواس

١ هذا البيت واثنان بعده سقطت من ق .

فعلبك البلاغ والتعليمُ	فعلبه الصلاة والتسليمُ
كان في الله أثبت الناس جاشا	ليس من غيره يخاف ويخشى
فبكف من الحصى فلّ جيشا	وعيون العداة بالترب أعشى
فنج المصطفى ونخاب الظلومُ	فعلبه الصلاة والتسليمُ
قد سما قدره بغير تناهي	وعلا جاهه على كلّ جاه
أمر بالتقى عن الشرّ ناهي	من يطعنه ينل ثواب الإله
وله عنده النعيم المقيمُ	فعلبه الصلاة والتسليمُ
عمدة الخلق للمفاخر حاوي	بجماه يلوذ كلّ وياوي
مبلغ المعنّي الذي هو ناوي	كيف يحصي ثناء أحمد راوي
وعليه أنى الكتاب الحكيمُ	فعلبه الصلاة والتسليمُ
حسنه كالصباح بل هو أجلّ	وندى كفته من الشهد أحلى
واعتلا قدره من السبع أعلى	مدحه في الكتاب ما زال يتلى
فهو الفخرُ والثناء العظيمُ	فعلبه الصلاة والتسليمُ
خصّه الله من رسول نبيّ	في جميع الورى بقدر عليّ
وحبّاه منه بنور بهيّ	فهدى الخلق للصراط السويّ
وصراط الهدى سويّ قويمُ	فعلبه الصلاة والتسليمُ

[خاتمة الكتاب]

قال مؤلف هذا الكتاب العبد الفقير أحمد بن محمد المقرئ المالكي ، وفقه الله تعالى إلى حسن المتاب ، وجباه الدخول في زمرة من رفع عنهم بشفاعة المصطفى

الإصر والعتاب : هذا آخر ما سمح به الخاطر الكليل ، من هذا المقصد الجليل ، الذي يكون إلى ما وراءه من الطُّرَف الأدبية خير دليل ، ووضعت والقلب حليف شجن وغربة ، والفكر أليف حزن وكربة ، وأنا أسأل الله تعالى الذي لا يرجي سواه ، أن يجعل بناءه ثابتاً بحسن النية حيث البناء الذي فيه حظ النفس واه ، وأن يكون ما جلبته فيه من الهزل بالجد المذكور فيه مكفراً ، وأن ينفع به من وجهه إليه وجهته ، فلإني قد جمعت فيه ما يندر جمعه في غيره وكل الصيد في جوف الفرا .

يا مَنْ عليه اتكالي ومن إليه متأبى
جدُّ لي بعفوك عني إذا أخذتُ كتابي

واعلم أن هذا الكتاب معين لصاحب الشعر ، ولمن يعاني الإنشاء والنثر من البيان السحر ، وفيه من حكايات الأولياء والعلماء ، ما نظمت في لبة السطور منه السلوك . وفيه من الوعظ والاعتبار ، ما لم ينكره المنصف عند الاختبار ، وكفاه أنه لم يُر مثله في فنه فيما علمت ، ولا أقوله تزكية له ، ويعلم الله تعالى أنني تبرأت من هذا العارض ومنه سلمت ، ولو لم يحُز من الشرف إلا ختمه بهذه الأمداح النبوية الشريفة ، ذات الظلال الوريقة ، لكان كافياً شافياً ، وها أنا أجعل آخره تنبيهاً لليب ، قول ابن حبيب :

يا خير مبعوث له طلعة نور الهدى منها أقر العيون
جئتُ إلى ناديك أرجو القيرى من غيث كفيك المغيث الهتون
كن لي شقيقاً فارثكأب الهوى أوقعني بين الشجا والشجون
صلّى عليك الله سبحانه ما هزّت الريح قُدود الغصون

وقول النواجي :

لقد أفرطت في حسن ابتداء ورمت تخلصي يوم الزحام
فبالمختار أرجو عفوّ ربي ليرشدني إلى حسن الختام

وكان الفراغ منه عشية يوم الأحد المُستفِر صباحها عن السابع والعشرين
لرمضان سنة ثمان وثلاثين وألف ، بالقاهرة المحروسة . والحمد لله وكفى ، وسلام
على عباده الذين اصطفى ، وألحقت فيه كثيراً في السنة بعدها ؛ فيكون جميعه
آخر الحجة تمة سنة تسع وثلاثين وألف ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى
آله وصحبه وسلم ، دائماً أبداً إلى يوم الدين ، آمين .

وجاء في ختام النسخة « ق » :

قال محرر هذه النسخة المباركة العبد الفقير ، الضعيف الحقير ، الراجي من الله سبحانه العفو والغفران ،
أحمد بن محمد الحموي الطار ، غفر الله ذنوبه ، وستر في الدارين عيوبه ، كان الفراغ من كتابته
عشية يوم الأربعاء المسفر صباحها عن الرابع والعشرين أو الثالث والعشرين للذي القعدة الحرام من
شهور سنة ثلاثين ومائة وألف ، حامداً لله مصلياً ومسلماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم طالباً
لمؤلفه المغفرة ورحمة الله تعالى ورضي عنه وعن جميع العلماء العاملين وعن الأربعة الأئمة المجتهدين
وعن مقلديهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا وعن والدنا ومشايخنا ، ومن علمنا ومن هدانا ومن أسدى
إلينا معروفاً ، وعن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، من أهل
السنّة والجماعات ، إنه غفور رحيم ، شكور حلیم ، . . . وقد تمت هذه النسخة الميمونة المباركة
المصونة بعون الله وإرادته القادرة ومشيئته الصادرة برسم افتخار السادة الأشراف . . . مولانا وميدنا
السيد محمد عاصم أفندي ابن المرحوم السيد عبد المعطي أفندي الشهير نفسه بالفلاتني . . . وذلك بمنزلي
العامر الكائن بمحلة القيمرية من دمشق الشام (ثم قصيدة قالها الناسخ في تقريظ الكتاب مؤرخاً :
قل تم عرف الطيب أنجز به وعدي : ١١٣٠) .

انتهى المجلد السابع وبه تمّ الكتاب

وبليه المجلد الثامن في القهارس العامة

محتويات المجلد السابع

الباب الخامس

(تتمة)

موشحات لسان الدين ٩٦-٥

٥	[فصل في تاريخ الموشحات والأزجال عن ابن خلدون]
١٧	[ترجمة ابن باجة من القلائد]
٢٤	[ثناء الفتح على ابن باجة في مصدر آخر]
٢٦	[ترجمة محمد بن أحمد بن الحفاد الواسطي]
٢٧	[رجوع إلى أنهار ابن باجة]
٢٩	[ترجمة الفتح بن خاقان عن الإحاطة]
٣٣	[ترجمة الفتح بن خاقان عن المغرب]
٣٦	[رسائل للفتح بن خاقان]
٣٨-٦٠	[نماذج من تراجم المطبوع]
٣٨	١ - أبو بكر الزبيدي
٤٠	٢ - عز الدولة ابن صمدح
٤٣	٣ - رفيع الدولة ابن صمدح
٤٥	٤ - أبو الوليد ابن حزم
٤٦	٥ - أبو بكر النفاثي
٤٦	٦ - أبو عامر ابن عقيل
٤٨	٧ - أبو مروان الطبري
٤٩	٨ - أبو نصر أحمد بن عبد ربه
٥٣	٩ - أبو القاسم المنشي

٥٥	١٠ - أبو الحسن البرقي
٥٧	١١ - أبو الحسن علي بن جودي
٦٠	نص خطبة «الطلمح»
٦١	عود إلى الموشحات
٦١	[موشحة ابن سهل ومعارفستان لها]
٦٥	رجع إلى موشحات ابن الخطيب
٦٩	[موشحة لأبي الفضل ابن محمد المقاد]
٧٠	[موشحة لبعض المراكشيين]
٧٢	[موشحة للسلطان المنصور الذهبي]
٧٢	[موشحة أخرى للمنصور الذهبي]
٧٤	[من مقطعات المنصور]
٨٢	رجع إلى التوشيح
٨٢	[موشحة لبعضهم في ملح المقرئ]
٨٦	رجع إلى موشحات لسان الدين
٨٦	[موشحة لابن نباتة]
٨٨	[موشحة للبلي]
٨٨	[موشحة لمقرئ عارضها البلي]
٨٩	[موشحات للشهاب الغزالي]
٩٤	[موشحة للموصل]
٩٥	[موشحة لابن بتي]

الباب السادس

٩٧ - ١٤٤	في مصنفاته ومؤلفاته
٩٧	سرد أسماء مؤلفات لسان الدين في الإحاطة
٩٩	ما تأخر تاريخه عن الإحاطة
١٠٢	معلومات عن كتاب الإحاطة

١٠٨	[ترجمة ابن الحاج النعمري]
١٢١	[قصائد في ملح تلمسان وفاس]
١٢١	قصيدة لمحمد بن يوسف الثغري في ملح تلمسان
١٢٣	» لابن آجروم في ملح فاس
١٢٥	» الثغري في ملح تلمسان
١٢٥	» الثغري في ملح تلمسان أيضاً
١٢٨	» للزدغي في ملح فاس
١٢٩	» لسان الدين في ملح تلمسان
١٢٩	» للتلاشي في ملح تلمسان
١٣١	» لابن خميس في ملح تلمسان
١٣٣	[تعريف بتلمسان]
١٣٦	[ترجمة أبي ملين]

الباب السابع

٢٨٨ - ١٤٥ . . . في ذكر بعض تلامذته

١٤٥	١ - أبو عبد الله ابن زمرك - ترجمته عن الإحاطة
١٦٠	[تلميحات ابن لسان الدين على الترجمة]
١٦٢	[ترجمة ابن زمرك من كتاب البقية والمذكور لابن الأحمر]
١٧١	[شيء من نظمه منقول من الكتاب المذكور]
٢٤٠	[موشحات ابن زمرك]
٢٦٦	[ترجمة الولي أبي العباس السبي]
٢٧٩	رجع إلى ابن زمرك
٢٨١	٢ - ابن المهنا الطيب العالم
٢٨٢	٣ - أبو بكر ابن جزي
٢٨٢	٤ - أبو عبد الله الشريشي
٢٨٢	٥ - أبو محمد عطية بن يحيى المحاربي

٦ - أحمد بن سليمان بن فركون ٢٨٧

الباب الثامن

في ذكر أولاده . . . ٢٨٩ - ٥١٩

٢٩٠	ترجمة عبد الله بن لسان الدين نقلاً عن الإحاطة .
٢٩٩	أشعار لسان الدين في مخاطبة ابنه عبد الله .
٣٠١	علي بن لسان الدين وتعليقاته على الإحاطة .
٣٠٢	[نماذج من تعليقاته في ترجمة ابن جابر] .
٣٠٣	[رجع لتكميل ترجمة ابن جابر عن الإحاطة] .
٣٠٥	[استطرد بأشعار ابن جابر] .
٣٢٣	[قصيدته في التورية بسور القرآن] .
٣٢٦	[معارف لقصيدته في السور] .
٣٢٣	[خطبة منسوبة لفياض يوري فيها بأسماء السور] .
٣٣٥	[خطبة على مثالا للطنجالي] .
٣٣٧	[عود إلى نظم ابن جابر] .
٣٣٩	رجع إلى أولاد لسان الدين .
٣٤٠	[خطبة الكفمي في تضمين أسماء السور] .
٣٤١	[قصيدة مشابة للكفمي] .
٣٤٢	[ترجمة الكفمي] .
٣٤٧	[رجع إلى نظم ابن جابر] .
٣٤٧	[من شعر رفيق ابن جابر] .
٣٤٩	[عود إلى شعر ابن جابر] .
٣٧١	[من شعر رفيق ابن جابر] .
٣٧٧	رجع إلى أولاد لسان الدين - رسائل لعلی
٣٩١	وصية لسان الدين لأولاده .

٤٠٦	[وصية لابن الجنان على لسان ابن هود]
٤١٥	[ترجمة ابن الجنان]
٤٣٢	[مخسرات من المدائح النبوية لابن الجنان وغيره]
٤٥٩	[مدائح أخرى منقولة من منتهى السؤل]
٤٧٠	[مسلحات في مدح الرسول]
٤٨٨	[قصائد ومقطعات في مدح الرسول أيضاً]
٥١٢	[مسند المنتشاقري هي ملك الختام]
٥١٧	خاتمة الكتاب

Abu'l-'Abbās A. al-Maqqarī

NAFH AT-TĪB

VII

Edited and Annotated

by

Ihsān 'Abbās, Ph. D.

Dar SADER

P.O.B. 10

BEIRUT, Lebanon

نَفْحُ الطَّيِّبِ

مِنْ
غَضَنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِّيبِ

تأليف
الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلياني

حقيقه
الدكتور إحسان عباس

المجلد الثامن

الفهارس العامة

دار صادر
بيروت

نفع الطيب

٨

جميع الحقوق محفوظة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ^١

هو الإمام الحافظ المؤرخ السند أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني الفاسي دفين مصر بعد وفاته بها سنة ١٠٤١ تحقيقاً ؛ وما في « المنح البادية » و « الصفوة » وغيرهما من أنه توفي بالشام غلط وإصح لنص كثير من مؤرخي الشام ومصر على وفاته ودفنه بمصر ، منهم المحبي الدمشقي في « خلاصة الأثر » وهو الذي جزم به تلميذه ميارة في شرحه الكبير على « المرشد » والشيخ المسناوي في « جهد المقل القاصر » ورجحه ابن الطيب القادري في « نشر المثنائي » ونحوه للحافظ الزبيدي في شرحه على ألفية السند له .

وقال تلميذه الشيخ عبد الباقي الحنبلي الدمشقي في ثبته : عزم على سكنى الشام وذهب ليأتي بأهله من مصر ولم يبق إلا أن يخرج منها فاخترته المنية بمصر ودفن بترية المجاورين سنة إحدى وأربعين ١٠٤١ هـ . وبذلك تعلم مقدار غلط اليفرائي في « رسالة الوشي العبقرى » حيث قال : وتوفي بالشام لا بمصر ؛ كما وهم فيه ميارة . قال الحنبلي المذكور : دخلت مصر سنة ٢٨ فوجدته في صحن الجامع الأزهر يقرأ العقائد وله مجلس عظيم فلم يستنكر عليه ما كان يورده من الأعاجيب لأن العقائد فن أهل المغرب فلما دخل رجب افتتح البخاري فأتى بما هو أعجب ، وكان حافظاً أديباً ١٠٤١ هـ . ثم ذكر أنه أحال في إجازته له على فهرسته المتضمنة لأسانيده وله في هذا الباب « الجنايد » و « روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته

١ نقلنا هذه الترجمة من فهرست الفهارس والأثبتات (٢ : ١٣ - ١٥) للكتاني ، لأنها تصنيف أشياء مفيدة فيما يتصل بالمؤلف ، وإن كانت تنحو نحواً مغايراً للذي قيدناه من ترجمته في مقدمة الجزء الأول .

من علماء مراکش وفاس .

وأعلى أسانيده روايته عامة عن عمه أبي عثمان سعيد المقرئ مفتي تلمسان والقصار وأبي العباس ابن القاضي وأبي القاسم ابن أبي النعيم وأبي العباس أحمد بابا السداني وأبي العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي التادلي وغيرهم من المغاربة . وعن أبي الحسن الأجهوري وعبد الرؤوف المناوي والنجم الغزي وغيرهم من المشاركة ؛ وكان يروي الكتب الستة عن عمه أبي عثمان سعيد عن أبي عبد الله التنسي عن والده الحافظ محمد بن عبد الجليل التنسي عن البحر أبي عبد الله ابن مرزوق عن أبي حيان عن أبي جعفر ابن الزبير عن أبي الربيع ابن ربيع عن أبي الحسن الغافقي عن القاضي عياض بأسانيده المذكورة في « الشفا » . والأحاديث المسندة في « الشفا » جميعها ستون حديثاً أفردتها بعضهم بجزء . فمن أراد رواية الكتب الستة من طريقه فليأخذها من كتاب « الشفا » أو من الجزء المذكور .

ومن عوالي المترجم روايته عامة عن عمه سعيد عن أبي عبد الله محمد الحروي الطرابلسي عن الشيخ زروق ما له من مؤلف ومروي . ويروي أيضاً عن عمه عن علي بن هارون وسقين كلاهما عن ابن غازي ما له من مؤلف ومروي . ومن تأليف المقرئ في السنة تأليفه في النعال النبوية المسمى « بفتح المتعال » وفي العمامة النبوية سماه « زهر الكمامة » ألف كلاهما في المدينة المنورة ، الأول عند رجله عليه السلام بالمسجد النبوي والثاني عند رأسه الشريف ؛ وله كتاب في الأسماء النبوية وله « نفح الطيب » و « أزهار الرياض » و « تاريخ دمشق » ؛ قال تلميذه الشيخ عبد الباقي الحنبلي في ثبته : لم يؤلف أحسن منه ، قرأ لنا جملة منه بمصر بحضرة المرحومين المفتي العمادي ويوسف أفندي الإمام هـ .

وقد وصفه أبو سالم العياشي في موضع من رحلته « ماء الموائد » بحافظ المغرب . وفي « النشر الكبير » للقادري : لا نعلم في وقت صاحب الترجمة أحفظ منه هـ . وفي « بذل المناصحة » لأبي العباس البوسعيدي حين ذكر خروجه من فاس للمشرق : دخلت البلاد عن مثله ومضاهيه هـ . فأين هذا من قول اليوسي فيه : الفقيه الأديب ؛ وقال

القاضي ابن الحاج في «رياض الورد» في حق المترجم: وناهيك بتأليفه نفع الطيب فإنه يدل على باعه وجودة فكره حفظاً وإتقاناً وضبطاً ، ولا التفات لمن نقل عنه أنه غير ثقة بل هو من أعظم علماء الإسلام ثقة وديانة وحفظاً وفهماً .

نروي ما له من طرق منها بأسانيدنا إلى أبي المواهب الحنبلي عن [١] أبيه عنه (ح) وبأسانيدنا إلى عيسى الثعالبي عن أبي الحسن (٢) علي بن عبد الواحد الأنصاري [٣] وتاج الدين ابن أحمد المكي المالكي [٤] وأبي القاسم ابن جمال الدين المسراقي القيرواني كلهم عنه إجازة عامة شفهية (ح) وبأسانيدنا إلى «٥» عبد القادر الصفوري الدمشقي عنه [ح] وبأسانيدنا إلى الرداني عن «٦» بدر الدين البلباني الصالح «٧» ومحمد بن الكمال بن حمزة كلاهما عنه وبأسانيدنا إلى «٨» العلامة الحصكفي «٩» والمكثبي كلاهما عنه [ح] وبأسانيدنا إلى أبي سالم العياشي عن «١٠» أحمد بن موسى الأبار الفاسي عنه [ح] وبالسند إلى أبي سالم أيضاً عن «١١» الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمان الخياري المدني عن أبيه عنه (ح) وبأسانيدنا إلى الشراباني عن محمد بن علي الكاملي عن «١٢» أحمد الشاهيني الدمشقي عنه ، وقد أفرد اليفراني صاحب «الصفوة» ضبطه برسالة سماها «الوشي العبقرى في ضبط الإمام المقرئ» أتمها سنة ١١٥٦ .

بيان بمخطوطات كتب المقرئ

في مكتبات استانبول

نفع الطيب :

- ١ آيا صوفيا رقم : ٣٥٠٥ ، ٣٥٠٦ ، ٣٥٠٧ (نسخة كاملة في ثلاثة أجزاء) ٣٥٠٥ في ٤١٥ ق ؛ ينتهي هذا الجزء في الباب السادس إلى أول قوله : ومن كلام ابن بسام صاحب الدخيرة في جزيرة الأندلس .
٣٥٠٦ مكمل للسابق في ٣٦٠ ق (إلا أنه أغفل التاريخ) .
٣٥٠٧ أوله : ولنرجع إلى كلام مولاي الجدد ، مكمل للسابق في ٣٩٥ ق (تاريخه هو والجزء الأول سنة ١٠٨٠ على يد محمد بن عمار البحري الوفاي المالكي) .
- ٢ أسعد أفندي رقم : ٢٩٣٩ ، نسخة كاملة في ٤٩١ ق ، كان الفراغ من تسويدها في ٢٧ ذي الحجة سنة ١١٥٥ بالمدينة المنورة على يد محمد رفيع بن الحسين الأشهرى (كتبت بخط دقيق للغاية) .
- ٣ نور عثمانية رقم : ٣١٦٣ ، ٣١٦٤ ، ٣١٦٥ ، ٣١٦٦
٣١٦٣ نسخة كاملة في ٥١٤ ق وافق الفراغ من تسويدها سنة ١١٣٣ وقد كتبت لخزانة السيد حسن العجلاني .
٣١٦٤ نسخة كاملة في ٤٦٦ ق شبيهة بالسابقة في نوع الخط ، كتبها أحمد بن محمد بن عبد الله الحموي سنة ١١٣٠
٣١٦٥ الجزء الأول من نفع الطيب ينتهي إلى أول مناقب

ابن عربي (من الباب السابع من القسم الأول حسب تبويب المؤلف) في ٥٤٥ ق .

٣١٦٦ الجزء الثاني في ٧٤٧ ق ، فرغ من النسخ سنة ١١١٤ ، على يد يوسف بن عبد الله ، وهذه النسخة منقولة عن أخرى كتبت يوم الخميس ٢٩ شوال سنة ١٠٨٠ (نسخة جيدة) .

٤ راغب باشا رقم : ١١٧٣ نسخة كاملة في ٥١٣ ق ، كتبها أحمد بن محمد بن عبد الله الحموي ببدأ الدمشقي سكناً في شعبان سنة ١١٤٥ (انظر نور عثمانية رقم : ٣١٦٤) قال : وهذه هي النسخة السابعة التي رقمتها بقلم أناملي . (نسخة جيدة) .

٥ كوبريلي I رقم : ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤
١١٨٢ الجزء الأول ، ينتهي عند آخر الباب الخامس في ٢٨٢ ق ، (٢٠×٣٣) بخط نسخ جيد ، على يد العبد الفقير أبو الصلاح محمد الحنفي في يوم الاثنين ثامن عشر رجب الفرد من شهور سنة ثلاث وثمانين بعد الألف .
١١٨٣ الجزء الثاني ، يبدأ بالباب السادس في ٢٤٩ ق (نجزت يوم الأحد ٢٣ ذي القعدة سنة ١٠٨٣ على يد الناسخ نفسه) .
١١٨٤ الجزء الثالث : أوله القسم الثاني من الكتاب في التعريف بلسان الدين في ٣٥٧ ق (لم يذكر تاريخ النسخ ولكن الخط للناسخ المذكور في الجزئين الأولين) .

٦ طوبقوسراي رقم : ١٤٧٧ E. H. جزءان في مجلد واحد ، نجز الأول منهما يوم الثلاثاء ثالث شعبان سنة ١١٦٧ ، والثاني نهار الجمعة السادس لذي الحجة سنة ١١٦٨ على يد محمد شاكر بن مصطفى العمري ٤٣٨ ق ، (١٨×٥١) .

٧ حاجي سليم آغا رقم : ٨٥٧ ، ٨٥٨
٨٥٧ النصف الأول من نفح الطيب في ٥٥٢ ق ، (١١×٣٩)

وبه ينتهي القسم الأول حسب تجزئة المؤلف ، كتبت أواخر
شعبان سنة ١١٢٢ .
٨٥٨ النصف الثاني من نفح الطيب في ٣٦٨ ق ، (١٤×٣٩)
نقلت عن نسخة مؤرخة ٧ جمادى الأولى سنة ١١٠١ بالمدينة
المنورة ، وتم نسخها نهار عيد الفطر سنة ١١٦٤ على يد ياسين
ابن الحاج موسى العجلوني .

فتح المتعال في وصف النعال :

- ١ بني جامع رقم : ٢٦٠ في ٥٧ ق من القطع الكبير (حديثة النسخ) .
- ٢ أسعد أفندي رقم : ٤٥٢ واسمه هنالك كتاب النفحات العنبرية في نعل
خير البرية (في ٣٨ ق) بها أثر رطوبة . (تاريخ النسخ جمادى
الأولى سنة ١١١٤) . خاتمة هذه النسخة تدل على أنها الصورة
الأولى من الكتاب قبل أن يتناوله المؤلف بالزيادة والتغيير إذ
جاء فيها : « هذا آخر ما سمح به الوقت في هذا الغرض وقد
وافق لإخراجه من مسودته قدومي من الحج الشريف أوائل
صفر من عام ثلاث [وثلاثين] وألف بالقاهرة المعزية وقد
كنت سودت أكثره قبل السفر للحجاز وعزمت على ألا
أذيعه مخافة ما يعرض ، حتى حدثني بعض الأصحاب الأثبات
عن بعض من يوثق بدينه وأمانته أنه رأى أن النبي صلى الله
عليه وسلم قد قرب إليه مركوب عظيم عليه آلة محلاة أحسن
تحلية ، قال : فجعل الناس يعجبون من تلك الحلية فإذا قائل
يقول : هذه الحلية هدية من فلان - يعني الفقير - للنبي صلى
الله عليه وسلم ، فلما حدثني بذلك أولته بمدح النعل الكريمة » .
- ٣ ولي الدين رقم : ٧٧٩ (في ١٠٥ ق) بتاريخ ١٠٦٧ ، ليس فيه صور
كثيرة لمثال النعل النبوية .

- ٤ نورعثمانية رقم : ٣٣٩٧ ، ٣٣٩٨
 ٣٣٩٧ في ١٣٢ ق ، ٢٣ سطرًا ١٢× كلمة وهي حديثة التاريخ.
 ٣٣٩٨ في ١٣٤ ق ، (١١×٢١) (تشبه النسخة السابقة) .
- ٥ ملّت (فيض الله رقم : ١٢٦٤) في ١١٥ ق ، (١٢×٣١) .
- ٦ عاطف أفندي رقم : ١٧٧٨ في ١٠٩ ق ، (١٦×٢٢) . (حديثة النسخ) .
- ٧ مراد ملاّ رقم : ٥٧١ ، في ١١٩ ق ، (١٧×٢٧) وافية الرسوم .
- ٨ شهيد علي رقم : ٥١٧ ، في ١٢٥ ق (٢٨ سطرًا) ، كتبت أواخر شهر رمضان سنة ١٠٧٥ عن نسخة بخط تلميذ للمؤلف مقروءة عليه ، وخاتمة هذه النسخة تختلف عن خاتمة النسخة رقم ٤٥٢ بمكتبة أسعد أفندي ، إذ جاء فيها : « وكان الفراغ من تحرير أصل هذا الكتاب بشوال من عام ثلاثين وألف بالقاهرة المعزية المحروسة وكتبت منه عدة نسخ حملت إلى بلاد الروم وغيرها ، ثمّ ألحقت به زيادة بعد هذا التاريخ ، ثمّ حررت هذه النسخة بالمدينة المنورة . . . وكان ابتداء ذلك يوم الثلاثاء غرة رمضان من عام ثلاثة وثلاثين وألف وانتهاه يوم الثلاثاء الخامس عشر من الشهر المذكور ، وكنت أكتب كل يوم من وقت الضحى إلى الظهر فكمّلت ولله الحمد والمنة على هذه الصفة في نصف شهر . . . » . (لعلّ هذه النسخة هي أجود النسخ التي ذكرت هنا) .
- ٩ طوبقبوسراي رقم : E.H. ١١٩١ ، R. ١٥٧٥ ، R. ١٥٨٣ .
 E.H. ١١٩١ في ١١٧ ق (ومعها التقریظات) ، (١٣×٣٢)
 نسخت سنة ١١٧٦ على يد إبراهيم محفوظ بن محمد بن إبراهيم ابن حافظ الدين السروري .
 R. ١١٧٥ في ١٣٣ ق ، (١٢×٣٣) (تخلو من التقریظات)

وقد نسخت عام ١١٧٨ على يد السروري الذي نسخ السابقة .
R. ١٥٨٣ في ٦٩ ق ، (١٢ × ٣٢) ، نسخت يوم الجمعة
الخامس من محرم سنة ١١٥١ (لا ريب في أنها تنقص بعض
ما زاده المقرري من بعد ، وإن كانت تحمل الخاتمة نفسها) .

١٠ حاجي سليم آغارقم : ٨٢٧ في ١٤٦ ق ، (١١ × ٢١) بخط فارسي جميل ،
مزودة بالرسوم كاملة .

١١ مكتبة جامعة استانبول ، رقم : ٧٩٢ ، ١٧٢٢ ، ٤٠٥٠ ، ١٧١٢ ، النسخة
الأولى في ١٣٤ ق ، والثالثة نسخت سنة ١٠٤٧ ، (وقد فاتي
لإثبات عدد أوراق الثانية وتاريخ نسخها) . أما الرابعة فهي في
٣٨ ق في كل صفحة ٣٣ سطراً وعنوانها « النفحات العنبرية
في نعل خير البرية » .

الجمان من مختصر أخبار الزمان :

وأخبار الملوك المتقدمين ، كل ذلك توطئة لأخبار مولد سيد
المرسلين : في ثلاثة فصول ، ينتهي حتى خلافة المستكفي
العباسي ويذكر الفاطميين والأيوبيين والمماليك حتى المنصور
قلاوون ، وفيه نبذة عن المغرب والأندلس . يبدو ميل المؤلف
إلى المهدي ابن تومرت .

١ لا له لي (رقم : ٢٠٩٨) في ٣٣٨ ق ، كتبت سنة ١٠٣٩ عن نسخة
أخرى كانت مكتوبة بخط مغربي .

٢ كوبريلي I (رقم : ١٠٦٨) في ٢٥٥ ق ، (١١ × ٢٣) فرغ من
نسخه سادس شعبان من شهور سنة أربع وأربعين وألف على
يد عمر الشبلي ، (نسخة جيدة) .

٣ مكتبة جامعة استانبول رقم : ٣٥٦١ في ١٩٥ ق ، في كل ورقة ٢٥ سطراً .

إضاءة الدجئة في اعتقاد أهل السنة :

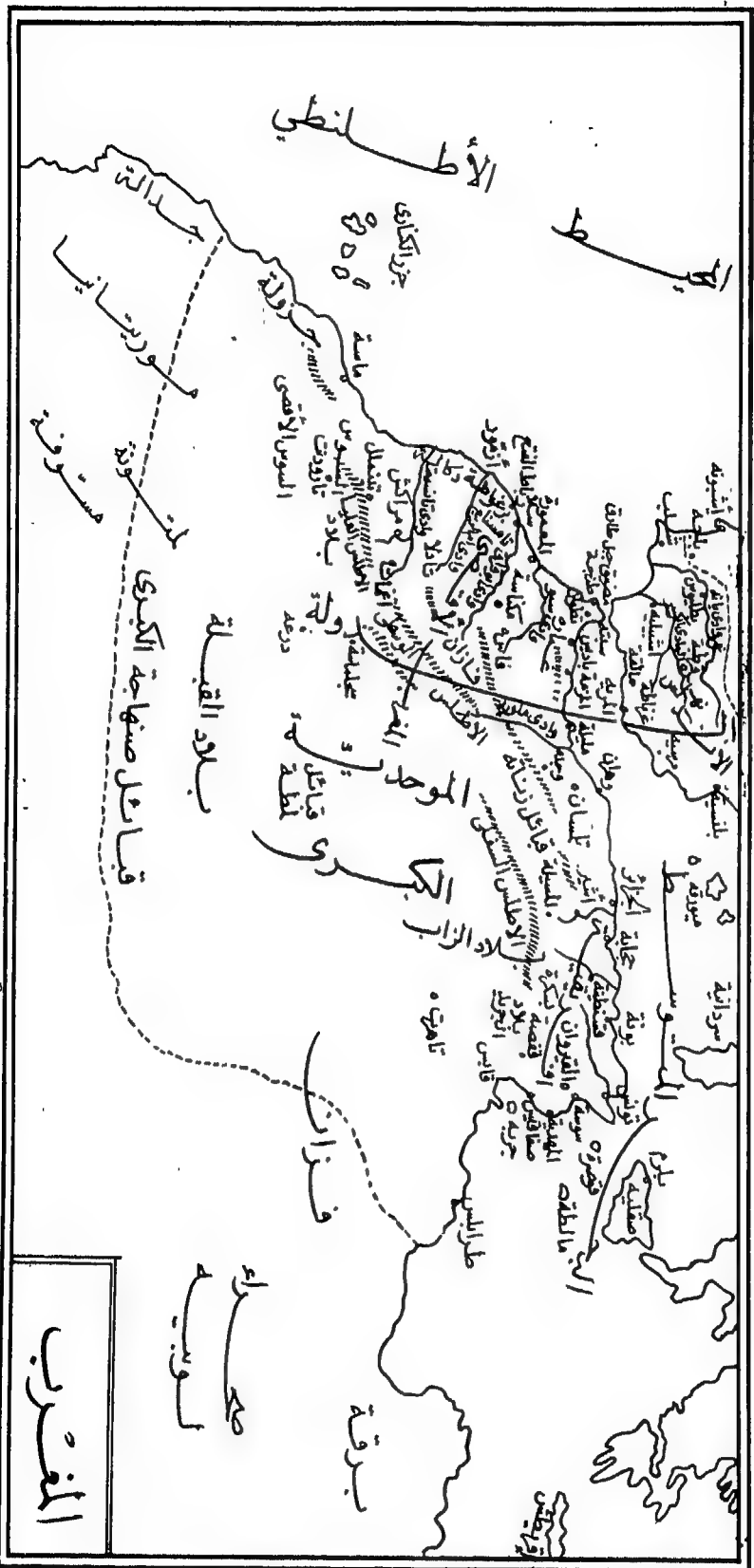
مكتبة جامعة استانبول رقم ٢٥٨٤ في ١٩ ق ، في كل ورقة
١٣ سطراً .

أزهار الرياض :

١ الفاتح (رقم : ٤١٨٥) في ٣٧٠ ق ، تنتهي عند ذكر اختلاف العلماء
الذين زاروا القاهرة في وصفها ، وفي آخرها : نجز الجزء الأول
من أزهار الرياض في اليوم الثامن من شهر صفر سنة ١٠٦٨ .

خلاصة :

يتبين من هذا أن في مكتبات استانبول — فيما اطلعت عليه — ٩ نسخ كاملة
من نفح الطيب و ١٧ نسخة من فتح المتعال و ٣ نسخ من الجمان ونسخة واحدة من
إضاءة الدجئة ، ونسخة تمثل الجزء الأول من أزهار الرياض .
وهناك نسخة مغربية من نفح الطيب ، وهي المحفوظة بالخزانة الملكية تحت
رقم ٦٢٧٣ ولم أستطع الاطلاع عليها ، وقد تفضل صديقي الأديب المحقق
الأستاذ محمد بن العباس القبّاج بمراجعتها ، وهو يعتقد — فيما أنبأني — أنها بخط
المؤلف ، ولكن يتخللها بتر كثير .



المغرب

صحراء
لوبيه

برقة

فزان

تاهرت

الجزائر

تونس

ليبيا

البحر الأبيض المتوسط

البحر الأطلسي

الصحراء

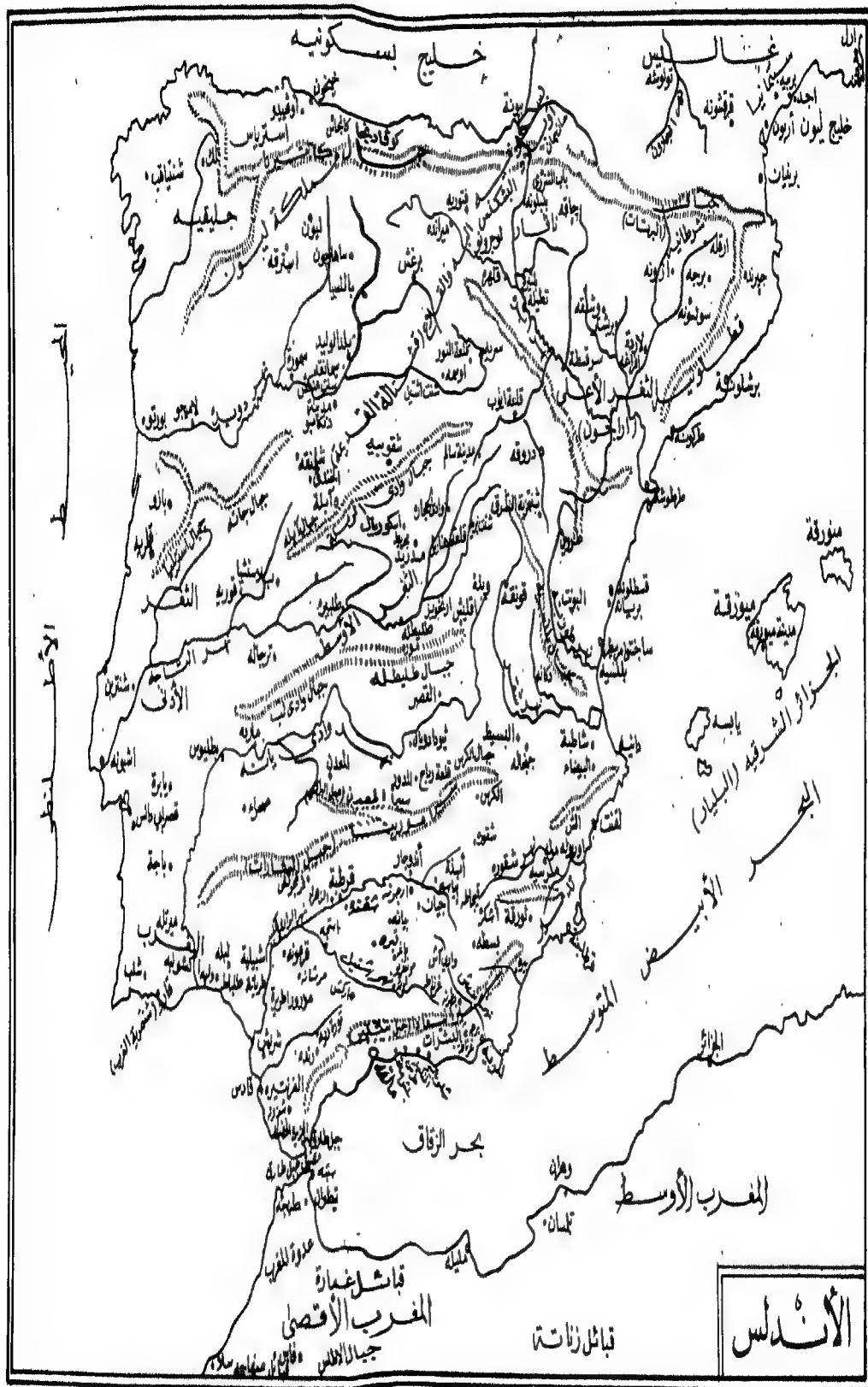
القبيلة

صنهاجة الكبرى

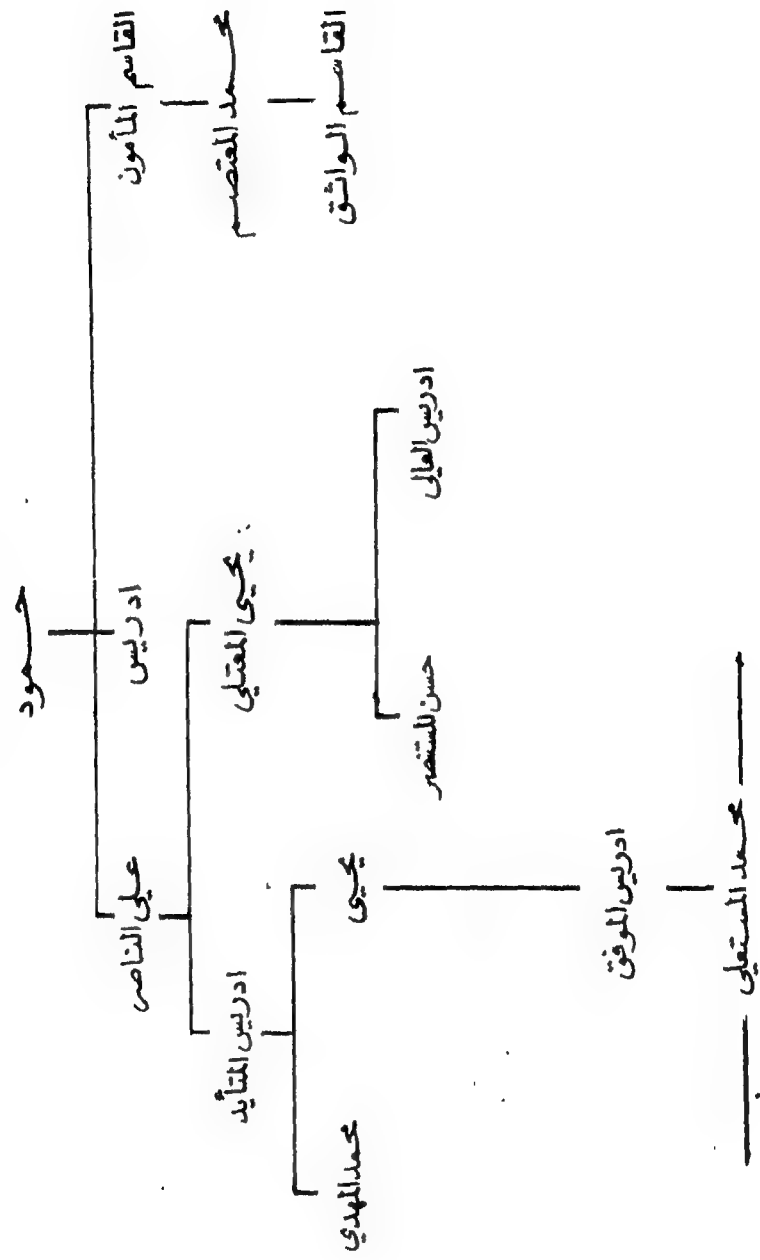
الجزائر

تونس

ليبيا



بنو حمود



بنو هذيل

(١) سليمان بن محمد بن هود (المستعين بالله)

المزدر

لب

محمد

يوسف حسان الدولة

(٢) أحمد (المفتد بالله)

الظفر أبو غافر

أحمد أبو جعفر

المزدر

(٣) يوسف (المؤتق)

(٤) أحمد (المستعين بالله)

(٥) عبد الملك (عاد الدولة)

(٦) أحمد (سيف الدولة المستنصر بالله والمستعين بالله)

بَنُو ذِي النُّوْنِ

اسماعيل بن ذنون (الظافر)

—

أبو الحسن مجيب (المأمون) - ٤٦٧

—

—

مجبى (القادر حفيد المأمون)

بنو صَاحِجَ الجَيَّيُون

١ معن بن أحمد (بن صَاحِجَ)

٢ أبو يحيى محمد (المعتصم بالله الوثائق بفضل الله)

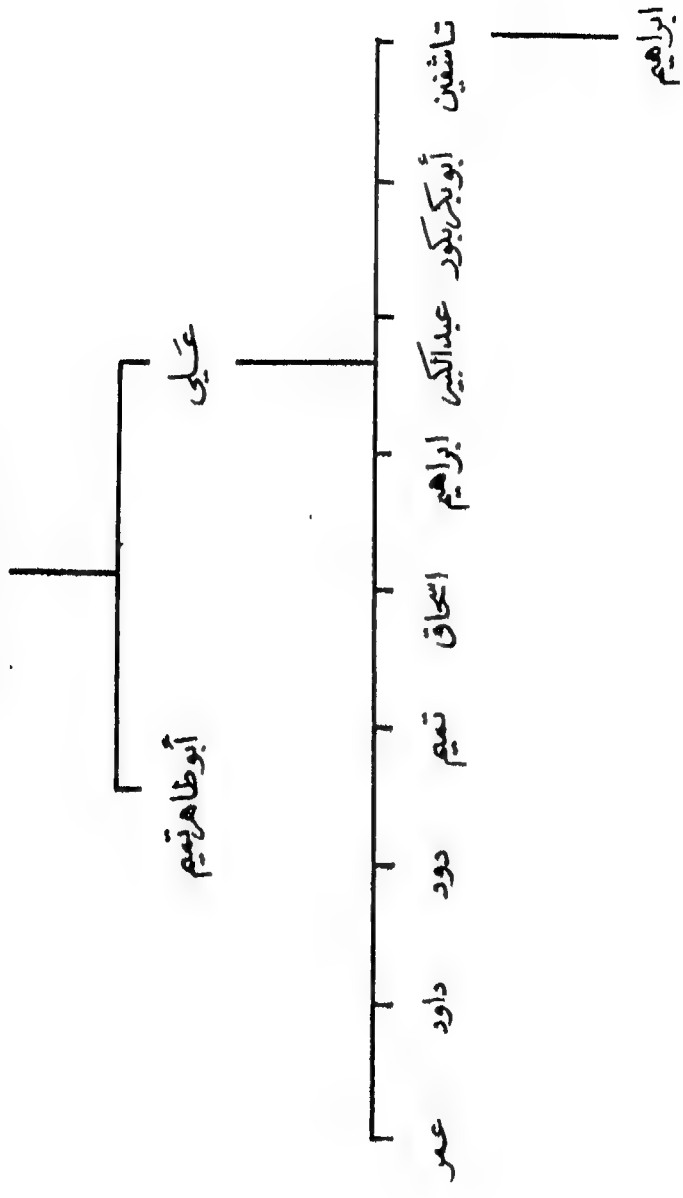
أبو مروان عبداً لله عز وجل الدولة (٣ أحمد بن مرز الدولة) عبد الله أبو زكريا (أبو يحيى) دفع الدولة

رشيد الدولة

أبو يحيى

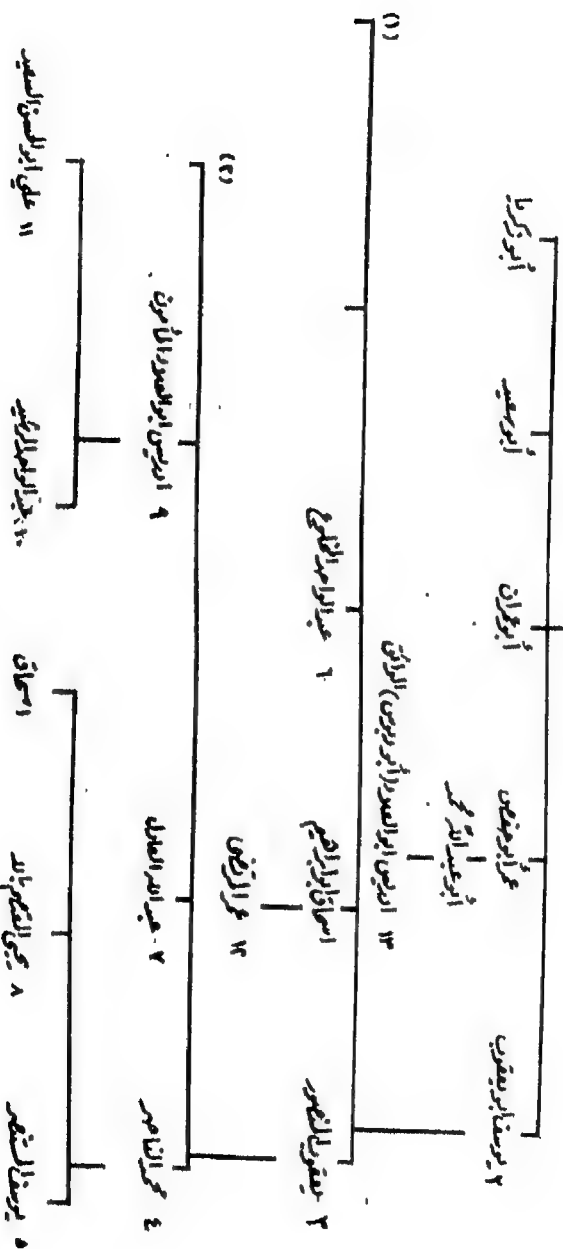
المرايطون

يوسف بن تاشفين



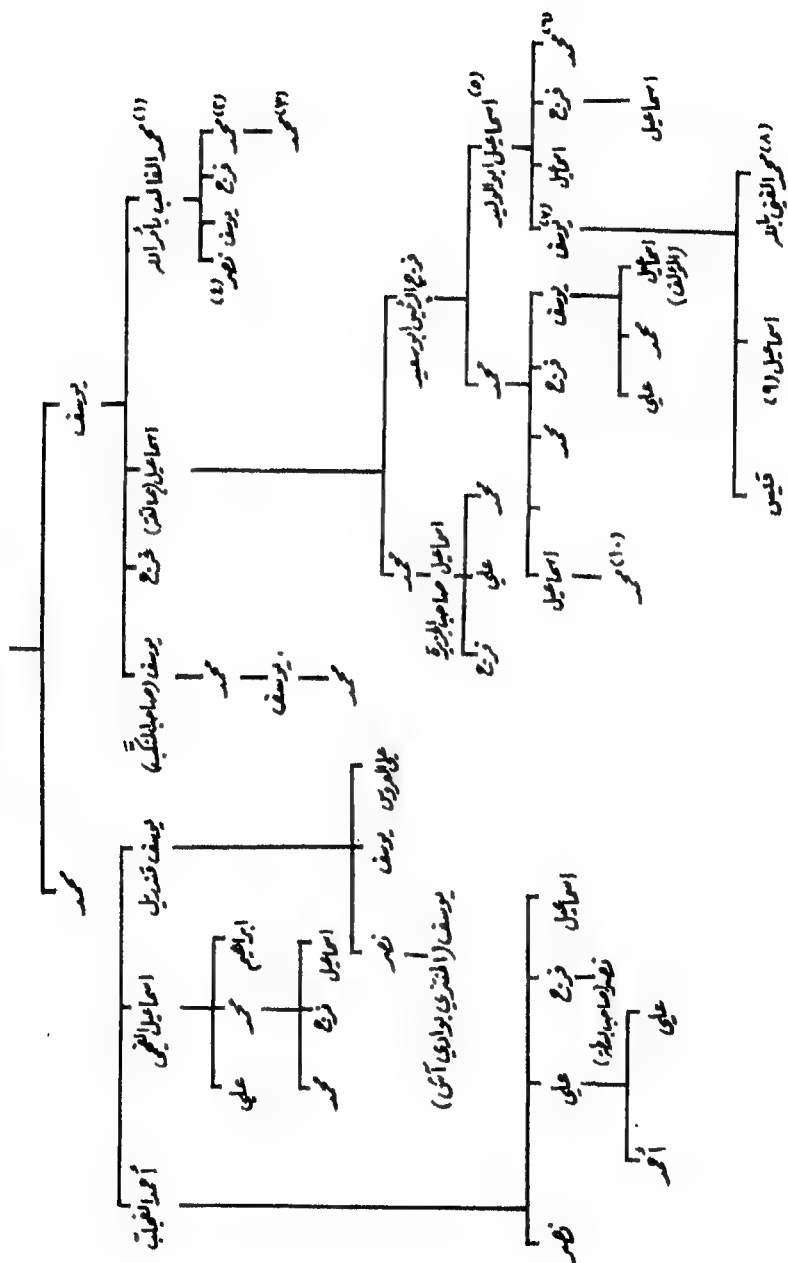
الموحدون

عبد المؤمن بن علي



(١) كان ليعقوب خمسين وخمسة عشر ولداً من الذكورة
(٥) كان ليعقوب الخمسة من الولد ستة عشر ذكراً.

١٠



الفهارس العامة

فهرست الاعلام

الالف

١١٦، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ٢٢٢، ٢٨٧،	الآبلي (محمد بن إبراهيم) أبو عبد الله (٥)
٣٢٢، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥١٣، ٥٨٩،	٢١٧، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٤٤ - ٢٤٨،
٥٩٣، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٣، ٦٤٥،	٢٧٣ - ٢٧٧، ٣٤٢، ٣٤٦، ٣٥١،
٦٤٦، ٦٤٨ (٣)، ١٠، ٥٥،	٣٧٠ (٦) ١٧٢ (٧) ١٣٣
٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٣ - ٦٦،	ابن أجروم (محمد بن محمد بن داود الصنهاجي)
٦٨، ٦٩، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤،	أبو عبد الله (١) ٩٥ (٥) ٢٢٥
١٨١، ٢٢٤، ٢٦٩، ٣٠٣، ٣٨٠،	ابن أجروم، منديل أبو المكارم (٢) ١٩٤
٤٢٨، ٤٦٧، ٦٠٣ (٤)، ٢١، ٥٦،	(٥) ٤١٨ (٧) ١٢٣
٥٨، ١١٣، ١١٩ - ١٢١، ١٦٦،	الآجري (٢) ١٠٥، ١٣٤
٢٨٢، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣١٩، ٣٢٠،	الآجري، أبو بكر (٢) ١٠٥، ٦٣٣
٣٢٣، ٣٣٢، ٣٣٥، ٤٥٥، ٤٥٧،	آسية (٤) ٥٠٥
٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٣،	الآمدي العلي (٢) ٩٠
٤٩٠، ٤٩٦، ٥٠٠ (٥) ٥١، ٧٠،	الآمر بأحكام الله الفاطمي (٢) ٢٩٠ - ٢٩٤،
٥٣٨ (٧) ٣٥	٣٤٣
أبان بن عبد الرحمن الأوسط (٣) ٥٨٠	آمنة (في شعر للمنصور الذهبي) (٧) ٧٨
أبان بن عثمان (٣) ٢٣٦	ابن الأبار الإشبيلي، أحمد أبو جعفر (٣) ٤٧٧
إبراهيم (ابن الرسول) (٢) ١٥٠	ابن الأبار القضاعي، أبو عبد الله (١) ٣١٥،
إبراهيم (جد الحجاري) (٣) ٤٢١، ٤٢٥،	٣٩٤، ٣٩٥ (٢) ١٥، ٢٩، ٥٩، ٧٣،

- إبراهيم (الخليل) (٣) ١٥٤، ٣٩٩ (٤)
٥٣١ (٥) ١١٦، ١٥٤، ١٨٥، ٢٥٨،
٣٩٨ (٦) ٤٢٢، ٤٧٦ (٧) ٢٦٨،
٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣،
٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٦١، ٣٩٢،
٣٩٤، ٤٢٦، ٤٣٣، ٤٤١، ٤٤٢،
٤٦٢، ٤٦٥، ٤٨٠، ٥١٤
إبراهيم البدوي (٤) ٣٠٤
إبراهيم الرندي (والد ابن عباد) (٥) ٣٤٥
إبراهيم المريني (السلطان)، انظر : أبو
سالم ابن أبي الحسن المريني
إبراهيم المصمودي (٥) ٤٢٨
إبراهيم الموصل (١) ٣٤٤ (٣) ١٢٦
إبراهيم النخعي (٣) ٢٣٦
إبراهيم بن أبي العنيس (٢) ٤٧
إبراهيم بن أبي الفتح الأضلع (٥) ١٣٨
إبراهيم بن أحمد الباعوني، انظر : الباعوني
الدمشقي، برهان الدين
إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (الأمير) (٣)
١٣٤
إبراهيم بن أحمد بن فتوح، انظر : ابن
فتوح أبو إسحاق مفتي غرناطة
إبراهيم بن أدهم (٥) ٣٣٧
إبراهيم بن إدريس العلوي (٤) ١٢٧
إبراهيم بن إسحاق بن بدر الدين بن لؤلؤ
النوري (٧) ١١١
إبراهيم بن أيوب المرسي، أبو إسحاق (٣) ٣٠٥
إبراهيم بن جعفر، أبو إسحاق (الفقيه)
(٢) ٩٢
إبراهيم بن حجاج اللخمي (٣) ١٤٠، ١٤١
إبراهيم بن حزم الغافقي، أبو إسحاق (٢)
٦٠٤
إبراهيم بن حزم (الفيلسوف) (١) ٥٢٦
إبراهيم بن حكم السلوي، أبو إسحاق (٥)
٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٩ - ٢٥٩
إبراهيم بن خفاجة، انظر : ابن خفاجة أبو
إسحاق
إبراهيم بن خلف بن منصور الغساني السهوي،
أبو إسحاق (٣) ١٣٥ - ١٣٧
إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي، أبو إسحاق (٤)
٤٦٤
إبراهيم بن سعيد الحذاء (٢) ٦٣٢
إبراهيم بن سليمان الشامي (٣) ١٢١
إبراهيم بن سهل الإسرائيلي، انظر : ابن
سهل الإسرائيلي
إبراهيم بن صالح القروي، أبو إسحاق (٢)
٥٠٨
إبراهيم بن طريف، أبو إسحاق (٢) ٥٤
إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي يحيى، أبو
إسحاق (٥) ٢٤١، ٣٨٧، ٣٨٩
إبراهيم بن عبد الرزاق (٣) ١٤٤
إبراهيم بن عبد العزيز المريني، انظر : أبو
سالم ابن أبي الحسن المريني (السلطان)
إبراهيم بن عبد الله القصار (٢) ٤٧

- إبراهيم بن عبد الله بن أبي يغمور ، أبو إسحاق
(٣) ٢٣٠ (٧) ٢٧٦
إبراهيم بن عبد الله بن الحاج النميري ،
انظر : ابن الحاج الغرناطي
إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم الزناسي ،
أبو إسحاق (٥) ٢٥٢
إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن عبد الله الرندي
(٥) ٢١٦
إبراهيم بن عبدون (١) ٣٩
إبراهيم بن العفيف النابلسي ، أبو إسحاق
(٢) ٦٩٥
إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد ، انظر :
الكفعمي
إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي (٢) ٥٦١
إبراهيم بن عيسى الشيباني (٢) ٦٣٢
إبراهيم بن عيسى بن مزاحم (١) ٢٦٧
إبراهيم بن فائد (٥) ٤٢٨
إبراهيم بن الفخار اليهودي (٣) ٥٢٧
إبراهيم بن قاسم ، أبو إسحاق ، انظر : الأعلام
البطليوسي
إبراهيم بن القاسم القروي ، انظر : ابن الرقيق
المؤرخ
إبراهيم بن قاسم بن هلال (٢) ٢٣٧
إبراهيم بن مبشر (المقرئ) (٣) ١٤٤
إبراهيم بن محمد الأكرمي الدمشقي (٢) ٤٤١
إبراهيم بن محمد بن الافليبي ، انظر : ابن
الافليبي
- إبراهيم بن محمد بن نرداد (٣) ٦٢
إبراهيم بن مسعود الالبيري الزاهد ، انظر :
أبو إسحاق الالبيري الزاهد
إبراهيم بن مسعود الآلي ، برهان الدين (٥)
٣٩٣
إبراهيم بن المعتضد علي بن المأمون أبي العلاء
(١) ٦٠٦
إبراهيم بن منبه الغافقي ، أبو أمية (٢) ٦٠٥
إبراهيم بن المنذر (٢) ٨ ، ٥٠ ، ٥١٨
إبراهيم بن المهدي (٦) ٤٠٥
إبراهيم بن موسى (٢) ٥٢
إبراهيم بن نصر الحموي ثم المصري ابن الفقيه
(١) ٥٢٢
إبراهيم بن هبة الله ، أبو طالب (٢) ٦٢٩
إبراهيم بن هشام الفسائي (٢) ٥١٨
إبراهيم بن هلال بن هارون الصابي ، انظر :
الصابي ، أبو إسحاق
إبراهيم بن الهيثم البلدي (٥) ٢٣١
إبراهيم بن يعقوب الكانمي الأسود (٤) ٣٨٠
إبراهيم بن يوسف بن تاشفين (٤) ٧٢ ،
٢٣١ ، ٤٦١ (٧) ٢٢ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٤٨
إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (٣)
٣٩٩ (٤) ٣٧٩
إبراهيم بن يوسف بن قرقول ، انظر : ابن
قرقول
أبو إبراهيم (الفقيه) (١) ٣٧٦ - ٣٧٩ ،
٥٦٢ (٢) ١٩

أبو إبراهيم الأعرج (صاحب الطور) (٦)	(١) ٥٨١ ، ٥٨٢
٩٧	ابن أبي حبيب الأندلسي (عبد الله بن عيسى
الأبرش الكلبي (٢) ١٠٥	ابن عبد الله) أبو محمد (٢) ٥٩٨ (٣) ٤٣
ابن الأبرش ، أبو القاسم (٢) ٣٧٥ (٣)	١٣٦
٤٥٧ (٤) ١١١ ، ٣١٩ (٥) ٢٦٦	ابن أبي الحديد ، أبو الحسن (٢) ٦٣٥ (٧)
الأبرموي ، أبو المعالي (٢) ٥٧٥	٧٤
أبرويز (٦) ٤٨٨	ابن أبي الحسين القرطبي (محمد بن علي بن
ابطريقس (قائد) (١) ١٣٤	الحسن) أبو عبد الله (١) ٨٦٠٤ (٢) ٥٧
الأبهري ، أبو بكر القاضي المالكي (١)	ابن أبي الحصين (٤) ١٧٨
٣٨٦ (٢) ٦٢ ، ٢٣٤	ابن أبي حكيمة (راشد بن إسحاق الكاتب)
الأبي ، أبو عبد الله (٦) ٢١٦	(٢) ٢٥٥
ابن أبي الأخوص (الحسين بن عبد العزيز)	ابن أبي حمزة (في الشعر) (٤) ٣١٠
أبو علي (٢) ٢١٢ ، ٥٣٦ ، ٥٤٠ ،	ابن أبي خالد (ثائر بإشبيلية) (١) ٤٤٨
٥٥٠ ، ٥٦١ ، ٥٧٥ (٥) ٥١٤ ، ٥١٥ ،	ابن أبي الخصال الشقوري الكاتب ، أبو
٦٠٥	عبد الله (١) ٢٩٤ (٣) ١٨٤ ، ١٩٣ ،
ابن أبي الاصبع ، زكي الدين (١) ٣٢ (٢)	٢٦٨ ، ٤٦٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٦٠٢
٢٦٩ ، ٢٧٢	(٧) ٢٩
الابياتي ، أبو العباس (٥) ٣٠٩	ابن أبي خيثمة (أحمد بن زهير) (٢) ٤٧
ابن أبي البقاء ، أبو عبد الله (٣) ١٣٩ (٥) ٥١	ابن أبي درهم ، أبو الحزم (٢) ٦٠٦
ابن أبي تمام (٢) ٦٢٧	ابن أبي درهم الوشقي ، أبو بكر (٢) ٦٥١
ابن أبي تميم الفقيه (٣) ٩٩	ابن أبي دلامة ، (حسين بن صالح) أبو علي
ابن أبي جعفر ، أبو محمد (٢) ١٥٨	(٥) ٥٣٧
ابن أبي جمرة (محمد بن مروان بن خطاب)	ابن أبي دلامة ، أبو زكريا (٧) ٢٣٩
أبو بكر (٢) ١٤٩ ، ١٦٢ ، ٥٠٥	ابن أبي دليم (٢) ٢١٨ ، ٦٣٣
ابن أبي جمعة الوهراني (محمد بن أحمد)	ابن أبي الدنيا ، أبو بكر (٢) ٦٢٨ ، ٦٢٩
أبو عبد الله (٧) ٣٣٤	ابن أبي دؤاد (كاتب المأمون) (٢) ٣٤
ابن أبي الحباب (أحمد بن عبد العزيز) اللغوي	(٧) ٤٢

ابن أبي الدوس . أبو بكر (٤) ٣٠	(٣) ١٦٩
ابن أبي الربيع الشاطبي (محمد بن سليمان المعافري) أبو عبد الله (٢) ١٤٠ .	ابن أبي الصبر ، أبو عبد الله (٥) ٢٦٤
ابن أبي الربيع الغرناطي ، أبو عبد الله (٢) ١٣٧	ابن أبي الصيف اليمني ، أبو عبد الله (٢) ٥٠٩
ابن أبي الربيع النحوي . عبد الله أبو الحسين (٢) ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٦١٩ (٤) ١٤٥	الأبيض (محمد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي) أبو بكر (٣) ٢٨٧ ، ٤٠٤ ، ٤٤٨ .
(٥) ٢٣٢ ، ٢٧٤ ، ٣٥٦ ، ٤٢٤ ، ٤٦٨	٤٦١ ، ٤٨٩ (٧) ٧
ابن أبي ركب ، أبو الطاهر الجلياني (٤) ١١٣ ، ١٦٠ ، ٣٢٣	ابن أبي العاصي ، أبو إسحاق (٤) ٣٤٤ ، ٥١١ (٥) ٤٩٩ ، ٥١٣
ابن أبي رمانة (محمد بن علي) أبو عبد الله (٥) ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٣٥٢ (٦) ٢٤	ابن أبي العافية (٢) ٢٣٨
ابن أبي رندقة . انظر : الطرطوشي . أبو بكر ابن أبي روح الجزيري (٢) ٩٣	ابن أبي العافية ، أبو زيد (٤) ١٧
ابن أبي زمين (٣) ٥٥٤	ابن أبي العافية . أبو القاسم (٥) ٤٥٦
ابن أبي زيد ، أبو محمد (٢) ٦١ ، ١١٣ ، ١٤٠ ، ٢٣٩ ، ٤٧٣ ، ٦٣٣ ، ٦٤٨ . ٦٦٥ (٥) ٢١٩ ، ٣٨٩	ابن أبي عامر . انظر : المنصور بن أبي عامر ابن أبي عصرون . أبو محمد (٢) ٣٨٣
ابن أبي السداد الباهلي (عبد الواحد) أبو عيسى (٥) ٣٨٧ (٧) ٤١٦	ابن أبي العيش (الملقب) (٥) ١٢٦
ابن أبي سرح (١) ٣٢٥	ابن أبي العيش ، أبو الحسن (٢) ٣٨٢
ابن أبي السعادات المروزي . أبو محمد (٢) ٥٩٨	ابن أبي القياض (أحمد بن سعيد بن محمد) (٢) ١٠ (٣) ١٨٢
بن أبي السنان (٢) ١٥٧	ابن أبي كامل (٣) ٦٢
بن أبي شريح ، أبو محمد (٢) ٥٠٧	ابن أبي كرامة ، أبو القاسم (٣) ١٣٦
بن أبي شيبه ، أبو بكر (٢) ٥١٨ ، ٥١٩	ابن أبي اللحم . أبو علي (٥) ٣٠١
	ابن أبي المجد الرعيني (عبد الله بن عبد البر) أبو محمد (٥) ٤٥٦ ، ٤٥٧
	ابن أبي مدين (٥) ٥٠٣
	ابن أبي مدين ، أبو عبد الله (٦) ٢٠٥
	ابن أبي مدين ، أبو الفضل (٥) ٢٢١
	ابن أبي مدين ، أبو المجد (٤) ٣٩٠ ، ٣٩٦

٤٣٠	ابن أبي مدين ، أبو يحيى (٥) ١٠٢ ، ١٠٣
أحمد زروق (٢) ١٨٧ (٥) ٢٠٤ ،	ابن أبي الموت (٢) ٥٧
٣٤٤ ، ٣١٠	أثاناوينوس (١) ١٣٩
أحمد السياسي القيسي المري ، أبو جعفر	ابن الأثير (١) ٨٥ ، ٥٠١ (٢) ٢٣٣
٣٤٣ (٤)	(٤) ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ (٥) ٢٢
أحمد الشامي (١) ٦٤ ، ٧٠ ، ٩٩ ،	أثير الدين أبو حيان النحوي الغرناطي (٢)
١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ (٢) ٤١٤ —	٤٣ ، ٤٤ ، ١٩٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٨ — ٢٣٠ ،
٤٢٥ ، ٤٤٥ ، ٤٥١ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ،	٢٤٢ ، ٣٢٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٥٣٥ ،
٤٦٠ ، ٤٦٨ — ٤٧٠	٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٨ ، ٥٥٣ ، ٥٥٨ —
أحمد المحدود ، أبو جعفر (٥) ١٩٩	٥٦١ ، ٥٦٣ — ٥٦٧ ، ٥٧٤ — ٥٨٤ ،
أحمد المرواني (٣) ٥٩٤	٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٦٣١ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦
أحمد المقرئ الشاعر ، انظر : الكساد	(٣) ٣٧٤ ، ٤٣٨ ، ٥٢٦ (٤) ١٩ ،
أحمد المثلث ، أبو العباس (٥) ٢٣٠	١١٠ (٥) ١٩٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ،
أحمد المنصور الذهبي ، انظر : المنصور الذهبي	٣٥٢ ، ٣٩٤ ، ٤٢٢ ، ٤٢٨ ، ٤٣١ ،
أحمد اليوناني (١) ٥٦٨	٤٧٠ ، ٥٤٠ (٦) ٩٨ ، ٢٢٧
أحمد بن أبان بن سيد (٣) ١٧٢ ، ١٧٣ ،	أبو الأجر الكلابي (جعونة بن الصمة)
٣٨١	(٣) ١٧٧ ، ٢٢٥
أحمد بن إبراهيم الغساني ، أبو العباس (٢)	ابن أحيانا ، أبو محمد (٤) ٤١٨
٢٨٩ ، ٣٣١ ، ٣٦٦ ، ٥٩٠	الأحدب البغدادي (٥) ٢٩٦
أحمد بن إبراهيم المخزومي (٢) ٦٠٣	ابن أحلى (٥) ٤٥
أحمد بن إبراهيم المرادي العشاب (٥) ٣٩٥	أحمد (قاضي مكة) (٥) ٤١٧
أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، انظر :	أحمد الإشبيلي ، أبو العباس (٣) ٤٦٨
ابن الزبير ، أبو جعفر	أحمد البراز (٢) ٢١٨
أحمد بن إبراهيم بن صفوان ، انظر : ابن	أحمد البهنسي (٢) ٤٥٧
صفوان المالقي	أحمد التونسي الشهير بالمصري (٢) ٢٠٨
أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأزدي الفشتالي ،	أحمد الجذامي ، أبو جعفر (٢) ٦٩٤
أبو العباس (٢) ٦٩٠	أحمد الخزرجي القرطبي ، أبو العباس (٣)

أحمد بن أبي بكر الزهري ، أبو مصعب (٢)	أحمد بن أفلح (٤) ١١
٥٠٧	أحمد بن أمية البلنسي (٣) ٤٦٣
أحمد بن أبي سالم المريني ، أبو العباس (٥)	أحمد بن أيوب اللماي ، انظر : اللماي
١٠٥ - ١١١ ، ١١٩ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ،	أبو جعفر
١٧٧ ، ٣٤٩ (٦) ١٢ (٧) ٣٠١	أحمد بن أيوب ، أبو الحسن (٣) ٣٢٩
أحمد بن أبي طاهر طيفور (٣) ١٣٤ ، ١٦٥ ،	أحمد بن باتكين القاهري ، أبو العباس (٢)
١٧٣	٥٥١٠
أحمد بن أبي عبد الرحمن يزيد القرشي الزهري	أحمد بن برد القرطي أبو حفص ، انظر :
(٣) ١٤٣	ابن برد القرطي
أحمد بن أبي عبد الله بن أمية البلنسي ، أبو	أحمد بن بقي القاضي القرطي ، أبو القاسم
العباس (٣) ٢٤٢	(٢) ١٥ ، ٥٧٥
أحمد بن أبي عبدة (٣) ٥٧٤	أحمد بن بلال ، أبو العباس (٤) ٦٨
أحمد بن أبي الفضل السبي ، أبو العباس	أحمد بن تليد الكاتب (٤) ١١
(صاحب سبته) (٢) ٢٦٣	أحمد بن الخزار (الخراز ؟) البطرني ، أبو
أحمد بن أبي القاسم الحسيني ، أبو العباس	جعفر (٣) ٤٨٦
(القاضي) (٦) ٢٧ ، ١٤٧	أحمد بن جعفر البغدادي ، أبو بكر (٢) ٥٠٧
أحمد بن أبي المعالي زيدان (٢) ٤٧٩	أحمد بن جعفر الخزرجي السبي ، أبو العباس
أحمد بن أبي الوليد الباجي ، أبو القاسم (٢)	(٣) ٩٩ ، ١٠٠ (٥) ٤١٨ (٧)
٦٧ ، ٧٢ ، ٦٥٦	٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ - ٢٧٩
أحمد بن الأحمر ، أبو العباس (٧) ١٩٥ ،	أحمد بن جعفر بن عبد الله بن جحاف (٤) ٢٢
١٩٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦	أحمد بن الحاج ، انظر : مدغليس
أحمد بن إدريس البجاني ، أبو العباس (٥)	أحمد بن حدير (٣) ١٧٦
٢٥٥	أحمد بن الحسن المديوني (٥) ٤٣١
أحمد بن إسحاق النيسابوري ، أبو نصر (٥)	أحمد بن الحسن المستعمل ، أبو غالب (٥)
٢٣١	٢٣١
أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني ، أبو	أحمد بن حسن الموصلي (٧) ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤
الخير (٣) ٦٦	أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعي ،

أحمد بن زرياب (٣) ١٢٢ ، ١٢٩
 أحمد بن زهير ، انظر : ابن أبي خيثمة
 أحمد بن زين الدين (٢) ٥٢٩
 أحمد بن سعد المزدغاني ، صفى الدين (٢)
 ٢٩٩
 أحمد بن سعيد (عارض الجيش) (٤) ١١
 أحمد بن سعيد بن حزم الصدي (٢) ٥٢ .
 ١٥١ (٣) ١٧٠
 أحمد بن سعيد بن محمد ، انظر : ابن أبي الفياض
 أحمد بن سكينه ، أبو بكر (٢) ٦٢٦
 أحمد بن سليمان بن أحمد بن عبد الرحمن
 المرواني (٣) ٥٨٨
 أحمد بن الشحنة الحجار (٥) ٢٣٩
 أحمد بن شرف التلمساني . شهاب الدين
 أبو العباس (٢) ٦٩٩
 أحمد بن الشريف السبي ، أبو العباس (٥)
 ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩
 أحمد بن شعيب البلنسي (٣) ٣٤٣
 أحمد بن شعيب الجزنائي . أبو العباس (٥)
 ٢٤٨
 أحمد بن شعيب النسائي ، انظر : النسائي
 أحمد بن الشقاق (٣) ٢٦٤
 أحمد بن شكيل الشريشي . أبو العباس (٤)
 ٦٤
 أحمد بن صابر القيسي ، أبو جعفر (٢) ٦٥٥
 أحمد بن صالح الكوفي (٢) ٥١
 أحمد بن طالب التميمي القاضي (٣) ٦٦

أبو جعفر (٢) ٣٨٣
 أحمد بن الحسن بن الحارث أبو جعفر النخعي ،
 انظر : الأشر النخعي أبو جعفر
 أحمد بن حكيم . أبو جعفر (٥) ٢٠١
 أحمد بن حنبل (٢) ٤٧ ، ٥٢ ، ٤٤٦ ،
 ٥١٨ ، ٦٩٥ (٣) ١٦٩ ، ٢٣٧ (٤)
 ١٤٦ (٥) ١٢٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٨
 أحمد بن حنون الإشبيلي أبو العباس . انظر :
 ابن حنون الإشبيلي
 أحمد بن خالد (فقيه الأندلس) (٢) ١٤ ،
 ٥١ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ٦٣٠ ،
 ٦٣٦ (٣) ٦٤٦ ، ٢٣٦
 أحمد بن خالصة الأنصاري . أبو العباس
 (٢) ٥٥١
 أحمد بن خلف الشيرازي ، أبو بكر (٣)
 ٦٧
 أحمد بن الخليل . أبو حامد (٢) ٥٠٧
 أحمد بن الخيال الاستي . أبو جعفر (٣)
 ٥٣٧
 أحمد بن خيش الزبيري ، شهاب الدين أبو
 العباس (٥) ٣٩٤
 أحمد بن دحيم (١) ٣٩٥
 أحمد بن الدودين . أبو جعفر (٤) ١٥٧
 أحمد بن رضي المالقي . أبو جعفر (٣)
 ٣٢٥ ، ٣٩٠
 أحمد بن رميلة القرطبي . أبو العباس (٤)
 ٣٦٥ ، ٣٦٩

أحمد بن طاهر الطرطوشي (٦) ٣٠٩	الربعي ، كمال الدين (١) ٤٧
أحمد بن طاهر بن علي بن عيسى الخزرجي	أحمد بن عبد الله بن حميد بن رزيق المخزومي ،
الداني (٢) ١٤٣ ، ٥١٢ ، ٥٩٩	أبو الحسن (٢) ٢١٥
أحمد بن الطباع الغرناطي ، أبو جعفر (٢)	أحمد بن عبد الله بن علوان ، أبو العباس (٢)
٥٨١ ، ٥٤٠ ، ٥٣٦	١٥٨
أحمد بن طلحة الكاتب الوزير ، أبو جعفر	أحمد بن عبد الله بن علي (٢) ٥١٥
(٣) ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٤٨٨ (٤) ١٥٤	أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي ، انظر :
أحمد بن عباس الوزير ، أبو جعفر (١)	أبو المطرف ابن عميرة
٤٢٢ (٣) ٥٣٥ ، ٦١٠ ، ٦١١	أحمد بن عبد الملك ، أبو صالح (٥) ٢٣٣
أحمد بن عبد ربه ، انظر : ابن عبد ربه	أحمد بن عبد الملك ، شهاب الدين أبو العباس ،
أحمد بن عبد الرحمن المجاصي ، انظر : المجاصي	انظر : شهاب الدين العزازي
أحمد بن عبد الرحمن الوقشي ، انظر : الوقشي	أحمد بن عبد الملك الزهري ، أبو مصعب
أبو جعفر	(٢) ٦٣٢
أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقي (٢)	أحمد بن عبد الملك بن أبي حمزة ، أبو العباس
٢١٤	(٢) ١٣٦
أحمد بن عبد الرحمن بن جحدر ، أبو حفص	أحمد بن عبد الملك بن سعيد ، انظر : ابن
(٢) ٧٣	سعيد ، أبو جعفر
أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجي ، أبو	أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، انظر : ابن
العباس (٣) ٣٣٣ (٤) ٣١٩	شهيد ، أبو عامر
أحمد بن عبد السلام الجراوي ، انظر :	أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى ، أبو
الجراوي ، أبو العباس	جعفر (٢) ٦٠١
أحمد بن عبد السلام المسيلي ، أبو العباس (٢)	أحمد بن عبد الملك بن مروان (٣) ١٧٨
٥٩٨	أحمد بن عبد الملك بن هشام ، انظر : ابن
أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب ، انظر :	المكوي
ابن أبي الحباب	أحمد بن عبد المنان ، أبو العباس (٧) ١١٧
أحمد بن عبد العزيز بن أبي عمر (٢) ٤٧٤	أحمد بن عبد الولي البلنسي ، أبو جعفر ، انظر :
أحمد بن عبد القوي بن عبد الله بن شداد	ابن النبي ، أبو جعفر

- أحمد بن عثمان المرواني ، أبو بكر (٤) ١٢٦
أحمد بن عدي (٢) ٥٩٧ ، ٥٩٨
أحمد بن علي الغافقي ، أبو الحسن (٢) ٥٧٦
أحمد بن علي المقرئ ، انظر : المقرئ
الحافظ
أحمد بن علي الملياني المراكشي ، أبو العباس
(٦) ٢٦٦
أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير ، انظر :
الرشيد الأسواني
أحمد بن علي بن الطباع (٢) ٥٨٣
أحمد بن علي بن غزلون ، انظر : ابن غزلون
أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة ، انظر : ابن
خاتمة ، أبو جعفر
أحمد بن علي بن محمد بن شكر الأندلسي ،
أبو العباس (٢) ١٣٧
أحمد بن عمر القرطبي ، أبو العباس (٢)
٦١٥ ، ٦١١
أحمد بن عمر بن أفرند ، أبو العباس (٢)
٦٠١ ، ٦٠٠
أحمد بن عمر بن أنس العلوي ، انظر :
العلوي
أحمد بن عمر بن محمد ، انظر : أبو العباس
المرسي
أحمد بن عمران ، أبو العباس (٥) ٢٥٠
أحمد بن عمرو البزار (٢) ٤٩
أحمد بن عيَّاش الكنتاني المرسي ، أبو جعفر
(٢) ٦٠٤
- أحمد بن فرج (صاحب كتاب الخدائق)
انظر : ابن فرج الجياني أبو عمر
أحمد بن فرج الالبيري (١) ٥٠٣
أحمد بن فرح أبو العباس ، انظر : ابن فرح
أحمد بن القاسم الإشبيلي ، أبو العباس ابن
القصير (٧) ٤٦٨ ، ٤٦٩
أحمد بن القاسم الحشاش البغدادي ، أبو الفرج
(٢) ٦٤٦
أحمد بن كمال ، أبو العباس (٤) ٤٦٣
أحمد بن مالك بن سيد أمير اللخمي الشامي ،
أبو عمرو (٢) ٣١٩
أحمد بن المبارك الحبيبي (٤) ١٢٦
أحمد بن محمد الإربلي الشافعي ، شمس الدين ،
انظر : ابن خلكان
أحمد بن محمد البرذعي ، أبو العباس (٢) ٥٣١
أحمد بن محمد البزار ، أبو حامد (٥) ٢٣٣
أحمد بن محمد الحموي العطار (٧) ٥١٩
أحمد بن محمد اللخمي الراسي ، أبو العباس
(٢) ١٤١
أحمد بن محمد المغربي ، أبو العباس (٧)
٤٥٩ ، ٤٦٧
أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، انظر :
المقرئ المؤلف
أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي ، أبو
جعفر (٦) ٤٦
أحمد بن محمد بن أبي عامر ، أبو عامر (٢)
٤٩٦

- أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري (٥) ٣٩٣
- أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز ، انظر : ابن الغماز ، أبو العباس
- أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني ، انظر : الأرجاني أبو بكر
- أحمد بن محمد بن خشيش (٣) ١٤٤
- أحمد بن محمد بن رجاء ، أبو حامد (٢) ٥٠٧
- أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني (٢) ١٣٦
- أحمد بن محمد بن علي الأموي ، انظر : ابن برطال
- أحمد بن محمد بن علي بن سعد النصري (٤) ٥٢٩
- أحمد بن محمد بن عيسى اللجائي (٥) ٤١٩
- أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي ، أبو العباس (٥) ٢٤٢
- أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي ، انظر : ابن العريف ، أبو العباس
- أحمد بن محمد بن يزداد (٣) ٦٢
- أحمد بن محمد بن يوسف بن هود (ولد الثائر) (٤) ٤٧٢
- أحمد بن مسعود الزهري ، أبو بكر (٣) ١٢٢
- أحمد بن مسعود القرطبي الخزرجي ، أبو العباس (٢) ٦١٤
- أحمد بن مطرف (١) ٥٧١
- أحمد بن معد بن وكيل الأقليشي ، أبو العباس (٢) ٥١٤ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩
- أحمد بن معطي ابن الإمام الجزائر (شرف الدين) أبو العباس (٢) ٦١٨
- أحمد بن مغيث (٢) ٢٤٢
- أحمد بن منصور ، أبو بكر (٢) ٥٠٧
- أحمد بن منصور بن خلف المغربي (٢) ٥٠٧
- أحمد بن منير الطرابلسي ، أبو الحسين (٢) ١٣٣ ، ١٣٤
- أحمد بن مهاجر الوادي آشي ، شهاب الدين (٢) ٦٥٣
- أحمد بن نصر (صاحب المساحة) (٣) ١٧٦
- أحمد بن نوار ، أبو العباس (٢) ٢٢٣
- أحمد بن هريرة ، انظر : الأعمى التطيلي
- أحمد بن هشام (المرواني) (٣) ٥٧٤
- أحمد بن والد السلاطين (١) ٣٢٢
- أحمد بن يحيى الخازن ، أبو المعالي (٢) ٥٦٠
- أحمد بن يحيى الضبي ، أبو جعفر (٢) ٣٨١
- أحمد بن يحيى بن الشاهد (٢) ١٠٥
- أحمد بن يحيى بن مفرج القنتوري القرطبي (٢) ٢١٨
- أحمد بن يزيد المعلم (٢) ٤٨
- أحمد بن يعقوب التائب (٣) ١٤٤
- أحمد بن يعلى (١) ٣٨٣
- أحمد بن يوسف التيفاشي ، شرف الدين أبو العباس (٢) ٣٢٥ ، ٣٣٢

أحمد بن يوسف القهري اللبلي النحوي ، أبو جعفر (٢) ٢٠٨ - ٢١٠ ، ٥٥١	الأخضس بن شريق (٥) ٢٦٤ أخيل بن إدريس الرندي ، أبو القاسم (٣) ٤٦٩ (٤) ٢٠٢
أحمد بن يوسف بن أحمد بن سليمان بن هود (الملقب بالمستعين) (١) ٤٤١ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٧ - ٦٤٩ (٣) ٢٦٦ - ٢٦٨ (٧) ٢٥	إدريس (صاحب مالقة) (١) ٤٨٦ إدريس (الذبي) (٦) ١٩٨٠ إدريس (والي سبتة) (١) ٤٨٧ إدريس بن عبد الله (جد الأدارسة) (١) ٢١٤ ، ٢٩٠ ، ٤٣٠ ، ٤٨٢
أحمد بن يوسف بن صالح (حفيد الولي أبي محمد صالح) (٤) ٤٠٢ (٦) ٤٨٦	إدريس بن علي ، أبو العلاء الموحد (٢) ٢٧٧ ، ٢٨٠ (٤) ٣٨٤ إدريس بن علي بن حمود (الملقب بالمتأيد) (١) ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٨٧ إدريس بن موسى القرطبي ، أبو العلاء (٧) ٤٤١ ، ٤٤٤
أحمد بن يوسف بن محمد بن فرج النصرى ، أبو العباس (أخو إسماعيل بن الأحمر صاحب نثير الجمان) (٧) ١٩٥	إدريس بن يحيى بن إدريس (الملقب بالموفق) (١) ٤٣٥ إدريس بن يحيى بن علي بن حمود (الملقب بالعالي) (١) ٢١٤ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٨٦ (٣) ٣٩٠ ، ٦١٤ ، ٦١٥ إدريس بن إليمان العبدري ، أبو علي (٤) ٧٥ ، ١٥٦ (٥) ٦٠١ الإدريسي ، أبو سعيد (٢) ١٤٢ الأدفونش (١) ٢٠٧ (٢) ٣٣٥ (٤) ٤٦٣ ، ٣٧٨
أحمد بن يونس القسطنطيني (٥) ٤٢٨ ابن الأحمر القرشي (٢) ١٥٠ الأحنف (ابن قيس) (٢) ٤٠٣ ، ٤٢١ (٥) ٢٥٧	الأخفش (علي بن سليمان) أبو الحسن (٢) ١٥٠ ، ٥٣٨ ، ٥٦١ ، ٦٧٨ (٥) ٣٨١ ، ٣٥٦
ابن أنخت غانم (محمد بن عمر) أبو عبد الله (٣) ٣٩٥ ، ٣٩٧ الإخشيد (٢) ٣٤٣ ابن الأخضر ، أبو محمد (٢) ٥٠ ، ٢٣٨ (٥) ٢٦٦	الأخطي (١) ٦٣٤ الأخطل (٢) ٢٥٠

ابن الأزرق (٥) ٢٨١ ، ٢٨٢ (٦) ١٥١ ،	الأذفونش الجحد (أذفونش بن يطره) (٣)
١٥٢	١٧ (٤) ٣٥١ ، ٤٧٠
ابن أزرق ، أبو جعفر (٣) ٤٢٠	أذفونش السادس (١) ٣٩٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨ ،
ابن أزرق ، أبو القاسم (٣) ٤٢٠	٤٤٠ (٤) ٣٥٢ ، ٣٥٦ — ٣٦٩ ، ٣٧٦ ، ٤٥٥
ابن أزرق (إدريس) أبو العلاء (٣) ٥٧٢	ابن أذفونش (١) ٤٢٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٦
ابن الأزرق (محمد بن أحمد بن محمد) أبو	الأراكة (جارية محمد بن المنذر) (٣) ٥٨١
بكر (٣) ١٢٢ ، ٤٢٠	اربند (أخو لبيد) (٤) ٢٢٢
ابن الأزرق (محمد بن علي بن محمد) أبو	الأرجاني (أحمد بن محمد بن الحسين ناصح
عبد الله (٢) ٦٩٩ ، ٧٠١ ، ٧٠٣ (٣)	الدين) أبو بكر (١) ٨٥ (٥) ٥٣٦
٢٩٨ (٦) ٤٤٧	أردشير بن بابك (٥) ٣٧١ (٦) ٣٢٢
ابن الأزرق (هبة الله) أبو الفضل (٥) ٢٣٩	أردون بن أذفونش (١) ٣٥١ ، ٣٦٣ ،
ابن أزهر ، أبو بكر (٢) ١١٥	٣٨٤ ، ٣٩٤ —
الأزهري (٢) ٢٢٣	أردون بن رزمير (١) ٣٦٥ ، ٣٦٦
أسامة بن زيد (٧) ٤١٨	أرسطوطاليس (٤) ٢٥٣ (٦) ١٩٨
إسحاق (النبي) (٥) ١٥٤	أرطباش (١) ٢٦٦ — ٢٦٨
إسحاق الختلي ، أبو إبراهيم (٢) ٥٧٦ ، ٥٧٨	ابن أرفع رأسه (محمد) أبو بكر (٤) ١٣٤
إسحاق الموصلي (٢) ٦٧٧ (٣) ١٢٢	٦ (٧)
١٢٤ ، ٢٤٩ (٤) ٢٧٢	أرقم (المنسوب إلى بني ذي النون) (٤)
إسحاق بن إسماعيل الطالقاني (٥) ٢٣٩	١٣٣ ، ١٣٤
إسحاق بن درباس (٢) ٥٥٠	ابن أرقم ، أبو بكر (٣) ٣٦٧ (٤) ٥٥١
إسحاق بن سلمة بن إسحاق القيّني (٣) ١٧٤	٤٥٦ (٥)
إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين (٥)	ابن الأرقم (عبد العزيز) أبو الأصمغ (٣)
١٨٣	٤٩٨
إسحاق بن عمار (٤) ٢٧٢	ابن الأرقم ، أبو عامر (٣) ٤٩٩
إسحاق بن عيسى بن مزاحم (١) ٢٦٧	الأرقمي (غريز بن طلحة) (٣) ١٤١
إسحاق بن المنادي (٤) ١٢	أرمانوس بن قسطنطين (٣) ١٦٢
ابن إسحاق الخياط (سعيد بن علي) أبو	أروى (٧) ٤١٩

أسعد التحوي ، أبو منصور (٥) ١٦١
الأسعد بن بليطة ، أبو القاسم (٤) ٥١ ، ٥٢ ،
١٠٠

أسعد بن روح ، أبو الفخر (٢) ٥٦٢
الإسكندر (١) ١٠ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ،
١٦١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ (٣) ١٨٩ (٤)

٤٢ (٥) ١١٦ (٦) ٣٨٠

أسلم بن عبد العزيز (٢) ٥١
أسماء (في شعر ابن زمرك) (٧) ١٩٧
أسماء العامرية (٤) ٢٩٢
أسماء بنت غالب (صاحب مدينة سالم) (١)
٤٠٠ (٣) ٨٩

إسماعيل (ابن إبراهيم الخليل) (٧) ٥١٤
إسماعيل الحشني الجلياني ، أبو الطاهر ، انظر :
ابن أبي ركب

إسماعيل (ابن إسحاق) القاضي (٢) ٤٧ ،
٢٣٧

إسماعيل النابلسي (ابن أحمد بن الحاج إبراهيم)
(٢) ٣٩٩

إسماعيل بن أبان بن عبد العزيز بن مروان
(٣) ٢٩

إسماعيل بن أبي الحجاج السلطان النصري (٥)
٨٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٣٨ ، ١٤٢

إسماعيل بن الأحمر (صاحب نثير الجمان)
(٢) ١٩٤ (٥) ١٠٨ ، ١٦٩ ، ٢٠٤ ،

٢٧٩ ، ٣٥٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٣

(٧) ١٠٧ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،

عثمان (٥) ٣٩٥

أبو إسحاق (الوزير) (٥) ٧٢

أبو إسحاق الالبيري الزاهد (٣) ٤٩١ (٤)

٨٦ ، ١١٢ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٤٥

أبو إسحاق التلمساني (٥) ١٢٠ ، ٢٤٥ ،
٢٤٦ ، ٣٨٧

أبو إسحاق الحساوي (٥) ٥٠٣

أبو إسحاق الحولاني (٣) ٦٠٣

أبو إسحاق الساحلي ، انظر : الطويج

أبو إسحاق الشيرازي (٢) ٧١

أبو إسحاق الكلاعي (٣) ٦٣

أبو إسحاق اليابري (٥) ٦٢

أبو إسحاق إبراهيم (أخو ابن الحكيم) (٢)

٦٢٢ (٥) ٥٠٥

أبو إسحاق ابن عامر الحمداني الطوسي (٢)
٥٨٠

أسد الجهنني ، أبو محمد (٣) ٦٠

الأسد ابن أبي عبد الله بن مالك ، تقي الدين
(٢) ٢٢٥ ، ٢٣٢

أسد بن الفرات القاضي (٣) ١٦٢

أسد بن الليث (٢) ٥٧٥

أسد بن معين الدين (١) ٥٢١

أسد بن موسى (٢) ٦٣٣

أسد الدين يوسف بن داود الأيوبي (٥)
٣٩٤

الأسدي الدمشقي (٢) ٦٠٧

إسرائيل ، انظر : يعقوب (النبي)

إسماعيل بن المليحي ، فخر الدين أبو الطاهر	١٧٨ ، ١٨٣ ، ٢١٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،
(٢) ٥٤٩	٢٨٢ ، ٢٦٥
إسماعيل بن ياسين الجيلي ، أبو الطاهر (٢)	إسماعيل بن الإسكندراني ، أبو الطاهر (٣)
٥٦١	١٣٤
إسماعيل بن يعقوب الأزرق المدني ، أبو	إسماعيل بن خلف ، أبو الطاهر (٢) ١٣٢
الحسن (٢) ٦٩ - ٦٦	إسماعيل بن عباد ، انظر : صاحب بن عباد
إسماعيل بن يوسف النصري (٥) ٨١	إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، أبو
إسماعيل بن يوسف ابن السلطان القائم بأمر	عثمان (٥) ٢٣١
الله محمد بن الأحمر (٥) ٧	إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي (٣)
إسماعيل بن يوسف بن نصر (١) ٤٤٧	٦٩
الأسود بن سفيان (٢) ٥٧٥	إسماعيل بن عزوز (٢) ٥٢٩
الأسود بن قنان (٤) ٥٤٤	إسماعيل بن عيذون القالي أبو علي ، انظر :
أسيماء (وصيفة لدى المظفر بن المنصور	القالي
العامري) (٣) ٢٤٤	إسماعيل بن فرج بن نصر ، أبو الوليد (الملقب
الأسيوطي (٢) ٦٣١	بالغالب بالله) (٥) ١٢ ، ٧٥ ، ٤٩٢
أشبان بن طيطش (١) ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،	إسماعيل بن القاسم أبو علي البغدادي ، انظر :
١٦١	القالي
الأشتر النخعي (أحمد بن الحسن بن الحارث)	إسماعيل بن محمد السلطان الملك الصالح (٤)
أبو جعفر (٣) ١٤٣	٣٩٤
الأشج (صاحب الصحيفة) (٣) ٦٦	إسماعيل بن محمد الشقندي أبو الوليد ، انظر :
أشج بني مروان (عمر بن عبد العزيز) (٤)	الشقندي
٥٣٧	إسماعيل بن محمد الصفار (٢) ١٤٢ ، ١٥٢
أشج الغرب (٣) ١١	إسماعيل بن محمد بن أحمد بن أبي طاهر
أشج السلمي (٣) ٢٢٠	الأصفهاني ، انظر : الوثابي
الأشرف بن العادل بن أيوب (٢) ٢٩٩	إسماعيل بن محمد بن الفضل (٢) ١٣٨
(٣) ٢٤٨ ، ٢٥٠	إسماعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري
الأشرف بن الفاضل (٢) ٤٤	الأبدي ، برهان الدين (٢) ١٥

- الأصمعي، (٢) ٤٦ (٤) ٧٨ (٥) ٢٢٠
(٦) ٢٠٢
الأصمعي (الأندلسي) ، انظر : الزجاجي
(محمد بن سعيد)
الأصيلي ، أبو عبد الله (٢) ٣٨١
الأصيلي ، أبو محمد (٢) ٢٣٩ (٣) ٦٠
ابن أضحى (سعيد) أبو الحسن (١)
٦٧٥ ، ٦٧٦ (٣) ٣٤٣ (٤) ١٦٣ ،
١٦٥
إعتماد الرميكية (١) ٦٩ ، ٤٤٠ (٢)
٢٨٥ (٤) ٩٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٥ ،
٢٧٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ (٦) ٤٩٥
ابن الأعرابي (الراوية) (٢) ١٥
ابن الأعرابي ، أبو سعيد (٢) ١٠٥ ، ١٤٢ ،
١٥٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٧ ، ٦٣٣ ،
٦٦٠
الأعز بن المؤيد (القاضي) (٣) ٣١٣ ، ٣٥٥
(٤) ٢١٢
الأعشى (الكبير) (٢) ٤٩٨ ، ٥٠٠ (٧)
٤١٧
الأعشى الأندلسي ، انظر : ابن نجيم
الأعلم الإشبيلي (إسماعيل بن حجاج) أبو
الوليد (٣) ٣١٥
الأعلم البطلوسي (إبراهيم بن قاسم) أبو
إسحاق (٣) ٤٥٦ ، ٥٩٦ (٧) ٧٠ ، ٦
الأعلم الشتمري (يوسف بن عيسى) أبو
الحجاج (٣) ١٨٤ (٤) ٣٢ ، ٧٥ ،
- الأشرف شعبان (ابن حسين بن الناصر محمد
ابن المنصور قلاوون الصالحي) (٢)
٦١٧ (٥) ٤٠٨ ، ٤١٤ (٧) ٣٣٧
أشعب (١) ٩ (٢) ٢٧٩ ، ٢٨٦
أبو الأشعث الكلبي (٣) ٥٥
الأشعري (٢) ٧٠ ، ٤٧٨ ، ٥٠٩
ابن الأشقر ، أبو العباس (٥) ٢٣٠
ابن أشقيلولة (١) ٤٤٧ ، ٤٤٨
أشكناهدة (محمد بن القاسم الكاتب) أبو
بكر (٢) ٩٥ ، ٤٠٦
أشهب (الفقيه) (٢) ١٤٠ ، ٧٠٠ (٣)
٤٤٨ (٥) ٤١٤
أشهب بن العضد الخراساني (٣) ١١٨
الأصبغي (٤) ٢٠٦
أصبغ (الفقيه المالكي) (٣) ٤٤٨
الأصبغ القرشي (٣) ٥٩٤
أصبغ بن خليل (٢) ٤٧
الأصبغ بن سيد ، أبو الحسن (٣) ٤٨٥
أصبغ بن الفرغ (٢) ١٥٠ ، ٢١٥
ابن أصبغ الهمداني (١) ٥٧٠ (٢) ٧٠
أبو الأصبغ ابن سهل (صاحب النوازل)
(٥) ١٢٩
أم الأصبغ (أخت عبد الرحمن الداخل)
(١) ٥٤٦ (٣) ٢٨
أصحة (النجاشي) (٥) ٣٣٦
الأصم القرطبي المرواني (١) ٤٧٥ (٣)
٥٩٢

أقلیدس (١) ٥٥٤	٧٧ - ٧٩
الأقلیثی ، أبو العباس (٢) ٥١٣	ابن الأعلم (٤) ٢٣٦
اكتیان (١) ٤٨١	الأعمى التطيلي ، أبو العباس (٣) ٢٠٧ ،
الأكفاني (هبة الله) أبو محمد (٢) ١٥٤ ،	٢٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٤٠٤ ، ٥٠٠ ،
٥٧٦ ، ٦٣٥	٥٠١ ، ٥٣٦ (٤) ٥٩ ، ٣٢١ (٧)
أكیمه بن المشیم (٢) ٥٧٥	٧ ، ٦
ألفنش ، انظر : الأذفونش	الأعمش (٢) ٦٢٩ (٥) ٢٣١ (٦)
ألمند (١) ٢٦٦ ، ٢٦٧	٥٠١ ، ٤٧١
ألوف (جارية) (٣) ١٠٨	الأغصاوي (الشيخ) (٥) ١٦٨ ، ١٦٩
الباس بن المدور اليهودي (٣) ٥٢٨	أغطشة (١) ٢٤٨ ، وانظر أيضاً : غيطشة
إليان ، انظر : يليان	أغلب بن شعيب (٣) ١٧٨
ابنا الإمام (أبو زيد وأبو موسى) (٥)	ابن أفریولة (القاسم بن الفتح الحجاري)
٢٤٤ ، ٣٩٥ ، ٤١٣ ، وانظر أيضاً :	أبو محمد (٣) ٤٢٣ (٤) ٣٣٥
ابن الإمام ، أبو زيد ، وابن الإمام ، أبو	الأفضل بن أمير الجيوش (٢) ٨٧ ، ٨٨ ،
موسى	٤٩٥
ابن الإمام الغرناطي ، أبو الحسن (٤) ١٢	الأفضل بن صلاح الدين بن أيوب (٢)
ابن الإمام (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله)	١٠٦ ، ٢٩٦ ، ٦٤٠ (٣) ٣٣٢
أبو زيد (٥) ٢١٥ - ٢٢٢ ، ٢٢٥ ،	أفضل الدولة (محمد بن الحكم) أبو المجد
٢٦١ ، ٣٠٥	(٢) ٦٣٨
ابن الإمام (عثمان بن علي بن عثمان) أبو	ابن الأنطس (١) ٤٢٩ ، ٤٣٩
عمرو (صاحب سمط الجمان) (٢) ٢٦ ،	ابن الأفللي (إبراهيم بن محمد الزهري)
٢٦٢ (٣) ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٤٢٦ ، ٤٧٨ ،	أبو القاسم (٢) ٦٣٠ (٣) ١٧٣
٣٤ (٧)	إقبال الدولة بن مجاهد العامري (٣) ٤٠٥
ابن الإمام (محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن)	(٤) ٢٧
أبو الفضل (٢) ٦٩٥ (٥) ١٦٦ ،	ابن إقبال الدولة بن مجاهد (٤) ٢٨١
٢٠٤ ، ٤١٩ (٧) ١٠٦	الأقشطين (محمد بن عاصم النحوي) أبو
ابن الإمام (عيسى بن محمد بن عبد الله) أبو	عبد الله (٣) ١٧٤ ، ١٧٨

أنس بن مالك ، أبو حمزة (٢) ٥٦٣ (٣)	موسى (٥) ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ،
١٦١ ، ١٦٤ (٥) ٢٢٠	٢٢٢ ، ٢٥١ ، ٣٠٥ ، ٣٥١
أنس القلوب (جارية) (١) ٦١٧	أبو أمامة الباهلي (٢) ٥٨٠
ابن الأنقر السرقسطي ، أبو القاسم (٤)	إمام الحرمين ، انظر : الجويني
١١٤	إمام الدين الخليلي (٧) ٨٠
الأنماطي (٢) ٢٨ ، ٦٥١	ابن الأمانة ، جمال الدين (٢) ٦٩٥
ابن الأنماطي (زين الدين) أبو بكر (٢)	ابن أمجوط (٥) ٢٧٠
٥٥٠ ، ٥٦١	امروء القيس (١) ٣٣٤ (٢) ٢٠٩ (٣)
أنوشروان (٤) ٥١ (٦) ٢٩ (٧) ٤١٧	١٩٧ ، ٢٩٣ ، ٥٤١ (٤) ٣٦ ، ٣٠٧ ،
الأوزاعي (٢) ٤٥ (٣) ٢٣٠ (٥) ٢٩٢ ،	٥٣٠ (٥) ١٩٠ ، ٢٢٩ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ،
٢٩٣	١٢٧ (٧) ١٢٦ ، ٣١٩
أوقه (ملك الفرنجة) (١) ٣٦٥	أمة العزيز (الشريفة الحسينية) (٤) ١٦٩
أويس القرني (٧) ١٤٧	الأمين (الخليفة العباسي) (٣) ٢٥٦ (٤)
ابن إياز (٢) ٥٣٨	١٤٢ (٥) ٤٢ (٦) ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٣٧٩
إياد بن معاوية (٥) ٥٠ ، ٢٩٣ ، ٣٠٤	١٠١ (٧)
إيدمر التركي (٢) ٢٧٢	أبنة أمين الملك (٣) ٢٥٦
ابن الأيسر ، أبو القاسم (٢) ٦١٨	أمية بن أبي الصلت الثقفي (٤) ١٤٢
أيمن بن محمد السعدي ، أبو البركات (٢)	أمية بن إسحاق (١) ٣٥٤ ، ٣٥٥
٦٦٧	أمية بن خلف (٥) ٢٦٤
أيمن بن محمد الغرناطي (٤) ٣٤١	أمية بن زياد (٣) ٣٤
أيمن بن محمد بن محمد بن أيمن التونسي ، أبو	أمية بن عبد الملك المرواني بن عمر (٣) ٥٩
البركات (٥) ٣٩٣	أمية بن عبد الملك بن قطن (١) ٢٣٦ ،
ابن أيمن (محمد بن عبد الملك بن فرج القرطبي)	٢١ ، ١٩ (٣) ٢٣٧
(٢) ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٢٣٧ ،	أمية بن يزيد (٣) ٤٦
٦٣٣ ، ٦٦٠ (٣) ١٦٩	ابن أمية الحجاري (٣) ١٦٩
أيوب (النبوي) (٣) ٤٤٤ ، ٥٩٨ (٦)	ابن الأنباري ، أبو بكر (٢) ١٥٠ (٣) ٧٢
٤٧٢	أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح (١) ١٢٥

أيوب بن حبيب اللخمي (١) ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٥٢٩	٢٩٨ (٣) ١٤٠
أبو أيوب الأنصاري (٣) ٩	
أبو أيوب الزاهد (٢) ٥١٣	أيوب بن سليمان السهيلي المرواني (٣) ٣٣٤

أبياء

ابن باب (٢) ٥٣٨	البارودي (٢) ٥٧
ابن باجة (أبو بكر بن الصائغ) (٣) ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٣٣٤ ، ٣٧٣ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤	البازي الأشهب (٤) ١٢٨
٤٦٧ (٤) ١٣ (٥) ١٣٨ (٦) ٣٠٩	الباعوني الدمشقي (إبراهيم بن أحمد) برهان الدين (٦) ٢٦ ، ٢٧ ، ١٤٥ ، ١٩٢
٣٤ (٧) ٧ ، ٨ ، ١٧ ، ٢٧ — ٣٠ ، ٣٤	ابن باق (عبد بن إبراهيم بن علي) أبو عبد الله (٦) ٢٦٣ ، ٢٦٥
الباجي (الثائر) (١) ٢١٦ ، ٢٤٨ ، ٥٥٦	ابن باقا (٢) ٥٣٦
(٢) ١٥٣ ، ٢٦٩ ، ٥٤٢ ، ٦٥٢ (٣) ٤٥٢ ، ٣٨٤ ، ٣٧٨ ، ٣١٥	الباقلاني ، أبو بكر بن الطيب (٢) ٧٠ ، ٥٠٩ (٥) ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧
الباجي ، أبو محمد (٢) ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤٦	٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٤٨٥
الباجي ، أبو الوليد ، انظر : أبو الوليد الباجي باديس بن حبوس الصنهاجي (صاحب غرناطة) (١) ٥٠ ، ١٩٦ ، ٤٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٩	الباكوري ، أبو عبد الله (١) ١٦٤
(٢) ٦٥٩ (٣) ٢٦٥ ، ٣٩٨ ، ٥٣٥ ، ٣٢٢ (٤) ٥٩٥	البتول ، انظر : فاطمة (بنت الرسول) (١) ١٦٤
ابن الباذش ، أبو جعفر (٢) ٣٠ (٥) ٢١	البتول ، انظر : مريم (العذراء) (١) ١٦٤
ابن البارزي (شرف الدين هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم الحموي) (٢) ١٨٩ ، ٢٣٢	بثينة (في شعر جميل) (٦) ١٢٧
	بثينة بنت المعتمد بن عباد (٤) ٢٨٤
	البحري (١) ٧٧ ، ١٠٥ ، ٥٠٣ (٢) ٣٩٥ ، ٤١٦ (٣) ١٣٤ ، ٣٠٧

البدر (صاحب التاريخ ، لعله : البدر)	٣٩٧ (٤) ٢٢٩
١٠١ (٣)	أبو بحر الأسدي (٢) ١٥٨ ، ٥٠٥ ، ٦٠٥
البديوية (زوجة الأمر الفاطمي) (٢) ٢٩٠	٦٣ (٣)
بديع الزمان (الهمداني) (٢) ٤٦١ ، ٥٠٠ ،	البخاري (١) ٢٩٣ (٢) ٢٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
٦٧٠ (٥) ٣٠٧ (٦) ١٥٨	٧١ ، ١٥٧ ، ٣٨١ ، ٤٢٩ ، ٤٧٨ ،
ابن البراء (٢) ٥١٤	٥١٨ ، ٥٦٠ ، ٥٧٤ ، ٥٧٦ ، ٦٠٥ ،
ابن البراء ، أبو القاسم بن علي (٥) ٣٩٥	٦٠٦ ، ٦٥٢ (٣) ٩ ، ١٠ ، ١٧٧ ،
ابن البراء ، أبو محمد بن سعد الله بن أبي القاسم	١٨٠ (٤) ١٤١ (٥) ٢١٦ ، ٢٢٤ ،
٣٩٥ (٥)	٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٤٦٤ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ،
البراذعي السرقسطي (٣) ١٨٠ (٥) ٢٧٦	٤٨٣ ، ٥١٣ (٦) ٩٧ (٧) ١١٦
البراض (الكتاني) (٥) ٣٦٧ (٦) ١٧٦	بختنصر (١) ١٣٥ (٢) ٥٢٢
ابن البراق (٣) ٥٠٦ (٤) ٢٨٨	بدر (مولى عبد الرحمن الداخل) (١)
ابن برال (٢) ٦٤٩ (٦) ١٧٢	٣٢٨ ، ٣٣٣ (٣) ٢٧ — ٣١ ، ٣٩ ،
ابن برجان ، أبو الحكم (٢) ١٥٥ (٦)	— ٤٤٩ ، ٥٠٠
٣٠٥	بدر بن عبد الله الحبشي (٢) ٥٠٥
البرجوني ، أبو عبد الله (٢) ٥٨٢	ابن بدر (أو : ابن برد) (٣) ٧٩
البرجي ، ابن عبد الحميد (٤) ١٠٩	بدر الدين البشتكي (٤) ٢٦٢ (٦) ٨٨
ابن برد الكاتب (أحمد) أبو حفص (١)	١٠٢ (٧)
٤٢٤ (٣) ١٩٧ ، ٢٩٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ،	بدر الدين بن حبيب الحلبي (١) ٦٨ (٢)
٦١٠ (٥) ٦٠١	٣٨٩ ، ٥١٧ ، ٦٦٩ (٧) ٥١٨
البرزالي (محمد بن يوسف) علم الدين أبو	بدر الدين خليل الناسخ (٧) ٣٧٦
القاسم (١) ٤٢٩ (٢) ٥٢٩ ، ٥٥٩ ،	بدر الدين محمد (بن أبي عبد الله بن مالك)
٥٩٦ (٧) ١١٠	(٢) ٢٢٥ ، ٢٣٣
البرشلوني (١) ٤٤٧	بدر الدين محمد بن سلطان البغدادي (٢)
برصيص (٥) ٤٠	٥٤٢
ابن برطال (أحمد بن محمد بن علي الأموي)	ابن بدرون (عبد الملك بن بدران) أبو مروان
أبو جعفر (٣) ٤٤٩ (٥) ٥١٤	(١) ١٨٥ ، ٥٢٩ (٤) ٣٥٣

ابن برطله (عبد الله بن موسى المرسى) أبو	بريان (١) ١٣٥
محمد (١) ٦٠٦ (٢) ٥١٤ ، ٦٥٠ ،	البرياني ، أبو عامر (٤) ١١٦
٦٥١ (٣) ٢٢٧ ، ٣٤٧ ، ٤٦٣ (٤)	بريرة (جارية عائشة) (٥) ٣٨٦
٣٠٩ (٥) ٥١	بسام بن شمعون اليهودي (٣) ٥٢٩
البرغواطى صالح ، انظر: ابن طريف	ابن بسام الشنتريني (١) ٣٦١ ، ٥٣١ (٢)
ابن برغوث (محمد بن عمر) أبو عبد الله	٦٨ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ٤٩٧ ، ٥١٠ ، ٦٦٥ ،
(٢) ٥١٠ (٣) ٣٧٦	(٣) ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٥٤ ،
ابن برغوث التلمساني ، أبو الحسن (٢) ٢٠٠	١٨٢ — ١٨٤ ، ١٩٣ ، ٢٠٣ ، ٢٤٤ ،
برقان (من الجن) (٥) ٤٣	٢٤٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ،
البرقي (٢) ٥٠ ، ٢١٨ ، ٢٣٦	٣٢٥ ، ٣٣٢ ، ٣٤٨ ، ٣٨٠ ، ٤٥٨ ،
بركات (غلام) (٢) ٦٠٧	٤٩٢ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ،
أبو البركات ابن الحاج البليقي (محمد بن	(٤) ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٣٧١ ، ٤٤٧ ،
محمد بن إبراهيم) (١) ٥١٦ (٢)	٤٤٩ (٦) ٢٢٠ (٧) ٢٦ ، ٣٣ ،
٢٠١ (٤) ١٥٣ (٥) ٢٠٩ ، ٢٥٩ ،	أبو البسام الكاتب (٢) ٦٣٩
٣٥٣ ، ٣٦٠ ، ٤٧١ — ٤٨٦ ، ٥٤٠ ،	البستي ، أبو الفتح (٤) ١٩٤ ، ٤٩٩
٦٠٤ (٦) ٢٦ ، ٣٨ ، ٨٨ ، ٢٢٦ ،	بسطام (بن قيس) (٥) ٤٢
٤٨٢ (٧) ١٤٧ ، ١٦٦ ، ٣٤٠ ،	بشار (الأديب الأندلسي) (٣) ٨٤
برمند بن أردون (١) ٣٣٧ ، ٤١٦	بشار بن برد (١) ٣١٢ (٣) ١٧٨
ابن برنجال (الحسن بن خلف بن يحيى) أبو	بشارة الزامر (١) ١٩٤
علي (٢) ٥٠٧ ، ٥٠٨	ابن بشتغير ، أبو خالد (١) ٦٦٦ (٧) ٣٠
برهان الدين الحنكري (٥) ٣٩٤	ابن بشتغير ، أبو عامر (٣) ٢٥٩
برهان الدين الحنفي (٥) ٣٩٤	بشر الحافي (٢) ١١٤ (٥) ٢٩٩
برهان الدين السفاقي (٥) ٣٩٤	بشر بن حبيب بن دحون الحبيبي (٢) ٥٠٤
ابن برون الأكشوني (الأكشوني) (٩) (٣)	(٣) ١٤٠
٥٩٩	بشر بن الحسن المعتزلي (٥) ٢٩٧ ، ٣٠٢
ابن بري (٢) ٢٢ ، ٣٨١ ، ٦٩٣	بشر بن صفوان الكلبي (١) ٢٣٥ (٣)
ابن بري ، أبو الحسن (٥) ٢٤٦	١٨ ، ٥٨

ابن بطوطة (١) ١٥٢ ، ١٧٥ (٧) ٣٣٧	ابن بشر (أحمد) (٢) ٦٢٧
البيع (٧) ١٦	ابن بشر ، أبو الحسن (٢) ٥٣
البغل (الفقيه) (٢) ٤٠٣ ، ٤٠٤	ابن بشكوال ، أبو القاسم (١) ١٥٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
البغوي (عبد الله بن محمد) (٣) ٧٣ (٥)	٢٤٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢١١ ، ٢٨٦ — ٢٨٨ ، ٣٩٥ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٥٢٥ ، ٥٤٦ ، ٥٥١ ، ٥٥٥ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٦٠٥ (٢) ١٢ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٦٣ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٣٨ ، ٥١٥ ، ٦٠٤ ، ٦٤٤ (٣) ٦ — ١١ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٣٩ ، ١٨١ ، ٢٢٦ (٤) ٢٠٧ ، ٣٣٤ (٥) ٦٢
٢٣٩	بشير (٥) ٢٥٧
البغيل ، أبو جعفر (٤) ١٥٤	ابن بشير (صاحب التهذيب) (٥) ٢٢١
أبو البقاء (لغوي) (٢) ٥٠	٩٧ (٦)
أبو البقاء المصري (٢) ٢٣٠	ابن بشير الأنصاري (أحمد) أبو جعفر (٢) ٥٥٠
البقاعي ، برهان الدين (٢) ١٨٩ ، ٦٩٦	ابن بصال (٣) ١٥١
بقي بن مخلد ، أبو عبد الرحمن (٢) ٨ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٥١٨ — ٥٢٠ ، ٥٧٥ (٣)	البطل ، أبو عبد الله (٢) ٢٩٠
١٦٨ ، ١٧٧	ابن بطل البطلوسي ، انظر : المتلمس البطلوسي
ابن بقي ، يحيى أبو بكر (١) ٤٧١ ، ٥٨٤	ابن بطلان (الصنهاجي) (٥) ٤٤ (٦) ٤٨٤
(٣) ٢٠٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٤٠٤	بطرس (راهب) (٢) ٤١١
٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٨ (٤) ١٣ ، ١٥٥	البطرني (٦) ٣٩
١٨٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ (٧) ٦ ، ٧	بطليموس (١) ٣٣٥ (٣) ١٢٧
ابن بقي ، أبو القاسم (٢) ٦٤ ، ٥٦١ (٣)	
٢٢٨ (٥) ٦٨ ، ٢٠٠	
ابن بقية (١) ٣٥٩ ، ٣٦٠	
بكار المرواني (٣) ٣٣٤	
بكر الكتاني (٣) ٢٢٥	
بكر بن حماد التاهرتي (٢) ٤٨ ، ٤٩	
١٤٢ ، ١٥٢	
بكر بن سودة بن ثمامة ، أبو ثمامة (٣) ٥٦	
بكر بن عيسى (الشاعر) (٢) ٢٦٢	
أبو بكر (شيخ ابن رشيد) (٤) ٤٩٦	
أبو بكر (قاضي الجماعة) (٥) ٥١٣	

أبو بكر بن سليمان بن الناصر (١) ٤٢٧	أبو بكر (في شعر ابن سهل الإسرائيلي)
أبو بكر بن الطيب ، انظر : الباقلاني	(٣) ٥٢٣
أبو بكر بن عبد العزيز (الوزير) (١) ٦٤١ ،	أبو بكر الإشبيلي (٤) ٩٥ ، ٢٧١
٦٧٠ (٣) ٢٨٩ ، ٤٥٨ ، ٥٤٢ ، ٥٧٠	أبو بكر البصري (٢) ٢٣٩
(٤) ٥٤	أبو بكر البلنسي (٣) ٢٧٠
أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين (الشهير	أبو بكر الخزرجي (محمد بن أحمد بن حسن)
بيكّور) (٧) ٣٧	(٢) ٢١٢ ، ٣٧٩
أبو بكر بن عمر الأندلي (٤) ١٣٣	أبو بكر الخشني (أخو إسماعيل) (٤) ١١٣
أبو بكر بن محمد بن علي بن ياسر الجياني (٢)	أبو بكر الدلائي (الحاج الصالح) (٢) ٤٧٢
٦٢٨ ، ٦٢٩	أبو بكر الشافعي (٢) ٦٢٨ ، ٦٢٩
أبو بكر بن يوسف (٣) ٤٦٢	أبو بكر الصائغ (الفقيه) (٢) ٦٨
أبو بكر بن يوسف اللخمي (٤) ١٦	أبو بكر الصحراوي ، انظر : ابن تيفلوت
أبو بكر عبد المعطي (الأديب) (٤) ٢٣٤	أبو بكر الصديق (١) ٤٨ (٢) ٢٠٧ (٤)
أبو بكرة (٣) ١٦٤	١٠٥ (٥) ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ٢٥٦ ،
بكير الحداد (٢) ١٠٥	٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٢١ ،
ابن بكير (٢) ٦٠٤	٣٩٩ ، ٤١٥ (٦) ٣٨٠ ، ٤٩٨ (٧)
بلال (المؤذن) (٥) ١٦٥ (٧) ٣٥٩	٣٢٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٤٥١ ، ٤٦٤
بلال بن جرير (٣) ٣٤٢	أبو بكر العمري (ابن منصور بن بركات)
بلال بن عبد الله الحبشي (خادم الشيخ أبي	(٢) ٤٤٦
مدين) (٥) ٢٤٢ ، ٢٦٠	أبو بكر الفساني (محمد بن إبراهيم بن أحمد
بلال بن فروة (٥) ٢٩٣	ابن أسود) (٢) ٥١ (٧) ٤٦
بلال بن مدافع بن بلال الفزاري (٣) ٢٥٥	أبو بكر المرواني (٣) ٣٣٠ ، ٦١٠
ابن بلال ، أبو محمد (٤) ١٧	أبو بكر بن إبراهيم بن تيفلوت ، انظر :
أبو بلال (الوزير) (٣) ٥٠٥	ابن تيفلوت
بلاي (الملج) (٣) ١٧ (٤) ٣٥١ ، ٣٥٠	أبو بكر بن أيوب (٢) ٦٤٨
بلج بن بشر القشيري (١) ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،	أبو بكر بن باجة ، انظر : ابن باجة ، أبو بكر
٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٢٥ (٣) ١٩ - ٢٢ ،	أبو بكر بن خلف (٢) ١٦٢

٢٦ (٥) ١١

بلعام (٥) ٢٧١ ، ٣٣٧

البلمعي ، أبو الفضل (٢) ٥٧٦

البليقي ، انظر : أبو البركات ابن الحاج
البليقي

بلقيس (٢) ٣٩٥ (٦) ١٣٢ ، ٢١٠

البليقي ، جمال الدين بن سراج الدين (٢) ٦٩٨

البليقي ، سراج الدين (٢) ٦٩٨ (٥) ٤٢٨

البلنسي (ابن عبد الرحمن الداخل) (٣)

٣٤٢

البلوطي ، أبو الحسن (٥) ٨ ، ١٢

ابن البناء (٢) ٥٦٠

ابن البناء (محمد بن أحمد) ، أبو بكر (٣)

٣١٠ ، ٤٣١

ابن البناء ، أبو العباس (٥) ٢٤٤ ، ٢٤٨ ،

٢٤٩ ، ٢٦٧

ابن بنت الأعز (٢) ٥٧٨

ابن بنت الشاذلي (٥) ٣٩٤

ابن بندار (٢) ٢٨

بنفسج العامرية (١) ٥٣١

ابن النبي ، أبو جعفر (٣) ٤٨٧ (٤) ٢١ ،

٢٢٨ ، ٤٥٦

أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان (زوج

الوليد بن عبد الملك) (١) ٢٧٩ ،

٢٨٥ (٣) ٨

بهاء الدين (شيخ أبي حيان) (٢) ٥٤١

بهاء الدين بن فخر الدين عيسى الإربلي صاحب

٣٤٩ (٣)

بهاء الدين زهير (٢) ٢٧٢

بهاء الدين موسى بن سلامة (٥) ٣٩٣

ابن بهاء الدين التمامي (٥) ٤٢٩

بهار العامرية (١) ٥٣١ (٤) ٦٦

بهجة (وصيفة) (٤) ٤٥١

بهلول بن فتح (الافليشي) (٢) ٥٠٤

البواني ، أبو إسحاق (٢) ٥٠٤

بوران بنت الحسن (٥) ٤٤

بوران (زوج المأمون) (١) ٤٤٠

البورقي (الفتي) (١) ٤١٠

البوريني حسن (٢) ٤٣٧

البوني (صاحب المنتخب) (٥) ١٩٩

البوني (البونتي) (٢) ٦٤٢

البياسي المؤرخ (يوسف بن محمد) أبو الحجاج

(٣) ١٨١ ، ٣١٦ ، ٣٩٠ (٧) ٣٤

البياسي ، أبو محمد (الثائر) (٤) ٤٦١

البياني ، أبو عبد الله (٥) ٥٤٠ (٦) ١٤٨

بيبرس ، انظر : ركن الدين بيبرس

ابن بيش العبدري (محمد بن محمد بن محمد)

أبو عبد الله (٢) ٥٩٩ (٥) ٣٨٤ ،

٥٤٠ ، ٦٠٤ (٦) ٢٤٤ (٧) ١٤٧ ، ١٦٦

ابن البيطار (عبد الله بن أحمد) ضياء الدين

أبو محمد المالقي (٢) ٦٩١ ، ٦٩٢ (٣)

١٨٥ ، ٣٧٧ (٤) ٣٠٨

البيع ، أبو الرشيد بن خالد (٣) ٦٨

اليهقي (١) ١٣٧ (٢) ٦٠٤

التاء

التجاني ، أبو الحسن (٢) ٥٣٦	تاج الدين الأزموي (٥) ٢٣٢
التجاني ، الشهاب بن كحيل (٥) ٤٢٨	تاج الدين الأشعري (٥) ٣٩٤
التجاني (محمد بن أحمد) أبو عبد الله (٤)	تاج الدين التبريزي الأصم (٥) ٢٥٣ ، ٣٩٤
١٢٠ ، ١٢١ (٥) ١٨٢	تاج الدين ابن حمويه ، انظر : السرخسي
ابن تجملات ، أبو عبد الله (٥) ٢٤٨	التادلي (أبو الحجاج يوسف) (٧) ١٣٦ ،
التجبي (صاحب معجم المشيخة) أبو القاسم	١٤٠ ، ١٤٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
(٢) ٥٠٥ ، ٥١٠ ، ٦٥٢	ابن تاسكورت ، أبو البقاء (٦) ١٤
تحتون (١) ٥٣٤	تاشفين بن علي بن يوسف (٥) ١٨٣
أبو تراب جندل (٢) ٥٩٨	أبو تاشفين (عبد الرحمن بن أبي حمو)
الترجالي ، أبو عبد الله (٥) ٢٤٦	الزياني (٥) ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ،
الترمذي (٢) ١٥٧ ، ٥٩٩ ، ٦٠٤ ، ٦٦٥	٢٣٤ (٦) ٤٧ ، ٥١٢
(٣) ١٣٨ ، ١٨٠ (٥) ٢٠٧ ، ٢٣٣ ،	تافراجين ، أبو العباس (٦) ٣٣٤
٤٢٤ (٦) ٩٧	ابن تافراجين ، عبد الله أبو محمد (٥) ٩٤ ،
التستري ، أبو علي (٢) ٨٨ ، ٦٢٦	٤١٤ (٦) ٣٣٣
التسولي (٥) ٢٦٢	التاكرني ، أبو القاسم (٦) ١٤٤
التطيلي ، الأعمى ، انظر : الأعمى التطيلي	ابن التاكرني ، أبو عامر (٦) ١٣٢
الفتازاني ، سعد الدين (٥) ٤٢٢	التاملي (محمد بن يوسف) (٢) ٤٧٠ ،
تقية بنت غيث الأرمنازي (٢) ٦٠٣	٤٧٥
تقي الدين الأشموني (٥) ٣٩٤	تبّع (٤) ٤٢ (٦) ٤١٩
تقي الدين الثعلبي (٥) ٣٩٤	التبّع حسّان (٧) ٤٣
تقي الدين السعدي (٥) ٣٩٤	التبريزي (٢) ٢٨
تقي الدين بن دقيق العيد ، انظر : ابن دقيق	التجاني (٤) ١٤٨ ، ١٧٨
العيد	التجاني ، أبو جعفر (٢) ١١٠ ، ١١١

التنسي ، أبو عبد الله (١) ٦٨١ (٢) ٤٣٢ ،	تكفات (١) ٣٣٣
٤٣٨ ، ٥٧٤ (٣) ١١٣ (٤) ٣٠٥ ،	التلالسي ، أبو جمعة ابن علي (٥) ٢٤٣
٣٢٠ (٥) ٤٢٦ ، ٤٢٨ (٦) ١٩٥ ،	التلالسي ، أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة
٢٠١ ، ٥١٣ ، ٥١٤	(٧) ١٢٩
التنوشي (٢) ٢١٩ ، ٤٢٩ ، ٥٠٨	التلعفري ، الشهاب (٢) ٢٧٣ ، ٢٩٤ ،
التهمي (٤) ٢٠٠	٢٩٥
تود (ملكة المجوس) (٢) ٢٥٧ ، ٢٥٨	تليد (الفتى) (١) ٣٨٥ ، ٣٩٤
التوزري (محمد بن عبد الرحمن) أبو	تمام (الفتى) (١) ٣٦٦
عبد الله (٢) ٥٣٤ (٥) ٢٥٣ ، ٣٩٢	تمام بن علقمة (٣) ٣١ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠
توفلس (١) ٣٤٦	تمام ، بن غالب ، أبو غالب ، انظر : ابن
توما الحكيم (٢) ٥٦٤	التياني
توماس (راهب) (٢) ٤١١	تمام بن محمد (٢) ٥٠٧٠
التياري ، أبو عامر (٢) ١١٠	أبو تمام (الطائي) (٢) ٩٦ ، ٢٧٥ ، ٣٩٥ ،
ابن التياني (تمام بن غالب) أبو غالب (٣)	٤١٦ ، ٤٥٣ ، ٦٧٠ ، ٦٧٥ (٣) ١٣٤ ،
١٣٥ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٩٠	١٣٥ ، ٣٠٧ ، ٣٣٤ ، ٣٨٥ ،
التيفاشي ، أبو الفضل (١) ١٥٥	٣٩٢ ، ٣٩٣ (٤) ١١٢ ، ٢١٠ ، ٣٠٥
ابن تيفلويت ، أبو بكر (١) ٦٨٢ (٧)	(٥) ٩٧ (٦) ١٠٣ ، ١٥٨ ، ٢٠١
٧ ، ٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،	(٧) ٢٨٤
٢٨	تميم الداري (١) ٢٧١ ، ٢٨٦
تيمورلنك (٢) ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ (٦)	تميم بن محمد التميمي (٣) ١٢
١٩٢	تميم بن المعز (١) ١٠٠ ، ٣٤٣
ابن تيمية (الفقيه) (٢) ٥٤٢ ، ٥٧٨ (٥)	أبو تميم (٥٠) ٢٤١
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٥٤ ، ٢٨١	التنسي ، أبو إسحاق (٥) ٣٧٠

الثناء

الثعالبي ، عبيد (٧) ٢٧٩	ثابت (المحدث الأندلسي) (١) ٦٥ (٢)
الثعالبي ، أبو منصور (٢) ٤٩٩ ، ٥٠١	٦٢٨ ، ٤٩
(٣) ١٩٥	ثابت بن أحمد بن عبد الولي الشاطبي ، أبو
ثعلب (اللفوي) (٢) ٤٨ ، ٢٠٨ ، ٥٣٨	الحسن (٢) ٥٠٤
(٣) ١٣٤	ثابت بن بندار (٢) ١٥٤
ثعلبة بن سلامة الجذامي العاملي (١) ٢٣٧ ،	ثابت بن خيار الكلاعي ، أبو المظفر ، انظر :
٢٩٩ (٣) ٢٢	ابن الطيلسان
ثعلبة بن عبيد بن النظام الجذامي (٣) ٤٥	ثابت بن قاسم (١) ٣٩٥
أبو ثعلبة الحشني (٢) ٣٨ ، ٢٣٦	ثابت بن قرة (٦) ٣٠٩
ثمامة بن الأشرس (٥) ٢٩٠	أبو ثابت بن عبد الرحمن أخو صاحب تلمسان
الثماني (٢) ٥٣٨	(٥) ٤١٣ (٦) ٣٨٤
أبو الثناء الحراني (٢) ٣٨١ ، ٥٠٥	أبو ثروان (هبة القيسي) (٤) ٥٣٧
ثوابة بن سلامة الجذامي (١) ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،	الثريا (في شعر عمر) (٦) ١٢٧
٢٩٦ ، ٢٩٩ (٣) ٢٤ ، ٢٥	ثريا (حظية السلطان أبي الحسن النصري)
ثوابة بن يزيد الجذامي (٣) ٢٣ ، ٢٤	(٤) ٥١٤
ثور بن عفير بن عدي (ابن الحارث) (١) ٢٩٦	الثعالبي (المفسر) (٢) ٦٦٥
أبو ثور الفهمي (الصحابي) (٣) ٥٦	الثعالبي (عبد الرحمن أبو زيد) (٥)
أبو ثور (الفقيه) (٥) ١٢٧ ، ٢٩٠	٢٧٩ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨

الجيب

١٧٨ (٤) ٩٤	جابر بن أحمد بن عبد الله القرشي ، أبو
ابن جاح البطليوسي ، الصباغ (٣) ٤٥٢ ،	الحسن (٢) ٥٠٦ (٤) ٤٦٨
٦٠٨ (٤) ٢٤٣ ، ٢٤٤	جابر بن حيان (٦) ١٩٩
الجاديري (٥) ٣٤٩	جابر بن خلف الفحصي (٣) ٥٣٣
ابن جارة (٢) ١٥٥	جابر بن عبد الغفار ، أبو محمد (٥) ٣٩٥
الجارية العجفاء (٣) ١٤١ ، ١٤٢	جابر بن عبد الله (٢) ٤٣١ ، ٥٣١ (٦)
ابن جالوت ، أبو الحسن (٢) ٥٦٦ ، ٥٦٧	١٦٧
جاليتوس (٢) ٢٤٨ (٦) ٢٠٠	جابر بن العلاء بن شهاب (٣) ٥٢
ابن جامع ، أبو سعيد (٣) ٢٢٣	جابر بن لييد (٤) ١٦٧ ، ١٦٨
ابن جامع ، أبو العلاء (٣) ٤٣١	ابن جابر الإشبيلي (٢) ١٥٠ (٣) ٧٢
الخاموس الفقيه (٢) ٤٠٣ ، ٤٠٤	ابن جابر ، أبو جعفر (أخو ابن جابر الضرير) .
ابن جانة (٧) ٣٠٣	(٥) ٦٠٤ .
الجبان ، انظر : عبد الوهاب بن عبد الله الجبان	ابن جابر الوادي آشي (محمد بن محمد
الجبرتي (عبد الوهاب) أبو محمد (٥)	المواري) شمس الدين ، أبو عبد الله
٢٥٣	الضرير (١) ٣٨ (٢) ٣٨٧ ، ٥٣٧ ،
ابن جبير (مالك) أبو بكر (٤) ٣٤٨	٦٦٤ ، ٦٦٦ ، ٦٦٨ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ،
ابن جبير الأندلسي ، أبو جعفر (٥) ١٥٧	٦٧٩ ، ٦٨١ ، ٦٨٤ (٤) ١٦٦ ، ٣٢٠ ،
ابن جبير ، أبو الحسين ، الفقيه (١) ٢٩١	٣٢١ (٥) ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٣٩٤ ، ٤٧١ ،
(٢) ١١٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ،	٥١١ ، ٥١٣ ، ٦٠٤ (٦) ١٧٢ ، ٢١٣ ،
٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٤٨٥ ، ٤٦٨ ، ٤٨٧ ،	٢١٦ ، ٣٥٦ (٧) ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ (٣) ٢٩٥ (٤)	٣٠٥ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ ،
١٣٨	٣٣٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٦٧ ، ٣٧١
ابن جبير الليصبي (محمد) أبو عبد الله	الملاحظ (١) ٦٢١ (٢) ٦٧٤ (٣) ١٣٤ ،

الخرجاني ، أبو الفتوح (٢) ٦٤٧	(٤) ٣٠٤ ، ٣٤٨
الخرجاني ، أبو محمد (٢) ٨٨	ابن جحاف ، أبو أحمد (٤) ٢٢ ، ٤٥٥
جرجير (١) ١٤٧	ابن جحاف البلسني ، أبو عبد الرحمن (٤)
الجرمي ، أبو عمر (٢) ٥٦١	٣٠٩
جروول ، انظر : الخطيئة	ابن جحاف ، المعافري البلسني ، أبو محمد ،
جريير (٢) ٤٩٩ (٣) ١٧٧ (٤) ٤١ ،	انظر : أحمد بن جعفر بن عبد الله بن
١٤٣ (٦) ٢٤٩	جحاف
الجريري ، أبو محمد (٥) ٢٤١ ، ٢٦٨ ،	ابن جحدر الإشبيلي ، أبو الحسن (٢) ٦٤٤
٢٨٧	(٧) ١٥ ، ١٦
الجزار (يحيى بن عبد العظيم) أبو الحسين	ابن جحش (٥) ٥١٩
الشاعر المصري (٢) ٢٦٩ ، ٢٧١ ،	ابن الجحد ، الحافظ ، أبو بكر (٢) ٥٧ ،
٣٦٨ ، ٣٧٧ ، ٥٥١	١٦٤ ، ٣٦٦ ، ٥٩٧ ، ٦٠٣ (٣) ١٩٢ ،
ابن الجزار السرقسطي ، أبو بكر (٣) ٤٦٤ ،	٢١١
٥٩٨ ، ٦٠٩	ابن الجحد ، أبو عامر (٣) ٤٤٤ (٤) ٧٠
ابن الجزري (٢) ٦٩٥	ابن الجحد (قاسم بن محمد) الفهري المري
جزري بن عبد العزيز (٣) ٤٨ ، ٥٥	(٦) ٢٦١
ابن جزري (١) ١٥٢ ، ١٧٧ (٢) ٦٩٣	جدار بن عمرو المذحجي (٣) ٣٢ ، ٤٦
(٤) ٣٠٣ (٦) ٣٣ ، ٣٤ (٧) ١١٨	جذيمة (١) ١٨٣ ، ٦٧٦
ابن جزري الكلبي ، أبو بكر (٢) ٥١٤	الجرأوي (أحمد بن عبد السلام الغفجومي)
(٥) ٥١٧ ، ٥٢٥ ، ٥٤٠ (٧) ٢٨٢	أبو العباس (٢) ٥٠٢ (٣) ٢٠٩ ،
ابن جزري ، أبو جعفر (٥) ٤٥٠	٢٣٨ (٤) ٨٧
ابن جزري ، أبو القاسم (٥) ٧٥ ، ٥١٤ ،	ابن جرج الذهبي ، انظر : الذهبي الفيلسوف
٥١٧ ، ٥٢٦ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٦٠٤	أبو جعفر
(٧) ٢٨٢	الخرجاني (٢) ٦٣٢
ابن جزري (محمد) أبو عبد الله (١) ١٥٠	الخرجاني (علي بن عبد العزيز) القاضي
(٢) ١٧٠ ، ٦٦٦ (٥) ١٩١ ، ٣٤١ ،	(١) ٢٣
٤٤٧ ، ٥١٧ ، ٥٢٦ ، ٥٣٠ ، ٥٣٨ ،	الخرجاني ، أبو العباس (٢) ٩١

جمال الدين إبراهيم بن محمود الحلبي (٧)	٥٤ ، ٥٩ ، ١٧٣ ، ٢٣٠ (٤) ١٨٦
١١٥	٣٧٩ ، ٢٠٣ (٦)
جمال الدين أبو الحسين الجزار المصري ،	أبو جعفر النحوي (٢) ١٤١ ، ٥٠٦
انظر : الجزار أبو الحسين المصري الشاعر	الجمعي ، انظر : المتنبي
جمال الدين محمد الخزرجي السعدي العبادي	ابن جعوان (شمس الدين) (٢) ٢٢٥
٣٩٢ (٥)	جعونة بن الصمة الكلابي ، انظر : أبو الأجر
جمال الدين محمد بن أحمد البكري الشريشي	الكلابي
أبو بكر (٢) ٦٢٧	ابن الجلاب (محمد) الفهري ، أبو عبد الله
جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن	(٣) ٦٠٠ (٤) ١٧٢ ، ٣٣٥ (٥)
ذي النون (٢) ٤٤ ، ٤٥	٥٤٤
جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة ، انظر :	جلال الدين الخطيب (٧) ٨٦ ، ٨٧
ابن نباتة	جلال الدين السيوطي ، انظر : السيوطي
جماهر بن عبد الرحمن ، الطليطي ، أبو بكر	ابن جلجل (٣) ١٧٥
(٢) ٦١ (٣) ٦٣	ابن جلدك (جمال الدين بن يغمور) (٢)
جميل بن معمر (٢) ٦٢١ (٧) ٢٤٥ ،	١١٢
٣٧٥	إجليلي (عبد المنعم بن عمر) الحكيم الغساني
الحنان ، الشيخ أبو جعفر (٦) ٤٤ ، ٤٥	(٢) ٦١٤ ، ٦٣٥ (٤) ٣٢٩
ابن الحنان (محمد بن محمد بن أحمد)	إجليلي ، أبو عبد الله (٦) ١٤٤ ، ١٤٥
الأنصاري ، أبو عبد الله (٧) ٤٠٦ ،	ابن جماعة (٢) ٥٥٩ ، ٢٢٥ ، ٥٤٢ (٥)
٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٢٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ،	٢٧٠
٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٨٠ ،	ابن جماعة (عز الدولة) الكناني (٢) ٥٦٧ ،
٥٠٦ ، ٥٠١	٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ ، ٦٥٧ ، ٦٦١
ابن الحنان (محمد بن المشرف أبي عمرو بن	(٤) ٣٣٦ (٥) ٢١٥ ، ٢٣٩ ، ٣٩٤
الكاتب) الشاطبي ، أبو الوليد (٢)	ابن جماعة ، عمر بن عبد العزيز (٢) ٥٦٩
١٢٠ (٣) ٣٥٣	ابن جمال الخلافة (١) ٦٧٣
جنكزخان (٢) ٥٢٢	جمال الدين (متولي الجيزة) (٤) ٤٠٣
ابن جني (٥) ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١	جمال الدين المالكي (٢) ٦٢٧

الجنيد (محمد بن محمد بن محمد) الصوفي	أبو الفتوح (٥) ٢٣٣ ، ٢٤١ ، ٢٦٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٣٧ (٦) ١٧٤ (٧) ١٣٩
أبو جهل (٤) ٤٩١ (٧) ٣٦٥ ، ٣٦٦	ابن الجهم (عالم القرآن) (٢) ٤٨
ابن الجهم (علي) الشاعر (٣) ١٣٤ (٤) ١٩٠ ، ٢١٠ (٦) ٢٤٢	أبو جهم العدوي (١) ٥٥٤ (٧) ٤١٨
جهور بن خلف بن قاسم المعافري ، أبو الحسن (٢) ٥٠٦	جهور بن يوسف بن بخت (٣) ٥١
ابن جهور (٢) ٦٠٣	ابن جهور عبد الملك ، (وزير الناصر المرواني) (١) ٣٠٦ ، ٣٨١ ، ٣٩٧ ، ٤٢٢ (٣) ٦١٨ ، ٦١٧
ابن جهور (جهور بن محمد) أبو الخزم (١) ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٤٣٨ ، ٤٨٣ ، ٤٩٠ ، ٥٢٥ ، ٦٣٠ ، ٦٣١	ابن جهور ، أبو الوليد (١) ٣٠٣
ابن جهير ، أبو منصور (٢) ٣٩	ابن جهير ، الفتي (١) ٣٩٦ (٣) ٨٦
الجوزقي (٢) ٤٢٩	الجوزي (٥) ٣٠٤
الجوزي (جمال الدين بن جلال الدين) (٧) ٤٧٠	الجوزي ، أبو العباس ، الشيخ (٢) ٥٤
ابن الجوزي ، أبو الفرج (١) ٣١٤ (٢) ٦٥ ، ١٠٤ ، ١٦٢ ، ٦٠١ ، ٦٣٢ (٣) ٦٥ (٥) ١٦١ ، ١٦٥ (٦) ١٦٨ ، ٤٣٠	جوهرة (جارية المعتمد بن عباد) (٤) ٩٣
الجوهري (صاحب الصحاح) (٢) ٣٣ ، ٦٤٥ (٥) ٢٥٠ ، ٢٩٩ (٦) ٤٦٤ ، ٥٠٦	الجوهري ، أبو الفضل (٢) ٤٠ ، ٤٢
الجويي ، أبو المعالي (الإمام) (٣) ٦٧ ، ٣٥٣ (٥) ٢٤١ ، ٢٦٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٣٤٢	ابن الجياب ، أبو الحسن (٤) ٣٢٦ (٥) ٢٢ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٩٨ ، ١٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٨٦ ، ٤٩٩ ، ٥٤٠ ، ٦٠٤ (٦) ٦٠ ، ١٢٤ ، ١٦١ ، ٢٦٠ ، ٥٠٣ (٧) ١٠١ ، ٢٨٩ ، ٣٣٩
ابن الجياب ، أبو عبد الله (٥) ٢٥١	ابن الجياب بن علي ، أبو القاسم (٥) ٤٣٨ ، ٤٣٩
الجيار ، أبو الحسين (٥) ٢٥٣	ابن الجيار ، أبو العباس (٣) ٦٩
أبو الجيوش (أمير المسلمين النصري) (٥) ٤٩٩	

الحاء

١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ،	الحائك الأمي (١) ١٨
١١٧ ، ١١٨	حاتم الطائي (١) ١٨٣ ، ٢٢٣ (٢) ٩٦ ،
ابن الحاج ، أبو إسحاق (جد أبي البركات)	٢٧٤ ، ٤٠٣ (٣) ١٨٨ (٤) ١٩٥
(٥) ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧	(٥) ٣٥ ، ٥٠ ، ٣٥٤ (٦) ١٠٣ ،
ابن الحاج ، أبو عبد الله (٢) ١٥٨	١٩٩ ، ٤١٨ (٧) ٣٤ ، ١٨٥
ابن الحاج (ابن عبد الله الأندلسي) أبو عمرو	حاتم بن شمر بن ذي الجوشن (٣) ٥٣
(٧) ١٠٥	حاتم بن عبد الله البزار (٢) ١٣٥
ابن الحاج (ابن أحمد الهواري) أبو محمد	حاتم بن محمد ، أبو القاسم (٣) ١٣٥
(٢) ٧٢	ابن حاتم ، أبو القاسم (٤) ٣٠٣
ابن الحاج ، أبو يحيى (٧) ٣٠	أبو حاتم (٤) ١٤٤
ابن الحاج ، أبو عمرو (٢) ٢٣ ، ٨٨ ،	أبو حاتم السجستاني (سهل بن محمد بن عثمان)
٢٢٥ ، ٥٤١ ، ٦٢٦ ، ٦٦٥ ، ٦٩٢ ،	(٢) ٤٦ ، ٢٣٦ (٤) ٧
٦٩٤ (٥) ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٤١ ،	أبو حاتم العزفي (٥) ٣٧٤
٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ،	الحاتمي ، انظر : ابن عربي
٤٢٧ ، ٤٣٠ (٧) ٩٨	ابن الحاج (صاحب قرطبة) (٣) ٢٨٧ ، ٤٥٩
الحارث المحاسبي (٢) ١٩٤	ابن الحاج (النحوي) (٤) ١٤٨
الحارث بن أبي أسامة (٢) ٤٧	ابن الحاج الإشبيلي ، أبو العباس (٣) ٦٢
الحارث بن أبي شمر الغساني (٣) ٤٥	ابن الحاج البكري الغرناطي ، أبو عبد الله
الحارث بن أسد ، أبو بكر (٢) ٥٧٥	(٤) ٣٢٦
الحارث بن عباد (٤) ٢٢٢ ، ٢٤٥ ، ٥٤٤	ابن الحاج البلقيني ، انظر : أبو البركات ابن
الحارث بن عدي بن الحارث (١) ٢٩٥	الحاج البلقيني
الحارث بن مسكين (٢) ٥٠ ، ٢٢٠ ، ٢٣٩ ،	ابن الحاج ، الغرناطي النميري ، أبو إسحاق
٦٣٣	(٢) ٥٣٤ ، ٥٣٥ (٥) ٥٣١ (٧)

- الحارث بن مضاض (٣) ٥٤٨ (٤) ٤٩٧
الحارث بن هشام (٦) ١٨٠
الحارث بن يزيد (٣) ٥٨
حازم القرطاجي ، أبو الحسن (٢) ٢٠٨ ،
٣٢٢ ، ٥٥١ ، ٥٨٤ (٣) ٦٠٤ (٤)
١٤٨ (٥) ١٨٩ ، ١٩٨ ، ٤٨١ ، ٥١٩ ،
٥٢٣
الحازمي (١) ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨
ابن الحاسب (ابن الحسن) أبو الحسن (٤)
١٣٨
حاشد البغدادي (٣) ٩٧
الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله (٢) ١٤٢ ،
١٥٢ ، ١٥٣ ، ٢١٤ ، ٥٣١ (٣) ٦٢
الحاكم (محمد الحداي) أبو الفضل (٢)
٦٢٨
الحاكم بأمر الله ، العبيدي (٢) ٦٠٥ ،
٦٥٩
حاكم بن نوح (٦) ١١٨ ، ٤٤٥
حامد بن العباس ، أبو حاتم (٢) ٥٠٧
ابن حامد ، أبو محمد (٥) ٧٢ ، ٧٣
أبو حامد ابن شعيب (الحسين بن علي) (٣)
٤٢٢
ابن حامل (٥) ٣٩٢
الحباب الزهري (١) ٢٣٨ (٣) ٢٦ ،
٣٠ ، ٣٢
الحباك (عمر) أبو علي (٧) ١٤٢
الحبال ، مسند مصر (٢) ٩١
- حبان بن أبي جبلة القرشي ، أبو النصر (١)
٢٧٨ ، ٢٨٨ (٣) ٩ ، ٥٧
حبان بن سمح الصدائي (٣) ٥٦
ابن حبشية ، أبو عبد الله (٥) ٤٦٠ ، ٤٦١
حبلاص ، الشاعر الرندي (٤) ١٣٣
حبوس بن ماكسن الصنهاجي (١) ١٥٠
ابن حبوس ، انظر : باديس بن حبوس
حبيب العجمي (٥) ٢٤١ ، ٢٦٨ (٧) ١٣٩
حبيب بن أبي عبيدة ، الفهري (١) ٢٣٣
٢٥ (٣)
حبيب بن أوس ، انظر : أبو تمام الطائي
حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن
عبد الملك بن مروان (٣) ٥٥
حبيب بن الوليد المرواني الداخل ، انظر :
دحون
ابن حبيب ، انظر : بدر الدين بن حبيب
ابن حبيب القصري (٣) ١٨٦
ابن حبيب (إسماعيل) أبو الوليد (٣) ٤٢٧
الحبيبي ، انظر : بشر بن حبيب بن دحون
الحبيبي
ابن حبيش (٢) ٦٠١ ، ٦٠٥ (٣) ٥٨ ،
٩٩ ، ٢٢٧ (٤) ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٣٣٤ ،
٤٦٣
ابن حبيش ، أبو إسحاق (٢) ٦٠٠
ابن حبيش ، أبو بكر (٣) ٤٦١ ، ٤٦٦ ،
(٤) ١٦ ، ١٤١ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،
٣١٣

السلطان (١) ٤٥٢ (٥) ١٤ ، ٨٠ ،	ابن حبيش ، أبو القاسم (٤) ٢٨٦ ، ٤٧٥
٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ،	٦٢ (٥)
٣٩٠ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ (٧) ١٦٥	الحجاج (بن يوسف) (٢) ٥٥٧ (٣) ١٦
أبو الحجاج (يوسف بن عيسى) الأعمى ،	(٤) ٢٠٤ ، ٥٣٨ (٥) ٢٥٢ ، ٣٢٦
انظر : الأعمى الشتمري.	٩٤ (٦)
أبو الحجاج (يوسف بن موسى) الجذامي	ابن حجاج (الشاعر) (٤) ٥٤٣
المتشاقري ، انظر : المتشاقري	ابن حجاج ، أبو بكر الغافقي (٣) ٤٨٥
الحجار (محدث) (٥) ٢١٦	(٤) ١٢٥
الحجاري (عبد الله بن إبراهيم) أبو محمد	ابن حجاج ، أبو الوليد (٧) ٣٠
(١) ١٢٧ ، ١٥٣ ، ١٨٤ ، ١٩٧ ،	أبو الحجاج (يوسف بن عبد الله بن أيوب
١٩٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣ ،	الفهري) الأندلسي الداني (١) ٩٢
٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٣٣٢ ، ٣٩٩ ،	أبو الحجاج الثغري الفرناطي (٢) ٦٤٤
٤٣٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٧١ ،	أبو الحجاج ، الحافظ (٥) ٤٧٠
٤٨١ ، ٥٧٥ (٢) ٢٦ ، ٧٦ ، ٩٣ ،	أبو الحجاج (يوسف بن نصر) السلطان
١١٤ ، ٢٦٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ،	النصري (٤) ٣٠٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣٢ ،
٣٣٧ ، ٤٢٩ (٣) ٦ ، ١٢ ، ١٣ ،	٤٤٢ (٥) ٤١٣ ، ٤٣٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٦
١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٤٦ ، ٩٦ ،	(٦) ١٩ ، ٢٣٨ ، ٣٥٤ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ،
١٥٥ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٣٤٦ ،	٤٧٦ ، ٤٨٢ ، ٤٩٧ (٧) ١٠٧ ، ١٦٧ ،
٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٤٠٧ ، ٤٢١ ، ٥٢٢ ،	١٩٤ ، ٣٣٦
٥٣٢ ، ٥٧٠ (٤) ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٦ ،	أبو الحجاج بن الشيخ (٥) ٥١٥
١٢٣ ، ٢٦١ ، ٢٧٥ ، ٢٩٥ (٧) ٣٣ ،	أبو الحجاج (ابن الفتي بالله النصري) (٦)
٣٤	٢٧ (٧) ١٩٨
الحجاري (الشاعر) (٤) ٣١٤	أبو الحجاج (يوسف) الفهري (٤) ١٥٣
الحجاري ، أبو حاتم (٣) ٤١٧	أبو الحجاج (يوسف بن علي بن سعد)
الحجاري (عبد الملك بن غصن) أبو مروان	النصري الغالي الأحمر (٤) ٥١٢ ،
(٣) ٣٦٣ ، ٤٢٣	٥١٤
الحجام (غالب بن رباح) أبو تمام (٣)	أبو الحجاج (يوسف بن إسماعيل بن فرج)

٢٩٩ (٣) ١٤ ، ١٥ (٤) ٣٥٠	١٣٠ ، ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٦٠٦
الحرار ، الأستاذ (٢) ١٦٨ ، ١٨٢	ابن حجر ، انظر : امرؤ القيس
الحرالي (علي بن أحمد) الأندلسي أبو الحسن	ابن حجر العسقلاني ، الحافظ (١) ٥٤
(٢) ١٨٧ (٥) ٢٦٣ ، ٣١٧	(٢) ٦ ، ٥٥ ، ٤٢٦ ، ٤٤٠ ، ٥٧٥ ،
أم حرام بنت ملحان (٣) ١٦١	٦١٧ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ (٣) ١١ ، ١٧٩ ،
الحراني ، أبو عبد الله (٢) ٢٣٨	٤٥١ (٥) ١١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٩ ،
ابن حرب (٢) ٦٤٢	٥١٢ ، ٥١٣ (٧) ١٠٦ ، ٥٠٥
ابن حرزهم ، الحافظ أبو الحسن (٥) ٢٤١ ،	الحجري (عبيد الله) أبو محمد (٢) ١٣٦
٢٤٢ ، ٢٦٨ (٧) ١٣٧	ابن حجة الحموي (٧) ٤٨٩
الحرستاني ، أبو الفضل (٢) ٦٠٣	ابن الحداد (٥) ٤٨٦
الحرستاني ، أبو القاسم (٢) ١٧٥	ابن الحداد الخولاني ، أبو الحسن (٢) ٢٨
ابن الحرساني (٢) ٥٩٧	(٤) ١٥٣
حرقة بن النعمان بن المنذر (٣) ٢٥	ابن الحداد (محمد بن أحمد) الوادي آشي ،
حرملة بن عمران (٣) ٦١	أبو عبد الله الشاعر (٣) ٢٦٣ ، ٥٠٢
الحرمة مريم (زوجة عثمان بن يعقوب المريني)	(٤) ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ١٠١ ، ١١٥
(٤) ٤٠٢	(٧) ٢٦
أبو حريث (٥) ٢٤٣	ابن الحداد (محمد بن أحمد) الوادي آشي ،
الحريري ، أبو محمد (١) ٣١٢ (٢) ١١٦ ،	أبو عبد الله المؤرخ (٤) ٥٠٧ (٦) ٢٢
١٩٥ ، ٥٠٩ (٣) ٥٦٦ (٤) ٢٣ (٥)	(٧) ١٠٣
٦٩ (٧) ٢٨	ابن الحلاء (٢) ٢٣٣
حريز بن عكاشة (٣) ٣٥٨ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ،	ابن حنبل (عبد الله بن عبد الله) الفقيه أبو
٥٦٠ ، ٥٦١	محمد (٥) ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٣٨٢
أبو حريش (٥) ٣٠١	الحللي (٢) ٤٩٧
ابن حريق ، أبو الحسن (١) ١٨٠ (٢)	حذيفة بن الأحوص القيسي (١) ٢٣٥ ،
١١٦ (٣) ٣٧١ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤٦٤	٢٩٩ (٣) ١٨
(٤) ٥٦ ، ١١٢	حذيفة بن اليمان (٣) ١٦٤
ابن حزب الله ، أبو العباس (٥) ٢٥٢	الحر بن عبد الرحمن الثقفي (١) ٢٩٢ ،

حسن . أبو العلاء (٣) ١٤٥	ابن حزب الله ، أبو عبد الله (٥) ٦٠٤
حسن بن ثابت (٢) ٤٩٨ ، ٦٧١ (٣)	ابن حزم (عمرو بن ملحج) أبو الحكم
٣٩٥ (٥) ٣٧ ، ١١٦ (٦) ١٥٨ ،	(١) ٦٣٦ (٣) ٤٧٠ ، ٤٧١
٤٩٧ (٧) ٤٤٤	ابن حزم (أحمد بن سعيد) أبو عمر ، والد
حسن بن مالك بن أبي عبيدة (١) ٤٣٦	الفقيه (٢) ٨٣ (٤) ٣٣٩
(٣) ٥٤٧	ابن حزم ، الحافظ الظاهري ، أبو محمد (١)
حسن بن مالك الكلبي ، أبو عبيدة (٣) ٣٢	٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٣٢٧ ، ٣٤٢ ، ٣٨٥ ،
حسن بن المصيصي (٤) ٣٠٧	٣٩٤ ، ٤٨٩ (٢) ١٠ ، ٤٧ ، ٦٧ ،
ابن حسان ، أبو القاسم (٣) ٤٧٤ (٥)	٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ،
٥٠٦	٨٤ ، ٨٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٦٤ ، ٢٣٧ ،
حسافة بنت أبي المخشي التميمية (٤)	٣٧٥ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٩ ، ٥٩٧ ،
١٦٧ ، ١٦٨	٥٩٨ ، ٦٤٨ (٣) ٤٦ ، ٦٣ ، ٦٦ ،
ابن حسداي ، أبو الفضل (١) ٥٣٥ ، ٦٤٠	٦٧ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ،
(٣) ٢٦٧ ، ٢٩٣ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ (٤)	١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٣٨ ، ٣٦٢ ، ٤٧٧ ،
١٥٢	٥٥٥ ، ٥٨٨ ، ٥٩٩ (٤) ٤٨ ، ١١٨ ،
الحسن أبركان (٥) ٤٢٨	١٦٠ ، ٣٣٩ (٧) ٥٠
حسن الاسكندراني ، البناء (١) ٥٦٨	ابن حزم (عبد الوهاب بن أحمد) أبو المغيرة
الحسن البصري (١) ٦٥ (٢) ٤٣١ ،	(١) ٤٨٩ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦٢٠ (٢)
٦٩٩ (٣) ١٧٠ ، ٢٣٦ (٥) ١٦٣ ،	٧٩ ، ٨٠ (٣) ١٥٦
٢٤١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧ ، ٣٠٤	ابن حزم (محمد بن يحيى) ، أبو الوليد (٣)
(٦) ١٦٧	٤٣٥ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٥٥٣ (٧) ٤٥ ،
الحسن البغدادي ، أبو علي (٢) ١٤١	٤٦
الحسن الجبائي ، أبو علي (٢) ٥٨٠	ابن حزمون المرسي أبو الحسن (٣) ٤٦٥
الحسن الهوزني ، أبو القاسم (٢) ٢٨ ، ٩٤	(٧) ٩
الحسن بن إبراهيم بن محمد الحذامي المالقي ،	حسام بن ضرار الكلبي ، انظر أبو الخطار
أبو علي (٢) ٥٠٨	حسام
حسن بن إبراهيم ، العراف (٤) ٥٠٧	حسان ، صاحب اليمن ، انظر : تبع

الحسن بن أبي حفص ، خال أبي بكر ابن العربي
(٢) ٤٢

الحسن بن علي الحسيني ، أبو محمد (٢) ١٥٧

الحسن بن علي الواسطي عز الدين أبو محمد
(٥) ٣٩٢

الحسن بن أحمد الفارسي ، أبو علي (٣)
٩٧ ، ٩٨

الحسن بن علي بن أبي طالب (٣) ١٤٦ (٥)
٢٣٣ ، ٢٨٣ ، (٧) ٣٦٥

الحسن بن أحمد المسفيوي المراكشي ، أبو
محمد (٦) ٤٩

الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس (١)
٤٩٦ (٣) ٣٢٣

الحسن بن البرقعدي (٣) ٣٥٤

الحسن بن علي بن الحسن بن عمر ، الأنصاري
البطليوسي ، أبو علي (٢) ٥٠٩

الحسن بن بقي المالقي (٢) ٧٠

الحسن بن علي بن شعيب ، أبو علي (٣) ٤٢٢

الحسن بن جعفر القضاعي ، أبو علي (٢)
٥٠٧

حسن بن علي بن عمر الفكون ، انظر : ابن
الفكون القسطنطيني

حسن بن حبيب (٢) ٦٧٥

الحسن بن علي بن عيسى بن الحسن اللخمي
(٥) ٢٣٢

الحسن بن حرب الداني (٦) ٣٠٩

حسن بن القطان ، أبو محمد (٢) ٦٠١

الحسن بن خلف بن يحيى الأموي ، انظر :
ابن برنجال ، أبو علي

الحسن بن محمد القيسي (٢) ٦١

الحسن بن رشيق ، أبو محمد (٢) ١٠٥ ،
١٣٩ ، ٢١٣ ، ٥٠٧ ، ٥١٢

الحسن بن محمد بن الحسن الأنصاري ، أبو
علي ، انظر : ابن الرهيل

حسن بن زرياب (٣) ١٢٩

الحسن (الحسين) بن محمد بن الربيب
القروي ، انظر : ابن الربيب القروي

الحسن بن زفير ، الإربلي المتطبب بدر الدين
(٣) ٣٤٨

أبو علي

الحسن بن صباح ، أبو صادق (٢) ٢٢٢

حسن بن محمد بن عمار الكلاعي الميورقي
(٢) ٦٠

الحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن
عذرة ، المغربي (٧) ٤٥٩

الحسن بن محمد بن محمد البكري ، أبو علي
(٢) ٢١١ (٥) ٢٣٣

الحسن بن عبد الله العجمي ، مصلح الدين
(٥) ٣٩٣

الحسن بن مشاور ، ناصر الدين ، انظر :
ابن النقيب

الحسن بن علي البطليوسي ، أبو علي (٢) ٥٠٨

٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ،
٣٩١ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤٦١ ،
٤٦٨ ، ٤٦٩ (٦) ، ٧٣ ، ٨٥ ،
٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
٤٠٨ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٩٧ (٧) ، ١٠٩

أبو الحسن المكناسي (٢) ٥٧

أبو الحسن الهمداني (١) ٨٩

أبو الحسن بن أبي نصر. (٢) ١٧٥

أبو الحسن ابن سعيد ، انظر : ابن سعيد أبو
الحسن

أبو الحسن ابن سليمان ، الفقيه القاضي (٥)
٣٨٩ ، ٤٧١

أبو الحسن ابن عثمان (٥) ٢٢٤

حسون ولد ابن الحاج ، صاحب قرطبة (٣)
٢٨٧ ، ٤٥٩

ابن حسون ، أبو علي (٣) ٣٩٠

أبو حسون (علي بن محمد الشيخ بن يحيى)
الوطاسي (٤) ٥٣٣

الحسين بن أحمد بن الحسين التجيبي القرطبي
(٢) ٥١٠

الحسين بن أحمد بن علي بن فطيمة ، أبو
عبد الله (٢) ٥٠٧

حسين بن الحسين ، أبو علي (٥) ٢١٦ ،
٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٥٠

حسين بن صالح بن أبي دلامة ، انظر : ابن
أبي دلامة ، أبو علي

الحسين بن الضحاك (٤) ١٥

حسن بن المعتلي يحيى الحمودي ، المستنصر
(١) ٤٣٢

الحسن بن هانيء ، انظر : أبو نواس

حسن بن يحيى الحسيني ، أبو علي (٥) ٣٩٥
حسن بن يوسف ، أبو علي (٥) ٦٠٤

حسن بن يوسف بن يحيى ، الحسيني السبتي
(٥) ٢٣٢ ، ٢٣٤ (٧) ٣٣٩

أبو الحسن ، صاحب المقرئ الجلد (٥) ٢٦١
أبو الحسن الأخفش ، انظر : الأخفش

أبو الحسن الباهلي (٥) ٣٠٢

أبو الحسن البجائي (٢) ١٨٠

أبو الحسن البرقي (٧) ٥٥

أبو الحسن التلمساني المسن (٥) ٦٠٤

أبو الحسن التميمي (٥) ٣٩٤

أبو الحسن الخزاعي (٢) ١٠٥

أبو الحسن الحلبي ، القاضي (٢) ٢٨ ، ٩١

أبو الحسن الصنهاجي (٧) ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،
٢٧٢

أبو الحسن اللخمي (٥) ٢٧٦

أبو الحسن اللورقي (٣) ٥٩٦

أبو الحسن المحروقي (٧) ١٦٧

أبو الحسن المريني (المريني ؟) الوشاح (١)
٤٦٨ ، ٤٧٦

أبو الحسن المريني (السلطان) (١) ٤٥١ ،

٤٥٢ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ (٤) ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،

٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ،

٤٠٣ ، ٤٠٤ (٥) ١٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ،

- حسين بن عاصم (٣) ١٧٤
الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص ،
انظر : ابن أبي الأحوص ، أبو علي
الحسين بن عبد الله المفلحي ، أبو عبد الله
(٢) ٥٠٧
الحسين بن علي (بن أبي طالب) (١) ٢٩٠
(٣) ٢٦ ، ٥٣ ، ٢٣٧ (٤) ١١٥
(٥) ٦٩ ، ٧٠ ، ١٨٥ ، ٣٠٩ (٧)
٣٦٥
الحسين بن علي الطبري ، أبو عبد الله (٢)
٩١ ، ٥١٣
الحسين بن علي بن الحسين ، أبو القاسم ،
انظر : ابن المغربي
حسين بن محمد بن فيره بن حيون ، انظر :
ابن سكرة أبو علي الصديقي
الحسين بن يحيى الأنصاري (الناظر بسرقة)
(٢) ٤٨ (٣) ٤١ ، ٥٤
أبو الحسين (من مشايخ فاس) (٣) ٣٢٤
أبو الحسين البلنسي الصوفي (٤) ١٦٢
أبو الحسين التنسي (٥) ٢٤٤
أبو الحسين الحديثي (٢) ٣٨١
أبو الحسين ابن أبي عامر الأشعري (٢) ٥٧٦
أبو الحسين ابن التلمساني (٧) ١٤٧
أبو الحسين ابن يحيى (٢) ٦٢٩
الحصار ، أبو جعفر (٢) ٥٠
الحصري ، أديب القيروان (٢) ١١٠
الحصري ، أبو الحسن (٢) ١٥٤ (٣)
- ٣٣٠ (٤) ١٠٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧
الحصري ، صاحب الزهر (٣) ١٨٤
الحصين بن الدجن (٣) ٥٢
ابن الحصين (٢) ٦٢٨
الحضرمي (١) ٤٦٣ (٢) ٢١٩ (٥) ٥١٤
الحضرمي (محمد) أبو عبد الله (٢) ٦٩٤
ابن الحضرمي (محمد) أبو عبد الله (٢)
١٥٥ ، ١٥٦ ، ٥٠٥ ، ٥١٠
الحطيفة ، جروول (١) ٧٨ (٢) ٤٩٨ ، ٥٠٠
(٤) ١٣٢ ، ٥٤٥ (٥) ٢٢٠
الحفار (محمد بن علي الأنصاري) أبو عبد الله
(٢) ٦٩٤ (٥) ٤٢٩ ، ٥١٣
أبو حفص (جد الحفصيين) (٤) ٤٨٢
أبو حفص (عمر ليني) (٥) ١٨٧
أبو حفص الحمحي (٢) ٦٣٣
أبو حفص الدينوري (٢) ٦٤
أبو حفص بن عبد المؤمن بن علي (٣) ٤٢٦
(٤) ٤٦٣
أبو حفص بن عمر ، القاضي القرطبي (١)
٢٩١ (٣) ٢٠٩ ، ٢٤١ (٤) ١٦٢
أبو حفص (عمر) الوراق (٢) ٥٥١
أبو حفص (عمر بن أبي يحيى أبي بكر)
صاحب تونس (٧) ١١٢
حفصة (في موشحة لسان الدين) (٧) ٦٨
حفصة بنت الحاج الركونية (١) ١٧٦ (٣)
٢١٨ (٤) ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ،
١٧٩ ، ١٨١ ، ٢٨٥

الحكم المستنصر ، انظر : المستنصر المرواني	الحكم المستنصر ، انظر : المستنصر المرواني
(الحكم بن عبد الرحمن الناصر)	(الحكم بن عبد الرحمن الناصر)
الحكم بن عبد الرحمن الداخل (٢) ٢١٨	الحكم بن عبد الرحمن الداخل (٢) ٢١٨
الحكم بن عبدل ، الشاعر (٢) ٤٩٥	الحكم بن عبدل ، الشاعر (٢) ٤٩٥
حكم بن محمد (٢) ٥٨٠	حكم بن محمد (٢) ٥٨٠
حكم بن محمد (غلام أبي عبيد البكري)	حكم بن محمد (غلام أبي عبيد البكري)
٦٥٧ (١)	٦٥٧ (١)
الحكم بن هشام الربضي (١) ١٥٨ ، ٣٠٠ ،	الحكم بن هشام الربضي (١) ١٥٨ ، ٣٠٠ ،
٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٥٤١ ،	٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٥٤١ ،
٥٧٧ (٢) ١١ ، ٤٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،	٥٧٧ (٢) ١١ ، ٤٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٥٦ ،	١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٥٦ ،
٦٣٩ (٣) ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ،	٦٣٩ (٣) ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ،
٢١٤ ، ٢٣٠ (٤) ١٦٧ (٥) ١٥	٢١٤ ، ٢٣٠ (٤) ١٦٧ (٥) ١٥
حكم بن الوليد ، أبو العاصي (٧) ٦٠	حكم بن الوليد ، أبو العاصي (٧) ٦٠
ابن الحكم القبطي ، أبو عمرو (٣) ٣٠٤	ابن الحكم القبطي ، أبو عمرو (٣) ٣٠٤
٦٣ (٤)	٦٣ (٤)
أبو الحكم (عبيد الله بن المظفر بن عبد الله	أبو الحكم (عبيد الله بن المظفر بن عبد الله
ابن محمد) الباهلي (٢) ٦٣٧	ابن محمد) الباهلي (٢) ٦٣٧
أبو الحكم (عبد المحسن) البلنسي (٤)	أبو الحكم (عبد المحسن) البلنسي (٤)
٣٢٩	٣٢٩
أبو الحكم (عبيد الله) الأموي مولاهم	أبو الحكم (عبيد الله) الأموي مولاهم
الأندلسي (٤) ٣٤٥	الأندلسي (٤) ٣٤٥
أبو الحكم ابن حجاج (٢) ٣٠	أبو الحكم ابن حجاج (٢) ٣٠
أبو الحكم (مالك بن المرحل) ، انظر :	أبو الحكم (مالك بن المرحل) ، انظر :
مالك بن المرحل	مالك بن المرحل
الحكيم (عبد الله بن خليفة القرطبي) المصري	الحكيم (عبد الله بن خليفة القرطبي) المصري
أبو محمد (١) ٥٢٩ (٣) ١١٨ ، ٤٠٩ ،	أبو محمد (١) ٥٢٩ (٣) ١١٨ ، ٤٠٩ ،
٥٤٣ (٤) ٢٨١	٥٤٣ (٤) ٢٨١
ابن الحكيم (محمد بن أبي عبد الله الرندي)	ابن الحكيم (محمد بن أبي عبد الله الرندي)
أبو بكر (٢) ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٦١٨ (٥)	أبو بكر (٢) ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٦١٨ (٥)
٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٦٠٤	٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٦٠٤
ابن الحكيم (الوزير) أبو عبد الله (٢)	ابن الحكيم (الوزير) أبو عبد الله (٢)
٢٥٣ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ،	٢٥٣ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ،
٦٢٥ (٣) ٤٤٩ (٤) ١٢١ (٥) ٩٨ ،	٦٢٥ (٣) ٤٤٩ (٤) ١٢١ (٥) ٩٨ ،
٢٢٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،	٢٢٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،
٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٩٨ ،	٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٩٨ ،
٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ،	٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ،
٥٠٦ ، ٥٤١ (٦) ٣٨١	٥٠٦ ، ٥٤١ (٦) ٣٨١
الحلاج (٤) ٢٠٤ (٥) ٢٦١ ، ٢٧١ ،	الحلاج (٤) ٢٠٤ (٥) ٢٦١ ، ٢٧١ ،
٣١٨ ، ٣٣٧ ، ٤٣٥ ، ٥٩٧	٣١٨ ، ٣٣٧ ، ٤٣٥ ، ٥٩٧
حلل (أم ولد) (١) ٣٣٤	حلل (أم ولد) (١) ٣٣٤
حلولو (٢) ٦٩٣	حلولو (٢) ٦٩٣
حماد بن أحمد السلمي (٢) ٦٢٨	حماد بن أحمد السلمي (٢) ٦٢٨
حماد بن زيد (٢) ٥١٨	حماد بن زيد (٢) ٥١٨
حماد بن سلمة (٤) ٨٤ ، ٨٥	حماد بن سلمة (٤) ٨٤ ، ٨٥
حماد بن الوليد الكلاعي ، أبو يوسف (٢)	حماد بن الوليد الكلاعي ، أبو يوسف (٢)
٥١١	٥١١
الحمار (سعيد بن فتحون) السرقسطي (٣)	الحمار (سعيد بن فتحون) السرقسطي (٣)
١٧٥ ، ٥٠٢	١٧٥ ، ٥٠٢
ابن الحمارة (علي) أبو الحسين (٤) ١٤٠	ابن الحمارة (علي) أبو الحسين (٤) ١٤٠
ابن الحمارة (محمد الغرناطي) أبو عامر (١)	ابن الحمارة (محمد الغرناطي) أبو عامر (١)
٢٠٥ (٣) ٥٩٧ (٤) ١٣	٢٠٥ (٣) ٥٩٧ (٤) ١٣
حمدة (أو حمدونة) بنت زياد المؤدب	حمدة (أو حمدونة) بنت زياد المؤدب
الوادي آشي (٤) ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩	الوادي آشي (٤) ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩

٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٥٠٠ ،	ابن حمدون ، أبو أمية (٤) ٩
٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ،	حمدونة بنت زرياب (٣) ١٢٩ ، ١٣٠ ،
٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ (٧) ١٢١ ، ١٢٢ ،	١٣١
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،	ابن حمديس (عبد الجبار) الصقلي (١)
حمود بن إبراهيم بن أبي بكر المرغي (٤)	٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩ (٣) ٦٠٦ ،
٣٠٧	٦٠٧ ، ٦١٦ (٤) ٢٥٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،
ابن حمود (ممدوح ابن اليمان) (٤) ٧٥	ابن حمد بن ، القاضي (٣) ٥٣٧ ، ٥٣٨ ،
الحموي الحنفي (٧) ١٠٦	(٤) ٧٦
ابن حمويه السرخسي ، تاج الدين ، انظر :	حمزة (صاحب القراءة) (٢) ٦٦
السرخسي	حمزة (صاحب ابن مثبت الغرناطي) (٥)
ابن حمويه ، صدر الدين (٣) ١٠١	٢٦٦
ابن حمويه (عبد الله) أبو محمد (٢) ٥٠٧	حمزة الحسيني (٢) ١٥٧
حميد الأندلسي (جد الحميدي) (٢) ١١٣	حمزة الكثاني ، (محدث) (٢) ١٥١
حميد الزاهد (٢) ٣٧٨ ، ٣٧٩	حمزة بن الحسن الأصبهاني (٣) ١٦٥
ابن حميد الدوسي (٢) ٥٣٦	حمزة بن عبد العزيز المهلب ، أبو يعلى (٣)
ابن حميد المرسي النحوي (٣) ٩٩	٦٢
ابن حميد ، أبو عبد الله (٢) ١٥٧	حمزة بن عبد المطلب (١) ٤٦ (٢) ٦٦١ ،
الحميدي (محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي)	٦٦٢ (٥) ١٥٨ ، ٣٠٩ (٧) ٣٢٦ ،
أبو عبد الله (١) ٢٣٩ ، ٥٨٢ (٢)	٣٦٥
٦٢ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٩١ ، ١١٢ ، ١١٣ ،	حمزة بن موسى بن أحمد ابن شيخ السلامية
١١٤ ، ١١٥ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ٢١٩ ،	الأحمدي ، عز الدين (٤) ٣٩٩
٢٣٧ ، ٥١٥ ، ٦٢٩ (٣) ١٦ ، ٥٧ ،	حمزة بن يوسف السهمي ، أبو القاسم (٥)
٥٨ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ١١٣ ،	٢٠٧
١٥٣ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٤٧ ، ٢٦٠ ،	ابن حمزة (٢) ٤٢٩
٣٣٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ (٤) ٣٥ ، ٢٩١ ،	أبو حمزة الخولاني (٣) ٥٦
٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٨	أبو حمّو (موسى بن يوسف) الزباني (٥)
الحميري (محمد بن عبد الله بن عبد المنعم)	٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢٤٤ (٦) ١٩٥ ، ١٩٧ ،

أبو عبد الله (٤) ٣٥٧	(٣) ٦٨ ، ٩٩
ابن الحناط (محمد بن سليمان) القرطبي	الحوفي (٥) ٢٤١
الأعمى ، الشاعر (١) ٢٩٦ ، ٤٨٣ ،	ابن حوقل النصيبي (١) ٢١١ ، ٤٦٠ (٢)
٥٠٣ (٣) ٢٦٣ ، ٢٨٨ ، ٦١٠ ، ٦١١ ،	٣٤١ ، ٣٣٨
حنش بن عبد الله الصنعاني (١) ٢٧٨ ،	أم الحويرث (في شعر امرئ القيس) (٥)
٢٨٧ ، ٥٦٢ (٣) ٧ ، ٨ ، ٥٧ ،	٥٢٣
حنظلة (غسيل الملائكة) (٥) ١٥٧	حي بن يقظان (٥) ٤٥
حنظلة بن صفوان (١) ٢٣٧ ، ٢٦٧ (٣)	ابن حي (٣) ٣٧٦
٢٠ ، ٢٢ ، ٥٨ ،	حياز (محمد بن أحمد) أبو عبد الله (٢) ٥١٤
ابن الحنفية (٥) ١٦٤	حيان (المائة الرابعة) (٢) ٦٣١
ابن حنون (أحمد) الإشبيلي ، أبو العباس	حيان ابن أثير الدين (٢) ٥٥٩ ، ٥٦٩
(٢) ٦٠٣ (٣) ٢٠٦	ابن حيان المؤرخ ، أبو مروان (١) ١٢٨ ،
أبو حنيفة (النعمان) الإمام (١) ٦٢ (٢)	١٣٧ ، ١٥٣ ، ٢١٢ ، ٣١٣ ، ٢٢٩ ،
١٠ ، ٣٧ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٤٦ ، ٦٩٥ ،	٢٣١ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ،
(٣) ١٤٧ ، ١٦٦ (٤) ٢٥٣ ، ٤٩٥	٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ،
(٥) ٣٠٨	٢٩٩ ، ٣٣١ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ،
أبو حنيفة الدينوري (٣) ٣٩٧	٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ،
حنين بن إسحاق (٦) ٣٠٩	٤١١ ، ٤٦٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٥٢٦ ،
حنين بن ربوة اليهودي ، المنجم (١) ٢٠٧	٥٤٠ ، ٥٤٧ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ (٢) ٦١ ،
حواء بنت تاشفين (٤) ٢١٧	٧٧ ، ٨٣ ، ١٣١ ، ١٤٩ ، ١٥١ ،
ابن حوط الله (٤) ٣٣٤ ، ٤٦٣ (٥) ٦٢	٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٣٣٠ ، ٤٩٦ (٣) ١٢ ،
ابن حوط الله ، أبو سليمان (٢) ٦٠١ (٣)	١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ،
٦٨ ، ٦٩ ، ١٣٥	٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
ابن حوط الله (محمد بن أبي سليمان) (٣)	٣٨ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ،
١٣٥	٥٥ ، ٦١ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١١١ ،
ابن حوط الله (عبد الله بن سليمان بن داود)	١١٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٧٤ ، ١٨١ ،
أبو محمد (١) ٣١٤ (٢) ٦٠١ ، ٦٠٤	١٩٣ ، ٣٨٠ ، ٥٣٥ ، ٥٣٩ (٤) ٣٦ ،

٩ (٧)	٢٩٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ (٥) ١٥
ابن حيون (محمد بن إبراهيم) أبو عبد الله	أبو حيان النحوي ، انظر : أثر الدين أبو حيان
٣١٧ (٥) ٥٢ (٢)	الغرياني النحوي
ابن حيون ، أبو عبد الملك (٥) ٣٩٥	حيدر بن عبد الله المقرئ (٥) ٣٩٣
حيوة بن رجاء التميمي (١) ٢٧٨ ، ٢٨٨	حيدرة (أخو المأمون البطائحي) سلطان الملوك
١٠ (٣)	٢٩٣ (٢)
حيوة بن ملايس الحضرمي (٣) ٤٨	ابن حيوس (٢) ١٠٧
	ابن حيون الوشاح (لعله ابن حنون الإشبيلي)

الخاء

خالد بن عبد الله الطواشي ، عز الدين (٥)	ابن خاتمة (أحمد بن علي بن محمد) أبو جعفر
٣٩٣	٤٤١ (٣) ١٧٥ (٢) ١٦٣ ، ٢٤ (١)
خالد بن عيسى ، أبو يزيد (٢) ٥٨٠	(٤) ٣٠٢ ، ٣٤٦ (٥) ٣٦٠ ، ٣٦١ ،
خالد بن عيسى البلوي ، أبو البقاء (٢)	٤٨٢ ، ٤٩٨ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٣٧ (٦)
١١٥ ، ١١٢ (٧) ٥٣٣ ، ٥٣٢	٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٨٨ (٧)
خالد بن الوليد (١) ٢٥٠٠ ، ٥٦٠ (٤)	٢٧ ، ٣٥ ، ٣٤٠
٤٩٦ ، ٤٩١	خارجة بن حذافة العدوي (٣) ١٦٤
خالد بن يزيد (كاتب الداخل) (٣) ٥١	أم خارجة (٦) ٣٧٣ (٧) ٤١٨
خالد بن يزيد بن معاوية (٢) ٦٥٨	خاقان (٥) ٢٨
الخباز (أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي)	ابن خاقان ، انظر : الفتح بن خاقان
أبو جعفر (٥) ٣٥٢	خالد (القائد) (٧) ١٧٨
الخباز ، أبو الحسن (٧) ٢٧٠	خالد بن سعيد (٢) ٥٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٧ ،
ابن الخباز (٢) ٥٣٨	٢٤٣

أبي جمرة (٢) ١٥٠ (٥) ٣٥٩	أبو خدّو (٦) ٤٨٦
ابن خطاب (عزيز) أبو بكر (١) ٢٢٢	خديجة (زوج الرسول) (٤) ٥٠٠ - ٥٠٢
(٥) ٢٢٢ (٧) ٤١٦	(٧) ٣٢٦
أبو الخطاب ابن دحية ، انظر : ابن دحية	ابن الخراز ، يحيى بن عبد العزيز (٢) ٦٢٧
الخطابي أبو سليمان (٣) ٦٩ ، ٩٨ ، ١٧٨	ابن الخراز البطرني ، أبو جعفر (٣) ٤١٢ ،
أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي (١) ٢٣٧ ،	(وانظر أيضاً : ابن الجزار)
٢٣٨ ، ٢٦٧ ، ٢٩٩ (٣) ٢٢ - ٢٦	خراش (في شعر السلفي) (٣) ٦٦
(٥) ٥١٤	الخروف محمد (٢) ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٤٠
الخطارة (مصحك) (٣) ٤٥٣ ، ٤٥٤	ابن خروف (علي بن محمد) القرطبي أبو
ابن خطالج الفارسي ، جمال الدين محمد بن	الحسن (٢) ١٦٦ ، ٦٤٠ (٣) ٢٠٤ ،
أبي بكر ، أبو عبد الله (٢) ٣٣٢	٤٦٣ (٤) ٨٩
الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت)	ابن خروف النحوي ، أبو الحسن (٢) ١٨٧ ،
أبو بكر (٢) ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ١١٣ ،	٥٣٨ (٣) ١٨٤
٥٣٦ ، ٥٦١ ، ٦٣٠ (٣) ٦٣	ابن خزر البجائي (٧) ١١
خطيب الجزيرة ، عبد الرحيم أبو الفضل (٢)	خزرون (١) ٤٢٩
٦١٩	الخسروشاهي (٥) ٢٤٠
الخطيب الحصكفي (يحيى بن سلامة بن	ابن الخشاب (٢) ٥٣٨ ، ٦٨٩
الحسين) أبو زكريا (١) ٢٣ (٢) ٢٥	خشندرش (١) ١٣٩
الخطيب الموصلي ، أبو طاهر (١٥) ٢٢	الخصيب بن عبد الحميد (والي مصر) (٢)
الخطيب بن مرزوق ، انظر : ابن مرزوق	٩٦ ، ٢٧٥ (٤) ٢٠٨
الخطيب	الخضر (١) ١٣٧ ، ١٣٨ (٢) ٥٥ ، ٥٨٧
ابن خطيب داريا (محمد بن أحمد بن سليمان	(٤) ٣٠٣ (٥) ٣٠٤ ، ٣١٦ ، ٤٧٢
الأنصاري) (٢) ٢٢٨	(٧) ١٣٩
ابن الخطيب السلماي ، انظر : لسان الدين بن	الخضر بن عبد الرحمن ، أبو عمرو (٢) ٦٤٢
الخطيب	ابن خضر ، أبو المعالي (٢) ١٤١
ابن الخطيب القسطليني ، ابن قنفذ (٥)	خضير (٢) ٢٩٨
١٩٧ ، ٣٤٣ ، ٣٨٩ ، ٤١٤ ، ٤٦٩ (٦)	خطاب بن محمد بن مروان بن خطاب ، ابن

٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤٢٤ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ،
٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ (٢) ، ١٢٥ ،
٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٣٢٣ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ،
٦٩٩ (٤) ، ١٢٠ ، ٣٧٣ (٥) ، ١٥٨ ،
٥٠ ، ٩٥ — ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٠ ،
١١٢ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ٢٠٤ ، ٢٥٤ ،
٢٥٦ ، ٣٤١ ، ٤١٢ ، ٤٢٨ ، ٤٧٠ (٦) ،
٢٦ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٧١ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،
٢١٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٥١٠ (٧) ، ٥ ،
٨ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٠١ ، ٢٨٩

ابن خلدون (ذو النون) (٣) ٢٦٤
ابن خلدون (يحيى) أبو زكريا (٦) ٣٨٩ ،
٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٥١٠ ، ٥١٥ (٧) ١٣٣ ،

١٣٥

ابن خلدون ، أبو مسلم (٣) ٣٧٦
ابن خلدون (يحيى) أبو زكريا (٦) ٣٨٩ ،
٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٥١٠ ، ٥١٥ (٧) ١٣٣ ،

١٣٥

ابن خلدون (يحيى) أبو زكريا (٦) ٣٨٩ ،
٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٥١٠ ، ٥١٥ (٧) ١٣٣ ،

١٣٥

ابن خلدون (يحيى) أبو زكريا (٦) ٣٨٩ ،
٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٥١٠ ، ٥١٥ (٧) ١٣٣ ،

١٣٥

ابن خلدون (يحيى) أبو زكريا (٦) ٣٨٩ ،
٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٥١٠ ، ٥١٥ (٧) ١٣٣ ،

١٣٥

ابن خلدون (يحيى) أبو زكريا (٦) ٣٨٩ ،
٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٥١٠ ، ٥١٥ (٧) ١٣٣ ،

١٣٥

ابن خلدون (يحيى) أبو زكريا (٦) ٣٨٩ ،
٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٥١٠ ، ٥١٥ (٧) ١٣٣ ،

٤٩٢ — ٤٩٤ (٧) ١٤٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢

ابن خطيب المزة (٢) ٥٣٦

ابن خطيب المزة ، عبد الرحمن (٢) ٥٥٠
ابن خطيب المزة ، عبد الرحيم أبو الفضل (٢)

٥٦١

ابن خفاجة (إبراهيم) أبو إسحاق (١)

١٦٩ ، ٢١٠ ، ٥٠٤ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ،

٦٧٧ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ (٣) ١٥٥ ، ٢٠٠ ،

٢٤١ ، ٢٧١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣١٨ ،

٣١٩ ، ٣٤٤ ، ٣٥٦ ، ٣٧١ ، ٤٠٥ ،

٤١٤ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٨٨ ، ٦٠٢ (٤)

١٤ ، ٢٠ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ١٠٦ ،

٣٠١ ، ٣٢٨ ، ٤٥٥ ، ٤٩٣ (٥) ٥٩٨

(٧) ١٣٤ ، ١٦٦

الخفاف التيسابوري (٢) ٥٢

ابن خفيف الأندلسي ، أبو إسحاق (٤) ١٨

ابن خلاد (٥) ٢٣٩

ابن خلاص ، أبو علي (٧) ٤١٦

الخلال (٣) ١٧٨

ابن خلدون (الوزير ، معاصر ابن زيدون)

(٣) ٢٤٢ ، ٢٤٣

ابن خلدون المؤرخ (ولي الدين عبد الرحمن)

أبو زيد (١) ١٤٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ،

٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ،

٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ —

٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ،

٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ،

خليل بن أبي بكر الحنبلي ، أبو الصفاء (٢)

٦١٨

الخليل بن أحمد (١) ٢٢١ (٢) ٢١ ،

٣٥٨ ، ٤٧٨ ، ٥٣٧ ، ٥٤٦ ، ٥٥٨ ،

٦٢٩ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ (٣) ٢٦٥ ، ٣٧٤ ،

٤٧٦ (٤) ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٢٥٣ ،

٤٢٢ (٥) ٥٣٧ ، ٥٤٠ (٦) ٢٤٧ ،

٤٦٤

خليل بن إسحاق (٣) ١٧٦

خليل بن إبيك الصفدي ، انظر : الصفدي

خليل بن عبد الله القسطلاني التوزري ، أبو

الصفاء (٥) ٣٩٣

ابن خليل (١) ٣٦٠

ابن خليل السكوني (٤) ٣٠٤

الخليلي (١) ٦٨١

ابن خميس ، أبو بكر (٤) ٢٤٥

ابن خميس (منصور بن خميس) أبو علي

(٢) ٦٤٢ ، ٦٤٣

ابن خميس التلمساني ، أبو عبد الله (٢) ٦٢٥

(٥) ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ،

٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ،

٤٧٧ (٧) ١٣١

ابن خميس الجزائري ، أبو عبد الله (٤) ٣٢٤

الخنساء (٤) ١٤٣

الخواص (٥) ٣٠١

الخولاني (أخذ عن ابن زرقون) (٣) ١٣٥

الخونجي (أفضل الدين) (٥) ٢٢٠ ، ٢٢٥ ،

أبو القاسم (٢) ٥١١

خلف بن فرج ، انظر : السمسير

خلف بن فرج بن خلف بن فحلون القنطري ،

ابن الروية ، أبو القاسم (٢) ٥١٢

خلف بن القاسم بن سهل بن الدباغ (الحافظ

الأندلسي) (٢) ١٠٥

خلف بن محمد بن خلف الفرناطي ، أبو القاسم

(٢) ٥١٢

خلف بن هارون، القطيني (٣) ٤٥٩ ، ٥٥٥

خلف بن يحيى بن خطاب الزاهد ، أبو القاسم

(٤) ١١٤

ابن خلف (الحافظ) (٤) ٤٦٨

ابن خلف (مالقي) (٤) ٢١٧

ابن خلف الجزائري (٧) ١١

أبو خلف المعافري (٥) ٣٠١

ابن خلكان (أحمد بن محمد شمس الدين

الإربلي الشافعي) (١) ٢١ ، ٢٧٣ ، ٥٢٤

(٢) ٢٤ ، ٥٦ ، ٧٦ ، ١٠٤ ، ١١٧ ،

١٣٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٨ (٣) ٧٢ ،

٧٨ ، ٤٠٠ (٤) ٣٥٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ ،

٣٨٣ (٧) ٣٥

ابن الخليج (ابن الوليد) (٤) ٣٢٧

خليفة (غلام) (٣) ٢٤٣

خليل (صاحب المختصر) (٢) ٦٩٣ ،

٦٩٧ ، ٧٠١ (٥) ٤٢٤

خليل (المالكي بالحرم المكي) (٢) ٢٠٧

(٥) ٤١٧

٤٨٥ ، ٤٨٧ (٣) ١٩٠ (٥) ٤٣	٢٤٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩
ابن خيرة الإشبيلي ، أبو محمد (٣) ٤٢٦	الخويي (شمس الدين أحمد) (٢) ١٦٧ ،
ابن خيرة ، أبو الحسن (٢) ٢٤	١٧٩
ابن خيرة (محمد بن عبد الله بن محمد) أبو	خيار (المملوك الرومي) (٣) ٢٦٥
الوليد (٢) ٢٤٠ ، ٣٧٥ ، ٥٩٩	ابن خيار الكلاعي (أبو رزين ابن ثابت بن
ابن خيرة الصباغ (إبراهيم) أبو إسحاق (٣)	محمد) (٢) ٢٢٢ .
٤٨٥	الحياط (أحمد بن إبراهيم) أبو العباس (٥)
ابن خيرون (معاصر ابن عبدون) (١) ٦٦٥	٢٤٤
ابن خيرون (محمد بن محمد) أبو عبد الله (٢)	الحياط (سعيد بن إبراهيم) أبو عثمان (٥)
١٥٤ ، ٦٥	٢٤١
ابن خيرون ، أبو الفضل (مستند بغداد) (٢)	الحياط (محمد بن يوسف بن عبد الله) شمس
٩١ ، ١٣٨	الدين (١) ٩٦ (٢) ٣٩٣
الخيمي ، برهان الدين (٥) ٣٩٤	ابن الخيام (عبد الكريم) أبو منصور (٥)
ابن الخيمي (بهاء الدين محمد بن شهاب الدين)	٢٣٣
(٢) ٥٤٥	خيشمة بن سليمان (٢) ١٤٢ ، ١٥٢
ابن الخيمي (شهاب الدين) (٢) ٦١٩	ابن خير ، أبو بكر (٢) ١٥٦ ، ٥١٢ ،
ابن الخيمي (محمد بن عبد المنعم) (٢) ٥٥٠	٥١٤ ، ٥٩٨ (٣) ٦٤
ابن الخيمي المصري (عمر) أبو حفص (٥)	أبو الخير (٥) ١٢٩
٢٥٩ ، ٢٦٢	أبو الخير الكاتب الواسطي (٢) ١١٨
	خيران العامري (١) ١٤١ ، ١٦٢ ، ٤٤١ ،

الدار

الدارقطني (٢) ٦٢ ، ٧٠ ، ٥٠٩ ، ٥٩٨ ،	دارا (٤) ٤٨٧ (٥) ١١٦
٦٤٦ (٣) ٥٦	الداراني ، أبو سليمان (٥) ٢٩٢

الدباري (٢) ٤٢٩	الدباغ (٥) ٤٤
ابن دارة (لقب ابن سبعين) ، انظر : ابن سبعين	الدباغ ، أبو الحسن (٢) ٦٣
ابن دانيال (شمس الدين) (٢) ٥٥٨	ابن الدباغ القيرواني (٦) ٢٨٤
داود (الذبي) (٤) ٤٩٦ ، ٥١٠ (٦) ٤٧٢	ابن الدباغ ، أبو الفضل (٣) ٤٠١ ، ٤٠٢
داود الأنصاري ، أبو سليمان (٣) ٥١	ابن الدباغ ، أبو المطرف (٤) ٣٠٦
داود الطائي (٥) ٢٤١ ، ٢٦٨	ابن الدباغ ، أبو الوليد (٢) ٥٩ ، ٥٩٩ (٣)
داود بن عائشة (٤) ٣٦٦	٦٣
داود بن علي الأصهباني الظاهري ، أبو سليمان	أبو دبوس ، انظر : الروائق أبو دبوس
(٢) ٢١	الديبران (نجم الدين الكاظمي) (٥) ٢٤٧
ابن داود ، أبو جعفر (٥) ٥٠٦	دحون (حبيب بن الوليد بن حبيب الداخل)
ابن داود الأصهباني الظاهري الحافظ (٢)	(٢) ٥٠٢ - ٥٠٤ (٣) ١٣٩ ، ١٤٠
٥٠١ ، ٧٠٣ (٣) ١٤٨	ابن دحون ، انظر : بشر بن حبيب بن دحون
ابن داود البلوي الأندلسي (٢) ٥٦ (٥)	الحبيبي
٤١٩ ، ٤٨٢	ابن دحون (الفقيه) (١) ٥٦٧
أبو داود (في سند) (٢) ٥٦١	دحية الكلبي (٣) ١٣٦ ، ١٣٧
أبو داود (صاحب السنن) (٢) ٤٨ ،	دحية بن محمد البلوي (١) ٥٦١
١٥٧ ، ٥٣٦ (٥) ٤٢٤	ابن دحية (مجد الدين عمر بن الحسن بن علي)
أبو داود المقرئ (٢) ١٤٣ ، ١٥٦	أبو الخطاب (٢) ٦٦ ، ٩٤ ، ٩٩ - ١٠٣
الداودي (٢) ٤٢٩ (٥) ٤٣٣	(٣) ١٣٦ - ١٣٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ -
الدب (٣) ٤٦٤	٢٤٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٨٨ ، ٣٣٠ ،
ابن الدب (عبد الله المعافري) أبو بكر (٢)	٣٣١ ، ٥٠٥ (٤) ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ،
٦٩٤	٢٠٣ ، ٢٩١ ، ٤٦٣ (٥) ١١٥ (٦)
ابن الدب ، أبو مروان (٣) ٥٥٠	٣٨٠ (٧) ٣٤
الدباج (علي بن جابر) أبو الحسن النحوي	ابن دراج القسطلتي ، أبو عمر (١) ٤٠٦ ،
(٢) ٢٧١ ، ٥٣٨ ، ٥٩٥ (٣) ٤٦١ ،	٤٨٤ (٣) ١٧٨ ، ١٩٥ ، ٢٣١ ، ٣٤١ ،
٤٧٨ ، ٥٢٣ (٧) ١٠	٣٤٢ ، ٤٤١ (٤) ٥٨ (٥) ٤٣
ابن الدباس (المبارك) أبو الكرم (٢) ٥٦١	دراس بن إسماعيل ، أبو ميمونة (فقيه فاس)

أبو دلف العجلي (القاسم بن عيسى) (٢)	٦٣٣ (٢)
٢٧٥ (٣) ٣٢١ (٧) ٢٨٤	أبو الدرداء (٢) ١٥٣ (٣) ١٦٤ (٤) ٨٥
الدمياطي (٢) ٥٢٩ ، ٥٥٩ (٥) ٢٠٠	ابن درستويه (٣) ٧٢ ، ٧٤
الدمياطي ، شرف الدين ، انظر : شرف الدين	ابن دري (القائد) (٣) ٢٦٤
الدمياطي (عبد المؤمن بن خلف)	ابن دريد ، أبو بكر (٢) ١٣٤ ، ٥٣٨ (٣)
ابن الدمينه (١) ١٠٦ (٤) ١٦٣	٧٢ ، ٩٨ ، ٤٠٤ ، ٤٧٦
دنته (أيضاً : دونته) (١) ٤٤٩ (٤)	ابن دريد الكاتب (٧) ٣٠
٣٨٥	ابن دريدة (٥) ٣٤٩
ابن دهاق ، أبو إسحاق (٢) ٢٠٢	دعبل (٣) ١٣٤ (٦) ١٢٧
أبو دهب (٤) ١٤٢	دغفل (النسابة) (٣) ١٥٧
أبو دؤاد (٤) ٥٤٤	دفترخوان (المتنجب أحمد بن عبد الكريم)
الدولعي (٢) ٤٠١	الدمشقي (٢) ٣٠٠
دون بطره (١) ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٥٠٩	الدقاق (٥) ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠
(٤) ٥٢٨ (٥) ١٢١	ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم) (١) ١٩٣
دون جانجة بن دون الفنش (٥) ١٢٠	(٧) ١٠٦
الديباجي (٣) ١٧٨	ابن دقيق العيد (تقي الدين محمد بن علي بن
الديباجي ، أبو جعفر (٢) ١١٠	مطيع) (١) ٦٨ (٢) ٢٠٩ ، ٥٤٢ ،
ديسقوريدوس (٢) ٦٩٢	٥٥٩ (٥) ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،
ديك الجن (٢) ٤١٦	٢٦٨ ، ٣٧٠ ، ٤١٨ ، ٦٠٤
دينار (في شعر السلفي) (٣) ٦٦	الدلاصي ، أبو محمد (٥) ٢٣١
دينار بن عبد الله (٢) ٥٦٣	ابن الدلال ، أبو جعفر (٣) ٦٩
ابن الديواني (محمد) أبو بكر (٣) ٤٢٥	أبو دلامة (١) ٩
ابن الديواني (إسماعيل) أبو محمد (٣) ٤٢٤	دلف-بن جحدر أبو بكر ، انظر : الشبلي

الذال

ذخيرة الدولة (٤) ٢٧٨ ، ٢٨٠
أبو ذر (الفغاري) (٣) ٦٠ (٥) ٣٠٩
أبو ذر الحبشي (٢) ٥٩٧
أبو ذر الخشني (٤) ٩٠ (٤) ١٦٢
أبو ذر الهروي (عبد الرحمن بن أحمد بن محمد) (٢) ٦٧ ، ٦٩ - ١٤١ ، ١٤١٠
٣٨٠ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ (٧) ١٣٧
ابن ذريح (٦) ٤٥٠
ابن ذكوان القاضي ، أبو حاتم (٣) ٩٤ ، ٢٤٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠
ابن ذنون (في الشعر) ، انظر : المأمون بن ذي النون
ابن ذنون المالقي (محمد) أبو عبد الله (٢) ٥٥١
الذهبي الحافظ (شمس الدين) (٢) ١٦٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢١١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣

الراء

رابعة (العديّة) (٥) ٣٢٥
 ابن راجع التونسي الشريف (٢) ٥٨٠
 ٥٨٣ (٦) ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨
 راح (أم ولد) (١) ٣٣٣

الرازي (١) ١٩٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٤٦٠ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٥٦٠ (٢) ٦٤٦ ، ٦٥٢ ، ٦٦٥ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ (٤) ٢٤٦ ، ٢١٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢١٧ (٣) ١٤٣ ، ١٩ ، ١٤ ، ٦ (٣) الرازي (أحمد بن إبراهيم) أبو العباس (٢) ٩١	الرازي (يزيد بن المعتمد بن عباد) أبو خالد (١) ٦٢٧ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ (٤) ٢٤٦ ، ٢١٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢١٧ (٣) ١٤٣ ، ١٩ ، ١٤ ، ٦ (٣) الرازي (أحمد بن إبراهيم) أبو العباس (٢) ٩١
الرازي (أحمد بن عيسى) (٢) ١٤٩	الرازي (أحمد بن محمد) أبو بكر (١) ١٢٩ ، ١٢٨ (٣) ١١١ ، ١٦٠ ، ١٧٤ ، ١٧٤ (٣) عبد الرحمن بن أبي حاتم (٣) ٦٢
الرازي ، أبو عبد الله (٢) ١٥٥ ، ٢٣٥ ، ٥١٣ ، ٥٦١ ، ٦٥١ (٣) ٦٣	الرازي (عيسى بن أحمد) (٤) ٣٥٠
الرازي (عيسى بن أحمد) (٤) ٣٥٠	الرازي (فخر الدين) (١) ٣١٤ (٥) ٢١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ ، ٢٨٨ (٦) ١٨١
الرازي (فخر الدين) (١) ٣١٤ (٥) ٢١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ ، ٢٨٨ (٦) ١٨١	الرازي (تمام بن محمد) أبو القاسم (٣) ٦٢ (٣) محمد بن موسى بن بشير بن جناد (٣) ١١١
الرازي (تمام بن محمد) أبو القاسم (٣) ٦٢ (٣) محمد بن موسى بن بشير بن جناد (٣) ١١١	راشد بن إسحاق ، انظر : ابن أبي حكيمة راشد بن عريف الكاتب (٣) ٤٢٠
راشد بن إسحاق ، انظر : ابن أبي حكيمة راشد بن عريف الكاتب (٣) ٤٢٠	ابن راشد (٥) ٣٩٥
ابن راشد (٥) ٣٩٥	ابن راشد الراشدي (عبد الرحمن) أبو الحسن (٣) ٢٦٣
ابن راشد الراشدي (عبد الرحمن) أبو الحسن (٣) ٢٦٣	ابن راشد ، أبو محمد (٥) ٣٩٥
ابن راشد ، أبو محمد (٥) ٣٩٥	ابن راشد ، أبو الميمون (٢) ١٠٥
ابن راشد ، أبو الميمون (٢) ١٠٥	

ابن رزق ، أبو بكر (٢) ١٥٥	ابن ربيع الأشعري ، أبو عامر (٥) ٥١٤
رزق الله بن عبد الوهاب التميمي (٢) ٥٧٥	أبو الربيع السرقسطي (سليمان) (٣) ٤٠٢
رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن	أبو الربيع المالقي (٢) ٥٤ ، ٥٦
الحارث ، أبو عمر (٣) ١١٣ ، ١١٤	أبو الربيع الموحدي (سليمان الشاعر) (٢)
رزين بن عمار الأندلسي (٣) ١٨٠	٩٨ (٣) ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩
رزين بن معاوية العبدي ، أبو الحسن (٢)	أبو الربيع ابن سالم (الكلاعي) (١) ٣١٤ ،
١٥٦ ، ١٥٨ ، ٥١٢	٦١٦ (٢) ٥٩ ، ٧٣ ، ٣٧٥ ، ٤٨٩ ،
ابن رزين (١) ٦٤٧ ، ٦٦٧ (٣) ٢٩١ ، ٤٤٤	٥٠٥ (٣) ٦٩ ، ١٣٥ ، ٨ (٤) ١١١ ،
ابن رزين (حسام الدولة عبد الملك) أبو	١١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٤٦٣ ، ٤٧٣ ،
مروان (٣) ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٤٠٧ ، ٤٣٢ ،	٤٩٣ (٥) ٥١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
٤٣٣ ، ٥٦٧	٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٣٤ ، ٥١٥ (٧) ٤١٦
الرشاطي (عبد الله بن علي بن عبد الله المريسي)	أبو الربيع ابن غالب الداني (٣) ٣١٠
أبو محمد (٢) ١٥٩ ، ٦٠٠ ، ٦٤٢ (٣)	ربيع بن قيس الحملي (٣) ٥٦
٥ (٤) ٤٦٢	ربيع بن مكدّم (١) ٦٧٩ (٦) ٤٠١ (٧)
ابن رشد (الجلد) أبو الوليد (١) ٥٥٨ (٢)	٣٧ ، ١٨٥
١٥٨ ، ٢١٦ ، ٢٤٠ (٣) ١٩٢ (٥)	رجاء بن حيوة (٣) ١٠
٦٢ ، ٢٣٧ ، ٤٢١ (٦) ١٥٤	رحمون ولد ابن الحاج (صاحب قرطبة)
ابن رشد ، أبو الوليد (الحفيد) (١) ١٥٥ ،	(٣) ١٨٧ ، ٤٥٩
٤٦٣ (٣) ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ،	ابن رحو (علي بن بدر الدين الطوسي ابن
(٤) ١١٨ ، ٣٠٩ (٥) ٢٤١ ، ٣٣٧ ،	موسى) (٦) ١٧٠
٣٤٦ (٦) ١٨١ ، ٣٠٩ (٧) ١٩٨	ابن رحييم ، أبو بكر (١) ٦٧٣
ابن رشدين (أحمد) أبو جعفر (٣) ٦	ابن رحيمة الكنائي ، أبو عبد الله (٢) ٦١٩
الرشيد الأسواني (أحمد بن علي بن إبراهيم)	رذريق ، انظر : لذريق
(١) ٨٧	رذريق ، انظر : السيد الكنييطور
الرشيد العطار (٢) ٢٤٣	رذمير (١) ٣٥٥
الرشيد الموحدي (١) ٣١٤ (٢) ٦١٣ (٤)	رذمير بن أردون (١) ٣٦٤
٣٨٤	رزاح (٢) ٥٨٦

١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٣٨ ، ٩ (٤)	الرشييد بن المعتمد بن عباد (عبد الله) (٣)
٦٣ ، ٥٧ (٥)	٦١٢ ، ٦١٤ (٤) ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٢٤٧ ،
ابن رضا ، أبو القاسم (٢) ٦٤٢	٢٥٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ،
رضوان (الحاجب) (٥) ٨٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ،	٣٧٠
٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠	الرشييد هارون ، انظر : هارون الرشيد
رضوان (الملك) (٣) ٥٢٨	ابن رشيد الإشبيلي ، أبو الأصيبغ (٤) ١٢٤
رضوان المخزومي (٢) ٤٤	ابن رشيد البغدادي ، محمد (١) ٤١ (٥)
ابن رضوان ، أبو الفضل (٧) ١١٨	٢٤٢
ابن رضوان (عبد الله بن يوسف التجاري)	ابن رشيد السبتي (محمد بن عمر النهري)
أبو القاسم (٥) ٤٥ ، ٢٤٩ ، ٥٠٣ ،	أبو عبد الله (١) ٦٠٦ ، ٦١٥ (٢)
٥٣١ (٦) ٤٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،	١٩٥ ، ١٩٦ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٩ ،
١٢٢ ، ١٢٣ ، ٣٩٩ (٧) ٢٧٧	٦٢٣ (٣) ٥٢٣ (٤) ١٢١ ، ١٢٢ ،
الرضي (شارح الكافية) (٢) ٢٣٤	٣١١ ، ٣١٢ ، ٤٧٥ ، ٤٩٦ (٥) ٢٢٥ ،
الرضي الشاطبي (محمد بن علي بن يوسف)	٢٥٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ،
أبو عبد الله (٢) ٢٢٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ،	٤٥٧ ، ٤٧١ ، ٤٨٠ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ،
٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٥٥٠	٥١٤
رضي الدين القسطيني ، أبو بكر (٢) ٦١٨	ابن رشيق (ملك مرسية) أبو جعفر (٣)
رضي الدين بن برهان (٢) ٥٩٥	٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٥٧٢
الرعيي ، أبو الحسن (١) ٣١١ (٥) ٥١ ،	ابن رشيق القلعي ، أبو عبد الله (٣) ٥٣٠
٥٢	ابن رشيق القيرواني (١) ٢١٣ (٢) ٢٣٨ ،
الرعيي (مختار) أبو الحسن (٣) ٣٧٦ ،	٤٩٧
٣٨١	الرصافي ، أبو بكر (٢) ٦٥٣
الرعيي الغرناطي ، انظر : أبو جعفر الالبيري	الرصافي ، أبو العباس (٤) ١١٠
ابن الرفاء القرطبي الشاعر (٤) ١٠٧	الرصافي البلسني (محمد بن غالب) أبو
ابن رفاعة الالبيري (٣) ٧١	عبد الله (١) ١٨١ ، ٤٦٨ (٢) ٣٣٥ ،
رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح (يحيى)	٣٣٦ ، ٣٤٦ (٣) ٢٠٣ ، ٤٠١ ، ٤٣٧ ،
أبو زكريا (٣) ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٨٧ ،	٤٦٠ ، ٤٦٧ ، ٤٨٦ ، ٥١٣ ، ٥١٥

أبو عبد الله (٤) ٤٦٤	٣٨٨ (٧) ٤٢ ، ٤٣
ابن الرميحي ، أبو يحيى (٣) ٥٣٣	ابن الرقام (٥) ١٩٢
الرنداحي (القائد) أبو علي (٦) ٨٤	ابن الرقيق المؤرخ (إبراهيم بن القاسم
ابن الرندائقاني ، أبو الفتح (٢) ٦٠٠	القروي) أبو إسحاق (١) ١٤٤ ، ١٩٣ ،
الرندي (شارح الجمل) (٣) ١٨٤	٥٧٦ (٢) ٣٨٥ ، ٤٨٩ (٣) ١٣٢ ،
الرهاوي ، أبو سعيد (٣) ٦٣	١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٨
ابن الرهيل (الحسن بن محمد بن الحسن	الرفيقي (علي) أبو القاسم (٢) ٥٦١
الأنصاري) أبو علي (٢) ٥٠٩	ركن الدين بيبس (٧) ٢٨
أبو رهم (٣) ٦١	أبو ركوة (الوليد بن هشام) (٢) ٦٥٨ ، ٦٥٩
الرهيصي (٥) ١٢٩	الرماحس بن عبد العزيز الكنتاني (٣) ٤٨
ابن رواحة الخزرجي (الفضل بن علي) (٢)	ابن رماحس (العامل) (٣) ٧٠ ، ٧١
٥٥١	الرمادي الشاعر (يوسف بن هارون) أبو
أبو روح ، عبد المعز (٢) ٦٠٣ ، ٦٢٦	عمر (١) ٢٩٦ (٣) ٧١ ، ٧٢ ،
ابن روزبه (٢) ١٣١	٧٥ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤٤١ (٤) ٣٥ ،
رومانس (١) ٣٦٨	٣٦ ، ٧٤ (٥) ٦٠١
ابن الرومي (علي بن العباس) (١) ٣١٢	ابن الرمالك ، أبو القاسم (٤) ٢٠٣
(٢) ٣٣ ، ١١١ (٣) ٦٠٧ (٤)	أبن رمان (محمد بن قاسم بن محمد القرشي
٢٩٣ (٥) ٢٧٣	الفهري) أبو عبد الله (٢) ٦٣
ابن الرومية (أحمد) أبو العباس النباقي (٢)	الرماني ، علي بن عيسى (٢) ٥٦١ (٥) ٤٢٢
٥٩٦ (٣) ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٨٥	رميك (مولى المعتمد) (٤) ٩٨ (٦) ٤٩٥
رويم بن أحمد (٣) ١٧٨	الرميكية ، انظر : اعتماد الرميكية
ريحان (غلام هشام بن عبد الرحمن) (٣)	الرميحي (٤) ٤٦٣
٥٧٩	ابن الرميحي (١) ٣٠٢ ، ٤٤٨ (٤) ٣٨٤
ابن الريني (زين القضاة) (٢) ١٢٤	ابن الرميحي (محمد بن عبد الله بن أبي يحيى)

الزاي

الزبير بن بكار (٢) ٦٣٢	ابن زايغ ، أبو العباس (٢) ٦٩٢
الزبير بن عمر الملقب (أمير قرطبة) (١)	زاهر بن طاهر الشحامي ، أبو القاسم (٢)
٤٧١ ، ٥٨٤ (٣) ٤٨٩ ، ٤٩٠	١٥٧ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ (٥) ٢٣٣
الزبير بن العوام (٥) ١٥٧ ، ١٦٥ (٧) ٣٢٦	الزباء (٧) ٣١٩
ابن الزبير ، أبو جعفر (صاحب صلة الصلة)	الزبرقان (بن بدر) (٢) ٤٩٨
(١) ٢٧٨ (٢) ٢٩٠ ، ٣٠٠ ، ٥٢٠ ، ٥٩٠ ، ٦٣٠	الزبراري (عبد الرحمن بن داود بن علي)
٢٥٣ ، ٣٥٠ ، ٥٤٢ ، ٥٥١ ، ٥٥٩	الواعظ ، أبو البركات وأبو القاسم (٣)
٥٦٠ ، ٥٧٦ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٦١٦	١٣٩
٦٥٥ (٥) ١٢٠ ، ١٢٠ ، ٥١٠ ، ١٢٦ ، ٣٨٧	الزبيدي ، حسن (عم الشيخ أبي عبد الله
٤٣٤ ، ٤٥٧ ، ٥١٤ (٦) ٢٥٦ (٧)	الزبيدي التونسي) (٥) ٢٣٩
٩٨	الزبيدي ، حسين (والد الشيخ أبي عبد الله
ابن الزبير (محمد بن أحمد بن إبراهيم) أبو	الزبيدي التونسي) (٥) ٢٣٩
عمرو (٦) ٩٧ ، ٩٨	الزبيدي (محمد بن الحسن النحوي) أبو بكر
الزبيري (٢) ٢٢٠	(٢) ٤٢٩ ، ٦٤٧ (٣) ٧٢ ، ٧٤ ،
الزجاج (٢) ١١٥ ، ٥٣٨ (٥) ٤٢٢	٧٥ ، ٧٧ ، ١٨٢ ، ٤٧٥ (٤) ٧ ،
الزجاج ، أبو الحسن (٢) ٥٦٣	٧٧ ، ٧٨ ، ٣٣٣ ، ٣٤٢ (٥) ٣٩٥
الزجاجي ، أبو إسحاق (صاحب الجمل)	(٦) ٤٩٤ (٧) ٣٨
(٢) ١٥٠ ، ٦٩٤ (٥) ٥١٣	الزبيدي (عبد الله بن حمود) أبو محمد (٢)
الزجالي (٢) ٧	٦٤٧
الزجالي ، حامد (٣) ٥٣٩ ، ٥٤٠	الزبيدي (محمد بن حسين) التونسي ، أبو عبد
الزجالي (محمد بن سعيد) الأصمعي (٣)	الله (٥) ٢٣٩ ، ٢٥١ ، ٣١٦
٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٦١٣	الزبير بن أبي صمصمة الأسواني ، أبو طلحة
الزجالي ، أبو مروان (١) ٦٣٥	(٥) ٣٩٣

- زحكون ، محمد بن الاستجي (٣) ٥٣٧
 زحرف (جارية) (١) ٣٤١
 زرارة بن محمد بن زرارة الأندلسي (٢) ٥١٢
 الزرافة (المضحك) (٣) ٥٩١
 ابن زرزار (الحكيم) (٥) ١٢٠
 زرعة بن روح الشامي (٣) ٥٨
 أبو زرعة (محدث) (٢) ٥٣٦ (٣) ٨
 أبو زرعة ابن عبد الحكم ، انظر : ابن عبد
 الحكم الافريقي
 أبو زرعة طريف بن مالك المعافري ، انظر :
 طريف بن مالك أبو زرعة
 زرقاء اليمامة (١) ٧
 ابن الزرقاء (٤) ٢١٧
 الزرقال ، إبراهيم بن يحيى النقاش (٦)
 ١٠٥
 الزرقال ، عبد الرحمن أبو القاسم (١) ٢٠٦
 زرقون (المغني) (٣) ١٣٠
 ابن زرقون (٢) ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٦٢ ،
 ١٦٤ ، ٥٩٧ ، ٦٠٣
 ابن زرقون ، أبو الحسين (٢) ٥٩٨ (٣)
 ٤٤٦
 ابن زرقون ، أبو الطيب (٧) ٣٠
 ابن زرقون ، أبو عبد الله (٢) ١١٥ (٣)
 ١٣٥ ، ١٣٧ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٧٤ ،
 ٥٢٠ (٤) ٣٢٣
 الزرناني ، أبو إسحاق (٢) ٢٠٥
 الزرهوني ، أبو زيد عبد الرحمن (٥) ٣٤٩
- الزروالي ، عثمان (٥) ٤٢٩
 الزروالي التونسي ، أبو فارس (٥) ٣٩٤
 زرياب (علي بن نافع) أبو الحسن (١) ٣٤٤
 (٢) ٢٦٠ (٣) ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،
 ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ٦١٥
 زريق بن حكيم (٣) ٥٧
 ابن زعوق (مساعد بن أحمد بن مساعد
 الأسبجي) أبو عبد الرحمن (٢) ٦٤٤
 زغبة ، أحمد بن حماد (٢) ٦٢
 الزغل (محمد بن سعد) أبو عبد الله (٤)
 ٥١١ ، ٥١٥ ، ٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤
 ابن زغبة (٢) ٦٠٥
 الزقاق ، قاسم بن محمد (٢) ٤٧٩ ، ٦٢٦
 ابن الزقاق البلنسي (علي بن عطية) أبو الحسن
 (١) ١٦ ، ١٨٠ (٣) ١٩٩ ، ٢٨٩ ،
 ٣٥٦ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ٤٦٤ (٤) ١٤ ،
 ١٩ ، ١٥٨ ، ٢٩٨ ، ٣٤٠
 زكريا (أخو نجدة) (٢) ١٦ ، ١٧
 زكريا بن خطاب الكلبي التطيلي ، أبو يحيى
 (١) ٣٩٥ (٢) ٦٣٢
 أبو زكريا التبريزي (٢) ١٥٤ ، ٦٣٢
 أبو زكريا الجعدي (٤) ٤٦١
 أبو زكريا الراوية (والد ابن عائذ) (٢) ١٥١
 أبو زكريا الزناقي (٢) ١٥٨ ، ١٥٩
 أبو زكريا الطليطلي (يحيى بن سليمان) (٢)
 ٦٦٠

زهر بن عبد الملك ، أبو العلاء (٢) ٢٤٥	ابن الزكي (٢) ١٦٦
(٣) ١٩٣ ، ٢٤٦ ، ٣٧١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ،	ابن زكي ، محيي الدين (القاضي) (٢) ١٧٢
٤٧١ (٦) ١٢ ، ١٣	زكي الدين إبراهيم الإشبيلي ، أبو إسحاق
ابن زهر (٧) ٤٥ ، ٥٥	(٢) ٥١٧
ابن زهر (محمد بن مروان) (٢) ٢٤٤ (٣)	زلزل (في شعر لابن ظافر) (٣) ٢٥٠
٤٣٢	الزحشري (٢) ٢٢٥ (٣) ٥٢٤ (٥)
ابن زهر (محمد بن عبد الملك) أبو بكر (١)	٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٦٩ ، ٣٠٣ ، ٣٨١ ،
١٥٥ ، ٤٦٣ (٢) ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،	٤٢٢
٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٣٦٦ (٣) ١٩٣ ، ٢١١ ،	ابن زمرك (محمد بن يوسف) أبو عبد الله
٢٢٢ ، ٤٣٤ ، ٤٦٨ (٧) ٦ ، ٧ ، ٩ ،	(٥) ٤٦ ، ٥١ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١١١ ،
١١٣	١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
ابن زهر (عبد الملك بن محمد بن مروان)	١٣٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ،
أبو مروان (٢) ٢٤٤ (٣) ١٨٥ ،	١٩٤ ، ٣٤٠ ، ٣٥٥ ، ٥١٣ ، ٥٤٣ ،
١٩٣ ، ٤٣٢	(٦) ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٤٧ ، ٥٠١ ،
ابن زهر الأصغر ، أبو بكر (ابن قسورة)	(٧) ١٤٥ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
(٣) ٤٦٩	١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٨٣ ، ٢٤٠ ، ٢٦٥ ،
زهره (اسم امرأة) (٢) ١٩٣	٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٣٣٩
الزهره (جارية الناصر) (١) ٥٢٣ ،	ابن الزملكاني (محمد) كمال الدين (١) ٣١٤
٥٢٤	(٢) ١٧٨ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤
الزهره ، انظر : فاطمة بنت الرسول (ص)	الزموري ، أحمد (٧) ٧٥
الزهرابي (٢) ٦٩١ (٣) ١٨٥	الزموري ، عبد الله بن إبراهيم ، انظر : نقشابو
الزهرابي ، أبو جعفر (٢) ١٠٥	الزناقي (فقيه ادعى على اليكي) (٣) ٣٢٤
الزهرابي ، أبو الحسن (٣) ٣٧٥	أبو الزناد (٣) ٢٣٦ (٦) ٤٦٣
الزهري (ابن شهاب) (٣) ١٧٠ ، ٢٣٦ ،	الزناطي (علي بن مروان الكاتب) أبو الحسن
(٥) ٢٢٤ (٧) ١١٥	(٢) ٣٠١
الزهري ، أبو الحسين (خطيب إشبيلية) (٣)	زنام (المغني) (٣) ٢٥٠
٦٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤	ابن زنون ، أبو الحسن (٤) ١٥ ، ١٦

زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللّخمي ، انظر :	زهير بن أبي سلمى (٦) ١٢٧
شبطون	زهير بن صرد الجشمي ، أبو جرول (٢)
زياد بن عمرو اللّخمي (٣) ٢٠	٥٦٢ ، ٥٦٣
زياد بن نعيم الحضرمي (٣) ٥٦	زهير بن عباد (٢) ٥١٨
ابن زياد ، انظر : عبيد الله بن زياد	زهير العامري (١) ٤٤١ (٣) ٣٨١ ،
زيادة بن ثعلبة البلوي (٣) ٥٦	٦١٠ ، ٥٣٥
زيادة الله بن عبد الله (آخر ملوك الأغالبة)	الزهيدي (٣) ٧٦ ، ٥٩٩
(٣) ١٣٤ ، ١٣٥	الزواوي (٦) ٢١٥
زيان ، أبو عبد الله (٥) ٢٣٠	الزواوي ، المقرئ (٦) ١٧٢
زيان بن مردنيس ، انظر : ابن مردنيس ، زيان	الزواوي (محمد بن أبي يوسف يعقوب)
ابن أبي الحملات	أبو عبد الله (٥) ٢٥٠
ابن زيان ، أبو الفتح (٥) ٢٠٧	الزواوي (محمد بن يلبخت) أبو عبد الله
أبو زيان (الزيّاني) (٥) ٢١٥ ، ٣٦٤	(٥) ٣٩٥
أبو زيان المريني (محمد بن أبي عنان فارس)	الزواوي (منصور) أبو علي (٧) ١٤٧ ،
(٥) ٥٣٤	١٦٦ ، ٣٠٤
أبو زيان المريني (محمد بن يعقوب بن عبد	الزواوي ، نصر (٥) ٤٢٨
الرحمن بن أبي الحسن) (٦) ٥ ، ٧ ،	الزويلي ، أبو إسحاق (٧) ٨
٨ ، ٩ ، ١١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ (٧)	ابن الزيات (٥) ٢٠٢ (٧) ٢٦٧ ، ٢٧٢
١٤٩	ابن الزيات (أحمد) أبو جعفر (٤) ٣٤٤
الزياني ، أبو عبد الله (٤) ٢٤١	(٥) ٥١٣ (٧) ١٦٧
ابن زيتون (٥) ٢٣٥	الزيات (أحمد بن محمد) أبو عمر (٢) ٥١٣
ابن زيتون ، أبو القاسم (٥) ٢٢١	ابن الزيات البلشي (٤) ٥١١
زيد بن ثابت (١) ٦٠٦ (٢) ٧٠٠ (٣)	زياد ، انظر : النابغة الذبياني
٢٣٥ ، ٦١	زياد (ابن أبيه) (١) ٦٥٦
زيد بن الحباب المعلي (٣) ٥٧	زياد بن أفلح (مولى المستنصر) (١) ٣٨٨ ،
زيد بن الحسن الكندي ، انظر : أبو اليمن	٣٨٩
الكندي	زياد بن طارق ، أبو عمر (٢) ٥٦٢

زيد بن قاصد السكسكي (١) ٢٨٨ (٣)	زيد بن عطية (١) ٣٩٨
٥٧	ابن زيري الصنهاجي (المتغلب على غرناطة)
ابن زيد (الأسقف القرطبي) (٣) ١٨٦	(١) ٤٨٨ ، ٤٨٥
أبو زيد (اللقوي) (٥) ١٢٩	زينب (في شعر ابن جابر) (٧) ٣٣٩
أبو زيد القرطبي (الشيخ) (٢) ٥٤ ، ٥٥	زينب (في شعر ابن حمدون النحوي) (٢)
أبو زيد عبد الرحمن العثماني (٤) ٦٢ ، ١٣٠	٦١٠
أبو زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله الموحد	زينب (في قصيدة لابن فرح) (٢) ٥٣٠
(٢) ٥٩٠ (٤) ٤٥٦	زينب المرية (٤) ٢٨٦
أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون ، انظر : ابن	زينب (أم المؤيد) (٢) ٢٤١
خلدون المؤرخ	زينب بنت اسحاق النصراني الرّسغي (٢)
ابن زيدون ، أبو بكر (الابن) (١) ٢٩٠	٣٧٧
ابن زيدون أبو بكر (والد الشاعر) (٤)	زينب بنت زياد المؤدب الوادي آشية (٣)
٣٥٩ ، ٢٣	٢٠٨ ، ٢١٨ (٤) ٢٨٩
ابن زيدون ، أبو الوليد (١) ٢٩٠ ، ٣٣٢ ، ٤٧٣ ، ٦٢٧ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ (٣) ٤٦ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ (٤) ٢٣ ، ٥٢ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ (٧) ٤٩	زينب بنت عبد اللطيف البغدادي ، أم الفضل
	(٢) ٥٥١ ، ٦١٩
	الزيني (٢) ٦٦٤
	الزيني (قاضي القضاة) (٢) ٦٣٢
	الزيني ، رضوان (٥) ٤٢٩
	زين الدين (الحافظ العراقي) (٥) ٤٢٨
	زين الدين كتاكيت (أحمد بن محمد) أبو
	العباس (٢) ٥١٦
	زين الدين (محمد) الطبري (٢) ٦٩٥

السبي

ابن سابق ، سيف الدين (٢) ٢٧٢	السالمي (محمد بن أحمد بن عامر) أبو عامر
سابور ذو الأكتاف (٧) ٤١٩	(١) ١٢٦ (٣) ١٤١ ، ٢٨٨ (٤)
ابن سابور القلانسي ، أبو بكر (٢) ٥٧٥	٢٨٦
الساحلي الشيخ الولي ، أبو عبد الله (٥) ٣١٢	سام بن نوح (٥) ٤١١ (٦) ١١٨ ، ٤٤٥
سارة القوطية (١) ٢٦٦	أبو السائب المخزومي (٣) ١٤١ ، ١٤٢
ابن سارة ، انظر : ابن صارة	سبت بن نوح (٥) ٤١١
سارية (صاحب عمر بن الخطاب) (٦) ١١٨	سبت بن يافث (١) ١٢٥
سالم (الطبيب) (٤) ١٣٠	السبتي الولي ، انظر : أحمد بن جعفر
سالم (مولى عبد الرحمن الداخل) (٣) ٢٨	الخزرجي ، أبو العباس
سالم (ولد ابن عمر) (٥) ٢٥١	سبط ابن الجوزي (٢) ١٧٤ (٣) ١٣٨
سالم بن محمد بن سالم ، أبو الحسين (٣) ٦٩	سبع بن خلف الأسدي ، أبو الرحش الشاعر
ابن سالم قاضي القدس ، شمس الدين (٥) ٢٥٤ ، ٢١٧	(١) ٦١ (٢) ١٣٣ ، ١٣٤
ابن سالم المالقي ، أبو عمرو (٣) ٤٠٣	ابن سبعين ، أبو طالب (أخو الصوفي) (٢) ٢٠١
أبو سالم (إبراهيم بن عبد العزيز بن أبي	ابن سبعين ، أبو محمد (عبد الحق) (٢) ١٨٧ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
الحسين) المريبي السلطان (٢) ١٢٨ (٥) ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤١٣ ، ٤١٨ (٦) ٨ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ١١٠ ، ١٧٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٩ ، ٤٥٤ (٧) ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٦٦	السبيكي ، قاضي القضاة تاج الدين (٢) ٢٤ ، ٦٧٣
السالمي ، أبو الحسن (٣) ١٨١	السبيكي ، تقي الدين (٥) ٣٩٤
	ست الفقهاء (فاطمة بنت محمد الفيومي
	البكري) (٥) ٣٩٤

ابن سراج ، أبو الحسين (١) ١٥٥ ، ١٥٦ ،	سجّاح (٧) ٤١٨
٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٧ ، ٦٣٤ ، ٦٣٦ ،	السجزي ، أبو الوقت الحافظ (٢) ٢٣٣ ،
٦٣٩ (٢) ٢٤٠ (٤) ٢٣٥ (٧) ٣٠	٥٩٨ (٣) ٦٥ ، ١٣٩ (٥) ٢٣٩
ابن السراج المالقي ، أبو عبد الله (٣) ٢٧٠ ،	سحبان وائل (٢) ٥٩٤ ، ٦٧٠ ، ٦٧٢ (٤)
٣٩٨ ، ٦١٠	٣٠٨ (٥) ٢٦ ، ٣١ ، ٥٠ (٦) ١٢٧ ،
ابن سراج ، أبو القاسم ، الغرناطي (٥) ٤٢٩ ،	١٥٨ (٧) ٤٤٤
٥١٣ (٦) ١٤٨ ، ١٥٠	سحنون بن سعيد (١) ٥٥٦ (٢) ١٤٩ ،
ابن سراج (عبد الملك) أبو مروان (٣)	١٥٠ ، ٢١٥ ، ٦٣٠
٣٤٣ ، ٥٨٩ (٤) ١٦٢ ، ١٦٣	ابن سحنون (محمد) (٣) ١٦٦ ، ١٧٨ ،
ابن سراقه (محمد بن سراقه) الشاطبي (٢)	السخاوي (صاحب الضوء اللامع) (٢)
٦٣ ، ١٨٥	٦١٨ ، ٦٩٢ ، ٦٩٥ ، ٦٩٩ (٥) ٤١٩ ،
السرخسي (عبد الله بن عمر بن علي بن	٤٢٨ ، ٤٣٠
حمويه) (٢) ٤٢٩ (٣) ٩٩ ، ١٠٠ ،	السخاوي (علي بن محمد بن عبد الصمد)
١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٠ ،	تلميذ الشاطبي ، أبو الحسن (٢) ٢٤ ،
٢٣١	٢٢٢
السرقي (شيخ القلصادي) (٢) ٦٩٢	ابن سداري الكاتب ، أبو بكر (٣) ٤٠٧
السروجي ، شمس الدين (٢) ٥٧٠	السدراتي (ابن عبد الجليل) أبو الحسن (٥)
السروجي (علي بن شمس الدين) (٢) ٥٧٠	٣٨٩
ابن سرور ، أبو الطاهر (٥) ٢٣٥	السديد (يحيى بن سعيد) انظر : ابن المرخم
ابن سرور ، أبو عامر (٧) ٣٠	السراج الوراق ، الشاعر المصري (٢) ٣٧٧
أبو السرور (صاحب ديوان سبتة) (٤)	السراج ، أبو زكريا (٥) ٢٤٥ ، ٣٤١ ،
١٣١	٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٥١٣
السري (الرفاء) (١) ٣١٢ (٦) ١٢٧	السراج ، أبو محمد (صاحب مصارع-العشاق)
السري السقطي (٥) ٢٤١ ، ٢٦٨ (٧) ١٣٩	(١) ٢٥ (٣) ٦٣
ابن السري (٣) ٥٤٨	ابن السراج (محمد بن عبد الملك الشنتمري)
السطي (شارح الحوفي) (٦) ٢١٥	أبو بكر النحوي (٢) ٢٣٨ ، ٥٣٨ ،
السطي (محمد بن سليمان بن علي) أبو عبد الله	٥٦١

أبو الحسن (٢) ٥١٤ ، ٦٥٢ (٣)
٦٠٤ ، ٦٠٢ ، ٣٣٠

سعد الدين الحموي ، القطب (٢) ١٧٨
سعد الدين (محمد بن يحيى الدين بن العربي)

(٢) ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٢٤ (٧) ٣٧٦
سُعدى (في قصيدة لابن فرح) (٢) ٥٣٠
سُعدى (في شعر المتشاقري) (٦) ١٤٢
سُعدى (في موشح) (٧) ٦٣

ابن سعدى (أوس بن حارثة الطائي) (٦) ٦٤
ابن سعدون الكاتب ، أبو جعفر (١) ٦٠٠
(٧) ٣٠

سعدونة (أم السعد بنت عصام الحميري)
(٤) ١٦٦ ، ١٦٧

ابن السعود ، أبو العباس (٣) ٥٩٧
سعيد (صحايجي) (٧) ٣٢٦

سعيد الطليطي ، أبو عثمان (٢) ٢٤٤
سعيد العقباتي التلمساني (٥) ٤٢٨

سعيد الغساني ، أبو عثمان (٦) ٢٦٢
سعيد المقرئ (عم المؤلف) ، انظر : المقرئ
العم (سعيد بن أحمد)

السعيد (الموحدي) ، أخو الرشيد (٤) ٣٨٤
السعيد (ابن السلطان أبي عنان المريني) أبو

بكر (١) ٣١٤ (٤) ٤٢٩ (٥) ١٠٩ ،
٤٠٤ ، ٤٨٦ (٦) ١٧٣ ، ٤٩٦

السعيد ، أبو الحسن (٥) ٢٢٤ ، ٢٢٥
سعيد بن أبي ليلى (١) ٣٣٣

سعيد بن أبي هند (٢) ٤٦

(٥) ٢٣٠ ، ٢٤٠ (٦) ١٧٢

سعاد (في شعر ابن جابر) (٧) ٣٠٤
سعاد (في شعر لابن سلمة الغرناطي) (٢)
٦٦١

سعادة (الطبيب) (٤) ١٣٠
ابن سعادة (محدث) (٢) ٢٣
ابن سعادة (يحيى) القرطبي أبو بكر (١)
١٥٥ (٢) ٦٣٤

ابن سعادة (محمد بن يوسف) أبو عبد الله
(٢) ١٤٠ ، ١٥٨ ، ٢٢١ ، ٦٠١ ، ٦٥٢
(٤) ٤٦١

سعد (المحدث) (١) ٦٥
سعد ، النصري (٧) ١٨٤ ، ١٩٤

سعد بن أحمد بن ليون التجيبي ، انظر : ابن
ليون التجيبي

سعد بن عبادة ، الصحايجي (١) ٤٤٧ (٤)
١١٧ ، ٢٨١ ، ٣٥٠ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ (٥)

٥٢٨ (٧) ٢٠٠ ، ٢٤٣ ، ٢٩٩ ، ٣٢٦
سعد بن عبد الله الحيدري ، أبو عثمان (٣)
٦٣

سعد ابن الغني بالله ، النصري (٦) ٣٤٣ ،
٣٤٩ ، ٣٥٠ (٧) ٢٣٠

سعد بن محمد ، أبو القاسم (٧) ٥٠٣
أبو سعد المطرزي (٢) ٦٣٢

سعد الخير بن محمد بن سعد ، البلنسي ، أبو
الحسن (٢) ٦٣٢

ابن سعد الخير (علي بن إبراهيم) البلنسي ،

- سعيد بن أضحى ، انظر : ابن أضحى ،
أبو الحسن
سعيد بن جودي (٣) ٥٣٨
سعيد بن حسان (٢) ٢٠٥ ، ٥٢٠
سعيد بن الحسين الهاشمي ، أبو المفاخر (٢)
٥١٠
سعيد بن حكيم القرشي ، أبو عثمان (٣)
٤٦٧ (٤) ٤٧١ ، ٤٧٢
سعيد بن حميد (الكاتب) (٢) ٦٢٧ (٣)
١٣٤
سعيد بن خلف (جد ابن سعيد المغربي) (٢)
٣١٩
سعيد بن سالم المجريطي ، أبو عثمان (٢)
٦٣٣
سعيد بن شمر السبائي (٣) ٥٦
سعيد بن العاصي (١) ٦٠٦
سعيد بن عبد الحكم (٢) ٢٤٣
سعيد بن عبد الله بن سعيد السلماني (جد لسان
الدين الأقرب) (٥) ٨ ، ١١
سعيد بن عثمان الأعنقي (٢) ٥١ ، ٦٢٧ ،
٦٣٣
سعيد بن علي بن أحمد السلماني (جد لسان
الدين) (٥) ٨ ، ١٠
سعيد بن فتحون السرقسطي ، انظر : الحمار
السرقسطي
سعيد بن فرج (٣) ٥٨٢
سعيد بن قوشرة ، أبو عثمان (٤) ٢٢
- سعيد بن محمد الفرناطي (٦) ١٢٨
سعيد بن محمد المرواني (٣) ٥٩١
سعيد بن المسيب (٢) ٧٢٦ (٣) ٥٦ ، ٢٣٦
سعيد بن المنذر بن سعيد البلوطي (٢) ١٧
(٣) ٣٤٠ ، ٣٤١
سعيد بن منصور (٢) ٥١٩ (٣) ١٦٩
سعيد بن نصر بن عمر بن خلقون ، أبو عثمان
(٢) ٦٣٣ ، ٦٣٥
سعيد بن هشام (٢) ٥١٣
ابن سعيد (أحمد بن عبد الملك) (٣) ١٨٣
ابن سعيد ، أبو بكر (١) ١٩٠ ، ١٩١ ،
١٩٣ (٣) ٥٠٧ (٤) ٢٩٥
ابن سعيد (أحمد بن عبد الملك) أبو جعفر
(١) ٤٧٥ (٢) ٣٢٩ ، ٦٩٤ (٣)
٢١٨ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥١٣ ،
٥١٥ (٤) ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،
١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،
١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤
ابن سعيد (حاتم) (٣) ٥١٢
ابن سعيد (حاتم بن حاتم) العنسي (٣) ٤٩٩
ابن سعيد ، أبو العباس (٤) ٢٠
ابن سعيد (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك)
(٢) ٣٧٠ (٤) ١٨١
ابن سعيد ، أبو عبد الله (وزير صاحب
تونس) (٢) ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،

٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٣ ،	٢٨٧ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ،
٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،	٣٢٢ ، ٣٣٦ ، ٥٩١
٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٦٦ ،	ابن سعيد (محمد بن عبد الله) العنسي
٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٣٩٢ ، ٤٩١ ،	الغرناطي ، أبو عبد الله (٢) ٢٣٨
٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٦٦٣ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ (٣) ٩ ،	ابن سعيد (عبد الملك) (٢) ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،
١٧ ، ١٨ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٣٠ ،	٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ (٣) ١٨٣ ، ٥٣٣
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٧٩ ،	(٤) ١٢٣ ، ١٨٠ ، ١٨١
١٨٣ ، ١٨٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٣٠٣ ،	ابن سعيد (علي بن موسى بن عبد الملك)
٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣١٧ ،	العنسي نور الدين (١) ١٢٥ ، ١٢٧ ،
٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٤٠٤ ، ٤٥٢ ، ٥٢٧ (٤)	١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥١ ،
٣٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٧٠ ،	١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ،	١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ،
٣١٥ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٧١ (٥) ٦٩ (٧)	١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
٩ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٦ ، ٣٥	٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
ابن سعيد (موسى بن محمد بن عبد الملك)	٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٥ ، ٢٦٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ،
أبو عمران (١) ١٥٤ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،	٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٤٨ ، ٣٧٢ ،
(٢) ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٥١ ،	٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ،
٣٦٢ (٣) ١٣٣ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،	٤١٢ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ،
٣٧٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥٣١ (٤) ٧٦ ،	٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ،
١٣٨ ، ١٤٩	٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ،
ابن سعيد ، أبو عمرو (٣) ٤٩٧	٥٢٠ ، ٥٤٦ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢ ، ٥٦٢ ،
ابن سعيد (مالك بن محمد) العنسي (٣)	٥٦٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٦٨٠ ، ٦٩١ ،
٥١٢ ، ٥٦٨	٦٩٣ (٢) ٢٦ ، ٢٩ ، ٧٩ ، ١٠٦ ،
ابن سعيد (محمد بن عبد الملك) (١) ٤٦١	١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
(٢) ٣٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ (٣)	١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٤٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٠ ،
١٨٣ (٤) ١٨٢	٢٧٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،
ابن سعيد (يحيى) (١) ٢٨٩ (٢) ٣٧٣	٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،

سفيان بن يزيد (٢) ٥٧٥	أبو سعيد (عثمان بن عبد الرحمن) والي
ابن سفيان (نديم ابن ذي النون) (٢) ٦٤٤	تلمسان (٥) ٤١٣
(٤) ١٣٤	أبو سعيد (فرج النصري ، الأمير) (٥)
أبو سفيان (كاتب أندلسي) (٢) ١٦٠	٥٢٧
(٣) ١٦٥	أبو سعيد (فرج ابن السلطان الغالب بالله بن
سفيان (٢) ٤٤٠	الأحمر) (٢) ٦٥٥
ابن السقاط ، أبو القاسم (١) ٦٧٥	أبو سعيد البصري (٤) ١٧٧ (٥) ٩٩
سقراط (٥) ٣١١ ، ٣٦٩	أبو سعيد (عثمان بن أبي العلاء) المريني (١)
سقوت الحاجب البرغواطي (٣) ١٩١	٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٣ ، ٥٥٧ (٤) ٢١٤
ابن السكاك (٥) ٣٤٥ ، ٣٤٧	(٥) ٣٥ ، ٢٦٢ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٤
ابن سكرة (حسين بن محمد بن فيره) أبو علي	(٦) ٤٥٤ ، ٤٥٦ (٧) ٢٧٦
الصدفي (١) ٢٣٩ (٢) ٦٧ ، ٧٠ ،	أبو سعيد ابن أبي سعيد السلوي (٥) ٣٤٨
٧١ ، ٩٠ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ٢٢١ ،	أبو سعيد ابن عبد المؤمن (١) ٦٠٧ (٢)
٥٠٨ ، ٥٢٦ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٤٤ ،	٣٨٣ ، ٣٨٥ (٤) ١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،
٦٥٠ ، ٦٥١ (٣) ٦٧ (٤) ٤٦١ ، ٤٧٥	١٨٣ ، ٢٠٤ ، ٤٦٣
السكري (٢) ٥٣٨	سعيد الخير ابن السلطان عبد الرحمن الداخل
سكن بن سعيد (٣) ١٧٥	(٢) ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨
ابن السكن (محدث) (٢) ٥٧ ، ١٣٩ ،	السفاح ، أبو العباس (٢) ٥٥٧ (٣) ٥٤
١٤٠ ، ١٥١	(٤) ١٠٥ (٥) ٢٩ ، ٤٢ ، ٢٠٣ (٦)
ابن السكن ، أبو علي (٢) ٢١٣ ، ٢٣٧ (٣)	٣٧٩
٦	سفر بن عبيد الكلاعي (١) ٤٦٧
السكوني (محمد بن علي بن يوسف) أبو عبد	سفيان الثوري (١) ٣٤٤ (٣) ٢٣٦ ، ٥٤٤
الله ، انظر : ابن لؤلؤة .	سفيان بن العاصي ، أبو بحر (٢) ٧١ ، ٢٤٠
ابن السكيت (يعقوب) (٤) ٧ ، ٧٩ (٥)	سفيان بن عيينة (٢) ٩ ، ٤٦ ، ٦٢ (٥)
٢٧٤	٢٣٣
سلاف (اسم في شعر المنصور الذهبي) (٧)	سفيان بن هانيء الجيشاني (٣) ٥٦
٧٨	سفيان بن وهب الخولاني (٣) ٥٦ ، ٦٠

ابن سلمة (محمد بن محمد بن يحيى) أبو عبد الله (٢) ٦٦١ (٥) ٢٥١ (٦) ٢٦٤ ، ٢٦٥	سلام بن سلام الباهلي ، أبو الحسن (٤) ٣٣٣
أبو سلمة الخلال (٣) ٤٤	سلام بن سلام المالقي ، أبو الحسن (٣) ٢٠٤
أبو سلمة ابن عبد الرحمن (٣) ٥٦	ابن سلام (القاسم) أبو عبيد (٢) ٢٣٦ ، ٦٣٥ (٣) ١٧١ (٥) ١٢٩
ابن سلمون ، أبو محمد (٥) ٥١٣ ، ٥٤٠ ، ٦٠٤	سلامان (١) ٢٩٨
سلول (امرأة) (١) ٢٩١	ابن سلطور (محمد بن محمد بن أحمد) (٦) ٨٢ ، ٨١
السلطين (ابن بنت الأذفونش) (٤) ٤٦٣	سلطان بن إبراهيم المقدسي ، أبو الفتح (٢) ٦٠٥
السايلك (ابن السلكة) (٦) ١٧٦	السلفي (أحمد بن محمد الأصبهاني) أبو طاهر (٢) ٢٣ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ١١٧ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٩٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥١٣ ، ٥١٠ ، ٥٠٨ ، ٦٤٩ ، ٦٤٥ ، ٦٤٣ ، ٦٢٦ ، ٦٥١ ، ٦٥٠ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٣ (٣) ٦٥١ ، ٦٥٠ ، ١٣٩ ، ٢٢٤ (٤) ٤٦٨ (٥) ٢٠٧ ، ٥١٥ ، ٢٣٣
سليم خان ، السلطان (٢) ١٧٩	سلمى (جارية الزبيدي) (٤) ٧
ابن السليم (محمد بن إسحاق) أبو بكر (٢) ٢٢٠ ، ٦٣١ (٣) ٤٦٦	سلمى (في شعر أبي جعفر الالبيري) (٧) ٣٧٤
سليمي (١) ١١٩	سلمى (في شعر النباهي) (٦) ١٢٠
سليمان (النبي) (١) ١٣٥ ، ١٦١ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٤٩١ ، ٥٦٣ ، ٦٤٨ ، ٦٨٩ (٢) ٧ ، ٨٧ ، ٤١٩ (٣) ١١٩ ، ٥٧ (٤) ٤٨٧ ، ٢٩ (٥) ٣٤ ، ١٥٤ ، ٢٨٣ ، ٣١٦ (٦) ٢٩٩ ، ٣٩٠ ، ٣٥٢	سلمى بنت القراطيسي (٤) ١٧٨
سليمان (في شعر زكريا بن هذيل) (٥) ٤٩١	سلمان الفارسي (٥) ٢٣ ، ٢٨ ، ١١٥
سليمان الكوفي التلمساني ، أبو الربيع (٢) ٥٥١	سلمة بن أحمد (٣) ٤٦٥
سليمان اليازغي (٥) ٣٤٦	سلمة بن شبيب (٢) ٢٣٦
سليمان بن إبراهيم بن صافي القيساني (٢) ٦٣٩	

(١) ٣٩٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨ (٣) ٣٦٣ ،

٣٦٤

سليمان بن المرتضى (١) ٤٨٨ (٣) ٥٩٠ ،

٥٩١

سليمان بن مطر اللخمي الطبراني ، أبو القاسم ،

(٢) ٥٦٢ ، ٥٦٣

سليمان بن موسى بن سالم ، انظر : أبو الربيع

ابن سالم

سليمان بن الناصر (١) ٣٦٧

سليمان بن نجاح ، أبو داود (٢) ١٣٥ ،

١٥٣ (٤) ١٧١

سليمان بن وهب (الكاتب) (٣) ١٣٤

سليمان بن يحيى المراكشي (السفاح) أبو

الربيع (٥) ٣٩٤

سليمان بن يقطان الأعرابي الكلبي (٣) ٣٩ ،

٤٨

سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسي (٥)

٣٤٦

أبو سليمان المنطقي السجستاني (محمد بن طاهر

ابن بهرام) (٢) ٢٤٤ (٥) ٢٩٨

السمار (فتي مشهور) (٤) ١٧٠

ابن سماعة (محمد بن أحمد بن الملك) أبو

مروان (٢) ٥١٤ ، ٥١٥

ابن سماعة (موسى) (٢) ١٤٥ ، ١٤٦

ابن السماك (٣) ٣١٤

ابن سمجون (حامد) الطبيب (١) ١٩٧

السمح بن مالك الخولاني (١) ٢٣٥ ، ٢٩٩ ،

سليمان بن أبي أمية ، الفقيه الوزير أبو أيوب

(١) ٦٦٥ (٣) ٤٣٠ ، ٥٥٠

سليمان بن أبي القاسم (٢) ٦٣٥

سليمان بن أحمد البيني (٢) ٣٨١

سليمان بن أحمد بن يحيى (٢) ٥٣١

سليمان بن الأسود (٢) ٥٧٥

سليمان بن الأشعث السجستاني (٣) ١٧٧

سليمان بن الحكم الأموي (الملقب بالمستعين ،

بقرطبة) (١) ٣٠٠ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠

٤٨٢

سليمان بن داود المصري (٢) ٦٧١

سليمان بن داود ابن اعراب (٥) ١١٠ ،

١١١

سليمان بن عبد الرحمن الداخل (١) ٣٣٤ ،

٣٣٥ ، ٣٣٦ (٣) ٢٧ ، ٥٤

سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الموحي أبو

الربيع ، انظر : أبو الربيع (سليمان) الموحي

سليمان بن عبد الملك (١) ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،

٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ (٢)

٩٦ (٣) ١٣ ، ١٤ ، ١٦٢ ، ٥٩٤ (٥)

٢٨٤ ، ٢٩٦ (٦) ٣٧٩

سليمان بن علي الشلي ، انظر : كثير الشلي

سليمان بن عمر ، أبو الربيع (٥) ٣٤٥

سليمان بن محمد بن بطل البطلوسي ، انظر :

المتمس البطلوسي

سليمان بن محمد بن هود (الملقب بالمستعين)

السنوسي (صاحب شرح السنوسية الصغرى)	٣٣٨ ، ٤٨٠ (٣) ١٤ ، ١٥ ، ١٦
(٢) ٥٥	ابن السمع (أصبع بن محمد) المهندس
السنوسي (الإمام) (٢) ٦٩٢ .	الغرناطي ، أبو القاسم (٣) ١٧٦ ، ٣٧٥
ابن سنون ، أبو عامر (١) ٦٦٧ ، ٦٦٩	ابن سمحون (أحمد بن عبد الودود) أبو
ابن السني (٢) ٥٣٦	القاسم (٢) ٥٧٦
السهروردي ، شهاب الدين (٢) ٦٤ ،	ابن السمسار ، أبو الحسن (٢) ٦٣٧
١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٩٥ (٥) ٣٦٩	السمعاني (عبد الرحيم بن عبد الكريم) (٢)
سهل بن إبراهيم المسجدي ، أبو القاسم (٢)	٦٠٣
٦٢٨	ابن السمعاني (عبد الكريم) أبو سعد (٢)
سهل بن إبراهيم النيسابوري ، أبو القاسم (٢)	١١٠ ، ١١٧ ، ١٤٢ ، ٢١٣ ، ٦٢٨ ،
١٥٨	٦٢٩ ، ٦٣٢ ، ٦٥٠ (٣) ١٤٣ (٤) ٤٦٢
سهل بن سعد الساعدي (٣) ٥٦	ابن سمعة (سمعت) أبو الحسن (٢) ٦٩٧
سهل بن علي بن عثمان التاجر النيسابوري ،	(٣) ٥٢٤ (٦) ١٤٨
أبو نصر (٣) ٦٧	السمناني ، أبو جعفر (٢) ٧١
سهل بن عمرو بن قيس (١) ٢٩٦	سمنون المحب (٢) ١٩٣
سهل بن مالك الأزدي ، أبو الحسن (٢)	السموأل (١) ١٨٣ (٢) ٢٧٤ ، ٣٩٧ (٤)
١١٢ ، ٢٧١ ، ٥٦١ (٣) ١٩٣ ، ٣٧٢ ،	٥٣٠ (٥) ٦٦
٦٠٠ (٤) ٨ ، ٣١١ (٧) ٩ ، ١٠ ،	السميسر (خلف بن فرج) أبو القاسم (١)
١٧ ، ٤١٦	٥٢٧ (٣) ٢٢٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٣٢٠ ،
سهل بن هارون (٣) ١٧٨	٣٢٩ ، ٣٢٩ ، ٣٩٠ ، ٤١٢ (٤) ٢٠ ،
ابن سهل (إبراهيم) الإسرائيلي ، أبو إسحاق	١٠٨ ، ١١٦
(٢) ٣٠٧ (٣) ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ،	ابن السمينية (يحيى) (٣) ١٧٦ ، ٣٧٥
٥٢٥ ، ٥٢٦ (٤) ٢٩ ، ١٣٠ (٧)	ابن سناء الملك (٢) ٩٨ ، ٤٥٣ (٧) ١٤
١١ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٢٤٦ ، ٤٤٥	السنجاري (بهاء الدين أسعد بن يحيى بن
ابن سهل القصري (٢) ٦٤	موسى) (١) ٨٥
أبو سهل (شيخ دار الحديث بالقاهرة) (٣)	سنمار (٤) ١٠١
٣٧٩	السنوسي (٥١) ٤١٩

٤٥٩ ، ٤٧٠ ، ٥٦٧ (٤) ٧٢	السهيلي ، أبو جعفر (٢) ٤٤
ابن سيد بونه (جعفر بن عبد الله بن محمد)	السهيلي (صاحب الروض الأنف) أبو زيد
الخزاعي ، أبو أحمد (٢) ٥٠٦ ، ٥٦٧ ،	وأبو القاسم (٢) ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٣٣٥ ،
٦١٦	٦٤٠ (٣) ٩٩ ، ١٨٤ ، ٤٠٠ ، ٤٠١
ابن سيد بونه (غالب بن حسن بن أحمد)	(٤) ٣٣٤ ، ٤٦٨
الخزاعي ، أبو تمام (٢) ٥٦٦	سوار بن طارق (مولى عبد الرحمن بن معاوية)
ابن سيد الناس (٤) ١١٠	(٢) ٤٦
ابن سيد الناس ، شمس الدين ، أبو بكر (٥) ٣٩٤	سودة بنت زمعة (٣) ٦٩ (٧) ٤٢١
ابن سيد الناس (محمد فتح الدين) (٢)	ابن سودكين (إسماعيل) النوري (٢) ١٦٥
٥٩٦ (٥) ٣٨٧ ، ٣٩٤	(٥) ٢٧٣
ابن سيده (١) ٢٢٦ (٣) ١٩٢ ، ٣٨٠	سوسان (٥) ٤٤
(٤) ٢٧	السوسي (المغني) (٤) ٩٦
سير (المرايطي) أبو بكر (٣) ٣٤٥	سيبويه (١) ٢٢١ (٢) ١١٧ ، ٢٠٩ ،
سير بن أبي بكر (٤) ٢١٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣	٥٣٧ ، ٥٤١ ، ٥٤٦ ، ٥٥٨ ،
السيرافي (الحمن بن عبد الله) أبو سعيد (٢)	٥٦١ ، ٥٧٨ ، ٦٤٠ (٣) ٢٦٧ (٤)
٢١٨ ، ٦٤٧ (٣) ٧٧ ، ٩٧	٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ١٤١ ،
ابن سيري ، أبو حفص (٤) ٤٧٠ ، ٤٧١	٢٠٣ ، ٢٥٣ (٥) ٢١٨ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ،
ابن سيرين (٣) ٢٣٦ ، ٢٣٧ (٥) ٢٧٩	٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٤٢٤ (٧) ٣٤٩
سيف بن ذي يزن (١) ١٠ (٢) ٥٨٤ (٤)	السيد القنبيطور (رذريق الطاغية) (٤) ٢١ ،
٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٤٨٧ (٥) ٣٤ (٦)	٤٥٥
٥٤ ، ٣٨٠ (٧) ٣١٩	ابن سيد (الشاعر) ، انظر : اللص
سيف بن عمر (١) ٢٠٤	ابن السيد (علي) البطلوسي ، أبو الحسن
سيف الدولة (ابن هود) (١) ٤٤١	(٤) ٧٢
سيف الدولة الحمداني (١) ١٨٣ (٢)	ابن السيد (عبد الله) البطلوسي ، أبو محمد
٤٦٤ ، ٤٦٥	(١) ١٨٥ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ،
سيف الدين (شيخ ابن الحاج الغرناطي) (٧)	٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٩ (٢) ١٥٨ ، ٥٩٩
١١٤	(٣) ١٨٤ ، ١٩٢ ، ٢٢٨ ، ٢٨٧ ،

ابن السيوري (علي بن الطوسي) الاسكندري ،	سيف الدين أرغون (٢) ٥٤١
أبو الحسن (٣) ٢٥٨	ابن سيناء أبو علي (٢) ١٨٨ ، ٣٨٥ (٥)
السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) جلال	٣٣٧ (٧) ٩٩ ، ٢٨١
الدين (٢) ١٧٥ (٦) ٢٤٥ (٧) ١٠٦.	السيوري (٢) ٤٧٣

الشين

٣٤١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٨ ،	الشاذلي (٥) ٢٩٢
٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٥١٤	الشاذلي ، أبو الحسن (٢) ١٩٠ (٥) ٣٢٢ ،
الشاطبي ، أبو عبد الله (٤) ٢٢	٣٣٥
الشاطبي (محمد بن أبي القاسم) أبو عبد الله	الشاذياخي (الحاكم محمد) أبو عبد الرحمن
(٢) ٢٤	(٢) ٦٢٨
ابن شاطر السرقسطي (٤) ١٠٩	الشارمساحي ، أبو محمد (٣) ٦٤
ابن شاطر (محمد بن أحمد) أبو عبد الله (٥)	ابن شأس (١) ٥٥٦ (٢) ٦٦٥ (٥) ٢٢١
٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،	الشاشي ، أبو بكر (٢) ٢٩ ، ٣٧ ، ٦٧ ،
٢٧٣	٨٨ ، ٩١ ، ١٥٦ (٥) ٢٨٦
الشافعي (٢) ٥١ ، ٦٠ ، ١٤٨ ، ٤٤٦ ،	ابن الشاط (٢) ٦٩٤ (٥) ٢٣٢ ، ٤٦٨ ،
٥٢٩ ، ٥٤١ ، ٥٦٩ ، ٦٢٧ ، ٦٤٥ ،	٥١٥
٦٩٥ ، ٦٩٨ ، ٧٠٠ ، ٦٨ (٣) ١٦٦ ،	ابن الشاط ، أبو القاسم (٥) ٢٤٧
١٧١ ، ٢٣٦ ، ٥٦٦ (٥) ١٢٧ ، ٢٠٧ ،	الشاطبي (٢) ٥٣٢ (٥) ٥١٣
٢١٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٨ ، ٣٤٤	الشاطبي (تلميذ أبي العباس الراسي) (٢)
شاكر (٣) ٣١	١٤١
ابن شاليب (اليهودي) (٤) ٢٤٦	الشاطبي ، أبو إسحاق (٢) ٢١٦ (٧)
أبو شامة (المؤرخ) (٢) ٢٩٩ ، ٥١٤ ،	١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ ،

شداد بن أوس الأنصاري (٢) ٢٠٧	١٦٥ (٥) ٥١٦
ابن شداد (بهاء الدين يوسف بن رافع) (٢)	شامية: بنت أبي علي الحسن بن محمد بن محمد
٦٤ ، ١١٧ ، ٦٤١	التيمة (٢) ٥٥١
الشديد الملقب (محمد بن قاسم) أبو عبد الله	شانجة بن رذمير (١) ٣٦٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤
(٦) ١٦٨ ، ٢٣٧	٣٨٨ ، ٣٩١
ابن شراحيل ، أبو جعفر (٢) ٥٠٩	شانجة بن غرسية (١) ٣٦٣
ابن شراحيل ، عمر (٣) ٤٦	شانجة بن فرويلة (١) ٣٦٥
الشراف (صاحب الرجز في الفرائض) (٢)	ابن شانجة (١) ٤٠٤
٦٩٣	ابن شاهين (معاصر الجنيدي) (٥) ٢٩٢
ابن شرف القيرواني ، أبو عبد الله (٣)	ابن شبرين (القاضي) (٥) ٥٤٠
٣٢٩ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ (٤) ٦٧ ، ١١٦	ابن شبرين الإشبيلي (٧) ٣٤٠
ابن شرف القيرواني ، أبو الفضل (١) ١٥١	ابن شبرين (محمد السبتي) أبو بكر (١)
(٣) ٢٢٩ ، ٣٧١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥	١٧٧ (٥) ٤٥٥ ، ٥٤١ ، ٥٤٣ ، ٦٠٤
٣٩٧	(٦) ٢٥١
ابن شرف (محمد ابن أبي الفضل) (٧) ٨	ابن شبرين ، أبو عبد الله (٤) ٣٣٣
شرف الدولة (ولد المعتمد) (٤) ٩٦	شبطون (زياد بن عبد الرحمن) (١) ٣٣٣ ،
شرف الدين الأنصاري (٢) ٥٢٩	٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ (٢) ٩ ، ٤٥ ،
شرف الدين التلمساني (٥) ٢١٨	٤٦
شرف الدين البخاري (٢) ٢٤٢	الشبلي (أبو بكر دلف بن جحدر) (١) ٤٠
شرف الدين الدمياطي (عبد المؤمن بن خلف)	(٥) ٢٨٧ (٦) ٢٠٠ ، ٢٧١
أبو محمد (٢) ٦١٥ ، ٦١٨ (٥) ٢٣٢	شبيب (الخارجي) (٢) ٢٧٥ (٦) ٤٥٥
٣٨٧	شجاع (مولى المستعين بن هود) (١) ٣٩٨ ،
شرف الدين المرسي (٢) ٦٢٦	٣٩٩
شرف الدين المغيلي (٥) ٣٩٤	ابن شجاع (٥) ٤٤
شرف الدين (عيسى بن عبد الله الحججي)	أبو شجاع (١) ٣٣٣
أبو عبد الله (٥) ٣٩٣	ابن الشحنة (٢) ٥٢٢
شرف الدين بن ريان (٢) ٦٧١	شداد (٤) ٤٨٧ (٦) ٣٨٠

الشریف الطلیق (۳) ۱۹۷ ، ۳۸۸ ، ۳۸۹ ، ۵۸۶	شرف الدین بن سلیمان الاربلی (۲) ۲۷۳
الشریف العقیل (علی بن الحسین) أبو الحسن (۲) ۳۳۸	شرف الدین بن محرز الأخمیمی (۵) ۳۹۳ ، ۳۹۴
الشریف الغرناطی ، أبو العباس (۲) ۱۹۶ ، ۱۹۷ (۳) ۱۰۴ ، ۲۴۰ (۴) ۳۸۳ (۵) ۴۴۰ ، ۵۴۰ (۶) ۲۴۴	شرف الدین خضر بن عبد الرحمن العجمی (۵) ۳۹۳
الشریف المرتضی (۲) ۵۰۱	شرف الدین عیسی بن محمد بن أبی بکر أبوب (۵) ۳۹۳
الششتري (علی بن عبد الله) أبو الحسن (۲) ۱۸۵ ، ۱۸۷ ، ۲۰۵ (۷) ۱۷	شرف الدین هارون بن الصاحب محمد الجوی (۳) ۳۴۸ - ۳۴۹
شعبان (الشیخ النحوی) (۲) ۴۱۱	شریح (۲) ۶۲۶
شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، انظر : الأشرف	شریح بن محمد بن شریح الرعینی ، أبو الحسن (۲) ۱۶۲ ، ۱۶۴ ، ۶۳۴
شعبان بن کوجا (۳) ۱۳۳	ابن شریح (۵) ۲۱
ابن شعبان ، أبو إسحاق (۲) ۱۴۹ ، ۵۱۴ ، ۶۳۱ ، ۶۳۳	ابن شریح الرعینی الإشبیلی ، أبو عبد الله (۲) ۱۴۱
شعبة (الإمام المحدث) (۲) ۱۰۵	الشريشي (أحمد) أبو جعفر (۲) ۱۳۲ (۴) ۶۴
ابن شعبة ، أبو القاسم (۲) ۹۱	الشريشي (كمال الدين أحمد) أبو العباس (۲) ۱۱۵ ، ۳۹۲ (۳) ۴۴۶
الشعبي (۳) ۲۳۶	الشريشي ، أبو عبد الله (۵) ۲۶۸ (۷) ۱۰۸ ، ۱۶۶ ، ۲۸۲
الشعراني ، عبد الوهاب (۲) ۱۷۹	الشریف الإدريسي (۱) ۱۲۷ ، ۱۲۸ ، ۱۲۹ ، ۱۳۶ (۲) ۶۹۱ (۳) ۱۸۵
شعلة (۱) ۴۱۶	الشریف الحصني (۲) ۲۲۶
شعیب (۵) ۷۸ (۷) ۱۴۰	الشریف الرضي (۱) ۸۱ ، ۵۰۲ ، ۵۰۳ ، ۶۲۲ (۴) ۵۴۲ (۶) ۱۲۷
شعیب (الشیخ) ، انظر : أبو مدين	الشریف الشمسي المکی (۲) ۳۶۷
شعیب بن سبعون الطرطوشي ، أبو محمد (۳) ۶۳	
شعیب بن سعید (۲) ۹۱	
أبو شعيب (الشيخ) (۵) ۲۵۸	

ابن الشعر ، عبد العزيز (٢) ٥٠٨	ابن الشعر ، عبد الله (٣) ٦١٣
الشفاء (امرأة) (١) ٣٥٠	شمس الدين الأسدي الطيبي (١) ٦٢
ابن شفيح (٢) ٦٠٥	شمس الدين الأسواني (٥) ٣٩٤
ابن شفيح ، أبو الحسن (٢) ٢٢١	شمس الدين الأصبهاني (٢) ٥٤٢ (٥)
ابن شق الليل (محمد بن إبراهيم الطلييري)	٢٤٧ ، ٢٥٣
أبو عبد الله (٢) ٥٣	شمس الدين البعلي (٢) ٢٢٨
الشقندي ، أبو الوليد (١) ١٤٧ ، ١٥٦ ،	شمس الدين الدمشقي (٧) ٣٣٧
١٧٦ ، ٣٩٩ ، ٤٥٦ ، ٥١٩ ، ٥٤٢ (٢)	شمس الدين الغرناطي (٧) ١١٠
٢٧ (٣) ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣٧ ،	شمس الدين الغماري (٥) ٤٢٨
٣٦٩	شمس الدين الكوفي الواعظ (٥) ٥٦
الشقوري ، أبو جعفر (٢) ٥٨٠ (٥)	شمس الدين الهواري الضير ، انظر : ابن
٣٨٦ ، ٣٨٧	جابر
ابن شقير ، تاج الدين (٢) ٢٧٣	شمس الدين الورجمي (٥) ٣٩٤
ابن الشكاز (٧) ٢٧٢	شمس الدين بن أبي الفتح (٢) ٢٢٥
ابن شكر (٢) ٣٨٤	شمس الدين بن اللبان (٥) ٢٥٣
الشلباني ، أبو الحسن (٥) ٢٩٤	شمس الدين محمد بن التلمساني (٢) ٥٥٥ ،
الشلبية (الشاعرة) (٤) ٢٩٤	٥٥٦
الشلوبيني ، أبو علي (١) ٢٢١ ، ٣١٤	شمعون (٢) ٤١١
(٢) ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢٣٠ ،	الشمعي ، تقي الدين (٢) ٦٩٤
٢٧١ ، ٥٦١ ، ٦٣١ (٣) ١٨٤ ، ١٩٢ ،	الشتتجالي ، أبو محمد (٢) ٥١٣
٢٤٠ ، ٤٩٠ ، ٥٢٣ (٤) ٩ ، ٤٧٢	ابن شنتغير ، أبو عثمان (٣) ٤٠٥ ، ٤٠٦
٤١٦ (٧)	ابن شنظير ، أبو إسحاق (٢) ١٠٥
ابن شماس (عبد الله الفهري) (١) ٢٨٨	شهاب الدين البوشي المالكي (٥) ٣٩٤
(٣) ١٠	شهاب الدين الحجازي (٢) ٤٠٥
شمر بن ذي الجوشن (٣) ٢٦ ، ٥٣ (٧)	شهاب الدين الحنبلي الزرعي (١) ٩٦ (٥)
٣٦٥	٣٩٤
ابن شمر ، المنجم ، عبد الرحمن (٣) ١٣٠	شهاب الدين الطبري (٢) ٢٠٧

شهاب الدين الغزالي (أحمد بن عبد الملك)	شهاب بن عيسى بن شهيد (٣) ٤٥
أبو العباس (١) ٨٣ (٢) ٥٥١ ، ٥٧٩	ابن شهيد (أحمد بن عبد الملك) أبو عامر
(٧) ٨٩ ، ٩١ ، ٩٤	(١) ١٥٦ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ،
شهاب الدين القرافي (٢) ٥٣	٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ،
شهاب الدين القوصي (٢) ٢٩٨ ، ٢٩٩	٤٨٩ ، ٥٢٥ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ،
شهاب الدين المتبولي (٢) ٦٩٥	٦٢٣ ، ٨٣ (٢) ٤٩٩ (٣)
شهاب الدين ابن أبي حجلة التلمساني (٢)	٧٦ ، ١٧٨ ، ١٩٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
٢٠٠ (٧) ١٠٠ ، ١٠٥	٢٤٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٤ ،
شهاب الدين بن فرج ، انظر : ابن فرج	٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ،
شهاب الدين أحمد الجوهري الحلبي (٥)	٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٥٤٩ ، ٥٩٤ ، ٥٩٨ ،
٣٩٤	٦١٠ (٥) ٦١٠
شهاب الدين أحمد بن الحرازي (٥) ٣٩٣	ابن شهيد (عبد الملك بن أحمد) أبو مروان
شهاب الدين أحمد بن محمد الصنعاني (٥)	(١) ٤٠٠ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ (٣) ٢٦٠
٣٩٢	٢٦١
شهاب الدين محمود ، أبو الثناء (٢) ٢٢٣ ،	الشوذلي الحلوي ، أبو عبد الله (٥) ٢٦٠ .
٢٢٥ (٥) ٥١١	٣٦٩
شهاب الدين يعقوب (ابن أخت نجم الدين)	شيبان بن أمية القتباني (٣) ٥٦
(٣) ٣١٢	شبية (في يوم بدر) (٥) ٣٠٩
أبو شهاب الملقب (١) ٤٧٦	ابن الشيخ (٣) ٢٢٧
شهدة بنت الابري (الكاتب) (٣) ١٣٩	أبو الشيص (٦) ١٢٧

الصادر

ابن صابر المنجنيقي (٥) ١٥٣ ، ١٥٥	ابن صاحب الصلاة الوليبي (إبراهيم) أبو محمد (١) ٥٥٢
الصابوني شرف الدين (٢) ٦٠٩	صاحب القبلة (مسلم) أبو عبيدة (٣) ٣٧٥
ابن الصابوني أبو بكر (محمد بن أحمد) (٣)	صارم الدين إبراهيم بن دقماق ، انظر : ابن دقماق
٥١٨ ، ٥١٩ (٤) ١٥٩ (٧) ١٠ ، ٧٢ ، ١١	ابن صارة ، أبو العباس (٣) ٣٥٥ (٤) ٥
الصابي أبو إسحاق (إبراهيم بن هلال بن هارون) (١) ٨٤ ، ٣١٢ ، ٥٠٣ (٢)	ابن صارة الأندلسي ، أبو محمد (١) ٤٩٩
٥٠٠ (٤) ٤٩٩ (٥) ٤٢	(٢) ٣٠ ، ٦٥٢ (٣) ٢١٦ ، ٣١٨ ، ٤١٤ ، ٤٣٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٨ ، ٥٦٧ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ (٤) ٣٢٥ ، ٣٠١ ، ١١٧ ، ٩١ ، ٨٦ ، ٧٣ ، ٣٤٤
الصاحب بن عباد (١) ٣١٢ (٢) ٤٦١	ابن صارو البعلبي شهاب الدين (٢) ٦٧٩
(٤) ٤٩٩ (٦) ١٥٨	صاعد بن أحمد الطليطي ، أبو القاسم (٢)
ابن الصاحب (١) ٣٩	٦٤٩ (٣) ١٨٢
ابن صاحب الأحباس (أبو بكر) (٢) ٥٠٨	صاعد بن الحسن البغدادي (١) ٤٠٠ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ (٢) ٧٨ ، ١٣٢ ، ٢٤٤ ، ٥١٠ (٣) ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٧٢ ، ٢٦٠ ، ٥٩٨
ابن صاحب الرد (أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الإشبيلي) (٣) ٣٠٦	صالح (الزبي) (٥) ١٥٤ ، ٣٦٦ (٦) ٨٧ ، ٨٦
ابن صاحب الصلاة (المائة السابعة) (٢) ٣٧٦	
ابن صاحب الصلاة (صاحب المن بالإمامة) (٢) ٣٣٥	
ابن صاحب الصلاة البجاسي (٢) ٦٩٠	
ابن صاحب الصلاة (محمد) أبو بكر (٣) ٤٦٩	
ابن صاحب الصلاة (عمر) أبو جعفر (٣) ٤٦٩	

ابن الصباغ (٥) ٤٨٦ ، ٥١٠ ، ٢١٥ ،	صالح الغنوي (٣) ٥٢
٢١٦ (٦) ٣٣	صالح المسكوري ، أبو محمد (٥) ٢٦٨
صبح البشكنسية (أم هشام المؤيد) (١)	الصالح أبو الوليد إسماعيل (٤) ٣٨٧
٣٩٩ ، ٦٠٣ (٢) ٣٠٤ (٣) ٨٧ ،	صالح بن شريف الرندي (٢) ٦٩٤ (٣)
٨٨ ، ٩٢ ، ٩٣	٣٤٧ (٤) ١٤٧ ، ٤٨٦ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩
أبو الصبر (٢) ٦٠٦ (٧) ١٣٦	٦٠٢ (٥)
صبيح الطواشي (٢) ٣٢٣ ، ٣٢٤	صالح بن طريف البرغواطي (٣) ١٩١
صُحْر (بنت لقمان) (٢) ٢٧٦	صالح بن عبد العظيم بن يونس (٥) ٣٩٤
صخر (أخو الخنساء) (٤) ١٤٣	صالح بن مخلد (١) ٣٥٦
أبو صخر القرطبي (١) ٥٠١	الصالح بن الملك الكامل (٢) ٣٤٣
صدر الدين الحجتندي (٢) ٣٨٢	الصالح ابن الناصر قلاوون (٤) ٣٨٦ ،
صدر الدين بن الأدي (١) ٨٩	٣٩٩
الصدفي أبو علي ، انظر : ابن سكرة	الصالح نجم الدين أيوب (٢) ٢٦٦ ، ٢٨٦
صدقة بن محمد بن مروان الدمشقي (٣) ٦٢ ،	الصالح نور الدين (٢) ٢٨٦
٦٣	ابن صالح أبو عبد الله (٢) ٤٤ ، ٦٤٢ (٤)
ابن صدقة أبو محمد المنكبي ، انظر : ابن غزال	٣٢٠ (٧) ٣٣٧
الصديق ، انظر : أبو بكر الصديق	ابن الصائغ (النحوي) ، انظر : محمد بن عبد
ابن صديق (٥) ٤٢٩	الله بن محمد القرشي النحوي ، أبو عبد الله
الصرصري ، أبو الحسن (٥) ٣٤٢	ابن الصائغ (لعله محمد بن حسن الجداوي)
ابن صصرى ، أبو القاسم (٢) ١٤١	٨٩ (١)
ابن صصرى (الحسن بن هبة الله) (٢) ١٥٨	ابن الصائغ المقدسي نور الدين (٢) ٤٨٥
الصعب (ذو القرنين) (٤) ٤٨٧	(٤) ١٤٨ (٥) ٣٩٥
ابن صعد التلمساني أبو عبد الله (٦) ٤٩٢	صباح (امرأة لقيها مساعد الأصبغي بالمشرق)
الصغثير أبو الحسن (٥) ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٣٨٨	(٢) ٦٤٤
الصفار ، أبو علي (٢) ٦٣٣	ابن الصباح (١) ٣٢٨
ابن الصفار ، أبو سعيد (٢) ١٠٤	أبو الصباح ابن يحيى اليحصبي (٣) ٣٣ ،
ابن الصفار ، أبو القاسم (٣) ٣٧٥	٣٤ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٢

صلاح الدين العلائي (٢) ١٧٨	الصفدي ، أبو الحسين (٢) ٦٠٠
صلاح الدين بن أيوب (١) ٤٤٤ ، ٤٤٥	الصفدي ، خليل بن أيوب (١) ٣٨ ، ٨٦
(٢) ٩٩ ، ٢٩٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٤٠٣	٩٦ (٢) ١٦ ، ٨٨ ، ١٧٩ ، ١٩٠
٦٣٦ ، ٦٣٧ (٣) ٦٨	٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧
صلاح الدين خليل بن أيوب الصفدي ، انظر :	٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٣٤٤ ، ٣٩٣ ، ٥٢٩
الصفدي	٥٣١ ، ٥٣٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦٦
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (١) ٤٩٦	٥٦٧ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥
٤٩٧ (٢) ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٢٩٢ (٣)	٦٨٤ (٣) ٧٣ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ (٤)
٢٩٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٢ ، ٣٥٦	٢٠٧ ، ٣٧٦ (٧) ٢٦٢ ، ٣٩٩ ، ٣٩٤
٤٨٠ (٤) ١٨	صفوان بن إدريس المرسي ، أبو بحر (١)
صلة بن أشيم (٦) ١٦٧	٩٤ ، ١٧٠ (٣) ١٨٣ ، ٢٧٠ ، ٣٨٦
الصليحي (٣) ٣٧٦	٤١٠ ، ٤٦٢ ، ٦٠١ (٤) ٨٧ ، ٤٧٥
صمادح (٤) ٤٩	٤٧٦ (٥) ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٩
ابن صمادح ، انظر : المعتصم بن صمادح	٧١ ، ٧٤ ، ١٩١ ، ٥٣٨ ، ٦٠٠ (٦)
الصميل بن حاتم الكلابي (١) ٢٣٧ ، ٢٣٨	٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ (٣)	صفوان بن صالح (٢) ٥١٨
٢٣ - ٢٦ ، ٣٠ - ٣٦ ، ٥٢ ، ٥٣	صفوان بن عسال (٢) ٤٠٥
الصنوبري (١) ٣١٢	ابن صفوان الملقب (أحمد بن إبراهيم) (٤)
الصهال (٧) ١١٧	١٤٩ (٥) ٤٧٨ (٦) ٣٩ ، ٤١ (٧)
صهيب (الرومي) (٢) ٦٢٨	١٠٠ ، ٣٤٠
ابن صواب ، أبو القاسم (٢) ١٥٨	صفى الدين الحلبي (٢) ٣٩٧
ابن الصوفي (٥) ٢٩٨	صفى الدين بن شكر (٢) ٣٧٤
الصولي (٢) ٢٧٥ (٤) ٢٦	صفى الدين بن علي بن ظافر الأزدي (٢)
الصيدلاني ، أبو جعفر (٢) ١٠٤	١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٨٢ ، ٥٥٠
ابن الصيرفي الغرناطي (٣) ١٨١	صفى الدين أبو محمد (عبد الله بن علي) (٣)
ابن الصيرفي ، أبو القاسم (٣) ٦١٤	٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٤
ابن الصيقل (عثمان بن سعيد) أبو سعيد	ابن الصلاح ، أبو عمرو (٣) ١٣٧

ابن الصيقل الشاطبي (محمد بن علي) (٢)	١٣٥ (٣)
٧٢	ابن الصيقل ، أبو مروان (٢) ٥١٣ ، ٦٤٤
الصيمري (٢) ٧١	ابن الصيقل ، النجيب (٢) ٥٢٩ ، ٥٩٥

الضاد

الضراب (٢) ١١٣	ابن ضابط النحوي المالقي ، أبو الوليد (٣)
ضرغام بن عروة بن حجاج بن أبي فريعة (٢)	٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٦٠٩
٦٤٦	ابن الضائع (علي الكتامي) أبو الحسن (٢)
ضمام بن عبد الله الأندلسي (٢) ٦٤٥	٥٥١ ، ٥٦١ ، ٧٠١
٦٤٦	الضبي (المنجم) (١) ٣٣٤ ، ٣٣٥
الضياء (٢) ٦٢٦ (٣) ١٣٧	الضحاك بن قيس الفهري (١) ٦٢١ (٣)
ابن ضيفون اللخمي (محمد بن عبد الملك)	٥١ ، ٥٢
٢٣٧ (٢)	أبو الضحاك الفزاري (٢) ١٥٦

الطاء

٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩	طارق بن زياد (١) ١١٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧	١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨	٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٢٥ ، ٣٩٦	٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ،
٣٩٩ (٢) ٥٨٧ (٣) ١٢ ، ١٣ ، ١٤	٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،

أبو طاهر الأصفهاني ، إسماعيل بن محمد بن أحمد ، انظر : الوثابي	٥٩٢ (٤) ٣٠٣
أبو الطاهر الأندلسي النحوي (٢) ٥١٣	طارق بن موسى بن يعيث ، أبو الحسن ، أو أبو محمد (٢) ٥٩ ، ٥١٣ ، ٥٩٩
أبو الطاهر الخشوعي (٢) ٢٢٢ ، ٣٨٣	طالب الصوري (٢) ٦٣٨
٦٠٤ (٣) ١٣٥	ابن طالب (يحيى بن طالب الحنفي) (٧) ٣٦
أبو طاهر الدهلي (٢) ٦٠٤	أبو طالب (قاضي الجماعة بقرطبة) (٢) ١٥
أبو الطاهر السلفي ، انظر : السلفي	أبو طالب المكي (٥) ٢٤١ ، ٢٦٨
أبو الطاهر ابن عوف (٢) ٥٧ ، ١٥٨ ، ٦٥٢ ، ٦٠١ ، ٥٠٥ ، ٣٨١ ، ٢١٩	أبو طالب أحمد بن مسلم التنوخي ، انظر : التنوخي
أبو الطاهر إسماعيل الخشني الجبائي ، انظر : ابن أبي ركب	أبو طالب عبد الجبار ، انظر : المتنبّي الجزيري
أبو الطاهر إسماعيل القرشي العلوي (٢) ٦٠٦	طالوت بن عباد بن نضال بن جعفر (٢) ٥٨٠
أبو الطاهر إسماعيل المليحي (٢) ٥٤٠	طالوت بن عبد الجبار الماعفري (الفقيه) (١) ٣٣٩ (٢) ٦٣٩
طاووس (محدث) (٦) ٢٠٠	طاهر (قائد جيش المأمون) (٥) ٤٢
الطباع الغرناطي ، انظر : أحمد بن الطباع	طاهر الأندلسي ، أبو الحسين (المالقي) (٢) ٥١٢
الغرناطي ، أبو جعفر	طاهر بن مقوّز ، أبو الحسن (٢) ٧٣ ، ٥٠٤
الطبراني (٢) ٤٢٩	طاهر بن هشام ، أبو عثمان (٢) ٥٠٨
ابن طبرّزد (الحافظ) أبو حفص (٢) ١٥ ، ٥٣٦ ، ٦٠٣ ، ٥٦١ ، ٦٢٦	ابن طاهر (عبد الله) (٢) ٩٦
الطبري (محمد بن جرير) (٢) ٥١٩ (٣)	ابن طاهر ، أبو بكر (٤) ٢٢ ، ١٦٢
١٦٨ (٥) ٤١٥	ابن طاهر ، أبو عبد الرحمن (صاحب المظالم) (١) ٦٤١ ، ٦٥٨ ، ٦٧٠ (٣) ٤٠٩
الطبي (صاحب مؤلف في التراجم) (٢) ٥٠٦ ، ٥١٣	(٧) ٣٠
الطبي (معاصر ابن شهيد) (٣) ٦١٠	أبو الطاهر (صاحب المقامات اللزومية) (١) ٢٩١
الطبي (عبد الملك بن زيادة الله) أبو مروان (٢) ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥١١ (٣) ٦٣ (٧)	
٤٨	

طريف بن مالك ، أبو زرعة (١) ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٨٥	الطبري (زيادة الله بن علي التميمي) أبو مضر (٢) ٤٩٦
ابن طريف (٢) ٦٠٥ (٣) ١٧١	الطحان (الحافظ) أبو القاسم (٢) ٥٣
ابن طريف (الشيخ) أبو الحسن (٢) ٥٤	ابن الطحان ، أبو الأصم ، انظر : عبد العزيز
ابن طريف ، أبو الوليد (٢) ١٥٦ ، ١٥٨	ابن علي (ابن الطحان)
(٣) ٤٢٩	الطحطاحاني (الطحطاوي) فرج (٢) ٤٢٩
الطفرائي (٢) ٥٦٨	٤٤٠ (٤) ٣٣٠ ، ٣٣١
الطغمي (٣) ٤٥٦	طراد (٢) ٦٣٢
طفيل بن عاصم (٦) ٣٠٩	طراد الزيني (٢) ٩١ ، ١٣٨ ، ١٥٦
الطفيل بن عمرو الدوسي (٥) ٥١٩	طراد بن مهلهل (٢) ٢٩١
ابن الطفيل العبدي القيسي ، أبو بكر (١)	ابن الطراح (٤) ١٤٥ ، ١٤٧
٢٦٧ (٣) ٢٣	ابن الطراوة ، أبو الحسين (٢) ١٤٢ ، ٥٣٨
ابن طفيل (محمد بن عبد الملك) أبو بكر (١)	(٣) ١٨٤ ، ١٩٢ ، ٣٨٤ ، ٤٠١ (٤)
٦٠٧ (٣) ١٩٣ (٤) ٣٠٩ (٥) ٣٣٧	٣٣٢
ابن طفيل (يحيى بن أحمد بن يحيى القيسي)	الطرائفي (الفقيه) (٥) ٥٠٦
أبو زكريا (١) ٦٠٧	طرب (جارية المنذر الأمير) (٣) ٥٧٧
ابن الطلاء (هشام بن محمد القيسي الشلي)	الطرطوشي (١) ٥٥٦ (٢) ٢٢١ ، ٦٥١
أبو الوليد (٤) ٣٣٣	(٥) ٢٩٩
ابن الطلاع (٢) ٥٦١	الطرطوشي ، أبو بكر (٢) ٢٧ ، ٣٧
ابن الطلاع (محمد) الفقيه (٤) ٣٥٨	٣٨ ، ٥١ ، ٧١ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١
طلحة (الصحابي) (٥) ١٦٥ (٧) ٣٢٦	١٥٥ ، ١٥٩ ، ٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٦٤٤
طلحة بن العنبر (٢) ٣٣٧	ابن طر كاط الأندلسي (٥) ٥١٤ (٦) ١٥٣
ابن طلحة (محدث بمكة) (٢) ٢٨	طروب (١) ٣٤٩
الطلمنكي ، أبو عمر (٢) ٢١٨ ، ٥١٣ ،	طروب (جارية عبد الرحمن الأوسط) (٣)
٦٠٦ (٣) ٣٧٩	٦١٣
طلوبش بن بيطة (١) ١٣٨	الطرياني (موسى) أبو عمران (٤) ٦٣ ،
الطليق القرشي ، انظر : الشريف الطليق	١٣١

الطويحين (أبو إسحاق الساحلي) (٢) ١٩٤ ، ٦٥٧	الطماح (الشاعر) (٤) ٣٠٧
ابن الطويل (٤) ١٤٢	ابن طمليس (محمد بن القاسم) (١) ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٠
ابن الطويل (القائد في بربرشتر) (٤) ٤٤٩	الطنجالي ، أبو جعفر (٥) ٦٠٤
ابن الطويل ، أبو عامر (١) ٦٧٢	الطنجالي ، أبو عبد الله (٤) ٥١١ (٥)
الطيبار ، أبو إسحاق (٥) ٢٤١ ، ٢٦٠	٥١٣ ، ٥١٤ (٦) ٢٦٥
الطيبار موسى (٧) ١٤١	الطنجالي (عبد المنعم بن أبي جعفر أحمد بن عبد الله الهاشمي) أبو المعجد (٧) ٣٣٧
ابن الطيب البغدادي أبو القاسم (٢) ١٤١	الطنجالي الهاشمي (محمد بن أحمد) (٥) ٣٨٩
أبو الطيب الطبري (القاضي) (٢) ٦٧ ، ٧١	الطنجي ، أبو عمر (٦) ١٤٥
أبو الطيب المتنبي ، انظر : المتنبي	الطوسي (٣) ٦٧
ابن طيفور ، أبو عمرو (٤) ٧٥ ، ٧٦	طوطة (ملكة البشكنس) (١) ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥
ابن الطيلسان (٣) ٧٢ ، ١٣٩ (٤) ٢١	ابن طوفان (٢) ٤٩٥ (٣) ٣٣١ ، ٣٣٢
ابن الطيلسان (القاسم) (٥) ٢٦٣ ، ٢٦٤	ابن طولون (٢) ٣٣٩
ابن الطيلسان (ثابت بن خيار) أبو المظفر أو	
أبو الحسن (٢) ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١	

الظاء

ابن ظافر الأزدي ، علي (صاحب بدائع البديهة)	ظافر الحداد (٢) ٢٩٢
(١) ٦٤٥ (٣) ١١٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ،	الظافر بن ذي النون (عبد الرحمن) (١)
٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ،	٦٤٩ ، ٦٥٠
٢٦٢ ، ٣١٢ ، ٣٥٥ ، ٥٠٠ ، ٦٠٧ ،	الظافر بن المعتمد بن عباد (١) ٦٢٥ ، ٦٢٦
٦٠٨ (٤) ٥ ، ٢١٢ ،	٣٠٧ (٤)

أبو الطاهر (ابن ذي النون والديجي) (٤) ٣٣	ظفر البغدادي (٣) ١١١
الظاهر (الملك أبو سعيد برقوق بن أنص) (٥) ٢٥٤	ظلوم (صاحبة أبي العتاهية) (٣) ٦١٥
الظاهر بن الناصر (٢) ٦٤٠	ظهير الدين (طفتكين بن أيوب) (٢) ٤٠٣
الظاهري (٢) ٣٧٦	ابن الظهير الحنفي الإربلي (مجد الدين محمد ابن أحمد) (٢) ٣٩٣

المين

ابن عايد (الراوية) أبو عبد الله (٣) ٢	عاشر بن محمد ، أبو محمد (٢) ٢٢١
ابن عابد القرطبي (محمد بن عبد الله بن سعيد) (٢) ٢٣٩	ابن عاشر (أحمد بن عمر بن محمد) أبو العباس (٥) ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦
عابدة المدنية (٣) ١٣٩	(٦) ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ (٧)
ابن عات (١) ٣١٤ (٣) ٦٦	٢٧٠
ابن عات ، أبو عمر (٢) ١٠٠ ، ١٦٠ ، ٦٠٢ ، ٦٠١	عاصم (لغوي) (٢) ٢٣٣
عاتكة بنت أحمد بن عبد الرحمن الوقشي ، أم المجد (زوج ابن جبير) (٢) ٤٨٩	عاصم بن مسلم الثقفي (٣) ٤٥
العاذل (القائم بلوشة) (٤) ٤٦١	ابن عاصم (المسؤول عن البناء أيام الناصر) (١) ٣٦٠
العاذل (القائم بمرسية) (٢) ٣٦٥ (٤) ٤٥٦	ابن عاصم (محمد بن محمد) أبو بكر (٥) ١٩ ، ٥١٣ ، ٥٤٠ (٦) ١٥٧ (٧) ١٠٩ ، ١٦٩ ، ٣٤٦
العاذل بن أيوب (سيف الدين أبو بكر محمد) (٢) ١٠٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨	ابن عاصم ، أبو يحيى (٤) ٥٠٧ ، ٥١٠ (٥) ١٩ ، ٢٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ (٦) ٢٧ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ (٧) ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٢ (٧)
٢٣١ (٥) ٣٠٠	
العاذل بن المنصور (الموحدي) (٤) ٣٨٤	

عباد بن الحريش (٣) ٣٢١ ، ٣٢٢
 عباد بن محمد بن عباد ، انظر : المعتضد بن
 عباد
 ابن عباد . (محمد بن إسماعيل) أبو القاسم
 (والد المعتضد) (١) ٤٣٢ ، ٤٨٧ ،
 ٤٨٨ (٤) ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢
 ابن عباد (محمد بن إبراهيم بن يحيى الرندي)
 (٥) ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
 ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٤٩٣
 أبو عباد ، انظر : معبد (المغني)
 عبادة بن الصامت ، أبو الوليد (٣) ١٦١ ،
 ١٦٤
 عبادة بن ماء السماء ، أبو بكر (١) ٢٩٤ .
 ٤٨٤ ، ٤٨٦ (٣) ١٣٠ ، ١٧٣ (٤)
 ٢٣ ، ٥٢ ، ١٠٩
 ابن عبادة القزاز الوشاح (محمد) أبو عبد الله
 (٢) ٦٢٧ (٣) ٤١١ ، ٤٩٢ ، ٦١٠
 (٤) ١٣ ، ١٠٣ (٧) ٦
 أبو عبادة ، انظر : البحري
 العبادية (جارية المعتضد بن عباد) (٤) ٢٨٣
 العباس (ممدوح ابن بقي) (٧) ٩٦
 العباس البقني (٥) ٥٤٠
 العباس بن الأحنف (٣) ١٩٢
 عباس بن أصبغ (٢) ٦٣٠
 العباس بن عبد المطلب (٤) ٣٠٩ (٥) ٢٤٤
 (٧) ٣٢٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨
 العباس بن عبد الملك (٢) ١٤٩

١٠٢ ، ١٠٣
 أم عاصم (١) ٢٨١
 العاصمي (٣) ٧٧
 عامر العبدي (٣) ٣٢ ، ٣٦
 عامر بن ذريح الحميري (٣) ٥٦
 عامر بن محمد بن علي الهنتاتي (٦) ٢٠٩ ،
 ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٤١٤ ، ٤٨١
 عامر بن نذير ، أبو عامر (٢) ٦٠٢
 عامر بن هشام القرطبي ، أبو القاسم (١)
 ٥٤٢ (٣) ٢٦٩
 أبو عامر (ينقل عنه ابن برطلة) (٢) ٦٥١
 أبو عامر (غلام) (٣) ٤٦٥
 أبو عامر ابن المظفر بن أبي عامر (٣) ٥٨٨
 عاملة (امراة) (١) ٢٩٥
 ابن عائذ ، أبو زكريا ابن مالك (٢) ٦٤٦
 ابن عائش ، أبو جعفر (٣) ٤٢١ ، ٤٢٢
 عائشة (أم المؤمنين) (٣) ١١ ، ٥٥ ، ٦٠
 (٥) ١٦٥
 عائشة الجزيرية (٥) ٣٠٦
 عائشة بنت أبي عبد الله محمد المغيلي (٥) ٤٨٠
 عائشة بنت أبي يحيى (٥) ٣٠٦
 عائشة بنت أحمد القرطبية (٤) ٢٩٠
 عائشة بنت أحمد بن الحسن المديوني (٥) ٤٣٠
 ابن عائشة ، أبو عبد الله (٤) ١٤ ، ٥٣ ،
 ٥٥ ، ١٥٧
 عبّاد (قاضي إشبيلية وجد المعتمد) (٣)
 ٤٢٨

أبو العباس أحمد الخزرجي القرطبي (٣)	عباس بن عمرو الصقلي (٣) ١١١
٤٣٠	العباس بن الفرج الرياشي (٢) ٤٦ ، ٢٣٦
عباسة (٣) ٧٩	عباس بن فرناس ، أبو القاسم (١) ١٦٢
عبد بن زمعة (٣) ٦٩	(٣) ١٣٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥
عبد الأعلى بن موسى بن نصير (١) ٢٧٥	العباس بن محمد الحداد التنيسي (٣) ٦٢
ابن عبد الأعلى (صاحب أبي محمد قاسم	العباس بن مرداس السلمي (٥) ٤٨٦
البياني) (٢) ٤٨	عباس بن ناصح الثقفي الجزي (١) ٣٤٣ ،
عبد الباقي بن تاج الدين بن أبي بكر البوري	٣٤٤ (٢) ٢٦١ ، ٢٦٢ (٣) ٤٢٤
(٧) ٤٩٠	ابن العباس (٧) ٤٢٨
عبد البر بن فرسان الغساني الوادي آشي (٢)	ابن عباس (ذكره ابن جزي في شعره) (٥)
٦١١ (٣) ٤٩٩ ، ٥٦٣	٥٣٢
ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله) أبو عمر	ابن العباس التلمساني (٥) ٤١٩ ، ٤٣٣
(١) ٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٥٠٥ (٢) ٦٢ ،	أبو العباس الأشعري (٤) ٣١٢
٧١ ، ٨٣ ، ١١٣ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢٣٧ ،	أبو العباس الرندب (القاضي) (٥) ٢٣٣
٥١٥ ، ٦٠٢ ، ٦٣٥ (٣) ٦ ، ٦٣ ،	أبو العباس القسطلاني (٢) ٥٤
٦٩ ، ١٦٩ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٣٥ (٤)	أبو العباس المالقي (٤) ٢٢
٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٢٧	أبو العباس المرسي الولي أحمد بن عمر بن
ابن عبد البر ، أبو محمد (ولد الإمام أبي عمر)	محمد (٢) ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ (٧)
(١) ٥٩٧ ، ٥٩٨ (٤) ١٠٧	١٣٩ ، ٢٣٩
ابن عبد البر الشنتريني ، أبو عبد الله (٣) ٣٣٣	أبو العباس المكناسي (٥) ٢٥٢
عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن	أبو العباس النباقي العشاب ، انظر : ابن الرومية
عوف (١) ٢٨٨ (٣) ١١ ، ٦٤	أبو العباس ابن أبي يحيى الشريف (قاضي
عبد الجبار بن حمديس ، أبو بكر ، انظر :	غرناطة) (٥) ٤٢٨
ابن حمديس الصقلي	أبو العباس ابن جمال الدين (٧) ٤٨٥
عبد الجبار بن المعتمد بن عباد (٤) ٢١٧ ،	أبو العباس ابن خليل (٤) ٣١٥
٢١٨	أبو العباس ابن رضي الدين الشافعي (٥)
عبد الجبار بن الناصر (١) ٣٦٧	٢٥٣

- ابن عبد الجبار ، أبو جعفر (٣) ٦٦
عبد الجليل بن وهبون ، أبو محمد ، انظر :
ابن وهبون
عبد الحق الزهري ، أبو محمد (٣) ٣١٥
عبد الحق الصقلي (٢) ٦٦٥ (٥) ٢٧٦
عبد الحق المرسى ، أبو العلاء (٣) ٣١٥
عبد الحق بن إبراهيم بن محمد ، انظر : ابن
سبعين
عبد الحق بن ربيع (٥) ٢٣٣ ، ٢٣٤
عبد الحق بن سعيد بن محمد ، أبو محمد (قاضي
مكتناسة في المائة الثامنة) (٥) ٣٥٠
عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي ،
أبو محمد (٢) ١٦٢ ، ١٦٤ ، ٣٨١ ،
١٨٠ ، ٥١٤ ، ٥١٤ ، ٦٣٤ (٣) ٦٨ ،
(٤) ١١٧ ، ٣١٥ ، ٣٢٨ (٥) ٢٣١ ،
٣٢٧ ، ٣٨٩ ، ٤١٨
عبد الحق بن علي بن عبد الله الخطيب (شيخ
أبي حيان) (٢) ٥٤٠
ابن عبد الحق الخزرجي القرطبي ، أبو جعفر
(٢) ١٥٦ ، ٥٦١ (٣) ١٨١
ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله)
(٣) ٢٩ ، ٥٦ ، ٥٨
ابن عبد الحكم (محمد بن عبد الله بن عبد
الحكم) (١) ٣٨٦ (٢) ٥٠ ، ٥١ ،
٦٢ ، ٢٤٣ ، ٦٢٧ ، ٦٣٣ (٣) ١٧٨
ابن عبد الحكم الافريقي ، أبو زرعة (٣) ٥٦
عبد الحلیم المربني (الأمير) (٦) ٨
- عبد الحميد (الكاتب) (٢) ٤٥٣ ، ٦٧١ ،
٦٧٢ (٥) ٤٢ (٦) ١٥٨
عبد الحميد بن لاطون (٣) ٥٦٠
عبد الخالق التونسي (٧) ١٤١
عبد الخالق بن إبراهيم الخطيب ، أبو القاسم
(٣) ٦٤
عبد الدائم بن شعس الدين الشيبني ، أبو محمد
(٧) ٤٩٠
ابن عبد الدائم (٢) ٥٢٩
ابن عبد ربه (أحمد) أبو عمر (١) ٣٥٤
(٣) ١٣١ ، ١٥٨ ، ١٩٣ ، ٢٩٤ ،
٢٩٥ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤٤ ، ٤٤٧ ،
٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٨ (٤) ٣٢١ (٥)
٥٩٩ (٧) ٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢
ابن عبد ربه المالقي (محمد) أبو عبد الله
(٢) ٩٧ ، ٩٨ ، ١١٨ ، ١١٩
عبد الرحمن (قاضي كورة باغة) (٥) ١٠
عبد الرحمن الأوسط ، انظر : عبد الرحمن
ابن الحكم (الأوسط)
عبد الرحمن الداخل ، انظر : عبد الرحمن بن
معاوية الداخل
عبد الرحمن الربيعي ، أبو زيد (٢) ٥٦٠
عبد الرحمن شنجول ، انظر : عبد الرحمن
ابن المنصور بن أبي عامر ، أبو المطرف
(شنجول)
عبد الرحمن المرشدي (٢) ٤٤٩
عبد الرحمن الناصر ، انظر : الناصر عبد الرحمن

عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرئ (٥)	٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ١٣٣ (٧)
عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن عياش (١)	٦٠٦
عبد الرحمن بن أبي الفضائل (ابن المغرم)	أبو الفضل (٥) ٢٣٣
عبد الرحمن بن أبي ليلى (٢) ٦٢٨ (٥)	٢٩٨
عبد الرحمن بن أبي يحيى بن أبي بكر الحفصي ،	أبو إسحاق (٦) ١٣١ ، ٣٣٨
عبد الرحمن بن أبي يفلوسن (٥) ١٠٢ ،	١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩
عبد الرحمن بن أحمد البصري (٣) ٦٧	عبد الرحمن بن أوس المزني (٣) ٥٦
عبد الرحمن بن بشر (قاضي قضاة قرطبة)	(٢) ٨١ (٥) ٢٣٣
عبد الرحمن بن حبيب (١) ٢٣٨ ، ٣٢٨ ،	٣٣٣ (٣) ٢١ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٣
عبد الرحمن بن حسان الكلبي (٣) ٢٤	عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) (١)
١٤٦ ، ٣٠٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،	٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٥٦١ ، ٥٧٧
(٢) ١٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ،	٥٠٣ (٣) ٥٠ ، ١٢١ ، ١٤٠ ، ٢١٥ ،
٥٣٩ ، ٥٧٥ ، ٦١٣ ، ٦١٥ (٤) ١٦٧ ،	١٦٨
عبد الرحمن بن خلف الافليشي ، أبو المطرف	(٢) ٦٣٣
عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ ، انظر :	الزيراري
عبد الرحمن بن ذي النون ، انظر : الظاهر بن	ذو النون
عبد الرحمن بن رافع (٢) ٥٧٥	عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ، أبو الحسن
(١) ٦١٦	عبد الرحمن بن رماحس (١) ٣٨٤
عبد الرحمن بن زرياب (٣) ١٢٥ ، ١٢٩	عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقي (١)
(٢) ٥٧٥ (٣) ٥٨	عبد الرحمن بن سعيد ، أبو القاسم (٢) ٣٧٣
عبد الرحمن بن سليمان اللجائي (المزوار)	أبو زيد (٥) ٢٣٧
عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان (٢) ٦١٩	عبد الرحمن بن شبلاق الحضرمي (٣) ٤٨٤
عبد الرحمن بن شماسه بن ذئب المهري ،	أبو عمرو (٣) ٦٠
عبد الرحمن بن طريف (٣) ٤٦	عبد الرحمن بن عبد الله العافقي (١) ٢٣٥ ،
٢٣٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٤٨٠ (٣) ١٥ ، ١٨	عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم ، انظر :
ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله)	عبد الرحمن بن علوان الحلبي (٢)
١٥٨	

عبد الرحمن بن محمد بن هشام التجيبي (١)
٤٠٠

عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري (٣) ٥٢
عبد الرحمن بن معاوية الداخل (١) ٢٣٨ ،
٢٤٩ ، ٢٦٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩١ ،
٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ،
٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٧ ،
٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٥ ،
٥٤٦ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ (٢) ٢٥٤ ، ٣٣٠ ،
٥١٤ ، ٦٤٦ (٣) ١٢ ، ٢٥ — ٤١ ،
٤٣ — ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٤٣ ،
٥٤٨ (٦) ٣٨٠

عبد الرحمن بن مغاور ، أبو بكر (٢) ٧٣
(٣) ٣٣١ (٤) ٣٤٢ (٥) ٦٢
عبد الرحمن بن مغيث (فاتح قرطبة) (٣)
١٢

عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني ، انظر : ابن
مقانا الأشبوني

عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر ، أبو
المطرف (شنجول) (١) ٤٢٥ ، ٤٢٦ ،
٤٢٧ ، ٥٣٠ ، ٥٧٦ ، ٥٨٩

عبد الرحمن بن مهند ، أبو المطرف (٣) ٣٧٧
عبد الرحمن بن مولود ، أبو زيد (٣) ٤٥٤
عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ، انظر :
المستظهر

عبد الرحمن بن يعقوب المكتب (٥) ٣١٦
عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي ،

عبد الرحمن بن عبد الملك (٦) ١١٢ ، ١١٣
عبد الرحمن بن عبيد الله (والد المستكفي)
(١) ٤٣٧

عبد الرحمن بن عثمان الثقفي (١) ٢٣٥
عبد الرحمن بن عثمان القشيري (٢) ١٣٥
عبد الرحمن بن عفان الجزولي ، انظر :
الجزولي ، أبو زيد
عبد الرحمن بن علقمة اللخمي (٣) ٢١ ،
٢٢ ، ٢٦

عبد الرحمن بن علي الدكالي ، أبو زيد (٥)
٢٤٢

عبد الرحمن بن عماد الدين العمادي (مفتي
دمشق) ، انظر : العمادي عبد الرحمن

عبد الرحمن بن عوف (٣) ١١ (٧) ٣٢٦
عبد الرحمن بن فطيس (القاضي) (١) ٤٠٩
عبد الرحمن بن القاسم العتقي (٢) ١٠

عبد الرحمن بن القاسم المغيلي ، أبو القاسم (٣) ٦٥
عبد الرحمن بن مالك المعافري ، أبو محمد
(٣) ٢٣٢ ، ٢٣٣

عبد الرحمن بن محمد (الخليفة الأموي) ،
انظر : الناصر عبد الرحمن

عبد الرحمن بن محمد الخزرجي ، أبو زيد
(٥) ٢٠١

عبد الرحمن بن محمد الخزرجي ، أبو القاسم
(٢) ٦٤٢

عبد الرحمن بن محمد النفطي ، أبو القاسم (٢)
٢٣٨

أبو زيد (٥) ٢٤٢	ابن عبد الستار ، أبو عبد الله (٥) ٢٥١
عبد الرحمن بن يعيش المهري ، أبو زيد (٢)	عبد السلام بن أحمد الشاهيني (٢) ٤٦٣
٥٠٤	عبد السلام بن بسيل الرومي (٣) ٤٥
عبد الرحمن بن يوسف (صاحب الأندلس)	عبد السلام بن محمد الكومي (٥) ١٨٣
(٣) ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥	عبد السلام بن مزروع (عفيف الدين) أبو
عبد الرحمن بن يوسف الحسيني (٧) ٢٧١	محمد (٥) ٣٩٢
عبد الرحمن بن يوسف الرفاء القرطبي ، أبو	عبد السلام بن مسلمة الأندلسي (٢) ٦٤٦
المطرف (٣) ٥٧	عبد السلام بن يزيد بن هشام (اليزيدي) (٣)
عبد الرحمن بن يوسف بن عبد المؤمن (١) ١٧٠	٤٦
أبو عبد الرحمن الحبلي (عبد الله بن يزيد	ابن عبد السلام التونسي (٦) ٢١٦
المعافري) (١) ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨	ابن عبد السلام (قاضي تونس) أبو عبد الله
(٣) ٥ ، ٩ ، ٥٦ ، ٥٧	(٥) ٢٥١ ، ٣٩٥ ، ٨٨ (٦) ١٠٧ ،
عبد الرحيم المغربي (٧) ١٣٩	١٧٢
عبد الرحيم بن أحمد بن نصر ، أبو زكريا	ابن عبد السلام ، أبو علي (٦) ٩٥
(٣) ٦٢	ابن عبد السلام ، أبو القاسم (٣) ١٣٨
عبد الرحيم بن علي البيساني ، انظر : القاضي	ابن عبد السلام التونسي (محمد) أبو الفتح
الفاضل	(٥) ٢٩
عبد الرحيم بن الملجوم ، أبو القاسم (٢) ١٥٧	ابن عبد السميع ، أبو طالب (٢) ٦٣٤
ابن عبد الرحيم محدث (٢) ٢٣	عبد شمس (٣) ١٢١ (٥) ٢٤٦
ابن عبد الرحيم ، أبو عبد الله (٢) ١٥٥	عبد الصمد بن داود ، أبو محمد (٢) ٢٣٨ ،
عبد الرزاق بن همام الصنعائي (٢) ٢٣٦ ،	٢٣٩
٥١٩ (٣) ١٦٩	أبو عبد الصمد السرقسطي (٣) ٤٠٢ ، ٤٠٣
ابن عبد الرزاق (٥) ٢٥٦	ابن عبد الظاهر ، محيي الدين (٢) ٤٠٧ ،
ابن عبد الرزاق (الفقيه) (٥) ٤٦٨	٥٤٤ ، ٦٨٩
ابن عبد الرافع (٥) ٣٩٥	عبد العزيز البطليوسي ، أبو الأصبغ ، انظر :
ابن عبد الرؤوف النحوي ، أبو وهب (٤)	القلندر
١٢٦	عبد العزيز الشيرازي ، أبو المبارك (٢) ٥٧٥

- عبد العزيز الكنتاني الدمشقي (٢) ٥٧٦
عبد العزيز الهنتاتي (٦) ٢١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٥
عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ، أبو فارس
(٥) ١٠٢ - ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٩ (٦)
٢١٩ (٧) ٢٨٠
عبد العزيز بن أبي عامر (٤) ٤٤٨
عبد العزيز بن أبي ركبون التونسي ، أبو فارس
(٥) ٣٩٣
عبد العزيز بن أحمد الكنتاني (٢) ٦٠٥
عبد العزيز بن أحمد بن السيد المغلس القيسي
الأندلسي البلبسي (٢) ١٣٢ ، ١٣٣
عبد العزيز بن جعفر الفارسي (٢) ١٣٥
عبد العزيز بن جماعة الكنتاني عز الدولة ،
انظر : ابن جماعة ، عز الدولة الكنتاني
عبد العزيز بن الحارث ، أبو الحسن (٢)
٥٧٥
عبد العزيز بن خلف المعافري ، أبو الأصبغ
(٢) ٦٣٥
عبد العزيز بن سلطان الداني ، أبو سلطان (٥)
٤٩٨
عبد العزيز بن شهيد (٣) ١٦٢
عبد العزيز بن عبد العلي المصري السكري (٢)
٥٥٠
عبد العزيز بن عبد القادر الكنتاني (٢) ٥٥٠
عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة السعدي ، أبو
محمد (٢) ٦٣٥
عبد العزيز بن عبد الله بن سعد بن خلف
- الأنصاري ، أبو محمد (٢) ٥٠٤
عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر ، أبو الأصبغ
(٢) ٥٣١
عبد العزيز بن عبد المنعم الحراشي (٢) ٥٥٠
عبد العزيز بن علي ، أبو الأصبغ (المعروف
بأبن الطحان) (٢) ٦٣٤
عبد العزيز بن علي الغرناطي بن يشث (٦)
١١٣
عبد العزيز بن محمد الفشتالي ، أبو فارس (٥)
٢٢ (٦) ٤٩ ، ٥٩ (٧) ٦٨ ، ٨١ ،
٨٢
عبد العزيز بن محمد القيرواني ، أبو زرهون
(٥) ٢٥٢ ، ٣٠٦
عبد العزيز بن محمد بن نباتة ، أبو نصر ،
انظر : ابن نباتة السعدي
عبد العزيز بن مروان (١) ٢٣٠ ، ٢٥٠ ،
٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٢٩ (٣) ٨ ،
٥٢٩
عبد العزيز بن موسى بن نصير (١) ٢٣٤ ،
٢٣٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ،
٢٨٦ ، ٢٩٨ (٣) ١٤
عبد العزيز بن الناصر ، أبو الأصبغ (١)
٣٦٧ ، ٣٨٧ (٣) ٥٨٣
عبد العزيز بن هلال (نجيب الدين) أبو محمد
(٢) ٦٢٦
عبد العزيز بن الهواري ، أبو فارس (٥) ٣٨٧
ابن عبد العزيز (الوزير) (٣) ٥٧٢ ، ٥٧٣

- عبد العليم بن عبد الملك بن حبيب القضاعي
الطرطوشي (٤) ٣٢٩
- عبد الغافر (صاحب تاريخ نيسابور) (٢)
٧٠
- عبد الغافر بن الحسين بن خلف الألمعي ، أبو
الفتوح (٥) ٢٣١
- عبد الغفار بن حميد اليحصبي (٣) ٤٨
- ابن عبد الغفور الإشبيلي ، أبو محمد (٣)
٣٤٥
- ابن عبد الغفور الكلاعي ، أبو القاسم (٣)
٥٥١ ، ٥٥٢
- عبد الغني بن أبي عقيل (٢) ٦٢٧
- عبد الغني بن سعيد الحافظ ، أبو محمد (٢)
٣٨٠ (٣) ٦٢ ، ١٧٠ (٥) ٢٣٩
- عبد القادر الكيلاني (٧) ١٣٨
- عبد القادر بن الحنّاط (٢) ٦٠٥
- عبد القاهر (مؤرخ للبصرة) (٣) ١٦٥
- عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن الموصلي
(٣) ١٤٣
- عبد الكريم (حاجب عبد الرحمن) (١)
٣٤٦
- عبد الكريم الطوسي ، أبو محمد (٥) ٣٩٤
- عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمي ، أبو
محمد (٣) ٦٣
- عبد الكريم بن عبد الواحد (١) ٣٣٨ ، ٣٤٤
- عبد الكريم بن عمران (٢) ٦٤٢
- عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القسطنطيني
- (٢) ٤٨٠
- عبد الكريم بن مهران (٣) ٤٥
- عبد اللطيف بن أبي الطاهر أحمد بن محمد بن
هبة الله الهاشمي الصديقي ، أبو محمد (٣)
٦٥
- عبد الله الخزاز (٧) ٢٧٥
- عبد الله الشريف التلمساني (٥) ٤٢٨ (٦)
٢٥
- عبد الله الفريسي (الفقيه القاضي) (٥) ٣٤٢
- عبد الله الفشتالي ، أبو محمد (٥) ٣٤٢
- عبد الله اللاردي الأصبحي ، أبو محمد (٣)
٤٠٤
- عبد الله المرواني ، أبو محمد (٤) ١٢٧
- عبد الله المعمر (٣) ٦٠
- عبد الله بن إبراهيم الحجاري ، انظر :
الحجاري ، أبو محمد
- عبد الله بن إبراهيم الرموري (نقشابو) (٥)
٢١٧
- عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، أبو
العباس (٣) ١٣٤
- عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي ، أبو
محمد (٥) ١٢ (٦) ١٠٢ ، ٢٥٥
- عبد الله بن إبراهيم بن ماس (٢) ٥٦١
- عبد الله بن أحمد البقني (٢) ٦٩٩
- عبد الله بن أحمد السرقسطي (٣) ٣٧٦
- عبد الله بن أحمد الطوسي ، أبو الفضل (٣)
١٣٩

- عبد الله بن أحمد المالقي ، ضياء الدين ، انظر :
ابن البيطار
عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢) ٤٧ ، ٥٢ ،
٢٣٧ ، ٢٣٢
عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه
الداودي ، أبو الحسن (٣) ٦٦
عبد الله بن أحمد بن معاذ الداراني (٣) ١٤٤
عبد الله بن أحمد بن الملجوم ، أبو محمد (٥)
٢٣٠
عبد الله بن إدريس (٥) ٣٠٦
عبد الله بن إسحاق اللغوي (٥) ٢٣١
عبد الله بن أسعد الشافعي ، أبو محمد (٥)
٣٩٣
عبد الله بن بلقين بن حبوس الصنهاجي (٣)
٤١٢ ، ٥٦٨ ، (٤) ٣٥٩ ، ٣٧٣
عبد الله بن اللياسي (ابن أبي الياس ٩) أبو
محمد (٢) ٦٤٩
عبد الله بن التميمي البجائي ، أبو محمد (٢)
٤٨٩
عبد الله بن حاتم (٢) ١٦٢
عبد الله بن الحسن بن أحمد القرطبي ، أبو
محمد (٣) ٢٢٧
عبد الله بن خالد (٢) ٥١ ، ٢٢٧ (٣) ٢٩ ،
٣٠ ، ٣١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١
عبد الله بن خليفة القرطبي ، أبو محمد المصري
الحكيم : انظر : الحكيم المصري ، أبو محمد
عبد الله بن رشيق القرطبي (٢) ٦٤٧
- عبد الله بن الزبير (١) ٦٠٦ (٣) ٨ ، ٧ ،
١٦٤
عبد الله بن زكريا الأنصاري ، أبو بكر (٢)
٦٩٤
عبد الله بن سعد الياضي اليمني (٢) ١٨٢ ،
١٨٣
عبد الله بن سعد بن أبي سرح (٣) ٨
عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر (٢) ٣٣٠
(٣) ٦١
عبد الله بن سعيد بن علي السلماني (والد لسان
الدين) (٥) ٨ ، ١١ ، ١٦ ، ١٨ ، ٩٧
عبد الله بن السمط (٣) ٦١٤
عبد الله بن السيد البطليوسي ، أبو محمد ،
انظر : ابن السيد البطليوسي
عبد الله بن شعبة الوادي آشي (٣) ٥٠٢
عبد الله بن طاهر (٢) ٢٥٦
عبد الله بن طاهر الأزدي ، أبو محمد (٢)
٢٢٢
عبد الله بن عاصم (٣) ٢٤٧ ، ٢٤٨
عبد الله بن عباس (١) ٢٧٨ (٢) ٤٠ ، ٧٠٠
(٣) ٧ ، ٩ ، ١٦٤ ، ٣٣٥ (٥) ٢٩١ ،
٢٧٨ ، ٢٧٩
عبد الله بن عبد البر بن أشعب الرعيني ، انظر :
ابن أبي المجد الرعيني ، أبو محمد
عبد الله بن عبد الحق (٥) ٢٥٦
عبد الله بن عبد الحكم ، انظر : ابن النظام
عبد الله بن عبد الخالق ، أبو محمد (٥) ٢٨٥٠

عبد الله بن عبد الرحمن الأوسط (٣) ٦١٣	عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس (١)
عبد الله بن عبد الرحمن الداخل (٣) ٤٩	٣٢٧ (٣) ٤٣
عبد الله بن عبد العزيز الإشبيلي ، انظر : ابن صاحب الرد	عبد الله بن عمرو بن الخطاب (١) ٢٧٨ (٣)
عبد الله بن عبد العزيز الأموي (الملقب بالحجر) (٣) ٣٤٣	٩ ، ١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ (٥) ٢٥١ ،
عبد الله بن عبد العزيز الطائي القرطبي (٢) ٥٥٠	٤١٥
عبد الله بن عبد الله بن أحمد الجذامي (٤) ٣٠٧	عبد الله بن عمرو بن علي بن محمد بن حمويه ، انظر : السرخسي
عبد الله بن عبد الله بن حذلم ، انظر : ابن حذلم الفقيه ، أبو محمد	عبد الله بن عمرو الأنصاري (٣) ٣٥
عبد الله بن عبد المطلب (والد الرسول) (٧) ٤٩٥	عبد الله بن عمرو بن العاص (١) ٤٢٥ (٢)
عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم المجاصي ، انظر : المجاصي ، أبو محمد	٥٧٥ (٣) ٩ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١
عبد الله بن عذرة ، أبو محمد (٣) ٥٠٦	(٥) ٢٣٣ ، ٤١٥
عبد الله بن العسال الطليطلي (٣) ٢٠٨ ، ٢٢٨ (٤) ١٣٥	عبد الله بن عيسى الشلبي ، أبو محمد (٢) ٦٥٠
عبد الله بن علي الباجي (٢) ٥١٦	عبد الله بن عيسى بن عبد الله ، انظر : ابن أبي حبيب الأندلسي
عبد الله بن علي المقرئ ابن بنت الشيخ منصور الحياط (٢) ١١٧	عبد الله بن غالب ، أبو محمد (٣) ٢٩٢
عبد الله بن علي بن الجارود (٢) ٤٩	عبد الله بن فارس التميمي (٢) ٥٥٠
عبد الله بن علي بن سويدة ، أبو محمد (٢) ١٥٧	عبد الله بن فرج اليحصبي (ابن العسال) (٤) ٣٥٢
عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الرشاطي ، انظر : الرشاطي	عبد الله بن قاسم بن هلال (٣) ١٧٧ ، ١٧٨
	عبد الله بن قَتَّ الحزرجي ، أبو المظفر (٢) ٥٧٦
	عبد الله بن لسان الدين بن الخطيب (٦) ٤٠ ، ٦٢
	عبد الله بن لهيعة (٣) ٥٦ ، ٥٧
	عبد الله بن الليث ، أبو محمد (٣) ٤٥٧
	عبد الله بن ماكان (٣) ٧٦

- عبد الله بن المبارك (٢) ٥٣١
عبد الله بن محمد الأموي (١) ٣٥٢ ، ٣٥٣
عبد الله بن محمد البغوي ، انظر : البغوي
عبد الله بن محمد البضاوي ، أبو الفتح (٢)
١٥٥
عبد الله بن محمد الصريحي (ابن مطحنة) أبو
محمد (٢) ٦٤٩
عبد الله بن محمد القرطبي ، انظر : ابن هارون
القرطبي ، أبو محمد
عبد الله بن محمد القيرواني المالكي (صاحب
رياض النفوس) (٣) ٥٧
عبد الله بن محمد بن آدم (القاريء الخراساني)
(٣) ١٣٨
عبد الله بن محمد بن أبي عامر المعافري (٢)
٦٤٦
عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الأصبحي ،
أبو محمد (٢) ٦٥٢
عبد الله بن محمد بن علي (الراوية) (٢) ٥١٥
عبد الله بن مرزوق اليخصبني ، أبو محمد (٢)
٦٤٩
عبد الله بن مروان (١) ٢٣٨
عبد الله بن المستورد بن شداد الفهري (٣)
٥٦
عبد الله بن مسعود (الصحابي) (١) ٥٥٧
(٣) ١٦٤ ، ٢٣٦ (٥) ٢٣١
عبد الله بن مطروح البلنسي ، أبو محمد (٤) ٨
- عبد الله بن معاوية (٣) ٤٥
عبد الله بن المعتمد بن عباد ، انظر : الرشيد
ابن المعتمد بن عباد
عبد الله بن المغيرة الكناني (١) ٢٨٨ (٣)
٦٠
عبد الله بن مفيد ، أبو محمد (٣) ٣٢٤
عبد الله بن موسى المرسبي ، انظر : ابن برطلة ،
أبو محمد
عبد الله بن موسى بن نصير (١) ٢٣٣ ،
٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ،
٢٨٦
عبد الله بن الناصر (٣) ٥٨٢ ، ٥٨٣
عبد الله بن نافع بن عيسى المدني (٢) ٤٦ ،
١٤٠ ، ٦٣٠ (٥) ٢٣١
عبد الله بن نصر الله بن أحمد الخزمي (٢)
٥٥٠
عبد الله بن وهب (٢) ١٠ ، ٤٦ ، ٦٢
عبد الله بن يحيى الحضرمي ابن صاحب الصلاة
أبو محمد ، انظر : عبدون البلنسي
عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطي ،
أبو محمد (٢) ١١٠
عبد الله بن يزيد ، انظر : أبو عبد الرحمن
الحبلي
عبد الله بن يزيد (المحدث) (٢) ٥٧٥
عبد الله بن يزيد بن أسيد (١) ٢٨٥
عبد الله بن يوسف القضاعي ، أبو محمد (٢)
٦٥٢

- عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري ،
انظر : ابن رضوان ، أبو القاسم
عبد الله بن يونس (عريف البنائين) (١)
٥٦٨
عبد الله بن يونس (المحدث) (٢) ٢٣٧
أبو عبد الله الأستجي (٢) ٤٤
أبو عبد الله الأصبهاني (٢) ٦٤٥
أبو عبد الله الأيسر (٤) ٥١٢
أبو عبد الله البللسي (٥) ٢٦٥
أبو عبد الله التجيبي (٤) ٤٦٨
أبو عبد الله التلمساني (الحسني الشريف)
(٥) ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٤٢ ، ٣٩٥ (٦)
٢٥ (٧) ١٦٦
أبو عبد الله الجذامي (الأديب) (٣) ٤٦٥
أبو عبد الله الحسني الطبري (٢) ٢٨
أبو عبد الله الحوضي التلمساني (٤) ٢٤١
أبو عبد الله الخولاني (٢) ١٥٦ ، ١٥٨
أبو عبد الله الدباغ المالقي المتطبب (٥) ٢٤٥
أبو عبد الله الرندي (٥) ٢٤١
أبو عبد الله السرقسطي (٢) ٢٨ ، ١٥٥
أبو عبد الله الصنهاجي (٢) ٢٠٥
أبو عبد الله الصيرفي (٢) ٢٢٥
أبو عبد الله الطبري (٢) ٦٤٤
أبو عبد الله العربي (٢) ١٨٠
أبو عبد الله العلوي التلمساني (٧) ١٤٧
أبو عبد الله القاسي (٥) ٢٣٠
أبو عبد الله القرشي الهاشمي الأندلسي (محمد
- ابن أحمد بن إبراهيم) (٢) ٥٤ ، ٥٦
أبو عبد الله القرطبي (إمام الحرم) (٢)
١٨٧
أبو عبد الله القرطبي (الطبيب) (٤) ٢٩٠
أبو عبد الله القرطبي (الكاتب) (٤) ١٩
أبو عبد الله القصري (٥) ٢٤٣
أبو عبد الله الكلاعي (شيخ ابن العربي المعافري)
(٢) ٢٨
أبو عبد الله المرادي (٢) ٥٠
أبو عبد الله المقرئ (الجلد) ، انظر : المقرئ
الجلد ، أبو عبد الله
أبو عبد الله المكناسي (٢) ٦٤٩
أبو عبد الله النميري الحافظ (٢) ١٥٥ ،
١٥٧
أبو عبد الله اليتيم (محمد بن علي بن محمد
العبدري) (٦) ٩١ ، ٩٦
أبو عبد الله ابن أبي حفص بن عبد المؤمن بن
علي (٢) ٥٩٠
أبو عبد الله ابن أبي عبد الله الخولاني (٥) ٢٠٠
أبو عبد الله ابن أبي القاسم الأنصاري المالقي
(٥) ٢٠١
أبو عبد الله ابن بكر (شيخ لسان الدين) (٥)
٧٥ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٥٤٠ ، ٦٠٤
أبو عبد الله ابن خلف (٣) ١٤٨
أبو عبد الله ابن سفيان (٢) ٦٤٣
أبو عبد الله ابن عباس (الوزير) (٣) ٢٦١
أبو عبد الله ابن العباس (تلميذ ابن مرزوق

الحفيد (٥) ٤١٩	عبد الملك (جد المنصور بن أبي عامر) (١)
أبو عبد الله ابن العباس التلمساني (٢) ٦٩٧	٣٩٩ ، ٣٩٦
(٥) ٤١٤	عبد الملك (الشيخ الصوفي) أبو مروان (٥)
أبو عبد الله ابن عبد الكريم (الفقيه) (٥)	٣٤٢
٢٥٢	عبد الملك المصمودي ، أبو مروان (٤)
أبو عبد الله ابن عبد العزيز (الوزير) (٣)	٣٦٩
٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٥٤١ ، ٥٤٢	عبد الملك بن إبراهيم بن بشر ، أبو مروان
أبو عبد الله ابن عبد الولي العواد (٥) ٧٥	(٢) ٦٩٠
٢٥٧ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٦٠٣	عبد الملك بن أبي مسلم النهاوندي ، أبو نصر
أبو عبد الله ابن عثمان (الفقيه) (٥) ٢٥٤	(٢) ١٥٥
أبو عبد الله ابن عمر الإشبيلي (٤) ١٣٠	عبد الملك بن إدريس الجزيري ، أبو مروان
أبو عبد الله ابن عمر التونسي (٦) ٣٥٣	(١) ٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ،
أبو عبد الله ابن محمد العنسي القرطبي (٢)	٥٨٨ ، ٦٠١ (٣) ٩٥ ، ٢٦٠ (٤)
٥٨١	٣٠٦ ، ٦٦
أبو عبد الله ابن مسلم القرشي (٢) ١٥٨	عبد الملك بن بدرون (بدران) أبو مروان ،
أبو عبد الله الحاكم ، انظر : الحاكم	انظر : ابن بدرون
اليسابوري ، أبو عبد الله	عبد الملك بن جهور ، انظر : ابن جهور
أبو عبد الله محمد (ممدوح أبي البقاء الرندي)	عبد الملك (وزير الناصر المرواني)
(٤) ٤٩١	عبد الملك بن حبيب السلمي (١) ٤٦ ، ٢٧٧ ،
أبو عبد الله محمد الشلبي (٤) ٧٠	٢٧٩ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ (٢) ٥ ،
أبو عبد الله محمد القسطلاني (٣) ١٠٦	٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٤٠ ، ٢٣٩ ، ٥٢٠ ،
عبد المجيد بن عبدون الفهري البابري ، أبو	٦٦٥ (٣) ٥ ، ٧ ، ١٠ ، ١٩٢ ، ٢١٤ ،
محمد ، انظر : ابن عبدون	٢١٥
عبد المعطي بن منجى الخزرجي (٢) ٢٢٨ ،	عبد الملك بن رزين حسام الدولة ، انظر : ابن
٥٥١	رزين أبو مروان
عبد المغيث بن زهير ، أبو العز (٥) ٢٣٣	عبد الملك بن سعيد الخازن (١) ٣٩٣ (٣)
عبد الملك (أمير فاس) (٢) ٤٧٨ ، ٤٧٩	١٧٨ ، ٥٣٧

- عبد الملك بن عبد العزيز (جد أبي مروان بن
نسماعة) (٢) ٥١٥
عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث (١)
٣٣٧ ، ٣٣٨
عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي
(١) ٣٢٩ (٢) ١٤٨ (٣) ٣٥ ، ٥٨ ،
٥٩
عبد الملك بن غصن ، أبو مروان ، انظر :
الحجاري ، أبو مروان
عبد الملك بن قطن القهري (١) ٢٣٦ ، ٢٩١ ،
٢٩٩ (٣) ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ،
عبد الملك بن مروان (١) ٢٣٨ ، ٢٧٧ ،
٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ (٢) ٣٥٨ ، ٤٩٨ ،
(٣) ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ٢٣٦ ،
٥٢٩ (٥) ٢٥٢ (٦) ٣٧٩
عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز
(٣) ٢٩١
عبد الملك بن مفوز المعافري ، أبو الحسين (٤)
٩٠ ، ١٢١
عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر ، انظر :
المظفر بن المنصور بن أبي عامر
عبد الملك بن موسى بن نصير (١) ٢٧٩
عبد الملك بن الناصر (١) ٣٦٧
عبد الملك بن نظيف ، أبو مروان (٣) ٥٣٨
ابن عبد الملك العذري ، أبو جعفر (٦) ٤١
ابن عبد الملك المراكشي ، أبو عبد الله
(٢) ١٩٦ ، ٦٠١ (٤) ٢٤ ، ١٥٢
- (٥) ٥١ ، ٦٠٤ (٧) ٢٩
عبد المنعم بن أبي جعفر أحمد بن عبد الله
الطنجالي ، انظر : الطنجالي
عبد المنعم بن أبي عبد الله بن عبد الرحيم (٢)
١٥٥
عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري (٢) ٥٠٩
عبد المنعم بن عمر الغساني ، انظر : الجلياني
الحكيم الغساني
عبد المنعم بن القرس ، أبو محمد (٢) ٦٤٤
(٣) ٢٩٥
عبد المنعم بن محمد الخزرجي ، أبو محمد (٢)
١٦٤
عبد المهيمن بن محمد الحضرمي السبتي ، أبو
محمد (٤) ٣٣٥ (٥) ٢٢٨ ، ٢٤٠ ،
٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ،
٤٧٠ ، ٤٩٩ ، ٥٠٣ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ ،
٦٠٤ (٦) ٨٥ ، ١٧٢
ابن عبد المهيمن ، أبو سعيد (٥) ٤٧١
عبد المولى ، أبو محمد (٣) ٥٠٩ ، ٥١١
عبد المؤمن الطليطلي ، أبو أحمد (٤) ١٣٥
عبد المؤمن بن علي (الخليفة الموحد) (١)
٢١٥ ، ٣٠١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٦٠٥ ،
٦٠٦ ، ٦٠٧ (٢) ٢٧ (٣) ٤١٩ ،
٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٨٦ ، ٥٠٨ ، ٥١٦ ،
٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٩٢ (٤) ١٧١ ، ١٧٢ ،
١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ،
٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٩٢ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،

- عبد الوهاب (القاضي المالكي) (٢) ٦٩ ،
٥٠١ (٣) ١١٢ ، ١١٣
- عبد الوهاب اليقساني ، أبو العرب (٢) ٧٣
عبد الوهاب الكلبي (٢) ٦٠٤
- عبد الوهاب بن حزم ، انظر : ابن حزم عبد
الوهاب ، أبو المغيرة
- عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب (١)
١٩٤ ، ١٩٥
- عبد الوهاب بن سكينه (٢) ٦٢٦
- عبد الوهاب بن عبد الله الجبان ، أبو نصر (٢)
٦٠٥
- عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب ، أبو
محمد (٣) ٦٤
- عبد الوهاب بن علي المالقي ، أبو محمد (٣)
٤٠٣
- عبد الوهاب بن الفرات ، صفى الدين (٢)
٥٦١
- عبد الوهاب بن محمد القيسي المالقي ، أبو محمد
(٤) ٣٢٨
- عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدوس القرطبي ،
أبو القاسم (٢) ٦٣٧
- عبد الوهاب بن نصر البغدادي (القاضي)
(٢) ٥٢١
- العبدري (٢) ٤٨٣ ، ٥٨٩ (٥) ٣٠٩
- عبدة بنت بشر (ابن حبيب الحبيبي) (٢)
٥٠٤
- عبدة بن الطيب (٣) ٧٠
- ٤٦٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٨ (٥) ١٨٣ ، ١٨٤ ،
١٨٧ ، ١٨٦
- عبد المؤمن بن محمد بن موسى الجلائقي الفاسي ،
أبو محمد (٥) ٢٥٢
- عبد النصير بن علي المربوطي (٢) ٥٤٠
- عبد النور العمراني ، أبو محمد (الفقيه) (٥)
٣٤٢
- ابن عبد النور (صاحب مختصر الحاوي) (٢)
٦٦٥ (٥) ٤٣٠
- عبد الواحد الحفصي ، أبو محمد (٤) ٤٨٢
- عبد الواحد بن أبي حفص (سلطان إفريقية)
(٤) ٧٠
- عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي ، انظر : ابن
أبي السداد الباهلي
- عبد الواحد بن برهان الأسدي (٢) ٥٦١
- عبد الواحد بن خلف الجنديسابوري (٢)
٢١٤
- عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني ،
أبو مالك (٦) ٤٨٠ ، ٤٨١
- عبد الواحد بن عبد الرحمن المقرئ (٥)
٢٠٥
- عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني (٣) ٥٤٠
- عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ، أبو
محمد (٢) ٣٦٢ (٤) ٣٨٤
- ابن عبد الودود (١) ٣٩٧
- ابن عبد الولي الميورقي (٤) ٤٧١
- عبد الوهاب (الحاجب بإفريقية) (٣) ١٤٨

عبيد الله بن جعفر الإشبيلي (٤) ٦٠	أبو عبدة (من زعماء الشاميين) (١) ٢٦٧
عبيد الله بن الحبحاب (١) ٢٣٦ (٣) ١٦ ،	أبو عبدة (صاحب إشبيلية) (٣) ٤٥
١٨ ، ١٩ ، ٢٠	ابن عبدوس ، أبو عامر (٣) ٢٦٨ (٤)
عبيد الله بن رماحس القيسي (٢) ٥٦٢ ،	٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٠
٥٦٣	العبدوسي (موسى) أبو عمران (شيخ
عبيد الله بن زرياب (٣) ١٢٥ ، ١٢٩	القسمطيني) (٥) ٣٤٣
عبيد الله بن زياد (٧) ٣١٩	عبدون البلنسي ابن صاحب الصلاة الداني ،
عبيد الله بن سليمان (٢) ٢٩٨	أبو محمد (٣) ٤٤٩ (٤) ٣٤٥
عبيد الله بن عثمان ، أبو عثمان (٣) ٢٩ -	ابن عبدون (عبد المجيد الفهري الياصري) (١)
٣٢ ، ٣٤ ، ٤٤ - ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠	١٨٥ ، ٤٤٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٥ ، ٦٧٣ ،
عبيد الله بن فرناس (٣) ٦١٥	٦٧٤ (٣) ٢٩٣ ، ٣٩٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ،
عبيد الله بن قاسم (مطران طليطلة) (١)	٤٧٠ ، ٦٠٩ (٤) ٦٥ ، ٢٢٥ ، ٣٠٥ ،
٣٩٠	(٥) ١٥٤ (٧) ٣٠
عبيد الله بن محمد المهدي (الأقرع) (٣)	ابن عبدون المكناسي (٦) ٢١٢
٥٨٩	عبّو (والي جباية أنفا) (٦) ٤٨٤
عبيد الله بن محمد بن أدهم ، أبو بكر (٤)	عبيد (الفقيه) (٥) ٥٣٣
٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١	عبيد بن الأبرص (١) ٧٧
عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الحكيم (المغربي)	عبيد بن رجاء (٢) ٦٥
أبو الحكم (٢) ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥	عبيد بن محمد بن عبيد ، أبو العلاء النيسابوري
عبيد الله بن الناصر ، أبو مروان (١) ٣٦٧ ،	(٣) ٦٦
٣٧٦ ، ٣٨٧	أبو عبيد البكري (١) ١٢٦ ، ٢٩٢ ، ٤٥٩
عبيد الله بن هبة الله ، أبو غالب (٢) ٢٤٨	(٢) ٦٦٥ (٣) ١٨٤
عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي (٢) ١٤ ،	عبيد الله الشيعي (٢) ٣٤٥ (٣) ١٣٤ ،
٢١ ، ٢٢٧	١٣٥
ابن عبيد الله (شيخ ابن الرومية) (٢) ٥٩٧	عبيد الله بن أبان (٣) ٤٦
عبيدة بن الحارث (٥) ٣٠٩	عبيد الله بن إدريس (٤) ١٢٦
عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (١) ٢٣٥	عبيد الله بن البلنسي (١) ٣٤٥

عتيق بن مقدم ، أبو بكر (٦) ١١٥	١٨ (٣)
عثمان (رجل من أهل مصر) (٥) ٢٤٠	عبدة بن عبد الرحمن القيسي (٣) ١٥
عذبان (أخو كريب) (٦) ١٧٢	ابن عبدة (الوزير) (٣) ٣٦٣
عثمان البلطي (٧) ٨٨	ابن عبدة (رئيس وادي الحجارة) (٣)
عثمان المصحفي (ابن الحاجب) (٣) ٨٩ ،	٤٢٤
٩١	ابن عبدة (شيخ أبي علي السبي) (٥) ٢٣٢
عثمان بن أبي نسعة الخثعمي (١) ٢٣٥ ،	أبو عبدة (معمر بن المثنى) (٢) ٥٣٨ (٤)
٢٣٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ (٣) ١٨	٧٨
عثمان بن أحمد المعافري ، أبو عمرو (٥)	أبو عبدة بن الجراح (١) ٥٦٠ (٣) ١٦٤
٢٠٠	٣٢٦ (٧)
عثمان بن تولو القرشي ، أبو عمرو (٢)	أبو عبدة مسلم ، انظر : صاحب القبلة
٥٥١	العبدي (خليفه مصر) (٣) ٦٨
عثمان بن الحسين ، أبو عمرو (٢) ٩٥ ، ٩٤	عتاب بن علقمة اللخمي (١) ٣٢٨
عثمان بن دحية ، أبو عمرو (٣) ١٣٧	ابن عتاب ، أبو محمد (٢) ١٥٦ ، ١٥٨ ،
عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي ،	٢٤٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٦٠٥ (٣) ٦٣
انظر : أبو عمرو الداني	العتابي (٥) ٢٩١
عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن	أبو العتاهية (٣) ١٢١ ، ٦١٥ (٤) ٣٢٧
ابن زيان (٥) ٢١٦	عتبة (التاجر) (٢) ٢٥٦
عثمان بن عفان (١) ٤٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،	عتبة بن أبي سفيان بن حرب (٢) ٢١٦
٥٤٨ ، ٥٦٣ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦١٠ (٣)	عتبة بن أبي يعيش (٢) ٢١٦
١١ ، ٢٩ ، ٢٣٦ (٤) ٢٨٣ (٥) ٢٦ ،	عتبة بن ربيعة (٥) ٣٠٩
١٦٥ ، ٢٨٣ (٦) ٢٢٩ ، ٣٦٠ ،	العتبي (محمد بن أحمد بن عبد العزيز) أبو
٣٨٠ ، ٤٩٨ (٧) ٣٢٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،	عبد الله (٢) ٥١ ، ٢١٥ ، ٦٢٧
٣٧٢	عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الأندلسي (٢)
عثمان بن علي بن عثمان الإشبيلي ، انظر :	١٥
ابن الإمام أبو عمرو (صاحب سمط	عتيق بن عبد الرحمن الأوريلي ، أبو بكر
الجمان)	(٢) ٦٥٠

عثمان بن فرج العبدري ، أبو عمرو (٢)	ابن العديم ، كمال الدين (٢) ١٢٢ ، ٢٧٢
٦٤٩	ابن العديم ، مجد الدين (٢) ١٢٣
عثمان بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٣)	ابن العديم ، ناصر الدين (٢) ٦٥٣
٥٨٠	عذرة بن عبد الله الفهري (١) ٢٩٩ (٣)
عثمان بن يحيى (الأمير الزياتي) (٥) ٣٩٦	١٧ ، ١٨
عثمان بن يحيى بن إبراهيم (القائد) أبو عمرو (٤) ٢٣٣	العذري (أحمد بن عمر بن أنس بن دهاث)
عثمان بن يحيى بن عمر (شيخ الغزاة) (٥)	أبو العباس (٢) ٢٣٣ (٣) ٦٧
١٠٠ ، ١٠١	عراة الأوسي (٤) ٢٤٨
عثمان بن يحيى بن عمر بن روح (٦) ٤٨٥	ابن عرام (سبط الشاذلي) (٢) ١٩١
أبو عثمان (٥) ٢٩٠	ابن عرب شاه (٢) ٥٢٢
أبو عثمان (شقيق أحمد بن إبراهيم الحياط)	أبو العرب التجيبي (٤) ٣٢٨
(٥) ٢٤٤	أبو العرب الصقلي (٣) ٥٦٩ (٤) ٢٦٠ ، ٢٦١
أبو عثمان ابن إدريس (١) ٥٧٥	ابن العربي (محمد بن عبد الله) أبو بكر (٢)
أبو عثمان ابن عيسى (٦) ٢٦٥	٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، انظر : الجاحظ	١٧٥ ، ١٧٦ ، ٥٧٦ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦١٧ ، ٦٢٦
العثماني (محدث) (٢) ٢١٩	٦٤٢ ، ٦٤٤ (٣) ١٨٠ ، ٤٠١
العجيسي (٢) ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ،	(٤) ٤٦١ ، ٤٧٦ (٥) ٣٣٨ ، ٣٥٠
وانظر أيضاً : يحيى العجيسي	(٦) ٢٧٧
ابن عدلان ، شمس الدين (٥) ٢٥٣ ، ٣٩٤	ابن العربي (والد ابن العربي) أبو محمد (٢)
عدي (مهلهل أو العبادي) (٧) ٣١٩	٣٤
عدي بن حاتم (٢) ١٦٢	ابن العربي (حفيد ابن العربي) محمد بن عبد
عدي بن زيد (١) ٦٦٤	الله (أبو بكر (٢) ٦٢٦
ابن العديم (٢) ٣٢٤ (٤) ٢٨٩	ابن عربي الصوفي (محيي الدين محمد بن علي
ابن العديم ، افتخار الدين (٢) ٣٦٩	ابن محمد الحاتمي (١) ٥٢٣ (٢) ١٦١ ،
ابن العديم ، بدر الدين (٢) ٣٦٩	١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ .

- عز الدولة (عبد الله) أبو مروان (٧) ٤٠
 عز الدين الموصللي (٢) ٤٠٤
 عز الدين بن عبد السلام (٢) ١٧٨ ، ١٨٣
 ١٨٨ ، ٥٢٩ ، ٦١١ (٣) ٣ ، ٥ (٥)
 ٢٤٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤
 عز الدين موسك (الأمير) (٢) ٢٣
 أبو عز الدين الحراني (عبد العزيز) (٢)
 ٥٦٠ ، ٦١٨
 ابن عزرة ، أبو الأصيف (٥) ٤٧٧
 العزفي ، أبو العباس (٢) ٣٦ ، ٦٤٣
 العزفي ، أبو عبد الله (٥) ١١٧
 العزفي ، أبو القاسم (٥) ٢٣٢
 عزّة (صاحبة كثير) (٦) ١٢٧
 عزون بن ابن الحاج (صاحب قرطبة) (٣)
 ٢٨٧ ، ٤٥٩
 العزيز (والي مصر أيام النبي يوسف) (٢)
 ٤٤ (٣) ٥٨٥
 العزيز عثمان بن صلاح الدين (٢) ٤٠٣
 ابن عساكر (٢) ٢٨
 ابن عساكر ، أبو القاسم (٢) ٩٢ ، ١٣٩ ،
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ،
 ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٤٣٢ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ،
 ٥٠٩ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٣٢ (٣) ٧ ،
 ٨ ، ٦٣ ، ١٣٥
 ابن عساكر (القاسم) أبو محمد (٢) ٣٨٣
 ابن عساكر ، المرتضى (٢) ٤٠٤
 ابن عساكر ، أبو اليمن (٢) ٥٦٠ ، ١٦٨
- ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
 ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،
 ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٤٤١ (٤) ٣٠٧ (٥)
 ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٨ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ،
 ٣٠٠ ، ٣٣٥
 ابن العرجاء ، أبو علي (٢) ١٦٠ ، ٦٠٥
 ابن العرجاء ، أبو محمد (٢) ٦٤٤
 ابن عرفة (الإمام) (١) ٥٥٦ (٢) ٦٩٣
 (٥) ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٩٢
 ابن عرفة ، أبو عبد الله (٥) ٤٢٩
 عرقلة الدمشقي (٢) ٦٣٨
 عرقوب (٢) ٢٧٩ (٥) ٦٦
 العروسي المغربي (٧) ٤٨٨
 عروة الرّحال (٥) ٣٦٦
 عروة بن حزم (٣) ٤٣٨
 عروة بن الزبير (٣) ٥٦
 عروة بن الوليد (٣) ٢٦
 عريب بن سعد (القرطبي) (٢) ٢٧٥ (٣)
 ١٣٤ ، ١٨٢
 ابن العريف (٣) ٧٧ ، ٧٩ (٧) ٤٩٧
 ابن العريف النحوي (١) ٥٨٢ ، ٥٨٣ ،
 ٥٨٤
 ابن العريف (أحمد بن محمد بن موسى بن
 عطاء الله الصنهاجي) أبو العباس (٢)
 ١٥٥ ، ٥٩٩ (٣) ٢٢٩ (٤) ٣١٩ ،
 ٣٣١ (٥) ٥٩٧ ، ٥٩٨
 أبو العز (محدث ببغداد) (٢) ١١٧

ابن العطار (تلميذ ابن مالك) (٢) ٢٢٥	(٥) ٢٣٩ (٧) ٥٠٣
ابن العطار (شيخ ابن الرومية) (٢) ٥٩٧	ابن العسال الطليطلي ، انظر : عبد الله بن
ابن العطار (فقيه تونسي) (٥) ٢١٥	العسال الطليطلي
ابن العطار (معاصر للرمادي) (٣) ٤٤١	ابن عسكر (٥) ٥١
ابن العطار الإشبيلي ، أبو القاسم (١) ٦٥٠	ابن عسكر ، أبو الحسين (٤) ٣١١
(٣) ٤٧٨ ، ٦٠٠ (٤) ١١٢ ، ٣٠١	ابن عسكر (محمد) أبو عبد الله (٢) ٣٥١ ،
ابن العطار الجزائري ، أبو عبد الله (٧)	٣٥٢ (٣) ٣١١ (٤) ٣١١ (٥) ١٣٠
٤٨٠ ، ٤٨٥ ، ٤٩٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧	ابن العشاء ، أبو العباس (٥) ٢٠١
ابن العطار القرطبي ، أبو عبد الله (٢) ١٢٤	أبو العشائر ابن حمدان (٤) ٤٦٦
(٤) ١٧	ابن عشرة (٤) ١٤٠
ابن العطار المزني ، أبو عبد الله (٦) ٢٣٠	ابن عشرة (علي بن القاسم بن محمد) أبو
ابن العطار المشرقي (٧) ٤٨٩	الحسن (٣) ٦١٢
ابن العطار اليايسي (أبو بكر محمد) (٤) ١٠	عصا الأعمى المنيشي (أبو القاسم ابن أبي
ابن عطاف (١) ٤٣٢ (٣) ٥٨٩	طالب الحضرمي) (٤) ٦٢ (٧) ٥٣
أبو العطاف (٣) ٢٧٥	ابن عصام ، أبو أمية (٤) ١٣٤
عطية بن عطية ، أبو عقيل (أخو الوزير أبي	ابن عصفور (٢) ٢٧١ ، ٧٠١ (٤) ١٤٨
جعفر) (٥) ١٨٤ ، ١٨٦	(٥) ٣٨٢
عطية بن يحيى بن عبد الله المحاربي (٧)	ابن عصفور ، أبو الحسن (٢) ٢٠٩ ، ٢١٠
٢٨٢ ، ٢٨٣	(٣) ١٨٤
ابن عطية (٢) ١٩٢ (٥) ٣٠١ ، ٤٢٢	عضد الدولة (٥) ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠
ابن عطية ، أبو بكر ابن غالب (٢) ٥٢٣ ،	٣٠٢ ، ٣٠٣
٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٦٤٤	عطاء المالقي (الشاعر) (٣) ٣٩٩
ابن عطية ، أبو جعفر (٣) ٥٠٨ (٥) ١٨٣	عطاء بن رباح (٥) ٣٠٨
١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧	ابن عطاء (متصوف) (٢) ٤١
ابن عطية (عبد الله بن محمد بن حسن) (٢)	أبو عطاء القيسي (٣) ٢٣
٥٧٦	ابن عطاء الله (٢) ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ،
ابن عطية ، أبو عبد الله (٥) ٢٥٣	٦٩٣ (٥) ٣٤١

٢٠ ، ١٩	ابن عطية الداني ، أبو عبد الله (٢) ٦٤٣
عقبة بن عامر (٣) ٥٧ ، ٦١ (٥) ٤٨٣	ابن عطية الصعدي (عثمان) أبو سعيد (٥)
عقبة بن نافع الفهري (١) ٢٩١ (٣) ٢٥	٢٣٠
(٥) ٢٣٤	ابن عطية الغرناطي ، أبو محمد (٣) ١٧٩
ابن عقيبة ، أبو يحيى (٥) ٤٢٩	ابن عطية المحاربي ، أبو محمد (١) ١٥٣
عقيل (صديق مالك) (١) ٦٢٠ ، ٦٧٦	ابن عطية (عبد الحق بن غالب) أبو محمد
(٥) ٣٦٣	(١) ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦٧٩ (٢) ٣٨٣
عقيل (صحابي) (٧) ٣٢٦	٥٢٦ ، ٥٩٩ ، ٦٤٢
العقيلي (محدث بمكة) (٢) ١٥	ابن عزيمة (محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل)
عكاشة بن محسن (٣) ٥٥٨	أبو الحسن (٢) ٥٥ (٤) ٣٠٤
ابن عكاشة (١) ٦٢٦ ، ٦٢٧	ابن عفير (٢) ٥٩٧
العكبري ، أبو منصور (٢) ٦٣٥	ابن عفير ، أبو أمية (٣) ٣١١
عكراش (٣) ١١	عفيف ، أبو عمر (٢) ٦٢٣
عكرمة (٤) ٤٩١	ابن عفيف (٢) ٢١٩
العلاء بن الحضرمي (٥) ٤٦٨	ابن عفيف ، أبو الحسن (٢) ١٥٨
العلاء بن عبد الوهاب بن حزم ، أبو الخطاب	ابن العفيف التلمساني (٦) ٢٤٤ ، ٢٤٥
(٢) ٦٢٩	ابن عفيف الخزرجي (ضياء الدين علي بن
العلاء بن مغيث اليحصبي (١) ٣٣٢	محمد بن يوسف) أبو الحسن (٢) ١٩٥
أبو العلاء المعري (١) ١٩١ (٣) ١١٢ ،	عفيف الدين المطري (٥) ٣٩٣
٥٥١ (٤) ٤١ ، ٢٨٩ ، ٣٢٠ (٥)	ابن عفيون (٤) ١٥
٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٥١٥ (٧) ٢١ ، ١١٠	ابن عقاب (٢) ٦٩٣ (٥) ٤١٩
أبو العلاء الموحدي ، أنظر : الواثق أبو دبرس	العقاد (محمد) أبو الفضل (٧) ٦٩ ، ٨٠
أم العلاء بنت يوسف الحجارية (٤) ١٦٩	ابن عقال ، أبو عامر (٧) ٤٦
علاء الدين (قاضي القضاة) (٧) ٣٤٤ ،	العقباني (٢) ٦٩٤
٣٤٥	العقباني (قاسم) أبو الفضل (٢) ٦٩٢ ،
علاء الدين الباجي (٢) ٥٤٢	٦٩٥ (٤) ١٧٠ (٥) ٤١٩ ، ٤٣٠
علاء الدين القونوي (٥) ٢١٦ ، ٣٩٤	عقبة بن الحجاج السلولي (١) ٢٣٦ (٣)

علي العبدري السفاح ، أبو الحسن (٢) ٦١٨	العلاني (٥) ٤٢٤
علي المقرئ ، أبو الحسن (٢) ٥٩	ابن علاق (٣) ٥٢٩ (٥) ٣٤١ ، ٥١٣
علي الميورقي ، انظر : ابن غانية (علي)	ابن علاء ، أبو الحسن (٢) ٢٠٦
علي بن إبراهيم الحوفي ، أبو الحسن (٢)	علقمة بن علاثة (٢) ٤٩٨
١٣٢	ابن علقمة (٤) ٣٥٤
علي بن إبراهيم بن علي بن خطيب السكاك (٦)	علم المدينة (المغنية) (٣) ١٤٠
٢٥٧	علم الدين التبريزي (٥) ٢٥٧
علي بن أبي بكر ابن سبع بن مزاحم المكناسي ،	علم الدين العراقي (٢) ٥٤١ ، ٥٤٢
أبو الحسن (٥) ٢٣٨ ، ٢٣٩	علم الدين الفارقي (سليمان بن أبي حرب
علي بن أبي الحسن الرندي ، أبو الحسن (٥)	الحنفي) (٢) ٢٢٨
٣٤٢	علم الدين المرسي اللورقي (قاسم بن أحمد
علي بن أبي حلى المكناسي ، أبو الحسن (٣)	ابن موفق بن جعفر) أبو محمد (٢) ٥٠
٥٥٧	علوى (امرأة في شعر ابن سلمة الفُرناطي)
علي بن أبي رباح (٣) ٥٧	(٢) ٦٦١
علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب	ابن علوان (٢) ٢٠٩ (٤) ٣٢٠
ابن عبد الحق المريني ، انظر : أبو الحسن	ابن علوان التونسي ، أبو الطيب (٢) ١٨٣ ،
المريني	٢٠٨
علي بن أبي طالب (١) ٤٨ ، ٢٧٨ ، ٥٥٧	علون (المغني) (٣) ١٣٠
(٢) ٢٠٧ ، ٣٣٠ ، ٣٧٧ ، ٤٧٤ ،	علوية (المغنية) (٣) ١٣٢ ، ١٣٣
٤٩٣ ، ٥١١ ، ٥٤٢ ، ٥٧٠ ، ٥٨٢ ،	علي (السلطان المريني) ، انظر : أبو الحسن
٦٥٥ ، ٧٠٠ (٣) ٧ ، ١١ ، ٦١ ،	المريني
١٦٤ ، ١٧٩ (٤) ٤١٠ (٥) ٢٦ ،	علي (غلام ابن زيدون) (٣) ٢٠٨
١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٢١ ،	علي (فتي) (٤) ١٦٠
٢٤١ ، ٢٦٨ ، ٢٨٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ،	علي ، أبو الحسن (والد الرشيد العطار) (٢)
(٦) ١٦٧ ، ٢٢٩ ، ٢٨٨ ، ٣٨٠ ،	٢٣٨
٤٩٨ ، ٤٩٩ (٧) ٣٢٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ،	علي التونسي الإيادي (٣) ٦٠٧
٣٦٤	علي الحموي الحنفي (٧) ١٠٦

علي بن أحمد (الشاعر) (١) ٦٥٨
علي بن أحمد الخراي ، انظر : الخراي ،
أبو الحسن
علي بن أحمد الخزاعي ، أبو القاسم (٣)
٦٢
علي بن أحمد الشامي ، أبو الحسن (٦) ٥٨
علي بن أحمد القادسي الكتاني (٢) ١٢٤
علي بن أحمد بن أبي وهب الأندلسي (٤)
١٠٢
علي بن أفلح البغدادي (٣) ٣٥٠
علي بن أيوب ، علاء الدين أبو الحسن (٥)
٣٩٤
علي بن بدر الدين (شيخ الغزاة) (١) ٤٥٣
١٠٢ (٥)
علي بن بشر الكاتب ، أبو الحسين (٣) ٣٢٠
علي بن بندار بن إسماعيل بن موسى البرمكي
٦٦ (٣)
علي بن تميم بن المعز الصنهاجي (٢) ٦٤٨
علي بن تميم بن المعز العميدي (١) ٤٩٧
علي بن ثابت (٥) ٤٢٨
علي بن جابر الدباج ، انظر : الدباج ، أبو
الحسن النحوي
علي بن الجعد القرموني ، أبو الحسن (٤)
٦٣
علي بن جعفر الاسكندراني (١) ٥٦٨
علي بن جودي ، أبو الحسن (٣) ٣٣٤ (٧)
٥٧

علي بن حرب (٢) ١٥٢
علي بن الحسين (٥) ٢٨٨
علي بن الحسين العلوي ، الشريف أبو البركات
٩٦ (٣)
علي بن الحسين الموصلي الغراف ، أبو الحسن
٦٣ (٣)
علي بن حصن الإشبيلي ، أبو الحسن (٣)
٢٦٦ ، ٤٢٩ (٤) ٦٧
علي بن الحمارة ، أبو الحسين ، انظر : ابن
الحمارة ، أبو الحسين
علي بن حمدون ، أبو الحسن (٢) ٦٠٩
علي بن حمود الحسني (الملقب بالناصر) (١)
٣٠٠ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ،
٤٨٤ (٣) ٥٤٧
علي بن حميد الطرابلسي ، أبو الحسن (٢)
٥١٠
علي بن خير التطيلي (٣) ٤٠٢
علي بن رباح اللخمي ، أبو عبد الله (١)
٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨ (٣) ٨
علي بن رجاء ، أبو الحسن (٣) ٤٢٢
علي بن سعد النصري (ابن الأحمر) (٤)
٥١١ ، ٥١٤ ، ٥١٥
علي بن سليمان الأخفش ، انظر : الأخفش ،
أبو الحسن
علي بن سليمان المرادي ، أبو الحسن (٢)
٥٠٨
علي بن سند بن عياش الغساني ، أبو الحسن

(٢) ١٥٨

علي بن شلبون المعافري البلسني ، أبو الحسن

(٢) ٥٩٣

علي بن صالح الحسني البهنسي (٢) ٥٥١

علي بن الضائع الكتامي ، انظر : ابن الضائع ،

أبو الحسن

علي بن الطوسي ، أبو الحسن ، انظر : ابن

السيوري الاسكندري

علي بن عبد الرحمن المقرري (٥) ٢٠٥

علي بن عبد العزيز (٢) ٤٧ ، ٢٤٣ ، ٦٢٧ ،

(٣) ٣٧٥

علي بن عبد الله الجذامي (٢) ٦٩٤

علي بن عبد الله الصقلي (٢) ٧١

علي بن عبد الله بن أحمد بن علي (٢) ٥١٦

علي بن عبد الله بن يوسف بن حمزة ، أبو

الحسن (٢) ٣٧٤

علي بن عبد الواحد الأنصاري (٢) ٤٨٠

علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي الأنصاري ،

أبو الحسن (٣) ٣٢٤

علي بن عثمان بن خطاب ، أبو الحسن (١)

(٣) ٢٨٨

علي بن عقيل ، أبو الوفاء (٢) ٣٩ ، ٤٠ ،

٤١

علي بن عمر بن إبراهيم القيحاوي ، أبو الحسن ،

انظر : القيحاوي

علي بن عمر بن عبد المؤمن ، أبو الحسن (٣)

١٠٨ ، ١٠٩

علي بن عيسى (١) ١٦٧

علي بن فخر الدين (٧) ٣٤٥ ، ٣٤٦

علي بن الفضل ، أبو الحسن (١) ٨٧ (٣)

٣٧٢ ، ٤٣١ (٤) ٥٩ (٧) ١٠

علي بن لبال ، انظر : ابن لبال ، أبو الحسن

علي بن لسان الدين بن الخطيب ، أبو الحسن

(٥) ٥٥ ، ١٠٢ ، ١١٩ ، ١٥٣ ، ٢٩١ ،

٢٩٢ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ،

٤٠٨ ، ٥٤٣ (٦) ١٢ ، ٦٤ ، ٧٥ ،

٢٦٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ (٧) ٢٧ ، ١٠٦ ،

١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٨٩ ، ٣٠١ ،

٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٣٩

علي بن المأمون بن أبي العلاء إدريس بن المنصور

(الملقب بالمتضد) (١) ٦٠٦

علي بن محمد الإيادي التونسي (٤) ٥٧

علي بن محمد البسطي ، انظر : القلصادي ،

أبو الحسن

علي بن محمد الحجار (نور الدين) أبو الحسن

(٥) ٣٩٢

علي بن محمد اللبان (٥) ٢٠٧

علي بن محمد بن أبي الحسن الكاتب ، أبو

الحسن (٣) ١٧٣

علي بن محمد بن أبي زكريا ، يحيى بن زيان

الوطاسي ، انظر : أبو حسون البازي

علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر الأنطاكي ،

أبو الحسن التميمي (٣) ١٤٤

علي بن محمد بن خروف ، انظر : ابن خروف

القرطبي ، أبو الحسن

علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي
الغرناطي (٥) ١٩٢ (٦) ٢٥٧

علي بن محمد بن عفيف الخزرجي ، انظر :
ابن عفيف الخزرجي ، أبو الحسن

علي بن محمد بن علي اليحصبي ، أبو الحسن
(٢) ٢١١

علي بن محمد بن علي بن البناء الوادي آشي (٦)
١٢٨

علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي (والد
أبي بكر وأبي عبد الله) (٢) ٥٩

علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحشني
الأبدي (٢) ٥٥١

علي بن المديني (٢) ٦٦

علي بن المرزبان (٢) ٢١٤

علي بن المظفر الوداعي ، انظر : الوداعي

علي بن المظفر بن القاسم الدمشقي (٥) ٢٣٢

علي بن المفضل المقدسي ، أبو الحسن (شرف
الدين) (٢) ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٦٠٣ ،

٦٥٢

علي بن مهلهل الجلياني (٣) ٥٠٧

علي بن موسى البحيري ، أبو الحسن (٥)
٢٣٠ ، ٢٥٩

علي بن موسى بن سعيد ، أبو الحسن ، انظر :
ابن سعيد ، أبو الحسن

علي بن موسى بن علي بن محمد الجلياني (٣)
٦٠٥

علي بن المؤيد (٣) ٥٠١

علي بن نافع ، انظر : زرياب

علي بن هابيل الأنصاري ، أبو الحسن (٢) ٦٠٢

علي بن هشام ، أبو الحسن (٢) ٢٣٨

علي بن يحيى الفزاري المالقي (ابن البربري)
(٦) ١٣٤

علي بن يخلف التنسي ، أبو الحسن (٥) ٢١٥

علي بن يوسف بن تاشفين (١) ١٩٠ ، ٣٠١

(٢) ٢٤٥ ، ٣٢٩ (٣) ٢٣٢ ، ٣٢٤ ،

٣٩٢ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ (٤) ٣٧٧ (٥)

١٨٣ (٧) ٣٤ ، ٣٥

علي بن يوسف بن كاشة الحضرمي ، أبو
الحسن (٥) ٩٠ ، ٣٦١

علي بن يوسف بن محمد بن فرج النصري ،
أبو الحسن (أخو إسماعيل صاحب نثير

الجمان) (٧) ١٩٥ ، ١٩٩

علي بن يونس (٢) ٦٣٤

أبو علي (في شعر أبي بكر ابن القبطرنة) (١)
٦٣٤

أبو علي الأهوازي (٢) ٦٣٧

أبو علي الغساني (٢) ١٥٦ ، ٥٢٦

أبو علي الفارسي (٢) ٦٤٧ (٥) ٣٨١ (٧)
٣٧٤

أبو علي ابن الحسين السبي (٢) ٧١

أبو علي ابن سليمان القرطبي (٥) ٤٧٤

أبو علي عمر المريني (٥) ١٠٤ ، ١٥٥ ،
١٥٦

عمار بن ياسر (٢) ٣٣٠ (٣) ٦١ (٥)	أبو علي منصور (ولد ابن هدية) (٥) ٢٣٤
٣٠٨ ، ١٥٨	أبو علي يونس (٢) ٣٢٠
ابن عمار الطيب (٧) ١١٨	ابن عليم (٤) ٢٨٣
ابن عمار الوزير ، أبو بكر (١) ٨٢ ، ١٨٥ ،	ابن عليم ، أبو الحزم (٢) ٦٤٨
٢٩٧ ، ٤٧٠ ، ٦٤٦ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ،	عليه بنت زرياب (٣) ١٢٩ ، ١٣١
٦٥٤ ، ٦٦١ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ،	عليه بنت المهدي (٤) ٢٠٧
٦٧١ (٣) ١٩٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٣٢٥ ،	العماد الأصبهاني (٢) ٩٠ ، ١٠٦ ، ١١٠ ،
٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٤٤٤ ،	١٣٣ ، ٥٣٣ ، ٦٣٦ ، ٦٥٠ (٤) ٢٤١
٦٠٢ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٦ (٤) ٧٣ ،	٥٢٧ (٥)
٩٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،	عماد الدولة (عبد الملك بن أحمد) بن هود
٢٦٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ ،	(١) ٤٤١ (٧) ٢٣ ، ٢٤
٣١٤ (٥) ١٨١ ، ١٨٢	عماد الدين الكندي (٧) ١١١
عمارة (٥) ٢٥٢	عماد الدين بن نجم الدين الدمياطي (٥) ٣٩٤
عمر الزجال (الفقيه) (٥) ٤٠ ، ٤٦	عماد الدين بن النحاس الأطروش (٢) ١٦٦
عمر السهروردي ، انظر : السهروردي	عماد الدين زنكي بن آق سنقر الأتابكي (٢)
عمر القاري (٢) ٤٥٧ ، ٤٦٣	١٣٤
عمر بن أبان المدني (٢) ٥٦٣	عماد الدين محمد بن محيي الدين بن عربي ،
عمر بن إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ،	أبو عبد الله (٢) ١٧٢
انظر : المرتضى الموحدي	ابن عماد الدين (٢٠) ٤٢٨
عمر بن أبي خالد ، أبو علي (شاعر) (٣)	ابن عماد الدين الحراني (٢) ٢١٧ ، ٦١٩
٤٣١	العمادي ، عبد الرحمن بن عماد الدين (مفتي
عمر بن أبي ربيعة (١) ٥٠٠ (٢) ٦٨٥	دمشق) (١) ٦٢ (٢) ٤١٢ ، ٤١٣ ،
(٣) ١٩٨ (٧) ١١٣	٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ،
عمر بن إسماعيل ، أبو حفص (٢) ٢٣٨	٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٣
عمر بن حسن الهوزني ، أبو حفص (٢)	ابن العمادي ، إبراهيم (٢) ٤٢٨ ، ٤٣٠ ،
٩٣	٤٤٨
عمر بن الخطاب (الفاروق) (١) ٤٨ ،	ابن العمادي ، شهاب الدين (٢) ٤٢٨

عمر بن فرج الرخجي (٢) ٥٠٣ ، ٥٠٤	٢٨٣ ، ٥٦٠ (٢) ٤٩٨ ، ٥٨٩ ، ٦٨٣
عمر بن قهليل ، أبو حفص (٣) ١٣١	٧٠٠ (٣) ٣٨٧ (٤) ١٠٥ (٥) ١١٦ ،
عمر بن محمد القلشاني ، أبو حفص (٥)	١٥٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٨٣ ،
٤٢٥ ، ٤٢٨	٣٠٤ ، ٣٢١ ، ٣٩٩ (٦) ١١٨ ، ٣٦٠ ،
عمر بن محمد بن فرج ، أبو حاتم (٤) ٣٢٩	٣٨٠ ، ٤٩٨ (٧) ٣٢٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،
عمر بن مروان بن الحكم (١) ٣٢٩	٣٦٢
عمر بن مودود الفارسي البخاري ، أبو	عمر بن شبة (٣) ١٦٥
البركات (٣) ١٤٤	عمر بن شعيب ، أبو حفص ، انظر : ابن الغليظ
عمر بن يوسف بن الإمام (٢) ٦٣٢	عمر بن الشهيد (٣) ٤١٣
أبو عمر المريني (أخو السلطان أبي سالم) (٦) ٨	عمر بن عبد العزيز (١) ١٥٣ ، ٢٣٥ ،
أبو عمر الهاشمي (٢) ٥٣٦ ، ٥٦١	٢٤٩ ، ٢٧٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٤٨٠ ،
عمران بن حصين (٣) ١٦٤	(٣) ٩ ، ١٥ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٥٧ (٥)
ابن عمران ، أبو عبد الله (٧) ٤٩٩	٢٩٧ ، ٢٨٤ (٦) ٣٧٩ ، ٤٨٨ ، وانظر
أبو عمران (١) ٤٨٩	أيضاً : أشج بن مروان
أبو عمران (مخاطب أبي الربيع ابن غالب	عمر بن عبد الله بن علي (الوزير) (٤)
الدائي) (٣) ٣١١	٤١١ (٥) ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٠ ،
أبو عمران الزاهد ، انظر : المارتلي (الميرتلي)	٤١٣ ، ٤١٥ (٦) ١٢ ، ٢٣ ، ١٧٣ ،
أبو عمران	١٨٦ ، ٤١٠ ، ٤١٢
أبو عمران القاسي (٢) ٦٤٧	عمر بن عبد الله بن علي الياباني (٦) ٨
أبو عمران ابن أبي حفص (الموحدي) (٤)	عمر بن عبد الله بن محمد السلمي القرطبي ،
٤٦٤	انظر : أبو حفص ابن عمر القاضي
أبو عمران ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي	عمر بن عثمان الخراساني الباخري (محمد
(٢) ٩٧ ، ٩٨	ابن أحمد) أبو بكر (٣) ٦٥ ، ٦٦ ،
عمرو (الخارج مع عبد الرحمن الداخل من	عمر بن علي (محدث) (٢) ٥٧٥ (٥)
المشرق) (١) ٣٣٣	٤٥٥
عمرو (في الشعر) (٢) ١٩٣	عمر بن علي بن عفرون الكلبي (٦) ٢٦١
عمرو بن أبي غياث (٥) ٥٣	عمر بن الفارض ، انظر : ابن الفارض

أبو عمرو بن العلاء (٥) ٢٢٠	عمرو بن الحارث (٣) ٥٦ ، ٥٧
أبو عمرو ابن مالك بن سيدمير (١) ١٨٤	عمرو بن حمير (١) ٢٩٦
أبو عمرو ابن المعتمد بن عباد (١) ٤٤٠	عمرو بن دينار (٥) ٢٣٣ ، ٣٠٢
ابن عمرو بن المالك (٢) ٧١	عمرو بن طلوت (٣) ٤٨
ابن عمرو بن (تلميذ يعيش) (٢) ٢٢٣	عمرو بن العاص (١) ٢٧٨ (٢) ٣٣٧ ،
أبو العميل (٣) ١٥٧ ، ١٥٨	٣٣٩ ، ٥١٣ ، ٥٣٤ (٣) ٩ ، ٦٠ ،
ابن العميد ، أبو الفضل (٢) ٤٥٣ (٤)	١٦٤ (٥) ٣٥ ، ٥٠ ، ١٥٨ (٦) ٤٢٨
٤٩٩ ، ١٦٧	٥١ (٧)
العميدي (٥) ٤٢٤	عمرو بن عدي (٧) ٣٩٤
عمير بن سعيد (١) ٢٦٧	عمرو بن كلثوم (٣) ٣٠٤
عمير بن ضابئة ، البرجمي (١) ٥٥٤	عمرو بن معد يكرب (٢) ٢٦٧ (٤) ٤٩٩
٣٢٦ (٥)	٢٣٨ (٦) ١٥٨ (٥)
عمير بن الفيض اللخمي (٣) ٥٦	عمرو بن يزيد الأزرق (٣) ٢٦
عميرة بن محمد بن مروان بن خطاب (ابن	ابن عمرو (صاحب أعمال إشبيلية) (٤)
أبي جمرة) (٢) ١٥٠	٤٦٥
ابن عميرة الضبي ، أبو جعفر (٣) ٦٨	أبو عمرو (ممدوح ابن الصباغ الغرناطي)
أبو عميرة المزني (٣) ٦٨	٢٥٩ (٦)
أبو عنان المريني (فارس بن أبي الحسن	أبو عمرو الداني (عثمان بن سعيد بن عثمان
المريني) (١) ٤٥٢ ، ٦٨١ (٢) ١٧٠	ابن سعيد الأموي) (٢) ٦١ ، ١٣٥ ،
(٤) ٤٠٠ ، ٤٠٧ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ،	١٣٦ ، ١٦٢ ، ٤٧٤ (٣) ١٣٨ ، ١٨٠ ،
٤٣٠ ، ٤٣٢ (٥) ٧٩ ، ٨٤ ، ٩٨ ،	٥٦٦ (٥) ٢١ ، ٣٨٤ ، ٦٠٣
٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ،	أبو عمرو الشيباني (٢) ٥٣٨
٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ،	أبو عمرو اليحصبي اللوشي (٣) ٢٢٥
٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٥٣ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ،	أبو عمرو ابن أبي جعفر بن الزبير (٥) ٦٠٤
٣٩٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤١٣ ، ٤٧١ ،	أبو عمرو ابن أبي محمد الوزير (٣) ٤٤٥
٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢ ،	أبو عمرو ابن الحاجب ، انظر: ابن الحاجب
٥٣٤ (٦) ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ١٠٨ ،	أبو عمرو ابن عبد الغني (٤) ١٢٠

ابن عياش (علي بن عبد الملك) أبو الحسن	١٧٢ ، ٢١٦ ، ٣٨١ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ،
(٤) ٣٢٨	٤٩٢ (٧) ١٠٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،
ابن عياش ، أبو عبد الله (الشاعر) (١)	العنبر (أم ولد) (٥) ٢٢٤
١٨٠	عنيسة بن سحيم الكلبي (١) ٢٣٥ ، ٢٩٩
عياض بن عقبة (١) ٢٨٨	(٣) ١٦ ، ١٧ ، ١٨ (٤) ٣٥٠
عياض بن عقبة الفهري (التابعي) (٣) ١٠	عنبرة (١) ٩ (٤) ٢٤٨ ، ٢٤٩ (٥)
عياض بن فروخ (٣) ٥٦	٢٢٩ ، ٤٤
عياض بن موسى ، أبو الفضل (القاضي	ابن عنق الفضة (جعفر) أبو محمد الفقيه
الإمام المالكي) (١) ٥٤٤ (٢) ٥ ،	السالمي (٣) ٤٠٥
٨ ، ٣٠ ، ٥٣ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٧ ،	ابن عنين (محمد بن نصر الدين الأنصاري)
٨٨ ، ٩٢ ، ١٤٨ ، ٢٣٣ ، ٣٧٨ ، ٤٤٨ ،	أبو المحاسن (١) ٩٧ (٢) ٤٠٠ ، ٤٠١
٤٨٩ ، ٥٢٨ ، ٥٧٦ ، ٦٦٥ ، ٦٩٨ (٣)	(٣) ١٣٧ (٧) ٣٤٩
٦٧ (٥) ٢٠١ ، ٣٨٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ،	عوف بن مالك الأشجني (٣) ٦١
٤١٠ ، ٤١١ (٦) ٩٧ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ،	عوف بن محلم (٧) ٥٢
(٧) ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٦٨ ، ٣٢٤ ،	عون الدين العجمي (سليمان بن عبد المجيد)
٣٣٣ ، ٣٣٤	(٢) ٢٧٣ ، ٤١٠
ابن عياض (ملك شرق الأندلس) (٤)	ابن عون الله (٢) ٦٠
٤٥٦	ابن عياد ، أبو عمر (٢) ١٥٩ ، ٥١٣ ،
ابن عيال ، أبو الوليد (٣) ٥٦٤ (٧) ٥١٠	٦٠٠ ، ٦٠١
عيسى ، انظر : المسيح	ابن عياد (محمد، ولد أبي عمر) (٢) ٦٠١
عيسى (قاضي القضاة ، معاصر للمقري)	ابن عياش الكاتب (٤) ١٦١
(٢) ٤٧٤	ابن عياش (كاتب المنصور الموحدي) (٣)
عيسى بن أبي ذر الهروي ، أبو مكتوم (٢)	٢٤٠
٥١٠	ابن عياش (معاصر سهل بن مالك) (٣)
عيسى بن الحسين (في رسالة لابن الخطيب)	٣٧٢
(٤) ٤٤٠	ابن عياش (عبد الملك) أبو الحسن (٣)
عيسى بن خليل النفري الحميري التاكرني	٤٤٦ ، ٤٤٧ (٤) ٣٢٧

ابن عيسى (القاضي في بريشت) (٤) ٤٤٩	(٢) ٦٠٦ ، ٦٠٧
ابن عيسى ، أبو الحسن (شاعر) (٤) ٩٠	عيسى بن دينار (٢) ٤٦ ، ٩ ، ٧ (٣) ١٦٧
أبو عيسى (من رجال السند) (٥) ٢٠٠	عيسى بن سلامة البكري (٥) ٤٢٨
أبو عيسى الليثي (٢) ٦٠	عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله
ابن عيشون (شيخ صفوان) (٥) ٦٢	ابن محمد الرعيئي (٢) ٣٨٠
ابن عيشون ، أبو عامر (من رجال القلائد)	عيسى بن شهيد (الحاجب) (٣) ٥٤٠
(٢) ٤٩٤	عيسى بن عمر (٢) ٥٣٧
ابن عيشون ، أبو العباس (مقرئ إشبيلي)	عيسى بن فطيس (الوزير) (١) ٣٨٧ (٢)
(٢) ٦٣٤	١٤٥
عيسو بن إسحاق بن إبراهيم (١) ٤٨١	عيسى بن القطاع (١) ٥٨٧
عين الشمس الثقفية (٢) ٦٢٦	عيسى بن مزاحم (١) ٢٦٧
أبو العيناء (٢) ٢٩٨ ، ٦٢٦	عيسى بن مساور (١) ٣٢٨

الفين

الغافقي (صاحب كتاب في الأدوية المفردة)	غازي بن أبي الفضل الخلاوي (٢) ٥٥١
(٢) ٦٩١ (٣) ١٨٥	ابن غازي (شيخ المقرئ) (١) ٥٥٦ ،
غالب (الطبيب) (٤) ١٣٠	٥٥٧ (٢) ٢٢٨ ، ٧٠١ ، ١٤٥ (٤) (٥)
غالب (مولى الحكم المستنصر) (١) ٣٩٦ ،	٢٠٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢٧ ، ٤٣٢ ، ٤٧٠
٣٩٧	ابن غازي (محمد) أبو عبد الله (٦) ٢١٥ ،
غالب (مولى هذيل بن هاشم) (١) ٣٨٣	٢١٦
غالب الناصري (صاحب مدينة سالم) (١)	ابن غازي ابن الكأس ، أبو بكر (٥) ١٠٣ ،
٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٠ (٣) ٨٨ ، ٨٩ ،	١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،
٩٢	١١٠ ، ١٧٢ ، ١٨٠

ابن غانية (٤) ٤٥٦	غالب بن أمية الموروري ، أبو العاصي (١)
ابن غانية (علي) الميورقي (٣) ١٠٣ ، ٥٦٣ ، ٥٦٨	٥٤٤
ابن غانية (يحيى) الميورقي ، أبو زكريا (١) ٤٧٢ (٢) ٩٨ ، ٣٣٧ ، ٦١١ ، ٦١٣ ، ٦١٤ (٣) ٤٩٩ ، ٥٦٣ (٤) ٧٦ ، ٤٥٦	غالب بن عبد الله الثغري (٤) ١٢
غاية المني (جارية) (٤) ٢٨٦	ابن غالب (صاحب فرحة الأنفس) (١)
الغبريني ، أبو العباس (صاحب عنوان الدزاية) (٢) ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٨ ، ٦١٧ (٤) ٣٢٠	١٢٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٦ (٣) ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ٣٨٦ ، ٤٠٥ ، ٤٩٠
الغرافي (٢) ٥٩٥	ابن غالب ، أبو الحسن (٢) ٥٤ (٧) ١٣٧
الغراوي ، أبو عبد الله (٢) ٥٩٨	ابن غالب الشراط (٣) ١٣٩
غريب الثقفى القرطبي ، أبو عبد الله (٤) ٣٣٢	ابن غالب المالقي (محمد بن إبراهيم بن عبد الله) (٢) ٥٢ (٣) ٣١١
غرسية (١) ٣٤٥	ابن غالب المرسي ، أبو عمرة (٥) ٢٥٧
غرسية (ملك الروم زمن المنصور العامري) (٣) ٨٣	ابن غالب (تمام) أبو غالب ، انظر : ابن التبان
غرسية (صاحب البشكنس) (١) ٤٠٣ ، ٤٠٤	الغالب بالله (إسماعيل ابن الأحمر) ، انظر : إسماعيل بن فرج بن نصر ، أبو الوليد (الغالب بالله)
غرسية بن أردون بن أذفونش (١) ٣٨٤	الغالب بالله (محمد ، السلطان من بني الأحمر) (٦) ١٥٧
غرسية بن شائجة (١) ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨٥	غانم بن الوليد المخزومي المالقي ، أبو محمد (٣) ٢٦٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٤٧ ، ٥٩٥ ، ٦١٥ (٤) ٢٨ ، ٢٢٦ ، ٣٣٠
غرسية بن ونقه (١) ٣٥١	ابن غانم (شهاب الدين) (٢) ٢٢٣ ، ٢٢٥
الغريض (المغني) (١) ٩	ابن غانم ، أبو طالب (١) ٦٦٦ (٣) ٣٢٨ ، ٣٢٩
الغزال (يحيى بن حكم الجباني) (١) ٢٨٢ ، ٣٤٦ (٢) ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ١١٦	

ابن غلبون (عبد الرحمن) (٤) ١٧١	٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨
ابن غلبون ، أبو الحسن (٢) ١٣٥ ، ٢١٥	(٣) ١٨٢ ، ٤٣٨
ابن غلبون ، أبو رجال (٥) ٦٢	ابن غزال ابن صدقة المنكبي ، أبو محمد (٢)
ابن غلبون المرسى ، أبو الحسين (٥) ٢٤٤	١٥٨ ، ٦٤٩
ابن غلدة ، أبو الحكم (٣) ٥٩٧	الغزالي ، الإمام أبو حامد (٢) ٢٩ ، ٣٣ ، ٤٣
ابن الغليظ المالقي (٣) ٢٧٠ ، ٣٩٨ ، ٦١٠	١٥٨ ، ٢١٦ ، ٥١٣ ، ٥٤٢
ابن الغليظ (عمر بن شعيب) أبو حفص (٣) ١٦٢	(٥) ٦٤٤ ، ٦٣٢ ، ٦٠٠ ، ٢٤١
الغماري ، أبو البركات (تلميذ ابن مرزوق الحفيد) (٥) ٤٢٨	٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٣٠٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨
الغماري ، شمس الدين (٥) ٤٢٨	٤٢٧ ، ٤٢٤ ، ٣٥٩ ، ١٢٦
الغماري التونسي ، أبو العباس (٥) ٢٢١	غزلان (جارية زرياب) (٣) ١٢٦
الغماري المالكي ، صدر الدين (٥) ٢٥٤	ابن غزلان ، انظر : المطرف ابن الأمير محمد
ابن الغماز (أحمد بن البلسني ، أبو العباس (٢) ٦١٩ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٣٩	ابن عبد الرحمن الأوسط
(٥) ٤٦٩	ابن غزلون (أحمد بن علي) أبو جعفر (٢)
ابن الغماز (أحمد بن محمد بن حسن) الخرجي ، أبو العباس (٥) ٢٠٠	٧١ ، ٦٥٢ (٥) ٤٣٣
٢٣٣ ، ٢٣٤	الغزموني (محمد بن محمد) أبو عبد الله (٥) ٢٤٣
الغمر (١) ٥٩٢	الغزنوي (٢) ٦٣٢
الغمر بن يزيد بن عبد الملك (٣) ٤٣	الغسانية البجائية (٤) ١٧٠
أبو الغمر السائب (٤) ٣٧٨	ابن غصن ، أبو جعفر (٦) ٢٢٧
غنجار (محمد بن أحمد) أبو عبد الله (٢) ١٤٢ (٣) ٦٢	ابن غصن (محمد بن إبراهيم الإشبيلي) أبو عبد الله (٢) ٢٠٧
ابن غندشلب ذو الوزارتين ، أبو عامر (١) ٥٣٤ (٣) ٤٠٥	الغطريف ، أبو أحمد (٢) ٦٠٤
الغني بالله النصري (محمد بن يوسف بن	ابن غطمش ، أبو عمرو (٤) ٧٧
	ابن غطوس (٣) ١٥١
	الغفجومي ، انظر : الجراوي
	غلام البكري ، انظر : حكم بن محمد (غلام أبي عبيد البكري)

٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،	إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر (
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،	(١) ٣٢١ ، ٤٥٢ ، ٥٠٧ ، ٥١٣ (٣)
٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،	١٠٠ (٤) ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ،
٢٦٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٠ ،	(٥) ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ،
غياث بن فارس المنذري ، أبو الجود (٢)	٨٧ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
٥٠ ، ٥٤٩ ، ٥٦٠ ،	١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
ابن غياث الشريشي ، أبو عمرو (٢) ٦٠٨	١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٣١ ، ١٦٩ ،
(٥) ٦٥	١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٩٤ (٦) ٨ ، ٢٧ ،
أبو الغياظ (٤) ٧	٢٨ ، ١١٧ ، ١٤٦ ، ١٨٩ ، ١٩١ ،
غيطشة (١) ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،	٢٠٧ ، ٢٨١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٦ ،
٢٥٩ ، ٢٦٥ ، وانظر أيضاً : أغطشة	٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦١ ، ٤٦٠ ، ٤٦٧ ،
غيلان المرور (٥) ٣٠٦	٤٧٨ ، ٥٠٢ (٧) ١٤ ، ١٠٤ ،
غيلان بن عقبة المري ، انظر : ذو الرمة	١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٤٩ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ،
ابن غيلان (٢) ٦٢٨	١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ،
ابن غيلان الدمشقي (٥) ٢٩٣	١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ،

الفاء

فارس بن أحمد ، أبو الفتح (٢) ١٣٥	الفاتن (فتى المنصور بن أبي عامر) (٣) ٨٢
أبو فارس (الحفصي) (٦) ٣٨١	الفار (الأديب) (٣) ٣١٦
أبو فارس (عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن)	الفارابي ، أبو نصر (٢) ٣٨٥ (٣) ١٨٥
المريني (٢) ١٢٨ (٤) ٤١١ (٥)	(٥) ٢٦٣ ، ٣١١ ، ٣٣٧
١٨٠ ، ١٨١	فارس (السلطان المريني) ، انظر : أبو عثمان
الفارسي (٢) ٢٣٣	المريني

٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ،
 ٦٤٥ ، ٦٤٧ ، ٦٥٠ ، ٦٥٢ ، ٦٥٧ ،
 ٦٥٩ ، ٦٦١ ، ٦٦٧ ، ٦٧٨ (٢) ، ٦٧٤ ،
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣١٩ ، ٤٩٤ ،
 ٥٢٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٦٦٥ (٣) ، ١٨٢ ،
 ١٨٤ ، ١٩٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥٩ ،
 ٣٢٧ ، ٥٤٤ ، ٥٥٢ ، ٥٥٧ (٤) ، ٢٤ ،
 ٧٢ ، ١٠٩ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،
 ٣٠٨ ، ٤٦١ (٥) ، ٤٢ ، ١٣٨ ، ٥٩٩ ،
 (٦) ٢٢٠ (٧) ، ١٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ،
 ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٦١ ، ٩٧

الفتح بن عبد القوي (٥) ٣٩٤
 ابن فتح (شيخ السلفي) (٢) ٦٤٥
 ابن فتح الأنصاري الثغري ، أبو عبد الله ابن
 محمد (شاعر أندلسي) (٤) ١١٤
 أبو الفتح السمرقندي (٣) ٦٧
 ابن فتحون ، انظر : الحمار السرقسطي
 ابن فتوح (٥) ٢٢٣
 ابن فتوح (إبراهيم بن أحمد) أبو إسحاق
 (مفتي غرناطة) (٢) ٦٩٢ ، ٦٩٣ ،
 ٦٩٩ ، ٧٠٠
 ابن فتوح المصري ، أبو الفضائل (٣) ٢٥٨
 الفحام ، أبو جعفر (٢) ٤٤

ابن الفارض ، عمر (٢) ١٦٦ ، ٤٠٦ ،
 ٦٠٧ (٥) ، ٢٦١ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٣٢٠ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ (٦) ١٩٢
 الفاروق ، انظر : عمر بن الخطاب
 الفازاري (عبد الرحمن) أبو زيد (٢)
 ١١٩ ، ١٩٥ (٤) ، ١٢٢ ، ٤٦٨ (٧)
 ٥٠٧

الفازاري (محمد) أبو عبد الله (٤) ٥٦٧
 فاطمة (في شعر امرئ القيس) (٥) ٥٢٣
 فاطمة (شقيقة ابن جماعة) (٢) ٥٧٠
 فاطمة الزهراء (البتول ، بنت الرسول) (٢)
 ٤٩٣ ، ٥٣١ ، ٥٧٠ (٤) ، ٥٠٠ ، ٥٠٥ ،
 (٦) ١٦٧ ، ٤٩٩ (٧) ، ٣٢٦ ، ٣٦٤ ،
 ٣٨٦ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠

فاطمة بنت سعد الخير (٢) ٦٣٢
 فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية (٢) ٥٦٢
 فاطمة بنت محمد بن أبي بكر بن أيوب (٥)
 ٣٩٣
 فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر المكيّة
 (٥) ٣٩٣ ، ٣٩٤
 فافلة (ابن ملك القرنيّة) (٤) ٣٥١
 الفاكهاني (٥) ٤١٨

فائق (الفتي) (١) ٣٩٦ (٣) ٨٦
 الفتح بن خاقان ، أبو نصر (١) ٢٧٦ ،
 ٢٨٠ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤٢٠ ،
 ٤٣٧ ، ٤٧٠ ، ٥٠٠ ، ٥٧٠ ، ٥٩٢ ،
 ٦٠٤ ، ٦٢٣ ، ٦٢٧ ، ٦٢٩ ، ٦٣٥ ،

٣٨٨ . ٣٨٧	ابن فحلون القنطري . انظر : خلف بن فرج
ابن القراء . أبو عبد الله (الفقيه) (٤) ٤٦١	ابن خلف بن فحلون القنطري . ابن الروية
ابن القراء (محمد بن عبد الله) أبو عبد الله	الفخار (الفقيه الأندلسي) (٤) ٣٠٤
النحوي الضريز (٣) ٣٨٢ ، ٣٨٣ ،	الفخار . أبو عبد الله (تلميذ عياض) (٧)
٢٨٧ (٤) ٣٨٦	٢٦٨ ، ٢٧١
فرات بن محمد (٣) ٩	الفخار السلوي ، أبو القاسم (٥) ٢٧٢ ،
أبو فراس الحمداني (٤) ٤٦٦	٢٧٤
الفراوي (٢) ٦٢٦	ابن الفخار ، أبو عبد الله (ابن نصف الربض)
الفراوي (منصور بن عبد المنعم) (٢) ١٠٤ ،	(٣) ٣٩٢ (٤) ٣٣٤
٢٤١	ابن الفخار البيري (اللغوي النحوي) أبو
الفراوي . أبو عبد الله (٢) ١٥٧ . ٥٠٩	عبد الله (٥) ٧٥ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٧٨ ،
الفراوي ، أبو المعالي (٣) ١٣٥	٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ،
الفراوي (٢) ٤٢٩	٥١١ ، ٦٠٤ (٧) ١٤٧ ، ١٦٥
فرتون بن موسى (١) ٣٤٥ ، ٣٥١	ابن الفخار القرطبي (محمد بن عمر بن
ابن فرتون القاسي (٢) ٥٣	يوسف) أبو عبد الله (٢) ٦٠
فرج (عبد ابن زمرك) (٧) ٢٨٧	فخر الترك أيدمر (٢) ٣٤٢
فرج بن برقوق (٢) ٥٢١	فخر الدولة (٤) ٩٧
الفرج بن كنانة (٢) ١٤٨	فخر الدين (ابن أخي السرخسي) (٣)
فرج بن لب ، أبو سعيد (٥) ١٠٨ ، ١٠٩ ،	١١٠
٢٦٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٣ ،	فخر الدين الرازي ، انظر : الرازي ، فخر
٥٢٥ ، ٥٤٠ (٦) ٢٥ (٧) ٢٩٠	الدين
ابن فرج (٤) ٢٨٦	الفراء (النحوي) (٢) ٥٣٧ (٤) ٧٩ ،
ابن الفرّج (نديم ابن ذي النون) (٤) ١٣٤	٨٥ ، ٨٠
ابن الفرّج ، أبو عامر (٣) ٤٠٨	الفراء القرطبي (محمد بن عبد الرحمن) أبو
ابن فرج ، أبو عبد الله (٢) ١٥٦	عبد الله (٢) ١٥٢
ابن فرج الجباني ، أبو عمر (١) ٦٠٤ (٢)	الفراء الموصل ، أبو الحسن (٢) ٢٣٥
٥٠١ (٣) ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،	ابن الفراء (الأخفش بن ميمون) (٣) ٣٣٢ ،

ابن الفرضي (عبد الله بن محمد بن يوسف)
 أبو الوليد وأبو محمد (١) ٢٧١ ، ٣٥٧ ،
 ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٩٥ ، ٥٤١ ، ٥٤٨ ،
 ٥٦٤ (٢) ١١ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٢ ،
 ١٢٩ ، ١٥٣ ، ٢١٩ ، ٢٤٣ ، ٦٠٠ ،
 ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٤٦ ، ٦٦٠ (٣) ٨ ،
 ٩ ، ٢٤ ، ٥٧ ، ١٤٤ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،
 ١٨٢ (٥) ١٥
 ابن الفرضي النحوي ، أبو بكر (٢) ٦٤٩
 فرعون (٤) ٨٩ (٥) ٢٩٣ (٦) ١٩٧ ،
 ٣٨٠ (٧) ٢٧٦ ، ٣١٩
 ابن الفرغور (٧) ٣٤٤
 ابن الفرغور (عبد الرحمن الدمشقي) (١)
 ٥٢١ ، ٥٢٢
 ابن فرقاچه ، أبو زكريا (٦) ١٤
 ابن فرقد ، أبو القاسم (٣) ٦٥
 ابن الفركاح ، برهان الدين (٥) ٣٩٥
 ابن فركون ، أحمد (٧) ٢٨٧ ، ٢٨٨
 الفرئيس (٢) ٣٢٣ ، ٣٢٤
 الفرونوي (٢) ٣٨١
 فرويلة بن أذقوش (١) ٣٣٠
 ابن فشتال ، أبو الحسن (٣) ١٠٩
 الفشتالي ، انظر : أحمد بن إبراهيم الفشتالي ،
 عبد العزيز بن محمد الفشتالي ، محمد بن
 أحمد الفشتالي
 فضل المدنية (٣) ١٤٠

١٩٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٤٣٧ (٤) ٤٦
 ابن فرج السبتي (٦) ١٤٨
 أبو الفرج (الوزير) (٣) ٥٤٢ ، ٥٤٣
 أبو الفرج الاسفراييني (٢) ٩١
 أبو الفرج الأصبهاني (١) ٦٦ ، ٣١٤ ،
 ٣٨٦ (٣) ٧٢ ، ١٨٥
 أبو الفرج الصوفي (٢) ٥٣
 أبو الفرج ابن أبي يحيى الشريف التلمساني
 (٥) ٤٢٣ ، ٤٢٤
 أبو الفرج ابن الجوزي ، انظر : ابن الجوزي
 أبو الفرج عبد الله بن الطيب البغدادي (٦)
 ٣٠٩ ، ٣٣٣
 أبو الفرج عبد الوهاب التميمي (٢) ٥٧٥
 ابن فرح (شهاب الدين أحمد) أبو العباس
 (٢) ٥٢٨ ، ٥٣١
 ابن فرحان ، أبو عزيز (٥) ٢٥٠
 ابن فرحان ، أبو موسى (٥) ٢٥٠
 ابن فرحون (٥) ٢٢٨ ، ٢٧٩ ، ٥٤٠
 ابن فرحون (أيمن بن محمد اليعمري التونسي)
 أبو البركات (٥) ٣٩٣
 ابن فرحون ، أبو الحسن (٥) ٢٢٦
 فردلند (قوس قشيلة) (١) ٣٦٥ ، ٣٨٤
 فردلند الثالث (١) ٤٤٨
 فردلند بن غندشلب (١) ٣٨٢ ، ٣٨٣
 الفرزدق (١) ١٠٦ (٣) ١٧٧ (٤) ٤١ ،
 ٢٥٥ (٥) ٥٠٨ (٦) ٢٤٩
 ابن الفرس ، أبو قاسم (٣) ٢٠٤

الفضيل (ابن عياض) (٦) ٤٠١	فضل بن سلمة (٣) ١٧٨
ابن فضيلة المعافري (٥) ٤٥٧	الفضل بن سهل (٥) ١٤٣
ابن فضيلة ، أبو الحسن (٢) ٥٤٢	الفضل بن صالح (٢) ٦٥٩
ابن فضيلة ، أبو الحسين (٥) ٣٨٧	الفضل بن علي بن حزم ، أبو رافع (٢) ٧٨ ، ٨٣
ابن الفقاعي ، انظر : محمد بن غازي الموصلي	الفضل بن يحيى البرمكي (١) ٩ (٤) ٨٥
ابن الفكون القسطيني (حسن بن علي بن	(٦) ٤١٨ (٧) ٣١٩
عمر) (٢) ٤٨٣	ابن الفضل (محدث بمصر) (٢) ٦٦
الفكيك ، أبو الحسن البغدادي (٣) ١١٩ ،	أبو الفضل (الوزير الكاتب) (١) ٦٤١ ، ٦٤٢
١٢٠ ، ٢٦١	أبو الفضل السليماني (٣) ٦٢
ابن الفلاس ، أبو عمرو (١) ١٨٦	أبو الفضل الشيرازي (٤) ٥٤٣
فلبش القيصري (١) ١٣٩	أبو الفضل المريئي (٤) ٤٢٠ ، ٤٢٢
فناخسرو بن فيروز ، أبو الفخر (٣) ١٣٥	أبو الفضل جعفر الهمداني (٢) ١٣٧
ابن فندلة ، أبو الحسين (٣) ٤٧٣	أبو الفضل جعفر ابن الأعلم (٤) ٣١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٦
ابن فهد (٢) ٦٩٦	أبو الفضل عياض ، انظر : عياض (القاضي)
ابن فهد ، أبو مسلم (٤) ٧ (٧) ٣٩ ، ٤٠	أبو الفضل محمد (قريب التجاني) (٤) ١٢١
ابن فورتش ، أبو القاسم (٢) ٦٠٦	ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد)
ابن فورك ، أبو بكر (٣) ٦٢ (٤) ٢٥٣	(١) ٣٧ (٣) ٣٥٢
الفيروزابادي (صاحب القاموس) (٢)	
١٧٦ ، ١٧٧	

القاف

قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي ، أبو محمد (٢) ٤٩ (٣) ١٧٠	القاسمي ، الإمام أبو الحسن (٢) ١٣٥ ، ١٤٠ ابن القابلة (محمد بن يحيى الشلطيشي السبتي) أبو بكر (٣) ٦١٠ (٤) ١٠ ، ١٣
القاسم بن حمود (الملقب بالمأمون) (١) ٣٠١ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨	قابوس بن وشمكير (٢) ٤٦١ أبو قابوس (مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص) (٥) ٢٣٣
القاسم بن حمود (الملقب بالوائق ، حفيد المأمون) (١) ٤٣٥	القادر (الخليفة العباسي) (٤) ٥٤٢ القادر بن ذي النون (١) ٤٤١ (٣) ٥٤٢ (٤) ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧
القاسم بن خلف الجيري الفقيه ، أبو عبيد (٢) ٥١١ ، ٥١٢	ابن قادس ، أبو عبد الله (القائل) (٣) ٢١٠ ، ٢١١
قاسم بن زرياب (٣) ١٢٩ ، ١٣٠	ابن قادوس الدمياطي ، أبو الفتح (٢) ٣٤٣ قارله (١) ٢٧٤ ، ٣٣٠
القاسم بن سلام ، انظر : ابن سلام ، أبو عبيد (القاسم)	قارون (١) ٥٤٣ (٤) ٤٨٧ (٦) ٣٨٠
قاسم بن عبود الرياحي (١) ٤٦٩ ، ٤٧٨	قاسم (في شعر الشلوين) (٣) ٤٩١
قاسم بن علي المالقي (٥) ٥١٢	قاسم العقباني ، أبو الفضل ، انظر : العقباني
القاسم بن الفتح ، أبو محمد ، انظر : ابن أفريولة ، أبو محمد	قاسم بن أحمد الجهنبي (٢) ١٨
القاسم بن محمد (صاحب الوثائق) (٢) ١٤٤ (٣) ١٧١ ، ١٧٧	القاسم بن أحمد المريني اللورقي ، علم الدين (٢) ١٣٧
قاسم بن محمد الحراي المالقي ، أبو القاسم (٦) ١٣٥	قاسم بن أصبغ بن محمد البياني ، أبو محمد (١) ٣٩٥ (٢) ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٣ ، ٦٣٥ ، ٦٦٠ (٣) ١٦٩ ، ١٧٤
القاسم بن محمد الصنهاجي (٥) ٢٤٥	
قاسم بن محمد المرواني (٣) ٥٩٢	

- القاسم بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٣)
٥٨٠
- قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار ، أبو محمد
(٢) ٥٠ ، ٥١ ، ٦٢
- القاسم بن مسعدة الأوسي ، أبو محمد (٣)
٤١٩
- قاسم بن مطرف ابن ذي النون (١) ٣٨٣
- القاسم بن الموفق علم الدين ، أبو محمد (٢)
٥٦١ (٣) ٣٨٠
- القاسم بن نعم الخلف (٢) ٦٤٥
- ابن القاسم (صاحب المذهب) (٢) ١١ ،
٧٠٠ (٣) ١٦٧ ، ٢١٦ ، ٤٤٨ (٥)
٢١٨ ، ٤١٤ ، ٤٢١
- ابن القاسم ، أبو العباس (٤) ١٣
- ابن قاسم القيسي ، أبو العلاء (٤) ٣٢١
- أبو القاسم (٣) ٥٢٤
- أبو القاسم (٥) ٢٠١
- أبو القاسم البلوي الإشيلي (٣) ٣٢٥
- أبو القاسم الخولاني (٣) ٦٨
- أبو القاسم الرندي (٢) ٦٣٧
- أبو القاسم الشاطبي ، انظر : أبو القاسم ابن
فيده بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي
- أبو القاسم الشراط القرطبي (٣) ١٦٢
- أبو القاسم (محمد بن أحمد بن محمد الحسني ،
قاضي الجماعة) الشريف السبي (٢)
٢١٢ (٥) ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،
- ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٩ ، ٢٦٥ ،
٤٧٤ (٦) ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥١
(٧) ١٤٧ ، ١٦٥ ، ٢٩٠
- أبو القاسم الصيرفي (٥) ٣٤٨ ، ٣٤٩
- أبو القاسم القبتوري (٣) ٤٦٢
- أبو القاسم الوراق (٢) ٩١
- أبو القاسم (إبراهيم بن محمد بن الإفيلي) ،
انظر : ابن الإفيلي
- أبو القاسم (أصبغ) ، (شيخ الحميدي) (٢)
١١٣
- أبو القاسم ابن أبي بكر ابن عبد العزيز (٤)
٦٥
- أبو القاسم ابن لإدريس (٥) ٦٢
- أبو القاسم ابن حبيب النيسابوري (٢) ١٥٢
- أبو القاسم ابن خلف (١) ١٩٣
- أبو القاسم ابن رضوان ، انظر : ابن رضوان
- أبو القاسم ابن عبد المنعم (٤) ٢٢
- أبو القاسم ابن عيسى (٢) ١٣٧ ، ١٩٥
- أبو القاسم ابن غالب (٢) ٦٥
- أبو القاسم ابن فيده بن خلف بن أحمد الرعيني
الشاطبي (٢) ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤
- أبو القاسم ابن محمد الغساني الوزير الطيب
(٢) ٢٤٩
- أبو القاسم ابن محمد اليماني الشافعي (٥) ٢٥٤ ،
٢٥٨
- القاشاني ، أبو الحسن (١) ٥٠١
- القاضي التنوخي (٢) ٤٦٨

القاضي عياض ، انظر : عياض (القاضي)	ابن قحطان (حضر موت) (١) ٢٩٨
القاضي الفاضل (١) ٣٦ ، ٤٤٥ (٢) ٢٥ ،	ابن قداح ، أبو علي (٥) ٢٥٧
٦٣٦ ، ٦٧٢ (٧) ٨٨	قداو (عافر الناقة) (٥) ١٨٥
القالي (إسماعيل بن القاسم البغدادي) أبو علي	قدامة بن جعفر (٢) ٦٧٠
(١) ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ،	القرافي (٥) ٢٢٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٤
٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٨٦ ، ٦١٨ (٢) ٢٠ ،	قراقوش (مملوك بني أيوب) (٣) ١٠٢
٤٩ ، ٧٣ ، ١١٥ ، ١٥١ ، ٦٤٧ ، ٦٦٥	(٤) ٣٨٢
(٣) ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ،	قرط (٢) ٥٨٦
٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٥ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ،	القرطبي المفسر (٢) ٤٨ ، ٢١٠ ، ٦١٥ ،
١٨٤ (٤) ٣٦ ، ٧٧ ، ١٤٢ ، ١٧١	٦٩٣ (٣) ٢٣٥
(٦) ١٢٠	القرطي (محمد بن سعد) أبو بكر (٢) ٢٩٠
ابن قانع (٣) ٦	قرعوس بن العباس (٢) ٤٥
قايتباي (السلطان) (٢) ٧٠٢	القرعة ، أبو جعفر (٥) ٤٨٠
القائم بأمر الله العباسي. (٢) ٥١٠ (٣)	ابن قرقول (إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم)
٣٧٦ ، ١١٢	أبو إسحاق (٢) ٦٦٥ (٣) ٩٩
ابن قباذ (من الأكاسرة) (٧) ٥٠١	ابن قرناص (٣) ٣٥٦
القبشي (٣) ٦٠	قرة (محدث) (١) ٦٥ (٢) ٤٣١
ابن القبطرنة ، أبو بكر (١) ١٥٥ ، ٦٣٤ ،	قرة بن شريك (٦) ١٦٧
٦٣٧ ، ٦٣٩ (٣) ٢٦٨ ، ٣٥٥ ، ٥٩٦	أبو قرة النصراني ، انظر : وانوس أبو قرة
(٤) ٥ ، ٣١٣	القزاز (محدث) (٢) ٦٣٢
ابن القبطرنة ، أبو الحسن (١) ٦٣٦ ، ٦٣٨ ،	ابن القزاز (شيخ القيروان في اللغة) (٢)
٦٣٩	١١٠
ابن القبطرنة ، أبو محمد (١) ٦٣٧ ، ٦٣٩	ابن قزمان ، أبو بكر (٣) ٣٨٥ (٤) ٢٣ ،
ابن القبيطي ، أبو طالب (٢) ٦٤	٢٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ (٥) ٤٤ (٧) ١٥ ،
قتادة (المحدث) (٢) ٥٠٠ (٦) ٤٦٣	١٦
ابن قتيبة (٢) ٤٨ ، ٥٣٨ (٣) ١٣٤ (٤)	القزويني ، جلال الدين (٥) ٢١٦ ، ٢٣٦ ،
٧٧ ، ٧٨ ، ٢٨٣	٤٢٢ ، ٣٩٤

القشيري (٢) ٦٤	القشيري (٢) ٦٤
٦٧٠ ، ٦٨٧ (٤) ٣٠٨ (٥) ٢٦ ،	٦٧٠ ، ٦٨٧ (٤) ٣٠٨ (٥) ٢٦ ،
٣٥ (٦) ٨٦ ، ١٢٧ ، ١٥٨	٣٥ (٦) ٨٦ ، ١٢٧ ، ١٥٨
القسطلي الشاعر ، انظر : ابن دراج القسطلي	القسطلي الشاعر ، انظر : ابن دراج القسطلي
قسطنطين بن ليون (صاحب القسطنطينية)	قسطنطين بن ليون (صاحب القسطنطينية)
(١) ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨	(١) ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨
٣٧٣	٣٧٣
قسونة بنت إسماعيل (٣) ٥٣٠	قسونة بنت إسماعيل (٣) ٥٣٠
قسي بن منبه بن بكر بن هوازن (١) ٢٩٢	قسي بن منبه بن بكر بن هوازن (١) ٢٩٢
ابن قسي (الثائر في ثورة المريدين) (٦)	ابن قسي (الثائر في ثورة المريدين) (٦)
٣٠٥	٣٠٥
القشيري (عبد الكريم) أبو القاسم (٢)	القشيري (عبد الكريم) أبو القاسم (٢)
٥١٩ (٣) ٦٧ (٥) ٢٨٦	٥١٩ (٣) ٦٧ (٥) ٢٨٦
القصار التونسي ، أبو العباس (٢) ٤٢٩ ،	القصار التونسي ، أبو العباس (٢) ٤٢٩ ،
٤٤٠ (٥) ٤٢٨	٤٤٠ (٥) ٤٢٨
ابن القصار ، أبو عبد الله (٥) ٢٥٣	ابن القصار ، أبو عبد الله (٥) ٢٥٣
قصي (٤) ٤٩٦	قصي (٤) ٤٩٦
قصير (٧) ٤١٧	قصير (٧) ٤١٧
ابن القصيرة ، أبو بكر (٤) ٣٦١ ،	ابن القصيرة ، أبو بكر (٤) ٣٦١ ،
٣٦٥ (٧) ٣٠	٣٦٥ (٧) ٣٠
القضاعي (صاحب الشهاب) (٢) ١٣٨ ،	القضاعي (صاحب الشهاب) (٢) ١٣٨ ،
١٥٦ ، ٥٩٩ (٣) ١١٣ (٤) ٣٢٩ ،	١٥٦ ، ٥٩٩ (٣) ١١٣ (٤) ٣٢٩ ،
٣٣٠ (٥) ٢٨٥ ، ٣٤٢ ، ٥٣٥	٣٣٠ (٥) ٢٨٥ ، ٣٤٢ ، ٥٣٥
القضاعي (محدث) (٢) ١١٣	القضاعي (محدث) (٢) ١١٣
القضاعي ، أبو الحجاج (٢) ١١٣	القضاعي ، أبو الحجاج (٢) ١١٣
ابن القطاع (صاحب الدرة الخطيرة) (٢)	ابن القطاع (صاحب الدرة الخطيرة) (٢)
٢٦٢ (٣) ٧٤ (٥) ٣٧٢	٢٦٢ (٣) ٧٤ (٥) ٣٧٢
القطامي (٢) ٦٧٧	القطامي (٢) ٦٧٧
ابن القطان (٧) ٤٢	ابن القطان (٧) ٤٢
ابن القطان ، أبو الحسن (٣) ١٣٥ ، ١٨٠	ابن القطان ، أبو الحسن (٣) ١٣٥ ، ١٨٠
(٤) ١٦١	(٤) ١٦١
ابن القطان (هبة الله بن الفضل) أبو القاسم	ابن القطان (هبة الله بن الفضل) أبو القاسم
(٢) ١٣٤ ، ٦٦٤	(٢) ١٣٤ ، ٦٦٤
قطب الدين الخيضر الحافظ (١) ٥٢٢	قطب الدين الخيضر الحافظ (١) ٥٢٢
قطب الدين الشيرازي (٥) ٢٤٧	قطب الدين الشيرازي (٥) ٢٤٧
قطب الدين القسطلاني (٢) ٥٥ ، ٥٥٠ (٥)	قطب الدين القسطلاني (٢) ٥٥ ، ٥٥٠ (٥)
٢٤٧	٢٤٧
قطب الدين عبد الكريم (٢) ٥٩	قطب الدين عبد الكريم (٢) ٥٩
ابن قطبة الفقيه (٥) ٤٥٨	ابن قطبة الفقيه (٥) ٤٥٨
ابن قطرال (٥) ٢٥٦ (٧) ٤١٦	ابن قطرال (٥) ٢٥٦ (٧) ٤١٦
ابن قطرال المراكشي ، أبو عبد الله (٥)	ابن قطرال المراكشي ، أبو عبد الله (٥)
٢٢١	٢٢١
قطرب (٢) ٥٣٨	قطرب (٢) ٥٣٨
قطن بن عبد الملك الفهري (١) ٢٣٦ ،	قطن بن عبد الملك الفهري (١) ٢٣٦ ،
٢٣٧ (٣) ٢١	٢٣٧ (٣) ٢١
القطبي (مالك بن علي بن قطن) (٣) ١٦٨	القطبي (مالك بن علي بن قطن) (٣) ١٦٨
القطيعي (محدث) (٢) ١٣١	القطيعي (محدث) (٢) ١٣١
القعقاع بن شور (٤) ٥٤٤	القعقاع بن شور (٤) ٥٤٤
القعنبي (٢) ٦٠٤	القعنبي (٢) ٦٠٤
الققال (٣) ١٧٧	الققال (٣) ١٧٧
ابن قلاقس الاسكندردي (عبد الله بن علي)	ابن قلاقس الاسكندردي (عبد الله بن علي)
(١) ٧٤ (٣) ٢٥٥ ، ٢٥٨ (٥) ٥٢٥	(١) ٧٤ (٣) ٢٥٥ ، ٢٥٨ (٥) ٥٢٥
قلاوون (الملك المنصور سيف الدنيا والدين)	قلاوون (الملك المنصور سيف الدنيا والدين)
(٤) ٣٨٧	(٤) ٣٨٧

القلشاني (٢) ٦٩٣	ابن القوطية (محمد بن عمر بن عبد العزيز)
القلصادي (علي بن محمد) أبو الحسن (٢)	أبو بكر (٣) ٧٣، ٧٤، ١٧١ (٤)
٦٩٢ (٥) ٤٢٦، ٤٢٨ (٦) ٤٤٦	٢٥
القلعي ، أبو عمران (٣) ٣٠٥	ابن القوق (محمد بن عبد الله الخولاني الباجي)
القلقاط (محمد بن يحيى) أبو عبد الله (٣)	أبو عبد الله (٢) ٢٤٣
٢٩٤ ، ٢٩٥ (٤) ١٢٦	القيجاطي (٥) ٥١٣
القلقشندي (٢) ٤٢٦ ، ٤٤٠ (٧) ٣٢٨ ،	القيجاطي (علي بن عمر بن إبراهيم) أبو
٣٣٠	الحسن (٥) ٧٥ ، ٣٨٤ ، ٥٠٧ ، ٥١١ ،
قلم (جارية) (١) ٣٥٠ (٣) ١٤٠	٦٠٤
القلندر (عبد العزيز البطليوسي) أبو الأصبع	القيجاطي ، أبو العباس (٤) ٢١
(٣) ٤٥٢	القيجاطي (محمد بن عبد الحليل) أبو عبد الله
القلاني ، أبو محمد (٢) ٥١٣	(٢) ٢٣٥ (٥) ٣٤٠
القماح (محمد بن أحمد) أبو عبد الله (٥)	القيجاطي ، أبو علي (٥) ٥١٣ (٦) ٢٢٧
٣٩٤	القيجاطي ، أبو المعالي (٣) ٣٠٤
القمارشي ، أبو زيد (٢) ٤٤	القيراطي ، برهان الدين (٢) ٣٩٦ (٣)
القمبيطة (امراة أذفونش) (٤) ٣٥٧	٣٥٢
قمر (جارية ابن حجاج) (٣) ١٤٠	قيس (في شعر السلفي) (٣) ٦٦
القميحي ، أبو البركات (٤) ١٢٢	قيس بن الخطيم (٢) ٦٨٥
القنازعي (عبد الرحمن بن مروان) أبو	قيس بن سعد بن عبادة (١) ٢٩٤ (٣) ٥٦
المطرف (٢) ٥١١	(٦) ١١٧
القنيطور ، انظر : السيد الكنيطور	قيس بن عاصم (٢) ٤٩٤ (٤) ٥٤٥ (٥)
ابن قنفذ ، انظر : ابن الخطيب القسطيني	١١٦
القواس الغدادي ، أبو بكر (٢) ٥٥٠	قيس بن الملوحي (المجنون) (١) ٩ (٢)
ابن القواس (٢) ٥٣٨	١٩ ، ١٨٤ (٥) ٤٧ (٧) ٣٧٥
ابن القوبع (محمد بن محمد) ركن الدين (٢)	قيس بن يوسف النصري (٥) ٨١ ، ١٤٢
٢٢٥	القيسراني (٢) ٦٦٣
القوري (٥) ٣٤٥ ، ٤٣٢ (٦) ٢١٦	القيسراني ، أبو الرضى (٢) ٢٣٨

ابن قيم الجوزية ، شمس الدين (٥) ٢٥٤ ،	قيصر (١) ١٦١ ، ٦٥٠ (٥) ١١٦ ، ٤٠٠
٢٨١	(٦) ٣٥٨ ، ٣٨٠ ، ٥١١ (٧) ٧١ ،
	٤١٩ ، ٢٩٨

الكاف

كثير عزة (٢) ٤٥٨ ، ٥١٠	ابن الكازروني ، (المقريء) (٢) ٤٢
ابن الكثير (محدث بالعراق) (٢) ١٣١	الكازريني ، أبو العباس (٢) ٦٣٧
ابن كثير ، عبد الرحمن (١) ٢٣٨	كافور (غلام صاعد) (٣) ٨٣ ، ٨٤
ابن كثير ، عماد الدين (٣) ١٣٨	الكامل بن العادل بن أيوب (٢) ٩٤ ، ١٠٠ ،
أبو كثير الطريفي (٤) ٧٠	(٣) ٣٨١ ، ٣٥٠ ، ٢٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٢
ابن كحيل التجاني ، انظر : التجاني ، شمس	(٤) ١٠١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ٢٥٣
الدين بن كحيل	٣٢٦
أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح (٣) ٣٧١	ابن الكتاني (محمد بن الحسن المذحجي) (٣)
(٤) ١٧٠	١٧٥ (٤) ٣٠٨
الكروسي القاسي (محمد بن عبد الرحمن)	الكتبي (المؤرخ) (٢) ٢١١
أبو عبد الله (٦) ٩٦ ، ١٦٢	ابن كشغري الخطابي الصيرفي ، شمس الدين
الكرماني (عمر) أبو الحكم (٣) ٣٧٦	(٥) ٣٩٤
الكروخي (٢) ٥٦٠	الكنندي (٤) ١٧٤
الكروخي ، أبو البدر (٢) ٥٣٦ ، ٥٦١	الكنندي الشاعر (محمد بن عبد الرحمن) (٣)
الكروخي ، أبو الفتح (٢) ٥٩٩	٤٩٧ ، ٥١٣ ، ٥١٥ (٤) ٢٩٧ ، ٢٩٨
كريب (ناثر بالأندلس) (٦) ١٧٢	ابن كتيلة (٣) ١١٢
كريمة (أم ولد الحراي) (٢) ١٨٨ ، ١٨٩	كثير الشلي (سليمان بن علي) أبو الربيع
كريمة المروزية (٢) ١٥٨ ، ٦٠٥	(٣) ٥٦٦

الكلاباذي ، أبو نصر (٣) ٦٢	الكريمي ، أكل الدين (٢) ٤٦٣
كلثوم بن عياض (١) ٢٣٦ (٣) ٢٠ ،	الكريمي ، محمد (٢) ٤٦٣
٥٣ ، ٢٦ ، ٢١	الكساد (أحمد المقريني) (٤) ٦١ ، ٦٢ ،
كلدة (ملك الفرنجة بالشرق) (١) ٣٦٥ ، ٣٦٦	١٢٩
الكلشني ، محمد بن سعد (٢) ١٦٢ ، ١٧٥ ،	الكسائي (٢) ٥٣٧ (٣) ١٧٢ (٤) ٧٩ ،
٤٤٢ ، ٤٣٣	٨٠ ؛ ٨٠
كليب (٥) ٣٦٦	كسرى (١) ١٠٣ ، ٤٩١ ، ٦٥٠ (٤)
كليب بن همام اللياسي (٦) ٣٠٩	٤٨٧ (٥) ٢٨ ، ١١٦ ، ١٧٧ ، ٤٠٠ ،
ابن كليب ، أبو الفرج (٢) ٢١٤	٤٩٥ (٦) ٥١ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٩٠ ،
ابن الكماد (٥) ٥١٤	١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٣٢٢ ، ٣٥٨ ، ٤١٩ ،
ابن الكماد ، أبو عبد الله (٥) ٣٨٧	٤٨٨ ، ٤٥٦ ، ٤٥٤
كمال الدين الأدفوي (٢) ٥٤٢ ، ٥٤٣	كسرى أنوشروان (٥) ١١٥ (٦) ٣٨٠
كمال الدين التنوخي (١) ٨٥	كسرى يزديجرد (٥) ٤٢
كمال الدين القادري (٢) ٤٢٩	ابن كسرين المالقي (الحسن) أبو علي (٣) ٣٩٩
كمال الدين بن جمال الدين إبراهيم الحلبي	الكسعي (٥) ٥٠٨
(٧) ١١٥	كشاجم (١) ٣١٢
كمال الدين بن خير السكندري (٢) ٦٩٥	الكلشني البصري ، أبو مسلم (٢) ٥٦١
الكميت (الشاعر) (٣) ٤٨	كعب (جد قبيلة) (٢) ٥٨٦
الكميت (البطليوسي) (٣) ٤٥٣	كعب بن زهير (٢) ٤٩٨ ، ٥٦٩ ، ٦٨٨ ،
ابن كنعان (٢) ٤١١	٦٨٩ (٥) ٣٧ (٦) ٤٩٧
ابن كوثر ، أبو الحسين (٢) ٥٩٩	كعب بن سعد الغنوي (٤) ١٤٢
ابن كوثر (يوسف) أبو عمر (٣) ٤٥٨	كعب بن مامة الإيادي (١) ٩ (٣) ٥٨٢
كوزان (إبراهيم بن محمد المخزومي) (٢)	(٤) ٥٤٤ (٦) ٦٤ ، ١٩٩ ، ٤١٨ ،
٦٠٣	٤٢ (٧)
الكيّا ، أبو الحسن الطبري (٢) ١٥٦	الكفعمي (إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد)
الكيّزائي ، أبو عبد الله (٢) ٥٠٥	(٧) ٣٤٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٠
كيسان (النحوي أبو سليمان الهجيمي) (٤) ٧	ابن كلاب (٥) ٣٠٢

البرم

٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،	لب ، أبو القاسم (٣) ٦١٧ ، ٦١٨
٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٩ ، ٣٤٥ ،	لب بن عبد الوارث القلعي ، أبو عيسى (٣)
٣٥١ (٤) ٣٥٣ (٥) ٤٢	٥٣٢
للدريق بن بلاشك القومس (١) ٣٨٥	ابن لبال ، أبو الحسن (٢) ١١٥ (٣) ٤٤٢
للدريق بن قارئه (١) ٣٤٠	(٤) ٦٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٣
أم للدريق بن بلاشك القومس (١) ٣٨٥	ابن اللبانة ، أبو بكر (١) ١٦٩ ، ٦٦٢ (٣)
لسان الدين بن الخطيب (محمد بن عبد الله)	١٩٩ ، ٣٣٣ ، ٣٤٥ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ،
أبو عبد الله (١) ١ ، ١١ ، ٦٢ ، ٧٠ ،	٦١٢ (٤) ٤٩ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ،
٧٦ ، ٧٩ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،	١٥٦ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ،
١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٥ ،	٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،
١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ،	٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٤ ،
٢٣٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٣٢١ ، ٤٣٩ ،	٢٧٩ (٧) ٣٠ ، ٤٢
٤٤٧ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ،	لبنى (صاحبة قيس بن ذريح) (٦) ٤٥٠
٥١٢ (٢) ١٢٥ ، ١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،	لبنى (في شعر ابن حسداي) (١) ٦٤١
٢٣١ ، ٢٧٠ ، ٣٨٣ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ،	لبنى (في شعر ابن الحداد) (٣) ٥٠٣
٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٦١٨ ، ٦٢٤ ، ٦٦٤ (٣)	ابن لبون ، أبو عيسى (١) ٦٤٩ ، ٦٧٢
٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١١٥ ، ٣٨٢ ،	(٣) ٢٥٩ ، ٥٩٧ (٤) ١٣٤ ، ٣١٤
٥٥٧ (٤) ١٩ ، ٢٤ ، ٩٨ ، ١٢٢ ، ٢٢٤ ،	ليبد (١) ٧٧
٢٢٥ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣٤٩ ، ٤٠٤ ،	الحياني ، أبو الحسن (٥) ٣٨٠
٤١١ ، ٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ،	اللخمي (٥) ٢١٩
٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٤ ، ٥١٧ ،	للدريق (رذريق) (١) ١٣٩ ، ١٤٧ ،
٥٢٨ (٥) ٧ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ،	٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
٢٢ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٥٠ ، ٦٩ ، ٧٦ ،	٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،

٢٧٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٦٨ - ٢٦٦	٩٥ ، ٩٤ ، ٩٠ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨١ ، ٨٠
٣٣٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٢ ، ٣١٥ ، ٢٧٨	١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٧ ، ٩٦
٣٥٥ — ٣٤٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٠ ، ٣٣٣	١١٠ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤
٣٨٧ — ٣٨٥ ، ٣٨٣ ، ٣٨١ — ٣٧٩	١١٨ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١١١
٣٩٩ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩١ ، ٣٨٩	١٣١ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٩
٤٠٧ ، ٤٠٥ ، ٤٠٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٠	١٤٥ ، ١٤٣ ، ١٣٨ ، ١٣٦ ، ١٣٤
٤١٧ ، ٤١٦ ، ٤١٤ ، ٤١٢ ، ٤١٠	١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٦ ، ١٥٧ ، ١٥٢
٤٤٥ ، ٤٣٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٠ ، ٤٢٣	١٩٤ ، ١٨٩ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٧
٤٧٥ ، ٤٦٤ ، ٤٥٥ ، ٤٤٩ ، ٤٤٧	٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠ ، ١٩٩
٥٠٢ ، ٥٠١ ، ٤٩٤ ، ٤٩٢ ، ٤٨١ ، ٤٧٨	٢٦٥ ، ٢٥٤ ، ٢١٥ ، ٢١٣ ، ٢٠٦
١٧ ، ١٤ ، ١١ ، ٥ (٧) ٥٠٦ ، ٥٠٤	٤٨٧ ، ٤٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٧٣ ، ٢٥٤
٦٩ ، ٦٧ ، ٦٥ ، ٦١ ، ٣٥ ، ٢٩ ، ٢٦	٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠٤ ، ٥٠٣ ، ٤٩٧
١٠٣ ، ١٠٠ ، ٩٧ ، ٨٦ ، ٨٢ ، ٧٢	٥٤٠ ، ٥٣٦ ، ٥١٧ ، ٥١٤ ، ٥١٣
١٣٥ ، ١٢٩ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٥	١٨ — ١٣ ، ٧ — ٥ (٦) ٦٣٠ ، ٥٤٣
١٦٦ ، ١٦٢ ، ١٦٠ ، ١٥٤ ، ١٤٥	٣٨ ، ٣٧ ، ٣٤ ، ٣٠ ، ٢٨ — ٢٤ ، ٢٢
٢٨١ ، ٢٧٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٦ ، ١٧٠	٦٢ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٤٦ — ٤٤ ، ٤١ ، ٤٠
٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٢	٨٢ — ٨٠ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٦٧ ، ٦٥ —
٣٣٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٣ ، ٢٩٩	٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٢ — ٨٧ ، ٨٤ ، ٨٣
٣٩٢ ، ٣٩١ ^٢ ، ٣٩٠ ، ٣٧٧ ، ٣٧١	١١٢ ، ١٠٧ ، ١٠٣ ، ١٠١ ، ٩٩ ، ٩٨
٤٣١ ، ٤١٦ ، ٤٠٥	— ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٤ ، ١١٩ ، ١١٤
الص (ابن سيد) أبو العباس (٣) ٤٧٣	— ١٤٥ ، ١٣٩ — ١٣٧ ، ١٣٥ ، ١٣٣
١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٣ ، ١١٢ (٤)	١٧٠ ، ١٦٨ ، ١٦٤ — ١٦١ ، ١٤٩
٢٠٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٨	١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٧١
٣٢٧ ، ٣٢٤ (٧) ٣٥ ، ٢٨ (٥) لقمان	٢١٣ ، ٢٠٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠١
٣٤٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٣ ، ٣٣١ ، ٣٣٠	٢٢٥ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٧ ، ٢١٤
٣٩٤ ، ٣٤٢	٢٥٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٣٠ ، ٢٢٧
ابن اللماثي (أحمد بن أيوب) أبو جعفر (٣)	٢٦٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٦

لؤي بن غالب (٢) ٢٦٧ ، (٦) ١٦٧	١٩٦ ، ٥٤٧ ، ٥٩٦ (٤) ١٥٤
(٧) ٢٨٦	أبو هب (٧) ٣٣٦
الليث بن سعد (١) ٢٣٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨	ابن اللؤي ، أبو عبد الله (٥) ١٢ (٧)
(٢) ٩ ، ١٢ ، ٤٦ ، ١٣٩	١٤٧ ، ١٦٦
الليث بن سليمان (٢) ٥٧٥	ابن لؤلؤة (محمد بن علي بن يوسف السكوني)
ليلي (في شعر ابن جابر) (٢) ٦٦٩	(٥) ٥١٦
ليلي (في شعر علي بن جودي) (٧) ٥٩	أبو لؤلؤة (٥) ١٥٧
ليلي (في موشح) (٧) ٦٣	اللؤلؤي (٢) ٥٣٦ ، ٥٦١
ابن ليون التيجي ، أبو عثمان (٥) ٣٦١ ،	اللؤلؤي ، أبو إبراهيم (٢) ١٨ ، ١٩
٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٦٠٣ ، ٦٠٥	اللؤلؤي ، أبو بكر (٣) ٥٥٦

المعجم

المازني ، أبو عثمان (٢) ٥٦١ (٣) ٤٥٥	المارثلي (الميرثلي) الزاهد (موسى بن عمران)
المازوني (٥) ٤٢٠ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢	أبو عمران (٢) ٢٧ ، ٤٨٧ (٣) ٢٢٥ ،
ابن ماساي (٦) ١٨٨	٢٩٦
ابن ماساي (مسمود) (٥) ١٠٢ ، ١٠٤ ،	ماردة (أم ولد) (١) ٣٤٦
١٠٥	ماروت (٦) ٥٧
الماسي (محمد بن عبد الله بن هود الملقب	مارية (زوج الرسول) (٢) ١٥٠
بالحادي) (٥) ١٨٨	مارية (صاحبة القرطين) (٤) ٥١
ابن ماشاظة السكري ، أبو بكر (٣) ٦٨	المازري ، أبو عبد الله (١) ٥٥٦ (٢) ١٥٦ ،
ابن ماكولا (٢) ٦٧ ، ١١٣ ، ١١٤	١٥٩ ، ٦٤٤ ، ٦٥٠ (٥) ٣٠٦ ، ٤٢١
مالك (صديق عقيل) (١) ٦٢٠ ، ٦٧٦	المازني (٢) ٥٣٨
(٥) ٣٦٣	المازني (محمد بن حازم) (٢) ٥٥٠

٩٨ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦	مالك بن الأشتر (٥) ١٥٨
ابن مالك (النحوي) أبو عبد الله (٢) ٢٢٢ -	مالك بن أنس (١) ٢٢١ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ ،
٢٣٣ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٥٤١ ،	٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ (٢) ٦ ،
٦٦٤ ، ٦٩٤ (٣) ٤٥٥ ، ٤٥٦ (٥)	٩ ، ١٠ - ١٢ ، ٢١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٠ ،
٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٢٧٠ ، ٤٢٤ ،	٦١ ، ٦٩ ، ١٠٥ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ،
٤٢٧ - ٤٣٠ (٦) ٢٤٦ (٧)	١٤٩ ، ١٨٨ ، ٢١٣ ، ٢١٥ - ٢١٦ ،
٣٧٦	٢٣٢ ، ٤٤٦ ، ٤٧٨ ، ٥٠٤ ، ٥٠٧ -
ابن مالك (الوزير) أبو محمد (١) ٦٧٤ -	٥٠٩ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢١ ، ٥٣١ ،
٦٧٦	٥٩٨ ، ٦٠٤ ، ٦٣٠ ، ٦٣٢ ، ٦٣٥ ،
أبو مالك (٧) ٥٧	٦٣٩ ، ٦٤٦ ، ٦٤٩ ، ٦٩٥ ، ٦٩٨ ،
أم مالك (في شعر ابن زمرك) (٧) ١٤٨	٧٠٠ (٣) ١٠ ، ١٣٩ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
أم مالك (في شعر علي بن جودي) (٧) ٥٨	١٧٠ ، ١٧١ ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ،
المأمون (العباسي) (١) ٣٣٩ ، ٣٤٦ ،	٤٤٨ (٤) ١٤٦ ، ١٥٥ (٥) ١٢٧ ،
٦١٨ ، ٦١٩ (٢) ٣٤ ، ٢٥٦ ، ٤٧٠ ،	٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧ ، ٣٤٦ ،
٥٣٧ (٣) ١٣٢ (٥) ٢٩١ ، ٣٠٢ ،	٣٥٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ (٦) ٢٠٢ (٧)
٣١٩ ، ٣٧٩ (٦) ٤٠٥ (٧) ١١٨ ،	١١٥ ، ١٣٧ ، ٤٠٦
المأمون بن البطائحي (الوزير) (٢) ٨٨ ،	مالك بن دينار (٦) ٤٠١
٢٩٣	مالك بن عبد الله العتيبي (٢) ٢٤٠
المأمون بن حمود ، انظر : القاسم بن حمود	مالك بن مالك (٢) ٦٤٢
(الملقب بالمأمون)	مالك بن المرحل السبيعي ، أبو الحكم (٢)
المأمون بن ذي النون (يحيى) (١) ٤٤٠ ،	٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٥٥١ (٤) ١٤٥ (٥)
٤٤١ ، ٥٢٩ ، ٦٤٣ ، ٦٤٥ (٣) ١١٢ ،	٢٤٥ ، ٢٤٦ (٧) ٤٥٣ ، ٤٥٩
١١٤ ، ٤٢٤ ، ٥٤٢ ، ٥٦٠ ،	مالك بن نويرة (٤) ٢٥٨ (٦) ٣٣١ ، ٤٧٠
٥٩٧ (٤) ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ٣٥٣ ،	مالك بن وهيب (٣) ٤٣٤ ، ٤٧٩
٤٤ (٥) ٤٤ (٧) ٦	ابن مالك (القاضي بأبنة) (٣) ٥١٩
المأمون بن المعتمد بن عباد (١) ٦٢٧ (٤)	ابن مالك الرعيبي (الشاعر) (١) ١٧٦
٢٥٠ ، ٢٥٦	ابن مالك القطيعي ، أبو بكر (٢) ٦٠٤ (٣)

- المأمون بن المنصور الموحد (٢) ٣٦٥ (٣) ١٨٦ ، ٤٦٩ ، ٤٩١ ، ٥١٩ (٤) ٤٦٤
- المأمون بن المنصور بن أبي عامر (عبد الرحمن) ٤٢٤ (١)
- ابن مامة الإيادي ، انظر : كعب بن مامة
- ماميه الرومي (محمد بن أحمد بن عبد الله) ١٢٠ (١)
- ماني (٢) ٤١١
- ابن ماهان (علي بن عيسى) (٢) ٢٣٣ (٥) ٤٢
- مبارك بن إبراهيم (٦) ٤٠٠
- مبارك بن سعيد (٢) ٦٢٩
- المبارك بن الطباخ البغدادي ، أبو محمد (٢) ٥١٠ (٣) ١٣٩
- المبارك بن عبد الجبار الصيرفي ، أبو الحسين (٢) ٩١ ، ١٥٤
- المبرد (محمد بن يزيد) أبو العباس (٢) ٤٨ ، ٥٣٨ ، ١٧٢ ، ١٣٤ (٣) ١٧٨
- (٤) ١٧١ (٥) ١٩٢
- المبرقع (خلف بن سعيد بن عبد الله بن زورارة) أبو القاسم ابن المراكب (٢) ١٠٥
- مبرمان بن يزيد (٣) ٩٨
- مبشر بن سليمان ، ناصر الدولة (صاحب ميورقة) (٤) ٢٣٠ ، ٢٥٩
- ابن مبقى ، أبو علي (٢) ٣٥١
- متعة (جارية زرياب) (٣) ١٣١
- المتملس (سليمان بن محمد بن بطلان البطليوسي) أبو أيوب (٣) ٢٩٢ ، ٤٥٠
- متمم بن نويرة (٤) ٢٥٨
- المتنبي (١) ١٨٣ (٢) ٣٢ ، ٢٢٢ ، ٣٥٦ ، ٤١٦ ، ٤٦٤ - ٤٦٦ (٣) ٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٦٧ ، ٣٠٧ ، ٣٤٦ ، ٣٨٥ ، ٥٦٤ (٤) ٣٦ ، ١٠٦ ، ١٤٣ ، ٢٦١
- (٥) ٤٣ (٦) ١٢٧ ، ٢٥٥ (٧) ٥١
- المتنبي الجزي (عبد الجبار) أبو طالب (١) ٦٧٠ ، ٦٧١ (٣) ١٨٢
- المتوكل (العباسي) (١) ٥٠٣ ، ٦٦٠ (٦) ٣٨٠
- المتوكل أبو عنان المري ، انظر : أبو عنان المري
- المتوكل بن الأفتس (عمر بن محمد ، صاحب بطليوس) (١) ٤٤٢ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٦٣ ، ٢٩٣ (٣) ٣٣٣ ، ٤٤٧ ، ٤٥٠ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٦٠٩ (٤) ٢٤ ، ١٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٤٦٧
- المتوكل بن هود ، انظر : ابن هود النائر
- المتيطي (١) ٥٥٨
- ابن مثبت الغرناطي (محمد بن علي) أبو عبد الله (٥) ٢٥٤ ، ٢٦٦ ، ٣٩٥
- ابن المثنى (عثمان ، النحوي) (١) ٣٤٨
- ابن المثنى ، أبو المطرف (كاتب ابن ذي النون) (٣) ٥٥٩ (٤) ١٣٤
- المجاصي ، أبو عبد الله (٥) ٢٥٣

مجنون ليلى ، انظر : قيس بن الملوح	المجاصي (عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم)
مجير الدين عمر بن الملطي (٢) ٥٤٤	أبو محمد (٥) ٢٣٠ - ٢٣٢ ، ٢٦٣ ، ٣٩٥ ، ٣١٩
محارب بن عمرو (١) ٢٩٢	المجاصي المكناسي (أحمد بن عبد الرحمن)
المحاسبي (الحارث بن أسد) (٥) ٢٨٨ ، ٣٠٢	٣٤٢ (٥)
المحاسبي (تاج الدين) (٢) ٤٣٨ ، ٤٤٨ ، ٤٥٧ ، ٤٦١ ، ٤٦٣	مجاهد (المقريء) (٢) ١٨٨ ، ٦٢٩ (٥) ٤٢٢
المحاسبي (محمد بن تاج الدين بن أحمد) (٢) ٤٣٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٣	مجاهد العامري ، أبو الجيش (الملقب بالموثق)
المحاسبي (يحيى بن أبي الصفا بن أحمد) (٢) ٤٣٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٧	(١) ٤٢٩ (٢) ٩٦ (٣) ٨٤ ، ١٧٢ ، ١٩٠ (٤) ٢٧ ، ١٣٢ ، ٢٨٣ (٥) ٥٣٢
عبد بن الحسين (٢) ٦٤٣	مجاهد بن المعتمد بن عباد (٣) ٦١٤
عبد الدين الحموي (محمد بن تقي الدين أبي بكر) (٢) ٣٩٩	ابن مجاهد (٥) ٢٩٦
عبد الدين بن هشام (٥) ٤٢٨ ، ٤٢٩	ابن مجاهد ، أبو بكر (٥) ٣٠٢
عبد (الشاعر النحوي) (٣) ٣٣٠	ابن مجاهد ، أبو بكر بن يحيى (٢) ١٥٢
عمر بن خلف التميمي (٣) ٦٣ (٥) ٣٣٥	ابن مجاهد الإشبيلي ، أبو عبد الله (٢) ٢٩
عبد القرشي (الشيخ) (٥) ٣٩٤	ابن مجير (يحيى بن عبد الخليل بن عبد الرحمن الفهري) أبو بكر (٣) ٢٠٦ ، ٢٣٧ - ٢٤٠ (٤) ٨٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٣٣٥ ، ٣٨٠
ابن محلى ، أبو علي بن أبي عبد الله (٤) ٤٣٥	ابن مجير ، أبو عبد الله (٦) ٥٠٦
المخلق (٢) ٥٠٠ (٤) ٢٤٩	أبو المجد (٢) ٤٢٩
المحلي ، جلال الدين (٢) ٦٩٤	أبو المجد (قاضي ماردن) (١) ٨٨
محمد (الرسول) (١) ٤ ، ١٢ ، ٤٣ - ٤٧ ، ٤٩ - ٥٧ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٧٩ ، ٢٩٤ ، ٣٤٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ ، ٤٢٥ ، ٤٣٤ ، ٤٥٨ ، ٤٦٧ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥١٤ ، ٥٢٠ ، ٥٢١	مجد الملك بن شمس الخلافة (جعفر بن محمد) (١) ٢٢
	مجد الدين التونسي (٢) ١٨٩
	مجد الدين عمر بن الحسن بن علي الظاهري ، انظر : ابن دحية

ˆ 030 ˆ 007 ˆ 001 ˆ 297 ˆ 278
 ˆ 27 ˆ 20 ˆ 23 ˆ 9(0) 027 ˆ 038
 ˆ 72 ˆ 70 ˆ 79 ˆ 70 ˆ 28 ˆ 37 ˆ 28
 — 122 ˆ 118 ˆ 117 ˆ 110 ˆ 83
 ˆ 131 ˆ 140 ˆ 127 ˆ 127 ˆ 122
 ˆ 167 ˆ 160 ˆ 162 ˆ 107 ˆ 102
 ˆ 217 ˆ 210 ˆ 197 ˆ 190 ˆ 179
 ˆ 233 ˆ 231 ˆ 230 ˆ 220 ˆ 220
 ˆ 207 ˆ 202 ˆ 201 ˆ 221 ˆ 239
 — 279 ˆ 270 ˆ 278 ˆ 277 ˆ 208
 ˆ 202 ˆ 291 ˆ 290 ˆ 283 ˆ 281
 ˆ 200 ˆ 228 ˆ 222 ˆ 208 ˆ 202
 ˆ 299 ˆ 293 ˆ 292 ˆ 287 ˆ 278
 ˆ 210 ˆ 210 ˆ 209 ˆ 207 ˆ 203
 ˆ 271 ˆ 209 ˆ 200 ˆ 221 ˆ 217
 ˆ 287 — 282 ˆ 283 ˆ 277 ˆ 278
 ˆ 023 ˆ 022 ˆ 019 ˆ 010 ˆ 010
 ˆ 07 ˆ 02 ˆ 21 ˆ 27 ˆ 13(7) 700
 ˆ 120 ˆ 121 ˆ 117 ˆ 72 ˆ 71 ˆ 79
 ˆ 218 ˆ 182 ˆ 172 ˆ 167 ˆ 167
 ˆ 270 ˆ 273 ˆ 272 ˆ 229 ˆ 227
 ˆ 200 ˆ 220 ˆ 222 ˆ 217 ˆ 200
 — 273 ˆ 270 ˆ 209 ˆ 207 — 202
 ˆ 281 ˆ 279 — 277 ˆ 272 ˆ 277
 ˆ 203 ˆ 229 ˆ 210 ˆ 201 ˆ 282
 (7) 010 — 011 ˆ 297 ˆ 290 ˆ 271
 ˆ 139 ˆ 230 ˆ 108 ˆ 73 ˆ 70 ˆ 12

ˆ 28 ˆ 27 ˆ 20 ˆ 7(2) 707 ˆ 009
 ˆ 22 ˆ 78 ˆ 71 ˆ 70 ˆ 28 ˆ 22 ˆ 29
 ˆ 121 ˆ 139 ˆ 138 ˆ 130 ˆ 127
 ˆ 198 ˆ 190 ˆ 192 ˆ 101 ˆ 100
 ˆ 222 ˆ 227 ˆ 223 ˆ 207 ˆ 200
 ˆ 270 ˆ 272 ˆ 230 ˆ 212 ˆ 213
 ˆ 229 ˆ 227 ˆ 227 ˆ 222 ˆ 210
 ˆ 207 ˆ 220 ˆ 239 ˆ 237 ˆ 231
 ˆ 277 — 270 ˆ 270 ˆ 278 ˆ 272
 ˆ 292 ˆ 293 ˆ 287 ˆ 282 ˆ 280
 ˆ 010 ˆ 012 ˆ 007 ˆ 002 ˆ 000
 ˆ 030 ˆ 033 — 031 ˆ 023 ˆ 022
 ˆ 072 ˆ 078 ˆ 073 ˆ 072 ˆ 022
 ˆ 099 ˆ 093 ˆ 080 ˆ 077 ˆ 070
 ˆ 771 ˆ 700 ˆ 728 ˆ 727 ˆ 710
 ˆ 789 — 780 ˆ 783 ˆ 782 ˆ 772
 ˆ 100 ˆ 97 ˆ 07 — 00 ˆ 7(3) 702
 ˆ 162 ˆ 171 ˆ 108 ˆ 120 ˆ 103
 ˆ 222 ˆ 192 ˆ 187 ˆ 179 ˆ 167
 ˆ 287 ˆ 223 ˆ 230 ˆ 237 ˆ 227
 ˆ 008 ˆ 027 ˆ 022 ˆ 018 ˆ 208
 ˆ 100 ˆ 80 ˆ 27(2) 099 ˆ 088
 ˆ 212 ˆ 213 ˆ 200 ˆ 167 ˆ 122
 ˆ 220 ˆ 238 ˆ 231 ˆ 230 ˆ 227
 ˆ 200 ˆ 290 ˆ 288 ˆ 270 ˆ 221
 ˆ 220 ˆ 221 ˆ 217 ˆ 212 ˆ 212
 ˆ 239 ˆ 237 ˆ 237 ˆ 233 ˆ 230

ابن الأبار ، أبو عبد الله	١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧٦ ،
محمد بن إبراهيم الآبلي ، انظر : الآبلي ،	١٨١ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ١٩٨ — ٢٠٠ ،
أبو عبد الله	٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ — ٢٣٧ ،
محمد بن إبراهيم الإربلي ، أبو عبد الله (٢)	٢٤٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ،
٥٠٩	٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ،
محمد بن إبراهيم الجحدري ، أبو الفتح (٣)	٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ،
٦٢	٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ،
محمد بن إبراهيم الحضرمي ، أبو عبد الله (٥)	٣٢٧ — ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ ، ٣٥٩ —
٣٦١	٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ — ٣٦٧ ، ٣٧٨ ،
محمد بن إبراهيم الصدقي الإشبيلي ، أبو بكر	٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ،
(٢) ٦٣١	٤٠٧ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤٢٢ —
محمد بن إبراهيم اليقوري ، انظر : اليقوري	٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ — ٤٤٢ ،
محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح (القائد) أبو	٤٤٥ — ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٩ ، ٤٧٠ —
عبد الله (٤) ٤٣٨ (٥) ١٣٨ ، ١٤٠ ،	٤٧٢ ، ٤٧٤ — ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ ،
١٤١	٤٨٤ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ — ٤٩٣ ،
محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أسود الغساني ،	٤٩٩ ، ٥٠١ — ٥١٠ ، ٥١٢ — ٥١٥ ،
انظر : أبو بكر الغساني	٥١٧ — ٥١٩
محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقه الشاطبي ،	محمد (فصّاد المنصور) (١) ٤١٠
انظر : ابن سراقه الشاطبي	محمد (في شعر ابن سهل) (٣) ٥٢٤
محمد بن إبراهيم بن حيون ، انظر : ابن	محمد (مملوك الملك العادل) (٥) ٢٣١
حيون ، أبو عبد الله	محمد البكري الصديقي (٧) ١٠٦
محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المري ،	محمد التطيلي الهذلي (٤) ١٥٠
أبو عبد الله (المعروف بالنتو) (٦) ٢٦٥	محمد الصنهاجي البوصيري ، أبو عبد الله (٢)
محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن الإمام ،	٥٥١
انظر : ابن الإمام أبو الفضل	محمد اللوشي ، أبو عبد الله (القاضي) (٣)
محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن غالب ، انظر :	٣٤٦
ابن غالب المالقي	محمد بن الأبار القضاعي البلنسي ، انظر :

- محمد بن إبراهيم بن عبدوس (الفقيه المالكي) (٣) ١٦٦ ، ١٧٨
- محمد بن إبراهيم بن علي بن باق ، انظر : ابن باق ، أبو عبد الله
- محمد بن إبراهيم بن مزين الأودي (٢) ٥١٤
- محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام ، انظر : ابن شق الليل الطلييري
- محمد بن إبراهيم بن يحيى بن عباد الرندي ، انظر : ابن عباد الرندي
- محمد بن أبي بكر الدلائي (٢) ٤٧٩
- محمد بن أبي بكر القضاعي (٢) ٥٨٩
- محمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الله الملسي التطلبي (٢) ٥٥١
- محمد بن أبي خالص الرندي ، أبو عبد الله (٤) ٩٠
- محمد بن أبي زرع ، أبو عبد الله (٥) ٢٦٤
- محمد بن أبي سعيد الفرج بن عبد الله البراز (٢) ١٥٤
- محمد بن أبي عامر بن حجاج الغافقي الإشبيلي (٢) ٤٣
- محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن المريني (٥) ١٢١
- محمد بن أبي العلاء (أثير الدين) أبو الحسن (٢) ٦٣٤
- محمد بن أبي علاقة البواب (٢) ١٥٠
- محمد بن أبي عمرو بن أبي بكر بن إحنان الشاطبي ، انظر : ابن إحنان الشاطبي ،
- أبو الوليد .
- محمد بن أبي عيسى (القاضي) ، أبو عبد الله (١٥) ٣٧٣ ، ٥٦٥ (٢) ١٢ (٣) ٥٥٧
- محمد بن أبي الفضل التونسي ، أبو عبد الله (٤) ٣٣٠
- محمد بن أبي الفضل الصباغ ، أبو عبد الله (٥) ٣٥١
- محمد بن أبي نصر الفتح بن علي الأنصاري (٣) ٥٢٦
- محمد بن أبي الوليد الباجي (٢) ٧٥
- محمد بن أحمد ، أبو النور (٢) ٥٩٨
- محمد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي ، انظر : الأبيض ، أبو بكر
- محمد بن أحمد الأنصاري السرقسطي ، أبو عبد الله (٢) ١٥٢
- محمد بن أحمد الباجي اللخمي ، أبو عبد الله (٢) ٢١٥
- محمد بن أحمد التجاني ، أبو عبد الله ، انظر : التجاني ، أبو عبد الله
- محمد بن أحمد التجيبي ، أبو القاسم (١) ٦٠٥
- (٢) ٢١٢
- محمد بن أحمد العبدي ، أبو يعلى (٢) ٦٢٩
- محمد بن أحمد غنجار ، انظر : غنجار
- محمد بن أحمد الفشتالي ، أبو عبد الله (٤) ٤٣٥ (٥) ٣٤٢
- محمد بن أحمد القيسي القبري القرطبي ، أبو عبد الله (٢) ٢١٧

محمد بن أحمد بن إبراهيم المرادي العشاب (٦) ٨٩ ، ٢٣٩	محمد بن أحمد بن حسن الخزرجي ، انظر : أبو بكر الخزرجي
محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي (٤) ١٣٠ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ، انظر : القرطبي المفسر	محمد بن أحمد بن خليل بن فرج الهاشمي (٢) ٢١٣
محمد بن أحمد بن أبي جمعة ، انظر : ابن أبي جمعة الوهراني	محمد بن أحمد بن سليمان بن أحمد الزهري الإشيلي (٢) ٢١٤
محمد بن أحمد بن أبي عفيف ، أبو عبد الله (٥) ٣٥١	محمد بن أحمد بن شاطر ، انظر : ابن شاطر ، أبو عبد الله
محمد بن أحمد بن الأمين الأتشمري (٧) ٤٨٩ ، ٤٩٠	محمد بن أحمد بن عامر السالمي ، انظر : السالمي ، أبو عامر
محمد بن أحمد بن براجين القشيري (جلال الدين) أبو عبد الله (٥) ٣٩٣	محمد بن أحمد بن عبد الأعلى بن القاسم القرطبي (المعروف بالورشي) (٢) ٢١٤
محمد بن أحمد بن البناء ، انظر : ابن البناء ، أبو بكر	محمد بن أحمد بن عبد الباقي ، أبو بكر (٣) ٦٣
محمد بن أحمد بن جبير ، انظر : ابن جبير ، أبو الحسين	محمد بن أحمد بن عبد العزيز القرطبي العتبي ، انظر : العتبي ، أبو عبد الله
محمد بن أحمد بن جراح البغدادي ، أبو عبد الله (٢) ١٥٦	محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي ، أبو مروان (٢) ٣٧٩
محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفي (٣) ٢٦١ ، ٢٦٢	محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي ، أبو عبد الله (٥) ٢١٨ ، ٢٣٥
محمد بن أحمد بن حاضر الجزيري الخزرجي ، أبو القاسم (٢) ٢١٢	محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي ، انظر : ابن جابر الأندلسي
محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي ، انظر : ابن الحداد الوادي آشي ، أبو عبد الله الشاعر ؛ أو ابن الحداد ابن الوادي آشي ، أبو عبد الله المؤرخ	محمد بن أحمد بن فرح القرطبي ، انظر : ابن فرح القرطبي
	محمد بن أحمد بن المتأهل العذري ، أبو عبد الله (٦) ٢٦٢
	محمد بن أحمد بن محمد العلوي ، أبو القاسم

محمد بن أرفع رأسه ، انظر : ابن أرفع رأسه ،
أبو بكر

محمد بن أسباط المخزومي القرطبي (٢) ٢٢٠
محمد بن إسحاق المهدي الإسحاق (الوزير)
(٣) ١٥٨

محمد بن إسحاق ، أبو بكر ، انظر : ابن السليم
محمد بن إسماعيل (كاتب المنصور بن أبي
عامر) (١) ٤٢١ (٣) ٩٠
محمد بن إسماعيل الصائغ (٢) ٤٧
محمد بن إسماعيل بن أبي سعيد المريفي (٥)
٩٥

محمد بن إسماعيل بن فرج بن نصر (سادس
سلاطين بني نصر) (٦) ١٠٥
محمد بن إسماعيل بن محمد بن فرج (من بني
نصر) (٥) ٨٤ ، ٩٩ (٦) ٣٣٥ (٧)
١٩٥

محمد بن أفلح (مولى الحكم المستنصر) (١)
٣٨٨ ، ٣٨٩ (٣) ٨٨
محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري (١) ٢٨٨
(٣) ٥٨

محمد بن أيوب المرواني (٣) ٣٤٠
محمد بن أيوب بن غالب ، انظر : ابن غالب
(صاحب فرحة الأنفس)
محمد بن بركات بن هلال النحوي ، أبو عبد
الله (٢) ٢٣٥

محمد بن بشار (٢) ٢٣٦
محمد بن البين البطليوسي ، أبو عبد الله (٣)

(٧) ٣٣٩

محمد بن أحمد بن محمد بن الأزرق ، انظر :
ابن الأزرق ، أبو بكر

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكلحل ، أبو
يحيى (٦) ٩٩

محمد بن أحمد بن محمد بن زكريا المعافري ،
أبو عبد الله (٢) ٢١٦

محمد بن أحمد بن محمد بن سهل الأموي
الطليطلي ، أبو عبد الله (٢) ٢١٧

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري
الشرشي المالكي (٢) ١٣١

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سجمان
(٢) ٢١٧

محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل (٢) ٢١٩
محمد بن أحمد بن نوح الإشبيلي (٢) ٥٠ ،
٢٢٠ (٣) ٦٩

محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القرطبي ،
انظر : ابن مفرج القرطبي (ابن القنتوري)

محمد بن الأخرم (٣) ١٤٤
محمد بن إدريس الحمودي (الملقب بالمستعلي)

(١) ٤٣٥
محمد بن إدريس القضاعي الأصبهوني (٤)
١٥٠

محمد بن إدريس بن علي (الملقب بالمهدي)
(١) ٤٣٥

محمد بن إدريس بن علي ، أبو عبد الله
(الشاعر) ، انظر : ابن مرج الكحل

محمد بن ترجم (٢) ٥٦٠

محمد بن التلمساني ، أبو عبد الله (٧) ١٣٦

محمد بن تميم ، أبو العرب (٣) ٩

محمد بن تومرت ، انظر : المهدي بن تومرت

محمد بن ثعلب المصري (تاج الدين) أبو

عبد الله (٥) ٣٩٤

محمد بن جابر الغساني المكناسي (٥) ١٦٧

محمد بن جدار (٥) ٥٣٢

محمد بن جعفر بن بيان (٣) ١٤٤

محمد بن الجلاب القهري ، أبو عبد الله ،

انظر : ابن الجلاب

محمد بن الحارث الحشني (٢) ١٤٨ ، ٢١٨

(٣) ١٧٤

محمد بن حازم المازني ، انظر : المازني (محمد

ابن حازم)

محمد بن حزم بن بكر التنوخي (٢) ١٥٠

محمد بن حسان (٢) ٦٢٩

محمد بن الحسن (من جدود ابن خلدون)

(٦) ١٧٢

محمد بن الحسن الجيلي النحوي (٤) ١٠

محمد بن الحسن الزبيدي ، انظر : الزبيدي

اللغوي ، أبو بكر

محمد بن الحسن العمراني (٦) ٢٣٩

محمد بن الحسن المذحجي ، انظر : ابن الكتاني

محمد بن الحسن بن سعيد التجيبي (٢) ٥٠٨

محمد بن حسون بن أبي العلاء (٦) ٤٨٥

محمد بن الحسين (المعروف بالميورقي) (٢)

١٥٥

محمد بن الحسين البروني (٥) ٢٣٦

محمد بن حسين القرشي الزبيدي التونسي ،

انظر : الزبيدي التونسي

محمد بن حفص بن جابر (١) ٤٢٢ ، ٤٢٣

محمد بن الحمارة ، أبو عامر ، انظر : ابن

الحمارة ، أبو عامر

محمد بن حيان الأوسي الأندلسي ، أبو عبد

الله (٤) ٣٢٠

محمد بن الحشاب ، أبو القاسم (شيخ ابن

مرزوق الحفيد) (٥) ٤٢٩

محمد بن خلف بن موسى البيري (٣) ٣٥٣

محمد بن الخليلي (٢) ٥٥٠

محمد بن داود العسقلاني ، أبو بكر (٣) ٦٢

محمد بن داود بن المكتب (٥) ٢٦٠

محمد بن الربيع المالكي ، أبو عبد الله (٧)

١٠٥

محمد بن ربيع الأشعري ، أبو الحسين (٢)

٥٥٠

محمد بن الروح الشليبي ، أبو بكر (٤) ٧٢

٧٣

محمد بن ريدة الضبي الأصفهاني ، أبو بكر

(٢) ٥٦٢

محمد بن زرب (القاضي) (١) ٤١٠ ،

٤١١

محمد بن زرياب (٣) ١٢٩ ، ١٣٠

نقشابو	محمد بن زكريا بن عبد الأعلى (٢) ٤٧
محمد بن سعيد الطراز ، أبو عبد الله (٣) ٦٥	محمد بن زيدون ، أبو بكر (صاحب الزيدوني)
محمد بن سعيد المهدي (٣) ١٠٨	(٢) ٦٤٨
محمد بن سعيد بن إسحاق بن يوسف الأموي	محمد بن زيري (١) ٤٨٧
القرطبي (٢) ١٤٠	محمد بن سالم القيسي ، أبو عبد الله (٤)
محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل (القاضي)	١٣٠
(٢) ١٤٣ - ١٤٩	محمد بن سعد ، أبو عبد الله النصري ، انظر :
محمد بن سعيد بن حسان بن الحكم بن هشام	الزغل
القرطبي (٢) ١٤٠	محمد بن سعد الأعرج ، أبو عبد الله (٢)
محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد (٣) ٦١	١٤٠
محمد بن سفر المريني (ولعله : المريي) ،	محمد بن سعد الكلشي الصوفي ، انظر : الكلشي
أبو عبد الله (١) ١٥٧ ، ٢٠٩ (٣)	محمد بن سعد بن مردنيش ، انظر : ابن
١٩٨ ، ٢١٢	مردنيش ، أبو عبد الله
محمد بن سليمان المعافري الشاطبي ، انظر :	محمد بن سعدون الباجي ، أبو عبد الله (٢)
ابن أبي الربيع	١٣٩
محمد بن سليمان بن الحناط الرعيني القرطبي ،	محمد بن سعدون التميمي الجزيري (٢) ١٣٩
انظر : ابن الحناط القرطبي الأعمى الشاعر	محمد بن سعدون الفهري الشتمري ، أبو
محمد بن سليمان بن طرخان (٢) ٦١٩	الفضل (٢) ٥٥٢
محمد بن سليمان بن علي السطبي ، انظر :	محمد بن سعدون بن مرجى العبدري (الحافظ)
السطبي ، أبو عبد الله	(٢) ١٣٨
محمد بن شخيص (٣) ١٧٨	محمد بن سعيد ، أبو بكر (٢) ٣٣١
محمد بن شهاب الدين أبي العباس أحمد بن	محمد بن سعيد الأندلسي (الفقيه) (٤) ٣٠٤
الفرس الحنفي (تقي الدين) (٣) ١٤٧	محمد بن سعيد الأنماطي ، أبو عبد الله
محمد بن صالح الأنصاري المالقي (٢) ١٤٢	(المقرئ) (٢) ٦٥
محمد بن صالح الكناني الشاطبي ، أبو عبد الله	محمد بن سعيد الرعيني ، أبو عبد الله (٢)
(٤) ٣١٦ ، ٣٤٠ (٥) ٤٦٩ .	٥٦٠
محمد بن صالح المعافري (٢) ١٤٢ ، ١٥٢	محمد بن سعيد الصنهاجي الزموري ، انظر :

- محمد بن الصفار القرطبي ، أبو عبد الله (٢)
١١٩ (٤) ، ٢١٦ ، ٣٠٦
- محمد بن طاهر القيني التدميري ، أبو عبد الله
(المعروف بالشهيد) (٢) ٢٣٤
- محمد بن طاهر بن علي بن عيسى الداني النحوي ،
أبو عبد الله (٢) ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٤
- محمد بن طلحة الإشبيلي ، أبو بكر (٣) ٤٧٦
- محمد بن عاصم ، أبو عبد الله ، انظر : الأقتنين
محمد بن عبادة ، انظر : ابن عبادة القزاز
الوشاح
- محمد بن عبد الباقي البزار ، أبو بكر (قاضي
المارستان) (٢) ١١٧ ، ٥٦١
- محمد بن عبد البر الكسنياني (١٠) ٣٦٨
- محمد بن عبد الجبار الطرطوشي (٢) ٩٠
- محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جهور ،
انظر : القيقاطي ، أبو علي
- محمد بن عبد الحق ، أبو عبد الله (٥) ٢٠٠
- محمد بن عبد ربه ، أبو عبد الله ، انظر : ابن
عبد ربه المالقي
- محمد بن عبد الرحمن التجيبي (٥) ٢٣١
- محمد بن عبد الرحمن التوزري ، انظر :
التوزري ، أبو عبد الله
- محمد بن عبد الرحمن الرندي الحكيم ، انظر :
ابن الحكيم ، أبو عبد الله
- محمد بن عبد الرحمن الغرناطي (٤) ٣٠٨
- محمد بن عبد الرحمن القرشي المقرئ (٥)
٢٠٥
- محمد بن عبد الرحمن الكتندي ، انظر :
الكتندي الشاعر
- محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي ، انظر :
الكرسوطي الفاسي ، أبو عبد الله
- محمد بن عبد الرحمن المخلص ، أبو طاهر
(٣) ١١١
- محمد بن عبد الرحمن بن أبي الغز الواسطي ،
أبو الفرج (٥) ٢٣٢
- محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان (٣) ٥٨
- محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي
(الأمير) (١) ١٦٢ ، ٣٠٠ ، ٣٤٥ ،
٣٤٧ ، ٣٥٠ — ٣٥٢ ، ٤٦٤ ، ٥٦١ ،
٥٧٧ (٢) ٥١ ، ٢٥٤ ، ٥١٩ (٣) ٥٠ ،
٥١ ، ١٢١ ، ١٣٥ ، ١٤٣ ، ٢٤٧ ،
٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٥٥٦ ، ٥٨٠
- محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد التجيبي
(٢) ٣٧٩
- محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجي
الشاطبي (٢) ٦١٦
- محمد بن عبد الرحيم المازني الغرناطي ، أبو
عبد الله أو أبو حامد (٢) ٢٣٥
- محمد بن عبد الرحيم الوادي آشي (٦) ٢٣٠
- محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش ، أبو عبد
الله (٥) ٢٧٤
- محمد بن عبد الرزاق الكلابي ، أبو عبد الله (٢)
٦٣٤ (٥) ٣٦٦
- محمد بن عبد السلام الأصبهاني ، أبو المعالي

محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجد

البلنسي (٢) ٢٣٩

محمد بن عبد الله بن سوار (٢) ٤٦

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، انظر : ابن

عبد الحكم (محمد)

محمد بن عبد الله بن عبد النور ، أبو عبد الله

(٥) ٢٣٥

محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الرباطي ،

أبو عبد الله (٥) ٢٥٧

محمد بن عبد الله بن الفراء ، انظر : ابن الفراء

النحوي الضرير

محمد بن عبد الله بن قاسم ، أبو عبد الله (٣)

١٦٠

محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي

المرسي (٢) ٢٤١

محمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ القرشي

النحوي ، أبو عبد الله (٤) ٢٢٣ ، ٣٣٦

محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي المري

(٦) ٢٢٦ .

محمد بن عبد الله بن مسرة ، انظر : ابن مسرة ،

أبو عبد الله

محمد بن عبد الله بن ميمون (٢) ٦٢٧

محمد بن عبد الله بن نمير (٢) ٥١٨

محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي (٢)

١٤

محمد بن عبد الملك التجيبي ، أبو عبد الله (٢)

٦٤٣

(٢) ٩١

محمد بن عبد السلام الحشني ، أبو عبد الله (١)

٣٩٥ (٢) ٥٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٦٣٣ ،

٦٤٩ (٣) ٥٥٦

محمد بن عبد السيد الطرابلسي (٥) ٣١٧

محمد بن عبد القادر الشامي ، أبو بكر (٤) ٧٢

محمد بن عبد الله الأشجعي (١) ٢٣٥ ،

٢٩٢ ، ٢٩٩ (٣) ١٨

محمد بن عبد الله الأموي (الأمير) (١) ٣٥٣

محمد بن عبد الله الأنصاري (٢) ٥٦١

محمد بن عبد الله البني الأندلسي الأنصاري ،

أبو بكر (٢) ٢٤٣

محمد بن عبد الله الحضرمي (٤) ١١٨

محمد بن عبد الله الخولاني الباجي ، انظر :

ابن القوق ، أبو عبد الله

محمد بن عبد الله الشافعي ، أبو بكر (٢) ٦٢٨

محمد بن عبد الله العربي العقيلي ، أبو عبد الله

(٤) ٥٢٩ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢

محمد بن عبد الله العمري (٢) ٤٨

محمد بن عبد الله اللوشي الطيب ، أبو عبد الله

(٢) ٢٤٣

محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدي ، أبو عبد

الله (٢) ٥٧٦

محمد بن عبد الله بن الخطيب ، انظر : لسان

الدين بن الخطيب ، أبو عبد الله

محمد بن عبد الله بن الدفاع القرطبي ، أبو عبد

الله (٢) ٢٣٩

- محمد بن عبد الملك الخزرجي السعدي القرطبي ،
أبو عبد الله (٢) ٢٣٨
محمد بن عبد الملك القيسي المنتوري ، انظر :
المنتوري ، أبو عبد الله
محمد بن عبد الملك القيسي الواعظ (٢) ٤٠ ،
٤٢
محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي ،
انظر : ابن أيمن
محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز ، أبو بكر
(٤) ٦٥
محمد بن عبد الملك بن الناصر (٣) ٥٨٥
محمد بن عبد الواحد ، أبو عبد الله (٥) ٢٥٦
محمد بن عبد الواحد الدارمي البغدادي ، أبو
الفضل (٣) ١١١ ، ١١٣ - ١١٥
محمد بن عبد الواحد الريايطي (٥) ٣١٧
محمد بن عبدون الجبلي العدوي الطيب ، أبو
عبد الله (٢) ١٥١ ، ٢٤٤ (٤) ١١٨
محمد بن عبدون القيرواني ، أبو العباس
(القاضي) (٣) ١٦٦
محمد بن عبيد الله ، أبو الفتح (شاعر بغدادي)
(٤) ١٦٢
محمد بن عبيد الله بن خاقان ، انظر : الفتح
ابن خاقان
محمد بن عثمان (ابن عم الوزير ابن غازي)
(٥) ١٠٥ - ١١٠
محمد بن عدي المنقري ، أبو بكر (٥) ٢٠٧
محمد بن عسقلانة (١) ٥٧٦
- محمد بن عفيف الدين الإيجي الزينبي (٧)
٤٧٠ ، ٤٧٥
محمد بن عقيل الفرياني (٣) ١٧٧
محمد بن علي البكري ، أبو عبد الله (٥) ٤٧٥
محمد بن علي البياسي الغرناطي ، أبو عبد الله
وأبو سلمة (٢) ٥٩ (٣) ٣٧١
محمد بن علي التجيبي الدهان الغرناطي ، أبو
عبد الله (٢) ٥٨
محمد بن علي الجوهري (٢) ٤٩
محمد بن علي الحفار الأنصاري ، انظر :
الحفار ، أبو عبد الله
محمد بن علي السعدي الضير ابن الفارض (٢)
٥٥٠
محمد بن علي الشاطبي ، انظر : ابن الصيقل
الشاطبي
محمد بن علي الفخار البيري ، انظر : ابن الفخار
البيري
محمد بن علي اللوشي ، أبو عبد الله (٣) ٥٠٨
محمد بن علي الوجدي ، أبو عبد الله (٦) ٥٨
محمد بن علي اليحصبي القرموني ، أبو عبد الله
(٢) ١١٨
محمد بن علي بن أبي رمانة ، انظر : ابن أبي
رمانة
محمد بن علي بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل
(من بني نصر) (٧) ١٨٨
محمد بن علي بن جمال الدين ، أبو عبد الله
(٥) ٢٤٢

محمد بن علي بن الحاج ، أبو عبد الله (الشيخ الصالح) (٥) ٤٧٧	محمد بن علي بن محمد البدرى ، انظر : أبو عبد الله اليتيم
محمد بن علي بن الحسن الشريف ابن راجح ، انظر : ابن راجح التونسي الشريف ، أبو عبد الله	محمد بن علي بن محمد بن الأزرق ، انظر : ابن الأزرق ، أبو عبد الله
محمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسين القرطبي ، انظر : ابن أبي الحسين القرطبي محمد بن علي بن الحسين العلوي (٥) ٢٣١	محمد بن علي بن محمد بن علي ابن خاتمة الأنصاري ، أبو عبد الله (٦) ٢٣٠
محمد بن علي بن خلف التجيبي الإشبيلي (الحافظ) (٢) ٥٧	محمد بن علي بن مسعود (٥) ١٤٣
محمد بن علي بن سعد بن يوسف بن الغني بالله ، أبو عبد الله (من بني نصر) (٤) ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥١٥ — ٥١٧ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨	محمد بن علي بن مطيع ، انظر : ابن دقيق العيد محمد بن علي بن موسى (أمير ميورقة) (٤) ٤٦٩
محمد بن علي بن الصباغ العقيلي (٥) ١٩٢ ٥٣٠ (٦) ٦٠	محمد بن علي بن ياسر الجلياني ، أبو بكر (٢) ٥٨
محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي ، انظر : الجزولي ، أبو عبد الله	محمد بن علي بن ياسر الجلياني ، أبو عبد الله (٢) ١٥٧
محمد بن علي بن علاق ، أبو عبد الله (٧) ١٦٦ محمد بن علي بن عمر البدرى التونسي الشاطبي الأصل ، أبو عبد الله (٦) ٢٤٢	محمد بن علي بن يحيى بن علي الغرناطي ، أبو عبد الله (٢) ٥٩ ، ٦٦١
محمد بن علي بن عمر القاري (٢) ٤٣٩ ، ٤٤٠	محمد بن علي بن يوسف السكوني ، انظر : ابن لؤلؤة
محمد بن علي بن عياش بن مشرف الأدمي ، أبو عبد الله (٦) ١٠١	محمد بن علي بن يوسف الشاطبي ، انظر : الرضي الشاطبي ، أبو عبد الله
محمد بن علي بن مثبت ، انظر : ابن مثبت الغرناطي	محمد بن عمار البرجي ، أبو بكر (كاتب ابن هود) (٣) ٣٠٥ ، ٣٠٦
	محمد بن عمار الكلاعي الميورقي ، أبو عبد الله (٢) ٦٠
	محمد بن عمر ، أبو عبد الله (الشاعر) ، انظر :

محمد بن عيسى ، أبو عبد الله (كاتب سر المنصور الذهبي) (٧) ٨٢	ابن أخت غانم
محمد بن عيسى ، أبو عبد الله (من بني يحيى ابن يحيى) (٣) ٥٦٤	محمد بن عمر الإشبيلي ، أبو عبد الله (٣) ٤٧٥
محمد بن عيسى البخاري ، أبو بكر (٢) ٥٧٦	محمد بن عمر العنسي (ابن التَّن) (٢) ٥٥٠
محمد بن عيسى التميمي ، أبو عبد الله (٢) ٤٨٩	محمد بن عمر القرطبي (٢) ٢٤
محمد بن عيسى اللداني ابن اللبابة ، انظر : ابن اللبابة ، أبو بكر	محمد بن عمر بن برغوث ، أبو عبد الله ، انظر : ابن برغوث ، أبو عبد الله
محمد بن عيسى بن بقاء الأنصاري ، أبو عبد الله (٢) ١٥٣	محمد بن عمر بن جبير الجلياني العكي المالقي (٢) ٥٥١
محمد بن عيسى بن دينار الغافقي (٢) ١٤٩	محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبي الحافظ ، انظر : ابن رشيد السبي
محمد بن عيسى بن سوار الأشبوني (٣) ٦١٢	محمد بن عمر بن عبد العزيز ، انظر : ابن القوطية
محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح ، انظر : ابن نجيح الأعشى	محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكني (٦) ٢٤٠
محمد بن غازي الموصلي (المعروف بابن الفقاعي) (١) ٩٣	محمد بن عمر بن لبابة المالكي ، أبو عبد الله القرطبي (١) ٢٦٧ (٢) ٧ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧٨ (٣) ٦٤٦
محمد بن غالب الرصافي ، انظر : الرصافي البلنسي	محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار ، انظر : ابن الفخار القرطبي
محمد بن غيلان البزار ، أبو طالب (٢) ٦٢٨	محمد بن عمرو بن القرطبي ، أبو عبد الله (٢) ٦١
محمد بن فرج (مولى الطلاع) (٥) ٢٠٠	محمد بن عياش الأنصاري (الجلد) (٥) ٢٦٤
محمد بن فطيس الغافقي الليبري الزاهد ، أبو عبد الله (٢) ٦٢ ، ٦٤٦	محمد بن عياض القرطبي ، أبو بكر (٤) ٩١
محمد بن قاسم (الفقيه) (٢) ٦٢٧ ، ٦٣٣	محمد بن عيسى (عمّ ابن لبابة) (٣) ١٧٨
محمد بن القاسم ، أبو بكر (الكاتب) ، انظر : اشكنهاده ، أبو بكر	
محمد بن قاسم القيسي ، أبو عبد الله القصار	

محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري ، انظر :	(٤) ٣٣٠
ابن الجنان الأنصاري ، أبو عبد الله	محمد بن قاسم بن أحمد ، انظر : الشديد
محمد بن محمد بن أحمد الفريشي ، أبو عبد الله	محمد بن القاسم بن حمود (الملقب بالمعتصم)
(٢) ٦٥	(١) ٤٣٥ ، ٤٨٧ (٣) ٤٨٦
محمد بن محمد بن جهور (٥) ٥٥	محمد بن القاسم بن محمد بن قاسم بن سيار (٢)
محمد بن محمد بن داود الصنهاجي ، انظر :	٥١ ، ٦٢
ابن آجروم ، أبو عبد الله	محمد بن قلاوون (١) ٣٢٢
محمد بن محمد بن صابر بن بندار المالقي (ضياء	محمد بن لب الشاطبي ، أبو عبد الله (٢) ٦٣
الدين) أبو جعفر (٢) ٦٦	محمد بن لسان الدين بن الخطيب (٧) ٢٨٩
محمد بن محمد بن عاصم ، انظر : ابن عاصم ،	محمد بن الليث (٣) ٣٧٦
أبو بكر	محمد بن مامة ، أبو الحسن (٢) ٥٧٥
محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد العطار	محمد بن محرز البلنسي الزهري ، أبو بكر (٢)
الجزائري ، انظر : ابن العطار الجزائري	٦٦ (٤) ٣٣٩
محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل المالقي (٦)	محمد بن محمد (الأمير ، ممدوح التطيلي
٢٣٦	الهدلي) (٤) ١٥١
محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (٦)	محمد بن محمد السرقسطي ، أبو عبد الله (٢)
٨٩ ، ٩٠	٦٩٩
محمد بن محمد بن عتيق بن رشيق (٢) ٢٥٣ ،	محمد بن محمد الغزموني ، انظر : الغزموني
٢٥٤	محمد بن محمد القارقي (بدر الدين) (٥)
محمد بن محمد بن محمد (جمال الدين) أبو	٣٩٤
بكر ، انظر : ابن نبأة المصري	محمد بن محمد القوصوني (٧) ١٠٦
محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري ،	محمد بن محمد المكودي ، انظر : المكودي ،
انظر : ابن بيش العبدري ، أبو عبد الله	أبو عبد الله (محمد بن محمد)
محمد بن محمد بن محمد بن عياش ، أبو عبد الله	محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي ،
(الشيخ الصالح) (٥) ٢٦٣ ، ٣٨٧	انظر : أبو البركات ابن الحاج البلفيقي
محمد بن محمد بن محمد بن نصر (ثالث سلاطين	محمد بن محمد بن إبراهيم بن عيسى الحميري
بني نصر) (٥) ٥٠٥	المالقي (٦) ٢٣١

محمد بن يحيى البرجي ، أبو القاسم (٥) ٢٥٥	محمد بن يزيد المبرد ، انظر : المبرد ، أبو العباس
(٦) ٦٧ ، ٧٠	
محمد بن يحيى الرياحي (٣) ١٧٨	محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان
محمد بن يحيى الشلطي ، انظر : ابن القابلة السبي	(٣) ١٤٠
محمد بن يحيى العدني (٢) ٢٣٦	محمد بن يعقوب أبو عبد الرحمن بن علي ، انظر : أبو زيان
محمد بن يحيى القرشي ، أبو صادق (٢) ٦١٩	محمد بن يوسف البرزالي ، انظر : البرزالي (علم الدين)
محمد بن يحيى القلقاط ، انظر : القلقاط	محمد بن يوسف التاملي ، انظر : التاملي
محمد بن يحيى بن أبي طالب العزفي السبي ، أبو القاسم (٦) ٢٤٢	محمد بن يوسف الثغري ، أبو عبد الله (٦) ٤٢٧ (٧) ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥
محمد بن يحيى بن حزم ، أبو الوليد ، انظر : ابن حزم ، أبو الوليد	محمد بن يوسف الغزنوي ، أبو الفضل (٣) ١٣٩
محمد بن يحيى بن عبد العزيز (ولد ابن الخزاز) (٢) ٦٢٧	محمد بن يوسف الوراق (٣) ١٦٣
محمد بن يحيى بن علي بن النجار ، أبو عبد الله (٥) ٢٣٦ - ٢٣٨ ، ٢٤١	محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ، انظر : الغني بالله النصري
محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة (القاضي) (٣) ١٧١	محمد بن يوسف بن سعادة ، انظر : ابن سعادة ، أبو عبد الله
محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عائذ (٢) ١٥١	محمد بن يوسف بن عبد الرحمن ، أبو الأسود (٣) ٣٤ ، ٣٥
محمد بن يحيى بن محمد الغساني الرحي (٧) ٣٤٠	محمد بن يوسف بن عبد الله ، انظر : ابن الحياط
محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن بكر الأشعري ، انظر : أبو عبد الله ابن بكر	محمد بن يوسف بن كريم الدين الدمشقي (٢) ٤٣٤ ، ٤٣٦
محمد بن يحيى بن يحيى الليثي (٢) ١٤٩	محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي ، انظر : ابن زمرك
محمد بن يزيد (عامل إفريقية) (١) ٢٣٥	محمد بن يوسف بن محمد بن فرج بن نصر (٧) ٥٦٣
محمد بن يزيد القصاص البصري (٢) ٥٦٣	

أبو محمد الفهري (٣) ٧٢	١٦٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨
أبو محمد القرطبي (٢) ١٢٣	محمد بن يوسف بن موسى الأندلسي ، انظر :
أبو محمد الكلاعي الجياني (٤) ٣٠٩	ابن مسلي (جمال الدين)
أبو محمد المالقي ، انظر : ابن البيطار	محمد بن يوسف بن هود (١) ٤٤٧
أبو محمد المحاربي (٤) ٣٣١	محمد الشيخ بن يوسف بن نصر (مؤسس
أبو محمد المنوفي (٥) ٢٥٣	الدولة) (١) ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٣٢٢ ،
أبو محمد ابن أبي جعفر الفقيه (٢) ٦٤٤	٤٤٦ — ٤٤٩ (٣) ٥٣٧ (٤) ٣٨٥
أبو محمد ابن أيوب المالقي (الشيخ المقرئ)	(٦) ٣٦٤ ، ٤٦١ (٧) ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
٦٠٥ (٥)	٢٩٧ ، ٢٩٩
أبو محمد ابن داود (٣) ١٧٣	محمد الغني بالله بن أبي الحجاج إسماعيل بن
أبو محمد ابن سفيان (٤) ١٣٤ ، ١٥٨	نصر ، انظر : الغني بالله النصري
أبو محمد ابن عبد الله (٢) ١٦٤ (٤) ٣٣٤	محمد الفقيه ابن نصر (١) ٤٤٩ (٢) ٥٨٣
أبو محمد ابن عبيد الله (٢) ١٥٧	(٦) ٥٨
أبو محمد ابن الوليد (٢) ٥٢٩	محمد المخلوع ابن نصر (ابن محمد الفقيه ابن
أبو محمد صالح (الولي) (٦) ٤٨٦	نصر) (٤) ٥٥٢ (٥) ٩٨
أبو محمد عبد الباقي الزهري (٢) ٥١٣	أبو محمد (والد أبي بكر ابن العربي) (٢)
أبو محمد عبد الرزاق (٧) ١٤٠	٢٩
أبو محمد عبد الله (صاحب فاس) (٣)	أبو محمد الأجمي (٥) ٢٥١
١١٠	أبو محمد الثغري (٣) ٩
أبو محمد عبد الله البغدادي (٢) ٥٦١	أبو محمد الحضرمي ، انظر : عبد المهيمن
محمود (ممدوح عباس بن فرناس) (٣)	ابن محمد الحضرمي
١٣٣	أبو محمد الدمياطي (٢) ٥٩
محمود الأصبهاني (٥) ٣٩٤	أبو محمد السعدي (٥) ٦٠٤
محمود بن ملك شاه (السلطان) (٢) ٦٣٨	أبو محمد الشليبي (٤) ١١٧
المحيائي ، أبو زكريا (٥) ٢٦٨	أبو محمد الطائي القرطبي (٤) ١١٨
محيي الدين بن عربي ، انظر : ابن عربي محيي	أبو محمد العثماني (٢) ٥٠٦ ، ٦٤٩ (٣)
الدين	٦٧

المختار بن أبي عبيد الثقفي (٣) ٢٦ ، ٢٣٥	ابن مرج الكحل (محمد بن إدريس بن علي)
٤١٩ (٧)	أبو عبد الله (٣) ٩٩٥ (٤) ١٧٢ (٥)
المخزومي ، أبو بكر (١) ١٥٥ ، ١٩٠ ، ٢٩٠ (٣) ٢٠٥ (٤) ٢٩٧ ، ٢٩٨	٦٢ ، ٥٨ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥١ ، ٥٠
أبو المخشي (عاصم بن يزيد) (٤) ١٦٧	مرجانة (زوجة الناصر) (١) ٣٦١
مدثر (جارية) (١) ٣٥٠	المرجاني (٥) ٢١٥
مدغليس (أحمد بن الحاج) أبو عبد الله (٢)	المرجاني ، أبو محمد (٥) ٢٥١
٤٨٦ (٣) ٣٨٥ (٥) ٤٤ (٧) ١٦	ابن المرجاني (الشيخ) (٥) ٢٥١
أبو مدين (شعيب) (٢) ١٨٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ (٥) ٦١٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٦ ، ٥٤٢ ، ٢٠٥ ، ٢١٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٣١٧ ، ٤١٢ ، ٤١٧ (٦) ١٤٥ ، ١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٦ ، ١٠٩ (٧) ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤	ابن المرحم السديدي (يحيى بن سعيد) (٢)
مدلويه (الشاعر) (٢) ٤٠٤	١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥
ابن المرباط ، أبو القاسم ، انظر : المبرقع	ابن مردنيش (زيان بن أبي الحملات ابن أبي
مراجل (أم ولد) (١) ٣٤٦	الحجاج يوسف بن سعد) (١) ٣٠١
المراغي ، أبو الفتح (٢) ٦٩٤	(٢) ٥٩٠ (٣) ٤٨٨ (٤) ٤٥٦
المراغي ، زين الدين ، أبو بكر (٢) ٦٩٥	ابن مردنيش ، أبو البدر (٢) ٤٨٣
المرتضى المرواني (١) ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٦٧٣	ابن مردنيش (يوسف بن سعد) أبو الحجاج
المرتضى الموحددي (عمر بن إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن) (٤) ٣٨٤	(٣) ٤٦٤ ، ٤٦٦ (٤) ٤٥٦
ابن مرتين ، أبو بكر (٣) ٤٠٦ ، ٤٧٤	ابن مزدنيش (محمد بن سعد) أبو عبد الله

٣٧٩ (٦)	ابن مرزوق الخطيب (محمد) أبو عبد الله
مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر ،	(١) ٦٠٥ ، ١٢٥ (٢) ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
انظر : الشريف الطليق	٤٣٢ ، ٤٣٨ ، ٥٣٥ ، ٥٧٤ ، ٥٨٠ ،
مروان بن عبد العزيز (ملك بلنسية) (٣)	٦٩٢ ، ٦٩٥ ، ٦٩٧ ، ٥٢٣ (٣) (٤)
٤٠٨ (٤) ٤٥٦	١٦٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤ (٥) ٩٩ ، ١٤٥ ،
مروان بن عبد الله بن عبد العزيز (١) ١٨٠	١٥٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ،
مروان بن محمد بن مروان (الخليفة الأموي)	٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٧٩ ، ٣٥٧ ، ٣٩٠ ،
٣٣٧ ، ٣٢٧ (١) ٤٢ (٥)	٣٩١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،
مروان بن موسى بن نصير (١) ٢٣٩	٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ،
مروان بن الناصر (١) ٣٩٧	٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ،
أبو مروان (في شعر لأبي بكر ابن القبطرنة)	٤١٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٦٠٤ (٦) ١٢ ،
٦٣٤ (١)	١٧ ، ١٨ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٢٠٤ ، ٢١٧ ،
أبو مروان ابن حيان ، انظر : ابن حيان	٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤١٩ ،
المورخ	٤٢٣ ، ٤٨٣ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ (٧) ١٠٦ ،
المريسي ، بشر (٥) ٢٨٧	١٣٣ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ،
مريم (العدراء) (٤) ٢٩٣ ، ٥٠٥ (٥)	٣٠٥ ، ٣٣٩ ، ٣٧٧ ،
١٨٥ (٧) ٣٢٧ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢	ابن مرزوق الكفيف (محمد بن محمد بن أحمد)
مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري (٤) ٢٩١	(٢) ٦٩٣ (٤) ٣٢٠ (٥) ٤١٨ ، ٤١٩ ،
ابن مزاحم ، أبو الحسن (٥) ٢٧٠	المرشاني ، أبو عبد الله ابن مالك (٢) ٢٢١ ،
ابن مزاحم ، أبو عبد الله (٢) ٦٤٨	٢٢٣
المزدغي (القاضي) (٧) ١٢٨	مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري (٢)
مزدلي ، أبو محمد (٤) ٤٥٦	١١٧ ، ٢٣٥
ابن مزني ، أبو العباس (٦) ٣٨٩ ، ٣٩٢	المرشدي (٥) ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ،
المزني (٢) ٥٠ ، ١٤٢ ، ٦٢٧ (٣) ١٧٧ ،	ابن مرطير ، أبو الحجاج (٤) ٥٩
٣٧٥ (٥) ٢١٨ ، ٢٥٣	ابن المرعزي الإشبيلي (٣) ٥٢١
المزي (الحافظ) (٢) ٣٧٦ (٧) ١١٠ ،	مرة بن صعصعة (١) ٢٩١
١١١	مروان بن الحكم (٣) ٥١ ، ٥٢ (٤) ٢٩١

(٢) ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٧٣ ،
٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٩٠ (٤)
٢٦ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٨٩ (٦)
٣٨١

المستنصر العبيدي (٣) ٣٧٦
المستنصر المرواني (الحكم بن عبد الرحمن
الناصر) (١) ٣٠٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ،
٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ،
٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ،
٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٦ ،
٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٢٠ ، ٤٢٨ ، ٥٤٩ ،
٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٥ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ،
٥٦٥ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٩٢ ، ٦٧٨ ،
٦٧٩ (٢) ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ١٥٢ ،
٢١٨ ، ٢٤٤ ، ٦٣٢ (٣) ١١ ، ٦٠ ،
٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٥ ،
٨٦ ، ٨٨ ، ١١١ ، ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ،
٢١٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٦ ، ٥٧٣ ، ٥٨٣ ،
٥٨٤ (٤) ٧ (٦) ٣٨٠ (٧) ٣٧ ، ٤٠ ،
المستنصر المريني ، انظر : أحمد بن أبي سالم
المريني ، أبو العباس
المستنصر الموحيدي (يوسف بن الناصر بن
المنصور) (١) ١٨٢ (٣) ٣١٠ ، ٥٢٨
(٤) ٣٨٣

ابن المستوفي (٢) ٣٨١ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨
مسدد (٢) ٤٨ ، ١٦٤
ابن مسدي (محمد بن يوسف) جمال الدين

المزني (زين الدين) أبو بكر (٢) ٢٢٥ ،
٢٢٨

المزياقي ، أبو القاسم (٢) ٥٨٤
ابن مساعد ، أبو بكر (٧) ٢٧٠
المسترشد بالله العباسي (٢) ٣٥٠
المستضيء بالله العباسي (٢) ٦٨٩ (٥) ١٦٣
المستظهر (عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار)
(١) ٣٠١ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٨٨ ،
٤٨٩ ، ٤٩٠ (٣) ٥٤٩ (٤) ٢٠٨
المستعصم العباسي (٢) ١٧٠
المستعين الأموي (بقرطبة) ، انظر : سليمان
ابن الحكم (الملقب بالمستعين)
المستعين العباسي (٦) ٣٨٠

المستعين بن هود (أحمد) ، انظر : أحمد بن
يوسف بن أحمد بن سليمان بن هود
(الملقب بالمستعين)

المستعين بن هود (سليمان) ، انظر : سليمان بن
محمد بن هود (الملقب بالمستعين)
المستكفي محمد بن عبد الرحمن (١) ٣٠١ ،
٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ (٤) ٢٠٨

ابن المستكفي (٢) ٢٢٢
المستنصر الحفصي (إبراهيم) أبو إسحاق
(٥) ٤١٤

المستنصر الحفصي (أحمد الثاني) أبو العباس
(٥) ٤١٤

المستنصر الحفصي (محمد أبو عبد الله بن زكريا
ابن عبد الواحد بن أبي حفص) (١) ٣١٥

مسلم بن مخشي المديني (٣) ٥٦	أبو بكر (٢) ١١٢ ، ١٨٣ ، ٥٩٤ (٤)
مسلم بن يحيى (٣) ١٤١	١٤١
ابن مسلم ، شمس الدين (٥) ٣٩٥	مسرة بن مسلم ، أبو بكر (٢) ٥١٢
أبو مسلم الخراساني (٥) ٤٢	ابن مسرة (محمد بن عبد الله الجيلي) أبو
أبو مسلم الكاتب (شيخ أبي عمرو الداني)	عبد الله (٢) ٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ (٣)
(٢) ١٣٥	١٧٨ ، ٥٥٦ (٦) ٣٠٩
مسلمة بن عبد الله العريف المهندس (١) ٥٦٧	ابن مسرة ، أبو مروان (٢) ٥٠٨ ، ٦٣٤
مسلمة بن عبد الملك (١) ٣٢٨ (٢) ٦٥٨	ابن مسعدة (ملك وادي الحجارة) (٣)
(٣) ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٣	٤٢٢
مسلمة بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٣)	ابن مسعدة الفرناطي ، أبو جعفر (١) ١٧٩
٥٨٠ ، ٥٨١	ابن مسعود (شيخ عبد المهيمن الحضرمي)
مسلمة بن مخلد (٣) ٦١	(٥) ٤٦٨
ابن مسلمة (محمد) (٢) ٩٠ ، ٩١ (٣)	المسعودي (١) ١٤٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٣٢٧
٩٠ ، ٩١	٣٥٤ (٣) ٨٢
ابن مسلمة ، أبو عامر (٣) ٢٧٣ ، ٤٨٥ ،	ابن المسفر (محمد بن يحيى الباهلي) أبو عبد الله
٥٤٤ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠	(٢) ٢٠٨ (٥) ٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٣٩٥
ابن مسلمة ، أبو الوليد (٤) ١١٣	مسلم بن أحمد المجريطي (٣) ١٧٦ (٦)
ابن مسمغور ، أبو عبد الله (٥) ١٢	٣٠٩
المسن بن دريدة (١) ٤٧٣ ، ٤٧٤	مسلم بن الحجاج النيسابوري (صاحب
المسيح بن مريم (١) ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٦١ ،	الصحيح) (٢) ٢٥ ، ٥٣ ، ١٠٠ ،
٢٥٢ ، ٢٦٨ ، ٣٦٧ ، ٣٨٨ ، ٤١٤ ،	١٣٠ ، ١٥٧ ، ٣٨١ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨ ،
٤٨١ (٢) ٤١١ ، ٤١٦ (٣) ١٦٦ ،	٥١٩ ، ٦٤٤ (٣) ١٧٧ ، ١٨٠ (٥)
٢٥٨ ، ٢٧٢ (٤) ٥٠٩ ، ٥٠٩ (٥)	٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٨٢ ، ٤٢٤ ،
٤٨ ، ١٥٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٣ ،	٥١٥ (٦) ٩٧
٣٠٤ ، ٣٤٤ (٦) ٥٥ ، ٣٦٣ ، ٥١١	مسلم بن زرعة (٣) ٥٨
(٧) ٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ ،	مسلم بن الفضل البغدادي ، أبو قتيبة (٢)
٤٤٢ ، ٤٦٢ ، ٤٦٥	١٠٥ ، ٢١٧

مصعب بن الزبير (٢) ٢٧٥ ، ٣٥٨	مسيلة (الكذاب) (٥) ٣٠٣
المصعب بن عمران (٢) ١٤٨	المشد ، سيف الدين (٢) ٤٠٨
ابن مصلي ، أبو جعفر (٢) ١٦٤	المشدالي (محمد بن أبي القاسم) أبو عبد الله
المصمودي (الشيخ) (٥) ٤٣٣	(٥) ٤١٩
المصمودي (محمد) (٥) ٣٤٦	المشدالي (منصور) أبو علي (٥) ٢٥٩
المصمودي (موسى) البخاري ، أبو عمران	المشدالي (ناصر الدين) أبو علي (٥) ٣٩٥ ،
(٥) ٢٣٦	٤٨٥
المصمودي (عيسى) أبو مهدي (٥) ٣٤٢	المشدالي ، أبو الفضل (٥) ٤٢٨
ابن مضاء ، أبو العباس (٤) ١٩ (٥) ٦٢	المشدالي (عمران بن موسى) أبو موسى (٥)
مطرف التجيبي (٤) ٣٧٩	٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢١٨
مطرف الفرناطي (٢) ٦٠٨ ، ٦٠٩	ابن مشرف الأنماطي ، أبو الحسن (٢) ١٥٥ ،
المطرف بن عبد الرحمن الأوسط (٣) ٥٧٨	١٥٦ ، ١٥٩ ، ٥١٣ (٣) ٦٣
المطرف بن عبد الله (١) ٣٥٣	مصاييح (جارية عمر بن قهليل) (٣) ١٣١
المطرف بن عمر المرواني (٣) ٣٤١	ابن مصادق الزندي ، أبو عبد الله (٣) ٤٣٥
مطرف بن قيس (٢) ٤٧	مصباح بن عبد الله الياصوتي ، أبو القتيبة
مطرف بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٣)	(٥) ٢٥٢
٥٨١ ، ٥٨٠	مصباح بن محمد المسكي (٢) ١٥٧
مطرف بن مطرف الإشبيلي (١) ١٦٠	المصحفي (جعفر بن عثمان) (١) ٣٨٢ ،
(٣) ١٨٦	٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،
ابن المطرف المنجم (٤) ١١٠	٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤٢٠ ،
أبو المطرف الزهري (٣) ٤٤٢	٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٧١ ، ٥٨٥ ، ٥٩٢ ،
أبو المطرف ابن عبد العزيز (١) ٦٥٤ ، ٦٥٢	٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٣٤ (٣)
(٣) ٣٢٧	٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٧٨ (٤)
أبو المطرف ابن عميرة (١) ٣١٣ ، ٣٠٥	٦٠٢ ، ٦٠٠ (٥) ٦
٣١٥ ، ٣١٧ (٣) ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٤٨٧ ،	مصطفى بن محب الدين أحمد بن منصور (٢)
٤٨٨ (٤) ١١٠ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٩٠ ،	٤٤١
٤٩٦ ، ٥٠٦ (٥) ٢٤٧ (٦) ٢٤٦ (٧)	مصعب الزهري (٢) ٥١٨

مظفر الدين كوكبري (٢) ١٠٤	٤٣١ ، ٤١٦
معاذ (بن جبل) (٣) ١٦٤	ابن مطروح (٢) ٣٢٤
ابن معاذ (٥) ١٥٧ ، ٢٩٦	ابن مطروح (أيوب) (٣) ٥٦٨
المعافر بن يعفر بن مالك (١) ٢٩٥	ابن مطروح (جمال الدين يحيى بن عيسى)
أبو المعالي الإشبيلي (٤) ١١٣	(١) ٥٧ ، ٢٧٢ (٢) ٣٦٩ (٣) ٥٠٧ ، ١٥٣ (٤)
أبو المعالي الجويني ، انظر : الجويني	المطلب بن شعيب (٢) ٤٨ ، ٢٣٧
أبو المعالي ابن الشريف السبتي (٥) ١٩٨ ، ١٩٩	مظفر الحصي (والي فاس من قبل علي بن يوسف المرابطي) (٣) ٣٢٤
أبو المعالي زيدان بن أحمد المنصور (السلطان) (٢) ٤٧٩	المظفر بن الأفتس (١) ٤٤٢ (٣) ١٨١ ، ١٩٤ ، ٣٨٠ ، ٣٩٨ (٤) ٤٦٦
معاوية بن أبي سفيان (١) ٢٤٠ (٢) ٥٢ ، ٣٣٠ ، ٥٣ (٣) ١٦٤ ، ٢٣٥ (٥) ١٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٨٣ (٦) ٤١٨ (٧) ٣٨٠	مظفر ابن رئيس الرؤساء (٢) ١١٤ ، ١١٥
معاوية بن حديج (٣) ٨ ، ٦١	مظفر بن سوار اللخمي ، أبو المنصور (٢) ١٥٧
معاوية بن صالح ، أبو عمرو (٢) ٤٥ (٣) ٥٧ ، ٤٦	المظفر بن المنصور بن أبي عامر (عبد الملك) أبو مروان (١) ٣٩٨ ، ٤٠٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٥٨٧ ، ٥٨٩ (٣) ٧٦ ، ٩٤ ، ٢٤٤ ، ٣٤١ (٤) ٢٩٠ (٦) ٣٨٠
معاوية بن مروان بن الحكم (٣) ٤٥ ، ٤٦	المظفر غازي بن أبي بكر بن أيوب (٢) ١٦٤
معاوية بن هشام (والد عبد الرحمن الداخل) (٣) ٤٨	المظفر قُطز (الملك) (٢) ٣٧٠
ابنة معاوية بن صالح (٢) ٤٥	ابن المظفر (٥) ٥١٥
معبد (الغني) (١) ٩ (٤) ٩١ ، ٢٢٢ (٧) ٥٤ ، ٢٦٠	أبو المظفر (يروي للسرخسي) (٣) ١٠١
أم معبد (٢) ٦٨٥ (٧) ٣٥٩	أبو المظفر الشيباني (٢) ٦٤٩
المعتد بن المعتد (٤) ٩٥ ، ٢٥٦	أبو المظفر (ثابت بن خيار) ، انظر : ابن الطليسان
المعتد هشام بن محمد بن عبد الملك (١) ٣٠١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٨	أبو المظفر (محمد) البخاري (٢) ٥٧٦

حمود (الملقب بالمعتلي)	المعتز (العباسي) (٦) ١٢٧ ، ٣٨٠
المعتمد بن عباد (١) ١٥٩ ، ١٦٤ ، ٢١٤ ،	المعتز بن المعتمد بن عباد (١) ٦٦١ ، ٦٦٢ ،
٤٣٨ — ٤٤٠ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ،	ابن المعتز (عبد الله) (١) ١٠٠ (٢) ٦٧٢ ،
٥٢٤ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٧ ، ٦٣٩ ،	(٣) ٥٨٦ ، ٥٩٢ ، ٦١٤ ، ٦١٥ (٥)
٦٥٥ ، ٦٦٢ ، ٦٩١ (٢) ٣٤ ، ٧٦ ،	٢٩٦ (٧) ٢٣١
٩٤ ، ٢٨٥ ، ٦٥٣ (٣) ١١٩ ، ١٩١ ،	المعتصم (العباسي) (١) ٣٤٦ (٢) ٥٠٣ ،
١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٣٣ — ٢٣٥ ، ٢٨٢ ،	(٦) ٣٧٩ (٧) ١٠١
٣١٨ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ،	المعتصم بن حمود ، انظر : محمد بن القاسم
٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٧٨ ، ٤٩٨ ، ٥٢١ ،	ابن حمود
٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ ، ٦٠٧ ، ٦١٢ —	المعتصم بن صمادح (١) ٤٣٩ ، ٦٦٦ (٣)
٦١٦ (٤) ٧١ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٩٢ — ٩٩ ،	٢٦٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٨ ، ٣٦٦ — ٣٦٨ ،
١١٦ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢١١ —	٣٩٥ — ٣٩٧ ، ٤٠٥ ، ٤١١ — ٤١٣ ،
٢٢٧ ، ٢٤٥ — ٢٦٤ ، ٢٦٧ — ٢٨٥ ،	٤٩٨ ، ٥٠٣ — ٥٠٥ (٤) ٩ ، ٣٠ ،
٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٣٣ ، ٣٥٤ — ٣٧٧ ،	٣١ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
٤٦٧ (٥) ١٨١ — ١٨٣ (٦) ٣٨١ ،	١٠٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٥٧ (٧) ٦ ،
٤٩٥ (٧) ١١٨	٤٠
المعتمد على الله أبو الفضل محمد (ابن أخي	المعتضد (العباسي) (١) ٢١٤ (٦) ٣٨٠
السلطان عبد العزيز المريني) (٦) ٢١٩	المعتضد الباجي (٣) ٥١٩
معد بن عدنان (٥) ٢٥	المعتضد بن عباد (عباد بن محمد بن عباد)
معد بن عيسى بن وكيل الاقليشي أبو بكر (٢)	(١) ٢١٤ ، ٢٩٠ ، ٣٠١ ، ٤٢٩ ،
٥٩٩	٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٦٥٥ (٢) ٧٦ ،
معروف (الكرخي) (٥) ٢٤١ ، ٢٦٨ ،	٨٢ ، ٩٣ ، ٩٤ (٣) ١٩٠ ، ٢١٢ ،
المعري ، انظر : أبو العلاء المعري	٢١٣ ، ٢٧٣ ، ٤٢٩ ، ٥٤٤ (٤) ٩ ،
المعز (الفاطمي) (٢) ٣٤٥ (٤) ٤٤	٧١ ، ٧٥ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢ —
المعز بن باديس (١) ٤٢٣ (٣) ١١٢ ، ١١٤	٢٤٦ ، ٢٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٤٥٤ (٦)
المعز إسماعيل بن طفتكين (٢) ٢٩٧	٣٨١
أبو معشر الطبري (٢) ١٥٦	المعتلي الحمودي ، انظر : يحيى بن علي بن

ابن معطي (٢) ٢٣٢ ، ٤٧٧	ابن مغيث ، أبو الحسن (٣) ٦٤
المعظم بن العادل بن أيوب (٢) ١٧٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٤٠١ (٣) ٢٥٢ ، ٢٥٠	ابن مغيث (ولد مغيث الرومي) (٣) ٤٥
٣٤٩ (٧)	ابن مغيث (عبد الكريم) (١) ٣٣٩ ، ٣٤٠
المعلّى (٤) ٥٣٠	٢٤١ (٣)
ابن معلّى الطرسوقي ، أبو إسحاق (١) ١٨١	ابن مغيث (علاء الدين اليحصبي) (٣) ٣٦
ابن المعلم (٥) ٣٠٧	ابن مغيث (يونس بن عبد الله) (٢) ٥٦١
ابن المعلم الطنجي ، أبو يحيى (٣) ١٨٦ ، ٢٢٣	(٤) ٢٥ ، وانظر أيضاً : ابن الصفار
معمر (محدث) (٥) ٢٢٤	المغيرة بن أبي بردة الكنانى (١) ٢٨٨ (٣)
معن ، انظر : المعتصم بن صمادح	١٠
ابن معيشة الكنانى السبي ، أبو العرب (٣) ٣٢٦	المغيرة بن الحكم (١) ٣٤٤
المعيطي ، أبو مروان (٣) ١٧١	المغيرة بن شعبة (٥) ١٨٥
ابن معين (١) ٢٧٨ (٣) ٨ (٤) ٣٣٨	المغيرة بن عبد الرحمن الداخل (٢) ٦٥٨
ابن معيoub (٤) ١٢	المغيرة بن الناصر (١) ٣٩٦
المغامى (الفقيه) (٤) ٤٤٧	المغيرة بن الوليد بن معاوية (٣) ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٤
المغامى (محمد بن عتيق بن فرج) المرقى	مفرّج (جد القنتوري ، صاحب الركاب
١٣٦ (٢)	للحكم الأول) (٢) ٢١٨
المغاور ، أبو محمد عبد الله (٢) ٥٥	مفرّج الأفغاني (٢) ١٣٥ :
ابن المغربي ، أبو القاسم (الحسين بن علي بن	ابن مفرّج (الجلد) (٢) ٦٤٣
الحسين) الوزير (١) ١٢٠ (٢) ٥٠١	ابن مفرّج (الحفيد ، صاحب كتاب الاحتفال)
٤٨٨ (٧)	(٢) ٢١٢ ، ٦٤٣
أبو المغوار الغنوي (أخو كعب بن سعد)	ابن المفرّج الصقلي ، أبو الحسن (٢) ٥٠٩
١٠٦ (٤) ١٤٢	ابن مفرّج القرطبي (ابن القنتوري) (٢)
مغيث (زوج بريرة) (٥) ٣٨٦	٢١٨ ، ٢٣٩ (٣) ١٧٠
مغيث الرومي (١) ٢٦٠ - ٢٦٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ (٣) ١٢ - ١٤	ابن مفرّج ، أبو القاسم الفقيه (١) ٣٧٧ ، ٣٧٨
ابن مغيث (٢) ٦٠٥	المفضل (الضبي) (٢) ٣٧٤
	مفضل القرشي (٢) ٦٢٦

٢٧٩ - ٢٨٥ ، ٣١٠ ، ٣٤٠ - ٣٤٢ ،
 ٤٧١ ، ٥٤٠ ، ٦٠٤ (٦) ١٩٣ (٧)
 ١٤٧ ، ٣٣٩
 المقرئ الجدل الأكبر (أبو بكر ابن عبد الرحمن
 القرشي) (٥) ٢٠٥
 المقرئ العم (سعيد بن أحمد) (٢) ٤٢٦ ،
 ٤٢٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٥٧٤ ،
 ٧٠١ (٥) ٢٧٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٣ (٧)
 ٣٣٥
 المقرئ المؤلف (أحمد بن محمد) أبو العباس
 (١) ١ ، ١٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ (٢)
 ٢٨٢ ، ٤١٢ - ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ،
 ٤٢٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ ،
 ٤٣٩ ، ٤٤١ - ٤٤٦ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ -
 ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ (٥) ٤١٩
 (٦) ٥٦ ، ٥٧ (٧) ٨٤ ، ٤٦٧ ، ٥١٧ ،
 المقرئ ، الحافظ (٢) ٥٣ ، ١٠٢ ، ١٦٦ ،
 ٢١٠ ، ٢٩٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٤٠٢ (٤)
 ١٠٦ (٧)
 ابن المقفع (٢) ٣٥٨
 ابن مقلة (٢) ٢٧٥ ، ٥٤٦ ، ٦٨٢ (٤)
 ٢٤ ، ٣٠٤
 ابن المقيز (٢) ٣٧٦ ، ٤٢٩
 مكحول (الدمشقي) (٦) ٤٧١ ، ٥٠١
 ابن المكر (٧) ٥٦
 مكرم (محدث) (٢) ٢٢٤
 مكرم بن أبي الصقر (٢) ٢١٧

المفضل بن محمد الجندي (٢) ٥٠٧
 مفلح الرومي (٢) ٥٣٦ ، ٥٦١
 ابن مفلح (١) ٢٠٨
 ابن المفلس ، أبو الحسن (٣) ١٧٨
 ابن مفوز ، أبو بكر (٢) ٨٤ ، ٣٧٥
 ابن مفوز ، أبو الحسن (٢) ٧٢
 ابن مفوز ، أبو محمد الشاطبي (٢) ٢٢١
 ابن مقاتلي (٢) ٥٢٩
 ابن مقانا (القاضي) (١) ٦٦٥
 ابن مقانا الأشبوني ، أبو زيد عبد الرحمن
 (١) ٢١٤ ، ٤٣٣ (٣) ٢٦٤
 ابن مقبل (٣) ١٥٧ (٧) ٢٦
 المقتدر (العباسي) (١) ٣٥٣ (٦) ٣٨٠
 المقتدر بن هود (أحمد) (١) ٤٤١ ، ٥٣٤ ،
 ٦٤٠ ، ٦٤٣ ، ٦٤٨ (٢) ٧٤ (٣)
 ١٢٠ ، ١٩٣ ، ٢٦٧ ، ٣٦٣ ، ٤٠١ ،
 ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٥٦١ (٤) ٤٥٤
 المقتفي (العباسي) (٢) ١٣٣ (٤) ١٧٨
 المقدام بن داود الرعيني (٢) ٢٣٧
 ابن المقدسي ، أبو الحسن (٢) ٥٢ ، ٥٣
 مقدم بن معافي القبري (٣) ٥٣٨ (٧) ٦
 المقدمي ، أبو بكر (٢) ٥٧٥
 أبو مقرة (٢) ٦٩٣
 المقرئ الجدل (محمد بن محمد بن أحمد)
 أبو عبد الله (١) ٥٥٦ - ٥٥٨ (٥)
 ١٦٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١١ -
 ٢١٥ ، ٢٥٤ - ٢٥٦ ، ٢٦٣ - ٢٧٦

المناذري (الشاعر) (٢) ٦٥ (٤) ٢٨٨ ،	ابن مكنون ، أبو جعفر (٥) ٤٧٥
٢٨٩	ابن مكنون ، أبو العباس (٤) ١٢٢
ابن المناصف النحوي (٤) ١٤١	المكودي ، أبو زيد (٥) ٤٢٨
ابن المناصف ، أبو عبد الله (القاضي بيلنسية)	المكودي ، أبو عبد الله (محمد بن محمد)
(٤) ٣٠٥	(٥) ٢٣٥ (٦) ٩٠ ، ٢٤٣
المنتجب أحمد بن عبد الكريم الدمشقي ، انظر :	ابن المكوي ، أبو عمر (أحمد بن عبد الملك)
دفتر خوان	ابن هشام الإشبيلي (٣) ١٧١
المنتشاقري (يوسف بن موسى) أبو الحجاج	مكي (محدث) (٢) ٤٢٩
(٥) ٦٠٥ (٦) ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،	مكي بن أبي طالب القرطبي ، أبو محمد (٣)
١٤٥ (٧) ٥١٢	١٧٩
المنتصر (العباسي) (٦) ٣٨٠ (٧) ٤٠٧	مكي بن حامد الأصبهاني الصفار (٢) ٥٥٠
المنتصر ، أبو الحسن (٥) ٢٥١ (٦) ٤٩٢	مكي بن سودة (٤) ٧٧
المتفريدي ، أبو الحكم ابن محمد (٥) ١٠	مكي الدولة (ابن حديد) أبو طالب (٢)
المتوري (محمد بن عبد الملك القيسي) (٢)	٢٩٢ ، ٢٩٣
٦٩٤ (٥) ٥١٢ (٦) ١٤٨	الملاح ، أبو بكر (٣) ٥٢٠
أبن المنخل الشلبي ، أبو بكر (٣) ٥٢٠ (٤)	الملاحي (المؤرخ) أبو القاسم (٢) ٣٣٠
٧٣ ، ١١٧	(٣) ٦٦ ، ٦٩ (٤) ١٧١ ، ١٧٧ ، ٢٨٧
أبن المندائي ، أبو الفتح (٢) ٦٢٦	ابن ملاعب (٢) ٥٩٧
أبن مندة (٢) ٤٢٩	ملاعب الأسنه (عامر بن مالك) (٥) ١١٦
منديل بن أجروم ، انظر : ابن أجروم ، أبو	الملاي ، أبو حفص (٥) ٤١٥
المكارم	ابن الملح ، أبو بكر محمد (٤) ٧٠ ، ١٤٨ ،
منذر (العامري) (٣) ١٩٠	٢٦٣
منذر بن سعيد البلوطي (١) ٣٦٤ ، ٣٦٨ ،	ابن الملح ، أبو القاسم (٤) ٧١
٣٧٢ — ٣٧٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٥٧٠ —	ابن الملقن السراج (٥) ٤٢٨
٥٧٦ (٢) ١٦ — ٢٢ ، ١٥١ ، ٥١١	ابن المليحي (٢) ٥٦٠
(٣) ٧٥ ، ١٦٩ ، ١٧٧ (٤) ٣٥٧	المليبي القاضي (٥) ٤٦٨ ، ٤٦٩
المنذر بن عبد الرحمن بن الحكم (١) ٣٥١	ابن ممتاني ، أبو المكارم أسعد (١) ٣٦

منصور الخصي (من أوائل الحجاب) (٣)
٤٥
المنصور الذهبي (أحمد الشريف الحسني)
أبو العباس (٢) ٢٤٩ (٥) ٢٣ ، ٢٧ ،
٣٥٠ (٦) ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ — ٥٥ (٧)
٦٩ — ٧٢ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٨٢
المنصور العبيدي (٢) ٣٤٥
منصور اليهودي (رسول الحكم إلى زرياب)
(٣) ١٢٤ ، ١٢٥
المنصور (الصغير) ابن أبي عامر (١) ٥٩٨ ،
٦٥٧ ، ٦٥٩ (٣) ٥٤١ (٤) ١٣٢
المنصور (الكبير) ابن أبي عامر (١) ١٦٢ ،
٢٢١ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٠ ،
٣٣٠ ، ٣٨٦ ، ٣٩٦ — ٤٠٤ ، ٤٠٧ —
٤٢٩ ، ٤٣٧ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٩٤ ،
٥٢٩ — ٥٣٢ ، ٥٤١ ، ٥٤٦ — ٥٥١ ،
٥٧٦ — ٦٠٣ ، ٦٠٧ ، ٦١٧ ، ٦١٨ (٢)
٨٣ ، ٢٣٤ ، ٤٩٦ ، ٦٤٦ (٣) ٧٦ —
٩٨ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ ،
٣٨٩ ، ٥٤٨ ، ٥٨٨ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ (٤)
٦٦ ، ٦٧ (٥) ٧٧ ، ١٣٠ (٦) ٣٨٠
منصور بن أحمد بن عبد الحق ، أبو علي (٥)
٢٢٣
المنصور بن أعلى الناس (عَلَنَاس) (١)
٤٩١
المنصور بن الأبطس (٤) ٣١٣

(٣) ٥٧٤ ، ٥٧٥
المنذر بن ماء السماء (٤) ٢٢٦ (٦) ٣٨٠
(٧) ٢٥٩
المنذر بن محمد (١) ٣١٠ ، ٣٥٢ ، ٣٧٥ ،
٥٦١ (٣) ١١١
المنذر بن الناصر (١) ٣٦٧
المنذر بن هشام بن عبد الرحمن (٢) ٦٣٩
منذر بن يحيى التجيبي الحاجب (صاحب
سرقسطة) (١) ٣٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥
(٣) ٢٦٥
ابن المنذر ، انظر : النعمان بن المنذر
ابن المنذر (محدث) (٢) ١٥
ابن المنذر (مؤرخ) (٣) ١٣٨
ابن المنذر الأشبوني ، أبو الحسن (٣) ٤٥٩
المنذري ، الحافظ عبد العظيم (٢) ١٦٣ ،
٢١٤ ، ٢٣٥ ، ٤٨٩ ، ٦٠٦
المنشي عبد الوهاب أبو محمد الخطيب (١)
١٥٢ ، ١٥١
المنصفي (يوسف بن أحمد) أبو الحجاج
البلنسي (٣) ٥٩٥ (٤) ٣٣٦
المنصفي ، أبو عبد الله (١) ١٨١
المنصور (ابن السلطان النصري) أبو علي (٤)
٣٠٨
المنصور (العباسي) ، انظر : أبو جعفر
المنصور
منصور البرمكي (١) ٦١٨
منصور الحلبي (٥) ٢٥٢

- منصور بن خزامة (١) ٢٨٨ (٣) ١١
منصور بن الخير الأحذب، أبو علي (٢) ١٥٦
منصور بن عبد المنعم الفراوي ، انظر :
الفراوي
منصور بن لب بن عيسى ، أبو علي (٢) ٦٤٣
المنصور أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون
(١) ٣٢١ (٥) ٩٠
المنصور محمد بن المظفر تقي الدين (صاحب
حماة) (٢) ٢٩٥ (٣) ٢٥٤
المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن
(١) ١٠٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٠٨ ،
٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٤٦٣ ، ٥٦٢ (٢) ٥٧ ،
٢٤٩ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٣٦ ، ٣٦٦ ،
٦١٣ (٣) ٦٨ ، ١٠١ ، ١١٠ ، ١٣٣ ،
١٨٥ ، ٢٢٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ (٤) ١٢٩ ،
١٧٢ ، ٢٩٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٤٦٥ (٧)
١٤٢
ابن منصور الحضرمي ، أبو عبد الله (٣) ٦٣
أبو منصور الثعالبي ، انظر : الثعالبي
أبو منصور العجمي (٥) ٢٣٩
ابن منظور ، أبو بكر (٥) ٦٠٤ (٧) ٢٧٧
المنفث (الشاعر) (٣) ٣٣٢ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨
ابن منقل ، شمس الدين (١) ٤٤٤ ، ٤٤٥
المنيذر الإفريقي (١) ٢٧٨ (٣) ٥ ، ٦
المنيذر الصحابي (١) ٢٧٩
ابن المنير الحافظ ، أبو محمد (٢) ٣٧٥ (٥)
٣٩٤
- المنيثي ، أبو القاسم ابن أبي طالب الحضرمي ،
انظر : عصا الأعمى المنيثي
المهاجر (٤) ٤٩١
مهاجر بن نوفل (٣) ٥٨
المهتدي (العباسي) (٦) ٣٨٠
مهجة القرطبية (٤) ٢٩٣
مهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية (٤) ٢٨٧
المهدي (العباسي) (١) ٣٤٤ (٣) ١٢٢ ،
١٣٣ (٤) ١٠٥ (٦) ١٨٦ ، ٢٠٣ ،
٣٧٩
المهدي بن تومرت (١) ٦٠٩ ، ٦١٥ (٢)
٢٧ (٣) ٤٦١ ، ٤٨٠ (٤) ٣٧٧ ،
٤٨٢ (٥) ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٤٤ (٧)
١٤٢
مهدي بن يوسف الوراق (٢) ٥١٢
المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار (١)
٣٠٠ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٦ ،
٤٦٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ (٢)
١٣٠
أبو مهدي (٧) ١٦٧
المهذب (شاعر) (٣) ٣٥٤
المهذب بن أسعد الموصل (١) ٨٤
المهر بن القرس (٤) ٨
ابن مهران (٣) ٥٦٧
مهرة بن حيدان (١) ٢٩٧
المهلب (بن أبي صفرة) (٢) ٢٧٤ (٥)
٣٢٦ (٦) ٤٥٥

المهلب بن عامر ، أبو العالي (٣) ٢٧٣	موسى (في شعر ابن سهل) (٣) ٥٢٤ (٤)
المهلهل (التغلبي) (٥) ٥٤١ (٧) ٣١٩	٦١ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٠
ابن المهنا (الطبيب العالم) (٧) ٢٨١	موسى بن أبي تليد ، أبو عمران (٢) ٥٦٤ ،
ابن المهندس (٢) ٦١	٦٤٤ (٣) ٣١٩ (٧) ٢٦٣
ابن المهندس ، أبو بكر (٢) ٢٣٩ ، ٥٨٠	موسى بن أحمد بن حدير (١) ٣٨٧
ابن المهني الملقبي ، أبو القاسم (٥) ٦٠٤	موسى بن بهيج المغربي ، أبو عمران (٢) ٢٢٠ ،
مهيار (الديلمي) (٤) ١٠٦ (٥) ٣٦٥ ،	٢٢١
٤٧٦ (٧) ١١٦	موسى بن رزق (٥) ٥٧
ابن مهيب ، أبو عمرو (٤) ٣٠٧	موسى بن سعادة ، أبو عمران (مولى سعيد
المهريس ، عبد الله (٣) ٤٣١	ابن نصر) (٢) ٢٢١
ابن المواضي ، أبو جعفر أحمد (٣) ٤٢٧	موسى بن عبد الصمد (٤) ٦٢ ، ١٢٩
المواق (٥) ٥١٣	موسى بن علي (١) ٢٧٩
المؤتمن بن المعتمد (٤) ٢٥٦	موسى بن علي بن رباح اللخمي (٣) ٨
المؤتمن بن هود (١) ٤٤١ ، ٦٤١ ، ٦٤٣ ،	موسى بن عمران (قاضي مراكش) (٤) ٥٩
٦٤٨ ، ٦٥٢ - ٦٥٤ (٣) ٢٦٧ ، ٣٢٧	موسى بن محمد بن حدير (حاجب الناصر)
موسى (الكلبي) (١) ٣٦٩ ، ٤٦٤ ، ٤٩١ ،	(١) ٣٥٦ (٣) ١٧٦
٥٢٠ ، ٥٥٩ (٢) ٤١١ ، ٥٨٧ (٣)	موسى بن موسى (١) ٣٤٥ ، ٣٥٠
٢٦٥ ، ٢٩٤ ، ٥٢٤ ، ٥٩٢ (٤) ٨٩ ،	موسى بن نصير (١) ١١٣ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ،
٣٠٣ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٣٩ (٥) ٤٨ ،	١٦٠ ، ٢٢٩ - ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،
٥٤ ، ١٥٤ ، ١٦٥ ، ٢٣١ ، ٢٩٩ ،	٢٤٢ ، ٢٤٩ - ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ،
٣٠٤ ، ٣١٦ (٦) ٢٥٥ ، ٣٢٠ ، ٣٨٨ ،	٢٦٩ - ٢٨٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ،
٥٠٨ ، ٥١١ (٧) ٣٨ ، ١٧٩ ، ٢٧١ ،	٥٦٢ (٢) ٥٨٧ (٣) ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ،
٢٧٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٣ ،	١٢ - ١٤ ، ٥٨ ، ٦٤ (٤) ٣٠٣ (٥)
٣٦٣ ، ٤٢٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٦٢ ،	٢٩٥
٤٦٥ ، ٤٧٥ ، ٤٩٥	موسى بن يوسف بن عبدالرحمن بن يغمراسن ،
موسى (في شعر الرصافي) (٣) ٤٣٨	انظر : أبو نحمو الزياتي
موسى (في شعر ابن زمرك) (٧) ١٧٩	أبو موسى الأشعري (٥) ٣٨٥

٥٧٦ ، ٥٨٠ ، ٥٩١ ، ٦٠٣ (٢) ١٥٢ ،	أبو موسى الزمن (٢) ٢٣٦ .
٢٤٤ (٣) ٧٤ ، ٨٦ — ٩٤ ، ٩٨ ،	أبو موسى المدني (٢) ٦٣٢
٤٧٦ (٦) ٣٨٠	أبو موسى ابن عمران القاضي (٣) ٥٩٨
ابن مباح (٢) ٢٩٠ ، ٢٩٦	أبو موسى هارون (٥) ٣٩٥
المياشي ، أبو حفص (٢) ٥٧ ، ١٥٧ ،	الموصلي (٣) ١٦٦
٦٠٤ ، ٦٠٦	الموفق العامري ، انظر : مجاهد العامري ، أبو
ميسرة البربري (٣) ٢٠	الجيش
ابن ميسرة ، أبو القاسم (٢) ٥٣	الموفق بن إدريس ، انظر : إدريس بن يحيى
الميكالي (١) ٣١٢	الملقب بالموفق
ميمون (صاحب غرناطة) (٤) ٣٧٨	مولاة أبي المطرف (٤) ١٧١
ميمون (من الجن) (١) ٤٣	مؤمن بن سعيد (٣) ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٥٣٨
ميمون (عم ابن شاطر) (٥) ٢٤٩٠	ابن مؤمن القابسي (٤) ١٤٨
ميمون العابد (جد بني حزم) (١) ٢٦٧ ،	ابن مؤمن ، أبو الحسن (٥) ٢٠٧
٢٦٨	مؤنس المظفر (١) ٣٥٣
ابن ميمون (القائد) (٣) ٢٢٠	مؤنسة بنت الملك العادل (٢) ٥٥١ ، ٥٦٢
ابن ميمون ، أبو عبد الله (١) ١٦٧	ابن موهب ، أبو الحسن (٢) ١٥٩
مبة (صاحبة ذي الرمة) (١) ٩ ، ١٤ (٦)	ابن مؤهل (٧) ٨
١٢٧	المؤيد الطوسي ، أبو الحسن (٢) ١٠٤ ،
مبة (في شعر النابغة) (١) ٥٣٧ (٤) ٩٥	٢٤١ ، ٦٠٣ ، ٦٢٦
مبة (في أرجوزة لسان الدين) (٧) ١٠١	المؤيد هشام (بن الحكم المستنصر) (١)
الميورقي (الميرقي) ، انظر : ابن غالية	٣٠٠ ، ٣٩٦ — ٣٩٩ ، ٤٠٧ ، ٤٢٤ ،
	٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٨٢ ، ٥٤٧ ،

التون

٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ،	نابت بن المفرج بن يوسف الخثعمي (٢)
٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،	٦٤٥
٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ،	الناطقة الديباني (٢) ٢١٠ ، ٥٩٣ ، ٣٦٥
٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ،	(٤) ٥٣٢ (٥) ١١٦ ، ٢٤٥ ، ٢٦٦
٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ ،	النابلسي (٢) ٥٢٩
٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤٢٦ ، ٤٣٧ ، ٤٩٠ ،	ابن نادر الميورقي ، أبو الحجاج (٢) ١٥٨
٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ،	أبو الناس ، ابن صالح (١) ٤١٧ ، ٤١٨
٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٤١ ، ٥٤٧ ، ٥٦١ ،	الناصر (صاحب حلب) (٢) ٢٧٢ ، ٢٩٥
٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ،	٣٦٩
٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ،	الناصر (صاحب الشام) (٢) ١٢٠ ، ٦٢٧
٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨٥ ،	الناصر العباسي (ابن المستضيء) (١) ٣٨٦
٦٠١ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ (٢) ١٥ ، ٢١ ،	ناصر بن أبي علي الطوسي ، أبو الفتح (٢)
٦٤٦ (٣) ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ١٢٥ ،	٥٠٩
١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ٢٣٦ ، ٣٤١ ،	الناصر بن حمود ، انظر : علي بن حمود
٥٧٣ ، ٥٨٣ ، ٦١٧ ، ٦١٨ (٤) ١٢٦ ،	الناصر بن قلاوون (٤) ٣٩٠ ، ٤٠٠
٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ، ٣٨٠ (٧) ٣٧ ،	الناصر بن المنصور الموحد (١) ٤٤٦ (٢)
الناصر فرج ابن الظاهر برقوق (٤) ١٩٢	٥٤١ (٣) ١٨٦ (٤) ٦٦ ، ٧٠ ، ١٧٢ ،
الناصر لدين الله (لقب عبد الرحمن بن المنصور	٣٨٣ ، ٤٦٥
ابن أبي عامر) (١) ٤٢٤	الناصر داود بن عيسى (٢) ٤٠٧ ، ٤٠٨
ابن الناصر (٢) ٤٢٩	الناصر صلاح الدين بن أيوب ، انظر : صلاح
ناصر الدولة (في رسالة للفتح) (١) ٦٥٩	الدين بن أيوب
ناصر الدولة (حاكم ميورقة) ، انظر :	الناصر عبد الرحمن المرواني الأموي (١)
مبشر بن سليمان	١٦٢ ، ٢١١ ، ٣٠٠ ، ٣٣٠ ، ٣٤٧ ،

ناصر الدولة بن جمدان (٣) ١٢١	٣٨٩ (٦) ١١٨
ناصر الدين (صاحب دولوين الإنشاء) (٢)	ابن النبيه (٣) ١١٨ ، ١١٩
٦٧٣	النجار ، أبو العباس (٣) ٤٧٣
ناصر الدين (٥) ٢٤٦ ، ٢٥٠	ابن النجار (مؤلف الذيل) (٢) ١٠٣ ،
ناصر الدين (الشيخ) (٥) ٤١٢	١٦٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ،
ناصر الدين بن شافع (٢) ٢٢٣ ، ٢٢٥	٢٤٢ (٣) ١٣٦ ، ١٣٧
ناصر الدين بن المنير (٥) ٣٩٥	ابن النجار ، انظر : محمد بن يحيى بن علي
الناظر (الرئيس) (٤) ٤٣٨	النجاشي (٢) ٤٩٨
الناظر (عبد اللطيف) (٢) ٤٠٤	نجدة (قصة أخيه في المطمح مع الأيتام) (٢)
نافع (صاحب القراءة) (٢) ٦٦ ، ٦٢٦	١٦
نافع (٥) ٤٢٩ ، ١١٦ (٧)	نجم الدين (رجل خطاط شمس الدين
نافع (القائد) (٧) ١١٦	السروجي) (٢) ٥٧٠
نافع بن الأزرق (٦) ٤٢٩	نجم الدين الأصفهاني (٢) ١٨٣
ابن نافع ، أبو بكر (٥) ٣٠٩	نجم الدين الحجازي (٢) ٥٣٢
ناهض بن إدريس (١) ٤٧٠	نجم الدين الطوفي (٢) ٥٤٥
ناهض بن محمد الألدلسي الوادي آشي (٥)	نجم الدين الواسطي (٥) ٢٣٢
٧٠ ، ٧١	نجم الدين بن إسرائيل الدمشقي (٢) ١٨٥ ،
ابن ناهض (ناصر الدين) (١) ٣٥	٢٦٩ (٥) ٢٦٢
ابن نباتة (عبد العزيز بن محمد) السعدي ،	نجم الدين بن مهذب الدين (٣) ١٤٥ ، ١٤٦
أبو نصر (١) ٨٦ (٣) ٤١١ ، ٥٦٦	نجم الدين إسحاق بن ألمي التركي (٢) ٥٤٤
ابن نباتة (محمد بن محمد بن محمد) المصري	نجم الدين محمد بن جمال الدين بن عبد الله
(١) ٨٧ (٢) ٤٠٤ ، ٤٠٧ (٤)	ابن المحب الطبري (٥) ٣٩٣
٢٠٧ ، ٣٩٩ (٦) ٥٧ (٧) ٨٦	نجم الدين يحيى الإسكندري (٢) ٥٤٥
النباهي ، أبو الحسن ابن الحسن (١) ٥٧٣ ،	ابن نجيح (محمد بن عيسى) المعروف بالأعشى
٥٧٤ (٥) ١٠٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،	(٢) ٦٢ ، ١١٨
١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ،	ابن النجيري (يوسف بن خرزاذ) أبو يعقوب
١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٣٨٦ ،	(٢) ١٣٢

- ابن نجيم الموصلبي (٢) ٢٧٣
ابن النحاس ، أبو جعفر (٢) ١٩ ، ٢٠ ،
٢١ ، ٢٢٠ ، ٥٧٠ ، ٥٧٩
ابن النحاس ، بهاء الدين (٢) ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
٢٣١ ، ٥٦١ (٤) ١٤٨
ابن النحاس (محمد) أبو عبد الله (٢) ٢٣٠ ،
٥٥١
ابن النحاس (خلف) أبو القاسم (٢) ٦٣٧
ابن النحاس ، أبو محمد (٢) ٥٣
النحلي البطليوسي ، أبو الوليد (٣) ٢٣٤ ، ٣٣١ ،
٣٣٣ ، ٤٤٥ ، ٤٥٠ (٤) ٩
النخعي (١) ٦٠٥
الندرومي ، أبو العباس (٥) ٤٢٨
نرجس العامرية (١) ٥٣١
نزار العبيدي (٣) ٥٥٨
ابن نزار الوادي آشي (٣) ٦٠٤
ابن نزار ، أبو الحسن (١) ١٤٩ (٣) ٤٩٢ ،
٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧
نزهون القلعية الغرناطية (١) ١٧٦ ، ١٩٢ ،
١٩٣ (٣) ٢١٨ (٤) ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،
٢٩٧ ، ٢٩٨
النسائي (أحمد بن شعيب) (٢) ٤٩ ، ٦٢ ،
١٥٧ ، ٥١٩ ، ٥٣٦ ، ٦٣٤ (٣) ١٧٧ ،
١٨٠
النسائي (عبد الكريم) (٢) ٢٣٧
نسيم (حظية المنصور الذهبي) (٧) ٧٧
نسيم الإسرائيلي (٣) ٥٢٢
- النشار ، أبو علي (٣) ٢٠٤
نصر (والد النصيرين) (٦) ١١٧
نصر (الأمير النصيري) (٧) ١٨٤
نصر (منسوبة إليه منية الحكم المستنصر)
(١) ٣٦٧
نصر الحصي (١) ٣٥٠
نصر السمرقندي (٢) ٥٠٥
نصر الحبيبي (٢) ٦٣٨
نصر بن إبراهيم المقدسي ، أبو الفتح (٢)
٢٨ ، ٩١ ، ٥٠٨ (٣) ٦٣
نصر بن الحسن ، أبو الفتح (٣) ٦٧
نصر بن علي الجهمي (٢) ٢٣٦
نصر ابن الغني بالله (٧) ١٩٩
نصر بن القاسم ، أبو حبيب (٢) ٦٤٥
نصر بن مرزوق (٢) ٦٣٣
ابن نصر (مدوح ابن زمر) (٥) ٤٩
(٧) ٢٠٧
أبو نصر الكسار (٢) ٥٣٦
أبو نصر الفارابي ، انظر : الفارابي
أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان ، انظر :
الفتح بن خاقان
نصر الله بن عبد الله بن علي الأهوازي ، انظر :
ابن قلاؤس الاسكندري
نصر الله بن محمد ، أبو عبد الله (٢) ١٥٧
ابن نصف الرض ، انظر : ابن الفخار ،
أبو عبد الله
نصيب (٢) ٩٦ (٥) ٥٢٧

ابن نفلويه ، أبو عبد الله (٢) ١٥٠	النصبي (٥) ٣٠٠
ابن نفيس (محدث مصر) (٢) ١٤١	النصبي (هبة الله بن محمد) . أبو البركات ،
ابن نفيس ، أبو العباس (٢) ٦٣٧	انظر : هبة الله بن محمد النصبي الوكيل
ابن نفيس ، أبو عبد الله (٦) ٤١	نصير (والد موسى) (١) ٢٤٠ ، ٢٥٠
نقروز (٥) ٤٦٠	نصير (في شعر الرمادي) (٤) ٣٨
نقشابو (محمد بن سعيد الصنهاجي) أبو عبد	نضار بنت أبي حيان (٢) ٥٤١ ، ٥٥٩ ،
الله (٥) ٣٤١	٥٦٠
ابن نقطة (٢) ٥٢ ، ١٥٨ ، ٢٤١ ، ٢٥٦ ،	النضر بن سلمة (١) ٣٥٣
٦٠٣ ، ٦٢٦ (٣) ١٣٨	أبو نضرة الغفاري (٣) ٦٠ ، ٦١
نقفور (طاغية النصارى) (٥) ٢٩٤	ابن النظام (عبد الله بن عبد الحكم) (١)
النقيب (صاحب كتاب العوالي) (٣) ٦٥	١٣١ (٢) ١٤٠
ابن النقيب (الحسن بن شاور ناصر الدين)	التعل ، أبو عبد الله (٢) ٦٣٢
(١) ٣٧	نعم الخلف بن عبد الله بن أبي ثور (٢) ٦٤٥
نقيب الأشراف ، مولانا السيد كمال الدين	النعمان ، انظر : أبو حنيفة (الإمام)
(٢) ٤٥٧	نعمان (ابن أحمد الشاهيني) (٢) ٤٦٣
نقيب بغداد (٣) ١٢١	النعمان ابن الشقيقة (٤) ٢٢٤
نمروذ (٥) ١١٦ (٦) ٣٨٠	النعمان بن المنذر (١) ٢٩٦ ، ٥٠٢ (٣)
النمري (شاعر) (١) ٣١٢	٣٦٥ (٤) ٢٤٩ (٥) ٣٣٢ (٦) ٣٨٠
النواجي (٢) ٤٠٤ (٧) ٥١٨	النعمان بن النعمان المعافري (٢) ٦٤٥
نوار (زوج الفرزدق) (١) ١٠٦ (٤)	ابن النعمة ، أبو الحسن (٢) ٢٣ ، ٥٠٦ ،
٢٥٥ (٥) ٥٠٨	٦١٦ (٣) ٥٧ (٤) ١١٦
أبو نواس (الحسن بن هانيء) (١) ٦٦٠	ابن نعمة العابد ، أبو بكر (٣) ٦٣
(٢) ٩٦ ، ٢٦٠ (٣) ٩٧ ، ١٢١ ،	أبو النعيم رضوان (٧) ١٠٨
٢٢٥ ، ٤١٦ ، ٤٨٤ (٤) ١٥ (٥) ٨٠	ابن نعدلة (٤) ٣٢٢
٤٩٥ (٦) ١٢٧ ، ١٧٤ ، ٠٤	ابن النغزلة (وزير غرناطة اليهودي) (٣)
١٠١	٣٨٧
نوح (النبي) (١) ٥٢٠ ، ٣	النفزي ، أبو الحسين (٢) ٢٣ (٤) ٩١

٦٦٣	(٢) ١٢٠ (٣) ٤١١ (٥) ١٥٤ ،
نور الدين بن سعيد ، انظر : ابن سعيد ، أبو	١٥٥ ، ١٨٥ ، ٢٢٩ ، ٤١١ ، ٤٨٤ ،
الحسن	٤٩٤ (٦) ٣٩٧ ، ٤٤٩ (٧) ٧٠ ،
النووي (صاحب الأحاديث الأربعين) (٢)	٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ،
٢٢٩ ، ٤٣٢ ، ٦١٥ ، ٦٦٥ (٥) ٤٢٥	٤٦٥
النويري (زين الدين طاهر) (٢) ٦٩٤	نوح ابن الفرغاني ، أبو عصمت (٢) ٥٧٦
النويري (فخر الدين عثمان بن أبي بكر)	ابن نوح (١) ٣١٤
٣٩٣ (٥)	نور الدين (٢) ٥٧٩
النويري (نور الدين) (٥) ٤٢٨	نور الدين العقيلي (٥) ٤٢٩
النويري ، أبو القاسم (٢) ٦٩٤	نور الدين المايزقي ، أبو الحسن (٢) ٦٦٢ ،

الراء

(٢) ٦٠ (٤) ١٦٦ ، ٣٢٥ (٥) ٢٠٠ ،	المهدي (الخليفة العباسي) (٦) ٣٧٩
٢٠١ ، ٣٨٧	أبو هادي (٥) ٣١٣
هاشم (ابن عبد مناف) (٤) ٣٠٩ (٥)	هاروت (٥) ٤٩٥ (٦) ٥٧
٢٤٦	هارون (أخو موسى النبي) (٧) ٣٦٣
هاشم بن الحسين بن إبراهيم الطالبي (٣) ٦٠	هارون الرشيد (١) ٩ ، ٣٣٣ ، ٤٣٠ ،
هاشم بن رجاء ، أبو خالد (٣) ٤٩١	٤٨٢ ، ٦١٨ ، ٦١٩ (٢) ٥٣٧ (٣)
هاشم بن عبد العزيز (الوزير) (٣) ١٣٠ ،	١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٤٠ (٤) ٨٥
١٣١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣	(٥) ٢٨٧ (٦) ٩٤ ، ٢٠٣ ، ٣٧٩ ،
ابن هاشم ، أبو علي (٣) ٦٦	٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٤٥
أبو هاشم (المتكلم) (٥) ٣٠٧	ابن هارون ، أبو عبد الله (٥) ٢٥١
أبو هاشم (ابن المعتمد) (٤) ٢١٨ ، ٣٦٦	ابن هارون (عبد الله بن محمد) أبو محمد

هذيل بن هاشم (١) ٣٨٣	هامان (٥) ٤١ ، ١٨٥ ، ٤١١
ابن هذيل (مقرئ) (٢) ٢٣ ، ٢١٦ ، ٣٧٦ ، ٥١٠	هانيء بن معاوية الصديقي (٣) ٥٦
ابن هذيل (يحيى) الشاعر الكفيف ، أبو بكر (٣) ٧٣ ، ١٥٤ (٤) ٣٦	ابن هانيء (محمد) الشاعر الالبيري ، أبو القاسم (١) ٢٩٣ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ (٣) ١٦٤ ، ٢٠٧ ، ٤٠٧ ، ٤٤٣ ، ٤٥٣ ، ٦٠٥ (٤) ٨٦ ، ٤٠
ابن هذيل ، أبو الحسن (المائة السادسة) (٢) ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٥١٣ ، ٦٠١ ، ٦١٦	ابن المبارية (٥) ١٥٥
ابن هذيل (يحيى) أبو زكريا (المثقف) (٣) ٣٥٧ (٥) ٧٥ ، ٩٧ ، ١٢٧ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٦٠٥	هبة الدين بن محمد بن عبد الواحد (٢) ٦٢٩
ابن هذيل الفزاري (٤) ١٩	هبة الله الأكفاني ، انظر: الأكفاني ، أبو محمد هبة الله بن الحسن الفقيه ، أبو الحسين (٢) ١٥٤
أبو الهذيل العلاف (٥) ٣٠٤	هبة الله بن الحسين المصري ، أبو المكارم (٣) ٦٨
المهراس ، أبو مسعود (٥) ٣٤٧	هبة الله بن الحصين ، أبو القاسم (٢) ١١٧ ، ١٥٧ ، ٦٢٨
هرقل (١) ١٢٦ (٢) ٢٣٥ (٣) ١٨٩ (٤) ٤٢ ، ٤٦٣	هبة الله بن محمد النصيبي الوكيل ، أبو البركات (٣) ٣٥٣
هرم بن سنان (٤) ٥٣٥ (٥) ١١٦	هيرة الفزاري (٣) ١٦٢
هرمس (٢) ٤١١ (٤) ٢٥٣ (٥) ٣٦٩ ، ٤٩٣	ابن هيرة الفزاري (١) ٣٠٢
ابن هرودس (أحمد) أبو الحكم (٤) ٢٠١ ، ٢٠٢ (٧) ٨	ابن هيرة المحاربي (٣) ٥٢
الهروي (صاحب الغريين) (٢) ٢٣٣	أبو هدية القيسي (٣) ٦٦
الهروي (صاحب منازل السائرين) (٦) ١٩٢	هدد بن بدد الكردي (٥) ١١٦
أبو هريرة (١) ٤٢٥ (٢) ٥٢٠ (٣) ١٠ ، ٥٨	ابن هدية (محمد بن منصور بن علي) أبو عبد الله (٥) ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٣٩٥ ، ٢٣٨
الهزميري ، أبو زيد (٥) ٢٣٠ ، ٢٤٨ ، ٢٦٢	هذيل الإشبيلي (٤) ١٢٧
	هذيل بن الصميل بن حاتم (٣) ٤٦

هشام الرضى (١) ٣٠٠ ، ٤٦٥ ، ٥٦١	هلال البياني (٣) ٥٣٩
هشام المصحفي (١) ٣٨٩ (٣) ٩٠	هلال الحفار (٣) ٦٢
هشام بن الحكيم المستنصر ، انظر : المؤيد هشام	هلال بن الطفيل العبدى (٣) ٥٢
هشام بن سليمان بن الناصر (١) ٤٢٧	ابن هلاله (١) ٣٠١
هشام بن عامر (٣) ١٦٤	هشام بن عبد الله (٢) ٦٤٦
هشام بن عبد الرحمن الأوسط (٢) ٤٥ ،	ابن همشك ، أبو إسحاق (١) ٤٤٣ (٣)
٤٦ (٣) ٣٤٢ ، ٥٧٩	٣٢٣ (٤) ١٣٦ ، ٣٧٨
هشام بن عبد الرحمن الداخل (١) ٣٣٤ ،	أم الهناء (بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن
٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٥٤٥ (٣) ٣٧ ، ٤٥	عطية) (٤) ٢٩٢
هشام بن عبد الملك (١) ٢٣٦ ، ٢٦٦ ،	هناد بن السري الكوفي (٢) ٦٢٨
٢٦٧ ، ٣٣٣ ، ٥٤٥ ، ٦٦٧ (٣) ١٩ ،	هند (جارية ابن خلدون) (٦) ١٧٤ ،
٢٠ ، ٢٢ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٦ (٥)	١٧٥
٢٩٣ (٦) ٣٧٩	هند (جارية ابن مسلمة الشاطبي) (٤) ٢٩٣
هشام بن عذرة بن عبد الله القهري (٣) ١٨	ابن هندو الداني (٣) ٢٦٥
هشام بن عروة (٢) ١٤٤ (٤) ٨٤	هنيدة (جارية زرياب) (٣) ١٢٦
هشام بن عمار (٢) ٥١٨	هوتو (ملك الصقالبة) (١) ٣٦٥
هشام بن هذيل (١) ٣٦٥	هود (النجي) (٧) ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ،
هشام بن واقف المقرئ ، أبو الوليد (٢)	٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢
١٩٥	ابن هود (محمد بن يوسف الحاجب) الثالث ،
ابن هشام (صاحب المغني) (٥) ٤٢٤	أبو عبد الله (الملقب بالمتوكل) (١)
ابن هشام (أندلسي ، رد على ابن عصفور)	٢١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣١٩ ،
(٤) ١٤٨	٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ (٢) ٢٠١ ،
ابن هشام القرطبي ، أبو القاسم (١) ٤٧٣	٢٦٩ ، ٣٢٩ ، ٣٥١ ، ٥٩٧ ، ٦٦٤ (٣)
(٣) ٢٢٨ (٤) ٨٩	١١٨ ، ٣٠٥ — ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ،
ابن هشام القرطبي ، أبو يحيى (٤) ٢٠	٤٨٨ ، ٤٩١ (٤) ١٥٢ ، ٣١٥ ، ٣٨٤ ،
المشيم بن عبد الله (٢) ٥٧٥	٣٨٥ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ (٥) ١٠ (٧)
هلال (شاعر غرناطة) (٣) ٥٣٧	٤٠٦

هودة بن علي (٤) ٢٨٢	(٣) ٣٧٧ (٤) ٣٣٥ (٥) ٤٧٠
هولاكو (٢) ١٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠	الهيثم بن عبيد الكلابي (١) ٢٣٥
الهيثم (الحافظ) (٤) ٧٥	الهيثم بن عدي الكلابي (١) ٢٩٩ (٣) ١٨
الهيثم (الشاعر) (٤) ٩١	الهيثم بن كليب (٣) ٦٢
الهيثم الصباغ ، أبو الفرج (٣) ١٤٤	ابن الهيثم (٢) ٦٠٦ (٣) ١٧٥
الهيثم بن أحمد السكوني الإشيلي ، أبو المتوكل	

الواو

الواثق (العباسي) (٦) ٣٨٠	الواساني (الحسين بن الحسين) أبو القاسم
واثق الضابط (١) ٤٢١	(٥) ٤٥
الواثق ، أبو دبوس (٢) ١١٩ ، ١٢٠ (٤)	الواسطي (محدث بدمشق) (٢) ١٤٠ (٥)
٣٨٤	٢٩٦ ، ٢٩٣
الواثق بن المتوكل (ابن هود) (١) ٤٤٧	واصل بن عطاء (٣) ٥٦٥
الواثق عبد الله عز الدولة ، أبو محمد (٣)	ابن واصل الحموي (٣) ١٣٧
٣٦٩ ، ٣٦٨ ، ٣٦٧	واضح العامري (عامل المنصور على المغرب)
الواثق يحيى بن المعتصم بن صمادح (٣) ٤١٢	(١) ٣٨٦ ، ٣٩٨ ، ٤٢٨
ابن واجب ، أبو الخطاب (١) ٣١٤ (٢)	الواقدي (١) ٢٣٦ (٢) ٤٧٨
٥٩٧ (٣) ١٠	وانزمار بن أبي بكر البرزالي (١) ٤١٧
الوادي آشي (٣) ١٤٧ (٤) ٣٤٣ ، ٥٤٨ ،	وانسوس ، أبو قرعة (١) ٣٣٣ (٥) ٢٩١
٥٤٩ (٥) ٥٤٠ (٦) ١٦٢ (٧) ١١٧ ،	الوانشريسي ، انظر : الوانشريسي
٢٨٨	الوانغيلي ، أبو محمد (٥) ٣٤٢
الوادي آشي (محمد بن محمد العراقي) أبو	الوأواء (٢) ٨٩
عبد الله (٢) ٥٢١ (٦) ١٠١	وائل بن حجر (٦) ١٧٢

أبو وائل (٥) ٢٣١	ابن وزير ابن أبي بكر (ولد الشاعر) أبو
الوثابي (إسماعيل بن محمد بن أحمد	محمد (٤) ٤٦٥
الأصفهاني) أبو طاهر (١) ٨٨	ابن وزير ابن عبد الله الشلبي ، أبو بكر
وجيه الدين محمد بن الدهان (٢) ٥٥٠	(٤) ٣٨١ ، ٤٦٥
وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجي (٧)	الوشقي (٤) ٢٥٤
١١١	ابن وضاح (١) ٦٧٣ (٢) ٨ ، ٥٢ ، ٦٢ ،
وحشي (قاتل حمزة) (٥) ١٨٥	١٤٤ (٣) ٧ ، ٨ ، ١٩٩ ، ٦٠٣ (٤)
ابن الوحيد ، شرف الدين (٢) ٥٤٤	٣١٠ (٥) ٢٣٧
الوحيد (عبد الله) أبو محمد (٣) ٣٩١ ،	ابن وضاح (محمد) (٢) ٤٧ ، ١٤٢ ،
٣٩٢	٢٣٧ ، ٥١٦ ، ٦٣٣ ، ٦٣٥ ، ٦٤٣
وداد (جارية عند المعتمد) (٤) ٩٣	ابن وضاح ، أبو جعفر (٣) ٦٠١
الوداعي (علي بن المظفر) (١) ٢٠ ، ٩٥	ابن وضاح (محمد بن إبراهيم اللخمي)
(٢) ٤٠٤	أبو القاسم (٢) ١٦٠
الوراد بن عثمان ، أبو جعفر (٥) ٥١	الوضاحي (محمد بن أحمد بن موسى
ابن ورد ، أبو القاسم (٢) ٥٩٩ ، ٦٤٢ (٣)	القيسي) أبو عبد الله (٢) ٢١٩
٣٨٤	الوطاسي (الشيخ) (٤) ٥٢٩
ابن الورد ، أبو محمد (٢) ٢١٧	أبو الوفاء المصري (٣) ٦٨
ابن الورد ، أبو مروان (٤) ٤٦١	أبو الوفاء ابن عبد الحق (٢) ١٤١
ابن الورد البغدادي ، أبو الحسن (٢) ٥٧ ،	أبو الوقت السجزي ، انظر : السجزي
١٠٥ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ٢١٣ ،	الوقشي (أحمد بن عبد الرحمن) أبو جعفر
٦٣١ ، ٢٣٧	(١) ٢٩١ (٢) ٤٨٩ (٣) ٣٢٣ (٤)
ابن وردان (٢) ٢٣٨	١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ٤٧٧
ابن الوردي (٢) ٢٣١ (٣) ٣٥١	الوقشي (ابن أبي جعفر) ، أبو الحسين (١)
ورش (٢) ٦٦ ، ٢١٤ (٣) ١٤٤	٤٧٣ ، ٤٧٤ (٤) ١٣٨
ورقة بن نوفل (٤) ٥٠٤	الوقشي (هشام) القاضي أبو الوليد (١)
الورياجلي ، أبو محمد (٥) ٤٢٧	٢٩١ (٣) ٣٧٦ (٤) ٩٠ ، ١٣٧ ،
ابن الوزان (٢) ٥٣٨	١٦٢ ، ١٦٣ ، ٣٠٦

٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧١ ،
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،
٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ (٢)
٤٧ ، ٥٠ ، ٣٩٠ (٣) ٨ ، ١٢ ، ١٤
٣٧٩ (٤)

الوليد بن معاوية (٣) ٤٦
الوليد بن المغيرة (٥) ٢٦٤ ، ٣٠٩
الوليد بن هانيء (٥) ٢٢٧
الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١) ٣٢٨ (٣)
٢٢ ، ٢٩ (٤) ١٤٢ (٦) ٣٧٩ (٧)
١٠١

ابن الوليد (محدث) (٢) ٦٠
ابن الوليد ، انظر : ابن الخليل
أبو الوليد الباجي (سليمان بن خلف بن سعد
التجيب) (٢) ٢٩ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ،
٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٣٧٥ ،
٥١٥ ، ٦٠٦ ، ٦٤٨ (٣) ١٨٠ ، ٣٨٧
أبو الوليد الحضرمي (٢) ١٦٤
أبو الوليد ابن زيدون ، انظر : ابن زيدون
أبو الوليد إسماعيل بن حبيب ، انظر : حبيب
ونزمار بن عريف (٥) ١٠٧
الونشريسي (١) ٦٨١٠ (٥) ٢٠٧ ،
٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٩ ، ٤١٩ ،
٤٣٠
الونشريسي (أحمد بن يحيى بن محمد) (٥)
٢٠٤ (٦) ٢٧٨

ابن الوقشي الطليطلي (٣) ٣٧٦
وقلة (ابن غيطشة) (١) ٢٦٦
وكيع بن الجراح (٢) ٦٢
ابن وكيع (٤) ١٩٥ (٧) ٢٣٢
ابن الوكيل (صدر الدين) (١) ٦٣٢ (٣)
٥٤٤ ، ٢٧٨
ابن ولاد ، أبو العباس (٢) ٢٠ ، ٢١
ولادة بنت المستكفي بالله (صاحبة ابن زيدون)
(١) ٤٣٧ ، ٦٣٠ (٣) ٢٠٨ ، ٢٧٥
(٤) ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،
٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٣
ابن الولي السبتي ، أبو عبد الله (٧) ٢٧٤
ولي الدين ابن خلدون ، انظر : ابن خلدون
المؤرخ
الوليد بن أبان (٥) ٢٨٨
الوليد بن إبراهيم بن يزيد الحمداني (قاضي
الري) أبو العباس (٢) ٥٧٦
الوليد بن أبي المعالي زيدان (٢) ٤٧٩
وليد بن بكر بن مخلد بن زياد العمري (٢)
٣٨٠
وليد بن خيزران (قاضي النصاري) (١)
٣٩٠ ، ٣٩١
الوليد بن عبد الرحمن بن غانم (٣) ٣٧٢ ،
٣٧٣
الوليد بن محمد الملك (١) ١٦١ ، ٢٠٥ ،
٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،
٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،

ابن وهب (ابن أخي عبد الله بن وهب) (٢)	الونشريسي (عبد الواحد) (٧) ٤٠٦
٦٢	الونشريسي (يونس بن عطية) (٥) ٣٥١
ابن وهب (عبد الجليل) المرسى (١) ٦٥٧	الونشريسي ، أبو العباس (٥) ٢٨٠ ، ٣٤٠
(٣) ١٩٤ ، ٢٣٥ ، ٢٦٨	الونشريسي (الحسن بن عثمان) أبو علي (٥)
أبو وهب الزاهد (٤) ١١٤	٣٥٣ ، ٣٥٢
أبو وهب القرطبي العباسي (٣) ٢٠٧ ، ٢٢٦	الونشريسي (عمر بن عثمان) أبو علي (٥)
ابن وهبون (عبد الجليل) أبو محمد (٣)	٣٥١
٣١٨ ، ٣١٩ ، ٦٠٦ (٤) ٥٩ ، ٩٢ ،	وهب بن مسرة (٢) ٥٢ ، ٢١٣
١٠٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٣٧٠	ابن وهب (٣) ٩٥

ايباء

يحيى (صاحب الغزال في السفارة إلى الروم)	اليابري (عبد الله بن طلحة) أبو بكر (٢)
(٢) ٢٥٩	٦٤٨
يحيى التطيلي ، أبو بكر (٤) ٣٢٦	اليابري (الوزير) أبو الحسن (٣) ٤٥٧
يحيى الجزار (٣) ٤٠٤	يأجوج بن ياقث بن نوح (١) ١٤٠
يحيى الخلدوج المرسى (٣) ١٨٥	ياسر (الخصي) (١) ٣٦٦
يحيى الخزرجي (٧) ٩	ابن الياشمين (٢) ٦٩٣
يحيى السرقسطي (٤) ١٥٢ ، ١٥٩	ابن ياسين ، أبو زكريا (٥) ٣٨٨
يحيى العجيسي (٢) ٢٣٠ ، ٦٩٥ (٧)	ياث (ولد نوح) (١) ٤٨١ (٦) ١١٨
١٠٦	ياقث (الحواري) (١) ٤١٤ ، ٤١٥
يحيى المفراوي (٢) ٤٣٢	ياقوت المستعصي (٤) ٣٠٥
يحيى المقدسي بن المصري (٥) ٣٩٤	يحيى (خادم أبي البركات البلقيني) (٥)
يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن شبل (٢) ٥١١	٤٨٧

يحيى بن إبراهيم بن مزين (٢) ٥١ ، ٦٣٣

(٣) ١٦٨

يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى (٦)

١٩٢ ، ١٩٤ (٧) ١٦٧

يحيى بن أبي بكر الماربطي (الأمير) (٧) ٤٢

يحيى بن أبي حفص بن عبد المؤمن بن علي (٢)

٥٨٩

يحيى بن (سيدي) أبي الصفاء (٢) ٤٦٣

يحيى بن أحمد بن سليمان (٢) ١٩٧ ، ١٩٨

يحيى بن إسحاق الوزير (٣) ١٧٥

يحيى بن بقي (الوشاح) ، انظر : ابن بقي ،

أبو بكر

يحيى بن بكير (٢) ٥١٨

يحيى بن حكم الجياني ، انظر : الغزال

يحيى بن خالد (٥) ٤٣ (٦) ٤١٨

يحيى بن خالد البرمكي (١) ٩ (٤) ٨٠ ،

٨٥

يحيى بن زرياب (٣) ١٢٥ ، ١٢٩

يحيى بن سعادة القرطبي ، انظر : ابن سعادة

القرطبي

يحيى بن سعد بن مسعود القلبي ، أبو زكريا

(٤) ٣٤٩

يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي

القرطبي ، أبو بكر (٢) ١١٦ ، ١١٧

يحيى بن سعيد القطان (٢) ٦٢

يحيى بن سعيد بن المرخم ، انظر : ابن المرخم

يحيى بن سلامة بن الحسين ، انظر : الخطيب

الحصكفي

يحيى بن سلمة الكلبي (١) ٢٣٥ ، ٢٩٩

(٣) ١٧ ، ١٨

يحيى بن سهل اليكبي ، انظر : اليكبي

يحيى بن صفوان بن إدريس (٣) ٣٢٥

يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر ،

انظر : ابن مجبر

يحيى بن عبد الحميد الحماني (٢) ٥١٨

يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي

المقري (٥) ٢٠٥

يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن عبد

الله القيسي الدمشقي ، أبو زكريا (٣) ٦٨

يحيى بن عبد العظيم أبو الحسين ، انظر :

الجزار أبو الحسين الشاعر المصري

يحيى بن عبد الله بن محمد المغيلي ، أبو بكر

(٢) ٦٦٠

يحيى بن عبد الواحد ، الحفصي ، أبو زكريا

(١) ٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٤٤٧ (٢)

٢٦٣ ، ٣١٠ ، ٣٢٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،

٥٩٠ (٣) ١٥٣ ، ٤٦٧ (٤) ٣٢٠ ،

٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦٤ ،

٤٧٩ ، ٤٨٠

يحيى بن علي القرشي (الحافظ) أبو الحسين

(٢) ٤٨٩

يحيى بن علي بن حمود (الملقب بالمعتلي) (١)

٣٠١ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ،

٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨

يحيى بن علي بن رمان (٤) ٤٤

يحيى بن علي بن سلطان اليفرني ، أبو زكريا

(١) ٤٢٩ (٤) ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٧

(٥) ٢١٥

يحيى بن علي بن القاسم (من بني عشرة) (٤)

٢٣٧ ، ٢٤٠

يحيى بن عمر شيخ الغزاة ، أبو زكريا (٥)

١٠١ (٦) ٢٥٨

يحيى بن عمر بن رحو (٦) ٣٨٦

يحيى بن عمران القرطبي (٦) ٣٠٩

يحيى بن قاسم بن هلال ، أبو زكريا (٢) ٦٣٠

يحيى بن مجاهد بن عوانة ، أبو بكر (٢) ٦٣٠

يحيى بن محمد الأركشي ، أبو زكريا (٤)

٦٢

يحيى بن محمد التجيبي (١) ٣٨٣

يحيى بن محمد المغراوي يحيى الدين ، أبو زكريا

(٥) ٣٩٢

يحيى بن محمد بن الليث (١) ٣٦٦

يحيى بن محمد بن يحيى بن عصقور التلمساني ،

أبو زكريا (٥) ٢٣١ ، ٣٩٥

يحيى بن مضر القيسي ، أبو زكريا (١)

٣٤٤ (٢) ٩

يحيى بن المعتصم بن صمادح ، انظر : رفيع

الدولة بن المعتصم

يحيى بن معين (٢) ٦٦

يحيى بن ميمون (٤) ٣٧٨

يحيى بن الناصر (ابن أخي أبي العلاء المستنصر)

(٢) ١١٩

يحيى بن الناصر (الموحدي) (٤) ٣٨٤

يحيى بن يحيى الليثي (١) ٣٣٩ (٢) ٧ ،

٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٤٠ ،

١٤٥ ، ٢١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ،

٦٠٤ ، ٦٣٥ (٣) ٢١٤ (٥) ١٠ ،

١٥ ، ٢٠٠

يحيى بن يحيى بن عبد الواحد الحفصي ، أبو

محمد (١) ٣١٤

يحيى بن يديّر (٥) ٤٢٨

يحيى بن يزيد اليحصبي (٣) ٤٦

يحيى بن يظفت (٣) ٥٦١

يحيى بن يوسف بن تاشفين (٧) ٢٨

أبو يحيى (محمد بن محمد بن عبد الواحد)

البلوي المري (٦) ٦٠

أبو يحيى التلمساني الشريف (١) ٥٥٧ (٥)

٢٨٠ (٦) ٢٥

أبو يحيى الحضرمي (١) ٤٧٣

أبو يحيى الحفصي (٢) ٢٧٠ ، ٢٧٧ ،

٣١٩ ، ٣٦٦ (٣) ١٨٦ ، ٦٠٤ (٤)

٣٨٢ (٥) ٤١٣ ، ٤١٤

أبو يحيى أبو بكر (صاحب تونس) (٧)

١١٢

أبو يحيى ابن أبي عمران التينلي (٤) ٤٦٩ ،

٤٧١

أبو يحيى ابن أبي يعقوب بن عبد المؤمن (١)

١٥٥ ، ٤٦٢ ، ٤٧٠

أبو يحيى ابن عامر الهنتائي (٦) ٤١٧	أبو يزيد ابن العاصي (٣) ٥٩٤
ابن يربوع ، أبو العباس (صاحب الحديقة)	اليزيدي (٢) ٥٣٧
(٥) ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤	يسار الكواعب (٤) ٥٤٠
يريم بن زيد بن سهل (ذورعين) (١) ٢٩٦	اليسر بن اليسر القشيري (٢) ٥٥١
يزيد (رسول الداخل عبد الرحمن) (١)	أبو اليسر (إبراهيم بن أحمد الشيباني)
٤٦٧	الرياضي (٣) ١٣٤ ، ١٣٥
يزيد (أخو القمر) (١) ٥٩٢	اليسع بن عيسى بن اليسع ، أبو يحيى ، انظر:
يزيد الأغرة (٣) ١٨٨	ابن اليسع ، أبو يحيى
يزيد السلمي (٣) ١٨٨	ابن اليسع (محمد) (٤) ١١
يزيد بن أبي خالد اللخمي الإشبيلي ، أبو عمرو	ابن اليسع ، أبو الحسن (١) ٦٣٩ (٤)
(٤) ٥٥ ، ٥٩	١١٠ ، ٢٧٨
يزيد بن أبي مسلم (والي إفريقية) (١) ٢٣٥	ابن اليسع (اليسع بن عيسى) ، أبو يحيى (١)
(٣) ٥٨ ، ١٦	١٢٧ ، ١٦٤ ، ٢٠٨ ، ٢٦٥ ، ٦٧٢ (٢)
يزيد بن أكيمة (٢) ٥٧٥	٣٧٩ ، ٤٨٧ (٣) ٣٩٧ (٤) ٣١٤ ،
اليزيد بن عبد الرحمن بن بقي القاضي ، أبو	٤٥٥
الوليد (٤) ٤٦٨	أبو يعزى (٧) ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩
يزيد بن عبد الملك بن مروان (الخليفة) (٣)	يعقوب (النبي) (٣) ٢٥٢ (٤) ٥٣٦
٥٨ (٦) ٣٧٩	(٥) ٨٣ ، ١٥٤ (٦) ٤٧٤ (٧) ٣٩٢ ،
يزيد بن مسروق (١) ٢٧١	٣٩٤
يزيد بن معاوية (٣) ٢٣٥ (٥) ٧١ (٦)	يعقوب (من بني أبي خدّو) (٦) ٤٨٦
٣٨٠ (٧) ٣١٩ ، ٣٦٥	يعقوب الكندي (٦) ٣٠٩
يزيد بن المعتمد بن عباد ، أبو خالد ، انظر :	يعقوب الموحد السُلطان ، انظر : المنصور
الراضي ، أبو خالد	الموحد
يزيد بن المهلب (١) ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥	يعقوب بن سفيان (٣) ٥٨
(٥) ٢٩٥	يعقوب بن صلاح الدين بن أيوب (الملقب
يزيد بن هارون (٢) ٦٢٨	بالأوحد) (٢) ٦١٩
أبو يزيد البسطامي (٥) ٣١٣ ، ٣١٧	يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط (٣) ٥٧٩

٦٣٥ ، ٦٤٨ ، ٦٨٩ (٢) ، ٤١ ، ٤٠ ،
 ٤٤ (٣) ، ٢٥٢ ، ٣٢٢ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ،
 (٤) ، ٩١ ، ١١١ ، ١١٢ ، ٢٥٨ (٥) ،
 ٨٣ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ، ٣٢٠ (٦) ، ٢٧٠ ،
 ٤٧١ ، ٤٧٤ (٧) ، ٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ،
 ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٤٧٨

يوسف البلوطي (٣) ١١١

يوسف الدمشقي (٣) ١٤٨

يوسف النصري ، أبو الحجاج (٦) ٢٨ (٧) ٦٧

يوسف بن إبراهيم الهمداني (٢) ١٥٨

يوسف بن إبراهيم بن محمد بن قاسم الفرناطي ،

أبو الحجاج الساحلي (٢) ٢٥٣ ، ٢٥٤

يوسف بن أبي ركانة ، أبو الحجاج (٢) ٥٧٦

يوسف بن أحمد الأنصاري المنصفي ، انظر :

المنصفي ، أبو الحجاج

يوسف بن إسحاق بن أبي بكر الطبري المكي

(٢) ٥٥١

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر (٤)

٤١٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ (٦) ٣٥٧

يوسف بن بخت (١) ٣٣٧ (٣) ٣٢ ، ٤٥

يوسف ابن (الشيخ) البلوي ، أبو الحجاج

(١) ١٥١

يوسف بن تاشفين اللمتوني (١) ٣٠١ ،

٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ (٣) ١٩١ ،

٣٨٦ ، ٤٣٢ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ (٤) ٩٤ ،

٢١٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٧٥ ،

يعقوب بن عبد الحق المريني ، أبو يوسف

(١) ٤٤٨ ، ٤٤٩ (٤) ٣٨٥ ، ٣٨٧

(٥) ٤٢ ، ١٢١ ، ٢٦٤ (٦) ٤٥٤ ،

٤٥٦

أبو يعلى المالكي (٢) ٩١

أبو يعلى الموصلي (٣) ٧٢

يعنم (في شعر للسلفي) (٣) ٦٦

يعيش (محدث) (٢) ٢٢٣

يعيش بن علي النحوي ، أبو البقاء (٢) ٢١٧

ابن يعيش البلنسي ، أبو عبد الله (٢) ٦٤٩

ابن يغمور ، جمال الدين (٢) ٢٤٢ ، ٢٧٢ ،

٣٦٨

القيوري (محمد بن إبراهيم) أبو عبد الله (٢)

٥٣

اليكي (يحيى بن سهل) أبو بكر (٣) ٢٠٥ ،

٣٢٤ ، ٣٤٥

ابن يكيث ، أبو زيد (٣) ١١٠

يلغا الخاصكي (٢) ٣٨٩ (٦) ٢٧١ ، ٢٧٢

يليان النصراني (١) ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،

٢٣٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،

٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ (٥) ٤٢ ،

أبو اليمن الكندي ، تاج الدين (٢) ٥٠ ،

٥٦١ ، ٦٣٢ (٣) ١٣٥ (٥) ٣٩٢

البنشي ، أبو العباس (٣) ٣٠٩

ابن ينق الشاطبي ، أبو عامر (٣) ٥٩٦ (٤)

١٥ ، ٢٩٣

يوسف (الصديق) (١) ١٠٣ ، ١٥٦ ،

٤٧٩ — ٤٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٣٧٨ (٤)	٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤
يوسف بن عتبة الإشبيلي ، الطيب ، أبو	٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،
الحجاج (٢) ١١١ ، ٦٦٣ (٣) ٥١٩	٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ،
يوسف بن علي الطرطوشي ، أبو الحجاج (٥)	٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ،
٢٤٥ ، ٢٥٨ (٦) ٢٦٢	٤٤٨ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦
يوسف بن عمر بن أحمد الخالدي الزنجاني	يوسف بن خرزاذ النجيرمي ، انظر : ابن
(٢) ١١٣ (٣) ٦٦	النجيرمي
يوسف ابن الغني بالله (٤) ٥٢٩ (٦) ٣٤٤ ،	يوسف بن رماح الهمداني بدر الدين ، أبو
٣٤٦ (٧) ١٥٠	المحاسن (٢) ٥٨٢
يوسف بن القاسم (أحد بني عشرة) (٤)	يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري ، انظر :
١٣	الأعلم الشنتمري.
يوسف بن القاسم الميائجي (٢) ٦٠٤	يوسف بن سليمان بن هود (٤) ٤٤٩
يوسف بن محمد البياسي ، انظر : البياسي ، أبو	يوسف بن عبد الرحمن الفهري (١) ٢٣٨ ،
الحجاج	٢٤٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ (٢)
يوسف بن محمد القيرواني ، أبو الحجاج (٢)	٣٣٠ (٣) ١٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ،
٦٤٩	٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٦ ،
يوسف بن مخلوف (٣) ٥٣٣ ، ٥٣٤	٥١ ، ٥٢ ، ٥٣
يوسف بن موسى المنتشاقي ، انظر : المنتشاقي	يوسف بن عبد الرحمن المزني جمال الدين ،
يوسف بن هارون الرمادي ، أبو عمر ، انظر :	انظر : المزني (الحافظ)
الرمادي	يوسف بن عبد الرحيم الأقصري ، أبو الحجاج
يوسف بن هود المؤتمن (١) ٤٤١ (٤) ٤٥٥	(٢) ٥٣٢
يوسف بن يحيى بن يوسف الأزدي المغامي	يوسف بن عبد الصمد ، أبو بحر (شاعر
(٢) ٥٢٠	المعتمد) (٣) ٥٣٤ (٤) ٢٢٣ ، ٢٥٩
يوسف بن يزيد القراطيسي (٢) ٥٢٠	يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، انظر :
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني (٤)	ابن عبد البر ، أبو عمر
٣٨٥ (٥) ٢١٥ ، ٢٤٣ ، ٢٦٥ ، ٣٧٣ ،	يوسف بن عبد المؤمن بن علي (١) ١٥٤ ،
٤١٥	٣٠١ ، ٤٤٣ ، ٤٦١ (٣) ١٠٤ ، ٢٣٨

يونس (٥) ٢٠٠	أبو يوسف القاضي (٢) ١٠ (٣) ١٦٢ ،
يونس المغربي (٢) ٥٨٢	٢٣٦
يونس بن حبيب (٢) ٥٣٧	أبو يوسف المغربي (١) ٦٦٣
يونس بن عبد الأعلى (٢) ٥٠ ، ٦٢٧ ، ٦٣٣	أبو يوسف يعقوب (خادم أضياف الرسول)
يونس بن عبد الله بن مغيث (المعروف بابن	(٢) ١٤١ ، ١٤٠
الصفار ، قاضي القضاة بقرطبة) (٢) ١٤	يوشع (٣) ٤٣٨ (٥) ٥٤ ، ٥٧
ابن يونس ، أبو سعيد (٢) ٦٢ ، ٦٣ ،	يوليش (المعروف بجاشر) (١) ٢٠٣
٢١٦ ، ٢١٨ (٣) ٨٠٧ ، ٩ ، ٥٦ ، ٥٧ ،	يوليش (قيصر) (١) ١٥٧
٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ (٥) ٢٨٢	ابن يومور ، أبو عبد الله (٢) ٩٩
اليونيني ، أبو الحسن (٢) ١٦٥ ، ٢٢٥ ،	يونس (النجي) (٢) ١٤٢ ، ١٥٢ (٥)
٣٧٦ ، ٥٢٩ ، ٦٦٣	١٨٥ (٧) ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،
	٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢

فهرست الاماكن

١

آرمور (١) ٦٠٦	لاربل (٢) ١٠٤ ، ٢١٧ ، ٦٠٧
آسفي (٦) ٤٨٦	أربونة (١) ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
آمد (٢) ٦٠٧	٢٣٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٣٧ ، ٤٦٤ ،
آنة (١) ٦٢٩	٤٦٥ ، ٥٦١ (٣) ١٩ ، ٢١ ، ٢٦ (٤)
أبان (١) ٥٠٣ (٥) ١٩٠	٣٥١ ؛ وانظر أيضاً : نربونة
أبلدة (١) ١٤٢ ، ١٦٥ (٢) ١٥ (٣)	أرجان (١) ٣١٢ (٢) ٢٧٣
٢١٧ ، ٥١٩ (٦) ٣٧٢	أرجدونة (٥) ٤٥٧
الأبلق الفرد (٢) ٣٩٨ (٥) ١١٦	أرجونة (١) ٢١٦ ، ٤٤٧
أبنيون (١) ٢٧٤	الأرحا (١) ٤٧٨ ؛ وانظر أيضاً : السدّ
أبو الهول (٣) ٣٣٢	الأردن (١) ٢٣٧ ، ٤٦٧
أثال (٥) ٣٦٣	أرزن (٢) ٦٠٧
الأجرع الفرد (٦) ٧٩	الأرض الكبيرة (١) ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ،
أجباد (٧) ٦٩	٢٢٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٤١٣ ، ٤٦٥
أحد (١) ٥٧ (٥) ٤٨٣ (٧) ١٧٥ ،	أرغون (١) ١٣٧
١٨٦ ، ٣٦٧	الأرك (غزوة) (١) ٤٤٣ ، ٤٤٦ (٣)
الأحص (١) ٦٣٠	١٠٤ (٤) ١٧٢ ، ٣٨٢
أذريجان (٣) ١٦٥ ، ٢٢٤	أركش (٢) ٣٠٥ (٤) ٢١٧ ، ٢١٨
الأربس (١) ٣١٥	إرم (٢) ١٧٢ (٤) ٤٨٧ ، ٥٣٤

أشبونة (١) ١٢٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ،
 ١٦٧ ، ١٨٤ ، ٢٢٥ ، ٣٤٦ ، ٣٨٣ ،
 ٣٣٤ (٣)
 إشبيلية (١) ١٣٤ — ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٧ ،
 ١٥٢ ، ١٥٥ — ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
 ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ،
 ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
 ٢٣٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ — ٢٦٩ ، ٢٧١ ،
 ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٩٠ — ٢٩٨ ، ٣٠١ ،
 ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،
 ٣٩٩ ، ٤٢٩ — ٤٣٢ ، ٤٣٨ — ٤٤٠ ،
 ٤٤٨ ، ٤٥٧ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٨٠ ،
 ٤٨١ ، ٤٨٤ — ٤٨٧ ، ٥٣٣ ، ٦٥٠ ،
 ٦٥٧ ، ٦٧٥ ، ٦٩١ ، ٦٩٣ (٢) ٧٦ —
 ٣٠ ، ٣٤ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٨٢ ،
 ٨٣ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١١٦ ، ١٤١ ،
 ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ،
 ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ = ٢٨٥ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ،
 ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٦٢ ،
 ٣٦٥ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٤٨٧ ، ٥١٥ ،
 ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٠٣ ، ٦٢٦ ، ٦٣٤ ،
 ٦٤٨ ، ٦٥٠ ، ٦٦٤ (٣) ١٤ ، ١٨ ،
 ٢٦ ، ٣٢ — ٣٦ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ،
 ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
 ١١٨ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ،
 ١٨٤ ، ٢١٢ — ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ،

أرملاط (٣) ٢٦٠
 أرمينية (٢) ٣٧٠ (٣) ٢٦٥
 أرين (١) ٢٠٦
 أريولة ، انظر : أوريولة
 الأزهر (١) ٥٧ (٥) ٢٨٤
 استجة (١) ١٦٥ ، ٢٠٣ ، ٢٦٠ ، ٤٠٩ ،
 ٤٥٧ (٢) ٢١٩ (٣) ٢٣ ، ١٨٤ ،
 ٥٣٧ (٤) ٥١٤
 استرقة (١) ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٣٣٨
 اسطبة (١) ١٦٥
 اسفاقس (١) ٥٢٦ ، ٥٦٨
 الإسكندرية (١) ٢٠٩ ، ٣٣٩ ، ٣٨٥ (٢)
 ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٨٥ ،
 ٨٨ ، ٩١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ،
 ١٤٠ — ١٤٢ ، ١٥٤ — ١٥٨ ، ١٩٠ ،
 ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢١٦ — ٢١٨ ، ٢٣٥ —
 ٢٤٠ ، ٢٩٢ — ٢٩٤ ، ٣١٣ ، ٣٢٧ ،
 ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٨ ،
 ٣٧١ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ،
 ٥٠٤ — ٥١٣ ، ٥٤٠ ، ٥٤٨ ، ٥٦٠ ،
 ٥٩٨ ، ٦٠٣ ، ٦١٥ ، ٦٢٦ ، ٦٣٨ ،
 ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٩ ، ٦٥٢ ، ٦٦٠ ،
 ٦٨٩ (٣) ١٠١ ، ١٨٠ ، ٢١٣ ، ٢٥٠ ،
 ٢٥٧ ، ٥١٨ (٥) ١٦ ، ١٣٩ ، ٢٣٠ ،
 ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٩٥ ، ٣٩٥ ، ٤١٤ —
 ٤١٧ (٦) ٣٧٢ (٧) ١٠٥ ، ١١١
 إشبانية (١) ١٣٤

أطرابلس ، انظر : طرابلس	٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٢ ، ٢٦٦ ، ٢٧٣ ،
أطريفة (٤) ٤٠٩ (٦) ٣٦٩	٢٧٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ،
أعناق (٢) ٦٣٣	٣١١ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٣٣ ،
أغرناطة ، انظر : غرناطة	٣٧٦ — ٣٧٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ،
أغريطة (١) ١٣١	٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٢٦ — ٤٣٢ ، ٤٥٢ ،
أغمات (١) ٤٣٩ (٣) ٥٧١ (٤) ٣٠ ،	٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٢ ،
٩٦ ، ٩٨ ، ٢١٢ ، ٢١٦ — ٢٢٤ ، ٢٢٨ ،	٥٢٣ ، ٥٣١ ، ٥٤٥ ، ٥٥٠ ، ٥٩٥ ،
٢٤٧ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ ،	٦٠٧ ، ٦١٦ (٤) ٧ ، ٩ ، ٣٠ ، ٥٦ ،
٣٧١ (٥) ٢٥٣ (٦) ٤٩٥	٦١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
أفراغة (٤) ٣٥١	١٥٩ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ،
إفرنسية (٤) ٥١٨	٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٧٦ ،
أفريقية (١) ١٩٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢٣٠ —	٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
٢٣٩ ، ٢٤٩ — ٢٥٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ،	٢٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥٦ ،
٢٧٧ — ٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٣٠٢ ،	٣٥٨ — ٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٩ —
٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٤٤٧ ،	٣٨٤ ، ٤٦٤ — ٤٧٣ ، ٤٧٨ ، ٥١٠ —
٥٢٦ ، ٥٤٨ ، ٥٦٨ (٢) ١٠ ، ٣١ ،	٥١٤ (٥) ١٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ، ٤٩٨ ،
٦٦ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٤٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ ،	١٧٢ (٦) ١٧٢ ، ٢٤٥ ، ٢٧٧ ، ٣٦٩ (٧)
٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ،	٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٦ ، ٣٣ ، ٣٧ ،
٣٠٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٣١ ،	٥٣ — ٥٦ ، وانظر أيضاً: حمص (إشيلية)
٣٣٦ ، ٣٦٦ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ، ٥٤٠ ،	اشتوريش (٤) ٣٥٠
٥٤٨ — ٥٥٢ ، ٦٥٩ ، ٦٩٣ (٣) ٥ —	اشكر (٥) ٤٩٢
٩ ، ١٤ — ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٣ ، ٥٦ — ٦٠ ،	أصبهان (١) ١٣٤ ، ٢٥٧ (٢) ١٠٤ ،
٦٣ ، ١١٢ ، ١٣٤ ، ١٤٥ — ١٥٣ ،	١١٧ ، ١٣٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ٢١٤ ،
١٥٨ ، ١٧١ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ٣٩٥ ،	٢٣٩ ، ٦٢٦ ، ٦٣٢ (٣) ١٣٧ ، ٣٢١ ،
٤٦٧ ، ٥٦٣ ، ٥٨٢ (٤) ٧٠ ، ١١٠ ،	٣٢٢
١١٩ ، ١٧٢ ، ٣١٦ ، ٣٦٠ ، ٣٧٧ —	اصطبونة (٥) ٢٥٤
٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٥٦ ، ٤٦٤ (٥)	اصطخر (٢) ٧

٣٧٩ ، ٥٢٦ ، ٥٦٠ ، ٥٩٩ ، ٦٠٥ ،
 ٦٣٠ ، ٦٣٧ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٦٤ (٣)
 ٦٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٠ ،
 ٣٢١ ، ٣٢٨ ، ٣٦٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ —
 ٣٩٠ ، ٣٩٧ ، ٤٦٥ ، ٥١٥ ، ٥٣٣ —
 ٥٣٦ ، ٥٧١ ، ٦١٠ (٤) ، ٩ ، ١٣ ،
 ٣٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ، ٢٩٢ ،
 ٣٥٧ ، ٣٧١ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٤١٨ ،
 ٤٣٨ ، ٤٥٦ ، ٤٦١ — ٤٦٤ ، ٤٩٨ ،
 ٥١٠ ، ٥١٤ ، ٥١٩ — ٥٢٣ ، ٥٢٧ ،
 ٣٦١ (٥) ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ،
 ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٣٢ ، ٥٩٦ ، ٦٠٥ ،
 ٣٤ (٦) ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ٢٢٣ ،
 ٢٢٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٩ (٧) ، ٦ ، ٢٦ ،
 ٢٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ١٦٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ،

٣٦٨

اليط (١) ٣٤

اليون (١) ٥٢٧

أم القرى (١) ٤٠ — ٤٢ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٦٢
 (٧) ٢٩١ ؛ وانظر أيضاً : مكة

أنثقرة (٤) ٥١٤ (٦) ١٣٥

أندرش (١) ١٦٦ (٥) ٨٤ ، ٥١٧

أنديرين (١) ٤٣٣

أندة (١) ١٨٢ (٢) ٣٨٣

أندوجر (١) ٥١١

أنشيان (٢) ٥٠٥

أنفا (٦) ٤٨٣

٢١٦ ، ٢٥١ ، ٢٨٠ ، ٣٨٧ ، ٦٠٥ (٦)

١٧٢ ، ٢١٤ ، ٢٤٢ ، ٢٥٩ ، ٤٨٠ (٧)

١٠٩ ، ٤٠٦ ، ٤١٦ ، ٤٩٠ ، ٤٩٧

اقريطش (١) ٣٣٩ (٢) ١٤٩ (٣)

١٦٢ ، ١٦٦ (٥) ١٦

اقلبيية' (٢) ٢٧٣

أقليش (١) ١٥٨ ، ٢٢٨ (٢) ٥٠٤ ، ٥٩٩

(٤) ٢٣٥

أكشونة (١) ١٤١ ، ١٤٣ (٢) ٥١٤

ألبش (١) ٦٦٤

إلينة (٦) ٣٧٦

ألبة (١) ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،

٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٨٣

البونت (١) ١٤٢ ، ٤٤٠ (٢) ٢٤٣ (٣)

١٨ ، ١٦٠

البيرة (١) ١٥٠ ، ٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ،

٤٤٨ (٢) ١٥ ، ٦٢ ، ٦٦٨ (٣) ٨ ،

٢٩ — ٣١ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ١١١ ،

١٧٤ ، ٣٨٧ (٤) ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٣٢٢ ،

٤٩٨ ، ٥١٨ (٥) ٥١

الفنت (٣) ٢٤٢

القنت (١) ١٦٦

المرية (١) ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٦٢ —

١٦٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٣٠٢ ،

٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٩ ، ٤٤٨ ، ٤٨٥ ،

٤٨٦ ، ٥٢٦ (٢) ٥١ ، ٧٦ ، ٩٢ ،

١٣٣ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ،

أيلة (موضع) (٢) ٥٦٠	أنيجة (٤) ٤٧٣ ، ٤٩٢
أيلة (نهر) (١) ٤١٥	الأهواز (٢) ٢١٤ ، ٥٠٧ ، ٥٩٧ (٣)
إيليا (١) ١٣٥ ، ١٣٨ ، ٥٦٨ ، وانظر	١٧٧ (٤) ٨٥
أيضاً : القدس	أوريوالة (٤) ٤٦٢
إيوالاتن (٥) ٢٠٥	أوريولة (١) ١٦٦ ، ٢٦٤ ، ٢٩١ (٢)
إيوان كسرى (١) ٤٩١ ، ٤٩٢ (٢)	١٦٠ ، ٦٤٤ (٤) ٣٤٨ ، ٣٥١ (٦)
٣٤٥ (٤) ٤٨٣ (٦) ١٩٠ ، ٢٠٣ ،	٤١٦
٤٥٤ ، ٥١١ (٧) ٤٢٧	أوطاس (٥) ٥٢١
	أونة (١) ١٦٨ ، ٢٩٢ (٣) ٢٣٨

ب

باب الجزيرة الخضراء (بقرطبة) (١)	باب أبرز (بغداد) (٢) ١١٥ ، ٢٣٢
٤٦٥	باب ابن عبد الجبار (بقرطبة) (١) ٤٦٥
باب الجنان (بقرطبة) (١) ٣٣٧ ، ٣٨٩ ،	الباب الأخضر (بالاسكندرية) (٢) ٨٨
٤٦٤	باب إشبيلية (بقصر قرطبة) (١) ٤٦٥
باب الجوز (بقرطبة) (١) ٤٦٥	باب الأقباء (بقرطبة) (١) ٣٨٨
باب الجياد (بتلمسان) (٧) ١٢٦	باب البيرة (بغرناطة) (٦) ٨٨ ، ٢٦٨
باب جيرون (٢) ٣٨٨	باب البحر (بالقاهرة) (٢) ٥٣٨
باب الجيسة (بفاس) (٢) ٣٠	باب بطليوس (بقرطبة) (١) ٤٦٥
باب الحديد (بقرطبة) (١) ٤٦٥	باب البنود (٧) ٢٩٤
باب حرب (ببغداد) (٢) ١١٥	باب بني شية (٧) ٣٢١
باب الحشش (بسرقسطة) (١) ٦٧٠ ،	باب تاغزوت (بمراكش) (٧) ٢٧٢
٦٧١	باب الجامع (بقرطبة) (١) ٤٦٥

باب الفرج (ببسطة) (٦) ٤٢٧	باب الدباغين (١) ٢٠٦ (٧) ٣٥
باب القنطرة (بقرطبة) (١) ٢٠٣ ، ٤٦٥	باب رومية (بقرطبة) (١) ٤٦٥
باب قورية (بقرطبة) (١) ٤٦٥	باب الزهاري (١) ٤١١
باب الكحل (٤) ٤٧٠	باب زويلة (٢) ٣٣٩
باب ليون (بقرطبة) (١) ٤٦٥	باب السدة (بقصر قرطبة) (١) ٣٧٨ ،
باب المحروق (بفاس) (٢) ٣٠ (٥)	٣٨٨ — ٣٩٠
١١١ ، ١٥٦	باب سرقسطة (بقرطبة) (١) ٤٦٥
باب الملعب (بتلمسان) (٧) ١٢٨	باب السمّارين (٣) ٣١٩
باب الملعب (بمالقة) (٦) ٢٤٠ ، ٢٤١	باب الشريعة (٥) ١٥٦
باب النصر (بالقاهرة) (٢) ٥٣٨	باب الشطّائين (٥) ١٠٨
باب الهدى (١) ١٥٦	باب الصباغين (بإشبيلية) (٤) ٢٤٧
باب الوادي (بقرطبة) (١) ٤٦٥	باب الصرف (بتلمسان) (٥) ٢٨٠
باب اليهود (بسرقسطة) (٣) ٨	باب الصفا (بمكة) (٢) ٥١٣ ، ٦٤٤
باب اليهود (بقرطبة) (١) ١٥٦ ، ٦٣٥	باب الصناعة (بقصر قرطبة) (١) ٣٧٨
بابل (١) ٣٧٣ (٢) ٤٣ ، ٤٤٤ ، ٥٨٦ ،	باب الصومعة (١) ٦٢٢
٥٩٢ (٣) ٢٦٥ (٦) ١٢٥ ، ٢٤١ ،	باب الطاق (٢) ٣٨٦
٢٦٥ ، ٢٥٥	باب طليبرة (بقرطبة) (١) ٤٦٥
باجة (١) ١٥٩ ، ٢٢٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ،	باب طليطلة (بقرطبة) (١) ٤٦٥
٣٣٢ ، ٣٤٦ (٢) ٧٦ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ،	باب عامر القرشي (بقرطبة) (١) ٤٦٥ ،
١٤٨ ، ١٤٩ ، ٣٨٠ ، ٥١٥ ، ٦٩٣ (٣)	٤٨٢
٢٦ ، ٣٦ ، ٤٨ (٤) ٣٥٨ (٧) ٢٨	باب عبد (١) ٥٤٣
باجة القيروان (٢) ٧٦ ، ٥١٥	باب عبد الجبار (بقرطبة) (١) ٢٠٣
باديس (٥) ٤٠٧	باب العطارين (بقرطبة) (١) ٤٦٥ ، ٦٢٥
بارق (١) ٤٧٥ (٦) ٤٧٨ ، ٤٩٨ (٧)	باب العقاب (بالمرية) (١) ١٦٢
١٧١	باب الفتوح (٥) ٣٤٥ (٧) ١٢٣
باغه (بيغه) (١) ١٤٩ ، ٢٠١ (٢) ١٩٥	باب الفراديس (٢) ٦٣٨
٣٦٩ (٣) ١٥٣ (٤) ١١٣ (٦)	باب الفرج (بإشبيلية) (٤) ٢٤٧

بريشتر (٤) ٤٤٩ — ٤٥٣	ياناس (٢) ٤٠٧
بريطانية (١) ٣٤٥	يجانس (٢) ٦٩٠
البرت (١) ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٣٤٦ ، ٣٦٥	يجانة (١) ١٤٢ ، ٣٦٦ (٢) ١٥ (٣)
برتقال (١) ١٣٧ ، ٣٣٠ ، ٤١٤ ، ٦٠٦	٢٢٠ (٤) ١٧٠ ، ٤٦٤
برج الشهداء (بماردة) (١) ٢٧٠	بجاية (١) ٢٠٩ ، ٣١٤ ، ٤٩١ (٢) ٢٨ ،
برج الملاحه (٤) ٥٢٢ — ٥٢٤	٦٧ ، ٩٩ ، ١٥٥ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ،
برج همدان (٤) ٥٢٣	٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٣٦٦ ، ٣٨١ ،
برجان (١) ١٣٧	٤٨٣ ، ٥١٠ ، ٥٦٠ ، ٦١٦ ، ٦١٩ (٣)
برجة (١) ١٥٠ ، ١٨٦ ، ٦٦٧ (٣) ٣٩٣ ،	٦٨ ، ١٠٧ — ١٠٩ (٤) ٣١٦ (٥)
٣٩٥ ، ٣٩٧ (٤) ٥٢٣ (٥) ٥١ ،	٢٠٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣ ،
٥١٧	٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٣٩٥ ، ٤١٢ ،
برجونة (٢) ٥٨٢	٤١٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ (٧) ١٠٩ ، ١٤١ ،
بردى (٢) ٣٩١ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩	٤٣١ ، ٤١٦
برذيل (١) ١٢٨ — ١٣٢ ، ٢٠٢	بحر تيران (١) ١٣١
برسا ، انظر : برصه	بحر الزقاق (٣) ١٢٤
برشانة (٤) ٥٢٤	البحر الشامى (١) ٣٤
برشك (٥) ٢١٥	البحر المحيط (٢) ٥٣٩
برشلونة (١) ١٢٨ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ٢٣٣ ،	البحيرة (١) ٢٥٧ ، ٢٥٨
٢٣٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٦ ،	بخارى (٢) ٥٨ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
٣٥٠ ، ٣٦٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ (٣) ٩	٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٥٣١ ، ٥٧٦ ، ٦٢٨ (٣)
(٤) ٣٧٨ ، ٤٥٦ ، ٤٦٩	٦٣ ، ٦٢
برصه (٢) ٦١٨ (٥) ٤٣٣	بلر (٤) ١٤١ ، ١٤٢ (٥) ٣٠٩ ، ٥٢١
برطانية (١) ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٦٧ ، ١٩٧ ،	(٧) ١٧٥ ، ١٨٦ ، ٢٩٤ ، ٣١٥ ،
٣٣٧ (٤) ٤٤٩	٣٢٥ ، ٣٣٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٧
برغش (١) ٣٦٤	البديع (بقرطبة) (١) ٤٦٤ (٦) ٥٥
برغه (٦) ٣٦٧	البديع (من قصور الذهبي) (٧) ٧١ ، ٨١
برقة (٢) ٦٣١ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ (٣) ٢٩ ،	بر العدو ، انظر : العدو

بطرنة (وقعة) (٤) ٤٤٨
 بطروج (٣) ١٦٢
 بطليوس (١) ١٦٧، ١٨٦، ٢٢٥، ٢٩٨،
 ٤٢٩، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٤٣، ٦٤٩ (٢)
 ٧٦، ١٣٩، ٥١٢ (٣)، ١٨٠،
 ١٨١، ١٩٤، ٤٤٧، ٤٥٨، ٦٠٩ (٤)
 ١٥٥، ٣١٣، ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٧١،
 ٤٦٦، ٤٦٧
 بطن محسر (٥) ٢٥٣
 بطويه (٥) ١٠٥
 بطياس (٢) ٣٢٦
 بغداد (١) ٩٢، ٣١٩، ٣٥٦، ٣٨٦،
 ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٥٧٨،
 ٥٩٠، ٦٤٩ (٢)، ٢٨، ٢٩، ٣٤،
 ٣٥، ٣٩، ٤١، ٤٧، ٥٠، ٥٢، ٥٨،
 ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٧٠، ٧١، ٧٦، ٨٨،
 ٩١، ٩٣، ١٠٤، ١١٠، ١١٤، ١١٧،
 ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩ — ١٤٣،
 ١٥١، ١٥٢، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢،
 ١٦٣، ١٧٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧،
 ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤١،
 ٢٧٣، ٣٧٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٤٨٨،
 ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٨، ٥٩٧، ٦٠٣،
 ٦٠٤، ٦١٣، ٦١٨، ٦٢٦ — ٦٣٥،
 ٦٣٨، ٦٤٦، ٦٤٧ (٣)، ٦٤ — ٦٧،
 ٧٢، ٧٥، ٩٥، ١١١، ١٢٢، ١٣٤،
 ١٤٠، ١٤١، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٣،

٤٩ (٥) ٣٤
 البرقية (٢) ٥٤١، ٥٦٠
 بركة الحبش (٣) ٣٢٢
 بركة الفيل (٢) ٣٤٧
 البرلس (٢) ٦٥١
 بزلطة (١) ١٦١
 بست (٤) ٤٩٩
 بستان الزبير (١) ٤٧٢
 بسطاسة (١) ٤٥٥
 بسطام (٦) ٤٩٦
 بسطة (١) ٢٠١ (٢) ٦٩٢ (٣) ١٣٣
 (٤) ٦٦، ٥١٣ — ٥٢٢ (٦) ٤٤٦،
 ٤٤٧
 بسكرة (٦) ٣٨٩، ٣٩٢
 بشتغير (كورة) (٢) ٣٨١
 البشرات (١) ١٤١، ١٥٠ (٤) ٥٢١ —
 ٥٢٧
 البصرة (١) ١٩٥، ٤٩٨، ٥٠٣، ٦٠٥
 (٢) ٤٦، ٦٢، ٧٠، ٨٨، ٩١،
 ١٥١، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٧٣، ٣٣٩،
 ٤٩٩، ٥١٨، ٥٣٧، ٦٢٦، ٦٢٩ (٣)
 ١٤٨، ١٦٥ (٤) ٨٤، ٨٥ (٥) ٢٨٧،
 ٣٠٤ (٦) ٢١٠
 بصرة (المغرب) (٣) ١٦٣
 بصرى (٦) ٤٥٤
 بطحاء عبدون (١) ٥٤٢
 بطرنة (قرية) (١) ١٤٣، ١٨١

١٨٢ ، ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ،
 ٤٢٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٦٥٧ (٢) ، ٢٣ ،
 ٥٩ ، ٦١ ، ١٠٤ ، ١١٦ ، ١٣٠ ،
 ١٥٨ — ١٦٠ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٣٧٩ ،
 ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٣ ،
 ٥٨٩ — ٥٩١ ، ٥٩٩ ، ٦١٦ ، ٦٤٥ ،
 (٣) ٦٩ ، ١٣٩ ، ٢٢١ ، ٢٧١ ،
 ٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ،
 ٣٣٠ ، ٤٠٨ ، ٤٣١ ، ٤٨٨ ، ٥٤١ (٤)
 ٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٥٤ ، ١١٣ ، ١٣٢ ،
 ١٧١ ، ٣٠٥ ، ٣٢٠ ، ٤٤٨ ، ٤٥٥ —
 ٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ ،
 ٤٨٠ ، ٤٨٧ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ،
 ٥٠٦ (٥) ، ٢٣٣ (٧) ، ٢١

بليش (٣) ٢١٩

بليقية (لعلها ليقة) (١) ٤١٦

بنبلونة (١) ٢٥٥ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ،
 ٣٦٣ ، ٣٦٤

بنينوش (٢) ٣١١ (٦) ، ٢١٠ ، ٥٠٦

البهو (بقصر قرطبة) (١) ٥٧٨

بوقير (٥) ٢٥١

بياسة (١) ١٦٥ (٣) ، ٢١٧ ، ٢٢٣

بيانة (١) ١٦٥ ، ٤٥٧ (٢) ، ٤٧

البيت الحرام (٤) ٣٩١

بيت الحكمة (١) ٢٤٢ — ٢٤٤

بيت رأس (٥) ٥٩

بيت المقدس (١) ٥٤ ، ٥٧ ، ١٣٥ ، ١٦١ ،

١٦٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٣٤٨ ، ٣٧٦ (٤)

٨٥ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ،

٢٥٥ ، ٥٣٩ (٥) ، ٢٨ ، ١١٥ ، ٢٩٢ ،

٣٥٣ (٧) ، ١٥ ، ١٤١ ، ٣٨٣

البقاع (٣) ١٠٤

بقيع الغرقد (١) ٥٣ (٢) ، ٦٦٢ (٧)

٢٨٥

بلاد الجبل ، انظر : الجبال

بلاد الجريد (٥) ٣٩٥ (٧) ، ٦٨

بلاد الجوف ، انظر : الجوف

بلاد السودان (٢) ٥٦٠ ، ٥٨٢ (٥) ، ٢٨

بلاط الحر (٣) ٣٤

بلاط الشهداء (١) ٢٣٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٢

(٣) ١٥ ، ١٦

بلاط للريق (بقرطبة) (١) ٢٥٥

بلبونة (٤) ٣٥١

بليس (٢) ٤٤ ، ٥٦٠

بلخ (٢) ٥٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٣٧ ، ١٥٧ ،

٦٢٨ ، ٦٢٩

بلد الخليل ، انظر : الخليل

بلش مالقة (١) ١٦٦ (٢) ، ٢١٢ ، ٥٦٠

(٤) ٣٤٤ ، ٥١٤ — ٥٢١ (٥) ، ٢٥٤

(٦) ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٢٠

بلفيق (٤) ٥٢٧

بلكونة (١) ١٦٥

بلنبو (١) ٤١٥

بلنسية (١) ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٦٦ ، ١٧٤ —

بيروت (٢) ٢١٨	٤٤٤ ، ٤١٤ (٢) ٧ ، ١٥ ، ٥٤ ، ٥٧ ،
بيسان (٢) ٦٣٦	٨٦ ، ١٢٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٥٠٨ ،
بيش (٤) ٣٠٣ ، ٣٠٢	٦٠٠ ، ٦٢٧ ، ٦٣٦ ، ٧٠٢ (٣) ١٠١
البيضاء (فاس الجديدة) (٥) ٥٢٦	(٤) ٤٠٠ (٥) ١٢٤ ، ٢١٧ ، ٢٥٤ ،
بيطة (١) ٦٢٩	٢٦١ (٧) ٨٠
بيغه ، انظر : باغه	البيداء (٤) ٨٤
بيكنند (٣) ٦٢	بير ذروان (٧) ٤١٧
البيمارستان المنصوري (٢) ٦٦١	بير رومة (٧) ٣٦٢
بين القصرين (٢) ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٥٧٩ ،	بيره (من عمل حلب) (١) ١٤٢ ، ١٤٣ ،
٥٨٠ (٣) ١٣٦	(٧) ٣٠٣

ت

تدمر (١) ٣٣٣ (٣) ٤٨	التاج (قصر بقرطبة) (١) ٤٦٤
تدمير (١) ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٦٤ ،	التاجه (نهر) (١) ١٦٢
١٧٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٦٤ ، ٢٧٥ ،	تادلا (٢) ٥٠٢
٢٩١ (٤) ٤٩٥ ، ٤٩٨ (٧) ٥٨	تازا (٥) ١٠٥ ، ١٠٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٣٨٧
تربة ابن جعوان (٢) ٢٢٧	تاقمرت (٥) ١٨٤
تربة أبي العباس الراسي (٢) ١٤١	تاكرونا (٢) ٦٠٧
تربة أم صالح (٢) ١٣١ ، ٥٢٩	تالمغت (٦) ٧
تربة الشيخ أبي بكر الخزرجي (٢) ٣٧٩	تامسنا (٦) ٤٨١
التربة العادلية (٢) ٢٢٤	تاهرت (١) ٣٩٨ (٢) ٩٨ (٣) ٢٩ ، ١٦٣ ،
تربة عز الدين ابن الصايغ (٢) ٢٢٧	تبوك (٧) ٤٢٠
التربة الفاضلية (٢) ٢٣	تدلس (٦) ٢١٥

٣٣٩ ، ٣٣٤ ، ١٧٨ ، ١٤٢ ، ١٣٦	تربة القائد مظفر (٢) ٣٠
تمرتانسقت (٣) ١٠٧	تركش (١) ٣٩٩
تمريط (١) ١٦٦	ترليانة (٥) ٤٧٩
تنبكتو (٢) ١٩٤	تستر (١) ٦٥٠ (٢) ٥٤٠ (٦) ٣٩٣
تنناله (١) ٢٠١	تطاوين (تطوان) (٤) ٥٢٨
تنجو (نهر) (٤) ١١١	تطليرة (١) ٢٦٣
تنس (٢) ٤٨٣ (٣) ١٦٣	تطيلة (١) ٣٤٥ ، ٣٥٠ (٢) ٦٣٢ (٤) ٤٥٥
تهامة (١) ٩ (٢) ٢٠٣ (٤) ٥٤٢ (٥) ٢٤	التكرور (٥) ٢٠٥
تونس (١) ١٩٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣٧ ، ٣١٥ ،	تل الزعقة (٢) ٢٤١
٥٦٨ (٢) ٦٠ ، ١٠٤ ، ١١٩ ، ١٢٥ ،	تلعفر (٢) ٢٩٤
١٢٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢٤٢ ، ٢٧٠ ،	تلمسان (١) ٦٠٦ ، ٧٩ (٢) ١٦٠ ، ٣٠٣ ،
٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٩ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ،	٣٧٩ ، ٤٨٣ ، ٥٠٥ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ،	٧٠٠ — ٧٠٢ (٣) ١٠٩ ، ١٤٨ (٤)
٣٦٨ ، ٥٣٤ ، ٥٦٠ ، ٥٨٤ ، ٥٨٩ —	٢٤١ ، ٣٥٤ ، ٤٠٢ ، ٤٦٨ ، ٥٠٧ ،
٥٩٥ ، ٦١٩ ، ٦٢١ ، ٦٩٣ (٣) ٢٤ ،	٥٢٤ ، ٥٢٨ (٥) ٣٢ ، ٣٧ — ٤٢ ،
٦٨ ، ٨٧ ، ١٠٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،	١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٨٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ،
١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٨١ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ،	٢٠٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ — ٢٢٦ ،
٣٣٩ ، ٤٦٠ ، ٤٨٢ ، ٥٢٨ (٥) ٣٠ ،	٢٣١ — ٢٣٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ —
٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،	٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ،
٢٤٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٣٩٥ ،	٢٧٢ — ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٥ ، ٣٠٥ ،
٤٠٩ ، ٤١٣ — ٤١٨ ، ٤٢٥ ، ٤٦٨ ،	٣١٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ — ٣٤٥ ، ٣٧٠ ،
(٦) ١٠٧ ، ١٣١ ، ١٧٢ ، ١٩١ ،	٣٧٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ،
٢١٤ ، ٢٤٢ ، ٢٧٨ ، ٣٣٣ ، ٤١٩	٤١٧ — ٤٢٠ ، ٤٢٧ — ٤٣٣ ، ٦٠٤ ،
تيطل (١) ١٨٢	(٦) ١٢ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٤٧ ، ٧٥ ،
تيماء (٢) ٤٥٨	١٩٥ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٤٣ ، ٢٦٧ ،
تينملل (١) ٦١٥	٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٥٠٠ ،
تيهت ، انظر : تاهرت	٥٠٧ ، ٥١٠ ، ٥١٣ (٧) ١٠٣ ، ١٢١ —

د

الثغر الأعلى (١) ١٦١، ١٦٦، ٢٧٦ (٤) ٤٦٠	ثبير (٢) ١٢٧ (٦) ٢٩٩، ٣٦٦
الثغر الجوفي. (١) ٤٤٠ (٣) ٨٨	الثريا (قصر المعتمد) (٤) ٢٦٧
شهران (٥) ٢٤، ٣٣	الثغر (٣) ١٧٤
ثور (نهر) (٢) ٤٠٥، ٤٠٩، ٤١٢	الثغر الأدنى (١) ١٦١

ج

جامع العديس (باشبيلية) (٢) ٦٤٨ (٤) ٣٠٤	الجامع الأزهر (٢) ٦٠٧
جامع عمرو بن العاص (٢) ٢١٧، ٥١٣، ٥٣٤ (٣) ٥٦٤ (٧) ٥١	الجامع الأحمر (٢) ٥٥٩
جامع غرناطة الأعظم (٣) ٢٣٢	جامع البيرة (٥) ١٦٦
جامع قرطبة، انظر: المسجد الجامع بقرطبة	الجامع الأموي (٢) ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٠٠، ٤٠٦، ٤١٤، ٤٢٥، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٤٣، ٥٢٩، ٥٣٨ (٤) ٣٩٩
جامع القرويين (٥) ٢٧٠، ٣٤٤ - ٣٤٩ (٧) ١٢٨	جامع بوقير (٥) ٢٥١
جامع القصر (٢) ٦٣٢	جامع الجزيرة الخضراء (٥) ٢٤٩
جامع القصر الجديد (٥) ٢٣٠	جامع الحمراء (٥) ٤١٣
جامع الموحدين (٥) ٤١٤	جامع راشدة (٢) ٣٧٩
جامع يلبغا (٢) ٣٨٩	جامع الزهراء (١) ٥٦٢، ٥٦٤
الجبال (بلاد الجبل) (٢) ٢١٤، ٢١٧	جامع الزيتونة (٥) ٢٣٤

جبل قرطبة (١) ٥٦٤	(٣) ١٦٥
جبل مراسية (١) ٤١٥	جبال الرحمة، (٣) ٢١٣
جبل موسى (١) ٢٨٦	جبل الأعز (١) ١٢٩
الجحفة (٥) ٢١٧	جبل البرانس (١) ١٤٣
جدة (١) ٣٩ (٢) ٢١٨ ، ٤٨٤ ، ٥٦١	جبل البرت ، انظر : البرت
جربة (٤) ١٧	جبل البشكنس (١) ١٣١
جرجان (٣) ١٦٥	جبل بللقة (٤) ٥٢٧
الجرف الأعلى (بمسية) (٥) ٦٤	جبل الريان (١) ٣٠٥
جرندة (١) ٣٣٧ ، ٣٤٦	جبل زرهون (٦) ٢١٢
الجزائر (الشرقية) (١) ٤٢٩ (٣) ١٧٢	جبل الزمرد (٢) ٣٣٨
جزائر (افريقية) (٢) ٤٨٣ (٥) ٢٢٣ ،	جبل سمعان (٢) ٦٨٧
٣٩٦ ، ٤١٣ (٧) ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٤٩٧	جبل سهيل (١) ١٦٤
الجزائر الخالدات (١) ١٦٧	جبل شحيران (١) ١٤٢
جزائر السعادات (١) ١٦٧	جبل شلير (١) ١٤٨ ، ١٧٧ (٢) ٥٨٠
الجزيرة (الروضة ، بمصر) (٢) ٢٦٩ ،	(٤) ٥٢٥ (٦) ١٠٥ ، ٤٩٩
٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٣٤١ - ٣٤٤ ، ٣٤٨ ،	جبل الشوار (٧) ٢٢٩
٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٦١٩	جبل طارق (١) ١٥٩ ، ٢٣١ ، ٣٣٣ ، ٤٥١
الجزيرة (العراقية) (٢) ٣٨٥	(٤) ٣٨٥ ، ٣٩٣ ، ٣٩٨ ؛ وانظر أيضاً :
الجزيرة (العريضة) (١) ٢١٢ (٢) ١٢٢ ،	جبل الفتح
٢١٤	جبل العروس (بقرطبة) (١) ٥٢٣
جزيرة أجيال (١) ١٣٧	جبل فاره (٤) ٥٢٠ (٦) ٤٠٦
جزيرة إقريطش ، انظر : إقريطش	جبل الفتح (١) ١٦٠ ، ٢٣٠ ، ٤٥١ ،
جزيرة أنقلطرة (١) ١٣٧	٤٥٢ (٣) ٥٩٢ (٤) ٢٠٠ - ٢٠٣ ،
جزيرة تولي (١) ١٣٧	٣٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤٢٩ -
الجزيرة الخضراء (١) ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٦٠ ،	٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٤٣ (٥) ١٠٢ - ١١٠
١٦٧ ، ٢٠٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ،	(٦) ١٣٩ (٧) ١٧٧ ؛ وانظر أيضاً :
٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ،	جبل طارق

جلق (١) ١١ ، ٦٢ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٢ ،	٣٣٤ ، ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ،
١٠٦ ، ١٥٠ ، ٥٣٥ (٢) ٣٨٩ ، ٣٩٠ ،	٤٣٩ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٧٥ (٢)
٣٩٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ (٤) ٢٤٩	٥٦ ، ٥٧ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢٦١ ،
وانظر أيضاً : دمشق	٢٧١ ، ٢٨٢ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ،
جليانة (١) ١٤٩ (٢) ٦٣٥ ، ٦٣٦ (٤)	٣٢٩ ، ٣٥١ ، ٥٩٤ ، ٦٤٦ (٣) ٢٦ ،
٣٢٩	٤٨ ، ١٢٤ ، ٣١٦ ، ٤٣١ ، ٤٨٦ (٤)
جليقية (١) ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ٢٠٣ ،	٨ ، ٦٧ ، ١١٥ ، ٢١٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
٢٤٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،	٢٤٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،
٢٧٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،	٣٩١ ، ٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ (٥) ٨٠ ،
٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ — ٣٨٣ ،	٢٤٦ ، ٤٦٠ (٦) ٢٥١ ، ٣٧٥ ،
٣٨٤ ، ٣٨٥ (٣) ١٣ ، ١٧ ، ٨٨ ، ٩١ ،	جزيرة شقر (١) ١٦٦ ، ٢١٠ ، ٣١٤ ،
(٤) ٣٥٠ ، ٣٥١	٣١٥ (٢) ٧٢ ، ١٦٠ ، ٢١٢ (٣)
جمع (٦) ٥٠٥	١٨٢ ، ٣٠٧ ، ٤٨٨ (٤) ٥٤ ، ١٥٤ ،
الحمل (يوم) (٣) ١١	٤٧٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٨ (٥) ٥١ ،
الحنك (٢) ٤١٢	٥٥ ، ٥٨
جنة العريف (٧) ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦	جزيرة شنت مانكش (١) ٤١٦
جنة المصاراة (٥) ٨٩	الجزيرة الصالحية، انظر: الجزيرة (الروضة)
جنوة (٤) ٤٦٩	جزيرة طريف (١) ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٦٠ ،
الجودي (٦) ٥٧ ، ٤١٦ ، ٤٦٢ ، ٤٧٢	٢٣٣ ، ٢٥٣ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ (٤) ٣٨٥ ،
جور الوداع (٧) ٣٧٤	(٥) ٨ ، ١٢ — ١٥ ، ١٧ ، ٣٨٧ ،
جوسق (٢) ٣٢٦	٥١٦ ، ٥٢٦ (٧) ٤٨
الجوف (١) ٣٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ — ٢٣٣ ،	جزيرة الفسطاط (٢) ١٩١
٤٤٨ (٣) ١٧٣ (٤) ٤٦٦	جزيرة النساء (١) ١٣٧
جيان (١) ١٦٥ ، ١٩٠ ، ٢١٦ ، ٢٣٧ ،	جزيرة يابسة (١) ١٦٩
٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٣٢٠ ، ٣٣٥ ، ٣٥٩ ،	الجسر (جسر بلنسية) (٤) ٤٩٣ ، ٤٩٨ ،
٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٢ ، ٥١٨ ، ٦٧٧ (٢)	الجعفري (قصر المتوكل) (١) ٥٠٤ ،
٥٨ ، ١٥٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،	٦٦٠

جبرون (١) ٥٤٣ (٢) ١٣٥ (٦) ١٩٠ ،	٢٣١ ، ٣٧٩ ، ٦٢٨ ، ٦٤٢ (٣) ٣٤ ،
الجيزة (٢) ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٥٦٠ ، ٦٥٩ ،	٢١٧ ، ٢٦٤ (٤) ١٣٦ ، ١٦٤ ، ٤٨٧ ،
جيشان (٤) ١٤٣	٤٩٨ (٦) ٣٧٠
	جيحون (٣) ١٤٥

ع

٤٥٣ (٧) ١٣٥ ، ١٧١ ، ١٩٥ ، ٢٩٢ ،	حاجر (١) ٦٧ ، ٩٣ (٤) ٤٧٦ (٦) ٣٢ ،
٢٩٥ ، ٤٢١ ، ٤٨٧ ، ٤٩٤ ،	٤٩٨ ، (٧) ١٥٥ ، ٣٧١
الحجر (١) ٤٢ (٥) ٢٤ (٧) ٣٣٠ ،	الحامة (١) ١٦٦ (٤) ٥١٢ — ٥١٤ (٥)
٣٣٣	٢٥٤
حجر أبي خالد (٤) ٥٦	الحبشة (٦) ١٩
الحجون (١) ٧٣ ، ٥٨٩ (٣) ١٤٥	حبية أم يحيى (عين بيلمسان) (٧) ١٢٩ ،
حدرة (نهر) (١) ١٧٧	١٣٠
الحديبية (٢) ٦٨ ، ٧٢	الحجاز (١) ٣٩ ، ٤٠ ، ٢٨٦ ، ٤٠٦ (٢)
حرالة (٢) ١٨٧	٧١ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ،
حران (٣) ٣٧٦ ، ٦٣٧	١٦٣ ، ٢١٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٨٣ ،
الحرم الشريف (٢) ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٣٤ ،	٣٨٤ ، ٤٩٦ ، ٥١٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٨ ،
٥٣٤ ، ٥٩٤ ، ٥٩٦ ، ٦١٨ (٤) ٥٣١	٥٤٩ ، ٥٥٢ ، ٦٠٤ ، ٦١٠ ، ٦١٨ ،
(٥) ٣٩٣ (٧) ١٣٨ ، ١٨٦	٦٢٨ (٣) ٢٣٦ ، ٣٧٧ ، ٤٩٩ (٤)
حرم القدس ، انظر : بيت المقدس	٣١٠ ، ٣٨٦ ، ٣٩٨ ، ٤٣٣ (٥) ٢٤٤ ،
الحرمان الشريفان (٢) ٢٣٤ (٤) ٣٩٠ ،	٢٥٣ ، ٢٦٨ ، ٣٥٣ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ،
٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٠٣ (٥) ٩٠	٤٣٣ ، ٥٠٤ ، ٥١١ (٦) ٥٦ ، ١٧١ ،
الحرّة (٣) ٢١	٢٠٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٣٦٢ ، ٤٤٩ ،

٣٥٤ (٧) ٤٤٠ ، ٥١٣
 حلب (١) ٢٠٩ ، ٢١٢ (٢) ٥٨ ، ٦٤ ،
 ٦٨ ، ٩٥ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
 ١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ،
 ٢٣٥ ، ٢٧٢ ، ٣٢٦ ، ٣٣٢ ، ٣٦٩ ،
 ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٤٠٥ ، ٥١٨ ، ٥٢٢ ،
 ٥٩٦ ، ٦٣٤ ، ٦٤٠ ، ٦٤٢ ، ٦٥٣ -
 ٦٥٥ ، ٦٦٠ ، ٦٦٤ (٣) ١١٢ ، ١٩١
 (٤) ٢٧٥ ، ٢٨٩ (٧) ٣٠٣
 حلوان (٥) ١١٥
 حمام الشطارة (إشبيلية) (١) ٥٣٣
 حماة (١) ٢٠٩ (٢) ١٨٩ ، ٢٢٨ ، ٢٩٥ ،
 ٣٢٦ ، ٦١٧ ، ٦٧٩ (٣) ٢٥٤
 الحمراء (١) ١٧٧ ، ١٨٧ ، ٣٢٣ ، ٥٠٨ ،
 ٥١٥ (٢) ١٢٦ (٤) ٤٠٥ ، ٤١٣ ،
 ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ،
 ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٥١١ ، ٥١٨ ، ٥٢٢ ،
 ٥٢٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ (٥) ٩٥ ، ١٢١ ،
 ١٣١ ، ٢١١ ، ٣٩٧ ، ٤١٣ ، ٤٥٩ ،
 ٤٦٢ (٦) ٢٧٢ ، ٣٦٥ ، ٤٧٨ ، ٥٠٢
 (٧) ١٦٨ ، ١٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨
 حمص (إشبيلية) (١) ١٥١ ، ١٥٢ ،
 ١٧١ ، ٦٩٤ (٢) ٢٨١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧
 (٣) ٣٤٦ ، ٣٩٩ ، ٤٥٢ ، ٤٧٢ (٤)
 ٢١٥ ، ٢٣٣ ، ٢٧٢ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ،
 ٤٩٨ (٦) ٣٩٢ (٧) ١٢٨ ، وانظر
 أيضاً : إشبيلية

جزوى (٤) ٥٥ (٦) ١٢٠
 الحسينية (٢) ٢١٢
 حصن آشر (٦) ٣٦٨
 حصن أندرش (٤) ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٧
 حصن أئدة (١) ١٨٢
 حصن بارو (بازو؟) (١) ٢٧٦
 حصن البراجلة (٥) ٥١٤
 حصن الحائر (٦) ٣٧٤
 حصن الحامة (٣) ٨٨
 حصن الحمراء (١) ٤٤٨
 حصن شلوبانية (٤) ٥٢٤
 حصن شنت أفرج (أفرج؟) (١) ١٥٨
 حصن شنت بلابة (١) ٤١٥
 حصن غرماج (١) ٣٨٣
 حصن القبداق (٣) ٣٨٧
 حصن قمارش ، انظر : قمارش
 حصن قولية (٤) ٦٦
 حصن كيفا (٢) ٣٠٣ (٧) ٣٤٤
 حصن اللوز (٤) ٥١٦
 حصن المتلين (٤) ٥١٨
 حصن المدور (١) ١٦٥ ، ١٩٢ ، ٢٩٠ (٣)
 ٣٥
 حصن مراد (١) ٢٩٥
 حصن منت ميور (٤) ٢١٧
 حصن يسر (١) ٤٤٧
 حضرموت (١) ٢٩٨ (٦) ٤٢٨
 الخطيم (٢) ٦١٢ (٣) ٤٩٩ (٦) ٢٩٨

حمص (الشام) (١) ١٥٢ ، ١٥٨ ، ٢٣٧	٢١٨ ، ٥١٣ ، ٥١٧ (٤) ١٧٧
(٢) ١٦٦ ، ٢٨٦ ، ٦٧٥ (٥) ١١	الحوراء (٣) ٦٤
٣٧٢ (٧)	حوران (٢) ٦٣٥
حمة بجانة. (١) ١٤٣	حومل (٧) ١٢٧
حنش (١) ٣٠٧	حير الزرجالي (بقرطبة) (١) ٦٣٥
حنين (٧) ١٧٥ ، ٣٦٧	الحيرة (١) ٢٩٦ ، ٥٠٢
حور مؤمل (١) ٤٧٥ (٢) ٢٨٢ (٣)	

خ

الخابور (٦) ٤٩ (٧) ٤١٩	الخط (٢) ٥٨٨
خانقاه سعيد السعدا (٧) ١٠٥ ، ١٠٨ ، ٣٠١	الخليل (٢) ٥٥ (٥) ٣٩٥
خانقاه قوصون (٥) ٢٤٧	الخلندق (١) ٣٥٣ - ٣٥٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤
خراسان (١) ٣٢٠ (٢) ٥٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٣٧ ، ١٥٧ ، ٢١٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٥٠ (٣)	الخورنق (١) ١٠ ، ١٠٤ ، ١٥٣ ، ٤٩٢ ، ٦٢٥ ، ٦٤٧ (٣) ٢٥٨ (٤) ٤٨٣
١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٦٥ ، ٢٢٢ (٤) ٢٣٤	(٥) ٣٧٤ (٦) ٥٢ (٧) ١٣٤
(٥) ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٨٢	خوزستان (٥) ١١٥
خزانة الكتب النورية (٢) ١٥٧	خيبر (٥) ١٣٩
الخضرء ، انظر : الجزيرة الخضراء	الخيف (١) ٤١ ، ٦٤٧ ، ٦٧٧ (٢) ٨٤ ، ٢٠٦ ، ٦٢٠ (٥) ٢٥ (٧) ١٤٨ ، ٤٩٣

دارة جلجل (٥) ٥٢٢	دار ابن لقمان (٢) ٣٢٣ ، ٣٢٤
داريتا (١) ٨١	دار الأشراف (٣) ٣٧٨ (٤) ٥٣١ (٦)
دارين (١) ٨١ ، ٤٧٣ ، ٥٤٢ (٣) ٥٥٠	٢٢٦
(٥) ٢٤ (٧) ٣٥٣	دار الأنماط (٣) ٢٥٦
الدامغان (٣) ١٤٤	الدار البيضاء (٦) ١٤٦
دانية (١) ١٦٦ ، ٤٢٩ (٢) ٩٦ ، ١٠٤ ،	دار الجنند (بقرطبة) (١) ٣٩٠
١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ٢٤٤ ، ٥٠٦ ،	دار الحجارة (بدمشق) (٢) ١٥٣
٥٠٨ ، ٥٩٩ (٣) ٨٤ ، ١٧٢ ، ١٩٠ .	دار الحديث (بالقاهرة) (٣) ١٣٧ ، ٣٧٩
(٤) ٢٧ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٧٠ ،	دار الحديث الأشرفية (٧) ١١٠
١٧١ ، ٢٨٣ ، ٤٩٨ (٥) ١٨٣	دار الحديث البهائية (٢) ٦٤
الدب (٤) ٥١٥	دار الحديث الكاملة (٢) ٦٤ ، ٩٤ ، ١٠٢
دجلة (١) ٩٢ ، ٢٠٨ (٣) ٢٦٦ (٤)	دار الحديث النوزية (٢) ٥٢٩
١٠٤ (٥) ٢٩٨	دار الروضة (١) ٥٧٨
درب الشاكرية (٣) ٣٥٠	دار السرور (بسر قسطة) (١) ٥٣٤
درعة. (٥) ٢٥٤	دار السلام (٢) ٣٣٣ (٥) ٣٧٠ ، وانظر
الدمشق (٧) ٢٤٢ ، ٢٤٣	أيضاً : بغداد
دشنا (٢) ٥٦٠	دار السلام (بإفريقية) (٢) ٥٨٢
الدكادك (٦) ٣٣١	دار الصدقة (١) ٥٥٥
دلالية (١) ١٤٠ ، ٦٦٧	دار الصناعة (بقرطبة) (١) ٥٦٩
دمخ (٥) ٣٧٣	دار المدينيات (بمصر قرطبة) (٣) ١٤٠
دمشق (١) ١٠ ، ٥٨ — ٦١ ، ٦٤ ، ٦٦ ،	دار الناعورة (١) ٣٨٩
٦٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ،	دار الندوة (٤) ٢٥٢ (٥) ١٨٥
١٠٣ ، ١١٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ،	دار همدان (٥) ٤٣

١١٠ ، ١٣٢ ، ٢١٧ ، ٢٥٤ ، ٣٧٧ (٤)	١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٠٩ ، ٢٦٦ ، ٢٨٠ ،
٨٩ ، ٣٩٩ (٥) ، ٢٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ،	٢٨٦ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ،
٢٨١ ، ٣٩٥ ، ٥٠٥ (٦) ، ١٩٠ (٧)	٥٦٠ ، ٦٠٥ (٢) ، ١٥ ، ٢٨ ، ٣٣ ،
١١٠ ، ٥١٩ ، وانظر أيضاً : جلق	٥٠ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٩١ ،
الدمشق (متنزه) (١) ، ٤٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢	٩٦ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٠ —
دمياط (٢) ، ٦٢ ، ١٨٧ ، ٥٦٠ ،	١٢٣ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٠ — ١٤٣ ،
دورقة (٤) ، ٤٦٠	١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ،
دويره (نهر) (١) ، ٤١٤	١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
ديار بكر (٢) ، ٦٠٧ (٣) ، ٧٣	١٨٢ ، ٢١٧ — ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ،
ديار ربيعة (٣) ، ١٧٧	٢٢٦ — ٢٢٩ ، ٢٣٥ — ٢٣٨ ، ٢٧٣ ،
ديار مضر (٣) ، ١٧٧	٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٨٣ ،
دير حنا (١) ، ٣٣٣ (٣) ، ٤٨	٣٨٦ — ٣٨٩ ، ٣٩٢ — ٣٩٧ ، ٤٠٠ —
دير حنين (٢) ، ٤١١	٤٠٧ ، ٤١٠ — ٤١٨ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ،
دير عبلون (٥) ، ٢٤٠	٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ — ٤٣٤ ،
دير عمى (٣) ، ٢٦٠	٤٤٠ — ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٤٥٦ ، ٤٥٩ ،
دير قسطن (١) ، ٤١٥	٤٦٠ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٨٤ ،
دير مقى (٢) ، ٤١١	٤٨٥ ، ٤٨٨ ، ٥٠٣ ، ٥٠٧ ، ٥١٥ ،
دير مران (٢) ، ٤١٠	٥١٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٨ ، ٥٤٤ ،
دير نجران (٥) ، ٢٤	٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٠٣ — ٦٠٥ ، ٦٢٧ ،
دير هند (١) ، ٥٠٢	٦٣٠ ، ٦٣٥ — ٦٣٨ ، ٦٩٢ (٣) ، ١٢ ،
الدينور (٢) ، ٣٨٠ ، ٦٠٥	١٣ ، ٤٨ ، ٦١ — ٦٣ ، ٦٨ ، ١٠١ ،

ذ

ذات الأصاڤ (١) ٦٣٠	ذو حسى (١) ٥٣٧
ذات السوارى (٣) ٨	ذو الحلىفة (٢) ٦٢٣ (٥) ٢١٧
ذكوان (٤) ٥١٥ ، ٥١٦	ذو سلم (٢) ٢٠٣ (٣) ٥٤٧ (٧) ٣٧١

رابطة العباد (٧) ١٤٢	رباط اللجام (٦) ١٩٣
رابطة الغبار (بمالقة) (٣) ٤٠٣	رباط الملك الناصر (٢) ٦٢٧
رامة (١) ٢٩ ، ٥٢ (٢) ٦٦١ (٤) ٥١	الرباط الناصرى (٢) ١٣١ ، ٢١٧
(٥) ٣٦٩ (٦) ١٣٤	ربض باب اليهود (بقرطبة) (١) ٤٦٦
رباح (١) ٢٦٢	ربض البرج (بقرطبة) (٢) ٤٦٦
الرباط ، انظر : رباط الفتح	ربض بلاط مغيث (بقرطبة) (١) ٤٦٥
رباط أبى سعد (٢) ٣٣ ، ٤٣	ربض البيازين (بغرناطة) (٤) ٥١٧ -
رباط الأعجام (٥) ٣٩٣	٥٢٠ ، ٥٢٧ (٦) ٧٧ (٧) ١٤٥ ،
رباط أم الحلىفة العباسى (٢) ٥٩٩	١٦٥ ، ١٦١
رباط الخليل (٥) ٢٥٨	ربض حمام الالبيرى (بقرطبة) (١) ٤٦٥ ،
رباط سوار (٢) ١٤١	٤٦٦
رباط الصاحب الصفى ابن شكر (٢) ٣٧٤	ربض حوانيت الرىحان (بقرطبة) (١) ٤٦٥
رباط العراض (٣) ١٤٨	ربض الحوض (بالمرية) (١) ١٦٣
رباط الفتح (١) ٣١١ ، ٣١٣ (٢) ٤٨٤	ربض الرصافة (بقرطبة) (١) ٤٦٦

الرصافة (بيلنسية) (١) ١٧٩ (٤) ٤٩٣ ، ٤٩٧	ربض الرقاقين (بقرطبة) (١) ٤٦٥
رصافة (الشام) (١) ٤٦٧ ، ٥٤٥ ، ٦٦٧ (٧) ١٣٤	ربض الزاهرة (بقرطبة) (١) ٤٦٦
رصافة (قرطبة) (١) ١٨١ ، ٣٩٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٥٤٢ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ (٣) ٩٠ ، ٣٧ (٧) ٥٤	ربض الزجاجي (بقرطبة) (٤) ٢٣٥
الرصد (١) ٤٩٨ (٢) ٨٨	ربض السجن القديم (بقرطبة) (١) ٤٦٦
رضوى (١) ٥٧ (٢) ١٢٧ ، ٥٢٥ (٥) ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٧٣ ، ٤٤٦ (٦) ١٥٤ ، ٢٩٩	ربض شبلاز (بقرطبة) (١) ٤٦٦
رقادة (٢) ٣٣٩ ، ٦٤٦	الربض الشرقي (بقرطبة) (٢) ١٦
الرقمتان (٥) ٢٦٢ ، ٤٦٥ (٦) ١٤٣	ربض شقندة (١) ٤٦٥ (٢) ٦٣٩
الركن (١) ٤٢ ، ٦١٠	الربض الغربي (بقرطبة) (٢) ٢٢
الرمادة (٤) ٣٥	ربض فرن بربل (بقرطبة) (١) ٤٦٦
رمادة الرمل (٢) ٥٦٢	الربض القبلي (بقرطبة) (١) ٣٣٩ ، ٣٤٢
الرملة (٢) ٥٧ ، ٢١٨ ، ٦٠٥ (٤) ٢٨٨	ربض المدينة العتيقة (بقرطبة) (١) ٤٦٦
رميمة (٣) ٥٣٤	ربض مسجد أم سلمة (بقرطبة) (١) ٤٦٦
رندة (١) ١٦٥ ، ١٨٢ ، ٣٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٧ (٢) ٦١٨ ، ١٣٢ (٤) ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٣٨٥ ، ٤٠٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ (٥) ٩٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٢٠ ، ٣٠٥ ، ٣٤١ - ٣٤٤ ، ٤٦٠ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٥ ، ٦٠٥ (٦) ١٣٥ ، ٣٦٧ ، ٤٧٨ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨ (٣) ٢٤٩	ربض مسجد الروضة (بقرطبة) (١) ٤٦٦
	ربض مسجد السرور (بقرطبة) (١) ٤٦٦
	ربض مسجد الشفاء (بقرطبة) (١) ٤٦٥
	ربض مسجد الكهف (بقرطبة) (١) ٤٦٥
	ربض منية عبد الله (١) ٤٦٦
	ربض منية عجب (١) ٤٦٥
	ربض منية المغيرة (١) ٤٦٦ (٢) ٧٨
	الربوة (بدمشق) (٢) ٢٩٨ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤١٢
	ربوة العشاق (بتلمسان) (٧) ١٣٠ ، ١٢٦ (٧) ١٣٠
	الرحبة (٢) ٥٤٥ ، ٥٦٠
	ردينة (٢) ٥٨٨
	الرشيق (بقرطبة) (١) ٤٦٤
	الرصافة (ببغداد) (٦) ٢٤٢ ، ٢٨٢

١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،	رواق المغاربة (٥) ٢٨٤
٣٥٤ ، ٣٦٦ ، ٤١٤ ، ٤٨١ ، ٥٦٦ (٢)	الروحاء (١) ٦٦٤
٢٠١ (٤) ٤٤٩ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ (٥)	رودنة (نهر) (١) ٢٣٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
٣٤ (٦) ٣٥٥ ، ٤٦٢	(٣) ١٩
الري (٢) ٥٧٦ (٣) ١٦٥	الروضة ، انظر : الجزيرة (الروضة)
رياض الغزلان (٦) ١٠٨	الروضة (قصر بقرطبة) (١) ٤٦٤
ريّة (١) ٢٣٧ ، ٢٦٣ ، ٢٧٥ ، ٣٢٨ ،	روضة ابن عبد البر (٢) ١٦٠
٥٢٦ ، ٥٦٨ (٣) ١٤٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،	روطة (٤) ٣٧٠ (٦) ٣٧٤
٢١٩ (٤) ٢٩٨ (٧) ٢٥٧ ، ٢٥٩	رومة (رومية) (١) ١٣٤ ، ١٣٧ — ١٣٩ ،

ز

زرهون (٥) ١٠٧	الزاب (٤) ٤١ — ٤٦ (٥) ٢٨٠ ، ٣٩٥
زروود (٢) ٢٠٣	زاب إفريقية (٥) ٢٠٥
الزعقة (٢) ٢٤١	الزاهر (بقرطبة) (١) ٤٦٤ (٤) ٢٧٥ ،
الزقاق (١) ١٤٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،	٢٧٦
٢٤٤	الزاهرة (١) ١١٣ ، ١٥٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
زقاق الششيري (٢) ١٨٥	٣٩٧ ، ٤٥٥ — ٤٥٧ ، ٥٧٨ — ٥٨٠ ،
الزلاقة (١) ٤٣٩ ، ٤٤٣ (٤) ٢٤٦ ،	٥٨٩ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦٨٠ (٣) ٨٤ ،
٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٨٢	٢١٦ (٤) ٦٦
زمزم (١) ٤١ ، ٤٢ ، ٥٢ (٢) ٤١ ،	الزاهي (١) ٥٨١ (٣) ٦١٢ (٤) ٢٧٥
٤١٣ (٥) ٢٦٨ (٦) ٣٥٤ (٧) ١٨٦ ،	الزاوية (٢) ٨٣ (٤) ٢٩٦
٢٨٤ ، ٤٤٠ ، ٥١٣	زاوية المحروق (٥) ٤٣ ، ١٩٩
الزنقات (بمرسية) (١) ١٧٣ (٥) ٦٤	زبيد (٢) ٢١٨ ، ٢٤٠

الزهرآء (١) ١١٣ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ٢٩٩ ،	(٢) ١٨ (٣) ٩٠ ، ٢١٦ (٤) ٣٩ ،
٣٠٠ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ،	٢٠٩ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٧ (٧) ٣٧ ،
٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٥٥ — ٤٥٧ ، ٤٩١ ،	زوراء العراق (١) ٦١ ، ٦٢٩ ، ٦٤١ ،
٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٦٢ —	٦٦١ (٤) ٤٨٢ (٦) ٤٩ (٧) ٣٥٣ ،
٥٧٨ ، ٥٨٥ ، ٦٠١ ، ٦١٦ ، ٦٢٣ ،	الزيادة (بدمشق) (٢) ١٧٢ ، ٣٩٠ ،
٦٢٤ ، ٦٢٧ — ٦٢٩ ، ٦٧٨ — ٦٨٠	

س

ساقية الرومي (بتلمسان) (٧) ١٣٢	السيكة (٢) ٦٧٨ (٤) ٥١١ (٧) ١٧١ ،
سبته (١) ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،	١٧٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٣٧٤ ،
١٦٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٨ ، ٢١٩ ،	الستار (٥) ٥٢٢
٢٢٩ — ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ — ٢٥٢ ،	سجستان (٢) ٢١٥ (٣) ١٦٥ ،
٢٨٦ ، ٣١٤ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣ ، ٤٣١ ،	سجلماسة (١) ٣٩٨ (٣) ١٠٥ ، ١٠٧ ،
٤٣٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ (٢) ٥٧ ،	١٦٣ (٤) ٤٠٧ (٥) ١٠٧ ، ١٥٥ ،
١٦٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢٦٣ ،	١٥٦ ، ٢٠٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤ ، ٤٦٩ (٦) ،
٣١١ ، ٤٨٩ ، ٥٥٢ ، ٥٨٧ ، ٥٩٥ (٣) ،	٨ ، ٢١٦ ، ٢٧٨ (٧) ٦٨ ،
٢٠ ، ٢١ ، ١٨٦ ، ٣٠٩ (٤) ٨ ، ١٣١ ،	السد (١) ١٩ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ،
١٤٥ ، ٢٤٧ ، ٣٣٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،	٤٧٨
٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٩١ (٥) ١٠٣ — ١٠٦ ،	السدير (١) ١٠ ، ١٠٤ ، ١٥٣ ، ٤٩٢ ،
١٧٣ ، ٢٠١ ، ٢٥٣ ، ٢٧٤ ، ٣٥٦ ،	٦٢٥ ، ٦٤٧ (٣) ٢٥٨ (٤) ٤٨٣ ،
٣٥٧ ، ٣٧٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ،	(٥) ٣٧٤ (٦) ٥٢ (٧) ١٣٤ ،
٤٧٨ ، ٤٨١ (٦) ٤١ ، ١١٨ ، ٢١٠ ،	سرخس (٢) ٧ ، ٥٠٧ ، ٦٠٠ ،
٥٠٦ (٧) ٩ ، ١١ ، ١٩٦ ، ٤١٦ —	سردانية (١) ٢٨٩ ،

السلطانية (متنزه بإشبيلية) (٢) ٣٠٦	سرقسطة (١) ١٣٢، ١٣٧، ١٥٠، ١٦١،
السلطانية (بالمشرق) (٢) ٢٢٨	١٦٦، ١٩٦، ١٩٧، ٢٣٨، ٢٧٣،
سلع (٢) ٢٠٣ (٦) ١٤٣ (٧) ٧٠،	٢٧٨، ٣٠١، ٣٨٣، ٤٢٩، ٤٤١،
٣٧٠، ٣٥٩	٤٦٥، ٤٨١، ٤٨٤، ٥٣٤، ٦٤٢،
سلماس (٢) ٥٠٨ (٣) ١٤٤	٦٤٦ (٢) ٤٩، ٥٠، ٨٨، ٩٠، ١٥٤،
سلمى (٣) ٥٤٧	٣٨٠، ٦٥٦ (٣) ٨، ٢٦، ٢٩، ٣٢،
سمرقند (٢) ٣٧٠، ٦٢٨، ٦٢٩	٤١، ٤٥، ٤٨، ٦٧، ١٩٣، ٢٦٥،
سمورة (١) ٣٣٠، ٣٥٥، ٣٨٤ (٤)	٢٦٦، ٥٦١، ٦٠٩ (٤) ٣١٩، ٤٤٩،
٣٥١	٤٥٥، ٤٦٠، ٤٧٢، ٤٧٧ (٧) ٧،
سنجار (٢) ٢٩٤	٢١، ٢٢، ٢٨
السند (٣) ١٦٥ (٥) ٤٩٣	سر من رأى (٣) ١٦٣
السند (٤) ٩٥	السروات (٢) ٦٩، ٧٠
سند وادي آتش (١) ١٥٠	سعد السعود (قبة) (٣) ٦١٢
سنداد (٤) ٢٤٩	السعداء (بحلب) (٢) ٣٢٦
سنهور (٣) ١٣٥	سكة الخطابين (٢) ٨٣
سهرورد (٥) ٣٦٩	السكة الغراء (بمروية) (٥) ٦٤
السهلة (١) ١٦٦، ٤٤٠ (٣) ٤٠٧، ٤٣٢	سلا (١) ١٦٧، ٢٠٩، ٣١٤، ٣٣٦ (٢)
سهيل (١) ١٦٤ (٣) ٢١٩، ٤٠٠	٤٧٩، ٤٨٤ (٤) ١٣، ١٤٠، ٣٤٤،
السوس (٢) ٥٣ (٥) ٢٨، ٣٥٣ (٦)	٣٨١، ٥٢٨ (٥) ٧٧، ١٠٠، ٣٤٢ —
٤٧٨، ١٩٨	٣٤٤، ٣٥٤، ٤٠٩ (٦) ٦، ٨، ١٧،
السوس الأدنى (١) ٢٣٩	١١٨، ١٧٠، ٢٧٣ — ٢٧٨، ٢٨٩،
سوق الدواب (بقرطبة) (١) ٦٣٦	٣٥٢، ٤١٢، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٩١،
سوق العطارين (بتلمسان) (٥) ٢٧٢	٤٩٢ (٧) ٢٧٠

ش

شاذمهر (١) ٦٧٧	٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ — ٤٠٠ ، ٤٠٤ ،
شاطبة (١) ١٦٦ ، ١٨٦ ، ٣١٩ (٢)	٤١٠ — ٤١٤ ، ٤١٧ ، ٤٢٥ — ٤٣٣ ،
٢٣ ، ٦٤ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٤١ ، ١٥٨ —	٤٣٦ ، ٤٤٠ — ٤٤٩ ، ٤٥٦ ، ٤٦٠ ،
١٦٠ ، ٣٨٢ ، ٤٨٧ ، ٥١٥ ، ٦٠١ ،	٤٦٨ ، ٥١٠ ، ٥٢١ ، ٥٤١ ، ٥٤٩ ،
٦٠٢ (٣) ٢٣٥ ، ٣١٩ ، ٣٣١ (٤)	٥٥٢ ، ٥٦١ ، ٦٠٤ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ،
١١٦ ، ٤٧٢ ، ٤٨٧ ، ٤٩٥ ، ٤٩٨ (٧)	٦٢٦ ، ٦٣٤ ، ٦٦٠ ، ٦٦٤ (٣) ٧ ،
٢٢	١٢ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٤ ،
شالة سلا (٥) ٣٧ ، ١٠٠ (٦) ١٥ ،	٥٨ ، ٥٩ ، ١٠٧ ، ١٣٢ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ،
١٧ ، ٢٠ ، ٢١٦ ، ٤٩٧	٢١٣ ، ٢٣٠ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٤٣٢ (٤)
الشام (١) ٥ ، ١١ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٧ ،	٣٨٢ — ٣٨٥ ، ٣٩٩ ، ٥٢٨ (٥) ٢٢ ،
٦٨ ، ٩١ ، ٩٤ — ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،	٢٦ ، ٣٠ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٤٤ ،
١١٤ ، ١١٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ،	٢٥٤ ، ٢٩٩ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ،
١٤٦ ، ١٥٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٣٠ ،	٤٤٦ ، ٥٢٢ (٦) ٥٩ ، ٢٣٩ ، ٣٥٦ ،
٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٦٦ ،	٣٨٥ ، ٤٢٠ (٧) ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٣٦ ،
٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٣٢٥ ،	٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٤٦١
٣٨١ ، ٤٠٧ ، ٤١٤ ، ٤٦٧ ،	شامة (٦) ٢٩٥
٥٢٦ ، ٥٤٦ ، ٥٦٠ ، ٥٦٨ ، ٦٠٥ ،	شباب (٥) ٥٩
٢) ١٦ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٥ ،	الشجر (١) ١٩٩ (٣) ٥٥٠
٥٥ — ٥٨ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٠٣ ، ١١٦ ،	شذونة (١) ١٤١ ، ١٤٤ ، ٢٣٧ ، ٢٥٦ ،
١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ،	٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٣٢٨ ، ٣٤٦ (٣)
١٦٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٧ —	٢٤ ، ٥٠
١٨٩ ، ٢١٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ — ٢٤٣ ،	شرف إشبيلية (١) ١٥٧ — ١٥٩ ، ١٧١ ،
٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ،	٢٠٨ ، ٢٦٧ ، ٢٩١ (٣) ٢١٢ ، ٢١٣

شنت اشتين (١) ٣٨٢	(٤) ٣٧٤
شنت بنجنت (١) ٥٦٠	شريش (١) ١٦٧ ، ١٨٤ ، ٢٠٥ ، ٢٣٧ ،
شنتبوس (١) ١٧١ (٢) ٢٨١ (٣) ٣٨٩	٤٨٨ ، ٤٤٧ ، ٤٣٢ ، ٤٢٩ ، ٣٢٨
(٤) ١٩٨	(٢) ١١٥ ، ١١٦ ، ١٣١ ، ٢١٧ ،
شنترة (١) ١٦٤	٣٠٤ ، ٦٢٧ ، ٤٤٥ (٣) ، ٥١٢ ، ٥١٤ ،
شنترين (١) ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ٦٦٤	٥٢٠
(٣) ٦٨ ، ١٨٤ ، ٤٥٨ (٤) ١١١ ،	شنتر (٢) ١٨٥
٣٧٩	الشعب (١) ٦٧
شنت مرية (١) ١٦٧ ، ٢٧٨ ، ٦٤٨ (٣)	شعب بوان (٥) ٤٣
٩ ، ٤٨ (٤) ٣٢ ، ٧٥	شقر ، انظر : جزيرة شقر
شنتمرية الشرق (١) ١٣١	شقندة (١) ٢٠٣ ، ٢٣٨ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ ،
شنتمرية الغرب (١) ١٣١	٤٥٧ ، ٤٦٦ ، ٥٤٠ (٣) ٢٥
شنت ياقب (ياقوه) (١) ١٢٩ ، ٢٠٠ ،	شقوية (١) ٣٣٠
٤١٣ - ٤١٦ (٤) ٤٧٨	شقورة (١) ٢٩٤ ، ٤٨٠ (٣) ٢٢٠ ، ٥١٩
شنتش (١) ١٦٤	شلب (١) ١٦٧ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٢٥ ،
شنتيل (نهر) (١) ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٦ ،	٦٦١ (٢) ٦٥٠ (٣) ٢٣٨ (٤) ١٢٣ ،
٤٠٩ (٢) ٢٨٢ ، ٢٨٤ (٥) ٨ (٧)	٢٩١ ، ٣٨٠
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٤٤	شلطيش (١) ١٦٧ ، ٢١٢
شوذر (٣) ٣٤	شلمنقة (١) ٣٣٠
الشيخونية (٥) ٤١٤	شلوبينة (٣) ٤٩١
شيراز (٤) ٨٤	شليز ، انظر : جبل شليز
شيرة (١) ٣٥٩	الشماعين (٥) ٢٦٥
شيزر (٢) ١٣٣	شمام (١) ٥٧ (٦) ٣٦٦

ص

٦١ (٥) ٣٠٨	الصالحية (بذمشق) (١) ٥٩ ، ٦٧ (٢)
صقلية (١) ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٢٥ ،	١٧٢ ، ١٧٩ ، ٦٩٥
٦٧٣ (٣) ٦٤ ، ٩٨ ، ١٦١ ، ١٦٢	صحراء يوش (٢) ٣٧٠
الصمادحية (١) ٦٦٦ (٣) ٣٦٦ ، ٣٦٧	الصخرة (٢) ٦٢٧
صومعة إشبيلية (١) ٥٦٢	صخرة بلاي (١) ٢٧٦
صومعة قرطبة (١) ٥٤٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦١ —	صخرة عباد (٥) ١٢٠
٥٦٣	صداء (٢) ٤٥٨
صومعة مراکش (١) ٥٦٢ ، ٥٦٣	الصراة (١) ٦٥٧
صنعاء (الشام) (١) ٢٧٨ (٣) ٧	الصرغتمشية (٥) ٤١٤
صنعاء (اليمن) (١) ٦٥٠ (٢) ٥٢ ،	الصعيد (٢) ٢٤٠ ، ٢٩٠ ، ٣٦٨ ، ٦٠٠ ،
٢١٨ ، ٤١٣ (٣) ٧ (٥) ٤٠٥ (٦)	٦٣٨
٢١٠ ، ٢٥٥ ، ٣٩٣	الصفاء (١) ٧٣ ، ٤٠٦ ، ٥٨٩ ، ٦١٠ (٥)
صور (١) ١٤٦ (٢) ٢١٨	٢٥ (٧) ٦٩
صيدا (٢) ٢١٨	صفد (٧) ٣٤٣
الصين (١) ٥ ، ١٥١ ، ٢٤٤ ، ٤٥٩	الصفصيف (بتلمسان) (٧) ١٢٧ ، ١٣٠
	صفين (١) ٢٤٠ (٢) ٣٣٠ (٣) ١١ ،

ض

الضحاك (بتلمسان) (٧) ١٢٢ ، ١٢٦

ط

طاشانة (٣) ٣٣ ، ٥٠	طابة . انظر : طيبة
الطف (٥) ٧٠	الطاق (٤) ١٠٤
طفيل (٦) ٢٩٥	طالقة (١) ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٨
طلييرة (١) ٢٧١ (٢) ٥٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤	الطباله (٢) ٣٤٦
(٤) ١١٢ ، ٣٤٢	طبرستان (٣) ١٦٥
طلمنكة (١) ١٦٥	طبرنش (١) ١٦٤ (٦) ٢٣٠
طليلطة (١) ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ،	طبرية (٢) ٢١٨
١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،	طبييرة (١) ٣٠١ (٤) ٤٧٢
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٩٠ ،	طرابلس الشام (٢) ٢١٨ ، ٦٠٥ ، ٦٥٣
٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٤٤ ،	(٤) ٦٢
٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ —	طرابلس الغرب (١) ٣٢٨ (٢) ٢٣٧ ،
٢٧١ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٢٩ ،	٦٤٦ (٣) ١٠٣ (٥) ٣٩٥ ، ٥٢٦ (٦)
٣٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ،	٢١٤
٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٤٠ — ٤٤٣ ، ٤٤٩ ،	الطراز (٦) ٢١٤
٤٥٠ ، ٤٨١ ، ٥٢٨ ، ٦٤٤ (٢) ١١ ،	طرسوس (٥) ٣٠٢
١٥ ، ٥٣ ، ١٥٠ ، ٣٦٦ ، ٥٢٠ (٣)	طرسونة (١) ١٦٦ ، ٣٤٠ (٤) ٤٥٥
١٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ١١٢ ،	طرش (٣) ٣٢ ، ٥٠
١١٤ ، ٣٥٨ ، ٤١٥ ، ٥٠٦ ، ٥٢٧ ،	طرطوشة (١) ١٤٣ ، ٥٨٧ (٢) ٨٧ ،
٥٥٩ (٤) ٣٠٦ ، ٣٥٢ — ٣٦١ ، ٣٦٩ ،	١٥١ ، ٦٤٥ (٣) ٢٣٢ (٤) ٣٥١ ،
٣٧٨ — ٣٨٢ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٤ ،	٤٦٩ (٥) ١٨٣
٤٥٥ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٥١٠ (٥) ١٠	طركونة (١) ١٢٦ ، ١٢٨ ، ٢٠٢ ، ٣٦٦ ،
(٧) ٦ ، ٤٢	٣٨٤ ، ٤٦٥ ، ٥٦٨
طنجة (١) ١٣٦ ، ١٤٥ ، ٢٣٠ — ٢٣٣ ،	طريانة (١) ١٨٢ (٤) ١٩٢ ، ٣٥٨

(٥) ٣٤١ ، ٣٢٧ (٤) ٦٧٧ ، ٦٦٨	(٢) ٤٣١ ، ٢٧٩ ، ٢٧١ ، ٢٥٠ ، ٢٣٩
٥٢٠ ، ٥١٠ ، ٣٢٢ ، ٢٢٦ ، ١٢٤ ، ٢٤	٦١٧ (٤) ٢٤٧ (٥) ١٠٦' ، ١٠٩ ،
١٩٥ (٧) ٤٥٣ ، ٢٢٩ ، ١٤٣ (٦)	٣٤٢ ، ١١٠
٣٧٥ ، ٣٢١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٢٩١	طندنة (٢) ٤٩٢
٤٩٦ — ٤٩٢ ، ٤٨٩ ، ٤٨٤ ، ٤٧٦	طهرمس (٢) ٥٦٠
٥١٣	الطور (٢) ٤٢ ، ٤١١
طيز ناباذ (٣) ٢٦٠	طور (سيناء) (٣) ٥٩٢
طيفور (بقاس) (٧) ١٢٤	طورزيتا (٢) ٣٧
الطينة (٢) ١٨٧	طيبة (المدينة المنورة) (١) ٤٢ — ٤٩ ،
	٥٤ ، ٥٦ (٢) ٥٩٣ ، ٦١٠ ، ٦٦٢ ،

ظ

ظاهرة دمشق (٢) ٥١٨

ع

٤١٢ ، ٤١٣ (٧) ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ،	العاصي (نهر) (٢) ٦٧٥ (٧) ٣٧٢
١٣٢ ، ١٣٥	عالج (٢) ٤٠١ (٥) ٤٣ (٦) ١٤٣ (٧)
عبقر (١) ٦٥٠	١١٣
عدن (١) ٤١٢ (٢) ٢١٨	العامرة (منتزه) (١) ٥٨٣
العدوة (٢) ٥٧ ، ١٨٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ،	عباد تلمسان (٥) ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٧٢ .

٣٦٧ ، ٣٨٥ (٧) ٧١ ، ١٠٧ ، ٢٠٦ ،	٣٧١ ، ٥٨٤ (٣) ٣٦ ، ٤٧ ، ١٢٤ ،
٣٣٧	١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢١٣ ،
عراق العجم (٢) ١٠٣	٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠ ، ٤٦٩ (٤)
العراقان (٢) ٢١٤ ، ٤٠٨ ،	٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٧٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ ،
عرب عنان (قرية) (٦) ٣٤٩	٤٠٨ ، ٤٣٨ ، ٥٢٤ — ٥٢٧ (٥) ١٤ ،
عرفات (عرفة) (١) ٤١ ، ٦٧٧ (٢)	٩٨ ، ١٠٠ — ١٠٢ ، ١٨٥ ، ٥٢٦ ، ٦٠٥ ،
٢٠١ (٤) ٣٨ ، ١٢٠ ، ١٦٤ (٥)	٢٨ (٦) ٦٩ ، ٩٧ ، ١١٩ ، ٢١٠ ،
٣٩٨ (٦) ٣١٤ (٧) ١٣٨	٢٥٨ (٧) ١١ ، ٢٧٩ ،
العروس (منتزه) (٢) ٣١٧	عدوة الأندلس (٥) ٣٨٨
العروس (منارة) (٢) ٣٩٠	العدوة الغربية (٥) ٢٠٨
العريش (٢) ٢٤١	العدوتان (٦) ٢٨٩ (٧) ٢٤٦
العزيزية (٢) ١٣٧	العذيب (١) ٧٥ ، ٤٧٥ (٦) ٤٧٨ (٧)
عسقلان (٢) ٢١٨ ، ٢٦٦ ، ٥٠٨	١٧١ ، ٣٠٤
عسيب (٦) ٤٥٥	العراق (١) ٥ ، ٢٥ ، ٦٧ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ،
العقاب (موضع) (١) ٤٤٦ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ،	١٩٧ ، ٢٧٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٨٦ ،
العقاب (وقعة) (٤) ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٤٦٤	٦٤٤ ، ٦٦١ (٢) ١٣ ، ٢٦ ، ٢٨ ،
عقبة البقر (١) ٤٢٨	٣٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
العقيق (١) ٤٣ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ (٥) ٢٥ ،	٨١ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ٢٣٤ ،
٤٨ (٦) ٤٩٨ (٧) ٥٦ ، ١٥٥ ، ٢٩٥ ،	٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ،
٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ — ٣٧٥	٣٨٥ ، ٥٠٠ ، ٥٤٠ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢ ،
عكا (٢) ٢٩٦ ، ٤٨٨ ، ٥١٥ ، ٦٣٧	٥٦١ ، ٦٠٦ ، ٦١٩ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨ ،
عكاظ (٥) ٢٠ (٦) ٨٦	٦٣٤ ، ٦٣٨ ، ٦٤٧ ، ٦٥٠ (٣) ٦٣ ،
العلياء (١) ٣٣٣ (٣) ٤٨ (٤) ٩٥	٧١ ، ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٧٧ ، ٢٣٦ ،
عمّان (٥) ٢٨	٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٣٩٧ ، ٤٣٢ ، ٤٤٨ ،
عناق ، انظر : أعناق	٥٥٧ ، ٥٦٥ (٤) ٤١ ، ٤٦ ، ١٠٥ ،
عذاب (٢) ٥٦٠ ، ٥٨٢	٣١٠ ، ٤٣٣ (٥) ٢٨ ، ٨٢ ، ١٩٥ ،
عين التمر (١) ٢٥٠	٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٤٤٦ ، ٥٠٢ (٦) ٥٢ ،

عين جالوت (٢) ٣٧٠	عين شهدة (بقرطبة) (١) ٦٢٨
عين الدمع (بغرناطة) (١) ١٧٦	عين طارق (بقرمونة) (١) ٢٦٠
عين شمس (٢) ٣٣٧	عين قنت أوربة (بقرطبة) (٢) ٢١٨

غ

غابة الرمان (٧) ٢٦٨	٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ،
غافق (١) ١٦٥	٥٤٠ ، ٥٥٢ ، ٥٥٨ — ٥٦٠ ، ٥٨٠ ،
غانة (٣) ١٠٧ ، ١٠٥	٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٩ ، ٦٤٥ ، ٦٦٢ ،
الغيبط (يوم) (٥) ٤٢	٦٧٧ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٧ ، ٦٩٩ ،
غدير الجوزة (٧) ١٣٠	٧٠٤ (٣) ١٨ ، ٦١ ، ٦٥ — ٦٩ ، ٩٩ ،
غدير الوريط (٥) ٢٧٢	٢١٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٦٥ ، ٢٩٥ ،
الغرب الأقصى ، انظر : المغرب الأقصى	٣٤٣ ، ٣٧٣ ، ٣٨٧ ، ٣٩٨ ، ٤١٢ ،
الغرب الأوسط ، انظر : المغرب الأوسط	٤٩١ ، ٥٠٠ ، ٥٠٧ ، ٥١١ ، ٥١٣ ،
غرناطة (١) ١٠ ، ١١٧ ، ١٤٧ — ١٥٠ ،	٥٢٦ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٦٨ (٤) ٩٤ ،
١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،	٩٥ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ،
١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ،	١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ،
٢١٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٧٥ ، ٢٩١ —	٢٠١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨ ،
٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٢٩ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ،	٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٥٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ،
٤٣٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٨ — ٤٥٢ ، ٤٧٢ ،	٣٨٠ ، ٤٠٣ ، ٤١٦ ، ٤٢٠ ، ٤٦٤ ،
٤٧٥ ، ٤٨٥ ، ٦٧٥ ، ٦٧٧ (٢) ٥٨ ،	٥٠٧ ، ٥١٠ — ٥٢٦ ، ٥٥٠ (٥) ٨ ،
٦٠ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١١٢ ، ١٥٥ ،	١٠ — ١٢ ، ١٧ ، ٥٠ ، ٩٠ ، ٩٥ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٣١ ، ٢٧٤ ،	٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،
٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ — ٣٣٧ ،	١٠٨ ، ١٢١ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٩٧ ،

٣٧٨ . ٣٧٦ . ٣٧٤ . ٣٤٠	٢٥٤ . ٢٢٧ . ٢١٠ . ٢٠٩ . ١٩٩
غزة (٢) ٢١٨ (٣) ١٣٨	٣٨٣ . ٣٦٢ . ٣٦٠ . ٣٥٧ . ٢٦٥
غليسية (١) ٤١٣ ، ٤١٤	٤٤٥ ، ٤٢٨ ، ٤١٣ ، ٣٨٨ ، ٣٨٦
غمندان (١) ١٠ ، ١٥٣ (٤) ٢٧٥ ، ٢٨٢	٤٥٧ . ٤٥٩ . ٤٩٨ . ٤٩٩ . ٥٠٧
٤٨٧ (٥) ٢٨ ، ٣٤ ، ١١٦ (٦) ٥٤	٥٣٩ . ٥٢٦ . ٥٢٥ . ٥١٤ . ٥٠٩
٣١٩ (٧)	١١٥ . ١١٣ . ١٠٥ . ٦٨ . ٣٧ . ١
الغنداق (نهر) (٥) ٥١	٢٦٨ ، ٢٥٩ ، ٢٥٧ ، ٢٤٥ ، ٢٢٦
الغوطة (١) ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٩ ، ١٥٠	٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٩٦ ، ٤٨٢ ، ٥٠٢ (٧)
٢٩٨ (٢)	١٠٢ . ١٠٩ . ١٤٥ . ١٥٢
الغويز (١) ٨٣	١٦٥ . ١٧١ . ١٧٢ . ٢٤٠ . ٢٤١
	٢٤٢ . ٢٤٤ . ٢٦٤ . ٢٦٥ . ٢٩٩

ف

٢٢١ . ٢٢٠ (٤) ٦٠٦ . ٥٥٥ . ٥٣٣	فاراب (٥) ٣٣٧
٣٩٧ . ٣٩٣ . ٣٨٨ . ٣٨٥ . ٣٣٠	فارس (٢) ١٥١ . ٢١٤ . ٦٤٧ (٤) ٨٤
٤٢٤ ، ٤٢٠ ، ٤١٥ ، ٤١١ ، ٤٠٢	٤٢٧ (٧)
٤٣٢ . ٥١٠ . ٥٢٧ — ٥٢٩ (٥) ٧	فاس (١) ١١ . ١٣ . ٧٩ . ٢٠٩ . ٣٣٩
١٤ . ٨٥ . ٩٦ . ١٠٠ . ١٠٥ . ١٠٧	٣٦٣ . ٣٩٨ . ٤٢٣ . ٤٣٠ . ٤٥٠ —
١١٢ . ١٢٢ . ١٥٦ . ١٧٢ — ١٧٤	٤٥٢ . ٤٨٢ . ٥٥٦ . ٥٥٧ . ٦٠٦ (٢)
٢٠٠ . ٢٠٣ . ٢٠٨ . ٢١٦ . ٢٣٨	٢٨ . ٣٠ . ١١٩ . ١٥٧ . ٣٠٣ . ٤٢٩
٢٤٥ . ٢٤٦ . ٢٥٢ . ٢٥٥ . ٢٦٤	٤٧٨ . ٤٧٩ . ٤٨٤ . ٥٠٢ . ٥٨٤
٢٦٥ . ٢٧٥ . ٢٧٩ — ٢٨٢ . ٢٨٥	٦٣٣ . ٦٣٤ (٣) ٦٨ . ٨٥ . ١٠٠
٣٠٦ . ٣٤٠ . ٣٤٢ — ٣٤٥ . ٣٥٠	١١٠ . ١٧٧ . ٢٣٠ . ٣٢٤ . ٣٨١

فحص ربة (٧) ٢٣٨	٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤١٣ ، ٤٢٠ ، ٤٢٨ ،
فحص السراشق (١) ٤٧٥	٤٣٢ ، ٤٥٨ ، ٤٧١ ، ٤٨٦ ، ٥٢٦ ،
فحص شريش (١) ٢٣٣	٥٣١ (٦) ، ٨ ، ٢٣ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٤ ،
فذلك (٥) ٣٦٧	٩٧ ، ١٦٦ ، ١٩١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ،
الفرات (١) ٣٦ ، ٢٠٨ ، ٦٥٧ (٢) ٥٢١	٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤ ، ٣٤٠ ،
(٣) ٢٧ ، ٢٨ ، ٦٠ ، ١٤١ ، ٥٥٥	٤٤٥ ، ٥٠٢ (٧) ، ٢٨ ، ٨١ ، ١٢١ ،
(٤) ٢٩١ (٦) ٥٢	١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ،
فرطارش (١) ٤١٥	١٤٧ ، ٢٤٥ ، ٢٦٦ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ ،
الفرما (٢) ٢١٨	٣٠١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،
الفرنثيرة (١) ٥١٧	فاس الجديده (٥) ٣٤٩ ، ٥٢٦ (٦) ٥٠٢
فروج الرواح (طلسم) (٤) ٥٠٧	فاس العتيق (٥) ٣٤٩
فريش (٢) ٦٥	فج طارق (١) ٢٦٤
القسطاط (١) ٢٠٩ (٢) ١٥١ ، ٢٣٨ ،	فج طليارش (١) ٤١١
٢٥٨ (٥) ٤٥٢ ، ٣٥٠ — ٣٣٨	فج المائدة (٣) ٧
فلسطين (١) ٢٣٧ ، ٢٣٣	فج موسى (١) ٢٧٦
فندق الشماعين (٥) ٢٦٤	الفجار (يوم) (٥) ٣٢٩
القيوم (٢) ١٣٧	فحص البلوط (٣) ١٦٢



قاسيون (٢) ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ،	قابس (٢) ٢٠٥
١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ،	قادس (١) ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٤ — ١٦٧ ،
٢٦٣ ، ٣٩٤	٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٤٦٥ (٤)
قاشرة (١) ٥٠٩	٥١٢

٣٩٤ ، ٣٩٥ (٧) ١٤١ : وانظر أيضاً :

إيليا ، حرم القدس ، بيت المقدس

القرافة (٢) ٢٤ ، ٢١٣ ، ٢٤٣ (٤) ٤٠٢

قرطاجنة إفريقية (١) ١٦٨ ، ٥٢٦ ، ٥٦٨

قرطاجنة الحلفاء (١) ١٣١ ، ١٦٨

قرطبة (١) ١١٣ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،

١٤٧ ، ١٥٣ — ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٧١ ،

١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ،

٢٠٧ ، ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ — ٢٣٨ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ — ٢٦٣ ، ٢٦٧ ،

٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ،

٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ — ٣٠٣ ، ٣٢٨ ،

٣٢٩ ، ٣٣٤ — ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،

٣٥١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٢ ،

٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩ —

٣٩١ ، ٣٩٨ — ٤٠٠ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ ،

٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨ —

٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٥ —

٤٦٦ ، ٤٧٠ — ٤٧٥ ، ٤٨٠ — ٤٩٠ ،

٥٠٥ ، ٥٠٨ ، ٥١٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٣ —

٥٢٥ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٤٠ — ٥٦٤ ،

٥٦٩ — ٥٧٢ ، ٥٧٦ ، ٥٧٩ ، ٥٨٤ ،

٥٨٥ ، ٦٠٥ ، ٦٠٨ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ،

٦٢٠ ، ٦٢٢ ، ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٣٤ —

٦٣٦ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ (٢) ١١ ، ٩ —

١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ،

٥٢ ، ٦١ — ٦٦ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٩٥ ،

القاطول (١) ٥٠٤

قالونة (٦) ٩٤

قاليقلا (٣) ٧٣

القاهرة (١) ١٣ ، ٥٦ ، ٨٠ ، ٢٠٩ (٢)

٢٣ ، ٢٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ،

٩٥ ، ١٠٢ — ١٠٤ ، ١١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،

١٧٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ،

٢٢٦ ، ٢٤٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٨١ ،

٣٠٣ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ — ٣٥٢ ،

٣٧١ — ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٤٥٢ ، ٥١٦ ،

٥٣٨ ، ٥٤١ ، ٥٦٠ — ٥٦٣ ، ٥٨٢ ،

٥٩٥ ، ٦٠٧ ، ٦١٨ ، ٦٣٥ ، ٦٣٩ ،

٦٥٩ ، ٦٦١ ، ٦٩١ ، ٦٩٥ (٣) ١٨٥ ،

٣٧٩ ، ٥١٩ (٤) ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧

(٥) ٢٠٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٤١٢ ،

٤١٤ (٦) ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،

٢٦٥ (٧) ١٦٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٥١٩

قباء (٦) ١٤٣

قبرس (٣) ١٦١

قبرة (١) ١٦٥ ، ٤٥٧ (٢) ٢١٧ (٤)

٥١٥

قبطلة (٣) ٣٠٤

قبة التراب (١) ٦٠٥

القبة المنصورية (٢) ٥٥٩

قبة اليهودية (١) ٦٠٥

القببات (٧) ٣٤٥ ، ٣٤٦

القدس الشريف (٢) ١٣١ ، ٢١٧ (٥)

قرقوب (١) ٦٥٠	١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٣٠ ،
قرموة (١) ١٥٧ ، ٢٠٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ،	١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤ —
٢٨٣ (٢) ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٦٥	١٥١ ، ١٦٣ ، ٢١٣ ، ٢١٧ — ٢٢٠ ،
القرويون (٥) ٢٦٥	٢٣٤ ، ٢٣٧ — ٢٤٠ ، ٢٤٣ — ٢٤٥ ،
قسطله (١) ١٦٥	٢٦١ ، ٢٩٦ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٨ ،
قسطنطينية (٢) ٥٠٦	٥١١ — ٥١٤ ، ٥٢٠ ، ٥٣١ ، ٦٠٣ ،
القسطنطينية (١) ١٣٧ ، ٢٠٤ ، ٢٣٣ ،	٦٠٥ ، ٦٠٧ ، ٦١٥ ، ٦٢٦ ، ٦٣٠ —
٣٤٦ ، ٣٥٤ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ،	٦٣٧ ، ٦٣٩ ، ٦٤٣ ، ٦٤٦ (٣)
٣٧٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٤١ ، ٥٦٦ ،	٧ — ٢٦ ، ٣٢ — ٣٥ ، ٣٩ — ٤٢ ، ٤٥ ،
٥٦٨ ، ٥٧٨ (٣) ١٦٢ (٤) ٥٦٠ ،	٤٨ — ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٨٢ ،
٥٢٨	٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١١١ ، ١٢٠ ،
قسطنطينية (٢) ٤٨٠ ، ٤٨٣ (٥)	١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
٢٥٢ ، ٢٠٠	١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ٢١٤ ،
قشتالة (١) ١٣٧ ، ٢٣٤ ، ٣٣٠ ، ٣٥٤ ،	٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،
٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨٤ ، ٤٢٨ ، ٥٤٦ ،	٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ،
(٤) ٣٥٩ ، ٤٠٩ ، ٤٣٧ ، ٤٤٤ ،	٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٧ ، ٣١٥ ، ٣٥٨ ،
٤٦٧ ، ٤٧٢ ، ٥١٢ ، ٥١٤ — ٥١٩ ،	٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ ، ٤٢٢ ،
٥٢٢ — ٥٢٥ ، ٥٤١ (٥) ١٠ ، ٨٥ ،	٤٥٩ ، ٤٨٩ ، ٥٣٤ ، ٥٣٧ ، ٥٣٩ ،
٨٩ ، ١٢١ ، ٤١٣ ، ٤٦٠ (٦) ١١ ،	٥٨٣ ، ٦١٠ (٤) ٢٣ ، ٧٦ ، ١٦٦ ،
٧٤ ، ١٩١ ، ٣٣٨	٢٠٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ،
قصر أبي دانس (١) ٤١٤ (٤) ٤٦٥	٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٢٧ ،
قصر الإمارة (١) ٥٤٦	٣٣٤ ، ٣٥٠ ، ٣٥٦ — ٣٦١ ، ٣٧٣ ،
قصر أنس (بالبصرة) (١) ٤٩٨	٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٧ ، ٤٦٦ ،
قصر باديس (٦) ٤٧٦	٤٧٢ ، ٤٨٧ ، ٤٩٨ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ،
قصر البستان (بقرطبة) (١) ٦٢٥	٥١٣ ، ٥٢٧ (٥) ٢٠٠ (٧) ٤٩ ،
قصر الجواز (١) ١٣٦	٥٠ ، ٣٧٣
	قرقشونة (١) ٢٣٦ ، ٢٧٨ (٣) ٩

٣٢٩ - ٣٣٠ (٣) ٦١ - ٣٨٧ (٤)	قصر الحائر (بقرطبة) (١) ٤٦٤
١٧٩ : وانظر أيضاً : قلعة يحصب	قصر الخلافة (بالزهراء) (١) ٥٢٧
قلعة الجبل (٢) ٥٤١	قصر روح (بالبصرة) (١) ٥٠٣
قلعة حزم (١) ٢٦٨	قصر السرور (بقرطبة) (١) ٤٦٤
قلعة خولان (١) ٢٩٥	قصر السيد أبي يحيى (بقرطبة) (١) ٤٧٠
قلعة خيران (١) ١٦٢	قصر الشراحيب (بشلب) (١) ٦٦١
قلعة رباح (١) ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٩٠ ، ٢٩٦	قصر شنيل (٧) ٢١٧
(٣) ٨٧ ، ٣٥٨ ، ٤١٥ (٤) ٣٨٢	قصر طليطلة (١) ٥٢٩
قلعة الواد (٧) ٢٩	قصر الفارسي (بقرطبة) (١) ٤٧٣ ، ٦٢٨
قلعة ورد (١) ٢٠٤	قصر قرطبة (١) ٣٧٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ،
قلعة يحصب (١) ٢٩٧ (٢) ٢٧٠ ، ٣٣٠	٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٥٤٥
وانظر أيضاً : قلعة بني سعيد	قصر كتامة (٥) ٣٥١
قلنبيرة (٤) ٥١٨	قصر المصاراة (٥) ٣٦٦
قمارش (١) ٤٣٢ ، ٤٣٥ (٤) ٥٢٠ (٥)	قصر مصودة (١) ١٤٥
٥١٦	قصر الناعورة (١) ٥٦٤ ، ٥٦٥
قنا (٢) ٥٦٠	القصور (١) ١٦٥
القبنائية ، انظر : الكنبائية	القطائع (٢) ٣٣٧ ، ٣٣٩
قنبيل (٦) ٣٧٤	قطرل (٣) ٢٦٠
قنتورية (٢) ٥٣٣	قطوية (١) ٣٨٣
قنسرين (١) ٢٣٧ (٣) ٣٩	قفصة (٣) ٦٨ (٥) ٤٢٩ (٧) ٦٨
قنطرة سنان (٢) ١٥٧	قفصة (غزوة) (٣) ٦٨
قنطرة السيف (١) ٢٠٣ (٢) ٥١٢	القلاع (١) ٣٣٧ - ٣٣٨ ، ٣٤٥ ، ٣٥٠ ،
قنطرة طليطلة (١) ٢٠٣	٣٥١
قنطرة قرطبة (١) ٢٣٥ ، ٣٣٨ ، ٤٠٨ ،	القلزم (٢) ٢١٨
٤٦٠ ، ٤٨٠ ، ٥١٠ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ (٢)	قلعة أسطير (٢) ٣٣٠
١٤٥ (٣) ١٥	قلعة أيوب (١) ١٤١ ، ١٦٦
قنطرة ماردة (١) ٢٠٣	قلعة بني سعيد (١) ٢٩٥ ، ٢٩٧ (٢)

٣٣٩ . ٣٤٥ . ٥٢٠ . ٦٤٣ . ٦٤٧ (٣)	قنطرة الوادي (١) ٦١٦
٢٤ . ٢٥ . ٥٣ . ٥٧ . ٦٣ . ١٢٢ ،	قورية (١) ٣٨٣ . ٤١٤
١٣٤ . ١٥٤ . ١٥٨ . ١٦٣ (٥) ٤١٣	قوص (٢) ٥٨ . ٢١٢ . ٢٤٠ . ٥٦٠ ،
٢١٤ (٦)	٦٠٠
قيسارية (٢) ٢١٨	قيجاطة (٢) ٢٣٥ (٤) ١٥
قيسارية غرناطة (٢) ٦٩٧	القيروان (١) ٢٣٣ . ٢٣٤ . ٢٣٢
قيسانة (من عمل غرناطة) (٢) ٦٣٩	(٢) ٤٨ . ٥٢ . ٦٢ . ٦٥ . ٦٦ ،
	١١٠ . ١٣٥ . ١٥٠ . ٢٣٧ . ٢٤٤ ،

ك

كلواذا (٣) ٢٦٠	كاظمة (٢) ٢٠٣ . ٤٠١ (٣) ١١٥
الكمامة (قبة) (٣) ٥١٤	الكمال (بقصر قرطبة) (١) ٤٦٤ . ٥٧٨
الكتبانية (١) ١٥٤ . ٣٥٩	كتندة (وقعة) (٢) ٩٢ . ٢٢١ (٤)
كورة استبة (١) ٤٥٦	٤٦٠
كورة استجة (١) ٤٥٦	كدية أبي عبدة (١) ٢٥٦
كورة إشبيلية (١) ١٨٥	كدية البراطل (٥) ٣٤٥
كورة اكشونية (١) ١٨٤	كرتش (١) ١٤٣ . ٤٥٥
كورة البيرة (١) ١٤٨	الكروج (٣) ٣٢١ . ٣٢٢
كورة باروشة (١) ١٦٦	الكرخ (٥) ٣٠٩ . ٣٧٠ (٦) ١٤٢
كورة باغه (٥) ١٠	الكرك (٢) ٢٩٨ (٦) ٣٦٨
كورة بريطانية (١) ١٦٦	كرمان (٣) ١٦٥
كورة بلكونة (١) ٤٥٦	الكمة (٥) ٣٧ . ٣٩٨ . ٤١٥ . ٥٢٠
كورة تدمير (٢) ٢٣٤	كفر عيما (٧) ٣٤٣

كورة مراد (١) ٤٥٦	كورة تطيلة (١) ١٦٦
كورة وزغة (١) ٤٥٧	كورة رية (١) ٤٦٨ (٣) ٥٠ (٥) ٤٥٧
كورة وشقة (١) ١٦٦	كورة غافق (١) ٤٥٦
كورة اليسانة (١) ٤٥٦	الكورة القبرية (١) ٤٥٦
الكوفة (١) ٢٧٨ ، ٥٥٧ ، ٦٠٥ (٢)	الكورة القرطبية (١) ٤٥٦
٤٧ ، ٦٢ ، ٣٣٩ ، ٥١٨ ، ٥٣٧ (٣)	كورة القصير (١) ٤٥٦
٢٦ ، ٥٣ ، ١٤٣ ، ١٦٥ ، ٢٣٦ ،	كورة كزنة (١) ٤٥٦
٢٣٧ (٤) ٣٠٤ (٥) ٢٩٨ ، ٣٠٨	كورة لبلة (١) ١٦٨
	كورة المدور (١) ٤٥٦

ل

لوذون (١) ٢٧٤	لاردة (١) ١٤٣ ، ١٦٦ ، ٤٣٨ (٤) ٣٥١
لورقة (١) ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ،	لبلة (١) ١٤١ ، ١٦٧ ، ٢٠١ ، ٢٧١ ،
٤٤٨ ، ٦٧٢ (٢) ٥٢٧ ، ٦٠١ (٣)	٣٤٦ (٢) ٧٩ ، ١٤٠ ، ٢٠٩ ، ٢٢٣ ،
٢٢٣ (٤) ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣١٤ ،	٢٣١ ، ٥١٣ ، ٦٠٣ ، ٦٤٦ (٣) ٤٨ ،
لوشة (١) ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٥ (٤) ٢٩٤ ،	٦٠ (٤) ٣٥٨
٤٦١ ، ٥١٤ ، ٥١٧ ، ٥١٨ (٥) ٧ ،	لبنان (١) ٦٨٩
٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٩٧ (٦) ١١٣	لرية (٢) ٥٠٩
لولم (جامع بالهند) (٢) ٥٨٢	لشانة (٤) ٥١٥
اللؤلؤة (منتزه فاطمي) (٢) ٢٩٤	لعلع (٢) ٢٠٦ ، ٧٠٤
اللوى (١) ٦٨ ، ٦٤٧ (٤) ٤٩٤ (٥)	لقت (١) ٢٧٠
٥٠٥ (٦) ٣٣١	لقت (٢) ١٦٠ ، ١٦١
ليون (١) ١٤٣ ، ٣٤٦	لك (١) ٢٧٦ ، ٣٣٠

١٠١ ، ١٠٦ ، ١٢١ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،	ماردة (١) ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ،
٢١٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٣١٢ ، ٣٥٧ ،	١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ، ٢٠٣ ، ٢٧٠ ،
٣٧٩ ، ٦٠٤ (٦) ٣٨ — ٤٠ ، ٩٦ ،	٢٧١ ، ٣٣٤ ، ٣٥١ ، ٤٨١ (٣) ٢٢ ،
٩٨ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ،	٣٤ ، ٣٥ (٤) ٤٦٥ ، ٤٦٦ ،
٢٢٢ ، ٢٤٠ ، ٢٦٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٤ ،	ماردين (١) ٨٨ (٧) ٣٣٧ ،
٣٤٥ ، ٣٦٧ (٧) ١٦٨ ، ٢٣٨ ، ٢٥٧ ،	المأزمان (٢) ٨٤ ،
٢٥٨	مازونة (٢) ٤٨٣ ،
مالي (٢) ١٩٥ (٤) ٤٠٢ ،	مأسل (٥) ٥٢٣ (٧) ١٢٦ ،
ما وراء النهر (٢) ٥٨ (٣) ٦٣ ،	مالطة (١) ٣٤ ، ١٤٦ ،
المبارك (بقرطبة) (١) ٤٦٤ (٤) ٢٦٧ ،	مالقة (١) ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٤ ،
٢٧٤	١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ،
مرايل (٥) ١٢٩ ،	٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ،
متيحة الجزائر (٤) ٥٢٨ (٧) ٤٩٧ ،	٢٢٥ ، ٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٧٥ ،
مطيطة (١) ١٨١ ،	٢٩٤ ، ٣٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ،
المجاز (٤) ٣٨٦ ،	٤٤٨ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ (٢) ٤٥ ،
المجدد (بقرطبة) (١) ٤٦٤ ،	٥٣ ، ٦٦ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ ، ٢٨٢ ، ٣٠٨ ،
المجلس البديع (بقرطبة) (١) ٥٤١ ،	٣٥١ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٥٤٠ ،
مجلس الذهب (١) ٥٣٤ ،	٥٥٢ ، ٥٦٠ (٣) ٣٢ ، ٦٦ ، ١٤٤ ،
المجلس الزاهر (١) ٣٦٧ ، ٥٧٧ ،	٢١٨ ، ٢٢١ ، ٣١١ ، ٣٩٠ — ٣٩٢ ،
المجلس الشرقي ، انظر : المؤنس	٣٩٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٦١٤ (٤) ،
المجلس الغربي (١) ٣٩٢ ،	١٦١ ، ٢٠٤ ، ٢١٧ ، ٣٠٤ ، ٣٣٤ ،
مجلس فاصح (١) ٦٢٨ ، ٦٢٩ ،	٣٤٤ ، ٤٧٧ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٤ —
مجلس الناعورة (١) ٦٤٣ ، ٦٤٤ ،	٥١٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٤ (٥) ٢٢ ،

١٤٤ ، ١٥٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ،

٢١٨ ، ٤٨٧ ، ٥١٦ ، ٥٩٥ ، ٦٦١ ،

٦٦٢ ، ٦٨٧ ، ١٣٩ (٣) ، ١٤٠ ، ١٦٤ ،

٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٦ (٤) ، ٣٠٥ ، ٤٠٣ (٥)

٢١٧ ، ٢٥٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٥٠٥ ،

٥١١ (٦) ، ٢١١ (٧) ، ٢٩٤ ، ٣٧٣ ،

وانظر أيضاً : طيبة ، يثرب

مدينة ابن السليم (شذونة) (٢) ٣٠٦

المدينة البيضاء (قلعة رباح) (٣) ٥٥٩

المدينة البيضاء (فاس) (٥) ١٠٩

مدينة التراب (بلنسية) (١) ١٧٩

مدينة سالم (١) ١٦٦ ، ٣٤٥ ، ٣٨٣ ، ٣٨٨ ،

٣٩٦ ، ٣٩٨ — ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٨٨ (٣)

٩٤

مدينة السلام (١) ١٧٤ ، وانظر أيضاً : بغداد

مدينة المائدة (١) ٢٦٥

مراكش (١) ١٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٠٩ ، ٣٠١ ،

٣١٤ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٦ ، ٥٤٢ ،

٦٠٨ ، ٦١٤ (٢) ، ٣٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ،

١٠٠ ، ١١٩ ، ١٦٦ ، ١٨٧ ، ٢٤٨ ،

٢٤٩ ، ٢٧٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ،

٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٨٣ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ،

٦٥٧ (٣) ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،

١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٥٣ ، ١٨٠ ، ٢٢٠ ،

٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٣٩٢ ،

٤٠١ ، ٤٧٩ (٤) ، ٥٩ ، ٢٢٥ ، ٣٣١ ،

٣٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧ —

محجر (٧) ٥٨

محسر (١) ٦٨

محصب (٤) ٤٩٤ (٧) ٥٩ ، ٤٤٩

المحلة (٢) ٥٦٠

محلة القيمرية (٧) ٥١٩

المختار (بستان الإخشيد) (٢) ٣٤٣

المدائن (٢) ٣٤٥

المدرسة الإقبالية (بدمشق) (٢) ١٢٣

المدرسة الحقمقية (٢) ٤١٤

مدرسة الشماعين (٥) ٤٠٨

المدرسة الصالحية (٢) ٥٣٦ ، ٥٨٠ (٦)

٢٢٦

المدرسة العادلية (٢) ١٣٧ ، ٢٢٣ ، ٢٩٩ ،

٥١٥ ، ٦٥٢

المدرسة العلمية (٥) ٤٥٧

المدرسة الفاضلية (٢) ٢٤ ، ١٣١ ، ٢١٧

المدرسة الكاملية (٣) ١٣٦

مدرسة المعرض (٥) ٢٥١

المدرسة المنصورية (٢) ٥٣٦

المدرسة النصرية (٥) ٥١١

المدرسة النظامية (٢) ٣٣ ، ٢٤٤ ، ٦٣٥

المدرسة اليعقوبية (٥) ٢٧٢

المدرسة اليوسفية (٧) ١٠٣

الدور ، انظر : حصن الدور

مدین (٦) ٣٠٣

المدينة (النورة) (١) ٤٧ ، ٦٧ ، ٢٩٤ ، ٥٥٧ ،

٦٠٥ (٢) ٤٣ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٢ ،

١٤٤ ، ٢٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٣٤ ، ٤٥٦ ،	٣٨٠ ، ٣٨٤ ، ٣٩٩ ، ٤٠٧ ، ٤٦٩ ،
٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٩ ، ٤٨٧ ،	٤٧٩ ، ٥٢٧ (٥) ، ٦٨ (٥) ، ١٠٧ — ١٠٩ ،
٥١٠ (٥) ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧٢ (٧) ، ٩ ،	١٨٣ — ١٨٦ ، ٢٢١ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ،
٤١٦	٤٧٤ ، ٤٧٥ (٦) ، ١٧ (٦) ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٨٤ ،
مرو (٢) ، ٧٠ ، ١٥٢ ، ٢٤١ ، ٦٠٠ ، ٦٠٣ ،	٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢٦٦ ، ٤٤٦ ، ٤٨٥ (٧) ،
المروة (١) ، ٦١٠ (٥) ، ٢٥ (٧) ، ٣١٠ ،	٣٣٠ ، ٣٤ ، ٨١ ، ١٥٩ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ،
المريزيب (المزيريب) (١) ، ٩٦ (٢) ، ٣٩٣ ،	٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ،
المزة (٢) ، ٥٣٦ ، ٥٦١ ،	المربد (٤) ، ٢٢٢ ،
مسجد أبي عثمان (١) ، ٣٧٧ ،	مربلة (٥) ، ٨٥ ، ٢٥٤ ،
مسجد أمية (٣) ، ١٩ ،	مربطر (١) ، ٢٠٣ ، ٦٧٢ ،
المسجد الأقصى (١) ، ٥٤ ، ٥٧ (٢) ، ٣٧ ،	مرج الخنز (١) ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٥٤٢ ،
٤٢ ، ٥٧ (٥) ، ٢٦١ ، ٣٣٨ ،	مرج راهط (١) ، ٦٢١ (٣) ، ٥١ ، ٥٢ ،
المسجد الجامع بقرطبة (١) ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ ،	مرج الصفر (٤) ، ٤٩٩ ،
٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٤٠٨ ، ٤٥٥ ، ٤٦٠ ،	مرج غرناطة (٤) ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨ ،
٤٦٥ — ٥٤٥ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٤٥ ،	(٥) ، ٨ ، ٥٠ ،
٥٦٣ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ ، ٥٧٨ ، ٦١٦ ،	مرج الفضة (ياشيلية) (٢) ، ٢٨١ ، ٣٠٧ ،
٦٢٢ (٢) ، ١٤٤ ، ٥٠٣ (٣) ، ٨ ،	المرج النضير ، انظر : مرج الخنز
٥٥ ، ٢١٦ (٤) ، ٣٥٧ (٤) ، ٣٥٨ ،	مرسية (١) ، ١٣٦ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ،
المسجد الحرام (٥) ، ٢٦١ ،	٢٠١ ، ٢٢٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٤٤٧ ،
مسجد رحبة القاضي (٤) ، ١١٣ ،	٤٤٨ ، ٤٨٠ ، ٦٧٣ (٢) ، ٥٢ ، ٦٦ ،
مسجد الرسول (بالمدينة) (٥) ، ٢٦١ ،	٩١ ، ٩٢ ، ١١٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،
مسجد السيدة الكبرى (بقرطبة) (٢) ، ٢٢ ،	١٦٣ ، ١٧٥ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ،
مسجد الصهريج (٢) ، ٢٠٥ ،	٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٨٣ ،
مسجد عمرو بن العاص ، انظر : جامع عمرو	٣٠٧ ، ٣٦٥ ، ٥٠٨ ، ٦٠٥ ، ٦٥١ (٣) ،
ابن العاص	٦٤ ، ٦٦ ، ١٣٩ ، ١٧٢ ، ٢٢٠ ، ٣١٨ ،
مسجد الفتوح (٤) ، ٤٠٢ ،	٣٧٩ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤٦١ ، ٤٩٢ ،
مسجد قيسارية غرناطة (٢) ، ٦٩٧ ،	٥٣٦ ، ٥٧٢ (٤) ، ١٨ ، ٢٠ ، ١٣٠ ،

٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ — ٥١٤ ، ٥١٧ —
 ٥٢٢ ، ٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٤٠ — ٥٤٥ ،
 ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢ ، ٥٥٩ — ٥٦١ ،
 ٥٦٥ ، ٥٧٤ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٩٧ ،
 ٦٠٠ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦١٠ ، ٦١٥ ، ٦١٨ ،
 ٦١٩ ، ٦٢٧ ، ٦٣١ — ٦٤٠ ، ٦٤٥ —
 ٦٥٠ ، ٦٥٢ ، ٦٥٥ ، ٦٥٩ ، ٦٦١ ،
 ٦٦٤ ، ٦٩٢ ، ٦٩٤ ، ٧٠٢ (٣) ، ٤٩ ،
 ٥٦ — ٥٨ ، ٦١ — ٦٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
 ٧٩ ، ٩٨ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،
 ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٦٦ ، ١٨٥ ، ٢١٣ ،
 ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦٦ ، ٢٢٢ ،
 ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٧٦ ، ٤٢١ ، ٥٥٨ ،
 ٥٦٤ ، ٥٨٥ (٤) ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٢ ،
 ٢٠٨ ، ٢٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ،
 ٥٢٨ (٥) ، ٣٤ ، ٩٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ،
 ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
 ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٨٤ ، ٣٠١ ، ٣٢٢ ،
 ٣٤٤ ، ٣٨٧ ، ٣٩٤ ، ٤٢٨ ، ٤٧٠ (٦) ،
 ٧٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ،
 ٢٤٢ ، ٢٨٠ ، ٤٧١ (٧) ، ٨٤ ، ١٠٢ ،
 ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٣٦ ، ١٩٤ ، ٣٠١ ،

٣٣٨ ، ٣٨٣ ، ٤٢١

مصلب ابن قطن (٣) ١٩

المصل (١) ٥٤٢

المصيبة (٢) ٥٢

مطبخشارش (٢) ٥٣٨ ، ٥٥٩

مسجد الكرايين (٢) ٥١٣

المسرة (قصر للذهبي) (٧) ٨١ ، ٨٠

مسناة مالك (بقرطبة) (١) ٦٢٨

المسيلة (١) ٣٩٧

مشاقة (٤) ٥١٦

المشهى (قصر) (٧) ٨١

المشقر (٤) ٤٩٤

المصارة (٣) ٣٣ ، ٥٢

مصر (١) ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٥٧ ،

٩٦ — ٩٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ،

١٦٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٠ ،

٢٧٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٩ ،

٤٠٦ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ (٢) ، ٩ ، ١١ ،

١٥ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٥ ،

٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ — ٤٦ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٨٩ ،

٩٠ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٠٣ — ١٠٥ ، ١١٣ ،

١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٥ — ١٤٣ ، ١٤٨ — ١٥٢ ،

١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٨٣ ، ١٩١ ،

٢١٢ — ٢١٨ ، ٢٢٠ — ٢٢٢ ، ٢٣٤ —

٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ ،

٢٨٣ ، ٢٩٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٤٠ ،

٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ — ٣٨٠ ،

٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ،

٤٠٣ — ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢٥ ،

٤٢٧ ، ٤٤٢ — ٤٤٦ ، ٤٤٨ — ٤٦٠ ،

٤٦٨ ، ٤٨٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٦ ،

، ٤٩ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤١ ، ٢٨ ، ٢١
 ، ٧٠ ، ٦٥ ، ٦٢ ، ٦٠ — ٥٧ ، ٥٣ ، ٥٢
 ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١١٣ ، ١٠٥ ، ٩٣ ، ٩١
 ، ١٥٥ ، ١٤٩ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٣٩
 ، ١٩٥ ، ١٧٣ ، ١٦٠ ، ١٥٨ ، ١٥٦
 ، ٢٢٠ ، ٢١٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٣ — ٢٠٠
 ، ٢٤٣ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦
 ، ٤٧٢ ، ٤٢٥ ، ٣٨٤ ، ٣٢٣ ، ٢٦٧
 — ٥١٢ ، ٥١٠ — ٥٠٨ ، ٥٠٤ ، ٤٩٢
 ، ٥٩٤ ، ٥٦٠ ، ٥٤٢ ، ٥٣١ ، ٥١٤
 ، ٦٢٧ ، ٦٠٦ ، ٦٠٥ ، ٥٩٩ ، ٥٩٥
 ، ٦٤٥ — ٦٤٣ ، ٦٣٧ ، ٦٣٣ ، ٦٣٢
 ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٦١ (٣) ، ٦٦٤ ، ٦٤٩
 ٣٧٥ (٤) ، ١٢٠ ، ٣٢٧ ، ٤٠٣ ، ٥٠٣
 ، ٢٥٣ ، ٢٣٩ ، ٢٣٠ ، ١٢٤ ، ٢٤ (٥)
 ، ٣٩٣ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٩
 ، ٥٠٤ (٦) ، ٣٠ ، ٢١١ ، ٥١١ (٧) ، ٦٩
 ، ١٤١ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ٣٣٢ ، ٤٤٠ ،

٤٥٣

الملاحه (٥) ١٨٤

ملتماس (٦) ١٢٠

ملطية (٢) ١٧٠

ملوية (١) ٢٣٦ (٥) ١٠٧

مليانة (١) ١٦٦ (٢) ٤٨٣

مليلة (٤) ٥٢٧ ، ٥٢٩

المنارة (بقرطبة) (١) ٥٤٨ ، ٥٤٩ (٣)

٤٣١

المعرة (٣) ١١٢ (٦) ١٥٨

المعشوق (بقرطبة) (١) ٤٦٤

المغرب الأدنى (٢) ٤٧٨

المغرب الأقصى (١) ١٣ ، ٢١٠ ، ٢٣٢ ،

٢٨٦ ، ٣٨٥ (٢) ٣٧١ ، ٤٧٨ ، ٤٨٤

(٣) ٢٠ ، ٤٩ ، ١٥٢ (٤) ٣٩١ ،

٥٢٨ (٦) ٢٢ ، ٢١٤

المغرب الأوسط (١) ٢٠٩ ، ٣٨٥ (٢)

٣٦٦ ، ٣٧٢ (٣) ٢٩ ، ٦١٢ (٦)

٢١٤

مغيلة (١) ٣٢٨ ، ٣٣٣ (٢) ٢٨ (٣) ٤٩

المقام (١) ٤٢ ، ٥٢ ، ٤٠٦

مقبرة باب حرب (ببغداد) (٢) ١١٥

مقبرة الربيض (٢) ٦٣١

مقبرة قریش (بقرطبة) (٢) ٢٢ (٣) ٥٦٤

مقرّة (٥) ٢٠٥ ، ٢٨٠

مُقَرَّى (٢) ٤٠٢

المقنس (بمصر) (١) ٣٨ (٢) ٣٤٦

المقطم (٢) ٢٣ ، ٦٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٣٩ ،

٣٣٨ ، ٣٧٩

مقوشة (١) ٢٣٥

المقياس (بمصر) (١) ٣٨ (٢) ٤٠٧

مكناسة (١) ٣٢٨ ، ٣٨٥ ، ٣٩٧ (٦)

٢٠٤ ، ٢١٢ — ٢١٥

مكناسة الزيتون (١) ٣١٤ (٥) ١٤٣ ،

٣٥٠ — ٣٥٣ (٦) ٤٦ ، ٤٧ ، ٢١١

مكة (١) ٣٣٢ ، ٦٠٥ (٢) ٩ ، ١٥ ،

منية ابن خصيب (بمصر) (٢) ٢١١	منازجرد (٣) ٧٣
منية أبي بكر ابن عبد العزيز (٤) ٥٤	المنبر (مئزره بقرطبة) (١) ٤٧٧ ، ٤٧٨
منية البديع (١) ٦٣٧ ، ٦٣٨	منت فريد ، انظر : متفريد
منية بني خصيب (٢) ٥٦٠	منت ليون (١) ١٤١
منية الرصافة (١) ٤٦٦ ، ٤٦٨	منت ميور (١) ١٤٢
منية الزبير (١) ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٥٨٤	منتفريد (٤) ٥١٨ (٥) ١٠ (٦) ٢٦١
منية السرور (بقرطبة) (١) ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٦١٧	المنحنى (١) ٦٧
منية العامرية (بقرطبة) (١) ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤	منركة (منورقة) (١) ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٦٩
منية العيون (١) ٦٦٩	(٣) ٤٦٧ (٤) ٤٧١
منية المصحفية (١) ٤٧١	منزل الشاطبي (٦) ٦٤
منية المنصور الأصغر (ببلنسية) (١) ٦٥٧	منزل العزّ (قصر بمصر) (١) ٤٩٦
منية الناعورة (بطليلة) (١) ٥٧٨ ، ٥٨٤	منزل عطاء (موضع ببلنسية) (٤) ٤٩٨
منية نصر (بعدوة قرطبة) (١) ٣٦٧	منزل نصر (موقع ببلنسية) (٤) ٤٩٨
المنيف (بقصر قرطبة) (١) ٥٧٨	منزل همدان (١) ٢٩٥
مهد عيسى (٢) ٤٢	المنشأة (حصن) (٤) ٥١٩
المهدية (٢) ٢٨ ، ١٠٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩	المنصف (١) ١٨١
٣٤٥ ، ٦٤٨ - ٦٥٠ (٣) ١٢٢ ، ٣٢٣	منصورة تلمسان (٦) ٢١٥
(٤) ٥٥ ، ١٧٢ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ (٥)	المنصورية (٢) ٣٤٥
٢٠٠	المنكب (١) ١٦٥ ، ٣٢٨ (٤) ٤١٨ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٩ ، ٥٢١ ، ٥٢٢
مهرة (١) ٢٩٧	٥٢٤ (٥) ١٣٩ (٦) ٨٤
مؤنة (٥) ٣٢٩	منى (١) ٤١ (٢) ٨٤ ، ٦٢٠ (٤) ١٦٤ ، ٣٩٩ ، ٣٣١
مورور (١) ٢٦٠ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ (٣)	(٦) ٧٩ ، ٥٠٥ (٧) ١٥٥ ، ٢٩٣ ، ٣٢١
٥٠ ، ٢٣	المنيع (٣) ١١٠
الموصل (٢) ٧١ ، ١١٧ ، ١٥٧ ، ١٦٢	منية ابن أبي عامر (ببلنسية) (١) ١٧٩
٢٧٣ ، ٢٩٤ ، ٣٧٢ ، ٤٨٨ ، ٥٩٨	

ميورقة (١) ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٦٩ ، ٢٧٩ ،	٦٠٦ (٣) ٧٢ ، ٧٦ ، ٩٥ ، ١٣٣ (٤)
٣١٤ (٢) ٦٨ ، ١١٤ ، ١٣٨ ، ٥٢٧ ،	٢٧٢ (٧) ١١١
٦٤٥ (٣) ٢٢١ ، ٤٨٧ (٤) ٢٢٩ ،	الموقف (٢) ٣٣٩
٢٣٠ ، ٢٥٩ ، ٣٣٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ،	المؤنس (١) ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٥٢٧ ، ٥٦٩
٤٧٧ (٧) ١٦	ميرتلة (٤) ٣٢٩
	ميلة (٢) ٤٨٣

ن

نسف (٢) ٦٢٨	ناروجة (١) ١٧٨
النشارين (٢) ١٦	ناشرة (١) ١٤٢ ، ٢٠١
نصيين (٣) ٣٥٤	نجد (١) ٩ ، ٢٩ ، ٦٨ ، ٨٠ ، ١٠٦ ،
النظامية ، انظر : المدرسة النظامية	٣٠٥ (٢) ١٩ ، ٥٥ ، ٢٠٣ ، ٥١٧ ،
نعمان (٥) ٢٤ ، ٤٦ (٧) ٢٤ ، ٣٥٩	٦٢١ ، ٦٦٩ ، ٦٨٩ ، ٧٠٤ (٣) ٧٠ ،
نكور (٣) ١٦٣	١١٥ (٤) ٢٣٥ ، ٤٧٦ ، ٥٤٢ (٥)
النهر العظيم ، النهر الكبير ، انظر : الوادي	٢٤ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ (٦) ٣٢ ،
الكبير	٧٩ ، ٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٥ ، ٣٦١ ،
النهروان (٤) ٥٦	٣٩٣ ، ٤٥١ ، ٤٥٣ (٧) ٥٧ — ٥٩ ،
النوبة (١) ٤١٥	١٥٤ ، ١٧١ ، ٣٠٧ ، ٣٢٠ ، ٣٦٩ ،
النيرب (٢) ١١٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨	٤٨٧ ، ٣٧٠
نيسابور (٢) ١٠٤ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ، ٢١٤ ،	نجد (منتزه بغرناطة) (٢) ٦٧٧ ، ٦٧٨
٢٤١ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ (٣) ٦٧	(٣) ٥١٣ (٧) ١٧١ ، ٢٤٢
النيل (١) ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٩٧ ، ٢٠٨ ،	النجمية (٥) ٤١٤
٤٠٧ ، ٤٩٧ (٢) ٢٧٢ ، ٢٨٢ ، ٢٩١ ،	نربونة (١) ١٣٠ ، ١٣٢ ، وانظر أيضاً: أربونة

٣٠٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ،	٤٠٩ ، ٦٤١ ، ٦٥١ ، (٣) ٢٤٦ ، ٢٦٦ ،
٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٧٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ،	٣٢٢ (٤) ١١١

د

هَجَر (٥) ٥٩	٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، (٢) ٢٤٠ ، ٥٨٢
هراة (٢) ٧٠ ، ٧١ ، ١٣٧ ، ٢٤١ ،	٤٩٣ (٥)
٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٦٠٣ ، ٦٥٠	هوازن (يوم حنين) (٢) ٥٦٢
هراة بني شيمانة (٢) ٧١	المودج (بمصر) (٢) ٢٩٠ — ٢٩٢ ، ٢٩٤ ،
همدان (قرية) (٤) ٥٢٣	٣٤٣
هملان (٢) ١٤٢ ، ١٥٢ (٥) ٢٣٣	هيلانة (١) ٣١٤
الهند (١) ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٩٩ ،	

و

وادي آش (وادي الأشات) (١) ١٤٩ ،	٤٤٠ ، ٥٠٦ ، ٥١٧ ، (٦) ٢٣٠ ، ٢٦٢
١٥٠ ، ١٦٥ ، ٢٩٢ ، ٤٧٠ ، ٤٨٥	٢٨٤ (٧)
(٢) ١٨٥ ، ٢٢٢ ، ٦٩٠ (٣) ١٨ ،	وادي إبره (١) ١٣١
١٤٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٩ ،	وادي إشبيلية (٣) ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤٥٤
٥٦٣ (٤) ١٥٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٢٩ ،	١٥٩ (٤)
٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٩ — ٥٢٢ ، ٥٢٤ ،	وادي الحجارة (١) ١٦٥ ، ٢٦٤ ، ٣٤٣
٥٢٥ (٥) ٨٥ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ،	(٢) ٥٢ ، ٩٥ (٣) ١٨٤ ، ٤١٩ ،

وادي لكه (١) ٢٤٩ ، ٢٥٨ (٣) ٢٤	٤٢٢ (٤) ١٦٩ ، ٢٨٥
وادي ماسة (٥) ١٨٧	وادي حدره (٤) ٥١١
وادي ملوية (٦) ١٣	وادي الدير (١) ٥٤٢
وادي منيه (١) ٤١٥	وادي الرمل (٣) ٣٢
وادي النجا (٥) ١٠٧	وادي رنلقاطو (١) ١٢٨
وادي يسر (٧) ١٤٢	وادي الزيتون (١) ٥٣٤ ، ٥٣٥
واسجة (٥) ٥٣٨	وادي السقائين (٥) ٨٠
واسط (٢) ٩١ ، ١١٣ ، ٦٢٦ ، ٦٢٩	وادي سليطة (١) ٣٥٠
وجرة (٦) ٣٥٥	وادي شنجيل ، انظر : شنبيل
وخشمة (١) ٣٦٣ ، ٣٦٤	وادي شوش (١) ٢٦٨
ورشة (٦) ٩٤	وادي طبرنش (١) ١٦٤
وشقة (١) ١٦٦ ، ٣٨٣ ، ٤٤١ ، وانظر	وادي الطلح (١) ٦٩١ (٢) ٢٨٥
أيضاً : كورة وشقة	وادي عذراء (١) ١٥٠
الوريط (بتلمسان) (٧) ١٣٢	وادي العسل (٣) ٣١٧
وقعة البلاط ، انظر : بلاط الشهداء	وادي العقيق (بقرطبة) (١) ٣٩ ، ٤٧٩ ،
وقعة الرّيف (٢) ١١ (٥) ١٠ ، ١٥	٥٤٢ (٧) ١٧١
وقعة طريف (١) ٤٥٢ ، ٦٠٦ (٥) ٤١٣	وادي الغيران (٦) ٨٣
وقعة وشقة (١) ٤٤١	وادي القري (١) ٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ،
ولبة (٥) ٥١٤	٢٨٧ (٢) ٤٠١ (٣) ٤٣٥
الولجة (٧) ٢٣٧	الوادي الكبير (١) ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
وهران (٢) ٤٨٣ (٣) ١٦٣ (٤) ٥٢٤ ،	٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٤٠٨ ، ٤٥٨ ، ٤٦٥ ،
٢٥٩ (٥) ٥٢٨	٤٧٠ ، ٥٠٩ ، ٥١٧ ، ٥٧٩ (٤) ٣٥٣ ،
	٣٥٨

ي

اليسانة. (١) ١٦٥ ، ٤٥٧	يابرة (١) ١٦٧ ، ٦٧٣ (٢) ٦٤٨
يقورة (٢) ٥٣	يابسة (٤) ٤٦٩
يلمالتين (٢) ٣٨٠	يبرة (١) ١٤٢
يلملم (٦) ٤٥٥	يبرين (٧) ١١٣
اليمامة (٣) ٢١ (٧) ٤٣	يثرب (١) ٤٧ ، ٥٥٧ (٢) ٣١٣ ، ٦١٢ ،
اليمن (١) ٢٩٥ (٢) ١٦٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،	٦٢٣ (٣) ٤٩٩ (٤) ٣٢٧ (٥) ٢٤
٢٩٧ ، ٤٠٣ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥٦١ (٣)	(٦) ٣٠ (٧) ٤٨٠ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠
٦٢ ، ٦٣ ، ١٧٧ ، ٣٧٦ (٤) ٢٨٢	يحصب (٧) ٢٩
(٥) ٤٦٨ (٦) ٥٤ ، ٤٢٠	يلنبل (١) ٥٧ (٥) ٥٢٢
الينبع (٢) ١٧٣ ، ٥٦٠	اليرموك (١) ٢٧٨ (٣) ٨ (٤) ٥٥ ،
يومين (٤) ٢١٢	٤٩٩
	يزيد (٢) ٤٠٥ ، ٤٠٩

فهرست القبائل والامم

والطوائف

أ

الأزد (١) ٢٩٣ ، ٢٩٤ (٢) ١٥٥	آل إبراهيم (٦) ٣٠٦
بنو أسد بن خزيمه (١) ٢٩٢	آل أبي حفص (١) ٣٠٩
بنو أسد بن ربيعة (١) ٢٩٢	آل أبي طالب (٤) ٥٠٠ (٥) ٣٠٨
بنو إسرائيل (٥) ٢٨٣ ، ٣٠٩	بنو أبي العافية (١) ٣٨٥
الإشبانيون (١) ١٣٨ ، ٢٥٧	بنو أبي عبدة (١) ٢٩٨ ، ٤٢١
أشجع (١) ٢٩٢	الأتراك ، انظر : الترك
أشرس (١) ٢٩٦	بنو الأحمر (١) ٢٩٤ ، ٣٠٢ ، ٤٤٧ .
الأشعرية (٣) ٣٥٣	٤٤٨ ، ٤٥٢ (٤) ٣٨٥ ، ٥١١ ، ٥٤١
بنو اشقيلولة (١) ٤٤٨	(٥) ٨ ، ٩٧ ، ٩٨ (٦) ٣٨١ ، وانظر
الأصبحيون (١) ٢٩٧	أيضاً : بنو نصر
بنو الأصفر ، انظر : الروم	أدد (١) ٢٩٥
بنو أضحى (١) ٢٩٥ (٥) ١١	بنو إدريس (١) ٣٨٥
بنو الأغلب (٢) ٣٣٩ (٣) ١٣٤ ،	بنو أذفونش (٤) ٣٥١
١٣٥ ، ١٦٢	الأردمليس (٤) ٤٤٩
الإفرنج ، انظر : الفرنجة	الأرمن (٤) ٣٨٧
بنو الأفطس (١) ٤٤٢ (٣) ١٩٠ (٤)	الأزارقة (٦) ١٧٦

١٠١ (٧) ٢٨٤ ، ١١٧ (٥)	٣٧٧ (٥) ١٥٤ (٦) ٣٨١
الأندلش (الأندلووش) (١) ١٣٣ ، ١٤٧	الأكاسرة (٥) ٢٦ ، ١٥٧
الأنصار (١) ٢٩٤ (٢) ١٥٥ ، ٥٦٣ (٥)	الأمان (١) ٣٦٥
١٥٧ (٦) ٢١٨ ، ٢٨١ ، ٣٠٥ ، ٣٥٥ ،	بنو أمية (١) ٨ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٦١ ،
٣٦٠ ، ٣٦٤ (٧) ١٧٥ ، ١٧٦ — ١٨٢ ،	٢١٣ — ٢١٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ، ٢٨٢ ،
١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،	٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣٣٠ ،
٢٢١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٩٦ ، ٣٢٣	٣٤٠ ، ٣٥٣ ، ٣٨٦ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ،
الأوس (١) ٢٩٤ (٣) ١٦٦	٤٣٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ،
أوسلة (١) ٢٩٤	٤٧٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٧ ، ٥٢٤ ، ٥٤٥ ،
إياد (١) ٢٩٣ (٥) ١٥٧ ، ١٥٨ (٦)	٥٥٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٦٠٥ ، ٦٢٩ ،
٢٤٩	٦٧١ (٢) ٦٢ ، ٣٣٠ ، ٤٩٨ (٣)
بنو أيوب (٢) ١٠٠ ، ٢٨٧ (٣) ١٠٢	٢٧ — ٣٤ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٤٩ — ٥٣ ،
٣٨٠ (٦) ٣٨٢ (٤)	٥٩ ، ٦١ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ١٢١ ، ١٣٢ ،
	١٣٣ ، ١٧٤ ، ٥٣٤ ، ٥٨٦ (٤) ١١٨

ب

٤٠٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٦ ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ ،	بنو الباجي (١) ٢٩٦ (٢) ٥١٥
٤٣٨ ، ٤٨٢ — ٤٨٩ ، ٥٤٨ (٢) ٩ ،	بنو باديس (٦) ٣٨١
١٣٠ ، ٣٢٩ ، ٥١٢ ، ٦٥٩ (٣) ٢٠ —	البرابر ، انظر : البربر
٢٢ ، ٢٩ — ٣١ ، ٤٥ ، ٢١٣ ، ٥٤٠ ،	البرامكة (٢٠) ٢٩٨ (٤) ٨٥
(٤) ٣٥٤ ، ٣٧٣ (٦) ١٩١ (٧)	البربر (١) ٢٣٠ — ٢٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ،
١٣٣ ، ١٣٥	٢٧٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،
البرجلونيون (٥) ٨٥	٣٣٣ ، ٣٥٤ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ،

بنو برزال (١) ٣٩٧	(٥) ٣٦٦ (٧) ٣١٩
البشتولقات (١) ١٣٨ ، ١٣٩	البكريون (أصحاب أوثبة) (١) ٢٩٢
البشكنس (١) ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٥٥ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٦٣ ، ٣٨٣ ،	البلديون (١) ٢٧٥ ، ٤٨٧ (٣) ٢٢
٣٨٥ ، ٤٠٤ (٣) ١٩ ، ١٤٠	البلغار (١) ١٣٧
البصريون (٣) ٧٤ (٤) ٨٤	البلويون (١) ٢٩٧ (٦) ٦٤
بكر بن هوازن (١) ٢٩١	يلي (١) ٢٩٧
بكر بن وائل (١) ٢٥٠ ، ٢٩٢ (٢) ٢٥٤	بهرام (٢) ٥٠٧
	بنو بويه (٦) ٣٨٠

ت

التار (١) ٣٢٢ (٢) ٢١٤ ، ٢٣٩ ، ٣٦٩ -	الترك (١) ٣٢٢ ، ٣٥٣ (٢) ٢٧٢ ، ٥٨٣
٣٧٣ (٤) ٣٨٧ ، ٥٣٩ (٥) ٢٤٧	(٥) ٢٩٩ (٧) ٨٦ ، ١٠١
١٩ (٦)	تغلب (١) ٢٩٢ (٣) ٣٠٤ (٥) ٣٦٦
تجيب (١) ٢٩٦ (٥) ١٥٧	تميم (١) ٢٩١ ، ٤٠٦ (٣) ١٩٥ (٧) ٣١٩
التجيبون (٣) ١٧٤	تنوخ (١) ٢٩٧
بنو الترجمان (٦) ١٩٢ ، ٤٨٤	تيم (١) ٤٣٧ (٢) ٣٧٧ (٣) ٥٤٩

ث

ثعل (٧) ٩٤	ثمود (٤) ٥٤٧ (٥) ١٥٤ ، ١٥٥ (٦)
ثقيف (١) ٢٩٢ (٥) ٣٠٩	٣٠٣
ثماله (٥) ١٩٣	ثور (٤) ٥٤٤

ج

٣٣٠ ، ٣٣٨ - ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ،	بنو جابر (٢) ١٣
٣٥٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨٢ - ٣٨٤ ، ٣٨٨ ،	آل جبلة (٤) ٤٧١
٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٤٦ ، ٤٤٦ (٤) ، ٣٦٣ ، ٣٧٨	بنو الجلد (١) ٢٩١ (٣) ١٨ (٦) ٢٧٧
٣٥٥ (٦)	جذام (١) ٢٩٦ (٣) ٣٦٣
جمع (١) ٢٩٠	الجراكسة (٦) ٣٨٠
الجمحيون (١) ٣١٣	جرهم (٥) ٤٩٤ (٧) ٣١٩
بنو جمهور (١) ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٤٣٩ ،	بنو جزري (٧) ٢٨٢
٤٧٣ (٣) ٣٢٦ (٤) ٢١٠ (٦) ٣٨١	بنو الجعدالة (٥) ١١٠
جبيظة (١) ٢٩٧	أولاد جفنة (٥) ١١٦
بنو جودي (١) ٢٩١	الجلالقة (١) ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٢٠٠ ، ٢٣٤ ،

ح

أولاد حسين (٥) ١٠٧	بنو الحارث بن فهر (١) ٢٩١
حضر موت بن قيس (١) ٢٩٨	بنو الحارث بن كعب (٤) ٨٤
الحضرميون (١) ٢٩٨	بنو حام (٢) ٥٧١ (٣) ٤٩٦
الحفصيون (١) ٣١٤ (٥) ٣٠ (٦) ٣٨١	بنو حبيب (٥) ٥٠٥
الحلفاويون (٥) ٣٤٢	بنو حرب (٣) ٥١
بنو حمدان (٣) ١٩١ ، ١٩٥ (٤) ٢٧٥	بنو حزم (١) ٢٦٧ ، ٢٩١ ، ٦٢٠
بنو حمدين (١) ٢٩٢	بنو حسون (٣) ٣٩٢

الحنابلة (٥) ٢٦٩ ، ٢٨١ ، ٣٩٥	بنو حمود (١) ٢١٤ ، ٢٩٠ ، ٣٠٠ ،
الحنفية (٣) ١٤٧	٤٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٨٤ (٦) ٣٨٠
بنو حنيفة (٦) ٣٠٥	حمير (١) ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٤٠٦
	٤٢ (٤) ٣٦٣ (٥)

خ

بنو الخطيب (٥) ١٠	آل خاقان (٢) ٥٥٤
آل خلدون (٦) ٣٩٧	خثعم (١) ٢٩٦
الخلفاء الأكابر (الصُّقَالِبَة) (١) ٣٨٧	خزاعة (٦) ١٢٧
بنو خليف (٣) ٢٥٧	بنو خزر (١) ٣٨٥ ، ٣٩٨
بنو الخليل (٦) ٢٧٧	الخزرج (١) ٢٩٤ ، ٤٤٧ (٣) ١٦٦ (٥)
خندف (١) ٢٩٠ ، ٢٩١ (٥) ٣٦٧	٤٩ (٦) ٣٦٢ ، ٤٦٣ (٧) ١٩٠ ،
الخوارج (٥) ٣٠٩ (٦) ١٧٦	٢٩٩
خولان (١) ٢٩٥ (٥) ٣٤	خزيمة (٤) ٣٠٩
	خشين (١) ٢٩٧

د

الدليم (٣) ١٠٧ (٥) ٣٠٢ ، ٣٠٩	الدهرية (٥) ٢٨٨
------------------------------	-----------------

ذ

ذبيان (٥) ٤١	بنو ذي النون (١) ١٦١ ، ٤٤٠ (٣) ١٩٠
ذو أصبح (١) ٢٩٧	(٤) ١٣٣ ، ٣٧٧
ذو رعين (١) ٢٩٦	

الرباب (قبائل) (٤) ٥٤٤	٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٩٥ ، ٦١٠ ، ٦٦٠ ،
ربيعة بن نزار (١) ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٥٣٩	٦٧٩ (٢) ١٦٢ — ١٦٦ ، ٢٠٤ ، ٢٥٨ ،
(٣) ٣١	٣١٣ ، ٤٦٣ ، ٥٠٦ ، ٦٠٢ ، ٦١٨ ،
بنو رزين (١) ٤٤٠	٦٩٢ (٣) ٨٣ ، ٨٥ ، ١٦٢ ، ٢٥٨ ،
بنو رستم (٣) ٢٩	٣٢٨ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ (٤) ٢١ ، ٢٦ ،
بنو رشيق (١) ٢٩٢	١١٦ ، ١٣٠ ، ٣٥٣ ، ٣٦٧ ، ٣٧٨ ،
بنو الرقاء (٦) ٢٣٧	٤٥٠ ، ٤٥٧ — ٤٦٣ ، ٤٦٧ — ٤٧٣ ،
بنو الرثيمي (٣) ٥٣٤	٤٩٧ ، ٤٩٩ ، ٥٤١ (٥) ٥٥ ، ٨٥ ،
الروافض (٥) ٣٠٧ ، ٣٠٢	٩٢ ، ٩٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ، ٥٢١ ،
الروس (١) ١٣٧	(٦) ٨ ، ١٩ ، ٥١ ، ٢٣٨ ، ٣٣٦ ،
الروم (١) ١٦١ ، ٢٣٩ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ،	٣٦٣ ، ٣٧٨ ، ٤٥٨ ، ٤٧٨ (٧) ٣٧ ،
٣٦٦ — ٣٧٣ ، ٣٩٩ ، ٤١٦ ، ٤٥٣ ،	١٤٠ ، ٢٠١ ، ٢٩٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ —
٤٦٤ ، ٤٨١ ، ٤٩٢ ، ٥٦٠ ، ٥٦٨ ،	٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ،

ز

بنو زهرة (١) ٢٩٠ (٣) ١٤١	زبيد (١) ٢٩٥
الزهريون (٣) ٦٤	زناتة (١) ٣٢٨ ، ٣٥٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٧ ،
بنو زيان (٥) ٣٥ ، ٣٦٤ ، ٣٩٦ (٦)	٣٩٨ ، ٤٢٧ (٢) ٣٠٩ ، ٣١٠ (٣)
١٩٧ ، ٣٨١ ، ٣٩٦ ، ٤٥٨	٢٩ (٤) ٣٧٦ (٥) ١٠٤ ، ١٠٧ ،
الريانين (بنو القاسم) (٦) ٥١٢	١١٠ ، ١٢٠
آل زيدان (٥) ٢٨	الزنج (٢) ٥٨٧
الزيدية (٧) ٤١٧	بنو زهر (١) ٢٩٣

س

١٩٥	بنو ساسان (٤) ٤٨٧ (٥) ٢٦ ، ٣٠ ، ٤١
السكاسك (٥) ٣٦٣	(٦) ٣٨٠
السلامية (فرقة) (٤) ٣٩٩	بنو سام (٣) ٤٩٦
بنو سلجوق (٦) ٣٨٠	سبا (٤) ٢٩٢ (٥) ٤٩٤ (٧) ٣١٩ ، ٣٢٧
بنو سلطان الأندلس (٤) ٥٢٤	بنو سبعين (٢) ١٩٨
سلمان (قبيلة) (٥) ٢٢ ، ٢٣	بنو سراج (١) ٢٩٥
بنو سلمة (٦) ٢٦٤	سعد بن بكر بن هوازن (١) ٢٩١ ، ٥٤٥
سليم (١) ٢٩١ (٣) ١٠٢	آل سعد (الأنصار) (٧) ١٥٥
بنو سماك (١) ٢٩٥	بنو سعد (النصريون) (٧) ٢٦٢
السودان (٢) ١٩٤ (٣) ١١ (٤) ٣٦٧	بنو سعيد (١) ٢٩٥ (٢) ٣٣٠ ، ٣٥١ ،
١٥١ (٧)	٣٥٢ ، ٣٦٥ (٣) ٦١ ، ٦٢ (٤) ١٧٩ ،

ش

الشافعية (٢) ٥٢١ ، ٦٩٨	آل شيان (٥) ٤٢
الشاميون (١) ٢٦٧ ، ٢٧٥ (٣) ٢١ ،	الشيبيون (٢) ٥١٣
١٦٤ ، ٢٢	الشيعة (١) ٣٨٥ ، ٣٩٧
بنو شهيد (١) ٤٢١ (٣) ٤٥	

ص

بنو الصباح (٢) ٢٧٣	٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤١١ ،
صباح (٧) ٩٤	٤٨٣ ، ٥٦٧ (٣) ٨٢ ، ٨٥ ، ٩٢
بنو الصباغ (٥) ١١٣	بنو صمادح (٣) ١٩٠ ، ٤١١ (٤) ٣٧١ ،
الصدف (١) ٢٥٤	٣٧٧ (٦) ٣٨١
الصفر ، انظر : الروم	صنهاجة (١) ٣٩٧ (٢) ١٠٥ (٤) ٣٢٢ ،
الصقالبة (١) ١٣٧ ، ١٤٥ ، ٣٦٥ ، ٣٨٤ ،	٣٥٤ ، ٣٦٧

ض

ضبة (١) ٢٩١	بنو ضمرة (٢) ٣٥ ، ٣٨١
-------------	-----------------------

ط

بنو طولون (٢) ٣٣٧	بنو طاهر (٤) ٣٧١
بنو الطويل (٣) ١٧٤	طسم (٥) ١٥٧ (٦) ١٠
طي (١) ٢٩٥ - ٢٩٨ (٢) ٢٩١ (٦)	الططر ، انظر : التتار
٢٤٩ ، ١٠٣	بنو الطنجالي (٥) ١١

ظ

الظاهرية (٢) ٥٤١ ، ٥٥١

ع

بنو عباد (العباديون) (١) ١٥٩ ، ٢٩٠ ،	عاد (٤) ٤٨٧ ، ٥٣٤ ، ٥٤٧ (٥) ٢٨ ،
٢٩٦ ، ٤٣٨ ، ٥٠٠ (٣) ١٩٠ ، ٢٤٢ ،	١٥٤ ، ١٥٥ (٦) ١٠ (٧) ٣١٩
٣٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ (٤) ٢١٢ ، ٢١٤ ،	عامر (قبيلة مشرقية) (٢) ٣٥ (٧) ٩٢ ،
٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤١ - ٢٧١ ،	٩٤
٢٨٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ (٥) ٤٩٨ ،	العامريون (١) ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ،
بنو العباس (١) ٨ ، ٢١٤ ، ٢٤٩ ، ٢٨٢ ،	٤٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ (٣) ٦٩ ،
٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤٧ ،	٥٤٦ (٤) ١١ ، ٢٩٠ ، ٤٩٥ (٥) ٧٧

عيس (٥) ٤١	٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٤٣٤ (٢) ٢١٣ (٣)
بنو عبيد (٢) ٦٠ ، ٣٤٥ (٣) ٦٩ ، ١٧١	٢٧ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ،
(٥) ٣٠٩ (٦) ٣٨٠ ، وانظر أيضاً :	٢٣٠ ، ٤٤٢ ، ٥٨٦ (٤) ٢٦ ، ٢١٥ ،
الفاطميون	٣٨٤ (٥) ١١٧
بنو العجلان (٢) ٤٩٨	بنو عبد البر (١) ٢٩٢
العجم (٦) ١٩١	بنو عبد الحق (٥) ١١٠ (٦) ٤٥٦ ، وانظر
العدنانيون (١) ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ (٥)	أيضاً : المرينيون
٤٨ (٧) ٣٤١	بنو عبد الدار (١) ٢٧٨ ، ٢٩٠ (٣) ٦٠
عليّ (٢) ٣٧٧	٣٤٤ (٧)
علرة (١) ٢٩٨	بنو عبد السلام (١) ٢٩٥
بنو علرة (الأندلسيون) (١) ٢٩٨	بنو عبد الصمد (٣) ٥٣٥
بنو العزفي (العزفيون) (٥) ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،	بنو عبد العزيز (٤) ٥٤
٤٦٩	بنو عبد المدان (٥) ١١٦
بنو عسكر (٥) ١١٠	بنو عبد المطلب (٢) ٥٦٢
بنو عطية (أعيان غرناطة) (١) ٢٩٢	بنو عبد مناف (٧) ٣٠٩
الملويون (الحموديون) (٣) ٣٦٠	بنو عبد المؤمن (١) ١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩ ،
بنو عمار (٣) ٦١ (٤) ٢١٣	٣٠٨ ، ٤٦٣ ، ٥٦٣ ، ٥٩٠ (٢) ٢٤٠ ،
آل عمران (٦) ٣٠٦ (٧) ٣٧٤ ، ٣٣٠ —	٣٢٩ ، ٦١٣ (٣) ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٥٣ ،
٣٤٠	١٨٨ ، ٢٢٢ ، ٣٠٧ ، ٤٣١ ، ٤٦١ ،
عملاق (٦) ١٠	٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٥١٢ ، ٥٦٨ (٤) ٦٦ ،
بنو عمور (٥) ٣٧٢	١٧٩ ، ٣٨٤ ، ٤٥٦ ، ٤٦٤ ، وانظر
عنس بن مالك (١) ٢٩٥	أيضاً : الموحدون
بنو عيلان (١) ٦١٠	بنو عبد الواد (٥) ٢٢٤ ، ٢٤٩ (٦) ٢١٤
	١٢٨ ، ١٢٧ (٧)

غ

غافق (١) ٢٦٤	٤٣
الغز (٣) ١٠٧ ، ١٣٣	بنو غفجوم (٢) ٥٠٢
غسان (١) ٢٩٣ (٥) ١١٦ ، ١٥٧ (٧)	غماره (٥) ٢٤٤

ف

فارس ، انظر : الفرس	٥٢٣ ، ٥٦٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ (٢) ٢٩٦ ،
الفاطميون (٢) ٢٩٠ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠	٢٩٧ ، ٤٨٨ ، ٥١٢ ، ٥١٩ ، ٥٢٩ ،
الفتيان الصقالبة (٢) ١٤٦	٥٤١ (٣) ١٥ ، ١٦ ، ٧١ ، ١٠٢ ،
الفتيان الوصفاء (١) ٣٨٧	١٠٤ (٤) ١٣١ ، ٣٥١ — ٣٧٣ ،
الفرس (١) ٢٤٣ ، ٤٥٩ ، ٤٩٢ (٢)	٣٧٨ — ٣٨٧ ، ٤٠٣ ، ٤٤٧ — ٤٥٠ ،
٤١١ ، ٦١٠ (٤) ٤٨٧ ، ٤٩١ (٥)	٤٦٥ — ٤٧٩ ، ٥١٠ — ٥١٢ ، ٥٢٤
٣٠ ، ١١٦ ، ٥١٩ ، ٥٢١ (٦) ٥١	١١٢ (٥)
٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٥١١ (٧) ٢٩٨ ، ٤٦٢	فزاره (١) ٢٩٢ ، ٣٠٢
الفرنجية (١) ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٣٤ —	آل فطيس (١) ٤٢١
٢٣٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٣٢٢ ،	بنو الفلاس (١) ١٨٦
٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٥ ،	بنو فندلة (٣) ٤٧٣
٣٤٦ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣ — ٣٦٦ ، ٣٨٢ ،	القهريون (١) ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٩٠ ، ٣٢٨ ،
٤٠٢ ، ٤٤٣ — ٤٥٠ ، ٤٦٤ ، ٤٨٥ ،	٤٤٠ (٣) ١٦٨

٤٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٢ ، ٣٢٨	بنو القاسم (الفهريون) (١) ٢٩١ (٣) ١٨
قريش البطاح (٦) ٥١١	بنو القاسم (بنو عشرة) (٧) ٤٦
قريش الطوامر (١) ٢٩١	بنو القاسم ، انظر : بنو زيان ، الزيانيون
بنو قسي (٣) ١٧٣ ، ١٧٤	القبط (١) ٤١٥ (٢) ٥٨٧ (٦) ٥١ ،
قشير (١) ٢٩٢	٤٦٠
قصي (٤) ٣٠٩	بنو القبطرنة (١) ٦٣٦ ، ٦٣٨ (٣) ٢٧٠
قضاة (١) ٢٩٥ ، ٢٩٧ (٢) ٥٠٧	٢٣٦ (٤)
بنو القليعي (١) ٢٩٣	قحطان (والقحطانية) (١) ٢٩٣ ، ٤٢٥ ،
القوط (١) ١٣٨ — ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٦٢ ،	٦٥٩ (٤) ٤٨٧ (٥) ٢٢ ، ٢٨ ، ٤٩ ،
٢٢٩ — ٢٣٤ ، ٢٤٨ — ٢٥١ ، ٢٥٧ ،	١٥٧ ، ٤٩٤ ، ٥٢٨ (٧) ٢١١ ، وانظر
٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٤٥٩ ، ٤٦٤ ، ٤٨١	أيضاً : اليمانية
القونوية (٥) ٢٤٧	القدرية (٥) ٢٩٣ ، ٢٩٤
قيس (١) ٢٩١ ، ٢٩٢ (٢) ٣٥ (٣)	القرامطة (٢) ٢٣٧ ، ٥٦٧
٢٤ ، ٥٢ (٥) ٣٦٧ (٦) ٤٢٨ ، ٤٢٩	قرّة (٢) ٦٥٩
(٧) ١١٩	قريش (١) ٢٩٠ ، ٣٣١ ، ٤٠٥ ، ٤٢٦
قيس بن سعد (٧) ١٤	(٢) ١٣ ، ٥٦٣ (٣) ٩ ، ١٦٦ ، ١٨٨
القيسية (١) ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٩٢ ، ٣٢٨	(٤) ٢٥٢ ، ٣٠٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٦ (٥)
بنو قيلة (٥) ٤٣٦ ، ٥٢٨ (٧) ١٥١	١١٧ ، ٢٨٢ (٦) ١٧٣ (٧) ٣٢٦ ،

ك

٣٠٩	كعب (٧) ٢٩٧
كتلة (١) ٢٩٦ ، ٣٣٤ (٤) ٣٦ (٦)	كعب بن سليم (٢) ٣١
١٥٨	كلاب (١) ٢٩٢ (٧) ٢٩٧
كهلان (١) ٢٩٣ - ٢٩٧	كلب بن وبرة (١) ٢٩٨ (٣) ٥١
الكوفيون (٤) ٨٢ ، ٨٤	كنانة (١) ٢٩١ ، ٣٣٥ (٣) ٢٣ (٤)

ل

(٤) ٢٥٦ ، ٢٧٦ ، ٣٧٧ (٥) ١٨٣ ؛	لحم (١) ٢٨٠ ، ٢٩٥ (٤) ٢٢٦ (٥)
وانظر أيضاً : المرابطون	٣٧٤ ، ١٥٧
بنو لؤي بن غالب (٤) ٥٠٠	اللطينيون (١) ١٤٧
	لتونة (١) ٤٤٢ ، ٥٤٠ (٣) ٢٠٥ ، ٤٩٢

م

مالك بن فهم (١) ٢٩٧	بنو ماء السماء (٤) ٢٧٥
المالكية (٢) ٥٣٤ ، ٦٦٨ (٣) ١٤٧ ،	بنو مازن بن الأزد (١) ٢٩٣
١٨٠ (٥) ٢١٧ ، ٢٥٣ ، ٢٧١ ، ٣٩٤	مالك بن أدد (١) ٢٩٥

٦١٧ (٤) ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ،
 ٥١٠ ، ٥٣٢ ، ٥٤٤ (٥) ، ٨٨ ، ٩٢ ،
 ٩٧ - ١٠٦ ، ١٢١ (٦) ، ١٦ ، ١٧ ،
 ٢٢ ، ٧٣ ، ١٤٦ ، ٢١٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ،
 ٣٨١ - ٣٨٦ ، ٤٤٥ (٧) ، ٣٨٩
 بنو مزغنة (٧) ٤٨٠
 بنو مَزْنَى (٦) ٣٩٢
 آل مسلمة (بنو الألفطس) (٤) ٢٢٥
 مصمودة (٢) ٩
 المضرية (١) ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ ،
 ٢٩٣ ، ٣٢٨ ، ٤٢٦ (٢) ، ٤٨ (٣)
 ٢١ - ٣٦ (٤) ، ١٠٥ ، ٣٣١ (٥) ، ١١٦ ،
 ١٥٧
 معافر (١) ٣٠٧ ، ٣٩٦
 المعتزلة (٥) ٣٠٢ ، ٣٠٧ ، ٤٨٥
 معد بن عدنان (١) ٤ ، ٢٩٣ ، ٤٦١ (٤)
 ١٠٥ (٥) ٢٨
 بنو المعز بن باديس (٣) ١٤٨
 بنو معن (بنو صمادح) (٣) ٣٩٥ ، وانظر
 أيضاً : بنو صمادح
 مغراوة (١) ٣٨٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٢٣ ،
 بنو مغيث (٣) ١٢
 مغيلة (٣) ٣١
 آل مكحول (٣) ٥٢١
 المثلثون (١) ٢٢١ ، ٤٩٠ (١٢) ، ٢٦ ،
 ١٥٩ ، ٣٣١ (٣) ، ٦١ (٤) ، ٥٠٧ (٤)
 ١٣٣ ، ١٧٩ ، ٣٥٤ ، ٤٥٦ (٧) ، ٦

(٦) ١٦٢
 مجاشع (٥) ٣٦٣
 المجوس (النورمان) (١) ١٦٧ ، ٣٤٥ -
 ٣٨٣ ، ٣٦٦ ، ٣٥٠
 المجوس (٢) ٢٥٧ (٧) ٤٧٤
 بنو محارب بن فهر (١) ٢٩٠
 بنو المحاسن (٢) ٤٦٢
 آل محمد (٥) ٣٠٨
 المخزوميون (١) ٢٩٠
 ملحج (١) ٢٩٥ (٣) ٦ (٧) ٤٥
 المرابطون (١) ٦٧٥ (٣) ٣٤٥ ، ٣٧٠ ،
 (٤) ٢٧٧ ، ٣٦٠ ، ٤٥٥ (٥) ٥١٤
 (٧) ٤١ ، وانظر أيضاً : المثلثون
 مراد (٥) ٢٢
 مراد بن مالك (١) ٢٩٥
 بنو مردنيش (١) ٢٩٦ ، ٤٤٢
 مرة بن أدد (١) ٢٩٥
 بنو مروان (١) ٢١١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ،
 ٢٩٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ،
 ٣٨٥ ، ٤٦٤ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ (٢) ٥١١
 (٣) ٣٩ ، ٤٥ - ٤٨ ، ٨٥ ، ١١١ ،
 ١٥٤ ، ١٨٨ ، ٣٣٤ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ،
 ٥٥٨ ، ٥٧٣ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٥ (٤)
 ٥٣٧ (٥) ٢٩ (٧) ٤١٧ ، وراجع :
 بنو أمية .
 بنو مرين (المرينيون) (١) ٧٩ ، ٣١٤ ،
 ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٥٠٦ ، ٦٠٥ (٢)

بنو منقر (٤) ٥٤٥	وانظر أيضاً : المرابطون ، لتونة
المهاجرون (٧) ٢٦٨ ، ٢٦٩	بنو الملجوم (٢) ٥٠٢
آل المهلب (١) ٦٣ ، ٢٩٣	ملوك الطوائف (١) ١٦١ ، ٢١٣ - ٢١٦ ،
الموحدون (١) ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٤٤٢ -	٣٠١ ، ٤٤٠ - ٤٤٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٧ (٢)
٤٤٩ ، ٤٩٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٩٠ ،	٧٧ (٣) ٤٣٢ (٤) ١٣٤ ، ٣٥٦ ،
٦٠٥ ، ٦٠٦ (٢) ٣٠ ، ٢٧٧ ، ٣٢٣ ،	٣٦٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧
٣٣٦ (٣) ١٣٣ (٤) ١٧١ ، ٣٧٧ -	مليلة (١) ٣٢٨ ، ٤٣٥
٣٨٠ ، ٣٨٤ ، ٤٦٣ ، ٤٧٨ (٥) ٩٤ ،	منيه بن سعد العشيرة (١) ٢٩٥
١٥٦ ، ١٨٨ ، ٢٤٤ (٦) ٣٣٣ ، ٣٨١ ،	بنو المنتصر (١) ٢٩٥
٣٩٠ ، ٤١٦ (٧) ٨	بنو المنجم (٢) ٤٦٢
	بنو منقلد (٢) ١٣٣

ن

بنو النضير (٥) ١٣٩	النبيط (٢) ٥٨٧
نفزة (١) ٢٥٤ ، ٣٢٨ (٣) ٤٩	نزار (٤) ١٠٥ ، ١٣٢ (٥) ٢٥
النمر بن قاسط (١) ٢٩٢	النزارية (٢) ٢٩٤
نمير بن عامر (١) ٢٩٢ (٢) ٤٩٩ (٧)	بنو نصر (١) ٤٤٧ ، ٤٤٨ (٥) ١٧٩ ،
٢٩٧	٤٣٦ ، ٥٠٥ (٦) ١٠٥ ، ١٤٦ ، ١٦٥ ،
ننشل (٥) ٣٦٣	٢٣٨ ، ٢٦١ ، ٤٨٢ ، ٥٠٣ (٧) ٦٧ ،
	١٧٣ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٢٩٤

هـ

هتتاة (٦) ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢١٧	بنو هاشم (١) ٢٩٠ (٢) ٣٧٧ ، ٦٦١ ،
هواره (٢) ٢٧٤	٦٨٧ (٥) ٤٨ ، ٣٩٠ (٦) ٨٦ ، ١٤٠
هوازن (١) ٢٩١	(٧) ٢٨٥ ، ٢٣٦ ، ٢٠٥
بنو هود (١) ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٦٤٨	الهدنانية (٥) ١١٦
(٣) ١٩٠ (٤) ٣٧٠ (٦) ٣٨١	هذيل (١) ٢٩١
الموزنيون (١) ٢٩٧ (٢) ٩٤ (٤) ١١٢	بنو هلال (٧) ٩٤
	همدان (١) ٢٩٤

و

بنو الخطيب	بنو واعد (١) ٢٩٦
الوقشيون، (١) ٢٩١	بنو ورار (٢) ٤٨٣
	بنو الوزير (٥) ٨ ، ١٠ ، وانظر أيضاً :

ي

آل يعقوب (المرينيون) (٤) ٤٠٨ (٥)	يحصب (١) ٢٩٧
٨٦ ، ٢٧٩ (٦) ٩ ، ١٠ ، ١٦ ، ٧٣ ،	يعرب (١) ٤٠٦ ، ٦٥٩ (٣) ١٩٥

٤٦١ ، ٥٨٠ (٢) ٣٣٠ (٣) ٨ ، ٢١ -	١٨٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٨٤ ؛ وانظر
٦١ ، ٥٩ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٤٨ ، ٤٤ ، ٣٦	أيضاً : المريثيون
٢١١ (٧) ٢٢٤ ، ١٥٧ (٥) ٤٨٧ (٤)	بنو يفرن (١) ٣٩٧ (٣) ٥٦١
اليونان (١) ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٤ ،	اليمانية (اليمنية) (١) ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،
٣٣ ، ٢٦ (٥) ٥٤١	٢٧٥ ، ٢٩٣ ، ٣٢٨ ، ٣٩٦ ، ٤٢٦ ،

فهرست القوافي

الادف المقصورة

٢٨ : ٤	ابن عبد البر	الطويل	الوثقى
٢٤٢ : ٢	ابن أبي الفضل المرسي	الكامل	أنى

قافية السهمزة

١١٢ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	الطويل	وثناء
٤٩١ : ٤	أبو المطرف ابن عميرة	»	رأى
٤٩٧ : ٣	ابن نزار	»	رداءها
٣٦٤ : ٣	قيس بن الخطيم	»	قضاءها
١٧٧ : ٦	» » »	»	أضباءها
٢٦٤ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	الكامل	هباء
٥٦٨ : ٢	الطغرائي	»	الأعداء
٢٨٠ : ٤	المعتمد بن عباد	»	رداء
٢٧٣ : ٥	ابن الرومي	»	والبصراء
٤٧٩ : ٤	_____	»	فداءها
١٤٣ : ٣	السلفي	مجزوء الرمل	فته

٦٢٤ : ١	المعتمد بن عباد	الخفيف	أساء
٣٦٨ : ٢	الجزار المصري	»	البقاء
٢٤١ : ٤	أبو عبد الله الحوضي	»	عطاء
٢٨١ : ٤	المعتمد بن عباد	»	والسنا
٣٢٠ : ٤	أبو العلاء المعري	الطويل	هراء
٣٧٦ : ٥	ابن خميس	»	أنباء
٤٠٩ : ٥	لسان الدين	»	خفاء
١٤٣ : ٦	المتشاقري	»	شركاء
٥٠٣ : ٣	ابن الحداد	»	واطىء
٣٩ : ٦	أحمد بن صفوان	»	هناؤه
٢٣١ : ٧	ابن زمرك	»	وسماؤها
٢٢٧ ، ٢٠٩ : ١	ابن سفر المريني	البسيط	سراء
٣٤٨ : ٣	الأعمى التطيلي	»	أنداء
٣٢٢ : ٥	أبو نواس	»	الداء
٥٤٤ : ٥	ابن ليون	»	إحصاء
٥٨ : ٤	ابن الأبار	»	تطفئه
٦٨٣ : ٢	ابن جابر الأعمى	الوافر	حياء
٣١٨ : ٣	ابن خفاجة	»	المساء
٣١٨ : ٣	ابن صارة	»	المساء
٢٩٤ : ٥	_____	»	يشاء
١٩ : ٧	ابن باجة	»	نشاء
٢٩٧ : ٥	_____	»	القضاء
١٤٩ : ١	أبو الحسن ابن نزار	الكامل	النعماء
٢٢٦ : ١	» » »	»	الأهواء
١٠٦ : ٢	أبو الصلت أمية	»	الأشياء
١٠٦ : ٢	أبو الصلت أمية	»	الأشياء
٣٢٦ : ٦	المتنبي	»	الأشياء

٦٩٣ : ١	أبو الحسن ابن سعيد	الكامل	البرحاء
٢٦٣ : ٢	» » »	»	الأنداء
٢٦٣ : ٢	» » »	»	وعطاء
٢٦٤ : ٢	» » »	»	غشاء
٢٦٤ : ٢	» » »	»	ظباء
٣٥٨ : ٢	_____	»	الأعداء
٤٦١ : ٢	المتنبي	»	الاهواء
٢٧٠ : ٦	_____	»	سواء
٢١٢ : ٦	ابن عبدون المكناسي	»	حسنا
٤٤٧ : ٦	_____	»	وبناؤها
٥٠٩ : ٧	أبو زيد الفارازي	الكامل المجزوء	سما
٥٥٧ : ٥	ابن ليون	السريع	داؤها
٢٧١ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	المنسرح	ينشها
١٤ : ١	_____	الخفيف	والإبداء
٦٣٧ : ١	أبو محمد ابن القبطرنة	»	يهاؤه
٣٠٠ : ٢	دفترخوان	المجث	خلاء
٣٨٤ : ٢	ابن جبير	»	وفاء
٥٨٥ : ٥	ابن ليون	»	تشاء
٢٦١ : ٢	الغزال	الطويل	وحيائي
٣٠٩ : ٤	ابن برطله	»	وإخاء
٥٦٩ : ٢	أبو حيان	»	بسوداء
٤٠٨ : ٣	مروان بن عبد العزيز	»	بنائه
٦١٣ : ٢	ابن فرسان الوادي آشي	»	بدمائه
٣٠١ : ٤	ابن صارة	»	مواطنيه
٥١٧ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	»	جفائها
٢١ : ٤ ، ٤٨٧ : ٣	ابن النبي	»	نوثها
٤٠ : ١	_____	البسيط	وأعداء

١٤٦ : ٤	ابن حيش	البيسط	والماء
١٩٤ : ٥	_____	»	فبالماء
٢٩٢ : ٥	_____	»	بالماء
٥٧٤ : ٥	ابن ليون	»	والأوداء
١٨٤ : ٢	ابن عربي	مخلع البسيط	والسماء
٦٨٣ : ٢	ابن جابر الأعمى	» »	حياء
٦٨ : ١	_____	الوافر	الضيافة
٥٩٢ : ٢	ابن الأبار	»	الضياء
٣٠٨ : ٣	أبو جعفر ابن طلحة	»	ماء
٣١٩ : ٣	ابن خفاجة	»	الشفاء
٤٣١ : ٣	المهريس	»	الثناء
٣١٩ : ٥	المقري الجحد	»	الثناء
٥٨ : ٤	ابن دراج	»	ابن ماء
١٩٨ : ٥	الشريف السبي	»	البهاء
٥٠٩ : ٧	أبو زيد القارازي	»	الأنبياء
١٣٤ : ٤	أبو محمد ابن سفيان	الكامل	ثناء
٥٨٢ : ٥	ابن ليون	»	عناء
٢٥٣ : ٦	صفوان بن إدريس	»	سماء
٤٧ : ٦	_____	»	بنائي
٦٥٧ : ١	غلام البكري	»	الماء
١٩٥ : ١	_____	»	عوراء
٣١٥ : ١	أبو المطرف ابن عميرة	»	العزجاء
٦٨٦ : ١	ابن خفاجة	»	النظراء
٦٩٠ : ١	» »	»	الوعساء
٢٠١ : ٣	» »	»	الحسناء
٢٦٥ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	بالإيحاء
٢٦٥ : ٢	» » »	»	الخيلاء

٢٦٠ : ٤	ابن وهبون	الكامل	الأشياء
٢٤٨ : ٦	ابن هانئ السبتي	»	الشرفاء
١٧٩ : ٧	ابن زمرك	»	الظلماء
٥٨٥ : ٥	ابن ليون	»	إيذائكا
٤٣٢ : ٣	حسام الدولة ابن رزين	»	وبدائه
٤٣٣ : ٣	زهر بن عبد الملك	»	وفائه
٣١٩ : ٤	ابن صقر	»	استرضائه
٣٣٧ : ٤	الحميدي	»	كفناؤه
٥٠٦ : ٥	أبو عبد الله ابن الحكيم	»	أعدائه
٢٢٤ : ٧	ابن زمرك	»	آلاته
١٠٦ : ٢	أبو الصلت أمية	»	إنائها
١١١ : ١	_____	»	أثنائها
٤٨٧ : ٥	ابن الحاج النميري	»	جلسائها
٢٣٥ : ٣	ابن عبد البر	مجزوء الرمل	الأمراء
١٩٣ : ٢	_____	السريع	والرائي
٣٢٧ : ٥	_____	»	أسمائي
٢٩٥ : ٣	ابن عبد البر	»	مائه
٢٩٥ : ٣	القلقاط	»	أبنائه
٥٧٤ : ٥	ابن ليون	»	لآبائه
٢٧ : ٢	ابن العربي	الخفيف	الهواء
٣١٤ : ٣	الأعز ابن المؤيد	»	عزاء
٢٤١ : ٤	_____	»	سخاء
٣٤٨ : ٤	ابن خاتمة	»	دوائبي
٢٨٦ : ٥	_____	»	وسناء
٤٤٢ : ٣	ابن صارة	»	الظلماء
٢٣٢ : ٤	ابن لبال	»	الظلماء
٤٨ : ٧	ابن عقال	»	تلقائه
٢٩٣ : ٣	السميسر	المجثث	ماء

قافية ابناء

٨٠ : ٧	ابن زمرك	الطويل	بالغروب
١٧٧ : ١	ابن مالك الرعيني	»	ذهب
٥٧٣ : ٢	أبو حيان	»	عجب
٢٢٤ : ٣	السلفي	»	والأدب
٢٤٤ : ٣	أبو عامر ابن شهيد	مخلع البسيط	راتب
٣٢٦ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	الكامل	للنخب
١٩٦ : ٣	ابن درّاج	»	القضب
٣٥٥ : ٧	ابن جابر	»	بالذهب
١٣٢ : ٤	—————	الكامل المجزوء	الذنوب
٥٨٧ : ٥	ابن ليون	»	الطبيب
١٦٧ : ٤	سعدونة (أو ابن العميد)	»	تقارب
٩٥ : ٢	أبو بكر محمد بن القاسم	الرملي	التمب
٢٨٨ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	بالطرب
٣٠٣ : ٢	» » »	»	الغضب
٢٣٢ : ٧	ابن زمرك	مجزوء الرمل	مذهب
٢٨٩ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	السريع	عذاب
٢٨٩ : ٢	أبو العباس الفسائي	»	صواب
٤٤ : ٢	ابن حجاج الإشبيلي	»	الحبيب
٣١١ : ٣ ، ٣٥٢ : ٢	ابن عسكر	»	الرقيب
٦٣ : ٤	ابن حكم	»	مستريب
١٨٤ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	الغروب
١٨٨ : ٤	» » »	»	القلوب
٢٨٥ : ٤	حفصة	»	نحيب

٤٥ : ٦	ابن ليون	السريع	المغيّب
٥٨٨ : ٣	أبو جعفر الجنان	»	الخطيب
٣٣٩ : ٧	الشريف الطليق	»	منتخب
٣٣٨ : ٣	ابن جابر	الخفيف	تسكب
١٩٨ : ٤	بكار المرواني	مجزوء الخفيف	غريب
٢٧١ : ٤	اللس (وابن سعيد)	المجتث	واجب
١٥٦ : ٧	ابن حمديس	»	المعاطب
٧٤ : ٧	ابن زمرك	المتقارب	القشيب
٣٥٥ : ٢	أبو القاسم البرجي	»	لاحب
٣٧٧ : ٢	_____	»	الأدب
٤٥٨ : ٣	أبو حيان	»	والأدب
٢٣٢ : ٤	ابن بسام	»	الحسب
٥١٦ : ٦	ابن لبّال	»	المنتجب
٦٧٨ : ١	أبو زكريا ابن خلدون	»	الرتب
١٩١ : ٤	ابن خفاجة ...	الطويل	قبايا
٤٥٨ : ٢	أبو جعفر ابن سعيد	»	عتابا
٢٣١ : ٣	_____	»	عائبا
١٨٩ : ٤	ابن أبي يغمور	»	وصاحبا
٣٥٩ : ٣	سعد بن ناشب	»	صاحبا
٤١٦ : ٣	أبو عامر ابن شهيد	»	كاذبا
٦٨٧ : ٢	غالب الحجام	»	والترائبا
٢٩٦ : ٥	ابن جابر	»	ومرحبا
٦٥ : ٤	بشار	»	المغييا
٦٠٨ : ٢	أبو عمرو ابن غياث	»	غيها
٣٢١ : ٥	ابن غياث الشريشي	»	الصبا
٥٤٦ : ٢	_____	»	الصبا
	_____	»	ما أصبي

٦٢٣ : ٢	أبو عبدالله ابن الحكيم	الطويل	الحب
١٣٦ : ٤	أبو جعفر الوقشي	»	القربا
٥٨ : ٧	علي بن جودي	»	الغربا
١٠٨ : ٣	أبو الربيع الموحدي	»	ركابها
٤٩٦ : ٣	ابن نزار	»	جوابها
٤٦ : ٦	أبو جعفر الجنان	المديد	شنيبا
٦٨٧ : ١	ابن خفاجة	البسيط	سحابا
٢٨٣ : ٣	ابن زيدون	»	آبا
٥٨٠ : ١	صاعد	»	انتسبا
١٣٠ : ٦	ابن البناء الوادي آثي	»	انتسبا
٦٨ : ٢	_____	»	كتبا
٥٤٧ : ٢	أبو حيان	»	احتجبا
٤٩٠ : ٣	الأبيض	»	لالتنها
٣٤٧٠ : ٣	صالح بن شريف	»	العجبا
١٠ : ٤	ابن العطار اليايسي	»	لبا
١٦ : ٤	أحمد بن أفلح	»	ذمبا
٥٤٥ : ٤	الحطيفة	»	الكربا
١٧٧ : ٦	_____	»	تعبا
٤٩٨ : ٦	لسان الدين	»	وجبا
٥٠٤ : ٦	»	»	متنهبا
٣٢٩ : ٤	أبو الحكم البلنسي	»	الأعاجبا
٦٥٢ : ٢	ابن صارة	»	لهبا
٧٨ : ٦	ابن زمرك	»	مقتصبه
٥٠١ : ٦	لسان الدين	»	مقتصبه
٤٦٩ : ٦	»	»	عصبه
١٦ : ٥	والد لسان الدين	مخلع البسيط	النجابا
٦٧ : ٤٠٢٦٠ : ٣٠٥٨٨ : ١	عبد الملك بن إدريس الجزيري	الوافر	السحابا

٤٩٩ : ٢	جرير	الوافر	كلابا
٤٦٤ : ٣	ابن الزقاق	»	الشبابا
١١٣ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	والتهابا
٢٩٥ : ٧	عبد الله بن لسان الدين	»	انسكابا
١١٩ : ١	_____	»	شيبا
١٥٢ : ٤	ابن حسداي	»	والقصابه
١٥٢ : ٤	يحيى السرقسطي	»	عابه
٣٣ : ٦	ابن خاتمة	»	الكتابا
٣٠٠ : ٧	لسان الدين	»	المصبيه
٢٠١ : ٥	ابن هارون	مجزوء الوافر	قربا
٣٥٥ : ٢	_____	الكامل	والآدابا
٤٤٣ : ٣	محمد بن هاني	»	غضابا
٤٥ : ٤	»	»	ركابا
١٥٧ : ٤	ابن الدودين	»	ربابا
١٠٦ : ٢	أبو الصلت أمية	»	كعوبا
٥٩٩ : ٥	ابن خفاجة	»	مسكوبا
٥٢٦ : ٢	أبو بكر ابن عطية	»	تمذيبا
٥٥ : ٦	عبد العزيز الفشتالي	»	تدهيبا
٥٥٧ : ١	المقري الجحد	»	عجائبا
١٣ : ٥	لسان الدين	»	بما حبا
٣٠١ : ٦	_____	»	اللاحبا
٣٦٨ : ٧	ابن جابر	»	مآربا
٣٤٤ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	أشبابا
٤٦٨ : ٣	أبو بكر ابن زهر	»	الصبا
٤٧٧ : ٣	ابن الأبار الإشبيلي	»	أذنبا
١٢ : ٥	أبو محمد الأزدي	»	أو أبى
٤٧٢ : ٥	لسان الدين	»	مجدبا

٥٩ : ٦	أبو الحسن الشامي	الكامل	وأخصبها
٥٦ : ٦	عبد العزيز القشتالي	»	الربى
٥٠٦ : ٣	ابن البراق	»	ثيابه
٥٦٢ : ٣	المقتدر بن هود	»	المذهب
٥٦٢ : ٣	يحيى بن يظفت	»	المرتبه
٤٦٢ : ٢	_____	الكامل المجزوء	النجا به
٥٥١ : ٣	ابن أبي أمية	»	ونوائبه
٩٤ : ٤	ابن زيدون	»	ثوبها
٤٣٥ : ٣	ابن مصادق الرندي	الرملى	أشيبا
٥٩ : ٤	ابن عمران (ورفيقان له)	»	شبه
٢٨٥ : ٢ ، ٦٩١ : ١	أبو الحسن ابن سعيد	السريع	الصبا
٢٠ : ١	_____	»	الصبا
٢٥٧ : ٢	الغزال	»	الأغلبا
٤٣٤ : ٣	زهر بن عبد الملك	»	أبى
٢٤ : ٤	ابن قزمان	»	كوكبا
٤١٨ : ٥	أبو المكارم ابن أجروم	»	المغربا
٣٨٦ : ٣	ابن القراء	»	متعبه
١٠٢ : ٤	علي بن أبي وهب	المنسرح	مغلوبا
٥٨٣ : ٣	عبد الله بن الناصر	»	غصبا
٢٨٧ : ٢ ، ٢٦٦ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	الخفيف	شبابا
٥٧٤ : ٥	ابن ليون	»	قرا با
٢٥٧ : ٢	الغزال	»	نصيبا
٤٧٧ : ٣	ابن الأبار الإشبيلي	»	الكثيبا
٣٧٠ : ٢	عبد الرحمن بن سعيد	»	شبابه
٤٨٤ : ٣	أحمد بن محمد الإشبيلي	»	وغرابه
٣٤٥ : ٤	ابن صارة	»	بالصبا به
٥٤ : ١	_____	»	خيبه

٣٤٩ : ١	عبد الرحمن بن الحكم	المتقارب	مصيبا
٦٠٣ : ٣	ابن صارة	»	مذهبا
٦١١ : ٣	أبو عامر ابن شهيد	»	الخطابه
٣٠٣ : ٢	أبو الحسن الزناطي	»	نحبه
٦٩ : ١	_____	الفلزلي	صحاب
٥٣٩ : ١	ابن خفاجة	»	عتاب
٢٦٦ : ١٢٤ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	نصاب
٦٠٩ : ٢	أبو الحسن ابن حمدون	»	مصاب
٨٦ : ٢	_____	»	كذوب
٥٩١ : ٢	ابن الأبار	»	هوب
١٦٢ : ٤	ابن الدمينه	»	هوب
١٤٣ : ٤	كعب الغنوي	»	يؤوب
٣٠ : ١	المقري (أحمد بن محمد)	»	طيب
٤٥ : ١	_____	»	تطيب
٤٣٦ : ١	حسان بن أبي عبدة	»	ومغيب
٢٧٤ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	حيب
٧٢ : ٣	_____	»	حيب
٦١٠ : ٢٧٠ : ٣	ابن الغليظ (وابن السراج)	»	حيب
٥٥٣ : ٣	أبو الوليد ابن حزم	»	حيب
٣٣٠ : ٣	ابن سعد الخير البلنسي	»	ذيب
٣٤٧ : ٣	ابن برطله	»	مصيب
٥٤٩ : ٣	حسان بن أبي عبدة	»	ومغيب
٢٩٩ : ٤	ابن الزقاق	»	نصيب
٤٤٢ : ٥	ابن الحياض	»	قريب
٤٩٣ : ٥	أبو زكريا ابن هذيل	»	قريب
٣٦١ : ٦	لسان الدين	»	قريب
٤٩٧ : ٥	أبو بكر ابن الحكيم	»	عجيب

٥١٧ : ٥	أبو القاسم ابن جزي	الطويل	لهب
٨٦ : ١	الصفدي	»	واهب
٤٩٥ : ٢	ابن عيشون	»	واجب
٥٦٤ : ٢	أبو حيان	»	طالب
٦٥٩ : ٢	أبو ركوة	»	هارب
٣٧ : ٦	ابن خاتمة	»	جانب
٧٢ : ١	أبو تمام	»	عجائب
٢٨١ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	السحائب
٦٦٨ : ٢	ابن جابر	»	الركائب
٩٥ : ٤	_____	»	الركائب
١٩٢ : ٣	_____	»	تناسب
١٥٩ : ٥	_____	»	مضارب
٣٨٤ : ٥	ابن بيش	»	خواضب
١١٩ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	المطالب
٤٩٣ : ٧	ابن العطار الجرائري	»	السواكب
٢٣٣ : ٣ ، ٦٧٥ : ١	الفتح بن خاقان	»	كوكب
٤٥٢ : ٢	_____	»	كوكب
٢٣٣ : ٣ ، ٦٧٥ : ١	أبو محمد ابن مالك	»	ويعزب
٤٧ : ١	كمال الدين الربيعي	»	تطلب
٢٨٣ : ٣	أبو الحسن ابن سعيد	»	ينهب
٢٦٦ : ٢	» » » »	»	فيغضب
٥٨٣ : ٢	أبو حيان	»	يعذب
١١٧ : ٣	أبو الفضل البغدادي	»	يكتب
٤٧٨ : ٣	ابن الإمام	»	أرهب
٧٠ : ٤	أبو كثير الطرائفي	»	أكعب
١٢٧ : ٤	عبد الله المرواني	»	فيهرب
١٣٤ : ٤	أرقم	»	أطيب

٣٤٥ : ٤	أبو الحكم الأموي	الطويل	أوجبُ
٦٤ : ٢	ابن سراقه الشاطبي	»	تغربُ
٢٧٨ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	التقرب
٣٢٨ : ٢	_____	»	والتأدب
٤٢٢ : ٢	الشامي	»	مغرب
٦٧ : ١	_____	»	صحبُ
٦٠ : ١	الرعي الغرناطي	»	الركب
٥٨ : ٧	علي بن جودي	»	الركب
٨٢ : ٢	أبو محمد ابن حزم	»	ذنبُ
٥٨٣ : ٢	أبو حيان	»	القلب
١٥٦ : ٤	ابن اللبابة	»	عرب
٣٣٥ : ٤	ابن الفريولة	»	ربّ
٤٧٥ : ٥	أبو البركات ابن الحاج	»	خطب
٩٠ : ١	بعض الأندلسيين	»	قربوا
٥٨٠ : ٥	ابن ليون	»	صاحبه
٤٨٧ : ٦	لسان الدين	»	واجهه
٣٢٧ : ٧	_____	»	غالبه
٣٥٨ : ٧	ابن جابر	»	مشاربه
٤٠٧ : ٢	الناصر داود	»	قبابه
٤٧٢ : ٣	أبو الوليد ابن حزم	»	لهيها
٢٩٤ : ٥	_____	»	ارتكابها
٤٨٠ : ٥	أبو البركات ابن الحاج	»	ارتكابها
١٧٣ : ١	_____	»	تراها
٣٢٠ : ٦	_____	المديد	الغريبُ
٣١٤ : ٦	_____	البسيط	وكتّاب
١١٨ : ٣	أبو الفضل البغدادي	»	مجلوب
٥٦٤ : ٥	ابن ليون	»	تصميم

٤٥ : ١	_____	البسيط	العربُ
٢٦٢ : ٥ ، ٦١٩ : ٢	ابن الخيمي .	»	الطلبُ
٤١٦ : ٣	غالب الحجام	»	تلتهب
٤٣٧ : ٦	_____	»	الخشب
٢٦٣ : ٤	ابن الملح	»	منسكب
٢٨٥ : ٦	_____	»	ينسكب
٢٨٧ : ٥	_____	»	رتب
٥٧٨ : ٥	ابن ليون	»	أدب
٣٩٠ : ٣	السميسر	»	يحبُّ
٤٢٦ : ٣	المواعيني	»	حاجبه
٤٨٤ : ٣	أحمد بن محمد الإشيلي	»	ذوائبه
٧٠ : ٦	أبو القاسم البرجي	»	يعاتبه
١١٦ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	مطلبه
١٩٣ : ٥	ابن خنلم	»	أعجبها
٥٢٤ : ٢	أبو بكر ابن عطية	مخلع البسيط	أجيبُ
٣٤٨ : ٣	الأعمى التطيلي	» »	ضريب
٥٥ : ٧	أبو القاسم المنيشي	» »	خطيب
٣٧٩ : ٣	الهيثم بن أحمد	الوافر	التهاب
٥٩٤ : ٣	سليمان بن عبد الملك	»	الصواب
٣٣٢ : ٤	غريب الطليطي	»	أهاب
١٩١ : ٥	الشريف السبتي	»	العجاب
١٩١ : ٥	أبو عبد الله ابن جزي	»	العذاب
٦٨٥ : ٢	ابن جابر	»	الخطوب
٩٥ : ١	_____	»	قريب
٦١٥ : ٢	ابن مسعود القرطبي	»	عجيب
٤٣٠ : ٣	أبو العباس الخرجي القرطبي	»	عجيب
٢٩٦ : ٥	_____	»	اللييب

٥٩ : ٧	علي بن جودي	الوافر	حبيب
٤٦٢ : ٢	_____	مجزوء الوافر	نسب
٣١٦ : ١	أبو المطرف ابن عميرة	الكامل	يرتاب
٦٨٧ : ١	ابن خفاجة	»	كتاب
١١٢ : ٢	يوسف بن عتبة	»	أسباب
٣٠٤ : ٣	ابن الأبار	»	الألباب
١٠٦ : ٤	ابن خفاجة	»	تنساب
٣٧٩ : ٣	الهيثم بن أحمد	»	محبوب
٢٥٥ : ٢	الغزال	»	وجيب
٢٨٨ : ٣	ابن الحناط	»	عجيب
٤٦٨ : ٣	أبو بكر ابن زهر	»	ويطيب
٥٣٧ : ٥	ابن خاتمة	»	ترتيب
٣٧٤ : ٧	أبو جعفر الالبيري	»	ذائب
٥٩١ : ١	_____	»	والكوكب
٢٨٧ : ١	ابن الأبار	»	كوكب
٢٦٦ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	مرغب
١٢٧ : ٤	ابن إدريس العلوي	»	مطلب
٣٧٩ : ٥	ساعدة الهذلي	»	الثعلب
٤٩٠ : ٧	ابن العطار الجزائري	»	المغرب
٤٢١ : ١	المصحفي	»	متقلب
٦٨٢ : ١	ابن خفاجة	»	فتلعب
٣٨٩ : ٢	البدر بن حبيب	»	وتعذب
٣٩٦ : ٢	القيراطي	»	يرهب
١٢١ : ٣	الفكيك	»	وأذهب
٥٥٩ : ٥	ابن ليون	»	تصعب
٤٨٨ : ٧	ابن المغربي	»	يطرب
٤٢٣ : ٣	القاسم بن الفتح	الكامل المجزوء	يكتب

٦٧٩ : ١	أبو محمد ابن عطية	الرمل	وعذبُ
٢٨١ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	تسكبُ
٢٨١ : ٣	ابن زيدون	مجزوء الرمل	طبيب
٢٦٩ : ٦	_____	» »	المصيب
٥٤٩ : ٤	العربي العقيلي	السريع	والأحباب
٤٧٤ : ٦ ، ٨٣ : ٥	لسان الدين	» '	مرقوب
٤٩٦ : ٦	» »	»	عرقوب
٨٧ : ٢	أبو بكر الطرطوشي	»	واجب
٦٧٧ : ٢	أبو جعفر الالبيري	»	الصيب
٥٦٧ : ٥	ابن ليون	»	طبيب
٤١٢ : ٢	الشيخ العمادي	»	مغرب
٤١٣ : ٢	المقري المؤلف	»	مذهب
٥١٧ : ٢	الزير كتناكت	»	معشب
٥٣٦ : ٢	أبو الحسن التجاني	»	يكتب
٢٨٩ : ٣	ابن الزقاق	»	يثر ب
٣٥٠ : ٣	_____	»	أعجب
٥٦٧ : ٥	ابن ليون	»	تعجب
٥٧٨ : ٣	المنذر بن عبد الرحمن	المنسرح	طرب
٥٧٣ : ٥	ابن ليون	»	مكتتب
٧٢ : ١	_____	الخفيف	الشراب
٤٢٢ : ٣	ابن شعيب	»	الثياب
٣٥٠ : ٧	ابن جابر	»	فأصابوا
٢٣٢ : ٣ ، ٦٧٥ : ١	أبو محمد ابن مالك	»	طروب
٥٦٦ : ٣	كثير الشابي	»	القلوب
٣٤٨ : ٤	ابن جبير اليحصبي	»	أثوب
٣٧٥ : ١	منذر بن سعيد البلوطي	»	الليب
٤٧٤ : ٣	ابن زرقون	»	النحيب

٦١ : ٤	ابن جحدر	الخفيف	الطيب
٣٢٧ : ٥	عبد الحق الإشبيلي	»	قريب
٣٥٦ : ٧	ابن جابر	»	الرقيب
١٠٢ : ١	_____	»	لا يغيب
١٨٤ : ١	ابن سيد مير	»	ويحبو
٥٦٠ : ٥	ابن ليون	»	ذنّب
٥٦٢ : ٥	» »	»	نصحه
٥٣١ : ٣	ابن رشيق القلمي	المجتث	يجيب
٢٧١ : ٤	_____	»	يلذيه
٥٨٦ : ٥	ابن ليون	»	عيه
٧٩ : ٢	أبو محمد ابن حزم	المتقارب	السباب
٨١ : ٢	أبو المغيرة ابن حزم	»	الصواب
٤٦٤ : ٦	لسان الدين	»	العائب
١١٥ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	شارب
١١٥ : ٧	» » »	»	لاعب
١٦٥ : ٥	ابن الجوزي	»	الأطيب
٥٤٦ : ٥	ابن ليون	»	ترغب
٣٦٦ : ٥	ابن خميس	الطويل	شبابي
٤٨٧ : ٥	أبو البركات ابن الحاج	»	للباب
٥٠٩ : ٦	لسان الدين	»	صحابي
١١٥ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	وركابي
٣٧٤ : ٧	_____	»	ذهاب
٥٨ : ١	_____	»	غريب
٣٨٦ : ٢	ابن جبير	»	غريب
٣٥٥ : ٢	_____	»	بحسب
١٤٨ : ٤ ، ٤٠٦ : ٢	المتنبي	»	بضرب
٣٤١ : ٤	أيمن الغرناطي	»	بحسب

٣٢٦ : ٦	_____	الطويل	حبيب
٣١٣ : ٦	_____	»	طبيبي
٥٢ : ٧	ابن عبد ربه	»	كثير
٢٣١ : ٧	ابن زمرك	»	رقيب
٥٨ : ١	_____	»	المشارب
٥٤٥ : ١	عياض	»	ركابي
١٠٩ : ٢	أبو الصلت أمية (أو أبو العرب الصقلي)	»	أقاربي
٢٨٧ : ٢	الحسين بن سعيد	»	الترائب
٢٨٨ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	السواكب
٢٦٧ : ٢	» » »	»	غارب
٦٥ : ٣	عبد الخالق بن إبراهيم	»	الكتائب
١١٠ : ٣	أبو محمد عبد الله	»	السحاب
٥٦٦ : ٣	أبو تمام	»	السحاب
٥١٥ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	»	كاذب
٥١٥ : ٣	الكتندي	»	وكاعب
٥٦٩ : ٣	أبو العرب الصقلي	»	المذاهب
٥٨٦ : ٣	محمد بن عبد الملك بن الناصر	»	المواهب
٤٩ : ٤	ابن الحداد	»	مناقبي
٢٦٣ : ٤	ابن الملح	»	الغياض
٥١٥ : ٥	أبو القاسم ابن جزي	»	المناقب
٤٤ : ٧	رفيع الدولة ابن صمادح	»	الكواذب
٢٨٥ : ٧	عطية بن يحيى	»	المأرب
٣٨٠ : ١	أحمد بن عبد الملك بن شهيد	»	رطب
٣٢ : ٢	المتنبي	»	والكتب
٦٠ : ٢	ابن الشامي الغرناطي	»	قرب
٧٥ : ٢	أبو الوليد الباجي	»	القلب

٨٤ : ٢	أبو الوليد الباجي	الطويل	الصعب
٢٣٠ : ٢	أبو البقاء المصري	»	والغرب
٥٧١ : ٢	أبو حيان	»	ندبت
٣٦٩ : ٣	عز الدولة ابن صمادح	»	عتب
٤٤ : ٧	رفيع الدولة ابن صمادح	»	بالعتب
٢٩٦ : ٤	نزهون الغرناطية	»	الضرب
٥٨٦ : ٥	ابن ليون	»	والقلب
١١١ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	والغرب
٣٤٧ : ٧	ابن جابر	»	القلب
٣٥٨ : ٧	» »	»	قلبي
٣٦٧ : ٧	» »	»	كسبي
١٨٣ : ١	_____	»	مجدب
٣٤٩ : ٧	ابن جابر	»	طيب
٦٠٧ : ١	ابن عياش	»	مكاسية
٣٧ : ٦	ابن خاتمة	»	لنوائبه
٤٥٦ : ٥	ابن أبي العافية	»	به
٤٥٥ : ٥	ابن شبرين	»	بطييه
٤٥٦ : ٥	ابن أرقم	»	خصيه
٤٥٦ : ٥	ابن أبي المجد	»	عيوبه
٤٥٦ : ٥	ابن الحياض	»	كنعيه
٣٠٣ : ٦	_____	»	نصيه
١٠٨ : ٣	أبو الربيع الموحدي	»	قلبه
٥٠٧ : ٦	لسان الدين	»	ذنبه
٣٥٧ : ٧	ابن جابر	»	ما بها
١٠٢ : ٦	أبو محمد الأزدي	»	وطيها
٤٤٤ : ٣	ابن عبد ربه	البيسط	محجوب
١٢ : ٤	ابن الإمام الغرناطي	»	مصبوب

مغيب	البسيط		
التكاذيب	»	ابن مسعود البجاني	٢ : ٦٤٤
لتعديبي	»	أبو المطرف الزهري	٣ : ٣٨٨
يغري بي	»	المتني	٣ : ٤٤٣
بتعذيب	»	ابن شبرين	٤ : ٢٦١
وتعجيب	»	ابن رضوان	٤ : ٣٣٤
وتهذي بي	»	لسان الدين	٤ : ١١٠
العطب	»	ابن الصفار	٦ : ٤٨٨
غلب	»	أبو الوليد ابن الجنان	٢ : ١٢٢
العذب	»	» » » »	٢ : ١٢٣
العربي	»	ابن أبي الربيع القيسي	٢ : ١٣٨
حلب	»	سعد الدين ابن عربي	٢ : ١٧٢
واللعب	»	أبو حامد الغرناطي	٢ : ٢٣٦
والرتب	»	أبو حيان	٢ : ٥٧١
للقصب	»	غالب الحجام	٣ : ٤١٨
ريب	»	أبو العباس الإشبيلي	٣ : ٤٦٨
الذهب	»	ابن صارة	٣ : ٦٠٢
الطلب	»	الأصم المرواني	٣ : ٥٩٢
القشب	»	أبو تمام	٥ : ١٨٧
يغب	»		٥ : ٣١٨
نصب	»	ابن ليون	٥ : ٥٦٣
سبب	»	» »	٥ : ٥٧١
وصب	»	» »	٥ : ٥٨٢
والأدب	»	ابن الحاج الغرناطي	٧ : ١١٠
مغرب	»	الحجاري	٣ : ٣٤٦
منتخب	»	أبو عبد الله اللوشي	٣ : ٣٤٦
هربه	»	المعتصم بن صمادح	١ : ٦٦٦ ، ٣ : ٣٢٩

٩١ : ٦	أبو عبد الله اليتيم	البيسط	مطلبه
١٩٢ : ٥	_____	»	مناك بها
٤٤٢ : ٥	ابن الحباب	مخلم البسيط	باب
١٧ : ٤	أبو بكر اللخمي	»	طبيب
١٠٨ : ٤	السميسر	»	والطبيب
١٦١ : ٤	الرصافي	»	بالحبيب
٢٠ : ٤	_____	»	صل بي
٤٢٣ : ٣	ابن غصن الحجاري	»	سحابه
٤٩٠ : ١	المستظهر	الوافر	الخطاب
٧٦ : ٣	صاعد	»	الحساب
٣١٧ : ٣	أبو الحجاج البياسي	»	الصواب
٣٢٥ : ٣	أبو القاسم البلوي	»	مصاب
٤٠٧ : ٣	ابن سدراي	»	اغتراب
٢٤ : ٤	ابن قزمان	»	الكتاب
١٠٩ : ٤	الحصري	»	الصواب
٣٨٠ : ٤	الكانمي	»	حجاب
٤٦٤ : ٤	ابن الدباغ الإشبيلي	»	الحساب
٥٧٨ : ٥	ابن ليون	»	انتخاب
٢٤ : ٦	لسان الدين	»	للخراب
٤٤٥ : ٣	النحلي	»	القلوب
٧٦ : ١	_____	»	وطيب
٤٠٦ ، ٩٦ : ٢	محمد بن القاسم الكاتب	»	للغريب
٤٤٠ : ٣	_____	»	عجيب
٣٢١ : ٦	_____	»	حبيب
١٨٠ : ١	ابن حريق	»	وغرب
٢٧١ : ٤	ابن حمديس	»	خطوبه
٢٥٨ : ٢	الغزال	الكامل	لشبابي

خطابي	الكامل	أبو الفضل البغدادي	١١٤ : ٣
الإعجاب	»	ابن فرج الجياني	٢٦٦ : ٣
مصباح	»	ابن شاطر السرقسطي	١٠٩ : ٤
ثيافي	»	أبو العباس الملياني	٢٦٧ : ٦
مناب	»	ابن الحاج الغرناطي	١١٥ : ٧
سحاب	»	ابن جابر	٣٤٩ : ٧
لما بي	»	لسان الدين	٤٧٢ : ٦
ومشوب	»	أبو عامر ابن مسلمة	٥٤٥ : ٣
المحبوب	»	لسان الدين	٣١٤ : ٦
هبوب	»	»	٤٦٨ : ٦
وحبيب	»	سليمان بن المرتضى	٥٩١ : ٣
تأنيب	»	لسان الدين	٤٥٥ : ٦
ديب	»	»	٥٠٥ : ٦
ونحيبي	»	ابن خلدون	١٨١ : ٦
بترائب	»	ابن دراج	١٩٦ : ٣
الأرب	»	المقتدر بن هود	٤٤٢ : ١
كالذهب	»	ابن السيد البطليوسي	٦٤٥ : ١
ذنب	»	ابن ليون	٥٥٩ : ٥
النقب	»	إبريد بن الصمة	٣٣١ : ٦
حب	»	لسان الدين	٤٦٦ : ٦
كالكوكب	»	ابن السيد البطليوسي	٦٤٦ : ١
كالكوكب	»	أبو الحسن ابن السيد	٧٢ : ٤
الأشنب	»	أبو الصلت أمية	١٠٩ : ٢
المغرب	»	محمد الدمشقي	٤٣٤ : ٢
مذنب	»	الأسعد بن بليطة	٥٢ : ٤
ومذهب	»	_____	٢٠٧ : ٥
متجنب	»	الملليكني	٢٤١ : ٦

٤٩٩ : ٣ ، ٦١٢ : ٢	أبو محمد ابن فرسان	الكامل	ويثرب
٥٧ : ٤	علي بن محمد الإيادي	»	تتعبد
١٥٥ : ٤	أبو بكر ابن بقي	»	يشرب
٣٦٨ : ٧	ابن جابر	»	تقرب
٣١٦ : ١	أبو المطرف ابن عميرة	»	مقننه
٤٢٦ : ٣	المواعيني	»	ربابه
٧٦ : ٧	المنصور الذهبي	»	كواكبه
٣٤٨ : ١	عبد الرحمن بن الحكم	»	صوابها
١٢٥ : ٧	محمد بن يوسف الثغري	»	جليابها
٦٥٩ : ١	المنصور الصغير	»	بها
١١٩ : ٤	ابن الأبار	الكامل المجزوء	الحجاب
٣٦٤ : ٤	_____	»	العجيب
٣٦ : ١	_____	»	ربي
١١١ : ٢	أبو عامر التياري	»	مطلوبه
١١١ : ٢	أبو جعفر التجاني	»	حبيبه
٣٤٧ : ٧	ابن جابر	»	به
٤٦٣ : ٣ ، ٦٤١ : ٢	ابن خروف القيسي	الهمزج	والحسب
٥٣٤ : ١	ابن غند شلب	الرمل	واحرني
٣٥٥ : ٧	ابن جابر	»	سلبه
٣٥٧ : ٧	ابن جابر	»	قُلَّتِيهَا
٥٠٩ : ٣	أبو محمد عبد المولى	مجزوء الرمل	وَقَحَاب
١١٤ : ٤	أبو المعالي الإشبيلي	»	غريب
١٥٦ : ٤	_____	»	محبك
١١٠ : ٣	السرخسي	السريع	وأوصابي
٣٩٣ : ٢ ، ٩٦ : ١	ابن الخياط شمس الدين	»	بتجريبي
٢٦٦ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	الصاحب
١٠٩ : ٢	أبو الصلت أمية	»	عُرب

الحب	السريع	أم الكرام بنت صمادح	١٧٠ : ٤
مطلب	»	ابن مصادق الرندي	٤٣٦ : ٣
مذهبي	»	ابن طلحة الصقلي	٢٦ : ٦ ، ٤٨٢ : ٥ ، ١٤ : ٤
والمغرب	»	_____	١٦٩ : ١٦٨ ، ٥
مذهبي	»	_____	٣٤٨ : ٥
حبه	»	_____	٣١٣ : ٦
صبه	»	ابن جابر	٣٥٤ : ٧
مقلوبها	»	_____	٢٤٥ : ٥
بابها	»	ابن قزمان	٢٩٧ : ٤
الغرب	المنسرح	ابن عنين	٤٠٢ : ٢
أدب	»	_____	٥٠٦ : ٣
القضب	»	ابن وكيع	١٩٥ : ٤
بالعجب	»	المعتمد بن عباد	٢٧٨ : ٤
واجتنب	»	ابن ليون	٥٥٣ : ٥
أدبه	»	أبو تمام	٣٣٤ : ٣
الألباب	الخفيف	أبو محمد ابن حزم	١١٨ : ٤ ، ٨٤ : ٢
الحساب	»	أبو جعفر ابن سعيد	١٨٣ : ٤
والأحقاب	»	ابن ليون	٥٦٠ : ٥
الحروب	»	ابن جابر	٦٨٦ : ٢
وشحوب	»	الشريف الطليق	٥٨٧ : ٣
قريب	»	أبو حيان	٥٧٣ : ٢
قريب	»	المعتمد بن عباد	٤٠٦ : ٣
نصيب	»	ابن غند شلب	٤٠٦ : ٣
والتجريب	»	ابن ليون	٥٨٣ : ٥
عيب	»	_____	٤٧٩ : ٣
بقلبي	»	المقري الجدد	٣٢٥ : ٥
جنبي	»	المنصور الذهبي	٧٧ : ٧

٢٣٢ : ٧	ابن زمرك	الخفيف	كرب
٥٣٧ : ٣	عبد الملك بن سعيد الخازن	»	حجابك
٥٩٣ : ٥	ابن ليون	»	وثيا به
١١٨ : ٤	محمد بن عبد الله الحضرمي	مجزوء الخفيف	وقارب
٢٨٠ : ٣	ابن زيدون	المجتث	وعذابي
٥١٨ : ٧	_____	»	متابي
٢٠٠ : ٤	ابن سيد اللص	»	خلوب
١٣١ : ٤	أبو عمران الطرياني	المقارب	خطاب
٣٠٧ : ٥	بدیع الزمان	»	الكاذب
٥٧٩ : ٥	ابن ليون	»	بالراغب
٣٣٧ : ٣	بكار المرواني	»	مذهبي
٤٠١ : ٣	الرصافي	»	بابها
٣٠ : ٢	أبو بكر ابن العربي	»	وبتانيها

قافية اثناء

٦٨٤ : ٢	أبو جعفر الالبيري	البسيط	نبتت
٤٩١ : ٣	أبو إسحاق الالبيري	مخلع البسيط	البيوت
٤٨٥ : ٣	ابن خيرة الصباغ	الكامل المجزوء	المصامت
٥٤٥ : ٣	أبو عامر ابن مسلمة	»	الصوامت
٢٨٩ : ٧	لسان الدين	السريع	يفوت
٩٩ : ٧	»	»	فازت
١١١ : ٥	»	المقارب	صموت
١١٦ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	بيت
٤١٤ : ٦	لسان الدين	الطويل	شامتاً

١٨٢ : ٥	أبو عبد الله التجاني	الطويل	تحتها
٢٣٨ : ٥	المعري	البسيط	تعنينا
٢٤٩ : ٢	أبو بكر ابن زهر	»	ما رأنا
٦٨٥ : ٢	ابن جابر	»	رتبته
٥٥١ : ٥	ابن ليون	الوافر	أسأنا
٥٨٤ : ٥	» »	»	عرفنا
٢١٩ : ٧	ابن زمرك	الكامل	موقوتا
٢٥٧ : ٣	ابن قلافس	»	عتا
٥٢٧ : ١	السميسر	السريع	أشأتنا
٣٢٢ : ٣	عبادة بن الحريش	»	للفق
٥٩٢ : ٥	ابن ليون	»	صحبته
٥٥٧ : ٥	» »	الخفيف	قدرنا
٤٨٩ : ٢	ابن جبير	المتقارب	أتمى
٦٥١ : ٢	_____	»	متى
٢٦٦ : ٣	ابن حصن الإشبيلي	»	تعنيت
٢٧٩ : ٤	المعتمد بن عباد	الطويل	رايات
٥٣١ : ٥	أبو عبد الله ابن جزري	»	شبات
٣٥٦ : ٧	ابن جابر	»	دارات
٣٩٥ : ١	المستنصر	»	دنت
٥٢٥ : ٢	أبو بكر ابن عطية	»	صمت
٣١٩ : ٦	_____	»	الموت
٤٩٧ : ٣	ابو جعفر ابن سعيد	»	مصلت
٣٠٠ ، ١٩ : ٤	ابن الزقاق	»	أحببت
١١٨ : ٤	الحبلي الطيب	»	ماتوا
٢٢٢ : ٤	ابن اللبانة	البسيط	ماتوا
٢٥٦ : ٤	ابن اللبانة	»	غايات
٣٥٣ : ٧	ابن جابر	»	باتوا

٢٩٤ : ٣ ، ٦٤٠ : ١	ابن حسداي	البسيط	لاماتُ
٥٤ : ٧	أبو القاسم المنيشي	»	مفتاتُ
٣٥٢ : ٤	_____	»	مردات
٣١٥ : ٤	عبد الحق الإشبيلي	»	الصوت
١٧٣ : ١	_____	الوافر	السكوت
٣١١ : ٥	_____	»	يفوت
٢٣ : ٧	ابن باجة	»	لقيت
٦٠٣ : ١	المصحفي	الكامل	مت
٤٧٢ : ٦	لسان الدين	»	تثبت
١٧ : ١	_____	»	كاساته
٢٥٦ : ٣	ابن قلافس	»	شرفاته
٥٦٦ : ٥	ابن ليون	السريع	التدائمات
٣٣٠ : ٤	غانم المخزومي	»	والقوت
١٨٤ : ٢	ابن عربي الصوفي	»	مقت
٥٦٤ : ٥	ابن ليون	الخفيف	العادة
٥٣١ : ٣	ابن رشيق القلقلي	»	سررت
٧٨ : ٧	المنصور الذهبي	»	ابتدلت
٤٦٧ : ٦	لسان الدين	المتقارب	أملته
٢٧٠ : ٣	أحمد بن القبطرنة	»	فارقته
١٦٤ : ٤ ، ٦٧٧ : ١	أبو الحسن ابن أضحى	الطويل	الخطرات
٣٢٩ : ٤ ، ٦١٤ : ٢	عبد المنعم الغساني	»	الحنبات
٣٧٨ : ٢	والد حميد الزاهد	»	لداني
٤٨٨ : ٦	لسان الدين	»	غاياني
٥٠٣ : ٦	»	»	أوقاتي
٣٧٣ : ٢	عبد الرحمن ابن سعيد	»	ناعت
٦٩٥ : ٢	الراعي الفرناطي	»	خطيبي
١١٨ : ٥	_____	»	نسبت

بالدنية	الطويل		٧٤ : ١
فاستمرت	»	المصحفي	٦٠٤ : ٥٩٣ : ١
تحية	»	محمد التاملي	٤٧٣ : ٢
أجرت	»	ابن الفارض	٢٦١ : ٥
حكمتي	»	»	٢٧١ : ٥
بأبوتي	»	»	٣٢٠ : ٥
زينتي	»	المقري الجدي	٣٢٨ : ٥
بساحتك	»	عبد الله الجذامي	٣٠٧ : ٤
صفاته	»	ابن نزار الوادي آشي	٦٠٤ : ٣
نعمته	»	حفصة بنت حمدون	٢٨٥ : ٤
مرات	البيسط	عبيد الله بن جعفر الإشبيلي	٦٠ : ٤
المروءات	»		٩٥ : ٤
المهمات	»	لسان الدين	٤٩٥ : ٦ ، ٩٨ : ٤
البريات	»	ابن ليون	٥٤٩ : ٥
الممات	مخلع البسيط	الرضي الشاطبي	٣٧٧ : ٢
العنكبوت	الوافر	أبو جعفر ابن سعيد	١٨٤ : ٤
الحرمات	الكامل		٤١ : ١
الفلوات	»	عبد الملك بن حبيب	٤٦ : ١
الناسوت	»	ابن عربي الصوفي	١٦٥ : ٢
اللذات	»	ابن التبيه	١١٨ : ٣
الرايات	»	ابن سهل	٥٢٣ : ٣
صلات	»	أبو بحر ابن عبد الصمد	٥٣٤ : ٣
مواتي	»		٣٢٢ : ٦
ذاتي	»	ابن الحاج الغرناطي	١١٦ : ٧
عزيمة	»	أبو الحسين ابن مفوز	٩٠ : ٤
والرقة	»	ابن صارة	٤٣٨ : ٣
بدءاتها	»	ابن الصابوني	٥١٩ : ٣

٥٤٩ : ٥	ابن ليون	الكامل المجزوء	أذاته
٥٩٢ : ٥	»	الرمل	فتنة
٥٧٥ : ٥	»	»	صنعتة
٣٥٧ : ٧	ابن جابر	»	صفاته
٤٧٥ : ٦ ، ١٦٨ : ٥	لسان الدين	مجزوء الرمل	ميت
٢٠٣ : ٥		السريع	العزلة
٣٥٣ : ٢	أبو عمران ابن سعيد	»	أوبتك
٤٤٥ : ٣	أبو عمرو ابن أبي محمد	»	عطستك
٧ : ٢	عبد الملك بن حبيب	»	قدرته
٣٩ : ٢	بعض الصوفية	»	قبضته
٤٢٩ : ٣	أبو الوليد ابن طريف	»	لحيته
٥٦٥ : ٥	ابن ليون	»	حرقته
٤٦٧ : ٢	الشاهيني	الخفيف	الحسنات
٤٦٧ : ٢	»	»	لهائي
٣٨ : ٤	الرمادي	»	حسناتي
٧٧ : ٤	مكي بن سودة	»	السكوت
٥٨٨ : ٥	ابن ليون	»	وفاتك
٤٧٥ : ٦	لسان الدين	»	ومقتك
١٣٧ : ٤	أبو الوليد الوقشي	»	وصفاته
٢٥٧ : ٣	ابن قلاقس	المتقارب	القناة
٥٠١ : ٧	أبو عبد الله ابن الجنان	المجتب	بذاته

قائمة البناء

٥٢٩ : ٥	أبو عبد الله ابن جزري	الخفيف	نافث
٥٥٤ : ٢	أبو حيان	الطويل	نافثا

٤٧٤ : ٠٦	لسان الدين	البسيط	البر اغيثا
٦٥٦ : ٢	ابن صاير القيسي	المتقارب	الغشا
٢٦ : ٢	أبو بكر ابن العربي	الطويل	عابث
٢٨٥ : ٣	ابن زيدون	»	ناكث
٥٣ : ٥	ابن مرج الكحل	»	الأخايت
٤٥٠ : ٥	أبو جعفر ابن جزري	»	الحوادث
٢٦٥ : ٣	ابن هندو الداني	»	تنكث
٦٨١ : ٢	ابن جابر	»	يتحدث
٧١ : ٥	صفوان بن إدريس	الكامل	عابث
٣٢٩ : ٣	ابن شرف القيرواني	»	حديث
٢٠٠ : ٣	ابن خفاجة	»	ويدمّث
١٧٥ : ٦	بشار بن برد	المتقارب	الخبيث
١٥٤ : ٢	الحصري	مطلع البسيط	خبيث
١١٧ : ٥	ابن صارة	الكامل	حادث
٤٨٤ : ٦	لسان الدين	»	المحتوث

قافية الجيم

٥٩٩ : ٣	ابن حزم	الطويل	واعتلج
٥٤٩ : ٥	ابن ليون	الكامل	الفرج
١٣٣ : ٦	_____	»	الثج
٢٨٧ : ٧	ابن فركون	»	المهج
١١٢ : ٧	ابن الحاج القرناطي	الخفيف	ممازج
٣٢١ : ٣	عباد بن الحريش	مجزوء الخفيف	سمع
٣٤٤ : ٤	أبو جعفر ابن الزيات	البسيط	منهاجا

٢٠٤ : ٣	النشار	الوافر	سراجا .
٤٤٤ : ١	_____	الكامل	الرجا
١١٤ : ٣	أبو الفضل البغدادي	»	مضرجا
٥٢ : ٧	ابن عبد ربه	»	مضرجا
١٩٧ : ٣	أبو جعفر اللمائي	الرملي	الوجي
١٥١ : ١	أبو الفضل ابن شرف	المجتث	بهجه
٤١٤ : ٣	ابن صارة	الطويل	صوالج
١٠٧ : ٤	ابن خفاجة	»	نيج
٥٣ : ٤	ابن عائشة	»	مفلج
٤١٩ : ٦	ابن الرومي	»	سجسج
٥٧٦ : ٢	ابن النحاس	البسيط	سمج
٥٨٩ : ٥	ابن ليون	»	الفرج
٤٨١ : ٦	لسان الدين	»	حرج
٥٢٣ : ٥	حازم القرطاجني	»	مدبج
٣٣١ : ٤	أبو محمد المحاربي	الكامل المجزوء	العلاج
٥٩٦ : ٥	القبوري	الطويل	مرتجي
١٣٩ : ٤	_____	»	أرتجي
٤٣٤ : ٥	ابن الحياض	»	معرّج
٢٢٨ : ٤	القاضي ابن عباد	البسيط	الأرج
٣٢٥ : ٥	_____	»	عوج
١٤٢ : ٥	لسان الدين .	الوافر	بانبلج
٥٣٥ : ٢	ابن الحاج الفرناطي	الكامل	مزاج
٤٢٤ : ٣	ابن غصن الحجاري	»	المنهاج
٤٣٤ : ٥	ابن الحياض	»	وعلاجي
٥٢٧ : ٥	أبو عبد الله ابن جزري	»	داج
٥٢٥ : ٥	ابن قلافس	»	الأدعج
٥٠٦ ، ٤٧١ : ٦	لسان الدين	»	علاجها

٤٤٧ : ٦	أبو عبد الله ابن الأزرق	الرمل	حرج
٤٣٠ : ٣	أبو الوليد ابن طريف	المنسرح	ولج
٣٨١ : ٥	_____	الخفيف	راجي
٥٨١ : ٥	ابن ليون	»	انفراج
٤٧٠ : ٣	ابن عبدون (أو ابن السيد)	مجزوء الخفيف	ارتجي
٥١٢ : ٣	عبد المولى أبو محمد	المجتث	زواج
١٦٠ : ١	أبو عمران ابن سعيد	»	لج
١٦٠ : ١	أبو الحسن ابن سعيد	»	سرج

قافية الحاء

٣٢٨ : ٢	بعض المغاربة	الطويل	مطرخ
٣١١ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	مخلع البسيط	الصفاح
٣١١ : ٢	» » »	الكامل المجزوء	والبطاح
١٤٢ : ٤	أبو الصلت أمية	»	ججاجح
٤٣٠ : ٣	سليمان بن أبي أمية	»	سمح
٢٦٣ : ٦	_____	مجزوء الرمل	وسبح
٣٠٩ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	السريع	مباح
٣١٢ : ٢	» » »	»	الوشاح
٥١٧ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	»	الحناح
٨٧ : ١	ابن نباتة المصري	»	صريح
٣٢٤ : ٢	ابن مطروح	»	فصيح
٤١١ : ٥	لسان الدين	»	يروح
٧١ : ٤	ابن الملح	المنسرح	قزح
٣١٧ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	الخفيف	سوافح

١٠٠ : ١		الخفيف	يلمع
٥٧٧ : ٣	المنذر بن عبد الرحمن	المجث	لينصع
٩٤ : ٤	المعتمد بن عباد	المقارب	الرماح
٦٢٨ ، ٤٧٣ : ١	ابن زيدون	الطويل	أضحى
٢٢٧ : ٧	ابن زمرك	»	صلحا
٥٤٨ : ٢	أبو حيان	»	صحا
١١٥ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	إفصاحه
١٩٧ : ٣	أبو حفص ابن برد	المديد	لاحا
٣٣١ : ٤	ابن العريف	البسيط	باحا
٤٥٧ : ٥	ابن الجياب	»	ضحى
٣٣٦ : ٤	ابن مجبر	»	وتوضحه
٣٠٧ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	مخلع البسيط	فناحا
٩٢ : ٤	المعتمد بن عباد	» »	قريحا
٣٠٣ : ٤	أبو القاسم ابن حاتم	الوافر	صحيحه
٩٥ : ٦	أبو عبد الله اليتيم	»	الصريحه
٩٥ : ٦	أبو علي ابن عبد السلام	»	النصيحه
٤٨٣ : ١	ابن الحناط القرطبي	الكامل	جناحا
٣٠٦ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	صباحا
٧٩ : ٦	ابن زمرك	»	صباحا
٤٩٨ : ٣	أبو الأصمغ ابن الأرقم	»	وشاحا
٣٠٧ : ٤	حسان بن المصيصي	»	الطماحا
١٣٣ : ٤	حبلاص الزندي	»	يذبجا
٤٣٦ : ٥	ابن الجياب	»	ورواثا
٤٢١ : ٣	ابن عائش	السريع	مالحا
٣٦٨ : ٧	ابن جابر	»	جائحا
٢٧٨ : ٦	لسان الدين	»	رائحه
٦٧٥ : ٢	أبو جعفر الالبيري	»	صبيحه

٤١٧ : ٣	غالب الحجام	السريع	جرحة
٢٠٠ : ٣	ابن الزقاق	المنسرح	وضحا
٤٨٨ : ٢	ابن جبير	الخفيف	ربحا
٥٦٢ : ٥	ابن ليون	المجث	مليحا
١٨٠ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	راحه
٤٥٣ : ٥	ابن الحباب	المتقارب	واضح
٢٦٧ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	الطويل	وشاح
٣١٧ : ٥	—————	»	ملاح
٢٧ : ١	—————	»	ينوح
٥٧٩ : ٢	أبو حيان	»	واضح
٥٤٨ : ٣	حسان بن أبي عبدة	»	ورواح
٢٩٨ : ٤	ابن الزقاق	»	فراح
١٣١ : ٧	ابن خميس	»	الواقع
٩٨ : ١	—————	»	وأصفع
٤٠٦ : ٢	—————	»	وتمدح
٣٨٥ : ٣	ابن الطراوة	»	تنفع
١٣٥ : ٤	عبد المؤمن الطليطلي	»	ويقبض
١٨٢ : ٥	ابن عمار	»	وأوضح
٤٦٦ : ٦	لسان الدين	»	تسبح
٥٣٣ : ٥	أبو عبد الله ابن جزري	»	تصحح
٦٤١ : ٢	ابن خروف القيسي	البسيط	أدواح
٣٢١ : ٤	ابن قاسم القيسي	»	فانحه
٢٠٥ : ٣	الأعمى المخرومي	مخلع البسيط	يريح
٥٠٤ : ١	ابن خفاجة	الوافر	القراح
٣٠٦ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	صباح
٣٨٤ : ٣	ابن الطراوة	»	راح
٥٨ : ٤	ابن خفاجة	»	جناح

١٠٠ : ١	_____	الوافر	يفوح
٤٥٧ : ٣	ابن الأبرش	»	الصدوح
٢٣٥ : ٤	أبو بكر عبد المعطي	»	صبح
١٤ : ٢	_____	الكامل	التفاح
٥٦٤ : ٣	_____	»	التفاح
٣٠٦ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	تلتاح
٣٠١ : ٦	_____	»	الأرواح
٢٩٠ : ٢	البدري بن حبيب	»	والممنوح
١٣٦ : ٤	أبو الحسين الوقشي	»	وأنوح
٢٠٦ : ٣	ابن حنون الإشبيلي	»	قبيح
٦٥٩ : ٢	أبو ركوة	»	يفلح
٢٢ : ٦	لسان الدين	»	يجرح
٥٥٤ : ٥	ابن ليون	»	روحها
٥٥٦ : ٥	» »	»	ملحها
٣٠٥ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	الكامل المجزوء	الاضطباح
٣٠٤ : ٢	» » »	»	فاستراحوا
٣٠٤ : ٢	» » »	الرملي	يصطبغ
٥٣٠ : ٣٠	ابن رشيق القلمي	مجزوء الرمل	وراح
٦٤٠ : ٣	ابن خروف القيسي	»	روح
٣٢٧ : ٦	أبو العتاهية	»	الخنوح
٢٣٢ : ٧	ابن زمرك	»	الفتوح
١١٨ : ١	_____	السريع	واضح
٤٩٢ : ٢	ابن جبير	»	ناصر
٣٠٤ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	صبح
٣٣١ : ٣	أبو بكر ابن مغاور	الخفيف	السماح
٤٨٥ : ٦	لسان الدين	»	مبيح
٣٤٨ : ٧	أبو جعفر الالبيري	»	قبيح

٥٤٧ : ٢	الصفدي	الخفيف	جريحه
٥٥٤ : ٥	ابن ليون	المجتث	رباح
٢٣١ : ٤	أبو جعفر ابن النبي	الطويل	ربماح
٨٦ : ٦	ابن راجح	»	نازح
٨٥ : ٦	لسان الدين	»	الجوارخ
٥٧٩ : ٣	هشام بن عبد الرحمن	»	المزح
٣١٠ : ٤	ابن برطله	»	الفتح
٥٤٨ : ٥	ابن ليون	»	والقبح
٥٤٤ : ٢	ابن ألمى التركي	»	وبالنجاح
٥٩ : ٧	علي بن جودي	»	المرتج
٥٢٥ : ١	أبو عامر ابن شهيد	انيسيط	بالراح
٢٢٥ : ٢	ابن مالك	»	مرتاج
٣٠٩ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	مخلع البسيط	للاصطباج
٢٠ : ٤	أبو يحيى ابن هشام القرطبي	»	اقرأحي
٧٣ : ٥	ابن حامد (وصفوان)	»	الرياح
٢٧٩ : ٣	ابن زيدون	الوافر	اقرأحي
٩٩ : ٤	» »	»	الفصاح
١٠٠ : ٤	» »	»	السماح
٥٧٢ : ٣	ابن إبراهيم الحجاري	»	الجماح
١٨١ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	الفلاح
٢٣٠ : ٤	أبو جعفر ابن النبي	»	السماح
٢٣٣ : ٦	ابن داود الحميري	»	بالرياح
٢٩٧ : ٦	لسان الدين	»	للتجاح
٥٨٤ : ٥	ابن ليون	»	النصح
٣٠٧ : ٢	ابن سعيد (وابن سهل)	الكامل	الراح
٧٥ : ٤	إدريس بن اليمان	»	الراح
٨٦ ، ٧٤ : ٤	ابن صارة	»	الإيضاح

٥٣٨ : ٥	أبو عبد الله ابن جزري	الكامل	سلاح
٦٤ : ٦	ابن مرزوق الخطيب	»	أفراح
٦٥ : ٦	لسان الدين	»	جناحي
٣٤ : ٧	الفتح بن خاقان	»	مراسم
١٦٧ : ٥	لسان الدين	»	مديحي
٤٤٩ : ٦	» »	»	التبريح
٥٠٥ : ٣	ابن الحداد	»	صمداح
٣٧٦ : ٧	أبو جعفر الالبيري	»	الكاشع
٢٤٣ : ٤	المعتضد بن عباد	الكامل المجزوء	الأقاح
٧٩ : ٥	—————	»	النجاح
٣٠٩ : ٦	—————	»	النجاح
٥٩٥ : ٣	—————	مجزوء الرمل	براح
١٦٩ : ٤	أم العلاء الحجازية	السريع	نصحي
٣٠٨ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	الخفيف	البطاح
٤١٤ : ٤ ، ٤١٤ ، ٣٥٦ ، ٢٠٠ : ٣	ابن الزقاق	»	الرياح
٤٦٧ : ٣	ابن الأبار	»	الصباح
٥٧٣ : ٣	—————	»	المزاح
٥٠٩ : ٦	لسان الدين	»	جناح
٥١٠ : ٦	أبو زكريا ابن خلدون	»	وافتنضاح
٢٣٢ : ٧	ابن زمرك	»	الأقداح
١٢٣ : ٧	أبو المكارم ابن آجرهم	»	الفتوح
١٧٤ : ١	ابن عبدون	المتقارب	فصاح
٥٧٨ : ٣	المطرف بن عبد الرحمن	المجتث	الملاح

قافية الحاء

٥٢ : ٥	ابن مرج الكحل	الكامل	شيوخا
٣٧٠ : ٥	ابن خميس	الطويل	الكرخ
١٤٢ : ٦	المتشاقري	»	يسخو
٣١٢ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	يفسخ
٤١٦ : ٢	المقري المؤلف	»	تفرخ
٤١٦ : ٢	الشاهيني	»	يضمخ
٥٩٧ : ٥	_____	مطلع البسيط	يشيخوا

قافية الدال

٣٦٢ : ١	أبو عامر ابن شهيد	الطويل	الأسد
١٧٧ : ٤ ، ٢١٨ : ٣	حفصة بنت الحاج	»	والحسد
٥٠٢ : ٥	أبو عبد الله ابن الحكيم	»	فقد
٥٠٢ : ٥	_____	»	وقد
٢٥٨ : ٦	ابن الصباغ الفرناطي	»	غيد
٦٠٠ : ٥	صفوان بن إدريس	مطلع البسيط	أو قد
٢٩٠ : ٤	عائشة القرطبية	الكامل	أحد
٥٧٠ : ٥	ابن ليون	»	بالحسد
٥٩٨ : ٣	أبو موسى ابن عمران	الكامل المجزوء	ازدياد
٣٠ : ١	ابن قطران المغربي	الرملي	بالعبيد
٣٢٠ : ٢	_____	»	العبيد
٥٣٥ : ٣	_____	»	الصمد

٦٠٧ : ٣	ابن حمديس (والحجام)	الرميل	جمد
٢١١ : ٤	_____	»	جمد
٥٠٥ : ٤	_____	»	أحد
٥٥٠ : ٥	ابن ليون	»	الكمند
٦٠٢ : ٥	صالح بن شريف	»	كبد
٨٠ : ٧	المنصور الذهبي	»	نهد
١٠٣ : ٣	_____	»	فقصد
٨٠ : ٧	إمام الدين الخليلي	»	للأبد
٥٥٢ : ٥	ابن ليون	مجزوء الرمل	يكابد
٣٨٢ : ٢	ابن جبير	السريع	فؤاد
١٤٢ : ٥	لسان الدين	»	واد
١٧٠ : ٤	أمة العزيز	»	الحدود
١١٦ : ٤	ابن شرف	»	الحدود
١٧٠ : ٤	قاسم العقباتي	»	الحدود
٤٦٠ : ٢	_____	»	الشديد
٤٦٩ : ٢	المقري المؤلف	»	الشديد
٣٠٦ : ٤ ، ١٣٧	أبو الوليد الوقشي	»	مزيد
٥٧٤ : ٥	ابن ليون	»	مزيد
١٨٩ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	المجتث	حاسد
٢٣٠ : ٧	ابن زمرك	»	لصاعد
١١١ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	المتقارب	العماد
٣٨٣ : ٥	ابن حنبل	»	عيد
٥٣٣ : ٣	جابر بن خلف	»	وجد
٢٣٦ : ٤	أبو بكر عبد المعطي	»	البرد
٢٨٧ : ١	المتنبي	الطويل	الندي
٥٥٩ : ١	أبو محمد بن عبد البر	»	يدا
٥٣٠ : ٣	قسمة	»	يدا

٤٦٦ : ٣	ابن أبي الخصال	الطويل	غدا
٤٧٧ : ٤	أبو جعفر الوقشي	»	برودا
١٧٧ : ٢	ابن شبرين	»	طريدا
١٤ : ٢	—————	»	فريدا
٢٧٩ : ٤	المعتيد بن عباد	»	وردا
٢٤٦ : ٢	الفتح بن خاقان	»	نجدا
١١٥ : ٣	أبو الفضل البغدادي	»	نجدا
٩٧ : ٧	علي بن جوادي	»	نجدا
١٣٩ : ٤	أبو الحسين الوقشي	»	يهدا
٢٨٩ : ٦	—————	»	فقدا
٢٨٧ : ١	المقنع الكندي	»	الحقدا
٣٥١ : ٢	ابن عسكر	»	الودا
٣٦٦ : ٢	أبو عمران ابن سعيد	»	العهدا
١٩١ : ٤	—————	»	العهدا
٤٥١ : ٦	لسان الدين	»	والوجددا
٤٩٠ : ٦	—————	»	فأنهدا
٤٨٢ : ٣	أبو الصلت أمية	»	مزبدا
٥٩٠ : ٣	الأقرع المرواني	»	نخالدا
٦٣٩ : ١	ابن زيدون	»	ومقعدا
٩٧ : ٢	أبو عبد الله ابن عبد ربه	»	تقصدا
٥٧٢ : ٣	المنبي	»	تصبيدا
١٠٩ : ٥	أبو سعيد محمد	»	محمدا
٣٣٣ : ٦	الأعشى (أو حسان)	»	تزوذا
١٧٢ : ٤	ابن مرج الكحل	»	حده
٢٥ : ١	—————	البيسط	سودا
١١٧ : ٤	عبد الحق الإشيلي	»	تأييدا
٣٢١ : ٤	ابن عبد ربه	»	يددا

١١٩ : ١	_____	البسيط	رغدا
٣٩٥ : ٢	المحتري	»	وعدا
٤٠٨ : ٢	المشدّ	»	الشهدا
٤١١ : ٢	_____	»	غدا
٦٠٠ : ٣	سهل بن مالك	»	نردا
٣٢١ : ٤	الأعمى التعليلي	»	بددا
٢٩٣ : ٥	_____	»	صفدا
٥٥٨ : ٥	ابن ليون	»	وجددا
٤٩٧ : ٢	ابن رشيقي	»	حمده
٢٠ : ٤	السميسر	مخلع البسيط	حميدا
٤٩٠ : ٢	ابن جبير	»	اجتهاده
٣٩٥ : ٣	أبو الفضل ابن شرف	»	الوفاده
٣٤٤ : ٤	أبو جعفر ابن الزيات	الوافر	سادا
٢٩١ : ٣	السميسر	»	حداد
٢٠٢ : ٤	ابن هرودس	»	العبادا
٥٥٤ : ٥	ابن ليون	»	الموده
٣١ : ١	_____	الكامل	سعودا
٤٥٣ : ٣ ، ٤١٣ : ٣	ابن البين البطليوسي	»	قدودا
٣٩١ : ٦	أبو تمام	»	عمودا
٨٠ : ٧	المنصور الذهبي	»	وعودا
٥٢٩ : ٣	الياس بن المدور	»	واحددا
٢٨٣ : ٦	_____	»	شاهددا
٣٣٥ : ٢	الرصاصي البلنسي	»	الندى
٣٢٢ : ٤	ابن الغماز	»	المدى
٥٩٢ : ٧	ابن الأبار	»	خددا
٥٩٢ : ٥	ابن ليون	»	الرشدا
٤٢ : ١	_____	»	المقصدا

١٧٣ : ٢	سعد الدين ابن عربي	الكامل	مهندا
٤٨٩ : ٣	ابن خفاجة	»	فرقدا
٦٠٧ : ٣	المعتمد بن عباد	»	مغمدا
٣٣ : ٤	أبو الفضل ابن الأعلم	»	نخدة
٣٩١ : ٢	المهذب بن الزبير	الكامل المجزوء	بردا
٢٢٦ : ٧	ابن زمرك	»	أحمدا
٦٧٣ : ٢	_____	»	تالده
٥٦٦ : ٥	ابن ليون	»	المزده
١٠ : ٤	محمد بن حرب	»	ورودها
٢٤٣ : ٤	المعتضد بن عباد	البرزج	عده
٣٤٨ : ٧	أبو جعفر الالبيري	الرملي	غدا
١٧٧ : ١	ابن مالك الرعيبي	»	جمدا
٤٦٤ : ٦	لسان الدين	»	جلدا
٤٤٣ : ٣٥٩ : ٣	أبو عامر ابن شهيد	»	زندا
٦٠٠ : ٥	»	»	لردا
٥٨٢ : ٥	ابن ليون	»	الردى
٢٢٩ : ٧	ابن زمرك	مجزوء الرمل	السعاده
١٩٩ : ٤	القص (وابن سعيد)	»	بروده
١٠٩ : ٢	أبو الصلت أمية	السريع	الندي
٥٨١ : ٥	ابن ليون	»	أسعدا
٤٠١ : ٦	لسان الدين	»	أيدك
١٣٧ : ٤	أبو الوليد الوقشي	»	صغله
٥٥٩ : ٥	ابن ليون	»	وده
٤٩٤ : ٥	أبو زكريا ابن هذيل	المنسرح	وغدا
٣٥٢ : ٧	ابن جابر	الخفيف	سودا
٥٣٥ : ٣	أحمد بن عباس	»	عبيدا
١٠٢ : ١	المقري المؤلف	»	وبعدا

٢٢ : ١	الخطيب الموصل	الخفيف	ووجدنا
٢٠٢ : ٤	أخيل الرندي	»	ودا
٥٧٩ : ٥	ابن ليون	»	تتمادي
٢٧ : ١	_____	»	المباده
١٧٢ : ٢	سعد الدين ابن عربي	»	رقاده
١٣٠ : ٤	محمد بن سالم القيسي	»	الإرادة
٢٤٣ : ٤	المعتضد بن عباد	»	واعتقاده
٤٩٦ : ٦	لسان الدين	»	المباده
٣٥٣ : ١	الأمير عبد الله	مجزوء الخفيف	لفائده
٢٦٧ : ٤	ابن زيدون	»	رافده
٦٨٦ : ١	ابن خفاجة	المجث	عقدنا
١٩٧ : ٤	القص (وابن سعيد)	»	نحدا
٢٨١ : ٣	ابن زيدون	»	وعدك
١٧١ : ٤	حفصة بنت الحاج	»	رفده
٧٧ : ١	_____	المتقارب	بليدا
٥٩٥ : ١	المصحفي	»	أبعدا
٩٩ : ٤	ابن زيدون	»	أوكدا
٤٥٩ : ٣	ابن منذر الأشبوني	الطويل	زاد
٧٥ : ١	ابن قلاقس	»	صلود
٤٤ : ٤	ابن هانيء	»	هجود
٣٣٨ : ٤	الحميدي	»	جنود
٣٣٧ : ٤	»	»	يزيد
١١٩ : ٣	الفكيك	»	وفريد
٣٦١ : ٣	أبو عامر ابن شهيد	»	فيجيد
٤٧١ : ٣	عمرو بن منجج	»	وتعيد
٤٦٥ : ٣٨١ : ٤	ابن وزير الشلي	»	عديد
٤٩٠ : ٦	لسان الدين	»	بعيد

٣١٧ : ١	_____	الطويل	جاحد
٢٤٣ : ٢	أبو بكر البني	»	واحد
١٥٥ : ١	أبو بكر المخزومي	»	العهد
١٧٦ : ١	_____	»	العهد
١٨٦ : ١	أبو عمرو ابن الفلاس	»	أونجد
٣٦٨ : ٢	المتني	»	العقد
٧٠ : ٣	سالم بن محمد	»	نجد
٢٢١ : ٤	المعتمد بن عباد	»	الحد
٥٤٥ : ٤	الحطيفة	»	شدوا
٤٩٢ : ٥	أبو زكريا ابن هذيل	»	جند
٥٠٩ : ٥	أبو الحسن القيقاطي	»	الوجد
٤٨٦ : ٦	لسان الدين	»	حد
٣٤٨ : ١	_____	»	مسجد
٦٠٨ : ١	أبو بكر ابن طفيل	»	أسعد
٦٩٥ : ٢	الراعي الغرناطي	»	وتسعد
٤١٣ : ٣	ابن الخراز البطرني	»	يحصد
٥٢٣ : ٣	ابن سهل	»	ويبرد
٥٧٧ : ٣	المنذر بن عبد الرحمن	»	يقصد
١١١ : ٦	ابن رضوان	»	مسعد
٧٦ : ٧	المنصور الذهبي	»	يعد
٥٢٧ : ٣	ابن الفخار اليهودي	»	يتفق
٤٧ : ٤	ابن فرج الجياني	»	مبدد
١٨٥ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	تبع
٤٧٨ : ٥	أبو البركات ابن الحاج	»	يفند
٥٠٦ : ٤	_____	»	تعدد
٦٠٠ : ١	المتني	»	استجده
٥٥٨ : ٢	أبو حيان	»	قاصده

١٧٧ : ٦	_____	الطويل	اجتهادُه
٣٥١ : ٧	ابن جابر	»	عقودها
٩٢ : ١	_____	البسيط	البعادُ
٦٣٦ : ١	أبو عامر ابن شهيد	»	هجود
١٤٣ : ٤	المتنبي	»	محسود
٣٧٤ : ١	منذر بن سعيد البلوطي	»	البلد
٥٧٣ : ٢	أبو حيان	»	ما تجدُ
٣١٤ : ٣	ابن السماك	»	العدد
٢٨٦ : ٤	زينب المرية	»	أجد
٥٤٤ : ٥	ابن ليون	»	تردُ
٤١٥ : ٣	غالب الحجام	»	تتقد
٧٣ : ٥	ابن حامد (وصفوان)	»	تتقد
١٨٩ : ٣	_____	»	فرائده
١٠٢ : ٤	_____	مخلم البسيط	البعاد
١١٦ : ٥	_____	»	معاد
٦٧٩ : ٢	أبو جعفر الاليري	»	مزيد
٥٧١ : ٢	أبو حيان	الوافي	رشادُ
٢٢٦ : ٣	أبو وهب القرطبي	»	زاد
٤٥١ : ٥	أبو بكر القرشي	»	الحياد
٤٣٧ : ١	_____	»	شهود
٤٧٢ : ١	ابن بقي	»	السعود
٣٢٨ : ٣	ابن عمار	»	مزيد
٥٦٧ : ٣	ابن صارة	»	يحيد
١٩٣ : ٤	جرير	»	العبيد
٢٩٠ : ٤	عائشة القرطبية	»	تزيد
٥٧ : ١	ابن مطروح جمال الدين	»	تردُ
٥٩٣ : ٥٧٨ : ٥	ابن ليون	»	والملد

٥٤٤ : ٤	أبو عامر ابن مسلمة	الكامل	الاشهاد
٣٩٩ : ٦	لسان الدين	»	وقاد
٣٠٤ : ١	_____	»	فاسد
٣٠٤ : ١	ابن الرومي	»	حالد
٣٠٤ : ١	جهور بن عبيد الله	»	الحالد
٤٦٧ : ٦	لسان الدين	»	زائد
٤٨٤ : ٦	» »	»	جاحد
١٦٥ : ٥	_____	»	وعد
٨٥ : ١	بهاء الدين السنجاري	»	يتجلد
٧٦ : ٢	أبو الوليد الباجي	»	وتجلد
٢٥٧ : ٢	الغزال	»	يتفقد
٣١٣ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	ييعد
٣١٦ : ٢	» » »	»	يتأود
٣٥٠ : ٢	» » »	»	تفرّد
١٩٩ : ٣	ابن وضاح	»	وأقعد
٥٠٧ : ٣	ابن مهلهل الجليلاني	»	تمدد
١٢٢ : ٤	أبو زيد الفازلي	»	ويحمد
١٩٠ : ٤	علي بن الجهم	»	يغمد
٢٤٥ : ٥	الناطقة الديباني	»	يعقد
١٢٢ : ٤	أبو البركات القميحي	»	تتوقد
٥٢٩ : ١	أبو محمد المصري	»	المورد
٥٠١ : ٦	لسان الدين	»	الفرقد
٩٩ : ٤	ابن زيدون	»	استطراد
٤٤٣ : ٥	ابن الحباب	»	سعوده
٤٩٨ : ٦	لسان الدين	»	وقعوده
٦٧ : ٤	ابن حصن الجزيري	»	قدّه
٢٨٠ : ٣	ابن زيدون	الكامل المجزوء	الفواد

٢٥١ : ٦	ابن شبرين	الكامل المجزوء	لا يفيد
٤٣٦ : ١	_____	»	تكايد
٢٤١ : ٣	ابن مجبر	الرميل	جسده
١٧٢ : ٢	سعد الدين ابن عربي	السريع	الزاهد
٢٩٤ : ٢	والد الشهاب التلعفري	»	أكد
٦٨٢ : ٢	ابن جابر	»	ينفد
٥٩٠ : ٥	ابن ليون	»	يحقد
٤٨٠ : ٢	أبو الصلت أمية	المنسرح	جلمود
٣٧٤ : ١	منذر بن سعيد البلوطي	»	أحد
٥٩٦ : ٣	أبو جعفر اللماحي	»	أجد
٣٧٢ : ٧	أبو جعفر الالبيري	»	تجدوا
٢٧٠ : ٤ ، ٦١٧ : ٣	المعتمد (وابن حمديس)	»	الأسد
٢٣ : ٧	ابن باجة	»	الصرّد
٦٠٩ : ٢	مطرف الغرقاطي	الخفيف	جواد
٥٦ : ٤	عبد الله بن أبي الحداد	»	أجباد
٦٧٨ : ٢	أبو جعفر الالبيري	»	شديد
٥٨٨ : ٣	المظفر ابن أبي عامر	»	سعيد
١٥٧ : ٥	ابن صابر المتجنقي	»	يبيد
١٩٣ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	وود
١٢٠ : ١	_____	»	المستعد
٣٥٤ : ١	ابن عبد ربه	المجنث	جديد
٣٦٢ : ٢	_____	»	مزيد
١١٩ : ٣	الفكيك	المتقارب	الهدهد
٦٧٨ : ٢	أبو جعفر الالبيري	الطويل	الوادي
٣٥٨ : ٧	ابن جابر	»	ودادي
٤١ : ١	_____	»	بعمادي
٨٧ : ١	علي بن الفضل	»	بمرادي

٢٨٠ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	الطويل	حاسد
٤٤٣ : ٢	ابن سعد الكلثني	»	شاهدي
٦٥٠ : ٢	ابن عيسى الشلبي	»	واحد
١١٣ : ٤	أبو إسحاق الالبيري	»	خالد
١٧٤ : ٤	الكتندي	»	لحاسد
١١٠ : ٢	ابن بهلول السرقسطي	»	وقلائد
٣١٤ ، ٣١٠ : ٦	أبو فراس الحمداني	»	الفوائد
٥٤٦ ، ٢٩٣ : ٣	أحمد بن برد	»	البندي
١٩١ : ٥	_____	»	الردى
٣٠٥ : ١	_____	»	بد
٦٤٦ : ١	ابن السيد البطليوسي	»	مجد
٦٨٩ : ١	ابن خفاجة	»	الورد
٣٠٣ : ٧	ابن جابر	»	الورد
٢٣٥ : ٢	أبو عبد الله القيقاطي	»	والبعد
٢٦٧ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	بالبعد
٣١٧ : ٢	» » »	»	والمجد
٣٤٢ : ٢	» » »	»	كالعقد
٥٥٤ : ٢	أبو حيان	»	ورد
٥٥٥ : ٢	» »	»	قصيد
٤٦١ : ٣	_____	»	المهدي
٤٨٠ : ٣	أبو الصلت أمية	»	الوجد
٥١٣ : ٣	الرصافي (والكتندي)	»	ند
٥١٤ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	»	الود
٥١٨ : ٣	ابن الصابوني	»	السعد
٥٢٤ : ٣	ابن سهل	»	الرعد
٥٧٣ : ٣	أبو العلاء ابن أزرق	»	جهد
٥٩٤ : ٣	أبو يزيد ابن العاصي	»	والجد

٥٩٨ : ٣	أبو الحنكم ابن غلنده	الطويل	العقد
١٦٣ : ٤	أبو الحسن ابن أضحى	»	وبالحمد
٢٥٦ : ٤	ابن اللبانة	»	برد
٦٦ : ٥	صفوان بن إدريس	»	الرغد
٤٨٢ : ٥	أبو البركات ابن الحاج	»	العهد
٢٤ : ٦	لسان الدين	»	بعد
٨٤ : ٦	»	»	الرد
٤٦٤ : ٦	»	»	المجد
٨٤ : ٦	ابن راجح	»	الرغد
٢٢٩ : ٧	ابن زمرك	»	وعد
٢٣٩ : ٧	»	»	وعد
٢٣٩ : ٧	»	»	والسعد
٣٦٩ : ٧	ابن جابر	»	نجد
٤٧٦ : ٤	أبو الربيع ابن سالم	»	يمجدى
١١٨ : ١	—————	»	ما عندي
٥٦١ : ١	دحية البلوي	»	وعسجدى
٤١٥ : ٢	الشاهينى	»	المسدّد
٥٥ : ٣	—————	»	وعسجد
٣٦٣ : ٣	ابن غصن	»	مقيّد
٤١١ : ٣	ابن عبادة	»	ومولدى
٥٢٤ : ٣	ابن سنهل	»	موقد
٢٢٧ : ٤	المعتمد بن عباد	»	أغيد
٩٩ : ٦	ابن الأكحل	»	مرفد
١٥٩ : ٧	ابن زمرك	»	مولدى
٢٣٥ : ٧	»	»	الردّد
٣٥٩ : ٧	ابن جابر	»	مشهد
٨٧ : ١	علي بن الفضل	»	وتفتدي

١٣٢ : ٣		الطويل	ويغتدي
٤١٦ : ٢	المقري المؤلف	»	يهتدي
٥٢٤ : ٣	ابن سهل	»	أهتدي
٦٨٦ : ٢	ابن جابر	»	لمستعدي
٤٩٠ : ٢	ابن جبير	»	بشهادة
١٧٧ : ٧	ابن زمرك	»	نخذه
٢٢٨ : ٧	»	»	وعده
٥٧٣ : ٢	أبو حيان	المديد	والولد
٣٦١ : ٢	عبيد بن الأبرص	البسيط	زاد
٢٢٥ : ٤	ابن عبدون	»	بادي
٤٩٨ : ١	أبو الصلت أمية	»	الوادي
١١٠ : ٢	»	»	والخادي
٤٩٨ : ١		»	ميعاد
٢٥٢ : ٤ ، ١٩٤ : ٣	الراضي ابن المعتمد	»	إيقاد
٥٧٠ : ٣	عبد الله الحجاري	»	وإيعاد
٤٣٢ : ٧	أبو عبد الله ابن الجنان	»	وإيعاد
٢٧٤ : ٤	المعتمد بن عباد	»	آساد
١٦٨ : ٤	حسانة التميمية	»	لرواد
٢١٤ : ٤	ابن اللبانة	»	عباد
٥٦٨ : ٢	أبو حيان	»	والرود
١٤٣ : ٤		»	والجود
٤٧٢ : ٦	لسان الدين	»	العود
٤٧٢ : ٦	»	»	محدود
٥٧١ : ٢	أبو حيان	»	الغيد
١١٢ : ٦	عبد الرحمن بن عبد الملك	»	غد
١٧٤ : ٢	ابن عربي الصوفي	»	أحد
٥٠ : ٧ ، ١٣١ : ٣	ابن عبد ربه	»	أحد

والأحد	البسيط		
الجلد	»	بكار المرواني	١١٨ : ٥
والجلد	»	أبو الحسن ابن أضحى	٣٣٨ : ٣
ولد	»	الرضي الشاطبي	١٦٦ : ٤
والولد	»	عبد الحق القرطبي	٣٧٧ : ٢
بعد	»	ابن الدباج الإشبيلي	٣١٥ : ٣
والعدد	»	أبو جعفر ابن سعيد	٤٧٩ : ٣
بالبرد	»	الوأواء الدمشقي	٥١٦ : ٣
جسدي	»	ابن الملح	٥٩٩ : ٣
الأمد	»	النابعة الديباني	٧٠ : ٤
الأحد	»	نزهون الغرناطية	٩٥ : ٤
خلدي	»	أبو عبد الله ابن جزري	٢٩٨ : ٤
تسد	»	ابن ليون	٥٣١ : ٥
الحسد	»	»	٥٤٦ : ٥
الكبد	»	المكودي	٥٥٣ : ٥
بلدي	»	لسان الدين	٩٠ : ٦
والرشد	»	»	١١٢ : ٦
الأسد	»	»	٤٦٨ : ٦
ولد	»	»	٥٠٤ : ٦
الجسد	»	ابن عبد ربه	٢٨٩ : ٦
معتدي	»	صفوان بن إدريس	٥١ : ٧
ومعتمد	»	ابن رشيق القيرواني	٧٤ : ٥
مثد	»	ابن عيشون	٢٥٥ : ٤ ، ٢١٤ : ١
ذا ولد	»	سهل بن مالك	٤٩٥ : ٢
يا ولدي	»	ابن الأزرق الغرناطي	١١٢ : ٢
كبدك	»	الرمادي	٧٠٣ : ٢
كمده	»	ابن ليون	٤٤١ : ٣
			٥٦١ : ٥

٦٦٤ : ٢	ابن عتبة الإشبيلي	مخلع البسيط	القروء
٧٤ : ٧	_____	»	بعيد
٤٨٨ : ٣	أحمد بن طلحة	»	الجهاد
٦٢ : ٥	صفوان بن إدريس	»	بعاد
٦٢ : ٥	ابن مرج الكحل	»	السواد
٨٩ : ١	أبو الحسن الهمداني	الوافر	بادي
٩٥ : ١	_____	»	الفؤاد
١٨٠ : ١	ابن الزقاق	»	البلاد
٥٨٢ : ٢	يوسف بن رماح	»	البوادي
٦٤٩ : ٢	أبو محمد البياسي	»	المداد
٤٧٠ : ٦	لسان الدين	»	المداد
٦٥٠ : ٢	_____	»	المداد
١٩٢ : ٣	_____	»	رماد
٣٠٥ : ٣	ابن أيوب المرسى	»	البعاد
٤٨ : ٤ ، ٤٣٧ : ٣	ابن فرج الجياني	»	الرقاد
٤٨٠ : ٣	أبو الصلت أمية	»	بالبعاد
١٠٩ : ٤	ابن عبد الحميد البرجي	»	الجهاد
٢٨٨ : ٤	حمدة بنت زياد	»	بوادي
٢٨٤ : ٤	بثينة بنت المعتد	»	الأجباد
٣٤٨ : ٤	أبو بكر ابن جبير	»	للمعاد
٣٨١ : ١	أبو عامر ابن شهيد	»	الصدود
٥٩٤ : ٣	أحمد المرواني	»	الصدود
١٢ : ٤	إسحاق بن المنادي	»	الخلود
٢٦١ : ٥	أبو عبد الله الشوذي	»	الوجود
٣٢٧ : ٢	_____	»	بعيد
٤٤٨ : ٣	المتوكل البطليوسي	»	عيد
١٧٨ : ٤	_____	»	جيدي

٥١٢ : ٣	مالك بن سعيد	الوافر	عندي
١٧٤ : ٤	_____	»	تعدّي
١٥ : ١	_____	الكامل	بالأعداد
٣١ : ٢	ابن صارة	»	رماد
٣١ : ٢	أبو بكر ابن العربي	»	ميعاد
٤١٤ : ٣	ابن الزقاق	»	المياذ
٩١ : ٤	ابن عياض القرطبي	»	المياذ
٤٤٦ : ٣	أبو عمرو ابن أبي محمد	»	والنادي
٢٥٩٠ : ٢٢٤ : ٤	أبو بحر ابن عبد الصمد	»	عوادي
٢٤٣ : ٤	ابن جاح الصباغ	»	للوادي
٢٤٤ : ٤	» » »	»	رقادي
٢٦٠ : ٥	_____	»	مراد
٤٧٣ : ٦	لسان الدين	»	ودادي
٤٧٠ : ٦	» »	»	فؤادي
٣٠٤ : ٧	ابن جابر	»	فؤادي
٤٩٨ : ٧	ابن العريف	»	بالأجساد
١٠٩ : ٥	أبو سعيد محمد	»	مقصود
٥٤٤ : ٣	ابن عبد الظاهر	»	مفيد
٢١٤ : ٦	لسان الدين	»	مريد
٩٥ : ٣	صاعد	»	صاعد
٤٧٩ : ٥	_____	»	غدي
٣٨٢ : ٥	ابن حذلم	»	الجد
١٨٤ : ٦	ابن خلدون	»	الوجد
٨٥ : ١	الكمال التنوخي	»	أزمد
٦٦١ : ٢	محمد بن علي الغرناطي	»	أحمد
٢٥٥ : ٣	ابن ظافر	»	يعهد
٥٣٩ : ٥	أبو عبد الله ابن جزري	»	موردي

٥٩٠ : ٥	ابن ليون	الكامل	ترشد
١٨١ : ٦	الحارث بن هشام	»	مزبد
٣٣٨ : ٧	ابن جابر	»	محمّد
١١٠ : ١	المقري المؤلف	»	محمّد
٥٣٣ : ١	(أندلسي)	»	مغرّد
٢٦٤ : ٣	ابن الشقاق	»	بالأعمد
٣٧٤ : ٢	رضي الدين الشاطبي	»	بمخلد
٤٣١ : ٣	المهريس	»	السيد
٢٦٦ : ٦	التوّ	»	زبرجد
١٦٦ : ٦	_____	»	ممهّد
٢٣١ : ٧	ابن زمرك	»	محمد
٥٠٣ : ٧	سعد بن محمد	»	محمد
٤٦٢ : ٣	أبو بكر ابن يوسف	»	بصائده
٣٢٣ : ٢	المستنصر	»	جدّه
٣٥١ : ٢	_____	»	بعده
٦٨٠ : ٢	ابن جابر	»	وعده
٤٥ : ٧	ابن زهر	»	وعده
٤٦ : ٧	أبو الوليد ابن حزم	»	بوعده
٦٦٨ : ٢	ابن جابر	»	عقده
١٠٧ : ٤	ابن خفاجة	»	وده
٢٩٩ : ٤	ابن الزقاق	»	بزده
٤١٥ : ٣	» »	»	أملودها
٤٥٢ : ٢	_____	»	تنضيدها
٥٤٦ : ٣	أبو حفص ابن برد	»	خدها
٦٨٧ : ٢	ابن جابر	الكامل المجزوء	الأيادي
٨٩ : ٢	أبو بكر الطرطوشي	»	بسعد
٥٢٠ : ٣	أبو بكر ابن المنخل	المزج	الوادي

٣٠٨ : ١	أبو المطرف ابن عميرة	الرميل	الحاجد
١٤٩ : ٢	ابن بشير	»	البلد
٣٠١ : ٧ ، ٤٧٤ : ٦	لسان الدين	»	بالكمند
٣٦٩ : ٣	رفيع الدولة ابن صمادح	»	الأنكد
٣٧٠ : ٣	ابن مطروح	»	الأسعد
٣٨٠ : ٦	ابن خاتمة	»	المسجد
١٢٩ : ٦٢ : ٤	الكساد	»	عبد الصمد
٣٠٦ : ٣	البرجي	مجزوء الرمل	هود
٤٨٩ : ١ ، ٤٣٦ : ١	المستظهر	»	بصندي
٢٦٧ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	ونخد
٤٨٠ : ٣	أبو الضلت أمية	»	لعبدك
٢٨٨ : ٣	أبو عامر السالمي	»	صدّه
١١٠ : ٣	بعض بني عبد المؤمن	السريع	فادي
٣٥٠ : ٧	ابن جابر	»	عيد
٤٤٧ : ٢	أبو نواس	»	واحد
١٠٦ : ٤	ابن خفاجة	»	صاعد
١٨٤ : ٢	ابن عربي الصوفي	»	مشهد
٣٥١ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	المجد
٣١٧ : ٣	» » » »	»	الوجد
٣١٩ : ٣	ابن خفاجة	»	العهد
٥٠٢ : ٣	بن شعبة الوادي آشي	»	والورد
٥٢٦ : ٣	ابن سهل	»	النقد
١٨٦ : ٥	عقيل بن عطية	»	ود
٥٥٦ : ٥	ابن ليون	»	وود
٥٣٦ : ٥	أبو عبد الله ابن جزري	»	العقد
٥٧٢ : ٣	عبد الله الحجاري	»	معتاد
١١٦ : ٣	أبو الفضل البغدادي	»	عبد

٧٤ : ٤	الرمادي	السريع	حدّه
٥٦٢ : ٥	ابن ليون	»	عهده
٩٠ : ٦	محمد بن عبد الملك المراكشي	»	ردّه
٦٤٤ : ١	ابن السيد البطليوسي	المنسرح	الخلد
١٥٨ : ٤	ابن عائشة	»	ما ورد
٦٥٧ : ١	ابن وهبون	»	الغنيّد
٦٨٣ : ٢	ابن جابر	»	ويده
٨٨ : ٤	أبو بكر ابن مجير	»	قده
٨٨ : ٤	صفوان بن إدريس	»	عبده
٣٧٢ : ٤	_____	الخفيف	عباد
٤٦٣ : ٦	لسان الدين	»	فوادي
٣٦٩ : ٧	ابن جابر	»	فوادي
١٢١ : ٧	السلطان أبو عنان	»	الوداد
١٢١ : ٧	محمد بن يوسف الثغري	»	الحباد
٥٨٣ : ٢	أبو حيان	»	وتلادي
١٥٦ : ٤	المعري	»	بالإسماع
١٩ : ١	_____	»	وعقود
٥٩٠ : ٢	المتنبي	»	الخلود
٤٥٦ : ٥	ابن الجياب	»	الوجود
٤٥٦ : ٥	ابن أبي المجد	»	الوجود
٢٣٧ : ٧	ابن زمرك	»	الوعود
٤٧ : ١	الرعيّني الفرناطي	»	السعيد
٣٢٥ : ٢	شرف الدين التيفاشي	»	سعيد
٧٧ : ١	البحري	»	الجديد
٣٧٥ : ٧	أبو جعفر الالبيري	»	عميد
٦٢١ : ٢	أبو عبد الله ابن الحكيم	»	وجدي
٦٦٩ : ٢	ابن جابر	»	لنجد

٣٧٠ : ٧	ابن جابر	الخفيف	بنجلد
٩٣ : ٤	المعتمد بن عباد	»	انفرادك
٥٧١ : ٥	ابن ليون	»	وداده
١٤٥ : ٦	أبو عبد الله الجلياني	»	رشاده
١٨٤ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	المجتث	مرادي
٥٨٨ : ٣	أحمد بن سليمان الأموي	»	عود
٣٣٦ : ٣	ابن الإمام	»	شديد
٥٩ : ١	المقري المؤلف	»	محمد
٦٠٨ : ٣	ابن عمار (وابن جاح)	»	وصد
٤٠٨ : ٣	أبو عامر ابن الفرج	»	خذلك
٥٤٢ : ٣	أبو الفرج الوزير	»	خذلك
٥٨٩ : ٥	ابن ليون	»	اعتقاده
٤٦٣ : ٣	ابن خرووف القيسي	»	وبعده
١٠٣ : ٤	أبو الحسن ابن الخاج	المتقارب	الجيداد
٢١٤ : ٤	المعتمد بن عباد	»	القيود
٤٥٧ : ٣	ابن الأبرش	»	الرائد
٤٥٢ : ٣	ابن جاح البطليوسي	»	يدي
٣٣ : ٢	ابن الرومي	»	واقصد
٤٢٥ : ٣	ابن الديواني	»	ازدد
١١٢ : ٤	اللسن	»	ترقد
٣٨٢ : ٢	الصدر الحنجلدي	»	زندي
٣٢٥ : ٣	يحيى بن صفوان	»	صده
١٣٠ : ٤ ، ٤٧٥ : ٣	محمد بن عمر الإشبيلي	»	قصده
٣٠٦ ، ٧٣ : ٤	أبو بكر ابن عمار	»	ردّه
٢٥ : ٧	ابن باجة (أو ابن الحداد)	»	بعده

قافية الذال

ليوذى	الكامل	الحصري	١٥٤ : ٢
الأذى	الكامل المجزوء	ابن عقال	٤٧ : ٧
الأذى	»	الصباي	٤٧ : ٧
جذاذا	الرمل	ابن هذيل الفزاري	١٩ : ٤
ماذا	مجزوء الرمل	ابن المرحّل	١٤٥ : ٤
ملاذا	»	ابن زمرك	٢٢٧ : ٧
أفذاذا	المنسرح	عبد الملك بن شهيد	٢٦٠ : ٣
غذي	الطويل	حيب	٤٢٨ : ٣
للديـ	مخلع البسيط	سعد الدين ابن عربي	١٧١ : ٢
النفلـ	الكامل	ابن ليون	٥٨٥ : ٥
هذي	»	أبو عبد الله ابن عمران	٥٠٠ : ٧
كهذه	»	ابن زمرك	٢٢١ : ٧

قافية الراء

حجر	الطويل	امرؤ القيس	٣٣٤ : ١
قمر	»	ابن هشام القرطبي	٨٩ : ٤ ، ٣١٦ : ٣
والخبر	»	أبو عمر ابن عبد البر	٣٢٧ : ٤
وبالكبر	»	أبو الحسن ابن عياش	٣٢٧ : ٤
قصر	»	أبو محمد الأزدي	١٠٥ : ٦
نصر	»	لسان الدين	١٠٦ : ٦

١٠٧ : ٦	_____	الطويل	الأثر
١٥٩ : ٧	ابن زمرك	»	الوطر
١٦٧ : ٦	_____	البسيط	جابر
١٩٦ : ٤	القص	مخلع البسيط	أظاهر
٣٠٧ : ٥	_____	الوافر	الجرائر
٢٥٤ : ٤	الراضي بن المعتمد	الكامل	الدفاتر
٥٣٠ : ٣	قسمونة	»	والحور
١٧٧ : ٥	ابن زمرك	»	الزهر
٥١٥ : ٦	ابن خلدون	»	البشر
٢١٦ : ٧	ابن زمرك	»	خطر
٥٠ : ٤	ابن الحداد	مجزوء الكامل	الضمير
٧٣ : ١	_____	»	فاتر
٢٢٠ : ٥	الحطينة	»	تامر
٢٥٣ : ٤	المعتمد بن عباد	»	المساكر
٣٢٠ : ٣	ابن خفاجة	»	والنظر
٣٠١ : ٥	_____	»	للنظر
٦٠١ : ٥ ، ٥٤٦ : ٣	أبو حفص ابن برد (والرمادي)	»	بهر
٥٨٣ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	شر
٤٢١ : ٦	_____	»	تسّر
٢٢٧ : ١	_____	الرمل	سرور
٤٨٥ : ٣	ابن خيرة الصباغ	»	لا تغور
٥٢٤ : ٢	أبو بكر ابن عطية	»	ففر
٥٤٥ : ٢	نجم الدين الطوفي	»	كالقمر
٦٨٣ : ٢	ابن جابر الضرير	»	ثمر
٢٨٢ : ٣	ابن زيدون	»	الصور
٢٩٥ : ٥	_____	»	قلندر
٥٧١ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	شر

٣٧٩ : ٤	مطرف التجيبي	السريع	والنهار
٤٨٩ : ٤	ابن شريف الرندي	»	والديار
٣٩٨ : ٣	غانم المخزومي	»	الوقار
٦٠٣ : ٢٨ : ٤	غانم بن الوليد	»	الوقار
٤٨١ : ٥	أبو البركات البليقي	»	الوقار
٢٢ : ٢	منذر بن سعيد	»	احورار
٢٢ : ٢	_____	»	المستشار
٢٩٣ : ٤	مهجة القرطية	»	للصدور
٥٥٢ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	الشورور
٥٧٦ : ٥	» » »	»	للقبور
٢٤٢ : ٤	محمد بن عباد	»	نضر
٥٥٦ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	البشر
٥٦٩ : ٥	» » »	»	حفص
٦٠٤ : ١	المصحفي (أو ابن فرج)	الخفيف	تناثر
٥٦١ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	واصبر
٥١٦ : ٦	ابن خلدون	المجتث	حساكر
١٩٢ : ١	نزهون بنت القبلاعي	»	يحمش
٦٠ : ٢	ابن الشامي الغرناطي	المقارب	وجار
٣٤٠ : ٢	ابن سعيد	»	الغبار
٣٦٦ : ٤	المعتمد به عباد	»	الأوار
١٥١ : ١	ابن شرف القيرواني	»	بالزهر
١٨٦ : ١	_____	»	السفر
٥٦٩ : ٢	أبو حيان	»	أغر
١٢٠ : ٣	الفكيك	»	العفر
٢٣١ : ٣	_____	»	قصر
٢٨٤ : ٣	ابن زيدون	»	الخبر
٢٨٩ : ٣	ابن الزقاق	»	النظر

٤١٤ : ٣	ابن الزقاق	المتقارب	للشعر
٢٩٩ : ٤	» »	»	البشعر
٦٦٤ : ١	ابن الألفطس	»	البشر
١١٣ : ٤	أبو الوليد ابن مسلحة	»	كبر
٥١١ : ٧	أبو زيد الفازاني	»	البصر
٦٦٣ : ١	ابن الألفطس	»	ينتظر
٥٥٣ : ٣	ابن حزم	»	تنتظر
٥٠٨ : ٦	لسان الدين	»	تنتظر
٢٠٧ : ٦	» »	الطويل	ضرورة
١٥٤ : ٤ ، ٩٢ : ١	أبو الحجاج ابن أيوب الفهري الداني	»	سافراً
٣٧ : ١	_____	»	مجرأ
٤٩٧ : ١	أبو الصلت الأندلسي	»	مجرأ
٥٨ : ١	أبو نواس	»	شهرأ
١٣١ : ٢	ابن الغرضي	»	شهرأ
٣٢٠ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	صدراً
٣٢١ : ٢	_____	»	الزهرأ
٤٩٣ : ٢	ابن جبير	»	الزهرأ
٤٩١ : ٢	» »	»	ضراً
٥٦٤ : ٢	أبو حيان	»	العمراً
٥٨٢ : ٢	» »	»	شكراً
٥٧٤ : ٢	» »	»	الأخرى
٥٠٢ : ٦	لسان الدين	»	الأخرى
٩١ : ٣	المصحفي	»	الحرأ
١٣٣ : ٣	شعبان الغزي	»	جهرأ
٦٠٣ : ٣	ابن خفاجة	»	خضرأ
١٠ : ٤	أبو عبد الله الرصافي	»	وكرأ
٨٥ : ٤	_____	»	الدهراً

٦٣ : ٥	صفوان بن إدريس	الطويل	نثرا
٣٤٥ : ٥	_____	»	الفقرا
٢٦١ : ٦	ابن الجلد الفهري	»	البشرى
٣١٧ : ٦	_____	»	للدكرى
٥٠٨ : ٧	أبو زيد الفازازي	»	الأسرى
٧٣ : ١	_____	»	التفطرا
٢٦٥ : ١	طارق	»	اشترى
٣٣٤ : ١	الحكم بن هشام	»	المظفرا
٣٤٣ : ١	العباس الشاعر	»	تغورا
٤٢٩ : ١	المستعين	»	وتجبرا
٥٨٤ ، ٤٧٢ : ١	ابن بقي	»	نورا
٥٠١ : ١	أبو صخرة القرطبي	»	ومنظرا
٣٣٤ : ٣	أيوب السهيلي المرواني	»	التفكرا
٥٤٠ : ٣	امرؤ القيس	»	بربرا
١٦٥ : ٥	_____	»	قصرا
١٩٠ : ٥	_____	»	تصدرا
٢١٢ : ٤ ، ٦٠٧ : ٣	ابن ظافر الأزدي	»	بلورا
٣٦١ : ٥	ابن الرومي	المديد	غورا
٦٠٧ : ٢	أبو الروح التاكروني	البسيط	وأشجارا
٤١٦ : ٣	غالب الحجام	»	أشفارا
٥٠ : ٤	أبو عبد الله ابن الحداد	»	أنوارا
٢٧٣ : ٤	المعتمد بن عباد	»	مأسورا
١١٨ : ٤	_____	»	خنازيرا
٥٥٩ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	يُرى
١٠٢ : ١	_____	»	حضرا
٧٣ : ٢	أبو علي القالي	»	الأزرا
١٥٣ : ٢	ابن بقاء	»	كثرا

٥٣٦ : ٢	ابن حيان	البيسط	الدررا
٦٠٧ : ٢	أبو الروح التاكُرْنِي	»	والقمرا
٣٠٠ : ٥	_____	»	والقمرا
٦٦٥ : ٢	الحكيم موفق الدين	»	ما شعرا
٢٩٥ : ٣	القلفاط	»	عمرا
٣١٠ : ٣	أبو الربيع الداني	»	قبرا
٥٩٧ : ٣	أبو العباس ابن السعود	»	النظرا
١٦٢ : ٤	_____	»	أثرا
٥٠٥ : ٤	_____	»	الصبرا
٤٤ : ٧	رفيع الدولة ابن صمادح	»	هجرا
٤٧٣ : ٦	لسان الدين	»	ثمره
٣٢٤ : ٦	ابن جابر	»	بالقبره
٣٢٦ : ٧	_____	»	عَطِرَه
٤٨١ : ٣	أبو الصلت أمية الأندلسي	»	فقيّره
٤٥١ : ٥	ابن الجلياب	مخلع البسيط	الطّهارة
٦٠١ : ٥	إدريس بن اليماني	»	الصغارا
٣٢٥ : ٤	ابن خميس الخزائري	»	كبرا
٥٤٧ : ٢	الصفدي	»	مُغْرَى
٨ : ٤	ابن سالم الكلاعي	»	خبرا
٨ : ٤	عبد الله بن مطروح	»	سيرا
١١٠ : ٤	أبو الحسن ابن اليسع	»	إطرا
٥٤٦ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	وشكره
٣٥٨ : ٢	جرير	الوافر	عارا
٤٢٣ : ٣	عبد الملك بن غصن	»	الصغارا
٦٩ : ٤	أبو الوليد القسطلي	»	قرارا
٨٨ : ٤	أبو العباس الجراوي	»	أنارا
٣٠٧ : ٦	_____	»	البحارا

٢٥٨ : ٥	أبو الحجاج الطرطوشي	الوافر	سرورا
٥٠٢ : ٣	ابن الحداد الوادي آشي	»	الأميرا
١٢٠ : ٤	ابن الأبار	»	الأميرا
٤٨٨ : ٣ ، ٣١٦ : ١	أبو المطرف ابن عميرة	»	صفرا
٣٠٨ : ٣	أبو جعفر ابن طلحة	»	ذكر
٢٥٧ : ٥	بشير	»	بشرا
٥٠٧ : ٦	لسان الدين	»	جزرا
٤٣١ : ٣	عمر ابن أبي خالد	»	الجزيرة
٣٤٥ ، ١١٧ : ٤	ابن صارة	»	الحقيرة
٣٦٧ : ٢	القساني	»	غيره
٥٠٢ : ٣	ابن ظافر	»	مضبره
٣٢٥ : ٤	ابن صارة	»	بزوره
٣٢٣ ، ١٦٠ ، ١١٣ : ٤	ابن أبي ركب	مجزوء الوافر	تره
٦٦٩ : ٢	ابن جابر	الكامل	وسارا
٣٧٣ : ٧	»	»	أوطارا
٢٩٢ : ٣	عبد الله ابن غالب	»	عذارا
٦٧ : ٥	صفوان بن إدريس	»	وطارا
٤١ : ٦	أبو جعفر العذري	»	جارا
٢٣٧ : ٦	ابن مقاتل المالقي	»	الأقمارا
٤٩٢ : ١	ابن حمديس	»	معمورا
٤٦٧ : ٣	ابن باجة	»	بدورا
١٧٦ : ٧	ابن زمرك	»	المنشورا
٢٢١ : ٧	»	»	منشورا
٥٤٥ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	التضريرا
٢٧ : ٧	ابن باجة	»	عبيرا
٦٥٥ : ١	ابن صمار	»	السرى
١٩٤ : ٣	»	»	مثمرا

٢٦٩ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	الكامل	معسرا
٢٧٢ : ٢	» » »	»	القيرى
٤٠٠ : ٢	ابن عنين	»	بالكرى
٦٧٢ : ٢	البتني	»	نورا
٦٠١ : ٣	سهل بن مالك	»	جرى
٣٢٤ : ٤	ابن خميس الجزائري	»	الورى
٥٠٣ : ٢	دحون	»	متحيرا
٦٥٢ : ٢	علي بن سعد الخير	»	متكبرا
٥٢٥ : ٣	ابن سهل الإسرائيلي	»	تغيرا
٥٣٢ : ٣	لب بن عبد الوارث القلعي	»	محيرا
١٨٢ : ٥	أبو بكر ابن عمار	»	لتكسرا
٥٤٨ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	مقدرا
٢٤٧ : ٦	ابن هانيء السبي	»	متصوره
٣٧٦ : ٣	أبو الوليد الوقشي	»	ماهره
٩٠ : ٤	» » »	»	باهره
٦٧٨ : ٢	أبو جعفر الالبيري	»	ضمائره
١٠٨ : ٦	ابن رضوان	»	مبصره
٢١٢ : ٣ ، ١٥٧ : ١	ابن سفر	»	ثاره
٤٥٧ : ٣	عبد الله بن الليث	»	أنهاره
٥٠٥ : ٧	أبو اليمن ابن عساكر	»	ونارها
٧١ : ٥	صفوان بن إدريس	مجزوء الكامل	ساخرا
٥٨٧ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	يرى
٣٦٠ : ٢	_____	»	أثرى
٤٠٤ : ٣	الأعمى التنطلي	»	صخره
٥٠٠ : ٣	» »	»	لصخره
٣٣٩ : ٤	ابن محرز الزهري	»	يسرا
٥١٠ : ٧	أبو زيد الفازازي	»	الضروره

١٣٠ : ٣	زرياب	مجزوء الكامل	نضيرَه
٣٥١ : ٣	_____	»	فاخرَه
٤٨٨ : ٢	ابن جبير	الرملى	الورى
١١٦ : ٣	أبو الفضل الدارمي	مجزوء الرمل	ضممارا
٦٩ : ٣	_____	السريع	نارا
٣٠٠ : ٦	_____	»	حارا
٥٤٨ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	ساترا
٣٦٥ : ٢	أبو عمران ابن سعيد	»	ذكرَا
٥٧٩ : ٢	الغزالي	»	الشري
٢٦٤ : ٣	ابن مرزقان	»	بدرا
٨٨ : ٤	أبو بحر صفوان	»	صفرا
٢٥ : ٧	ابن باجة	»	قدرا
٥٣٩ : ٢	الصفدي	»	واستعبرا
٥٤٨ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	يهجرَك
١٢٠ : ١	_____	»	الباصره
٩٣ : ٤	المعتمد بن عباد	»	جوهرة
١٧٥ : ٦	_____	»	مكره
٤٨٢ : ٦	لسان الدين	»	نضرَه
٤٨٢ : ٦	أبو البركات ابن الحاج	»	والخضره
٣٤٧ : ٣	صالح بن شريف	»	إيثارَه
٥٠٢ : ٥	أبو عبد الله ابن الحكيم	»	إيثارَه
٤٨١ : ٣	أبو البصلت أمية الأندلسي	»	أمرَه
٢٧ : ٢	ابن العربي	»	نارَها
٣٥٥ : ٢	_____	المنسرح	دارى
٤٧١ : ٦	لسان الدين	»	يُبَارى
٦٢١ : ١	أبو المغيرة ابن حزم	»	الزهرَه
٦٨٧ : ٢	ابن جابر	الخفيف	جبرًا

٣٤٣ : ٤	أبو جعفر السياسي	الخفيف	اقتدارا
٥٩١ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	مقدارا
١٧٣ : ٢	سعد الدين بن عربي	»	أدري
٢٢٧ : ٢	بهاء الدين ابن النحاس	»	نشرا
٩٧ : ٤	ابن اللبانة	»	فقرا
٥٣١ : ٥	أبو عبد الله ابن جزي	»	شهرا
٤٨٦ : ٣	الرصاصي	»	إشاره
٣٧٢ : ٧	أبو جعفر الالبيري	»	بالجزيره
٦٨١ : ٢	ابن جابر الضرير	»	وحمره
٥٦٩ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	نصره
٥٠١ : ٣	أبو الحسن المؤيد	»	المسرّه
٥٧٧ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	بلدّه
٥٨٦ : ٥	» » »	»	المضطرّه
١٣١ : ٣	متعة (جارية زرياب)	المجتث	النهارا
٤٦٧ : ٤	ابن الأفطس	»	اقتدارا
٥٦٠ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	قريرا
٥٩٤ : ٥	» » »	»	صدرا
٦٠ : ١	المقري	»	وغضاره
٤٧٠ : ٦	لسان الدين	»	خيرّه
٥١٦ : ٦	ابن خلدون	»	أسره
٢٨٠ : ٦	_____	»	عدره
٥٩٥ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	كدره
١٨٣ : ١	المتني	المقارب	كبارا
٤٨٧ : ٢	ابن جبير	»	أنازا
٢١٧ : ٤	المعتمد بن عباد	»	استغارا
٥١٠ : ٥	فرج بن لب	»	أوارا
٥١١ : ٥	الشهاب محمود	»	القفارا

٢٦٣ : ٣	ابن الجداد	المتقارب	ناضرا
٤٦١ : ٢	_____	»	الورى
٩ : ٤	النحلي البطلوسي	»	القرى
٤٦٨ : ١	أحمد بن فرج	»	جوها
٥٤٧ : ٣	حسان بن مالك	»	واستعبرا
٣٤٦ : ٢	ابن سعيد	»	ظاهرة
٣٢٧ : ٤	_____	»	زاهره
١٠٩ : ٣	علي بن عمر الموحدي	»	مستبشره
٣٤٤ : ٤	أبو إسحاق ابن أبي العاصي	»	وللمعذره
٤٩٣ : ٢	ابن جبير	»	أوزارها
٩٧ : ٢	محمد بن عبد ربه	الطويل	ونضار
٧٠٢ : ٢	ابن الأزرق الغرناطي	»	بدار
٩٦ : ١	الشهاب الحنبلي الزرعي	»	بدرار
١٥ : ١	_____	»	شهور
٨٦ : ١	ابن نباتة السعدي	»	وغيور
٤٠٦ : ١	ابن دراج القسطلي	»	وبدور
١٩٥ : ٣	» » »	»	قبور
٢٣٢ : ٣	» » »	»	مصور
١٩٨ : ٣	ابن أبي ربيعة	»	أزور
٥٠٧ : ٦	لسان الدين	»	ثور
١٧ : ١	_____	»	عسير
٢٥ : ٢	ابن سلامة الخطيب	»	يسير
٤٨٩ : ٣	ابن خفاجة	»	ويسير
٧٩ : ٦	ابن زمرك	»	تسير
٢٩٧ : ٣ ، ١٠٨ : ٢	أبو الصلت أمية الأندلسي	»	أصير
٢١٥ : ٣	_____	»	كبير
٢٥٦ : ٤	ابن حمديس	»	وتبير

٢٧٥ : ٤	المعتمد بن عباد	الطويل	سريـر
١٧ : ١	_____	»	ذاكر
٨٠ : ٢	أبو محمد ابن حزم	»	ذاكر
٤١٠ : ١	المنصور بن أبي عامر	»	يخاطر
٥٨٩ : ١	_____	»	سامر
٨٠ : ٢	أبو المغيرة ابن حزم	»	شاجر
٦٧٣ : ٢	_____	»	زاجر
١٩١ : ٤	_____	»	يبادر
٤٩١ : ٥	ابن هذيل	»	ساحر
١٢٠ : ٦	النباهي	»	زاجر
١٢٠ : ٦	»	»	ظاهر
٥٨٥ ، ١٨٨ : ٣	ابن عبد الملك المرواني	»	الدوائر
٤٨٣ : ٦	لسان الدين	»	الضرائر
٦٦٢ : ١	ابن اللبابة	»	نهر
٤٧٦ : ٣	ابن طلحة الإشبيلي	»	النهر
٦٦٨ : ١	ابن سعدون	»	الأمر
٣٠٠ : ٧ ، ٤٧٥ : ٦	لسان الدين	»	الأمر
٨٦ : ٥	»	»	الزهر
٤٧٠ : ٣	ابن عيدون	»	الزهر
١٥٨ : ٤	ابن الزقاق	»	الزهر
٢٩٠ : ٣	»	»	سكر
٣٥٦ : ٣	ابن خفاجة	»	السكر
٤٥٤ : ٢	أبو صخر الهدلي	»	القطر
٣٣٨ : ٢	الشريف العقيلي	»	القطر
٢٠٧ : ٤ ، ٥٧١ : ٣	ذو الرمة	»	القطر
٨٩ : ٦	العشاب التونسي	»	القطر
٥٠٠ : ٢	أبو عامر ابن شهيد	»	سر

٦٥٩ : ٢	أبو ركوّة	الطويل	الدهرُ
٥٧٥ : ٣	_____	»	الدهرُ
٢٥١ : ٤	المعتمد بن عباد	»	الدهرُ
٤٤٤ : ٣	ابن الجلد	»	العسر
٤٦٠ : ٣	الرصافي	»	والزجر
٤٧١ : ٣	عمرو بن ملحج	»	سحرُ
٦٠٣ : ٣	ابن وضاح	»	النضر
٤١ : ٤	الرمادي	»	البحمر
١٤٤ : ٤	_____	»	القفرُ
١٦١ : ٤	الرصافي	»	صفرُ
٢٦٤ : ٤	ابن زيدون	»	الصبرُ
٢٩٣ : ٤	مهجة القرطبية	»	الشعرُ
٥٨ : ٥	_____	»	القبرُ
٢٨٤ : ٥	أبو عبد الله ابن بيش	»	سُرُ
٢١٢ : ٦	أبو فراس	»	كُرُ
٢٢٨ : ٧	ابن زمرك	»	البلد
٦٨ : ١	_____	»	مسفرُ
٦٨ : ١	ابن دقيق العيد	»	فمحسّرُ
٨٥ : ٢	أبو بكر الطرطوشي	»	ننظرُ
٩٦ : ٢	أبو بكر محمد بن القاسم	»	تذكرُ
٣١٩ : ٢	أحمد بن مالك اللخمي الشابي	»	تتفجرُ
٣١٩ : ٢	أبو عبد الله ابن الحسين بن سعيد	»	فتأطرُ
٤٠٩ : ٢	سيف الدين المشد	»	يتحدرُ
١٥٣ : ٣	_____	»	مقصرُ
٣٤١ : ٣	المطرف بن عمر المرواني	»	أخبر
٣٥١ : ٣	ابن الورددي	»	يتذكر
٣٧٥ : ٣	عباس بن فرناس	»	يشمرُ

٤٢٤ : ٣	عبد الملك الحنجاري	الطويل	فأنشُرُ
٥٠٨ : ٣	أبو بكر محمد بن نصر الأوسي	»	وتحبرُ
٥٢٧ : ٣	ابن الفخار اليهودي	»	وأسترُ
٥٣٢ : ٣	ابن عبد الوارث القلمي	»	ينكرُ
٤٣ : ٤	ابن هانيء	»	وكوثرُ
٤٩٣ : ٤	أبو المطرف ابن عميرة	»	يقصرُ
٤٨١ : ٤	لسان الدين	»	يقصرُ
٤٧١ : ٦	»	»	ينصرُ
٤١٣ : ٦ ، ٥٣٩ : ٣	_____	»	أكثرُ
٦١٣ : ٣	عبد الرحمن الأوسط ومحمد الزجالي	»	أكثرُ
٣١ : ٧	أبو يحيى ابن الحاج	»	أسطرُ
٥٠٤ : ١	البحثري	»	تفاوره
٤٨٦ : ٣	أبو بكر ابن الحاج	»	محاجره
٣٢٥ : ٤	ابن هارون القرطبي	»	يسخره
٢٤٧ : ٣	أبو العلاء ابن زهر	»	اصطباره
٧٢ : ٥	أبو محمد ابن حامد	»	عذاره
٧٢ : ٥	صفوان بن إدريس	»	أواره
٢٣ : ٧	ابن باجة	»	أزوره
٥٤٩ : ٤	العربي العقيلي	»	وشره
٧٢ : ٤	ابن الروح الشابي	»	سرورها
٢٣٥ : ٥	أبو عبد الله المكودي	»	مسيرها
١٦٢ : ٤	أبو بكر ابن طاهر	المديد	تعتذرُ
١٦٢ : ٤	أبو ذر الحشني	»	تنتثرُ
٢٦ : ١	أحمد المقرري	البسيط	معطارُ
٦٨٠ : ١	ابن خفاجة	»	وأشجارُ
١٢١ : ٢	أبو الوليد ابن الجنان	»	والغارُ
٤٠٨ : ٢	الناصر داود	»	ولسناحُ

٥٢٧ : ٢	عبد الحق بن عطية	البيسط	أسحارُ
٢٢٣ : ٣	الشقندي	»	أقمارُ
٥٠٧ : ٤	_____	»	دوارُ
٤٩ : ٧	أبو مروان الطنجي	»	زوارُ
١٣٤ : ٧	ابن خفاجة	»	أختارُ
٣٢ : ١	_____	»	مغفور
١٠٩ : ٦	ابن رضوان	»	محبور
٥٠٣ : ٤ ، ٩٥ : ١	_____	»	البصرُ
٣١٦ : ١	أبو المطرف ابن عميرة	»	الخقر
٤٧٤ : ١	أبو الحسين الوقشي	»	والنهرُ
٣١٤ : ٤ ، ٦٧٣ : ١	ابن ليون	»	وتنحدرُ
٦٦٣ : ٢	أبو الحسن المايقي	»	منحدرُ
٢٤٧ : ٥ ، ١٧٧ : ٢	البحري	»	البقر
٣٦٥ : ٢	أبو عمران ابن سعيد	»	والظفرُ
٦٣٨ : ١	ابن القبطرنة	»	ذخروا
٣٧٢ : ٢	العرقلة اللمشقي	»	والخور
٢٦٨ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	يعتذرُ
١٩٣ : ٣	المعتمد بن عباد	»	يعتذر
٣٩٢ : ٢	الكماك الشريشي	»	يستعرُ
٥٦٢ : ٢	زهيز بن صرد الجشمي	»	ونتظرُ
٥٣ : ٧	ابن عبد ربه	»	تنتظرُ
٥٧٨ : ٢	أبو حيان	»	وزرُ
١٢٠ : ٣	الفكيك	»	معتكرُ
١٢٣ : ٣	_____	»	وابتكروا
٣٤٣ : ٣	عبد الله بن عبد العزيز الحجر	»	النظرُ
٣٣٣ : ٤	ابن الطلاء	»	النظرُ
٤٣٥ : ٣	أبو الوليد ابن حزم	»	زهرُ

٣٣٧ : ٤	الحميدي	البسيط	والزهر
٤٥٩ : ٣	خلف القطيني	»	مصطبر
٤٦١ : ٣	أبو بكر ابن حيش	»	وتستر
٤٧١ : ٣	عمرو بن ملحج	»	وطر
٤٨١ : ٣	أبو الصلت أمية الأندلسي	»	الذكر
٢٣١ : ٤ ، ٤٨٧ : ٣	ابن النبي	»	الخبر
٥٩٣ : ٣	الأصم المرواني	»	أثر
٣٠٣ : ٤	أبو الحجاج النصري	»	البشر
٣٢٥ : ٤	أبو محمد ابن صارة	»	والكبر
٢٢٢ : ٥	_____	»	كثروا
٥٥٧ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	الحلن
٥١ : ٧ ، ٤٤٧ : ٣	ابن عبدربه	»	والقدر
٤٩٩ : ٢	_____	»	غافره
٦٣١ : ٢	أبو بكر الصوفي الإشبيلي	»	آخره
٤٩٩ : ٥	ابن الجنياب	»	طائره
١٢٨ : ٦	ابن البناء الوادي آشي	»	ناصره
٤٩٢ : ٧	ابن العطار الجزائري	»	ماطره
١٧٦ : ٢	الفيروز ابادي	»	خواطره
٦٥٤ : ٢	ابن مهاجر الوادي آشي	»	بشائره
٣٢٠ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	مخبره
٥٤٤ : ٣	أبو عامر ابن مسلمة	»	منظره
٦٠٨ : ٢	أبو الروح التاكرتي	»	يشهره
٤٨ : ٤	محمد بن الحداد	»	أقدره
٣٣٨ : ٧	ابن جابر	»	يبصره
٦٥ : ١	_____	»	مكرره
٥١٧ : ٢	الزين كناكت	»	يكدره
٤٢٩ : ٣	علي بن حصن	مخلع البسيط	والبهار

٤٤٢ : ٣	ابن لبال	مخلع البسيط	وجلنار
٥٩٨ : ٥	الحلاج	»	ونار
٦٠٢ : ٥	صالح بن شريف	»	اعتذار
٧٢ : ٥	أبو إسحاق الوزير و صفوان بن إدريس	»	نظير
١٨٤ : ٢	ابن عربي	»	قدر
٦٨٥ : ٢	ابن جابر	الوافر	فرار
٢٧٤ : ٣	أبو عامر ذو الوزارتين	»	المزاب
٦٩ : ٤	_____	»	قرار
٣٣٢ : ٤	ابن الطراوة	»	النهار
٦٥٤ : ٢	ابن مهاجر الوادي آشي	»	ذكور
١٨٦ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	السرو
٤٦٧ : ٣	الرصافي	»	الضمير
٣١١ : ٤	ابن رشيد السبي	»	يسير
٥٠٥ : ٤	جميل بثينة	»	قصير
١٩ : ٧	ابن باجة	»	يستطير
٥٩ : ١	_____	الكامل	آذار
٦٦ : ٤ ، ٥٣١ : ١	عبد الملك الجزيري	»	وتحار
٦٨٥ : ١	ابن خفاجة	»	تدار
٤٥٥ : ٤	»	»	والنار
٢٦٨ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	الأفكار
٢٦٨ : ٢	»	»	والأوطار
٦٠٧ : ٢	أبو الروح التاكرتي	»	قرار
٣٤٥ : ٣	ابن عبد الغفور الإشبيلي	»	المقدار
٣٥٥ : ٣	ابن صارة	»	والأضرار
٥ : ٤	»	»	النوار
٤٤٩ : ٣	ابن حكيم	»	دار
٣٥٥ : ٣	ابن القبطرنة	»	النوار
٣٢١			٢١

٥ : ٤	ابن القبطرنة	الكامل	والأضرارُ
٥٠٧ : ٦	لسان الدين	»	جارُ
١٤٣ : ٧	أبو مدين	»	الأنهار
٢٦٠ : ٢	الغزال	»	مغرور
١٣٢ : ٤	أبو عامر ابن التاكرنّي	»	مقهور
٣٣٠ : ٤	أبو حاتم الميرتلي	»	النور
٣٧٢ : ٤	المعتمد	»	أمور
١٥٩ : ٥	التيمي	»	منشور
٥٣٨ : ٥	أبو عبد الله ابن جزّي	»	مجرور
٤٩١ : ٧	ابن العطار الجزائري	»	تدور
١٦٥ : ٢	ابن عربي	»	التحرير
٦١١ : ٢	ابن حمدون النحوي	»	ويصير
٤٧٢ : ٣	أبو الوليد ابن حزم	»	سكير
١٨٧ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	كبير
١١٥ : ٥	_____	»	العثيرُ
٥١ : ٦	عبد العزيز الفشتالي	»	نصيرُ
٦٨٠ : ٢	ابن جابر الضرير	»	ظاهرُ
٤٩٩ : ٣	حاتم بن سعيد العنسي	»	أعاذر
٧٦ : ٤	الحججاري	»	آخر
٣٨٢ : ٦	لسان الدين	»	حاصر
٣٤١ : ١	ابن ناصح الجزيري	»	عسرُ
٢٠٨ : ٤	أبو نواس	»	بحر
٤٦٥ : ٣	سلمة بن أحمد	»	الأزهر
٥٨٢ : ٣	سعيد بن فرج	»	تذكرُ
٣٢٣ : ٤	ابن أبي ركب	»	تبخّر
٥٠٢ : ٤	_____	»	متأخر
١٦٩ : ١	ابن اللبانة	»	الإسكندر - -

٢٥ : ٤	أبو بكر ابن القوطية	الكامل	عذاره
٥٠٧ : ٦ ، ٦٢ : ١	لسان الدين	»	عذاره
١٠٠ : ٥	» »	»	أخباره
٤٧١ : ٦	» »	»	تمتاره
٥٠٧ : ٥	أبو الحسن القيقاطي	»	وبهارة
٢٣٤ : ٦	ابن داود الحميري	»	أفكاره
٣٩٢ : ٦	_____	»	داره
٥٩١ : ٥	ابن ليون التجيبي	مجزوء الرمل	أميره
٥٥١ : ٥	» » »	»	ذكره
٣٠٦ : ٤ ، ١٢٠ : ٣	ابن الصفار القرطبي	السريع	أطوار
٢٦٨ : ٤	المعتمد بن عباد	»	زور
٢٦٨ : ٤	ابن زيدون	»	محدور
٢٦٩ : ٤	» »	»	مقفور
٤٦٣ : ٣	أحمد بن أمية البنسي	»	عسير
٥٢٩ : ١	أبو محمد المصري	»	الحاطر
١٩٨ : ٣	ابن أبي ربيعة أو وضاح اليمن	»	الساھر
٤٢٠ : ٣	أبو بكر ابن أزرقي	»	طائر
٣٥٠ : ٧	ابن جابر	»	حائر
٣٧١ : ٣	ابن خفاجة	»	نحمر
١٨٨ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	عمرو
٢٤١ : ٣	ابن خفاجة	»	يقدر
٦٠٠ : ٣	ابن صارة	»	يزهر
٣٤٢ : ٤	الزيدي	»	يقبر
٥٧١ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	يشعر
٥٤٧ : ٥	» » »	»	عارها
١٠٣ : ٤	أبو الحسن ابن الحاج	المنسرح	نخمور
٣٣٢ : ١	امرؤ القيس	»	قصر

٦٥٨ : ١	علي بن أحمد	المنسرح	القطر
٩٨ : ٥	لسان الدين	»	قمر
٧٧ : ١	_____	الخفيف	ثمار
٥٦ : ٧	أبو الحسن البرقي	»	الادكار
٤٠٨ : ٤	عدي بن زيد	»	وكور
٥٨٠ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	غرور
٥٨٩ : ٥	» » »	»	الأمور
٣١٨ : ٦	_____	»	الغرور
٩٤ : ١	المقري	»	يضير
٣٢٤ : ٢	_____	»	تصير
٤٨٢ : ٣	أبو الصلت أمية الأندلسي	»	مهير
٢٠١ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	خطير
٢٠١ : ٤	أبو الحكم ابن هرودس	»	المطير
١٦٠ : ٥	_____	»	تكدير
٥٦٣ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	وذخر
٨٢ : ١	_____	المجث	غزار
١٨٠ : ١	مروان بن عبد العزيز	المتقارب	أخضر
٥٦١ : ٣	عبد الحميد بن لاطون	»	سكر
١٨٣ : ٤	العبادية (جارية المعتضد)	»	يشعر
٢٨٣ : ٤	المعتضد بن غباد	»	يصبر
١٨٨ : ٣	_____	»	نسر
٢٠٨ : ٣	زينب الوادي آشية	الطويل	شار
٢٨٧ : ٤	حمدة (أو حمدونة) بنت زياد	»	شار
٣١٦ : ٣	_____	»	القار
٦٠١ : ٣	صفوان	»	بقرار
٥١٧ : ٥	أبو بكر ابن جزري	»	مقدار
١١٩ : ٦	_____	»	بضرار

١١٣ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	الطويل	مدرار
١١٨ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	تذكار
٧٠١ : ٢	ابن الأزرق الوادي آشي	»	موفور
٢٧١ : ٣	ابن خفاجة	»	سرير
٢٥٦ : ٣	ابن قلاقس	»	باهر
١٦٣ : ٤	_____	»	طائر
٥٣٦ : ٥	لسان الدين	»	ماهر
٢٠٩ : ٦	» »	»	وآمر
٩٣ : ١	ابن الفقاعي	»	محاجر
١٨٨ : ٣	_____	»	المنابر
١٦٨ : ٤	حسانة التميمية	»	المواجر
٥٣٦ : ٥	أبو عبد الله ابن جزري	»	بالنواد
٤٩ : ٧	أبو مروان الطنبلي	»	الأباعر
٣٠ : ١	_____	»	عمري
٤٨١ : ٣	أبو الصلت أمية الأندلسي	»	والعمر
٤٣٧ : ١	حسان بن عبدة	»	الصبر
٣٣٢ : ٣ - ٤٩٨ : ١	أبو الصلت أمية الأندلسي	»	مصر
٦١٩ : ١	_____	»	السحر
٦٦١ : ١	الراضي بن المعتمد بن عباد	»	أدري
١٩٢ : ٣	ابن حزم	»	يدري
٣٤١ : ٤	أبمن الغرناطي	»	تدري
٥٠٢ : ٦	لسان الدين	»	يدري
٢٢٢ : ٧	ابن زمرك	»	أدري
٣٤ : ٢	أبو بكر ابن العربي	»	الفخر
٣٩٠ : ٥	ابن الحسن التباهي	»	الفخر
١٦٩ : ٢	(منسوب إلى ابن عربي)	»	القدر
٣٨١ : ٣	مختار الرعيني	»	القدر

٤٧٢ : ٣	أبو بكر ابن مذحج	الطويل	القدر
١٣٥ : ٤	أبو جعفر الوقشي	»	القدر
٤٧٠ : ٦	لسان الدين	»	القدر
٣٤ : ٧	الفتح بن خاقان	»	القدر
١٨٦ : ٢	الششتري	»	الدهر
٢٥٤ : ٢	محمد بن رشيق	»	الدهر
١٣٦ : ٤	أبو جعفر الوقشي	»	الدهر
١٨٥ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	دهري
١٨٩ : ٤	» » »	»	الذعري
١٨٢ : ٤	» » »	»	الشحري
١٨٣ : ٤	» » »	»	الشكر
٢٦٢ : ٢	ابن ناصح الثقفي	»	بقري
٣٣٦ : ٢	محمد بن سعيد	»	وعري
١٨٩ : ٣ ، ٣٤٥ : ٢	_____	»	البحري
٢٧١ : ٣	أبو بكر البلنسي	»	بحر
٤٧٣ : ٣	أبو الحسين ابن فندلة	»	البحري
٢٢٦ : ٧	ابن زمرك	»	البحر
٤٥٨ : ٢	_____	»	البدري
١١٧ : ٣	أبو الفضل الدارمي	»	هجري
٥٧٤ : ٣	ابن هشام المرواني	»	المجري
١٩٣ : ٣	المعتمد بن عباد	»	النهر
١٩٩ : ٣	محمد بن سفر	»	يسري
٢٦٧ : ٣	بشار بن برد	»	تجري
٢٧١ : ٣	صفوان بن إدريس	»	الزهر
٣٧٣ : ٣	هاشم بن عبد العزيز	»	نصري
١١٨ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	النصري
٣٨٨ : ٣	الأخفش القبداقي	»	الكفر

٣٨٨ : ٣	الأخفش القبذائي	الطويل	الذكر
٤٦٤ : ٣	ابن الجزار السرقسطي	»	الذكر
٤١٦ : ٣	غالب الحجام	»	الخمر
٢٤٤ : ٦	أبو عبد الله المكودي	»	الخمر
٤٢٢ : ٣	إبراهيم الحجاري	»	فقر
٤٣٩ : ٣	ابن شهيد	»	الصدر
٢٩٥ : ٤	نزهون الغرناطية	»	صدري
٤٧٤ : ٣	أبو القاسم ابن حسان	»	قصري
٥٥٢ : ٣	ابن عبد الغفور الكلاعي	»	للسحر
٥٩٤ : ٣	الأصبيغ القرشي	»	والفكر
٦٠٢ : ٣	ابن أبي الحصال	»	السكر
١٤٣ : ٤	الحنساء	»	القبر
١٧٣ : ٤	حفصة الركونية	»	خبر
١٨ : ٥	ابن هذيل	»	الشعر
٧٥ : ٦	ابن زمرك	»	الأمر
٤٨٧ : ٦	لسان الدين	»	أمر
٢٤٥ : ٦	ابن بيش العبدري	»	القطري
٣٠١ : ٦	_____	»	البدر
٥٠٣ : ٦	لسان الدين	»	الفجر
٢٥٦ : ٥	ابن دقيق العيد	»	فمحسّر
١٧٥ : ١	ابن عياش أو ابن حريق	»	لزهر
١٧٦ : ٤	حفصة الركونية	»	نويره
٤٩٩ : ١	ابن حمديس المغربي	»	ضميره
٢٨٢ : ٦	_____	»	بنخيره
٤٩٢ : ٢	ابن جبير	المديد	العمر
٣٦٦ : ٣	علي العكوك	»	مختصره
١٦ : ١	_____	البسيط	أمطار

٥٠٣ : ١	ابن الحنات الأندلسي	البسيط	والغاري
٩٦ : ٣	صاعد	»	معباري
٩٦ : ٣	أبو البركات علي العلوي	»	العطار
٤٤٩ : ٣	ابن صارة	»	إضراري
٢٥٣ : ٤	الراضي بن المعتمد	»	عار
٥٩٣ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	أضار
٣٥٣ : ٧	ابن جابر	»	أسراي
٤٤٩ : ٣	عبدون البنسي	»	مغفور
٤٨٦ : ٣	الرصافي	»	نور
٤٧٦ : ٥	ابن الحاج البلفيقي	»	نور
٣٧٩ : ٣	المهيم بن أبي غالب	»	المقادير
٠٣٣٥ : ٤	هيم السكوني أو عبد المهيم الحضرمي	»	المقادير
٤٧٠ : ٥			
١٥٩ : ٥ ، ٢٢٥ : ٤ ، ٤٤٢ ، ١٨٥ : ١	ابن عبدون	»	والصور
٢٨٥ : ١	_____	»	حصّر
٥٠٤ : ٤	_____	»	الخصر
٦٣١ : ١	ابن زيدون	»	بالأثر
٢٦٧ : ٣ - ٦٤٣ : ١	أبو الفضل ابن حسداي	»	البكر
٩٨ : ٢	أبو الربيع ابن عبد المؤمن	»	السمر
٣٢٥ : ٢	شرف الدين التيفاشي	»	الشجر
٣٣٤ : ٢	أبو عمران ابن سعيد	»	الزهر
٤٩٢ : ٣	أبو الحسن ابن نزار	»	صدر
١٨٩ : ٣	_____	»	السير
٢٩٠ : ٣	ابن الزقاق	»	بالوتر
٣٤٧ : ٣	ابن بقي	»	ضرر
٣٩٦ : ٣	ابن شرف	»	النظر

٦٧ : ٤	ابن شرف	البيسط	حور
٤٢٧ : ٣	حيب	»	الخبر
٤٤٤ : ٣	ابن عمار	»	بصري
٣٤٧ : ٢	_____	»	البصري
٥٨٧ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	البصر
٣٦٧ : ٢	الغساني	»	البصر
٥٢٢ : ٣	ابن المزعري	»	البصر
١١١ : ٢	ابن الرومي	»	بالبصر
٣٢١ : ٤	الأعمى التطيلي	»	للبصر
٢٤١ ، ٢٠٧ : ٣	» »	»	وطري
٥٩ : ٤	» »	»	والغدر
١٨٣ : ١	» »	»	والغدر
٣٤٧ : ٣	» »	»	والمطر
٢٢٦ : ٤	المعتمد بن عباد	»	المطر
١٣٤ : ٤	ابن أرفع رأسه	»	نهر
١٤٤ : ٤	_____	»	البقي
١٨٢ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	الظفر
٥٦٧ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	الظفر
٥٥٠ : ٥	» » »	»	الظفر
٢٠٤ : ٤	ابن سيد اللص	»	القصر
٥٠٣ : ٥	أبو عبد الله ابن الحكيم	»	القصر
٥٣١ : ٥	أبو عبد الله ابن جزي	»	نحطر
٩٣ : ٦	المعري .	»	العشر
١٣٧ : ٦	_____	»	الخبر
٥٤ : ٧	أبو القاسم المنشي	»	السحر
١٦٤ : ٧	ابن الأحمر	»	عور
٣٧٤ : ٧	أبو جعفر الإلبيري	»	الزهر

٤٨٥ : ١	المرتضى	البيسط	شر
٢٧ : ٢	أبو عمران الميرتلي	»	كبير
٤٣٧ : ٣	المعتمد بن عباد	مخلع البسيط	بالنهار
٥٣٦ : ٣	الأعمى التطيلي	»	كأقمار
٥٤٣ : ٤	ابن حجاج	»	باختياري
١٩١ : ٥	صفوان بن إدريس	»	الوقار
٤١٢ : ٣	السميسر	»	الحرير
٤٧٣ : ٣	أبو العباس النجار	»	ضميري
٤٦٤ ، ٤١٠ : ٣	ابن حريق	»	دهري
٥٨١ : ٣	القاسم بن محمد الأوسط	»	خسر
٥٦٠ : ٢	الصفدي	الوافر	جاري
٦٢٢ : ٢	أبو عبد الله ابن الحكيم	»	بالوقار
٦٨٩ : ٢	أبو جعفر الاليري	»	النهار
٢٤٢ : ٦	أبو عبد الله العبدري	»	النهار
٨١ : ٣	صاعد (ادعاه لأعرابي)	»	بمخنيشار
٢٧٤ : ٣	ابن زيدون	»	الحوار
١٧ : ٥	عبد الله والد لسان الدين	»	الديار
٣٤٥ : ٦	_____	»	الديار
٣٢٧ : ٦	_____	»	عرار
١١٣ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	باخضرار
٢٥٦ : ٢	الغزال	»	بالصخور
٢٥٨ : ٣	ابن قلافس	»	المستور
٤١٧ : ٣	غالب الحنجام	»	بنوري
٩٦ : ٤	المعتمد بن عباد	»	الشكور
٩٧ : ٤	ابن اللبانة	»	غدور
٥٦٨ : ٥	ابن ليون التجيبي	»	والبرور
٦٠٢ : ٥	ابن يربوع	»	زور

١٧٢ : ٢	سعد الدين ابن عربي *	الوافر	مسيرى
٥٧٣ : ٥	ابن ليون التحيبي	»	الخطير
٥٣٢ : ٣	لب بن عبد الوارث القلمي	»	شمري
١٢٥ : ٤	أبو الأصمغ ابن رشيد	»	در
٣٠٩ : ٤	ابن الحاج الفرناطي	»	وظفر
٥٣٥ : ٢	» » »	»	بدر
٥٥٣ : ٥	ابن ليون	»	ستر
٥٩٦ : ٥	» »	»	وفكر
٣٧ : ٦ ، ٣٤٧ : ٤	ابن خاتمة	»	أمريك
٨٩ : ٦	ابن عبد الملك المراكشي	»	بقدرك
١٤ : ١	_____	الكامل	الأسحار
١٦١ : ٥	التهامي	»	الأسحار
٤٤ : ١	أبو جعفر الرعيبي	»	الأخيار
٣٧٥ : ٧	أبو جعفر الالبيري	»	الأخيار
٤٩٩ : ١	_____	»	نصار
٢٠١ : ٣	ابن خفاجة	»	بنصار
٦٨٢ : ١	» »	»	الأزهار
٢٣٣ : ٧	ابن زمرك	»	الأزهار
٦٨٣ : ١	ابن خفاجة	»	نهار
٢٤٨ : ٢	ابن هبة الله	»	بعقار
٥٨١ : ٢	أبو حيان	»	عقار
٣٦٣ : ٢	أبو تمام	»	سوار
٥٩٣ : ٢	أبو الحسن المعافري	»	الأبار
٥٩٣ : ٢	ابن الأبار	»	فجار
٥٩٣ : ٢	» »	»	داري
٢٣٩ : ٣	ابن مجير	»	قرار
٢٣٩ : ٣	لسان الدين	»	قرار

المضممار	الكامل	لسان الدين	٤٦٨ : ٦
النار	»	الأبيض	٤٨٩ : ٣
نار	»	_____	٢٨٩ : ٥
الأبصار	»	الهيثم	٩١ : ٤
الأحرار	»	_____	١٣٢ : ٤
عمار	»	ابن عمار	٢١٣ : ٤
الأقمار	»	_____	٢٧٦ : ٤
البلاّ	»	المعتمد بن عباد	٢٧٩ : ٤
الأمصار	»	ابن زمرك	١٧٢ : ٥
مدرار	»	»	١٥٤ ، ١٥٢ : ٧
المقدور	»	ابن الرومي	٢٩٥ : ٥
شور	»	المسفيوي	٤٩ : ٦
والزوار	»	ابن جزري	٥٣٢ : ٥
الأنوار	»	ابن خاتمة	٥٣٧ : ٥
مزاري	»	أبو يحيى البلوي	٦٢ : ٦
الأسفار	»	التهامي	٣٢٧ : ٦
القاتر	»	_____	٥٢٢ : ١
مناظر	»	ابن عنين	٤٠٤ : ٢
ظاهر	»	النحلي	٢٣٤ : ٣
بوانر	»	المعتمد بن عباد	٢٣٤ : ٣
ناضر	»	ابن نزار	٤٩٥ : ٣
بصابر	»	ابن حمدين	٧٦ : ٤
ناظري	»	ابن مهيّب	٣٠٧ : ٤
الناظر	»	المقري الجدد	٣٣٩ : ٥
الصقر	»	ابن فرناس	١٦٢ : ١
النهر	»	_____	٣٥١ : ١
النظر	»	صاعد	٧٦ : ٣

٩٧ : ٣	حاشد البغدادي	الكامل	الشكري
٢٤٩ : ٣	ابن ظافر	»	البشري
٥٤٤ : ٤	الخرنق	»	الجزر
٧١ : ٥	صفوان بن إدريس	»	الزهر
٧٢ : ٥	» » »	»	ذعر
٧٢ : ٥	أبو محمد ابن حامد	»	صدري
٤٩٠ : ١	_____	»	المستظهر
٤٩٨ : ١	_____	»	مضمهر
٥٨٧ : ١	عبد الملك الخولاني	»	ضرر
٥٨٨ : ١	» » »	»	يعتري
٣٠٦ : ٤	أبو مروان الجزيري	»	الأعور
١٧٣ : ٢	سعد الدين ابن عربي	»	تفكر
٣٩٦ : ٢	_____	»	أزهر
٤٨٦ : ٢	مدغليس	»	المحشر
٦٥٣ : ٢	ابن مهاجر الوادي آشي	»	المغفر
٦٩٦ : ٢	الراعي الغرناطي	»	كوثر
٥١ : ٥	ابن مرج الكحل	»	الكوثر
٤٢ : ٤ ، ٢٠٧ : ٣	ابن هانيء الليري	»	المسفر
٣٩٧ : ٣	ابن أخت غانم	»	البحري
٤٦٢ : ٣	صفوان	»	يقدر
٥٩٢ : ٣	ابن المعتز	»	عنبر
٤٦٦ : ٦	لسان الدين	»	العنبر
٤٢٢ : ٦	» »	»	تنبري
٦٠٢ : ٣	ابن عمار	»	أخضر
٣٤ : ٤	ابن الأعلم	»	المعتذر
٩٣ : ٤	المعتمد بن عباد	»	يشعر
٢٠٥ : ٤	ولادة	»	تتخير

٢٤٠ : ٤	ابن بقي	الكامل	المنظر
٣٣٩ : ٤	أبو بكر ابن محرز الزهري	»	فتصير
٥٦ : ٥	شمس الدين الكوفي الواعظ	»	منكر
٢٩٥ : ٥	_____	»	المنبر
٣٦٥ : ٥	ابن خميس	»	جوهري
٤٢٣ : ٥	_____	»	فكفر
٥٣٦ : ٥	الأرجاني	»	الممطر
٣١٥ : ٦	_____	»	تحفر
٣٣٧ : ٧	ابن جابر	»	يشهر
٥٠٥ : ٥ ، ٦٢٢ : ٢	أبو عبد الله ابن الحكيم	»	تلكاره
١٣٨ : ٤	الرصافي	»	وقاره
٥٢٥ : ١	ابن شهيد	»	عصيره
٣٨١ : ٢	أبو الربيع البيني	»	أمره
١٠٢ : ٤	ابن وهبون	»	وهجره
٤٨٨ : ٦	لسان الدين	»	غيره
٢٢٣ : ٧	ابن زمرك	»	قصره
٥٩٢ : ٢	ابن الأبار	جزوء الكامل	الظهور
٢٩١ : ٣	ابن رزين	»	النصير
٤٨١ : ٣	أبو الصلت أمية الأندلسي	»	الأسير
٥٦٧ : ٣	أبو مروان ابن رزين	»	المنير
٥٦٤ : ٥	ابن ليون	»	شر
٥٣٣ : ٣	ابن خلف الفحصي	الهنج	الضر
٧٠٤ : ٢	ابن الأزرق الغرناطي	الرميل	العمير
٥٨٤ : ٣	أبو الأصبغ ابن الناصر	»	السحر
٤٥٥ : ٥	ابن الجياني	»	القدر
٦٨ : ٤	ابن حصن الجزيري	مجزوء الرمل	اختبار
٥٠ : ٤	أبو عبد الله ابن الحداد	»	صبري

٤٧٠ : ٦	لسان الدين	مجزوء الرمل	صدري
٥٥١ : ٥	ابن ليون	»	داره
٦١٣ : ٣	عبد الله بن الشمر	السريع	ساري
٦١٣ : ٣	عبد الرحمن الأوسط	»	الداري
١٨٤ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	سار
٣٧٧ : ٧	أبو جعفر الالبيري	»	العدار
٥١٩ : ٣	ابن عتبة الطيب	»	الشعير
٢٠٦ : ٢	الششتري	»	الناضر
٥٤٤ : ٢	عمر بن الملطي	»	ناثر
٢٦٣ : ٣	الحناط	»	بالصابر
٨٩ : ٢	أبو بكر الطرطوشي	»	قدري
٣٨٥ : ٢	ابن جبير	»	العصر
١١٧ : ٣	أبو الفضل الدارمي	»	المطر
٤١٠ : ٣	ابن حريق	»	الحمر
٤٢١ : ٣	أبو جعفر ابن عائش	»	سكر
٤٢١ : ٣	إبراهيم الحجاري	»	مصر
٥٧٢ : ٣	عبد الله الحجاري	»	الدهر
٣٦٧ : ٧	ابن جابر	»	ذعر
١٠٤ : ١	_____	»	الأكبر
٤٣٠ : ٢	ابن العمادي	»	العقري
٥٨٢ : ٥	ابن ليون	»	يفضجر
٤٤ : ٧	رفيع الدولة ابن صمادح	»	تشعر
٥٧٣ : ٥	ابن ليون	»	داره
١٢٤ : ٤	ابن مرزقان	»	أسوارها
٩٨ : ٢	عبد الواحد المراكشي	المنسرح	الأسارير
٦٢ : ٤	عصا الأعني	»	الأسارير
٢٧٥ : ٣	ابن زيدون	»	الفكر

٢٩٧ : ٣	أبو الصلت أمية	المنسرح	والسفر
٤٨١ : ٣	» » »	»	حذير
٥٨١ : ٣	المطرف بن عبد الرحمن الأوسط	»	قصري
١٤٠ : ٥	لسان الدين	»	معتذر
٤٧٣ : ٦	» »	»	نظري
٦٦ : ١	_____	الخفيف	للقصار
٥٨٦ ، ٤٠١ : ١	ابن شهيد	»	الجاري
٥٨٦ ، ٤٠١ : ١	المنصور بن أبي عامر	»	أبكار
٦١٧ : ١	أبو المغيرة ابن حزم	»	الشفار
٦١٧ : ١	انس القلوب	»	سوار
٢٠٧ : ٣	أبو جعفر الذهبي	»	باختبار
٢٤٧ : ٣	أبو العلاء ابن زهر	»	نهار
٤٣٣ : ٣	زهر بن عبد الملك	»	نهار
٥١٧ : ٢	الزبن كتناكت	»	النهار
٣٥٢ : ٣	_____	»	نار
٤٠٩ : ٣	أبو عامر ابن الفرج	»	الأخبار
٤١١ : ٣	أبو جعفر ابن الذهبي	»	باختبار
٤٧٢ : ٥	ابن الحاج الغرناطي	»	والجيار
٥٤٨ : ٥	ابن ليون	»	يداري
١٦٧ : ٧	ابن زهر	»	افتقار
٢٩٩ : ٧	لسان الدين	»	وعقار
٤٨٢ : ٣	أبو الصلت أمية	»	سرور
١٦١ : ٥	أبو منصور النحوي	»	شكوي
٥٩١ : ٥	ابن ليون	»	الأمور
٣٥٥ : ١	عبد الرحمن الناصر	»	الصغير
٣٦٩ : ٧	ابن جابر	»	النصير
٩٥ : ١	صفوان بن إدريس	»	طير

٣٠٣ : ٢	أبو الحسن الزناتبي	الخفيف	سري
٤١٤ : ٢	أحمد الشاهيني	»	مفري
٤١٥ : ٢	المقري المؤلف	»	ذكرني
٣٩٢ : ٣	ابن الفخار	»	ونهر
١٣٦ : ٤	أبو جعفر الوقشي	»	شهر
١١٣ : ٧	ابن الحاج القرناطي	»	وبشر
٥٩٠ : ٥	ابن ليون	»	عمره
٦١٨ : ١	أنس القلوب	المجتث	اعتذاري
٣٨٥ : ٣	مدغليس	»	باليسار
٣١٩ : ٦	_____	»	ثاري
١٩١ : ١	_____	»	ونثر
٣٨٣ : ٢	ابن جبير	المقارب	الدائر
٤٩٠ : ٢	» »	»	العائر
٤٦٥ : ٣	ابن حزمون	»	آخر
٥٣٦ : ٣	الأعمى المخرومي	»	الشاعر
٦٠٩ : ٢	عبد الوهاب المالقي	»	أخضر
٢٨٢ : ٤ ، ٦٥٣ : ٢	ابن عباد	»	بالمغفر
٣٠٧ : ٤ ٠٠	ابن مهيب	»	وكره
١٥٣ : ١	_____	»	أخطارها
٤٥٢ : ٣	القلندر	»	سكرها

قافية الزاي

٣٧٤ : ٢	_____	المقارب	للعجوز
٤١ : ٦	لسان الدين	الطويل	جزى
	٣٣٧		٢٢

٢٣٠ : ٦	ابن عبد الرحيم الوادي آشي	الطويل	عزّا
٥٧٤ : ٥	ابن ليون	المجتث	وأنزّه
١٩ : ٤ ، ٣٥٦ : ٣	أبو الصلت أمية	الطويل	عاجز
٥٥٤ : ٢	أبو حيان	»	عزّ
٣١٠ : ٤	ابن برطله	الوافر	والمجاز
٦٠٠ : ٣ ، ٤٩٩ : ١	ابن صارة	الكامل	طراز
٥٧٠ : ٥	ابن ليون	»	عزّوا
٢٢٧ : ٣	أبو محمد القرطبي	الطويل	مجاز
٥٠٣ : ٣	ابن الحداد	»	الغمز
٤٧٢ : ٤	سعيد بن حكم	البسيط	والمجاز
٦٠ : ٤	أبو عبد الله الرندي	الكامل	يرز
٢٥٧ : ٦	ابن الصباغ الغرناطي	»	إنجازها
٢٥٧ : ٦	لسان الدين	»	إنجازها
٣٢٧ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	السريع	إحراز
٤٨٨ : ٦	لسان الدين	الخفيف	حريز
٥٤٨ : ٤	_____	»	لهزّ
٤٤ : ٢	رضوان المعزومي	المجتث	العزير

قافية السين

١٧٦ : ٤	حفصة الركونية	الطويل	رأس
٣٥٢ : ١	_____	الكامل المجزوء	الأندلس
٥٤٦ : ٥	ابن ليون	الرملي	النفوس
٩٥ : ١	الوداعي	السريع	جليس
١٩٨ : ٣	أبو عامر ابن شهيد	المتقارب	الحرس

٤٩٥ : ٥	أبو زكريا ابن هذيل	الطويل	عيسى
٥٢٦ : ٢	ابن سهل	»	عيسى
٤٣٨ : ٥	ابن الجياب	»	أبى
١٣٥ : ٤	عبد المؤمن الطليطلي	»	همسا
٥٢٧ : ٣	ابن سهل	»	عسمسا
٤٨٩ : ٥	أبو زكريا ابن هذيل	»	تنفسا
١٧٩ : ٦	_____	»	فأفلسا
٤٥٧ : ٤ ، ٣٠٣ : ٣ ، ٥٩٠ : ٢	ابن الأبار	البيسط	درسا
٢٨٨ : ٣	الأبيض	»	عطسا
٤٣٨ : ٣	ابن عبد ربه	»	مقتسبا
١٥٩ : ٤	الرصافي البلنسي	مخلع البسيط	اختلاسا
٨٨ : ٦ ، ٦٤١ : ٢	ابن خروف القيسي	الوافر	عبوسا
٥٥ : ٦	عبد العزيز الفشتالي	الكامل	شموسا
١٩٥ : ٦	لسان الدين	»	عبوسا
٣٩٥ : ٢	أبو تمام	»	بلقيسا
٢٠١ : ٦	»	»	ورسيسا
٣٠٥ : ٤	ابن عبدون	»	نقيسا
٣٤٥ : ٣	اليكي	»	تنسي
٥٩٦ : ٥	ابن ليون	الكامل المجزوء	الرياسه
٢٦ : ٢	أبو بكر ابن العربي	الرملي	عبسا
٤٧٥ : ٣	الزبيدي	مجزوء الرمل	ناسا
٣٧٦ : ١	_____	»	أنسا
٣٢٣ : ٣	أبو الصلت أمية	السريع	والباسا
١٢٦ : ٤	أبو وهب عبد الرؤوف	»	ليسا
٢٧٣ : ٣	ابن زيدون	»	الأنفسا
٤٩٢ : ٢	_____	الخفيف	الرؤوسا
٣٠٩ : ٦	_____	المتقارب	الخنديسا

٧٩ : ٣	صاعد	المتقارب	أنفاسها
٧٩ : ٣	ابن بدر (أو ابن برد)	»	حراسها
٤٧٠ : ١	ناهض بن إدريس	الطويل	أقواس
٤٩٢ : ٥	أبو زكريا ابن هذيل	»	عابس
٤٠٨ ، ٢٩١ : ٣	ابن عبد العزيز	»	أمس
٣٨٥ : ٣	ابن الطراوة	»	الشمس
٣١٤ : ٤	المعتمد بن عباد	»	الشمس
٣١٤ : ٤	ابن عمار	»	شمس
٣٣٢ : ٤	أبو الربيع ابن سالم	»	النفس
١٨٩ : ٤ ، ٥١٦ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	»	الأنس
٤٥ : ٧	رفيع الدولة ابن صمادح	»	الأنس
١٠ : ٤	محمد بن الحسن الجبلي	»	أنس
٥٥٩ : ٢	أبو حيان	»	دارسه
٣٥٢ : ٣	_____	»	ورئيسه
١٧٧ : ٧	ابن زمرك	»	تنفسه
٤٥١ : ٣	ابن بطال البطلوسي	»	فريسها
٥٢٨ : ٣	ابن الفخار اليهودي	المديد	عرس
٢٣١ : ٣	ابن أبي يغمور	البسيط	الناس
٢٣٥ : ٦	_____	»	إناس
٣٢١ : ٣	السميسر	»	عرس
٤٥٣ : ٣	ابن جاح الصباغ	»	دنس
٤٥ : ٧	رفيع الدولة ابن صمادح	»	والطرس
١٦٩ : ١ ، ٤٤٥ : ٦ ، ١٢٩ : ٧	ابن اللبانة (أو ابن قلاقس أو ابن حمديس)	الكامل	الطاووس
٥٠٥ : ٦	لسان الدين	»	رئيس
١٥١ : ٦	ابن الأزرق	»	الرجس
٣٦٦ : ٢	ابن العديم	»	منعكس

٤٤٤ : ٥	ابن الحياض	الهزج	جنس
٦٦٩ : ٢	ابن جابر	السريع	الناصر
٥٣٨ : ٣	المقدم بن معافى	»	رأس
٣٤٨ : ٢٧٢ : ٢	أبو الحسن ابن سعيد	»	يرأس
٣٩٠ : ٢	البدر بن حبيب	الخفيف	النفوس
٥٨٥ : ٣	محمد بن عبد الملك بن الناصر	المجتث	وباس
٨٤ : ١	الصباي	المتقارب	أشوس
٨٤ : ١	_____	»	مبلس
٢٧٣ : ٣	ابن زيدون	»	الأكوس
٤٩٥ : ٢	ابن عيشون	الطويل	قرطاس
٥٢٥ : ٢	أبو بكر ابن عطية	»	باس
٦٥٥ : ٢	ابن صابر القيسي	»	الراس
١٠٣ : ٤	أبو الحسن ابن الحاج	»	لقاسي
٥٣٢ : ٥	أبو عبد الله ابن جزري	»	بالناسي
٥٣٢ : ٥	» » »	»	الناس
٣٥١ : ٧	ابن جابر	»	الناس
٤٩٠ : ٦	لسان الدين	»	وبالياس
٤٧٦ : ٦	» »	»	باديس
٤٥٤ : ٢	_____	»	بآيس
١٠٧ : ١	_____	»	أمس
٤٢٣ : ١	المصحفي	»	نفسى
٥٣٧ : ٢	أبو حيان	»	كيس
٥٧٠ : ٢	» »	»	لبس
٢٢٨ : ٣	أبو القاسم ابن بقي	»	الأنس
١١٤ : ٣	أبو الفضل البغدادي	»	اللمس
٣٥٤ : ٣	_____	»	اللمس
٨٩ : ٤	_____	»	واللمس

٤٠ : ٧ ، ٧ : ٤	أبو بكر الزبيدي	الطويل	واللبس
٤٩٩ : ٦	لسان الدين	»	غربي
٢٣٨ : ٧	ابن زمرك	»	القدس
١٧٨ : ٧	»	»	مجلس
٥٩٤ : ١	المصحفي	»	التنفس
١٣٣ : ٢	ابن المغلس	»	ورئيسه
٤٦٥ : ٣	أبو عبد الله الجذامي	المديد	كالقبس
١٢ : ٢	محمد بن أبي عيسى	البيسط	مياس
١٣٢ : ٠٤ ، ٤٩٨ : ٢	الحطيفة	»	الكاسي
٥٤٥ : ٢	نجم الدين الإسكندري	»	ناسي
٥٦٤ : ٢	أبو حيان	»	بالياس
٥٧٩ : ٢	»	»	والباس
٥٠٦ : ٥	أبو عبد الله ابن الحكيم	»	والباس
١٢٢ : ٦	النباهي	»	الياس
٢٦٨ : ٣	ابن أبي الخصال	»	بوس
٥٠٦ : ٥	الفقيه الطرائفي	»	أكياس
٥١١ : ٧	أبو زيد الفازاري	»	الناس
٢٨٤ : ٦	جرير	»	القناعيس
٤٨٩ : ٢	ابن جبير	»	والقبس
٣٧٩ : ٣	الهيثم بن أحمد	»	قبس
٣٩١ : ٣	الوحيد	»	الجلس
١٥ : ٤	الحسين بن الضحاك	»	فرس
١٥ : ٤	أبو نواس	»	الجلس
١٥ : ٤	أبو عامر ابن ينق	»	الجلس
١٦ : ٤	ابن زنون	»	الجلس
٢٢٩ : ٣	ابن العريف	»	ومن نفسي
١٥٦ : ٥	_____	»	باسه

٤٢٤ : ٣	ابن غصن الحجاري	مخلع البسيط	نفسي
٣١٥ : ٣	أبو يحيى ابن هشام القرطبي	الوافر	براسي
٣٧ : ٤	الرمادي	»	وكاسي
٢٤٣ : ٦	المكودي	»	كاس
٢٨٦ : ٣	ابن زيدون	»	شمسي
٢٦ : ٤	يونس بن مغيث	»	أنسي
٥٩٠ ، ٥٧٧ : ١	المهدي	الكامل	آسـ
٤٧ : ٦	_____	»	الكاس
٤٠٧ : ٢	ابن نباتة	»	المقياس
٦٧٦ : ٢	أبو جعفر الالبيري	»	قرطاس
٤٤١ : ٣	ابن صارة	»	الاشماس
٣٥٩ : ٥	ابن خطاب	»	رسيبي
٣٠٣ : ٣	ابن خفاجة	»	ومجالس
٦٦ : ١	_____	»	الرجس
٥٣١ : ١	الجزيري	»	الرجس
٤٩٧ : ١	أبو الصلت أمية	»	مؤسس
٣٢٨ : ٣ ، ٦٥٣ : ١	ابن عمار	»	مجلس
٥٩٤ : ٥	ابن ليون	»	الملبس
٢٠٤ : ٣	ابن خروف	»	لباسه
٢٢٥ : ٧	ابن زمرك	الكامل المجزوء	والباس
٦٧٨ : ٢	أبو جعفر الالبيري	»	أناسك
٢٧٠ : ٣	أبو جعفر الرضي	»	كاسه
٣٨ : ١	الصفندي	»	وأناسها
٢٠ : ٤ ، ٢١٠ ، ١٧٠ : ١	ابن خفاجة	الرمل	نفس
٩٩' : ٤	ابن زيدون	»	أشمس
٥٧٥ : ٥	ابن ليون	مجزوء الرمل	بالأمس
٢٠٢ : ٣	ابن خفاجة	السريع	الناس

٣٤٥ : ٣	ابن خفاجة	السريع	الباسـ
٧٠ : ٤	أبو عبد الله الشلبي	»	الكاسـ
٥٧٧ : ٥	ابن ليون	»	بالناسي
٣٥٨ : ٧	ابن جابر	»	الناس
٥٧٢ : ٣	عبد الله الحجاري	»	مسي
٤٠ : ٤	الرمادي	»	بتقديسه
١١٦ : ٣	أبو الفضل البغدادي	»	نفسه
١٧٨ : ٦	_____	»	نفسه
٦٧٣ : ١	أبو بكر ابن رحيم	الخفيف	بوس
٣٠٠ : ٤	ابن الزقاق	»	كؤوسـ
٢٣٢ : ٧	ابن زمرك	»	آبنوس
١١٥ : ٤	ابن الحداد	»	وجليسي
٥٦٨ : ٥	ابن ليون	»	لنفسكـ
١٧٢ : ٢	سعد الدين ابن عربي	»	كناسه
٤٧٣ : ٦	لسان الدين	»	جنسه
٥٨٢ : ٥	ابن ليون	»	جنسه
٥٥٥ : ٥	» »	»	نفسه
١١٢ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	المتقارب	وناسي
٥٩٤ : ١	المصحفي	»	لأنفاسها
٥٧٢ : ٥	ابن ليون	المجتث	بنفسه

قافية السين

٥٣٧ : ٣	ابن الخيال الاستبي	الطويل	انتشئ
١٠٩ : ٣	_____	الكامل	الرشا

٢٥٩ : ٥	البحيري	الكامل	موحشا
٢٣٠ : ٦	ابن عبد الرحيم الوادي آشي	الكامل المجزوء	الأشا
٤٦٩ : ٦	لسان الدين	الرميل	فرشا
٣٧ : ٤	الرمادي	البسيط	عشوا
٦٦ : ٣	السلفي	الطويل	خراش
٧٥ : ٤	إدريس بن اليمان	المديد	العطش
٦٨ : ١	_____	البسيط	الخفافيش
٢٨٦ : ٣	جارية	»	واعطشي
٢٨٧ : ٣	ابن زيدون	»	قرشي
٣٣٩ : ٥	المقري الجدة	»	دهش
٥٣ : ٥	ابن مرج الكحل	الوافر	ريشي
٣٠٣ : ٤	ابن خاتمة	الكامل	يشي
٣٠٣ : ٤	ابن جزي	»	منتشي
٦٧١ : ١	المتني الجزيري	الرميل	غيش
٣٢٢ : ٣	أبو الصلت أمية	المنسرح	والغيش

قافية الصاد

١٨٠ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	الطويل	والقنص
٧٨ : ٣	صاعد البغدادي	السريع	الفصوص
٧٨ : ٣	_____	»	يفوص
٣٢٩ : ٣	أحمد بن أيوب	المنسرح	نقص
٤٩٨ : ٢	الأعشى	الطويل	خمائصا
١٧١ : ٢	سعد الدين ابن عربي	»	مخلصا
٤٦٥ : ٦	لسان الدين	»	أبرصا

٥٨٤ ، ٤٧١ : ١	ابن بقي	البسيط	نقصا
٢٤٦ : ٦	ابن هانيء السبتي	»	قلصا
٣٣٨ : ٥	أبو بكر ابن العربي	الهنزج	نصا
٣٣٨ : ٥	المقّرّي الجلد	»	قصا
٢٠٥ : ٣	المخزومي الأعشى	السريع	الخصى
٥٩٨ : ٥	_____	الخفيف	لصا
٦٧٩ : ٢	ابن جابر	البسيط	تنقيصُ
٢٦٣ : ٥	_____	الكامل	خلاص
١٥٨ : ٤ ، ٢٩٠ : ٣	ابن الزقاق	»	نحميمصُه
٩٣ : ٤	المعتمد بن عباد	السريع	خالص
٣٦٧ : ٦	ابن جابر	»	مخلص
٩٠ : ٢	ابن عبد الجبار الطرطوشي	الخفيف	عقصُ
٥٢١ : ٣	ابن المرعزي	مخلع البسيط	الحريصـ
٦٦ : ١	_____	الوافر	النصوصـ
٢٣ : ٢	أبو القاسم الشاطبي	الكامل	مخلصي
٥٧٣ : ٥	ابن ليون	»	منقصـ
٦٧٥ : ٢	أبو جعفر الالبيري	السريع	القاصي

قافية المضاد

٢٠٦ : ٦	لسان الدين	الطويل	مرضـ
٢٠٨ : ٦	ابن زيدون	الرملي	فاغتمض
٥٢٢ : ١	ابن فرفور	السريع	بغيض
٣٧٧ : ٧	أبو جعفر الالبيري	الطويل	مرفوضا
٩١ : ١	المقّرّي المؤلف	»	القضا

الرضى	الطويل	لسان الدين	١٢٥ : ٦
الغمضا	»	_____	١٩٦ : ١
تقضى	»	ابن سراقه الشاطبي	٦٤ : ٢
عرضا	»	ابن رشيق القرطبي	٦٤٨ : ٢
والبعضا	»	ابن سهل	٥٢٤ : ٣
عرضا	»	السميسر	١٠٨ : ٤
الأرضى	»	ابن حذلم	٣٨٢ : ٥
مرضى	»	لسان الدين	٤٧٢ : ٦
تمضمضا	»	ابن الجياب	١٢٦ : ٦
فقضى	البسيط	_____	٢٢٨ : ٥
عرضا	»	ابن جابر	٣٥١ : ٧
وعرضا	الوافر	أبو عمرو ابن الزبير	٩٧ : ٦
غمضا	الكامل	أبو زكريا ابن هليل	٤٩٢ : ٥
مضى	»	أبو البركات ابن الحاج	١٥٣ : ٤
متعرضا	الكامل المجزوء	_____	٥٩١ : ١
المرتضى	» »	حفصة الركونية	١٧٧ : ٤
معرضا	الرمل	أبو بكر ابن عطية	٥٢٤ : ٢
نافضا	السريع	لسان الدين	٤٩٥ : ٦
غيضا	الخفيف	عبادة	٢٣ : ٤
والقفا	مجزوء الخفيف	ابن رشيق القرطبي	٦٤٧ : ٢
قريضا	المجثث	_____	٤٥٨ : ٢
قضى	المقارب	ابن خاتمة	٣٤٧ : ٤
غامضه	»	_____	٤٩٩ : ٢
نقضها	»	أبو الفضل ابن شرف	٣٩٦ : ٣
تقبضُ	الطويل	ابن أبي الدوس	٣٠ : ٤
ناهضُ	»	ابن الحاج الغرناطي	١١٤ : ٧
غرض	البسيط	الشقندي	٢٢٣ : ٣

عوض ^١	البسيط	زهر بن عبد الملك	٤٣٣ : ٣
البعوض ^٢	الوافر	ابن مسعدة الغرناطي	١٧٩ : ١
نهوض	»	غالب الحجام	١٥٧ : ٤ ، ٤١٧ : ٣
متعرض	الكامل	الحكيم الجلياني	٦٣٦ : ٢
وغموض	مجزوء الرمل	الهيثم	٧٦ : ٤
البعض	السريع	يحيى بن مطروح	١٥٣ : ٤ ، ٥٠٧ : ٣
بارض	المتقارب	ابن الأزرق الغرناطي	٧٠٣ : ٢
قاضي	الطويل	ابن الحاج الغرناطي	١١٧ : ٧
الأرض	»	أبو عامر ابن شهيد	٣٦١ : ١
بالنبض	»	الحكيم الجلياني	٦٣٦ : ٢
الغض	»	عبد البر بن فرسان الوادي آشي	٦١١ : ٢
أقضي	»	أبو العباس المالقي	٢٢ : ٤
بعضي	»	أبو جعفر الوقشي	١٣٦ : ٤
العرض	»	ابن ليون	٥٥٩ : ٥
إيماضي	البسيط	ابن الأزرق	١٥٣ : ٦ ، ٧٠٠ : ٢
بالعرض	»	أبو حيان	٤٣٨ : ٣
والبياض	الوافر	_____	٥٣٣ : ١
ماضي	»	ابن الزقاق	٢٠٠ : ٣
ترض	الكامل	ابن ليون	٥٨٦ : ٥
تنقضي	»	_____	١١٥ : ٤
رافضي	»	الشافعي	٣٠٨ : ٥
ممرض	/	أبو عبد الله ابن الجنان	٤١٥ : ٧
لعياض	»	لسان الدين	٤٠٩ : ٥
يقضها	الرمل	ابن حطان (أو غيره)	١٦١ : ٥ ، ١١٩ : ١
ماضي	مجزوء الرمل	_____	٣٤٧ : ١
رائض	السريع	أبو حيان	٥٥٤ : ٢
الأرض	»	الكساد	١٢٩ ، ٦٢ : ٤

محضه	السريع	ابن حيلم	٣٨٣ : ٥
عرضه	»	لسان الدين	٥٠٥ : ٦
رياض	الحنيف	الزبيدي	٤٧٥ : ٣
لبعض	»	عبد الرحمن الداخل	٥٤ ، ٣٨ : ٣
غموضي	المجتث	الحصري	٣٣٠ : ٣ ، ١٨٠ : ١
ممرض	المتقارب	ابن المغلس	١٣٢ : ٢

قافية اطاء

قط'	الرمل	أبو حامد الغرناطي	٢٣٦ : ٢
ينحط	مجزوء الرمل	ابن ليون	٥٩٧ : ٥
فالسقطا	الطويل	حازم القرطاجني	٥٨٤ : ٢
شحطا	»	ابن الأبار	٣٠٣ : ٣
وخطا	»	أبو عامر ابن شهيد	٤٤٠ : ٣
فاشتطا	»	الأسعد بن بليطة	٥١ : ٤
الشمطا	»	» » »	١١٠ : ٤
رقطا	»	ابن الجياب	٤٤١ : ٥
قرطا	»	عبد العزيز الفشتالي	٥١ : ٦
محطها	»	أبو الفضل البغدادي	١١٧ : ٣
فرطا	البسيط	ابن ليون	٥٨٥ : ٥
النياطا	مخلع البسيط	ابن مجبر	٥٠٦ : ٦
قسطا	الوافر	ابن ليون	٥٥٠ : ٥
القطا	الكامل	ابن الحداد الوادي آشي	٢٦ : ٧
مغلطه	»	ابن المشاط	٢٤٧ : ٥
وسطه	»	أبو المطرف ابن عميرة	٢٤٧ : ٥

٥٨٤ : ٣	أبو الأصمغ ابن الناصر	مجزوء الرمل	مطا
٨٣ : ١	_____	السريع	انحطا
٥٣٦ : ٥	عبد الله ابن جزى	الخفيف	المبسوطه
٦٠٣ : ٥	_____	مجزوء الخفيف	نوسطا
٣٤٦ : ٢	ابن سعيد	الطويل	القرطُ
٤٦٠ : ٦	لسان الدين	»	القبط
٤٦٧ : ٦	»	»	ريط
٦٠٧ : ٣	علي التونسي الإيادي	البسيط	يلتقط
٣٤٦ : ٤	ابن خاتمة	»	بسطوا
٤٦٦ : ٤	أبو العشائر ابن حمدان	الكامل	تنقط
٥٧٢ : ٥	ابن ليون	»	تسقط
٣٣١ : ٣	محبوب النحوي	الطويل	شطُ
٤٣٤ : ٣	أبو بكر ابن زهر	»	يخطي
١٨ : ٥	لسان الدين	»	تعطي
١١٠ : ٦	ابن رضوان	»	شرط
٣٥٢ : ٤	ابن العسال	البسيط	الغلط
٦١ : ٤	ابن جعفر الإشبيلي	الوافر	باشتطاط
٤٣٦ : ٣	ابن مصادق الرندي	الكامل	منبسط
١٤٤ : ٦	المنتشاقري	المنسرح	الشاطي

قافية الظاء

٢٢٥ : ٥	أبو عبد الله ابن الحكيم	البسيط	لحظا
٤٨٢ : ٣	أبو الصلت أمية	السريع	يحفظا
٦ : ٤	الزبيدي	الطويل	تغيطُ

٥٤٥ : ٣	أبو جفص ابن برد	الكامل	الا لحاظ
٦ : ٤	الزبيدي	المنسرخ	حافظها
٦ : ٤	المصحفي	»	وحافظها

قافية المين

٦٠١ : ٣	سهل بن مالك	الطويل	امتنع
٤٣٢ : ٥	_____	»	تقع
٤٣٢ : ٥	_____	»	صنع
٢٥٥ : ٣	ابن قلافس	الوافر	رائع
٣٣٨ : ٥	المقري الجند	الكامل المجزوء	المدامع
٥٩٤ : ٥	ابن ليون	»	اقتنع
٤٥٣ : ٣	الكميت البطليوسي	الرمل	وتدع
٥٣٣ : ٥	أبو عبد الله ابن جزري	»	وبرع
٥٧٨ : ٥	ابن ليون	»	الطمع
٤٩١ : ٦	لسان الدين	»	الورع
٥٢٢ : ١	ابن الفقيه	مجزوء الرمل	يتمتع
٤٥٣ : ٥	ابن الحياض	السريع	انتفاع
٥٢٩ : ٣	أيوب المرواني	»	الطباع
٤٧٣ : ٦	لسان الدين	»	المتسع
١١١٣ : ٣	أبو الفضل الدارمي	المنسرخ	الشاسع
٤٠٥ : ٢	_____	المجث	المتتابع
٣٤٢ : ١	الحكم بن هشام	الطويل	يا فما
١١٤ : ٢	الحميدي	»	مولما
١٩٦ : ٢	الشريف الفرناطي	»	أجمعا

٥٢٥ : ٣	ابن سهل الإسرائيلي	الطويل	مانعا
٥٥٣ : ٣	أبو القاسم ابن عبد الغفور	»	ظلمًا
٤٥٨ : ٥	ابن الحباب	»	فتخذعا
٧٤ : ٦	أبو القاسم البرجي	»	أربعا
٥٩ : ٧	علي بن جودي	»	مربعا
٩٤ : ١	_____	»	ظالمة
١١٨ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	جامعه
٥٥٥ : ٢	أثير الدين أبو حيان	»	نزعها
٢٠٤ : ٤	ابن سيد اللص	البسيط	قطعا
٦٠٣ : ٣	ابن الأبار	»	بدعه
٦٥ : ٤	أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين	»	موضعه
٣٨٥ : ٢	ابن جبير	مخلع البسيط	الشريعه
٤٥٤ : ٤	_____	الوافر	استطاعا
٥٩٠ : ٥	ابن ليون	»	نقيما
٩٣ : ١	_____	»	نساعه
٣١٦ : ٤	أبو عبد الله محمد الكثاني	»	إضاعه
٤٨٧ : ٢	ابن جبير	»	للوديعه
٣٥ : ٤	الرمادي	الكامل	نحضرعا
٦٠٨ : ٢	أبو الروح التاكرتي	»	سميما
١٠٠ : ٤	ابن زيدون	»	معسا
٣٠٨ : ٤	محمد بن عبد الرحمن الغرناطي	»	تأبعه
٥٧٠ : ٥	ابن ليون	»	الأربعه
٦٦٤ : ١	عدي بن زيد	الرمل	ينعا
٩٦ : ٤	المعتمد بن عباد	»	نزعاً
٥٥٢ : ٥	ابن ليون	»	الورعا
٢٠٦ : ٤	ولادة	»	استودعك
٥٤ : ٥	ابن مرج الكحل	»	معك

٥٥ : ١	_____	الرمل	طمعة
٥٠٩ : ٧	أبو زيد الفازاري	»	سمعه
٢٢٩ : ٧	ابن زمرك	مجزوء الرمل	البديعا
٢٢١ : ٢	ابن بهيج	»	طاعه
٤٨٣ : ٣	أبو الصلت أمية	»	شمعه
٨٩ : ١	_____	السريع	موجعا
٣٥٢ : ١	عبد الله بن محمد	»	أخشعك
٥٤٨ : ٥	ابن ليون	»	مترعه
٤٩٧ : ٢	أبو مروان الطنجي	المنسرح	لعا
٣٥٩ : ٢	_____	»	نقعه
٢٨ : ١	_____	الخفيف	الدموعا
٥٥٥ : ٢	أبو حيان	»	طلوعا
٦٢٩ : ٢	_____	»	جميعا
١٢٤ : ٤	أبو الأصينغ ابن رشيد	»	نجيعا
٢٩٤ : ٥	_____	»	شناعه
٧٥ : ١	_____	المجثث	جميعا
٥٠٢ : ٧	أبو عبد الله ابن الجنان	»	الشفاعة
٤٠٩ : ٣	أبو عامر ابن الفرغ	المتقارب	طالعا
٣١٦ : ٤	ابن الغماز	»	يقلعا
٧٤ : ٢	أبو الوليد الباجي	»	كساعه
١١٥ : ٣	أبو الفضل الدارمي	»	ساعه
٢٨٢ : ٦	_____	»	ساعه
٦٨ : ٦	أبو القاسم البرجمي	»	اليراعه
٤٤٢ : ٥	ابن الحبيب	»	الخديعه
٨٨ : ١	الوثابي	الطويل	سراع
١٣٣ : ٣	عباس بن فرناس	»	قطوع
١٦٣ : ٥ ، ١٣٣ : ٣	ذو الرمة	»	وقوع

١٢٤ : ٥	_____	الطويل	طائِعُ
١٤ : ١	ذو الرمة	»	رواجعُ
١٠١ : ٢	ابن دحية	»	هوامع
١٠١ : ٢	الكامل بن أيوب	»	الأجارع
٤٨٥ : ٢	ابن جبير	»	ومدامع
٤٨٢ : ٣	أبو الصلت أمية	»	فواجع
٥٠٣ : ٤	المجنون أو ابن الدمينية	»	بلاقع
٢٦٦ : ٥	النابعة	»	المسامعُ
٣٠٧ : ٥	_____	»	البدائع
٣٢٤ : ٥	_____	»	المضاجع
١٢٥ : ٢	ابن العطار القرطبي	»	القطع
٥٢٣ : ١	_____	»	بلقع
٧٠٤ : ٢	ابن الأزرق الغرناطي	»	لملع
٢٣٠ : ٣	ابن أبي يغمور	»	تدمع
٥١٧ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	»	أدمع
٢٨ : ٧	ابن باجة	»	وودعوا
٩٣ : ٢	أبو حفص الموزني	»	يتوقع
٣٦٥ : ٢	أبو عمران ابن سعيد	»	ونوضعُ
٥٩٧ : ٣	ابن الحمارة	»	أتوجع
٤٠٧ : ٤	_____	»	يتوجع
٥٠٤ : ٤	_____	»	يرفع
٢١٦ : ٥	أبو إسحاق الرندي	»	المودع
٤٨٨ : ٥	ابن هذيل	»	مطالعه
٣٢٧ : ٤	ابن عبد البر	»	استماعها
١٥٩ : ٧	ابن زمرك	»	نزوعها
٥٠ : ٤	أبو عبد الله ابن الحداد	»	فأطيعها
٥٥٠ : ٣	ابن أبي أمية	البيسط	البدع

١٤٤ : ٤		البسيط	ابتدعوا
٥٦٣ : ٥	ابن ليون	»	يتضع
٤٩٠ : ٢	ابن جبير	»	يقطعه
٦١٦ ، ١٥٣ : ١	ابن عطية	»	جامعها
٢٦٩ : ٢	ابن سعيد	مخلع البسيط	الوداع
٦٣٨ : ٢	أبو الحكم الباهلي	الوافر	يستطاع
٢٣٠ : ٤ ، ٤٨٧ : ٣	ابن النبي	»	الوداع
٥٣٤ : ٣	ابن الرميحي	»	انصداع
٣٤٧ : ٤	ابن خاتمة	الكامل	نزاع
٤٨٩ : ٣	الأبيض	»	يردع
٣١ : ٦		»	سريع
٣٧ : ١		»	تسمع
٤٠٥ : ٢		»	يرفع
٥٧ : ٥	ابن مرج الكحل	»	تسطع
٢٠٧ : ٦	لسان الدين	»	يقطع
٣٣١ : ٦	أبو ذؤيب الهذلي	»	يقنع
٣٥٣ : ٧	ابن جابر	»	يجمع
١٠٢ : ٢	أبو القاسم السهيلي	»	يتوقع
١٠٦ : ٣	سليمان الموحدي	»	الطلع
٣٣٣ : ٣	ابن عبد البر الشثري	»	الأربع
٤٣٧ : ٣	الرصافي	»	يتوقع
٥٧ : ٥	»	»	يتدفع
٥٣ : ٥	ابن مرج الكحل	»	ويجمع
٢٧٧ : ٤	المعتمد بن عباد	الكامل المجزوء	الجموع
٢٦٢ ، ٩٢ : ٤	» » »	السريع	لماع
٢٦٢ : ٤	ابن وهبون	»	يرتاع
٦٠٩ : ٢	المطرف الغرناطي	»	تسجع

٣٥٠ : ٧	ابن جابر	المهرج	يصنعُ
٢٧٠ : ٦	_____	مجزوء الخفيف	يصنعُ
٥٥٠ : ٤	العربي العقيلي	المجتث	نراع
٤٥٤ : ٥	ابن الحياض	»	سبع
٤١٦ : ٢	_____	المتقارب	الجامعُ
٣٢٦ : ٢	ابن سعيد	الطويل	دموعي
٣٦٣ : ٣	أبو مروان ابن غصن	»	صنيعي
٤٥٨ : ٣	ابن صارة	»	شفيح
٣٩٥ : ١	المستنصر	»	معي
٤٧٦ : ٥	مهيار الديلمي	»	معي
٢٦٩ : ٦	_____	»	معي
١٨٥ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	السمع
٣٥٣ : ٧	ابن جابر	»	الدمع
٥٠٦ : ٧	ابن الجنان	»	مشفع
٥٦٩ : ٥	ابن ليون	البيسط	ترفيح
٣٤٧ : ٢	ابن سعيد	»	مطالعهها
٥٩٨ : ٢	أبو تراب جندل	مخلع البسيط	الوداع
٧ : ٤	أبو بكر الزبيدي	»	زماح
٤٠ : ٧	» » »	»	مساع
٦٠٣ : ٣	أبو إسحاق الخولاني	»	الدموع
٤٣٧ ، ١٩٦ : ٣	ابن فرج الجيازي	الوافر	بالمطاع
١٦ : ١	ابن الزقاق	»	الربوع
١٧ : ١	_____	»	الربوع
١٠٢ : ١	_____	»	المجوع
١٥ : ١	_____	»	دموعي
٥٣٢ : ٥	أبو عبد الله ابن جزي	»	الدموع
١٤ : ١	_____	»	الربيع

٢٩٩ : ٢	الشهاب القوصي	الوافر	النجيع
٣٧٦ : ٣	_____	»	بالجميع
٥٤٤ : ٢	ابن الوكيل	الكامل	بالإجماع
٤٤٨ : ٣	الأبيض	»	الأسماع
٣٠١ : ٤	ابن صارة	»	اسماعي
٤٥٠ : ٣	ابن برطال	»	بوداع
٣٨ : ١	ابن جابر	»	بالمقطوع
٥٩٨ : ٣	ابن الجزار السرقسطي	»	المسموع
٦٣ : ٤	ابن الجعد القرموني	»	المسموع
١٠٢ : ٢	ابن صالح المافري	»	مطيعي
٥٣٣ : ٥	ألفقيه عبيد	»	بنجيع
٥٣٣ : ٥	أبو عبد الله ابن جزري	»	التوديع
٢٥ : ٤	_____	»	شفيع
١٨٦ : ٦	ابن خلدون	»	سميع
١٧١ : ٢	سعد الدين ابن عربي	»	مدامع
٢٥٦ : ٣	ابن قلافس	»	قاطع
٣٤ : ٤	ابن خاتمة	»	الرائع
١١٦ : ٧	ابن الحاج الفرناطي	»	صنائع
٢٨ : ١	_____	»	المولع
٨٤ : ١	المهذب ابن أسعد الموصلي	»	أويحي
٢٦٩ : ٥	_____	»	نعمي
٩٠ : ١	الأرجاني	»	مودعي
٤٩٧ : ٢	_____	»	فتشيعي
٢٥٩ : ٣	أبو الحسن ابن الحاج	»	وتمنع
٣٧٢ : ٧	أبو جعفر الالبيري	»	بالبرقع
٦٧ : ٤ - ٥٣٢ : ١	عبد الملك الجزيري	»	إيناعه
١٥٣ : ٤	أبو الحسن ابن الحداد	الكامل المجزوء	القناع

٣٠ : ٦	لسان الدين	السريع	اسماعي
٦٣٩ : ٢	أبو الحكم الباهلي	»	البارعي
١١٢ : ٣	أبو الفضل الدارمي	»	الطالع
١١٢ : ٣	_____	»	الشارع
١١٣ : ٣	أبو عبد الله التنسي	»	السامع
١١٣ : ٣	_____	»	الواسع
٦٠١ : ٥ ، ٦٠٨ : ٢	ابن غياث الشريشي	»	أضلي
٤٧٨ : ٥	أبو البركات ابن الحاج البلفيقي	»	مقرع
٦٠٥ : ٣	محمد بن هانيء	»	أضلي
٣٥٧ : ٧	ابن جابر	المنسرح	متبع
٣٢٤ : ٣	ابن مفيد	الخفيف	ابتداعي
٣١٥ : ٦ ، ٨٣ : ١	_____	»	دموعي
٢٨٤ : ٣	ابن زيدون	»	الولوع
٥٠١ : ٦	لسان الدين	»	ولوعي
٦٧٩ : ٢	ابن جابر	»	سريع
١٠٠ : ٣	الغني بالله	»	المنيع
٣٦ : ٤	أبو بكر ابن هذيل	»	ضجيجي
٢٨٨ : ٦	_____	»	التوديع
٥٠٧ : ٧	ابن الجنان	»	الشفيع
٢٨٥ : ٦	الشريف الرضي	»	بسمعي
٣٧٠ : ٧	ابن جابر	»	يسلع
٣٧٠ : ٧	» »	»	ومنع
١٢٠ : ٢	ابن الصفار	المجتث	ضلوعي
٣٠٦ : ٤	» »	»	الرجوع
٣٦٦ : ٢	أبو عمران ابن سعيد	»	جمع
٦٢٣ : ١	ابن شهيد	المقارب	داعي
٣١٦ : ٣	ابن هشام القرطبي	»	لوداع

٤٦٨ : ٥	عبد المهيمن الحضرمي	المتقارب	خضوع
٣٣٦ : ٣	صاحب السقط	»	بالأجرع
٤١٠ : ٣	ابن حريق	»	مضجعي
١٠٦ : ٤	مهيار	»	مستجمع

قافية الفي

٣٦١ : ٥	ابن خميس	مجزوء الكامل	السوايق
٤٠ : ١	_____	البسيط	بزغا
٣٨٩ : ٢	البدر بن حبيب	الكامل	يلبغا
٤٨٥ : ٣	الاصبغ بن أسد	السريع	تبتغي
٣٢٩ : ٤	عبد الحق الإشيلي	الخفيف	وبلاغا
٤٧٤ : ٥	أبو البركات ابن الحاج	الطويل	بلاغ
٤٧٤ : ٥	ابن سليمان القرطبي	»	فراغ
٥١٥ : ٥	أبو القاسم ابن جزري	»	وفراغ
٥١٦ : ٥	ابن لؤلؤة	»	يصاغ
٢٩٩ : ٤	ابن الزقاق	الوافر	البليغ
٦٠٠ : ٥ ، ٦٠٤ ، ٥٩٤ : ١	المصحفي	الكامل	لادغ

قافية الفاء

٧٦ : ٧	المنصور الذهبي	الطويل	طرف
١١١ : ٤	ابن الأبرش	الوافر	تنصف

١١٠ : ٤	أبو العباس الرصافي	الكامل	شغف
٦٨٨ : ٢	أبو جعفر الالبيري	الكامل المجزوء	الف
٣٥٣ : ٣	أبو الوليد ابن الجنان	»	يلرف
٤٧٥ : ٣	محمد بن عمر الإشبيلي	السريع	تغترف
٨٠ : ٧	المنصور الذهبي	الخفيف	معرف
٤٥٩ : ٢	_____	المجث	مشرف
٢٠ : ٢	القالي	»	تألف
٢٠ : ٢	منذر بن سعيد	»	المتعطف
٣٨٣ : ٣	ابن القراء	المتقارب	عرف
٢٢٧ : ٧	ابن زمرك	الطويل	شقى
٣٢٦ : ٢	ابن سعيد	»	والطرفا
٢٣٨ : ٣	ابن مجبر	»	والقصفا
٤١ : ٤	ابن هانيء	»	شفا
٣٩١ : ٤	الخفاجي	»	صحفا
٢٥٨ : ٧	ابن زمرك	»	التفا
٣٧٦ : ٢	_____	»	المصنفا
٣٩٥ : ٣	أبو الفضل ابن شرف	»	وحرّفا
١٧٧ : ٧	ابن زمرك	»	وصفه
١١١ : ٤	ابن الأبرش	البسيط	شرفا
٥٦٥ : ٥	ابن ليون	»	شرفا
١٤٧ : ٤	أبو زكريا اليفرني	»	الذنفا
٢٤٣ : ٣	ابن زيدون	الوافر	مخيفه
٢٤٣ : ٣	ابن خلدون الوزير	»	خليفه
٢٤٤ : ٣	ابن عمار	»	وجيفه
٤٩٠ ، ٤٦١ : ٣	الأبيض	»	اللطيفه
٢١٣ : ٦	ابن جابر	الكامل	معروفا
٣٢٠ : ٦	_____	»	كفى

٦٧٢ : ١	ابن ليون	الكامل	مفوها
٣٢٤ : ٢	أيدمر التركي	الرميل	الجفا
٤١٠ : ٣	ابن حريق	»	نشفا
١١٢ : ٤	» »	»	يوسفا
٥٨٠ : ٥	ابن ليون	السريع	معروفا
٤٦٧ : ٢	_____	»	الاكتفا
٣٨٥ : ٢	ابن جبير	»	بالسفه
٢٤٤ : ٣	أبو عامر ابن شهيد	المنسرح	صدفا
٢١٦ : ٤	ابن اللبانة	الخفيف	شفاها
٤٢٧ : ٣	ابن المواعيني	»	وسخفا
٤٦٩ : ١	ابن عبود الرياحي	»	الحلافه
٦٣٥ ، ١٥٦ : ١	أبو عامر ابن شهيد	المتقارب	يكسفا
٥٧٧ : ٥	ابن ليون	»	المصطفى
٥٩١ : ٢	ابن الأبار	المجث	خليفه
١١٢ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	الطويل	خفيف
١٢٩ : ٢	ابن الفرضي	»	عارف
٥٩٩ : ٢	ابن وكيل الاقليشي	»	مخالف
٨٠ : ٣	صاعد البغدادي	»	خائف
٤٦٩ : ٣	أبو جعفر ابن صاحب الصلاة	»	ومخالف
٣٢٢ ، ٣١٦ : ٤	ابن الغماز	»	عاكف
٦٧٤ : ١	ابن عبدون	»	أنف
٥٢٥ : ٣	ابن سهل	»	الوقف
١١٤ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	الحيف
٥٤١ : ٤ ، ٢٥ : ٣	الحرقه بنت التعمان	»	تتنصف
٥٤٠ : ٣	_____	»	وينصف
٤٠١ : ٣	ابن حسداي	»	ويكشف
٣٤٣ : ٤	أحمد السياسي	»	ويقص

٣٩ : ٤	الرمادي	الطويل	وتَهْتَفُ
٧٢ : ٤	أبو بكر الشليبي	»	تَهْتَفُ
١١٤ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	تكلف
١٧٨ : ٦	_____	»	ملثف .
٥١٥ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	»	خلفه
٢٥٨ : ٦	ابن الصباغ الغرناطي	المديد	تقف
٢٦٣ : ٤	ابن الملح	البسيط	متزوف
١٣٩ : ٤	أبو الحسين الوقشي	»	الحلف .
٢٥٢ : ٥	_____	»	حتف
١١٤ : ٤	ابن فتح .	»	ينحرف
٥٥٤ : ٥	ابن ليون	»	تعرفه
١٤٥ : ٣	أبو المطرف ابن عميرة	الكامل	يضاف
٣٠٢ : ٤، ٦٥٢ : ١	أبو القاسم ابن العطار	»	ومعاطف
٤٧٤ : ٣	ابن مرتين	»	المنصف
٢٠٣ : ٤	أخيل الرندي	»	تصدف
١٥ : ١	_____	الكامل المجزوء	تؤلف
٥٧٣ : ٥	ابن ليون	الرملي	يألفك
٩٧ : ٢	محمد بن عبد ربه	السريع	تسعف
٤٢٣ : ٣	علي بن رجاء	»	يضعف .
١٢٠ : ٥	أبو إسحاق التلمساني	المنسرح	تصرفها
٣٨٢ : ٣	_____	المتقارب	أوطف
٣٨٢ : ٣	ابن الفراء	»	برشف
٢٨٠ : ٤	المعتمد بن عباد	»	ملثف
٢٩٩ : ٤	ابن الزقاق	»	عطفه
٥٧٠ : ٢	أبو حيان	الطويل	عارف
٤٧٨ : ٥	أبو البركات ابن الحاج	»	بالخوف
١٠٢ : ٦	أبو عبد الله الوادي آشي	»	بالخلف

١١٤ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	الطويل	عطف
٤٦٩ : ٥	عبد المهيمن الحضرمي	»	منصف
٤٧٦ : ٦	لسان الدين	»	مرهف
٧٨ : ٧	المنصور الذهبي	»	بقرق
٤٤٦ : ٣	أبو عمرو ابن أبي محمد	»	لقاطفه
٥٠٣ : ٥	ابن أبي مدين	»	كطرفه
٦٠٤ : ٣	حازم القرطاجني	البسيط	وانصاف
٤٨٩ : ٦	لسان الدين	»	خفي
٥٩٦ : ٢	خلف القبوري	»	كفي
٥٥٢ : ٣	ابن عبد الغفور الكلاعي	»	هدف
٦٦٣ : ٢	ذو القرنين ابن حمدان	»	للألف
٦٦٣ : ٢	القيصري	»	للألف
٥٦٨ : ٥	ابن ليون	»	وانصرف
٢٨٣ : ٧	عطية المحاربي	»	والسلف
٤٤ : ٧	رفيع الدولة ابن صمادح	الوافر	الأعطاف
٥٠٢ : ٧	_____	»	الصروف
٣٦١ : ٢	أبو فراس	»	كافي
٤٦٥ : ٤	ابن وزير الشلي	الكامل	الاشراف
٣٣٧ : ٧	شمس الدين الدمشقي	»	الاشراف
٣٤٩ : ٧	ابن عنين	»	تلافي
٢٥٠ : ٥	_____	»	القرقف
٥٧٧ : ٥	ابن ليون	»	تحوف
٤٦٥ : ٦	لسان الدين	»	خوفه
٣٤٧ : ٧	أبو جعفر الالبيري	»	لرشفه
٥٠٩ : ٣	أبو عبد الله اللوشي	»	بضعفها
١٠٧ : ٤	أبو محمد ابن عبد البر	الكامل المجزوء	طرفك
٦٣٩ : ١	ابن القبطرنة (وابن سراج)	الخرج	الطرف

٦٤٠ : ١	أبو الحسن ابن اليسع	الهرج	الظرف
٢٤٠ : ٣	ابن مجبر	الرملي	التطف
٢٢٩ : ٧	ابن زمرك	مجزوء الرمل	يصطفيه
٥٤٠ : ٥	أبو محمد ابن جزري	السريع	واللطف
٥٦٢ : ٥	ابن ليون	»	فيه
٢٨٥ : ٤	المعتمد بن عباد	»	باسعافه
٦٧٩ : ٢	ابن صارو البعلي	»	عطفه
٨١ : ١	_____	المنسرح	الوكف
٢٤٨ : ٣	عبد الله بن عاصم	»	والصلف
٣٥٢ : ٣	البرهان القيرواني	الخفيف	وسلاف
٤٧٢ : ٦	لسان الدين	»	أنوف
١١٩ : ١	_____	»	يصطفونها
١١٠ : ٤	أبو الحسن ابن اليسع	المتجث	وافي
٣٩٧ : ٣	ابن ضابط (وابن عبدون)	»	خسف
٦٠٩ : ٣	ابن عبدون (والمتوكل)	»	عرف
١٨ : ٤	_____	»	خلف
٢٠٥ : ٦	لسان الدين	المتقارب	انحرف
٣٩٢ : ٦	» »	المتدارك	بمخلفها

قافية القاف

٦٥١ : ١	أبو القاسم ابن العطار	الطويل	الحدق
١٠٨ : ٥	السيد أبو سعيد محمد	»	سبق
١٤٨ : ١	_____	البسيط	العراق
١٨٩ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	مخلع البسيط	فائق

٢٠٥ : ٤	ولادة	الوافر	يفارق*
٥٩ : ١	المقري	الكامل المجزوء	الخلاتق*
٣٢٠ : ٣	ابن رشيقي أو ابن بشر الصقلي	»	الفرق
٢٥٩ : ٤	_____	الرمل	بسق
٢٩٩ : ٤	ابن الزقاق	»	رمق
٣٤٧ : ٧	ابن جابر	»	تحترق
٧ : ٢	ابن حبيب السلمي	السريع	الغرق
٦٧ : ٥	صفوان بن إدريس	»	غسق
٣٧٧ : ٣	أبو الوليد الوقشي	»	فانلق
٣٠١ : ٢	الزناطي أبو الحسن	»	وثيق
١٥٤ : ٤، ٣٠٧ : ٣	أبو جعفر ابن طلحة	»	العقيق
٥٦٠ : ٥	ابن ليون	»	الصديق
٣٣٨ : ٧	ابن جابر	»	حقيق
٥٨٨ : ٥	ابن ليون	الخصيف	راشق*
١٠٢ : ١	المقري	»	يتألق
٤٦٧ : ٦	لسان الدين	المتقارب	وراق
٤٠٠ : ٣	الإمام السهيلي	»	طريق
١٨٢ : ٤	أبو جعفر ابن سميد	»	فلق
٤٩٥ : ٣	ابن نزار	الطويل	خفقا
٥٣٣ : ٢	لسان الدين	»	الحقا
٥١١ : ٥	فروج بن لب	»	رقا
٣٠٥ : ٧	ابن جابر	»	السبقا
٦٣ : ١	_____	»	متألقا
٥٧٠ : ٢	أبو حيان	»	شيقا
٦٠٢ : ٥	_____	»	وتوقه
٣٣٩ : ٥	المقري الجحد	البسيط	الورقا
٥٤١ : ٣	أبو عبد الله ابن عبد العزيز	»	وأوراقا

٥٤١ : ٣	المنصور الصغير	البسيط	مشتاقا
٢٠٩ : ٤	ابن زيدون	»	راقا
٢١٩ : ٤	المعتمد بن عباد	»	اقلاقا
٨٣ : ١	_____	»	ملتصقه
٤٠٣ : ٢	ابن عثين	»	غلقه
٥٦٨ : ٥	ابن ليون	مخلع البسيط	والحقوقا
٥٩١ : ٦	لسان الدين	الوافر	والطريقا
٢٧٥ : ٦	_____	»	الأنيقه
٢٧٥ : ٦	لسان الدين	»	الطريقه
٢٧٦ : ٦	» »	»	خليقه
٤٥٥ : ٢	_____	الكامل	الاشواقا
٥١ : ٧ ، ٥٩٩ : ٥ ، ٥٦٤ : ٣	ابن عبدربه	»	رفيقا
٤٨٢ : ٥	ابن الحاج الغرناطي	»	مارقا
٤٤٧ : ٦	أبو عبد الله ابن الأزرق	»	مغلقة
٥٠١ : ٦	لسان الدين	»	ورحيقه
١١١ : ٦	أبو العباس الرصافي	»	حقها
١٩٧ : ٣	الشريف الطليق	الرملي	مشرقا
٥٨٦ : ٣	» »	»	حرقا
٣٣٣ : ٤	أبو بكر الزبيدي	»	خلقلق
٥٠٩ : ٣	أبو محمد عبد المولى	مجزوء الرمل	وحديقه
٣٦٧ : ٢	الشريف المكي	»	خفقها
٢٦ : ١	السراج	السريع	مارقا
٣١٣ : ٣	ابن ظافر	الخفيف	المشوقا
٣٠٣ : ٦	_____	»	عقوقا
٥٨٩ : ٥	ابن ليون	»	طريقه
٥٤٤ : ٥	» »	المجتث	حقيقه
٣٥١ : ٣	_____	المتقارب	رونقا

المغدقة	المتقارب	أبو مروان الجزيري	٩٥ : ٣
آفاق	الطويل	لسان الدين	٨ : ٦
خفوق	»	الأرجاني	٨٦ : ١
مشوق	»	ابن هانيء	٤٣ : ٤
حريق	»	أبو محمد ابن حزم	٨٣ : ٢
رفيق	»	أبو عمرو المعتضد	٢٤٢ : ٤
حقيق	»	المجنون	٥٠٢ : ٤
ناطق	»	أبو عبد الله ابن الحداد	٥٠ : ٤
الورق	»	ابن بقي	٤٧٢ : ١
الشرق	»	ابن زمرك	٢٨٠ : ٧
تنطق	»	أبو القاسم السهيلي	١٠٣ : ٢
يطرق	»	مجد الدين الاريلي	٣٩٤ : ٢
تشرق	»	محب الدين الحموي	٣٩٩ : ٢
مشرق	»	أبو جعفر ابن سعيد	١٩٠ : ٤
تفرق	»	_____	٤٥٠ : ٢
ينفق	»	ابن ضابط	٣٩٨ : ٣
يحرق	»	ابن زيدون	٥٢ : ٤
يحرق	»	الأسعد بن بليطة	٥٢ : ٤
أوراق	البيسط	صاعد	٩٥ : ٣
أرزاق	»	ابن عبد ربه	٤٣٥ : ٣
حلق	»	ابن سعيد	٣٤٧ : ٢
حقائقه	»	_____	١٨٣ : ٥
خلاق	مخلع البسيط	أبو القاسم السميسر	١٠٨ : ٤
مشوق	الوافر	بلال	١٦٥ : ٥
الطريق	»	ابن أيوب المرواني	٣٤٠ : ٣
الصديق	»	ابن ليون	٥٩٢ : ٥
أستفيق	»	ابن جابر	٣٥٦ : ٧

٥٩١ : ٢	ابن الأبار	مجزوء الوافر	الحدقُ
٢٦٩ : ٣	ابن عبدوس	»	التزقُ
٢٠١ : ٥	ابن هارون	»	مفترق
١٤ : ١	_____	الكامل	الأسواق
٨٩ : ١	_____	»	الأسواق
١٦٧ : ٥	لسان الدين	»	أغلاق
١٠٩ : ٤	الحصري	»	التفريق
٣٧١ ، ٢٤٧ : ٣	ابن زهر	»	مونق
٤٠٩ : ٣	ابن الفرغ	»	السابق
٥٤٣ : ٣	أبو الفرغ الوزير	»	السابق
٤١١ : ٣	ابن حريق	»	الورق
٩٧ : ١	_____	»	يعلق
٣١٧ : ١	أبو المطرف	»	يعطرق
٥٣٠ : ١	الجزيري	»	تنقنق
٢٦٩ : ٢	ابن سعيد	»	تحلق
٣٠١ : ٢	دفتر خوان	»	يرزق
٣٢٧ : ٥	_____	»	مشرق
٢٢٢ : ٣	المتنبي	»	المشرق
٢٨٤ : ٦	»	»	يعشق
٥٤٢ : ٤	الشريف الرضي	»	نتفرق
٥٣٠ : ٥	أبو إسحاق الغزي	»	مغلنق
٣٢ : ٦	ابن عبد القدوس	»	يفرق
١١٥ : ٦	أبو سلطان الغرناطي	»	منطق
٢٣١ : ٦	ابن خاتمة	الرملى	الأرق
٢٥٦ : ٢	الغزال	السريع	وامق
١١٣ : ٣	_____	»	الشرق
٨٦ : ١	الصفدي	»	أحرق

٣٨ : ١	ابن النقيب	السريع	تعليقه
١٣٢ : ٣	_____	المنسرح	نطقوا
٥٠٤ : ٤	_____	»	الأفق
٨٣ : ١	العزازي	الخفيف	يطاق
٥٠٨ : ٣	أبو عبد الله اللوشي	»	اشتياق
٥٤٧ : ٥	ابن ليون	»	الصديق
٢٥٥ : ٣	ابن قلاؤس	»	ودق
١٣ : ٢	محمد بن أبي عيسى	الطويل	تلاق
٤١٩ : ٣	ابن الزقاق	»	الباقي
٤٨٨ ، ١٢٤ : ٦	لسان الدين	»	الباقي
٤٨٦ : ٦	» »	»	إرهاق
٤٩١ : ٦	» »	»	أوراق
١٢٤ : ٦	ابن الجياب	»	ساق
٣٨١ : ١	ابن شهيد	»	مشوق
٣٨١ : ١	عبد الملك بن جهور	»	صديق
٣٢٦ : ٤	أبو بكر التطيلي	»	عريق
٤٨١ : ٥	ابن الحاج الغرناطي	»	حقيقي
٤٧٥ : ١	الأصم القرطبي	»	السرادق
٦٧ : ٣	ابن حزم	»	المفارق
٣٦٢ : ٣	ابن شهيد	»	لاحقي
٢٠٦ : ٤	ولادة	»	بما لقي
٣٠٣ : ٤	أبو الحجاج النصري	»	مفارقة
٣٤٠ : ٤	ابن الزقاق	»	الخلايق
٤٨٩ : ٥	ابن هذيل	»	لنائق
٤٩٨ : ٥	أبو عبد الله ابن الحكيم	»	المفارق
٦٣٦ : ١	ابن القبطرنة	»	الطوق
٤٧٠ : ٣	ابن السيد البطليوسي	»	الطوق

٣٢ :- ٢	المتنبي	الطويل	ويشقي
١٤٠ : ٥	»	»	يشقي
٥٤٤ : ٢	ابن الوحيد	»	تلتقي
٦٦٣ : ٢	أبو الحسن المايهري	»	مورق
٣٩ : ٤	الرمادي	»	التوثق
٢٠٧ : ٤	ابن زيدون	»	والفرق
٤٢٥ : ٣	إبراهيم الحجارى	»	عناقه
٢٢ : ١	—————	البيسط	ميثاقى
٣٥٣ : ٧	ابن جابر	»	واقي
٢٤ : ١	الخطيب الحصكفى	»	القلق
٨٢ : ١	—————	»	علق
٩٧ : ١	—————	»	فرق
١١٥ : ٣	أبو الفضل الدارمى	»	الفرق
١١٨ : ٢	ابن عبد ربه الحفيد	»	الحلق
٧٥ : ٧	المنصور الذهبى	»	الحلق
٦٦٨ : ٢	ابن جابر	»	الطرق
٢٩٢ : ٣	التملمس	»	مستقى
٤٥٠ : ٣	ابن بطال البطلوسى	»	مستقى
٤٢٩ : ٣	المعتمد بن عباد	»	الحق
٥١٣ : ٣	مالك بن سعيد	»	بالخلق
١٨٦ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	بالعبق
٥٦٥ : ٣	ابن ليون	»	الحلق
٣٢٨ : ٧	القلقشندي	»	بالخلق
٤٣٩ : ٣	—————	»	ورقه
٤٣٩ : ٣	ابن بقى	»	درقه
٤٤٠ : ٣	ابن بقى	»	حدقه
٥٢٦ : ٢	ابن عطية	مخلع البيسط	الوثيق

٥٦٨ : ٣	ابن عبد ربه	مخلع البسيط	ريفي
٣٧١ : ٢	عبد الرحمن بن سعيد	الوافر	التلاقي
٤٠١ : ٢	ابن عنين	»	النياقي
١٤٧ : ٤	ابن شريف الرندي	»	اعتناق
٣٤٨ : ٤٠١١٥ : ٢	الحميدي	»	الحقوق
٩٧ : ٣	صاعد	»	العقيق
٣٧٣ : ٧	ابن جابر	»	كالعقيق
٣٤٧ : ٤	ابن خاتمة	»	الشفيق
١٤ : ٣	مغيث	»	شرق
٦٨٠ : ٢	ابن جابر	الكامل	للساقي
٢٥ : ٤	ابن قزمان	»	نطاق
٦٨ : ٤	ابن حصن الجزي	»	العشاق
٥٦ : ٧	أبو الحسن البرقي	»	العشاق
٢٢٦ : ٤	أبو محمد غانم	»	الآفاق
١٩٤ : ٥	ابن زمرك	»	الآفاق
٢٠٢ : ٥	لسان الدين	»	الأشواق
٤٤٥ : ٥	»	»	إطراق
٢٠٣ : ٦	»	»	الباق
٤٨٧ : ٥	ابن الحاج الغرناطي	»	البراق
٢٢٧ : ٦	ابن لب المريبي	»	الآفاق
٤٨٧ : ٦	لسان الدين	»	الممشوق
٤٧٠ : ٣	ابن عبدون	»	تمحريق
٢٠٩ : ٣	ابن بقي	»	لناشق
١٥٥ : ٤	»	»	خافيق
٢٣٧ : ٤	»	»	بارق
٤٢٨ : ٣	حبيب	»	الفائق
٦٠٠ : ٣	ابن برون	»	شقائ

٦٠١ : ٣		الكامل	حاذق
٣٦ : ٢	أبو العباس العزفي	»	الخلق
٦٨٩ : ٢	أبو جعفر الالبيري	»	أعشق
٢٢٧ : ٣	ابن الشيخ	»	واتق
٤١٠ : ٣	ابن حريق	»	بالمشرق
٥٩١ : ٣	سعيد المرواني	»	الزورق
٦١١ : ٣	ابن شهيد وابن عباس	»	يعشق
٦٠ : ٤	ابن وهبون	»	الأزرق
٣٠٠ : ٤	ابن الزقاق	»	أنيق
٣٢٥ : ٤	ابن هارون القرطبي	»	تغلق
٥٣٩ : ٥	ابن جزى	»	انتق
١٢٥ : ٤	ابن حجاج	»	عشاقه
١٠٧ : ٢	أبو الصلت أمية	»	إبريقه
١٣٩ : ٦	المنتشاقري	»	بعقيقه
١٤١ : ٣	قمر (جارية ابن حجاج)	»	أحداقها
٢٦٩ : ٦		»	اذواقها
٤٦٨ : ٦	لسان الدين	»	آفاقها
٢٥ : ١	السراج	الكامل المجزوء	المآقي
٦٧ : ١	الأصفهاني	»	الرفاق
١٦١ : ٥	أبو الفرج ابن الجوزي	»	الفراق
٣٩ : ١	ابن الصاحب	»	كالشقيق
٦٨١ : ٢		الهرج	أحداق
٦٣٤ : ٢	ابن الطحان	»	رشاقها
٣٧١ : ٣	أبو عبد الله الياسمي	الرملي	الحمق
٣٧٢ : ٣	ابن حريق	»	الخلق
٣٩٣ : ٣	ابن شرف	»	الأرق
٣٩٣ : ٢	ابن الخياط	السريع	طارق

٥٩٦ : ٥	ابن ليون	السريع	الحق
٣٥٢ : ٧	ابن جابر	»	فرق
٣٥٤ : ٧	»	»	الخلق
٥٧٨ : ٥	ابن ليون	»	الأحمق
٢٤٢ : ٣	ابن مغيث	»	أحداقه
٤٦٦ : ٦	لسان الدين	المنسرح	ساق
١٠٧ : ٢	أبو الصلت أمية	»	انق
١١٢ : ٣	أبو الفضل الدارمي	»	الأرق
٦٤ : ٤	ابن لبال	»	الشفق
٣٧٤ : ٣	مؤمن بن سعيد	»	رائقها
٤٥ : ١	_____	الخفيف	التلاقي
٥١ : ٧٠٥٩٩ : ٥	ابن عبدربه	»	التلاقي
٢٣ : ١	علي الجرجاني	»	المآقي
٤٠ : ١	الشيلي	»	اشتياقي
٨١ : ١	_____	»	النطاق
٢٩٩ : ٢	المرذغاني	»	المذاق
٣٢٦ : ٢	ابن سعيد	»	سياق
١١٧ : ٣	أبو الفضل الدارمي	»	وثاقي
١٤٧ : ٤	ابن شريف الرندي	»	الرقاق
١٤٤ : ٦	المنتشاقري	»	راق
٢٩٥ : ٢	ابن سعيد	»	كالرحيق
٥٩١ : ٥	ابن ليون	»	صديق
٣٧١ : ٧	ابن جابر	»	وثيق
١٨٣ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	المجثث	فراقي
٥٨١ : ٣	محمد بن المنذر	»	اشتياقي
٣٩ : ١	_____	»	كالشقيق
٢٩٥ : ٤	أبو بكر ابن سعيد	»	صديق
٤٧٤ : ٢	علي بن أبي طالب	المتقارب	خالقي

قافية الكاف

٤٦٦ : ٣	ابن السليم	البسيط	لك
١٣٥ : ٢	ابن القطان	الكامل	الفلك
٣٩٧ : ٥	ابن مرزوق الخطيب	»	الحلك
٣٧٥ : ٧	أبو جعفر الاليري	»	ليرضيك
٢١٩ : ٧	ابن زمرك	الكامل المجزوء	الملوك
٦٠٢ : ١	—————	السريع	أتاك
٥٧٨ : ٥	ابن ليون	»	وانهماك
١٣ : ٤ ، ٦١٠ : ٣	ابن عبادة (وابن القابلة)	»	الحلك
٥٧٢ : ٥	ابن ليون	»	عليك
١١١ : ٦	ابن رضوان	الخفيف	بذلك
٦١٤ : ٣	ابن السمط	مجزوء الخفيف	ملك
٦١٤ : ٣	أبو القاسم ابن الصيرفي	»	والفلك
٥٧٦ : ٥	ابن ليون	المجث	مالك
٥٤ : ٥	ابن مرج الكحل	الطويل	البكا
١٣٥ : ٦	المنتشاقري	»	حياكا
١٣٧ : ٦	لسان الدين	»	محياكا
١٦٥ : ٤	ابن أضحى	البسيط	مثواكا
٣٤٠ : ٤	ابن الغماز البلنسي	»	يدعوكا
٥٨٤ : ٥	ابن ليون	»	يرديكا
١١٠ : ٤	أبو المطرف ابن عميرة	»	حاليكا
١١٠ : ٤	المستنصر الحفصي	»	عينيكا
٣٤٤ : ٣	—————	»	فبكي
١٢٦ : ٤	أحمد بن عثمان	»	سبكا

٢٧٤ : ٤	ابن اللبانة	البسيط	حلكا
٥٩٠ : ١	_____	»	سمكه
١٠٦ : ٤	المتنبي	الوافر	ذراكا
٥٨٩ : ٥	ابن ليون	»	إليكا
٢٥١ : ٣	الملك المعظم	الكامل	سواكا
٢٥٢ : ٣	ابن ظافر	»	الأسلاك
٢١٥ : ٦	_____	»	الاشراكا
٢١٨ : ٧	ابن زمرك	»	الأملاك
٥٨٣ : ٥	ابن ليون	»	يحفوكا
٤٦٩ : ٦	لسان الدين	»	مسلوكا
٢١ : ٦	» »	»	فيكا
٥٥٤ : ٥	ابن ليون	»	دونكا
٢٢ : ٤	أبو بكر ابن طاهر	»	هنالك
٢٢ : ٤	ابن قوشرة	»	كذلكا
٢٢ : ٤	الشاطبي	»	مسالك
٢٢٤ : ٧	ابن زمرك	»	والكا
١٤٤ : ٦	المنتشاقري	»	حالك
٣٧٤ : ٧	أبو جعفر الالبيري	»	شاهكا
١٤٨ : ٤	حازم القرطاجني	»	أسلاكها
١٤٨ : ٤	التجاني	»	أفناكها
٧٢ : ١	_____	الكامل المجزوء	بسالكا
٥٠٨ : ٣	أبو عبد الله اللوشي	»	أهجركا
٢٩١ : ٢	زوجة الأمر	الرميل	ملك
٢٩١ : ٢	ابن مياح	»	واحتنكا
٢٦١ : ٣	عبد الملك بن شهيد	»	مستهلكا
٥٦٨ : ١٥	ابن ليون	مجزوء الرمل	يهابوكا
٥٨٤ : ٥	»	»	فيكا

هجر كا	السريع	سعيد المرواني	٣ : ٥٩١
لشكوا كا	»	أبو الحجاج الساحلي	٢ : ٢٥٣
لدا كا	الخفيف	رابعة العدوية	٥ : ٣٢٥
أعطا كا	»	ابن الفارض	٥ : ٣٢٥
ذا كا	»	ابن ليون	٥ : ٥٥٤
فيكا	»	_____	٥ : ٣٢٤
عليكا	»	أبو عامر ابن الفرج	٣ : ٤٠٩ ، ٥٤٣
عليكا	»	ابن ليون	٥ : ٥٧٥
أراكا	المجث	نسيم الإسرائيلي	٣ : ٥٢٢
ذراكا	المتقارب	ابن غصن	٣ : ٣٦٤
بالكا	»	السميسر	٥ : ١١٧
نشارك	الطويل	ابن عبد الظاهر	٢ : ٦٨٩
المسالك	»	ابن قرناص	٣ : ٣٥٦
فارك	»	ابن خميس	٥ : ٣٦٢
أهلك	»	أبو حيان	٢ : ٥٣٧
فتكوا	البسيط	ابن القوطية	٣ : ٧٤
فلك	»	أبو بكر ابن هذيل	٣ : ٧٤
سالك	الكامل	أبو جعفر الالبيري	٢ : ٦٧٨
السالك	»	لسان الدين	٦ : ٤٠٠
فلك	»	المعتمد بن عباد	٤ : ٢٨٢
أبرك	»	أبو زيد الفازازي	٧ : ٥١٠
ملكوا	مجزوء الرمل	ابن العربي الحاتمي	٢ : ٤٣
أملك	السريع	أبو جعفر ابن سعيد	٤ : ١٨٦
شرك	المنسرح	ابن أبي تليد	٢ : ٥٦٤
المشارك	مجزوء الخفيف	سعد الدين ابن عربي	٢ : ١٧١
سواك	الطويل	أبو عبد الله الجذامي	٣ : ٤٦٥
سواك	»	المنصور الذهبي	٧ : ٧٦

٢٣٢ : ٢	_____	الطويل	مالك
٣٣١ : ٦	متمم بن فويرة	»	والد كادك
٨٢ : ٢	ابن حزم	البيسط	بمترك
٥٦٧ : ٥	ابن ليون	»	والفلك
١٤٢ : ٤	_____	الكامل	وباك
٧٠ : ٥	ناهض الوادي آشي	»	بكاك
٤١٦ : ٣	غالب الحجام	»	بالمسواك
٤٥ : ٤	ابن هانيء	»	فيك
٣٠١ : ٦	_____	»	السالك
٣٠٣ : ٢	ابن سعيد	»	أملاكه
١٤ : ١	_____	الكامل المجزوء	ومسك
١٠٩ : ٤	عبادة	الرمل	فلك
١٣٧ : ٣	ابن عنين	السريع	والإفك
٥٤٤ : ١	غالب بن أمية	المنسرح	السلك
٤٠ : ٤	محمد بن هانيء	الخفيف	منك
١٦ : ١	_____	»	هلوكي

قافية الدرم

١٥٠ : ٤	ابن إدريس الاصطبروني	الطويل	بالأمل
٤٤٤ : ٢	ابن سعد الكلشني	مخلع البسيط	قائل
٣٤٣ : ٢	ابن قادوس	الوافر	المغازل
٨١ : ١	_____	الكامل المجزوء	بالخليل
١٧٥ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	واصل
٤٠٥ : ٣	ابن عنق الفضة	الرمل	اللاك

٥٧٥ : ٥	ابن ليون	الرمل	حال*
٥٠٥ : ٥	أبو عبد الله ابن الحكيم	»	المحال*
٢٤٧ : ٦	ابن هانيء السبي	»	مستحيل
٥٤٥ : ٢	نجم الدين الطوفي	»	مبتذل
١٦٣ : ٥	_____	»	قتل
٥٤٦ : ٥	ابن ليون	مجزوء الرمل	فساهل
٢٨٥ : ٣	ابن زيدون	»	تأمل
٦٨٥ : ٢	ابن جابر	السريع	الوصال
٣٠٨ : ٣	أبو جعفر ابن طلحة	»	حلال
١٦ : ٤	أبو بكر ابن حبيش	»	الكمال
١١١ : ٤	ابن الأبرش	»	الجمال
٣٧٢ : ٤	_____	»	يلال
٣٦٣ : ٥	ابن خميس	»	ذبال*
٣٦٥ : ٥	مهمار الديلمي	»	الليال
٥٤٤ : ٥	ابن ليون	»	لا تبال
٥٠٥ : ٥	» »	»	حال
١٢٢ : ٢	أبو الوليد ابن الجثنان	»	والقبول
٨٣ : ٦	ابن سلبطور	»	نزول
٦٧٩ : ٢	ابن صارو البعلي	»	طويل
٤٨٦ : ٣	أبو بكر ابن حجاج	»	العويل
١٦٦ : ٤	سعدونة	»	سبيل
٥٥٧ : ٥	ابن ليون	»	زلل
٤٤٢ : ٢	ابن سعد الكلشي	الخفيف	الفضائل
٤٢٩ : ٣	علي بن حصن	المجتث	يتدلل
٢٩٢ : ٢	طراد بن مهلهل	المتقارب	المقال
٣٩٩ : ٣	عطاء المالقي	»	باللآل
٥٨٩ : ٥	ابن ليون	»	الفضول

٤٩٣ : ٣	ابن نزار	المتقارب	سبيل
٣٨٤ : ٢	ابن جبير	»	العلل
٤٩١ : ٢	»	»	الخلل
١٦٠ : ٤	ابن حزم	»	المقل
١٦٠ : ٤	_____	»	سأل
٦٦٢ : ١	المعتمد بن عباد	»	معل
٣٨ : ٦	ابن خاتمة	»	الأجل
٧٨ : ٤	الأعلم الششمري	»	المتخل
٥٩٦ : ٣	ابن القبطرنة	»	بقل
١١٧ : ٤	ابن خفاجة	»	منسفل
٢٦٩ : ٢	ابن سعيد	الطويل	تلا لا
٥١٢ : ٥	فرج بن لب	»	أفولا
٢٤١ : ٦	المليكشي	»	رسولا
٣٣١ : ٧	_____	»	الطولا
١٠٧ : ٤	ابن خفاجة	»	رحيلا
٣٩٨ : ٣	غانم المخزومي	»	ثا كلا
٣١٥ : ٤	الحجاري	»	راحلا
١٠٧ : ٦	ابن رضوان	»	وسائلا
١٥٨ : ٧	ابن زمرك	»	رسائلا
٥٤١ : ٥	ابن شبرين	»	البللا
٤٩١ : ١	ابن حمديس	»	يبلى
٢٥٤ : ٣	ابن ظافر	»	عدلا
٤٧٤ : ٤	أبو الربيع ابن سالم	»	أولى
٣٣٧ : ٥	المقري الجحد	»	الدلا
١٢٩ : ٧	التلالسي	»	استعل
٦٠٤ : ١	المصحفي	»	كخط لا
٢١٦ : ٢	ابن زكريا المعافري	»	تأصلا

٦٨٥ : ٢	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	مهلا
٥١٣ : ٣	مالك بن سعيد	»	موصلا
٣٠ : ٤	أبو عمر ابن عبد البر	»	سلسلا
٣٤٥ : ٤	عبدون الداني	»	مؤملا
٢٢٤ : ٧	ابن زمرك	»	أولا
٤٧٦ : ٥	أبو البركات ابن الحاج	»	حباله
١٢١ : ٣	إبراهيم بن سليمان الشامي	»	أحلها
٥٠٢ : ٥	أبو عبد الله ابن الحكيم	البسيط	زالا
٦٧٦ : ١	ابن السقاط	»	هملا
٢٦٦ : ٣	ابن فرج الجياني	»	نزلا
٤١٨ : ٣	غالب الحجام	»	واعترلا
٤٣٦ : ٣	ابن مصادق الرندي	»	هطلا
٢٦١ : ٤، ٥٦٩ : ٣	أبو العرب الصقلي	»	حملا
١٢ : ٤	غالب الثغري	»	رحلا
٣٥٢ : ٦	ابن جابر	»	رحلا
٤٦٨ : ٦	لسان الدين	»	أفلا
٣٥٢ : ٧	ابن جابر	»	شمائله
٢٢٤ : ٢	سعد الدين ابن عربي	»	أهله
٥٠٦ : ٣	ابن البراق	مخلع البسيط	الزلالا
٣٨ : ٣	عبد الرحمن الداخيل	»	نصلا
٤٣ : ٣	» » »	»	واضمخلا
٢٠٨ : ٦	لسان الدين	»	دخاله
٣١٢ : ١	أبو المطرف ابن عميرة	»	مرسلها
٧٠٢ : ٢	ابن الأزرق الغرناطي	»	حلاها
٦٨٧ : ٢	ابن جابر	الوافر	الظلالا
١١٢ : ٤	اللسن	»	ذبالا
٢٠١ : ٤	»	»	السؤالا

٢٠٤ : ٤	القص	الوافر	القتالا
٢٣٠ : ٤	ابن النبي	»	شمالا
٢٦٣ : ٤	ابن وهبون	»	ملالا
١٠١ : ٦	المعري	»	نمالا
١٩ : ٤	أبو عبد الله القرطبي	»	الجزيل
١١٣ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	سيلا
١٩٣ : ٥	الميرد (أو ابن المعلل)	»	ثمالة
٥٤٥ : ٥	ابن ليون	»	البطالة
٢٥٠ : ٢	الأخطل	الكامل	خبالا
٥٩٠ : ٣	سليمان بن المرتضى	»	الأمالا
٢٦٧ : ٤	ابن زيدون	»	الأمالا
٢٢٠ : ٧	ابن زمرك	»	كمالا
٦٣٤ : ١٥٦ : ١	أبو بكر ابن القبطرنة	»	رسولا
٣٦ : ١	القاضي الفاضل	»	غليلا
٤٤ : ٢	أبو عبد الله الاستجي	»	وغليلا
٣١١ : ٣	ابن غالب الكاتب	»	وغليلا
٣١٥ : ٣	أبو يحيى ابن هشام	»	قنديلا
٣٣٣ : ٣	ابن اللبابة	»	التأميلا
٤٨٣ : ٦	لسان الدين	»	التفضيلا
٥٩٢ : ٢	ابن الأبار	»	بابلا
٤١٣ : ٣	عمر بن الشهيد	»	أناملا
٥٦٥ : ٣	أبو عمزان ابن سعيد	»	بلابلا
٥١ : ٧	ابن عبد ربه	»	وبلابلا
٣٥٠ : ٧	ابن جابر	»	أغلي
٣٢ : ٤	أبو الفضل ابن الأعلم	»	كلا
١٠٦ : ٤ ، ٣١ : ١	ابن خفاجة	»	وأكلا
٦١ : ١	المقري المؤلف	»	أولا

٦٣٦ : ٢	الحكيم الجلياني	الكامل	أولا
٤٩٥ : ٣	ابن نزار	»	والخلي
١١٩ : ٤	ابن الأبار	»	تسلسلا
١٠٨ : ٣	أبو الربيع الموحدي	»	ومرسلا
٤٢ : ٧	عز الدولة ابن صمادح	»	تأولا
٦٦٥ : ٢	_____	»	المسألة
٣٤٨ : ٧	أبو جعفر الإلييري	»	المسألة
٣٥٢ : ٧	ابن جابر	»	رجالها
٤٣٦ : ٥	ابن الحياض	»	دلائلها
١٠٨ : ٦	ابن رضوان	»	ظلالها
٢٣٨ : ٧	ابن زمرك	»	كاملها
٢٠ : ١	أبو فراس	الكامل المجزوء	مخلا
٥٠٣ : ٧	_____	»	حاله
١٩٢ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	ذباله
٥٧٢ : ٥	ابن ليون	»	شكله
١٨ : ٤	ابن خفيف الأندلسي	الهرج	حملة
٢٨٣ : ٣	ابن زيدون	الرميل	مللا
٢٢٩ : ٤	ابن البني	مجزوء الرمل	نجالا
٥٥٠ : ٥	ابن ليون	»	سببلا
٥٥٣ : ٥	» »	»	خليللا
٥٦٤ : ٥	» »	»	الأنيللا
٤٦٠ : ٣	ابن خفاجة	»	جهلا
١٢٦ : ٤	القلقاط	»	ولتي
٥٣٩ : ٥	أبو عبد الله ابن جزي	السريع	قولا
٦٥٩ : ٢	أبو ركوة	»	والسهلا
١١ : ٤	أحمد بن تليد	»	الذلا
٤٦٣ : ٣	ابن يرطله	»	متزلا

٥٨٣ : ٥	ابن ليون	السريع	خاملته
٤٧٣ : ٣	اللس	»	نمثلة
١١١ : ٤	أبو الربيع ابن سالم	»	أعمله
١٣٧ : ٤	أبو جعفر الوقشي	»	سلسله
٥٥٨ : ٥	ابن ليون	»	والغفله
٥٦٠ : ٥	»	»	والغفله
٤٨٥ : ٢	ابن جبير	»	أسمائها
١٣٤ : ٢	أبو الحكم المغربي	المتسرح	فارتجلا
٤٢٣ : ٦	لسان الدين	»	انفصلا
٣٤٨ : ٧	أبو جعفر الإلييري	»	متصله
٢٠٧ : ٣	أبو وهب العباسي	الخفيف	حالا
٢٣٨ : ٣	ابن مجبر	»	ارتجالا
٤١٤ : ٣	ابن الزقاق	»	كالا
١٧ : ٥	والد لسان الدين	»	فتمالا
٣٧٠ : ٧	ابن جابر	»	جمالا
٦٣٧ : ١	أبو بكر ابن القبطونة	»	شمولا
٢٠ : ١	_____	»	وأصيلا
٤٠٢ : ٢	ابن عنين	»	قليلا
٣٠٩ : ٥	_____	»	جليلا
٥٥١ : ٥	ابن ليون	»	تطيلا
٧٥ : ٧	المنصور الذهبي	»	تكحيل
٤٦٦ : ٢	المتني	»	ثكلا
٤٦٤ : ٢	»	»	الأجلا
١٥٤ : ٤	_____	»	وكلا
٥٦٩ : ٥	ابن ليون	»	فدلا
٥٩٨ : ٥	ابن العريف	»	يتقلى
٢١ : ١	ابن خلكان	»	جماله

٥١٦ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	الخفيف	جماله
٢٤٨ : ٢	أبو بكر ابن زهر	»	لعليله
٤٦٩ : ٦	لسان الدين	»	قليله
٥٤٦ : ٢	أبو حيان	»	نقله
٥٤٦ : ٢	الصفدي	»	شكله
٣٨٢ : ٣	ابن القراء	مجزوء الخفيف	سلا
٢٨٤ : ٦	_____	»	واعثلى
٥٥١ : ٥	ابن ليون	المجتث	جمله
٢١٢ : ٤	ابن عمار	المتقارب	جمالاً
٢٧٨ : ٢	_____	»	السيولا
٢٨٢ : ٣	ابن زيدون	»	العليلا
٤٧٢ : ٣	أبو الوليد ابن حزم	»	قليلا
٤٩٩ : ٣	ابن الأرقم	»	الذابلا
٦١٥ : ٣	ابن المعتز	»	شائلا
٦١٦ : ٣	المعتمد بن عباد	»	زائلا
٣٩٣ : ٣	ابن نصف الربض	»	بالقى
٣٢٠ : ٦	_____	»	أولا
٤٨٨ : ٢	ابن جبير	»	أمّ له
٦٨٣ : ٢	ابن بجابر	»	سبله
٣٧٣ : ٧	» »	»	أفعاله
١٩٣ : ١	المخزومي الأعمى	»	أذيالها
٣٦٢ : ٢	أبو العتاهية	»	أذيالها
٥٥٥ : ٣	خلف بن هارون	»	أهوالها
٢٣٢ : ٥	فخر الدين الرازي	الطويل	ضلال
٢٧ : ١	_____	»	يقول
٨٢ : ٢	ابن حزم	»	ويقول
٩٧ : ١	ابن عنين	»	عذول

٨٧ : ٤	ابن درّاج	الطويل	ويهل
٢٩٢ : ٧	عبد الله بن لسان الدين	»	وقبول
٩٦ : ١	الصفدي	»	سبيل
٥٢٨ : ١	_____	»	قليل
٢٨٥ : ٦	_____	»	قليل
٤٠٢ : ٢	ابن عنين	»	ظليل
٤٥٤ : ٣	ابن عبدون	»	وتسهيل
٤٥٥ : ٣	ابن مالك	»	وتسهيل
٣١٧ : ٤	ابن الغماز	»	جميل
٣٤١ : ٤	ابن صالح الكنتاني	»	سبيل
٤٦٥ : ٥	عبد المهيمن الحضرمي	»	كليل
١٨٧ : ٦	ابن خلدون	»	منيل
١٦ : ١	_____	»	ويحاول
٤٤٥ : ١	ابن منقذ	»	ساحل
٨٤ : ٢	أبو الوليد الباجي	»	شمائل
١٠٩ : ٤	ابن عبد الصمد	»	والشمائل
٣٥٩ : ٢	المتنبي	»	المتطاول
٧٠٢ : ٢	ابن الأزرق الغرناطي	»	البلابل
٤٦٧ : ٣	ابن الأبار	»	المواطن
٤٨٣ : ٣	أبو الصلت أمية	»	مقاتل
١٠٧ : ٤	ابن الرفاء	»	دلائل
١٩٤ : ٤	_____	»	قابل
٢٢٣ : ٧	ابن زمرك	»	الأنامل
٣٧٤ : ٧	أبو جعفر الإلبيري	»	منازل
٣٦٦ : ٣	زهير بن أبي سلمى	»	والبلد
٣٧٠ : ٣	(رفيع الدولة ابن صمادح	»	الأصل
١٨٣ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	الجهل

٢٢١ : ٤	المعتمد بن عباد	الطويل	كبل
٣٠٨ : ٤	محمد بن الحسن المنحجي	»	الشمْلُ
٣١٤ : ٦	ابن الفارض	»	عقلُ
٣٢٣ : ٦	_____	»	الهول
٣٥٧ : ٧	ابن جابر	»	الذل
٥٣٠ : ٢	شهاب الدين ابن فرح	»	ومسلسل
٣٤١ : ٣	محمد بن أيوب المرواني	»	يسفل
٥٨٩ : ٣	الأقرع المرواني	»	المؤمل
٤٨١ : ٥	أبو البركات ابن الحاج	»	فتقبل
٢٢٤ : ٧	ابن زمرك	»	جلاله
٤٩٤ : ٦	لسان الدين	»	اعتلاله
١٠٧ : ٣	أبو الربيع الموحدي	»	رسائله
٣٣٣ : ٤	سلام المالقي	»	دلائله
٣٦ : ١	ابن مماتي	»	اتصالها
٦١٥ : ٣	ابن المعتز	المديد	إجمال
٦١٥ : ٣	غانم المخزومي	»	الحال
١٨٦ : ١	_____	»	الرحل
٩٤ : ٢	أبو حفص الهوزني	»	علّ
٣٦٨ : ٧	ابن جابر	»	عسل
٤٦٧ : ٦	لسان الدين	»	محمله
١٨٧ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	البسيط	يختالُ
٥٦١ : ٥	ابن ليون	»	قالوا
٣١٣ : ٦	_____	»	إبلال
٣٧٠ : ٧	ابن جابر	»	مال
٣٢ : ١	_____	»	محمول
٥٨١ : ٢	أبو حيان	»	متبول
٧١ : ٣	عبدة بن الطيب	»	مناديل

٣٩٣ : ٦	حنديج المري	البسيط	صول
١٨٥ : ١	ابن بدرون	»	والعدل
٦٧٧ : ٢	القطامي	»	الطيل
٥٥١ : ٣	أبو أيوب ابن أبي أمية	»	وتتصل
٥٧٣ : ٣	محمد بن هشام المرواني	»	الحلل
٩٥ : ٤	_____	»	الطلل
١٢٥ : ٤	أبو الاصينغ ابن رشيد	»	ينهمل
٣٠٤ : ٤	_____	»	مقل
٢٦٣ : ٥	_____	»	رجل
٣٣٩ : ٥	المقري الجلد (أو غيره)	»	تمثل
١٠٤ : ٦	أبو محمد الأزدي	»	بدل
٢٣١ : ٦	ابن خاتمة	»	دول
٣٣٢ : ٦	_____	»	والكسل
٤٢٨ : ٦	لسان الدين	»	العمل
٢٨٨ : ٣	أبو الحسين ابن مظفر	»	يكمله
٤٦٤ : ٣	أبو بكر ابن مالك	مخلع البسيط	والغزال
٣٦٩ : ٧	ابن جابر	»	الجمال
٢٤٥ : ٣	أبو عامر ابن شهيد	»	نبيل
٢٦٨ : ٦ ، ٥٠٦ : ٣	ابن براق	»	يطول
٤٤٢ : ٥	ابن الحياض	»	الكفيل
٥٣٧ : ٥	ابن خاتمة	»	عليل
٤٩٧ : ٥	أبو زكريا ابن هذيل	الوافر	اكتها
٣٠١ : ٦	_____	»	الضلال
١١٠ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	الرجال
١١٠ : ٧	المعري	»	الجمال
٥٠٣ : ١	ابن فرج الإلبيري	»	الطلول
٥٢٥ : ٢	أبو بكر ابن عطية	»	لا يزول

٤٩٧ : ٣	الكتندي	الوافر	الأصيل
١٧٨ : ٤	حفصة	»	يميل
٢٩٧ : ٤	ابن قزمان	»	القليل
٣١٥ : ٤	الحجاري	»	ثقليل
١٢٤ : ٤	»	»	الرحيل
١١١ : ٦	ابن الحاج الغرناطي	»	الذميل
١٦٣ : ٧	ابن عنمة الضبي	»	صقيل
٣٢٨ : ٦	أبو العتاهية	مجزوء الوافر	مناهله
١٣٩ : ٢	ابن سعدون	الكامل	استئصال
٣٤٤ ، ٢٠٢ : ٣	ابن خفاجة	»	مكسال
٤٣٨ : ٣	الغزال	»	مقال
٤٠٩ : ٢	المشد	»	النيل
٢٠١ : ٣	ابن خفاجة	»	ظليل
٥٦٢ : ٥	ابن ليون	»	مدخول
٤٢ : ٣	عبد الرحمن الداخل	»	الداخل
١٢١ : ٣	الفكيك	»	باخل
٢٥٩ : ٢	الغزال	»	موكل
٦٩٦ : ٢	الراعي الغرناطي	»	يكمل
١٢١ : ٣	الفكيك	»	تتنزل
٤٦٩ : ٣	أبو بكر ابن زهر	»	أنوصل
٥١٧ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	»	متأمل
٥٦٧ : ٣	ابن مهران	»	تقتل
١٣٣ : ٤	ابن سعيد	»	يجهل
١١٣ : ٦	أبو بكر ابن عبد الملك	»	تتنقل
١٨٨ : ٦	ابن خلدون	»	معدل
٢١٥ : ٦	ابن الصباغ	»	ويميل
٣٠١ : ٦	_____	»	وضلل

٤٧٨ : ٦	لسان الدين	الكامل	يسألُ
٥٠٣ : ٦	» »	»	المقتلُ
٢٠٦ : ٧	ابن زمرك	»	يتهلل
٢١٠ : ٧	» »	»	ومهلل
٢٢١ : ٧	» »	»	المتزل
٣٤١ : ٧	الكفعمي	»	تنزل
٨ : ٤	سهل بن مالك	»	حاله
٢٣١ : ٣	—————	»	مفاصله
٢٥ : ١	أبو محمد السراج	الكامل المجزوء	تستهل
٥٠٧ : ٣	ابن عذرة	»	أقول
٥٥٠ : ٥	ابن ليون	»	تغافل
٩٣ : ١	المقري	الرملي	ذميل
١٢١ : ٢	ابو الوليد ابن الجثنان	»	وصلوا.
٥٧٣ : ٥	ابن ليون	مجزوء الرمل	نخبال
٢٩٧ : ٥	—————	»	سبيل
٥٨٠ : ٥	ابن ليون	»	كماله
٦١٧ : ٣	الناصر عبد الرحمن	السريع	الطولُ
٦١٨ : ٣	أبو القاسم لب	»	الطولُ
٦١٨ : ٣	عبد الملك بن جهور	»	ومحبول
١٨٦ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	مجهول
٥٠٠ : ١	عمر بن أبي ربيعة	»	آهل
٥٧٦ : ١	منذر بن سعيد	»	تمهل
١٦٨ : ٦	لسان الدين	»	والهزل
١٧٨ : ٦	—————	»	أسفله
٣٨٤ : ٣	ابن الطراوة	»	أفعاله
٦٠٩ : ٣	ابن عمار (والقصا ب)	المنسرح	زولوا
٥٨١ : ٣	مسلمة بن محمد	الخفيف	زوال
٣٠ : ١	المقري المؤلف	»	وعويل

١٢١ : ٢	أبو الوليد ابن الجنان	الخفيف	يجول
٤٢٥ : ٣	إبراهيم الحجاري	»	العدول
٢٧٠ : ٦	الشهرزوري	»	الدليل
٣٦٨ : ٧	ابن جابر	»	أحول
٢٦٣ : ٢	ابن سعيد	»	قائل
١٠٨ : ٢	أبو الصلت أمية	»	ثقله
١١٦ : ٣	أبو الفضل البغدادي	المجث	الجمال
٦٨٠ : ١	ابن جابر	»	طويل
٥٦٠ : ٥	ابن ليون	»	جميل
١٢٤ : ٢	علي بن أحمد القادسي الكتاني	»	يطل
١٨٨ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	المتقارب	حائل
٣٦٤ : ٢	المتنبي	»	ما يقتل
٢٩٦ : ٣	أبو عمران المارتي	»	أنزل
٥٧٦ : ٥	ابن ليون	»	تسترذل
٤١ : ٧	عز الدولة ابن صمادح	»	كبول
٤١ : ٧	المعتصم بن صمادح	»	يسيل
٣٧٦ : ٧	أبو جعفر الإلييري	»	الخليل
٩٠ : ٢	أبو بكر الطرطوشي	المتدارك	فاعملوا
٢٣ : ١	_____	الطويل	شمالي
١١٣ : ٢	أبو الوليد ابن الجنان	»	وعداي
٤٥٤ ، ٢٩٣ : ٣	ابن عبدون	»	حال
٦٧٧ : ٢	امرؤ القيس	»	الخال
١٩٧ : ٣	» »	»	حال
١٧٦ : ٦	» »	»	إذلال
٥١٨ : ٥	أبو بكر ابن جزي	»	البالي
١٧٩ : ٦	_____	»	بالي
١١٧ : ٧	ابن الحاج الفرناطي	»	إمهال

نحوي	الطويل		
العليل	»	أبو محمد ابن جزري	٢٩ : ١
محل	»	القاضي الرشيد	٥٤٠ : ٥
أهلي	»	شاعر الحماسة	٦٣ : ١
الأهل	»	ابن سعيد (؟)	٦٣ : ١
الويل	»		٢٧٨ : ٢
وصل	»	ابن عربي	١٣٩ : ٤ ، ١٨٣ : ١
الحصل	»	مصطفى بن محب الدين	١٦٣ : ٢
النخل	»	عبد الرحمن الداخل	٤٤٢ : ٢
العذل	»	الفكيك	٥٤ : ٣
أحلي	»	عز الدولة ابن صمادح	١٢٠ : ٣
بالجهل	»	ابن الغماز البلنسي	٣٦٨ : ٣
النحل	»		٣٣٩ : ٤
النمل	»	ابن مرج الكحل	٥٠١ : ٤
والسهل	»	لسان الدين	٥٤ : ٥
قبلي	»	جميل بثينة	١٧٣ : ٦
الشماثل	»		٣٩١ : ٦
بمعزل	»	مطرف	٧٧ : ١
وباطل	»	منذر بن سعيد	١٦٠ : ١
المعاقل	»	عبد المنعم المالقي	٣٧٣ : ١
كالسجنجل	»		٩٩ : ٢
القرنفل	»	امرؤ القيس	٦٧٤ : ٢
مزمل	»	»	٦٨٤ : ٢
معول	»	»	١٩٠ : ٥
ومتزل	»	ابن جابر	١٧٩ : ٦
ومتزل	»	حازم القرطاجني	٦٨٦ : ٢
أصائل	»	الحكيم المصري	٥٢٠ : ٥
			١١٨ : ٣

١٧٧ : ٤ ، ٢١٨ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	الطويل	مؤمل
٥٧١ : ٣	_____	»	القبائل
١٤٠ : ٤	ابن الحمامة	»	الجمائل
٢٩١ : ٤	مريم بنت أبي يعقوب	»	المهلل
١٩٠ : ٥	_____	»	ترحل
١٥٠ : ٦	أبو يحيى ابن عاصم	»	عاطل
٢٦٣ : ٦	ابن المتأهل العلوي	»	للمتأهل
٢٦٥ : ٦	التوت	»	بلابل
٥١١ : ٧	أبو زيد الفازلي	»	ودلائل
٥٠٦ : ٦	لسان الدين	»	خياله
٤٨٦ : ١	عبادة	»	رسوله
١٢١ : ٦	النباهي	»	رسله
٤٣ : ٦	لسان الدين	»	اعتلالها
٤٤ : ٦	ابن رضوان	»	منامها
٦٥ : ١	_____	البيسط	بالغالي
٤٦٢ : ٣ ، ٥٩٦ : ٢	أبو القاسم القبتوري	»	وآمال
٤٧٩ : ٥	أبو العباس الشريف	»	آمال
٢٣٥ : ٣	ابن وهبون	»	بال
٤٧٩ : ٥	أبو البركات ابن الحاج	»	ترحال
٥٤٧ : ٥	ابن ليون	»	قال
٣٣ : ٦	_____	»	حال
٥٤٦ : ٥	ابن ليون	»	فعل
١٨٧ : ٣ ، ١٧٨ : ١	_____	»	فقل
٥٨٢ ، ٥٨١ : ١	أبي ابن أبي الحباب	»	والظلل
٦٢٥ : ١	المعتمد بن عباد	»	الدول
٤٩١ : ٢	ابن جبير	»	العسل
٢٢٧ : ٣	ابن حبيش	»	واحتمل

الحمل	الحميل	الأنفخش القبذاقي	٣ : ٣٨٧
الحمل	»	أبو عامر ابن الحمار	٤ : ١٣ ، ١٤٠
أمل	»	ابن نباتة	٣ : ٤١١
أملي	»	الأعلم الشنتمري	٤ : ٧٥
البدل	»	ابن سهل	٣ : ٥٢٥
والقبيل	»	أبو عامر ابن الجلد	٤ : ٧٠
البخل	»	ابن خلصة الكفيف	٤ : ١٠٠
الرسل	»	_____	٤ : ١٧٢
جبل	»	القص	٤ : ٢٠٠
تسل	»	مريم بنت أبي يعقوب	٤ : ٢٩١
الحلل	»	_____	٤ : ٢٩١
مثل	»	ابن وضاح	٤ : ٣١٠
وجل	»	أبو سعيد المخزومي	٤ : ٥٤٦
للحمل	»	محمد بن جهور	٥ : ٥٥
للحمل	»	ابن مرج الحمل	٥ : ٥٥
كالحمل	»	المتنبي	١ : ٥٥٧
بالحلل	»	»	٥ : ٣١٥
المطلل	»	»	٦ : ٣١١
بالقل	»	عبد المؤمن (وابن عطية)	٥ : ١٨٦
الأول	»	أبو عبد الله ابن جزى	٥ : ٥٣٨
زلل	»	ابن ليون	٥ : ٥٧٠
ومرنحل	»	أبو سلطان الغرناطي	٦ : ١١٣
ولي	»	لسان الدين	٦ : ٤٩٧
مقتبل	»	أبو زكريا ابن خلدون	٦ : ٥١٦
الأول	»	أبو جعفر الإلييري	٧ : ٣٧٥
متبدل	»	الرصافي البلنسي	٣ : ٢٠٣
بيالي	مطلع البسيط	المنازي	٢ : ٦٥

٣٠٤ : ٣	أبو عمرو القبطي	خلع البسيط	حالي
٤٨٣ : ٣	أبو الصلت أمية	»	الجلال
٤٨٢ : ٦	لسان الدين	»	الهزال
٦٠ : ٤	ابن خفاجة	»	مطلّ
١٩ : ٤	_____	»	زلالك
٥٧٤ : ٥	ابن ليون	»	اعتماله
١٢٠ : ١	ماميه الرومي	الوافر	كانخيال
٤٢١ : ٦	المتنبي	»	خيال
٥٠١ : ٤ ، ٤٦٦ : ٢	»	»	للهلل
١٩٠ : ٤	»	»	السنجال
٦١٤ : ٣	المعتمد بن عباد	»	بالهلل
١١٤ : ٢	الحميدي	»	وقال
٣٢٣ : ٢	المستنصر	»	النوال
٤٥٨ : ٢	_____	»	الشمال
٥٦٧ : ٢	أبو حيان	»	السؤال
٣٠٧ : ٣	أبو جعفر ابن طلحة	»	بالقوالي
٣٤٦ : ٣	_____	»	الجمال
٦١٤ : ٣	ابن مرزقان	»	المعالي
١٧ : ٤	ابن أبي العافية	»	طوال
١٧ : ٤	ابن العطار القرطبي	»	كاللآلي
٦٥ : ٤	ابن عبدون	»	جلال
٣٧٢ : ٧ ، ٣١٧ : ٤	أبو إسحاق الإلييري	»	حالي
٤٧٥ : ٦ ، ١٦٦ : ٥	لسان الدين	»	حال
٥٠٨ : ٦	»	»	حالي
٤٦٦ : ٤	أبو فراس الحمداني	»	الحجال
٥٤٢ : ٤	_____	»	بالرجال
٦٦٩ : ٢	ابن جابر	»	الرجال

٣٥٩ : ٦	ابن جابر	الوافر	كالغزال
٥٥٣ : ٥	ابن ليون	»	بالكمال
٢٣٧ : ٧	ابن زمرك	»	الجلال
٥٩٥ : ٢	خلف القبتوري	»	أسيلي
٥٠٥ ، ١٤١ : ٤	المتني	»	دليل
٣١ : ٦	_____	»	العليل
٤٦٤ : ٦	لسان الدين	»	الخليل
٥٠٤ : ٧	أبو اليمن ابن عساكر	»	الغليل
٩٠ : ٦	محمد بن عبد الملك المراكشي	»	بفضله
٣٤٧ : ٤	ابن خاتمة	»	عقاله
٤٧ : ١	_____	مجزوء الوافر	النجمل
٣١٥ : ١	أبو المطرف	الكامل	جوال
٣٩٣ : ١	عبد الملك بن سعيد المرادي	»	بتوالي
٦٧٠ : ١	ابن زيدون	»	قتال
٢٥٦ : ٣	ابن قلافس	»	صالي
٥٠٣ : ٣	أبو عبد الله ابن الخداد	»	الحال
٥٣٨ : ٣	هلال البياني	»	بالآمال
٣١٨ ، ٨٦ : ٤	أبو إسحاق الإلبيري	»	الجهال
٣٤١ : ٤	أيمن بن محمد الفرناطي	»	ووال
٢٠١ : ٥	أبو محمد ابن هارون	»	الآل
٥٣٨ : ٥	ابن أبي دلالة	»	الأحوال
١٠١ : ٦	ابن مشرف الأمي	»	كمال
٣٠٩ : ٦	لسان الدين	»	الأهوال
٤٨٥ : ٦	»	»	المال
٣٣١ : ٦	_____	»	العالي
٧١ : ٣	الرمادي	»	عويلي
٣٧٦ : ٧	أبو جعفر الإلبيري	»	برسول

٢٩ : ٢	امروؤ القيس	الكامل	شكلي
٦٠ : ٣	عبد الملك المرواني	»	الأهل
١٥ : ١	_____	»	لم يحلل
٣٩ : ١	إبراهيم بن عبدون	»	صقيل
٧٤ : ١	_____	»	محجل
١٢٣ : ٢	أبو الوليد ابن الجنان	»	المقبل
٦٥٣ : ٢	أبو بكر الرصافي	»	المسبل
١٢٨ : ٧	المزدغي	»	المسبل
٤٩٥ : ٧	ابن العطار الجزائري	»	المسبل
٦٧٢ : ٢	_____	»	الأعزل
٨٢ : ٣	صاعد البغدادي	»	مدلل
٣٤١ : ٣	المطرف المرواني	»	مبدل
٣٤٢ : ٣	جرير	»	أفعل
١٥٧ : ٤	ابن عائشة	»	للمتأمل
٢٩٣ : ٤	ابن ينق	»	السلسل
٢٩٣ : ٤	هند جارية الشاطبي	»	الأول
٣١٣ : ٤	أبو بكر ابن القبطرنة	»	الأول
٥٤٥ : ٤	حسان بن ثابت	»	الأول
٢٩٨ : ٦	_____	»	للأول
٣١٥ : ٥	أبو تمام	»	متزل
٥٩٦ : ٥	ابن ليون	»	تبدل
١٢٦ : ٧	محمد بن يوسف الثغري	»	والمجتلي
٣٧١ : ٧	ابن جابر	»	سائل
٦٤ : ٤	ابن لبال	»	وحلاله
٥٨٦ : ٥	ابن ليون	»	رحيله
٢٩٨ : ٤	نزهون	»	خلاخله
٦٥٢ : ١	أبو القاسم ابن العطار	»	آمالها

٣٦٨ : ٥	ابن خميس	الكامل	بباليها
٥٠٧ : ٧	أبو زيد الفاززي	»	وحجوها
٣٠٠ : ٢	_____	»	ذها
٨٥ : ١	ابن الأثير	الكامل المجزوء	بالحمول
١٤٢ : ٤	الوليد بن يزيد	»	الطويل
٥١٥ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	»	ذباله
٤٤٨ : ٢	_____	الرملي	بلجمال
٦١٩ : ٢	أبو عبد الله ابن الحكيم	»	المحال
٢٠٣ : ٣	الرصاصي البلنسي	»	الشمول
٢٦٠ : ٥	ابن الخيمي	»	جميل
١٨٢ : ١	_____	»	الأملي
٧٠١ : ٢	_____	»	البطل
٣٣٣ : ٣	النحلي	»	مهله
٢٥٩ : ٢	الغزال	مجزوء الرمل	كالحبال
٢٢٩ : ٧	ابن زمرك	»	جمال
١١٨ : ١	_____	السريع	مالي
٤٠٤ : ٢	الوداعي	»	الخاللي
٥٢٢ : ٣	ابن سهل	»	الجمال
٢٩٧ : ٤	ابن قزمان	»	وأنذال
٢٠٦ : ٤	ولادة	»	السراويل
٣٦١ : ٢	كعب بن زهير	»	وبالباطل
٩٢ : ٤	المعتمد بن عباد	»	الماطل
٥٧٢ : ٥	ابن ليون	»	الفاضل
٢٣٥ : ٦	_____	»	السائل
٣٩٣ : ٢	شمس الدين ابن الخياط	»	والفضل
٢٧١ ، ٢٦٩ : ٢	ابن سعيد	»	بالأرجل
٢٧٢ ، ٢٦٩ : ٢	ابن أبي الإصبع	»	الأكمل

ذنب لي	السريع	ولادة	٣ : ٢٠٨ ، ٤ : ٢٠٦
مستقبل	»	ابن سهل	٣ : ٥٢٦
والمدخل	»	ابن الرميحي	٣ : ٥٣٤
والمنجلي	»	أبو محمد القيسي	٤ : ٣٢٨
منزله	»	ابن ليون	٥ : ٥٩٥
حاله	»	ابن مجبر	٤ : ٣٣٦
حله	»	ابن جابر	٧ : ٣٥٤
منفصل	المنسرح	أبو إسحاق الإلييري	٤ : ٣١٧
مطلّ	»	ابن خفاجة	٣ : ٢٠٢
المفضال	الخفيف	الشريف الحصني	٢ : ٢٢٦
مجال	»	ابن جابر	٢ : ٦٦٨
بشمالي	»	ابن وهبون	٣ : ٢٦٨
لللهلال	»	حفصة	٤ : ١٧٩
الإبدال	»	أبو البركات ابن الحاج	٥ : ٤٧٣
ضلال	»	ابن ليون	٥ : ٥٥٧
خيال	»	أبو يحيى البلوي	٦ : ٦١
الليالي	»	لسان الدين	٦ : ٤٨٤
وحوال	»	»	٦ : ٤٨٦
الأصيل	»	حاتم بن سعيد	٣ : ٥١٢
الجميل	»	ابن ليون	٥ : ٥٩٣
محول	»	لسان الدين	٦ : ٤٧ ، ٥٠١
رجلي	»	أبو وهب الزاهد	٤ : ١١٤
ورحلي	»	_____	٦ : ٣١٣
كيل	»	ابن جابر	٧ : ٣٦٨
بوصل	»	»	٧ : ٣٧٠
لسيله	»	ابن ليون	٥ : ٥٦٣
المعالي	المجتث	أبو بكر ابن سعيد	٢ : ٣٣١ ، ٣ : ٦٢

٥٦١ : ٣	المقتدر بن هود	المجث	مبالي
٥٦٢ : ٣	يحيى بن يطف	»	اغتيال
٢١ : ٤	أبو العباس القيجاطي	»	جلال
٣٠٥ : ٤	ابن المناصف	»	جلال
٢٣٠ : ٧	ابن زمرك	»	الهلل
٣٣٩ : ٣	بكار المرواني	»	نحولي
٥٩٤ : ٥	ابن ليون	»	بميل
١٥٥ : ٤	أبو جعفر الغساني	»	كمالك
٤٨١ : ٦	لسان الدين	المتقارب	النرال
٤٨٤ : ١	ابن دراج	»	الدليل
٤٨٧ : ٢	ابن جبير	»	الخليل
٤١٨ : ٥	ابن مرزوق الخطيب	»	بالحميل
٢٩٠ : ٧	عبد الله بن لسان الدين	»	الطلول
٣٥٧ : ٢	_____	»	بالعاجل
٦٠٤ : ٢	ابن عياش الكنافي	»	الداخل
١١٨ : ٣	أبو الفضل البغدادي	»	القاتل
٣١٤ : ٥	المتنبي	»	الناقل
٥٠٣ : ٦	لسان الدين	»	الماطل
٨٦ : ٢	أبو بكر الطرطوشي	»	يشكل
٤٢٨ : ٣	حيب	»	بالمؤتلي

قافه الميم

٤٦٢ : ٤	_____	الطويل	انهم
٣٥٥ : ٧	ابن جابر	»	العم

٤٤٦ : ٣	أبو عمرو ابن أبي محمد	الطويل	بينهم
٥٧١ : ٥	أبو الوليد الباجي	مخلع البسيط	النائم
٥٠٩ : ٦	ابن ليون	الوافر	لازم
٥٥ : ١	لسان الدين	»	دم
٥٥ : ١	—————	الكامل المجزوء	الأنام
٢٧١ : ٣	ابن زيدون	»	النسيم
٣٣٧ : ٣	ابن ليون	»	الكريم
٣٣٧ : ٣	بكار المرواني	»	عدم
٤١٧ : ٢	المقري	»	المعالم
٤١٨ : ٢	ابن شاهين	»	يقاوم
٤٦٤ : ٦	لسان الدين	»	مظلم
٤٧٠ : ٦	» »	الرمل	احتكام
٥٥٥ : ٥	ابن ليون	»	يصم
١٩٨ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	مجزوء الرمل	معلم
٦٩ : ١	البدري بن حبيب	السريع	السلام
٤٨٤ : ٣	ابن شبلق الحضرمي	»	السلام
٤٤٧ : ٢	المقري	»	الحيام
٤٤٧ : ٢	عبد الرحمن العمادي	»	الهمام
٥٣٨ : ٢	الصفدي	»	الأنام
٧٤ : ٥	صفوان بن إدريس	»	الأنام
٢٤٢ : ٣	ابن مغيث	»	الحمام
٥٩٥ : ٣ ، ١٨١ : ١	أبو عبد الله المنصفي	»	مقيم
٣٣٦ : ٤	أبو الحجاج المنصفي	»	مقيم
٣٦٩ : ٢	الملك الناصر	»	مقيم
٣٠٤ : ٣	أبو المعالي القيجاطي	»	التدبير
٣٨٩ : ٣	ابن مسعود البجاني	»	الحليم
٤٥٢ : ٥	ابن الحبيب	»	التدبير

٥٧٠ : ٥	ابن ليون	السريع	السموم
٢٧٩ : ٦	_____	»	كريم
١٢٦ : ٤	ابن المبارك الحبيبي	»	الكرم
٥٥٩ : ٥	ابن ليون	»	يهتضم
١٥٩ : ٤	يحيى السرقسطي	»	أعمالكم
٩٥ : ١	_____	الخفيف	عنهم
٥٨٢ : ٣	سعيد بن فرج	»	لازم
٥٣٨ : ٣	أبو مروان ابن نظيف	المجتث	كريم
٥٦٢ : ٣	المقتدر بن هود	»	الصوارم
٤٨٥ : ٢	ابن الصائغ	»	إليكم
٥٥٥ : ٥	ابن ليون	»	أسلم
٥٣٥ : ٣	أبو جعفر ابن عباس	المتقارب	حرام
١٦٦ : ٢	ابن خروف	»	الحرم
٣٥٩ : ٢	_____	»	ثم
٣٦٦ : ٢	الغساني وابن سعيد	»	الغنم
٤٩٢ : ٢	ابن جبير	»	المهرم
٦٩٦ : ٢	الراعي الغرناطي	»	الدمم
٥٤٧ : ٣	أبو جعفر اللماي	»	سلم
١٠٣ : ٤	القزاز	»	العدم
٤١٨ : ٥	ابن مرزوق الخطيب	»	العدم
١٦٥ : ٤	ابن أضحى	»	العلم
٤٤٢ : ٥	ابن الجياب	»	قدم
١٧٨ : ٦	_____	الطويل	زكاما
٤٦٤ : ٢	المتني	»	وصما
٧٧ : ٧	المنصور الذهبي	»	وصما
٣١ : ١	_____	»	تقدما
٦٠٣ : ١	المصحفي	»	قيما

١٧٥ : ٢	محمد الكلنشي	الطويل	همى
٢٧٠ : ٢	ابن سعيد	»	فأنهى
٣٣٢ : ٢	أبو العباس الغساني	»	ترنما
٣٦١ : ٢	المرقش الأصغر	»	لائما
٣٦٣ : ٢	_____	»	لأخدا
٤٤٩ : ٢	عبدة بن الطبيب	»	تهدأ
٤٥٤ : ٢	_____	»	تتضمر
٥٧٠ : ٢	أبو حيان	»	تعلما
١٥٤ : ٧	ابن زمرك	»	تعلما
٢٤٠ : ٧	» »	»	دائما
٦١٢ : ٢	ابن فرسان	»	ظما
٦٥٧ : ٢	أبو إسحاق الساحلي	»	ظما
٤٥٠ : ٣	ابن خفاجة	»	معلما
٥٦ : ٤	يزيد ابن أبي خالد	»	عوما
١٣٣ : ٤	حبلاص الرندي	»	ملثما
١٤٣ : ٤	أم الصريح	»	تصرما
٢٥٧ : ٤	ابن اللبانة	»	مختما
٣١٢ : ٤	ابن حبيش	»	مداكما
١٦٣ : ٥	_____	»	وتكلما
٤٩٩ : ٦	لسان الدين	»	فاطمه
٥٤٥ : ٢	بهاء الدين الخيمي	»	كأمتها
٤٩٧ : ٥	ابن هذيل	»	عظامها
٩١ : ١	المقري	البيسط	دما
٤١٥ : ٣	ابن الزقاق	»	دما
٩٥ : ١	ابن آجروم	»	بينهما
٤٢ : ٧ ، ٣٦٩ : ٣	ابن اللبانة	»	الكرما
٩٧ : ٤	ابن اللبانة	»	عظما

السأما	البسيط	ابن مرتين	٤٧٤ : ٣
حكما	»	أبو عامر البرياني	١١٦ : ٤
لَمَى	»	أبو محمد الأزدي	٢٥٦ : ٦
علما	»	عز الدولة ابن صمادح	٤٣ : ٧
أقدمه	»	_____	٤٥٠ : ٢
نجوم	مخلع البسيط	ابن عائشة	١٥٧ ، ٥٤ ، ١٤ : ٤
لمّا	»	أبو بكر الزبيدي	٣٩ : ٧
حساما	الوافر	ابن سعيد	٢٧٠ : ٢
لناما	»	_____	٣١ : ٦
توأما	»	ابن الحاج الغرناطي	١١٥ : ٧
هيما	»	أبو أمية ابن عفير	٣١٢ : ٣
الكرامه	»	البدر بن حبيب	٣٩٠ : ٢
السلامه	»	_____	٣٤٢ : ٤
الإقامه	»	ابن خاتمة	٤٨٢ : ٥
الغرامه	»	ابن ليون	٥٦٥ : ٥
كريمه	»	ابن حبيش	١٤٦ : ٤
غماما	الكامل	لسان الدين	٤٦٧ : ٦
نجوم	»	ابن الأعلم	٣٣ : ٤
عظيما	»	عبد الله بن لسان الدين	٢٩٨ : ٧
تعظيما	»	جمال الدين الجوزي	٤٧٠ : ٧
صميما	»	ابن الجنان	٤٤٠ : ٧
تصريما	»	الحائك الأمي	١٨ : ١
معلما	»	المعتمد به عباد	٣٧٣ : ٤
أثقدما	»	المقري الجحد	٣١٨ : ٥
دائما	»	ابن جابر	٣٥١ : ٧
همّة	»	ابن ليون	٥٤٧ : ٥
جرمها	»	إسماعيل اليهودي	٥٣٠ : ٣

٥٣٠ : ٣	قنموثة بنت إسماعيل	الكامل	جرمها
٣١٠ : ٦ ، ٧ : ١	المقري	الكامل المجزوء	ملازمه
١٤٩ : ٥	لسان الدين	»	السلامه
٣٥٧ : ٣	مهيار	الرمل	أماما
٤٩٠ : ٥ ، ٣٥٧ : ٣	يحيى بن هذيل	»	الخزامي
٣٥١ : ٧	ابن جابر	»	والسلا
٥٨٤ : ٥	ابن ليون	مجزوء الرمل	حتما
٥٧٠ : ٥	» »	»	السلامه
٥٥١ : ٥	» »	»	لنعمه
١٢٨ : ٦	سعيد الفناطي	السريع	إفحاما
٤٨٣ : ٣	أبو الصلت أمية	»	دما
٢١٧ : ٤	المعتمد	»	ترحما
٧٤ : ٧	المنصور الذهبي	»	السما
٤٣٠ : ١	المرتضى المرواني	»	النظما
٥٨٢ : ٢	يونس المغربي	»	النعمه
٢٣ : ٤	_____	»	ملازمه
٢٨ : ٧	ابن الصائغ	»	مه
٦١٦ : ١	أبو محمد ابن غالب	المنسرح	الكرما
١٤٢ : ٣	_____	»	الحرما
٢٠ : ١	علي الوداعي	»	تقدمه
٤٠٦ : ١	المنصور بن أبي عامر	الخفيف	المقاما
٢٢٥ : ٣	أبو عمرو البجلي	»	النيا
٥٧٦ : ٥	ابن ليون	»	مستداما
٧٨ : ١	_____	»	هشما
١٢٣ : ٢	أبو محمد القرطبي	»	رحيما
٥٠٥ : ٣	أبو عبد الله ابن الحداد	»	سليما
٤٥٠ : ٥	ابن الحيا	»	عموما

٥٥٥ : ٥	ابن ليون	الخفيف	الحميما
٥٥٨ : ٥	»	»	قويما
٥٧٩ : ٥	»	»	سليما
٦٠ : ١	المقري	»	شامه
٦٠ : ١	»	»	احتشامه
٥٤٧ : ٥	ابن ليون	»	المستدامه
٥٨١ : ٥	»	»	كرامه
٥٨٨ : ٥	»	»	السلامه
٦٨١ : ٢	ابن جابر	»	سهجه
٢٦٤ : ٦	ابن باق	»	قلمه
٤٤٤ : ٦	_____	»	ثمه
٣١ : ٦	لسان الدين	مجزوء الخفيف	عائمه
٣٣ : ٦	»	»	خائمه
٣٨٨ : ٣	المنفل	المجتث	أعمى
٤٧٦ : ٣	ابن طلحة الإشبيلي	»	تمّا
٣٥١ : ٢	_____	»	غمامه
١٧٣ : ٤	حفصة الركونية	»	الامامه
١٧٣ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	علامه
١٦٦ : ٧	ابن زمرك	»	الكرامه
٩٠ : ٢	أبو بكر الطرطوشي	المتقارب	بهيمما
٤٣٣ ، ٢٤٧ : ٣	ابن زهر	»	عمى
٣٤٣ : ٤	_____	»	مأثما
٣٤٣ : ٤	_____	»	يسأما
٤٦٣ : ٣	ابن الحاج	الطويل	أوام
٥١٧ : ٥	ابن جزى	»	غرام
٨١ : ٧	المنصور الذهبي	»	مقام
٢٧ : ١	_____	»	وسيم

٥٩ : ١	_____	الطويل	قديم
٩٨ : ١	_____	»	يريم
٣٠١ : ٤ - ٦٠٠ : ٣ - ٦٥١ : ١	ابن العطار	»	نجوم
٢٢٨ : ٣	ابن السيد البطليوسي	»	ريم
١٥٨ : ٤	ابن سفيان	»	مقيم
٢٣٧ : ٦	ابن مقاتل المالقي	»	كليم
٤٨١ : ٥	_____	»	كريم
١٠٠ : ١	_____	»	غمائم
١٧٨ : ١	ابن سعيد ووالده	»	يتبسم
٤٧٤ : ١	والد ابن سعيد	»	يسم
٣٢٠ : ١	_____	»	تبسم
٣٧١ : ٣	أبو جعفر ابن صمادح	»	يسلم
٤٦٨ : ٢	ابن أبي بكر الصديق	»	سالم
٥٤٣ : ٢	أبو حيان الجلياني	»	مراهم
٥٤٦ : ٢	» » »	»	ناعم
٦٠٠ : ٢	ابن لفرند	»	لديكم
٦٨٤ : ٢	ابن جابر	»	عزم
١٠٢ : ٣	المتنبي	»	العرمرم
٢٦٨ : ٣	»	»	عوم
١١٩ : ٣	الفكيك	»	يعظم
١٥٣ : ٣	_____	»	المتيم
١٥٤ : ٣	أبو بكر ابن هذيل	»	خيموا
٢٢٧ : ٣	ابن برطله	»	أعظم
٢٤٢ : ٣	ابن أمية البلنسي	»	احزم
٢٩١ : ٣	ابن الزقاق	»	براسم
٤٣٩ : ٣	ابن شهيد	»	كواتم
٤٧٨ : ٣	ابن العطار	»	انعم

١١٢ : ٤	_____	الطويل	منهمُ
١٣٥ : ٤	ابن العسال	»	تسجُمُ
٢٤٢ : ٦	أبو عبد الله العبدري	»	المكارم
٢٥٢ : ٥	ابن عمر	»	سالم
٨٣ : ٦	ابن سلبطور	»	تختم
١٣٤ : ٦	ابن البربري	»	خيموا
٧٤ : ٧	المنصور الذهبي	»	تضرم
٢٣٥ ، ١٩٤ : ٣	المتنبى	»	رزامه
٥٣ : ٤	ابن ماء السماء	»	عالمه
٤٤٨ : ٥	ابن جزري	»	دعائمه
٦٣٧ : ٢	الحكيم الجلياني	»	ابتناسمه
٤١٨ : ٣	غالب الحجام	»	سهامُهُ
٣٥٤ : ٦	لسان الدين	»	نسيمه
٢٩ : ١	_____	»	تضيمه
١٤٥ : ٤	أبو الحسين النحوي	المديد	ندمُ
٣٤٨ : ١	ابن المثنى	البسيط	الأنام
٩٧ : ١	_____	»	كرم
٣٦٣ : ٢ ، ١٨٣ : ١	_____	»	احتكم
٦٠١ ، ٤٠٧ : ١	المصحفي أو محمد بن حيون	»	الندم
٤٠٨ : ١	المنصور بن أبي عامر	»	الكرم
٦٠١ : ١	عبد الملك الجزيري	»	الكرم
٦٩٠ : ٢	ابن جابر	»	مرادهن
١٠٢ : ٣	المنصور الموحدي	»	الأكرم
٤١٢ : ٣	السميسر	»	حكّموا
٣٠٤ : ٤	محمد بن سعيد الأندلسي	»	ألم
٥٤٩ : ٥	ابن ليون	»	الندم
٥٧٩ : ٥	» »	»	ينحتم

٥٨٥ : ٥	ابن ليون	البيسط	يهتضم
٤١٧ : ٦	لسان الدين	»	الظلم
٣٣٨ : ٧	ابن جابر	»	يقاومه
٥٧٢ : ٥	ابن ليون	»	يفهمه
٣٤٩ : ٢	ابن سعيد	محل البسيط	الظلام
٤٢٠ : ٣	ابن عريف	»	النجوم
١١٨ : ٤	أبو محمد الطائي	»	الإمام
٣٠٩ : ٤	أبو محمد الكلاعي	»	الإمام
٨١ : ١	—————	الواقر	مدام
٥٣ : ٥	ابن مرج الكحل	»	مدام
٣٨٤ : ٢	ابن جبير	»	الشام
٤٥٨ : ٢٠٣ : ٣	ابن بسام	»	التمام
٢٤١ : ٢٠٩ : ٣	ابن عمر القرطبي	»	المدام
٥٧٩ : ٣	يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط	»	عظام
٤٥٤ : ٥	ابن الحياض	»	الكرام
٢٣٧ : ٦	الشديد المالقي	»	مقام
٢٨٥ : ٦	—————	»	الكلام
٤٧ : ٧	المتنبي	»	القتام
١٥٨ : ٧	ابن زمرك	»	يرام
٧٣ : ١	—————	»	هشيم
٢١٥ : ١	—————	»	الحليم
٨٢ : ٢	ابن حزم	»	مقيم
٣٥٩ : ٢	—————	»	تلوم
٢٠٩ : ٣	ابن عمر القرطبي	»	ظلوم
٤٢٢ : ٣	أبو جامد ابن شعيب	»	نحوم
٤٤٧ : ٣	ابن زرقون	»	النجوم
٤٤٨ : ٣	ابن عياش	»	غيوم

علم	الوافر	أبو جعفر ابن طلحة	٣ : ٣٠٩
يعظمه	مجزوء الوافر	ابن ليون	٥ : ٥٦٣
ختام	الكامل	_____	١ : ١٠٧
الانشام	»	ابن العطار	١ : ٦٥٢ ، ٤ : ٣٠٢
أسام	»	ابن صالح الأنصاري المالقي	٢ : ١٤٢
الأحلام	»	أشجع السلمي	٣ : ٢٢٠
كرام	»	السهيلي	٣ : ٤٠٠
منام	»	ابن الصباغ الغرناطي	٦ : ٢٥٩
فقاموا	»	أبو العباس ابن خليل	٤ : ٣١٥
مقام	»	لسان الدين	٥ : ٨١
ندام	»	ليبد	٥ : ٢٢٥
حرام	»	_____	٥ : ٢٢٧
الأيام	»	ابن عساكر	٧ : ٥٠٤
نميم	»	_____	١ : ١٧٠
ذميم	»	ابن عميرة	١ : ٣١١
التكريم	»	الرصافي	٢ : ٣٣٥
تقوم	»	_____	٢ : ٤٥٠
إبراهيم	»	قمر (جارية ابن حجاج)	٣ : ١٤١
إبراهيم	»	ابن كسرين	٣ : ٣٩٩
المنظوم	»	الرصافي	٣ : ٤٦٧
وتقوم	»	أبو الوليد ابن حزم	٣ : ٤٧٢
نجوم	»	ابن المزعري	٣ : ٥٢٢
تلوم	»	ابن باجة	٧ : ٢٢
عنهم	»	الرشيد الأسواني	١ : ٨٨
منهم	»	_____	١ : ٢٩
يسلم	»	أبو الوليد الباجي	٢ : ٧٥
منكم	»	ابن دحية	٢ : ١٠٠

المعلم	الكامل	أبو عمران ابن سعيد	٢ : ٣٦٤
فيعلم	»	_____	٣ : ١٤٢
المغرم	»	أبو عبد الله الفارازي	٤ : ٤٦٧
يتكرم	»	اليكي	٣ : ٢٠٥
هم	»	»	٣ : ٢٠٥
يقسم	»	الطغمني	٣ : ٤٥٧
يتسم	»	»	٣ : ٤٥٧
المغرم	»	أبو جعفر ابن سعيد	٣ : ٥١٦
الأعجم	»	_____	٦ : ٣٠٢
تقدم	»	_____	٦ : ٣٠٨
هواكم	»	لسان الدين	٦ : ٥٠٤
ضرامه	»	ابن داود الحميري	٦ : ٢٣٢
المهم	الرمل	المقري الجدد	٥ : ٣٣٨
ألم	»	ابن جابر	٧ : ٣٥٩
يدوم	يجزوء الرمل	ابن الصال	٣ : ٢٠٨ ، ٢٢٨
صمخ	»	ابن طيفور	٤ : ٧٦
الغمام	السريع	العربي العقيلي	٤ : ٥٥٢
نوم	»	ابن عربي	٢ : ١٧٤
مظلم	»	أبو الوليد ابن طريف	٣ : ٤٢٩
منيسم	»	ابن الصابوني	٣ : ٥١٩
المغرم	»	أبو ذر الحشني	٤ : ٩٠
الكاتب	»	مهجة القرطبية	٤ : ٢٩٣
كترم	المنسرح	لسان الدين	٦ : ٤٨٩
قلمه	»	والد حميد الزاهد	٢ : ٣٧٨
غمام	الخفيف	_____	١ : ١٨
حرام	»	المجد بن شمس الخلافة جعفر	١ : ٢٢
إمام	»	ابن عربي	٢ : ١٦٢

٤٨٨ : ٣	ابن خفاجة	الخفيف	المدامُ
٣٥٠ : ٧	ابن جابر	»	نيامُ
٣٥٣ : ٧	» »	»	الغرام
٣٥٥ : ٧	» »	»	مستهام
٣٥٨ : ٧	» »	»	ناموا
٣٦٩ : ٧	» »	»	خيام
٥٠٥ : ٦	لسان الدين	»	الأفهام
١١٠ : ١	المقري	»	أروم
٥٦٨ : ٢	أبو حيان	»	مرحوم
٥٧٩ : ٢	» »	»	ريم
٥٧٩ : ٢	نور الدين القصري	»	تيم
٣١٩ : ٤	أبو القاسم ابن الأبرش	»	الرحيم
٦٧١ ، ٤٧٠ : ١	ابن عمار أو المصحفي	»	المشم
٦٨٨ : ٢	أبو جعفر الإلبيري	المجث	عظيم
٩ : ٤	النحلي البطليوسي	المتقارب	العالمُ
٢٣ : ٥ ، ١١٩ : ١	_____	الطويل	أحلامـ
٢٢٦ : ٢	ابن مالك	»	كلام
٣٧٣ : ٢	عبد الرحمن بن سعيد	»	حمام
٥٦٣ : ٣ ، ٦١٢ : ٢	ابن فرسان	»	إمامي
٤٨٧ : ٦	لسان الدين	»	إنعام
٤٩٦ : ٦	» »	»	بسطامـ
٨٠ : ١	_____	»	نسيم
٣٩٢ : ٣	الوحيدي	»	بنجوم
٤٠١ : ٣	السهيلي	»	معلوم
٥٠٨ : ٣	ابن نصر الأوسي	»	كريم
٥٤٩ : ٣	ابن شهيد	»	قديمي
٢٦١ : ٢	ابن ناصح الثقفي	»	الكرم

٩٣ : ٢	ابن أبي روح الجزيري	الطويل	للضم
٣٥٨ : ٢	_____	»	سلم
٥٤٣ : ٢	أبو حيان	»	المقم
٢٦ : ٤	ابن مغيث	»	عظم
٩٤ : ٤	المعتمد بن عباد	»	كلم
٤٠٢ : ٦	_____	»	وسمي
٤٨٢ : ٦	لسان الدين	»	الرسمي
١٩ : ١	محمد بن عمار	»	تثامي
٩٤ : ١	المقري	»	حالم
٣٧٧ : ٢	زينب بنت الرسعي	»	هاشم
١٨٨ : ٣	ربيعة الرقي	»	حاتم
٢٠٦ : ٣	ابن مجبر	»	اسحم
٣٦٨ : ٣	زهير	»	الدم
٤٨١ : ٥	ابن الحاج الفرناطي	»	الدم
٣٧٤ : ٣	مؤمن بن سعيد	»	قشعم
٤١٧ : ٣	غالب الحجام -	»	قوائم
٤٧٩ : ٣	مالك بن وهب	»	أسهم
٤٥٦ : ٤	_____	»	أسهم
٤٩١ : ٣	الشلوبيني	»	بقاسم
٥٣٧ : ٣	زحكون الاستحي	»	الحمام
٥٨٤ : ٣	محمد بن الناصر	»	للقم
٦٠١ : ٣	ابن وضاح	»	السواجم
١٩٤ : ٤	ابن سيد اللص	»	الجرائم
١٩٥ : ٤	» » »	»	قادم
٢١٤ : ٤	المعتمد بن عباد	»	معصم
٢٣٦ : ٤	أبو بكر عبد المعطي	»	الغمام
١٤٤ : ٦	المنتشاقري	»	الغمام

٢٥١ : ٦	أبو القاسم الحسني	الطويل	الغنائم
٣٢٩ : ٤	عبد العليم القضاعي	»	التراجم
٤٧٣ : ٤	ابن الأبار	»	الصورم
٢٤٦ : ٥	المعري	»	هاشم
٢٧٠ : ٥	_____	»	المحرم
٣٦٠ : ٥	ابن خميس	»	الكمائ
٣٨١ : ٥	_____	»	العمائم
٥٣٨ : ٥	ابن جزري	»	المكارم
١١٠ : ٦	ابن رضوان	»	الرواقم
٤٦٨ : ٦	لسان الدين	»	المكتم
١١٦ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	المنوسم
٥١٢ : ٧	_____	»	المنواتم
٢٢٦ : ٧	ابن زمرك	»	أديمه
٥٩٨ : ٥	الحلاج	المديد	عديمي
٦٧ : ١	_____	البسيط	نمام
١٧٠ : ٢	ابن جزري	»	إسلامي
٣٥٤ : ٧	ابن جابر	»	اللام
٧٧ : ١	_____	»	الكلم
٤٤٨ : ٢	عمارة اليمني	»	كلمي
٤٤٥ : ٣ ، ٦٢٢ : ١	ابن شهيد	»	ألم
١١٠ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	ألم
٢٠٣ : ٢	ابن سبعين	»	علم
٦٦٨ : ٢	ابن جابر	»	علم
٣٧١ : ٧	»	»	نيم
٥٢٨ : ٢	عبد الحق بن عطية	»	الظلم
٣٣٧ : ٤	الحميدي	»	الظلم
٦٣٨ : ٢	عرقلة الدمشقي	»	الحكم

٦٨٨ : ٢	أبو جعفر الإلبيري	البيسط	قلم
٣٢٥ : ٣	أحمد بن رضى المالقي	»	النغم
٤٤٨ : ٣	أبو بكر ابن بقي	»	أقم
٥٠٧ : ٣	أبو زكريا ابن مطروح	»	بالقلم
١٧٧ : ٤	حفصة الركونية	»	قلمي
٥٣٩ : ٣	هلال البياني	»	بدم
٤٢٧ : ٥	_____	»	دمي
٤٠٥ : ٦	إبراهيم بن المهدي	»	دمي
٥٧٠ : ٣	المتني	»	الهرم
١٤٢ : ٤	أبو دهب	»	أكرم
١٦٩ : ٤	أم العلاء الحجازية	»	تلم
٢٠٣ : ٤	ابن سيد اللص	»	الشمس
٣٤٣ : ٥	_____	»	بالقدم
٤٩١ : ٦	لسان الدين	»	قدمي
٥٦٥ : ٥	ابن ليون	»	متهم
٨٣ : ٦	ابن سلطور	»	السقم
٥٠٦ : ٧	ابن الحنان	»	النعم
٥٠٧ : ٧	»	»	النسم
٩١ : ٤	ابن صارة	مخلع البيسط	المقيم
٨٥ : ٢	أبو الوليد الباجي	الوافر	الغمام
٢٤٩ : ٣	ابن ظافر	»	الغمام
٨٥ : ٢	_____	»	للسلام
٣٥٦ : ٢	المتني	»	بابثسام
٤٩٣ : ٢	ابن جبير	»	المستهام
٣٠٥ : ٣	أبو عمران القلمي	»	الظلام
١٤١ : ٤	شداد بن الأسود	»	الكرام
٣١٤ : ٤	ابن عمار	»	الثام

٣٢٤ : ٤	ابن خميس الجزائري	الوافر	الأنام
٤٦٦ : ٤	المظفر بن الألفطس	»	المدام
٢٢ : ٧	المعري	»	السلام
٣٠٤ : ٧	ابن جابر	»	اهتمام
٣٥٨ : ٧	»	»	للغرام
٥١٨ : ٧	النواجي	»	الزحام
٥٤ : ١	ابن حجر السفلائي	»	كريم
٥٨ : ١	_____	»	الأديم
٧٤ : ١	_____	»	الرسوم
٧٦ : ١	_____	»	التظيم
٤١١ : ٢	ابن عنين	»	اللتيم
٥٦٤ : ٢	أبو حيان	»	العلوم
٣٢٣ : ٣	أبو جعفر الوقشي أو الرصافي أو ابن أم الحور	»	الكروم
٦٥ : ٤	أبو القاسم ابن أبي بكر	»	البهميم
٨٩ : ٤	ابن خروف	»	حليم
١٤٨ : ٤	_____	»	لثيم
٢٨٨ : ٤	حمدة بنت زياد أو المنازي	»	العميم
٣١٩ : ٤	_____	»	السليم
٣١٩ : ٤	ابن الأبرش	»	المظيم
٥٨٧ : ٥	ابن ليون	»	النعميم
٢٤٢ : ٢	ابن أبي الفضل المرسي	الكامل	تمام
٥١١ : ٢	منذر بن سعيد	»	يرامام
٤١٨ : ٣	غالب الحجام	»	الإيهام
٤٦١ : ٣	ابن الدباج	»	سام
٢٠ : ٤	أبو العباس ابن سعيد	»	وغرام
١٥٠ : ٤	محمد التطيلي الهذلي	»	بسهام
١٩٤ : ٤	البُستي	»	بظلام

٣٠٠ : ٤	ابن الرقاق	الكامل	الإعلام
٥٠٥ : ١	أبو عمر ابن عبد البر	»	رسوم
٥٠٢ : ٢	أبو العباس الففجومي	»	غفجوم
٥٠١ : ٦	لسان الدين	»	بالمعلوم
٦٢٢ : ١	الشريف الرضي	»	الأزم
٣٤٦ : ٢	الرصافي	»	النجم
١٤١ : ٣	_____	»	الحم
٦١٥ : ٣	أبو المتاهية	»	الجسم
٦١٥ : ٣	عبيد الله بن فرناس	»	النظم
٢٠٧ : ٤	طرفة	»	تهني
٦٩٠ : ٢	ابن الحشاش	»	جاثم
١٠٧ : ٣	سليمان الموحدي	»	الديلم
٣٧٨ : ٣	الميم بن أبي غالب	»	فمي
٤٤٨ : ٣	الأبيض	»	العاتم
٥٩٢ : ٣	قاسم المرواني	»	المتحرم
٥٥ : ٤	يزيد بن أبي خالد	»	معظم
٧٣ : ٤	ابن المنخل الشلبي	»	فمي
١١٩ : ٤	ابن الأبار	»	للأم
٢٣١ : ٤	ابن النبي	»	المعلم
٣٤٤ : ٤	ابن أبي العاصي	»	الأقوم
٢٢٩ : ٥	عشرة	»	المكرم
٣١٧ : ٥	_____	»	بدرهم
٣٤٨ : ٥	_____	»	فصيم
٥٠٣ : ٦	لسان الدين	»	النادم
١٨٤ : ٧	ابن زمرك	»	بالدم
٨٢ : ١	الوزير ابن عمار	الكامل المجزوء	التعيم
٣٣٠ : ٢	أبو محمد الحجاري	»	القديم

٣٦٩ : ٢	البدر بن العديم	الكامل المجزوء	تحمي
٣٧٣ : ٧	ابن جابر	»	غرامها
٥٢ : ٧ ، ٥٩٩ : ٥	ابن عبد ربه	الرمل	الآلم
٣٩ : ٧	أبو بكر الزبيدي	مجزوء الرمل	تميم-
٣٩١ : ٣	أبو علي ابن حسون	السريع	بأحكامي
٥٨٢ : ٣	عبد الله بن الناصر	»	أحلام-
١٨٢ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	حمام
٢٢٢ : ٢	المتني	»	الفاحم
٢٥٦ : ٣	ابن قلافس	»	الفاحم
١٩٤ : ٤	_____	»	ظالم
٣١٣ : ٥	_____	»	بالخازم
٥٤٩ : ٥	ابن ليون	»	الدرهم
٦١٢ : ٣	ابن عشرة وابن سوار	»	حكمه
١٧ : ٥	والد لسان الدين	»	كلمه
١٢٥ : ٤	أبو بكر ابن حجاج	»	نظمه
٣٠٢ : ٤	ابن العطار	المنسرح	اللام
٤٦٢ : ٢	_____	»	علمي
٢٣٨ : ٥	ابن النجار	»	بفم
٥٥ : ١	_____	الخفيف	الإفهام
٣٩١ : ٣	الوحيد	»	الإظلام
٤٢٣ : ٣	ابن رجاء	»	الإكرام
٤٩٢ : ٣	ابو بكر القزاز	»	بسام
٥٧٩ : ٣	المطرف بن عبد الرحمن الأوسط	»	الأحلام
١٠٢ : ٤	ابن اللبانة	»	احامي
٢٨٦ : ٥	_____	»	الأجسام
٢٩٦ : ٥	_____	»	الكلام
٣٥٦ : ٧	ابن جابر	»	كلام

٣٥١ : ٧	ابن جابر	الخفيف	الغمام
٥٤٥ : ٥	ابن ليون	»	اهتضام
٦٣٠ : ١	ابن زيدون	»	النسيم
٢٧٠ : ٢	ابن سعيد	»	النجوم
٣٥٧ : ٢		»	حریم
٣٤٢ : ٤ ، ٣٣١ : ٣	ابن مغاور	»	الرميم
٥٩٥ : ٥	ابن ليون	»	التديم
٥٤٧ : ٥	» »	»	هم
٤٨٠ : ٦	لسان الدين	»	رسمه
٤٠٠ : ٣	عطاء المالقي	مجزوء الخفيف	فمي
٤٠٤ : ٢	التواجي	»	باسمها
١٨٢ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	المجتث	الانعام
٣٠٥ : ٤	أبو عبد الله ابن المناصف	»	الأعلام
٢٩٦ : ٤	نزهون	»	كريم
٤٦٩ : ٣	ابن صاحب الصلاة	»	بسهم
٥٤٧ : ٢	أبو حيان	المقارب	النعام
١٩ : ٤	» »	»	القوام
٨٦ : ٢	الطرطوشي أبو بكر (منسوب)	»	مفرم
١٢٤ : ٤	أبو الأصمغ ابن رشيد	»	الأقوم

قافية النون

١٠٨ : ٤	أبو القاسم السمسير	مخلع البسيط	عيون
١١١ : ١	المقرّي	الرملي	غبين
٢١٤ : ١	ابن مقانا الأشبوني	»	الناظرين

٤٣٣ : ١	ابن مقانا الأشبوني	الرملي	المعين
٢٢٦ : ٣	أبو عمرو اليحصبي	»	سكون
٥٠٨ : ٧	أبو زيد الفازاري	»	أجمعين
٥٧٦ : ٥	ابن ليون	»	ومن
٥٧٦ : ٥	»	»	الجن
٧٠٢ : ٢	ابن الأزرق الغرناطي	السريع	البيان
٥٧١ : ٥	ابن ليون	»	الحران
٦٠١ : ٥	_____	»	الهوان
٣٠٦ : ٣	ابن صاحب الرد	»	الناظرين
٤٠٢ : ٣	أبو الربيع سليمان السرقسبي	»	الأذين
٤٩٤ : ٣	ابن نزار	»	العيون
٥١٨ : ٧	ابن حبيب	»	العيون
٢٠٦ : ٤	ولادة	»	المن
٥٩٥ : ٥	ابن ليون	»	قن
٤٦٥ : ٦	لسان الدين	»	الرسن
٥٦٥ : ٥	ابن ليون	الخفيف	وأينه
٢٨٦ : ٣	ابن زيدون	مجزوء الخفيف	المحسن
١٢١ : ٤	ابن مفوز	»	المن
٣٢٩ : ٣	السميسر	المتقارب	الأغان
٦٨٨ : ٢	أبو جعفر الإلبيري	»	الوتين
١٧٥ : ٤	حفصة الركونية	»	الفصون
٣٢٢ : ٤	أبو إسحاق الإلبيري	»	العرين
٣٩٨ : ٦	لسان الدين	»	الوكون
٩٦ : ٢	_____	»	حسن
٩١ : ٤	أبو الحسين النفزي	»	الأذن
١٩٩ : ٣	ابن اللبانة	الطويل	معانا
١٦٦ : ٥	لسان الدين	»	أولانا

٤٩٧ : ٦	لسان الدين	الطويل	كانا
٤٦٦ : ٣	ابن حبيش	»	تحيينا
٤٧٤ : ٦	لسان الدين	»	رقطونا
٦٥ : ١	_____	»	الحسنى
١٢١ : ١	_____	»	الأسنى
١٨٦ : ٢	الششتري	»	عدنا
٣٧٥ : ٢	رضي الدين الشاطبي	»	يمنى
٢٤ : ٧	ابن باجة	»	يمنى
٢٧ : ٤ ، ٣٨٠ : ٣	ابن سيده	»	اليمننا
١٥٦ : ٤	ابن خلدونة	»	ضنا
١٧٦ : ٤	حفصة الركونية	»	وهنا
٢٣٥ : ٤	أبو بكر عبد المعطي	»	ما عنا
٢٣٥ : ٤	أبو الحسين ابن سراج	»	حنا
٢٢٧ : ٥	المقري الجلد وابن حكم السلوي	»	ابنى
٣٠١ : ٦	_____	»	أدنى
٦٦٧ : ١	ابن رزين	»	معلنا
٦٦٨ : ١	ابن عمار	»	الدنى
٣٦٣ : ٣	ابن غصن	»	مؤمنه
٨٩ : ١	ابن الصائغ	البسيط	خيرانا
٦١٩ : ١	_____	»	كانا
١٧٧ : ٢	الفيروزابادي	»	عدوانا
٣٩٩ : ٣	ابن السراج	»	ريحانا
٣٩٩ : ٣	ابن الغليظ	»	انسانا
٤٥٥ : ٣	المقري	»	تلمسانا
١١٦ : ٤	المعتمد بن عباد	»	أوطانا
٥٩٥ : ٥	ابن ليون	»	إعلانا
٤٠٥ : ٦ ، ٤٥٩ : ٢ ، ١٧٥ : ١	_____	»	آميننا

٦٨٨ : ١	ابن خفاجة	البسيط	حنينا
٤٠٢ : ٢	ابن عنين	»	تلاجينا
٦٥١ : ٢	_____	»	يقومونا
٢١١ : ٣ ، ٢٠٨ : ٤ ، ١٩١ : ٣	ابن زيدون	»	مآقينا
١٩٤ : ٣	» »	»	واشينا
٢٧٥ : ٣	» »	»	تجافينا
٢٣٤ : ٦	» »	»	تلاقينا
٩٦ : ٤	_____	»	اسقينا
٣١٩ : ٥	_____	»	يقومونا
٥٧٩ : ٥	ابن ليون	»	الدينا
٥٥٤ : ٣	ابن أبي زمنين	»	بنا
٣٢٤ : ٤	ابن خميس الجزائري	»	حسننا
٢٨٥ : ٥	المقري الجلد	»	حسننا
٦٦٦ : ١	ابن الأفتس	»	علينا
٦٨٤ : ٢	ابن جابر	»	مغناه
٣٢٩ : ٣	المعتصم بن صادح	مطلع البسيط	علينا
١٥٥ : ٤	ابن الأفتس	»	علينا
٥١٢ : ٣	_____	الوافر	لسانا
٧٧ : ١	_____	»	لارتدينا
٦٠ : ٢	ابن عمار الكلاعي	»	سلمينا
٢٩٢ : ٤	أسماء العامرية	»	المؤمنينا
٥٣ : ٦	عبد العزيز الفشتالي	»	اللففونا
٣١٥ : ٦	_____	»	سكونا
١٨١ : ١	ابن معلى الطرسوني	الكامل	ألوانا
٤٤٨ : ٤	منذر بن سعيد البلوطي	»	أذاننا
٥٤٣ : ٢	أبو حيان	»	إنسانا
١١٤ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	الإنسانا

١١١ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	الكامل	سلوانا
٢٢٠ : ٣	_____	»	جنانا
٦٠٢ : ٣	ابن سعد الخير	»	أفنانا
٥٠٦ : ٦	لسان الدين	»	شانا
٢٢٠ : ٧	ابن زمرك	»	إيماننا
٣٧١ : ٧	ابن جابر	»	حسانا
٢٢١ : ٣	_____	»	معينا
١٤٣ : ٤	جرير	»	معينا
٤١٨ : ٣	غالب الحجام	»	مينا
٦٢٠ : ١	أبو المغيرة ابن حزم	»	العينا
٣١١ : ٣	ابن غالب الكاتب	»	الأعينا
٥١٦ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	»	الأغصنا
١٤٧ : ٤	_____	»	كوصالنا
٤٧٩ : ٥	_____	»	تجمعنا
٥٦٦ : ٥	ابن ليون	»	النسا
٤١ : ٦	أبو جعفر العلدي	»	ما بنى
٤٤١ : ٢	إبراهيم الأكرمي	الكامل المجزوء	حينا
٢٩٦ ، ٩٩ : ٣	أبو عمران المارتلي	»	الديانه
٨٦ : ٢	أبو بكر الطرطوشي	الرملي	الفتنا
٤٨٦ : ٢	ابن جبير	»	منى
٥٨٩ : ٣	الأقرع المرواني	»	محسنا
٣٢٨ : ٤	ابن خفاجة	»	سنه
٧٦ : ٧	المنصور الذهبي	»	كامنه
٥٧٩ : ٥	ابن ليون	مجزوء الرمل	محسنا
٣٢٥ : ٣	يحيى بن صفوان	»	المعنى
٤٧٤ : ٣	ابن مرتين	»	يتثنى
٣٤٩ : ٤	يحيى بن سعد القلني	»	نتمنى

٣٤٩ : ٤	المقرّي	مجزوء الرمل	منا
٥٩٧ : ٥	ابن ليون	»	جنّه
٣٦٠ : ١	_____	»	المؤمنينا
٣٩٠ : ٦	_____	السريع	حصيانا
٢٢٨ : ٧	ابن زمرك	»	العنا
٣٥٦ : ٧ ، ٥٩٣ : ٣	الأصم المرواني	»	فارنجنا
٥٦١ : ٥	ابن ليون	»	تهنا
٤١٩ : ١	_____	»	منه
٦٦ : ٤	عبد الملك الجزيري	»	منّه
٦٠٣ : ٢	تقية الأرمنازي	»	الجنّه
٥٩٩ ، ٧٧ : ٣	الزهميري	»	الجنّه
٤٠٣ : ٦	لسان الدين	»	جنّه
١٥١ : ١	ابن الشيخ البلوي	»	يأتينها
١٥١ : ١	الخطيب المنشي	»	زياتينها
٢٧١ : ٣	ابن خفاجة	»	غدرانها
٤٨١ : ٥	ابن الحاج الفرناطي	»	برهانها
٩٧ : ٣	صاعد	المنسرح	أنا
١٥٧ : ٤	ابن أبي الخصال	»	وسنه
١٢٩ : ٦	ابن البناء الوادي آشي	الخفيف	لدانا
١٣٠ : ٦	لسان الدين	»	الحسانا
٤٨٩ : ٦	المتنبي	»	سنانا
٥٢٥ : ١	أبو الخزم ابن جمهور	»	علينا
٤٨٥ : ٢	_____	»	إلينا
٤٠٦ : ٣	ابن مرتين	»	فنا
٤٠٧ : ٣	المعتمد بن عباد	»	يعنّي
٥١٧ : ٣	أبو جعفر ابن سعيد	»	سثمانا
٢١ : ٧	ابن باجة	»	ففتحنا

٣٠٢ : ٤ ، ٦٥١ : ١	ابن العطار	الخفيف	جنه
١٠٧ : ٢	أبو الصلت أمية	مجزوء الخفيف	بنا
٢٨٦ : ٤	غاية المني وابن صمادح	»	الضنى
٢٨٧ : ٤	ابن القراء الخطيب	»	الضنى
٣٢١ : ٢	_____	المجتث	خشكلانا
٩١ : ١	المقري	»	إلينا
٤٥١ : ٥	ابن الحياض	»	حسننا
٥٨٠ : ٥	ابن ليون	»	يتمنى
٤٥٥ : ٣	_____	المتقارب	السمانا
٥٣٤ : ٢	خليل التوزري	»	بنا
٣٨٤ : ٢	ابن جبير	»	أشجاناه
٩٨ : ١	_____	الطويل	حسان
١٥٨ : ٤ ، ٦٤٧ : ١	ابن السيد البطليوسي	»	بان
٤٩٢ : ٢	ابن جبير	»	بانوا
٥٢٣ : ٢	أبو البقاء خالد	»	بانوا
٣٥٦ : ٢	_____	»	ميزان
٣٤٤ ، ٢٠٢ : ٣	ابن خفاجة	»	حران
٢١٠ : ٣	الجرأوي	»	ثعبان
٤٤١ : ٣	ابن دراج	»	غربان
٥٧٩ : ٣	هشام بن عبد الرحمن الأوسط	»	البحان
٥٨٥ : ٣	ابن عبد الملك بن الناصر	»	عنوان
١٧١ : ٤	الغسانية البجانية	»	فينان
١٨٥ : ٥	_____	»	الخفقان
٢٤ : ٧	ابن باجة	»	سكان
٨٨ : ١	أبو المجد قاضي ماردن	»	هتون
٢٤ : ١	_____	»	فنون
٦٠٢ : ٥ ، ٥٩٣ ، ٤٠٣ : ١	الحاجب المصحفي	»	فنون

٣٢٦ : ١١٧ : ٤	أبو بكر ابن منخل	الطويل	وسكون
٤٧٤ : ٤	أبو الربيع ابن سالم	»	مبين
١٢٢ : ٦	النباهي	»	ظعين
١٢٢ : ٦	»	»	خثون
٢٥٨ : ٦	ابن الصباغ الفرناطي	»	جون
٣٧٢ : ٧	أبو جعفر الإلبيري	»	جنون
٥٦٨ : ٢	أبو حيان	»	الحزن
٤٥٨ : ٣	يوسف بن كوثر	»	يمن
٥٠٦ : ٦	ابن الجنان	»	المزن
١٩ : ٢	قيس بن الملوحي	»	أعينها
١٦ : ١	—————	البسيط	بانوا
٦٢٢ : ١	ابن شهيد	»	ظلمان
٦٨٢ : ٢	ابن جابر الضرير	»	أجفان
٥٠٤ : ٦	لسان الدين	»	أجفان
٤٨٩ : ٣	ابن خفاجة	»	شهبان
١١٠ : ٤	ابن المطرف المنجم	»	كهان
٥٥٦ : ٥	ابن ليون	»	نقصان
٣٣٩ : ٥	المقري الجدي	»	سحنون
٥٩٧ : ٣	ابن لبون	»	اغتبين
٣٢٥ : ٥	—————	»	الحسن
٤٩٠ : ٦	لسان الدين	»	الحزن
٦١ : ٣ ، ٣٣١ : ٢	أبو بكر محمد بن سعيد	مخلع البسيط	يكون
٤٢٠ : ٣	أبو القاسم ابن أزرق	»	حين
١١٨ : ٢	أبو الخير الواسطي	الوافر	السكون
١١٨ : ٣	أبو الفضل الدارمي	»	سفين
٣٠٩ : ٣	أبو جعفر ابن طلحة	»	المجون
٤٨٣ : ٣	أبو الصلت أمية	»	شؤون

٥٦٩ : ٣	الأصمى التطيلي	الوافر	حَضِينُ
٣٣٤ : ٤	ابن حوط الله	»	وهينُ
٣٣٣ : ٣	أحمد ابن الصقر الخزرجي	الكامل	خافوا
١١٤ : ٤	ابن الأقر السرقسطي	»	لسان
٣١٧ : ٤	أبو إسحاق الإلييري	»	مبكان
٣٤٥ : ٤	» » »	»	أوطان
٤٥ : ٦	لسان الدين	»	الحنان
٥٠٨ : ٦	» »	»	التقصان
٣٢٣ : ٢	المستنصر	»	تخون
٤٩ : ٤	أبو عبد الله ابن الحداد	»	المكنون
١٠١ : ٤	» » »	»	العين
٨٦ : ٤	محمد بن هانيء	»	غصون
١٥٦ : ٤	ابن خلصة الضرير	»	قرون
٥٩٧ : ٥ ، ٣١٩ : ٤	ابن العريف	»	ظنون
٢٩٤ : ٥	_____	»	سيكون
٥٤٦ : ٤	قيس بن عاصم	»	فطن
٦٨٢ : ٢	ابن جابر	»	يحسن
٥٠٤ : ٣	أبو عبد الله ابن الحداد	»	يتمكن
١٨٧ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	الألسن
٢٨٣ : ٦	_____	»	لمعانه
١٠٨ : ٢	أبو الحسن ابن الحاج	»	سكونه
٥٢٥ : ٢	أبو بكر ابن عطية	»	فنون
٩٠ : ٤	أبو الحسن ابن عيسى	»	يشينه
٦٦٠ : ٢	أبو زكريا الطليطلي	»	قضاياها
١٢٠ : ١	الوزير ابن المغربي	الكامل المجزوء	شجون
٥١٢ : ٧	أبو زيد الفازاري	»	المبين
٣٣٠ : ٤	_____	الفرج	الأمن

١٦٩ : ٤	أم العلاء الحجارية	الرمل	الزمن
٣٦٠ : ٢	_____	مجزوء الرمل	يلسين
٢٧٨ : ٣	ابن زيدون	»	اليقين
١١٧ : ٤	السميسر	»	يهون
٧٤ : ٣	_____	السريع	أوطان
١٨٧ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	إخوان
١٠٦ : ٤	ابن خفاجة	»	غدرانها
٣٤٨ : ٣	الأعمى التطيلي	المنسرح	حسن
٥٦٦ : ٥	ابن ليون	الخفيف	أعوان
٦٣ : ١	_____	»	فنون
٤٢٥ : ٣	إبراهيم الحجاري	»	العيون
٤٢٦ : ٣	»	المجتث	فلان
٧٣ : ٤	ابن عمار	»	العيون
٦٠١ : ٥	أبن يربوع	»	العيون
٥٩١ : ٢	ابن الأبار	المتقارب	الأزين
٢٢ : ٦	ابن جحاف الأندلسي	»	كائن
٦٠٤ : ٣	ابن سعد الخير	»	أفئانه
٦٧ : ١	_____	الطويل	يلتقيان
١٠٦ : ١	_____	»	أجفاني
٢٣ : ٥	عبد العزيز الفشتالي	»	أجفاني
٣١٦ : ١	أبو المطرف	»	الحدثان
٢٠٤ : ٦	الحسن بن هانيء (أبو نواس)	»	الحدثان
٣٧١ : ٢	_____	»	رضوان
٣٦١ : ١	ابن شهيد	»	القمران
٦٨٨ : ١	ابن خفاجة	»	ملآن
٥٣٢ : ٢	أبو البقاء خالد	»	فاني
٥٢٦ : ٣	ابن سهل الاسرائيلي	»	صاني

٤٢٠ : ٣	ابن ازرق	الطويل	الخففتان
٤٣٥ : ٣	ابن عبد ربه	»	يدان
٤٤٠ : ٣	ابن شهيد	»	بنان
٨٨ : ٤	_____	»	بستان
٣٢٣ : ٤	ابن أبي ركب	»	رمضان
٣٢٤ : ٤	ابن زرقون	»	لكفاني
٤٤٨ : ٤	_____	»	تريان
٢٩ : ٥	أبو الفتح التونسي	»	نيران
٣٢ : ٥	لسان الدين	»	تلمسان
١٢٠ : ٥	» »	»	ذات ألوان
١٤٤ : ٥	» »	»	تھاماني
٢٧٤ : ٦	_____	»	لساني
٣٥٢ : ٦	لسان الدين	»	الشاني
٣٨٩ : ٦	» »	»	بأثمان
٤١ : ٥	عمر الزجال	»	الجديدان
٤٦ : ٥	ابن زمرك	»	البان
٥٣ : ٧	ابن عبد ربه	»	طواني
١٢٠ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	فقداني
٣١ : ١	_____	»	شؤوني
٦٤ : ٤	أبو جعفر الشريشي	»	جنوني
١٠٨ : ٦	ابن رضوان	»	يقين
٧٣ : ١	_____	»	الحزن
٩٠ : ١	الزحشري	»	سمطين
٩٦ : ٢	أبو بكر ابن القاسم	»	أذني
٤٦١ : ٢	_____	»	الحسن
٥٣٤ : ٢	أبو البقاء خالدا	»	غصني
٣٩٢ : ٣	ابن الفخار	»	الفصن

٤٦٦ : ٦	لسان الدين	الطويل	البطن
٥٠٦ : ٦	»	»	البن
٤٦٤ : ٦	»	»	البن
٤٤ : ٧	رفيع الدولة ابن صمادح	»	البن
٣٤١ : ٤	أيمن الغرناطي	»	ممکن
٢٦٣ : ٤	أبو بكر ابن الملح	»	سيلانه
٤١٢ : ٦	لسان الدين	»	بدينه
١١٧ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	بلجينه
٣٩٦ : ٦	أبو الأسود الدؤلي	»	بليانها
٣٥٣ : ٧	ابن جابر	»	حسنها
٩١ : ١	المقري	البيسط	نيسان
١٩١ : ١	الأعمى المخزومي	»	داني
٣٤٢ : ١	الحكم بن هشام	»	هجراتي
٤١٠ : ٢	ناظر الجيش ابن العجمي	»	واني
٢٨٤ : ٣	ابن زيدون	»	سلواني
٥٠٥ : ٣	أبو عبد الله ابن الحداد	»	سلوان
٥٨٠ : ٣	أبان بن عبد الرحمن الأوسط	»	تلحاني
٥٨٠ : ٣	القاسم بن عبد الرحمن الأوسط	»	الشان
٥٩٦ : ٣	ابن يثيق الشاطبي	»	نقهبان
٦٣ : ٤	يحيى الأركشي	»	إخواني
٢٣٣ : ٤	ابن لبال	»	إحسان
٣٥١ : ٥	_____	»	إحسان
٢٢ : ٥	ابن الحياض	»	وحدان
٢٢ : ٥	لسان الدين	»	الثاني
٢٣٣ : ٦	ابن داود الحميري	»	فأحياني
٣٥٦ : ٧	ابن جابر	»	لأحياني
٣٤٧ : ٧	»	»	نعمان

المختون	البسيط		٥٧٧ ، ٤٢٧ : ١
الصين	»	_____	٤٥٩ : ١
السلطين	»	ابن سارة	٢١٦ : ٣
فغزوني	»	ابن السيد البطليوسي	٤٥٩ ، ٢٨٧ : ٣
للمحبين	»	غانم المخزومي	٢٨ : ٤ ، ٥٩٦ ، ٤٤٧ ، ٣٩٨ : ٣
البساتين	»	ابن أبي أمية	٥٥٠ : ٣
والنون	»	أبو الحكم ابن غلنده	٥٩٨ : ٣
الطين	»	ابن حجاج	١٢٥ : ٤
دين	»	_____	٢١٧ : ٥
الدين	»	علي ابن لسان الدين	٣٠١ : ٧
الدين	»	ابن ليون	٥٥٠ : ٥
ماحين	»	»	٥٦٧ : ٥
يظميني	»	ابن خلدون	١٨٩ : ٦
يسيني	»	المستنصر المريني	٣٠١ : ٧
الطن	»	ابن خلكان	٢١ : ١
بالدين	»	_____	١٩٥ : ١
حيني	»	الصفدي	٥٤٥ : ٢
إلفين	»	ابن عبد ربه	٤٤٧ : ٣
غصن	»	ابن عميرة	٤٩٧ : ٤
للسكن	»	ابن أبي الاصبغ	٣٢ : ١
السن	»	ابن حبيب السلمي	٨ : ٢
تمازحي	»	ابن عربي	١٦٧ : ٢
ترفي	»	المتنبي	٧٢ : ٣
وطني	»	ابن مصادق الرندي	٤٣٦ : ٣
الليمن	»	أبو يزيد	٢٨٢ : ٤
أبا الحسن	»	أبو علي ابن أبي سعيد المريني	١٥٥ : ٥
الحسن	»	أبو إسحاق الحساوي	٥٠٣ : ٥

١٨٥ : ٥	أبو جعفر ابن عطية	البسيط	الحزن
٣١٧ : ٥	_____	»	يؤلمني
٥٥٦ : ٥	ابن ليون	»	ممتن
٥٩٥ : ٥	»	»	الزمن
٤٦٥ : ٦	لسان الدين	»	عن
٤٩ : ٧	أبو مروان الطنجي	»	أخبرني
٢٢٥ : ٣	ابن عمران المارتي	»	بدنك
١٦٨ : ٢	ابن عربي	مطلع البسيط	يراني
٣٨٤ : ٥	_____	»	ثاني
٢٤٤ : ٦	ابن العقيف التلمساني	»	ثاني
٢٤٤ : ٦ ، ٣٨٤ : ٥	أبو عبد الله ابن بيش	»	مكاني
٣٣٩ : ٧	ابن زمرك	»	التداني
٦٥ : ٢	ابن سراقه الشاطبي	»	اليقين
٥٩٣ : ٣	الأصم المرواني	»	مجبين
١٩٣ : ٢	سمنون المحب	»	فاختبرني
٧٠ : ٥	صفوان بن ادريس	»	عين
٩٨ : ١	_____	الوافر	الزمان
٣٢ : ٦ ، ٤٥٤ : ٢	_____	»	الزمان
١١٤ : ٤	محمد بن نصير	»	يدان
١٧٦ : ٤	حفصة الركونية	»	المكان
٣٢٤ : ٤	ابن خميس الجزائري	»	لسان
٣٤٠ : ٥	_____	»	تلمسان
٥٤ : ٦	عبد العزيز الفشتالي	»	الحسان
٢٨٤ : ٦	_____	»	شاني
٥٠٤ : ٦	لسان الدين	»	جفاني
٨٢ : ١	ابن الحياط الصقلي	»	باليمين
٤٦٩ : ٦	لسان الدين	»	اليمين

٥٣٧ : ١	ابن خفاجة	الوافر	للسكون
٣٤٨ : ٤ ، ١١٥ : ٢	الحميلي	»	ديني
٥١٦ : ٥	ابن جزري	»	الحزير
١١٢ : ٦	ابن رضوان	»	سمين
٢٨ : ١	_____	»	فن
٦٣ : ٢	ابن رمان	»	مين
٤١٤ : ٢	العز الموصلي	»	مين
٦١٥ : ٣	_____	»	البهجتين
٢٢٦ : ٥	_____	»	بالرقتين
٤١٩ : ٦	لسان الدين	»	بيبي
١٦٠ : ٤	الصاوي	جزوء الوافر	وسفي
٢٢٨ : ١	_____	الكامل	الأوطان
٤٣٠ : ١	المستعين	»	الأجفان
٢٩٢ : ٤	_____	»	أجفاني
٤٩٥ : ١	ابن حمديس	»	شاذروان
٥٠٢ : ١	الشريف الرضي	»	النعمان
٥٠٣ : ١	أبو اسحاق الصابي	»	الباني
٥٢١ : ١	أسد بن معين الدين	»	العرفان
٣٤٥ : ٢ ، ٥٧٥ ، ٥٢١ : ١	الناصر المرواني	»	البنيان
١٠٣ : ٢	أبو القاسم السهيلي	»	معشقان
٣١٠ : ٦ ، ٢١٢ : ٢	أبو القاسم التجيبي	»	شيثان
٢٢٧ : ٢	بهاء الدين ابن النحاس	»	القائي
٥٤٨ : ٢	_____	»	بأمان
١٢١ : ٣	ابن سليمان الشامي	»	الأركان
٢٥٧ : ٣	المطار الأزدي القيرواني	»	الغزلان
٢٨٧ : ٣	ابن السيد البطليوسي	»	افناني
٥٦٧ : ٣	» » »	»	أضناني

٥٧ : ٤ ، ٤١١ : ٣	ابن حريق	الكامل	الطوفان
٤٣٥ : ٣	ابن حزم	»	ألوان
٣٤ : ٤	ابن الأعلم	»	بنافي
١٨٩ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	الشان
٣٨١ : ٤	يحيى بن مجبر	»	الشان
١١١ : ٦	ابن رضوان	»	شان
٢١٩ : ٤	المعتمد بن عباد	»	الأبدان
٥٠١ : ٦	لسان الدين	»	إحسان
٥٠٤ : ٦	» »	»	يماني
٢٠٥ : ١	ابن الحمامة	»	مكتون
١٢٩ : ٧ ، ٤٢٧ : ٦	لسان الدين	»	المكتون
٢١٢ : ٦	» »	»	المفتون
٤٨٥ : ٦	» »	»	عرين
٢٦٦ : ٧	» »	»	جبيفي
٤٢٠ : ٢	ابن شاهين	»	سكوني
٦٨٢ : ٢	ابن جابر	»	التحسين
١٨٢ : ١	_____	»	الوطن
٣٢٤ : ٣	اليكي	»	بَيْضَتَيْن
٣١٥ : ٦	_____	»	بالمين
٢٤٧ : ٢	أبو مروان ابن زهر	»	غالي
٦٨٣ : ٢	ابن جابر	»	بيِّن
٢٠٢ : ٤	أخيل الرندي	»	تن
٢٠٢ : ٤	» »	»	مؤمن
٢٣٨ : ٧	ابن زمرك	»	تبتني
٥٠٤ : ٣	أبو عبد الله ابن الحداد	»	زمانه
٢٦٠ : ٤	ابن اللبانة	»	زمانه
٦١٦ : ٣	المعتمد بن عباد وابن عمار	»	رحمانه

١٥٤ : ٤	أبو جعفر اللمائي	الكامل	أوانه
٣٣٥ : ٤	ابن افریولة	»	ميزانه
١٣٠ : ٢	ابن الفرضي	»	بدونه
٥٩٣ : ٣	الأصم المرواني	»	بيمينه
٤٩٦ : ٥	ابن هذيل	»	عنانها
٤٢٥ : ٣	ابن الديواني	الكامل المجزوء	فبالسنان
٣٧ : ٤	الرمادي	»	زعفران
٤٠٤ : ٢	ابن نباتة	»	كلمتين
٥٠٣ : ٥	أبو عبد الله ابن الحكيم	»	مكتنه
١٩٥ : ١	_____	الخرزج	شاني
٣٦٨ : ٢	أبو الفرج	الرملي	الجبان
٣٧٥ : ٧	أبو جعفر الإلييري	»	الوطن
٤٧٤ : ٦	لسان الدين	»	حانه
٣٠٥ : ٣	أبو اسحاق المرسى	الكامل المجزوء	الفلاحي
٣٥٨ : ٣	حريز بن عكاشة	»	اللسان
٥٥٩ ، ٣٥٨ : ٣	أبو المطرف ابن المثنى	»	العيان
٤٥٤ : ٣	أبو زيد ابن مولود	»	الأمانى
٥٥٩ : ٣	حريز بن عكاشة	»	الزمان
٢٩٠ : ٥	_____	»	بالمعاني
٥٨١ : ٥	ابن ليون	»	متين
٥٤٠ : ٣	حامد الزجالي	»	الثقلين
٨٦ : ١	_____	السريع	أشجاني
٤٢٩ : ١	مجاهد العامري	»	سليمان
٥٣٦ : ٣	_____	»	الزمان
٥٤٨ : ٢	أبو حيان	»	الديون
٢٢٦ : ٣	أبو وهب القرطبي	»	بمغبون
٩٩ : ١	_____	»	بالعين

٥٤٧ : ٢	الصفدي	السريع	عني
٦٠٤ : ١	المصحفي	»	مني
٤١٧ : ٢	ابن شاهين	»	الشرين
٣٨٩ : ٣	ابن مسعود البجاني	»	عني
٥١٠ : ٣	أبو محمد عبد المولى	»	باليمن
٣٩٩ : ٤	_____	»	الفصين
٥٦٨ : ٥	ابن ليون	»	وهن
٣٤٨ : ٧	أبو جعفر الإلييري	»	الحسن
٣٠٦ : ٤ ، ١٥٥ : ٢	الحصري	»	لين
٣٥١ : ٧	ابن جابر	»	بالممكن
٣٢٤ : ٦	_____	»	شانه
٤٦٥ : ٦	لسان الدين	»	فاعنه
٦٨١ : ٢	ابن جابر	المنسرح	ريمان
٦٦٩ : ٢	» »	»	حسن
١٤٦ : ٣	ابن عميرة	»	حسن
٢٤١ : ٤	_____	»	شيثين
٤٧١ : ١	أبو بكر المصحفي	الخفيف	انسان
٦٧٥ : ٢	أبو جعفر الإلييري	»	زمان
٣١٥ : ٥	المعري	»	الزمان
٦٨٦ : ٢	ابن جابر	»	الأزمان
٣٢٤ : ٣	ابن مفيد	»	البنيان
٥٨٤ : ٣	أبو الأصبغ ابن الناصر	»	الألحان
١٣١ ، ٦٢ : ٤	أبو زيد العثماني	»	يراني
٤٧١ : ٤	ابن عبد المولى الميورقي	»	كالخيزران
٣١٢ : ٥	_____	»	الهوان
٥٩٤ : ٥	ابن ليون	»	لسان
٣٤٤ : ٧	الكفعمي	»	الأحزان

٢٦٥ : ٣	غانم	الخفيف	للمحبين
٣٥٣ : ٣	محمد بن خلف البيري	»	تعذلوني
٥٢٥ : ٣	ابن سهل الإسرائيلي	»	المنون
٤٦٥ : ٦	لسان الدين	»	الدين
٤٨٧ : ٦	» »	»	أمين
١٠٤ : ٦	أبو محمد الأزدي	»	بشفي
١٠٤ : ٦	» » »	»	ببني
٣٠٠ : ٧	لسان الدين	»	بين
٣٠٤ : ٦	_____	»	بفنه
٤٧٠ : ٥	أبو حيان	مجزوء الخفيف	المهمين
١١٩ : ١	_____	المجث	الشيثان
٥٨٢ : ١	ابن العريف النحوي	»	المباني
٥٨٣ : ١	صاعد اللغوي	»	كيوان
٦٥ : ٤	أبو عبد الله الجزيري	»	حين
٤٣٧ : ٢	محمد المحاسني	»	الثقلين
٦٥٤ : ٢	ابن مهاجر الوادي آثي	»	مخرجين
٥٧٤ : ٣	محمد بن هشام المرواني	»	غصن
١٧٤ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	»	عيني
٤٩٧ : ٧	ابن العريف	»	دعني
٢٢٠ : ٤	المعتمد بن عباد	المتقارب	الحنين
١١٧ : ٧	ابن الحاج الفرناطي	»	زين
١٨٥ : ١	ابن السيد البطليوسي	»	يمكن

قافية الساء

٤٨٥ : ٢	ابن جبير	الطويل	أشبه
١١١ : ٧	ابن الحاج الفرناطي	الكامل	النيبه
٣١ : ٤	أبو الفضل ابن الأعلم	الكامل المجزوء	سواه
٣٠ : ١	المقري المؤلف	الرمل	قواه
١٠٣ : ٤	أبو الحسن ابن الحاج	السريع	هواه
٣١١ : ٣	أبو العلاء المرسي	»	إليه
٥٤٥ : ٥	ابن ليون	»	إليه
٥٣ : ٤	ابن عائشة	»	يديه
٣٥٢ : ٣	ابن فضل الله العمري	المتقارب	صره
٤٣٤ : ٣	أبو بكر ابن زهر	»	إليه
٣٢٧ : ٢	ابن سعيد	الطويل	محيها
٥٦٣ : ٢	أبو الحسن الزجاج	»	ووجيها
٣٧٠ : ٢	الملك الناصر	»	عنها
٣٣٩ : ٤ ، ٨٣ : ٢	أحمد بن سعيد بن حزم	»	بدونها
١٩٤ : ٣	ابن وهبون	»	اللها
١٥٤ : ٤	البغيل	»	انتهى
٣٥٧ : ٧	ابن جابر	»	السه
٤١٥ : ٧	أبو عبد الله ابن الجنان	»	ولدوها
٣٧٥ ، ٨٤ : ٢	ابن مغوز	البيسط	باريها
٤٥١ : ٢	_____	»	ماضيها
٧٠ : ٣	سالم بن محمد	»	راميها
١٧١ : ٧	ابن زمرك	»	بواديها
٣١٢ : ٣	ابن عفير	مخلع البيسط	إليها

٣٠٤ : ٤	إبراهيم البدوي	مخلع البسيط	وجامته
٥٦٣ : ٣	_____	الوافر	سواها
٢٢٣ : ٤	_____	»	علاها
٤٥٩ : ٣	ابن صارة	»	كنها
٢٠٥ : ٤	ولادة	»	تيها
١٥ : ٥	والد لسان الدين	الكامل	رباها
٣٦٢ : ٥	أبن خميس	»	صداها
٤٣٣ : ٥	ابن مرزوق الحفيد	»	وهداها
٣٩٤ : ٦	_____	»	رباها
٣١٨ : ٤	أبو اسحاق الإلييري	»	انتهى
٨١ : ٧	المنصور الذهبي	»	انتهى
٩٧ : ٦	الكرسوطي	»	البها
٤٣٢ : ٧	أبو عبد الله ابن الجنان	الكامل المجزوء	النزاهة
٤٠٦ : ٢	ابن الفارض	الرمل	وباها
٣٩٢ : ٢	ابن جبير	مجزوء الرمل	عليها
٥١٠ : ٣	_____	»	عنها
٢٢٧ : ٣	السميسر	السريع	فككتاها
٦٤ : ٤	أحمد بن شكيل	»	الوجها
٤١٥ : ٣	غالب الحجام	المنسرح	حياها
٢٦٩ : ٣	أبو جعفر الرضي	»	فيها
٦٦ : ١	_____	الخفيف	سواها
٢٣٤ : ٥	ابن الغماز	»	فتاها
٥٨٨ : ٥	ابن ليون	»	أذاها
٤٤١ : ٣	ابن خاتمة	»	أودعوها
٤٠٧ : ٢	ابن عبد الظاهر	»	لديها
٤٨٨ : ٢	ابن جبير	»	إليها
٢٨٥ : ٤	حفصة	»	تيها

٣٥٢ : ٧	ابن جابر	الحفيف	معطفيها
٣٥٠ : ٢	ابن سعيد	المجتث	بذويها
٦٠٤ : ٣	_____	المتقارب	اشتبهى
٤١ : ١	ابن رشيد البغدادي	الطويل	وتسواه
٩٤ : ١	المقري المؤلف	»	محياء
٤٧٥ : ٥	أبو البركات ابن الحاج	»	بشكواه
٢٣٤ : ٥	_____	»	محياء
٤٦٦ : ٣	أبو بكر ابن مالك	»	فحياء
٤٧٦ : ١	أبو شهاب المالقي	»	رددناه
٧٦ : ٧	المنصور الذهبي	»	يراه
٦٨٤ : ٢	الصفدي	البسيط	هداياه
٩٥ : ٤	_____	»	الله
٣١٦ : ٤	ابن الغماز	»	الله
١٧١ : ٥	ابن زمرك	»	الله
٢٨٧ : ٥	_____	»	الله
١٦٩ : ٥	_____	»	تغشاه
٣٦٠ : ٥	ابن خميس	»	عناه
١٩ : ٧	ابن باجة	»	فألقاه
٣٧ : ١	_____	الوافر	منه
٢٠٣ : ٥	_____	»	منه
١٨٩ : ٣ ، ٣٩٨ : ١	_____	الكامل	تراه
٥٨٧ : ٣	الشريف الطليق	»	نواه
٢٨٣ : ٦	_____	»	رياه
٣٣٢ : ٣	النحلي	مجزوء الرمل	مشبهوه
٣٦٥ : ٣	_____	»	حسلوه
٦٣٨ : ٢	العرقله الدمشقي	السريع	الله
٥٣٩ : ٥	أبو عبد الله ابن جزي	»	يهواه

٤٩٤ : ٦	لسان الدين	السريع	وأغلاه
٥٥٣ : ٤	العربي العقيلي	المنسرح	وأحلاه
٤٩٦ : ١	أبو الصلت أمية	الخفيف	سماء
٥٧١ : ٢	أبو حيان	»	هواه
٣٨٤ : ٣	أبو القاسم ابن ورد	»	وشذاه
١٢٩ ، ٦١ : ٤	الكساد	»	سناء
٣٧٦ : ٢	_____	»	عنه
٩١ : ٤	ابن زيدون	»	لا هو
٢٧٠ : ٤	المعتمد بن عباد	المجثث	تراه
٤٧١ : ٦	لسان الدين	»	جلساه
٥٨٣ : ٥	ابن ليون	»	عنه
٣٦٩ : ٦	_____	الطويل	فيه
٤٧٠ : ٢	_____	»	فيه
٤٩٨ : ٦	لسان الدين	»	تحي
٥٥٣ : ٢	أبو حيان	البسيط	الواهي
٥٩٢ : ٥	ابن ليون	»	الله
٦٣١ : ١	ابن زيدون	»	لناصحيه
٢٠٦ : ٢	الششتري	»	تدريه
١٠١ : ٣	ابن حمويه النرخسي	»	فيه
٦٣ : ٤	يحيى الأركشي	»	تعطيه
٣٣ : ١	ابن رشيق (أو ابن حمديس)	»	إليه
٣٨٦ : ٢	ابن جبير	مخلع البسيط	عليه
٤٦ : ٤	ابن فوج الجياني	»	إليه
٥٩٤ : ٢	ابن الأبار	الوافر	ولا هي
٤٩٧ : ٧	ابن العريف	»	الإله
٢١٦ : ٤	_____	»	منتضيه
٣٠٤ : ٤	ابن جبير اليحصبي	»	إليه

٣٨٣ : ٥	ابن حنبل	الوافر	إليه
٥٧ : ٧	أبو الحسن البرقي	»	إليه
٢٦٩ ، ٢٢٨ : ٣	ابن هشام القرطبي	الكامل	اللاهي
٦١٢ : ٣	المعتمد (والرشيد ابنه)	»	متناهي
٢٢٢ : ٥	أبو بكر ابن خطاب	»	والجاء
١٤٣ : ٦	المتشاقري	»	ونواه
٢٦٢ : ٢	ابن سعيد	»	أدريه
٦٠٧ : ٢	ابن الفارض	»	تحكيه
٦٠٧ : ٢	أبو الروح التكرني	»	فيه
٧٩ : ٧	المنصور الذهبي	»	فيه
٢٠٥ : ٣	سلام المالقي	»	يشفيه
٣٠٨ : ٣	أبو جعفر ابن طلحة	»	شبيه
٨٩ : ٤	أبو القاسم ابن هشام	»	بإثنيه
٧٨ : ٥	_____	»	التثويه
٥٠٣ : ٦	لسان الدين	»	تكنيه
٩٢ : ٤	المعتمد بن عباد	»	عليه
٢٣ : ٢	أبو القاسم الشاطبي	الكامل المجزوء	نبيه
٢٥٩ : ٣	ابن قلافس	»	عليه
٥٩٦ : ٣	أبو الحسن اللورقي	»	لديه
٩٧ : ٣	صاعد البغدادي	»	فيه
٣٧٦ : ٢	المقرّي الجحد	الهمزج	فيه
٣٣٢ : ٣	المنفلت	مجزوء الرمل	أبيه
٣٨٧ : ٣	»	»	فيه
١١ : ٤	محمد بن اليسع	»	روضتيه
٤١٨ : ١	_____	السريع	أواه
٣٧١ : ٣	أبو الفضل ابن شرف	»	وتحكيه
٦٧ : ٥	صفوان بن ادريس	المنسرح	سامي

٤٧ : ٦	أبو جعفر الجحنان	المنسرح	فيه
٢٣٠ : ٧	ابن زمرك	الخفيف	الزاهي
٤٦٤ : ٢	_____	»	بنيه
٢٢٣ : ٣	الشقندي	»	أرنجيه
٣١٦ : ٣	البياضي	»	بالتيه
٥٥٧ : ٥	ابن ليون	»	يقتنيه
٥٨١ : ٥	»	»	التنيه
٤١٥ : ٣	القاضي الأصبحي	»	لذيه
٥٠٥ : ٢	الكيزاني	المجث	تندنيه
٣٩٠ : ٣	السميسر	»	ليه
٥٩٣ : ٥	ابن ليون	»	تبتنيه
٦١٩ : ١	المأمون	»	إليه
٤٥٠ : ٣	أبو الوليد ابن الحضرمي	»	مقلتيه
٢٢٩ : ٥	_____	»	عليه
٢٤٨ : ٢	أبو بكر ابن زهر	المقارب	لذيه
٣٨٤ : ٢	ابن جبير	»	عليه
٤٩٦ : ٦	لسان الدين	»	صفحتيه

قافية الواو

٦٦١ : ٢	ابن سلمة الغرناطي	الطويل	يقوى
٢٤٠ : ٦	المليكشي	»	والشكوى
١٢١ : ٦	النباهي	»	الشكوى
٢٠٣ : ٥	_____	»	السلوى
٣١٠ : ١	أبو المطرف ابن حميرة	الكامل	والجوى

٣٣٢ : ٢	ابن سعيد	الكامل المجزوء	استوى
٣٤٨ : ٧	أبو جعفر الإلبيري	الرملي	الهوى
٢٦٢ : ٣	أبو عامر ابن شهيد	المنسرح	أهوى
١٠٤ : ٦	أبو محمد الأزدي	المتقارب	الهوى
١٠٠ : ١		»	حوى
٥٦٣ : ٥	ابن ليون	الخفيف	عداوه
٥٥٣ : ٢	أبو حيان	»	رخوه
١٩٥ : ٦	لسان الدين	»	الفتوه
٤٦٦ : ٦	» »	»	للفتوه
٤٢٠ : ٢	ابن شاهين (والمقري)	المجتث	قهوه
٤١٥ : ٧	أبو عبد الله ابن الجنان	»	حظوة
٥٥٨ : ٥	ابن ليون	الكامل	ز هو
٥٤٥ : ٥	» »	»	اللهوى

قافية ابااء

٨٩ : ١	الصدر بن الأدمي	الرملي	شي
٥٨٣ : ٢	الشريف ابن راجح	السريع	شي
٥٧٥ : ١	أبو عثمان ابن إدريس	الطويل	والدنيا
٦٥٦ ، ٥٦٨ : ٢	أبو حيان	»	الأحياء
٢٢٨ : ٣	أبو الفضل ابن شرف	»	شيا
٥٨٩ ، ٣٤٣ : ٣	أبو عبد الله ابن الناصر	»	وشيا
٤٥٨ : ٥	ابن إحياء	»	ثنيا
١١٦ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	»	أحيا
٦٢ : ١	أبو بكر الزهري	»	حاليا

الطويل	حاليا
»	حاليا
»	وماليا
»	باليا
»	السواقيا
»	والسقيا
»	حاريا
»	الأعادي
»	ماضيا
»	مصافيا
»	التلاقي
»	وتواريا
»	راضيا
»	الأفاحيا
»	باكيا
»	ثماديا
»	باديا
»	باديا
»	الدواحميا
»	راعيا
»	جازيا
»	هيا
»	ليا
»	وغراميا
»	هانيا
»	معاويه
»	داهيه

٣٨٠ : ١	الناصر (أو الحكم)	البسيط	شيئا
٥٩٠ : ٥	ابن ليون	»	بقيا
٥٨٥ : ٥	» . »	»	العافية
٣١٨ : ٥	المقري الجلد	مخلع البسيط	العطايا
١٤ : ٤	ابن خفاجة	»	الحميا
١٤٨ ، ٧١ : ٤	ابن الملح	»	بنيا
١٤٩ ، ٧١ : ٤	أبو القاسم ابن الملح	»	شيا
٤٨٢ : ٢	ابن الفكون	»	الرواية
٤٣٤ : ٣	ابن باجة	»	والنهاية
٤٥٢ : ٥	ابن الجياي	الوافر	والقضايا
٦٢ : ١	شمس الدين الأسدي	»	رعيا
٦٨ : ٤	ابن سعيد	»	الهنيا
٦٩ : ٤	أبو العباس ابن بلال	»	أريخيا
١١٨ : ١	—————	»	الدينه
١٠ : ٤	أبو بكر الشلطي	»	درايه
٥٥٣ : ٢	أبو حيان	»	لحيه
٢٩٤ : ٤	الشلبية	الكامل	باكيه
٥٩٠ : ٥	ابن ليون	الكامل المجزوء	الولاية
٢٨٦ : ٤	حفصة	»	متماديه
٢٩٥ : ٤	—————	»	عاصيه
٢٠٦ : ٣	ابن سعيد	مجزوء الرمل	السميا
٣٨٥ : ٣	مدغليس	»	بلحيه
٦٥٦ : ٢	ابن صابر القيسي	السريع	الدنيا
٢٦٨ : ٥	ابن دقيق العيد	»	الحجازيا
٢٧٤ : ٣	ابن زيدون	»	الثانيه
١٠٠ : ٤	»	»	العاليه
٥٤٩ : ٥	ابن ليون	»	العافيه

٣٥٤ : ٧	ابن جابر	السريع	بالغالية
٥٨٥ ، ٤٠٠	عبد الملك بن شهيد	الخفيف	الرزايا
٥٩٤ : ٣	أبو يزيد ابن العاصي	»	جدويا
٥٦٤ : ٥	ابن ليون	»	رديا
١٢٠ : ٤	ابن الأبار	»	الرواية
١٢٠ : ٤	التجاني	»	غاية
٥٩٢ : ٥	ابن ليون	»	النهاية
١٥٩ : ٤	يحيى السرقسطي	»	عطرية
٥٩١ : ٥	ابن ليون	»	البرية
٤٨٩ : ٦	لسان الدين	»	التقية
٣٩٠ : ٣	البياسي	مجزوء الخفيف	ناحية
٤٤٤ : ٧	أبو عبد الله ابن الجنان	المجث	وليا
٤٠٧ : ٣	ابن سدرائي	»	تحية
٣٢٦ : ٣	ابن عمار	المتقارب	الثنايا
٥٧٢ : ٢	أبو حيان	»	عافية
٢٩٤ : ٤	_____	»	ماضيه
٣٥٥ : ٧	ابن جابر	»	بالقافية
٤٨٤ : ١	عبادة	الطويل	سميه
٣١٣ : ٤	ابن عمار	مخلع البسيط	والثدي
٣١٣ : ٤	المعتمد بن عباد	»	العشي
٥٦١ : ٥	ابن ليون	الوافر	غمي
٥٦٢ : ٥	»	السريع	سعيه
١٣٠ : ٣	ابن الشمر	الخفيف	اللوزعي
٢٦٥ : ٦	ابن باق	الطويل	حيه
١٠١ : ١	أبو تمام	الوافر	الخلي
٥٩٧ : ١	»	»	الخلي
٤٠١ : ٢	ابن عنين	»	وعى

٤٨٣ : ٢	ابن الفكون	الوافر	الأريحي
٣٣١ : ٤	ابن العريف	»	الصبي
٣٢٦ : ٦	_____	»	حيّ
٢٢٨ : ٤	ابن النبي .	الكامل	وحليّه
٢٩٣ : ٥	_____	السريع	العيّ
٣٤٥ : ٣	ابن اللبانة	»	لحيه
٦٠١ : ٣	ابن صارة	الخفيف	العشيّ
١٨١ : ١	الرصاصي البلنسي	المتقارب	الولي

فهرست الرجز

٤٠٢ : ٦ ، ١٨٩ : ٣	ابن دريد	وصي
٣٠٦ : ٧	ابن جابر	رأى .
٢١٢ : ٤	ابن ظافر والأعز	ذهباً
٥٥٣ : ٥	ابن ليون التجيبي	راغبه
٥٨٨ : ٥	» » »	طالبه
٦٦٥ : ١	المتوكل ابن الأفتس	ذوائبُ
٦٦٥ : ١	ابن عبدون	الثاقب
٩٣ : ٤	المعتمد بن عباد	الغضب
٥٠٢ : ٦	لسان الدين	والوصب
٤٤٣ : ٥	ابن الجياب	يعقوب
١٧٧ : ٦	_____	مصمت
٣٥٧ : ٣	أبو الصلت	أكثرثُ
١٦١ : ٤	_____	قدحُ
٣٢٦ : ٤	أبو عبد الله ابن الحاج	القبائح
١٢١ : ٤	ابن مفوز	تجدُ
١٥٥ : ٥	ابن الهبارية	ولدُ
٤٤٦ : ٢	أبو بكر العمري	يحمدُ
٣٨٩ : ٢	البدر بن حبيب	المنفردُ
٨١ : ٧	إمام الدين الخليلي	يحمدُ
٣١٥ : ٢	ابن سعيد	الحدودُ
٤٦٧ : ٢	الشاهيني	عندي
٦٩٣ : ٢	الشراز	ابتدي

٢٢٤ : ٣	الشقندي	يدي
٢٩ : ١	ابن المعلم	نجد
٣٥ : ١	ابن ناهض	بلد
٩٤ : ٤	المعتمد بن عباد	الأبد
٣٩٠ : ٢	البدر بن حبيب	جهد
١٦٨ : ١	_____	آخذ
٣٥٥ : ٣	ابن ظافر	الزهر
٣٧ : ١	العمرى	النصر
١٣٤ : ٢	أبو الحكم المغربي	الغرا
٦٥٠ : ١	ابن السيد البطليوسي	الكرى
١٧٥ : ٤	أبو جعفر ابن سعيد	الحرا
١٨٦ : ٢	الششتري	متحيرا
٢٨٤ : ٣	ابن زيدون	قصرك
١٣١ : ٦٣ : ٤	أبو عمران الطرياني	السحرة
١٠١ : ٧	لسان الدين	فكره
١٦٧ : ٢	ابن عربي	بصري
٦٠٧ : ٣	ابن الرومي	الحور
٢٩٧ : ٥	_____	المشتري
٣٩٧ : ٥	ابن مرزوق الخطيب	خيبري
٤٤٥ : ٥	ابن الحياض	البخار
٢٩٨ : ٥	_____	حمار
٤٧٤ : ٦	لسان الدين	أعجزه
٥٠٢ : ٦	أبو عبد الله ابن جزي	بالأنس
٥٦٦ : ٥	ابن ليون التجيبي	ولبيه
٦٠٨ : ٣	المعتمد وابن جاش	عصى
٥٢٠ : ٣	ابن مالك وابن أبي الخصال	العصا
٤٩٠ : ٣	ابن صارة	يركض

١٧٠ : ٢	سعد الدين ابن عربي	اختلطُ
٤٠٥ : ٢		اللتطُ
١٢١ : ٤	ابن مفوز	موقفتهُ
٢٢٨ : ٢	ابن غازي	وعى
١٠٩ : ٣	أبو الربيع الموحدي	ودّعهُ
١٠٩ : ٣	أبو الحسن الموحدي	رفعه
٢٥٥ : ٢	الغزال	معه
٤٥١ : ٥	ابن الجياب	المنوعه
٢٢٢ : ٧	ابن زمرك	مجمعه
١١٨ : ٧	أبو الفضل ابن رضوان	الرابعه
٤٤٤ : ٥	ابن الجياب	القطع
٦٩ : ٥	صفوان بن ادريس	الأدمع
٦٠ : ٦	لسان الدين	ارتغا
٦٠ : ٦	ابن الجياب	وبغى
٤٥١ : ٥	د د	التكليفُ
٦٩٣ : ٢	ابن فتوح	نقى
٩٠ : ١	الزغاري	يعترقُ
٥٥٢ : ٥	ابن ليون التجيبي	تفق
٦٥٨ : ٢	أبو ركوة	برّقهُ
٣٠٢ : ٢	الزناطي	يخلقُ
٨١ : ٦	ابن سلبطور	بالأبرقِ
٣٥٤ : ٣	المهذب	مشرق
٤٥١ : ٥	ابن الجياب	ومشرق
٤٦٨ : ٢	الشاهيني	السحيقِ
٦١ : ١	أبو الوحش أو الشاغوري	دقاقها
٢٣١ : ٢	الأمسراني	المسالكِ
٨٠ : ٢	أبو المغيرة ابن حزم	الأسلُ

٥٧٧ : ٥	ابن ليون التجيبي	العمل
١٤٩ : ٤	ابن صفوان المالقي	تحصلا
٦٩٨ : ٢	الراعي الغرناطي	الجملة
٣٢١ : ٦	_____	عمل
٧٤ : ٤	الرمادي	تسلسل
٣١٧ : ٣	أبو الحجاج الياسي	أمل
٣٥٤ : ٣	البرقعدي	كالخلي
٥٦٧ : ٥	ابن ليون التجيبي	المقل
٢٤٦ : ٣	ابن شهيد	خليلي
٥٣٧ : ٥	عبد المهيمن الحضرمي	أحواله
١١٧ : ٧	أبو عبد الله العزفي	القلم
٤٤٤ : ٥	ابن الجياب	العجم
٤٥٢ : ٥	» »	الحكيم
٤١٢ : ٣	السميسر	أعلم
٤٣٣ : ٥	ابن مرزوق الحفيد	وفطن
٢١٤ : ٦	_____	ثمن
٤٥٣ : ٥	ابن الجياب	فنون
١٢٧ : ٦	» »	المولدين
١١١ : ٧	ابن الحاج الغرناطي	يسحرنا
٢١٢ : ٤	المعتمد بن عباد	جاهنا
٢٨٨ : ٥	أعرابي	بدنه
٢٦ : ١	_____	دونه
٣٤ : ١	_____	والزمان
٢٨ : ٦	_____	والزمان
٢٩٨ : ٣	ابن الأزرق	بمن
٨١ : ٧	المنصور الذهبي	فن
٢٤٢ : ٤	المعتضد	حسن

٥٥٦ : ٣	ابن مسرة	دجن
١٦٣ : ٥		لساني
٤١٥ : ٢	الشهاب الحجازي	زها
٢٣١ : ٢	ابن الوردي	وفهمها
٣٥٣ : ٥	أبو علي الونشريسي	الله
١٢١ : ٤	ابن مفوز	ويرتجيه
٣٨٢ : ٢	ابن جبير	النوى
٧٤ : ٧	المنصور الذهبي	انطوى
٢٩٤ : ٤		عاصيه
٦٥٥ : ٢		معاويه
٦٩٧ : ٢	الراعي الفرناطي	المصريه

فهرست الموشحات والوزجال والمسقطات

١ - الموشحات

٦ : ٧	العود قد ترنم بأبدع تلحين	ابن ارفع راسه
٥٥١ : ٤	مبسم البهرمان في المحيا الذي	ابن أرقم
٨ : ٧	جرر الذيل أيما جر	ابن باجة
١٣ : ٤	ان جيت أرض سلا	ابن بقي
٢٣٧ : ٤	غلب الشوق بقاقي فاشتكى	» »
٢٣٨ : ٤	خذ حديث الشوق عن نفسي	» »
٢٤٠ : ٤	ما ردني لأبس	» »
٧ : ٧	أما ترى أحمد	» »
٩٥ : ٧	ما بي شمول إلا شجون	» »
٥٥٦ : ٢	قمر يجلو دجى الغلس	ابن التلمساني ، شهاب الدين
١٠ : ٧	يا هاجري هل إلى الوصال	ابن حزمون
١١ : ٧	ثغر الزمان موافق	ابن خزر البجائي
١١ : ٧	يد الإصباح قد قدحت زناد الأنوار	ابن خلف الجزائري
٢٤٠ : ٧	بالله يا قامة القضيبي	ابن زمرك
٢٤٢ : ٧	نسيم غرناطة عليل	» »
٢٤٤ : ٧	أبلغ لغرناطة سلامي	» »
٢٤٦ : ٧	نواسم البستان	» »
٢٤٩ : ٧	ريحانة الفجر قد أطلت	» »

٢٥١ : ٧	قد طلعت راية الصباح	ابن زمرك
٢٥٣ : ٧	في كؤوس الثغر من ذاك اللبس	» »
٢٥٥ : ٧	قد أنعم الله بالشفاء	» »
٢٥٧ : ٧	عليك يا رية السلام	» »
٢٥٨ : ٧	قد نظم الشمل أتم انتظام	» »
٢٦٠ : ٧	في طالع اليمن والسعود	» »
٢٦١ : ٧	وجه هذا اليوم باسم	» »
٢٦٣ : ٧	قد نظم الشمل أتم انتظام	» »
٢٦٤ : ٧	لله ما أجمل روض الشباب	» »
٢٨٠ : ٧	لو ترجع الأيام بعد الذهاب	» »
٩ : ٧ ، ٢٥٠ : ٢	ما للموله من سكره لا يفيق	ابن زهر الحفيد
٢٥١ : ٢	سلم الأمر للقضا	» » »
٤٦٨ : ٣	صادني ولم يلد ما صادنا	» » »
٤٦٨ : ٣	هات ابنة العنب	» » »
١٤ : ٧	يا حبيبي ارفع حجاب النور	ابن سناء الملك
٥٢٧ : ٣	ليل الهوى يقظان	ابن سهل
٦١ : ١١ ، ٧	هل دري ظبي الحمى أن قد حمى	» »
١٠ : ٧	قسماً بالهوى لذي حجر	ابن الصابوني
١١ : ٧	ما حال صب ذي ضنى واكتئاب	» »
١٨١ : ٢	سراير الأعيان لاحت على الأكوان	ابن عربي الصوفي
٢٠٤ : ٣	ورداء الأصيل تطويه كف الظلام	ابن الفرس
١٠ : ٧	واحسرتي لزمان مضى	ابن الفضل
٨ : ٧	ما العيد في حلة وطاق	ابن موهل
٨٦ : ٧	ما سحّ محمر دموعي وساح	ابن نباتة
٤٩٣ : ٣	نازعك البدر اللباح	ابن نزار
٨ : ٧	يا ليلة الوصل والسعود	ابن هرودس
٦٣٠ : ١	غدا منادينا محكماً فينا	ابن الوكيل

٤٧٦ : ١	في نعمة العود والسلافه	أبو الحسن المريبي
٥٥٥ : ٢	عاذلي في الأهيف الأنس	أبو حيان الجياني
٥٥٧ : ٢	ان كان ليل داج	» » »
٦٩ : ٧	ليت شعري هل أروي ذا الظما	أبو الفضل العقاد
٧ : ٧ ، ٤٠٤ : ٣ ، ٧ : ٧	ضاحك عن جمان	الأعمى التطيلي
٧ : ٧	كيف السبيل إلى صبري . . .	» »
٩ : ٧	كحل الدجى يجري	سهل بن مالك
١٠ : ٧	إن سيل الصباح في الشرق	» » »
٨٩ : ٧	يا ليلة الوصل وكأس المقار	الشهاب العزازي
٩١ : ٧	ما على من هام وجداً . . .	» »
٩٢ : ٧	ما سلّت الأعين الفواتر	» »
٩٤ : ٧	رنا بأجفانه الفواتر	» »
٦ : ٧	بدر تم شمس ضحى . . .	عبادة القزاز
٨٨ : ٧	ويلاه من رواق	عثمان البلطي
٥٥٠ : ٤	بدر أهل الزمان	العربي العقيلي
٥٥١ : ٤	بان لي ثم بان	» »
٥٥١ : ٤	هل لمراك ثان	» »
٥٥١ : ٤	هل يصح الأمان	» »
٨٢ ، ١١ : ٧	جارك الغيث إذا الغيث همى	لسان الدين
٦٦ : ٧	رب ليل ظفرت بالبدن	» »
٦٨ : ٧	كم ليوم الفراق من غصه	» »
٨٦ : ٧	قد حرك الجللجلى بازي الصباح	» »
٤١٢ : ٣	كم في قدود البان	محمد بن عبادة
٧٢ : ٧	ريان من ماء الصبا	المنصور الذهبي
٧٣ : ٧	ولياي الشعور إذ تسري	» »
٤٢ : ١	يا من لعبد به افتقار	_____
٢٥٢ : ٢	فتق المسك بكافور الصباح	_____

٢١٣ : ٣	اشبيليا عروسا	_____
٦٢ : ٧	يا عريب الحيّ من حي الحمى	_____
٦٣ : ٧	لا تلمني يا عدولي تأثما	_____
٧٠ : ٧	واخرجتنا للصباح	_____
٨٢ : ٧	عطر الأرجاء لما نسما	_____
٨٦ : ٧	بنفسج الليل تذكى وفاح	_____
٨٨ : ٧	عقارب الأصداغ	_____

٢ - الازجال

١٦ : ٧	من يعاند التوحيد بالسيف يمحق	ابن حجار
١٥ : ٧	وعريش قد قام على دكان	ابن قزمان
١٩٠ : ٢	جنان يا جنان	أبو الحسن الحرالي
١٦ : ٧	ليتنى إن ريت حبيبي	البيع
٤٧٨ : ١	بالله أين نصيب	قاسم بن عبود
١٧ : ٧	امزج الأكواب واملاي	لسان الدين
١٧ : ٧	بين طلوع وبين نزول	» »
١٧ : ٧	البعد عنك يا ابني	» »
١٦ : ٧	ورذاذ دق ينزل	مدغليس
١٦ : ٧	لاح الضياء والنجوم سكارى	»
٢٣٤ : ٥	بالله يا طير مدلل	_____
٣٨٩ : ٣	خلين من واد ومن قوارب	_____

٣ - الدوييت

٥٧٨ : ٢	حيث أثير الدين شيخ الأدبا	ابن بنت الأعز
٩٨ : ١	قد أصبح آخر الهوى أوله	_____
١٦٩ : ٢	قلبي قطبي وقالبي أجفاني	_____
٢٨٠ : ٦	سلمت لمصر في الهوى من بلد	_____

٤ - أراجيز مزدوجة

٤٧٦ : ٢	لله در العالم الجياني	التاملي
٤٢٤ : ٢	أحمد من أطار في جو العلا	المقري المؤلف
٤٢٦ : ٢	أحمد من شيد بالاسناد	» »
٤٣٠ : ٢	أحمد من زين بالمحاسن	» »
٤٣٣ : ٢	أحمد من خصص بالأسرار	» »
٤٣٦ : ٢	أحمد من أطلع شمس الدين	» »
٤٣٨ : ٢	أحمد من أطلع من محاسن	» »
٤٣٩ : ٢	أحمد من زين بالآثار	» »
٦٤ : ١	فما رياض زهر الربيع	_____

٥ - المربعات

١٩٥ : ٢	أهن لأهل البدع	ابن عفيف
---------	----------------	----------

٦ - الخمسات

١٦٧ : ٥	يا سائلاً لضريح خير العالم	ابن جابر القسائي
٤٣٢ : ٧	الله زاد محمداً تكريماً	ابن الجنان ، أبو عبد الله

٢٤ : ١	أيامنا بالحمى ما كان أحلاك	ابن خاتمة
١٩٦ : ٧	أرقت لبرق مثل جفني ساهرا	ابن زمرك
٤٤٥ : ٧	جعل المهيمن حب أحمد شيمة	ابن سهل
٣٣٦ : ٤	همّ الأبني على مقدار منصبه	ابن الصائغ القرشي
٤٦٨ : ٧	الله أكرم أحمداً تكرّما	ابن القصير
٧٥ : ٧	ورقيب يردد اللحظ ردا	أحمد الزموري
٤٥٩ : ٧	الله زاد المصطفى تعظيما	أحمد بن محمد المغربي
٤٤١ : ٧	أهلاً بكم يا أهل هذا النادي	إدريس بن موسى القرطبي
٤٧٥ : ٢	إذا أزمة نزلت قبلي	التاملي ، محمد بن يوسف
٣٩٧ : ٢	قبيح بمن ضاقت عن الرزق أرضه	الصفدي الحلبي
٥٩ : ٧	أيا ساكنين بأرض اللوى	علي بن جودي
١٠٤ : ٤	من لي بمجبول على ظلم البشر	الفرّاز
٤٥٣ : ٧	ألف : أجل الأنبياء نبيء	مالك بن المرحل
٤٣٩ : ٧	انشق أزاهر عن فنون رياض	المقرّي المؤلف
١١٣ : ٥	أيا جاهلاً عزه ما يفوت	بعض بني الصباغ
٤٣٨ : ٧	اسمع حديثاً قد تضمن شرحه	_____
٤٤٩ : ٧	يا أمة الهادي المبارك أحمد	_____
٤٤٨ : ٧	جل الذي بعث الرسول رحيماً	_____
٤٩ : ١	أكرم بعبد نحو طيبة مستند	_____
٤٨ : ١	مرّ النسيم بربعهم فتلذذا	_____

٧ - المسدسات

٢٧٨ : ٣	ما للعيون بسهم الفنج تصميّنا	_____
٤٧٠ : ٧	الله أحمد أحمداً إذ يبرأ	ابن عفيف الدين الإيجي
٤٧٥ : ٧	أحسن بطلمة أحمد هي أضوأ	» » » »

٤٨٠ : ٧	أنوار أحمد حسنها يتألا	محمد بن محمد بن العطار الجزائري
٤٨٥ : ٧	نور النبي المصطفى المختار	» » » »
٥١٣ : ٧	حل في طيبة رسول كريم	المتشاقري

٨ - المسبغات

٦٦٦ : ٢	لم يبق في اصطبار	ابن جابر
٦٦٧ : ٢	للعاشقين انكسار	أبو البركات السعدي

فهرست الرسائل والخطب والتوقيعات

- ابن الأبار : رسالة منه إلى أبي المطرف ابن عميرة ٤ : ٤٩٦
ابن برد الأكبر : عهد أنشأه لعبد الرحمن شنجول على لسان المؤيد ١ : ٤٢٤
ابن بطوطة : قطعة من رحلته ٧ : ٣٣٧
ابن جبير : فصول من رحلته ٢ : ٣٨٦
ابن جزّي ، أبو عبد الله : رسالته إلى السلطان أبي عنان ٥ : ٥٣٤
ابن الجنان ، أبو عبد الله : وصية كتبها على لسان ابن هود ٧ : ٤٠٦
رسالته إلى أبي المطرف ابن عميرة ٧ : ٤١٧
خطبة له مرتجلة ٧ : ٤٢٣
رسالته إلى الرسول (ص) ٧ : ٤٢٤
من خطبة له طويلة ٧ : ٤٢٦
ابن الجنان ، أبو الوليد : رسالة يستدعي فيها بعض إخوانه ٣ : ٣٥٣
ابن الجياب : رسالة عن السلطان إلى أبي سعيد المريني ٥ : ٤٥٨
رسالة في العزاء بأبي الحسن المريني ٥ : ٤٦١
ابن الحاج ، أبو البركات : نبذة من رحلته ٢ : ٥٣٤
نسخة كتاب طلاق ٥ : ٤٧٩
ابن حبيش ، أبو بكر : رسالة له في « ماذا » التكميلية ٤ : ١٤١
إجازة من إنشائه ٤ : ٣١٢
قطعة من إجازة أخرى ٤ : ٣١٣
ابن حزم ، أبو محمد : رسالته في فضل الأندلس ٣ : ١٥٦
ابن حسداي : جواب منه لابن الدباغ عن رسالة ١ : ٥٣٥
ابن حكم السلوي : رسالته إلى المقرئ الجدي ٥ : ٢٥٩

- ابن الحكيم ، أبو عبد الله : بعض رسالة كتبها عن السلطان ٦٢٤ : ٢
- إجازة من إنشائه ٥٠١ : ٥
- ابن خاتمة ، أبو جعفر : رسالة إلى لسان الدين ٢٨ : ٦
- رسالة إلى ابن جزري ٣٣ : ٦
- رسالة أخرى إلى لسان الدين ٣٤ : ٦
- رسالة ثالثة إلى لسان الدين ٣٧ : ٦
- ابن خفاجة ، أبو إسحاق : رسالة في وصف منتره ٥٣٦ : ١
- رسالة إلى صديق ولي حصناً ٥٣٧ : ١
- رسالة يستدعي عود غناء ٥٣٨ : ١
- رسالة إلى من بقل عذاره ٤٦٠ : ٣
- ابن داود الحميري : رسالة من إنشائه ٢٣٢ : ٦
- ابن الدباغ ، أبو المطرف : رسالة إلى بعض إخوانه ٥٣٤ : ١
- ابن دحية ، أبو الخطاب : فصل في الاعتبار ١١٥ : ٥
- ابن الربيب القيرواني : رسالته إلى أبي مروان الزناطي ٣٠١ : ٢
- رسالة أخرى إلى الزناطي ٣٠٢ : ٢
- رسالته إلى أبي المغيرة ابن حزم حول إهمال الأندلسيين لتراثهم ١٥٦ : ٣
- ابن رضوان ، أبو القاسم : جواب على رسالة من لسان الدين ٤٤ : ٦
- ابن زيدون ، أبو الوليد : من رسالة له إلى ولادة ٢٠٧ : ٤
- ابن سعيد ، أبو الحسن : إجازته للثيفاشي رواية المغرب ٣٣٢ : ٢
- فصول من رحلته في القسطنطينية والقاهرة ٣٣٩ : ٢
- تذييله على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس ١٧٩ : ٣
- ابن سعيد ، أبو عمران : وصيته لابنه أبي الحسن ٣٥٢ : ٢
- رسالته إلى عبد الواحد الموحدي ٣٦٢ : ٢
- ابن سعيد ، عبد الرحمن : رسالته إلى أهله من بخارى ٣٧١ : ٢
- رسالة أخرى تتحو نحو السابقة ٣٧٢ : ٢
- ردّ أهله على رسالته ٣٧٣ : ٢
- ابن سعيد ، عبد الملك : رسالته إلى أبيه حين سجن ١٨٩ : ٤

- رسائله يعتذر عن مجلس أنس ١٩٣ : ٤
- جواب على رسالة وصلته من اللص ١٩٤ : ٤
- ابن سعيد ، مالك : رسالة منه على لسان الميورقي ابن غانية ٣ : ٥٦٨
- ابن سيد ، اللص : رسالته إلى عبد الملك بن سعيد ١٩٣ : ٤
- ابن شهيد الوزير : رسالته إلى الناصر في ذكر هديته ١ : ٣٥٩
- ابن صاحب الصلاة : رسالته في وصف جامع قرطبة ١ : ٥٥٢
- ابن صفوان : إجازته للسان الدين ابن الخطيب ٦ : ٤٠
- ابن طفيل ، أبو بكر : رسالته في شأن المصحف العثماني ١ : ٦٠٧
- ابن عاصم ، أبو بكر : نموذج من ثره ٦ : ١٤٨
- رسالته إلى ابن طركاط ٦ : ١٥٣
- ظهير بتقديمه (لم ينسب لكاتب معين) ٦ : ١٥٥
- ابن عبد الملك الجزيري : رسالة على لسان بنفسج العامرية ١ : ٥٣١
- ابن العربي العقيلي : رسالة على لسان المخلوع النصري إلى الشيخ الوطاسي ٤ : ٥٢٩
- ابن العربي المعافري : فصل من رحلته ٢ : ٣١
- ابن عسكر ، أبو عبد الله : رسالته إلى أبي عمران ابن سعيد ٢ : ٣٥١
- ابن عطية ، أبو جعفر : رسالة في استعطاف عبد المؤمن ٥ : ١٨٤
- رسالته عن أبي حفص عمر لآيتي في موقعة الماسي ٥ : ١٨٧
- ابن عقال : وصف إجازة إبراهيم اللمتوني البحر ٧ : ٤٨
- ابن عميرة ، أبو المطرف : رسالته عن بلنسية إلى أبي جعفر ابن أمية ١ : ٣٠٥
- رسالة إلى الحفصي سلطان إفريقية ١ : ٣٠٨
- قطعة من رسالة له ١ : ٣١٠
- قطعة أخرى ١ : ٣١١
- من رسالة إلى صاحبين له ١ : ٣١٢
- رسالة في ضياع بعض المدن الأندلسية ١ : ٣١٧
- رسالة عن أهل شاطبة في تهنئة ابن هود ١ : ٣٢١
- رسالة إلى أبي العلاء حسان يوصي بأحد المشاركة ٣ : ١٤٥
- رسالته إلى أبي الحسن العنسي يوصي بأحد المشاركة ٣ : ١٤٦

- رسالته إلى ابن الأبار عند سقوط بلنسية ٤ : ٤٩٠
- ابن غانم : جوابه على رسالة وصلته من هاشم بن عبد العزيز ٣ : ٣٧٣
- ابن الفخار ، أبو عبد الله : خطبته في الدفاع عن القاضي الوحيد ٣ : ٣٩٢
- ابن الفراء ، أبو عبد الله : رسالته إلى يوسف بن تاشفين ٣ : ٣٨٦
- ابن اللماحي : قطعة من رسالة له ٣ : ٥٤٧
- ابن مرج الكحل : رسالته إلى صفوان بن إدريس ٥ : ٥٧
- ابن مرزوق الخطيب : رسالة إلى لسان الدين ٦ : ٦٤
- ابن هانيء اللخمي السبتي : رسالة له ٦ : ٢٤٨
- أبو إبراهيم الفقيه : رده على رسالة وصلته من الحكم المستنصر ١ : ٣٧٦
- أبو أمية : رسالة إلى ابن عبد الغفور ٣ : ٥٥١
- أبو بكر اشكنهاده : رسالة في التوصية ببعضهم ٢ : ٩٦
- أبو بكر الطرطوشي : موعظة قالها أمام الأفضل أمير الجيوش ٢ : ٨٧
- أبو الحجاج المنتشاقري : رسالته إلى لسان الدين ٦ : ١٣٥
- أبو الحسن المريني : رسالة منه إلى الملك الصالح (لم يذكر منشؤها) ٤ : ٣٨٦
- أبو الحسن النباهي : رسالة منه إلى لسان الدين (يكيّل له فيها التهم) ٥ : ١٢٢
- تعليقة في مدرج طي الرسالة السابقة ٥ : ١٢٥
- رسالة منه إلى لسان الدين (في المدح) ٦ : ١١٨
- أبو حفص الهوزني : من رسالة له إلى المتضد بن عباد ٢ : ٩٣
- أبو حيان أثير الدين النحوي : جواب له عن رسالة من الصفدي ٢ : ٥٤٩
- وصيته لأهله لما ارتحل إلى مصر ٢ : ٥٦٥
- أبو زيان المريني : ظهر منه لسان الدين (لم يذكر كاتبه) ٦ : ٥
- أبو سالم المريني : رسالة منه إلى لسان الدين (لم يذكر كاتبها) ٦ : ١٣
- أبو العباس الغساني : رسالته إلى أبي الحسن ابن سعيد ٢ : ٣٦٧
- أبو العباس المقرّي (مؤلف الكتاب) : رسالته إلى المفتي العمادي ٢ : ٤٤٧
- رسالته إلى أحمد الشاهيني ٢ : ٤٦٩
- أبو عبد الصمد : جواب عن رسالة من علي بن خير التطلبي ٣ : ٤٠٣
- أبو الفضل ابن الأعلم : نماذج من نثره ٤ : ٣٤

- أبو القاسم البرجي : رسالته إلى لسان الدين ٦ : ٦٧
- أبو محمد عبد الرحمن المعافري الوزير : رسالة منه إلى الفتح بن خاقان ٣ : ٢٣٣
- أبو الوليد حبيب : رسالته إلى أبيه ٣ : ٤٢٧
- أحمد بن شاهين : مقتطفات من رسالته إلى المؤلف ١ : ١٠٣
- رسالة أخرى منه إلى المؤلف ٢ : ٤٦٠
- الأذفونش : رسالة منه إلى المعتمد بن عباد (لم يذكر كاتبها) ٤ : ٣٥٨
- الأعلم الشتمري : رسالة في لفظ « المسهب » ٤ : ٧٧
- رسالة في المسألة الزنبرية ٤ : ٧٩
- أبوب المرواني : رسالته إلى بسام بن شمعون الوشقي ٣ : ٥٢٩
- تاج الدين المحاسني : رسالته إلى المقرري مؤلف الكتاب ٢ : ٤٥٧
- (تلميذ لابن سبعين) : رسالة له في الانتصار لأستاذه ٢ : ١٩٨
- (الشيخ) الجنتان : رسالة منه إلى لسان الدين ٦ : ٤٥
- حريز بن عكاشة : رسالة منه إلى الأذفونش ٣ : ٥٥٨
- مراجعة لابن ذي النون حول رسالة منه ٣ : ٥٦٠
- الحكم المستنصر : رسالته إلى الفقيه أبي إبراهيم لتخلفه عن إعدام ١ : ٣٧٦
- خالد البلوي : نبذة من رحلته ٢ : ٥٣٢
- السرخسي : مقتطفات من رحلته ٣ : ١٠١
- الشقندي : رسالته في تفضيل الأندلس على بر العدو ٣ : ١٨٦
- الصفدي ، خليل بن أبيك : رسالته إلى أبي حيان ٢ : ٥٤٥
- رسالة إلى أبي حيان يستدعي إجازة ٢ : ٥٤٨
- رسالة عن الملك الصالح إلى أبي الحسن المريني ٤ : ٣٩٤
- إجازة برواية رسالته السابقة والواردة من أبي الحسن ٤ : ٣٩٩
- صفوان بن ادريس ، أبو البحر : رسالته في تنافس مدن الأندلس على أمير موحد ١ : ١٧٠
- رسالته إلى ابن مرج الكحل ٥ : ٥٨
- خطبة نكاح ٥ : ٥٩
- رسالة عتاب ٥ : ٦١
- رسالة تهنته إلى أبي القاسم ابن بقي ٥ : ٦٨

- طارق بن زياد : خطبته عند دخول الأندلس ٢٤٠ : ١
- عبد الرحمن الداخل : توقيع على رسالة سليمان بن يقظان الأعرابي ٣٩ : ٣
- رسائل بينه وبين مولاة بدر ٤٠ : ٣
- عبد الرحمن العمادي المقي : جواب له عن رسالة المقرري المؤلف ٤٤٧ : ٢
- عبد الحميد بن لاطون : رسالة له على لسان حريز بن عكاشة ٥٦٠ : ٣
- عبد العزيز الفشتالي : رسالته إلى المقرري مؤلف الكتاب ٥٦ : ٦
- عبد الكريم الفكون : رسالته إلى المقرري مؤلف الكتاب ٤٨٠ : ٢
- علي بن خير التطيلي : رسالته إلى أبي عبد الصمد السرقسطي ٤٠٢ : ٣
- علي بن عبد الواحد الأنصاري : رسالته إلى المقرري مؤلف الكتاب ٤٧٨ : ٢
- علي بن لسان الدين : رسالة على لسان سلطانه ٣٧٧ : ٧
- رسالة أخرى على لسان سلطانه ٣٨٤ : ٧
- رسالة عن الغني بالله ٣٩٠ : ٧
- الفتح بن خاقان : رسالته إلى بعض الملوك في وصف نومة ٦٥٩ : ١
- رسالته إلى بعض الملوك مهتأ ٦٧٨ : ١
- رسالته إلى علي بن يوسف في شأن ابن زهر ٢٤٥ : ٢
- رسالته في غريق ٢٤٦ : ٢
- ظهير من إنشائه ٣١ : ٧
- رسالة له ٣٦ : ٧
- قطعة من رسالة له ٣٧ : ٧
- رسالته إلى أبي بكر ابن علي بن يوسف ٣٧ : ٧
- من رسالة أخرى له ٣٨ : ٧
- الفيروزابادي : رسالته في حق ابن عربي الصوفي ١٧٦ : ٢
- الكفعمي : رسالته إلى ابن القرفور ٣٣٤ : ٧
- لسان الدين ابن الخطيب : رسالة على لسان السلطان في تفضيل الجهاد على الحج ١٨٦ : ١
- رسالته عن الغني بالله إلى المنصور بن قلاوون ٣٢١ : ١
- ظهير في تولية علي بن بدر مشيخة الغزاة ٤٥٣ : ١
- رسالة على لسان السلطان إلى الرسول (ص) ٥٠٥ : ١

- رسالة عن الغني بالله إلى السلطان المريني في وصف بعض الغزوات ٥٠٦ : ١
- رسالة أخرى في منحنى السابقة ٥١٢ : ١
- رسالة إلى أبي فارس المريني في الشفاعة لابن مرزوق ١٢٥ : ٢
- رسالة على لسان الغني بالله إلى ضريح الولي السبي ١٠٠ : ٣
- رسالة على لسان السلطان إلى السلطان المريني ٤٠٤ : ٤
- رسالة في استنهاض السلطان المريني ٤١١ : ٤
- رسالة إلى سلطان فاس ٤١٥ : ٤
- رسالة في الاعتذار عن فرار أبي الفضل المريني ٤٢٠ : ٤
- رسالة عن الغني إلى الأمير السعيد ٤٢٩ : ٤
- رسالة إلى أبي عنان عن أبي الحجاج ٤٣٢ : ٤
- رسالة على لسان يوسف النصري ٤٣٦ : ٤
- رسالة في حاجة الأندلس إلى بر العدو ٣٤٨ : ٤
- رسالة عن أبي الحجاج إلى الرعايا ٤٤٢ : ٤
- رسالة توضح ضيق الحال بالأندلس ٤٤٤ : ٤
- قطعة من رسالة طويلة ٤٤٥ : ٤
- رسالة إلى السلطان أبي سالم ٣٧ : ٥
- رسالة عن الغني بالله إلى ابن قلاوون ٩٠ : ٥ (وانظر ١ : ٣٢١)
- ظهير بتولية النباهي القضاء ١٣١ : ٥
- ظهير بتولية ابن زمرك كتابة السر ١٣٤ : ٥
- ظهير بإضافة الخطابة إلى النباهي ١٣٦ : ٥
- رسالة في عتاب ابن أبي رمانة ١٤٣ : ٥
- رسالة إلى ابن مرزوق برفض الدنيا ١٤٥ : ٥
- رسالة إلى أبي عنان في الاعتذار عن المقرري الجدد ٢١٠ : ٥
- رسالة في الموضوع السابق ٢١٣ : ٥
- رسالة إلى ابن مرزوق عند قدومه على المرينيين ٤٠٦ : ٥
- جواب لسان الدين عن رسالة من أبي سالم ١٤ : ٦
- رسالة إلى أبي سالم ١٧ : ٦

- جوابه عن رسالة ابن خاتمة ٣٠ : ٦
رسالة إلى ابن نفيس ٤١ : ٦
رسالة إلى ابن رضوان ١٦٧ ، ٤٣ : ٦
جواب عن رسالة من ابن مرزوق ٦٥ : ٦
رسالة إلى أبي عبد الله اليتيم ٩٢ : ٦
رسالة إلى سلطان تونس ١٣١ : ٦
رسالة إلى المتشاقري ١٣٧ : ٦
في استدعاء إمداد وحض على جهاد ١٦٥ : ٦
في صداق لكبير الشرفاء بفاس ١٦٦ : ٦
رسالة إلى أبي عبد الله الشديد ١٦٨ : ٦
رسالة إلى علي بن بدر الدين الطوسي ١٧٠ : ٦
رسالة إلى ابن خلدون أبي زيد ١٧٣ : ٦
رسالة مداعبة إلى ابن خلدون ١٧٤ : ٦
رسالة إلى سلطان تلمسان ١٩٥ : ٦
رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب ٢٠٤ : ٦
رسالة إلى ابن أبي مدين ٢٠٥ : ٦
رسالة إلى قاضي الجماعة ٢٠٥ : ٦
رسالة إلى بعض الفضلاء ٢٠٧ : ٦
رسالة إلى أبي عبد الله ابن نصر ٢٠٧ : ٦
رسالة لمحمد بن نوار في عرس ٢٠٨ : ٦
رسالة إلى عامر المهنائي ٢٠٨ : ٦
وصف سبتة من مقامة بلدانية ٢٠٩ : ٦
وصف مكناسة من نقاضة الجراب ٢١١ : ٦
وصف مكناسة من مقامة بلدانية ٢١٣ : ٦
رسالة على لسان السلطان إلى ابن يلبغا ٢٧١ : ٦
رسالة على لسان السلطان إلى ابن تافراكين ٣٣٣ : ٦
رسالة على لسان الغني بالله ٣٣٩ : ٦

- رسالة على لسان الغني بالله إلى سلطان فاس ٣٤٠ : ٦
رسالة على لسان الأمير سعد ابن الغني بالله ٣٤٣ : ٦
رسالة على لسان ولد السلطان من مالقة ٣٤٤ : ٦
رسالة بتولية يوسف مشيخة الغزاة ٣٤٦ : ٦
رسالة بتقليد الأمير سعد مشيخة الغزاة ٣٤٩ : ٦
رسالة إلى الغني بالله من سلا ٣٥٢ : ٦
رسالة إلى أبي عبد الله ابن عمر التونسي ٣٥٣ : ٦
رسالة على لسان أبي الحجاج إلى الرسول (ص) ٣٥٤ : ٦
رسالة على لسان الغني بالله إلى الرسول (ص) ٣٦١ : ٦
قطعة من رسالة في العزاء ٣٧٩ : ٦
رسالة إلى أبي زيان سلطان المغرب ٣٨١ : ٦
رسالة أخرى إلى أبي زيان ٣٨٥ : ٦
رسالة إلى يحيى بن رحو ٣٨٦ : ٦
رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب ٣٨٧ : ٦
رسالة أخرى إليه في الشفاعة ٣٨٨ : ٦
رسالة إلى أبي زيد ابن خلدون ٣٨٩ : ٦
رسالة إلى أخيه أبي زكريا ابن خلدون ٣٩٦ : ٦
رسالة إلى أبي القاسم ابن رضوان ٣٩٩ : ٦
رسالة إلى شيخ العرب مبارك بن إبراهيم ٤٠٠ : ٦
رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب ٤٠٣ : ٦
ظهير سلطاني ٤٠٥ : ٦
مخاطبة لتربة السلطان أبي الحسن ٤٠٨ : ٦
رسالة للوزير عمر ٤١٠ : ٦
رسالة أخرى للوزير عمر على أثر فتح ٤١١ : ٦
رسالة ثالثة للوزير عمر من سلا ٤١٢ : ٦
رسالة إلى عامر الهنتائي ٤١٤ : ٦
رسالة أخرى إلى عامر الهنتائي ٤١٦ : ٦

- رسالة إلى شيخ الدولة ٤١٧ : ٦
- رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب ٤١٩ : ٦
- جواب عن كتاب وصل من سلطان تلمسان ٤٢٧ : ٦
- مقامة له في السياسة ٤٣١ : ٦
- رسالة إلى السلطان على لسان جدته ٤٤٧ : ٦
- وصيته لأبنائه ٣٩١ : ٧
- المأمون بن ذي النون : ردّه على رسالة كتبها عبد الحميد بن لاطون على لسان حريز ٥٦٠ : ٣
- محمد بن عبد البر : رسالته إلى المنصور الصغير ٥٩٧ : ١
- محمد بن يوسف التاملي : رسالته إلى المقرري مؤلف الكتاب ٤٧٠ : ٢
- المعتمد بن عبّاد : جواب على رسالة من الأذفونش ٣٥٨ : ٤
- رسالته إلى ابنه بعد الزلافة ٣٦٩ : ٤
- المنذر المرواني : رسالته إلى أبيه ٥٧٥ : ٣
- منذر بن سعيد : خطبته في استقبال وفد الروم ٣٦٩ : ١
- خطبته في الترهيد وذم البنيان ٥٧٠ : ١
- من خطبته في الاستسقاء ٥٧٢ : ١
- هاشم بن عبد العزيز : رسالته وهو مأسور إلى ابن غانم ٣٧٣ : ٣
- يحيى المحاسني : رسالة إلى المقرري مؤلف الكتاب ٤٤٩ : ٢
- رسالة أخرى إلى المؤلف ٤٥١ : ٢
- يحيى بن يطف : رسالته إلى ابن هود ٥٦١ : ٣
- يوسف بن تاشفين : جوابه على رسالة من أمراء الطوائف (لم يذكر اسم الكاتب) ٣٥٥ : ٤
- كتابه إلى أذفونش ٣٦١ : ٤
- _____ رسالة من أمراء الطوائف إلى يوسف بن تاشفين ٣٥٥ : ٤
- _____ رسالة في العزاء بأبي جعفر ابن الزبير ١٥٦ : ٥
- _____ تقاريط على كتاب نسيم الصبا ٦٧١ : ٢

فهرست الكتب التي ذكرت في المتن

١

- الآجرومية لابن آجروم : ٢ : ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٧ : ١٢٣
الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله (ص) من المعجزات لابن دحية : ٢ : ١٠٤ ،
٥ : ٥٣٥
الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات لابن مرزوق : ٥ : ٤٣٠
الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والاحكام لابن البيطار : ٢ : ٦٩٢
الإبانة عن حقائق أصول الديانة لمنذر بن سعيد : ٣ : ١٦٩
الإبل والتحليل للقالبي : ٣ : ٧٤
الأبوة اليمنية لابن سبعين : ٢ : ٢٠٢
أبيات الأبيات للسان الدين : ٦ : ٤٦٣ ، ٧ : ١٠٠
الآيات المهدبة في المعاني المقربة لابن ليون التجيبي : ٥ : ٥٤٤ ، ٥٧٧
الآيات الوافية في علم القافية لأبي حيان : ٢ : ٥٥٢
إنحاف الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان : ٢ : ٥٥٢
إنحاف أهل السيادة بضوابط حروف الزيادة للمقري المؤلف : ٣ : ٤٥٧
الأثير في قراءة ابن كثير لأبي حيان : ٢ : ٥٥٢
الأحاديث النسطورية : ٢ : ٦٠٥ ، ٣ : ٦٦
الإحاطة لابن سبعين : ٢ : ٢٠٣
الإحاطة في تاريخ غرناطة للسان الدين : ١ : ١٩٠ ، ٢ : ١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٣١ ،
٢٥٣ ، ٢٧٠ ، ٥٢٦ ، ٥٨٠ ، ٦١٦ ، ٦٢٤ ، ٦٦٤ ، ٣ : ٥٥٨ ، ٤ : ٣٠٧ ،
٣٣٤ ، ٣٤٩ ، ٥ : ١٢ ، ٨ : ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١١٩ ، ١٢١ ،
١٦٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٥٤ ، ٢٧٣ ،

٢٨٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٥٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٩٠ ،
 ٤٠٨ ، ٤٣٤ ، ٤٥٠ ، ٤٦٥ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٧ ،
 ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ،
 ٦٠٣ ، ٦٠٥ ، ٦ : ٥ ، ٧ ، ١١ ، ٢٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ،
 ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٤٥ ،
 ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٩٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٧٥ ، ٧ : ١٧ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٣ ،
 ٣٥ ، ٤٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،
 ١٤٥ ، ١٦٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٤١٦ ، ٤٣١

الاحتفال بعلم الرجال لابن مفرج ٦٤٣ : ٢

الأحكام لابن بطلال البطلوسى المتلمس ٢٩٢ : ٣ ، ٤٥١

الأحكام لعبد الحق الإشبيلي ١٨٠ : ٣ ، ٣٢٨

الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي ١٦٤ : ٢ ، ٣٨٩ ، ٤١٨

أحكام الفصول في أحكام الأصول لأبي الوليد الباجي ٦٩ : ٢

الأحكام فيما لا يستغنى عنه الحكماء ، انظر : الأحكام لابن بطلال

أحكام القرآن لابن أمية الحجازي ١٦٩ : ٣

أحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي ٣٥ : ٢ ، ٤٧٦

أحكام القرآن لأبي الحسن الداودي ٦٦ : ٣

أحكام القرآن لمنذر بن سعيد ٢٢ : ٢ ، ١٦٩

أحكام القرآن على أبواب كتاب اسماعيل لقاسم بن أصبغ ١٦٩ : ٣

الأحكام الكبرى لعبد الحق الإشبيلي ١٦٤ : ٢

الإحكام لأصول الأحكام لابن حزم ٥٥٥ : ٣

الأحكام الوسطى لعبد الحق الإشبيلي ١٦٤ : ٢

إحياء علوم الدين للغزالي ٥١٣ : ٢ ، ٥٢٤ : ٥ ، ٥٣٤ ، ٦ : ٤٩٣ ، ٧ : ١٣٧

أخبار أطباء الأندلس لسليمان بن جلجل ١٧٥ : ٣

أخبار البصرة لعمر بن شبة ١٦٥ : ٣

أخبار الشعراء لمحمد بن هشام المرواني ٥٧٣ : ٣

- أخبار القضاة بقرطبة وسائر الأندلس للخشني ١٧٤ : ٣
- أخبار النحويين واللغويين بالمشرق والأندلس للزبيدي ٣ : ١٨٢ ، ٧ : ٣٩
- اختصار بهجة المجالس لابن ليون التجيبي ٥٤٣ : ٥
- اختصار تاريخ الطبري لعريب بن سعد ١٨٢ : ٣
- اختصار العين للزبيدي ، انظر : مختصر العين
- اختصار المحصل للمقري الجدد ٢٨٥ : ٥
- اختصار المرتبة العليا لابن ليون التجيبي ٥٤٣ : ٥
- اختصار من تاريخ ابن صاحب الصلاة ٣١٤ : ١
- اختلاف الموطأ لأبي الوليد الباجي ٦٩ : ٢
- أخلاق النفس لابن حزم ٧٩ : ٢
- أدب الدنيا والدين للماوردي ٥٣٤ : ٥
- أدب الكاتب (الكتاب) لابن قتيبة ١ : ٦٤٣ ، ٢ : ٢٢١ ، ٤ : ٧٧ ، ٥ : ٢٨٣ ، ٥ : ٢٥٧ ، ٣٥٤
- الإدراك للسان الأثرانك لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
- الأدوية المفردة لابن البيطار ١٨٥ : ٣
- الأدوية المفردة للإدريسي ١٨٥ : ٣
- الأدوية المفردة لحامد بن سمجون ١٩٧ : ١
- الأدوية المفردة للزهراوي ١٨٥ : ٣
- الأدوية المفردة للغافقي ١٨٥ : ٣
- الأربعون لأبي الربيع ابن سالم ٤٧٥ : ٤
- الأربعون السباعية لأبي الربيع ابن سالم ٤٧٥ : ٤
- الأربعون المروية بالأسانيد المصرية لابن يحيى القرشي ٦١٩ : ٢
- الأربعون المضوية في الأحاديث النبوية لابن أبي الربيع ١٤١ : ٢
- أربعينيات النووي ٤٢٥ : ٥
- الارتشاف لأبي حيان ٣٥٢ : ٥
- الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء ٥٥٢ : ٢
- أرج الأرجاء في مزج الحروف والرجاء للمتشافري ١٤٥ : ٦
- أرجوزة ابن عبد ربه ٥١١ : ٢

- أرجوزة في فتح الأندلس للغزال ٢٨٢ : ١
 أرجوزة في الفرائض ٣٥٢ : ٥
 أرجوزة في القراءات لابن عزيمة ١٥٦ : ٢
 أرجوزة في مخارج الحروف لابن عزيمة ١٥٦ : ٢
 أرجوزة نظم تلخيص ابن البناء ٤٣٠ : ٥
 الإرشاد لأبي المعالي الجويني ٥٣٤ ، ٣٤٢ : ٥
 الإرشاد للعميدي ٥١٣ ، ٤٢٤ ، ٣٤٥ : ٥ ، ٥٤٢ : ٢
 الإرشاد لليافعي اليمني ١٨٢ : ٢
 إزالة الحجاب لفروع ابن الحجاب لابن مرزوق الخطيب ٤١٨ : ٥
 أزهار الحميلة في الآثار الحميلة لابن ذي النون ٤٥ : ٢
 أزهار الرياض للمقري المؤلف ٣٢٠ ، ٤٨٩ ، ٥٠٠ ، ٢٢ : ٥ ، ٥٢٣ ، ٦ : ٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ،
 ٣٤٦ ، ١٧١ : ٧
 الأزهار المنشورة في الأخبار المأثورة ٢٠٤ : ٤ ، ٨٣ : ٣ ، ٤١٧ : ١
 أساس البلاغة للزمخشري ٥٣٤ : ٥
 الاستذكار لأبي عمر ابن عبد البر ٥٣٨ ، ٥٣٧ : ٥ ، ١٩٢ ، ١٦٩ : ٣
 الاستشفاء بالعدة والاستشفاع بالعمدة في تخميس البردة للمتشاقري ١٤٥ : ٦
 استطلاع البشير لابن ذي النون ٤٥ : ٢
 الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة لحبيب الصقلي ٨٢ : ٣
 الاستعداد للخلاص من المعاد لأبي القاسم ابن أبي الوليد الباجي ٦٥٦ : ٢
 الاستكمال والمناظر للمؤتمن يوسف بن هود ٤٤١ : ١
 استئزال اللطف الموجود في سر الوجود للسان الدين ١٠٠ : ٧
 الاستيعاب لابن عبد البر ٥٣٤ : ٥ ، ٤٧٥ : ٤ ، ١٧٠ ، ٦ : ٣ ، ٥٠٨ ، ٨٣ : ٢
 الاستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب لابن مرزوق ٤٢٩ : ٥
 الاستيفاء لأبي الوليد الباجي ٦٩ : ٢
 الإسرا إلى المقام الأسرى لابن عربي الحاتمي ١٧٦ ، ١٧٥ : ٢
 الإسفار عن نتائج الأسفار لابن عربي الحاتمي ٣٠٧ : ٤

- الأسفار الملخص من كتاب الصفار لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
- إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم لابن مرزوق ٤٣٠ : ٥
- الأسنى في شرح الأسماء الحسنى لابن فرح ٢١١ ، ٢١٠ : ٢
- الإشارات والإفادات للشاطبي ٢٧٩ : ٧
- الإشارة لسان الدين ٩٩ : ٧
- الإشارة في أصول الفقه لأبي الوليد الباجي ٥٣٤ : ٥ ، ٥٤٢ ، ٦٩ : ٢
- الإشراف لمحمد بن المنذر النيسابوري ٢١ : ٢
- أشرف المسالك إلى مذهب مالك ٦٩٣ : ٢
- الأشعار الست (الستة) ٧٥ : ٤ ، ٥٥٠ : ٢
- الاصطلاح للسمعاني ١٤٣ : ٣
- الاصطلاح ليعقوب ابن السكيت ٢٧٤ : ٥
- أصليّ ابن الحاجب ٣٤٥ : ٥
- أصول القراء الستة غير نافع لأبي القاسم ابن جزي ٥١٥ : ٥
- إضاءة الدجّة في عقائد أهل السنة للمقرّي المؤلف ٤٨١ ، ٤٢٤ : ٢
- إظهار صدق المودة في شرح البردة لابن مرزوق ٤٢٩ : ٥
- إعتاب الكتاب لابن الأبار ٤٥٧ : ٤ ، ٥٩٠ : ٢
- الاعتراض على العارف بالله ابن الفارض لابن أبي حجلة ٢٠٠ : ٢
- الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الانصراف لابن العباس التلمساني ٤٣٣ : ٥
- الاعتضاد في الظاء والضاد لابن مالك ٢٢٥ : ٢
- اعتلاق السائل بأفضل الوسائل للمتشاقرّي ١٤٥ : ٦
- الاعتماد في أخبار بني عباد لابن اللبابة ٢٥٥ : ٤
- إعراب القرآن لابن النحاس ٢٠ : ٢
- إعراب مشكل البخاري لابن مالك ٢٢٥ : ٢
- الإعلام بأخبار البخاري الإمام لأبي الربيع ابن سالم ٤٧٥ : ٤
- الإعلام بأركان الإسلام لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
- الإعلام بحدود قواعد الكلام لأبي جعفر اللبلي ٢٠٨ : ٢
- الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين لابن دحية ١٠٤ : ٢

أعمال الاعلام بمن بويغ من ملوك الإسلام قبل الاحتلام للسان الدين ٥ : ١٨١ ، ٦ :

٢١٩ ، ٧ : ١٠٠

أعيان الأعيان لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٦

أعيان العصر وأعوان النصر للصالح الصفدي ٢ : ٥٣٧

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١ : ٣٨٦ ، ٣ : ١٠٨ ، ٤ : ١٨٥ ، ٤ : ١٤٢

الأغاني الأندلسية ليحيى الخلدوج المرسي ٣ : ١٨٥

الاغتباط بمعالجة ابن الخياط للقيروزابادي ٢ : ١٧٦

اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة لابن مرزوق ٥ : ٤٢٩

إفادة الوفاة لابن الأبار ٣ : ١٣٥

الأفعال لابن القوطية ٣ : ٧٤ ، ١٧١ ، ٤ : ٢٥

الأفعال العجيبة والخواص الغريبة لابن البيطار ٢ : ٦٩٢

الأفعال في لسان الترك لأبي حيان ٢ : ٥٥٢

إقامة المريد للمقري الجلد ٥ : ٣١٠

اقتباس الأنوار والتماس الأزهار ٤ : ٤٦٢

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي ٣ : ١٨٤ ، ٢٨٧

أقسام البلاغة وأحكام الصناعة للزهرى ٢ : ٢١٤

الاكتفا في قراءة نافع وأبي عمرو والحجة لكل منهما لابن عبد البر ٣ : ١٧٠

الاكتفا في مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥ ، ٥ : ٥٣٥

الإكليل الزاهر في من فضل عند نظم التاج من الجواهر للسان الدين ٥ : ١٦ ، ٤٦٥ ، ٦ :

٦٣ ، ٨٢ ، ١١٣ ، ١٣٥ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،

٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،

٧ : ٩٧ ، ٣٠٣

الإكمال للقاضي عياض ٢ : ٥٣

الإكمال لابن ماكولا ٥ : ٢٣٧ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧

إكمال الإعلام بمثلث الكلام لابن مالك ٢ : ٢٢٥

إكمال الإكمال لليقوري ٢ : ٥٣

ألف ليلة وليلة ٢ : ٢٩٠

- الألفاظ لابن السكيت ٧ : ٤
- ألفية ابن سينا ٧ : ٢٨١
- ألفية ابن مالك ٢ : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٤٧٦ ، ٦٦٤ ، ٦٩٥ ، ٥ : ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٣٠٢ : ٧
- الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع لأبي حيان ٢ : ٥٨٣
- الأماشي لأبي علي القالي ١ : ٣٦٨ ، ٣٨٦ ، ٣ : ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ١٨٤ (وانظر أيضاً : النوادر)
- الإمامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها لابن حزم ٢ : ٧٩
- الأماشي الصادقة للحميدي ٢ : ١١٤
- الامثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الأمثال لأبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥
- الأمدة الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٥
- الأمم المرقوب في قراءة يعقوب ٥ : ٢١
- أنباء الغمر لابن حجر العسقلاني ٥ : ١١٢ ، ٥٣٤
- أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر الصقلي ٥ : ٥٣٥
- انتشاق النسمات النجدية واتساق الثزعات الجدية للمتشافري ٦ : ١٤٥
- انتصار الفقير السالك لمذهب الإمام الكبير مالك للراعي الغرناطي ٢ : ٦٩٦
- الإنجيل ٣ : ١٦٦ ، ٧ : ٣٢٤ ، ٤٤٢
- أنباء الديم في الوصايا والمواعظ والحكم لابن ليون التجيبي ٥ : ٥٤٤ ، ٥٨٨ ، ٥٩٦
- الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ٢ : ٧٠٢
- أنس الفقير وعز الحقيير لابن الخطيب القسطنطيني (ابن قنفذ) ٥ : ٣٤٣ ، ٦ : ٤٩٣ ، ٧ :
- ١٤٣ ، ٢٧٠
- الأنساب للسمعاني ٤ : ٤٦٢
- أنساب الطالبيين والعلويين القادمين إلى المغرب للحكم المستنصر ٣ : ٦٠
- أنساب مشاهير أهل الأندلس لأحمد بن محمد بن موسى الرازي ٣ : ١٧٤
- إنشاد الضوال وإرشاد السوال لابن هانيء السبتي ٦ : ٢٤٦
- الإنشادات لأبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥
- الإنشادات والإفادات للشاطبي ٥ : ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٧ : ٢٧٩

الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي بكر ابن العربي ٣٦ : ٢
 الأنموذج لابن رشيق القيرواني ٦٤٧ : ٢ ، ٦٤٨
 أنواء نيسان في أنباء تلمسان للمقري المؤلف ١٣٥ : ٧
 أنوار الدراري في مكررات البخاري لابن مرزوق ٤٣٠ : ٥
 الأنوار السنية في الكلمات السنية لابن جزي أبي القاسم (أو لأبي بكر) ٦٩٣ : ٥ ، ٥ :
 ٥١٥ ، ٥١٧ ، ٥٣٥
 أنوار الفجر لأبي بكر ابن العربي ٣٥ : ٢
 أنوار اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين لابن مرزوق ٤٢٩ : ٥
 الأنور الأجل في اختصار المحلى لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
 ليساغوجي ٦٩٣ : ٢
 الإيصال إلى فهم كتاب الحصال لابن حزم ٧٩ : ٢ ، ٣ : ٥٥٥
 الإيضاح للفارسي ١١٥ : ٢ ، ٥٥٠ ، ٤ : ٧٤ ، ٨٦ ، ٥ : ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥
 إيضاح السالك على ألفية ابن مالك ٤٣٠ : ٥
 إيضاح المعاني للقزويني ٤٢٢ : ٥
 إيضاح المعاني في القراءات الثماني لأبي بكر ابن عاصم ٢١ : ٥
 إيقاظ الكرام بأخبار المنام لابن الحاج الفرناطي ١٠٩ : ٧
 الإيماء لأبي الوليد الباجي ٦٩ : ٢

ب

البارح في اللغة لأبي علي القالي ٧٢ : ٣ ، ٧٤ ، ١٧١ ، ٤ : ٧٧
 الباهر لابن الحداد البصري ١٧١ : ٣
 البحر المحيط لأبي حيان ٢٣٠ : ٢ ، ٥٥٢ ، ٥ : ٤٢٢
 بدّ العارف لابن سبعين ١٩٩ : ٢ ، ٥ : ٤٥
 بدائع البداهة لابن ظافر ٦٣٨ : ١ ، ٦٥٤ ، ٦٧١ ، ٣ : ٩٦ ، ١١٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ،

٢٦٦ - ٢٦٨ ، ٣١٨ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥٥ ، ٦٠٦ ، ٤ :

٢٦٢ ، ٢١١

بدائع التشبيهات لابن أبي الحسين القرطبي ٦٠٤ : ١

بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق ٦٩٩ : ٢

بدع الأمور ومحدثاتها لأبي بكر الطرطوشي ٨٨ : ٢

البديع في فصل الربيع لحبيب ٤٢٨ : ٣

بدعية الحلبي ٢٧٩ : ٧

بدعية العميان لابن جابر الهواري ٢ : ٦٦٤ ، ٧ : ٣٠٢ ، ٣٢٣ ، ٣٧١

برجان وحباحب ٤٥ : ٥

البردة ٢ : ٦٩٣ ، ٥ : ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٥٤٠

البرق الشامي للعماد الأصفهاني ٢ : ٥٣٣

برنامج الخولاني ٢ : ٥١٣

برنامج الرعيبي ٢ : ٥٦٠

برنامج روايات ابن حبيش لأبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥

بستان الدول للسان الدين ٧ : ٩٧

بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد لأبي زكريا ابن خلدون ٧ : ١٣٣

بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر ٣ : ١٧٠ ، ٥ : ٥٣٥ ، ٥٤٣

البيان لجلال الدين القزويني ٥ : ٢١٦

البيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن للزهري ٢ : ٢١٤

البيان والتبيين للجاحظ ٤ : ٧٧

البيان والتبيين في أنساب المحدثين للزهري ٢ : ٢١٤

البيان والتحصيل لابن رشد ٥ : ٤٢٤

البيزرة لسان الدين ٧ : ١٠١

البيطرة لسان الدين ٧ : ١٠١

ت

تاج المعاجم للشهاب القوصي ٢ : ٢٩٨ ، ٢٩٩
 التاج المحلى في مساجلة القدح المعلقى لسان الدين ٥ : ١٢ ، ٤٨٨ ، ٦ : ٩١ ، ٩٦ ، ١٠٧ ،
 ١١٣ ، ١٣٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ،
 ٧ : ٩٧

تاج المفرق في تحلية أهل المشرق لخالد البلوي ٢ : ٥٣٢ ، ٥٣٤

تاريخ ابن أبي خيثمة ٢ : ٤٨

تاريخ ابن بشكوال ٣ : ٨

تاريخ ابن حيان ، انظر : التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس

تاريخ ابن خلدون ، انظر : العبر وديوان المبتدا والخبر

تاريخ ابن خلكان ، انظر : وفيات الأعيان

تاريخ ابن صاحب الصلاة في الدولة الممتونية ٣ : ١٨١

تاريخ ابن عساكر ٢ : ٩٢ ، ١٥٧ ، ٢٩٩ ، ٥٠٨ ، ٣ : ٧ ، ٦٣

تاريخ ابن الفرضي ، انظر : تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس

تاريخ ابن اليسع ٢ : ٤٨٧

تاريخ ابن يونس ، انظر : تاريخ أهل مصر وإفريقية والأندلس

تاريخ أحمد بن سعيد الصدفي ٣ : ١٧٠

تاريخ الرازي في أخبار ملوك الأندلس . . . الخ ٣ : ١١١ ، ١٧٣

تاريخ إربل لابن المستوفي ٢ : ٣٨١ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧

تاريخ الإسلام للحميدي ٢ : ١١٣ ، ٦٢٩

تاريخ الإسلام للذهبي ٢ : ٢١١ ، ٢٣٣ ، ٦٢٧

تاريخ أصحاب الأندلس لابن بشكوال ٣ : ١٨١

تاريخ إفريقية لأبي العرب ٣ : ٩

تاريخ الأندلس لابن بشكوال ١ : ٥٢٥ ، ٣ : ١٨١

- تاريخ أهل الأندلس لابن صالح المعافري ١٤٢ : ٢
- تاريخ أهل مصر وإفريقية والأندلس لابن يونس ١٤٢ : ٢ ، ٢١٨ ، ٣ : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٥٨ ، ٦١
- تاريخ البخاري الكبير ١٠ ، ٩ : ٣
- تاريخ البدري ١٠١ : ٣
- تاريخ بغداد لطيفور ١٧٣ ، ١٦٥ : ٣
- تاريخ حلب لابن العديم ٢٨٩ : ٤ ، ٣٢٤ : ٢
- تاريخ الحميدي ، انظر : تاريخ الإسلام
- تاريخ السلمي ٢٨٦ : ٤
- تاريخ شيوخ ابن عبد البر ٦٩ : ٣
- تاريخ صاعد ، انظر : طبقات الأمم
- تاريخ الطبري ٣٠٢ : ٢
- تاريخ في أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي ١٧٣ : ٣
- تاريخ عريب ٣٠٢ : ٢
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي ٢ : ١١ ، ١٢٩ ، ٣٠٢ ، ٦٤٦ ، ٣ : ٨ ، ٢٥
- تاريخ الغافقي ١٠ : ٥
- التاريخ الكبير للذهبي ، انظر : تاريخ الإسلام
- التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس لابن حيان ٣ : ١٧٤ ، ٤ : ٣٥٧
- تاريخ الكتبي ٢ : ٢١١
- التاريخ المتضمن دولة بني نصر ، انظر : اللوحة البدرية
- تاريخ محمد بن موسى العقيلي البغدادي ١٧٠ : ٣
- تاريخ الملاحي ٢ : ٣٣٠ ، ٤ : ١٧١ ، ١٧٧
- تاريخ منظوم للغزال ١٨٢ : ٣
- تاريخ الموحدين لابن صاحب الصلاة ٣٣٥ : ٢
- تاريخ ميورقة لأبي المطرف ابن عميرة ٤٦٩ : ٤
- تاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي ٧٠ : ٢
- تألفه من جمّ ونقطة من يمّ (نثر ابن الجياب) للسان الدين ١٠١ : ٧

- تأليف صغير في ترجمة ابن السيد للفتح بن خاقان ٣٥ : ٧
- تأليف في إباحة السماع لأبي محمد الصدفي ٦٥ : ٣
- تأليف في أسماء شيوخ التجيبي لمحمد بن عبد الرحمن التجيبي ١٦١ : ٢
- تأليف في الشروط لابن عبدون القيرواني ١٦٦ : ٣
- التبصرة للشيخ أبي الحسن اللخمي ٢٧٦ : ٥ ، ٤٢١
- التبصرة للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- التبصرة لمكي بن أبي طالب القرطبي ١٧٩ : ٣
- التيبان في أحكام القرآن لابن أبي الأحرص ٥٣٦ : ٢
- التيبان في علم البيان للأنصاري ٣١٤ : ١
- تبين الصحيح في تعيين الذبيح لأبي بكر ابن العربي ٣٥ : ٢
- التبيين في خلفاء بني أمية في الأندلس لابن زيدون ١٨٣ : ٣
- التبيين لسبل المهتدين لأبي الوليد الباجي ٦٩ : ٢
- تجريد رؤوس المسائل والتحصيل لتيسير البلوغ لمطالعنها والتوصيل للمتشافري ١٤٥ : ٦
- تجريد الصحاح ٥١٢ : ٢
- التجريد لأحكام سيوييه لأبي حبان ٥٥٢ : ٢
- التجنيس لأبي جعفر الليلي ٢٠٨ : ٢
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب لابن طاهر الداني ١٤٣ : ٢
- التحف والطرف لابن عفيون ١٥ : ٤
- تحفة الألباب لأبي حامد الغرناطي ٢٣٥ : ٢
- تحفة الحكام لأبي بكر ابن عاصم ١٠٩ : ٧ ، ١١٥ ، ٢١ : ٥
- تحفة القادم لابن الأبار ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٢ : ٥٩٢ ، ٤ : ٥٦ ، ٣٢٣ ، ٥ : ٥٣٥ ، ٥٣٨
- تحفة المغرب ببلاد المغرب للفشتالي ٦٩٠ : ٢
- تحفة المودود في المقصور والمدود لابن مالك ٢٢٥ : ٢
- تحفة الندس في نحاة الأندلس ٥٥٢ : ٢
- تحفة الوراد ونجعة الرواد لأبي الربيع ابن سالم ٤٧٥ : ٤
- تحقيق الجواب عن أجيز له ما فاته من الكتاب لعلي بن الفضل المقدسي ٥٣ : ٢
- تحقيق العلامة في أحكام الإمامة لابن عباد الرندي ٣٤٥ : ٥

- تخصيص القرب وتحصيل الأدب للمتشافري ٦ : ١٤٥
- تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب للسان الدين ٧ : ٩٨
- التدريب لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
- تدوين شعر ابن الجياب للسان الدين ٧ : ١٠١
- التذكرة لابن الرومية ٢ : ٥٩٧
- التذكرة لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
- تذكرة أبي علي الفارسي ٧ : ٣٧٤
- تذكرة الصفدي ٢ : ٣٩٣ ، ٥٣١
- التذكرة للقرطبي ٢ : ٦١٥ ، ٣ : ٢٣٥ ، ٥ : ٤٢١
- التذكرة في أمور الآخرة لابن فرح ٢ : ٢١١
- التذكرة للمظفر ، انظر : المظفري
- التذليل والتكميل في شرح التسهيل لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
- ترتيب الرحلة لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٦ ، ٣٧
- ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٥
- الترغيب للمنصور الموحيدي ٣ : ١٠٢
- الترغيب في الجهاد لأبي عبد الله التحجبي ٢ : ١٦١
- التسديد إلى معرفة التوحيد لأبي الوليد الباجي ٢ : ٦٩
- تسهيل السبيل إلى علم الترسيل للحميدي ٢ : ١١٣
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ٢ : ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٥٤١ ، ٥ : ٢٣٩ ، ٢٧٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٦ : ٢٤٦ ، ٧ : ٣٧٦
- التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن أبي الحسن ٣ : ١٧٣ (وانظر : بدائع التشبيهات) .
- التشوف لرجال التصوف للتادلي ٧ : ١٤٢ ، ٢٧٣
- التصريف للزهرائي ٣ : ١٧٥
- تصريف التسهيل ٥ : ٥١٣
- التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح للباجي ٢ : ٦٩
- التعريف بأخبار علماء الأمم من العرب والعجم لصاعد الطليطلي ٣ : ١٨٢
- تعقيب التهذيب لعبد الحق ٥ : ٢٧٦

- التعليل برسوم الاسناد لابن غازي ٥ : ٤٢٠
- التعيين في خلفاء المشرق للمسعودي ٣ : ١٨٢
- التفسير لأبي الوليد الباجي ٢ : ٦٩
- تفسير ابن عطية ٢ : ١٩٢ ، ٣ : ١٧٩
- تفسير إعراب القرآن لمكي ابن أبي طالب ٣ : ١٧٩
- تفسير بقي بن مخلد ٣ : ١٦٨
- تفسير الجوفي لكتاب الكبائي ٣ : ١٧٢
- تفسير الحوفي ٢ : ١٣٢
- تفسير السبع الطوال للقالبي ٣ : ٧٥
- تفسير سورة الإخلاص ٥ : ٤٣٠
- تفسير الطبري ٣ : ١٦٨
- تفسير القرآن لابن فرح ٢ : ٢١٠ ، ٢١١
- تفسير القرآن لأبي بكر الغساني ٢ : ٥٢ ، ٧٠ : ٤٦
- التفسير الكبير لابن عربي ٢ : ١٧٧
- تفسير الموطأ لابن مزين ٣ : ١٦٨
- تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان لابن زيد الأسقف القرطبي ٣ : ١٨٦
- تفصيل التفضيل بين التحميد والتهيل لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٥ ، ٣٦
- تقريب الشبه وتحرير الشبه للسان الدين ٧ : ١٠٠
- تقريب المواريث للقلصادي ٢ : ٦٩٤
- تقريب النائي في قراءة الكسائي لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
- تقريب الوصول إلى علم الأصول لأبي القاسم ابن جزري ٥ : ٥١٥
- التقصي لابن عبد البر ٢ : ١٥٤ ، ٥ : ٥٣٧ ، ٥٣٨
- تقييد في المنطق لابن خلدون ٦ : ١٨١
- التكملة لابن الأبار ١ : ٣٩٤ ، ٢ : ٥٥٠ ، ٥٩٢ ، ٣ : ٥ ، ٦٦ ، ٤ : ١٦٦ ، ٤٥٧ ،
- ٤٦٢ ، ٤٧٢ ، ٥ : ٥٣٥
- تكملة شرح التسهيل للبدر بن مالك ٥ : ٢٢٧
- تكوّن الجنتين للسان الدين ٧ : ١٠٠

- التلخيص للواني ٣٧٦ : ٢
- التلخيص ٣٥٢ : ٥ ، ٦٩٣ : ٢
- تلخيص (المفتاح) ٤٢٤ : ٥
- تلخيص ابن البناء ٤٣٠ : ٥
- تلخيص محصل الرازي لابن خلدون ١٨١ : ٦
- التلخيص والتلخيص في المسائل النظرية . . . لابن حزم ٧٩ : ٢
- التلقين للقاضي عبد الوهاب ٥١٢ : ٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٥ : ٥ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧
- تلقين المهتدي لعبد الحق الإشيلي ١٦٤ : ٢
- التلمسانية ٦٦٤ : ٢
- التمكين لمحبى الدين النووي ٤٣٢ : ٢
- التمهيد لابن عبد البرّ ١٦٩ : ٣ ، ١٩٢ ، ٥ : ٥ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨
- تمهيد المسالك إلى شرح ألفية ابن مالك لابن مرزوق ٣٥٧ : ٥
- التنبية لأبي إسحاق الشيرازي ٦٦٥ : ٢ ، ٥ : ٤٢٤
- تنبيه الألباب في فضل الاعراب لابن السراج ٢٣٨ : ٢
- تنبيه الإنسان إلى علم الميزان للقصادي ٦٩٣ : ٢
- تنبيه الغبي على تنزيه ابن عربي للسيوطي ١٧٥ : ٢
- التنبية على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية لأبي القاسم ابن جزري ٥١٥ : ٥
- التنبية والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين لابن بشكوال ٣ : ١٠ ، ٦٠ ، ٦٤
- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات لابن عميرة ٣١٤ : ١
- التنخيل الملخص من شرح التسهيل لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
- التنزيل في الرسم لابن نجاح ١٣٦ : ٢
- التنقيح للقرافي ٢١٩ : ٥ ، ٤٢٤ ، ٥٣٧
- التنوير في مولد السراج المنير لابن دحية ١٠٤ : ٢
- التهجد لعبد الحق الإشيلي ١٦٤ : ٢
- التهذيب لابن بشر ٩٧ : ٦
- التهذيب (في اختصار المدونة) للبرادعي ١٨٨ : ٢ ، ٦٦٥ ، ٣ : ١٨٠ ، ٥ : ٢٧٦ ،
- ٣٤٢ ، ٣٨٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٣٠ ، ٥١٣ ، ٥٣٧ ...

توجع الراثي في تنوع المراثي للمتشاقري ٤٥ : ٦
 توراة موسى ٤٧٥ : ٧
 التوطئة على الجزولية للشلوين ٤٩١ ، ١٨٤ : ٣
 التيسير لأبي عمرو الداني ٢ : ٢٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٦٢ ، ٣٧٧ ، ٥١٠ ، ٣ : ١٧٩ ،
 ١٨٠ ، ٥ : ٥٣٥
 التيسير في مداواة والتدبير لعبد الملك بن زهر ١٨٥ : ٣

ت

الثقفيات ٥٦١ : ٢

ج

جامع أخبار الأمم لصاعد الطليطي ١٨٢ : ٣
 جامع أنماط السائل في العروض والخطب والرسائل لعبد المنعم الغساني ٣٢٩ : ٤ ، ٦١٤ : ٢
 جامع البخاري ٤٤٠ ، ٤٣٨ ، ٤٣٢ ، ٤٢٨ : ٢
 جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١٧٠ : ٣
 جامع الترمذي ١٥٩ : ٢ ، ٥٦٠ ، ٥٩٩ ، ٦٠٤ ، ٧ : ١٣٧
 الجامع الصحيح ٤٨٣ ، ٤٣٠ ، ٥٠ ، ٤٢٧ ، ٤٢٦ : ٢
 الجامع في الأدوية المفردة لابن البيطار ٦٩٢ : ٢
 الجامع في صحيح الحديث لابن حزم ٧٩ : ٢
 جذوة المقتبس للحميدي ١ : ٢٣٩ ، ٥٨٢ ، ٢ : ١١٣ ، ١١٤ ، ٥١٥ ، ٣ : ٥٨ ، ١٨١ ،
 ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤ : ٣٥
 الجذوة المقتبسة والخطرة المختلصة لابن عربي الحاتمي ١٧٥ : ٢
 ٤٨٥

الجرومية . انظر : الآجرومية

جزء في الحديث لأبي حيان ٥٥٢ : ٢

جزء في الرد على ابن حزم لابن مفوز ٨٤ : ٢

جزء في الفرائض لابن الحاج الغرناطي ١٠٩ : ٧

جزء في الفرائض لابن هانيء السبتي ٢٤٦ : ٦

الجزولية ٦١٦ : ٢

الجمع بين الصحيحين للحميدي ١١٤ : ٢ ، ١٨٠ : ٣ ، ٣٤٨ : ٤

الجمع والتفصيل في حقائق التنزيل لابن عربي الحاتمي ١٧٥ : ٢

الحمل للزجاجي ١٨٥ : ٢ ، ٢٠٨ ، ٥٥٠ ، ٦٩٤ ، ٣ : ١٨٤ ، ٥ : ٢٢٠ ، ٣٤٢ ،

٥١٣

الحمل الخويفية ٥ : ٢٧٢ ، ٣٤٢ ، ٤٢٩ ، ٥٣٤

الجمهرة في الأنساب ٥ : ٥٣٤

جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى لابن عاصم ٤ : ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٦ : ١٤٨

جني الرطب في سني الخطب لأبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥

جهد المقل للشريف السبتي ٥ : ١٩٧

جهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح لأبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥

الجواهر لابن شاس ٢ : ٦٦٥ ، ٥ : ٢٢١

جيش التوشيح للسان الدين ٧ : ٦٨ ، ٩٨

ع

الحاجية ٥ : ٣٤٢

حاشية على مختصر ابن الحاجب للمقري الجلد ٥ : ٣١٠

الحاصل (مختصر المحصول) ٢ : ٦٦٥

الحاصل لتاج الدين الأرموي ٥ : ٢٣٢

٤٨٦

- الحافل في تكملة الكامل لابن الرومية ٥٩٧ : ٢
- الحاكمة (فتوى القاضي أبي بكر ابن العربي) ٣٥٠ : ٥
- الحاوي في الفتاوي لابن عبد النور ٤٣٠ : ٥
- الحداث لابن فرج ١ : ٦٠٤ ، ٢ : ٥٠١ ، ٣ : ١٧٣ ، ٤ : ١٨٢ ، ٤٨ : ٢٨٦
- الحداث لأبي بكر ابن عاصم ٢١ : ٥
- الحدود لأبي الوليد الباجي ٦٩ : ٢
- حديث الإفك لأبي بكر ابن العربي ٣٦ : ٢
- الحديقة لابن مرزوق الحفيد ٤٢٩ ، ٤٢٤ : ٥
- الحديقة لابن يربوع ٦٠٢ ، ٦٠١ : ٥
- الحديقة لأبي الصلت ١٠٦ : ٢
- الحديقة للحجاري ٥٧٢ : ٣
- حديقة الارتياح في وصف الراح لأبي عامر ابن مسلمة ٥٤٤ ، ٤٨٥ : ٣
- حديقة الحقيقة (قصيدة لابن الحداد) ١١٥ : ٤
- حز الأمان لأبي القاسم الشاطبي ٥٣٥ ، ٢١ : ٥ ، ٢٤ ، ٢٢ : ٢
- الخرقة في لباس الخرقة لابن أبي الربيع ١٤١ : ٢
- حقائق بركات المنام في مرأى المصطفى خير الأنام للمتشافري ١٤٥ : ٦
- الحقائق والرقائق للمقرئ الجلد ٣٢٨ ، ٣١٠ : ٥
- حكم ابن عطاء الله ٢ : ٦٩٣ ، ٥ : ٣٤١ ، ٣٤٣
- الحلى التيجانية والحلل التيجانية لأبي الفضل محمد التجاني ١٢١ : ٤
- الحلبة ٥٣٣ : ٥
- الحلييات ٦١٩ : ٢
- الحلل المرقومة في اللمع المنظومة للسان الدين ٩٨ : ٧
- الحلة السيرة في أشعار الأمراء لابن الأبار ٢٨٢ : ٤ ، ٥٩٢ : ٢
- الحلة السيرة في مدح خير الوري لابن جابر ٦٧٦ : ٢
- الحلية للنواوي ١٤٨ : ٣
- حلية الأمالي في الموافقات والمعالي لأبي الربيع ابن سالم ٤٧٥ : ٤
- حلية الأولياء لأبي نعيم ٥٣٥ ، ٤٢٩ ، ٣٤٦ : ٥

الحماسة ٢ : ٥٥٠ ، ١٤٢ : ١٤٣
حمل الجمهور على السنّ المشهور للسان الدين ٧ : ١٠٠
حي بن يقظان لابن طفيل ٣ : ١٩٣
حيلة البرء بحالينوس ٢ : ٢٤٨ ، ٥ : ٥٣٥

غ

الخدمة على الرسالة الحاكمة لعبد الحق بن سعيد ٥ : ٣٥١
الخريدة للعماد الأصفهاني ١ : ٧٠ ، ٢ : ٩٠ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١٣٣ ، ٦٣٦ ، ٦٥٠ ،
٤ : ٢٤١ ، ٥ : ٢٣ ، ٥٣٤
الخزرجية في العروض ٢ : ٦٩٤ ، ٥ : ١٨٩
الخصائص لابن جني ٥ : ٣٧٩
خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف للسان الدين ٢ : ٥٣٣ ، ٧ : ١٠٠
الخلاصة (مختصر الكافية الشافية) لابن مالك ٢ : ٢٢٥
خلاصة الباحثين في حصر حال الوارثين لابن زكريا الأنصاري ٢ : ٦٩٤
خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان لأبي حيان ٢ : ٥٥٣
الخلافيات لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٥ ، ٣ : ٦٨
خلع الرسن في وصف (في أمر ، في التعريف بأحوال) القاضي ابن الحسن للسان الدين ٥ :
١٢٢ ، ١٣٨ ، ١٨١ ، ٦ : ١١٩ ، ٧ : ١٠١
الخلعيات ٢ : ٥٣ ، ٥٦١

د

- الدر المنضد في وفيات أعيان أمة محمد لابن دقماق ١ : ١٩٣
- الدر النفيس في شعر ابن خميس (جمعه الحضرمي) ٥ : ٣٦١
- الدرج لابن سبعين ٢ : ٢٠٢
- درر الدرر لابن العطار الجزائري ٧ : ٤٨٠
- درر السمط في خبر السبط لابن الأبار ٤ : ٥٠٠ ، ٥٠٦
- الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة لأحمد بن صفوان ٦ : ٤٠ ، ٧ : ١٠٠
- الدرر في اختصار الطرر للكرسوطي ٦ : ٩٧
- درر القلائد وغرر الفوائد لأبي تمامر السالمي ١ : ١٢٦
- الدرر الموسومة في اشتقاق الحروف المرسومة للتتو ٦ : ٢٦٦
- درة الأسلاك لابن حبيب ٢ : ١٩٧
- الدرة الخطيرة لابن القطاع ٢ : ٢٦٢ ، ٥ : ٥٣٥
- الدرة المكنونة في نوازل مازونة للمازوني ٥ : ٤٢٠ ، ٥٣٥
- الدعاء لابن الطحان ٢ : ٦٣٤
- الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار لأبي القاسم ابن جزي ٥ : ٥١٥
- الدلائل لقاسم بن ثابت السرقسطي ٢ : ٤٩ ، ٣ : ١٧٠
- دلائل الأحكام لابن سعدون القرطبي ٢ : ١١٨
- الدليل في الطريق من أقاويل أهل التحقيق للصدفي ٣ : ٦٥
- الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي لابن مرزوق ٥ : ٤٢٩
- الدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم لابن مرزوق ٥ : ٤٣٠
- دمية القصر ١ : ٧٠
- دوحة الجنان وراحة الجنان للتتو ٦ : ٢٦٦
- الديباج المذهب لابن فرحون ٥ : ٢٧٩ ، ٥٤٠
- ديوان ابن سهل ٣ : ٥٢٤

- ديوان حبيب ٢ : ٥٥٠
- ديوان خطب العرب ٥ : ٤١٨
- ديوان ذي الرمة ٣ : ٣٧٨
- ديوان رسائل أبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥
- ديوان شعر أبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥
- ديوان شعر سعد الدين ابن عربي ٢ : ١٧٠
- ديوان الصبابة لابن أبي حجلة ٢ : ٢٠٠ ، ٥ : ٤٥ ، ٦ : ٢٧٩ ، ٧ : ٢٨٣ ، ١٠٠ : ١٠٠
- ديوان المتنبي ٢ : ٥٥٠
- ديوان محمد بن يوسف الوراق ٣ : ١٦٣
- ديوان المعري ٢ : ٥٥٠

ذ

- الذخائر والأعلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق لسلام الباهلي ٤ : ٣٣٣
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ١ : ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨ ، ٢ : ٧٦ ، ٩٣ ، ١١٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٦٦٥ ، ٣ : ٦٩ ، ٩٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٤ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٣٢ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٨ ، ٤٥٤ ، ٤٥٨ ، ٤٧٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٩ ، ٥٠٢ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١٤ ، ٤ : ١٠ ، ٧٠ ، ٣٧١ ، ٤٦٦ ، ٦ : ٢٢٠ ، ٧ : ٣٣
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ٤ : ٣٨٣
- الذهب المسبوك في وعظ الملوك للحميدي ٢ : ١١٣
- الذيل للسمعاني ٢ : ١١٠ ، ١١٧ ، ٦٥٠
- ذيل تاريخ ابن عساكر لأبي شامة ٢ : ٢٩٩
- ذيل تاريخ الأندلس لابن فرتون ٢ : ٥٣

- راح الأرواح فيما قاله أبو حمّو من الشعر . . . للتنسي ٥١٣ : ٦
- راية المحاسن وغاية المحاسن للفتح بن خاقان ٣٥ : ٧
- ربعة وعقيل لحسان بن أبي عبدة ٥٤٨ : ٣
- رجز ابن بري ٦٩٣ : ٢
- رجز ابن مالك ٦٩٤ : ٢
- رجز أبي إسحاق ابن فتوح في النجوم ٦٩٣ : ٢
- رجز أبي عمرو ابن منظور في أسماء النبي ٦٩٣ : ٢
- رجز أبي مقرة ٦٩٣ : ٢
- رجز اختصار ألفية ابن مالك لابن مرزوق ٤٣٠ : ٥
- رجز الأصول للسان الدين ١٠١ : ٧
- رجز تلخيص المفتاح لابن مرزوق ٤٣٠ : ٥
- رجز جمل الخونجي ٤٣٠ : ٥
- رجز حرز الأماني لابن مرزوق الحفيد ٤٣٠ : ٥
- رجز الشراز في الفرائض ٦٩٣ : ٢
- رجز صغير في الحجب والسلاح لابن الحلج الغرناطي ١٠٩ : ٧
- رجز في الجدل لابن الحاج الغرناطي ١٠٩ : ٧
- رجز في عمل الترياق الفاروقي للسان الدين ٩٩ : ٧
- رجز في الفرائض لأبي إسحاق التلمساني ١٢٠ : ٥
- رجز في الفرائض لأبي بكر ابن جزي ٥٢٥ : ٥
- رجز القرطبي ٦٩٣ : ٢
- الرحلة لابن عيشون ٦٣ : ٥
- رحلة ابن بطوطة ١ : ١٥٢ ، ١٧٧ ، ٧ : ٣٣٧
- رحلة ابن جبير ٢ : ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢ ، ٤٨٨ ، ٣ : ٢٩٥

- رحلة ابن الحاج الغرناطي ٢ : ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٧ : ١٠٩
 رحلة ابن الخطيب القسطنطيني ، انظر : أنس الفقير
 رحلة ابن رشيد السبتي ، انظر : ملء العيبة
 رحلة البلوي ، انظر : تاج المفرق
 رحلة السرخسي ٣ : ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٠
 رحلة العبدري ٢ : ٤٨٣ ، ٥٨٩
 رحلة القلصادي ٢ : ٦٩٤ ، ٥ : ٤٢٦ ، ٦ : ٤٤٦
 الرحلة للترغيب في الملة لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٩
 رحلة المتبتل للمقري الجدد ٥ : ٣١٠
 ردّ على أبي زيد السهيلي ٢ : ٦٤٠
 رد على أبي محمد ابن حزم ٢ : ٦٤٨
 الرد على أهل الإباحة للسان الدين ٧ : ١٠٠
 رد القاضي أحمد بن طالب التميمي على أبي حنيفة ٣ : ١٦٦
 الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ٢ : ١١٣ ، ١٤٠ ، ٢٣٩ ، ٦٦٥ ، ٦٩٣ ، ٥ : ٣٤٢ ،
 ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٦ : ٩٧
 رسالة ابن حزم في فضل الأندلس ٢ : ٤٧ ، ٣ : ١٥١ ، ١٥٦
 رسالة ابن واصل ٦ : ٢٨٤
 رسالة أبي المطرف ابن الدباغ ١ : ٥٣٤
 رسالة الرحلة وأسبابها لأبي زكريا البخاري ٣ : ٦٣
 رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون لابن غصن الحجاري ٣ : ٤٢٤
 رسالة سيدي الشيخ أرسلان ٢ : ٤٣٣
 رسالة السيف والقلم لأحمد بن برد ٣ : ٥٤٦
 رسالة الشافعي ٢ : ٦٢٧
 رسالة الشقندي ١ : ٤٥٦ ، ٥١٩ ، ٥٤٢ ، ٣ : ١٨٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣٧
 رسالة الصفي ابن طاهر الأزدي ٢ : ١٦٨ ، ١٨٢
 الرسالة العلمية للششتري ٢ : ١٨٦
 رسالة في من رأى المؤلف من سادات عصره ، انظر : رسالة الصفي ابن ظافر

- الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة للششتري ١٨٥ : ٢
- الرسالة القشيرية ٥ : ٣٤٦ ، ٧ : ١٤١
- رسالة قمع الحرص وقصر الأمل والحث على العمل ٥١١ : ٢
- الرسالة الوحيدة لأبي اليسر الرياضي ١٣٥ : ٣
- رسائل ابن عباد ٦ : ٤٩٣
- رسائل إخوان الصفا ٣ : ٣٧٦
- الرسائل الصغرى لابن عباد ٥ : ٣٤٧
- الرسائل الكبرى لابن عباد ٥ : ٣٤٧
- رصف المباني في حروف المعاني لابن عبد النور ٢ : ٦٦٥
- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة للشرif السبتي ٣ : ١٠٤ ، ٥ : ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٨
- رقم الحلل في نظم الدول للسان الدين ٣ : ١٠٤ ، ٧ : ٩٨ ، ١٠١
- الرمزة في قراءة حمزة لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
- الرمي بالحصى والضرب بالعصا لمالك بن المرحل ٤ : ١٤٥
- روح الشعر وروح الشجر لابن الجلاب الفهري ٢ : ٣٢٠ ، ٤ : ١٧٢ ، ٣٣٥ ، ٤٧٢ ، ٥ : ٤٤٤ ، ٤٧٠
- الروض ٧ : ١٤٠
- الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريض لأبي يحيى ابن غاصم ٦ :
- ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨
- الروض الأنف للسهيلى ٢ : ٣٣٥ ، ٣ : ٩٩ ، ٤٠٠
- الروض الباسم في قراءة عاصم لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
- الروض البهيح في مسائل الخليج لابن مرزوق الحفيد ٥ : ٤٣٠
- الروض العاطر الأنفاس لأبي عبد الله العربي العقيلي ٤ : ٥٢٩
- الروض المعطار للحميري ٤ : ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨
- الروضة في علم الحديث (أرجوزة) لابن مرزوق الحفيد ٥ : ٤٢٤ ، ٤٢٩
- روضة الآس العطرة الأنفاس . . . للمقرري المؤلف ٥ : ٣٥٠ ، ٦ : ٥٩ ، ٧ : ٨١
- روضة الأريب في شرح التهذيب لابن مرزوق الحفيد ٥ : ٤٣٠

- روضة الأزهار وبهجة النفوس ونزهة الأبصار ٦٠٦ : ١
- روضة الإعلام بمقتلة العربية من علوم الإسلام لابن الأزرقي ٧٠١ ، ٦٩٩ : ٢
- الروضة الأنيفة ليحيى بن عبد الرحمن الدمشقي ٦٨ : ٣٠
- روضة التعريف بالحلب الشريف للسان الدين ٣ : ١١٥ ، ٣٨٢ ، ٤ : ١٢٢ ، ٥ : ١١١ ، ٢٠٣ ، ٦ : ٢٦٨ ، ٢٨٧ ، ٣٢٢ ، ٧ : ١٠٠
- روضة التعليم في ذكر الصلاة والتسليم للمقري ٤٨٠ : ٧
- ري الظمان لابن أبي الفضل المرسي ٢ : ٢٤٢ ، ٥ : ٥٣٥
- رياض النفوس للقيرواني المالكي ٥٧ : ٣
- الريحان والريحان لابن المواضي ٤٢٦ : ٣
- ريحانة التنفس وراحة الأنفس في ذكر شيوخ الأندلس لابن عات ٦٠١ : ٢
- ريحانة الكتاب ونجدة المتألم للسان الدين ٦ : ١٤٥ ، ١٦٤ ، ٧ : ٩٩ ، ١٠٠

ز

- زاد المسافر لابن عيشون ٦٣ : ٥
- زاد المسافر لأبي البحر صفوان بن إدريس ٣ : ١٨٣ ، ٣٢٥ ، ٣٨٦ ، ٤١٠ ، ٥ : ٥٣٨
- الزاهي ٢ : ٦٣٣ ، ٥ : ٥٣٤
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة لركن الدين بيبرس ٢٨ : ٧
- الزبدة الممخوذة للسان الدين ٧ : ١٠٠
- الزهر لابن رشيد البغدادي ٢٤٢ : ٥
- زهر الآداب للحصري ٣ : ١٨٤ ، ٤ : ١٤٤ ، ٥ : ٥٣٥
- الزهر الأنيق ٥ : ٣١٢
- الزهر الباسم ٥ : ٣٤٠
- زهر العريش في تحريم الحشيش لابن أبي الربيع ١٤١ : ٢
- الزهر المضي في مناقب الشاطبي لابن أبي الربيع ١٤١ : ٢

الزهرة لابن داود الأصفهاني ٢ : ٥٠١ ، ٣ : ١٧٣
زهرة البساتين للقاسم بن الطيلسان ٥ : ٢٦٣
زهو الملك في نحو الترك لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
الزبدوني لأبي بكر ابن زيدون ٢ : ٦٤٨

س

الساجعة لابن عبد الغفور الكلاعي ٣ : ٥٥١
السالك والمحلى في أخبار ابن أبي حلى ٤ : ٥٥٧
السباعيات لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٦
السباعيات لأبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥
سبك المنظوم وفك المختوم لابن مالك ٢ : ٢٢٥
ستر العورة لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٦
السحر والشعر للسان الدين ٧ : ١٠٠
سد الذريعة في تفصيل الشريعة للسان الدين ٧ : ١٠٠
سداسيات الرازي ٢ : ٥٦١
سر الصناعة لابن جني ٥ : ٣٨٠
السراج لأبي الوليد الباجي ٢ : ٦٩
سراج الأدب لابن أبي الخصال ٣ : ١٨٤
سراج المريدين لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٥
سراج الملوك للطروشني ٢ : ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٥ : ٥٣٤
سراج المهتدين لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٥ ، ٥ : ٢٨٥
سراج الهدى لأبي اليسر الرياضي ٣ : ١٣٤ ، ١٣٥
السفر لابن سبعين ٢ : ٢٠٢
سقط الزند ١ : ٦٤٣ ، ٣ : ٣٣٤ ، ٥ : ٥٣٥ ، ٦ : ٥٧ (وانظر : ديوان المعري)

سقيط الدرر ولقيط الزهر لابن اللبابة ٦١٢ : ٣
سكردان السلطان لابن أبي حجلة ٢ : ٢١٠ ، ٧ : ١٠٠
السلوك للمقرئ ٤ : ٤٠٢
السلوك في وعظ الملوك لابن اللبابة ٢٥٨ : ٤
السيمايات والعزفيات (ديوان ابن هذيل) ٤٨٨ : ٥
السماء والعالم لابن سيّد ٣ : ١٩٢ ، ٣٨١
سمط الجمان وسقيط المرجان لابن الإمام ٢ : ٢٦٢ ، ٣ : ٧٠ ، ١٨٣ ، ٤٢٦ ،
٤٧٨ ، ٤ : ٧٥ ، ٥ : ٥٣٥
سنن أبي داود ٢ : ٤٨ ، ٢٢١ ، ٥٠٩ ، ٥٣٦ ، ٥٦٠ ، ٣ : ٦٩ ، ١٨٠ ، ٥ : ٤٢٤
سنن الترمذي ٢ : ٩١ ، ٥ : ٤٢٤
سنن الدارقطني ٢ : ٥٥٠
سنن الصالحين لأبي الوليد الباجي ٢ : ٦٩
السنن الكبير للبيهقي ٢ : ٢٤١ ، ٦٠٤
سنن المنهاج وترتيب الحجاج لأبي الوليد الباجي ٢ : ٦٩
سنن النسائي ٢ : ٥٣٦ ، ٦٣٤
السياسة المدنية للسان الدين ٧ : ٩٩
السياسة الملوكية لابن حمويه السرخسي ٣ : ١٠١
السيرة لأبي حفص الملاي ٥ : ٤١٥
سيف الإسلام على مذهب مالك الإمام للباري ٢ : ٦٤٨

س

الشاطبتان ٥ : ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٤٢٧
الشاطبية ٢ : ٢١٦ ، ٢٢٣
شجرة الوهم المترقية إلى دروة الفهم لابن سعادة ٢ : ١٥٩

- شد الزيار على جحفلة الحمار لحازم ١٤٨ : ٤
 الشذا في مسألة كذا لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
 الشذرة لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
 شذور الذهب للجواني ٦٠٥ : ٣
 شرح ابن الحاجب للقصادي ٦٩٤ : ٢
 شرح ابن الحاجب الفرعي لابن مرزوق الحفيد ٤٣٠ : ٥
 شرح ابن الحاجب في الفقه والأصول لابن هارون ٢٥١ : ٥
 شرح ابن الشاط للقصادي ٦٩٤ : ٢
 شرح ابن الياسمين في الجبر والمقابلة للقصادي ٦٩٣ : ٢
 شرح أبيات الكتاب لابن النحاس ٢٠ : ٢
 شرح الأحكام الصغرى لابن مرزوق الخطيب ٤١٨ : ٥
 شرح أدب الكاتب لابن السيد ، النظر : الاقتضاب
 شرح أدب الكاتب لابن عليم ٢٨٣ : ٤
 شرح أسماء النبي (ص) لابن دحية ١٠٤ : ٢
 شرح الاعتقاد لابن شبل ٥١١ : ٢
 شرح ألفية ابن مالك لابن جابر الضرير ٦٦٤ : ٢
 شرح الألفية لأبي عبد الله الراعي ٦٩٥ : ٢
 شرح الألفية لبدر الدين محمد ولد الناظم ٢٣٤ : ٢
 شرح الألفية للشاطبي ٣٥٥ : ٥
 شرح الألفية ليحيى المعجسي ١٠٦ : ٧
 شرح ألفية ابن معطي اللواتلي ٢١٨ : ٢
 شرح الأنوار السنية للقصادي ٦٩٣ : ٢
 شرح إيساغوجي في المنطق للقصادي ٦٩٣ : ٢
 شرح الإيضاح لابن أبي الربيع ٤٢٤ : ٥
 شرح الإيضاح لأبي العباس الشريشي ١١٥ : ٢
 شرح إيضاح الفارسي للزهري ٢١٤ : ٢
 شرح البخاري لابن بطل البطلوسي ٤٥١ : ٣

- شرح البديعة للكفعمي ، انظر : نور حدة البديع
 شرح بديعة الحلبي لعبيد العالي ٢٧٩ : ٧
 شرح بديعة العميان لأبي جعفر الإلييري ٣٧٣ ، ٣٧٢ : ٧
 شرح البردة لابن الأحمر ٢٠٤ : ٥
 شرح البردة لابن خلدون ١٨٠ : ٦
 شرح البردة للعباس البقني ٥٤٠ : ٥
 شرح البردة للقصادي ٦٩٣ : ٢
 شرح البردة الأصغر لابن مرزوق الحفيد ٤٣٠ : ٥
 شرح البردة الأوسط لابن مرزوق الحفيد ٤٢٩ : ٥
 شرح تحفة ابن عاصم لابنه أبي يحيى ابن عاصم ١٤٨ : ٦
 شرح التسهيل لابن مالك ٢ : ٢٢٥ ، ٥٤٤ ، ٥ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠
 شرح تسهيل ابن مالك للمقري الجلد ٣١٠ : ٥
 شرح تسهيل ابن مالك لابن هانيء السبتي ٢٤٦ : ٦
 شرح تصريف التسهيل لابن لب ٥١٣ : ٥
 شرح التقصي لابن فرح ٢١١ : ٢
 شرح تلخيص ابن البناء للقصادي ٦٩٢ : ٢
 شرح تلخيص الحوفي للقصادي ٦٩٢ : ٢
 شرح التلقين للقصادي ٦٩٣ : ٢ ، ٦٩٤
 شرح التلمسانية للقصادي ٦٩٤ : ٢
 شرح التنقيح للقراقي ٢٢٩ : ٥
 شرح الجرومية للراعي ٦٩٥ : ٢
 شرح الجرومية للقصادي ٦٩٤ : ٢
 شرح الجزولية للشلوين ٤٩١ : ٣
 شرح الجزولية لعلم الدين المرسى ١٣٧ ، ٥٠ : ٢
 شرح الجزولية لمحمد بن يعقوب الشاطبي ٦١٦ : ٢
 شرح جمل الخونجي للمقري الجلد ٢٨٥ : ٥
 شرح جمل الزجاجي لابن خروف ٢ : ٦٤٠ ، ٣ : ١٨٤

- شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١٨٤ : ٣
- شرح جمل الزجاجي للرندي ١٨٤ : ٣
- شرح جمل الزجاجي لأبي العباس الشريشي ١١٥ : ٢
- شرح جمل الزجاجي لابن لب ٥١٣ : ٥
- شرح جمل الزجاجي لأبي جعفر الليلي ، انظر : وشي الحلل
- شرح جمل الزجاجي للقلصادي ٦٩٤ : ٢
- شرح حديث أم زرع لأبي بكر ابن العربي ٣٦ : ٢
- شرح حديث جابر في الشفاعة لأبي بكر ابن العربي ٣٦ : ٢
- شرح حديث الموطأ والكلام على سائله لابن حزم ٧٩ : ٢
- شرح حكم ابن عطاء الله لابن عباد ٤٩٣ : ٦
- شرح حكم ابن عطاء الله للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- شرح الحماسة للأعلم ١٨٤ : ٣
- شرح الخزرجية للشريف السبتي ١٠٤ : ٣ ، ١٨٩ : ٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨
- شرح الخزرجية للقلصادي ٦٩٤ : ٢
- شرح رجز ابن بري للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- شرح رجز ابن فتوح للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- شرح رجز ابن مالك للقلصادي ٦٩٤ : ٢
- شرح رجز أبي عمرو ابن منظور للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- شرح رجز أبي مكرمة للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- شرح رجز الشراز للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- شرح الرجز في أصول الفقه لابن خلدون ١٨١ : ٦
- شرح رجز القرطبي للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- شرح الرسالة لابن أبي يحيى ٣٨٨ : ٥
- شرح الرسالة للطرطوشي ٨٨ : ٢
- شرح الرسالة للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- شرح رقم الحلل في نظم الدول للسان الدين ١٠١ : ٧
- شرح سقط الزند لابن السيد البطلوسي ١٨٤ : ٣

- شرح السنوسية الصغرى ٥٥ : ٢
- شرح السيرة الشريفة ، انظر : الروض الأنف
- شرح الشاطبية لابن شكر الأندلسي ١٣٧ : ٢
- شرح الشاطبية لعلم الدين المرسي ١٣٧ ، ٥٠ : ٢
- شرح شعر المتنبي لابن الأفلح ١٧٣ : ٣
- شرح شعر المتنبي للأعلم ١٨٤ ، ١٧٣ : ٣
- شرح الشفا للخطيب ابن مرزوق ٤١٨ : ٥
- شرح شواهد شراح الألفية ٤٣٠ : ٥
- شرح صدر رسالة ابن أبي زيد الليبري ٦٤٨ : ٢
- شرح (صغير) على التلخيص للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- شرح (صغير) لمقامات الحريري للشريشي ١١٦ : ٢
- شرح العبدونية لابن بدرون ٣٥٣ : ٤
- شرح العمدة لابن مالك ٢٢٨ : ٢
- شرح العمدة لابن مرزوق ٤١٨ ، ٤١٤ : ٥
- شرح العمدة للشريف التلمساني ٢٧٢ : ٥
- شرح غريب الرسالة لأبي بكر ابن العربي ٣٨ : ٢
- شرح غنية النحاة للقلصادي (الشرح الكبير) ٦٩٤ : ٢
- شرح غنية النحاة للقلصادي (الشرح الصغير) ٦٩٤ : ٢
- شرح فرائض صالح بن شريف للقلصادي ٦٩٤ : ٢
- شرح فرائض مختصر خليل للقلصادي ٦٩٤ : ٢
- شرح فصيح ثعلب لأبي جعفر البللي ٢٠٨ : ٢
- شرح قانون الحساب للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- شرح قصيدة الشقراطيسي لابن عزيمة ١٥٦ : ٢
- شرح القواعد للراعي ٦٩٦ ، ٦٩٥ : ٢
- شرح قوافي حازم القرطاجني لابن رشيد ٤٨١ : ٥
- شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢٣٤ ، ٢٢٥ : ٢
- شرح (كبير) على التلخيص للقلصادي ٦٩٣ : ٢

- شرح (كبير) لمقامات الحريري للشريشي ١١٦ : ٢
- شرح كتاب الأخفش لابن سيد ١٧٣ : ٣
- شرح كتاب الحكم لابن عباد الرندي ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ : ٥
- شرح كتاب ديسقوريدس لابن البيطار ٦٩٢ : ٢
- شرح كتاب سيويه لابن حمود الزبيدي ٦٤٧ : ٢
- شرح كتاب سيويه لابن خروف ٦٤٠ : ٢ ، ١٨٤ : ٣
- شرح كتاب النبات (لأبي حنيفة) لابن أخت غانم ٣٩٧ : ٣
- شرح كليات الفرائض للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- شرح لامية الأفعال لابن مالك ٢٢٥ : ٢
- شرح لغة قصائد المغربي الخطيب للمقري الجلد ٣١٠ : ٥
- شرح مختصر الشيخ خليل لابن مرزوق ٦٩٧ : ٢ ، ٤٣٠ : ٥
- شرح مختصر خليل للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- شرح مختصر العقباني للقلصادي ٦٩٤ : ٢
- شرح المرادي ٤٣٠ : ٥
- شرح مسلم لأبي عبد الله الآبي ٢١٦ : ٦
- شرح المعالم ٢٣٥ : ٥
- شرح المفصل في النحو لعلم الدين المرسي ١٣٧ ، ٥٠ : ٢
- شرح المقامات لأبي عبد الله الزهري ٢١٤ : ٢
- شرح المقامات للشريشي ١١٦ : ٢ ، ٤٤٦ : ٣
- شرح مقصورة حازم ، انظر : رفع الحجب
- شرح ملحمة الاعراب للقلصادي ٦٩٤ : ٢
- شرح المنهاج لأبي الوليد الباجي ٦٩ : ٢
- شرح المنهج المنتخب (تأليف الزقاق) لعلي بن عبد الواحد الأنصاري ٤٧٩ : ٢
- شرح الموطن لأبي الوليد الباجي ٦٩ : ٢
- شرح نهج الوضاعة لأولي الخلاعة ٦٣٨ : ٢
- شرح وسط لمقامات الحريري للشريشي ١١٦ : ٢
- شرح اليميني لأبي عبد الله الزهري ٢١٤ : ٢

شرف المراتب والمنازل في معرفة العالي في القراءات والنازل لابن أبي الربيع ٢ : ١٤١
 الشفاء للقاضي عياض ٢ : ٨ ، ٤٨٩ ، ٦٩٨ ، ٥ : ٢٠١ ، ٣٨٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ،
 ٤١٨ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٧ : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٤٣٩
 شفاء الأمراض في أخذ الأعراض للسميسر ٤ : ١٠٨
 شفاء الغليل في ذم الصاحب والتحليل لابن ظافر ١ : ٧٢
 شفاء الغليل في شرح مختصر خليل لابن الأزرق ٢ : ٧٠١
 الشفاء النبوي ٥ : ٣٥١
 الشمائل للترمذي ٢ : ٦٦٥
 شمس المعارف للبوني ٥ : ٤٥
 شنف السامع بوصف الجامع للبدر بن حبيب ٢ : ٣٨٩
 الشهاب للقضاعي ٢ : ١٣٨ ، ١٥٦ ، ٥٩٩ ، ٣ : ١٣٧ ، ٤ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٥ :
 ٢٨٥ ، ٣٤٢ ، ٥٣٥
 شواظ من نار ونحاس ٥ : ٤٧٨

ص

الصادع والرادع على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين لابن حزم ٢ : ٧٩
 الصاهل والشاحج للمعري ٣ : ٥٥١
 الصالح للجوهري ٢ : ٣٧٥ ، ٥ : ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٣٨٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٦ : ٢٤٥ ،
 ٤٦٤ ، ٥٠٦
 الصحف المنتشرة في القطع المعشرة لأبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥
 صحيح البخاري ٢ : ٢٥ ، ٦٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٢٤١ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥٧٤ ، ٦٠٢ ،
 ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦١٥ ، ٦٥٢ ، ٣ : ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ٤ : ١٤١ ، ٣٣٤ ،
 ٥ : ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩
 صحيح مسلم ٢ : ٢٥ ، ٥٣ ، ٩١ ، ١٣٠ ، ١٧٥ ، ٢٢١ ، ٥٠٩ ، ٦١٥ ، ٦٤٤ ،

٣ : ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ٤ : ٣٣٤ ، ٥ : ٦٢٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٩ ، ٢٨٢ ، ٣٤٢ ، ٣٨٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٥١٥
 الصحيحان ٢ : ٦١٥ ، ٤ : ٣٣٤ ، ٥ : ٢٣٩ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٥٣٥ (وانظر : صحيح
 البخاري ، صحيح مسلم)
 صحيفة الأشج ٣ : ٦٦
 صحيفة جعفر بن نسطور الرومي ، انظر : أحاديث نسطور
 الصلة لابن بشكوال ٢ : ٢٨ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ١١٤ ، ١٢٩ ، ٥١٥ ، ٦٠١ ، ٦٢٤ ، ٣ :
 ١٨١ ، ٢٢٦ ، ٤ : ٧٥ ، ٢٠٧ ، ٧ : ٢٩
 صلة الصلة لابن الزبير ٢ : ٢٩ ، ٥٧٦ ، ٧ : ٩٨
 صورة الأرض ، انظر : كتاب ابن حوقل
 الصيب والجهام والماضي والكهف للسان الدين ٦ : ٤٦٣ ، ٤٧٦ ، ٧ : ٩٨

ض

الضوابط الكلية لابن أبي الفضل المرسى ٢ : ٢٤٢
 الضوء اللامع للسخاوي ٢ : ٦١٨
 ضياء الأولياء لابن الاقليشي ٢ : ٥٩٩

ط

الطالع السعيد لأبي الحسن ابن سعيد ١ : ١٩٠ ، ٢ : ٢٧١ ، ٣٣٦ ، ٤ : ١٧٨ ، ٢٩٦ ،
 ٥ : ٥٣٥
 طبقات الأمم لصاعد الطليطلي ٢ : ٧٨ ، ٦٤٩
 طبقات أئمة المحدثين لابن الدباغ ٣ : ٦٣
 ٥٠٣

- طبقات القراء للداني ٢ : ٤٧٤
- طبقات الكتّاب بالأندلس للأقشيني ٣ : ١٧٤ ، ١٧٥
- طبقات النحويين للزبيدي ، انظر : أخبار النحويين واللغويين
- طراد الجياد في الميدان وتنازع اللدات والأخدان في تقديم مرسية على غيرها من البلدان لصفوان ٥ : ٦٣
- طراز الحلة وشفاء الغلة لأبي جعفر الإلييري ٢ : ٦٧٦ ، ٧ : ٣٧٦
- طرر أبي إبراهيم الأعرج ٦ : ٩٧
- الطرف للشقندي ١ : ٣٩٩ ، ٢ : ٢٧ ، ٣ : ٣٦٩
- الطرف والتحف للمقري الجلد ٥ : ٢٨٥
- طرفة العصر في دولة بني نصر للسان الدين ٧ : ٩٧
- طوق الحمامة لابن حزم ٢ : ٨٣ ، ٣ : ٥٩٩

ع

- عائد الصلة للسان الدين ٥ : ٣٥٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٥٠٣ ، ٦ : ٢٦٣ ، ٧ : ٩٨
- عارضة الأحوذني لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٢٨ ، ٣٥
- العاقبة لعبد الحق الإشبيلي ٢ : ١٦٤ ، ٤ : ٣٢٨
- العالم والمتعلم لابن سيد ٣ : ١٧٢ ، ١٧٣
- العبودية (قصيدة ابن عبدون) ١ : ٥٢٩
- العبر لابن أبي الفياض ٣ : ١٨٢
- العبر وكتاب المبتدا والخبر (تاريخ ابن خلدون) ٢ : ٢٠١ ، ٣٢٣ ، ٥ : ٨ ، ١٥ ،
- ٩٥ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ٢٠٤ ، ٢٥٤ ، ٦ : ١٩١ ، ٢١٩ ، ٧ : ٥ ، ١٠١
- العتبية لابن عبد العزيز العتيبي ٢ : ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٣ : ١٧١
- العجالة لابن عيشون ٥ : ٦٣
- العجالة لصفوان بن إدريس ٣ : ٣٢٥

- عجالة المستوفز المستجاز لابن مرزوق ٣٩٢ : ٥
- عجائب المقدور لابن عربشاه ٥٢٢ : ٢
- عدة الالفاظ وعمدة الحافظ لابن مالك ٢٢٥ : ٢
- عدة المستنجز وعقلة المستوفز لابن سعيد ٣٦٨ : ٢
- العذب والأجاج من كلام أبي البركات ابن الحاج ٤٧٣ : ٥
- العرائس للثعالبي (الثعالبي) ٦٦٥ : ٢
- العرش لابن تيمية ٥٤٢ : ٢
- العروة الوثقى في بيان السنن للششري ١٨٥ : ٢
- العشر كلمات لعبد الملك بن غصن الحجاري ٤٢٤ : ٣
- العشرينيات ١٩٥ : ٢
- عطف الذيل لتاج الدين السرخسي ١١٠ ، ١٠٢ : ٣
- المقائد للسوسى ٤١٩ : ٥
- المقد لابن عبد ربه ١ : ٣٥٤ ، ٢ : ١١٨ ، ٣ : ١٣١ ، ١٥٨ ، ١٩٣ ، ٤٤٦ ، ٥ : ٢٥
- ٥٣٤ ، ٥٩٩ ، ٧ : ٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣٦
- العقد الأكبر للقلب الأصغر لابن عربي الحاتمي ٣٥ : ٢
- عقد اللآلئ لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
- عقيدة ابن الحاجب ٣٤٢ : ٥
- عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد لابن مرزوق ٤٣٠ : ٥
- العقيدة في المذاهب السديدة لأبي القاسم ابن أبي الوليد الباجي ٦٥٦ : ٢
- عقيلة أتراب الفضائل (أو عقيلة القصائد) للشاطبي ٢٤ ، ٢٢ : ٢
- العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور لابن دحية ١١٧ : ٥ ، ١٠٤ : ٢
- العلوم الفاخرة لعبد الرحمن الثعالبي ٢٧٩ : ٥
- العمدة في الحديث ٥ : ٤١٤ ، ٤١٨ ، ٤٢٤ ، ٦ : ٤٩٣
- عمل من طلب لمن حب للمقري الجدي ٩٨ : ٧ ، ٢٨٥ : ٥
- عنقاء مغرب لابن عربي الحاتمي ١٧٦ : ٢
- العنوان لاسماعيل بن خلف ١٣٣ : ٢
- عنوان الإفادة للراعي الغرناطي (شرح الآجرومية) ٦٩٧ : ٢

عنوان الدراية للغبري ٢ : ١٠٠ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٣٢٠ ، ٦١٧ ،
٤٣١ : ٧

عوارف المعارف للسهروردي ٢ : ١٨٥ ، ١٩٥
العواصم والقواصم لأبي بكر ابن العربي ٣ : ١٨١
العوالي للنقيب ٣ : ٦٥
العين للخليل بن أحمد ٢ : ٢٠ ، ٢١ ، ٤٩ ، ٦٢٩ ، ٣ : ٤٧٦ ، ٥ : ٥٣٧ ، ٦ : ٤٦٤
عيون الأخبار لابن قتيبة ٣ : ١٣٤ ، ٥ : ٥٣٥

غ

الغاية للنوي ٢ : ٦٦٥
غاية الإحسان لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
الغاية القراطيسية في شرح الشقراطيسية لابن مرزوق ٢ : ٤٢٩
غاية المطلوب في قراءة يعقوب ٢ : ٥٥٢ ، ٥ : ٥٣٥
غرائب حديث مالك بن أنس للقاسم بن أصبغ ٣ : ١٦٩
غرر الأماني المسفرات في نظم المكفرات للمتشافري ٦ : ١٤٥
الغرر في تكميل الطرر للكرسوطي ٦ : ٩٧
الغرر من كلام سيد البشر لابن وكيل الاقليشي ٢ : ٥٩٩
الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة لابن هانيء السبي ٦ : ٢٤٦
الغرة الطالعة في فضلاء المائة السابعة لابن سعيد ٢ : ٢٩٥
غريب الحديث للخطابي ٢ : ٢٤١
غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢ : ٣٧٦ ، ٣ : ٣٨٠ ، ٦٣٥
الغريبان للهروي ٢ : ٢٢١ ، ٢٣٣
الغنية في الفرائض للقلصادي ٢ : ٦٩٤
غنية النحاة للقلصادي ٢ : ٦٩٤

الغبرة على أهل الحيرة للسان الدين ١٠٠ : ٧
التبلايات لأبي بكر الشافعي ٦٢٨ ، ٥٦١ : ٢

ف

- فئات الخوان ولقط الصوان للسان الدين ١٠٠ : ٧
فتح الباري لابن حجر ٤٥١ : ٣ ، ٤٤٠ : ٢
الفتح القدسي للعماد الأصفهاني ٣١٤ : ٢
فتح المتعال في مدح النعال للمقري المؤلف ٤١٥ : ٢
الفتح المشترك لابن سبعين ٢٠٥ : ٢
الفتح المنير في بعض ما يحتاج إليه الفقير للراعي الغرناطي ١٩٨ : ٥ ، ٦٩٩ : ٢
الفتوحات المكية لابن عربي الحاتمي ١٧٦٠ ، ١٦٦ : ٢
فرائد الجمان في من نظمني وإياه الزمان لاسماعيل ابن الأحمر ٧ : ٥ (وانظر: نثير فرائد...)
فرائض صالح بن شريف ٦٩٤ : ٢
فرائض مختصر خليل ٦٩٤ : ٢
فرحة الأنفس لابن غالب ١ : ٢٠٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٤٥٩ ، ٣ : ١٥٠ ، ١٧٩ ، ٣٨٦ ،
٤٠٥ ، ٤٩٠ ، ٦١٧
الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية لابن عزيمة ١٥٦ : ٢
فروع ابن الحاجب ٤١٨ : ٧
الفصل بين أهل الأهواء والنحل لابن حزم ٥٥٥ : ٤ ، ٧٩ : ٢
فصوص الحكم لابن عربي ٢٢٤ ، ١٧٩ ، ١٧٦ : ٢
الفصوص لصاعد اللغوي ٢ : ١٣٢ ، ٣ : ٧٦ ، ٧٨ ، ١٧٢ ، ٢٦٠
الفصول المقتضية في الأحكام المنتخبة لابن الحاج ١٠٩ : ٧
الفصبح لثعلب ٣٢٤ : ٥ ، ٢٢١ : ٢
فض الختام عن التورية والاستخدام للصفدي ٣٧٦ : ٧ ، ٢٢٤ : ٢
فضائل الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان للتجيني ١٦١ : ٢

- فضائل مالك ليوسف المغامي ٢ : ٥٢٠
- فضل عشر ذي الحجة للتجيب ٢ : ١٦١
- الفضل في أحكام الفصل لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
- فعل وأفعل لابن مالك ٢ : ٢٢٥
- فعلت وأفعلت للقالي ٣ : ٧٥
- فقه الحسن البصري لابن مفرج القرطبي ٢ : ٢١٩ ، ٣ : ١٧٠
- فقه الزهري لابن مفرج القرطبي ٢ : ٢١٩ ، ٣ : ١٧٠
- الفقيرية لابن سبعين ٥ : ٣٦٠
- فلك الأدب المحيط بحل لسان العرب لابن سعيد ٣ : ١٨٣
- فهرست ابن خليل السكوني ٤ : ٣٠٤
- فهرسة ابن الرومية ٢ : ٥٩٨
- فهرست ابن غازي ٥ : ٤٢٧ ، ٤٣٢
- فهرست ابن مفوز ٢ : ٣٧٥
- فهرست أبي زكريا السراج ٥ : ٥١٣
- فهرست أبي عبد الله ابن سعادة ٢ : ١٥٩
- فهرست الخطيب ابن مرزوق ٥ : ٤٧٠
- فهرست رواية الزبذاري ٣ : ١٣٩
- فهرست شيوخ أبي عبد الله محمد بن حياز الشاطبي ٢ : ٥١٤
- فهرسة ابن الأحمر ٥ : ٢٧٩
- فهرسة ابن حبيش (جمعها أبو العباس الأشعري) ٤ : ٣١٢
- فهرسة كبيرة لأبي القاسم ابن جزى ٥ : ٥١٥
- الفهرسة الكبيرة للمتوري ٢ : ٦٩٤
- فهرسة مسموعات أبي حيان ٢ : ٥٥٢
- الفوائد لابن مالك ٢ : ٢٢٤ ، ٧ : ٣٧٦
- الفوائد الصغرى للتجيب ٢ : ١٦١
- الفوائد العامة في لحن العامة لأبي القاسم ابن جزى ٥ : ٥١٥
- الفوائد الكبرى للتجيب ٢ : ١٦١



- القاموس للفيروزابادي ١٧٦ : ٢
قانون التأويل لأبي بكر ابن العربي ٣٥ ، ٣٣ ، ٣١ : ٢
قانون الحساب للقصادي ٦٩٣ : ٢
القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لأبي بكر ابن العربي ٥٣٨ ، ٥٣٧ ، ٥٣٥ : ٥ ، ٣٥ : ٢
قبول الرأي الرشيد في تخميس وتريات ابن رشيد للمتشاقري ١٤٥ : ٦
القدح المعلي لابن سعيد ٥٣٤ : ٥ ، ١٠٣ : ٣ ، ١٢٥ ، ١١٩ : ٢
القصيدة والأسم في معرفة أخبار العرب والعجم لابن عبد البر ٥٣٤ : ٥ ، ١٨٢ : ٣
قصيدة دالية في القراءات لابن مالك ٢٢٣ : ٢
قصيدة في القراءات لابن زكريا المعافري ٢١٦ : ٢
قطب الأدب لأبي اليسر الرياضي ١٣٥ : ٣
قطب السرور لابن الرقيق ٥٣٥ : ٥ ، ١٤٨ ، ١٣٣ : ٣ ، ١٩٣ : ١
قطر الحبي في جواب أسئلة الذهبي لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
قطع الرياض لابن الأبار ٥٩٢ : ٢
قطع السلوك للسان الدين ٩٩ : ٧
قطف المهتصر من أفنان المختصر ٤٧٤ : ٢
القطيعيات ٥٦١ : ٢
قلائد العقيان للفتح بن خاقان ٤٣٨ ، ٤٧٠ ، ٥٠٠ ، ٧٤ : ٢ ، ٢٤٥ ، ٣١٩ ، ٤٤٨ ،
٦٦٥ ، ١٨٢ : ٣ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٨ ، ٣٢٧ ،
٤٠٨ ، ٤٥٤ ، ٤٨٨ ، ٤٩٩ ، ٤ : ٤ ، ٢١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢٣٧ ،
٣٠٨ ، ٣٧٤ ، ٤٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٥ : ٥ ، ١٣٨ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٦ : ٢٢٠ ،
١٧ : ٧ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٦١ ، ٩٧
قمع الحرص بالزهد والقناعة للقرطبي ٢٣٥ : ٣
القواعد (في الأصول) ٦٩٥ : ٢
القواعد للمقري الجدي ٣٣٩ ، ٢٨٤ ، ٢٦٣ : ٥ ، ٥٥٦ : ١

- قواعد أبي الفضل عياض ٦ : ٩٧ ، ١٦٣
 قواعد عز الدين ٥ : ٤٢٤
 قواعد القرافي ٥ : ٤٢١ ، ٤٢٤
 قوافي أبي الحسن حازم ٥ : ٤٨١
 القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية لأبي القاسم ابن جزري ٥ : ٥١٥ ، ٥٢٥
 قوت القلوب ٥ : ٣٤٢ ، ٥٣٥
 قوت المقيم لابن هانيء السبتي ٦ : ٢٤٦

ك

- الكافي لمحمد بن شريح الرعيبي ٢ : ١٦٢
 الكافي في أن لا دليل على النافي لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٦
 الكافي في الفقه لابن عبد البر ٣ : ١٧٠
 الكافية لابن مالك ٢ : ٢٣٢ ، ٢٥٥ ، ٤٢٧
 الكامل لابن الأثير ٤ : ٣٥٦
 الكامل لابن عدي ٢ : ٥٩٧ ، ٥٩٨
 الكامل للمبرد ٢ : ١٥٠ ، ٣ : ١٧٢ ، ٤٧٨ ، ٤ : ١٧١
 كتاب ابن الأحمر في ابن زمرك (البقية والمدرك) ٧ : ١٦٢ ، ١٧٠ ، ٢٤٦
 كتاب ابن الحاجب ٥ : ٣٤٢ ، ٣٥٠
 كتاب ابن حوقل ٢ : ٣٣٨
 كتاب ابن حيان في الدولة العامرية ١ : ٣٩٩
 كتاب ابن الصلاح في علم الحديث ٥ : ٤٢٧
 كتاب أبي السري ٣ : ٥٤٨
 كتاب أبي محمد ابن الشيخ ٦ : ١٩٣
 كتاب أجار (نزهة المشتاق) للإدريسي ١ : ٤٥٧ ، ٢ : ٣٣٨

- كتاب الحوفي ٢٤١ : ٥
- الكتاب الخزائني ٢٥٠ : ١
- كتاب الرازي في ذكر مسالك الأندلس . . . الخ ١٦٠ : ٣
- كتاب الزهد لحناد بن السري ٦٢٨ : ٢
- كتاب سيويه ١١٧ : ٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٥٣٧ ، ٥٤١ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢ ، ٥٦١ ، ٥٩٥ ،
٤٢٤ : ٣ ، ٧٤ ، ١٣٤ ، ١٨٤ ، ٢٠٣ : ٤ ، ٣٣٤ ، ٤٢٤ : ٥
- كتاب الصحابة لابن السكن ٦ : ٣
- كتاب العروس المغربي ٤٨٨ : ٧
- كتاب العروض للخليل ٣٧٤ : ٣
- كتاب الفلاحة لابن بصال ١٥١ : ٣
- كتاب في أحكام القرآن لابن أمية الحجاري ، انظر : أحكام القرآن
- كتاب في أحكام القرآن لمنذر بن سعيد ، انظر : أحكام القرآن
- كتاب في أخبار أصبهان لحمة ١٦٥ : ٣
- كتاب في أخبار بني قسي والتجيين وبني الطويل ١٧٣ : ٣ ، ١٧٤
- كتاب في أخبار تيهرت للوراق ١٦٣ : ٣
- كتاب في أخبار دولة لمتونة لابن الصيرفي ١٨١ : ٣
- كتاب في أخبار رية وحصونها . . . لابن سلمة القيني ١٧٤ : ٣
- كتاب في أخبار شعراء البيرة ١٧٤ : ٣
- كتاب في أخبار شعراء الأندلس لابن الفرضي ١٢٩ : ٢ ، ١٨٢ : ٣
- كتاب في أخبار شعراء الأندلس لعبادة ١٧٣ : ٣
- كتاب في أخبار عمر بن حفصون القائم برية ١٧٣ : ٣
- كتاب في أخبار الفتنة الثانية بالأندلس للسالي ١٨١ : ٣
- كتاب في أخبار الكوفة لعمر بن شبة ١٦٥ : ٣
- كتاب في أخبار مصر للموصلي ١٦٦ : ٣
- كتاب في الأدوية المفردة لابن الرومية ١٨٥ : ٣
- كتاب في الأزهار والأنوار ٨٥ : ٣
- كتاب في أسماء الله تعالى لابن حزم ٧٨ : ٢

- كتاب في الاشتقاق للوائلي ٢ : ٢١٨
- كتاب في أصول الأشياء للسرخسي ٣ : ١٠١
- كتاب في الأنساب لقاسم بن أصبغ ٣ : ١٧٤
- كتاب في أنساب بني سعيد ٢ : ٣٥٢
- كتاب في تحريم جبن الروم للطرطوشي ٢ : ٨٨
- كتاب في الجبر والمقابلة لابن الياسمين ٢ : ٦٩٣
- كتاب في الحساب لابن خلدون ٦ : ١٨١
- كتاب في خطط البصرة وقطائعها ٣ : ١٦٥
- كتاب في رجال الموصل لابن مزين ٣ : ١٦٨
- كتاب في الرد على ابن مزين لابن سيار ٢ : ٥١
- كتاب في السياسة والآراء الفاضلة لابن الطيب البغدادي ٦ : ٣٣٣
- كتاب في صفات البصرة وذكر أسواقها ومحالها وشوارعها ٣ : ١٦٩
- كتاب في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها للرازي ٣ : ١٧٣
- كتاب في العروض لابن السراج ٢ : ٢٣٨
- كتاب في العروض لأبي جعفر الديباجي ٢ : ١١٠
- كتاب في الفرائض لابن مرزوق الحفيد ٥ : ٤٢٧
- كتاب في فضائل بني أمية لقاسم بن أصبغ ٣ : ١٧٤
- كتاب في فضائل قریش وكنانة لقاسم بن أصبغ ٣ : ١٦٩
- كتاب في فضائل مشيخة عبد العزيز بن أبي بكر القرشي لابن عربي الحاتمي ٢ : ١٧٦
- كتاب في الفلاحة لابن ليون التجيبي ٥ : ٥٤٣
- كتاب في الكلام على مشكل حديث السبعات والحجاب لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٥
- كتاب في المحبة ، انظر : روضة التعريف بالحب الشريف
- كتاب في معجزات النبي لابن غصن الإشبيلي ٢ : ٢٠٧
- كتاب في المؤلفات والمختلف لابن القرصي ٢ : ١٢٩ ، ٣ : ١٧٠
- كتاب في الموسيقى لابن باجة ٣ : ١٨٥
- كتاب في النسخ والنسوخ لقاسم بن أصبغ ٣ : ١٦٩
- كتاب في نسب أبي علي البغدادي ورواياته لأبي محمد القهري ٣ : ٧٢

- كتاب في الهندسة لابن ليون ٥ : ٥٤٣
- كتاب في الوثائق لأبي عبد الله الباجي ٢ : ٢١٥
- كتاب القرافي في الأصول ٢ : ٥٣
- كتاب كبير الحجم في الاعتقادات للبرغواطي ٦ : ١٩٣
- كتاب كبير في تفسير القرآن لابن عطية ، انظر : تفسير ابن عطية
- الكتاب الكبير في مسائل الخلاف للطرطوشي ٢ : ٨٨
- كتاب مختصر في الفقه المالكي للقطني ٣ : ١٦٨
- كتاب المشكلين : مشكل القرآن والسنة لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٥
- الكتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن لأبي البركات ابن الحاج ٥ : ٣٨٨ ، ٤٨٦ ، ٦ : ٢٢٦
- كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ٣ : ٣٩٧
- كتاب النيرين في الصحيحين لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٥
- الكتيبة الكامنة لسان الدين ٥ : ١٢١ ، ١٣٨ ، ٤٧٠ ، ٦ : ٢٢٠ ، ٧ : ٩٧ ، ١٠٠
- الكذب لابن سبعين ٢ : ٢٠٢
- الكشاف للزنجشري ٥ : ٢٦٩
- كشف الأسرار عن علم الغبار للقلصادي ٢ : ٦٩٣
- كشف الالتباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس لابن حزم ٢ : ٧٩
- كشف الجلباب عن علم الحساب للقلصادي ٢ : ٦٩٣
- كشف الدك لابن شهيد ٥ : ٤٥
- كشف القناع عن الوجد والسماع للقرطبي ٢ : ٦١٥
- كشف المعنى في تفسير الأسماء الحسنی لابن عربي الحاتمي ٢ : ١٧٥
- كفاية الطالب النبيل في محلّ ألفاظ مختصر خليل ٢ : ٤٧٩
- الكلام في الطاعون المعاصر لسان الدين ٧ : ٩٩
- كليات الفرائض ٢ : ٦٩٣
- الكماثم للبيهقي ٢ : ٣٣٧
- كمال الحفاظ وجمال الالفاظ في الحكم والوصايا والمواعظ لابن ليون ٥ : ٥٤٣
- كناسة الدكان بعد انتقال السكان لسان الدين ٥ : ٢١٠ ، ٧ : ١٠٠
- كثر المفاوض في علم الفرائض لأبي بكر ابن عاصم ٥ : ٢١

ل

- الآلي لأبي عبيد البكري ١٨٤ : ٣
 الآلي المفصلة للزبازاري ١٣٩ : ٣
 لامية الأفعال لابن مالك ٢٢٥ : ٢
 لامية العجم ٢ : ٦٥٥ ، ٦٧٤ ، ٣٩٤ : ٤
 اللباس والصحة في جمع طرق المتصوفة لابن الحاج ١٠٩ : ٧
 لحن العامة للزبيدي ٣٩ : ٧
 لطائف المنن في مناقب الشيخ سيدي أبي العباس لابن عطاء الله ١٩٠ : ٢
 لقيط المرجان لأبي اليسر الرياضي ١٣٤ : ٣
 لمح البهيج ونفح الأريج للمتشاقري ١٤٥ : ٦
 لمح الملح لابن القطاع ٣٧ : ٤
 اللمة لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
 اللمة البدرية في الدولة النصرية لسان الدين ١٠٠ : ٧ ، ١٦٥ : ٦ ، ٩٦ ، ٩٠ ، ٨٤ : ٥
 اللمة الجامعة في العلوم النافعة لابن أبي الربيع ١٤١ : ٢
 اللؤلؤ والمرجان من بحر أبي البركات يستخرجان لأبي القاسم الشريف ٤٧٤ : ٥

م

- المآثر العامرية لحسين بن عاصم ١٧٤ : ٣
 ما جاء من النصوص والأخبار في حفظ الجمار للحميدي ١١٤ : ٢
 المباحث السنية في شرح الحصرية ١٤١ : ٢
 المباخر الطيبة في المفاخر الخطيبية لسان الدين ١٠١ : ٧ ، ١٨١ : ٥
 المبدع في التصريف لأبي حيان ٥٥٢ : ٢

- المبهيغ لأبي محمد عبد الله البغدادي ٥٦١ : ٢
- المتجر الربيع والسعي الرجيع . . . الخ لابن مرزوق الحفيد ٤٣٠ : ٥
- المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد لأبي بكر ابن العربي ٣٦ : ٢
- المنطقة ٤٢٤ : ٥
- المتين لابن حيان ١٩٣ ، ١٨١ : ٣
- مثالث القوانين في التورية والاستخدام والتضمين ١٠٩ : ٧
- مئلى الطريقة في ذم الوثيقة لسان الدين ٩٩ : ٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣ : ٦
- مجاز فتيا اللحن للاحن الممتحن لأبي الربيع ابن سالم ٤٧٥ : ٤
- مجانى الهصر في آداب وتواريخ لأهل العصر لأبي حيان ٥٥٣ : ٢
- المجتبى على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى لقاسم بن أصبغ ١٦٩ : ٣
- المجتنى لقاسم بن أصبغ ٤٨٠ : ٢
- المجتهدون ليونس بن مغيث ٢٦ : ٤
- مجموع في ترسيل الفتح بن خاقان ٣٥ : ٧
- مجموع المفترق ٥٤٧ : ١
- المجهولة (أرجوزة طيبة) لسان الدين ٩٨ : ٧
- محاسن المجالس لابن العريف ٥٩٨ ، ٥٩٧ : ٥
- المحاضرات للمقري الجلد ٣١٠ ، ٢٨٥ : ٥
- المحامليات ٥٦١ : ٢
- المحرر للرافعي ٥٤١ : ٢
- المحرك لدواعي الشر من أبي عتات للمقري الجلد ٣١٠ : ٥
- المحصل لفخر الدين الرازي ١٨١ : ٦ ، ٤٢٤ ، ٢٧٣ ، ٢٢٨ ، ٢١٧ : ٥
- المحصول للرازي ٤٢٤ : ٥ ، ٦٦٥ : ٢
- المحصول في علم الأصول لأبي بكر ابن العربي ٥٣٤ : ٥ ، ٣٦ : ٢
- محض اليقين وروض المتقين لابن ذي النون ٤٥ : ٢
- المحكم لابن سيده ٢٢٣ : ٢ ، ١٩٢ : ٣ ، ٣٨٠ ، ٢٧ : ٤
- المحلى لابن حزم ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥٣٦ : ٥
- المحلى بالأشعار لابن سعيد ٢٩٠ : ٢

مخاطبات الأصدقاء في المكاتبات واللقاء للحميدي ١١٤ ، ١١٣ : ٢
المخبور في لسان اليمور لأبي حيان ٥٥٣ : ٢
مختصر ابن الحاجب ٨٨ : ٢ ، ٥ : ٣١٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٤٢٤ ، ٧ : ٩٨ (انظر : المختصر
الفرعي)

مختصر ابن عبد الحكم ٣٨٦ : ١
مختصر ابن الياسمين في الجبر والمقابلة للقلصادي ٦٩٣ : ٢
المختصر البارغ في قراءة نافع لأبي القاسم ابن جزي ٥١٥ : ٥
مختصر تاريخ ابن عساكر لأبي شامة ٢٩٩ : ٢
مختصر تفسير الثعالبي للطروشني ٨٨ : ٢
مختصر الحاوي في الفتاوي ٤٣٠ : ٥
مختصر الحرق ٤٢٤ : ٥
مختصر خليل ٧٠١ ، ٦٩٧ ، ٦٩٣ : ٢
مختصر شرح ابن مرزوق على مختصر خليل للراعي الغرناطي ٦٩٧ : ٢
مختصر الطليطي ٩٧ : ٦
مختصر العقباتي ٦٩٤ : ٢
مختصر العمدة لابن السراج ٢٣٨ : ٢
مختصر العين للزبيدي ٧٢ : ٣ ، ٧٤ ، ٧٧ : ٥ ، ٣٨٠ : ٦ ، ٤٦٤ ، ٤٩٤ ، ٥١٦ ،
٣٨ : ٧

المختصر الفرعي لابن الحاجب ٣٤٢ : ٥ (وانظر : مختصر ابن الحاجب)
مختصر في العروض للقلصادي ٦٩٤ : ٢
مختصر القدوري ٤٢٤ : ٥
مختصر قواعد الإسلام ٦٩٣ : ٢
مختصر الكافي لابن غصن الإشيلي ٢٠٧ : ٢
مختصر كتاب الأغاني لأبي الربيع الموحدي ١٠٨ : ٣
مختصر كتاب الدارقطني في غرائب حديث مالك لابن الرومية ٥٩٨ : ٢
مختصر كتاب الكامل لابن الرومية ٥٩٧ : ٢
مختصر المختصر لأبي الوليد الباجي ٦٩ : ٢

- مختصر المدونة لابن أبي زيد ١١٣ : ٢
- مختصر المزني ٦٢٧ : ٢
- مختصر المستصفى لابن رشد ١٨١ : ٣
- مختصر (مفيد) في النحو للقلصادي ٦٩٤ : ٢
- مختصر المنهاج للتووي ٥٤٢ : ٢
- مختصر نوادر القالي للشريشي ١١٥ : ٢
- مختصر ابن الحاجب القرعي والأصلي ٤٢٠ : ٥
- مخمسة في الحج لابن بهيج ٢٢١ : ٢
- المدارك للقاضي عياض ٥٣٧ ، ٥٣٥ : ٥ ، ١٤٨ ، ٧٠ ، ٥ : ٢
- المدبجة لأبي اليسر الرياضي ١٣٤ : ٣
- المدخل لأبي بكر اليابري ٦٤٨ : ٢
- المدخل إلى الهندسة لابن السمين ٣٧٥ : ٣
- المدخل الضروري للقلصادي ٦٩٣ : ٢
- مدخل الطالبين للقلصادي ٦٩٤ : ٢
- مدد الجيش لعبد العزيز الفشتالي ٦٨ : ٧
- المدونة في الفقه المالكي ٤٥٨ : ١ ، ٦١ : ٢ ، ٦٩ ، ١٥٠ ، ١٨٨ ، ٥١٣ ، ٦١٦ ، ٦٩٨ ،
- ٥٣٦ ، ٣٨٨ ، ٢٧٦ ، ٢٥٠ : ٥ ، ٥٥٧ : ٣
- المنهاج لابن رشيد البغدادي ٢٤٢ : ٥
- مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ١١١ : ٣
- مرآة الزمان لليوني ١٦٥ : ٢
- المراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية للششتري ١٨٦ ، ١٨٥ : ٢
- مراتب العلوم لابن حزم ٥٥٥ : ٣
- مراقي الزلف لأبي بكر ابن العربي ٣٥ : ٢
- المرتبة العليا لابن راشد القفصي ٥٤٣ : ٥
- مرتقى الوصول للأصول لأبي بكر ابن عاصم ٢١ : ٥
- المرزومة لابن سعيد ٢٧١ : ٢
- المرصعة لأبي اليسر الرياضي ١٣٤ : ٣

المرقصات والمطربات لابن سعيد ٢٧١ : ٢
مركز الإحاطة للبدر البشتكي ١٠٢ : ٧ ، ٨٨ : ٦
مروج الذهب للمسعودي ١٩٩ ، ١٤٣ : ١
المزن الهامر في قراءة ابن عامر لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية لابن خاتمة ١ : ١٦٣ ، ٢ : ١٧٥ ، ٥ : ٣٦٠ ،

٤٧٥

المسائل الصقلية (وجهها علماء الروم) ٢٠٤ : ٢
المسائل الطبية لسان الدين ١٠٠ : ٧
مسألة ابن الزبير المقتول على الزندقة ١٢٦ : ٥
مسألة أبي الخير ١٢٩ : ٥
مسألة ابن أبي العيش ١٢٦ : ٥
المساحة المجهولة لأحمد بن نصر ١٧٦ : ٣
المسالك والممالك للبكري ١٨٤ : ٣ ، ٦٦٥ : ٢
المسالك والممالك للسرخسي ١١٠ : ٣
المسالك والممالك للعمري ٥٤١ : ١
المسامرات لابن عربي الحاتمي ٥٢٣ : ١
المستجاد في حكايات الأجواد للتنوخي ٢٩٨ : ٢
المستحسن من الأشعار للحصري ٢٤٧ : ٤
المستخرجة للعتبي ٢١٦ ، ٢١٥ : ٢
المستقصى للغزالي ٣٣٤ : ٤ ، ٦٦٥ ، ٥٤٢ : ٢
المسلسلات لأبي بكر ابن العربي ٣٦ : ٢
المسلسلات لأبي الربيع ابن سالم ٤٧٥ : ٤
مسلك الرشيد في تجريد مسائل نهاية بن رشد لأبي حيان ٥٥٣ : ٢
المسلك القريب في ترتيب الغريب لابن أبي الربيع ١٤١ : ٢
مسند ابن حنبل ٤٢١ : ٢
مسند ابن الفرضي ٢١٩ : ٢
مسند أسد بن موسى ٦٣٣ : ٢

- مسند الجوهري ٢ : ٦٤٥
- مسند الدارمي ٢ : ٥٤٩
- مسند الشافعي ٢ : ٥٤٩
- مسند الصحابة لابن رشد بن ٦ : ٣
- المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق ١ : ٦٠٥ ، ٤ : ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٦ : ٢١٧
- مسند الطيالسي ٢ : ٥٤٩
- مسند عبد بن حميد ٢ : ٥٤٩
- مسند (غريب) لابن مسدد ٢ : ٥٩٥
- المسهب في أخبار (فضائل، غرائب) المغرب للحجاري ١ : ١٥٣ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٣٩٩ ، ٤٧١ ، ٥٧٥ ، ٢ : ٢٦ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ١١٤ ، ٢٦٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣ : ١٢ ، ١٤ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ١٥٥ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٣٤٦ ، ٣٧٠ ، ٣٨٧ ، ٤٠٧ ، ٤٢٥ ، ٤٣٢ ، ٤٧٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٨ ، ٥٢٢ ، ٥٣٧ ، ٥٧٠ ، ٤ : ٦٧ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٢٣ ، ٢١١ ، ٢٧٥ ، ٢٩٥ ، ٤٦٧ ، ٧ : ٣٣
- مشاهد الأفكار في مأخذ النظر لابن طاهر ٤ : ٢٢
- المشارك للقاضي عياض ٢ : ٢٣٣ ، ٦٦٥ ، ٥ : ٥٣٥ ، ٥٣٧
- مشاهد الأسرار القدسية لابن عربي الحاتمي ٢ : ١٧٦
- مشتبه النسبة لابن عربي ٢ : ١٢٩
- المشرع السلسل في الحديث المسلسل ٢ : ٥٣٦ ، ٥ : ٥٣٤
- المشرق في حلى المشرق لابن سعيد ٢ : ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣ : ١٨٣
- مشق قلم المدح لدمشق للمقري المؤلف ٢ : ٤٨٥
- مشيخه ابن أبي المنصور لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
- مشيخة السلفي للتجيني ٢ : ١٦١
- مصارع العشاق للسراج ١ : ٢٥
- المصالح والمفاسد ٥ : ٤٢٤
- المصباح ٥ : ٤٥
- المصباح (في البيان) ٥ : ٤٢٤

- مصباح الظلم لأبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥
مصنف بقي بن مخلد ٣ : ١٦٨
مصنف في الحديث لقاسم بن أصبغ ٣ : ١٦٩
مصنف في الحديث لمحمد بن أيمن ٣ : ١٦٩
مصنف في السنن لابن أيمن ٢ : ٢٣٧
مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين لبقلي بن مخلد ٢ : ٥١٩
مصنف في فضل الصحابة والتابعين لبقلي بن مخلد ٣ : ١٦٨
مصنف في مجموع منامات ابن عربي رأى فيها الرسول ٢ : ١٦٣
مصنف لأبي بكر ابن أبي شيبة ٣ : ١٦٩
مصنف لسعيد بن منصور ٣ : ١٦٩
مصنف لعبد الرزاق بن همام ٣ : ١٦٩
مصنف النسائي ، انظر : سنن النسائي
المطالع لابن قرقول ٢ : ٦٦٥
مطالع الأنوار ومنابع الأسرار لابن العريف ٧ : ٤٩٧
مطالع البدور في منازل السرور للغزولي ١ : ٣٦٢
المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية ٢ : ٢٤٧ ، ٢٥٧ ، ٣ : ٣٧١ ، ٤٣٢ ، ٤٨٨ ،
٥٠٥ ، ٤ : ١٦٩ ، ١٧٢ ، ٢٠٣ ، ٢٩١ ، ٧ : ٣٤
مطمح الأنفس للفتح بن خاقان ١ : ٣٠٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٢٠ ،
٥٢٥ ، ٥٧٠ ، ٥٧٣ ، ٥٧٨ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٩٢ ، ٦٠٤ ، ٦٢٠ ، ٦ : ٦ ،
١٢ ، ٣٣ ، ١٣٠ ، ٣ : ٩٠ ، ١٨٣ ، ٣٦٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٣ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ،
٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٦٤ ، ٤ : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ١٤٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،
٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٣٠٨ ، ٥ : ٥٣٤ ، ٥٩٩ ، ٦ : ٢٢٠ ، ٧ : ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ،
٣٥ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١
المطمح الصغير ١ : ٤٠٣ ، ٢ : ٨ ، ٧ : ٦١
المطمحان (الكبير والصغير) للفتح ٧ : ٩٧
المظفري للمظفر بن الأفطس ١ : ٤٤٢ ، ٣ : ١٨١ ، ٤ : ٣٨٠ ، ٤٦٦

- معادن اللجين في مرآتي الحسين لابن الأبار ٣٢٠ : ٤
- المعارف الإلهية لابن عربي الحاتمي ١٧٥ : ٢
- معاقرة الشراب لابن الرقيق ١٣٢ : ٣
- المعالم للخطابي ٦٩ : ٣
- المعالم للفخر الرازي ٢٢١ : ٥ ، ٣١٤ : ١
- المعاني في شرح الموطن لأبي الوليد الباجي ٦٩ : ٢
- معاني القرآن للنحاس ٢٠ : ٢
- المعتمدة في الأغذية المفردة للسان الدين ٩٩ : ٦
- معجز أحمد للمعري ٥٧ : ٦
- المعجم للقاضي عياض ٦٧ : ٣
- معجم أصحاب الصدف لابن الأبار ٣٥ : ٧
- معجم شمس الدين محمد بن مسدي ١٨٣ : ٢
- معجم شيوخ الهروي ٧٠ : ٢
- معجم الصحابة لابن قانع ٦ : ٣
- المعجم الصغير للطبراني ٥٤٩ : ٢
- معجم الطبراني ١٠٤ : ٢
- المعجم في مشيخة أبي القاسم ابن حبيش لأبي الربيع ابن سالم ٤٧٥ : ٤
- المعجم في من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة لأبي الربيع ابن سالم ٤٧٥ : ٤
- المعجم الكبير للطبراني ٥٤٩ : ٢
- معجم ما استعجم للبكري ١٨٥ : ٣
- معجم مشيخة التجيبي ٥٠٥ : ٢
- معجم والد ابن سعيد ١٣٠ : ٣
- المعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج لابن مرزوق ٤٢٩ : ٥
- المعراج في أخبار (محاسن) أهل المغرب لليسع ٣٧٩ : ٢ ، ١٦٣ : ٣ ، ٣٩٧
- المعراج المفهم في شرح مسلم لابن أبي الأحوص ٥٣٦ : ٢
- معشرات في الزهد لابن الاقليشي ٥٩٩ : ٢
- المعلم ١٥٩ : ٢ ، ٥٣٥ : ٥ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨

المعلم بما زاده البخاري على كتاب مسلم ٥٩٧ : ٢

المعلومة للسان الدين ٩٨ : ٧

معيان الأخبار للسان الدين ١٠٠ : ٧

المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي ٢ :

٧٠١ ، ٥ : ٣٤٠ ، ٣٥٣ ، ٤١٩ ، ٧ : ٤٠٦

المغرب في حلى (أخبار) المغرب لابن سعيد ١ : ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٦٥ ،

٢٩٥ ، ٣٧٢ ، ٤١٢ ، ٤٥٥ ، ٤٦٦ ، ٥٤١ ، ٥٦٠ ، ٢ : ٢٦٢ ، ٢٧١ ،

٢٧٢ ، ٣١٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ،

٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ٣٦٧ ، ٥٩١ ، ٦٦٣ ، ٦٩١ ، ٣ : ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ،

١٠٩ ، ١٨٣ ، ٢٢٨ ، ٣٧١ ، ٣٨٦ ، ٤٠٤ ، ٤٣٢ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٨٨ ،

٤ : ٣٦ ، ١٢٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ،

٧ : ٣٣

المغني لابن البيطار ٦٩٢ : ٢

المغني لابن هشام ٤٢٨ ، ٤٢٤ : ٥

المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخرجية لابن مرزوق ٤٢٩ : ٥

مفاضلة مألقة وسلا للسان الدين ١٠٠ : ٧

مفاوضة القلب العليل لأبي الربيع ابن سالم ٤٧٥ : ٤

المفتاح للسكاكي ٤٢٢ : ٥

المفتاح لعبد الوهاب القرطبي ٦٣٧ : ٢

المفتاح في أصول الفقه للشريف التلمساني ٤٢٤ ، ٢٧٢ : ٥

مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المترل للحرالي ١٨٨ : ٢

المفصل للزنجشيري ٢ : ٢٢٥ ، ٥٥٠ ، ٥ : ٢٢٥ ، ٤٢٢ ، ٥٣٥

المفهم في شرح مسلم لأبي العباس القرطبي ٦١٥ ، ٢١١ : ٢

مقاتل الفرسان للقالي ٧٥ : ٣

المقاصد النحوية لابن مالك ٢٢٤ : ٢

مقالة في الطلعة المملكة للمقري الجدد ٣١٠ : ٥

المقاليذ الوجودية في أسرار الصوفية للششتري ١٨٥ : ٢

مقامات بدیع الزمان ٢ : ٤٤٨
مقامات الحريري ٢ : ١١٦ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٢٢ ، ٥٠٩ ، ٥٥٩ ، ٦٠٤ ، ٥ : ٣٤٢
المقامات الزرومية لأبي طاهر الاشترکوي ١ : ٢٩١
مقامة السياسة للسان الدين ٧ : ١٠٠
المقتبس لابن حيان ١ : ١٣٧ ، ٢٤٨ ، ٣٨٢ ، ٢ : ١٣١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٣٣٠ ، ٣ :
٢٧ ، ٥٥ ، ٦١ ، ١١١ ، ١٢٢ ، ١٨١ ، ١٩٣ ، ٦١٣ ، ٤ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

١٥ : ٥

المقتطف من أزاهر الطرف لابن سعيد ٢ : ٢٧١
المقدمات ٥ : ٢٤١ ، ٥٣٤
المقدمة الآجرومية لأبي المكارم ٧ : ١٢٣
مقدمة ابن الحاجب ٢ : ٥٤١
المقدمة الأسدية لابن مالك ٢ : ٢٢٥ ، ٢٣٢
مقدمة الجزولي ٢ : ١٣٧
مقدمة في أصول القراءات لابن الطحان ٢ : ٦٣٤
مقدمة في مخارج الحروف لابن الطحان ٢ : ٦٣٤
مقراض الأعراض لابن عنين ٢ : ٤٠١ ، ٤٠٢
المقرب لابن عصفور ٣ : ١٨٤ ، ٤ : ١٤٨ ، ٥ : ٤٢٤
المقصود والممدود لابن القوطية ٣ : ٧٤
المقصود والممدود والمهموز للقالبي ٣ : ٧٤ ، ٧٥ ، ١٧١
المقصودة لابن دريد ٢ : ١٣٤
مقصودة حازم ٢ : ١٩٧ ، ٣٢٢ ، ٣ : ٢٤٠ ، ٥ : ١٨٩ ، ١٩٨
المقنع لأبي عمرو الداني ٢ : ١٣٥
المقنع الشافعي لابن مرزوق ٥ : ٤٢٩
ملاذ المستعين في بعض خصائص سيد المرسلين للمتشافري ٦ : ١٤٥
ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة لابن رشيد ١ : ٦٠٦ ، ٢ : ١٩٦ ، ٥٨٩ ، ٦٢٣ ،
٣ : ٥٢٣ ، ٤ : ٣١١
الملتبس ٢ : ٤٨٧ ، ٣ : ٢٩٥ ، ٢٩٦

- ملجاة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين لأبي بكر ابن العربي ٣٦ : ٢
- ملحة الحريري ٦٩٤ : ٢
- ملوك الشعر لابن سعيد ٢٩٥ : ٢
- المدود والمقصود من سنا الملك المنصور لمحمد بن عيسى ٨٢ : ٧
- من ادعى الأمان من أهل الإيمان للحميدي ١١٣ : ٢
- منازل السائر للهروي ١٩٢ : ٦
- مناقب السبط للتجبي ١٦١ : ٢
- مناقب الشيخ المصودي لابن مرزوق ٤٣٠ : ٥
- مناهج الفكر ومباهج العبر ١ : ١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٤٩٦ ، ٥٠٠ ، ٤٤٦ ، ٥٨ : ٤
- مناهل الصفا في فضائل الشرفا للفشتالي ٨٢ : ٧
- المنتخب لابن لبابة ١٧١ : ٣
- منتخب البوني ١٩٩ : ٥
- المنتزون والقائمون بالأندلس لابن فرج ١٧٥ : ٣
- المنتقى لابن الجارود ١٦٩ : ٣
- المنتقى في شرح الموطن لأبي الوليد الباجي ٢ : ٦٩ ، ٧٧ ، ٣ : ١٨٠ ، ٥ : ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨
- منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يعترف فيه اختلاف لابن حزم ٧٩ : ٢
- منتهى السؤال لابن الحاجب ٦٦٥ : ٢
- منتهى السؤل في مدح الرسول لابن عذرة ٤٥٩ : ٧
- منتهى العقول البواحث للقلصادي ٦٩٤ : ٢
- المنجح لأبي الحسن الداودي ٦٦ : ٣
- المنح الغريب في الفتح القريب (قصيدة) لسان الدين ٤٧٨ : ٦
- المنزع النبيل في شرح مختصر خليل ٤٣٠ : ٥
- منسك الطبري ٤١٥ : ٥
- منطق الحرس في لسان الفرس لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
- منطق الطير لابن أبي حجلة ٢٠٠ : ٢

- منظومة في السير والشمال للأنصاري ٤٧٩ : ٢
- المنقطعون إلى الله ليونس بن مغيث ٢٦ : ٤
- المنهاج ٥٤٢ : ٢
- منهاج الغزالي ٤٢٧ : ٥
- منهج السالك لأبي حيان ٥٥٣ ، ٢٣١ : ٢
- المنهج العربي في الردّ على المقرب للجزيري ١٤٨ : ٤
- المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد لابن أبي الربيع ١٤١ : ٢
- المنهج المنتخب للزقاق ٤٧٩ : ٢
- المنهل المورود في شرح المقصد المحمود لابن الجنان ٤٦ : ٦
- مهييع الوصول في علم الأصول لأبي بكر ابن عاصم ٢١ : ٥
- الموارد المستعذبة لابن الحكيم ٥٠٦ : ٥
- المواعظ والرقائق للتجيني ١٦١ : ٢
- مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم لابن عربي الحاتمي ١٧٦ : ٢
- المواهب ٦ : ٢
- المؤتلف والمختلف لابن الفرضي ، انظر : كتاب في المؤتلف والمختلف
- المؤتمن على أنباء أبناء الزمن ، انظر : الكتاب المؤتمن
- الموجز في النحو لأبي بكر ابن عاصم ٢١ : ٥
- المورد العذب في معارضة قصيدة كعب لأبي حيان ٥٦٩ : ٢
- المورد الغمر في قراءة أبي عمرو لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
- الموصل في نظم المفصل لابن مالك ٢٢٥ : ٢
- الموضح لأبي الحسن الداودي ٦٦ : ٣
- الموطأ ١ : ٣٣٩ ، ٤٥٨ ، ٢ : ٩ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٠ ، ٦٩ ، ٢٠٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٤٢٩ ، ٥٠٩ ، ٥٣٦ ، ٥٤٩ ، ٥٦١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦٣٢ ، ٦٣٥ ، ٦٤٩ ، ٣ : ١٠ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٠ ، ٤ : ١٥٥ ، ٥ : ٢٠٠ ، ٣٤٢ ، ٣٨٩ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨
- موطأ أبي صعب ١٣٥ : ٣
- الموفور لأبي حيان ٥٥٢ : ٢

المؤنسة لأبي اليسر الرياضي ٣ : ١٣٥
ميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين لأبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥

ن

الناسخ والمنسوخ في القرآن لأبي بكر ابن العربي ٢ : ٣٥
الناسخ والمنسوخ لمنذر بن سعيد ٢ : ٢٢
النافع في قراءة نافع لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
النبهة الجلية في ألفاظ اصطلاح عليها الصوفية لابن أبي الربيع ٢ : ١٤١
النبراس في أخبار خلفاء بني العباس لابن دحية ٢ : ٤٧ ، ١٠٤ ، ٥ : ١١٨
نتيجة الحب الصميم . . . الخ لأبي الربيع ابن سالم ٤ : ٤٧٥
نثر الزهر ونظم الزهر لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
نثير الجمان في من نظمني وإياه الزمان لابن الأحمر ٢ : ١٩٤ ، ٥ : ٢٠٤ ، ٢٢٦
نثير فرائد الجمان لابن الأحمر ٧ : ٩٩
النجاة لابن سينا ٢ : ١٨٨
النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب لابن سعد التلمساني ٦ : ٤٩٢ ، ٧ : ١٣٦
النجم من كلام سيد العرب والعجم لابن الأفلحي ٢ : ٥٩٩
نزهة الألباب لابن جماعة ٢ : ٦٦١
نزهة الأنام ٤ : ٤٠٠
نزهة الحديق في ذكر الفرق لابن الحاج ٧ : ١٠٩
نزهة المشتاق ، انظر : كتاب أجار
النزهة في التعريف بشيوخ الوجهة لابن عات ٢ : ٦٠١
النسب للحازمي الحمداني ١ : ٢٩٦
النسب للزبير بن بكار ٢ : ٦٣٢
نسيم الصبا لابن حبيب ٢ : ٦٦٩ ، ٦٧١ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤

- نشق الأزهار ١ : ٤٨١ ، ٥٢٠
- نشق عرف دمشق للمقري المؤلف ٢ : ٤٨٤
- نشوار المحاضرة للتونجي ٢ : ٤٦٨
- نصائح الأحباب وصحائح الآداب لابن ليون ٥ : ٥٤٤
- النصح الخالص لابن مرزوق ٥ : ٤٢٩
- النصرة للمذهب إمام دار الهجرة لابن نصر البغدادي ٢ : ٥٢١
- النصيحة في السياسة العامة والخاصة للقلصادي ٢ : ٦٩٣
- النضار في المسلاة عن نضار لأبي حيان ٢ : ٥٥٩
- النظائر للمقري الجلد ٥ : ٣١٠
- النظائر والأشباه للعلائي ٥ : ٤٢٤
- نظام الأداء في الوقف والابتداء لابن الطحان ٢ : ٦٣٤
- النظم الأوجز فيما يهمل لابن مالك ٢ : ٢٢٥
- نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان للتنسي ٦ : ٥١٤
- نظم الدرر في مدح سيد البشر لابن العطار الجزائري ٧ : ٤٨٩
- نظم الدرر في نسب سيد البشر للشبيبي ٧ : ٤٩٠
- نظم السلوك في مواعظ الملوك لابن اللبابة ٤ : ٢١٥ ، ٥ : ٥٣٤
- نظم اللائي في سلوك الأمالي للمقري الجلد ٥ : ٢١٥
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب للسان الدين ٣ : ١٠١ ، ٥ : ١٤٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤
- ٦ : ٥ ، ٤٦ ، ٦٩ ، ٢١٧ ، ٤٨٦ ، ٤٩٢ ، ٧ : ٩٨ ، ٢٩٩
- نفخ السحر في اختصار روح الشجر وروح الشعر لابن ليون ٥ : ٥٤٤
- نفخ المسك الأذفر في مدح المنصور ابن المظفر لابن ذي النون ٢ : ٤٥
- النفحات الرندية واللمحات الرندية للمتشافري ٦ : ١٤٥
- نفحة المسك في سيرة الترك لأبي حيان ٢ : ٥٥٢
- النفحة المسكية في الرحلة المكية لابن سعيد ٢ : ٢٧٣
- النقاية بعد الكفاية للسان الدين ٧ : ٩٧
- نقط العروس في نواريز الخلفاء لابن حزم ٣ : ١٨٢
- النكت لعبد الحق الصقلي ٢ : ٦٦٥

- نكت الأماي لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
- النكت الحسان لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
- نكت الكامل للمبرد لأبي الوليد الوقشي ١٣٨ : ٤
- نكتة الأمثال ونقطة السحر الحلال لأبي الربيع ابن سالم ٤٧٥ : ٤
- نهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب لأبي حيان ٥٥٣ : ٢
- نهاية الأمل في شرح الحمل لابن مرزوق ٤٢٩ : ٥
- نهاية المجتهد لابن رشد ١٨٠ : ٣
- نهج الوضاعة لأولي الخلاعة لأبي الحكم المغربي ٦٣٨ ، ١٣٥ ، ١٣٣ : ٢
- النهر وانيات ٥٦١٠ : ٢
- النوادر لابن أبي زيد ٦١ : ٢
- نواذر أبي الحسن اللحياني ٣٨٠ : ٥
- النوادر للقالي ١ : ٦١٨ ، ٢ : ١١٥ ، ٦٦٥ ، ٣ : ١٧٢ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤ : ٣٦ ، ١٤٢ ، ١٧١ ، ٥ : ٥٣٦ ، ٦ : ١٢٠ (انظر أيضاً : الأماي)
- نوازل المازوني ٤٢٦ : ٥
- النوازل النحوية للراعي الغرناطي ٦٩٦ : ٢
- نوافث السحر في دماث الشعر لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
- نواهي الدواهي لأبي بكر ابن العربي ٣٥ : ٢
- النور البديري في التعريف بالفقيه المقرئ لابن مرزوق ٣٤٠ ، ٢٠٤ : ٥
- نور حدة البديع ونور حديقة الربيع للكفعمي ٣٤٠ : ٧
- نور الغبش في لسان الحبش لأبي حيان ٥٥٣ : ٢
- النور المبين في قواعد عقائد الدين لأبي القاسم ابن جزي ٥١٥ : ٥
- النير الجلي في قراءة زيد بن علي (قصيدة) لأبي حيان ٥٥٢ : ٢
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا لتنبكي ٢٧٩ : ٥
- نيل المنى في اختصار الموافقات لأبي بكر ابن عاصم ٢١ : ٥

هـ

- الهادي في القراءات لابن سفيان ٢ : ٦٤٣
 الهداية لعيسى بن دينار ٣ : ١٦٧ ، ٥ : ٥٣٤
 الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٣ : ١٧٩
 هداية الأنام في شرح مختصر قواعد الإسلام للقلصادي ٢ : ٦٩٣
 هداية المعتسف في المؤلف والمختلف لابن الأبار ٢ : ٥٩٢ ، ٤ : ٢١
 هداية النظر في تحفة الأحكام والأسرار للقلصادي ٢ : ٦٩٣

و

- واجب الأدب لأبي عمران ابن سعيد ٣ : ١٨٤ ، ٥٦٥
 الواضح للزيدي ٣ : ٤٧٦ ، ٧ : ٣٩
 الواضحة لعبد الملك بن حبيب ٢ : ٦ ، ٧ ، ٥٢٠ ، ٦٦٥ ، ٣ : ١٧١ ، ٥ : ٥٣٦
 الوافي بالوفيات للصفدي ٢ : ١٧٩ ، ١٩٠ ، ٥٥٩ ، ٣ : ٧٣ ، ٥٦٦
 الوتريات لابن رشيد البغدادي ٥ : ٢٤٢
 وثائق الجزيري المالكي ٥ : ٣٥٢ ، ٦ : ٤٦
 الوجازة في صحة القول بالإجازة للعمري ٢ : ٣٨٠
 الوجيز للغزالي ٥ : ٤٢٤
 الوجيز في التفسير لابن عطية ٢ : ٥٢٧
 الوراة المحمدية والفصول الذاتية ٢ : ١٩٨
 الورد العذب في مولد سيد الخلق أجمعين لابن العطار الجرائري ٧ : ٤٨٩
 الوزارة للسان الدين ٧ : ١٠٠
 الوسامة في أحكام القسامة ٢ : ٥٣٦

- الوسيط للغزالي ٢ : ٢١٦ ، ٥ : ٥٣٤
- وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم لأبي القاسم ابن جزري ٥ : ٥١٥
- وشي الحلل في شرح الحمل لأبي جعفر الليلي ٢ : ٢٠٨
- الوصول لحفظ الصحة في الفصول للسان الدين ٧ : ١٠٠
- وقيات ابن الخطيب القسطنطيني ٥ : ١٩٧ ، ٤٩٦
- وقيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ٢٢٨ ، ٤ : ٤٦٢
- الوقف والابتدا لابن الأنباري ٢ : ٥٠٨
- الوهاج في اختصار المنهاج لأبي حيان ٢ : ٥٥٢

ي

- يتيمة الدهر للثعالبي ٢ : ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٣ : ٣٢٠ ، ٣٢٩ ، ٤ : ١٠٢ ، ٥ : ٢٣ ، ٤٥
- ينبوع عين الثرة في تفريع مسألة الإمامة بالأجرة لابن لب ٥ : ٥١٤
- اليوسفي في صناعة الطب للسان الدين ٧ : ٩٨

مصادر المقدمة والتحقيق

١ - المصادر

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء لتقي الدين المقرئ ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال . (دار الفكر العربي ، ١٩٤٨)
- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (الجزء الأول) ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان . (دار المعارف بمصر)
- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (١ - ٢) . (ط . مصر ، ١٣١٩)
- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب . (مخطوطة المكتبة الكتانية بالرباط ، رقم ٢٧٠٤)
- أخبار مجموعة في ذكر فتح الأندلس وذكر أمرائها مؤلف مجهول . (ط . مدريد ، ١٨٦٧)
- اختصار القدر المعلق في التاريخ المحلى لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري . (ط . القاهرة ، ١٩٥٩)
- أدباء مالقة لابن عسكر . (صورة عن نسخة خطية خاصة بمكتبة الأستاذ محمد المنوني)
- أزهار الرياض في أخبار عياض لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني (١ - ٣) ، تحقيق الأستاذة السقا والابرياري وشاوي . (ط . القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٤٢)
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للشيخ أحمد بن خالد الناصري (١ - ٩) . (ط . دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤)
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر ابن عبد البر (١ - ٤) ، تحقيق علي محمد البجاوي . (مطبعة نهضة مصر)
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (١ - ٨) . (ط . مصر ، ١٣٢٣)
- اعتاب الكتاب لابن الأبار القضاوي ، تحقيق الدكتور صالح الأشتري . (ط . دمشق ، ١٩٦١)
- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد (قسم دمشق) ، تحقيق الدكتور

- سامي الدهان . (ط . دمشق ، ١٩٥٦)
- الإعلام بمن حل مراکش من الأعلام للشيخ العباس ابن إبراهيم المراكشي (١ - ٥) .
(ط . فاس ، ١٩٣٦)
- أعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق الأستاذ ليفي بروفنسال . (ط . دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٦)
- أعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب (القسم الثالث) ، تحقيق الأستاذين العبادي والكتاني .
(دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤)
- أعيان العصر وأعوان النصر للصالح الصفدي . (مخطوطة آيا صوفيا ، رقم ٢٩٦٢)
- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (١ - ٢٥) . (ط . دار الثقافة ، بيروت)
- افتتاح الأندلس لابن القوطية الأندلسي ، تحقيق الأستاذ عبد الله أنيس الطباع . (دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٨)
- أماي القالي (الطبعة الثالثة ، مصر ، ١٩٥٣)
- الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة (١ - ٢) ، تحقيق الدكتور طه الزيني . (ط . مؤسسة الحلبي بمصر)
- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والخفدة والمتاع لتقي الدين المقريري (الجزء الأول) ، تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر . (ط . القاهرة ، ١٩٤١)
- أمثال العرب للمفضل الضبي . (ط . الجوائب بالقسطنطينية ، ١٣٠٠)
- إنباء الرواة على أنباء النحاة لجمال الدين القفطي (١ - ٣) ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم . (ط . دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠)
- الانتصار في واسطة عقد الأمصار لابن دقماق (٤ و ٥) . (ط . بولاق ، ١٣٠٩)
- الأنس الجليل في تاريخ القدس والجليل للقاضي مجير الدين العليمي الحنبلي . (ط . مصر ، ١٢٨٣)
- أنس الفقير وعز الحقيير لأبي العباس ابن قنفذ القسنطيني ، تحقيق الأستاذين محمد الفاسي وأدولف فور . (ط . الرباط ، ١٩٦٥)
- أنساب الأشراف للبلاذري (الجزء الأول) ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله . (ط . دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩)
- أنساب الأشراف للبلاذري (٤ و ٥) ، تحقيق جويتاين . (ط . القدس ، ١٩٣٦)

- بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي . (على هامش معاهد التنصيص ١-٢ ط . القاهرة ، ١٣١٦)
 البداية والنهاية لابن كثير (١-١٤) . (ط . مصر ، ١٣٥١-١٣٥٨)
 البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (١-٢) . (ط . مصر ، ١٣٤٨)
 البديع في وصف الربيع للأديب أبي الوليد إسماعيل الحميري الملقب بحبيب ، تحقيق الأستاذ
 هنري بريس . (ط . الرباط ، ١٩٤٠)
 برنامج شيوخ الرعي ، تحقيق الأستاذ إبراهيم شيوخ . (ط . دمشق ، ١٩٦٢)
 بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس لابن عميرة الضبي . (ط . مجريط ، ١٨٨٤)
 بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين السيوطي . (الطبعة الأولى ، ١٩٢٦)
 البيان المغرب لابن عذاري المراكشي (١-٢) . (ط . بيروت)
 البيان المغرب لابن عذاري المراكشي (١-٢) ، تحقيق الأستاذين كولان ليفي برونفسال .
 (ط . ليدن ، ١٩٤٨)
 البيان المغرب لابن عذاري المراكشي (الجزء الثالث) ، تحقيق الأستاذ ليفي برونفسال .
 (ط . باريس ، ١٩٢٩)
 البيان المغرب لابن عذاري المراكشي (القسم الخاص بتاريخ الموحدين) ، تحقيق الأستاذ امبروسي
 هويس ميراندا ومساهمة محمد بن تاويت ومحمد بن إبراهيم الكتاني . (ط . تطوان ،
 ١٩٦٠)
 البيان المغرب لابن عذاري المراكشي (قطعة في تاريخ المرابطين) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس
 (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧)
 تاج المفرق في تحلية علماء المشرق (رحلة البلوي) للشيخ خالد البلوي . (مخطوطة رقم ١٠٥٣
 جغرافية بدار الكتب)
 تاريخ ابن الفرات (٧-٩) ، تحقيق الدكتور قسطنطين زريق . (ط . بيروت ، ١٩٣٦ -
 ١٩٤٢)
 تاريخ ابن الوردي المسمى تنمة المختصر في أخبار البشر (في مجلدين) . (ط . مصر ، ١٢٨٥)
 تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١-١٤) . (طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ، نشر دار
 الكتاب العربي ، بيروت)
 تاريخ الحكماء بحمال الدين القفطي ، تحقيق الدكتور جوليوس ليرت . (ليسك ، ١٩٠٣)
 تاريخ دمشق لابن عساكر (١-٢) ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . (ط . دمشق ،

(١٩٥١ و ١٩٥٤)

تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار لمحمد بن رافع السلامي ، تحقيق الأستاذ عباس
الزواوي . (ط . بغداد ، ١٩٣٨)

تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس لابن الفرضي (١ - ٢) . (ط . مصر ، ١٩٥٤)
تبصير المنتبه بتحرير المشته لابن حجر العسقلاني (١ - ٤) ، تحقيق الأستاذين علي البجاوي
ومحمد علي النجار . (ط . مصر ، ١٩٦٤)

تبين كذب المفتري في ما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لأبي القاسم ابن عساكر الدمشقي
(ط . القدسي)

تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي (١ - ٤) . (الطبعة الثالثة ، حيدرآباد الدكن ، ١٩٥٥)
تراجم وأخبار أندلسية (قطعة مستخرجة من معجم السفر للسلفي) ، تحقيق الدكتور إحسان
عباس . (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣)

ترجمان الأشواق لمحيي الدين ابن عربي . (دار صادر ، بيروت ، ١٩٦١)
التشبيهات من أشعار أهل الأندلس للشيخ أبي عبد الله محمد بن الكتاني ، تحقيق الدكتور إحسان
عباس . (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦)

التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، تحقيق الأستاذ محمد بن تاووت الطنجي . (ط . لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١)

التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار القضاعي (١ - ٢) . (ط . مصر ، ويشار إليها بأرقام الصفحات ؛
فإذا أشير إلى رقم الترجمة كان الاعتماد على طبعة يجريط من المكتبة الأندلسية)
التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق الأستاذ عبد الفتاح محمد الحلوي . (ط . القاهرة ،
١٩٦١)

التمهيد (تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) لأبي عمر ابن عبد البر . (ط .
القدسي ، ١٣٥٠)

التنبيه والإشراف للمسعودي . (طبعة مصورة عن الطبعة الأوروبية ، مكتبة خياط ، بيروت ،
١٩٦٥)

تهذيب تاريخ ابن عساكر للشيخ عبد القادر بدران (١ - ٧) . (ط . دمشق ، ١٣٢٩ -
١٣٤٩)

تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (١ - ١٢) . (حيدرآباد الدكن ، ١٣٢٥ - ١٣٢٧)

الجامع لأسماء الأدوية المفردة لضيء الدين ابن البيطار المالقي (١-٤) . (ط . بولاق ،
١٢٩١)

الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير لابن الساعي البغدادي (الجزء التاسع)
(ط . بغداد ، ١٩٣٤)

جلوة الاقتباس لابن القاضي . (ط . فاس)

جلوة المقتبس للحميدي ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي . (ط . مصر ، ١٩٥٢)

جغرافية البكري . (مخطوطة المسالك والممالك رقم ٤٨٨ بالرباط)

جمهرة الأمثال للعسكري . (على هامش مجمع الأمثال للميداني)

جمهرة الأنساب لابن خزم الظاهري ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . (الطبعة الثانية ،
دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢)

حلبة الكميت لشمس الدين النواجي . (ط . القاهرة ، ١٢٧٦)

الخلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول ، تحقيق علوش . (ط . الرباط ، ١٩٣٦)
الحلة السيرة لابن الأبار القضاعي ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس (١-٢) . (ط . مصر ،

١٩٦٣)

حلية الأولياء لأبي نعيم الإصفيهاني (١-١٠) . (ط . القاهرة ، ١٩٣٨)

حياة الحيوان الكبرى للدميري (١-٢) . (ط . مصر ، ١٢٩٢)

خريدة القصر (قسم الشام ، ١-٣) تحقيق الدكتور شكري فيصل . (ط . دمشق ، ١٩٥٥ -

١٩٦٤)

خريدة القصر (قسم مصر ، ١-٢) ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف . (ط . القاهرة ، ١٩٥١)

خريدة القصر (قسم المغرب ، الجزء الأول) ، تحقيق الأستاذين عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم .

(ط . مصر ، ١٩٦٤)

خريدة القصر (قسم المغرب ، الجزء الأول) ، تحقيق محمد المرزوقي ورفيقه . (ط . تونس ،

١٩٦٦)

الخصائص لابن جني (١-٣) ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار . (ط . دار الكتب ،

١٩٥٢ - ١٩٥٦)

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لابن فضل الله المحبي . (ط . القاهرة ، ١٢٨٤)

دار الطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك ، تحقيق الدكتور جودت الركابي . (ط . دمشق ،

١٩٤٩)

- الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعمي الدمشقي (١-٢) . (من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٣٦٧ - ١٣٧٠)
- دور السمط في خبر السبط لابن الأبار القضاعي . (مخطوطة الخزانة الكتانية رقم ٢٠٨١)
- الدور الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (١-٤) . (ط . حيدر أباد الدكن)
- الدور الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (١-٥) . (ط . مصر ، ١٩٦٧)
- درة الحجال في أسماء الرجال لأحمد بن محمد ابن القاضي (١-٢) . (ط . الرباط)
- الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية لأبي بكر ابن عبد الله بن أبيك الدواداري ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . (ط . القاهرة ، ١٩٦١)
- الدوحة المشتبكة لابن الحكيم ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس . (مدريد ، ١٩٦٠)
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون المالكي . (الطبعة الأولى ، مصر ، ١٣٥١)
- ديوان إبراهيم بن العباس الصولي (ضمن كتاب الطرائف الأدبية ، تصحيح الأستاذ عبد العزيز الميمني ، ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧)
- ديوان ابن حمديس ، صححه وقدم له الدكتور إحسان عباس . (دار صادر ودار بيروت ، ١٩٦٠)
- ديوان ابن خفاجة ، تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي . (دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠)
- ديوان ابن درّاج القسطلّي ، تحقيق الدكتور محمود علي مكّي . (الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٩٦١)
- ديوان ابن الدميني ، تحقيق الأستاذ أحمد راتب النفاخ . (ط . القاهرة ، ١٩٥٩)
- ديوان ابن رشيق ، جمعه ورتبه الدكتور عبد الرحمن ياغي . (دار الثقافة - بيروت)
- ديوان ابن الزقاق البلنسي ، تحقيق الأنسة عفيفة محمود ديراني . (دار الثقافة ، بيروت)
- ديوان ابن زيدون ، تحقيق الأستاذ علي عبد العظيم . (ط . مصر ، ١٩٥٧)
- ديوان ابن سهل الأندلسي ، قدم له الدكتور إحسان عباس . (دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧)
- ديوان ابن شهيد ، جمعه الأستاذ شارل بيللا . (الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٣)
- ديوان ابن عربي . (ط . بولاق ، ١٢٧١)
- ديوان ابن عثين ، تحقيق الأستاذ خليل مردم بك . (من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، دمشق ، ١٩٤٦)
- ديوان ابن قلاّس ، مراجعة وضبط الأستاذ خليل مطران . (ط . الجوائب بالقسطنطينية ، ١٣٢٣)

- ديوان ابن هانيء الأندلسي ، تحقيق الأستاذ كرم البستاني . (دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٢)
- ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، تحقيق الأستاذ أميليو غرسية غومس . (ط . مدريد — غرناطة ، ١٩٤٤)
- ديوان أبي تمام (١ — ٤) ، تحقيق الأستاذ محمد عبده عزام . (دار المعارف بمصر ، ١٩٥١ — ١٩٦٥)
- ديوان أبي الحسن الششتري ، تحقيق الأستاذ علي سامي النشار . (ط . الاسكندرية ، ١٩٦٠)
- ديوان أبي الربيع الموحدي ، تحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي ورفاقه . (من منشورات كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط)
- ديوان أبي الربيع الموحدي . (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط)
- ديوان أبي العتاهية ، تحقيق الدكتور شكري فيصل . (ط . دمشق ، ١٩٦٥)
- ديوان أبي فراس الحمداني (١ — ٢) ، جمع وشرح الدكتور سامي الدهان . (ط . بيروت ، ١٩٤٤)
- ديوان أبي نواس . (طبعة اسكندر آصاف ، مصر ، ١٨٩٨)
- ديوان الأعمى التطيلي ، تحقيق الدكتور إحسان عباس . (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣)
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم . (دار المعارف بمصر ، ١٩٥٨)
- ديوان أبدمر المحبوي . (ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣١)
- ديوان البحتري (١ — ٤) ، تحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفي . (دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ — ١٩٦٥)
- ديوان بديع الزمان الهمداني . (ط . مصر)
- ديوان جرير . (دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٠)
- ديوان جميل بثينة ، تحقيق الدكتور حسين نصار . (ط . القاهرة)
- ديوان حازم القرطاجني ، تحقيق الأستاذ عثمان الكعاك . (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤)
- ديوان الخطيئة . (دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧)
- ديوان الحلاج ، جمع لويس ماسينيون . (في المجلة الآسيوية ، يناير — مارس ، ١٩٣١ ، باريس)
- ديوان ذي الرمة ، تحقيق كارليل مكارثني . (ط . كمبردج ، ١٩١٩)
- ديوان الرصافي البلسني ، جمعه وقدم له الدكتور إحسان عباس . (ط . دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠)

- ديوان زهير بن أبي سلمى . (ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤)
- ديوان الشريف الرضي (١ - ٢) . (دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦١)
- ديوان الصبابة لشهاب الدين أحمد ابن أبي حمجلة المغربي . (ط . القاهرة ، ١٢٧٩)
- ديوان صفى الدين الحلي . (دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٢)
- ديوان طرفة بن العبد . (دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦١)
- ديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق الدكتور حسين نصار . (الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٧)
- ديوان علي بن الجهم ، تحقيق الأستاذ خليل مردم بك . (من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، دمشق ، ١٩٤٩)
- ديوان عمر بن أبي ربيعة . (دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦١)
- ديوان القاضي الفاضل (١ - ٢) ، تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي . (الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦١)
- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد . (الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٢)
- ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق الدكتور إحسان عباس . (الكويت ، ١٩٦٢)
- ديوان المتنبي ، تحقيق الأستاذ فريدريخ ديتريشي . (برلين ، ١٨٦١)
- ديوان مجنون ليلى ، تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج . (ط . مكتبة مصر ، القاهرة)
- ديوان المعتمد بن عباد ، تحقيق الأسناذين أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد . (ط . القاهرة ، ١٩٥١)
- ديوان مهييار الديلمي (١ - ٤) . (ط . دار الكتب المصرية)
- ديوان الهذليين ، تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج . (ط . القاهرة ، ١٩٦٥)
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، تحقيق الأستاذ محمد بن أبي شنب . (ط . الجزائر ، ١٩٢٠)
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنري . (ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة : القسم الأول - المجلد الأول ، ١٩٣٩ ؛ القسم الأول - المجلد الثاني ، ١٩٤٢ ؛ القسم الرابع - المجلد الأول ، ١٩٤٥)
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنري . (القسم الثاني والقسم الثالث من مخطوطة بغداد المحفوظة بمكتبة جامعة القاهرة)

- ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول . (مخطوطة الرباط رقم ٨٥ ج)
 ذيل الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) لأبي شامة . (الطبعة الأولى ، القاهرة ،
 ١٩٤٧)
 الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١ - ٢) . (ط . القاهرة ، ١٩٥٢ - ١٩٥٣)
 الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (٤ - ٥) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس . (دار
 الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ - ١٩٦٥)
 رايات المبرزين لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق الأستاذ غرسية غومس . (ط . مدريد)
 رحلة ابن بطوطة . (دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٠)
 رحلة ابن جبير . (الطبعة الثانية ، لندن ، ١٩٠٧)
 رحلة العبدري ، تحقيق الأستاذ أحمد بن جدو . (نشر كلية الآداب الجزائرية)
 رحلة العياشي (١ - ٢) . (طبعة حجرية بفاس ، ١٣١٦)
 الرسالة المصرية لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي (ضمن كتاب نوادر المخطوطات ،
 تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
 القاهرة ، ١٩٥١)
 رسائل ابن سبعين لأبي محمد عبد الحق بن سبعين المرسى ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بنوي .
 (سلسلة تراثنا ، ط . القاهرة ، ١٩٦٥)
 روض القرطاس لابن أبي زرع . (ط . فاس ، ١٣٠٣)
 الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله الحميري ، تحقيق ليفي بروفنسال . (ط . لجنة
 التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧)
 روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقينته من أعلام الحضرتين مراکش وفاس لأحمد بن
 محمد المقرئ التلمساني . (ط . المطبعة الملكية بالرباط ، ١٩٦٤)
 روضة النسر في دولة بني مرين لأبي الوليد ابن الأحمر . (ط . المطبعة الملكية بالرباط ، ١٩٦٢)
 رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة للشرىف الغرناطي (١ - ٢) . (ط . مطبعة السعادة ،
 القاهرة ، ١٣٤٤)
 رياض النفوس لأبي بكر عبد الله المالكي (الجزء الأول) ، نشر الدكتور حسين مؤنس .
 (الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥١)
 زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر لأبي بحر صفوان بن إدريس المرسى ، تحقيق عبد القادر

- محداد . (ط . بيروت ، ١٩٣٩)
- زهر الآداب وثمر الألباب للحصري (في مجلدين) ، تحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي .
- الزهرة لابن داود الاصفهاني (الجزء الأول) ، تحقيق الدكتور لويس نيكول والأستاذ إبراهيم طوقان . (ط . اليسوعية ، بيروت ، ١٩٣٢)
- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصري . (الاسكندرية ، ١٢٩٠)
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس لمحمد بن جعفر الكتاني (١ - ٣) . (ط . فاس ، ١٣١٦)
- سمط الآلي في شرح أمالي القاضي لأبي عبيد البكري (١ - ٢) ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني . (ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٦)
- سيرة ابن هشام (١ - ٤) ، تحقيق الأساتذة السقا والاباري وشليبي . (الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٥)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب للعماد الحنبلي (١ - ٨) . (نشر القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٠ - ١٣٥١)
- شرح الحماسة للمرزوقي (١ - ٤) ، نشر الأستاذين أحمد أمين وعبد السلام هارون . (الطبعة الأولى ، ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١ - ١٩٥٣)
- شرح المختار من شعر بشار لأبي الطاهر التنجيبي ، تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي . (ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٤)
- شرح مقامات الحريري للشريشي (١ - ٢) . (ط . القاهرة ، ١٣٠٠) .
- شروح سقط الزند (١ - ٥) . (ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ - ١٩٤٨)
- شعر الخوارج ، تحقيق الدكتور إحسان عباس . (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣)
- الشعر والشعراء لابن قتيبة (١ - ٢) . (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤)
- صحيح مسلم (١ - ٢) . (ط . القاهرة ، ١٢٩٠)
- صفوة من انتشر من أعيان القرن الحادي عشر للأفرائي المراكشي . (ط . حجر)
- الصلة لابن بشكوال (١ - ٢) . (ط . القاهرة ، ١٩٥٥)
- صلة الصلة لأبي جعفر ابن الزبير ، تحقيق الأستاذ ليفي بروفنسال . (ط . الرباط ، ١٩٣٧)
- صورة الأرض لابن حوقل النصيبي . (مكتبة الحياة ، بيروت)
- صيد الخاطر لابن الجوزي ، تحقيق الأستاذ محمد الغزالي . (ط . مطبعة السعادة ، القاهرة)

- الضوء اللامع للسخاوي (١-١٢) . (ط . مصر ، ١٣٥٣ - ١٣٥٥)
- الطالع السعيد لكمال الدين أبي الفضل الأدفوي . (الطبعة الأولى ، ١٩١٤)
- طبقات الأطباء والحكماء لابن جليل ، تحقيق الأستاذ فؤاد سيد . (ط . المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥)
- طبقات الأمم للقاضي صاعد الأندلسي ، نشر الأب لويس شيخو . (ط . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩١٢)
- طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي (١-٦) . (ط . المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٣٢٤)
- طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج . (دار المعارف بمصر ، ١٩٥٦)
- الطبقات الكبرى لابن سعد (١-٨) . (دار بيروت ودار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧-١٩٥٨)
- طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي . (ط . لندن ، ١٨٣٩ ؛ طهران ، ١٩٦٠)
- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي النحوي ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم . (الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٤)
- طوق الحمامة في الألفة والآلاف لابن حزم الظاهري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي . (ط . القاهرة ، ١٩٥٠)
- العاطل الحالمي والمرخص الغالي لصفى الدين الحلبي ، نشر الأستاذ ولهم هونرباخ . (ط . ويسبادن ، ألمانيا ، ١٩٥٥)
- العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (١-٧) . (ط . بولاق ، ١٢٨٤)
- عجالة المبتدئ وفضالة المنتهي في النسب للحافظ أبي بكر محمد بن أبي عثمان الخازمي
- الهمداني ، تحقيق عبد الله كنون . (ط . القاهرة ، ١٩٦٥)
- علماء إفريقية لمحمد بن الحارث الحشني . (ط . القاهرة ، مع كتاب قضاة قرطبة للمؤلف نفسه ، ١٣٧٣)
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني . (الطبعة الأولى ، الجزائر ، ١٩١٠)
- عنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق الأستاذ عبد القادر محداد . (ط . الجزائر ، ١٩٤٩)
- عيون الأخبار لابن قتيبة (١-٤) . (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٣)
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (١-٢) . (ط . المطبعة الوهبة بمصر ، ١٣٠٠)

- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١ - ٣) ، تحقيق برجستراسر . (ط . القاهرة ، ١٩٣٢ - ١٩٣٣)
- الغصون الياضة في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري . (دار المعارف بمصر)
- الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصالح الصفدي . (الطبعة الأولى ، المطبعة الأزهرية المصرية ، ١٣٠٥)
- الفاخر لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ، تحقيق عبد العليم الطحاوي . (الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٠)
- فتوح مصر وأخبارها لأبي القاسم ابن عبد الحكم ، تحقيق شارل توري . (مطبعة جامعة بيل ، ١٩٢٢)
- الفصل في الملل والنحل لابن حزم الظاهري (١ - ٥) . (ط . المطبعة الأدبية ، مصر ، ١٣١٧ - ١٣٢١)
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري ، تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور إحسان عباس . (الطبعة الأولى ، ١٩٥٨)
- فهرسة ابن خير ، نشر الأستاذين فرنسشكه قداره زيددين وخليان ربارة طرغوه . (الطبعة الثانية ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٣)
- فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی (١ - ٢) ، تحقيق الشيخ محمد محبي الدين عبد الحميد . (ط . مصر ، ١٩٥١)
- قضاة قرطبة وعلماء إفريقية لأبي عبد الله الحشني . (ط . القاهرة ، ١٣٧٢)
- قلائد العقيان للفتح بن خاقان . (ط . بولاق ، ١٢٨٣)
- الکامل للمبرد (١ - ٤) ، تحقيق الأستاذين محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة . (ط . القاهرة ، ١٩٥٦)
- الکامل في التاريخ لابن الأثير (١ - ١٣) . (دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٥ - ١٩٦٧)
- کتاب الحيوان للعاجظ ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . (ط . القاهرة ، ١٩٣٨ - ١٩٤٥)
- کتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة (الجزء الأول - القسم الثاني) ،

- تحقيق الدكتور محمد حلمي محمد أحمد . (ط . القاهرة ، ١٩٦٢)
- كتاب الطيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين لمؤلف مجهول (ضمن صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلدان التاسع والعاشر ، مدريد ، ١٩٦١ - ١٩٦٢ ، ص ١٥ - ٢٥٦)
- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق الدكتور إحسان عباس . (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣)
- كشف الظنون لحاجي خليفة (١ - ٢) . (طبع بعناية وكالة المعارف ، ١٩٤١ و ١٩٤٣)
- كامة الزهر وصدقة الدر (شرح البسامة) لابن بدرون الحضرمي . (ط . مصر ، ١٣٤٠)
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة (١ - ٣) ، تحقيق الدكتور جبرائيل سليمان جبور ، (ط . بيروت ، ١٩٤٥ - ١٩٥٨)
- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (١ - ٣) . (ط . القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٦ - ١٣٦٩)
- لسان الميزان (١ - ٦) لابن حجر العسقلاني . (ط . حيدر أباد الدكن ، ١٣٣١)
- لمح السحر لابن ليون التجيبي (مخطوطة الخزنة العامة بالرباط رقم ١٠٣٣)
- اللمعة البدرية في الدولة النصرانية لليمان الدين ابن الخطيب . (ط . المطبعة السلفية ، مصر ، ١٣٤٧)
- مجمع الأمثال للميداني (١ - ٢) . (ط . مصر ، ١٣١٠)
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لابن حجر الهيتمي (١ - ١٠) . (نسخة مصورة بدارالكتاب العربي عن الطبعة المصرية)
- عاشن المجالس لابن العريف ، تحقيق آئن بلاسيوس . (ط . باريس ، ١٩٣٣)
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (المجلد الثامن ، ١ - ٢) . (الطبعة الأولى ، حيدر أباد الدكن ، ١٩٥١ - ١٩٥٢)
- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنباهي ، نشر الأستاذ ليفي بروفنسال . (ط . القاهرة ، ١٩٤٨)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (١ - ٤) ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . (الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٥٨)
- مسالك الأبصار لشهاب الدين بن فضل الله العمري (مخطوطة آياصوفيا ومخطوطة طويقوسراي)
- مستودع العلامة ومستبدع العلامة لأبي الوليد ابن الأحمر . (ط . تطوان ، المغرب ، ١٩٦٤)
- المسلك السهل للأفرائي . (طبعة حجرية بفاس ، ١٣٤٢)

مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي . (ط . مطبعة جامعة
الاشكندرية ، ١٩٥٨)

المشتبه في الرجال لأبي عبد الله الذهبي (الجزء الأول) . (الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٢)
مصارع العشاق لأبي محمد السراج القاري (١ - ٢) . (دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٨)
مطالع البدور في منازل السرور لعلاء الدين الغزولي (١ - ٢) . (الطبعة الأولى ، ط . مطبعة
إدارة الوطن ، القاهرة ، ١٢٩٩)

مطمح الأنفس ومسرح التأس في ملح أهل الأندلس للفتح بن خاقان . (الطبعة الأولى ، مطبعة
الجوائب بالقسطنطينية ، ١٣٠٢)

معالم الإيمان للدباغ (١ - ٤) . (ط . تونس ، ١٣٢٠)
المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان .
(ط . القاهرة ، ١٩٦٣)

معجم الأدباء لياقوت الرومي (١ - ٢٠) . (ط . مصر ، ١٩٣٦ - ١٩٣٨)
معجم الألقاب لابن الفوطي (الجزء الرابع ، الأقسام ١ - ٣) ، تحقيق الدكتور مصطفى
جواد . (من مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة والإرشاد القومي ،
١٩٦٢ - ١٩٦٥)

معجم البلدان لياقوت الرومي (١ - ٥) . (دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٥ -
١٩٥٧)

المعجم في شيوخ أبي علي الصديقي لابن الأبار القضاعي . (ط . مجريط ، ١٨٨٥)
المغرب في حلّ المغرب لابن سعيد الأندلسي (١ - ٢) ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف .
(دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ - ١٩٥٥)

المغرب في حلّ المغرب (قسم مصر) لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق الدكتور زكي محمد
حسن والدكتور شوقي ضيف والدكتورة سيدة كاشف . (ط . مطبعة جامعة فؤاد
الأول ، ١٩٥٣)

المفضليات من اختيار المفضل الضبي بشرح ابن الأنباري ، تحقيق كارلوس يعقوب لايل
(ط . بيروت ، ١٩٢٠)

المقتبس في أخبار بلد الأندلس لابن حيان المؤرخ الأندلسي ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي
الحجي . (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥)

- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس لابن حيان المؤرخ الأندلسي ، نشر الأب ملشور انطونية .
(ط . باريس ، ١٩٣٧)
- المقتبس (قطعة في تاريخ الأمير عبد الرحمن الأوسط) ، تحقيق الدكتور محمود مكّي . (ط .
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٨)
- المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار القضاعي ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري . (ط .
القاهرة ، ١٩٥٧)
- مقدمة ابن خلدون (١ - ٤) ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي . (الطبعة الأولى ، القاهرة ،
١٩٥٧ - ١٩٦٢)
- ملء العيبة في ما جمع في الرحلة بطول الغيبة (رحلة ابن رشيد السبتي) . (مخطوطة الأسكوريال
١ - ٥ ، رقم ١٧٣٩ . . . الخ)
- المن بالإمامة على المستضعفين لابن صاحب الصلاة ، تحقيق الأستاذ عبد الهادي التازي . (ط .
بيروت ، ١٩٦٤)
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٥ - ١٠) . (الطبعة الأولى ، حيدر آباد الدكن ،
١٣٥٧ .)
- المنتقى من فرحة الأنفس لابن غالب (قطعة نشرها الدكتور لطفي عبد البديع في مجلة معهد
المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ١٩٥٥ ، ص ٢٧٢ - ٣١٠)
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي (الجزء الأول) ، تحقيق الأستاذ أحمد
يوسف نجاتي . (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٦)
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقرئ (١ - ٤) . (ط . مصر ، ١٣٢٧)
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (١ - ٤) ، تحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي . (ط .
مصر ، ١٩٦٣)
- نثير الجمان لابن الأحمر . (مصورة دار الكتب أدب ١٨٢٣)
- نثير فرائد الجمان لابن الأحمر ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية . (دار الثقافة ، بيروت ،
١٩٦٧)
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (١ - ١٢) . (ط . دار الكتب
المصرية)
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة ، تحقيق الأستاذ مهران . (ط . ليسك ، ١٩٢٣)

- نزهة الأنام في محاسن الشام لعبد الله بن محمد البدرى . (ط . المطبعة السلفية بمصر ، ١٣٤١)
- نزهة الجلساء في أشعار النساء لجلال الدين السيوطي ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . (ط . دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٨)
- نظم الجمان لابن القطان ، تحقيق الدكتور محمود مكّي . (من منشورات جامعة محمد الخامس بالرباط ، ط . المطبعة المهدية بتطوان)
- نقط العروس لابن حزم الأندلسي ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف . (نشر بمجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة)
- النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية لعمارة البني ، تحقيق الأستاذ ديرنبورغ . (ط . باريس ، ١٨٩٧)
- نكت الهميان في نكت العميان للصلاح الصفدي . (ط . مصر)
- نهاية الأرب للنويري (الجزء الثاني والعشرون)
- نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني ، تحقيق الأستاذ رودلف زهايم . (ط . فيسبادن ، ١٩٦٤)
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التمبكتي . (ط . فاس ، وطبعة أخرى على هامش الديباج المذهب)
- الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي (١ - ٤) . (من سلسلة النشرات الإسلامية التي تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية)
- الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي (٧ - ٨) . (من مخطوطة طوبقبوسراي ، رقم ٢٩٢٠)
- وفيات الأعيان لابن خلكان (١ - ٦) ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . (ط . القاهرة ، ١٩٤٨)
- يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي (١ - ٤) ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . (الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٦)
- اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة لمحمد بشير ظافر الأزهرى . (ط . مصر ، ١٣٢٥)

٢ - المراجع

- أبو المطرف ابن عميرة ، حياته وآثاره للأستاذ محمد بن شريفة . (ط . الرباط ، ١٩٦٦)
الاعلام للأستاذ خير الدين الزركلي (١ - ١٠) . (الطبعة الثانية)
تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس . (دار الثقافة ، بيروت ،
١٩٦٠)
تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (١ - ٣) ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار . (دار المعارف
بمصر ، ١٩٦١ - ١٩٦٢)
تاريخ ليبيا للدكتور إحسان عباس . (دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧)
الحركة اللغوية في الأندلس للأستاذ ألبير مطلق . (ط . المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ،
١٩٦٧)
الزاوية الدلائلية للأستاذ محمد حجتي . (ط . الرباط ، ١٩٦٤)
شعر ابن دقيق العيد . (ملحق بكتاب ابن دقيق العيد للأستاذ علي صافي حسين ، ط . دار المعارف
بمصر ، ١٩٦٠)
شعر ابن عمّار . (ملحق بكتاب محمد بن عمّار للدكتور صلاح خالص ، ط . بغداد ،
١٩٥٧)
فجر الأندلس للدكتور حسين مؤنس . (ط . القاهرة ، ١٩٥٩)
مجلة معهد الدراسات الإسلامية (١ - ١٠) . (تصدر عن معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ،
١٩٥٤ - ١٩٦٢)
ملحق المعاجم العربية للمستشرق رينهارت دوزي (١ - ٢) (ط . ١٩٢٧)

استدراكات وتعليقات

الجزء الاول

الصفحة	السطر	
٩٦	٦	ابن الخياط ؛ محمد بن يوسف معاصر الصفدي ، له ترجمة في الوافي ج ٥ رقم ٢٣٤٧ وأورد فيه البيتين ومقطعات أخرى كثيرة .
٩٦	١٩	ط ق : بالمزيريب ؛ الأرجح أن هذا هو الصواب لتكون كلمة « المزيريب » - وهي تصغير مزراب - ملائمة للحديث عن الجريان في البيت .
٩٧	١١	هذان البيتان لنجم الدين القحفازي ، وهما في صدر كتاب إلى ابن الطحان حين سافر إلى الديار المصرية (المسالك والممالك ، نسخة آيا صوفيا ، ٧ : ٦٨)
٢٠٩	١٥	ابن سفر المريني ، كذا في الأصول ، وجاء في تحفة القادم أنه من ناحية المرية ، فالنسبة لذن هي المريني .
٤٦٨	١٨ - ١٩	أبو الحسن المريني الوشاح : ربما كان هذا خطأ كالذي سبق قبله ، وتكون النسبة هي « المريني » .
٤٦٩	٨ - ٩	قاسم بن عبود الرياحي ؛ هكذا وردت هذه النسبة « الرياحي » بالياء المثناة ، وهناك « الرباحي » المنسوب إلى قلعة رباح - بالباء - والترجيح هنا غير ممكن .
٤٧١	١	اقرأ : والمنية المصحفية وهي منسوبة للحاجب . . . الخ ، وقد سقطت العبارة من الأصول ودوزي ، وأثبتت في النسخة ج .

الجزء الثاني

١٩	١٢	على اللؤلؤي وأبي إبراهيم ومثل هؤلاء : وفي الصفحة السابقة (س : ٢) فيهم أبو إبراهيم اللؤلؤي ونظراؤه ، والعبارة على هذا مضطربة ، وإذا
----	----	--

كانت الإشارة إلى شخصين وجب أن يقول « ومثل هذين » .		
رباط أبي سعيد : مرّ في ص ٣٣ من الجزء نفسه باسم رباط أبي سعد ، وأظنه هو الصحيح .	٤	٤٣
كفرغوس : الصواب : كفرعوس .	٢١	٤٥
اليقوري — هكذا ضبطه نقلاً عن الحافظ المقرئ ، وجاء في الديباج المذهب : ٢٢٢ اليقوري بالباء الموحدة المفتوحة وقاف مشددة وراء مهملة ، قال : وهي بلد بالأندلس .	١٢	٥٣
وأبا الحسن طارق بن يعيش ، كذا هنا ، وكنّاه ص ٥١٣ من الجزء نفسه بـ « أبي محمد » .	٦	٥٩
في أبي العلاء المستنصر : يوم هذا أن « المستنصر » لقب له ، وهو وهم من المقرئ أدت إليه العجلة ، وفي اختصار القدر « في أبي العلاء المستنصر بالعرب على أهل مراکش » .	١٢	١١٩
وهبة الله بن الأكفاني ، ورد ص ٥٧٦ ، ٦٣٥ بسقوط كلمة « بن » .	١٧	١٥٤
توجد ترجمة ابن سعادة أيضاً في بغية الوعاة : ١١٩ والوافي ج : ٥ رقم : ٢٣٢٥	٢٢	١٥٨
هناك اختلاف في تاريخ وفاة ابن سعادة (انظر الحاشية رقم : ١) وفي الوافي أنه توفي سنة ست وستين وخمسمائة .	٢٠	١٦٠
ابن شودكين ؛ يرد هذا الاسم هكذا بالشين المعجمة في كثير من المصادر ، ولكن صوابه بالسین المهمل « شودكين » راجع ج ٥ : ٢٧٣	٨	١٦٥
أنشد بين يديه الزجل المشهور ؛ الأولى أن يقال « الموشح » المشهور .	٣	١٩٠
هذا شطر بيت ، وصدره : « فلا تكثروا فيها الضجاج فإنه » انظر الخزانة ٤ : ٥٦٠ وشرح التبريزي على الحماسة ١ : ٢٠٦ ونسبه للكميت ابن معروف .	١٨	١٩٦
الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ، كذا ورد اسم هذا الكتاب في الأصول ، ولعله « المقصد الأسنى . . . » وهذا الثاني اسم كتاب للغزالي (كشف الظنون : ١٨٠٥) وربما توارد المؤلفان على الاسم نفسه .	١٩	٢١١
يضاف إلى مصادر ترجمة الشهاب التلعفري ، كتاب الوافي ج : ٥	٢١	٢٩٥

رقم : ٢٣٣٧ وبروكلمان ، الدليل ١ : ٤٥٨		
ترجم له الوافي في الصفدي ج : ٥ رقم : ٢٣٤٥ ، والعمرى في المسالك والممالك ٧ : ٨٠ ، قلت : وانظر بروكلمان ، الدليل ٢ : ١٣٥	٢٠	٥٣٥
ابن المليحي ، وفي الوافي : ابن المليحي	٢٢	٥٤٩
أحمد بن سعيد ، وفي الوافي : أحمد بن سعد	٧	٥٥٠
الهمداني ، وفي الوافي : الهمداني (وانظر ص ٥٦٢ من هذا الجزء) .	١٤	٥٥٠
ذنون ، وفي الوافي : زنون	١٢	٥٥١
ياسين ، وفي الوافي : ياتين	١٦	٥٥١
الفضل ، لعلها : الفصل (بالصاد المهملة) .	١٠	٥٥٢
أنجي ، الوافي : أنت جيت ، (وهو أشبه بالصواب على اعتبار الخرجة عامية) .	٩	٥٥٦
قمصال : هو الوعاء الذي يستعمل للشرب (انظر دوزي : ملحق المعاجم ، مادة : قمصال) وقد وردت اللفظة في بعض أصول النفع مرة أخرى (انظر ج : ٣ : ٢٤٣ س : ١١ حيث أثبتت « قمعل ») ولعلّ توقف المشاركة في فهم لفظة « قمصال » جعلهم يغيرونها إلى لفظة أخرى مشابهة في المعنى .	١٢	٥٥٨
أخبره المحدث نجيب : اقرأ : نجيب الدين (كما ورد في ص ٥٥٠ من الجزء نفسه) وقد سقطت لفظة « الدين » في هذا الموضع من الأصول .	١	٥٦٢
أبو الفضل محمد عبد المنعم ، صوابه : أبو الفضل [أو أبو] محمد كما ورد في رقم : ٥٤ ، ٢٣٨	١١	٦٣٥
ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي . . . هذه الترجمة مكررة (انظر رقم : ٣١ ص ٥٩ من هذا الجزء) .	١٥	٦٦١

الجزء الثالث

صاعد بن الحسين ، الصواب : صاعد بن الحسن ، انظر ص ١٧٢	٢٠	٧٥
البدرى ، لعل صوابه : « البدر »	٣	١٠١

ترجمة أبي اليسر الرياضي في ابن عذاري ١ : ١٦٢ (الطبعة الأوروبية)	٣	١٣٤
وفيه «إبراهيم بن محمد» .		
في ابن عذاري : «الوحيدة المؤنسة» على أنها رسالة واحدة	٣	١٣٥
محمد بن يوسف الورّاق له ترجمة أيضاً في الوافي ج : ٥ رقم :	١٣	١٦٣
٢٣٢٧		
ابن سيده ، هذا خطأ في الأصول ، وصوابه «ابن سيد» كما هو مبين في	١	١٧٣
الحاشية رقم : ١ من الصفحة نفسها		
تاريخ أصحاب الأندلس ، هكذا ورد اسم هذا الكتاب في الأصول ،	١٣	١٨١
ولا أدري صوابه ، فإنه غريب .		
الحسن بن محمد الزبيدي ، صوابه محمد بن الحسن الزبيدي .	١١	١٨٢
سقوط البرغواطي ، اقرأ : سقطت البرغواطي	١٨	١٩١
المستضيء بالله سليمان بن هود ، كذا في أصول النفع ، والمعروف	٤	٢٦٨
أن لقب سليمان هو «المستمعين بالله» .		
أبو الحسن ابن الغليظ ، كناه ص ٣٩٨ بأبي علي وسماه : «الحسن»	٩	٢٧٠
فالتفت إلى ابنه الواثق يحيى ولي عهده . كذا وفي الحلة السراء ١ : ٨٩	١	٤١٢
أن ولي العهد هو معز الدولة أحمد		
كتاب ابن السري ، وفي الجذوة : كتاب أبي السري .	٩	٥٤٨
ترجمة أحمد بن هشام في الجذوة : ١٣٩ وبغية الملتبس رقم : ٤٥٧	٦	٥٧٤
(تنقل الحاشية ١ ص ٥٧٣ وتجعل حاشية في الصفحة التالية) .		
وأما أخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر : هذا خطأ واضح فإن محمداً	٢	٥٨٥
هذا حفيد الناصر ، والسابقان من أبنائه .		
انظر المغرب ٢ : ٣٥٤ والنفع ١ : ١٨١	١٧	٥٩٥

الجزء الرابع

علي بن حفص : صوابه : علي بن حصن	١٢	٦٧
وأنا : كذا وردت في الأصول ودوزي ، ورجع مراجع طبعة دوزي	١٩	٦٧

أن تكون « وأناف » قلت : وصوابها « وأناد » .		
أبو الحسين بن الحمارة ؛ ورد ذكر أبي عامر ابن الحمارة ص : ١٣ من الجزء نفسه ولعلهما شخص واحد ، وقد أثبتا في الفهارس منفصلين .	٦	١٤٠
كذا في الأصول ، وصوابه : وقد مر ذكر هذين البيتين ، انظر ص : ١٣ من الجزء نفسه	١٦	١٤٠
أبو بحر عبد الصمد : الصواب أبو بحر ابن عبد الصمد ، وهو يوسف ابن عبد الصمد (انظر النسخ ٣ : ٥٣٤) وقد أثبت في الفهارس تحت اسم « يوسف » .	٦	٢٥٩

الجزء الخامس

عبد المولى العواد ، اقرأ : عبد الولي	١١	٧٥
ابن هربة ، لعلّ الصواب : ابن هدية .	١٤	٢٢٤
والديبران : هو نجم الدين الكاتب صاحب التوالمف البديعة في المنطق	٢	٢٤٧
اليزناسي : اقرأ : اليزناسني (وصوبناه في الفهارس) : واليزناسني أحد أعيان أصحاب الشيخ أبي الحسن الزرولبي ، كان مفتياً بفاس ، وهو أستاذ الرعيني صاحب البرنامج ، قال فيه تلميذه كان رجلاً فاضلاً حافظاً مفتياً قاضياً لحوائج المسلمين ساعياً في مصالحهم ، وكان حياً بعد الأربعين وسبعمئة (انظر نيل الابتهاج : ١٠ وسلوة الأنفاس ٣ : ٢٥٤) .	١٦	٢٥٢
أبو محمد عبد المؤمن بن محمد بن موسى المجانقي ، كان من أعرف الناس بالتهذيب ، حسن الإلقاء للمسائل ، إلا أنه كان لا يحسن العربية ، خلف أستاذه أبا الحسين الصغير ، وتوفي بفاس سنة ٧٤٦ (انظر سلوة الأنفاس ٣ : ٣٠٥ ونيل الابتهاج : ١٥٦ حيث سماه عبد العزيز) .	١٧	٢٥٢
الياصوتي ، صوابه : الياصوتي كما في سلوة الأنفاس (وعلى هامشه خ : الياصوتي) ، وكان من أكابر تلامذة أبي الحسن الصغير ، فقيهاً حافظاً للتوازل ، توفي بفاس سنة ٧٥٠ (انظر السلوة ٣ : ٣٧٧) .	١٨	٢٥٢

الجزء السادس

٢	٨١	(٨٢ : ١٦) ابن سلبطور ، قلت : ترجم الصفدي في الوافي ج : ٧ رقم : ٣٠٦٦ لمن اسمه أحمد بن عبد الله بن إبراهيم البلنسي المعروف بأبن سلبطور (وضبطه بالشين المعجمة)
١٤	١٣٦	من دراسه : كذا ، ولا يوافق السجعة ، ومعناه غير واضح
١٤	١٧٥	ثم أعلق بباله ، لعل الصواب : بثيابه
٥	٢٢١	وعلى مسافة نجهه ، كذا هي ، ولا أدري ما وجه التصحيح في لفظة « مسافة » .

الجزء السابع

١٩	٩	واشتهر بعده ابن حيون ، كذا في الأصول ولعله ابن حنون الإشبيلي أبو العباس الذي ورد ذكره في ٢ : ٦٠٣ ، ٣ : ٢٠٦ من النسخ
٩	١٦٦	أبو عبد الله اللوشي ، ورد في ٥ : ١٢ ، ٧ : ١٤٧ أبو عبد الله ابن اللوشي .
٣	٣٤٠	المالكي ، لعلها المالقي ، وهي النسبة التي وردت في سائر الكتاب متصلة بأبن صفوان ، وإن لم تكن لفظة « المالكي » خطأ .

تصويبات

الجزء الأول

الصفحة	السطر	الخطأ	المصواب
١٣١	١٧	الأولى وهي	والأولى هي
١٨٥	٢٠	ابن بدرون	ابن عبدون
٣١٤	١٣	البيان	التيبان
٣٦٨	٢٢-٢٣	لب الباب وفي أزهار الرياض	لب الباب وك وفي أزهار الرياض
		وك ٢ : ٢٧٣	٢ : ٢٧٣
٤٣٢	١٦-١٧	أبو القاسم اسماعيل بن عباد	أبو القاسم ابن إسماعيل بن عباد
٤٣٨	٢	أبو محمد جهور	أبو الحزم جهور
٤٥٩	٩	كتاب « فرحة الأندلس »	كتاب « فرحة الأنفس »
٤٦٧	١٥	اخيته	اخيته
٤٨٠	١٧	عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقي	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي
٥١٧	١٧	اللقطة	اللفظة
٥٥٦	٢٤	نيل الابتهاج : ١٤٩	نيل الابتهاج : ٢٤٩
٦٢٢	١٨ و ٣	الرضي	الرضي (أي الشريف الرضي)
٦٤١	١٧	أحمد بن محمد بن سليمان بن هود	أحمد بن يوسف بن سليمان بن هود
٦٤١	١٧	المؤتمن محمد	المؤتمن يوسف
٦٨٨	١٢	تُنْقِصُ	تَنْقِصُ

الجزء الثاني

٥٣	٨	وَكُتِبَ	وَكَتَبَ
١٣٧	٩	المريني	المرسي
١٦٥	٨	شودكين	سودكين
١٨٥	١٠	الحسن بن سراقه	الحسين بن سراقه
١٩٩	٩	« بدء العارف »	« بدء العارف »

العذري	١	٢٤٤	العذري	١	٢٤٤
ذنب صحر	٢١	٢٧٦	ذنب حر	٢١	٢٧٦
« تاج المعاجم »	٢٢	٢٩٨	« تابع المعاجم »	٢٢	٢٩٨
لشوق	١٦	٣٠٨	لشوق	١٦	٣٠٨
« روح الشجر »	١٠	٣٢٠	« روح السحر »	١٠	٣٢٠
ابن أبي الحسين	١٠	٣٣٦	أبي الحسين	١٠	٣٣٦
جدة	٨	٣٤٥	جدة	٨	٣٤٥
(يحذف الرقم)	١٦٦	٣٥٠		١٦٦	٣٥٠
محمد بن أحمد بن جبير	١٢	٣٨١	محمد بن أحمد جبير	١٢	٣٨١
الشفاف	٢٣	٤٤٣	الشفاف	٢٣	٤٤٣
ابن سكرة الصدي	١١	٥٠٨	أبي سكرة الصدي	١١	٥٠٨
نظم	٢٣	٥٤٠	ونظم	٢٣	٥٤٠
الحسين بن عبد العزيز	٦	٥٥٠	الحسن بن عبد العزيز	٦	٥٥٠
جال	١٦	٥٥٥	حال	١٦	٥٥٥
أبو جعفر ابن الزبير	٢	٥٧٦	أبو جعفر الزبير	٢	٥٧٦
« هداية المعتسف . . . »	١٠	٥٩٢	« هداية المعترف . . . »	١٠	٥٩٢
سعد الخير بن محمد بن سهل	١٠	٦٣٢	سعد الخير بن محمد بن سعد	١٠	٦٣٢
أبو الأصبع	١	٦٣٤	أبو الأصبع	١	٦٣٤
نثير فرائد الجمان	٢٠	٦٧٥	فرائد نثير الجمان	٢٠	٦٧٥
برقم : ١١٧	٢١	٦٧٥	برقم : ١١٦	٢١	٦٧٥

الجزء الثالث

ابن خالد	٢٣	٣١	أبو خالد	٢٣	٣١
الحكم المستنصر	١٣	٦٩	الحاكم المستنصر	١٣	٦٩
صاعد بن الحسن	٢٠	٧٥	صاعد بن الحسين	٢٠	٧٥
أبا زيد السهيلي	٧	٩٩	أبا يزيد السهيلي	٧	٩٩
هاشم بن عبد العزيز	١٠	١٣٠	هشام بن عبد العزيز	١٠	١٣٠
أبي محمد المبارك . . .	٧	١٣٩	أبي محمد بن المبارك . . .	٧	١٣٩
محمد بن الحسن الزبيدي	١١	١٨٢	الحسن بن محمد الزبيدي	١١	١٨٢

أبي عبد الصمد	ابن عبد الصمد	١١	٤٠٢
أبو عبد الله محمد بن عمر	أبو عبد الله محمد عمر	١٩	٤٣٠
ابن الفرج	أبي الفرج	١٧	٤٣٢
ابن الفرج	أبي الفرج	٥	٥٤٣
ابن عبد العزيز (ويحذف الهامش التابع له)	ابن عبد العزيز	١٨	٥٧٢
انظر ترجمته وشعره في الجذوة : ٨٨ وبغية الملتبس رقم : ٢٩٨	ترجمته في الجذوة : ١٣٩ وبغية الملتبس رقم : ٤٥٧	٢٠	٥٧٣
الحجام	الحجاج	١٤	٦٠٦

الجزء الرابع

فربما	فربما	٨	٩٨
جيرة	جيرة	٨	١٠٧
أبو الطاهر	الطاهر	٤	١٦٠
أبو بحر بن عبد الصمد	أبو بحر عبد الصمد	٦	٢٥٩
الكناني	الكناني	١٣	٣٤٠
... وبين تلمسان يوم سنة ٦٤٦	... وبين تلمسان سنة ٦٤٦	١٦	٣٨٤
المعقة	لمعقة	٢٢	٥٣٢

الجزء الخامس

منتفريد (منتفريد)	منتفريد	٨	١٠
بيد	بيد	٦	٤٥
بد العارف	بد العارف	٢٢	٤٥
اليزناسي	اليزناسي	١٦	٢٥٢
الياصوتي	الياصوتي	١٨	٢٥٢
أبي الحسين	أبي الحسن	٨	٢٧٤
أبي عبد الله المقرري	أبي عبد المقرري	٨	٣٤٢
وثلاثين	وثلاثين	٩	٤٢٦
وحيدة	وحيدة	١٦	٤٤١

تنسب لجزء أخي الشماخ	تنسب للشماخ	١٩	٥٤١
جزء أخي الشماخ	الشماخ	٢٢	٥٤٢

الجزء السادس

لغير	الغير	١٠	٤٣
أبو تاشفين	ابن تاشفين	١١	٤٧
والفرارة	والفرارة	١٠	١٧٠
ابن أبي الحجاج	ابن الحجاج	٧	١٨٩
الحافظ أبو عبد الله التنسي	الحافظ عبد الله التنسي	١٠	١٩٥
ترهقه	تزهقه	١٩	٢٢٠
فمن	فمن	١	٢٢٢
٢٣٨	٣٣٨	٢٥	٢٣٨
Mons Frigidus	Mons Fri8idus	٢٢	٢٦١
لشهرزوري	للسهروردي	٢١	٢٧٠
نصلها	بصلها	٧	٣٧٣
انتحل	انتحل	١٧	٣٨٨

الجزء السابع

ابن عبادة القزاز	عبادة القزاز	٤	٦
أبي الحسين	أبي الحسن	١١	٣٠
ابن بسام الشنري	ابن بسام الشتمري	١٤	٣٣
أحمد بن أبي حجلة	أحمد بن حجلة	٢٠	١٠٥
أبي عبد الله ابن اللوشي	أبي عبد الله اللوشي	٩	١٦٦
ابن أبي يغمور	ابن أبي يعمور	٢٢	٢٧٦
« الانشادات والافادات »	« الإشارات والافادات »	٨	٢٧٩
زبير	عبيد	١٠	٣٢٦
شعبان بن حسين	شعبان بن حسن	١٢	٣٣٧

محتويات الفهرست

ترجمة المؤلف
بيان بمخطوطات كتب المقرري في مكتبات استانبول
جداول الأسر
خريطتان للمغرب والأندلس

الفهارس العامة

٣	فهرست الأعلام
١٨٣	فهرست الأماكن
٢٤٨	فهرست القوافي
٤٤٨	فهرست الرجز
٤٥٣	فهرست الموشحات والأزجال والمسمطات
٤٦٠	فهرست الرسائل والخطب والتوقيعات
٤٧٠	فهرست الكتب التي ذكرت في المتن
٥٣١	مصادر المقدمة والتحقيق — المصادر
٥٤٧	» — المراجع
٥٤٨	استدراكات وتعليقات
٥٥٤	تصويبات

Abu 'l- 'Abbās A. al - Maqqarī

NAFH AT-TĪB

VIII

Edited and Annotated

by

Ihsān 'Abbās, Ph. D.

INDEXES

Dar SADER

P.O.B. 10

BEIRUT, Lebanon

1968